الطليعة

طريق للناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

السنة الثامنة — يوليو ١٩٧٢

٧

عدد خاص

موقع البترول العربي من خريطة الصراع في المنطقة

الاتحاد الاشتراكي والقضية التنظيمية [٢]

ديمقراطيــة المعــركة

العــام العشرون لثــورة يوليــو

جورجي ديمتروف «ملف خاص»

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية تصدر اول كل شهر

الفهرس

العدد السابع ـ السنة الثامنة ـ يوليو ١٩٧٢ : عدد خاص

ص

■ ديمقراطية المعركة .. «الافتتاحية» — لطفى الخولى — ٥

● العام العشرون لثورة يوليو — محمد حلمى ياسين — ١١

■ موقع البترول العربى من خريطة الصراع فى المنطقة — ١٦

ـ البترول : السلاح .. المعركة .. المستقبل .. — د. محمد عجلان — ١٧
ـ تأميم البترول العراقى .. دوافعه وأبعاده السياسية — د. رحيم عجينة — ٢٨
ـ البترول العربى .. شريان الحياة للاقتصاد الغربى — محمد فتحى عافية — ٣٢
ـ البترول العربى فى أرقام — ٣٧

■ الاتحاد الاشتراكى وقضية التحالف [٣] — ٥٣

ـ اجتماع اللجنة الفرعية للعمال — ٥٤
ـ اجتماع لجنة الفلاحين — ٦٧
ـ مفاتيح التطوير الفكرى والسياسى والتنظيمى للاتحاد الاشتراكى العربى — ٨١
ـ تقرير من السكرتير الاول للجنة المركزية فى ضوء ما انتهت اليه لجنة العمل — ٨٥
ـ تعليقات على المناقشات — ٩٠

■ جورجى ديمتروف « ملف خاص » — ٩٨

● القاهرة : المشاكل العامة للمدينة والعاصمة — د. محمد رياض — ١٢٠

■ تقارير الشهر وتعليقات : — ١٢٨

■ مكتبة الطليعة : — ١٤٣

■ مناقشات مفتوحة : — ١٥٠

■ وثائق :

ـ البرنامج السياسى للجبهة الوطنية المتحدة للثورة الفلسطينية — ١٥٦

■ ملحق الادب والفن : — ١٦٣

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٦٤٢٦٤

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م دول اتحاد الجمهوريات العربية والسودان البيضاء ١٢٠ قرشا .

د. محمد الخفيف

شارك فى تاسيس « الطليعة »
وأسرة تحريرهـــا
ينــاير ١٩٦٥ ــ مارس ١٩٧٢

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكى راى حر ، وفى اعتقــادنا ان تفــاعل الاراء الحرة على اختــلافها هو وحده الــذى يســتطيع أن يبلور ويستخلص وحـــدة فكرية اصيلة .

من هـــذا المفهـــوم تفتح « الطليعـــة » صفحاتها لكل راى لـــديه كلمة يقولهـــا ــ مؤمنة بشعار الحـــرية المجيـــد الذى اطلقـــه فولتير فى القـــرن الثـــامن عشر « قـــد اختلف معـــك فى الراى ولـــكنى على اســـتعداد لان ادفـــع حيـــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ..

الافتتاحية

ديمقراطيـــة المعـــــركة

استمرار تجمد ما اصطلح على تسميته ــ منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ــ بأزمة الشرق الاوسط ، يكشف عن حقيقة موضوعية ذات وجهين متناقضين ومتفاعلين فى وقت واحد.

الوجــه الاول من الحقيقــة ، يقرر ان المنتصر فى حرب ١٩٦٧ ، لم يستطع بقواه العسكرية والدعم الامبريالى ، أن يفرض على المنهزم شروطه وارادته ، برغم دوام احتلاله للارض خمس سنوات .

أما الوجه الثانى من الحقيقة ، فيؤكد على أن المهزوم فى حرب ١٩٦٧ ، لم يقدر بعد ، ورغم مرور خمس سنوات كاملة على الهزيمة أن يحرر أرضه من الاحتلال .

ولقد قيل الكثير فى دراسة وتحليل هذه الحقيقة المزدوجة الوجهين ، والتى ماتزال تسيطر على واقع أزمة الشرق الاوسط وتحكم حركته . هناك ــ بلا جدال ــ أكثر من سبب وأكثر من عامل . لكن السبب الرئيسى والعامل الحاسم فى تحديد وجهى الحقيقة على هذا النحو ، يظل متجسدا فى رفض الجماهير العربية للهزيمة ، وبتعبير آخر فان خروج الجماهير العربية الى ساحة المعركة . هو جدار الصمود ضد العدو المنتصر الذى يحول بينه وبين جنى ثمار انتصاره العسكرى . لكن هذا الجدار فى نفس الوقت ، هو أيضا ، بطبيعة وضعه وظروفه ، غير مؤهل لممارسة مسئولياته التاريخية فى تحرير الارض . ومن هنا فهو ــ بحد ذاته ــ السبب الرئيسى والعامل الحاسم فى استمرار الاحتلال .

وقد يبدو فى اعتبار « التواجد الجماهيرى » سببا رئيسا لكل من تجمد حركة العدو وحركتنا فى نفس الوقت ، نوعا من التناقض ، فضلا عن أنه قد يوحى بنوع من النقد لهذا التواجد الجماهيرى الذى يملأ الساحة منذ يونيو ١٩٦٧ . والذى لولاه لتكرر ــ دون حياء ــ نموذج الملك حسين ونظام حكمه فى الواقع العربى .

ولكن اذا كانت الحقيقة الموضوعية التى تحكم بوجهيها مسار حركة العدو وحركتنا ، صحيحة .. فان العامل الحاسم فى تكوينها ، يصبح هو أيضا السبب الصحيح فى رسم وتحديد الوجهين .

واستطرادا لهـذا المنطق الجـدلى فىرؤية الحقيقة الموضوعية ــ خارج ذواتنا وتصوراتنا ــ فان **الطابع الغالب** للعامل الحاسم هو فى النهاية الذى يحدد وجـه العدو ووجهنا من الحقيقة الموضوعية .

والطابع الغالب على التواجد الجماهيرى أو الصمود الجماهيرى ، هو تواجد الرفض السلبى ، أو الصمود غير الايجابى .

ومن هنـا ، فهو اذا كان قادرا على حصار الانتصـار العسكرى الذى حققـه العدو فى ١٩٦٧ من ناحيـة ، الا انه غير قادر على تحويل هذا الحصار الى حركة خانقة لهذا الانتصار من ناحيـة أخرى . بمعنى أن التواجد الجماهيرى فى الساحة كان ــ ومايزال ــ تواجدا **كميا لا كيفيا** . وبالتالى فان عطاءه محدود ، رغم مايختزنه من امكانيات هائلة ، وحركته غير ثورية ، بحساب طاقاته الذاتية ومعيـار المستوى الواجب والمطلوب من الفعل .

على من تقع مسئوليـة هـذا الطابع السلبى للتواجد والصمود الجمـاهيرى ، بحيث يجعل منه مجرد كم مساند ، وليس كيفا ثوريا متحركا ؟

لاشك أن جانبا هاما من المسئولية يقع على الانظمة والحكومات ، وعلى المنـاخ السياسى الاجتماعى السـائد ، وطبيعـة السلطات الحاكمة ، والرصيد المتراكم من عـدم الثقـة المتبـادلة بين المؤسسات والجماهير . ولـكننا نقع فى خطأ التبسيط المخل اذا توقفنا عند حد تعليق المسئولية برقاب الانظمة فحسب . ذلك أن الجماهير ذاتها ــ وخاصة بعد صدمة الهزيمة الغائرة الجرح ــ تتحمل بنفس القدر قسطا غير يسير من المسئولية . والمقصود بالجماهير هنا ، ليس حاصل جمع المواطنين العرب كأفراد ، فالفرد وحده وأيا كانت قـدراته أو مراكزه ، كما علمتنا التجارب الفادحة الثمن ومن ضمنها تجربة الهزيمة ذاتها ، غير قادر على مواجهة مسئولية تاريخية تتعلق بمصير شعب يصارع قوى الامبريالية والصهيونية الضارية . ولـكن الجماهير المقصـودة هى الجماهير المنظمة فى اطار التنظيمات والاحزاب العربيـة الوطنيـة والتقدمية بالذات . ذلك انه رغم استقطابها لاحجام اجتماعية ذات وزن من الجماهير على مسـتوى الوطن العربى ، لم تتمكن بعد ــ فى جو سـياسى واجتماعى موات تاريخيـا للحركة الوطنيـة الديمقراطيـة الثورية ــ من تحويل الطابع السلبى للتواجد الجماهيرى الى طابع ايجـابى ، وتخطى مرحلة الـكم الى مرحلة الـكيف .

والواقع ان هذا التحويل للطابع الغالب للتواجد الجماهيرى قد اصبح ضرورة ملحة . فالتواجـد السلبى قـد لبى احتيـاجات موضوعية ، بعـد الهزيمة ، تبلورت فى ارادة الصمود . ولـكن الصمود الجامد غير المتحرك لسنوات متراكمة إزاء احتلال قائم يرسخ من جذوره فى الارض العربية ، يحمل مخاطر القبول بالامر الواقع والاعتياد عليه وبالتالى التقولب داخله ، ويهبط شيئافشيئا الى درجات لانهائية من المساومة . بل يصـبح مشلولا وعاجزا حتى حمـاية القوى الوطنيـة الديمقراطية الثورية ، أو ردع القوى الانهزامية الرجعية فى الجبهة العربية نفسها . فالتواجـد الجمـاهيرى السلبى عجز عن حماية الثورة الفلسطينية خلال مجازر سبتمبر ١٩٧١ فى الاردن ، كما كان مشلولا عن انزال عقـاب مؤثر وفعـال بضربة خنجر الظهر التى وجهها الملك حسين والقوى الانهزامية التى يمثلها فى الوطن العربى تحت سـتار مشروع المملكة العربية المتحدة .

ما معنى ذلك ؟

معناه ان جدار الصمود السلبي قد أصابته الشروخ وتفتحت فيه ، بفعل قذائف العدو المباشرة وغير المباشرة ، ثغرات خطيرة ، فأصبح مهددا وبالتالي غدا عبئا حقيقيا يثقل كاهل حركة التحرر العربي ، ولعلنا نستطيع أن نلمس ذلك بوضوح من خلال عدد من المظاهر الحديثة في واقعنا .

● بعد اقدام الملك حسين على الغاء اتفاقيات القاهرة وعمان بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، في ظل التواجد الجماهيري السلبي ، يرتفع اليوم في لبنان صوت مماثل [العميد ريمون اده] من فوق منبر البرلمان ينادي أيضا بالغاء اتفاقية القاهرة بين لبنان والمقاومة .

● مظاهر الضعف والتخاذل العربي ازاء تهديدات اسرائيل بالعدوان بدعوى مساندة بعض الدول العربية للعمل الفدائي . وهي المظاهر التي راحت تصرخ وتولول دون أدنى قدر من الشجاعة الادبية الوطنية والقومية « الفدائيون ليسوا منا » . وذلك بعد أن كان الفدائيون الفلسطينيون في المرحلة الاولى من الصمود السلبي ، اوسمة بطولة يسعى كل نظام ليرصع صدره بها .

● نمو نشاط بعض القوى الرجعية التي كانت نائمة في جحورها ، بالتعاون مع قوى رجعية غير عربية والقوى الامبريالية في محاولة لمحاصرة حركة التحرر العربي بطريق الغواية والترغيب ، والعمل في نفس الوقت على الانقضاض على عدد من مواقع حركة التحرر مثلما يحدث اليوم في منطقة الخليج العربي . فضلا عن محاولات التخريب الذكية التي ترتدي مسوح الورع والحكمة وتراث الاجداد ، لوحدة القوى الوطنية والتقدمية للجبهات الداخلية ، واشاعة موجات اليأس من كل امكانية لمواجهة العدو من خلال معركة تحرير مسلحة طويلة المدى ، حتى ليصل الامر الى درجة العلانية واستخدام بعض الصحف العربية صراحة في تجسيم قوة العدو وهيلمانه ، الامر الذي يتيح أذانا صاغية لفحيح الاصوات الانهزامية التي تنصح « بانقاذ مايمكن انقاذه بأي ثمن ولو كان تنازلا عن فلسطين وأجزاء من الارض العربية ، قبل أن يضيع كل شيء » .

● تكثيف الجهود الانهزامية ، بأشكال وصور متعددة ، لتعمية الصورة وتخطئة الحسابات . وتتركز هذه الجهود في عمليات نشطة لعزل حركة التحرر العربي عامة ومصر خاصة عن الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية . وذلك بهدف اصطناع عدو وهمي في الحليف والصديق الحقيقي ، وفبركة صديق وهمي — رهن الاشارة — في العدو الحقيقي : الولايات المتحدة الامريكية .

● التهوين من كل عمل ثوري حقيقي يتم انجازه في الجبهة العربية ، ومحاصرته بمؤامرة صمت إعلامي وسياسي . ويمكن أن نرصد في هذا المجال العديد من الاعمال ، لعل اهمها :

— ضربة التأميم العراقية لشركة نفط العراق ، والتي تشكل أهم وأخطر عمل ثوري عربي ضد المصالح الاحتكارية ، وخاصة الامريكية منها في

المنطقة ، وذلك منذ حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، وتفتح ــ جديا ــ الباب لاستخدام سلاح البترول العربى فى المعركة .

ــ العمل الجاد لبناء الوحدة الوطنية لفصائل الثورة الفلسطينية ، من حول برنامج سياسي نضالى موحد ، وزرع خلايا حرب العصابات تحت أنف العدو فى الارض المحتلة ، مما مكنها ــ لاول مرة ــ من العمل فى العمق الذى بلغ قلب تل ابيب وحيفا .

ــ المعركة الجوية التى نشبت فى سماء رأس البر ، بين ست عشرة طائرة من السلاح الجوى الاسرائيلى ، وثمانى طائرات من السلاح الجوى المصرى ، والتى أدت الى سقوط طائرتين مصريتين وطائرتين للعدو . والعبرة فى هذه المعركة ليست فى الطائرات التى أسقطت ، بقدر ما هى فى السرعة الفائقة والكفاءة العالية ، التى تمكنت بهما ثمانى طائرات مصرية من التصدى ، فى تشكيل قتالى محكم لضعف عددها من طائرات العدو المغيرة ، وادارة معركة ، أكد الخبراء والمراقبون العسكريون الاجانب ، قدرة وشجاعة الطيار المصرى الجديد : مقاتلا وانسانا .

ولا أريد أن أسترسل فى سرد ظواهر أخرى عديدة . فلعل ما ذكرته يكفى للدلالة على ان التواجد الجماهيرى السلبى يخلق بيئة ومناخا ملائمين لزراعة ونمو الكثير من الظواهر المريضة ، بل ويجهض ما يتمخض عنه الجهد الانسانى العربى النضالى من ظواهر صحية . ولقد بلغنا المرحلة الحرجة ، التى أصبح فيها من الضرورى أن نغير من حالة التواجد الجماهيرى السلبى ، الى حالة التواجد الجماهيرى الايجابى . وذلك بعد تعمق اليقين الشعبى ، من خلال رحلة العذاب والمهانة على طريق ما سمى بالحل السلمى ، طوال خمس سنوات ، بأن لا مفر من معركة التحرير المسلحة ، اذا أردنا أن نسترد أرضنا وحقوقنا واحترامنا لانفسنا ولوطننا .

وشن معركة التحرير المسلحة ، لايكفى فيه التصريحات الملتهبة ، وانما هو يستلزم تكييف مدروس ونضالى ، من خلال حالة من التواجد الجماهيرى الايجابى فى الساحة ، والا سمحنا للظواهر المريضة بأن تلتهم الظواهر الصحية ، وتقودنا الى حائط اليأس وعدم الثقة .

فالتواجد الجماهيرى الايجابى ــ كما تدل الخبرة الانسانية ــ هو « **اكسير الحياة** » لكل معركة تحرير وطنية ، مهما جابهت من صعوبات وتضحيات جسيمة .

ان التواجد الجماهيرى الايجابى **للشعب الفيتنامى** ، هو الذى مكن حركة التحرير الفيتنامية من أن تواصل معركتها دون توقف ، ما يزيد على خمسة وثلاثين عاما متصلة ، ضد كل من الامبريالية الفرنسية ، ثم الامبريالية الامريكية ، بكل جبروتها ، وذلك رغم فداحة التضحيات المادية والبشرية ، التى فاقت مليونين من المواطنين . وهو الذى يرغم الامبريالية الامريكية اليوم على البحث عن طريق للانسحاب ، يحفظ لها ماء وجهها كأكبر قوة عسكرية عدوانية معاصرة .

والتواجد الجماهيرى الايجابى النسبى **للشعب الفلسطينى** ، هو الذى مكن حركة التحرير الفلسطينية من أن تواصل نضالها السياسى والمسلح ، رغم التضحيات

الفادحة ، والمجـــازر التي اشـــعلها الملك حسين ونظامه في صفوفها وهي تقـــاتل العدو . بيد ان هذا التواجد الجماهيرى الايجابي للشعب الفلسطيني مهدد بالخطر ، نتيجة ارتباطه المصيرى بقضـــية الوطن العربى ككل ، حيث ما تزال تســـوده حالة التواجد الجماهيرى السلبى .

كيف نستطيع اذن أن نغير من حالة التواجد الجماهيرى ، من واقعها الســـلبى الى واقع ايجابى ؟ .. أو بتعبير آخر كيف نحول الطاقة الجماهيرية من مجرد « كم صامد » الى « كيف مقاتل » ؟

لعل « الفكرة ـــ المفتاح » في هذه القضية يمكن تلخيصها في عبـــارة محددة ، هى ما يمكن ان نسميه « **بديمقراطية المعركة** » .

وديمقراطية المعركة ، تعنى أول ما تعنى ، أن تصـــبح قضـــية التحرير ومتطلباتها المادية والمعنوية ، هى محور الاهتمام اليومى للمواطن ، تشـــكل نظرته الى الحياة ، وتكيف جهده فى العمل ، وتحدد مصيره فى المستقبل .

ولكى يتاتى ذلك ، يجب ان يتحدد لكل مواطن موقعا واضحا ومحددا من المعركة ، يرتبط من خلاله انفعاله وفكره وآماله بعمل محدد ومرسوم .

وفى سبيل الوصول الى هذا ، يتحتم العمل بأســـلوب جمـــاعى لا فردى ، شامل لا جزئى . وهـــذا يقود بالتـــالى الى ضرورة التنظيم الفعـــال الذى يجعل من القوة الجماهيرية كلها جيشا من المقاتلين بسلاح الحرب ، وسلاح الانتاج ، وسلاح الوعى .

والتنظيم الفعال ، لا يفرض ، وانما ينبع عن اقتنـــاع عميق للجماهير بضرورته . ولا يتولد هذا الاقتناع دون توفير مناخ حقيقى لديمقراطية جميع المقاتلين فى المعركة . وتتطلب هذه الديمقراطية التجسيد الواقعى لعدة مبادىء رئيسية :

- **المعركة ليست معركة فرد أو جيش فحسب ، وانما هى معركة كل الشـــعب فى تلاحم مع قواته المسلحة .**

- **القاء الضوء على اكبر كم من الحقائق الموضوعية المتصلة بالمعركة ، دون أن يخل ذلك بالاسرار العسكرية . ويســـتوى فى ذلك الجانب الســـلبى منها والجانب الايجابى . فالوعى بالسلبيات ـــ فى مناخ ديمقراطية المعركة ـــ يخلق التحدى الشعبى الجاد للتغلب عليها .**

- **المساواة الحقيقية بين المواطنين فى تحمل أعبـــاء وتضحيات المعركة ، مع الاخذ فى الاعتبار بالمراكز الاجتماعية ومستويات الدخول .**

- **التاكيد على ضـــمانات حقيقية بأن المعركة لن تعطى لفئة امتيازات خاصة على حساب القوى الشعبية وارادتها فى تطوير حيـــاتها ومعيشتها ومجتمعها على طريق التحول الاشتراكى والديمقراطى .**

● تنظيم الجهد البشرى ، من مختلف الانواع ، وفى جميع المواقع ، على أســاس علمي ، وعلى ضوء الخبرات الانسانية ، بحيث يعطى مردودا محسـوبا فى كل مجال من مجالات الدفاع المدنى والدفاع الشـــعبى ... الخ .. ولا يتحول الى مجرد مهرجانات للدعاية .

● حق كل مواطن ، فى اطار تحالف القوى الشـــعبية ، وديمقراطية المعركة ، فى خوض المعركة تحت الراية الفكرية التى يؤمن بهـا ، ومن الموقع الاجتمـاعى الوطنى الذى ينبت منه .

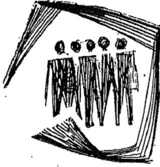
واذا كانت المعركة ، ليست معركة اقليمية بالنسبة لكل بلد عربي على حدة ، بحكم أبعادها الامبريالية والصهيونية . وانما هى معركة المصـير المحلى والقومى معا لكل البلاد العربية ، فان شـعار ديمقراطية المعركة لابد وأن يغدو شـعار جميع القوى الجماهيرية فى البلدان العربية . ويتفاعل هذا الشعار مع شعار قومية المعركة ، تعطى للقتال التحريرى وزنه الحقيقى جماهيريا ، وبعده الثورى ، الذى يستند أساسا على قاعدة وحـدة العمل لجميع القوى والاحزاب والتنظيمات الوطنية والتقدمية .

ولقد شرع بالفعل فى اتخـاذ الخطوة الاولى نحو بناء وحدة العمل العربى الوطنى ـ التقدمى ـ الديمقراطى ، من خلال تكوين اللجنة التحضيرية للاعداد لمؤتمر شعبى فى سبتمبر القادم ببيروت ، تنبثق عنه الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية .

بيد أننا ـ والوقت غدا بالفعل كما تصوره حكمتنا القديمة ، ـ كالسيف ان لم تقطعه قطعك ـ يستلزم العمل من خلال الجبهة على تكوين **لجان قومية للمعركة** على مستوى **الوطن العربى** كله . تتواجد بكل ثقلها الجماعى الوطنى التقدمى فى كل مكان ، تنظم وتعبىء طاقات الجماهير الخلاقة والمقـاتلة ، وتملأ السـاحة بتواجد جمـاهيرى ايجـابى (*)

لطفي الخولي

العام العشرون لثورة يوليو



محمد حلمي ياسين

كان انتصار ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فاتحة عهد لانتصار العديد من ثورات التحرر الوطني التي تتسم باتجاهات التحرر الاجتماعي .

وبالرغم من تهاوي العديد من ثورات بلدان العالم الثالث وانتكاس نظم الحكم الوطنية التي كانت قائمة فيها — تحت وطأة الهجوم الامبريالي وزحف الاستعمار الجديد — فقد استطاعت ثورة ٢٣ يوليو أن تصمد في وجه أعنف الهجمات — وأن تواصل لفترة طويلة — تقدمها عبر سلسلة متصلة من المعارك والضغوط التي خططت لها ونظمتها الدوائر الامبريالية والصهيونية والرجعية .

ويأتي العيد العشرون لثورة يوليو المجيدة — وقد انقضت خمس سنوات على عدوان يونيو ١٩٦٧ — الذي استهدف ضرب النظام الثوري الذي أقامته ثورة ٢٣ يوليو — ومنع بلادنا من المضي في طريق الاستقلال والتنمية والتحولات الاجتماعية .

ولا يهدف هذا المقال الى تقييم العشرين عاما الماضية بكل انجازاتها الثورية ، ومشكلاتها ، وانتكاساتها المؤقتة ، وانما هو مكرس في هذه المناسبة القومية الكبيرة لالقاء الضوء على بعض ما حققته ثورة يوليو من تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية ، وعلى بعض الجوانب السلبية خلال مراحل تقدم الثورة وبشكل خاص ما هو مرتبط بالوضع الراهن .



جاءت حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة الزعيم الخالد **جمال عبد الناصر** تعبيرا عن استيلاء تنظيم سياسي في صفوف القوات المسلحة (هيئة الضباط الاحرار) على السلطة العليا في البلاد .

وكان لهذا التنظيم شعارات سياسية محددة مرتبطة بالاهداف العامة لحركة النضال الجماهيري في مصر خلال السنوات السابقة على

الثورة ، هذه الشعارات التى تركزت حول القضاء على الاستعمار واعوانه ، والقضاء على الاقطاع وعلى سيطرة رأس المال على الحكم واقامة عدالة اجتماعية وبناء جيش وطنى قوى •

وبهذه البداية كانت ثورة ٢٣ يوليو حلقة من حلقات الثورة المصرية التى فجرها عرابى عام ١٨٨٢ ، وعلى امتداد العشرين عاما الماضية ومن واقع الممارسة العملية والسعى لتحويل الشعارات العامة الى واقع ـ وخلال السعى المتواصل لتحقيق الامال التى علقها الشعب على الثورة ـ تقدمت الثورة من موقع الى آخر •

لقد التزمت الثورة بخط النضال ضد الامبريالية وضد الاستعمار بشكليه القديم والحديث ، وآمنت بأن الاستقلال السياسى لا قيمة له بدون بناء اقتصاد قومى مستقل ومزدهر ، وتوجيه الخدمات للجماهير الكادحة والفقيرة من أجل رفع مستواها •

وهكذا واصلت ثورة ٢٣ يوليو رفض كل المحاولات الامريكية والانجليزية لجر مصر الى عجلة الاحلاف العسكرية تحت أى اسم أو مع أى مجموعة من الدول سواء فى الشرق الاوسط أو العربى أو الاسلامى وحصلت مصر على حريتها الحقيقية وتخلصت من القواعد الاجنبية وأكدت على سيادتها الكاملة فى جميع المجالات •

وعلى أساس الوعى بأن ثورة مصر جزءا لا يتجزأ من الثورة العربية الشاملة ضد الاستعمار والصهيونية ، قدمت مصر مساندتها الايجابية العسكرية والاقتصادية والسياسية لثورات الجزائر وتونس ومراكش وليبيا واليمن والسودان واليمن الجنوبية ، وقد أهلها هذا الدور بحق لان تتصدر مكان الطليعة فى قلب الامة العربية ونظمها التقدمية ، وأن يقع على كاهلها عبء قيادة النضال التاريخى لتصفية العدوان الصهيونى الاستعمارى ، وتحقيق الوحدة القومية •

وفى ظل ثورة ٢٣ يوليو وفى خضم نضالها ضد الاحلاف الاستعمارية ، أخذت شخصية مصر الدولية تبرز خاصة بعد اشتراكها فى مؤتمر باندونج ضمن ٢٩ دولة آسيوية افريقية كانت قد استقلت حديثا فى ذلك الوقت ، وأخذ دور مصر وتأثيرها يتزايد فى تشكيل كتلة الحياد الايجابى وعدم الانحياز •

وعلى أساس العداء للامبريالية ـ ووحدة حركة التحرر العالمى ضد الاستعمار وقوى العدوان ـ لم تفلح وسائل الضغط الاقتصادى ولا الابتزاز الامبريالى فى صرف الثورة المصرية عن سياستها المعادية للاستعمار فى كل مكان ، ودعمت مصر قدرتها الدفاعية لتحمى استقلالها ، واستقلال غيرها من الدول العربية وشاركت فى دعم حركات التحرر الافريقية ، ودافعت بشجاعة عن قضية التحرر الافريقى ، وقامت بدور معروف فى التعجيل باستقلال البلاد الافريقية •

ومنذ اتفاقية السلاح عام ١٩٥٥ مع تشيكوسلوفاكيا ـ حتى معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتى فى مايو ١٩٧١ ـ ومرورا باتفاقيات التبادل التجارى والتصنيع وبناء السد العالى ومجمع الحديد والصلب ، وقبل كل هذا وأكثرها ارتباطا ببقائنا وكياننا ـ مساعدة الاتحاد السوفيتى لنا فى اعادة بناء وتسليح القوات المسلحة المصرية بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، نمت وتوطدت علاقات مصر مع الاتحاد السوفيتى وكتلة البلدان الاشتراكية وهى العلاقات التى اختبرت فى أشد الظروف وأثبتت فى كل وقت أنها ليست صداقة مرحلة ، بل هى صداقة عميقة ودائمة فى السلام كما فى الحرب ، وقدمت هذه الصداقة لبلدان العالم الثالث نموذجا للعلاقات القائمة على أساس المساواة والاحترام المتبادل وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ، وبرهنت لحركة التحرر الوطنى العالمية ، أهمية وحدتها مع بلدان المعسكر الاشتراكى ، وقد أكد الرئيس السادات خلال زيارته الاخيرة لموسكو ، أنه بدون مساندة الكتلة الاشتراكية « لا يمكن أن يكون للشعوب الصغيرة والدول المكافحة من أجل استقلالها وتقدمها قدرة على أن تشق طريقها تحت الشمس وتبنى مكانتها اللائقة بين الدول » ••



كانت الزراعة هى المصدر الاساسى للدخل عند قيام ثورة ٢٣ يوليو ، وكانت الصناعة القائمة لا تخرج عما يرتبط منها بالاستهلاك ارتباطا مباشرا •

وقد سعت الثورة فى مستهل عهدها الى تحسين ظروف المعيشة للجماهير عن طريق برامج للتنمية ومشاريع محددة ولكنها مخططة ، وبعد الاصلاح الزراعى الاول ، علق قادة الثورة آمالا على امكان مشاركة الرأسماليين فى تحقيق هذه الخطط ، وهى الخطط التى بدت يومها وكأنها رسمت لتسهيل عمل هؤلاء الرأسماليين واستثماراتهم مع قدر يسير جدا من تدخل الدولة ، ولكن قادة الثورة اقتنعوا تدريجيا برفض البورجوازية الوطنية ولا سيما جناحها اليمينى الاوسع نفوذا والذى كان يتشكل فى ذلك الوقت من ممثلى الرأسمال الكبير ، رفضها ان ترتفع فوق مصالحها الانانية الضيقة ، وبدا واضحا تعطشهم الى الارباح والسعى الى انتزاع أكبر قدر من الامتيازات القائمة على الملكية

الخاصة دون مراعاة لمصالح الدولة ومقتضيات توطيد وتعزيز الاقتصاد الوطنى .

وبعد تمصير المصالح الانجليزية الفرنسية عام ٥٧ فى أعقاب العدوان الثلاثى ، هذا التمصير الذي رفض قادة الثورة أن يتم لصالح الرأسماليين المصريين ، وجعلوا منه نواة للقطاع العام ، تم تأميم البنك الاهلى وبنك مصر فى فبراير عام ٦٠ ثم أعقب ذلك تأميم بعض شركات النقل وبعض بيوت تصدير القطن ومجموعة البنك البلجيكى الدولى وشركة ترام القاهرة ، كما تم تأميم تصدير الارز وبعض المحاصيل الغذائية الرئيسية كالبصل والفول ، وتم تأميم جميع دور الصحف لصالح التنظيم السياسى .

وفى أوائل يوليو ٦١ سيطرت الدولة على التصدير والاستيراد ، ثم جاءت اجراءات يوليو ١٩٦١ لتوجه الضربات القاصمة لمراكز الرأسماليين الكبيرة فى الصناعة والتجارة .

وهكذا نما القطاع العام واشتد عوده على أنقاض مراكز الاستعمار القديم ، وجميع المراكز الاحتكارية ومراكز التشابك والتداخل مع الاستعمار ، وأصبح القطاع العام الذى يقوم على أساس الملكية العامة لوسائل الانتاج وعلى أساس مشاركة العاملين فى ادارة الانتاج وأرباحه ، أصبح هو القوة الرئيسية الموجهة للاقتصاد القومى . واستطاع القطاع العام ان يصبح قاعدة لا نزاع فيها للتنمية وقاعدة للصمود الاقتصادى فى حربنا ضد العدو الاستعمارى الصهيونى . ويقدم القطاع العام ٩٠ فى المائة من حجم الانتاج بدون الزراعة ويزود البلاد بما يزيد عن ٦٠ فى المائة من حجم الادخارات المستثمرة . كما استطاع القطاع العام أن يوفر خلال السنوات الخمس الماضية أكثر من ثلاثة آلاف مليون جنيه لسد احتياجات القوات المسلحة .

ومع اجراءات يوليو ٦١ وبعدها بسنوات ثلاثة واصلت الثورة السير بالاصلاح الزراعى حتى وصلت بالملكية الزراعية الى خمسين فدانا للفرد ومائة فدان للاسرة ، وتوسعت فى انشاء التعاونيات الزراعية وتطبيق نظام التسويق التعاونى للمحاصيل الاساسية ، ووزعت الارض المستولى عليها والارض المستصلحة على الفلاحين المعدمين .

والى جانب ذلك كله كانت هناك مجانية التعليم فى كل مراحله ، ومظلة من التأمينات الاجتماعية تغطى الوفاة والعجز والشيخوخة والبطالة ، كما منحت المرأة حقوقها السياسية كاملة .

لقد رحبت الجماهير الشعبية بثورة يوليو ، ومنحتها التأييد والمساندة منذ مولدها حتى يومنا هذا ، وأكدت الجماهير على هذا التأييد باستجابتها الحماسية فى كل مرة تحدث فيها **جمال عبد الناصر وأنور السادات** من بعده ليطرحا على الشعب حقائق الموقف فى لحظات المواجهات الكبرى للثورة ، ومع ذلك فها هى الثورة تستقبل عامها الحادى والعشرين ، وقد انتهت توا من اعداد واقرار خطة عمل لجعل « الاتحاد الاشتراكى العربى » تنظيما أكثر فاعلية واشد تأثيرا فى صفوف الجماهير .

ولما كان الاتحاد الاشتراكى العربى هو أداة الثورة لتنظيم الجماهير وتعبئتها ، فان بقاءه حتى اليوم على هذا المستوى من القصور عن استيعاب حركة الجماهير ، انما هو تعبير عن ذلك التناقض بين ماحققته الثورة من انجازات ثورية فى مجالات السياسة العالمية والعربية وفى اعادة تشكيل الهياكل الاقتصادية ، وبين العلاقات الاجتماعية والسياسية التى بقيت كما هى دون تغيير يذكر .

لقد اعتمدت ثورة يوليو فى تحقيق ذلك السجل الحافل من الانجازات على القرارات العلوية التى كانت تصدرها القيادة بعد دراسات تعدها مجموعات من الخبراء .

وبدلا من أن تعبىء الثورة الجماهير صاحبة المصلحة فى هذه الانجازات ، وأن تتيح لها من أشكال التنظيم والحركة ما يسمح بمراقبة تنفيذ هذه القرارات بشكل سليم يحقق الغرض منها ، بدلا من هذا كانت الثورة تعهد الى جهاز الدولة الذى بقى على حاله ولم تفلح جهود الثورة فى احداث تغيير جذرى داخله ـ تعهد الى هذا الجهاز بتنفيذ قراراتها .

وفى المرات التى هبت الجماهير متحمسة لمساندة الثورة والدفاع عن اجراءاتها ـ مثلما حدث عند تأميم قناة السويس ـ والعدوان الثلاثى وعدوان خمسة يونيو ـ فان الموجة العارمة من الحماس الجماهيرى سرعان ما تنحسر دون محاولة لتطويرها وضمان استمرارها .

بل ان جهاز الدولة والاجهزة البيروقراطية وأجهزة الرقابة المتعددة قد نجحت كلها فى أن تشكل عازلا بين الثورة وجماهيرها ـ أصحاب المصلحة فيها ـ ونجحت هذه الاجهزة فى أن تبدو هى وحدها صاحبة الحق والقدرة على حماية الثورة ومكتسباتها ، وعملت دائما على سد الطريق أمام أى محاولة مخلصة لمشاركة الجماهير فى حل مشكلاتها .

ولم تكن هذه الاجهزة كلها مجرد ظاهرة ادارية أو بيروقراطية افرزتها الثورة ، وانما كانت أداة فى أيدى تلك الفئات والقوى الاجتماعية التى تمت فى ظل الثورة وحققت ثروات طائلة من التهريب والاتجار الغير مشروع ونهب موارد القطاع العام من خلال قنوات اتصاله بالقطاع الخاص • وكانت هذه الفئات تنظر للثورة على أنها مغانم لها وحدها ، وأنه لا سبيل أمام أى فئة أو قوى للعيش الا فى ظل حمايتها وخضوعها لارادتها وهى تحتقر الجماهير ولا تعترف بدورها فى العمل السياسى ، وترفض بالتالى أى تقدم على طريق مشاركة الطبقات الشعبية ـ وبشكل خاص العمال والفلاحون ـ فى السلطة •

وبالرغم من أن « **ميثاق العمل الوطنى** » الذى صدر عام ٦٢ بعد الانفصال السورى فى أعقاب اجراءات يوليو ٦١ ، قد رسم اطار الممارسة الديمقراطية على أن تكون السلطة فى يد تحالف من القوى صاحبة المصلحة فى الثورة وهى الفلاحون والعمال والمثقفون والجنود والراسمالية الوطنية ، وأن يكون الاتحاد الاشتراكى العربى هو الاطار السياسى والتنظيمى لهذا التحالف ، على أن يضمن فيه نسبة لا تقل عن نصف عدد مقاعد الهيئات المنتخبة على كافة المستويات بما فى ذلك مجلس الشعب ، كما نص الميثاق على ضرورة تشكيل تنظيم طليعى داخل الاتحاد الاشتراكى من العناصر الاكثر وعيا وتنظيما وحركة وتتبع من داخل الاتحاد الاشتراكى لتقوده وتحافظ على فعالية وتنظيم الحوار بين مختلف القوى المتحالفة داخله • ونص الميثاق أيضا على مشاركة العمال فى ادارة الانتاج وارباحه وعلى ضرورة تشكيل المجالس الشعبية المنتخبة لتولى سلطة الحكم المحلى •

وبالرغم أيضا من أن قادة الثورة أكدوا دائما على أهمية تحديد نسبة الخمسين فى المائة المحددة للفلاحين والعمال كضمان قانونى يعطيهم وضع خاص بوصفهم الاغلبية بين السكان وأكثر أصحاب المصلحة فى الثورة •

بالرغم من كل هذا ، فقد فشلت كل المحاولات السابقة لجعل الاتحاد الاشتراكى تنظيما سياسيا يعبر فعلا عن سلطة تحالف قوى الشعب العاملة ، وذلك بسبب اصرار بعض العناصر على الانفراد بالسلطة داخل تحالف قوى الشعب العاملة •

وقد أدى التعريف الذى وضع لتحديد صفة العامل والفلاح الى تمكين أعداد كبيرة من المديرين وكبار الموظفين من الجلوس على المقاعد المخصصة للعمال فى لجان الاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب ، وأدى تعريف الفلاح بأنه من يملك ٢٥ فدانا (خفضت عام ٦٨ الى عشرة أفدنة) ، وكانت حصيلة هذا زيادة حجم نفوذ الراسمالية الوطنية داخل المؤسسات السياسية والدستورية الى جانب مراكزها فى القطاع العام وجهاز الدولة •

وبحكم هذه المواقع كلها استطاعت هذه الفئة أن تكون أعلى الاصوات ، وأن تحاصر كل المحاولات التى تبذل لتطوير السلطة داخل التحالف وجعلها فى يد قواه كلها وليس فى يد قوة واحدة •

وبعد هزيمة يونيو ٦٧ واتساع المطالبة من أجل التغيير الجذرى للسلبيات التى أدت الى الهزيمة ، صدر بيان ٣٠ مارس ٦٨ ، الوثيقة الثانية لثورة ٢٣ يوليو ، والتى كرسها الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، لاجل تحديد نقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة بوسيلة الديمقراطية •

وعشية وفاة الزعيم الراحل ، كان قد أصبح واضحا أن المحاولة الجديدة لم تكن أحسن حظا من سابقاتها ، وأن بيان ٣٠ مارس الذى أيده الشعب بالاجماع ، قد فرغ فى التطبيق من مضمونه الحقيقى وتحت ضغط الطبقة المتوسطة المسيطرة على أجهزة الحكم والتنظيم السياسى لم يحدث بيان ٣٠ مارس أكثر من خدش على سطح الحياة السياسية للبلاد •

لقد بدأ الرئيس **أنور السادات** حركة تصحيحه منذ مايو ١٩٧١ ، حركة تهدف لاشاعة جو من المناخ الديمقراطى فى البلاد ، ودعا لان تدار الدولة بواسطة المؤسسات السياسية والدستورية والتنفيذية القائمة على أساس العلم والتخطيط ، وأن يتم العمل فى ظل سيادة القانون • وصدر الدستور الدائم للبلاد وأعلن الرئيس السادات برنامج العمل الوطنى ليحدد أهداف العمل الوطنى ووسائل تحقيق هذه الاهداف خلال السنوات العشر القادمة •

وحدد الرئيس السادات فى خطابه بمناسبة عيد أول مايو ثلاثمرتكزات أساسية للعمل الوطنى من أجل تحرير الارض وخوض المعركة التى لابديل عنها :

١ ـ الوحدة الوطنية لقوى الشعب العاملة داخل الاتحاد الاشتراكى •

٢ ـ عمل عربي موحد مهما اختلفت الانظمة .

٣ ـ العداء للاستعمار والصداقة مع كل الذين يؤازرون حقنا ونضالنا من أجل السلام وفي مقدمتهم الاتحاد السوفيتي .

لقد جاء هذا التحديد ليقطع الطريق على مزايدات الرجعية ليحصن الشعب ضد حملات التشكيك التي تخطط لها وتقودها الامبريالية والصهيونية ، كما أكدت تصميم الرئيس أنور السادات وصلابته في الصمود أمام كل الضغوط واصراره على المضي قدما في معركة تحرير الارض بالاستناد الى صديقنا الوفي الاتحاد السوفيتي .



واذا كان بقاء الاحتلال الاستعماري الصهيوني لاراضينا يشكل التحدي الاكبر للثورة ، فان ثمة تحد آخر يرتبط أشد الارتباط باستمرار الاحتلال والحرب النفسية الشرسة التي تهدف لاشاعة اليأس من النصر ولتخريب العلاقات العربية السوفيتية ، وحرمان مصر والعرب من حليفهما الأساسي وسندها الاكبر الاتحاد السوفيتي .
ويتمثل ذلك التحدي في محاولات تقويض الجبهة الداخلية التي تستهدفها بقايا الطبقات المخلوعة من أصحاب الاراضي وكبار الرأسماليين ومن استطاعوا استقطابهم من قوى الرأسمالية الوطنية وعناصر بيروقراطية ، كل هؤلاء الذين تحولوا من الموقف السلبي والهمسات المحمومة بعد هزيمة يونيو ، تحولوا الى الهجوم الواسع والعلني على مكتسبات الشعب ، وعلى العلاقات العربية السوفيتية محاولين الاطاحة بها كوسيلة للاطاحة بالثورة نفسها وتصفيتها .

ان هذه القوى بمختلف اتجاهاتها تحاول استغلال الفرص المتاحة للحوار الديمقراطي في ظل سيادة القانون ، والحرص على استكمال قيام المؤسسات السياسية والدستورية بدورها في اطار حركة التصحيح التي انطلقت منذ مايو ٧١ ، تحاول تلك القوى استغلال هذه الفرص لفرض ردة عن طريق التطور الاجتماعي والديمقراطي ونكوص عن المكتسبات الثورية .

لقد راحت هذه القوى تحت شعار الوحدة الوطنية الذي تركز عليه القيادة الثورية لمواجهة العدوان ، راحت هذه القوى تسعى لان تقوم هذه الوحدة الوطنية على أساس من الامتيازات الطبقية وحرية رأس المال الخاص وهدم تحالف قوى الشعب العاملة ، وتحت شعارات الديمقراطية وسيادة القانون ورفع المظالم تسعى هذه القوى جاهدة للاطاحة بمنجزات أساسية حققتها الثورة ضد الطبقات المخلوعة وتسعى لرد اعتبار من أذلوا الشعب واستغلوا وخانوا أهدافه القومية .

ان هذه القوى لا تريد القتال لتحرير الارض اذ لم يتحقق الحل السياسي العادل وتخشى خشية الموت أن يتسع نطاق العمليات الحربية ليشمل البلاد كلها بمايعنيه ذلك من آثارسياسيةواقتصادية ومن أخطار تتهدد مصالحهم ، ومن ينطلقون من واقع الهزيمة للسعي لحل يقوم على المساومة مع الامبريالية والصهيونية وهو ما ترفضه القيادة الثورية وتؤيدها وتلتف حولها جماهير الشعب التي عبرت عن رأيها في ٩ ، ١٠ يونيو وفي أحداث العمال والطلبة خلال أعوام ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ .

وأنه لما يزيد الوضع تعقيدا أن بعض هذه القوى جزء من قوى الثورة ويحتل مواقع مهمة في الاجهزة السياسية والاقتصادية والتنفيذية ـ يستغلونها للترويج لافكارهم .

ولقد حذر الرئيس **أنور السادات** هذه العناصر في خطابه بمناسبة عيد أول مايو عندما أعلن « انه اذا كانت هناك أخطاء وقعت ، وقد وقعت فعلا أخطاء ـ لقد كنا نصفي امتيازات طبقية ،ولمنكن نصفي كرامة الانسان ـ التعويض أمر هام وممكن ـ أما أن يتصور البعض أنها ردة أو هجوم على تجربتنا الاشتراكية وأن تعود المصانع وأن تعود الارض أو السندات فهو واهم ـ اننا لن نعود الى امتيازات الطبقة ولن نعود الى عصر يسيطر فيه رأس المال ـ ولن يكون هناك رجوع في سيادة الشعب على وسائل الانتاج » .

لقد حققت ثورة ٢٣ يوليو رصيدا ضخما من الانجازات الثورية لجماهير الشعب ، على امتداد العشرين عاما الماضية ـ ولابد أيضا من الوعي بالدروس المستفادة من السلبيات وأنصاف الحلول في مواجهة الرجعية .

وعلى طريق المعركة التي اخترناه كطريق وحيد لاسترداد ارضنا ، ودحر العدوان لابد وان نتقدم لتحقيق المزيد من الانجازات في بناء الوحدة الوطنية وتوسيع قاعدة مشاركة العمال والفلاحين في السلطة داخل التحالف ، وتعزيز المناخ الديمقراطي في البلاد .

موقـــع البترول العربى من خريطـــة الصـــراع فى المنطقـــة



جانب واحد من قضية النفط كان يستحوذ على اهتمام القوى الوطنية فى العالم العربى ، الا وهو السيطرة الاجنبية للمؤسسات الاحتكارية الغربية على ثروات العرب ، واستخلاصها لارباح هائلة تتدفق على المتحكمين فى انتاج الذهب الاسود .

وبعد استلام القوى الوطنية للسلطة فى بعض البلدان العربية ظهرت الحاجة الى انتزاع نصيب أكبر من أرباح النفط وتحرير الاقتصاد الوطنى من السيطرة الاجنبية لكفالة سبل التراكم اللازم لعمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وعلى اثر هزيمة ١٩٦٧ بدات جوانب أخرى للمشكلة تبرز الى المقدمة ، تتمثل فى استخدام البترول كسلاح فى المعركة ، خاصة وأن عجلة الانتاج الغربى كلها تعتمد على النفط العربى ، مما يعنى القدرة على التحكم فى عصب الحياة للمجتمعات الاوربية .

وقد جاء تأميم شركة بترول العراق فى مرحلة حاسمة من تطور الصراع ضد التحالف الامبريالى الصهيونى . ومن المتوقع ان تكون لهذه الخطوة ابعادها على مستقبل سياسة البترول العربى ، وقد خصصت الطليعة مجموعة من المقالات تتناول هذا الموضوع بالاضافة الى احصاءات لها دلالتها .



البترول

السلاح ..
المعركة ..
المستقبل ..



د. محمد عجلان

منذ أن فجرت الحرب العالمية الثانية براعم الثورة الاجتماعية كرفيق أساسي للثورة الوطنية التحريرية، ومنذ أن أدرك الثوريون في البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة أن مضمون الاستقلال يجب ألا يقتصر على راية أجنبية تزول أو قوى للاحتلال ترحل بل لابد أن يصاحب هذا استخلاص الثروات الوطنية من يد قراصنة النهب الاستعماري لتتحول الى طاقة تستغل لصالح بناء الاقتصاد الوطني وتحقيق أكبر قدر ممكن من العدالة الاجتماعية. وقد ميز هذا المضمون ثورات العالم الثالث كلها حيثما كانت . وان اختلفت الدرجات بين البلدان المختلفة بسبب الظروف الموضوعية التي أحاطت بكل منها ، سواء كانت تلك الظروف داخلية ، من تقاعس قوى الثورة أو انقسامها ، أو كانت ظروفا خارجية ، من ضغط استعماري أو حصار اقتصادي أو تدخل عسكري تؤيدها رجعية خائنة في الداخل .

وتركز التعبير عن استخلاص الثروة الوطنية في رفع شعار التأميم . ونجحت بلاد مثل مصر منذ ١٩٥٦ في تأميم قناة السويس وجميع المصالح الاجنبية بها ، كما نجحت شيلي أخيرا في تأميم مناجم النحاس ، وفيما بين التاريخين تمت تأميمات أخرى ، وسيطرت القوى الوطنية على ثرواتها ووجهتها الوجهة التي تريد . ولم يكن ذلك في أي الحالات أمرا سهلا ، ولكنه بفضل وحدة داخلية قوية ، وظروف عالمية مواتية ، ورسم سليم لخطط التحرك بحيث تتجمع أكبر قوى الثورة في أفضل لحظة ، مع ابطال أثر العوامل المضادة أو اخراجها من ساحة المعركة ، كان النجاح دائما يتحقق .

وقد مثل البترول بصفة دائمة احدى الثروات القومية الكبرى التي لم يغفل الثوريون في أي مكان أمره ، وارتفع في شأنه طوال الربع قرن الماضي شعار التأميم ، أملا في استخلاص أكبر الثروات التي تتوفر في دول العالم الثالث . وجاء تأميم البترول الايراني في أوائل الخمسينيات على يد مصدق ضربة موجهة الى القلب للغول البترولي كان لا يمكن أن يسمح لها بأن تصيبه ، والا توالت الطعنات وخر في النهاية صريعا غير ذي حول ولا

قوة • وبالتالى فقد شدد النكير على مصدق ، واحكم الحصار عليه ، ونجح فى النهاية بفضل الخيانة الداخلية ، أن يزج بمصدق فى السجن ، وأن يقتل وزير خارجيته وزوج ابنته حسين فاطمى ، وأن يعود البترول يسيل كشأنه دائما ذهبا أسود الى جيوبه •

وكانت معركة رئيسية كسبها الاستعمار ، ودعمت وجوده سيدا على مقدرات البترول حيث مخازنه الكبرى الى اليوم • ورغم ما قررته هيئة الامم من حق الشعوب فى تأميم ثرواتها القومية ، ورغم عديد من التغيرات فى موازين القوى العالمية ، ورغم عديد العوامل التى استجدت داخل امبراطورية البترول الا أن شعار التأميم لم يشأ أن يتحقق الا فى أضيق الدوائر ، وان ظل يرفع تلويحا أحيانا ، وتهديدا غير جاد أحيانا أخرى ، أو امتصاصا لمشاعر وطنية فى أوقات ثالثة •

ولقد نجحت دول فى انقاذ ثروتها من أنياب الاستعمار • نجحت مصر بحيث تتحكم اليوم فى كامل ثروتها ، وساعدتها ظروف الثورة الوطنية وافتضاح موقف الاستعمار العالمى منها فى أن تصل الى هذا الوضع • وتبعتها الجزائر بحيث تسيطر اليوم على معظم ثروتها ، وان سعت الى ذلك على خطوات ، وبضرب الاعداء واحدا تلو الاخر • واستطاعت ليبيا بالانطلاقة الثورية ومن موقع القوة أن تؤمم « البريتيش بتروليم » فى بلادها • وأخيرا قامت العراق بتأميم قدر من المصالح الاحتكارية بعد أن طالت المناقشات والمساومات ، وبعد أن عمدت الشركات الى خفض الانتاج كوسيلة للضغط الاقتصادى ، لعل أهم المقصود به كان اسقاط النظام الحاكم فى العراق ، خاصة وقد اتجه فى المدة الاخيرة الى تدعيم الوحدة الوطنية فى الداخل ، وتدعيم ارتباطه بالنظم الثورية العربية من حوله ، ونجح فى الافلات من اسار الاحاطة الاستعمارية الى معاهدة للتحالف مع الاتحاد السوفيتى ، توجها نجاحهما سويا فى انتاج البترول من حقل الرميلة بعد أن ظلت الشركات الاحتكارية تحبسه عن الاستكشاف ومن ثم الاستغلال ما يقرب من نصف قرن من الزمان •

ومع تلك الانتصارات فى مصر والجزائر وليبيا والعراق ، والتى لا يمكن الا أن تثلج الصدر عند كل وطنى ثورى ، الا انها عند التقييم الحقيقى ما زالت جزئيات صغيرة داخل امبراطورية البترول الواسعة المتشعبة ، والتى تكاد سبع شركات كبرى فحسب بداخلها تسيطر على مقدرات العالم أجمع •

ويمارس الاستعمار عدوانه على البلاد العربية فى ١٩٦٧ • وتحتل ربيبته اسرائيل ثلاثة أمثال مساحتها الاصلية من الارض العربية • وتنجح ازاء العالم أجمع ، وترفض الانسحاب • ويناصرها الاستعمار وعلى رأسه أمريكا حتى تظل فى مركز القوة الضاغطة على صدر الامة العربية • ويشجعها على أن تكشف عن وجهها بمطامع تشمل الارض من النيل الى الفرات •

وتصبح ضرورة من ضرورات الحياة أن يستعمل العرب كل ما يستطيعون من سلاح لدرء هذا الخطر •

وتجمع الاصوات على استعمال سلاح البترول • فما دام البترول يمثل أكبر استثمارات الاستعمار فى المنطقة • وما دامت مساندته لاسرائيل هى بهدف السيطرة على الشعوب العربية من أن تنال من هذه الاستثمارات • وما دام دعمه لها ، انما هو بهدف ان تصبح مع الزمن رأس جسر لاستثمارات جديدة • واستنزاف أكثر لدماء شعوبنا • ما دام كل ذلك وغيره ، فان الواجب أن نشعره وبحسم أن استثماراته ليست آمنة فى ضوء سياسته المعادية ، وأن لدى الشعوب العربية من القوة ما يسمح لها أن تصيبه فى الصميم •

ومع هذا الاجماع فى رفع الاصوات ، ومع الضرورة الحاسمة لاستخدام ذلك السلاح ، فان التردد فى استخدامه أمر يثير السؤال ، كما أن العجز عن استخدامه قد يثير علينا السخرية •

ولكن سلاح البترول — **وكل سلاح** — يستلزم عند استخدامه عديدا من الشروط يجب أن تتوفر حتى يمكن أن يأتى بالنتائج المرجوة منه •

ان كفاءة السلاح — أى سلاح — تتوقف فى الاساس على كفاءة اليد التى تحمله •

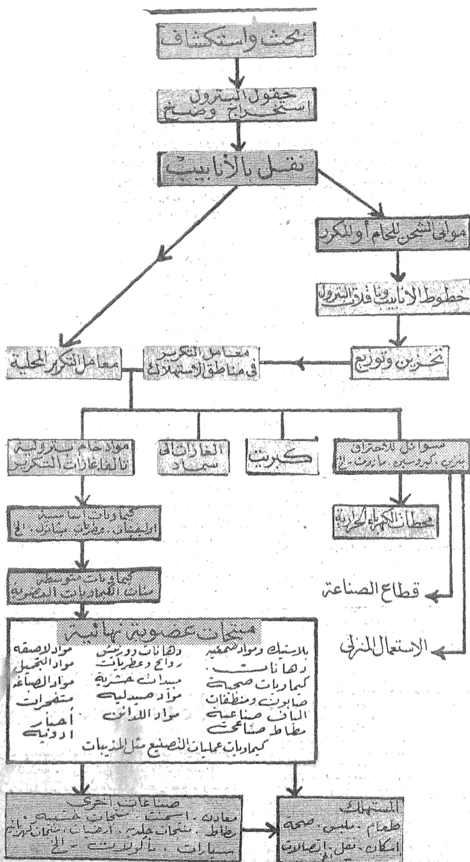
وتتوقف على تحديد واضح للهدف من استعماله ، هل يراد منه أن نستنزف من دم العدو فحسب ، أم أن نصيب منه مقتلا •

وتتوقف على توقيت الاستعمال بحيث يكون العدو فى أضعف أحواله ، وحيث نكون قد جردناه من معظم أسلحته ، أو قد افتضح بالكامل — أو كاد — أمره ، حتى نعزل عنه تأييد المؤيدين ، أو دعما يجىء له من حيث لا نتوقع •

وتتوقف الكفاءة كذلك على اختيار أضعف النقاط للهجوم ، ومن ثم احداث أكبر الاثر بأقل الجهد الممكن •

وربما تتوقف كفاءة الاستخدام على عوامل أخرى ، ولكنها سوف تتحدد دائما وفى الاساس بكفاءة حامل السلاح ، وتحديد هدفه ، وتوقيت الاستعمال ، واختيار أضعف النقاط للهجوم •

وتتعدد العوامل فى حالة سلاح البترول ، كما


بحث واستكشاف
حقول البترول
استخراج وضخ
نقل بالأنابيب
موانئ الشحن للخام أو المكرر
خطوط الأنابيب وناقلات البترول
تخزين وتوزيع
معامل التكرير في مناطق الاستهلاك
معامل التكرير المحلية
سوائل للاحتراق
كبريت
الغازات إلى سماد
مواد خام بترولية
محطات الكهرباء الحرارية
قطاع الصناعة
الاستعمال المنزلي
كيماويات أساسية
كيماويات متوسطة
منتجات عضوية نهائية
بلاستيك ومواد تصفير
دهانات
كيماويات صحية
صابون ومنظفات
ألياف صناعية
مطاط صناعي
دهانات وورنيش
روائح وعطريات
مبيدات حشرية
مواد صيدلية
مواد الألوان
مواد لاصقة
مواد التجميل
مواد الصباغة
متفجرات
أحبار
أدوية
كيماويات عمليات التصنيع مثل المذيبات
صناعات أخرى
معادن . اسمنت . منتجات خشبية .
مطاط . منتجات جلدية . أرضيات . منتجات كهربائية
سيارات . ماكينات . الخ
المستهلك
طعام . ملبس . صحة
إسكان . نقل . اتصالات

تتشابك الامور وتتعقد · فالايدى الذى تمسك به متعددة ، ما بين حكومات قد تكون ضالعة مع الاستعمار ، وأخرى قد تقف منه موقف العداء ولكن على استحياء ، وثالثة ثورية تذهب معه الى أبعد الشوط · وقد يرى البعض فى الهدف مجرد الحصول على مكاسب أكثر مع بقاء سيطرته العارمة ، كما قد يرى البعض الاخر ضرورة الاقصاء التام له عن مقدراتنا وحياتنا · وقد ننجح فى فضح الاستعمار عالميا بحيث يبدو أن كل موقف منا ازاءه انما هو رد فعل لعدوانه ، ومن ثم نعزله عن أى تأييد ، وقد نركب الشطط فنبدو كطفل يعبث بعيدان الكبريت ·

ولا سبيل الى أن نأمن كل العثرات ، والى أن نستطيع تحديد قدر النيران التى تفتح ، ووجهتها ، والمقصود منها ، الا باستكشاف علمى لقوة السلاح ، وقوة العدو ، وساحة المعركة بكل سهولها ووديانها وهضابها ، لنتمكن فى النهاية ، وبالحساب دون الانفعال ، وبالتحديد المدروس دون الخبط العشوائى أن نحدد القرار الذى يتخذ ، وأسلوب التنفيذ ·

انه واجب كل ثورى عربى أن يخطط لمعركته بمنتهى الدقة ، فما عادت شعوبنا تتحمل نكسات جديدة ، أو حتى تقبل السير وراء قرارات فجة غير مدروسة ·

واستكشاف الاحتمالات أمام سلاح البترول يعنى أن نحدد أين تكمن قوته ، وكم من تلك القوة يتاح لايدينا ، ثم تقييم قدرة العدو الذى نوجهه سواء كان فى مواقع قوته ، أو نقاط ضعفه ، ثم ساحة المعركة ذاتها بكل ما فيها من عوامل واعتبارات ، لنصل فى النهاية الى تحديد لمختلف الامكانيات التى تتيحها لنا مجموعة التشابكات ·

وسوف نحاول فى هذا الصدد ان نسرد فى كل حالة الحقائق التى لا جدال فيها وان نترك للجداول الملحقة بهذه الدراسة امكانية امداد الباحث بعديد التفاصيل التى تزيد الرؤية وضوحا .

ولنبدأ بالتعرف على سلاح البترول وادراك مدى قوته :

سوف يقتضينا ذلك ان نعرفه من حيث هو مصدر للطاقة ، وأساس لنشاطات صناعية عديدة ، والقيود على ما يمتلكه الغير منه ، ومدى ما نتحكم نحن فيه منه ·

البترول بين مصادر الطاقة

● يحتل البترول المركز الاول بين مصادر الطاقة حيث يوفر ٦٠ فى المائة على مستوى العالم كله حاليا ، وتتزايد الحاجة له بمعدل يتراوح بين ٤ ـ ٥ فى المائة سنويا خلال السبعينات ·

● يمثل الفحم حوالى ٣٠ فى المائة من مصادر الطاقة ، وقد بدأ انتاجه فى الثبات فى عديد من البلدان مفسحا المجال للاعتماد فى كل التوسعات على البترول او الغاز الطبيعى ·

● مع التزايد الهائل خلال الستينات فى انتاج الغاز الطبيعى ، فانه قد أخذ محل الغاز الصناعى المنتج من الفحم ، ولكنه أخذ يزاحم البترول ، وان بصورة غير خطيرة حيث خفض معدل تزايد الطلب على الاخير من ١٢ فى المائة تقريبا خلال الستينات الى ٥ فى المائة خلال السبعينات ، وبينما ارتفع نصيبه من توفير الطاقة الى ٢٠ فى المائة فى الاتحاد السوفيتى خلال الستينات فانه وقف عند ١٠ فى المائة فى اوربا ، ويتراوح بين الرقمين فى أمريكا ·

● تسعى عديد من الشركات الى استغلال الرمال القطرانية فى كندا لانتاج البترول ، وامكن فى المناطق التى يمكن الوصول اليها انتاج كميات تجارية بسعر يناهز سعر البترول الامريكى ـ وليس العربى فى حال المنافسة ـ ولكن الكميات المتاحة حتى الان لا تمثل أى وضع تنافسى على مستوى العالم بعد ·

● لا يبدو فى القريب المنظور اى خطورة على وضع البترول من مصادر الطاقة الاخرى مثل الكهرباء عن طريق مساقط المياه ، او الطاقة الذرية التى يقدر نصيبها بين المصادر المختلفة بحوالى ٦ فى المائة عند نهاية القرن ، او البترول الصناعى من الفحم ·

البترول أساس لمركبات صناعية ضخمة

يوضح الشكل المرفق الصورة العامة للنشاط الصناعى الذى يمكن أن يوجده البترول بدءا من البحث والاستكشاف الى تحديد الحقول التجارية وبدء استغلالها ، ثم نقل الخام الى مراكز التجميع ، حيث يتوزع بعدها اما الى معامل التكرير المحلية أو الى وسائط نقله للخارج ·

ومن الواضح ـ ودون تعداد التفاصيل المبينة فى الشكل المرفق ـ ان كل مرحلة فى سلسلة الاعمال الموضحة تعطى فرصة لتوظيفات رأسمالية ، كما تؤدى الى تكوين قيمة مضافة ، فضلا عن مجالات العمل التى تتيحها للايدى العاملة ، وتحقيقها ـ حيثما وجدت ـ لانتاج قد يسد حاجة

الاستهلاك – ان كان يستهلك محليا كالسماد مثلا – أو يوجد فائضا ومواد للتصدير أكثر قيمة من البترول الخام ، بل فى الواقع ذات قيمة مضاعفة ٠

أما تطور هذا المركب الصناعى الضخم فقد ميزه خلال العقدين السابقين من السنين ما يلى :

● تميز الاستخراج فى المنطقة العربية باهدار جانب ضخم من الثروة الطبيعية فى صورة حريق الغازات المتولدة عند الابار (١) ٠ ويكفى للدلالة على ضخامة هذا القدر الضائع من الثروة انه قد قدر أن العراق يخسر يوميا فى حقول البصرة وحدها ما قيمته ٢٥٠ مليون قدم مكعب من الغاز أى ما توازى قيمته ٣ ملايين دينار عراقى سنويا٠

● ظل انتاج الكيماويات العضوية المشتقة من البترول يتزايد بنسبة ١٥ فى المائة فى كل عام ابتداء من ١٩٥٠ وحتى نهاية الستينات ٠

● وكان التزايد خلال فترة العشر سنوات من ١٩٥٩ – ١٩٦٩ موزعابين مناطق العالم بالصورة الاتية ، الولايات المتحدة ٥ر١٠ فى المائة ، اوربا الغربية ٢٥ فى المائة ، مناطق اخرى ٣٣ فى المائة ٠

● ظلت الصناعة الكيماوية تستحوذ على نصيب كبير من الاستثمارات الجديدة لكل الصناعات بلغت ١٥ فى المائة نظرا لما كانت تحققه من ربحية عالية ، اذا ما قورنت بالربحية فى الصناعات الرئيسية الاخرى ٠

● كما تضخمت طاقات المعامل الفردية فوصلت الى أحجام من ٤٠٠ الى ٥٠٠ الف طن فى العام فى بعض المنتجات ، وفى حدود ٢٥٠ ألف طن فى بعضها الاخر ، واستمر تزايد استهلاك المنتجات مرتفعا لدرجة أن الاستهلاك البولى ايثلين منخفض الكثافة (وهو من أهم المشتقات البترولية) ارتفع الى ١٥٠ صنفا خلال العقدين الماضيين ، وامكن بالتحسين التكنولوجى الانخفاض بسعره من ٥٠ الى ١٠ سنتات للرطل ٠

● تمثل هذه المجمعات الصناعية تركيزا ضخما لرأس المال اذ تحتاج لانشائها الى مئات الملايين من الدولارات ، كما تلعب التكنولوجيا المتقدمة دورا رئيسيا فى نجاحها ٠

● يدل عديد من الشواهد على أن معدل تزايد الصناعات الكيماوية تلك سوف يتناقص الى حد ما خلال السبعينات نظرا لبوادر انخفاض الربحية أثر المنافسة الشديدة ، وليس لانخفاض الطلب ، بل ان هذا الاخير فى تزايد مستمر بفضل التقدم التكنولوجى الواسع للاستخدام ٠

واذا نظرنا داخل المجتمع العربى لنبحث عن ملامح هذه المركبات الصناعية – ولنا الحق فى ذلك مادمنا نملك من هذه الثروة البترولية ما لا يقل بل يزيد فعلا عن غيرنا الذين يحققون من وراء البترول تلك الثروات الضخمة – نقول اذا نظرنا داخل المجتمع العربى لوجدنا أن نصيبنا لا يتعدى فتات الفتات ٠

● تحترق أمام عيوننا ثروة من غازات الابار ٠

● لا يزيد ما يتم تكريره بمعامل التكرير المحلية عن ١٢ فى المائة ، ناهيك بملكية هذه المعامل التى توضحها تفضيلا الجداول المرفقة :

● لا نملك من امكانيات النقل أكثر من ٤ فى المائة من القدرة اللازمة لنقل بترولنا وحده ٠

● تقتصر الاستفادة من حقائق المركب الصناعى القائم على البترول على عدد من المشروعات معظمها لم ير النور بعد ٠ ويمكن تعدادها فيما يلى :

فى السعودية : مشروعات لاستخلاص الكبريت ، وانتاج سماد اليوريا ،واللدائن وناقلات للبترول ٠

فى الكويت – يتم حاليا بفضل الشركة الوطنية انتاج النشادر وكبريتات الامونيوم وحامض الكبريتيك والكبريت ٠

فى العراق – مشروعات لاستخلاص الكبريت ، وتعبئة البوتاجاز وصناعة الاسمدة (٦٦٠٠٠ طن من النشادر ، ٥٦٫٠٠٠ طن من اليوريا ، ١١٫٠٠٠ طن حامض الكبريتيك) ٠

فى قطر – مشروع لاستغلال حقل دخان لانتاج ١٠٠ ألف طن نشادر ، ٣٣٠ ألف طن يوريا ٠

فى البحرين – مشروع لانتاج الكهرباء من الغازات الطبيعية واستخلاص الالمنيوم من البوكسيت المستورد ٠

فى الجزائر – مجمع أرزو الذى بدأ الإنتاج ليعطى يوميا ١٠٠٠ طن نشادر ، ٤٠٠ طن حامض نيتريك، ٥٠٠ طن نترات النشادر، ٤٠٠ طن يوريا ، واستخلاص ٢٥٫٠٠٠ طن بوثين سنويا ٠ مجمع

[1] نأسف اذ لم نستطع الحصول على التقدير الكامل للثروة المبددة على هذه الصورة على مستوى العالم العربى كله ، وان كنا نعلم انه موجود فى عديد من المراجع التى لم تتوفر لنا حاليا ٠

عنابة لينتج يوميا ١٥٠٠ طن حامض كبريتيك ، ٥٠٠ طن حامض فوسفوريك ، ٥٠٠ طن أسمدة .

مزيد من الحقائق
حول البترول العربي

اذا كنا قد استعرضنا موقف البترول عامة بين مصادر الطاقة ، وحاولنا ان نوضح ان البترول ليس استخراجا لخام فحسب ، بل هو أساس الصناعة الكيماوية الحديثة ، وجب أن ندخل الى الالمام **بمزيد من الحقائق حول الثروة البترولية العربية ، وأين تقع في العالم المعاصر .**

● قد يكون تكرارا – ولكنه مفيد – ان نذكر ان انتاج العالم العربي يصل الى ٣٠ في المائة من الانتاج العالمي ، هذا بينما يبلغ الاحتياطي المحقق في الحقول الى ثلثي احتياطي العالم كله .

● ان جميع الدول العربية تعتبر منتجة للبترول فيما عدا اليمن شماله وجنوبه والسودان ، والاردن ، ومع ذلك فهناك احتمالات تكاد تكون مؤكدة في كل منها .

● انه بينما تزايد الانتاج العربي الى أربعين ضعفا خلال الخمس وعشرين عاما الاخيرة تكاد تكون المناطق الرئيسية الاخرى قد اصبحت بتناقص مزمن في معدلاتها .

● هناك خمس من الدول العربية هي الكويت والسعودية وليبيا والعراق والجزائر تقع بين الدول العشر الاولى في الانتاج في العالم .

● لم تؤد الاكتشافات الاخيرة في الاسكا أو بحر الشمال او نيجيريا الى الاقلال من وزن البترول العربي على المستوى الدولي .

● ظل معدل التزايد السنوي للانتاج في البترول العربي يتراوح بين ١٠ – ١٢ في المائة ولكنه ارتفع بعد ١٩٦٧ الى أن أصبح يزيد على ١٥ في المائة .

ذلك من زاوية تواجد البترول وكمياته ، واذا ما نظرنا الى أهميته العالمية يمكن أن نورد عددا آخر من الحقائق :

● تعتمد أوربا الغربية اعتمادا يكاد يكون كاملا على البترول العربي (لا أقل من ٨٥ في المائة) وذلك كمصدر للطاقة وللصناعات الكيماوية العضوية .

● حين انخفض تموين أوروبا من البترول أثناء عدوان ١٩٥٦ بنسبة ٤٥ في المائة تكونت لجنة للطوارىء في أمريكا لتعويض أوربا وسد احتياجاتها ، ومع ذلك ظل هناك نقص قدره ١٢ في المائة أغلقت بسببه عديد من المصانع ، واتبع نظام البطاقات . وهي على العموم اجراءات لم تعد ممكنة في الوقت الحالي رغم بترول نيجيريا وذلك بسبب موقف البترول الامريكي حاليا ، كما سيأتي ذكره .

● لا يمكن لدول اوربا الغربية أن تجد بديلا صالحا من الناحية الاقتصادية عن البترول العربي ، فهي قد تستطيع مثلا استيراد البترول من فنزويلا ، ولكن تكاليف الانتاج تزيد كثيرا عن تكاليف انتاج البترول العربي ، كما أن نفقات النقل تتضاعف عدة مرات اذ تبلغ المسافة ثلاثة أمثال المسافة بالنسبة لبترول الشرق الاوسط .

● ولا يقل اعتماداليابان على البترول العربي عن أوربا الغربية . ورغم اكتشاف البترول في أندونيسيا واستراليا الا أن الانتاج والاحتياطي يقصر الى درجة بالغة عن احتياجات نصف الكرة الشرقي .

● وحتى أمريكا ذاتها ، فقد لاحظت احدى اللجان الوزارية العديدة التي شكلت لدراسة موقف الطاقة ومصادرها في أمريكا والبلدان المضمونة لها من حولها أن البترول العربي يمكن أن يصل الى نيويورك بسعر يقل ٩٠ سنتا (حوالي ٢٥ في المائة) للبرميل الواحد عن الانتاج الامريكي ، وانتاج خليج المكسيك مما يدفع بالمستوردين الى التحول اليه ، الا اذا لجأ المنتجون المحليون الى خفض أسعارهم لمواجهة المنافسة ، الامر الذي يجبرهم على اغلاق جميع الابار غير الاقتصادية وهي تمثل أكثر من نصف عدد الابار المنتجة في أمريكا .

● في ظل الاوضاع المتطورة للطاقة في أمريكا يقدر أنها سوف تستورد في عام ١٩٨٥ ما يوازي ٥٧ في المائة من جملة الاستهلاك من البترول ، ٢٥ في المائة من جملة استهلاك الطاقة بشتى اشكالها .

● والاعتقاد المتواتر حاليا في أمريكا ذاتها أنها ستجد نفسها خلال السبعينيات (وربما أقرب مما نتوقع) مضطرة الى الاعتماد بدرجة متزايدة على واردات البترول والغاز الطبيعي ، مع الاعتماد بصفة خاصة على الشرق الاوسط وشمال افريقيا .

وبالاضافة الى البترول وكمياته ، ثم أهميته ، نعالج الان أمور **استغلاله** لنكتشف فيها هي الاخرى عددا من الحقائق ،

● كانت مناطق الامتياز للبحث عن البترول في الاتفاقات التقليدية شاسعة ، فالعراق منح أراضيه تقريبا لثلاث شركات يملكها نفس المساهمين ، ومنح قطر جميع أراضيه لشركة واحدة ، ومنحت

السعودية كافة أرجاء المملكة من يابس ورصيف قارى لشركة أرامكو . ولكن تغير هذا الوضع فى الوقت الحاضر ، واتجهت الدول الى تحديد المساحات بتقسيمها أجزاء عديدة ، وتعيين حد أقصى لما يجوز منحه لشركة واحدة .

● وحقيقة تتعدد الشركات اسما ، بل قد تتخذ بعضها اللباس الوطنى ، ولكن تظل الحقيقة واضحة فى أن رؤوس الاموال العاملة فى حقل الاستخراج تتوزع على الصورة الاتية :

شركات امريكية ٥٩ر٩ فى المائة ، البريطانية ١٩ر٢فى المائة ، الفرنسية ١٠ر٣فى المائة، الهولندية ٣ر٨ فى المائة ، اليابانية ٢ر٦ فى المائة ، واخرى ٤ر٢ فى المائة .

● وحقيقة توجد شركات وطنية فى كل من العراق ، وسوريا ، والسعودية ، ومصر ، والجزائر ، ولكن معظمها اماشركات جديدة ، أو توجه قدرا كبيرا من نشاطها فى التوزيع ودراسة المشروعات بحيث يظل جهدها فى الاستخراج داخل ما يقل عن ٥ فى المائة من البترول العربى .

● نتج عن اعطاء الامتيازات لشركات اجنبية ــ وتعددت الظواهر والمشاهدات على ذلك ــ أنها كانت اما تترك مساحات شاسعة دون دراسة واستكشاف ، أو أن تحقق وجود البترول فى عديد من المناطق ، ولكنها تبقيه سرا لديها ، لا تعلم به الدولة صاحبة الشأن حتى يكشفه ــ أو بعضه ــ تأميم تلك الشركات .

● وربما بسبب غزارة الحقول العربية ، وبسبب محاولة استنزافها بأسرع ما يمكن ، ورغبة فى الحفاظ على الاحتياطى الامريكى نجد أن معدلات انتاج الابار العربية ترتفع فى المتوسط الى نسب عالية جدا ، فهى ٢٠٠ ضعف المعدل فى امريكا مثلا ولا يقترب من معدلها سوى نيجيريا وفى حدود الثلثين ، ولكن تتعداها ايران بمعدل مرتفع جدا .

● وعلى الرغم من ذلك ، فان كفاءة الاستغلال منخفضة جدا اذا ماقورنت بالمناطق الاخرى ، ولا تكاد تستخدم التكنولوجيا الحديثة (الحقن بالغازات أو المياه مثلا) لرفع كفاءة الاستغلال .

● وبالتالى انخفضت رؤوس الاموال المستثمرة لصالح الشركات صاحبة الامتياز بحيث صار من الحقائق العلمية المعروفة أنه لاستخراج مليون طن من البترول يلزم استثمار قدره ٩٠ مليون دولار فى الولايات المتحدة ، بينما نجد أن خمسة ملايين دولار فحسب كافية لتحقيق نفس الهدف فى البلاد العربية .

● واصبحت المنطقة التى تقدم ثلث الانتاج العالمى وتحتوى أكثر من ٦٠ فى المائة من احتياطيه لا تحظى بأكثر من ٣ فى المائة من الاستثمار الكلى ، اذ بينما يستثمر فى صناعة البترول على مستوى العالم ١٥٠ بليون دولار ، لا يتعدى نصيب الشرق الاوسط ٤ بلايين دولار فحسب ، كما أن المستثمر فى مرحلة الانتاج وحدها ليس أكثر من ٤ فى المائة من رأس المال المستثمر فى تلك المرحلة فى العالم .

● وتصبح الصورة فى تكلفة الانتاج ومقدار الاستثمار اللازم للانتاج كما يوضحها الجدول التالى :

المنطقة	مصاريف التشغيل للبرميل الواحد	الاموال اللازمة توظيفها لانتاج برميل واحد	تكاليف انتاج البرميل
ولاية تكساس	.١٨	٣٢٥٠٠	١٥٦
ولاية لويزيانا	١٠	٢٥٤٢	.١١٨
فنزويلا	٦ر٥	٨٦٣	٦٢
ليبيا	٢ر٢	١٤٩	١٥
الجزائر	٣ر٩	٦٥٦	٤٦
العراق	١ر٢	٦٩	٧٤
الكويت	١ر٨	١٦٧	١٠
السعودية	١ر٥	١٦٠	١٠
نيجريا	٢ر٧	٥٩٠	٣١
ايران	١.	١٣٠.	٢.

ويتضح منه مدى ضآلة الاستثمار فى البلاد العربية اذا قورن بغيره من البلاد ..

ما سبق يعطي جانبا - وان كان ليس بسيطا - عن الحقائق حول ثروة البترول العربية وما تقدمه للبشرية . وهى صورة أقل ما يقال فيها أنها تبرز مركز القوة الذى يمكن ان ننطلق منه . ولكن يجب حتى تكتمل الصورة أن ندرس الجانب المقابل .

شركات البترول ومن وراءها

ونحاول أن نتلمس أين تكمن قوتها ، وان نتعرف على الارض التى تقف عليها ، واثقين دائما أنه مركز القوة الاقصى لاى عدو يمكن ان يكون هو بالذات المقتل ، وان ما يقل عنه من مصادر قوته هو يمكن ان نجعله ينزف دما . ونورد فيما يلى عددا من الحقائق فى هذا الصدد :

● تستأثر شركات البترول العالمية الكبرى - وهى سبعة - بنصيب الاسد من الامتيازات البترولية العربية .

● تمتلك هذه الشركات الكبرى - والتى كثيرا ما تتخذ لنفسها أسماء أخرى مثل أرامكو ، وشركة بترول العراق ، وشركة بترول الكويت .. الخ - أكثر من ٧٥ فى المائة من انتاج البترول فى العالم خارج الولايات المتحدة ، والدول الاشتراكية . كما تمتلك أكثر من ٦٢ فى المائة من طاقة التكرير فى نفس المنطقة ، وتقوم بتسويق حو ٦٠ فى المائة من المنتجات البترولية فى العالم كله ، وتمتلك أكثر من ٥٠ فى المائة من أسطول الناقلات ، عدا ما تسيطر عليه منها عن طريق التعاقد طويل الامد .

● من ثم فان الشركات العاملة فى العالم العربى يقوم نشاطها على أساس التكامل الرأسى فى العمليات من البئر الى المستهلك ، ومصالحها متشابكة ، وترتبط مع بعضها البعض باتفاقيات تسويق طويلة الاجل . ولذلك فهى كتلة واحدة ذات مصالح مشتركة تتساند مع بعضها البعض .

● تسبب هذا الوضع لتلك الشركات بتخفيض نسبة أموالها المستثمرة فى صناعة النفط ، والذى يمكن أن تصل اليها يد الدول المنتجة ، كما يتضح ذلك من الجدول الاتى عن الاموال الموظفة فى صناعة النفط عالميا وفى الشرق الاوسط وشمال افريقيا مقدرة بملايين الدولارات .

والواقع أنه بينما وصلت الاستثمارات الغربية فى الوطن العربى منذ أربع سنوات الى ٦٠٠٠ مليون دولار ، فان الاستثمار فى التسويق والتكرير فى الدول الاوروبية يربو على ضعف هذا الرقم .

● والبترول لابد أن يمر بمرحلة التكرير قبل أن يصل للمستهلك ، ولكن تكريره لايتم فى البلاد العربية ، بل يتم خارجها كما توضح ذلك الارقام عن طاقة التكرير بالمناطق التى تعتمد على البترول العربى بصورة شبه كاملة :

أوروبا الغربية	١٧٧ر١٥	الف برميل يوميا
الخليج العربى	٦٨٨ر١	الف برميل يوميا (بما فيه ايران)
شمال افريقيا	٢٣٣	الف برميل يوميا

● يمكن من استقراء توزيع التكلفة لبرميل الزيت الجاهز للاستهلاك (تتضمنه الجداول المرفقة) أن نلاحظ أن معظم ربح الشركات المنتجة يتم خارج دائرة الدول المنتجة ، فالاخيرة تحصل على متوسط ٩ر٧ فى المائة من التكلفة ، وتتقاسم مع الشركات ربح انتاج الخام الذى تكلفته لا تزيد عن ٧ر٢ فى المائة . هذا بينما يظل تحت يد الشركات ومطلقا لها حوالى ٤٠ فى المائة من التدفقة تحصل على ربحه وحدها .

تلك هى بعض العوامل التى تضفى على تلك الشركات قوتها العظمى التى هى عليها . وانه يجب أن نضيف الى هذه العوامل جوانب الضعف فى موقفنا والتى سنأتى لذكرها فيما بعد . ولكن جانبا اخر من قوتها يعود الى تأييد حكوماتها لها انطلاقا مما تمثله هذه الشركات لاقتصاديات بلادها فضلا عن دورها السياسى . ونستعرض الان طرفا من هذه الحقائق الجديدة .

● فانه مع ضخامة الارقام التى تعلن عن أرباح الشركات من عملها فى الاستخراج فقط ، فانها لا تمثل أبدا الارباح الاجمالية ، اذ أن جزءا كبيرا منها يخصص للاستثمارات الجديدة ، كما أن جزءا يجنب لميزانيات لاحقة ، بحيث يقدر ما يوزع على المساهمين بجزء فقط من الارباح الفعلية يصل الى حوالى ٢٥ فى المائة . وبالتالى فهو دخل للافراد أو الهيئات المساهمة فى الدول الام بالنسبة للشركات .

● ولانه لم يكن فى الاتفاقات البترولية - الى عهد قريب - ما يمنع الشركات المنتجة من تحويل جميع ما تحصل عليه من أرباح للخارج ، ولا ينطبق على شركات البترول سياسة تحديد نسبة الربح الى رأس المال التى يسمح بها فى نظم تشجيع الاستثمار الاجنبى (فيما عدا الجزائر التى تفرض اتفاقاتها تحويل ما لا يزيد عن ٥٠ فى المائة من الربح المحقق) ، فان تلك الارباح تأخذ طريقها الى الخارج لتستخدم فى أغلب الاحوال فى تمويل مشروعات جديدة فى الدول الام بالنسبة للشركات ومن ثم انعاشها اقتصاديا ..

● ما تصدره الشركات الامريكية مثلا من البلاد العربية يمثل حيث يذهب للتكرير والاستهلاك صادرات أمريكية ، وبالتالى موردا هاما للدولارات التى تدخل فى حساب ميزان المدفوعات الامريكى . وهذا المورد لا يستمد تدفقه من مرحلة الخام وحدها ، وانما من المراحل المتممة المملوكة لنفس الشركات فى أوربا وغيرها . بل ان جانبا من مدفوعات الشركات للحكومات العربية يظل فى البنوك الامريكية ويستثمر فى مشروعاتها . يضاف الى ذلك أن البلاد العربية تستورد جانبا كبيرا من احتياجاتها من السلع والخدمات من الولايات المتحدة وهى ميزة أخرى لميزان المدفوعات الامريكى .

● يضاف الى ذلك حقيقة أن هناك بالولايات المتحدة ما لا يقل عن ٢٦٠٠٠ شركة تباشر العمليات المتممة والخدمات الفنية فى مراحل النقل والتكرير والتوزيع والبتروكيماويات والمصانع المنتجة لمعدات صناعة البترول والغاز الطبيعى . وحقيقة انها تعتمد حتى الان على المصادر فى نصف الكرة الغربى ، وان امتدت خدماتها وأعمالها كذلك الى النصف الشرقى ، ولكن أى أزمة عالمية ذات وزن مؤثر فى امدادات البترول لابد أن تؤثر فى اقتصاديات وأعمال هذه الشركات وربما أدت ببعضها الى الاغلاق التام .

● ومع ذلك كله فان قدرا من التبجح يظل يردد بأن أمريكا لن تخسر شيئا اذا أقدم العرب على طرد الشركات الامريكية من بلادهم . والتبرير الساذج لهذا هو أن الشركات قد استردت رؤوس أموالها عدة مرات .

● ولو افترضنا جدلا صدق هذا ، فان رأس المال الامريكى المستثمر فى البترول – والذى يعتمد أساسا على مصادرنا – هو أضخم رأسمال توظفه أمريكا فى أى مجال من المجالات خارجها ، اذ يستأثر وحده بحوالى ٣٠ فى المائة من رأس المال الامريكى المستثمر فى الخارج كله . ويحقق – بسبب ارتفاع عائده عن أى استثمار آخر – ٥٠ فى المائة من الربح الذى تحصل عليه كل الاستثمارات الامريكية فى الخارج .

ويأتى الان دور اليد التى تملك ذلك السلاح .

الدول المنتجة للبترول

وهى لاشك تملك من أسباب القوة الشىء الكثير . كما يجب أن نضيف الى مصادر قوتها نقاط الضعف فى جبهة المواجهة . ولكن لها هى نقاط الضعف التى يجوز أن نبدأ هنا بها .

● الدول العربية – كدول – شديدة الاختلاف عن بعضها البعض فمنها الملكية ومنها الجمهورية ومنها ما هو لا الى هؤلاء ، ولا الى هؤلاء . فيها البعض رأسمالى النظام ، والبعض اقطاعى أو شبه اقطاعى ، والبعض الاخر يشق طريقه نحو الاشتراكية . منها ذو الكثافة السكانية المنخفضة بحيث لا ينفق الا جزءا من دخله ، ومنها ذو الكثافة السكانية المرتفعة التى تقترض لتوفر لابنائها فرص العمل . يرتفع دخل الفرد فى بعضها الى ٣٤٠٠ دولار فى السنة ، بينما ينخفض فى البعض حتى ١٦٠ دولارا فقط .

● ترتفع نسبة البترول بين صادرات بعض البلاد العربية ارتفاعا خطيرا ، فهو يصل الى ٩٩ فى المائة فى السعودية ، ٩٨ فى المائة فى ليبيا ، ٩٣٫٥ فى المائة فى الكويت ، ٩٢ فى المائة فى العراق ، عدا الامارات التى تكاد لا تصدر غيره . ومثل هذه الاوضاع تعنى أن أى تغيير فى حجم صادرات البترول يؤثر بدرجة كبيرة فى القدرة على استيراد السلع من الخارج ، سواء كانت تلك السلع انتاجية أو استهلاكية .

● وان كانت البيانات غير متوفرة بالدرجة الكافية عن ميزانيات جميع الدول والامارات العربية ، ولكن الملاحظ أنه فى العديد منها تمثل عائدات البترول الجانب الاكبر من ميزانية الايرادات فى الدولة ، بينما تنخفض ميزانية الاستثمار عنه الى حد كبير ، وهو ما يؤدى الى أحد وضعين أو كليهما يمثلان نقطة ضعف خطيرة لها نتائجها البعيدة – وربما القريبة .

– الاول هو الاعتماد الكامل فى سير الحياة اليومية على ذلك المورد بحيث تتأثر المعيشة وتوازن الدولة المالى بأى مؤثرات خارجية على عائد البترول .

– والثانى استنفاد تلك الثروة – وهى مهما كانت كبيرة الا أن لها حدودا ونهاية – فى انفاق غير استثمارى يؤدى فى النهاية الى الا تحل ثروة أخرى مكان تلك التى كانت .

ولا ينهض ازاء هذا ادعاء البعض أن الارصدة التى تجنب من عائد البترول كفيلة بأن تدر دخلا – فى المستقبل البعيد – يقابل دخل البترول ، فذلك – مع كل التفاؤل – ما ليس مؤكدا .

● فالارصدة العربية فى الخارج ، والتى وان كانت غير معروفة تماما ، الا انها تقدر بما لا يقل عن ٧٠٠٠ مليون دولار ، والتى يدفع بأن بقاءها فى الخارج انما هو بسبب الاستقرار السياسى من ناحية ، وارتفاع سعر الفائدة انما تتعرض فى الواقع لماينال بصورة خطيرة من قيمتها .

- فهي تتحمل نتائج الاوضاع الاقتصادية للبلاد المودعة بها . كما أن الفائدة تتغير بصورة كبيرة فقد تأرجحت بين ٢ الى ٨ فى المائة فى بريطانيا ، وبين ١ر٧٥ الى ٦ فى المائة فى الولايات المتحدة .

- تتغير قيمتها بتغير قيمة العملات ، فقد انخفض الاسترليني مرتين منذ نهاية الحرب فى ١٩٤٩ ، ١٩٦٧ بنسبة ٣١ فى المائة ، ١٤ر٣ فى المائة على التوالى ، كما انخفضت قيمة الفرنك الفرنسى ٩ مرات فى أقل من ربع قرن ، وأخيرا انخفض رمز النظام النقدى الغربى - الدولار - بحوالى ٩ فى المائة .

● وفضلا عن ذلك فان هذه الاموال العربية فضلا عن استغلالها فى انعاش تلك الدول ، وربما مشاركتها - دون علم أصحابها لا قدر الله - فى انتاج أدوات الهلاك للعرب ، تعود فى صورة قروض الى مناطق عربية أخرى عن طريق وسطاء أجانب يتحكمون فى كلا الجانبين .

وبقدر ما هنالك من نقاط الضعف ، توجد نقاط القوة التى يمكن عند الامساك بها أن تزيد من كفاءة السلاح حين نستخدمه . تلك يمكن أن نجوزها فى عديد من النقاط نوردها فيما يلى :

● تنخفض امكانية تخزين البترول لدى المستهلكين عن غيره من مستلزمات الانتاج بحيث يقدر أنه لا يمكن أن يتواجد لديهم فى المتوسط أكثر من احتياجات شهور ثلاث .

● واننا فى ضوء هذا يمكن أن نكون قادرين على تحمل قحط النقد - ولكل الدول المنتجة من الارصدة ما يقف ازاء هذا - أكثر من قدرة الغير على تحمل قحط البترول .

● كما أن الخبرة العربية قد توفرت فى مجالى الاستخراج والتكرير بحيث أنها قادرة بالفعل - ودون حاجة لاى معونة فنية أجنبية - أن تباشر انتاج البترول من حقولها ، وأن تنشىء وتدير معامل التكرير بكفاءة كاملة .. ولا يبقى لها الا توافر الاستثمارات اللازمة ، وهى ولله الحمد أكثر من متوفرة .

● ان خبرات الاستكشاف - والتى قد تنقصنا بعض الشىء - لم تعد قصرا على الشركات السبع الكبرى بل تعددت المصادر التى يمكن الحصول عليها منها فى الشرق والغرب والدول الاشتراكية . ويجب ألا ننسى عند تقييم هذا الجانب القدرات العربية فى مصر والجزائر وسوريا ، وأخيرا بالعراق والتى تمارس أعمال الاستكشاف بنجاح .

● ويرتبط بهذا ظواهر التململ لدى المستهلكين . فالواقع أن البترول يصل الى الدول المستهلكة عن طريق مجموعة الشركات الاحتكارية المسيطرة ، بحيث أن أكثر الدول استهلاكا للبترول العربى هى أقل الدول مساهمة فى الشركات التى تكاد تحتكره . ومنذ الخمسينات بدأت الدول المستهلكة تكوين شركات ومؤسسات بترولية وطنية (فرنسا - ايطاليا - ألمانيا - بلجيكا - اليابان - والدول الاشتراكية - روسيا ورومانيا والمجر والصين) لتنتزع النشاط البترولى من الشركات الكبرى ، وتحركت نحو مناطق الانتاج تبحث عن البترول وتنتجه وتنقله الى بلادها . ولعل من بينها تفنين اليابان بدورها الضخم فى انتاج الناقلات .

● ليست ثروة الشعوب العربية قاصرة على البترول ، بل الشواهد متعددة وكثيرة وتشمل معظم البلاد العربية تنبىء عما فى أراضيها من كنوز عن مصادر الثروة المعدنية والزراعية والحيوانية .

● وأخيرا لعله أكبر مصدر لقوة العرب هو اتحاد شعوبهم فى المناداة بضرورة استعمال سلاح البترول ، واستعدادها للتضحية بالدخل الناتج عنه فى سبيل أن تتحرر ، وأن تمسك مقدراتها بأيديها .

وبعد ...

فلعل هذا الاستعراض قد أوضح الصورة بالنسبة لسلاح البترول سواء من ناحية قدراته ، ومصادر قوة وضعف كل من الجانبين المتواجهين من حوله . ويجب احقاقا للحق وابراء للذمة أن كل ما ورد من بيانات انما هو حصيلة دراسات عربية عديدة ومنشورة ، لم نضف اليها وان كنا حاولنا تجميعها بالصورة التى تصلح - فى اعتقادنا - للنظر منها الى ميدان المعركة .

ولعلها توضح أن البترول جعبة من الاسلحة يمكن أن تبدأ من الضغط حتى تصل الى الحسم .

يمكن أن يبدأ بالضغط لاستنفاذ نصيب عادل :

● لاستنفاذ ثروة الغازات المبددة ، وتحويلها الى قوة انتاجية .

● لتحسين تكنولوجيا الاستخراج .

● لمباشرة الاستكشاف فى مناطق الامتياز الممنوحة ونشر النتائج وجعلها متاحة فى دقة كاملة للدول المضيفة .

● فى المشاركة فى رؤوس أموال الشركات المنتجة .

● فى تحديد نسب الربح على رأس المال ، وتحديد ما يجوز تحويله الى الخارج منها .

● وبالتالى فى تحديد أوجه انفاق الجزء المحجوز داخليا من الربح وتوجيهه الى الاستثمار فى الدولة المضيفة أو أخرى صديقة .

● وأن يكون الاستثمار بحيث يزيد من نصيب الدولة المنتجة من العمليات التى يبدؤها تواجد البترول .

● فى تكوين الخبرة المحلية فى جميع عمليات البترول من الاستكشاف حتى نهاية خط المنتجات البتروكيماوية .

● فى تعديل الاسعار بما يتمشى مع القدرة التنافسية للبترول العربى .

● بادخال شركات غير تقليدية فى حقل عمليات البترول فى الوطن العربى .

ويمكن أن نصل الى الحسم :

● برفع وتنفيذ شعار التأميم الكامل ، أو لجانب فقط من رؤوس الاموال .

● بايقاف ضخ البترول اما لمدة محددة أو حتى يحسم موقف معين .

● بسحب الارصدة العربية من الدول المعادية .

ولكننا فى هذا كله محتاجون بصورة عاجلة وشديدة الى :

● تحقيق أقصى تضامن عربى فى أى أزمة تنشأ بين احدى الدول وأى شركة من شركات البترول .

● ضرورة الا تقف الدول فى أزماتها فرادى ، وكلما اتسع عدد الدول التى تسند موقفا معينا ، كلما أمكن تحقيق المطلب .

● ضرورة أن نكسر شوكة الاحتكار فى أضعف حلقاته ، وهى باخراجه من دوره الوسيط بين المنتج والمستهلك . وذلك ما يقتضى :

ـ أن ندخل حقل التكرير بأكبر قدرة ممكنة ، وذلك ما تتوفر له الامكانيات قوية وقريبة المنال .

ـ أن يتزايد بمعدل مرتفع وسريع نصيبنا فى عملية النقل سواء بالانابيب أو ناقلات البترول .

ـ أن ننسق بين الدول العربية جميعا فى مشروعاتها البتروكيماوية تحقيقا لايجاد السوق الملائم ، وامكانية المنافسة ، وتجميعا للقدرات الخاصة بهذا النوع من الصناعة ، والتى لا تتوفر عربيا لكل المشروعات المطروحة .

وأخيرا لعله يعتبر واجبا لدى الثوريين فى المنطقة أن يزيدوا الوعى بين الشعوب بأبعاد ذلك السلاح وأثره الحاسم ، حتى لا ينجح الاستعمار وشركاته فى التغلب على أى مشكلة محدودة ، ولا يكون هناك من نتيجة الا أن نندفع الى أحضان اليأس .

تأميم البترول العـــراقى

دوافعــــــه وأبعــــــاده الســـــياسية

د. رحيم عجينة

قامت الشركـات البترولية الاسـتعمارية العاملة فى العراق بتخفيض انتاجها خلال الاشهر الاخيرة ، ونتج عن ذلك انخفـــاض عوائد الدولـــة بمقدار ٣٣ مليون جنيه استرلينى ، واذا استمرت معدلات الخفض على ما هو عليه ، فســتنقص واردات الدولة بحوالى ١٢٠ مليون جنيـه استرلينى . أما الحكومة العراقية فكان رد فعلها هو انها انذرت الشركات وطلبت ان يرجع الانتاج الى معدلاته السابقــة ، وأن يجرى العمل وفق برنامج مدروس ووفق تخطيط يجرى الاتفاق عليه بين الطرفين . وليس خافيا أن الهدف من خفض الانتاج هو الضغط ، فالشركات والدول الامبريالية خططت لان يعتمد العراق على عوائد البترول ، شأنه شأن سائر البلدان المتخلفة التى تعتمد على انتاج وحيد . وبانقطاع موارد البترول تنشـأ صعوبات جدية فى الحياة الاقتصادية تصـل فى أسوأ أشكالهـا الى حـدود الفوضى والتخريب . فاستمرار هذا الوضع سيؤدى لتوقف العمل فى المشاريع الاستثمارية والصناعية ، وفرض قيود مالية على حياة الناس اليومية ، وتدهور قيمة وقوة الدينار العراقى .

الظروف التى أقدمت الشركات فيهـــا على خفض الانتـــاج

● بعد الاتفاقيات مع الاتحاد السوفيتى والمجرفى ١٩٧٠ ، حقق الحكم الوطنــى فى العراق انجازا كبيرا وهاما جدا ، فقد نجح العراق فى انتاج البترول وطنيا من قبل شركة النفط الوطنيـة العراقية .

● تم تدشين الانتاج والتصدير فى ٧ ابريل ١٩٧٢ فى المرحلة الاولى بمقدار ٥ ملايين طن سنويا، وتبدأ المرحلة الثانية بانتاج حوالى ١٨ مليون طن ابتداء من عام ١٩٧٤ ، وهو حدث تاريخى يمكن أن ينتهى بتحرير الثروات البترولية فى العراق من سيطرة الاحتكار العالمى البترولى .

ويرتبط بذلك ثلاث ظواهر رئيسية برزت على المسرح السياسى :

● **داخليا :** حدثت تطورات ايجابية في العلاقات الوطنية،فبعد أن طرح حزب البعث العربي الاشتراكي مشروع ميثاق العمل الوطني بدأت المفاوضات بين حزب البعث والحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي لوضع الصيغة النهائية لميثاق العمل والوطني ٠كما قام قادة حزب البعث بالالتقاء مع ممثلي التيارات القومية في العراق ، أو مايطلق عليه بالتيار الناصري ٠ وانتهى هذا النشاط الى توسيع قاعدة الحكومة العراقية باشتراك الحزب الشيوعي العراقي والشخصيات القومية في الوزارة ، بالاضافةالى حزب البعث والحزب الديمقراطي الكردستاني ٠ واعتبر هذا تمهيدا لابرام الصيغة النهائية لميثاق الجبهة الوطنية ووعدت قيادة حزب البعث باطلاق الحريات الديمقراطية للقوى الوطنية ٠

● **في المجال العربي :** حدث تقارب وبداية علاقات متطورة ايجابيا بين مصر وسوريا والعراق ، نتيجة زيارة الوفد العراقي الحكومي الى البلدين الشقيقين . وخلال هذه الجهود تمت الموافقة على ضرورة تنسيق سياسة البلدان العربية المتحررة لمواجهة العدوان الاسرائيلي الامبريالي ومشروع حسين لتصفية الثورة الفلسطينية .

● **على مستوى العلاقات الخارجية :** فان النشاط الذي بدأ بتبادل الزيارات بين ممثلي الاتحاد السوفيتي والعراق لكلا البلدين انتهى بتوقيع معاهدة الصداقة والتعاون بينهما . وتشكل هذه المعاهدة انعطافا هاما وكبيرا في مسيرة الحركة الوطنية وحركة التحرر العربي . ولاسيما فانها جاءت بعد أن وقعت مصر معاهدة مشابهة ٠ ان هذه العلاقة النوعية الجديدة تؤمن للعراق تطورا سريعا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتعزز قدراته القتالية والدفاعية واستقلاله الوطني والسياسي ، واقترن توقيع المعاهدة اثناء زيارة كوسيجين الى العراق تدشين الانتاج الوطني للبترول من حقول شمال الرميلة وتصديره الى بعض البلدان دون مداخلة الاحتكار البترولي الامبريالي ، وهذا يشكل مساهمة جدية لتحقيق الاستقلال الاقتصادي مما لاشك فيه ٠ ان هذه التطورات ليست في صالح شركات البترول ، بل وتهدد وجودها في العراق ٠ ولذلك فانها تعمل بجنون على وقف فاعليتها تمهيدا لتصفيتها ٠

الخلفية البترولية

■ **قانون رقم ٨٠ ـ بعد ١٤ تموز ١٩٥٨ ،** بدأت الحكومة العراقية المفاوضات مع الشركات البترولية العاملة في العراق بهدف تسوية الخلافات والحصول على حقوق العراق العادلة . وأمام تعنت الشركات لجأت الحكومة الى التشريع من جانب واحد فسنت قانون ٨٠ لعام ١٩٦١ ٠

وبهذا الاجراء التشريعي المنفرد حررت الحكومة العراقية ، أي أممت ، الاراضي العراقية الخاضعة لامتياز الشركات والتي هي خارج استثمارها انذاك ٠ وتبلغ مساحتها ٩٩٫٥ في المائة من مساحة العراق ، وترك ٠٫٥ في المائة فقط والتي تشكل المساحة التي تستغلها الشركات بالفعل . ان الارض التي حررها قانون ٨٠ تحتوي على ثروات بترولية مكتشفة وحقول محددة جاهزة للانتاج . ومنها حقل شمال الرميلة الذي بدأ انتاجه في ٧ نيسان ١٩٧٢ ٠

ومنذ ١٩٦١ رفضت الشركات قبول قانون ٨٠ واصرت على أن كل ما هو موجود من الثروات البترولية في الاراضي المستردة ملك لها ، ومن جانب اخر لم تقم الحكومات العراقية المتعاقبة باستغلال الاراضي التي حررها قانون ٨٠ الا في عام ١٩٧٠ . فقامت الشركات بانذار الحكومة العراقية والمؤسسات البترولية في الدول الاشتراكية التي تعاقدت مع شركة النفط الوطنية وطلبت منها الامتناع عن انتاج البترول في حقل الرميلة . لكن هذا الانذار أهمل لانه يتعرض لممارسة العراق لسيادته ٠

وخلال الاشهر القليلة الماضية هددت الشركات بالاستيلاء على الناقلات التي تحمل بترول شمال الرميلة ومصادرة حمولتها ٠ على الرغم من ذلك وصلت الناقلات السوفيتية والعراقية الى موانئ تفريغ حمولتها بسلام ٠

● **المساهمة برأسمال الشركات :** طالبت الاحزاب والقوى الوطنية في بلادنا بالمساهمة برأسمال الشركات العاملة في العراق ٠

هذا المبدأ أقرته معاهدة سان ريمو ١٩٢٠ التي رسمت حدود العراق السياسية وقسمت الثروات البترولية بين الاحتكارات الامبريالية ونصت على حق الدولة العراقية أو الرأسمال الوطني بالمساهمة بـ ٢٠ في المائة من رأسمال الشركات ٠ ثم تلاعبت بالنص وفرضت على الحكومات العميلة تعديلا يجيز مساهمة العراق عندما تطرح الشركات أسهما في السوق ، ولما كانت الشركات لاتقوم بذلك ، فقد العراق هذا الحق ، وبقي هذا المطلب

ماذا تريد الشركات ؟

ان العراق فى مفاوضته مع الشركات لم يطالب بحقوق جديدة وانما طالب بتنفيذ ما وافقت عليه الشركات فيما يتعلق بالمساهمة برأسمال الشركات وتنفيق الريـع ·· فماذا تهدف الشركات من وراء خفض الانتاج ؟ انه ضغط واضح، وهى اختارت هذا الوقت بالذات لانه اكثر ملاءمة لها ، حيث يختفي الانتاج فى بداية الصيف نظرا لهبوط الطلب على البترول بسبب الانخفاض فى الاستهلاك ويصبح تسويق النفط العراقى اقل سهولة نسبيا ·

ومنذ ان شرع القانون رقم ٨٠ والشركات تحاول الالتفاف عليه ، فحاولت مرة افراغه من محتواه باستغلال بعض ما فيه من ثغرات ، فهناك نص بجواز مساهمة شركة النفط الوطنية مع الشركات العاملة فى العراق لاستغلال الاراضي الواقعة خارج الاستثمار الفعلي للشركات فى الاراضي التى حررها القانون . وبالفعل وقع بالاحرف الاولى على اتفاقية بين الحكومة والشركات الاستعمارية فى ١٩٦٥ لتأسيس شركة نفط بغداد لتقوم بذلك الاستثمار · ولكن يقظة القوى والاحزاب الوطنية احبطت المؤامرة والغت الاتفاقية ، ومارست ضغطها من اجل تحريم المشاركة بين اية شركة اجنبية وشركة النفط الوطنية ، الى ان حصر قانون ٩٧ لعام ١٩٦٧ استغلال الاراضي التى حررها قانون ٨٠ بشركة النفط الوطنية ، وقبل سنتين حذفت الفقرة التى تجيز تلك المشاركة فى القانون اصلا .

ثم بعد ان نجح العراق فى انتاج البترول وطنيا ، تحاول أن تمنعه من دخول السوق العالمية لتسد الطريق عليه من ان يكون مصدرا ومسوقا معترفا به دون الاعتماد على وساطة الاحتكار العالمي لانها ترى نجاح العراق في ذلك ضروريا لتأميم الثروة البترولية · انها تحاول الان وتضغط من أجل شراء كل انتاج الرميله لتقوم هى بتسويقه . كما أنها لم تتخل عن طموحها بالدخول الى العراق مجددا والمساهمة مع شركة النفط الوطنية ، سواء بشكل مكشوف أو تحت اسماء شركات جديدة متفرعة منها ؛

وعندما تفشل هذه الشركات الاحتكارية فى احتواء شركة النفط الوطنية والالتفاف على نشاطها سوف لا تتورع عن الاقدام على التآمر على الحكم الوطني ومحاولة اسقاطه · ان لشركات البترول الاحتكارية والاوساط الاستعمارية غريزة فى حبك المؤامرات واسرارها وستبدأ اولا فى استخدام اسلوبها

فقرة ثانية فى جدول المفاوضات منذ ١٩٥٨ · وأخيرا وبعد التطورات فى سوق البترول العالمية وخوف الشركات من المستقبل وتحوطا من المضاعفات المتوقعة اجرت تنازلات جزئية ، فوافقت على مبدأ المساهمة بـ ٢٠ فى المائة من رؤوس أموالها من قبل دول الخليج المنتجة · وتم ذلك فى مؤتمر الاوبيك فى بيروت فى ١١ مارس ١٩٧٢، وكانت شركة الارامكو المبادرة الى ذلك وأنارت الضوء الاخضر .

ومن وجهة نظر الحزب الشيوعي العراقي ، يرى أن المساهمة يجب أن لا تقل فى الوقت الحاضر عن ٥١ فى المائة · اذ أن صيغة ٢٠ فى المائة قديمة يرجع تاريخها الى ٥٠ سنة مضت . كما أن الجزائر لجأت الى التشريع المنفرد وأممت ٥١ فى المائة من رأسمال الشركات العاملة ، وأممت ليبيا امتيازات شركة النفط البريطانية . وهناك تعاقدات بين شركة النفط الوطنية فى الكويت والسعودية وشركات يابانية تساهم فيها الشركات العربية بنسبة ٧٠ فى المائة و ٥٠ فى المائة ·

تنفيق الريع — وهذا حق اعترفت به الشركات العاملة فى العراق وفى المنطقة · فاستخراج الثروات البترولية سيؤدي فى النهاية الى استنزافها ونضوبها وأقرت الشركات دفع البدل عن ذلك واقر للعراق حقه فيه .

حصلت كل بلدان الشرق الاوسط على حصصها من تنفيق الريع ما عدا العراق الذى بدأ تنفيذ اتفاقية تنفيق الريع معه بنسبة ١٢٫٥ فى المائة من الانتاج نوعا أو قيمة منذ ١٩٧١ · ولا تزال الشركات ترفض دفع المبالغ عن تنفيق الريع لفترة ١٩٦٤ ــ ١٩٧٠ حسب الاتفاق الذى تم وهى لا تقل عن ٨٠ مليون جنيه استرليني . وتستخدم الشركات ذلك وسيلة للضغط على العراق لحمله على اجراء تنازلات مقابل حصوله على تلك المبالغ ، وكل سنة تمر يلحق ضرر جديد بمصالح العراق لما يخسره العراق من فوائد هذه المبالغ الكبيرة ·

كما ان للعراق حقوقا ومطالب اخرى لم تنفذ بعد ، فله ان يرسل مديروه التنفيذيون فى مجلس ادارة الشركات ، ويطالب بنقل مقرها من لندن الى بغداد ، وأن يقوم بتدقيق حساباتها وأن يخطط الانتاج بنسب ثابتة متصاعدة حسب احتياجات السوق العالمية واسعارها ··· الخ ·

المفضل والمجرب مع ادخال التحسينات عليه • ذلك هو شق الصف الوطني وبذر الخلافات واثارة الشكوك وعدم الثقة والتحريض على الصراع بين الحركة القومية الكردية والحكم الوطني في العراق . ودفع الخلافات الثانوية بين الاحزاب والقوى الوطنية الى المقدمة، وبالتالي تمزيق الجبهة الداخلية • وستحاول تلك الاوساط في الوقت نفسه تمزيق الصف العربي وتشديد تحركات اسرائيل ضد حركة التحرر العربي والهاء العراق واشغاله بالعديد من المواجهات ، لكي يمرروا خط تآمرهم الرئيسي •

وكان من الطبيعي ان يرفض الحكم الوطني في العراق الخضوع للشركات ولشروطها ، ولجأ بالتنمية امام تعنتها الى التشريع من جانب واحد للحصول على حقوق العراق العادلة في ثرواته البترولية . وذلك لانها المصدر الرئيسي للعملات النادرة ولتراكم رأسمال المال والادخار القومي ، وهي المصدر للطاقة الضرورية للصناعة ولسير الحياة ومادة خام اساسية لصناعة بتروكيماوية متطورة ولصناعات عصرية متنوعة •

ومن البديهي ان معركة البترول معركة كبرى تحتاج الى كل الجهود • وهي تفرض على كل الاحزاب والقوى والعناصر الوطنية ان تؤيد موقف الحكومة العراقية في الشركات الاحتكارية. ومما لا شك فيه ان تلك القوى تدرك واجباتها في هذه المعركة . **ومن ناحية أخرى فان مهمات المعركة تحتم ضرورة الاسراع في ابرام الجبهة الوطنية وميثاق العمل الوطني واطلاق حريات الجماهير وطاقاتها لتقف كتلة متراصة تدعم الحكم الائتلافي الوطني بكل قوة .** كذلك ينبغي سد جميع الثغرات في العلاقات الوطنية وتعزيز الاخوة العربية الكردية ووحدة نضالهما .

ومن السياسات الجوهرية في هذه الايام ، التنسيق مع البلدان العربية **بصورة عامة من أجل ان تقف مع العراق بشكل حازم • ولكن ماهو أهم** وأكثر حيوية من هذا هو وقوف البلدان العربية المنتجة للبترول الى جانب العراق • وتحتل الجزائر وليبيا مكانا بارزا هنا ، لانهما البلدان الرئيسيان اللذان يمونان اوروبا الغربية بالبترول مع العراق والسعودية من موانئ البحر المتوسط • **فمعركة النفط هي جبهة رئيسية ان لم تكن الجبهة الرئيسية في معركتنا القومية ضد الامبريالية والصهيونية .** ان موقفا حازما من جانب **ليبيا والجزائر كفيل بأمننا •**

مخططات الشركات الاحتكارية وحملها على القبول والتسليم بحقوق العراق وتردعها في المستقبل عن تهديد أي بلد عربي منتج ومصدر للبترول • ان بيانا يصدر في الجزائر وليبيا يهدد بخفض انتاجهما بنفس النسبة التي خفض بها الانتاج العراقي على الاقل ، ستغلب ميزان القوى في معركة البترول الحالية والمقبلة . كذلك فان مواقف تضامنية من بلدان الخليج العربي التي يستهلك بترولها في اليابان وفي حرب فيتنام سيلعب دوراً بالغ الاثر على الشركات الاحتكارية ويرتبط مع هذا تشكيل جبهة قوية من البلدان المتحررة في داخل منظمة الدول المنتجة والمصدرة للبترول – اوبيك لدعم موقف العراق .

وهناك الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي ، فلا جدال في انه سيتخذ موقفا تضامنيا تماما مع العراق ولابد من التعاون معه الى اقصى الدرجات في هذه المعركة •

تبقى هناك ثغرة كبيرة لا يمكن التغلب عليها في الظرف الراهن ، وهو اعتماد العراق على عوائد البترول اعتمادا حاسما • لقد اتخذت بعض السياسات لتطور العراق صناعيا ولكنها غير كافية ، ولاضرر من اعادة القول عن ضرورة تنويع الاقتصاد العراقي وتطوير وتخطيط اقتصاده الزراعي والصناعي ، من اجل ان لايتعرض الى الهزات بتهديدات الشركات واجراءاتها •

البتـــرول العـــربى

شريان الحيـــاة للاقتصـــاد الغربى

محمد فتحى عافية

فلنفتش عن البترول لادراك أبعاد المشاكل التى يعانى منها الشرق الاوسط وعلى الاخص البلاد العربية . فالمعروف أن العالم العربى يسبح فى بحر من الذهب الاسود الذى هو البترول . ومن أجله أقامت الدول الامبريالية القواعد العسكرية، وفرضت الاحلاف ، واستعرضت الاساطيل . ومن أجله أيضا تستخدم الولايات المتحدة الامريكية سياسة العصا الغليظة ، مع الشعوب العربية التى تريد أن تملك مصيرها بين يديها . لقد صدق ترومان حين قال : « ان اسرائيل قامت فى منطقة الشرق الاوسط لكى تتصدى لتيار النعرة القومية . فاذا لم تستطع ان تحقق هذا ، فلا أقل من ان تجتذبه بعيدا عن مصالح النفط الامريكى فـى الشرق الاوسط » .

وتتزايد أهمية البترول عاما بعد عام ، وتشتد حاجة العالم اليه ، وتنمو احتياجاته بمعـدلات عالية . فى نفس الوقت يتزايد رصيـد الدول العربية الثابت والمحتمل ، ويتناقص رصيـد الغرب . اذ يبلغ رصيد العالم العربى الثابت ٢٨٩ر٨٦٢ مليون برميل ، ويبلغ ٥٠ فى المائة من رصيد العالم الثابت ، ويبلـــغ رصـيده المحتمل ٢٨٧ر٢٦٢ مليون برميل بما يربو على ٥٠ فى المائة من رصيد العالم المحتمل . أما رصيد أوروبـا الغربية الثابت فلا يزيد عن ٢٠٤٠ مليون برميل ، وهو قريب من رصيد امارة عربية صغيرة وهى دبى ، ولا يزيد نسبتـه عن ٣ر٠ فى المائـة من الرصيد العالمى الثابت ، وقس على ذلك الرصيد المحتمل .

ويقدر انتاج الدول العربية سنـة ١٩٧٠ بـ ١٤ر٤٢٧ ألف برميل يوميا أى ما يقرب من ٣ر٣١ فى المائة من الانتاج العالمى . لاتستهلك منه الدول العربية أكثر من ٨٠١ ألف برميل يوميا ، أى بمعدل يصل الى ٥ر٤ فى المائة من جملة الانتاج . ويوجد فائض مخصص للتصـدير نسبته ٦ر٩٤ فى المائة من جملة الانتاج . ومع أن انتاج أمريكا الشمالية كبير وقريب من الانتاج العربى اذ يبلغ ١٣ر٠٧٠ ألف برميل يوميا فى سنة ١٩٧٠ ويمثل ٢٨ فى المائة من الانتاج العالمى . الا أن حاجة امريكا الشمالية أكبر من انتاجها ، اذ استهلكت فى نفس السنة

١٦٦٤٢ ألف برميل يوميا ويصل العجز الى ٣٥٧٢ الف برميل يوما ، يلزم استيراده من مناطق أخرى .

فائض البترول العربى

هذا ويمكن ان نتبين أهمية البترول العربى فيما لو القينا نظرة على الجدول التالى الذى يوضح الانتاج من الزيت الخام والاحتياطى والاستهلاك والفائض ونسبة الفائض ونسبة الانتاج الى الاحتياطى ، ونجد فى جدول رقم (١) أن أكثر البلاد فائضا ، هى بلاد الشرق الاوسط ، يليها أفريقيا حيث تقع فى كلاهما معظم الدول العربية .

ففى الوقت الذى يبلغ الفائض فى الشرق الاوسط ١٢٫٨٥٨ ألف برميل يوميا ، وفى أفريقيا ٥٫٢٤٨ ألف برميل يوميا أى حوالى ١٨ مليون برميل ، نجد أن الفائض فى البلاد العربية ١٤ مليون برميل أى بنسبة ٧٨ فى المائة من جملة الفائض فى الشرق الاوسط وأفريقيا . ويمثل الفائض العربى ٦٣ فى المائة من جملة الفائض الكلى . وهذا يعنى أن الفائض من البترول العربى يسد الجانب الاكبر من العجز بين الانتاج والاستهلاك فى مناطق العالم المختلفة . وتصل نسبة العجز فى دول أوروبا الغربية الى ٥٨ فى المائة من جملة العجز فى دول العالم . وهذا يعنى أن البترول العربى سيقع عليه فى الغالب سد هذا العجز .

الاستعمار والبترول العربى

تدرك الدول الاستعمارية والامبريالية ــ ربما أكثر من الدول العربية ذاتها ــ أهميــة البترول العربى لمستقبل التطور والتقدم الاقتصادى فى العالم كله . وهى تسعى الى السيطرة على المناطق المنتجة للبترول رغبة فى احتكاره ، ليكون لها بملكيتها للبترول قدرة على التحكم فى اقتصاد العالم كله . وفى الوقت نفسه تريد أن تحقق من دراسة أكبر وأعلى الارباح وبأقل الفوائد التى تعود على الشعوب صاحبة الثروة .

وان هجمة الاستعمار الشرسة فى يونيو ١٩٦٧ لم تكن الا تتويجا لجهوده الفاشلة ، من أجل اسقاط الحكومات الوطنية ، وارهاب الحكومات العربية الاخرى ، تحقيقا لاغراضه ، ووصولا الى مآربه التى أصبح يهددها وعى الشعوب ، وتحركات الحكومات الوطنية .

ويمكن أن نلخص أهداف الاستعمار فيما يلى :

١ ـ السيطرة على البترول العربى أو على الاقل النسبة الاكبر منه . وتصل نسبة ما تسيطر عليه الامبريالية بشركاتها ما لا يقل عن ٨٠ فى المائة من البترول الخام .

٢ ـ الحصول عليه بأرخص الاسعار وبأكثر الشروط ملاءمة لها . ويمكن أن نتبين ذلك اذا قارنا بين تكلفة انتاج البترول العربى ومثيله فى جميع دول العالم (الجدول رقم (٢)) .

٣ ـ تحقيق أكبر معدل للربح ، ويصل معدل الربح بالنسبة لرأس المال الامريكى ٦٧ فى المائة فى الشرق الاوسط ، ٢١ فى المائة فى فنزويلا ، ١٫٨ فى المائة فى الولايات المتحدة الامريكية . وقد حققت الولايات المتحدة الامريكية فى سنة

الانتاج من الزيت الخام والاحتياطى والاستهلاك فى عام ١٩٧٠ (جدول رقم (١))

المنطقة	الانتاج	الاستهلاك	الفائض	العجز	الاحتياطى الثابت	نسبة الانتاج الى الاحتياطى
أمريكا الشمالية	١٣٠٧٠	١٦٦٤٢	ـــــ	٣٥٧٢	٧٧٥٠٠	١٦
امريكا الوسطى الكاريبى	١٤١	٤٣٧	ـــــ	٢٩٦	٦٢٧	٢٢
امريكا الجنوبية	٤٦٠٥	١٧١٩	٢٨٨٦	ـــــ	٣٢٧٥٠	١٤
أوروبا الغربية	٣٧٥	١٢٠١١	ـــــ	١١٦٣٦	٢٠٤٠	٢٨
الشرط الاوسط	١٣٩٥٤	١٠٩٦	١٢٨٥٨	ـــــ	٣١٠١١٠	٤
افريقيا	٦٠٣٣	٧٨٥	٥٢٤٨	ـــــ	٦٥١٠٧	٩
الشرق الاقصى وآسيا	١٥٩٠	٦٠٩٨	ـــــ	٤٥٠٨	٣٣٨١٣	٥
الكتلة الشيوعية	٧٤٥٩	٦٢٦٦	١١٩٣	ـــــ	٦١٣٦١	١٢
المجموع	٤٧٢٢٧	٤٥٠٥٤	٢٢١٨٥	٢٠٠١٢	٥٨٣٣٠٨	ـــــ
منها البلاد العربية	١٤٧٢٧	٨٠١	١٣٩٢٦	ـــــ	٢٨٩٨٦٢	٥

جدول رقم (٢)   « الوحدة سنت / برميل ،

البلد	مصاريف النقل	تكاليف التنمية	مجموع تكاليف البرميل
ليبيا	٢ر٢	١٣ر٠	١٥ر٢
الجزائر	٣ر٩	٤٢ر٠	٤٥ر٩
العراق	١ر٢	٣ر٠	٤ر٢
الكويت	١ر٨	٨ر٠	٩ر٨
السعودية	١ر٥	٨ر٠	٩ر٥
الولايات المتحدة	١٧ر٠	١٣٤ر٠	١٥١ر٠
نيجيريا	٢ر٧	٢٨ر٠	٣٠ر٧
ايران	١ر٠	٦ر٠	٧ر٠

١٩٦٦ أرباحا تبلغ ٨٥٠ مليون دولار من البلاد العربية وحدها من جملة أرباح تصل الى ١٨٠٠ مليون دولار .

٤ — الحيلولة دون هذه البلاد وتسويق بترولها الخام . ولا تزيد نسبة ما تنقله البلاد العربية بأساطيلها عن ٤ فى المائة من جملة الانتاج .

٥ — الحيلولة دون اقامة صناعة التكرير بالقرب من الابار . والجدول رقم (٣) يوضح بجلاء سياسة الدول الاستعمارية وهى حرمان المستعمرات أو الدول النامية من ثرواتها : فمعامل التكرير موجودة أساسا فى الولايات المتحدة وكندا وأوروبا الغربية وآسيا والباسفيك ، ومحرومة منها البلاد المنتجة للبترول .

جدول رقم (٣) صناعة البترول فى العام ١٩٧١

المنطقة	الانتاج	طاقة التكرير
الولايات المتحدة وكندا	١٠٩٨٦	١٤٧٢٩
امريكا اللاتينية	٥٠٨٤	٦٠٧٦
الشرق الاوسط	١٦٢٤٠	٢٨٥١
افريقيا	٥٥١٥	٩٠٢
اوروبا الغربية	٣٦٣	١٦٤٩٣
اسيا والباسفيك	١٦٣٦	٦٨١٨

ويمكن أن نتبين بصورة أكثر ايضاحا الى أى حد يتضاءل نصيب البلاد المنتجة للبترول ، وذلك من مقارنة نسبة هذه البلاد من سعر برميل البترول للمستهلك الاوروبى فى الجدول رقم (٤)

الجدول رقم (٤)

التكاليف	دولار	٪
تكاليف الانتاج	٠ر٢٨٥	٢ر٧
تكاليف التكرير	٠ر٣٥٠	٣ر٣
ڤولون الناقلات	٠ر٦٨٠	٦ر٣
الربح الصافى لشركات الزيت	٠ر٦٨١	٦ر٣
عائد الدول المنتجة	٠ر٨٥٣	٧ر٩
تخزين شحن ، تفريغ	٢ر٧٩٠	٢٦ر٠
ضرائب غ . م على المبيعات للمستهلك	٥ر١٠٠	٤٧ر٥

هنا نجد أن سعر البترول الخام يتحدد بحيث يكون نصيب الدول المنتجة للبترول فى حده الادنى ، وبحيث تزيد الاسعار فى مراحل الانتاج التالية . فيتحقق بذلك للشركات ارباحها فى التكرير والنقل والتوزيع . وتكشف نسبة الضرائب غير المباشرة التى تفرض على التداول فى أوروبا وتصل الى ٤٧ر٥ فى المائة من القيمة ، الى أية حد تستفيد الدول الغربية من البترول فى الحصول على ايرادات تدعم بها ميزانيتها . لينفق منها على أوجه نشاطها المختلفة .

الشعوب العربية تستيقظ

كانت شركات البترول صاحبة الكلمة العليا فى تقرير السعر المعلن الذى تشترى به ، ترفعه وتخفضه — وكانت دائما تخفضه — وقتما تشاء . وترفع من درجة جودته أو تخفض منها كما تشاء وتجرى من الخصومات ما تريد ، وما تراه ملائما لصالحها . وكانت الشعوب وعلى الاخص العربية غير قادرة الا على التفاوض الذى يشبه الرجاء . ولم تجرؤ دولة عربية فى بداية الخمسينات أن ترفع صوتها فى مواجهة هذه الشركات ، التى كانت تقيم الحكومات ، وتخلع الحكومات . وتعلمت هذه الحكومات الحكمة من رأس مصدق الطائر فى ايران .

ولكن الموقف أخذ يتحرك فى غير صالح القوى الامبريالية . فقد كانت تستطيع — فى الماضى — أن توجه ضربات قوية لمجموعة من الدول ، اعتمادا على ما يوجد تحت يدها من رصيد فى مناطق اخرى . مثلما حدث فى سنة ١٩٥٦ . أما الان فلم يعد لها ذلك الرصيد الذى يمكنها من تغطية العجز ، فضلا عن أن حاجة الدول الاوروبية والمتقدمة الاخرى قد تضاعفت عما كانت عليه سنة ١٩٥٦ .

وكانت الدول العربية فى المراحل السابقة تفتقر الى الوعى البترولى ، ترضى بما قسم لها وتفرح . ويذهب ذلك الجزء من عائد البترول الى جيوب الملوك والامراء والمشايخ . فيدعمون به حكمهم بشراء زعماء القبائل ، وتكوين أجهزة الردع . وما يتبقى ، يبنون به القصور . ولكن الوعى البترولى بدأ ينمو ويتطور ، وأخذت الشعوب صاحبة المصلحة تستيقظ وتراقب وتتعقب ، فأصبحت الحكومات مقيدة فى تعاملها مع شركات البترول الاجنبية . لا ترضى منها بأقل من الامتيازات التى بدأت بعض شركات البترول الصغيرة تقديمها .

دخلت الشركات الفرنسية والايطالية واليابانية وقدمت شروطا أفضل . ومن الامثلة على ذلك ما

أبرمته جمهورية مصر العربية من اتفاقات مع الشركات الايطالية سنة ١٩٥٧ . وما أبرمته من اتفاقات مع مشركات الايطالية والامريكية للمشاركة فى الادارة . وما كان لذلك من اثر على الاتفاقات التى عقدت فى الجزائر فى عام ١٩٦٥ وايران والسعودية والعراق . وقد أدخلت احدى الشركات الفرنسية مبدأ المشاركة فى السعودية . وما ادخلته شركة (أراب) الفرنسية فى ايران من نظام المقاولة حيث تنوب الشركة الفرنسية فى تنفيذ المشروع ، ثم تحصل على ما تكبدته من مصاريف أنفقتها فى البحث والتنقيب . وبعد ذلك تحصل على نصيب فى الربح يتراوح ما بين ٥ر٨ و ٥ر١١ من اجمالى الربح .

واشتركت الجامعة العربية فى دراسة البترول ومشاكله وناقشت هذه الدراسات والمؤتمرات الموضوعات التالية: ـ

١ ـ اتفاقية تنسيق السياسة البترولية سنة ١٩٥٧ (لم تنفذ بعد)

٢ ـ مشروع الشركة العامة لناقلات البترول .

٣ ـ مشروع الشركة العربية لانابيب البترول .

٤ ـ معهد بحوث البترول .

٥ ـ منظمة البترول .

٦ ـ التنسيق بين مشاريع الصناعة البتروكيماوية .

٧ ـ القانون الموحد .

٨ ـ توحيد الانظمة الدولية .

الاوبيك والدول العربية

وقد تحسن موقف الدول المنتجة للبترول كثيرا فى السنوات الاخيرة . ولقد كونت الدول المنتجة للبترول والتى يمثل الجانب الاكبر من ايراداتها منظمة الاوبيك اشتركت فيها الدول العربية : السعودية ، العراق ، الكويت ، دول الخليج العربى ، ليبيا ، الجزائر . وضمت من البلاد غير العربية ايران وفنزويلا ، واندونيسيا . وتنتج هذه الدول مجتمعة ٤٨ فى المائة من الانتاج العالمى ؛ منها ٣١ فى المائة نصيب الدول العربية . ويوجد فى أرضها ما يعادل ٧٥ فى المائةمن احتياطى العالم ، منه ٥٠ فى المائة نصيب الدول العربية . وتسيطر هذه الدول مجتمعة على ٩٠فىالمائة من تجارة البترول العالمية . ولا تتعدى طاقة التكرير التى تمتلكها هذه الدول عن ٨ فى المائة من الطاقة العالمية .

وقد دخلت منظمة الاوبيك فى معركة مع الشركات المنتجة للبترول . وتقدمت بمجموعة من المطالب . وحققت أولى انتصاراتها فى سنة ١٩٧١ . فاستجابت الشركات الى رفع الاسعار ، ثم عادت واستجابت الى المطالبة برفع أسعار التبرول لـ ٥ر٨ فى المائة بما يعوض ما لحق الدولار من تخفيض ، وطالبت بالمشاركة على أن تبدأ بـ ٢٠ فى المائة . وطالبت حكومات الاوبيك أن يكون التعويض على أساس القيمة الدفترية وليس على أساس القيمة الفعلية للاصول المستثمرة . وكان أهم ما أسفرت عنه اجتماعات الاوبيك ذلك الموقف الموحد اذا تعرضت احدى الدول للضغط عليها من شركات البترول . فتقرر انشاء صندوق للمساعدات تعوض منه ما لحقها من ضرر . وقد أيدت دول الاوبيك موقف الحكومة العراقية فى التأميم .

مستقبل البترول العربى

زاد الطلب على البترول ، ووعت الدول العربية المنتجة للبترول مصالحها ، فتحسن موقفها ، وارتفعت أسعار البترول الخام ، وسيزيد السعر سنة بعد أخرى . وزادت مع زيادة السعر دخول الحكومات العربية . ويتحدد مستقبل البترول العربى فى ضوء مجموعة من المتغيرات الهامة :

١ ـ لا يوجد فى المستقبل القريب منافسة تهدد البترول من جانب مصادر الطاقة البديلة الممثلة فى الكهرباء والذرة . وتؤكد ذلك الدراسة التى أعدها مدير ادارة الطاقة فى السوق الاوروبية المشتركة . وقد توقع زيادة مستمرة فى نسبة المستخدم من البترول وقدر أنها سترتفع وسيتراجع نصيب الفحم من ١ر٢٢ فى المائة الى ٣ر١٢ فى المائة

٢ ـ تبذل الدول الاستعمارية أقصى طاقتها لمحاولة اكتشاف آبار بترولية جديدة خارج المنطقة العربية ، حتى لا تعتمد كلية على هذه المنطقة . وتوصلت الى اكتشافات فى الاسكا وفى بحر الشمال . وقامت ضجة مبالغ فيها حول أهمية هذه الاكتشافات الاخيرة . لكن انتاجها حسب تقديرات شركة فيليبس لن يزيد عن ٣ر٠ مليون برميل فى اليوم . يمكن ان يصل مع المزيد من الاكتشافات الى ٨ر٠ مليون برميل . ولاتنبىء الجهود المبذولة حاليا عن وجود مصادر للبترول يمكن أن تهدد مركز البترول العربى .

٣ ـ أن دول الكتلة الاشتراكية ستظل حتى سنة ١٩٧٥ دولا مصدرة لكمية محدودة من البترول،ثم بعد ذلك تحتاج الى الاستيراد . فرغم أنه من المتوقع أن ينمو الانتاج فى هذه البلاد بمعدل ٨ فى

المائة ليصل الانتاج فى ١٩٧٥ الى ١١ر٥٣ مليون برميل ثم الى ١٦ر٩٥ مليون برميل فى سنة ١٩٨٠ . الا ان الاستهلاك سيزيد بمعدل أكبر حوالى ١٠ فى المائة فيرتفع من ٦ر٦ مليون برميل يوميا فى سنة ١٩٧٠ الى ١٠ر٦٢ مليون برميل يوميا سنة ١٩٧٥ بفائض للتصدير ٠ر٩١ مليون برميل ، والى ١٧ر١٢ مليون برميل سنة ١٩٨٠ بعجز يبلغ ٠ر١٧ مليون برميل يوميا .

ويمكن ان نلخص الموقف العام لحركة البترول الدولى وفقالدراسة أعدتها الجامعة العربية فيما يلى :

أ ـ عام ١٩٧٥ بملاين البراميل يوميا

مناطق تحتاج الى امدادات اضافية :

١ ـ نصف الكرة الغربى	٢ر٤٩
٢ ـ اوروبا الغربية	١٦ر٤٤
٣ ـ آسيا والباسفيك	٨ر٧٦
٤ ـ شرق افريقيا	٠ر٨٣
٥ ـ شمال وغرب افريقيا	٠ر٣٥
	٢٨ر٨٧

مصادر الامداد :

١ ـ الكتلة الاشتراكية	٠ر٩١
٢ ـ غرب افريقيا	٢ر٠٠
٣ ـ شمال افريقيا	٥ر٨٨
٤ ـ الشرق الاوسط	٢٠ر٨٧
	٢٨ر٨٧

ب ـ عام ١٩٨٠ بملايين البراميل يوميا .

مناطق تحتاج الى امدادات اضافية .

١ ـ نصف الكرة الغربى	٣ر٧٧
٢ ـ اوروبا الغربية	٢٢ر٦٧
٣ ـ آسيا والباسفيك	١١ر٥٩
٤ ـ شرق افريقيا	٠ر٩٩
٥ ـ شمال وغرب افريقيا	٠ر٤٣
٦ ـ الكتلة الشرقية	٠ر١٧
	٣٩ر٦٢

مصادر الامداد :

١ ـ غرب افريقيا	٤ر٠٠
٢ ـ شمال افريقيا	٨ر٦٤
٣ ـ الشرق الاوسط	٣٦ر٩٨
	٣٩ر٦٢

وتوضح البيانات أعلاه أن البلاد العربية ستلعب دورا أكبر فى سد حاجة العالم من البترول . وأن هذا الدور مع الوعى وبالتضامن مع البلاد الاخرى المنتجة للبترول (الاوبيك) يمكن أن يتحقق من ورائه مكاسب ضخمة لهذه البلاد تستطيع بموجبها ان توقف استغلال الشركات لبترولها ، وتستطيع ان تحصل على السعر المناسب . ويمكنها أيضا أن تطالب بنصيبها فى تكرير البترول الخام وتصنيعه ونقله .

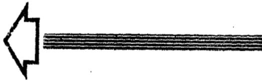
والدول العربية فى مواجهة الاستعمار والامبريالية وشركاتها ، مطالبة أن توحد خطواتها فى المستقبل ، أن تدرس وتخطط وتنسق مستقبل البترول لفترات بعيدة مقبلة . مطالبة بأن تستقل بدراستها عما تلقيه اليها الدول الغربية والتى لا تعمل من أجل الدراسة والبحث وانما من أجل تنظيم سيطرتها وأرباحها . واذا ووجه الاستعمار بمخطط علمى مدروس فيمكن القول أن البترول سيوضع فى خدمة أصحابه .

ويجب على العرب وهم يوحدون وينسقون سياستهم ، أن يدركوا بكل وضوح أن البترول لا يمثل بالنسبة للغرب الامبريالى أرباحا فاحشة فقط . وانما يمثل شريان الحياة للنشاط الاقتصادى كله . اذا توقف أو تقاعس أو تباطأ فانه سيهدد النشاط الاقتصادى والنمو الاقتصادى بالتوقف وما يصاحب ذلك من متاعب لا حد لها . وقد يكون ذلك المصدر الحقيقى لقوة العرب فى وحدتهم وهم يواجهون الامبريالية والاستعمار .

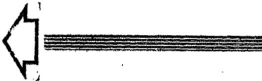
استهلاك الطاقة فى السوق المشتركة بملايين الاطنان من المعادل للفحم

الطلب	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	الزيادة السنوية
الاستهلاك الداخلى	٧٦٥	٩٦٠	١,٢٢٠	٤ر٨
تموين السفن والطائرات ومنتجات لغير اغراض الطاقة	١٨٩	٢١٨	٢٤٥	٢ر٧
المجموع	٩٥٤	١١٧٨	١٤٦٥	٤ر٤
الامداد				
الفحم	٢٠٥	١٦٠	١٤١	٩ر٦
اللنجنت	٣٤	٣٦	٤٠	٢ر٧
الغاز الطبيعى	٦٨	١١٠	١٥٠	١٠ر٣
الكهرباء	٤٥	٥٦	١١٩	٨ر٢
البترول	٦٠٢	٨١٦	١٠١٥	٦ر٤
المجموع	٩٥٤	١,١٧٨	١,٤٦٥	٤ر٤

البترول العربى فى أرقـــام



■ الجداول الاحصائية التى ننشرها فيما يلى تعبر أصدق تعبير عن وضع هـــذه الثروة وموقفها من الاقتصاد العربى وحيويتهـا بالنســبة للغــرب حيث تعتبــر الشريان الرئيسى لحيــاته الاقتصــادية ، وتكشف أهميــة البترول كســـلاح فى تطــوير الاقتصاد العربى وتنميته من أجل المعركة ■



توزيع الانتاج العالمى وانتاج الشرق الاوسط
للبترول بين الشركات الاحتكارية الرئيسية

الشركة	العالم	الشرق الاوسط
شركة ستاندرد أوف نيوجيرسى	١٨٪	١١٪
شركة شل - الهولندية	١٣٪	٨٪
شركة البترول البريطانية	١٤٪	٢٧٪
شركة أويل جلف	١٠٪	١٣٪
شركة تكساكو	٨٪	١٠٪
شركة ستاندرد أوف كاليفورنيا	٨٪	١٠٪
شركة موبيل أويل	٥٪	٦٪
شركات أخرى	٢٤٪	١٥٪

إنتاج العالم من الزيت الخام
(ألف طن مترى)

البلد	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	التغيير %	% من المجموع
الولايات المتحدة	٥١٠٤١١	٥٣٣٦٧٧	٥٧٢٠٠٠	٠,٣ -	
كندا	٦٢٠٥٩	٦٩٩٥٤	٧٥٥٠٠	٧,٩ +	
امريكا الشمالية	٥٧٢٤٧٠	٦٠٣١٣٦	٦٠٧٥٠٠	٦,٦ +	٢٤,٦
فنزويلا	١٨٧٤١٣	١٩٣٢٠٩	١٨٤٠٠٠	٤,٨ -	
كولومبيا	١٠٦٦٠	١١٠٧١	١١٠٠٠		
ترينداد	٨١٢٦	٧٢٢٥	٦٧٠٠		
البحر الكاريبى	٢٠٦١٩٩	٢١١٥٠٥	٢٠١٧٠٠	٤,٧ -	٨,٢
المكسيك	٢١٠٦٧	٢١٨٧٧	٢١٥٠٠		
الارجنتين	١٨١٣٢	١٩٩٦٩	٢١٥٠٠		
البرازيل	٨٣٤٠	٨٠٠٩	٨٢٠٠		
بيرو	٣٥١٠	٣٤٥٠	٣٠٠٠		
شيلى	١٧٤٢	١٦٢٠	١٧٥٠		
بوليفيا	١٨٧٢	١١٦٨	١٧٠٠		
اكوادور	٢٠٦	١٩١	٢٠٠		
بقية أمريكا اللاتينيه	٥٤٨٦٩	٥٦٢٤٤	٥٧٨٦٠	٢,٩ +	٢,٤
السعودية	١٤٨٨٣٩	١٧٦٨٥١	٢٢٢٠٠٠	٢٥,٥ +	
الكويت	١٢٩٥٤٩	١٣٧٣٩٧	١٤٥٠٠٠	٥,٥ +	[illegible]
العراق	٧٤٧٠٠	٧٦٧٠٠	٨٣٠٠٠	٨,٤ +	



البلد	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	التغير ٪	٪ من المجموع
بقية افريقيا	٣٤١٣٨	٦٣٩٤٦	٨٦٢٠٠	+ ٣٤,٨	٣,٥
المانيا الغربية	٧٨٧٦	٧٥٣٦	٧٤١٠		
النمسا	٢٧٥٨	٢٧٩٨	٢٤٠٠		
فرنسا	٢٤٩٧	٢٣٠٨	١٨٨٠		
هولندا	٢٠٢٢	١٩١٩	١٧٨٠		
ايطاليا	١٤٧٩	١٤٠٨	١٣٠٠		
النرويج	–	–	٣٥٠		
اسبانيا	١٩٢	١٥٦	١٤٠		
المملكة المتحدة	٧٧	٨٤	٨٠		
اوروبا الغربية	١٦٩٠١	١٦٢٠٩	١٥٣٤٠	- ٥,٤	٠,٦
اندونيسيا	٣٦٦٢٠	٤٢١٠٢	٤٤٠٠٠	+ ٤,٥	
استراليا	٢٠١٠	٨٢٩٢	١٤٢٢٥	+ ٧١,٥	
الهند	٦٧٢٣	٦٨٠٩	٧١٠٠		
بورنيو	٦١٠٧	٦٩١٦	٦٩٠٠		
ماليزيا	٤٤٧	٨٥٩	٣٠٠٠		
بورما	٧٤٦	٧٥٠	٩٠٠		
اليابان	٧٨٦	٧٥٠	٨٠٠		
باكستان	٤٨٤	٤٨٦	٤٩٠		
فورموزا	٨٢	٩٠	١٠٠		
الشرق الأقصى	٥٤٠٠٥	٦٧٠٥٤	٧٧٥١٥	+ ١٥,٦	٣,٢
نصف الكرة الشرقي	٨٣٣٥٤٢	٨٧١٣٨٠	٨٦٧٠٥٠	- ٠,٥	٣٥,٢



البلد	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	التغيير %	% من المجموع
أبوظبي	٢٨٧٦١	٣٣٢٨٨	٤٤٥٠٠	+ ٣٣,٧	
المنطقة المحايدة	٢٣٥٠٢	٢٦٧٢٤	٢٦٤٠٠	− ١,٢	
قطر	١٧٣٤١	١٧٢٥٧	٢٠٠٠٠	+ ١٥,٩	
مصر	١٢٣٤٨	١٦٤٠٤	١٥٥٠٠	− ٥,٦	
عمان	١٦٠٦٩	١٧١٦٩	١٤٧٠٠	− ١٤,٤	
دبي	٥٢٣	٤٣٠٦	٦٥٠٠		
سوريا	٣٢٠٠	٤٣٥٠	٦٥٠٠		
شبه جزيرة سيناء	٢٥٠٠	٤٥٠٠	٥٥٠٠		
البحرين	٣٧٩٥	٣٨٣٤	٣٧٥٠		
ليبيا	١٤٩٠٨٤	١٥٩٢٠١	١٣٢٠٠٠	− ١٧,١	
الجزائر	٤٣٨٢٤	٤٧٢٥٣	٣٦٥٠٠	− ٢٢,٨	
تونس	٣٧٠٨	٤١٥١	٤٢٠٠		
المغرب	٥٨	٤٦	٢٥		
الدول العربية	٦٥٧٨٠١	٧٢٩٤٣١	٧٦٦٠٧٥	+ ٥	٣١,١
ايران	١٦٨٢٢٥	١٩١٦٦٣	٢٢٧٠٠٠	+ ١٨,٤	
تركيا	٣٠٩٩	٣٤٦١	٣٣٠٠		
اسرائيل	٩٩	٧٧	٧٠		
بقية الشرق الأوسط	١٧١٩٣٣	١٩٥٢٠١	٢٣٠٣٧٠	+ ١٨	٩,٣
نيجيريا	٢٦٦٢٧	٥٣٤٢٠	٧٤٠٠٠	+ ٣٨,٥	
جابون/الكونغو (برازافيل)	٥٠٧٧	٥٤٦٠	٦٥٠٠		
انجولا	٢٤٣٤	٥٠٦٦	٥٧٠٠		



البلد	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	التغير ٪	٪ من المجموع
نصف الكرة الغربي	٩٣٤٧٧٨	١٠٧١٧٤١	١١٧٥٥٠٠	+ ٩,١	٤٧,٧
العالم (خارج الكتلة الشيوعية)	١٧٦٨٣٢٠	١٩٤٣١٢١	٢٠٤٢٥٥٠		٨٢,٩
الاتحاد السوفيتي	٣٢٨٦٤٨	٣٥٢٦٦٧	٣٧٨٠٠٠	+ ٧,٢	
رومانيا	١٣٢٤٦	١٣٣٧٧	١٣٧٥٠	+ ٢,٨	
يوغوسلافيا	٢٦٩٩	٢٨٥٤	٣١٧٠		
المجر	١٧٥٤	١٩٣٧	١٩٥٠		
البانيا	١٠٥٠	١١٩٩	١٣٠٠		
بولندا	٤٣٩	٤٢٤	٤٢٠		
بلغاريا	٣٢٥	٣٣٤	٣٢٠		
تشيكوسلوفاكيا	٢١٠	٢٠٣	٢٠٠		
المانيا الشرقية	٦٠	٦٠	٦٠		
الصين	١٤٠٠٠	٢٠٠٠٠	٢٣٠٠٠	+ ١٥,٠	
الكتلة الشرقية	٣٦٢٤٢١	٣٩٢٠٥٥	٤٢٢١٧٠	+ ٧,٤	١٧,١
المجموع العالمى	٢١٣٠٧٥١	٢٣٣٦١٧٦	٢٤٦٤٧٢٠	+ ٥,٥	١٠٠

الاحتياطي العربي من البترول والغاز الطبيعي

البلد	البترول مليون طن متري	٪ من المجموع العالمي	الغاز الطبيعي بليون متر مكعب	٪ من المجموع العالمي
السعودية	١٠٦٩٣	١٦,٨	٤٣٠٠٠	٣,٢
الكويت	٩٥٨٢	١٥	٣٩٠٠٠	٢,٩
ليبيا	٤١٦٦	٦,٥	٢٠٠٠٠	١,٥
العراق	٣٨٨٨	٦,١	٢٠٠٠٠	١,٥
ابوظبي	٢٤٩٩	٣,٩	٧٥٠٠	
المنطقة المحايدة	٢٠٨٣	٣,٣	٤٠٠٠	
الجزائر	٩٧٢	١,٥	١٣٥٠٠٠	١٠,١
قطر	٥٣٨	٠,٨	٧٣٠٠	
عمان	٣٤٧	٠,٥	١٥٠٠	
مصر	٢٩١	٠,٤	٢٨٠٠	
سوريا	٢٠٨	٠,٣	٥٠٠	
دبي	١٣٨	٠,٢	٥٠٠	
تونس	٦٤	٠,١	٥٠٠	
البحرين	٢		١٠٠	
المغرب	١		٢٠	
مجموع الاحتياطي العربي	٣٥٤٧٢	٥٥,٨	٣٩١,٨٢٠	٢٩,٤
المجموع العالمي	٦٣٦١٣	١٠٠,٠	١٣٣٢,٧٢٠	

استهلاك العالم من الطاقة
بملايين الاطنان من المعادل للفحم
٪ من المجموع

	١٩٥٢	١٩٥٧	١٩٦٢	١٩٦٥	١٩٥٢	١٩٥٧	١٩٦٢	١٩٦٥
الفحم واللجنيت	١٦٣٤	١٩٣٤	٢٢١٤	٣٠٠٠	٥٥,٩	٥٢,٠	٤٦,٣	٢٥,٠
البترول	٧٤٩	١٠٧٠	١٥١٣	٤٤٠٠	٢٥,٦	٢٨,٨	٣١,٤	٣٧,٠
الغاز الطبيعي	٣٤٠	٤٦٧	٧٣١	٣٠٠٠	١١,٦	١٢,٥	١٥,٣	٢٥,٠
القوى الهيدروليكية	٢٠٠	٢٤٨	٣٢٠	٨٤٠	٦,٩	٦,٧	٦,٧	٧,٠
الطاقة الذرية	—	—	—	٧٣٠	—	—	—	٦,٠
المجموع	٢٩٢٣	٣٧١٩	٤٧٧٨	١٢٠٠٠	٪١٠٠	٪١٠٠	٪١٠٠	٪١٠٠

الانتاج والاستهلاك العالمى من الزيت الخام ١٩٦٨

المناطق	الانتاج: مليون طن مترى	الانتاج: الف برميل فى اليوم	الانتاج: ٪ من المجموع	الاستهلاك: مليون طن مترى	الاستهلاك: الف برميل فى اليوم	الاستهلاك: ٪ من المجموع
أمريكا الشمالية	٥٦٤,٢	١١,٧٧٥	٢٩,٣	٧٠٠	١٤,٤١٠	٣٧,١
الولايات المتحدة	٥٠٧,٢	١٠,٦١٠	٢٦,٤	٦٣٦	١٣,٠٨٠	٣٣,٧
كندا	٥٧,٠	١,١٦٥	٢,٩	٦٤	١,٣٣٠	٣,٤
امريكا اللاتينية	٢٦٣,٥	٥,١٢٠	١٢,٧	١١٨	٢,٣٧٠	٦,١
اوروبا الغربية	٢٢,٩	٤٥٠	١,١	٤٩٥	٩,٩٨٠	٢٥,٧
اليابان	٠,٨	١٦	—	١٣٩	٢,٨١٠	٧,٢
الشرق الأوسط	٥٥٧,٠	١١,١٨٥	٢٧,٨	٤١	٨٠٠	٢,١
شمال افريقيا	١٨٣,٨	٣,٨١٥	٩,٥	١٤	٢٧٥	٠,٧
بقية افريقيا	١٢,١	٢٤٥	٠,٦	٢٧	٥٤٥	١,٤
بقية آسيا	٤٠,٦	٨١٠	٢,٠	٦٧	١,٣٨٠	٣,٦
أوكينيا	١,٧	٣٤	٠,١	٢٦	٥٣٠	١,٤
الكتلة الشرقية	٣٣٨,٧	٦,٧٨٥	١٦,٩	٢٨٣	٥٦٩٠	١٤,٧
المجموع العالمى	١٩٨٥,٣	٤٠,٢٣٥	١٠٠,٠	١,٩١٠	٣٨,٧٩٠	١٠٠,٠

قيمة الاستثمارات الامريكية وارباحها فى صناعة النفط فى مناطق العالم المختلفه فى عام ١٩٦٨ بملايين الدولارات

المنطقة	الاستثمارات	الأربـاح	النسبة المئوية للأرباح
أوروبا الغربية	٤٦٤٠	١٣٤	٣,٠٠
كنـدا	٤٠٨٨	٢٤٣	٥,٩
فنزويلا	١٧٨٠	٣٨٧	٢١,٧
ليبيا	٦٧٢	٥٠٦	٧٥,٣
الشرق الاقصى	١١٤٦	١٠٤	٩,٠
الشرق الاوسط	١٦٥٤	١٠٧٩	٦٥,٢
الولايات المتحدة	٤٦٥٩٢	٦٠٨٨	١٣,١

المصدر : "مجلة نفط العرب" نوفمبر ١٩٧١ - نقلا عن تقارير وزارة التجارة الامريكية عن التوظيفات المالية العالمية للولايات المتحدة الامريكية عن الفترة من عام ١٩٦٤ - ١٩٦٨

تطوّر العائدات الحكوميّة من البترول لكبرى الدول العربية المنتجة بالمليون دولار

الدولــة	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
العــراق	٢٦٥	٢٦٦	٣٠٨	٣٥٣	٣٦٨	٣٩٢	
الكويت	٤٦٧	٤٨٤	٥٣٣	٧٢٤	٧٨١	٨١٨	
ليبـيـا	٠٫٣	١٥	٥٧	١٤٤	٢٢٧	٣٩٠	
السّعودية	٣٧٨	٤١٠	٦٠٨	٥٢٣	٦٦٣	٧٩٠	٩٠٩
المجموع	١١١٠٫٣	١١٧٥	١٥٠٦	١٧٤٤	٢٠٥٧	٢٣٩٠	

المصروفات المحلية للشركات البترولية .
في كبرى الدول العربية المنتجة "بالمليون دولار امريكي"

الدولة	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
العراق	٥٤	٤٨	٤٤	٣٨	٣٧	٣٨	
الكويت	٢٨	٣٥	٣٨	٣٨	٤٣	٤٩	٥٣
ليبيا	٧٧	٩٠	١١١	١٣١	١٥٣	١٣١	١١٧
السعودية	٦٤	٦٥	٦٩	٧٠	٧٨	٩٢	٨٧
المجموع	٢٢٣	٢٣٨	٢٦٢	٢٧٧	٣١١	٢١٠	

القيمه المضافة للدخل القومي من قطاع البترول (أ) في كبرى الدول العربية المنتجة ونسبتها لاجمالى الدخل الناتج عن التعاملات الخارجية (هـ)

الدولة		١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
العراق	أ	٣١٩	٣١٤	٣٥٢	٣٩١	٤٠٥	٤٣٠	
	هـ		٤٥٤	٤٥٤	٥٢٠	٥٥٨	٦٠١	
نسبة أ / هـ			٪٧٥	٪٧٨	٪٧٥	٪٧٣	٪٧١	
الكويت	أ	٥٠١	٥٢١	٥٧١	٧٦٧	٨٣٢	٨٧١	
	هـ		٦٠٨	٦٧٢	٨٨٨	٩٨٣	١٠٥٣	
نسبة أ / هـ			٪٨٦	٪٨٥	٪٨٦	٪٨٥	٪٨٣	
ليبيا	أ	٧٧	٩٤	١٦٤	٢٥٠	٣٥٨	٥٠٤	
	هـ	١٥٠	١٧٦	٢٥٨	٣٢٤	٤٢٤	٥٩٣	
نسبة أ / هـ		٪٥١	٪٥٤	٪٦٤	٪٧٧	٪٨٤	٪٨٥	
السعودية	أ	٤٤٢	٤٧٥	٦٧٧	٥٩٣	٧٤١	٨٨٢	٩٩٦
	هـ	٥١٤	٥٣٣	٧٣٩	٦٧٥	٨٣٧	٩٨٧	١١٢٣
نسبة أ / هـ		٪٨٦	٪٨٩	٪٩٢	٪٨٨	٪٨٩	٪٨٩	٪٨٩
المجموع	أ	١٣٣٩	١٤٠٤	١٧٦٤	٢٠٠١	٢٣٣٦	٢٦٨٧	
	هـ		١٧٧١	٢١٢٣	٢٤٠٧	٢٨٠٢	٣٢٣٤	
نسبة أ / هـ			٪٧٩	٪٨٣	٪٨٣	٪٨٣	٪٨٣	

جملة الاصول الراسمالية والدخل الصافى لعام ١٩٦٠ لشركات الاحتكار العالمى للبترول

(بالمليون دولار)

الشركة	الاصول	الدخل الصافى
شركة ستاندرد أوف نيوجرسى	١٠,٠٩٠	٦٨٩
شركة شل الهولنديه	٨,٨٧٤	٤٩٧
شركة الجلف	٣,٨٤٣	٣٣٠
شركة تكساكو	٣,٦٤٧	٣٩٢
شركة موبيل اويل	٣,٤٥٥	١٨٣
شركة ستاندرد اوف كاليفورنيا	٢,٧٨٢	٢٦٦
شركة البترول البريطانيه	٢,٠١٩	١٧٤
المجموع	٣٤,٧١٠	٢,٦١٤

ملكية معامل التكرير بالدول العربية وطاقاتها الانتاجية

البلد	عدد المعامل	الطاقة برميل يوميا	الشركة المالكة
السعودية	١	٢٦٥,٠٠٠	أرامكو
	١	١٢,٠٠٠	بترومين
الكويت	١	١٤٤,٠٠٠	أمينويل
	١	١١٠,٠٠٠	الشركة الوطنية
	١	٢٥٠,٠٠٠	شركة نفط الكويت
العراق	١	٧٥,٠٠٠	حكومي
	١	١٢,٥٠٠	حكومي
	١	٤,٣٠٠	حكومي
	١	٢,٣٠٠	حكومي
	١	٦,٥٠٠	شركة نفط العراق
	١	٢٣٠٠	شركة نفط العراق
قطر	١	٦٨٠	حكومي
البحرين	١	٢١٦,٠٠٠	شركة بترول البحرين
المنطقة المحايدة	١	٣٠,٠٠٠	شركة الزيت العربية
	١	٥٠,٠٠٠	شركة جيتي
الاردن	١	١٥,٦٨٣	شركة تكرير البترول الاردنية
جمهورية اليمن الشعبية	١	١٧٨,٠٠٠	شركة البترول البريطانية
سوريا	١	٥٩,٠٠٠	حكومي

البلد	عدد المعامل	الطاقة برميل يوميا	الشركة المالكة
لبنان	١	٢٦,٠٠٠	شركة نفط العراق
	١	١٨,٥٠٠	شركة مدريسكو
مصر	١	٣٥,٠٠٠	حكومي (شركة بترول الاسكندرية)
	١	٨٥,٠٠٠	حكومي (شركة النصر للبترول)
	١	٥٥,٠٠٠	حكومي (شركة السويس لتصنيع البترول)
ليبيا	١	١٠,٠٠٠	شركة إسو
الجزائر	١	٣٣٠٠	شركة التكرير لشمال افريقيا
	١	٤٥٠٠٠	شركة التكرير الجزائرية
تونس	١	٢٢٥٠٠	الشركة الفرنسية الايطالية
المغرب	١	٩٠٠٠	شركة البترول الشريفية
	١	٢٦٠٠٠	الشركة الفرنسية الايطالية

الاتحاد الاشتراكى .. وقضية التحالف [٣]

لما تمثله مناقشات اللجان المختصة من أهمية خاصة فى التعريف بالاتجاهات الفكرية داخل المؤسسات القائمة ، ولما لقيته من اهتمام المثقفين الثوريين وما جاءنا عن حرصهم على متابعتها ، قررت « الطليعة » مواصلة تقديم محاضر جلسات اللجان الفرعية ، فننشر فى العدد الحالى محضر اجتماع « لجنة العمال ولجنة الفلاحين » ، بالاضافة الى مفاتيح التطور الفكرى والسياسى والتنظيمى للاتحاد الاشتراكى العربى وتقرير السكرتير الاول للجنة المركزية فى ضوء ما انتهت اليه لجنة العمل .

كما تنشر « الطليعة » تعليقا على المحضرين الرئيسيين للجنتى العمال والفلاحين تمثل وجهة نظر كاتبيها وتدعو الاصدقاء الى المساهمة فى التعليق على ما تضمنته المحاضر التى نشرت على امتداد الاعداد الثلاث .

اجتماع اللجنة الفرعية للعمال

يوم السبت ١٥ ـ ٤ ـ ١٩٧٢

اجتمعت اللجنة الفرعية للعمال فى الساعة السابعة من مساء السبت الموافق ١٥ ابريل سنة ١٩٧٢ برئاسة السيد المهندس / سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية ـ وبحضور كل من :

- محمد عبد السلام على
- عبد الفتاح صبرى السيد
- صبحى محمد الشنتناوى
- عبد العظيم اسماعيل المغربى
- جاد جاد رضوان
- محمد عبده محمد جمعة
- فتحى محمد مصطفى
- سعد أحمد عيد
- احمد دسوقى خليل
- احمد أحمد العماوى
- نصر الدين احمد
- عبد الحميد السيد شاهين
- السيدة ثريا عبد الحميد لبنة
- عبد الفتاح محمد بخيت
- مختار يوسف محمد
- عبد الحميد محمد ابراهيم
- عبدالرحمن محمد البقانونى
- رأفت فهيم عبدالنبى أحمد
- احمد على فهيم
- حسنين محمد حسنين
- اسماعيل يوسف امام
- محمد فتحى فودة
- عبدالعزيز مصطفى محمود
- اسماعيل عبد الرحمن الرملاوى
- أحمد الرفاعى
- فؤاد محمد المقدم

ومن اعضاء الامانة العامة :

- م. ابراهيم شكرى
- مسعد التمامى
- محمد مهدى شومان

ومن أعضاء لجنة العمل :

- خالد محيى الدين
- د. محمد دكرورى
- عبد اللطيف بلطية
- ثابت السفرى
- د. جمال العطيفى

ومن اعضاء اللجنة المركزية :

- ـ يوسف مكاوى
- ـ لطفى الخولى

ولم يحضر كل من :

- أحمد فوزى كراوية (سافر للخارج)
- ابراهيم حسين خليفة
- حسن عبد اللطيف مسعد
- محمد خيرى هاشم
- محمد أبو زيد الهوارى
- خليفة امام احمد
- أمين معوض على
- محمد رشاد يوسف عز الدين
- على محمود ضفدع [سفر للخارج]
- اسماعيل احمد عوف
- عوض طه عبد القادر
- صالح عبد السيد محمد
- حسن محمد عبد الله تركى
- عبد الله خير الله دليل
- حلمى عبد الهادى جلبى

● السكرتير الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الحقيقة كان فى تفكيرنا أن تكون اجتماعات اللجنة الفرعية للعمال أول اجتماعات اللجان الفرعية ، ولكننا فضلنا أن تكون اجتماعاتها واللجنة الفرعية للفلاحين فى أواخر هذه الاجتماعات بحيث يكون لدينا حصيلة كبيرة من المناقشات ، فنعرضها على العمال ونستنير برأيهم وكذلك على الفلاحين باعتبارهم ركيزة كبرى فى الاتحاد الاشتراكى .

وكما تعلمون فاننا نستعرض الموضوع بصراحة وبالنقاش المفتوح ، واعتقد أن ورقة العمل قد وزعت على حضراتكم ما عدا السادة الذين ضموا قريبا الى اللجنة فستوزع عليهم أيضـا .

وفى الامكان أن نلقى نظرة سريعة على ورقة العمل ثم يمكننا فتح باب المناقشة فى ذلك .

لقد صيغت ورقة العمل بطريقتين :

الطريقة الاولى عبارة عن وقائع ، والطريقة الثانية استفسارية فى بعض الامور بحيث عند الاجابة من هذه الاستفسارات نخرج بمشروع القرار أو التقرير النهائى الذى سيتقدم للجنة الرئيسية .

وورقة العمل تطرح سلبيات المرحلة الماضية وتبين مهمة لجنة العمل من حيث العضوية والتنظيم الشبابى والعلاقة بين الاتحاد الاشتراكى والاجهزة الاخرى ، واعتقد أن هذه النقطة تهمنا بصفة خاصة ولود أن نسمع فيها بعض الاراء لتحديد دور الاتحاد الاشتراكى وصلته بالنسبة للتنظيمات الجماهيرية والعمل الجماهيرى بعد ذلك .

وبهذا الشكل نستطيع أن نفتح النقاش لنرى تصوركم العام لتنشيط عمل الاتحاد الاشتراكى فى الفترة القادمة ، وشكرا .

● عبد العظيم المغربى

أعتقد أنه لو وضع تحت نظرنا بعض الاتجاهات الاساسية التى تمت فى اللجان الاخرى التى اجتمعت من قبل فربما كان نقاشنا فى ذلك أكثر فائدة .

● السكرتير الاول

اذا أردتم تلخيص عمل اللجان التى تمت فهذا ممكن وهى نقاط وليست قرارات .

النقطة الاولى التى نوقشت فى جميع اللجان وباتساع كانت عن :

ما الاتحاد الاشتراكى ؟ ثم ما تعريف الاتحاد الاشتراكى ، وهل هو حزب أو هو ممثل لقوى الشعب العاملة ؟

وكانت الاتجاهات فى جميع اللجان أنه ممثل لقوى الشعب العاملة كما ورد فى الدستور والميثاق .

وقد نوقشت فكرة أخرى ، وهى : هـ هناك تناقضات بين طبقات الشعب العاملة والممثلة فى الاتحاد الاشتراكى ؟ وما مدى هذه التناقضات ؟ .

وكان الاتجاه فى جميع اللجان أن هناك تناقضات موضوعية وليست ضخمة وانه يمكن حلها عن طريق التعاون .. وعلى هذا فليس هناك شىء جديد بالنسبة للاوضاع المعروفة .

وبعد ذلك فقد ثبتت فكرة عن طريقة التمثيل فى اللجنة المركزية نفسها ، ووضع سؤال من مهمة اللجنة المركزية وتصور لمهمة اللجنة المركزية ، وكان الاتجاه فى أغلب اللجان وأغلب الاراء أنه بحكم تشكيل اللجنة المركزية وبحكم تكوينها كنظام هرمى كان يحدث نوع من الانفصال بين اللجنة المركزية وبين القاعدة ، فلو أخذنا العامل مثلا الذى انتخب من القاعدة الجماهيرية ثم يصعد حتى يصل الى مستوى اللجنة المركزية ، فهو فى ذلك لا يمثل نقابة ولا يستطيع أن يتكلم باسمها ، وكذلك المهندس فانه يمثل نفسه كفرد مهندس ولكنه لا يمثل نقابة المهندسين ، وبالتالى فقد كان التفكير أن ذلك من الاسباب الاساسية لفقدان اللجنة المركزية للقاعدة الجماهيرية الكبيرة ، وقد ورد هذا السؤال فى لجان كثيرة وناقشه كثير من السادة الاعضـاء .

وقد طرح لظام لتكوين النقابات ، أو بمعنى آخر لو تصورنا اللجان النسمة على صورة ما ونجمعهم جميعا على شكل مؤتمر أو على شكل لجنة معاونة للجنة المركزية ، فنجمع العمال مثلا فى صورة مثل الصورة الحالية وأيضـا الفلاحين والادباء والمفكرين وبالتالى تكون قد وضعنا أرضية كبيرة جدا ، وبذلك يمكن للجنة المركزية أن تستنير برأى النقابات كما قال الاخ المغربى ، وأنا أتكلم بصفتى سكرتيرا أول ، والمثل على ذلك قائم من النقاش الفرعى لاننى تساءلت لماذا يكون عضو الشعب مرتبطا بقاعدته الجماهيرية أكثر من عضو اللجنة المركزية ؟

... لان عضو مجلس الشعب يحاول دائما أن يحل مشـاكل الجماهير ويرعى مصالحهم أما عضو اللجنة المركزية فليس لديه القدرة على هذه الحركة لانه أتى نتيجة أن صعد فى الانتخابات ولكنه لا يمثل قاعدة جماهيرية .

وكان هناك تفكير فى أن نجعل مع اللجنة المركزية لجنة أخرى تتكون من أمناء الاتحاد الاشتراكى بالمحافظات والاقسام والمراكز باعتبارهم الاداة التنفيذية للاتحـاد الاشتراكى ، ثم لجنة أخرى تتكون من رؤساء مجالس ادارات النقابات ويرأس السكرتير الاول اللجنتين ، وبالتالى يكون حلقة الاتصال بين اللجنة المركزية واللجنتين الاخريين .

ومع ذلك استعرضت اللجان طبيعة النقاش وطريقة تكوين المعارضة وكان ذلك بتوسع كبير جدا ، ثم استعرضت اللجان المختلفة تعدد الاحزاب ، وهل هناك مصلحة عامة فى تعدد الاحزاب من عدمه ؟ وقد قبلنا المناقشة فى هذا ونحن نعلم أن الدستور لا يسمح لنا بها ، ولكن كان المقصود بهذا فتح باب النقاش ، ثم بعد هذا تكلمنا من دليل التنظيم الذى جاء فى قرارات المؤتمر القومى الذى حدد أمرين :

الاول : اعداد دليل العمل السياسى .

الثانى : اعداد دليل التنظيم الاشتراكى فى مصر وكذلك التطبيق الاشتراكى .

فتكلمنا من طريقة اعداد هذا الدليل وقد وجدنا أن جميع المذكرات التى كتبت فى هذا كثيرة ، وأن كثيرا من السادة أعضاء لجنة العمل قد تقدموا بمشروعات يختص جزء منها بمعالجة أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى ، ثم تعرضت فى النهاية الى تغييرات فى قانون الاتحاد الاشتراكى بمـا يتلاءم وطبيعة العمل وبما انتهى اليه الرأى بالنسبة لاسلوب العمل وبالنسبة لطبيعة المرحلة القادمة التى يجب أن تكون أبواب الاتحاد الاشتراكى فيها مفتوحة للجميع وأن يجرى نقاش حر كبير جدا .

واقترح البعض منهم السيد / خالد محيى الدين اقامة ما يسمى بالنوادى السياسية فى الاتحاد الاشتراكى ولم يقدم صاحب الاقتراح تفسيرا أكبر له ، فهل يعنى بهذه النوادى الاجتماعات والندوات السياسية العامة سواء لفئات مخصوصة أو لفئات الشعب العاملة ، ولن نأخذ قرارا فى هذا الان ، فالنقاش يولد التفكير الذى قد يمهد الى قرار لكنه ليس فى نفس الجلسة التى أثير فيها النقاش .

لقد قدمت لنا اثناعشرة تقريرا كلها متشابهة ، منها ما تعرض للجان النقابية ووحدات الاتحاد الاشتراكى على مستوى المصنع والمؤسسة العمالية وصلتها بلجان الانتاج ، وسيوزع عليكم فى نهاية الاسبوع المشروع المبدئى لما انتهت اليه لجنة العمل .

وهذا المشروع عندما يوزع سيناقش فى كل لجنة من اللجان الفرعية على حـدة ، ثم يناقش مرة أخرى فى اللجان الفرعية مجتمعة بحيث تكون هناك موافقة جماعية عليه ، وسوف نطلب من بعضكم بصفتهم أعضاء اللجنة المركزية أن يتبنوا الجزء الذى وافقتم عليه .

هذا هو الملخص العام للنقاش الذى تم وهذه هي الصورة حتى الان .

● عبد العظيم المغربى

حينما نتكلم عن التنظيم السياسى ونناقش كيف يكون التنظيم السياسى قائدا حقيقيا لحركة الجماهير من أجل تحقيق أهداف هذا المجتمع ، فاعتقد أن السؤال الذى يطرح نفسه هو : هل الجماهير أو الشعب هو الذى يصنع التنظيم أم أن السلطة هى التى تصنعه ؟

واعتقد أن هذا ليس محل خلاف دائما ويمكن الا نختلف فى النقاش ولكن يأتى الخلاف ونكتشفه حينما نبدأ فى التطبيق .

وكل ما يقال هو أن الجماهير هى التى تصنع التنظيم وتصنع الثورة كذلك .. الخ .

الاتحاد الاشتراكى يضم تحالف قوى الشعب العاملة ، وتحالف قوى الشعب العاملة فى التطبيق هى الفئات الخمس الموجودة فيه ، وكما قلت سيادتك أن العامل حينما يعبر عن رأيه داخل التنظيم السياسى فانه يعبر بمفهوم خاص ، وتجربتنا التى مررنا بها فى مصر أن هناك تعريفين للعامل ، الاول منهما قانونى حتى الان ، ومع ذلك اذا افترضنا أن هذا التعريف أمكن أن يوصل العامل الى التعبير عن رأيه داخل التنظيم السياسى أو يعبر عن القوى الاجتماعية التى ينتمى اليها فهذا أساس فى أمرين :

الاول : أن يكون رأى العامل له قوى اجتماعية .

الثانى : ان الفرد لايكون فردا داخل التنظيم ولكنه يكون بالقوة الاجتماعية ملتزما بها ومسئولا وممثلا لهذه القوى .

بالنسبة للجان الخاصة بالتشكيلات النقابية الملحقة باللجنة المركزية ، أعتقد أن هذا غير كاف ويجب أن يكون تمثيل جميع الفئات داخل قوى التحالف حيث تكون مرتبطة أساسا بالقوى الاجتماعية الذى ينتمى اليها الفرد ، فالعامل مرتبط بالدرجة الاولى من خلال انتمائه بالتنظيم النقابى ، وكذلك المهندس من خلال انتمائه بنقابة المهندسين وأيضا الفلاح من خلال ارتباطه بالجمعيات التعاونية والاتحادات التعاونية وهكذا .. وحينما أصل الى اللجنة المركزية وأبدى رأيا فلا يكون هذا الرأى رأى فرد بعينه ولكنه يكون رأى التنظيم النقابى الحر الجرىء لانه يتكلم بصوت ملايين العمال فى هذا البلد ويستمد الضمان والحماية من خلال انتمائه اليهم .

والحقيقة أعتقد أن هذه قضية أساسية وجوهرية الان وبدونها لانستطيع أننمارس عملنا فى غيبة هذه الضمانات .

أما بالنسبة لرأى اللجان الاستشارية فقد يؤخذ به أولا يؤخذ ، وهذا فى حقيقة الامر هو الذى يمكن أن يؤدى الى خلق مراكز قوى داخل التنظيم السياسى ، والذى سيجعل باستمرار جهاز الدولة الحكومى هو الحقيقة الفعالة وليس التنظيم السياسى كما هو مستهدف وهذه قضية أساسية لابد منها .

القضية الثانية خاصة بحرية التمثيل أو حرية العضوية فى الاتحاد الاشتراكى ، هل الاتحاد الاشتراكى حزب ؟ والجواب « لا » لانه تحالف قوى الشعب العاملة .

ولا نتصور أن نحجب عن الناس العضوية ، وللاسف الشديد فانه حينما يمنح المواطن العضوية او لايمنح فاعتقد أن يكون ذلك راجع الى ارادة جماهيرية حقيقية ويكون احساس الانسان فى هذه الظروف انه المؤثر فيه وليس رأى الناس ، انما المؤثر هو السلطة التى تملك اصدار القرار ومن هنا فان هذا يساعد على خلق العناصر الضعيفة ويتسبب فى حجب كثير من العناصر الوطنية التى تريد أن تقدم لبلدها عطاء وخيرا من خلال التنظيم السياسى .

من أجلذلك ينبغى أنتكون عضوية الاتحاد الاشتراكى — طالما أنه تحالف قوى الشعب — حق لكل من يطلبها ، والعضوية ، مجرد عضوية عاملة لا تمثل مراكز ثقل بالنسبة للحركة الفردية أنما الفاعلية بعد ذلك من خلال اختيار جماهير التحالف للفرد ممثلا لها ،وليس من بأس فى أن يطلب أى شخص هذهالعضوية .

نقطة أخيرة خاصة بحرية العمل قد تكون مرتبطة بالعلاقة بين التنظيم النقابى والتنظيم السياسى ، وكما أقول اذا أخذنا الاسلوب الذى ذكرته فهذا قد يخلق علاقة موضوعية بين التنظيم السياسى والنقابى لكى يكون ملتزما ويتحرك وفقا لهذا الالتزام فى الخط الخاص داخل التنظيم النقابى .

ولا أتصور أن شخصا يريد أن يرشح نفسه فى التنظيم النقابى — وفى الوقت نفسه هو عضو عامل فى الاتحاد الاشتراكى — أن يأخذ أذنا مسبقا لهذا الترشيح

والحقيقة أن هذا يفقد من احترام البطاقة الخاصة بالعضوية التى يحملها الشخص ، واننا نرى نماذج تدعو الى الدهشة ، فمثلا عضو لجنة اساسية يريد أن يرشح نفسه لمجلس الشعب فيقال له أنك ممنوع من الترشيح ويمنع من اعطائه الشهادة التى تخول له الترشيح وهذا أمر يدعو الى الدهشة .

نحن نقوم باجراء انتخابات ، فيحرم من شهادة العضوية بعض الاشخاص فى الوقت الذى هم فيه أعضاء فى اللجنة النقابية ، بل أن منهم من هم أعضاء فى اللجن الاساسية للاتحاد الاشتراكى ، وأن اللجنة النقابية هى تنظيمهمالاساسى الام ، وهؤلاء الاعضاء يعتبرون قيادتها .. هذه القيادة عندما تأتى لاخذ الشهادة التى تخولها حق الترشيح فى اللجان النقابية لا تعطى لها وبالتالى تحرم من الترشيح ، لهذا نريد معرفة أسباب حرمان هؤلاء من ترشيح أنفسهم .

وفى رأيى أن هذا الاسلوب من شأنه خلق الانتهازية ولا نجعل الناس يشعرون بالولاء الحقيقى لبلدهم ، بل نجعلهم يشعرون بالخوف ويحسبون حسابا لمراكز القوى التى تحكمهم .

ونحن نطالب بمعالجة هذه العملية علاجا جذريا ..

● احمد العماوى

أعتقد ان هذه أول جلسة توزع فيها على بعضنا ورقة العمل ، وقد يكون الاخ عبد العظيم المغربى ، قد كون رأيا معينا ، وكلنا فعلا عندنا تصورات معينة للسلبيات الموجودة فى التنظيم ، وقد عرضت سيادتكم ما أثير وما تم الاتفاق عليه فى اللجان التى تمثل قوى الشعب فى كل قضية من القضايا المطروحة وكان من الواجب ان يؤخذ برأى كل قوى الشعب ، بمعنى أن هناك قضية هامة فى تحديد الاطار الفكرى للتنظيم ، ومن الاهمية بمكان ن كل قوة من قوى الشعب يجب أن تعطى رأيها فى كل هذه القضايا اذا كنا نريد الانفتاح ونريد كذلك تنظيما سياسيا ، واقترح أن تطرح كل هذه القضايا على كل لجنة وأن تشترك فى الدراسة وتطلع على كل الدراسات والمقترحات المقدمة قبل أن نتحدث عن العلاقة بين التنظيم السياسى والتنظيم النقابى .

كما يجب أن نتحدث أولا فى تحديد الاطار الفكرى للتنظيم السياسى ، وسوف نحصل على نتائج هامة .

● نصر الدين احمد مصطفى

فى الحقيقة فان لى تعليقا على ما قاله الاخ عبد العظيم فيما يتعلق بأعضاء اللجنة المركزية ، أن الممثل للعمال لابد أن ينتمى الى نقابة معينة وأن تجرى انتخابات الاتحاد الاشتراكى على مراحل بحيث تظل نسبة الـ ٥٠٪ عمال وفلاحين كما هى ونلتزم بها .

وهناك موضوع آخر بالنسبة للانفتاح والعضوية العاملة ، أقول لا نعطى العضوية لكل من يطلبها ، فنحن تنظيم وهذا التنظيم يعطى العضوية لمن يراه صالحا حتى لا يحدث بعد ذلك تسيب فى التنظيم .

● سعد أحمد عيد

أعتقد ان الرأى الكامل الذى يجب أن يكون هو الذى يخرج من خلال مجالس ادارات النقابات العمالية لاننا نمثل

تجمعات عريضة جدا ويجب أن يكون لها رأى فى كل ما يقال وليس هناك خلاف على أن الاتحاد الاشتراكى هو تحالف قوى الشعب العاملة وأنه يرتكز على قوتين أساسيتين هما العمال والفلاحون وبذلك فلابد أن يكون لهما رأيا معبرا وليس رأيا عفويا وانما يكون رأيا مدروسا واقتراحات موضوعية حتى يكون تعبيرا صادقا عن آراء هذه القواعد ويكون المعبر الحقيقى المطلوب .

وفى الحقيقة فانه يمكن أن نأخذ الاراء والمقترحات التى دارت من خلال اللجان المختلفة والتى تعرضت لبعض القضايا الهامة وخاصة تمثيل العمال والفلاحين فى اللجنة المركزية وهذا موضوع ليس باليسير لانه موضوع حيوى ومهم ومع احترامنا للاخوة العمال الممثلين باللجنة المركزية فالمفروض أنهم يمثلون أنفسهم فقط ، والواجب أن يتخذ النظام اللازم لتمثيل هذه الفئة الكبيرة ديمقراطيا على جميع المستويات السياسية الاخرى .

واقترح أن تمثل النقابات والاتحاد العام للعمال فى اللجان الاستشارية ولابد أن تلتزم بما جاء فى الميثاق من أن اللجان الشعبية أو الوحدات أن يمثل فيها ٥٠٪ من العمال والفلاحين على الاقل .

وبالنسبة لما أثاره الاخ خالد محيى الدين من انشاء نواد سياسية فليس هناك أصلح من النقابات والاتحاد العام للعمال، لما فيها من مجال للتجمعات العمالية الكبيرة ، ويمكنها أن تمارس عملنا السياسى، وهذه تدخلنا فى قضية أخرى وهى علاقة التنظيم السياسى واللجنة النقابية بحيث أننا لو أخذنا التركيب الهرمى للتنظيم السياسى بحيث يربط بين التنظيمات المساعدة وبحيث تكون النقابات المختلفة والاتحاد العام ممثلة فى المستويات المختلفة وعلى مستوى اللجنة المركزية واللجان الاستشارية فانى اعتقد أننا لو أخذنا بهذا المفهوم نحل جزءا من التناقضات الموجودة داخل التنظيم السياسى .

وبالتالى فان أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى يقتضى نظرة شاملة على أساس أنه التعبير الصادق لما يحدث فى الوحدات الاساسيه والمقياس الذى يحدد عمل الاتحاد الاشتراكى .

وهناك على سبيل المثال وحدة أساسية فى الاتحاد الاشتراكى باحدى الشركات يمثل فيها العمال ثلاث مديرين عامين ، وكانت نتيجة ذلك أن أصبح العمل بيروقراطيا فى هذه الوحدة من داخل المكاتب ، ولا عمل لها الا ما تمليه عليها الادارة فلا اجتماعات ولا فكر ولا رأى ولا تعبير عن رأى الجماهير ..

وهذا مايجعلنا نقول أن الاتحاد الاشتراكى لا يعبر التعبير الصادق عن الجماهير ، وأرجو أن يكون هذا الكلام عاما وأن تتاح فرصة اخرى للسادة أعضاء لجنة العمال بأن يعودوا الى نقاباتهم ويعطوا تصورا معينا عن رأى القواعد العمالية فى علاقة التنظيم السياسى بالتنظيمات المساعدة وأيضا دور التنظيم السياسى بالمفهوم الديمقراطى وأعتقد أن هذا يعطى فرصة أكبر للتعبير الحقيقى عن رأى العمال . وشكرا .

● عبد الفتاح غيث

اننى مع الزميل الذى قال أن المدير العام الذى وصل الى عضوية اللجنة المركزية لا يمثل العمال ، وهناك تناقض غريب فى مجتمعنا ، فهناك تعريفان للعامل، تعريف قام به الاتحاد الاشتراكى والاخر قام به التنظيم النقابى ، ولو أخذنا مثلا الدكتور الذى ينتمى الى نقابة مهنية ونقابة عمالية فعن أى فئة يدافع ؟ وهنا يكون التناقض وبذلك لابد من معالجة هذا التعريف فالدكتور أولى به أن يدافع عن مهنته وليس العمال .
أما بالنسبة للنوادى السياسية فانه لابد أولا من توحيد الفكر فى هذا البلد وأن يكون هناك تدريب فكرى أولا ثم التدريب على الدفاع المدنى والشعبى ..

والنقطة الثانية أن تزيل التناقض الخاص بتعريف العامل ، وما مدى الالتزام بقرار المؤتمر القومى بالنسبة للمجالس الشعبية خاصة وأن هناك شقيقين عضوين فى أحد هذه المجالس ، وهذه مخالفة للدستور وانا أبلغ سيادتكم عن هذا بناء على الهمس الذى دار بين الناس فى هذا الموضوع .

● عبد اللطيف بلطية

القضية المطروحة فى تقديرى هى دور تحالف قوى الشعب العاملة ممثلة فى ارتباطها بالتنظيم الام ، وأرى أن نحصر كلامنا فى الحركة العمالية بالذات ، فاذا أردنا ان نصل الى العمال لابد ان يكون عن طريق ممثلى العمال المختارين من العمال أنفسهم بمعنى أن تكون الانتخابات حرة ١٠٠٪ من اللجنة النقابية فى المصنع حتى الاتحاد العام للعمال بضمان ما يلى :

أولا : لا يكون هناك حجر على أى عضو نقابى من الترشيح على مستوى تنظيمى مادام القانون يعطيه هذا الحق .

ثانيا : ضمان تمثيل التنظيم النقابى فى كافة المستويات فى لجان المحافظة والاقسام والمركز بحيث يكون هذا الاختيار عن تجربة وممارسة وليس بنسبة الـ ٥٠٪ ويجب أن نتحنى أمام هذا الاختيار الذى يختار به العمال ممثليهم . ولكن على مستوى المؤتمر القومى تمثل النقابات العمالية .

● السكرتير الاول

هل تقصد تعديل الاقتراح بأن يكون تمثيل العمال على مستوى المؤتمر القومى ؟

■ عبد اللطيف بلطية

المقصود بالمؤتمر القومى هو أنه أعلى سلطة .

● السكرتير الاول

ولكن كلام الاخ عبد المعظم المغربى منصب على اللجنة المركزية .

■ عبد اللطيف بلطية

أرى أن يكون أعضاء اللجنة المركزية الذين يمثلون العمال هم رؤساء النقابات العامة والاتحاد العام ، وعلى هذا فلا أعطى الاشخاص ولكننى أعطى قيادات ارتضتها جماهيرها وعلى الا يخل ذلك بنسبة الـ ٥٠٪ من العمال والفلاحين ، وعلى ذلك فالعامل الذى يعمل فى مصنع حينما يشعر أن رئيسه ممثل له فى اللجنة المركزية فكأنه أيضا ممثل فيها ، وبهذه النقطة نستطيع أن نقول أن التنظيم النقابى ككل ممثل فى اللجنة المركزية ، ولكن قبل هذا يجب أن تكون الانتخابات العمالية حرة ١٠٠٪ ، وعلى كل المستويات وفى جميع مراحل التنظيم النقابى حتى آخره .

وعندما أكون منحرفا فهناك جهات للحساب فى اطار القانون ، ونحن لا نقبل أطلاقا أن يكون هناك نقابيون على مستوى رؤساء النقابات العامة ثم يمنعون من ترشيح أنفسهم مع أنهم يعتبرون القيادات الحقيقية للحركة العمالية وأن الجماهير هى التى انتخبتهم الى هذه المواقع ولابد من احترام ارادة الجماهير .

واعتقد أنه بهذا نضمن أن التنظيم النقابى يعمل فى اطار التنظيم السياسى الام وهو الاتحاد الاشتراكى . وشكرا .

● السكرتير الاول

هل هذه الاقتراحات تنطبق أيضا على التنظيمات الشعبية الاخرى مثل الادباء والفنانين والمهنيين والمفكرين .

● عبد اللطيف بلطية

بالنسبة للادباء والفنانين فان لهم فى الـ ٥٠٪ الاخرى .

● السكرتير الاول

سؤالى يتعلق بالناحية العددية ؟

● أحمد رفاعي

نحن لا نتحدث عن مشكلة يعانيها التنظيم النقابى فقط بل يعانيها ايضا التنظيم السياسى ، وكما وضح فانه شيخوخة العمل السياسى والجمود الذى جعله غير قادر على مواجهة المتطلبات الحالية من تطوير واثراء الفكر .

ان ما نطلبه هو أن يحترم القانون أولا وأن تكون له سيادته حتى لو كان فى القانون خطأ فيمكن تداركه ، ونحن كمواطنين فى مرحلة التحول الاشتراكى نتساءل لماذا لا يمثل العمال والفلاحون بنسبة الـ ٥٠٪ فى كل اللجان الخاصة بتطوير أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى ونحن حريصون على أن ننجز مهمتنا فى هذه المرحلة .

فلو نظرنا الى لجنة مثل لجنة الدعوة والفكر والاعلام والشئون الدينية ، هذه اللجنة ستصوغ فكر من ودعوة من؟ فيجب أن يمثل فيها العمال والفلاحون حتى لا تكون هنساك وصاية لفئة على فئة أخرى ، وكذلك الحال أيضا فى لجنة العشرين .

والشيء الاخر الذى أود أن اتطرق اليه أن كل لجنة تعمل على انفراد وبهذا فان الاراء لم تتفاعل مع بعضها ولم تأخذ ولم تعط وكان بودى أن يكون هنا أخذ وعطاء وبين آراء اللجان وبعضها حتى تتفاعل كل هذه الاراء وتعطى ثمرتها المرجوة .

هذا ما أود أن أوضحه . أما ماأريد أن أؤكد عليه قبل أن انهى حديثى فهو اننا لم نجتمع هنا كنقابيين فقط ، ولكننا نجتمع كمواطنين نريد ان نعرف الفكر الـذى يصـاغ ، وان نسهم فيه ، ولذلك فاننى اقترح على السيد السكرتير الاول أن يمنحنا فرصة أكبر للعمل على طريق اتباع أسلوب النقاش فى اللجان بحيث نستطيع ان نأخذ أو نعطى مع اللجان الاخرى .. لاننا لا نريد أن تكون لجانا غير موقتة ، وأن تـكون صورة مكررة للجان اجتمعت ولم تنته الى شيء ، وانما نريد أن نجتمع فى تفاعل مع بعضنا بحيث نصل الى وضع متكامل لا الى حلول تصفية .

● السكرتير الاول

هناك نقطة نظام ارى من الواجب أن ارد عليها وردت فى كلمة الاخ عبد العظيم المغربى والاخ أحمد رفاعى ، وهى الخاصة بنسبة الـ ٥٠٪ فى اللجان ، والنقطة الثانية وهى الخاصة بأسلوب عمل اللجان الفرعية التى ذكرت الان فى كلمة الاخ أحمد رفاعى ..

وفى المقام الاول أحب أن أؤكد لكم ان نسبة الـ ٥٠٪ فى جميع المستويات الشعبية تعتبر من الاسس التى لم تكن محل نقاش فى أى لجنة من اللجان ، وأن هذه النسبة محترمة فى كل التنظيمات الشعبية القائمة ، ولكن السؤال الان :

هل لجنة العشرين تعتبر تنظيما شعبيا قائما ... أو انها لجنة مؤقتة تزول بزوال عمل معين ؟ ..

وكذلك اللجنة الحالية التى نجتمع بها الان .. هل هى لجنة دائمة أو أنها عمل استشارى ؟ ..

ان هذه اللجان بطبيعتها هى لجان استشارية مؤقتة ، وبالتالى لا نستطيع أن نلتزم فيها بنسبة الـ ٥٠٪ من العمال والفلاحين .

النقطة الثانية نحن نرحب باى نقاش منكم ، ونحن لا نطلب منكم فى أى جلسة من الجلسات رأيا معينا ، والوقت أمامكم متسع للمناقشة ، وقد وردت فى كلمة كل من الاخوة عبد العظيم المغربى ، وسعد عيد عبارة [نريد أن نعرض على القاعدة العمالية] وهذا هو ما نطلبه منكم .. بل هذا هو المفروض ، واننى دائما أقول فى كلامى أن الورقة فى النهاية سوف ترسل الى كل أمين محافظة وأمين مركز أو قسم أو بندر لكى يقولوا فيها ملاحظاتهم .

وأود أن أشير الى اننا عندما اخترناكم حاولنا أن نختار مجموعة لها وزن جماهيرى ولها فكر ، وبالطبع هناك مجموعات أخرى من العمال قد تكون أفضل منا أو مثلنا ولكننا لم نستطع أن نجتمع بها ، ومن المفروض أن يكون قد دار فى الفترة الماضية نقاش فى تطوير الاتحاد الاشتراكى ، ولكن لنفترض جدلا أن هذا لم يحدث ، فما الذى يمكن أن يعرض على القاعدة العمالية العريضة ؟ هل نعرض عليهم ما قاله كل من الاخوة عبد العظيم المغربى ، وأحمد رفاعى وغيرهما ، ونثير الناس ؟ هذا طبعا غير ممكن .. بل أن ورقة العمل نفسها لا تستطيعون أن تعرضوها لانها عبارة عن تساؤلات منها ما هو متعارض مع الميثاق مثل تعدد الاحزاب ، وهى لا تعدو أن تكون مجرد تفتيح أبواب حتى نتكلم بصراحة ونوضح .

ولكن ما أود ان أؤكده لكم جميعا هو اننا لم نجتمع اليوم من اجل أن نطلب منكم اختيارا معينا لانه جاء فى كلمة الاخ عبد العظيم المغربى أن القوى العمالية كقوى أساسية لا يمكن أن تقرر شيئا الا بعد أن تقتنع .. نحن لا نطلب منكم أن تقرروا شيئا معينا .. كما اننا لم نطلب ذلك من اى لجنة فرعية أخرى ، ولكننا نحاول فقط ايجاد نوع من النقاش يمكن أن يؤدى الى تقديم تمثيل نقابى مرتبط باللجنة المركزية وعلى مستوى السكرتير الاول ، وقد اقترح الاخ عبد العظيم المغربى أن يكون ذلك على مستوى اللجنة المركزية ، كما اقترح الاخ عبد اللطيف بلطية ان يكون ذلك على جميع المستويات .. كل هذه الاراء سوف تسجل ثم تلخص ، وتعرض عليكم لكى تناقشوها .. أما انا فليس لدى ورقة أريد منكم أن توقعوا عليها ، وأن ورقة العمل ما هى الا تساؤلات .. أما بالنسبة للسلبيات فقد ذكرتها لمجرد أن افتح أمامكم أبوابا لكى تتكلموا وتناقشوا دون تحرج وبوضوح ، واننى لا أقصد حتى احراج احد من اخواننا الذين مارسوا العمل فى الاتحاد الاشتراكى .

وكما سمعنا اليوم من الاخ سعد عيد من أن مديرى العموم كانوا يحتلون مقاعد العمال فى بعض الوحدات ، فانه بالتأكيد كان يتحرج من ذكر هذا الكلام فى الماضى ولكنه يقوله اليوم .. كما أن ورقة العمل ليست أيضا تقريرا ملزما ، بل أن التقارير اليوم بلغت لدينا اثنا عشر تقريرا وهى غير ملزمة وسوف تعرض على لجنة الصياغة فى النهاية لكى تخرج منها بصياغة ورقة معينة سوف تعرض عليكم وسوف نجتمع معا فى عدة جلسات أخرى بعد هذه الجلسة ، والمفروض أن تقدم منكم أوراقا متعددة .

فمثلا الموضوع الذى تحدث فيه الاخ عبد اللطيف بلطية يمكن أن يتقدم فيه ورقة بتصوره ، وكذلك الاخ عبد العظيم المغربى .. لاننى لا اريد لقاء فكريا وانما أريد أن افتح أبوابا كثيرة ، وكما قلت لكم ليس لدى شيء أطلب منكم اقراره ، وانما كل ما اهدف اليه هو تنشيط التنظيم السياسى بحيث يكون هناك جدية فى عمل التنظيم السياسى ، وأن يكون هناك ربط قوى جدا بين التنظيم السياسى والنقابات

بحيث اننا عندما نتحرك تتحرك معنا النقابات حتى أحس عندما أتكلم فى اللجنة المركزية اننى اتحدث باسم النقابات التى تعتبر الممثلة الحقيقية للجماهير ، لانه ليس من مهمة السكرتير الاول أن يقول رأيه ، ولكن مهمته هى ان يعبر عن آراء القاعدة الجماهيرية الكبيرة التى يمثلها ، واذا فقد هذه الصفة فان التنظيم السياسى يفقد فاعليته ، ولكن اذا كان التنظيم السياسى ممثلا فى السكرتير الاول يعبر بأمانة عن آراء جماهير قوى الشعب العاملة ، فانه يحدث ترابط وصلة قوية بين التنظيم السياسى والقاعدة الجماهيرية .

النقطة الاخيرة التى أريد أن أرد عليها بالنسبة لما قاله الاخ أحمد رفاعى هى نسبة الـ ٥٠٪ للعمال والفلاحين والقول بأنها لم تطبق فى اللجان الاستشارية .. ان كل لجنة لها طبيعة معينة ، فمثلا هذه اللجنة تضم مائة فى المائة من العمال .. اما لجنة الدعوة والفكر فلم نراع فيها ذلك لاننا نحرص على أن تضم اللجنة اتجاهات معينة .. ادباء وفنانين ومفكرين .. كما أن الاخ أحمد رفاعى يقول اننا نريد لجانا تتفاعل مع بعضها .. على أى شىء ؟ اننا لا نريد تفاعلا فى دردشة ولكننا نريد تفاعلا مكتوبا على الورق .. لجنة الدعوة والفكر تقدمت ورقة ولجنة الشئون السياسية تقدمت ورقة ولجنة العشرين أيضا تقدمت ورقة .. وكل هذا مطبوع وموجود وليس سريا .. اظن بعد هذا لا يمكن أن نقول أن هذه اللجان منفصلة عن بعضها .

اننا لا نريد ان يكون هناك التقاء فكرى بين هذه اللجان ولكن نريد أن نسمع العمال وهم يتكلمون عن الخط الفكرى كما يتصورونه هم وليس كما تتصوره [الدعوة والفكر] ، وكذلك الفلاحون نريد منهم أن يتحدثوا فيما يتصورونه من الخط الفكرى ، وبذلك يكون لدينا الخط الفكرى الاصيل لكل من الفئتين ، وبعد ذلك نعرض هذين الخطين على [الدعوة والفكر] ونطلب منها فلسفة هذا الكلام .

ولكن لو بدأنا بالدعوة والفكر فقط فسوف نتوه فى الفاظ وتعابير طويلة غامضة نجد صعوبة كبيرة عندما نترجمها الى واقع ملموس ، وهذا مالا نريده .

نريد أن نكون عمليين .. وان يكون تفكيرنا عمليا .. هناك خط اشتراكى ، والعمال فى هذه البلد لهم تمثيلهم فى مجالس الادارة ولهم حقهم فى الارباح التى لا يستطيع أحد أن يمسه بأى صورة من الصور ، بل ان واجبنا اليوم أن ندعمه ونثبته .

وكما قال الاخ عبد العظيم المغربى .. انتخابات حرة ، وأنا لا أمانع فى هذا ، وكل من ينتخب يكون على العين والراس لان هذه هى القيادات الصالحة ، هذه هى الصورة وليس لنا طلب عندكم ، ولا اريد منكم أن تقترحوا أو توافقوا على شىء معين ، ولكن كل مانهدف اليه هو أن نستطلع رأيكم بحرية فى هذه الجلسة ، وبعد ذلك سوف نرسل اليكم التقارير والاوراق لكى نجتمع بعد ذلك وأنتم على بينة بكل شىء .

● **عبد الحميد شاهين**

فى الواقع لقد أثار السادة الزملاء قضية أساسية فيما يتعلق بشهادة العضوية ومنحها أو منعها وهذا فى الحقيقة يدفعنا الى ان نبحث اساس تكوين الاتحاد الاشتراكى .. كيف تكون الاتحاد الاشتراكى ؟ ربما كان السيد السكرتير الاول على علم بهذه العملية فى الفترة الماضية بما كان له من صلة بالجمعيات التعاونية الزراعية .. ان أعضاء الاتحاد الاشتراكى كلهم الموجودين فى الريف وفى الجمعيات التعاونية الزراعية يدفعون الاشتراك [القرشين صاغ] كخصم اجبارى ، ولكن من أجل أن يكون الفرد ملتزما لابد أن يكون مؤمنا ، واننى اعتبر أن هذا الاشتراك بمثابة مؤشر فقط أو عملية ربط بين العامل أو المشترك والتنظيم فى حد ذاته ، وبعد ذلك من خلال العمل يظهر التزامه ، وبعد ذلك عندما تجرى انتخابات القيادات فانها تجرى بين أفراد درجة ايمانهم متفاوتة بالعمل السياسى لانهم دخلوا الاتحاد الاشتراكى أساسا بطريقة اجبارية للمحافظة على أوضاعهم أو أرزاقهم أو شخصياتهم مع ان أى نجاح لاى عمل سياسى لابد له من ايمان ، واننا نجد ان هذا الايمان تختلف درجاته باختلاف ارتباط المصالح لكل فئة من الفئات ولكل طبقة من الطبقات ، وهذه العملية هى السبب فى المتاعب الكثيرة التى يعانى منها التنظيم السياسى ، والتى تحتاج الى بحث أساسى فيمن تشملهم عضوية الاتحاد الاشتراكى ، وهل يجب أن تكون هذه العضوية بالملايين الموجودة أو انها يجب أن تقتصر على عدد قليل ومن خلال العمل ننمى عضوية الاتحاد الاشتراكى كما هو متبع فى التشكيل النقابى حيث ننمى العضوية من خلال العمل الاساسى .

النقطة الثانية .. كلنا نعلم أن أى تنظيم سياسى فى العالم هو الذى يضع الاساس للسياسة العامة التى تتبعها الحكومة .. واننا هنا فى بلدنا نجد أن المؤتمر القومى هو الذى يضع السياسة العامة ويترك السلطة التنفيذية بعد ذلك .. ما هى رقابة السلطة السياسية على السلطة التنفيذية ؟ هذه عملية أساسية .. وكما قال الزملاء فانه قد يرشح أحد الافراد نفسه ، فيجد ان المباحث تعترض عليه وقد شكا بعض الزملاء من أن رجال المباحث وصلوا الى درجة أنهم يريدون أن يحضروا اجتماعات الاتحاد الاشتراكى فى الوحدات وهم ما نسميهم بمكاتب الامن فى الوحدات الاقتصادية ، فهل الاتحاد الاشتراكى هذا تشكيل شرعى أو أنه تشكيل طفيلى ؟ انه تشكيل شرعى يمثل جماهير الشعب فعلا سواء رضى هذا المسئول عن الامن أو لم يرض .. بل قد يصل الامر برجال الامن الى توريط رجال الاتحاد الاشتراكى فى أمور غير حقيقية ، وأنا لا أعرف أن هناك عملا سياسيا أو عملا نقابيا يمكن أن يتم بهذه الصورة ..

● **السكرتير الاول**

هل مازالت هذه الصورة موجودة حتى اليوم ؟

● **عبد الحميد شاهين**

نعم مازالت موجودة وسوف أتقدم لسيادتكم تقريرا فى هذا الشأن ..

اذا سألنا أنفسنا ما هو الربط الاساسى بين السلطة السياسية والسلطة التنفيذية نجد فى الواقع أن الحكومة فى واد والسلطة السياسية فى واد آخر مما يؤدى الى تناقضات بينهما ، واننا نجد ان أمين أى قسم أو أمين أى مركز لاتتعدى مأموريته الدفاع عن السلطة السياسية أو تبرير الاعمال ، ولهذا السبب يفقد فعلا ثقة الجماهير التى تشعر صراحة اننا فى واد كقيادة سياسية ، وهم فى واد آخر .

كذلك اذا نظرنا للوحدات الاقتصادية التى تمثل الطبقة العاملة نجد أن هناك بعض الافراد كانوا معزولين عزلا سياسيا وموضوعين تحت الحراسة وهم الان رؤساء مجالس ادارة لبعض الشركات .. فهل يصدق العمال [وهم ليسوا طبعا على مستوى الفكر الواسع] اننا فى مرحلة التحول الاشتراكى بينما يجدون أن الواقع يخالف مايسمعونه من شعارات ؟ .

هنا أيضا يتولد عدم الثقة ، وتثور أيضا هنا قضية الكوادر والاطارات كما يسميها أهل الخبرة من أهل الثقة ، واذا نظرنا الى اهل الخبرة هؤلاء نجد أن ثلاثة أرباعهم ممن تربوا فى ظل النظام الملكى .. اذن فمن الصعب أن تقنعهم بأن الاشتراكية لازمة وضرورية لاى مجتمع يريد أن يتطور ويبنى نفسه .

هذه القضايا كلها عندما نحللها نجد أن فيها تناقضا موجودا ..

وعندما ترفع وحدة اساسية على سبيل المثال رأيا بالنسبة للوحدات الاقتصادية ويصعد هذا الرأى الى لجنة القسم ثم

ترفعه لجنة التنسيق الى مستوى المحافظة ثم الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي ونتيجة كل هذا ان يوضع هـذا الرأى [على الرف] اذن فلماذا كل هذا التذير والاستهلاك فى الورق الذى نستورده ؟ .

ان امين الوحدة لو تلقى اجابة على رايه سواء بالمعارضة أو التأييد فلا شك ان هذا يدل على ان هناك ارتباطا اساسيا بين القاعدة والقمة ، ولكن لا يحدث اطلاقا اى رد ، وانا كأمين وحدة قدمت الكثير من آراء الجماهير ومشاكلهم ولم أتلق عنها أى رد .

كذلك عندما ننظر الى القانون نجد انه ينص على أن تعتمد الميزانية فى وقت محدد ، واننا كعمال نريد ان نحس اننا شركاء فى الادارة والارباح وفى لجان الانتاج ، فاذا تأخرت هذه الميزانية الى ما بعد الجمعية العمومية لا يحدث شيء اطلاقا رغم أن القانون يحدد ويلزم أن تقدم الميزانية فى فترة معينة ، ولكن ليس هناك محاسبة أو مساءلة على كل مستوى تنفيذى ، ولا يوجد فى التنظيم السياسى اية رقابة فعالة نستطيع أن نحسها ، ورغم ما يقال من أن العمل السياسى فى داخل البلد يمثل القاعدة العريضة الموجودة فى هذا البلد ، فاننا نجد أن الواقع يخالف كل هـذه الحقائق .

كذلك كلنا مقتنعون بأن التنظيم السياسى هو الأم بالنسبة للتنظيم النقابى .. اذن ما هى حدود التنظيم السياسى والتنظيم النقابى .. وما هو السبب الذى من اجله تختلف مدة العضوية فى التنظيم السياسى بجميع مستوياته عن مدة العضوية فى التنظيم النقابى بجميع مستوياته ؟ .. واذا كنا نحن كنقابيين معاونين ومساعدين للتنظيم السياسى فكيف تنفصل بيننا وبين التنظيم السياسى فى المدة التى توجد فيها كتنظيم شرعى .

وبالنسبة للتنظيم النقابى فقد أثار الاخ عبد اللطيف بلطية قضية أساسية وهى انه اذا مافقدت الجماهير شخصا من الاشخاص ، فيجب على السلطة السياسية أن تلفظه .. ومن الغريب أننا نجد أعضاء فى المؤتمر القومى العام لفظتهم قواعدهم عندما رشحوا فيها وسقطوا .. واذا كانت السلطة السياسية تعبر عن رأى الجماهير .. فكيف يبقى من لفظ عضوا فى المؤتمر القومى العام ؟ هذا تناقض مطلق .

وبالنسبة للكوادر فاننا كثورة بدأت فى عام ١٩٥٢ ثم بدأنا التحول الاشتراكى فى عام ١٩٦١ ولم نستطع حتى الآن تكوين الكوادر التى تستطيع ان تقود الوحدات الاقتصادية بمفهوم سياسى كامل .. هنا لابد ان نقف لـكى نراجع انفسنا بالنسبة للموجودين اليوم على قمة القيادة السياسية .. ما هى طبيعة العلاقات الموجودة اساسا هل هى علاقة عمل فقط ؟ ام انها علاقة شخصية ادت الى هـذا التركيب والتكوين والاختيار ؟ ..

انه لكى يثق الجمهور فى ان العمل السياسى اصبح ضرورة من الضرورات الملحة فلابد ان تحقق له مصالحه الحقيقية الكثيرة .

ولذلك يجب أن نعيد النظر فى كل هـذه التناقضات ، ونضع الاساس السليم الذى يمكن ان يسير عليه التنظيم السياسى والتشكيلات المساعدة واضم صوتى ايضا بأننا لا بد ان نقرأ ونتقدم فكرا مشتركا .

● ثريا لبنة

لو سمحتم يا سيادة السكرتير الاول .. فى اعتقادى اننا نلتقى على اساس اننا نعيد صيغة بناء الاتحاد الاشتراكى .. اما كيفية اعادة هذه الصيغة فانها تتحدد بعد أن نعرف الاسلوب التنظيمى الذى يجب أن يقوم عليه الاتحاد الاشتراكى فى المرحلة القادمة ، ونعرف الاطار الفكرى الذى سوف يحكم قوى التحالف كما نعرف الاستراتيجية ونحدد الاهداف المرحلية التى سوف نتحرك من اجلها خلال هذه المرحلة .

واننى اعود مرة اخرى للنقطة التنظيمية التى اثارها السيد السكرتير الاول فى رده على الاستاذ احمد رفاعى لاننى اعتقد ان هذه النقطة فى الواقع كانت منطلقا لمناقشات دارت فى المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال وهى تعبر تعبيرا صادقا عن راى القواعد العمالية العريضة ، وهى تتصل بأن المواثيق التى تحكمنا اليوم .. ميثاق العمل الوطنى .. بيان ٣٠ مارس .. برنامج العمل الوطنى ودستورنا الحالى .. كل هذه المواثيق تؤكد نسبة الـ ٥٠٪ على الاقل للعمال والفلاحين ، ونحن نعتقد انه اذا كان المفروض ان الاتحاد الاشتراكى هو الذى يقود حركة الجماهير من اجل تحقيق اهدافها ، فان هذا التنظيم السياسى لقوى التحالف لابد عندما نعيد صيغته بأن يوجد فيه فعلا تمثيل فعلى صادق وموضوعى للعمال والفلاحين فى كل المواقع التى يجب ان يكونوا موجودين فيها .

وقد اوضح السيد السكرتير الاول ان اللجان التنسيقية ولجنة العمل هى لجان استشارية ، واننى اعتقد ان هذه اللجان الاستشارية مادام لها هدف محدد وهو اعادة صيغة الاتحاد الاشتراكى الذى سوف يقود قوى التحالف ، فان اللجان الاساسية مثل اللجنة السياسية ولجنة الدعوة والفكر يجب أن يمثل فيها العمال والفلاحون بنسبة الـ ٥٠٪ لاننا الان نعيد صيغة التحالف وفكر هذا التحالف ويجب ان يتقدم العمال والفلاحون ما يرونه محققا لهذا الاتجاه .

واننا نرجو ان يطبق هذا التمثيل فى الخطوات القادمة فى كل المراحل سواء كانت اللجان استشارية او دائمة .. لاننا نعتبر هذا ضمانا اساسيا للمبادىء الاساسية التى تقودنا الى تحقيق المجتمع الاشتراكى الذى ننشده .

النقطة الثانية التى تكلمتم فيها سيادتكم فيما يتعلق بطريقة تشكيل اللجنة المركزية والانفصال الذى يحدث بين مستوى قمة التنظيم والقواعد واعتقد ان هذه المشكلة هى من مشكلات التنظيم ككل ، فمن ناحية الانضمام للتنظيم فاننا نجد انه يبنى على اساس قرار تحكم فيه العضوية بورقة .. هذه الورقة من الممكن ان تجعل العضو خارج التحالف او داخله .. حتى بدون الانتخابات والكثير يضمون الى مواقع عامة فى التنظيم .

● السكرتير الاول

انتخابات العشرة اعضاء من مجلس الشعب ؟

● ثريا لبنة

اننى اتكلم على مستوى ابتداء من لجنة العشرة الى مستوى اللجنة المركزية فلو تركنا لجنة العشرة نجد بعد ذلك التعيين حق للمؤتمر القومى ومن سلطته اصدار قرارات التعيين بعد ذلك صدرت قرارات تعيين آخرين لاضرورة لضمهم الى المجالس الشعبية فى الوقت الذى هم لا ينتمون الى التنظيم .

● السكرتير الاول

هل من حق الرئيس ضم اى شخص ؟

● ثريا لبنة

اذا كنا نعنى بناء تنظيم سياسى يعبر عن قوى التحالف ويستطيع ان يقود حركته اعتقد انه لا بد من اعادة الصيغة لاننى لا اتصور ان القضية قضية كتابة كلام جديد وانما هى فى الحقيقة والاساس المفهوم الحقيقى للديمقراطية داخل

وخارج وكفاءة بناء التنظيم السياسي ، فلا يمكن أن يكون التنظيم تنظيم الولاء للسلطة ولكن لابد ان يكون الولاءللجماهير ولن يكون الولاء للجماهير مادام هناك سيف مسلط وهو شطب عضوية الاتحاد وسيادتك تعلم من ذلك الكثير ونرجو ان تكون هذه القضية هي الاساس .

اننا نقول ان الذي يدخل التنظيم هم اعضاء التحالف من الخمس فئات المتفق عليها واي فئة اخرى يكون لها حق فان الجماهير هي التي من حقها الحكم عليها من خلال العمل السياسي ومن خلال ان يكون هناك جزء داخل الحركة السياسية على اساس شكل تنظيمي ومحاسبة تنظيمية عمالية .

بالنسبة للانفتاح فقد كان يجبان تبدا من بداية تشكيل هذه اللجان ليكون هناك اثراء فكرى معالجماهير حول كيفية بناء الاتحاد الاشتراكي وتحديد مفاهيمه الفكرية بين اللجان التي شكلت وبين الجماهير العريضة والتي ترتبط بفيكر جديد وان الاتحاد لم يكن معبرا تعبيرا صادقا من رغبات الجماهير ..

وفيما يختص بعلاقة التنظيم السياسي والنقابي ، فأرجو ان تكون واضحة ومحددة ، ولا يجب ان تكون علاقة وصاية وانما يجب ان تحدد على اساس ان يكون هنساك نوع من التدعيم والربط ، وهذا لا يمكن ان يتحقق الا اذا اخذنا في الاعتبار ان تذوب كل التنظيمات في التنظيم الام .

● السكرتير الاول

ما هو حدود الولاء الذي تتصورونه ولو من الناحية العامة؟ لقد ورد ذلك في ورقة العمل .. ولو انه ورد في مكان آخر ان يكون الولاء للجماهير ، وما هو تحديد الولاء للجماهير بالنسبة للفلاحين والعمال ؟ .

● ثريا لبنة

اولا فيما يتعلق من ان الولاء للجماهير وليس للسلطة أعتقد ان امامنا مشكلتين :

الاولى .. وهي الضمان لتحقيق هذا الكلام وقد طرحت هذا بحثا عن الضمان ، وفي اعتقادي ان الولاء يتم من خلال الحركة المنظمة داخل قوى التحالف نفسها ، فالعمال لهم تنظيمهم النقابي وكذلك الفلاحون لهم الجمعيات التعاونية والراسمالية الوطنية لهم الغرفة التجارية ، وعلى ذلك فيجب أن يكون هناك ولاء تنظيمي داخل التحالف وداخل اللجنة المركزية تذوب التناقضات على اساس ان المشكلة حلت داخل المستوى التنظيمي لكل القوى الاجتماعية .

واننى اضم صوتي الى زملائي الذين طالبوا باعطاء قسمة من الوقت لدراسة ومناقشة ما جاء في ورقة العمل وصياغة فكرها عليها .. وشكرا .

● محمد فتحي فوده

تعقيبا على كلام الاخ احمد رفاعي فانه لم تصلنا ورقة العمل وحشرنا الى هذا الاجتماع ونحن خلو الذهن تماما من اى فكر عنه ، ولست اشفق على نفسي في هذا بل على مجتمعنا ونقباء النقابات الذين لم يكونوا فكرا من هذا الاجتماع الذي يشرفه السيد / سيد مرعي فلا نستطيع ان نصدقه الراى ، فان صديقك من صدقك وليس من صدقك .

لقد كنت ارجو لو كان حديث السيد السكرتير الاول الذي بدا به هذا الاجتماع للاطمئنان وان ما يثار فيه من مناقشات او تنقيح لمواضيع ليس طرفا لشيء معين يمكن ان تتخذ فيه قرارا .

والحديث عن الاتحاد الاشتراكي العربي حديث يطول فهو التنظيم الذي اعطاه كل منا من دمه ومن عرقه وكيانه وحياته ثم بعد ان استوى على عوده امسك بهراوة وانتفض بها على راسنا تحطيما ، هذا هو الاتحاد الاشتراكي العربي ، الاتحاد الاشتراكي العربي الذي اعمل فينا سيف الشطب والابعاد ونحن من بناته ، نحن اعضاء اللجنة التحضيرية التي جاءت بالميثاق وانشأت الاتحاد الاشتراكي ثم نشطب في الانتخابات الاخيرة ، ثم لا مصدر ولا اشارة عن سبب الشطب ، ثم تأتي الانتخابات النقابية والحمد لله أن سمح لنا بالدخول فيها لنأخذ مكاننا بين قواعدنا ، وتأتي ايضا انتخابات مجلس الشعب فيتقدم لها منا الكثير وينجح المشطوب في الاتحاد الاشتراكي وأنا منهم .. هذا هو الاتحاد الاشتراكي الذي أفقد نفسه الثقة بينه وبين أعضائه .

وانا اعلم الناس بالسيد / سيد مرعي فهو اخي واستاذي والاتحاد الاشتراكي العربي هو السلوك المتطوعة والمهلهلةبين قواعده وبين قمته ، ليس هناك وصاية للاتحاد الاشتراكي فهو يغني نفسه ، هذا هو الاتحاد الاشتراكي الذي يهم الان بالدخول في مرحلة التكوين او هو تكوين جديد .

والاتحاد الاشتراكي الان متطوع الصلة بين قواعده وقمته، وقد عملنا به عندما كان مسموع الكلمة راجع الراى يطالب فيجاب طلبه ، يطلب التفرغ فيتفرغ له من يريده ، اما الان اللجان تطلب متفرغين فلا يجاب طلبها ، والواجب ان يكون للاتحاد الاشتراكي هيبته واحترامه ، وعلينا ان ننميه قلبا وفكرا وروحا لانه الوعاء الذي جمع تحالف قوى هذا الشعب ، وبغيره لا يمكن ان نسير ولا يكون هناك التقاء فكري دون ان نلتقي داخل الاتحاد الاشتراكي على كلمة سواء .

وقد اعجبني كثيرا ما تفضل به السيد السكرتير الاول من انه لا يريد منا قرارا او حديثا في امر يعينه ، وانما هو يرجو منا ايجاد نوع من النقاش يؤدى الى تدعيم تمثيل نقابي مرتبط باللجنة المركزية ونحن ننتظر ذلك ، وان هذا الجمع هو صاحب المصلحة الحقيقية في هذا الوطن وهو يصدقك الحديث لا عن رغبة او رهبة وليس فينا اطلاقا اى مراء وانما نحن اصحاب المصلحة الحقيقية في هذا البلد نعرف ان تقوية الاتحاد الاشتراكي تقوية لنا والعكس صحيح .

الاتحاد الاشتراكي هو املنا وهو مآلنا ، ولا شك في ان ورقة العمل التي بين ايدينا الان والدراسة التي تفضل السيد السكرتير الاول بالوعد بتزويدنا بها ستكون موضع دراسة النقابات العامة والاتحاد العام وستأتي اليك بحصيلة دراستنا لها ونحن نعرف ان الله قد وفق السيد الرئيس الى ان يركن بالاتحاد الاشتراكي الى من يأخذ بيده الى حيث القوة والعزة ، ونرجو ان يكون السيد السكرتير الاول صديقا لنا يضع يده في يدنا وقلبه الى قلوبنا والله معنا جميعا وشكرا .

● السكرتير الاول

لي تعليق بسيط بالنسبة لكلمة الاخ فتحي ، فلا اتصور اطلاقا ان هناك حياة للاتحاد الاشتراكي من غير العمال وايضا بدون الفلاحين ، واود ان اصل به الى ان يشعر اى عامل في اى مستوى عندما يأتي الى هذا المقر كأنه داخل نقابته او اكثر .

واود ان اصل الى ان اى فلاح حينما يأتي ليقدم شكوى كأنه في بيته ، فاذا ما وصلت الى هذا فانني اكون حققت ما اسعى اليه ..

وبالنسبة للمثقفين قد تكون العملية سهلة لانهم عن طريق النقاش يمكن تحقيق ذلك ، وكما قال الاخ فتحي لا بد وان يكون الدليل عمليا مع العمال والفلاحين ، وليس كلاما .

ان لي آمالا كبيرة في الاتحاد الاشتراكي متوقفة على مدى تعاون العمال والفلاحين وطبقات قوى الشعب العاملة معي في هذه الفترة ، واذا لم تتعاون معي هذه القوى

فانى سأفشل فى مهمتى ، ولن ابقى فى مكانى اذا شعرت اننى بعدت عن قوى الشعب العامل ولم احصل على الثقة المبنية على حقائق وليست على الخوف والتزلف ، فاننى اشعر بالقوة بجانبى ، وعكس ذلك اكون قد فشلت فى المهمة الموكولة الى .

لقد تكلمت الجماهير كثيرا من الاتحاد الاشتراكى ، والان نحن لا نعرف ماذا نقول لهم ، فى لجنة العمل قلنا انه لابد ان تكون هناك طريقتين لعرض التقرير ، فتقرير كامل يعرض عليكم ، اما بالنسبة للشعب والجماهير فيجب ان تعرض عليه نقط التغيير فى الاسلوب الذى حدث فى الاتحاد الاشتراكى .

بالنسبة لجميع التقارير التى تمت فى اللجان فقد بلغ عددها ١٢ تقريرا ويمكن توزيعها عليكم ، وبعد الدراسة من حقكم عرض ذلك على تنظيماتكم لاخذ الرأى عليه ، ولكن لابد أن يتم ذلك بعد أن يكون كل منكم كون رأيا معينا ، وفى رأيى انكم مستشارون تنيرون الطريق أمام قواعدكم ولستم مقيدين بالقرار النهائى وليس لنا اية ملاحظات عليكم وكذلك الحال بالنسبة للفلاحين والمثقفين .

وكل ما يحدث ما هو الا حوار يتم عندما نجتمع ككل ، وان عمل اللجان الفرعية ما هو الا تمهيد للقرار النهائى حيث انها تمثل وجهات نظر متقاربة ، والجزء الاول هو تعريف الاتحاد الاشتراكى ثم عرض اختصاصاته وشروط عضويته وما هى الاجراءات المترتبة على هذا .

اما بالنسبة لسحب شهادة العضوية وتشكيل تنظيمات الاتحاد الاشتراكى والسكرتير الاول وعلاقته بأجهزة الاتحاد الاشتراكى وعلاقته بالاجهزة الحكومية والتشريعية والنقابات والاتحادات والمؤسسات واللجنة المركزية بالسلطة التنفيذية والتشريعية والنقابات والاتحادات والمؤسسات ، واللجنة المركزية وعلاقتها بالسلطة التنفيذية والتشريعية والنقابات والاتحادات والمؤسسات الخ .. فالفكرة الاولى أن تعطى التجمعات الشعبية الضخمة كيانا معينا .. وفى هذه النقطة أود أن أقول كلمة ردا على كلمة الاخ عبد اللطيف بلطية وهذا ليس الزاما للجنة معينة أن يكون هناك لجنة معاونة للجنة المركزية .

وبالنسبة لتجربتنا فى المدة السابقة نجد ان التنظيم السياسى قد استفاد من اجتماعه بالنقابات اكثر من اجتماعه بالنقباء فقط ويحصل من هذا اتصال السلوك التى تحدث عنها الاخ فتحى بأنها مهلهلة .

فمثلا موضوع العراق عندما طلب انضمامه الى دولة الاتحاد او مشروع الملك حسين ثم لقاء بريجنيف مع نيكسون . نجد ان التنظيم السياسى لم يتم بأى تحرك بالنسبة لهذه الموضوعات السابقة .. وبهذا فاننا يجب أن نتصور الصورة التى يعمل بها التنظيم السياسى دون حساسية ، وهذا ما استطيع ان اقوله لاننى لم اصل تنظيميا الى اى عمل ارضى عنه ، اننا لم نغير شيئا لاننا لا نعرف كيف يتم هذا التغيير .

ولا استطيع ان اقول شيئا قبل ٢٢ مايو حتى تكتمل الصورة فى التنظيم السياسى ، ولقد كان من الممكن أن تصدر ورقة تنزل فيها جميع المترادفات مثل : ماهو موقف الامن الاوروبى ؟ وما هو موقف نيكسون ؟ وماهى الاتفاقيات التى وقعت وتأثيرها على منطقة الشرق الاوسط ؟ .. ولو كانت الصورة كاملة لبادر الاتحاد الاشتراكى الى تموين قواعده بهذه القضايا جميعا قبل ان تتم هذه اللقاءات وليس بعد ان تتم .

فمثلا هل الصورة الموجودة فى امانة الدعوة والفكر هى الصورة المثلى للعمل السياسى — وانا بهذا لا اجرح احدا واريد البناء وليس الهدم — لجنة الدعوة والفكر تعطينا ورقة روتينية من الالفاظ السابقة .

وايضا ما هى صلة اللجنة السياسية بلجنة الدعوة والفكر ؟ ..

ان الهدف الاصلى لنا هو اقامة تنظيم سياسى ناجح ، ولكى يكون التنظيم السياسى ناجحا فلا يمكن أن يقوم بدون العمال والفلاحين ولا يمكن أن أتصور صورة أخرى .

لذلك فان تمثيلهم بخمسين فى المائة فى كافة التنظيمات نقطة لا جدال عليها ومحترمة .

ثم ما هى الطريقة التى تربطنا بالنقابات المهنية ؟ اريد ان يشعر كل منكم كأنه فى مكانى وانه عندما يتحرك لا بد وان يتحرك كمجموعة ، اننى لا اطلب ولاء لشخص معين وانما اطلب ولاء لتنظيم معين .

بعد ذلك طريقة ربط لجان الانتاج بالاتحاد الاشتراكى على مستوى اللجان النقابية وعلى مستوى المصنع او الوحدة الاساسية وكيف نعالج السلبيات بين العمال ليستطيعوا ان يعطوا انتاجا كاملا ، وهذا موجود فى بعض المصانع والمؤسسات ، والمثل على ذلك المؤسسات الصحفية .

اننى لا اقول انها مسئولية العمال .. هل تجتمع لجنة الاتحاد الاشتراكى مع لجنة النقابة مع لجنة الانتاج ، ويستدعون ادارة المؤسسة او الشركة لكى تشرح موقفها بحيث تكون هناك دائما لقاءات بناءة .. هل هذا يتم ؟ قطعا هذا لا يحدث ، وحتى لو حدث فان هذه اللقاءات ستكون صورية وبدون اى تنظيم او جدول اعمال .

لقد اطلعنا على امثلة مبسطة فى البلاد الشرقية ، وهم فى الحقيقة لم يعقدوا الامور بهذه الصورة .. ولكن اذا كنا نحن نقول ان العمال لهم نصيب معين فى الارباح ، وفى عضوية مجالس الادارة ، وهذا حق لهم ، ولا يمكن ان يتعرض اى انسان لهذه المكاسب الاشتراكية لا للعمال ولا للفلاحين ايضا بل اننا ندعمها ونزيد منها وان من تكرار القول ان نقول اننا يجب ان نحافظ على هذه المكاسب الاشتراكية ..

هل يستطيع اليوم ان يقول انسان ان العمال لا يجب ان يشاركوا فى الارباح او فى عضوية مجالس الادارة ؟

وهل يستطيع انسان ان يطالب اليوم بنزع اراضى الاصلاح الزراعى التى وزعت على الفلاحين ؟ .

هذا غير ممكن اطلاقا ، وانما نحن نتجه الى تدعيم الحركة الاشتراكية من أجل زيادة العدالة حتى يمكن أن نصل الى تحسين مستوى العمال عن طريق تدعيم المؤسسات نفسها ، واننا فى بعض الاحيان نجد اننا عندما نعطى العمال هذه القوة يحدث انحراف من العمال انفسهم ... من اللجنة النقابية او لجنة الاتحاد الاشتراكى او اللجان المتفرعة والادارة فى هذه الحالة يكون لها الراى السليم ، واحيانا تحدث صورة عكسية اذ تكون الادارة هى المنحرفة والعمال يرون هذا الانحراف دون ان يكون فى وسعهم ان يتكلموا ... ولذلك فاننا نريد ان نعرف ما هى الوسيلة التى توصلنا الى عمل جدى على مستوى المؤسسات والشركات ، يبقى فى النهاية تدعيم هذه المؤسسات التى هى مصدر رزق للعمال .

ويأتى فى النهاية هذا التساؤل ...

ما هى الصلة بيننا وبينكم ، وما هى الطريقة التى يمكن أن ندعمها بها ؟ ..

هذا هو ما اريد ان اسمعه منكم .. كيف نعالج العيب ؟ نحن لا نحضر جلسة ثم ندخل بعدها انتخابات لكى نقول ان القاعدة سليمة ، ولكننا نريد ورقة عمل نبنى بها اسلوبا ثابتا للعمل نقتنع به جميعا ...

ونحن دائما نعتبر أن الجلسة الاولى هى بمثابة استعراض لكل ما يدور فى ذهنكم ...

اما فى الجلسة الثانية ان شاء الله ، فاعتقد انكم سوف تكونون قد قرأتم ما وزع عليكم من أوراق .»

● **الدكتور محمد دكرورى**

فى الواقع ان السيد السكرتير الاول قد وفى معظم النقاط التى كنت اود ان اتكلم فيها ، وان المناقشة قد دارت اساسا حول معنيين اساسيين هو...

المعنى الاول : وهو التمثيل بالنسبة للعمال وتواجدهم فى المستويات المختلفة ، والضمانات القانونية لتفادى ما ارتكبه البعض من اخطاء فى المراحل الماضية ، ونحن نؤيد هذا التمثيل ونداقع عنه ، ولكن اذا سألنا انفسنا لماذا ؟

ان الاخوة الموجودين هنا يمثلون انفسهم كمواطنين ، وأعضاء فىالاتحاد الاشتراكى ، وقيادات نقابية وسياسية ، ولا بد لهم ان يوجدوا نوعا من المعادلة المقننة بين الصفات الثلاث ، وقد تكلم السيد السكرتير الاول عن صيغة هذه المعادلة بالنسبة للوحدة الجماهيرية ، واننا نريد التواجد العمالى لان العمال وهم طليعة واعية فى الشعب لابد ان تقوم بدورها الاساسى لان عليها عبئا حقيقيا فى بناء المجتمع وفى بناء مصر ...

اننا نجد أن نصف اعضاء الوحدة الجماهيرية ، او لجنة الاتحاد الاشتراكى من العمال ولجنة الانتاج ، واللجنة النقابية [وتمثل العمال فى مجلس الادارة] .. هل هذا التعدد فى صالح العمال والانتاج وفى صالح العمل ؟ ام انه من الممكن ان يختصر وتحدث صيغة توفيقية بين هذه التعددات الموجودة فى الوحدات الجماهيرية .

المعنى الثانى : وهو علاقة الاتحاد الاشتراكى بالنقابات العمالية ، وهذا يتواجد فى اللجنة المركزية عن طريق الامانة العمالية ، ولكننا وجدنا ان هذا النوع من الارتباط غير فعال ، والمطلوب من اعضاء هذه اللجنة وهم خبراء فى هذا المجال كما انهم اعلى مستوى من التنظيم العمالى المصرى .. ان يقولوا لنا ما هى الصيغة التى يرون انها يمكن ان تثرى العمل السياسى ، وتدفع الاتحاد الاشتراكى، وفى نفس الوقت تدعم النشاط النقابى .. لان السؤال الذى يواجهنا الان .. هل هناك ازدواجية بين التنظيم النقابى والتنظيم السياسى ؟ أم من الممكن أن يكون هناك تكامل بينهما ، وما هو نوع هذا التكامل ؟ ولا يمكن أن يقول هذا الا القيادات العمالية المتخصصة .

وبالنسبة للجان الاستشارية ، فان هذه اللجان ام تشترط فيها نسبة الـ ٥٠ ٪ للعمال والفلاحين لانها ليست لجانا دائمة انما هى لجان تقدم خبرة معينة ، واكبر دليل على هذا هو انه حتى فى اللجنة المركزية فان امانة الشئون السياسية ، وامانة التثقيف والفكر والشئون الدينية لم تراع فيها نسبة الـ ٥٠ ٪ للعمال والفلاحين على الاطلاق لانها تقوم على الاختيار ، والمهم أن التمثيل الكلى على مستوى اللجنة المركزية تتوفر فيه نسبة الـ ٥٠ ٪ للعمال والفلاحين ، ونحن لا نريد ان يكون هناك حساسية او خوف على مصير هذه النسبة .. لاننا اذا وجدنا ان هذه النسبة سوف تبدد او تمس ، فسوف نقف جميعا لكى ندافع عنها ..

واود ان اشير الى اننا قد تكلمنا مدة طويلة عما نريده ، ولم نتكلم عما يمكن ان نقدمه نحن العمال للعمل السياسى فى مصر ، ولهذا فاننى اقول ان هذه اللجنة مهمتها الاولى هى ان تعطى لجنة العمل الصيغة العمالية المناسبة والواقعية لتدعيم كل من الحركة النقابية والعمل السياسى وان تقدم رأيها فى كل الجوانب الاخرى المتصلة بالتنظيم السياسى .

وفى نهاية حديثى فاننى اؤيد الاخوة فى وجوب المحافظة على نسبة الـ ٥٠ ٪ وايجاد حد ادنى من الضمانات لكل شخص لكى يمارس حقه السياسى .

● السكرتير الاول

فى الحقيقة لى نقطة نظام فيما يتعلق بنسبة الـ ٥٠ ٪ للعمال والفلاحين اننى اؤكد ان هذه النسبة ليست محيل نقاش ، فهل يعقل مثلا أن نرفع الحد الاعلى للملكية الزراعية عن خمسين فدانا ؟ بالعكس قد يكون من المعقول ان نخفض الحد الاعلى لهذه الملكية بعد المناقشة والبحث ، وكذلك الوضع بالنسبة للـ ٥٠ ٪ لتمثيل العمال والفلاحين لم تكن محل نقاش فى اى تنظيم شعبى ، ولذا فنحن نقلل من قيمتها عندما نجعلها محل نقاش .

● عبد الفتاح بخيت

اننى اطالب بضرورة تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠ ٪ فى جميع اللجان لان الجماهير لا يمكن ان تقتنع بأنه هذا وضع مؤقت ما دمنا مصرين على التصحيح ، وحتى فى لجنة [الدعوة والفكر] هناك عمال مثقفون يمكن الاستفادة برايهم فى هذه اللجنة ..

● السكرتير الاول

لدى اقتراح يمكن ان يريحكم جميعا ، وهو اننا ندعو كلا من لجنتى العمال والفلاحين لحضور اجتماعات كل لجنة من اللجان الموجودة ولجنة المشرين ايضا ونحن نرحب بحضور من يرغب من لجنتى العمال والفلاحين فى هذه اللجان رغم اننا نعلم ان اللجان الاستشارية ولجنة المشرين ليس لها سلطة اتخاذ القرارات وأن كل توصياتها ستعرض على اللجنة المركزية والمؤتمر القومى .

● عبد الفتاح بخيت

عندما نتكلم عن العمال نركز دائما على قطاع الانتاج ونهمل القطاع الحكومى ، مع ان بالقطاع الحكومى اعداد كبيرة من العمال لا يمثلون فى اى شىء ، واننى كنقابى حكومى امثل العمال فى التربية والتعليم ، وبالتالى فاننى امثل العمال فى السكة الحديد والتليفونات ، وهذه فرصة ونحن نعيد بناء التنظيم السياسى ، فاننا على ثقة فى ان صوتنا سوف يسمع من اجل ان نمثل فى لجان شئون العاملين وان يمتد العمل النقابى الى قطاع الخدمات لان قطاع الخدمات مرتبط بقطاع الانتاج ، والاثنان لا بد ان يكونا نشطين .. فالمستشفى والمدرسة لا بد ان ينشط فيها العمل النقابى لحل مشاكلها وتأمينها .

● السكرتير الاول

اننا فى الزراعة كان عندنا عدد كبير جدا من عمال الزراعة ، وكانت لهم لجنة نقابية بالاضافة الى امانة الاتحاد الاشتراكى التى تعد شيئا آخر .. ولكن هذه اللجنة النقابية .. هل تقف عند هذا الحد .. أم توصل الى اى مستوى ؟ .

● عبد اللطيف بلطية

يمكن ان تصل الى لجنة شئون الافراد ، ولكن هناك مطلب قديم لابد أن نبدأ به وهو تمثيل العمال فى النقابات العامة او الهيئات العامة ولم ينفذ السادة الوزراء هذا المطلب رغم طرحه على السيد الرئيس .

● السكرتير الاول

ان التمثيل النقابى ليس هدفا .

● اسماعيل يوسف محمد

نريد ان يصدر القانون الخاص بخطة التلمذة الصناعية وكذلك الخاص بتنظيم حالة العاملين من الشباب فى الورش .

● السكرتير الاول

السيد مسعد التمامى يحضر الاوراق الخاصة بهذه الموضوعات، واننا لانريد هذه المظاهر المتشككة .

● عبد العظيم المغربى

هذه حقيقة لا شك فيها وهناك الدليل بوجود ٧٦ عاملا فى السجن حتى الان من عمال شبرا الخيمة .

● السكرتير الاول

هنا حادث معين فى شبرا الخيمة وبناء عليه يجرى التحقيق وانا اتكلم عن صورة رجل فى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى وهناك فرق بين نقطتين ..

الاولى سياسية والثانية اجرائية ، ويمكن بحث هذا الموضوع بعد الجلسة .

● محمد عبد السلام

اننا نطالب بان يمثل عمال الحكومة فى لجان شئون العاملين .

● السكرتير الاول

يمكنك بالاشتراك مع الاخ عبد الفتاح بخيت والاخ اسماعيل يوسف كتابة ورقة فى هذا الموضوع عن طريقة تمثيل عمال الحكومة .

● عبد العظيم المغربى

لى مشاكل أريد عرضها شخصيا .

● السكرتير الاول

ليسر لدينا مانع .. بعد الجلسة ...

● لطفى الخولى

مع تقديرى الكامل لاهمية ما سمعته من خلال هذه المناقشة ، فان ماأثير فيها يدخل فى اطار العمل النقابى ، ولا يدخل فى اطار العمل السياسى ، واننى اسمح لنفسى بهذه المصارحة مع اخوانى العمال ، فلا يخفى عليكم اننى « ماركسى » التفكير وعضو فى الاتحاد الاشتراكى ، بمعنى ان لى ارتباطا مصيريا بالطبقة العاملة ، وفى نفس الوقت عضو فى تحالف قوى الشعب العامل بناء على الاهداف القومية المشتركة لجميع الطبقات المتحالفة من اجل تحقيق هذه الاهداف ، سياسيا واجتماعيا .

اننا نخلط كثيرا بين الحركة النقابية والحركة السياسية وهذا الخلط قائم بين ما يمكن أن يسمى بالنقابية وبالطبقة العاملة ، وكاشتراكى استطيع ان اقول ان نسبة الـ ٥٠٪ ليست شرطا اشتراكيا ليمارس العمال حقوقهم السياسية او لتمارس الطبقة العاملة حقوقها السياسية ، وان هذا الشرط جاء نتيجة ظروف المجتمع المصرى الخاصة ، وهو الواقع الكمى والضعف النسبى للحركة النقابية العمالية ، وما زلنا نتحرك فى اطار الحركة النقابية وحدها ، بحيث انه فى النهاية هناك خطر من أن تصبح مغلقة على نفسها وتصبح مغلقة على مصالحها الذاتية الفئوية . ولكن المطلوب حتى لتحقيق هذه المصالح الذاتية نفسها ، وضمانها هو أن تنفتح على المجتمع ككل بحكم وزنها الثورى . اعتقد ان هذه هى الطريقة الاساسية التى يجب أن يركز عليها الاخوان وهى كيف تصبح الطبقة العاملة قيادة حقيقية فى الاتحاد الاشتراكى وليست مجرد حبرا على ورق .

النقطة الهامة فيما يجرى الان فى الاتحاد الاشتراكى هو الوعى بأن يكون تحالفا بين مجموعة قوى وليس بين مجموعة افراد كما هو الحال القائم فى الاتحاد الاشتراكى حتى الان نتيجة ضعف الطبقة العاملة ، وكما تعلمون ان هناك ٧٦٠ الف عامل صناعى ، منهم ٤٧ الفا اصحاب ورش .. هذه حقيقة يجب ان تكون فى ذهننا ونحن نتحدث حقيقة كيف يمكن ان تخرج الطبقة العاملة من اطارها النقابى الى حركة الوعى السياسى الاجتماعى داخل الحركة السياسية فى المجتمع ككل ، وتصبح جزءا من هذه الحركة .

فى تقديرى اننا جميعا يجب أن نعمل من اجل أن نقيم بين طبقات المجتمع تحالف حقيقى بين ثلاث طبقات هم العمال والفلاحون والرأسمالية الوطنية . فى هذه الحركة وجود الرأسمالية الوطنية واستمرارها أمر لا نملكه نحن انما الضرورة الموضوعية تفرضها . ولكن أيضا لايجوز أن تظل الطبقة العاملة اسيرة التنظيم النقابى البحت لدرجة تقف وحسب عند المشاكل النقابية ، فاذا حلت هذه المشاكل انتهى الموضوع ، فلا تتدخل فى رسم السياسة الداخلية والخارجية فى البلد . ولهذا لا يخرج من ابناء الطبقة العاملة حقيقة قيادات سياسية بالمعنى السياسى تستطيع ان تتدخل فى جميع اللجان ، والثقافة ليست حكرا على أحد ، والثقافة السياسية والاجتماعية ضرورية للعمال ، ان الثقافة السياسية والوعى السياسى فى تاريخ العالم الاشتراكى لم يخرج من الطبقة العاملة ، ولم تخرج النظرية الاشتراكية من الطبقة العاملة ، ولكن من فكر المثقفين الذين ارتبطوا بالطبقة العاملة .

القضية فى جوهرها ليست قضية العمال وتمثيلهم او عدم تمثيلهم فهذا امر محسوم نظريا على الاقل . ولكن فى ماذا يمثل هذا العامل أو هذا المثقف من فكر ومن مواقف اساسية، وفكرة الـ ٥٠٪ فكرة مرحلية ضرورية بالنسبة لقضية التواجد والمواجهة العامة للطبقة العاملة والطبقة الريفية نتيجة للضعف الراهن فى خبرتها .

واذا استمرت الطبقة العاملة تعتمد وحسب وبطريقة ميكانيكية على نسبة الـ ٥٠٪ دون اى تقدم سياسيا مخترقة الاطار الاقتصادى الضيق لنشاطها ، فلن تستطيع تحقيق ما تريد .

النقطة الاساسية هنا هى كيف نقيم التحالف بيننا وبين الطبقات الثلاثة ، اعتقد انه يمكن ذلك من خلال فكرة التحالف ومن خلال اتجاه سياسى وطنى تقدمى ... من خلال الارتقاء الى مستوى الوعى السياسى .. اما المشاكل النقابية فهى ليست ذات اهمية الا فى اطار النقابة ، وهنا يثور سؤال .. كيف يمكن اذن لهذه القوة ان تدخل فى اجهزة الاتحاد الاشتراكى وتؤكد ذاتها ودورها ؟

ان قضية الـ ٥٠٪ ليست هى القضية الاساسية التى تكافح من أجلها الطبقة العاملة فهى مجرد تواجد كمى .. ان الطبقة العاملة يجب ان تكافح من اجل مصالحها الحقيقية فى ان تشترك فى تقرير مصير هذا البلد ، وهذا لا يمكن ان يتحقق الا اذا بنى التحالف من خلال عدة افكار .. من الوعى السياسى ... من التطور الاقتصادى والاجتماعى

ومن فهم سليم لقضية التحالف ؟ وان الاتحاد الاشتراكى لم يعد يمثل فكرا واحدا هو فكر البيروقراطية التى كانت مسيطرة فى كل عهود الاتحاد الاشتراكى حتى الان ، والتى كان الاتحاد الاشتراكى فيها بحق حزبا للبيروقراطية تحت اسم تحالف ، وكنا جميعا اصفارا داخل هذا التحالف تحت اسم العمال او الفلاحين او اى اسم ، واننى لا استثنى نفسى فى هذا لاننا بحق اليوم لا نريد ان نكرر عملية الاصفار فى البلد ، وانما نريد ان نتعامل كقوى ، وكيف يمكن ان يقوم تحالف حقيقى وصحى بين هذه القوى جميعا ؟ وكيف يمكن ان ينعكس ذلك على كل بناء الاتحاد الاشتراكى ؟ ...

لقد أثيرت عدة أفكار ، ولكن الفكرة الاساسية هى الخاصة ببناء تحالف وطنى وتقدمى لقوى الشعب العاملة .. تحالف حقيقى لا شكلى . والحوار حول هذه القضية لايزال فى بدايته وبغض النظر عما اذا كان يمثل الطبقة العاملة كلها أو لا يمثلها ، فاننى ارى :

اولا :

ان نتصدى بالنقاش العلمى لقضية المسلمات التى قيدت الفكر البشرى فى مصر مدة طويلة ، وهذا أسلوب هام وضرورى ، وهذه نقطة ايجابية .

ثانيا :

اننا نتعامل مع قوى اجتماعية حية وليس مع افراد .

ثالثا :

ان فكر الاتحاد الاشتراكى يجب ان يحتضن جميع افكار قوى التحالف ولا يغلب فكرا على فكر ، وان الحوار فيما بينها هوالذى يؤدى الى توحيد الموقف السياسى ، وهذا ما عبر عنه السكرتير الاول بأنه قضية الموازنة بين المصالح العامة ذات الوزن القومى المشترك مثل تحرير الارض والاستمرار فى طريق الاشتراكية وقضية الديمقراطية ، والمصالح الحقيقية المتناقضة والمتصارعة لكل من هذه القوى ، وان دور الاتحاد الاشتراكى الاساسى هو كيفية التوفيق بين هذه المصالح ، وكيف يعالج هذه التناقضات ، ولذلك فاننى ارجو من الطبقة العاملة ان تتحمل مسئوليتها التاريخية ، وان تخرج من اطار النقابية عن الحديث عن العمل السياسى فى الاتحاد الاشتراكى والا تكون من اجل طبقة فى حد ذاتها ولكن من اجل المجتمع ككل ، ودون ذلك فسوف تظلون تتعاملون وتعاملون كفئة ، وتحلون مشكلاتكم بالقطاعى ، وهذه قضية لن تؤدى الى نتيجة .

القضية الحقيقية هى ان تتواجدوا ليس بالتمثيل الكمى فحسب ، ولكن يجب ان يكون لكم دور ديناميكى من الناحية الاجتماعية والسياسية ، ولذلك فاننى أرجو عدم التمسك بالشكليات لان هذه الشكليات مع افتقاد الوعى قد تقودنا الى ان تطالب كل فئة بتمثيلها بنسبة معينة فى كل مستوى وهذا ليس عملا سياسيا ، ولكننا فى الحقيقة لابد أن نعترف بنسبة الـ ٥٠٪ للعمال والفلاحين مع الاخذ فى الاعتبار ان هذه النسبة ليست كل شىء وليست شيئا اساسيا ، ولكنها فى المرحلة الحالية تعتبر شيئا ضروريا بالنسبة للمؤتمر القومى واللجنة المركزية ومجلس الشعب . ولكن تبقى القضية الاساسية ، وهى قيام الطبقة العاملة بدورها القيادى المسئول تاريخيا فى المجتمع كله .

وشكرا

● ثابت السفرى

ارجو من السيد السكرتير الاول الا تتكرر المسألة التى اشار اليها الاخ فتحى بالنسبة لشطب المرشحين والا يكون هناك اطلاقا حكم الا بعد محاكمة ؟ وان يكون هناك تحقيق يثبت حقيقة الوضع .

اما بالنسبة لما تحدث عنه الاخوة فيما يتعلق بكيفية ربط التنظيم النقابى بالتنظيم السياسى وذلك بتمثيل التنظيم النقابى تمثيلا صحيحا فى جميع المستويات التى تبدا من مؤتمرات الاقسام حتى اللجنة المركزية ، فاننى ارى ان هناك مسألة هامة ، وهى كيف يمكن ان يدعم الاتحاد الاشتراكى وان تدعم الحركة النقابية التى تعتبر فى الواقع جزءا من الاتحاد الاشتراكى .

فى الواقع نحن فى حاجة الى مايسمى بالثقة بين الجماهير والتنظيم السياسى ، وان تاريخ الاتحاد الاشتراكى سواء كان طويلا او قصيرا يدلنا من واقع الاحداث الماضية ان الثقة تفقد بالتدريج بين الجماهير والاتحاد الاشتراكى حتى بدات الجماهير تمل الاتحاد الاشتراكى ، لان الثقة تكاد تكون غير موجودة الان بينها وبين هذا التنظيم السياسى .

واذا اردنا ان نبحث اسلوب العمل بالاتحاد الاشتراكى وما الفائدة من وجوده نجد ان الفائدة هى حل مشاكل الجماهير العاجلة ، وربما لا يكون ذلك الهدف الاوحد ولكنه اهم الاهداف حتى يمكن ان ترتبط الجماهير بالتنظيم ، وكما تعلم ان الناس يلتفون حول من لديه القدرة على حل مشاكلهم وهذه حقيقة مؤكدة .

فى كثير من الاحوال نجد ان المشاكل التى تعرضها الجماهير مشاكل حقيقية وتحتاج الى حل ، والاتحاد الاشتراكى يتبناها ويقوم بتصعيدها الى القمة ، والقيادة السياسية تشعر بعدالة هذا المطلب ولكن المطلب يظل جامدا ولا يحل ، من هذا يحدث فقدان الثقة بين القيادة السياسية وبين القاعدة ، فمن الملاحظ ان هذه الثقة تفقد نتيجة الصراع الموجود بين الجهاز التنفيذى وبين الجهاز السياسى .

واعتقد ان السادة امناء المحافظات تكلموا مع سيادتك فى هذا الموضوع كثيرا .

ان الجهاز التنفيذى يصارع على عدم حل المشاكل ، فتجد الطبقة المنحرفة سبيلها بين الجماهير للتأثير عليهما ، وكما حدث فى بعض الشركات او فى المؤسسات كان نتيجة ذلك اهدار الحقيقة فى كثير من الحالات .

لقد ابدى الاتحاد الاشتراكى رايه فى المطالب التى تقدم بها العمال اليه بأنها مطالب عادلة ولكن الجهاز التنفيذى اهمل تنفيذها وارجو لهذه المسألة المهمة ان نجد لها حلولا اذا اردنا حقيقة ان ترتبط الجماهير بالاتحاد الاشتراكى ، واذا اردنا ان تكون هناك حركة نقابية لان الجماهير لا تعطى الثقة الا لمن يحل مشاكلها - وبخاصة فى هذه المرحلة بالذات .

● عبد اللطيف بلطية

لى تعليق على كلام الاخ لطفى الخولى ، وهو ان سيادته جاء متأخرا فى الحضور ، وبالتالى لم يستمع الى كل ماقاله الاخوة الزملاء ، فقد كان الحديث فى بداية الجلسة سياسيا ١٠٠٪ ولم يكن فى يوم من الايام فى فكر الحركة النقابية ان تحتوى نفسها ، والحديث الذى دار عن الحركة النقابية فى مصر هو انها لا بد وان تأخذ وضعها الطبيعى فى كافة مؤسسات الدولة فى صنع وبناء الحياة وهذا ما حدث ودارت حوله المناقشات ، الا ان بعض الاخوة قد اثاروا بعض المشاكل الفردية ويمكن مناقشتها مع السيد السكرتير الاول فى مكتبه .

اما عن مسألة الصراع فهذا اللفظ لا يحتمل بسهولة فأى صراع تريد ؟ وبين من ؟ العامل ابنه دكتور والعامل ابنه مهندس والعامل ابنه محام ، فأين الصراع وكيف

يتضارعون ؟ .. اعتقد انه يمكن تغيير هذه الكلمة الان ونحولها الى حوار بين ثلاث طبقات عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية ، وفى حديثنا الذى دار اننا نعمل داخل اطار تحالف قوى ولم نعد نخاف من شىء فى هذا المجتمع ، وانا كمواطن فى القرية لم اعد اخشى الاقطاعى لانه غير موجود ، وفى المصنع لم اعد اخاف من صاحب راس المال لاننى اصبحت شريكا له ، وفى مجلس الادارة داخل المصنع ، فمن اصارع؟ ان انسب الصيغ التى يمكن ان نتعامل فى اطارها اليوم هى الصيغة الحاليــة . وما هو الفــرق بين المثقفين وبين العمال ، لم يعــد هناك جهلة فالذى لم يتعلم اصبح ابناؤه متعلمين .

اننا اليوم نريد ان نعمق شيئا ، فهل نريد أن نعمق كلمة الصراع ؟ .. لا .. انما نريد ان نعمق كلمة الحــوار .. وكلمة التحالف انسب الاساليب لمجتمعنا ، هذا هو الفكر الذى يجب ان يطرحه العمال ونحن نريد ان نتحالف ولانتصارع ولابد من وضع هذا الفكر .

والعمال فى كل مكان يقولون الارض والمعركة ، ولم يتكلموا فى مسائل غير هذا لانهم خرجوا من الاحتواء التقليدى وعلينا ان نبحث عن لفظ آخر غير كلمة الصراع .

● نصر الدين احمد مصطفى

نريد ان نحدد علاقة التنظيم السياسى ومدى التزام الجهاز التنفيذى بتنفيذ قراراته .

وربما كانت هذه مشاكل فرضت نفسها على التنظيم السياسى وابدى رايه فيها كلها ، والجهاز التنفيذى لم يول توصياته او قراراته أهمية ، وربما كانت هــذه الحلقة المفقودة فى العلاقة بين الجهاز التنفيذى والتنظيم السياسى ، ثم حدثت مشاكل مثل ما تم من فصل مئات العمال دون وجــه حق وقد رفضت النيابة واللجنة الثلاثية والاتحــاد الاشــتراكى فى جميع مستوياته هذا الفصل ولكن الجهاز التنفيذى لم يعط اى اهمية لهــذا .

ومن هنا علينا ان نبحث انسب الظروف التى تحدد لنـا العلاقة بين الجهاز السياسى والتنفيذى ، فالجهاز السياسى منفتح على الجماهير وينظر فى مشاكل مئات العمال وهذه المشاكل لازالت قائمة منذ سنة ١٩٦٨ حتى الان . كما ان هناك موضوعات اخرى مثل القرار الذى اصدرته سـيادتك برفع اجور آلاف العمال فى الجمعيات الزراعية ، فهل هذا القرار يطبق على العمال الاخرين فى قطاع الصناعة ؟

● السكرتير الاول

بالطبع يجب ان يطبق عليهم .

● نصر الدين احمد مصطفى

هذا مااردت ان اسمعه من سيادتك ، وهنــاك موضوع آخر فى شركة اتوبيس الوجه القبلى لقيامها بفصل ٢٠٠ عامل وقد طلبت لجنة المحافظة بالاتحاد الاشتراكى بعــودتهم الى عملهم الا ان الجهاز التنفيذى لم يستجب لهذا الراى .

● أحمد العماوى

بالاضافة الى ما قاله الزملاء ردا على كلام السيد لطفى الخولى ومع اننى متفق معه فى أشياء كثيرة الا اننا لانكافح ولا نناضل من اجل الـ ٥٠٪ بطبيعة المرحلة التى يمر بهـا المجتمع المصرى فان الطبقة العاملة ليست ضعيفة ولكن اريد بها ان تكون كذلك وليس عندى المثقف الثورى مثل الســيد لطفى الخولى وانما عندى العامل الذى يعانى من حــل مشاكله ، وليس لدى النظرية السياسية الجاهزة فى الاسلوب السياسى الكامل ، فنحن لسنا ماركسيين حتى نقول ان النظرية الماركسية جاهزة بكل تفاصيلها ، ولكننا فى مرحلة تأصيل فكر عبــد الناصر وثورة ٢٣ يوليــو بما يتلاءم مع المجتمع المصرى ولا نستطيع ان نتكلم عن الفكر الماركسى ولا يمكن ان نتكلم عنه ، لكن دورنا فى بعض الاحيان هو اننا نريد ان نؤصل ما حدث منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وان نجعــل هذا هو دورنا كتنظيم نقابى ، وبالتالى اين نوجد فى هــذا المجتمع وأين مكان هذا الفكر العمالى وأين هو من مختلف قوى التحالف حتى يمكن ان نتقدم ونشترك فى بناء هــذا المجتمع من خلال هذا الفكر ، وكما قلنا اننــا نريد تحــديد الاطار الفكرى للاتحاد الاشتراكى ، وفى الحقيقــة هذه هى اول جلسة ، ونحن فى حاجة الى فرصة لدراسة التنظيم النقابى المصرى ، ونحن نؤمن بأنه يجب الا يكون مطلبنــا الرئيسى هو نسبة الــ ٥٠٪ للعمال والفلاحين فقط ، وانمــا يجب ان ننفتح ومن خلال اللجان الموجودة لا بد ان نمثــل فى لجنة الدعوة والفكر ولجنة الشئون السياسية لاننــا يجب ان نكون على علم بما يدور داخل هذه اللجان حتى نضمن مكاننا كطبقة حسب مفهوم الاستاذ لطفى الخولى ، فان وجودنا فى هذه اللجان يجعلنى اشترك فى صياغة اسلوب العمل ، والمطلوب منا هو الانفتاح الاكثر على مختلف القوى وتأصيل الفكر المصرى ، وبعد المرحلة الطويلة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ومن ١٩٦١ بعد الميثاق .. بعد هذا المشوار الطويل يجب ان نقف وقفة نبلور فيها الفكر المصرى .. وشكراً .

● رافت فهيم

اننى اؤيد الاخ عبد اللطيف بلطية والاخ العماوى ، ومع احترامى لكل ما قيل .. اود ان اقول اننا لا نريد اشتراكية ايا كانت ، ولكننا نريد اشتراكية تكون بصماتنا عليهــا .. اشتراكية تنبع من خلال مشاكلنا وعمالنا .. من خلال ارضنا وبلدنا .. اشتراكية غير مستوردة يكون لنا فيها مكان ودور كما يكون لكل فلاح وعامل ، ونعرف فيها مصلحتنا بغض النظر عن كل الالفاظ الرنانة التى ليس لها قيمة ... هذا مااردت ان اقوله . وشكرا .

● السكرتير الاول

بالنسبة لحضوركم فى اللجان الفرعية ، فقد اتخذنا قرارا ، وسوف تخطرون بهذه اللجان لكى تحضروها ، واننا سوف نجتمع فى لقاءات اخرى ايضا .

وبودى أن أبدى ملاحظة صغيرة ، وهى اننى فى الحقيقة بعيد عن المشاكل العمالية ، وهذه نقطة لا بد ان اعترف بها ، واننى قد اعرف مشاكل الفلاحين جيدا بحكم عملى معهم مدة طويلة .. اما مشاكل العمال فقد كنت بعيدا عنها فى الواقع ، ولذلك فاننى أرجو أن تخصص جلسة لهذه المشاكل ولتكن بعد الجلسة القادمة التى سنستكمل فيها بحث التنظيم السياسى ، وارجو منكم فى هذه الجلسة ان تصرحوا لى بجميع المشاكل العمالية .. حتى اعرف ما الذى تريدونه وأكون معكم فى الصورة . وشكرا .

[[وانتهى الاجتماع فى تمام الساعة العاشرة مساء]] .

اجتمـــاع لجنـــة الفـــلاحين

يوم الاحد ١٨ ابريل ١٩٧٢

اجتمعت اللجنة الفرعية للفلاحين فى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٨ ابريل سنة ١٩٧٢ ، ورأس الاجتماع السيد المهندس سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية ، وحضره كل من :

- محمد مهدى شومان
  امين شئون الفلاحين
- خالد محيى الدين
  عضو لجنة العمل
- الدكتور صلاح العبد
  وكيل وزارة الاصلاح الزراعى
- المهندس حلمى عبد البر
  وكيل وزارة الاصلاح الزراعى
- المهندس سعد هجرس
- احمد يونس
- المهندس ناصف طاحون
- المهندس محمود فوزى
- خلف الله مهنا
- رشاد عمران
- عبد الحكيم موسى
- اسماعيل عز الدين اسماعيل
- محمد عبد العليم مسعود
- سيف الدين القبانى
- عبد العزيز المصيلحى
- احمد فخرى قنديل
- السعيد البيلى

● السكرتير الاول

باسم الله ..

انتتح هذا الاجتماع ضمن اجتماعات اللجان الفرعية التى تتفرع من لجنة العشرين للنظر فى تعديل أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى ، وسوف يستعرض الاخ شومان ورقة العمل لكى يعطينا صورة عن تنشيط العمل السياسى فى الريف ثم نسمع آراء الاخوة ، وبعد ذلك نفتح باب المناقشة ■

● محمد مهدى شومان

لا شك أن العمل السياسى فى الريف — الذى يكون القاعدة الجماهيرية العريضة للاتحاد الاشتراكى العربى — فى حاجة الى عملية تنشيط واسعة لكى يؤدى دوره كاملا فى هذه المرحلة .

ومن هنا لابد من التركيز على أن العمل السياسى عمل .. ولكل عمل برنامج .. ولكل برنامج اهداف ووسائل ،

والاعداء لابد أن تكون من أعداء الجماهير .. والجماهير هم وسائل تنفيذها ..

ولما كان العمل السياسى فى القرية والمصنع والحى والشياخة هو المعيار الحقيقى الذى يتم على ضوئه الحكم على التنظيم السياسى أما بالنجاح واما بالفشل .. فاننى اعتقد أن نجاح الوحدة السكنية أو الوحدة الجماهيرية هو نجاح للتنظيم بكل مستوياته فاذا نجحت نجح التنظيم كله ، واذا فشل ، فشل التنظيم كله لان الجماهير صاحبة المصلحة نعيش فى تجمعاتها بهذه المواقع ومشاكلها نابعة منها .

كما وأن بناء التنظيم بدأ أولا قاعديا حيث بدأ الانتخاب من الوحدة ثم سار تصاعديا حتى وصل الى المؤتمر القومى العام فاللجنة المركزية ، اذن لابد أن يبدأ التنشيط بوضع أسلوب عمل للقواعد يكون واضحا ومحددا يمكن تطبيقه وربطه بالمستويات الاعلى حتى يصبح الاتصال قويا وسريعا ونشطا .

واذا تحدثت عن المعوقات التى اعترضت نشاط التنظيم السياسى فاننى أشير الى أهم الاسباب التى فرضت على التنظيم ، ذلك الجمود والتقوقع مما افقده الثقة الجماهيرية وجعلت من التنظيمات المساعدة له جبهات مناهضة تنتقده بشدة وتبتعد عن الالتحام به ، وبالتالى فان جماهير الشعب أحست بأن املها الذى عقدته على دور التنظيم بدأ يتضاءل ويهدد بالتباعد بينه وبين قواعده .

سأتناول سببا واحدا هاما جدا فى تصورى ، وهـذا السبب هو الفراغ وعدم الربط بين التنظيم السياسى والاجهزة التنفيذية .

نحن نعلم أن الاجهزة التنفيذية هى التى تملك الامكانيات المادية كما تملك وسائل التنفيذ الفورى دون غيرها ، وأن التنظيم السياسى لا يملك أكثر من قدرته الفكرية والتوجيهية باعتباره ممثلا للشعب يحس باحساسه ويعيش حياته ليمكنه ان يعبر عن مطالبه تعبيرا واقعيا بما يتمشى مع ارادته ، خصوصا فى مرحلة التحول الى الاشتراكية .

فالسلطة السياسية والسلطة التنفيذية لابد وأن تشتركان معا فى النهوض بالمجتمع فى هذه المرحلة ، فبدونهما أو بدون أى منهما لا يمكن أن نتخطى هذه المرحلة بالشـكل الذى نتصوره ، وأود أن أعطى مثالا على ذلك :

عندما تبرز مشكلة من المشاكل العامة بين الجماهير ويتولى التنظيم السياسى اقتراح الحل لها بما يتمشى مع رغبة الجماهير والمصلحة العـامة فان ذلك يحتاج الى معونة الجهاز التنفيذى الذى يملك الامكانيات لتلبية هذه الرغبة ، واذا لم يتم ذلك تصبح حركة التنظيم اصواتا تتشتت فى الهواء دون اية نتائج ، ومن هنا يبدأ تقييم الشعب لقدرة التنظيم فتهتز ثقته ويلجأ الى الاجهزة التنفيذية مباشرة لانه عرف مصدر الامكانيات والتنفيذ .

اذن هناك حلقة مفقودة وهى طريقة الربط بين التنظيم السياسى والجهاز التنفيـذى ، بحيث تكون القـدرة الفكرية والتنفيذية فى اطار واحد يمكن أن يواجه كل متطلبات الجماهير بما فيها رغبات التنظيمات المساعدة .

فالاسباب التى أدت الى بعد التنظيمات المسـاعدة عن التنظيم الام هى نفس الاسـباب المشار اليها ، لان لهـذه التنظيمات دورها فى حل مشاكل أفرادها نقابيا وتعاونيا ، كما أن هذه التنظيمات تنظر الى التنظيم السياسى على أنه قادر على حل المعضلات التى لا يمكن للنقابات أوالتعاونيات حلها ، ولكن ماظهر كان العكس مما ادى الى هذه النتائج .

ولذلك فاننى أركز فى هذا التصور على جزئية قد تكون هى البداية التى يمكن الانطلاق منها الى المستويات الاخـرى لتحقيق الهدف ، هذه الجزئية هى « العمل السياسى فى القرية والمصنع والحى » ، انه مناخ العمل وموقع التجمع ومعيار التقييم .

وبالنسبة للعمل السياسى فى الريف فان الحاجة ماسـة الى سرعة اعداد ورقة عمل ودليل يشمل برنامج العمل .. والاهداف .. ووسائل تنفيذها .. بهدف ايجاد الوضوح الفكرى الكامل لطبيعة المرحلة التى نمر بها وما تفرضه من مهام وواجبات .

واننى أقترح هذه الافكار على ضوء ما تضمنته الوثائق الثورية الاربعة — الميثاق — بيان ٣٠ مارس — الدستور — برنامج العمل الوطنى — فى ورقة العمل ، وتتضمن ورقة العمل هذه برنامج العمل السياسى فى الريف ، ويتركز هذا البرنامج فى الآتى :

١ — ضرورة بناء دولة القرية الحديثة .
٢ — العمل على ارساء علاقات اجتماعية انسانية جديدة
٣ — زيادة الانتاج الزراعى بنسبة ٥٠٪ حتى عام ١٩٨٠

كما تناولت ايضا واجبات وحدات الاتحـاد الاشتراكى بالريف لتنفيذ البرنامج ، وكذلك أهداف العمل السياسى فى الريف .

وبالنسبة لاسلوب التنفيذ فان تنفيذ هذه الاهداف يتطلب وحدة العمل السياسى والتنفيذى فى كل قرية وضمان الفاعلية والقدرة على انجاز المطالب وحل المشاكل بالنسبة للجماهير ، ويتطلب هذا توسيع القاعدة فى الوحدة الاساسية بالقرية لتكون بحق لجنة للعمل الوطنى ، ويطلق عليها لجنة العمل الوطنى ، وتتكون هذه اللجنة من :

١ — الاعضاء المنتخبون [لجنة العشرة] بالقرية .
٢ — ممثل عن الجمعية التعاونية الزراعية [رئيس الجمعية]
٣— ممثل عن مجلس القرية [رئيس المجلس]
٤ — ممثل عن التعليم [ناظر المدرسة]
٥ — ممثل عن الوحدة الصحية [طبيب الوحدة]
٦ — ممثل عن نقابة العمال الزراعيين [رئيس اللجنة النقابية]
٧ — ممثل عن علماء الدين [خطيب المسجد]
٨ — ممثل عن الزراعة [المشرف الزراعى وهو مدير الجمعية التعاونية الزراعية] .
٩ — ممثل عن الشباب ان لم يكن بلجنة العشرة
١٠ — ممثلة عن المرأة ان لم تكن بلجنة العشرة

على أن يكون رئيس هذه اللجنة هو أمين الوحدة المنتخب ، مع ملاحظة الآتى :

١ — أن يكون حق التصويت بالنسبة للقرارات هو للجنة العشرة فقط حتى لا تختل نسبة الـ ٥٠٪ للفلاحين والعمال فى اللجنة ، لانه اذا منحنا هذه العنـاصر الجديدة حق التصويت لاختلت النسبة وفقدنا الشرط الاساسى الذى كفله الميثاق لهاتين الفئتين حفاظا على حقها .

٢ — توضـع خطة مشتركة بأن يقدم كل ممثل لجهـاز من أجهزة الخدمات مالديه ، عن خطة وزارته فى القرية بحيث تكون لدينا خطة متكاملة فيلتزم الجانبين الشعبى والتنفيذى بالعمل على تنفيذها .

٣ — يكون لكل لجنة هيئة مكتب من ثلاثة اعضاء من بينهم الامين والامين المساعد لمباشرة العمل اليومى بالتناوب ولاعداد جدول أعمال اللجنة بمعنى أن يكون هناك عضو متفرغ يوميا .

٤ — تجتمع هيئة المكتب اسبوعيا — وتجتمع اللجنـة الموسعة كل نصف شهر .

٥ – يشكل من بين أعضاء اللجنة الموسعة لجان نوعية كلجنة الفلاحين – العمال – الصحة – التعليم – الشئون الاجتماعية – الشئون الدينية .

٦ – ايجاد مقر دائم للجنة الوحدة الاساسية .

٧ – تحديد نسبة من الاشتراكات لتأثيث المقر وشراء احتياجات اللجنة من مطبوعات وتيسير الانتقالات وباقي أوجه النشاط اليومي للوحدة الاساسية .

٨ – يمكن أن ينسحب هذا الشكل على لجنة المركز أو القسم ، مع ربط الاجهزة والتنظيمات المساعدة التي في نفس مستوى كل منها بها على أن يتم ذلك على المستويات الاعلى ايضا .

فالعمل السياسي الحقيقي ووحدة الهدف هما الوسيلة الوحيدة لربط مستويات التنظيم بالتنظيمات المختلفة .

ومن هنا فان وضع الخطة السنوية المتكاملة والمقسمة الى خطط شهرية أو ثلث سنوية على ضوء أهداف العمل السياسي .. والعمل على مراقبة تنفيذ هذه الخطة سيحقق الهدف منها ، ولهذا لابد أن ترتبط خطة لجنة المركز بخطط القوى التابعة لها ، وأن تكون هناك مشاركة ومتابعة في تنفيذها ، وذلك من خلال تقييم العمل السياسي كل ثلاث شهور وتوضيح الايجابيات والسلبيات والعمل على تلافيها ، وهذا يتطلب التحام لجنة المركز بالعمل في القرى من خلال وجود مسئول سياسي لكل عدد من الوحدات يتفرغ لمتابعة تنفيذ الخطة ويكون همزة الوصل بين لجنة المركز ولجان القرى هذا علاوة على ضرورة عقد اجتماعات دورية شهرية لامناء اللجان بالقرى مع لجنة المركز .

ولكي تؤتي جهودنا ثمارها لابد وأن ننظمها ببرامج تنفيذية مفصلة وموزعة على فترات زمنية محددة يتم وضعها على ضوء الاهداف ، وتوزع هذه البرامج على المستويات المختلفة هذا هو الطريق لكي يحل المواطن المشارك محل المواطن المتفرج في تنظيمنا القائد ، وكما قال الرئيس السادات أن علينا فردا فردا ومؤسسة مؤسسة ، الدولة والاتحاد الاشتراكي والتنظيمات النقابية العمالية والمهنية والتعاونية علينا جميعا أن نبذل كل مافي طاقاتنا من جهد .. والله ولي التوفيق .

● **أحمد يونس**

في الحقيقة أود أن أتكلم في نقطتين .. أولا هناك سؤال يطرح نفسه ، ففي كل ورقة من أوراق الاتحاد الاشتراكي تقرأ كلمة انتهازية ورجعية حتى أصبحت موضة لماذا توجد الانتهازية في الاتحاد الاشتراكي ؟ .. والرد على هذا هو أن الانتهازية موجودة أساسا لان شرط العضوية العاملة في الاتحاد الاشتراكي مطلوب لكي تكون شيئا .. فالناس تأخذ هذه الرخصة من أجل أن تحقق مآربها الشخصية فمثلا لا أتصور أن وظيفة شيخ بلد لا تشغل الا اذا كان صاحبها عضوا عاملا في الاتحاد الاشتراكي ، في حين يجب أن تكون شروط هذه الوظيفة غير ذلك مثل حسن السير والسلوك ، ونظام المعيشة الخاصة بالمرشح أن تكون طيبة .

فاذا الغينا هذا الشرط فالانتهازيون – بطبيعتهم – الغير مؤمنين بالاتحاد الاشتراكي سوف يبعدون عن الاتحادالاشتراكي لانني حينما أريد أن أفرز المخلص للاتحاد الاشتراكي عن غير المخلص ساجد هناك صعوبة شديدة ، لان هناك المنافقين والكذابين والانتهازيين موجودين في الاتحاد الاشتراكي .. فقط من أجل الحصول على الرخصة التي تمكنه من أن يشغل أي وظيفة في الدولة .. اذن معنى هذا أن شرط العضوية هو الذي يدفع الناس ليكونوا انتهازيين .

لذلك .. أرى أن نشطب هذا الشرط ، وبهذا الاسلوب يمكننا أن نطهر الاتحاد الاشتراكي حتى اذا أراد احد أن يدخل الاتحاد الاشتراكي يأتيه يدخله بايمان واقتناع .

فنحن لا يهمنا الكثرة العددية ففي البلاد الاشتراكية والشيوعية نفسها نجد أن نسبة أعضاء تنظيم الحزب ضئيلة بالنسبة لعدد السكان ، فالمسألة ليست مفتوحة لكل من « هب ودب » ليكون لدينا ٦ ملايين عضو في الاتحادالاشتراكي أغلبهم غير مؤمن به .

فما يحدث في القرية هو انني أحضر بعض الفلاحين وبعض النساء وادفع عن كل منهم قرشين رسم الاشتراك واجعلهم رصيدا لي حتى اذا دخلت الانتخابات يكونوا هم القاعدة التي استند عليها في ذلك .. وبالعكس فان رأيي عندما يكون في القرية عشرة مؤمنين بالاتحاد الاشتراكي سوف يكون لهم فاعلية أكثر من الالف الموجودين ، وهم السلبيين الذين يظلمون الاتحاد الاشتراكي بانضمامهم ويظلمون أنفسهم أيضا .

كلنا في القرى وكلنا عمل هذا .. من منا لم يفعل هذا ؟ ولم يحضر العاملين عنده وأقاربه ونساء القرية لكي يضمن الاصوات ؟ .

ولذلك لابد أن تخف هذه المسألة بحيث لا يضم التنظيم الا المؤمنين فعلا بالتنظيم والايجابيين الذين يمكن الاعتماد عليهم في أي ظرف من الظروف ، فحينما نعود بالبصر الى المرحلة الماضية نجد أن أعضاء الجهاز الطليعي وهم الخلاصة المنتقاه قد هربوا وقت الجد .. لماذا ؟ لان المسألة وسيلة وليس فيهم مؤمن ولا يوجد ايمان بهذه العملية .

كلنا في الحقيقة يعلم أن الاتحاد الاشتراكي ليس حزبا ، لكننا نريد أن نعطي له روح الحزب ، ونريد أن نجعل الناس تحس أنها مرتبطة بهذا التنظيم وتغير عليه لان ما يحدث اننا كقيادات نجتمع في اللجنة المركزية رغم ذلك نسب في الاتحاد الاشتراكي ونتهكم عليه وهذه حقيقة يجب أن تقال ويجب أن نعالجها بأي أسلوب .

المسألة الثانية بالنسبة للوحدة الاساسية في القرية ، أرى انه من الضروري أننا نضم لوحدة القرية رئيس مجلس القرية ليمثل الجهاز التنفيذي .

● **السكرتير الاول**

ليس كل قرية فيها مجلس قروي .

● **أحمد يونس**

هذا صحيح وبالتالي نحن بصدد ايجاد وسيلة لهذا .

● **السكرتير الاول**

معنى ذلك أنه ضمن المقترحات الموجودة أنك تقوم بعمل مستوى فوق اللجنة الاساسية ثم تقوم بعمل مستوى ثان .

● **أحمد يونس**

لا أبدا ، فالمتبع أن رئيس مجلس القرية يكون في البلد الكبيرة ، أما البلد الصغيرة فيكون فيها عضو واحد فقط .. ولكنني حينما أنظر للوحدة وأجد أن الدكتور وناظر المدرسة ومدير الجمعية .. كل هؤلاء يضافوا ، أجد أن الجماهير تطالب الوحدة الاساسية بالنظر في هذه المسائل لكي تسير الامور في الخط السليم لانه عندما يكون هؤلاء موجودين سوف لايظهر صوت الفلاحين المساكين أعضاء الوحدة الاساسية ، والبلد التي يوجد بها مجلس قرية يكون فيها رئيس مجلس القرية على أساس أنه يمثل الجهاز التنفيذي .

لكن تجاهل العمدة ورئيس الجمعية التعاونية شيء غريب ، لابد أن يكونا اعضاء فى الوحدة ، فلماذا نتجاهل العمده مثلا وهذا الرجل جاء منتخبا بانتخاب أوسع من أعضاء الوحدة كلها فهو منتخب على المستوى الشعبى ، والعمودية الان ليست بالصورة القديمة بل أصبحت وظيفة لها طابع سياسى والعمدة رجل منتخب من الشعب ، وعندما نقيمه من الناحية السياسية والديمقراطية نجد أنه يحوز ثقة أكثر من أعضاء الوحدة جميعا ، فبتجاهله توجد صراعات داخل القرية فقد نجد أن أحد أعضاء لجنة الوحدة يحب أن يظهر نفسه على العمدة من ناحية كما قد نجد أن العمدة يريد أن يبين للقرية أن هؤلاء ليس لهم قيمة من ناحية أخرى ، فتصبح اللجنة شبه جامدة .. فعندما تريد لجنة الاتحاد الاشتراكى القيام بمشروع مثل تطهير ترعة أو غيره من المشروعات التى تريد عملها بالحلول الذاتية ، نجد أن العمدة يحارب المشروع من أجل هدم هذا النشاط .

ولذلك أرى أنه من الضرورى ضم العمدة لوحدة الاتحاد الاشتراكى على اساس انه رجل منتخب .

الموضوع الاخير .. وهو الجهاز الطليعى العلنى فلابد ان يقوم داخل الاتحاد الاشتراكى ..

أما اسلوب التثقيف فأرجو أن يعاد النظر فى كل هذه التحريفات التى حدثت والتى كانت تلقن لابنائنا فى منظمة الشباب من تزييف للتاريخ الحقيقى لمصر ، يجب أن يعاد النظر فى هذا بواسطة مجموعة من العلماء المتخصصين الامناء الغير منافقين ، لكى يكتبوا تاريخ مصر بحقيقة لابالاسلوب الذى كنا نقرأه فى المطبوعات الخاصة بمنظمات الشباب والذى كان يقوم بكتابته بعض الناس المغرضين .

هذه هى ملاحظاتى البسيطة .. وشكرا .

● السعيد البيلى

فى الحقيقة حينما ننظر للعرض الذى عرضه الاخ مهدى شومان من المشكلة الموجودة حاليا والمتمثلة فى ما هى وسيلة الربط بين الاجهزة التنفيذية فى البلد وبين التنظيم السياسى الام فى الوقت الذى لاتوجد تنظيمات سياسية غيره فى البلد وعندما ننظر الى هذه النقطة نجد أنه فعلا لا يمكن أن تتوافر وسيلة الربط الا اذا كانت هذه الاجهزة داخل التنظيم السياسى بوسيلة أو بأخرى ، فمن الممكن أن تكون فى اللجان النوعية داخل لجنة الوحدة فى الاتحاد الاشتراكى لانه لا يمكن القول بأن رئيس القرية يمكنه أن يمثل كل الاجهزة التى ذكرها الاخ شومان طالما أن القرى ليس بها اليوم رؤساء مجالس قرى ، واذا قلنا بأنه يحل محل رئيس القرية فى اللجنة أحد أعضاء مجلس القرية ، فاننى اعتقد أن أى عضو فى مجلس القرية ليست له الصفة الكاملة أو الوزن الكامل الذى يؤهله بأن يكون صاحب رأى قاطع على كل الاجهزة التنفيذية الموجودة فى دائرة القرية أو فى دائرة المجلس .

اذن الاساس هو أن تكون كل هذه الاجهزة داخل لجنة الوحدة بوسيلة أو بأخرى .

وأقترح أن تكون فى اللجان النوعية ولا تكون فى لجنة الوحدة الاساسية ، بحيث تكون اللجان النوعية مشكلة من لجنة الوحدة الاساسية ثم تصب كل اللجان فى اللجنة الام وهى لجنة الوحدة الاساسية .

هذه وجهة نظرى فى وسيلة الربط التى يمكن أن نتكلم فيها اليوم لانه لا يوجد الان بديل عن هذه العملية .

النقطة الثانية بالنسبة للنقط التى طرحها الزميل احمد يونس الخاصة بالمشايخ ، اننى أختلف بعض الشيء وقد أكون مخطئا ، انما أقول أن أقل شيء فى الربط بين كل الاجهزة وبالنسبة لمشيخ البلد أو العمدة لابد أن يكون هناك ارتباط كامل بالعضوية العاملة فى الاتحاد الاشتراكى ، لانه اذا كان فى البلد تنظيمات متعددة لا يمكن أن نربط أحد بجهاز ونقول له بأن يأخذ عضوية الاتحاد الاشتراكى .

أما بالنسبة للاشتراكات ، فان لجنة الوحدة لا يجنب لها نصيب من هذه الاشتراكات لكى تمارس نشاطها وبالتالى نجد ان نشاط اللجنة شبه جامد حتى البوستة اليومية والعمل اليومى شبه منعطل ، وبالتالى أرى أنه لابد أن يصل هذه الوحدة جزء من الاشتراكات حتى يمكنها أن تدير شئونها وتتحرك الحركة التى يجب أن تكون فى الاتحاد الاشتراكى .

هل يسمح لى السيد السكرتير الاول بأن نتكلم فى الامور الاخرى مثل قانون الاتحاد الاشتراكى ؟ .

● السكرتير الاول

تفضل ...

● السعيد البيلى

فى الحقيقة حينما ننظر الى طريقة تشكيل الاتحاد الاشتراكى ، نجد أن القانون ينص على أن لجنة الوحدة الاساسية مدتها سنتين ، وكلنا يعلم أنه بعد اجراء الانتخابات نجد أن هناك خلافات ، وهذا ما يحدث دائما لان الانتخابات تولد خلافات ، بعد ذلك نبدأ فى عملية تصفية الخلافات وهذا يستغرق وقتا طويلا ، ومن ناحية أخرى كيف تتسلم الوحدة الاساسية مهام العمل من الوحدة السابقة ، نجد أن ذلك أيضا يستغرق وقتا لان اشخاصا يحلون محل أشخاص ، فعمليات تصفية الخلافات واحلال الجدد محل القدامى كل هذا يستغرق حوالى سنة ، وبعد ذلك يبدأ العمل عدة شهور ، ثم لا تلبث أن تجرى الانتخابات التالية بعد سنة .

ولهذا أرى أنه من المفروض أن لا تقل مدة لجنة الوحدة الاساسية عن أربع سنوات ، على أساس انه فى خلال المدة وهى الاربع سنوات يمكن للجنة أن تقيم نفسها ويمكنها أن تؤدى عملا ويمكنها أن تقدم حصيلة للشعب وبالتالى يمكن أن نقول للشعب ما هى خطة عملنا فى هذه المدة وما أنجزناه منها ، ولكن لا يمكن القول أن ذلك يمكن أن يتم فى سنتين فقط ويدخل ضمنها العوامل الذى ذكرتها .

واقترح أن ترتبط دورة لجنة الوحدة الاساسية مع دورة لجنة المركز على أن تكون أربع سنوات .

وعندما نتكلم فى القانون بالنسبة لتعريف العامل والفلاح .. هذه مشكلة صعبة .. فالفلاحون قد أنقرضوا وسوف ينقرض الباقى فى الايام المقبلة حتى لا يكون هناك فلاحين ، فما هو السبب فى هذا ؟ .. ومن هو الفلاح الحقيقى ؟ ..

فى رأيى أن الفلاح ذو الفدادين سواء ملكا أو ايجارا أو اصلاحا زراعيا ، لكننا لانجد ماهو الفلاح الذى برز وأصبح ظاهرا للناس ، فالفلاح الحقيقى الذى تريد له أن ينمو لا تظهره عملية التعريف الحالية بل تنزله لتحت .

كما أن التعريف للعمال ورد فى القانون باتساع ، ويترك العمال والفلاحون فى نسبة واحدة وهى الـ ٥٠٪ على الاقل رغم ذلك نجد أن بعض من يحمل صفة العامل يتدرج فى الوظائف حتى عضوية مجلس الادارة والمناصب الكبرى التى يصل مرتب بعضها الى مائتى جنيه فكيف يمثل العمال مثل هذا الشخص وكيف يكون حريصا على مصالحهم ، وهل يستوى هذا مع العامل الذى يتقاضى سبعة جنيهات ونصف ، وهل يمكن للعامل البسيط أن يدخل الانتخابات أمام من يدعى أنه عامل والذى لديه المال والنفوذ ، اعتقد انه لا يمكن ذلك

ولهذا أرى أنه من الضرورى اعادة النظر فى هذه المسألة ، ومن ناحية أخرى نجد أن الفلاحين الكبار — وهذه ظاهرة

كلنا يعلمها — الذين يملكون خمسين فدانا بدأوا يوزعونها على اقاربهم حتى يتبقى للواحد منهم عشرة أفدنة فقط لتمكينه من الترشيح تحت صفة فلاح ، حيث يكون الظاهر أن دخله محدود ولكن الحقيقة أن الحصيلة كلها تدخل جيبه ، فكيف يمثل هذا الشخص الفلاح صاحب الفدانين .

اذن لابد من اعادة النظر أيضا فى هذه العملية ، مع النظر الى مقومات الاسرة وملكيتها وليس مهما ما للفرد فقط ، فقد كان الشخص بالامس فئات على أساس أن ملكيته كانت تمنعه ولكن بهذه الطريقة يمكنه أن يتمتع بصفة الفلاح ..

لذلك أرى انه لابد أن يدرس هذا الموضوع أيضا لان هناك ثغرات .

أما بالنسبة للجنة الوحدة .. فعندما تنتخب اللجنة نجد هناك ثغرة أخرى ، فقد توجد خلافات بعد نجاح لجنة العشرة وهذه يمكن تسويتها انما الذى لا يمكن تسويته هو انه حينما تجتمع اللجنة لانتخاب أمين وأمين مساعد أو انتخاب الاعضاء الاربعة لتصعيدهم لمؤتمر المركز الذين لهم حق الترشيح فى المستويات الاعلى ، نجد مثلا أن سعيد البيلى يجمع ستة أشخاص داخل اللجنة على أساس ينتخب منهم ما يشاء ويرفض منهم ما يشاء وبالتالى يسمون هذه الطريقة طريقة الجبس ، فى حين انه قد يكون من بين هؤلاء المحبوسين خامة صالحة أكثر من سعيد البيلى أو من أى شخص آخر ، فمن وجهة نظرى أنه يمكن بوسيلة أو بأخرى أن يكون لجميع أعضاء لجنة الوحدة الاساسية والتى تتكون من العشرة حق الترشيح — وهذا اقتراح — أى أن يكون للعشرة حق الترشيح لعضوية مؤتمر المركز والمؤتمر القومى ولجنة المركز ولجنة المحافظة بالطريقة التى يحددها القانون كوسيلة للتصعيد ، فالنظام الحالى هو أساس الخلافات بين أعضاء لجنة الوحدة الاساسية ، ونود جميعا أن نتكلم بصراحة فى هذا الموضوع بحيث نعطى الحرية والفرصة لكل الناس لان العملية ليست حكرا على أحد ، ولابد من تربية قيادات بديلة ولابد أن يكون فى التنظيم أشخاص مؤمنون به ولابد أن يكون هناك صف ثان وثالث على أساس وجود حصيلة يمكن الاعتماد عليها ولابد من عملية التنشيط .. هذا ما أردت أن أقوله .. وشـكرا .

● الدكتور صلاح العبـد

اشكر السيد الرئيس ، فالواقع أنه قد أثيرت نقاط فى غاية الاهمية بالنسبة لكيان الاتحاد الاشتراكى نفسه ، النقطة الاولى خاصة بالعلاقة بين الوحدات الاسـاسية والاجهزة التنفيذية الموجودة على مستوى القرية ، وقد شرح هذه النقطة السيد محمد مهدى شومان تفصيلا ، والواقع أننى أوافقه على نقط كثيرة أثارها ، واعتقد أنه لا يجب أن يكون الجهاز التنفيذى منعزلا عن الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى وذلك لان الوحدات الاساسية لها أهداف أساسية هى تعميق فكرة الاشتراكية لدى الشعب، خصوصا على مستوى القرية والمساعدة فى معالجة مشاكل الفلاحين والنهوض بالقرية ، واذا ماقامت كل وحدة تنفيذية بعمل وتنفيذ برنامج بنفسها فسوف لا نصل الى تحقيق هذه الاهداف .

لذلك فانى ارى ضرورة أن تشترك الوحدة الاساسية مع ممثلى الاجهزة التنفيذية فى وضع البرنامج الذى يسـاعد على معالجة مشاكل الجماهير وعلى تنمية القرية فى حدود الامكانيات الموجودة ، ويوجد على مستوى القرية عـادة خمس مؤسسات أساسية هى المؤسسة التعاونية والوحدة الصحية والمؤسسة السياسية وهو العمدة والجمعية التعاونية والمؤسسة الدينية ، وهذه المؤسسات هى التى يمكن أن تؤثر فى كيان القرية ، لذا أرى أن تشترك هذه المؤسسات الخمسة بممثلين منها مع أعضاء الوحدات الاساسية لرسم البرنامج الذى يساعد على معالجة مشاكل الجماهير وتنمية القرية على أن يتدارسوا معا البرنامج ولامانع من الاستعانة بالفنيين اللازمين فى هذه الدراسة من الخارج ، وبهـذه الطريقة يمكن أن يتم الدمج بين الجهاز التنفيذى والجهـاز الشعبى الممثل فى الاتحاد الاشتراكى ، كما أننا نجد فى نفس الوقت أن كثيرا من ممثلى هذه الهيئات التنفيذية أعضاء فى الوحدات الاساسية وهذا يساعد على معالجة المشـاكل وعلى سبيل المثال يصح للجنة الفلاحين أن تعرض مناقشة عامة فى بعض المشاكل العامة على اللجان المشكلة والهيئات التنفيذية على مستوى القرية ، فمثلا مشكلة تنظيم الاسرة ، هناك جهاز مشكل لتنظيم الاسرة والدولة لا تشعر به حتى الان وقد يكون مفيدا ، ولم يكن له أثر ايجابى الى الان ، والدليل على ذلك أن معدل المواليد لم يتحرك من ٤٠ فى الالف . اعتقد أن هذه المشكلة حيوية ، فاذا لم تكن جميع الاجهزة متعاونة فيما بينها لتوجد حلا لها ستظل قائمة وهى أخطر وأعقد مشكلة اجتماعية واقتصادية تواجهنا فى مصر .

من المشاكل التى لابد أن تنبثق من لجنة الفلاحين فى هذه اللجان هى مشكلة جمع الدودة ، نحن نعلم أن الفلاح كان لديه الوعى منذ عشرين عاما باستعمال يده فى جمع لطع الدودة وقد أصبح اليوم يعتمد على المبيدات وهذه المبيدات أصبح هناك مناعة ضدها فلم تعد تؤثر على الدودة ، كما سبق أن ذكرت لابد أن تنبثق هذه المشكلة عن لجنة الفلاحين وتنزل على مستوى القرية بحيث يبحث الجهاز التنفيذى مع الجهاز الشعبى أسباب عدم اهتمام الفلاح بالدودة ، علما بأن تعداد السكان فى تزايد مستمر ومساحة الاراضى التى تزرع مازالت كما كانت عليه فكان يجب أن تكون رعاية القطن أحسن من ذى قبـل .

وهذا هو ردى على النقطة الاولى وهى : عن كيفية تعاون الجهاز التنفيذى مع الجهاز الشعبى على مستوى القرية .. ويمكن أن يصعد هذا الى مستوى المركز والمحافظة .

بالنسبة للنقطة الثانية التى أثيرت عن طريقة اختيـار أعضاء الوحدة الاسـاسية فانى أرى أنه لا يكفى أن تختار الجماهير عضو الوحدة الاساسية ، وهذا الكلام نوقش فى اللجنة العليا الاقتصادية للتعاون ، ولا يكفى أيضا أن يكون له شعبية ولكن لابد أن تتوفر فيه صفات خاصه حتى يكون مفيدا ، اذ أن مايحدث الان انه معتمد على أن يكون له عائلة ونسب وهذا ما يحدث أيضا بالنسبة للتعاون ، فغالبا مايكون الشخص له عزوة ونسب وبدلا من أن يفيد القرية أو الجمعية يفيد نفسه من هذه الصفات مثلا انه لابد أن يعرف القراءة والكتابة وأن يكون أمينا ويتمتع بسمعة حسنة ، ولابد أن يتحلى بهذه الصفات الحسنة قبل أن يكون له حق أن يتقدم للانتخاب فى الوحدة الاساسية وهذه النقطة أثارها الاخ أحمد يونس.

هناك نقطة أخرى أثارها الاخ سعيد البيلى ووردت فى القانون بأن لا تزيد ملكية الفرد عن عشرة أفدنة ، أنا لا أرى سببا لذلك اذ أن قانون الاصلاح الزراعى أباح الملكية الزراعية بخمسين فدانا ، فلماذا لانحاول أن نتحرر من هذه القيود مادام الشخص فلاحا يتمتع بسمعة حسـنة ويعمل بالزراعة ، لماذا لا نكسب هذا الشخص ، وتوجد حساسيات بين الطبقات وهناك أشخاص كثيرون نشعر بأنهم يمكنهم أن يخدموا القرية ويوجدون نوعا من التنسيق والربط بين أفراد القرية ويساعدون أكثر فى هذا المجال .

النقطة الثالثة التى أثارها الاخ أحمد يونس نقطة هامة ونهتم بها وهى عملية تزييف التاريخ ، وهى نوع من التحامل على التاريخ ، أن لدى أولادا فى المراحل المختلفة من التعليم ، وبالاطلاع على الكتب التى يدرسونها نجد أن بها خطأ وكذبا بحيث أن أحد أولادى عندما يسألنى عن شىء فيها لا يمكن أن أقول له أن هذا خطأ فأفضل السكوت وأقول له أدرس مايقوله لك المدرس فقط .

ان هناك حقائق كثيرة تزيف وهناك أيضا نوع من الكذب فى هذه الكتب ، ولا يصح أن نربى جيدا جديدا نعتمد عليه فى

بلدنا بعد حضارة أربعة آلاف سنة وتعلم هذا الجيل فى المدارس اشياء غير سليمة ومغايرة للحقيقة والتاريخ الحديث

أرجو ان توضع هذه النقطة موضع الاعتبار ، وانى اعلم أن هذا ليس من اختصاص هذه اللجنة ولكن من اختصاصها أن أبناء الفلاحين يعيشون ويربون على الصراحة والصدق حتى يمكن أن ننتظر منهم انتاجا جيدا لبلدنا .

النقطة الرابعة التى أثيرت فى هذا الاجتماع وهى الفلاحين بمعنى أن الفلاح كأنه يعمل بالسخرة ، ما يحدث أن أسعار المحاصيل الزراعية تكاد تكون ثابتة بينما ان تكاليف الانتاج فى ارتفاع مستمر ، واذا ما حسبنا محصول القطن نجد ان العائد منه على الفلاح ضئيل جدا مما جعل معظم الفلاحين غير متحمسين لزراعته .

ان هذه النقطة تحتاج الى دراسة عميقة بحيث يمكن ان نوازن بين التكاليف والاسعار ونتوصل الى رفع سعر المحاصيل الزراعية ونقلل من المبالغ التى تخصم من الفلاح بحيث نترك له فائضا يساعده ويساعد أسرته على المعيشة فى مستوى احسن من المستوى الذى يعيش فيه الان .

كل هذه النقط يمكن أن تكون موضع دراسة بحيث يشعر الفلاح بالراحة ويمكنه ان يدخل مرة أخرى فى زراعة الانتاج بقوة وحماس .

● السكرتير الاول

كان بودى أن استمر معكم الى نهاية هذا الاجتماع الا انى مرتبط بمواعيد هامة لذا فاننى أستأذنكم فى الانصراف وسيراس الجلسة السيد محمد مهدى شومان .

● عبد العزيز مصيلحى

الواقع أن الاخ محمد مهدى شومان تناول النقط الحساسة فيما يتعلق بالربط بين الاجهزة التنفيذية والوحدة الاساسية بالقرية ، لقد اقترح الزميل أيضا أن يمثل مندوب عن كل جهاز تنفيذى فى القرية فى الوحدة الاساسية ، ما أؤكد عليه هو ضرورة أن يمثل طبيب الوحدة وناظر المدرسة ورئيس الجمعية التعاونية ورئيس مجلس القرية خاصة وأن رئيس مجلس المدينة عادة يكون أمينا للاتحاد الاشتراكى فى القرية، وهذا يجنبنا أشياء كثيرة لان الجهاز التنفيذى فى هذه الحالة سيكون قد اشترك فى وضع القرارات التى تتخذها الوحدة الاساسية والتزم بتنفيذها ، وايضا سوف لا نكون فى حاجة متابعة أو مراقبة ، ولو اننا سنقوم بالمراقبة الا انها سوف لا تكون مراقبة لاصطياد الاخطاء ولكن لمجرد التوجيه الصحيح

ان المشكلتين الاساسيتين هما محو الامية وتنظيم الاسرة ، ومحو الامية يتم فى المدرسة الموجودة فى القرية وأرى أن من يقوم بتنظيم هذا العمل مع الوحدة الاساسية هو ناظر المدرسة شخصيا وليس أحد المدرسين .

وبالنسبة لتنظيم الاسرة فمن الممكن أن تكون المدرسات الموجودات فى القرية هى الاساس فى عملية توعية الفلاحين لتنظيم الاسرة ، وهن اقدر من يقمن بهذه العملية ، على أن يتولى ناظر المدرسة تنسيق هذا العمل بين وحدة الاتحاد الاشتراكى وعمل المدرسات وكيف يصلن الى الفلاحات فى منازلهن وتوعيتهن بأهمية تحديد الاسرة .

لقد طرح سؤال وهو كيف يتم التحام الجماهير مع الاتحاد الاشتراكى ؟ .

ان الذى يحل مشاكل الجماهير هو الجهاز التنفيذى واذا ما اشترك هذا الجهاز فى صنع القرارات التى تحل مشاكل القرية فسوف تحل هذه المشاكل ، اذن ليس هناك ما يمنع من وجود هذا الجهاز فى الوحدات حتى يمكن أن يحل مشاكل الجماهير .

من جهة أخرى فان هذا يمكن الوحدات الاساسية من معرفة الخطة والعمل على تنسيقها بحيث تتمشى مع الامكانيات الموجودة فى القرية وذلك نظرا لأن معظم الاعضاء لا يعرفون ما هى خطة الاتحاد الاشتراكى ، فى هذه الحالة يمكن ان نضع لهم خطة ويتم تدريبهم عليها ، وبعد ذلك نطلب منهم أن يوافونا بمطالبهم وسوف نجدهم مستجيبين ، وارجو أن تكون الخطة مبسطة بحيث يمكن ان يستوعبها العضو وبحيث يمكننا ايضا متابعتها ، بعد ذلك يمكن للعضو أن يسير فى هذه الخطة بمفرده دون أن نحدد له التحديد الدقيق .

● خلف الله مهنا

أرى اننا فى هذه المناقشة نخرج من ورقة العمل التى وزعت علينا ومن المفروض أن تدور المناقشة من خلالها على أن نركز المناقشة بحيث نخرج فى النهاية بحصيلة الذى ينتهى اليه الرأى .

البند الثانى يتعلق بالتفرغ وقبل أن ندخل فى مناقشة هذا الموضوع أرى ان نتكلم فى صلب بيان وكيان الاتحاد الاشتراكى نفسه وهو الوحدة الاساسية فى القرية ولكى يعمل الاتحاد الاشتراكى بجدية لابد من تنشيط عمل هذه الوحدة باعتبار أنها أهم لجنة تشعر بالقرية ولابد أن نبحث كيفية عمل وتنشيط وتحرك الوحدة الاساسية ، أيضا وضع خطة لها حتى تثق جماهير القرية فى عمل هذه الوحدة لان ثقة الجماهير منعدمة تماما فى الوحدات الاساسية التى انتخبتها نظرا لانها لم تجتمع بعد التشكيل ولو لمرة واحدة لعدم وجود مكان لها تجتمع فيه .

بجانب هذا ايضا عندما شكلت هذه الوحدات فقط اشترط ان تكون نسبة ٥٠٪ للعمال والفلاحين ، ٥٠٪ للفئات ولم يمكننا أن نضع شرطا آخر لا يقل أهمية عن هذا الشرط والذى وضعته الجمعيات التعاونية وهو ضرورة أن يقيم العضو اقامة كاملة فى القرية ، اذ أن لدينا أعضاء فى الوحدات الاساسية فى قرية المرجاسة ويعملون فى بنى مزار ، أيضا مدير بنك التسليف عضو فى نسبة الخمسين فى المائة ولا يعمل فى نفس القرية بل أن أغلبية الاعضاء فى لجان الوحدات الاساسية لا يعملون فى نفس القرية ويعملون فى جهات بعيدة متفرقة ويصعب على أمين الوحدة جمعهم للاجتماع نظرا لانه هو الاخر قد يكون ناظرا لمدرسة فى بلد آخر أو يعمل خارج القرية ولا يعود اليها الا فى وقت متأخر من النهار ، واذا أمكن الاجتماع يكون ذلك فى أى مكان ، وكل عضو يتكلم كلمتين على الورق وينتهى الاجتماع على هذا الاساس ، وهذه هى كل مهمة الاتحاد الاشتراكى .

لذلك يجب فى تشكيل الوحدات الاساسية مراعاة ضرورة أن يكون أعضاء هذه الوحدة مقيمين فى القرية كأعضاء الجمعيات التعاونية تماما حتى يمكنهم حل مشاكل الجماهير ، وهذا الشرط لم ينص عليه فى قانون الاتحاد الاشتراكى وأرى أن يعدل هذا النص .

ان الاتحاد الاشتراكى ليس حزبا وانما هو تحالف لقوى الشعب ، ولكى نجمع قوى الشعب حولنا ولكى نجمع الوحدة الاساسية نفسها حولنا ولكى نجمع الجماهير حولنا ونجعلها تحترمنا وتسارع الى الالتفاف حولنا لابد أن نحل مشاكل الجماهير ، واذا ما شعرت الجماهير أن الوحدة الاساسية والاتحاد الاشتراكى يحل مشاكلها سوف تلتف حوله الجماهير لذلك فانى أرى أن يركز النقاش حول هاتين الخطوتين ، بالاضافة الى هذا فانى اتفق مع سيادتك ومع الاخ محمد مهدى شومان فى ضرورة وجود مقر لوحدة الاتحاد الاشتراكى فى القرية لانى أعلم أن خفير الجمعية التعاونية أغلق الباب على أعضاء الوحدة وهم مجتمعون فى يوم الجمعية وقال لهم ان اليوم يوم عطلة رسمية ، كيف تثق الجماهير فى الوحدة الاساسية التى يهددها خفير القرية ، لذلك لابد أن يكون

هناك مقر للوحدة الاساسية ويكتب عليه بأنطة « الوحدة الاساسية للاتحاد الاشتراكي ناحية كذا » .

بالنسبة لتوسيع قاعدة الوحدة الاساسية فانى اتفق تماما مع الاخ محمد مهدى شومان على هذا . وأرى أن ينضم الى الوحدة الاساسية طبيب الوحدة الصحية ومدير الجمعية وناظر المدرسة وكل من يهمهم الامر فى القرية لكى يحضروا اجتماعات الوحدة الاساسية ويخرجون متفقين على رأى واحد لا خلاف عليه ، أيضا يمثل المجلس القروى فى الوحدة العمدة نائبا عن وزارة الداخلية اذ يمكن عن طريقه حل كثير من المشاكل واذا لم يكن هناك عمدة فى أحد القرى فليحل محله شيخ البلد ، ذلك حتى يمكن أن نجمع رغبات الجماهير وحتى تثق الجماهير فى الاتحاد الاشتراكى وتؤمن بالوحدات الاساسية ، بجانب هذا لابد أن نبحث الطريقة التى يسير عليها الاتحاد الاشتراكى وتذلل الصعاب التى تواجهه ، وتبحث أيضا ما هو الذى يعطى الاتحاد الاشتراكى فاعلية لكى تلتف الجماهير حوله ، من هذه الاسباب كما سبق أن ذكرت أن أمين الوحدة فى القرية يعمل بعيدا عن مقر الوحدة بخمسة وعشرين كيلو مترا ، على سبيل المثال كيف يمكن أن نحاسب مدير بنك التسليف الممثل فى نسبة الخمسين فى المائة فى الوحدة الاساسية ويعمل فى فرع سمالوط أو بنى مزار ولا يحضر الى القرية الا فى نهاية النهار .

● محمد مهدى شومان

اشكر الاخ الفاضل لانه مس فى حديثه نقاطا فى غاية من الاهمية وقد تكلم فعلا من الواقع وليس هناك شك فى أن الوحدة الاساسية اذا ما تحركت تحرك جسد الاتحاد الاشتراكى كله واذا توقفت توقف الاتحاد الاشتراكى كله ، والحقيقة أن مشاكل الجماهير فى القاعدة والارتباط بالجهاز التنفيذى لابد أن يبدأ من القاعدة وبالنسبة لورقة العمل التى قدمت فليست هى الاساس وهى فى الواقع تصور شخصى وكل من لديه جديد يمكن أن يتقدم لنا به .

● رشاد عمران

لو سمح لى السادة أعضاء اللجنة الموقرة ان أقول فى مقدمة كلامى أمانة لله والتاريخ انه يجب ان نتكلم بصراحة، فنحن جميعا مقتنعون بالاتحاد الاشتراكى كمبدأ وكفكرة سامية لكن ماحدث عند التطبيق فى المرات الثلاث الماضية أدى الى وجود ثغرات دفعت الجماهير لفقد الثقة فيه وهذه حقيقة واقعة لابد أن نعترف بها والا نتجاهلها .

فعندما وضعت صيغة الاتحاد الاشتراكى واقرت كان يجب دراسة مناخ القريه لانها تختلف عن المدينة فلقد كنا نجد فيما مضى أن العمدة بمفرده يحل مشاكل كثيرة للاهالى ، أما الان وبعد وجود الاتحاد الاشتراكى فلا يحل مشاكل الاهالى اطلاقا ويرجع ذلك الى عدم دراسة مناخ القرية جيدا قبل تطبيق نظام الاتحاد الاشتراكى فيها ، بمعنى أننا يجب أن نضع فى اعتبارنا أن القرية بها خمس سلطات تتصارع سويا هى لجنة القرية والجمعية التعاونية والعمدة المنتخب من القرية ورئيس مجلس القرية وعضو الاتحاد الاشتراكى، يتصارع هؤلاء جميعا وكل منهم يريد أن يكون له الولاء دون سواه فكيف يمكن تجميع هؤلاء جميعا ؟ وانا اختلف بعض الشىء مع الاخ الذى ذكر أن كل وحدة تضع خطتها وتعرضها على الاتحاد الاشتراكى لاقرارها فهذه تمثل صعوبة كبيرة من الناحية العملية اذ كيف يتسنى لناظر المدرسة مثلا أن يضع مع مدرسته خطة عملهم ويعرضها على وحدة الاتحاد الاشتراكى علما بأنه يجب أن يرجع لوزير التربية والتعليم لاقرارها .

كذلك بالنسبة للجمعية التعاونية فهى لها مقوماتها ولهما رئاسة تضع خطتها وتقرها ، كذلك بالنسبة للمستشفيات فهى مرتبطة بخطة وزارة الصحة ، فكيف يمكن أن يعرض كل هذا على الاتحاد الاشتراكى وليس هناك ترابط بين هؤلاء جميعا ؛ لكن كيف يكون هذا الترابط ؟ .. انا معك فى أن هؤلاء جميعا يمثلون فى لجنة الوحدة لكى أرجع للقول مرة أخرى ومثلما ذكر السيد رئيس الاتحاد التعاونى فى بداية الحديث اننا نجبر الناس على الانضمام الى الاتحاد الاشتراكى طبقا للنظام الموجود حاليا وهذا ما ادى الى ضعف التنظيم طوال المدة الماضية لكن لو كان هناك أعضاء مؤمنين بالاتحاد الاشتراكى وبالمبادىء التى وضعها. هذا الاتحاد لتغير الوضع لان اى انسان يؤمن بعمله أيا كان سواء كان عملا تعاونيا أو سياسيا أو شعبيا فانه يستميت فيه ويدافع عنه بايمان .. فأرجو اعادة النظر فى هذه النقطة لاهميتها نظرا لاننا لا نرى وحدات بل نرى كوادر مؤمنة ببلادها .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى بالنسبة لقانون العقوبات فى الاتحاد الاشتراكى لا يوجد ويلاحظ أن من ينحرف فى الجمعية التعاونية توقع عليه العقوبة ويرفت اذا اقتضى الامر ذلك لكن هذا غير موجود فى الاتحاد الاشتراكى مما أدى لاخلاله ولفقدان الثقة الجماهيرية من هذا المنطلق نستطيع اعادة النظر مرة أخرى فى كافة هذه النواحى .. كما يجب اعادة النظر أيضا فى تعريف العامل والفلاح لانه بتخصيص نسبة الـ ٥٠٪ للعمال والفلاحين لا يتم تمثيل الثمانية ملايين فلاح الا بنسبة ١٥٪ فقط .

● محمد مهدى شومان

لقد اثار السيد رشاد نقطة هامة جدا وهى عدم امكانية ارتباط لجنة الوحدة والاجهزة التنفيذيه بخطة مشتركة ، فنحن فى مجتمع اشتراكى لابد أن يقوم على التخطيط ، واعتقد أن أكبر المعوقات فى عملنا هى عدم وضوح الرؤية ، وعدم وجود خطة معينة يمكن السير عليها مما يؤدى الى تضييع الوقت وعرقلة العمل .

لكن حينما تكون هناك خطة معينة وموافق عليها من التنظيم السياسى والاجهزة التنفيذية فهذه هى بداية التحرك لمرحلة الاشتراكية الحقيقية .

ولقد بدأنا فعلا نتحرك لوضع مدة زمنية لانجاز الخطة فاذا لم يكن التنظيم متصل من القمة الى القاعدة بالاجهزة التنفيذية ويسير وفق خطة معينة ، اعتقد أن العمل لا ينتظم

● ناصف طاحون

نحن نقول أن أى تنظيم سياسى يتكون من مجموعة أعضاء على أساس ان لها مصالح متشابهة فى كل قطاعاتها سواء قلنا أن تنظيمنا هو تحالف لقوى الشعب أو لم نقل هذا .

لكن عندما أبحث كيف تكون العضوية فى الاتحاد الاشتراكى أجد انه قد أضفنا فى كل المواقع أكبر اعداد يمكن اضافتها دون رغبة ودون أخذ موافقتهم على هذه العضوية ، ولابد أن يكون هناك اقتناع ليكون هناك ارتباط وتفانى فعلا .

ولقد صادفتنا هذه المشكلة مرارا وذكرنا فى المرحلة الماضية عديدا من المقترحات لتنقية العضوية لكن لم يؤخذ بأى منها ، ولقد لاحظنا ان هذه الاشتراكات تحصل بصورة جبرية وأنا لا أتصور ان أى عضو فى تنظيم ما يقتنع بهذا التنظيم والاشتراك يخصم منه جبريا عن طريق الجمعية ، ولكى يكون هناك ايمان بالعضوية يجب أن يدفع هذا الاشتراك طواعية ، واعتقد أن هذه المشكلة مشكلة رئيسية فى فاعلية التنظيم فى القاعدة الاساسية .

وكما ذكر الاخوة الان لكى تتحرك لجنة الوحدة لابد وأن يكون هناك اقتناعا بها ، فيجب أن تتحرك بسرعة للتعرف على مشاكل الجماهير وحلها ، كما أن التنظيم طوال المرحلة

الماضية لم يضع أسلوبا لحل الخلافات التى تنشأ من جراء الانتخابات وازالة الرواسب والحساسيات التى تؤثرها الانتخابات .

أما بالنسبة للنقطة الجوهرية الخاصة بأسلوب العمل ، فأنا أقول ان التنظيم لم يضع خلال المرحلة الماضية خطة عمل يمكن تطبيقها او متابعة تنفيذها ، فيجب وضع خطة مدروسة على كافة المستويات تقر وتكون التزاما لجميع أعضاء التنظيم وللاجهزة التنفيذية — التى اعتبرها اعضاء داخل التنظيم — ويجب أن يشتركوا جميعا فى وضع هذه الخطة ومتابعتها ومحاسبتها ، لانى لا أتصور أن تكون هناك خطة لزيادة الانتاج بنسبة معينة ثم نجد أنها تأتى بنتيجة عكسية ويقل الانتاج عما كان عليه ، فهل تمت اى محاسبة لاى مسئول عن السبب فى عدم الوصول للنتيجة المرجوة ، ونحن كتنظيم أساسا يجب أن نراعى مصلحةالبلاد ومصلحة اقتصادنا لصالح الجماهير ، فلقد رأينا خططا كثيرة جدا وضعت ولم تنفذ بدون محاسبة عن سبب عدم تنفيذها .

فلابد من وضع خطة مدروسة دراسة سليمة وبالارقام ويشترك فيها كل المستويات لتطبيقها ، ولابد من أن تكون هناك محاسبة جدية لمحاسبة من يقصر فى التنفيذ .

وبالنسبة للربط بين الاجهزة التنفيذية وبين التنظيم فكافة الاراء التى ذكرت آراء بناءة ، والربط بينهما هام جدا لانه اذا لم يتم هذا الربط فسيظل معوقا ، لاننا نجد على قمة الاجهزة التنفيذية قيادات غير مسيسة وبعيدة عن العمل السياسى كل البعد ، فأنا أرى انه يجب الا يوضع فى أى موقع قيادى الا من على درجة من الوعى السياسى الكامل .

أما بالنسبة للرأى الذى ينادى بضم المشرف الزراعى والطبيب وناظر المدرسة ، فان هذا المسئول التنفيذى الذى اضمه مرتبطا ارتباطا كاملا برئاسته المباشرة وينفذ الخطط التى ترسل اليه من أعلى .

لذا فأنا أرى الا جدوى من ضم هؤلاء لان العمليات تسير الان بصورة مكتبية ، فاذا لم تكن هذه المناصب العليا تقوم بعملية سياسية انطلاقا من هذا المفهوم لا يمكن الوصول الى ما نريد ، فالربط لا يمكن أن ينبع من القاعدة بل يجب أن يتم أساسا من القمة وبوضوح وصراحة . فاذا تم هذا الربط بوضوح كامل بناء على خطط مدروسة ما بين المستويات العليا بالتبعية سيتم الربط ويكون الزاميا لجميع المستويات ، ويمكن ايجاد الربط بين هذه الاجهزة لو أعطينا للاتحاد الاشتراكى سلطة فعلا ، على أساس أن هناك خطة فاذا لم يلتزم بهذه الخطة يمكن محاسبته محاسبة فعلية ، على أن توجد هذه الخطة ويكون هناك تعاونا كاملا ما بين الاجهزة التنفيذية والاتحادات والنقابات المختلفة ومراعاة أن المواقع الاساسية فى كل منها تكون للمسيسين .

● مسعد مهدى شومان

هل المقصود بالمواقع السياسية تثقيف الاجهزة القائمة فعلا ، وهل يعنى هذا أن تتحرك أمانة الدعوة والفكر بحيث يكون لديها الوعى السياسى من هذا الموقع ؟ اذا كان الامر كذلك فكيف يمكن أن نصل بهذه الاجهزة القائمة الى المستوى السياسى المطلوب ؟

● ناصف طاحون

حينما أقول أسلوب التثقيف أو التدريب السياسى فى ادارة العمل ، فانني أقصد أننا مازلنا نسير بالاقدمية فى اختيار المواقع ، وهذا الاسلوب نسير عليه فى كافة المراحل .

ولكن فى مواقع القيادة يجب الا نتقيد بالاقدمية ، فهناك أشخاص مؤمنة ببلدها وبقيادات بلادها ومصلحة الشعب يجب أن توضع فى الاعتبار عند الاختيار لمثل هذه المواقع ، أما كون أننا نرسل شخصا ما للتدريب فى المعهد ثلاث أو أربع أشهر فسيمضى هذه المدة دون أن يقتنع الاقتناع الكامل بالتغيير وبالنظام وبالوضع ، فهذه ليست القضية انما القضية أن يكون فى مثل هذه المواقع أناس على مستوى سياسى معين بحيث يتفهموا هذه المشاكل ويساعدوا فى الوصول للحلول الناجحة لها .

أما النقطة الأخيرة التى أريد أن أثيرها منذ تناولها بعض الاخوة وهى المحاسبة ولقد رأينا فى بعض مواد القانون الماضي نصوص على محاسبة أعضاء التنظيم السياسى الا أنه بكل أسف لم تتم محاسبة الاعضاء الا حسب الاهواء الشخصية فقط دون مراعاة للصالح العام .

فيجب أن تكون هناك محاسبة رادعة فعلا ، فمثلا هناك تقصير شديد فى لجان الوحدات الاساسية فبعضها لم تجتمع اطلاقا .. فما الذى تم بالنسبة لهذه اللجان ؟ وهل أحد حاسبها على هذا ؟ لا .. وكانت النتيجة هى فقدان الثقة بسبب هذا التقصير — فلو شعرت الجماهير بأن هناك محاسبة لامثال هؤلاء على تقصيرهم فسوف يعطيهم هذا دفعة قوية تشعرهم بأن التنظيم مستيقظ ويحاسب المقصر ، فالمحاسبة ضرورية فى أى تنظيم يراد انجاحه ، ويجب أن تكون قوية وفعالة لان هناك بعض الانتهازيين يتسللوا الى أن يصلوا للتنظيم ، ونحن جميعا نعلم ذلك ، فلماذا لانحاسبهم وننحيهم عن الاشتراك معنا فى تنظيماتنا طالما نحن مقتنعون بأن هؤلاء انتهازيون لهم أغراض معينة ، فهذه نقطة ضعف فى تنظيمنا .

● المهندس محمود فوزى

لقد ذكر الاعضاء ما كنت أريد أن أذكره ، لكن لى ملاحظة صغيرة ، لقد لاحظت اننا فى هذه المناقشة قد فتحنا مواضيع عدة دون اقتراحات محددة لحلها .

واقترح أن نختار لجنة من ثلاث أو أربع منا لمناقشة هذه الاقتراحات ووضع ورقة تكتب وتعرض علينا فى جلسة أخرى ، لنناقشها ونقدمها للسيد السكرتير الاول .

أما بالنسبة لما نوقش اليوم فلقد أثار اخواننا موضوع الوحدة الاساسية الموجودة فى القرية ، فأنا أتفق معهم فيما ذكروه ولا أجد أى تأثير لهذه الوحدة فى بلدنا اطلاقا ولانعرف من هم أعضائها ، وهل تم تثقيف الفلاحين قوميا واشتراكيا عن وضع البلد والموقف الذى نمر به الان لكى يقفوا جميعا وراء القيادات الصالحة .

وانى لا أريد أن أسترسل فى الحديث ، انما أقرر الواقع لانه لم يحدث التأثير الجوهرى ذو البذور العميقة فى الريف للاتحاد الاشتراكى ، ربما تحرك الاتحاد الاشتراكى فى المستويات العليا المفروض أنهم على وعى ، وعلى مفهوم معين ، لكنه لم يتحرك فى القرية — مثلما ذكر الاخوة — التى ليس بها شروط محددة لعضوية هؤلاء الاشخاص فهناك أشخاص محترفين سياسة وانتخابات ومخضرمين فى هذه العملية بالذات ، وبعضا منهم كانوا أعضاء أصلا فى لجان هيئة التحرير ثم أصبح الاتحاد القومى فالاتحاد الاشتراكى فهم موجودون بصفة مستمرة ، فيجب أن نضع شروطا لعضوية هذه اللجنة مسترشدين ببعض شروط الجمعيات بأن لا يصح أن يكون مدينا للبنك أو لجمعية تعاونية .. الخ ، ويجب أن تضع أمانة الفكر شروطا أخرى للاعضاء لكى يكونوا قادرين على قيادة القرية ، فيجب تغيير شروط عضوية اللجنة الاساسية لزيادة فاعليتها .

النقطة الثانية هى وجود شقاق وخلاف مستمر بين لجنة الاتحاد الاشتراكى والجمعية التعاونية منذ بداية عمل هذه اللجان ... فلماذا ؟

لان لجنة الاتحاد الاشتراكي تجد انها ليس لديها عمل حقيقي تقوم به في القرية ، أنما من يقوم بالعمل الحقيقي في القرية فعلا هي الجمعية التعاونية لان لديها متوفر من المال تستطيع أن تبنى به المساكن أو تقيم المدارس .. الخ وأنا أرى أنه يجب أن يكون هناك ربط بين الاثنين من أى نوع كان وهذا متروك للمناقشة ويمكن أن يتم هذا بأن نجعل بعض مجلس ادارة الجمعية أعضاء في الاتحاد الاشتراكي ، وكل ما ستقرره الوحدة سيقرر في الجمعية ، وبهذا نكون قد نفذنا مفهوم التعاون كاملا الذى لا يخدم العضو فقط بل يكون لجميع سكان القرية .

فيمكن أن يكون هذا الربط عن طريق انتخاب عضو مجلس ادارة الجمعية للاتحاد الاشتراكي أو يكون هناك ربطا للجنة العامة ، ولقد ذكرنا أنه من ضمن ميزانية الجمعية التعاونية مبالغ مخصصة للخدمات كانشاء المستشفى أو النادى أو المدرسة .. فيجب تشكيل لجنة تسمى لجنة الخدمات مشتركة بين الوحدة الاساسية والجمعية ، وتضم رئيس الجمعية وسكرتيرها ودكتور الوحدة وناظر المدرسة وشخصا من الشباب .

هذه اللجنة هي التى تقرر الاموال المطلوبة للقرية بالنسبة لاوجه النشاط ، ولكن هل يقبل مجلس ادارة الجمعية قراراتها ؟ ذلك لان قانون التعاون ينص على أنه يجب ان يكون ذلك عن طريق التعاون ، وبالتالى يجب التنسيق بين لجان الاتحاد الاشتراكي بالقرى وبين الجمعيات التعاونية ضمانا لحسن سير العمل .

بالنسبة للنقطة التى أثارها بعض الاخوة بشأن عدم وجود مقر للجنة الاتحاد الاشتراكي في القرية .كيف يكون هناك وحدة ليس لها مقر .. وبالتالى كيف تعمل وتزاول نشاطها ، فبجانب ان للاتحاد الاشتراكي عضوين فىاللجنة للقيام بأعمال المراقبة وهذان العضوان هما الاساس في عمل الوحدة ، فليس هناك مانع من تخصيص حجرة في الجمعية التعاونية للجنة المراقبة وفى الوقت نفسه تخصص لاجتماعات وحدة الاتحاد الاشتراكي ، وطالما ان وحدة الاتحاد الاشتراكي ستكون قريبة من الجمعية فسوف لا تحدث خلافات وبالتالى يترتب على ذلك ان يكون هناك ارتباطا بينهم ، ومن ناحية اخرى عندما ياتى تقرير فسوف يجدون بسهولة ما يطلبونه من مستندات في الجمعية وفى الوقت نفسه سوف يسهل قيام لجنة المراقبة بعملها حيث تقوم بعمل هام جدا وهو الرقابة على اموال الجمعية دون تحمل نفقات كمصروفات بدل الحضور وغيرها.. الشباب .

أما بالنسبة لما أثاره الاخ ناصف فيما يتعلق بعدم وجود تدريب لوحدات الاتحاد الاشتراكي ، فاننى ارى انه لابد من تدريب وحدة الاتحاد الاشتراكي كما يدرب مجلس ادارة الجمعية التعاونية ، ويجب ان يتناول التدريب معرفة ما هى سلطة الجمعية التعاونية وسلطة لجنة المراقبة ، وكذلكسلطة الاجهزة المختلفة ، وما هى سلطة وزارة الزراعة وبنك التسليف ، وما هى العلاقات بالاجهزة الاخرى ، وبالتالى يصبح هناك وعى من شأنه يجعل التحرك بوضوح رؤيا ،ومن هنا يصبح التدريب عنصرا هاما جدا للجان الاتحاد الاشتراكي في القرى على ان يوضع للتدريب اسسا لتعميق الاشتراكية ومعرفة اسس العلاقات بالهيئات والاجهزة التنفيذية المختلفة .

نحن ننادى دائما بانه يجب أن نحل مشاكل الفلاحين والا تحجرت وتسبب عن ذلك انفجارا ، وأود ان اقول اننا نقوم بعمل اجتماعات على مستوى المحافظة والمراكز ويحضر هذه الاجتماعات اعضاء الاتحاد الاشتراكي واعضاء مجلس الشعب ومفتش الزراعة ومدير البنك ومفتش التعاون لكى نحل المشاكل ، فلماذا لا يعمل مثل هذه الاجتماعات على مستوى القرية بحيث يكون اسبوعيا يدعو اليه الاتحاد الاشتراكي لكى يناقش مشاكل الفلاحين في القرية ، فان مشاكل المحافظة والمراكز هى نفس مشاكل القرية ، وان اختلفت بعض الشىء لكنها تدور حول أمور متشابهة .

ولذلك فانني ارى ان تعقد مثل هذه الاجتماعات في القرية لمناقشة الفلاحين انفسهم في مشاكلهم ، فان مجلس ادارة الجمعية ليس صاحبها بل هو وكيلا عنها اما صاحبها الحقيقي فهو الفلاح الصغير ، وبالتالى هناك واجب علينا وهو حل مشاكل هؤلاء الذين يمثلون قاعدة عريضة فيجب ان تنظم هذه الاجتماعات بواسطة الاتحاد الاشتراكي مع المسئولين في التعاون على ان يكون الاجتماع اسبوعيا ، وهذا يمكن من حل كثير من المشاكل المحلية .

ان دور لجنة الاتحاد الاشتراكي في القرية هو الرقابة وهو دور معروف انما نجد ان وسيلة هذه الرقابة وضعت في دور التعاون ، اذن لابد من التنسيق . ومن المعروف ان الاتحاد الاشتراكي يختار عضوين من الجمعية للقيام بدور الرقابة ، لكن تنظيم شروط العضوين يجب ان توضع لانه لم ينص عليها للان ، ويجب على أمانة الفلاحين باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ان تضع هذا التنظيم مع بيان العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي في القرية وبين العضوين المختارين للرقابة ، وهل يجتمع معهما ام لا ؟ كل هذه الامور يجب ان تنظم .

نقطة اخرى اثارها بعض الاخوة فيما يتعلق بمدة لجنة الاتحاد الاشتراكي وتحديدها بسنتين ، يهيأ لى انه يمكن ان نسير على نطاق التعاون حتى يمكن توافر المعرفة للجنة الاتحاد الاشتراكي لمن يستمر في العمل اما الجدد فسوف يحتاج الامر الى وقت بالنسبة لهم حتى يلموا بكل شىء لانهم في الحقيقة لا يعرفون شيئا ، وبالتالى فان مدة السنتين أفضل مع تطبيق نظام التعاون .

ونحن بصدد وضع نظام للاتحاد الاشتراكي هناك موضوع أود أن أطرحه وهو : هل لجنة العشرة يصح ان تكون بحسب الزمام ام بحسب عدد السكان ، بمعنى ان هناك قرية زمامها اثنى عشر الف فدان وبها لجنة العشرة وقرية أخرى زمامها خمسمائة فدان ويكون بها لجنة العشرة .. هل عمل اللجنة متساوى في القريتين ، يجب ان ننظر ايضا لهذا الموضوع لان عمل اللجنة في القرية ذات الزمام الكبير اكثر منه في القرية ذات الزمام الاقل .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هناك موضوع عانى منه الفلاحون ، عندما نتكلم عن نسبة العمال والفلاحين يجب ان يحدد الاتحاد الاشتراكي نسبة من الفلاحين ونسبة من العمال وقد تكون بحسب الزمام ، فحينما ننظر الى الحقيقة نجد ان نسبة الـ ٥٠ في المائة عمال وفلاحين اصبح للعمال ٤٦ في المائة والفلاحين ١ في المائة واكثرنا يعلم هذا خاصة في بعض المحافظات ، ففى لجنة الخمسة كم عدد الفلاحين الممثلين فيها ؟

لذلك ارى وضع نسبة محددة لكل من العمال والفلاحين حتى لا يضيع حق الفلاحين .

اما فيما يتعلق بما اثير حول ملكية عشرة افدنة فانني اعتقد ان هذا لن يؤدى الى تغيير ، ولقد قيل ان من اعضاء مجلس الشعب من يملك عشرة افدنة ولكنى اعتقد انه ليس هناك من يملك عشرة افدنة في مجلس الشعب ، بل ان ٨٨ في المائة من الفلاحين تتراوح ملكيتهم بين اربعة وخمسة افدنة وهم يمثلون الغالبية العظمى ، وهناك فرق بين الملكية والحيازة ، فمن ناحية الملكية فان السواد الاعظم من الفلاحين لا تزيد ملكيتهم عن خمسة افدنة ، ولذلك اعتقد ان هذا الموضوع سوف يكون له تاثير .

لى اقتراح ايضا بالنسبة لمجلس الخدمات ، وهو أنه يجب ان يقوم هذا المجلس بتوزيع حصيلة الخدمات في القرية ، وبهذا يكون هناك ربط بين المجلس والاتحاد الاشتراكي وبين الجمعية ، ويتكون المجلس من رئيس وسكرتير وامين وحدة الاتحاد الاشتراكي وناظر المدرسة

والدكتور ومدير الجمعية ورئيس مجلس القرية اذا كان موجودا ، ويمكن الاجتماع لبحث كل ما يتعلق بالخدمات خاصة توزيع المبالغ بحسب اهمية الخدمات .

نقطة اخيرة وهى اننا نسمع اراء حول العلاقة بين المجلس الشعبى وبين وحدة الاتحاد الاشتراكى ، وهل يكون هناك ربط وما هى الوسيلة ، ارى ان هذا الموضوع يحتاج الى مناقشة .

وختاما اعود واقترح اولا ان تشكل اللجنة التى اقترحها السيد الاخ محمد مهدى شومان ثانيا ان جميع النقاط التى أثيرت فى هذا الاجتماع تتركز فى ورقة عمل تقدم للسيد السكرتير الاول للجنة المركزية .

هذا ما اردت ان اقوله .. وشكرا ..

● محمد مهدى شومان

لى تعليق صغير بالنسبة لموضوع تمثيل الجمعية التعاونية ، ففى تصورى من خلال المناقشة التى دارت أن معظم الاخوة قد ركزوا على تمثيل الجمعية فى كل التنظيمات القائمة بأجهزة الاتحاد الاشتراكى ، كيف تمثل ورئيس الجمعية موجود فى نفس القرية ولابد أن يكون هناك ربط كامل بين وحدة الاتحاد الاشتراكى وبين الجمعية فى القرية .

أما من ناحية تحديد نسبة للفلاحين وأخرى للعمال فاعتقد أن مثل هذا يؤدى الى صراع بين الفئتين وهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى الثورة ، فالثورة تولى اهتمامها بهم وبالتالى أعطت لهم نسبة ٥٠ فى المائة مشتركة على الاقل بالنسبة للتشكيلات ، ولو أن صفة العامل مفتوحة وبالتالى أعطت فرصة للذين لهم مراكز نفوذ بأن يدخلوا فى صفوف العمال ، مثلما سمعنا أن أحد المديرين قد رشح نفسه تحت صفة العامل ، هذه النقطة يمكن أن نركز عليها عندما نحدد صفة العامل وفى هذه الحالة نطمئن على أن هناك تساوى بين العمال والفلاحين خاصة وانهم يمثلون الطبقتين اللتين قامت الثورة من أجلهما ، وقد أعطت العمال والفلاحين كثيرا من المزايا وارتفعت بمستواهم .

اذن يجب اعادة النظر فى صفة العامل حتى نؤمن الفلاح ونضمن عدم وجود استغلال .

● عبد الحكيم موسى

فى الحقيقة أود أن اتكلم عن المنطلق الذى ذكره الاخ خلف الله والاخ سعيد البيلى ومن تعليق السيد الامين ، وهو أن الوحدات الاساسية لا تجتمع فعلا ، وكما ذكر الاخ السعيد البيلى أنه حتى لو اجتمعت ٥٠ فى المائة من هذه اللجان نجد أنها فقدت فاعليتها .. لماذا ؟ لان الخطة عندما ترد نجد أنها تخضع للاهواء الشخصية ، فعلى سبيل المثال فى الغربية عندما يكون هناك مشروع خطة عمل أربعة مدارس واربعة مصارف أو تطهيرها ، نجد أن لجنة الاتحاد الاشتراكى لا يكون لها رأى لكن الشخص الذى له صفة فعلا والذى له تأثير على الناس هو الذى يحظى بثمار الخطة ، فعندما يكون فى المشروع أن مدرسة سوف تبنى فى مركز كذا ، نجد أن هذا الشخص باتصالاته يستطيع أن يحول مشروع بناء المدرسة من مكانها فى الخطة الى مركزه هو ، وعندئذ تقول الجماهير أن ممثل الاتحاد الاشتراكى ليس له أية صفة ، لان الشخص الذى له صفة هو الذى يؤثر وينقل المدرسة ، وينقل المستشفى وينقل الدكتور . فأصبحت العملية عبارة عن اشخاص ذوى تأثير ونفوذ وليست عملية لجان أو تنظيمات .

نحن كأعضاء اتحاد الاشتراكى نطالب بأن الخطة التى تنزل من الدولة لابد أن تكون متفقة مع رغبات الجماهير وحينما تكون متفقة مع رغبات الجماهير ، وصاعدة من تحت وأقرت من فوق ؟ وأقرها الاتحاد الاشتراكى على جميع مستوياته ؟ وأقرتها الدولة ، لا يمكن أن يحدث فيها تغيير ، وبالتالى سوف نقضى على أصحاب النفوذ . وبالتالى عندما نجمع اللجنة ونخبرهم بأنه قد اعتمد عمل مصارف مغطاة فى ناحية كذا أو بناء مدارس فى ناحية كذا .. يكون هذا صحيحا .

● عبد الحكيم موسى

الخطة التى تقر يجب أن لا يحدث فيها تغيير لان التغيير كثيرا ما يضر بمصالح الجماهير .

وبالنسبة للجنة الموسعة فقد سبق ان جربنا هذه اللجنة فى التشكيل الماضى واثبتت فشلها لانها كانت موضع صراعات بين الجهاز التنفيذى وأعضاء الاتحاد الاشتراكى الذين كانوا على قدر مستواهم مجرد مستمعين ، وقد اجتمعت هذه اللجان مرة أو مرتين ولم تجتمع بعد ذلك ، ولم يكن لها اى نوع من انواع الفاعلية لانه عندما يحضر الدكتور وناظر المدرسة وممثلى المصالح الاخرى ، تحدث صراعات وتكون النتيجة عدم تنفيذ أى شىء .

ومن الاشياء التى أفقدت الوحدات الاساسية فاعليتها هو عدم الاخذ بأى تقرير ترفعه هذه الوحدات الى اى جهة مسئولة ، خاصة فى بعض الموضوعات التى لها أهميتها ، وعلى سبيل المثال لدينا أربعة أحواض من القطن منهم حوضين على الطريق الزراعى تم رشهم بالمبيدات وأنتجوا محصولا جيدا ، وقد تم رشهم لانهم على الطريق وعلى مرأى لكل من يمر من كبار المسئولين عن الزراعة كمدير الزراعة ووكيل الوزارة وغيرهم ، ولدينا حوضان آخران ليسا على الطريق الزراعى ، ولم يتم رشهما ولم ينتجا أى انتاج ، وقد رفع تقرير تنظيمى عن هذه الحالة ولم ينظر فيه ، بل كانت النتيجة ايضا أننا خلقنا عداء بين المشرف الزراعى واللجنة الموجودة ، وقد أرسلنا تقريرا آخر عن هذه الحالة ولم يأت الرد عليه أيضا ، وبعد ذلك فضلنا السكوت حتى لا نثير عداء مع البنك أو أى جهة أخرى .

اذن لابد أن ينظر فى كل تقرير يخرج من لجنة الوحدة الاساسية نظرة اعتبار ، ومن هنا تشعر الوحدة بفاعليتها ، هذا بجانب أن لجنة النظام لابد أن تتخذ قرارا له فاعليته بشأن أى تقرير يخرج من الوحدة يثبت عدم جديته أو أنه كيدى ويعاقب راسله .

وبالنسبة لحل مشاكل الجماهير فالواقع أن جميع من ينتخبون فى الوحدات بعد انتخابهم تكون لديهم الرغبة الاكيدة والعزم على حل مشاكل الجماهير ، ولكن كيف يمكنهم حل هذه المشاكل وهناك عداء بين الجهاز التنفيذى وهذه الوحدات ولا تتجاوب معها ولا تلبى لها أية رغبات ، ويمكن حل هذه المشاكل عن طريق اهتمام المستويات الاعلى بما يرد لها من الوحدات الاساسية واقتناع الاجهزة التنفيذية بأهمية هذه المطالب أو المشاكل وضرورة العمل على حلها .

وبالنسبة للحلول الذاتية فقد كنت أمينا لمحافظة الغربية ، ونفذت مشروعات بمبلغ ١٦٠ الف جنيه فى سنة بالحلول الذاتية ، الا اننا نجد أنه تحدث بعض المفارقات منها على سبيل المثال يأتى فى الخطة بناء مدرسة فى مركز زفتى ، ثم يتبرع عضو بمركز السنطة بمبلغ ٥٠٠ جنيه لبناء مدرسة فينقل بناء المدرسة من مركز زفتى الى مركز السنطة دون النظر الى الخطة التى يجب أن تسير عليها الدولة ، أيضا شون بنك التسليف من تبرع بقطعة أرض تبنى له الشونة ، لماذا يحدث هذا ونسير بعيدا عن الخطة ؟ .

هذا بالاضافة الى أن المبالغ التى توفرها الدولة والحلول الذاتية يمكن أن تسير فى طريق بعيد عن الخطة .

وكما ذكر الاخ شومان نحن نطالب الدولة أن لا تتوسع فى الخطة وأن تقدمها حسب امكانياتها بحيث يمكن عند تنفيذ هذه

الخطة أن توضح ما يمكن تنفيذه وما لا يمكن تنفيذه ، حتى تكون الجماهير على بينة من بادىء الامر بما يمكن تنفيذه ولا تمنى نفسها بأشياء ليس فى الامكان تنفيذها .

نقطة أخرى هامة وهى أن مصالح الفلاحين لابد أن تكون نابعة من الفلاحين ، لقد مضى على التسويق التعاونى والتنظيم الزراعى سنوات ونحن نعانى من زراعة القطن وجميع التقارير الموجودة فى المحافظة والاتحاد الاشتراكى تشير الى هذا المعنى وكان أجدى أن يؤخذ رأى الفلاحين والوحدات الاساسيه فى هذا الموضوع خير من التحفظ الذى نسس فيه الان ، اذن لابد أن يرجع فى كل هذه الامور للفلاحين فنحن الذين نزرع ونحن أصحاب الجمعيات التعاونية .

وبالنسبة لموضوع الربط بين لجنة الوحدة الاساسية والجهاز التنفيذى فتصورى انه لابد أن يكون هناك ربط كامل بين الجمعيات التعاونية وبين لجنة الوحدة الاساسية خاصة وان كثيرا من أعضاء لجنة الوحدة اعضاء فى الجمعية التعاونية ، وارى أن هذا يمنع أى من الطرفين أمين الاتحاد الاشتراكى أو عضو الجمعية من الانحياز للجهة التى ينتمى اليها ويعمل الاثنان جنبا الى جنب على النهوض بمصالح ومستوى القرية دون انحياز خاصة وأن كلا من الطرفين منتخبا من الجهة التى يمثلها وأرى أنه لامانع من أن ينضم أعضاء الجمعية الى الوحدات الاساسية اذا أردتم أن ينضم الثلاثة الى هيئة المكتب .

ومع احترامى لراى الاخوة الزملاء الذين اقترحوا ضم الدكتور وناظر المدرسة الى لجنة الوحدة ، فأرجو أن أوضح لهم أن من يحضر اجتماعات هذه اللجنة هم الفلاحون فقط ، وكما ذكر الاخ خلف الله أن الموظف الذى يعمل بعيدا عن هذه الوحدة لا يحضر اجتماعاتها ، ونحن نتمنى أن يحضروا اجتماعات هذه اللجان لمناقشة الفلاحين والعمل على حل مشاكلهم ، الا اننا نخشى على سبيل المثال أن دكتور القرية عندما يناقش فى نقص الادوية يغضب ويترك الاجتماع وتنفتت الوحدة ، لذلك فانى أرى أن يحضروا هذه الاجتماعات عند طلبهم وعندما تستدعى الضرورة ذلك ولو فى اجتماعات شهرية .. ولا أن ينضموا كأعضاء أساسيين فى هذه الوحدات .

وفيما يتعلق بضرورة وجود مقر للوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى مع ايجاد الامكانيات اللازمة لهـا من الادوات الكتابية وغيرها لابد أن يكون لهذه الوحدات نصيب من حصيلة الاشتراكات التى تجمع من المواطنين فى القرية نظرا لان هذه الادوات تشترى على حساب أعضاء الوحدة وقد يكون البعض قادرا على ذلك والبعض الاخر غير قادر .

وبالنسبة لما أثاره الاخوة الزملاء عن عضوية الاتحـاد الاشتراكى ومنح هذه العضوية للجميع ، لماذا لا نجعل هذه العضوية بالاختيار وأن تكون هناك عضوية منتسبة لمن يريد الانتساب على أن نعدل شروط الانتساب فيما يتعلق بشرط السنة أو عمل تقرير عن العضو المنتسب ، كما أنه يجب أن يكون هناك نوعا من أنواع الحصانة لعضو لجنة الاتحاد الاشتراكى على مستوى المحافظة حتى لا يخاف حينما يتحدث ، ولا أقصد حصانة بمعنى الحصانة البرلمانية بل أقصد بمنتهى الوضوح الا يجوز فصل عضو من أعضاء الاتحاد الاشتراكى الا بعد تحقيق على أعلى مستوى ويمكن أن يستأنف التحقيق ويصعد الى أعلى المستويات .

● محمد مهدى شومان

لقد شرح السيد عبدالحكيم أسلوب العمل الحالى فى التنظيم السياسى ودور لجنة العشرة وكتابة التقارير .. الخ وانا أتفق معه فيما ذكره من ضرورة الربط بين الاجهزة التنفيذية والوحدة الاساسية ، فنحن نطالب بوجود مسئول الجهاز التنفيذى فى اللجنة لانه بوجوده فيها يعتبر نفسه عضوا فيها ، وتدور المناقشات حول موضوع معين أو قضية معينة فيكون ملتزما بقرار اللجنة ، وهذه تكون بداية الربط للتنفيذ أكثر مما نتركه دون اشتراك فى اللجنة ونستدعبه عند دراسة موضوع معين ربما لا يلتزم بما تقرره اللجنة ، لكن بوصفه عضوا فى اللجنة يشعر أنه جزءا منها وما تقرره هذه اللجنة يجب أن يلتزم به .

وهذا هو رأيى باختصار فهل توافقون على أن تمثل الاجهزة التنفيذية فى اللجنة مع مراعاة أن يكون التصويت للجنة العشرة فقط لانها هى التى بها نسبة الـ ٥٠ فى المائة عمال وفلاحين والـ ٥٠ فى المائة فلاحين ، فحينما تضاف اليها مسئولى الاجهزة التنفيذية تزيد نسبة الفئات فنقل الى ١٣ فئات و ٧ فقط عمال وفلاحين .

ماذا تركنا التصويت مطلق للجميع ستختل النسب .

لذا يجب عند صدور أى قرار يكون التصويت من لجنة العشرة فقط حتى يضمن الحق الاشتراكى للفلاحين والعمال ، وتكون رئاسة اللجنة لامين الاتحاد الاشتراكى .

وأنا اعتبر أن كل تنظيم قائم فى القرية هو تنظيم مساعد للاتحاد الاشتراكى ونحن نتعاون جميعا سويا لصالح بلادنا .

● د. صلاح العبد

من أهم النقاط التى نوقشت فى هذا الاجتماع نقطة الربط بين الاجهزة التنفيذية ووحدة الاتحاد الاشتراكى التى لم تحدد أهدافها بعد ، ولذلك لم تقم بدورها بطريقة ايجابية .

ولقد أثيرت مواضيع عدة خاصة بعملية الربط هذه ، فلقد تحدث السيد ناصف طاحون على أساس ان هذه العملية يمكن أن تتم بأن يكون الربط من القمة ، لان الربط من القاعدة يكون صعب لان الخطط موضوعة ومدروسة من أعلى .

وتحدث كل من السيدين عبد الحليم وفوزى على أساس أن يكون الربط بين الجمعية التعاونية والاتحاد الاشتراكى بطريقة أقوى مما هو عليه الان ، فانا معه ان الجمعية التعاونية لا شك أنها تقوم بعملية اقتصادية هامة لكن هذا جانب من جوانب تنمية القرية ورفع مستواها وليست هى الوحيدة فقط التى تقوم بهذا العمل ، فالمدرسة ايضا تقوم بدور هام جدا بالنسبة للناحية التعليمية ، كذلك الوحدة الصحية يجب أن تقوم بدورها الايجابى لرفع المستوى الصحى وتنظيم الاسرة والجامع أيضا يجب أن يقوم بدور هام لزيادة الوعى الدينى .. الخ .
فمبدأ اعطاء اهتمام أكثر للجمعية التعاونية أعتقد أنه لا يفى بالغرض الذى نريده ولا نستطيع عن طريقه رفع مستوى القرية ، بل يجب الاهتمام بالاجهزة التنفيذية ككل دون أخذ جزء فى الاعتبار واغفال البعض .

أما بالنسبة للبرامج فلا شك أن الخطة موضوعة وضعا سليما ، لكن عند تنفيذها على مستوى القرية تحدث مشاكل كثيرة لان القيادات التى قامت بوضع هذه الخطة تعيش خارج القرية ، ولقد ضمت المجالس الشعبية للقرى العديد من هذه القيادات ان لم يكن كلها .

لذلك فأنا أريد فى حدود الخطة أن يجتمع هذا المجلس ويحاول أن يتأكد من تنفيذ الخطة ووضع الاقتراحات لتحسينها بحيث ترفع للمستويات العليا لمراعاتها عند وضع خطة أخرى .

فلو استطعنا الوصول لتحديد أهداف هذا المجلس وطريقة عمله وطريقة تكوينه ، وأن يكون للجنة العشرة حق الانتخابات على أساس انها هى اللجنة الاساسية الممثلة للشعب ، ولو استطعنا أن نقويه وندعمه بحيث يمثـل الاجهزة التنفيذية المختلفة ، فاعتقد اننا بهذا نصل الى كيـان أقوى للاتحاد الاشتراكى ويمكن له أن يقوم بدور أقوى بالنسبة لعمله على مستوى القرية .

كذلك النقطة التى أثيرت بالنسبة للجهود الذاتية ، فأنا موافق على ما ذكر ، لكن لى رأى فى هذا الخصوص .

وهو تخصيص جزء معين من الاعتمادات الانسانية في ميزانية كل وزارة بعد وضع الخطة — ومعظم دول العالم تفعل نفس الشيء — لتدعيم المجهودات الشعبية أو الجهود الذاتية ، فيمكن مثلا لوزارة التربية والتعليم وفقا لخطتها الموضوعة وان كانت تقضي بانشاء عدد معين من المدارس أن تدبر جزءا من المبلغ المخصص لهذا الغرض على أن يستكمل بالجهود الذاتية .

وشكرا .

● خلف الله مهنا

انني اركز على الموضوع الذي ذكره السيد ناصف طاحون ، وهو انه حينما اضيف طبيب الوحدة أو ناظر المدرسة أو المشرف الزراعي كمسئولي الاجهزة التنفيذية للجنة القرية ، أو ممثلين في مجالس القرى لا يمكن أن يفيد ذلك القرية فيشيء لانهم مرتبطين برئاساتهم ولا يملكون حرية التصرف ، ولن ينفذوا أي شيء اطلاقا .

فأنا استشير سيادتك في موضوع بصفتك أمين الفلاحين على مستوى اللجنة المركزية وتعلم أن مشاكل الفلاحين في القرية تصب في أربع جهات فقط وهي وزارة الزراعة ووزارة الصحة ووزارة التربية والتعليم والاتحاد التعاوني .. فلماذا لم يحضر وزراء هذه الوزارات مع رئيس الاتحاد التعاوني كلجنة هنا في اللجنة المركزية لوضع خطة للتغلب على الروتين الذي يلتزم به كل من الطبيب ومفتش الزراعة والمدرس .. الخ .. ولا يستطيعوا أن يتحركوا من خلاله ؟

هذه نقطة .. أماالنقطةالاخرىالتي اريد اثارتها لانني لااعرف لها حلا وهي أن الوحدات الريفية في قرى الجمهوريةجميعها قد أصبحت عيادات خاصة للطبيب وهذا بسبب الروتين ايضا .

فلقد أعطوا للطبيب الموجود في الوحدة المجمعة رخصة بأن يكشف بمبلغ ثلاثين قرشا بعد انتهاء العمل ، ويمكن انيكشف اثناء العمل نفسه بخمسين قرشا ، فمنيدفع الخمسين قرشاهو الذي يأخذ الدواء الجيد ويتم الكشف عليه كشفا جيدا على مرأى ومسمع من الجميع وبنى أنا عضو مجلس الشعب ،وانا اعرف هذا الطبيب جيدا أما الفلاح الذي خصص من اجله العلاج بالمجان والذي يدفع ثمنالتذكرة ثلاثة قروش وأضيف لهاقرشين لمعونة الشتاء فأصبحت خمسة قروش ، فهذا الفلاح يأخذ اما عشرة أقراص ريفو أو عشرة أقراص نوفالجين مهما كان المرض الذي يشكو منه — سواء كان انفلونزا أو روماتيزم أو التهاب مفاصل أو حمى .. الخ ، بمعنى انه يأخذ دواء بما يعادل الخمسة قروش التي دفعها .

فما الذي يمكن ان اصنعه لمثل هذا الطبيب ؟ طالما قد خصص له أن يقوم بهذا الكشف ، وقد كتبنا أكثر من تقرير ورفعناها للمسئولين ولم يتم شيء حتى الان .

فأنا استفسر من سيادتك مرة أخرى عما اذا كان يمكن أن تستدعى لنا الاجهزة الخاصة بحل المشاكل في القرى والتي أوضحناها لسيادتك ، للحضور معنا هنا لكي نشرح لهم ما الذي عقد مشاكل الجماهير ، حتى ينتبهوا اليها ويكونوا معنا في الصورة ، ويصدروا تعليمات اخرى لموظفيهم حتى يتحركوا معنا ويستجيبوا لنا بعض الشيء لكي نستطيع العمل كوحدات أساسية .

● محمد مهدي شومان

في الحقيقة هناك آراء تنادي بأن نبدأ بالقواعد الاساسية لامكان الربط حتى يكون للتنظيم السياسي وضعه ، فقد قيل أن الربط على مستوى القاعدة يمكن أن نبدأ به لحل المشاكل من القرية .

وهناك آراء أخرى تنادي بأن يكون الربط من القمة والخطة من القمة ، وبالتالي نحن لا نختلف كثيرا ، فالمهم أن يكون هناك تلاحم بين الجهاز الشعبي والجهاز التنفيذي لحل مشاكل الجماهير ، والسبب في ذلك أن الاجهزة التنفيذية تملك الامكانيات المادية ، والاجهزة الشعبية لا تملك الامكانيات المادية ، لكن تملك الفكر والتوجيه والرقابة والاشراف ، فاذا كانت هناك مشاركة بمعنى أن التنظيم السياسي عندما يرى أن هناك مركز يحتاج الى بناء مستشفى أو مدرسة يضع الخطة بناء على احتياج الجماهير يأتي بعد ذلك دور من يملك الماديات وهو الجهاز التنفيذي وبالتالي يمكن القول أن الجهاز التنفيذي والتنظيم السياسي جسدا واحدا يكملان بعضهما سواء كان من القمة أو القاعدة ، وهنا أصبحت عملية الربط هامة جدا والا لا يكون للتنظيم السياسي فاعليته .

تعلق أحد السادة الحاضرين على كلام السيد الاميين قائلا « انه على كل جهاز من الاجهزة المشار اليها أن تشترك في وضع خطة شاملة يلتزم بها الجميع ، واذا قصر أي جهاز من الاجهزة فعلى المستوى الاعلى أن يحاسب ، ومن هنا تأتي المحاسبة للكل سواء كان الجهاز التنفيذي فيحاسب عن طريق أجهزته تحت اشراف التنظيم السياسي ، كما انه يمكن محاسبة التنظيم السياسي عند وجود أي قصور وذلك عن طريق مستوياته العليا التي تشكل لجنة لهذا الغرض .

● ناصف طاحون

أود أن أقول أن هذا الكلام يعتبر حلما بلاشك ، وبالتالي يجدر بنا ان نتكلم من واقعنا وبمنتهى الصراحة ، لقد ذكرت سيادتك ان الجهاز التنفيذي هو الذي يملك الامكانيات المادية ويملك التنفيذ ، لكنني قد أختلف مع سيادتك في هذا ، لان الجهاز التنفيذي يعتبر من الاتحاد الاشتراكي ، والاتحاد الاشتراكي وهو سلطة الدولة العليا يملك التخطيط فهو يخطط للجهاز التنفيذي ، والجهاز التنفيذي ملزم بأن ينفذ هذه الخطة ، بعد ذلك يأتي دور الاجهزة الشعبية وهو الرقابة على تنفيذ هذه الخطة .

اذن الاساس هو ان يقوم الجهاز الشعبي بوضع الخطة ثم يحاسب المقصر في التنفيذ .

أما بخصوص ماذكره الاخ الدكتور صلاح منانهناك تقصيرا في تنفيذ الخطة الموجودة فسيادته يعلم تمام العلم ان هناك حساسية بين لجنة الوحدة وبين الاجهزة التنفيذية ، بمعنى انه اذا رأت اللجنة تقصيرا في ناحية ما يتصل بالمسئول عن هذا ، ولكن دون جدوى فيلجأ لرئيسه الذي يضع ادعاءات معينة ! وبالتالي نجد أن رئيس هذا الجهاز يحاول في كل مرة ان يحمي العاملين معه .

هذه هي الصورة الحقيقية التي يجب ان نواجهها .

أما بالنسبة للكلام الذي قيل فنحن متفقون عليه وهو أنه لابد منعملية الربط والمشاركة بينالجهاز التنفيذي والجهاز الشعبي حتى يمكن أن نستفيد ايضا من الناحية العلمية ، ولا نتغافل الناحية العلمية ونحن مؤمنون بها ، ولابد من المشاركة على ان نبدأ من القرية وهذا أساس لاننا اذا تغافلنا العلم فنحن اذن ندور في فراغ ، ولابد من عمل اجتماعات فالحوار والمناقشة أساس العمل الديمقراطي على كافة المستويات .

الواقع ان عمل التنظيم السياسي أساسا انه يحاول رفع مستوى الجماهير سياسيا واجتماعيا ، ويضع في المقام الاول حل المشاكل الجماهيرية ولكن ما يحدث هو أن حل المشاكل يوجد صداما وحساسية ما بين الجهاز الشعبي والجهاز التنفيذي ، وبالتالي لايوجد تفكر بعقلية سياسية ممايتتج منه تصيدللاخطاء في الوقت الذي يحاول فيه الجهاز الشعبي المساعدة للارتفاع بالمستوى الفكري وبعض الاجهزة التنفيذية توجد الحساسيات نكون نتيجة أن الجماهير تتخذ موقفا معاديا ، وأقولها صراحة

آن بعض الذين يعملون فى هذه الاجهزة عقليتهم ليست عقلية سياسية وهذه مشكلة .

لكننا متفقون فى انه لابد أن يشترك معنا الجهاز التنفيذى فى العمل وفى كل موقع ، ولابد ان اربطهم معنا على ان نسيس من هم على قمة هذه الاجهزة لكى نتحرك معنا لصالح البلد ولصالح تحولنا الاشتراكى ولرفع المستوى الجماهيرى سياسيا واجتماعيا والعمل على حل المشاكل الجماهيرية .

اننا نلاحظ اليوم أن هناك انحرافات موجودة لكن هذا لا يخيفنا لانه من الممكن تقويمها ، لابد من علاج أولا حتى يمكن الدخول فى عملية الربط ، ولكن ما هى طريقة الربط فقد مضى علينا اكثر من عشر سنوات منذ الاتحاد القومى للان ونحن نتكلم فى هذا .

لابد من تسييس عقلية القيادات حتى يكون هناك وعى ، ويكون هناك احساس بالمسئولية ، وبالتالى تسير الامور فى مجراها الطبيعى فالرئيس يحاسب الموظف المقصر ، ولابد أن يكون قلب كل منا على بلده ، فالبلد بلدنا ، لكن الرئيس يدافع عن موظفيه دون وجه صحة فهذا على حساب البلد ، وكلنا يعلم ووزارة الصحة تعلم أن الطبيب يبيع الادوية فى الوحدة الصحية ، ما هى الاجراءات التى اتخذت فى هذا الشأن ، يجب أن يكون هناك ضمير واخلاق ، وبالتالى يجب على التنظيم ان يضع التخطيط السليم وعلى الجهاز التنفيذى تنفيذها ويجب ان نحس بأن هناك جزاء رادعا ، وبهذه الروح يمكننا أن ننجح .

وأود ان اتكلم دون حساسية عن بعض المحافظين وبعض امناء الاتحاد الاشتراكى فاننا نجد احيانا خلافات بينهم ، لماذا هذه الخلافات ، هل هذه عزبة نورثها .. نحن جميعا نعمل فى واد واحد .. هذه مشكلة فعلا يجب أن تعالج ، ويجب أن يعمل كل فى موقعه بعقلية سياسية لمصلحة هذا البلد فالمسألة ليست تركة موروثة .

● محمد مهدى شومان

لابد فعلا من وجود احساس بالمصلحة العامة وليست المصلحة الفردية .. ولابد ان نحس جميعا ان المصلحة مصلحة البلد .

● احمد فخرى قنديل

لقد عشنا جميعا طوال عشر سنوات نجد أن كل من اتكلم فيها ، لكن هناك موضوع مر على بعض الاخوة وهو المطالبة بضرورة انضمام قوى التحالف للتنظيم وهذا يعنى انضمام كل من « هب ودب » واننى اختلف مع الاخوة فى هذا ، فالتنظيم يسير فى خط معين ولابد له من عناصر معينة وليس معنى هذا أن تجمع الناس حوله لدفع الاشتراك فهذا شىء غير سليم ، نحن بصدد بناء الاتحاد الاشتراكى بحيث يكون تنظيما جديدا له فاعليته وبحيث يكون معبرا عن آمانى الشعب .

لقد عشنا جميعا طوال عشر سنوات ، نجد أن كل من يدفع الاشتراك له حق ممارسة حقه الطبيعى ، نريد أن نبنى صرحا قويا معبرا وفعالا ينضم اليه كل من يؤمن به وليس كل من يدفع له .

بالنسبة للنقطة التى تكلم فيها الاخ احمد يونس فيما يتعلق بشيخ البلد من انه لابد أن يأخذ الرخصة من سلطة التحالف نفسها لكى يعمل ، اننى اتفق معه فيما ذهب اليه ، لماذا نغفل هؤلاء ونبقى على عناصر مهملة وما هو المعيار للشخص العامل ، المعيار فى نظرى هو العمل داخل لجنة الوحدة والمشاركة الفعالة فى حل مشاكل الجماهير هو الذى يظهر ويبرز العناصر القادرة على العمل السياسى ، عناصر الثورة المؤمنة الصالحة ، هذه هى النقطة التى أريد أن اركز عليها ، وهذه هى العناصر التى يجب ان تتوافر فى العضو ، ويجب ابعاد العناصر الرجعية وكما ذكر بعض الاخوة بأن الريف دائما فى صراع ولكن الخير دائما يتغلب ، فيجب ان نهتم بالريف ، والمشاركة الفعالة هى المعيار الحقيقى لتنظيم تحالف قوى الشعب العاملة .

نقطة اخرى عن ضم او الربط بين عناصر الجهاز التنفيذى والجهاز الشعبى ، يجب أولا ضم التنظيمات المساعدة وضم قاداتها للتنظيم بمعنى ان نضم رؤساء الجمعيات ومسئولو اللجان النقابية وعمال الزراعة فى القرية وفى المصنع لاعضاء الوحدة .. على أن يكون التصويت لثلاثة عشر فردا وليس لعشرة افراد فقط لانهم منتخبين .

● محمد مهدى شومان

لقد ذكرت سيادتك ان يكون التصويت للجميع ولى تعقيب على ذلك ان العشر اعضاء منهم نسبة ٥٠ فى المائة من العمال والفلاحين وقد يكون العمدة فئات ، اذن فى هذه الحالة ستزيد نسبة الفئات واذا زادت نسبة الفئات فقد العمال والفلاحون ميزة هامة لهم لذا أرى أن نضع هذا التحفظ لان اللجنة اذا توسعت قد تزيد فيها نسبة الفئات .

● محمد فخرى قنديل

فى هذه الحاله يكون التصويت للمنتخب فقط .. بالاضافة الى ذلك يجب أن يكون هناك لقاءات دورية بين لجنة وأعضاء الجمعية ككل ولجنة الوحدة ، ايضا أرى أنه لابد من اعادة النظر فى موضوع تعريف العامل والفلاح اذ أن هناك سطو على العامل والفلاح وقد كفل لنا الدستور والميثاق والقانون التنظيمى نسبة الـ ٥٠ فى المائة .

لقد وضع شرط بالنسبة للفلاح وهو أن يمتلك عشرة أفدنة بينما أن هناك من بين العمال من هو رئيس مجلس ادارة من الذين أتيحت لهم الفرص وحصلوا على البكالوريوس ما زال للان مقيدا تحت صفة عامل ، انى أعتبر أن هذه عملية ضغط على الفلاحين ، ان العامل هو العامل الذى يعمل فى المصنع والفلاح هو الفلاح الذى يمتلك أقل من عشرة أفدنة ، وذلك مع ضرورة تثقيف العمال والفلاحين .

وشكرا .

● محمد عبد العليم مسعود

لقد أثار زملائى أهم الموضوعات التى كانت فى ذهنى ولكنى أريد أن اركز على نقطة هامة وهى أنه لابد أن يكون هناك برنامج لعمل الوحدة الاساسية يلتزم الجهاز التنفيذى بها وتنفيذها ، على أن يكون هناك متابعة ومحاسبة من لجان الوحدات الاساسية على مستوى القرية والمركز للجهاز التنفيذى ويكون هناك عقاب ، ولا مانع من أن يمثل الجهاز التنفيذى فى اللجان الموسعة وان لا يكون لاعضائه حق التصويت .

● محمد مهدى شومان

لكى نخرج بمفهوم موحد فان ما دار من مناقشات فى هذه الجلسة كان منصبا على القوى المؤثرة بالنسبة للتنظيم السياسى فى شكله العام ، وسوف الخص لكم ما دار فى هذه المناقشات ثم أطرح عليكم الاقتراح الذى عرضه الاخ فوزى بتشكيل لجنة لوضع التصور النهائى لما دار فى هذه المناقشات .

بالنسبة لما أثير حول المحاسبة فقد طالبنا بالمحاسبة لجميع مستويات التنظيم ، أيضا بالنسبة للتدريب فقد طالبنا بالتدريب والتثقيف حتى يكون كل عضو فى موقع التنفيذ سياسيا يعمل بمفهوم سياسى ، كما طالبنا بتعريف العامل والفلاح ، وطالبنا

بالخطة وضرورة أن يكون هناك تخطيط الخاصة واننا فى مجتمع اشتراكى وفى مرحلة التحول الاشتراكى وبالنسبة للربط بين الجهاز السياسى والجهاز التنفيذى فقد طالبنا بهذا الربط بين الجهاز التنفيذى والتنظيمات المساعدة والتنظيم السياسى بل طالبنا ان يكون هذا الربط فى جميع المستويات ، أيضا طالبنا بوضع معايير لدخول التنظيم السياسى بحيث تكون هناك مواصفات للعضو من حيث معرفة القراءة والكتابة والاقامة فى مقر الوحدة وعدم الاقامة .

لقد أثير أيضا فى هذا الاجتماع تمثيل الجهاز التنفيذى فى لجنة الوحدة وموضوع التفرغ للعمل فى لجنة الوحدة ، وضرورة وجود مقر ثابت للجنة الوحدة بحيث يكون للتنظيم السياسى كيان ، أو تخصيص نسبة من حصيلة الاشتراكات لوحدات القرية ، كما أشرنا الى ضرورة عقد اجتماع أسبوعى للهيئات التنفيذية على مستوى الوحدة ، واجتماع نصف شهرى بالنسبة للجنة ككل ، والى تشكيل لجان نوعية من خلال اللجنة الموسعة كلجنة للفلاحين وأخرى للعمال وغيرها ، كما أشرنا الى التحفظ بالنسبة للتصويت فى لجنة العشرة حفاظا على نسبة الـ ٥٠ فى المائة للعمال والفلاحين .

بعد ذلك فانى أطرح عليكم الاقتراح الذى عرضه الاخ فوزى الخاص بتشكيل لجنة لتضع التصور النهائى لهذه المناقشات .

● ناصف طاحون

لا داعى لتشكيل لجنة ونترك هذا الموضوع لسيادتك على أساس أن كل ما دار موجود فى المضبطة ويمكن تلخيصه على أساس ورقة عمل نناقشه بعد ذلك .

● محمد مهدى شومان

من الذى يتــولى وضع ورقة هــذا العمــل ؟ هل نتركها للسكرتارية .؟

● ناصف طاحون

أرى أن تتولى سيادتك وضع هذه الورقة مع السكرتارية .

● محمد مهدى شومان

بناء على هذا الاقتراح سوف تتولى السكرتارية وضع ورقة العمل مستخلصة من واقع ما دار من هذه المناقشات ، وسوف يعقد بعد ذلك اجتماع عام يضم جميع النوعيات بحيث تطرح كل نوعية الورقة التى أعدتها لكى تنتهى الى الورقة العامة التى تخرج فى شكلها النهائى للعرض على اللجنة المركزية ، وسوف نراعى فى الشكل العام موضوع اعادة النظر فى قانون الاتحاد الاشتراكى لعدم حبس العضوية فى عملية التصعيد .

● رشاد عمران

لى تعليق بسيط بالنسبة لضم الاعضاء والمقترح ضمهم الى هذه اللجان وعدم احقيتهم فى التصويت والتحفظ الذى وضع بالنسبة للحفاظ على نسبة الـ ٥٠ فى المائة للعمال والفلاحين وما قد ينتج عن ذلك من حساسيات .

أرى تفاديا لهذا أن يضم الى لجنة الوحدة ثلاثة من أعضاء الحساسيات ، وسوف تطرح هاتان الورقتان فى اجتماع يأخذ بهذا ربطا كبيرا فى القرية خاصة بين الجمعية التعاونية والوحدة الاساسية .

● محمد مهدى شومان

ان الجمعية تنظيم قوى وقائم ، ولكنه هناك نقابات زراعية موجودة فى القرية وعندما تمثل الجمعية بثلاث اعضاء فى الوحدة الاساسية فسوف تطالب هذه النقابات بتمثيلها فى الوحدة بمثل هذا العدد وبهذا الشكل تتسع اللجنة والواقع ان نتحاشى الحساسيات ، وسوف تطرح هاتان الورقتان فى اجتماع يأخذ التصويت بشكل عام وسوف نناقش تقريرنا الذى نخرج به مع جميع النوعيات .

وأشكركم على المناقشة البناءة التى تفضلتم بها . وشكرا .

(وانتهى الاجتماع الساعة الواحدة بعد الظهر)

مفـــاتيح التطـــوير
الفـكرى والسـياسى والتنظيمى
للاتحـــاد الاشـــتراكى العـــربى

أصدر المؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى العربى فى دورته الطارئة التى انعقدت بالقاهرة فى فـبراير سنة ١٩٧٢ ، قرارا هاما بتطـوير الاتحاد كأداة شعبية قيادية لتحالف قوى الشعب العاملة. وذلك من النواحى الفكرية والسياسية والتنظيمية بما يسهم — أساسا — فى خدمة معركة التحرير ذات الاولـوية المطلقة فى حياتنا المعاصرة . وعهد المؤتمر للسكرتير العام للجنة المركزية بتكوين لجنة عمل لهذا الغرض .

وقـد استلزم تنفيذ هذا القرار ، بروح من المسئولية ، تحديد أربع نقاط أساسية على النحو التالى :

النقطة الاولى
تحديد الاطار العام

التزمنا فى تجديد الاطار بالقرار الصادر عن المؤتمر القومى فى هذا الخصوص ، وبالخطوط الاربعة الرئيسية التى تضمنها خطاب السيد رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكى أمام المؤتمر القومى ، ومناقشات السادة أعضاء المؤتمر ولجانه .

وفى هذا الضوء أمكن صياغة الاطار العام للعمل على هذا النحو :

« الانطلاق فى التطوير من واقع الاتحاد الاشتراكى كأداة سياسية مجمعة وموجهة لتحالف قوى الشعب العاملة فى المجتـمع . آخذين فى الاعتبـار حصيلة تجربة الاتحاد ، بايجابياتها وسلبياتها ووثائق المسيرة الثورية الاربعة الرئيسية والمتمثلة فى الميثاق الوطنى ، وبرنامج ٣٠ مارس ، وبرنامج العمل الوطنى ، والدستور الدائم لجمهورية مصر العربية ، وذلك لتحقيق أهداف اربعة :

(أ) حشد طاقة جماهير شعبنا وذلك عن طريق وضعها فى الصورة دائما ومشاركتها الايجـابية فى صنـع القرارات الرئيسية .

(ب) ادارة الحـوار الديمقراطى بين قـوى الشعب العاملة ، لكى تتحقق عن هذا الطريق مشاركتها الايجابية فى النضال الشامل لامتنا .

(ج) فتح أبواب الاتحاد الاشتراكى وقنـواته التنظيمية ، ليكون مجالا للتفاعلات الصحية بين كل القوى الشعبية .. وتـكون كل خطوة الى الامـام متصلة بعملية ديمقراطية سليمة .

(د) اعداد الجماهير نفسيا وذهنيا ومبدئيا ، لتقبـل مسئولياتها ، على أن يكون واضحا أن النـاس يحملون

مسئولياتهم اذا امسكوا بأيديهم حقوقهم بما فى ذلك حقهم فى توجيه السلطة الوطنية . وهى لا تعبر ، ولا يمكن أن تعبر الا عنهم ، وعنهم وحدهم والا فقدت اهميتها وشرعيتها .

النقطة الثانية
تحديد الاجهزة المسئولة عن مناقشة عملية التطوير

فى هذا المجال ، كان لابد من الالتزام ، بقرار المؤتمر القومى بتكوين « لجنة عمل » من بين أعضاء الاتحاد الاشتراكى .

ولما كان المؤتمر قد عهد الى بتشكيلها فقد حرصت على أن أراعى فى هذا التشكيل عدة اعتبارات جوهرية : —

أولا : ان يأتى التكوين انعكاسا لمستويات العضوية المتعددة داخل الاتحاد الاشتراكى .

ثانيا : أن يأتى التكوين انعكاسا لكل الاجيال المشاركة اليوم فى العمل السياسى .

ثالثا : أن يأتى التكوين انعكاسا لمختلف الاهتمامات العامة فى المجتمع من جانب ، ولمواقع المسئولية ونوعياتها من جانب آخر .

ولما كانت مهمة لجنة العمل من الضخامة والاتساع ، فقد تم تشكيل تسع لجان فرعية معاونة لها .

النقطة الثالثة
أسلوب العمل

اعتمدنا أسلوب العمل العلمى السياسى التنظيمى الجماهيرى ...

فمن ناحية تقدمت — من واقع الخبرة والمناقشات التنظيمية والجماهيرية التى أتيحت لى — بورقة عمل تناولت تصورى من موقع السكرتير الاول فى التنظيم لكل من مهمة لجنة العمل ، وأسلوب العمل ، ومهمة اللجنة فى تحديد الاطار الفكرى للتنظيم وكذلك فى المجال التنظيمى الشامل ، ودور الاتحاد فى العمل الجماهيرى ، وعلاقات الاتحاد بكل من السلطة التنفيذية على المستوى القومى والمحلى ، والمؤسسات التشريعية (مجلس الشعب والمجلس الشعبية للمحافظات) واخيرا تحليلا لما كشفت عنه تجربة الاتحاد الاشتراكى خلال عشر سنوات منذ قيامه فى ٨ ديسمبر ١٩٦٢ حتى اليوم من سلبيات ونواقص .

وكان الهدف منورقة العمل هو طرحاسئلة وقضايا أمام لجنة العمل ولجان العمل الفرعية ، لا تقيد حركتها بقدر ما تعطيها نقاط بداية للانطلاق .

ومن ناحية أخرى ، طرحنا القضية برمتها على المنابر الصحفية المختلفة بهدف اشراك جماهير الشعب على اختلاف مواقعها وآرائها فى مناقشات عمليات التطوير وقد أفاد ذلك فى اغناء نشاط لجنة العمل واللجان الفرعية وجعلها دائما تحت الضوء الشعبى على أوسع نطاق ممكن .

كما روعى مبدأ العمل الجماعى المنظم فى مناقشات وانجازات لجنة العمل واللجان الفرعية — ولم يكن لرأى الفرد — أيا كان مركزه — أهمية ووزنا الا بالقدر التى تثبت المناقشة الجماعية صحته وواقعيته معا .

وقد تركزت كل المناقشات من حول ثلاث رؤوس مسائل أساسية هى : —

١ — شحن أجهزة الاتحاد الاشتراكى بفاعلية سياسية حقيقية ولو أدى ذلك الى تعديل فى بعض الصياغات التنظيمية الحالية أو اضافة ما أصبح الواقع الجديد يستلزمه من صياغات جديدة .

ب — اعداد مشروع لدليل العمل السياسى التنظيمى للاتحاد الاشتراكى واعضائه .

ج — اعداد مشروع جديد لقانون الاتحاد الاشتراكى على أن لا يمس ذلك بالواقع الراهن للاتحاد ، الذى تم انتخابه فى النصف الثانى من العام الماضى انتخابا ديمقراطيا ، وذلك بعد حركة التصحيح لمسار الثورة فى مايو سنة ١٩٧١ .

النقطة الرابعة
مفاتيح التطوير الاساسية

أسفرت مناقشات لجنة العمل واللجان الفرعية فى اجتماعاتها التنظيمية والجماهيرية المتعددة الى الوصول الى ثمانية مفاتيح أساسية للتطوير المنشود ويمكن أن نلخص هذه المفاتيح فيما يلى : —

المفتاح الاول :

الاتحاد الاشتراكى العربى هو التعبير السياسى ، أداة وحركة وتنظيما ، لتحالف قوى الشعب العاملة . وبالتالى فهو لايضيف توجديدة الى قوى التحالف ، ولايجعل من تنظيمه قوة مميزة تعلو بقية قوى التحالف ، مما يفرخ منه مركز أو مراكز قوى تخل بالوحدة الوطنية .

ومن هنا اتجهت الاراء الى ضرورة التأكيد على طبيعة التحالف داخل الاتحاد الاشتراكى بأنه تحالف حقيقى وواقعى بين القوى الاجتماعية وليس تحالفا شكليا بين أفراد يتخذون منه وسيلة قمع أو تحقيق لمآرب ومصالح ذاتية .

ولضمان ذلك تم الوصول الى ما يلى :

أولا — اقرار مبدأ العضوية الجماعية للنقابات المهنية والاتحادات العمالية والطلابية والشبابية والتعاونيات الزراعية والغرف التجارية والصناعية .. فى المؤتمر القومى ، وذلك جنبا الى جنب مع العضوية الفردية .. على أن تمثل تلك العضوية الجماعية فى الامانات المختلفة .

ثانيا — تكوين لجان رأى متخصصة تنبع من قطاعات الابداع المادى والفكرى فى الحياة اليومية ، تكون بمثابة نوافذ مفتوحة للتنظيم على مختلف الانشطة الجماهيرية ، واتجاهاتها ، وجسور لقاء وتفاعل بينها وبين المؤسسات النقابية والمهنية والعلمية ذات التأثير فى مجالاتها .

وينعقد كلستة أشهر مؤتمر لكلجان الرأى برئاسة السكرتير الاول ، ويتكون من مقررى لجان الرأى لجنة تحضيرية دائمة لهذا المؤتمر تقوم بالاعداد لجدول أعماله .

ثالثا — اقامة منابر داخل التنظيم تقوم كلقوة اجتماعية من قوى التحالف بالتعبير من خلالها عن اتجاهاتها وآرائها بحيث تكون واضحة كل الوضوح أمام القيادة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى عند اتخاذ القرارات .

المفتاح الثانى :

تنبع فاعلية التنظيم السياسى من الجهد الجماعى المشترك لاعضائه واجهزته المختلفة ابتداء من الوحدة الاساسية حتى القيادة المركزية للعمل اليومى المتمثلة فى الامانة العامة والسكرتير الاول للجنة المركزية ... ولا يمكن لهذا الجهد الجماعى ان ينتج اثره دون أن تتوافر حياة ديمقراطية داخل التنظيم . وهى لا يمكن أن تتوافر بصورة صحية ومنتجة الا بتوافرها أساسا فى المجتمع كله بسيادة القانون وضمانحرية التعبير .

ولضمان ذلك تم الوصول الى ما يلى :

أولا : قيام الاتحاد الاشتراكى ، كجهد رئيسى — بالعمل على اصدار جميع التشريعات المتعلقة بالحريات والتى قررها الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية .

ثانيا : تأمين الممارسة الديمقراطية داخل التنظيم من خلال أوعية محددة وواضحة وعلى أساس اعتناق مبدأ « الشرعية التنظيمية » .

ثالثا : اقرار حصانة تامة لعضو الاتحاد ، أيا كان موقعه فى نشاطه الفكرى والعملى داخل التنظيم وفقا للوائحه .

المفتاح الثالث :

وضوح كامل للارضية الفكرية التى يعمل من خلالها تحالف قوى الشعب العاملة وتنظيمه السياسى . وذلك على أساس أن وضوح الفكر يعنى سلامة الاتجاه فى العمل والنشاط .

ولضمان ذلك تم الوصول الى ما يأتى :

أولا : تحديد المصالح ذات الوزن القومى الشامل والتى لا خلاف عليها بين كل قوى التحالف على النحو التالى :

أ — تحرير الارض العربية .

ب — حماية المكتسبات الاشتراكية وتنميتها .

جـ — الديمقراطية وسيادة القانون .

د — محاربة البيروقراطية فى أجهزة الدولة والقطاع العام .

هـ — محو الامية وتنظيم الاسرة .

و — الانتماء المصيرى الى الامة العربية .

ثانيا : تحديد أهم المصالح الخاصة بكل قوى اجتماعية داخل التحالف ، وترتيب أولوياتها ، بحيث لا تتعارض من ناحيه مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومى الشامل . وبحيث تقدر الامكانيات المتاحة والظروف الراهنة تحقيقها من ناحية أخرى ، وبحيث لا يكون فى تحقيق هذه المصالح — من ناحية ثالثة — انحراف عن طريق التطور نحو الاشتراكية بالطريق السلمى الديمقراطى .

ثالثا : عدم مصادرة الاتحاد الاشتراكى للحركة المستقلة ذاتيا للنقابات والاتحادات والمنظمات الوطنية ، كل فى مجالها الخاص بها .

المفتاح الرابع :

الاتحاد الاشتراكى هو التنظيم الام الذى تنبع منه جميع السلطات فى الدولة وخاصة الحكومية والتشريعية ، ومن هنا فهما جناحان أساسيان لها يقومان بوضع مقرراته وارادته موضع التنفيذ أو التشريع . لكن الاتحاد الاشتراكى — على مختلف مستوياته — لا يلغى بنشاطه أى من مجلس الشعب أو الحكومة ولا يحل محلهما .

ولهذا عنيت لجنة العمل واللجان الفرعية الى وضع قنوات وضوابط للعلاقات بين الاتحاد الاشتراكى وكل من السلطة التشريعية ممثلة فى مجلس الشعب والمجالس الشعبية والسلطة التنفيذية ممثلة الحكومة والمحافظات .

ولتحقيق ذلك تم التوصل الى ما يلى :

أولا : بالنسبة لمجلس الشعب والمجالس الشعبية التى يجب الحفاظ على حرياتها الكاملة يجرى العمل على ضبط العلاقة من خلال قناة تنظيمية ديمقراطية هى « الهيئة البرلمانية » يشارك فى عضويتها كل من أعضاء مجلس الشعب ورؤساء المجالس الشعبية وأعضاء الامانة العامة ، ويرأس اجتماعاتها السكرتير الاول للجنة المركزية . ويخصص مكتب لها ضمن المكاتب المتخصصة المعاونة للسكرتير الاول .

ثانيا : بالنسبة للحكومة والمحافظات ، يجرى تنظيم وضبط العلاقة على أساس قنوات تنظيمية تبدأ من قمة القيادة اليومية لكل من الاتحاد الاشتراكى والحكومة ممثلة فى السكرتير الاول ورئيس الوزراء ونوابه وتدرج الى مستوى الامانة العامة والوزراء ثم الى أمناء المحافظات والمحافظين وهكذا حتى لجنة الوحدة الاساسية .

المفتاح الخامس :

أولت لجنة العمل واللجان الفرعية أهمية خاصة لموضوع عضوية الاتحاد الاشتراكى من حيث طبيعتها والحقوق والواجبات المترتبة عليها ، وقواعد منحها أو سحبها ، بحيث يتوافر مناخ صحى للعلاقة بين التنظيم ككل وبين المتمتع بعضويته .

ولضمان ذلك تم التوصل الى ما يلى :

أولا : اقرار مبدأ أن العضوية للاتحاد الاشتراكى اختيارية ، بحيث لا ينضم الى التنظيم الا الراغبين حقيقة فى المشاركة السياسية والايجابية والمؤمنون بالخط الفكرى والسياسى الذى يقوم عليه التنظيم والمستعدون فعلا للتضحية فى هذا السبيل .

ثانيا : أن ينص قانون الاتحاد الاشتراكى ولوائحه على ضمانات كافية لمنح العضوية وسحبها ، وأن تكون هذه الضمانات سياسية ومحددة موضوعيا .

ثالثا : أن تمتع المواطن بعضوية الاتحاد الاشتراكى يعنى من ناحية المبدأ صلاحية العضو بصفة مستمرة للترشيح للمستويات العليا ، وذلك فى اطار مبدأ الشرعية التنظيمية الذى يجب أن يقترن بمعايير موضوعية محددة ودقيقة يجرى على أساسها اتخاذ الموقف التنظيمى من العضو طالب الترشيح .

رابعا : أمام مثل هذه الحدود لطبيعة العضوية فانه لم يعد هناك مبرر لقيام نظام العضوية المنتسبة .

المفتاح السادس :

الاهتمام الى أقصى حد بلجنة الوحدة الاساسية — فكريا وسياسيا وتنظيميا — باعتبارها حجر الاساس للاتحاد الاشتراكى والذى يتوقف على قوته وفاعليته ، قوة وفاعلية البناء التنظيمى كله . وقد دلت تجربة السنوات العشر الماضية على أن العمل المركزى على مستوى قيادة التنظيم ليس هو الذى يحدد علاقة الجماهير به . وأن احساس الشعب بتنظيمه السياسى رهن فى الحقيقة بالحركة الايجابية لوحداته الاساسية ونشاطها .

ولضمان ذلك تم التوصل الى ما يلى :

أولا : الدعم الفنى والمادى للوحدة الاساسية .

ثانيا : تكليف بعض أعضاء المستويات القيادية فى التنظيم (مثل الامانة العامة واللجنة المركزية والامانات المختلفة) بالعمل المباشر داخل الوحدات الاساسية والمعاونة فى عملها وتبادل الخبرة مع أعضائها .

ثالثا : ربط لجنة الوحدة الاساسية ربطا منتجا بمجالات الانتاج والخدمات فى واقعها المحلى . بحيث تعقد — فى هذا الصدد — لقاءات مستمرة مع ممثلى الاجهزة التنفيذية من المستوى المقابل لها وذلك فى هيئة مؤتمر يعقد كل عام .

رابعا : تسليح الوحدة الاساسية بالنظرة السياسية الشاملة لقضايا التنظيم والمجتمع ككل .

ثامنا : الاهتمام بحركة الشباب فى الواقع المحلى للوحدة الاساسية بحيث تقوم بتدعيم النشاط الثقافى والاجتماعى والرياضي لشباب منطقتها الجغرافية أو الجماهيرية .

المفتاح السابع :

الاهتمام الى أقصى حد بنوعية التنظيم السياسى وانضباطه وفاعليته كما وكيفا وحركة ، بحيث يصبح فى الواقع الفعلى ، قيادة سياسية مقبولة وذات احترام من المجتمع من ناحية ، وقادرة على تلبية الاحتياجات الجماهيرية والرد على تساؤلاتها أولا بأول ودون ابطاء .

ولضمان ذلك تم التوصل الى ما يأتى :

أولا — اعتماد اسلوب العمل الجماعى فى التنظيم على مختلف المستويات ، وبحيث لا يخل ذلك بالمبادرات والمسئوليات الفردية من ناحية ، ولا يعطى الفرد فى التنظيم ، أيا كان مركزه ، ميزات تسلطية على غيره .

ومن هنا فان السكرتير الاول يباشر مهامه عن طريق مكاتب تنظيمية متخصصة تحددت فى ١٣ مكتبا .

وكذلك فان اللجنة المركزية والامانة العامة يقومان بمباشرة مسئولياتهما من خلال أمانات ذات شعب ومكاتب متخصصة .

وقد استقر الرأى على اضافة امانة جديدة الى الامانات الحالية بحيث يصبح مجموعها ١١ أمانة (*)

والامانات الجديدة هى :

— أمانة شئون الحرفيين والرأسمالية الوطنية ، أمانة الشئون الاقتصادية وأمانة شئون الخدمات ، والامانتان الاخيرتان تدخلتا محل أمانة برنامج العمل الوطنى التى أصبحت الامانة العامة تجتمع كلجنة برنامج العمل الوطنى عند مناقشة الامور المتعلقة بالخطة العامة للدولة فضلا عن قيام مكتب خاص بها يعمل من خلال مسئوليات السكرتير الاول .

ثانيا — وضع نظام عمل ثابت لمستويات التنظيم المختلفة وخصوصاً فى المستويات العليا للتنظيم وفى المؤتمر القومى واللجنة المركزية .

ثالثا — يتم من خلال اللجنة المركزية اقرار الخطة القومية للتنمية والخطوط العامة للسياسة الداخلية والخارجية .

المفتاح الثامن :

أولت لجنة العمل واللجان الفرعية اهتماما كبيرا بضرورة توفير الكفاءة الفنية للتنظيم فكريا وسياسيا وتنظيميا ، وذلك من طريق تزويده بعنصر الخبرة الفنى المتخصص .

ولضمان ذلك تم التوصل الى ما يأتى :

أولا — انشاء مكاتب خبراء مركزى تابع للامانة السياسية والعلاقات الخارجية يقوم باعداد الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى يتطلبها العمل السياسى .

ثانيا — عقد مؤتمر دورى كل ثلاثة اشهر يضم أمناء المحافظات والاقسام والمراكز والبنادر ويرأسه السكرتير الاول ويحضره أعضاء الامانة العامة لمناقشة المشاكل والقضايا العملية للنشاط السياسى التى يواجهها التنظيم فى المواقع المختلفة ولتبادل الخبرات وتقييم الموقف على مستويات التنظيم المتعددة .

ويجوز للسكرتير الاول — عند الضرورة — ان يوسع من هذا المؤتمر فيدعو اليه بعض أمناء الوحدات الاساسية فى مجالات الانتاج والخدمات والسكن ذات الوزن ، أو ذات الصلة المباشرة بالنسبة للموضوعات المطروحة على المؤتمر ، كما يجوز أن يدعو اليه بعض السادة الوزراء أو المسئولين فى الاجهزة التشريعية والتنفيذية .

هذه هى المفاتيح الاساسية للتطوير .. والتى تم التوصل اليها — من خلال الجهد الجماعى وعلى مدى ثلاثة أشهر متصلة ، والتى ستنعكس بدورها فى صياغة كل من دليل العمل السياسى — التنظيمى للاتحاد الاشتراكى والقانون الاساسى واللوائح التنظيمية الداخلية .

تقرير من السكرتير الاول للجنة المركزية

فى ضوء ما انتهت اليه

لجنة العمل

فى هذه المرحلة الدقيقة من كفاح شعبنا المجيد للوفاء بمسئوليته التاريخية واستمرار عطائه الحضارى للمجتمع الانسانى كله ، والتصميم على اقامة مجتمع عصرى تحكمه قوة العلم الخلاقة ،وتلهمه روح الايمان الدائمة ... والجماهير تتدافع بالمناكب لكى تقوم بدورها كاملا وتصر على الا يتسلل الى صفوفها ناكس أو متخاذل أو لامبال ، وجموع الشعب تبذل العرق والدم والروح فى سبيل الاعداد للمعركة الضارية ضد قوى العدوان والاستعمار والتسلط وكلها ادراك انه ليس هناك ماهو أغلى وأثمن من ثرى مصر الخالدة .

وازاء ادراك قيادتنا المناضلة — من موقع الالتزام والارتباط الاصيل بالجماهير — ان المجتمع العصرى القوى لا يقوم الا على صرح مؤسسات دستورية وسياسية جديدة بأن تكون تعبيرا حقيقيا عن آمال الشعب وأحلامه ، فقد عهد الى السيد الرئيس محمد أنور السادات بمهمة اساسية تستهدف « تدعيم قدرة الاتحاد الاشتراكى وزيادة فاعليته وانفتاحه على الجماهير » .

وحدد سيادته لهذه المهمة خطوطا أربعة رئيسية هى :

١ — حشد طاقة كافة جماهير الشعب عن طريق وضعها فى الصورة دائما .

٢ — ادارة الحوار الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة لكى تتحقق مشاركتها الايجابية فى النضال الشامل لامتنا .

٣ — فتح أبواب الاتحاد الاشتراكى ليكون مجالا للتفاعلات الصحية بين كل القوى الشعبية ولتكون كل خطوة للامام متصلة بعملية ديمقراطية سليمة .

٤ — اعداد الجماهير نفسيا وذهنيا ومن حيث المبدأ لتقبل مسئولياتها ، وعلى أن يكون واضحا أن الناس يحملون مسئوليتهم اذا أمسكوا بأيديهم حقوقهم بما فى ذلك حقهم فى توجيه السلطة الوطنية التى لم تتم الا لتعبر عن ارادتهم .

وقد عرض السيد الرئيس تفاصيل هذه المهمة ودواعيها على المؤتمر القومى العام الثانى فى جلسته الافتتاحية يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٧٢ .

وقد سبق أن أوضحت فى البيان الذى القيته فى تلك الجلسة تصورى الذى استخلصته من الاستطلاع الواسع لرأى ممثلى الشعب العامل فى الاجتماعات العديدة التى عقدت داخل التنظيم وخارجه مع النقابات العمالية والمهنية والطلبة والشباب وأساتذة الجامعات ورجال الفكر والصحافة وجرى من خلالها حوار عريض حول التنظيم السياسى ومشكلاته ووسائل علاجها .

وانتهيت من ذلك كله الى أن الاوعية التنظيمية أصبحت تضيق — بعد مرور عشرة أعوام على قيام الاتحاد الاشتراكى وازاء المتطلبات الخطيرة لمعركة التحرير — عن استيعاب وتعبئة كل القوى الجديدة والشابة والصاعدة ، فضلا عن طاقات أخرى وطنية ومناضلة ،وذلك امالسلبيات موضوعية فى التنظيم نفسه واما لسلبيات ذاتية واما نتيجة للسببين مجتمعين ، الامر الذى يقتضى مزيدا من الانفتاح على الجماهير وفتح أبواب التنظيم أمام قوى الشعب العاملة ليستقر فى نفوس الجميع أن تنظيمهم هو اداتهم الشرعية للتعبير عن الرأى .

كما عرضت تصورى لوسائل تحقيق هذا الاصلاح الجذرى التى تتمثل فى :

١ — تحديد وتوضيح منهج الرؤية السياسية والاجتماعية والتنظيمية للاتحاد الاشتراكى ودوره ، ثم تطبيق هذا المنهج على واقع الاتحاد .

٢ — رصد ذلك كله فى وثيقة تنظيمية تكون بمثابة دليل سياسى فكرى وتنظيمى لاعضاء الاتحاد .

٣ — تعديل قانون الاتحاد الاشتراكى تعديلا يحقق هذا الاصلاح ، ويعبر عما تنتهى اليه الدراسات والاقتراحات والتوصيات .

وانتهيت من هذا التصور باجزائه الثلاثة الى تشكيل لجنة عمل تضم أصحاب الرأى والخبرة من أعضاء المؤتمر القومى واللجنة المركزية والاعضاء العاملين بالاتحاد الاشتراكى تكون مهمتها ترجمة هذا التصور وصياغته — بعد الدراسة والمناقشة الواسعة — الى مجموعة اقتراحات ومشروعات محددة تطرح بعد ذلك على القواعد الجماهيرية ثم تعرض على المؤتمر القومى ليقول الكلمة النهائية فيها .

وقد وافق المؤتمر القومى العام بجلسته المنعقدة فى ١٨ فبراير سنة ١٩٧٢ على هذا التصور وعهد الى بتشكيل هذه اللجنة .

وقد روعى فى تشكيلها أن تكون انعكاسا لمختلف الاهتمامات العامة فى المجتمع ، فشمل التشكيل مسئولين متفرغين للعمل السياسى داخل التنظيم وآخرين يتولون بجانب مسئولياتهم فى التنظيم السياسى مسئولياتهم فى الجهازين التنفيذى والتشريعى كما شمل العاملين فى مجال الاقتصاد والفكر السياسى والقانونى والسياسة الداخلية والخارجية والدين والقيم الروحية فضلا عن العاملين فى مجالات الفلاحين والعمال والرأسمالية الوطنية والشباب والجامعات . وتوسيعا لقاعدة المناقشة والحوار فقد شكلت لجان استشارية تمثل مختلف قوى الشعب العاملة تعاون لجنة العمل فى مهمتها .

وقد أوضحت للجنة العمل منذ اجتماعها الاول أمورا ثلاثة رئيسية حددت طبيعة دورها وحدود مهمتها :

١ — انها لجنة فنية مهمتها الاعداد والدراسة العلمية ، وان عملها سيطرح على قوى الشعب نفسها فى مستوياتها القاعدية ثم يرفع بعد ذلك الى اللجنة المركزية والمؤتمر القومى ... وبذلك تكون لجنة خبرة ومشورة تدعم حركتها حركة التنظيم ونشاطه ، وتؤكد سلطته واختصاصاته فى مجالات عمله .

٢ — انها أخذا بما جاء فى بيان السيد رئيس الجمهورية أمام مجلس الامة فى ٢٠—٥—١٩٧١ تتحرك فى اطار الاحكام والمبادىء الرئيسية لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كما عبرت عنها الوثائق الرئيسية لتلك الثورة وهى ميثاق العمل الوطنى وبيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ وبرنامج العمل الوطنى والدستور .

٣ — ان مهمتها الرئيسية هى المساهمة فى انجاز أمرين رئيسيين :

الاول : وضع دليل سياسى وتنظيمى لاعضاء التنظيم .
الثانى : التقدم بمشروع لتعديل القانون الحالى للاتحاد الاشتراكى العربى .

وقد عقدت اللجنة خمسة اجتماعات طويلة كان أحدها اجتماعا موسعا مع السيد رئيس الجمهورية ، وتداولت فى اجتماعاتها آراء كثيرة ، هى فى الحقيقة ثمرة جهد كبير ولقاءات عديدة ودراسات مستفيضة أجراها أعضاء اللجنة طوال الفترة التى مضت منذ تشكيلها .

وقد قدم أعضاء لجنة العمل منفردين ومجتمعين تقارير ضافية ناقشت كافة القضايا المبدئية والتنظيمية المتعلقة بالاتحاد الاشتراكى وتقييم الفترة الماضية من حياته ، وأسلوب عمله ، وموقفه من الجماهير خلالها ،، كما طرحت فيها حلول تبادلية عديدة لكل ما كشفت عنه الممارسة من نقائص وثغرات .. وجرت حول تلك الدراسات مناقشات صريحة طويلة داخل اللجنة نفسها وخارجها ، وتناولت الصحافة ذلك كله بالتعليق والتحليل .

وكان ذلك — فى حد ذاته — مدخلا الى طريق انفتاح التنظيم ، وشد الجماهير اليه .. وزيادة اهتمامهم — وبزيادة فاعليته ، أملا فى أن يجدوا فيه بعد اصلاحه — الساحة الرحيبة والمنبر الحر لكل آرائهم وتطلعاتهم ومشاركتهم العلمية فى توجيه حياتهم وصنع مستقبلهم .

كذلك عقدت اللجان الفرعية الاستشارية اجتماعات ناقشت فيها مشروع ورقة العمل ، مع توجيه عناية خاصة من كل منها بالجوانب الداخلة فى اختصاصاتها النوعية .

ويمكن تحديد خطوط الاصلاح الرئيسية التى أمكن استخلاصها من أعمال لجنة العمل واللجان الفرعية الاستشارية فى خمسة موضوعات رئيسية :

الموضوع الاول
أهمية الوعى بطبيعة المرحلة التى يجتازها نضالنا الوطنى

ان المرحلة الدقيقة التى تمر بها أمتنا اليوم ، تحتم اصرار جماهير شعبنا الواعية — أكثر من أى وقت مضى — على الوحدة الوطنية باعتبارها الطاقة الخلاقة التى تدفع الجهد القومى وتحكمه ، وتضمن الا يذهب سدى أو يضيع فى متاهات الصراع والتآمر والتحزب ، وعلى أن الترجمة الحقة لهذه الوحدة الوطنية هى الصيغة التى قام عليها تنظيمنا السياسى وحرصت عليها الجماهير ورفضت ما عداها ، وهى صيغة تحالف قوى الشعب العاملة ، على أن يكون تحالفا حقيقيا وواقعيا بين القوى الاجتماعية وليس تحالفا شكليا بين افراد ينحرفون بالسلطة أو يقيمون مراكز قوى تبطش بالشعب أو تتخذ من العمل السياسى وسيلة لتحقيق مآرب ومصالح ذاتية .

ونحن — فى تحركنا داخل هذا الاطار فكرا وتنظيما وعملا — ندرك تمام الادراك الامور التالية :

الاول : تعاظم التحدى الذى تواجهه الثورة ويواجهه الشعب العربى فى مصر ، نتيجة التحالف الوثيق بين الاستعمار والصهيونية .. وهو التحالف الذى استطاع عام ١٩٦٧ أن يصل الى احتلال جزء من أراضينا وأن يحول جزءا هائلا من طاقتنا الوطنية ومن مواردنا وجهدنا لازالة آثار العدوان .

الثانى : ضرورة استيعاب التغيير الهائل فى الظروف العالمية التى تحيط بالنضال الوطنى فى هذه المرحلة من نضالنا الخارجى والداخلى على السواء وهو تغير يشبه الثورة فى العلاقات السياسية الدولية وفى ميزان القوى والمصالح بين أطراف هذه العلاقات ، وفى العلاقات الاقتصادية وميزانها بين الدول المتقدمة والدول النامية .. وفى مجال التطورات الاجتماعية والثقافية والعلمية العميقة التى تشكل بعدا أساسيا بالغ التأثير فى مسيرة النضال الوطنى ، وأساليبه ووسائل حركته .

الثالث : وقفة مع النفس بعد عشرين عاما من بدء الثورة لمراجعة أساليب العمل مراجعة تستهدف تخليصه من الشوائب ، وجعله أكثر قدرة على خدمة الاهداف الرئيسية للنضال الوطنى ببعديه السياسى والاجتماعى وعلى مستوياته الوطنية والقومية والدولية .. وهى الوقفة التى عبرت تعبيرا مباشرا عن نفسها بحركة التصحيح الثورية فى مايو الماضى .

الموضوع الثانى
موقف التنظيم من الجماهير وموقف الجماهير منه

واذا كان موقف التنظيم السياسى من الجماهير التى يمثلها ويتحدث باسمها وموقفها منه أمرين حيويين بالنسبة لها وله . فقد واجهت الدراسات والتقارير هذين الأمرين معا

ويمكن تحصيل أسباب السلبية فى هذا الشأن بالنسبة لجماعة كبيرة من جماهير الشعب فى انهـا لم تـكن تحس احساسا كافيا بأن لها دورا فعالا فى الحياة العامة تستطيع أن تمارسه من خلال التنظيم : اما لان الاطارات التنظيمية القائمة لا تتسع لها أو لا تتيح لها الفرصة الكافية للتعبير عن رأيها . وأما لأنها اعتقدت أن هذا التعبير — حين يتم — ليس له التأثير الكافى على مجريات الامور ، فلا يعتبر لذلك أسلوبا من أساليب المشاركة .

ولقد ثبت أن فاعلية التنظيم السياسى انما تنبع من الجهد الجمـاعى المشترك لاعضـائه وأجهزته المختلفة ابتداء من الوحدة الاساسية حتى القيادة المركزية للعمل اليومى متمثلة فى الامانة العامة والسكرتير الاول للجنة المركزية ، ولا يمكن لهذا الجهد الجمـاعى أن ينتـج أثره دون أن تتوافر حياة ديمقراطية داخل التنظيم .

ولذلك رؤى ان الاصلاح لابد وأن يسير — فى وقت واحد — فى خطوط ثلاثة رئيسية :

الخط الاول :

الربط بين التنظيم السـياسى وبين المؤسسـات الشعبية المعبرة من قوى الشعب العاملة ، كالنقابات والاتحادات العمالية أو المهنية أو الشبابية أو الطلابية أو الغرف التجارية والصناعية ، أو التعاونيات الزراعية .

وأنتهت اللجنة فى هذا الشأن الى :

١ — تكوين لجان راى متخصصة تمثل المنظمات الجماهيرية مثل النقابات أو الاتحادات أو التعاونيات أو هيئات التدريس أو غيرها يستشيرها السكرتير الاول مع عدم الخلط بين العمل السياسى والعمل النقابى الذى يجب أن يظل متمتعا باستقلاله الذاتى .

٢ — تمثيل المنظمات الجماهيرية مثل النقابات والاتحادات فى المؤتمر القومى وفى أمانات الاتحاد .

٣ — عقـد مؤتمرات دورية لأعضـاء مجالس النقـابات والاتحادات والمنظمات الجماهيرية .

الخط الثانى :

وضع صيغة مناسبة للممارسة الديمقراطية داخل التنظيم عن طريق الانفتاح الكامل للاراء والمصالح المختلفة للتعبير عن نفسها داخل اطاره ولتأمين حرية التعبيروضمان استمراره ، بتدعيم وسيادة القانون فى الحياة السياسية بوجه عام وداخل التنظيم بصفة خاصة .

وترى اللجنة كذلك أن مؤتمرات التنظيم — لاجتماعات لجانه — هى التعبير المباشر عن انفتاحه للجماهير وارتباطه بحركتها ، وأن هذا يتحقق بعقد مؤتمرات التنظيم على مستوى المحافظات والمراكز والاقسـام والوحـدات الاساسـية فى مواعيد منتظمة وبجداول عمل محددة واجراءات صحيحة منتجة وبحيث ينتهى عملها باصدار توصيات وقرارات محددة .. وبهذا تتاح للقاعدة العريضة من الجماهير فرصة التعبير المنظم والمشاركة المستمرة فى القضايا العامة واليومية ..

وترى أن تامين الممارسة الديمقراطية داخل التنظيم يدعو الى أعتناق مبدأ « الشرعية التنظيمية » حتى يمكن التوفيق بين مبدأ الالتزام التنظيمى ومبدأ حرية التعبير والنشاط داخل التنظيم ، توفيقا تضبطه قواعد معينة ومعروفة مقدما ولا يتحكم فيه تقدير افراد أو مجموعات داخل التنظيم ، وفى نفس الوقت يحقق الانضباط التنظيمى للاحتشاد ، ويقضى على التسيب الذى يؤثر على وحدته وتماسكه وقدرته وفعاليته .

وتؤكد اللجنة أنضمان الحوار الحر داخل التنظيم يقتضى الا تكون هناك قيودتحد منتعبير أعضائه خلال الاجتماعاتوأوجه النشاط المختلفة عن آرائهم وافكارهم فى المسائل العامة ، طالما كان ذلك فى نطاق الوثائق الثورية الأربعة .

الخط الثالث :

ضبط علاقة الاتحاد الاشتراكى بسائر الاجهزة فى الدولة وخصوصا السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية . الضبط الذى يكفل توكيد سلسلة الجماهير وجعل ممارستهم اليومية للعمل من خلاله اسلوبا فعالا للسيطرة الشعبية واعلانا حقيقيا عن « ان السيادة للشعب وحده » .

وبغير احكام هذه العلاقة وضبط حدودها فان التنظيم لابد أن يقع — كما حدث فى الماضى — فى أحد محظورين :

ان يظل محجوبا عن اداء دوره انتظارا للصيغ المحددة التى تنظمه .. او ان يندفع الى ممارسة بغير صيغ محددة فيقع الصدام بينه وبين تلك الأجهزة والمؤسسات .

وفى الحالتين تقع الذبذبة فى قمة التنظيم وفاعليته واحساس الجماهير بقيمته ووجوده .. فتراه ينشط يوما ويتوقف يوما .. أو يتحرك عاما وتفتر حركته عاما آخر .. وعاقبة ذلك كله أن ينفض الناس من حوله ..

ورأت اللجنة ضبط هذه العلاقة على النحو الاتى :

١ — اتباع التقليد الذى ارساه السيد رئيس الجمهورية بتسمية رئيس الوزراء فى اللجنة المركزية قبل تعيينه .

٢ — ان يكون من اختصاص اللجنة المركزية مناقشة الخطة القومية للتنمية والخطط العامة للسياسة الداخلية والخارجية بالاشتراك مع السلطة التنفيـذية ثـم اقرارها حتى تتحرك الاجهزة التنفيذية والتشريعية فى الحدود المقررة .

٣ — توثيق الصلات بين مستويـات التـنظيم المختلفـة والمستويات المقابلة لها فى الجهاز التنفيذى والتشريعى .

ومن الحق ان يبدأ التنظيم الشعبى بكبرى قواعده الشعبية وهى الوحدات الاساسية :

ا — فيما يتعلق بالوحدة الاساسية رأت لجنة العمل أن يكون للجنة الوحدة دعوة ممثلى الجهاز التنفيذى لمناقشة الامور معهم مثل المشرف الزراعى وامام المسجد ورئيس الجمعية التعاونية ورئيس مجلس القرية وناظر المدرسة وطبيب الوحدة والمسئولين عن الانتاج والخدمات فى الوحدات الجماهيرية .

وتقوم هذه اللجنة بتحديد ابعاد المشكلة الجماهيرية التى تعرض فى دائرة اختصاصها وعليها بعد ذلك أن تدعو ممثل الجهاز التنفيذى المختص لمناقشة المشكلة ، وللاتفاق على الحلول التى تراها مناسبة لاتخاذها وعلى طريقة تنفيذها ،كما تقوم بمتابعة التنفيذ ،وفى حالةعدم الاتفاق أو تعثر التنفيذ أو تراخيه بقيام عقبات وجب عليها تصعيد الامر برمته فى مذكرة الى لجنة المركز او القسم وكذلك فى حالة اذا كان حل المشكلة فى نطاق اختصاص المستوى التنفيذى الاعلى .

ب — وعلى نسق مـا تقـدم بـالنسبة للـوحدة الأساسية — تقوم لجنة القسم او المركز او البندر بممارسة مسئوليتها بالنسبة للمشاكل الجماهيرية .

ج — وفى مجال تنظيم الاتصال بين مستويات التنظيم والمستويات المقابلة فى الجهاز التنفيذى استقر رأى اللجنة على أن يجرى اتصال الامين العام للاتحاد برئيس الوزراء ، ورئيس مجلس الشعب ، ولأعضاء الأمانة العامة الاتصال بالوزراء ونوابهم ، ولامناء المحافظات الإتصال بالمحافظين ولامناء المراكز الاتصال برؤساء مجالس المدن .

ويكون للأمين العام للاتحاد الاشتراكى حضور جلسات مجلس الوزراء التىيرأسها رئيس الجمهورية ،وله أن يدلى بما يراه من بيانات (ه)

على أن من المتفق عليه عقد مؤتمرات دورية مشتركة بين اجهزة التنظيم وبين المستويات المقابلة لها فى الجهاز التنفيذى لمناقشة المشكلات التى تنجم عن ممارسة اختصاصاتهما وللاتفاق على الحلول المناسبة .

د — وفى مجال الصلة بالسلطة التشريعية رأت اللجنة ان يكون من اختصاص الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى مناقشة كبريات الامور الخاصة بالتشريع والتداول فى المسائل التى تهم الاعضاء كانتخاب رئيس مجلس الشعب ووكيليه . واقرت اللجنة انشاء مكتب للهيئة البرلمانية ولشئون المجالس الشعبية يتبع الامين العام .

الموضوع الثالث

تحديد الخط الفكرى للتنظيم

ان وثائق الثورة واضحة فى خطها الفكرى الاساسى وهو الخط التحررى الاشتراكى الوحدوى ، الا ان الممارسة اليومية للعمل الوطنى قد كشفت عن حاجة جماهير التنظيم الى مزيد من التحديد لبعض ما تضمه تلك الوثائق تزويدا للجماهير بالقدر الكافى من الوضوح حول القضايا الاساسية التى تتعلق بالاطار الفكرى الذى يعمل داخله اعضاء التنظيم .

ان مثل هذا التحديد — كما دلت التجربة شرط اساسى لقوة الحركة واندفاعها ، ولحماس اعضاء التنظيم وارتباطهم به ، ومن هنا كان من الضرورى أن يعرض دليل العمل السياسى والتنظيمى لهذا الاطار الفكرى ، الى جوار ما يتعرض له من قواعد العمل التنظيمى وأساليبه .

وفى سبيل ذلك عهدت اللجنة الى بعض اعضائها بمهمة اعداد مشروع لدليل العمل السياسى ومشروع للنظام الاساسى وهو التعبير الذى أطلقه الدستور على قانون الاتحاد الاشتراكى كما عهدت اليهم اعداد بيان بالقوانين المنفذة للدستور فى مجال حماية الحقوق والحريات .

الموضوع الرابع

المبـــادىء التنظيمية

ان التنظيم بحاجة ماسة الى استقرار عدد من مبادىء الحركة التنظيمية داخل مستوياته المختلفة وبين هذه المستويات ، ذلك أن الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى جامع لتحالف قوى الشعب العاملة يحتاج الى القدر الضرورى من الانضباط التنظيمى ودقة الحركة الداخلية حتى يستطيع أن يؤدى دوره السياسى فى استيعاب حركة الجماهير وتنظيم التعبير عن آرائها ، وتهيئة الوسائل التنظيمية لنقل هذا التعبير بحيث تتحقق المشاركة فى توجيه العمل الوطنى ورقابته .

ومن هنا لزم أن يقدم دليل العمل لاعضاء التنظيم تحديدا واضحا لاصول العمل التنظيمى وفى طليعتها ان الاتحاد الاشتراكى يحتضن دون عقد او حساسيات آراء القوى المتحالفة وينظم الحوار بطريقة ديمقراطية بحيث يكون منبرا حرا لكل قوى الشعب العاملة على هدى اتجاهين اساسيين :

الاول :

تحديد المصالح الموحدة ذات الوزن القومى الشامل والتى لا خلاف عليها بين مختلف قوى التحالف مثل تحرير الارض المحتلة واستمرار التنمية الاقتصادية على اساس مبادئنا الاشتراكية ومستندين الى قاعدة صلبة من العلم فى كل الخطوات ودعم القيم الدينية والتعزيز الدائم للديمقراطية وسيادة القانون والانتماء المصيرى الى الامة العربية والارتقاء بمستوى الخدمات العامة الموجهة لجميع الشعب ورفع مستوى الاهلية فى كل الانشطة ومحاربة البيروقراطية فى اجهزة الدولة والقطاع العام ومحو الامية وتنظيم الاسرة .

الثانى :

تحديد اهم المصالح الخاصة لكل قوة اجتماعية فى التحالف وترتيب اولويات تحقيقها ، بحيث لا تتعارض من ناحية مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومى الشامل وبحيث تسمح الامكانات المتاحة والظروف الراهنة بتحقيقها من ناحية وبحيث لا يكون فى تحقيق هذه المصالح انحراف عن طريق التحول الاشتراكى والنظام الديمقراطى كما رسمها الدستور من ناحية ثالثة .

وفى الوقت ذاته يلتزم التنظيم السياسى أن يجعل من منابره ساحات حوار خلاق ، وانطلاق هادف من قوى الشعب العاملة جميعا للتعبير عن اراء الجماهير وامالها بالاسلوب الذى ترتضيه .

الموضــوع الخامس

اعـــادة النظـــر فى بنـــاء

الاتحاد الاشتراكى وأساليب عمله

فى مقام أعادة النظر فى بناء الاتحاد الاشتراكى وأساليب عمله ، تحددت عدة خطوط رئيسية :

اولا : فيما يتعلق بمبدأ التحالف :

اجتمعت الاراء على اهمية الحفاظ الكامل على المبدأ الذى يقوم عليه تنظيمنا السياسى وهو تحالف قوى الشعب العاملة واعتباره الاساس الراسخ للوحدة الوطنية التى لا يجوز النيل منها أو المساس بها استمساكا بجوهر النظرية التى يقوم عليها الميثاق وتأييدا للمعنى الاساسى الذى يتضمنه ، والذى يقوم عليه تصورنا الدائم لاسلوب التغيير الاجتماعى فى مصر : وهو مبدأ حل التناقضات بين قوى الشعب العاملة داخل اطار التنظيم السياسى ، وبالوسائل السياسية الديمقراطية .

كل أولئك ومصر تجتاز مرحلة دقيقة من مراحل المواجهة مع العدو ، لا تحتمل التفرقة ، وانما توجب الوحدة .

ثانيا : فيما يتعلق بالعضوية والحقوق المترتبة عليها واكتسابها وسحبها :

فى هذا المجال استقر الرأى على المبادىء الاتية :

١ — العضوية الاختيارية ، بحيث لا ينضم للتنظيم الا الراغبين حقيقة فى المشاركة السياسية الايجابية ، والمؤمنون بالخط الفكرى والسياسى الذى يقوم عليه التنظيم ، والمستعدون فعلا للتضحية فى هذا السبيل .. فلا يرغم احد على عضوية الاتحاد دون اقتناع . أو لمجرد الحصول على منصب فى احدى المنظمات الجماهيرية .

٢ — توفير الضمانات لاكتساب العضوية وممارستها وان تكون تلك الضمانات سياسية وعامة فلا يتوقف منح العضوية أو سحبها على رأى فرد أو أفراد داخل التنظيم ، أو فى قياداته .

وبهذه الضمانات ينفتح باب التنظيم السياسى انفتاحا كاملا امام المواطنين جميعا بحيث يكون حقا لكل مصرى يتمتع بحق الانتخاب ، ويتقدم لطلب العضوية ، أن يحصل على العضوية العاملة مباشرة ، كما يكون له حق الترشيح للمستويات الاعلى ، ما لم يصدر بمنعه من الترشيح للمستويات الاعلى قرار من هيئة النظام لسلوك تؤثمه هذه الهيئة بعد تحقيق وان تحقق فيه دفاعه واستقر الرأى على ضرورة أن يتضمن النظام الاساسى كيفية تشكيل هيئة النظام من رجال قانونيين فى داخل التنظيم مع تحديد اختصاصاتها وتأكيد استقلالها .

٣ — ومن ذلك كله فانه لم يعد هناك مبرر لاستمرار نظام العضوية المنتسبة المعمول بها حاليا .

ثالثا : فيما يتعلق بانشاء أمانات ومكاتب جديدة :

استقر الرأى على اضافة آمانات جديدة للجنة المركزية الى الامانات الحالية وذلك لتوفير مواجهة حقيقية وفعالة للقضايا والمشاكل المطروحة فى المجتمع ، وهذه الامانات هى :

١ — امانة شئون الرأسمالية الوطنية والحرفيين .
٢ — أمانة الشئون الاقتصادية .
٣ — امانة شئون الخدمات .

وقد حلت الامانتان الاخيرتان محل أمانة برنامج العمل الوطنى ، على أن تتولى الامانة العامة مباشرة أعمالها فى صورة لجنة برنامج العمل الوطنى .

وفى ضوء ما تتميز به مسائل الامن الوطنى والامن القومى ، من أهمية قصوى خاصة فى هذه المرحلة التى تمر بها البلاد ، فقد رؤى أن تكون مسائل الامن القومى والامن الوطنى ضمن مسئوليات الامانة العامة مجتمعة ،وبنشأ لها مكتب يتبع الامين العام .

ونظرا لان محو الامية وتنظيم الاسرة عملان سياسيان قوميان لهما أهميتهما الخاصة فقد رؤى انشاء مكتبين رئيسيين لهذين النشاطين يتبعان الامين العام مباشرة .

كذلك رؤى انشاء مكتب لشئون المغتربين يتبع الامين العام لمواجهة مشاكلهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وقد دعت الحاجة ايضا الى انشاء مكتب يتبع الامين العام لقياس الرأى العام ،لتوفير الرؤية الدقيقة لكل ملابسات العمل الوطنى ، والظروف الموضوعية المتغيرة التى تحيط بحركة الجماهير فى نضالها اليومى .

وضمانا لحفظ وثائق التنظيم السياسى فقد رؤى انشاء مكتب للوثائق يلحق بالأمانة العامة .

رابعا : فيما يتعلق بالوحدة الاساسية :

اتفق على أهمية تدعيم وتنشيط الوحدة الاساسية للتنظيم ، باعتبارها القاعدة التى تربط بين قياداته وبين الجماهير .. بعد أن دلت التجربة الماضية على أن العلاقة بالجماهير لا تتوثق ولا تنمو عن طريق العمل المركزى على مستوى قيادة التنظيم وان احساس الشعب بتنظيمه السياسى رهن بحركة وحداته الأساسية ونشاطها .

وفى هذا المقام اتفقت الاراء على التدعيم المادى والفنى للوحدة الاساسية بتوفير المقار المناسبة لها وتزويدها بكل ما يمكنها من الحركة بين الجماهير وبتدريب أفرادها ثقافيا وتنظيميا وتسليحهم بالنظرة السياسية الشاملة لقضايا التنظيم والمجتمع بحيث تكون الوحدة منبعا رئيسيا منتظما لقيادة الجماهير .

وضمانا لزيادة فاعلية العمل فى الوحدةالاساسية فقد رؤى:
١ — أن تولى اللجنة عنايتها الكاملة بالشئون السياسية بحيث تقوم بنشر الوعى السياسى بين أعضاء مؤتمر الوحدة وعليها ايضا أن تقوم بتجميع وتنسيق كافة ما يعن لاعضاء مؤتمر الوحدة من تساؤلات لرفعها الى المستويات التنظيمية الاعلى .
٢ — أن ترعى حركة الشباب وأن تقوم بتدعيم النشاط الثقافى والاجتماعى والرياضى فى نطاق الوحدة الاساسية .
٣ — أن تقوم المستويات القيادية فى التنظيم بمعاونة أعضاء الوحدة الاساسية فى عملها بالنزول اليها فى موقعها والمشاركة فى أعمالها وتقديم الخبرة لها .

خامسا : فيما يتعلق بلوائح العمل الداخلية :

رؤى اتباع نظام ثابت فى مستويات التنظيم المختلفة وفقا للائحة داخلية تنظم اسلوب العمل فى الاجتماعات ووضع جداول العمل وما يقتضيه من تشكيل لجان دائمة أو فرعية تكفل حرية المناقشة والاقتراع وضماناتها .

سادسا : فيما يتعلق بكفاءة التنظيم الفنية :

واتفق أيضا على لزوم رفع الكفاءة الفنية للتنظيم عن طريق تزويده بعنصر الخبرة خصوصا فى مستوياته العليا والمركزية ، بتدعيم الاجهزة الادارية والمعاونة بالمتخصصين فى الشئون الفكرية والتنظيمية والسياسية داخلية كانت أو خارجية . دون مساس بالتركيب التنظيمى للاتحاد ، واعتبار مستوياته المختلفة مسئولة وحدها فى النهاية عن العمل السياسى .

سابعا : فيما يتعلق بتكوين « مؤتمر الامناء » :

وفى مقام ضمان اتصال التنظيم المستمر بحركة الجماهير فى مجالاتها المتجددة والمتعددة ، رئى عقد مؤتمر دورى كل ثلاثة أشهر يضم أمناء المحافظات والاقسام والمراكز والبنادر . برأسه الامين العام للجنة المركزية ويحضره أعضاء الامانة العامة لمناقشة المشاكل . والقضايا العملية للنشاط السياسى التى يواجهها التنظيم فى المواقع المختلفة ، ولتبادل الخبرات وتقييم الموقف على مستويات التنظيم المتعددة لاحتياجات الجماهير ومطالبهاوترتيب أولوياتها ، ومتابعةالجهد المبذول من أجل تنفيذ قرارات التنظيم القيادية .
ويجوز توسيع هذا المؤتمر ودعوة أمناء الوحدات الاساسية فى مجالات الانتاج والخدمات والسكن ذات الوزن ، أو ذات الصفة المباشرة بالموضوعات المطروحة على المؤتمر . كما يجوز أن يدعى اليه بعض الوزراء او المسئولين فى الاجهزة التشريعية والتنفيذية .

ثامنا : فيما يتعلق بنشاط التنظيم فى الخارج :

١ — أن نشاط الامانات المختلفة للتنظيم ، وبصفة خاصة امانة الدعوة والفكر والشئون الدينية وأمانة الشئون السياسية وأمانة الشباب فى المجال الخارجى لا يجوز أن يكون أقل شمولا من نشاط الجهاز التنفيذى فى هذا المجال ، ومن هنا فان الانفتاح على العالم الخارجى وعلى التنظيمات السياسية والثقافية ، واقامة العلاقات مع التنظيمات والقوى المؤثرة فيه لا يقتصر على منطقة دون منطقة فى العالم .

أن التنظيم السياسى بحاجة الى توسيع دائرة نشاطه وفتح آفاق جديدة لا تبلغ مداها الاجهزة التنفيذية بحكم أوضاعها الرسمية وبخاصة فى بلدان العالم العربى والعالم الاسلامى وبلدان العالم الاشتراكى واحزاب المعسكر الغربى التى نستطيع أن ندير معها حوارا سياسيا وبصفة خاصة الاحزاب العمالية والمسيحية وأحزاب العالم الثالث ذات الفكر الاشتراكى او القريبة منه وان كانت فى دولة غير اشتراكية ، وكذلك المنظمات النقابية والعمالية والدينية وتقوم بهذا الاجهزة المناظرة لها فى الاتحاد الاشتراكى .

تاسعا : فيما يتعلق بالشباب :

نظرا لاهمية وجود تنظيم للشباب يرتبط بالتنظيم الام ، مع التمتع بقدر ضرورى من الاستقلال ، وحرية الحركة مناسب خصائص الشباب فقد رأت اللجنة ما يأتى :

١ — تمثيل الشباب فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى يمارسون من خلالها قيادة العمل السياسى فى مجال الشباب .

٢ — تشكيل المجلس الاعلى للشباب برئاسة وزير دولة تمثل فيه كافة الجهات المعنية بشئون الشباب وتحدد اختصاصاته وسلطاته بحيث يكون مسئولا عن وضع خطة النشاط الشبابى ومتابعة تنفيذها .

٣ — ان تكون الاتحادات الطلابية الجامعية هى الجهة الوحيدة التى تمثل الشباب الجامعى والا تنشأ فى الجامعات فروع للتنظيم الشبابى منعا للازدواج أو التضارب .

اتجـــاهات فى مناقشـــات
الاتحــــاد الاشــــتراكى

سعيد خيال

المناقشــة الدائرة فى الاتحــاد الاشتراكى وخارجه ، حول تقييم العمل السياسى وأساليبه بهدف اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى وتنشيطه ، هذه المناقشة تكشــف بجــلاء عن التغييرات الاساسية التى برزت فى المجتمع المصرى بروزا قويا .

ولتبين هذه الحقيقة يتعين فى رأينا الرجوع الى عام ١٩٦٢ حيث جرت مناقشات واسعة فى مؤتمر القوى الشعبية ولجنة المائة المنبثقة عنه حول مشروع ميثاق العمل الوطنى .

ودلت المناقشات فى ذلك الوقت على رجحان كفة اليمين وســيطرة ايديولوجيته وأفكاره . حينئذ استمات اليمين فى الدفاع عن مقومات المجتمع القديم ، عن حرية الاستغلال وسيطرة الرأسمال ، فى مواجهة الاشتراكية ومــفاهيمها الزاحفة .

ولولا قبضة الثورة ، قبضة جمال عبد الناصر وتمكنها من سلطة الدولة ، لما صدر هذا الميثاق بضماناته القوية للعمال والفلاحين ، حيث ضمن لهم نصف المقاعد على الاقل فى كافة التنظيمات الشعبية والسياسية ومنها المجلس النيابى ، حيث رسم طريق التطور الثورى فى مصر ، طريق التنمية غير الرأسمالية بهدف اقامة النظام الاشتراكى على أساس اذابة الفوارق بين الطبقات والغاء استغلال الانسان للانسان . ونص صراحة على حتمية الحل الاشتراكى حيث قال :

« ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم . ان أى منهج آخر لا يستطيع بالقطع أن يحقق التقــدم المنشود »

ومنذ صدور الميثاق للآن جرى فى مصر — كما فى العالم — تطور عميق لصلحة التقدم .

ولقد عبر الرئيس الســادات عن ذلك فى خطابه فى افتتاح مجلس الشعب فى نوفمبر من العام الماضى حين قال :

« ان الديمقراطية هى صوت وحركة الجماهير وبلا وصاية .

ان الاشتراكية هى طريق قوى الشــعب العاملة . لم تعد تحتاج الى من يسوقها عليه بالقصر خصوصا ونحن الان فى العام العشرين من ثورة يوليو » .

ومن المفيد أن نتذكر فى هذا المجال أن الرئيس قد اكد فى هذا الخطاب على حقيقتين :

الاولى بقوله : « اننا اخترنا الطريق الثورى للتقدم ولم يكن اختيارنا له بالصدفة أو الارتجال وانما اخترناه لانه كان حتمية تاريخية بالنسبة لنا وكذلك سيرنا عليه لم يكن ارتجالا .. وانما كانت أمامنا وثائقنا وضعناها باستلهام التجربة والخطأ : فلسفة الثورة — ميثاق العمل الوطنى . بيان ٣٠ مارس — برنامج العمل الوطنى . وثائق تنزع كلها بصورة اكيدة الى تحقيق سلطة تحالف قوى الشعب وسيطرته السياسية والاقتصادية على الحركة والمصير معا » .

والثانية بقوله : « ولقد أسسنا وأكدنا فى مجتمعنا أن العمل هو وحده مصدر كل قيمــة اجتماعية ، وهذا مبدأ أساسى نحرص عليه . ويجب أن يزداد حرصنا عليه .. لانه ضــمان استمرار التحول فى مجتمع يعلو فيه حق الانسان وتذوب فيه الفوارق بين الطبقات »

ان التغيرات الكبيرة التى حدثت فى المجتمع المصرى منذ المناقشة الاولى فى عهد الثورة ،

مناقشة ١٩٦٣ ؟ وهى تغيرات اقتصادية واجتماعية وثقافية قد انعكست بوضوح فى المناقشة الثانية الدائرة اليوم .

فبينما تميزت الاولى بغلبة الاتجاه اليمينى ، فان المناقشة الحالية تتميز بغلبة الاتجاه الديموقراطى والتقدمى . وبينما كانت الاولى فى جملتها معادية للاشتراكية ، فان المناقشة الحالية فى جملتها تعادى الامبريالية والرجعية وتدافع عن سيادة جماهير الشعب وحقوقها الديمقراطية وتتمسك بالاتجاه الاشتراكى ومواثيق الثورة .

ان جبهة حقيقية من قوى اجتماعية مختلفة ، وطنية فى الاساس ، تلتف حول خط التطور التقدمى وتسعى لدفعه للامام ، ومما له دلالته ان كبار المثقفين والكتاب والفنانين والادباء وممثلى الراى العام قد اتخذوا أماكنهم فى صفوف هذه الجبهة ، ولا تعدو الحقيقة حين نقول ان اغلبية كبيرة تناصر التطور الديموقراطى بآفاقه الاشتراكية .

ومن هنا يتأكد الفارق الجوهرى بين الحدثين فى عمر الثورة ، فبينما جرت المناقشات حول الميثاق محمولة على ساعد دولة الثورة القوى ، فان المناقشات الحالية تقف بوضوح وشجاعة سندا للثورة . وبصرف النظر عما ستنتهى اليه القرارات التنفيذية ، ستبقى هذه المناقشات فى حد ذاتها حدثا تاريخيا له أثره فى هذه المرحلة ، الامر الذى يعزز الثقة ويدعو للتفاؤل .

ولا يفوتنا فى هذا الموضع أن ننفى الغفلة عن أنفسنا . فان الشروط المادية والثقافية لتأمين مسار الثورة على طريق التحول الاشتراكى لا تزال دون المستوى المطلوب ، ولا تزال قوى الثورة المضادة بما تملك تتحين الفرصة ، كما تتحينها قوى الامبريالية والصهيونية .

بعد هذه النظرة العامة ، نستعرض أهم الاتجاهات التى برزت فى المناقشات . وأهمها فى نظرى اتجاهان رئيسيان :

- **اتجاه رجعى تصفوى**

- **واتجاه ديموقراطى تقدمى .**

وقد أظهر الاتجاه الرجعى عداءه لاتحاد قوى الشعب العاملة ، وضيقه بالاتحاد الاشتراكى الجامع لطبقات التحالف ، وبخاصة للعمال والفلاحين . انه وان لم يتعرض لاسم الاتحاد الاشتراكى وشكله ، الا أنه قصد القضاء على محتواه ومضمونه ، طالب بأن يكون الاتحاد حزبا للوسط ، للرأسمالية .

وتناول هذا الاتجاه التصفوى مواثيق الثورة وبخاصة ميثاق العمل الوطنى ، بالتشكيك والهدم ، مطالبا بالمراجعة واعادة النظر وصولا للايديولوجية الموحدة . وقصده الظاهر ان يتخلص مما نصت عليه هذه المواثيق ، من حتمية الحل الاشتراكى ، ومن ضرورة اذابة الفوارق بين الطبقات والغاء الاستغلال ، وما يستتبع ذلك فى الواقع وبخاصة بالنسبة لقوانين الاصلاح الزراعى والقطاع العام وغير ذلك من المكاسب والمنجزات الشعبية .

وكالعادة حاول هذا الاتجاه استخدام الدين والتقاليد .. سندا له . والصفة الغالبة فى أصحاب هذا الاتجاه أنهم من قطاع الرأسمالية الزراعية النامية ومن الطبقة الجديدة

ولا يجب التقليل من خطورة هذا الاتجاه ، رغم انه اتجاه الاقلية . لقد عبر أصحابه عن أنفسهم بصراحة يحمدون عليها ، لولا أنهم رفعوا قبضات حناجرهم فى مناقشة ديموقراطية حرة . ورغم أن ورقة العمل التى قدمها السكرتير الاول الاستاذ سيد مرعى ، والتى على أساسها تجرى المناقشة قد تضمنت ما نصه :

« فاننى أرى من المهم ان تبرز اللجنة — فى هذه المرحلة — أنه ليس ثمة ردة عن طريق التحول الاشتراكى ، باعتبار انه الطريق الذى ارتضته جماهير شعبنا المناضل لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وأنه الضمان للقضاء على الاستغلال وتذويب الفوارق بين الطبقات » .

أما الاتجاه الثانى وهو الديموقراطى . فقد استهدف — فى عموم — توسيع الديموقراطية ، وانهاء حالة التسلط وازالة الحواجز المانعة من الممارسة الشعبية ، وعمل على توفير الضمانات للعمل السياسى وتمكين الاتحاد الاشتراكى من التقرير والمتابعة والمحاسبة .. ومع التركيز على تحرير الارض المحتلة والاستعداد للمعركة الخ .

وقبل المضى فى النظر داخل هذا الاتجاه نرى من الضرورى التساؤل عن نوع الديموقراطية المطلوبة ، وهل هى ديموقراطية مطلقة أم موجهة؟

وللاجابة يتعين الرجوع للميثاق . جاء فى الباب الخامس عن الديموقراطية السليمة ما يلى :

« ان الديموقراطية هى الترجمة الصحيحة لكون الثورة عملا شعبيا . ان الديموقراطية هى توكيد السيادة للشعب ووضع السلطة فى يده

وتكريسها لتحقيق أهدافه . وكذلك فإن الإشتراكية هى الترجمة الصحيحة لكون الثورة عملا تقدميا .. ان الديموقراطية والإشتراكية من هذا التصور تصبحان امتدادا واحدا للعمل الثورى ، ان الديموقراطية هى الحرية الاساسية والاشتراكية هى الحرية الاجتماعية ولا يمكن الفصل بين الاثنين » .

من هذا يتضح ان الديموقراطية السليمة التى نسعى لها وندافع عنها هى الديموقراطية التى لا تنفصل عن الاشتراكية ، هى الديموقراطية الموجهة لتحقيق الاهداف الكبرى وعلى رأسها اقامة المجتمع الاشتراكى . والاجتهاد كله يجب أن ينصرف لتوسيعها وتطويرها وتعميقها والالتزام بها لانها هى ديموقراطية قوى الشعب العاملة ، التى تتناقض مصالحها مع الرجعية والاستعمار كما قرر الميثاق فى الباب الخامس :

« أن الرجعية تملك وسائل المقاومة ، تملك سلطة الدولة فاذا انتزعت منها لجأت الى سلطة المال فاذا انتزعت منها لجأت الى حليفها الطبيعى وهو الاستعمار ... ولهذا فان سلمية الصراع الطبقى لا يمكن أن تتحقق الا بتجريد الرجعية أولا وقبل كل شىء من جميع اسلحتها »

وعلى هذا الاساس لا يصح اطلاق المطالبة .. «بضرورة الغاء كافة القوانين التى تجعل هناك قيودا على حرية الناس ... والغاء القوانين المقيدة التى صدرت قبل الثورة أو التى صدرت بعد الثورة فى ظروف خاصة »

نتناول بعد ذلك تيارين اساسيين ظهرا داخل الاتجاه الديموقراطى :

التيار الاول يطالب بعدم التقيد بصيغة الاتحاد الاشتراكى وينزع لتكوين احزاب تسعى للاتحاد فيما بينها .

ويقول الاستاذ ميشيل كامل فى تعليقه — الطليعة عدد مايو :

« ثبت فشل الصياغة الراهنة . ولم تجد الاصلاحات الجزئية التي سبق أن جربت المرة تلو المرة فى عمليات اعادة البناء السابقة ، بل زادت الامر تعقيدا مما يقتضى التصدى لمشكلة الاساس بالجرأة اللازمة ونبذ المنهج التجريبى الإصلاحى ... والواقع اننى اختلف مع القائلين بأن نضع مهمة بناء الاشتراكية كهدف للاتحاد فى المرحلة الراهنة لان هذا الهدف يتناقض جذريا مع مصالح بعض الفئات التى يضمها التحالف .. »

ان الاساس الذى بنى عليه هذا الرأى كما جاء بالتعليق المشار اليه هو :

« لقد اتضح فشل اسلوب الوحدة الوطنية الذى يستهدف تحقيق الوحدة الفكرية والسياسية وصياغة برنامج التحالف من جانب فئة واحدة متميزة — جناح من الطبقة الوسطى — تعمل على فرضه على جميع القوى الوطنية الاخرى وتستأثر بالسلطة واتخاذ القرار وتحديد البرنامج العام (الموحد للجميع) من موقع الوصاية على الجماهير .. »

ووجهة النظر هذه لا يمكن قبولها جملة وتفصيلا فغير صحيح نسبة منجزات الثورة النظرية والعملية لجناح من الطبقة الوسطى . وكما سبق القول كانت الدولة فى قبضة الثورة ،ولولا ذلك لما صدرت مواثيق الثورة ولما حدثت التغييرات الجذرية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لصالح الطبقات الشعبية ، وانعكاس ذلك كله فى مجال العلاقات الخارجية ... لو كانت القبضة للطبقة الوسطى لما كانت ثورة على الاطلاق .

هذا من جهة ، ومن الاخرى لا يمكن التفريط فى المكتسبات الإشتراكية وعلى الاخص فيما تقرر واكتسب الشرعية والشعبية ، من أن هدف التحالف هو اقامة النظام الاشتراكى .

ان فكرة تكوين احزاب تشكل خطرا شديدا على العمال والفلاحين وكافة القوى الوطنية والتقدمية . ان كل حزب يتكون بالضرورة حول برنامج يحدده لنفسه . ولائحة تحكم نظام العمل فيه . وتتعدد البرامج واللوائح بتعدد الاحزاب . أين اذن مواثيق الثورة ؟ ضاعت وفقدت الوجود وقوة الالزام . ولا يقف الامر عند هذا الحد . بل يتعداه بالضرورة الى منجزات الثورة فى المجالات الاخرى حيث تصبح فى مهب الريح ويعود الصراع الطبقى على أشده الى نقطة البداية ..

ومن المستفيد بذلك ؟ أنصار الاتجاه الرجعى التصفوى الذى تحدثنا عنه فيما سبق .

ان التيار الثانى داخل الاتجاه الديموقراطى هو الصحيح .

وفى اجتماع اللجنة السياسية بجلسة ١٩٧٢/٣/٢٦ — المحضر بالطليعة عدد مايو — قلت « نحن ملتزمون بوثائق الثورة . فما سبب الأزمة اذن ؟ هل الاتحاد تجمع طبقات أو تحالف طبقات ؟ اننى ارى أنه تجمع افراد أو تجميع آحاد »

وبالتـــالى ستـستواجهه الازمات طالـــما هو تجمع أفراد .. »

« وفى تصورى انه اذا جعلنا الاتحاد الاشتراكى كما نصت عليه مواثيقه تجمع طوائف او هيئات او طبقات .. انه تجمع الطبقـــات أساسا هم طبقة الفلاحين والعمال والراسالية الوطنية .. اى تجمع طبقات لابد أن يكون له تعبيره السياسى المستقل .. بأن تعطى الطبقـــات المتحـــالفة استقلالية سياسية فى العمل السياسى داخل اطار التحالف ، شريطة ان ما يتفق عليه لابد أن ينفذ وهو الحل الوسط .. »

وعارضت الايديولوجية الواحدة مبينًا استحالة ذلك ، كما عارضت تكوين الاحزاب .

ان الفرق بين تكوين أحزاب ، وتكوين تنظيمات سياسية مستقلة لكل طبقة من الطبقات الثلاثة المتحالفة ، هو أن هذه التنظيمات تقوم داخل اطار الاتحاد الاشتراكى ، وعلى أساس مواثيقه مواثيق الثورة ، بما تشترط من ضمانات ، ومع الحرص على التحالف القـــائم الذى سيتطور بشكل منظم يتيح للطبقات المتحالفة حرية العمل والتعبير فى وحدة وطنية هدفها النهائى مترر — هدف التحالف — وهو اقامة النظام الاشتراكى

تعقيب

لىس هدمى الرد على وجهة نظر الاسناذ سعيدخيال ، أو النعلبق على آرائه ، لـكن الفقـراب التى انتزعهـا الكاتب من مقالى أدت الى تشويه المعنى الذى قصدته .

لن أضيف شـيئا اذن . كل ماهنالك أننى استكمل بعض الفقرات ، ليتضح الفرق بين ماكتبت وبين التفسير الدى قـدمه الاسـناذ سعيد خيـال للعبارات المبتسرة التى انتقاها .

ينقل عنى قولى « اننى أختلف مع القائلين بأن نضع مهمة بناء الاشتراكية كهدف للاتحاد فى هذه المرحلة ، لان هذا الهدف يتناقض جذريا مع مصالح بعض الفئات التى يضمها التحالف .. » .

ويقف عند هذا الحد .. والايحاء هنا واضح ، خاصة عندما يستطرد مفسرا كلماتى ، فيكتب « لايمكن التفريط فى المـكتسبات الاشـتراكية وعلى الاخص فيما تقـرر واكتسب الثورة والشعبية من ان هـدف التحالف هو اقامة النظام الاشتراكى » .

اما اذا استكملنا الفقرة التى جاءت فى مقـالى فنجد الانى « وليس معنى هذا الا يطرح هـذا الشعار والا يجرى النضال من أجل الاشتراكية ، لـكن ، لنترك هذا الشعار لترفعـه المنظمات السياسـية التى تشكل داخل التحالف والتى ترغب فى تبنيـه والـكفاح الحقيقى من أجله ، والتى يتسق هدف الاشتراكية مع طبيعة تمثيلها ومصالحها ووعيها ، ليس مانريده سرابا اشتراكيا وبلبلة وديماجوجية .. فكر وتطبيق برجوازى مغلف فى مقولات اشتراكية براقة ، بل نريد أن يدافع البرجوازى عن رأيه ويطرح أفكاره وآراءه دون مواربة ، وأن يعبر الاشتراكى عن معتقده ويناضل من أجل ترويجه ، ومن خلال الحوار والنضال الفكرى المفتوح الصريح داخل صفوف التحالف ستتدعم الاتجاهات التقـدمية والثورية ويكتسب الفـكر الاشتراكى أرضية أكثر اتساعا وخصوبة ، مما يؤدى الى تغيير فى وعى ، وبنيه الاتحاد الاشتراكى وعلاقات القوى داخله .. وحينئذ ، وحينئذ فقط يتحول شـعار بنـاء الاشتراكية من موقف لبعض التنظيمات السياسية داخل الاتحاد الاشتراكى الى هدف عام للتنظيم الجبهوى كله ، اذ يصبح الشعار معبرا عن المضمون الحقيقى للتنظيم . بالنضال وحده ستتحول الاشتراكية من شعار فى الاتحاد الاشتراكى الى شعار للاتحاد الاشتراكى » .

« ان البرجوازية — بما فيها الرأسمالية الوطنية — لاتنتحر وتلغى وجودها لتقيم نقيضها ، لاتقضى على كيانها لتسلم مقاليد الامور طواعية لاعدائهـا ، ومن ثم فهى لاتبنى الاشتراكية . واسهام بعض قطاعات منهـا فى عملية البناء الاشتراكى لايتم بقيادتها بل هو رهن بقيادة الطبقة العاملة المنظمة سياسيا فى تحالفها مع كل الفئات الشعبية والوطنية الاخرى » .

والاقتراح الذى تقدمت به فى مقالى هو بالتحديد ، السماح بتشكيل « منظمات سياسية لها استقلالها الذاتى داخل اطار التحـالف » . وهو نفس الرأى الذى عبر عنه الاستاذ سعيد خيال فى اللجنة الفرعية ، الا انه لم يفصح عن موقفه فى حالة عدم الاخذ بوجهة النظر هذه .. ربما من فرط التفاؤل والثقة . أما الاضافة التى جاءت فى تعليقى فهى « اذا لم يؤخذ بهـذه المقترحات مجتمعة — باعتبارها السبيل الوحيـد لتحويل الاتحـاد الى تحالف — فسوف يظل الاتحاد الاشتراكى على ماعهدناه ، محتفظا بطابعه الحزبى ، ممثلا لمجموعات صـغيرة من الطبقة الوسطى المصرية . وحينئـذ فان القوى الشعبية العاملة التى نص الميثاق عليها ، يصبح من حقها الشرعى ان تقيم تنظيماتها الطبقية الخاصـة وأن تعمل فى نفس الوقت على أن يضمها جميعا جبهة متحدة حول الاهداف القومية الشاملة » .

والاستاذ سعيد خيال يصور وجهة نظرى على أنهـا تتضمن معنى ضياع « منجزات الثورة » و « التفريط فى المكتسبات الاشتراكية » .. ثم يعلن عن فزعه من أن « يعود الصراع الطبقى على اشده » .. ويشير بصراحة الى أن المستفيد من هذه الاراء هم « أنصار الاتجـاه الرجعى التصفوى » .. ولا شك أن لسيادته مطلق الحرية فى التعبير عن وجهة نظره .

وكما أوضحت من قبل ، ليس هدفى من هذه الـكلمة مناقشة آرائه ، بل مجرد استكمال العبارات المبتورة .

ميشيل كامل

علاقة الجهاز السياسي

بجماهير القرية

حسين طلعت

اجتمعت اللجنة الفرعية للفلاحين ــ المتفرعة من لجنة العشرين للنظر فى تعديل أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى ــ وذلك لاستعراض ورقة العمل المقدمة من السيد / محمد مهدى شومان أمين شئون الفلاحين ٠ وقد تناولت ورقة العمل المقدمة النقاط الرئيسية التالية :

١ ــ يحتاج العمل السياسى فى الريف ــ والذى يمثل قاعدة واسعة لنشاط الاتحاد الاشتراكى ــ الى تنشيط واسع ٠

٢ ــ ضرورة وضع برنامج يشمل الاهداف المطلوب تحقيقها ووسائل تحقيق هذه الاهداف والتى لابد وأن تتمشى مع مطالب الجماهير ٠

٣ ــ نجاح العمل القاعدى هو المقياس الحقيقى لفاعلية التنظيم السياسى باكمله ٠

٤ ــ ضرورة ايجاد أسلوب عمل واضح ومحدد لقواعد التنظيم السياسى ٠

٥ ــ هناك كثير من الاسباب ادت الى جمود التنظيم السياسى وتقوقعه ، وبالتالى لفقداله لثقة الجماهير . ومن أهم هذه الاسباب الفراغ الذى تعمل فيه الوحدات ــ وعدم الربط بين التنظيم السياسى والاجهزة التنفيذية ٠

٦ ــ العمل السياسى فى الريف يحتاج الى سرعة اعداد ورقة عمل وبرنامج عمل ووسائل تنفيذه ٠

٧ ــ ضرورة تهيئة الوضوح الفكرى لطبيعة المرحلة التى تمر بها البلاد وما تفرضه من مهام وواجبات وذلك على ضوء الوثائق الاساسية ، الميثاق ــ بيان ٣٠ مارس ــ الدستور ــ برنامج العمل الوطنى ٠

٨ ــ يتركز برنامج العمل السياسى فى الريف على ــ ضرورة بناء دولة القرية الحديثة العمل على ارساء علاقات اجتماعية انسانية جديدة ــ زيادة الانتاج الزراعى بنسبة ٥٠٪ حتى عام ١٩٨٠ ٠

٩ ــ يتطلب تنفيذ هذه الاهداف وحدة العمل السياسى والتنفيذى فى كل قرية ، وذلك يتطلب توسيع قاعدة الوحدة الاساسية بالقرية لتكون لجنة العمل الوطنى والتى تتكون من الأعضاء العشرة المنتخبين مضيفا اليها رئيس الجمعية التعاونية ورئيس مجلس القرية وناظر المدرسة وطبيب الوحدة الصحية ورئيس لجنة نقابة العمال الزراعيين وخطيب المسجد وممثل عن الشباب وممثلة عن المراة وذلك فى حالة عدم تواجدهما فى الوحدة الاساسية ٠

١٠ ــ يقتصر حق التصويت فى هذه اللجنة على اعضاء الوحدة الاساسية المنتخبة فقط حتى لاتختل نسبة ال ٥٠٪ عمال وفلاحين ٠

١١ ــ وضع خطة مشتركة للجنة فى مجالات الزراعة والصحة والتعليم ٠٠ الخ ويلتزم الجانب السياسى والتنفيذى بانجازها ٠

١٢ ــ ايجاد مقر دائم للجنة الوحدة الاساسية مع تحديد نسبة من الاشتراكات لتغطية احتياجات اللجنة ٠

وقد تناولت المناقشة التى بدأت بعد عرض ورقة العمل تقييما عاما لدور الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى بالقرى والمشاكل التى تعرقل هذه الوحدات عن القيام بدورها المطلوب ٠ ولقد أجمع الحاضرون على ضعف فاعلية الوحدات الاساسية بالقرى وانعدام فاعليتها فى كثير من المناطق مما أدى الى فقدان ثقة الجماهير بها وبالتالى انعزالها عن الجماهير ٠

وقد تناول الحاضرون اسباب هذا العجز من نواح مختلفة اهمها :

■ عضوية التنظيم :

● ضرورة اعادة النظر فى شروط عضوية الاتحاد الاشتراكى ووضع الضمانات التى تكفل الحد من تسرب العناصر الانتهازية الى هيكل التنظيم السياسى وذلك بعدم اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى لتولى المنصب التنفيذى اذ أن هذا الاشتراط يدفع الكثيرين الى طلب العضوية بهدف الحصول على المنصب ودون اقتناع حقيقى بجدوى وأهمية هذه العضوية ، كما اشير الى ضرورة جعل العضوية اختيارية ، مع تعديل الشكل الجبرى لتحصيل الاشتراكات ــ وهو القائم حاليا ــ الى شكل اختيارى يوضح مدى التزام العضو تجاه التنظيم ويمكن التنظيم من تقييم مدى جدية اعضائه ٠

● اشتراط اقامة عضو الوحدة اقامة كاملة بقريته ليكون على علاقة مستمرة بجماهيرها وبالتالى على دراية بمشاكلها.

● اعادة النظر فى نوعية الاعضـــاء وعددهم بمعنى أن الاتحاد الاشتراكى هو تجميع لقوى الشعب العاملة ، ولايعنى هذا بالضرورة ضم هذه الاعداد الـكبيرة الى التنظيم والتي تشكل فى غالبيتها عناصر غير فعالة وتحمل التنظيم عبئـــا هائلا يحد من فاعليته والافضل أن تمثل هذه القوى الإجتماعية المختلفة بعناصرها الفعالة المقتنعة بجـــدوى وأهميـــة العمل السياسى .

● ضرورة اقامة التنظيم الطليعى العلنى كنواة سياسية للاتحاد الاشتراكى .

● تعديل مدة العضوية من سنتين الى أربع سنوات كى تتمكن اللجنة منممارسة العمل السياسى لفترة كافيةوتستطيع أن تقدم نفسها أمام الجماهير كى يتسنى الحكم على اعمالها بشكل افضل ويعطيها فرصة كافية لتصفية آثار الخلافات التى ننجم عن الانتخابات فى الريف .

■ التركيب الاجتماعى للتنظيم :

● أبدى البعض ملاحظاته حول طبيعة التركيب الاجتماعى لاعضاء الوحدات الاساسية وأوضحوا ان تمثيل العـــامل والفلاح طبقا للمعايير القائمة حاليا يسمح لعناصر لاتنتمى الى هاتين الطبقتين الاجتماعيتين ـــ وهما محورى تحـــالف قوى الشعب العاملة بدخول الاتحاد الاشتراكى باعتبارهم عمالا أو فلاحين . ففى بعض الاحيان يرشح بعض رؤساء مجالس الادارات ، ممن يتقاضون مرتبات تفوق المائتى جنيه شهرى، أنفسهم باعتبارهم عمالا . ومن ناحية اخرى تلجأ عناصر من رأسمالية الريف الـكبيرة ـــ ممن يمتلكون خمسون فدانا ـــ الى توزيع ملكياتهم على أسرهم ويحتفظون لانفســـهم بعشرة أفدنة فقط ليستطيعوا ترشيح أنفسهم كفلاحين . وعليه فلابد من النظر الى ملكية الاسرة وليس ملكية الفرد فقط . وقـــد أدت هذه الاوضاع الى انخفـــاض نســـبة التمثيل الحقيقى للفلاحين فى الاتحاد الاشتراكى الى ١٥٪ فقط .

واختلف بعض الحـــاضرين مع هذا الرأى واوضـــحوا ان الفلاح سواء أكان مالكا لعشرة أفدنة أو لخمسين فدانا وان حدود الملكية لايؤثر على تمثيل الفلاحين . وان مايجب عمله هو ضرورة تحديد نسبة معينة لكل من العمال والفلاحين في حدود الـــ ٥٠٪ القائمة حاليا ، اذ أن العمال يمثلون ٤٩٪ والفلاحين ١٪ فقط .

■ الديمقراطية داخل التنظيم :

● ضرورة تحقيق الضمانات الكافية للاعضاء ـــ وخاصة أعضاء الوحدات الاساســـية ـــ كى يستطيعوا التعبير عن آرائهم بصراحة .

● لم تتم محاسبة الاعضاء فى المـــاضى الا فى اطـــار الاصداء الشخصية وبعيدا عن الموضوعية مما ادى الى تفشى الانتهازية .

● لا تلقى التقارير المرفوعة من الوحـــدات الاساســـية الاهتمام من المستويات القيادية ، مما يفقـــد قواعد التنظيم الثقة فى المستويات القيادية .

● عدم محاسبة الاعضاء بصورة جدية يؤدى الى فقدان الجماهير لجدية الجهاز السياسى كله .

■ علاقة التنظيم السياسى بالجهاز التنفيذى :

كان هذا اهم الموضوعات التى دار حولها النقـــاش فى اللجنة واجمع الحاضرون على وجود تناقضات حادة تصـــل أحيانا الى حد العداء بين الوحدة الاساسية فىالقرية وممثلى الجهاز التنفيذى بها ، مما ترتب عليه تقلص فاعلية الوحدة الاساسية وطغيان نفوذ الجهاز التنفيذى عليها . ولتخطى هذا الوضع اجمع الحاضرون على ضرورة التحام الجهـــازين السياسى والتنظيمى عن طريق ضم قيادات الجهاز التنفيذى فى القرية الى الوحدة الاساسية دون أن يكون لهم حق التصويت لعدم الاخلال بنسبة الـــ ٥٠٪ عمال وفلاحين فى اللجنـــة . وبهذا يمكن وضع الحلول للمشاكل الجماهيرية عن طريقخطة عمل محددة مع كل جهاز ، ومتابعة تنفيذ هذه الخطة على فترات دورية .

كما أشار البعض الى ضرورة اختيار قيادات العملالتنفيذى فى القرية من عناصر يتوافر لديها الوعى السياسى . وهذا يستتبع اعادة النظر فى معايير الاختيار الحالية والتى تعتمد اساسا على الاقدمية دون غيرها .

كما أشير الى ضرورة ربط الجهازين من القمة الى القاعدة والا يقتصر الربط على القواعد فقط وذلك لان قواعد الجهازين يرتبط كل منهما بخطة وتعليمات قياداتهما التى قـــد تتعارض فى كثير من الاحيان .

■ علاقة الجهاز السياسى بجماهير القرية :

عرض البعض لاهمية عقد الوحدة لاجتماعات جمـــاهيرية دورية بالقرية لمناقشة المشاكلالرئيسية فىالجمعيات التعاونية والدورة الزراعية والمدرسة والوحدة الصحية » وطالمـــا ان الفلاحين هم أصحاب المصلحة الاساسية فى حل هذه المشاكل فلابد من الاستماع الى آرائهم فى حل هذه المشكلات .

وانتهت اللجنـــة الى الإخـــذ بالتوصيات والملاحظات التي ابداها الأعضاء . ولقد تميزت المناقشة بالوضوح والصراحة فى تناولها للمشاكل التى تواجهالاتحاد الاشتراكى ،واوضحت ضرورة اعادة النظر فىنقاط جوهرية تتعلق بالتركيبالاجتماعى للتنظيموشروط العضوية ، وتوعيةالعضو ونظام العملالداخلى وعلاقة التنظيم باجهزة الدولة والجماهير .

ومما لاشـــك فيـــه ان تمثيل الفـــلاحين الفقراء والعمال الزراعيين فى اللجان الاساسية بالقرى يبدو باهتا الى حد كبير، اذ تسيطر الرأسمالية الريفية على الوحداتالاساسية. ومن هنا فلابد من تعريف دقيق للعامل والفلاح يكفل تمثيلهم بنسبة الـــ ٥٠٪ بصورة حقيقية . ولن يتحقق سعى ـــ نقل السلطة الى جماهير الشعب العامل مالم تنجز هذه الخطوة، كما أن استمرار التطور فى اتجاه الاشتراكية يقتضى استمرار تطوير الجهاز السياسى بصورة تؤدى الى زيادة وزن الطبقات صاحبة المصلحة فى هذا التطوير داخل التنظيم ذاته .

ومن الغريب ان نسمع آراء لاتفرق بين الفـــلاح الفقـــير والرأسمالى الريفى الكبير وتســـاوى من يملك ١٠ أفـــدنة أو أقل بمن يملك خمسين فدانا ، متناسين الرأسمالية الريفية الـكبيرة ومعارضتها العنيفة لسياســـة فرض ضرائب على الاستثمار الزراعى ـــ ضريبة الحدائق ـــ فى الوقت الذى تحتاج فيه البلاد الى دعم قواها العسكرية والاقتصاديةلكسب معركة التحرير . واذاكانت صيغة الاتحاد الاشتراكىباعتباره تجمعا لقوى الشعبالعاملة ـــ عمال وفلاحينوجنود ورأسمالية وطنية ـــ هي صيغة صالحة للتعبير عن الوحدة الوطنية فى بلادنا بشكل عام ، فهذا لاينفي وجود التناقضات بينالطبقات الاجتماعية التي تشكل هذا التحالف . ولكى يمكن حل هذه التناقضات سلميا والحيلولة دون تفاقمها بصورة حادة فلابد اولا من تحديد الوزن النسبى لكل طبقة اجتماعية داخل هذا التجمع بما يتناسب مع اهميـــة دورهـــا فى مرحلة التطوير الاشتراكى . ولابد من الناحية الاخرى من تـــكوين التنظيم الطليعي العلنى الذى يعتبر نواة للنشاط السياسى للاتحاد الاشتراكى فى اطار هذا المفهوم ، بمعنى ان هذا التنظيم الطليعى سوف يقوم بمهمة نقل السلطة داخل تحالف قوى

الشعب العاملة الى القوى الاساسية المكونة له ـ العمال والفلاحين ـ كى نضمن الحفاظ على مكاسب الشعب الثورية وخوض معركة التحرير حتى النصر واستمرار مرحلة التطوير نحو الاشتراكية .

ولا شك أن الاراء التى أبديت حول ضرورة تعديل شكل التحصيل الاجبارى للاشتراكات واشتراط اقامة العضو اقامة كاملة فى قريته واعادة النظر فى استمرار عضوية الاعداد الكبيرة من العناصر الغير فعالة داخل التنظيم من شأنها لو تحققت أن تساعد على تهيئة مناخ افضل للعمال بالنسبة للتنظيم ، وتخلصه من العناصر الانتهازية والبيروقراطية والسلبية الى حد كبير .

اما بالنسبة للبرنامج السياسى المقدم فى ورقة العمل فنلاحظ انه عام جدا ولابد أن يحدد بصورة أدق ويستند الى مفهومات سياسية أكثر وضوحا . فشعار اقامة دولة القرية الحديثة ـ على سبيل المثال ـ يتطلب تحديد مواقف واضحة من قضايا التطوير السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى الريف .

ماهو الموقف ـ مثلا ـ من قضية أساليب وعلاقات الانتاج الحالية المتخلفة فى الريف وما هى العلاقات الجديدة التى يمكن أن تحل محلها . كيف نعالج قضية تفتيت الملكية الزراعية القائم حاليا والذى سيزداد تفاقما حتى سنة ١٩٨٠ ؟

ماهى التعديلات التى يمكن أن تتناول طريقة تكوين وأسلوب الممارسة للاجهزة التنفيذية فى القرية فى اطار متحرر من البيروقراطية ويحقق الرقابة الشعبية عليها بصورة فعالة ؟ وما المقصود بارساء علاقات اجتماعية انسانية جديدة ؟ ماهو شكل هذه العلاقات ولصالح أى من الطبقات الاجتماعية فى الريف تقام هذه العلاقات ؟

وما هى الاسس التى هددت بمقتضاها السير الى ٥٠٪ زيادة فى الانتاج حتى سنة ١٩٨٠ ، وهل يمكن تحقيق هذه النسبة فى اطار ظروف علاقات ووسائل الانتاج الحاليه فى الريف ؟ وما هى الخطوات الاساسية اللازمة لتحقيقها ؟

واخيرا فى معرض تنظيم العلاقة بين التنظيم السياسى والجهاز التنفيذى فلابد من توافر شروط معينة كى يؤتى هذا التنسيق ثماره .

أولا ـ لابد من اشتراك الجهازين فى مناقشة وحل مشاكل الجماهير على ضوء خطة محددة يتفق عليها ، وفى شكل تنظيمى يكفل لكل من الجهازين استقلاليه وتحديد مهامه واختصاصاته بوضوح مما يحول دون تحويل الجهازين السياسى والتنفيذى الى جهاز واحد للخدمات فقط ـ بحيث لا تستطيع الجماهير أن تفرق بين دورهما وبالتالى جدوى قيام التنظيم السياسى .

ثانيا ـ لن يحقق هذا التنسيق الفائدة المرجوة منه اذا افتقد المشاركة مع جماهير القرية بصورة دورية واذا لم يكن لهذه الجماهير حق ابداء رأيها فى مشاكلها فى صورة اجتماعات شعبية محلية .

ثالثا ـ ضرورة المحاسبة المستمرة لعناصر الجهاز التنفيذى والتنظيم السياسى كى تشعر الجماهير بأن هذه الاجهزة تمثلها حقيقة وتعمل على حل مشاكلها ولا تنظر اليها باعتبارها أجهزة فرضت عليها .

رابعا ـ لابد وأن يتوافر فى ممثلى الجهاز التنفيذى فى القرية وخاصة قيادته عناصر على مستوى من الوعى السياسى يسمح لها بحل المشاكل من زاوية مصالح الجماهير لا من زاوية بيروقراطية وروتين الجهاز التنفيذى .

■ ■

الصراع والتحـــــالف في التنظيـــم الثـــورى

جلال أحمد حمودة

● لقد ظلت قضية بناء التنظيم السياسى القادر على قيادة جماهير الشعب فى مسيرته الكبرى من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة هى القضية الرئيسية التى تشغل فكر القيادات السياسية منذ بدات ثورة ٢٣ يوليو حتى الان ورغم المجهودات العنيفة والدراسات المضنية من أجل تحقيق هذا الهدف فلازال الاتحاد الاشتراكى مثل سابقيه الاتحاد القومى وهيئة التحرير عاجزا عن أن يحمى نفسه فضلا عما هو مطلوب منه حماية وقيادة ثورة رائدة فى العالم العربى فى تاريخه المعاصر .

● ولقد تحدث الحاضرون وهم نخبة من قيادات العمل النقابى العمالى عن مشاكل التنظيم ومشكلة ارتباطه بالقواعد وعلاقة التنظيم السياسى بالنقابى وعلاقته بأجهزة الدولة التنفيذية وسلطانه عليها أو سلطانها عليه ومن أين يبدأ ومن الذى يبنى التنظيم وتعريف العامل والفلاح والسلبيات المختلفة باستفاضة وخاصة التشرذم والاسلاك المقطوعة واسبابها .. الخ بشكل يجعل الافاضة صعبة ان لم تكن متعذرة .

● ونبدأ بفكرة التنظيم كوسيلة لتحقيق هدف معين بتجميع كل من يؤمن بهذا الهدف ومستعد عن اقتناع للتضحية

من أجل تحقيقه وكلما كان الهدف واضحا كلما كان ذلك عاملا مساعدا في تحقيق وحدة نضالية تنبذ الخلافات الثانوية التى قد تعوق المسيرة من اجل الهدف الكبير وتخضع التصرف الخاص بالمجموعات المختلفة سواء كانت طبقات أو فئات لكى تحقق مصالحها الخاصة فى اطار واتجاه تحقيق هذا الهدف دائما .

● أى أن فاعلية أى تنظيم سياسى تحكمه وحدة الفكر والارادة . وعندما يكون هذا التنظيم حزبا يعبر عن المصالح الخاصة لطبقة محددة وتكون هذه المصالح متفقة فى مجموعها مع الهدف العام والخط السياسى لهذا الحزب تكون المشكلة قائمة نظريا فقط ..

● أما فى حالة مثل الاتحاد الاشتراكى كتنظيم يعبر عن مجموعة طبقات التحالف فان التناقضات الغير عدائية التى بينها تشكل دائما خطرا جسيما اذا لم نحسن التعامل معها . ان هذه التناقضات تولد الصراع وهو حقيقة علمية يحاول أن يتجاهلها البعض أو يرفضونها رغم مايبدو فى كلام الجميع من احساس ضمنى بها محاولين التخفيف من قسوة هذه الكلمة تحت أسماء أخرى مثل حوار أو ماشابه وأن محاولة طمس حقيقة أنه يوجد صراع طبقى بين طبقات التحالف الذى شكلته المرحلة الثورية التى يمر بها مجتمعنا ، وهى المحاولة التى نجحت دائما فى أضعاف هذا التنظيم حتى الان .

● وان تحديد التناقضات الطبقية الموجودة بحكم الواقع بين طبقات التحالف يشكل حجر الزاوية الثانى بعد تحديد التناقض الاساسى الذى يحكم المنطقه العربية عامة ومصرنا العزيزة خاصة وهو التناقض بيننا وبين الاستعمار فى هذه المرحلة الثورية وهى مرحلةالتحرر الوطنى . فكما هو معلوم أن هذا التناقض الاساسى هو الذى يحكم الظاهرة الان وحل هذا التناقض بالقضاء على الاستعمار هو الحتمية التاريخية وكل التناقضات الاخرى لا تغير من واقع الامر على الارض العربية الا بمقدار تأثيرها فى هذا التناقض الاساسى .

● ان تحديد هذا التناقض سيؤدى بالقطع الى اخضاع طبقات التحالف لمصالحها الخاصة والطريقة التى تحل بها هذه التناقضات فى اطار واتجاه قضية التحرير كما سيقوم التنظيم السياسى فى هذه الحالة بحل هذه التناقضات الغير عدائية حلا علميا وعادلا يزيد من تماسك التنظيم وبالتالى فاعليته .

وان محاولة انكار الصراع الطبقى بين طبقات التحالف سيجعلنا نتعامل معه تعاملنا مع الإشباح ، ويعطيه حجما أضعاف حجمه الحقيقى ويزيد من حدة التناقضات الداخلية الكفيلة بهدم التنظيم مرة أخرى وطمس القضية الاساسية التى تمر بها بلادنا فى طوفان من الخلافات الجانبية وهو هدف يسيل له لعاب الاستعمار وأعوانه فى المنطقة فى محاولة يائسة لوقف عجلة التاريخ ».

ملف
خاص

جورجي ديمتروف

١٨٨٢ ـ ١٩٧٢

يرتبط اسم جورجي ديمتروف في اذهان الثوريين في العالم اجمع بتاريخ الحركة الاشتراكية والنضال ضد الفاشية وقيادة كفاح الطبقة العاملة منذ بداية القرن .

فديمتروف هو الزعيم الثوري للشعب البلغاري ، قائد ثورته من أجل التحرر ومؤسس دولة العمال والفلاحين الاشتراكية .

ديمتروف المناضل الاممي والسكرتير الاول للكومنترن في مرحلة من أخطر المراحل في تاريخ البشرية ، صاغ فكرة الجبهات الوطنية والشعبية في مواجهة خطر الزحف الفاشي .

وبمناسبة الذكرى التسعين لمولده ، عقد في صوفيا لقاء فكري واسع وهام ، وذلك في الفترة من ١٣ يونيو الى ١٨ يونيو ١٩٧٢ . واشترك في اللقاء عدد ضخم من ممثلي الاحزاب العمالية والشيوعية والاشتراكية ومن المنظمات الديموقراطية والثورية . وقد شارك الاتحاد الاشتراكي العربي في هذا اللقاء بوفد يضم عبد التواب يوسف عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي وأبو سيف يوسف عضو مجلس الشعب وعضو هيئة تحرير الطليعة .

و « الطليعة » اذ تشارك ـ هي أيضا ـ في الاحتفالات بالذكرى التسعين لمولد ديمتروف تقدم هذا الملف تحية وتكريما لمناضل عظيم . وتعد بأن تنشر تقريرا عن الاحتفالات التي جرت في صوفيا في العدد القادم .

وفي الذكرى التسعين لميلاد جورجي ديمتروف تنشر الطليعة هذا الملف ، تقدمه تحية واعزازا ، لذكرى المناضل الاممي العظيم .





ديمتروف :

حياته ونضاله ..

د. عبد الفتاح هيكل

ولد جيورجي ديمتروف في ١٨ يونيو ١٨٨٢ في قرية كوفا شيفينسى . أما والده الذى مات عام ١٩١٢ ، فقد ساهم في الحركة الاشتراكية البلغارية . وكان يحظى باحترام زملائه . أما والدته فهى ابنة فلاح فقير . وقد لعبت دورا كبيرا فى حياة ديمتروف . فقد ربت أولادها على حب شعبهم وشجعتهم على المضى قدما فى النضال من أجل مستقبل أفضل لوطنها . فعندما قبض على ابنها جيورجي ديمتروف في قضية حريق الريخستاج ذهبت الى القنصلية الالمانية ، وهى العجوز البالغة من العمر ٧٢ سنة وقبض عليها البوليس البلغارى وأودعها السجن . فاستاءت الجماهير ، واضطر البوليس فى النهاية الى الافراج عنها . قامت هذه الام المناضلة بالاشتراك فى الاجتماعات التى عقدت للافراج عن ابنها وانقاذه من أيدى الجلادين الفاشست . وكان لظهورها وشجاعتها اثر كبير فى الحملة العالمية لانقاذ ابنها . وكانت تخطب فى هذه الاجتماعات . ففى اجتماع فى باريس قالت « ان ابنى جيورجي منح ٣٥ سنة من حياته للطبقة العاملة . أنه ليس الرجل الذى يقوم باشعال الحرائق . أنه الان فى قبضة الجلادين الفاشست . اننى

ادعوكم أن تناضلوا من أجل تحريره هو ورفاقه » [1] .

وعندما زارت ابنها فى السجن همست فى أذنه أن الطبقة العاملة العالمية معه فى نضاله الباسل . وحينما صممت أن تدخل قاعة المحكمة التى يحاكم فيها ابنها لتراه بمقتضى حقها كأم وحاولوا أن يرغموها على الابتعاد ولكنها قاومت ببسالة وشجاعة .

هذه هى أم ديمتروف مناضلة من أجل سعادة ابنائها وشعبها .

أما اخوته فقد ساهموا بنشاطهم وحياتهم من أجل الطبقة العاملة البلغارية، والطبقة العاملة العالمية . فاخوه كونستنتين أغتيل فى حرب البلقان عام ١٩١٢ — ١٩١٣ . وكان سكرتير نقابة عمال المطابع فى صوفيا ثورى حقيقى . أما الاخ الثانى نيقولا فقد ذهب الى روسيا ١٩٠٥ ليتضم الى الطبقة العاملة الروسية فى نضالها ضد الحكم القيصرى ويرفع السلاح مع اخوانه عمال روسيا وقد انضم الى الحزب الاشتراكى الديموقراطى الروسى (الحزب الشيوعى بعد ذلك) . قبض عليه فى أوديسا ١٩٠٨ حيث كان يعمل فى مطبعة غير مصرح بها قانونا وقد حكم عليه بالنفى المؤبد الى سيبريا . وهناك فى الصقيع مات بعيدا عن وطنه ، والاخ الثالث تيودور اغتيل عام ١٩٢٥ فى أقبية المباحث العامة البلغارية . وكان يعمل منذ ١٩٢٤ فى الحزب الشيوعى البلغارى المحظور ، فى ظروف قاسية وبالغة التعقيد . وكان البوليس يبذل قصارى جهده للقبض عليه ، لعلمهم بأنه من أنشط العناصر فى الحزب الشيوعى البلغارى . وبالرغم من تعذيبه بشكل بربرى مات شجاعا ولم يبح بأى سر من الاسرار . وابن أخته مجدلينا فقد كان عضوا فى منظمة الشباب الشيوعى . قبض عليه وحكم عليه بالسجن وقد ساهم فى حرب الانصار وبعد أن أصيب بجراح خطيرة قبض عليه الفاشست وقتلوه . أما أخته « لينا » فكانت تساهم هى الاخرى فى النضال من أجل قضية الشعب البلغارى ، وكانت عضوا فى الحزب . وفى فترة العمل السرى اضطرت بعد ازدياد نشاط البوليس فى البحث عنها الى السفر الى الاتحاد السوفيتى . وهناك واصلت نضالها وقد لعبت لينا دورا كبيرا فى الوقوف الى جانب أخوها جيورجى أثناء القبض عليه فى قضية الريشستاغ . فقد زارت فرنسا وبلجيكا والدانمرك وسويسرا، وأقامت فى انجلترا حيث مقر اللجنة المناهضة للفاشية التى أخذت على عاتقها أن تفضح أكاذيب الفاشست فى محاكمة ديمتروف ورفاقه . وكانت تقول فى كل مكان « ان الشيوعيين هم أعداء الارهاب الفردى » . « انهم ليسوا مشعلى حرائق ، انهم يعلنون علنا أنهم يدعون ويحضرون الى الانتفاضة المسلحة من قبل العمال ضد النير الفاشى » .

أما زوجته لوبا فقد انضمت الى حركة الاشتراكيين الديموقراطيين الصربيين، واضطرت الى مغادرة وطنها وانضمت الى الحركة الثورية البلغارية . فقد كانت سكرتيرة لنقابة عمال الخياطة البلغاريين وكانت عضوا فى هيئة تحرير مجلة « المساواة » ، وأيضا فى المجلة التى كان يصدرها الحزب للنساء « تزينياكى » وقد مثلت الحزب الشيوعى البلغارى فى مؤتمر الحزب الشيوعى اليوغوسلافى . وأمضت السنوات الاخيرة من حياتها فى الاتحاد السوفيتى حيث كانت عضوا عاملا فى الحزب الشيوعى السوفيتى . وكانت تتمتع كشاعرة وصحفية ، وعضوا نشيطا فى الحزب باحترام كبير من قبل رفاقها فى الحزب الشيوعى البلغارى والحزب الشيوعى اليوغوسلافى . وقد ماتت لوبا عام ١٩٣٣ فى موسكو اثناء محاكمة زوجها فى قضية حريق الريشستاغ . هذه هى اسرة جيورجى ديمتروف : أسرة مناضلة ، متلاحمة مع شعبها قدمت أغلى التضحيات فى سبيل مجتمع أفضل فى بلغاريا .

المرحلة الاولى من حياة ديمتروف حتى ١٩١٤

بعد اتمامه الدراسة فى المدرسة الابتدائية « سنتى كليمنت » ترك ديمتروف الدراسة وهو فى سن الثانية عشرة ليساعد أسرته . وقد عمل فى حرفة الطباعة كجامع للحروف ، وفى سن الثالثة عشرة . ساهم فى اضراب عمال الطباعة فى صوفيا ، وكان عضوا فى نقابة عمال الطباعة . وأسس أول مكتبة ثقافية للنقابة ، وناضل من أجل تحسين ظروف العمل لابناء مهنته .

قام ديمتروف بتعليم نفسه وكان على اتصال وثيق بالحركة الثورية فى روسيا ، يقرأ كل ما يصدر منها وقد أثرت قصة « ما العمل » لتشيرنيشيفسكى فيه تأثيرا كبيرا ومن ذلك يقول « ان رواية « ما العمل » أثرت على كعامل فنى بدأ أولى خطواته فى الحركة الثورية البلغارية تأثيرا كبيرا عميقا لا ينسى » [2] .

وقد قرأ ديمتروف للمفكرين الروس الديموقراطيين اليساريين امثال بلينسكى وبيساروف وديروليوبوف كما قرأ كتب ودراسات بليخانوف . واتجه ديمتروف الى الدراسات الفلسفية فقرأ كتاب بوخنر « المادة والطاقة » ودرس كتاب كاوتسكى « برنامج ارفورت » والبيان الشيوعى ورأس المال لكارل ماركس . وواصل دراسته للماركسية عبر ماركس وانجلز ولينين . كما اطلع على الجرائد الثورية مثل « الاسكرا » التى كانت تصل الى بلغاريا وفى بداية القرن كان أبوه يرسل اليه الكتب الثورية التى كان يطلع عليها ويدرسها بعناية كبيرة .

وقد أصدر هو وزملاءه جريدة « كوكوريجو » التى لم يصدر منها سوى عددين وكان يطبعها نفسه . وفى المقال الافتتاحى الذى كتبه أوضح أن مهمة الجريدة هى النضال من أجل المساواة والحقيقة . وفى عام ١٨٩٧ نشر له أول مقال فى جريدة عمال المطابع « بيتشاتارسكى » رابوتنيك . وفى هذا المقال تحدث ديمتروف عن الظروف غير الصحية التى يعيش فيها عمال المطابع ، وطالب بالقضاء عليها وتحسين ظروف العمل . وعندما بلغ سن الثامنة عشرة أصبح سكرتير نقابة عمال المطابع فى صوفيا .

ومما يروى عنه فى تلك الفترة ، انه عندما أرسل اليه السياسى البورجوازى رادوسلافوف فى مايو ١٨٩٨ مقالة ضد اضرابات العمال حذف المقاطع الهجومية منها . وفى ١٩١٥ عندما كان عضوا فى البرلمان ، وقام يدافع عن حرية الصحافة ، وينتقد وضع الرقابة عليها ذكره رادوسلافوف والذى أصبح رئيسا للوزراء بانه كان رقيبا على مقالاته رد عليه ديمتروف : « اننى أدافع اليوم كما فى السابق عن مصالح وشرف الطبقة العاملة ، وانك تضطهد اليوم كما فى السابق رأى

(1) Blagojewa «Georgi Dimitroff» Dietz Verlag Berlin, 1954, S. 12.
بلاجويفا « جيورجى ديمتروف » دار النشر ديتز برلين ١٩٥٤ صفحة ١٢.

(٢) نفس المصدر ص ١٨

الجماهير الكادحة » (٣) » وفى عام ١٩٠٢ انضم الى الحزب الاشتراكى الديموقراطى البلغارى وعندما سئل لماذا يريد الانضمام الى هذا الحزب أجاب ديمتروف « أريد ان أكون عضوا فى الحزب لانى مقتنع أن الطبقة العاملة لن تستطيع التحرر عن طريق المساومة بينها وبين المستغلين الراسماليين ولكن بالطرق الثورية » . [٤]

وفى عام ١٩٠٢ عمل ديمتروف كعامل مطابع فى مطبعة المدرسة الامريكية فى ساموكوف وبعد عدة شهور طردته ادارة المدرسة لقيامه بالدعاية والتبشير للافكار الاشتراكية الثورية . وبالرغم من هذا الابعاد فقد تمكن من تكوين حلقة ماركسية فى هذه المدرسة تدرس « البيان الشيوعى » لكارل ماركس وفردريك انجلز « وبرنامج ايرفورت » لكاوسكى

وفى بداية عام ١٩٠٣ عاد ديمتروف الى صوفيا وكان الحزب الاشتراكى الديموقراطى البلغارى يسوده تياران : تيار ماركسى وتيار اصلاحى . وانضم ديمتروف الى التيار الماركسى الذى يقوده بلاجوييف وأسس هو و١٧ من رفاقه منظمة صوفيا وأصبح سكرتيرها .

وكان ديمتروف يعمل بنشاط كبير فى النشاط الحزبى وفى المجال النقابى فكتب فى يوليو ١٩٠٣ فى جريدة الحزب « رابوتنيشيسكى فستنيك » مقالا عن « الانتهازية فى النقابات » . وفى عام ١٩٠٤ اشترك ديمتروف كمندوب فى المؤتمر الحادى عشر فى بلوفديف . وانتخب فى اللجنة الصحفية وقد أيد الحزب تمثيل ديمتروف له فى الاتحاد العام للنقابات فى بلغاريا . وتوالت مساهمات ديمتروف فى المؤتمرات اللاحقة للحزب كالمؤتمر الثانى عشر فى صوفيا عام ١٩٠٥ . وفى عام ١٩٠٦ قدم تقريرا عن مسائل التنظيم والدعاية . ومنذ ١٩٠٨ أصبح المسئول عن قضايا النقابات فى جريدة الحزب « فستنيك » وانتخب عضوا فى اللجنة المركزية عام ١٩٠٩ وظل فى هذا المنصب طيلة حياته بل فى النهاية أصبح السكرتير العام للحزب .

ان دور ديمتروف كقائد ومنظم للحركة النقابية البلغارية اثبت مشاركته الايجابية فى الاضرابات التى قام بها العمال فقد كان دائما ينتقل بنفسه الى مكان الاضراب ، ويقدم للعمال كل خبرته . وعن طريق المساهمة الفعالة لديمتروف نظم الحزب فى الفترة من ١٩٠٨ الى ١٩١٢ اكثر من ٦٨٠ اضرابا . وكان ديمتروف يتمتع بشعبية كبيرة بين العمال البلغاريين ، ورأوا فيه قائدا ومعلما لهم . فهو دائما معهم فى أحلك الظروف وفى أكثر من مرة اطلق عليه الرصاص ومع ذلك فانه ما ان يعلم ان العمال مضربون فى مصنع ما حتى يذهب اليهم بنفسه ، يناضل معهم من أجل حقوقهم المشروعة . ففى ١٩١١ مثلا قاد العمال فى مسيرتهم من بيرنيك الى صوفيا . واثناء خطابه فى العمال المضربين فى منجم بلاكانيتزا اطلق عليه الرصاص ومع ذلك استمر ديمتروف فى خطابه الى النهاية . وفى ١٩١١ القى خطابا فى قرية عمالية « ساموفو دنه » ، وحاولت السلطات المحلية فض الاجتماع بالقوة وضرب ديمتروف . ولكن العمال يردون المعتدين على اعقابهم ويستمر الاجتماع الى النهاية . وعقب ذلك يسير ديمتروف بالمجتمعين فى مظاهرة شعبية تطوف انحاء القرية . وبجانب المساهمة الايجابية يقدم ديمتروف للطبقة العاملة الدراسات النظرية الهامة التى ترفع من وعيهم وترشدهم الى الطريق السليم فى نضالهم العادل . فقد نشر مثلا الدراسة الهامة عن الحركة النقابية فى بلغاريا ١٩١٠ تناول فيها الاوضاع الاقتصادية فى بلغاريا وتطور الحركة النقابية والمهام التى عليها أن تواجهها . وفى كتابه الذى طبعه عام ١٩١١ عن تطور الحركة النقابية فى بلغاريا كشف اللثام عن فكر الاصلاحيين الذين يدعون الى مبدأ الحياد السياسى للنقابات . وقد قدم الى المحاكمة بسبب هذا العمل وخاصة لكشفه أحد الزعماء الاصلاحيين ونعته بأنه نصاب ومحتال . واتخذ ديمتروف من المحاكمة منبرا يهاجم فيها الاصلاحية وخطرها على الحركة النقابية بل انه حتى فى سجنه بعد الحكم عليه يرسل المقالات يحذر العمال من خطر الانقسام ويطالبهم بالوحدة تجاه أعدائهم .

وفى النطاق الحزبى ساهم ديمتروف فى مؤتمر الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية فى البلقان عام ١٩١٠ وكان لهذا المؤتمر أهمية كبيرة فقد بين ضرورة وحدة الشعوب والطبقة العاملة فى النضال ضد مستغليهم ومستعبديهم . ففى عام ١٩١١ حذر الحزب الاشتراكى الديموقراطى البلغارى شعوب البلقان وطالبها باليقظة ضد مشعلى نيران الحروب التى أندلعت فعلا — عام ١٩١٢ واثبت صحة وجهة نظر الحزب ، وقد قال ديمتروف ان المسئول عن الحرب فى البلقان هم البرجوازيون الشوفينيون ولابد للطبقة العاملة من مواجهتهم بالوحدة . ودعا ديمتروف الى شعار اتحاد بلقانى فيدرالى جمهورى . وأهاب بالعمال ان لايموتوا دفاعا عن مصالح المستغلين فى جبهات حرب أجنبيه . وكان ديمتروف يؤمن بضرورة وحدة العمال فى البلقان فعندما مثل حزبه كمندوب للجنة المركزية عام ١٩١٢ فى المؤتمر الثانى للحزب الاشتراكى الديموقراطى فى بوخارست ساهم فى نفس الوقت فى الاشتراك فى مؤتمر عمال المعادن الرومانيين والقى خطابا اكد فيه باسم العمال البلقان تضامنهم مع العمال الرومانيين كذلك ساهم فى مؤتمرات عمالية أخرى ، مما دعا البوليس فى ٤ يوليو ١٩١٢ الى أن يطلب منه مغادرة رومانيا كذلك ساهم كمندوب للاتحاد العام للنقابات فى بلغاريا فى مؤتمر فيينا الذى دعا الى عقده الاتحاد الدولى للنقابات فى ٢٣ سبتمبر ١٩١٣ لبحث حالة عمال الصرب والبلغار .

هذا النضال على النطاق الداخلى والنطاق الدولى ، اكسب ديمتروف شعبية هائلة فى بلغاريا ، وبين الطبقة العاملة فى البلقان حتى انه كان أول نائب عمالى فى البلقان ينتخب فى البرلمان البلغارى من دائرة فرازا ، وعلى أثر ذلك انتخب كسكرتير للهيئة البرلمانية للاشتراكيين الديموقراطيين .

المرحلة الثانية من الحرب العالمية الاولى

حتى الانتفاضة العسكرية ١٩٢٣

لم ينتخب ديمتروف فى مجلس الشعب فقط بل انتخب فى مجلس مدينة صوفيا ، وفى مجلس محافظة صوفيا كذلك .. وقد قام ديمتروف بالدفاع عن مصالح الشعب والطبقة العاملة فى البرلمان .. وكان أول عمل قام به هو ورفاقه من الاشتراكيين الديموقراطيين أن غادروا القاعة عندما دخلها القيصر فرديناند . وقد طالب ديمتروف بمحاكمة المسئولين عن حرب البلقان ١٩١٢ — ١٩١٣ ووقف بحزم ضد استخدام القوات المعادية للثورة وامدادها بالمواد الغذائية فى تدخلها السافر ضد الثورة الروسية .

(٣) Seiten eines herioschen lebens «Probleme des Friedens und Socialismus» Berlin 1972, Nr. 3, S. 313.
مقالة عن حياة ديمتروف فى مجلة السلم والاشتراكية عدد ٣/١٩٧٢ ص ٣١٣ .

[٤] بلاجوييفا نفس المصدر ص ٢٢.

ووقف هو ورفاقه ضد الحرب الامبريالية ، فعندما حل المحامي النيابي التي خطبة حادة ، ادت الى القبض عليه وتوجيه الاتهام اليه بأنه « ينظم انتفاضة ضد الحرب وضد الملك والجيش » وبعد الافراج عنه قام بالدفاع عن آرائه وافكاره في اجتماع عمالي ، مما ادى الى القبض عليه مرقتانية في ٢ فبراير ١٩١٤ وتحت الضغط الجماهيري ، اضطرت السلطات الحاكمة الى الافراج عنه . وعلى الفور اتجــه ديمتروف الى المناطق العمالية في فرازا يتحدث اليــهم عن مشاكلهم ، ويتناول الاوضاع الراهنة بالنقد والتحليل وقبض عليه في المرة الثالثة هو و١٨ من رفاقه في ٩ فبراير ١٩١٤ . وبالرغم من كل وسائل الضغط والارهاب التي استخدمتها السلطات الحاكمة تجاهه فلقد اعيد انتخابه نائبا في مجلس الشعب في ٢٨ فبراير ١٩١٤ عن دائرة فرازا . الا يدل هذا على شعبية ديمتروف وقد رأت الجماهير فيه مناضلا لا يخشى الارهاب والوعيد ، بل يقف في ثبات يدافع عن مصالح شعبه . لقد كان ديمتروف يرى في دخول بلغاريا الحرب كارثة وطنية . وفي البرلمان وقف يهاجم الحرب الاستعمارية ، ويعلن عدم موافقته على اقرار القروض لتمويل هذه الحرب . وبذلك سار على الخط اللينيني المعارض لزعماء الدولية الثانية الذين أيدوا حكوماتهم في الحرب الاستعمارية الدائرة . هذا هو الموقف الماركسي اللينيني ففي عام ١٨٧١ وقف ويلهلم ليبنخت ضد اقرار القرض لتمويل الحرب البروسية الفرنسية لانها لم تكن حرب تحرير ، بل حربا امبريالية . وفي ١٩١٤ وقف ابنه كارل ليبنخت ايضا في الريخستاج يعلن معارضته لتمويل الحرب الاستعمارية بقروض يدفعها الشعب العامل . واستمر ديمتروف على هذا الموقف فقد انتقد في جلسة ١٥ يوليو ١٩١٦ سياسة الميزانية للحكومة الملكية لتمويل قروض الحرب . وكان لتوقيعه البيان الصادر عن الحزب والموجه الى الشعب البلغاري والطبقة العاملة بالوقوف صفا واحدا ضد مؤامرات البورجوازية للتحضير للحرب في البلقان في ٧ سبتمبر ١٩١٥ ان قبض عليه وقدم لمحكمة عسكرية بتهمة اشاعة الفوضى والدعوة الى عدم طاعة الجنود لرؤسائهم . ولكن كل هذه الاتهامات لم تثن ديمتروف عن السير في طريقه الشاق حتى انه في ١٨ اغسطس ١٩١٧ دخل في مناقشة حادة مع ضابط اراد طرد جندي جريح من ديوان في عربة السكة الحديد يجلس فيها هذا الضابط ، ودافع ديمتروف عن الجنــدي وقدم الضابط شكوى ضد ديمتروف اعتقل على إثرها بتهمة اشاعة العصيان داخل الجيش وحكمت المحكمة العسكرية بسجنه ٣ سنوات .

وفي السجن لم يتوقف نشاط ديمتروف ، فقد طالب بالتعاون بين حزبه وحزب « اتحاد الفلاحين » الذي يقوده ستامبولسكي الذي كان مسجونا في ذلك الوقت . ولم يستمر سجن ديمتروف طويلا ففي نوفمبر صدر عفو سياسي عام وافرج عنه . وفي تلك الفترة ترجم كتاب لينين « الدولة والثورة » الى اللغة البلغارية واستمر في تعلم اللغة الالمانية .

أما موقفه من ثورة اكتوبر ومن زعيمها لينين فلا يحتاج الى ايضاح فقد قال عن ثورة اكتوبر — اثر اندلاعها — « انها اول انتصار للبروليتاريا الدولية الثورية ضد الرأسمالية والامبريالية وبداية الثورة العالمية » . وقال عن لينين أنه « رمز الثورة البروليتارية الدولية » [٥] وطالب الطبقة العاملة البلغارية والشعب البلغاري بالوقوف الى جانب هذه الثورة التحررية الكبرى . ووقف بحزم في البرلمان ينتقد الحكومة لتمويلها عصابات فرانجل التي تقوم بالثورة المضادة ضــد روســيا الثورية . كان ديمتروف يؤكد دائما العلاقة الاخوية بين الشعب الروسي والشعب البلغاري وأن هذه العلاقة ستزداد توثقا بعد ثورة أكتوبر .

وفي الداخل واصل نضاله ضد الحرب حتى انه قال « ان الشرط الضروري للحفاظ على السلام في المستقبل هو احلال النظام الاشتراكي محل النظام الرأسمالي » ولكن في تلك الفترة اتخذ الحزب موقفا انتقده ديمتروف في المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي البلغاري عام ١٩٤٨ وخاصة من انتفاضة الجنود في فلاجا عندما قرر الجنود العائدون من الجبهة عدم مواصلة الحرب وقرروا الزحف على صوفيا فان الحزب لم يقم بالدعاية بين الجنود عقب ثورة اكتوبر ، فقد اعتبر الحزب الجنود من الفلاحين ، وأنهم غير مستعدين لاقامة سلطة السوفييت وبذلك تركوا بدون قيادة مما سهــل على السلطات الحاكمة قمع الانتفاضة مع أنه كان من الممكن تحويل الانتفاضة الى ثورة شعبية واسعة للمطالبة بالجمهورية الديموقراطية والسلام .

وبالرغم ان الحزب وقف موقفا مجيدا بعد ثورة اكتوبر ، وقدم الفلاحون المواد الغذائية لاخوتهم الروس ، فانه في الداخل أساء تقدير الموقف الثوري الناتج من انتفاضة الجنود . ولم يكن لديه برنامج زراعي واضح ، مع أن الفلاحين هم حلفاء الطبقة العاملة في النضال ضد الرأسمالية . وحسب تعبير ديمتروف في المؤتمر الخامس ١٩٤٨ « ان موقف الحزب كان على أساس بليخانوف وليس على اساس لينين » . وقد دفع الحزب ثمنا باهظا في أعقاب الانقلاب الفاشي ٩ يونيو ١٩٢٣ . وفي ١٩١٩ يغير الحــزب اسـمه من الحزب الاشتراكي الديموقراطي البلغاري الى الحزب الشيوعي البلغاري وينضم الى الدولية الثالثة (الكومنترن) التي تأسست في عام ١٩١٩ .

واستمر ديمتروف بعد الافراج عنه في نهاية ١٩١٨ في الاتصال بالجماهير الشعبية ، وخاصة الطبقة العاملة . فيعقب القائه خطابا في عمال مناجم برينك ألقي القبض عليه . وقرر الحزب استقباله وهو مقبوض عليه في المحطة . وتحت ضغط الجماهير أفرج عنه .

ولم تنقطع لقاءات ديمتروف بالعمال والجماهير الكادحة ، وخاصة في هذا الوضع الثوري . وقد ساهم ديمتروف مع الحزب في ٢٣ ديسمبر ١٩١٩ بالسير في المظاهرة التي نظمها الحزب يعلن فيها مطالبة الجماهير بالغــذاء والمسكن . وطالبوا بوقف حرب التدخل ضد الاتحاد السوفيتي . واضطر ديمتروف الى العمل سرا بعد رفع الحصانة عن الاعضاء الشيوعيين في البرلمان . ومع ذلك فبالرغم من ان البوليس كان يبحث عنه ، ظهر في اجتماع مجلس مدينة صوفيا ليتحدث باسم الحزب ، ويناقش الميزانية . وعندما حاولوا الاتصــال بالبوليس وجدوا ان أسلاك التليفون مقطوعة .

وبقرار من الحزب ، حاول ديمتروف وكولاروف السفر سرا بقارب شراعي الى الاتحاد السوفيتي لحضور مؤتمر الدولية الثالثة المنعقد هناك . وبالرغم من خطــورة الرحلة ، الا انهما سارا فيها قدما ، ولكن سفينة حراسة حربية رومانية قبضت عليهما . وحاولت الحكومة الرومانية تقديمهما للمحاكمة بتهمة « التجسس لحساب الاتحاد السوفيتي » . الا أن تدخل الحكومة السوفيتية ، والاحتجاجات من قبل المواطنين البلغار والرومان لم يدع أمــام السلطات الرومانيــة أي اختيار ، فاضطرت للافراج عن ديمتروف وكولاروف . ونجح ديمتروف في

(٥) Todor Shiwkow « Revolutionar, Triban, Theoreptker », «Problème des Friednens und Socialismus ». Berlin 8/1972, S. 292.

حضور المؤتمر الثالث للكومنترن بعد أن مثل الحزب الشيوعي البلغاري في مؤتمر الحزب الشيوعي الايطالي في ليفورنو في نهاية ١٩٢٠ . وتقابل ديمتروف لاول مرة مع لينين في فبراير ١٩٢١ . وفي مكتب لينين بالكرملين قال ديمتروف للينين أن الحزب مستعد لتولي السلطة فنصحه لينين بأن على الحزب أن يتريث حتى يصبح طليعة القوى الثورية في بلغاريا . واكد لينين على ضرورة التحالف مع الفلاحين وخاصة فقراء الريف والفلاحين المتوسطين . وحذر لينين من القيام بأي عمل فيه مغامرة : « فالرجعية لازالت قوية في بلدكم ، وأنتم لا زلتم غير مستعدين » وقد شرح لينين لديمتروف أنهم في روسيا اضطروا الى اتباع سياسة اقتصادية جديدة (سياسة النهب). وقد استمر الحديث أكثر من ساعتين . وقدم ديمتروف للينين قاموسا عليه الإهداء التالي « الى معلمنا المحبوب والقائد الذي لا غنى عنه للثورة البروليتارية العالمية الرفيق لينين » من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري موسكو في ٥ مارس ١٩٢١ . وبعد أن اشترك ديمتروف في مؤتمر الدولية الثالثة وكذلك في مؤتمر النقابات الشيوعية الحمراء عاد الى بلغاريا في نهاية ١٩٢١ .

وقد توالت الاحداث وتولى حزب « اتحاد الفلاحين » السلطة بقيادة ستامبولسكي . وكانت نتيجة انتخابات الجمعية العمومية في أغسطس ١٩١٩ — ١١٠٫٠٠٠ صوت للشيوعيين ، و ٤٧ مقعدا ، وكان للاشتراكيين اليمينيين ٨٢٨٢٦ صوتا و ٣٩ مقعدا ، واتحاد الفلاحين ١٨٠٦٤٨ صوتا و ٨٥ مقعدا . وبالرغم من هذا شكل ستامبولسكي الحكومة من حزبه ومن حزب الشعب والحزب الليبرالي الوطني . وفي انتخابات ٣ مارس ١٩٢٠ تزايد نفوذ الشيوعيين فحصلوا على ١٨١٫٥٢٥ صوتا . وأصبح لهم ٥١ نائبا ، واتحاد الفلاحين ٣٤٦٩٤٥ صوتا ولهم ١١٠ نائب . وهزم الاشتراكيون اليمينيون فحصلوا على ٧ مقاعد بدلا من ٣٧ . وبالرغم من هذا فان ستامبولسكي رفض التعاون مع الشيوعيين . فحزبه كان يمثل الفكر البرجوازي الصغير ويدافع عن الانتاج الفلاحي الصغير . وبالرغم من أن ستامبولسكي كان يحاول التحرر من الاستغلال الرأسمالي ، الا أنه ينكر الصراع الطبقي ويقول باستغلال المدينة للريف . وعلى الرغم من أن حكومة ستامبولسكي قامت بعدة اصلاحات مثل : حد أعلى للملكية ٣٠ هكتارا ، وفرض ضرائب تصاعدية ، وحد أدنى للاعفاء من الضرائب ، وأن تتولى التجارة الخارجية منظمة تعاونية ، الا انها وقفت ضد اضرابات العمال ، وضد الشيوعيين . وعلى الرغم من أن هذه الحكومة أفسدت خطط التجمع الرجعي بقيادة رنكوف لاول مرة ، فقد توهم قادتها أن خطر البرجوازية لم يعد كبيرا ، ومن ثم قامت الحكومة بحل البرلمان لاجراء انتخابات جديدة في ابريل ١٩٢٣ على أساس نظام انتخابي جديد . ومع أن الحزب الشيوعي حاز على ٢٠٤٠٠٠ صوت الا انه لم يمثل بأكثر من ١٦ مقعدا وحصل حزب اتحاد الفلاحين على ٢١٢ مقعدا من ٢٤٥ مقعدا في المجلس النيابي . واعتقد ستامبولسكي أنه يستطيع السير في برنامجه الا أن الرجعية فاجأته بانقلاب عسكري في ٩ يونيو ١٩٢٣ . وارتكب الحزب الشيوعي البلغاري خطأ فادحا عندما طلب من أعضائه عدم التدخل في الصراع بين البورجوازية المدنية والبورجوازية الريفية (٦) بل انه طلب من العمال في بليفن الذين أرادوا مقاومة الانقلاب ، أن يوقفوا اضرابهم ، وبذلك تمكن الفاشست من السيطرة على الوضع ، وقبض على زعماء حزب « اتحاد الفلاحين » وقتل ستامبولسكي نفسه .

وعندما تبينت اللجنة المركزية خطأها قررت التعاون مع اتحاد الفلاحين والتحضير لانتفاضة عسكرية حدد لها يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٢٣ واسندت الى ديمتروف رئاسة اللجنة التي تتولى الانتفاضة . الا أن الانتفاضة لم تنجح بالرغم من البطولات والانتصارات التي حققتها الطبقة العاملة ، وانسحبت الفلول المتبقية الى يوغوسلافيا وخسر الشعب البلغاري أكثر من ٢٠٫٠٠٠ قتيل . واضطر ديمتروف والكثير من رفاقه الى مغادرة بلغاريا ولم يعد اليها الا عام ١٩٤٥ .

المرحلة الثالثة من ١٩٢٣ الى ثورة الشعب البلغاري في ٩ سبتمبر ١٩٤٤

في هذه المرحلة السرية أعيد تنظيم الحزب ، وعقدت المؤتمرات في فيينا وبرلين . وتزايد نشاط ديمتروف في لجان الدولية واللجنة التنفيذية العليا ، وفي اتحاد النقابات الشيوعية الدولية . وقد قام ديمتروف وكولاروف بتنظيم حملة عالمية لانقاذ المناضلين البلغار الموجودين في يوغوسلافيا ، وعدم تسليمهم لحكومة الجلادين الفاشست في بلغاريا . وشن ديمتروف الحملات ضد الحكومات الفاشية والبورجوازية في رومانيا واليونان ويوغوسلافيا . واهتم ديمتروف بموضوع خطر الفاشية وضرورة وحدة الطبقة العاملة والجماهير الشعبية لمجابهتها . ورأى أن تزايد الخطر الفاشي معناه تزايد خطر الحرب الامبريالية .

أما الحزب في الداخل ، فقد اجتمع سرا في الجبال عام ١٩٢٤ . وتم في هذا الاجتماع تأييد السير في الانتفاضة . ولكن مع ذلك تهدد الحزب تيار يميني يرى تصفية الحزب ، وتيار يساري أيدته اللجنة العسكرية للحزب التي كانت ترى ضرورة الرد ، فقامت باعمال الاغتيال وأهمها نسف كاتدرائية صوفيا . وقد استغلت الحكومة هذا الوضع وقامت بأعمال التصفية الجسدية للشيوعيين واضطهاد الجماهير . وكان ذلك في ١٦ ابريل ١٩٢٥ وقد أدى ذلك الى أن يفقد الحزب الكثير من كادره ومع ذلك فان اجتماع اللجنة المركزية في فيينا عام ١٩٢٦ والمؤتمر الثاني للحزب في نهاية ديسمبر ١٩٢٧ وبداية يناير ١٩٢٨ في برلين والتي ساهم فيها ديمتروف مساهمة فعالة قد بينا للحزب الاخطاء التي وقع فيها ونوقشت هذه الاخطاء واستخلصت النتائج وقام الحزب بنضال لا هوادة فيها ضد الانحرافات اليمينية التي كشفت ودحرت ، ولكن الانحرافات اليسارية ظلت زمنا طويلا ، وان استمر الحزب في دأب وجد في محاربتها .

هنا رأى ديمتروف ضرورة الجبهة الشعبية لمواجهة خطر الفاشية . وفي الاجتماع السادس للدولية انتخب ديمتروف عضوا في اللجنة التنفيذية العليا .

وكان ديمتروف يعمل بلا كلل في شتى المجالات : في المجال النقابي الدولي والحزبي ، وخاصة في الدولية الثالثة حيث لعب دورا بارزا فيها أظهر مقدرته على حل الكثير من المشاكل .

ان الحزب الشيوعي البلغاري في فترة السرية العصيبة يدين له بمواقفه المبدئية الصلبة ، فقد واجه هو ورفاقه شتى التيارات اليمينية واليسارية التي كانت تعصف بالحزب . وسار بالحزب شوطا بعيدا في استعادة نفوذه بين الجماهير وخاصة الطبقة العاملة البلغارية .

وعند عودته من مؤتمر للحزب الشيوعي اليوغوسلافي في ميونخ في السابع والعشرين من فبراير ١٩٣٣ قبض عليه النازي بتهمة الاشتراك في حريق الريشستاغ ، وكان الهدف من هذا

---

(٦) «Bulgarien in der ersten Etappe der Allgemeinen». «Krise des Kapitalismus». Elftes Kapital Geschichte des Neuesten Zeit, 1917-1939, VEB Deutscher Verlag der Wissenrchaft, Berlin 1961, S. 340.

الحريق تأكيد السيطرة الشاملة للحزب النازى ، وضرب المنظمات الجماهيرية والعمالية ، وخاصة الحزب الشيوعى الالمانى . وظهر ديمتروف فى هذه القضية كزعيم شيوعى بارز وحول المحكمة الى منبر يدافع فيه عن المثل العليا والاشتراكية ، وبكشف النظام النازى ، ويدعو الشعوب الى الوقوف جبهة متراصة ضد الخطر الفاشى . وانتهت القضية ببراءته . ومع ذلك ظل معتقلا حتى ٢٧ فبراير ١٩٣٤ حيث سافر الى الاتحاد السوفييتى ». وسنتناول هذه القضية بالتفصيل لما لها من اهمية بالنسبة لديمتروف وبالنسبة للحركة الثورية العالمية وفكرة الجبهة الشعبية ونضال الشعوب ضد الخطر الفاشى .

وفى المؤتمرالسابع للدولية ،قدم ديمتروف تقريره الشهيرعام ١٩٣٥ وانتخب فى هذا المؤتمر سكرتيرا عاما للشيوعية الدولية [الكومنترن] ». واستمر فى منصبه هذا حتى حلت الشيوعية الدولية عام ١٩٤٣ ».

وقام ديمتروف بعد الافراج عنه فى قضية حريق الريشستاغ بحملة واسعةللافراج عنايرنست تيلمان السكرتير العامللحزب الشيوعى الالمانى والقائد الفذ للطبقة العاملة الالمانية ».

وكانت كل جهود ديمتروف منصبة على الدعوة الى الجبهة الوطنية ومقاومة الفاشية وخاصة اثناء الحرب العالمية الثانية . وكان لنجاح الجبهة الشعبية فى فرنسا واسبانيا وغيرها من البلدان اثباتا لبعد نظر ديمتروف .

اما بالنسبة لبلغاريا فقد تأسست فى منتصف عام ١٩٤٢ « جبهة الوطن » ».

وفى مارس وابريل عام ١٩٤٣ قسمت البلاد الى ١٢ منطقة عسكرية تحت قيادة عسكرية موحدة ، وخاض الانصار حربا لا هوادة فيها ضد الفاشست الالمان وعملائهم البلغار .وفى ٢٦ اغسطس ١٩٤٤ أصدرت اللجنة المركزية قرارها باسقاط النظام الملكى الفاشى ». وفى ٩ سبتمبر ١٩٤٤ وبمساعدة القوات السوفيتية تمكنت الجماهير البلغارية وجيشها الشعبى من اسقاط النظام الملكى الفاشى وطرد الفاشست الالمان من البلاد .وقد لعبت الطبقة العاملة البلغارية الدور القيادى فى هذا النضال وفى طليعتها الحزب الشيوعى البلغارى ، الذى اطلق عليه حزب العمال البلغارى (الشيوعى) .

وتولت « جبهة الوطن » تاليف حكومة الديموقراطية الشعبية . وبذلك تحرر الشعب البلغارى من ظالميه ومستغليه ومضطهديه . وكانت الديموقراطية الشعبية تطبيقا خلاقا للماركسية اللينينية وشكلا جديدا لديكتاتورية البروليتاريا . وفى غمرة هذه الانتصارات لم ينس الشعب البلغارى ابنه البار جيورجى ديمتروف الذى لعب دورا بارزا فى تطوير نظرية الجبهة الوطنية الشعبية ، ونظرية حكومة الديموقراطية الشعبية .

المرحلة الاخيرة من حياة ديمتروف

عاد ديمتروف من الاتحاد السوفييتى عام ١٩٤٥ ليقود وطنه وليبنى المجتمع الجديد الذى ناضل من اجله ، وقد قلده الاتحاد السوفيتى وسام لينين تقديرا لنضاله من اجل الطبقة العاملة العالمية . وفى بلغاريا استقبله الشعب استقبالا حافلا بعد غربة دامت اكثر من ٢٢ سنة . وانتخب عضوا فى مجلس الشعب السادس والعشرين . وفى عام ١٩٤٦ تولى رئاسة مجلس الوزراء وقاد الحزب وجبهة الوطن خلال المعارك العديدة لتوطيد حكم الديموقراطية الشعبية ، وقدم ديمتروف خلاصة افكاره بالنسبة لمستقبل وطنه بلغاريا فى المؤتمر الثانى لجبهة الوطن والمؤتمر الخامس ١٩٤٨ للحزب الشيوعى البلغارى . وفى ٢ يوليو ١٩٤٩" توقفالقلب الكبير عن الخفقان، وفقدالشعب البلغارى والطبقة العاملة البلغارية ابنا بارا لها وزعيما فذا يحظى بتقدير واعزاز الحركة الثورية العالمية ».

■ ■

ديمتروف :
والجبهة الوطنية الموحدة



أبو سيف يوسف

-١-

شهدت الفترة التى أعقبت حرب ١٩١٤ الامبريالية ، نهوضا عاصفا فى الحركة الثورية فى البلدان الرأسمالية ، وفى البلدان التابعة والمستعمرة على حد سواء ، لقد خلفت البؤس والفاقة والمجاعات والخراب فى كل مكان . فازداد الاغنياء غنى ، وازداد الفقراء فقرا . وادى هذا كله الى شيوع روح الثورة بين جماهير العمال والفلاحين والمثقفين . وفى الوقت نفسه فان انتصار — ثورة أكتوبر الاشتراكية طرح بقوة قضية تصفية نظام النهب الامبريالى والرأسمالى وحفز قوى الثورة الى تشديد مقاومتها ونضالاتها ».

واذا أخذنا أوربا كمثال فقد تنوعت فيها اشكال واساليب النضال الجماهيرى من المظاهرات والاضطرابات والانتفاضات المسلحة .

ولقد بدا فى أول الامر أن الطبقات الحاكمة فى أوربا أخذت تحنى رأسها للعاصفة ، لكن هذا كان فى الظاهر فحسب.. اذ سرعان ما استدارت البورجوازية فى أكثر من بلد لتقوم بهجوم معاكس يوقف زحف الثورة . واتخذ هذا الهجوم المضاد شكل الدكتاتورية العسكرية والدكتاتورية الفاشية .

وربما يلفت النظر فى هذا الصدد ، أن الطبقات الحاكمة فى بعض البلدان التابعة لنفوذ الامبريالية الالمانية قد اقامت

حكما فاشيا رجعيا قبل أن يقوم هذا الحكم فى المانيا ذاتيا .
وهذا ما حدث فى بلغاريا التى كان يحكمها الملك وأحزاب تمثل تحالف البورجوازية الكبيرة وكبار ملاك الارض .

وقد راى الملك والطبقات المسيطرة أن الشعب البلغارى يجمع قواه ليقتص من الطبقة المسيطرة التى دفعت ببلغاريا فى حرب ١٩١٤ ، وهكذا واجه النظام القائم فى خريف ١٩١٨ سخط الجنود العائدين من الجبهة ، واضراب عمال السكك الحديدية الذى تحول الى اضراب سياسى عام .

وكان فى بلغاريا فى ذلك الوقت حزب فلاحى هو اتحاد المزارعين ، واستطاع هذا الحزب ان يفوز فوزا ساحقا فى انتخابات عام ١٩٢٠ وشكل الحكومة .

وقد تمثلت أحزاب المعارضة للسياسة الرجعية فى حزبين جماهيريين كبيرين هما **حزب اتحاد المزارعين والحزب الشيوعى البلغارى** . وقد نجح حزب اتحاد المزارعين فى انتخابات ١٩٢٠ وشكل الحكومة . لكنه أعرض عن سياسة التعاون مع الحزب الشيوعى وأدى هذا فى نهاية الامر الى تقسيم واضعاف القوى الوطنية والديموقراطية للامة .

وفى سبتمبر ١٩٢٣ قاد الحكم الملكى انقلابا مسلحا ذهب ضحيته آلاف من أبناء بلغاريا . وقتل فيه زعيم حزب اتحاد المزارعين وقام فى البلاد حكم فاشى دموى استمر عشرين عاما .

وقد حاول الحزب الشيوعى البلغارى أن يجمع كل قوى المعارضة الديموقراطية للقيام ، بانتفاضة مسلحة ضد النظام الملكى الفاشى . وشرع ديمتروف بنشر مقالاته المشهورة داعيا الى تكوين الجبهة المتحدة فى بلغاريا . ودعا الى تكوينها من حزب اتحاد المزارعين والحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى الديموقراطى . لكن اقامة هذه الجبهة لقيت صعوبات جمة، بعضها راجع الى مواقف الاشتراكيين الديموقراطيين الذين رفضوا تشكيل الجبهة مع الشيوعيين . وبعضها راجع الى السياسة الخاطئة التى اتبعها الحزب الشيوعى نحو الفلاحين ونحو حزب اتحاد المزارعين .

ورغم هذا فقد صمم الحزب الشيوعى على أن يتشبثوا بالانتفاضة المسلحة ضد السلطة الفاشية . وبدأت هذه الانتفاضة تحت قيادة **كولاروف** [سكرتير الحزب] **وديمتروف** عضو لجنته المركزية . الا أن المحاولة منيت بالفشل ، وخيم على البلاد ليل طويل .

منذ ذلك الوقت لم يتوقف ديمتروف عن تحليل اسباب الفشل ، وبوجه خاص فيما يتعلق بتوحيد كل قوى الامة فى جبهة موحدة تناضل ضد الحكم الفاشى . وأصبحت هذه المهمة أكثر الحاحا بعد أن استولت الفاشية على الحكم فى عدد كبير من البلاد وذلك فى فترة مابين الحربين [ايطاليا ، فنلندا ، بولندا ، المجر ، بلغاريا ، اليابان ، المانيا .. الخ]

وكانت ظاهرة زحف الفاشية تعلن أن قوى الامبريالية العالمية تستعد لاغراق العالم فى أتون حرب عالمية ثانية بكل ما يتطلبه هذا من سحق الحركات العمالية وتصفية أحزابها ومنظماتها ، وتصفية كل اثر للحريات الديموقراطية البرجوازية ، وافقار ملايين الفلاحين .

وكانت الاممية الثالثة — منذ وقت مبكر — تتابع تطور الوضع الثورى فى أوربا . والواقع أن مؤتمرها عام ١٩٢٣ ، وفى حياة لينين قد طرح قضية تكوين جبهة العمل المتحدة بتجميع صفوف العمال والفلاحين تحت شعار « حكومة للعمال والفلاحين » .

غير أن تاكتيك الجبهة المتحدة قد تعثر من قبل كثير من الاحزاب الشيوعية التى تعانى من الانعزالية والحلقية ، وعدم القدرة على تطبيق سياسة صائبة نحو جماهير الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية ، وخصوصا نحو جماهير الفلاحين .

وما أن حلت الازمة الاقتصادية فى الثلاثينات حتى بدا ان خطر وقوع الحرب العالمية الثانية قد بات وشيكا . وكان لابد وأن تشرع الاممية الثالثة فى رسم تاكتيك جديد للاحزاب الشيوعية يستجيب للتغييرات التى طرأت على الوضع العالمى ، ويطرح بكيفية خلاقة قضية **الجبهة الموحدة او المتحدة** على نحو جديد ، يمكن احزاب الطبقة العاملة من أن ترص صفوفها ، وتخرج من عزلتها ، وتوسع ارتباطاتها بكل الطبقات الثورية والقوى الوطنية والديموقراطية ، وان تفعل ذلك من خلال النقد والنقد الذاتى لاوجه القصور فى نشاطها ، وأوجه الضعف فى عملها النظرى والتطبيقى .

— ٢ —

وفى أغسطس ١٩٣٥ عقدت الاممية الثالثة مؤتمرها السابع ، وقدم ديمتروف الى هذا المؤتمر ، التقرير الرئيسى تحت عنوان :

« هجوم الفاشية ومهام الاممية البروليتارية »

واذا كان الكثيرون منا لم تتح لهم — لاسباب مختلفة ان يطلعوا على قدر مناسب من كتابات وأعمال ديمتروف مترجمة الى اللغة العربية ، فقد عرفوا ديمتروف أول ماعرفوه فى الاربعينات ، من خلال مقتطفات من تقريره الشهير . غير أن هذه المقتطفات ، ظلت بعيدة عن أن تعطى فى الواقع فكرة واضحة عن هذه الوثيقة التى أصبحت من تراث الماركسية . وفوق ذلك قصرت هذه المقتطفات عن رسم الصورة الحقيقية لجورجى ديمتروف باعتباره أحد قادة الماركسية الذين أسهموا فى اغناء النظرية .

فما الذى قدمه ديمتروف فى تقرير [١٩٣٥] ؟
بادىء ذى بدء ، حلل ديمتروف الظروف التى تسمح بظهور ميول فاشية وبوادر حركات فاشية ، فأشار الى :

— الازمة الاقتصادية العميقة المتفاقمة .
— اشتداد عنيف للازمة العامة للنظام الراسمالى .
— شيوع روح الثورة بين الجماهير الكادحة .
فى هذه الظروف رأت الاقسام الرجعية من البرجوازية الكبيرة أن الفاشية هى حلقة النجاة بالنسبة لنظامها ومصالحها .. ومن ثم اتجهت فى عدد من البلدان الى :
— تدابير عنيفة ضد الكادحين ، لالقاء عبء الازمة على عاتق الجماهير .
— الاستعداد لحرب امبريالية ، وحل مشكلة الاسواق على حساب المستعمرات والبلدان التابعة .
— مهاجمة الاتحاد السوفيتى واستعباد الصين وتقسيمها ، فى محاولة لاعادة تقسيم العالم من جديد .

طبيعة الفاشية

وفى تقريره ، غاص ديمتروف بعمق فى طبيعة الفاشية ، وحلل أسباب ودلالات انتصارها . فأشار الى أنه بالنسبة — لالمانيا مثلا — انتصرت الفاشية بسبب سياسة الاشتراكيين

الديموقراطيين الذين فضلوا التعاون الطبقى مع البرجوازية، ونبذوا وحدة الطبقة العاملة . لكن قيامها بالاستيلاء على الحكم انما يدل على ضعف البرجوازية الرجعية ذاتها ، أى عجزها عن فرض حكمها على الجماهير بالاساليب القديمة للديموقراطية البرجوازية ، والحياة البرلمانية .

وقدم ديمتروف تعريفا متطورا للفاشية فوصفها بأنها :

« **دكتاتورية ارهابية سافرة ، تمارسها عناصر رأس المال الموغلة فى الرجعية الشوفينية والامبريالية** » . وأضاف الى ذلك أنها ليست مجرد نزعة بورجوازية ، بل شوفينية ضارية ، ونظام حكومى للسطو السياسى : نظام استفزازات وتنكيل بالطبقة العاملة والعناصر الثورية من الفلاحين والبورجوازية الصغيرة والمثقفين . انها بربرية ووحشية من القرون الوسطى . انها عدوان جامع على الشعوب والبلدان الاخرى . انها القبضة الضارية للثورة المضادة الدولية ، ومشعل رئيسى للحرب الامبريالية ، ومحرض على الحملة الصليبية ضد الاتحاد السوفيتى [ديمتروف : فى الجبهة الوطنية الموحدة] .

لماذا التركيز على المضمون الطبقى ؟

ووضح ديمتروف أهمية التأكيد على الطابع الطبقى للفاشية باعتبارها « **سلطة رأس المال المالى نفسه** » وقال ، أن فضح محتواها الطبقى يمكن من نزع قناع التضليل عن وجهها ، خاصة بعد أن نجحت فى عدد من البلدان فى أن تجذب اليها جماهير البورجوازية الصغيرة ، بل وبعض الفئات الشديدة التخلف من الطبقة العاملة . وفوق ذلك فقد رأينا الفاشية تصوغ تكتيكا كاملا للتأثير على الجماهير :

— فقد ضاربت بأسلوب مضلل وتهريجى على مطالب الجماهير الملحة .

— وضاربت بكلمات «الاشتراكية » و « الثورة » مستغلة الايمان بالثورة والتعلق بالاشتراكية .

— وقدمت نفسها كمدافعة عن كرامة الامة ، وعزفت على أوتار الشعور القومى الجريح .

— وتظاهر بمعاداة الرأسمالية وبمقاومتها للفساد المستشرى فى أجهزة الدولة .

واذا كان ديمتروف قد عنى بشكل خاص ، بدراسة النظام النازى فى المانيا فقد حرص على أن ينبه الى أنه لايوجد نمط واحد للفاشية . بل ان نماذجها تتعدد ، وكذلك اساليبها — وذلك وفقا للظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية ، وتبعا للخصائص القومية ، والوضع الدولى للبلد المعنى [جورج ديمتروف : فى الجبهة الوطنية الموحدة] .

ولقد مضى ديمتروف يكشف المحتوى الطبقى للفاشية معتمدا على ذخيرة لا تنضب من واقع حياة البلاد التى سيطرت عليها الفاشية . فبين أنها لم تحقق للعمال سوى انخفاض أكبر فى مستوى معيشتهم ، وهدمت ، وصفت تماما منظماتهم النقابية . وفى بلد كألمانيا امتد عدوانها الى الفلاحين ، فبعد أن وعدتهم « بنزع ملكية الارض من كبار الملاك ودون تعويض لصالح الفلاحين الفقراء » تركت جماهير الريف فى قبضة المرابين وكبار الملاك . أما الشباب والنساء فلم تقدم لهم شيئا سوى أن صعوباتهم زادت تفاقما . واخيرا فقد بسطت على مجموع الشعب ارهابا دمويا لم يعرف له مثيل ، لم يصب الشيوعيين وحدهم ، وانما أصاب الاشتراكيين الديموقراطيين واللاحزبيين والمثقفين التقدميين ، هؤلاء الذين قتل منهم وسجن واعتقل الالوف ومئات الالوف .

كيف جاءت الفاشية الى الحكم ؟

سأل ديمتروف : هل الفاشية — قدر مكتوب على الشعوب لايمكن تفاديه ؟ وأجاب على ذلك بالنفى ، وذلك من خلال تحليله للعوامل التى أدت الى انتصار الفاشية فى عدد من البلدان على أن وقف الفاشية ممكن ، وأن هزيمتها بالتالى ممكنة .

ولابد وأن نقف عند أسباب نجاح الفاشية ، لان هذه القضية ترتبط ارتباطا وثيقا بنظرية الجبهة الموحدة ، وايضا بالتاكتيك الجديد الذى يحتم على القوى الثورية أن تتبعه لوقف تقدم الفاشية وزحفها .

وفى هذا ، أوضح ديمتروف ، ونقد أخطاء الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية ، واخطاء الاحزاب الشيوعية ، فأحزاب الاشتراكية الديموقراطية على الرغم من قوتها ، واستنادها الى منظمات نقابية هائلة ، وعلى الرغم من أنها اشتركت فى حكومات ائتلافية ، الا أنها رفضت التعاون مع الشيوعيين . وخضعت لمتطلبات التعاون الطبقى مع البرجوازية واستسلمت لقوى الرجعية عندما لم تقاوم بشكل جدى الهجوم على الحريات الديموقراطية . وفى أثناء توليها السلطة لم تهتم بحل مشكلات الفلاحين . الامر الذى دفع بقطاعات واسعة من عمال وفقراء الريف فى المانيا الى أحضان المنظمات النازية .

أما الاحزاب الشيوعية فقد أخطأت حين هونت من خطر الفاشية ، ففاجأتها الفاشية بانقلابها . وتأخر بعض هذه الاحزاب عن طرح برنامج للبناء الوطنى والاجتماعى ، وعندما طرحته لم تطبقه على حاجات الجماهير . غير أن أشد هذه الاخطاء وابعدها أثرا كان المسلك الانعزالى والحلقى الذى باعد بين هذه الاحزاب وبين التأثير فى الجماهير وقيادتها .

هذه الاخطاء والانحرافات التى وقعت فيها أحزاب الطبقة العاملة — بالغة ما بلغت ، لا تنفى هذه الحقيقة : وهى أنه فى الامكان وقف تقدم الفاشية ، ليس هذا فحسب ، بل والاطاحة بالنظم الفاشية التى كانت قائمة وقتئذ . وفى هذا ينبغى توضيح مسألتين :

الاولى : هى أنه بالاستناد الى التحليل الطبقى لطبيعة الفاشية سنصل الى يقين علمى بأن الفاشية رغم جبروتها الظاهرى ، وضراوتها التى لم يسبق لها مثيل ، نظام حزب حكم عليه بالزوال ، تفترسه من داخله تناقضات كثيرة .

والثانية : هو دراسة الشروط التى تضمن الانتصار على الفاشية . وفى مقدمتها : [١] تحقيق الوحدة الكفاحية للبروليتاريا . [٢] وجود حزب ثورى يقود كفاح الطبقات الكادحة [٣] سياسة صحيحة من الطبقة العاملة نحو الفلاحين والبورجوازية الصغيرة [٤] اليقظة الثورية ، والعمل المبادر ، لاحباط أى هجوم مباغت للفاشية .

— ٣ —
جبهة العمل الموحدة

استنادا الى هذا حدد ديمتروف ان المهمة الرئيسية والعاجلة لتحقيق النصر على الفاشية تتمثل فى المبادرة

بانشاء لجان لجبهة العمل الموحدة فى كل مكان ، وعلى كل مستوى فى صفوف الطبقة العاملة .

ومن أجل هذا دعا ديمتروف الى :

[١] تنظيم اعمال مشتركة ومتنوعة ومتطورة بين أحزاب الاممية الثانية [الاشتراكيون الديمقراطيون] وبين احزاب الاممية الثالثة [الشيوعيون] . فمثل هذه الأعمال سوف تؤثر تأثيرا قويا على بقية العمال الكاثوليك والفوضويين وغير المنظمين .

[٢] اقامة الجبهة الموحدة للطبقة العاملة من شأنها أن تؤثر تأثيرا قويا على الفلاحين وفئات الشعب الاخرى ، وتحد من ترددها وحيرتها ، وتدعم ثقتها فى الطبقة العاملة .
[٣] بقيام الجبهة الموحدة للعمال فى البلاد الامبريالية ستجد الطبقة العاملة فى تلك البلاد حلفاء لها فى الشعوب المضطهدة ، وفى المستعمرات والبلاد التابعة . ومن هنا أهمية أن تتحد صفوف الطبقة العاملة لتأييد الكفاح التحريرى للشعوب المستعمرة .

[٤] بقيام الجبهة الموحدة للعمال تستطيع الطبقة العاملة أن تقوى تضامنها مع الاتحاد السوفيتى لتشديد النضال ضد خطر الفاشية وخطر الحرب التى تلوح فى الافق ، وستجد فى الاتحاد السوفيتى حليفا يعتمد عليه فى النضال ضد الفاشية وضد خطر الحرب

مضمون جبهة العمل الموحدة

وبعد أن فند ديمتروف جميع الحجج التى قدمت — خاصة من قبل القيادات اليمينيــة فى الاحــزاب الاشتراكية الديموقراطية — ضد جبهة العمل الموحد . شرع يحدد المحتوى الملموس لهذه الجبهة فى البلدان الرأسمالية فأوضح أن نقطة البـدء :

« الدفاع عن المصالح الاقتصادية والسياسية المباشرة للطبقة العاملة ، وحمايتها من الفاشية » .

ويعنى هذا فى التطبيق ، التعاون مع الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية والنقابات الاصلاحية ، وغيرها من منظمات الجماهير ، للدفاع عن مصالح الكادحين .

ثم حدد ديمتروف طابع الحركة لجبهة العمل الموحد . فأكد أن طابعها الانتقال من الدفاع الى الهجوم . على أن يتم الهجوم فى الاتجاهات الثلاثة التالية :

[١] القاء عواقب الازمــــة الاقتصادية على الطبقات المسيطرة .

[٢] مضاعفة النضال من أجل مكاسب الكادحين وحقوقهم ، والكفاح ضد تصفية الحريات الديموقراطيــة البرجوازية .
[٣] النضـال لواد خطـر الحرب الامبريالية بكيفية تجعل تحضيرها صعبا .
أما السلاح الهجومى فى هذه المعركة فهـو سـلاح الاضراب السياسى .

وحذر ديمتروف من الوقوع فى خطأين عند بناء جبهــة العمل الموحدة :

[أ] التصور القائل بأن هذه الجبهة يمكن أن تكون متماثلة فى جميع البلدان المختلفة .

فلابد من أنها ستتخذ أشكالا مختلفة طبقا لوضع المنظمات العمالية ، وطابعها ، وتبعا لمستواها السياسى ، وللوضع الملموس فى البلد المعنى .... الخ

[٢] الاكتفاء فى اقامة جبهة العمل الموحدة بمجــرد الاتفاق العلوى « رغم أهميته » على أعمـال مشـتركة ، من خلال لجان الاتصال مع الاحزاب والمنظمات المشتركة فى الجبهة . وأكد أنه لابد وأن يقوم الاتصال على أساس كفاح جماهيرى فعلى ، وليس علويا بين القيادات .

ومن الطبيعى أن يتخذ هذا الكفاح لاقامة جبهــة العمل الموحدة فى صفوف الطبقة العاملة شكلا « تنظيميا محددا » وهذا الشكل ينبغى أن يقوم خارج الاحزاب ، من خــلال انشاء تنظيمات منتخبة للجبهيــة فى المؤسسـات ، وبين العمال العاطلين ، والفئات الكادحة فى الريف .. الخ .

والحكمة فى اقامة تنظيم جبهة العمل خارج الاحــزاب الاشتراكية الديموقراطية والاحزاب الشيوعية ، هو أن هذا الأمر يزيل الحساسية بين فصائل الطبقــة العــاملة بعضها والبعض ، كما أنه يرسى الجبهة على أوسع قاعدة جماهيرية .

من الجبهة الموحدة الى الجبهة الشعبية

فاذا ما تم قيام جبهة العمل الموحدة بين أحزاب ومنظمات الطبقة العاملة أمكن الانتقال الى انشاء جبهة أوسع : **الجبهة الشعبية المعادية للفاشية** . وهنا تكتسب طبقــة الفلاحين كل أهميتها وثقلها . ويتم كسب الفلاحين الى الجبهة المعادية للفاشية باقناعهم على أساس من تجاربهم الذاتية بالاخطــار التى تحملهــا اليهم الفاشــية ، والدفاع عن مطالبهم الملحة .

فاذا سألنا بعد ذلك عن الجديد الذى قدمته صـياغة الجبهة المعادية للفاشية ، أمكن القول ، بأن ديمتروف فى تقريره المقدم الى مؤتمر الاممية السابع ، يطرح التاكتيك الجديد ، وينقد التاكتيك القديم الذى سارت عليه عدد كبير من الاحزاب الشيوعية ، ذلك التاكتيك المتمثل فى اتخاذ موقف التجاهل والاستخفاف الذى كان الشيوعيون يبدونه بازاء مختلف منظمات وأحزاب الفلاحين والحرفيين وجماهير البرجوازية الصغيرة .

تطبيقات مرنة وخلاقة

وقد عالج ديمتروف باسهاب المشاكل الاساسية لجبهــة العمل الموحدة فى مختلف البلدان الرأسمالية ، لاسيما فى الولايات المتحدة الامريكية ، وبريطانيا وفرنسا . واذا كان من المتعذر أن نثبت كل ماقاله فى هذا الصدد ، الا أنه يكفينا أن نشير مثلا الى أنه لم يضع قالبا جامدا أو نمطا واحدا لبناء هذه الجبهة ، وعلى سبيل المثال ، عندما تعرض للاوضاع القائمة فى ذلك الحين فى الولايات المتحدة الامريكية ، وعلى أساس من تحليله لعلاقات القــوى بين الطبقات المختلفة ، وللواقع الملموس ، والوزن الدولى لتلك البلاد ، افترض ديمتروف أن تنظيم الطبقة العاملة الامريكية لحزبها الطليعى لن يكون كافيــا لوقف خطــر الفاشية . وحدد انه أنه لابد أن اكتشاف الشــكل التنظيمى

الذي يوحد بين القوى الديموقراطية الاساسية في داخل الولايات المتحدة . ثم افترض أن يكون هذا الشكل التنظيمي حزبا جماهيريا للكادحين ، « حزبا عماليا فلاحيا » واضاف أن هذا الحزب سيكون شكلا فريدا للجبهة الشعبية الجماهيرية لمواجهة احزاب الاحتكارات والمصارف ، ولمجابهة الفاشية . وحدد ديمتروف ، أن هذا الحزب ، لن يكون ، في الواقع ، لا اشتراكيا ولا شيوعيا ، ولكنه مضاد للفاشية ، وليس معاديا للشيوعية .

وعند الحديث عن انجلترا ، دعا ديمتروف الشيوعيين الانجليز الى أن يأخذوا بعين الاعتبار واقع الحركة الجماهيرية والمستوى السياسي للعمال الانجليز . فاذا كان العمال الانجليز يرغبون في عودة حكومة حزب العمال الى الحكم ، فانه يتعين على الشيوعيين الانجليز — من اجل اقامة الجبهة أن يقوموا بعملين في وقت واحد :

الاول : أن يشرحوا للعمال الانجليز تحفظاتهم نحو قيادة حزب العمال ، على أساس أن هذا الحزب تولى الحكم مرتين ولم يقدم شيئا جذريا للطبقة العاملة .

الثاني : النضال مع العمال من أجل اقامة حكومة جديدة لحزب العمال تؤسس برنامجها على الدفاع عن المطالب الجوهرية الاقتصادية والسياسية للطبقة العاملة .

أما في البلدان التي تقوم فيها سلطة الدكتاتورية الفاشية فقد دعا ديمتروف كنقطة بدء أساسية **الى التواجد حيث توجد الجماهير** . فاذا كانت الفاشية قد نظمت قسما منها قسرا ، ونظمت بعض الاقسام الاخرى عن طريق الاغراء والتضليل . فلا مفر من العمل داخل المنظمات الجماهيرية للفاشية ، انطلاقا من الدفاع عن المصالح الراهنة للكادحين . أكثر من هذا أوضح ديمتروف أن وقوع الناس البسطاء في حبائل الفاشية ، لايعني نبذ هؤلاء الناس والابتعاد عنهم :

« **وعلينا أن نفهم عموما ، أن كل تاكتيكاتنا في بلدان الفاشية ، يجب الا ينفر منها أنصار الفاشية البسطاء ، حتى لا يلقى بهم في احضانها مرة اخرى** » .

وفي البلدان التي تتواجد فيها الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية في الحكم ، اعترف ديمتروف بأن هذه الاحزاب ستقاوم بضراوة كل مسعى لانشاء جبهة العمل الموحدة . ولكن هذا الموقف العدائي من جانب الاشتراكيين الديموقراطيين ينبغي — مع ذلك الا يدفع الشيوعيين الى الاستمرار في موقفهم القديم الذي يتمثل في دمغ الاشتراكيين الديموقراطيين بالخيانة تارة ، وبالفاشية تارة أخرى . غير أن التوقف عن التشهير بهم ليس معناه عدم نقد ايديولوجيتهم ومواقفهم السياسية ، ولكن بناء جبهة العمل الموحدة يتطلب أن يكون هناك نقد ، وأن يكون النقد رفاقيا ، ومن موقف بناء ، وليس عدائيا .

التوجه الى أوسع الجماهير

ان بناء الجبهة ضد الفاشية ، وضد الحرب ، وضد هجوم الاحتكارات ينبغي أن يقوم على أوسع جبهة ممكنة . من هنا عالج ديمتروف مشكلات بناء الجبهة في صفوف الشباب ، والنساء ، والنقابات العمالية .

في صفوف الشبيبة والنساء ، اعترف ديمتروف بأن الفاشية أنزلت هزيمة بالاحزاب الشيوعية في هذين البلدين ... وتمثل خطأ منظمات الشباب الشيوعي في انها حاولت أن تجعل من تنظيمها نسخة مكررة من تنظيم الحزب الشيوعي ، وأن تفرض أساليبه في القيادة والعمل الجماهيري .. وبالنسبة للعمل النسائي فان الخطأ يتمثل في الاعراض عن اقامة تنظيمات مستقلة للنساء تدافع عن حقوق المرأة ومصالحها ، ومع ما صاحب هذا من المبالغة في دور المنظمات القائمة واستعدادها لفتح صفوفها للعناصر النسائية الثورية .

وفيما يتعلق بالنقابات العمالية فقد أكد ديمتروف أن أهم مرحلة من مراحل دعم جبهة العمل الموحدة ، هو بناء الوحدة النقابية على المستوى القومي ، والدولي ، وادان بشدة الانحراف الذي كان متفشيا في ذلك الوقت — في عدد من البلاد — والذي تمثل في التهوين من شأن العمل في صفوف النقابات . وطالب بالنضال لكي تكون النقابات منظمات طبقية بحق ، لا منظمات ذيلية لاحزاب البورجوازية، تبرر استمرار سلطة الاحتكارات الامبريالية .

الجبهة المعادية للامبريالية

بعد أن أفاض ديمتروف في الحديث عن الوضع في البلدان الرأسمالية فيما يتعلق بجبهة العمل الموحدة ، والجبهة الشعبية الموحدة ودور المنظمات الجماهيرية فيها. انتقل الى ميدان جديد ، والى نوع آخر من العمل الواحد ضد الامبريالية العالمية . وهنا يلتفت ديمتروف الى الوضع الذي كان سائدا في المستعمرات والبلدان التابعة [شبه (المستعمرات) ، فيقرر :

« انه مما لاغنى عنه ، عند تشكيل جبهة موحدة واسعة للنضال ضد الامبريالية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة ، أن يؤخذ بنظر الاعتبار قبل كل شيء اختلاف الظروف التي يجري فيها النضال المعادي للامبريالية من قبل الجماهير ، درجة اختلاف نضج حركة التحرر الوطني ودور البروليتاريا فيها ، ونفوذ الحزب الشيوعي على الجماهير الواسعة » . وضرب أمثلة على تنوع الظروف السائدة واختلافها في الهند ، والبرازيل ... الخ ، الا أن ديمتروف حدد أنه في البلدان التابعة والمستعمرة يجب أن يجري العمل من أجل أوسع جبهة معادية للامبريالية فيها .

ـ ٤ ـ

في سبيل حكومة الجبهة الموحدة

كان من الطبيعي ، والمنطقي أيضا ، بعد أن تحدد مضمون جبهة العمل الموحدة ، والجبهة الشعبية المتحدة . أن يطرح السؤال التالي :

هل تقف مهمة مثل هذه الجبهات عند حدود المطالب الجزئية السياسية والاقتصادية ، بهدف اضعاف سلطة الفاشية في بعض البلدان، أو منعها من الاستيلاء على السلطة في بلدان اخرى ؟

يجيب ديمتروف على ذلك — وبكيفية قاطعة — بالنفي ، قائلا أن القوى التقدمية والثورية مدعوة في اللحظة المناسبة الى أن تقوم بمسئوليتها ازاء مشروع الحكم المشترك في « حكومة الجبهة الموحدة » .

غير أن تعبير « حكومة الجبهة الموحدة » قد أثار نقاشا واسعا فى صفوف الشيوعيين والديموقراطيين فأى شيء تكون هذه الحكومة ؟ أهى مرحلة وسيطة بين حكم البورجوازية وبين حكم الطبقة العاملة ؟ أهى حكومة بورجوازية من الحكومات البورجوازية التقليدية ؟ .

لقد رأى ديمتروف أنه لابد وان يزيد الامر ايضاحا فى الخطاب الختامى الذى ألقاه فى المؤتمر السابع للاممية عام ١٩٣٥ .

فأوضح أن الامر فيما يتعلق بحكومة الجبهة الموحدة يتعلق بنوع من الحكومات تتركز مهامه الاساسية فى النضال ضد الفاشية والرجعية . ولم يكن ديمتروف يستبعد أن تنشأ امكانية قيام هذه الحكومة فى أى بلد رأسمالى . لكنه حدد أن هذا يتوقف على شروط محددة فى مقدمتها حدوث أزمة سياسية عامة فى البلد المعنى ، تعجز فيها البورجوازية الحاكمة عن مواجهة النهوض الجبار فى الحركة الجماهيرية .

وهنا يسترجع ديمتروف ماسبق أن حدث فى المؤتمرين الرابع والخامس للاممية فى عامى ١٩٢٢ و ١٩٢٣ . فقد دارت المناقشات اذ ذاك حول مسألة « شبيهة » « بحكومة الجبهة الموحدة » : وهى « حكومة عمالية » أم « حكومة عمالية فلاحية » .

لكن الذى حدث أن اليمينيين داخل الحركة الشيوعية دعوا الى السعى الى اقامة الحكومة العمالية بحيث تكون مجرد توسيع لحكومة اشتراكية ديموقراطية ، وأن تظل ضمن اطار الديموقراطية البرجوازية . أما اليساريون المتطرفون فلم يعترفوا الا « بحكومة عمالية » لا تقوم الا عن طريق الانتفاضة المسلحة ، بعد اسقاط البرجوازية ، ومن ثم نبذوا كل محاولة لاقامة حكومة الجبهة الموحدة . وفى التطبيق العملى ذهب اليمينيون الى تحبيذ أى تحالف لا مبدئى مع أحزاب الاشتراكية الديموقراطية ، فى حين رفض اليسار المتطرف كل تعاون مع الاشتراكية الديموقراطية واعتبروهم أعداء للثورة .

هنا يوضح ديمتروف أن « حكومة الجبهة الموحدة » فى ظروف النضال ضد الفاشية وخطر الحرب انما تمثل جهازا لتعاون طليعة البروليتاريا الثورية مع بقية الاحزاب المعادية للفاشية ، ولمصلحة الشعب الكادح كله ، حكومة للنضال ضد الفاشية والرجعية » . ومثل هذه الحكومة ، لها برنامج ثورى محدد مطالبة بتنفيذه ، ومناسب للوضع مثل : الرقابة على الحكومة ، الرقابة على البنوك ، حل البوليس واستبداله بالميليشيا العمالية المسلحة .

ويضيف ديمتروف أن حكومة الجبهة الموحدة ربما تكون من أهم الاشكال التى تفتح الطريق أمام الجماهير فى ظرف ثورى معين ، لكى تناضل من أجل سلطة البروليتاريا . وفيما يتعلق باشتراك الشيوعيين فى هذه الحكومة فان هذا يتوقف على الوضع الملموس ، وليس هناك وصفات عامة جاهزة فى هذا الصدد فى كل بلد على حدة .

ان هذه الموضوعة التى قدمها ديمتروف فى تقريره المشار اليه تكتسب فى الواقع أهمية خاصة وذلك لاكثر من سبب :

[١] فمن ناحية ، لما كان ديمتروف لا يمارس السياسة كهواية ، بل يربط النضال السياسى والاقتصادى للجماهير بالهدف البعيد : اقامة المجتمع الاشتراكى . فانه قد انتهى الى ان مجموع نضالات العمال والكادحين ضد الفاشية وضد الحرب ، وفى جميع المجالات ، يجب أن تصب بوعى فى صيغة يتعين أن تسعى الى تحقيقها الطبقة العاملة ، وأن تناضل من اجلها .

[٢] وهو باعتباره قائدا محنكا يرفض الانحرافين اليمينى واليسارى ، ويحدد وفقا لعلاقات القوى — ماهو ممكن من الامور ، ويتجنب أن يقفز فوق المراحل ، وهكذا رأى فى ذلك الوقت أن حكومة الجبهة الموحدة ، بالمحتوى والمهام التى ذكرها ، هى مطلب المرحلة . فماذا سأل سائل بعد ذلك وماذا بعد هذه الحكومة ؟ اجيباب ان هذا يتوقف على استعداد الطبقة العاملة ، فى الوضع الثورى المعين ، لتولى زمام السلطة .

[٣] وتبدو أهمية موضوعة ديمتروف أنها تستبعد أى تصور آلى وساذج عن اقامة « دكتاتورية البروليتاريا » بمجرد أن ينشأ وضع ثورى فى صفوف الجماهير . فقد يوجد هذا الوضع الثورى بالفعل ، ولكن الجماهير قد تقع مع ذلك فريسة للبلبلة والتخبط فلا تستجيب للشعارات الثورية المطروحة .

[٤] وهذه الموضوعة قد ثبتت صحتها فى الواقع العملى ، فعندما بدا يلوح فى الافق ان هزيمة الفاشية قد باتت وشيكة . طور ديمتروف فكرة الجبهة المتحدة فى بلغاريا ، وقدم فكرة « **جبهة ارض الاباء** » التى أعلن برنامجها عام ١٩٤٢ من الاذاعة السرية الموجهة الى بلغاريا .. ودعا ديمتروف حزب العمال البلغارى [الشيوعى] الى انشاء هذه الجبهة لتخليص البلاد من الاحتلال النازى .
وبعد التحرير وضع ديمتروف لهذه الجبهة مهاما جديدة فى مقدمتها حشد قوى العمال والفلاحين والمثقفين والحرفيين لاقامة سلطة « الديموقراطية الشعبية » ، هذه السلطة المدعوة الى بناء بلغاريا ، والتقدم بهما نحو الاشتراكية .

وهكذا ، يصح القول بأن أفكار ديمتروف عن الجبهة الموحدة ، وحكومات الجبهة الموحدة والجبهة الشعبية ، قد طورت نظرية لينين فى تنوع وتعدد السبل والوسائل الخاصة بانجاز الثورة الاشتراكية .

[انظر مقال جيفكوف عن ديمتروف « ثورى ، وخطيب ، وصاحب نظرية » — مجلة السلم والاشتراكية — مارس ١٩٧٢] .

— ٥ —

النضال الايديولوجى ضد الفاشية

النضال على الجبهة الفكرية ضد الفاشية لا يقل بحال أهمية عن النضال السياسى والاقتصادى .

ولقد لاحظ ديمتروف عام ١٩٣٥ أن واحدا من أضعف جوانب نضال الاحزاب الشيوعية يتلخص فى انها تنظر باستخفاف الى وسائل النضال ضد الأيديولوجية الفاشية . يقرر ديمتروف « أن هذا كان خطأ فاحشا » .

واصلاح هذا الخطأ يتطلب الكفاح الايديولوجى ضد الفاشية على أساس الحجج البسيطة والواضحة ، وعلى

أساس النجاح فى فهم اختلاف الخصائص القومية للجماهير الشعبية .

وقد لاحظ أن الفاشية قد تمكنت من تزييف التاريخ القومى لشعوبها وادعت أنها وريثة التراث الحضارى القومى . وقد أفلحت فى بلبلة الجماهير البسيطة . فما العمل ؟

يرد ديمتروف بقوله : أننا لسنا نقابيين محدودى الافق نكتفى بسياسة المصالح اليومية للعمال . ونحن لسنا متعصبين متهوسين ، ولكن ليس شيوعيا من يحاول أن يضحق على المشاعر القومية للجماهير ، فنحن مفعمون بشعور الاعتزاز القومى .

ويحدد ديمتروف مطلبه قائلا :

... ان الاممية البروليتارية يجب أن تتاقلم ، ان صح هذا التعبير فى كل بلد ، لتمد جذورا عميقة فى تربة الوطن» [الجبهة الوطنية الموحدة] . وبعد أن أوضح أن الشيوعيين لا يمكن أن يكونوا من أنصار « العدمية الوطنية » ، يقرر أن مصالح النضال الطبقى الذى تخوضه الطبقة العاملة ضد مستغلى الوطن ومضطهديه ، لا تتنافى مع مصالح المستقبل الحر السعيد للامة . ثم طالب بتشديد النضال لحماية ثقافة الامة من الرجعية ومن السيطرة الاجنبية .

ضد الانحرافات اليسارية واليمينية

لم تكن مهمة ديمتروف قاصرة على ان يقدم مجرد صياغات نظرية لقضية توحيد الطبقة العاملة والطبقات الشعبية والوطنية ضد خطر الفاشية وهجوم الراسمالية الاحتكارية . ولكنه اهتم فى الوقت نفسه بتوضيح وصياغة الضمانات التى تكفل نجاح هذا العمل . وقد تطلب هذا الأمر من مؤتمر الاممية الثالثة ان يعالج بعمق النواقص والاخطاء فى عمل الاحزاب البروليتارية المنضمة الى الاممية . ومن هنا جاء وصف ديمتروف لذلك المؤتمر « بانه مؤتمر للنقد الذاتى » .

وفى هذا لاحظ ديمتروف أن الحلقية [أو الانعزالية] هى التى تعرقل النضال من أجل الجبهة المتحدة . وجوهر هذه الحلقية أنها تتباهى بجمودها العقائدى وتقطع علاقتها بالحياة اليومية ، وتضع كل فكرة وكل مبدأ فى قالب . والانعزاليون أو الحلقيون يدعون العلم بكل شىء ، ويدعون قيادة الطبقة العاملة والجماهير فى حين انه لاسبيل الى قيادة الطبقة العاملة والجماهير الا « اذا حسبنا حسابا للمستوى الفعلى لوعى الجماهير الطبقى ، ولدرجة ثوريتهم وتقييما للوضع الملموس بروية وامعان ، لا على أساس أهوائنا ، بل على أساس ما هو واقع فعلا . وخلاصة القول — كما قال لينين — الا نتوهم أن الذى نحسه ، هو ماتحسه الطبقة ، وتحسه الجماهير بالذات » .

وأشار ديمتروف — فى ذلك الوقت — الى أن الحلقية قد عرقلت — على هذا النحو — والى درجة كبيرة — نمو الاحزاب الشيوعية ، وقيام الجبهة الموحدة الواسعة .

غير أن النضال ضد الانعزالية يجب أن يقترن بنضال ضد الانتهازية اليمينية التى تتصور انه يمكن أن تقدم الجبهة الموحدة الواسعة على أساس تنازلات تقدمها الاحزاب الشيوعية فى مسائل المبدأ ، وعلى أساس التغاضى عن تعاون الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية مع سلطة الاحتكارات وسياستها التى تفتح الطريق أمام زحف الفاشية وتفاقم خطر الحرب .

ولقد يكون من المناسب فى ختام هذا المقال أن نوضح لماذا الاهتمام بالتركيز على نظرية ديمتروف فى الجبهة الموحدة . ان تقرير ديمتروف الاممية الثالثة عام ١٩٣٥ وكتاباته السابقة عن الجبهة المتحدة فى النصف الثانى من ١٩٢٣ لم تكن ولن تكون هى كل ما انجز ديمتروف . كلا بالطبع . فلقد أسهم فى كل نضالات عصره ، وحمل باستمرار أن يقدم الاجابات التى طرحها مجمل الحركة الثورية العالمية فى فترة — هى بحق عشية الثورة الاشتراكية — شهدت حربين عالميتين ، وشهدت تحول الاشتراكية الى نظام عالمى ، وشهدت نهوضا جبارا فى حركة التحرر الوطنى . وعندما عاد الى وطنه بعد تحرره من الفاشية ، انكب ديمتروف كقائد حزبى ورجل دولة على معالجة قضايا الحكم الديموقراطى الشعبى ، ورسم طريق بلغاريا وتطورها اللاحق نحو الاشتراكية وفى هذا قدم — مثلا — حلولا جديدة لاعادة تنظيم الزراعة على الاسس الاشتراكية .. بتطبيقات للماركسية تتلاءم مع الواقع البلغارى . وتقوم على انشاء تعاونيات للزراعة ولكن دون تأميم للارض . وهو فى جميع مراحله لم ينس أنه كان ابنا حقيقيا من صلب الطبقة العاملة البلغارية ، ومن هنا لم يتوقف عن أداء دوره كقائد للحركة العمالية والنقابية البلغارية .

امتدت اهتماماته واتسعت فيما بعد لتشمل الحركة النقابية فى البلقان فى أوربا ، ثم على الصعيد العالمى .

فاذا كنا قد قدمنا رأيه من الجبهة الوطنية الموحدة فلأن اسهامه فى هذه القضية انما يجسد بقوة المواقف المبدئية الاساسية فى فكره ، وقدرته على تطبيق هذه المبادىء بكيفية خلاقة .

واذا ما قدر لنا — بعد ذلك — أن نحدد محتوى فكره الثورى كما ينعكس فى معالجته لقضية الجبهة الوطنية الموحدة لامكن أن نقول أن هذا المحتوى يكمن فى تلك العبارة التى جاءت فى مرافعته المشهورة أمام المحكمة الفاشية فى ليبزج .

« العمل الجماهيرى ، والنضال الجماهيرى ، والمقاومة الجماهيرية ، والجبهة الموحدة ، ونبذ المغامرة » .

وبالفعل ، لم يكف ديمتروف عن الدعوة الى التواجد حيث توجد الجماهير ، والى دراسة مواقفها ومستوى وعيها ، واتجاه مزاجها النفسى ، وخصائصها القومية ، وحارب بشدة كل اتجاه يجرها نحو مغامرات غير مأمونة مؤكدا على ضرورة أن تتعلم الجماهير وتقتنع بتجاربها الخاصة بصحة الشعارات والسياسات المطروحة عليها من قبل هذا الحزب أو ذاك .

غير أننا نعلم ، ان النجاح مع الجماهير يتطلب اجادة ذلك الفن الصعب والشاق ، فن الثبات الاقصى على المواقف المبدئية ، وفن المرونة القصوى فى تطبيق المبدأ وفقا للظروف الملموسة والنوعية فى الواقع القومى والدولى .

وكانت مأثرة ديمتروف — ولسوف تظل دائما — أنه كان رائدا طليعيا فى هذا المجال .

ديمـــتروف المتهـــم

يديـــن قضـــــاتـه



د. رفعت السعيد

في عام ١٩٣٣ ، عين هتلر مستشـارا للرايخ الالمـانى ، وبدأت النـازية تستعد لكى تغرق ألمانيا وأوربا كلها فى حمـام من الدم . وكان حريق الريشستاغ مجرد مقدمة ، تستهدف خلق جو هستيرى ضـد الحزب الشيوعى الالمانى ، وكل العناصر التقدمية والديمقراطية المناهضة للنازية .

وكانت الانتخابات توشـك ان تجرى ، والحزب الشيوعى الذى حصل فى الانتخابات التى جرت فى نوفمبر عام ١٩٣٢ ، على ستة ملايين صوت ، لابد من وضـع حد لنشاطه ، وخلق المناخ الملائم لخنق كل أشكال الحريات . وفى ذلك الوقت كان النازى لا يزال عاجزا عن كسب ثقة كل الاحتكارات الالمانية ، بل هو لم يكن يحظ الا بمسـاندة **مجموعة كروب** ، بينما كانت بقية الاحتكارات تؤيد الأحزاب الأخرى التى كانت تمتلك الاغلبية الساحقة فى الوزارة . ذلك ان الحزب النـازى لم يكن حتى تعيين هتلر مستشارا للرايخ يمتلك الا ثلاثة مقاعد فى الوزارة من بين احدى عشر مقعدا . وأراد النازى أن يعلن لكل القوى الرجعية الالمانية ، ولكل الاحتكارات ، انه وحده القادر على كبح جماح الشيوعيين الذين يمتلكون ستة ملايين صوت .

وكانت الخطوة الأولى هى مداهمة بيت ليبنخت ، وهو مقر اللجنة المركزية للحزب الشـيوعى الالمـانى فى فبراير عـام ١٩٣٣ ، وخرجت وتسـائل الدعاية النـازية لتعلن عن وجود أقبية سرية ، وتزعم العثور على وثائق تـدل على ان الحزب كان يستعد لحملة تخريب واسعة ، غير ان البوليس قد عجز تماما عن تلفيق اية تهمة جدية ، أو حتى عن ابراز دليل واحد يؤكد صحة هذه المزاعم .

ثم كان حريق الرايشستاغ ، الذى حدث فى ٢٧ فبراير عام ١٩٣٣ ، وبينما كانت النيران لا تزال مشتعلة ، وقبل ان يبدأ اى تحقيق ، أو يعثر على أى دليـل ، وصـل هتلر الى مكان الحادث ليعلن امام الصحفيين « .. لسوف نضرب الشـيوعيين الان » [١] .. وفى اليوم التالى ، طلب هتلر منحه سـلطات استثنائية ، بهدف « **حماية الشـعب والدولة** » ! .. ووافق هندنبرج فى نفس اليوم على ملح هتلر الاجراءات الاستثنائية ، وعلى الفور ، بدأ النازى حملتهم المسعورة لتصفية كل القوى التقدمية والديمقراطية .

وأعلن البوليس انه قد ألقى القبض على مشعل الحريق ، وهو شخص هولندى اسمه « **فان دى لوبه** » ، وانه عثر معه على بطاقة عضوية الحزب الشيوعى . ثم عاد البوليس فأنكر بعد ذلك العثور على اية بطاقة معه . وفى اليوم التالى اعلنت صحيفة برجوازيه « ان مبنى الرايشستاغ له مدخل سرى تحت الارض ، يمكن أن يمر عبره مشـعلو الحريق ، وان هـذا المدخل يؤدى الى منزل **جورنج** رئيس الرايشستاغ » [٢] .

[١] ستيلا بلاغويفا ــ جورج ديمتروف ــ ترجمة محمد على مروة ــ دار النشر باللغـات الاجنبية ــ صوفيا عام ١٩٦٢ صفحة ١١٥ .

[٢] المرجع السابق ــ صفحة ١١٥ .

واستمرت حملة الارهاب ، وفى ٩ مارس ، القى القبض على جيورجى ديمتروف فى برلين ، مع اثنين آخرين من البلغاريين ، هما : « بوبوف » و « تانف » •• وعلى الفور — وقبل اى تحقيق — الصقت بهم تهمة التحريض على حريق الرايشستاغ ، ووصفت صحف النازى ديمتروف ورفاقه بأنهم « قطاع طرق بلقانيون » ، ونشرت لهم رسوما وهم يمسكون بالسكاكين بين أسنانهم •

وبالرغم من ذلك ، فان « اوبرفورن » زعيم القوميين الالمان قد أعد مذكرة ضافية حول الحريق ، تضمنت رسما تفصيليا للممر السرى، وتفضح بالتفصيل خطة مؤامرة الحريق ومدبريها ، لكن « اوبرفورن » قتل ، والمذكرة اختفت [٣] •

ومنذ اللحظة الاولى ، ادرك ديمتروف الابعاد الحقيقية للتهمة التى الصقت به ، وادرك انه يواجه مهمة صعبة ، لا تتعلق فقط بالدفاع عن نفسه ، وانما — وأساسا — بالدفاع عن الحركة الشيوعية العالمية ، وعن المبادىء التى يؤمن بها •• وقرر ان يخوض هذه المعركة الصعبة ، معركة تحدى التلفيق الفاشى ، والقضاة الفاشست ، بل والنظام الفاشستى كله • وأدرك ديمتروف انه لا يحتاج فقط الى الجرأة ورباطة الجأش ، وانما أيضا الى الدراسة المتأنية للقانون الجنائى وقانون الاجراءات الالمانيين ، والتعمق فى اللغة الالمانية ، ودراسة تاريخ المانيا والتاريخ العام ، والفلسفة ، والتطور الحضارى والادب الكلاسيكى •• وذلك كى يواجه خصومه مسلحا بأرقى درجات المعرفة •

وبدأ ديمتروف العمل فى زنزانته ، كان يدرس ١١ ساعة يوميا • ومنذ القبض عليه فى ٩ مارس ، حتى بدء المحاكمة فى ٢١ سبتمبر ، كان قد قرأ ٦٧٠٠ صفحة ، تضمها عشرات من الكتب الهامة ، منها : التاريخ السياسى الالمانى ، تأسيس الدولة الالمانية [من سبعة أجزاء] ، تاريخ الدولة الالمانية ، تاريخ الحروب ، تاريخ الفلسفة [من خمسة أجزاء] ، وقرأ دراسات عديدة عن فولتير ، بسمارك ، زرادشت ، نابليون ، فريدريك الأكبر ، كانت • ودرس عديدا من الاعمال الادبية الكلاسيكية ، منها كل مسرحيات شكسبير ، وكتابات بيرون وهينه ، والكوميديا الالهية لدانتى ••• الخ • وهكذا أصبح ديمتروف مستعدا لمواجهة قضاته متسلحا بالشجاعة والوعى النظرى ، وبالمعرفة الانسانية الحقيقية •

المتهم •• يقدم نفسه لقضاته

وفى ٢٠ مارس ، وجه ديمتروف من سجنه رسالة الى المحقق ، قدم نفسه فيها « فيما يتعلق بالقبض على ، فاننى أرى لزاما على ان أعلن لكم ما يلى :

انا جورج ديمتروف — العضو السابق فى البرلمان البلغارى — السكرتير السابق للاتحاد العام لنقابات العمال البلغار — عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البلغارى منذ عام ١٩١٠ — والمنفى سياسيا منذ أكتوبر عام ١٩٢٣ ، والمحكوم عليه غيابيا بالاعدام عقب أحداث سبتمبر عام ١٩٢٣ ، والذى حاول خصومه السياسيين اغتياله أكثر من مرة وهو خارج البلاد ، الامر الذى اضطره الى انتحال اسم الدكتور « رودلف هايدجر » [٤] •

وأكد ديمتروف فى مذكرته ، انه كان فى ميونخ ، فى الوقت الذى وقع فيه الحريق ، وأكد انه لا يمكن ان يكون قد اشترك من قريب او بعيد فى هذا العمل الذى لا يمكن لشيوعى ان يرضى عنه • وقال « نحن شيوعيين ولسنا فوضويين » • وردا على هذه المذكرة ، أمر قاضى التحقيق بحبسه انفراديا ، وبتقييد يديه ورجليه بالقيود الحديدية بشكل مستمر • ووجه ديمتروف رسالة غاضبة الى قاضى التحقيق ، يحتج فيها على هذه « الاجراءات البربرية » [٥] •• بل هو يعلن فى غضب وتحد « انا أعلم جيدا اننى فى يدى العدو الطبقى » •

وعندما استمرت القيود الحديدية فى يديه ورجليه حتى شهر أغسطس ، وجه رسالة اخرى الى رئيس الدائرة الرابعة لمحكمة الجنايات ، يقول فيها : « منذ ٤ ابريل ويداى وقدماى مقيدتان بالاغلال الحديدية ، ولقد احتججت على ذلك اكثر من مرة دون جدوى ••• ان نص المادة ١١٦ من قانون العقوبات الالمانى يقول « يمكن ان تقيد يدا السجين خلال فترة سجنه فى حالة ما يكون ذلك ضروريا لحماية الاخرين ، أو فى حالة شروعه أو محاولته الشروع فى الانتحار ، او اذا ما حاول الهرب من سجنه » [٦] •• وهكذا أثبت ان دراسة القانون خلال فترة السجن كانت مفيدة له فى مواجهة سجانيه • وبالفعل اضطرت السلطات لان تنزع عنه القيود الحديدية •

وكان ديمتروف لا يدع أية فرصة تمر ، دون ان يحتج على سجانيه ، ودون ان يطالبهم بأى حق له ، حتى ولو كان ضئيلا •• ففى يونيو ، تلقى طرد أغذية من بلغاريا ، وخصمت سلطات السجن مبلغ ٦٠ فينيك [اى ستة قروش] ، كرسم لاستلام الطرد ، لكن الطرد لم يصله • فظل ديمتروف يرسل الخطاب تلو الخطاب ، مطالبا برد الستة قروش ، حتى اضطرت السلطات الى رد المبلغ له • لقد كان ديمتروف يدرك انه اذا تهاون فى مطلب صغير ، فانه سوف يفقد حقوقا أكبر فيما بعد •

المحاكمة

وفى ليبزج ، حيث عقدت جلسات المحاكمة ، وقف ديمتروف أمام قاضى الاحالة ليقول : « اننى بلشفى ، بروليتارى ، ثورى ، اننى أعلن اننى عضو قيادى ومسئول ، وعضو فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البلغارى ، وعضو فى اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية ، اننى ذلك كله ، ولهذا السبب بالذات ، فاننى لست ارهابيا ولا مغامرا ، ولا ممن يشعلون الحرائق •• ان النضال من أجل الثورة البروليتارية هو أمل حياتى كلها •• أنا مع الثورة ، وضد الارهاب الفردى » [٧] •• وهكذا فجر

---

[٣] المرجع السابق — صفحة ١١٦ •

[٤] Georgi Dimitrov — Leipzig 1933 — Speeches, Letters and Documents. Sofia Press — 1968 — p. 9.

[٥] IBID — p.p. 20

[٦] IBID — p.p. 63

[٧] ستيلا بلاغويفا — المرجع السابق صفحة ١٢٢ •

ديمتروف الموقف منذ اللحظة الاولى ؟ لقد توقع النازيون أى شيء الا هذه البداية ، وكانوا قد أعدوا العدة لمحاكمة زائفة، وقرروا اذاعة الجلسات على الهواء ، لكن الكلمة الافتتاحية لديمتروف اصابتهم بالارتباك ، وقرروا الغاء اذاعة الجلسات .

ويأتى للشهادة قاضى التحقيق فوخت ، لكن ديمتروف كان يعرف قضاته معرفة جيدة وهو يكتب فى مذكراته التى كان يدونها سرا فى سجنه « ان فوخت قصير القامة ، قد يصلح لممارسة الدعاوى الجزئية التافهة ، لكنه ضئيل جدا بالنسبة لمحاكمة تاريخية تجرى أمام الرأى العام العالمى . انه ضيق الافق ، أحمق ، ولو كان أكثر ذكاء لناضل بأقصى ما يستطيع من جهد كى لا يأمر قاضى الاحالة باحالتى الى محكمة الجنايات » .

وتقررت احالة ديمتروف الى محكمة الجنايات .. وفى ٢٥ سبتمبر ، كتب مذكرة تتضمن نقاط دفاعه الافتتاحى أمام المحكمة :

● « ولدت فى ١٨ يونيو عام ١٨٨٢ .. تركت المدرسة وانا فى الصف السادس ، لاعمل عملا اتعيش منه .. انا ابن مخلص للطبقة العاملة .. اننى ربيب الحركة العمالية الثورية البلغارية التى عملت فى صفوفها وأنا فى الثالثة عشرة من عمرى » .

● « عقب هبة سبتمبر ، حكم على غيابيا بالاعدام ، اننى فخور بهذه الهبة البطولية ، وكل ما آسف له ، هو ان حزبى ، واننى شخصيا ، لم نكن بلاشفة بالقدر الكافى فى ذلك الحين ، ولهذا فقد عجزنا عن قيادة وتنظيم هذه الانتفاضة الشعبية التاريخية » .

● « اننى عندما أنفى انه كانت لى علاقة بالحزب الشيوعى الالمانى ؟ فانما ذلك لأن طبيعة عملى لم تكن تتطلب مثل هذه العلاقة .. لكننى أعلن — وبأعلى صوتى — انه اذا ما كانت طبيعة نشاطى تتطلب مثل هذه العلاقة ، لكنت قد قمت بها على وجه التأكيد » .

● « اننى اعترف اننى بلشفى .. ثورى بروليتارى ، وانا أؤكد على اعترافى هذا ، لانه مصدر فخار لى ، لكننى أحدد اننى « ثورى بروليتارى » .. ذلك ان عبارة « ثورى » وحدها مطاطة ، فحتى الوصى على العرش الالمانى قال عن نفسه انه ثورى ، وحتى هذا المعتوه فان دى لوبه يقول انه ثورى » .

● « اننى اعترف اننى عضو فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البلغارى ، وعضو فى اللجنة التنفيذية للدولية ، وأنا أعلن عن تحملى لكامل المسئولية عن كل قرارات ووثائق واعمال الحزب الشيوعى البلغارى .. ولهذا السبب بالذات ، وبالتحديد ، فاننى أدفع بأنه لا يمكن اتهامى بالارهاب واشعال الحريق .. انا لم أشعل الحريق ، ليس فقط لاننى كنت فى ميونخ فى ذلك اليوم ، وانما — وأساسا — لاننى شيوعى » .

● « انا لا يهمنى حكمكم على .. لكن الذى يهمنى هو اننى واثق تماما من ان حزبى ورفاقى ، وان البروليتاريا الالمانية الثورية ، يثقون ثقة كاملة فى براءتى » .

وفى ٢٦ سبتمبر ، ناقش « ديمتروف » ، « فان دى لوبه » أمام المحكمة ، وفور بدء الجلسة ، صاح ديمتروف : « أود ان أسجل احتجاجى على تزييف أقوالى فى الصحافة الفاشية » .

— الرئيس : اسكت ، فانا لم أعطك الحق فى الكلام .
— ديمتروف : لكننى أريد ان اسجل احتجاجى .
— الرئيس : انا لم أسمح لك بالكلام .
[وبدأ الرئيس فى احاطة « فان دى لوبه » بالتهمة المنسوبة اليه . وأعطى ديمتروف الحق فى سؤاله ، لكنه نبه عليه مشددا ، بأن يوجه مجرد أسئلة ، ودون استطراد] .
ديمتروف : حسنا .. سأوجه أسئلة ، لكن ثمة شيء يلح على ، وأود ان أقوله ، ولو مرة واحدة ، وهو ان فان دى لوبه ، اما أن يكون مختلا عقليا ، واما ان يكون عاقلا . فان كان عاقلا ، فان عليه ان يدرك مدى الجريمة التى يرتكبها ضد البروليتاريا .. وعندما بدأ القاضى فى الاحتجاج وجه ديمتروف سؤاله : أود ان أسأل « لوبه » .. هل سمع طوال حياته باسمى ؟
— القاضى : السؤال مرفوض .. هل لديك سؤال آخر ؟
— ديمتروف : نعم .. سؤال آخر الى « لوبه » .. لماذا تتصرف بهذه الطريقة ؟ .. لماذا تقول نعم ، ثم تقول لا .. ثم تعود فتقول نعم .. ثم تلجأ أخيرا للصمت ؟ .. الا ترى ان هذا مضحك ومثير للسخرية ؟!
— القاضى : يجب ان تعلم انه ليس من حقك ان تجرح الشاهد ، السؤال مرفوض .
— ديمتروف : سؤال آخر ، لماذا يا « لوبه » ترتكب هذه الجريمة الشنعاء ضد الطبقة العاملة الالمانية ؟ .. ومن الذى حرضك على ارتكابها ؟
— القاضى : السؤال مرفوض ، ان المتهم ديمتروف قد أساء استخدام الحق الممنوح له ، بتوجيه أسئلة للشاهد ولهذا تقرر حرمانه من توجيه الاسئلة
— ديمتروف : أنا أحتج .

وفى جلسة ٤ أكتوبر ، وجه « ديمتروف » الى « فان دى لوبه » سؤالا يقول :
— ديمتروف : كيف استطعت بمفردك ، وفى ربع الساعة فقط ، أن تشعل النار فى هذا البناء الحجرى الضخم ؟
وهنا صاح محامى « دى لوبه » قائلا : ها هو « ديمتروف » يتحدث عن الحرائق حديث الخبير المجرب .. لكن ديمتروف صاح بأعلى صوته : « ان الاممية الشيوعية تريد توضيحا كاملا لمسألة حريق الرايشستاغ .. ان الملايين ينتظرون الاجابة على هذا السؤال .
— القاضى : [صائحا] : من الرئيس هنا ؟
— ديمتروف : [مقاطعا] : الملايين تريد ان تعرف الحقيقة ..
— القاضى : اما ان تسكت ، واما ان أطردك من الجلسة [٨] .

---

[٨] IBID — p.p. 74

وفى جلسة ٢٧ اكتوبر تناقش ديمتروف الشاهد « كروبر » ، وهو نازى من الحزب الاشتراكى القومى النمساوى .. ووجه له سلسلة من الاسئلة عن نشاطاتهم السرى فى النمسا واستخدامهم للاسماء السرية وجوازات السفر المزورة ، وصاح القاضى : لماذا كل هذه الاسئلة ؟

— ديمتروف : لان السيد باريسيوس [المدعى العام] يصمم على تضخيم اتهامى ، متعللا باننى احمل جواز سفر مزور .

— باريسيوس : اود ان انبه المتهم الى انه غير مسموح له ان يناديني باسمى .

— كروبر : ان هناك ثارا ضخما بين الاشتراكيين القوميين [النازى] ، وبين الشيوعيين .

— ديمتروف : أنا أعرف تماما ان هناك فارقا ضخما بيننا [ضحك فى القاعة] ، لكننى فقط اشير الى ان العمل السرى يتطلب من كل من يقوم به اجراءات معينة ، منها الاسماء السرية والجوازات المزورة ..

— القاضى : اخرس [٩] .

ثم جاءت شهادة « هورينمان » حارس مبنى الرايشستاغ ، الذى صمم على انه رأى ديمتروف امام المبنى يوم الحريق .. وضحك « ديمتروف » ، فان المدعى العام نفسه قد اعترف بأنه كان فى ذلك اليوم فى ميونخ ، وسأل الشاهد فى سخرية : من الذى دفع لك ثمن هذه الشهادة ؟ .. ثم التفت الى المدعى العام قائلا : « من أين تأتى بهؤلاء الشهود الرائعين » [١٠] .

واحضروا شاهدا آخر اسمه « ليبرمان » كان متهما فى جريمة سرقة ، وظل ديمتروف يلح فى السؤال ، من الذى احضر هذا الشاهد ؟ .. وكرر سؤاله أكثر من مرة ، وعندما ثار القاضى قائلا انه المدعى العام ، ضحك ديمتروف قائلا : « كل ما هناك اننى اريد يا سيدى الرئيس ان أسجل ان المدعى العام حاول تجنيد كل شهود الزور من الفاشست ضدنا نحن الشيوعيين المتهمين ، وعندما فشلت شهاداتهم ، لم يجد أمامه الا لص ليشهد ضدنا ..

— المدعى العام : [فى غضب] : هل هذا سؤال .. ؟

— القاضى : ديمتروف .. أود ان انبهك مرة أخرى الى الالتزام بتوجيه أسئلة محددة .

— ديمتروف : لدى سؤال واحد لشاهد السيد باريسيوس .

— القاضى : لا .. ليس اسمه شاهد السيد باريسيوس ، وانما هو الشاهد فحسب ..

— ديمتروف : المسألة بسيطة ، الشاهد مسجون ، متهم فى قضية سرقة ، وهو يسعى لاى شيء يمنحه حريته ، ومن السهل ان يخضع للاغراء [ملتفتا الى الشاهد] : من الذى أغراك بهذه الشهادة المخجلة ؟

— القاضى : اخرس .. ليس من حقك ان تهين الشاهد .

— ديمتروف : على اية حال ، انا أود ان أهنىء المدعى العام بشاهده الرائع [١١] .

ولم يعد مثل هؤلاء الشهود صالحين لاثبات اية تهمة ، لقد استطاع ديمتروف ان يربكهم ، وان يهينهم ويفضحهم امام الرأى العام العالمى الذى كان يتابع تفاصيل القضية باهتمام بالغ .. وكان لابد من شاهد جديد .. هو « جورنج » .

ديمتروف .. جورنج وجها لوجه

وبدأ السجال عنيفا بين المتهم والشاهد [رئيس وزراء النازى ووزير داخليته] ، وأدرك ديمتروف انها فرصته السانحة ليدين كل النظام الفاشى ويكشفه أمام الجميع .. وفى محاورة ذكية ، غاية الذكاء ، استطاع « ديمتروف » ان يستخلص من الشاهد المتعجرف اعترافا بأنه قد اصدر أوامره بضرب الحزب الشيوعى الالمانى فور اشتعال الحريق ، وقبل ان يبدأ اى تحقيق . واستخلص منه ايضا انه قد أصدر بيانا « غير صحيح » يقول ان « لوبه » قد ضبطت معه بطاقة عضوية الحزب . .

وقال « جورنج » « لديمتروف » : « انا أعرف انك ذكى ، لكننى رئيس وزراء ، ولا أفتش جيوب المتهمين » .

— ديمتروف : ان الثلاثة المسئولين من البوليس الجنائى ، والذين قبضوا على « لوبه » قد اعلنوا هنا انهم لم يعثروا على اية بطاقة للعضوية معه فمن الذى اخترع قصة هذه البطاقة انا اريد ان اعرف .. » (١٢)

وبدأ « جورنج » يتخبط وقال انه فى البداية تلقى من المسئولين بيانات « غير دقيقة » .

وسأله ديمتروف السب مسئولا عن البوليس واجاب الشاهد نعم ..

— ديمتروف : انت كرئيس للوزراء ووزير داخلية عندما تصدر بيانا فور الحريق تعلن فيه ان مرتكبى الحادث هم الشيوعيين الالمان ، الا تعتبر ذلك تدخلا فى التحقيق ، بل واعاقة للمحققين عن ان يصلوا الى المدبر الحقيقى للحريق بتحديدك مسارا مسبقا للاتهام .. ؟ »

ويفقد « جورنج » اعصابه ويلوح بقبضته فى وجه ديمتروف « ان حزبك هو حزب من المجرمين ويجب ان يدمر واذا كانت المحكمة تنهج هذا النهج فانها تسير على الطريق الصحيح .

— ديمتروف : [بهدوء] ان رئيس الوزراء يعرف جيدا ان هذا الحزب الذى يجب تدميره يحكم الان سدس « الكرة الارضية » — الاتحاد السوفيتى — وانه يقيم علاقات دبلوماسية واقتصادية مع المانيا .

— القاضى : انا امنع المتهم من ان يردد فى هذه القاعة دعاية شيوعية .

— ديمتروف : لكن السيد جورنج يقوم بدعاية « نازية » [موجها حديثه لجورنج] ان النظرية الشيوعية تنتصر على ارض الاتحاد السوفيتى اعظم واكبر دولة فى العالم وهنا فى المانيا فانها تكسب الى صفها الملايين من خيرة ابناء الشعب الالمانى ، ومن المعروف ..

— جورنج : (بصوت مرتفع جدا) دعنى اقول لك ماهو موقف الشعب الالمانى .. الشعب الالمانى يعرف انك غبى ، وانك اتيت الى المانيا لتحرق الريشستاغ . وانا لست هنا لكى اسمح لك بمحاسبتى وكأنك قاضى فأنت فى نظرى لست سوى وغد يستحق الاعدام .

ويصعق الجميع من هذه السقطة من رئيس الوزراء ، ويحاول القاضى ان يلقى اللوم على المتهم ..

— القاضى : ديمتروف لقد نبهت عليك من قبل الا تردد هنا دعايات شيوعية ولهذا فلابد انك غير مندهش اذا ماثار الشاهد ضدك على هذا النحو .

— ديمتروف : [بهدوء] اننى مسرور جدا باجابة رئيس الوزراء .

— القاضى : سواء كنت مسرورا أو غير مسرور فاننى امنعك نهائيا من الكلام .

— ديمتروف : ثمة سؤال اخير هام

[٩] IBID — p.p. 85

[١٠] ستيلا بلاغويفا — المرجع السابق — صفحة ١٣١ .

[١١] هامش افرنجى

Georgi Dimitrov — IBID p.p. 88.

IBID — p.p. 94

– **القاضى** : [ثائرا] انا امنعك من الكلام .

– **جورنج** : [بصوت عال] اخرج ايها الوغد .

– **القاضى** : [لرجل البوليس] اخرجه من هنا .

– **ديمتروف** : [ورجل البوليس يدفعه للخارج] ربما كنت خائفا من ياسيادة رئيس الوزراء .

– **جورنج** : [صائحا فى انفعال] اسمع .. انا احذرك .. لسوف اعلمك كيف تتحدث معى .. فقط اخرج من هذه القاعة .. » (١٣)

وذهل الجميع ، كيف استطاع المتهم ان يستدرج رئيس الوزراء الى هذه السقطة ، وان يجعله موضع سخرية جميع الحاضرين ، وموضع اتهام الرأى العام العالمى .. ووجدت آلة الدعاية النازية ان الامر يحتاج الى جولة جديدة وتقدم هذه المرة ، رجل الدعاية الاول عند النازى ..

ثم جاء جوبلز

وحاول بكل دهاء رجل الدعاية المدرب ان يتملص من اسئلة « **ديمتروف** » وظل يناور بعبارات مطاطة « معلنا على الدوام انه لا يعرف اكثر من دوره كوزير للدعاية » .. ولا يريد ان يتحدث فى نطاق مسئولية شخص آخر لكنه تلقى سؤالا محرجا .

– **ديمتروف** : كوزير للدعاية ، وكمسئول للدعاية فى الحزب الاشتراكى القومى ، هل صحيح ام لا ان احراق الريشستاغ قد استخدم على الفور من جانب الحكومة ووزارة الدعاية كحجة لتدمير الحملة الانتخابية للحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى الديمقراطى وكل احزاب المعارضة !

ويتلعثم « جوبلز » ويستنجد بالقاضى قائلا : انا لا افهم السؤال ياسيدى الرئيس ويكرر **ديمتروف** سؤاله ..

– **جوبلز** : ان الاجراءات اللازمة قد تام بها البوليس ، ولم نكن بحاجة لاستخدام اية دعاية ، ذلك ان حريق الريشستاغ كان مجرد تأكيد لضرورة صراعنا ضد الحزب الشيوعى ، كان مجرد دليل يضاف الى مجموعات من الادلة المتراكمة ..

– **ديمتروف** : الم يوجه الشاهد حديثا بالراديو ادان فيه الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى الديمقراطى بحريق الريشستاغ ؟

– **جوبلز** : انا الآن اعتقد أن الحزب الشيوعى هو الذى احرق الريشستاغ

– **ديمتروف** : ... لكنك اضفت من قبل الحزب الاشتراكى الديمقراطى ، ويحاول رئيس المحكمة « ان ينقذ **جوبلز** فيصيح فى ديمتروف : ان هذا السؤال لا يتعلق بالقضية . لكن ديمتروف » يؤكد فى اصرار أنه فى صميم القضية ، ويحاول جوبلز ان يبدو واثقا من نفسه .

– **جوبلز** : ياسيدى الرئيس ، لسوف اجيب بكل سرور على هذا السؤال لكننى اود ان اسجل اولا احساسى بأن المتهم يحاول ان يستخدم قاعة المحكمة وسيلة لترويج الدعاية الشيوعية . واود ان اقول له اننى خبير فى الدعاية ولا داعى لان يحاول استفزازى فان هذا مستحيل .. نحن نعتقد ان الخلاف بين الحزبين الشيوعى والاشتراكى الديمقراطى هو مجرد خلاف تكتيكى ونحن ضدهما معا نحن ضد الماركسية . ان واجبنا القومى هو تدمير ومحو هذين الحزبين من الوجود ..

– **ديمتروف** : فى خريف ١٩٣٢ خلال فترة رئاسة **فون بابن** وقعت سلسلة من الاغتيالات والانفجارات فى المانيا . وجرت محاكمات ونفذت احكام ضد عدد من الاشتراكيين القوميين ، وانا اسأل الشاهد لم تكن هذه الاعمال الارهابية من صنع الحزب الاشتراكى القومى .

– **جوبلز** : .. كان من السهل دس بعض الاستفزازيين .

– **ديمتروف** : انا اسأل عن واقعة محددة .. عن اعضاء فى الحزب الاشتراكى القومى قتلوا احد خصومهم السياسيين وحكم عليهم بالاعدام .. وتدخل لانقاذهم ومجدهم رئيس الرايخ الحالى **اودلف هتلر** .

– **جوبلز** : ان الفوهرر راى ان من واجبه الا يترك هؤلاء الاشخاص يواجهون حبل المشنقة دون مساندة فابرق لهم مشجعا .. »

وإذا كان جوبلز لم يفقد اعصابه مثل جورنج فانه كان قد ارتكب باقواله الخطأ القاتل ، وبدأ القاضى الذى يعرف ماذا تعنيه اجابات كهذه يفقد هو اعصابه . وبدأ يحذر « جوبلز » من خطر مثل هذه الاجابات ، ورد « جوبلز » قائلا : « اننى اريد الا ادع فرصة للمتهم أو لمن يقفون وراءه أو للصحافة العالمية لكى تقول اننى خفت من الاجابة على أسئلة المتهم ، وفهم القاضى ان انقاذ جوبلز لا يتم الا باسكات المتهم فسحب منه حق الكلام ورفع الجلسة ..

اشهر المرافعات

وبعد سلسلة طويلة من مناقشات الشهود نجح فيها ديمتروف تماما فى فضح تلفيق القضية : بل فى ادانة النظام النازى ككل .. بدأ مرافعته الختامية .. فقد صمم « **ديمتروف** » على رفض المحامى الذى عينته له المحكمة . وقدم للمحكمة قائمة من ثمانية محامين لتختار هى من بينهم محام عنه لكن المحكمة رفضت القائمة كلها ، كما انها رفضت كل شهود النفى الذين طلبهم .. وعندئذ صمم **ديمتروف** على ان يتولى الدفاع عن نفسه ، معلنا « على المحكمة » ان تستعد لمواجهة المتهم ديمتروف والمحامى ديمتروف ايضا » (١٤)

.. ذلك ان ديمتروف لم يكن يثق فى منهج الدفاع البرجوازى وعندما وقف محامى احد المتهمين معه وهو «**أرنست طور غار**» رئيس الكتلة البرلمانية الشيوعية فى الريشستاغ ليدافع عنه بطريقة قانونية بحتة وفيها تملق للنظام النازى ، صاح ديمتروف « افضل ان تحكم على المحكمة بالاعدام وان ابرىء من أن ابرأ بمثل هذا الدفاع » (١٥)

وكان **ديمتروف** قد حدد موقفه منذ اليوم الاول للمحاكمة «لست مدينا لاحد ، **بل انا دائن لكم** . لست استجدى الرحمة او العطف وانما فقط اريد حقى فى الدفاع عن نفسى كشيوعى » .

وفى ٢٣ ديسمبر دخل **ديمتروف** فى جدل قانونى مع رئيس المحكمة ..

– **ديمتروف** : وفقا لنص المادة ٢٥٨ من قانون الاجراءات الجنائية فان من حقى ان اترافع عن نفسى مرتين : مرة كمتهم ، ومرة كمحام .

القاضى : انك تملك الحق فى الكلمة الاخيرة ، وبامكانك ان تبدأ الان .

– **ديمتروف** : وفقا لنص قانون المرافعات الجنائية فان من حقى ان افند اولا اقوال الادعاء .. ثم ابدأ المرافعة ..

وبدأت اشهر المرافعات السياسية فى تاريخ القضاء ، وروى **ديمتروف** فى بداية مرافعته كيف انه لم ينل حقه فى اختيار محام له يثق فيه

(١٣) IBID — p.p. 95

[١٤] ستيلا بلاغويفا — المرجع السابق ص ١٤٩ .

[١٥] المرجع السابق ص ١٤٩ .

وقال انه كتب للقضاة قائلا انه لايثق فى المحامى الذى اختاروه له وطلب محامين آخرين ورفضت المحكمة طلبه ..

« وها أنا مضطر للدفاع عن نفسى ، وهو امر لم اكن اربده حلوه ولا مره وانما هى مهمة فرضت على فرضا » .

« انني اعترف ان كلماتى حادة وجافة فلقد كانت حياتى كلها حادة وجافة، وانا لم أتعود على المرافعات أمام المحاكم وانما انا أدافع عن نفسى .. عن الشيوعى المتهم ، انا أدافع عن شرفى السياسي ، عن شرفى كثورى . وانا ادافع عن عقيدتى الشيوعية ، عن القيم التى أومن بها اننى ادافع عن كل مضمون وجوهر حياتى . ولهذا السبب فان كل كلمة نطقت بها فى هذه المحكمة هى جزء من نفسى ، وكل جملة قلتها كانت تعبيرا عن رفضى لذلك الاتهام غير العادل ، ضد محاولة الصاق تهمة هذا العمل المنافى للشيوعية بالشيوعيين ، وانا أعترف بأننى لم ألق بالا الى اوامر هيئة المحكمة الموقرة ، ذلك ان قانونى الاعلى الذى اعترف به هو برنامج الدولية الشيوعية ومحكمتى العليا التى أخضع لها هى لجنة الرقابة فى الدولية الشيوعية » (١٦) .

على هذا المنوال مضى « ديمتروف » فى مرافعته . وقد حاول القاضى ان يقاطعه عشرات المرات ، لكن المتهم ذو الارادة الحديدية ، صمم على الاستمرار فى مرافعته ، فقد كانت القاعة تغص بالناس الذين يريد « ديمتروف » ان يسمعهم صوته كان هناك ١٢٤ صحفيا من بينهم ٨٢ مراسلا اجنبيا ، وكانت هناك الملايين من البشر التى كانت تتابع وقفة « ديمتروف » الصلبة .. التى تحولت الى ملحمة نادرة من الصمود والذكاء والقدرة على افحام العدو الطبقى .

ومن قفص الاتهام ارتفع صوت « ديمتروف » مرددا أبياتا قالها الشاعر الالمانى « جوتة » :

« .. عليك ان تسمو
او تسقط
عليك ان تنتصر
او تنحدر
ان تظفر او تتالم
فانت سندان او مطرقة »

ويعلو صوت « ديمتروف » أكثر فاكثر ..
« نعم من لا يريد أن يكون سندانا فليكن مطرقة »

واخيرا قدم المتهم .. المحامى طلباته —
[١] الحكم ببراءة كل من طورغلى وبوبوف وتانف وانا .. ورفض الدعوى واعتبارها غير قائمة [٢] أن فان دى لوبة لم يكن سوى اداة فى ايدى أعداء الطبقة العاملة — [٣] أن يقدم للمحاكمة المسئولين عن تلفيق هذه القضية — [٤] ان تقرر المحكمة تعويضنا عن كل الاضرار التى لحقت بنا ..

— **القاضى** : ان ما تدعى انه طلبات الدفاع سوف تضعه المحكمة فى اعتبارها خلال مداولاتها ..

— **ديمتروف** : ثمة وقت سياتى لتتحقق فيه كل هذه الطلبات كاملة ، ذلك أن الحكم فى قضية حريق الرايشستاغ سوف يكون من اختصاص محكمة شعبية تقام فى ظل حكم ديكتاتورية البروليتاريا . ففى القرن السابع عشر واجه العالم جاليليو المحاكمة لانه قرر قانونا علميا يقول أن الارض تدور .. وعندما حكموا عليه بالاعدام صاح جاليليو « لكن الارض تدور » ولقد اعترف الجميع فيما بعد بصحة هذا القانون العلمى ..

الرئيس يجمع اوراقه فى عصبية ، ويقاطع ديمتروف بصوت مرتفع .. ويعلن رفع الجلسة ..

— **ديمتروف** : [بصوت عال] اننا لسنا بأقل اصرارا من جاليليو اننا نحن الشيوعيين نعلن اليوم باصرار ان « الارض تدور » . ان عجلة التاريخ تسرع نحو اقامة أوربا سوفيتية ، نحو قيام اتحاد الدول السوفيتية العالمى ، وما من قوة تستطيع أن تعطل هذه المسيرة ، فلا الارهاب ولا السجن ، ولا الاعدامات تستطيع أن توقف عجلة التاريخ ، تلك العجلة « التى تدفعها الى الامام القوى الجبارة » للبروليتاريا .. ولسوف تتقدم وتتقدم فى طريق الانتصار الكامل » .. وفى هذه الاثناء كان الحراس قد كمموا « ديمتروف » وأجبروه على الجلوس وكان القضاة قد غادروا القاعة للمداولة : هل يسمح للمتهم بالاستمرار فى المرافعة أم لا .. وعادت الجلسة للانعقاد حيث أعلن رئيس المحكمة أن المتهم قد تقرر منعه من الكلام .. واعلن رفع الجلسة» [١٧] لكن جهود « ديمتروف » ودفاعه المجيد ومحاوراته الذكية لم تضع عبثا واضطرت المحكمة العليا لان تصدر حكمها بالبراءة ..

لكن **جورنج** كان يريد أن يصفى حسابه مع الرجل الذى جعل منه موضعا لسخرية الرأى العام العالمى .. واعلن بصفاقة « ان حكم البراءة لا يعنى بالضرورة الافراج عن المتهم . ونقل « **ديمتروف** » الى برلين حيث سجن تحت رحمة الجستابو .

وانفجرت المظاهرات فى مختلف انحاء العالم تطالب بالافراج عن «ديمتروف» وفى باريس احتشدت الوف العمال الفرنسيين فى مظاهرة صاخبة حيث انتخبت حرسا بروليتاريا كلفته بالسفر الى برلين لحراسة « **ديمتروف** » فى سجنه . لكن السلطات النازية منعت « الحراس » من عبور الحدود وانهالت العرائض والاحتجاجات والاجتماعات فى مختلف انحاء العالم .. تطالب بحرية « **ديمتروف** » ، وشاركت حكومة موشانوف البلغارية الرجعية فى المؤامرة النازية فاعلنت انها لا تهتم بمصير « **ديمتروف** » ، وانها لن تسمح له بالعودة الى بلغاريا وقررت تجريده من جنسيته . وعلى الفور قرر الاتحاد السوفيتى منحه الجنسية السوفيتية .

واخيرا .. وبعد عام كامل من صدور الحكم بالبراءة ، وبعد ان تصاعدت الحملة العالمية التى شاركت فيها قوى سياسية واجتماعية ودينية وثقافية من مختلف الاتجاهات للمطالبة بالافراج عن ديمتروف اضطر النازى للافراج عنه .

وفى عجلة من امرهم نسى الحراس ان يفتشوا السجين، فقد كانت التعليمات ابعاده بأقصى سرعة عن البلاد .. وحمل **ديمتروف** فى طيات ملابسه كل اوراقه ومذكراته التى دونها سرا خلال فترة سجنه ..

وعلى الحدود كان ديمتروف هو .. هو .. كان لايزال يذكر كلمات «جوته»
« **اما تكون مطرقة « او سندان** » ..
وقرر ان يكون مطرقة حتى النهاية فالتفت الى قائد البوليس المكلف بترحيله ، وطلب منه أن يحمل عنه تحياته الى الشعب الالمانى والى البروليتاريا الالمانية مؤكدا له انه سوف يعود حتما الى المانيا لينزل ضيفا على حكومتها الديمقراطية الشعبية .
وقد بر ديمتروف بوعده ..

---

[١٦] Georgi Dimitrov — Selected Works, Vol. 1 English Ed. 1967. p.p. 493.
[١٧] IBID — p.p. 515.

جـــــورجي ديمـــــتروف والحـــــركة النقـــــابيـــة



عبد المنعم الغزالى

عندما بلغ **جورجي ديمتروف** العشرين من عمره — برز كمناضل اشتراكى نشط وسط عمال الطباعة ، وكواحد من النقابيين الشبان اللامعين . وفى عام ١٩٠٠ أصبح عضوا فى اتحاد عمال الطباعة فى صوفيا وفى ١٩٠١ أصبح عضوا فى مجلس رئاسة الاتحاد . وفى عام ١٩٠٣ ناضل ديمتروف نضالا عمليا وفكريا ضد القيادة الانتهازية فى نقابة عمـــال الطباعة — ونشرت له الصحيفة العمالية حينئذ مقالات عن « **الانتهازية فى النقابات** » وضد « سياسة التعاون الطبقى غير المبدئى فى الحركة النقابية » وفى عام ١٩٠٤ ظهرت قدرته كمنظم جماهيرى موهوب ، واصبح واحدا من قـادة اتحاد النقابات . وفى خلال ١٩٠٧ و ١٩٠٨ أسس اتحادات نقابية عمالية مركزية على نطاق بلغاريا ، وضع قانونها الداخلى وبرامج عملها . وأصبح محرر « الباب النقابى » فى « الصحيفة العمالية » . ومن أبرز الاضرابات الجماهيرية العامة للبروليتاريا الصناعية التى كان لديمتروف دور بارز فى قيادتها الاضراب العام لعمال السكك الحديدية وعمال المناجم (١٩٠٦) واستمر لمدة ٣٥ يوما ، واضراب عمال النسيج الجماهيرى فى ١٩٠٨ ، واضراب عمال الكنيست فى ١٩٠٩ ، واستمر ١٢٣ يوما وفى هذه الفترة نظم اتحادات عمال النقل ، والمناجم ، والخياطين ، وعمال السكك الحديدية ومن خلال نضاله البارز هذا كلفه الحزب بقيادة الحركة النقـابية البلغارية ، فأصبحمنذ عام١٩٠٩ السكرتير العام للاتحاد العام لنقابات العمال البلغارى ، وبقيادة ديمتروف تشكلت لجـان اضرابية فى كل بلغاريا بقيادة الحزب الاشتراكى ، وتمكنت النقابات الثورية من السيطرة على كثير من مواقع النقابات الاصلاحية .

وفى عام ١٩٠٩ اشـترك جورجى ديمتروف فى المؤتمـر الاشتراكى البلقانى ضد خطر الحرب ، وقد توصل هذا المؤتمر الى حل اشتراكى ديمقراطى للمسألة البلقانية ، بالدعوة للعمل على وضع حد للصراع القومى البورجـوازى الشوفينى وتحقيق الوحدة الوطنية فى حدود مشتركة لجمهورية فيدرالية بلقانية كبيرة ».

وبقيادة ديمتروف اشتد نضال العمال البلغار من اجل عطلة أيام الاحاد والاعياد ، وضد البطالة ، وضد سياسة الضرائب الحكومية ، ومن أجل المصالح اليومية المباشرة للجماهير الشعبية . وعبأ النقابات العمالية للنضال ضد تدخل الدولة الرجعية البورجوازية فى النضال الاضرابى للعمـال . وفى ١٩١١ وفى مواجهة هجوم من قبل الدولة على قانون عمل النساء والاحداث هذا القانون الذى كان يحقق حماية محدودة للنساء والاحداث العاملين فى الانتاج ، قاد ديمتروف نضالا نقابيا واسعا للمطالبة بانتخاب ممثلين عن المنظمات النقابية فى هيئة تفتيش العمل . وفى ١٩١٢ وجه النضال ضد محاولة الدولة منع العمال والعاملات الذين بلغوا الـ ٢١ عاما من التصويت للجان العمل التى تراقب تنفيذ عمل النساء والاحداث ».

نضـــال ضـــد الانتهازية

وفى هذه الفترة كتب ديمتروف العـديد من المقالات ضد الاتجاهات الاصلاحية والانتهازية والفوضوية فى الحـركة النقابية . وقد اكد فى مجموعة مقالاته تلك أن الطبقة العاملة لا يمكن أن تكتفى بالنضال الاقتصادى وحـده ، فالبروليتاريا تستطيع أن تحقق مهمتها التاريخية بتحطيم الراسمالية وانشاء مجتمع أشتراكى فقط بطريق النضال السياسى المكشوف ضد الطبقات السائدة . وكان دائما يوضح ان الفـوضوية بايدولوجيتها وتاكتيكاتها اتجاه مغاير للماركسية . ففى افتتاح النادى النقابى الثورى فى ١٩١١ قال : « **ان الفوضوية هى اداة فى أيدى البورجوازية** » وفى نفس الوقت الذى كان يشدد فيه النضال العملى والفكرى ضد الانجاهات الاصلاحية داخل الحركة النقابية ، كان — فى الوقت ذاته — يركز اهتماما بالغا على توحيد صفوف الحركة النقابية فالانقسام يفيد البورجوازية اكثر مما يفيد القوى الثورية ، لذلك طرح سياسة الجبـهة الموحدة مع الاصلاحيين البلغار داخل الحـركة النقابيـة ، وضرورة تكوين لجنة اضرابية عامة موحدة على أساس برنامج

طبقى . ولكن الاصلاحيين أحبطوا قيام مثل هذه الجبهة بسبب رفضهم برنامج العمل الطبقى . وقد حاول الاصلاحيون قتله فى ١٩١٠ لضراوة نضاله ضدهم .

أهمية وجود النقابات

وفى ١٩١٠ كتب ديمتروف كراسته عن « **الحركة النقابية فى بلغاريا** » والتى تدم فيها استعراضا لتطور بلغاريا الاقتصادى . وفى هذا الكراس يقول عن اهمية الوحدة العمالية داخل النقابات بغض النظر عن اى اختلافات داخل الحركة : « **ان الاختلافات فى المهن والقوميات والجنس والمعتقد تتراجع ولا تعيق أبدا هذا الجيش العمالى من أن يكون موحدا ، وان يسير فى طريق واحد وان يناضل باخلاص واحد ، من أجل حرية وسعادة الجميع** » .

وكتب عن أهمية وجود النقابات كأجهزة للصراع الطبقى يقول :

« **اننا اذ نقف وسط نيران مستعرة من النضال الضارى مع الرأسماليين والدولة من أجل فرض النقابات باعتبارها الممثلة والمدافعة الطبيعية الشرعية عن العمل والانتاج من أجل اوسع تحسين لوضع الطبقة العاملة ، والحصول على تشريع عمالى بالفعل تواجهنا فى اللحظة الحالية الحاسمة الهامة المفعمة بالامتحانات والنضالات ، مهمة السير بجراة وسرعة أكبر فى نفس طريق التنظيم الطبقى والتثقيف الاشتراكى والنضال المتفانى بدون هوادة ضد الرأسمالية وجميع مسانديها ، كأن تدرك فى منظماتنا حياة وجهود ونضالات الطبقة العاملة باسرها والا ندع زاوية واحدة من البلاد يجرى فيها استثمار عمل العامل ، ولا مؤسسة واحدة ولا عامل وعاملة ولا أسرة عمالية دون أن ينفذ اليها نور الاشتراكية «المتشددة» فيا ايها العاملات والعمال البلغار ، انضموا جميعا الى صفوف نقاباتكم العمالية تحت راية الديمقراطية الاجتماعية ، عن طريق التنظيم والتثقيف والنضال » نحو الحرية والسعادة »** .

العلاقات الاممية مع الحركة النقابية

وعمل ديمتروف منذ بداية نضاله فى المجال النقابى على ربط نضال العمال البلغار الطبقى بنضال العمال فى البلدان الاخرى ففى ١٩١٠ قاد حركة تضامن مع العمال السويديين المضربين وانشأ روابط مع الطبقة العاملة الامريكية ، وعن طريقه تلقى العمال البلغار المضربين فى ١٩١٠ مساعدات مالية من العمال الامريكيين كما قام بأعمال تضامنية مع الثوريين المنفيين فى سيبريا أيام القيصرية وفى ١٩١٢ دعا ديمتروف العمال البلغار الى مساعدة عمال المناجم الانجليز المضربين ونظم حملة جماهيرية لجمع التبرعات لهم . كما عبأ النقابات البلغارية للتضامن مع النقابات السويسرية والاسبانية . وقاد ديمتروف فى المجال النقابى الاممى نضالا ضد اصلاحيى وانتهازيى الاممية الثانية ومن داخل أممية امستردام قاد بصفته سكرتيرا عاما للاتحاد العام للنقابات العمالية البلغارية نضالا ضد النقابات الاصلاحية البلغارية ، وقد توصل هذا النضال الى أبعاد هذه النقابات فى ١٩١١ .

وخلال الحرب العالمية الاولى اتخذ ديمتروف نفس الموقف اللينينى ، فوقف ضد الاممية الثانية التى وقف قادة الانتهازيون الى جانب بورجوازية بلدانهم ، ورفع شعار تحويل الحرب الامبريالية الى حرب أهلية . وعندما دخلت بلغاريا الحرب فى ١٩١٥ كرس ديمتروف كل جهده بصفته الحزبية وبصفته كسكرتير لاتحاد النقابات لكسب الجماهير العمالية الى الحركة من أجل الاتحاد الاشتراكى البلقانى والذى كان يعمل من أجل منع الحرب فى البلقان وبسبب نشاطه المعادى للحرب طرد من رومانيا وسجن لمدة ثلاث سنوات فى بلغاريا .

وبعد نهاية الحرب ، عاد ديمتروف الى قيادة وتنظيم الحركات الاضرابية على نطاق بلغاريا كلها — وفى آخر ١٩١٩ قاد اضرابا سياسيا عاما لمدة ٥٥ يوما ، وقد عبأ العمال لهذا الاضراب وقال : « **على البروليتاريا فى جميع ميادين الانتاج والمهن ان تجابه البورجوازية المتراصة ودولتها العسكرية البوليسية باتحادها الطبقى فى نقابات موحدة وفى حزب سياسى موحد تحت راية الشيوعية** » .

ولم يتوقف نضال ديمتروف النقابى الجماهيرى رغم لجوء الحزب الشيوعى البلغارى الى السرية وازدياد موجات الارهاب والرجعية واشترك فى المؤتمر الثالث للاممية فى ١٩٢١ وبعد انتهاء هذا المؤتمر بدأ فى تنظيم الاممية النقابية الحمراء واصبح فى مجلسها المركزى .

ليس هناك طريق وسط

ولقد صاغ ديمتروف فكره عن النقابات فى عديد من المقالات والكراسات . كتب منتقدا الروح النقابية الضيقة التى تقصر النضال النقابى على النشاط المهنى والاقتصادى ، فكتب أن الاصلاحيين يفعلون ذلك بسبب : « **العجز عن رؤية العلاقة المباشرة الموجودة بين ظروف عمل العمال فى الانتاج ، وبين التنظيم السياسى وتنظيم الدولة فى المجتمع الرأسمالى . ان هذه النقابات ومثالها التقليدى نجده فى النقابات البريطانية تحبس نفسها فى قوقعتها المهنية ، تتجنب باستمرار اى مشاركة فى المعارك السياسية وفى سياسات الامة بشكل عام ، ويحصرون انفسهم فى نطاق المشاكل التى تخص مهنتهم . وهذا ، بالطبع لا يحول بينهم وبين استخدامهم استخداما كاملا اما مباشرة او غير مباشرة لصالح الاهداف السياسية للبورجوازية** » (٢).

وفضح ديمتروف المحتوى البورجوازى للفكر الذى يدعو الى « حياد » النقابات ، وأكد أنه فى كل الظروف التاريخية والموضوعية ، لم يعد هناك مكان فى عصرنا لما يسمى بالحياد السياسى — حياد النقابات حيال الاحزاب السياسية والصراعات السياسية . كتب ديمتروف يقول : « **ان الحياد النقابى كان دائما فكرة بورجوازية وتحت ستار الحياد السياسى ، فان البورجوازية وعملاءها فى الحركة العمالية (الجناح اليمينى للاشتراكية الديمقراطية) و «أصدقاء» العمال العديدين والاصلاحيين الاجتماعيين ، حاولوا ابعاد النقابات عن الصراع الطبقى للبروليتاريا ، وتحويلها الى أدوات للابقاء على حكم الرأسمالية** » .

---

(١) جورجى ديمتروف ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ — الطبعة العربية — صوفيا — دار النشر باللغات الاجنبية .
(٢) مختارات ديمتروف — الجزء الاول ص ١١٦ — الطبعة الانجليزية — صوفيا .

« وفى الواقع ، فان نقابات العمال لم تكن أبدا فى أى « بلد » محايدة . ويشهد على ذلك كل تاريخ الحركة العمالية . فنقابات العمال كانت دائما اما مخلصة لقضية البروليتاريا وتناضل باصرار ضد الرأسمالية ، تاخذ دورها بشكل أو آخر فى الصراعات السياسية لصالح البروليتاريا أو أنها كانت — مباشرة أو غيرمباشرة — وبشكل أوبآخر، فى خدمة البورجوازية ، سامحة للاحزاب البورجوازية أن تستخدمها فى صراعاتها الداخلية حول امتيازات السلطة ، وغالبا فى نضالها ضد حركة تحرير البروليتاريا ذاتها » [٣) .

وكتب كذلك : « انه لتصبح النقابات محايدة اليوم فى موقفها من الحزب السياسى للبروليتاريا يعنى انه تكون تابعة للبورجوازية وفى خدمة بعض أحزاب البورجوازية . انه لتصبح النقابات محايدة حيال الثورة العمالية فانها تصبح أدوات تساعد البورجوازية المضادة للثورة . اما مع العمال — ضد راس المال ، أو مع راس المال ضد العمال » اما الى جانب الثورة ، أو فى المعسكر المضاد للثورة » ليس هناك طريق وسط » (٤) .

وكتب ديمتروف عن انتهازية القيادات النقابية فى البلدان الرأسمالية الكبيرة خلال الحرب — وكيف وضعت نفسها ونقاباتها فى خدمة الامبريالية نتيجة تبنيها للسياسة المسماة بالحياد النقابى : « لقد وضعت النقابات البريطانية نفسها تماما فى خدمة سياسة الامبريالية والعدوان ، سياسة بورجوازيتها . لقد حاولوا وقف جميع الاضرابات ، أجلوا تطبيق شروط عقود العمل الجماعية ، وعملوا بكل قوة لتأكيد أوسع تطور ممكن لصناعة الحرب . وقدموا عددا كبيرا من المتطوعين من بين صفوفهم وافتتحوا مكاتب خاصة لتجنيد المتطوعين للجيش البريطانى ، وعندما أجيزت الخدمة العسكرية الاجبارية فى بريطانيا — وحيث لم تكن موجودة من قبل — فانهم لم يعارضوها ، ولكنهم رحبوا بها كمبادرة من قبل لويد جورج كوسيلة هادئة لسحق العسكرية البروسية » .

« وكما أن النقابات الالمانية من جانبها وعلى رأسها القائد الاشتراكى الخائن الذائع الصيت ليجين ، ومع عديد من العمال البيروقراطيين الفاسدين ، أعلنوا أن الحرب التى تشنها الامبريالية الالمانية ضد الحليف السابق [انجلترا) هى فى نفس الوقت حرب من اجل وجود الطبقة العاملة فى المانيا ، فانه لو هزمت المانيا فى هذه الحرب ، فانها ستفقد حتى مستعمراتها القليلة التى تمتلكها — بالمقارنة ببريطانيا العظمى ، فان ذلك سيحرم الصناعة الالمانية من المواد الخام التى تحتاجها ، وطرقها الى التجارة الدولية سوف تغلق ، الامر الذى سيقودها الى الانهيار الكامل — ومعها الطبقة العاملة الالمانية التى سوف تتحول من مصدرة للسلع الى مصدرة للناس الاحياء — قوة العمل — » ٥] .

وداخل دولية النقابات الحمراء كان لديمتروف دور بارز فى برنامج عمل لنقابات العمال الثورية ، وصياغة الفكر اللينينى ضد الانعزالية اليسارية التى كانت ترفض العمل داخل النقابات القديمة . وفى خطاب له فى صوفيا فى نوفمبر ١٩٢١ قال معلقا على نتائج المؤتمر الاول لدولية النقابات الحمراء : « لقد أقر المؤتمر الاول لدولية النقابات الحمراء برنامجا للعمل لنقابات العمال الثورية فى كل البلاد . وقد صمم على ضرورة البقاء فى النقابات القديمة ، والعمل من أجل أن تصبح ثورية ، وكذلك العمل ضد الانفصالية القومية فى الحركة النقابية ، ضد الوفاق الطبقى والتهادن مع البورجوازية . ومن ناحية أخرى قدم شعار اممية صراع النقابات ، وذلك حتى لا تترك البروليتاريا تسحق ببطء ، ورفع شعار جبهة متحدة للبروليتاريا فى كل البلاد للدفاع عن مصالح العمال وضد الراسمالية » (٦) .

الكفاح ضد الفاشية

وفى مرحلة الكفاح ضد الفاشية — صاغ ديمتروف فكره عن ضرورة قيام الجبهة المتحدة على نطاق الطبقة العاملة — وذلك باعتبار أن تحقيق الوحدة على نطاق الطبقة العاملة تمثل العمود الفقرى لمنع الفاشية من التقدم ولسحقها والاطاحة بها . قال ديمتروف فى المؤتمر السابع للدولية الثالثة : « ان الشىء الاول الذى يجب عمله ، والذى يجب عمله باى ثمن فورا هو اقامة جبهة متحدة ، اقامة وحدة كل العمال فى كل مشروع ، فى كل اقليم ، فى كل حى ، فى كل بلد ، فى العالم كله . العمل الموحد للبروليتاريا على النطاق القومى والعالمى — هذا هو السلاح القوى الذى يجعل الطبقة العاملة قادرة ليس فقط على شن دفاع ناجح ، ولكن كذلك لشن هجوم مضاد ضد الفاشية، ضد العدو الطبقى » (٧) .

وقد أوضح ديمتروف خطر الفاشية على الحركة النقابية الطبقية باعتبارها نظام كامل لسيطرة البورجوازية وديكتاتوريتها ، وقد أوضح ذلك أمام المؤتمر الرابع للاممية النقابية عام ١٩٢٨ بقوله : « ينبغى أن يكون واضحا لنا تماما ، ان الفاشية ليست ظاهرة محلية ، وقتية أو انتقالية . انها نظام كامل لسيطرة البورجوازية طبقيا ولدكتاتوريتها فى عصر الامبريالية والثورة الاجتماعية . ان خطر الفاشية على البروليتاريا وعلى الحركة النقابية الطبقية هو خطر دائم متزايد » .

ان سيطرة الفاشية التى انتقلت الى الهجوم على النقابات وتحطيم الحركة النقابية الطبقية هى ضرورة حيوية بالنسبة اليها . انه لا يمكن تصور ديكتاتورية البروليتاريا بدون النقابات الطبقية ، كذلك من المستحيل قيام ديكتاتورية الفاشية مدة طويلة . بدون ان تخضع لها [فى شكل أو آخر) البروليتاريا والفلاحين ، وبالدرجة الاولى بدون القضاء على الحركة النقابية الطبقية [٨) .

لقد صاغ ديمتروف كقائد نقابى الفكر الطبقى للعمل النقابى وفق الاسس والمبادىء اللينينية . ويعتبر فكره وكتاباته عن الحركة النقابية من أهم الصياغات النظرية فى التراث الماركسى — اللينينى المتعلقة بالعمل النقابى . ومازال فكره يحتفظ بحيويته فى مجال النشاط النقابى العمالى يضىء طريق النضال والعمل من أجل توحيد الطبقة العاملة، على كل من النطاق المهنى والقطرى والامى .

---

(٣) نفس المرجع السابق صفحة ١٢٨
[٤] نفس المرجع السابق صفحة ١٢٩
(٥) نفس المرجع السابق صفحة ١٢٠
[٦] نفس المرجع السابق صفحة ١٥٩، ١٦٠
(٧) جورجى ديمتروف والجبهة المتحدة — ايليا اكبليوفسكى — ص ١١ — الطبعة الانجليزية — صوفيا .
[٨] جورجى ديمتروف — ص ١٠٤ — الطبعة العربية — صوفيا .

القاهرة

المشكلات العامة للمدينة والعاصمة

■ اتساع قاعدة الصناعة ، وتزايد الهجرة من الريف الى المدينة ، كل هذا فى غياب التخطيط قد واجه المدينة ، والقاهرة بوجه خاص بمشكلات تتطلب حلولا ملحة ، وعلمية . وفى هذه الايام تطرح قضية تخطيط العاصمة من اكثر من زاوية . ومقال الدكتور محمد رياض هو مساهمة فى البحث عن حلول جادة . ■

د. محمد رياض

لقد نمت مدينة القاهرة خلال السنوات الخمسين الماضية بسرعة كبيرة مما أدى الى أن تصبح مشكلات المدينة اكبر من الحلول المقدمة من هنا وهناك . واعتقد أنهناك اجماعا على أن أى حل جذرى لمشكلة مدينة القاهرة لن يتم الا اذا اتخذت خطوات لتنفيذ خطة ذات جرأة غير معهودة .

ان القاهرة ـ كغيرها من مدن العالم الكبرى ـ تعانى من مشكلات مختلفة معقدة ومركبة . وبرغم أهمية الافادة من الحلول والتجارب التى تتخذ فى مدينة أو اخرى الا انه لا يفيد اطلاقا حل مشكلة معينة فى مدينة ما تطبيقه بكامله على مدينة اخرى تعانى المشكلة ذاتها لاختلاف الابعاد الحضارية فى أى مدينتين مهما كانتا فى دائرة قومية واحدة . ومن ثم فانه يلزم لكل مدينة دراسة خاصة وعميقة للتعرف على جميع خصائصها المادية والمعنوية على المستويين الافقى (المكان) ، والرأسى (الزمان) . كما أنه يفيد أيضا أن نتعرف على مكان المدينة المعنية بين المجموعات التى تقسم اليها مدن العالم ، لان تصنيفها يعطى الباحث ملخصا سريعا لخلفية المدينة التاريخية ، والاقتصادية ، ومن ثم تتضح مؤشرات النمو والركود للمدينة .

القاهرة بين مدن العالم

تنقسم مدن العالم بصفة عامة من حيث المشكلات المترتبة على المكان والتاريخ والوظيفة الاقتصادية والسياسية والمقومات الحضارية العاملة الى مجموعتين رئيسيتين :

١ ــ مدن العالم المتقدم : عبارة عن الحزام الشمالى للمدن الذى يمتد من شواطىء الاطلنطى الشمالية فى اوربا وامريكا ، وعبر الاتحاد السوفيتى الى اليابان ومنها الى مدن الشاطىء الغربى لامريكا الشمالية . وهذه فى مجموعها تتميز بالحداثة النسبية وبقوام العصر الصناعى حضاريا واقتصاديا .

٢ ــ مدن العالم النامى والمتخلف : وما زالت فيها كل صراعات الريف والمدينة حضاريا واقتصاديا وتنقسم الى حزامين :

(أ) الحزام الاوسط الممتد من البحر المتوسط فى شمال افريقيا واطراف اوربا الجنوبية الى الشرق الاوسط والهند والصين واندونيسيا .

(ب) الحزام الجنوبى ويمتد فى بقية افريقيا وامريكا اللاتينية واستراليا .

والاختلاف الجوهرى بين الحزامين الاوسط والجنوبى راجع الى أسباب كثيرة على رأسها العمق الزمنى لمدن الحزام الاوسط مقارنا بالحداثة

المتناهية لمدن الحزام الجنوبي . وفوق هذا فان الحزام الاوسط بمكانه الجغرافى كان مركزا لكافة الحضارات القديمة من المصرية الى الصينية ، ومنه انتقلت موجات حضارية الى النطاقين
٢ الشمالى والجنوبى طوال تاريخ الانسانية ، واليه انتقلت الموجة الحضارية الصناعية الحديثة من الحزام الشمالى فأثارت فيه تلك الاضطرابات العنيفة الاقتصادية والمدينية الحالية .

واذا صح هذا عامة على الحزام الاوسط ، فانه شديد الانطباق على الشرق الاوسط ، الذى هو منتصف العقد فى الحزام الاوسط ، وملتقى تيارات العالم القديمة والحديثة على السواء . واهم ما يتميز به الشرق الاوسط هو النمط الواحى فى الاستقرار سواء كان ذلك فى صورة الواحة المعروفة من تركستان الى الصحراء الكبرى ، أو فى صورة عقود متصلة من الواحات على ضفاف الانهار القصيرة والطويلة وعلى رأسها النيل ودجلة والفرات .

ولندرة الارض المنتجة فى مثل هذه الظروف الواحية ، فان مواقع المدن كادت ان تثبت فى أماكنها دون تغيير الا فى حالات شاذة . وقد ساعد ثبات الموقع على تعقد تاريخ المدينة فى الشرق الاوسط لطول اعمارها ولتداخل انماط المعمار والخطط العمرانية تداخلا يماثل التعايش والتكيف الذى حدث فى حضارة هذا الاقليم حينما استوعبت وهضمت جوانب حضارية وافدة ، وابقت على كثير من جوانب الحضارة السلفية .

ثنائية القاهرة

وتمثل القاهرة كل هذه الخلفية التاريخية والمكانية للمدن فى الشرق الاوسط خير تمثيل . وهى الى جانب تاريخها الطويل تعكس التطورات التى أدت اليها استقبالات عصر النهضة المصرية خلال القرن التاسع عشر ، ومضمون الحضارة الصناعية خلال القرن الحالى . وقد أدت التغيرات السياسية والاقتصادية فى مصر خلال الفترة من اواسط القرن الماضى الى اليوم الى نمو سريع ومستمر لقاهرة الحضارة الصناعية فى اطار لم يتجاوز التجاور المكانى للقاهرة القديمة خلال الاعوام المائة الماضية ، لهذا كانت ثنائية القاهرة واضحة ، يرمز اليها وجود السوق القديمة (بازارات خان الخليلى ومحلات التربيعة والموسكى الخ) والسوق الحديثة (البلد بمفهوم القاهرى) .

القاهرة القديمة

وبرغم التجاور المكانى فان كل شىء فى القاهرة القديمة والجديدة مختلف تماما . فخطة المدينة القديمة لا تخضع لتصنيف : الطرق والحارات المتعرجة الضيقة المسقوفة فى احيان كثيرة تعبر عن تكيف امثل لنهار قائظ معظم أيام السنة . معمار سكنى قديم خطته الاساسية الانفتاح على الحوش الداخلى والانغلاق عن العالم الخارجى بأسوار وبوابات تعبيرا عن نمط العائلة القديم الذى يسيطر فيه الرجال على عالم المرأة . او « الارباع » الضخمة التى تأوى عددا كبيرا من الاسر كادت ان تصبح عشائر مستقله يربط اعضائها التصاهر والتزاوج ، وتنغلق بأسرارها عن العالم الخارجى . تقسيم مهنى لاحياء المدينة يجعل منها عوالم ميكروكوزمولوجية منفصلة عن بعضها نفسيا وسلوكيا وفنيا مستندة فى ذلك الى أسس نشاط اقتصادى وممارسات حرفية مختلفة بين الحى والاخر ، مركز استقطاب كبير لهذه المدينة كلها يمثله الجامع الازهر كرمز للدين الذى يجمع الناس بصلاحياته الاجتماعية الواسعة فى مواجهة القلعة كمركز للحكم .

القاهرة الجديدة

أما القاهرة الجديدة فقد تميزت بشوارع مستقيمة وعمائر عالية واسواق مفتوحة وشقق تأوى اليها اسر نووية لم يعد فيها محل للعائلة التقليدية . ولم تعد الاحواش متنفسات المدينة الداخلية ، بل ظهرت الحدائق كضرورة بديلة للحوش ، وبذلك انهارت العشائرية والانغلاقية وظهرت محلها روابط اجتماعية اخرى مبنية على الاختيار الحر بدلا من الروابط التى كانت مفروضة بحكم علائق الدم والنسب والجوار .

ولم تعد هناك احياء ذات نشاطات اقتصادية موحدة يسكن داخلها غنيها وفقيرها جنبا الى جنب ، بل احياء جديدة للقاهرة الجديدة صنفت الناس تصنيفا آليا على اساس قدراتهم المالية . فأصبحت هناك احياء الفقراء والوسطاء والاغنياء ، ولكل منهما سمات اشد اختلافا فى كل مظاهر الحياة المادية واللامادية مما كان فى احياء المدينة القديمة . واصبح الاستدلال على مهنة الشخص من عنوان سكنه أمرا صعبا عكس ما كان فى القاهرة القديمة ، بينما اصبح الاستدلال على مستوى الشخص المادى من عنوان سكنه امرا سهلا فى القاهرة الجديدة .

وحلت تنظيمات اخرى محل ما كان سائدا : نقابات ونواد لطوائف العمل وطبقات الناس ، وبعدت طبقات الناس عن بعضها البعض باختلاف مصالحها ، وبعد الناس مكانيا وواقعيا من تأثيرات الاستقطاب الكبرى للازهر بحلول الكثير من التنظيمات الاجتماعية الاقتصادية المنبعثة من حضارة العصر الصناعى ، وبعد الحكم عن القلعة والقصور الى التنظيمات السياسية والاقتصادية الحديثة المعبرة أيضا عن ضرورات وملزمات العصر الصناعى .

غزو القاهرة القديمة

وقد ظلت الثنائية فى القاهرة واضحة الى حوالى نصف قرن مضى ، وما تزال الثنائية ظاهرة فى عدد من الاشكال ، لكن الكثير من التغير قد طرأ على القاهرة القديمة نتيجة الغزو الحضارى الاجتماعى الاقتصادى من جانب القاهرة الجديدة ، وفى الحقيقة لم تعد القاهرة القديمة تحتفظ من قدمها الا بالشكل المادى : الطرق المتعرجة والبيوت المتهالكة وبعض الحرفية القديمة ، الى جانب آثارها الاسلامية الرائعة ، هجرها اغنياؤها ، ولم تدخلها الخدمات الحديثة الا بأقل القليل ، وبعبارة قصيرة لم تصمد القاهرة القديمة للغزو وسقطت الى مجرد حى فقير من احياء القاهرة الجديدة نتيجة عدم التعادل فى القوى الاقتصادية الاجتماعية بين القديم الحرفى العائلى السمة والحديث الالى الاسرى السمة ، بل ان القاهرة الجديدة قد نجحت فى تغيير وظيفة المدينة القديمة فحولت جزءا من المدينة القديمة لتجارة الجملة كخلفية تخدم اسواق القاهرة الجديدة ،

طرق غزو القاهرة القديمة

وقد كانت اهم وسائل غزو القاهرة القديمة رأس الحربة التى شقت القاهرة القديمة شطرين : انشاء شارع الازهر بعد سنة ١٩٢٠ بعرض ٢٠ مترا (وقد اثار انشاء هذا الشارع وشارع الجيش الحالى اعتراضات كثيرة انذاك لكثرة التعويضات التى بلغت ٣٠٠ ألف جنيه) ، وبدخول المواصلات الحديثة الى شارع الازهر قضى على الموسكى والسكة الجديدة (التى انشأها محمد على بعد ١٨١٥ بعرض ٤ امتار)، واصبح شارع الازهر مركز تجارة الجملة وتنافست المحال الكبيرة للحصول على واجهة تطل على هذا العالم الجديد ، بقى الموسكى والسكة الجديدة لكن كشارع اعمال من الدرجة الثانية ،

كذلك كان لانشاء شارع الجيش الحالى (الامير فاروق سابقا ـ من العتبة الى الحسينية) اثر كبير فى تقطيع اوصال القاهرة القديمة فى الشمال وفصل باب البحر والفجالة والرويعى عن باب الشعرية والنحاسين ، وأدى الى تدهور شارع الخليج (الذى ردم ١٨٩٩) الذى كان يلتوى داخل المدينة القديمة ، ولم تعد له اهميته فى شبكة شرايين القاهرة الحديثة الا بعد ان استقام هو الاخر (قدر المستطاع) والتحم بعدد من الشوارع الضيقة الموازية (درب الجماميز ـ جامع البنات ـ بين الصورين ـ الخ ٠٠) ،

وكان شق شارع القلعة (محمد على) قد سبق ذلك بكثير (بدايات الطريق منذ عهد محمد على وتم فى عهد اسماعيل) وقد ادى الى تقطيع المدينة القديمة فى الجنوب ، فاصلا بين السيدة وطولون والحلمية فى جانب وباب الوزير وسوق السلاح والخيامية فى جانب آخر ، لكن شارع محمد على لم يؤد الى النتيجة التى انتهى اليها شارع الجيش ، ذلك ان شارع القلعة ـ بعد ان نزل الحكم من القلعة الى قصور القاهرة الجديدة ـ اصبح شارعا لايقود الى مكان ذى اهمية فى الحياة السياسية اليومية ، وفضلا عن ذلك فهو يقود الى طريق مسدود بواسطة بروز جبل المقطم فى هذا الهامش الجنوبى من القاهرة ، والى المقابر الشاسعة فى الامام الشافعى ، والى محاجر وتلال عين الصيرة ومصر القديمة ، اما طريق الجيش فقد كان يقود القاهرة الى جبهة توسع عمرانى هائلة شمالا بشرق الى العباسية ومصر الجديدة ونصر والقبة ، وهذا هو اتجاه التوسع العمرانى الذى تحابيه مجموعة الظروف الطبيعية والبشرية فى اقليم القاهرة ،

واخيرا حاصر طريق صلاح سالم القاهرة القديمة من الشرق ، وسقطت عزلة آخر مواقع الحفاظ على القديم التى كانت تنزوى فى احياء باب الوزير والباطنية والدراسة والجمالية تحت تلال الدراسة وفى ظلال حمايتها ،

القاهرة اليوم

هكذا ارتبط مصير القاهرة القديمة بالتغير الاقتصادى الاجتماعى الذى دخلته مصر منذ الربع الثانى من هذا القرن ، وفى خلال السنوات الخمسين الماضية انطلقت القاهرة الجديدة انطلاقة هائلة عبر كل العوائق الطبيعية والبشرية ، وكانت وسيلة هذا الانطلاق الطرق المستقيمة الطويلة والكبارى ، واقدم هذه الطرق المستقيمة شارع شبرا (شق ١٨١٥ ليصل الى قصر محمد على) ، وكونت شوارع القلعة والازهر والجيش والتحرير والقصر العينى وبولاق (٢٦ يولية) ، الشبكة الهيكلية لنمو القاهرة صوب حقول الشمال الى شبرا الخيمة ومسطرد والمطرية ، وصوب رمال الشرق الى العباسية ومصر الجديدة ونصر ، وصوب الجنوب عبر الشريط الزراعى الضيق الى المعادى وحلوان والتبين ، وصوب الغرب عبر النيل الى الجيزة والهرم وبولاق الدكرور وامبابة .

هذه الانطلاقة الجبارة قد فجرتها عدة عوامل على رأسها المركزية المطلقة التى تمارسها القاهرة على كل اشكال الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية فى مصر ، وقد عبرت عن تلك المركزية اصدق تعبير استحواذ القاهرة على اكبر قدر من الهجرة الداخلية فى مصر (٥٠ فى المائة من مجموع الهجرة ١٩٦٠ الى القاهرة والجيزة معا مقابل ١٣٫٥ فى المائة للاسكندرية) ،

وقد نقل المهاجرون عددا من الاشكال الحضارية

الى احياء تكاد ان تقتصر على مهاجرى آقليم معين او محافظة معينة • وبذلك اخذت مناطق كثيرة من القاهرة « تتريف » بعد ان كانت القاهرة القديمة مقصورة على القاهريين فقط (اولاد البلد) •

ونتيجة لهذا اصبحت القاهرة منطقة اختلاط وتضارب فى المفهومات وبعض الممارسات الاجتماعية وربما بعض الممارسات اللغوية نتيجة للتركيب الحضارى للسكان • وأصبح فى الامكان أن نقسم سكان القاهرة الى ثلاث فئات عامة هى :

١ ـ أولاد البلد : القاهريون القدماء

٢ ـ القاهريون : أبناء القاهرة الجديدة منذ أواخر القرن الماضى

٣ ـ القاهريون المحدثون : المهاجرون الى القاهرة من الدلتا والصعيد منذ الثلث الثانى من هذا القرن •

وهناك عوامل كثيرة اجتماعية واقتصادية تسعى الى تسوية الفروق بين هذه التراكيب المدينية الثلاثة فى القاهرة • لكن شيوع التعليم الحديث فى القاهرة يقوم بالدور الاول والاساسى فى هذه التسوية • الا أن ذلك سوف يأخذ وقتا لا بأس به قبل أن يصبح الكل قاهريين مدينيين ـ وان كان ذلك يتطلب أيضا تحديد تيار الهجرة الى القاهرة الى حدود ضيقة •

مشكلة القاهرة الكبرى

هذا باختصار شديد ما حدث خلال هذا القرن لكى تصبح القاهرة حقيقة شديدة البروز فوق خريطة مصر • فقد امتد المجمع المدينى الكبير امتدادات شاسعة (بالنسبة لمساحة المجال العمرانى الضيق فى مصر) • ولم يعد لهذه المدينة نظير ـ من قريب أو بعيد ـ فى مصر والشرق الاوسط وافريقيا ، ليس فقط من حيث المساحة ، ولكن من حيث محتواها المكتظ بملايين النـاس ومئـات المشكلات الاقتصـادية والاجتمـاعية والتموينية والتعليمية والصحية ، وعشرات الالاف من المشكلات اليومية على رأسها آلام الانتقال اليومى فى الشوارع الاساسية من حيث الاختناق وفوضى المرور لاسباب تخلف الشوارع عـن مواصفاتهاالحقيقية ، وتخلف حضارى عند معظم الناس يسبب قصورا عن الاستخدام الامثل لوسائل النقل المختلفة فى ظل ظروف المدينة الحديثة •

وفى مقابل هذه المشكلات الكثيرة لم تقدم الدولة والجهاز الادارى المختص بالقاهرة ما يجب أن يتم من خلال خطة متكاملة تخدم مستويات زمنية متصاعدة • بل كانت الحلول غالبا وقتية وجزئية دون مساس بالجوهر أو احاطة بالشمول • وكان انشاء لجنة القاهرة الكبرى عملا جيدا مـن الناحيتين النظرية والعملية • وان كان الحكم على أعمال هذه اللجنة ـ من ناحية الشمول وليس الجزئيات ـ ينبنى على الخريطة التى قدمتها لحل مشكلة القاهرة بواسطة انشاء مدن جديدة صغيرة فى صورة حلقة حول القاهرة لتستوعب الزيادة المستمرة فى سكان ونشاط القاهرة ، فاننى أرى أن هذا العمل لا يشكل الحل الامثل لمشكلة القاهرة • ذلك انه فى الواقع ـ وبغض النظر عن الصعوبات التى تواجه انشاء حلقة المدن الاضافية فى مواقع صحراوية ـ فان النتيجة النهائية هو خلق مشكلة قاهرة أكبر من الكبرى ، وأعقد من الحالية • فطبيعة العمران المدينى أن يزحف تجاه بعضه طالما كانت المسافات غير بعيدة وعوامل النمو مستمرة التأثير • ومن ثم سوف يزحف العمران من القاهرة صوب المدن الاضافية القريبة ، والعكس صحيح باعتبار أن المدن الاضافية سوف تنظر دائما صوب القاهرة بما فيها من مراكز القوة والجذب ، وتعطى ظهرها لجبهات التوسع التى يجب أن تكون بعيدة كل البعد عن المجال المغناطى للقاهرة •

النمو الانفجارى للمدن

ليست كل المدن متساوية فى درجة النمو لسبب أو آخر ، كما ان درجات نموها ليست ثابتة على المقياس الزمنى • ومن اهم اسباب ذلك ، ١ ـ موقع وموضع مدينة ملائم أو غير ملائم فى الماضى أو الحاضر ، مستجيب أو غير مستجيب لتطورات الحضارة ومبتكرات الالة وشبكة المواصلات ٢ ـ انشطة اقتصادية نامية أو خامدة أو كامنة تتفجر مع تغيرات جذرية فى تكنولوجية الانتاج ونظريته ٣ ـ نمو أو سقوط الوظيفة الاساسية للمدينة لتغيرات جذرية فى الوضع العام السيـاسى والادارى والاستراتيجى والاقتصادى والثقـافى للمدينة ، وهناك عوامل أخرى تشارك بدرجات متفاوتة ، تبرز بعضها أحيانا من لا شىء (مثل مدن البترول والتعدين عامة) • ومجموع هذه العوامل تحدث على مر الزمن التغيرات التى تطرأ على المدن فى نموها أو ثباتها أو تدهورها أو عودتها الى مقدمة الحياة فى الاقليم مرة أخرى فى صورة يشارك فى تكوينها نظريتى دورة الحياة وعدم فناء المادة . وقد مرت القاهرة بهذه المراحل وعادت الى رأس الحياة المصرية مرات عدة أبرزها العودة فى العهد المملوكى بعد الركود الفاطمى والعودة فى العصر الحديث بعد الركود العثمانى •

وحينما تتفق الظروف التى تدعو مدينة الى النمو فان المدينة تظل تنمو الى أن تصل الى اقرب تلاؤم مع الظروف السائدة • فاذا لم تتغير ظروف ودوافع النمو فان نمو المدينة يكاد أن يتوقف ، بل ويصبح للمدينة مجال سلبى يؤدى بصفة عامة الى طرد الفائض من النمو الطبيعى للسكان الى أماكن الجذب الاخرى • لكن هذه الحالة المثالية قلما كان لها نظير فى الواقع الا لفترات زمنية محدودة • فالمدينة اما أن تنمو أو تنكمش • ذلك لان دوافع النمو المدينى عبارة عن تركيب حى صفته الاساسية

ديناميكية دائمة نتيجة للتغير الدائم فى ترتيب مواضع العوامل والدوافع وكمها داخل هذا التركيب الحى . ومن ثم فان المدن فى حركة مستمرة :

وحينما تزداد كثافة عوامل النمو فى مدينة ما فان نمو المدينة يظل سائرا دون توقف الى أن تبلغ المدينة حجما معينا ليس له قياس فعلى بالمعنى المادي أو الرقمي لان لكل مدينة مقياسها الخاص بالارتباط بظروفها الحضارية والتكنولوجية . حينما يتم ذلك نجد تغيرا كيفيا يطرأ على المدينة ، فبدلا من أن تعتمد المدينة فىنموهاعلىمجموعة العوامل والدوافع والظروف المستمدة من المكان والمستوى الحضارى والتكنولوجي والخلفية التاريخية ، يصبح للمدينة قوانينها الخاصة التى تفرضها على مجموعة عوامل النمو السابقة . وبعبارة أخرى تنعكس الصورة نظريا ويصبح للمدينة تأثيرا على مؤثرات نموها .

تبنى المدينة لنفسها « روح » ، أو تصطنع لنفسها « قلب » يحولها الى « كينونة » ذاتية القوانين . ويصبح لهذه الكينونة نهم شديد للتوسع واجتذاب المزيد من البشر بصورة طاغية تؤثر بوعى وبلا وعى على الاختيار « الارادى » للمخططين والمستثمرين وجميع الاعمال والوظائف التى تمارسها المدن . ويصبح الجميع أسرى لهذه الطاقة الذاتية للمدينة لا يستطيعون الخلاص من سطوة تأثيرها ولا يفكرون الا من خلال ما تفرضه المدينة الطاغية منمشكلاتتدعوهم الىاصلاحات وحلول جزئية ووقتية .

وفى الغالب لا يتاح لكل مدن الدولة أو مدن أقليم من اقاليم الدول ذات المساحة الواسعة مثل هذا « الطاغوت » ، انما يحدث غالبا لمدينة واحدة تستقطب النمو وتؤدى الى ايقاف أو بطء النمو فى المدن الاخرى بحيث تصبح قزمية النمو الى جوار المدينة العملاقة .

ولسنا نعرف على وجه التحديد الى أين يقود النمو الذاتى لمثل هذه المدن المتسلطة . وأغلب الظن انه يقود الى « انفجار » — اذا شئنا استخدام هذا الاصطلاح غير العلمي — يشتت المدينة ويقضى عليها نتيجة للتغيرات الكمية والكيفية فى حجم المدينة رقعة وسكانا ونشاطا ، التى تزيد من المصاعب فى مستوى أداء وظائف المدينة وفى تركيب المدينة اجتماعيا وصحيا وأمنا وادارة ، التى تؤدى الى تناقضات كبيرة بين الترف والفقر فى احياء المدينة والى مزيد من البيروقراطية والمركزية .

ولا توجد لدينا أمثلة عن مثل هذا الانفجار لمدن حديثة ، وان كان أقربها الى هذه المرحلة طوكيو ونيويورك . ولعل روما الرومانية وبغداد الاسلامية من الامثلة على انفجار المدن العملاقة فى الماضى المؤرخ ، وساعد على انفجارها مركزيتها المطلقة للعالم المعروف ورخاؤها وترفها الخيالى وتعفن تركيب قياداتها ، وعوامل أخرى خارجية عسكرية ودينية وقبلية .

وليس من الضرورى أن تبلغ المدن حدا موحدا تدخل بعده مرحلة الانفجار . ذلك أن هناك ارتباطا كبيرا بين المدينة الواحدة وخلفيتها الحضارية والتكنيكية يجعل لمرحلة الانفجار فى كل مدينة مقياسا خاصا بها . فما يصدق على طوكيو لا يصدق على القاهرة . ومن أهم المقاييس التى يمكن أن تؤخذ مؤشرا على ذلك أن يصبح الوفاء بخدمات المدينة الاساسية أمرا بالغ الصعوبة . مثلا مشكلةامداد المدينة بالمياه،أو مشكلة الانتقال داخل المدينة ، وكلتاهما من المشاكل التى تواجه كثيرا من مدن العالم الكبرى فى الوقت الحاضر . وقد استطاعت طوكيو أن تجد حلولا لمشكلة المياه حتى تعدى سكانها عشرة ملايين ، ثم أصبحت بعد ذلك مشكلة خطيرة . فهل نتوقع أن تصمد القاهرة لمشكلة المياه بعد ملايينها الخمسة كثيرا ، او الاسكندرية بعد أن أشرف سكانها على المليونين ؟

لم يعد هناك مجال للكلام عن جزئيات المشكلة . والمهم الان هو السيطرة على نهم المدن الكبرى سيطرة حقيقية . وبدون شك هناك امكانات كثيرة للسيطرة مثلتنفيذ التشريعات التىتمنع الهجرة ، او تمنع اقامة منشآت عمالة جديدة تنفيذا صارما . لكن هناك دائما تجاوزات عن التشريعات تحدث بضغوط المصالح التى لا تقاوم ، وتبدأ التجاوزات تتسع لتصبح قوانين غير معلنة ، وينتهى الامر الى تغيرات جديدة فى التشريعات السابقة .

ان حرمان مدينة متضخمة من احد وظائفها الاساسية قد يعطينا حلا جريئا للتغلب على طاغوت المدينة . وهذا الحرمان سوف يقضى على عوامل التوسع فى المدينة ويعطى للمخططين الفرصة السانحة للتخطيط والتشريع الملائم للمدينة . فما هى الوظائف الاساسية للمدن الكبيرة كالقاهرة :

١ — الوظيفة السياسية : الحكم بما فى ذلك الرئاسة والوزارات والتشريع النيابى والقانونى .

٢ — الوظيفة الادارية : الحكم المحلى لشئون المدينة ويشتمل على كثير من النشاطات مثل امداد المدينة بالمياه وشبكة الصرف والكهرباء والامن وكافة الخدمات التعليمية والصحية والتموينية . وفى حالة العواصم يقع هذا الحكم فى ظل الحكم المركزى ويصبح باهتا لوجود السلطة الاعلى الى جواره وفوقه مباشرة .

٣ — الوظيفة الاقتصادية : نقصد بها الانتاج . وفى المدن يدور الانتاج اساسا حول الصناعة وتصنيع السلع بما فى ذلك مواد تموين المدينة .

٤ — الوظيفة التجارية : يتم من خلالها عمليات التبادل للسلع المعدة للبيع جملة وتجزئة .

٥ — الوظيفة المالية : الاعمال البنكية والائتمانية وهيئات الاستثمار .

٦ — وظائف الخدمات : وهى كثيرة من

الخدمات الصحية والتعليمية والنقل الى الخدمات الترفيهية .

ولا شك ان هناك كثيرا من التداخل بين هذه الوظائف ، انما التفصيل والتقسيم للايضاح .

واذا أردنا اختيار احدى الوظائف الاساسية للقاهرة لكى نبعد تأثيرها فعلينا اولا أن نعرف ـ من الناحية العددية ـ توزيع العمالة على الانشطة والوظائف المختلفة ، معتمدين فى ذلك على احصاء سنة ١٩٦٠ ، وهو آخر الاحصاءات التفصيلية فى مصر :

وقد كان سكان القاهرة سنة ١٩٦٠ هو ٣,٣٤٨,٧٧٩ شخصا . ويعنى هذا ان نسبة العاملين فوق ١٥ سنة الى مجموع سكان المدينة هو ٢٥ فى المائة . وبعبارة اخرى نقول ان مقياس الاعالة كان بنسبة واحد الى ٤ اشخاص من سكان القاهرة . وبناء على ذلك نستطيع أن نحسب متوسط عدد افراد الاسر للعاملين نظريا فى مختلف القطاعات . فيصبح عدد الاشخاص المعتمدين على وظائف الخدمات هو ٣٠٢٩١٨ × ٤ = ١,٢١١,٦٧٢ من سكان القاهرة ، والمعتمدين على الوظيفة الاقتصادية ٩٨٨,٥٤٨ من سكان القاهرة ، والمعتمدين على الوظيفة التجارية والمالية ٥٧٨,٩٧٦ ، والمعتمدين على وظائف الحكومة ٥٤٦,٤١٢ شخصا من سكان القاهرة .

ومن البديهى انه لايمكن لمدينة ماأن تعيش دون اى من قطاعات الوظائف السابقة (بدرجات متفاوتة) ، باستثناء الوظيفة السياسية المتمثلة فى مجموع موظفى الوزارات . ذلك أن المدينة أيا كان حجمها ، عبارة عن مكان محدد من الارض تتبادل مع اقليمها المحيط بها عددا من الخدمات الرئيسية الانتاجية والتجارية والتعليمية والصحية والادارية . ويترتب على هذا الكلام الموجز انأى مدينة يمكن أن تعيش وتحيا وتنمو بدون أن يكون لها وظيفة سياسية .

نقل العاصمة السياسية من القاهرة

ارتباطا بما سبق تفصيله فى وظائف القاهرة وبما سيأتى ذكره من دوافع وأسباب ، فان الاقتراح الذى نطرحه للبحث الجدى هو نقل الوظيفة السياسية من القاهرة الى مدينة أخرى تنشأ أساسا لتكون مدينة الحكم فى مصر ، والا اصبحت مشاكل القاهرة اكثر تسلطا واقل امكانية فى ايجاد حل لها . والان لنرى ماذا يكلفنا نقل العاصمة من مدينة القاهرة :

١ ـ الصعوبة الناجمة عن الارتباط العاطفى بين القاهرة كمدينة وكعاصمة لمصر لاكثر من ١٣٠٠ سنة منذ انشاء الفسطاط . هذا الارتباط العاطفى يتزايد فى فترات تاريخية معينة حينما تصبح بلاد الشرق الاوسط العربى ضائقة ، فتصبح القاهرة عاصمة للعالم العربى الواسع (كما حدث خلال الحملات الصليبية والتتارية والامبريالية الصهيونية المعاصرة) . كذلك يتزايد الارتباط العاطفى بالقاهرة كعاصمة لاقليم أوسع من مصر فى فترات ازدهار حضارى ومادى (كما حدث فى عهد الخلافة الفاطمية ، وفى العهد المملوكى وفى العصر الحديث ابتداء من القرن التاسع عشر الى اليوم) . وبعبارة آخرى فان الارتباط العاطفى بين القاهرة والعاصمة يتعدى فى فترات عواطف المصريين الى عواطف سكان الشرق الاوسط عامة . ولا شك أن المشكلة العاطفية تعطى بعدا عميقا للمسالة وتجعل للزمن وحده القدرة على التغلب على هذه المشكلة . وربما كان احد الحلول السريعة للمشكلة العاطفية أن تسمى مدينة الحكم الجديدة : القاهرة الجديدة .

٢ ـ الصعوبة المادية الناجمة عن بناء عاصمة جديدة لمصر ، من حيث الاستثمارات اللازمة لعمليات البناء وشبكة الطرق والخدمات . وبالرغم من أن استثمارات البناء والخدمات ذات أرباح متوقعة وسريعة نسبيا الا أن المشكلة الاساسية تكمن فى ايجاد الاموال اللازمة للاستثمارات . وهنا تساؤل تطرحه بعض العواصم الجديدة مثل برازليا واسلام اباد ، والنمو السريع لمدينة بيروت . وقد نمت هذه المدن بدون شك نتيجة دعوة الاستثمارات اليها من الداخل والخارج . فهل يمكن ذلك بالنسبة للعاصمة الجديدة فى مصر ؟ الرأى النهائى بطبيعة الحال لرجال المال واتجاهات الاستثمارات العالمية . لكن يجب أن ننوه بشيئين : الاول وجود رأسمال عربى كبير فى دول البترول العربية بالاضافة الى امكانات مصر الذاتية . والثانى أن موضوع الاستثمارات الدولية لا يدخل فى باب المستحيل وان صعب التمويل فترة زمنية لاسباب مختلفة .

٣ ـ قد يكون من الصعب نقل الموظفين من القاهرة الى العاصمة الجديدة نظرا لارتباطاتهم واسرهم بالقاهرة . لكن ذلك لا يجب أن يكون عائقا امام الانتقال الملزم . وفى مقابل ذلك يجب أن تكون هناك تسهيلات حقيقية فى الخدمات والسكن والتعليم . وفى هذا المجال يمكن أن تضم المدينة الجديدة معاهد عليا من أنواع معينة تحتاجها العاصمة كالادارة والمعلمين والعلوم السياسية والاقتصادية والقانونية .

وفى مقابل هذه المصاعب الرئيسية فان هناك فوائد عديدة وضرورات ملحة تسبب نقل العاصمة :

١ ـ ان اختيار الوظيفة السياسية لنقلها من القاهرة الحالية هو أقل الوظائف التى تنقل تكلفة . فمثلا لا تقاس تكلفة بناء عاصمة جديدة الى تكلفة حل المصانع واعادة تركيبها فى مدينة جديدة . وكما سبق القول فان أى مدينة يمكن أن تعيش بدون أن تتواجد فيها الحكومة ولكنها لا تعيش دون مقوماتها الاقتصادية الرئيسية .

٢ ـ ان نقل الحكم من القاهرة الحالية سوف يؤدى الى تفريغ عدد معين من السكان ، فى حدود نصف مليون شخص من الموظفين والعاملين فى قطاعات الخدمات والتجارة الداخلية وغير ذلك ليكونوا مقومات المدينة الجديدة • وبذلك تحدث تهدئة لمشكلات عديدة مزمنة فى القاهرة الحالية من أهمها الاسكان والمواصلات وازمة مبانى الوزارات والهيئات الحكومية الاخرى والهيئات التشريعية ، وتخفيف اختناق الطرق بالسيارات •

٣ ـ ليس معنى انتقال نصف مليون شخص على الاقل من القاهرة أن يحل محلهم فورا مهاجرين جددا الى القاهرة ، بل يجب ان تشرع قوانين خاصة بالقاهرة للحد من الهجرة الى أدنى حد ومنع اقامة منشآت العمالة الكثيفة فى القاهرة وضواحيها (المصانع بالذات) وبذلك تترك الفرصة للقاهرة لكى تحدث بعض التعادل فى توزيع كثافة السكان لمدة لا بأس بها قبل أن يغطى النمو الطبيعى الفراغ الناجم عن انتقال العاصمة الى المدينة الجديدة • وفى خلال فترة الهدنة هذه يمكن لحكومة القاهرة المحلية أن تنشط بسرعة وفى اطار خطة متكاملة لعلاج العيوب الخطيرة فى القاهرة وتجنب حدوثها فى المستقبل (التركيز المالى والتجارى والصناعى يجب أن يجد له حلولا فى تلك الفترة ، كذلك وسائل النقل العامة واتساع الطرق والتركيز الثقافى لمعاهد التعليم ومراكز الفنون والترفيه) •

٤ ـ انتهاز فرصة نقل العاصمة لعلاج اخطر مشاكلنا السياسية والادارية : المركزية المطلقة التى تسيطر على مصر • يجب أن تشتمل العاصمة الجديدة على الحكم المركزى او الاتحادى فى صورة وزارات مهمتها الاساسية وضع الخطط والسياسات العامة المختلفة فى اطارات مرنة • اما التنفيذ الفعلى فتقوم بتطويعه الادارة المحلية فى كل اقليم او محافظة وفق ظروفها وامكانساتها وتشريعاتها دون الرجوع الى الوزارات المركزية الا فى أضيق الحدود •

٥ ـ وثمة موضوع يمكن ان نلمح اليه لالحاحه الشديد ، ولو أنه خارج عن موضوعنا الحالى • ذلك هو اقتراح بانشاء نوع وسط من المركزية فى صورة حكومات محلية على مستوى اقليمى فوق مستوى المحافظات الحالية مع بقاء هذه المحافظات أو الغائها • ومبرر ذلك ضرورة التعامل على مساحات أوسع من المحافظات الحالية لتنفيذ عدد من الخطط الخاصة بالانتاج الزراعى والصناعى والرعاية الاجتماعية والصحية ومشاكل التعليم • ويمكن أن نقترح الحكومات الاقليمية التالية : حكومة مصر العليا (أسوان ـ قنا ـ سوهاج ـ اسيوط ـ الوادى الجديد ـ القسم الجنوبى من البحر الاحمر) • حكومة مصر الوسطى (المنيا ـ الفيوم ـ بنى سويف ـ جنوب الجيزة ـ الواحة البحرية) • حكومة القاهرة (القاهرة ـ وسط وشمال الجيزة ـ جنوب القليوبية حتى القناطر) • حكومة القناة (بورسعيد ـ الاسماعيلية ـ السويس ـ سيناء ـ شمال البحر الاحمر) • حكومة شرق الدلتا (الشرقية ـ القليوبية ـ الدقهلية ـ دمياط) حكومة وسط الدلتا (المنوفية ـ الغربية ـ كفر الشيخ) • حكومة غرب الدلتا (البحيرة ـ الاسكندرية ـ الصحراء الغربية) •

واذا كان الامر كذلك فأين يمكن ان تنشأ العاصمة الجديدة ؟

نظرا لضيق المجال الحيوى داخل مصر ، وكثرة امتداد الصحارى فانه من الضرورى أن تكون العاصمة الجديدة فى مكان يسمح لها بالاستفادة من مياه النيل مع استخدام وسائل توصيل المياه الحديثة • لكنه فى الوقت نفسه لا يجب أن تكون العاصمة بالقرب من مدينة ما من المدن المصرية الكبيرة حتى لايلتحم عمرانهما وحتى لانرفع العبء عن القاهرة ونضعه على مدينة اخرى • ومن ثم فاننى اقترح أحد موضعين للعاصمة الجديدة :

المكان الاول : فى مكان ما بين وادى النطرون والقطاع الجنوبى لمديرية التحرير على الطريق الصحراوى السريع بين القاهرة والاسكندرية قرب الكيلو ٧٠ • فى هذه المنطقة يلتقى طريق الخطاطبة الصحراوى بالطريق الصحراوى السريع فى منطقة سهلية كبيرة على ارتفاع ٦٠ مترا فوق سطح البحر • هذا الموضع متوسط بين المدينتين الرئيسيتين القاهرة والاسكندرية ، كما انه فى مواجهة الدلتا ويبعد ٣٠ كيلومترا عن فرع رشيد عند الخطاطبة وطهواى ، ويمكن بسهولة مد خطوط انابيب المياه من فرع رشيد أو فرع مديرية التحرير • ويعزز هذا المكان وجود الطريق الصحراوى السريع مما يقلل من تكلفة انشاء طريق خاص • كذلك يكون وادى النطرون ظهيرا لطيفا للمعسكرات والرحلات والترفيه • كما يمكن أن يؤدى وجود العاصمة الى مزيد من الاهتمام بتنمية وادى النطرون اقتصاديا . [زراعة ـ دواجن ـ ماشية ، أو اغنام ـ تعدين الاملاح المختلفة واقامة صناعات عليها] •

المكان الثانى: منطقة المنحدرات الشمالية لجبل القطرانى شمالى بحيرة قارون ، وبالقرب من مسار الخط الحديدى والطريق الجديد من الواحة البحرية الى الجيزة . تقع هذه المنطقة على ارتفاعات ٢٥٠ ـ ٣٠٠ متر فوق سطح البحر مما يلطف الجو كثيرا . فيها كثير من مجارى الوديان الجافة التى تصلح ـ مع التعديل ـ لشبكة صرف المدينة أو الطرق المتعامدة دون تقاطع . المنطقة على بعد نحو من ٧٠ كيلومترا من الهرم ، ويمكن أن تتصل بطريق الفيوم الصحراوى بوصلة طولها حوالى ٣٠ كيلومترا • المنحدرات الشمالية فى المجموع سهلية حجرية تقع

الى الجنوب منها صخور البازلت فى جبل القطرانى التى ترتفع الى ٣٥٠ مترا فوق سطح البحر ، ويمكن ان تصبح هذه المنطقة الجبلية وانحداراتها الجنوبية السريعة الى بركة قارون — مع التشجير — منطقة مشتى ومعسكرات وترفيه جميلة فريدة فى مصر • المشكلة الاساسية جلب المياه بواسطة انابيب تعتلى ارتفاعات عالية • وهى فى حد ذاتها ليست مشكلة من الناحية الفنية . مصدر المياه اما من النيل مباشرة فى منطقة البدرشين أو العياط ، واما من ترع بحر يوسف فى الفيوم ، واما استخدام مياه صرف الفيوم بعد معالجتها بالطرق المعروفة •

هذه باختصار مقترحات مبدئية والامر يحتاج الى مزيد من التمحيص من وجهات نظر عدة قبل التفكير الجدى فى اختيار المكان الملائم للعاصمة الجديدة • ولكن هناك شيئا واحدا ارجو أن ألح عليه كثيرا : يجب ان تكون العاصمة الجديدة بعيدة بعدا كافيا عن القاهرة والاسكندرية لكى لا يتلاحم العمران • وبالرغم من أن المكانين المقترحين ليسا على درجة كافية من البعد اللازم ، الا أن وجود الصحراء لهذه المسافة — مع عدم وجود مصادر للمياه — سوف يمنع تماما التحام المدن خلال نموها • وهذا هو الذى دعانى الى اختيار منطقة صحراوية للعاصمة ، فضلا عما تتمتع به من ظروف صحية جيدة • وارجو أن ألح أيضا فى ألا تكون العاصمة داخل أراض زراعية أو أراضى توسع زراعى مستقبلى لما نعرفه من ضيق الرقعة الزراعية ضيقا لا يحتاج الى تنويه •

ومشكلة اخرى من ناحية الفكر المدنى : نظرية التوسط الجغرافى الكلاسيكية والحديثة • لا شك ان القاهرة ذات موقع متوسط شديد الامتياز فى مصر • وسيظل كذلك بالنسبة للقاهرة ، جاعلا منها عاصمة فعلية فى عالم الانتاج الصناعى والخدمات والتجارة والبنوك والتعليم والفنون • اما العاصمة الجديدة فانها — برغم عدم بعدها كثيرا عن الموقع المتوسط للقاهرة — لا تحتاج الى التوسط التقليدى من حيث المكان • وقد حلت الاتصالات الحديثة السلكية والتليفزيونية واللاسلكية فى كثير من الاحيان محل التوسط المكانى لمركز الحكم • ونظرة واحدة الى العالم تجعلنا نعتقد أن توسط العاصمة السياسية ليس أمرا محتوما : لندن — باريس — واشنطن — فيينا — بكين — دمشق — من العواصم القديمة ، اوتاوا — كنبرا — بون — اسلام اباد ، من العواصم الجديدة •

واخيرا احب أن اختتم الكلام بالتأكيد مرة اخرى على خطورة الموقف فى المدن الكبيرة عامة ، وفى القاهرة خاصة لانها تعنينا ، فلا يجب ان ننتهى الى مشكلات اكبر من قدراتنا ، كما يجب ان نستفيد من تجربة المدن الاخرى • ففى أمريكا — دولة المدن العملاقة — وفيها ما فيها من أمكانات عظيمة فى مجالات المال والتخطيط والتقدم الفنى ، اصبحت المدن جحيما لا يطاق ، ليس فقط من نواحى الاسكان والمواصلات والجريمة ، لكن فى كل نواحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية • والمثال الذى يمكن ان يخيف المدن الاخرى هى حالة المواصلات العامة والخاصة فى غالبية المدن الامريكية الكبرى • فمتوسط سرعة السيارة داخل المدن تتراوح بين ١٥ — ١٨ كيلومترا فى الساعة ، وهى سرعة لم تزد اطلاقا عن سرعة عربات الخيل التى كانت شائعة منذ مائة سنة !! كذلك افلست عدة شركات كبرى من شركات النقل على رأسها شركة « بن للنقل المركزى » فى صيف ١٩٧٠ ، وكانت تنقل ١٤٠ الف راكب يوميا من والى نيويورك • وفى المجموع اضطرت بلديات بعض المدن ان تتولى ادارة شركات النقل الرئيسية او تدعمها ماليا ، وبرغم الاستعدادات الفنية الكثيرة فى انفاق نيويورك من حيث الامان ، فأن الحرائق تحدث بأستمرار وتؤدى غالبا الى وفيات واصابات وذعر وامراض نفسية •

واصبح اصلاح الطرق السريعة المؤدية الى المدن الكبرى الامريكية امرا يكاد ان يصبح مستحيلا والا أصاب الشلل هذه المدن لكثافة الحركة اليومية (تنقل المواصلات العامة يوميا ١٨ مليون شخص ، بالاضافة الى ٥٠ مليونا يستخدمون سياراتهم من مجموع ٨٠ مليون سيارة فى امريكا) • وهناك عشرات الاسباب لهذا التضخم فى حركة المرور من والى المدن على رأسها • ان الامريكيين شعب مدن أساسا (٧٠ فى المائة من الامريكيين يعيشون فى المدن وضواحيها ، وينتظر ان ترتفع النسبة الى ٩٠ فى المائة عام ٢٠٠٠) • وهذه الحقيقة وحدها تنعكس عليها كل مفهومات ومضمونات الحضارة والعصر الصناعى : حياة المدينة • فقد ظلت الصناعة منذ نشأتها تمتص السكان الذين كانوا موزعين بشىء من التعادل فى ارجاء الدولة ، وتركزهم بصفة مستمرة فى المدن الحديثة لخدمة مراكز القوى الصناعية قلبا وفكرا • وبهذا أصبحت المدينة الحديثة خلاصة الحياة المعاصرة وأصبحت لها مشكلاتها الخاصة التى كان يواجهها الانسان بقدر من الاصلاح الوقتى والتلقائى دون الاحساس بشمول وتفاقم خطر المدينة • ومن ثم فان الاصلاحات التى تمت فى بعض المدن — كالانفاق والمداخل والطرق السريعة — قد أدت الى نمط لم يعد فى الامكان اصلاحه مع تفاقم مشكلاته — تماما كما يحدث الان فى نيويورك وغيرها من المدن الامريكية •

هذه لمحة عما يحدث من مشكلات عويصة فى دولة غنية بكل شىء من الفكر الى العمل ومن الخطة الى التنفيذ ، ونحن أحوج ما نكون الى تجنب هذه المشكلات بوقف تضخم القاهرة على النحو السابق شرحه • وارجو أن تكون هذه بداية حوار من جانب كل من يهمهم الامر من أجل المصلحة العامة •



● جمهورية مصر العربية ●

لقاء بين القوى
الثورية العربية

● العراق ●

تأييد عربى
وتآمر استعمارى

● فيتنام ●

هل انكسر هجوم
الثوار فى فيتنام ؟

● ستوكهولم ●

الحرب والفقر
وحماية البيئة

● الولايات المتحدة الامريكية ●

التحالف الذى يمسك
بيده خيوط العرائس

● جمهورية مصر العربية ...

زيارة هامة وناجحة

قام الفريق **محمد احمد صادق** نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية بزيارة للاتحاد السوفيتي فى التاسع من يونيو الماضى واستغرقت زيارته ستة أيام ، تلبية لدعوة من الماريشال « **أندريه جريتشكو** » وزير الدفاع السوفيتى أثناء زيارته لمصر فى شهر مايو الماضى .

وقد بدات المحادثات الرسمية بين الفريق محمد صادق والماريشال جريتشكو فور وصوله الى موسكو ، وحضرها عدد من الماريشالات وقادة الاسلحة فى الجيش السوفيتى والوفد العسكرى المصرى المرافق ، كما عقدت اجتماعات منفردة بين الفريق صادق والماريشال جريتشكو كذلك اجتمع الفريق صادق **بليونيد بريجنيف** سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى بحضور الماريشال جريتشكو ، وتم فى هذا الاجتماع بحث « **موضوعات هامة** » كما وصفتها المصادر المطلعة . وتحدث الفريق صادق عن انطباعه بعد هذا الاجتماع بقوله : « **ان السلطات السياسية السوفيتية العليا والشعب السوفيتى يقف الى جانبنا ليس فقط من أجل الوصول الى حل سلمى اذا كان ذلك ممكنا ، بل ويقف الى جانبنا وبقوة لتحرير أرضنا واستعادة كرامتنا** »

وقد حاولت الصحافة الاسرائيلية والاستعمارية التهوين من أثر هذه الزيارة والمباحثات التى أجراها الفريق صادق فى موسكو مع الزعماء والقادة العسكريين السوفيت ، وان الغرض منها هو طلب الحصول على أسلحة جديدة فقط كما أخذت الصحف الاسرائيلية تروج لسيل من الاشاعات الكاذبة حول ما وصفته باقتراح موسكو على اسرائيل بعودة العلاقات الدبلوماسية بينهما فى القريب العاجل . وذلك بهدف التشويش على الزيارة والتقليل من نتائجها .

وقام الفريق **محمد صادق** والوفد العسكرى المصرى المرافق بزيارة بعض القواعد العسكرية الكبيرة فى الاتحاد السوفيتى ومشاهدة احدى المناورات التكتيكية . ونوه الفريق صادق فى أحاديثه بثقة القيادة العسكرية المصرية «بقوة وكفاءة السلاح السوفيتى وفى فاعليته . لسنا **نحن فقط بل العالم كله وأقرب دليل على ذلك** ما فعلته الصواريخ السوفيتية بأقوى وأمضى أسلحة العدو الجوية باسقاطها ١٤ طائرة فانتوم فى ايام قليلة » . وقال : « اننا نعتمد على الله وعلى أنفسنا وعلى قوة التضامن العربى والتعاون مع صديقنا العظيم الاتحاد السوفيتى الذى يؤيدنا ويدعمنا فى شتى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية » .

وتحدث الماريشال جريتشكو عن زيارة الفريق صادق بقوله : ان المقابلات والمحادثات بيننا قد ساعدت على الوصول الى تفاهم أفضل وكانت خطوة جديدة فى توطيد العلاقات الودية بين جيشى بلدينا . وان الشعب السوفيتى يتابع باهتمام النضال البطولى للشعب المصرى لتصفية آثار العدوان الاسرائيلى . وانا نتمنى لكم استخدام مهارتكم القتالية فى استخدام الاسلحة الحديثة ولرفع درجة الاستعداد القتالى للقوات المسلحة المصرية » .

وهاجم الفريق صادق المحاولات الامبريالية للدس والوقيعة لتخريب العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ، والمبنية على مبادىء الاخوة والفهم المتبادل وقال : « ان الاتحاد السوفيتى لا يمكن أن يوافق على حل فيه تفريط لاى شبر من أراضينا » . واننى لا أريد أن أخوض فى أى تفاصيل ولكننى اعتبر ان هذه الزيارة كانت هامة وناجحة !!

وقد حيا الفريق محمد صادق فى ختام زيارته للاتحاد السوفيتى الزعماء والقادة العسكريين السوفيت وشكرهم عما لاقاه والوفد العسكرى المرافق من حفاوة وتكريم . وجاء فى برقيته التى بعث بها الى ليونيد بريجينيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى :« لقد تأكد لى فى كل مكان زرته مضير أى معتد اذا واجهه شعبا أصيلا لا يتخاذل ، وقادة أبطال لا يخونون . انكم تضربون لنا ولكل الشعوب المحبة للسلام أروع الامثلة فى النضال والتصميم والكفاح من أجل الوطن » .

●

لقاء بين القوى الثورية العربية

زار القاهرة فى الفترة من ١٠ الى ١٧ يونيو بدعوة من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى وفد من الحزب الديمقراطى اللبنانى

برئاسة السيد **جوزيف مغيزل** أمين عام الحزب وعضوية السادة **سامي نصار** عضو المكتب السياسي **وباسم خليفة** أمين العقدة **ورامز سلامة** مفوض الاقتصاد .

وتشكل وفد المباحثات من جانب الاتحاد الاشتراكي العربي برئاسة المهندس **سيد مرعي** السكرتير الاول للجنة المركزية وعضوية الدكاترة والسادة **محمد دكروري ولطفي الخولي وسعد جهجرس وجمال العطيفي وحسين فهمي ومحمد عجلان** .

وقد قام الوفد بزيارات عديدة للاطلاع على مختلف جوانب التجربة المصرية، فزار امانة القاهرة وامانة الاسكندرية وعقد لقاءات سياسية مع قياداتها للتعرف على أسلوب العمل في مختلف مستويات التنظيم ، كما زار عددا من المصانع للالتقاء بالقيادات العمالية ، وزار مناطق الاصلاح الزراعي في انشاص والمرج واجتمع في كل المواقع بالقيادات المحلية في نقاش حول مهامها المباشرة .

وتميزت المناقشات التي تمت بين وفدى المباحثات بالموضوعية والصراحة التامة ، املا في ارساء قواعد صحية للعلاقة المشتركة بين تنظيمين سياسيين يعملان في الحقل العربي .

استهدفت المباحثات التعرف من كل جانب والى أبعد الحدود بمنطلقات الجانب الاخر ، نظرية كانت او سياسية فتناولت المناقشات الموضوعات التالية :

- القضايا المصرية واللبنانية ودور كل من مصر ولبنان عربيا وعالميا .
- العلاقة بين القوى السياسية المصرية والقوى السياسية اللبنانية .
- التنظيم السياسي الواحد ، ونظام تعدد الاحزاب، والممارسة الديمقراطية داخل التنظيم .
- تجربة اشتراك العمال والفلاحين في القيادات السياسية .

وتعدت هذه الحدود الى قضايا في الجانب التطبيقي للعمل السياسي كان من بينها :

- الحريات العامة وأثرها على التطور الوطني
- العلمانية والقانون المدني الموحد للاحوال الشخصية .
- تجربة القطاع العام والفعالية الاقتصادية
- مشروع اتفاقية عربية لحقوق الانسان .

وتطلعت الى مستقبل المنطقة العربية في مناقشة :

تعليق

عندما تبدأ القوى الثورية في استخدام سلاح أعدائها

جاءت الدعوة لاضراب الطيارين عن العمل بهدف اجبار مجلس الامن على اتخاذ قرارات تحول دون عملية اختطاف الطائرات وتلزم الدول الاعضاء في المجلس بتنفيذ هذه القرارات بعد عملية الهجوم على مطار اللد .

ولكن السؤال هو متى بدأت عملية اختطاف الطائرات ؟

منذ سنوات بدأت صحف العالم واذاعاته تنقل أنباء اجبار الطائرات الامريكية على تحويل مسارها والهبوط في كوبا .

ولكن هذه لم تكن البداية ..

في يونيو ١٩٧٠ عندما عقدت المنظمة الدولية للطيران المدني اجتماعا طارئا في مونتريال بكندا لبحث موضوع اختطاف الطائرات ، قدم كلوديو رى مورينا رئيس وفد كوبا الى الوفود المجتمعة بيانا بعدد الطائرات الكوبية التي اختطفت واجبرت على تحويل مسارها الى الولايات المتحدة والهبوط بها . اوضح هذا البيان أنه في عام ١٩٦٠ اختطف عشر طائرات ، وفي عام ١٩٦١ اختطف تسع طائرات ،وفي عام ١٩٦٢ اختطف احدى عشرة طائرة ، وفي ١٩٦٤ ثلاث طائرات والى جانب قائمة الطائرات التي اختطفت قدم رى مورينا قائمة باسماء واعداد قوارب الصيد التي اختطفها عملاء الولايات المتحدة وهربوا بها الى الشواطىء الامريكية .

عندما كانت هذه الحوادث ترتكب ، كانت الصحافة الامريكية تفرد لمرتكبيها المساحات الواسعة وتغدق عليهم من أوصاف البطولة الكثير باعتبارهم اشخاصا يهربون من « جحيم كاسترو » الى « جنة الولايات المتحدة » .

وكان من الواضح ان المخابرات المركزية الامريكية وراء تدبير عمليات اختطاف الطائرات من كوبا ، وقد ازدادت هذه العمليات في عام ١٩٦٢ بعد أن أعلن كاسترو التزامه بالخط الاشتراكي عام ١٩٦١ .

كانت هذه هي البداية الحقيقية لعمليات اختطاف الطائرات وعندما كانت عملية إختطاف الطائرات موجهة ضد طائرات الدول المعادية للمصالح الامريكية ، كان كل شيء يسير على مايرام ولا داعي لاى تحرك من الاتحاد الدولي للطيارين .

ولكن عندما انقلبت الامور واصبحت عمليات اختطاف الطائرات موجهة ضد مصالح الولايات المتحدة او الدول

● عقد حلقات على فترات طويلة يشترك فيها ممثلون من مختلف البلدان والقوى السياسية العربية لوضع دراسات للعالم العربي عام ٢٠٠٠ وانتهت المناقشات الى الاتفاق على عديد من النقاط ، حيث تلاقت وجهات نظر الجانبين ، فى مجالات استمرار وتعميق تعارف التنظيمين ، والتعاون المشترك سواء على الصعيد الوطنى أو العربى .

فبالاضافة الى الاتفاق على استمرار عقد اللقاءات لاستعراض النواحى الفكرية والسياسية والنضالية ، وتبادل الوثائق والزيارات والخبرات وعلى القضايا السياسية العامة من اعتماد مشاركة الجماهير فى العمل السياسى كقاعدة أساسية للعمل الوطنى ، واشاعة الجو الديمقراطى واتاحة الفرص أمام الجميع للتعبير عن الاراء الوطنية ضمانة لتلك المشاركة ، تضمن البيان المشترك الذى صدر عن وفدى المباحثات عناصر ايجابية تتعلق بالمستقبل ، كما جاء فى النصوص التالية :

● القيام بالجهود المشتركة التى من شأنها تقوية الروابط بين مصر ولبنان بوجه خاص ، وبين سائر الشعوب العربية بوجه عام .

● العمل المشترك على سلوك النهج العصرى والعقلى والموضوعى بين القوى السياسية المصرية واللبنانية والعربية بوجه عام فى جميع الشئون المشتركة وفى حقول التعاون .

● تنمية العناصر المتحركة فى الحقول الاقتصادية والسياسية والثقافية بطريق فعال للتقارب بين الشعوب العربية ، وتقوية التكامل والترابط فيما بينها .

● تجنيد كل القدرات الداخلية فى كل بلد عربى ، والقدرات المشتركة العربية ، لمواصلة التغلب على شتى نواحى التخلف ، وللسير بجد وتخطيط وصمود فى دروب التنمية والتقدم التكنولوجى .

هذا وقد افردت المباحثات قدرا كبيرا من الجهد لمناقشة الوضع العسكرى فى المنطقة ، وموقف اسرائيل كرأس رمح للامبريالية ، وكاستعمار استيطانى عنصرى يهدد جميع الشعوب العربية فى حاضرها ومستقبلها . واكدت المناقشات حقيقة اهداف اسرائيل نحو لبنان خاصة من سعيها الى الحلول محلها فى عديد النشاطات التى يتميز بها لبنان نظرا لوضعه الخاص فى المنطقة العربية من كونه مركزا تجاريا يصل بين عديد من البلاد العربية ودول العالم ، ومجالا واسعا للخدمات السياحية ، وكذلك نشاط

التابعة لها اصبح السكوت على ذلك امر يستلزم التحرك على مستوى دولى والتهديد بشل حركة المواصلات الجوية .

وبصرف النظر عن تقييمنا لعمليات اختطاف الطائرات وما اذا كانت اسلوب نضال او اعمال مغامرة ، الا ان هناك حقيقة اساسية يجب الا تغيب عن اذهاننا وهى ان القوى المعادية للشعوب تبتدع اساليب العنف ، ولكن عندما تلجا الشعوب الى استخدام هذه الاساليب وتوجهها ضد مبتدعيها تهتز اركان العالم !!

عندما دبر الثوار الفلسطينيون حادث اختطاف طائرة الركاب التابعة لشركة سابينا وهبطوا بها فى مطار اللد فى محاولة للافراج عن عدد من زملائهم المعتقلين فى السجون الاسرائيلية كانت القيمة المعنوية لهذا الحادث تتمثل فى تحدى الوجود الاسرائيلى فى قلب اسرائيل ذاتها . وقد اوقع هذا التحدى الحكومة الاسرائيلية فى حرج شديد ، فقد كان قادة اسرائيل يصورون الامر وكان حرب ١٩٦٧ هى خاتمة الحروب بين العرب واسرائيل ، وان « أمن » اسرائيل لايمكن اختراقه .

وقد لجا ديان بالاتفاق مع الكابتن « ليفى » قائد الطائرة اليهودى الى استخدام رجال منظمة الصليب الاحمر الدولية فى عملية تسويف ومماطلة و ستارا لهجوم الجنود الاسرائيليين المتخفين فى ملابس عمال فنيين على الطائرة من ابواب الطوارىء

عندما ارتكب هذا الحادث ، ورغم البيان الذى إذاعته منظمة الصليب الاحمر الدولية فى جنيف والذى ادانت فيه اسرائيل واعلنت ان الهجوم الاسرائيلى على الطائرة كان يشكل تهديدا خطيرا على سلامة الركاب . رغم ذلك لم يتحرك الاتحاد الدولى للطيارين .

ولكن عندما قام الشبان اليابانيون الثلاثة بعد ذلك بثلاثة اسابيع بهجومهم على مطار اللد تعبيرا عن « التضامن بين القوى الثورية العالمية » طبقا للبيان الذى اذيع ، وليعيدوا تأكيد معنى تحدى الوجود الاسرائيلى على الارض الاسرائيلية ذاتها .

عندما لجات القوى الثورية لاستخدام سلاح العنف، تحرك الإتحاد الدولى للطيارين ولجا الى اسلوب تهديد مجلس الامن.

والسؤال هو :

ماهى المعايير التى تحكم تصرفات اتحاد الطيارين الدولى ؟!

سمير تادرس

اسرائيل والاستعمار عامة فى احداث فرقة وانقسام طائفى فى لبنان يكون مبررا عربيا لوضع اسرائيل العنصرى الذى تدينه كل الشعوب المتقدمة، وتناولت المناقشات وضع المقاومة الفلسطينية وحقوقها المشروعة فى وطنها المسلوب وفى ممارسة النضال لتحرير أرضها ، وتبلورت المناقشات فى البيان على الصورة الاتية :

● تجنيد وانماء كل القدرات العربية عسكريا وشعبيا وتضامنها لخوض معركة التحرير وصد العدوان الامبريالى الصهيونى .

● دعم ومشاركة الشعب الفلسطينى فى نضاله من أجل استرداد وطنه ، وممارسة جميع حقوقه ، وتحميل باقى دول العالم أيضا مسئولية المشاركة فى هذا المضمار ، واعتبار المقاومة القيادة المؤهلة لنضال التحرر الذى يخوضه الشعب الفلسطينى ، ووضع جميع القدرات العربية على شتى المستويات تحت تصرفها .

● السير النشط فى انشاء الجبهة الشعبية العربية المشاركة للمقاومة الفلسطينية .

هذا وقد لفت النظر فى برنامج الحزب الديمقراطى اللبنانى ووثائقه المختلفة التى وزعها اثناء وجوده بالقاهرة ، عديد من المواقف الايجابية فى حقل السياسة اللبنانية ، منها : التمسك بعروبة لبنان وارتباطه بالعرب ارتباطا تاريخيا ومستقبليا ، والوقوف بحزم ضد الطائفية والدعوة الى ضرورة تخطيها ، والمناداة بتعليم قومى منفتح على كل الثقافات ولكنه يلتزم فى الاساس بالثقافة الوطنية بدلا من التشرذم الثقافى الحالى ، وتحويل لبنان من الاقتصاد الليبرالى المركنتيلى الى اقتصاد زراعى صناعى باعتبار ذلك ضرورة لتغيير البنيات الاقتصادية والاجتماعية ، وتكوين قطاع عام وقطاع مختلط للنهوض باقتصاديات البلاد ، والانطلاق من تحالف القوى ذات المصلحة فى تحقيق تغير ثورى حقيقى فى لبنان ، كما كان موقف الحزب من معركة الدواء والعلاج فى لبنان موضع مناقشات عديدة من حيث منطلقه فيها والاسباب التى أدت الى نكسة الاجراءات المتقدمة التى اتخذها ممثل الحزب فى الوزارة اللبنانية .

المؤتمر الخامس للاتحاد الدولى

لنقابات العمال العرب

انعقد فى القاهرة فى الفترة من ٢٦ ـ ٢٩ مايو ١٩٧٢ المؤتمر الخامس للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب . وقد اشترك فى المؤتمر وفود تمثل اتحادات العمال فى خمسة عشر قطرا عربيا ، ومندوبون عن الاتحادات المهنية العمالية العربية ، كما اشترك فى المؤتمر الاتحاد العالمى للنقابات ، والاتحاد الدولى للعمل (المسيحى) واتحاد نقابات عموم افريقيا والمركز العمالى لامريكا اللاتينية (المسيحى) والمنظمة الاوروبية للاتحاد الدولى للعمل ، ومنظمة العمل الدولية ومجلس السلام العالمى ، ومنظمة تضامن الشعوب الافرو آسيوية ، ورابطة الحقوقيين الديمقراطيين ، واتحاد الشباب الديمقراطى العالمى ، والاتحاد النسائى الديمقراطى ولجنة العفو الدولية وممثلى حركات التحرير ، وممثلى الاتحادات النقابية فى البلدان الاشتراكية ، وبعض البلدان الاوروبية والاسيوية والافريقية .

وقد اتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات حول قضايا النضال والتحرر والقضايا النقابية ، **فأولا :** اعتبر المؤتمر قضية فلسطين المحرك الاساسى للثورة العربية المعاصرة سيما وان احتلال فلسطين بالتواطؤ مع الاستعمار والصهيونية والرجعية كان مقدمة لمخطط امبريالى صهيونى توسعى نفذته الامبريالية على مراحل بواسطة صنيعتها « اسرائيل » ، وأن رد الشعب العربى الفلسطينى فى كفاحه البطولى وثورته المسلحة ردا مشروعا تبنته الجماهير العربية وقواها الثورية كطريق رئيسى لتحرير الارض العربية المحتلة بأكملها ، الى جانب الدور الكبير الذى يجب أن تؤديه الجيوش العربية فى معركة التحرير وهى معركة شاملة تحتاج الى تجنيد طاقات الامة العربية ، وصبهافى تيار ثورى تحررى واحد . وأعلن المؤتمر ان الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى هو الثورة الفلسطينية الممثلة فى منظمة التحرير الفلسطينية ولا أحد سواها . واعتبر المؤتمر أن ما اقدمت عليه السلطة الاردنية ضد الشعب الفلسطينى وثورته المسلحة هو خيانة قومية وطعنة موجهة الى أمانى الامة العربية وتطلعاتها ، وأوصى المؤتمر المنظمات النقابية أن تمارس ضغوطا على حكومتها من أجل مقاطعة الاردن اقتصاديا وسياسيا .

ثانيا : وأعلن المؤتمر ضرورة تشديد النضال ضد الاحتكارات الامبريالية والانظمة المرتبطة بها ، والمستفيدة من استمرارها ، ودعا العمال العرب ومنظماتهم النقابية الى التصدى للانظمة الحامية للاحتكارات النفطية وتعريتها ، وفضح ارتباطاتها التآمرية حتى تتحقق الارادة الجماهيرية الثورية فى السيطرة على الثورات النفطية واستثمارها لمصلحة جماهير الشعب العربى بدلا من أن تكون سلاحا فى يد أعدائه ووسيلة لهو وترف للقلة المستغلة •

ثالثا : وأعلن المؤتمر أن لقضية الحريات الديمقراطية اهمية خاصة فى هذه المرحلة التى تعيشها أمتنا فى كافة أقطارها ، وأنه بدونها لا يمكن توفير الامكانات الضرورية لحشد طاقات الجماهير وزجها فى المعركة وأن المقياس الحقيقى لتقدمية الحكم فى أى بلد عربى وجدية تصديه للهجمة الاستعمارية الصهيونية التى تستهدف وجودنا مرهون بالموقف الذى يتخذه من قضية الحرية الديمقراطية وفى مقدمتها الحريات النقابية • وفى مجال توفير الحريات النقابية رأى المؤتمر أنه : ا ــ **بالنسبة للاقطار المتحررة والتى تسير فى طريق التحول الاشتراكى** ، فان مواجهة المخططات الاستعمارية والرجعية الهادفة لضرب الانظمة التقدمية يتطلب ، بناء حركة عمالية قادرة على مواجهة هذه المخططات ، والنضال ضد البيروقراطية التى تسعى الى محاصرة نشاط الطبقة العاملة بهدف تصفية الحركة الشعبية لصالح أصحاب الامتيازات الرأسمالية والرسمية ، والنضال من أجل تحقيق الرقابة العمالية فى المجالات الانتاجية والادارية ، وتعميق مبدأ الديمقراطية الشعبية لتحقيق قيام دولة ديمقراطية تشارك فيها الجماهير عن طريق منظماتها مشاركة حقيقية وفعالة •

ب ــ **وفى البلدان التى تكافح فيها الجماهير ضد الانظمة الرجعية والرأسمالية** ، العمل على تدعيم الحركة العمالية وتعزيز وحدتها ، ومحاربة الاستغلال الاقتصادى وعمليات نهب خيرات الشعب ، والعمل على اقامة جبهة وطنية تقدمية أساسها العمال والفلاحون تضم جميع قوى الشعب العاملة والتقدمية بهدف اسقاط أنظمة الاستغلال والرجعية واقامة أنظمة تقدمية وطنية •

ج ــ **وفى المناطق والاقطار التى تعانى من الاحتلال والسيطرة الاستعمارية** ، النضال من اجل دعم الكفاح الوطنى ، لانهاء السيطرة الاستعمارية والعمل على بلورة المضمون الاجتماعى والاهداف السياسية القومية للكفاح •

واتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات بادانة أساليب البطش والعسف بالحركة النقابية والعمالية فى عديد من الاقطار العربية ، فقرر :

١ ــ التنديد بالاجراءات الوحشية التى تعبر عن طبيعة الاحتلال الصهيونى ضد العمال والنقابيين العرب فى الارض العربية المحتلة ، وادانة الجرائم التى ترتكبها قوى الاحتلال ومنظمة الهستدروت •

٢ ــ عدم الاعتراف بأى تنظيم نقابى فى الاردن تفرضه السلطات العميلة وتقديم الدعم الكامل للاتحاد العام لنقابات العمال فى الاردن من خلال ممثليه الشرعيين ، والمطالبة بالافراج عن النقابيين المعتقلين ومطالبة الامانة العامة بتقديم شكوى الى منظمة العمل العربية ضد انتهاك السلطة الاردنية للحريات النقابية •

٣ ــ يعلن المؤتمر أن الحركة النقابية فى القطر السودانى الشقيق تعرضت فيما بين فترة المؤتمر الرابع والمؤتمر الخامس الى أحداث خطيرة كان من نتائجها المباشرة أن فقدت الطبقة العاملة العربية والعالمية قائدا من أبرز قادتها ، وهو المناضل النقابى الشهيد الشفيع أحمد الشيخ الامين العام لاتحاد نقابات عمال السودان والى زج مئات النقابيين فى السجون • ولذا فان المؤتمر الخامس يشجب عمليات القمع والتنكيل التى تعرضت لها الحركة النقابية السودانية ويطالب بالافراج عن النقابيين المعتقلين فورا وخصوصا الزميل عوض الله ابراهيم رئيس الاتحاد والحاج عبد الرحمن ومحمد خلف الله ورفاقهم من قادة الحركة النقابية السودانية ووقف الملاحقات ضدهم والعمل على تهيئة المناخ الملائم لاجراء الانتخابات النقابية فى ظل جو ديمقراطى سليم وباشراف الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب •

٤ ــ دعم اللجنة التأسيسية لعمال البحرين والمطالبة بالافراج عن المعتقلين النقابيين واطلاق الحريات النقابية فى البحرين وكل منطقة الخليج العربى وعمان وتحديد يوم ٩ يونيو من كل عام لنصرة الطبقة العاملة والثورة المسلحة فى الخليج العربى على أن تشارك فيه جميع الاتحادات العمالية العربية • وفتح مكتب للاتحاد الدولى للعمال العرب فى الكويت أو العراق أو اليمن الديمقراطية لمتابعة الاحوال العمالية فى الخليج العربى •

٥ ــ شجب عمليات الاعتقال والاضطهاد التى تقوم بها حكومة الجمهورية العربية اليمنية ضد

القادة النقابيين . كما أدان المؤتمر جميع الاعتداءات والغارات الجوية البريطانية على أراضي جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وناشد كافة القوى التقدمية العربية والعمالية الوقوف الى جانب نضال شعب اليمن الديمقراطي في نضاله ضد كافة المؤامرات التي تحيكها الامبريالية والرجعية العربية في الجزيرة العربية والخليج .

٦ - كما شجب المؤتمر الاساليب الهمجية التي تمارسها السلطات المغربية لاضطهاد الحركة الشعبية والنقابية . كما شجب السياسة المغرقة في الرجعية التي تسير عليها حكومة المملكة العربية السعودية وقطر والبحرين .

وفي مجال العلاقات مع المنظمات النقابية الدولية والاقليمية والوطنية - لاحظ المؤتمر الخامس للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب الدور القوي والنضالي للحركة العمالية التقدمية في العالم ووقوفها جبهة واحدة ضد الاحتكارات وقوى الاستغلال والامبريالية ، ويظهر بوضوح الدور الفعال والبارز للاتحاد العالمي للنقابات هذه المنظمة التي وقفت باستمرار الى جانب القضية ومنحت المزيد من الدعم المادي والمعنوي من أجل حركة التحرر العربية ، وقد دعا المؤتمر المنظمات النقابية العربية لتشديد النضال الى جانب الاتحاد العالمي للنقابات .

وقد ندد المؤتمر بالسياسة الاستعمارية التي تتبعها قيادة الاتحاد الحر لارتباطها بقوى الاحتكارات والامبريالية وسيطرة المخابرات الامريكية المركزية عليها وموقف هذه المنظمة المعادي للقضايا التحررية في الوطن العربي والعالمي . ولذلك دعا المؤتمر - العمال المناضلين الذين تعوقهم هيمنة هذه المنظمة الى تشديد النضال لضرب سيطرة الاحتكارات العالمية والتحرر من القيادات الذيلية من أجل الوحدة العمالية العالمية وانهاء كل الوجود الاستعماري في العالم

ولم يوافق المؤتمر على اشتراك وفد سوداني بسبب عدم اجراء انتخابات نقابية في السودان تحت اشراف الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب وفق قرار مجلسه المركزي . كما رفض المؤتمر حضور مندوبي السلطة الاردنية واعترف المؤتمر بقيادة اتحاد عمال الاردن الشرعية التي تعرضت للسجن والنفي من الاردن .

وأنهى المؤتمر اجتماعاته بانتخاب أمين عام جديد للاتحاد - **عبد اللطيف بلطية** - بدلا من الدكتور **فوزي السيد** الامين العام السابق ، كما انتخب المؤتمر أعضاء المجلس المركزي وجهاز الامناء المساعدين والذين أصبحوا ستة أمناء مساعدين بعد أن كانوا خمسة وقد أصبح اليمن الديمقراطي أمين مساعد . وقد أبدت الوفود العربية مجموعة من الملاحظات الهامة حول أسلوب العمل ووسائله - أقرت من جانب المؤتمر منها ضرورة جماعية القيادة واستقلالية الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب وتوسيع مشاركة الاتحادات العربية في مختلف أنواع النشاط ، وضرورة العمل لتوثيق تاريخ الحركة العمالية والنقابية العربية ، ودعم مجلة العمال العرب ، واصدارها بصورة شهرية مستمرة وتوفير الامكانيات اللازمة لها لكي تكون معبرة عن نشاط وواقع العمال العرب ، وعقد ندوات دورية للصحافة العمالية العالمية ، والتوسع في تنظيم الجولات والاسابيع الاعلامية والتضامنية مع التركيز على الدول التي يمارس فيها النشاط الصهيوني تحركا مشبوها .

وقد قرر المؤتمر عقد مؤتمر استثنائي بعد تسعة شهور لمتابعة تنفيذ ما اتخذ من قرارات .

●

● لبنان ●

هدف اسرائيل . . أردنة لبنان

قامت اسرائيل في ٦/٢٢ بشن هجوم عسكري كبير على منطقة **العرقوب** في جنوب لبنان ، اشتركت فيه عشرات الطائرات من طراز الفانتوم والسكاي هوك الامريكية والمدفعية الثقيلة ، ثم أعقبته بهجوم للقوات البرية المعززة بالدبابات ، وقد تم هذا الهجوم اثناء وجود وفد عسكري سوري في زيارة رسمية لمنطقة الحدود الجنوبية ، وذلك في اطار الزيارات التي يتبادلها الجيشان ، وقد تمكنت القوات الاسرائيلية من أسر خمسة من الضباط السوريين وهم برتبة [عميد ، وعقيدان ، واثنان من المقدمين] وأسر ضابط وثلاثة من الجنود اللبنانيين ، وتمكن ضابطان سوريان كانا ضمن الوفد من الهرب .

وذكرت قيادة الجيش اللبناني : « أن الوفد السوري قد وقع في كمين داخل الاراضي اللبنانية مكونا من ٥ دبابات و ٣ مدرعات ناقلات للجنود وانتهز الكمين عودة القوة اللبنانية بعد تأمينها

الطريق للوفد السورى ثم قامت باطلاق النار على سيارات الوفد فقتل بعض أفراده واقتيد البعض الاخر داخل الاراضى الاسرائيلية .

وقد راح ضحية العدوان الاسرائيلى عشرات من القتلى والجرحى من رجال المقاومة والمواطنين اللبنانيين ، وتعرضت قرى الجنوب لخسائر كبيرة .

وقد طلبت لبنان من مجلس الامن عقد اجتماع فورا لبحث العدوان ووضع حد للاعتداءات المتكررة من جانب اسرائيل على الاراضى اللبنانية كذلك طالبت الحكومة السورية فى بيان الى الرأى العام العالمى تناشده فيه التدخل السريع للافراج عن الضباط السوريين المخطوفين ، كما استدعت وزارة الخارجية السورية سفراء الدول الاعضاء فى مجلس الامن وابلاغهم بالحادث ، ولفت انظارهم الى خطورة الموقف الناجم عن هذا الحادث .

ويعتبر الهجوم الاسرائيلى على جنوب لبنان جزء من المخطط الصهيونى الاستعمارى ، الذى يستهدف احداث الشقاق بين الشعب اللبنانى والفدائيين الفلسطينيين ، واساءة العلاقات بين الجيش اللبنانى والفدائيين وخلق ظروف تؤدى الى تكرار ما حدث فى الاردن من قبل .

وقد طلب **ياسر عرفات** القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية من الملوك والرؤساء العرب التدخل فورا لمواجهة المخطط الصهيونى الامريكى واتخاذ موقف عملى لا الاكتفاء بالتصريحات ، وعدم ترك لبنان وحيدا فى المعركة ، وأن الفدائيين الذين يقاتلون على أكثر من جبهة لا يستطيعون وحدهم مواجهة المؤامرة . ودعا ياسر عرفات الملوك والرؤساء العرب الى تجديد تأييدهم للثورة الفلسطينية باتخاذ موقف من أمريكا ذاتها .

وقد أثار العدوان الاسرائيلى على جنوب لبنان انتقاد الجماهير والصحافة الوطنية والتقدمية فى لبنان لموقف السلطات اللبنانية واهمالها فى الدفاع عن البلاد ، هذا فى نفس الوقت الذى لم تتوقف فيه الاعتداءات الاسرائيلية ومهاجمة الشواطىء اللبنانية ، كما أعلن مندوب اسرائيل أثناء مناقشة شكوى لبنان وسوريا أمام مجلس الامن : « ان حكومته لن تتقيد بأى قرار يصدره المجلس مهما كانت صيغته » .

ويقوم الرئيس **أنور السادات** فى الوقت الحالى باتصالات واسعة مع الملوك والرؤساء العرب لبحث الوضع الراهن فى لبنان . وقد اعلن صائب سلام رئيس الحكومة اللبنانية : ان لبنان يرفض محاولات اسرائيل وغير اسرائيل للوقيعة بين الشعبين اللبنانى والفلسطينى .

وتبحث الحكومة اللبنانية فى الوقت الحالى مع قيادة المقاومة ، مسالة وضع المقاومة فى لبنان من أجل التوصل الى **اتفاق جديد** . ومن الطبيعى أن يكون هذا الاتفاق موضع صراع بين القوى المختلفة حيث تضغط الدوائر الرجعية لتصفية المقاومة ، بينما تتجه القوى التقدمية الى حمايتها ودعمها .

●

● العراق ●

تأييد عربى وتآمر استعمارى

اتخذت كل من حكومة العراق وسوريا فى ٦/١ قرارا بتأميم ممتلكات شركة نفط العراق فى اراضى كل منهما ، وتعتبر هذه الشركة من اكبر الاحتكارات الاستعمارية التى تقوم باستغلال البترول فى الشرق الاوسط ، ويشارك فيها **رأس المال الانجليزى الهولندى بنسبة ٤٧ر٥ فى المائة من اسهمها ، وتمتلك كل من امريكا وفرنسا نسبة ٢٣ر٧٥ فى المائة من الاسهم** ، وقد قام العراق بتأميم الشركة بعد انتهاء المهلة التى حددتها الحكومة لشركة البترول من قبل فى ١٧ مايو .

وكانت المفاوضات قد بدأت بين ممثلى حكومة العراق وشركة نفط العراق فى حوالى منتصف شهر يناير الماضى ، وتقدم خلالها وفد العراق بعدة مطالب شرعية من بينها اشتراك حكومة العراق بنسبة ٢٠ فى المائة من رأس المال الاساسى للشركة ، وتسديد الشركة جميع الديون المستحقة عليها للحكومة العراقية عن الفترة من عام ١٩٦٤ حتى ١٩٧٠ وتبلغ ٧٢ مليون جنيه استرلينى ، والتوسع فى انتاج البترول بنسبة ١١ فى المائة سنويا ، ومشاركة الحكومة فى الاشراف على الحساب المالى للشركة داخل العراق بدلا من لندن ، ونقل مقر الشركة من لندن الى بغداد .

ولكن الشركة بدلا من ان تستجيب لمطالب الحكومة العراقية ، لجأت الى اسلوب الضغط الاقتصادى على الحكومة للتراجع من مطالبها

وقامت فى شهر مارس وابريل ومايو الماضى بتخفيض كمية النفط المستخرج ، مما أدى الى فقد العراق حوالى ٣٠ مليون جنيه استرلينى نتيجة هذا الاجراء المتعمد، ورفضت الشركة انذار الحكومة لها باعادة الانتاج الى مستواه السابق كما عمدت الى المناورة عن طريق اثارة مطلب التعويض عن الاراضى غير المستثمرة التى انتزعت من الشركة فى عهد **عبد الكريم قاسم** ، بموجب القرار رقم ٨٠ ٪ والتى تشمل ٩٩ر٥ فى المائة من مجموعة مساحة الاراضى العراقية ، الامر الذى رفضته الحكومة العراقية باعتباره خارج موضوع المفاوضات الحالية .

ويعتبر المراقبون ان من بين الاسباب التى تثير حقد الشركة الاستعمارية ، هو اقدام حكومة العراق على استثمار حقول بترول **شمال الرميلة** فى شهر ابريل الماضى ٪ بنفسها ولاول مرة فى تاريخ البلاد ، ومد خط انابيب بين حقول الرميلة وميناء الفاو فى محافظة البصرة ، ويبلغ طوله ١٣٨ كيلومترا وبطاقة تبلغ ١٨ مليون طن سنويا، وذلك بمساعدة الاتحاد السوفيتى . الامر الذى يحقق المصالح والسيادة الوطنية، ويحفظ للشعب العراقى ثروات بلاده الطبيعية . والمعروف ان الشركة الاحتكارية فضلا عن قيامها باستخراج وتصدير البترول، فقدكانت تقوم بتكريره وتسويقه وتجنى من وراء هذه العمليات مئات الملايين من الجنيهات الاسترلينية سنويا .

وينص قرار التأميم على استعداد حكومة العراق للتفاوض مع الجانب الفرنسى بشركة نفط العراق ، وذلك مراعاة لموقف فرنسا من القضايا العربية . كما قررت سوريا ان تحذو حذوالعراق فيما يتعلق بالمحافظة على نصيب الشركةالفرنسية فى شركة نفط العراق المؤممة ، والمتمثلة فى ثلاث خطوط رئيسية للانابيب وثلاث محطات للضخ ، وذلك تقديرا لموقف فرنسا . وسوف تتولى **«شركة النفط الوطنية العراقية»** عمليات تسويق انتاج الشركة المؤممة . وقد تم التوصل بين العراق وفرنسا الى صيغة للتعاون بينهما فى مجال البترول ، وتعهد العراق ان يبيع لفرنسا ولمدة ١٠ سنوات كمية تعادل ٢٣ر٧٢ فى المائة من انتاج الشركة المؤممة ، وتعهد فرنسا بتقديم معونة اقتصادية للعراق مقابل تشجيع المشروعات الفرنسية على مواصلة عملها فى العراق .

ويحظى موقف حكومة العراق الحازم ضد احتكارات البترول بتأييد ومساندة الحزب الشيوعى العراقى والحزب الديمقراطى الكردستانى فى البلاد . كذلك اعلنت كافة القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى عن ترحيبها بهذا الاجراء ، باعتبار ان معركة الشعبين العراقى والسورى من إجل استرجاع ثرواتهما الطبيعية ليست منفصلة عن المعركة التى تخوضها اليوم كافة القوى الوطنية والتقدمية العربية ضدالقوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية فى الوطن العربى ، وان هذا التأميم فى صالح جميع الشعوب العربية .

وحتى الان لميتضح موقف الشركة الاستعمارية المؤممة على وجه التحديد ، وفى اعتقاد المراقبين ان الاحتكارات التى اصابتها هذه الضربة لن تقف مكتوفة الايدى ، وسوف تلجأ بالتعاون مع الاحتكارات العالمية الاخرى الى خلق العقبات امام تسويق بترول العراق المؤمم ، وتصعيد المؤامرات ضد العراق ، فى محاولة لوقف انتشار عدوى التأميم ولارهاب الشعوب العربية . وهو ماتشير اليه صحيفة « **لاكروا** » الفرنسية بتاريخ ٧/٦ بقولها : «لقد بات من المؤكد تماما ان العلاقات بين الدول المنتجة والدول المستهلكة للبترول لن تعود الى ماكانت عليه فيما سبق . فحركة تأميم الموارد البترولية التى بدأت فى الجزائر وفى ليبيا لن تتوقف عند العراق » .

وقد أعلن **مؤتمر البترول العربى الثامن** الذى عقد بالجزائر فى اوائل الشهر الماضى عن وقوفه الى جانب العراق ودعوته لجميع الحكومات العربية المنتجة للبترول الى التعاون مع العراق فى معركته الحالية فى مواجهة الحصار الذى يفرضه اعضاء الكارتل الدولى للبترول لمنع تسويق بترول كركوك المؤمم [حوالى ٥٠ مليون طن] ولمنع الشركات من زيادة البترول المستخرج عن المستوى الحالى من اجل تعويض خسارتها عن بترول العراق المؤمم . كذلك اعلنت منظمة الدول العربية المصدرة للبترول اثر اجتماعها فى بيروت فى ٦/١٠ تأييدها الكامل للعراق ، كما دعت المنظمة الى عقد اجتماع لوزراء المالية فى الدول الاعضاء لاقرار المساندة المالية للحكومة العراقية .

وقد اوضح الشيخ **عبد الله الطريقى** خبير البترول العربى ردا على المتخوفين من امكانية تسويق البترول العربى المؤمم ، بأن العراق وليبيا وسوريا تستطيع ان تتعاون فى مجال التسويق خاصة وان نفط البلاد الثلاثة يتم بيعه على البحر الابيض المتوسط .

وقد اعلنت دول المعسكر الاشتراكى مساندتها الكاملة للعراق فى معركته الحالية ضد الاحتكارات البترولية الاستعمارية وسوف يساعد الاتحاد السوفيتى العراق فى انشاء شركة للنقل تشمل اساسا ناقلات البترول ، وذلك وفقاللاتفاقية الصداقة والتعاون التى وقعت بين البلدين فى شهر ابريل الماضى ، كذلك تم التوقيع على عقدين بين شركة النفط الوطنية العراقية وبلغاريا للقيام بحفر عدد من الابار فى شمال غربى العراق ،

وتعهدت بلغاريا بمقتضاهما بدفع قروض العراق لاستثمارها فى تطوير صناعه النفط على ان تسدد هذه القروض مقايضه بالنفط العراقى الخام .

●

● المغرب ●

أهم قرار .. لمؤتمر ((الهوامش الآمنة))

يعتقد المراقبون السياسيون ، أن القرار الذى اتخذه مؤتمر القمة الافريقى الذى انعقد فى الشهر الماضى بالرباط (المغرب) ، بشأن « أزمة الشرق الاوسط » ، هو أهم قرار اتخذه المؤتمر سوف تتضح آثاره مع مجريات الاحداث المتعلقة بالازمة عند مناقشتها فى الساحات الدولية . فبرغم علاقات اسرائيل القوية بـ ٣١ دولة افريقية ، الا أن ذلك لم يحل دون اتخاذ القرار . ويرجع المراقبون أسباب هذا الى دور رؤساء لجنة العشرة الذين احتكوا مباشرة بالمسئولين فى كل من مصر واسرائيل ، واتضح لهم الدور المعوق الذى تقوم به اسرائيل من أجل الوصول الى حل ، ثم الى دور وزير الخارجية المصرى الدكتور مراد غالب الذى لعب دورا بارزا فى هذا المجال ، وأخيرا الى تأثيرات نتائج تجربة العلاقة الاسرائيلية ـ الاوغندية التى كشف فيها رئيس أوغندا عيدى أمين أعمال التخريب والتآمر الذى مارسته اسرائيل ضد بلاده .

وينص قرار المؤتمر بشأن الشرق الاوسط ، على « شجب موقف اسرائيل السلبى والمعوق الذى يحول دون استئناف مهمة يارنج » ويدعو القرار الى ضرورة أن تنسحب اسرائيل « فورا من كافة الاراضى العربية المحتلة الى خطوط ما قبل ٥ يونيو وفقا لقرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ » وذلك « دون قيد أو شرط » ويطالب القرار كافة الدول الاعضاء فى الامم المتحدة « بالامتناع عن امداد اسرائيل بأية أسلحة أو عتاد حربى أو تأييد معنوى يجعلها قادرة على دعم قوتها العسكرية واستمرار احتلالها الاراضى العربية والافريقية » .

ويرى المعلقون أن مؤتمر القمة الافريقى هذا العام ، لم يشهد المناقشات الحادة التى تعكس الخلافات الكبيرة بين كثير من دول منظمة الوحدة ، والتى تميزت بها اجتماعات المؤتمر السابق فى العام الماضى ، وخاصة حول قضية « الحوار مع جنوب افريقيا » . ويرجع المعلقون ذلك ، الى أن الحركة السياسية العامة للعلاقات الدول الافريقية ، ما زالت تمر بفترة « التوازن العام » حيث لا تمثل القوى التقدمية فيها اتجاها غالبا ، كما لا تمثل القوى المحافظة اتجاها مسيطرا . ومن هنا كان حرص معظم الاطراف على الابقاء فى اطار « الهوامش الامنة » التى يمكن أن يتجمع حولها الغالبية . ولذلك اتسمت بعض القرارات ـ فى نظر بعض الدوائر الافريقية التقدمية ـ بالوفاقية والمهادنة . وأبرز هذه القرارات ما يتعلق بالعمل على توحيد الجبهتين المختلفتين فى أنجولا التى يتزعم أقواها وأكثرها تقدما ، أوجينونيتو ، ويتزعم الاخرى المحافظة روبرتو هولدن . وفى هذا الاطار أيضا ، يقيم المراقبون تسوية الخلافات بين غانا وغينيا حول مسألة دفن جثمان الرئيس الراحل كوامى نكروما ، حيث اتفقا على اعادة دفنه فى غانا فى احتفال شعبى .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد احتلت مشاكل منظمات التحرير التى تقود الكفاح الوطنى السياسى والمسلح فى الدول التى لم تستقل بعد ، حجما ملحوظا فى اجتماعات المؤتمر . وقد قرر المؤتمر الاعتراف بقيادات منظمات التحرير والسماح لهم بالاشتراك كمراقبين فى أعمال منظمة الوحدة . كما قرر زيادة المساعدات المالية لمنظمات التحرير بنسبة ١٠ فى المائة بالاضافة الى المساعدات العسكرية الاخرى .

وتمكن رؤساء وفود المؤتمر من الاتفاق على ادانة حلف الاطلنطى والدول التى تخرق قرارات الامم المتحدة الخاصة بمقاطعة جنوب افريقيا وطالبوا بمنع ارسال السلاح اليها . كما اتفقوا على أهمية أن تقطع الدول الافريقية روابطها بالبرتغال ، وتأييد كفاح شعوب المستعمرات البرتغالية وناميبيا وزيمبابوى .

ومن المعروف بأن وفود المؤتمر قد أعلنت ترحيبها بالاتفاق الذى توصلت اليه حكومة السودان مع عناصر الجنوب ، والذى أوقف عمليات القتال هناك . وقد تناول المؤتمر بالبحث ساعدة جنوب السودان على اعادة تعميره ، وتوطين اللاجئين من أبناء الجنوب وقد أعلنت بعض الدول عن تقديم تبرعات منها فى هذا الصدد .

ومن الجدير بالذكر ، أن كورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة ، قد حضر المؤتمر والقى خطابا فى جلسته الافتتاحية ، أشار فيه الى جهود دول القارة من أجل التقدم الاقتصادى والاجتماعى ونضالها ضد العنصرية .

ويرى بعض المراقبين الافريقيين التقدميين ، أنه برغم مضى بريطانيا فى تآمرها مع حكومة سميث

العنصرية فى روديسيا وافتضاح دور لجنة بيرس للتحقيق ، الا أن المؤتمر لم يتمكن من اتخاذ القرارات والخطوات الايجابية الكافية لتهديد بريطانيا ومصالحها والضغط عليها من أجل العمل على ان يتمكن شعب روديسيا من تقرير مصيره .

وفى الوقت الذى يؤمن فيه المعلقون الوطنيون فى افريقيا ، بأهمية المحافظة على كيان منظمة الوحدة الافريقية ودعمه ، الا أنهم يعتقدون أيضا بضرورة أن تقوم الدول الافريقية التقدمية بممارسة دور أكثر فعالية من خلال تنسيق أعمالها المشتركة وتوحيد خطواتها بشأن حركة التحرر الافريقى .

● المانيا الغربية ●

عودة العلاقات العربية الالمانية

أعلن فى الشهر الماضى عن عودة العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وبون بعد أن ظلت مقطوعة لمدة سبع سنوات . ويتوقع المراقبون أن تحذو كل من سوريا والكويت حذو القاهرة خلال وقت قصير ، وبهذا لا يتبقى من الدول العربية العشر التى قطعت علاقتها الدبلوماسية مع بون فى عام ١٩٦٥ سوى دولة واحدة هى العراق بالاضافة الى جمهورية اليمن الجنوبية ، حيث يحتاج الامر معهما — كما قالت مجلة « تسايت » الاسبوعية الالمانية فى عدد ٩ يونيو — الى وقت طويل نظرا لتمسكهما الشديد بعدم استئناف العلاقات المقطوعة .

والمعروف أن السبب المباشر للموقف الذى اتخذته الدول العربية العشر عام ١٩٦٥ هو قرار بون باقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل فبعد أن كشفت الدول العربية أمر صفقة السلاح الالمانى التى عقدها اديناور مع بن جوريون عام ١٩٦٣ فى فندق « والدورف استوريا » بنيويورك تحت اشراف الولايات المتحدة . حاول «ايرهارد» المستشار الالمانى حينذاك أن يعالج الموقف فأسرع يشحن بقية الصفقة الى اسرائيل ثم أعلن ترضية للزعماء العرب أن هذه الصفقة كانت قد عقدت بضغط أمريكى وباستغلال عقدة الذنب الالمانية تجاه اليهود ، وتعهد بألا تعود المانيا الى توريد السلاح لاسرائيل مرة أخرى . لانها راغبة فى اقامة علاقات طيبة مع جميع البلدان فى الشرق الاوسط . وقد اقتنع الزعماء العرب بهذا التفسير وكادت الازمة أن تنتهى لولا أن عاد ايرهارد فأعلن عزمه على اقامة علاقات طبيعية مع اسرائيل بما فى ذلك الاعتراف وتبادل التمثيل الدبلوماسى معها . وردت الدول العربية بأنها ستعتبر ذلك ان حدث عملا عدائيا من جانب الالمان يستوجب الرد عليه بالشكل المناسب . وبعد أسابيع قليلة مضى ايرهارد فى تنفيذ ما أعلنه وعلى الاثر اجتمع مجلس الجامعة العربية وأعلنت عشر من دولها قطع العلاقات مع المانيا الغربية .

وبعد النكسة بدأت الدول العربية تعيد علاقاتها مع المانيا الغربية واحدة وراء الاخرى فبدأت الاردن عام ١٩٦٧ ثم اليمن والسعودية عام ١٩٦٩ وبعد ذلك السودان والجزائر يناير ١٩٧٢ ولبنان مارس ١٩٧٢ وأخيرا القاهرة فى يونيو الماضى .

ويشير المراقبون الى أن الدول العربية لم تنجح سواء مجتمعة أو كل دولة على حدة فى أن تحمل بون على اصدار بيان سياسى خاص لادانة العدوان الاسرائيلى كاجراء مسبق لاستئناف العلاقات الدبلوماسية ، ولكنهم يشيرون فى نفس الوقت الى الاتجاهات الجديدة لحكومة « برانت » كعامل مشجع للدول العربية على العودة الى اعلان رضائها عن بون تحت مظلة الاشتراكيين الديمقراطيين .

ويعد المراقبون ضمن هذه الاتجاهات توقيع بون على ورقة السوق الاوروبية المشتركة فى عام ١٩٧١ ، وهى الورقة التى طالبت اسرائيل بالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة كمقدمة لاقرار السلام فى الشرق الاوسط ويعدون كذلك اتجاه بون الى التخلى عن مبدأ هالشتين الذى يقضى بعدم اقامة علاقات دبلوماسية مع أى دولة تعترف بألمانيا الديمقراطية وهو ما سوف يسمح بعودة العلاقات مع مجموعة الدول العربية التى اعترفت بألمانيا الديمقراطية منذ عام ١٩٦٩ .

ومما يذكره المراقبون كذلك أن حجم العلاقات الاقتصادية بين بون وبين مختلف الدول العربية قد تزايد خلال السنوات السبع الماضية رغم عدم وجود التمثيل الدبلوماسى تزايدا واضحا حتى ان حجم التبادل التجارى بين بون والقاهرة على سبيل المثال ارتفع فى عام ١٩٧٠ وحده بنسبة ٤٣٪ .

وتقرر مجلة « تسايت » الالمانية فى نفس العدد السابق المشار اليه ان بون ستبقى مقيدة بالتزاماتها الماضية لزمن طويل وستستمر شريكا لامريكا على مسئوليتها الخاصة فستبقى على علاقاتها الخاصة باسرائيل . وفى نفس الوقت تحافظ على وجودها فى الدول العربية . ولكن الصحيفة تحاول وصف الموقف العربى الحالى ازاء بون بأنه نوع من التراجع غير المنظم عن قرار ١٩٦٥ تحت الحاح مضاعفات نكسة يونيو .

ويعلق المراقبون على ذلك قائلين انه بغض النظر عن آراء الصحف الالمانية فان اسلوب قطع العلاقات الديبلوماسية ليس هو الاسلوب المناسب وانما لمواجهة المناورات الامبريالية . وانما الاسلوب الفعال حقا هو أن تشعر بون دائما بأن المحافظة على مصالحها فى المنطقة رهن بمواقفها العملية المقبلة ازاء مختلف القضايا العربية .

●

● فيتنام ●

هل انكسر هجوم الثوار فى فيتنام ؟

بالنسبة للكثيرين الذين تابعوا هجوم الثوار الكبير فى فيتنام الجنوبية ، هناك سؤال ملح :هل **انكسر هجوم الثوار ؟ واذا كان انكسر الهجوم فعلا فلماذا ؟**

ولابد أن نقرر من البداية انه ليست لهذا السؤال اجابة بسيطة ومباشرة ، بنعم او بلا . ذلك أن احدا لم يكن يعرف ما هى الاهداف المحددة لهجوم الثوار ، وكل ما تردد طوال الفترة السابقة كان من قبيل التخمينات . كما أنه بالنسبة للفترة القادمة فان احدا لا يستطيع ان يحزم بما سيحدث وما اذا كان الهجوم الكبير سيعود مكتسبا دفعة جديدة أم أن وقتا طويلا سيمر قبل أن يصبح فى امكان الثوار القيام بعمليات كبيرة .

ولكن هناك حقيقة مؤكدة يعترف بها الامريكيون وقادة جيش سايجون على السواء ، **وهى أن الثوار لم يفقدوا أية أجزاء مما أمكنهم السيطرة عليها فى هجومهم الكبير ، أى أنهم لا يزالون «يتمتعون بقوة الاحتفاظ بما أخذوا»** . وهو أمر ــ من الناحية العسكرية ــ اهم ، بمعنى أصعب ، من عملية الاستيلاء نفسها . واذا كان الثوار قد أثبتوا وجودهم فى المناطق التى حرروها ، وأهمها أقليم **كوان ترى** بأكمله بما فيه عاصمته ــ وأكثر من ثلثى اقليم « **تواتيين** » الذى تقع فيه مدينة « **هوى** » الاستراتيجية التى يسود اعتقاد له مبرراته بأنها هدف أساسى للثوار ، وشريط طويل من المنطقة الساحلية الواقعة جنوب قاعدة دانانج ، ومواقع عديدة فى الهضاب الوسطى يطبقون منها تماما على **كونتوم** عاصمة المنطقة ، **وآنلوك** (على بعد ٩٦ كيلومترا من العاصمة سايجون) وهى التى بذلت عندها قوات الحكومة حتى الان أقصى جهودها لاستعادتها دون جدوى . بالاضافة الى مواقع عديدة اخرى فى دلتا نهر ميكونج (أكثر مناطق فيتنام الجنوبية ازدحاما بالسكان وأثراها جميعا من الناحية الزراعية بصفة خاصة) . ولكى لا ننسى فان الثوار يسيطرون على هذه المناطق الشاسعة برغم القصف الجوى الرهيب الذى تواصله القاذفات الامريكية على هذه المناطق بغير انقطاع وبشراسة لا نظير لها .

والواقع ان العمل الذى تقوم به قوات التحرير الفيتنامية (سواء أشرنا اليها بقوات الثوار او قلنا انها قوات فيتنام الشمالية) ليس كما نتصور غالبا عملا عسكريا وحسب . ان عملية التحرير بالمفهوم الذى تتولاه قوات الثورة فى فيتنام الجنوبية هى اعقد بكثير من مجرد « الاستيلاء » بمفهومه العسكرى ، فهى عملية تتطلب اعدادا وتهيئة سياسية للمناطق التى تتأهب قوات الثورة لدخولها بحيث يكون وجود قوات الثورة وسلطتها ليس فقط مقبولا بل مطلوبا ، وهذه عملية شاقة بالنظر الى كل امكانيات الدعاية التى يمتلكها الامريكيون والتى استخدموها طوال السنوات الماضية فى الدعاية بين السكان ضد « **الفيت كونج** » و « **الشيوعية** » الخ ..

كذلك **يتطلب هذا الجانب السياسى من عملية التحرير اقامة سلطة سياسية قوية ومتمتعة بالتأييد داخل المناطق التى تحقق قوات الثورة سيطرتها العسكرية عليها . بمعنى أن هناك عملا سياسيا كثيفا يسبق العمل العسكرى ويلحق به أيضا .**

ان ما تردده بيانات القيادة العليا الامريكية فى سايجون أو بيانات جيش فيتنام الجنوبية ، قد يوحى بأن جيش سايجون الذى كان فى حالة انهيار كامل منذ أسابيع قليلة أمام هجمات قوات التحرير قد تحول فجأة الى جيش صامد ، التصور أيضا أن الغارات الجوية الامريكية على فيتنام الشمالية والمناطق المحررة فى الجنوب قد حسمت الامر لصالح جيش سايجون بصورة لا رجعة فيها . وتجربة السنوات العشر الماضية من الحرب تؤكد أنه لا يمكن أخذ هذه البيانات بصورة جدية

والواقع أن حملة الدعاية الامريكية فى الاسابيع الاخيرة تقوم بدور خطير يسير جنبا الى جنب مع الدور التدميرى الذى تقوم به قاذفات القنابل الضخمة . وهو تصور الموقف العسكرى الراهن فى فيتنام الجنوبية بصورة توحى بقرب انهيار هجوم الثوار وانكساره . والهدف من رسم هذه الصورة متعدد الجوانب :

● **الايحاء بأن قرارات نيكسون بتصعيد الغارات الجوية وتلغيم موانى فيتنام الشمالية كانت سليمة وعملية .**

● تخفيف ضغط الرأى العام الامريكى الذى يبدى ان شيئا لا يثيره قدر ما يثيره ضعف حكومة سايجون وجيشها .

● اقناع الرأى العالم العالمى – الامريكى أيضا – بأن باستطاعة جيش سايجون التصدى لهجوم الثوار ، وبالتالى نجاح « فتنمة » الحرب ، وهو ما كان أول الساقطين أمام هجوم الثوار .

وعلى الرغم من أن الثوار يتمتعون بميزة صعوبة التنبؤ بخطواتهم التالية فان تنبؤات الامريكيين أنفسهم لا تحمل أى قدر من التفاؤل . وقد كتبت مجلة « **نيوزويك** » **الامريكية فى عددها** الصادر يوم ١٢ يونيو الماضى – وبالحرف الواحد – « **فى ظل الظروف الراهنة فانه أبعد ما يكون عن اليقين أن يتمكن الفيتناميون الجنوبيون من الصمود أمام تحرك كبير آخر للعدو ، ولسوء الطالع فان معظم الامريكيين (فى سايجون) مقتنعون بأن الهجوم أبعد ما يكون عن نهايته ... ويقول ضابط أمريكى : بصراحة اننا لا نعرف ماذا سيفعلون فى الخطوة التالية ولكننا نتوقع تماما أن فى جعبتهم مفاجأة كبيرة لنا ، وقريبا جدا** » . وفى نفس اليوم قالت مجلة « **تايم** » « **لقد أظهروا (الثوار) من قبل مقدرتهم على اطلاق المفاجآت وقدرتهم على مواصلة القتال ضد كل المصاعب المتصورة ... والسؤال الملح منذ أسابيع هو : الى متى يستطيع الفيتناميون الجنوبيون – وليس الشماليون – مواصلة القتال** » .

●

● ستوكهولم ●

الحرب والفقر وحماية البيئة

منذ بداية عملية الاعداد لمعقد المؤتمر الدولى لحماية البيئة فى ستوكهولم كان من الواضح وجود خطين متعارضين فى التفكير لدى القائمين بالاعداد له ، ولدى المشتركين فيه . وقد بدأت مشكلات المؤتمر قبل انعقاده عندما اتضحت نية الدول الغربية فى الحيلولة دون اشتراك جمهورية المانيا الديمقراطية كعضو كامل فى المؤتمر رغم مكانتها الدولية والعلمية والصناعية كواحدة من أكثر عشر دول فى العالم تقدما من الناحية الصناعية . وقد توفرت الدلائل على ان دول الغرب قد إصرت على موقفها هذا برغم تأكيدات الدول الاشتراكية [عدا رومانيا ويوجوسلافيا] بأنها لن تشترك فى المؤتمر مالم تشترك فيه المانيا الديمقراطية ، مما افصح عن رغبة الغرب فى استبعاد الدول الاشتراكية كلية عن مثل هذا المؤتمر الذى يتناول بالدرجة الاولى قضايا الانسان الحيوية وقضايا التقدم ، ويتعرض بالقطع للسياسات العدوانية التى تمارسها الدول الامبريالية ضد الانسان وبيئته ، وفيتنام هى المثل الصارخ على هذه السياسات اللا انسانية .

وبطبيعة الحال فان غياب الدول الاشتراكية عن اعمال المؤتمر كان له تأثير كبير على فاعليته . فان من هذه الدول مايملك من وسائل التقدم العلمى والتكنولوجى ماكان كفيلا بان يضيف الى جهود المشتركين اضافة هامة فضلا عن الوزن السياسى لدول المجموعة الاشتراكية فى العالم المعاصر .

على ان الدول الامبريالية التى ارادت ان تنفرد بالسيطرة على المؤتمر وتوجيه قراراته لم تستطع ان تحقق هدفها . ولم تقتصر مظاهرات الاحتجاج على سياساتها العدوانية على المظاهرات الشبابية خارج المؤتمر . وانما كان المؤتمر نفسه مسرحا لمظاهرات احتجاج حقيقية جعلت الولايات المتحدة والدول الحليفة لها تشعر أن شبح جرائم الحرب الامريكية فى فيتنام يطاردها الى داخل قاعات مؤتمر حماية البيئة الانسانية . ورغم ارادة الولايات المتحدة والدول المؤيدة لها فرضت مسألة فيتنام نفسها كمسألة تهم المؤتمر بالدرجة الاولى ليس من نواحيها السياسية فحسب بل من نواحيها العسكرية . وقد قام وفد الصين بدور كبير فى هذا الصدد بحملة ضد حرب الابادة التى تشنها العسكرية الامريكية فى الهند الصينية والاضرار الفادحة التى تلحقها بحياة الانسان وبيئته فى تلك المنطقة من العالم .

وكانت مناسبة حضور **انديرا غاندى** رئيسة وزراء الهند جانبا من اجتماعات المؤتمر فرصة ممتازة لم تضيعها الزعيمة الهندية لتأكيد خطورة الحرب على البيئة الانسانية . وقد دقت بالفعل ناقوس الخطر فى اسماع جميع المشتركين فى المؤتمر حين تساءلت ماذا تكون قيمة كل البرامج التى يمكن ان توضع لحماية البيئة اذا جاءت الحرب لتعصف بها . وكان من أهم النقاط التى اثارتها انديرا غاندى ايضا ما اعلنته من انه لايمكن حماية البيئة الانسانية فى ظل ظروف يخيم عليها الفقر .

والواقع أن عددا من العلماء التقدميين ــ حتى من دول الغرب ــ ممن اشتركوا فى المؤتمر قد وضعوا ايديهم على نقطة بالغة الاهمية حينما حذروا من ان تتحول برامج حماية البيئة الانسانية الى مشروعات تدر الارباح للشركات والمؤسسات والاحتكارات الراسمالية على حساب القوى العاملة فى الدول المتقدمة وبصفة خاصة على حساب الدول النامية . وكان من ابرز ما قيل فى هذا الصدد الاتهام الذى وجهه العالم السويدى دكتور « **ايريك جاكوبى** » الى علماء الدول الصناعية المتقدمة واصحاب الصناعات لرفضهم التحول من انتاج المواد الكيماوية الخطيرة ، طمعا فى المزيد من الربح الى المواد الاقل خطورة والتى تحقق نفس الغرض . وقداوضح العالم السويدى ان حالة صغار المزارعين وعمال المزارع فى الدول النامية فى تدهور مستمر نظرا لانهم يتعرضون للبطالة الجماعية نتيجة لاستخدام الالات الحديثة .

وفى هذا الصدد أيضا فقد أعلن **تان كى** رئيس وفد الصين الى المؤتمر ان الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والجماعات الاحتكارية الرأسمالية فيها ــ جريا وراء الارباح العالية واغفالا لحياة أو موت البشر ــ ينهبون ويستغلون بجنون شعوب البلاد الاخرى ويدمرون مصادرها ويبثون عمدا مواد ضارة ويلوثون بيئة هذه البلاد وحتى بيئة بلادهم هم أنفسهم .

على ان اعلان المبادىء الذى اصدره المؤتمر [٢٦ مبدأ] ليكون بمثابة دليل يهدى حكومات العالم فى اوجه نشاطها المختلفة لحماية البيئة من اخطار واضرار التلوث قد تضمن ــ من الناحية النظرية البحتة ــ عددا من المبادىء الهامة والتى تكفل اذا وجدت فرصة التنفيذ العملى . ولهذا فان المسألة كلها تتوقف على مدى استعداد الدول الصناعية المتقدمة للقيام بمسئولياتها تجاه العالم النامى الذى لا يملك الامكانيات المالية ولا الوسائل التكنولوجية التى تكفل له حماية بيئته من اخطار التلوث . وقد ابدت الدول النامية ــ عن حق ــ مخاوفها من ان تفرض عليها قيود تحد من انطلاقها فى مشروعات التنمية بحجة ضرورة المحافظة على البيئة . بمعنى ان الدول المتقدمة قد تجد ذريعة فى مبادىء حماية البيئة لكى تعرقل برامج التصنيع التى تقوم عليها خطط التنمية فى دول العالم النامى .

وربما تكون « خطة العمل » التى اقرها المؤتمر الى جانب « اعلان المبادىء » ــ اكثر النتائج التى توصل اليها مؤتمر ستوكهولم عملية ، وخاصة فيما ترمى اليه الخطة من انشاء ١١٠ محطات فى انحاء العالم لمراقبة ظواهر التلوث والاخطار البيئية الاخرى .

ويبقى ــ بعد كل شىء ــ ان كل مايمكن ان يتم التوصل اليه من مبادىء وما يوضع من مشروعات لحماية البيئة ، من قبيل الترف الذى لابد ان تذروه رياح الحروب العدوانية الوحشية مثلما يحدث فى فيتنام ، او من قبيل النفاق الاجتماعى الذى يفضحه الموقف الطبقى للدول الغنية المتقدمة تجاه الدول الفقيرة .

●

● الولايات المتحدة الامريكية ●

التحالف الذى يمسك بيده خيوط العرائس

كلما اقترب موعد انتخابات الرئاسة الامريكية التى سوف تجرى فى نوفمبر القادم ، كلما اشتد تزاحم الوعود والشعارات والبرامج فى افق المعركة الدائرة الان على قدم وساق بين مختلف المرشحين والاحزاب . ومع ذلك فان معظم المراقبين يتفقون على انه أيا كان من سيفوز بمقعد الرئاسة للسنوات الاربع القادمة فان الخطوط الاساسية لمواقف وسياسات الولايات المتحدة فى الداخل والخارج على السواء لن يطرأ عليها اى تعديل ذى بال .

ويستند رأى هؤلاء المراقبين الى أن تلك المواقف والسياسات لا تتحدد طبقا لشخصية الرئيس وانما تحددها أولا واخيرا مصالح التحالف المتحكم فى المجتمع الامريكى والمكون من أصحاب الاحتكارات والمديرين والعسكريين . وهو الامر الذى يجعل من اى رئيس مجرد موظف فى خدمة الاحتكارات وان كان بحكم موقعه فى البيت الابيض .. أكبر موظف !!

ويتنبأ المراقبون استنادا الى نتائج الانتخابات الاولية داخل الحزب الديمقراطى بأن السناتور « **جورج ماكجفرن** » عضو مجلس الشيوخ عن ولاية داكوتا الجنوبية هو الذى سيفوز بهذا الاختيار . بل ويذهب الكثير منهم فى تأكيد هذا التنبؤ الى حد القول بأن الحزب الديمقراطى سوف يتعرض لازمة عنيفة تؤدى الى تفتيته اذا ما حاول أن يحرم ماكجفرن من الترشيح .

فقد بلغ عدد الاصوات التى حصل عليها ماكجفرن فى الانتخابات الاولية للحزب حتى منا

قبل أسبوعين فقط ، ٩٣٠ صوتا مقابل ٣٣٠ صوتا لجورج والاس و ٣١٨ صوتا لهيوبرت همفري ثم ١٦٣ صوتا لادموند ماسكي . وهنا يسجل المراقبون لماكجفرن استئثاره بكل أصوات ولاية كاليفورنيا البالغ عددها ١٢٨ صوتا كمؤشر على مدى جاذبيته أمام ناخبي الحزب . ويتوقع المراقبون أن يصل ماكجفرن الى مؤتمر ميامي ومعه ١٢٥٠ صوتا على الاقل . ومعنى ذلك انه اذا نجحت المفاوضات مع ماسكي في اقناعه بالتنازل لصالح ماكجفرن فسيكون بمقدور الاخير أن يحصل بسهولة على عدد الاصوات اللازمة لفوزه بالترشيح للرئاسة أثناء مؤتمر ميامي القادم وهي ١٥٠٩ من الاصوات .

ويضيف المراقبون أدلة جديدة لصالح ماكجفرن حينما يقولون بأن مؤتمر ميامي لا يمكن أن يختار والاس ليس فقط بسبب عنصريته الفجة ، وانما أيضا لانه أصبح مشلولا بعد حادث محاولة اغتياله وسوف يكون من السهل على نيكسون الاطاحة به ، كذلك فان فرصة همفري وهو الذي سبق له أن خسر معركة الرئاسة السابقة أمام نيكسون لن تكون لهذا السبب أفضل كثيرا أو قليلا من فرصة والاس في الفوز بتمثيل الحزب الديمقراطي .

ويضيف المراقبون أهم المسائل التي تدور حولها المعركة الانتخابية بين مختلف المرشحين والاحزاب على النحو التالي :

أولا : القضايا الخارجية ويأتي في مقدمتها قضية **فيتنام** وقضية ضمان الوجود والاطماع **الاسرائيلية** في الشرق الاوسط .

ثانيا : القضايا الداخلية وبعضها يعد من المشاكل المزمنة مثل الزنوج والبطالة والبعض الاخر في طريقه الى الازمان مثل مشكلة التضخم وآثاره المدمرة على المواطن الامريكي كجزء وعلى الاقتصاد الامريكي ككل .

ويشير المراقبون الى أن الرئيس نيكسون قد بدأ حملته الانتخابية في الواقع منذ الصيف الماضي وأنه قد بدأها بالتركيز على القضايا المتعلقة بالسياسة الخارجية وذلك حينما أعلن البيت الابيض وسط حملة اعلامية ضخمة ومتقنة الاعداد عزم نيكسون على زيارة كل من بكين وموسكو وهما الزيارتين اللتين تمتا في فبراير ومايو من هذا العام على التوالي .

ويقول المراقبون ان نيكسون يدخل المعركة الانتخابية ووراءه رصيد كبير من الاعمال « المجيدة ! » التي قام بها لصالح اسرائيل ابتداء من التأييد السياسي الذي بلغ حد اعتناق موقف اسرائيل الخاص بالمفاوضات المباشرة مع العرب والسلام التعاقدي والحدود الامنة .. الخ في مختلف المحافل والمؤتمرات العالمية بما فيها مؤتمر القمة مع الزعماء السوفيت ومرورا بالمساعدات الاقتصادية غير المحدودة ، وانتهاء بالدعم العسكري لدرجة تحويل اسرائيل الى ترسانة سلاح حقيقية .

أما فيما يتعلق بالقضية الفيتنامية وهي القضية التي دخل نيكسون البيت الابيض منذ أربع سنوات رافعا في يده وعدا بحلها بشكل يحفظ ماء الوجه الامريكي والمصالح الامريكية في آن واحد فان المراقبين يرصدون الفشل الذريع الذي منيت به سياسة فتنمة الحرب كنقطة ضعف هامة في موقف نيكسون . « فالفتنمة » هي الحل الذي أراد نيكسون أن يقدمه للشعب الامريكي ولكن الثوار استطاعوا أن يخطفوه من يده في توقيت حرج .

ومع ذلك فان المراقبين ينظرون بحذر الى الشهور القادمة ويتوقع الكثيرون منهم أن يتمكن نيكسون من الوصول الى **حل ما** لهذه القضية تساعد فيه كل من بكين وموسكو بطريقة أو بأخرى » .

ولقد بلغ رواج هذا التوقع درجة ان ماكجفرن المرشح المنتظر للحزب الديمقراطي لم يستطع أن يتغافل عنه في حملته الانتخابية .

فرغم ان ماكجفرن يعد بحل المشكلة في مدى تسعين يوما من وصوله الى البيت الابيض الا انه قد بني حملته الانتخابية في الاساس على القضايا الداخلية واعدا بحلها على النحو الذي يحقق مصالح **المواطن الامريكي العادي** . فهو يعد الامريكيين بتخفيض الاعتمادات العسكرية نحو اربعين الف مليون دولار ، واصلاح النظام الضريبي ، وتوفير المزيد من فرص العمل ، واصلاح المدارس واعادة بناء المدن واباحة الاجهاض والعفو العام عن الشباب الذين رفضوا الخدمة العسكرية في فيتنام .. الخ الخ .

ويعلق المراقبون على البرنامج الانتخابي لماكجفرن قائلين بأنه **برنامج يساري** بمقاييس القوى المسيطرة على المجتمع الامريكي ، وانه يحتوي من الافكار مالا يمكن ان تقبله هذه القوى ، أما عن موقف ماكجفرن من مشكلة الشرق الاوسط واسرائيل فانه لا يختلف عن موقف غيره من المرشحين فهو موقف التأييد الكامل لوجهات النظر الاسرائيلية .

وعموما فمازالت مسافة الزمن بيننا وبين نوفمبر — موعد انتخابات الرئاسة — مسافة طويلة بكل ماتنطوي عليه من احتمالات متغيرة .

مكتبة الطليعة

المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد

■

« تجسيد الوهم » دراسة سيكولوجية للشخصية الاسرائيلية

المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد

تأليف :

محمد عمارة

عرض ونقد :

مجاهد عبد المنعم مجاهد

الناشر :

دار المعارف

جارودى وابن رشد ـ فيلسوف فرنسا وفيلسوف العرب .. فى القرن العشرين ، والقرن الثانى عشر .. هل يمكن أن يجتمع هذان المفكران فى صعيد واحد ؟ هذه هى المحاولة التى يقوم بها مؤلف الكتاب فى هذه الدراسة المختصرة عن فيلسوف العرب .. انه ينطلق بالذات من تلك المحاضرتين اللتين القاهما جارودى فى القاهرة عام ١٩٧٠ عن « الاشتراكية والاسلام » و « اثر الحضارة العربية على الثقافة العالمية » ، ولكن يبدو انه ينطلق ايضا من كتاب جارودى « ماركسية القرن العشرين » حيث محاولة المفكر الفرنسى فى التقريب بين الماركسيين والكاثوليكيين للنضال ضد الامبريالية .. ومن هنا يمكن ان يطرح المؤلف تساؤله : « **هل من الممكن ان يكون الإنسان ماديا معتقدا بالتصور المادى الفلسفى للكون والعالم ، وفى الوقت ذاته مؤمنا ؟ أى معتقدا بوجود قوة فاعلة فى هذا**

العالم ومهيمنة عليه ؟ وهل فى الفكر الفلسفى الاسلامى منهج وتصورات وجهود فكرية تصلح ان تكون منطلقات لجهود فكرية معاصرة ، تجيب عن هذا السؤال بالايجاب ؟ حول هذه القضية الهامة والكبرى يدور هذا البحث ، ومن خلال التصور الواضح والمحدد والخصب الذى قدمه الفيلسوف العربى المسلم [ابو الوليد بن رشد [١١٢٦ — ١١٩٨] للكون والعالم ، نقدم الاجابة اجابته هو أساسا وبالدرجة الاولى على هذين السؤالين وهى الاجابة التى جاءت بالايجاب » [ص ١٣] .

واذا كان الهدف من محاولة التوفيق بين الماركسية والكاثوليكية عند جارودى هدفا تكتيكيا لجذب المتدينين الى حظيرة الكفاح ضد الامبريالية فان مؤلف الكتاب عن ابن رشد يستهدف أن يعطى أساسا نظريا لهذه المحاولة ، أو بمعنى ادق يريد أن يجعل من التوفيق بين الماركسيين والمتدينين استراتيجية لا مجرد تكتيك وقتى ..

فهو يرى امكانية السير فى طريق التوفيق بين الفلسفة والدين حيث « اننا نعتقد أن هناك امكانيات حقيقية أمام الفكر الفلسفى كى يخطو الى الامام فى هذا الطريق خطوات جديدة وضرورية فى الوقت نفسه ، تتعلق بمدى التقارب أو الالتقاء الذى يمكن أن يصل اليه المفهوم « المثالى الدينى » للكون والوجود والمفهوم المادى الفلسفى لنفس الموضوع » [ص ١٢] .

ان المؤلف لا يريد مجرد توفيق بين برنامج نضالى للاشتراكية وبين البعد الانسانى للدين وانما يبحث عن أساس نظرى لهذا التوفيق ..

لقد وجد المؤلف فى تراث ابن رشد الفلسفى أرضا خصبة يستطيع ان يطرح فيها تصوره عن التوفيق بين الحكمة والشريعة ... لقد كان الهدف دائما عند المفكرين العرب القدماء التوفيق بين هذين الامرين ولكن لصالح الشريعة .. واذا كان ابن رشد قد كتب « **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال** » فان المؤلف يميل الى تفسير هذا الاتصال عند ابن رشد لصالح الحكمة .. ان المؤلف ينطلق من أطروحة أنجلز عن انقسام الفلسفة الى عالمين .. عالم المادية وعالم المثالية : عالم المادية يجعل العالم مستقلا وسابقا على الانسان وهو مصدر المعرفة .. وعالم المثالية يجعل الذات مصدر الوجود والمعرفة على السواء .. فاذا كانت الفلسفة تنقسم الى هذين المعسكرين فاين مكانة ابن رشد بينهما ؟

ان المؤلف يتصور الامر كما لو كان ابن رشد قد طرح على نفسه أطروحة انجاز ، وانه كان على وعى بها ، ومن هنا حاول أن يوفق بين الاثنين لصالح المادية .. والمؤلف بارع كل البراعة فى التدليل على هذا من كتابات ابن رشد حول الذات الالهية والعالم ووحدة الوجود .. والمؤلف يدلل بتفسيرات غاية فى البراعة والدقة والعمق فى قراءة النصوص .. فالذات الالهية عند ابن رشد — فى تفسير المؤلف — « عقل محض بمعنى انها ليست مادة ولا موجودة فى مادة وانما هى عقل هذا الوجود ، بمعنى **النظام** فى هذا الوجود ، اى القوانين المنظمة له » [ص ٥٥] وبهذا يكون ابن رشد قد سار فى طريق الفلاسفة اليونانيين الماديين وايضا فى طريق المعتزلة الذين نزهوا الله عن التجسيد والتشبيه نظرا لان التنزيه هو جوهر التوحيد فى الديانة الاسلامية . **ان ابن رشد — فى نظر المؤلف — لا يصنع صنيع عبد الرازق نوفل ومصطفى محمود حاليا . فهو لا يتعمد ان يجد فى الدين الاسلامى متشابهات مع آراء الفلاسفة بل ان ابن رشد انما يعكس الامر حيث يرى أن جوهر الايات القرآنية لا يناقض آراء الفلاسفة اليونانيين المحدثين ..**

واذا كان تصور ابن رشد للذات الالهية على انها نظام وعقل محض فان المؤلف يرى فى هذا التصور .. أرضا مشتركة بين التصور الفلسفى المادى للكون وبين الفكر الفلسفى الرشدى عن الله والعالم والعلاقة بينهما » [ص ٥٩] .

ولكن ماصلة هذه الذات بالعالم ؟ هل الذات الالهية قديمة والعالم محدث ؟ أم ان العالم قديم هو أيضا وهنا يكون اشراك بالله ومخالفة لجوهر الفكر الاسلامى « ان الموقف « الذى يرتضيه هو موقف الفلاسفة الالهيين وهو موقف يقر بأزلية الطبيعة وابديتها ويعترف فى ذات الوقت بوجود فاعل أول فى هذا الكون .. ويفسر مصطلحات « الفعل » و « الخلق » و « الوجود » و « العدم » تفسيرا يبرز تكامل هذا التصور الجديد » [ص ٦١ — ٦٢] .. ان العالم هو فعل الذات الالهية ، ولما كانت الذات قديمة ففعلها قديم ايضا .. ان العالم اذن كان ولا يزال شعلة ابدية حية .. « فأزلية الطبيعة هنا وابديتها يتحدث عنهما ابن رشد حديث اليقين ، بل ويراهما النتاج الطبيعى للاعتراف بوجود مبدأ أول وعلة أولى وفاعل أول فى هذا الوجود

والامر اللازم لكل من يسلم بكمال هذا المبدأالاول » [ص ٦٤] .. ان العدم عند ابن رشد ليس هو الفراغ بل الانتقال من الوجود بالقوة والامكان الى الوجود بالفعل فى الاعيان .. ان حركة الذات الالهية سارية فى العالم .. انها الاشياء فى حركتها .. بل ان المؤلف يورد نصا لابن رشد عن حركة الاجرام السماوية يقول فيها .. « **ان كل كرة من الاكر السماوية فهى حية من قبل انها ذوات اجسام محددة المقدار والشكل وانها متحركة بذاتها** » [ص ٧٧] .

والمؤلف يفسر وحدة الوجود عند ابن رشد لا على أنها وحدة وجود بالنسبة للنفوس والعقول فقط ، بل هى وحدة وجود بالنسبة للموجودات أيضا .. وقد كان غاية فى التوفيق وهو يلتقط عبارة ابن رشد المستمدة من كتابه « تفسير ما بعد الطبيعة » والتى يقول فيها : « والصحيح عندهم أن الاول لا يعقل من ذاته لا أمرا مضافا وهو كونه مبدأ ، لكن ذاته عندهم هى جميع العقول ، **بل جميع الموجودات** بوجه اشرف وأتم من جميعها » [ص ٨٢] .

وعلى هذا يخلص المؤلف الى أن « التصور الرشدى لذات المبدأ الاول القديم ، الى جانب قوله بأزلية الطبيعة وقدمها : الى جانب قوله بوحدة هذه الذات والطبيعة .. كل ذلك يكون لنا تصورا متكاملا ، لا نحسب الا أنه على وفاق تام مع التصور الفلسفى المادى لهذه الامور ، على الاقل فيما يتعلق بالاسس والجوهر وأهم السمات والقسمات [ص ٨٥] .

فاذا كان هذا هو موقف ابن رشد من الوجود فما موقفه فى مبحث المعرفة ؟ ان ابن رشد عند المؤلف قد انطلق أيضا من اسبقية الوجود على الفكر وليس سلوكنا ومن ثم تاريخنا الا انعكاسا الوجود الخارجى .. وهذا هو العلم المحدث ، أما العلم القديم الخاص بالذات الالهية فانه ليس معلولا للواقع بل هو مؤثر فى الواقع لان له صفة الاحاطة والشمول .. وعلى هذا يكون ابن رشد قد « **اقام بذلك ارضا مشتركة للونين من التفكير الفلسفى حسب كثير من الناس ولا يزالون يحسبون أن اللقاء بينهما مستحيل وان وجود الارض المشتركة لهما امر اكثر فى الاحالة من المستحيل** » [ص ٩٢] .

ولكن الا نجد عند ابن رشد نصوصا اخرى مخالفة لهذا التفسير الذى أورده المؤلف ؟ المؤلف نفسه يتنبه الى هذا ويفسره على أن ابن رشد قد قسم الناس مراتب وقد خاطب كل مرتبة بطريقة ، ودلل على قوله بنصوص من ابن رشد نفسه ..

ان هذا الكتاب رغم صغره حافل وحاشد بالعديد من القضايا والمشكلات ، وهو يساعد على اعادة طرح القضايا وعدم التسليم بما هو شائع ومن هنا تأتى اهميته .. واذا كان يقول فى خاتمة كتابه « نتوقف فى صفحات هذا الكتاب عن اعطاء تقييمنا نحن لارائه التى ساقها فى القضايا التى أوردناها فى فصوله ، وتقديرنا لمدى النجاح الذى حققه فى التوفيق مابين الحكمة والشريعة أزاء هذه المعضلات » (ص ٩٣) . فهل اكتفى المؤلف حقا بالعرض ؟ ان طرح قضية المثالية والمادية بالنسبة لمفكر قديم هو نفسه رؤية جديدة لجزء من تراثنا ، والمؤلف فى طوال الصفحات يميل الى جانب الفلسفة المادية ، **بل يميل أيضا الى ترجيح كفة اظهار مادية ابن رشد وكان بارعا جدا فى التدليل على هذه المادية بالقدر الذى كان ضعيفا ازاء عملية التوفيق بين الحكمة والشريعة عند المفكر العربى حيث كان هناك [كوى] لمنق بعض نصوص المفكر العربى المادية الصرف .. بل ربما تأتى فائدة هذه الدراسة فى أن تدفع البعض الى التشكيك أصلا فى أمكان ايجاد اساس نظرى لمحاولة جارودى التكتيكية ان لم يكن التشكيك حتى فى هذه المحاولة التكتيكية نفسها وكشف مافيها من عنصر براجمانى تلفظه الماركسية** .. واذا كان المؤلف يقول فى آخر أسطره : « هذا (الحضور) الذى ابتغيناه لفكر ابن رشد كى يسهم فى الحوار الفكرى حول هذه القضايا هو كل ما قصدنا اليه من هذا الكتاب الشديد الايجاز » [ص ٩٣] فانه عنصر تطهيرى لكثير من الاراء المترسخة فى النفوس عن المفكر العربى ، **وربما يكون دافعا أيضا الى اظهار مدى ثورية هذا المفكر وماديته بل وجدليته اذا ما نظر الى قضاياه**

الفلسفية لا فى آطارها الفلسفى المحض بل فى اطارها الحضارى ، واذا ماطرح جـانبا هـذا التقسيم الخارجى عن انقسـام الفلسفة الى مثالية ومادية ورجع الى فكر ماركس الاول والذى يقسم الفكر الى فكر ثورى دافع للانسان وفكر ضد هذا الفكر الثورى ، وسـاعتها سنرى ابن رشد فى ضوء تنخسف ازاءه جميع كواكب الفكر العربى الاخرى !! •



تجسيد الوهم

دراسـة سيكولوجية للشخصية الاسرائيلية

■ تـأليف :

قـدرى حفنى

■ عـرض :

د• رفعت السعيد

■ اصدار :

مركز الدراسـات الفلسطينية والصـهيونية (بالاهـرام)

أخيرا وبعد فوات كثير من الوقت أصبح من الممكن أن نقترب من فهم الصـورة الصـحيحة للعدو •

فلقد اضعنا كثيرا من الوقت ونحن نعتقد أن تناول العدو بالبحث الجاد هو كما تقول مقدمة الكتاب « اقتراب من منطقة محرمة ولغم ساخن مدفون لاينتظر كى ينفجر الا لمسه من يد مستطلعة أو تعثر قدم غير متحسبة »

وعلى اية حال ، وبرغم كل ماضاع من وقت فقد استطعنا أن نصل الى نقطة البداية الصحيحة وكان **لقدرى حفنى** شرف الريادة فى هذا الموضوع الصـعب دراسـة سـيكولوجية ممتعة حول الشخصية الاسرائيلية . هى أول دراسة عربية تحاول الخوض فى مجال الدراسات الاجتماعية والنفسية لاسرائيل .

والكتاب برغم صغر حجمه (٢٥٢ صفحة من القطع الصغير) الا أنه يقدم بالفعل دراسة جادة ومفيدة لعناصر التكوين النفسى للمواطن والمجتمع الاسرائيليين •

ويحـدد الكاتب هدفه قائـلا « ان مانعنيه ببساطة هو أن نتوصل الى العوامل السيكولوجية الاساسية التى تحدد سـلوك رجل الشـارع الاسرائيلى » مؤكدا منذ البداية ان دراسة السمات السلوكية للعدو قد أصبحت بالفعل « سـلاحا حربيا هاما حاسما » وانها عنصر فعال فى اخطر مراحل الصدام المسلح •

ويستند الكاتب على حجة قوية تدعم وجهة نظره هذه قائلا أن العدو قد استخدم فى عدوانه عام ١٩٦٧ استخداما فعالا . حصيلة ما تجمع لديه من معلومات عن السمات السلوكية للعرب . فالهجوم المفاجىء الذى شنه العدو بكل طائراته علينا صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ – دون أن يحتفظ بأى غطاء جوى لحماية سماء اسرائيل – هذه المغامرة استندت الى تحليل علمى لسمتين سلوكيتين عندنا هما :

- التشاؤم ممن يحمل أخبارا سيئة .

- التباطؤ فى التصرف حيال المواقف الجديدة .

واستنادا الى هاتين السمتين غامر **موردخاى هود** قائد الطيران الاسرائيلى بارسال كل طائراته الى سماء مصر قائلا « لقد كان رأى خبرائنا أن الصورة لن تكتمل أمام من يملكون حق التصرف من القادة العسكريين فى مصر قبل نصف ساعة ، وانه سيمضى نصف ساعة آخر قبل أن يقرر هؤلاء القادة العسكريون ماذا سيفعلون ، وهذه الساعة كانت كل آمالنا ، وعلى أساسها تم ترتيب كل توقيتات خططنا .

من هذا المنطلق حاول **قدرى حفنى** أن يدرس السمات السلوكية للعدو ، أو بالدقة مكونات هذه السمات السلوكية ، فهل نجح فى أن يقدم لنا سلاحا فعالا يمكننا من أن نحدد تصرفاتنا السياسية والعسكرية على ضوء تفهمنا لهذه السمات ؟ .

اعتقد أنه قد نجح الى حد كبير فى التوصل الى الهدفين اللذين حددهما لكتابه وهما :

أولا : توفير الفهم الموضوعى العميق لاسس التكوين السيكولوجى للجيل الراهن فى اسرائيل .

ثانيا : توفير قدر ما من التنبؤ الموضوعى بما سيكون عليه التكوين السيكولوجى للاجيال الاسرائيلية القادمة .

وفى الفصل الاول يركز الكاتب الضوء على عملية التنشئة الاجتماعية للمواطن الاسرائيلى قائلا أن هذه « العملية اذا كانت تتم بيسر وبشكل تلقائى يجعل من الصعب ملاحظتها وتقييم نتائجها فى المجتمعات المستقرة ، فانها فى المجتمعات المصنوعة تكون واضحة المعالم بينة الخطوط ، عالية الضجيج وذلك لانها تمثل البوتقة التى يتم فيها بالفعل « صنع » ذلك المجتمع » .

ثم ينتقل الكاتب بعد هذه النقطة الى نقطة جديدة تواجه عددا من المشاكل .. **عنصر التمايز .. عنصر الاضطهاد .. الحياة فى الجيتو .**

وهكذا يضع المؤلف يده على تاريخية التكوين السيكولوجى للفرد اليهودى واضعا فى اعتباره ملاحظة ذكية هى « التفريق بين التاريخ كواقع شخصى للافراد ، والتاريخ كواقع مادى للامم . فالتاريخ كواقع مادى لشعب من الشعوب هو تلك الاحداث المتتالية التى وقعت لذلك الشعب تاركة آثارها على افراده ، ومن خلال وحدة تلك التأثيرات يتحول ذلك الواقع المادى الى واقع سيكولوجى بأن تقوم الاجيال المتعاقبة لذلك الشعب بنقل تلك التأثيرات فى وحدتها من جيل الى آخر . ومن هنا ينشأ ما يمكن أن يسمى بالاحساس بالتاريخ ، أو ما يمكن أن يطلق عليه التاريخ كواقع سيكولوجى » .

لكن كيف تبدأ دراسة التاريخ السيكولوجى للافراد الاسرائيليين ؟

« ان الاسرائيليين المعاصرين وهم الذين يواجهوننا حاليا يضمون فى حدود وجودهم كمعاصرين عدة أجيال مازال على قمتها من حيث السن على الاقل مجموعة من اولئك المهاجرين القدامى الذين قامت على اكتافهم دولة اسرائيل فلتكن نقطة بدايتنا أن ندرس الخصائص السيكولوجية لاولئك الرواد »

ويستخلص الكاتب خاصتين سيكولوجيتين ميزتا ذلك الجيل من الرواد .. هما **الشعور بالتمايز .. والشعور بالاضطهاد .**

وبعد دراسة تفصيلية ممتعة لكل من هاتين الخاصتين ينطلق الكاتب الى دراسة المؤثرات النفسية التى نبعت من الحياة فى الجيتو ، وكيف نبعت من هذه الحياة فكرة ملحة للانطلاق نحو وطن قومى جديد .

لكن لماذا فلسطين بالذات ؟

ما الذى دفع هؤلاء اليهود « المتمردين على حياتهم الاوربية عامة ، وحياتهم اليهودية بشكل خاص ، الى أن يصبحوا جيلا من الحالمين يسعى لاقامة دولة أوربية بوجه عام ويهودية على وجه الخصوص ، وعلى أرض فلسطين بالتحديد ؟ هذا هو السؤال الذى يقدم له الكتاب – عبر دراسة متأنية – تفسيرا جيدا ومقنعا .

وفى فصل تال يقدم الكاتب تحليلا علميا لدور اللغة والمؤسسات التعليمية والعسكرية والدينية والايديولوجية فى تكوين نفسية الفرد الاسرائيلى وسلوكه تجاه الغير .

ثم ينتقل أخيرا الى استعراض للدراسات التى تمت على عينة من جيل السابرا من ابناء الكيبوتزات (السابرا اى الذين ولدوا فى اسرائيل وتربوا فيها ونضجوا فى ظل نظامها التربوى) . وقد استخلصت هذه الدراسات — وهى دراسات قام بها علماء اسرائيليون — عن سمات اساسية للتكوين النفسى لابناء الكيبوتزات من جيل السابرا وهى **العدوان .. الانطوائية .. البرود الانفعالى .. الحقد .. مشاعر الدونية .**

وبعد ..

ان مثل هذه الدراسة القيمة لا يجب ان تقف بنا عند حدود ترديد النتائج المستخلصة ، وأن نصيح بأعلى صوتنا انهم عدوانيون .. انطوائيون .. ولديهم برود انفعالى الخ

فان دراسة قيمة كهذه لم توضع من أجل صراخ انفعالى يصم العدو بالعدوانية ، وانما هى بداية تضع يدنا على الطريق الصحيح لتفهم العدو .

وبقدر ما بذل الكاتب من جهد فائق فى دراسة سيكولوجية المواطن الاسرائيلى ، وبقدر ما ارهق نفسه فى التحليل واستخلاص النتائج فاننا مطالبون بأن نبذل جهدا اكثر كى نستفيد من هذه الدراسة فى تفهم خطواتنا المقبلة .

واذا كانت الخطوة الاولى — فى اغلب الاحيان — تبدو بداية متواضعة فان خطوة **قدرى حفنى** تعد بداية من موضع قريب من القمة ، لاتغرى فقط بالمواصلة والاستمرار وانما ترتب اعباء كبيرة على الخطوات التالية لتكون على الاقل فى نفس مستواها .

■ ■



مجلة الماركسية اليوم

القساوسة والاشتراكية فى شيلى

■ **مجلة الماركسية اليوم** [ماركسيزم تو دى] تحت عنوان : « **القساوسة والاشتراكية فى شيلى** » ، نشرت مجلة « **الماركسية اليوم** » — وهى المجلة النظرية **للحزب الشيوعى البريطانى** — حوارا أجراه **ماروجا انتشجوين** — صحفى من اورجواى — مع الاب **جونزالو أرويو** راعى **الجامعة الكاثوليكية** فى **سنتياجو** . وكان الاب جونزالو قد شارك فى الاجتماع الذى عقده ٨٠ قسيسا كاثوليكيا ، اكثر من نصفهم من خارج شيلى ، لتدارس « الاساليب الفعالة التى يستطيع القساوسة عن طريقها ان يسهموا فى عملية البناء الاشتراكى فى شيلى » .

ردا على سؤال : « **لماذا تقحمون انفسكم فى السياسة ؟ .. ألا يجب ان يكون القسيس محايدا فى هذا المجال ؟** .. أجاب الاب جونزالو : « لقد شاركت الكنيسة ، وشارك القساوسة دائما ، وبأشكال مختلفة ، فى السياسة . اما أولئك الذين يتحدثون عن « **الحياد** » ، فهم انفسهم الذين عملوا دائما — ودون ان يفصحوا عن ذلك — من أجل تكريس النظام الرأسمالى الذى يزداد فيه الاغنياء غنى ، بينما يزداد الفقراء فيه فقرا . وهو عمل معاد للمسيحية » .. ثم أوضح « نحن لا تعنينا السياسة بمفهومها الحزبى ، وانما نعمل بالسياسة من أجل الانسان » .

وأوضح الاب جونزالو ، فى اجابته على سؤال حول **أسباب سقوط «الديمقراطيين المسيحيين» فى شيلى وغيرها من بلدان أمريكا اللاتينية** ، ان « الديمقراطية المسيحية » كانت تعنى فى أوربا هروبا من « الجيتو » ، الذى عاشته الكنيسة الكاثوليكية ، نتيجة للاضطهاد السياسى والهجوم الفلسفى الذى عانته خلال القرون الثلاثة الماضية .. وعندما نقلت أفكار « الديمقراطية المسيحية » الى أمريكا اللاتينية ، تجاهلت ان الكنيسة الكاثوليكية فيها مرتبطة بالمجتمع ، وتلعب دورا متزايدا فى المجال السياسى ، بأشكال مباشرة أو غير مباشرة . ومن هنا كانت المسألة على عكس ما تم فى أوربا . كانت محاولة لعزل الكنيسة عن ارتباطها بالمجتمع المضطهد . ومن جهة أخرى ، فان النموذج الأوربى عن المجتمع الكاثوليكى ، الذى روجت له الديمقراطية المسيحية فى أمريكا اللاتينية ، لم يكن لديه فرص الصمود أمام نجاح نموذج الاشتراكية .

كيف يمكن المواءمة بين مفاهيم **الصراع الطبقي** ومفاهيم **المحبة المسيحية** ؟

على هذا السؤال ، اجاب الاب جونزالو : « ان القول بأن ثمة تناقض بينهما ، قول زائف ، وهو لعب بالالفاظ . فما الذي كانت تعنيه المحبة المسيحية بالنسبة للنظم الرأسمالية التي تستغل ثروات أمريكا اللاتينية ؟ .. لم تكن تعني سوى وفاة ٤٥ طفلا من كل ١٠٠ طفل في سن الخامسة .. ما الذي كانت تعنيه المحبة المسيحية بالنسبة للحكومات الكاثوليكية ؟ .. لم تكن تعني سوى اضطهاد الامهات والقساوسة والطلبة والعمال ، بل وقتلهم في الشوارع . ان الصراع الطبقي حقيقة . واخفاؤها باسم المحبة المسيحية ، بمثابة اخفاء للرأس في الرمال ، المهم هو التمييز بين الصراع الطبقي كحقيقة ، وبين الاسلوب الذي تستطيع عن طريقه الانسانية ان تقضى على الظلم والاستغلال والامية وكل شرور التخلف ، باختصار حتى لا يصبح هناك صراع طبقي . ان الرأسمالية ليست شرا ، لان الرأسمالي شرير بطبعه .. بل لان طبيعتها ان تزيد ثراء الاغنياء غنى ، وفي نفس الوقت تزيد الفقير فقرا . ليست هذه افكار سويدية او صينية او حتى اشتراكية .. ولكنها حقائق اقتصادية وتاريخية واحصائية واصلاح ذلك لا يتم على المستوى الفردي ، انما يتم على مستوى طبقي . ذلك هو الصراع الطبقي .. ان تأميم مناجم النحاس والبنوك مثالين بارزين للصراع الطبقي . وذلك بالتحديد ما ينبغي ان يتم لكي نحقق المحبة المسيحية » .

وعندما سئل الاب جونزالو ، عن موقفه من الكفاح المسلح من أجل ان يتسلم الشعب السلطة وعن موقف كاميليو توريز ، اجاب : « ذلك خيار شخصي ، يتوقف على اللحظة التاريخية التي يجد المرء فيها نفسه . والمرء مواجه بشكل دائم بأن يختار الاقل سوءا بين شرين . وكمسيحيين ، نحن لا نقر عنف من يضطهدوننا [عنف الرأسمالية التي أفرزت حربين عالميتين في خلال ٣٠ سنة ، وأفرزت ٥٠ حربا استعمارية واهلية أخرى] ، ولكننا لا نخشى استخدام العنف للدفاع عن الاغلبية وحمايتها ضد استغلال الاقلية المسلح » . ثم استطرد قائلا : « كاميليو توريز يمثل الخيار السياسي الاخير امام أى قسيس ، انه نموذج لكل من وجد نفسه في ظرف تاريخي ، مقتنعا بأن النضال الثوري هو الطريق الوحيد » .

سئل الاب جونزالو عما اذا كان هناك تناقضا بين « المسيحية » و « المادية » في الماركسية ، فقال : « **المادية التاريخية** نظرية في تطور المجتمع وهي تهتم بالاعمال التي تحيي القول المقدس [ليس كل من يقول: الرب — الرب ، سوف يدخل الى مملكة السماء.. ولكن يدخلها فقط كل من عمل بالوصايا العشر] .. انه يقول هنا **من يعمل** » . واضاف : « .. أما **المادية الديالكتيكية** ، فهي حالة معقدة نوعا ما . وقد تعرضت صياغتها الاولى الى ادانة العامة ، على انها لا تتفق مع التفكير المسيحي ، استنادا الى بعض الملاحظات في بعض المراحل عند تطبيقها في دول اشتراكية محددة ، واعني الستالينية . لكن هذه الصياغات تطورت على أيدى فلاسفة ماركسيين مهمين ، من امثال سارتر ، مارلو ، لونتي ، ماركيوز ، وغيرهم كثيرين . لقد مزج هؤلاء بين نتاج النصف الاول من القرن ، وبين مادية القرن التاسع عشر ، التي عاصرت صراعا حادا فيما بين المادية والروحية »

أما عن **الالحاد** ، فقد أجاب جونزالو : « الحاد ماركس ، الحاد عملي لا نظرى ، فماركس لم يكن مهتما باثبات وجود الرب من عدمه . كما انه لم يتحدث عن الكفاح المسلح ضد الدين ، بل كان يعني بالنتائج أو الاثار الاجتماعية المترتبة على الايمان بالرب . كان يعني بحقيقة ان الدين لعب دورا مساندا للقهر الاقتصادى ، والعداء للدين في الاتحاد السوفيتي ، يرجع الى تقاليد الالحاد الروسي ، ولا يرجع الى ماركس . ان شعوب أمريكا اللاتينية تهتم ببناء مجتمع يصبح للحرية فيه معنى حقيقيا . والماركسيون أنفسهم يعنون اكثر بشئون حياتهم في الدنيا . والواقع ان تحدى المادية للايمان يعد قوة حقيقية في كل البلاد المتقدمة صناعيا . لقد هاجرت الطبقات العليا والمتوسطة من شيلي الى أمريكا وأوربا ، خوفا من « المادية الماركسية » ، ولكنهم عندما واجهوا « مادية الرفاهية والمنافسة والاستهلاك ، سقطوا في حرج شديد » . واستطرد ليقول بعد ذلك : « ... الخدمة هي رسالة القسيس الاولى ، وتعني اليوم تعبئة الشعب وتوعيته طبقيا بالاشتراكية وقيمها الايجابية التي تعمل من أجل التضامن والتخلص من العبودية الاقتصادية والجهل والمرض والفقر والعبودية الثقافية ، وذلك كله يعني بالنسبة لنا ، تحقيق جزء من مملكة الرب على الارض . اننا ندين الرأسمالية وننكر لها ، لانها لا تحقق اى شيء من هذه المملكة . الايمان المسيحي يمجد العمل ، والاشتراكية تمجد العمل » .

وعن احتمالات مواجهة المعوقات بين المسيحيين والماركسيين ، خلال العمل من أجل الاشتراكية ، قال جونزالو : « ان كلا من المسيحيين والماركسيين مطالبون اليوم بمراجعة نقدية مخلصة لافكار وتحيزات كل منهما تجاه الاخر . ان الحوار بينهما ربما لا يكون سهلا ، ولكنه ممكن ومثمر . والواقع اننا جميعا ، فيما عدا البعض الذي يخاف التغيير ، نوافق على المهام الاساسية : مواجهة مشاكل الجوع ، والصحة ، والحرية ، والمعرفة ، والاخوة .. هذا هو ما يعنينا من الاشتراكية ، ولهذا تجدنا — كجزء من شعب شيلي — مع بناء اشتراكية شيلية ، لا بناء مجتمع ديمقراطي مسيحي على الطراز الاوربي » .

دفـــاع غــــير مــــوفق

د. محمد على الشهارى

١ ـ لم يفعل الدكتور البيضانى برده على اكثر من انه استغل رحابة صدر مجلة الطليعة ، فأعاد نشر اجزاء كبيرة من مقالاته التى سبق ان نشرها فى جريدة اخبار اليوم .

اما من جانبى فأن ماهمنى هو اخذ الفقرات الخاصة التى تعبر « بذاتها » عن موقف فكرى محدد ، او موقع طبقى معين ، او تميط اللثام عن نفس سياسى بعينه ، ولم يكن مطلوبا منى ان اعيد نشر مقالاته ، كما حاول هو ان يفعل فى رده على ..

٢ ـ زعم الدكتور البيضانى ان كاتب هذه السطور لم ينقل « الفقرات حرفيا من اخبار اليوم حتى يستقيم ويصبح الاستشهاد بها ، بل اضاف اليها عبارات غريبة عنها » .

وهو زعم يبلغ حد الاختلاق ولست بحاجة الى تذكير الدكتور البيضانى بأنى انتمى ـ بحكم اللقب العلمى الذى احمله على الاقل ـ الى الدارسين الذين يعرفون جيدا اصول البحث العلمى ، ويلتزمون بشدة بأمانة الاقتباس والاستشهاد ، ولايسمحون لانفسهم قط ـ ومهما تكن الاعتبارات ـ بالخروج عن مقتضى الامانة العلمية قيد انملة .

٣ ـ لست فى حاجة الى اعادة نشر ما نشرته فى الطليعة ، تعليقا على فقرات البيضانى التى وضعتها تمييزا لها عن حديثى ـ بين قوسين ، هذه التعليقات التى لم تفعل اكثر من شرح هذه الفقرات . وحتى لا اكرر نفسى فأنى اتوجه الى القارىء الكريم بالرجاء فى ان يعيد الاطلاع على تعليقاتى ويقابلها بفقرات البيضانى المنقولة حرفيا حتى يتمكن بنفسه من ملاحظة انني لم احاول تقديم البيضانى فى صورة غير الصورة التى رسمها لنفسه ، وبقلمه . اما محاولة « دفن » هذه الفقرات البالغة الاهمية والدلالة فى شرح ايديولوجية الدكتور البيضانى ، والتى تعبر « بذاتها » عن موقف فكرى متكامل وواضح السمات فى اكثر من قضية سياسية ، فأنها محاولة غير موفقة ، وبالتالى غير مجدية .

٤ ـ اود ان اذكر الدكتور البيضانى بماكان من شأنه الا يغفله أو يتجاهله ، وهو اننى اصدرت عام ١٩٦٦ بواسطة دار الهلال كتاب « طريق الثورة اليمنية » الذى استشهدت فيه بفقرات كاملة وطويلة من الميثاق الوطنى ، شغلت حوالى نصف حجم الكتاب . افيجوز بعد ذلك للدكتور البيضانى وهو من الذين قرأوا هذا الكتاب واطروه ان يقول عنى : « ولكن الظاهر ان الزميل الكريم لم يسمع عن الميثاق العربى » .

اما مسألة الوحدة العربية ، والقومية التى يجرد البيضانى ـ المؤمنين بالاشتراكية العلمية من الايمان بها ـ كما لو كان فى الامر تعارض

بين الوطنية ، والقومية والاممية ــ فانى ادعــوه الى قراءة المحاضرة التى القيتها فى مقر اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى حول الوحدة العربية والتى نشرتها مجلة الكاتب الموقرة فى مارس عام ١٩٧١ ، والتى تعرضت فيها لتحــديد المفهــوم العلمى للقومية والوحدة العربية ، كما اســتقر عليه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، والذى شاركه فى الايمان به كل التقدميين العرب .

٥ ــ ان معاداة الدكتور البيضانى الصريحة للمعسكر الاشتراكى والقوى الوطنية والتقدمية وتبنيه للمفاهيم المحافظة فى الفــكر الغــربى ، وجهره بذلك منذ كتاباته الاولى قبل الثورة ، ومنذ كان يدلى بالتصريحات تلو التصريحات بعد قيامها ضد خطر الشيوعية فى الوقت الذى كانت فيه جمهورية ٢٦ من سبتمبر تخوض ــ بدعم مصر الثورة والاتحاد السوفيتى ــ غمار حرب لاهبة ضد المخاز الاستعمارية المحدقة بها من كل جانب ان كل ذلك معروف عن الدكتور البيضانى ، وليس فيه شىء يدخل فى باب الاسرار .

وازاء استمراره فى الاضطلاع بمثل هــذه المهمة غير المقدسة ــ والتى تملى عليه كل مواقفه العملية الاخرى ، واملا فى ان يخفف ولو بعض الشىء من ترديد هذه المعزوفة الرجعية المستهلكة ،

فأننا نرجوه التفضل بقراءة تلك التصريحــات الهامة والقيمة التى مافتىء الرئيس محمد انور السادات يكررها لايقاف امثال هؤلاء المتطاولين على الاتحاد السوفيتى والقوى الوطنية عند حدهم وبقــراءة ما ذكره مؤخــرا من ان المخــابرات الاستعمارية والصــهيونية عملت على ارســال المنشورات الى داخل مصر ، والتى تحرض فيها ضد الشيوعية ، كما نرجوه ان يقف بتمعن وفهم عند تلك الفقرة البالغة الدلالة التى تضمنها البيان المصرى السوفيتى المشترك الصادر فى ١٤/١٠/١٩٧١ اثر زيارة الرئيس السادات لموسكو ، والتى جاء فيها ان المعاداة لقوى التقدم فى اى مكــان « تضربآمال الشعوب التحررية ومصالحها الوطنية كما انها لاتخدم سوى مصالح القوى الامبريالية الدولية [الاهرام ١٤/١٠/١٩٧١] .

٦ ــ اما الفقرة التى يقول فيهــا « وليس من حقى عندما اتحدث عن التنمية الاقتصــادية ان اشير على اية دولة باختيار الشرق او الغرب ، كما اننى لم احاول نصيحة احد باتباع النظــام الاقتصادى الحر ، او الاشتراكى ، ولم انصب نفسى عميلا لروسيا ، او عميلا لامريكا ، لان الطبيب الذى يصف العلاج ليس من حقه ان يشترط له مصدرا معينا ، وانما يهمه فقط ان تتواجد فيه العناصر العلاجية اللازمة ، والا فانه يفقد صفته كطبيب ، ويصــبح مجرد عميل لاحــدى شركات الادوية » فانها فقرةتلخص طبيعةتفكير ذلكالقطاع المحافظ منالبورجوازية الذىيطلق عادة تلكالدعوى الديماجوجية القائلة بأن فى امكان المرء ان يكون فوق النظم الاجتماعية المختلفة ، وخارج العقائد السياسية المتنازعة ، وانه يستطيع من موقــع المحايد الفكرى انيصف العناصر العلاجية اللازمة وهو مبرأ من شبهة الانتماء الى هذه الطبقة او تلك ، او حتى شبهة الميل الى هذا المعسكر او ذاك ، او الى احدى « شركات الادوية » وغير متهم ــ بالتالى ــ بالعمالة لروسيا او امريكا ، كأن الايمان بعقيدة ما يتبناها بلد آخر يســاوى العمــالة !

على ان حقائق الحياة التاريخية واليومية معا تثبت ان مثل هذا الموقف « العائم » غير وارد وغير موجود على الاطلاق ، وانه حتى سياســة عدم الانحياز لاتعنى الوقوف المتخشب بين جانب الشرق وجــانب الغــرب ، بين الاشــتراكية والرأسمالية ، وان هذه السياسة لاتعدو انتكون موقفا انتقاليا فى السياســة تلجــأ البورجوازية الوطنية الضعيفة التكون الى ممارسته ، بغيــة ان يشتد ساعدها ، دون ان يعنى ذلك ان مثل هذا الموقف ليس بوطنى وغير موجه ، فى الاساس ضدالاستعمار والامبرياليةوالرأسماليةالاحتكارية .

وقد تكفل الزعيم الخالد **جمال عبــد الناصر** بحسم هذه المسألة بتوفيق كبير ، عندما اكد انه ليس هناك موقف وسط بين الاستعمار والوطنية بين الرأسمالية والاشتراكية ، وانه لامحيص للمرء من اختيار هذا الجانب او ذاك ، هذه الايديولوجية او تلك ، وان يتعاون مع هذا المعسكر او ذلك المعسكر ، حين قال : « سمعت عمن يرى ان نظامنا نظام وسط بين الانظمة ، وبما اننا فى موقف وسط بين الشرق والغرب فكذلك يجب ان يكون نظامنا وسط بين الشيوعية والرأسمالية ثم سمعت عمن يرى انه نظام ابتكرناه ، واننــا نؤمن به لاننا لانقلد به احدا ، ولست اتصور ماهو اكثر بعدا عن الحقيقة من هذه التعليلات ، فالحياد السياسى ليس موقفا وســطا بين الشرق والغرب ، ثم ان اتخاذ موقف وسط فى مجــال العقــائد الاجتماعية امر مســتحيل ، كذلك ليس موقفنــا اخترعناه ننفرد به ، وانما هو التعبير الاصيل عن ظروفنا الخاصة » (الناصرية ، عبد الله امــام القاهرة ١٠٧١ ص ٢١٢ ــ ٢١٣) . ترى بعد ذلك كله من الذى « لم يسمع عن علم الاجتماع » .

ــ اما نصح الدكتور البيضانى لنا باعادة النظر فى عنوان بحثنا « اليمن بين التطور الرأسمالى واللارأسمالى » لانه ــ كما توهم ــ « عنوان غير

علمى لانه لايوجد تطور اقتصادى لا رأسمالى » فهو اقتراح مرفوض لسبب بسيط :

وهو ان مسألة التطور الرأسمالى وغير الرأسمالى بالنسبة للدول النامية قد اكتسبت من الاعتراف حد انها لم تعد موضع خلاف بين جميع المثقفين التقدميين ، وعلماء الاجتماع العلميين فى جميع انحاء العالم ، ذلك ان البلدان النامية ليس فى امكانها موضوعيا بحكم الحقبة التاريخية المتميزة بانهيار النظام الاستعمارى — اعلى مراحل الرأسمالية — اقامة انظمة رأسمالية متطورة فيها، وهى لذلك ستسير حتما ، وبدرجات متفاوتة وحسب ظروف كل بلد فى طريق التطور غير الرأسمالى « كمرحلة انتقالية » الى بلوغ عتبة الاشتراكية .

على ان الموقع الطبقى ، والمنطلق الايديولوجى اللذين يصلان الدكتور البيضانى — موضوعيا — بهذا المعسكر او ذاك ، يتجليان بوضوح لا مزيد عليه فى الكلمات غير الودية التى تحدث بها عن المعسكر الاشتراكى ، وعن الاتحاد السوفيتى . ففى تعليقه الآنف الذكر فى الطليعة ، يتحدث عن كاتب هذه السطور بأنه « حرص على ان يحشر عبارة المعسكر الصديق ... ظنا منه انه بذلك يخدم المعسكر الشرقى » . وعند هذه النقطة ، ينبغى أن نتوقف قليلا ، لنوجه سؤالا محددا الى أمثال هؤلاء الذين يرون فى الحديث عن المعسكر الصديق خدمة للمعسكر الشرقى :

هل الصفحات الكثيرة التى تملأ سجلا كاملا مما قاله الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، والرئيس العربى أنور السادات ، وغيرهما من المناضلين العرب ، عن المعسكر الصديق ، مما يخدم المعسكر الشرقى ، وليس له أدنى علاقة بمصالح أوطانهم ؟

ولربما كان من الحق علينا ان نحيل الدكتور البيضانى على قراءة خطابى الرئيس أنور السادات الذى القاه فى أول مايو ١٩٧٢ فى الاسكندرية ، وفى ١٤ مايو ، فسيجد فيهما دروسا كافية وشافية لما يمثله معسكر الصديق هذا بالنسبة لحركة الثورة المصرية ، والعربية ، والعالمية ، ولكيفية التحدث عن هذا المعسكر بالتقدير اللازم لجهوده ، وليس بالتعريض به ، والافتئات عليه .

ثم من قال ان الحديث عن العلاقة الثورية الآخذة فى التنامى والتعاظم بين حركة التحرر الوطنى العربية والعالمية، وبين الحركة الاشتراكية فى كل مكان ، هو نوع من الفضول ، والترف ، والحشو ، والحشر ، وليس قضية جوهرية وأساسية ، من قضايا العصر الجوهرية الكبرى ، التى يتوقف على ادراكها ، والعمل بمقتضى ما تستلزمه نجاح الثورة العالمية بأجمعها فى الانتصار على الاستعمار ، والامبريالية ، والرأسمالية ، وسيادة عصر الوطنية والديمقراطية والاشتراكية .

كما ان علامة استفهام بارزة تنتصب بالحاح عندما يكرر الدكتور البيضانى تلك النغمة القديمة الممجوجة ، والمستهدفة ضرب العلاقات النضالية والاخوية بين فصائل وقوى حركة التحرر الوطنى الديمقراطية ، وفصائل وقوى الاشتراكية ، وذلك عن طريق التلويح بالخطر الشيوعى — كما اتضح أيضا من ثنايا مقاله الانف الذكر — واعتبار القوى الوطنية التى تهديها تجاربها الثورية ، ومعاركها المتصلة ضد الاستعمار ، الى العثور على الرفيق الامين والحليف المضمون — اعتبارها عميلة لروسيا ، وهى نفس النغمة التى — كما هو معروف للجميع — عزفت عليها الدوائر الاستعمارية طويلا ، واطربت بها اسماع الرجعية العربية ، ومجتها اسماع الثوريين العرب ، ووقف ضدها عبد الناصر ، ومن بعده أنور السادات ، الذى ذكر — خلال اجتماعه الاخير باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى — وفى معرض التنديد بهذا الاسلوب الاستعمارى الجديد — بأنه سبق لجونسون — رئيس الولايات المتحدة السابق — ان بعث للرئيس عبد الناصر رسالة يقول فيها أن « الشيوعية خطر عليكم ، ومستقبلكم فى خطر » ، ويعلق الرئيس السادات على ذلك متأففا ومستهجنا : « الكلام ده أخذ النغمة بتاع عهد الملك فاروق اللى كان يخوفوه بيها » [الاخبار ٢٥/٤/١٩٧٢] .

ومن الغريب ان يلجأ البعض الى نفس المنطق المدان ، الذى استخدمه وما برح يستخدمه الملك حسين — كما تجلي ذلك بصورة خاصة ومكثفة فى خطابه الذى القاه فى ٢٩/٤/١٩٧٢ — والذى برر به تواطؤه الكامل مع المعسكر الاستعمارى والصهيونى ، بالقول بأن هناك من زعماء العرب من اخذوا ينحازون وينتمون الى المعسكر الاخر !!

ولقد تكفل البيان المصرى — السوفيتى ، الذى صدر فى ٢٩/٤/١٩٧٢ ، اثر زيارة الرئيس أنور السادات الاخيرة لموسكو ، بكشف الهدف من مثل هذه « الدسائس الماكرة » ، وبفضح « مؤامرات القوى الامبريالية التى تستهدف تقويض الحركة التقدمية فى بلدان العالم العربى ، والى فصل هذه الحركة من حليفها الطبيعى والامين ، وهو الاتحاد السوفيتى ، وسائر بلدان الاسرة الاشتراكية » [الاهرام ٣٠/٤/١٩٧٢] .

ويتضح اكثر موقف الدكتور البيضانى المعادى

للمعسكر الاشتراكى والاتحاد السوفيتى ، الرافض والمشكك فى « معاهدة الصداقة والتعاون » المصرية ــ السوفييتية ، فى ما كتبه عن هذه المعاهدة : « أما محاولة تأثير الزميل الكريم علينا بمعاهدة الصداقة التى ابرمها الاتحاد السوفيتى مع مصر ، فأمر لا يقل غرابة ، ذلك لان عقد هذه المعاهدة لم يحرم مصر من الاحتفاظ باستقلالها ، وبحرية ارادتها ، وبحرية الحركة الفكرية البناءة على أراضيها ضمن الاطار الذى رسمه ميثاقها ودستورها ، كما ان عقد هذه المعاهدة لم يهدم الاتحاد الاشتراكى العربى ، الذى يضم تحالف قوى الشعب العاملة ، ولم يفرض على المفكرين العرب ان يصبوا عقولهم فى القالب الشيوعى » .

واضح ان هذه الفقرة تنضح وتفصح عن كل شىء ، فهى نفترض ان الاصل فى موقف الاتحاد السوفيتى ، والهدف الاساسى له بعقد مثل هذه المعاهدة ، ليس هو ما نصت عليه ، وما شرحه الرئيس السادات غير مرة ، من تدعيم قدرات مصر الدفاعية فى مواجهة الغزوة الصهيونية الاستعمارية ، وتمكينها من البناء السلمى ، والتطور الاجتماعى ، وتعزيز استقلالها السياسى والاقتصادى ، وانما هو ان « يحرم مصر من الاحتفاظ باستقلالها ، وبحرية ارادتها ... الخ » واذا كان الاتحاد السوفيتى لم يوفق فى بلوغ مثل هذه « الغاية الاستعمارية » ، فذلك راجع لاسباب اخرى خارجة عن ارادته ومخططه ، ومن هذه الاسباب ، ما حال دون « استغلاله » لعقد هذه المعاهدة ، لهدم الاتحاد الاشتراكى العربى ، وصب عقول المفكرين العرب فى قالب شيوعى !!

ان اثارة الغبار حول المعاهدة المصرية ــ السوفييتية ، والالتفاف حولها بهذا الاسلوب ، وعلى هذا النحو ، يدفع الى المقدمة بسؤال ضرورى ، وهو لصالح من ؟ .. وفى خدمة من يحدث كل ذلك ؟ .. أولا يعتبر ذلك جزءا من الحملة الدعائية الموجهة هذه الايام بتركيز وقصد ، الى العلاقات العربية ــ السوفييتية ، والتى حذرنا الرئيس السادات منها ، ونبهنا الى خطرها وطالبنا بالوقوف فى وجهها ، وحلقة من حلقات التشويه المخططة ، والمستهدفة ضرب الجبهة المعادية للاستعمار والصهيونية ، ومحاولة من « محاولات التشكيك والتآمر على الصداقة المصرية ــ السوفييتية ، ودورها فى المعركة » .

على ان أبرز ما يثير الانتباه ، ويدعو الى العجب ، هو ان المرء لا يلمس لدى الدكتور البيضانى أدنى « حساسية » ازاء المعسكر الاستعمارى ، على عكس تلك الحساسية الشديدة المفرطة « والمرهفة » ازاء المعسكر الاشتراكى !

من هنا ، اهمية تلك الملاحظة القيمة التى ابداها الرئيس أنور السادات فى خطابه الوطنى بالاسكندرية فى اول مايو ١٩٧٢ . عندما تساءل عن الغرض الحقيقى لمثل هؤلاء « المتشنجين دول ، ما بيتشنجوش على امريكا ليه . بيتشنجوا على الاتحاد السوفيتى ليه » ، وعندما ادان الحملة الشرسة « حملة التشكيك ضد الاتحاد السوفيتى ، والعلاقات العربية ــ السوفييتية » وحدد مجددا ــ لكى يفهم ويرتدع أصحاب الحساسية « والعقد » ، ازاء الاتحاد السوفيتى ــ « المرتكز الثالث » لسياسة مصر الخارجية ، الذى يقوم على « العداء للاستعمار والصداقة مع كل الذين يؤازرون حقنا ونضالنا من اجل السلام ، وفى مقدمته الاتحاد السوفيتى » [الاهرام ١٩٧٢/٥/٢]

ومن الملاحظ انه عندما يصطنع الدكتور البيضانى الحكمة فى اخفاء عدائه للاتحاد السوفيتى وغيره من الدول الاشتراكية ، فانه يضع حينئذ معسكر الغرب الاستعمارى ، ومعسكر الشرق الاشتراكى على قدم المساواة ، ويدعو الى التعامل معهما معا ، باعتبارهما « مجتمعات متطورة » ، بدون تفريق فى المعاملة ، او تمييز فى نظرة وتعاطف اى من الجانبين ازاء الدول الوطنية العربية وغيرها من الدول النامية . ولذلك فانه فى أحد ردوده علينا ، والذى نشرته له جريدة أخبار اليوم القاهرية فى ١٩٧٢/٤/٢٩ ، يقول : « وغنى عن الذكر انه فى معرض [الحديث العام] عن علاج التخلف لا مجال للاشارة الى [التعاون الخاص] مع اية دولة بعينها ، ولا مع اية كتلة بذاتها ، لان لكل مجتمع ظروفه الخاصة ، وفلسفته المختارة ، والخطاب فى هذا المقال [لكل المجتمعات المتطورة] ، دون استثناء ، مع اختلاف ظروفها الخاصة ، وتباين فلسفتها المختارة ، المهم ان تتوافر قدرة التحريك ، كى ينتقل المجتمع الراغب فى التقدم الى « حالة التقدم » .

على ان تاريخ علاقات البلدان المتأخرة من بعد الحرب العالمية الاولى والى اليوم ، والتى انتهجت سبيل التعاون مع الغرب ، وعلى رأسها تركيا ، وايران ، تقدم براهين عديدة ، لا تدحض ، بأن حصيلة هذا التعاون كانت فقط اقامة أنظمة عسكرية ، وبيروقراطية ، وطبقية ، قاهرة ، تابعة ، وان التطور الاقتصادى فى هذه البلدان بقى متعثرا على جميع المستويات ، حيث تبين بالتجربة العملية انه لم يكن ولن يكون من مصلحة قوى الاستعمار ، تشجيع التنمية الصناعية المتطورة فى الاقطار النامية ، ابقاء لها فى ربقة التخلف ، واستحواذا مطلقا على سوقها الداخلية بمنتجاتها الاستعمارية ، وامعانا فى استغلال شعوبها ، وتحكما فى طرائق حياتها ، وتمكينا لسيطرتها الاجنبية من مقاديرها ومصائرها ،

على عكس « الدول الوطنية حديثة الاستقلال » التى اختارت طريق التطور اللارأسمالى ، والتعاون مع الدول الاشتراكية ، وحققت خلال بضع سنين تقدما هائلا فى كل مجال ، واقامت اقتصادا وطنيا متطورا ، متحررا ، وسلكت سياسة وطنية مستقلة ، معادية للامبريالية ، والاحتكارية ، والانظمة الراسمالية ، والسابقة على الراسمالية — كما يتمثل ذلك فى جمهورية مصر العربية — وغيرها من الدول العربية المتقدمية » [اليمن بين طريق التطور الراسمالى واللاراسمالى د . محمد على الشهارى ، الطليعة ابريل ١٩٧٢] .

والذى يتضح اكثر من فقرة الدكتور البيضانى السابقة ، انه يجهل او يتجاهل واقع ان الاستعمار الجديد يقوم أساسا على استخدام رؤوس الاموال والقروض ، وغيرهما من المساعدات الاقتصادية والفنية ، كوسائل حديثة يقتحم بها حصون تلك البلدان التى تكون قد طردت جيوش احتلاله منذ قليل ، او ينفذ بها الاستعمار الجديد ليحل محل الاستعمار القديم ، كما تصنع بالفعل الامبريالية الامريكية ، والالمانية الغربية ، واسرائيل .

وحتى يتأكد للدكتور البيضانى ان طريق التطور الاقتصادى والاجتماعى المستقل والمزدهر مرتبط — ولا سيما فى هذه الحقبة التاريخية المتمثلة فى احتضار الاستعمار ، وانتصار حركات التحرر والتقدم الوطنية والاجتماعية — « بالتعاون الخاص » مع المعسكر الاشتراكى بالذات ، وبالحذر اشد الحذر من رؤوس الاموال الاستعمارية ، فاننا نتلو عليه تلك العبارة العميقة الدلالة ، البالغة الشأن ، التى لخص بها الرئيس أنور السادات خبرة حركة التحرر الوطنى المصرية والعربية والعالمية ، عبر نضالها الشاق والطويل ، والشامل ، ضد الامبريالية ، ومن أجل بناء أوطانها هذا النضال الذى لم تجد لها رفيقا امينا فيه ، وحليفا شريفا على دروبه الوعرة والشائكة غير الاتحاد السوفيتى ، وسائر المعسكر الاشتراكى ، حيث أكد الرئيس العربى — وفى لهجة حاسمة — أثناء زيارته الاخيرة لموسكو ، فى رده على كلمة رئيس الوزراء السوفيتى كوسيجين ، بأنه « لم تكن حركات التحرير فى العالم تتمكن من النمو والنجاح ، لولا المسئولية الكبرى التى يتحملها الاتحاد السوفيتى تجاه حركة التحرير العالمى » ، و « انه لو لم تظهر الكتلة الاشتراكية ، بزعامة الاتحاد السوفيتى — بعد الحرب العالمية الثانية ، فى مواجهة القوى الاستعمارية والامبريالية كعامل متوازن — لما كان للشعوب الصغيرة ، وللدول المكافحة ، من اجل استقلالها ، وتقدمها ، قدرة أن تشق طريقها تحت الشمس ، وتبنى مكانتها اللائقة بين الدول ، من هذا المنطلق تتضاعف مسئوليات الاتحاد السوفيتى ؟ ومن أجل ذلك أيضا سوف تتكرر لقاءاتنا معكم ، نحن وغيرنا من قادة الدول التى تكافح من أجل التحرر والبناء » [الاهرام ١٩٧٢/٤/٢٩] .

وفى مجال اصراره على انكار وجود فلسفة علمية تعبر عن « القوانين العامة » التاريخية ، والاجتماعية ، والموضوعية على الاطلاق ، يعيد الدكتور البيضانى تأكيد ايمانه بفلسفته البراجماتية التى تتمسك بها اليوم بشدة أوساط البورجوازية العالمية الشائخة والمحتضرة ، تشبث الغريق بقشة عائمة ، فيكرر قوله بأنه « يوجد صراع بين الشرق ، والشرق ، بين الصين والاتحاد السوفيتى اى بين البروليتاريا ، والبروليتاريا ، كما يوجد صراع بين الغرب والغرب ، بين اوربا الغربية والولايات المتحدة ، اى بين البورجوازية والبورجوازية ، أو بين الراسمالية والرأسمالية ، حسب درجات التصنيف التى يحلو استعراضها » غير متنبه الى ان القانون الموضوعى العام الذى يحكم تناقض العصر الرئيسى ، هو قانون الصراع العدائى بين الاستعمار القديم والجديد ، وحلفائه من صهيونية ورجعية من جهة ، وجبهة الثورة العالمية التى تضم المعسكر الاشتراكى ، وحركة الطبقة العاملة فى الغرب ، وحركة التحرر الوطنى فى ما يسمى « بالعالم الثالث » من جهة أخرى ، وان التناقضات القائمة داخل كل من المعسكرين الراسمالى ، والاشتراكى ، لا تعدو ان تكون تناقضات ثانوية ، مهما اشتدت واحتدمت فى بعض الاحيان ، بفعل هذه العوامل العارضة أو تلك ، فالتناقض بين اوربا الغربية والولايات المتحدة هو فى الاساس تناقض بين الاستعمار القديم الآفل ، والاستعمار الحديث الآخذ مكانة الصدارة عنه ، ومثل هذا التناقض الثانوى لا يحول دون اتحاد كل القوى الاستعمارية القديمة والحديثة فى مواجهة كل القوى الثورية ، الاشتراكية ، والديمقراطية ، والوطنية ، وبالذات عندما يتعلق الامر بمصالح جوهرية مشتركة ، كذلك فان التناقض بين الصين والاتحاد السوفيتى هو فى الاساس تناقض ثانوى بين تجربة الصين الاشتراكية ، المعتمدة فى الجوهر على نضال وسواعد طبقة الفلاحين العريضة ، وبين تجربة الاتحاد السوفيتى الاشتراكية المعتمدة فى الجوهر على نضال وسواعد الطبقة العاملة الصناعية الواعية ، والى هذا التفاوت فى مستوى التطور الاجتماعى ، والتاريخى ، والسياسى ، والثقافى ، والايديولوجى ، والحضارى ، بين المجتمعين والتجربتين ، يعزى ذلك التناقض فى بعض المواقف والممارسات الايديولوجية والسياسية المؤقتة ، والمشروطة ، والزائلة ، بحتمية التقدم الصناعى ، والاجتماعى فى الصين فى اتجاه تبلور ونضوج كيان ووعى الطبقة العاملة الصناعية الاشتراكية هناك ، الملتحمة — آخر

الامر — ايديولوجيا وطبقيـا مع الطبقة العـاملة العـالمية ، قائدة التقـدم الانسـانى ، والزحف الحضارى ، فى عصرنا الراهن ، وحتى قبل حدوث مثل هـذا الالتحـام الضرورى والحتمى ، فان التناقضات الثانوية بين الصين والاتحاد السوفيتى التى يفاقم منها ضـعف دور الحزب ، ونمو دور الفـرد فى الصـين ، لا تعنى عـدم وقوفهمـا — موضوعيا وتاريخيا وعمليا — فى جبهة واحدة ضد الامبريالية ، والاسـتعمار ، والصـهيونية ، والراسمالية ، والرجعية الدولية ، حتى ولو بدت مواقفهما — مؤقتا — متعارضة فى هذه القضية الجزئية أو تلك ، وازاء هـذا الوضع المحدد أو ذاك ، تحت تأثـير التناقضـات الثانوية المرحلية المنتهية آخر الامر باشتداد فاعلية قانون الضرورة الداخلى والعام للنظـام الاشـتراكى ، الدافع له — فى عملية تاريخية عميقة متصلة التقدم والنمو — نحو المزيد من الانسجام فى بنيته الاجتماعية ، والتوحد فى رؤيته التاريخية .

غير ان الدكتور البيضانى ، الذى حدد موقعه الفكرى بقدر كبير من الصراحة ، لا يهمه دراسـة ومتابعة هذه الموضوعة النظرية والسياسـية . ولذلك فهو يعزز وجهة نظره البراجماتية فى تلك الفترة التى كنت قد استشـهدت بهـا فى مقالى « اليمن وطريق التطور الراسمالى واللاراسمالى » والتى قال فيهـا بأن « الحقائق الاجتمـاعية غير ثابتة ، بل متطورة ، ومستمرة فى التطور ، أى أن الفرضيات الاجتماعية متحركة ، وبالتالى لا تخضع لاحكام هندسية ، ثابتة وبديهية » ، بفقرة أخرى فى مقاله [فلسـفة المجتمعات المتطورة ، أخبار اليوم ١٩٧٢/٤/٢٩] ، الذى أراد به أيضا الرد على ، حيث يقول فيها : « فالفلسفة مجرد كلام ، كلام يمكن الاتفاق عليه ، ويمكن وضعه فى كتاب ، طرحه فى شـعارات تردد ، خطب ، وتعلق على جدران » .

وهكذا تنحط الفلسفة من ذروتها العليا كنظرية علمية وثورية ، تهدى الانسانية فى صراعها الدائب والمستمر ، من أجل التعرف على قوانين الحركة الاجتمـاعية ، والتاريخية ، والسـيطرة عليها ، وتسخيرها فى صـالح تقدمها ، ومن أجل تحقيق تحريرها الاجتماعى الشـامل والناجز ، واطلاقها — نهائيا والى الابد — من أسار الضرورة المادية الضـاغطة ، المتحكمة ، وبالتالى تحقيق حريتها التاريخية والكونية ، والمطلقة ، الى مجرد ملحق نثرى قد يصلح فى أحسن الاحوال ان يضاف الى قصـائد المعلقـات السبع الشـهيرة فى الشعر الجاهلى ، التى كانت تعلق على أحد الجدران فى مكة ، تمييزا لها عن القصائد الاخرى التى لم تكن من الجودة بحيث تحظى بمثل هذا الامتياز !!



وثائق

البرنامج السياسى

للجبهة الوطنية المتحدة

للثورة الفلسطينية



تنشر « الطليعة » النص الكامل لمشروع البرنامج السياسى الذى اصدره مركز التخطيط بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وذلك وفقا للخطوط التى اقرها المؤتمر الشعبى الفلسطينى ورفعها الى المجلس الوطنى مع بعض التعديلات التى جرت على النص بعد اقراره من اللجنة السياسية فى المؤتمر .

والبرنامج وثيقة سياسية هامة فى تاريخ الثورة الفلسطينية ، من حيث انه يمثل الاساس الذى يجرى عليه اليوم بناء الجبهة الوطنية المتحدة لكل فصائل الثورة الفلسطينية . وهى الجبهة التى يستهدفها النضال الفلسطينى خاصة ، وحركة التحرر العربية والعالمية بصفة عامة .



هناك ازمة عامة تأخذ بخناق الامة العربية فى الوطن العربى الكبير ، حيث تهجم الامبريالية العالمية ، وعلى راسها الامبريالية الامريكية بمخطط واسع تستهدف به احكام الطوق حول حركة التحرر الوطنى العربى والاجهاز عليها .
لقد بدأت المرحلة الراهنة من الازمة بالهجمة الامبريالية الصهيونية فى حزيران ١٩٦٧،واستطاعت الامبريالية والصهيونية تحقيق نصر فى هذه الهجمة على ثلاثة انظمة عربية فى الاقطار العربية المحيطة بالكيان الصهيونى .

وعبر عديد من المناورات والمؤامرات تحت لافتات مايسمى بالحلول السلمية والتسويات الجزئية استطاع الامبرياليون والصهيونيون بمساعدة نشطة من قوى انهزامية عربية لها علاقاتها التسوية ، اقتصاديا ، وعسكريا ، وسياسيا بالامبرياليين ، ان توجه ضربات متتالية للقوى العربية المعادية للامبريالية والصهيونية ، وفى مقدمتها الثورة الوطنية الفلسطينية المسلحة ، وغيرها من فصائل النضال الوطنى العربى ، وحيثما تلقت القوى الوطنية العربية تلك الضربات ، كان الوجه المقابل دائما هو المزيد من التوجه نحو الغرب ، ونحو الامبريالية الامريكية بشكل خاص .

وفى بؤرة ازمة النضال العربى نجد الشعب العربى الفلسطينى وقضيته الوطنية يواجه المؤامرات تلو المؤامرات من اجل تصفية وجوده الوطنى الموحد ، وتصفية قضيته الوطنية تصفية كاملة . ويبدى الامبرياليون ، والصهاينة ، واشياعهم من العرب اهتماما نشطا بتصفية الوجود الوطنى الموحد للشعب الفلسطينى ولقضيته الوطنية عبر مشروعات تآمرية مثل مشروع آلون ، ومشروع الدويلة الفلسطينية التابعة ، ومشروع حسين — آلون ومخطط الانتخابات البلدية فى الضفة الغربية ومشاريع الاستيطان والضم والتهويد ومحاولات الاستيعاب والتذويب للشعب الفلسطينى فى المجتمعات التى يعيش فيها فى الشتات .

ان القضاء على الوجود الوطنى الموحد للشعب الفلسطينى وعلى قضيته الوطنية يعنى بالنسبة للامبرياليين والصهاينة واشياعهم من العرب تصفية بؤرة نضاله طوال اكثر من عشرين عاما ، ويمكن ان تظل مركزا للاشعاع النضالى والثورى فى منطقة يريد الامبرياليون والصهاينة ان يفرضوا عليها سيطرتهم الكاملة . وفى القلب من بؤرة هذه الازمة العامة نجد الثورة الوطنية الفلسطينية المسلحة تواجه سؤالا مصيريا حول ان نكون او لا نكون، ان الامبرياليين والصهيونيين يلاحقون مواقع الثورة بهجماتهم ، وتلقى هذه الهجمات الامبريالية والصهيونية دعما مباشرا من القوى العربية المعادية للثورة وعلى راسها النظام العميل فى الاردن ، ومما لا ريب فيه ان الضغوط والقيود الرسمية العربية على الثورة ، والانشقاقات المتآمرة ، والتشرذم الذى لايعبر الا عن اليأس وفقدان الانجاه ، كل ذلك من الناحية الموضوعية يوفر مناخا مواتيا للهجمات الامبريالية والصهيونية واليمينية على الثورة .

وفى الاطار العام للازمة فان اركانا مختلفة من الوطن العربى بدأت تشهد تحركات جماهيرية شجاعة تسد الطريق على الاتجاهات الانهزامية والاستسلامية، وترفع عاليا راية الرفض للمناورات الامبريالية والصهيونية التى تتخذ صورة مشاريع التسوية السياسية شاملة كانت او جزئية ، وتشير بقوة الى الطريق الوحيد الصحيح ، طريق الكفاح المسلح، طريق الجماهير المنظمة ، المسلحة ، طريق رفض الارتباط بالمعسكر الامبريالى، ورفض مشروعاته التآمرية ، طريق الالتحام بالثورة المسلحة الفلسطينية .

وفى بؤرة الازمة نجد شعبنا الفلسطينى يتحرك بتصميم وثبات دفاعا عن وجوده الوطنى الموحد ، وعن حقه فى تحرير وطنه كاملا ، ونجد جماهيرنا فى الوطن المحتل ، تتحرك ببسالة وجرأة فى تحد لقوات الاحتلال العنصرية لاحباط مشروع حسين — آلون لتصفية الشعب والقضية .

وفى القلب من بؤرة الازمة، فان قواعد الثورة، ومقاتليها، ومنظماتها الجماهيرية تدفع بقوة ، وبحسم تجاه الوحدة الوطنية كمنطلق اساسى لشن هجوم مضاد ،وكسر طوق الازمة الخانق .

ان تحرك جماهيرنا العربية ، وتحرك جماهير شعبنا وخاصة فى الوطن المحتل والتوجه القوى نحو الوحدة الوطنية فى صفوف الثورة ، والعطف والدعم العالميين اللذين يتمتع بهما نضالنا التحررى ، كل ذلك يوفر الشروط الموضوعية لمبادرة ناجحة تخرج الثورة ، وتخرج شعبنا ، وتخرج نضال امتنا من تلك الازمة العامة .

ان فصائل الثورة الوطنية الفلسطينية المسلحة ، والقوى الوطنية المجتمعة فى المؤتمر الشعبى الفلسطينى التزاما منها بمسئوليتها التاريخية ازاء شعبنا وقضيته العادلة فى تحرير وطنه من الاغتصاب الصهيونى — الامبريالى .

ووفاء منها لامتنا العربية التى لا نجاح لقضيتنا الا فى اطار الانتصار العام لنضالها الوطنى التحررى ، والذى يعتبر نضالنا الوطنى فصيلة صدام طليعية ضد عدوها الرئيسى، الصهيونى — الامبريالى .

وتطلعا منها الى ان تكون عند حسن ظن اصدقاء نضال شعبنا وامتنا فى العالم كله ..

واستنادا الى منجزات غير هينة ، حققها نضالنا ، برغم كل النكسات ، وعلى راسها تجسيد الوجود الوطنى الموحد لشعبنا،وتعميق الروابط المصيرية بينه وبين النضال العربى التحررى العام ، وغرس تقاليد حرب الشعب الطويلة الامد كطريق لا طريق سواه للتحرير .

وادراكا منها لسلبيات كثيرة شابت عملها السابق ، لعل ابرزها عدم التوجه الجدى لانجاز الوحدة الوطنية ، والتقليل — فى الممارسة — من ضرورة الالتحام بالجماهير العربية وطلائع نضالها الوطنى، والمبالغة احيانا فى تقدير دور الانظمة العربية ، وفوق كل ذلك ، وسببا له ، عدم التقيد ببرنامج عملى ، وواقعى ، واضح لنضالنا السياسى والعسكرى .
وتصميما منها على مواجهة التحديات الراهنة والمستقبلة بروح المبادرة الثورية، وبروح الهجوم الثورى .

فانها تعلن لمقاتلينا ومواطنينا وجماهير امتنا ، ولاصدقاء نضالنا فى العالم كله اتفاقها على توحيد صفوفها ونضالها واهدافها ،واساليب عملها فى جبهة وطنية فلسطينية متحدة هى منظمة التحرير الفلسطينية ، التزاما بالميثاق الوطنى الفلسطينى ، وبالنظام الاساسى وبكافة مقررات المجالس الوطنية المتتالية ،وفى برنامج نضالى لهذه المنظمة ،وفى لائحة داخلية تنظم اساليب النضال والعلاقات النضالية لكل اطارات هذه المنظمة .
وتفاديا لكثير من سلبيات محاولات الوحدة الوطنية السابقة ، فان منظمة التحرير الفلسطينية تطرح كل مكوناتها على القواعد السياسية والعسكرية والجماهيرية والنقابية للثورة ، وعلى جماهير امتنا العربية، وعلى كل اصدقاء نضالنا التحررى ، حتى يكون الالتزام بها من جانب الاطراف المتحدة داخل اطار منظمة التحرير التزاما مسئولا امام القواعد وامام الجماهير ، وحتى لايكون ثمة انحراف او تخل عنها ، او خلاف حولها الا وتكون القواعد والجماهير طرفا فيه وحكما عليه .

ان منظمة التحرير الفلسطينية ستركز نضالها حول اربعة محاور استراتيجية رئيسية :

١ — مواصلة وتعبئة وتنظيم كل طاقات شعبنا داخل الوطن وخارجه فى حرب شعبية طويلة المدى من اجل التحرير الشامل واقامة المجتمع والدولة الديمقراطيين .

٢ — لحم نضال شعبنا بنضال الشعب الاردنى الشقيق فى جبهة تحرير فلسطينية — اردنية تقوم الى جانب مهامها على الساحة الفلسطينية بالنضال لتحرير الاردن من النظام الملكى العميل ، الذى يشكل قناعا هاشميا للسيطرة الصهيونية الفعلية على الضفة الشرقية وحارسا مأجورا شرسا لنفس الاحتلال الصهيونى على فلسطين .

٣ — ربط النضال الفلسطينى ، والفلسطينى — الاردنى بالنضال العربى

الهام من خلال جبهة لكل القوى الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديد .

٤ ـ التفاعل مع حركة النضال العالمية ضد الامبريالية والصهيونية ، من اجل التحرر الوطني .

أن منظمة التحرير الفلسطينية تحدد مهامها فيما يلي :

أولا : في الساحة الفلسطينية

١ ـ مواصلة النضال والكفاح المسلح لتحرير كامل تراب الوطن الفلسطيني ولاقامة المجتمع الديمقراطي الفلسطيني الذي يتوفر فيه حق العمل والحياة الكريمة لكل المواطنين ، وتتوفر فيه الضمانات لمصالح الفئات الاجتماعية التي شاركت في الثورة او ساندتها ، او حتى اكتفت بالعطف عليها دون ان تتعاون مع العدو أو تسهل له مهمته في احتلال اراضينا وقمع مواطنينا ، ودون ان تمثل هذه المصالح استغلالا او عدوانا على مصالح الاغلبية الساحقة من الجماهير العاملة ، أو تشكل قيدا على تنمية ورفع مستواها المعيشي والحضاري . كما تتوفر في هذا المجتمع حرية الرأي والتعبير ، والاجتماع والتظاهر ، والاضراب ، وتشكيل المؤسسات السياسية والنقابية الوطنية ، وحرية ممارسة العقيدة لكل الاديان ، وبحيث يكون هذا المجتمع الفلسطيني الديمقراطي جزءا من المجتمع الديمقراطي العربي الشامل .

٢ ـ النضال ضد كل مشروعات التسوية التي تستهدف تصفية قضية شعبنا في تحرير وطنه ، او مسخ هذه القضية بمشروعات الكيانات او الدولة الفلسطينية ، على جزء من ارض فلسطين ، وذلك بالكفاح المسلح وبالنضال السياسي المرتبط به .

٣ ـ تعزيز روابط الوحدة الوطنية بين جماهير مواطنينا في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ، وفي الضفة الغربية وقطاع غزة وفي خارج الوطن المحتل .

٤ ـ مقاومة سياسة تفريغ الارض المحتلة من سكانها العرب واتخاذ الاجراءات الكفيلة باحباط محاولات افراغ الارض المحتلة من الطلاب الجامعيين الذين يسافرون للدراسة في الخارج والتصدي بالعنف لبناء المستوطنات وتهويد اجزاء من الوطن المحتل .

٥ ـ تعبئة الجماهير في الضفة وفي القطاع وتسليحها للدفاع عن اراضيها التي يحاول العدو انتزاعها .

٦ ـ العناية بتنظيم الجماهير في مؤسسات نقابية للدفاع عن مصالحها اليومية ، ومساعدة هذه المؤسسات على مقاومة محاولات الهستدروت لاجتذاب العمال العرب لعضويته ، وتعزيز ودعم اتحادات عمال فلسطين والاردن لتحقيق هذا الهدف ومقاومة محاولات بعض الاحزاب الصهيونية لاقامة فروع عربية لها في الارض المحتلة .

٧ ـ دعم صمود العمال الذين يعملون في اراض ومؤسسات عربية وتوفير الضمانات لحمايتهم من اغراءات العمل في مشاريع العدو ، وتشجيع وتنمية مشاريع انتاجية وطنية لاستيعاب العمال الذين يستخدمهم العدو ، ومقاومة محاولات العدو للاستيلاء على المشاريع الانتاجية الوطنية او تحطيمها .

٨ ـ دعم جماهير الفلاحين وتنمية المؤسسات الاقتصادية والثقافية الوطنية القائمة حاليا في الوطن المحتل لتثبيت المواطنين في الارض ، ووقف تيار النزوح عنها ومقاومة الغزو الاقتصادي والثقافي الصهيوني .

أن دعم صمود شعبنا في الارض المحتلة الذي هو مسئولية فلسطينية عربية مشتركة يحتم على الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المقررة في مؤتمر الخرطوم بدفع المبالغ المخصصة لهذا الغرض .

٩ ـ العناية باوضاع مواطنينا في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ودعم نضالهم من اجل الحفاظ على هويتهم الوطنية والعربية وتبني قضاياهم ، ومساعدتهم على الالتحام بالنضال التحرري .

١٠ ـ العناية بمصالح جماهير شعبنا العاملة في مختلف انحاء الوطن العربي والعمل على الحصول لها على حقوق اقتصادية وقانونية متكافئة مع مواطني المجتمعات العربية طالما انها توظف طاقاتهم الانتاجية عملا او فكرا في خدمة تلك المجتمعات ، وخاصة فيما يتعلق بحق العمل ، والمكافآت ، والتعويضات ، وحرية العمل السياسي والثقافي وحرية السفر والتنقل ضمن المحافظة على شخصيتها الفلسطينية .

١١ ـ مساواة المرأة مع الرجل في الساحة الفلسطينية واعطائها العناية ذاتها التي توفر للرجل اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا واشراكها في كل مجال نضالي .

١٢ ـ العناية باوضاع مواطنينا في المخيمات ، والعمل على ترقيتها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ، وتدريبهم على الادارة الذاتية لشئونهم من خلال لجان شعبية منتخبة تقوم الى جانب اجهزة منظمة التحرير برعاية شئون المخيمات .

١٣ ـ اعتبار كل متعاون مع العدو ، او مشارك له في جرائمه ضد الشعب والوطن ، او متهاون في حقوق الشعب والوطن هدفا ، بشخصه ، وبممتلكاته ، مالا ، او عقارا ، او ارضا ، من اهداف الثورة .

١٤ ـ العناية باوضاع جماهيرنا في المهاجر الاجنبية ، والعمل على ربط هذه الجماهير بقضيتها وبثورتها .

١٥ ـ تتشكل منظمة التحرير الفلسطينية من كل فصائل الثورة السياسية والعسكرية ، ومن المنظمات الفلسطينية الجماهيرية ، نقابية ، او ثقافية ، وباب العضوية في تشكيلاتها مفتوح لكل الفئات والشخصيات الوطنية ، التي تؤمن بالكفاح المسلح طريقا وحيدا لتحرير فلسطين والتي تلتزم بالميثاق الوطني الفلسطيني .

١٦ ـ تمارس منظمة التحرير علاقاتها الرسمية العربية في اتجاه رعاية مصالح المواطنين الفلسطينيين في الوطن العربي ، والتعبير عن الارادة السياسية للشعب الفلسطيني ، وتظل منظمة التحرير الفلسطينية هي القيادة السياسية العليا للشعب الفلسطيني ، وهي وحدها الناطقة باسمه في كل القضايا المصيرية ، وهي وحدها ، ومن خلال اجهزتها النضالية المسئولة عن كل ما يتعلق بحق تقرير المصير بالنسبة للشعب الفلسطيني .

ثانيا : في الساحة الفلسطينية ـ الاردنية

أن السياسات التي ينتهجها نظام الحكم الحالي في عمان لاتهدد بتسليم الضفة الغربية والقدس رسميا للعدو ، وهي لاتحمل المخاطر لقضية الوجود الوطني الفلسطيني الموحد ، ولقضية التحرير الفلسطينية فحسب ، ولكنها بالاضافة الى ذلك وضعت بالفعل الضفة الشرقية عمليا تحت الوصاية والحماية الاسرائيلية سياسيا ، واقتصاديا وعسكريا .

كما ان تغلغل النفوذ الامبريالي الامريكي ، والالماني الغربي ، مضافا الى النفوذ البريطاني التقليدي ، وذلك من خلال المعونات المشروطة ، وفتح الباب على مصراعيه امام الاستثمارات الامريكية والالمانية الغربية ، كل ذلك يحول شرق الاردن الى مستعمرة امريكية ـ المانية غربية ـ اسرائيلية .

والسياسات الداخلية للنظام العميل في عمان القائمة على قمع الجماهير الاردنية ـ الفلسطينية تمكن الزحف الاستعماري الجديد ، الامريكي والالماني الغربي من تثبيت اقدامه ، ونهب موارد الاردن ، واستغلال قوة عمل الجماهير وتعطيل نمو الاقتصاد الوطني ، كما ادت وتؤدي الى الافقار المتزايد للجماهير الاردنية ـ الفلسطينية ، وخلق فئة منتفعة تحول الاردن الى قاعدة خلفية للقاعدة الامبريالية ـ الصهيونية في الوطن الفلسطيني المحتل ، ولكي تعمل القاعدتان معا في خدمة المخططات الامبريالية المعادية للثورة الوطنية العربية .

أن هجمة ايلول وما تلاها من عمليات تصفية في جرش وعجلون والتي كانت تجسيدا دمويا للتآمر الامبريالي ضد حركة التحرر الوطني العربية ، تؤكد ان هجمة النظام في عمان على المقاومة

الفلسطينية ، كانت بداية هجمة شرتبة على الشعب الاردنى ، وبداية دور يلعبه الحكم الهاشمى ضد الدول العربية الاخرى.

وبرغم ان المقاومة قد اخرجت من قواعدها فى الاردن فان ٤٥٪ من ميزانية الاردن تنفق على اغراض الامن ، اى لتعزيز اجهزة ووسائل قمع الجماهير ، التى سرعان مابدأ النظام يكشر لها عن انيابه ، فلقد حل اتحاد نقابات العمال فى الاردن ، وفرض النظام قانون عمل معدل فاشستى يلغى بنصوص صريحة حتى المكاسب الجزئية التى تضمنها القانون السابق ،ويضع الحركة العمالية والنقابية تحت وصاية الدولة واجهزة الامن ، كما زيدت الضرائب على صغار الفلاحين ، وبدأت السلطات فى اتخاذ اجراءات تعسفية فى تحصيلها، وفرضت ضرائب جديدة على المعاملات ، كمافرضت ضرائب غير مباشرة فى شكل رفع الرسوم الجمركية على كثير من الواردات مما ادى الى ارتفاع جنونى فى الاسعار وفى النفقات المعيشية ،وحظرت الاحزاب الوطنية والتقدمية وفرض بدلا منها حزب واحد هو مايسمى بالاتحاد الوطنى . السلطة المطلقة فيه للملك سياسيا وتنظيميا وفرضت قيود مهينة على حرية الضمير واصبح ثمن الحصول على وظيفة فىجهاز الدولة هو نشر استنكارمن طالب الوظيفة فى الصحف لما يسمى بالافكار والاحزاب الهدامة والتخريبية ، وعطلت الصحف الوطنية والمنابر الثقافيةالوطنية ،وانهالت اموال الدعم على الصحف العميلة والمأجورة ، وحلت الاتحادات الوطنية للطلاب ، وفرضت بدلا منها اتحادات بوليسية ، واتسعت عمليات اتلاف الضمائر بارهاب المواطنين او شرائهم لاشاعة التجسس والعمالة لاجهزة الامن، كما فتح النظام ابواب سجونه ومعتقلاته للمناضلين الوطنيين من الشعبين . ان اللقاءات والاتفاقات السرية والتىسمح العدو نفسه باعلانها بين الملك ورجساله وبين العدو والتى كان اهمها لقاء وادى عربة بعد ايلول ١٩٧٠ بين الملك وييجال آلون نائبرئيسة وزراء العدو، ويؤكدان هجمة ايلول على المقاومة كانت ايضا بداية مؤامرة بين الملك وبين العدو على معركة التحرير العربية .

واذا كان النظام الهاشمى يعتدىعلى اقوات المواطنين الاردنيين والفلسطينيين لتعزيز جهاز القمع الموجه ضدها ، فان المعونات الامريكية تنفق على اعادة بناء الجيش الاردنى لكى يوجه ضد سوريا والعراق كما اعترفت بذلك مجلة الجيش الامريكية فى كانون الثانى ١٩٧٢ . ان هجمة ايلول على المقاومة كانت ايضا بداية دور يلعبه النظام الهاشمى ضد الاقطار العربية المجاورة بهدف فرض السيطرة الامبرياليةعليها . ان الافقاروالقهر اللذينيعانيهما الشعب الاردنى والفلسطينى على ايدى نظام الملك حسين فى الضفة الشرقيسة هما امتداد لنفس الافقار والقهر اللذين يعانى منهما الشعب فى الضفة الغربية وبقية الوطن المحتل على أيدى المحتلين الصهيونيين ، حيث الى جانب الارهاب ، تعانى جماهير الضفة الغربية من الغزو الاقتصادى الصهيونى الذى يحطم المشاريع الاقتصادية الوطنية ويدمر الزراعة والتجارة المحليتين ، وحيث ينتزع المحتلون أراضى الفلاحين وحيث الاسعار فى ارتفاع مستمر . كذلك يمد المحتلون أصابع غزوهم الثقافى الى المؤسسات التعليمية والثقافية فى الضفة الغربية . ان الجسور المفتوحة بين الضفة الغربية والشرقية تهدد أيضا بغزو اقتصادى وتجارى لا يمكن ان تصمد أمامه المشروعات الانتاجية والتجارية للمنتجين والتجار المتوسطين ، خاصة اذا أضفنا الى ذلك العبء الذى سيواجهه هؤلاء من جراء الهجمة الاقتصادية الامريكية والالمانية الغربية . ان كثرة الاموال المتداولة فى مثل هذه الظروف ليست أبدا وليد وفاء ، وانما هى أعراض للتضخم النقدى المقرون بارتفاع تكاليف المعيشة وأنخفاض الدخول الفعلية للمواطنين . هذا الى جانب أن مصدر الاموال المتداولة هو قطاع ضيق من المجتمع يرتبط بروؤس الاموال الامبريالية الزاحفة وبالنظام العميل .

أن النضال للاطاحة بالنظام العميل فى الاردن بحكم كونه خط دفاعى أمامى من الدولة الصهيونية وعلى ارتباط عضوى معها أصبح مهمة ملحة على نفس مستوى مواصلة النضال ضد الاحتلال الصهيونى . ان المصالح الحيوية المشتركة لشعبنا الفلسطينى - الاردنى وطنية كانت ، أو اقتصادية ، أو ثقافية وحضارية مضافا الى ذلك ان ٤٠ فى المائة من شعبنا الفلسطينى يقيم منذ زمن فى شرق الاردن ، ويمثل ٦٠ فى المائة من مجموع سكان الضفة الشرقية ، ويسهم اسهاما رئيسيا فى الحياة الاجتماعيةوالاقتصادية والسياسية فيها . كل ذلك يتطلب تلاحم ودمج نضال الشعبين فى جبهة تحرير وطنية اردنية- فلسطينية .

ان الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية مطالبة بتوجيه نضال الشعبين نحو الاهداف الاستراتيجية التالية :

[أ] الاطاحة بالنظام العميل فى الاردن ، وتحرير كامل التراب الفلسطينى من الاحتلال الصهيونى واقامة دولة اتحادية ديمقراطية على أرض فلسطين والاردن تؤمن صون السيادة الوطنية للشعبين ، وتؤمن التطور الوطنى المشترك لهما اقتصاديا واجتماعيا ، وحضاريا وتعزيز علاقات الاخوة والمساواة بين الشعبين عن طريق الحقوق المتساوية دستوريا وقانونيا ، وثقافيا ، واقتصاديا من طريق وضع موارد أى من الاقليمين بشريا وأقتصاديا وحضاريا فى خدمة نمو الاقليم الاخر .

[ب] لحم نضال الشعبين الفلسطينى والاردنى بنضال الامة العربية من أجل التحرر وضد المشاريع الامبريالية لفرض حلول وأوضاع استسلامية على الوطن العربى ، ولتصفية كل أشكال الوجود الامبريالى ، الاقتصادية ، والعسكرية ، والثقافية ، وكل القوى المرتبطة بها والتى تقوم بدور الوسيط لتسلل ولسياسات الاستعمار الجديد .

ولكى يتحقق الوجود الفعلى للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية ويتدعم وينمو فوق الساحة الاردنية ، فان من الواجب البدء فورا بتنشيط كافة أشكال النضال الجماهيرى اليومية ، بحيث يؤدى تحرك الجماهير من أجل مطالبها اليومية والعامة الى بروز قياداتها المنظمة وتنظيماتها المعبرة عن مصالح فئاتها المختلفة ، هذه القيادات والتنظيمات التى غابت من معارك الجماهير اليومية طوال السنوات الاخيرة .

كما أن تحقيق الاهداف العامة للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية يتطلب نضالا طويلا وشاقا ، بحيث تتخطى الجماهير من خلال النضال اليومى ، والمعارك الجزئية ، كل العقبات الاقليمية والاجتماعية المتخلفة ، وتنصهر فى نضال مشتركيبرز وجهها القومىالمناضلويفضح النظام الملكى العميل الذى يعتمد أساسا على بقاء العلاقات العشائرية والبدوية ويستثير التعصب الاقليمى كقناع خادع لعمالته للصهيونية والاستعمار .

ان الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية الساعية من أجل الاطاحة بالنظام العميل فى الاردن وتحرير فلسطين ، مطالبة بتحريك النضال الشعبى وتوجيهه على مختلف ميادين الصدام بين الجماهير والسلطة الاردنية ، مقدمة شعاراتها المناسبة فى المعارك اليومية بحيث تربط على الدوام بين هذه المعارك الجزئية وبين أهدافها العامة وتوجه حرابها ونتائجها لتصب فىالنضال العام للشعبين

لهذا فعلى الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية أن تتوجه بالنضال من أجل :

١ - تعبئة وتنظيم الجماهير من أجل الاطاحة بالنظام العميل فى الاردن بكل وسائل النضال الجماهيرية مسلحة ، وغير مسلحة .

٢ - اشراك أبناء الشعب الاردنى فى الكفاح المسلح ضد العدو الصهيونى باعتبار ذلك حقا وطنيا وقوميا وباعتبار ذلك ضرورة لحماية شرق الاردن ذاته .

٣ - التأكيد على ضرورة حرية الثورة

الفلسطينية في العمل في الاردن ومن الاردن واقامة قواعدها على أرضه ، وفضح مؤامرات النظام العميل وأضاليله في هذا الشأن ، وتوفير الحماية الجماهيرية للمقاتلين المنطلقين من والى قرب النهر .

٤ — مقاومة الاجراءات الارهابية البوليسية والحظر المفروض على الاحزاب الوطنية والتقدمية ، وتشكيل النقابات والاتحادات المهنية والطلابية وتنشيطها ومقاومة كل تدخل للسلطات في نشاطها ، والدفاع عن المناضلين المعتقلين والمسجونين والنضال من أجل الافراج عنهم وفضح المحاكمات الصورية وجرائم التعذيب ، ومقاومة وفضح كل القوانين التي تشكل قيدا على حريات الجماهير والنضال ضد قانون العمل المعدل والمطالبة بأعادة المكتسبات التي انتزعها العمال طوال السنوات الثلاث الماضية ، والغاء قرار حل اتحاد ونقابات العمال في الاردن .

٥ — فضح ومقاومة كل القوانين والاتفاقات التي تسمح بتغلغل رؤوس الاموال الامبريالية وتمكن الاستعمار الجديد في الاردن .

٦ — فضح تسرب السيطرة الصهيونية والاستعمارية على الاقتصاد الوطني ، وكشف الاثار المترتبة عليه والربط بينها وبين تبديد موارد الدولة على أجهزة الامن ونهب الاسرة الحاكمة وعملائها .

٧ — تنشيط نضال ابناء البادية وسعيهم من أجل تنمية وتوسيع الخدمات المقدمة لهم تقنيا وطبيا وثقافيا ، وتثبيت توطينهم وأسكانهم وتوفير العمل الانتاجي الثابت والمجدي حتى يتحرروا من الاوضاع المفروضة عليهم بهدف استخدامهم لدعم السياسات القمعية ضد قطاعات الشعب الاخرى .

٨ — مقاومة الضرائب المبالغ فيها على الفلاحين وتوجيههم للمطالبة بالقروض والتسهيلات من أجل رفع مستوى الانتاج الزراعي وتسهيل عملية تسويق منتجاتهم ومساعدتهم على تشكيل تنظيماتهم التي تدافع عن مصالحهم اليومية وتنظم نضالهم من أجلها .

٩ — مقاومة كل زيادة في رسوم المعاملات ، والضرائب غير المباشرة وكافة الاجراءات التي ترفع تكاليف المعيشة ، وتضارب بأقوات الشعب ، ومساعدة المواطنين على تشكيل جمعياتهم التي تتولى الدفاع عن مصالحهم المعيشية اليومية .

١٠ — فضح كل القوانين واللوائح التي تبذر روح التفرقة والتمايز بين المواطنين من الشعبين والمطالبة بالغائها .

١١ — تثقيف الجماهير بروح القومية العربية وفضح سياسة الاعتماد على المعونات الامبريالية .

١٢ — كشف الدور القمعي المعد للجيش الاردني ، وفضح العناصر العميلة والمعادية المعروفة بولائها للاستعمار وتصفيتهم وتوعية الجنود والضباط الصغار بخطر الاعتماد على الدول الامبريالية في تسليح الجيش ، وتعميق الوعي الوطني بينهم وتثقيفهم بروح الاخوة النضالية والمصيرية بين الشعبين الفلسطيني والاردني ودفعهم للنضال من أجل تحويل الجيش الاردني الى جيش وطني قادر على المشاركة في معركة التحرير الى جانب قوات الثورة الفلسطينية .

١٣ — العمل على ان تسهم الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية اسهاما نشطا في تجميع القوى الوطنية والمعادية للامبريالية في الوطن العربي كله في جبهة نضالية واحدة وعلى تعميق العلاقات الثنائية بين النضال الوطني الفلسطيني الاردني والقوى الثورية العالمية .

يجب التأكيد مرة أخرى أنه لكي تتحقق أهداف الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية بأسقاط النظام العميل ، وتحرير فلسطين ولحم نضال الشعبين الفلسطيني والاردني فان على الجبهة تخوض نضالا طويلا وشاقا ضد النظام الذي يعتمد على القمع والتضليل ، ولا سبيل امامها الا بخوض المعارك اليومية بين الجماهير لمقاومة القمع ولفضح التضليل ، ومن خلال هذه المعارك ستبرز وتقوى قيادات وتنظيمات الجبهة ويتلاحم النضال ويتحقق النصر .

ثالثا : العلاقة مع الجماهير والقوى الثورية العربية

ان المرحلة التي تمر بها الثورة العربية الآن هي مرحلة انجاز الثورة الوطنية الديموقراطية التي يمكن إيجاز مضمونها فيما يلي :

[أ] تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي الكامل والقضاء على كل شكل من أشكال التجزئة والتبعية للاستعمار والامبريالية .

[ب] القضاء على كل أشكال الوجود الامبريالي : نفوذ سياسي ، قواعد عسكرية ، استثمارات اقتصادية ، مؤسسات ثقافية ، وعلى كل القوى المحلية المرتبطة بها .

[ج] تحرير فلسطين من الكيان الصهيوني — الامبريالي ، الذي لم يغتصب أرض فلسطين ويشرد شعبها الاصلي منها وحسب ، وأنما اثبت طوال وجوده انه أداة رئيسية للامبريالية لضرب الثورة العربية وحماية الوجود الامبريالي في المنطقة . ان تحرير فلسطين ليس واجبا وطنيا فلسطينيا وحسب ، وأنما هو أيضا ضرورة قومية حيث لن يستطيع النضال لانجاز الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ان يتحد ويتعمق ويتسع وينجز مهامه الا اذا أمن نفسه ضد القاعدة الصهيونية الامبريالية التي تتحرك لضربه كلما احرز تقدما تستشعر منه الامبريالية خطرا على وجودها ومخططاتها .

[د] تحرير الجماهير العربية العاملة في الريف والمدينة من كل أشكال الاستغلال التي تمارسها القوى الاجنبية أو القوى المحلية المعادية للثورة وأطلاق حرية هذه الجماهير لتمارس دورها في الحياة السياسية ولتكون قاعدة صلبة لوحدة عربية ديموقراطية نامية .

[هـ] وضع موارد الامة العربية الاقتصادية والذهنية في خدمة تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية تستهدف تعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادي ، وتحقيق التكامل الاقتصادي والحضاري العربي ، والقضاء على التخلف الذي فرضه الاستعمار على الامة العربية ، لترفع المستوى المعيشي والحضاري للمواطنين .

ان النضال الوطني الفلسطيني ، والنضال الوطني الفلسطيني — الاردني ، بحكم الحتمية التاريخية والمصيرية ، وبحكم الضرورة الموضوعية لا يمكن الا أن يكون جزءا من الثورة الوطنية الديموقراطية العربية ، بل ومحورا استراتيجيا من محاورها الرئيسية .

لذلك فان مهمة الثورة الفلسطينية وقيادتها [منظمة التحرير الفلسطينية] والجبهة الوطنية الفلسطينية — الاردنية ان تسعى للالتحام بكافة فصائل النضال الوطني الديمقراطي العربي اينما كانت ، وأن تهيء بنضالها المناخ القتالي المساعد على بروز هذه القوى حيث تعترض الصعوبات بروزها ، وأن تفتح صفوفها للمناضلين العرب لان النضال على الساحة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني الامبريالي هو نضال استراتيجي رئيسي للثورة العربية في مجموعها .

ان القوى الوطنية والتقدمية العربية التي ينبغي ان تتجمع في جبهة وطنية عربية مطالبة بأن تعمل وفق برنامج يفترض أن تكون منطلقاته الاساسية هي ما يلي :

١ — الدعم الايجابي للثورة الوطنية الفلسطينية ، وللنضال الوطني الديمقراطي الفلسطيني — الاردني .

٢ — النضال ضد كل مشاريع ما يسمى بالحلول السلمية أو التسويات الجزئية سواء كانت بمبادرات خارجية أو عربية ، ليس فقط لما تنطوي عليه من تكريس للاغتصاب الصهيوني ، وتصفية للقضية

الوطنية الفلسطينية ، ولكن أيضا لما تأكد من أنها مدخل لمناورات ومؤامرات الامبريالية والقوى العربية الموالية لها لتمزيق وحدة القوى الوطنية العربية ، ولتصفية الثورة الوطنية العربية، ومحاولة فرض السيطرة الامبريالية الكاملة على المنطقة .

٣ ـ النضال لتصفية أشكال الوجود الامبريالي الراهنة في الوطن العربي [نفوذ سياسي ، قواعد عسكرية ، استثمارات ، مؤسسات ونشاطات ثقافية] والنضال ضد التسلسل الاقتصادي الامبريالي في الاقتصاد الوطني العربي ، وضد ربط الاقتصاد العربي بالاقتصاد الغربي والأمريكي ، والنضال ضد القوى العربية السياسية أو الاجتماعية التي تروج لذلك وتنشطه .

ان استمرار المصالح الامريكية على الارض العربية والعلاقة العضوية لهذه المصالح يقتضيان التصدي لضرب وتصفية هذه المصالح الامريكية ـ الامبريالية .

٤ ـ تشجيع ودعم المؤسسات والنشاطات التي تعمل على بعث وحماية التراث القومي العربي ، وعلى دعم ونشر القيم والفضائل القومية والثورية ، والتي تتولى مهمة التصدي للغزو الثقافي الامبريالي وللقيم المتحللة والمتدهورة التي يروج لها .

رابعا : العلاقة مع قوى التحرر في العالم

٥ ـ التضامن مع المناضلين الوطنيين والتقدميين العرب ضد أي اضطهاد بدني، أو اداري ، أو فكري أو سياسي يتعرضون له .

ان النضال الوطني الفلسطيني ، والنضال الوطني الديمقراطي العربي هما جزء لا يتجزأ من حركة النضال العالمية ضد الامبريالية ـ العنصرية ، ومن أجل التحرر الوطني . ان التضامن والدعم المتبادلين بين النضال الوطني العربي ، والنضال الوطني الثوري على النطاق العالمي هي ضرورة وشروط موضوعية لنجاح نضالنا العربي .

والقوى الوطنية والتقدمية العربية تنطلق في علاقاتها التضامنية العالمية من المبادىء التالية :

١ ـ ان النضال الوطني العربي هو بشكل حاسم وثابت الى جانب وحدة كل قوى الثورة العالمية ، وهو ضد كل نزاعات جانبية أو غير مبدئية بين صفوفها يمكن ان تهدد وحدتها ، كما انه ليس طرفا في هذه النزاعات .

٢ ـ ان اسهام النضال الوطني العربي في حسم أية خلافات في الحركة الثورية العالمية هو في المحل الاول بمعالجته لقضاياه وللتحديات التي تواجهه بشكل فعال وبنجاح .

٣ ـ ان أهداف النضال العربي وأساليبه الاخذة بالقوانين العامة للثورة التي هي خلاصة تجارب حركات التحرر الوطني العالمية هي من شأن القوى الوطنية والتقدمية العربية . ان ذلك لا يمنع الاستماع المخلص للاحظات ونصائح الاصدقاء ، ولكن يظل القرار النهائي دائما للمناضلين العرب ، وفقا لمصالح تضيتهم وشعوبهم ، وفي اطار المصلحة العامة لقضية تعزيز ودعم النضال العالمي ضد الامبريالية .



يمكنك أن تجعل
من متعة التدخين
متعة أطول

نفرتيتي

١٠٠ مللى

عالمية فى توليفتها.. فريدة فى نكهتها وعطرها



أنتجتها أحدث الآلات الألكترونية

٢٠ سيجارة سوبر ١٠٠ مللى ٢٥ قرشا

إنتاج : شركة النصر للدخان والسجاير

الطليعة

ملحق الأدب والفن

العدد السابع — يوليو ١٩٧٢

الفكر .. راقصاً على حبل من البارود

أدب الستينات (الحلقة الثالثة)

٥ بين الأسى .. والمرارة

٦ رحلة التعب في البلاد الغريبة

يشرف على التحرير :

د. لطيفة الزيات
غالى شكرى
سمير فريد
صبرى حافظ


د. لويس عوض


احسان عبد القدوس

فى هذا العدد

ملاحظات : مسرح المنشور السياسى فى لبنان

أدب الستينات (الحلقة الثالثة)

● بين الأسى .. والمرارة

● رحلة التعب فى البلاد الغربية

وجهة نظر : المفكر راقصا على برميل من البارود

قصيدة : عيون (الزا المراكشية)

سينما : نحو تخطيط علمى للسينما المصرية

قصة قصيرة : سنوات الفصول الأربعة

فن تشكيلى : هذا الرافد الجديد فى حياتنا الفنية

«رسالة البصرة» : عن المربد والشعر والثورة والجمهور

مسرح المنشور السياسى فى لبنان

لطفى الخولى

بعد اسدال الســتار على المشــهد الاخير من مسرحية « **جحا فى القرى الامامية** » ، يتقدم الممثل الذى لعب دورجحا مخاطبا الجمهور بصوت عادى :

« **لوحدك ما تتعب .. ما ممكن**
الفرد وحدو هزيل
ما بيقدر يتلافا الظلم
ولا الو أى سبيل . »

ليس هذا هو رأى جحا فى المسرحية ، ولا موقفــه من أحداثها ، وانما هو رأى موقف جحا المؤلف ــ المخرج « **جــلال خورى** » حينما ينحو ــ لبنانيا ــ نحو بريخت ويصفع الجمهور ــ فنيا ــ بحكمة العمل المسرحى ، مستفزا قنفذته الفردية . وجلال خورى ، هو واحــد من أبرز رواد المسرح السياسى فى لبنان .

هل فى لبنان مسرح سياسى؟ وبتعبير أدق هل يتوافر سبق الاصرار والترصد السياسى فى أعمال مسرحية بلبنان ؟

أكاد أقول ، ليس فى لبنان ــ اليوم ــ من مسرح الا وكان سياسيا بقدر أو بآخر . واذا كانت « السياسة » هى النكهة المميزة للمسرح اللبنانى ، فان المسرح السياسى قد بات أحد المعــالم البارزة للحيــاة الفنية ــ الاجتمــاعية المعاصرة فى بيروت . وبيروت نفسها ــ نتيجة تفاعل عوامل موضــوعية وذاتية عديدة ومتناقضة ــ هى مسرح سياسى مفتوح لصراعات العالم العربى . ومن هنا يمكن القول أن مسرح الواقع المفنن الذى يبدعه الفنانون اللبنانيون ، هو انعكاس ، بالسلب والايجــاب ، لمسرح الواقع الحى الذى تتصارع فوقه تيارات وأحزاب وقوى متبــاينة فى منــابعها الاجتماعية والفكرية ، وبالتالى فى مواقفها السياسية .

واذا ســلمنا بما يتواضــع عليــه المسرحيون اللبنانيون من تأريخ بــداية الحركة المسرحية المعاصرة فى لبنان منذ سنوات عشر . فان معنى هذا أن ميلاد هذه الحركة المسرحية قد صاحب دخول العالم العربى مرحلة بداية الصراعــات الاجتماعيــة على المستوى القومى بتفجر القوانين ذات الاهداف الاجتماعية التقدمية فى مصر عام ١٩٦١ ، وتجربة الوحــدة والانفصــــال بين مصر وســـوريا ، وانعكاسات هذا كله ، سلبا وايجابا ، على مجمل الواقع العربى .. حتى كان جرح الهزيمة القومى فى ١٩٦٧ وماكشف عنه من عفونة كامنة تحت جلود الجميع ،



مشهد من مسرحية اضراب الحرامية.. أسامة العارف ـ نضال الاشقر ـ روحية عساف.

بيد أن المسرح السياسي اللبناني يسرع الخطى فى تطوره الفنى والموضوعى ، بعد الضربة الاسرائيلية ، التى نزلت بلبنان ، كالقدر الواعى الغشوم فى المسرح الاغريقى ، بالعدوان على المطار فى ديسمبر ١٩٦٨ . ونمو قوى شابة جديدة تتخطى الكيانات الطائفية التقليدية، وتلتحم بضمائر القوى الوطنية والتقدمية.
ومع توالد هذا المناخ فى بدايات السبعينات تنطلق مدارس مسرحية ، تعانى ، من مواقف وطنية ــ قومية ــ اجتماعية ــ انسانية متباينة ، واقعا يغلى تحت سطح مقاهى شارع الحمرا. وتشرع كل مدرسة مسرحية بطريقتها الخاصة فى محاورة هذا الواقع والاصطدام به .. تقف مع بعض منه وتقف ضد بعضه الاخر .. تحلم أو تتمرد أو تثور ، تناور حينا وتتحدى أحيانا .. لكنها جميعا ــ ورغم كل الاختلافات ــ تجد نفسها فى مواجهة حادة وساخنة مع الطبقة التى تورد غالبية جمهور المسرح .. طبقة التجار .
وهكذا مع اقتراب المسرح السياسى اللبنانى من سن النضج والعطاء الفنى ، يدنو فى نفس الوقت من أزمة امتحانه العسير مع البرجوازية التجارية .
والسؤال الذى يطرح نفسه هنا : **ماهو مصير هذه المدارس المسرحية ذات النفس الفنى المستنير والمناضلة نضال احزاب ثورية ، فى مجتمع يسوده مناخ ديمقراطى ليبرالى ، ما برح مركز الثقل فيه للبرجوازية التجارية المغلفة بأردية متنوعة من العشائرية والطائفية ؟**
لقد اتاحت لى الظروف اخيرا ان اتعرف الى مدرستين من هذه المدارس : مسرح « **جلال خورى** » ، ومسرح « **نضال الاشقر وروجيه عساف** » .
وعندما اقول مدرستين فانما اعنى ان كلا منهما يمثل بيتا مسرحيا بمفهوم المنهج الموضوعى والرؤية الفنية ، رغم أن الظروف الحياتية لا تتيح لأى منهما ، بيتا من حجر ومقاعد وخشبة عرض وستار يصعد ويهبط كل ليلة ، الا ليلة بشق الانفس .

● ● ●

جلال خورى ، كتب واخرج ، عدة مسرحيات من اهمها « جحا فى القرى الامامية » ، و « قبضاى » . ويلمس المرء من خلال صياغاته المسرحية للشخصيات والحوار والمواقف والحركة ، والغائه للمسافة التقليدية بين واقع العمل الفنى على خشبة المسرح وواقع الجمهور فى صالة العرض ، تأثره العميق ببريخت ، ولكن بريخت عند جلال خورى ليس مجرد تميمة يعلقها على جبين مسرحه ، كما فعل

الكثيرون فى مصر وغيرها من بـلادنا العربية ، « بريخت الخورى » منهج فنى موضوعى لرؤية واقع لبنان الذى يشف عن الواقع العربى ككل ، ليصـل فى النهاية الى جوهر الانسان العربى ، فى بنوته لتراثه وعصره معا ، وفى حركته الفكرية والنفسية والاجتمـاعية ، وفى موقعه الطبقى من الصراع السيـاسى والاجتماعى حتى ولو كان غير واع بقوانين الحركة والموقع الطبقى . جلال خورى يتأثر بوعى فنى وموضوعى ببريخت . ولذلك حصن نفسه من سطحية التقليد . فهو بريختى النزعة والخلفية ولكنه على المسرح هو جلال خورى اولا واخيرا ، خـالق الكوميديا الشعبية الجديدة « التى تفسر أوتصور الافراد عبر الاوضاع ، والاوضاع عبر الافراد » وذلك من وجهـة النظر التاريخية . وهذا فى رأيه « هو طـابع الفـن الواقعى الجـديد ، فن عصرنا العلمى » .

هذه المعادلة الخورية التى تمزج مزجا ديناميكيا الفن والعلم والعصر مع الواقع المتحرك دائما ابدا ، تكشف عن فنـان يعامل المسرح منذ البداية بمنهج فكرى فنى هو المادية الجدلية .

اسمع له يروى كيف التقط جحا فى صوره الانسانية العالمية المتعددة وتجاربه التـاريخية الفردية والجماعية ، ثم أعاد خلقه من جديد فى الواقع المعاصر . يقول جلال خورى ، وقد نجح الى حد بعيد فى تجسيد ذلك مسرحيا ، « جحا يعكس نوعية انسان ذى وجهين : الفردى والشعبى ، وفى نفس الوقت الانتهازى الصغير والصامد ، انسان غنى بـكل الطـرافة والذكاء والحس السـليم .. صفات تتميز بها الطبقات الشعبية ..

والمسرحية هى لقاء هذه الشخصية الشعبية مع واقع متأزم [الواقع اللبنانى الذى تجسده بحدة قرى الجنوب الواقعة تحت الخطـر الاسرائيلى العـدوانى المباشر] لقاء الانسان العربى ذو التركيب العقلى البائد مع عالم معـاصر علمى وعنيف مزود بوسائل قمع خبيثة [سواء أكانت محلية أو أجنبية] . ومن التناقض بين العقليـة الفردية المتخلفـة والواقع الجديد القائم عبر زرع اسرائيـل فى المنطقة ، ينطلق نوع من الكوميديا ، تصبح فى نهاية المطاف مريرة ..

وبالفعل فان مشاهد جحا فى القرى الامامية ، يضحك من جحا ولكنه يكتشف جحا مختبئا تحت جلده أو جلد جـاره ومع حركة الاحداث يحس بنفسه واقعا فى دائرة الاتهام ، يستوى فى ذلك أن يكون مجرما أو ضحية . فالفروق فى النهاية بين المجرم والضحية تتلاشى طالما ظل الانسان سجين ذاتيته الضيقة مقيدا نفســه عن الحـركة مع قوى التغيير التاريخية .



واذا ذهبنــا الى **بيت نضال الاشقر وروجيه عساف** ، واجهنا مدرسة مسرحية أخرى . وهى مدرسة أقرب ما تكون الى المعمل المسرحى الذى يجرى تجاربه على الواقع ويفتنــه بشجاعة تقترب فى كثير من الاحيان الى درجة الاصطدام بـكل شىء فى وقت واحد . وكل شىء هنـاقد تغنى كل المسلمات الفنية والموضوعية كما تعنى كل ما يكشف عنه البحث المعملى من أعداء .. ولو كان الجمهور نفسه الذى اتى للاستمتاع بالمسرحية ! لا شىء أقدس ، فى بيت الاشقر وعساف الذى يتخذ اسم « محترف بيروت للمسرح » ، من « الحقيقة المسرحية » التى يكشـف عنها المعمل المسرحى أيا كان طعم هذه الحقيقـــة . ومن هنــا كـانت كل مسرحية زوبعة تثير من الازمات ما يجعل قوى الامن تتدخل لمنع عرض المسرحية بالقوة ، كما حـدث بالنسـبة لمسرحية « **مجدلون** » ، التى تدمت فى ربيع ١٩٦٩ حملة نقدية مكثفة ضد السياسة اللبنانية من الصراع العربى ــ الاسرائيلى .

وفى هذا البيت ، طاقات فنية على درجة عالية من الخبرة التكنيكية والانفتاح اللامحدود ، واحيانا اللامنهجى على نبض العصر وآلام الجماهير الشعبية فى قاع المجتمع اللبنـانى ــ العـربى . وهى طاقات ترفض عمليا ونفسيا وسـلوكا تركيبة المجتمع ، وتحمل نفسها ــ فى اطار الفن المسرحى ــ مسئولية العمل على خلق تركيبة جديدة من خلال تحطيم التركيبة الراهنة ، بما فى ذلك تركيبة المسرح ذاته . وليس من سبيل الى ذلك الا بعمل جماعى من خلال معالجة الواقع

الموضوعي ، دون قيود أو مسلمات مسبقة ، في العمل المسرحي .

نقطة البدء في العمل المسرحي عندبيت الاشقر وعساف هو الحوار مع الواقع،وليس النص المكتوب والمعد سلفا ٠وان كان للبيت تجربتين وحيدتين مع نصين مكتوبين أحدهما لجوجول عن مسرحية المفتش العام ، والثانية لكاتب مسرحي لبناني تقدمي هو أسامة العارف باسم « اضراب الحرامية » .

كيف يعمل هذا البيت المسرحي اذن ؟ يبدأ اعضاء البيت بقيادة نضال الاشقر وروجيه عساف في مناقشة سياسية — فنية للواقع ليضعوا في النهاية أيديهم على « قضية درامية »يعتبرونها اساسية او محورية لهذا الواقع ، وبالتالي يصبح من مسئولياتهم كمسرحيين سياسيين أن يتصدوا لهذه القضية ويعرضونها عرضا مسرحيا ،يقولون من خلاله كلمتهم وموقفهم . تحدد الابعاد الجوهرية للقضية ، ويشرع مجموعة من الفنانين والسياسيين والباحثين والمفكرين يصاحبهم كاتب مسرحي في اجراء بحث ميداني ، يجمع حقائق ، يستجوب شخصيات ، يجري تحقيقات . تتجمع مادة خام ، تصب بجهد جماعي في قالب مسرحي جنيني ،يضعوه موضع الاختبار الاولى على المسرح أمام جمهور ضيق . يستمر الحوار مع قالب الاختبار حتى ينضج فنيا وموضوعيا فيطرح في شكله النهائي على الجمهور الواسع ، وتنطلق المسرحية بعد ذلك تذيفة مدفع ضد الهدف المرسوم الذي حددته نتائج العمل المسرحي .

في محاولة من نضال الاشقر وروجيه عساف لتحديد أهداف بيتهما « محترف بيروت للمسرح » يقولان : **ان لاهداف المحترف علاقة بوضع لبنان الخاص ، حيث خلق الازدهار غير المتناسق للقطاع التجاري ، فئة صغيرة وقوية ماليا تستأثر بالثقافة والاقتصاد الوطني المتصلين اتصالا وثيقا بالمغرب . وتعيش على هامش هذين القطاعين جماهير مختلفة تعاني من الطائفية ويستحيل عليها الاشتراك بالحياة الثقافية في البلاد . والمسرح لا وجود له سوى فترات متفرقة لدى بضعة فرق ولدت جميعها نتيجة المبادرة الفردية ، وتضمن للعاصمة حوالي عشرة عروض للموسم المسرحي . وفي اطار كهذا ، لابد من خلق كل شيء : المؤلف ، الممثل ، التقني ، المتفرج . مغامرة المحترف تطمح الى اكتشاف هؤلاء واعطاؤهم الفرصة للخلق ، واختراع مسرحهم ، كأن المسرح لم يكن موجودا من قبل** » .

وبالفعل أنت مع كل عمل من اعمال هذا البيت أمام مغامرة فنية صادقة الاحساس، عنيفة، خارجة على المألوف ،بسيطة ومعقدة في نفس الوقت .



ربما كان كل من بيت جلال خوري وبيت الاشقر وعساف على طرفي نقيض من حيث المنهج الفكري والرؤية الفنية المسرحية . ولكنهما يشتركان معا في امتلاك القدرة على خلق مسرح عربي انساني ثوري . وربما كانت ثورية خوري أقرب الى ثورية الحزب الراديكالي في ثوريته ، وثورية الاشقر — عساف أقرب الى ثورية يسار العصر الجديد ، لكنهما يشتركان معا في أن كلا منهما يمسرح بشجاعة فنية وموضوعية منشورات سياسية ضد انعزال لبنان عن المصير العربي ، وانعزال الانسان العربي عن الحركة التاريخية ، وانعزال المسرح عن نبض الحياة والفن معا . ومن هنا كان كل منهما يخوض ، من موقعه ، معركة الانسان العربي في واقعه الجريح المهزوم . ومن هنا أيضا تنبع مسئولية الجماهير العربية والمؤسسات الثقافية والفنية والمسرحية في كل أنحاء الوطن العربي في حماية ودعم مسارح المنشور السياسي الثوري بلبنان ، والذي بات يعاني من حصار التجار في محاولة لخنقه او على الاقل استئناسه وترويضه . لماذا لا ندعوهما الى العمل على مسارحنا ونحتضن فنهما الجسور .

ان خسارة بيت مسرحي كبيت جلال خوري، أو كبيت الاشقر وعساف ، يوقع بالجبهة الفنية المعاصرة للانسان العربي هزيمة وجدانية ذات أثر بالغ على حركتنا المتكاملة نحو المستقبل .

أدب الستينات

الحلقة الثالثة

حين فكرت هيئة تحرير « الملحق » فى هذه التغطية التحليلية لاهم علامات أدب الستينات ، فانها كانت تضع فى مقدمة أهدافها التعرف على تفاصيل الرؤية الجديدة لهذا الجيل ، فى مواجهة التحديات الوافدة على عصرنا ومجتمعنا .. هذه الرؤية بكل ما تشتمل عليه من عناصر الايجاب والسلب هى هدفنا الرئيسى فى التخطيط لهذه المجموعة من الدراسات ، وليس الهدف على الاطلاق هو تقديم لوحة اكاديمية احصائية لكل ما كتبه الشباب فى الستينات من أدب وفن . وليس الهدف هو التركيز على هذا الجيل بالمعنى البيولوجى للتعبير .. لهذا فان كثيرا من الاسماء التى كتبت خلال الستينات أدبا قد يرتفع مستواه بالمعيار الفنى لن تكون من بين مواد هذه الدراسة وخاماتها ، لان ما يعنينا هو هذه الحساسية الجديدة التى برزت فى انتاج فريق من الادباء الشباب ، وما تنطوى عليه هذه الحساسية من « رؤيا حديثة » للانسان والكون والمجتمع .



٥ بين الأنا والمسؤولية

د. شكرى محمد عياد

عندما بدأ محمد ابراهيم أبو سنة ينشر شعره فى الصحف والمجلات فى أوائل الستينات ، كان شعار « الادب الهادف والشعر الهادف » هو جواز المرور الى معظم هذه المجالات : ولم يكن فى وسع شاعر ناشىء أن يتجاهل هذا الشعار الذى رفعه ناقد شامخ القامة مسموع الصوت كالمرحوم الدكتور محمد مندور . لهذا كانت معظم قصائد ديوانه الاول « قلبى وغازلة الثوب الازرق » [١٩٦٥] تحمل — على الرغم من هذا العنوان الرومنسى — طابع الادب الهادف ، أو الادب الواقعى ، أو الوجدان الجماعى ، أو الشعر الملتزم ، وكلها أسماء جرت على قلم ذلك الناقد الكبير ولسانه ، واصفا بها اتجاه شعراء الشباب فى تلك الفترة ، ومسبغا عطفه الابوى على ذلك الاتجاه . وكان الاتجاه الجديد يعنى أن ينفض الشاعر عن نفسه العواطف الرومنسية الضيقة ، وينشغل بهموم مجتمعه ، وقضايا شعبه ، دون أن يكون معنى ذلك انكار ذاتيته ، بل يكون تعبيره عن وجدانه الذاتى ممتزجا بالتعبير عن الوجدان الجماعى ومتضمنا فيه ، على نحو ما يخاطب صلاح عبد الصبور — مثلا — جارته التى « مدت من الشرفة حبلا من نغم » فيقول لها : « ورفاقى طيبون ، ربما لايملك الواحد منهم حشو فم ، ويمرون على الدنيا خفافا كالنسم ، ووديعين كأفراخ حمامة ، وعلى كاهلهم عبء كبير وفريد ، عبء أن يولد فى العتمة مصباح وحيد»

وكان الاتجاه الجديد يتضمن أن ينشد الشاعر لشعبه فى الاحداث القومية الكبرى ، وان يكون له موقف من السياسة العالمية ، على الا ينسى انتماءه الى مجتمعه الصغير الكادح ، وهو غالبا مجتمع القرية المصرية . وهكذا نجد فى ديوان « أبو سنة » الاول هذه العناوين : ريفية فى مدينة الغرباء ، من قريتى الى مرفهة ، ريفيات حزينة ، من صور الاقطاع فى الماضى ، القرية المرتعشة ، مرثية الى شهداء الجزائر ، من ندائى الى حبيبته ، أغنية لجاجارين ، أغنية لفبدل ... ولا يكتفى « أبو سنة » بالمشاركة فى هذا الاتجاه مشاركة ضمنية بل يعلن ذلك اعلانا صريحا مباشرا فى قصيدته « الذين يغنون لغيرك يا وطنى » :

« الى الذين يعشقون ظلهم
ويحلمون انهم
مشاعل الحقيقة المجردة
يا موطنى ومن يقل لهم [كذا]
بان عيشنا وعيشهم
هو الحقيقة المجردة ...
الى الذين خلف واحة العيون
يغردون ينشدون
مراعى الربيع والمنى
ويسرقون
لون موكب الشروق فوق موطنى
ويفرشونه على الخدود والشفاه ...
الى الذين زيفوا ضميرهم
ودنسوا الوجود من وجودهم
وغردوا الحرائق التى تشب فى قلوبنا
وعلقوا الخرائب السوداء فوقنا
وجففوا بشعرهم سحابنا ....
اليهم يا موطنى حملت لعنتك
فقل لهم بأننى
بأعينى وشعرى الذى وهبتنى
وقلبى الذى فرشته على مساحتك
عبرت عن صبابة العصور عندما كتبت
لك » .

اعلان عن عقيدة شعرية

اعلان يحمل كل حرارة الايمان المتعصب ، والنبرة الحادة فى هذه القصيدة شىء قلما تلقاه عند شاعرنا ، لا فى ديوانه الاول ولا فى ديوانه الثانى ، ولعله متأثر هنا بروح محمود حسن اسماعيل كتأثره بطريقة الشاعر الكبير فى استخدام الاستعارات ، ولكن ذلك لاينفى أنها اعلان عن عقيدة شعرية ، حاول الشاعر الشاب أن يعبر عنها حتى فى شعره الغزلى ، هكذا نراه فى قصيدة قصيرة « عيناك » ، سالكا مسلك

صلاح عبد الصبور فى الانتقال من مناجاة الحبيبة الى ذكر « الجماعة » :

« عيناك معزفان للهوى وأغنية
فؤادى الطروب رعشة على الجفون
مسارية
جفناك لو علمت يا حبيبتى
سحابتان ترقدان فوق أودية
ففتحى العيون اننى
خلقت شاعرا بالف أمسية
أموت لو رأيت فوق أغصن الربيع أغطية
مسافتى هناك فوق جسرك الطويل باكية
وليلتى طويلة فان مررت فانظرى لحالبه
أشتاق ان مررت نظرة مواسية
لاننى هنا أذيب أدمع الجميع فى جراحيه
صبابتى حياتهم ومنهم حياتيه
أحبهم وأعينى الى الطريق رانية
فان مررت فانظرى لى
نظرة مواسية » .

ولكن طريقة الشاعر الشاب فى الجمع بين الوجدان الذاتى والوجدان الجمعى — كما تلاحظ فى هذه القصيدة — ليست طريقة الشاعر المناضل الممتلىء ثقة بالمستقبل وعزما على تحقق الحياة الجديدة . فهو لايزال ذلك الشاعر الرومنسى المرهف الحس الى حد المرض، « يموت لو رأى فوق أغصن الربيع أغطية » ، وهو باك والجميع حوله باكون ، وقصاراه أن « يرنو » الى الطريق برومنسية الشرق الهامدة . انه اذن اقرب الى الشعراء الذين لعنهم مما يتصور ، وما فيه من « أغانى الكوخ » لايقل عما فيه من الواقعية الاشتراكية . وفيه بعد ذلك طبيعة رقيقة يغلب عليها الحزن ، وتسبح أحيانا فى اجواء ضبابية . ولعل الشاعر الشاب كان أكثر توفيقا فى الجمع بين صورة العاشق الصب وصورة المكافح الصلب فى قصيدته « الحجاج فى الطريق » . انه يناجى منديل الحبيبة، وهو « تميمة » رومنسية خالدة ، يستمنحه الهداية والصبر على مشاق الطريق ، ويتسائله :

« أما لربك من خبر
من الف ليلة وركبنا على سفر
وليس غير باب من أحب من ملاذ » .
وعجيب وصفه لمحبوبته :
« سماحة البوذى فى عيونها
وشاطىء الغريق » .

انه والرفاق الذين جمعهم ، اليتامى والفقراء والمرضى ، فى الطريق يلهثون ، ولكنهم قادمون :

« يقبلون باسمها الاعشاب والاشواك
ما أكثر العباد والنساك
وانت يا منديلها تظل للابد
تظل للحجاج مثلما عرار نجد
مصباحنا لربة الشفق
قد نلتقى بعاصف غضوب
والليل ربما قد يغلق الدروب
لكننا النساك لا نمل
نظل نقطع الابعاد لانكل


محمد ابراهيم ابو سنة

وبعدها ، وبعدها نصل »

الرومانسية والواقعية

ولا شك أن الشاعر فى هذه القصيدة وأمثالها صادق مع طبيعته كصدقه مع ايمانه ، والانسجام بينهما هو الذى يجعل للقصيدة تماسكها الفنى ، وجوها الخاص ، وصداها فى نفس القارىء . ان قصيدة مثل « الذين يغنون لغيرك يا وطنى » تخدش آذاننا بصراخها المفتعل ، وقصيدة مثل « ميناك » تشعرنا بالضجر لميوعتها وتهافتها ، ولكن الشاعر حين ينتقل انتقالا طبيعيا ناضجا من المزاج الرومنسى الى المزاج الواقعى يعثر على الانغام المناسبة ، لا لوجدانه الخاص فقط بل ربما لوجدان جيله كله . ومثل هذه القصائد تظل تقرأ لقيمتها الشعرية حين تكون الآن القصائد الهاتفة قد بليت كما بليت الصحف التى نشرت فيها .

على أن الشاعر لايطمئن أيضا الى هذا العالم الذى تمتزج فيه الرومنسية الرقيقة الحالمة بواقعية شفافة هادئة ، ففيه — كما قلت — ميل الى الاجواء الضبابية يدفع به الى مسالك الرمزية ومتاهاتها ، كما نجد فى قصائده : « قلبى وغازلة الثوب الازرق » ، و « المسافر وفيروزة البحار » ، و « العجوز والحلم والنهر » . على أنه ، حتى فى هذه القصائد الرمزية ، لايزال الشاعر الذى يذيب ذاته فى شقاء المجموع ، ويحلم بانتصار أخير : فالرمز عنده أسلوب يتشابك مع البناء القصصى والمضمون الاشتراكى للقصيدة ، اكثر منه تعبيرا عن حالة نفسية غامضة تستعصى على التسمية ، وهكذا لانخطىء دلالة « الثوب الازرق » و « فيروزة البحار » على هدف النضال البشرى من تحقيق العدالة والسعادة للمجموع . واذا كان التعبير الرومنسى المباشر يهدد بعض القصائد بالميوعة والتهافت فان التعبير الرمزى يكسب هذه القصائد الاخرى رزانة وصلابة ، بينما يباعد بينها وبين الهتاف الساذج الذى وقع فيه كثير من الشعر الواقعى الاشتراكى ، ولم يخل من بعضه ديوان « ابو سنة » الاول .

مرارة الهزيمة

صدر ديوان « أبو سنة » الثانى فى ابريل ١٩٦٩ ، فبينه وبين الاول قرابة أربع سنوات ، ومع أن الشاعر لايؤرخ قصائده ، فمن الواضح أن معظم قصائد هذا الديوان الثانى ، ان لم يكن جميعها ، قد نظم بعد صدمة الخامس من يونية ، ففيها مرارة جديدة على أسلوب الشاعر الذى عرفناه فى ديوانه الاول يغلب عليه الاسى ، وكأنها مرارة التجربة بعد البراءة الاولى . على أن الشاعر لايفقد توازنه ولا يعبر عن الصدمة بالصراخ ، بل ان شعره يغدو أكثر صلابة ، فلم يعد يغنى لشعبه وحسب ، بل انه أضحى معلما أيضا ، معلما يشرح أسباب الهزيمة فى هدوء قاس ومنطق مرتب :

« قلنا ان الله اله واحد
وتهامسنا : ان الله كثير
قلنا ان الحب شفاء الاوجاع
وتبادلنا فى الظلمة طاعون الحقد
قلنا سنقول الصدق
وقطعنا كل لسان صادق
قلنا لايهزم قلب المؤمن
لايدركه جزع فى موقف
لكنا حين أتانا الاعداء
حاصرنا ثعبان الخوف
عبثا نبحث عن سيف شجاعتنا
حين كذبنا خفنا
وفرحنا بهدايانا من سوق الزيف
هذا قدر الكذابين
الخوف .. الخوف .. »

الصرخة والخوف

ومرارة التجربة لا تتفق مع التهويمات الرومنسية ، ولذلك نجد الخيال الرومنسى يكاد يختفى من هذا الديوان الثانى ليصبح قسمة بين الاسلوب الواقعى والاسلوب الرمزى . والقصائد الواقعية فى هذا الديوان أشد واقعية ، والقصائد الرمزية أخلص للاسلوب الرمزى . وبينما يبدو الرمز فى قصيدتى « حديقة الشتاء » و « آخر أزهار الموسم » مفعما بالكآبة وغير بعيد من جو المحنة ، يجد القارىء من الصعب أن يحدد تاريخ القصيدتين القصصيتين : « يقول الحب » ، « الوردة المحاربة » ، ويكاد يميل الى الحاقهما بشعر الواقعية الاشتراكية فى أواخر الخمسينيات أو أوائل الستينيات ، ان لم يكن تاريخا فروحا وأسلوبا . فقصة حسان ، الذى يفاجئه المذياع وهو عائد الى البيت باملان من التطوع للدفاع عن الوطن ، فيودع عروسه لينطلق الى نداء الواجب ، قصة أقرب الى الجو النفسى والفنى فى ٥٦ منها الى جو ٦٧ ، وقصة الفتى الصغير الذى تطوع فى الجيش حين مات أبوه ليستطيع أن يرسل بعض النقود الى أمه واخوته ، مثل آخر من أمثلة الشعر القصصى الواقعى

الضئيل الحظ من الخيـــال ؟ والمنعم بالتفاؤل الساذج . أما اذا أردنا واقعية أنضج فاننا نجدها فى قصائد « غزاء مدينتنا » و « المرضـة والخوف » و « عنكبـوت اللحظـة الســوداء » و « النـدائى » و « المحـاكمة » .

ولعل من المفيد ان نقارن بين قصيدتى « من ندائى الى حبيبته » فى ديوان « قلبى وغازلة الثوب الازرق » وقصيدة « الندائى » فى ديوان « حديقة الشتاء » فعنوان القصيدة الاولى يدل وحده على طبيعتها الرومنسية ، ولا تكاد تمضى فى قراءتها بضعة أسطر حتى نحس — فضلا عن ركاكة التعبير — بأن الصور تغلب عليها السطحية والمبالغة :

«أيطمعون أن أفر
وانثنى أموت فى مقر
وأشرب الحساء هانئا
وانثنى أداعب القمر ... »

أما نـدائى « حديقة الشتاء » فانه لايخاطب حبيبته ولا يستحضر مثل هـذه الصور الصبيانية بل يتوجه الى الذين تقعد بهم تفاهة حياتهم عن ادراك معنى البطولة :

«لاتشفقوا على
انا الذى بذلت كل مالدى
فحينما قبلت هذه المجازفة
تفتحت أمامى الكنوز
تساقطت على يدى
وحينما قامرت بالمصير
انهارت الاغلال وامتلكت ساعدى
فحين تفتح الشجاعة الابواب
نذوق دونها ندم
فواكه المغامرة »

الرمز والاسطورة

وعلى عكس الواقعيـــة الســاذجة المتفائلة فى قصيدتى « يقول الحب » و « الوردة المحاربة » نجد فى القصيدة القصصية الرمزية « أسطورة » تصويرا فاجعا لانهيار الامل فى قلب فارس عاشق يفقد محبوبته فى اللحظة التى أوشك ان يبلغ فيها قمة السعادة :

« نصبت مائدة الحب
فى قلب البستان
واتكا القمر على شجر الصفصاف
غنى وأضاء الفصل الاخضر
وعلى نبع الماء
أصغى الحب لاغنية العشاق
همست والنوم تثاءب فى العينين :
فى مدخل قصرى كأس ذهبى
يمنح روح الشارب
مجد الزمن الخالد
ماذا لو جئت به وتساقينا
حتى يبقى أبدا هذا الحب
قام العاشق نحو القصر
ثقلت اجفان أميرته
اهتزت رعبا كل الاشجار
واذا ذئب أسود
يخطو نحو الضوء الراقد جنب الماء
فترس الانياب الجائعة الوحشية
فى قلب الحلم النائم بين الاشجار »

وعاد الفارس المنكود الحظ « بالكاس الذهبية » « ورحيق الزمن الخالد » ليجد سعادة حاضره وجهــاد ماضــيه وأمل مستقبله كل أولئك قد أصبح هباء :

عدت المجنون المعدم
عدت يتيم الابوين
تقذفنى فى كل الطرق الاحجار
ياحظى من كل جهاد العمر
اترى جئت ازفك عرسا للموت ؟
ابدا لم أحفظ شيئا من كتب الحكمة
أكل الوحش الجبلى
اكليل العمر الضائع
بقيت فى الحقل ثمار الحنظل
يا فصل الايام الاخضر
أسلم معزفك المشئوم
فلقد جاء الحزن
لتتم لنا لحن الليلة » .

وبعض قصائد هذا الديوان الثانى ، مثل « عنكبوت اللحظـة السوداء » ، و « الجثة الحمراء » ، و « لا » ذات نبرة حماسية خطابية واضحة ، ولـكن النقاد الذين استنكروا النبرة الخطابيـة فى الشعر قبل ٥ يونية ، لابد أن يختلف موقفهم من مثل هذا الشعر الذى قيل بعد الهزيمة ، لان فى حماسيته وخطابيته من صدق التعبير عن هذه الفترة — حتى بالمقياس الفنى الخالص — ماليس لشعر آخر ، والمهم فى هذا الشعر الا يتجاهل الواقع اذ يعلن الاصرار على تغييره ، وان يصدق فى تصـوير مثـال البطولة الشعبية التى تنهض عملاقة وسط المحن :

« الجثة الغريقة الحمراء
تهز قاع النهر تضرب الدفوف
فلتخرج الرياح من مغارة الدخان
ولتقبل الفرسان
لاتركبوا الخيول ان تناسلت من الكلاب
ولا تعلقوا تعويذة الجبان
على جبين هذه المدينة الكثيرة الاعداء
ولتخرج الغربان من نوافذ القلوب
لتصدح الطيور بالغناء
فلتخبروا الاطفال والنساء
بالكف عن اذاعة الرثاء
فالجثة الغريقة الحمراء
تخضر فى اللهيب والدماء »

الرد على المأساة

وظهرت مسرحية « أبو سنة » الاولى « حمزة العرب » فى سنة ١٩٧١ ، ويبدو أنها كانت ، ككثير من قصـائد « حديقة الشتاء » ، ردا شعريا على الهزيمة . ولكن « حمزة العرب » تثير تساؤلات مهمة حول الدور الذى تؤديه ملاحم البطولة فى تاريخ الامة : أهو اثارة الحمية فى أوقات الصراع لاستبقاء الروح القومية فى فترات الكمون والضعف ؟ والرأى عنـدى أن المـلاحم المطـولة لاتنظم الا للتسلية عن حاضر تعس ، بذكرى ماض لامع ، أما أوقات الصراع الحقيقى فتعبر عنها الاناشيد الحماسية القصـيرة التى يمكن أن يكون بعضهـا نصصيا . وللمسرح — حتى مايتناول منه شخصيات الابطال القوميين — وظيفـة مختلفة عن هاتين الوظيفتين ، فهو لا يعرض أعمالا بطولية خارقة بـل يقدم شخصيات حية ، بكل مافى الحياة من تناقض وصراع . وعندى أن مسرحيـة « حمزة العرب » قد سقطت بين التصور الملحمى والتصور المسرحى الصـحيح . فحمزة بطل ملحمى فى معظم فصـول المسرحية ، ولكنه ينهار فجأة حين يشعر بالسأم ويرغب فى انهاء الحرب مصحوبا بحبيبته مهردكار . لقد نازل جيوش كسرى حتى بلغ أبواب عاصمته المدائن ، وبدا كأنه يوشك أن ينزل بالفرس المتكبرين هزيمة أخيرة قاصمة ، فما الذى دعاه الى ان يوافق على شروط كسرى بأن يرد اليه ابنته مهردكار ، التى احبت حمزة وفرت الى معسكر العرب فى مقـابل اعتراف كسرى للعرب بما يشبه « الحكم الذاتى » فى بلادهم ؟ بقدر ما تبـدو شخصية حمزة غير مقنعة فى بطولاتها الاسطورية السابقة ، تبدو هنـا غير مقنعة أيضا فى انهيارها المفـاجىء . ولكن الشاعر أراد فيما يبدو أن يدخل فى مسرحيته مأساة غرامية شبيهة بمأساة روميـو وجوليت أو كليوباترا ومـارك انطونى ، اذ تنتحر الحبيبة بأسا لبقاء الحبيب على جثمانها باكيا ، فوجه الاحداث الى هذه الوجهة المفاجئة .

والمسرحية بعد ذلك قليلة الاتقان من حيث الصياغة اللغوية ، فعلى الرغم من بعض الفقرات الغنائيـــة الرائعـة وخاصة على لسان هند — أم حمزة — فى المشهد الرابع ، فان الشاعر كثيرا مايلجأ الى الضرورات الشعرية ، وربما وقع فى أخطاء صريحة فى اللغـة أو الوزن . وتنقله المفاجىء بين أوزان عدة : المتـدارك والرجز والرمل والمتقـارب والـكامل ، يبدو أقرب الى الاضطراب والقلق منه الى التنويع المشروع فى التعبير النغمى .

ومع ذلك فان فى مسرحية « حمزة العرب » خصلتين تبعثان الامل فى أن يصبح لنا من محمد ابراهيم أبو سـنة شاعر مسرحى مجيد : القدرة على تصوير الصراع ، والقدرة على اجراء الحوار النشيط المعبر عن الشخصيات .

ان الشاعر « محمـد ابراهيم أبو سنة » يتوسط الان عقده الرابع ، فهو يستقبل أخصب فترة فى انتاج الشعراء والكتاب عادة ، ولا شك انه يستقبلها وقد اثبت اصالة ونضـجا ، فلنا أن ننتظر منه الـكثير .

٦ رحلة التعب فى البلاد الغريبة

رضوى عاشور

فى احدى قصص اصلان القصيرة جدا يقول الراوى « ولاحظت اننى فى الثلاثين ورأيت هذه الحكاية كالرجل الذى نام فى مكان يعرفه ، ثم استيقظ ليجد نفسه فى بلاد غريبة » (الخروج فى الليل ، اكتوبر ٦٧ ، نشرت فى جريدة المساء نوفمبر ٦٨) وربما تلخص هذه العبارة أزمة اصلان والمعنى الكامن وراء وجوده القصصى . فالعمل الفنى لديه رحلة لكشف هذه « البلاد الغريبة » ولفهمها ومعرفتها ، وراوى اصلان ، وهو الوسيط الذى يسير وراءه القارىء فى رحلة الكشف هذه . يشعر بالفجيعة فى مواجهة هذا العالم لان معرفته الم . وأوديب التراجيديا الاغريقية حين «يعرف» يفقأ عينيه ويصرخ عاليا ولكن راوى اصلان يعبر عن فجيعته فى صمت وتكون الرغبة فى البكاء أو الم فى القدم أو فى الاسنان لغة احتجاج ورفض . ورحلة الكشف والمعرفة لا تترك المكتشف سليما ، انه يخرج منها ـ تماما كأوديب ـ مثخنا بالجراح الى درجة العجز ويكون عمق الجراح والعجز الناتج عنها أكبر ادانة لهذه « البلاد الغريبة » وأكبر رفض لها واحتجاج عليها .

وقد نصبح قصة بندول من نحاس (أكتوبر ٦٧ ، نشرت فى جريدة المساء فى اكتوبر ٦٨) تجسيدا لاثر هذا العالم على انسان اصلان . ففى هذه القصة نرى رجلا ذراعه مقطوعه وامرأة مثخنة بالجراح وبينهما يشيع اسى عميق وحب أيضا . والمكان حجرة عارية " جدران الا من ساعة خشبية » بدا بندولها النحاسى الثابت واضحا خلف الزجاج المنطفىء وكان الضوء خابيا » ويفضل اصلان الليل او غياب الشمس او ضوءا خابيا خلفية لقصصه اذ يجدها اكثر تناسبا مع الاسى الذى يشيع فى شخوصه ومواقفه كذلك فان الساعة المتوقفة الموحية بتوقف الزمن او ربما بلا زمن محدد « وجود » متكرر فى قصصه . والمرأة تكشف للرجل عن جراحها « تراجعت الى الوراء وفكت أزرار ثوبها وعرت روحها وأرته الجراح وخيوط الدم التى تجمعت تحت الجلد . أعادها الى الاريكة وجلس على الثوب الملقى تحت قدميها ومد أصابعه النحيلة الى لحمها العارى فارتعشت وهمست له : أرأيت ؟

ونظر هو وقال لها :

ـ اننى أرى .. اننى ارى تماما وهذا هو الشىء الوحيد الذى يؤلمنى » .

ونلاحظ ان الرجل لا يجيب على المرأة باستخدام نفس زمن الفعل « اننى رأيت » ، لكنه يجيب » اننى ارى . فجراح المرأة هى « رؤية » الرجل وهى الله ، وهى أيضا بعض من مسئوليته لكنه عاجز يقول لها .

ـ انا لا احاول الدفاع عن نفسى .

وحرك يده الخفيفة

ـ ربما كنت تدركين هذا الشىء اكثر من ادراكى له .. ولكننى اقول لك هذا الكلام خوفا من أن يكون ادراكك له اقل من ادراكى .

شىء ما مشترك بين الاثنين .. الم مشترك ، جراح المرأة وعجز الرجل وربما شىء ثالث هو نتاج الشيئين معا ، وشىء من شعور بالاثم من جانب الرجل ورغبة فى الدفاع عن النفس .. وحدة الشعور بالعجز تدفع الى الرغبة فى الانسحاب « عندما اتذكر » يقول لها « افقد الرغبة فى الكلام » .

ولكن .. ما هى أسباب الجرح ؟ ما هى هذه الاشياء المروعة التى يراها انسان اصلان فى رحلته ؟ ربما كانت اولى هذه الاشياء هى القسوة واللامبالاة المتبدية فى هذا الكون سواء على المستوى الطبيعى أو على المستوى الانسانى .. وتكاد تكون هذه هى الثيمة الاساسية لمجموعة قصص اصلان الاولى .. **اللهو القديم** ، **البحث عن عنوان** ، **بحيرة المساء** ، **رائحة المطر** ، **الرغبة فى البكاء** ، **لانهم يرثون الارض** ، **لا وقت للكلام** ، **التحرر من العطش** . ويعود اصلان لاستخدامها فى آخر قصصه المنشورة **رياح الشمال** .

فى قصة **اللهو القديم** (فبراير ٦٥) يمر الزمن بلا اعتبار لاحد ، يمر ويترك بصمته واضحة ، مخيفة ، وقاسية . ولكن البشر ايضا لا يقلون قسوة عن الظروف الطبيعية . والرجل العجوز الذى يعيش وحيدا لان ابنته ماتت يجد اشباها له فى المرأة التى تسكن وحدها على شاطىء النهر وبائع الكشك الذى يسهر للعمل ليلا فى حين يعمل ابنه الشاب بالنهار . والرجل العجوز اذ تقبل قسوة الزمن ولا مبالاته فهو لا يفهم لامبالاة البشر ، يشغله امر المرأة كثيرا ويظل يفكر فيها حتى ولو حمله الحديث الى اشياء اخرى . تطلع الرجل والقى سيجارته ثم قال وهو يشير للشاطىء :

ـ هناك على الشاطىء يوجد أحد .

هز البائع رأسه •
– امرأة عجوز •
••
قال الرجل وهو يمثل بيديه
– تضع بعض الاقفاص وتنام تحتها بجوار الماء •• فوق الزبالة •• هناك على الشاطىء •

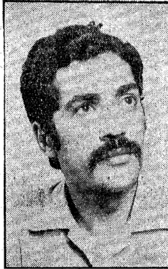
ومرة اخرى يعود للحديث عنها ••
– هذه المرأة المريضة ، هل هى غاضبة مع ابنائها ؟
– لا ••
– ولكن لماذا اذن لا تعيش معهم ؟
– أين ؟
– في البيوت •
– تقول انها تحب اولادها وتخشى ان تعديهم •
– ولماذا لا ياخذونها بالعافية •
– انهم يحاولون
– هل يحاولون ؟ (المجموعة ص ١٢ – ١٣) •

ان سؤال الرجل يحمل فى طياته تساؤلا عن هذا العالم وامكانيات القسوة الكامنة فيه • « هل يحاولون ؟ » يسأل الرجل العجوز ويسأل اصلان أيضا لماذا اذن فى الليل •• فى النصف الاخير من الليل •• ثلاثة من « المتروكين » ؟ •

حلم التواصل والانتماء :

ان الخلاص يكمن فى الانتماء والتواصل البشرى • وفى **البحث عن عنوان** (يوليه ٦٥) يكاد الرجل النحيل ، أن يمد يده كالشحاذ الجالس على الطوار طالبا من الاخر ان يشعر بوجوده ويتواصل معه • وهو حين يقابل الرجل البدين الذى يحكى له عن ذكريات طفولة مشتركة (ومن الواضح ان الرجل البدين يتوهم انهما زملاء طفولة وانه اخطأ الشخص) فانه يسمع له ، يتفق معه على زيارته ويستسلم « الرجلان للضحك بكل ما يملكان من قوة بجوار سلة المهملات • وكانت ضحكات البدين صاخبة ومتنوعة • أما الرجل الاخر النحيل فقد كان ينتفض ويعض بين الحين والاخر على شفته السفلى وهو مائل للامام » (ص ٢٥) وفجأة يقف الاتوبيس فى الاشارة ويقفز البدين للحاق به • والعنوان ؟ حلم التواصل الانسانى فى عالم قاس • لا مجال •• يضيع ! ويعبر اصلان عن رؤيته بصوت خافت تماما ، فهو يقول دون أن يقول وذلك باستغلال الوجودات الموحية بديلا عن اى تقرير او مباشرة • ان عينى الشحاذ الكسيح التى تلتقى بهما عينا الرجل النحيل ، وسلة المهملات التى يستند عليها ظهره وجودات مادية توحى بالمفارقة القاسية التى تجعل انسان اصلان يطلب لحظة تواصل انسانى فى الوقت الذى يلقى بها الاخر فى سلة المهملات للحاق بالاتوبيس •

وفى **بحيرة المساء** (مايو ٦٥) يتم نسج هاتين الثيمتين ، القسوة واللامبالاة من ناحية والرغبة الملحة فى الانتماء


ابراهيم اصلان

والتواصل من ناحية اخرى • ويكون النصف الاخير من الليل مرة أخرى خلفية للقصة ، والجو خانق حار يوحى بالضيق ، يشعر به الراوى « مالك » ؟ يسأله صديقه فيرد باقتضاب « لا شىء » وأهل المرأة العجوز الذين يعيشون فى البيوت ويتركونها وحيدة تعيش على شاطىء النهر وابن بائع الكشك الذى يعمل بالنهار ويترك أباه ليعمل ليلا فى **الملهى القديم** يتحولون الى مجموعة من الشباب يلعبون الطاولة • وبجوارهم يجلس رجل وبدت عيناه مرهقتين وفيهما انكسار غريب وهو يحكى للراوى انهم سوف يزيلون المقابر وان أهله جميعا مدفونون هناك وأنه لا يملك المال اللازم لنقل المقبرة • والمقبرة هى تواصله البشرى وانتماؤه الباقى وهو مهدد بفقده •

والاخرون الجالسون بجواره ، يتداخل صوته الشاكى باصواتهم الضاحكة وبصوت احجار الدومينو ، يمثلون العزلة الكاملة للانسان وانتفاء أية امكانية للتواصل •• وفى مقابل علاقة هذا الرجل بالجالسين بجواره يقدم اصلان رجلا وزوجته يقفان فى النافذة ثم رجلا آخر وزوجته وطفلهما يحملانه ، يمران من أمام المقهى • وهم يمثلون الانتماء والتحقق ، « العودة الى البيت » بكل ما فى العبارة من ايحاءات • **وبحيرة المساء تصل لذروتها فى آخر القصة حين يتعامل** صديق الراوى مع هذا الوجود الانسانى (الرجل الذى يحكى عن المقابر) بكل مشاكله وعذاباته فى ثوان كأنه ذبابة هشها وانتهى « انه مجنون » هل تعتقد اننا تاخرنا » (ص ٤٠) وكلمة مجنون تجر معها ثيمة جديدة سوف يطورها اصلان فى قصصه اللاحقة • فالانسان الذى يعمل على كسر عزلته او يتمسك بانتمائه البشرى مجنون • وهذه هى ثيمة **رائحة المطر** (نوفمبر ٦٥) التى تكمل المعنى • « فى المرة الاولى وقف هذا الشاب واعترض طريق رجل هادىء المظهر • احتضنه وقبل كتفه بخشوع

قلالات • وبعد أن أراح رأسه على صدره اخلى سبيله » (ص ٤٦) • ان هذا الشاب الذى يحاول أن يكسر عزلته ويعبر عن حبه يصبح محل استفسار الاخرين واستعجابهم بل وتوجسهم • ويفسر أحمد الشاب الذى يقرأ ، الامر للحاج « يا أيها الرجل الذى حج كثيرا ، المسألة فى منتهى البساطة واحد استبد به الشوق لبنى الانسان ويريد أن يعبر عن ذلك تعبيرا لا شك فيه » (ص ٤٨) وحين ياخذ الشاب الطفلة ليلعب معها يركض الجميع وراءه معتقدين انه سوف يخطفها او ينزل بها سوءا • وسوء الفهم من قبل الاخرين يتكرر مرة اخرى حين يقترب الشاب من رجل آخر ليقبله كما فعل من قبل « أوشك فعلا أن يقبل كتفه ولكن الرجل الاول هجم عليه وهو يصرخ :
– تريد أن تعضه يا كلب ؟
واستقبله بلكمة عنيفة جعلته يتهاوى ويئن فى ضعف » (ص ٥٥)

ان العالم فى قصة **رائحة المطر** يتجسد فى هذه القطعة من الارض الخراب بمبناها المتهدم حيث تصبح ممارسة الانسان لعاطفة الحب شيئا غريبا غير مفهوم لانه دخيل على عالم اللامبالاة والغربة حيث يحاصر الانسان الحقيقى ، يوصم بالجنون وتكال له فيه اللكمات •

ويعود اصلان فى قصة **وقت للكلام** (يولية ٦٥) الى ثيمة اللا مبالاة بالاخر • ففى هذه القصة يذهب الصديق ليكلم الفتاة التى يحبها صديقه ليفهم منها ماذا حدث له لانه « كف عن كل شىء » والفتاة ببساطة غير مبالية بل هى تنتظر من الصديق أن يبدأ علاقة جديدة معها • والفتاة تشكل تضادا صارخا للرجل العجوز وصديقته اللذين يأتيان الى نفس المكان منذ سنوات :

– سيحضر الجرسون الان كوبين من شراب الليمون ويضعهما أمامها •• وستترك الليمون • لن تشربه حتى يحضر رجل آخر عجوز وينضم اليها • احيانا يحضران معا واحيانا تسبقه هى • الجرسون يقول انهما لم يغيرا هذه المنضدة منذ سنوات طويلة جدا • تعرف رأيتهما بنفسى يرفضان الجلوس الى اى منضدة أخرى عندما كانت مشغولة ، (ص ٨٥) ان الرجل العجوز وصديقته يربطهما الوفاء ليس فقط ببعضهما لكن ايضا بالاشياء •• ان المنضدة وكوب الليمون اللذين اعتادا عليهما منذ سنوات يشكلان انتماء • أما الفتاة التى يحبها صديق الراوى فهى تشكل انتماء وتواصلا غير متحقق • ونفس الفتاة تعاود الظهور فى قصة **التحرر من العطش** (ابريل ٦٦) انها تاتى لتسأل عن سيد صديق الراوى وهى لا تشعر باية حاجة للانتماء ، تكره قليوب بلدتها الصغيرة وتحب القاهرة لانك فيها « لا تعرف أحد ولا أحد يعرفك » ولهذا السبب بالذات يكرهها الشاب فهى بالنسبة له تجسيد للغربة والعزلة •

وتعتبر **قصة التحرر من العطش** تتمة وتتويجا لقصص هذه المرحلة اذ تتجمع فيها كل الخيوط التى تناولها اصلان فى قصصه السابقة وتاخذ شكلا اكثر نضوجا منها جميعا · وفى هذه القصة ايضا يظهر بوضوح البطل « المنطوى » الذى لا يخرج من البيت كثيرا ويحب القراءة ، وهو الراوى فى **بحيرة المساء** ، واحمد فى **رائحة المطر** ·

ويستخدم اصلان فى توصيل رؤيته حكاية داخل الحكاية فتلقى كل حكاية بظلالها على الاخرى فتعمل على اثرائها وتسهم الاثنتين معا فى تكثيف التجربة الفنية · اذ تحكى الفتاة وهى تضحك عن مجنون فى بلدتهم « عندنا فى البلد ، عند الغيطان ، شجرة كافور كبيرة فوق قطعة أرض عالية · هذا الرجل حفر خندقا عند الشجرة ووقف فيه لغاية رقبته ، وكوم ملابسه وقبقابه وابريق وضوئه أمام وجهه ، وابتدأ ينظر من وراء هـذه الاشياء الى ناحية الغيطان وعندما سالوه لماذا يفعل ذلك قال لا يمكنني أن اترك البلد تنام دون حراسة » (ص ٩٦) وكان الرجل قد اوصى صبيا يتيما أن يصعد فوق شجرة الكافور ليخبره عما يرى ووعده بان يعطيه قطعة من الحلوى كلما رأى شيئا · وظل الصبى اليتيم الذى يحب الحلوى يحكى للرجل عن أشياء وهمية توشك أن تهاجم البلد حتى مات الرجل من شدة الخوف · وتتبدى القسوة فى هذه القصة فى اهل البلدة الذين يطلقون على من أحس بهم وخاف عليهم بالمجنون وفى الصبى وفى الفتاة نفسها · والشاب فى الناحية الاخرى يتـوحد مـع هـذا « المجنون » الى حد الرغبة فى البكاء وعادة ما يكون هذا هو رد فعل انسان اصلان فى مواجهة هذا العالم المفجع · ولكن رد الفعل الاخير فى قصة **التحرر من العطش** هو أعنف من كل ردود الافعال السابقة ان الشاب يشعر بالالم أولا ثم بالرغبة فى تاكيد الذات فى مواجهة هؤلاء الناس ، انه يخلع ملابسه تماما ويخرج الى الفتاة يجلس فى مواجهتها بـلا حراك · انه وهو عار تماما يؤكد تحرره من اى رغبة تحاول الفتاة اثارتها فيه · انه مختلف وهو يؤكد ذاته المختلفة بعريه أولا ثم بجلوسه بلا حراك امامها ·

بناء هندسى :

والتحرر من العطش نموذج لقصص اصلان السابقة من حيث بنائها · فالبناء شديد الاحكام يصل الى درجة الصرامة اذ يتخذ شكلا هندسيا تتوازى عدد من الخيوط فيه او الشخصيات لتتقاطع او تشكل تضادا مع عدد آخر «فقليوب تقف فى مواجهة القاهرة و «المجنون» والشاب يمثلان شيئا مضادا لما تمثله الفتاة واهل البلـدة والصـبى اليتيـم وسيـد · و « المجنون » ليس الا صورة أخرى للشاب فى **رائحة المطر** والذين يسخرون منه هم الذين يطاردون الشاب فى القصة نفسها · والراوى فى **التحرر من العطش** هو أحمد فى **رائحة المطر** وهو الراوى فى **بحيرة المساء** والعازف فى نفس القصة والصديق فى **وقت للكلام** ، والرجل النحيل فى **البحث عن عنوان** · وهذه الشخصيات فى النهاية هى صورة اصلان للذات ·

وفى هذه القصة ايضا يستخدم أصلان الحوار كعنصر اساسى من عناصر شكله الفنى يساعده على تحقيق قدر اكبر من التكثيف والاقتصاد · اذ أن هذا الحوار قائم على مفارقة حـادة بين كلمـات الشخص الهادئة تماما والشديدة العادية وبين واقعه النفسى المضاد لهذه الكلمات·

كذلك فان الوجودات الموحية تستغل كبديل لاى تقرير او مباشرة ، فمثلا النملة التى تحاول جاهدة أن تتسلق جدار كوب الشـاى الفارغ ترتبط فى ذهن القارىء وبشكل تلقائى بالفتاة · والكلب الراقد فى الوحل يوحى بواقع كالح وغيـر جميل وعادة فان شخوص اصلان لا تقول انها تشـعر بكذا أو كذا ، ان الانفعالات والاحاسيس تترجم فنيا الى جزئيات حسية ، فيكون الكلب الراقد فى الوحل مثـلا وجودا مـاديا قـد يبـرر « انكماش » الشاب أو يرتبط تلقائيا بالفتاة وكل ما تمثله ·

ان التعامل مع العالم الخارجى يؤدى باستمرار الى الالم لان العالم الخارجى هذا عفن عفونة « الفئران والضفادع والسحالى » ان عفونته تتسرب الى الذات لانها فى النهاية غير منفصلة عنه · وتقدم لنا قصة **الخروج فى الليل** حوارا مع الذات ومواجهة لها عن العفونة فـى الخارج والداخل والرغبة فى الهروب · « هبط من الطوار وجلس فوق القاذورات المبتلة التى تغطى الجسر المنحـدر · وتنشق العفونة الطاغية وهربت الفئران والضفادع والسحالى من بين ساقيه · فاى معنى ان تقوممبكرا وتذهب الى هناك وتقضى الساعات فى تقليب الاوراق ، وأى معنى فى الا تفعل ذلك ؟ » · ويستخدم الراوى ضمير المتكلم وضمير الغـائب للدلالة على نفسه لان هذه النفس منقسمة الى جزء ينتمى لهذه العفونة ويعيشها وجزء يرفضها ويبحث عن الخلاص · وهناك امكانيتان للخلاص ، اما « عبور ذلك الشىء الهين » وهو الانتحار وهذا ما فعله عم مرزوق فى قصة **النوم بالداخل** (اكتوبر ٦٨ ، جريدة المساء نوفمبر ٦٨) واما أن يدير الانسان ظهره ويتحول الى الذات يهرب فيها ويحتمى بالعيش فى نطاقها ·

الرحلة ·· والرؤية

وفى قصة **اللعب الصغيرة** (ابريل ٦٨) تكون المحاولة الاولى لاكتشاف عوالم الحلم ، والقصة تتخذ اطار الرحلة شكلا فنيا لها وتحاول منذ البداية ان تخلق لحظة بين الواقع والحلم « كنا نجلس على المنحدر بجوار شـاطىء البحر · وكنت اعتمد بظهرى على سياج من الاوراق الدقيقة الخضراء خوفا من أن تاخذنى الرمال الناعمة الصفراء وتهبط بى للقاع · وعلى الرغم من اننى كنت أغمض عينى فى استسلام دون أن اجد القدرة على فتحهما فقد كنت أرى كل شىء واسـمع كل شىء » (ص ١٠١) والتجربة هنا اشبه بتجربة صوفية لها لونها ومذاقها الخاص جدا · ولغـة اصلان العادية الخالية من اى صور تتحول الى لغة مختلفة تناسب التجربة المختلفة · كلمات طازجة تحمل فى طياتها مثيرات للحواس الخمس · وينبعث عالم يمتزج فيه التجسيد بالتجريد والوضوح الشديد بالغموض · والصور شـديدة التحديد احيانا تفرض نفسها كاملة بكل جزئياتها الحسية على القارىء « كأن الجوادان قويين والضباب يندفع مـن منخريهما فى دفقات متتالية · وكانت السيور الجلدية السوداء ذات الحلقات المعدنية النظيفة تحيط بعنقيهما الابيضين الممتلئين · أما خشب المركبة فقد كان داكنا والسائق يجلس فى أعلاها بجوار الناقوس الفضى الكبير الثابت ، وهى فى احيان اخرى صورة فضفاضة تسمح للقارىء أن يملاها بالشكل الذى يحلو له فالناس كانوا يجلسون أو « يفعلون » · والقصة حنين ووصول ، لكن الحنين ليس للفعل الجنسى الذى ياتى من أجله الرجال لكن للوصول من خلال المرأة الى لحظة شفافية طفلية كادت أن تصبح مستحيلة المنال بل هى فعلا كذلك الا فى حلم · واللحظة تتجسد أشياء مادية « واتجهت الى درج صغير وأخرجت منه شيئا صغيرا دافئا وفتحت الـدرج اكثـر ، ورأيت بداخله كل شىء : الكرة ، والعروسة الصغيرة ، والحـذاء الرقيق الابيض ، وخصلة الشعر الاسود ، وبقية اللعب الاخرى » (ص ١٠٣) والقصة فـى رأيى تقف وحدها فى عالم اصـلان القصصى فهى فريدة ومختلفة فى تجربتها ولغتها على حد سواء ·

وان كانت **اللعب الصغيرة** تقدم لنا لحظة التجربة فان **فى جدار رجل ضرير** (نوفمبر ٦٨) تقدم محاولة اصطياد هذه اللحظة والفشل فى ذلك · والقصة فنيا لا ترقى الى مستوى **اللعب الصغيرة** وان كانت تنقل بشكل موفق مواجهة الذات فى محاولة للكشف عن كوامنهـا ، فالراوى يعتزل الاخرين ، يترك بيت أهله ويقيم وحده فى محاولة لاقتناص لحظة يكتشف فيها هذا العالم الغريب الرابض فى الداخل · وعالم النفس يصوره اصلان حجرة مغلقة أو « آخر » يقف فى الظلمة يحاول الراوى تبين ملامحه « وبينما أنا أخطو داخل حجرتى سمعت صوت صرير خافت · توقفت مكانى ودارت عيناى عفوا فى أرجاء السطح ورأيته يقف فى فتحة باب الحجرة الاخرى · حاولت أن اتبين ملامحه · تراجع بهدوء واغلق الباب وراءه ، كـان الـوقت ليـلا » (ص ١٠٨) ، وفى لحظة أخرى « وقفت أمام باب الحجرة الاخرى التى كانت مظلمة تماما · تسمعت بأذنى · بحثت باصابعى عن ثقب المفتاح ولكنى لـم أجد · تراجعت بهـدوء · وعنـدما استدرت لادخل حجرتى داهمنى احساس

مفاجيء بالرهبة فوقفت في مكاني وقد ثقلت راسي وانتابني ما يشبه الدوار • انتقلت عيناى بسرعة على مستطيل الضوء الى الحجرة المظلمة • ولمحت حركة مبهمة في بابها المغلق • امنت بأنني لو نظرت قبل ذلك بلحظة واحدة لادركت شيئا • (ص ١١٠) والراوى في مواجهة اللحظه يشعر بالخوف ولكنه مصر على المضى للحاق بها حتى ولو عن طريق ايلام الذات • انه يغمس شفرة الحلاقة فى وجنته فيبثق الدم • لكن الضوء لا ينفجر فى شكل عالم متكامل كما فى اللعب الصغيرة بل ينفجر ببرهة خاطفة • والرجل الضرير يشكل مع الراوى خطا متوازيا ومتضادا فى الوقت نفسه فكلاهـ عاجز لكن عدم قدرة الضرير على الابصار لا تمنعه من أن « يرى » ، والضرير رغم عجزه ليس عاجزا والراوى رغم أنه جسديا سليم فهو عاجز • وعندما يرى الراوى الضرير وهو يمارس الحب مع زوجته « ويداه تتحسسان السطح الخارجى لجسد المرأة وتتعرفان عليه فى تكوينه العام وتفاصيله بدربة ودودة مذهلة » (ص ١١١) ويتاكد أن الضرير يرى الاشياء بيديه فان قوقعته رمز عزلته وعجزه واحباطه تتحطم •• فى القصة •• ولكنها لا تتحطم اذ يعيد أصلان نفس الثيمة بحذافيرها وهيكلها البنائى فى قصة المستاجر (يونيسة ٧٠) • فمرة آخرى يكون الشغل الشاغل للراوى هو التركيز على الذات فى محاولة لمعرفة كل دقائقها • انه يضع يده تحت الضوء المركز للاباجورة ويظل يرصد ويتابع ويلاحظ كل ما فيها • ومن النافذة يرى المستاجر الرجل العاجز الجالس على السطرح وهو يمارس الحب مع الفتاة الصغيرة التى أتت له بالطعام ومرة أخرى يرى العاجز يتجاوز عجزه وفى هذه اللحظة التى تطابق لحظة رؤية الضرير وهو يمارس الحب مع زوجته تنكسر قوقعة المستاجر ويخرج الى السطح الذى كان الشرطى قد بدر عليه قطعا زجاجية صغيرة حتى لا يلعب عليه الاطفال • والاتصال المباشر بين الاشياء وراوى أصلان دائما يؤدى الى الالم ، تماما كالسير على السطح الملىء بقطع الزجاج • ولذلك فان المستاجر كان يضطر لانتعال حذائه كلما خرج الى السطوح • ولكنه حين يرى الكسيح يمارس الحب فانه يترك حجرته المظلمة التى يمارس فيها عزلته واحباطه وجراحه ويخرج الى السطح حافى القدمين • وتجرح قدماه وتسيل منهما الدماء • ويكون هذا هو اختياره •

فى مواجهة العالم الخارجى

وربما لو ظل أصلان فى نطاق قصتى فى جوار رجل ضرير والمستاجر لوجد نفسه فنيا أمام حائط مسدود لان الفن لا يمكن ان يكون دون تفاعل بين الذات والموضوع • ومن حسن الحظ أن أصلان استطاع بكتابة هاتين القصتين أن يكتشف استحالة الاستمرار فى هذا الاتجاه ولذلك فانه يتجاوز قوقعته ويترك حجرته المظلمة ويعود لمواجهة العالم الخارجى • وهو فى عودته يتجه بخطوات أوسع فى اتجاه فنى ارقى • انه يحاول فى قصص تالية (العازف والجرح) التعبير عن ازمة حضارية حيث تتمثل الذات واقعا حضاريا تعمل على تجسيده فى شكل موضوعى يكون هو الرؤية الذاتية والموضوعية فى الوقت ذاته • وان كانت قصص أصلان الاولى ليست سياسية الا بالقدر الذى يرتبط به اى فن بواقع اجتماعى بالذات ويكون نتاجا غير مباشر له فان هاتين القصتين الاخيرتين قصص سياسية بشكل مباشر ليس لان بهما أية اشارات او معادلات للواقع السياسى المعاش ولا حتى لانها نقل لهذا الواقع بل لانها رؤية فنية له ان هذه القصص تتقابل مع الواقع السياسى لا كما تتقابل المرآة بشيء تعكسه ولكن كتقابل الابن بابيه • انها وليدة واقع مفجع ونتاجه الحتمى والمباشر • وليس مصادفة ان قصة بندول من نحاس التى استشهدت باجزاء منها فى اول هذه الدراسة مكتوبة فى اكتوبر ٦٧ وهى اول ماكتب اصلان بعد الهزيمة • ويعود أصلان بعدها بثلاث سنوات لكتابة نفس التجربة فى شكل فنى أكثر تكاملا هو قصة الجرح (يونية ٧٠) ان جراح المرأة وعجز الرجل فى بندول من نحاس تنفصل لتاخذ شكلا أكثر تجسيدا فى شخص الرجل المشلول • والقصة تتخذ شكل الحلم والرحلة فى الوقت نفسه • الراوى تقوده المرأة الى الداخل حيث يوجد الرجل المشلول ، وهو بين النوم واليقظة •« وما ان راح الوقت يمضى حتى وصلنا الى دهليز طويل متسع انحرفنا داخله ، مرة •• وأخرى ، وصعدنا درجات عريضة ، أوصلتنا الى دهليز أكثر ضيقا وأقل ظلمة • وبينما نحن نتقدم ، أدارت وجهها الى الوراء وراتنى ، ثم واصلت خطواتها فى صمت • ورحت أشعر بالبرودة وتغيرت رائحة الاشياء والتهب أنفى وخشيت الا أستطيع » (ص ١٣٧ ـ ١٣٨) انه الدخول على أول طريق المعرفة المروع • والراوى يخشى لحظة الرؤية ولكنه يسير فى اتجاهها ، تقوده المرأة اليها وهى نفسها تعيده ثانية • فى الداخل يوجد رجل مشلول ، ووصف المكان يوحى باشياء معينة • وهنا اود أن أتوقف قليلا لاشير الى الفرق بين ما أعتقد انه صورة ابداعية حقيقية وبين الصورة الزائفة • ان الصورة الابداعية الحقيقية فى اعتقادى هى وجود محدد مشع ، اشعاعه ايحاءات لعديد من الاشياء المحددة وغير المحددة ايضا والصورة الزائفة هى اشارة محددة لشيء محدد فى العالم الخارجى يلقى بضوئه عليها فتستمد منه معناها وبدونه تفقد دلالتها • وأعود لقصة أصلان فأقول أنها صورة ابداعية حقة فالرجل المشلول فى حجرته وجود محدد شديد التحديد بحجرته ذات الطابع البسيط القديم والمذياع الخشبى العتيق وفراء الخراف المثبت على الجدار « واطار الخشب الاصفر المعشق بالاصداف حول لوحة باهتة » (ص ١٣٨) وتتداخل هذه الجزئيات الحسية مع مجموعة من الجزئيات الاخرى توحى ظروف سياسية معينة : اللمبة المطلية باللون الازرق والزجاج المغطى باللون نفسه وصوت المذيع يقرأ نشرة الاخبار الجديدة والاناشيد الوطنية التى تليها •• الخ • واهتمام الرجل بالانباء سواء عن طريق قراءته للجريدة او استماعه لنشرة الانباء من ناحية وحالة الحرب التى يوحى بها الطلاء الازرق تشكل مفارقة حادة ومزعجة مع عجز الرجل وشلله وعدم قدرته على أية حركة •

والمرأة التى تقود الراوى الى الرجل المشلول امرأة ذات وجه صغير وعينين واسعتين صافيتين تلبس ثوبا أسود مطرزا بشريط أخضر •• وهى تقوم بمساعدة الراوى بتحميم الرجل المشلول « صبت هى الماء فوقه وأزالت الصابون عن رأسه ووجهه ، ولكن عينه ظلت مغلقة • وعندما مالت الى الناحية الاخرى لطمها بيده على وجهها وتطلعت بعينيها الكبيرتين الصافيتين ، ورفعت يدها الى شفتيها وتحسستهما بأناملها الدقيقة ورأيت أن أصابعها قد تخضبت بالدم • » (ص ١٤١) ، ان هذا الرجل المشلول هو الجرح المشترك ، انه خيط الدم على ظهر المرأة فى قصة بندول من نحاس • والرجل ليس مجرد انسان مشلول بل انه قبيح مترهل « •• له ثديين متدليين على ثنيات بطنه الممتلىء » (ص ١٤٠) كذلك فان رائحته متغيرة • انه أقرب الى ميت منه الى حى وعملية تحميمه لاتختلف كثيرا عن عملية تغسيله • والراوى يتحاشى النظر الى هذا الرجل لان رؤيته خوف وألم يفوقان قدرته على الاحتمال ولكن فى اللحظة التى يستطيع فيها ان ينظر فى وجهه وهو الحقيقة المروعة يكون قد وصل الى نهاية الرحلة « وكان الرجل الكبير يجلس فى مواجهتنا تماما ثبت عينى فى عينيه ذات النظرة العنيفة الثابتة ، ثم حولتهما الى عينه الوادعة المبتلة ، ورفعت يدى أمام وجهى وبينما انا أميل برأسى كثيرا ، لمحت الخف الصوفى الابيض ، والمقص المعدنى الصغير ، وانتابتنى رعدة خفيفة ، ودفنت راحة يدى الاخرى ، فى شعرها الكثيف الدافىء » (ص١٤٢) ان هذا الرجل القعيد يجمع المرأة والراوى فهو واقعهما المشترك القبيح الذى يجثم بينها وبين الفرحة والكينونة • وقصة الجرح فى اعتقادى هى الصورة بمعناها الارقى وهى الوجود الفنى المقابل والمعادل لوجود حياتى هو هزيمة ٦٧ بكل السنوات السابقة عليها واللاحقة لها • والجرح تتطلب من القارىء دورا ايجابيا وجهدا ، انها تتطلب منه أن يدخل هو أيضا وراء اصلان فى هذه المرة الى الدهليز المظلم ومنه الى الرؤية المجسدة لواقع قبيح ومهزوم ومفجع •

تجميع الخيوط

برؤية الجرح تترك إنسان اصلان

جريحا متعبا وهو حين نراه ثانية فى قصة رياح الشمال (نوفمبر ٧١ ، ملحق الطليعة الادبى فبراير ٧٢) يكون منهكا هده المرض يتقدم الى الخارج متكئا على عصاه • وتعود قصة رياح الشمال الى الثيمات التى استخدمها أصلان فى قصصه الاولى ، ثيمة العزلة والرغبة الملحة فى التواصل والجنون والزمن أيضا • ويستخدم اصلان نفس أسلوب الحلم الذى استخدمه فى اللعب الصغيرة والجرح • والقصة تقدم لنا الراوى ، الذى يسكن وحيدا فى غرفة عند الطرف البعيد من المدينة ، فى لقاء مع شخص آخر مسن يذكرنا بعم عمران فى لانهم يرثون الارض (مايو ٦٧) انه يحكى عن أيام زمان حين كان يعمل فى السفارة الالمانية وعن هتلر الذى جاء الى مصر متخفيا وعن ايفا صديقة هتلر الذى صاحبها وأحبها « ياسلام كانت حلوة جدا ، وانا كنت شابا صغيرا ، وكان هتلر قد حلق شاربه حتى لا يعرفه أحد ، وراح يتجول فى مصر ويقوم بعمله ولما كان يعرف انى لست من هؤلاء ، فقد قال لى خد ايفا وفرجها على البلد وقد أخذتها وفرجتها على البلد • وفى هذه الاوقات كنا قد حكينا لبعضنا كل شىء • وأخيرا ذهبنا الى النيل وركبنا قاربا ، وسبحنا ، وكان شعرها ذهبيا فى الليل ، وجسدها مثل الفضة الصافية » ان حنين هذا الرجل العجوز للحب وحاجته الملحة له تجعله يخلق لحظة من خيال يعتقد فيهاويلجأ اليها من عزلته • والمفارقة بين كلمات الرجل وتصديقه لها وبين معرفتنا انها وهم ومعرفته هو نفسه ، لان موقفه فى حقيقة الامر مزيج من التصديق وعدمه ، يخلق لحظة التعاطف العميق التى تعتبر احدى الدعامات الرئيسية لهذه القصة • وبعد أن يتحدث الرجل العجوز عن حبه لايفا يتلو من ورقة بالية فىيده أبياتا من الشعر :

انى استنشق الهواء العذب الخارج من فمك

واتامل كل يوم جمالك ••

وأمنيتى هى أن أسمع صوتك الحبيب ••

الذى يشبه حفيف ريح الشمال ••

ان الحب سيعيد الشباب الى أطرافى ••

اعطنى يدك التى تمسك بروحك

وسوف احضنها واعيش بها ••

نادنى باسمى مرة أخرى •• والى الابد

لن يصدرنداؤك أبدا دون اجابة عنه »

وطوى الورقة ، وشرع يبكى كثيرا وقبل أن يذهب كان يدعك عينه بقبضته مثلما يفعل الاطفال والابيات بجمالها وتعبيرها عن حنين جارف للحب والتواصل تزيد من التعاطف الذى يثيره الموقف ، وهى أيضا تكسبه بعدا جديدا • ان المرأة الخيال (ايفا) تصبح تجسيدا للحلم المستحيل القادر وحده على شفاء الجراح واعادة الحياة ،ولا ادرى لماذا اختار أصلانان تكون هذه المرأة هى ايفا بالذات حين كان بامكانه أن يختار أى اسم آخر ليس له هذا الارتباط الكريه بالهتلرية •وأتساءل أيضا اذا كان أصلان باضافة هذه الابيات وهى ابيات منالشعر المصرى القديم قد أراد أن يربط بين هذا الرجل العاجز المتحرق الى حب يعيد الشباب الى أطرافه وبين وضع حضارى معين يرتبط بمصر وتاريخها ومعاناة شعبها • لو انهذا مقصده فانى اعتقد أنه لم يوفق كثيرا لانه من غير الميسور التعرف على هذه الابيات كابيات من الشعرالفرعونى كما أن تحميل هذهالابيات أية دلالة سياسية سوف يجعلنا بالضرورة نضع الاشارة الى ايفا فى نطاقها السياسى والتاريخى وهذا مالا تحتمله القصة بل انه يفسدها تماما • ان الرجل العجوز رغم اختلاقه للحلم يعرف انه مستحيل ولذلك فهو يبكى كطفل صغير وفى هذه اللحظة تكتمل رؤية الراوى ويكون عليه أن يعود من رحلته « وفى ذلك الحين كان على أن اقول ، ولكن الجفاف كان قد عاود شفتى ، وبدأت الحرارة تحرق عينى وتثقلهما ، وكانت الرعشة الدقيقة التى دابت على المجىء من داخلى قد جاءت الآن ، وأخذت الاشياء تتارجح عبر ستارة رقيقة من الدموع ، وانعكست نقطة ضوء بعيدة عبر مقلتى ، وعلى الرغم من ذلك فقد كنت أشعر بأننى وحيد ، وبأنه يجب على الان أن أتناول عصاتى واتكىء عليها واعود • ولقد مرت اصابعى على السور الحجرى القصير ، الا اننى انحدرت ،وقبل أن أعيب شعرت بجسدى الملقى وهو ينبض بقوة وبان مياه الامطار كانت ماتزال تقطر على اوراق الاشجار المائلة علىحافة الشاطىء» ورحلة الراوى كما توحى السطور الاخيرة رحلة معنوية يصلمن خلالها الىلحظة يتجسد فيهامعنى الاشياء ودلالتها • والرجل العجوز فى رياح الشمال رغم وجوده كشخصية منفصلة ليس سوى صورة اخرى للراوى وعجزه وحنينه الجارف الى حب يحقق الخلاص •

تراجيديا الانسان العادى

والقصة كباقي قصص اصلان تستخدم لغة التعاطف أو Pathos وفى الحقيقة انى فشلت فى ايجاد كلمة عربية معادلة تماما لهذه الكلمة وما اقصده هو اثارة شعور هو مزيج من التعاطف مع الشخصيات والاسف عليها والاسى من اجلها •

ان قصص اصلان عموما تختار مواقف مثيرة للتعاطف والالم ولكنها بعيدة تماما عن الموقف التراجيدى ، اذ أن ماساة قصص ابراهيم أصلان هى ماساة الانسان العادى فى حياته اليومية ، هذا الانسان العادى الذى يخفى خلف « عاديته » عواصف نفسية وعذابات وأشواق لانهاية لها وفى حين يبدو أن لا شىء يحدث •• فان هناك أشياء عنيفة فى الداخل تحدث طيلة الوقت •

ويختار أصلان لقصصه درجة صوت شديدة الخفوت ولغته محايدة بسيطة لا اثر فيها لاى انفعال وهى خالية تماما من الصور (وقصة اللعب الصغيرة هى الاستثناء الوحيد) وعادة ما تشكل لغة اصلان المحايدة مفارقة حادة مع الواقع العاصف الكامن تحت السطح • وفى حديثى عن اللغة أود ان اشير الى عيب صغير يمكن تداركه بسهولة وهو ترجمة بعض التعبيرات العامية التى يقع اصلان فيها احيانا ،ففى رياح الشمال مثلا كان هتلر يعرف « اننى لست من هؤلاء » ترجمة من العامية المصرية « انى مش من دول » والمراة فى بندول من نحاس » « عزت زوجها بدلا من عزت نفسها وهذا الخطأ البسيط قد يؤدى الى لبس فى فهم المعنى لدى القارىء العربى •

ان دراستى لقصص ابراهيم اصلان وتحليلى لها يجعلنى أعتقد أنه استطاع فى السنوات السبع الماضية الممتدة من ٦٥ الى ٧٢ أن يقدم لنا عالمه الخاص ذا الملامح المميزة تماما وهى الزمن ولا مبالاة الاخر ،والعزلة والجراحوالعجز والتحرق للحب والتواصل ولقد استطاع ايضا أن يحقق لنفسه لغة محايدة وأسلوبا يبتعد تماما عن المباشرة ويستغل الموجودات المادية الموحية للتعبير عن ردود الافعال النفسية •

واصلان لم يصدر سوى مجموعة قصصيةواحدة ،وبالتالى لنيعيبه أن اقول ان عالمه صغير وأتوقع أن يستطيع ابراهيم اصلان فى السنوات المقبلة أن يكسر قوقعته مرة أخرى وينفتح على عوالم أوسع يكون الجرح فيها والعجز والعزلة جزءا فقط من كل أكثر تنوعا وشمولا ،وأعتقد انهذا هو الطريق المفتوح الى اصلان أكبر •

المفكر

راقصا على برميل من البارود

غالى شكرى

قد يختلف الناس حول القيمة الادبية لاعمال احسان عبد القدوس ، ولكن احدا لا ينكر الدور الوطنى لهذا الكاتب فى تاريخنا الحديث . ومن ثم فاننى حين اتعرض اليوم بالنقد لعمليه الاخيرين اللذين نشرا فى « اخبار اليوم » بتاريخ ١٩٧٢/٥/٢٠ و ١٩٧٢/٦/٣ فاننى لا انسى ذلك الدور القديم الذى لعبه احسان ، بل ربما كان هذا الدور هو الذى يملى على الان ضرورة المواجهة الصريحة لدوره الحالى ، فانى اعتقد ان الدور القديم يدين الدور الجديد ، ويقف منه موقف النقيض ومن ناحية اخرى فان نقدى لاحسان عبد القدوس لن يكون « نقدا ادبيا » بالمعنى الدقيق لهذا التعبير ، لانه لم يكتب «أدبا» بالمعنى الدقيق لهذا التعبير . وانما هو صاغ القصة الاولى « رصاصة واحدة فى جيبى » فى شكل مقال قصصى ، وصاغ المسرحية « لا استطيع ان افكر وانا أرقص » على نحو كاريكاتورى مسطح أقرب الى « الكروكى السياسى » منه الى الفن .

ويقدم احسان لقصته الاولى بهذه الكلمات «كل ما فى هذه القصة من حوادث وشخصيات هو مجرد صور أطلقها خيالى .. وكاتب القصة غير المؤرخ وغير المحقق الصحفى ، انه حتى وهو يتعرض بقصته للاحداث الوطنية العامة يعتمد على خياله متحررا من الارتباط بالواقع .. وكل القصص العالمية التى انطلقت من سنوات الحرب ، أو من الثورات الوطنية الكبيرة ، لم تكن ترسم واقعا ولكنها كانت خيالا من وحى واقع .. وقصص الحرب والسلام لتولستوى ، وقصص اردليان والفرسان الثلاثة ، وقصص جيمس بوند ، ليست سردا لوقائع تاريخية ، ولكنها من وحى واقع تاريخى .. وأقول هذه الكلمات حتى لا يحاسبنى احد بميزان الواقع ، ولكن فقط يحاسب خيالى » . ولقد آثرت ان أنقل هذه السطور كاملة لانها تومىء بأن الكاتب نفسه يشعر فى أعماقه أن « الكنايات » التى استخدمها لاتحتمل أكثر من تأويل فهى ذات بعد واحد تشف عنه الاحداث والشخصيات والمواقف ، ومن ثم كانت « الاقنعة » التى نسجها الكاتب ، كورقة التوت تظهر أكثر مما تخفى .. بل لعله عمد الى استخدام هذا النوع من المجاز المكشوف حتى تصل المعانى التى يقصدها الى أعرض قطاع من الجماهير القارئة ولست أود أن أناقش ما جاء فى هذه المقدمة من خلط فاضح بين تولستوى وجيمس بوند ، فالصلة بين الفن والتاريخ من ناحية وبين الفن والواقع من ناحية اخرى أكثر تعقيدا من أن نناقشها فى بضعة اسطر ، كما ان قصة احسان ومسرحيته لا يطرحان هذا الموضوع أصلا لانهما أبعد ما يكونان عن الفن وأقرب مايكونان الى الكاريكاتير السياسى .

هل يحتاج القارىء مثلاً إلى ذكاء خاص حتى يتعرف على فاطمة ذات



« الثوب الاخضر الجميل » التى احبت عباس « ولكنها احبته بأحلامها البريئة ، وبالخرافات التى تملا خيالها عن صور المستقبل السعيد ، وبثقافتها الفجة الفارغة التى تقارب الجهل والتى حرمتها من اكتشاف الحقيقة » .. وهى الحقيقة التى اكتشفها الراوى — العسكرى المثقف — وهو فى غزه بعد سقوطها فى حرب يونيو « كان وجه اليهود يذكرنى به .. خيل الى أن اليهود يحتلون غزة كما يحتل عباس قريتى .. ماهو الاحتلال انه القدرة على التحكم فى ارزاق الناس .. أن تكون متسلطا عليهم .. انه احتلال واحتلال .. احتلال أجنبى واحتلال أهلى .. احتلال شغل برة واحتلال منه فيه » . والقصة تبدأ بهذا الراوى عام ١٩٦٨ . وقد ترك الجامعة والتحق بالجيش ، فهو الطريق الوحيد لان يقتل عباس ويثأر لفاطمة والقرية كلها ، فقد هبط عباس على القرية فى يوم أسود وسيطر عليها ونهب أرزاقها وهتك عرضها ممثلا فى « فاطمة » التى اوهمها بحبه فبادلته الحب ثم غدر بها بعد ان نال وطره منها . ولكن العسكرى المثقف ينشغل بسيناء عن عباس ، ويحتفظ برصاصة دائما فى جيبه رمزا الى اليوم الموعود حتى يحين الحين ويقتل عباس . غير أن امله يخيب حين « يختفى » عباس من القرية كلها بطريقة ما « ولا أحد يعرف الحقيقة ، كل الحقيقة التى يعرفونها هى أنه ذهب .. أختفى .. وهم مختلفون .. بعضهم نادم على ذهابه ويكاد يبكيه ، وبعضهم يتنهد فى راحة ويلعن أيامه » .

ولن يحتاج القارىء الى ذكاء خارق حتى يكتشف أن عباس فى القصة الاولى قد اصبح اسمه فؤادالطبال فى المسرحية التى نشرت بعدها بأسبوعين ، حيث يتكرر ترب النهاية — دائما !! — اختفاءه المفاجىء بعد غارة شبيهة لحد المطابقة — الكاريكاتورية — بحرب يونيو . ولن يحتاج هذا القارىء أيضا الى جهد خاص فى التعرف على فاطمة وقد أصبح اسمها ميمى . ولن يحتاج بالقطع بعدئذ الى القول بأن هذه وتلك هى « مصر » كما يراها احسان عبد القدوس ، ريفية حسناء او راقصة فاتنة — لا يهم — ولكنها مطمح الجميع بغير استثناء ، الكل يريدها لنفسه ، وهى تريد أن تكون للجميع دون أن تفقد شرفها ، وهى لا تريد من البعض أن يخاطب جسدها ومن البعض الاخر أن يخاطب عقلها ، وانما تود لو فهم الكل انها « انسانة » لاسبيل لتحقيق



احسان
عبد القدوس

انسانيتها الا بحريتها المطلقة من كل قيد : سواء كان القيد ذهبيا من أموال « العربان » المتهافتين على جسدها ، أو كان قيداً ايديولوجيا من نظريات « مجاهد » وكتب كاركوس التى يرددها كالببغاء فلا تفهم منه شيئا ، أو كان قيدا من الحماية التى يتنافس على فرضها عملاقان مدججان بالسلاح من الراس حتى القدم ، أو كان قيدا من غواية أصحاب الالف وجه ، أو كان قيداً من طبلة « فؤاد » التى تجذبها الى وسط الحلبة فى « كابريه الفردوس الاخضر » وهو الاسم الجديد للقرية التى تعرفنا عليها فى القصة الاولى .

هذه الصورة المجردة لمصر ، بالغة الجاذبية للوهلة الاولى ، فمن هو الذى يرفض حرية الوطن واستقلاله ، ومن ينكر ان فى بلادنا من السلبيات ما تنوء بحمله ظهورنا ؟ ولكن مهلا ، فلحظات قصيرة من التأمل تقلب الصورة راسا على عقب ، فالحرية المطلقة حلم انسانى جميل ، ولكن تبقى دائما تلك المسافة الواسعة بين الحلم والواقع ، ويبقى دور الكاتب محاصرا بالسؤال : أين يقف من حركة الانسان نحو الحرية ؟ ولان احسان يعمد الى التجريد عمدا فانه يلتقط صور الاشياء من السطح ويجمدها .. فالواقع يقول أن مصر « مجتمع » يموج بطبقات اجتماعية متباينة المصالح ، ويموج باتجاهات فكرية مرتبطة بهذه المصالح ، وأن حرية القلة المستغلة تعنى عبودية مصر الشعب ، فلمن يطلب الحرية احسان ؟ والواقع يقول أن مصر ليست بمعزل عن المحيط القومى الذى تضطرم داخله موجات لا حصر لها من الفكر العربى المؤثر فى تاريخنا الحديث . والواقع يقول أن مصر ليست منوقعة داخل قشرة صدفية تقيها شر العالم الواسع وخيره ، بل هى مرتبطة أوثق الارتباط بكل ما يدور قريبا منها على امتداد الوطن العربى ، وبعيدا عنها على امتداد العالم أجمع . وهو ارتباط يمليه التاريخ حينا والمصلحة احيانا ، ولكنه فى جميع الاحيان ارتباط يوجهه عنصران : السيادة الوطنية والصراع الاجتماعى . والواقع يقول أن موجات اغتيال سيادة مصر الوطنية ، ووأد صراعها الاجتماعى جاءت



على طول تاريخ مصر الحديث من غرب اوروبا ثم الولايات المتحدة الامريكية .

واحسان عبد القدوس يعرف ذلك كله، ولكنه يجرد المسائل بهدف تقديم « وجه واحد محدد » لمصر لا يوجزها وانما بمسخها ، لا يلخص ملامحها الاساسية وانما يركز على خط دون آخر كاشفا بذلك عن الموقع الذى اختاره لنفسه فى خضم الصراع الذى تشهده بلادنا الان . ان « العربان » بذهبهم لا يخطبون ود مصر الشعب ، وانما هم يسيلون لعاب طبقة بعينها ، والعربان الذين يشير اليهم ليسوا هم الشعب العربى بطبقاته المناضلة ضد هؤلاء بالذات . وكذلك فان العملاقين المدججين بالسلاح أحدهما يضع سلاحه فى آيدينا ، والاخر يضعه فى أيدى عدونا فكيف نسوى بينهما ؟ ولكن الكاتب يمضى فى معادلته الرياضية حتى النهاية ، فمأساة مصر — أى مصر ؟ — انها سلمت نفسها [متى ؟] لصاحب الايديولوجية اليسارية باتفاق يشبه الخيانة مع فؤاد الطبال . ذلك أن « مجاهد » لم يكن فى جعبته ما يقدمه لميمى سوى الكتب المطلسمة والعبارات المبهمة التى لم تنقذها من فقد آحد ذراعيها فى الغارة المفاجئة بالصحراء . ويقع فؤاد « مغشيا عليه كأنه مات » ويتوجه الينا الكاتب على لسان مقدم البرنامج قائلا « طبعا كلنا عارفين ان اللى حصل لميمى حصل لناكلنا لكل اللى كانوا معاها .. هناك فى الصحرا .. بس أنتم ماكنتوش معاها.. كنتم قاعدين تتفرجوا .. » وهكذا يكشف الكاتب أوراقه تماما حتى يفهم أغبى الاغبياء .

لم تكن مصادفة أن يسطح الكاتب خريطة مصر الاجتماعية والسياسية على هذا النحو الذى أصاب « المسرحية » بفجاجة بعيدة المدى .. وانما هو كان ينتوى منذ البداية قصدا مبيتا ، باستبعاده لعشرات الخيوط الصانعة لنسيج الحركة الاجتماعية المصرية .. حتى ان الدهشة تعقد لسان المرء حين يتخيل « الغارة » وكأنها قدر اسطورى لا علاقة له بما يجرى فى الواقع الحى ، وتصل بنا الدهشة لدرجة الذهول حين يصبح الاتفاق بين مجاهد وفؤاد — والقناعان مكشوفان — هما سبب المأساة .. فليس هناك تخلف ضارب فى باطن الارض ، ولاقوى اجتماعية طاحنة تستغل



د. لويس عوض



نجيب محفوظ

هذا التخلف لصالحها وتنجح دائما فى احتواء الاجهزة الحاكمة وتطويعها لخدمتها ، ولا قوى مخربة لكل تقدم اجتماعى ومستفيدة ومدعمة للمناخ الذى ادى للغارة ويبدولنا فؤاد الطبال كعباس بيه شيطانا لا صلة له بعالمنا ولا جذور تربطه بأرضنا . اما مجاهد — هذا الايديولوجى المنكب على كتب كاركوس — فلا يستحق من الكاتب، اذا كانت تلك حاله ، مجرد الاشارة .. فهو مثال العجز المطلق ، كلامه غير مفهوم لاحد ، وحركته لا تتجاوز أربعة جدران . وهكذا فالمسرحية تكذب نفسها من داخلها .

ولكن احسان لم يكن يعنيه « المنطق الداخلى » لعمله فى كثير أو قليل ، وانما كان يود أن يشارك فى الحوار الدائر بمجتمعنا الان من موقع الهجوم على ثلاثة أقنعة أساسية ، وذلك بالتسوية بين العملاقين المدججين بالسلاح وادانة الايديولوجية اليسارية ودمغ التعاون معها بالخيانة . وينطوى

هذا الهجوم على دفاع غير مباشر عن القوى المقابلة : الولايات المتحدة الامريكية ، والايديولوجية اليمينية ، والعسكرى المثقف الذى يحتفظ برصاصة رمزية فى جيبه يتحين الفرصة لاغتيال رمزالتعاون مع اليسار . انه « دفاع غير مباشر » عن هذه القوى لان الكاتب تجاهلها تماما فى التخطيط « الفنى » لمسرحيته ، والتجاهل هنا ايماءة الى ان هذه القوى كانت غائبة عن مسرح الاحداث ، وبالتالى لم تشارك فى المأساة : مأساة فاطمة التى هتك عرضها او ميمى التى بترت ذراعها . وللتجاهل هنا مغزى عميق لتناقضه تناقضا واضحا مع الواقع ، فالواقع يقول : ان هذه القوى لم تكن قط غائبة . وهى بكل ثقلها صانعة المأساة . واذا كانت خيوط النسيج الداخلى للمسرحية تتمزق طولا وعرضا فلا تقنع أحدا بمنطقها الخاص الذى اختاره الكاتب ، فان الواقع الذى يستمد منه مادته يكاد يكون نقيضا لهذا الكاريكاتير السياسى الذي رسمه احسان عبد القدوس . ان القوى الاجتماعية اليمينية التى غيبها عامدا عن خشبة المسرح ، والعملاق « الاخر » المرتبط معها بوشائج الفكر والمصلحة هى التى هتكت العرض وبترت الذراع . وعباس — أو فؤاد الطبال — فى الواقع لا فى الخيال ، أكثر تعقيدا من هذا الوجه المسطح الذى ركز الكاتب على تقاطيعه السلبية . الفن اختيار وتعميم ، وحين يلتقط احسان هذه التقاطيع وحدها ليعممها على شخصية بالغة التركيب ، فهو يناقض نفسه بنفسه لان الوجه غير الديمقراطى لعباس أو فؤاد الطبال ، كان نصيرا للقوى التى يدافع عنها الكاتب وعدوا للقوى التى يهاجمها أما الوجه الاخر فقد اغفله تماما ليزيف ارتباطا غريبا بينه وبين المأساة.. فالواقع المصرى عرف — على النقيض من ذلك التصور — غيبة « مجاهد الحقيقى » وراء الاسوار أمدا طويلا ، ولم يحدث قط أن امسك الايديولوجى اليسارى بمقاليد الامور حتى يحاسب على ما آلت اليه من تدهور .

وفى هذه النقطة ينبغى أن نتوقف قليلا عند الصورة التى رسمها احسان لهذه الشخصية العجيبة التى تتكلم ولا يفهم



أحد كلامها ، ونكتفى بالكلام دون الفعل ونستورد الكلام دون أن تخلقه . ولقد أراد الكاتب أن يختزل اليسار المصرى فى هذه الشخصية الكاريكاتورية . والهجوم على اليسار ليس بدعة جديدة فهناك أسماء اكبرمن احسان عبد القدوس فى الادب العالمى ، من آرثر كستلر الى جورج اورويل ، وبعضها كان يساريامثل شتاينبك وهوارد فاست ،وريتشارد رايت وأندريه جيد واجنازيوسيلونى .

هؤلاء وغيرهم هاجموا اليسار ، أما كموقف فكرى من تطور المجتمع ،وأما كتيار تاريخى فى قلب عالمنا المعاصر ، واما كنماذج بشرية تغص بها الحياة كغيرها من النماذج. ولكن تاريخ الادب لم يحتفظ لهذه الاسماء الا بأعمالها التى كتبتها فى ظل اليسار، لان اليسار ليس اتجاها فكريا فحسب ، وانما هو « واقع اجتماعى » أولا ، والفكر ليس الا انعكاسا لهذا الواقع .. فجماهير الفلاحين والعمال فى بلادنا « واقع يسارى خام» قبل أن يعبر عنه مثقفون يساريون . لذلك فاليسار — اخيرا — ظاهرة وطنية نابعة من باطن ارضنا، والوعى بها او التعبير عنها ظاهرة تالية، كان من نصيب بعض المثقفين أن يجسدوها لحرمان ملايين المسحوقين من نعمة المعرفة التى احتكرتها الطبقات الاخرى . واذا كانت البرجوازية المصرية قد استلهمت أهم أفكارها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من اساطين الفكر البرجوازى الغربى ، فلست أدرى لماذا يصبح حلالا عليها ان تأخذ ما تشاء من سبنسر وكينز وبنتام ومل ، وحراما على غيرها أن يأخذ من ماركس وانجلز ولينين ، ويصبح استيرادها هى « فكرا وطنيا » واستيراد غيرها ليس كذلك . ان اليمين واليسار على السواء — فى بلادنا — يعيش مرحلة حضارية متخلفة ، ومن حقهما معنا أن يستلهما تجارب الاخرين فى الفكر والعمل .. ولا ينبغى أن نطيح بوحدة التراث الانسانى من أجل فكرة بالغة التخلف ، والضرر هى التعصب العنصرى الاعمى . هذا بالاضافة الى أنه لم يعد ممكنا — من الناحية الواقعية — أن يصد الانسان نفسه عن خبرات الوعى البشرى فى عالمنا الحديث . من حق



جون شتاينبك



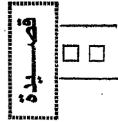
اندريه جيد

كلّ فرد وكلّ طبقة أن تتعامل مع الفكر الانسانى أينما كان ، دون أن يكون ذلك « استيرادا » بالمعنى المبتذل الشائع لهذه الكلمة فى قاموس اليمين العربى المعاصر ومعيار الوطنية الحقيقى — فى الفكر والعمل — هو مدى ما يقدمه الفرد أو الطبقة من إسهام فى حرية الوطن وتقدم المجتمع .

ولقد كان من شأن التبسيط المذهل الذى تعمده احسان عبد القدوس ، أنه القى بهذه المعانى كلها فى سلة المهملات، فلم ينظر الى « اليسار » كواقع وطنى مجسد فى ملايين العمال والفلاحين ومصلحتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولم ينظر اليه مرة أخرى كفكر يحمله بعض المثقفين الشرفاء الذين ضحوا بانتماءاتهم الطبقية الموروثة من أجل الوقوف الى جانب حركة التاريخ واتجاه المستقبل ، ضحوا أحيانا بحياتهم نفسها . وانما نظر احسان الى « اليسار » من وجهة القوى الاجتماعية المعوقة لمسيرتنا الوطنية ، فلم ير شيئا من هذا كله ، وراح يفتعل يسارا لا وجود له ، وكدون كيشوت اخذ يصارع طواحين الهواء . ان المسيرة الوطنية هى الهدف ، وليس اليسار الذى تعمد تشويهه الا تكأة لتعويق هذه المسيرة .

ومع هذا ، فاليسار ، سواء كان واقعا وطنيا مجسدا فى ملايين المطحونين أو فكرا نظريا يتحمل أعباؤه فريق من المثقفين ، يقبل المناقشة والجدل ككل شيء فى دنيانا . ولقد عرف الادب المصرى الحديث الوانا من الهجوم والتجنى والحوار الموضوعى مع اليسار ، من رواية « مليم الاكبر » لعادل كامل الى « جفت الدموع » ليوسف السباعى ، ومن ثلاثية نجيب محفوظ الى « السمان والخريف » و « ميرامار » ، ومن « قصر على النيل » لثروت أباظة الى « عنقاء » لويس عوض و « بيضاء » يوسف ادريس . وفى هذه الاعمال كلها ، كنا نرى اما موقفا من قضية تطور المجتمع ، أو موقفا من اليسار كتيار تاريخى ، أو موقفا من بعض النماذج البشرية المنتمية لليسار . وفى هذه الاعمال جميعها ما سوف تذروه الرياح وما سوف يبقى مع الايام لانه تلمس حقيقة انسانية أو دعم اتجاه المستقبل .

واحسان عبد القدوس وهو يكتب «رصاصة واحدة فى جيبى » و « لااستطيع ان افكر وانا أرقص » لاينطلق من فراغ .. لقد اختار بوعى كامل ان يكون صوتا لاكثر القوى الاجتماعية ضراوة فى صراعها الراهن ضد التقدم بشقيه الوطنى والاجتماعى . ولقد اختار لصوته «شكلا »ادبيا لايتقيد باصول الادب وانما يباشر القول فى السياسة .. وهو بذلك يستكمل صورته الفكرية الواضحة فى مقالاته منذ الحركة الطلابية الاخيرة . وهى صورة تغاير صورته القديمة التى عرفناها بين صفحات « فى بيتنا رجل » وكتاباته الوطنية ، الصورة التى احببناها وسوف تظل سطورها باقية مع الزمن لانها كانت مع المستقبل .





عيون إلزا المراكشية

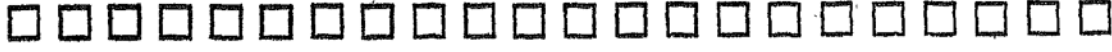
شعر : معين بسيسو

كتبت ما كتبت عن بطولة الاشياء
وبعد أن كتبت ما كتبت ، اشتقت للبكاء ...
والشعر لم يكن سوى مؤامره
ونحن لم نكن سوى سماسره
وأنت لم تكوني غير جثة في قاع آنيه
كتبت ما كتبت كي أراك طافيه
أحاصر السماء كلها بوردة لكي أراك عائمه
ما كان في يدي مسدس ولم أكن أنا المقاومه
وكنت في دمك
غزالة مطعونة بشمعدان ، كنت في دمك
ممددا ، يد البحار في يدي
وكانوا في دمك
ذبابة تطن في الشريان ، نملة تجر للسماء
فخذ امرأة ...
وأعلنوا عن افتتاح حانة جديدة
وأعلنوا عن اكتشاف خمرة جديده
وكنت في دمك
غزالة تجر ساقيه
وكانوا يغطسون في دمك
ويخرجون من عينيك ، كانوا يغطسون
في عينيك ، يخرجون ، من نهديك
يغطسون في يدك ...
وكنت ألعب الشطرنج ،
كل ليلة مع الملائكة
عيني على الملك
والله كانت عينه علي

وكنت حين يسقط الملك ...
أمضي الى يديك ، كي اصطاد يا حبيبتي الطيور
من يديك والسمك ..
أصغي الى خرير الكهرباء في دمك ...
أدور في عينيك دورة ، وكانت السماء
في دمي تدور دورتين
وخط الاستواء لم يكن يشقني نصفين
وكنت حين ينضج العنب ...
من هول قصف الرعد كنت أنتحب
وكنت أنتحر
بضوء شمعة ، لهيبها يحز عنقي
كنت أنتحر
بضوء نجمة بعيدة هناك في السماء ،
ضوؤها يحز عنقي ، يقطع الشريان ، كنت أنتحر
وكان ذلك العصفور واقفا على أصابعي
واقفا على دمي
والكأس كان في يدي
قلبت كأسي فوقه ، والكأس صار مصيده
وظل ذلك العصفور ، تحت الكأس ، ينقر
الزجاج بالمنقار والجناح وهو يرتجف
وظل ينقر الزجاج وهو يرتجف
ومات تحت الكأس وهو يرتجف

• • •

من يومها عرفت أنني ابتعدت عن دمي
وأنني ابتعدت عن يدي
وأنني ابتعدت عن فمي

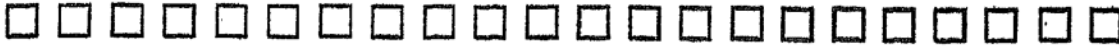




وأنني قد ضعت ...
وصار خط الاستواء يا حبيبتى يشقنى نصفين
ووجه كل امراه
يشقنى نصفين
أخاف كلما أرى هناك طائرا يطير فوق رأسى
أن يشقنى جناحه نصفين
النفخ فى الهواء ...
ما عاد نفخى فى الهواء ، يعطى للسماء نجمة
ولا سحابة جديده
والنفخ فى المرايا ، ينبت الهواء فى المرايا
ما جرى وسوف لن يجرى هناك نهر فى المرايا
اعترف بأنك انهزمت ...
الله لا اله الا الله اننى انهزمت
ولم تعد على أصابعي تعشش الطيور
دمى على أصابعى قد صار صمغا ،
اسقطى على أصابعى وموتى
فالقمح تحت الظفر لا ينمو ،
وجرح الميتين لا ينمو
وكل الميتين لا يهاجرون من قبورهم
ولا يترجمون الورد والتراب فوق وجههم
الى لغه ...

● ● ●

الله .. لا اله الا الله يا يدى المقطوعة المعلقة
فى عنقى ... ،
ترجلي عن صهوة الجواد الميت ،
لا تكونى الشاهد المحايدا
الله لا تحرضوا الصحافة الشرعيه
أنتمو ، تمارسون العادة السريه



الله لست طالبا منكم وطن
أعطتنى الوطن ..
هى الوطن ...
أجل هى الوطن ...
فحاكموا ضفيرة من شعرها !!
وبعدها اشنقوا السماء ...!

● ● ●

الله ... لا اله الا الله ، كيف جئت
كيف قد مشيت فوق الماء ...
كيف قد زوجتنى السماء !!!!
الله ... كيف فوق ساق هذه السماء
الصقت كل ما جمعت من طوابع البريد
آه لا تقولى
حينما يصير الرعد ثلجا !!
حينما يصير البرق وردة فى كأسنا
الله لا تقولى النهر واقف بطوله وعرضه
فى كأسنا
فأوقف الاسماك كلها على ذيولها فى قاع كأسنا
وكل نهر !! كل كأس !!
لم يكن ولن يكون يا حبيبتى ، سوى [قميصك] !!
الذى يجره الى (عرينه الاسد) !!

● ● ●

هم يقرأون الشعر باسمى فى كتاب الغزو
والتاريخ والجغرافيا
ويزرعون جثتى زيتونة وتينة فى قاع كل هاويه
ويقرأون الفاتحه
ويخزنوننى فى المشرحه
وكلما تعضنى أسنانهم !! يحس بالامان
كل من يعضنى !! كأنه يستل سيفا
أو يضىء شمعدان
الان أيها الوطن
الان كن بلا وطن
الان خذ باروكة الزلزال !! مشط الصاعقة
وأعطنى حذاء عاشقه
قد صرت أمنح السماء أوسمه
ولست عضوا فى المقاومه
ولم أعد من التراجمه
وخط الاستواء لم يعد يشقنى نصفين
وصار عنقى يا حبيبتى الحديقة المعلقه
والنمل صار فى حذائى
كان صاعدا ساقى ، صدرى
ثم عاد ساحبا على الفخذين زنبقه
الله لا اله الا الله رغم الموت ،
رغم كل ما كتبت !!

لم أعد للموت ، قد نجوت
حشوت يا حبيبتى مسدسى بوردة ،
أطلقته ،
تحطمت سفينة القراصنه
وانشقت البحار الآسنه
عن الف نهر

● ● ●

لقد نجوت يا حبيبتى ، نجوت من سفينة القراصنه
فهل سأنجو من يدك ... ؟
نجوت يا حبيبتى من الصواعق المفاجئه
فهل سأنجو من دمك ... ؟

● ● ●

الله لا اله الا الله ، كيف جئت
كيف قد مشيت فوق الماء
كيف قد زوجتنى البحار
الله حينما أصابعى كانت تعوم فى أصابعك
تعلو بنا الامواج ثم تهوى كلها على اصابعك ..
شواطىء البحار ، كلها أصابعك
وبين كل اصبعين يا حبيبتى جزيره
الله ... لو أكون بين الاصبعين يا حبيبتى
السفينة الاخيره
الله ... أخلطى فى كأسى الاعشاب بالرمال
أخلطى السماء بالبحار
أخلطى الطيور بالاشجار ، ناولينى كأسى الاخيره
أهدتنى الانهار يا حبيبتى قمصانها البنفسجية
رأيت نصف مجنون ، رأيت يا حبيبتى
ملابس السماء الداخليه
جننت أكثر
يداك يا حبيبتى مجنونتان ، قشرى السماء
برتقالة ، وأوقفى الامواج مرة على أصابعى !!
لكى أجن أكثر !!...
الان صار جلدى يا حبيبتى سحابة !!
قميصى موجة !!
يداى تياران يجرفاننى ،
أبحرت بين أصبعيك ، كانت الجزيره
الله يا طيور البحر لا تنقرى الأصابعا
فجائع أنا وأنت جائعه
الله لا اله الا الله ، هذا صوتها
الله لو تقول لى تعال
خط الاستواء لم يعد على سريرى
لم يعد يشقه نصفين
هناك أنت ... !!
وأنا ... !!
هنا !!...

عن المربد والشعر والثورة والجمهور

صبري حافظ

ذهبت الى البصرة باحساس العربي القديم الذي كان يقطع اليها القفار والسهوب مشوقا الى لقاء آخر ابداعات العقل العربي في الشعر واللغة ، لاتصطدم أقدامه بحدود مصطنعة • ولا تسوخ خطاه في فدافد الفرقة والهزيمة : ولا تشتبك بأسلاك التجزئة والاقتطاع • لاتواجهه تهم ولا تعوقه تصنيفات جائرة او باترة عن الحج الى مربدها القديم الذي ولد في صدر الاسلام ، وتألق في القرن الثاني للهجرة ، وأصبح واحدا من أهم منارات المعرفة والابداع • حيث نضجت فيه الحركة الادبية والعلمية واصطرعت في ساحته آراء كبار النحاه ومحصت في أسواقه روايات أكابر رواة الشعر والادب وارتفعت في رحابه أصوات فطاحل الشعراء •• فهل استطاع المربد الجديد أن يهبني ذلك الاحساس بالمتعة والفائدة التي كان العربي القديم يتكبد من أجلها مشاق السفر ووعثاء الطريق ؟!

.. وهل استطاع المربد الجديد أن يكون احياء معاصرا للمربد القديم ، يليق بتاريخ المربد من ناحية وبالقرن العشرين من الناحية الاخرى ؟ !

كان العربي القديم يقطع القفار ويتجشم المشاق ليستمع الى آخر ابداعات الشعراء والى أحدث كشوف العلماء والنحاه • وكانت الرحلة الى المربد رحلة الى منابع المعرفة يردها القطب والمريد معا • ولكن العصر الحديث جعل هذه المعرفة مبذولة للجميع • وأتاح للمنابع ان تنتقل الى الواردين • فقد ضيقت وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة الشقة بين البصرة على الخليج العربي وأقصى بلاد المغرب على شاطيء الاطلسي • وأصبح باستطاعة الشاعر والباحث والقاريء أن يعرف ما يفكر فيه الاخرون وأن يشارك فيه وهو لما يزل في مكانه • فها هي الطباعة قد يسرت له الحصول على نسخ من الاعمال الكاملة لكل شاعر وباحث • وها هي الاذاعة قد نقلت اليه أصوات الشعراء وهم يقرأون أشعارهم بأنفسهم وهو في عقر داره لا يريم ، فما الذي يدفع العربي الحديث اذن الى أن يقطع المسافات الشاسعة من أقصى المغرب الى أقصى المشرق ومن شتى فجاج الوطن العربي الى مربد البصرة؟ انها ليست مجرد رغبة في احياء التواريخ القديمة ، أو الاستمتاع بغابات النخيل الساحرة على شاطيء (شط العرب) بقدر ما هي تشوقا حقيقي لبعث الروح العربية الاصيلة ، ولخلق الجسور الحقيقية بين حاضرها وماضيها •

فاذا كانت الحياة العربية قبل أكثر من ألف عام كانت قادرة على العطاء والتجدد في زاهر أيامها ، فان قدرتها الراهنة على العطاء وتوقها الى رأب صدوع حياتنا ليست أقل في حاضرها مما كانت عليه في ماضيها • هذه واحدة من القيم التي يسعى المربد الى بلورتها ، ليشارك عبرها في صياغة العقل العربي وفي الاجهاز على غربته المزعومة باقامة الجسور المتينة بينه وبين ماضيه ، وليمكنه من تحمل عثرات حاضره والعمل على تجاوزها • ومن هنا حرص المربد على أن يدعو اليه كل الوجوه القادرة على العطاء الشعري والنقدي في حاضر أمتنا العربية ، والقادرة على الارتفاع الى مستوى تطلعات هذه الامة وصبواتها ، وعلى المساهمة في مد الوشائج وعقد الاواصر بين تراثها القديم وأدبها الحديث •

الحلم •• والواقع

ولو قدر لهذا المهرجان ان يضم بين جنباته كل الذين دعوا اليه لاصبح واحدا من أهم اللقاءات الادبية العربية خلال فترة طويلة من الزمن • لانه تجاوز الشكليات والرسميات التي لا تفوز غير أسوأ العناصر • ووجه الدعوة الى مجموعة من أعمق الدارسين دراية بتراثنا العربي وأخبرهم بكنوزه الشعرية المذخورة • والى نخبة من أكثر الشعراء المعاصرين اقترابا من روح الشعر وجوهره واحتفاء بقيمة الثورة والانسان • والى عدد من النقاد القادرين على سبر أغوار الحركة الشعرية والاسهام في تحليلها واستكشاف آفاقها • واختيار هذه المجموعة المنتقاه وتهيئة الفرصة لها للقاء والحوار عمل جليل لابد من التنويه به والاعتراف بفضل وزارة الثقافة والاعلام فيه • واذا كان تنائي المسافة الزمنية بين المربد القديم والمربد الجديد قد يسرت سبل الانتقال وضيقت الشقة بين الكتاب والبلدان ، فانها مزقت أرجاء الوطن العربي وزرعتها بالاسلاك والحدود والاعتبارات الجائرة

التى حالت بين الكثير ممن وجهت اليهم الدعوة والحضور ، فلم تكتمل تفاصيل الحلم العظيم الذى حاولت وزارة الاعلام تحقيقه •

وبرغم كل هذه العوائق فقد استطاعت وزارة الاعلام العراقية واللجنة العليا لمهرجان المربد أن تستقطب مجموعة من أفضل الوجوه الشعرية والنقدية فى الوطن العربى •• فى مصر وسوريا والسودان ولبنان والكويت والمغرب وفلسطين والجزائر وتونس والبحرين وغيرها • وأن تستضيف الى جوارهم مجموعة من المستشرقين المهتمين بالادب العربى الحديث • تتيح لهم فرصة التعرف على هذا الجمع المختار من فرسان الكلمة العربية الاصيلة •

ولقاء الكتاب والشعراء من شتى أنحاء الوطن العربى ، هو البديل الحقيقى المعاصر لسعى العربى القديم الى مربد البصرة للتعرف على آخر أخبار الشعراء وآخر قضايا الرواة والنحاة واللغويين • أقول ان اللقاء بمعناه الواسع والعميق هو الوظيفة الجديدة للمهرجان لانه احتكاك بين الرؤى والافكار ، وتبادل لوجهات النظر بين مجموعة واسعة من النقاد والشعراء والمهتمين بحركة الشعر ، وتعرف على الكثير من الروافد التى صاغت رؤى شاعر او بلورت منهج ناقد بصورة يزداد معها المؤتمرون فهما لانجازات العقل العربى واحساسا بابداعاته فى شتى أقطار أمتنا العربية • هذا اللقاء بمعناه الواسع والعميق هو الوظيفة الهامة للمهرجان • وخاصة وقد وفق المهرجان كما ذكرت الى استقطاب مجموعة منتقاة من الوجوه الادبية القادرة من خلال لقائها واحتكاكها على اثارة أهم قضايا الشعر والنقد على السواء •

لكن توفيق المهرجان فى اختيار ضيوفه لم يرافقه توفيق مماثل فى إدارة شئونه • فكان تنظيم المهرجان على درجة كبيرة من البعثرة والتخبط مما أودى بجزء كبير من هذه الوظيفة الاساسية وهى اللقاء بمعناه الشامل • فلم يستطع القيمون على المهرجان أن يجعلوا من وجود المشاركين فيه فى بغداد أو البصرة امتدادا حيا لقاعة المهرجان •• وزع الضيوف بين الفنادق حتى استحال بينهم اللقاء ، وعسرت أجل الفوائد من مثل هذه اللقاءات وهى توثيق عرى التعارف وتبادل الاراء •• وتحولت قاعة المهرجان فى أمسياته الثلاثة الى قاعة للارهاق المستمر للشعراء والنقاد والمستمعين على حد سواء • فقد كانت الامسية الواحدة من هذه الاماسى الثلاث تضم ما بين ثلاثة عشر وخمسة عشر شاعرا ، وكان عدد كبير من الشعراء لا يكتفى بقصيدة



يوسف الصائغ — شفيق الكمالى — بلند الحيدرى

واحدة • وكانت جل القصائد — الا استثناءات قليلة فى كل أمسية — منشورة او مكرورة أو رديئة • وكان نصف الشعراء فى كل أمسية لا يستحقون الصعود الى المنصة بأى مقياس من مقاييس الشعر • غير أن الشعر لم يكن هو المقياس الاساسى فى عملية الاختيار، بل زاحمته مجموعة أخرى من المقاييس الدخيلة التى أبهظت كاهل المهرجان وحولت المنصة فى كثير من الاحيان الى سوط لجلد المستمعين بالكلمات الممضوغة والعبارات المنظومة والافكار السقيمة •

وكان لابد أن يحدث خلال التفاعل نوع من تبادل المراكز • فتحول الجمهور هو الاخر الى جلاد غليظ الحس للكثير من القصائد الجيدة والشعراء الموهوبين • ليس فقط لان الراغبين فى الاستماع الى الشعر ضاعوا وسط جمهرة القادمين الى قاعة المهرجان الفسيحة للمشاركة فى طقس احتفالى بأسلوب التظاهرة السياسية • ولكن أيضا لاكتظاظ الساحة بالتلاميذ الصغار والقابلين للاستهواء اللفظى الاجوف •• مما دفع أحد الشعراء الى أن يطلب منهم قبل ان يلقى قصيدته أن يكفوا عن اللغط والتهريج وأيضا عن التصفيق لان استحسان مثل هذا الجمهور لعمل شعرى يستوى مع استهجانه سواء بسواء •• وقد كانت هذه اللعبة الخطرة لتبادل المراكز سببا فى خضوع الكثير من الشعراء لاهواء الجمهور ،ولو تم ذلك على حساب الشعر ، ودائما ما يتم على حساب الشعر • فى هذه الحالات كانت تتحول المنصة الى منبر للخطابة •• تنهال منه العنتريات الصاخبة والزاعقة تباعا فيختنق صوت الشعر ، ويرتفع تصفيق الجماهير •• وتحول المهرجان فى بعض الاحيان الى حلبة للصراع من أجل الحصول على هذا التصفيق الجماهيرى • ومن هنا ما تكاد تسقط قصيدة للشاعر بهذا المعيار الديماجوجى ، حتى يسارع بالاحتماء فى قصائده القديمة ذات الرصيد الجماهيرى • دون أن يعبأ بالطابور الطويل من الشعراء الذين ينتظرون دورهم بعده • ودون أن يخجل من رغبته فى الاستحواذ على هذا النجاح المنقطع النظير ، ولو على حساب الشعراء الذين سيجيئون بعده والمستمعين الذين يعرفون هذه القصائد المكرورة والمعادة •

وقد فات على كثير من الشعراء اثناء تكالبهم على الفوز بهذا التصفيق الجماهيرى أن يراعوا أخلاقيات المهرجان الشعرى ، فيكفوا عن استظهار القصائد القديمة أو القراءة من الدواوين المطبوعة • وأن يدركوا أن وجود الشاعر فى المهرجان وتوفير المناخ الذى يتيح لهذا الوجود أن يصبح فعالا وأن يدور من حوله اللقاء والتعارف أجدى عشرات المرات من الصعود على المنابر وتصديع الرؤوس بهذه القصائد المعادة ، ناهيك عن القصائد الرديئة والزاعقة • لكن دور الشاعر فى أعماق الكثير من الشعراء ما زال مختلطا بدور الخطيب والممثل • كما أن مفهوم المهرجان الشعرى لديهم ما زال مشتبكا بمفهوم المظاهرة السياسية • والمهرجان الشعرى ليس تظاهرة سياسية وان كان ينطوى فى جانب من جوانبه على التظاهرة •• لكنها هنا التظاهرة الاكثر اكتمالا وشمولا لانها تظاهرة أدبية وفكرية وانسانية وسياسية فى آن • ان المهرجان احتفال يقام للاكتشافات الجديدة ، والاضاءات الجديدة والابداعات الجديدة والاضافات الجديدة • ومن هنا فانه تكريس للجدة وللعمق •• ولارتياد الافاق المجهولة •• وبلورة لاضافات العقل العربى وانجازاته فى ميدان من آثر الميادين اليه •

الشعر •• والثورة

وقد حاول المهرجان ان يحتفى بقيمتى التجديد والعمق ، فدعا اليه مجموعة من الوجوه التى تبنت هاتين القيمتين وأخلصت لهما • وجعل شعاره (الشعر والثورة) ليربط الشعر بالثورة على جميع مستوياتها الفكرية والفنية • بالثورة العربية الشاملة ، وبالثورة الاجتماعية والاقتصادية الراغبة فى تجاوز

الظروف الجائرة • وبالثورة الفكريه التي تقيم صرح الحضارة العربية بالانفتاح على الفكر الانساني والارتداد الي القيم المضيئة في تراثنا في نفس الوقت • وبالثورة الفنية التي اطاحت بالقيود التي حالت بين الشعر واستيعاب كل رؤى هذه الثورات المتعددة • لكن الكثير من الشعراء والدارسين على حد سواء لم يفطن الى اهمية هذا الشعار ولم يحاول أن يكون متسقا معه • ومن هنا كانت القصـــائد الرديئـة والدراسات السريعة التي يقع وزرها على اصحابها قبل أي شيء آخر •

واذا كان المربد الماضي قد اقتصر على الامسيات الشعرية وحدها فان المـربد الحالي قد أفرد أصابيحه للـدراسات النقدية والتناول النقدي للامسية الشعرية الماضية • واذا استثنينا دراسـة أو دراستين كانت منهما دراسة الدكتور محمد طارق الكاتب عن « العـروض العربي » وهي دراسة تكتشف المنطق الرياضي الكامن خلف سيميترية العروض العربي • وتجعل من الارقام الثنائية ، وهي الارقام التي تعتمد عليها فكرة العقل الاليكتروني ، أساسا لقياس العروض العربي وللتعرف على كل ما في البيت الشعري من زحافات وعلل • وقـد استطاع الدكتور الكاتب في هذه الدراسة التي لخص فيها كتابه الهام (موازين الشعر العـربي بـاستخدام الارقـام الثنائية) ان يقدم اعظم احياء لذكرى الخليل بن أحمد الفراهيدي • وقـد خصص المهرجان صبيحة اليوم التالي لامسية الافتتاح للاحتفال بذكراه الالفية • واذا كان هذا الاحتفال قد ضم دراسات عديدة عن الفراهيدي • فان دراسـة الدكتور الكاتب كانت هي الاحتفـال الحقيقي بالفراهيدي لانها كانت تطويرا لعمله ومواصلة لجهوده العبقرية فـي اخضاع الشعر العربي لمجموعة مـن المقاييس المعيارية الرائعة • كما كانت في نفس الوقت اكمالا لجهد الخليل العظيم بسد بعض الثغرات في بنائه الموسيقي حينما استطاعت أن ترد كل بحور الشعر العربي الى دائرة موسيقية واحدة ••

واذا كانت دراسات ذكرى الفراهيدي قد تميزت بالعمق في بعض جوانبها فان دراسات الايام التالية لم تكن ـ باستثناء دراسة أو دراستين على نفس المستوى من العمق والشمول • كما أن طريقة تقديمها الى المؤتمرين لم تكن هي الطريقة المثلى•• فقد كان ضروريا أن تقوم الهيئة التنظيمية للمهرجان بطبع هذه البحوث وتوزيعهـا على المؤتمرين ثم يتاح لصاحب البحث ان يلقي تلخيصا له يفتح بعده الباب لمناقشته • فالمؤتمر ليس أنسب مجال لالقاء البحوث والدراسات المطولة ولكنه ميدان لحوار العقول والافكار • فبالحوار والنقاش يمكن أن يستفيد الباحث والمتلقي على حد سواء •• أما ذلك الالقاء وحده فان قيمته جد قليلة • وقدرته علـى اخصاب الذهن جد ضئيلة •

ونفس الامر ينطبق على نقد الامسيات الذي كان هو الاخر باستثناء نقد أو نقدين على درجة كبيرة مـن التسرع والسطحية • والنقاد في ذلك معذورون• لان القصائد كانت تسلم لهم بعد ارهاق الامسية وصخبها • وعليهم في ساعات قليلة أن يعكفوا عليها وأن يدرسوها ويكتبوا عنها قبل الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي وهذا شيء على درجة كبيرة من الارتجال ولابد ان يفرز هذه الملاحظات النقدية المتسرعة • ومـن الضروري في دورات المربد التالية أن يتسلم النقاد قصائد الشعراء قبل القائها بعدة أيام • يتاح لهم فيها دراستها وتحليلها بشكل جدي عميق • وتلقى هذه الدراسات في صبيحة اليوم التالي ،ويفتح بعدها مجال لحوار خلاق بين الناقد من جهة والشعراء والجمهور من جهـة اخرى •• لان هذه الطريقة الامثل لتربية ذوق شعري سليم •• قادر على الاستجابة للشعر وحده وعلى الانصات لتجـربة الشاعر مهما بلغت كثافتها وتعقيدها وعلى الدخول في خرائط عوالم الشعراء مهما تشابكت سبلها وتحددت دروبها •

حصاد المهرجان

بهذه الطريقة لا تضيع القصائد الجيدة في زحمة القصائد الرديئة • ولا يصبح الجمهور غير الواعي قاضيا لا نقض لاحكامه ولا ابرام • ولا تزدحم المنصة بالنثر السقيم والخطب الرنانة • ولا يهرب الجمهور من القاعة قبيل صعود أكثر الشعراء الى المنصة • ولا يهان الشعر بالصخب والمقاطعة وضـجيج الداخلين والخارجين • بل يـأخذ كل شاعر حقه من الاهتمام والتقدير بقدر اقترابه من جوهر الشعر أو ابتعاده عنه• لا بقدر براعته في الضغط على الحروف والصراخ بالكلمات ، ولا بقدر مهارته في الالقاء والتمثيل والاقتراب من الميكروفون والابتعـاد عنـه بـالهمس والفحيح والصراخ •

ولو حدث هذا لاستطاع الجمهور ان يحس في الامسية الاولى بقصائد سعدي يوسف وحسب الشيخ جعفر ومحمود درويش وأن يستجيب لها بصورة أفضل مما حدث • وأن يستقبل قصائد علي الجندي وممدوح عدوان وأحمد عبـد المعطي حجازي في الامسية الثانية بصورة أفضل من تلك التي استقبلها بها • وأن يعيش في الخرائط المعقدة لتجارب بلند الحيدري ويوسف الصائغ واحمد المجاطي في الامسية الثالثة بصورة أعمق مما حدث •• أما قصائد يوسف الخطيب وحميد سعيد وأحمد دحبور وخليـل الخوري، فقد توافق صداها لدى الجمهور مع جودتها الشعرية •• ولو كان لدينا فسحة من الوقت والمساحة لتريثنا قليلا ازاء هذا العدد الكبير من القصائد الجيدة وحاولنا أن نشرك القارىء في تجربتها وقضاياها •• لان هذه القصائد كانت الجوهر الحقيقي لعطاء المهرجان وكانت الشهادة الواقعية على ثراء تجربة الشعر العربي الحديث واتساع آفاقها وتعدد مسالكها • وأربع عشرة قصيدة جيدة في مهرجان شعري واحد ليست بالشيء القليل •• بل هي في الواقع شيء كبير وكبير جدا •

وأخيرا ••فان احياء المربد من الاحداث الجليلة في واقعنا الثقافي •• وقسوة ملاحظاتنا عن مهرجان هذا العام ترتوي من رغبتنا في أن يكون المربد مهرجانا لافضل انجازات العقل العربي في الشعر والفكر والنقد • وعيدا لتجدد قدرات الانسان العربي على العطاء والثورة • وتجاوزا لكل ما في واقعنا العربي من قيود ومثالب • وتوق الى تحقيق وحدة الفكر العربي تمهيدا لتحقيق وحدة الامة العربية بأسرها •

نحو تخطيط علمى للسينما المصرية

سمير فريد

من أهم الموضوعات التىسيناقشنها المؤتمر القومى العام فى يوليو الحالى ان لم يكن اهمهاعلى الاطلاق موضوع الخطة العشرية (١٩٧٣ ــ ١٩٨٣) وقد طرحت لجنة السينما بأمانة الدعوةوالفكر بالاتحاد الاشتراكىموضوع الخطة العشرية للسينما للمناقشة داخلها ، ومع العديد من الافراد والهيئات ، مثلها فى ذلك مثل كل لجان الاتحاد الاشتراكىفى مختلف الامانات .

والواقع انه قبل الحديث عن أية خطة بالنسبة للسينما يجب أولا التحقق من كل الاخطاء التى وقعت فى المؤسسة المصرية العامة للسينما والتى أدت الى تصفيتها فى اكتوبر الماضى ، ثم تصفية كافة الديون والالتزامات لكى يستطيع القطاع العام فى السينما أن يبدأ من جديد مع بداية تنفيذ الخطة العشرية ، اما كيف يمكن تجنب تكرار ماحدث فى السنوات العشر الماضية فعن طريق تنفيذ الحلول العلمية لمشاكل السينما المصرية، والكف عن الاخذ بالاجتهادات التى يقدمها كبار الموظفين ، فالسينما اليوم لها علومها التى تدرس فى الجامعات الاوربية والامريكية ، وهذه العلوم هى خلاصة تجارب الامم المختلفة بعد ٧٥ عاما من تاريخ السينما .

لقد كان الغرض من وجود القطاع العام فى كل الدول التى انشأت قطاعا عاما هو انقاذ هذه الصناعة الوطنية أو تلك ، وكان هذا الغرض من وجود القطاع العام فى السينما المصرية أيضا ، اذ كانت شركات القطاع الخاص اما مفلسة ، واما تعتمد على تمويل الموزعين الاجانب . وقد تم بالفعل انقاذ صناعة السينما المصرية بفضل القطاع العام ، ولاشك أن الفيلم المصرى قد حقق من التطور فى السنوات العشر الاخيرة منذ انشاء المؤسسة المصرية العامة للسينما مالم يحققه فى تاريخه كله ، ولم يكن ذلك ممكنا فى ظل صناعة متردية ، ولكن هذا الانقاذ من ناحية أخرى كان أشبه بالمسكنات الوقتية ، بينما المريض ــ والسينما هى الرجل المريض فى ثقافتنا المعاصرة ــ يحتاج الى عمليات بتروزرع وتطهير حتى يولد من جديد ، ويتمكن من الحياة مرة أخرى .

لقد حتمت ظروف بعض البلاد وجود القطاع العام الى جانب القطاع الخاص فى السينما ، ولكن لم تكن هناك أية ظروف تحتم ذلك فى مصر ، وبالتالى كانت النتيجة بعد عشر سنوات من وجود القطاعين معا هى العودة مرة أخرى الى حافة الهاوية حتى أن عدد الافلام التى تم انتاجها فى السنة الحالية ٧١ ــ ١٩٧٢ هو أقل عدد من الافلام تم انتاجه فى تاريخ السينما المصرية منذ العصر الذهبى لستديو مصر .

ان ظروف السينما المصرية كانت ولاتزال تحتم تأميم الاستيراد والتوزيع ودور العرض والاستديوهات والمعامل ،

وان كانت لاتحتم تأميم الانتاج ، فصناعة السينما المصرية تحتاج الى كل مليم يدفعه المواطن المصرى فى شراء تذكرة السينما ، لان الفيلم المصرى لا يغطى تكاليفه من الداخل لقلة عدد دور العرض ولايغطيها من الخارج الا بعد سنوات طويلة لقلة عدد الاسواق ، وبالتالى فهناك ضرورة لتأميم الاستيراد والتوزيع ويمكن فى هذه الحالة — كما فى كل البلاد الاشتراكية — أن تمول السينما نفسها بنفسها ولاتحتاج الى ميزانية الدولة فى قليل أو كثير . وصناعة السينما المصرية تحتاج الى تجديد الاستديوهات والمعامل حتى تلحق بالتطورات التكنولوجية فى الاليات السينمائية ، وهو الامر الذى عجز عنه القطاع الخاص منذ نهاية ستديو مصر . وبالتالى فهناك ضرورة لتأميم الاستديوهات والمعامل " . وصناعة السينما ثالثاً تحتاج الى مضاعفة عدد دور العرض على الاقل عشر مرات خلال السنوات العشر القادمة لتدعيم الصناعة ، ولتوصيل السينما الى الـ ٨٠ ٪ من سكان مصر الذين لم يعرفوا الطريق اليها حتى الان ، وهو الامر الذى يعجز القطاع الخاص عن القيام به — وتعوقه مخاوف التأميم حتى لو كان قادرا — ، وبالتالى فهناك ضرورة لتأميم دور العرض .

ان تأميم الاستيراد والتوزيع ودور العرض والمعامل والاستديوهات فى ظل وجود مؤسسة اقتصادية عامة — وكل مؤسسات السينما فى العالم مؤسسات اقتصادية حتى فى البلاد الاشتراكية — هو الحل الوحيد لانقاذ صناعة السينما المصرية على نحو جذرى يضمن لها البقاء والنمو والازدهار ، وذلك ببساطة لانه الحل العلمى .

وقد كان يقال دائما [انظر مؤتمرات وزارة الثقافة عام ١٩٦٨] ان مايعوق التأميم عدم وجود القوى البشرية الكافية ، بينما هناك مئات من القوى البشرية الصالحة فى شركات القطاع الخاص والشركات الاجنبية ، وهناك مئات من الشباب الذين يصلحون لقيادة



صلاح أبو سيف رئيس لجنة السينما بالاتحاد الاشتراكى

مؤسسة السينما ، بل وآن الاوان لكى يتولوا قيادتها لانهم وحدهم القادرين على ذلك ، ولانهم يؤمنون أكثر من غيرهم بالمبادىء والقيم الاشتراكية .

وكان يقال أيضا ماهى ضمانات النجاح ، ولاشىء يضمن النجاح لمؤسسة السينما أو لغيرها من المؤسسات الا اللجوء الى الحلول العلمية لمشاكلها . ومشاكل السينما المصرية تمتد لتشمل كل قطاعاتها من الانتاج الى التوزيع ، وهذا طبيعى لان مؤسسة السينما تفتقد الى التخطيط العلمى تماما ، صحيح انها لا تملك كل الاستديوهات والمعامل ودور العرض ، وليس لها وحدها حق الاستيراد والتوزيع " ، ولكن هذا لايبرر الافتقاد الى التخطيط العلمى على النحو الذى حدث ولايزال يحدث .

ان تجارب العالم عبر تاريخ السينما تقول لنا ان الاستديو السينمائى هو الوحدة الانتاجية فى صناعة السينما حيث يوزع العاملين فى تلك الصناعة سواء الموظفين أم غير الموظفين على الوحدات المختلفة ، ومن مديرى هذه الوحدات والمدراء العامون يتكون مجلس ادارة المؤسسة ، ومن واقع الامكانيات المتاحة لكل وحدة ، والقوى البشرية والالية التى تملكها تضع خطتها ، ومن واقع خطط الوحدات يضع مجلس الادارة خطة المؤسسة ، وعندما ينتهى العمل فى كل فيلم يسلم الى قطاع التوزيع ، وفى نهاية العام يوزع مجلس الادارة ايرادات التوزيع على الوحدات ، وهكذا كل عام .

وتقول لنا تجارب العالم أيضا أن السينما فن ، وأن المخرج هو المسئول عن الفيلم ، ولذلك يجب ان تدير كل وحدة انتاجية لجنة تضم جميع المخرجين العاملين بها كما فى بعض البلاد الاشتراكية ، وبذلك تنبع الخطة من القاعدة ، ويملك السينمائيون مصيرهم . ولكن كل شىء فى مؤسسة السينما المصرية كان ولايزال يمضى على النقيض من ذلك تماما .

ان أحدا لايعرف على وجه التحديد عدد العاملين فى السينما المصرية ، وبالتالى لا أحد يعرف مدى تنوع وكفاءة القوى البشرية فى صناعة السينما ، وعملية انتاج الفيلم ليس لها زمن ولا ميزانية ، بل ليس لها مكان واحد أو حتى عدة أماكن متقاربة ، فالشيك الواحد احيانا يوقع من عدة موظفين فى عدة أحياء بمحافظتى الجيزة والقاهرة وربما الاسكندرية أيضا !

ان من الضرورى أن توضع خطة ، ولكن من الضرورى قبل ذلك أن نملك القدرة على وضع هذه الخطة ، كما أن من الضرورى أن نفرق بين خطة عشرية لصناعة ما ، وبين الخطة العشرية لصناعة السينما ، لان السينما فن ، والفن ابداع فردى حر .

سنوات الفصول الاربعة

سعيد الكفراوى

الشتاء



« فى الشتاء »
« تطلق الخالة الجنيات » ..
« من الموقد » .

الكفر غاطس فى الظلمة والوحل ، مترع بالبرد ، جائع الى الدفء .. يفلت المطر من عصف الهواء فيسقط رأسيا ، ثم يندفع هابطا بتوجيه الريح المستبدة والتى لن تنتهى ابدا .. جــو مقرور مشبوب بالحزن والترصــد .. طفحت الحارات « بالنقر » وشرايين الماء .. الاقدام فى المداسات القديمة طافحة ، والاجساد الضامرة ملمومــة ومنكمشة داخل ملابس قديمة وموروثة .. ليــل الشتاء هذا طويل وبارد ، البطون خاوية والشمس بعيدة الطلوع ..

كانت الخالة « رحمة » قابعــة فى الوسط .. شىء قديم رمادى اللون ، موجودة قبل مجىء الشتاء والربيع والخريف والصيف ، والقمر المختفى بدكنة السحب والذى يحاول الصعود الى السماء .

حول الخالة « رحمة » يتكور أولاد الدار : « ماضى » ، والولد « بصار » ، والولد « سعيد » ، كانت ثمة أجساد أخرى متربعة على أرض « المندرة » ، البنت « الطاهرة » ، البنت « فوزية » ، البنت « اجلال » .

ـ هاتى القوالح .

قالت الخالة :

نهض « ماضى » وفتح باب « المندرة » اندفع « ســهلوب » بارد ، فانـكمش الغلامان ، وتوحوح « ماضى » ، وشدت الخــالة الغطاء حتى كتفيها . نهض « سعيد » عندما راى جسد اختنـه « الطاهرة » مكشوفا حتى بطنها ، والقى فوقها الغطاء . دخل « ماضى » وحجره منفوخ « بالقوالح » ، اندفع « السهلوب » وانكمش الغلامان ، اوصد « ماضى » الباب دون البرد العجوز .

ـ الدنيا ثلج .

قالها « ماضى » . وجلس مفرغــا القوالح من حجــره ، كسرت الايدى الصغيرة القوالح ، احضر « بصار » الموقد الفخارى ، كان بليلا وترابه الاحمر معجونا ببول البارحة .

ـ اغير التراب . قال « بصار » .

قالت الخالة : ـ لا .

نزيف المطر يسقع خلف النوافذ ، ويساقط على سيف القش النــافذ من السطوح ، وكلما ابتلع صمت الليــل الاشياء وضح النزيف وخاف الاولاد ، لا صوت هنـــاك لمخلوق .. مشدودة البيوت الى بعضها تخشى السقوط .

ـ ريحة الصنان هتمينا .. اغــير التراب ؟

الغربال المثقوب بالعيون الصغيرة ينفذ الضوء منه راسما شبكة على الحائط .. تساندت القوالح فى شكل هرم .

عندما سكبت الخالة من الموقد البترولى دفقة النفط ، واشعل « بصار » عــود الثقـاب انفجرت فى الحجرة الشحيحة الضوء حصيرة من النور .. تربع الغلمان حول الموقد يفركون اكفهم الصغيرة ، والنار تسرى فى القوالح الصيفية .. تتسع السنة النار وتتماوج كلما نفخ فيها ولد ، تدمع العيون وتختلط السعلات .. سرى تيار الدفء فاسقطت الخالة الغطاء ، ظهر وجهها متغضنا عجوزا .. انتفخت الظلال على الحيطان ، لا تكف عن الحركة ، تغمر الحجرة بانفاس الدفء النشط .. تطقطق القوالح وتستمر ، ويهمس الاولاد :

ـ قولى حدوته يا خالة .

تدور العينان الكليلتان ..

« من اين اتيت يا خالة ؟ .. لا اهل ولا دار .. مقطوعة .. انت امنا ونحن ننام فى حضنك .. حتى الاباء والامهات رضعوا لبنك » .

تتوهج النار .. تنتفخ الظلال المطولة والبنات الغافيات يحلمن .

ـ حــدوتة ست الحسن والشــاطر حسن .

ـ لا .. الغولة .

ـ ابو شمليلة احسن .

مياه الامطار نفــذت من السقوف المعروشة بافرع الشجر .. وضح صوت النسوة فى الحارة يستجرن وينضحن الماء . الفت الكلاب الحركة والونس فتبحت تطارد أشباح الظلام .. عندما تتسلل الاجساد الواهنــة التعبة تبحث عن مراقدها ، تشكوم محشورة ممددة ومتشــابكة على



انسطح الافران المحماة و « المقاعد » واراضى « المنادر » ساعة أن توصد المقاهى فى وجه الريح ، وترتفع السنة دخان « الجوز » ، ورشفات الشـــاى الثقيلة ، وتموت أصوات صرار الليــل ونباح الكلاب .. تخلو الشوارع والحارات الا من الوحل والظلام والخوف .. عنـــد ذلك يتسلل صوت الخالة مع الدفء نافذا داخل الغلمان فاتحا عيونهم حتى الذعر .. تشير بيدها فتنبعث تعاويذ السحرة في المغارات القديمة داخل فلوات لاحدود لاتساعها ، وتنطلق الابخرة مع الدخان بروائحها الاليفة الممزوجة بالمطر النفاذ فى عز ليل بئونة الحجر يجول أبو شعليلة بشعاليله ينير الليل ولا حد لجبروته ، تتطاير الحكايات وتتشابك الازقة المسدودة ويبرطع « العون » حاملا الغلمان حتى النجوم ، فاردا رجليه على البحر المالح الذى لا تعود منه المراكب أبدا .. يركب الغلمان الحمار الجنى ويعلو الحمار الجنى حتى ســـطح دوار العمدة .. تنصحهم الخالة بدق مسمار بظهره ، يتهافت الحمار الجنى وينطلق محدثا اصواتا منفرة ، ويضحك الغلمان .. تتتـابع الحـكايا وتندفع كاسحة المشاعر الصغيرة المتكورة .. تنقلب الدنيا ويتوهون فى مدن السخط والحجارة خلف النداهة .. تلك السيدة الطيبة التى تطرق النوافذ ليلا وتأخذهم بعيدا .. هناك .. تفجؤهم الغربة فى البلاد الغريبة ، تعلوا البسط الطيارة ، يغوصون فى حشايا السحب ، يتقذون داخل صناديق الذهب والجواهر .. وفى حضن الجوارى .. الخالة فى الوسط

لا تكف عن الحكى .. استكنت على الجدار الخيالات ،يشتد نبض الاشباه ويطول الليل .

لكن الليلة ليست ككل ليلة .

ــ مالك يا خالة ؟ قال سعيد .

ردت . ــ مافيش .

ــ زعلانة ليه الليلة ؟

ــ أبدا .

ــ حد زعلك ؟ ــ ابدا .

نام سعيد على فخذها .. تامل وجهها العجوز .. كانت تبكى وتمسح دموعها بطرف شاشها .. تبادلوا نظرة واجمة .

ــ خالة رحمة بتعيط .

اشتد الدفء ، رفست « فوزية » الغطاء ، قام « سعيد » ولفها به .

كانت النيران تخبو .. سكن سقوط المطر ، واستسلمت الدنيا لصمت غريب مات عصف الريح أيضا .. سرت فى المندرة ، موجة حزن واختفت الظلال من فوق الجدران . سقطت رءوس الغلمان فى حجورهم .. كانت الخالة شاردة عما حولها .

« لو نعرف يا خالة من أين أتيت .. لو تقول لنا الامهات والاعمام من أين جئت » .

« لكننا ولدنا على يديك ، وكذلك الاباء .. رائحتك يا خالة فى كل البيوت .. عند منابع الانهار » .

« أسرار الخلق وخفايا البيوت فى صدرك .. خلف احمال الجمال فى مواسم الحصاد خطوك » .

« لكن .. لا يعرف أحد من اين انت »

دس سعيد يده فى جيبه وأخرج برتقالة

ــ خدى يا خالة .

أخذتها منه .. وضعتها بجوارها .

ــ أقشرها لك ؟

لم ترد .. كانت تنظر فقط الى جمرات النار الحمراء كعين الجن ، ولا تنقطع دموعها . همست ..

ــ كان ياما كان يا سعد يا اكرام .

أقعى سعيد ينظر فى عينيها .. رفع الغلامان رأسيهما .

ــ هيه .. قولى يا خالة .

لكنها صمتت من جديد .. كانها لن تتكلم أبدا ..

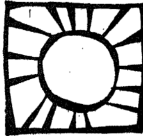
خاب رجاء الغلمان ، واستلقى سعيد على فخذها . وسقطت الرأسان مرة أخرى .

ــ كان فيه .. كان فيه .. بنت صغيرة حلوة .. لكن .. لكن .. لكن مالهاش حد .. وبعدين .. وبعدين .. وبعدين ..

فتر حماس الغلمان وتسلل حزن العجوز اليهم ، وأطبقت اجفانهم ،والنعاس الخبيث ياتي اليهم من الجدران بخدره ، يتسلل باردا مقرورا يشدهم الى بعيد .. هياكل القوالح باتت رمادا ، يغوص الليل فى الظلام ويغوص الظلام فى الوحل .. تتداخل خلق الله الغريب فى بعضه .

كانت أنفاس النوم تعلو رتيبة .. حملتهم الخالة واحدا واحدا ، واندست فى وسطهم تحت الحمل الصوفى الثقيل.

الصّيفُ



« فى الصيف دوما » .

« تلتهم الشمس رغباتنا القعيدة » .

الشمس كتكوت صغير يشرخ جدار السحب ، تلتمع جهة المشرق بذلك الالق الباهر ، يهوى الشعاع بالوانه القزحية على أرض صباحية رطبة . ينهمر على الجسر الطويل الندى الساقط من دغل الكافور والصفصاف .. اقدام البدارى تنطبع على الجسر الرملى ، الطيور التى هبطت من أعشاشها عبر الشمس تحسو قطرات الصباح .. زهرة شيطانية تتوسل بالاتجاه نحو الشمس تطلب الدفء تفتح الدور وينطلق عجل صغير متوثب نشط يدفعه نزق طفلى ، وفى أثره تنق الدواجن والاغنام تثغو .. تقف على جنوبها شوالى اللبن ، تتسرب الصهد ، مستقبلة حلبة الصباح ، كيزان الشاى القديمة موضوعة على الكوانين .. النبض الابدى يتشابك ، ويندفع التيار القديم البعيد .

ربط العم « أحمد » الجاموسةالسوداء والبقرة المنقطة والثور الصغير علىالمربط المقام عند رأس غيط الذرة ، كان «بصار» ما يزال يبكى ويمسح دموعه بطرف كمه كانت ظلال البهائم غير مستقرة . وكذلك ظل العم والولد .

ــ آكذك معلش حتسكت فى نهارك ؟

قالها وسحب الحمار متجها نحو شجرة التوت ليربطه بها ، كانت ظلالها أيضا مثقوبة بالشمس .

زحف حجر بثونة الحجر على الحقول المتضامة ينشب أنيابه فى عروق الاشياء ويكلحها ، مصفرة ميتة ، صامتة فى الضحى .. كوم السباخ على رأس الارض .. ساقية مظللة بأشجار التوت ، أفقدها الجفاف حلاوة الغناء والبكاء .. نضحت من بئرها معينها ، ولم يبق لها الا جدران لزجة بالريم الاخضر .

ألقى العم « أحمد » أمام البهائم عيدان الذرة الخضراء .. بنهم مندفع شاحذ لاكت البهائم الخضرة . الحمار لا يكف عن دق الارض بحوافره . وذيله مذبة لحوحة فى مطاردة ذباب الصيف .

ــ البهايم فطرت .. الضهر تنزل تقصف لها .. أوعى تتنقل .

لو يعلم لماذا هى جالسة هكذا ، شاردة أبدا ، مسحورة بذلك البهاء الذى لا يراه .. يتمعن الوجه الرائق الجميل الذى لا يعرف له عمرا : يعلوه الزغب الخفيف الذى تفضحه الشمس .. ذلك الوجه الرضى الغاضب بعينيه الشاردتين اللتين تتوقدان ذكاء ، ثم تغشاهما البلاهة .. ذلك الوجه الذى يعرفه مكتوبا عليه الجهامة والوحدة ولا يعرف الزمن .

« ساعة ان قال لعمه : هى فريدة دى مابتتكلمش أبدا ؟ ورد عليه العم : مالكش دعوة بيها ، دى مجنونة » .

جالسة هناك على مدار الساقية .. فى الصبح تسحب بهائم أبيها ، وتشتغل كالرجال ، قعيدة الصمت سجينة الوحدة لا تطرف العينان ، تغوص فى جهامة الظهيرة ، تتشرب ضوء النهار الكاسح ، وشروق الشمس الهابط على الارض مسفوح دم النهار الساخن الحار وهى جالسة لا تريم .

سوى أرضا صغيرة ، وخط خطوطها وحفر مسقاة ، نضح الماء من المصلى المشرفة على الترعة ، ينتقل خطوه الصغير على بلاطها والماء يثر من الكوز الصفيح المتخلف من غدوات الحجاجين

ــ ازيك يا فريدة ؟

لم تطرف لها عين . اصطدم صوته بجدار الصمت ، انحنى يسكب الماء فى المسقاة الصغيرة ، يرتفع قميصه القصير كاشفا من مؤخرته ، تنبت عورته خضراء متلصصة بطرفها الوردى الشاحب .. العينان المكحولتان بسحر كالعنبر .

« ليل الصيف الحار والوحدة فى ساحة

الدار .. ليونة الفراش ، مهتاجة داعرة لا تلك الملامح الشبقة » « تنفرس فى حشايا القطن اظافر جارحة .. عذاب الليل الطويل والذى تنتظره لا ياتى أبدا ساعة أن يصدمه صمتها الاخرس » « ساعة أن ينهد الجسد مسترخيا بفحولته الرافقة ، بعد رعشة يطول ولوج بابها .

محفورة الفتاة الصغيرة فى الارض كجرح مشقوق فى جسد الطين ، تتعثر قدماه بحواف القناة وبمعالم الاقدام المنطبعة بعد الرى ،أعواد الذرة مقصوفة السنابل متعرية الاوراق ،منتصف الارض لم تقصف سنابله ولمتتعر أوراقه ،خضرته بليلة .. وحده فى قلب الحقل يطاق موالا فينفلت من حنجرة صغيرة خائفة .. حكايا الخالة عن العبيد السود وغيط الذرة ماوى اللصوص وعفاريت الظهر ، يداه مشغولتان بجمع الاوراق وقصف السنابل .. يلتفت حوله يعصره التوقع والخوف .

اهتزت الشجيرات فجاة ، والكف الرخصة تزيح الاوراق : يتكشف دخل الخضرة عن الجسد العارم الفارع .. واقفة « فريدة » الان أمامه ، بنظرتها الحنون التى تخيفه وتفزعه « تقول الخالة ان العفريتة قد تأتى فى شكل من نعرفهم » .

— انت فريدة ؟

صمت مستوحش يتجمع فى عمق الحقل المقطوع ، وتغيم المرئيات فى عين الصبى

— عاوزة حاجة ؟

هف طائر بلون التراب محدثا بالاوراق خشخشة أفزعته ،تقدمت بخطوها الوئيدة نحوه ، وعيناها تاسرانه وتشلان حركته رجع بظهره فاصطدم بالعيدان .

— انت فريدة ؟

أخذت كفه فى كفها ، ضاعت كفه الصغيرة فى لحم كفها المتوقد .

— انى خايف .

يعرف كل عيون البنات فى البلد ، لكنه لم يجد فيها ما يراه الان ، حل الصمت ، وللظهيرة هزيم متوثب .. تتقطر على الاوراق — فى جوفها — قطرات متبقية من ندى الفجر . تتمدد احاسيس عربيدة تلتهم الصمت . والصبى جاحظ العينين فاغر الفم .

مدت يدها وخلعت جلبابه ، وتداخل « بصار » وانكمش فى بعضه ، خلعت ثوبها « الشيت » المبعثرة فوقه وردات حمراء ، فوق راسيهما تماما شمس صيفية حارقة لا تخجل ، بان فخذها للصبى متطاولا رخصا شامخا يتكسر لحمه فى تضاعيف ناعمة بضة ، أسندت رأسه الى بطنها المتكورة ، أحس بدفء غريب وهزة خفيفة ترعش جسده ، خلعت قميصه فبان الولد عاريا تماما .. يده تستر عورته ، ورغبة مشبوبة بلذة طفلية تسرى من ملمس كفها ..

« قالت الخالة : اوعى تلعب مع البنات . حرام . قال لها أن البنت عزيزة تأخذه » .

« وتعتصره أمام أبيها الاعمى ، ردت الخالة وهى تفرك حلمة اذنه : حرام ، تروح النار » شقوق الارض العطشى تستجير بالظل المهزوم أمام حر بئونة الحجر ، كبسة الصهد وعيدان الذرة مستكنة بيدها تنزع قميصها « اليفته » الاصفر ، يبقى على الصدر طائران فزعان ، حقل الجسد الجائع ينتظر البذر سحبت كفه وألقمتها حلمة الثدى الايمن ناعمة ساخنة ، ادراك العالم الطفلى المبهور بوله لا يدرى من أين تهب رياحه .

— حرام .

قالها مستجيرا . اصابعها تحرث رأسه ، والولد الصغير العارى فى غيط الذرة يستحم فى عرقه .. ضمته الى صدرها متنهدة ، تاه الولد فى غيطان الجسد البراح ، يشم رائحة اللحم الذى يضغطه فى توحش . لا يسمع سوى لهاث الانفاس الشبقة ، ينظر من فرجات الجنون ولا يعى ما انتابها ، تلهث وتلقى فى عينيه نظرات ولهة ، وتقبل فمه وتعتصره .

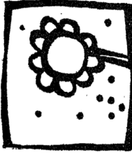
« أحلام الليالى فى ساحات القيعان المكبوسة بالانفاس والخيالات ، تتلصص الاذن فى هزيع » .

« الليل ، تلتصق بجدران حجرة الاب ويتسرب من شقوق الباب صوت مفتاح مستجير تزق » (*)

— حرام .

لا يظهر من الصبى شىء ، صوته المستغيث فى قبضة الجنون الغائب فى ظلمة الحقل الكثيف . كانت مياه الساقية تتضرع الى السد الطينى الرخو أن يفسح لها الطريق ، عندما تكاثف الماء اندفع يكتسح السد ، الارض الشرقة تنساب فى شقوقها مياه رضية عذبة ، تطرد أمامها ذلك الغثاء الاجوف وتنتشى الارض ببوادر الطلوع ■

الربيع



« لا يكف الاجراء »

« عن الحلم »

« ببيادر الغلال »

ماتت عم « ماضى » الكبير ، وانداحت المداسات القديمة مبقورة البطون والحوافز مبعثرة شائهة كالحة اللون ، فى جنبات الدكان القمىء .. استقر السندان الصلب وسط الاشياء المنبه باردا عجوزا بكتلته الخشبية ذات النتوء .

عندما طرقت امرأة عجوز ملتفة الراس بخرقة متهرئة كان عم « ماضى » الكبير ساقط الرأس حتى منتصف السندان ، ويده اليمنى غارقة فى دلو الماء المتقيح ، حتى استغاثة الموت لم يطلقها . كان لحظتها يرتق مداسا قديما بمداس قديم أيضا ، لكن الموت ، فجاة فى شدة الخيط ، صرخت المراة :

— الحقونى .. ماضى .. مابينطقش

كان ماضى الصغير يتوسد يده ويغط فى قيلولة الظهرة ، تحوطه الاقدام الغفيرة المشفقة فاغرة افواهها ، كأنها تطلق من جوفها أحزان السنين .. ابن الاسكافى اسكافى .

انتزعته الصرخة ففزع منتصبا ،توجه الى أبيه يهزه ، أدرك فى التو ان شيئا غريبا قد حدث وأن « ماضى » الكبير قد سافر كآباء اترابه الغلمان فى سفرة لن يعود منها أبدا .. تساقطت دموعه فى صمت ، هفت ريح الخماسين مدومة تدور ببقايا الاشياء الرثة .. والتراب نادى كل حى .

أخذته المرأة فى حضنها .

— ياكبدى يا ابنى ، لا أم ولا أب .

ذلك لان حوارى البلد فى الخماسين تكون مكسوة بذلك التراب الناعم الرملى والريح المجنونة فى بدء الربيع صرخة

« لكن الاكثر غرابة ذلك الانين المتقطع الذى بطلقه الحمار الرمادى فى ظهر ذلك . » .

« اليوم تحت ثقل غبيط السباخ » .

الطريق الى حوض التجار يتوشح ببعض الزهرات البيضاء التى تنمو على جسر الترعة ، تترى الاحلام فى حقول هذا النهار . الصبى خلف الحمار شارد الذهن ، الكل فقير ، لكن الفقراء أفقر الجميع . شحت بيادر الغلال ، وخلت الاسبتة من الخبز « والغموس » ، لكن الام « أمبنة » تفتح زكيبة القمح وتنهمر التقاوى مثيرة انفاسا ترابية ، وشيش اندفاعها حميم ، وتسحب الايدى الخشنة البقرات الى الحقول فى أوائل النهار ، الارض الشبقة تنتظر دك السلاح اللامع الحامى فى رحمها فتنفرج شقرتاها وتنطبق محتضنة الحبات الصفراء ، تندفع المياه الطينية منطلقة عبر مجرى تنبت فى شواطئه الزروع . تنتشر المياه ويزبط أبو قردان . تجف الارض ترتوى ، تطل الحبات برءوس خضراء سرعان ما تعلو هاماتها يطوحها الريح ، تستمر الشمس تنضج السنابل يكسو وجه الحقول لون الذهب ، تعمل الشقارف فى السيقان ، تحمل الجمال أحمال الخير ، تدور القوارج وتعود الحبوب الى البيادر ، ويعبق فوح الخبز الساخن ، يتجمعون حول الفرن فيشمونه .

لكن البيادر الخادعة تشح فتلتصق البطون بالظهور ، والاجرى وراء الحمار بنوءان معا بأثقالهما فى يوم من أيام الربيع الكذوب .

الخريف



« وأنا أبكى اليك »

«لابسا اقنعة الاشياء فى رحلتها »

« خارجا حيا من الميت »

« راحلا فوق خيول الحلم » .

لا .

لا يا ابى ، لا تمتها ،

الموت يعنى التوقف .

أن تهرم الاشياء ، تجف فى رحم الارض ، تجهض الزروع فى برمهات .

موتها يعنى أن أضيع ، ألملم مصيبتى وأحملها على ظهرى ولا أجد البديل .

ذلك لان الخريف لم يكن قد انتهى بعد وان كان قد بدأ منذ زمن لا اعرفه .

كانت مواكب الرجال الملثمى الوجوه يحملون البنادق ،ويمتطون مهوات الجياد يصحبهم صخب الدفوف ، يسفحون عند مقام « أبى حسين » مراسيم الخوف والخضوع ، ساعتها ، كانت تجمعات الحمام الحائر فى عصر الخريف تدور فى فضاء الكون حيرى ، تبحث عن بنانيها وأبراجها ، وكنت وحدى على الطريق يتدحرج العالم منزلقا فى العتمة ، يكشف لى يا وضاءة الوجه عن تعاسات الومضة وانطفائها .

سنين عمرى ميراث كرهى لذلك الاب .. مات الكلام وغرقت الدار فى الجهامة واستوى الصمت صاخبا يمسك الالسنة ويكمم الشفاه .. يعود من الحقل ويذهب اليه ، تطل من عيونه تلك النظرة التى ترعش بدنى .. وأنت هناك ، تحت بطن الجاموسة بالقرب من أخلافها ، تجذبين بالحنين دفق الثدى الساخن فيشخب اللبن فى الشالبة وترتفع رغوة الخير الوثيرة ، تدفعين دفق الثدى فى حلقى ، وأنظرك فى الضوء العاجز المرتعش ؛ أين يذهب أبى بعد أن ينام الناس .

حس التراب تحت قدمى بليل مندى ، غبشة المساء تدفع بالمغرب ، ينطلق صوت الشيخ منسابا دافقا تختلج معه القلوب الحزينة ، القرية تبعد بالخطو الصغير .

« يا حلوة العينين ، يا حنون الصدر ، لانك مت فانا لا أكف أن أعيش » الطريق اليك محفوف بالليل والاحلام ، الاشجار تستعد للتوشح بالظلام ، فى قلبى تخبو النجوم ثم لا تتوهج أبدا . انه لمن الجنون — يا وضاءة الوجه — أن أهيم بك الى هذه الدرجة من العذاب ، لو انك لم تموتى كمدا وحزنا .. لو أتيت اثما يخضب وجهى .. لكنك لم تكف أبدا عن كشط وجوه الشوالى والفوص فى أوحال الزرائب .

فراغ الحقول تسبح فيه تلك الهمسات الخفية المتسترة .. جذور شجيرات الذرة ناتئة كجروح لا حصر لها ، كيمان الميدان بيوت متراكمة مستسلمة لبرد الخريف ، تتضام صامتة مفرورة مخلوقات اصطدامها بالاشياء الرثة الهشة أنفن منفحم ، والولد أنبن متفجم أيضا ، والاب ساقط الرأس ، والمداسات مبتة ، وفى الجو تفوح رائحة التعاسة .

تاخر دفع ابجار الدكان فذهبت العدة خلاص ، أواه المسجد ليلا ملتفا بحصيرة ، لكن الاصوات الهامسة والاجنحة التى تهف فى الليل أخافته ففزع من المسجد ، جاع فامتدت يده على قرش « أمين زايد » فاصلاه الجحيم .

— كنت جعان يا عم أمين .

جلس بجوار حائط « الفية » سيال الدموع ، وشمس الصبح ذليلة كاشفة عن فجوات الجدران الرطبة ، تفرغ الازقة نبض النهار المتوجه الى الحقول ، تمخض العم « أحمد » بعد عودته من المسجد ، ونظر الولد « ماضى » .

— قاعد كده ليه ياله ؟

نظراته جوعى تستغيث ، والثوب الكستور الافرنجى الذى تسله القدم يبدو كالحا فى الشمس ، تنغرس فى قلب العم صرخته الصامتة .

— مانيجى تنشبك عندنا ياله ؟ مالها الفلاحة يعنى ؟ جتك الغم .

زحف الصبى واندس تحت ابط العم احمد غارقا فى البكاء الصامت . وضع العم يده على كتفه وانسحبا معا داخل باب الدار الكبيرة .

أصبح واحدا من العائلة ، يحش البرسيم ، يعلف البهائم ، يحمل شوالى اللبن الى قاعة الخزين يندس فى الليل وسط الفلامين : سعيد وبصان ، يحب البنت فوزية ، ويسمع حكايا الخالة ، يوقد نار الشتاء ويوقظ الجنيات ، يأخذ « عيده » من العم أحمد ، تغير جلبابه الكستور بجلباب جبردين بلدى .. وكبس رأسه فى طاقية ، خشنت يداه ، وتشقق كعباه ، وقد خضبتهما خضرة البرسيم ، يقول مع الفلاحين :

— قولى حدوته يا خالة .

لكن الاحساس باليتم وبالغربة لم يفارقه ، ساعة أن يصرخ فيه بصار :

— يا أجرى

وبرغم أن سعيد يحتضنه ويهتف به : ما تزعلش يا ماضى ، انت أخونا برضه

« غريبة تلك الحوارى فى الظهر .. »

« وغريبة أيضا ملامح الاشياء فى الربيع وقد اكتست بتلك الخضرة الحية »

« غريب توهج الشمس النافذ فى صفحة الترعة عاكسا ذلك الالق الباهر »

« غريبة شقشقات العصافير المختبئة فى أعالى الشجر والتى تصمت فجأة »

« ويسود الصمت » ■

المسـولى ، وتتمدد فى النفس قشعريرة الخوف المتاسى .

الطريق الى القبور بعيد ، والظـلام يتهدد الحياة « لمـــاذا كرهك » وترتفع العينان بالدمع والاسى تحكى من ذلـك الفتى الشهم ، الذى تعكس نظراته ذلك الوميض الحلو ، عن حلمها فى الـدفء والبيت ، تحكى عن غرس الحيـــاة فى الارض والضرع ، عن دورانه بالبلد ليصل الى بيتها ، وفى جيبه تقبع الاشـياء الطيبة .

ـ خدى يا امينة .

وتكون ساعتها على عتبة الدار تنتظر مسروره بلهفة المتشـوقة ، وأنفاسـها التى تدفىء روحها البكر الصغيرة .

ـ أبوك مارحموش ..

تتلصص القدمان المفلطحتان وتتوشحان بالظلمة ، تتفرس العينان فى وقفة المساء وتفضحها .

ـ والله عال يا بنت الحاج مرسى ، وانت يا ابن صبرة ، عامل حبيب ؟ والله لقاطع دابرك .

يخفيه الظلام ، دائما يعنى ما يقول ، صارم جبار ، تنطلق نحنحته من خلاوى المسـجد ، تعرفها جهمة وحشية كأنما يطلقها ليخيفها .

كنت اضع رأسى على وسادتها ذات الكسوة البيضاء والمطرزة بالزهرات دائما نظيفة ، أحس برائحة زكية تهفو من فراشها المتضوع ، قالت لى من ايام :

ـ كانوا قاعدين بيه النهاردة .

ارتعشت ساعتها ، وحملقت من النافذة وكان أبى يشكم عجلى الصغير .. الكلب « وحش » يلقى برأسه بين رجليـــه المفرودتين ويغمض عينيه ، الجدى الصغير بعابثه ، زام ورفع أذنيه وانطلق بجسده القوى يدور حول الدار يعوى عـــواء طويلا ، النســـوة تسقط رءوسهن فى انتظار شىء ـ صرخت الطـاهرة : ـ « يا حبيبتى » .

اندفعت الصرخة من المندرة كلسحة الباحة الواسعة متذمرة غضوبا ، ملفوفة بحزن قاهر ، شجرة الكافور المزروعة بالحارة لا تحدث نأمة ، العجوز النـائم على بلاط « الزوأيدة » الرطب من قبـل ان يولد .

ـ يا حبيبتى

يا أمانى الخريف الميتة المكذوب .

يا تلك النباتات الدابلة المتخلقة من احمال البرسيم وعشاء الحيوان .

يا شطآن الترع الصـــغيرة ذوات القيعان الضحلة والتى يموت فيها السمك منقلبا على ظهـره ، لو ان الريـح الهوج القادمة عبر الصحراء تذرو من طريقنا تلك الاوحال النتنـــة ، والتى تحدث بداخلنا الموت والخراب ، أيتهـا الارض العطشى الى المطر والرى .. لو انك لم تلفظى من رحمك جسد هذا الاب الذى أشاع فيك الجدب والجوع واغتصبك

ـ تربص له أبوك وقتله ، لبد له فى الدرة وطخه .

الطريق الى القبور تتجمع عليه الجنيات بدقون تحت ضوء القمر طبول العرس .

ـ لبد له فى الدرة وطخه .

ـ كنت قولى للعمدة .

ـ كنت خايفه عليك .

عيناها الواسعتان تنظران الى بعيـد فى عز الظهر انطلق العيار الميزر وانطلقت صرخة ايضا ، « روحولى جاى » وحمل الجسد الطرى النازف وانطمر فى الطين وأهيل عليه التراب ، انتفخت الجثـــة وأشارت اليد الى الطريق .

سكنت الوحشة الـــدار ، انطفات استضاءة الوجه المدور الباسم ، فى ليلة العرس كان الحـــداد ، تذبل هى ويقسو الاب يمتصها ويهجرها ، وهى لا تنقطع عن ترتيل ذلك الندب المرتعش اليكى .

يا حبيبتى ..

لو اننى كنت أعرف أن الذى يموت لا يعود ..

لو أنهم لم يقولوا لى انك ســافرت وستعودين .

انا الان قادم اليـك تدفعنى غريزة التيه ، عبر حقول الليل المحروثة بالخوف والمطاردة ، وصخب الدفوف وحـــرق البخور المنتشر حتى هامة السماء ، يعدون الشيخ ويلامسون العتبات ، الليـــل يا حلوة العينين يبتلع الدور .

ودارنا باتت غريبة .

انت داخل اللحد يحتويك التراب .

وهواء الليل اللاهث المشوب بذلــك النوق والحنين .

انا قادم اليـــك ، أصرخ فى عتمة السكون وجهامة الظلام المحاصر .

« امة ... يا أمة ... » .



هذا الرافـــد الجـديد في حيـــاتنا الفنيـــة

اذا كانت تلقائية التعبير عن مخزون المشاعر والرؤى فى داخل الفنـــان ، تعـــد من العناصر الحيوية فى عملية الابداع ، فكيف ننظر الى الاعمال الفنية التى تقوم فقط على هذا العنصر ، دون اعتبار للخبرات المكتسبة عبر الاجيـــال ، والاتجـــاهات المتعاقبة فى تاريخ الفن .

اننا فى الواقع لا نتصور عملا فنيا ، مهما كان تفرد تجربته ، نابعـــا من فراغ ، فحتى الفنان الشعبى الذى لم يدرس الفن فى معهد، والامى فى معظم الاحيان ، تقوم تجربته الفنية على تقاليد موروثة ،سواء فى مجال الرؤى والعادات والمعتقدات ، (دينية أو اسطورية أو بيئية) ، أو فى مجال وسائل التعبير عن عالمه . وقد نستثنى من ذلك فنون الاطفـــال ، حيث تنحـــصر خبرتهـــم بالواقـــع ـ بالدرجة الاولى ـ فى الرؤية البصرية ، ومن ثم يترجمون هذه الخبرة المباشرة ـ من منظورهم الخـــاص ـ الى لغـــة تشكيلية متميزة عن لغـــة الفنان الدارس أو الفنان الشعبى ، وان اتفقت مع الاخير فى تعبيرها التلقائى عما يحســـه الفنان .

الا اننا أمام لوحات « محمد على » المنفذة بالالوان المائية ـــ والتى عرضت اخيرا فى معرض خاص بقصر ثقـــافة الغورى ـــ نقف حائرين ، فنحن نعرف أن علاقته بفن التصـــوير لايزيد عمرها من عامين ، وأنه لم يدرس فى أية مدرسة حتى الابجدية الهجائية ، فضلا عن الابجدية التشكيلية ، ولم يلتق بفنان أو كاتب عن الفن ، ولم يدخل معرضا أو متحفا فى حياته ، حتى بعد أن بدأ انتاجه فى التصوير بفترة .. ومع ذلك ، فليس من الصعب أن نستكشف فى أعماله ـــ بجانب أثر البيئة الشعبية ، والرؤية الطفولية العفوية ، التى تخلق عـــالما بهيجا يعج بالالوان الصاخبة وبالحيوان والانسان والطير فى مملكة سعيدة ـــ ليس من الصعب أن نستكشف عنـــده بجـــانب ذلك تأثيرات الفنون البدائية المعروفة فى أفريقيا وأسبانيا وغيرهما .. خاصة فى تحوير المشخصات ورسم الوجوه التى تشـــبه الاقنعـــة بالوانها الشديدة التباين . بل نكاد نرى تشابها بين بعض أعماله وأعمال بعض المدارس والاتجـــاهات الفنيـــة المعـــاصرة ، مثل التعبيرية والسريالية والحوشـــية ، فى الرؤية الموضوعية وليس فى المعـــالجة بالطبع .

هذا المزيج الغريب من ايحاءات الحياة الشعبية الفقـــيرة فى حى الغـــورية ، وسذاجة الطفل ، وعالم الاحلام والرؤى الكابوسية المتداعية من العقل الباطن ، مما يذكرنا بعوالم روسو وشاجال ودالى .. وطقوس وقرابين الارواح عند القبائل الزنجية أو انسان الكهوف الاسبانية .. هذا المزيج من الواقع وما فوق الواقع ، من سذاجة الرؤية والتعبير الى الملاقات التشكيلية التى يجهد الفنان المتخصص نفسه لبلوغها ... يصيبنا بالدهشـــة والحيرة ، ويضع أمامنا هذا السؤال : كيف وصلت اليه هذه الخبرات رغم عدم توفر أية امكانية لديه لبلوغها ؟ .. ان الموهبة التى تأخذ طريقها التلقائى نحو التعبير لا تكفى وحدها بالتأكيد ..

ربما كان ذلك يرجع الى معايشتـــه الحميمة للطبقات الشعبية بميراثها من الاساطير ، وما يختزنه تاريخها وعقلها الجمعى من آلام وأحلام مكبـــوتة تحت صدفة العقل السميكة والظروف الضاغطة ... الالام والاحلام التى تتلاحم بلا ارادة بشرية محددة عبر الاجيال والحقب الى أشكال فنية خرافية ، تتصـــل فى تيار تحتى كالمياه الجوفية ، وما أن تتهيأ الظروف لموهبة كمحمد على للمغـــامرة وينجح فى شق ثغـــرة فى تلك القشرة السميكة ، حتى تتفجر منها هذه الاشكال المختزنة بلا توقف .

ومع ذلك ، فان هذا لايعدو جانبـــا واحدا من المسألة ، ويظل السؤال : اذا جاز هذا بالنسبة لتراث شـــعبنا المختزن ، فكيف يمكن تصوره بالنسبة لتراث الفنون البدائية من غير شعبنا ، أو لتراث الحضارة الفنية الحديثة ... هذين المنبعين اللذين نهل منهما محمـــد على دون أن يدرى ؟!

سوف نظل ننتظر الاجابة على هذا السؤال ، ليس فقط بالنسبة للمصور محمد على ، أو المثال محمود اللبان ـــ اللذين يمثلان وجهين لعملة واحدة ـــ بل بالنسبة لكل الفنانين التلقـــائيين ، حتى يصل النقد الى كنه عملية الابداع الفنى ومصادرها الجوهرية ... لكن من المؤكد أن بزوغ العديد من هذه المواهب التلقائية ، يغذى رافدا جديدا فى حياتنا الفنية ، ومن ثم فان احتضانها وتقديم كل الامكانيات المادية الضرورية لها يعد واجبا وطنيا .

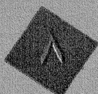
عز الدين نجيب

مطابع الأهـرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

الطليعة

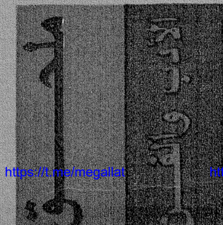
طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر



السنة الثامنة ـ اغسطس ١٩٧٢

الليبرالية المصرية : نشأتها .. تاريخها .. منجزاتها

الازمة الراهنة فى علم الاقتصاد البرجوازى



قضيتان أساسيتان (الافتتاحية)

اسرائيل والبترول العربى

ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية فى الجمهورية العربية السورية

الطليعة

طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

الفهرس

العدد الثامن ـ السنة الثامنة ـ اغسطس ١٩٧٢

		ص
■ قضيتان أساسيتان « الافتتاحية »	لطفى الخولى	٥
■ الليبرالية المصرية .. نشأتها .. تاريخها .. منجزاتها ..		١٠
ـ الليبرالية فى نظر الماركسية	ابو سيف يوسف	١١
ـ بدء ظهور الليبرالية المصرية	بيتر جران	٢١
ـ موقع الفكر الاسلامى الحديث من الاتجاه الليبرالى	محمد عمارة	٢٥
ـ .. وعادت الليبرالية تيارا مصريا	د . رفعت السعيد	٣٦
ـ دستور ١٩٣٦ ـ صراع حول السلطة	طارق البشرى	٤٨
ـ الليبرالية فى التطبيق [١٩٢٤ ـ ١٩٥٢]	د . عبد العظيم رمضان	٦٠
● اسرائيل والبترول العربى	د . محمد احمد عجلان	٧٤
● الاحزاب السياسية ودور المرأة فى لبنان	نخلة مطران	٧٩
● الازمة الراهنة فى علم الاقتصاد السياسى البرجوازى	رمزى زكى	٨٨
■ تقارير الشهر وتعليقات :		١٠٧
■ مكتبة الطليعة :		١٢١
تجديد الفكر العربى	تاليف : د . زكى نجيب محمود عرض وتحليل : غالى شكرى	
■ مناقشات مفتوحة :		١٢٣
■ وثائق :		
ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية فى الجمهورية العربية السورية		١٤٢
■ ملحق الادب والفن :		١٤٧

عنوان المراسلات :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠

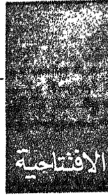
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م دول اتحاد البريد العربى ودول السودان البيضاء ١٢٠ قرشا .

د. محمد الخفيف

شارك فى تأسيس « الطليعة »
وأسرة تحريرهـــا
يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

إن « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر، وفى اعتقادنا أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة.

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها - مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر: « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لأن أدفع حياتى ثمناً لحقك فى الدفاع عن رأيك ».



قضـــيتان أســـاسيتان

بعد خمس سنوات من هزيمة سنة ١٩٦٧ ، ما يزال الطابع الغالب للموقف العربى العام ، هو الصمود السلبى . وأقصى نتيجة ايجـابية حققتها هذا النوع من الصمود ، هى منع تحول الهزيمة العسكرية الى هزيمة سـياسية . وبتعبير آخر الحيلولة دون تنفيذ الهدف الاستراتيجى للمخطط الامريكى ــ الاسرائيلى ــ الرجعى ، فى المنطقة .

ما هو الهدف الاستراتيجى للمخطط الثلاثى ؟

لعلنا ، من واقع التجربة الحية ، نتفق على أن هــذا المخطط ــ بحكم طبيعة القوى المثلثة التى تكونه ــ تعادى التقدم الاقتصـادى والاجتمـاعى للشـعوب العربية ، وسيادتها على موقعها الجغرافى الهام والمتميز فى كل من حوض البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر ، وامتداداتها الشاسعة المتصلة فى أفريقيا وآسـيا ، وسيطرتها على مقدراتها ومواردها الطبيعية ، وخاصة البترول ، الذى يبلغ القدر المتيقن من الاحتياطى المعروف ٣٥٠ بليون برميل من مجمل الاحتياطى العالمى ، البالغ قدره ٥١٠ بليون برميل [وذلك باستثناء احتياطى البلدان الاشتراكية] .

ومن هنا ، فان الهدف الاستراتيجى للمخطط الثلاثى ، لابد وان يتبلور فى « حصر » ، ثم « تخريب » ، ثم « تصـفية » حركة التحرر الوطنى العربية باتجـاهاتها التقدمية ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . ولكى يمكن لهذا المخطط ان يؤتى ثمـاره ، لابد من أن يركز توجيه ضرباته المباشرة وغير المباشرة الى مركز الثقل التـاريخى والموضوعى فى حركة التحرر العربية ، ونعنى به حركة التحرر المصرية وتجربتهـا الوطنيـة الثورية المعاصرة ، التى تمخضت عنها ثورة يوليو .

ولما كان طبيعيا ان تتحالف مصالح اسرائيل مع مصالح الرجعية فى المنطقة [نظام الملك حسين نموذج حى وصارخ لها] ، مع مصالح الامبريالية الامريكية ، كذلك كان طبيعيا أن تتحالف مصالح حركة التحرر العربية مع مصالح حركة التحرر العالمية المعادية للامبريالية والاستعمار القديم والجديد مع مصالح مجموعة البلدان الاشتراكية عامة ، والاتحاد السوفيتى خاصة .

ومنذ أن تنامى — عبر صعوبات شديدة التعقيد — خط التطور المعادى للرأسمالية فى حركة التحرر الوطنى العربية مع بداية الستينات من هذا القرن ، أصبح الصراع بين التحالف الثلاثى : الامبريالى — الصهيونى — الرجعى ، وبين التحالف العربى الوطنى التقدمى — الاشتراكى السوفيتى ، هو قانون الحركة السائدة فى المنطقة . ورغم ما قد يكون هناك لدى البعض من تحفظات أو مواقف ذاتية ، فسيظل هذا القانون مسيطرا ، حتى يحسم الصراع لصالح أى من التحالفين .

واذا كانت الحتمية التاريخية تؤكد حسم الصراع لصالح تحالف القوى الوطنية التقدمية والقوى الاشتراكية ، على المدى الطويل ، الا ان الحتمية التاريخية لا تتحقق بصورة آلية أو مجردة ، وانما من خلال واقع تمتزج فيه نقاط الضعف بنقاط القوة . ويلعب فيه الوعى الاجتماعى — السياسى للجماهير وقياداتها ، وأساليب النضال وشعاراته ، دورا أساسيا فى التعجيل بتحقيق الحتمية التاريخية أو تأجيلها .. فى استمرار التقدم أو فى الاصطدام بنكسات وهزائم متفاوتة الاثر والحجم على الطريق .

ان الحتمية التاريخية — مثلا — كانت تؤكد انتصارنا فى صدامنا العسكرى مع العدوان الاسرائيلى فى سنة ١٩٦٧ . كنا بالقياس للعدو ، أوفر قوة وأكثر تسليحا ، ونملك حصيلة ضخمة من التجارب ، نتحرك فى اطار ثورى مع التاريخ : محررين ومدافعين عن وطن وحقوق مغتصبة ، لا غازين أو معتدين . ولكن العدو كسب منا هذه الجولة من الصراع . وعندما رحنا نبحث عن السبب ، عثرنا عليه تحت جلودنا .. فى أعماق ذواتنا . باختصار لم نحسن السيطرة على واقعنا بامكانياته وطاقاته ، كررنا أخطاءنا السابقة ، وأهدرنا كل ما نملكه من نقاط قوة ، ولم نجسد الوعى الاجتماعى — السياسى لجماهيرنا وقواتنا المسلحة فى حركة منظمة وأساليب نضال ملائمة لظروف المعركة .

والحتمية التاريخية — أيضا — كانت تؤكد انتصار الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربى ضد حملات الابادة التى شنها الملك حسين ضد الشعب الفلسطينى وطلائعه الثورية فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ . كان المد الثورى الفلسطينى فى أوجه ، والنظام الملكى الاردنى معزول داخليا وعربيا . ومع ذلك فقد كسب النظام الرجعى جولة الصراع الدامية . وعلى أشلاء جثث الشهداء ، اصطدمنا بالحقيقة ذات الوجهين .. من ناحية عدم توفر وحدة العمل الثورى الفلسطينى ، بما يمكنها من السيطرة على الواقع ، والتحكم فى استخدام الطاقات والامكانيات المتاحة وعدم بعثرتها .. ومن ناحية أخرى وقوف حركة التحرر العربى — موضوعيا — موقف المتفرج ، وكأن المجزرة معركة ثنائية بين الثورة الفلسطينية والنظام الاردنى الرجعى . وحينما تحركت قوى حركة التحرر العربى ، انطلقت من موقف عقد المساومة مع النظام ، بأمل عدم ارتمائه كلية فى أحضان العدو ، ظنا — على الرغم من كل التجارب التاريخية السابقة — انه يمكن أن ينضوى فى صفوف الحركة العربية الوطنية ضد الاحتلال الاسرائيلى ، مع أن

الواقع ، كشف لنا بوضوح ، بدل المرة الواحدة عشر مرات ، ان اسرائيل ، بجانب مصالحها الذاتية ، وكونها اداة للامبريالية الامريكية فى المنطقة ، هى فى نفس الوقت قاعدة عسكرية فى شكل دولة ، حلت محل القواعد العسكرية التقليدية لحماية النظم الرجعية فى المنطقة . فكيف يتأتى لنا ــ لحظة ــ ان نتصور امكانية تحرك النظام الملكى الاردنى مع حركة التحرر العربى ضد القاعدة التى تحميه ؟

لا يكفى ، اذن ، الاسترخاء فى ظل قانون الحتمية التاريخية . وانما يجب ، من خلال الوعى به وبظروف الواقع ، ان نحشد كل طاقات الفكر والعمل لتخطى كل العقبات والصعوبات التى تستهدف تعطيل حركة القانون أو تجميد فاعليته .

وفى هذا المجال تبرز قضيتان أساسيتان ، ترتبط كل منهما بالاخرى ارتباطا ديناميكيا :

القضية الاولى : تتعلق بالقوى الوطنية التقدمية ذات المصلحة فى انهاء الاحتلال الصهيونى ، وضمان الحقوق القومية للشعب الفلسطينى ، سواء من ناحية وحدتها النضالية فى العمل الثورى على أساس برنامج مشترك ، وطنيا وقوميا ، أم من ناحية الصياغة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والادارية للطاقات المتعددة والمتنوعة ، بحيث يتولد فى مجتمعاتنا مناخ حقيقى لحركة تحرير وطنية ، تستخدم كل الوسائل ، بما فى ذلك القوة المسلحة ، والتى بدون استخدامها تظل الوسائل الاخرى عاجزة عن تحقيق شىء ذى قيمة موضوعية . أم من ناحية التحديد الدقيق لجبهة الاعداء والمواقع الاساسية فيها ، التى يجب أن نركز عليها ضرباتنا التحريرية .

بمعنى أن هذه القضية تتطلب منا أن نلتزم بما كشفت عنه تجربة الصراع مع الصهيونية حتى اليوم . وهو عدم صحة شعار أن كل العرب بلا استثناء معادين للصهيونية والاحتلال الاسرائيلى . وان هناك بالقطع فئات وقوى اجتماعية فى الوطن العربى ذات مصالح فى بقاء اسرائيل ، على الاقل كقاعدة أمريكية مسلحة ضد التغييرات الوطنية والتقدمية فى المنطقة . وبالتالى فهى ــ مهما كان حماسها الظاهرى ــ لا يمكن ان تطلق رصاصة واحدة أو تشارك فى تقديم قذيفة واحدة ضد الاحتلال الاسرائيلى .

ولقد زاد وعى هذه الفئات بمصالحها ، وتفاعل هذه المصالح مع المصالح الاسرائيلية تحت مظلة السيد الامريكى ، خاصة فى الستينات ، حيث نمت قوى التغيير التحررى والتقدمى فى الحركة العربية ، وكسبت مواقع هامة فيها . بل ان هذه الفئات دأبت بوضوح ــ منذ يونيو سنة ١٩٦٧ ــ على صلب « الاتجاه نحو الاشتراكية » علانية ، باعتباره المسئول الاول عن الهزيمة .

وخطورة عدم فرز هذه الفئات وعزلها عن وحدة القوى الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية والصهيونية ، هو تمكنها من أن تلعب داخل الجبهة العربية دور الطابور الخامس ، الذى يعمد بطرق مختلفة الى اثارة الانقسامات ، ولو تحت شعارات المزايدة فى الثورية الكاذبة ، أو تخريب الروح المعنوية ، وبذر بذور الشكوك فى القدرة العربية على مواجهة التحدى وقهر العدوان ، واشاعة تيار ان الحكمة والتعقل

تستلزمان الاعتراف بالامر الواقع والتسليم له ، لانه ــ بعد مرور خمس سنوات ــ « مفيش فايدة » .

وعزل هذه الفئات ، التي تندرج موضوعيا في اطار جبهة العدو ، يتطلب في نفس الوقت احكام تنظيم قوانا وطاقاتنا على أساس معركة شرسة وطويلة المدى ، تتلاشى خلالها ــ من ناحية المسئوليات ــ المسافات بين المدني والعسكري .. بين المستوى القيادي والمستوى القاعدي .. بين الشعار المرفوع وترجمة الشعار في الواقع الحي . وفي هذا المجال يستلزم الامر تسليح الجماهير بالوعي بالحقائق والاهداف ، وبالقدرة على الحركة المنظمة والمكثفة ، واستخدام جميع الاسلحة الممكنة بكفاية واقتدار . والبدء من خلال تفاعل منظم للقوى الشعبية والقوات المسلحة في خوض عمليات مقاومة مسلحة ضد الاحتلال ، ووضع خطة على مستوى المسئولية للتنسيق المثمر مع الثورة الفلسطينية وقواعدها التي أقيمت بالفعل خلف خطوط العدو .

اما القضية الثانية : فتتصل بقضية الحليف أو الصديق . والعلاقة مع الحليف أو الصديق لا تعني التطابق التام في جميع المواقف والافكار دون استثناء . أن الصداقة لا تعني ان الصديق مطالب بأن يصبح « نسخة كربونية طبق الاصل من صديقه » ، وانما تعني أولا وأخيرا ، أن ثمة مصلحة مشتركة قائمة بالفعل وتجمع بينهما في الحركة ضد عدو مشترك محدد بالذات . وخارج اطار هذه المصلحة ، يمكن أن توجد خلافات أو تميزات بين الصديقين ، نابعة عن طبيعة كل منهما . والمهم ان لا تؤثر هذه الخلافات من ناحية على مسار الحركة المشتركة من أجل المصلحة المشتركة ومبادئها . كما لا يجب ــ من ناحية أخرى ــ أن تطمس المصلحة المشتركة أو تتغافل ــ خلال الحركة ــ الخلافات القائمة في وجهات النظر أو المواقف، والتي هي بالضرورة تحتل مركزا ثانويا بالنسبة للمركز الاساسي الذي تحتله المصلحة المشتركة .

وعلى هذا الضوء ، فان حركة التحرر الوطني العربية ، باعتبارها جزءا من حركة التحرر العالمية ، تمثل اليوم بوزنها الخاص واتجاهاتها المعادية من ناحية للامبريالية والمتميزة ، اجتماعيا وفكريا ، عن الحركة الاشتراكية من ناحية اخرى .. أحد الروافد الاساسية لحركة الثورة والتقدم الانساني في عالمنا المعاصر . ولانها كذلك ، فقد التقت لقاء طبيعيا وحتميا مع رافد آخر يمثل ثقلا جوهريا في حركة الثورة والتقدم الانساني ، ونعني به قوى البلدان الاشتراكية عامة ، والاتحاد السوفيتي خاصة .

وأيضا كان اللقاء طبيعيا وحتميا بين هذين الرافدين مع رافد آخر للنهر الثوري العالمي ، وهو مجمل الحركة الثورية والديمقراطية في العالم الاستعماري نفسه ، بما في ذلك الولايات المتحدة الامريكية ذاتها .

وحول الكفاح لتصفية الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والعنصرية [الصهيونية] والاستغلال البشع للانسان والتخلف الاقتصادي والاجتماعي والعدوان ، تقوم المصلحة المشتركة التي تكون العمود الفقري لوحدة عمل الروافد الثلاثة عامة ، وللتحالف الوطني التقدمي ــ الاشتراكي العالمي خاصة . وذلك دون المساس بالطبيعة الخاصة لكل رافد ، اجتماعيا وفكريا وتجربة .

ومن هنـــا ، يتميز التحالف الوطنى التقدمى — الاشـــتراكى العالمى ، عن التحالف الثلاثى : الامبريالى — الصهيونى — الرجعى . فالاول تحـكمه علاقات التعـــاون على أساس الند للند ، والاستقلال الخاص لكل قوة ، والاختيار الواعى الحر امام المصلحة المشتركة . فى حين ان الثـــانى تحـكمه علاقات السيد الواحد القوى ، الآمر الناهى بعدد من العملاء ، لكل منهم دوره الخاص المرسوم له . اى ان المصلحة الاساسية فى هذا التحالف هى مصلحة السيد الامبريالى ، ولا يملك العملاء ان يستقلوا بمصـــالحهم الذاتية عن الاهداف الامبريالية .

ولعل هذا ما يفسر حديث الامريكان والصهاينة معا ، وتقبل العالم كله لهذا الحديث كحقيقة واقعة ومسلم بها عن وجود أو عدم وجود ضغط أمريكى على اسرائيل . فى حين أن مثل هذا الضغط غير وارد على الاطلاق ، وغير متصور فى العلاقة بين مصر أو سوريا أو العراق او أى بلد عربى آخر ، وبين الاتحاد السوفيتى .

وبمعنى آخر ، ان قضية الاستقلال الوطنى ، من الطبيعى ان تثور خلال العلاقات مع الامبريالية ، ولكنها غير قائمـــة فى العلاقات مع البلدان الاشـــتراكية ، لان بلدان التحرر الوطنى أحرزت استقلالها السياسى والاقتصادى بالفعـــل . بل انه لولا تحقق هذا الاستقلال ، لمـــا أمكن قيام علاقة الصداقة والتعاون مع البلدان الاشتراكية .

وبعـــد .. ان رؤيتنـــا ، من موقع حركة التحرر الوطنى العربية ومصـــالحها أولا واخيرا ، لقانون الحتمية التاريخية فى الصراع مع الامبريالية والصـــهيونية ، ووعينا بظروف الواقع المحلى والقومى والعـــالمى ، وقدرتنا على الســـيطرة على حركة هذا الواقع ، وتنظيم استخدامنا المسئول للطاقات والامكانيـــات المتاحة ، والتى ستتوالد بلا انقطاع خلال النضال ، من شأنها ان تحول ، كيفيـــا ، حالة الصمود الســـلبى الى صمود ايجـــابى .

لطفى الخولى

الليبرالية المصرية

نشــأتها
تاريخهـا
منجزاتهـا

لم تكن « الليبرالية المصرية » - بأى حال من الاحوال - مجرد موقف فكرى ، بل كانت على الدوام سبيلا نضاليا خاضه المثقفون المصريون من أجل تحرير وطنهم وشــعبهم .

ذلك أن صــيحة « مصر للمصريين » التى أطلقهــا ليبراليو مصر فى مطلع القرن العشرين ، كانت مزيجا من المنطلق الليبرالى والموقف الوطنى .

كذلك فان الشعار الليبرالى « وحـدة عنصرى الامة » مثـلا ، كان موقفــا « وطنيا » أكثر من كونه منطلقا « عقلانيا » .

ومن هـذه الزاوية فان « الليبرالية المصرية » .. وهى تراث نضالى للشعب المصرى مســألة تستحق الــدراســة والاهتمام ..

واذا كان مجرى الاحداث قــد أدى الى أن يطفىء بصورة أو بأخرى بريق « الليبرالية المصرية » فان هذه الدراسة هى مجرد محاولة لوضــعها فى اطارها التاريخى الصحيح .

ان تقييم « الاشتراكيين المصريين » لليبرالية المصرية يختلف الى حــد كبير عن تقييم اشتراكيى أوربا ، فالاشتراكيون المصريون يناضلون من أجل الديمقراطية الاشتراكية ، ولكنهم يؤيدون كل خطوة فى اتجــاه ليبرالى تتيح حرية التعبير ، ممــا يدعم القوى الثورية الاشــتراكية ويفتح الطريق فى اتجــــاه تحــولات اجتماعية وسياسية جديدة .

فى هــذا الاطار تقــدم « الطليعة » دراسة « الليبرالية المصرية » تتنــاول نشأتها ، تاريخهــا ، منجزاتهــا ، وموقف الماركسية من الفكر الليبرالى .



الليبرالية في نظر الماركسية



أبو سيف يوسف

في عبارة موجزة يعرف قاموس الفلسفة الليبرالية بأنها : **نظرية انصار المشروع الحر** . ويفتح القاموس قوسين ويقول أنهاتقابل أو تعارض الاشتراكية والمذاهب الموجهة للاقتصاد، ويضيف القاموس : وفى وتتنا الراهن لا تخلو الليبرالية الاقتصادية والاجتماعية ، التى تشجع المبادرات الفرديةوانشاء المؤسسات الاقتصادية من نوع من التخطيط الذى تمارسه الدولة ، هذا التخطيط اللازم للتنسيق — على المستوى القومى — مع المشروعات الفردية ، أو الخاصة ، ولخلق سوق متوازنة » (١) .

والقاموس الذى نأخذعنه هذاالتعريف ليس من القواميس الماركسية . واذا سلمنا بأن التعريف الذى أورده ليس جامعا ، الا انه يمكن القول بأنه يدخل فى عداد التعريفات المانعة الى حد كبير، لانه اذا قلنا أن الليبرالية ايديولوجية لها جوانبها الفلسفية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهذا صحيح ، ومهما قلنا أن الليبرالية قد لعبت دورا تقدميا على مسرح التطور الانسانى ، وهذا صحيح أيضا ، ومهما كان بريق الفكر الليبرالى ولمعانه ، نقول على الرغم من هذا كله — تظل فكرة الدفاع عن المشروع الاقتصادى الخاص والحر لب المذهب الليبرالى ومحتواه الحقيقى .

وفى اعتقادنا أنه من أكبر الاخطاء أن يبادر المثقف الليبرالى ليقوم بعملية انتقاء واستبعاد ، فيختار من الليبرالية ما يعجبه ، ثم يطرح الباقى بعيدا ، بالطبع ،ان هذا ممكن ووارد ، لكنه لايغير من حقائق التاريخ والمجتمع . واذا صح أن

(1) Dictionnaire de la philosophie — Larousse, Paris 1964

الليبرالي المستقيم يدعو الى « حرية , الفكر ، والتسامح الديني ، والى اعلاء شأن العقل ، والحكومة الدستورية وحق الانتخاب العام للمواطنين دون تمييز على أساس الجنس واللون والعقيدة ، والاحتفاء بمنجزات العلم ، فان هذه الدعوة على سموها لا تصلح وحدها للتعريف بالليبرالية وتقييمها (*)

ولكي نصل الي تعريف دقيق ، وتقييم علمي ، لابد من ان نلقى نظـرة تاريخيـة علـى المذهب الليـبرالي : نشأته وتطوره ، وأى الطبقـات الاجتماعية بشرت به وقدمته (*)

واذا رجعنا الى التاريخ فسوف نـرى أن الليبراليـة ، باعتبـارها ايديولوجيـة ، البورجوازية (الطبقة الوسطى) الاوروبية مرت بمرحلتين :

الاولى : الليبـرالية فـى عصر صـعود البورجوازية كطبقة ثورية ، وازدهار الرأسمالية .

الثانية : الليبـرالية فـى عصر تـراجع البورجوازية كطبقةقائدة للمجتمع ، وتفسخ وانهيار النظام الرأسمالي والامبريالي .

المرحلة الاولى فى التاريخ ـ يمكن أن نقول ـ عموما ـ انها تمتد من عصر الاصلاح الديني في القرن الخامس عشر الى عصر الثورة الفرنسية ، او ما بعدها بقليل (*)

والمرحلة الثانية هى مرحلة دخول الرأسمالية فى مرحلة الاحتضار ، مرحلة تحـولها الى الامبريالية وذلك منذ القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا .

فى المرحلة الاولى ، ولدت البورجوازية وتشكلت (المصرفى والتاجر وصاحب المصنع ومـالك الارض) كطبقة تقدمية تعارض وتناضل بقوة ضد المجتمع الاقطـاعي بكل مـؤسساته الدينيـة والسياسية وكل قيمه الاخلاقية والانسانية . وكما نعلم فقد ساعد على نشأة البورجوازية ظروف مادية وفكرية محددة : الرحـلات الجغرافيـة ، الكشوف العلمية ، المخترعات الحديثة ، وقبل كل شيء الاشكال الجديدة فى الحياة الاقتصادية .

ففى ظل هذه الظروف ولدت علاقات اجتماعية جديدة ، قامت على أسسها فلسفة جديدة ، هى فلسفة البورجوازية ، الطبقة الصاعدة فى ذلك الوقت . وبالطبـع فان معـالم الايديولوجيـة البورجوازية لم تولد دفعة واحدة بل تشكلت ببطء وفى مخاض اليم احيانا ، وكان لابد وان تمر مئات السنـين حتى تستكمل هــذه الايديولوجيـة مقوماتها .. ففى القرنين الخامس عشر والسادس عشر عبرت البورجوازية عن مقاومتها لسلطة البابا فى روما من خلال حركات الاصلاح الديني وما صاحبها من الحروب الدينية . فالبورجوازية فى دفاعها عن سوقها الخاصة ، السوق القومية ، اعتبرت الولاء الديني للاجنبي (سلطة روما) متعارضا مع الشعور القومي . ومن ثم سعت الى اسقاط سيادة روما . وفى هذا الصدد يـذكر **هارولد لاسكى** ان البورجوازية الانجليـزية النامية ، عارضت فى عصر الاصلاح الديني كل عمل يؤدى الى افتقار الدولة لصالح الكنيسة (٢) ، فرفضت الضرائب التى كانت تجبى لبابا روما ، ونقلت فورا قدرا كبيرا من ثروة الكنيسة الى ايدى الملك والنبلاء والفئة العليا من البورجوازية ، ونادى بعض المفكرين بتخصيص اموال الكنيسة للدفاع الوطني ، ولبناء الطرق ، والتخفيف من حـدة البطالة وكان تحقيق هذا كله فى مصـلحة ذلك القسم المسمى بالبورجوازية التجارية (٣) .

وفى مرحلـة ثانيـة من تاريخهـا ، تحـالفت البورجوازية الاوروبية مع الملك لاضعاف سلطة النبلاء الاقطاعيين واسقاطها ، لانه لمـا كانت البورجوازية النامية تؤمن بأن العمل مصدر كل ثروة . ولما كان النبلاء الاقطاعيون لا يعملون بل يشيعون الفساد فى أجهزة الدولة ، ويتسببون فى خلق جو ينعدم فيه الامن بالنسبة للتاجر ولصاحب المصنع والمصرفى . ولما كانت امتيازاتهم تضع الحواجز ضد حرية التجارة وضد توحيد السوق القومية ، فقد تزعمت البورجوازية الفتية الثورة ضد طبقة النبلاء الاقطاعيين واطاحت بها ، واحلت العقد محل المركز الاجتماعي . وهنا قدم مفكرو البورجوازية وفلاسفتها نظرياتهم عن الحكومـة الدستورية ، وعن البرلمان ، وعن الملك الذى يحكم تحت القانون لا فوقه (٤) : هنا ايضا بدأت تظهر

---

(٢) هارولد لاسكى : نشأة التحررية الاوروبية . ترجمة عبد الرحمن صدقي وعلي ادهـم . سلسلة من الفـكر السياسي والاشتراكي ـ مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد القومي .

(٣) هارولد لاسكى : المصـدر السابق .

(٤) لاسكى : المصدر السابق .

مختلف الاراء عن ترشيد الادارة الحكومية ، لان الدولة فى نهاية الامر يجب ان تكون خادمة لصاحب راس المال فى المجال الاقتصادى •

ثم ان البورجوازية النامية رأت ان العلم والبحث العلمى هما من ينابيع الثروة التى لا تحد فشرعت تشجع البحوث العلمية ، والرحلات الجغرافية ، وقدم العلم بدوره الى البورجوازية هذه الفكرة الثمينة التى احسنت استخدامها فى نضالها السياسى وهى فكرة « القانون الطبيعى » التى تعنى فى النهاية سيادة العقل وقدرته التى لا تحد على ان ينتزع من الطبيعة اسرارها •• فالعقل ــ كما هو قادر على اكتشاف القانون الطبيعى ، قادر على أن يكتشف ايضا القوانين المنظمة للحياة الاجتماعية ذاتها • فلا سلطة مطلقة لملك أو أمير ، ولا سلطة فوق سلطة العقل الانسانى • وكل شىء هو بالضرورة خاضع ، ولابد وأن يخضع للفحص والمناقشة .

ومنذ ذلك الوقت ، وفى ظل التقدم العلمى ، ستزداد اهمية رجل المصرف والمهندس ، وسيتوارى القسس ورجال الدين من سلك الحكومة ليحل محلهم موظفون علمانيون •

فاذا اردنا بعد ذلك ان نستخلص مما تقدم الجوانب الايجابية لما قدمته البورجوازية فى مرحلتها الثورية امكن أن نقول :

ــ انها اقامت علاقات انتاجية اكثر تقدما من العلاقات الاقطاعية •

ــ اوجدت تحسنا عاما فى مستوى الظروف المادية للمجتمع ككل .

ــ خلقت جوافكريا ساعد على التقدم العلمى .

ــ زرعت اهتماما أكبر بالقيمة الذاتية للانسان كفرد •

لكن هذه الجوانب الايجابية مع ذلك تمثل وجها واحدا فقط من وجهى العملة

ذلك أن الدور التقدمى الذى لعبته البورجوازية الاوربية فى اقامة مؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية يقابله من الجانب الاخر هذه الحقيقة • وهى أن جميع المقولات الاساسية السياسية والاقتصادية ..الخ التى طرحتها كانت تتوجه بها الى طبقتها هى !!

ــ فمقولة « الانسان » كانت تعنى فى التحليل الاخير : الرأسمالى التاجر وصاحب العمل والمصرفى ومالك الارض •

ــ و « حرية العمل » كانت تعنى حرية الرأسمالى المطلقة فى التحرر من كافة القيود والقواعد التى تحد من تنمية مشروعه الخاص •

ــ ومقولة « الامة » و« الشعب » كانت تعنى فى التطبيق طبقة الرأسماليين وحدهم ، و « مصالح الامة » و « المجتمع الانسانى » كانت تعنى عند وضع القوانين مصالح هذه الطبقة الصاعدة قبل كل شىء •

وهذا الذى نقوله ليس مجرد استنتاج بل هو واقع نجده فى كتابات كبار الفلاسفة والمفكرين الاقتصاديين الذين عبروا عن مطامح البورجوازية فى مرحلة صعودها • وهكذا :

فان فكرة التسامح الدينى على اهميتها الفائقة ، لم تمنع بعض مفكرى هذه الطبقة من أن يطالبوا ــ ويلحوا فى المطالبة ــ بالحفاظ على [شىء من العقيدة الدينية) للجم العامة والدهماء وترويضهم على الطاعة .

ــ وعندما أخذت الطبقة الوسطى الاوربية تسعى الى اسقاط سلطة البابوية ،وبعد أن تم لهم ما أرادوا ، شرع مفكروها يقيمون حاجزا بين الدين من ناحية ، وبين الاخلاق من ناحية أخرى • فالعقيدة الدينية أصبحت فى الجوهر مسألة شخصية بين الفرد وبين خالقه ، أو بينه وبين الكنيسة التى يتبعها ، أما الاخلاق فهى قضية اجتماعية ،اساسها المنفعة الفردية [نمو وازدهار المشروع الرأسمالى]باعتبارها السبيل الى الخير العام • وفى هذا ، لاحظ **فولتير** بذكائه النفاذ ، **انه فى انجلترا ، لا تطلق البورصة لفظ « كافر» الا على الذين يفلسون فقط !!** و « الرجل المثالى » هو التاجر ، أو صاحب العمل الذى يزدهر مشروعه الخاص • **أما كيف يكون ثروته فليس هذا بمهم** ، لان الربا نفسه كان قد تم تبريره وتنقيته من الاثام التى علقت به • ولم ينته القرن الثامن عشر حتى كان **بنتام** (١٧٤٨ ــ ١٨٣٢)يدفع بالمذهب الفردى فى الاخلاق الى مداه ، حين أرجع جميع دوافع السلوك الانسانى الى عاملين : عامل اللذة وعامل الالم .والفعل الاخلاقى عنده مرادف للمنفعة يجنيها الانسان من عمل يأتيه ، وعنده ان الاخلاق يمكن ، من ثم ، حسابها بالارقام . وهذا المدخل الميتافيزيقى والميكانيكى الى الاخلاق ، قاده الى الدفاع عن المجتمع الرأسمالى ، عندما أعلن أن اشباع الفرد لمصلحته الشخصية (مبدأ الانانية) هو وسيلة تأمين أكبر لذة لاكبر عدد من الناس (مبدأ الغيرية) •

أما قضية الفقر والفقراء فقدشرحهاكثيرون من فلاسفةومفكرى البورجوازيةالصاعدة علىأساس أن أقصى ما يقدم اليهم هو الاحسان ، لان الفقراء كسالى بالطبيعة ، وهم يتحملون وزر كسلهم .

ولقد طالبت البورجوازية الصاعدة فى ثورتها ضد الاقطاع بالحرية للانسان . فرفعت الثورة الانجليزية ١٦٤٩ شعارات الملكية الدستورية والبرلمان ورفعت الثورة الفرنسية (١٧٨٩ — ١٧٩٣) فى « **اعلان حقوق الانسان والمواطن** » شعارات حرية الفكر والصحافة والاجتماع ، والمعتقد الدينى ، وحرية الشعب فى الثورة على الطغيان ، وحق المواطن فى الانتخاب وحقه فى العمل والتعليم .

غير أننا نعلم ، أن هذه الحقوق لم تقررها الثورات البورجوازية فى مراحل انتصارها الاولى للمواطن كمواطن ، بل كانت تضيق وتتسع ، أو توجد أو لا توجد على أساس السلم الاجتماعى ، سلم الملكية الخاصة . وهكذا فان حق الترشيح والانتخاب الى البرلمان لم يكن (فى انجلترا وفرنسا) حقا مباحا لجميع المواطنين ، بل كان فى نشأته مقصورا على الطبقات التى تملك نصابا معينا . ولقد بشر الفيلسوف الانجليزى **جون لوك** (١٦٣٢ — ١٧٠٤) بتلك الفكرة القائلة بأنه عندما تتعدى حكومة ما على حقوق الانسان الطبيعية ، أو تفشل فى احترامها والمحافظة عليها ، تصبح الثورة مشروعة ، من الناحيتين الطبيعية والعقلية . ويلاحظ **جون لويس** أن حق الثورة هذا لم يقصد منحه للجماهير . بل كان معدا لطبقة التجار الثائرة ضد أسرة ستيوارت ، وبمجرد أن أصبح هذا المبدأ مستعملا لصالح الشعب ضد الامتيازات الطبقية للاغنياء ، اكتشفوا انه من الخطورة بمكان ، وحلت محله فلسفة أخرى تماما [٥] .

ونستطيع أن نمضى فى تحليل المحتوى الاجتماعى للشعارات التى رفعتها البورجوازية الصاعدة . لكن يكفينا القول بأن فكرة « الحرية » ذاتها ، عندما وضعتها البورجوازية موضع التطبيق ، كانت تعنى — من وجهة نظر طبقة التجار الثائرة — أن الملكية حق طبيعى ، وأن تمتنع الدولة عن التدخل فى حقوق الملكية على أى وجه [فلا قوانين تنظم الاجور ولا ضرائب تحكمية ، ولا حواجز جمركية ..الخ) . فاذا كان هناك مايوجب سن قوانين تنظم هذا الحق ، فيتعين ان يتم هذا من خلال دساتير ملزمة ، وقوانين يضعها اصحاب الملكية انفسهم . ومن هنا فالدولة فى نظرهم ليست — ولا يمكن أن تكون — محايدة بين الطبقات . والواقع انه فى نهاية القرن السابع عشر استقر هذا المفهوم عن الدولة . بل ان هذا المفهوم قد اختصر فكرة الدولة الى مجرد اداة بوليسية ، مهمتها الامن فى الداخل ، والغزوات فى الخارج لفتح أسواق جديدة [٦] .

فاذا أردنا أن نلخص هذا كله ، أمكن القول بأن الليبرالية كايديولوجية ، عبرت أول ما عبرت عن مصالح الرأسمالية التجارية بشكل خاص ، وان تولت — بشكل عام — الدفاع عن حقوق الملكية فى المجتمع البورجوازى .

لكن يتعين علينا أن نقرر أن هذه الايديولوجية فى جميع مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تطورت وعدلت مفهوماتها تحت تأثير عاملين أساسيين :

الاول — صراع البورجوازية ، وعلى الاخص القسم التجارى منها ضد الاقطاع ، وضد طبقة النبلاء ثم التناقضات فى المصالح بين الاجنحة المختلفة من البورجوازية (التجار وأصحاب الارض وأصحاب المصانع) .

الثانى — وهو الاهم — هو الاشتراك المتزايد لجماهير العمال والفلاحين فى الحياة السياسية للمجتمع البورجوازى .

على أن تأثير هذين العاملين كان يزداد ضعفا وقوة وفقا للمراحل المختلفة التى مر بها النظام الرأسمالى ، ولكنه كان يفرض نفسه فى جميع الاحوال ، ويساهم بشكل أو بآخر فى تشكيل الايديولوجية الليبرالية .

وهكذا ، ففى أثناء احتدام الصراع ضد الاقطاع احتاجت البورجوازية الى أن تستعين بمجموع الطبقات الشعبية لتقوم بالاجهاز على النظام ،

---

[٥] جون لويس : المدخل الى الفلسفة — ترجمة انور عبد الملك ص ١٣١ ، ١٣٢ .
[٦] لاسكى : نشأته التحررية الاوربية .

القديم • ان **كرومويل** الذى قاد ثورة البورجوازية الانجليزية اعتمد على جيش جرار من فقراء العمال والفلاحين • وفى الثورة الفرنسية نمت واتسعت بكيفية لم يسبق لها مثيل مبادرات عمال المدن والبورجوازية الصغيرة والفلاحين فى الريـف الفرنسى • وفى كلا البلدين أفرز اشتراك الجماهير الشعبية فى الثورات البورجوازية، ثم اكتشافها انها لم تكسب شيئا لنفسها ،ايديولوجيات تتحدث بكيفية غامضة احيانا ، وواضحة احيانا أخرى، وبكيفية طوباوية (خيالية) على الدوام ، عـن المساواة المطلقة بين البشر ، وعن ضرورة توزيع الثروة بين المواطنين ،والغاء ملكية الارض . . الخ. وكان الطابع الطـــوباوى لهـــذه الايديولوجيات يعبر عن واقع أن الطبقة العاملة والطبقات الشعبية كانت لم تزل وليدة وناشئة ، غير واعية بذاتها وبدورها فى الانتاج • وكان لابد وأن ننتظر الى منتصف القرن الثامن عشر (فى انجلترا) عندما بدأت الثورة الصناعية •

الثورة الصناعية

فمنذ ذلك التاريخ ، وتحت تأثير النمو الهائل فى صناعة ، وجدت مشروعات تعمل فيها اعداد ضخمة من العمال من الرجال والاطفال والنساء ، ومن عمال المدن ، وعمال الريف القادمين الى المدينة • وبفضل التغييرات التكنيكية فى الصناعة أخذ عمل الالة يحل محل العمل اليـدوى (المانيفاكتورة) • وأثرت الثورة الصناعية تأثيرا هائلا على نمو العلاقات السياسية والاجتماعية • باختصار ، زادت انتاجية العمل ، وخفضت نفقات الانتاج • وظهرت جمهرة البروليتاريا الصناعية وتناقص عدد الفلاحين فى الريف الى حد ملحوظ (فى انجلترا وفرنسا) • لكن هذه الثـورة الصناعية اقترنت بزيادة فى استغلال العـامل بكيفية وحشية ، وتحويله الى مجرد تابع للالة • وادى تبسيط عمل الالة الى التقليل من أهمية العامل الماهر ، والى التوسع فى استخدام الاطفال والنساء ، وما ترتب على ذلك من خفض الاجر ، وزيادة البطالة •

غير أن الثورة الصناعية قد غيرت أيضا علاقات القوى داخل الطبقة البورجوازية نفسها • فنشأت صراعات لم تتوقف بين البورجوازية الصناعية من ناحية وبينها وبين البورجوازية التجارية وكبار ملاك الارض • وعلى سـبيل المثـال اكتشف الرأسماليون الصناعيون الانجليز انهم الممثلون الرسميون لبريطانيا الحديثة ، بريطانيا التى تحكم أسواق العالم • ومن ثم ناضلوا لكى تتـولى البورجوازية الصناعية السلطة كل السلطة فى المجتمع • وسعوا الى اخضاع المجتمع ــ بكيفية سافرة ــ لقوانين الانتاج الصناعى الحديث • أما حرية التجارة عندهم ، فقد تغير مفهـومها ، وأصبحت تعنى حركة رأس المال غير المقيد •، والمحررة من أى قيود سياسية أو قومية أو دينية • والارض ذاتها لم يعد لملكيتها فى نظرهم أى قدسية ، وانما نظروا اليها كسلعة يجب أن تطرح فى السوق ، واستغلال الارض يجب أن يتم وفقا للقوانين التجارية العادية (٧) .«

ومن ثم ، شرعت البورجوازية الصناعية تركز معظم هجومها من اجل تصفية كل بقايا الاقطاع وتنتقص من امتيازات كبار ملاك الارض •

منذ ذلك التاريخ ــ الثورة الصناعية ــ اخذت الليبرالية كايديولوجية وكحزب سياسى تـدخل أزمتها العامة . ولقد رسم ماركس ــ فى زمنه ــ صورة مفصلة ودقيقـة لمواقف الليبراليين الانجليز الذين يتجمعون فى **حزب الهويج** (٨) . كـان اكبر حـزبين فى بريطانيـا فى ذلـك الوقت : التوريز [المحافظون] والهويج الذى ولد منـه فيما بعد الحزب الليبرالى أو حزب الاحرار) •

وقد اشار ماركس الى ان الفروق ليست كبيرة بين الهويج وبين التـوريز ، أو بين الليبراليين وبين المحافظين ، حتى انه يمكن القول بأن « الليبراليين هم المحافظون خارج الحكم » (٩) . أما القول بأن حزبهم يمثل عددا معينا من « المبادىء الليبرالية الاخلاقية المستنيرة » فان هذا لا يغير من واقع أنه على مدى قرن ونصف قرن من الزمان عجز هذا الحزب عن تنفيذ هذه المبادىء عندما كان فى دست الحكم . ويضيف **ماركس** انهم اذن كانوا يمثلون شيئا آخر غير المبادىء التى يبشرون بها • كانوا من الناحية الطبقية هم الممثلون الارستقراطيون

(٧) ماركس وانجلز : عن بريطانيا :
(٨) و (٩) ماركس وانجلز : عن بريطانيا .

للبورجوازية ، وللطبقة الوسطى الصناعية والتجارية (وان وجدت فيهم نواة من ملاك الارض الاغنياء) (١٠) . وكانوا من القدرة على المناورة - ومن المرونة - بحيث انهم كانوا - فى سبيل الحكم - يغيرون مواقعهم وحلفاءهم تحت تاثير حركة الطبقتين الصناعية والتجارية . ففى عام ١٦٨٨ تحالفوا مع المصرفيين (رجال البنوك) لان هؤلاء كانوا فى صعود ، وتحالفوا مع ملوك المال عام ١٨٦٤ . وأخذ اشتراكهم فى حركات الاصلاح الدستورى يتضاءل وينكمش بكيفية ملحوظة ، خصوصا منذ نهاية الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، وبالتحديد عندما ظهرت الطبقة العاملة البريطانية كقوة سياسية منظمة فى الحركة التى عرفت « بالحركة الميثاقية » ويذكر ماركس انه فى عام ١٨٣٥ صاغت لجنة من « **رابطة العمال العامة** » فى لندن الوثيقة التى عرفت « بميثاق الشعب » فى الست نقاط التالية :

١ - حق الانتخاب العام لكل مواطن .

٢ - برلمانات سنوية .

٣ - مكافأة لاعضاء البرلمان لتمكين الفقراء من ان يتقدموا للترشيح فى الانتخابات .

٤ - التصويت السرى لمنع البورجوازية من استخدام وسائل الرشوة والارهاب .

٥ - التمثيل المتساوى بين جميع الدوائر الانتخابية

٦ - الغاء شرط النصاب المالى للمرشحين .

وهذه النقاط كانت تعنى انه حتى ذلك التاريخ ، وعلى الرغم من الدعاوى الليبرالية العريضة عن الحكم الدستورى ، لم يكن يتقدم للترشيح فى الانتخابات البرلمانية سوى اصحاب الملكية . وحول هذا الميثاق انطلقت حركة واسعة ومنظمة من الطبقة العاملة الانجليزية استمرت عدة سنوات . وفى بداية الحركة أيد الليبراليون النقاط الست وانضموا اليها . وعندما حلت الازمة الاقتصادية عام ١٨٤٢ تحالفت البورجوازية الليبرالية مع الطبقة العاملة ضد حزب المحافظين لالغاء قانون الحبوب (١١) . وشجع اصحاب المصانع العمال والموظفين على التظاهر والاضراب . ولكن عندما أوضح زعماء العمال أن القضية ليست تضية قانون الغلال ، أو أن مطالبهم ليست مجرد اصلاحات دستورية ، وانما لها محتوى اجتماعى فى مقدمته تحسين الاجور .. الخ انفصل الليبراليون عن العمال ووقفوا الى جانب حكومة المحافظين [١٢] .

ان الليبراليين باختصار رأوا أن الحركة الاجتماعية للطبقة العاملة تنطوى على مساس بحقوق الملكية ، ملكية الطبقات المسيطرة .

لم يكن هذا التطور الخاص بالليبرالية ، واحزابها مسألة تنفرد بها بريطانيا وحدها ، بل كانت ظاهرة عامة ومشتركة بين جميع البورجوازيات الاوروبية . فنحن نعلم مثلا ان العمال الفرنسيين قاموا فى ١٨٧٠ بمحاولة ثورة اشتراكية (للكوميونة) ، وبعد ان تم سحق هذه الثورة ، اضطرت البورجوازية الفرنسية الى ان تقدم تنازلات فى مجال الحريات الديموقراطية (حق الانتخاب لكل مواطن ، حرية الصحافة .. الخ) لكن دستور ١٨٧٥ - مع ذلك - وضع كل الاحتياطات اللازمة (عن طريق قوانين انتخاب مجلس النواب والشيوخ ومجالس البلديات) لكى تظل السلطة فى ايدى البورجوازية الكبيرة . وفى التطبيق ثبت أن ضاحية غنية من ضواحى باريس يسكنها خمسة آلاف كان يمثلها نائب واحد ، وان ضاحية عمالية يسكنها خمسون الفا كان يمثلها ايضا نائب واحد . أى ان صوت البورجوازى كان يساوى ٦ أصوات عمالية .

ومنذ الان سيتحدد موقف المبدأ ، والنظم الليبرالية على ضوء ما يلى :

١ - نمو الحركة الاشتراكية ، و حركة الطبقة العاملة والتحدى الذى تطرحه ايديولوجية الاشتراكية فى مواجهة الليبرالية .

٢ - اضطرار الليبراليين الى أن يضمنوا برامجهم مجموعة من الاصلاحات الاجتماعية فى حدود الا تمس حقوق الملكية البورجوازية .

٣ - التضييق المستمر من قبل البورجوازية على الحريات والحقوق والمؤسسات الديمقراطية ، والانقضاض عليها وتعطيلها مؤقتا ، او الغاؤها تماما .

٤ - عجز البورجوازية عن سحب بعض

(١٠) ماركس وانجلز : عن بريطانيا ص٣٥٤

[١١] و [١٢] ماركس وانجلز : عن بريطانيا ص ٢٦٤

المكتسبات الديمقراطية التى تحققت امام دفاع الطبقات الشعبية عنها .

الليبرالية فى عصر الامبريالية

فى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر دخل النظام الراسمالى مرحلته العليا والنهائية : مرحلة الامبريالية .ففىنهايةذلكالقرن طفرتالتكنولوجيا طفرات هائلة الى الامام : حلول الكهرباء محل البخار ، والانتاج الضخم للصلب ، وقيام صناعة أدوات الانتاج ، والتغييرات الهائلة فى وسائل المواصلات . واحتلت الصناعات الثقيلة مكانا متزايد الاهمية . وفى هذه الظـروف تكونت الاحتكارات الصناعية الهائلة على انقـاض المشروعات الصغيرة . وزاد استغلال العمـال والشعب العامل بوجه عام • وتركز الاف العمال فى المصنع الواحد . وبدأ تقسيم العمل بيـن الاحتكارات ، وازداد تركز الثروة فى أيـدى البورجوازية الصناعية «...» وباختصار :

ـ اصبحت الاحتكارات تلعب الدور الحاسم فى الحياة الاقتصادية •

ـ اندمج راس المـال المصرفى مع رأس المـال الصناعى وظهر رأس المال المالى ، أو طبقـة ملوك المال .

ـ بدأ تصدير رأس المال الى الخارج •

ـ تكونت احتكارات رأسمالية عالميـة اخـذت تتقاسم اسواق العالم فيما بينها •

ـ تم عن طريق الغزو والتوسع الاسـتعمارى تقسيم العالم فيما بين الدول الامبريالية الكبرى .

فى ظل هذه التطورات الجديدة صفيت تماما القاعدة الاقتصادية والاجتـماعية للراسماليـة التجارية التى أعلت شأن المشروع الفردى ، وحرية التعامل والتبادل بدون قيود • واذا كان هارولد الامريكية خلال المائة عام الاخيرة نمت تحت ظل انتصار الليبرالية فى بريطانيا وان المـدنية الامريكية خـلال المائة عام الاخيرة نمت تحت ظل المثل الاعلى الليبرالى [١٣] فان هذه الليبرالية لا تكاد تمت بصلة الى المثل الرفيعة التى أعلنها مفكرو وفلاسفة البورجوازية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ولقد أوضح لينين هذه القضية عندما أشار الى أن تركز السيطرة الاقتصادية فى ايدى الاحتكاريين أدى الى سيطرتهم السياسية والى اخضاع جهاز الدولة كلهلمصالحهم وارادتهم،وادى ازدياد تدخل الدولة فى الحياة الاقتصادية الى تغييرات عميقة فى الايديولوجية السياسية للبورجوازية تتجه كلها الى اخضــاع مصالح الفـرد لمصـالح الدولة الامبريالية . وفى هذا يذكر لينين « ان الديمقراطية تتفق مع التنافس الحر ، والرجعية السياسية تتفق مع الاحتكار [١٤] » .

وقد درس لينين بعمق الديمقراطية البورجوازية فى بلاد الغرب الاوروبى وخرج من دراساته بتقييم موضوعى » .

لقد اوضح ان من الامور التى لا شك فيها ان النظام الانجليزى والفرنسى اكثر ديمقراطية من النظام البروسى واكثر ملاءمة لنضـال الطبقــة العاملة • وذلك بسبب ضمور وضعف المؤسسات الموروثة فى العصر الوسيط فى هذين البلدين .» هذه المؤسسات التى تمنع الطبقة العاملة من رؤية مستغليها الحقيقيين [١٥] » .

لكن لينين لا يقف عند هذا « فاذا كان النظام الانجليزى او الفرنسى اكثر ديمقراطية من نظم اخرى فى المانيا وروسيا القيصرية ، الا أن هذا لا يعنى ان ذلك النظام هو المثل الاعلى للديمقراطية الحقة ، من وجهة نظر الطبقة العاملة والطبقات الشعبية الاخرى » .

ومن هنا نراهيين بأمثلة محددة سقوط وتناقض الليبراليين فى انجلترا :

١ ـ ففى الحزبين الرئيسييـن ، المحـافظ والليبرالى ، قادة وساسة مشهورون من حملة الاسهم ، ومديرون لترسانات صناعة السـفن ، ومصانع البارود والديناميت والمدفعية . ان غيثا من الذهب ينهمر فى جيوب الساسة البورجوازيين الذين يكونون عصابة دولية تشترك فى سباق التسلح ... ويتعاونون على صـناعة السفن والمدافع لحساب بريطانيا ضد ايطاليا ، ولحساب ايطاليا ضد بريطانيا فى نفس الوقت ، وعلى حد سواء (١٦) .

(١٣) لاسكى:نشاة التحررية الاوروبية •
(١٤) سبيركين : لينين ، عن الدولةوالديمقراطية ـ مطبوعات نوفستى
[١٥] لينين : عن بريطانيا ص ١٢٤
[١٦] لينين : عن بريطانيا ص ٣٦٦

٢ ـ يشير لينين الى أن الليبراليين منافقون فى كل مكان ،غير أن نفاق الليبراليين الانجليز ليس له حدود . وهكذا فان الحزب الليبرالى يفعل ما فى وسعه لاقناع العمال الانجليز بأن كل القوى السياسية ينبغى أن تتحد ضد الرجعية (حزب المحافظين) وان الاغلبية الليبرالية يجب أن يحافظ عليها فى البرلمان بأى ثمن ، وكثيرا ما انساق العمال وراء خداع الليبراليين ، الا أن الحزب الليبرالى لم يفعل شيئا جذريا من أجل تحرير الطبقة العاملة ، وركز كل جهده فى ابعادها عن الحركة الاشتراكية .

٣ ـ وفى ظروف الازمات القومية الشديدة ، وعندما يكشر الرجعيون عن أنيابهم ، يتراجع الحزب الليبرالى أمامهم . وهذا ما حدث فى الازمة الدستورية ، عام ١٩١٤ ، عندما وافق الحزب الليبرالى على اعطاء حق الحكم الذاتى لايرلندا . فقد نظم كبار ملاك الارض الانجليز فى ايرلندا انتفاضة مسلحة ، ورفض ضباط الجيش أن يتدخلوا لقمع هذه الانتفاضة · وبدلا من أن يتوجه الحزب الليبرالى الى الجماهير ، والى الطبقة العاملة ، قدمت حكومة الليبراليين تعهدا مكتوبا ـ سريا ـ الى قادة الجيش بأنها لن تستخدم الجيش ضد تمرد كبار الملاك فى ايرلندا . وهذا يدل ـ فى النهاية ـ على أن الشعب هو بالضبط أخوف ما تخافه هذه البورجوازية الليبرالية المستنيرة (١٧) ·

٤ ـ ان البورجوازية الليبرالية الانجليزية وقد أفزعها نمو الحركة العمالية فى بلادها ، ونهوض النضال الثورى فى المستعمرات ، تلجأ بمزيد من الصراحة الى أشد وسائل القمع ضد سكان المستعمرات ، ويضيف لينين بل ان أكثر الليبراليين تطرفا فى بريطانيا الحرة يتحولون ، عندما يصبحون حكاما للهند الى نماذج طبق الاصل من **جنكيز خان** ، ولا يتورعون عن اللجوء الى أى تدبير من اجل تهدئة السكان (الهنود) بما فى ذلك جلد كل من يجرؤ على تقديم احتجاج سياسى (١٨) ·

ثم أشار لينين أيضا الى ما حدث فى فرنسا ابان تولى **كليمنصو** الوزارة ، فقد أمر باطلاق النار على العمال المضربين . وعندما ذهب مندوبو العمال لمقابلته قال لهم « هذا الجمهورى البورجوازى التقدمى جدا : نحن نقف على المقاييس على الجانب المقابل لجبهتكم (١٩) .

من كل ما سبق يتضح أن الماركسية ترى أن أزمة الايديولوجية الليبرالية لم تزل تتفاقم منذ نهاية القرن الثامن عشر ، بل انها زادت تفاقما فى مرحلة الامبريالية . وهذا الرأى الذى تقول به الماركسية قد عبر عنه ووصل اليه مفكر حزب العمال الانجليزى **هارولد لاسكى** عندما لخص ما سماه « بمأساة الليبرالية » يقول :

« كان عيبها دائما انها لم تستطع أن تدرك أن الملكيات الكبيرة تعنى السلطة على الرجال والنساء ، كما تعنى السلطة على الاشياء . لقد رفضت دائما ان ترى الى أى حد يهون معنى حرية التعاقد ، اذا هى انفصلت عن المساواة فى القدرة على المساومة . والليبرالية لم تحاول قط أى محاولة جدية أن تتبين نتائج نزع العامل الانسانى فى الصناعة ... ومسخ العامل الى يد عاملة » (٢٠) ·

ثم يضيف :

« ان كل فلسفتها ، هى الى حد كبير ، نتيجة تركيزها على قوى وامكانيات رجل الاعمال الذى ارتبط به نشوؤها .. ولاشك ان التعبير عن اهدافها كان دائما بطريقة عامة ، ولكنها كانت ، فى التطبيق ، خادمة لطبقة واحدة فى المجتمع ·· » (٢١) ·· ثم يضيف :

« لم يستطع الليبراليون التنبؤ بأن قوى الانتاج ستقع فى تناقض مع علاقات الانتاج ، يكون من العمق بحيث يهدد باستمرار كل العادات التى شكلوا بها حياتهم .. ولذلك فعندما حدث هذا التناقض لم يكونوا مستعدين لقدومه . ووقفوا ـ كسابقيهم ـ فى ذعر غاضب وشعروا .. ان أى ثمن لا يغلو فى سبيل احتفاظهم بامتيازهم . وحتى عندما كان الثمن المطلوب هو هدم الروح الليبرالية لم يترددوا فى تبرير تلك التضحية . لقد سموها الصالح العام ، وحفظ النظام ، وبقاء الحياة المتحضرة .· لم يكن فى مقدورهم أن يصدقوا ـ حتى بالدليل الماثل امام عيونهم ـ بطريقة

(١٧) لينين : عن بريطانيا ص ١٩٧

(١٨) لينين : عن بريطانيا ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩

(١٩) لينين : عن بريطانيا ص ١٠١

(٢٠) هارولد لاسكى : نشأة التحررية الاوروبية ص ١٨٦

(٢١) لاسكى : نشأة التحررية الاوروبية ص ١٨٦

دراماتيكية — ان الانســان كان يستعد لنــظام اجتماعى جديد ، يقوم على علاقة جديدة ، علاقة الرجل بالرجل ٠

ثم يضيف :

« وكان بين يديهم الخيار بين الحرب والسلام . ولكنهم كانوا من تمام العبودية بدافع تحقيــق الربح ، حتى انهم باسم الانسانية ، اختاروا فى غفلتهم الحرب ، دون أن يدركوا أن ما يسمونه الانسانية لم يكن شيئا غير الجشــع الذى يخدمونه » (٢٢) ٠

هكذا ، وبهذه العبارات القوية **كتب لاسكى رثاءه** لليبرالية . بعد أن عرض لانهيار الديمقراطيـــة البورجوازية على أيدى النظم الفاشية . وبعد أن تحدث عن الازمة المستحكمة للنظام السيـــاسى والاقتصادى فى الولايات المتحدة الامريكية ، هذا النظام الذى أدى بالمحكمة الدستورية العليا عام ١٩٣٠ الى ان تفتى بعدم دستورية قوانين الاصلاح التى قدمها **روزفلت** للتخفيف من حدة البطالة وانقاذ الفلاحين من الخراب ، وذلك بحجة أن هذه القوانين تمس بكيفية غير معقولة ، حق الملكيــة المقدس ٠

ومن هذا كله تســتخلص المــاركسيــة أن الديموقراطيات الليبرالية ، لم تعد ليبراليــة الا بمعنى مجازى بحت ، خصوصا فى المرحلة الراهنة للنظام الرأسمالى ، مرحلة رأسماليـــة الــدولة الاحتكارية . ففى أيامنا هذه حيث يتحد جهاز الدولة مع المنظمات الاقتصاديــة الامبرياليــة فى بلدان الغرب الرأسمالى ، تحت عسكرة الاقتصاد ، واشـــاعة الروح العســكرية فى كل المجتمـــع البورجوازى . ونتيجة اشتداد جميع تناقضات الرأسمالية ، وتعاظم حركة الطبقة العــاملة العالمية ، وثورة التحرر الوطنى ، تتحول الدولة فى بلدان الغرب الرأسمالية نحو المزيد من الرجعية فى جميع الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية .

وفى ظل هذه الدولة يتم مسخ وتشويه كل القيم والمؤسسات الديموقراطية وكل المثل التى كـانت البورجوازية قد دافعت عنها ابان شبابها ، ابان ثورتها على الاقطاع . ولم يعد يستطيع أى كاتب أو باحث بورجوازى — يلتزم قدرا ولو قليلا مــن الموضـــوعية — ان يخفى مأساة الديمقراطيـــة والمؤسسات الليبرالية فى بلد كامريكا . وما علينا الا أن نرجع الى كتاب « الاحزاب السياسية فى امريكا» وهو من تأليف : **ك٠روسيتر** استاذ النظم الامريكية بجامعة كورنل ٠ فعلى الرغم من أن المؤلف يبذل جهدا خارقا للدفاع عن «الديموقراطية الامريكية » الا انه يقرر :

— ان الفساد يشيع داخل الحزبين اللــذيــن يتبادلان الحكم

— ان سيطرة الحزبين على الحياة السياسيــة تكاد تكون مطلقة وهى تخنق اى محاولة لايجــاد حزب ثالث منافس . وان قوانين الانتخـــاب ، ونفقات الدعاية الانتخابية الباهظــة تضمن لهمــا احتكار السلطة .

— ان الفارق الحقيقى بين الحزبين هو فارق فى الاتجاهات والميول ، لا المبادىء ٠ فلا يوجد فكرة أو برنامج تعتنقـــه طليعـــة أو مؤخـــرة كل من الحــزبين الرئيسيين ، ويترتب على ذلك تشابك حدودهما ، وسهولة تنقل النـــاخبين بـــين الاحزاب (٢٣) ٠

ثم يقول المؤلف :

ان جوهر السياسة الامريكية يتمثل فى عدم انغماس الناس الامريكيين فى السياسة ، وهذا ما يسميه بعض الكتاب عدم مبالاة ، ويسميه آخرون أستهانة ، ولكنى أفضل أن أطلق عليه تسميات اخرى كالجمود ، والارتجال والاذعان (٢٤) ٠

ثم يضيف :

انه اذا كان قانون حكم الاقلية قد سيطــر على الحياة السياسية الامريكية ، فان ذلك يرجع جزئيا الى عدم اهتمام معظم الامريـــكيين ، ورفضـــهم الانغماس فى الســـياسة ٠ ويقـــرر ان اقبـــال الامريكيين على استخدام حق التصويت أقل من اقبال اى شعب آخر فى العالم (٢٥) ٠

وهنا نصل الى بيت القصيد : « **حكم الاقلية** » ٠ فالواقع أن رأسمالية الدولة الاحتكارية هى حكم الاقلية من أصحاب المليارات وكبار القـــادة

[٢٢] لاسكى : نشـأة التحـــررية الاوربية ص ١٩٠
[٢٣] روسيتر : الاحزاب السياسية فى امريكا — ص ١٣ — ترجمة د ٠ محمد لبيب شنب
[٢٤] روسيتر : نفس المصدر ص ٢٦
[٢٥] روسيتر : نفس المصدر ص ٣١

العسكريين • وفي ظل هذا الحكم تتغير الصورة تماما . فالليبرالية كايديولوجية ونظام قد نفقتفى الدول الامبريالية . واذا وجدت فئات وشرائح اجتماعية لا تزال تراودها احلام الماضي الليبرالي الجميل ، واذا وجد مثقفون شرفاء لا يزال يحركهم المثل الليبرالي الاعلى : حرية الضمير ، حرية الكلمة ، حرية الاجتماع •. الخ • فهؤلاء هم أبناء الطبقات المتوسطة فى البلاد الامبريالية الطبقات التى تتعرض ملكياتها المتوسطة والصغيرة للخراب ومثل هذه الطبقات لم تعد لها القيادة الفعلية فى مجتمعاتها . وهى مطالبة بأن تستند وتتحد مع طبقات الشعب الكادحة من أجل الدفاع عن المثل والمؤسسات الديموقراطية .

هذه القضية ، كانت الاحزاب العمالية والشيوعية قد بدأت توليها كل عنايتها منذ مجيء هتلر الى الحكم • فدعا ديمتروف الى الجبهة الشعبية المتحدة ضد الفاشية التى تضم العمال والفلاحين والبورجوازيين الديموقراطيين ضد الفاشية . ودعا الى الدفاع عن المؤسسات الديموقراطية البورجوازية ضد زحف اليمين الرجعى والفاشية • كما طرح موريس توريز القضية بوضوح عندما قال فى ذلك الوقت :

« انه بين الفاشيين ، وبيننا نحن البروليتاريين الثوريين ، بدا السباق من اجل كسب الطبقات المتوسطة » (٢٦) •

لكن بينما تدعو الماركسية الى تقييم المؤسسات الديمقراطية البورجوازية ، والدفاع عنها ضد هجوم الرجعية لا تمل من التأكيد على أن الحل الاساسي لتناقضات المجتمع هو الديمقراطية الاشتراكية ومن هنا فان الدفاع حتى – عن مكتسبات الديموقراطية البورجوازية، يقترن بنضال يتعاظم من اجل توسيع هذه الحقوق لمصلحة العمال والفلاحين والمثقفين ، ومن اجل تعميق المحتوى الاجتماعى لهذه المكتسبات .

---

[٢٦] فيسلار وآخرون : الجبهة الشعبية : فرنسا من ١٩٣٤ – ١٩٣٩ –مطبوعات معهد موريس توريز • باريس ١٩٧٢.

بدء ظهـــور الليـــبرالية المصريـــة

تعليـــق على بعض المفـــاهيم الخـــاطئة حـــول فـــترة محمـــــد عـلى



بيتر جران

بيتر جران .. طالب دراسات عليا فى قسم التاريخ بجامعةشيكاغو يدرس حاليا فىالقاهرة يعد رسالة دكتوراه عن الشيخ حسـن العطار

ظهرت الليبرالية كأيديولوجيـــة ســـائدة للطبقة الوســـطى فى اوروبا قبل أن تصبح شيئا له أهميته بالنسبة للعالم الثالث بقرنين من الزمان . ولقد عزى المستشرقون تقليديا هذا التأخير الى الايديولوجيات اللاهوتية فى الشرق التى أنكرت فكرة التقدم على الارض واتجهت الى معارضة التغيرات التكنولوجية . وتحاول هذه الدراسة أن تطل على المشكلة من زاوية أخرى محاولة أن تثبت أن التغيرات الايديولوجية فى مصر التى قادت الى الليبرالية كانت احدى نتائج التحولات الواسعة فى الاقتصاد العالمى فى القرن التاسع عشر ، وأن هذه التحولات كان لها تأثير كبير أيضا على الايديولوجية التقليدية الرئيسية التى أعيد تشكيلها مع مطلع القرن العشرين لتتوافق مع الليبرالية السائدة فى تلك الفترة .

لقد دخلت الليبرالية مصر فى البداية عنـد لحظتين تاريخيتين من النصف الاول للقرن التاسـع عشر تم نمت أهميتها بشكل كبير فيما بعد . والامر الشائع هو اعتبار هاتين الفترتين هما الفترة النابليونيـــة ، وفترة التجـــديد البيروقراطى . Bureaucratic Innovation خـــلال حكـــم محمد عـلى ، ولكـــن الامـر الذى تم انكاره بشكل خاص فى الكتابات الخاصة بتحديث مصر هو أن تاريخ ادخال ايديولوجية ما ليس بالاساس الكافى للحكم على متى أصبح لهذه

الايديولوجية تأثير تحويلى على مجتمع معين ..
ولسوء الحظ فلقد نحا اولئك الذين كتبوا عن التمدن نحو الاخذ بوجهة النظر العكسية ناظرين الى تطور الايديولوجية كعملية نطر مستمرة ، ما أن تبدأ حتى تستمر بقوتها الذاتية . ولذلك وجد مؤرخو المدرسة الليبرالية فى انجازات محمد على نوعا من انجاز مخططات نابليون . صحيح أنه يوجد بالفعل عدد من المتشابهات التى تلفت النظر ولكن فى هذه الحالة كما هو الحال فى غيره يخفى التشابه نوعا من عدم التماثل .

لقد تطورت الليبرالية الاوربية كتعبير عن المصالح الطبقية لبرجوازية التصنيع ، ولم يكن لهذه البرجوازية وجود فى مصر فى كلتا الفترتين المشار اليهما سابقا . وبدلا منها كانت توجد فى فترة محمد على بيروقراطية حاكمة تساند التغير التكنولوجى وخاصة تلك التغيرات التى لا تخدم بالضرورة الطبقة الوسطى المتواجدة . ان العلامة المميزة لليبرالية الاوربية كانت المطالبة بالحرية . حرية يضمنها دستور يقر الواجبات والحقوق ، ويجرى وضعها جميعا فى التطبيق من خلال بناء برلمانى ،ولم يكن هناك فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر مثل هذا المطلب لاسباب سوف نشير اليها .

لقد دخلت مصر اسلوب الانتاج الراسمالى عبر رأسمالية الدولة وليس عبر رأسمالية المقاولات التجارية . لقد عملت الدولة ونجحت فى المحافظة على نوع من الاحتكارات حتى اجبرت اتفاقية لندن محمد على على تحطيم هذه الاحتكارات وفتح سوقه للتدخل الاوروبى المباشر . فاذا ما حاول المرء التصدى للمهمة الصعبة ، مهمة تقصى الاساس الايديولوجى لهذه البيروقراطية المبتدعة فسيجد نفسه ميالا لان يبحث عنه كتعبير موحد عن مصالحها . الا أن لحظة واحدة من امعان النظر ستبين أنه على خلاف وضع أى طبقة كان الوضع داخل البيروقراطية فى الاساس وضعا راسيا يتضمن تدرجا واسعا فى السلطة والثروة . وبالاضافة الى ذلك فان هذه البيروقراطية فى الواقع كان ينقصها وضع الديمومة والاستقرار فى اكثر فتراتها نشاطا ، لقد كانت فى حالة تعديل مستمر كى تلائم حاجات اللحظات التى تواجهها والتى كان يمليها بدورها الصراع الدائر داخل بنيان البيروقراطية بين مختلف الطوائف السلالية المختلفة التى كانت تجد فى بعض الاحيان المساعدة من الحكومات الخارجية (١) . ولقد مثلت هذه الصراعات تهديدا امام محمد على حتى انه وجد فيها ذريعة لان يدفع الى الامام بمواليد مصر الاصليين كقوة مقابلة وجعل لهم الافضلية فى بعثات ١٨٣٠ . والنتيجة التى يمكن استخلاصها من هنا أنه على خلاف أوروبا لم يكن الفرد فى مصر منفصلا عن الدولة باحثا عن حقوقه ضدها . كانت البيروقراطية مجالا يتطلب ولاء طائفيا . وكان هذا الولاء يقترن بنوع الابهة اليومية التى كانت تعتبر من الفضائل الاساسية لهذا العصر ، بينما الاعتبارات الطويلة المدى نادرا ما كانت تهم ان الامر كان على عكس ذلك بالنسبة للراسماليين الاوائل . فرجل الراسمالية الاولى الذى كان يعتمد كلية على نفسه كان عليه ان يعيد كل أرباحه مرة أخرى الى الاستثمار املا فى النمو طويل المدى . لقد كان هذا يضطره لان يعيش عيشة تدبير واقتصاد بينما نجد البيروقراطية من الجانب الاخر لشعورها بعدم الثقة فى المدى الطويل كانت تحاول بشكل طبيعى لان تزيد الارباح الشخصية الى اقصى حدود باسرع ما يمكن . وقبل سنوات ١٨٣٠ التى رأت العودة بهدوء الى الملكية الخاصة للارض فى مصر لم يكن الفرد البيروقراطى ليتوقع بشكل اوتوماتيكى أن يستفيد من الارتفاع فى الانتاج الزراعى أو الصناعى الذى يكون تحت ادارته الا بشكل عرضى عن طريق التوسع فى الانفاق الحكومى ، ولذا فان مناظرة العلاقة بين البيروقراطية والفلاح بالعلاقة بين الرأسمالية والعامل مناظرة زائفة ... فالعلاقة الاخيرة تمثل علاقة طبقية لا تمثلها الاولى .

ان هذا يقودنا الى فرضيتى الثانية ، وهى النظر الى الخلافات السابق عرضها على ضوء البنيان الاجتماعى ، ويبدو من البلاهة التأكيد على ان يكون البروقراطيون المصريون فى فترة محمد على سواء الذين تعلموا فى أوروبا أم لا ليبراليون الا بمعنى محدود جدا . وبالرجوع فى ايجاز الى الشخصيتين الاصلاحيتين المعروفتين فى تلك الحقبة سيكون فى امكاننا تقديرهما على اسس ايديولوجية ملائمة . وهاتان الشخصيتان اللتان يمكن للمرء أن يختارهما هما الشيخ حسن العطار (١٧٦٦ ـ ١٨٣٥) المثقف المصرى

(١) ربما كانت أهم اشكال المساعدة الخارجية التى وجدتها مصر فى سنة ١٨٣٠ هى مساعدة السان سيمونيين ، ولقد كانوا تفرعات عن الليبرالية الاوربية الكلاسيكية تؤمن بالجماعية .

الاول الــذى اســتطاع ان يعى أهمية التقـدم العلمى الاوروبى ، وأول من دافع عن ادخاله فى مصر ، والشيخ رفاعة الطهطاوى تلميذ العطار الاكثر شهرة الذى واصل وطور أفكار اساتذته بعد عودته من باريس ، يبدو من غير الضرورى أن نسجل هنا القائمة الطويلة من الاجراءات التقدمية التى دافع كل منهما على ادخالها سواء فى مجال التعليم أو الطب الحديث ، وأهميــة التعلم من الاوروبية الخ . فأعمالهم فى مجالات الاصلاح الثقافى تجعلهم بحق أكثر المثقفين المصريين أهمية فى النصف الاول من القرن التاسع عشر . ولكن ما يأخذ المرء فى هذا الصدد ليس مجرد مدى الاتجاهات الاصلاحية عند العطار والطهطاوى ولكنه غياب أى ايديولوجية فى كتابات العطار وكتابات الطهطاوى الاولى يمكن بها تاصيل الاجراءات الاصلاحية .

لقد رأى بعض الكتاب فى هذا الامر برهانا على التأثير المعوق للايديولوجية التقليدية ، وهــذا صحيح ولكن بمعنى محدد وهو أن المثقفين ذوى العقلية الاصلاحية فى فترة محمد على تم تطبيعهم لتمرير التغيرات الاصلاحية خــلال قنــوات البيروقراطية ولم يترك لهم الا فرصة قليلــة للانغماس فى المجردات التى يمكن عن طريقها خلق نظرة عالمية واسعة جديدة كما كان الحال فى أوروبا ، والتى ما أن تتم صياغتها حتى كانت ربما تعجل التحول الذى كان جاريا من مجتمع اقطاعى الى مجتمع رأسمالى . ان المرء يمكنه أن يفحص كتاب الطهطاوى « تخليص الابريز فــى تلخيص باريز » دون ان يجد أقل تفهم للطبيعة التعاقدية للدول البرجوازية . وبالمثل ففى **الاناشيد الوطنية** التى كتبها الطهطاوى فى ســنة ١٨٣٠ نجــد الطهطاوى يعبر بها عن حب البلد ذات طبيعة سابقة على القومية .

ويمكن للمرء على وجه الخصوص ان يلاحظ أنه فى مجال اصلاح اللغة العربية، وهو المجال المحرج، أن المناقشة كانت فى بدايتها فقط حول القضية العامة لعدم الامانة والمبالغة التى يحتويها أسلوب السجع وهو أسلوب على المرء أن يستنتج انه كان ذو فائدة بالنسبة للبيروقراطيين . فلقد أبدى العطار رد فعل واع ضد هذا الاتجاه فى مجال الادب ، وهو رد فعل يرجع من وجهة نظرى جزئيا الى وضعه الاجتماعى الهامشى . ان أمانة الكتابة والتى كانت علامة مميزة للروح البرجوازية ولدت مع محمود سامى البارودى الذى كانت فترة انتاجه الادبى أساسا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وهى الفترة التى سنبحثها الان (٢) .

فجر الرأسمالية المالية فى أوروبا
وانبثــاق الليبــراليــة فى مصر

مرة أخرى ، لكى يضع المرء يده على التحولات الايديولوجية فى مصر من الضرورى أن يلقى نظرة على تطورات الرأسمالية فى أوروبا . ومنذ بداية منتصف القرن التاسع عشر صدرت سلسلة من القوانين فى انجلترا كانت تكشف طبيعة التحولات التى تجرى فى تلك البلد .

« كانت انجلترا هى البلد الاول التى تسمح بقيام الشركات المساهمة . فمنذ ١٨٤٤ يمكن للشركات المساهمة أن تتشكل بمجرد التسجيل ببساطة بدون الحاجة للحصول على ترخيص من القصر أو البرلمان . ومنذ ذلك الوقت والشركات تتمتع بكل ميزات اكتسابها للشخصية القانونية وهو وضع كان فى السابق محصورا على تلك الاتحادات التى تتشكل بمرسوم ملكى أو قرار خاص من البرلمان .

وعلى الرغم من أن قانون ١٨٤٤ سمح ببيع وشراء الحصص فان مسئوليات حملة الاسهم ظلت بلا حدود . وفى ١٨٥٥ تم الاعتراف بمبـدأ المسئولية المحدودة . وبعد ذلك أصبح حملة الاسهم غير مسئولين عن الديون العامة الا فى حدود حصصهم .. (٣)

ويلاحظ نفس المؤلف أن صدور هذه التشريعات الليبرالية كان متطابقا بشكل خاص مع تصدير رأس المال للاستثمار خلال الثورة التى أحدثتها هذه القوانين فى نظام الائتمان .

واذا ما تركنا الان التحولات التى كانت تحدث داخل بنيان الرأسمالية الاوربية ، نعود لمسح سريع

---

(٢) م.م. بدوى « البــارودى رائد النهضة الشعرية العربيــة الحــديثة » Die Wele des Islams ــ مجلد ١٢ (١٩٦٩) رقم ٤ ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠ .

(٣) حســام م. عيسى الرأسماليــة والشركات غيــر الرســمية فى مصر (باريس ، مكتبة بيتسون ، ر . ديورانك اوزياس ١٩٧٠) ص ٣٩ ــ ٣٦ . وهو الكتاب الاول الذى يعالج هذا الموضوع الهام من الزاوية القانونية .

لعصر اسماعيل فى مصر . ان التغير الاساسى الذى نلاحظه عن الفترة السابقة انه بينما كانت المبادرات الاقتصادية السابقة ترتبط بالبيروقراطية التى تساعدها بعض العناصر الخارجية ، فان هذه العناصر الخارجية الان بزغت بشكل كبير بعد أن دعمتها التحولات التى أشرنا اليها فيما سبق وأنها أصبحت الان تسيطر على الاقتصاد . لقد أصبحت توجد الان مجموعة واسعة من الاجانب تعيش فى مناطق متمركزة مثل الاسكندرية والقاهرة فى تحالف مع كبار ملاك الاراضى والاقليات . وهذا التشكيل الديناميكى أرسى فكرة الربح وأخذ يطالب باسم الليبرالية بحقوق وضمانات أكثر فأكثر من الخديوى . وبهذا المضمون انبثقت الليبرالية فى مصر . ان الاوربيين المستغلين للمصادر الزراعية والتجارية المصرية طالبوا بالحقوق التى اكتسبتها من قبل الطبقة الوسطى الانجليزية فى مواجهة العرش والارستقراطية منذ وقت مبكر فى منتصف القرن الثامن عشر . فى تناقض ظاهرى أخير أنه فى نفس الوقت كانت الليبرالية الكلاسيكية يتم ادخالها الى مصر كانت تعانى فى أوروبا تطورا جديدا مختلفا لم يكن له انعكاس مباشر فى مصر . ذلك أن الليبرالية فى انجلترا بعد أن جردت من بريقها الاول كانت تتحول الى سلاح للقوى المحافظة فى مواجهة نهوض البروليتاريا الانجليزية (انظر أخلاقيات برادلى) .

واذ نلقى نظرة على الاعمال العربية المبكرة فى التراث الليبرالى سنشير الى ثلاثة أعمال باختصار وكخاتمة . الاول كتبه الشيخ حسين المرصفى استاذ الادب فى دار العلوم التى كانت قد انشئت حديثا وهى المساء « **مقال فى ثمانى كلمات** » فهنا نجده يحاول ممارسة تقليدية لادخال ثمانى اصطلاحات سياسية ولكن برغبة جديدة لاستخدام معان جديدة بصيغ قديمة ، وهذا العمل كان يتبع نفس الطريقة التى اتبعتها العملية الاكثر اهمية فى تلك الفترة ، كتاب رفاعه الطهطاوى « مناهج الالباب المصرية فى مباهج الاداب العصرية » فى عام ١٨٦٩ ؛ وكتاب الشيخ محمد عبده « رسالة التوحيد » ، وكتاب الطهطاوى هو تجميع وشرح لاسس المجتمع البرجوازى . فاذا ما أخذ مع ترجمته من الفرنسية للقانون المدنى الفرنسى « تعريب القانون المدنى الفرنساوى » فى عام ١٨٧٦ فان كتابات الطهطاوى لتمثل التعبير الاكثر تركيزا للمجتمع الليبرالى التى كتبت فى مصر فى القرن التاسع عشر . فاذا انتقلنا الى رسالة محمد عبده فان المرء يجد أن العوائق الاخيرة قد أزيحت عن الطريق - فهنا نجد أن دراسة متقصية للاسلام بواسطة المفتى الاكبر لمصر لم تجد أى موانع دينية هامة تحول دون تقدم الليبرالية مما خلق أساسا ايديولوجيا لتقدم البرجوازية المصرية .

موقـــع الفكـــر الاســـلامى الحـديث

مــن الاتجــــاه

الليـــــبرالى



محمــــد عمـارة

في أية صفحـات تكتب ، كى تتصدى لـدراسة موقع الفكر الاسلامى الحديث من الاتجـاه الليبرالى ، لابد لنـا من التنبيه اولا الى عدد من المقدمـات والعناصر التى لابد من طرحهـا والتمهيد بها للدخول فى صلب الموضوع ـ فمثلا :

● نحن نعنى بالفكر الاسلامى الحديث : حركة البعث والاحياء التى كان طليعتها ورائـدها الفيلسوف الثائر جمال الدين الافغانى (١٨٣٩ ـ ١٨٩٧ م) ، والتى بذر بذورها ، على وجـه الخصوص ، فى سنوات اقامته بمصر (١٨٧١ ـ ١٨٧٩ م) ، وهى الحركة التى امتدت فى حياته ومن بعد وفاته ، وان كنا نقتصر فى تناولنا هنا على قسماتها عند الافغانى وحده ، لضيق المقام عن استيعاب دراسة هذه الحركة عند غيره من أمثال محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) ، والكواكبـى (١٨٥٤ ـ ١٩٠٢ م) ، ولان الافغانى كان أعظم مفكرى الثورة والاصلاح الاسلامى فى النصف الاخير من القرن الماضى على الاطلاق ٠

● اننا عندما نتناول هذا الموضوع لا نعنى أن فكر الافغانى ومدرسته كان امتدادا للفكر الليبرالى الاوربى فى الارض العربية الاسلامية ٠٠ فلقد كان لهم منطلقهم الخاص والمتميز ، وذلك بحكم اختلاف واقعهم عن الواقع الاوربى ، وتميز ميـراثهم الحضارى عن ميراث الاوربيين ، وأيضـا لان منطلق الحركة الليبرالية فى أوربا لم يكن منطلقا دينيا ، ولم يكن أصحابها حريصين على اقامـة الوفاق بين فكرهم وموقفهم وبين قيم الديـن وتصوراته ومعطياته ، بينما كان التجديد للفكر الاسلامى ولواقع المسلمين خاصة والشرقيين عامة هو المنطلق الذى انطلق منه الافغانى وتلاميذه فى دعوتهم للثورة أو الاصلاح ٠٠ وهذا الاختلاف والتمايز هو الذى يقف وراء ما نراه فى فكر هؤلاء المفكرين من وجود بعض قسمات الموقف الليبرالى وغياب بعض القسمات ٠٠ بل ووجود قسمات اخرى مضادة لما يراه الليبراليون ٠

● ان هذه القسمات الليبرالية التى نلتقى بها فى فكر هؤلاء المفكرين المسلمين لا يصح النظر

اليها باعتبارها « نبتا » أوربيا استعاره هؤلاء المفكرون من الحركة الليبرالية الاوربية ، وانما هى « نبت محلى » أصيل غرسته هذه الحركة فى أرض الواقع المصرى والشرقى عندما استوعب روادها حقائق هذا الواقع ووعوا تراثه الحضارى الضارب فى أعماق التاريخ، وبالذات تراث العصور الذهبية لهذه الامة ·· أما الذين يرون فى هذه القسمات فكرا اوربيا استعاره هؤلاء المفكرون فهم أصحاب الموقف الرجعى والجامد والمحافظ الذين حاربوا فكر هذه المدرسة وناصبوا روادها العداء ··

وهذا لا يعنى أن الصلة كانت مقطوعة بين هؤلاء المفكرين وبين الفكر الليبرالى الاوربى ، فلقد قرأوا للمفكرين الاوربيين ، ثم رحلوا الى أوربا وعاشوا فيها ــ خصوصا الافغانى ومحمد عبده ــ ·· ولكن **الامر الذى يقف خلف هذا التماثل والتشابه فى هذه القسمات هو تشابه الواقع المصرى الذى كانت تنشأ فيه طبقة بورجوازية تتطلع الى عالم مختلف كيفيا عن عالم الارستقراطية التركية الاقطاعية الذى ساد قرونا فى ظل الدولة العثمانية ·· تشابه هذا الواقع بالواقع الاوربى الذى ظهرت فيه الحركة الليبرالية عندما كانت التعبير عن عالم البورجوازية الثائرة على عالم أمراء الاقطاع والاباطرة والبابوات ··**

وخلف هذا التماثل والتشابه أيضا يقف المد الاستعمارى والزحف الامبريالى الاوربى على بلاد الشرق والشرقيين ·· ذلك الزحف الذى لم ينقل الى الشرق حضارة الغرب ، ولكنه كان بمثابة التيار الكهربائى الذى « مس » الشرقيين ، فلم يصعقهم الى حد الموت ، ولكنه أيقظهم من سبات العصور الوسطى والمظلمة التى خيمت عليهم تحت حكم المماليك والعثمانيين ، فكانت البدايات التى أعقبت الحملة الفرنسية ، والتى غدت عملاقة فى مدرسة الافغانى « الثورية فى بعض الجوانب ــ والاصلاحية فى جوانب اخرى » ، عندما ارادت أن يتصدى الشرق لهذا الزحف الاستعمارى متسلحا بنفس الاسلحة التى مكنت هذا الغرب من بلوغ ما بلغه من قوة وجبروت ، وذلك دون أن يفقد الشرق عناصر قوته الخاصة ومميزاته الصالحة للعطاء والقابلة لتطوير حياته ، ودون أن يتم اقتلاع الشرقيين من واقعهم وتراثهم « بالتفرنج » والتقليد للاوربيين ··

فالقسمات الليبرالية فى هذه المدرسة ــ اذا ــ هى ثمرة للعناصر المتشابهة فى الواقع الطبقى ، وكذلك للاحتكاك بين الشرق والغرب الذى نشأ منذ حملة بونابرت سنة ١٧٩٨ م ·· وبالذات بعد قيام الدولة المدنية الحديثة فى مصر بقيادة محمد على ، وهى الدولة التى فتحت النوافذ على العالم ، فتم « تجديد المخالطات المصرية مع الدول الاجنبية ــ بعد أن ضعفت الامة المصرية بانقطاعها المدد المديد ــ مما اذهب عنها داء الوحشة والانفراد » !؟ كما يقول رفاعة الطهطاوى ··

والذين يتتبعون دراسة فترات الاحتكاك بين الشعوب والحضارات يلمسون جيدا ذلك التفاعل والتأثير والتأثر فى « القيم » و « الافكار » و « ادوات الصراع » ·· فبعد الفتح العربى ، ودخول أمم ذات حضارات وثقافات عريقة وغنية فى الامبراطورية العربية الاسلامية واجه « **المعتزلة** » مثلا الجوانب التى رفضوها من فكريات الهند وفارس واليونان بصراع كرى تسلحوا له بأسلحة الفلسفة اليونانية ، بعد أن هضموا ما وافق وطور الواقع الذى نشأوا فيه ··

محمد عبده
(١٨٤٩ ــ ١٩٠٥ م)



■ اهم مفكر مصرى فى العصر الحديث تكونت من حول آثاره الفكرية ومواقفه العملية مدرسة فكرية أثرت ولا زالت تؤثر حتى الآن ·· فى مصر والعالمين العربى والاسلامى ·

● فكره السياسى بدا بعيدا عن الموقف الليبرالى ، فلقد بدأ ــ قبل الثورة العرابية ــ مناهضا للحكم الشورى النيابى ، ولا يرى تقييد الحكومة بالدستور بحجة ان ذلك لا يلزم بدون وجود « رأى عام » ، وهو ما رآه غير متوفر فى مصر ·· وأثناء الثورة العرابية تعاطف معها وانضم اليها ودافع عن الحكم الشورى النيابى وعن الدستور ، ولكنه ظل يحبذ تركيز السلطة فى فرد مقيد بالقانون والدستور ·· وبعد فشل الثورة وعودته الى مصر من المنفى دافع عن فكرة « المستبد العادل » الذى لابد منه للشرق كى ينهض به وبأهله ·

ولكنه قدم فى الجوانب العقلية فكرا متقدما يقف به على أرض الليبرالية ·· ومن أهم جوانب فكره « العلمانية » التى فسر على ضوئها موقف الاسلام من السلطة الدينية ، فلقد قرر أن الاسلام ما جاء الا ليهدم السلطة الدينية ، وان الحكومة فيه مدنية ، وانه حتى مناصب « المفتى » و « القاضى » و « شيخ الاسلام » هى مناصب « مدنية » لا يحق لاصحابها ان يتحدثوا بسلطان الدين ·

وعندما أخذت أوربا تستيقظ بعد عصورها الوسطي والمظلمة اتخذت من فلسفة « أرسطو » كما وصلتها في شروح « ابن رشد » سلاحا تواجه به اللاهوت الكنسى الضاغط على أنفاسها ، ويومها استعارت الكنيسة ـ ممثلة في « توما الاكويني » نفس الاسلحة التي حارب بها « الامام الغزالي » الفلسفة والفلاسفة ، كي تحارب بها « الرشديين اللاتين » !! .. فذلك اذا قانون التأثير والتأثر والتفاعل في فترات الاحتكاك ـ السلمى أو الحربى ـ بين الشعوب والحضارات .. وهو الذي يقف وراء ما سنشهد من قسمات ليبرالية في فكر **الافغاني** .وايضا وراء ماتجد من تمايز وفروق بين فكره وفكر الليبراليين الاوربيين ..

اما القسمات الليبرالية التي نستطيع أن نتلمسها في حركة الفكر الاسلامى الحديثة هذه فان في مقدمتها :

١ ـ **العقلانية** التي واجهت بها هذه المدرسة الموقف الذي ساد الشرق لعدة قرون ، ركن فيها أهله الى « النقل » و « ظواهر النصوص » ، واعتمدوا فيها على « المتون » و « الملخصات » المحفوظة دون وعى ، أو «الموسوعات» التي تجمع أشتات ما دونه القدماء ، دون ابداع أو ابتكار أو اضافة أو تجديد ..

٢ ـ **النزعة التحررية** التي واجهت بها هذه المدرسة النظام الاستبدادى الفردى الذي ساد الشرق عدة قرون ، حتى ليكاد يصعب على الباحث تلمس الفترات التي نفض فيها هذا الشرق عن كاهله هذا الاستبداد ؟!

٣ ـ **العلمانية** التي واجهت بهاهذه المدرسةما تراكم على تعاليم الاسلام من « قيم » و « أفكار » غريبة عن أصوله الجوهرية والبكر ، وهى الاضافات التي أدخلت فيه نظرية « الحق الالهى » الاقطاعية ، وأنظمة وطقوسا تكاد أن تحاكى « الكهنوت » الغريب عن جوهر هذا الدين .

٤ ـ **نقد النظام الطبقي المتوارث والثابت** ، وهو النقد الذي وجهته هذه المدرسة الى نظام الارستقراطية التركية ، عندما كان هذا النظام يمثل حجر عثرة في سبيل نمو طبقة بورجوازية وطنية جديدة ، تحترم العمل ، وتنبذ حياة البطالة والتبطل ، وتسعى الى أن يكون السعى والكسب والثروة هى المعايير التي تحدد الوضع الاجتماعى ، وليس النسب والحسب الموروث .

وفى هذه القسمة الاخيرة تواجهنا فروق تميزها عن الموقف الليبرالى في هذا المجال .. فبسبب من

عبد الرحمن الكواكبى

(١٨٥٤ ـ ١٩٠٢ م)

■ ولد في حلب ، وكافح فيها . عن طريق الصحافة ، ضد سلطة العثمانيين ، ودخل السجن واضطهد ، ثم هاجر الى مصر سنة ١٨٩٩ م .. وفيها نشر أفكاره عن الحرية والاستبداد ، وهى الافكار التي استفاد فيها وتأثر بالفكر الليبرالى الاوربى ، وقدم في (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) جوهر الموقف الليبرالى في الحرية والديمقراطية مطبقا على واقع العرب ، خصوصا من يعيشون منهم تحت نير الحكم العثمانى .

● ولقد دافع في كتابه (أم القرى) عن ضرورة قيام التنظيم السياسى ، وضرورة الاخذ بطريق العدالة الاجتماعية التي نادى بها الاسلام . كما قدم نموذجا للائحة ونظام داخلى لجمعية سرية قيل انه كان لها نصيب في الواقع والحقيقة وأنها لم تكن مجرد تخيل من الكواكبى .. وله في القومية والعروبة آراء تجعله من رواد عصر النهضة العربية في هذه الميادين .

ضعف البورجوازية المصرية والشرقية يومئذ ، وبسبب من النشأة الشعبية لاعلام هذه المدرسة الفكرية .. وبسبب من انعطاف الافغانى بالذات الى الجماهير الشعبية وتعليقه الامال عليها في النضال ضد الاستعمار .. ولاسباب فكرية تمثلت في انحياز كثير من المفكرين المسلمين القدامى الذين كتبوا في (الاموال والخراج) وفسروا آيات القرآن الاجتماعية ، انحيازهم الى صف « الجماعة » ومناصرتهم للعدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى .. لهذه الاسباب وغيرها وقفت هذه المدرسة الفكرية في المسألة الاجتماعية على يسار الموقف الليبرالى ، فاتخذ محمد عبده مثلا موقفا « راديكاليا » من قضية الاموال والاغنياء والفقراء .. وتحدث الكواكبى عن الاشتراكية داعيا لها ومحبذا اياها .. وختم الافغانى رحلة تطوره الفكرى بالدعوة اليها ، بل والقول بحتمية سيادتها جميع انحاء العالم في يوم من الايام ؟!

أما الفارق الجوهرى بين قسمات هذه المدرسة الفكرية وبين الموقف الليبرالى ، والذى لا يعد موقفا أكثر تقدما من الليبرالية ، وانما هو متخلف عنها فهو موقف الشيخ محمد عبده من نظام الحكم ، الذي انحاز فيه الى جانب سلطة الفرد المقيد بالقانون ، والذى تطور ـلى دربه الى الدعوة

لنظرية « المستبد العادل » الذى لابد للشرق منه كى يتم له ولاهله الصلاح والاصلاح ؟! (١) .

العقلانية الاسلامية

فى الفكر الاسلامى ، بل وفى الفكر الانسانى عامة ، أنماط متميزة ودرجات متفاوتة من الايمان بالعقل والاطمئنان الى قدراته والثقة فى معطياته .. وفى هذا الفكر أيضا مواقف متعددة ازاء المنطلق الذى يدعو المفكر الى البدء منه .. فمن الفلاسفة والمفكرين من دعا الى اتخاذ العقل المنطلق الوحيد ، وحبذ اهمال النصوص المأثورة عن الاولين ، وبالذات ما تعلق منها بالغيبيات ، ومن الفلاسفة والمفكرين من دعا الى عدم اهمال النصوص .. واعلام مدرسة التفكير الاسلامى وجعل لها جمهورها وهم عامة الناس ، فى نفس الوقت الذى أعلا فيه من قدر العقل واتخذه الاداة الاولى والوحيدة فى البحث عن تفسير لأمهات المشاكل الفلسفية والقضايا الرئيسية التى انتصبت وتنتصب علامات استفهامها أمام الفكر البشرى عبر القرون ..

ولذلك فنحن نعرف فى تراثنا وتراث الانسانية أن هنـاك : « فلاسفة » ، وأن هنـاك « فلاسفة الهيبين » .. لان من الفلاسفة من رفض ما سوى معطيات العقل وثمرات بحثه وتفكيره ، ومنهم من استخدم هذا العقل فى تفسير « النصوص النقلية » بعد أن أقر وآمن بأهمية وضرورة معطيات هذه النصوص .. واعلام مدرسة التفكير الاسـلامى الحديث هم من هذا الفريق ، فلاسفة الهيبون .. ولذلك فنحن نسمى « العقلانية » التى كونت قسمة من قسمات مدرستهم : « العقلانية الاسلامية » .. وان كنا ننبه الى تفاوت مستوى هؤلاء الاعلام فى هذا الميدان .. ونؤمن بأن أكثرهم فروسية فى الميدان الفلسفى هو الافغانى ، ولذلك كان أجدرهم بأن يتخذ نموذجا فى حديثنا هذا عن العقلانية الاسلاميه التى تميزت بها مدرسة الفكر الاسلامى الحديث .

فى تراث الافغانى صفحات فلسفية كثيرة ظلت حتى الان بعيدة عن أيدى القراء والباحثين ، بل ظلت حتى الان منسوبة الى غيره ، وخاصة الشيخ محمد عبده .. وبعد ان نشرت أعماله الكاملة توفرت على تحقيق الاعمال الكاملة للشيخ محمد عبده .. وخلال السنوات التى امضيتها فى هذا العمل كشف لى التحقيق العلمى للنصوص عن عشرات من النصوص هى للافغانى ، ومنسوبة خطأ الى الاستاذ الامام . ومنها كتب ورسائل فلسفية ، لا يمكن أن يدرس الموقف الفلسفى للافغانى دون أن

الاسلام وأصول الحكم

■ أصدره مؤلفه الشيخ على عبد الرازق . القاضى الشرعى بمحكمة المنصورة الابتدائية فى سنة ١٩٢٥ م .. فأثار العواصف فى الحياة السياسية والفكرية وأحدث من الدوى والاثار ما جعله معلما بارزا من معالم حياتنا الفكرية ، بصرف النظر عن الاتفاق أو الاختلاف حول ما اشتمل عليه من قضايا ومضامين .. فلقد كان « أتاتورك » قد ألغى الخلافة العثمانية فى ٣ مارس سنة ١٩٢٤ م ، ولوح الانجليز للملك فؤاد بمنصب الخلافة على المسلمين ، هادفين الى أن يصبح أكثر فعالية وطواعية فى أيديهم فى معركتهم ضد الوفد وسعد زغلول ، وهادفين أيضا الى الظهور أمام مسلمى الهند بمظهر محيى الخلافة الاسلامية . وذلك لجذب هؤلاء المسلمين الى صف حكومة الهند الانجليزية واحداث الانقسام بين المسلمين والهندوس فى وقت كانت فيه الحركة الوطنية الهندية قد بدأت تترسم خطى ثورة سنة ١٩١٩ فى مصر التى توحد فيها الهلال والصليب .. وبكتـاب (الاسلام وأصول الحكم) قال الشيخ على عبد الرازق ـ بوعى وبطريق مباشر فيما يتعلق بالملك فؤاد ، وبالتبعية والتداعى فيما يتعلق بمخطط الانجليز فى الهند ـ قال الشيخ على عبد الرازق لهذا المخطط : لا .. ثم لا .. ؟ !

● والقضية الرئيسية التى يدور حولها الكتاب هى أن الاسلام دين لا دولة وان الرسول نبى مبلغ وليس حاكما أو مؤسس دولة ، وان نظام الخلافة الذى عرفه التاريخ السياسى للمسلمين لا صلة له بالاسلام كدين : ولا دليل عليه من القرآن أو السنة أو الاجماع .. وأن المسلمين احرار فى اختيار نظام الحكم الذى يريدونه .

● لقد قاد الملك فؤاد ـ من خلف الستار ـ المعركة ضد الكتاب وصاحبه ، فعقدت (هيئة كبار العلماء) محاكمة تاديبية للمؤلف انتهت بالحكم عليه بما يشبه « التجريد من حقوقه المدنية » عندما حكمت بفصله من وظيفتـه وتحريم توليه الوظائف المدنية أو الدينية ؟ !

---

(١) حتى لا تطول هذه الدراسـة فتخرج عن اطارها المرسوم سنرجىء الحديث عن « العلمانية » عند الاستاذ الامام محمد عبده ، وعن موقفه من النظام السياسى الى فرصة أخرى .

تعود نسبتها اليه وتوضع فى هذا الاطار بين يدى القراء والباحثين ..

ومن هذه النصوص الفلسفية (**رسالة الواردات فى سر التجليات**) والتعليقات التى شرح بهـا **الافغانى** ما كتبه **جلال الدين الدوانى** على كتاب (**العقائد**) **لعضد الدين الايجى** .. وبالطبع فليس هنا مجال للحدث عن مضمون هذه النصوص الفلسفية، وانما الامر الذى نريد أن نلفت اليه النظر هو أن الرسالة الاولى قد أملاها الافغانى سنة ١٨٧٢ م، والتعليقات ـ وهى تكون كتابا كبيرا ـ قد أملاها سنة ١٨٧٥ م ـ وكان محمد عبده لايزال تلميذا بالازهر ـ **وفى هذه الفترة لم يكن بمصر من يطرق المباحث العقليه النظرية فى الفلسفة الاسلاميه سوى الافغانى . على وجه الاطلاق وبلا آية تحفظات** !! فهو رائد التجديد فى هذا الميدان دون جدال . والامر الثانى الذى نريد أن نلفت اليه النظر ـ وهو أكثر أهمية ـ هو أن تعليقات الافغانى التى نشير اليها تضع يدنا على حقيقة كبرى وهامة عندما نرى سعة اطلاع هذا الفيلسوف على الجوانب المتعددة والغنية لتراث العرب والمسلمين فى الفلسفة والالهيات، وانطلاقه هو باضافاته وتفسيراته من فوق أرضية هذا التراث .. فالكثيرون يحسبون أن تخلف المطبعة العربية حتى ذلك التاريخ عن تقديم كنوز التراث هذه قد حال بين مثل الافغانى وبين الانطلاق من هذا المصدر العربى الاسلامى، ولكن احاطة الرجل بتيارات ذلك التراث ومدارسه الفكرية وعرضه لاراء أعلامه ونصوصهم الفلسفية يجعلنا نبصر دور « مكتبات المخطوطات » التى كانت مصدر بحثه وقراءته، ودور الكتب التى كان قد حققها ونشرها يومئذ المستشرقون الاوربيون .. **فكتابات الافغانى الفلسفية هذه، وهى التى كانت رائدة فى هذا الحقل فى عصر نهضتنا وبعثنا واحيائنا، دليل على المنطلق العربى الاسلامى للقسمة العقلانية التى تميزت بها مدرسته الفكريه، وهى القسمة التى ارساها الرجل قبل رحلاته الى أوربا وحياته فى البيئة الفكرية للاوربيين .. فالامر اذا لم يكن « استعارة » من الليبرالية الاوربية، وان كان حدوث التأثر والاستفادة، خصوصا بعد رحلاته الاوربية، هو أمر وارد وواجب الحسبان** .

ونحن اذا تتبعنا « قسمة العقلانية » فى تراث الافغانى وجدنا الكثير من الملامح والتفاصيل، وايضا الكثير من المواقف .. **ولكننا سنكتفى هنا بتقديم عدد من المواقف الفكرية التى تبرز هذه** القسمة الليبرالية فى فكره :

العلاقة بين العقل والنقل : تصدى الافغانى لاولئك الذين يقولون ان « باب الاجتهاد » قد أغلق منذ قرون، وأنه لا مجال للابداع والابتكار، ومن ثم فلا تجوز مخالفة آراء السـابقين .. وكـان الفارق بين موقف الافغانى وموقف خصومه هو الفارق بين الحياة والموت، بين الثورة والجمود، بين الحركة المتدفقة المتطورة للقوى الجـديدة النامية والسكون القاتل لمجتمع الاقطاع، بيـن احياء الامة أو بقائها فريسة ولقمة سائغة فى قبضة الزحف الاستعمارى الاوربى والتخلـف الذى فرضته « دولة الرجل المريض » .

ولقد طرق الافغانى « باب الاجتهاد » الموصد بمنطق : **ان السابقين كانوا رجـــالا فـكروا لعصرهم، ثم تطورت المجتمعات، ونحن رجال لابد أن نقدم الجديد لهـذا العصر الجـديد** .. فقال : « اننى لا ارتاب بانه لو فسح فى أجل أبى حنيفة، ومالك، والشافعى، واحمد بن حنبل، وعاشوا الى اليوم، لداموا مجدين مجتهدين، يستنبطون لكل قضية حكما من القرآن والحديث، وكلما زاد تعمقهم وتمعنهم ازدادوا فهمـا وتدقيقا » (٢) .. وذلك لان التشريعات انما تتبدل بتطور الزمان، وأن السابقين انما « أتوا بمـا ناسب زمانهم وتقارب مع عقول جيلهم » وأن « تبدل الاحكام بتبدل الزمان » يجعل من الخطأ الذى لا يغتفر أن نقف موقف « الجمود والوقوف عند أقوال اناس هم أنفسهم لم يقفوا عند أقوال مـن تقدمهم » (٣) .

وهذا الاجتهاد الذى دعا اليه الافغانى كـان سبيله العقل، فلقد نادى الرجل باعطاء العقل مكان السيادة فى تقسـيم النصوص، والاحتكام اليـه عندما تتعارض ظواهر هذه النصوص مع معطيات العقـل وبرا هينـه، وذلك لان القرآن قـد أتى بالكليات والعموميات فيما يتعلق بهذا الحقل، **وتفسير هذه الكليات والاشارات انما يكون على ضوء أحكام العقل ومنجزات العلوم التى وصلت اليها حضارة العصر**، والتأويل لظواهر النصوص هو السبيل الى هذا التوفيق المنشود « فاذا لم نر فى القرآن ما يوافق صريح العلم، والكليات،

---

[٢] **الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى، مع دراسة عن حياته وآثاره دراسة وتحقيق محمد عمارة . ص ٣٣٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م .**

[٣] **المصدر السابق . ص ٣٢٩ .**

اكتفينا بما جاء فيه من الاشارة ورجعنا الى التاويل . اذ لا يمكن ان تاتى العلوم والمخترعات بالقرآن صريحة واضحة ، وهى فى زمن التنزيل مجهوله من الخلق كامنة فى الخفاء لم تخرج لحيز الوجود » كما أن « القرآن يجب أن يجل عن مخالفته العلم الحقيقى ، خصوصا فى الكليات » (٤) .

ومن الامور التى اهتم بها **الافغانى** ، لتعلقها بقدرة الانسان المفكر وأهليته وجدارته بالاجتهاد والابتكار والابداع – وهى قسمات للانسان الفرد فى الموقف الليبرالى – تحديد مكان هذا الانسان فى الكون ، ومركزه الممتاز فى العلاقة القائمة بينه وبين هذا الكون ، وهو فى تصوير علو قدر الانسان هنا يستعير عبارة الفيلسوف الصوفى **محيى الدين ابن عربى** التى تقول : « ايحسب الانسان انه جرم صغير ؟ وفيه انطوى العالم الاكبر ! » . ثم يمضى قائلا : « نعم .. ان الانسان من اكبر اسرار هذا الكون ، ولسوف يستجلى بعقله ما غمض وخفى من أسرار الطبيعة ، وسوف يصل بالعلم وباطلاق سراح العقل الى تصديق تصوراته ، فيرى ما كان من التصورات مستحيلا قد صار ممكنا ، وما صوره جموده ، وتوقف عقله عنده بأنه « خيال » قد أصبح « حقيقة » .. (٥) » .

وهذا الموقف الذي يعلى من قدر الانسان وقدرته على فض كل الاسرار الكونية يتحدد اكثر واكثر عندما نرى أن الرجل قدأبرز العالم المادى كمصدر رئيسى لفكر الانسان ، بل وقدم لنا صيغة فلسفية شديدة العمق والتقدم للعلاقة القائمة ابدا بين **الفكر** وبين **المادة** فى هذا الكون ، والصلة التى بين **الافكار** وبين **الاعمال** ، فنراه يتحدث عن أن الملاحظة (الشهود) تحدث « فكرا » ثم يعود « الفكر » الى التأثير فى « العمل » والواقع ، ثم تستمر علاقة التأثير المتبادل والتأثر المتبادل دائما وباستمرار لتحدث التغيير الدائم المستمر فى كل الاشياء ، وذلك عندما يقول : ان « **كل شهود يحدث فكرا ، وكل فكر يكون له اثر فى داعية يدعو اليها ، وعن كل داعية ينشأ عمل ، ثم يعود من العمل الى الفكر ، دور يتسلسل ، ولا ينقطع** الانفعال بين الاعمال والافكار مادامت الارواح فى **الاجساد ، وكل قبيل هو للاخر عماد ، آخر الفكر أول العمل ، وأول العمل آخر الفكر** » (٦) .

فى الشعر الجاهلى

◼ كانت كتاب يحدث ضجة كبرى ومعركة حامية فى حياتنا الفكرية الحديثة ،بعد (تحرير المرأة) و (الاسلام واصول الحكم) .. والكتاب محاضرات القاها الدكتور طه حسين على طلبته بكلية الاداب بالجامعة المصرية ، ولكن الضجة لم تحدث الا عندما اخرجه ككتاب فى سنة ١٩٢٦ م .

● والقضية الجوهرية فى الكتاب ان المؤلف قد تناول دراسة تاريخ الادب العربى ، والشعر الجاهلى بالذات ، بالمنهج « الديكارتى » الذى يتطلب « أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل ، وأن يستقبل موضوع بحثه خالى الذهن مما قيل خلوا تاما » بحيث يتجرد من عواطفه القومية والدينية ، وينطلق من فوق ارضيه الشك فى كل شيء ثم يمضى باحثا عن اليقين » .

● وفى بحث الدكتور طه حسين عن اصالة الشعر الجاهلى ، وعن انتحاله ، ناقش المناهج التى كانت تدرس بها حياتنا الادبية القديمة ، سواء فى الازهر او فى دار العلوم ، وقال ان هذه المناهج لا تصنع ادباء ولا تكون ناقدين ، والأ... عرضه لوجهة نظره حول آثر العصبية العربية والدينية والسياسية فى نحل الشعر ونسبته للجاهليين تعرض لاستدلال خصومه بالنصوص الدينية المتعلقة بالتاريخ ، وخاصة قصة الانبياء : ابراهيم واسماعيل ، والعلاقة بين الاسلام ودين ابراهيم ، فشكك فى هذه النصوص الدينية القرآنية ، من موقع البحث العلمى لا الدينى . قائلا :« ليس لى بد من ان اقول لهم : ان هذه النصوص لا تلزمنى من الوجهة العلمية » .

● ولقد رأت قطاعات واسعة من المجتمع المصرى والعربى يومئذ ، فى مقدمتها التيار المحافظ والتقليدى ، ان الكتاب يمس الاسلام . دين الدولة الرسمى ويمس نبيه الى الحد الذى لا يمكن السكوت عليه .. فبدأت المعركة ضد الكتاب وضد صاحبه على عدة جبهات .. فعلى الجبهة الفكرية تناولت الصحافة القضية بالهجوم او الدفاع ، وصدرت كتب عديدة تهاجم الدكتور طه .

وعلى صعيد الجبهة القانونية توالت البلاغات الى النائب العام تطلب مصادرة الكتاب ،ومعاقبة صاحبه ، وفصله من الجامعة .. ولكن تحقيق النيابة قد انتهى الى حفظ الاوراق اداريا فى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٧ .

وانسجاما مع هذه العقلانية وتلك الثقة التى أعطاها **الافغانى** للانسان المفكر أعلن الرجل أنه لا حدود أمام انتصارات الانسان الفكرية على الطبيعة والكون والمجهول ، شريطة ان يتحرر العقل

[٤] المصدر السابق . ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .
[٥] المصدر السابق . ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
[٦] المصدر السابق . ص ١٠٤ .

الانسانى من قيود الاوهام ، فيقول : انه « اذا ظفر العقل فى هذا العراك والجدال ، وتغلب اقدامه على الاوهام ، واستطاع فك قيوده ، ومشى مطلق السراح .لا يلبث طويلا الاوانراه قد طار باسرع من العقبان ، وغاص فى البحار يسابق الحيتان ، وسخر البرق ، بلا سلك ، لحمل اخباره ! ! وتحادث عن بعد اشهر مع غيره كانه قاب قوسين او أدنى ، وهل يبقى مستحيلا ايجاد مطية توصله للقمر أو الاجرام الاخرى ؟! وما يدرينا بعد ذلك ما يأتيه الانسان فى مستقبل الزمان اذا هو ثابر على هذا السير لكشف السر بعد السر من مجموع أسرار الطبيعة التي ما وجدت الا للانسان وما وجد الانسان الا لها » (٧) .

فهو هنا يقدم نظرة جديدة وتقييما جديدا للانسان وقدراته ، وهي نظرة وتقييم تختلف تمام الاختلاف عن تلك التى كانت سائدة ومستقرة فيما قبل عصر النهضة ، وظهور الفكر الليبرالى عند الاوربيين .

ولم ينس الافغانى أن ينبه الى أن هذه المنجزات التى اختص العقول بانجازها ، ليست مما تستسيغ الجماهير ولا العامة قبولها بيسر وسهولة . .ذلك ان معطيات العقل كثيرا ما ترفضها الفطر المريضة ، ولا تستسيغها افهام العوام ، لان « العقل لايوافق الجماهير ، وتعاليمه لا يفقهها الا نخبة من المتنورين . والعلم – على ما به من جمال – لا يرضى الانسانية كل الارضاء ، وهي التى تتعطش الى مثل أعلى ، وتحب التحليق فى الافاق المظلمة السحيقة التى لاقبل للفلاسفة والعلماء برؤيتها ، أو ارتيادها (٨) .

والحديث هنا عن « نخبة المتنورين » ملمح من ملامح الفكر الليبرالي بكل تأكيد .

الديمقراطية الليبرالية

نستطيع أن نقول ان جوهر الموقف الليبرالى بصدد قضية الديمقراطية والحريات قد تجلى بعمق واصالة في موقف جمال الدين الافغاني بهذا الخصوص . .

● ففى أوربا كانت الحركة الماسونية قد ازدهرت كتيار فكرى ونشاط عملى يناهض سلطة البابا الكنسية المتحالفة مع الاباطرة وامراء الاقطاع ، ويناصر حرية البحث العلمى ، ويدعو الى فصل الدين عن الدولة ، ويرفع شعارات الثورة الفرنسية عن (الحرية ، والاخاء ، والمساواة) . . ومن ثم أصبحت هذه الحركة ، فى مجملها ، وخاصة فى بداياتها ومن خلال آهدافها المعلنة ، جهدا فكريا ونشاطا عمليا يناصر الليبرالية والليبراليين .

ولقد ظن الافغاني صدق الحركة الماسونية في مصر ، وتوهم جدية ما ترفعه من شعارات ليبرالية فانضم الى محفلها . . وعندما تكشفت له حقيقة هذا المحفل ، وجبن أهله عن مقاومة سلطان الحكومة المصرية المستبدة ، وممالاة اعضائه للنفوذ الانجليزي الزاحف على البلاد . اعلن الثورة عليهم ، وكان خطابه الذى هاجمهم فيه مركزا على موقفهم من الحرية ، مما يعكس لنا الموقف الليبرالي لدى الافغاني من قضية الديمقراطية والحريات .ويجسده الى حد كبير . . لقد قال : « اذا لم تدخل الماسونية في سياسة الكون ، واذا آلات البناء التى بيدها لم تستعمل لهدم القديم ولتشييد معالم حرية صحيحة واخاء ومساواة ، وتدك صروح الظلم والعتو والجور : فلا حملت يد الاحرار مطرقة حجارة ، ولا قامت لبنايتهم زاوية قائمة !! . . اول ماشوقني للعمل في بناية الاحرار عنوان كبير خطير : (حرية ، مساواة ، اخاء) غرض : (منفعة الانسان ، سعي وراء دك صروح الظلم ، تشييد معالم العدل المطلق) . .ولكن ماسونيتكم ، أيها الاخوان ، اليوم لا تتجاوز « كيس أعمال » و « قبول أخ » يتلى عليه من أساطير الاولين ما يمل ويخل في عقيدة الداخل ، ويسقط مكانة الماسونية فى عينيه . . » (٩) .

وهو موقف يؤكد انحياز الافغانى الى الفكر الليبرالي في الديمقراطية والحرية ، وسعيه للنضال على دربها مسلحا بهذا اللون من الوان التفكير . .

● وعندما تأكد الافغانى من خيانة المحفل الماسونى المصرى لشعارات الماسونية المعلنة ،

---

[٧] المصدر السابق . ص ٣٢٤ ، ٣٦٥ .
[٨] المصدر السابق . ص ٢١٠ .
[٩] المصدر السابق . ص ٥٢١ ، ٥٢٢ .

ومهادنته – على الاقل – للنفوذ الانجليزى الزاحف على مصر ، اعلن استقالته من هذا المحفل ، بعد خطاب ثورى القاه فى مؤتمر للمحفل كان يشهده يومئذ **ولى عهد انجلترا** [10] وقام بانشاء محفل ماسونى شرقى اشرف هو على تنظيمه واختيار أعضائه ، وجعل علاقته بالمحفل الفرنسى كى يستفيد من التناقض الذى كان قائما يومئذ بين الفرنسيين والانجليز على النفوذ فى الشرق ، والذى جعل الفرنسيين يناوئون اطماع انجلترا فى مصر ، ومن ثم اقام ارضا مشتركة بينهم وبين الوطنيين المناهضين لهذه الاطماع .. وفى هذا المحفل اقام **الافغانى** دوائر « للاشغال » و« **المالية** » و « المجهادية » و « الحقانية » .. الخ .. الخ . كى يربى قيادات وطنية تستطيع ان تنهض بقيادة مصر على المستوى الرسمى عندما يحين الحين ..

وكانت الخطوة التالية **للافغانى** فى حقل التنظيم السياسى ، اقامة اول حزب وطنى فى تاريخ مصر الحديث ، وهو (الحزب الوطنى الحر) الذى اقامه الافغانى سرا ، والذى أعلن عنه وعن نشاطه لاول مرة عندما تحركت قيادته ساعية الى خلع الخديو اسماعيل سنة ١٨٧٩ م . وعن هذه الحركة التى أعلن بها الافغانى وجود هذا الحزب يقول الشيخ محمد عبده : « .. ثم ذهب وفد من المصريين ، ومعهم السيد جمال الدين ، الى وكيل دولة فرنسا ، وأبانوا له أن فى مصر حزبا وطنيا يطلب الاصلاح ويسعى اليه ... وانتقل ذلك فى القاهرة وغيرها ، وتناقلته الجرائد ، وهى اول مرة عرف فيها اسم الحزب الوطنى الحر » (١٠)

ونحن نعتقد أن هذا الحزب ببرنامجه وأهدافه كان ابرز تجسيدا للموقف والفكر الليبرالى بمصر فى ذلك التاريخ .. فاقامة التنظيمات السياسية الوطنية ، واتخاذها وسيلة لتحقيق أهداف النضال الوطنى ، هو فى حد ذاته سمة من سمات التجربة الليبرالية فى ميدان العمل السياسى .. أما أهداف هذا الحزب فهى – وخاصة ما تعلق منها بالديمقراطية والشورى والحريات – دليل ساطع على تبنى الافغانى للموقف الليبرالى فى هذا المجال .

فالحزب يناضل من أجل اقامة التجربة الليبرالية فى مصر عن طريق قيام مجلس نيابى منتخب من الشعب ، ووجود حكومة دستورية مقيدة « بالقانون الاساسى » (الدستور) . ويتحدث الافغانى الى الخديو **توفيق** قبل – ان يعلن تنكره لاراء **الافغانى** – فيطلب منه سلوك هذا الطريق وتنفيذ وعوده القديمة قبل اعتلائه « أريكة الخديوية » . يتحدث **الافغانى** الى **توفيق** فيقول : « ليسمح لى سمو امير البلاد ان اقول بحرية واخلاص ، ان

من هنا .. نبدأ

■ مؤلفه الاستاذ خالد محمد خالد ، احد علماء الازهر الذين احترفوا الكتابة والتأليف ، ويضم الكتاب – بعد مقدمة قصيرة – اربعة فصول :

١ – الدين .. لا الكهانة وفيه يعالج عداء الإسلام للكهانة وتنافره مع وجود سلطة لما يسمى « رجل الدين » .

٢ – الخبز هو السلام . وفيه ينقد اوضاع مصر الاقتصادية والاجتماعية ويدعو الى نوع من الاشتراكية « الرشيدة » .

٣ – قومية الحكم . وفيه يهاجم « الحكومة الدينية » ويبرىء الاسلام من مظالمها ، ويقول ان الاسلام دين لا دولة .

٤ – الرئة المعطلة . وفيه يناصر حرية المرأة ، ويطلب ان تاخذ مكانها الى جوار الرجل فى الحياة العامة .

● ولقد دفع المؤلف فصول الكتاب الى المطبعة فى فترة حكم وزارة ابراهيم عبد الهادى ، دون أن يكون به فصل « قومية الحكم » ، لان الذين كانوا يطلبون « الحكومة الدينية » – جماعة الاخوان المسلمين – كانوا يومئذ خلف الاسوار . ولكن الرقابة – بعد أن أحالته الى رقيب من رجال الازهر – رفضت السماح بنشره ، لهجومه على رجال الدين وعلى الرأسماليين ، وقالت : ان « هذه سمة الشيوعية والشيوعيين » .

● وفى وزارة حسين سرى صدر الكتاب متضمنا فصل « قومية الحكم » ، فطلبت لجنة الفتوى بالازهر مصادرته فى أول مايو سنة ١٩٥٠ م ، وانصبت مذكرتها ضد فصل « قومية الحكم » ، واستخدمت نفس حجج هيئة كبار العلماء ضد كتاب (الاسلام وأصول الحكم) سنة ١٩٢٥ م .. وفى ٨ مايو سنة ١٩٥٠ م أصدرت النيابة أمرها بمصادرة الكتاب متهمة المؤلف بارتكاب الجرائم الاتية :

« أولا : أنه تعدى علنا على الدين الاسلامى . الامر المعاقب عليه

ثانيا : انه حبذ وروج علنا مذهبا يرمى الى تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب ، ووسائل أخرى غير مشروعة ،

ثالثا : انه حرض علنا على بغض طائفة من الناس وهى طائفة الرأسماليين والازدراء بها تحريضا من شانه تكدير السلم العام .

● جمع البوليس نسخ الكتاب من المكتبات والاسواق . ونظرت محكمة القاهرة الابتدائية القضية ، وأصدرت حكمها بالغاء المصادرة والافراج عن الكتاب .

[١٠] محمد رشيد رضا [تاريخ الاستاذ الامام] جـ ١ ص ٧٥ . طبعة القاهرة الاولى سنة ١٩٣١ م .

الشعب المصرى كسائر الشعوب ، لا يخلو من وجود الخامل والجاهل بين افراده ، ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل ، فبالنظر الذى تنظرون به الى الشعب المصرى وأفراده ينظر به لسموكم ، وان قبلتم نصح هذا المخلص **واسرعتم في اشراك الامة في حكم البلاد عن طريق الشورى فتأمرون باجراء انتخاب نواب عن الامة تسن القوانين وتنفذ باسمكم وبارادتكم يكون ذلك أثبت** لعرشكم وادوم لسلطانكم » (١١) • فهنا دعوة الى تطبيق الديمقراطية الليبرالية التى كانت مطبقة فى الدول الاوروبية ، **والافغـانى** يدافع عن أهليـة الشعب المصرى لهذه التجربة ضد الذين كانوا يحاربون ذلك الاتجاه بدعوى جهل الشـعب وخموله •

ويزيد **الافغانى** هدفه هذا ايضاحا بقـوله : ان « حكم مصر بأهلها انما أعنى به : الاشتراك الاهلى بالحكم الدستورى **الصحيح** » (١٢) ولقد كان الافغانى يتحفظ بعبارة « الحكم الدستورى الصحيح » عن تلك المؤسسات والنظم التى لا تأخذ من الديمقراطية والحكم النيابى الدسـتورى الشورى الا **المظاهر والاشكال** ، أو تلك المؤسسات التى يقيمها الاجنبى ذرا للرماد فى العيون ، أو يصنعها الحاكم المستبد كىيموه بهــااستبداده ، ويخفى بواسطتها تفرده بالسلطة عن العيون.. وامعانا فى الوضوح يقول **الافغانى** : « **ان القوة النيابية ، لاى أمة كانت ، لا يمكن أن تحوز المعنى الحقيقى الا اذا كانت من نفس الامة •• وأى مجلس نيابى يأمر بتشكيله ملك أو أمير أو قوة أجنبية محركة لهما ، فاعلموا أن حياة تلك القوة النيابية موقوفة على ارادة من أحدثها** » (١٣) •• ولذلك اعتبر هذا الفيلسوف الثائر أن حصول الامة على الحكم النيابى الحقيقى انما هو أمر مرهون بنضال هذه الامة ، أما ما يقدمه ويهبه الحاكم فانه لا يمكن ان يتعدى حدودالصور والاشكالفيقول :

انه « **اذا صح أن من الاشياء ما ليس يوهب فأهم هذه الاشياء الحرية والاستقلال ، لان الحـرية الحقيقية لا يهبها الملك والمسيطر للامـة عن طيب خاطر ، والاستقلال كذلك •• بل هاتان النعمتان ـ الحرية والاستقلال ـ انما حصلت وتحصل عليهما الامم اخذا بقوة واقتدار ، يجبل (يخلط) التراب منها بدماء أبناء الامة الامناء ، أولى النفوس الابية والهمم العالية •• اما تغيير شكل الحكم المطلق بالشكل الذيابى الشورى فهو أيسر مطلبا وأقرب منالا** » (١٤)

فهو هنا يؤكد ان الهدف هو « **الحرية الحقيقية** » لا مجرد استبدال الحكم المطلق والفردى بأشكال للحكم الديمقراطى خالية من المضمون •

ولقد كان خلف سعى **الافغانى** هذا الى اقامة المؤسسات الشورية والدستورية والنيابيــة فــى مصر ، موقف فكرى شديد العداء للحكـم الفردى المطلق الذى عانى منه الشرق قرونا ، أورثتــه الاضمحلال وجعلته لقمة سائغة للغزاة..وعندما اشاع البعض أن **الافغــانى** داعيــة لقيـام حـكم « المســتبد العــادل » ســأله مــريده وصديقه « **محمد باشا المخزومى** » : « ان المتداول بين الناس على لســانك : (يحتاج الشرق الى مستبد عادل) •• فــاذا بــالافغانى يجيـب فيقول : « **هذا من قبيل جمع الاضداد وكيف يجتمع العـدل والاسـتبداد ؟! •• خيـــر صـــفات الحاكم :(القوة والعدل) فلا خير بــالضعيف العادل ، كما أنه لا خير فى القوى الظالم** » (١٥)

اما الطريق الى قيـام هذا الحـاكم « القوى العادل » فلقد حدده **الافغانى** عندما جعله متمثلا فى « **اختيار** » الامة ، التى تنصب هذا الحاكم كى يحكم بالقانون الاساسى (الدستور) وتجعله يقسم على احترامه ، فاذا حاد عن ذلك سلكت به أحد طريقين: اما العزل ، واما القتل ؟! •• وحول هذه الفكرة يقول **الافغانى** : انه « لا تحيا مصر ، ولا يحيا الشرق بدوله وأماراته الا اذا أتاح الله لكل منهم رجلا قويا عادلا **يحكمه باهله على غير طريق التفرد بالقوة والسلطان ، لان بالقوة المطلقـة الاستبداد ، ولا عدل الا مع القوة المقيدة** ، وحكم **مصر بأهلها انما أعنى به الاشتراك الاهلى بالحكم الدستورى الصحيح •• ذلك الرجل •• تأتى به** الامة فتملكه على شرط الامانة والخضوع لقانونها الاساسى (الدستور) ، وتتوجه على هذا القسم ، **وتعلنه** له : **يبقى التاج على رأسه ما بقى هو محافظا أمينا على صون الدستور** ، وأنه اذا حنث

[١١] الاعمال الكاملة لجمال الــدين الافغانى • ص ٤٧٣ •
[١٢] المصدر السابق • ص ٤٧٧ •
[١٣] المصدر السابق • ص ٤٧٣ •
[١٤] المصدر السابق • ص ٤٧٨ •
[١٥] انظر دراستنا عن [الافغانى مفكرا ومناضلا] « ملفز » [الطليعة] عدد ابريل سنة ١٩٦٩ م ص ١٣٩ •

بؤسمه ، وخان دستور الامة ، اما أن يبقى رأسه بلا تاج أو تاجه بلا رأس ؟!! » (١٦)

والامر الذى يؤكد لنا أن فكر الافغانى هذا عن الديمقراطية والشورى ، والحكم الدستورى وآراءه هذه عن الحريات انما كانت تجسيدا للموقف الليبرالى فى هذا الميدان أن الرجل كان يستخدم فى سبيل الاقناع بوجهة نظره هذه ، ضمن ما يستخدم أساليب ضرب الامثلة للناس بذلك النموذج الليبرالى المطبق فى المجتمعات الغربية فى ذلك التاريخ ، فيصف هذا النموذج ، ويثنى عليه ، ويحبذه ، ويقطع بحتمية تطبيقه فى بلادنا نحن الشرقيين .. فيقول لشعوب الشرق :«انظروا الى العالم الغربى ، ترونه — على تقسيماته الحاضرة ، واستقلال عناصره بميزاتهم القومية — لما تساووا ، على الوجه النسبى بالفضيلة »» انتفى من بين ظهرانيهم أمر التفرد بالسلطة وسوق الامة على هوى السلطان » ثم يمضى مبشرا بزوال سلطان الحكم الفردى فى الشرق كما زال فى الغرب ، فيقول : « وسينتفى ما بقى فى العالم البشرى من هذا النوع من الحكم المطلق » عندما يصبح« الحكم للعقل والعلم » لانه « اذا فشا العلم فى الامة فأول ما تناهض ذلك الشكل من الحكم ، وتعمل على التخلص منه ، سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (١٧)

وبعد أن يضرب للناس مثل النظام الليبرالى فى الغرب يحدثهم أيضا عن تجربة المجتمع الشرقى فى اليابان ، وكيف أن « تقييد الحكومة بالدستور ، والنظام الشورى » وقيام « الحكم الدستورى النيابى ، واشتراك الامة بانهاض نفسها وصون ملكها (١٨) انما كان السبيل الى ما احرزه هذا المجتمع الشرقى على درب التقدم والاصلاح .

ونحن اذا علمنا أن التجربة الديمقراطية التى أقامتها الثورة العرابية فى فترة حياتها القصيرة ، والافكار الليبرالية التى غرستها فى التربة المصرية ، اذا علمنا أن هذه التجربة وتلك الافكار انما هى ثمرة من ثمرات ذلك الغرس الذى غرسه الافغانى بمصر ، وحصاد لعمل ونضال اولئك الرجال الذين ارتبطوا بفكره ومدرسته وانتسبوا الى (الحزب الوطنى الحر) . اذا علمنا ذلك ادركنا يقينا ان فكر الرجل « العقلانى » و « الديمقراطى » انما كان قسمة أصيلة ونقية للموقف الليبرالى فى هذه المجالات .

موقف اجتماعى على يسار الليبرالية

فى البدء كان الموقف الاجتماعى للافغانى هو نفس موقف الليبراليين ، ايمان بالفردية ، ودفاع عن حرية الفرد وحقه فى التملك (الاختصاص كما كان يسميه) وترويج لفلسفة البورجوازية القائلة ان سر التقدم الانسانى وعماد العمران البشرى هو المنافسة المطلقة ، وانه لا صلاح للمجتمعات اذا لم ترتض التقسيم الذى وزع ابناءها الى طبقات، والهجوم السافر والشديد على فلسفة النظم الاشتراكية التى كانت يومئذ مجرد دعوات لم توضع بعد فى مجال الممارسة والتطبيق .

ونحن نلتقى بموقف الافغانى هذا فى رسالته (الرد على الدهريين) (١٩) التى كتبهاسنة ١٨٨١ م ، والتى نشرت بالعربية للمرة الاولىسنة ١٨٨٦ م . ففيها يهاجم الفلسفة الجماعية للدعوات الاشتراكية ويدافع عن الفلسفة الفردية للنظام الرأسمالى ، فيتحدث عن الطوائف والتيارات الاشتراكية قائلا : « هذه الطوائف .. تسعى لتقرير الاشتراك فى المشتهيات ، ومحو الامتياز ، ودرس رسوم الاختصاص (التملك) ،حتى لايعلو أحد على أحد ، ولا يرتفع شخص عن غيره فى شيء ما ، ويعيش الناس كافة على حد التساوى ، لا يتفاوتون فى حظوهم . فان ظفرت هذه الطائفة بنجاح فى سعيها هذا ، وان لاق (تناسب) هذا التفكير الخبيث بعقول البشر ، مالت النفوس الى الاخذ بالاسهل والافضل ، فلا نجد من يتجشم مشاق الاعمال الصعبة ، ولا من يتعاطى الحرف

---

[١٦] الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى . ص ٤٧٧ — ٤٧٩ .
[١٧] المصدر السابق . ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ .
[١٨] المصدر السابق . ص ٢٠٠ .
[١٩] فى مقدمة [الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى] تحدثنا عن الظروف الذاتية والموضوعية التى أثمرت موقف الافغانى هذا ، وعن العوامل الاصيلة التى جعلته يطور موقفه الاجتماعى . أنظر ص ٨١ — ٩٧ . وانظر كذلك الدراسة التى نشرناها بعدد [الطليعة] الصادر فى ابريل سنة ١٩٦٩ ص ١٣٥ — ١٣٩ .

الخسيسة طلبا للمساواة في الرفعة .. ان افكار المصابين بالماليخوليا لا تنتج أحسن من هذه النتيجة .. فان المبدأ الحقيقي لمزايا الانسان انما هو حب الاختصاص (التملك) والرغبة في الامتياز، فهما الحاملان على المنافسة : السائقان الى المباراة والمسابقة، فلو سلبتهما افــراد الانسان وقفت النفوس عن الحركة الى معالى الامور وأغمضت العقول عن كشف أسرار الكائنات واكتناه حقائق الموجودات . وكان الانســان فى معيشته على مثال البهائم البرية ان امكن له ذلك، وهيهات هيهات ؟ ! » (٢٠) .

فهو هنا يدافع دفاعا مجيدا عن الفلسفة الليبرالية الفردية، ويدبج الحجج لنصرة هذا الموقف الفكرى الليبراليين . ولكن الرجل لم يقف حياته كلها عند هذا الموقف وانما طوره وتطور به تجاه معسكر الفكر الاشتراكى فتبنى فلسفة متميزة ومغايرة للفلسفة الفردية الليبرالية، ازاء الموقف الاجتماعى، عندما حبذ موقفا اشتراكيا « وسطا » يقوم على فلسفة تناهض الفردية التى تؤدى الى تفاوت اجتماعى « لا يتم به نظام الاجتماع » الانسانى (٢١) وآمن بأن انقسام المجتمع الى طبقات لا يمكن أن يظل هكذا ساكنا ودون صراع طالما كانت المظالم الاجتماعية الناتجة عن ظلم أرباب الاعمال للعمال قائمة، فأرباب الاعمال « الذين أثروا من كد العمال وعملهم وادخروا كنوزهم فى الخزائن، واستعملوا ثروتهم فى السفه » لابد وأن يفضى صنيعهم هذا الى دفع « طبقة العمال للمطالبة بالاشتراكية، وفى نفيرهم روح الانتقام » مما حدث لهم من ظلم وافراط « فى زجرهم، وعدم الرضوخ لما يطلبونه من الحق » (٢٢) .

وعلى الرغم من أن الافغانى قد تحفظ ازاء « الاشتراكية الغربية » وسمى الاشتراكية التى دعا اليها « الاشتراكية الاسلامية » الا أن الرجل قد قرر عددا من المبادىء الهامة :

١ ـ فهو قد اعترف بانقسام المجتمع الى طبقات اجتماعية يحددها الوضع الاقتصادى لهذه الطبقات .

٢ ـ وسلم بحتمية الصراع الطبقى بين هذه الطبقات نتيجة للظلم الاجتماعى من قبل « أرباب الاعمال للعمال » .

٣ ـ وقرر أن المسئولية فى أعمال العنف التى تقع فى هذا الصراع الطبقى انما يتحمل تبعتها وأوزارها الاغنياء، وأرباب الاعمال، لان هذا العنف ما هو الا رد فعل لمظالمهم التى اوقعوها بالعمال .

٤ ـ وهو لم يسم اشتراكيته بالاشتراكية الاســلاميــة ليفرغها من مضمونها الاشتراكى ـ كما يفعل البعض ـ بل لقد حلل الصراع الذى دار زمن عثمان بن عفان على أساس من الصراع الطبقى الناشىء عن المظالم الاجتماعية التى حدثت بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، ودافع عن « الثورة » ثورة « طبقة المتألمين والمتذمرين من المسلمين » التى قادها أبو ذر الغفارى ضد طبقات « الامراء » و « الاشراف » و « أهل الثروة والثراء والبذخ » فى ذلك المجتمع (٢٣) .

ومن ثم فاننا نستطيع أن نقول ان الافغانى صاحب الموقف الليبرالى فيما يتعلق بالاتجاه العقلانى، وفيما يتعلق بالديمقراطية والحريات، قد بدأ حياته ليبراليا ذا نزعة فردية فيما يتعلق بالموقف الاجتماعى ايضا، ثم تطور بهذا الموقف الاجتماعى الى ما هو أبعد وأكثر تقدما من الموقف الليبرالى، بل والراديكالى، وقدم تصورا اشتراكيا خاصا، ان لم تنطبق عليه قوانين الاشتراكية العلمية كاملة، فان بينه وبينها أرضا مشتركة بقدر ما بينه وبين الموقف الليبرالى من فروق كبيرة وود مفقود .

[٢٠] الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى . ص ١٥١ .
[٢١] المصدر السابق . ص ٤١٧ .
[٢٢] المصدر السابق . ص ٤١٤، ٤١٥ .
[٢٣] المصدر السابق ص ٤٢١ ـ ٤٢٣ .

.. وعادت الليبرالية

تيـــارا

مصريا



د. رفعت السـعيد

كانت هزيمة الثورة العرابية نكسة عنيفة للقوى الوطنية المصرية التى ظلت لفترة طويلـة تعانى من مطـاردة واضطهاد وتشكك سلطات الاحتلال وقد ادى ذلك ـ بالاضافة الى عوامل اخرى ـ الى تصدر المفكرين الشوام تيار النضال الليبرالى بمصر فى أعقاب الاحتلال . ولقد لعب هؤلاء المفكرون دورا رائعا ـ بغير شك ـ فى الدعوة للقيم والتقاليد الليبرالية وفى غرس أسس ومنهـج التفكير العلمى فى المناخ المصرى . واتخـذت دعوتهم فى أغلب الاحيان طابعا علميا وعلمانيا فى آن واحد ، وتبنى **شبلى شميل** نظرية داروين ودافع عنها دفاعا شجاعا فى وجه مقاومة طاغية .

وشميل لم يكتف بالدعوة لنظرية داروين ، لكنه دعا للجمهورية « الجمهورية الحقيقية التى يتم فيها توزيع الاعمال على قدر المنافع العمومية بحيث تتوفر معها المنفعة لكل فرد فى الاجتماع بدون ادنى تمييز مطلقا .. جمهورية تصبح فيها الامة الـكل والحكومة لا شيء » (١) .

ودعا الى الثورة واشترط لها أن تكون « صادرة عن استعداد باطن للشعب كأنها اتفاق خفى بين اعضائه موافقة لاميالـه » (٢) .

« والثورة المنتظرة والتى لابد منها ، هى ثورة تنصر الشعوب فيها بعضها بعضا والامم بعضها بعضا ، ينصرون بعضهم على حكوماتهم لقلبها وابدالها بما يكون أوفق لروح العصر واحفظ لمصلحة الجمهور » (٣) .

ودافع شميل عن الحرية والديمقراطية وحرية التعبير رافعا شعارا مجيدا « الحقيقة أن تقال لا أن تعلم » .

وكان هناك أيضا « **ولى الدين يكن** » وهو أديب عشق الحرية وتغنى بها كما يتغنى المحب بمحبوبته « يا حرية .. أنا عرفتك وهمت بك هياما ، فأنا أحبك من قبل ومن بعد ، ولن اخاف منذ اليـوم رقيبا » (٤) .

---

[١] شبلى شميل ـ الجزء الثانى ـ مطبعة المعارف ـ عام ١٩٠٨ ـ ص ١٩٠

[٢] المرجع السابق ص ٤١ .

[٣] شبلى شميل ـ فلسفة النشوء والارتقاء ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة المقتطف عام ١٩١٠ ص ١٤٥ .

[٤] ولى الـدين يكن ـ المعـلوم والمجهول ـ الجزء الثانى ـ ص ٤

بل هو يكتب فيها شعرا أشبه بالغزل :

نشتاق حرية فيؤسينا
من دهرنا عن حبائها ضنن
أوهننا حبها وتيمنا
حتى ترانا وشفنا الوهن [١]

ويقوده دفاعه عن الحرية الى النضال ضد المستبدين « فالحرية حبيبة الشعوب وعدوة الملوك » .

ويقوده ايضا الى الدفاع عن العمال « أيها الاخ العامل .. لبيك الفا ،هذا يمين الاخاء امده اليك، فان كنت خاطبا ودا الود لك ، وان كنت شاكى ظلم فيراعى لسانك وبيانى ترجمانك ، وأنا وحياتى دريئة لك من المخاوف » (٦) .

وهكذا تصدى هؤلاء المفكرون لرفع راية النضال الليبرالى فى سماء مصر ، لكنهم كانوا « ليبراليين فحسب ، مجرد أناس يقولون كلمة شريفة دون أن يمدوا أيديهم الى الماء الساخن » .

بل أنهم أكثر من ذلك — نسوا ظروف المجتمع الذى كانوا يرفعون فيه رايات دعوتهم وقادهم عداءهم للخلافة العثمانية الى التقارب مع الانجليز ، وكان ذلك سببا فى تنكر المصريين لهم تنكرا يكاد أن يكون تاما .

فشبلى شميل يقول « ان مصر تحت سيطرة الانجليز انتظم ريها واتسعت زراعتها وأثرى فلاحها وصارت حياتها ذات قيمة وانتظمت ماليتها ، حتى صارت موضع ثقة العموم وبلغت الحرية فيها مبلغا تفتحت له أبواب السجون » (٧) .

أما « يكن » فانه يصدر كتابا يفيض بالحماس والدعوة للتقدم والهجوم على الاستبداد والمستبدين وهو كتاب « المعلوم والمجهول » لكنه يصدر صفحات كتابه بصورة كرومر واصفا اياه بانه « مصلح مصر » (٨) .

ولسنا بصدد تفسير هذا الموقف الغريب الذى اتخذه هؤلاء المفكرون تجاه الاحتلال لكننا نكتفى بالاشارة الى أثره الخطير فى عزلتهم عن المجتمع المصرى الذى يحكمه تناقض أساسى واحد هو العداء للمحتلين ..

وهكذا حكم هؤلاء المفكرون على أنفسهم بالعزلة وعلى ليبراليتهم بالانزواء .

هدى شعراوى



● ولدت هدى شعراوى لاسرة اقطاعية كبيرة، فوالدها محمد سلطان باشا رئيس اول مجلس نيابى فى مصر ، وحاكم الصعيد ، وقائمقام الخديوى خلال الثورة العرابية .. تزوجت من محمد شعراوى باشا عضو الجمعية التشريعية ، الذى وقف هو وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى وقفتهم التاريخية أمام المعتمد البريطانى فى ١٣ نوفمبر عام ١٩١٨ مطالبين باستقلال مصر .

● عملت هدى شعراوى منذ بدء حياتها على النهوض بالمرأة والدفاع عن حقوقها ، واشتركت فى ثورة ١٩١٩ الوطنية ، وقادت اول مظاهرة نسائية فى تاريخ مصر ، وتولت رئاسة لجنة الوفد المركزية للسيدات ، التى قامت بتنظيم كفاح المرأة خلال اعوام الثورة الى جانب الرجل ، وتنظيم حملات المقاطعة للبضائع والمتاجر والبنوك الانجليزية فى مصر .

● اختلفت هدى شعراوى مع سعد زغلول وانشقت عن حزب الوفد ، بسبب خضوعه للضغط البريطانى اثر حادث مقتل السردار فى نهاية عام ١٩٢٤ ، وهاجمت كل المحاولات من جانب الحكومات الاستبدادية لتعطيل الدستور والبرلمان والحياة النيابية ، وفرض الاحكام العرفية ، والدفاع عن الحقوق الديمقراطية .

● وفى نهاية الثلاثينات اقامت هدى شعراوى علاقة باتحاد أنصار السلام ، وفتحت مقر الاتحاد النسائى أمام مؤتمراته واجتماعاته كما كانت مجلة « المصرية » التى تصدر عن الاتحاد منبرا لعدد من العناصر اليسارية فى ذلك الحين .

ولعلهم كانوا يشعرون بذلك ويحاولون أن يجدوا لانفسهم مبررا بأنهم يتحالفون مع الانجليز ضد عدو آخر للشعوب العربية هو الخلافة العثمانية .

ولعل أبيات الشعر التى قالها شميل كانت محاولة منه لتفسير موقفه :

[٥] محمود الشرقاوى — مقال بالهلال — مارس ١٩٦٧ .
[٦] ولى الدين يكن — الصحائف السود . ص ٥٧ .
[٧] شبلى شميل — مقال — نظرة هامة فى مسألة عامة — الجزء الثانى — المرجع السابق ص ٢٠٧ .
[٨] ولى الدين يكن — المعلوم والمجهول — الجزء الاول — مطبعة الشعب عام ١٩٠٩ ص ٥ .

فيـــا وطني ما خانني فيك خائن
من الحـب أو أني رضيت به نـدا
أريدك في عـــز ولـكنني أرى
على غير ما أرضي أرى العز قد ندا
فان جرت في حكمي فما أنا جائر
وما أنا الا باحث لم يجـد بدا [٩]

وسواء أكان هؤلاء الليبراليون الشوام قد اخطأوا التقدير أم أصابوا ، فان أفكارهم اللامعة وكتاباتهم الشجاعة ، قد وجدت نوعا من الصدود في وجدان المجتمع المصري الذى كان يغلي حقدا وثورة علي الإنجليز .

ولم تعد الليبرالية بالنسبة له جديثا مجردا عن الاصلاح أو الحرية ، وانما موقفا محددا ضد الاحتلال .

ويحاول « برنارد لويس » أن يصف « نقطة التحول » هذه فيقول : « لقد فشل الغرب في أن يتبنى شعارات الحرية والمساواة التى رفعها مصلحون كانوا في الاساس أقلية ذات ميول غربية ، الامر الذى عزل هؤلاء الاصلاحيون دافعا بالتيار العام الى اتجاه الوطنية الخالصة (١٠) » .

وهكذا وعلى يد مفكرين جدد ، ارتفع شعار « مصر للمصريين » ليصبح منبرا لليبرالية مصرية جديدة .

وفسر أحمد لطفي السيد شعار مصر للمصريين بأنه دعوة لان يكون « كل خير مصر لابنائها ، وأن يكون حكمها لهم وحدهم ، فليس لعثمانى أو انجليزى أن يحكمها ، وليس لاسرة غريبة عليها أن يكون لها ولاء على أبنائها » (١١) .

والحقيقة أن السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كانت تمثل فترة من أكثر فترات التاريخ المصرى خصوبة وثراء .

فبعد رحلة طويلة من التأمل المضني والجهد الشاق وبعد صراعات فكرية وسياسية مريرة ، بدا وكأن الطريق قد تكشفت معالمه ، وارتفع شعار « مصر للمصريين » في مواكبه النضال المتفانى في حب مصر من مصطفى كامل وزفاقه ليدفع بمصر كلها في منطلق جديد .

وبدلا من شعارات الليبرالية المجردة والاتجاهات العلمانية والعلمية والدعوات العامة للحرية والاخاء كان قلب مصر ينبض بكلمات مصطفى كامل .

عباس العقـــاد



● نشأ عبـاس محمود العقـاد فى بيئة دينية محافظة فى مدينة أسوان ، وكان والده من أنصار الثورة العرابيـة ، وبدأ العقاد حياته العملية فى سن السادسة عشرة ، فى وظيفة حكومية صغيرة ، ثم استقال منها ليعمل بالصحافة السياسية ، وفى جـريدة « الدستور » لصاحبها الكاتب محمد فريدوجدى فى عام ١٩٠٧ .

● لقد حدد العقـاد موقفه من الصراع الاجتماعى القائم فى ذلك الحين، بجانب الطبقة الوسطى الصاعدة، والتى أصبح يمثلها حزب الوفد بقيادة سعد زغلول .. ودعا العقاد من خلال كتاباته الى الحرية والجلاء والاستقلال الوطنى ، ومعارضة حق الملكية الزراعيـة المطلقة للافراد وسيطرة الاحتكارات الاستعمارية على الحياة الاقتصادية ، والمطالبة بتنظيم الحياة على أساس من المساواة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية .

● دخل العقاد البرلمان نائبا عن الوفد ، وخاض المعارك السياسية الحامية ضد محاولات السراى والاقطاع والانجليز لشل الحياة النيابية ، والغاء وتعطيل الدستور ، وخنق الحريات العامة وتحطيم الديمقراطية السياسية ، ودخل السجن فى عام ١٩٣٠ بتهمة العيب فى الذات الملكية .

● تهاون العقاد فيما بعد وربط مصيره بالفئات العليا من الراسمالية المصرية المتعاونة مع الرجعية والاستعمار والمعادية لكل تقدم .

« بلادى بلادى لك حبى وفؤادى فأنت أنت الحياة ولا حياة الا بك يا مصر » .

ولفترة من الزمن بدا الامر ، وكأن كل ليبرالية المصريين تتركز حول هذا الشعار ، فى مواجهة تيارات الانتماء للخلافة التركية أو العمالة للاحتلال ..

ولست أعني بذلك التقليل من قدر الدعاوى الليبرالية التى نادى بها شميل ويكن وغيرهما، وانما أود أن

[٩] شبلى شميل ــ الجزء الثانى ــ ص ١٩٤.
[١٠] برنارد لويس ــ فى مقدمته لكتاب :
Jacob Landau — Parliaments and parties in Egypt.
[١١] د. حسين فوزى النجار ــ أحمد لطفى السيد ــ استاذ الجيل ــ سلسلة اعلام العرب ص ١٠٩ وهى فصل من كتاب :
GABRIEL BAER — SOCIAL CHANGE IN EGYPT 1800 — 1914 — Political and Social Change in MODERN EGYPT — LONDON-OXFORD UNIVERSITY

أشارك « برنارد لويس » رأيه فى أن التيار الوطنى المعادى للغرب قد هيمن على المناخ الفكرى لمصر وتسيد الموقف تماما فى مطلع القرن العشرين بحيث أصبح الجوهر الحقيقى للفكر الليبرالى هو النضال ضد الاستعمار ومن أجل مصر المستقلة .

والحقيقة أن عوامل عديدة قد دفعت بالتيار الليبرالى الجديد الى مواقع القوة والتصاعد ولنحاول أن نشير بسرعة الى بعض من هذه العوامل :

● انهيار العنصر التركى فى المجتمع المصرى، وتضاؤل دوره الاجتماعى والسياسى وعجزه السافر عن مواكبة التقدم .

● القضاء على الرق .

● اتساع المدن .. ويمثل اتساع المدن عاملا هاما فى دعم التيار الليبرالى ، فالمدينة هى موطن الليبرالية ومهدها . واتساع المدن يعنى اتساع القاعدة المتاحة أمام الفكر الليبرالى .

ونظرة واحدة على الاحصاءات تدلنا الى أى حد اتسعت المدن فى السنوات موضوع دراستنا .

ففى ١٨٨٢ كان عدد سكان المدن المصرية يمثل ١١ر٥ فى المائة من مجموع السكان . وفى الفترة من ١٨٨٢ حتى ١٨٩٧ ارتفع عدد سكان المدن (التى يزيد تعدادها عن ٢٠٠٠ر٢٠) بنسبة ٦٨ فى المائة ، بينما لم يرتفع اجمالى عدد سكان مصر الا بنسبة ٤٣ فى المائة فقط .

واستمر اتساع المدن وهجرة سكان الريف اليها .. وفى عام ١٩٠٧ كان أكثر من ثلث سكان القاهرة والاسكندرية ٦٠ فى المائة من سكان بورسعيد من مواليد المناطق الريفية (١٢) .

ويشير « **جبرييل باير** » أيضا الى عنصر يعتقد أنه قد لعب دورا حاسما فى قوة التيار الليبرالى المصرى فى هذه المرحلة وهو ضعف النفوذ الاقتصادى والسياسى لرجال الدين ، فبعد أن كان « العلماء » يمثلون طائفة ذات ثقل اقتصادى كبير فى مطلع القرن التاسع عشر ومن ثم فانها كانت ذات ثقل اجتماعى وفكرى وسياسى ، جاء محمد على ليجهز على العصر الذهبى للعلماء ويصادر أراضيهم (١٢) وقد انعكس تقلص الثقل الاقتصادى لهذه الطائفة على ثقلها الاجتماعى والسياسى الامر الذى اتاح فرصة أكبر أمام الاتجاهات العلمانية والعلمية والتيار الليبرالى بشكل عام .

قاسم أمين
(١٨٦٣ ـ ١٩٠٨ م)

● كان والده « اميرلاى » بالجيش المصرى، وهو من أصل كردى ، وقيل تركى .. ولقد تلقى تعليمه الابتدائى بالاسكندرية ، و « التجهيزى » بالقاهرة ، ثم تخرج من مدرسة الحقوق والادارة سنة ١٨٨١ م ، وبعد أن قضى فى دراسة الحقوق بجامعة « مونبليه بفرنسا اربع سنوات عين مساعدا للنيابة المختلطة سنة ١٨٨٥ ، ثم انتقل الى قلم قضايا الحكومة سنة ١٨٨٧ م ، ورقى رئيسا لنيابة بنى سويف سنة ١٨٨٩ م ، وفى أثناء رئاسته لنيابة طنطا جىء اليه بعبد الله النديم أحد زعماء الثورة العرابية، كى يحقق معه بعد القبض عليه ــ وكان هاربا منذ فشل الثورة العرابية ــ ونجح مسعى قاسم امين فى استصدار عفو عن النديم ..

● وفى سنة ١٨٩٣ أصدر الدوق «داركور» كتابا عن « مصر والمصريين » بالفرنسية ، هاجم فيه المجتمع الشرقى ، ورد عليه قاسم امين فى العام التالى برسالة بالفرنسية اسماها «المصريون .. رد على الدوق داركور» ثم كتب فى «المؤيد» مقالات فى الاصلاح الاجتماعى جمعت فى كتابيه « اسباب ونتائج » و « حكم ومواعظ » .. وفى سنة ١٨٩٨ اصدر كتابه « تحرير المراة » الذى اثار اول معركة فكرية كبرى فى عصرنا الحديث .. وهو الكتاب الذى نسبه البعض الى الشيخ محمد عبده ، والذى يظهر نقد النصوص ــ بالاضافة الى روايات تاريخية لها وزنها ــ ان الشيخ محمد عبده قد كتب فيه الفصول المتعلقة برأى الشريعة الاسلامية فى الزواج والطلاق وتعدد الزوجات والحجاب .. ولقد تصدى لنقد « تحرير المراة » والهجوم عليه المحافظون من علماء الدين وغيرهم ، وعارضه مصطفى كامل لمكان قاسم امين من مدرسة محمد عبده التى كان يتهمها بانها تهادن سلطة الاحتلال فى ذلك الحين .. وبعد عام من صدور الكتاب عالج قاسم امين السرد على حجج خصومه فى كتابه « المراة الجديدة » فالهب حماس المعركة من جديد ..

● والى جانب هذا الجهد الفكرى قام قاسم امين بتاسيس «الجمعية الخيرية الاسلامية » كما شارك بنصيب بارز فى تاسيس الجامعة المصرية « سنة ١٩٠٦ م .

ويرتبط بذلك ربما بشكل غير مباشر نجاح الفكر الليبرالى المصرى فى تخطى فكرة الخلافة العثمانية

(١٢) المرجع السابق ص ١٤٧ .

PRESS — 1988 pp. 155.

وهو نجاح لم يكن سهل المنال ، فقد ظلت فكرة ارتباط مصر بالخلافة قيدا يعـوق « المصرية » ويشدها بعيدا نحو « الاسلامية » .

وكانت الليبرالية المصرية لا تكتفى برفض هذا الارتباط من منطلق « وطنى » فحسب وانما من منطلق « ليبرالى » يضع فى الاعتبار الاقلية القبطية وضرورة احترام حقوقها .

وعندما نشر جاويش عددا من المقالات فى جريدة العلم اثارت استياء الاقباط ، عبر عدد من اعضاء الحزب الوطنى عن استيائهم .

فقد استقال من الحزب عمر سلطان الذى تبرع بأموال ضخمة لجريدتى الحزب ليتندار وستاندرد ثم عين أمينا لصندوق الحزب تقديرا له ، كذلك قرر طلعت حرب — لنفس السبب — قطع اعانته المالية عن الحزب (١٣) .

واذا اردنا بعد هذه المقدمة أن نتلمس آثار التيار الليبرالى فى هذه المرحلة فاننا يمكننا أن نجدها فى مجالات كثيرة .. المؤسسات التشريعية أو شبه التشريعيـة ، التيـارات السيـاسية والاحزاب ، الصحافة ، الادب .. الخ .

ولسنا نستطيع بطبيعة الحال أن نقـدم استعراضا تفصيليا للاثار والمنجزات التى حققها التيار الليبرالى فى كل من هذه المجالات لكننا فقط سنحاول أن نقدم نماذج سريعة عن مدى فعالية وتأثير هذه المجالات كمراكز اشـعاع للفكر الليبرالى .

المؤسسات التشريعية

ومن البداية أود أن أشير الى عزلة هـذه المؤسسات عن جماهير الشعب والى أن تأثيرها كان محصورا فى طبقة « الخاصة » الذين كانوا يطمعون فى مزيد من السلطة أو بالدقة فى مزيد من التسلط .

ان نظرة على أرقام جداول الناخبين توضح لنا ذلك .

« ففى يونيو ١٨٨٣ كانت جداول الناخبين تضم ٣٩٥ر٩٠٣ ناخبا من مجموع السكان الذين يبلغون ٨٠٠٠ر٦٠٠٠ أى بنسبة ٢٨ر١٣ فى المائة او سبع عدد السكان » (١٤)

وفى ١٩٠٨ « كان فى القـاهرة ١٣٤٫٠٠٠ شخص يستحقون القيد فى جداول الناخبين بينما لم يسجل الا ٣٤٫٠٠٠ شخص فقط ومن بين هؤلاء لم يشترك فى التصويت فعلا الا ١٫٥٠٠ شخص فقط أى بنسبة ١ر١ فى المائة فقط من الاصوات المفترضة .

سـلامة موسى

● ولد عام١٨٨٨ فى احدى قرى محافظة الشرقية ، حيث تلقى تعليمه الاول ، ثم واصل دراسته الثانوية فى القاهرة حتى حصل على «البكالوريا» .. وفى تلك الاثناء كان قد تعرف وتتلمذ علىأفكار شبلى شميل ويعقوب صروف وفرح انطون ولطفى السيد .وحوالى عام١٩٠٦ سافر الى باريس ولندن حيث مكث فى انجلترا فترة طويلة تعرف خلالها على برنارد شـو وانضـم الى الجمعيـة الفابية . وفى عام ١٩٠٩ أصدر كتابه الصغير الاول « مقـدمة السوبرمان » متضمنا البذور الاولى لتفكيرهفى الاشتراكية والديموقراطية والتصنيع وحـرية المرأة والنزعة العلمية والادب المرتبط بالمجتمع وغير ذلك من المحاور التى شـغلت عقـله ونشاطه طيلة نصف قرن .

● وكان سلامةموسى قد اشترك عام١٩٢١ فى تأسيس « الحزب الاشتراكى » وقبل ذلك كان قد اصدر كتابه عن « الاشتراكية » عام ١٩١٣ وبعدها اصدر مجلته الاسبوعيه « المستقبل » عام ١٩١٤ داعيا ومبشرا من فوق هذه المنابر الى افكاره الرئيسية . وقد رأس تحرير مجلة « الهلال » بين عامى ١٩٢٣ و١٩٢٩ حين قرر أن يصدر مجلته الشهرية « المجلة الجديدة » التى استمرت فى الصدور المتقطع عشر سنوات ، ذلك ان الحكومات المعادية للديموقراطية والاشتراكية قد عطلتها عن الصدور كثيرا ، فكان يتحايل على ذلك باستئجار رخص محلات اخرى مثل « المصرى » و « النجمة الزهراء » وغيرهما .

● وفى عام١٩٣٠ اسس جمعية « المصرى للمصرى » محاكيا دعوة غاندى الى مقاطعة البضائع الاجنبية . وفى عام ١٩٣٩ تنازل عن رخصة « المجلةالجديدة » لمجموعة من الشباب اليسارى . وظل طيلة السـنوات العشرين التالية متنقلا بين الصـحف الوطنية المصرية عاملا فى صفوف « انصار السلام » داعية الى توثيق العلاقات مع المعسكر الاشتراكى مؤلفا للعديد من الكتب التى تأتى فى مقدمتها «تربية سلامة موسى » و « هؤلاء علمونى » و «التثقيف الذاتى » و « البلاغة العصرية واللغة العربية » و « برنارد شو » و « عقلى وعقلك » ، و « اليوم والغد » و « نظرية التطور » ، و « المـرأة ليست لعبة الرجل » و « محـاولات سيكلوجية » و « الصـحـافة حـرفة ورسـالة » الذى كتبـه قبل وفاته فى أغسطس ١٩٥٨ بأسابيع قليلة .

(١٣) ARTHUR GOLDSCH MIDT — THE EGYPTIAN NATIONALIST PARTY. 1892 — 1919.
وهى فصل من المرجع السابق ص ٣٢٤

(١٤) وثائق وزارة الخارجيـــة البريطانية بالمتحف البريطانى بلنـدن . الوثيقة رقم
Fo. 781/3559, Baring's pol. No. 519 to Granville dated Cairo Nov. 18, 1883.

وفى الاسكندرية كان هناك ٠٠٠ر٧٠ شخص يستحقون القيد سجل منهم ٠٠٠ ر١٤ فقط ولم يصوت منهم الا ٧٥٠ شخصا أى بنسبة تقل عن ١ فى المائة » (١٥) .

ولا شك ان السلبيـة كانت اكثر كثـيرا فى الريف ..

واذا كانت نسب التصويت فى الريف تبدو اكثر ارتفاعا » ففى انتخابات الجمعية التشريعية عام ١٩١٣ كانت نسبة المشتركين فى التصويت فى القاهرة ٦٩ر٦ فى المائة وفى الاسكندرية ٩٨ر٤ فى المائة بينما كانت فى أسوان ٣٩ر١٥ فى المائة وفى جرجا ٩ر٢٠ فى المائة » (١٦) . فان ذلك لا يعنى مطلقا أن الفلاحين كانوا أكثر اهتماما بهـذه المؤسسات من سكان المدن فذلك غير منطقى بطبيعة الحال ، لكنه يعنى بالتحديد أن سطوة ونفوذ كبار الملاك كانا خلف اجبار الفلاحين على التصويت .

والنتيجة كانت « انه من بين ٦٦ عضوا منتخبا فى الجمعية التشريعية نال كبار المـلاك ٤٩ مقعدا » (١٧) .

وعلى أية حال فان العزلة الواضحة لهـذه المؤسسات عن جماهير الشعب وجماهير الناخبين كان من الضـرورى أن تترك أثرهـــا على جراة وحماس الاعضاء فى مواجهة سلطات الاحتلال .

وفى مثل هذه الانتخابات لم يكن المرشحين يقدمون أية برامج لناخبيهم مـكتفين بالعـــلاقات العائليه والشخصيه وكان سعد زغلول هو أول من تقدم ببرنامج انتخابى تضمن اتجاهات ليبرالية واضحة مثل اصلاح النظام القضائى واتاحة فرص متكافئة للتعليم أمام الجميع واصدار قانون يكفل حرية الصحافة .. الخ (١٨) .

وبرغم ضعف هذه المؤسسات ورغم عزلتها الواضحة ، ورغم نزوع تركيبها الطبقى نحو تمثيل كبار الملاك فى الاساس الا أن نزعة الوقوف ضد الاحتلال من منطلق ليبرالى كانت سائدة فى ذلك الحين ..

فالجمعية العمـومية التى عقدت بعـد حملة **مصطفى كامل** ضد مذبحة دنشواى كانت واضحة الاتجاه ، ففى دورتها التى استغرقت اربعة أيام اعلنت رفضها لواحد وثلاثين اقتراحا للحكومة ، وفى نفس الوقت تقدمت بخمس وثمانين مطلبا للحكومة من بينها :

- الافراج عن مسجونى احداث دنشواى
- دستور وحكومة مسئولة .
- قصر التعيين فى الوظائف الهامة على المصريين .

عزيز ميرهم

محام — تخرج من جامعة ليون بفرنسا حيث تاثر الى حد كبير بالاتجاهات الليبرالية الفرنسية مع ميل واضح نحو الفكر اليسارى وقد شارك فى عام ١٩١٨ فى تاسيس الحزب الديمقراطى مكونا فى داخله جناحا يساريا وفى سبيل ذلك اصطدم مع محمد حسين هيكل فى مواقف مشهورة حول تحديد مسار الحزب وعندما وقع الخلاف بين سعد زغلول وعدلى مال معظم اعضاء الحزب الديمقراطى الى مناصرة عدلى ، لـكن عزيز ميرهم أحرجهم جميعا بان اسرع بارسال برقية تأييد لسعد. وهكذا انقسم الحزب ثم تبدد ، وانحاز عزيز ميرهم الى صفوف الوفد .

- وعندما تاسس الحزب الاشتراكى المصرى فى اغسطس ١٩٢١ وتعرض اعضاؤه لحملات هجوم عنيفة من جانب الرجعية المصرية الى الحد الذى جعل بعضا منهم يعلن على صفحات الجرائد انهم «اشتراكيون » ولكن ليسـوا « بلاشفه » وانسحبوا من الحزب الاشتراكى رفضا لاشتراكيته البلشفية المتطرفة . تقـدم ميرهم ليـدافع عن الحزب وعن الاشتراكيـة العلمية ويحث الحزب على التمسك «ببلشفيته» حتى يتيح الفرصة لميرهم وامثاله أن يتخذوا موقف اليسار المعتدل .
- وابتداء من عام ١٩٢٠ بدأ عزيز ميرهم فى الاهتمام بالحركة النقابية وعمل مستشارا لعديد من النقابات . وله مساهمات فكرية جادة حول تنشيط النقابات ودورها كاداة للنضـال العمالى . وله مساهمات ايضـا حول دور المرأة فى المجتمع المصرى نشرها على صفحات جريدة « الامل » .
- وعندما تفشت البطالة فى صفوف عمال لف السجاير دعا ميرهم العمال المفصولين الى تاسيس شركات يمتلكونها « ويعملون بها بعيدا عن سطوة أصحاب المعامل » .
- وقد رشحه الوفد فيما بعد عضوا لمجلس الشيوخ عن دائرة بولاق . واختير أيضا فى ١٩٣٥ سكرتيرا عاما للمجلس الاعلى للاتحاد العام لنقابات العمال . وفى ١٩٣٧ اختير رئيسا للمجلس الاعلى للاتحاد .

---

[١٥] Cromer — The Situation in Egypt. pp. 25.
[١٦] Lloyed — Egypt Since Cromer — London, Macmillan (1933—1934) Vol. L.I. pp. 142.
[١٧] Landu — ibid, pp. 56.
[١٨] عباس محمود العقاد — سعد زغلول سيرة وتحية — المطبعة الحجازية عام ١٩٣٦ — ص ١٥٤ — ١٥٥

● انشاء بلدية مصرية لمدينة القاهرة •
● الاعتراض على ارتفاع المصروفات المدرسية •
● اللغة العربية هى اللغة الرسمية الوحيدة •
● اصلاح المحاكم الشرعية •
● الاعتراض على استخدام الجنيه الانجليزى كعملة رسمية (١٩) •

ومن السهل أن نلاحظ أن هذه المطالب ذات صبغة مزدوجة وطنية وليبرالية معا •

ولعله من الطريف أن تناقش الجمعية التشريعية فى دورتها عام ١٩١١ مطلبا يبدو مغاليا فى ليبراليته وهو سحب حق تعيين شيخ الازهر من الخديوى والمطالبة بأن يقوم طلاب الازهر بانتخاب شيخهم (٢٠) •

لكن أكثر مطالب هذه المؤسسات ليبرالية كانت تتركز حول مطالبتها لنفسها أو بالدقة للطبقات التى تمثلها بمزيد من السلطة التشريعية والتنفيذية •

« وفى يوليو ١٩٠٨ أوفدت الجمعية التشريعية وفدا من أعضائها الى لندن ليقدم قائمة بمطالب اصلاحية للحكومة الانجليزية • وفى ديسمبر من نفس السنة طالبت الجمعية باجماع الاعضاء بمجلس نيابى منتخب ومسئول عن الاشراف على الشئون الداخلية » (٢١)

ومن على منصة الجمعية العمومية وجه **الشيخ علي يوسف** فى مارس ١٩٠٧ نداء الى **عباس حلمى الثانى** يناشده فيه تأسيس مجلس نيابى ذا سلطة فعلية • وقال الشيخ على يوسف « ان المؤسسات التمثيلية فى مصر لم تستطع أن تواكب التقدم الذى احرز فى المؤسسات الاخرى • لكن الحكومة ردت على مطالب الشيخ على يوسف بأن هذه المشكلة هامة الى الحد الذى لا يمكن معه مناقشتها فى الجمعية العمومية » (٢٢)

وكان طبيعيا بعد ذلك كله أن تتخذ سلطات الاحتلال موقف العداء من هذه المؤسسات التى صنعتها بيديها ، ويرفع غورست تقريره السنوى الى حكومته فيقول فيه :

« ان مجلس شورى القوانين هو والجمعية العمومية اظهرا فى عام ١٩٠٩ وفى النصف الاول من عام ١٩١٠ ميلا متزايدا الى أن يكونا آلتين بأيدى الحزب الوطنى يستعملها فى تحريضه وتهييجه ضد الاحتلال البريطانى ، فان طلبهما المتكرر لحكومة دستورية تامة ، وحملاتهما المنكرة على الحكومة فيما يتعلق بالميزانية والسودان • والعداوة والريبة اللتين اظهراهما فى مشروع قناة السويس وتجاوزا فيهما حد الاعتدال ، كانت كلها فى جوهرها مظاهرات ضد الانجليز •• ان الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين قد اتخذا ما نالاه مؤخرا من علو الشأن سلاحا لقتال الذين هما مدينان لهم بانالتهما اياه •• (٢٣)

وعلى أية حال ، وأيا كان تقييمنا للدور الذى لعبته هذه المؤسسات فى هذه الفترة ، فان الشىء المؤكد انها قد غرست فى اعماق الفكر المصرى مطلبا ليبراليا اساسيا هو الدستور والحكومة المسئولة أمام البرلمان •

الاحزاب •• والصحافة

ولقد يبدو غريبا أن نربط بين الاحزاب والصحافة فى فترة واحدة .. لكن الرباطصحيح وموضوعى ، فبعض الاحزاب كان مجرد جريدة تصدر وبعض الصحف لم تكن سوى منابر سياسية ذات طابع حزبى • فمن الصعب تصور حزب الامة بغير « الجريدة » ولا « المؤيد » بغير الشيخ على يوسف ،وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية»

وكان تواجد كل من الصحف والاحزاب فى مصر تعبيرا عن تأسيس منطلقات جديدة للفكر الليبرالى •

« وخلال الفترة من ١٩٠٧ حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ظهر فى مصر سبعة أحزاب : الحزب الوطنى ـ حزب الشعب ـ حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ـ الحزب الوطنى الحر ، حزب الاعيان ـ حزب الاستقلال المصرى ـ حزب مصر الفتاة » (٢٤)

وبالرغم من أن معظم هذه الاحزاب لم يكن سوى تجمعات سياسية قليلة الاثر ، لم تكتسب طابع

---

[١٩] Alexander, J. «The Truth about Egypt» — London — Casselle, 1911 pp. 384.
[٢٠] Egypt — A monthly record of Egyptian and Near Eastern News. Vol. 1 No. 3 May — 1911 — p. 21 article «News From Egypt.
[٢١] Samné & Goblet, «La Vie politique Orientale en 1909» — pp. 207.
[٢٢] Saleh, DIAEDDINE — «Les pouvoirs du Roi dans la Constitution Egyptienne étude de droit Comparé» — O Paris, Librairie générale de droit et de Jurisprudence, 1939, IV, pp. 584).
[٢٣] السير الدن غورست ـ تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩١٠ صفحة «ز» •
[٢٤] لاندو ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٦ •

التنظيم الحزبي بالمعنى المفهوم فيما عدا الحزب الوطني . الا أن تواجدها خلق في المناخ الفكري المصري نوعا من الحوار الفكري والصراع السياسي اتسم دوما بالتمسك بقيم ليبرالية واضحة حول حرية الرأي والتعبير والاعتقاد .

كذلك أرسى الشكل التنظيمي للحزب الوطني قواعد ليبرالية هامة في العمل السياسي مثل خضوع الاقلية للاغلبية وأهمية الحوار المنظم، بل انه أرسى مبدأ هاما هو حق القاعدة الحزبية في اختيار القائد السياسي، فبعد وفاة مصطفى كامل كان اخوه على فهمي كامل يطمع في أن يرث منصبه لكن غالبية الحزب رفضت ذلك واختارت فريد (٢٥)

كذلك فان محاولة هذه الاحزاب الاحتكاك بالجماهير وكسب رضاها السياسي قد دفعها الى تبني برامج وشعارات كانت في أساسها برامج وشعارات ليبرالية .

وكما لعبت « الماسونية » دورا ليبراليا هاما في فترة انضاج المجتمع المصري لثورة عرابي فاننا نلحظ انها قد لعبت أيضا دورا في الفترة موضوع الدراسة .

ويبدو أن « **محمد فريد** »سعيا منه وراء كسب مزيد من الانصار للقضية المصرية قد انضم للحركة « الماسونية » .

وفي ارشيفات وزارة الخارجية البريطانية وثائق هامة حول هذا الموضوع من بينها برقية من **غورست الى جراي** صادرة في ٢٣ ابريل ١٩١٠ تقول « علمت من مصادر موثوق بها أن المحفل الماسوني الاعظم بالاستانة، والذي يقال ان له صلة وثيقة بحزب الاتحاد والترقي قد قرر تعيين محمد فريد زعيم الحزب الوطني كمندوب له في مصر .. مثل هذا التعيين ... (كلمة غير واضحة في النص) غير مرغوب فيه على الاطلاق . الا يمكن عمل أي شيء لوقفه » .

ويرد عليه جراي في ٩ مايو ١٩١٠ :

« ابلغك انني انتهزت الفرصة كي الح الى السفير التركي لدى البلاط الملكي عن اعتراضنا الشديد لمثل هذا التعيين الذي يعتبر مناقضا لوجهة نظرنا حول مصر، والذي يحتمل ان يخلق ارتباكا شديدا للادارة المصرية . وفي نفس الوقت اعطيت تعليمات الى سفارتنا في الاستانة لتقديم احتجاج مشابه » (٢٦)

وبغض النظر عن الموقف العام عن « **الماسونية** »

شريف باشا

● مصري من أصل تركي، ولد بالقاهرة في نوفمبر ١٨٢٦ . رافق اسماعيل « الخديوي » في البعثة العلمية الخامسة التي أرسلها محمد على الى أوروبا، وتخصص في العلوم العسكرية في مدرسة سان سير والتحق بالجيش الفرنسي لؤدى مدة التمرين، ونال رتبة يوزباشي أركان حرب، ثم التحق بالجيش المصري بنفس الرتبة ووصل الى رتبة الفريق .

● ولي وزارة الخارجيـة سنة ١٨٥٧، والداخلية سنة ١٨٦٦، ولما سافر الخديو اسماعيل الى الاستانة سنة ١٨٦٥ جعله « قائمقاما » عنه مدة غيابه، وهو مركز رفيع لم ينله احد قبل ذلك من غير العائلة المالكة .

● برز كزعيم جريء يقف في وجه التدخل الاجنبي، حيث رفض الوقوف أمام لجنة التحقيق الاوروبية سنة ١٨٧٨ عندما استدعته امامها لكي تسمع اقواله . ويعتبر مؤسس النظام الدستوري في مصر . ففي عهد وزارته للداخلية سنة ١٨٦٦ انشىء مجلس شورى النواب . وفي عهد رئاسته للوزارة سنة ١٨٧٩ تقرر مبدأ المسئولية الوزارية امام المجلس . وفي وزارته الثالثة سنة ١٨٨١ انشىء مجلس النواب على غرار المجالس النيابية الحديثة .

● بعد خلع اسماعيل واعتلاء توفيق العرش، الف ومعه « بعض العظماء والكبراء والعلماء والنبهاء » الحزب الوطني سنة ١٨٧٩ وجعل مقره حلوان، وذلك لمقاومة حكومة رياض ومقاومة السيطرة الاجنبية معها . وقد التحم هذا الحزب بالقادة العرابيين، وتمخض نضال الحزبين عن مظاهرة عابدين التي تولى على أثرها شريف الحكم .

● وقع الصراع بينـه وبين القـادة العرابيين على السلطة منذ اليوم الاول لمظاهرة عابدين . فقد اشترط لتوليه الوزارة انسحاب الالايات التي اشتركت في المظاهرة الى الجهات التي تحدد لها، وان ينسحب معها قادتها . وقد قبل عرابي في البداية ولكنه راى ضرورة الاشتراك في السلطة . وتمخض الصراع بين الفريقين على سقوط وزارة شريف باشا .

فان هذه الحركة كانت في بعض الاحيان تمثل نوعا من الاتجاه الليبرالي المناهض لاستبداد حكام هذا العصر .

[٢٥] المرجع السابق ص ٣٢٢ ARTHER GOLDSCHMIDT.

[٢٦] أرشيف وزارة الخارجيـة البريطانية بالمتحف البريطاني — الوثيقة رقم F.O 371/882/13795

كذلك كان تزايد عدد الصحف الصادرة فى مصر دليلا على تصاعد التيار الليبرالى .. ولقد كان هذا التزايد واضحا وسريعا ..

« فاذا كانت القاهرة فى نهاية حكم اسماعيل لا تصدر فيها الا جريدة يومية عربية واحدة ، ففى عام ١٨٩٨ أى بعد عشرين عاما فقط كان هناك ٥٠ جريدة يومية عربية بالقاهرة (٢٧) و٢٠٠ جريدة ومجلة فى القطر المصرى (٢٨) وخلال الفترة بين ١٨٩٥و ١٩٠٠ ظهرت فى مصر صحف ومجلات ودوريات بلغ عددها ٥٠٠ (٢٩)

ولقد كانت هذه الصحف والمجلات فى كثير من الاحيان منابر تدعو لحرية الرأى وحرية الفكر . وحتى صحيفة مثل « الجريدة » وهى منبر موله كبار الملاك ليصبح لسان حزب الامة أمكن للتيار الليبرالى من أبناء هذه الطبقة أن يسيطر عليه ..

ويرثى مصطفى عبد الرازق « الجريدة » قائلا « استبشرنا بها راية يلتف حولها الجوهر المصفى من شبابنا ، وتسير فى ظلها دعوة الحرية والتقدم ، بين جاه العلم والعقل وجاه العصبية والغنى ، ثم ماتت « الجريدة » وتفرق عنها أصحابها غافلين لاهين بمظاهر القابهم وأموالهم ... ان المرزوئين فى الجريدة هم أهل الجد من فتيانها الذين كانت صحيفة الاعيان مظهرا لمذاهبهم الحرة وأفكارهم الجديدة » (٣٠) .

وعلى صفحات « الجريدة » أيضا شرح لطفى السيد بوضوح فكرته عن مذهب « الحريين » أو « الليبراليين » فقال « ويقضى فى أصله أن لا يسمح للمجموع فى البلاد أو للحكومة فى (بلاد مصر) أن تضحى حرية الافراد ومنافعهم لحرية المجموع أو الحكومة فى التصرف فى الشئون العامة . هذا المذهب يقضى فى أصل وضعه بأن لا يكون للحكومة سلطان الا ما ولتها الضرورة اياه » (٣١) .

والحرية « فطرة فطر الله عليها كل فرد ، فليس لواحد من بنى الانسان أن يسلب واحدا آخر حريته ، واذا كان الفرد حرا بالطبع فالامة التى هى مجموع الافراد ، حرة من باب أولى ... وليس لهذا الفرد ولا لهذا المجموع أن يتنازل عن حريته لان التنازل فرع من الملكية : والحرية غير مملوكة للحر ، فلس له أن يهبها للسلطان ، بل كل هبة من هذا القبيل باطلة بطلانا أصليا ، فأيما أمة وهبت حريتها لملكها وجعلت نفسها عبدة له ، فهبتها باطلة وحريتها باقية ثابتة » (٣٢) .

والرأى العام « يجب أن يعتبر هو الحق الذى يجب اتباعه ، والقانون الذى يجب تنفيذه ، سواء راق ذلك فى عين لورد كرومر ، أو لم يرق سواء وافق مصلحته الاستعمارية أو لم يوافقها » (٣٣) .

ولم يكن لطفى السيد وحده من بين أبناء الاعيان الذى خاض معركة الليبرالية فقد كان هناك أيضا محمد حسين هيكل الذى كتب مؤلفا قيما عن « جان جاك روسو » أهداه :

« الى مصر الحرة ...

الى القلوب الخفاقة بمعانى الحرية والعدالة والاخاء ..

الى النفوس التى تأبى الضيم ..

الى العقول التى ترفض قيود الفكر ..

الى كل مصرى جديد بهذا الاسم رجلا كان أو امرأة ، أقدم هذا الكتاب صورة لأب من آباء الحرية والمساواة وقديس من قديسى العدالة الاجتماعية الصحيحة ، ونصير متقدم من نصراء الايمان بالعمل .. أقدمه صورة ومثلا وأرجو أن تجد مصر من بين أبنائها البررة من يقوم بتحقيق الافكار الصحيحة فيه تحت سمائها البديعة الصافية ، وفوق أرضها جنة الله على الارض » (٣٤) .

---

[٢٧] الجرائد فى القطر المصرى ـ الضياء ، المجلد الاول ـ عام ١٨٩٨ ـ ١٨٩٩ ـ ص ٤

[٢٨] ... Young — Egypt — London, 1927 — pp. 179.

[٢٩] GALAL, KAMAL ELDIN — «Entstiehung und Entwicklung der Tagespresse en agypten.

رسالة دكتوراه بالالمانية قدمت لجامعة برلين طبعت عام ١٩٣٩ ـ ص ١٣٣

[٣٠] مجلة مجمع اللغة العربية ـ الجزء ١٣ عام ١٩٦٢ ـ ص ٢٠٧ ـ كلمة شفيق غربال فى تابين الدكتور محمد حسين هيكل .

[٣١] الجريدة ـ ١٩١١/١٢/٢٠ .

[٣٢] أحمد لطفى السيد ـ المنتخبات ـ دار النشر الحديث عام ١٩٣٧ ـ الجزء الاول ـ ص ٢١ نشر بالجريدة ـ ١٩٠٨/٦/٢٨ .

[٣٣] الجريدة ١٩٠٨/٧/١١

[٣٤] د. محمد حسين هيكل ، جان جاك روسو ـ حياته وكتبه ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة النهضة عام ١٩٦٥ ص ٥

وهو ينقل فى مقدمة الكتاب رأيا « لروسو » يقول ان الملكية الخاصة والترف والامعان فى الشهوات هى سبب كل التعاسات المكدسة التى تقع على رؤوس ملايين الفقراء » .

ويمضى هيكل قائلا « هذه هى الفكرة القائدة فى كتب روسو كلها .. على أن فكرته فى الاصلاح لم تكن فكرة تدريجية تبدأ عند الانظمة الحاضرة وتسعى لتحويرها رويدا رويدا فى اتجاه معين ولكنها كانت فكرة متطرفة ثورية ترمى الى هدم نظام واقامة نظام جديد على أنقاضه » (٣٥) .

وفى عام ١٩١٩ عاد هؤلاء الليبراليون من أبناء الاعيان ليتجمعوا من جديد تحت راية ليبرالية أخرى هى « الحزب الديمقراطى » .

وفى ١٠ - ٩ - ١٩١٩ نشر الحزب « قانونه » وهو ينص فى مقدمته « ان مبادىء هذا الحزب تقوم على أساس المساواة بين الامم والاخاء بين الافراد ، والنهوض الى اسمى ماينصور من الرقى وتأييد سيادة الشعب واقامة العدل مقام القوة » (٣٦) .

وباختصار فان المثقفين من ابناء الذوات قد استطاعوا - بتأثير ثقافتهم الغربية أن يحدثوا ضجة ثقافية هزت الركود الفكرى الذى نسجته السنوات المريرة التى أعقبت هزيمة ثورة عرابى ، واستطاعوا أن يوقظوا كثيرا من الاذهان ويحركوا عديدا من المشاعر واذا كانوا قد تخلوا عن ذلك كله فيما بعد ، فان ماقدموه من أفكار ليبرالية قد ترك آثارا لا تمحى من الوجدان المصرى .

ولم يكن أبناء الاعيان وحدهم فى ميدان الدعوة الى الليبرالية فقد كان هناك أيضا المثقفون من أبناء الطبقة الوسطى والبورجوازية الصغيرة .. بل كانت هناك أيضا ما يمكن تسميته تجاوزا بالليبرالية اليسارية بمعنى تصدى التيار الاشتراكى وقوى الطبقة العاملة للدفاع عن الحرية والديمقراطية من منطلق بروليتارى اشتراكى .

ولعل كتابات محمد فريد وقادة الحزب الوطنى هى خير نموذج لليبرالية « الطبقة الوسطى » التى تركزت فى الاساس على أن محور التقدم هو التعليم .

يقول محمد فريد فى خطابه امام الاجتماع السنوى للحزب الوطنى عام ١٩٠٨ « يجب أن يكون قصدنا جميعا الوصول الى جعل التعليم الابتدائى الزاميا ومجانيا لكل مصرى ومصرية .

فالديمقراطية الحقة والمساواة الحقيقية تقتضينا بأن يكون التعليم الابتدائى مجانيا لجميع طبقات الامة ، فقيرها وغنيها ، حتى يشب التلاميذ على حب المساواة ويعرفون منذ نعومة أظفارهم الا تفاوت بين الناس الا بخدمة الوطن » (٣٧) .

وقد تميز الاتجاه الليبرالى لابناء الحزب الوطنى بظاهرة خاصة هى رفض الوظيفة الحكومية باعتبارها قيدا يعوق حرية الانسان ونضاله ..

ولعل خير تعبير عن موقف أعضاء الحزب من الوظيفة كلمة عبد العزيز جاويش التى أعلن فيها استقالته من الوظيفة الحكومية ليعمل فى جريدة اللواء ..

« بعونك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن وخور العزيمة ، ومطيتها الدهان والتلبيس ، فى أسواقها تشترى نفيسات النفوس ، بزيوف الفلوس ، وتباع الذمم والسرائر بالابتسام وهز الرؤوس ، وبيمينك اللهم فاتحة حياتى الجديدة ، حياة الصراحة فى القول ، حياة الجهر بالرأى ، حياة الإرشاد العام ، وحياة الاستماتة فى الدفاع عن البلاد العزيزة ..

استقبل هذه الحياة ، المحفوفة بالمخاطر ، منبريا فى ميدانها ، فاما الصدر واما القبر » (٣٨) .

واذا كانت سوق الاعمال الحرة محدودة بل وضيقة فى هذه الفترة فان مقاطعة الوظيفة الحكومية - كموقف ليبرالى من قادة الحزب الوطنى - لم يترك أمام شباب الحزب من خيار سوى الهجرة الى خارج البلاد ..

ويمكن اعتبار سلامه موسى نموذجا لليبرالية

[٣٥] المرجع السابق - ص ١١
[٣٦] شفيق غربال - المرجع السابق - ص ٢١٨
[٣٧] فتحى رضوان - مشهورون منسيون - كتاب اليوم - اكتوبر ١٩٧٠ ص ٢٢.
[٣٨] اللواء ١٩٠٨/٥/٣

البرجوازية الصغيرة التي تركز دعوتها على « العلم » « والعلمانية » وثمة فارق هام يجب ملاحظته بين مجرد الدعوة لنشر التعليم وتبين الدعوة للعلم والالتزام بالمنهج العلمي .

وعندما أصدر سلامة موسى «جريدة المستقبل» كتب في افتتاحية عددها الاول قد رميت انشاء هذه المجلة الى .. « جمع وتنسيق المعارف العلمية والعمرانية التي يشتغل بها العلماء الاوربيون ونشرها لقراء العالم العربي حتى يعتاد كتبته ومؤلفوه طريقة التفكير العلمي الصحيح ، ويقلعوا عن التقليد في النظر للمسائل العمرانية فتتحرر بذلك من القيود التي وضعها لنا أسلافنا وننظر لمستقبلنا كصحيفة بيضاء نكتب فيها ما نشاء » (٣٩) .

كذلك دعا سلامة موسى الى « العلمانية » بل وتصور انها بذاتها تؤدى الى الاشتراكية « فالعلمانية نزعة أوربية تشمل جميع الامم المتمدينة تقريبا .. وهذه النزعة هي علة نزعات أخرى منها نزعة الاشتراكية (٤٠) .

وردد سلامة موسى كثيرا من أفكار داروين وابسن وويلز وبرناردشو وماركس ، ودافع عن حرية الرأى والاعتقاد ،ودعا الى اشتراكية فابية، وشارك في تأسيس أول حزب اشتراكي مصرى ثم عاد فانسحب منه سريعا لانه حزب متطرف .

لكنه ظل برغم كل شيء علامة طريق هامة في الفكر الليبرالي المصرى ..

ومع تصاعد النضال العمالي في مطلع القرن العشرين شهدت مصر نوعا جديدا من الكتابة تتردد فيه ارهاصات للفكر الماركسي ، ثم ما لبثت هذه الارهاصات أن تبلورت تيارا فكريا متماسكا لعب دورا هاما في التكوين الفكرى المصرى .

والذى يعنينا هو علاقة هذا الفكر بالتيار الليبرالي .. وهي علاقة معقدة بعض الشيء ، فلقد هاجم الماركسيون المصريون الاوائل التيار الليبرالي « في موقع السكون » بمعنى أنهم رفضوا أن تكون الليبرالية هي غايتهم النهائية ، لكنهم مع ذلك رفعوا شعارات ليبرالية « من موقع الحركة » بمعنى مواكبة التطور السياسي والاجتماعي المصرى كسبيل لتقدمه نحو الاشتراكية ..

وربما كان مصطفى حسنين المنصورى هو طليعة هذا الرعيل من المفكرين المصريين وهو يضع على غلاف كتابه القيم « تاريخ المذاهب الاشتراكية » شعارا يقول « لقد كنا طوال القرون الماضية بالباطل فجنينا ولازلنا نجنى الشقاء والدمار،وقد حان الوقت الذى يجمل بنا فيه أن نغير طرقنا الفاسدة وأساليبنا العقيمة » (٤١) .

والمنصورى يقدم في كتابه دراسة ممتعة عن الماركسية ، ويصف ماركس بانه « أعظم دعاة الاشتراكية وأكبر أنصارها » .

وهو يستعرض على صفحات كتابه رأى الماركسية في أهم قضايا المجتمع والاقتصاد والسياسة والملكية والعلاقات الدولية والدين والحرب .. الخ معلنا بوضوح وبصراحة انتماءه الفكرى والعملي الى جانبها (٤٢) .

لكنه مع ذلك عندما يصل الى فصل في كتابه يسمى « مصر والاشتراكية » نجده يقدم برنامجا تكتيكيا ، تتسم معظم فقراته بطابع ليبرالي واضح . لكنها « ليبرالية » من منطلق جديد ، منطلق لا يكتفى بالمطالبة بالحرية المجردة ، منطلق يطلب « الديمقراطية » كي يؤسس على قواعدها بناء مصر الاشتراكية . والبرنامج يطلب :

- جعل رأى الجمعية التشريعية قطعيا
- جعل الوزارة مسئولة أمامها
- اصدار قوانين تكفل حرية الانتخاب .
- اصدار قانون يمنع تعدد الزوجات
- تعيين حد أدنى لأجرة المزارعين والعمال بحيث لا يقل عن خمسة قروش ومعاقبة كل من يخالف ذلك من أرباب الاعمال بالحبس او بغرامة مالية .
- يجب تقريب التفاوت الهائل بين موظفي الحكومة في المرتبات ولا يصح بأى حال من الاحوال أن يأخذ موظفا أكثر من مائة جنيه أو أقل من خمسة جنيهات في الشهر .

[٣٩] المستقبل — ١٩١٤/٥/٧
[٤٠] سلامة موسى — مقدمة السبرمان — الطبعة الثالثة عام ١٩٦٢ — ص ٦
[٤١] مصطفى حسنين المنصورى — تاريخ المذاهب الاشتراكية . الطبعة الاولى — عام ١٩١٥ .
[٤٢] المرجع السابق — ص ٤٩

على الحكومة فرض ضريبة متدرجة على الدخل اذا زاد عن ٢٠٠ جنيه سنويا وكذا ضريبة على التركات ٠

● الغاء المحاكم المختلطة

● ايجاد محلفين بالمحاكم الاهلية ٠

● الغاء الرسوم التى تحصل عن القضايا

● تعديل القانون الشرعى حتى يتمشى مع الروح العصرية

● الغاء الرتب والنياشين وقصرها من الان فصاعدا على أصحاب الكفاءات العالية

● على مجالس المديريات تعيين الحد الاعلى لايجار الفدان كل فى دائرة اختصاصها بحيث لا يزيد عن عشرة جنيهات ٠

● الغاء جميع القوانين التى تقيد حـرية الاجتماع والخطابة والصحافة (٤٣) ٠

وهكذا تشهد مصر نوعا جديدا من الليبرالية تختلف تماما عن ليبرالية أحمد لطفى السيد التى وصفها كما رأينا بأنها تقضى بألا « يسمح للمجموع فى البلاد أو للحكومة ان تضحى بحرية الافراد ومنافعهم لحرية المجموع » ٠

وحرية الافراد عند لطفى السيد تعنى حرية البرجوازيين ٠٠

بينما كانت شوارع مصر تموج فى نفس الوقت باضرابات واعتصامات العمـال ومظـاهرات العاطلين يحملون رايات حمراء تقول « الخبز ٠٠ أو العمل » ٠

وكان صوت الطبقة العاملة المصرية يهـدر صائحا :

برح اليـــوم بالظهور الخفـــاء
فـــكلوا الاغنياء يا فقراء [٤٤]
امضغوهم وعلقـــوا الاثم فى
جيـــدى فهم بانتحارنا الاثماء
وابلعوهم وكلـــكم مســـــتعد
لابتلاع الاحجار لولا الحيــــاء

وهكذا وكما قاد الصراع الوطنى الى تمايز ليبرالية مصرية فقد قاد الصراع الطبقى بعـد سنوات قليـلة الى تمـايز ليبرالية بورجوازيـــة وأخرى يسارية ذات اتجاه اشتراكى ٠

[٤٣] المرجع السابق — ص ١١٢

[٤٤] من قصيدة للشاعر عبد الرحمن سالم — مجموعة مجلة الهلال ١٩١٩ ٠

دستــور ١٩٢٣ صراع حــول السلطة



طــارق البشرى

عرفت مصر منذ القرن التاسع عشر تيارات سياسية واحزاب تطالب بالنظام الدستورى كنظام لحكم البلاد ، يقضى على السلطة الفردية للحاكم ، وينقل هذه السلطة الى المصريين • وعرفت دستور ١٨٨٢ الذى وضع مع اشتعال الثورة العرابية ، واعترف ببعض من أهم المبادىء الدستورية الحديثة التى تقيد السلطة الفردية للحاكم وذلك بما أقره هذا الدستور من مبدأ المسئولية الوزارية ، وبما ناطه للمجلس النيابى المنتخب من سلطات على أجهزة الحكم • ولكن دستور ١٨٨٢ لم تكتب له الحياة مدة طويلة • وقد الغى فور احتلال الانجليز لمصر ، واستبدل بمجلسه النيابى هيئتان استشاريتان لم تكن لهما سلطة ما ، ولا كانتا صالحتان لتمثيل الارادة الشعبية حقــا ، وكان حكم مصر من بداية الاحتــلال البريطــانى يتداوله الخديو (الحاكم الفرد) والانجليز (قوة الاحتلال شركة بينهما بالصراع وبالتحالف •

وبقى الوضع كذلك حتى قامت الحرب العالمية الاولى واعلنت بريطانيا الحماية علــى مصر وأخضعتها لحكم عسكرى سافر وصريح • ومارس الانجليز فى حكم البلاد أثناء الحــرب ، كل الاساليب التى عرف بها الاستبداد الشرقى منذ القرون الوسطى . لذلك لــم تخض مصر تجربة الحكم الدستورى كتجربة عملية ومستمرة الا بعد انتهاء هذه الحرب •

ثم قامت ثورة ١٩١٩ عقب انتهاء الحــرب مباشرة ، وفى المناخ الذى ولدته هذه الثورة صيغ دستور ١٩٢٣ الذى قدر له البقاء مهيمنا على الحياة السياسية المصرية تطورا وصراعا مــا يشارف ثلاثين عاما ، ويظهر من مقارنة احكام هذا الدستور ، مع ما تضمنه سلفه الموؤد سنة ١٨٨٢ ، ان دستور ١٩٢٣ كان رغم ما اعتوره من مثالب ، اضمن لحقوق الشعب وافسح لنشاطه السياسى والاجتماعى وأكثر تضييقا فى سلطات الملــك

والحكومة • وليس هنا مجال التفصيل فى المقارنة بين الوثيقتين ، ولكن الاشارة الى هذا الامر لازمة لتقييم دستور ١٩٢٣ باعتباره – رغم كل شيء – وثيقه للحكم غير مسبوقة ، فيما اشتملته من ضمانات لحقوق المصريين ، وفيما رسمته لمؤسسات الحكم من قيود وضوابط ، وفيما قررته للمجلس النيابى من صلاحيات •

وقد كانت امثل النظريات السياسية التى تبناها أكثر المفكرين استنارة عند وضع الدستور ، سواء كانوا بين لجان صياغته وتقرير مبادئه ، أو كانوا من رجال السياسه والاحزاب الذين ابدوا رأيهم فى اعداده نقدا له ، او تقريظا ، كان امثل هذه النظريات ينبعث عن الفكر الليبرالى الاوروبى ، ويصدر عن معاداة الحكم الفردى وتركز السلطة مما عانى منه المصريون كثيرا من قبل • **والصورة النقية للفكر الليبرالى تتمثل فى ضمان الحريات الفرديه والجماعية ، وتكوين مؤسسات السلطة على اساس التمييز بين سلطات التشريع والتنفيذ والقضاء ، واقامة حكومة القانون كبديل عن حكم الاشخاص ، واقرار مبدأ المسئولية الوزارية ، وهيمنة الهيئة النيابية المنتخبة على شئون الحكم رقابة ومساءلة واسقاطا للوزارة ، واقامة هذه الهيئة بالانتخاب العام المباشر والاقتراع السرى • مع الاعتراف بحق المواطنين فى تكوين الجمعيات السياسيه والاحزاب •**

كان هذا أمثل ما تبنته العناصر الاكثر استنارة فى تعليقها على احكام الدستور وصياغته ، وكانوا يعتمدون فى موقفهم هذا على الحركة الشعبية القوية والنشيطة التى اشتعلت فى ١٩١٩ • ولكن الدستور لم يصغ كله وفق مشيئة هؤلاء وحدهم • انما تضمن كثيرا من المبادىء والصيغ التى « توازن » حقوق الشعب ، بمصالح الطبقات والقوى الرجعية ممثلة فى الملك والاحتلال •

لقد صادف هذا الدستور عند اعداده ، وبعد اصداره فى ١٩ ابريل ١٩٢٣ ، هجوما غير قليل من جانب رجال الحركة الوطنية الديمقراطية • وانطلقت سهام النقد من جانب الوفد قائد الحركة الوطنية الديمقراطية وقتها ، ومن الحزب الوطنى ومن المثلين الفكريين لثورة ١٩١٩ ، رافعة شعارى الديمقراطية والاستقلال ضد الحكم الفردى والاحتلال • وقد قاطع الوفد لجنة اعداد الدستور ، فلم يشترك منه ولا من الحزب الوطنى فيها عنصر واحد • وكانت اليد العليا فى وضع هذا الدستور لفريق الاحرار الدستوريين الذى انشق على الوفد وكون حزبا مناوئا له متحالفا مع الانجليز • والذى عرف تاريخه اللاحق بالعداء للحركه الشعبية ممثلة فى الوفد أو فى غيره • كما كان للملك بصماته الواضحة على مواد الدستور من خلال أنصاره فى « **لجنه الثلاثين** » التى اعدت مشروعه الاول ، ومن خلال تدخله المباشر بالتعديل والتغيير فى مواده بعد اسقاط وزارة **عبد الخالق ثروت** (الاحرار الدستوريين) وحلول وزارة **توفيق نسيم** محلها ثم وزارة **يحيى ابراهيم** • وكان للانجليز اثرهم فيه ايضا كما سجل عباس محمود العقاد على لسان سعد زغلول فى كتابه عنه ، وكما هو شائع عن تدخلهم المباشر لدى الملك لحذف ما يتعلق بارتباط السودان بمصر من مواد الدستور •

وفى ضوء هذه الملابسات ، قد يطمئن اى باحث او معلق على صحة حكمه بفساد وثيقة تصاغ فى غيبة رجال الحركة الوطنية وفى ظروف نفى زعامات الوفد من مصر وايداع بعض قادته السجون ، ويتداول خلقها الاحرار الدستوريون والملك • وقد يزيد اطمئنان الباحث الى سلامة حكمه بفساد هذه الوثيقة ، استهداؤه بما هاجم به الوطنيون الدستور وقتها ، مثل المقالات الاربعة عشرة الشهيرة التى نشرها **أمين الرافعى** فى صحيفة الاخبار عقب اعلان الدستور بثلاثة ايام • ومثل اتهامات **سعد زغلول** وغيره من رجال الوفد « للجنة الثلاثين » التى اعدته والتى اسموها « لجنة الاشقياء » • وقد رفض الوطنيون وقتها طريقة اعداد الدستور بواسطة لجنة يعينها الملك ، ويختار هو ووزارة عبد الخالق ثروت اعضاءها • ورفضوا المبدأ النظرى الذى قام على اساسه الدستور وهو كونه « منحة » من الملك كما شاء الملكيون ان يؤكدوا دائما ، او كونه « عقدا » بين الملك وبين الامة الممثلة فى أعيانها كما شاء « الاحرار » دائما ان يؤكدوا • وطالب الوطنيون بان يعد الدستور بواسطة جمعية وطنية منتخبة ، وان يكون المبدأ النظرى الذى يقوم على اساسه هو كونه « حقا » للشعب لا منحة من احد ولا عقدا مع أحد • ثم قاوموا ما سلم به مشروع الدستور للملك من سلطات عديدة •

على ان ما يجب ملاحظته ايضا رغم كل هذه الملابسات ، ان دستور ١٩٢٣ بصورته التى ولد بها ، قد صار بعد ذلك مكسبا ديمقراطيا فذا ، وصارت حمايته وضمان العمل بأحكامه بعض شعارات الحركة الوطنية الديمقراطية فيما تلا ذلك من اعوام • وما اكثر ما قامت المظاهرات وارتجت ارجاء مصر لحمايته من عبث العابثين • وكان من ساهموا فى وضعه هم أول وآخر من انتكس عليه ، وهم من بقوا ربع قرن

يبيتون له الدسائس بليل ، انتهاكا لاحكامه والتفافا عليها ، او وقفا للدستور نفسه كما حدث فى ١٩٢٨ او الغاء كاملا له كما حدث فى ١٩٣٠ .

والحاصل أن دستور ١٩٢٣ ، ان كان يلزم تقييمه فى ضوء النظرة الليبرالية التى انبعث منها أمثل احكامه ومبادئه ، فمن الخطأ الحكم عليه على اساس معايير جامدة ، ومن الخطأ الحكم على النظام الليبرالى أو غيره على اساس انه نظام يوجد كاملا او لا يوجد اصلا . والنظم السياسية تنشأ فى عملية تاريخية متطاولة المدى ، وتتطور من خلال الصراعات السياسية والاجتماعية . واذا كانت الثورة حدثا يمثل قفزة واسعة للامام ، وتغييرا نوعيا كاملا ومفاجئا ، فان الثورة ليست حدثا واحدا يتم به كل شيء . ولكنه حدث تتداعى به احداث ، وكمال التغيير نسبى مقرون بسياقه ، والمفاجأة ليست من لمحات البرق . وان تتبع تفاصيل الاحداث السياسية فى ازمنة الثورات يكشف عن مدى ما هناك من تشابك واختلاط بين القديم والجديد وبين القوى المتصارعة .

لذلك يجب النظر الى بناء النظام الليبرالى فى مصر كما صنع فى دستور ١٩٢٣ ، على اساس كونه عملية تاريخية تختمر بالصراع بين القوى المتعارضة . وقياس هذا الدستور بمقاييس شكلية جامدة يوقع فى محظورين من الجنوح البعيد عن الواقع فى التقييم . وهنساك من البساحثين من يلقى بهذا الدستور فى السعير ويطعنه بالرجعية . وهناك من يوسده ارائك الفراديس . ولكن الواجب ان يمشى به الباحث على الصراط ليتتبع مستقره ولا ينبغى ان يقيم على اساس الموازنة بين ما منح وما منع للطرفين المتخاصمين، الملك والشعب ، فان هذا تقييم نصوص لا تقييم مسار تاريخى ، وان هذا يقف عند حدود الهياكل المرسومة بغير ايغال فى محتواها ، وبغير تتبع ما يطرأ على هذا المحتوى من تغير وتطور من جراء الصراعات السياسية الدائرة فى المجتمع . ومثال ذلك ان دستور ١٩٢٣ كون مجلسين نيابيين : احدهما منتخب كله واكثر شعبية ، هو مجلس النواب ، والثانى معين منتخب للطبقات المتميزة هو مجلس الشيوخ . ولا يكاد يخطيء احد فى تقدير ان المجلس الاول اصدق فى التعبير عن الشعب من المجلس الثانى . ولكن حدث كثيرا ان زيفت انتخابات مجلس النواب ، وان استطاعت الحكومات الوطنية ان تمد مجلس الشيوخ برجال منها ، ونتج عن هذا فى بعض الفترات ان صار مجلس الشيوخ لا مجلس النواب هو منبر المعارضة الوطنية الديمقراطية داخل مؤسسات الحكم . وهـكذا تتـداول المؤسسـات بفعل الصراعات السياسية ، وتتبادل وظائفها فى اطار النظام الواحد . وهكذا يوزن الدستور بوزنه الصحيح باعتباره مسارا تاريخيا لا نصوصا جامدة ترد على مبادىء جامدة ولا هيـاكل ثابتة تتـرادف مع محتويات ثابتة . وان التقدير الواقعى الملموس للاحداث ، مع الاهتمام غير المحدود بالتفاصيل والجزئيات هو العاصم من الخطـأ ، على قدر الجهد والمحاولة .

وتقدير النظام الدستورى لسنة ١٩٢٣ كمسار تاريخى ، يستوجب ربطه بما سبقه من احداث وبيان مدى ما أدخله على الحياة السياسية ونظام الدولة من جديد ، وما حافظ عليه من سلطات الحكم الفرد . وهو يستوجب أيضا ربطه بالسياق اللاحق عليه ، والنظر فيما استقبل فى الحيـاة السياسية بعده لمعرفة هل اتسعت مبادىء هذا الدستور ومؤسساته لنمو الحركة الشعبية وتطوير المجتمع ام لا .

ويجب الحذر عند النظر فيما هوجم به هذا الدستور أيام اعداده من الكتاب الوطنيين . فان التجربة التاريخية لا تتكامل امام من يعاصرون الحدث ، وهم يختارون مواقفهم منه لا على اساس التقدير الموضوعى الخالص له ، ولكن على اساس انهم يساهمون فى صناعته وفى صناعة ما يتلوه من احداث ، وذلك يستوجب منهم التركيز على جوانب النقص بقصد تلافيها او التركيز على الجوانب الايجابية بقصد تثبيتها . وكان الوطنيون وقتها يحذرون من ان يؤول الدستور مستقبلا تأويلا رجعيا ، فصرفوا جهدهم لا فى بيان ما غنمته منه الحركة الشعبية ولكن فى الضغط لكسب المزيد من الحقوق للشعب ولتأكيد التفسيرات التى تتفق اكثر من غيرها مع مقتضيات التطور الليبرالى وتحقيق المطالب الوطنية والديمقراطية .

ودليل ذلك ، أن الهجوم على الدستور — مهما بلغت قسوة العبارات والانتقادات التى وجهت له — لم يصل الى حد مقاطعته . وكان فى مكنة الوفد بما يسيطر عليه من جموع غفيرة أن يقاطع تطبيق الدستور ويقاطع الانتخابات التى تجرى علـى اساسه ، فيتحول الدستور الى قصاصة ورق . وقد وجه الحزب الوطنى اليه اقسى الانتقادات ولكن ذلك لم يمنع اعضاءه من الترشيح فى الانتخابات على مقتضاه . ثم ظل الجميع يستظلون بظله ، بما يعنى رضاءهم به كصيغة للنشاط الوطنـى والديمقراطى ، وبما يعنى أنه كان صيغة تتسع لهذا النشاط . وكان الملك والاحتلال هم أول من انتكس عليه كما سبقت الاشارة .

والحاصل أن هذا الدستور كان مأخوذ الاحكام

من دساتير البلاد المتطورة فى أوروبا ، وخاصة دستور بلجيكا ذات النظام الملكى الديمقراطى . وكان الحكم على الدستور يصدر بمقاييس النظم الليبرالية الاوروبية . واهمية هذه الملاحظة تظهر من ادراك البون الشاسع بين مستوى . التطور الاجتماعى فى مصر وبين المستويات الاوروبية . فكان هذا المقياس يمثل مقياسا افتراضيا أو مثاليا يتغياه المجتمع المصرى ، ولكنه لا يصدر عن كون الظروف الاجتماعية متساوية بين المقيس والمقيس عليه .

وثمة نقطة اخيرة تتعلق باختلاف النظرة السياسية المعاصرة للحدث عن النظرة التاريخية له . والنظرة الاولى نظرة صراع فى عملية تاريخية لم تكتمل . والثانية نظرة تحليل لعملية اكتملت تاريخيا ولو اكتمالا نسبيا . والمستقبل فى النظرة الاولى غير معروف ولا يزال فى طور التكوين ، وهو فى النظرة الثانية قد صار ماضيا مسجلا على شريط التاريخ ، ومقتضى النظرة التاريخية أن يلاحظ الحدث لا فى سياق ما سبقه فقط ، ولكن فى سياق نتائجه المتحققة أيضا .

بين الملك والامة

اعتاد مشرعو الدساتير وفقهاؤها أن يطرحوا سؤالا نظريا ، هل الدستور منحة من الحاكم أو حقا للشعب . وقد نشأت الدساتير عادة استخلاصا لسلطة الحكم من الملوك لصالح الشعب أو لصالح الطبقة الاجتماعية الصاعدة المستترة براية الشعب . وفكرة أن يعتبر الدستور منحة أو حقا ، فكرة نظرية تؤثر فى تعيين نقاط الانطلاق فى تحديد أحكامه وبناء مؤسساته ، أى فى بيان ما يبقى للحاكم الفرد من سلطات وما يؤول للشعب منها . وهى تؤثر فى ضمانات استمرار الحكم الدستورى ، هل يجوز للحاكم الفرد أن يلغيه أو يعدل من أحكامه ، أم يلزم لذلك موافقة الجماهير بالاستفتاء أو بواسطة نوابها المنتخبين . واذا استجد فى التطبيق جديد لم يشر اليه الدستور صراحة ، فهل يؤول لمصلحة سلطان الحاكم أم للشعب .

ومن الطبيعى أن يتمسك الملك أو الحاكم الفرد عامة ، بكون الدستور منحة منه وان يمارس صلاحياته على هذا الاساس . وقد اتضح حرص الملك فؤاد على تأكيد هذا المعنى ، اذ كان هو من شكل بقرار منه لجنة الثلاثين التى أعدت مشروع الدستور رغم معارضة الوطنيين واصرارهم على أن تعده جمعية وطنية منتخبة ليكون الدستور وثيقة حقوق الشعب لا منحة من أحد . ثم عاد الملك وأكد دعواه كمانح للدستور فى وثيقة اعلانه (الامر الملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣) . فجاء فى المقدمة

سعد زغلول

■ ولد عام ١٨٦٠ فى بلدة ابيانه ، وكان والده شيخا عليها . فهو ينتمى للبورجوازية الزراعية المتوسطة . وقد انتسب للبورجوازية الكبيرة عن طريق مصاهرته لمصطفى فهمى باشا .

● تلقى العلم بالازهر ، وتربى فى كنف الامام محمد عبده وشب بين يديه كاتبا خطيبا ، اديبا سياسيا .

● اتصل بجمال الدين الافغانى عن طريق الشيخ محمد عبده ، وتأثر بآرائه فى هدم الاستبداد ونشر الحرية .

● الف الوفد المصرى بعد الحرب العالمية الاولى . وكانت مهمة الوفد « السعى بالطرق السليمة المشروعة ، حيثما وجد للسعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما . وكان اعتقاله على يد سلطات الاحتلال ، السبب المباشر فى انفجار ثورة ١٩١٩ .

● يعتبر أقوى زعيم مصرى ليبرالى قاد حركة التحرر الوطنى فى البلاد . وهو مهندس الوحدة القومية التى ارسيت عليها مصر الحديثة .

● ضرب ورفاقه لجماهير الشعب ، المثل فى التضحية والفداء ، حين قبل النفى مرتين وهو شيخ كبير . واطلق عبارته المشهورة : « للقوة ان تفعل بنا ما تشاء ، افرادا وجماعات ، فاننا جميعا مستعدون للقاء ما تأتى به بجنان ثابت وضمير هادىء » .

● كانت أفكاره فى الثورة ، وفى التغيير الاجتماعى ، بورجوازية بحتة ، فقد كان يرى ان الثورة لا تحدث الا تلقائيا . ولم يشغل ذهنه بالمسائل الاجتماعية معتقدا ان الجماهير ليست بحاجة لاكثر من برنامج سياسى قوى فتشده الى العمل السياسى .

● فى عهد وزارته الاولى استرد من الملك السلطات التى اغتصبها بتعديل الدستور وبذلك ارسى الحياة الديموقراطية الليبرالية . ولكن سرعان ما تكاتف بعد ذلك الاحتلال والقصر واحزاب الاقلية على هدم ما فعل وافساد الحياة النيابية .

تذكير بأن الملك منذ تبوأ عرش أجداده أخذ على نفسه أن « نحتفظ بالامانة التى عهد الله تعالى بها الينا .. » فسجل بذلك دعواه انه يستمد سلطته من الله عن طريق أجداده . وكان الوطنيون حريصين على انكار هذه الدعوى وعلى أن الدستور ــ كما يقول أمين الرافعى ــ حق للامة لا منحة من المنح . أما الاحرار الدستوريون فقد رفضوا باصرار اعتبار الدستور منحة من الملك ، ولكنهم لم يصلوا بهذا الرفض الى اعتباره حقا خالصا للشعب . وصاغوا موقفهم السياسى النظرى منه بمقولة أنه « عقد » بين الملك والامة ، وبمقولة ان « الامة » يمثلها وزراؤها (أى وزارة

ثروت) وذلك طبقا لما جاء على لسان عبد العزيز فهمى فى خطابه المفتوح الى توفيق نسيم ٠

ويظهر من مطالعة أسماء أعضاء لجنة الثلاثين ، أنها شكلت على وفق هذا التصور الذى طرحه الاحرار الدستوريون ، اذ اختير اعضاء اللجنة على تصنيفات عدة ، منهـا أن بعض اعضائها كانوا من رجال الجمعية التشريعية التى تكونت فى ١٩١٣ كهيئة نيابية استشارية ، وبعضهم كانوا يمثلون الهيئات والطوائف المختلفة وفيهم القبط والعرب ٠٠ الخ ٠ على ان اهم تصنيف سياسى لاعضاء لجنة الثلاثين كان على أساس انها تجمع بين انصار الملك وانصار الاحرار ٠ ثم صدر قرار تشكيلها من الملك بناء على عرض عبد الخالق ثروت رئيس الوزراء ٠ وأيا كانت سلامة وجهة نظر الاحرار فى اعتبار الدستور « عقدا » ، فقد كانت هذه النظرة هى نقطة الانطلاق فى صياغة احكامه التفصيلية وبناء مؤسساته وتحديد العلاقات الدستورية بين هذه المؤسسات ٠ وذلك على أساس التسليم بالوجود السياسى « للملك » والاعتراف بالوجود السياسى « للامة » معا ، وترتب على ذلك قيام الازدواج فى الشرعية الدستورية بين هاتين القوتين ٠ واذا كان الاحرار هم أصحاب هذه النظرة ، فقد سلم بها الوفد بعد ذلك فى التطبيق ، مع اختلاف واحد عن الاحرار ، هو أن الوفد فرض « للامة » معنى آخر ، فاعتبر الامة هى الحركة الوطنية الديمقراطية تحت قيادته ، وليست « الاعيـان » وأصحـاب الثروات الكبيرة كما زعم الاحرار ٠ واستطاع الوفد أن يفرض هذا المعنى للامة بفضل ما يتمتع به من تأييد شعبى واسع يغنم به فى الانتخـابات نصرا كاسحا ٠

واذا كان يمكن القول بأن فكرة التعاقد بين الملك والامة ، تتضمن اعترافا بحقوق سياسية للملك فى مواجهة الشعب ، مما يمس المبدأ الديمقراطى فى صورته النقية ٠ فان ما تجب ملاحظته أن هذا الاعتراف لم يكن جديدا فى تنظيم الدولة ٠ وقد كان الفكر السياسى التقليدى يعترف بالحاكم الفرد (خليفة أو سلطانا أو ملكا) كحقيقة سياسية وحيدة ، وهو خليفة رسول الله أو ظل الله فى الارض أو الامام على ما استند حكام البلاد الاسلامية منذ القرون الوسطى ٠ وهو الملك صاحب التفويض الالهى على ما كان يتمسك ملوك أوروبا قديما ٠ والجديد فى دستور ١٩٢٣ هو الاعتراف بسلطة الامة كموازن لهذه السلطة الملكية التقليدية ٠ وقد جاءت المادة ٢٣ من هذا الدستور صريحة فى أن « جميع السلطات مصـدرها الامة ٠٠ » وافتتحت هذه العبارة الباب الثالث من الدستور الخاص ببناء مؤسسات الحكم ٠ وكانت لجنة الثلاثين هى من وضع هذا النص ، واشتملت مناقشات اللجنة على خلاف كبير بين الملكيين و« الاحرار » بشـأنه ، الاولـون يـرفضونه ، والاخيرون يؤكدون على لزومه ٠ وراوغ حسين رشدى باشا رئيس اللجنة فى اقراره بدعوى أنه نص نظرى ليست له أهمية عملية ، ولكنه لم ينجح فى حذفه ٠ فلما سقطت وزارة ثروت بعد اعداد المشروع ، عمل توفيق نسيم رئيس الوزارة التالية على حذف هذا النص من المشروع ضمن ما أجراه من تعديلات خطيرة فى المشروع لصالح الملك ، وبرر وزير الحقانية حذفه بما ردده من قبل حسين رشدى باللجنـة ٠ ولـكن قوبل حذف هذا النص باحتجاج كبير من الوطنيين ومن « الاحرار » على السواء وكاد الامر جميعه أن يفسد ، فعاد النص من جديد الى موضعه وصدر به الدستور على يد الوزارة التالية التى رأسها يحيى ابراهيم ٠ واذا كانت مقدمة الامر الملكى باصدار الدستور قد تضمنت ادعاء من الملك بحقه الالهى فى الحكم ، فأن المادة ٢٣ التى وردت فى صلب الدستور ذاته تنطوى على اعتراف اضطر الملك اليه بكون الامة مصدر السلطات ٠ ولم تكن الا ثورة ١٩١٩ هى من يستطيع اكراه حاكم فرد مستبد على توقيع هذا الاعتراف الخطير ٠

حقوق المصريين

بهذا بنى الدستور على محورين ، محور الملك الحاكم الفرد التقليدى ، ومحور الامة الديمقراطى الجديد ٠ وقد اتت أحكام الباب الثانى تتضمن بيانا بالحقوق الاساسية للمصريين التى تقوم عليها دعامة الديمقراطية ٠ وهى أحكام تعتبر برمتها جديدة على الوثائق الدستورية والنظامية فـى مصر ٠ وقد شكلت فيما استقبل من أيام ارساء لتراث جديد تتعلق بضمانات المصريين افـرادا وجماعات ، وذلك رغم ما احيطت به هـذه الضمانات من تحفظات ٠ وكانت هذه التحفظات نفسها مثارا لجدل سياسى مستقبل اضاف الى مطالب الحرية تراثا جديدا ٠

ومجمل « حقوق المصريين وواجباتهم » على ما وردت بالدستور ، هو اقرار مبدأ بناء دولة القانون القائمة على السلطات المقيدة ورفض عشوائية حكم الاستبداد الفردى ٠ واقرار مبدأ المساواة بين المصريين فى الحقوق المدنية والسياسية ، وكفالة الحرية الشخصية وعدم جواز القبض على انسان الا وفق القانون ، ولا جريمة ولا عقوبة الا بقانون سابق على وقوع الفعل ، وعدم جواز ابعاد المصرى اطلاقا عن وطنه أو تقييد حريته فى الحركة ، وكفالة حرمة المنازل وسرية الرسائل ، واطلاق حرية الاعتقاد وحماية اقامة الشعائر الدينيـة

واستعمال اللغة ، وكفالة حرية الرأى فى حدود القانون وغير ذلك ٠

وتضمن الدستور اقرارا بحرمة الملكية الخاصة وحظر مصادرة الاموال ٠ وهو اقرار يبدو فيه طابع رعاية مصالح أصحاب الملكيات الكبيرة ، زراعية او صناعية أو تجارية ٠ وهو اقرار يصدر عن موقف طبقى اجتماعى محافظ يثبت الوضع الاجتماعى القائم وقتها ويمس مبادىء العدالة الاجتماعية فيما قد تستوجبه مستقبلا من تصفية هـذه الثروات لصـالح الجماهير ، والتطـور الاجتماعى ٠ ولكن لا ينبغى أن يغيب عن النظر أن اقرار هذا المبدأ كان موجها أيضا الى تقييد سلطة الحاكم الفرد فى استصفاء الاموال بغير قيد لا لحساب الشعب ولكن لحساب سلطته الفردية ٠ وكانت هذه السلطة من أساليب الاستبداد الشرقى على ما عرف منذ القرون الوسطى فى الشرق وفى العالم الاسلامى ، واطرد استعمالها فى معرض نهايات القرن التاسع عشر ، وحتى خلال الحرب العالمية الاولى بواسطة الاحتلال عنـدما كانت سلطاته تصادر الدواب والغلال من الفلاحين ٠ وقد كان لهذا الاعتبار وجود حقيقى فى أذهان من وضعوا مشروع الدستور ، وخاصة الاحـرار الدستوريين الذين يمثلون كبار مـلاك الأراضى الزراعية ممن عانى أسلافهم الكثير خضوعا للحكم الراعية ممن عانى أسلافهم الكثير خضوعا للحكم الفردى للخديويين والولاه ٠ فكان تقريرهم لحرمة الملكية الخاصة غير موجه فحسب ضد احتمالات التطور الاجتماعى لصالح الشعب ، ولكنه موجه ضد ارتجاع الملك سلطته الفردية على ثرواتهم ، وكان القصد منه ، لا تأمين وضعهم الطبقى ضد الشعب فقط ، ولكن أن يستعاض عن أساليب الاستبداد الشرقى العشوائية ، بالحكم الرشيـد لطبقتهم الاجتماعية فى مواجهة الملك ٠

ومع ادراك أهمية تقرير مبادىء الحريات العامة السابقة ، فيما تؤدى اليه من اشاعة مناخ موات للنشاط الديمقراطى ، فان هذا المناخ المواتى لا يكون وحده قادرا على توليد « الفعل » وعلى أن يترجم الى سلوك عملى محدد ، الا من خلال القنوات التنظيمية القادرة على ذلك ٠ أى من خلال كفالة تكوين التنظيمات السياسية وكفالة النشاط من فوق المنابر العامة عن طريق حرية الصحافة وحرية الاجتماع ٠ ولكن « الفعل » ان تـوافرت امكانياته يكون خليقا أن يبعث الخوف وفقدان الاستقرار سواء للحاكم الفرد أو لطبقتـه الاجتماعية ٠ ومن هنا سلمت الرجعية ـ ملكا واحتلالا ـ بكل مبادىء الحرية السابقة ، ولكنها أبدت عنادا ومشاكسة شديدة بالنسبة لاقرار حرية الصحافة وحرية الاجتماع (المادتان ١٥ ، ٢٠ من الدستور) ٠ والامر هنا لا يتعلق باقرار حرية فردية ، ولكنه يتعلق بقدرة « جموع الافراد على التنظيم والتحرك ٠ والصحافة والاجتماع افعل اساليب التجميع الجماهيرى من أجل التحـرك السياسى ٠ وقد تشعبت الدروب والمسالك بلجنة الثلاثين عند تعرضها لهاتين الحريتين ٠ وكان على ماهر وعبد اللطيف المكباتى خير من نادى باطلاق الحرية فى هذين النشاطين ، وكان لنداءات الحرية خارج اللجنة أثرها الضاغط عليها فى التسليم بهما ٠ وانتهى الامر باللجنة الى تقرير أن الصحافة حرة فى حدود القانون وان الرقابه عليها محظورة وان انذارها او وقفها او الغائها اداريا محظور أيضا ٠ ومؤدى هذا تجريد الجهاز الادارى من أن تكون له أية سلطة مباشرة على الصحافة ، ولا يكون من سلطة عليها الا للهيئة النيابية المنتخبة التى تملك اصدار القوانين ، والا للقضاء المشرف على تطبيق القانون ، والذى كفل له الدستور الاستقلال عن السلطة التنفيذية ٠ وانتهى الامر ايضا فى لجنة الثلاثين الى تقرير حق المصريين فى الاجتماع غير حاملين سلاحا ، وحظر حضور رجال البوليس اجتماعاتهم وانه لا ضرورة لاخطار البوليس بأى اجتماع ، وان الاجتماعات العامة خاضعة للقانون ٠ ومؤدى هذا رفع يد الجهاز الادارى عن الاجتماعات ، فلا يملك ازاءها أمرا الا القوانين التى تصدرها الهيئة النيابية المنتخبة والتى تطبقها المحاكم المستقلة ٠

ولكن ما أن وقع مشروع الدستور فى يد الملك بعد اسقاط وزارة ثروت ، حتى أضيف الى هذين الحكمين تحفظ جد خطير ، هو « الا اذا كان ذلك ضروريا لوقاية النظام الاجتماعى » ٠ وورد هذا التحفظ فى ذيل كل من المادتين ١٥ ، ٢٠ من الدستور ، وقصد به اقرار مبدأ تدخل الجهاز الادارى فى ممارسة المواطنين لحريتى الصحافة والاجتماع ، وقدرة هذا الجهاز على تقييدهما من وراء القانون والقضاء ٠ وبررت وزارة الملك ذلك بخطر الدعوة الى البلشفية « الموجودة الان » ، على ما صرح وزير الحقانية ٠ وكان مـوقف الملك (الاحتلال وراءه) فى هذا الامر من التشبث والصرامـة بحيث لـم تثنـه صيحات الغضـب والاحتجاج التى ثارت عليه ٠ وعرف الوطنيون وقتها أن التهديد بخطر الشيوعية قد يستعمل ضد الحركة الوطنية ، وان دعوى « وقاية النظـام الاجتماعى » دعوى بالغة المرونة تطلق يد الجهاز الادارى ضد الخصوم من أى نوع ، وان البلاد الديمقـراطية فـى أوروبـا تنتشر فيهـا دعوى « البلشفية » ولكنها لا تدخل تحفظا كهذا على حريات المواطنين بها ٠

والذي يلاحظ أن الانطلاق غير المقيد لحريتي الصحافة والاجتماع ، كان يحمل من المخاطر على الوجود « الملكي » ووجود الاحتلال ، مما يفسر عناده الشديد ، وكان يخل بصيغة التوازن السياسي اللازمة لقيام « التعاقد » . ومن جهة ثانية ، فلم يكن الجديد في الدستور ، هو الاعتراف بسلطة الادارة على حريتي الصحافة والاجتماع ، مع ما هو معروف من جسامة ما كان يفرضه قانون المطبوعات مثلا على الصحف ، ولكن كان الجديد هو الاعتراف بمبدأ الحرية في هذين النشاطين . وقد دلت التجارب المستقبلة على أن هذا الاعتراف رغم ما يعتوره من قصور ، قد اتاح للعمل السياسي الجماهيري الكثير من فرص النشاط .

والملاحظ أيضا ، ان أي دستور يبنى على أساس الديمقراطية الليبرالية ، انما يستمد أهم أسس بنائه من حرية التنظيم السياسي ووجود الاحزاب المتعددة التي تتداول الحكم والمعارضة بما تنجح في كسبه من تأييد الرأي العام لبرامجها ونشاطها وبما تغنمه من ثقة الجماهير في الانتخابات . والصحافة والاجتماعات أهم وسائل اتصال الاحزاب بالجماهير . لذلك كانت هاتان الحريتان من أخطر ساحات الصراع عند اعداد الدستور ، وبقيتا كذلك بعد العمل به حتى نهايته الرسمية في سنة ١٩٥٣ . وكثيرا ما بدا الصراع السياسي في مصر مكثفا ومركزا في سطور كل من هاتين المادتين ، يطل الشعب وحركته الوطنية الديموقراطية من السطرين الاولين ، ويطل الملك والانجليز والرجعية من السطر الاخير ، وغلب على هاتين المادتين انهما صيغتا صراع لا صيغتا تصالح .

وقد بادرت وزارة يحيى ابراهيم ، باصدار قانون ينظم الاجتماعات فور اعلان الدستور وقبل أن يبدأ العمل به ، واعترف القانون للجهاز الاداري بسلطات واضحة ووضع قيودا شديدة على حريتي الاجتماع والتظاهر ، ولكنه اضطر الى التسليم برفع هذه القيود اثناء المعارك الانتخابية ، تسليما بأهمية هذا النشاط في أوقات الانتخاب ، وتسليما بأن هذه الاهمية تبلغ أقصى درجات الحيوية ، وانه يمكن ان تقاطع الانتخابات ويرفض الدستور كله من الجماهير اذا لم تتح لها حرية الاجتماع في معارك الانتخابات .

وحاول النواب الوفديون في أول تشكيل لمجلس النواب سنة ١٩٢٤ الغاء هذا القانون ورفع القيود المفروضة على حرية الاجتماع ، فوقف سعد زغلول ضد هذا الاتجاه لما قرره فيه من « تطرف » لا تسمح به الموازين السياسية القائمة . ثم حاولت وزارة مصطفى النحاس زعيم الوفد سنة ١٩٢٨ تعديله ، فهددت البوارج البريطانية سواحل مصر فتراجعت الوزارة . كما كانت معارك حرية الصحافة سجالا على مدى ثلاثين سنة هي عمر الدستور . على انه رغم كل ذلك فان تتبع هذه التجربة الدستورية كاملة ، يكشف عن فترات حية وخصبة من النشاط الجماهيري بالاجتماعات

مصطفى النحاس

■ ولد عام ١٨٧٩ لتاجر اخشاب متوسط الثروة في سمنود .

● تخرج من مدرسة الحقوق سنة ١٩٠٠ ، اتصل بمحمد فريد . عمل بالمحاماة لمدة أربع سنوات ثم التحق بسلك القضاء سنة ١٩٠٤ .

● ضمه سعد زغلول الى الوفد المصري الاول باعتباره ممثلا للحزب الوطني .

● سافر الى مؤتمر الصلح في ١١ ابريل ١٩١٩ في الوفد الذي كان مقررا ان يتقابل مع سعد زغلول ورفاقه بعد الافراج عنهم من مالطة .

● كان المسلم الوحيد الذي بقي الى جانب سعد زغلول بعد انضمام أعضاء الوفد الاخرين الى عدلي باشا . وبقي معهما في الوفد ثلاثة من الاقباط هم : سينوت حنا وواصف غالي وويصا واصف .

● نفي مع سعد زغلول الى جزر سيشل في ٢٩ ديسمبر ١٩٢١ ، وظل منفيا بها الى ٣١ مايو ١٩٢٣ .

● عين وزيرا للمواصلات في وزارة سعد زغلول ، وكانت سياسته في اثناء توليه هذه الوزارة كافية لدفع الانجليز الى الاعتراض على دخوله وزارة الائتلاف رغم الحاح سعد زغلول . وقد برر اللورد لويد هذا الاعتراض بان النحاس يقف الى جانب سياسة عداء بعيدا عن التفاهم لبريطانيا العظمى والعلاقات معها .

● انتخب رئيسا للوفد بعد وفاة سعد زغلول وقد انتقل بحركة الوفد من مرحلة الاعتدال التي سادت في اعقاب مقتل السردار ، الى مرحلة التطرف من جديد .

● وقعت ثلاثة انسلاخات من الوفد في عهده انسلاخ « السبعة ونصفة » عام ١٩٣٢ . وانسلاخ « النقراشي وأحمد ماهر » عام ١٩٣٧ ، وانسلاخ « مكرم عبيد » عام ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ .

● تولى رئاسة الوزارة خمس مرات ، واقيل اربع مرات مما يبين عنف الصراع الذي كان قائما بينه وبين القصر الملكي .

● تعرض قبوله للحكم في ٤ فبراير ١٩٤٢ لاكبر حملة تشويه شنها عليه خصومه لتبرير حكم القصر وطغيان فاروق . ولكن الدراسات التاريخية الحديثة اثبتت صحة موقفه ومسئولية فاروق وزعماء الاقلية .

● اختتم حياته السياسية بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وقد عجلت الاحداث التي ترتبت على هذا الالغاء بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

والمؤتمرات والمظاهرات ، ومن نشاط الصحافة الحرة المعبرة عن التيارات المختلفة وجرأتها الجسور فى النقد والهجوم على قوى الاستبداد والاحتلال والرجعية سيما فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، واحتضن الدستور تجربة هذا الصراع الى نهايتها .

الهيئة النيابية

لم تعرف مصر قبل ١٩٢٣ هيئة نيابية منتخبة لها على مؤسسات الحكم التنفيذية مثل ما صار للبرلمان فى ظل هذا الدستور . ومن المعروف ان صور التمثيل النيابى تتدرج من الانتخاب المحدود الى الانتخاب العام ، ومن الانتخاب ذى الدرجات المتعددة الى الانتخاب المباشر ، ومن التكوين المختلط للهيئة النيابية بالتعيين والانتخاب الى التكوين الانتخابى الخالص . كما أن وظيفة المجلس النيابى وسلطاته تتدرج من التقييد الى الاطلاق فى صور لا تكاد تنحصر . وان الصورة الديمقراطية المثلى تكون بايجاد مجلس نيابى واحد منتخب كله انتخابا عاما مباشرا بالاقتراع السرى وأن تكون له الهيمنة على السلطة التنفيذية .

ولم يحقق دستور ١٩٢٣ هذه الصورة المثلى . انما رسم ميزانا للعلاقات بين الهيئة النيابية وبين الملك تمثل صيغة للصراع السياسى المستقبل بين القوى الديمقراطية وقوى الاستبداد التقليدية . وكانت نقطة البداية فى صياغة الهيئة النيابية ، ان لجنة الثلاثين صدرت عن مراعاة ميزان القوى بين المصالح المتعارضة يؤكد ناحية من نواحى التطور الديمقراطى بغير ان يلغى تماما الوجود السياسى للملك ، وصدرت فى ذلك عن منطق « الاحرار » فى كون الدستور عقدا بين الملك والامة . وقد أقرت فى البداية مبدأ الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية مما له أهميته القصوى فى انشاء دولة القانون كبديل لحكم الفرد ، ولكنها مقابل ذلك اعترفت بأن السلطة التشريعية « يتولاها الملك بالاشتراك مع مجلسى الشيوخ والنواب » ، والسلطة التنفيذية « يتولاها الملك فى حدود هذا الدستور » . ثم أقرت انشاء مجلس للنواب ينتخب أعضاؤه جميعا بالاقتراع العام على أساس نائب لكل دائرة تتكون من ستين الف ناخب ، وتكون مدة عضويته خمس سنوات ، وينتخب الاعضاء رئيس المجلس ووكيليه من بينهم . ولم ترد بالدستور قيود على حرية الترشيح لهذا المجلس لمن يبلغ من العمر ثلاثين عاما . كما رسمت وظيفة الملك فى اقتراح القوانين والموافقة عليها ومساءلة الوزراء واسقاط الوزارة « اذا قرر مجلس النواب عدم الثقة بالوزارة وجب عليها أن تستقيل .. » واعتماد الميزانية العامة للدولة .. الخ . ولا شك ان ثورة ١٩١٩ الديمقراطية الوطنية هى من استكتب لجنة الثلاثين دستورا ينشىء هيئة انتخابية لها مثل هذه الوظائف الخطيرة .

على أنه لم يكن فى وسع صانعى الدستور أن يطلقوا لهذه الهيئة الشعبية امكانيات الهيمنة الكاملة على الدولة . ولم تكن لجنة الثلاثين بتشكيلها من الاحرار والملكيين وبتمثيلها مصالح أصحاب الملكيات الكبيرة ، لم تكن لترضى عن ذلك . لهذا أوجدت اللجنة بجانب مجلس النواب مجلسا للشيوخ ، ووضعتهما تقريبا على قدم المساواة ، الا من حيث طريقة التشكيل . وكان الهدف من ايجاد هذا المجلس الثانى واضحا تماما لديهم ، عبر عنه عبد الحميد بدوى فى جلسات لجنة الدستور بقوله « المفروض دائما أن تكون مجالس الشيوخ ملطفة لحماس النواب » . واقرت اللجنة بالاجماع من البداية تكوين الهيئة النيابية من المجلسين ، كما أقرت أن يتكون مجلس الشيوخ بالتعيين والانتخاب لا بالانتخاب وحده ، وأن تقتصر العضوية فيه على طبقات محددة تنحصر بنص الدستور فى كبار الموظفين السابقين وكبار الملاك وأصحاب الثروات وتكون مدة العضوية عشر سنوات . وكاد الخلاف أن ينحصر داخل اللجنة فى نسبة المعينين الى نسبة المنتخبين من اعضاء المجلس ، فاقترح رئيس اللجنة أن تكون النسبة النصف بالنصف فى الدورة الاولى على الاقل ، واقترح المكباتى خفض نسبة المعينين الى الثلث ، واقترح على مـاهر خفضها الى الربع ، واقترح آخرون عددا يتراوح بين هذه النسب . وكان الملكيون يميلون الى زيادة عدد المعينين . ثم رأى اللجنة على أن يتكون المجلس من ثلاثين عضواً معينا ومن عدد من المنتخبين يمثل كل منهم ١٨٠ ألف ناخب ، وأن يتم اختيـار رئيس المجلس بانتخاب الاعضاء ثلاثة منهم يعين الملك أحدهم . ثم لما وقع مشروع الدستور فى يد الملك زيدت نسبة المعينين الى الخمسين وأقر حق الملك فى تعيين رئيس المجلس ، وبذلك صدر الدستور .

وقد ساوى الدستور بين المجلسين فى سلطاتهما ، فلكل منهما حق اقتراح القوانين واستجواب الوزراء ، ولا يصدر قانون الا بموافقة الاغلبية فى كلا المجلسين . ولم يميز مجلس النواب الا فى مسائل ثلاث ، فله وحده حق طرح الثقة بالوزارة واسقاطها ، وله دون مجلس الشيوخ

اقتراح القوانين الضريبية ، ويجب ان تعرض الميزانية اولا على مجلس النواب . *

وفى مقابل ما تميز به مجلس النواب ، اقر الدستور سلطات خاصة للملك عليه . فللملك حق حل مجلس النواب دون مجلس الشيوخ . وقد حاول الملك عن طريق وزارة نسيم أن يطلق للملك حق حل المجلسين ولكن عدل عن هذا التعديل وصدر الدستور على ما رسمت لجنة الثلاثين . وخول للملك التصديق على القوانين كشرط لاصدارها بعد موافقة البرلمان ، وأن يكون له حق الاعتراض عليها فلا تصدر بعد ذلك الا بموافقة أغلبية الثلثين فى كل من المجلسين . وقد خشى الكثيرون الا تتوافر أغلبية الثلثين فى حالة اعتراض الملك ما دام له أن يعين خمس مجلس الشيوخ .

وقد واجهت فكرة اشراك الملك فى أعمال السلطة التشريعية على النحو السابق ، واجهت هجوما شديدا من الرأى العام الديمقراطى وقتها . **كتب محمود عزمى** يقول أنها « أخراج له (الملك) من الحيدة المقررة ونزول به الى ميدان المنازعات الحزبية » . كما هاجم اقرار حق الملك فى حل مجلس النواب باعتبار أنه ليس هناك تقاليد دستورية فى مصر تعصم من اساءة استعمال هذا الحق الذى سيصير كالسيف المسلول على طمأنينة النواب ، كما حمل **امين الرفاعي** على كل ما يتعلق بتدخل الملك فى شئون التشريع .

على أنه يلاحظ ، رغم كل ما أبدى من تحفظات تتعلق بسلطات الملك على مجلس البرلمان ، فان هذا الوجود الملكى ، لم يكن من شأنه أن يعدم ما حققه دستور ١٩٢٣ من هيمنة برلمانية على شئون التشريع ورقابة على أعمال الحكومة . وعندما طبق الدستور ، لم تصبح نسبة الخمسين المعينة بمجلس الشيوخ حقا خالصا للملك ، كما اريد لها أولا أن تكون . وقد بادرت وزارة سعد زغلول فى أول دورة برلمانية سنة ١٩٢٤ ، الى تأكيد ان التعيين بمجلس الشيوخ ليس حقا خالصا للملك ، انما هو حق للوزارة البرلمانية المتمتعة بتأييد مجلس النواب . وبهذا نجحت اول الوزارات الدستورية فى اقتناص حق تعيين هذه النسبة من الملك ، واختير الخمسين وقتها بواسطة الوزارة الوفدية . أما بالنسبة لحق الملك فى الاعتراض على القوانين ، فلا يلحظ أنه مورس من الملك بشكل واضح ، وقد كان الملك حريصا الا يستعمل هذا الحق استعمالا سافرا ، حتى لا ينكشف موقفه المناوىء للبرلمان وللارادة الشعبية ممثلة فى قراراته . وعلى أية حال فقد كان « حق الاعتراض » يمثل سلطة دفاعية للملك لا هجومية ، فهو يستطيع بالاعتراض أن يقف قانونا يراه ضارا بمصلحة حكمه ، ولكنه لا يستطيع به أن يفرض سياسة أو قانونا لازما لحمايته ولزيادة سلطاته .

ولم يكن الاحق حل مجلس النواب ، هو ما تكرر استعماله بافراط شديد ، فكان سيفا مسلولا على الحركة الشعبية والحكومات البرلمانية فى كل وقت . واذا كان الدستور قد نص على ضمانه ضد تكرار الحل ، بعدم اجازة حل مجلس النواب مرتين لسبب واحد ، فقد انتهك هذا الحكم سنة ١٩٢٥ بحل مجلس النواب الوفدى الثانى بعد اجتماعه بساعات قليلة . ثم أمكن للملك تفادى اللجوء الى الخرق الصريح لاحكام الدستور عن طريق تزييف الانتخابات والقمع المباشر للحركة الشعبية وللاحزاب المعارضة له . وكان هذا التزييف هو ما يمكن الملك من الاستفادة من حل مجلس النواب الشعبى واسقاط الوزارة المتمتعة بثقة المجلس . على أن تزييف الانتخابات أمر يجب أن ينظر اليه على أنه نشاط خارج عن اطار المشروعية الذى يرسمه الدستور ، وهو يعنى لجوء الملك الى العمل من خارج الدستور ، وادارة الصراع من خلف مؤسساته . ومن هنا كان يبدو للرأى العام ، أن الملك عندما يحل مجلس النواب الشعبى انما يستعمل حقا صوريا يراد به باطلا فعليا ، وأنه اذ يفعل انما يخرق الدستور خرقا فعليا . فكان دستور ١٩٢٣ بهذا الوضع من أسلحة الحركة الوطنية الديمقراطيه ضد سلطة الحاكم الفرد .

السلطة التنفيذية

كان اهم صراع بين الملك و « الامة » عند اعداد الدستور ، يتعلق بتحديد تبعية الجهاز الادارى وما يسمى « بالسلطة التنفيذية » . ان مفاد أن يتكون

* كان من اهم ما ناقشته لجنة الثلاثين مسالة هل يشترط فى عضو البرلمان توافر نصاب مالى ام لا . وذلك بغية قصر عضوية البرلمان على فئات طبقية معينة . ولاقت هذه الفكرة تاييدا كبيرا فى بداية المناقشات وشرع فى الاعداد الفنى لها ، ونوقش هل يكون النصاب محددا باداء ضريبة معينة ، او بانفاق ايجار معين او بتوافر رأسمال محدد . وكان الهدف حسبما حدده حسين رشدى رئيس اللجنة هو انه بغير اشتراط هذا النصاب « اخشى ان نكون قد ساعدنا على وجود حزب عمال فى المجلس » . واتفق على استثناء المتعلمين من هذا النصاب . وقد عارض المكباتى وبعض الاعضاء ايراد هذا القيد ، ثم عدل عن الشرط لما تحقق للجنة من صعوبات تطبيقه ، وصدر الدستور خلوا منه .

مجلس النواب بالانتخاب وأن يكون سلطة اسقاط الوزارة ، مفاد ذلك أن يسيطر الحزب ذى الاغلبية البرلمانية على الحكم ، وهو فى هذه الحالة سيكون حزب الوفد المعادى للاحتلال والمناهض للملك . وقد استطاع الوفد أن يستخلص للوزارة البرلمانية حق تعيين الخمسين بمجلس الشيوخ ، فصارت نسبة المعينين بالغة التقييد ، اذ يمكن أن يجرد عملا من سائر سلطاته على البرلمان ، وقد أفلت منه الخمسين ، كما أن حق الاعتراض على القوانين حق دفاعى ، وتتضاءل أهميته اذا ضمن حزب الاغلبية لنفسه تأييد ما يجاوز الثلثين من أعضاء مجلس البرلمان ، وقد ظهر أن الوفد ظفر بنحو ٩٠ فى المائة من مقاعد مجلس النواب الاول وان له تأييدا شعبيا يضمن له ما يزيد على الثلثين فى أية انتخابات حرة . وتتضاءل قيمة حق الملك فى حل مجلس النواب مادام ثبت أن أية انتخابات نزيهة تضمن الاغلبية للحزب المناهض للملك .

وقد ظهر أن التوازن « التعاقدى » الذى صيغ به الدستور ، لا يعكس توازنا من نفس النوع بين التيارات السياسية الشعبية ، وبين الاحزاب المختلفة لكون الغلبة الكاسحة مضمونة لحزب واحد هو الوفد ، وبغير أن تتوزع مقاعد مجلس البرلمان بين عدد كبير من الاحزاب ، أو أن تتوازن نسبيا بين حزبين كبيرين ، بغير ذلك لن يستفيد الملك من سلطته الدستورية .

وقد كانت خطة التيار الديمقراطى ، أنه مع الاعتراف « بوجود » الملك ازاء سلطة التشريع ، ووجوده النظرى ازاء السلطة التنفيذية ، فانه يمكن أن يستحيل هذا الوجود الى وجود صورى مجرد من غالب فاعلياته العملية ، وذلك عن طريقين :

أولهما : عزل الملك عن الجهاز التنفيذى للدولة ، وربط هذا الجهاز بالوزارة المتمتعة بثقة مجلس النواب المنتخب . لذلك يلاحظ أنه اذا كان الدستور قد قرر سلطات فعلية يتولاها الملك ازاء الهيئة النيابية على ما سبقت الاشارة ، واذا كان قد قرر له على جهاز الدولة التنفيذى سلطات فى ترتيب المصالح الحكومية واعلان الاحكام العرفية واصدار مراسيم لها قوة القوانين فى غير فترات انعقاد البرلمان ، فقد نص الدستور نفسه على ان « **الملك يتولى سلطته بواسطة وزرائه** » (م ٤٨) وان « **توقيعات الملك فى شئون الدولة يجب لنفاذها أن يوقع عليها رئيس مجلس الوزراء والوزراء المختصين** » (م ٦٠) . وان « **أوامر الملك شفهية أو كتابية لا تخلى الوزراء من المسئولية بحال** » (م ٦٢) . وكان من الواضح لدى الاتجاه الديمقراطى بلجنة الثلاثين أن هذه الاحكام تجرد الملك عمليا من السلطة الفعلية . وتأكد هذا المعنى بعبارة « **مجلس الوزراء هو المهيمن على مصالح الدولة** » (م ٥٧) . فكانت هذه الاحكام رغم اعترافها بالوجود الصورى للملك ، تنفى هذا الوجود كوجود متميز عن السلطات الثلاث التى بنى الدستور عليها ، وتنفى مشيئة الملك لارادة حاكم فرد ، وتوحد بين هذا « الملك » وبين الوزارة المتمتعة بثقة مجلس النواب المنتخب ، وتجعل هذه الوزارة صاحبة السياسة والسيطرة على شئون الحكم ، تمارسها باسم الملك لا بمشيئته .

وقد أحاط مشروع لجنة الثلاثين هذا المعنى بسياج يبعد عنه أى لبس ، فنص المشروع على أن الملك عندما يرتب المصالح الحكومية ، وعندما يولى ويعزل الموظفين والضباط ، وعندما يعلن الاحكام العرفية ، ويمنح الرتب وألقاب الشرف ، انما يمارس كل ذلك « على الوجه المبين بالقوانين » . بمعنى أن الهيئة التشريعية هى التى تعين حدود سلطته ، وانه فيما يمارس من وجوه نشاط الحكم انما يستمد سلطته من الدستور أولا ومن الهيئة النيابية ثانيا .

ثانيهما : ان مشروع لجنة الثلاثين تضمن احكاما ذات أهمية سياسية بالغة ، لا فيما تؤدى اليه من اضعاف سلطة الملك فقط ، ولكن فيما تؤدى اليه من القضاء على الملك كوجود سياسى للحاكم الفرد ، والقضاء على « السراى » كمؤسسة سياسية من مؤسسات الحكم ، وكوجود سياسى مستقل أو متميز عن سلطات الدولة الثلاث . فنصت المادة ٥٦ من مشروع اللجنة « **تكون الصلة بين الملك والوزراء رأسا وبالذات** » . وشرحت اللجنة سبب ايراد هذه العبارة بقولها « لما كانت الوزارة هى الهيئة التى يتولى الملك سلطته التنفيذية بواسطتها ، كان طبيعيا ان يكون مجلس الوزراء هو المهيمن على مصالح الدولة جميعا وأن تكون الصلة بين الملك والوزراء رأسا وبالذات هذلك أدعى لانجاز الاعمال على أحسن وجه » . ولعل ما أشارت اليه اللجنة هو أهون الاسباب ، ولعلها لم تشأ الافصاح عن صميم قصدها ، وهو أن تعتبر الوزارة هى الجهاز الحاكم للملك ، والا يكون للملك أى جهاز سياسى آخر مواز لها ، يكونه من مستشارين سياسيين أو خبراء يتبعون السراى مباشرة ، أى تصفية « الديوان الملكى » باعتباره جهازا سياسيا تابعا للملك مباشرة . وقد حذف الملك هذا النص بطبيعة الحال فصدر الدستور خلوا منه . ثم بعد أربعة عشر عاما من العمل بالدستور ، وبعد أن أبرمت معاهدة ١٩٣٦ ، حاولت وزارة الوفد برئاسة مصطفى النحاس ، من

جديد ان تقتحم القلعة السياسية للسراى وأن تحاصر الملك بالوزارة البرلمانية ، وعملت على انشاء منصب وزير للقصر يحل عملا محل الديوان الملكى ويكون عضوا بالوزارة متضامنا معها فى المسئولية أمام مجلس النواب ، فيحاصر الملك وينجذب مع الوزارة الى نطاق المسئولية البرلمانية . وكان جزاء الوفد على ذلك أن طرد من الحكم .

ونصت المادة ٥٩ من مشروع لجنة الثلاثين ان « **أوامر الملك شفهية أو كتابية لا تخلى الوزراء وغيرهم من عمال الدولة من المسئولية بحال** » . وقصدت بذلك سد الطريق أمام الملك فى ممارسة الحكم بنفسه ، ووجهت حكمهـا الى الوزراء والموظفين جميعا بأن لا طاعة للملك فى معصية الدستور او القانون . ولم تقصر هذا الالزام على الوزراء المسئولين امام مجلس النواب ، بل مدته الى موظفى الدولة جميعا ، حتى لا تكون ثمة صلة بين الملك وأى من مستويات العمل بجهاز الدولة بعيدا عن الوزارة البرلمانية ، والا يستطيع تحريك الجهاز التنفيذى أو النفاذ اليه من خلف الوزراء . ثم كان ربط سلطة الملك فى تعيين الموظفين وعزلهم ومنح الرتب والنياشين .. الخ بالحدود التى يرسمها القانون ، كان ذلك مما يسد على الملك سبيل النفاذ الى الجهاز الادارى وربط رجاله به وتحريكهم من وراء الوزارة البرلمانية .

بهذا التكوين للعلاقات بين السلطات كما رسمته لجنة الثلاثين كان من الممكن ان ترتبط السلطة التنفيذية (والجهاز الادارى للدولة) بـالسلطة التشريعية (الهيئة النيابية) وحدها ، وان تكون الهيئة النيابية هى المهيمنة على الاخير على شئون الحكم ، وذلك بغير ان يكون ثمة اتصالا مستقلابين الملك لحاكم فرد وكمؤسسة سياسية متميزة من السلطات الثلاث ، وبين الجهاز التنفيذى للدولة .

ولكن التنـاقض فـى تبعيـــة الجهـــاز التنفيذى « للهيئة النيابية أو الملك » انما حدث عن طريق التعديلات التى أدخلتها وزارتى توفيق نسيم ويحيى ابراهيم على مشروع لجنة الثلاثين . اذ اجرت مجموعة من التعديلات ترفع الحصـــار السياسى المضروب على الملك وتمكنه من تكوين هيئة سياسية متميزة عن سلطات الحكم الثلاث ، وتوقع الجهاز التنفيذى فى التضارب بين التبعية للملك او التبعية للوزارة البرلمانية ، وتمكن الملك مستقبلا من الالتفـاف على الوزارة البرلمانية وحصـارهــا بما ينشئه من روابط مع هذا الجهاز التنفيذى .

وكان مجمل التعديلات التى اجرتهـا وزارتى نسيم وابراهيم ، تتعلق اولا بانقاذ الوجود السياسى للسراى كمؤسسة متميزة عن السلطات الثلاث ، وذلك بحذف المادة ٥٦ من المشروع وحذف لفظ « وغيرهم من عمال الدولة » من المادة ٥٩ من المشروع . ثم استبعد حق الملك فى تعيين وعزل الضباط من قيد الخضوع للقانون فاقتصر النص على الموظفين المدنيين دون ضباط الجيش (م ٤٤ من الدستور) وتأكد الحرص على اطلاق سلطة الملك بالمادة ٤٦ من الدستور التى تعتبره القائد الاعلى للقوات البرية والبحرية « وهو الذى يولى ويعزل الضباط ويعلن الحرب » وهو الذى يبرم المعاهدات ويبلغها للبرلمان متى سمحت بذلك المصلحة . وكل ذلك يمنح الملك امكانيات التأثير المباشر على أجهزة الدولة ، ويتيح له فرص السيطرة عليها من خلف وزارة البرلمان .

كما اضيف الى الدستور نص لم يكن اشير اليه قط فى مشروع لجنة الثلاثين ، وهو يشير الى سلطة الملك على المعاهد الدينية وتعيين الرؤساء الدينيين وادارة الاوقاف « **وكل ما اختصت به الشريعة او العادات المرعية بالقطر المصرى فى المسائل الخاصة بالاديان** » (م ١٥٣) والقصد من ذلك واضح يتعلق بالرغبة التقليدية فى السيطرة على مؤسسات الدين كالسيطرة على الجيش .. وكان حـــكام مصر المســـتبدين يظنـــون أنهـم بهذه السيطرة على مؤسسات الديـن والجيش يمكنهم الحكم .

واذا استقامت للملك بهذه التعديلات ، القدرة على الوجود السياسى المتميز داخل مؤسسـات الحكم ، فقد عدل ايضا حكم المادة ٤١ الذى يجيز فى حالة الضرورة اصدار مراسيم لها قوة القوانين فى غير فترات انعقاد البرلمان ، وكان مشروع لجنة الثلاثين يجيز ذلك أيضا ولكن التعديل وسع من امكان استعمال هذه السلطة الاستثنائية ، وقد حاولت وزارة نسيم ان تبيح اصدار هذه المراسيم حتى اثناء انعقاد البرلمان ، ولكن محاولتها فشلت . وكانت المادة ٤١ من أشهر مواد الدستور فى التاريخ المصرى ، اذ توكأ عليها الملك وحكومات الاقليـة كثـيرا فى اصدار التشريعـات فى غيبـة البرلمان . كما حذف الملك من النص الخاص باعلان الاحكام العرفية القيد الزمنى الذى وضعه مشروع لجنة وهو وجوب دعوة البرلمان للانعقاد فى مدى ثلاثة أيام من اعلانها ، واستعيض عن هذا التحديد الزمنى بعبارة مرنة « على وجه السرعة » .

بهذا كله ضمن الملك لنفسه وجودا سياسيا متميزا بين مؤسسات السلطة . واذا كان الدستور يحتم قيام وزارة برلمانية تتصل بالشعب عن طريق البرلمان ، فقد حاول الملك أن يوثق صلاته بجهاز

الدولة فيما دون الوزارة ليستطيع محاصرتها . ويمكنه بذلك التأثير فى انتخابات مجلس الشيوخ والنواب عن طريق استغلال نفوذه فى الجهاز الادارى . وبهذا تصير له سلطة مستقلة معادلة لسلطة الهيئة النيابية . وبهذا يستطيع اقامة وزارات تعتمد على سلطة الملك ، أى صار فى مكنة كقوة سياسية جاذبة ان يؤثر فى السلطات الاخرى ضغطا وحصارا وأن يدير السلطة على محوره .

ولكن رغم هذه التعديلات بقيت الحركة الوطنية الديمقراطية قوة جاذبة أيضا لجهاز الدولة بما تتمتع به من تأييد شعبى واسع قادر على فرض وجوده داخل مؤسسات الحكم من خلال المعارك الانتخابية وما تفضى اليه من تكوين الوزارات البرلمانية . وتم بهذا بناء الدستور على قطبين جاذبين ـ الملك ـ والشعب . وهما قطبان متصارعان يمكن لاجهزة الدولة أن تدور حول ايهما حسب حصيلة الصراع السياسى فى أية مرحلة .

وقد عملت وزارة يحيى ابراهيم على صدور قانون الانتخابات فور اعلان الدستور ، وحرصت على أن يتم الانتخاب على درجتين حتى تحول بين المد الشعبى المؤيد للحركة الوطنية الديمقراطية بزعامة الوفد وبين مجلس البرلمان ، وكان الاحرار الدستوريون يؤيدون ان يكون الانتخاب على درجتين ظنا منهم ان هذه العقبة تمكن اعيان الريف وكبار أصحاب الملكيات الزراعية من مثيل « الامة » وتمكن من استبعاد منافسيهم رجال الوفد من الظفر بمقاعد المجلسين . وتمت اول الانتخابات على درجتين ، ولكنها رغم ذلك اتت بنسبة ٩٠ فى المائة من الاعضاء من الوفديين . وعدلت وزارة الوفد القانون وجعلت الانتخاب على درجة واحدة ، فلما سقطت فى اواخر ١٩٢٤ ، وحل المجلس اعيد الانتخاب على درجتين فنجح الوفد أيضا رغم ما استعمل من اجراءات البطش والتزييف فى المعركة الانتخابية ، فحل المجلس ثانية على خلاف الدستور ، ثم اعيدت الانتخابات فى ١٩٢٦ وعادت على درجة واحدة . واوقفت الحياة النيابية على يد الاحرار الدستوريين فى ١٩٢٨ ثم اعيدت تحت ضغط الفوران الشعبى فى اواخر ١٩٢٩ ، ثم الغى الدستور على يد وزارة اسماعيل صدقى فى ١٩٣٠ ووضع دستور جديد يمكن لسلطة الملك الفردية . ثم اعيد دستور ١٩٢٣ فى سنة ١٩٣٥ استجابة لمطالبة الشعب به فى حركة من التمرد العنيف ، واستمر العمل به بعد ذلك حتى الغى فى سنة ١٩٥٣ .

أهم المراجع :

١ ـ الامر الملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ .
٢ ـ لجنة الدستور . محضر لجنة وضع المبادىء العامة .
٣ ـ لجنة الدستور . مجموعة محاضر اللجنة العامة .
٤ ـ مجلس الشيوخ ـ الدستور . تعليقات على مواده بالاعمال التحضيرية والمناقشات البرلمانية . ثلاثة اجزاء .
٥ ـ البرت شقير ـ الدستور المصرى والحكم النيابى فى مصر .
٦ ـ محمد الشريف ـ على هامش الدستور .
٧ ـ عبد الرحمن الرافعى ـ فى اعقاب الثورة الجزء الاول .
٨ ـ د. عبد العظيم رمضان ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر .
٩ ـ طارق البشرى ـ ثورة ١٩١٩ والسلطة السياسية . مجلة الكاتب . اكتوبر ١٩٦٧ ـ دستور ٢٣ بين القصر والوفد . مجلة الكاتب . مايو ١٩٦٩ .

الليبرالية فى التطبيق

(١٩٢٤ - ١٩٥٢)



د. عبد العظيم رمضان

قامت حركة التحرر الوطنى فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى على قدمين : القومية فى مواجهة الجامعة الاسلامية . والليبرالية فى مواجهة الاوتوقراطية . وبينما احتضن الاحتلال الحركة القومية التى كانت تقودها البورجوازية الكبيرة ، للاستفادة بها فى فصل مصر عن التبعية العثمانية وبسط سيادته عليها ، فقد حارب الليبرالية ، لان الليبرالية معناها تسليم السلطة ليد طبقة وليس ليد حاكم . والطبقة لا يسهل السيطرة عليها ، بينما الحاكم يسهل السيطرة عليه .

وقد تمثل ذلك فى الفترة السابقة على قيام الحرب العالمية الاولى فى احتضان الاحتلال لحزب الامة ، وقول كرومر ان « رجاء القومية المصرية ، بمعناها الحقيقى الذى يعول عليه ، معقود بهذا الحزب »(١) . كما تمثل ، من جانب آخر ، فى مهاجمة اللورد دفرين . dufferin لمجلس النواب الذى انتخب عام ١٨٨١ ، وقوله انه « لم يكن يمثل مصالح الاهلين الا بمقدار ما كان البرلمان البروتستانتى يمثل الامة الايرلندية » ، وانه انما كان مؤلفا من « كبار ملاك الاراضى العقاريين وأثرياء المدن ومشايخ القرى ، وهذه الطبقات الثلاث تختلف ، ان لم تتعارض مصالحها مع مصالح الفلاحين » . ثم اقامته ، من ثم ، نظاما دستوريا صوريا سلب فيه من البورجوازية المصرية الكبيرة السلطة التى منحها اياها دستور ١٨٧٩ (٢) .

القصر تحت حماية الاحتلال

وعندما قامت حركة الوفد فى اعقاب الحرب العالمية الاولى ، وتفجرت ثورة ١٩١٩ ، وأخذ مركز الاحتلال فى مصر يهتز اهتزازا شديدا ، أصبح أمل انجلترا معلقا بتدعيم الاوتوقراطية واسباغ الحماية عليها . وقد تمثل ذلك بصورة

---

(١) تقرير عن الطلبة والادارة والحالة العمومية فى مصر وفى السودان لعام ١٩٠٦ ص ١٥ س ١٦ ، ويطلق اللورد كرومر على رجال هذا الحزب اسم : « اتباع المرحوم المفتى السابق الشيخ محمد عبده » ولفظ « حزب » فى المتن يعود الى هذا المعنى .

(٢) Blue Book, Egypt No. 6 (1883) Reorganization of Egypt, General Report by Lord Dufferin

صارخة فى مفاوضات سعد زغلول مع اللورد ملنر • فقبل اجراء هذه المفاوضات بأقل من شهر واحد ، اصدرت انجلترا قانون وراثة العرش فى ١٥ ابريل ١٩٢٠ ، فاعلنت بذلك تأييدها السافر للنظام الملكى • وفى أثناء المفاوضات ، اصرت على ألا يكون الاتفاق الا مع وفد يعينه السلطان « الذى يجب أن يمثل المكان الاول فى المفاوضات » ! وعندما رفض سعد زغلول ـ وهو الذى وكلته الامة عنها ، أن يقبل تعيينه من قبل السلطان ، « بل لا اقبل أن أتعين مكان السلطان » ! أجابه اللورد ملنر فى عبارة صريحة بان ابعاد السلطان « هو فوق ما أقدر عليه • ولو كلفت به لخرجت من حدود وظيفتى والتزمت أن أتنحى عن المفاوضة لغيرى » !

وقد رد سعد قائلا : « لا نريد أن تصل الحال الى هذا الحد » فقال ملنر : « ان السلطان ينبغى ان يسند أدبيا • ولا يمكن التعدى عليه الا اذا تعدى على النظام . ولا تسمح انجلترا بذلك وهى ضامنة استقلال مصر » ! (٣) •

وعندما عزمت انجلترا ، تحت ضغط النضال الشعبى ، أن تتنازل عن جزء من السلطة بموجب تصريح من جانب واحد ، هو تصريح ٢٨ فبراير ، دبرت أن يكون هذا التنازل لحساب القصر لا لحساب الطبقة البورجوازية ، وبمعنى آخر : لحساب الاوتوقراطية لا لحساب الليبرالية ، فقد أدخلت تعديلا هاما على مشروع الكتاب الذى اقترحه اللورد اللنبى يوم ١٢ يناير ١٩٢٢ ليقدم للسلطان فؤاد مع تصريح انهاء الحماية • وورد فى هذا التعديل أن « انشاء برلمان يتمتع بحق الاشراف والرقابة على السياسة والادارة فى حكومة مسئولة على الطريقة الدستورية ، يرجع الامر فيه الى عظمتكم والى الشعب المصرى » (٤) وبذلك قدمت بريطانيا السلطان على الشعب ، وجعلت الامر فى البرلمان شركة بينه وبين شعبه ، وهى شركة للسلطان فيها نصيب الاسد •

دستور ١٩٢٣ وتوزيع السلطة

وكان من الطبيعى ان يتاثر دستور ١٩٢٣ بهذه الحماية التى أسبغها الاحتلال على القصر : ففى بيان ثروت باشا الذى ألقاه فى لجنة الدستور فى ١١ أبريل ١٩٢٢ ، أوضح بصريح العبارة أن « وضع الدستور مقدم على الاتفاق (مع انجلترا) واذا كان لا ينبنى عليه ، فانه يجب على أى حال الا يسد الطريق للوصول اليه » • وقد استجابت لجنة الدستور لهذا التوجيه ، وراعت فى مشروعها الا يسد الطريق الى الاتفاق مع انجلترا • ولكن ذلك لم يرض الملك فؤاد ، لان البورجوازية لم تنس نفسها فى الدستور بطبيعة الحال ، فاستطاع عن طريق استغلال التناقض بين فرق البورجوازية المختلفة ، وعن طريق اصطناع الانصار ، والاستفادة من المساندة البريطانية ، ان يمسخ مشروع الدستور الذى وضعته لجنة الدستور ، وأن يستولى لنفسه على صلاحيات كبيرة جعلته يستحق الوصف الذى وصفه به نهرو بانه « لا يشبهه دستور آخر فى الرجعية » (٥)

وقد ادركت البورجوازية ما تعنى هذه الصلاحيات العظيمة فى يد الملك الواقع تحت الحماية البريطانية ، لقضية الديموقراطية ولقضية الاستقلال ، فكتب عبد العزيز فهمى فى احد خطابيه المشهورين الى رئيس الوزراء فى ١٦ مارس و١٥ ابريل ١٩٢٣ يقول : « اذا كانت سيادة الامة وكونها مصدر كل سلطة هى اهم ما تسعى الشعوب لحمل امرائها على الاقرار به لها ، وهى التى تقوم الثورات وتثل العروش لاستنقاذها من براثن هؤلاء الامراء • فما معنى أن تكون هذه السيادة آتية لمصر من تحت انياب الانجليز ، بعد الجهود والتضحيات الكبرى التى قام بها المصريون فى وجه الانجليز ، ثم يأتى أناس من المصريين أنفسهم ، فيهبونها غنيمة باردة لامراء البيت المالك » أما سعد زغلول فصرح فى حديث له مع مراسل صحيفة الديلى هيرالد يقول : « اذا كان من الخطر ان توضع سلطة كبيرة فى أيدى الملوك الذين هم بمعزل عن نفوذ أجنبى •• فالخطر من ذلك أعظم وأشد فى بلاد يسود فيها النفوذ الاجنبى ويدعى أن العرش فى سلامة بفضل جنوده • فهذه القوة التى تركت للملك ستصبح فى الواقع حقوقا فى يد الاجنبى يستعملها لاغراضه ضد مصالح الوطن » (٦)

• • •

وبصدور دستور ١٩٢٣ ، اصبحت السلطة فى مصر موزعة بين قوى ثلاث يدور بينها الصراع : الانجليز ، والقصر ، والبورجوازية •

أما الانجليز ، فقد احتفظوا لانفسهم بمقتضى

---

[٣] انظر الوثائق الانجليزية التى نشرها مصطفى أمين فى جريدة الاخبار يوم ١٣ أغسطس ١٩٦٣ •

[٤] الكتاب الابيض الانجليزى ، ترجمة عبد القادر المازنى [القاهرة ١٩٢٢] •

[٥] جواهر لال نهرو : لمحات من تاريخ العالم ، الترجمة العربية ـ بيروت ص ٢٩٣

[٦] دكتور عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ ـ ١٩٣٦ ، الفصل السادس •

تصريح ٢٨ فبراير ، وبصفة مطلقة ، يتولى أمورا أربعة :

١ ـ تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية فى مصر • (والغرض من ذلك تبرير وجود جيش احتلال فى مصر يتولى هذا التأمين) •

٢ ـ الدفاع عن مصر من كل اعتداء او تدخل اجنبى بالذات أو بالواسطة (والغرض من ذلك الا تكون هناك حاجة لوجود جيش مصرى قوى)

٣ ـ حماية المصالح الاجنبية فى مصر ، وحماية الاقليات (والغرض من ذلك تبرير التدخل فى شئون مصر الداخلية) •

٤ ـ السودان (٧)

وأما القصر ، فبمقتضى التعديلات التى أجراها فى مشروع الدستور الذى أعدته لجنة الثلاثين ، أصبح المسيطر ، بواسطة عدد الاعضاء المعينين فى مجلس الشيوخ ، فى مسألة التصديق على القوانين ، وفى مسألة تنقيح الدستور • كما اصبح له حق حل مجلس النواب بصورة مطلقة ودون قيد أو شرط • وكذا انشاء ومنح الرتب والنياشين ، وتولية وعزل الضباط ، والتصرف فى شئون المعاهد الدينية والازهر • .

واما البورجوازية المصرية ، فقد قرر لها الدستور حقوقا تمثلت فيما تضمنه من أن شكل الحكم نيابى ، والسلطات مصدرها الامة ، ومجلس الوزراء هو المهيمن على مصالح الدولة ، وهو مسئول بالتضامن لدى مجلس النواب ، ورئيس الدولة غير مسئول (ذاته مصونة لا تمس) ويتولى سلطته بواسطة وزرائه ، وتوقيعات الملك فى شئون الدولة يجب لنفاذها أن يوقع عليها رئيس مجلس الوزراء والوزراء المختصون ، وأوامر الملك شفهية أو كتابية لا تخلى الوزراء من المسئولية بحال • ثم النص على الحريات الاتية :

الحرية الشخصية ، والمساواة فى التمتع بالحقوق المدنية والسياسية ، وحرمة المنازل ، وحرية الاعتقاد ، وحرية الرأى ، وحرية الصحافة ، وحرية الاجتماع ، وحق تكوين الجمعيات .

كذلك فقد ضمن الدستور للبورجوازية الكبيرة الاحتفاظ بممتلكاتها الزراعية والصناعية والتجارية والمالية وعدم المساس بها • فقد نص على أن « للملكية حرمة » • وحماية لهذا الاساس الاقتصادى ، نصت المادتان ١٥ و ٢٠ على اباحة انذار الصحف أو وقفها او الغائها بالطريق الادارى ، وأباحة اتخاذ أى تدابير ضد هذه الاجتماعات العامة اذا كان ذلك ضروريا لوقاية النظام الاجتماعى •

واشترط الدستور فيمن يعين عضوا بمجلس الشيوخ أن يكون من بين شرائح البورجوازية الاتية :

الوزراء ـ الممثلون السياسيون ـ رؤساء مجلس النواب ـ وكلاء الوزارات ـ رؤساء ومستشارو محكمة الاستئناف او اية هيئة قضائية مساوية لها او اعلى منها ـ النواب العموميون ـ نقباء المحامين ـ موظفو الحكومة ممن هم فى درجة مدير عام أو درجة أعلى من ذلك ـ أمراء الاسرة المالكة ونبلاؤها بطريق التعيين لا الانتخاب ـ كبار العلماء والرؤساء الروحيين ـ الضباط المتقاعدون من رتبة لواء فصاعدا ـ اعضاء مجلس النواب الذين قضوا مدتين فى النيابة ـ الملاك الذين يؤدون ضريبة لا تقل عن مائة وخمسين جنيها فى العام ـ المشتغلون بالاعمال المالية أو التجارية أو الصناعية او بالمهن الحرة ممن لا يقل دخلهم السنوى عن الف وخمسمائة جنيه مصر (٨)

وفوق أعمدة هذا الدستور اخذت البورجوازية فى اقامة المؤسسات التشريعية والسياسية التى تمارس من خلالها عملية الحكم وادارة شئون البلاد واصدار التشريعات والقوانين • ففى يوم ١٢ يناير ١٩٢٤ اجريت الانتخابات لمجلس النواب ، واسفرت عن فوز يكاد يكون تاما لمرشحى الوفد ، اذ لم ينجح من مرشحى الحزب الوطنى سوى أربعة ، وسوى ستة من حزب الاحرار الدستوريين • ثم تالفت وزارة الوفد الاولى يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٤ ، وعلى يد هذه الوزارة تمت الانتخابات لمجلس الشيوخ فى يوم ٢٣ فبراير ١٩٢٤ وأسفرت ايضا عن فوز ساحق للوفد • وفى يوم ١٥ مارس ١٩٢٤ افتتح أول برلمان بهيئة مؤتمر ، واقسم الملك امامه اليمين الدستورى ، والقى سعد زغلول أول خطاب عرش طبقا للدستور (٩) وبذلك وضعت الديموقراطية الليبرالية موضع التطبيق •

---

[٧] الكتاب الابيض الانجليزى ، وثيقة ٣٥ ص ٤٦ـ٥١ •
[٨] مجلس الشيوخ : الدستور والقوانين المتصلة به [المطبعة الاميرية ١٩٣٨] •
[٩] دكتور عبد العظيم رمضان : المرجع المذكور ص ٣٩٦ ، ٤٢٦ •

مصر بين الليبرالية والاوتوقراطية

على ان السلطات الكبيرة التى استحوذ عليها الملك فى الدستور لم تلبث ان اصابت النظام الليبرالى بعلل وامراض أورثته الضعف وأودت به فى النهاية ، وهذه العلل والامراض تتمثل فيما يلى :

اولا ـ احزاب الاقلية :

ويطلق هذا المصطلح على الاحزاب المصرية التى اصطنعها القصر أو انشقت عن الوفد ، مضاف اليها الحزب الوطنى الذى نشأ قبل الحرب العالمية الاولى . وتختلف هذه الاحزاب عن أحزاب الاقلية فى البلدان التى تتمتع بالنظام الليبرالى الصحيح فى أنه بينما كان على الاحزاب الاخيرة أن تسعى بالطرق الدستورية المشروعة للحصول على التأييد الشعبى الذى يكفل لها اعتلاء الحكم والدفاع عن مصالح الطبقات التى تمثلها ، فان أحزاب الاقلية فى مصر لم تكن فى حاجة لانتهاج هذا السبيل ، وذلك بسبب السلطات العظيمة فى يد الملك التى كانت تهيىء لها ، عن طريق التحالف معه ، اعتلاء الحكم دون حاجة للحصول على الثقة الشعبية وتأييد الغالبية .

وفيما عدا حزبى الإتحاد والشعب اللذين اصطنعهما القصر واستطاع عن طريقهما أن يحكم البلاد حكما مباشرا لصالحه ، فان الاحزاب الاخرى كانت تمثل بالفعل مصالح فرق من البورجوازية المصرية كانت ترى فى التحالف مع القصر طريقها الوحيد للحكم وحماية مصالحها . وأول هذه الاحزاب حزب الاحرار الدستوريين لدى تالف يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٢٢ وفى مقدمة اغراضه ومبادئه الدفاع عن الدستور والعمل سرعة اصداره (١٠) . وقد رأينا كيف دافع قطبه الكبير عبد العزيز فهمى عن مشروع لجنة الثلاثين فى خطابيه اللذين وجههما الى رئيس الوزراء ، والذى هاجم فيهما القصر هجوما شديدا ، ولكن

دكتور عزيز فهمى

■ حصل على ليسانس الحقوق من جامعة فؤاد [القاهرة] فى عام ١٩٣١ ، وعلى الدكتوراه فى الاداب والحقوق من جامعة باريس . وكان موضوع رسالته الغاء الامتيازات فى مصر .

● عين وكيل نيابة فى المحاكم المختلطة .

● رفت من الخدمة فى ١٩٤٤ بعد اقالة وزارة الوفد .

● رئيس تحرير الوفد المصرى فصوت الامة ، سحب ترخيص الجريدتين بسبب مقالاته ، هو والدكتور محمد مندور .

● هاجم صدقى باشا ، ومشروع معاهدة صدقى ـ بيفن ، ودافع عن قضايا الراى والحرية .

● عضو فى مجلس النواب ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ عن دائرة الجمالية . قاد ـ مع مندور ومصطفى موسى ـ معارضة مشروعات القوانين المتعلقة بتقييد حرية الصحافة ، ودافع عن استقلال مجلس الدولة حتى أرغمت الحكومة على سحب المشروعات .هاجم امتيازات ومخصصات القصر الملكى .

● اشترك فى عمليات المقاومة الشعبية ضد قوات الاحتلال البريطانية فى القنال .

● توفى فى أول مايو ١٩٥٢ فى حادث غامض .

● قال عنه د. طه حسين وهو يقدم له ديوانه : « ايه يا عزيز ، وما أكثر ما كنت أقول لك ايه ياعزيز ، كنت أقولها لك أيام كنت طالبا تختلف الى استاذك فى الدرس وتختلف اليه فى غير ساعات الدرس ، وكنت أقولها لك بعد أن تخرجت من الجامعة وبعد أن أبعدت فى طلب العلم وعدت الى وطنك ترضى مكبلا وتسخط كثيرا ، وكنت أحب أن أسمع منك حديث السخط لانه كان كريما يملؤه الاباء ويشيع فيه النقاء وكنت لاتسمعنى أقول لك ايه يا عزيز حتى ينطلق لسانك بالحديث عذبا كأنه العين الصافية ينساب منها الماء بين الخمائل والرياض ، أو ينطلق لسانك بالحديث كأنه البركان يقذف بالحمم ويوشك ان يحرق من حوله كل شيء . وما أكثر ما كنت أقول لك حينئذ : على رسلك يابنى فانك انما تتحدث الى الاستاذ الصديق لا الى المستعمرين ولا الى الظالمين ! »

● ولحن له محمد عبدالوهاب «نشيد مصر الفتاة » لمتطوعى القرش فى ديسمبر ١٩٣٣ والذى يقول فيه :

لك يا مصر شبابى
لك عزمى وجهادى
ونعيمى وعذابى
وبروحى وفؤادى
أنت يامهد الخلود

وكان د. عزيز فهمى قد شهد فى باريس احتلال الجيش الالمانى لها فكتب قصيدته التى وصف فيها وطأة الاحتلال النازى :

ان أنسى لن أنسى فتياتى جحفلا
تهجم كالهموم والجوع كاربه
وبعد هزيمة النازية قال :
تنفس الصبح اذ لاحت بوادره
وودع الليل بعد السهد ساهره

● وانشد عن الدستور قصيدته المشهورة « وهى الجهاد » .

بنى وطنى ! حلفت بمصر توبوا
اليها واسمعوا منها عتابا
الى الدستور ! واعتصموا بحبل
مقيد منه وافتنهوه بابا
ففى الدستور عتق من أسار
ومن رق اذا الحدثان نابا
أرى الدستور هان على فريق
من الزعماء ضل هوى وخابا
الام يسوسها طلاب غنم .. ؟
اذا حكموا أذاقوها العذابا ؟

(١٠) دكتور محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ١ ص١٤٤

الحزب لم يلبث أن انتقض على الدستور انتقاضا كبيرا بعد سقوطه الفاحش في أول انتخابات تجرى لمجلس النواب . فقد عاد عبد العزيز فهمي بك يطعن على الدستور في خطابه الذي ألقاه في غرفة المحامين في محكمة الاستئناف يوم ١٨ مارس ١٩٢٥ قائلا : انه كان يعتقد انه مناسب لمصر ، « ولكن العمل أظهر أن ثوبه فضفاض ! » (١١) . أما أحمد لطفي السيد ، فيلسوف حزب الامة ، وداعية الليبرالية الاكبر ، فقد قبل الاشتراك في وزارة محمد محمود باشا عام ١٩٢٨ التي عطلت الدستور لمدة « ثلاث سنوات قابلة للتجديد » . وقد كتب محمد توفيق دياب يعلق على ذلك قائلا : « عزيز على مصر أن تطعن في حياتها النيابية مرتين : احداهما بيد المحتلين منذ عشرات السنين . والاخرى بيد وزيرنا وكيل الاحرار الدستوريين ، وفيلسوفنا شيخ الديموقراطيين (١٢) . يقصد احمد لطفي السيد . وظل حزب الاحرار الدستوريين يشارك في جميع الانقلابات الدستورية في مصر حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو .

أما الحزب الوطني فقد انتقض على ماضيه ، فاقر دستور صدقي سنة ١٩٣٠ ، واشترك في الانتخابات التي جرت على أساسه ، وكان صدقي باشا يزهو في أحاديثه بأن نظامه مؤيد من ثلاثة أحزاب : حزب الاتحاد ، وحزب الشعب ، والحزب الوطني (١٣) . كما اشترك في الانقلابات التي جرت بعد ذلك ، فأشترك في انقلاب محمد محمود باشا في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ ، وفي انقلاب أحمد ماهر باشا في ١٩ اكتوبر ١٩٤٤ ، وفي وزارة النقراشي باشا في ٢٤ فبراير ١٩٤٥ ، وفي وزارة ابراهيم عبد الهادي في ديسمبر ١٩٤٨ وفبراير ١٩٤٩ (١٤) .

ومن الغريب ، بعد كل ذلك ، أن يتحدث عبد الرحمن الرافعي عن عودة الوفد الى الحكم في ١٢ يناير ١٩٥٠ تحت عنوان : « عودة الحكم المطلق » ! (١٥) . فكأنه اعتبر عهود الانقلاب التي سبقت توليه الحكم عهودا دستورية !

وفي أوائل عام ١٩٣٨ تألف الحزب السعدي تحت اسم « الهيئة السعدية » من الوفديين المنشقين على الوفد وعلى رأسهم النقراشي وأحمد ماهر . واتجه الحزب الى القصر على الفور ، بدلا من الشعب ، يستمد منه السلطة والتأييد . فاشترك مع الاحرار الدستوريين في الحكم في يونيه ١٩٣٨ كشريك أصغر ، ثم كشريك أكبر في اكتوبر ١٩٤٤ ، وهو الانقلاب الذي استمر الى حين عودة الوفد الى الحكم في ١٢ يناير ١٩٥٠ .

وفي يوليو ١٩٤٢ فصل مكرم عبيد باشا من الوفد ليؤلف حزب الكتلة الوفدية . وبدلا من أن يتجه الى الشعب الذي طالما تلقى منه التأييد ، اتجه الى القصر ، وشارك في انقلاب أحمد ماهر في اكتوبر ١٩٤٥ ، وفي وزارة النقراشي الاولى في ٢٤ فبراير ١٩٤٥ (١٦) .

وعلى هذا النحو لعبت أحزاب الاقلية دورا اساسيا في افساد الحياة السياسية وهدم الديموقراطية الليبرالية . وهذا الدور لم تكن تلعبه الاحزاب لولا السلطات الكبيرة التي استولى عليها الملك في الدستور ، والتي هيأت لها الفرصة لتزييف ارادة الشعب ووأد الدستور .

ثانيا ـ تزييف الحياة النيابية في مصر :

ويتمثل تزييف الحياة النيابية في مصر في تزييف الانتخابات . ومن المعروف ان نظام الانتخاب الصحيح هو اساس الحياة الديموقراطية ، وهو وحده الذي يصون المبدأ الدستوري الاول القائل بأن « جميع السلطات مصدرها الامة » . لذلك فقد انتهى الرأي في أغلب الدول الديموقراطية الى احاطة العمليات الانتخابية البرلمانية بسياج محكم من الضمانات والضوابط التشريعية والادارية والقضائية ، لا يترك منفذا للتزييف أو التلاعب .

على أن هذه القاعدة لم تطبق في مصر لسببين :

السبب الاول ، أن قانون الانتخاب ، كما تضمنه دستور ١٩٢٣ ، لم يكن يعتبر ـ من حيث مجرد الصياغة التشريعية ـ قانون انتخاب بالمعنى المصطلح في البلاد الديمقراطية . فهو كله على حد قول الدكتور وايت ابراهيم ـ « تعميم في مجال

---

(١١) احمد شفيق باشا : حوليات مصر السياسية ، الحولية الثانية ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .
(١٢) الاهرام في ٢١ يوليو ١٩٢٨
(١٣) عبد الرحمن الرافعي : في أعقاب الثورة ج ٢ ص ١٤١ ـ ١٤٢ [القاهرة ١٩٤٩] .
(١٤) فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية ، الجزء الاول ، مراجعة واشراف مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر .
(١٥) الرافعي : المرجع المذكور ج٣
(١٦) فؤاد كرم : المرجع المذكور .

التخصيص ، واقتضاب في مجال الاسهاب ، وهو يكتفى برسم الخطوط الكبرى ولا يضع النقط فوق الحروف ، وهو يترك ، فى استرخاء ، المشكلات على عواهنها ، ويتوكل على الادارة فى التنفيذ ، والادارة هى بطبيعتها خصم للناخب لانها جزء من الحكومة » (١٧) ٠

أما السبب الثانى ، فهو استغلال احزاب الاقلية المستندة لسلطة القصر للثغرات التى تضمنها تشريع الانتخاب فى تزييف الانتخابات وتزييف ارادة الناخبين ٠

وقد اتبعت الاحزاب الاساليب الاتية :

● التلاعب فى اعادة تقسيم الدوائر الانتخابية

استغلت الاحزاب ما كان يقتضيه الدستور من ضرورة اعادة تحديد الدوائر الانتخابية فى أعقاب كل تعداد عشرى ، تنفيذا لحكم الدستور الخاص بأن يكون لكل ستين الفا نائبا ، وحتى يكون للتعداد أثره فى التمثيل النيـابى ـ فى تمزيق الدوائر الاصلية واعادة تكوينها طبقا لرغبة مرشحى الحكومة التى تقوم بعملية الانتخابات ، والاستفادة من الاوضاع شبه الاقطاعية والعائلية السائدة فى البلاد فى تحقيق هذا الغرض ٠ وقد صور النحاس باشا هذا الاستغلال تعليقا على انتخابات عام ١٩٣٨ بقوله :

« يأتى المرشح اليهم ، فيقول : هذا بلد وفدى ، ولا أستطيع أن انجح وهو (البلد) فى الدائرة ، فانقلوه الى دائرة اخرى ، وأتونى ببلد فيها هل وأصحاب ـ وان لم يمت الى الدائرة بسبب ـ فيجاب الطلب مع خالص الشكر ووافر الاحترام » (١٨) ٠

● تزوير جداول الانتخاب

تعتبر جداول الانتخاب هى الاساس فى كل نظام انتخابى ٠ وبقدر ما يكون فيها من دقة ، يكون صدق التعبير عن رأى الشعب ، وبقدر ما يكون فيها من خلل ، يكون تشويه الانتخابات من أساسها ، وتحوير رأى الامة عن حقيقته ٠ وقد استغلت احزاب الاقلية ما نص عليه الدستور من تحرير هذه الجداول بواسطة مأمورى الاقسام والمراكز والعمد ، فعمدت فى كل مرة الى وضع جداول مصنوعة بواسطة رجال الادارة "تضمن أسماء مكررة ، واسماء أشخاص غير موجودين ، واسماء أشخاص متوفين ٠ وعلى أساس هذه الجداول كانت تتم الانتخابات ٠

● حجز التذاكر الانتخابية عن أنصار الخصوم

من المعروف أن الحصول على تذكرة انتخاب هو

مكرم عبيد

■ « .. وكان يسمى ابن سعد البكر » و « المجاهد الكبير » . كان اسمه وليم قبل ثورة ١٩١٩ . ولكنه تنازل عن هذا الاسم بعد الثورة ، واصبح مكرم عبيد فقط .

● ضمه سعد زغلول رسميا الى الوفد بعد ان استمع لاول خطاب سياسى يلقيه امامه فى ٦ مايو ١٩٢١ .

● نفى مع سعد الى جزر سيشل فى ٢٩ ديسمبر ١٩٢١ . وقد علم سعد فى المنفى اللغة الانجليزية من كتاب للزعيم العمالى رمزى مكدونالد عن « الاشتراكية » .

● انتخب فى سبتمبر ١٩٢٧ سكرتيرا عاما للوفد مكان النحاس باشا الذى انتخب رئيسا له بعد وفاة سعد زغلول . وقد لعب دورا هاما فى تثبيت زعامة النحاس فى وجه مؤامرات خصومه ومعارضيه .

● ارسله الوفد الى انجلترا فى اغسطس ١٩٢٨ للدعاية ضد الحكم الاوتوقراطى فى مصر المستند الى الحراب الانجليزية ٠ وقد أفلح فى اقناع الحكومة البريطانية بعدم ابرام اى اتفاق مع محمد محمود باشا .

● استحوذ على نفوذ هائل وشعبية كبيرة بينما كان سكرتيرا عاما للوفد ، بسبب استئثاره بثقة النحاس باشا وقدرته الخطابية النادرة وقد تسبب ذلك فى معارضة اعضاء الوفد الاخرين له وانسلاخ الكثيرين منه ٠

● حذر بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ من التراخى فى التمسك بالزعامة المقدسة ووحدة القيادة واطلق عبارته المشهورة فى الرد على تمرد النقراشى باشا سنة ١٩٣٧ : « انه اذا بدا لكرم فى يوم من الايام ان ينفصل عن النحاس فليذهب مكرم ، وليبق النحاس » .

● وقع فى شرك القصر فى عام ١٩٤٢ ، وانقلب على النحاس باشا عندما اخذ هذا فى تعديل سياسته نحوه لحفظ التوازن بينه وبين أعضاء الوفد الاخرين ٠ وكتب « كتابه الاسود » بتشجيع من احمد حسنين باشا وفاروق . ولكن قيمة هذا الكتاب تكشفت حين تولى الحكم فى وزارة احمد ماهر التى خلفت وزارة الوفد ، وشكل لجنة لتحقيق ما ورد بالكتاب ، وانتهى الامر بأن وضع اللجنة على الرف .

---

[١٧] دكتور وايت ابراهيم وتوفيق حبيب : نظامنا الانتخابى ، كما هو وكما يجب ان يكون ص ٩ ، ١٠١ ـ ١٠٢ [مطابع دار اخبار اليوم ١٩٥٤]

[١٨] خطاب النحاس باشا بحديقة النزهة بالاسكندرية فى ٢٧ مارس ١٩٣٨ [نقلا عن المصدر السابق] ٠

فى واقع الامر حصول على صوت فى الانتخاب ٠ بعد جرى العرف فى مصر قبل الثورة ، دون سواها من الدول ، على ان يعاد طبع التذاكر الانتخابية قبيل كل انتخابات تجرى لمجلس النواب ٠ وكان التوزيع يتم بواسطة العمد فى القرى والبوليس فى العواصم ٠ وكان من اليسير لذلك منع تذاكر الانتخاب عن المعارضين ٠ ثم اعطاؤها (تذاكر المعارضين) الى انصار السلطة للاستفادة بها فى انتخاب مرشحيها ٠ وكان مما يسهل هذا التلاعب أن تذكرة الانتخاب لم تكن تحوى سوى اسم وسن ورقم وتاريخ ، بينما لم يكن نظام البطاقات الشخصية والعائلية قد عمل به ٠

لذلك فكثيرا ما انقلبت المعركة الانتخابية فى مدن مصر الى معركة للحصول على التذاكر الانتخابية ٠ وحتى أصبحت الانتخابات العامة لمجلس النواب مصيرها فى قبضة وزير الداخلية فى حكومات أحزاب الاقلية ٠

● **الارهاب واستخدام العنف مع الناخبين من الخصوم**

استغلت احزاب الاقلية أمية الغالبية الكبرى من الناخبين ، واضطرارهم ، من ثم ، الى التصويت شفاهة – فى اجبارهم على التصويت لصالح مرشحيها ٠ وكان العرف المتبع هو ضرب الناخب الذى أعطى صوته لمرشح الوفد ضربا مبرحا أمام بقية الناخبين ليكون عبرة لمن يعتبر ٠ بل لقد جرى فى بعض الانتخابات اجبار المتعلمين على التصويت شفويا حتى لا يعطوا أصواتهم للمرشح المعارض (١٩) ٠

● **رفت العمد والمشاريخ المعارضين**

جرت الحكومات على رفت العمد والمشايخ المعارضين لها وتعيين غيرهم قبل الانتخاب لضمان نجاح مرشحى السلطة ، ثم الاستفادة بهم بعد ذلك كاعضاء فى الحزب ٠ وقد لاحظنا فى كشف يحتوى على أسماء أعضاء حزب الاتحاد عام ١٩٢٥ ، موجود بمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، أن الغالبية العظمى من هؤلاء الاعضاء كانوا من العمد ٠

ومن ذلك كله يتضح أن مزاولة الناخب لحقه الانتخابى فى ظل النظام الليبرالى الذى كان سائدا فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (فى عهود حكومات أحزاب الاقلية بالذات) كان مغامرة خطيرة وتجربة قاسية ٠ بل لقد وصفها مكرم عبيد بانها تعد « ضربا من ضروب المستحيل » ، وقد أضاف الى ذلك قوله : « والدستور بهذا الوضع – لا يمكن أن يكفل للبلاد حياة ديموقراطية بالمعنى الصحيح » (٢٠) ٠

ثالثا – عدم استقرار الحياة النيابية :

وعدم استقرار الحياة النيابية مترتب بطبيعة الحال على تزييف الحياة النيابية ٠ فمنذ قيام أول هيئة تشريعية فى عام ١٩٢٤ توالت على مصر عشر هيئات تشريعية حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو – أى فى مدى ربع قرن فقط ٠ ولم يتم مجلس نواب سنواته الخمس قط ٠

فقد حل مجلس النواب الاول ، الذى انعقد فى مارس ١٩٢٤ ، فى ديسمبر من نفس السنة ٠ ثم أسفرت الانتخابات التى أجرتها وزارة زيور باشا عن مجلس نواب جديد اجتمع يوم ٢٣ مارس ١٩٢٥ ، ولكنه حل فى اليوم نفسه ٠ ثم ولدت هيئة تشريعية ثالثة فى يوليو ١٩٢٦ وعاشت ثلاث دورات فى عهد الائتلاف ٠ ثم علق محمد محمود باشا الحياة النيابية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ٠ ولكن وزارته سقطت قبل هذه المدة ، وولدت هيئة تشريعية رابعة فى يناير ١٩٣٠ ٠ ولكن هذه الهيئة حلت فى السنة نفسها ٠ ثم استبدل بدستور ١٩٢٣ دستور صدقى باشا فى ٢٢ أكتوبر ١٩٣٠ ، ووضع قانون انتخاب جديد ، وقامت الهيئة التشريعية الخامسة لتستمر أربع دورات ٠ على أن دستور ١٩٢٣ أعيد من جديد ، كما أعيد قانون انتخاب ١٩٢٤ فى ديسمبر ١٩٣٥ ٠ واجتمعت الهيئة التشريعية السادسة فى مايو ١٩٣٦ ٠ وتوالت من هذا التاريخ الهيئات التشريعية السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة ٠ كما توالت الوزارات ، فلم تعمر أى منها فى المتوسط الا سنة واحدة وشهرين ٠

ومن الطريف ان كلا من الهيئات التشريعية العشر السابقة الذكر ، كانت تختلف عن سابقتها اختلاف النقيض ، فالاحزاب او الهيئة التى كان لها فى البرلمان السابق اغلبية ساحقة ، يصبح لها ،

---

[١٩] دكتور وايت ابراهيم ٠٠ نفس المصدر ٠

[٢٠] بيان مكرم عبيد باشا فى أبريل ١٩٤٦ تعليقا على نتيجة بعض الانتخابات التى جرت لعضوية مجلس الشيوخ [نقلا عن المصدر السابق ص١٨٤] ٠

حتما ودائما ، فى البرلمان اللاحق مباشرة أقلية هزيلة • على أن تنقلب هذه الاقلية الى أغلبية ساحقة فى البرلمان اللاحق ، وهكذا دواليك • ومن الطبيعى – كما يقول الدكتور وايت ابراهيم – ان تختلف الاغلبية فى البرلمان الجديد عنها فى البرلمان القديم ، فتترجح كفه عن كفة ، والا لما كانت فائدة فى اجراء الانتخابات العامة ، على أن المشاهد فى جميع الديموقراطيات الليبرالية ، أن التطور يأتى بالتدريج وعلى مراحل ، وله دوافعه ومقدماته • (٢١) •

على انه لما كانت الانتخابات التى تجريها وزارات أحزاب الاقلية ووزارات الوفد على السواء تسفر دائما عن أغلبية للوزارة التى اجرت الانتخابات ، فقد تمثل معيار ثبوت غالبية الوفد وصدق تمثيله للارادة الشعبية فى نتائج الانتخابات التى كانت تجريها الوزارات « المحايدة » فى سنى ١٩٢٣ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٥٠ • فقد أسفرت هذه الانتخابات عن فوز الوفد فوزا ساحقا وسقوط خصومه •

رابعا – القصر يصبح مصدر السلطات :

رأينا كيف استلب الملك سلطات عظيمة فى دستور ١٩٢٣ عن طريق تعديل بعض مواد مشروع لجنة الثلاثين • ومنذ ذلك التاريخ أخذت بقية السلطات تنتقل تدريجيا الى يده ، حتى أصبح فى نهاية الامر مصدر السلطات • على أن ذلك لم يتم عبر طريق ممهد ، بل مضى عبر صراع شاق ومرير بينه وبين الوفد ، عبأ فيه الوفد جماهيره الغفيرة ، وجند فيه القصر صنائعه وحلفاءه • **وقد اتخذ هذا الصراع من جانب الوفد شكل تفسير المواد التى عدلها الملك تفسيرا يتفق مع النظام الليبرالى الصحيح ، بينما اتخذ من جانب القصر شكل تطبيق هذه المواد تطبيقا أوتوقراطيا فى عهود وزارات أحزاب الاقلية وبرلماناتها ، ثم مواجهة وزارات الوفد بها بعد أن تكون قد اتخذت صورة العرف والتقليد •**

وقد قاد حركة التصحيح الاولى سعد زغلول فى وزارته التى ألفها فى ٢٨ يناير ١٩٢٤ • وكانت أول معركة دارت بينه وبين **الملك فؤاد** حول **حق تعيين الوزراء** • فقد اعترض الملك على تعيين وزيرين قبطيين هما **مرقص حنا** باشا **وواصف غالى** باشا ، بحجة أن التقاليد جرت على الاكتفاء **بوزير قبطى** واحد ، وأنه لا يجب أن يعين وزير قبطى وزيرا للعدل فى بلد اسلامى • **وقد رفض سعد** زغلول اعتراض الملك على المسألة الاولى بقوله أنه لا يفرق بين مسلم وقبطى ، وأنه هو المسئول عن شعور الشعب المصرى • ولكنه استجاب للاعتراض الثانى وأسند الى مرقص حنا وزارة الاشغال ورشح **نجيب الغرابلى أفندى وزيرا للعدل** • ولما اعترض الملك على اختيار « **افندى** » لمنصب ضخم كمنصب الوزارة ، لم يقبل سعد هذا الاعتراض ، وكان له ما أراد •

أما المعركة الثانية **فكانت حول الاساس** الدستورى لقيام الوزارات • فقد بنى **الملك فؤاد** اختياره لسعد زغلول ، فى كتابه **الذى وجهه اليه** بعد فوزه فى الانتخابات ، على كل سبب الا السبب الذى اختاره لاجله ، وهو فوزه بثقة الامة • ولكن سعدا رد على ذلك فى جوابه الى الملك ، فجعل أول سبب لولايته الحكم هو : « ثقة الامة ونوابها بشخصى الضعيف » •

وكانت المعركة الثالثة حول اهم التعديلات التى أدخلها الملك على الدستور ، وهو **حق تعيين الشيوخ المعينين** • فقد تمسك الملك بأن التعيين من حقه ارتكانا الى ظاهر المادة ٧٤ • **ولكن سعد** زغلول تمسك بأن حق الملك فى **التعيين ليس حقا** خاصا يستعمله بدون أن يشرك فيه وزراءه ، ولكنه حق معلق على نصوص المواد الاخرى التى تقضى بأن يتولى الملك سلطته بواسطة وزرائه ، وأن الوزارة هى المهيمنة على مصالح الدولة ، وأن توقيعات الملك فى شئون الدولة يجب لنفاذها أن يوقع عليها رئيس مجلس الوزراء والوزراء المختصون ، **وأن أوامر الملك شفهية أو كتابية لا** تخلى الوزراء من المسئولية بحال • ولما كانت المادة ٧٤ مأخوذة من الدستور البلجيكى ، فلذلك احتكم الطرفان **للبارون فان دن بوش** ، الذى أفتى بصحة وجهة نظر سعد زغلول •

ثم جرت المعركة الرابعة فى أواخر عهد سعد زغلول ، وحين كان القصر يدبر المؤامرات لاسقاطه بعد فشل المفاوضات التى جرت بينه وبين مكدونالد • **وقد ساق الوفد فيها المظاهرات الى ميدان عابدين وهى تهتف : « سعد أو الثورة »** • وانتهت المعركة باتمام عملية تصحيح الدستور على النحو الاتى :

١ – أن يكون الازهر والمعاهد الدينية فى يد الوزارة لا فى يد الملك •

[٢١] دكتور وايت ابراهيم •• نفس المصدر •

٢ ـ ألا ينفرد الملك بمنح الرتب والنياشين ولا بتعيين موظفى السراى بغير موافقة الوزارة .

٣ ـ أن تكون تبعية الوزراء المفوضين والقناصل المصريين لوزارة الخارجية تبعية فعلية ، بعد أن كانت صلتهم بالسراى رأسا ، وأن تنظر الوزارة فى مناصب السلك السياسى .

٤ ـ ألا تحدث مخابرات خارجية بين الملك والدول الا باطلاع الوزارة وموافقتها (٢٢) .

ثم سقط سعد زغلول تحت حادث مقتل السردار لى ستاك . وأخذ الموج الثورى ينحسر ، ورفعت الرجعية رأسها ، وبدأت الثورة المضادة . وأخذ القصر يسترد فى عهود : زيور ، ومحمد محمود ، وصدقى ، وعبد الفتاح يحيى ، ونسيم ، ما خسره على يد سعد زغلول . وعندما تولى الوفد الحكم فى عام ١٩٣٦ ، كان القصر قد كسب بسكوت تلك الوزارات الضعيفة وبرلماناتها تقاليد وعادات أصبحت محور الصراع فى حركة التصحيح الثانية التى قادها مصطفى النحاس ، والتى انتهت بكارثة .

وكان مصطفى النحاس قد وقع فى خطأ كبير بعد ابرام معاهدة ١٩٣٦ . فقد اعتقد أن القدر الكبير من السلطة الذى استخلصه من الانجليز بمعاهدة ١٩٣٦ قد اضيف لحساب الامة ، بعد أن غيرت المعاهدة من مواقع القوى المتصارعه على السلطة ، وتغيرت بالتالى ادوارها ، فقد كان القصر قبل معاهدة ١٩٣٦ فى حماية الاحتلال ، لان السلطة التى كانت فى يده كانت فى حقيقتها فى يد الاحتلال . ولكن بعد معاهدة ١٩٣٦ ، وبعد أن انقلبت العلاقة بين الوفد والانجليز من عداء وخصومة الى صداقة وتحالف بحكم المعاهدة ، فلم تعد بالانجليز حاجة لحماية الملك ، بل لم تعد لهم مصلحة فى ذلك . واصبح الطريق ، من ثم مذللا لتمارس الامة حقوقها وحرياتها .

على أن « النحاس » أخطأ فى هذا التقدير كما ذكرنا ، لان القضية لم تكن حماية الانجليز للقصر فقط ، وانما وجود نفس عناصر الحياة السياسية القديمة المتآمرة ، التى لم تكن ترى فرصتها فى اعتلاء الحكم الا عن طريق التحالف مع القصر ومساعدته على تزييف ارادة الامة . وفى الوقت نفسه كانت قد ظهرت فى ذلك الحين عناصر فاشية تمثلت فى جماعة مصر الفتاة وجماعة الاخوان المسلمين ، انحازت بحكم أيديولوجيتها الى الاوتوقراطية ضد الديموقراطية الليبرالية ، واستطاعت بثوريتها الزائفة وتشكيلاتها شبه العسكرية أن تجتذب اليها كثيرا من الانصار والمؤيدين ، خصوصا من بين الشباب ، وأن تزود القصر بذلك بأداة ارهابية يرفع بها عقيرته ويسكت خصومه . فضلا عن ذلك ففى تلك الظروف الدقيقة ، التى التفت فيها قوى الاوتوقراطية والفاشية حول القصر ، كان الوفد يتعرض لاخطر انشقاق أصابه منذ انشقاق الوفد الكبير عام ١٩٢١ ، وذلك بأنسلاخ النقراشى والدكتور احمد ماهر منه . وكان من الطبيعى أن تؤثر كل هذه العوامل فى نتيجة المعركة الدستورية .

وقد بدأت المعركة عندما أراد النحاس أن يقضى على وكر من أوكار الفساد السياسى فى مصر ، وهو الديوان الملكى ، فأعلن فى كتاب تأليف وزارته فى ١٠ مايو ١٩٣٦ أنه سوف يجعل من اغراض وزارته انشاء وزارة جديدة باسم وزارة القصر ، ولكن مجلس الوصاية اعترض على الفكرة مقترحا ارجاءها الى أن يبلغ الملك سن الرشد . وفى الوقت نفسه شنت الصحافة الانجليزية حملة نقد شديدة على هذه الفكرة (لم تكن المعاهدة قد أبرمت بعد وتغيرت الادوار) . وازاء ذلك تراجع النحاس تراجعا جزئيا ، اذ اكتفى بتعيين عبد الفتاح الطويل وكيل وزارة برلمانيا لشئون القصر . ثم لم يلبث أن تراجع تراجعا مطلقا عند اعادة تأليف وزارته بعد تولى الملك سلطاته الدستورية ، فلم يتمسك بوزارة القصر ، كما لم يتمسك أيضا بوكالة القصر البرلمانية .

كانت المعركة الثانية حول ترشيح يوسف الجندى وزيرا فى وزارة النحاس الثانية . فقد رفض فاروق ، بايعاز من على ماهر باشا ، قبول هذا الترشيح بحجة أن نزاهة يوسف الجندى ابان وكالته البرلمانية لوزارة الداخلية لم تكن فوق الشبهات . وقد نزل النحاس على اعتراض الملك بصفة مؤقتة نظرا للظروف الدقيقة التى كان يمر بها الوفد بعد استبعاد النقراشى وزملاءه من الوزارة الجديدة ، ولانه كان فى ذلك الحين قد قدم استقالة وزارته الاولى الى الملك بمناسبة مباشرته سلطاته الدستورية ، وقبلت الاستقالة فعلا ، وكان اصراره على تعيين الجندى يعرضه للاطاحة به باسهل السبل وبدون اقالة .

أما الجولة الثالثة فكانت حول حق الملك فى تعيين رئيس ديوانه . فقد اعترض فاروق على

(٢٢) دكتور عبد العظيم رمضان : المرجع المذكور ، الفصل الثامن .

جميع الاسماء التى رشحها النحاس ، ثم فاجأه بتعيين **على ماهر باشا** رئيسا للديوان فى يوم ٢٠ اكتوبر ١٩٣٧ . وقد عقد النحاس اجتماعا طارئا لوزارته ، ونوقشت فيه فكرة تقديم استقالة الوزارة . ولكن عدل عنها لانها انما تحقق غرض القصر . وقدم النحاس بدلا من ذلك طلبات لتنظيم العلاقة بين الوزارة والقصر تضمنت ضرورة انشاء وزارة قصر وأن يقتصر حق الملك فى تعيين الموظفين الذين يعينون بمراسيم على التوقيع .

ثم كانت **الجولة الرابعة** حول حق تعيين الشيوخ ، فمع أن هذه المسألة كانت قد انتهت فى عهد سعد زغلول برضوخ الملك فؤاد بعد تحكيم البارون فان دن بوش ، الا أنها عادت فى عهد النحاس عندما خلا مقعدان فى المجلس ، فرشحت الوزارة محمود فهمى وحسن نافع . ولكن القصر اعترض على الثانى ورشح بدلا منه عبد العزيز فهمى . فاعترض النحاس على تعيينه لانه هو الذى قال عن دستور الامة أنه « ثوب فضفاض » (٢٣) .

وفى تلك الاثناء ، كانت أقلام القصر وأحزاب الاقلية تدافع عن وجهة نظر على ماهر باشا التى أعلنها بحق الملك فى تعيين كبار الموظفين ، وفى احالة الموظفين المعينين بمرسوم الى المعاش ، وفى تقديم مشروعات القوانين للبرلمان ، وفى الرتب والنياشين لرجال الدولة ، وفى تعيينات رجال السراى .

وقد بلغ الامر بالدكتور محمد حسين هيكل أن أخذ يسوق الاسانيد على أن حق الملك فى تعيين على ماهر هو « حق طبيعى » (٢٤) . أما **العقاد** ، فجند كل ما يملك من بلاغة وقوة حجة فى الدفاع عن حقوق الملك . وقد ذهب فى خداع الشعب الى منطق دستورى عجيب ، فقد ادعى أن « حقوق الملك هى حقوق الامة » ، تغار عليها كما تغار على أعز الحقوق الدستورية لتوطيد الامور وحماية الداس من أغلاط الوزارات على توالى القيام والسقوط . ثم قال : « هنا يتجلى لنا أن الامة تحمى حق الملك لانه يحميها ، وتضمن حق الملك لانه يضمنها ، وترفع حق الملك على حقوق أخرى لانه الحق الباقى لها على تعاقب العهود وتتابع الاحزاب واختلاف الميول والاحوال » (٢٥) .

وقد أراد الوفد فى ذلك الحين أن يكرر ما حدث فى عهد سعد زغلول ، حين انطلقت المظاهرات فى ميدان عابدين وهى تهتف : « سعد أو الثورة » ، وذلك للحصول على نفس النتائج التى حققتها هذه المظاهرات ، فانطلقت المظاهرات مرة أخرى فى شوارع القاهرة وهى تهتف : « النحاس أو الثورة » . ولكن الظروف فى عام ١٩٣٧ كانت تختلف من كل الوجوه عن الظروف فى عام ١٩٢٤ ففى عهد سعد زغلول ، كانت الكتلة الوطنية سليمة لم تتفتت ، والمد الثورى ضد الإحتلال والقصر عاليا . أما فى عام ١٩٣٧ ، فكانت الحركة الوطنية قد تجاذبتها التيارات الفكرية والسياسية المختلفة ، وكانت ثورة ١٩١٩ قد انتهت بابرام معاهدة ١٩٣٦ ، وحل التحالف بين الوفد والإنجليز محل الخصومة والعداء . ولذلك فقد فشلت هذه المظاهرات فى تحقيق النتائج التى حققتها سابقتها ، ثم جاءت اقالة الملك للنحاس فى أعقابها لتكون اعلانا بأن القصر قد أصبح مصدر السلطات (٢٦) .

وفى عهد **محمد محمود باشا** ، أخذت خطوط السلطة التى بقيت فى يد وزارته ، تنتقل شيئا فشيئا الى يد القصر لتصبح الحكومة فى نهاية الامر بلا حول ولا قوة حتى فى أقل الامور (٢٧) . حتى اذا ما كان صيف عام ١٩٣٩ ، كتبت « **المصور** » تصف كيف أصبح الملك صاحب السلطان النافذ فى البلاد فتقول : « ليعلم الجمهور ، مع الاسف الشديد ، أن فى خدمة جلالة الملك مصادر أخبار وآراء وتعليقات تتقمص تارة فى شكل وزراء ، وتارة فى شكل أمراء ونبلاء ، وتارة فى شكل مديرى بنوك وشركات ، وتارة فى شكل موظفين بمعية الملك .. وجلالة الملك يسمع . وينسى هؤلاء أنه يدون مذكراته الخاصة عن كل حديث ، وعن كل نبأ يرفع اليه ، وأن جلالته يصدر تعليماته باستجلاء وقائع الاحاديث . خذوا مسألة اعانة الشركات ، ومنح الامتيازات الجديدة لبعض الشركات الجديدة .

---

[٢٣] دكتور عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من ابرام معاهدة ١٩٣٦ الى نهاية الحرب العالمية الثانية ، الفصل الثانى [بحث للدكتوراه لم ينشر بعد] .
[٢٤] البلاغ فى ٢٥ أكتوبر ١٩٣٧ .
[٢٥] البلاغ فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٧
[٢٦] دكتور عبد العظيم رمضان : المرجع السابق .
[٢٧] لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر : دكتور محمد حسين هيكل : المرجع المذكور جـ ٢ .

وسلوا عالم رجال المال : لماذا يلجأ بعض الاطراف الى السراى يرفعون اليها وقائع وأخبارا يتحدون بها الحكومة ويحاولون بها أن يعطلوا مشيئة الحكومة • خذوا مسألة « بالبو » (٢٨) وكيف جرت الى أحاديث طويلة ومذكرات وتقارير ترفع الى السراى فيها تهم لبعض الشخصيات بأنها تعمل لحساب ألمانيا وايطاليا • ثم مذكرات أخرى وتقارير اخرى من المفوضيات تشكو من تحدى السلطات المصرية للمصالح الالمانية والايطالية (٢٩) •

ومعنى ذلك أن الملك فاروق كان قد أصبح ، فى تلك المرحلة المبكرة من حكمه ، مصدر السلطات ، واليه يلجأ رجال المال والسياسة والحكم ، وتلجأ المفوضيات والسفارات • لذلك فلا عجب اذا استشرى نفوذ القصر فى السنوات التالية حتى أصبحت أمور الحكم فى أيدى رجال الحاشية من الخدم والسائقين والحلاقين وغيرهم ، وان أصبحت البلاد بمثابة ضيعة كبرى للملك يتصرف فيها كما يشاء •

انجازات الليبرالية

على هذا النحو يتبين بوضوح أن الليبرالية لم تمنح فرصتها الكاملة للتطبيق قبل ثورة ٢٣ يوليو ، وان الحكم كان فى الحقيقة فى يد القصر وفى يد أقلية هزيلة من البورجوازية الكبيرة كانت ترى مصلحتها فى التحالف معه • ويتضح ذلك من مقارنة عدد السنوات التى حكم فيها القصر وأحزاب الاقلية ، وعدد السنوات التى حكم فيها حزب الاغلبية وهو الوفد • ففى الفترة من تاريخ تأليف أول وزارة دستورية فى ٢٨ يناير ١٩٢٤ الى قيام ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أى فى خلال ٢٨ عاما ونصف تقريبا ، حكم القصر مدة تقرب من ١٩ عاما (١٨ عاما و ٩ أشهر) بينما حكم حزب الاغلبية البرلمانية أقل من ٨ سنوات (٧ سنوات و ٩ أشهر فقط) ، وحكم مع الاحرار الدستوريين لمدة سنتين فكان الليبرالية لم تطبق فى مصر الا لمدة تقل عن عشر سنوات •

ومع ذلك ففى خلال هذه السنوات العشر ، تحققت انجازات لا يستهان بها فى المجال الوطنى والاجتماعى والاقتصادى • فقد استردت البلاد جزءا كبيرا من استقلالها بمعاهدة ١٩٣٦ ، كما ازيلت وصمة الامتيازات الاجنبية ، وترتب على الغائها استرداد البلاد سيادتها المالية والقضائية ، والغاء المحاكم المختلطة وجهات القضاء القنصلى والغاء صندوق الدين ، ثم تمصير الدين العام • وبرزت هوية مصر العربية بتأسيس جامعة الدول العربية على يد حكومة الوفد وهى الصيغة التى مازالت تجمع حولها كل الحكومات العربية دون استثناء حتى الان ، كذلك صدرت أهم القوانين السياسية والدستورية والاجتماعية ، كقانون الاجراءات الجنائية الذى يحمى الحرية الشخصية للافراد ، وقانون استقلال القضاء ، وقانون هيئات البوليس ، وقانون التوظف ، وقانون استقلال الجامعة ، وقانون منع الاجانب من تملك الاراضى الزراعية • ثم قانون التعويض عن اصابات العمل ، والتامين الاجبارى ضدها ، وقانون العمل الفردى ، وقانون عقد العمل المشترك ، وقانون الاعتراف بنقابات العمال ، وقانون استعمال اللغة العربية ، وقانون الضمان الاجتماعى • كما انشىء ديوان المحاسبة وديوان الموظفين ، وتقررت مجانية التعليم الابتدائى والثانوى والمتوسط ، وفى ظل النظام الليبرالى بصفة عامة ، استطاعت البورجوازية أن تفك القبضة الاجنبية المستحكمة على وسائل الانتاج ، كما استطاعت البروليتاريا أن تؤسس أكثر من ٥٦٠ نقابة ، وان تستقل بحركتها عن وصاية البورجوازية •

نماذج ليبرالية

على أن هذه الانجازات لا تمثل الا جانبا واحدا من جوانب الليبرالية ، أما الجانب الاخر فيتمثل فى المناخ الليبرالى ، أو فى الحريات السياسية والدستورية التى اطلقتها للافراد والجماعات ، والتى نؤثر أن نقدم هنا بعض النماذج عنها لنعيش روح العصر : •

١ ـ سعد والمعارضة :

فى عهد وزارة سعد زغلول ، كان يعارض الوزارة حزب الاحرار الدستوريين فى جريدة السياسة ، وأمين بك الرافعى فى جريدة الاخبار ،

[٢٨] الماريشال بالبو ، حاكم ليبيافى ذلك الحين ، وقد زار القاهرة فى٩ مايو ١٩٣٩ ، واستقبل استقبالاحافلا من السلطات المصرية على الرغم منأنزيارته كانت زيارة خاصة • وقد تمتهذه الزيارة فى سلسلة اتصالات فاروق بالمحور [انظر دراستنا عن : الاتصالاتالمصرية السرية بدول المحور ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ـ مجلة السياسة الدولية عدد أكتوبر ١٩٧١] •

[٢٩] المصور فى ٢ يونية ١٩٣٩ •

وكانت تعارضه كذلك على صورة هزلية صحيفتا الكشكول والصاعقة ٠ وقد بلغت المعارضة ـ كما يعترف الدكتور محمد حسين هيكل ـ حدا من العنف دعا عدلى باشا رئيس حزب الاحرار الى الاستقالة « لان عنف الخصومة لا يتفق مع هدوء طبعه وسكينة نفسه » ٠ وقد واجه سعد زغلول هذا العنف باللجوء الى النيابة للتحقيق فيما نشر من مقالات حافلة بالطعن ٠ فلما كان الصيف ، أراد الدكتور هيكل السفر الى لبنان ٠ ولما كان متهما فى خمس قضايا سترفع ضده ، فقد وسط صهره عبد الرحمن باشا رضا وكيل وزارة الخارجية ليسمح له بالسفر دون أن تعيده النيابة للتحقيق ٠ وقابل عبد الرحمن رضا باشا سعد زغلول لهذا الغرض وقال سعد : « كيف يسافر هيكل وهو متهم فى خمس قضايا سترفع ضده ؟ » وكان من الطبيعى أن يرد عبد الرحمن باشا بان فصل الاجازات القضائية بدأ ، فاذا رفعت هذه القضايا فسيكون الدكتور هيكل قد عاد من سفره ، لكن الرجل ، كما يقول الدكتور هيكل ـ أشفق مما قد يصيب زوج ابنته ، فقال لسعد : « وما ضرورة هذا الانتقام ؟ » ورد سعد غاضبا : « انتقام يا عبد الرحمن ! أنا ألجأ الى النيابة كما يلجأ اليها أضعف الناس رجالا ونساء ، وتسمى هذا انتقاما ؟ » ومع ذلك فمن أجل خاطرك أنا مستعد لحفظ هذه القضايا جميعا اذا كذب هيكل أننى تدخلت فى انتخابات محمد محمود ! على أن الدكتور هيكل لم يعتذر ، وفى الوقت نفسه تقدم لادارة الجوازات لطلب جواز سفر له ولزوجه وابنه ، فاعطته اياه ادارة الجوازات ، فى أقل من ثمان وأربعين ساعة ـ كما يقول هيكل (٣٠) ومن الغريب انه ساق هذه القصة فى معرض الحديث عن طغيان سعد ، فكأنه اراد بالفعل أن يحرمه ، وهو رئيس الوزراء ، مما يتمتع به أى فرد من أفراد الشعب ٠

٢ ـ البرلمان يرفض اعتماد نفقات الرحلة الملكية :

فى عهد ائتلاف الوفد مع الاحرار الدستوريين ، اعتزم الملك فؤاد القيام برحلة الى أوروبا ،وأرادها كما يقول الرافعى ـ « رحلة ملك مطلق لا ملك دستورى » فلم يدع أى وزير لاصطحابه ،على حين أن المألوف فى النظم الدستورية أن يصطحب الملك وزير الخارجية فى مثل هذه الرحلات ٠ ولكن الملك أبدى رغبته فى ألا يصحبه أحد الوزراء ٠ وهنا هبت قوى الائتلاف تساند ثروت باشا فى وجه الملك ، فقد أعلن سعد زغلول وقوفه الى جانب ثروت باشا ، واشترط أن يصحب الملك فى رحلته ٠ كما أحجم البرلمان عن فتح اعتماد لنفقات الرحلة الملكية ٠ ولما ادرك الملك أنه لن يستطيع اختراق هذه الجبهة ، اذعن فى النهاية ٠ وعند ذلك وافق البرلمان على اعتمادات الرحلة (٣١) ٠

٣ ـ اتهام النحاس باشا لجمعية مصر الفتاة بالعمالة لدولة اجنبية :

فى يونية ١٩٣٦ اتهم مصطفى النحاس جمعية مصر الفتاة بانها « تعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة البلاد » ٠ وقد أطلق هذا الاتهام من فوق منبر مجلس النواب ، ولما طلب النواب الاطلاع على وثائق الاتهام ٠ اعتذر النحاس بأن هذه المسألة من « اسرار الدولة ، ولا يمكن أن نتقدم بها ولن نتقدم ، لان اسرار الدولة فوق كل اعتبار ، والوزارة مسئولة أمامكم ، فاما أن تعطوها ثقتكم ، واما أن تسحبوا منها هذه الثقة ، والرأى الاخير لكم » ٠

وقد تساءل النائب عبد المجيد ابراهيم صالح (من الاحرار الدستوريين) كيف يسمح رئيس الوزراء ، باعتباره رئيسا شعبيا ورئيسا رسميا للدولة ، وقد اقتنــع دولته بخطر تلك الدعاية ، أن يباح لهذا النفر أن يتجولوا فى المدن ويبثوا دعايتهم الخطيرة ثم يتركوا احرارا ٠

فأجاب النحاس بأن الحكومة « تريد المحافظة على سلامة الدولة . مع اباحة الحرية لكل من يريد » وقال : ان سياسة الحكومة هى منع تجوال أعضاء الجمعية فى القرى بالقميص الاخضر ، واباحة الحرية المطلقة لها فى زيها واجتماعاتها وخطبها فى المدن ، حيث يتسنى لكل انسان أن يقاومها وأن يناقشها وأن يعترض على كل ما يبدو منها ، وأن يدرك كنه ماتغمز» (٣٢) ٠

وبعد اقالة النحاس مباشرة ، تقدم ببلاغ الى النائب العام يطلب فيه التحقيق مع أحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة ، فى هذه التهمة (٣٣)

---

[٣٠] دكتور محمد حسين هيكل :المرجع المذكور جا ص ١٨٩ ، ١٩٤ ـ ١٩٥ ، ١٩٩ ـ ٢٠٢ ٠
[٣١] الرافعى : المرجع المذكور جاص ٢٧٦ ٠
[٣٢] مجلس النواب : الهيئةالنيابيةالسادسة ، مجموعة مضابط دور الانعقادالعادى الاول ، المجلد الاول ١٩٣٦ ، مضبطة يوم الاثنين ٢٢ يونية ١٩٣٦ ٠
[٣٣] المقطم فى ٢٤ يناير ١٩٣٨ ٠

وكان هذا البلاغ فرصة طيبة لاحمد حسين ليحسم هذا الاتهام المعلق على راسه ، وخصوصا بعد ان انتهى حكم الوفد وأصبح جميع أصدقاء احمد حسين فى مراكز السلطة • ولكن النسائب العام ـ كما قالت جريدة مصر الفتاة ـ « لم ير فى هذا البلاغ ما يستحق مجرد النظر اليه فأهمله وتغاضى عنه » (٣٤) •

٤ ـ الصحافة والمناقشات البرلمانية اثناء الحرب العالمية الثانية :

فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وعلى الرغم من ظلام الاحكام العرفية ، التى تم اعلانها بناء على طلب السلطات البريطانية ، الا أن مناقشات البرلمان كانت تنشر فى الصحف ، وكانت هذه المناقشات بمثابة شعاع قوى من الضوء أضاء لجماهير الشعب ما كان للسلطات العسكرية البريطانية من دور فى الازمات التموينية التى كانت تمسك بخناقها ، وجعلها تحيط بجميع المسائل التى تتعلق بمشاكلها السياسية والاقتصادية والاجتماعية • وكان لما نشر فى ذلك الحين أثره فى انتعاش الحركة الوطنية بعد الحرب ، وبداية مرحلة جديدة فى تاريخ كفاح الشعب المصرى •

٥ ـ النحاس أضاع الدستور من فرط حرصه على الدستور :

فى عهد وزارة الوفد عام ١٩٣٧ ، وفى أثناء المعركة الدستورية ، وبينما كان القصر ، وفيه على ماهر ، يدبر أخطر المؤامرات مع القوى الاوتوقراطية والفاشية للاستيلاء على الوفد من الداخل بواسطة النقراشي والدكتور أحمد ماهر ـ كانت صيحة الاتهام التى يطلقها خصوم النحاس هى أنه « طاغية » ـ وهى نفس التهمة التى اطلقت على سعد زغلول • على أن الوفديين كان لهم رأى اخر ، عبر عنه محمد التابعى ـ وقتذاك ـ فى مقال يفيض مرارة قال فيه :

« يحز فى نفوسنا نحن الوفديين أن زعيمنا حاكم ضعيف ، وأنه وضع الدستور عن يمينه ، والقانون عن يساره ، وعمامة ابن حنبل فوق رأسه ، ثم أقسم على المصحف ليحترمن أحكام الدستور والقانون ولو شنقوه !

« قيد مصطفى النحاس باشا نفسه بنفسه ، واختار أن يكون ضعيفا فى وقت كان يحل فيه شيء من الاستبداد ، والعاجز من يستبد •

« مصطفى النحاس ، الدكتاتور الطاغية ـ كما يصفه المعارضون ـ كل عيبه عندنا ، نحن أنصاره ، أنه لا طاغية ، ولا دكتاتور ، ولا يحزنون • كل عيبه أنه ، وهو يستند الى أغلبية قل أن يفوز بها زعيم من قبله ، قد اختار أن يترك أقلية قل أن يوجد مثلها فى هزالها وضعفها أن تتحكم فيه ، وأن تشغله بصخبها وصياحها وضجيجها عن الاهتمام بشئون الدولة • وهو لو شاء ليستطيع أن يبطش بها ويمسحها من اللوح ويذرو ترابها للريح •

« ولكنه ـ مصطفى الطاغية ـ ليستغفر ويحوقل ويهز عمامة ابن حنبل ، ويمد يده الى الدستور والقانون ليرى حكم الدستور والقانون •

« وما افلح حاكم • ولن يفلح حاكم يختار لنفسه هذه الطريق الضيقة •• ليت مصطفى النحاس ادنى شيئا من بطش صدقى ، او « عنطزة » محمد محمود ! • ليته كان طاغية بحق وحقيق ، اذن لاسترحنا واستراح البلد ، بل لاستراح الدستور والقانون واستقرت الامور وانتظم الحكم ومشت أسباب الاصلاح فى هذا البلد •

« صحفى منا كان يحك قصبة انفه لحر دستورى لافى العير ولا فى النفير ، فكانت تقوم وزارة الداخلية • تقوم على قدم واحدة ولا تقعد • وكانت ادارة الامن العام تقوم على قدم واحدة ولا تقعد ، حتى تتعطل الصحيفة وتصادر اعدادها ويزج الصحفى فى السجن تحت اذن المحقق بضعة ايام •

« وصحفى يقول اليوم لمصطفى النحاس انه يتجر بالوطنية ، وأنه يهدر كرامة البلد ، وأنه يبيع الوطن للانجليز ، ويشترك مع زملائه الوزراء فى نهب أموال المصريين • فيستشير مصطفى النحاس الدستور والقانون ، وتتحرك النيابة بعد بضعة أيام ، ويبدأ التحقيق بعد بضعة أيسام ، ويقدم الصحفى للمحاكمة بعد بضعة شهور ، ويطلب التأجيل لبضعة شهور ، ويصدر الحكم بعد عام ، وتقدم عن الحكم معارضة او استئناف • هذا والصحفى وزملاؤه جادين فى اللطم واللطش وحملة التجريح •

(٣٤) مصر الفتاة فى ٢٧ مارس ١٩٣٩.

« او يستشير مصطفى النحاس نبى الرحمة والصفح عيسى بن مريم · ومن ثم يدير بعدها خده الايسر بعدخده الايمن ·

« ما هكذا الحكم يا زعيم الاغلبية ، يا دكتاتور !

« احكم ! احكم كما يحكم الحاكمون الاقوياء ! احكم ، أو لتترك الحكم للاقوياء القادرين ·

« ما ذنب هذا البلد الذى بايعك على الزعامة ؟ وما ذنب هذا الشعب الذى التف حواليك ؟ وما ذنب هذا الدستور الذى أريقت فى سبيله دماء زكية ؟

« اغضب مرة لهذا الدستور الذى يبيت له ، ويدس له ، وينادى علنا من فوق منابر الصحف بانه لا خير فيه ·

« اغضب مرة لهذه الزعامة التى تقذف فى كل يوم بالوحول · وانس لحظة حكم الدستور وحكم القانون · وافرح قلوبنا ولوساعة واحدة ، وكن طاغية واستبد ، وأشهدهم كيف يكون حكم الطغاة · والا فالويل لهذه الامة يوم تتم سلسلة الدسائس وتختم الحلقات ، يوم يضيع الدستور وتتحكم الاقلية فى الاغلبية ، وتعود أنت الى البلد تطلب منه استئناف الجهاد ، فيقول لك هذا البلد المتعب المنهوك : « عنى يا من أضعت بضعفك ثمرات الجهاد ··

« ولكن مصطفى النحاس لن يرضى بديلا عن الدستور والقانون وعمامة ابن حنبل · والسلام عليكم يوم نمسى ويوم نصبح ، فاذا مصطفى النحاس قد أضاع الدستور ، من فرط حرصه على الدستور ·

● ● ●

وفى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، قاد جمال عبد الناصر الثورة ضد طغيان القصر ، وأسقط فاروق الملك عن عرشه · وتهيأت بهذا الحدث التاريخى العظيم ، اول فرصة كبرى لليبرالية لتأخذ طريقها الى التطبيق الصحيح · ولكن الزمن كان قد مضى بمصر وبآمال شعب مصر بعيـدا ، واجتاز بهـا مرحلة الديموقراطية الليبرالية ذات الطـابع الاصلاحى ، الى مرحلة الديموقراطية الوطنية ذات الطابع الثورى · ولم يعد كافيا اسقاط ملك طاغية عن عرشه ، وانما أصبح ضروريا اسقاط الطبقة الاقطاعية ذاتها عن عرشها ، وايجاد اسـاس لجمهورية وطنية ديموقراطية يتطور فيها نضال الطبقة العاملة ضد البورجوازية · ومن أجل ذلك ، غربت شمس الديموقراطية الليبرالية عن مصر ، دون أن تسمح لها سماء الاوتوقراطية والاحتلال الملبدة بالغيوم بالاشعاع الصحيح ·

اسرائيل والبترول العربي



د. محمد أحمد عجلان

عالجت الطليعة في العدد السابق موضوع البترول العربي وموقعه في خريطة الصراع الدائر حاليا بين الشعوب العربية الراغبة في التحرر والاشتراكية والوحدة ، والاستعمار الذي يريد أن يستمر امتصاصه لدمائها ، واستنزافه لثرواتها ، وتدعيمه لكيانه الاقتصادي ومن ثم السياسي على حسابها .

ولعل تلك الدراسة السابقة قد أوضحت أن البترول العربي يمثل سلاحا حاسما في معركة التحرر العربي ،ويجب أن يضاف الى عديد القوى الاستراتيجية للشعوب العربية . فنحن اذا احتسبنا في تعداد تلك القوى أسلحة مثل وحدة الشعوب العربية في الوقوف في وجه الاستعمار ، والوحدة الوطنية لكل القوى المعادية للاستعمار داخل كل بلد على حدة ، والمعاداة الكاملة لكل القوى الامبريالية وأعوانها الداخليين ، والصداقة الوطيدة مع شعوب العالم الاشتراكي وشعوب العالم الثالث التي تقف موقف العداء مع الاستعمار ، والاخذ بأسباب الخروج من دائرة التخلف الى عصر الانجازات العلمية والثورة التكنولوجية ، وجب أن نضيف اليها سلاح البترول كسلاح استراتيجي هو الاخر ، بحيث تصبح هذه الأسلحة مجتمعة هي الكفيلة بحسن الاستخدام ودقة التوقيت ، وبراعة التنسيق بينها أن تحقق وبكل تأكيد نصرا حاسما في معارك التحرر من جهة والتقدم من جهة أخرى .

كما أننا نرجو أن تكون تلك الدراسة قد أوضحت أن سلاح البترول وحده ، انما هو سلاح

متعدد الاستعمالات ، اما للضغط فحسب ، أو للحسم فى نهاية الامر كذلك ٠ وأوضحت أن ثروتنا العربية هذه هى عماد التقدم الغربى كله من دول أوربا الى امريكا ، وأنه لا بديل متاحا عنها حاليا ، **وان ايقاف البترول لبضعة شهور يمكن أن يؤدى الى اهتزاز كبير للاقتصاد الامريكى ، واحتمال توقف للاقتصاد الغربى** ، واننا نستطيع تحمل قحط الدخل ـ وهو ما لن يحدث بفضل الارصدة العربية التى مازالت هى الاخرى سندا اقتصاديا ضخما للغرب الاستعمارى ـ أكثر مما يستطيع الغرب تحمل قحط البترول ٠ كما أبرزت أن نصيبنا مما تنتجه ثروتنا ليس الا النزر اليسير حتى اذا أممنا البترول بالكامل فهناك من بعد الاستخراج ، التكرير والنقل والتوزيع ، وعوائدها أضعاف أضعاف الاستخراج وحده ٠ بل ان حقل البتروكيماويات تمثل أرباحه عشرات أمثال ما يمكن أن نحصل عليه باجراءات مثل المشاركة فى رؤوس أموال شركات الاستخراج مهما ارتفعت نسبة المشاركة ٠ وان هذه الاخيرة ـ وان كانت شعارا مقبولا الا أنه ـ بمثابة أضعف الايمان فى استنقاذ جزء من ثروتنا التى يصير استنزافها حاليا ، ناهيك بما اذا نظرنا اليها فى ضوء معركة لابد أن تحسم ، وأرض يجب أن تتحرر ، وشعب يجب أن يسترد حقه فى أرضه ٠



ولقد قيل الكثير حول كون اسرائيل قد زرعت فى المنطقة لتلعب دورا أساسيا فى المحافظة على مصالح الاستعمار وشركاته ، ولسنا بحاجة الى تكرار ذلك أو الاضافة اليه ٠ ومن ثم يبرز التساؤل أين موقعها من هذه الثروة العربية الرئيسية ، وما دورها فى استغلالها ٠ وهى تساؤلات يمكن الاجابة عليها بتتبع نشاط اسرائيل فى هذا المجال وهو أمر ميسور ٠

ولكنه يجب أن يكون فى اعتبارنا عند معالجة أمور اسرائيل امران : **الاول** انندقق البحث سعيا الى الحقيقة عملا بالقاعدة الاساسية أن « اعرف عدوك » ، ولكن بشرط ألا نقع كذلك فى محظور التهويل فذلك الان هدف رئيسى للعدو حتى يوقعنا فى براثن اليأس . **والثانى** أن شعوبنا ـ وعلى الاخص شعب مصر ـ عاش آلاف السنين يقبل التحدى ويتخطاه ، وتوضع أمامه المصاعب ولكن يشق طريقه خلالها ، حتى أصبح جزءا من تركيبه النفسى والمزاجى أن يتحرك أشد الحركة ، ويكشف عن معدنه القوى كلما زاد التحدى الذى يواجهه ٠



لقد سبق اهتمام الاسرائيليين بالبترول تكوين **دولة اسرائيل ذاتها ؛ فمنذ عام ١٩٢٠ بدأت تتكون** شركات اسرائيلية لتمارس النشاط البترولى من استيراد وتكرير وتوزيع فى رعاية الشركات الامريكية الكبرى (فاكيوم أويل ثم موبيل ويل) وظلت تعمل تحت الانتداب حتى تكونت الدولة فتحولت الى شركات اسرائيلية خالصة دفعت وتساهم فى تطوير الاقتصاد الاسرائيلى ٠ ومنذ عام ١٩٣٩ أنشىء معمل حيفا لتكرير البترول بطاقة تزيد على ٤ر٥ مليون طن سنويا ، وهو ما يزيد عشرات المرات عن استهلاك فلسطين فى ذلك الوقت ، بل ما زال هذا المعمل وحده يزيد فى طاقته الانتاجية عن استهلاك اسرائيل كلها حاليا .

ولكن رغم النشاط الواسع لرؤوس الاموال الاسرائيلية تحت ظل الانتداب فانه يمكن اعتبار ان نمو النشاط البترولى فى اسرائيل فى مجالات الاستخراج ثم النقل والتكرير والبتروكيماويات قد نال دفعة قوية بوجود الدولة ذاتها فى ١٩٤٨ ٠



فى مجال الكشف والاستخراج

نشطت اسرائيل نشاطا واسعا فى البحث عن البترول داخل الاراضى التى استولت عليها فى عام ١٩٤٨ بما يعنيه ذلك من التوسع فى النشاط الجيوفيزيائى ودراسة طبقات الارض ، والبحث فى تركيب طبقات الصخور البركانية فى السهول الساحلية ، وحفر الابار الاستكشافية وغير ذلك من اوجه النشاط ، الى حد أن هناك سبع شركات اسرائيلية تملك امتيازات وحقوق للتنقيب فى مساحات تصل الى مليون فدان ٠

ومع هذا النشاط الواسع فقد كان حظها من الثروة البترولية ضئيلا للغاية ، وتركزت النتائج المحققة والابار المنتجة حتى الان فى منطقة حلتس برور فى الجنوب على موازاة قطاع غزة ، كما اكتشف الغاز الطبيعى فى منطقة روش روهار (حرض) بالقرب من البحر الميت ٠ وانتاجهما سويا لايمثل اكثر من ١٠ فى المائة من احتياجات اسرائيل من الطاقة ٠



فى مجال التكرير

وعلى عكس الموقف فى مجال الاستخراج والذى لم يزد حتى عام ١٩٦٧ عن ربع مليون طن من الخام ، والاستهلاك المحلى الذى تراوح حتى ذلك الوقت حول ٣ ملايين طن نجد أنها كانت تمتلك معمل تكرير حيفا الذى زيدت طاقته الى ٥ر٦ مليون طن سنويا ، وشرعت فور النكسة فى انشاء معمل

تكرير للبترول فى أسدود عند نهاية خط الانابيب الذى كانت تنشئه فى نفس الوقت (١٩٦٨) بطاقة تصل الى مليونى طن ، كما تتوارد الانباء حاليا عن انشائها لمعمل تكرير فى ايلات يخصص لبترول سيناء المغتصب بطاقة حوالى مليونى طن اخرى . ومن ثم قد ترتفع طاقة التكرير فى اسرائيل الى ١٠ مليون طن سنويا ، وهو ما يضعها فى المرتبة الرابعة بين دول الشرق الاوسط فى هذا المجال .

● ● ●

فى مجال النقل والتوزيع

ساعدت مساحة اسرائيل المحدودة (قبل ١٩٦٧) على أن تمتلك شبكة داخلية من خطوط الانابيب لتوزيع البترول والغاز على مناطق الاستهلاك أهمها أنبوب ايلات حيفا ، وعديد من مراكز التخزين للمواد البترولية عامة .

ولكنها بعد حرب ١٩٦٧ قامت بانشاء خط الانابيب ايلات - عسقلان بطاقة ٢٢ مليون طن سنويا يمكن رفعها الى ٦٠ مليون طن . ويمكن تقدير قيمته الفعلية اذا نظرنا الى خريطة خطوط الانابيب فى المنطقة والتى نوردها فيما يلى :

١ - خط أنابيب شركة نفط العراق : (الذى أمم أخيرا) ويمتد من كركوك بشمالى العراق الى سوريا حيث يتفرع الى خطين احدهما يصل الى ميناء بانياس السورى ، والثانى الى ميناء طرابلس بلبنان وطاقته ٥٥ مليون طن سنويا .

٢ - خط التابلاين ويمتد من شرقى السعودية الى صيدا بلبنان عبر سوريا والاردن وطاقته الكاملة ٢٥ مليون طن سنويا .

كما يوجد مشروعان لخطوط الانابيب هما :

٣ - خط الاهواز - الاسكندرونة الايرانى التركى وطاقته ٦٠ مليون طن سنويا .

٤ - خط السويس - الاسكندرية وطاقته ٨٠ مليون طن سنويا .

● ● ●

فى مجال الصناعة البتروكيماوية

استهدفت اسرائيل فى خطتها الخمسية ١٩٦٥ - ١٩٧٠ بالنسبة للصناعات الكيماوية عامة ، ومن بينها البترو كيماويات أن يؤخذ فى الاعتبار استخدام المواد المحلية بالاضافة الى المواد الوسيطة من انتاج المصانع الكيميائية الاجنبية كوسيلة للتجارة ذات الاتجاهين مع البلدان الصناعية بالاضافة الى تبادل الخبرة والتكنولوجيا ، وانشاء مصانع فى البلاد النامية ، واقامة معاهد مشتركة مع الاخيرة لدراسة المشاكل الطبية والزراعية وايجاد الحلول المناسبة لها بمساعدة المنتجات الاسرائيلية ، وتدريب الايدى العاملة على المهارات الصناعية فى مراكز تدريب تقام داخل المصانع الكيميائية الكبيرة بمساعدة الدولة .

تميزت الصناعة الكيميائية فى فلسطين قبل ١٩٤٨ بالضعف عامة واقتصارها على الورش والمصانع الصغيرة ، ولكن منذ بدأت مصانع الاسمدة بالانتاج فى عام ١٩٤٧ وعملية استخراج الفوسفات فى ١٩٥٢ قامت فى بداية الخمسينيات مصانع كيميائية عديدة فى صحراء النقب ، ومصانع للكيمياء الكهربائية فى الشمال ، وظلت فترة الخمسينيات تستغل فى اكتساب الخبرة الفنية والمهارات والتجهيزات الالية الحديثة فى ذلك الحين .

ولكن نقطة التحول فى تلك الصناعة تمت فى ١٩٦٢ ، اذ توسعت مصانع الكيمياء الكهربائية فى عكا ، وأضيف اليها مصنع خاص لانتاج مادة كيميائية أساسية هى كلوريد البوليفينيل ، كما بدأ العمل فى اقامة معمل لزيوت التشحيم ، والحقت بمعامل التكرير منشآت جديدة لانتاج الايثيلين والبولى ايثيلين العالى الضغط والاسفلت والكربون الاسود .

ورغم السوق المحلى الصغير بالنسبة لصناعة البتروكيماويات ، ونظرا لما يصحبها من مخاطر ، خاصة فى مراحلها الاولى ، الا أن توفر الاستثمارات - التى اعتمدت على المساعدات المالية المقدمة من بنك التصدير والاستيراد الامريكى ، والاتفاقات الثنائية مع الدول المتقدمة التى تقوم على أساس التنسيق بحيث تختص كل دولة بانتاج أنواع المواد الوسيطة لدى الدولة ذات الظروف الاكثر ملاءمة من حيث الحجم الاقتصادى وانخفاض التكلفة ، وتخطيط اقامة المشروعات المكملة التى تقوم على استخدام منتجات تلك الصناعة مثل صناعة البلاستيك التى يوجد منها ما يربو على المائة شركة ، والسلع المصنوعة من المطاط والتى يقوم عليها حوالى خمسين شركة ، كل ذلك ساعد على ان تدخل اسرائيل مجال تلك الصناعات بطاقة تبدو أول الامر غير اقتصادية سرعان ما زيدت لتصل الى الاحجام الصالحة .

وصار لدى اسرائيل مجمع للصناعات البتروكيماوية يمارس نشاطه فى عديد من الاتجاهات يمكن تلخيصها فيما يلى :

● فى انتاج البتروكيماويات الوسيطة ، تنتج ٢٤٠٠٠ طن ايثيلين ، ١٧٠٠٠ طن من البولى ايثيلين ، ١٠٥٠٠ طن من أسود الكربون .

● وفى الاسمدة تنتج ١٧٠٠٠ طن من نترات الامونيوم ونترات الكلسيوم ، ٧٠٠٠٠ طن من

كبريتات الامونيـــوم ، ٤٠٠٠ طن من نترات الامونيوم السائل .

● ومن مواد البلاستيك تنتج ٥٠٠ر١٠ طن من البولى فينيل كلوريد ، ٢٦٠٠٠ طن من راتنجات البولى استر .

● ومن الالياف الصـــناعية ١٥٠٠ طن من اسايلون ، ٢٥٠٠ طن من البولى اكريلونتريل .

● ذلك عدا الكبريت حيث تنتج ١٦٥٠٠ طن ، والمنظفات الصناعية ٢٥٠٠٠ طن .

وحقيقة أن معظم هذا الانتــاج يستهلــك فــى الداخل ، ولكن كان مستهدفا أن يتضاعف تصدير الصناعات الكيماوية عامة حتى عام ١٩٧٠ .

كما أن الدراسات التى تمت خلال ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠ بينت أن هناك حاجه وامكانية لانتاج مواد أساسية اخرى مثل الايثينول كمادة وسيطة فى الصناعات البتروكيميائية ، والبوليبروبيلية كمادة اولية فى صناعة اللدائن والميثانول كمـــادة وسيطة لانتاج النورمالديهايد وغيره . كما كانت (حتى عام ١٩٧٠) تدرس مشاريع أخرى لانتاج البوليسترين والمطاط الصناعى .

ومن هذا الاستعراض يتضح أن اسرائيل دخلت فعلا ، وتطورت قدراتها فى مجال الصـــناعات البتروكيماوية التى تمثل الاستغلال الاقصى للثروة البترولية .



من أين يأتيها البترول

لا يمثل البترول المستخرج محليا ، وكذلــك الغـازات الطبيعيـــة أكثر من ١٠ فى المائة من احتياجات اسرائيل من الطاقة ، وهو ما يدفعها الى تكثيف بعض الجهد فى سبيل الاطمئنـــان الى مصادر محلية للطاقة تتمثل فى محاولات لاستغلال الطاقة الشمسية أو طاقة الهواء ، والاستفادة من الطاقة الذرية ان استطاعت ذلك . ولكن تظل هذه المصادر دون الاحتياجات بكثير ، مما يـدفعها بالضرورة الى الاعتماد شبه الكامل على البترول .

وقد تميزت الامدادات البترولية الى اسرائيل بفرض نطاق كثيف من السرية عليها ، ولكن جهود المقاطعة العربية استطاعت أن تكشف الستار عنه بحيث أصبح معروفا أن امداد اسرائيل يعتمد على زيت شركة النفط الايرانية ، وعلى مصادر أخرى مثل مجموعة ايركون العضو فى الـكونسورتيوم الايرانى الذى يمثل مصالح أمريكيـــة وبريطانيـــة وهولندية ، والوسطاء الذين يحولون شحنـــات بعض المصـــادر المختلفة من وجهتهـــا المعلنـــة الى ايلات . كمـــا تجمعت بعض الادلة لـــدى مكاتب المقاطعة العربيـــة على أن بعض نـــاقلات البترول التى تنقل البترول العربى تفرغ حمولتها فى عرض البحر فى مواجهـــة شواطىء شمـــال افريقيا الى ناقلات بتـــرول اسرائيليـــة ، وهكذا تتجنب الذهاب مباشرة الى الموانى الاسرائيلية وتتحايل على أنظمة المقاطعة . وقد كشف عن هذا التحايل عندما عجزت بعض الناقلات عن تقديم وثائق تثبت تفريغ حمولتهـــا فى مـــوانى غـــير اسرائيلية .

وحين سئل رئيس وزراء ايران عن أسبـــاب سماح بلاده بتسرب بترولها الى اسرائيـــل قال : « ان البترول الايرانى لا يعود ملكا لنا بعد شحنه من موانينا » .

أما بعد يونيو ١٩٦٧ ، واحتلال اسرائيل لسيناء فقد عملت على استغلال بترولها الى أقصى درجة بحيث قد رفعت طاقة الاستخراج حوالى الاربعة أمثال خلال الخمس سنوات الماضية لتؤمن على الاقل احتياجاتها الذاتية كاملة من مصادر تحت يدها ، ووصلت الكمية المستخرجة الى ٥ر٦ مليون طن فى عام ١٩٧١ .



وعلى هدى مما سبق سرده ، وعـــديد آخر من المعلومات يمكن أن نتصور وضع اسرائيل والبترول العربى فى الشرق الاوسط على هيئة الحقـــائق التالية :

● **أن الموارد الإسرائيلية من البترول والغاز الطبيعى شحيحة للغاية** ، وأنها وان كانت تعتمد فى تدبير احتياجاتها حاليا على بترول سيناء فى الاساس ، الا أن ذلك وضع الى زوال يوم تحسم المعركة قضية الارض التى احتلت ، والثروة التى يصير نهبها . ومع أن الصلف والغرور الاسرائيلى قد دفع بها الى عمليات للاستكشاف فى سيناء وفى مياه البحر الاحمر المواجهة لها ، الا أن الجهد المبذول ليس بالصورة التى أوصلت الى أى نتائج ويبدو أنه لا يراد الوصول الى نتائج ، قدر الرغبة فى الاستفادة الدعائيـــة ، وكسلاح من أســـلحـــة الحرب النفسية .

وقد لا يتلاءم بترول سيناء مع قدرات التكرير الاسرائيلية ، مما يدفعها الى انشاء معمل تكرير فى ايلات يتخصص لهذا النوع من البترول . الا ان ذلك البترول الذى يتم نهبه يمكن دائما المبادلة به على الاقل ، أو استغلال منتجاته الثقيلة ـ التى يتميز بها ـ مع تسويق المنتجات الخفيفة ، وهى قاعدة تسير عليها اسرائيل منذ زمن طويل .

● **ولكن قدرات التكرير لديها ترتفع كثيرا عن انتاجها الذاتى ، كما تزيد كثيرا عن احتياجاتها** ، وان تلك القدرات تتميز باحتوائها على عـــديد من الاعمال اللازمة لانتاج العديد من المنتجات من بنزين الطائرات ـ الذى تتخصص فيه شركة باز ـ الى المنتجات الاولية لصناعة البتروكيماويات ، فهى تقوم بعمليات التقطير ، واعادة المعالجة ،

والتكسير البخارى ، والزيوت المعدنية ، والاسفلت عدا المواد البتروكيماوية السابق ذكرها .

وتتركز قدرات التكرير فى ثلاث معامل – حيفا وأسدود ، وايلات – بنسبة تقريبية هى ٦٠:٢٠:١٥ تقريبا ، ويمكن أن تقع هذه المعامل بحكم الوضع الجغرافى والمساحة الاسرائيلية تحت ضغط اليد العربية .

● وأن اسرائيل **تولى النقل والتوزيع أهمية خاصة** فرغم كونها لا تمتلك من ناقلات البترول الا عددا ضئيلا ومعظمه يعمل ساحليا فحسب ، الا أن نشاطها فى انشاء شبكة التوزيع الداخلية قديم ، وانشاءها لخط الانابيب الكبير يكشف عن رغبتها فى الاستفادة من عائد النقل عن طريقه ، ولا نقول منافسة قناة السويس أو خط الانابيب المصرى (الذى جاء بعد الخط الاسرائيلى) فكمية البترول التى ينتظر أن تنقل من حقول الشرق الاوسط كبيرة بحيث تستهلك طاقة كل الخطوط القائمة والمشروعات الجديدة وقناة السويس •

● وأنه تمشيا مع خطة اسرائيل فى المشاركة فى العوائد الضخمة التى يحصل عليها كل الذين يحصلون على بترول الشرق الاوسط ، **فانها دخلت حقل الصناعات البتروكيماوية** بطاقات تزيد على مجرد احتياجاتها الخاصة ، وفى ارتباط مع شركات عالمية سعيا الى فتح أبواب التسويق أمامها ، ولتوفير المستلزمات لعديد من أوجه النشاط الاقتصادى الداخلى فى صناعات الاسمدة والبلاستيك والمطاط . مما يجعل المراكز الاساسية لهذا النشاط نقاط بداية ، ومحاور لقدر كبير من القدرة الاقتصادية الاسرائيلية • هذا واذا كانت النشاطات المكملة منتشرة فى البلاد ، فان مراكز انتاج المواد الاساسية تكاد تكون مركزة فى حيفا وعكا .



نخلص مما سبق ان البترول ، وان كان لا يمكن أن يكون مؤثرا كسلاح مرحلى فى المعركة مع اسرائيل ، بفضل اعتمادها اليوم على امداداتها الذاتية – من استخراج وتكرير ونقل وتوزيع بتروكيماويات – ودون الدخول فى مجال شل القدرات الاقتصادية والمعركة – فذلك سلاح غير ما نعنيه بسلاح البترول – الا انه يمكن أن يكون سلاحا استراتيجيا فى المعركة التى ستطول ما طالت الغزوة الصهيونية المعاصرة ، فزيادة سيطرة العرب على بترولهم بمعنى أن يكون الكشف عنه واستخراجه تحت سيطرتهم هم الكاملة ، وأن يستمر تعاظم النسبة التى يقومون بتكريرها حتى يمكنهم التحكم فى جهات تسويق المنتجات المختلفة وخاصة تلك ذات الاستعمال الخاص أو التى تمثل بداية لنشاطات اقتصادية ، وأن يتزايد دورهم فى نقله اما بواسطة الناقلات العربية او بخطوط الانابيب ، أو باحكام المقاطعة على كل الناقلات التى لا تعلن عن وجهتها وتثبت ذلك . نقول ، اذا فعل العرب هذا فستظل اسرائيل بعد تحرير سيناء لا تجد لها مصدرا غير البترول الايرانى الذى يمكن عندئذ النظر فى الموقف منه •

ولكن يظل البترول – مع ذلك – سلاحا حاسما للمعركة الحالية ، اذا ما اتحدت كلمة العرب وراء طليعتهم المعادية للاستعمار ، واوقف ضخ البترول لعدد من الشهور تكون القوى التى خلف اسرائيل قد خضعت هى للمطالب العربية وما عليها الا أن تردع ربيبتها ان ارادت لنفسها الحياة .

يكتب هـــذا المقـــال الكاتب
اللبنانى التقدمى نخله مطران

الأحـــزاب الســـياسـية فى لبنـــان

ودور المـــــرأة

فى عمليــة التحـــرر
السياسى والاقتصـــادى
والاجتمـاعى والثقـافى



نخلة مطران

سنحاول ان نقدم بامانة علمية ، ومن موقع الباحث الملتزم ، صورة واضحة عن مفهـوم الاحزاب السياسية فى لبنان لواقع المـرأة فـى مختلف مجالات الحيـاة ، ولدورهـا فى عمليـة التحـرر السيـاسى والتحـولات الاقتصـادية والاجتماعية والثقافية .

لن نسترسل فى عرض النصوص ولن ندرس ما يهمنا منها دراسة شكلية تفسيرية ، بل من خلال تطور مجتمعنا اللبنانى والعربى ، ونشأة الاحزاب وبنيتها وتركيبها العضوى ، ورؤيتها لـلانسان اللبنانى ، وممارساتها السياسية .

ولن يغيب عن بالنا ما تسود الاوساط الثقافية والشعبية من مناقشات عديدة متباينة حول ما نعانيه من تبعثر وتخلف على أكثر من صعيد ، ولاسيما على صعيد التحرر والانعتاق عموما ، ومفهومنا لتحرر المرأة ومساواتها بالرجل بنوع خاص .

فمن جهة تطلع دعوات عفوية لا مسئولة تتجاهل وجود عناصر تفتح وتقدم وابداع فى تـراثنا الحضارى فتنظر الى قضية التحرر والمساواة عبر الانقطاع التام بين ما نبغى الوصول اليه وبين هذا التراث . ومن جهة أخرى مواقف قائمة على الدفاع عن امتيازات ومصالح مستمدة من واقع التخلف ومغلفة بالغيرة الكاذبة على التراث ، مع العلم أن الكثير من عناصره قد شاخت ، وفى هذا الثلث الاخير من القرن العشرين ، الذى تطورت فيه وتيرة العلاقات البشرية وتبدلت معارف الانسان وافكاره وقواه جميعا . فأصبحت الحاجة ماسة الى ان نستوعب بعمق حركة تطور التاريخ ، ونخطط لتحويل حياتنا الاجتماعية والسياسية ، ونناضل لاعداد أنفسنا اعدادا علميا وعقلانيا لكى نهضم كل أصيل فى الجديد ، ونتمكن من انجاح هذا التحول

وتبديل حاضرنا ، فنصبح بدورنا ، رجالا ونساء ، خلاقين مولدين ، مؤثرين في حركة التطور التاريخي .

وبعد ، لابد من تقسيم الاحزاب اللبنانية الموجودة على المسرح السياسي من خلال تصورها لحقوق المرأة السياسية والمدنية ؛ ولسبل تحقيق التحرر والمساواة :

اولا ـ الاحزاب التي سلمت بحقوق المرأة السياسية فقط ، ولا تتعرض لقانون الاحوال الشخصية :

هذه الاحزاب التي تكون معظمها في مرحلة الانتداب الفرنسي ، تتصل عضويا بالاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة . وهي ، على تناقضاتها وصراعاتها ، معروفة باحزاب النظام الشرعية ، انها تعبر ، باشكال وبنسب مختلفة ، عن مصالح التحالف الطبقي القائم بين الاقطاع السياسي الطائفي والمحاور التجارية الاحتكارية ، في ظل سيطرة الرأسمال المالي الامبريالي ، أو عن مصالح طرف من أطراف هذا التحالف ، وتتغذى منه :

ـ الحزب الدستوري
ـ وحزب الكتلة الوطنية .
ـ وحزب الكتائب اللبنانية .

ـ وحزب الوطنيين الاحرار الذي تأسس في سنة ١٩٥٩ في جو الانفعالات الطائفية التي تراكمت أثر حوادث سنة ١٩٥٨.

ـ وحزب النجادة الذي تكون في مواجهة منظمة الكتائب (الفالانج)

ـ وحزب الهيئة الوطنية ، الذي ساعد على تكوينه رياض الصلح ، والذي يعبر عن مصالح البورجوازية التجارية الاسلامية في بيروت ، والذي ورث فيما بعد قسما من اعضاء حزب النداء القومي ، الذي اسسه كاظم الصلح ، والذي زال من الوجود .

ـ فضلا عن احزاب الاقلية الارمنية : الطاشناق والهنشاق والرمفغاز .

هذه الاحزاب كلها سلمت بحقوق المرأة السياسية التي أصبحت كاملة حين صدر قانون ٢٤ نيسان ١٩٥٧ فأقر حق الاناث بالاقتراع بالمساواة مع الرجل . وقد جاء هذا الاقرار للاناث بحقوقهن السياسية تنفيذا للاتفاقية الدولية المتعلقة بحقوق المرأة السياسية التي وقع عليها لبنان في ٢٤ شباط ١٩٥٤ ، فاجاز البرلمان بابرامها بموجب القانون الصادر في ٢٩ ـ ١١ ـ ١٩٥٥ .

والجدير بالذكر ان المرسوم الاقتراعي رقم ٦ الصادر في ٤ ـ ١١ ـ ١٩٥٢ الذي عدل قانون الانتخاب الصادر في ١٧ حزيران ١٩٥٠ كان قد مهد الى ذلك باقرار هذا الحق للاناث الحائزات على شهادة التعليم الابتدائي فقط .

وعلى الرغم من ان هذه الاحزاب قد سلمت بمضمون قانون الارث لغير المحمديين الصادر في سنة ١٩٥٩ والذي يساوي المرأة غير المحمدية بالرجل في الحقوق الارثية ، وعلى الرغم من انها تقول بين الفترة والفترة بوجوب تطهير المجتمع اللبناني من جراثيم الشقاق الطائفي ، وعلى الرغم من ان بعض الناطقين باسم حزبي الكتائب والكتلة الوطنية يصرحون بوجوب اقرار الزواج المدني الاختياري ، على الرغم من ذلك يظل كلام هؤلاء الناطقين عن هذه الامور وعن العلمانية وعن المرأة المحررة سياسيا واجتماعيا ، كلاما للاستهلاك فالمصالح التي تستبد بتصرفات القائمين على هذه المجموعات السياسية هي في اساس انعدام الرغبة الفعلية في التصدي لاسس المعضلة .

ثانيا ـ الاحزاب التي تقول بعلمنة الدولة وبالمساواة بين المرأة والرجل :

١ ـ الحزب السوري القومي :

وقد افرزته الظروف الاقليمية والدولية التي نشأت اثر الحرب العالمية الاولى ، وفي جو اشتداد خطر الفاشية والدعوة الى اقامة « نظام جديد » ، ليس في اوروبا فحسب بل في العالم أجمع ، لمواجهة ما سمي وتنشذ بالخطر الشيوعي على المدينة المسيحية !!

لقد جاء في مقدمة دستور الحزب الموضوع في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٣٤ ، والمصنف في ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ ما حرفيته :

« تأسس الحزب السوري القومي بموجب تعاقد بين الشارع صاحب الدعوة الى القومية السورية وبين المقبلين على الدعوة ، على ان يكون واضع أسس النهضة السورية القومية زعيم الحزب مدى حياته ، وعلى ان يكون معتنقو دعوته ومبادئه اعضاء في الحزب ، يدافعون عن قضيته ويؤيدون الزعيم تأييدا مطلقا في كل تشريعاته واداراته الدستورية . . الخ » .

ثم ان الشارع قسم مبادىء الحزب السوري القومي الى قسمين :

يختص الواحد بالعقيدة القومية وينطوي على المبادىء الاساسية

ويختص الثاني برفع مستوى الامة ويشتمل على المبادىء الاصلاحية .

والقسمان يؤلفان قضية واحدة هي قضية الامة السورية وارتقائها .

أن ما يهمنا في موضوع بحثنا ، ما ورد في المادة الثالثة من الدستور حول المبادىء الاصلاحية وهي :

● المبدأ الاول : فصل الدين عن الدولة .

● المبدأ الثاني : منع رجال الدين من التدخل في شئون السياسة والقضاء القوميين .

● المبدأ الثالث : الغاء الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب .

● المبدأ الرابع : الغاء الاقطاع ، وتنظيم الاقتصاد القومي على اساس الانتاج وانصاف العمل وصيانة مصلحة الامة والدولة .

فعلى هذا الاساس يمكن تصنيف الايديولوجية السورية القومية بانها في جوهرها فاشية : من حيث تأليه الامة والدولة وافراغ مفهومهما من أي مضمون طبقي ، والتأكيد على « الوحدة المجتمعية المشتركة » و « الوحدة الحياتية » وضرورة اقامة العدل الاجتماعي ـ الحقوقي والعدل الاقتصادي الحقوقي ، ومن حيث ظهورها كمدافعة عن المناقبية والاخلاق ، ومعاداتها العنيفة للشيوعية ، واستعمالها لفظية معادية للرأسمالية ، واعطائها طابعا شوفينيا مرضيا لاشد الاماني الوطنية شرعية ، واطلالتها على الناس ، وكأنها حاملة راية « نظام جديد » ومع ذلك لقد اتخذت الايديولوجية السورية القومية أشكالا وفقا للشروط التاريخية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالاقطار المعنية وبكل مرحلة من المراحل التي اجتازتها كبلدان مستعمرة في السابق تدخل حاليا في عداد بلدان العالم الثالث . فاذا كان السوري القومي يدعو الى اخضاع الناس جميعا وفي اي شأن من شئونهم الحياتية لتشريع واحد ينظم احوالهم الشخصية وعلاقاتهم المدنية والتجارية وغيرها ، واذا كان يدعو الى محاربة الاقطاع في الريف ، والى تأمين التعاون بين الرأسمال والعمل والى مشاركة العمال في ارباح المعامل ، الا انه لا يمس اسس النظام الرأسمالي الذي ينمو ويتطور على انقاض الاقطاعية ويفرز اقطاعيات من نوع جديد . كما انه لا يخرج في مفهومه لتحرر المرأة والمساواة بينها وبين الرجل عن اطار المفهوم البورجوازي للعلمانية ، غير آبه بالشروط الاقتصادية،والاجتماعية والثقافية الضرورية ، لكي تندرج المرأة في مسيرة التحرر العام من الاستثمار والاضطهاد على أنواعهما .

وفي هذا المجال لابد من الاشارة الى ما نشرته جريدة « البناء » في عدد أول آذار سنة ١٩٧٢ في « سلسلة نظرات في المساواة » ينقد فيها سعاده كتاب « المساواة » للكاتبة مي زياده .. ويظهر في نقده هذا ، كما ظهر فيما بعد ، في مواقع متقدمة ولاشك عن دعاة تعدد انظمة الاحوال الشخصية في بلد واحد ، ولكنها مواقع مشدودة الى المفاهيم التقليدية حول دور المرأة في المجتمع .

٢ ـ الحزب الديمقراطي :

تأسس في سنة ١٩٦٩ ، ووردت في الباب الاول من ميثاقه المبادىء الاساسية :

اولا : لبنان دولة عربية مستقلة

ثانيا : يشارك لبنان سائر البلدان العربية نضالها لتجاوز رواسب القبلية والطائفية والسلفية وللتحرر من التخلف ، كما يشاركها نضالها ضد الاستعمار والصهيونية وضد التبعية الاقتصادية والسياسية .

ثالثا : مسئولية الجيل الجديد تفرض تجاوز النظام الراهن واقامة المجتمع الديمقراطي التقدمي كبديل جذري عنه .

كما ورد في الباب الثاني :

١ ـ النظام ، « ان نظام لبنان الجديد ينبع من حاجته لتجاوز تناقضاته الراهنة ، لذا فهو نظام وطني ، علماني ، ديمقراطي ، تقدمي ، مجتمعي ، عصري » ..

ويستطرد : « النظام علماني من حيث انه يستهدف :

أ ـ الفصل بين الدين والدولة والغاء الطائفية .

ب ـ سن قانون موحد للاحوال الشخصية .

ج ـ تعميم التعليم الرسمي وتعزيزه وفق تخطيط تربوي شامل يكفل انماء الشخصية والثقافة الوطنيتين .

ويتوجب علينا ان نشير الى ان الحزب الديمقراطي في بياناته المتتالية منسجم مع دعوته الى العلمانية : فمن بيان صادر في ٢٣ ـ ٢ ـ ١٩٧٠ تحت عنوان « لا للطائفية » ـ الى مطالبته بانهاء النظام الطائفي في لبنان (آذار ١٩٧١) ، باعتبار المادة ٩٥ من الدستور والمادة ٩٦ من المرسوم الاشتراعي رقم ١١٢ ـ ٥٩ بحكم الملغاة ، الى وضعه شرعة حقوق الشباب (١٧ نيسان ١٩٧١) ، الى بيانه في ختام مؤتمره المنعقد في ٨ و ٩ آيار ١٩٧١ الذي يحدد فيه استراتيجيته في الحقل الاجتماعي والاقتصادي ، مطالبا بتطبيق كافة فروع الضمان الاجتماعي وتوسيع نطاق شموله ، وبسياسة اقتصادية بالنسبة للقطاعات الاقتصادية الثلاثة مبنية على مبدأ التخطيط

ومراقبة المخطط ومبدأ مشاركة السلطة والمؤسسات العامة المهنية والقطاع الخاص فى شئون الانتاج الاقتصادى . الى مشروع قانون الاحوال الشخصية الذى يتناول الزواج والارث والهبة والوصية والتبنى الخ .. ويعتبر ان توحيد التشريع فى البلد الواحد هو من أجل مظاهر الديمقراطية وأكثرها لزوما لانه يؤمن المساواة بين المواطنين تأمينا لا زيف فيه ، ويتوخى تحقيق الديمقراطية ومراعاة حقوق الانسان ويحتم القانون الواحد والقضاء الواحد واستقلال التشريع عن المعتقدات الدينية والاقرار بمساواة المرأة والرجل وفقا لوثيقة حقوق الانسان المعلنة عام ١٩٤٨ ووثيقة مساواة المرأة والرجل المعلنة فى ٧ ـ ١١ ـ ١٩٦٧ .

فضلا عن أن الزميلة الاستاذة لور جوزف مغيزل قد أعدت دراسة حول ما يتضمنه التشريع اللبنانى (الجزائى منه وغير الجزائى من مواد مجحفة بحقوق المرأة) .

واخيرا وضع الاستاذ جوزف مغيزل الامين العام للحزب الديمقراطى دراسة مطولة حول مشروع قانون الاحزاب والجمعيات ـ نشرت فى جريدة النهار يوم السبت فى ١٨ آذار ١٩٧٢ ، يبين فيها بأمانة علمية كيف أن أجهزة وزارة الداخلية « تنصب نفسها مرجعا فلسفيا وايديولوجيا ، تحاسب الاحزاب وتسلط على رأسها سلاح الحل والعقاب ، ورقيبا على ضمائر أعضاء الحزب ونياتهم ، اذ أعطت نفسها حق التدخل فيما يعتنقون من مبادىء على الصعيد الشخصى وتجرى هذه المعتقدات بالطرق التى ترتئيها » .. ويؤكد الاستاذ مغيزل على أن النظام الديمقراطى الصحيح الذى نصت عليه المادة ٢١ من المعاهدة الدولية المتعلقة بالحقوق المدنية والسياسية لا يسلم اطلاقا بالقاعدة التى اعتمدها مشروع الحكومة .

وفى هذا المجال ينبغى التنويه الى انه اذا قام حزب أو عدد من الاحزاب السياسية أو الهيئات والجمعيات الاجتماعية والثقافية بالمطالبة بتعديل المادة التاسعة من الدستور اللبنانى التى تنص على أن الدستور « يضمن للاهلين على اختلاف مللهم احترام نظام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية » ، يقع تحت طائلة القانون ويعرض وجوده للزوال ، اذ أن السلطة يمكنها أن تصف النضال من أجل التعديل هذا تفرقة بين عناصر الشعب واخلالا للامن العام !!! .

الحزب الديمقراطى الذى يضم فى صفوفه مجموعة من المثقفين من مختلف الطوائف ومن أوساط البورجوازية المتوسطة والصغيرة ، يعبر فى تطلعاته العلمانية والديمقراطية عن رفض أغلبية المثقفين فى هذه الاوساط لواقع نظام الطوائف والاقطاع السياسى والاقتصادى ولاحزاب هذا النظام على تنوعها وتناقضاتها .. الا أن الامانى الطيبة والتطلعات العلمانية الديمقراطية لن تقوى على السياج المتشعب من القوى الدائرة فى فلك النظام فتغذيه وتتغذى منه والتى تمارس ضغوطات على المواطنين ، نساء ورجالا ، تضع حرياتهم وحقوقهم رهنا بالتوجيهات المنظورة والخفية التى تعبر فى كل مرحلة عن واقع ميزان القوى الاجتماعى والسياسى ، الداخلى والعربى والدولى .

ان الواقع أشد من التأملات النظرية ، والواقع الطائفى الجاثم على الحياة السياسية بكافة أوجهها يتصل اتصالا عضويا بالاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة .

انها لناحية أساسية فى حياة العاملين فى صفوف الاحزاب التى تتحرى فى لبنان الظاهرات الدستورية والقانونية الاخرى بغية دراستها وتلمس الوسائل الكفيلة بتبديلها .

كيف يمكن تصور عملية تحرر المرأة واقرار حقوقها السياسية والمدنية بصورة كاملة ، دون التوجه نحو القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة الفعلية والقادرة على تحقيق التبديل فى الاوضاع السياسية والاجتماعية وفى القواعد القانونية ؟ .

كيف يمكن سلوك طريق التبديل الفعلى والتخلى عن مواقع الاندية (كنادى جان مولان مثلا) لاقتفاء أثر الاحزاب السياسية الفاعلة فى المجتمع ، اذاما أيقنا أن لابد من التخلى عن العقلية النظامية . Esprit Institutionnaliste

ليس القانون بحد ذاته عامل تقدم اجتماعى ، كما يقول البروفسور « هوسون » اذ انه محدد لعلاقات اجتماعية فى وقت معين ، وضابط لها .

فاذا كان يتوجب العمل دائما لاعادة التوافق بين الواقع القانونى الجامد والواقع الاجتماعى المتحرك ، فعلى الاحزاب السياسية الديمقراطية والتقدمية ان تتحرك مع الجماعات لكى تحرك رجال القانون من مشرعين وقضاة من أجل تحقيق تكييف القانون لمقتضيات تحولات الواقع وديناميكيته .

ثالثا ـ أحزاب اليسار الشيوعي والتقدمي الاشتراكي والبعثي :

١ ـ الحزب الشيوعي وسائر الحركات السياسية التي تتخذ الماركسية اللينينية كأساس نظري تبني عليه نشاطها :

يرى الحزب الشيوعي اللبناني ، كما ترى سائر الحركات التي تتخذ الماركسية اللينينية كأساس نظرى تبنى عليه نشاطها « أن الحرية الحقيقية للمرأة تكمن فى تحررها الاجتماعى ، تحررها من نظام الاستثمار والاضطهاد الرأسمالى وشبه الاقطاعى » ، وان قضية المرأة جزء من قضية تحرر جميع الفئات الكادحة التى لا يمكن أن تتحقق الا بالقضاء على الرأسمالية وبناء المجتمع الاشتراكى ، وهكذا يندمج نضال المرأة لتحررها بالنضال العام لتحرير المجتمع ككل » .

فعلى هذا الاساس يتوجه الشيوعيون الى النساء الكادحات فى المدينة والريف ، والى الطالبات وأساتذة الجامعات وسائر المثقفات ، ويعملون لتنظيمهن ولاشراكهن فى النضال العام لتحويل المجتمع تحويلا ثوريا .

وفي مجرى هذا النضال وضع الحزب الشيوعى فى مؤتمره الثانى المنعقد فى تموز سنة ١٩٦٨ المطالب الاتية :

١ ـ الغاء جميع اشكال التمييز تجاه المرأة في ميدان العمل والاجور والحقوق المدنية .

٢ ـ تحرير المرأة من كافة القيود الرجعية التى تنتقص من حقوقها ومساواتها بالرجل فى قضايا الزواج والطلاق وحضانة الاطفال والارث .

٣ ـ تطبيق القوانين السارية على موظفات الدولة وعلى العاملات فى القطاع الخاص .

٤ـ شمول قوانين العمل جميع العاملات فى مختلف المهن والقطاعات الصناعية والزراعية وشغيلات البيوت .

٥ ـ انشاء دور حضانة ورياض اطفال فى المدينة والريف للعناية بالاطفال لتسهيل ظروف المرأة العاملة ،وخاصة الامهات العاملات .

٦ ـ فتح مدارس مهنية رسمية للبنات ، ومدارس ليلية لتثقيف العاملات مجانا .

٧ ـ منع أصحاب العمل من ضرب العاملات واهانتهن ، ومن فرض العقوبات المادية عليهن .

وفي المؤتمر الثالث الذى انعقد بين السابع والعاشر من كانون الثانى ١٩٧٢ ، دعوة الى أن يكون النضال النسائى المقبل اكثر حزما وثباتا على جميع الاصعدة ، وأن يكون مستندا الى برنامج مطلبى محدد يحوى القضايا التالية :

١ ـ فتح كافة مجالات العمل أمام النساء .

٢ ـ الغاء التمييز اللاحق بالمرأة فى حقل الاجور والاقرار العملى بمبدأ الاجر المتساوى للعمل المتساوى ، وتأمين جميع الشروط الصحية الضرورية فى المؤسسات . وخاصة تلك التى تشكل النساء اغلبية ساحقة فيها (كالنسيج والريجى وغيرها) .

٣ ـ تحقيق مزيد من الضمانات والتأمينات الاجتماعية والصحية وتطوير تلك التى جرى تحقيقها .

٤ ـ تحديد ساعات العمل للعاملات الزراعيات اسوة بالمؤسسات الاخرى على أن يشملهن قانونا العمل والضمان الاجتماعى ، واعطائهن كافة الحقوق المطبقة فى فروع الانتاج الاخرى ، وخاصة حق التنظيم النقابى .

٥ ـ فتح مجالات التعليم أكثر فأكثر أمام المرأة والعمل بكل الوسائل من أجل محو الامية التى ما تزال متفشية بصورة معيبة بين النساء .

كما يولي الشيوعيون اهتماما بالجمعيات النسائية التى أنشأتها المرأة فى جميع مراحل تطورها لتحطيم القيود التى فرضتها التقاليد ، والقضاء على التمييز بين المرأة والرجل ، ومنها « لجنة الامهات » ، و « لجنة حقوق المرأة » التى عقدت مؤتمرها فى بيروت ، يومى ٦ و ٧ اذار الجارى ، وتلاه فى ٨ اذار الاحتفال بيوم المرأة العالمى . وقد وضعت دراسة عن « المرأة فى الريف » ودراسة عن « المرأة فى المدينة » ودراسة عن « دور المرأة فى العصر الراهن » . .

وقد ورد فيها أن « حرية المرأة لا تتجزأ . الا أن التطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى حتى اليوم وضع المرأة فى ظروف الحرمان من كثير من حقوقها الاولية . لقد كانت التشريعات والقوانين والتقاليد ، وما زالت لتكرس واقع عدم المساواة الفعلى للمرأة بالرجل ، رغم ما تبديه المرأة عمليا من كفاءات ، وتجعل للمسئوليات فى العائلة والمجتمع . بيد أن صعوبات كثيرة ما زالت تعترض المرأة سواء تلك الناتجة عن التقاليد التى حدت من تطورها أم من الظروف الموضوعية الحياتية التى تواجهها » .

والجدير بالذكر أن الكتاب اللبنانيين الماركسيين قد عالجوا قضية المرأة . وقد اسهمت كتاباتهم فى دفع قضية التحرر خطوات الى الامام . اننا نذكر منهم الطبيب الانسانى والمناضل الوطنى الدكتور جورج حنا فى كتاباته المتعددة ، ولاسيما فى كتابه حول « المرأة العربية » . كما نذكر الاديبين

الكبيرين عمر فاخوري ورئيف خوري ؟ وجميعهم رحلو عن هذه الدنيا وتركوا لنا تراثنا ثمينا .

وبعد ، ان الحركات السياسية التى تتبنى الماركسية اللينينيه كأساس نظرى لنشاطها ترى هى ايضا ان المرأة اشتركت فى ظل العلاقات الاقطاعية والسيطرة العثمانية ، فى الانتاج (الانتاج الزراعى بنوع خاص ، وكرخانات الحرير الخ ..) ، وكانت كالرجل ، تعانى استثمار **الاقطاعيين واضطهادهم : وان التقاليد الاجتماعية** كانت قيدا زاد فى صعوبة حياتها ، وحد من انطلاقها ، وانها اشتركت فى جميع الانتفاضات والحركات الفلاحية ، كحركة طانيوس شاهين ، ومع دخول الراسمالية اخذت ميادين نشاطها تتسع فى حقل الانتاج ، واخذت تعانى الاستثمار الراسمالى .. الخ وان نضالها للتحرر والمساواة يندمج بالنضال العام لتحرير المجتمع ككل .

غير اننا نرى أنه لابد من تعميق المنطلقات المشار اليها ورؤية كيف أن النظام الراسمالى ، باستخدامه على أوسع مدى كافة وسائل الاعلام (Mass Media) من سينما وراديو وتليفزيون ومجلات ونشرات ، وحتى من تنظيمه مباراة الجمال (ملكات الجمال) قد ادخل قضايا الانوثة والجنس فى النظام البضاعى وجعل من **الجنس** (Sexualité) بضاعة ، مادة استهلاكية ، على حد ما جاء فى كتاب برنار مولدورف ، [**الجنس والانوثة**] ، المنشورات الاجتماعية ، باريس .

Bernard Muldworf — «Senualité et Féminité»

وفى كتاب رايمنت رايش (Reimut Reiche) .

« الجنس ونضال الطبقات » . «Senualité et lutte de classes»

ترجمة دار الاداب ، بيروت .

وهى تسعى لاخفاء حقيقة العلاقات الاجتماعية بطبعها بطابع الجنس تسهيلا لاستمرارية الاستثمار الاقتصادى الحالى فى ظل الراسمالية الاحتكارية ، (رأسمالية احتكارية الدولة فى بلدان الرأسمالية المتطورة) .

ان دمج مجال الجنس بأسره فى النظام السلعى ، والانحطاط بالجنس الى مستوى السلعة ، واعطائه وظيفة أداة الاستهلاك ، وحرمان الجسم الانسانى من خصائصه الجنسية الطبيعية ، واضفاء مظهر جنسى على العلاقات الانسانية ، وعلى العلاقات بين الناس أثناء عملية الانتاج ، وكبت الدوافع الغريزية الطبيعية ، وحرفها فى الوقت نفسه نحو عدوانية محكومة . كل هذه الجوانب للتلاعب بالجنس ، ليست سوى أشكال يتجسد فيها الاستغلال الاقتصادى الحالى . وهذه الجوانب التى ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا ليست الا مظهرا من مظاهر الشكل الحالى للاستغلال . ولا يمكن لاى « استراتيجية جزئية » او اى « استراتيجية جنسية صريحة» أن تواجه هذا الاستغلال فى ظروف متساوية . فهذه « الاستراتيجية الجنسية » لن تجد مكانها الا فى المجال المتلاحم الاجزاء ، مجال الكفاح السياسى ، الدفاعى والهجومى ، ضد الراسمالية ، هذا الكفاح الذى لا يمكن أن تضاف اليه ، وانما يتعين عليها أن تندمج فيه » .

فاذا ما تطلعنا الى أن التليفزيون قد ادخل الى كل منزل وحتى فى الاحياء الشعبية والريف كل بضائع المجتمع الاستهلاكى ، ومن بينها الجنس المحول الى بضاعة ،فلو اضفنا ذلك الى بعض الافلام والمجلات كالف ليلة وليلة والشبكة وغيرها ، والى تفشى المخدرات ، لرأينا أن هذا المزيج من الشكاوى والاهاجى من ذكريات الماضى وصرخات المستقبل ، التى تصدر عن المتباكين على الفضيلة ، والذين لا يريدون مس الاقتصاد الحر ، لعاجزة عن فهم سير التاريخ ، فى الثلث الاخير من القرن فى مرحلة الثورة العلمية والصناعية ومضاعفاتها على كل المجتمعات الرأسمالية المتطورة ، وعلى البلدان الاشتراكية وبلدان العالم الثالث ، وعاجزة عن التصدى لمشكلة اباحية الجنس وتحويله الى بضاعة استهلاكية ، وستر تناقضات العلاقات الاجتماعية بستار جنسى . فلا فائدة من الضجيج والعربدة حول الاخلاق وهدم العائلة !

على اى حال ان الحركة الشيوعية مدعوة أيضا فى نضالها السياسى من أجل تحرير المرأة والمجتمع الى أن تواجه هذه المشكلة برؤية معمقة فاعلة ومؤثرة .

٢ ـ الحزب التقدمى الاشتراكى :

تتحكم بالحزب التقدمى الاشتراكى ، ظروف نشأته فى سنة ١٩٤٩ ، وخط سيره التطورى ، وما استحالت عليه بنيته ، وفى ضوء ذلك يبدو ، فى المعنى الواسع لكلمة اليسار ، من أهل اليسار ، ومن يسار النظام فى آن واحد ، فهو يتعامل معه ويناقضه ، يتأثر منه ويؤثر فيه .

أيديولوجيته اشتراكية تطورية اصلاحية مطعمة بتأثيرات ناصرية وماركسية

كان علينا ان نراجع مؤلفات الاستاذ كمال جنبلاط وما ورد على صفحات « الانباء » لسان حال الحزب الاسبوعية من أجل تحديد مفهوم الحزب لدور المرأة فى المجتمع :

١ ـ محاضرات باللغة الفرنسية اعطيت في بيروت ، تباعا في ١٧ نيسان ١٩٥٠ (الديمقراطية الاقتصادية) ، وفي ٢٤ نيسان ١٩٥٠ (الديمقراطية الاجتماعية) ، وفي أول حزيران ١٩٥١ (الديمقراطية السياسية) ومحاضرة حول الحركة القومية والمجتمعات الحرة (ميلانو ، في ١٢ ايلول ١٩٥٥) جمعت كلها في كراس مهدى الى زوجته مي .

٢ ـ كتابه عن الفكرة القومية وحقيقة القضية القومية الاجتماعية السورية يندد بالمدرجية وبسائر المنطلقات الفكرية للحركة ، ويكشف عن « فقيرية التفكير » .

٣ ـ ثورة في عالم الانسان .

٤ ـ فيما يتعدى الحرف .

٥ ـ ومنشورات أخرى .

انه لبادي التأثر بالفلسفة الهندية القديمة وبالاب تيارده شاردان وبالتيارات الاشتراكية الحديثة .

يعلن الحزب في ميثاقه (ص ١٤) « ان الحزب تقدمي باعتباره انه يتبنى العلم والتطور ومستتبعاته العملية في جميع الحقول » .

« **وبما أن المدنية مرتبطة** في الواقع بالعلم والتقنية المنبثقة عن المعرفة وبالمناقبية (علم الاخلاق) وبالنفسية الروحية من جهة أخرى ، وبمرحلة من مراحل تطور العنصر البشري ، فالتقدمية تعني اذن بصورة عملية تحقيق أعلى مدنية ممكنة للمجتمع البشري الحاضر » .

« ونعني بالمدنية ، لا المدنية الرأسمالية المادية القائمة التي لا تعني الا بجزء سطحي من شخصية الانسان . بل المدنية الكاملة التي تعني الانسان بجميع مناحيه وامكانياته [الكائن بيولوجي ، وككائن اجتماعي وككائن اقتصادي وككائن نفسي) والتي تفرض العناية ذاتها بحالاته البيولوجية وبتطلباته الاقتصادية ونزعاته الاجتماعية والنفسية والروحية » .

ومن ثم يأتي الكلام عن المدينة الفاضلة والمبادىء الشعبية المعروفة التي تحقق التقدمية « كعقل سليم في جسم سليم » و « سلامة العائلة وسلامة البيئة » : « نفسية سليمة في بيئة سليمة » .

ولنقتصر بحثنا فقط على سلامة العائلة . فنورد بالحرف الواحد :

« العائلة نواة المجتمع وعلى حالة العائلة وعلى جوها يتوقف لحد كبير صلاح الاطفال ـ وهم رجال الجيل المقبل . فعلينا ان نجعل العائلة مثالية لا تهتك فيها ولا اباحية ولا تناحر ولا تفكك بل وحدة تجمعها المحبة الواعية وهذه الفكرة لا تتحقق الا بتقوية فكرة الاسرة بتشجيع وتمكين الزواج الباكر ، واحترام قدسيته ووحدته ورعاية الامومة والطفولة » .

« ويرشدنا الاختبار الانساني الشامل ـ وخاصة اختبار الدول التي سبقتنا في مضمار الحضارة ـ أن الزواج الصحيح السليم لا يمكن ان يتحقق الا اذا منعت عادة تعدد الزوجات وغيرها من العادات المتأخرة ، واذا لم تتحرر المراة من الجهل ومن الرجعية ، ومن انخفاض العيش واستكانة الذات ، وللمرأة دور أولي في العائلة وفي المجتمع يتوجب عليها فيه أن تضطلع بمسئولياتها على تمامها .. »

واذ ذاك يجب أن نرجع للزواج قيمته المناقبية وطهره ونرفعه عما حط به الرجعيون في ظل النظام الرأسمالي القائم ، فجعلوا منه سوقا تشترى فيه العروس وتباع بأمهار ترخص وتعلو وفقا للمناسبات فيتعذر على اكثر الشباب ان يتزوجوا في السن الذي يرغبون فيه بالزواج ، وجعلوا منه وسيلة للاثراء غير المشروع ولابتزاز « الدوطات » الضخمة ومتعة للشهوات الفيزيائية الحيوانية في الانسان واقاموا الحواجز والموانع الاجتماعية والاقتصادية بين مواطن ومواطن وبين عائلة وعائلة » .

هذه هي اهم الخطوط في برنامج الحزب التقدمي الاشتراكي . رب سائل يسأل هل طرح الحزب بشكل مباشر قضية تعدد قوانين الاحوال الشخصية . على حد علمنا لا .. غير انه لابد من الاشارة الى مواقف رجال القانون في الحزب ، امثال النائب السابق الاستاذ انور الخطيب الذي طرح في مؤلفاته ، لا سيما في كتابه « الزواج في الشرع الاسلامي ، والقوانين اللبنانية » فكرة القانون الواحد للاحوال الشخصية ، واعتبر ذلك « قاعدة بديهية لاخطر قضية واهمها من قضايا حياة الانسان ، يشذ عنها لبنان والكثرة من شقيقاته الدول العربية وقلة من الدول المتخلفة » ، فقال بالحرف الواحد :

« لقد قامت في لبنان ثورة فكرية ضد ازدواجية التشريع في الاحوال الشخصية ، واضرب المحامون احتجاجا على اخضاع قضايا الاحوال الشخصية للمراجع الدينية والتشريع . اضربوا ضد قانون الثاني من نيسان ١٩٥١ الذي وسع دائرة اختصاص المحاكم المذهبية ، واولاها حق النظر في منازعات لا علاقة لاكثرها في الدين ، في حين يتجه تفكير

الشعب بأكثريته المطلقة الى سن تشريع مدنى يشمل جميع الطوائف على السواء .

واستطرد قائلا : « ان التشريع الطائفى لا يأتلف وشرعة حقوق الانسان التى أقرتها الامم المتحدة والتى اعلنت بموجبها جميع الدول التى وقعتها ، اعترافها بتساوى البشر فى الحقوق دون الاعتداد بأى عنصر يمت الى المذهب بصلة » .

٣ ـ حزب البعث العربى الاشتراكى :

على تعدد اجنحته ، يقر بالحقوق السياسية **والحقوق المدنية للمرأة ، الا انه لم يطرح بشكل** صريح قضية توحيد التشريع فى الاحوال الشخصية .. ولم يقدم لا فى سوريا ولا فى العراق ، على تحقيق المساواة الفعلية فى التشريع وعلى اقرار الزواج المدنى .. مكتفيا بانجاز بعض الاصلاحات الاجتماعية وتنفيذ مشاريع للاصلاح الزراعى والسير فى طريق التصنيع وتوسيع رقعة القطاع العام فى الاقتصاد على حساب القطاع الخاص .

مما تقدم يتبين بجلاء كلى ان الاحزاب اللبنانية فى نظرتها لدور المرأة فى المجتمع تصنف :

١ ـ **باحزاب النظام الشرعية** التى تسلم بحقوق المرأة السياسية ولا تريد التعرض لنظام الطوائف ، فيكتفى البعض منها بين الفترة والفترة بالمطالبة بضرورة اقرار الزواج المدنى الاختيارى .

٢ ـ احزاب تقول بضرورة توحيد التشريع ، وتوفير المساواة للمرأة مع الرجل فى الحقوق السياسية والمدنية ، وهى ، على تباين ايديولوجيتها ، الحزب السورى القومى والحزب الديمقراطى .

٣ ـ **احزاب اليسار ، الشيوعى ، وغير** الشيوعى ، التى يختلف الشيوعيون منهم مع احزاب الفئة الثانية حول تعذر تحقيق المساواة فى الحقوق نصا وعمليا ، اذا لم يندمج نضال المرأة لتحريرها بالنضال العام لتحرير المجتمع . وعلى هذا الاساس يتوجهون الى المرأة فى الريف وفى المدينة والى المرأة المثقفة .

وصفوة القول أن نضال المرأة من اجل تحريرها لمرتبط ارتباطا عضويا بالاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يقوم عليها النظام القائم فيتغذى منها ويغذيها ، ويحميها وتحميه .

وفى عصرنا ، فى الثلث الاخير من القرن العشرين الذى يشهد تنام مستمر لنضال النساء من اجل تحررهن والمساواة مع الرجل ، **امسى هذا** النضال اكثر منه فى أى وقت مضى شرطا اساسيا من شروط التنميه الاقتصادية والتقدم الاجتماعى والثقافى ، والابداع فى مختلف مجالات الحياة العامة .

وهنا يتوجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار الامور الاتية :

اولا ـ ان لا نخلط بين :

- اوضاع المرأة فى لبنان وبلدان العالم الثالث .
- وبين اوضاعها فى البلدان الرأسمالية المتطورة .
- واوضاعها فى البلدان الاشتراكية .

ثانيا ـ ان نبحث وضع المرأة ككل ، وبالنسبة لكل فئة : المرأة فى الريف والمرأة العاملة فى المدينة ، والمرأة المثقفة (من طالبات واساتذة وغيرهن) .

ثالثا ـ ان نلتمس انعكاسات الثورة العلمية والتقنية على الاوضاع الاجتماعية فى بلادنا وفى سائر بلدان العالم الثالث ، فى ضوء تأثيرها على قانون التطور غير المتناسق بين البلدان وبين المناطق داخل كل بلد ، وبين القطاعات الاقتصادية ..

رابعا ـ مع نضالنا المتنامى دوما من اجل تحقيق المساواة التامة تجاه القانون ، عدم تجاهل الحقيقة الملموسة القائلة بأن « المساواة تجاه القانون ليست بعد المساواة فى الحياة » .

وقد تلمس المؤتمر العالمى للنساء فى هلسنكى فى حزيران سنة ١٩٦٩ ، هذه الحقيقة اذ أشار الى مرحلة جديدة قد بدأت ، مرحلة اكثر صعوبة وتعقيدا ، مرحلة النضال من أجل خلق الظروف الموضوعية والذاتية التى تسمح للمرأة ، وقد تساوت مع الرجل فى القانون فى بعض البلدان ، بالتمتع فعلا بهذه الحقوق .

يقول فريديريك انغلز فى كتابه الى جرترود غيوم شاك :

« ان المساواة الحقيقية فى الحقوق للمرأة وللرجل ، لا يمكنها فى يقينى أن تتحقق الا عندما يتحرر الواحد منهما والاخر من استثمار الرأسمال ويتحول العمل المنزلى الذى هو الان اهتمام خاص الى فرع من الانتاج الاجتماعى » .

ويقول ماركس : « ان العادات تضغط بثقلها على أدمغة الاحياء » .

وبعد .. لا مجال للاستغراب اذا ما انعكس ذلك بجلاء فى آراء ومسلكية بعض المناضلين الحزبيين الذين ينادون بالاشتراكية العلمية ، وهم فى الواقع مشدودون الى تقاليد بالية .

خامسا ـ لقد توصل فريق من علماء الاجتماع الفرنسيين غير الشيوعيين فى تحقيق نشر من قبل المجلس الوطنى للابحاث العلمية فى باريس الى الحقائق التالية :

١ ـ أن تحرر المرأة ، وهو واقع لا محيد عنه ، يفترض تبديل كل العلاقات الاجتماعية وكل انظمة القيمة وكل توازن المجتمع . (صفحة ١٤) :

٢ ـ من خلال التصورات عن دور المرأة ، يطرح بالواقع على بساط البحث مفهوم المجتمع القادم .

٣ ـ ان التحولات فى وضع المرأة تطرح بشكل أساسى وضع كل فرد فى المجتمع .

٤ ـ وبمقدار ما يمتلك الناس وسائل أكثر دقة للتأثير على مصيرهم الخاص ، فان التحـولات القائمة على تطور الحياة بمـوجب « القوانين الطبيعية » تتجه نحو حلول تغيرات محلها تتحكم أكثر فأكثر بقيادتها » .

وضع المرأة في النظام الاقطاعي ، وضع المرأة فى النظام الرأسمالى ، المرأة فى النظـام الاشتراكى ، تأثير الاتمتة ، تأثير الثورة العلمية والتقنية ، تأثير التحولات فى البلدان الرأسمالية المتطورة على وضع المرأة فى بلادنا .

« فتحقيق تحرير المرأة وضمان المساواة امام القانون وفى الحياة يمران عبر عملية طـويلة ومعقدة » ! .

ان القضية ستبقى مطروحة كقضية مميزة طالما أن الشروط الاجتماعية لحلها لم تنضج ، طالما أن الاسباب الاقتصادية والسياسية والذاتية القائمة لم يقض عليها ، طالمـــا اننـــا لم ننجح فى تكثيف المساهمة النسائية فى عملية التحولات الجذرية .

لنرفض كل الصيـغ المجردة « والوصـــفات النظرية » ، ولنأخذ بكل اهتمام نضال جماهير النساء والجماهير عموما ، فى صيرورته وتحوله الى حركة متصاعدة ولنتتبع تزايد وعى جماهير بلادنا عبر تفاقم الازمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية .

فمن خلال الممارسة الفكرية والسيـاسيـة والتنظيمية ، فى خضم النضال الجماهيرى المتنوع الاشكال ، من خلال تكثيف المساهمة النسائية فى هذا النضال ، تتحول الحقيقة العلمية القائلة أن الجماهير الواعية المنظمة تلعب دورا حاسما فى التحولات التاريخية ، الى قوة مادية محركة ومبدلة قادرة على تحقيق المهام الوطنية والاجتماعية رغم التحديات القائمـة داخـل بلادنا وعلى حـدودنا الجنوبية ... [illegible]





الأزمة الراهنة في علم الاقتصاد السياسي البرجوازي

رمزى زكى

أثارت « الطليعة » في بعض اعدادها حوارا هاما حول الايديولوجية والعلوم الانسانية. ان ذلك الحوار يكتسب فى اعتقادى أهمية خاصة فى الظروف الراهنة لحركة التطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى التى تمر بها بلادنا :

اولا: لانه يأتى متزامنا مع اثارة قضية تطوير التعليم وضرورة تغيير أسسه وجذرياته تغييرا يتمشى مع متطلبات المرحلة الحالية والمستقبلية لنمو مجتمعنا وما يفرضه ذلك من مراجعة شاملة ونقدية للسياسات العامة والاسس الفلسفية والاجتماعية التى قام عليها التعليم فى مصر، واعادة رسم أسس جديدة له تمكننا من الاسراع بحركة التطور الاقتصادى والاجتماعى فى بلادنا من أجل بناء الاشتراكية فى ظل عهد يتسم بتعاظم واضطراد نمو الثورة الفنية والتكنيكية وتحول العلم الى قوة هامة مؤثرة فى عملية الانتاج • ولما كانت العلوم الانسانية (الاقتصاد ، الفلسفة ، التاريخ ، القانون ، علم النفس ، علم الاجتماع ، الفنون ، اللغات الخ) ، تلعب دورا هاما فى حركة التطور هذه ، لان المشتغلين بها يعملون عقب تخرجهم (١) فى مختلف اجهزة المجتمع الهامة ، كالاشتغال بالتدريس أو العمل بالمؤسسات الانتاجية والفنية والادارية ، ويساهمون مساهمة هامة ومؤثرة فى عملية تشكيل وعى الناس خلال عملية التطور هذه. فان فتح الحوار فى هذه الاونة يمكن أن يكتسب أهمية خاصة حول الدور الذى يجب أن تلعبه هذه العلوم فى حركة التطور هذه ، وما يستلزمه ذلك من مراجعة شاملة للوضع الحالى لها •

ثانيا : لقد بات واضحا ان كثيرا من هذه العلوم مازالت تدرس فى جامعاتنا ومعاهدنا العليا بنفس الايديولوجية البرجوازية التى كانت تدرس بها منذ عشرات السنين، وهو أمر يمثل تناقضا واضحا بعدان اختارشعبنا- عن وعى وتجربة حيةوغنية - طريق الاشتراكية • لقد تمت فى مصر عملية تحول اجتماعى عميقة تناولت أركانا هامة من اركان المجتمع المصرى ، وأحدثت به تغيرات هامة وضعته على طريق التحول الاشتراكى ، وكل هذه التغيرات والتحولات الهامة احدثت ، وسوف تحدث تأثيرها المتزايد فى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية • وهو أمر لاشك يلقى مهاما جديدة على العلوم الانسانية ، تختلف بالضرورة عن تلك المهام التى

[١] قفز عدد خريجى العلوم الانسانية فى بلادنا من ٦٧٧٦ فى عام ٥٩/١٩٦٠ الى ١٢٣٢٠ خريجا فى عام ٦٢/١٩٦٣ ، اى بنسبة ٨١ ٪ فى الفترة المذكورة . انظر فى ذلك : « الكتاب السنوى للاحصاءات العامة للجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٢ - ١٩٦٧ » ، الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، يونيو ١٩٦٨ ، ص - ١٥٨ •

كانت تقوم بها قبل حدوث عمليات التغيير الاجتماعي هذه . أن أولى هذه المهام هي تخريج الكوادر الكفؤة اللازمة لادارة وتخطيط مختلف الاجهزة الانتاجية والفنية والادارية لقطاع الدولة الانتاجي ، ثم تخريج مدرسين أكفاء في ميدان العلوم الاجتماعية للعمل بالتدريس الابتدائي والاعدادي والثانوي ليساهموا مساهمة ايجابية في تربية الاجيال الجديدة . ثم تخريج الكوادر المخلصة المؤمنة بقضية الاشتراكية للاشتغال بأمور الثقافة العامة ليساهموا في تأصيل وتعميق وعي الجماهير بقضايا المجتمع ، ومحاربة القيم الاجتماعية البالية الموروثة من عهود الاستعمار والاستغلال ، والدعوة للقيم الانسانية الجديدة ،ان الوفاء بهذه المهام سوف يتطلب احداث تغييرات هامة في الاسس العامة والبرامج المختلفة التي تدرس بها العلوم الانسانية في بلادنا ، وسوف اقتصر هنا على معالجة الموضوع في مجال واحد ، وهو مجال علم الاقتصاد السياسي البرجوازي ، مركزا فقط على الازمة العامة التي تطبع هذا العلم في الظروف الحالية ، مبينا مدى انعكاسها على الفكر الاقتصادي المصري ،هادفا من وراء ذلك الى خلق حوار فكري بين المشتغلين ، والمهتمين بهذا العلم في بلادنا .

علم الاقتصاد والايديولوجية

يمكن تعريف الايديولوجية بأنها ذلك النظام المتكامل من القيم الفلسفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية والاخلاقية والجمالية التي تعبر عن مصلحة طبقة معينة من طبقات المجتمع في ظل مرحلة معينة من مراحل التطور . والايديولوجية بهذا المعنى ذات طابع طبقي،ومن ثم«فانه بقدر ما تؤثر الافكار العلمية تأثيرا مباشرا ، أو غير مباشر في العلاقات الاجتماعية تكون لها علاقة بايديولوجية النظام الاجتماعي» (٢) ولهذا فان العلوم الاجتماعية بأجمعها هي علوم أيديولوجية ويعد علم الاقتصاد من أبرز العلوم الاجتماعية ارتباطا بموضوع الايديولوجية والتحيز الطبقي . ذلك ان مدار البحث فيه يدور حول دراسة واكتشاف القوانين العامة التي تحكم عمليات انتاج وتوزيع وتبادل واستهلاك الوسائل المادية لاشباع الحاجات البشرية عبر فترات التاريخ المختلفة . وهو في هذا المدار يبحث في علاقات الناس خلال عملية انتاج وتوزيع الثروة والقوانين التي تحكم هذه العلاقات خلال النظم الاجتماعية المختلفة . وهذا التعريف يعني أنه لا يوجد ما يسمى بالاقتصاد السياسي العام (أو بالنظرية الاقتصادية العامة) الذي يخصص لجميع النظم الاجتماعية التي مرت بها البشرية حتى الان . انه علم تاريخي ، يدرس في فروعه المختلفة نظما اجتماعية متباينة .

ان ارتباط ذلك العلم بالموقف الطبقي والمصالح الطبقية أمر يكشف عنه بوضوح أي تأمل بسيط في تاريخ الفكر الاقتصادي ،وما صاحب هذا التاريخ من تيارات فكرية مختلفة ، كان كل تيار منها يعبر مباشرة عن مصالح طبقة معينة عبر فترات التطور الاقتصادي والتغيرات الاجتماعية المختلفة .

وليست المدرسة الكلاسيكية الحديثة الا المنظر الايديولوجي لمصلحة الطبقة البرجوازية بعد تحول الرأسمالية الى مرحلة الاحتكار والامبريالية ،ولم تكن الكينزية،وما تفرع عنها من تيارات فكرية مختلفة الا ثمرة استفحال التناقضات الداخلية للرأسمالية الاحتكارية وعلى الاخص بعد تفاقم مشكلات البطالة والركود والانكماش وخاصة بعد أزمة عام ١٩٢٩ ، وقدمت في اطار فلسفتها البرجوازية سياسات اقتصادية محددة لعلاج مشاكل رأسمالية الدولة الاحتكارية ، مدافعة بذلك ومتجاوزة بشكل واضح لقوى رأس المال الاحتكاري الخ ..

تلك أمور واضحة يدركها التأمل المنطقي البسيط في تاريخ الفكر الاقتصادي . ورغم ذلك الوضوح التام الذي يتمثل في ارتباط الاقتصاد السياسي بالمصالح الطبقية والانحياز الاجتماعي لطبقة ما ، فان الجانب الاعظم من كتاب الفكر الاقتصادي البرجوازي يعمدون دائما الى اخفاء هذا الطابع الايديولوجي للعلم ، محاولين بذلك تجريده من جانبه الاجتماعي وتحويله الى مجرد علم يبحث في مجموعة من قواعد السلوك النفساني مستندين في ذلك الى بعض الفروض والمقولات الفكرية التي تبعد عن الواقع بعد السماء عن الارض .

الاقتصاد الكلاسيكي والصراع الطبقي

نشأ علم الاقتصاد السياسي بنشأة وتطور النظام الرأسمالي . حقا لقد كانت هناك كتابات اقتصادية متناثرة في صفحات كتب القانون والاخلاق والفلسفة والادب واللاهوت . ولم تكن هذه الكتابات تهتم اساسا بدراسة واكتشاف القوانين العامة التي تحكم عمليات انتاج وتوزيع وتبادل واستهلاك الوسائل المادية اللازمة لاشباع الحاجات البشرية عبر فترات التاريخ المختلفة ،

---

[٢] راجع في ذلك : اوسكار لانجه ـ الاقتصاد السياسي ، الجزء الاول ،ترجمة الدكتور راشد البراوي ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢٤٥ .

وهى الموضوع الرئيسى للاقتصاد السياسى ، وانما كانت هذه الكتابات اشبه بشذرات فكرية تتعرض باختصار شديد للظواهر والعلاقات الاقتصادية وذلك فى معرض تناولها للقضايا والمسائل القانونية والفلسفية والادبية ، ولم يكن ذلك الا أمرا طبيعيا يتمشى مع الواقع الموضوعى للنشاط الاقتصادى للنظم السابقة على الرأسمالية ، حيث لم تكن قوى الانتاج وعلاقات الانتاج قد وصلت الى درجة عالية من التعقيد والتشابك ، كما هى عليه فى النظام الراسمالى ، بحيث تستدعى اهتماما فكريا خاصا يخلق منها علما قائما بذاته ٠

وكان الفكر الاقتصادى الكلاسيكى الذى تبلور فى كتابات آدم سميث ، ودافيد ريكاردو ، يمثل فى البداية جهدا ثقافيا ثوريا (٣) ، يحاول ان يكتشف انسب الظروف الاجتماعية ، او بتعبير آخر القوى والقوانين التى تحكم الانتاج الرأسمالى ، وتؤمن مسيرته ٠ ومن هنا لم يكن من المصادفة ان يحتل تفنيد ونقد افكار المدرسة التجارية (٤) فى موضوع الثروة والتجارة الخارجية وتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى مكانا فى كتاب آدم سميث « بحث فى طبيعة واسباب ثورة الامم » ، ومن هنا نفهم ايضا كيف راجت افكار الكلاسيك حول جمود نظام الطوائف وتخلف وسلبية المؤسسات والعلاقات الاجتماعية التى خلفها المجتمع الاقطاعى ودعوتهم التى اطلقت كصرخة عالية لزحف النمو الرأسمالى حول موضوع الحرية الاقتصادية والمنافسة الحرة ٠

لقد وصل الفكر الكلاسيكى بتحليله الموضوعى لطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة فى ذلك الوقت الى اقتناعهم التام « بأن العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة فى عصرهم تعوق وتؤخر تنمية الموارد الانتاجية (٥) » ، وبتعبير آخر ، تعوق انطلاق قوى الانتاج وهكذا ادرك الكلاسيك ان الاقتصاد السياسى ليس هو العلم الذى يدرس لا الانتاج وعملياته فحسب ، ولكنه العلم الذى يدرس العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الافراد خلال عملية انتاج وتوزيع وتبادل واستهلاك السلع المادية ٠ وبعبارة اخرى كانوا يدركون انه مطالب بدراسة البناء الاجتماعى للانتاج واكتشاف القوانين العامة التى تحكم تطوره ٠ ومن هنا قادتهم هذه النظرة الموضوعية الى دراسة التناقضات الطبقية الموجودة بين طبقات المجتمع خلال عملية الانتاج ٠ ومن هنا كانت المشكلة الاساسية التى شغلت ابحاث ريكاردو حتى مماته هى مشكلة التوزيع ، او مشكلة الصراع الطبقى حول تقسيم الناتج الاجتماعى ومدى تاثيره على حركة النمو الرأسمالى ٠ وفى ذلك يقول ريكاردو فى رسالة بعث بها الى مالتس ان الاقتصاد السياسى ليس بحثا فى طبيعة الثروة واسبابها وانما هو « بحث فى القوانين التى تعين تقسيم ناتج الصناعة بين الطبقات التى تشترك فى تكوينه (٦) » ٠

ادرك الكلاسيك ان النمو الاقتصادى يتوقف على معدل التراكم ، وان معدل التراكم يتوقف على مستوى الارباح ، وان الارباح تتوقف على مستوى الاجور ، وان مستوى الاجور يتوقف على اسعار السلع الزراعية ، وان مستوى اسعار السلع الزراعية يحدد الريع ٠ هنالك كان احساسهم العميق بضرورة دراسة تطور الانصبة النسبية للناتج القومى بين طبقات المجتمع المختلفة لكى يكتشفوا العوامل والقوانين المحددة لتطور النشاط الاقتصادى ، ومن هنا كان عداتهم الشديد لملاك الاراضى باعتبارهم طبقة مبددة تبدد امكانيات التراكم وهجومهم على الريع ٠ ولم يكن ذلك الا تعبيرا اصيلا عن الصراع بين ملاك الاراضى والبرجوازية الصناعية فى بداية نمو الراسمالية ٠ وقد حسم هذا الصراع فى النهاية لصالح البرجوازية بعد ازدياد تراكم رأس المال فى الصناعة وغزوه ايضا للقطاع الزراعى وتفكيكه لعلاقات الانتاج الاقطاعية وتحويله الزراعة الى نمط راسمالى للانتاج ٠

وهكذا فانه حين ظهر الاقتصاد السياسى الكلاسيكى كانت التطورات كلها تسير فى صالح الطبقة البرجوازية الصاعدة حيث حقق راس المال توسعا ضخما فى الصناعة وزيادة سريعة فى الناتج الاجتماعى بعد الاستخدام الموسع للتكنولوجيا التى تم التوصل اليها فى ذلك الحين تعضدها فى ذلك الثورة التى تمت فى وسائل النقل

---

[٣] انظر فى ذلك : بول باران ـ الاقتصاد السياسى والنمو ، ترجمة احمد توفيق بلبع ، دار الكاتب العربى : القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٦١

[٤] كان التجاريون يرون ان ثروة البلاد تتمثل فيما بحوزتها من ذهب وفضة ، ومن هنا نادوا بتشجيع التجارة الخارجية عن طريق تشجيع الصادرات وتقليل الواردات حتى يكون هناك فائض اقتصادى فى الميزان التجارى . ولهذا كانوا من انصار تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى حتى يمكن تحقيق هذا الفائض

[٥] راجع : بول باران ـ المرجع السالف الذكر ، ص ٥٧

[٦] انظر : خطابات ريكاردو الى مالتس ١٨١٠ ـ ١٨٢٣ [اشرف على نشرها ج . بونار ١٨٨٧] ص ١٥٧

والمواصلات » كما استولت البرجوازية بشكل نهائى على السلطة السياسية فى اكبر بلدين رأسماليين ، وهما انجلترا وفرنسا ، فى انجلترا بصدور قانون الاصلاح الانتخابى فى سنة ١٨٣٢ ، لمصلحة الطبقةالوسطى ،وصدور قوانين الغلال ضد ملاك الاراضى ، وفى فرنسا بسقوط الملكية سنة ١٨٣٠ وحكم لوى فيليب رجل الراسمالية المصرفية (٧) » . وأصبح علم الاقتصاد السياسى شأنه فى ذلك شأن العلوم الطبيعية علم البرجوازية والمثقفين المرتبطين بها « فالعلوم الطبيعية زودت البرجوازية باداة لتنمية القوى الانتاجية التى يعتمد عليها دخلها ومركزها الاجتماعى ، وكان الاقتصاد السياسى سلاحا استخدمته فى نضالها من اجل فصم الروابط القديمة التى قيدت مبادرتها ونشاطها الاقتصادى (٨) » . وكانت المهمة الثورية التاريخية التى انجزها الاقتصاد الكلاسيكى تتمثل فى كشفه لطبيعة التناقضات الطبقية والعوائق الاجتماعية التى كانت تعترض طريق نمو اسلوب الانتاج الراسمالى . ومن هنا راجت افكار الكلاسيك ، وكانت موضع قبول لانها كانت تعضد حركة ثورية تقدمية هى حركة الانتقال من المجتمع الاقطاعى الى المجتمع الراسمالى . فظل تراث ريكاردو شيئا مقدسا ، بل ودستورا على حد تعبير الاقتصادى الانجليزى ارك رول (٩) . ولم تحدث التهذيبات او الانتقادات الخفية التى اجـراها جون ستيوارت مل ،وماكولوخ اى اضطراب خطير فى التناسق النظرى الذى اقامه رائدا الكلاسيكية .

ظهور الاقتصاد المبتذل

وما ان توطدت دعائم البورجوازية اقتصاديا (بالتوسع فى الانتاج الصناعى وزيادة رأس المال) وسياسيا (بالاستيلاء على السلطة) واجتماعيا (بالقضاء على علاقات الانتاج الاقطاعية) حتى تراجع الفكر الاقتصادى البورجوازى عن قضية تحليل العلاقات الاجتماعية بين الطبقات المختلفة ، واعتبر النظام الراسمالى هو نهاية المطاف ، وقمة التطور ، ونهاية التاريخ . وانبرى فريق من الاقتصاديين للدفاع عن هذا النظام وتبريره واختلاق العديد من الحجج الميتافيزيقية والادعاء بأن ذلك النظام انما تسيره قوانين طبيعية وقوى كامنة تلقائية ، تتلائم مع طبيعة الامور . وكانت تلك نشـأة الاقتصـاد المبتذل ، أول اتجاه يظهر فى سلسلة أزمة الاقتصاد البورجوازى . فقد تم عزل العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الناس خلال عملية الانتاج عن التحليل ، وانصب الاهتمام فى الاساس على دراسة عمليات التبادل والسوق . « فالبورجوازية المنتصرة تعتبر أن علاقات الانتاج قد استقرت بصفة نهائية ، أو انها مسألة مؤكدة تماما . لا يجرى بشأنها اى نقاش الا اذا كان الهدف منه تبريرها (١٠) » وهكذا كانت المهمة التاريخية التى دعمها هذا الاتجاه المبتذل الذى ضم **جان باتست ساى** ، **وروبرت مالتس وباستيا** ، وغيرهم ، تتمثل فى تبرير التناقضات الطبقية التى كشف عنها النقاب مفكرى الاقتصاد الكلاسيكى . فاذا كان ريكاردو قد أوضح أن معدل النمو يتوقف على مستوى التراكم ، وان مستوى التراكم يعتمد على مستوى الاجور ، وان مستوى الاجور يتوقف على اثمان السلع الزراعية ، وبالتالى فان الصراع الاجتماعى حول تقسيم الناتج الاجتماعى يؤثر على حركة النمو ، جاء صف الاقتصاديين المبتذلين ليقولوا تبريرهم لهذه التناقضات . وكان ذلك يتطلب منهم أولا الهجوم على التفرقة التى اجراها أدم سميث بين العمل المنتج والعمل غير المنتج ، وعلى نظرية العمل فى القيمة ، وينادون (كما قال ساى) أن القيمة تتوقف على المنفعة ، وان الانتاج هو خلق للمنافع ، وبالتالى فانه « لابد من الحكم على انتاجية العمل بمستويات المنفعة لا بالاشارة الى طبيعة المنتج المادية أو غير المادية . وبهذا كان فى الامكان اضفاء صفة الانتاجية على جميع ضروب النشاط الاقتصادى التى تخلق المنافع (١١) » .

كان الهدف من الهجوم على نظرية القيمة فى المدرسة الكلاسيكية وتقديم نظرية المنفعة كبديل لها هو خلق اساس تبريرى لوضع نظرية فى التوزيع تبرر عملية الاستغلال الراسمالى ، وكانت تلك النظرية هى « نظرية الخدمات الانتاجية » أو تقسيم عناصر الانتاج الى ارض وعمل ورأسمال وتنظيم . وهكذا صفى المحتوى الاجتماعى لعلم الاقتصاد وقفزت الى المقدمة مشاكل التبادل والسوق . وفى هذا المجال انتج الاقتصاد المبتذل نظرية التوظف الكامل التى استندت الى قانون ساى للاسواق

---

[٧] راجع : دكتور فؤاد مرسى ـ رأس المال ـ بمناسبة ١٠٠ سنة على صدوره ، دار الكاتب العربى بالقاهرة ص ١١

[٨] انظر : اوسكار لانجه ـ الاقتصاد السياسى ، المرجع سالف الذكر ، ص ٣١٢

[٩] انظر : ارك رول ـ مرجع سالف الذكر ، ص ٢٩٩

[١٠] راجع فى ذلك : اوسكار لانجه ، الاقتصاد السياسى ، مرجع سالف الذكر ، ص ٣٢٠

[١١] انظر : ارك رول ـ مرجع سالف الذكر ، ص ٣٢١

(القائل بأن العرض يخلق الطلب المساوى له) وأدت الاجتهادات الميتافيزيقية فى هذا المجال الى ادعاء وهمى ، بأنه تحت ظروف المنافسة الكاملة لا يمكن تصور حدوث أزمة افراط انتاج عام ، وأن ميكانيكية جهاز السوق ، وما توفره المرونة التامة لتغيرات الاسعار ، كفيلة بأن تصحح اى خطأ يعوق تحقيق التوازن الاقتصادى العام ، الذى قصدوا به فقط توازن التوظف الكامل . وبهذا الشكل حاولوا اخفاء المصالح الطبقية المتعارضة الكامنة فى علاقات الانتاج الرأسمالية ، « وقدموا الرأسمالية على أنها تنظيم منسجم لعلاقات تبادل تستفيد منها جميع الطبقات الاجتماعية (١٢) » .

المدرسة الكلاسيكية الحديثة وظهور التحليل الحدى

ولئن كانت أفكار **ساى ومالتس وباستيا** قد قدمت الاطار العام لمرحلة الابتذال فى الاقتصاد السياسى البورجوازى ، مصفية بذلك الطابع الاجتماعى لعلم الاقتصاد ، فان ذلك الاتجاه المبتذل قد تدعم بظهور المدرسة الكلاسيكية الحديثة والتى ارتبطت أساسا بظهور مدرسة التحليل الحدى التى صاغ افكارها الاساسية **كارل منجر ، وليون فالراس ، وستانلى جيفونز** فى السنوات السبعينية من القرن التاسع عشر ، معتمدين فى ذلك على أفكار **جوش** التى صاغها حول المنفعة واللذة فى عام ١٨٥٤ فى كتابه « تطور قوانين السلوك الانسانى والقواعد المستخلصة من ذلك التعامل الانسانى . وكان ظهور تلك المدرسة تعبيرا عن مرحلة جديدة تمر بها الرأسمالية ، وهى مرحلة التحول الى الاحتكار . فقد حققت حركة تركز وتمركز رأس المال درجة عالية ، واحتل المشروع الكبير المكان الاول فى النشاط الاقتصادى وأخذ يمتص ويخنق المنشآت الصغيرة ويزيحها من السوق . وفى مقابل هذه التغيرات ، كانت التناقضات بين العمل ورأس المال ، بين الطبقة العاملة والبورجوازية ، تزداد عنفا وحدة (١٣) وتأخذ اشكالا مختلفة من الصراع ، وتنزع النقاب بشكل حاسم عن وهم التوافق بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة . هنا غدا الاقتصاد الكلاسيكى والاقتصاد المبتذل عاجزين عن تفسير كثير من المشاكل وعاجزين عن الوقوف « فى وجه الهجمات من جانب حركة الطبقة العاملة ، تلك الحركة السائرة فى طريق النمو (١٤)

وكانت المهمة التى اضطلعت بها المدرسة الحدية هى ابتكار أسلوب جديد للتحليل ينأى بعلم الاقتصاد من نطاق تحليل العلاقات الاجتماعية ، الى دائرة التحليل النفسى لسلوك المنتج والمستهلك مستندين فى ذلك على فلسفة اللذة والمنفعة . فمشكلة علم الاقتصاد أضحت كما يقول **جيوفنز** « هى اشباع حاجاتنا الى أقصى حد بأقل جهد ، أى الحصول على أعظم قدر مما هو مرغوب فيه على حساب أقل قدر مما لا نرغب فيه ، أو بعبارة أخرى تحقيق الحد الاعلى من اللذة (١٥) . وبهذا الشكل قطع مفكرو المدرسة الحدية صلتهم نهائيا بمنجزات الفكر الكلاسيكى ، ولم يعد يربطهم به الا خيط واهن ، هو الاستناد على فلسفة الحرية الاقتصادية وافتراض المنافسة الكاملة . وقدموا نظرية فى القيمة ، تقوم على ان المنفعة الحدية والندرة ، هما اللذان يحددان قيمة السلعة . وتوهموا بذلك انهم « قدموا نظرية فى القيمة ذات صلاحية مطلقة ، مستقلة عن اى نظام اجتماعى معين (١٦) . والواقع انهم فى ذلك كانوا يهدفون ، شأنهم فى هذا شأن مفكرى الاقتصاد المبتذل ، الى وضع نظرية فى التوزيع ، تهدف الى وضع تبرير لعلاقات الاستغلال فى النظام الرأسمالى . وكانت تلك النظرية هى « نظرية الانتاجية الحدية » . فالاجور والارباح والريع والفائدة انما تحدد على أساس الانتاجية الحدية (١٧) لعناصر الانتاج الاربعة . وليس لاى صاحب عنصر من عناصر الانتاج أن يحتج بضآلة عائده فى التوزيع طالما كانت انتاجية الحدية منخفضة .

وهكذا فانه اذا كان الاقتصاد الكلاسيكى قد بين ـ فى حدود جهازه التحليلى ونظرته الاجتماعية ـ طبيعة العلاقات المتناقضة للمصالح الطبقية فى النظام الرأسمالى ، وأن الاقتصاد المبتذل قد عمد الى تبريرها ، فان المدرسة الكلاسيكية الحديثة

---

[١٢] راجع : اوسكارلانجه ، المصدر السالف الذكر ص ٣٢٠

[١٣] ليس من قبيل المصادفة أن يأتى ظهور المدرسة الحدية متزامنا مع تزايد حركة الطبقة العاملة فى اوروبا وازدياد وعيها السياسى والطبقى ، خاصة بعد انشاء الدولية الاولى وظهور كتابات ماركس وانجلز

[١٤] انظر : ارك رول ، مرجع سالف الذكر ، ص ٣٧٢

[١٥] الاشارة هنا ماخوذة من أوسكار لانجه ص ٢٥٥

[١٦] انظر : ارك رول ، المرجع السالف الذكر ، ص ٣٧٢

[١٧] المقصود بالانتاجية الحدية هى الزيادة التى طرأت على الناتج الكلى نتيجة لزيادة استخدام وحدة واحدة من عنصر ما من عناصر الانتاج

كانت تهدف الى انكار هذه التناقضات واخفائها (١٨) .

ولهذا لم يكن من المصادفة أن يحل « الرجل الاقتصادى » روبنسون كروزو » و « الرجل المنعزل فى الجزيرة » ، فى تحليل المدرسة الكلاسيكية الحديثة محل « العمال والراسماليين واصحاب الاراضى » فى تحليل المدرسة الكلاسيكية . وأن يكون تحليل التغيرات الصغيرة والطفيفة التى تمس بشكل غير جوهرى الظواهر والعلاقات الاقتصادية هى طريقة التحليل التى اعتمد عليها انصار المدرسة الحدية وذلك مقابل تحليل التغيرات الاجتماعية التى احتلت المكان المركزى فى المدرسة الكلاسيكية . وليس من قبيل المصادفة أيضا أن يطغى تحليل التوازن الستاتيكى للمنتج والمستهلك فى الاجل القصير على مشاكل النمو والحركة للنظام الراسمالى ، وهى الامور التى اهتم بها كتاب الفكر الكلاسيكى . وان يحل تعبير « الاقتصاد البحت » ، أو علم الاقتصاد ، محل تعبير « الاقتصاد السياسى » . ونظرا لان الجانب الاجتماعى قد أهمل بشكل نهائى فى النظرية الاقتصادية ، فان براعة التحليل الاقتصادى يمكن اذن أن تتغلف الان بأكثر أشكال التحليل « دقة واناقة » ، وهى التحليل الرياضى الذى ارتبط زحفه على علم الاقتصاد السياسى البورجوازى بنشأة هذا الاتجاه .

وهكذا فانه بظهور المدرسة الحدية ، أو الاتجاه الذاتى كما يفضل **اوسكار لانجه** ان يسميها (١٩) تمت عزلة الاقتصاد السياسى البورجوازى عن مجال العلوم الاجتماعية . وظهر بعد ذلك صف طويل من الاقتصاديين البورجوازيين ، الذين راحوا يهذبون الفكر الاقتصادى البورجوازى فى اطار محكم من الادوات التى ابتكرها الجهاز التحليلى لهذه المدرسة (فكرة الحد والاعتماد على التحليل الرياضى) . ولم تكن التفريعات التى انقسم اليها هذا الصف الطويل (مثل المدرسة الانجليزية التى ضمت **الفرد مارشال وبيجو** والمدرسة النمساوية التى ضمت **بوم بافرك وفون مايزس وشومبيتر وهايك** ، والمدرسة الفرنسية التى ضمت **افتاليون وكورتان** ، الخ) لم تكن الا صورا من مذهب مشترك . ولم توجد بينها ــ كما يقول **ارك رول** ــ فوارق هامة ذات شان . حيث ان نواحى الاتفاق بينها هى اوضح مظاهرها (٢٠) ، حيث اتفق جميع أنصار هذا الاتجاه على مقدمات فكرية محددة ، واستخلصوا منها نتائج معينة تتمشى مع هذه المقدمات وتتسق معها . وهم بهذا انتهجوا منهج المنطق الشكلى أو الصورى ، الذى يبحث فقط فى مدى اتساق الفكر مع نفسه ، اتساقا يقع فى الذات الانسانية دون أن تكون له علاقة بالواقع الموضوعى ، أو بالعالم الحى الخارجى . وقد ظل هذا المنهج مسيطرا على اذهان المفكرين الاقتصاديين البورجوازيين حتى الوقت الحاضر . على أن أزمة الفكر الاقتصادى البورجوازى تميزت بملامح أكثر خطورة من ذلك .

معنى الازمة

يستخدم بعض المؤلفين مصطلح **أزمة الاقتصاد** السياسى البرجوازى للاشارة الى معنى واسع . وعلى ضوء هذا المعنى توجد تعريفات مختلفة . فمثلا يستخدم بعض الكتاب هذا المصطلح للاشارة الى الانقسام الذى حدث فى علم الاقتصاد الى اتجاهين رئيسين متعارضين . وهما الاقتصاد البرجوازى والاقتصاد الماركسى . وانطلاقا من هذا يؤرخ انصار هذا التعريف ببداية ظهور أزمة الاقتصاد السياسى البرجوازى ببداية ظهور اعمال ماركس التى تناولت بالنقد الشامل والواسع افكار الاقتصاد البرجوازى . غير ان انقسام هذا العلم الى هذين الاتجاهين المتعارضين ان هو الا انعكاس للطبيعة الطبقية للاقتصاد السياسى ولم تنشأ هذه الطبيعة الطبقية لهذا العلم عقب ظهور اعمال **كارل ماركس** ، انما هى موجودة قبل ظهور هذه الاعمال بوقت طويل . لهذا فاننا اذا سلمنا بصحة التعريف السابق عن « الازمة » فى الفكر الاقتصادى البرجوازى ، فان ذلك يتطلب ان نفترض ان هذه الازمة قد ظهرت بظهور الاقتصاد السياسى نفسه ، وستظل موجودة طالما كان هناك طبقات فى المجتمع .

والواقع اننا نقصد بالازمة هنا معنى محددا ، وهى انها ظاهرة تاريخية معينة تميز الاقتصاد السياسى البرجوازى بشكل خاص عما كان عليه وضعه فى غضون القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وأزمة الاقتصاد السياسى البرجوازى

---

(١٨) انظر : مقدمة الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله لكتاب شارل بتلبهم « التخطيط الاقتصادى » دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦

(١٩) راجع : أوسكار لانجة ، مرجع سالف الذكر ، ص ٢٥٧ ، حاشية رقم ١٤ .

(٢٠) ارجع الى ارك رول ، مصدر سالف الذكر ، ص ٣٩٥ .

بهذا المعنى هى جزء من الازمة العامة للايديولوجية البرجوازية ، والتى يعتبر الاقتصاد السياسى جزء من أهم مكوناتها · ذلك ان الازمة العامة للنظام الرأسمالى ، والتى بدات فى الربع الاول من القرن العشرين بانتصار الثورة الاشتراكية فى روسيا ، استدعت احداث تغييرات خاصة فى الايديولوجية البرجوازية · ان تلك التغيرات التى انعكست فى التيارات الايديولوجية المختلفة ، ومنها تيارات علم الاقتصاد السياسى البرجوازى توضح لنا ، كما سنرى ذلك فيما بعد ـ كيف يتصور علماء الاقتصاد البرجوازى هذه الازمة ، وماهى سبل الخلاص منها · وايا كان الامر فان الاقتصاد السياسى البرجوازى قد طرات عليه تغيرات معينة فى ظل الازمة العامة للرأسمالية ، وتتميز هذه التغيرات بحدوث مراجعات فكرية وخروج عن كثير من المنطلقات النظرية التى كان يعتبرها الاقتصاديون البرجوازيون فى القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين كمسائل بديهية مسلم بها ، ومطابقة للحقيقة · والمعنى الذى حددناه من قبل « للازمة » باعتبارها ظاهرة تاريخية ، وجزء من الازمة العامة للايديولوجية البرجوازية ، يختلف اختلافا جذريا عن المعنى الذى يستخدمه الاقتصاديون البرجوازيون انفسهم حينما يتكلمون عن هذه الازمة · حقا لقد احس كثير من كتاب الاقتصاد البرجوازى بهذه الازمة منذ زمن بعيد ، وان لم يدركوا جوهرها الاساسى ·

وقد بدأ الجدل حول هذا الموضوع فى المانيا فى السنوات العشرينية للقرن العشرين ، وذلك فى ابحاث ا · جونتير ، ل · بوليه ، د · شتولتزمان ، وشبان ، وفى ابحاث فانجرفور فى سنة ١٩٢٣ · ثم انتقل الجدل بعد ذلك الى انجلترا والولايات المتحدة وذلك عقب انتشار ازمة الكساد الكبير ١٩٢٩ ـ١٩٣٣ ، ثم اخيرا الى فرنسا · وقد كان الاحساس بهذه الازمة ومدى انعكاسه فى الكتابات الاقتصادية متفاوتا بين بلد وآخر وذلك تبعا لتفاوت درجة حدة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للرأسمالية بين البلدان الرأسمالية نفسها · فعلى سبيل المثال لم يظهر الجدل حول هذا الموضوع فى فرنسا الا فى السنوات التى اعقبت الحرب العالمية الثانية ، بعد استفحال مشاكل الرأسمالية الفرنسية ·

ولن يهمنا هنا الدخول فى تفاصيل هذا الجدل واتجاهاته ، وكل ما نود الاشارة اليه فى هذا الصدد ، هو انه فى الربع الاول من القرن الحالى ، ومع بدء تحول الرأسمالية الى مرحلة الاحتكار ، ومع اشتداد التناقضات الاقتصادية والاجتماعية للرأسمالية ، بدا واضحا لدى الكثيرين من كتاب الاقتصاد البرجوازى ، ان الافتراضات والمسلمات المختلفة التى قام عليها بنيان التحليل الكلاسيكى ، والتحليل الكلاسيكى الحديث ، غير صحيحة ومخالفة للواقع واضحت عاجزة عن تفسير كثير من المشاكل التى افرزها تطور الرأسمالية فى مرحلة الاحتكار · فافتراض التوظف الكامل لجميع الموارد الاقتصادية ، وعدم تصور حدوث أزمة افراط انتاج عام ، والهارمونية الكاملة التى توفرها سياسة الحرية الاقتصادية الليبرالية ، والملاءمة الدائمة بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع ، والمرونة التامة لتغيرات الاسعار وما يوفره جهاز السوق التلقائى من تصحيح الاخطاء الجزئية التى قد تحدث فى سير النشاط الاقتصادى ·· كل هذه الافتراضات وغيرها بدت فى هذه الظروف بافتراضات ميتافيزيقية تدور فى الهواء وفى عقول الاقتصاديين دون ان يكون لها ارضية صلبة تقف عليها فى واقع الاقتصاد الرأسمالى ·

هنالك حدثت أزمة ثقة فى هذا الفكر ، وفى نفس الوقت دبت « الحيرة » فى صفوف الاقتصاديين البرجوازيين · وفى ذلك يقول ارك رول : « فمن ناحية ظلت النظرية الاقتصادية دون أن تمسها الجائحة بشكل قوى · ذلك ان مذاهبها المركزية ، استمرت ، على الاقل مثلما كانت تدرس لاجيال الطلاب ، كما كانت عليه عقودا · ولكنها دخلت من ناحية أخرى عالم ما بعد الحرب ، وقد اصابها العطب والتدمير بدرجة سيئة ، لان علاقتها بعالم الواقع ، وبمشكلات اليوم الملحة ، اصبحت الان موضع الشك فى كل مكان وزمان (٢١) ·

ومن خلال الركام الضخم للكتابات التى دارت حول هذا الموضوع فى عالم ما بين الحربين يمكننا ان نشخص احساس مفكرى الاقتصاد البرجوازى بأزمة علم الاقتصاد فى نقطتين أساسيتين هما :

اولا ـ الشعور بعدم صحة الافتراضات التى قامت عليها النظرية الاقتصادية ·

ثانيا ـ الاعتراف بعدم فعالية تعاليم النظرية الاقتصادية فى مواجهة المشاكل الاقتصادية وتفسيرها واعطاء الحلول المناسبة لها ·

وحول النقطة الثانية من هذا التشخيص حدث هناك انقسام بين الاقتصاديين البرجوازيين · ومن

---

(٢١) ارجع الى : ارك رول ـ مصدر سالف الذكر ، ص ٤٥٥

هذا الانقسام تفرعت التيارات المعاصرة المختلفة • فهناك فريق من الاقتصاديين انبرى للدفاع عن النظرية الاقتصادية الليبرالية ، منساديا « بأن النظرية الاقتصادية ليست مطالبة بمعالجة المشكلات الجديدة التى خلفتها الحرب • (٢٢) ، وأن سياسة الحرية الاقتصادية التى رفع لواءها آدم سميث وريكاردو وما تنطوى عليه من ضرورة عدم تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى والاهمية المطلقة لجهاز السوق فى احداث التوازن والتوظف الكامل بطريقة تلقائية •• كلها أمور يجب الدفاع عنها من جديد • وقد عرف هذا الاتجاه باسم « التيار الليبرالى الجديد » ، وضم عددا من الاقتصاديين مثل فالتر أويكن وفيلهم روبكه وفون مايزس وهايك وليونيل روبنز • وقد نال هذا الاتجاه شهرة واسعة خلال الجدل الذى دار فى الثلاثينات •• وكان منصبا حول فعالية تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى • ولم يكن النقاش حول هذا الموضوع فى ذلك الوقت أمرا عابرا أو مصادفة • ذلك أن مشكلة التقلبات الاقتصادية التى حدثت خلال سنوات ما بين الحربين ، والدعوة الى تدخل الدولة لمعالجة هذه الازمات ، والنجاح الذى حققته تجارب التخطيط الاقتصادى فى الاتحاد السوفيتى •• كل ذلك استفز عددا من انصار هذا الاتجاه لفتح نيران المعركة حول دعوة التخطيط المركزى ، زاعمين انه ليس بالامكان ان ينجح التخطيط المركزى فى اجراء الحساب الاقتصادى السليم لمختلف السلع ، وبالتالى توزيع الموارد الاقتصادية توزيعا امثلا على مختلف الاستعمالات ، بسبب غياب جهاز السوق ، وأن تجربة كهذه من شأنها أن تؤدى الى قيام « الدولة العبودية » وذلك على حد تعبير هايك نفسه (٢٣) •

أما التيار الثانى الذى انبثق من هذه المناقشات ، فقد تمثل فى ذلك الفيض العرم من الابحاث التى اعطت ثقلا كبيرا للمشاكل الاقتصادية للراسمالية فى مرحلتها الاحتكارية ، مركزا على عدد من النواحى اهمها : الدورة الاقتصادية ، المشاكل النقدية والائتمان ، وسياسات التوظف والتجارة الخارجية • وهى ابحاث انطوت على القبول الضمنى لمبدأ تدخل الدولة فى الحياة الاقتصادية • ان الثمرة الواضحة الممثلة لهذا الاتجاه نراها فى صورتها العلنية الصريحة فى المؤلف الذى اخرجه كينز « النظرية العامة للتوظف والفائدة والنقود » عام ١٩٣٦ • والواقع ان النظرية العامة لكينز التى حاولت فى حدود جهازها التحليلى الذى انحصر فقط فى الاجل القصير ، ان تعطى تفسيرا لمشاكل الركود والبطالة ، وصلت بالاقتصاد البرجوازى ، الى حافة النهاية « وفجرت هيكله بكامله (٢٤) » • وكانت فوق ذلك كله بمثابة « اقرار رسمى صادر من المحكمة البابوية للاقتصادالتقليدى بوجود عدم الاستقرار والميل الشديد نحو الركود والقصور المزمن فى استخدام الموارد البشرية والمادية كسمات لصيقة بالنظام الرأسمالى (٢٥) • ومنحت فى اطار سياستها « صك غفران » لخطيئة تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى ، متوهمة بذلك ان هذه الخطيئة سوف يمسح عارها الامكانيات التى يتيحها تدخل الدولة لمعالجة الازمات والبطالة فى النظام الرأسمالى •

وهنا ، وعند هذه المرحلة ، توهم الاقتصاديون البرجوازيون ، أن هناك « ثورة » قد حدثت فى علم الاقتصاد •

نقد النظرة البورجوازية لازمة الاقتصاد السياسى

وهكذا يتصور مفكرو الاقتصاد البورجوازى أن أزمة علم الاقتصاد تتمثل فى عدم ملاءمة النظريات القديمة للاوضاع الجديدة للنظام الرأسمالى ، وعدم قدرتها على اعطاء اجابات صحيحة عن الظواهر الاقتصادية المختلفة • وتصور الازمة بهذا المعنى انما يعنى مرحلة انتقال للفكر الاقتصادى البرجوازى من منطق الفكر الليبرالى الكلاسيكى الى مرحلة أخرى تتميز بالخروج عن بعض مسلمات هذا الفكر وأسسه • وهم بهذا التصور يرون أن أزمة علم الاقتصاد ليست أزمة ذبول أو كساد ، انما هى أزمة « نمو » وذلك على حد تعبير المفكر الفرنسى اندريه مارشال ، وان علم الاقتصاد السياسى البورجوازى قد خرج من أزمته بثورة فى العلم ذاته ، وذلك بظهور الاقتصاد الكينزى • بل ان البعض يتصور أن البحوث العديدة التى تمت فى السنين الاخيرة ، وكانت ذات طابع عملى ، مستخدمة فى ذلك ، بشكل

[٢٢] المصدر نفسه ، ص ٤٥٦

(٢٣) راجع جانبا هاما من ذلك النقاش فى المراجع الاتية : بول سويزى ـ الاشتراكية ، ترجمة الدكتور عمرو محيى الدين ، القاهرة ١٩٦٥ ، اوسكار لانجه وفريدريك تايلور : تخطيط الانتاج فى الدولة الاشتراكية ، ترجمة احمد رضوان عز الدين ، مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٥٦ •

[٢٤] انظر : بول باران ـ المرجع الانف الذكر ، ص ٦٥

[٢٥] راجع : بول باران ـ مصدر سالف الذكر ، ص ٦٦

مكثف ، الرياضة ، والاحصاء ، قد خرجت بالعلم من أزمته ، وأكدت من جديد مدى حيويته .

والخط الاساسى لهذا التصور البورجوازى لازمة علم الاقتصاد السياسى البورجوازى انما يكمن بشكل رئيسى فى اغفال الصلة الموجودة بين أزمة الايديولوجية البورجوازية ككل ، وبين أزمة علم الاقتصاد نفسه . ذلك أن الازمة الثانية انما هى انعكاس مباشر للازمة الاولى . فالازمة العامة للنظام الراسمالى هى ازمة عامة وشاملة وتضم جميع نواحى الحياة الراسمالية . ان تلك الازمة العامة للرأسمالية تتميز بالملامح الاساسية الاتية :

١ ـ حدوث انقسام واضح للعالم بين نظامين اقتصاديين متباينين ، وهما النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى . فانتصار الثورة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩١٧ ، ثم امتدادها الى دول أوربا الشرقية واسيا ، محتوية بذلك ثلث سكان العالم ، كان ضربة للادعاء الميتافيزيقى الذى ردده الفكر البورجوازى عن خلود وابدية النظام الراسمالى .

٢ ـ النجاح الذى حققته تجارب البناء الاشتراكى فى الدول الاشتراكية أعطى تأكيدا للامكانات الضخمة لتحقيق معدلات سريعة للنمو عن طريق التخطيط الاقتصادى الاشتراكى . وكان ذلك يعنى افلاس النظريات البورجوازية التى كانت تنكر امكانية هذا النجاح بسبب غياب جهاز السوق .

٣ ـ اشتداد التناقضات الاقتصادية والاجتماعية بين الدول الراسمالية المختلفة بفعل قانون التطور المتساوى بينها (تفاقم قضايا الاسواق والتصدير) وازدياد هذه التناقضات داخل كل بلد على حدة (عجز المؤسسات الرأسمالية عن أحداث التشغيل الكامل للموارد ، حدوث الازمات الاقتصادية الخ) .

٤ ـ ضعف مواقع الرأسمالية الامبريالية ، وانهيار نظام المستعمرات ، بفعل اشتداد حركات التحرر الوطنى فى دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وهكذا ، فانه عندما تنفجر هذه الازمة العامة على جبهة الفكر الاقتصادى البورجوازى فان الهدف كان ولا يزال هو ايجاد الوسائل والطرق للتغلب على التناقضات المحتدمة لاسلوب الانتاج الراسمالى وانقاذه من الانهيار والذبول . وأيا كانت طرق العلاج والمقترحات التى قدمت ، فلازال المريض يعانى المرض . فالازمات الاقتصادية ، ونقص التشغيل الكامل للموارد ، وازدياد المشاكل الاجتماعية ، وازدياد الانفاق العسكرى على موارد الدمار كمخرج مؤقت لعلاج مشكلة نقص الطلب الفعال ، واشعال نيران الحرب فى فيتنام ولاوس وكمبوديا والشرق الاوسط ، وضرب حركات التحرر الوطنى ... كل هذه الظواهر وغيرها تؤكد بشكل واضح ، أن المرض غير قابل للعلاج .

الخصائص الاساسية لازمة الاقتصاد السياسى البورجوازى

اتخذت الازمة فى علم الاقتصاد السياسى البورجوازى مظاهر وسمات معينة ، هى فى الاساس نتاج للتغيرات الاقتصادية والسياسية التى حدثت فى ظل الازمة العامة لمجموع النظام الرأسمالى . ان هذه السمات والخصائص ، التى سنتعرض لها بايجاز فيما بعد ، تبين لنا كيف انعكست آثار هذه التغيرات فى وعى الاقتصاديين البورجوازيين . ولفهم طبيعة هذه السمات لابد ، بادىء ذى بدء ، من مراعاة نقطتين اساسيتين يحكمان طبيعة هذه الازمة ، وهما :

١ ـ ان الاقتصاديين البورجوازيين ينكرون مفهوم الازمة العامة للنظام الراسمالى ، ويرفضون تصور الراسمالية على أنها مرحلة عابرة فى تاريخ تطور البشرية .

٢ ـ أنهم بالرغم من هذا الانكار ، وفى سبيل الدفاع عن النظام الراسمالى وانقاذه من الانهيار اصبحوا مرغمين على مناقشة بعض المشاكل الخطيرة للرأسمالية التى تغاضوا عنها فترة طويلة من الزمن . ونتيجة لهذا ، وفى سبيل انجاز هذه المهمة ، أى الدفاع عن النظام الرأسمالى ، تراجع الاقتصاديون عن بعض المعتقدات القديمة ، وانتجوا بدلا منها فكرا ونظريات جديدة لايمكن ان نجد بينها ذلك التناسق النظرى الذى كان موجودا فى الفكر الكلاسيكى أو حتى فى الفكر الكلاسيكى الحديث .

انطلاقا من هذا ، يمكننا الان ان نتعرض لبعض خصائص هذه الازمة :

١ – انهيار نظرية التوازن التلقائى :

كانت نظرية التوازن التلقائى تمثل محورا من المحاور المركزية التى قامت عليها النظرية الاقتصادية البورجوازية · وكانت هذه النظرية تقرر ، أنه تحت ظروف المنافسة الكاملة يتجه الاقتصاد القومى ، بفعل قواه التلقائية الكامنة فيه ، الى التوازن المستمر · والمقصود بالتوازن هنا ، ذلك المستوى الذى يتوازن عنده الاقتصاد القومى بقطاعاته المختلفة فى ظل حالة من التشغيل الكامل لجميع الموارد الاقتصادية · وقد نظروا الى توازن التشغيل الكامل على انه الحالة المثلى ، والوضع الطبيعى والعادى ، للاقتصاد القومى · وكانت نظرية جان باتست ساى ، القائلة بأن العرض يخلق الطلب المساوى له ، وبالتالى لا يمكن حدوث أزمة افراط عام فى الانتاج ، هى الاساس الذى قامت عليه هذه النظرية · وبالرغم من أن النظام الرأسمالى قد عرف عددا من الازمات العامة لافراط الانتاج (كما حدث فى عام ١٨١٠ ، ١٨٢٥ ، ١٨٣٦ ، ١٨٤٧ ، ١٨٦٤ ، ١٨٧٣ ، ١٨٩٠ ، الخ) الا انهم نظروا الى هذه الازمات على انها قلاقل عابرة لا تنتج من طبيعة النظام ، وانما من فعل السياسة الاقتصادية ، ومن مظاهر عدم الكمال التى قد تحدث فى السوق نتيجة لجمود بعض الاسعار (كالاجور مثلا) وعدم استجابتها للتغيرات المطلوبة التى يحتمها وضع توازن التشغيل الكامل · وقد استمر هذا الوهم الميتافيزيقى لفترة طويلة من الزمن يسيطر على أذهان الكثير من الاقتصاديين ، الى أن جاءت أزمة الكساد الكبير (١٩٢٩ – ١٩٣٣) وحطمت هذا الوهم تحطيما تاما ، مبينة أن القوى التلقائية الكامنة التى تلعب دائما دور المصحح فى النظام الرأسمالى لا وجود لها أبدا · وهنا خرج اللورد كينز بنظريته العامة ، مؤكدا أن البطالة والركود هما اتجاهان كامنان فى النظام الرأسمالى الحديث ، وانه للتغلب عليهما ، ولانقاذ الرأسمالية من الذبول ، لابد للدولة أن تتدخل فى النشاط الاقتصادى ، ولاقت أفكار كينز فى ذلك قبولا شبه عام ، ولم يعد هناك اليوم من يدافع عن نظرية التوازن التلقائى الا ما ندر ·

وبانهيار نظرية التوازن التلقائى ، فقد الفكر الاقتصادى البرجوازى مقولة من أهم المقولات التى كانت تستخدم فى التحليل وفى مجال الدفاع عن الرأسمالية وخلودها ، ومقدرتها الفائقة على تحقيق الوضع الامثل لتوزيع الموارد ·

٢ – الدعوة للتدخل الحكومى فى النشاط الاقتصادى :

نظر مفكرو الاقتصاد البرجوازى فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الى التدخل الحكومى على أنه خطأ جسيم يعرقل سير الامور بصورتها الطبيعية المثالية · ومن هنا كافحوا لاجل أن تبقى الدولة فى اطار وظائفها التقليدية (القضاء والامن والجيوش) اللازمة لدوران النشاط الاقتصادى الرأسمالى ، أى أنها يجب ان تقوم بدور الحارس الامين لنشاط البرجوازية وكان شعارهم فى ذلك « دعه يعمل واتركه يمر » هذا الزعم الذى ساد فترة طويلة من الزمن فى محيط الدراسات الاقتصادية قد انتهى الان ·

وقد ارتبطت الدعوة للتدخل الحكومى فى النشاط الاقتصادى كاتجاه مقبول لدى مفكرى الاقتصاد البرجوازى بظهور النظرية العامة لكينز عام ١٩٣٦ ، وقد بدأ كينز تحليله بالهجوم على المدرسة الكلاسيكية وعلى قانون ساى للاسواق ، مبينا أن حالة التشغيل الكامل التى ادعى الكلاسيك على أنها الوضع الطبيعى والعادى للاقتصاد القومى ، ليست الا حالة خاصة فقط ، وأن توازن الاقتصاد القومى يمكن أن يتحقق عند مستويات مختلفة تقل عن مستوى التشغيل الكامل · وإذا كان الكلاسيك قد اهتموا أساسا بتحليل العلاقات الطبقية التى تحدد الانصبة النسبية من الدخل القومى التى يحصل عليها أصحاب عوامل الانتاج ، فان مهمة كينز كانت تتلخص فى تفسير القوى التى تعيش مستوى ذلك الدخل ·وقد قادته الادوات التحليلية التى اعتمد عليها الى القول بأن الطلب الكلى الفعال (الذى هو طلب متوقع) هو الذى يحدد حجم العرض ، وبالتالى حجم الناتج القومى ·وينقسم الطلب الكلى الفعال الى : طلب على سلع الاستهلاك ،وطلب على سلع الاستثمار · وفى بحثه عن العوامل التى تحدد شقى الطلب الكلى الفعال اعتمد كينز على التحليل النفسى للمستهلكين والمنتجين ، وأنتهى من تحليله الذاتى الى النتيجة الاتية : وهى أنه مع تزايد حجم الدخل القومى ، يزداد الميل للادخار (وبالتالى ينقص الميل للاستهلاك) وفى الوقت نفسه تنخفض الكفاية الحدية لرأس المال (وبالتالى الميل للاستثمار) ومن هنا تتفاقم مشاكل الركود والبطالة والكساد ، وللخروج من هذه الصورة القاتمة لازمة النظام ، كان لابد له أن يتمرد على مبدأ عدم تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى ، وأن يقترح جملة من السياسات الحكومية فى مجال المالية والائتمان حتى يمكن رفع حجم الطلب الكلى الفعال ، فدعا الى ضرورة خفض سعر الفائدة وتشجيع الانفاق العام الحكومى (**أيا كانت طبيعته**) فى فترة الازمة ، متوهما بذلك أنه قد وضع حدا لمشاكل البطالة والركود فى النظام الرأسمالى ، ودون الدخول فى كثير من التفاصيل الفنية لهذه النظرية

وانتقادها ، نود فقط ان نبين انه بظهور دعوة التدخل الحكومى فى النشاط الاقتصادى فقدت مقولة : القوى الكامنة التلقائية التى تعمل عملها فى النظام وتدفعه دائما للتوازن والتشغيل الكامل ، بريقها ، وبذلك انهار ركن هام من أركان الفكر البرجوازى الاقتصادى ، وكان هدم تلك المقولة يعنى : **انه بدخول الرأسمالية مرحلة راسمالية** الدولة الاحتكارية ، فان جهاز الدولة يجب أن يقوم بدور حاسم فى مساندة الاحتكارات بعد أن فقدت الرأسمالية مقدرتها الذاتية على الاستمرار والنمو . وقد استخدمت فلسفة التدخل الحكومى التى نادى بها كينز لتبرير تزايد الانفاق الحربى الحكومى ، وتعبئة جزء ضخم من الموارد لانتاج وسائل الدمار (٢٦) ، وهكذا انهارت مقولة « دعه يعمل واتركه يمر » ، وأصبحت فلسفة الحرية الاقتصادية المثالية « كم من المتناقضات ، فمن دعوة الى الحرية الاقتصادية شبه المطلقة ، الى تضييق لهذه الحرية ، ومن اعتبار الفرد هو اساس المجتمع الى تركيز الاهتمام فى الدولة » (٢٧) .

٣ ــ انكار الطابع الموضوعى للقوانين الاقتصادية :

ان انكار الطابع الموضوعى للقوانين الاقتصادية يعد أحد السمات الهامة لازمة الاقتصاد السياسى البرجوازى ، حقا ان هذا الانكار لم ينشأ بظهور الاقتصاد البرجوازى نفسه ، انما ظهرت ملامحه عبر تطور الاقتصاد البرجوازى ، فقد اكتشف الاقتصاديون الكلاسيك كثيرا من القوانين التى تحكم تطور النظام الرأسمالى ، وأضفوا عليها صفة الموضوعية ، بمعنى انهم نظروا اليها على أنها تحدث مفعولها فى النشاط الاقتصادى بصورة مستقلة من وحى الناس وارادتهم . وكان ذلك يعد كسبا علميا فى مجال العلوم الاجتماعية التى كان يسيطر عليها التفسيرات المثالية ، والميتافيزيقية فى ظل العصور الوسطى

ومع أن الكلاسيك فسروا هذا الطابع الموضوعى للقوانين الاقتصادية من وجهة نظر مثالية ! حيث انهم بدلا من أن ينظروا اليها على أنها نتيجة غير مقصودة ومترتبة على افعال الناس ، كانوا يرون فيها نتيجة لتأثير قوى أعظم من البشر ، هى قوانين الطبيعة الخالدة والقوى الخارقة فيها ، الا أن ذلك كان يمثل خطوة هامة على طريق البحث العلمى فى مجال العلوم الاجتماعية . وكان أول اتجاه يظهر فى الفكر الاقتصادى ، وضمن سلسلة أزمته يحارب هذه النظرة العلمية هو المدرسة التاريخية الالمانية التى انكرت وجود قوانين تحكم عمليات الانتاج والتوزيع . ونادوا فى مقابل ذلك بوجود « روح » تسود فى عصور اقتصادية مختلفة وعلى أساسها يتم تحديد طبيعة الحياة الاقتصادية لمرحلة معينة من التطور ، وكانت تلك المدرسة بهذا الشكل مثالية هيجيلية . كانت تهدف الى تحويل الاقتصاد السياسى الى علم للتاريخ الاقتصادى (٢٨) .

وكان ظهور الاتجاه الذاتى فى الاقتصاد البرجوازى (المدرسة الحديثة) يمثل استمرار الانكار لوجود الطابع الموضوعى للقوانين الاقتصادية حيث انه انحصر فى مجال بحث التغيرات الطفيفة غير الجوهرية التى تحدث فى مجال توازن المنتج وتوازن المستهلك ، وحينما ظهرت فلسفة التدخل الحكومى فى النشاط الاقتصادى فى مرحلة تطور راسمالية الدولة الاحتكارية ، ساد الاعتقاد بين أوساط واسعة من المفكرين البرجوازيين ، بأن الطابع الموضوعى للقوانين الاقتصادية لم يعد له وجود . حيث أن تلك القوانين يمكن أن تتغير تبعا لاتجاهات ورغبة الدولة فى التدخل فى النشاط الاقتصادى . وهكذا فان القوانين الاقتصادية يكون مصدرها ، حسب هذا التصور ، فى الاتجاهات الفكرية والسياسية المميزة لفترة تاريخية معينة ، وليس فى العلاقات الاجتماعية وخواص القوى الانتاجية (٢٩) ، ونشأ عن ذلك التصور وهم خاطىء فحواه « ان المجتمع يستطيع ، بطريقة اجتهادية أن يقرر اتجاهات تطوره فى الاتجاهات المختلفة (٣٠) » وبالتالى فالقوانين الموضوعية التى تحكم عمليات التطور لا وجود لها على الاطلاق . وفى ذلك يقول **آرثرلويس** : « نحن نفترض أنه من المستحيل علينا التنبؤ بكيفية تطور

---

(٢٦) كانت المانيا الفاشية هى أسبق الدول للاخذ بالسياسة الكينزية فى بناء جهازها الاقتصادى الذى اتاح لها ان تفجر نيران الحرب العالمية الثانية [انظر: بول باران ، السالف الذكر ، ص ٦٧] وفى ذلك يقول هالمارشاخت ، اكبر رجال المالية للرايخ الالمانى ان افكار كينز «تمثل الايضاح والتبرير النظرى للاقتصاد الاشتراكى الوطنى »

(٢٧) أنظر : دكتور عبدالرازق محمد حسن ــ « المادية والمثالية فى التحليل الاقتصادى » مقال منشور بمجلة مصر المعاصرة ، القاهرة ، سبتمبر ١٩٥٣

(٢٨) انظر : اوسكار لانجة، المرجع نفسه ، ص ٢٨٨

(٢٩) المصدر السالف الذكر، ص ٢٥١

(٣٠) راجع : بلومين ، مصدر سالف الذكر ، ص ١٠١.

اى نظام اجتماعى ... ومن المستحيل علينا أن نتنبأ بالنسبة للدول المتقدمة ، الى اى اتجاه تسير ، لاننا لا نعتقد أن مستقبل الجنس البشرى تحكمه قوانين غير قابلة للتغيير » .

والملاحظ الان ان الاقتصاديين البرجوازيين يتحدثون بشكل نادر عن «القوانين الاقتصادية» . وتلك حقيقة يعترف بها مؤلفو «قاموس علم الاقتصاد الحديث » الذى صدر فى الولايات المتحدة فى اعقاب الحرب العالمية الثانية . ان انكار الطابع الموضوعى للقوانين الاقتصادية ، يفقد علم الاقتصاد السياسى البرجوازى طابعه كعلم بالمعنى الفلسفى لهذه الكلمة .

٤ ـ محدودية الاستفادة من أدوات التحليل المتقدمة :

يمكن تشخيص مرحلة التطور التى تمر بها الان الدول المتقدمة الرأسمالية بأنها مرحلة رأسمالية الدولة الاحتكارية . وهى مرحلة تتميز بدرجة عالية من تركز وتمركز راس المال ، وازدياد سيطرة الاحتكارات على شتى نواحى الحياة الاجتماعية ، وتحكمها بشكل رئيسى فى اتجاهات نمو الدخل القومى وتركيبه ، وفى امتلاك الدولة لبعض المشروعات اللازمة لدوران دولاب الانتاج فى المؤسسات الرأسمالية الخاصة . كما تتسم ايضا بازدياد السيطرة المباشرة لرأس المال الاحتكارى على جهاز الدولة وتحويله الى جهاز رئيسى هام لتنفيذ السياسة الاقتصادية المرتبطة بمصالح المؤسسات الاحتكارية . وهكذا فانه يلزم لتنفيذ هذه السياسة معرفة صحيحة بالظواهر والعلاقات الاقتصادية الموجودة بين المتغيرات والتعبير عنها كميا لاستخلاص انسب اساليب السياسة الاقتصادية فى المجالات المختلفة (النقود ، الائتمان ، الضرائب ، السياسة الجمركية ، الخ) وتحقق لرأس المال الاحتكارى أكبر فائدة ممكنة .

ومن ثم فانه نتيجة لزيادة دور الدولة الاقتصادى ، ونتيجة لزيادة تركز رأس المال ووجود المؤسسات الصناعية الضخمة التى تستطيع ان تلحق بها مراكز للبحوث الاقتصادية والعلمية ، تطورت فى السنوات اللاحقة للحرب العالمية الثانية عدة فروع هامة فى البحث الاقتصادى ، كالاقتصاد القياسى ، والاقتصاد الرياضى ، والاحصاء الاقتصادى ، والمحاسبة القومية ، وبحوث العمليات والبرمجة وعلم السبرنطيقا . وهى جميعا تتميز بدرجة متقدمة فى استخدام الاحصاء والرياضة . وقد حقق العلم الاقتصادى البرجوازى فى هذه المجالات تقدما ملموسا بابتكار اساليب جديدة للتحليل الكمى للعلاقات بين المتغيرات الاقتصادية المختلفة .

والواقع انه رغم عظم التقدم الذى احرزه علم الاقتصاد البرجوازى فى هذه المجالات ، الا أن امكانيات الاستفادة الموسعة من هذه الاساليب التحليلية المتقدمة فى البحث الاقتصادى ، فى اطار العلاقات الرأسمالية ، محددة للغاية «بسبب حرمانها من اساس نظرى شامل ، كالذى يتيحه الاقتصاد السياسى . ويزداد ضيق مجال تطبيقها بسبب القيود التى تفرضها الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . وهذه العلوم ، مثل المحاسبة القومية والبرمجة ، بحكم طبيعتها نفسها ، تهتم بالمشكلات التى لا يمكن حلها من الناحية العملية الا فى اقتصاد اشتراكى يقوم على التخطيط » (٣١) .

٥ ـ العودة الى نظرية النمو :

تعاظم اهتمام مفكرى الاقتصاد البرجوازى بقضايا النمو والتنمية منذ السنوات الخمسينية من القرن العشرين ، وأصبح التركيز الشديد على مشاكل التنمية ونماذج النمو ، من أهم السمات التى تطبع نتاج الفكر الاقتصادى البرجوازى فى الفترة الاخيرة . ويعكس الاهتمام المتزايد لقضايا النمو خاصة أساسية من خواص الازمة الراهنة فى علم الاقتصاد البرجوازى ، وانعكاسا اصيلا لطبيعة الازمة العامة للنظام الرأسمالى . ذلك ان الاهتمام المتزايد حول هذا الموضوع نشأ كنتيجة مباشرة لهذه الازمة .

أ ـ فنشوء النظام الاشتراكى فى عدد من دول أوروبا وآسيا ، محتويا بذلك ثلث البشرية ، والدور الذى لعبه الاتحاد السوفيتى فى دحر الفاشية اثناء الحرب العالمية الثانية ، والتقدم السريع لاقتصاده الذى خربه الحرب ، والتفوق الذى احرزته ولا تزال تحققه اسرة النظام الاشتراكى فى مجال الانتاج وتطوير التكنيك ورفع مستوى المعيشة للسكان . كل ذلك قدم الدليل على قوة النظام الاشتراكى . «ولم يعد هناك شك فى ان نظاما اجتماعيا واقتصاديا قائما على تخطيط اقتصادى شامل يمكن ان يؤدى وظيفة ، وأن ينمو وأن يصمد

---

(٣١) انظر : أوسكار لانجة ، المصدر السالف الذكر ، ص ٣٢٠ .

الاضعف الاختبارات التاريخية دون ما حاجة الى مزايا المشروع الفردى وقوانين الملكية الفردية لوسائل الانتاج (٣٢) » . كل ذلك احدث قلقا متزايدا لدى مفكرى الاقتصاد البرجوازى ، وارغمهم ذلك على تعميق الاهتمام بعملية اعادة الانتاج والتراكم (٣٣) لتحقيق معدلات اعلى للنمو فى مجال السباق السلمى بين النظامين .

ب ـ ونتيجة لازدياد مشاكل الدورة الاقتصادية فى النظام الرأسمالى ، واحتدام مشاكل البطالة والركود ، وخاصة بعد انتهاء سنوات الرواج لفترة ما بعد الحرب ، تأكدت النظرة القائلة بعدم فعالية النظرية العامة لكينز فى القضاء على مظاهر الدورة الاقتصادية ، لانها عجزت عن الاحاطة النظرية الكاملة بالازمة العامة للرأسمالية . كذلك لم يفلح التفسير اليسارى للكينزية (افكار بول سويزى وجوان روبنسون) فى التوصل الى علاج مقبول للمشاكل المتفاقمة للرأسمالية ، هنالك برزت الحاجة الى دراسة موضوع النمو والتطور الاقتصادى من جديد بعد تلك الغيبة الطويلة التى قطعتها مسيرة تطور الفكر الاقتصادى البرجوازى ، منذ الاقتصاد الكلاسيكى حتى بداية العقد الرابع من القرن العشرين .

ج ـ ونتيجة لازدياد حركات التحرر الوطنى فى دول العالم الثالث ، وضعف مواقع الامبريالية العالمية بانهيار نظام المستعمرات ، وسعى الدول المتحررة حديثا لتنمية اقتصادياتها ورفع مستوى معيشة شعوبها وانهاء عهود التخلف والسيطرة التى تمت على أيدى المستغلين الاجانب والمحليين . وانتهاج بعض هذه الدول طريق النمو اللارأسمالى القائم على معاداة الامبريالية والاقطاع والرأسمالية الكبيرة ، الامر الذى الحق ، وسيلحق بالتأكيد ، ضررا عميقا بالمصالح الاجنبية .. كل ذلك خلق حالة ، يصفها بول باران بحق « بالاسى الشديد فى صفوف الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة والبلاد الرأسمالية الاخرى التى تجلس على قمة الهرم الامبريالى (٣٤) » . ومن هنا اجبر الفكر الاقتصادى البرجوازى على تناول موضوع النمو والتنمية بالدول المتخلفة وذلك لارتباط هذا الموضوع ارتباطا مباشرا بمصالح الدول الرأسمالية فى تلك الدول .

والواقع انه أيا كانت طبيعة الاسباب التى ادت الى بروز موضوع التنمية والنمو الى المكان المركزى فى محيط الدراسات الاقتصادية البرجوازية فى الوقت الراهن ، فان وجهة النظر البرجوازية عاجزة تماما عن الاحاطة الجذرية بهذا الموضوع . فالجزء الغالب من الكتابات حول هذا الموضوع والتى ظهرت فى صورة **نماذج للنمو** ركزت فقط على بعض النواحى التكنيكية للعلاقات بين المتغيرات الاقتصادية المختلفة (كالعلاقة بين معدل النمو ومعدل التراكم ، او العلاقة بين معدل التراكم ومعامل رأس المال ، والعلاقة بين معدل نمو السكان ومعدل النمو فى متوسط دخل الفرد ، الخ) واهملت تماما العوامل والعلاقات الاجتماعية ، حيث نظر اليها على انها من العوامل الخارجية .

ويعتقد بعض الاقتصاديين ان هذا الاحياء الراهن لنظرية النمو ، ان هو الا عود على بدء . حيث يعقدون مقارنة بين اهتمام الكلاسيك وبين الاهتمام الحالى لمفكرى الاقتصاد البرجوازى . والواقع أنه بغض النظر عن طرافة هذه المقارنة ، الا اننا يجب ان نلاحظ ما تنطوى عليه هذه المقارنة من نتيجة هامة جدا . حقا لقد كانت النقطة المركزية لدى الكتاب الكلاسيك هى مناقشة قضية النمو لاسلوب الانتاج الرأسمالى ، وكانت كتاباتهم تنطوى على صراع من أجل التقدم ، اى صراع ضد علاقات الانتاج الاقطاعية ومظاهر الجمود والتخلف التى نتجت عن هذه العلاقات . ومن هنا اكتسبت كتاباتهم مسحة ثورية تقدمية ، لانها كانت مرتبطة بالدعوة لنظام جديد ، يمثل مرحلة اعلى فى نمو المجتمع البشرى بالقياس الى اسلوب الانتاج الاقطاعى . أما الان فان الجهود الحالية التى يبذلها مفكرو الاقتصاد الرأسمالى تصطدم « اصطداما مستمرا مع النظام الاقتصادى والسياسى للرأسمالية والامبريالية (٣٥) » ، وبمظاهر عدم المعقولية والفوضى والضياع التى تحكم طبيعة هذا النظام . وتلك هى بالدقة اهم مظاهر الازمة فى الاقتصاد السياسى البرجوازى .

٦ ـ ابتكار أساليب جديدة للديماجوجية :

ظهرت فى السنوات العشرين الاخيرة عدة نظريات وابحاث فى الفكر الاقتصادى البرجوازى كلها تدور حول محور واحد ، فحواه أن الرأسمالية قد تغيرت وفقدت كثيرا من مساوئها

---

[٣٢] راجع : بول باران ، المصدر السابق الذكر ، ص ٦٨
[٣٣] انظر : اوسكار لانجة ، المصدر نفسه ، ص ٣٣٢
[٣٤] انظر : بول باران ــ المصدر السالف الذكر ، ص ٦٨
[٣٥] راجع : بول باران ، المصدر الانف الذكر ، ص ٦٩

وشرورها وأصبحت فى السنوات الاخيرة متميزة بشكل خاص عما كانت عليه فى غضون القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين ، وهى بالتالى تختلف اختلافا تاما عن رأسمالية القرن التاسع عشر التى كان يتحدث عنها آدم سميث وكارل ماركس • والطابع الغالب على هذه النظريات هو الديماجوجية • بمعنى انها ترتكز على مجموعة من التغيرات الثانوية، غير الجوهرية التى حدثت فى الرأسمالية ليخلصوا من ذلك الى نتائج غير صحيحة ، وذلك بهدف الدفاع التبريرى عن مستقبل الرأسمالية ، وفى سبيل الرغبة المحمومة لتشويه الاشتراكية وتحريفها •

وكانت البداية الواضحة فى هذا الاتجاه الديماجوجى هو ظهور نظرية « **الرأسمالية المنظمة** » التى وجدت تعبيرها فى كتابات **سومبارت ، شتولتزمان ، وشالمباخ** ، ثم بشكل اكثر دقة وتحديدا فى أبحاث الكاتب النمساوى **هلفردنج** حول « الرأسمالية المنظمة » عام ١٩٦٧ • وتقرر هذه النظرية : ان سيادة الاحتكارات تؤدى الى الغاء المنافسة ، وفوضى الانتاج والغاء الازمات الاقتصادية ، وبذلك تخلق امكانية تنظيم وتخطيط الاقتصاد القومى (٣٦) • ثم تطور هذا الاتجاه بعد ظهور النظرية العامة لكينز عام ١٩٣٦ ليظهر فى « **نظرية الرأسمالية المخططة** » وهو اتجاه يرتكز على السياسات التى اقترحها كينز لمعالجة مشاكل البطالة والركود ، ويدعى بأن التخطيط يمكن ان يطبق فى الرأسمالية ، لان شأنه فى ذلك شأن التكنولوجيا ، محايد من الوجهة السياسية (٣٧) . فهو ليس الا تكنيك للادارة والاشراف والتوجيه • وان التخطيط قادر على تحقيق مصالح الامة وجميع الطبقات ، وذلك على تعبير الكاتب الامريكى **لوروين** • ولا زال لهذا الاتجاه جذور قوية ، فى الكتابات الحديثة الغربية عن التخطيط الاقتصادى •

وبازدياد تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى ، فى مرحلة رأسمالية الدولة الاحتكارية ، وادارة بعض المشروعات (كالمرافق العامة ومشروعات توليد الطاقة) التى تدار لمصلحة الاحتكارات الكبرى ، حيث تبيع لها منتجاتها بأسعار منخفضة ، نشأت نظرية « **الاقتصاد المختلط** » التى تقرر أنه فى النظام الرأسمالى أصبح يوجد الان قطاعين متمايزين وهما القطاع العام والقطاع الخاص ، وان مشروعات القطاع العام لا تتسم بالطابع الراسمالى لانها تخدم الاقتصاد القومى بجميع طبقاته وفئاته ، وليس بخفى ما تنطوى عليه هذه النظرية من محاولة اخفاء طابع الدولة كجهاز يخدم اساسا مصالح الاحتكارات الرأسمالية •

ويظهر تهافت مفكرى الاقتصاد البرجوازى بشكل صارخ فى نظريتهم المسماة « **بالرأسمالية الشعبية** » التى يمثلها كل من **جوهانسون والفن هانش • وبرك وجالبر ولودفيج ارهارد** • وهى ترتكز على الادعاء بأن الرأسمالية الحالية تتميز الان بتعاظم حجم الشركات المساهمة • ونتيجة لذلك يزعمون ان دائرة من يملكون أصبحت الان اكثر اتساعا بازدياد عدد حائزى الاسهم ومن ثم توجد الان جماعية لرأس المال ، بعد ان كان رأس المال فرديا محضا • وان الذى أصبح يتحكم فى توجيه هذه الشركات هى الجمعيات العمومية للمساهمين وليس القرارات الفردية للرأسماليين ، وان الذى يدير عمليات الانتاج والتوجيه فئة من ذوى الثقة ، هم مديرى الانتاج ، الذين يعملون دائما من اجل رخاء الجميع • ومن ثم فان الاقتصاد القومى يدار الان بطريقة ديموقراطية وان هناك اليوم « **مجتمعا مفتوحا** (٣٨) » تمتزج فيه الطبقات وتتعاون فى وئام من أجل بناء مستقبل ، رحب مفتوح ، وذلك فى مقابل المجتمع المغلق الاشتراكى ذو المستقبل المحدود !

ولئن كانت الرأسمالية الحديثة تتميز بدرجة عالية من تركز رأس المال ، وسيطرة الاحتكارات

---

(٣٦) انظر فى ذلك ، الموقف الجماعى،تاريخ الفكر الاقتصادى ، •

(٣٧) كان الاقتصادى الالمانى كارل‌لنداور فى كتابه [نظرية التخطيط الاقتصادى ، ١٩٤٧] يقول بانه لا يوجد اى ارتباط بين نظام الدولة وطابع التملك ، وبين التخطيط الاقتصادى . بمعنى انه يمكن التخطيط فى اى نظام اجتماعى ، وان التخطيط ، حتى فى الاتحاد السوفيتى ، ليست له علاقة ، حسب رأيه ، بالملكية العامة لادوات الانتاج

(٣٨) ظهرت نظرية المجتمع المفتوح لاول مرة فى كتابات استاذ فى علم المنطق وطرق البحث العلمى بجامعة لندن فى عام ١٩٤٥ فى كتابه المكون من جزءين عن « المجتمع المفتوح واعدائه » ، ثم وجدت صدى واسعا لها فى الكتابات الحديثة فى ظل استفحال الازمة العامة لمجموع النظام الرأسمالى . وهى نظرية تتميز بعدائها الواضح للفكر الاشتراكى والدول الاشتراكية . ويرتكز اطارها الفلسفى على فلسفة الوضعية المنطقية ، وتنكر وجود قوانين موضوعية للتطور ، وبالتالى تنادى بعدم امكانية اجراء تنبؤ علمى لمسار التطور الاجتماعى للنظام الراسمالى . ومن ثم تنحصر فقط فى نطاق التبرير والتمجيد البتذلين للمجتمع الرأسمالى ، وان كان بوبرنفسه يحاول ان ينزع صفة «الراسمالى» عن مجتمعه المفتوح ويخلع عليه صفة المدنية والتحضر . وللحصول على نظرة نقدية موجزة لهذه النظرية ،

الكبرى ، كقوى مسيطرة اقتصاديا واجتماعيا ، فان بعضهم يرى - مثل جالبريث - ان تطور الرأسمالية قد ولد فى الوقت نفسه قوى مضادة لهذه القوى ، وبنفس المقدار ، مثل نقابات العمال الكبرى التى اصبحت اليوم فى مركز يسمح لها بمعارضة تخفيض الاجور والمطالبة بتحسين مستوى معيشة العمال • ومن هنا يمكن وصف القوى المتصارعة اقتصاديا واجتماعيا بأنها فى مستوى واحد من القوة • واذا اختل توازن هذه القوى ، ودخلت فى صراعات تعرض مجريات الامور للاضطراب ، فان الدولة يمكن ان تلعب دورها كوسيط محايد لحل الخلافات بينها ، وكان ذلك هو بالدقة ما تضمنته « **نظرية القوى المتصارعة** » (٣٩) •

على أن اشهر وأخطر نماذج التهافت فى الفكر الاقتصادى البرجوازى هو النظرية المسماة « **بنظرية التقارب أو الالتقاء** » التى يروج لها الان بشكل محموم بعض الاقتصاديين (مثل جالبريث وكوب وتنبرجن) يؤيدهم فى ذلك مجموعة من علماء علم الاجتماع البرجوازى مثل سوروكين ، وريموند ارنو . وفحوى هذه النظرية ينصرف الى انه توجد الان بين النظام الراسمالى والنظام الاشتراكى بعض اوجه التشابه • فكلا النظامين ، يتميزان بأنهما يضمان دولا صناعية متقدمة ذات تكنيك متقدم ، وتتميز بازدياد الدور الذى يلعبه العمال الفنيون ، وباللجوء الى احدث أساليب التخطيط والادارة الخ • ومن ثم فكلا النظامين توجد فيهما مشاكل متشابهة ، واتجاهات نمو معينة ، تتقارب فيما بينها يوما بعد آخر ، ليصلان معا فى المستقبل الى مجتمع جديد ، لا هو بالرأسمالى ولا هو بالاشتراكى ، انما هو مجتمع يأخذ فيما بين الاثنين من مزايا ، والمجتمع الذى يقصدونه فى هذا الصدد : هو مجتمع الاستهلاك الوفير الذى حدده والت وتيمان روستو فى نظريته عن مراحل النمو •

وهكذا فان مروجى هذه النظرية يدعون ، انه طالما ان النظامين يقودان فى النهاية الى نفس الهدف ، وهو المجتمع الصناعى المتقدم ذو الاستهلاك الوفير ، فما هو الداعى اذن للحديث عن الايديولوجيا ، أو عن التفرقة بين النظامين ، أو حتى عن الثورات الاجتماعية !

وحينما ظهرت افكار الاقتصادى السوفيتى ليبرمان ونظم التخطيط والادارة الحديثة فى الدول الاشتراكية ، والتى تتميز باستخدام الاسعار والتكاليف والارباح كوسائل لتحسين كفاءة التخطيط الاشتراكى ولرفع انتاجية العمل عن طريق استخدام نظم الحوافز والمكافآت انبرى فريق من كتاب الفكر الرأسمالى ليزعم بأن الدول الاشتراكية اصبحت اليوم تطبق أساليب رأسمالية ، وان ذلك يمثل عودة لقوانين السوق • وفى المقابل زعموا بأن الدول الرأسمالية اصبحت الان تطبق أساليب اشتراكية ، فهى تطبق التخطيط الاقتصادى ، وتأخذ بنظم الضريبة التصاعدية ، ويوجد بها قطاع عام •• الخ ، اليس هذا دليلا على التقارب ؟

ولن يهمنا هنا الدخول فى نقد هذه النظرية (٤٠) وغيرها من النظريات الديماجوجية لمفكرى الاقتصاد البرجوازى ، انما نود فقط أن نشير الى ان تلك النظريات بما انطوت عليه من تراجعات واضحة عن كثير من مسلمات الفكر البرجوازى ومحاولتها التقرب من الفكر الاشتراكى وبما اتسمت به من طابع ديماجوجى مبتذل ، انما تعبر بوضوح عن الازمة الحادة للايديولوجية البرجوازية ككل ، وتشكل سمة هامة من سمات الازمة الراهنة فى الاقتصاد السياسى البرجوازى •

أزمة الاقتصاد السياسى البرجوازى فى الدول المتخلفة

تعاظمت فى اعقاب الحرب العالمية الثانية موجة المد الثورى لحركة التحرر الوطنى فى دول العالم الثالث • وحصلت دول كثيرة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية على استقلالها السياسى وانفصلت بالتالى عن النظام السياسى للامبريالية ، مسجلة بذلك بدء عصر جديد ، هو عصر تفكك وانهيار النظام الاستعمارى للرأسمالية الذى يعد أحد المراحل الهامة للازمة العامة لمجموع النظام الرأسمالى •

وغداة هذا الاستقلال ورثت شعوب هذه الدول نظما اجتماعية بالية ، كانت قد تشكلت بما يتناسب تماما مع مصالح السيطرة الاجنبية • وهذه النظم ، التى هى أما نظم اقطاعية ، أو اقطاعية شبه رأسمالية ، تتصف بتخلف وضعف شديدين لقوى الانتاج وعلاقات الانتاج ، وباختلال واضح

(٣٩) راجع : فنشنزوفيتللو - الفكر الاقتصادى الحديث ، ترجمة الدكتور محمد ابراهيم زيد ، دار الكاتب العربى بالقاهره ١٩٦٧ ، ص ١٨٨

(٤٠) انظر فى صدد نقد هذه النظرية كتاب المفكر الاشتراكى الالمانى هربرت مايزنر ، وانظر ايضا مقالة ليبرمان فى رده على نظرية الالتقاء « حول مفهوم الربح بين الاشتراكية والرأسمالية » ، مقال منشور بمجلة الطليعة ، عدد ٦ يونيو ١٩٦٦ ص ١٥٠ وما بعدها .

فى هيكلها الاقتصادى الذى يقوم على انتاج المواد الخام ، وتبعيتها الاقتصادية للسوق الرأسمالى العالمى ، وبضعف معدل النمو ، وانخفاض متوسط دخل الفرد .

وقد حرص الاستعمار خلال عهود الاستغلال والسيطرة ان يروج دائما لفلسفته وافكاره المعادية للتقدم والتغيير الاجتماعى . وقد انعكس ذلك فى تشكيل نظم التعليم (على الرغم من ضآلته) تشكيلا متخلفا يتناسب مع مصالحه ، وفى نشر ثقافته وايديولوجيته البرجوازية التى تمجد الفردية وتبرر الاستغلال . ولعبت العلوم الاجتماعية البرجوازية التى شجعها الاستعمار دورا رجعيا وخطيرا ، نظرا لانها ، كالمعتاد ، توفر « التبرير العقلى الضرورى للجهد المنظم الذى تبذله الطبقة الحاكمة فى البلاد الرأسمالية المتقدمة لمنع ، أو على الاقل تأخير التحرر السياسى والاقتصادى للامم المستعمرة والتابعة (٤١) » . وفى هذا المجال لعب علم الاقتصاد البرجوازى دورا هاما ، لانه اكثر العلوم الاجتماعية ارتباطا بالايديولوجية البرجوازية . فقد روج الاستعمار نفكره الاقتصادى فى المدارس والجامعات والمعاهد العليا بالدول المتخلفة . وظلت كتب الاقتصاد المتداولة تقتصر فقط على معالجة النشاط الاقتصادى للوحدات الاقتصادية بشكل منعزل عن علاقات الانتاج الاجتماعية محاولة بذلك ان تخفى دراسة الجانب الاجتماعى فى العملية الاقتصادية ، لان دراسة هذا الجانب هى الامر الخطير ، لانها تؤدى بالضرورة للكشف عن واقع الاستغلال الرأسمالى والامبريالى ، وتشير بالضرورة الى ضرورات التغيير الاجتماعى والسياسى والاقتصادى . وقد حرصت هذه الكتب على تمجيد النظام الراسمالى ، والدفاع عن الحرية الاقتصادية وتبجيل روح المخاطرة الفردية ومحاربة أية دعوة للتغيير أو التنمية ، زاعمة ان الطريق الامثل للنمو هو طريق النمو الراسمالى الذى يجب ان تترك مهمة تحقيقه لقوى السوق وعمليات النمو التلقائى وللمبادرات الفردية .

وحينما هبت شعوب العالم الثالث التى تحررت حديثا ، لتبحث عن طريق للنمو ، وجدت نفسها وجها لوجه امام طريق مسدود عنوانه : طريق النمو الرأسمالى ، فقد ثبت نظريا وعمليا استحالة تكرار نموذج النمو الراسمالى فى دول العالم الثالث وذلك بسبب ضعف البرجوازية الوطنية داخل هذه الدول ، وعدم قدرتها على مواجهة المنافسة مع الرأسمالية الاحتكارية العالمية ، وعدم قدرتها على الوفاء بمهام التنمية الضخمة فى المجالات المختلفة التى قد لاتدر ربحا يدفعها للاستثمار فيها .

ومن الناحية النظرية ثبت ما انطوت عليه النظرية الاقتصادية البرجوازية من تحيز واضح لمصالح رأس المال الاحتكارى والرأسمالية الامبريالية ، ومن تعارض واضح مع المصالح الحقيقية لشعوب الدول المتخلفة . ولعلنا نذكر هنا ، كمثال عابر فقط ، ما انطوت عليه نظرية التكاليف النسبية من نظرة استعمارية ، حيث تبرر باسم العلم ، كيف ان انقسام بلدان العالم الى بلدان صناعية متقدمة والى بلدان منتجة للمواد الخام ، أمر يتمشى مع قوانين القدرة النسبية والتقسيم الامثل للعمل الدولى .

وقد خلق النضال التى تخوضه شعوب العالم الثالث ضد التخلف ومن أجل التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى السنوات الاخيرة ردود فعل قوية فى مجال العلاقات الدولية الاقتصادية والسياسية . وقد ظهرت ردود الفعل هذه فى الفكر الاقتصادى البرجوازى حيث نشأت تيارات غريبة وعديدة ، كلها تتناول الان موضوع التنمية فى الدول المتخلفة . وهى جزء من الحملة الايديولوجية التى تشنها الدول الاستعمارية لمحاولة بلبلة فكر الثوار الوطنيين وتحويلهم بقدر الامكان عن خوض طريق التحول الاجتماعى نحو الاشتراكية . ونود هنا الاشارة الى انه يمكن تقسيم الكتابات والبحوث البرجوازية حول هذا الموضوع الى نوعين اساسيين :

● **النوع الاول** : وهى البحوث الاقتصادية التى تعتمد على التحليل النظرى للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فى الدول المتخلفة ، وهى الاوضاع التى يناقشها الكتاب تحت عنوانين : مظاهر التخلف ومشاكل النمو . والقارىء لهذا النوع من الكتابات سوف يلحظ كيف يركز الاقتصاديون على رسم صورة مظلمة رهيبة لاوضاع هذه الدول ومشاكلها المعقدة بحيث لا يكون هناك مجال لاى أمل فى أى جهد يبذل لمواجهة هذه المشاكل . وهم فى تناولهم لهذه المشاكل يركزون بصورة مأسوية على مظاهر ثانوية لا تمس جوهر المشكلة . فمن فكرة « الحلقات الخبيثة أو الشيطانية » والتى تعمل عملها بصورة منتظمة تدفع النظام الى حالة من الركود الدائم ، الى فكرة « التسبيب الدائرى للتخلف » والتى من شأنها

---

(٤١) راجع : بول باران ــ المصدر الأنف الذكر ، ص ٧٥

ان تدفع النظام باستمرار الى غياهب التخلف والفقر ، الى التركيز على الفيزيولوجية المرضية للتخلف التى تتحدث عن طبيعة هذه الشعوب التى تتسم بالخمول وتحقير الكسب المادى والعمل .. ، الى المالتسية الجديدة التى تدعو بشكل تشاؤمى الى عدم جدوى أى جهد يبذل فى التنمية لان السكان يتزايدون دائما بمعدلات تفوق معدل نمو الدخل ، وان الحل لن يتم بسهولة لان هناك انفجارات سكانية رهيبة تدمر اى جهد انمائى ، ولامانع بعد ذلك من تقديم عدة نصائح أبوية للدول الصغيرة المتخلفة عن سياسات التنمية . وهى كلها تدور حول البحث فى تساؤلات شكلية محددة مثل : نمو متوازن أم نمو غير متوازن ؟ دفعة قوية ، أم نمو تدريجى ؟ تركيز على الصناعة أم على الزراعة ؟ الاهتمام بالصناعات الاستهلاكية أم بالصناعات الانتاجية ؟ وأى أسلوب يختار فى التكنيك ؟ أهو التكنيك المكثف لادوات الانتاج ؟ أم التكنيك المكثف للعمل ؟ الخ .

وبين هذا التخبط والضباب الفكرى لا يحتاج المرء على عناء كبير ليخلص بالنتيجة الاتية : على الشعوب المتخلفة ان تتأنى فى رسم سياستها الانمائية ، وأن تتجنب القفز بخطوات واسعة فى مجال التنمية ، وأن الجهد الانمائى فى النهاية متوقف على مساعدات الدول الرأسمالية فى مجال التمويل والمعونة الفنية (٤٢) .

● اما النوع الثانى من البحوث ، فهو ذلك النوع الذى يركز على الجوانب الفنية والتكنيكية فى عملية التنمية الاقتصادية .. وقد تبلور هذا الاتجاه فى العديد من نماذج النمو التى ظهرت فى السنوات الاخيرة . وهى نماذج تركز فى الاساس على التغيرات الكمية فى بعض المتغيرات الاقتصادية بهدف الوصول الى رسم صورة تنبؤية لمسار تطور بعض الكميات الاقتصادية (مثل معدل زيادة الدخل القومى أو معدل نمو التوظف الخ) وذلك فى ظل نظام اقتصادى واجتماعى معين . وهى بهذا الشكل تحصر نفسها فقط فى حدود ضيقة لا تتعداها ، هى حدود النظام المعين المطبق فيه النموذج (٤٣) .

والواقع أن كلا النوعين من الكتابات البورجوازية قد عجز تماما عن الاحاطة الجذرية بموضوع التنمية والتخلف فى دول العالم الثالث . ذلك ان قضية التنمية الاقتصادية فى الدول المتخلفة هى فى الاساس وفى الدرجة الاولى ، قضية صراع ضد نظام اجتماعى بال ، بكل مكوناته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وهى بالتالى قضية ثورة اجتماعية قبل أن تكون قضية متغيرات اقتصادية . ان مجرد فكرة « التنمية » والنمو - كما يقول باران - « تشير الى حركة وتحول من شيء قديم ، مضى زمانه الى شيء جديد . ولا يمكن تحقيق ذلك الا من خلال نضال حازم ضد القوى المحافظة المنهارة ومن خلال تغيير فى الهيكل الاجتماعى والسياسى والاقتصادى لمجتمع متخلف كف عن التقدم » (٤٤) . ومن ثم فان البلاد المتخلفة لا تحتاج الى نموذج رياضى للنمو ، انما تحتاج فى الاساس الى نموذج للتغيير الاقتصادى والاجتماعى (٤٥) وفى هذا النموذج تحتل فكرة العلاقات الاجتماعية المكان الاول من التحليل .. وهو ما تعجز عن ايضاحه النظرة البورجوازية .

أين نحن من هذه الازمة ؟

يعد علم الاقتصاد من أقدم العلوم الاجتماعية فى الجامعات والمعاهد العليا المصرية . وقد تزايدت الاهمية النسبية لخريجى كليات التجارة وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية والمعاهد التجارية العليا من جملة خريجى العلوم الانسانية

(٤٢) يمكننا هنا ان نشير ، على سبيل المثال ، الى ما ذكره بنيامين هيجنز فى هذا الصدد . اذ يذكر « انه لا أمل للبلاد المتخلفة فى الاندفاع باقتصادياتها نحو التنمية الاقتصادية مالم تحصل على المزيد من الاعانات الاجنبية او الاستثمار الاجنبى .. وانه مهما كانت درجة رغبة هذه البلاد فى التنمية ، فان العون الاجنبى هو الاساس الذى بدونه تضيع جميع الجهود ادراج الرياح »

(٤٣) هناك نماذج اقتصادية عديدة انتجها الفكر البرجوازى ، مثل نموذج هارود - دومار ، نموذج هافلمو ، نموذج هامبرج ، نموذج انشمورا ، الخ . وقد لفت نظرى ، اثناء بحث قمت به فى المدرسة العليا للاقتصاد ببرلين ، ان اشهر نماذج النمو فى هذا الصدد ، وهو نموذج هارود - دومار الذى ظهر عام ١٩٤٦ ، والذى يبلور معدل النمو على انه ناتج قسمة معدل التراكم على معامل رأس المال ، ان هو الا تكرار [مع تعديل طفيف جدا] لاول نموذج تنموى وضع فى الاتحاد السوفيتى اثناء اعداد الخطة الخمسية الاولى عام ١٩٢٨ ، والذى صاغه الاقتصادى السوفيتى فلدمان ونشر لاول مرة فى عام ١٩٢٨ ، فى العددين ١١ ، ١٢ . وقد ترجم هذا الكتاب باللغة الالمانية عام ١٩٦٩ ونشر تحت عنوان « حول نظرية نمو الدخل القومى »

(٤٤) انظر : بول باران - المرجع الانف الذكر ، ص ٧٢

(٤٥) راجع فى ذلك البحث القيم الذى قدمه الدكتور فوزى منصور الى المؤتمر الدولى العلمى لمشاكل اعادة الانتاج الموسع فى الدول النامية والذى عقد بالمدرسة العليا للاقتصاد ببرلين عام ١٩٦٩ ، وترجم الى اللغة الالمانية

بشكل ملحوظ فى السنوات الاخيرة (٤٦) كمــا تغطى دراسته العديد من الكليات ، بخلاف كليات التجارة والاقتصاد ، والمعاهد التجارية العليا ، حيث تمتد لتشمل طلبة كليات الاداب والحقوق والزراعة ومعاهد الخدمة الاجتماعية ، وغير ذلك ، ومن هنا يمكن القول ان علم الاقتصاد يعد تقريبا قاسما مشتركا ، يتدارسه جميع طلبة العلــوم الانسانية فى بلادنا ، ومن هنا لابد وأن تحتل قضية تطوير هذا العلم ، مكانة هامة فى الجهد الحالى المبذول من أجل تطوير وضع العلم والتعليم فى بلادنا · ونحن اذا استعرضنا وضع هذا العلم فى بلادنا لامكن لنا استخلاص عدد من الحقــائق الهامة ، مثل :

١ ـ هناك تأثير واضح لــوجهة النظــر البورجوازية على الجزء الاعم والغالب مــن المؤلفات الجامعية التى تدرس فى بلادنا · على أن هذا التأثير ، وان كان وليدا للمحاكاة فى السنوات المبكرة لتدريس علم الاقتصاد ، نظرا لان المشتغلين بتدريسه قد تلقوا تعليمهم فى الدول الرأسمالية الغربية ، وبحكم انسجام هذه المحاكاة مع طبيعة النظام الاقتصادى والاجتماعى الذى كان سائدا فى سنوات ما قبل الثورة وحتى بدء عملية التحول الاشتراكى فى مصر عام ١٩٦١ ، فان استمرار هذا الوضع فى الظروف الحالية أمر لم يعد له ما يبرره ·

٢ ـ نتيجة لهذه المحاكاة ، ولهذا التأثير فقد انتقلت الى الفكر الاقتصادى المصرى ايضا سمات الازمة العامة للاقتصاد السياسى البــورجوازى نفسه ، وظهرت بدرجات متفاوتة فى النتاج الفكرى للاقتصاديين المصريين لفترة طويلة من الزمن · فمن التركيز على دراسة الاقتصاد الكلاسيكى الى اهمال الطابع الاجتماعى لعلم الاقتصاد والتركيز على المدرسة الكلاسيكية الحديثة ، ومن الاهتمام الشديد بالنظرية العامة لكينز له (٤٧) الى الدعوة لتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى الى النقد الشكلى للنظام الرأسمالى والنظام الاشــتراكى والدعوة للاخذ بمزايا النظامين ، الخ · حقا ان صدور الميثاق الوطنى ، الذى أجمع عليه شعبنا ، وما نص عليه من رفض صريح وحاسم لاسلوب النمو الرأسمالى ، وتبنيه الاشتراكية طريقا لبناء مجتمع الكفاية والعدل ومناداته الاعتماد على التخطيط القومى الشامل باسلوب علمى لادارة وتنمية الاقتصاد المصرى ، كل ذلك وضع حدا لهذه الازمة الفكرية · غير ان سمات هذه الازمة لازالت تطبع العديد من الكتابات الاقتصادية الراهنة ·

٣ ـ هناك عزلة تكاد تكون شبه تامة عن دراسة علم الاقتصاد الاشتراكى والقوانين الاقتصادية للاشتراكية ، واعراض عن دراسة الفكر التخطيطى الاشتراكى الموجود بالدول الاشتراكية والذى تطور فى السنوات الاخيرة تطورا هائلا ، كما لو كان هذا الفكر لا يهم سوى شعوب تلك الدول · بينما واقع الامر يؤكد ان الاستفادة من هذا الفكر سوف تعود على جهود التنمية الاقتصادية بفائدة كبرى · وليس يخفى ان ذلك وضع غير مقبول « اذ لا يليق بالعالم الحق أن يغمض عينيه عن مثل هذا الواقع الضخم أيا كانت معتقداته الشخصية ، كما أن علم الاقتصاد الاشتراكى ·· قد ظهرت فيه فئــات المؤلفات خلال نصف القرن الاخير ، ومن ثم لا يمكن الاحتجــاج بقلــة المــراجع أو نــدرة البحوث (٤٨) ·

٤ ـ ولعل العزلة عن دراسة علم الاقتصاد الاشتراكى والفكر التخطيطى الاشتراكى تجــد تعبيرها الواضح فى سياسة البعثات وبناء الكادر الاكاديمى لعلم الاقتصاد ، حيث أن البعثات التى خصصت لدراسة الاقتصاد بالخارج ، كانت توجه بشكل أساسى الى الدول الغربية (فرنسا ، وانجلترا ، أمريكا الخ) ولعل الاحصاءات المنشورة فى هذا الموضوع خير دليل على ذلك · ذلك انه خلال الفترة ما بين ١٩٢٢ الى ١٩٦٦ حصل ٨٩ مبعوثا ودارسا على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد من الجامعــات الاجنبية · ومن بين هؤلاء يوجد فقط اثنان حصــلا على هذه الدرجة من المجر وبولندة ، أى بنســبة ٢٫٥ فى المائة من مجموع الحاصلين على هــذه الدرجة فى الفترة المذكورة ، عــلى حين تصــل بالتالى هــذه النســبة الى ٩٧٫٥ فى المــائة بالنســبة للذين حصــلوا عــلى هذه الدرجــة من جامعــات فرنســا وانجلترا وامريكا والمــانيا

---

(٤٦) قفز النصيب النسبي لخريجي كليات التجارة من ٣٠٪ فى عام ٥٩/١٩٦٠ الى ٤٠٪ (بما فى ذلك خريجى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية] فى عام ٦٦/١٩٦٧ من حملة خــريجى الكليــات النظرية ، انظر فى ذلك : الكتاب السنوى للاحصاءات للجمهورية العربية المتحدة ٥٢ـ ١٩٦٧ ، يونيو ١٩٦٨ ، ص ١٨٥

(٤٧) كانت النظرية العامة لكينز ، حتى عهد قريب ، تدرس كمقرر دراسى خاص ، على طلبة البكالوريوس بكلية التجارة بجامعة عين شمس . وكان من أشد المتحمسين لها المرحــوم الدكتور جمال الدين سعيد

(٤٨) انظر فى ذلك العرض الــذى قدمه الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله للكتاب القيم الذى ألفه الدكتور عبد السلام بدوى عن « ادارة القطاع العام فى المجتمع الاشتراكى » ، مقال منشور بمجلة الطليعة ، عدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٦٩ ، ص ١٦١

العربية وسويسرا أو اسكتلندة والنمسا وهولنده (٤٩) .

حقا ان هذه النسب قد تغيرت فى السنين الاخيرة بعد ازدياد التعاون الفنى والثقافى بيننا وبين الدول الاشتراكية وبعد النقص الذى حدث فى الارصدة الاجنبية المخصصة للبعثات فى الدول الغربية . لكننى لا اعتقد ان هذه النسب قد تغيرت بشكل محسوس .. بل انه مما يضاعف من حرج الموقف ان المبعوثين العائدين من الدول الاشتراكية لا يزالون يلقون صعابا فى الاعتراف بدرجة الدكتوراة التى حصلوا عليها من الجامعات الاشتراكية .

٥ ـ ومن الامور الواضحة ايضا ، ما تتسم به دراسة علم الاقتصاد فى مصر من طابع نظرى ضيق ، ينحصر فى دراسة الجوانب النظرية دون التعمق الكافى فى قضايا التطبيق لواقع الاقتصاد المصرى . ولعل من الامور الغريبة « ان يمضى الطالب المصرى سنوات الدراسة يتعلم الكثير عن دور « المنظم الرأسمالى » وعن أهمية الربح ، وعن المنافسة الحرة ونظرية الاحتكار وطرق التسويق ، وحقوق المساهمين ... الخ .. ثم يتخرج فتعينه الدولة فى احدى شركات القطاع العام ، فيواجه بدل مراقب الحسابات الجهاز المركزى للمحاسبات ولا يجد جمعية عمومية ولا مساهمين وانما يجد المؤسسة العامة والوزير . ولا يصادف فى معظم الاحيان اية منافسة فى السوق المحلية ، ويتعامل بأسعار تحددها الدولة ، ويطلب منه اعداد بيانات للخطة القومية ثم العمل على الالتزام بهذه الخطة . فهل نملك بعد ذلك أن نلومه اذا اصيب بنوع من « انفصام الشخصية » فى المستوى الفكر (٥٠) » ؟

تلك هى بعض السمات العامة عن واقع علم الاقتصاد فى مصر . وهى سمات تعكس بشكل واضح مدى تاثرنا بفكر واحد . رغم بعد الشقة بين واقعنا وبين هذا الفكر « وليس من المقبول ان نبقى الى ما لا نهاية رهنا بثقافة اقتصادية واحدة ، انجلو سكسونية أو فرنسية ، بحسب الاحوال ، نستسلم لها استسلاما يعجزنا عن النهوض بأنفسنا ، اتكاء على تنوع ثقافى يريدنا ثقة ومقدرة على النقد والتقييم المقارن (٥١) » .

ومع كل هذا لا يجوز للمرء هنا ان يتغاضى عن الدور الهام الذى لعبه الاقتصاديون المصريون فى اعداد الخطة الخمسية الاولى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وفى المساهمة فى اعداد العديد من الدراسات عن واقع الاقتصاد المصرى خلال فترة « لجنة التخطيط القومى » وما بعدها ، والتى على ضوئها تم التوصل الى معرفة الكثير من جوانب الاقتصاد المصرى . كما لا يجوز لنا أن نغض الطرف عن بعض الدراسات القيمة التى كتبها بعض الاقتصاديين المصريين فى الفترة الاخيرة حول قضايا القطاع العام فى المجتمع الاشتراكى وقضايا التطبيق الاشتراكى فى الواقع المصرى ، وذلك على الرغم من قلتها .

لقد آن الاوان أن تتغير الطريقة والمفاهيم التى يدرس بها علم الاقتصاد فى الجامعات والمعاهد العليا المصرية ، وأن يتحول هذا العلم الى قوة هامة ومؤثرة فى حركة التطور الاقتصادى والنظام الاشتراكى بعض أوجه التشابه . فكلا والاجتماعى والسياسى التى تمر بها بلادنا الان ، وتلك مهمة معقدة تحتاج الى بحث طويل .

---

(٤٩) المصدر : نشرة التعبئة العامة والاحصاء ، التى يصدرها الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، العدد ٥٩ ، مارس ١٩٦٨ ، ص ٢٧

(٥٠) راجع : دكتور اسماعيل صبرى عبد الله ، مجلة الطليعة ، العدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٦٩ ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(٥١) انظر فى ذلك التعليق الذى كتبه الدكتور زكريا نصر حول التقرير الذى وضعه يوسف عبد الله صايغ عن « الاقتصاديون وعلم الاقتصاد فى العالم العربى » ، من منشورات معهد الدراسات الاقتصادية بالجامعة الامريكية ـ بيروت ١٩٦٤ ، مجلة مصر المعاصرة ـ العدد رقم ٣٢٤ ، ابريل ١٩٦٦ ، ص ١٨٦ .

تقارير الشهر

■ جمهورية مصر العربية ■

السادات يقول :

لن نسمح بالقطيعة مع السوفيت

ولن نسمح أيضا باللجوء لامريكا

■ سوريا ■

التصدى لمحاولات تطويق

حركة التحرير العربى

■ الخليج العربى ■

تسلل من الباب الخلفى

أم لعب على المكشوف ؟

■ يوغوسلافيا ■

المجلس الرئاسى اليوغوسلافى

وسياسة توزيع السلطات

■ اليابان ■

« الخروج » .. من تحت

المظلة الامريكية

■ رسالة من صوفيا ■

فكر ديمتروف

فى لقاء دولى

■ رسالة من وارسو ■

بولندا .. بعد تولى

جيرك السلطة

■ جمهورية مصر العربية

السادات يقول :

لن نسمح بالقطيعة مع السوفييت
ولن نسمح أيضا باللجوء لامريكا

فى جلسة افتتاح المؤتمر القومى ، الذى اتفق موعده مع مرور ٢٠ عاما على ثورة ٢٣ يوليو ، وجه **الرئيس أنور السادات** الى الأمة ، خطابا سياسيا هاما استغرق ٤ ساعات تناول فيه بالتركيز موضوعات أساسية هى :

● مسيرة الثورة المصرية والانجازات الضخمة التى حققتها عبر ٢٠ عاما .

● موقف امريكا من مشكلة الشرق الاوسط وحقيقة الالتزام الامريكى تجاه اسرائيل وانعكاس ذلك على تطورات المشكلة .

● موقف الاتحاد السوفيتى من النضال العربى والعلاقات المصرية ـــ السوفيتية .

● مسئوليات الوطنية المصرية والقومية العربية .

● قضية الوحدة الوطنية .

وقد استغرق الموضوع الاول ـــ مسيرة الثورة ـــ الجزء الاول من خطاب الرئيس .

ويقول المراقبون السياسيون ان الرئيس السادات قد حرص فى ذلك ، على تعريف القوى الشعبية ـــ وبخاصة الشباب المصرى ـــ بالجهود الضخمة التى بذلتها قيادة ثورة يوليو من اجل تغيير الواقع المصرى فى اتجاه البناء والتقدم السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، واضعا فى الاعتبار ان الصورة القديمة لمصر قبل الثورة ليست معروفة بالتفصيل الكافى لدى الشباب الذى لم يعاصر تلك الفترة . كما يقول المراقبون ان الرئيس قد حرص ـــ من جهة اخرى ـــ على التأكيد بحسم على الطابع الوطنى المعادى للاستعمار القديم والجديد .. وعلى المضمون الاجتماعى التقدمى لاتجاه ثورة يوليو .

وبشأن الموقف الامريكى من مشكلة الشرق الاوسط ، حدد الرئيس حجر زاوية اساسى لرؤية القضية على ضوء سؤال طرحه الرئيس ويقول : ما هو العامل الخطير فى الموقف كما بدا لنا بعد سنة ٦٧ ؟ وأجاب الرئيس بوضوح « ان نظرة على خريطة الازمة ، سوف توضح لنا أن هذا العامل الخطير فى الموقف هو الولايات المتحدة الأمريكية » . وفى هذا المجال اشار الرئيس الى عناصر ثلاثة هامة وأساسية تنطلق من حقيقة « أن خطة العدوان [يونيو ١٩٦٧] عرضت على الرئيس الامريكى ليندون جونسون وكان حاضر الاجتماع مدير المخابرات الامريكية ، ووافق الرئيس الامريكى واعطى مباركته » . وهذه العناصر تمثل الالتزام الامريكى تجاه اسرائيل ، هى :

● ان تحول أمريكا ـــ بكل الطرق ـــ دون صدور قرار من مجلس الامن يلزم اسرائيل بالتراجع الى الحدود التى كانت قائمة يوم ٤ يونيو ١٩٦٧ .

● ان لا تفرض أمريكا على اسرائيل ـــ ولا تترك آخرين يفرضون عليها ـــ أية تسوية للازمة لا تكون صادرة عن مفاوضات مباشرة بين اسرائيل وبين العرب .

● ان تحتفظ أمريكا ـــ فى كل الظروف ـــ لاسرائيل بالتفوق العسكرى .

وقد دلل الرئيس على حقيقة وصحة هذا التحليل ، بالعديد من البيانات الرسمية الامريكية والاسرائيلية وبحقائق تطورات الاحداث نفسها وحتى اليوم ، مؤكدا حقيقة ان « الموقف الامريكى هو الموقف الخطير فى الازمة ، ليس الموقف السوفيتى أبدا ـــ الموقف الخطير هو الموقف الأمريكى وحايظل الموقف الخطير هو الموقف الامريكى » . ومن واقع الحادثات المصرية الامريكية ، كشف الرئيس عن أن **دين راسك** ـــ وزير الخارجية الامريكية السابق ـــ قد أبلغ مصر بقوله « ... ريحوا نفسكم ، لن تتغير السياسة الامريكية بتغير الرئيس الامريكى . » وهنا وجه الرئيس السادات كلماته قائلا : « دى مواقف لازم نثبتها للتاريخ ونسمعها للعالم كله ولشعبنا وللفئة القليلة المضللة اللى متصورة ان أمريكا عايزة تحل المشكلة » . ثم ختم حديثه عن هذا الموضوع موضحا أن أمريكا تعمل على « تمويت القضية » ولهذا « قلت لهم ما ليش كلام معاكم خلاص .. انتم ناس مالكوش كلمة بتغشوا وبتخدعوا للاسف يعنى .. وعلاوة على الكذب فيه غش وفيه خداع » .

ويقول المعلقون ، أن الرئيس السادات قد حدد ـ بذلك ـ أن الخطر الرئيسى على حركة التحرر الوطنى فى مصر والوطن العربى ، مازال هو الخطر الامريكى الذى ظل ومايزال يتربص بالمكاسب والمنجزات التقدمية الهامة التى أنجزتها ثورة يوليو .

ثم تطرق الرئيس ـــ فى خطابه ـــ بعد ذلك ، الى الحديث عن موقف الاتحاد السوفيتى من النضال العربى والعلاقات المصرية السوفيتية ، فأوضح ـ كاطار عام ـ ان الاتحاد السوفيتى «كان مؤيدا لنا على طول الخط» . وابرز الرئيس ان « بيننا وبين الاتحاد السوفيتى تعاون فى البناء يتجلى فى تطوير الصناعة والزراعة ويكفى

أن أشير الى السد العالي ومجمع الحديد والصلب »

وبشأن تطورات العلاقات المصرية السوفيتية التي شغلت اهتمام الرأى العام المصرى والعربى والعالمى بعد قرار « انهاء مهمة المستشارين الخبراء العسكريين السوفيت » الذى اتخذه الرئيس فى ٨ يوليو الماضى ، وبدأ تنفيذه فى ١٧ يوليو ، اوضح الرئيس السادات أن هناك خلافا فى وجهات النظر وان هذا الخلاف « أمر ممكن يحدث بين الاصدقاء مفيش شك . وانا زى ما قلت لكم على علم بكل تفصيل فى علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى منذ عبد الناصر الى يومنا هذا ـ الناس واقفين معانا سياسيا واقتصاديا وعسكريا . ولكن بتختلف تقديرات المواقف بيننا وبينهم » . وقد أرجع الرئيس جذور وطبيعة هذا الخلاف الى « .. همه قوى كبرى مافيش شك ولهم التزاماتهم وعليهم ولهم أوضاعهم .. و ... ومسئولياتهم ولهم طريقتهم فى الحساب واستراتيجيتهم وغيره . واحنا لنا مشكلتنا واستراتيجيتنا وحساباتنا . يمكن مشكلة الشرق الاوسط بالنسبة لهم ماتكونش نمرة واحد وهى قطعا مش نمرة واحد ، لكن بالنسبة الى أنا مشكلة احتلال ارضى والشرق الاوسط هى مشكلة مش نمرة واحد بس وهى النوم والحياة والاكل

تعليـــق

هل هناك جديد يبرر عودة العلاقات ؟

فى ١٩٦٧ قطعت حكومة السودان علاقاتها مع الولايات المتحدة الامريكية كمظهر من مظاهر الاحتجاج على العدوان الامبريالى الصهيونى على البلدان العربية والدعم الامريكى لاسرائيل . وفى الشهر الماضى اعلنت السودان اعـادة العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية .

والحقيقة ان الاعلان السودانى بعودة العلاقات مـع الولايات المتحدة الامريكية لم يكن مفاجئا . فمعالم التغيير فى السياسة الخارجية السودانية بدأت منذ منتصف عام ١٩٧١ . فقد اعلنت وزارة الخارجية الامريكية فى بيان لها فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧١ حول زيارة مبعوث وزارة الخارجية الامريكية دافيد نيوسوم للخرطوم ـ ان هذه الزيارة تجىء بعد سلسلة محادثات بدأت فى يونيو الماضى بين وليام روجرز وزير الخارجية الامريكى ومنصور خالد وزير خارجية السودان والذى كان فى ذلك الوقت مندوبا دائما لبلاده فى الامم المتحدة .

وفى النصف الثانى من ديسمبر ١٩٧١ رحب الرئيس نميرى بنيوسوم وبحث معه امكانية تطـوير العلاقات بين السودان والولايات المتحدة الامريكية فى شتى المجالات ـ ورغم اعلان الرئيس نميرى فى خطاب له بمديرية النيـل الازرق بان العلاقات الدبلوماسية بين السودان والولايات المتحدة لن تعود فالعدوان الاسرائيلى على العـرب لايزال مستمرا وواشنطن لاتزال تساعد اسرائيل عـلى بقـاء الاحتلال ، فان الاتجاه لدعم العلاقات بين السودان والولايات المتحدة ازداد قوة ونشاطا . ففى الخامس من فبراير ١٩٧٢ زار جورج بوش السودان لمدة يومين وسلم الرئيس نميرى رسالة من نيكسون . وفى ١٩٧٢/٣/٣١ وقع السـودان اتفاقية مع صندوق النقد الدولى الذى تسيطر عليه الولايات المتحدة يحصل بمقتضاها على ٤٠ مليون دولار مسـاعدة للحكومة السودانية لمواجهـة العجز فى ميزان المدفوعات السودانية .

وفى نفس الفترة وقعت اتفاقية الجنوب مع الانيانيا التى يقودها جوزيف لاقو ـ وعلاقاتها بالولايات المتحدة واسرائيل معروفه وكذلك بالجمعيات الكاثوليكية الامريكية .

وفى يونيو الماضى زار اللواء «عمر الحاج موسى » وزير الارشاد السـودانى الولايات المتحـدة الامريكية وادلى باحاديث للصحافة والتليفزيون اكد فيها عودة العلاقات مـع الولايات المتحدة الامريكيـة . وفى يونيـو ١٩٧٢ ادلى المليونير السودانى دكتور « خليل عثمان » بحديث لجريدة الصحافة السودانية قال فيه : « راس المال الاجنبى دلوقت بيقبل على الاستثمار فى بلدنا ، يوم ٥ يونيو حيصـل للبلـد رجال الاعمال من اليابان وأمريكا وبريطانيا علشان يشوفوا المشروعات الممكن يساهموا فى تنفيذها ـ موش مشروعات صغيرة ، لا ، مشروعات ضخمة كبيرة » .

ويشار دائما الى الدكتور خليل عثمان بانه خلف كثير من الاتفاقيات مع الشركات الرأسمالية الغربية مثل الاتفاق الذى تم مؤخرا مع شركة كايزر ولورنو البريطانية لانشـاء مصنع للسكر برأسمال يصل الى حوالى ٦٠ مليون جنيـه استرلينى : وكذلك الاتفاقيات التى ستتم مع مجموعة من شركات البترول الامريكية والانجليزية للتنقيب عن البترول فى السودان ، وخاصة شركة [جلف] الخليج التى يعمل بها الدكتور خليل عثمان .

وفى اول يوليو ١٩٧٢ أعلن الرئس نميرى فى جوبا شكره للولايات المتحدة الامريكية لانها تقدمت بمساعدات عظيمة بواسطة الامير صدر الدين خان المندوب السـامى للاجئين تعادل مبلغ ١٨ مليون دولار للمساعدة فى عمليات الاغاثة والتوطين واعلن ان هذه المساعدة تعتبر اكبر مساعدة تأتينا من الخارج وقد جملته يفكر جديا فى اعادة النظر فى العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة .

وهكذا يجىء اعلان اعادة العلاقات بين السودان والولايات المتحدة الامريكية تعبيرا عن الاستراتيجية الخارجية الجديدة لحكومة السودان والتى غيرت اتجاه سياستها الخارجية بدعم العلاقات مع الغرب اقتصاديا وسياسيا . وكما ان اعادة العلاقات تلك لم تعد معلقة على الشرط الذى طالما أعلنته حكومة السودان وهو توقف الولايات المتحدة عن دعم اسرائيل وعدوانها واحتلالها للوطن العربى وبطشها بحقوق الشعب الفلسطينى . فالولايات المتحدة الامريكية مازالت عنـد موقفها بل انها تزيد دعمها لاسرائيل وعدوانها بوقاحة اكثر ، وباصرار على استمرار موقفها المعادى للشعوب العربيـة المناضلة من اجل حريتها واسترداد حقوقها المغتصبة وفى مقدمتها مصر طليعة هذا النضال .

عبد المنعم الغزالى

والصحيان والشرب هي مشكلتي . مشكلتي أرضي المحتلة . علشان كده انا قلت ممكن يكون فيه خلاف بين البيت الواحد حتى الاخوات ، الاثنين الاخوات بيختلفوا كل واحد بيكون مختلف عن الثاني » . وهنا ركز الرئيس بوضوح على حقيقة انه « اختلفنا ولكن ما أردتش ان هذا الخلاف يخرج عن حدوده كخلاف بين الاصدقاء »

ويقول المراقبون أن الرئيس السادات قد استطرد في استعراض « الخلاف بين الاصدقاء » متحليا بدرجة فائقة من تقدير المسئولية الوطنية والقومية ، يدللون على ذلك بحرص الرئيس السادات على التأكيد بأن « الموقف السوفيتي موقف صديق ـ أنا باقول ـ وبيحاولوا يستثمروه ، وأنا مش حا استجيب لهذا الاستثمار أبدا على أى صورة من الصور » .

وفي هذا المجال ، كشف الرئيس السادات عن محاولات للاساءة فيما بين مصر والاتحاد السوفيتي ، فقال مشيرا الى أعداء الشعب المصري : « انهم يحاولون هذه الايام ايضا ان يدفعوا وقفتنا مع الصديق خارج حدودها . يحاولون أن يصوروا انه لم يبق لنا بعدها الا قطيعة مع الاتحاد السوفيتي ، وهذه لن نسمح بها في حدود مبادئنا وما ندين به . يحاولون أن يصوروا انه لم يبق لنا بعدها الا أن نلجأ الى الولايات المتحدة . وهذا لن نسمح به أيضا » .

واعتبر المراقبون ان ذلك كان بمثابة « الرد المصري » على المحاولة التي قامت بها « دولة أوروبية » قالت في رسالة لها الى الرئيس بعد قرار انهاء مهمة الخبراء السوفيت « احنا مستعدين نتوسط بينك وبين أمريكا واسرائيل » وهنا رد الرئيس موضحا « هم فاكرين ان انا غيرت جلدي بعد القرارات » . واستطرد ليعلن « ما بنغيرش جلدنا : احنا لنا مبادىء ، هذه المبادىء هي اللي بتحكمنا مع الولايات المتحدة ومع الاتحاد السوفيتي ومع العالم كله » . ويقول المراقبون ان اضافة الرئيس السادات هناوالتي قال فيها « وانا سبق قلت قبل كده والله دهب الولايات المتحدة كله ما يشترى مبادئنا ولا مثلنا أبدا . اطلاقا » ، تكتسب دلالات هامة في هذه الظروف .

وفي ختام حديثه عن العلاقات المصرية ـ السوفيتية ، اكد الرئيس السادات « .. سنبقى في حاجة الى كل ما يستطيعون ان يقدموه لنا ، بل اننا سوف نسعى باستمرار الى توسيع وتعميق روابط الصداقة » .

وانتقل الرئيس بعد ذلك الى الحديث عن مسئوليات الوطنية المصرية والقومية العربية .. فأشار الى « أن العبء سوف يتركز أكثر من أى وقت مضى على جبهتنا الوطنية ، وهنا يجىء دور الهدف الذى قلت امام اللجنة المركزية انني اقترحته هدفا لمؤتمركم الوطني : الوحدة الوطنية » . وأكد الرئيس في هذا المجال ان « الوحدة الوطنية .. الان وأكثر من أى وقت مضى تصبح الجبهة الداخلية هي دعامة التحرير الرئيسية لان الوطنية المصرية سوف تصبح أداة التحرير الرئيسية » . وركز الرئيس على قوله أن هناك محاولات للتشكيك في أننا يمكن أن نقف ونقاتل « وأقول لهم اننا سوف نقف وسوف نقاتل باذن الله » . واستعرض الرئيس عمليات التشكيك في قيام دولة الاتحاد وفي أن عبدالناصر « تنحسر عن مصر » . وفند الرئيس هذه المزاعم وقال « يجب أن يعلم هؤلاء أن الناصرية هي المنهاج الواضح لثورة ٢٣ يوليو . وان الناصرية كما عشناها مع القائد والمعلم موجودة في الوثائق الثلاث الاساسية للثورة : فلسفة الثورة ـ الميثاق الوطني ـ بيان ٣٠ مارس » .

وكشف الرئيس السادات ايضا عن محاولات التشكيك التي وصلت الى حد « التشكيك بالوحدة الوطنية بين المسلمين في هذا الوطن وبين الاقباط فيه . وهيهات ان ينالوا شيئا مما يريدون » . وأوضح الرئيس انه سيدعو مجلس الشعب الى اجتماع استثنائي في هذا الشهر [اغسطس] لاتخاذ قرارات تتعلق بهذا الموضوع .

ثم تناول الرئيس الوضع القومي فقال : « ينبغي أن أصارحكم وأصارح الامة العربية من خلالكم ـ اننا على المستوى القومي لم نفعل شيئا . المصالح الامريكية تزداد في المنطقة ـ روجرز يصرح بكل وضوح وفي مطار الكويت ان لنا أصدقاء كثيرين ومخلصين في العالم العربي » . ثم أضاف « بعض الدول التي كانت قد قطعت علاقاتها بالولايات المتحدة تعيد معها العلاقات دون أن يبدو أن هناك تغييرا من أى نوع لموقفها . معناه ايه ؟ كل ده معناه ايه ؟ معناه اما أن بيننا من يقبل السياسة الامريكية كما هي الان أو اننا لا نعرف كيف نعاقب المسيء الينا » .
ولفت الرئيس النظر الى أن الامة العربية تملك من الوسائل المؤثرة اقتصاديا واستراتيجيا وسياسيا .. « ولكننا نبدو كمن يدرك قيمة ما يدرك .. ويقف عاجزا امامه بينما ينهب منه الاخرون ، وليتهم كانوا مجرد آخرين . ولكنهم أمريكا السند الاكبر والاوحد لاسرائيل . تأخذ

منا أمريكا لتعطى اسرائيل على شكل اموال تعيش وعلى شكل طائرات تضرب بها مصانعنا ومدارسنا ونهدد بها اعماقنا » .

وفي هذا المجال ، ختم الرئيس حديثه بقوله : « القومية العربية سوف تجدد اتصالاتنا . الموقف لم يعد يحتمل . لم يعد يحتمل ان تتسع وتزدهر مصالح أمريكا . لم يعد يحتمل ان يقول روجرز ان لامريكا اصدقاء فى المنطقة » .

ومن الجدير بالذكر **ان المحرر السياسى للاهرام** كان قد كتب تعليقا على تطورات الاحداث ، تحت عنوان : « الموقف مع الاتحاد السوفيتى الان » يقول : « ان كل اعداء العرب فى هذه اللحظات وفى مقدمتهم اسرائيل سوف يبذلون كل جهودهم لدفع التطورات بعد الحد الذى يجب أن تقف عنده . وهذا يفرض على الفور ان يصبح واجب كل مواطن عربى يفكر فى الحاضر وفى المستقبل معا ان يحصر الموقف فى حدوده الموضوعية بل وان يبذل قصارى جهده لتجاوز التطورات الاخيرة وبحيث تظل الصداقة العربية السوفيتية فى قيمة كل الجهود التى كرست لبنائها خلال خمسة عشر عاما متصلة وفى خضم تجارب ضخمة وتحولات تاريخية بعيدة الاثر » . وقد وصف « المحرر السياسى للاهرام » هذه الصداقة بانها « ليست مهمة فحسب ولكنها ايضا بلا بديل يوازى قيمتها » .

■

■ سوريا

التصدى لمحاولات تطويق حركة التحرير العربى

قام الفريق **حافظ الاسد** رئيس الجمهورية العربية السورية والامين العام لحزب البعث العربى الاشتراكى فى سوريا ، بزيارة للاتحاد السوفيتى ، على رأس وفد حزبى وحكومى كبير ، فى الخامس من شهر يوليو الماضى ، واستغرقت أربعة أيام ، وذلك تلبية لدعوة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى وهيئة مجلس السوفييت الاعلى والحكومة السوفيتية .

وقد تضمنت المباحثات بين الجانبين ، العلاقات الثنائية بين البلدين ، وآفاق توسيعها فى المجالات الحزبية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، وغيرها فى المستقبل ، كما تناولت المباحثات العديد من القضايا والمشاكل العالمية .

وكانت القضية الرئيسية التى تركز حولها النقاش بين الجانبين السورى والسوفيتى ، هى الوضع الخطير فى الشرق الاوسط ، الناتج عن العدوان الاسرائيلى الامبريالى المستمر على الشعب العربى ، وقد أوضحت المناقشات تطابق وجهات النظر حول طبيعة النزاع فى الشرق الاوسط ، وطرق التوصل الى تسوية له .

وقد تعرض الرئيس السوفيتى **نيكولاى بودجورنى** ، فى خطابه امام الوفد السورى ، للعلاقات العربية ــ السوفيتية ، وقال بهذا الصدد : « انه ترتفع بين كل حين وآخر أصوات تزعم ان الاتحاد السوفيتى يهتم ببقاء الشرق الاوسط فى حالة لا سلم ولا حرب .. ومثل هذه الاقوال اكاذيب متعمدة ، وتلفيقات مفتراة دبرتها الدعاية الامبريالية . وان سياسة بلادنا وحزبنا تقوم على المبادىء ، والاتحاد السوفيتى يؤيد بشدة اقامة سلام دائم وعادل فى الشرق الاوسط يضع فى اعتباره مصالح كل الشعوب فى المنطقة بما فى ذلك الشعب العربى الفلسطينى » .

وجاء فى البيان المشترك عن المباحثات التى جرت بين الوفد السورى والجانب السوفيتى : تقدير الجانب السوفيتى للاهمية البالغة للتحولات الاجتماعية والنجاحات السورية التى تحققت فى مجال تعزيز الديمقراطية ، بتشكيل مجلس الشعب ، وتطبيق نظام الادارة المحلية ، واقامة الجبهة الوطنية التقدمية ، مما زاد الالتحام بين الجماهير والقيادة ، ووفر ظروفا أكثر ملاءمة للنضال من اجل تحرير الاراضى العربية المحتلة ، نتيجة للعدوان الاسرائيلى الامبريالى عام ١٩٦٧ .

ويعلن الطرفان من جديد ، بكل حزم ، انه لا يمكن اقامة سلام عادل ومتين فى الشرق الاوسط ، الا على أساس الانسحاب العاجل وغير المشروط لجميع القوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، وتأمين الحقوق والمصالح المشروعة للشعب العربى الفلسطينى ، ويؤكد الطرفان من جديد ، تأييدهما لحركة المقاومة الفلسطينية ، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من حركة التحرر الوطنى للشعب العربى .

وان الجانب السوفيتى يؤكد ، بصورة حازمة ، تصميمه على الاسهام فى ايجاد حل عادل بأسرع وقت لقضية الشرق الاوسط ، وانه سيستمر

فى تأييده لنضال الجمهورية العربية السورية ، وجمهورية مصر العربية ، والدول العربية الاخرى من أجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلى الامبريالى فى أسرع وقت ممكن .

واتفق الجانبان حول الاجراءات الخاصة باطراد زيادة القدرة العسكرية للجمهورية العربية السورية ، واستمرار تطوير التعاون العسكرى بينهما ، وتبادل الآراء ، واجراء المشاورات فى هذا المجال .

وقد أكد الجانبان عزمهما على استمرار النضال المتواصل ضد أية محاولات ترمى الى نسف الصداقة والتعاون بين البلدان الاشتراكية والبلدان العربية . كما أشار الجانبان الى أهمية قيام الدول العربية باستثمار النفط وطنيا ، وبتأمين حقوقها الوطنية فى ثرواتها النفطية ، واعلنا تأييدهما للاجراءات التى تتخذها الدول العربية فى هذا المجال ، هذه الاجراءات التى تخدم قضية تطوير الاقتصاد المستقل ، وتعزيز الوحدة العربية ، وتعبئة الدول العربية لازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

وقد جاء فى تعليق لصحيفة « **الثورة** » السورية ، على زيارة الرئيس الاسد والوفد السورى لموسكو : « ان عملية تمتين ودفع علاقات الصداقة العربية ــ السوفيتية خطوات الى الامام ، لهى مهمة أساسية فى هذه الفترة ، لمواجهة التحرك الامريكى ــ الصهيونى ــ الرجعى ، الذى يستهدف تمرير مخطط تصفية القضية الفلسطينية ، بتطويق المد التحررى العربى واجهاضه بالتالى ، اذ انه ليس من قادر على وأد هذا المخطط بتحركاته المتعددة الاشكال ، الا القوى الوطنية ــ التقدمية العربية ــ والانظمة الثورية ، عبر علاقات الصداقة المتبادلة مع الاتحاد السوفيتى ودعم ثورة اكتوبر الاشتراكية لهـا » .

■

■ الخليج العربى

تسلل من الباب الخلفى
أم لعب على المكشوف !

ربما كانت زيارة **روجرز** الاخيرة لمنطقة الخليج مسألة متوقعة ،لكن الشىء الذى لم يكن متوقعا هو تعمد روجرز فى هذه الزيارة ان يلعب على المكشوف .

فالهدف المعلن للرحلة هو « الدراسة والاستطلاع » ذلك أن السياسة الامريكية تبدى اهتماما خاصا ــ كما أعلن روجرز نفسه ــ « باستقرار منطقة الخليج وتطورها لكى لا تجد العناصر المخربة منفذا اليها » . (الصياد ــ ٦ ــ ٧ ــ ١٩٧٢) .

وقال روجرز ايضا « ان الولايات المتحدة تبحث الموقف فى المنطقة خاصة بعد شبه الفراغ الذى خلقه انسحاب بريطانيا » (الاهرام ٥ ــ ٧ ــ ١٩٧٢) .

كذلك فان هذه الزيارة الى مناطق انتاج البترول العربى بالذات تأتى فى اعقاب قرار حكومة العراق بتأميم اعمال شركة نفط العراق وفى أعقاب ما تردد فى الصحف من ان شركات البترول الامريكية قد حذرت البيت الابيض مما أسمته « بسياسة سحب البساط من تحت أقدام العرب بشكل مستمر على أساس ان هذه السياسة قد باتت تهدد باتخاذ مواقف شديدة التطرف فى المنطقة العربية قد تمتد الى الخليج » (الصياد ٦ ــ ٧ ــ ١٩٧٢) وربما كان احد أهداف هذه الجولة هو الاعلان لشركات البترول ولغيرها ممن يعنيهم الامر ــ انامريكا مازالت تتمتع بنفوذ فى هذه المنطقة برغم كل ما ارتكبته وما ترتكبه ضد العرب .. وهو نفوذ قوى الى الدرجة التى سمح فيها لروجرز بأن يعلن وهو لا يزال على أرض الكويت بأنه « من الضرورى ان تقوم هناك محادثات مباشرة او غير مباشرة على الاقل اذا اريد تحقيق تسوية لازمة الشرق الاوسط » . (الاهرام ٥ ــ ٧ ــ ١٩٧٢)

ثم تأتى زيارة روجرز المفاجئة الى صنعاء لتحقق نتيجة غير متوقعة لزيارة لم تستغرق اكثر من يوم واحد هى عودة العلاقات الدبلوماسية بين اليمن وامريكا وهى العلاقات التىكانت تدقطعت فى اعقاب عدوان يونيو ١٩٦٧ .

وفى محاولة لتفسير هذه الخطوة من جانب الحكومة اليمنية اصدرت سفارة اليمن بالقاهرة بيانا جاء فيه « ان هذه الخطوة قد اتخذت انطلاقا من مصلحة اليمن » . (الجمهورية ٢ــ٧ــ١٩٧٢)

لكن مجلة « **الصياد** » اللبنانية تحاول أن تترجم هذه العبارة الى أرقام فتقول « انه قد تم الاتفاق على أن تقدم الولايات المتحدة مبلغ عشرة ملايين دولار كمساعدات لليمن ، منها ٣ ملايين ثمن قمح من فائض الاغذية الامريكية . وذلك بالاضافة الى مشروعات اخرى مثل تنفيذ مشروع مياه تعز »

وتوسيع ميناء المخا ، وشق طريق بين تعز والمخا .. (الصياد ٢٠ ـ ٧ ـ ١٩٧٢) .

بل ان متحدثا رسميا امريكيا قد أعلن « ان استئناف العلاقات مع اليمن قد ارتبط بالتزام من ناحية المبدأ باستئناف المعونات الاقتصادية الامريكية التى قطعت عن اليمن منذ خمس سنوات » (الجمهورية ٢ ـ ٧ ـ ١٩٧٢) .

وهكذا فانزيارة روجرزتمثل بالنسبة للسياسة الامريكية خطوة جديدة .. انها عودة صريحة الى سياسة اللعب على المكشوف .

عودة العلاقات الدبلوماسية .. مقابل ثمن محدد .. يتفق عليه من حيث المبدأ » وهى ايضا ـ محاولةامريكية ـ لابلاغكلمنيهمه ابتداء من الانظمة الثورية العربية .. الى شركات البترول الامريكية .. ان الولايات المتحدة الامريكية لا زالت وبرغم كل ما ارتكبته ضد العرب ـ تمتلك نفوذا فى منطقة من أخطر مناطق الوطن العربى .

■

■ الجزائر

المهرجان الاول للشباب العربى

انعقد فى الفترة من ٣ الى ١١ يوليو الماضى ، بالجزائر ، مهرجان الشباب العربى الاول الذى ضم وفودا من شباب ١٩ دولة عربية . وتعتقد دوائر الشباب العربى ، ان انعقاد المؤتمر قد اكتسب اهمية خاصة من واقــع ظروف وحركة الشباب العربى اليوم . وترى هذه الدوائر ان القضية الاساسية التى تواجه الشباب العربى اليوم هى : توحيد حركته وجهوده وفكره ، فى اطار الالتزام بقضايا حركة التحرر الوطنى العربى ككل . ويتفرع عن هذه القضية مسألة دراسة مشكلات الشباب العربى على ضوء التزاماته المحلية والقومية . ويلاحظ المراقبون ان القضية الفلسطينية قد احتلت مكانا بارزا فى نشاط المهرجان ومناقشات لجانه السياسية والفكرية .

ومن الجدير بالذكر ان الحكومة الجزائرية وشبيبة جبهة التحرير الوطنى ، قد بذلتا قصارى جهدهما من أجل انجاح المهرجان ويقول بعض المراقبين آن تلافى ظاهرة تشتت الوفود وعدم قيام لقاءات وندوات للتعارف وتقييم اوجه النشاط المختلفة يمكن ان تساهم بشكل اكثر فعالية فى تحقيق نجاحات أكبر لاى مهرجان آخر قادم .

وبرغم الملاحظات التى يمكن آن يبديها مراقب أو آخر تابع المهرجان عنقرب ، والا أنه يمكن القول أن هناك اتفاق عام بين المراقبين على أن المهرجان قد حقق نجاحا كبيرا على طريق الاهداف التى تحددت له .

ويمكن تلخيص أبرز التوصيات التى اتخذها المهرجان فى :

● ضرورة الغاء القيود التىتحول دون تحول ، أو دون اقامة الشباب العربى فى مختلف ارجاء الوطن العربى .

● تربية الاطفال على الروح القومية بمختلف الوسائل .

● تقييم نظام الملكية الجماعية لوسائل الانتاج الرئيسية .

● منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للثورة الفلسطينية وللشعب الفلسطينى وأن اى محاولة لاقامة كيان فلسطينى هزيل مرتبط بالصهيونية هى خيانة قومية .

● دعوة الدول العربية ـ وخاصة المنتجة للنفط منها ـ الى الاسهام فى تأسيس صندوق عربى لدعم دول المواجهة عسكريا واقتصاديا وجماهيريا .

● دعوة الشباب العربى للتطوع فى صفوف الثورة الفلسطينية اسهاما فى تأكيد مبدأ قومية المعركة .

● سحب الاموال العربية من المصارف الاجنبية بهدف اضعاف المؤسسات الغربية الموالية لاسرائيل واستثمارها فى التنمية العربية .

ومن المعروف ان معظم اعضاء وفود الشباب كانت تطالب بعقد المهرجان كل سنة وليس كل ثلاث سنوات حتى يمكن ملاحقة التطورات فى العالم ومواجهتها بتغيير اسلوب العمل ، فضلا عن أنه يؤدى الى توثيق الروابط بين الشباب مما يساعد على تقارب الافكار كذلك كان يطالب الشباب بقيام تنظيم شبابى موحد قادر على تنفيذ التوصيات ومتابعتها فى التنفيذ ، فضلا عن ان قيام تنظيم

شبابي موحد يضمن اتخاذ مواقف موحدة بين الشباب العربي تجاه قضاياه الوطنية والقومية •

وتعتقد بعض دوائر الشباب العربي انه من الضروري أن تقوم لجنة من الجامعة العربية بعمل تقييم كامل لكل ما تم في المهرجان بهدف الاستفادة منها في عملية تنظيم المهرجان القادم الذي سيعقد في ليبيا • كذلك تعتقد هذه الدوائر بضرورة اصدار نشرة توزع بين الشباب في العالم العربي يتابع من خلالها ما تم انجازه من التوصيات في مختلف الاقطار العربية ، ويمكن لهذه النشرة ان تكون نقطة بدء هامة في تحقيق هدف ربط حركة الشباب العربي بعضها ببعض •

■

■ يوجوسلافيا

المجلس الرئاسي اليوجوسلافي وسياسة توزيع السلطات

نشرت الصحيفة الرسمية اليوجوسلافية **سلوزبني ليست** في أحد اعدادها الاخيرة النص الكامل للقانون الجديد الخاص بالمجلس الرئاسي اليوجوسلافي موضحا الكثير من التفاصيل التي كانت المادة السادسة والثلاثين في التعديلات الدستورية الاخيرة (٣٠ يونيو ١٩٧١) قد تركتها بلا توضيح •• وفيما يلي عرض عام للمجلس الرئاسي اليوجوسلافي على ضوء القانون الجديد (وهو من اثنى عشر مادة تحتوي على مائة بند) والتعديل الدستوري السادس والثلاثين (وهي اطول مادة في التعديلات الدستورية ، وبها ٢١ بندا) •

● في خطاب له في زغرب في ٢١ سبتمبر ١٩٧٠ أعلن الرئيس **تيتو** لاول مرة عن نيته لتوزيع بعض سلطاته واختصاصاته بتحويلها الى سلطات جماعية لاعداد البلاد لاحتمال اختفائه من المسرح السياسي نظرا لبلوغه سن ٧٨ عاما في ذلك الوقت — ولما كان الرئيس تيتو يجمع في يده ثلاث سلطات — رئاسة الدولة ورئاسة الحزب والقيادة العليا للقوات المسلحة — فقد بدأ في اتخاذ الاجراءات لجعل هذه السلطات الثلاثة جماعية :

اولا : بالنسبة لرئاسة الدولة — قام تيتو بعمل قيادة جماعية هي المجلس الرئاسي لجمهورية يوجوسلافيا الفيدرالية الشعبية

ثانيا : بالنسبة لرئاسة الحزب — قام بتكوين مكتب تنفيذي (من ثمانية أعضاء) للمجلس الرئاسي للحزب (المكون من ٥٢ عضوا)

ثالثا : بالنسبة لقيادة القوات المسلحة شكل مجلس عسكري من ثلاث اعضاء (احدهم وزير الدفاع) •

وفي نفس الوقت الذي جرى فيه تنفيذ هذه الاجراءات ، تم تعديل ٢٣ مادة في الدستور اليوجوسلافي لاقرار هذه التعديلات ولاعطاء سلطات أكبر للجمهوريات والمناطق المستقلة في يوجوسلافيا تثبيتا لسياسة الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي المبنية على اللامركزية والتسيير الذاتي العمالي •

● تكون المجلس الرئاسي(**في يوليو ١٩٧١**) من ثلاثة وعشرين عضوا هم الرئيس تيتو بالاضافة الى ثلاثة ممثلين لكل من الجمهوريات اليوجوسلافية الستة وممثلين اثنين لكل من المنطقتين ذات الاستقلال الذاتي (اى ١ زائد ٣ في ٦ زائد ٢ يساوي ٢٣) (وقد استبدل منذ انتخاب المجلس عضوين هما **ميكوتريبالو** زعيم كرواتيا الذي فصل من الحزب (وحل محله **ميلان ميتسكوفتش** (**وكيروجليجوروت** — من مأسيدونيا — الذي عين بالمكتب التنفيذي للحزب (وحل محله **لازار كوليسفوركي**) — وتكون مدة عضوية المجلس الرئاسي خمس سنوات مع عدم جواز عادة ترشيح العضو لمدتين متتاليتين •

● نصت المادة ٣٦ من الدستور المعدل على ان « رئيس الجمهورية — بناء على دستور الدولة — هو الذي يقوم بمهام رئيس المجلس الرئاسي » — وينص البند ١٦ من نفس المادة على ان المجلس « ينتخب من بين أعضائه رئيسا ونائبا للرئيس تكون مدة انتخابهما سنة واحدة على ان لا يكون الرئيس ونائب الرئيس من نفس الجمهورية أو المنطقة المستقلة » (كل هذا بالطبع بعد تيتو الذي سبق أن انتخب رئيسا للدولة لمدى الحياة) وجعل البندين ٨و٩ من نفس المادة للتناوب في رئاسة المجلس كما يلي :

السنة الاولى (الحالية) احد ممثلي ماسيدونيا (كرست سرفنكوفسكي الذي يحتل الان منصب نائب رئيس المجلس) — السنة الثانية احد ممثلي بوسنيا — هرزجونينا — الثالثة سلوفينيا — الرابعة صربيا — الخامسة كرواتيا — السادسة

مونتنجرو ـ السابعة اقليم فويفودنيا ـ الثامنة اقليم كوسوفو

ويكون الانتخاب على اساس عدى ويجرى قبل خمسة عشر يوما من نهاية فترة الرئيس ونائب الرئيس .

● نص القانون الجديد على أن تكون قرارات المجلس بالتصويت بأغلبية الاصوات كما يلى :

اولا : أغلبية عضوين من ثلاثة من كل من ممثلى الجمهوريات وعضو واحد على الاقــل من كل من الممثلين لكل من الاقليمين المستقلين (اى ٦ فى ٢ زائد ٢ فى ١ يساوى ١٤ صوتا من ٢٣ على الاقل) فى حالة مناقشة ما يتناول المساواة وحقــوق الجمهوريات والقوميــات ، او السياسة العامة الخاصة بالتعديلات الدستورية او اقتــراحات بتأجيل التصويت فى البرلمان الفيدرالى على بعض المشروعات أو المسائل الخاصة بالدفاع عن الدولة (التجنيد والتعبئة العامة الخ) أو قوانين المجلس الرئاسى نفســه أو تــرشيح رئيس الوزارة الفيدرالية .

ثانيا : أغلبية ١٤ من ٢٣ (بدون أية اشتراطات لنسب فى الجمهوريات) فى حالات الموافقة على قوانين أو الموافقة على « اجراءات خاصة مؤقتة » قبل عرضها على البرلمان أو الحكومة أو ايقاف وتعطيل قرارات للحكومة الفيدرالية أو طرح الثقة بالحكومة امام البرلمان أو ما يتعلق بأمن الدولة .. فى هذه الحالة من الممكن نظريا أن يوافق المجلس عــلى بعض المســائل ، رغم معارضة جميع ممثلى جمهورية أو أكثر على هذا الاجراء ـ فأغلبية ١٤ صوتا ممكن أن تنتج مثلا عن اتفاق ممثلى أربعة جمهوريات واحد الاقاليم المستقلة (٤ فى ٣ زائد ٢ فى ١ يساوى ٩)

ثالثا : اغلبية ١٢ من ٢٣ فى المسائل الاخرى ..

● نص القانون الجديد على أن يكون للمجلس الرئاسى .

اولا : سكرتير عام

ثانيا : مجالس تابعة وهى الان أربعة

ا ـ مجلس الشئون الخارجية

ب ـ مجلس الدفاع القومى

جـ ـ مجلس الامن القومى

د ـ المجلس الاقتصادى

ثالثا : لجان خاصة : ويوجد الان اربعــة : هى لجنة الشكاوى والمراجعات ولجنة الاوسمة ولجنة العفو ولجنة الشئون الادارية

ويقوم المجلس بتحديد عدد اللجان التابعة له وعدد اعضائها ورؤسائها على أن تكون المناصب بالتناوب .

● ممكن استخدام جميع لغات القــوميات المعترف بها فى المجلس الرئاسى ـ أى ليست فقط لغات الجمهوريات الرسمية (الصرب كرواتية والماسيدونية والسلوفينية) بل ايضــا « لغات الاقليات كلها ما عدا الالمانية (أى الالبــانية والمجرية والتشيكية والســلوفاكية والبلغــارية والايطالية والتــركية والبــولندية والروسيــة والاوكرانية) ، اما المواد التى ينشرها المجلس فتكون بلغــات الجمهــوريات (الصرب كرواتيــة والماسيدونية والسلوفينية) .

● تكون جلسات المجــلس مفتوحة للصحافة ووسائل الاعلام كما تكون محــاضر جلساتها فى متناول يد أى شخص يطلبها ـ (ماعدا الجلسات التى يتقرر اغلاقها) كما يقوم المجلس باصدار نشرة دورية عن أعماله للتوزيع العام

● اعطى القانون الجديد والتعديل الدستورى ٣٦ للمجلس الرئاسى وضعا موازيا ومساويا تقريبا للبرلمان الفيــدرالى ، وجعلت مسئولية الحكومــة الفيدرالية تجاه الاثنين معا ـ ولكن من القانون والتعديل الدستورى يبــدو أن للمجلس بعض الامتيازات على البرلمان الفيدرالى ، فهو الذى يرشح رئيس الوزراء ويوافق على الحكومــة الاثنين معا (نتيجة لخلاف فى الرأى يستمر لتسعة أشهر) حتى انتخاب برلمان ومجلس رئاسى جديدين وهو الذى يستطلع البرلمان رايه فى المســائل المختلفة .. الخ .. واذا اجرى تعديل برلمانى

باعلانها ـ والذى يبقى سارى المفعول اذا حل (وهو المتوقع فى القريب) بتحويل البرلمان الفيدرالى من خمسة غرف الى اثنين أو واحدة وعمل عضويته بالانتخاب خلال ممثلين بدلا من الانتخاب المباشر فسيضعف البرلمان الفيدرالى أكثر أمام سلطات المجلس الرئاسى .

● لم يحدد القانون الجديد ولا التعديل الدستورى ٣٦ وضع المجلس الرئاسى من جهازى السلطة الاخرين المكتب التنفيذى للمجلس الرئاسى للحزب والمجلس العسكرى ـ ومما لا شك فيه أنه خلال فترة حكم الرئيس تيتو ورئاسته للثلاثة أجهزة فليس هناك مبرر اساسى لتحديد علاقاتها معا (ولا شك أن الرئيس تيتو يفضل أن يكون الحزب هو القوة الاساسية ومساندة الجيش ـ ضمانا لوحدة البلاد) .. ولكن العلاقة بين هذه السلطات ستحدد بشكل اوضح فى الفترة التى تعقب رئاسة تيتو ـ هذا اذا استمر نظام المشاركة فى السلطات الذى أدخله الرئيس تيتو لتنظيم قياده يوجوسلافيا من بعده .. واذا لم يقرر خلفاء تيتو تغيير هذا النظام .

■ **تشيكوسلوفاكيا**

لقاء فكرى يطرح قضايا جديدة

فى الفترة ما بين ٢٧ ــ ٢٩ يونيو عقد مؤتمر من ممثلى ٤٤ من الاحزاب الشيوعية والعمالية والتنظيمات التقدمية فى أفريقيا وآسيا بدعوة من مجلة « **قضايا السلم والاشتراكية** » . وتركز الحوار حول موضوعين مترابطين :

● المرحلة الراهنة فى حركة التحرر الوطنى فى أفريقيا وآسيا .

● قضية وحدة القوى المناهضة للامبريالية .

شارك فى المؤتمر الفكرى وفود من الاحزاب الشيوعية والعمالية من الجزائر ، الارجنتين ، بلغاريا ، بوليفيا ، البرازيل ــ بريطانيا ، المجر ، المانيا الديمقراطية ، اليونان ، الهند ، أندونيسيا ، الاردن ، العراق ، ايران ، ايطاليا ، كندا ، قبرص ، كولومبيا ، لبنان ، منغوليا ، باراجواى ، بولندا ، البرتغال ، رومانيا ، السنغال ، سوريا ، الاتحاد السوفيتى ، السودان ، الولايات المتحدة الامريكية ،

تعليق

أبعاد جديدة فى المخطط الامبريالى الصهيونى الرجعى

اعلن الملك حسين فى الرابع من شهر يوليو : « انه سوف يرسل بعثة عسكرية اردنية تضم قطاعات من الجيش والطيران الى سلطنة عمان لمقاتلة الثوار الذين يشتبكون فى معارك مع قوات السلطان » .. كذلك صرحت مصادر الجيش الاردنى : « بانه يجرى الان تشكيل هذه البعثة التى يمكن ان تقلل حاجة السلطان قابوس الى وجود قوات بريطانية » .

والى هنا فالخبر ليس مفاجاة كله ، اذ المعروف انه توجد حاليا بعثة من العسكريين الاردنيين فى سلاح الطيران فى سلطنة عمان ، وهى غير البعثة العسكرية التى تتولى تدريب قوات اتحاد الامارات العربية فى ابو ظبى على استخدام طائرات هوكر هنتر البريطانية تحت اشراف المسئولين البريطانيين فى جيش اتحاد الامارات العربية .

ولكن الجديد هذه المرة هو اشتراك قوات عسكرية اردنية من مختلف قطاعات الجيش والطيران بهذا الحجم الكبير تحت اشراف الكولونيل « هيو اولدمان » وزير الدفاع البريطانى والضباط البريطانيين فى سلطنة عمان ، فى القتال ضد قوات التحرير الشعبية فى اقليم ظفار وغيره من المناطق فى عمان ، وكذلك اعتراف الملك حسين وموافقته على ارسال الجيش العربى الاردنى لقتل الوطنيين العرب الذين يحاربون منذ عدة سنوات لتحرير بلادهم من الوجود البريطانى المتمثل فى احتكارات البترول وشبكة القواعد العسكرية فى جزيرة مصيرة وصلالة ومسقط ونزوى وعبرى وغيرها من القواعد والمعسكرات البريطانية فى عمان . والهدف من كل ذلك واضح وهو تخفيف العبء عن القوات البريطانية التى فشلت فى قمع الثورة الشعبية المشتعلة منذ منتصف عام ١٩٦٥ ، وبعد ان اصبح الثوار يسيطرون حاليا على نحو ٨٠ فى المائة من اقليم ظفار القريب من حدود جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وبعد ان ارتفع عدد الضحايا البريطانيين على ايدى قوات التحرير الوطنية فى الشهور الاخيرة ، مما اثار ضجة كبيرة فى اوساط الراى العام والصحافة فى بريطانيا .

وتبين هذه التطورات اتجاه العسكرية البريطانية « لتعريب » الحرب فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وذلك على غرار سياسة الفتنمة التى تطبقها الامبريالية الامريكية فى منطقة الهندالصينية ، اى ، دفع العرب لمحاربة العرب ، بعد نجاح تجربة تصفية المقاومة الفلسطينية من الاراضى الاردنية لصالح اسرائيل والاستعمار الامريكى ، كما يوضح من ناحية اخرى استمرار النظام الاردنى فى تادية دوره التاريخى فى خدمة المخططات الاستعمارية والصهيونية .

تونس ، تركيا ، الفلبين ، فنلندا ، فرنسا ، تشيكوسلوفاكيا ، جنوب أفريقيا واليابان . بالاضافة الى ممثلى الاحزاب التقدمية فى أفريقيا وآسيا . حركة تحرير أنجولا ، الاتحاد الاشتراكى العربى ، حزب البعث العربى (العراقى) حزب البعث العربى (سوريا) الحزب الديمقراطى الكردى ، المنظمة الشعبية لجنوب غرب أفريقيا ، والمجلس الاعلى لقيادة الثورة فى الصومال .

وطرحت تساؤلات عديدة فى المؤتمر ، ودار الحوار للتوصل الى اجابات أكثر تحديدا عليها . وكانت التساؤلات فيما يتعلق بالموضوع الاول تتلخص فيما يلى :

● ما هى الطاقات المعادية للراسمالية بين الطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة فى البلدان حديثة الاستقلال ؟

● أى هذه القوى يملك القدرة على قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وأن تصبح القوة المحركة فى العملية الثورية على امتداد مراحلها المختلفة ؟

● ما مدى انعكاس ايديولوجية الطبقة العاملة على الحياة السياسية . خاصة وأن هذه الطبقة تنمو وتتطور خلال عملية بناء الاقتصاد الوطنى ؟

● كيف يمكن جذب الفلاحين والبورجوازية الصغيرة فى المدن للمشاركة فى بناء الدولة الوطنية الديمقراطية ؟ وما السبيل الى علاج هذه المشكلة ، رغم تباين العلاقات والتكوينات الطبقية ؟

● هل تتطابق أو تتشابه مفاهيم الفلاحين والبورجوازية الصغيرة فى الظروف المتباينة بالبلدان الافريقية الاسيوية ؟

● ما هى العوامل الاساسية التى تحدد المواقف المعادية للرأسمالية بين القطاعات الاجتماعية غير البروليتارية ؟

ومن الموضوعات التى لقيت أكبر قدر من اهتمام اعضاء المؤتمر ، وثارت حولها مناقشات طويلة :

— العلاقة بين حركة التحرر الوطنى والنضال ضد علاقات الاستغلال الاقطاعى والرأسمالية ، والتزاوج بين حركة الكفاح المسلح ضد المستعمرين فى بعض البلدان (المستعمرات البرتغالية) والنضال من أجل أقامة دولة ديمقراطية وطنية فى المناطق المحررة .

— العناصر الاساسية فى التركيب الاقتصادى والاجتماعى لهذه البلدان والخريطة الطبقية

ان ماتقوم به الرجعية الاردنية الان فى عمان ، هو استكمال للعدوان السافر الذى تشنه الرجعية العربية فى المنطقة بالتعاون مع الاستعمار الامريكى ضد جمهورية اليمن الديمقراطية ، لتصفية حركة التحرر الوطنى فى جنوب شبه الجزيرة العربية وتحقيق السيطرة الامريكية الاسرائيلية على البحر الاحمر . ثم اخيرا عودة العلاقات الدبلوماسية بين اليمن الشمالية مع امريكا ، وعودة الاسلحة الامريكية تتدفق على تجمعات المرتزقة وفلول الثورة المضادة المطرودين من اليمن الجنوبية من انصار السلاطين السابقين وعبد القوى مكاوى وعبد الله الاصنج وقحطان الشعبى ، الذين تمولهم الرجعية العربية والمخابرات الامريكية والبريطانية ، استعدادا للهجوم على جمهورية اليمن الديمقراطية . هذا فضلا عن دور الرجعية الايرانية فى الخليج العربى .

ولقد كشفت مباحثات وليام روجرز وزير الخارجية الامريكية فى اوائل الشهر الماضى فى اليمن الشمالية والكويت والبحرين عن اهتمام السياسة الامريكية بامن واستقرار منطقة الخليج وعمان ومنع العناصر المخربة من النفاذ اليها ، والوضع فى اليمن الجنوبية ، وعن مايسمى بالنفوذ السوفييتى ، والدعوة للمفاوضات بين العرب واسرائيل .

ان مايجرى الان فى شبه الجزيرة العربية ، لايمكن فصله بأى حال عن ما يجرى فى منطقة الشرق الاوسط ، كما يكشف عن عملية تنسيق وتوزيع الادوار بين الرجعية العربية والاستعمار الامريكى والبريطانى واسرائيل : وتوظيف الظروف الصعبة الناجمة عن الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية فى خدمة اهدافهم ومصالحهم المشتركة : وتطويق حركة التحرر العربية ، وعزل كل من مصر وسوريا والعراق ، وتصفية المقاومة الفلسطينية فى جنوب لبنان ، وتقليل حجم حركة التحرر العربية التى تواجه الاطماع الامبريالية والاسرائيلية التوسعية فى العالم العربى .

ان حركة التحرر الوطنى العربية تتعرض الان لهجمة استعمارية وصهيونية ورجعية شرسة تحاول الاجهاز عليها بشتى الطرق والوسائل . وان مجابهة هذا الخطر يتوقف على ادراك مهام هذه المرحلة ، ولطبيعة العلاقة بين هذه القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية ، والتى تربطها المصلحة المشتركة فى العداء للشعوب وتحطيم حركات التحرير الوطنية العربية ، والعمل على توحيد صفوف كافة حركات التحرير العربية والتنسيق فيما بينهما ، للتصدى لهذه القوى ومنعها من الانفراد بأى واحدة منها ، والقضاء عليها جميعا واحدة بعد الاخرى .

وديع أمين

وعلاقات القوى بين الفئات الاجتماعية المختلفة ودورها في حركة التحرر الوطنى والوزن الخاص الذى تمثله الفئات الفلاحية والبورجوازية الصغيرة والمثقفين والقوات المسلحة . ورغم الاقرار بأن الطبقة العاملة هى القوة المحركة للتطور فى اتجاه البناء الاشتراكى ، لكن ظروف التخلف الاقتصادى التى عاقت التطور الصناعى فى معظم هذه البلدان ، لم تسمح للطبقة العاملة باحتلال موقعها القيادى فى نظام الانتاج .. ومن ثم فى قيادة العملية الثورية ، الا أن اقامة الصناعة الوطنية يعجل موضوعيا تكوين الطبقة العاملة ونمو وعيها .

— الطبيعة الطبقية للسلطة وتركيبها الاجتماعى ، خاصة فى البلدان التى تنتهج طريقا وطنيا تقدميا ، وقد ظهرت بعض الخلافات حول تحديد طبيعة هذه النظم وآفاق تطورها وعوامل التأثير فى مسارها ، سواء فى المراحل الاولى بعد الاستقلال حيث تبرز عناصر الاختيار فى مواجهة مشاكل بناء الاقتصاد الوطنى ، ثم بعد مرحلة من التغييرات التى تنتاب الهياكل الاقتصادية والتركيب الاجتماعي والاستقطاب والتمايز مما يفجر الصراع الطبقى ويطرح مهام جديدة .

وفيما يتعلق بالنقطة الثانية ، كان أهم ما أثير حولها :

● الشروط التى يجب توافرها لتشكيل الجبهات الوطنية للقوى التقدمية؟
● كيف يمكن جذب الجماهير للمشاركة النشطة الواعية فى بناء المجتمع الجديد ؟
● المكونات المتباينة لجبهة القوى التقدمية فى المراحل المختلفة للثورة الوطنية الديمقراطية ؟
● طبيعة المفاهيم والنظريات الاشتراكية التى تطرحها القوى الوطنية الثورية فى افريقيا وآسيا ومدى تأثرها بالنظرية الماركسية اللينينية ؟

واثيرت قضية طبيعة السلطة من جديد ، والاتجاهات التى تسود بين القطاعات والبورجوازية الوطنية التى تتزعم النضال الوطنى ، وموقفها المتردد خاصة بعد انشاء الدولة الوطنية وحصول الفئة الحاكمة على الامتيازات وعملية التمايز والاستقطاب التى تجرى فى هذه المجتمعات وتمسك الفئات الحاكمة بالانفراد بالسلطة والحيلولة دون مشاركة القوى الوطنية الاخرى ، وازدياد ميل البورجوازية الى المساومة ، وانفصال قطاعات منها عن ركب الحركة الوطنية ، وبروز الاجنحة اليمينية وسعيها الثابت لنشر الافكار المعادية للشيوعية واتخاذها لتدابير معادية للديمقراطية ، مما يجهض محاولات تشكيل جبهات وطنية قادرة على التصدى للامبريالية والرجعية وتملك القدرة على انجاز المهام الديمقراطية العامة .

كان المؤتمر مجالا خصبا لتبادل الخبرات والتجربة الثورية بين القوى الوطنية والتقدمية فيما يتعلق بالنضال من أجل التحرر الوطنى وارساء القاعدة المادية للتحولات الاجتماعية وحماية هذه التحولات ، وقطع الطريق على العناصر والقوى المعوقة ، التى تعادى الثورة أو تتجمد خلال مسارها . وقد اتفق المندوبون على اهمية هذه اللقاءات وضرورة مواصلتها لدعم الحركة الثورية المناهضة للامبريالية .

■

■ **فرنسا**

الحزب الديجولى ضد البرنامج الموحد للحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى

لم تدرس قوى كثيرة فى داخل فرنسا وخارجها أهمية « **البرنامج الحكومى الموحد** » الذى تم **الاتفاق عليه يوم ٢٧ يونيو الماضى بين الحزب الشيوعى الفرنسى والحزب الاشتراكى الفرنسى** ، الا بعد أن لجأ الرئيس الفرنسى جورج بومبيدو الى تغيير حكومة جاك شابان ديلماس يوم ٥ يوليو واختيار **بيير ميسمير** رئيسا جديدا للحكومة فى اليوم نفسه ، اى بعد اسبوع واحد من اعلان البرنامج الموحد للحزبين الشيوعى والاشتراكى .

والحقيقة أن الرأى العام الفرنسى نفسه فوجىء بهذا التغيير وعبر عن هذا المعنى أحد نواب حزب التقدم والديمقراطية الجديد فى رسالة الى رئيس الجمعية الوطنية قال فيها « ان استقالة شابان ديلماس واحلال حكومة معدلة مكانه لا يمكن أن يكون وليد الصدفة أو الاندفاع العابر فى بلاد ديكارت ، واننى لاعتقد أن من وجهة نظرى كنائب متواضع أن هذا التغيير لا يمكن الا أن تبرره الا اسباب هامة ، وبخاصة انه لم يات نتيجة خلاف عميد بين قصر الاليزية والجمعية الوطنية . وانه لينبغى أن يحاط البرلمان والرأى العام بدقة بظروف ودوافع هذا التغيير » .

وعلى الرغم من ان الرئيس بومبيدو حرص على الا يقدم مبررات مباشرة لعملية التغيير فى

الحكومة الا أنه لم يستطع أن يخفى حقيقة أن الدافع وراءها يرجع الى توصل الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى الى برنامجهما الموحد الجديد ، وما يشكله ذلك من خطر على الاحزاب التقليدية الحاكمة بزعامة الحزب الديجولى · ففى يوم ٧ يوليو التالى مباشرة تكليف ميسمير بتشكيل الحكومه أعلن بومبيدو « **ان برنامج المعارضة يشكك فى النظم القائمة بينما يجب المحافظة على هذه النظم بحزم بالغ** » . كما قال أن الانتخابات العامة المقبلة ستكون ذات أهمية بالغة للحفاظ **على المؤسسات والح الى أن فوز الائتلاف الشيوعى الاشتراكى سيعنى نهاية المؤسسات التى اقامها الجنرال ديجول عام ١٩٥٨** · وطالبت حكومة ميسمير الجديدة بالعمل والحيوية والادارة « من أجل الدفاع عن النظام بأقصى طاقة ممكنة » ·

والسؤال الهام اذن ماهو هذا البرنامج الحكومى الموحد للشيوعيين والاشتراكيين الذى دفع الديجوليين الى « **اعلان الحرب على اليسار** » على حد تعبير وكالة الانباء الفرنسية . ؟

لقد وصف **جورج مارشيه** نائب السكرتير العام للحزب الشيوعى الفرنسى البرنامج الموحد بأنه « **ليس مجرد اتفاق انتخابى ، ولا برنامجا انتخابيا سياسيا محدودا ، أو قائمة اجراءات غير مترابطة وانما هو برنامج حقيقى للعمل الحكومى** » ·

ويقع البرنامج الموحد فى وثيقة من ١٥٠ صفحة ، ويتضح فيه تركيز كبير على مسائل الديمقراطيه ، والتحول الاجتماعى ، والسياسة الخارجية ·

وهو بالنسبة للمسألة الديموقراطية يطالب بالغاء كافة القوانين التى تحد من حقوق المواطنين وادخال نظام انتخابى جديد يقوم على أساس مبدأ التمثيل النسبى ، كما يطالب بتوسيع حقوق الجمعية الوطنية وسلطاتها ·

وبالنسبة للتحول الاجتماعى يحدد البرنامج الموحد للحزبين الشيوعى والاشتراكى اهدافه بأنها اتخاذ الخطوات لتحسين مستوى المعيشة وخفض أيام العمل الاسبوعيه وتحقيق استقرار الاسعار ، وأزالة البطالة ووضع تشريعات جديدة للعمل · ويضع البرنامج فى خطته **تأميم قطاعات الاقتصاد** الرئيسية والحيوية وخاصة البنوك وشركات التأمين وصناعة التعدين والمشروعات المتعلقة بالدفاع والفضاء وصناعات الطيران .

وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية الفرنسية ينص على أن تدعو حكومة المستقبل الى **حل حلفى الاطلنطى ووارسو فى وقت معا ، وأن تشترك** ايجابيا فى الاعداد لمؤتمر أوروبى للامن

والتعاون · وينص البرنامج أيضا على أن سياسة الحكومة التى يرمى الى تشكيلها « **ستبنى** سياستها الخارجيه على مبادىء التعايش السلمى والتعاون مع كافة البلاد ، والمساواة فى الحقوق واحترام سياذة الدول ووحدة أراضيها ، والتسوية السلمية لمسائل المنازعات ، ونبذ استخدام القوة ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد الاخرى » .

وعلى هذا النحو فان البرنامج الحكومى الموحد للحزبين اليساريين الفرنسيين الكبيرين يمهد الطريق امام وحدة الطبقة العاملة ، والقوى الديمقراطية الفرنسية على اساس مرسوم ومحدد الملامح · وبهذا فانه أعاد الى الاذهان المكاسب والانتصارات الكبيرة التى حققها الشعب العامل فى فرنسا عندما وحدت الاحزاب السياسية اليسارية صفوفها ابان قيام « **الجبهة الشعبية** » فى فرنسا عام ١٩٣٦ ·

ومن هنا استشعرت الاحزاب الفرنسية التقليدية الخطر من تحالف الحزبين الشيوعى والاشتراكى على هذا النحو قبل الانتخابات القادمة التى ستجرى فى شهر مارس القادم على أقصى تقدير . ومن المهم أن نلاحظ أن الحكومة الجديدة التى شكلها ميسمير تمثل من الناحية السياسية ثلاث مجموعات : اتحاد الدفاع عن الجمهورية (حزب الاغلبيه الديجولى) والحزب الجمهورى المستقل ، وحزب حركه الديمقراطية الحديث (وهو حزب يمثل الوسط) ·

وعلى الرغم من أن الديجوليين كان لهم فى وزارة شايان ديلماس السابقة ثلاثة ارباع المناصب الوزارية ، فانه قد أصبح لهم فى وزارة ميسمير الحاليه ثلثا هذه المناصب ، مما يؤكد رغبة الديجوليين فى ارضاء آحزاب الوسط والاحزاب التقليدية المستقلة ليضمنوا اصوات مؤيديها فى الانتخابات القادمة كذلكفان بومبيدو قد لجأ الى ضم ادجار فور رئيس الوزراء الاسبق الى الحكومه وزيرا الشئون الاجتماعية ، وهو معروف بأن له آراء راديكالية بالنسبة لادخال « اصلاحات » اجتماعية واقتصادية · وذلك ليعطى انطباعا بأن الحكومة الجديدة ستتخذ خطوات « اصلاحية » فى هذه المجالات ·

ومع ذلك فان الرأى العام الفرنسى ـ وحتى كل الدوائر السياسية الخارجية ـ قد أدركت أن المهمة الرئيسية لحكومة ميسمير تتركز لا على حل مشكلات الشعب العامل فى فرنسا الاجتماعية

والسياسيه ، وانما على كسب **المعركة الانتخابية والتصدى للتحالف اليسارى الذى يهدد حكم الديجولية على اخطر صورة منذ توليه السلطة فى** عام ١٩٥٨ .

■

■ **كوريـــا**

مـوافقة سـيول بعد الاقتراح الشمالى المـائة والثلاثين

طالبت كوريا الشمالية فى الاسبوع الاول من يوليو الماضى ، وفى اليوم التالى **للاعلان المشترك** لاتفاقها مع كوريا الجنوبية على مبادىء اعادة توحيد البلاد ، بضرورة **الانسحاب الفورى لجميع القوات الامريكية من كوريا الجنوبية** . واوضح الرفيق **باك سونج شول** نائب رئيس وزراء كوريا الشمالية ، انه بعد توقيع الاعلان الكورى المشترك « لن يكون هناك اى عذر تتعلل به اية دولة اجنبية للتدخل فى الشئون الداخلية لامتنا » . وانه « **لم يعد هناك أى تهديد بالعدوان على كوريا الجنوبية من جانب كوريا الشمالية ، وبالتالى لم تعد هناك حاجة لبقاء القوات الامريكية فى الجنوب** » .

وكنت الدولتان الكوريتان قد اتفقتا فى الاعلان المشترك على « ان اعادة توحيد البلاد ، **يجب** « **ان تتحقق عن طريق جهود الكوريين انفسهم بمناى عن اى تاثير خارجى ، وبطرق سلمية ، وليس عن طريق استخدام القوة** » كما قررتا « التعاون بطريقة عملية من اجل نجاح المباحثات الثنائية التى تجرى فى اطار الصليب الاحمر » واتفقتا على « اقامة خط تليفونى مباشر بين سيول وبيونج يانج من اجل تجنب وقوع اى اشتباك عسكرى ، ولكى يتم بسرعة وفاعلية وبطريق مباشر ، حل كل المشكلات التى قد تنشا بين الشمال والجنوب »

وليس ثمة شك فى أن هذا التحول الملحوظ فى العلاقات بين الدولتين الكوريتين يعتبر التطور الثانى البارز فى الشرق الاقصى بعد زيارة الرئيس نيكسون للصين الشعبية . فقبل وقوع هذه الزيارة وبالتحديد فى الفترة من سنة ١٩٥٣ (التى وقعت فيها اتفاقية الهدنة) بعد انتهاء الحرب الكورية وحتى الان ، تقدم الكوريون الشماليون **باكثر من ١٣٠ اقتراحا من اجل توحيد البلاد سلميا ولكن مصيرها كان الرفض على الدوام** من جانب الكوريين الجنوبيين .

ومن هنا يرى عديد من المراقبين أن التحول فى الموقف الامريكى من الصين الشعبية ، صحبه تحول مماثل فى موقف حكومة كوريا الجنوبية التابعة للولايات المتحدة من كوريا الشمالية صديقة الصين وحليفتها . ومن هنا يكون عديد من المراقبين قد وقعوا فى خطأ النظرة المبسطة لطبيعة العلاقات بين كوريا الجنوبية والولايات المتحدة عندما ، اعتقدوا أن هذا الاعلان المشترك بين الدولتين الكوريتين كان مفاجأة للولايات المتحدة ، ذلك أن الولايات المتحدة والمخابرات المركزية الامريكية بصفة خاصة تسيطر سيطرة تامة على مراكز اصدار القرارات السياسية فى كوريا الجنوبية .

والاكثر اتساقا مع المنطق أن الموافقة الامريكية مع الاعلان المشترك بين الدولتين الكوريتين ، تدخل ضمن أساليب الاستعمار الجديد الذى يستهدف اطالة أمد النفوذ الاستعمارى والنظم التابعة للولايات المتحدة عن طريق اتباع أسلوب أكثر واقعية فى مواجهة الحقائق والنظم الشيوعية الراسخة سواء كانت فى الصين الشعبية ، أو فى كوريا الشمالية .

كذلك يرجع جانب من التحول فى موقف كوريا الجنوبية الى التأثير الذى حققته مقترحات الرفيق كيم ايل سونج السلمية على الراى العام فى كوريا الجنوبية ، والتى تضمنها حديثه الى صحيفة « **يوميورى شيمبون** » اليابانية ـــ التى توزع فى كوريا الجنوبية ـــ فى يناير من هذا العام . اذ أعلن فيها « اننا مستعدون لاجراء مشاورات مع كل الاحزاب والتنظيمات فى كوريا الجنوبية بما فيها الحزب الجمهورى « الحاكم من أجل اعادة توحيد البلاد سلميا . واوضح « انه اذا كانت هناك رغبة فى تخفيف التوتر ، **فانه ينبغى تحويل اتفاقية الهدنة الى اتفاقية سلام** »

ويرى عدد من المراقبين بهذا الصدد ان

سلطات كوريا الجنوبية لم تستطع فرض المزيد من الضغوط لمنع تعاطف الرأى العام فى الجنوب مع هذه المقترحات ، فضلا عن الجهود ـ التى يقوم بها الحزب الثورى المتحد السرى ، كذلك فقد بدأت تنتشر فى أوساط الرأى العام الكورى الجنوبى وجهة النظر القائلة بأنه « **اذا كان نيكسون نفسه ذهب الى الصين ، فلماذا لاتذهبون انتم الى الشمال** ». كذلك فهناك عامل آخر أيضا هو أن حكومة سيول تريد أن تؤمن وضعها الخاص عن طريق العلاقات المحلية ، **وذلك حتى لاتلقى مصير شيانج كاى شيك** الذى أصبح يعانى من عزلة شـديدة فى فورموزا بعد اللقاء بين نيكسون وزعماء الصين الشعبية .

وعلى أية حال فقد تجلى التحول فى الموقف الكورى الجنوبى واضحا فى شهر يونيو الماضى عندمـــا طالب الجنرال **بارك جونج هيه** رئيس جمهورية كوريا الجنوبية أمام مجلس آســـيا والباسفيك الذى انعقد فى سيول بأن يقبل هذا المجلس فى عضويته الدول الشيوعية فى المنطقة أو التعاون معها» . وقال «ان هذا المجلس لا ينبغى أن يكون معاديا للشيوعية أو ذا صبغة عسكرية » ونجح الرئيس بارك فى استصدار قرار من المجلس بعدم معارضة أية اتصالات تجرى مع الـــدول ذات النظام الاشتراكى . هذا على الرغم من أن مجلس آسيا والباســـفيك كان قد اقيم فى الاصل ليكون منظمة معادية للشيوعية . وعلى أية حال فان الاتصالات التى تمت بين الدولتين فى اطار محادثات الصليب الاحمر اسفرت حتى الان عن تحديد جدول اعمال للقاء والاتفاق على الاجراءات وتكوين الوفود .

والامر الذى يراه أغلب المراقبين فى النهاية هو أن قضية اعادة توحيد الوطن الكورى تعتبر فى حد ذاتها من القضايا الاستراتيجية ، طويلة المدى ، ولذا فان قيمة الاعلان المشترك الاخير بين الدولتين الكوريتين هو انه **بداية حوار بين الدولتين يمكن ان يؤثر تأثيرا عمليا فى قضايا انسانية يمكن للطرفين** ـ فى مدى تكتيكى ـ **الاتفاق عليها مثل تبادل الزيارات بين العائلات، والمكالمات التليفونية ، والخطابات ، والتبـــادل التجارى ، واللقاءات بين المسئولين فى البلدين** وهى جميعا قضايا اولية ملحة ، ليس فحســـب على طريق اعادة توحيد كوريا عامة ، وانما حتى **على طريق اقامة علاقات طبيعية أولا بين الدولتين الكوريتين** .●

الفكر الثـــورى
يقدم شهادة الدم

باغتيال الكاتب الفلسطينى المناضل غسان كنفانى بدأ العدو الاستعمارى الصـــهيونى تخطيطا ارهابيا جـــديدا يســـتهدف المثقفين الثوريين العرب .. لقد ضرب غسان كنفانى طيلة حياته القصيرة مثلا رفيعا فى وحـــدة الفكر والسلوك لدى المثقف الثـــورى . ان نضاله السياسى لم ينفصل قط عن « الكلمة » الشريفة الشجاعة ،ولم تعد الكلمة «تعويضا» عن البندقية ، بل أصبحت ـ عند العـــدو ـ « فعلا » ثوريا يرادف الرصاصة .

وبعد مضى أقل من اسبوعين على استشهاد غسان كنفانى امتدت يد الارهاب الى الكاتب الفلسطينى المعروف انيس صـــايغ مدير مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية . ولم يكن الحادث الا امتدادا لهذا المخطط الجديد للدوائر الاستعمارية والصهيونية .. فأنيس صايغ ، الى جانب مؤلفاته القومية التى تفضح الكثير من أسس الابنية الرجعيـــة العربيـــة المعاصرة ، يقوم بادارة وتوجيه مؤسسة فى مقدمة منابر الوعى الثورى بقضية فلسطين ومشكلات الوطن العربى . ونظرة واحـــدة على مجموعة الدراسات الجادة والعميقة التى أصدرها مركز الابحاث الفلسطينية تدلنا على جسامة المسئولية التى يحمل أعباءها أنيس صايغ وزملاؤه .. وهى المسئولية التى تدرك خطورتها أجهزة العدو ، وتخطط لمواجهتها هذا التخطيط الدموى ضد المثقفين .

فلم يكد يمضى أسبوع آخـــر على حادث أنيس صايغ حتى انفجر مظروف فى وجه بسام أبو شريف المتحدث الرسمى الجديد للجبهـــة الشعبية ورئيس تحرير « الهدف » خلفـــا لغسان كنفانى .

ان المثقفين الثوريين العرب فى جميع انحاء الوطن العربى لا يستنكرون فحسب هـــذا المخطط الارهابى فى مجافاته لكافة قيم الفكر والحضارة ، وانما هم يعون اليوم أكثر من أى وقت مضى ، ان مسئوليتهم تجاه الثورة تدفع بهم الى مقدمة صفوف القتال ضـــد العنصرية الصهيونية والاستعمار الامريكى ، مهما كانت التضحيات .

ولتبق دماء غسان كنفانى وجراح أنيس صايغ وبسام أبو شريف وغيرهم ممن تضمهم قائمة العدو ، نبراسا حيا يضىء لنا الطريق .

« الطليعـــة »

■ **اليابان :**

« الخــروج » .. من تحت المظلـــة الامـــريكـية

يجمع المراقبون السياسيون على أن **اليابان** – بعد فوز **كاكوى تاناكا** برئاسة الوزارة – مقبلة على تطورات هامة فى سياستها الخارجية بشكل عام يمكن تلخيصها مسبقا بأنها اتجاه نحو ممارسة دور سياسى – وخاصة فى آسيا – يتناسب مع « الحجم الاقتصادى العملاق » الذى استطاعت أن تحققه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم .

وتعد التصريحات الاولى التى أدلى بها **كاكوى تاناكا** مؤشرا واضحا يثبت صحة تنبؤات المراقبين . فقد صرح تاناكا بأنه يعتزم التعجيل باعادة العـــلاقات بين اليـــابان وبين **الصـــين** الى « حالتها الطبيعية » . وأضاف أنه « لا توجد عقبة رئيسيةتقف فىوجه اقامةعلاقات طبيعيةمع الصين » . ويربط المراقبون بين نظرة تاناكا هذه ، وبين التغيرات التى يمكن أن تنشأ فى المنـــاخ السياسى الاسيوى ككل بعد الزيارة التى قـام الرئيس الامريكى **نيكسون** الى **بكين** فى الشهور الاخيرة . فضلا عن اعتبارات نمو الصين كقوة آسيوية ودولية كبرى ، ومؤثرة كانعكاس لتقدمها الصناعى والتكنيكى الهائل . وقد عبر تاناكا عن وجهة نظره بشأن العلاقات اليابانية الامريكية بقوله : « رغم أن سياسة الاحتلال الامريكية قد هضمها الشعب اليابانى ونفذها ، الا أنها كانت تعكس نوعا من الفلسفة كان سائدا فى أمريكا نفسها وقتها . ولم تعد تلائم اليابان الان فى كثير من جوانبها ، لهذا ينبغى ان تعالج هــذه الامور بطريقة يابانية حتى يتخلص الشعب اليابانى من شعوره بعدم الرضا » .

من هنا يقول المراقبون أن تاناكا مـواجه بمسئولية كبيرة لقيادة دفة اليابان السياسية فى بحار آسيا « بين جزر الامواج الامريكية ومـد الامواج الصينية ودوامات النزاع الصيني السوفيتى » . ويتوقع المعلقون للشئون الاسيوية أنتقدم اليابان علىالانفتاحنحو الصين من جهة ، والاتحاد السوفيتى من جهة اخرى فـى « اطار يابانى » يتجاوز حدود « الاطار الامريكى » الذى كان سائدا من قبل ، وينظر المعلقون الى هـذا الانفتـاح « كضرورة أمـن وضرورة تجـارية واقتصادية ولخلق توازن سياسى ملائم » . وذلك بفتح أبواب التجارة اليابانية وتحطيم الحواجز امامها . يزيد على ذلك ، أن تاناكا قد أعلن عن آنه سيضع برنامجا كبيرا للمسـاعدات الى الدول النامية .

وكاكوى تاناكا – احد زعماء **الحزب الحـر الديمقراطى** الحاكم – كان « مرشح التغيير » فى المؤتمر الذى عقده الحزب بزعامة **ساتو** رئيس الوزراء السابق ، بينما كان منافسه **تـاكير فوكودا** – وزير الخارجية السابق واحد زعماء الحزب – « مرشح الاستمرار » على نهج سياسة ساتو الذى استمر فى الحكم ٨ سنوات . وقد كانت المنافسة بينهما على درجة من الحدة ، بحيثحالت دون أن يفوز أحدهما فى أول اقتراع يجريه مؤتمر الحزب . وعند اعادة الاقتراع ثانية فاز تاناكا بـ ٢٨٢ صوتا . ولم تحل هذه النتيجة ، دون تجدد عمليات المنافسة والصراع من جديد ،وفور تولى تاناكا رئاسة الوزارة ، فقد واجه من فوره أزمة وزارية نتيجة لانسحاب وزيران من جماعة تاكير فوكودا ، احتجاجا على أن تاناكا لم يمنح هذه الجماعة اربع مناصب وزارية .

ومن المعروف أن تاناكا واحد من أبرز المسهمين فى ما سمى « بالمعجزة الاقتصادية » لليابان . وقد كان وزيرا للمالية فى الوزارة السابقة والوزارة الاسبق . وفى يوليو من العام الماضى ، تولى وزارة التجارة الخارجية والصناعة . ويعد واحدا من أبرز المبشرين بسياسة الخروج من تحت المظلة الامريكية فى آسيا الى « سياسة يابانية خاصة على نطاق العالم ، وقد بدأ تاناكا حياته كعامل بناء فى الخامسة عشرة من عمره ، وفى ١٩٤٧ أصبح نائبا فى البرلمان وكان عمره آنذاك ٢٩ سنة ، ويتبنى فى الداخل برنامج الحد من زيادة احتياطى النقد اليـابانى وتحقيـق « استقرار اقتصادى » كطريق أفضل – من وجهة نظره – عن تحقيق نمو سريع « له اضراره » .



فكر ديمتروف .. في لقاء دولي

أبو سيف يوسف

بمناسبة مرور تسعين عاما على مولد زعيم بلغاريا جورجي ديمتروف (١٨٨٢ ـ ١٩٧٢) عقد فى صوفيا مؤتمر دولى ضخم ، دعا اليه ، وأشرف على تنفيذه الحزب الشيوعى البلغارى ، وجبهة أرض الاباء (التى تضم أساسا الحزب الشيوعى وحزب الفلاحين والمثقفين .. الخ) والمجلس المركزى للنقابات البلغارية .

وقد لبى الدعوة الى المؤتمر ١٢٣ وفدا من مختلف أنحاء العالم ، تمثل الاحزاب الشيوعية والعمالية والاشتراكية والمنظمات الديموقراطية والجماهيرية ، وعدد كبير من مراكز البحث العلمى والمعاهد المتخصصة فى تاريخ الحركة العمالية الثورية فى البلدان الاشتراكية .

ووجهت الدعوة الى جميع التنظيمات والاحزاب الديموقراطية والشيوعية والمنظمات العمالية فى الوطن العربى .

ومثل الاتحاد الإشتراكي وفد يضم عبد التواب يوسف عضو اللجنة المركزية ورئيس شعبة الثقافة فى الاتحاد الاشتراكى العربى وابو سيف يوسف عضو هيئة تحرير مجلة الطليعة وعضو مجلس الشعب .

وبدأ المؤتمر فى ١٢ يونيو ، واستمرت جلساته الصباحية والمسائية مدة خمسة أيام ، قدمت فيها جميع الوفود المشتركة كلمات ودراسات تضمنت تقييم فكر ديمتروف واعماله ، وارتباطها الوثيق بالوضع الراهن فى داخل حركة الثورة العالمية .

وقد اختير المجلس الوطني (البرلمان) مقرا للمؤتمر ، على أساس أن هذا المجلس قد شهد ديمتروف الشاب كنائب يمثل حزب العمال البلغارى ، وبرلمانى ممتاز ، وخطيب فضح باستمرار سياسة التبعية للنظام الملكى البائد ، وعارض اشراك بلغاريا فى حرب ١٩١٤ الامبريالية . وفى هذا المجلس أيضا انتخب ديمتروف رئيسا للوزارة ، وفيه أيضا تم التصديق على الدستور الذى عرف فيما بعد باسم « دستور ديمتروف » .

وألقى كلمة الافتتاح الرفيق جيفكوف السكرتير الاول للجنة المركزية ورئيس مجلس الدولة فأشار الى أن تشكيل الاجتماع من هذا العدد الذى يمثل أحزاب وتنظيمات كثيرة من البلاد الاشتراكية ومن بلدان العالم الثالث والبلدان الرأسمالية ، يؤكد صحة وحيوية أفكار ديمتروف عن ضرورة الوحدة بين كل القوى الثورية والديموقراطية فى أركان العالم الاربع .

ثم قدم جيفكوف الى أعضاء المؤتمر الرفيق بوريس فيليشيف عضو المكتب السياسى للحزب ، الذى ألقى تقريرا قيما تحت عنوان :

« جورجي ديمتروف وتوحيد القوى الثورية والديموقراطية ، من أجل السلم ، والديموقراطية ، والإشتراكية » .

وقد تناول البحث أربع نقاط رئيسية هى :

١ ـ ديمتروف وتوحيد كل القوى التقدمية فى النضال ضد الرأسمالية الاحتكارية ، وضد الرجعية . وفى هذه النقطة عالج فيليشيف الازمة التى تأخذ بخناق الامبرياليين وتتسبب فى زيادة عزلتهم عن مجموع الامة فى بلادهم .

٢ ـ **ديمتروف** ودور الجهات المعادية للامبريالية من أجل التحرر الوطنى ، والاستقلال والتقدم الاجتماعى . وفى هذه النقطة تحدث عن طبيعة الجهات المعادية للامبريالية واتساع نطاقها الاجتماعى . وعن أهمية دعم جبهة التحالف والعمل الموحد بين حركة التحرر الوطنى وبين معسكر الاشتراكيين ، وأدان العدوان الامريكى فى فيتنام ، والعدوان الاسرائيلى فى الشرق الاوسط وعبر عن مساندة شعب بلغاريا الحازم للشعوب العربية .

٣ ـ **ديمتروف** وتوحيد القوى ضد خطر الحرب ، ومن أجل الدفاع عن السلم العالمى .

٤ ـ **ديمتروف** كزعيم أممى ومحب لوطنه بلغاريا .

وفى نهاية الجلسة الاولى أعلن جيفكوف أن مجلس الدولة قد قرر منح ميدالية ديمتروف للمشتركين فى الندوة العالمية . ثم توجهت جميع الوفود الى ضريح الزعيم البلغارى حيث وضعت عليه باقات الزهور .

وقد توالت كلمات الوفود ودراساتهم ، واشترك فى تقديم بعض هذه الكلمات عدد من الشخصيات البارزة من قادة الاحزاب الشيوعية والعمالية ، ومن الذين عملوا مع ديمتروف أيام أن كان سكرتيرا عاما للاممية الثالثة .

وقد القى عبد التواب يوسف كلمة الاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر ، وبعد أن أوضح نقاط الالتقاء بين تاريخ البلدين بلغاريا ومصر فى النضال ضد السيطرة العثمانية ، وضد السيطرة الامبريالية ، وضد الفاشية ، أشار الى أن هناك أربع نقاط فى فكر **ديمتروف** تثير اهتمام الناس فى بلاد العالم الثالث :

١ ـ ان فكر **ديمتروف** ونضاله يقعان فى صف الكفاح الذى تخوضه الامة العربية ضد الامبريالية والصهيونية . ويساعد فكر ديمتروف على كشف نقاط الالتقاء والتشابه بين الفاشية والنازية من جانب ، وبين الامبريالية الامريكية والصهيونية من جانب آخر . فالفاشية والصهيونية كنظريتين ونظامين تمثلان بؤرة خطرة للكراهية العرقية ، وقوة ضاربة ضد التقدم ، وخطرا على السلام العالمى ، واتجاها نحو الحرب والتوسع .

٢ ـ ان فكر **ديمتروف** عن الجبهات المتحدة يوضح منهجه فى رفض الانعزالية والجمود ، والوصفات الجاهزة ومن هنا فان هذا الفكر يمثل حافزا لكل القوى الوطنية والتقدمية تدرس واقعها الملموس ، ولتبحث باستمرار عن افضل الاشكال والحلول التى تخدم وحدة القوى الوطنية والتقدمية فى النضال ضد أعداء الحرية والوحدة والاشتراكية . وهنا أشار عبد التواب يوسف الى أن القيادة السياسية للبلاد التى يمثلها **الرئيس أنور السادات** تطرح قضية الوحدة الوطنية باعتبارها هدفا مقدسا ، وضرورة حياة للنضال ضد كل قوى العدوان والرجعية التى تحاول اضعاف وحدة الشعب .

٣ ـ **ان الامر الذى يجعل** ديمتروف مفكرا جديرا بالاعجاب هو دفاعه الحار عن الكرامة الوطنية ، والاستقلال الوطنى والحرية ، وموقفه المؤيد للقوميات التقدمية المتحررة كقوميتنا العربية التى تجمع صفوفها فى النضال ضد التجزئة والتفرقة والاستعمار .

٤ ـ **كان ديمتروف** ينطلق دائما من مبدأ أن المجتمع الاشتراكى لا سبيل الى بنائه الا على أساس النشاط الواعى للجماهير . ومن ثم تأكيده الكبير على ضرورة تطور العوامل الثقافية والفكرية للجماهير .

وفى الواقع يمكن للمراقب أن يرى أن مجموع الكلمات والدراسات التى قدمت الى الندوة العالمية انما تمثل وثيقة هامة تعبر عن نقاط التقاء هامة بين جميع التنظيمات والاحزاب والحركات الوطنية والديمقراطية المشتركة فى الندوة ، رغم ما بينها من فروق فى وجهات نظر وفى البرامج والمهام .

وقد دعا الرفيق جيفكوف جميع المشتركين فى اللقاء العالمى الى أن يطوفوا ببلغاريا ليروا فى الواقع العملى كيف وضعت أفكار **ديمتروف** موضع التطبيق . وأشار الى أن بلغاريا الحديثة هى أروع مآثر ديمتروف على الاطلاق . وهذه الفكرة عبر عنها أيضا **فيليشيف** عندما قال :

لقد دعا ديمتروف الشعب البلغارى الى أن ينجز فى ١٠ أو ١٥ سنة ما حققته بلاد اخرى فى مائة عام . فبلغاريا اليوم دولة متطورة تقوم فيها صناعة حديثة . وكانت منذ ربع قرن فى مؤخرة كل بلدان اوروبا . وفى بلغاريا اليوم زراعة حديثة واشتراكية تجعل من بلغاريا مثلا يحتذى . وفى ميدان التعليم حدثت تحولات جذرية جعلت هذه البلاد تحتل مكانا مرموقا فى الاسرة الدولية ، عندما تذكر قضايا الثقافة والتعليم والبحث العلمى .

وبالفعل ، فقد بدأت الوفود المدعوة بعد المؤتمر تطوف بمختلف أنحاء بلغاريا ، وتتعرف على منجزات البناء الاشتراكى فيها . وقد لفت النظر هذه الحركة الشاملة ، فى طول البلاد وعرضها اعادة بناء القرية البلغارية وتجديدها تجديدا تاما .



بولنـــــدا .. بعد تولى جيرك السلطة

مصطفى طيبة

دعانى « أنجى فيربلان » عضـــو السكرتارية المركزية لحزب العمل الموحد البولندى ، ونـائب رئيس البرلمان ، ورئيس تحـــرير مجلـــة « نوفادروجى » « الطرق الجديدة » وهى مجلة الحزب النظرية الى جلسة مناقشة مع هيئة تحرير هذه المجلة .

وقال « فيربلان » أن لقـاء « الطرق الجديدة » البولندية و «الطليعة» المصرية ،والذى يرجوأن يتم البولندية و «الطليعة» المصرية والذى يرجو أن يتم قريبا هو واحد من لقاءات سياسية وفكرية أخرى سوف تتم بين حزب العمل الموحد والاتحـاد الاشتراكى العربى . وأن هذه اللقـاءات تنفيذا لقرار المؤتمر السادس لحزب العمل الذى نص على ضرورة تدعيم العلاقات السياسية مع البـلاد العربية وبصفة خاصة مع جمهـوريـة مصر العربية .

وفى الاعداد الاخيرة لمجلة « الطرق الجديدة » اطلعت على عدد من الدراسات عن السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ، ودراسة عن التطور السياسى والاقتصادى فى مـصر ، أعده معهـد الدراسات النظرية وهو معهد حزبى ودراسة عن أزمة الشرق الاوسط منذ يونيو ١٩٦٧ .

وقد بدأت مجلة « الطرق الجديدة » فى ترجمة العدد الخاص من الطليعة الذى صـدر بعنوان « الطريق العملى الى الاشتراكية » الى اللغـــة البولندية .

وكانت قضية الحزب السياسى ودوره هـى القضية الاولى التى ناقشها الاصدقاء البولنديون معى . أن الحزب ـــ كما يقول « انجى فيربلان » عضو السكرتارية المركزية لحزب العمل الموحد اذا ابتعد عن فكرة لينين الجوهرية عن دور الحزب ينعزل عن الجماهير ويتحول الى جهاز من أجهزة الامن التابعة للدولة . فالثورة تسير على ساقين ، هما الحزب وجهاز الدولة ، ولكل منهما دوره المحدد: الحزبيقوم برسم السياسة ،والدولةتقوم بتنفيذها . وحين انتقدت الثورة البولندية هـــذه الفكرة لسنوات طويلة تحول الحزب الى مجـرد جهاز من أجهزة الدولة . لقد أخضع جومولكا ـ كما يقول الاصدقاء البولنديون ـ الحزب لاجهـزة الامن ، والغى الديمقراطية من الحياة الحزبيـة كلية ، وأبعد العمال الاكفاء ذوى الرأى المستقل عن المراكز المسئولة ، وأحل محلهم عناصر لا تدين الا بالولاء لجومولكا . من هنـا فان أحداث ديسمبر ١٩٧٠ كانت احتجاجا عنيفا ، لكنه يعبربصدق عن تطلعات مشروعة للطبقة العـاملة ، ولم يـكن مصدرها على الاطلاق تصرفات هوجاء من عناصر مخربة أو غير مسئولة .

وكان الاسلوب الذى حكم عمل المؤتمر الذى عقد فى ديسمبر الماضى مختلفا عن كل الاساليب التى حكمت المؤتمـرات السابقـة . فقد ابتدع المؤتمر اسلوبا تنظيميا جديدا فى مناقشة القضايا الحيوية التى تواجه الحياة البولندية . فقد وزع اعضاءه الى ١٩ لجنة متخصصة واستعان فى مناقشات هذه اللجان بخبراء من خارج المؤتمر ، ومن خارج الحزب (دون أن يكون لهم صوت) ، لمناقشة كل المسائل السياسية والاقتصادية والثقافيـة . وبعد ان قامت هذه اللجان بدراسة القضايا المطروحـة عليها قدمت توصياتها الى المؤتمر .

ان المؤتمر الذى ضم ١٨١٥ عضوا ، منهم ٧٨٧ عاملا ، ١٩٤ فلاحا ، ٣٤٠ امرأة ، بينهن ٨١ عاملة و ١٦٠ منهن شاركن فى المقاومة ضد النازى ، قرر تصعيـد عددا اكبر من الشـبـاب ، وخاصة من العمال (اكثر من ٦٠ فى المائة فى اللجنـة المركزية) .

والى جانب التغيرات الاساسية التى أحدثها المؤتمر فى قيادة الحزب مثل اسقاط عضوية المكتب السياسى عن «سيرانكيفتش» رئيس الدولةورئيس الوزراء طوال ٢١ عاما حتى ديسـمبر ١٩٧٠، « وبيديريكس » وزير الخارجية ،و « موشزار » رئيس لجنة الرقابة الحكومية .. وغيرهم .. الى جانب ذلك فقد حدثت تغيرات أساسية فى الكادر المتوسط «لجان الاقاليم» ، فمن بين ١٩ مسئولا لم يبعد غير ٣ فقط . وفكرة المؤتمر من هذا التغيير الاساسى فى قيادة الحزب وقيـادة المنـاطق وفى التركيب العضوى للحزب هو أن يكون وثيق الصلة بالجماهير .

لكن ذلك كله ـ كما يقول الاصدقاء البولنديون ـ ليس سوى خطوة ، فالقضية ليست تفيد فى كيان الحزب على أهميتها ، ولكن القضية الاساسية هى عمل الحزب وحركته بين جماهير الطبقة العاملة بصفة اساسية والجماهير بصفة عامة .

والقضية الثانية التى ناقشهـا الاصـدقاء البولنديون معى كانت هى قضية الديموقراطية فى الحياة الحزبية وفى المجتمع . ان الحزب الذى يستطيع أن يمارس فى حياته الحزبية ديموقراطية حقيقية ، يستطيع أن يبنى علاقة سليمة مـع

الجماهير خارج الحرب ومع الاحزاب السياسية الاخرى . وبعد اقل من ٣ شهور منذ المؤتمر السادس للحزب حتى اجراء انتخابات البرلمان «السجم» لمس الشعب البولندى التغيير الحقيقى فى اسلوب ممارسة الديموقراطية . ولقد جاءت الانتخابات التى أجريت لاختيار ٤٦٠ نائبا لعضوية البرلمان من بين ٦٢٥ مرشحا يمثلون الجبهة الوطنية المشتركة فى الحكم تجسيدا لهذه الحقيقة . وكل المسائل الجوهرية التى تمس حياة الناس يجرى مناقشتها علنا مع أوسع الجماهير . وفى القضايا الفنية تجرى المناقشة بين كل الفنيين والمتخصصين .

ان الحزب الذى يفهم دوره ، والديموقراطية التى تمارس بشكل سليم هى الطريق الوحيد الى زيادة الانتاج . فبعد أقل من ١٤ شهرا منذ تولى جيرك السلطة ، زاد الدخل القومى خلال عام واحد زيادة قدرها ٥٠ مليون زولتى ، وكانت فى السنوات السابقة لا تزيد عن ٧ أو ٨ مليون زولتى مع استمرار ارتفاع الاسعار ، وحقق الانتاج الصناعى زيادة بنسبة ١٠ فى المائة فى العام الماضى . والانتاج الزراعى حقق زيادة لم تكن متوقعة .. بل هو أمر لم يحدث منذ ٢٥ عاما . فى نفس الوقت خفضت أسعار المواد التموينية والاستهلاكية وجمدت بالنسبة للمواد الغذائية ، ورفع الحد الادنى للاجور بنسبة ٢٥ فى المائة .

ان اجراءات رفع الاسعار التى أدت الى احداث ديسمبر ١٩٧٠ كان الغرض منها الحصول على ١٢ مليار زولتى ، ولكن ثبت ان سياسة اقتصادية سليمة تؤدى الى نتائج أفضل ، سياسية واقتصادية واجتماعية . ففى العام الماضى حصلت بولندا على أضعاف المبلغ الذى كان يراد الحصول عليه برفع الاسعار على الرغم من تخفيض الاسعار ورفع الحد الادنى للاجور . فالقضية كما يقول « آنجى فيريلان » هى السياسة الاقتصادية الشجاعة التى تستفيد من كل الامكانيات ، المالية ، والفنية ، والبشرية ، والجماهير الواعية المقتنعة هى وحدها القادرة بمشاركتها الحقيقية على تحقيق سياسة اقتصادية سليمة تحقق العدالة الاجتماعية . ان السياسة الاقتصادية السليمة هى التى تقوم على أساس التطوير السريع للاقتصاد وفى نفس الوقت رفع مستوى المعيشة . ولقد أوضحت خبرة عام واحد فى بولندا امكانية ذلك .

وبعد توقيع المعاهدة مع بون التى تعترف بالحدود الغربية لبولندا ، أصبح من الضرورى رفع مستوى معيشة الجماهير ، فسوف تتسع المبادلات بين شرق وغرب أوروبا . وتخفيض نسبة الانتاج الصناعى ٢ فى المائة عما كانت عليه ورفع الانتاج الاستهلاكى باضافة الـ ٢ فى المائة اليه ، لم يؤثر فى التصنيع على العكس ادى الى زيادته . فالقضية كما يقول الاصدقاء البولنديون هى الاستخدام الافضل لكل مليم .

وعن علاقات بولندا مع امريكا ، فقد ترك الموقف الامريكى من التصديق على المعاهدتين السوفيتية لالمانية والبولندية الالمانية أثرا كبيرا . ويعتبر الاصدقاء البولنديون ذلك أهم حدث منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . فلقد كانت بولندا أشد الدول سعيا وحماسا للامن الاوروبى . وكانت ايضا عاصمة حلف « وارسو » وهى لم تمل الكفاح حتى تم التصديق على المعاهدة واعتبرته نجاحا تاريخيا . وقد حصلت بولندا بعد جهد استمر سنوات على تكنيك امريكى جديد لاستخلاص الغاز من البترول كانت الولايات المتحدة تحتكرها ولا تسمح باستعمالها الا فى اوروبا الغربية فقط . كذلك حصلت بولندا على حق استيراد بعض المواد التى كانت تعتبرها أمريكا مواد استراتيجية ولا تسمح بتصديرها .

والعلاقات الاقتصادية بين البلدين ــ كما يقول البولنديون ــ لا تمنع من ابداء بولندا رأيها فى كل المشاكل السياسية الاساسية فى العالم . وفى رأى بولندا أن أول هذه المشاكل هى مشكلة الامن الاوروبى التى كانت بولندا أول الداعين لها واكثرهم حماسا ، وهى الخطوة الطبيعية والمنطقية التى لابد وان تتلو التصديق على المعاهدتين السوفيتية الالمانية والبولندية الالمانية .

والامن الاوربى لا يستقر بغير حل مشكلة الشرق الاوسط . وبولندا ترى أن المسئول الاول والاخير عن الموقف فى الشرق الاوسط هى السياسة الاستعمارية الامريكية ، وترى ايضا أن استمرار الوضع الراهن فى الشرق الاوسط يخدم مصالح اسرائيل والولايات المتحدة .

ويرى الاصدقاء البولنديون أن سياسة الانفتاح هى فرصة للغرب للقيام بجهد دبلوماسى وسياسى وعسكرى لاثبات وتأكيد أن السلام لا يمكن أن يستقر بغير حل حقيقى وعادل لازمة الشرق الاوسط . ولابد أن يستفيد العرب من تعاظم قوى السلام فى أوروبا والغرب ، والظروف ملائمة للعرب ولم يعد أحد فى أوروبا يصدق خرافة الدولة الصغيرة المحاطة بالاعداء من كل جانب . ولقد بدت صورة اسرائيل واضحة اداة للسياسة الامريكية الاستعمارية .

وبولندا فى حدود قدرتها ومع كل البلاد الاشتراكية تقف مع العرب بكل صلابة . فلا أحد مثل الشعب البولندى عرف هوان الاحتلال وعظم التضحية . والطريق أمام العرب يكمن فى حماية وتدعيم النظام التقدمى فى مصر ، ويكمن فى وحدتهم . وعلى أساس هذا الفهم فان قرار المؤتمر السادس لحزب العمل البولندى بالعمل الجدى من أجل أوثق علاقات سياسية مع البلاد العربية ومصر فى المقدمة يكتسب أهميته الكبرى .

مكتبة الطليعة

تجديد الفكر العربي

■ تأليف :

د. زكي نجيب محمود

■ عرض وتحليل :

غالي شكري

■ الناشر :

دار الشروق - بيروت - ١٩٧١

بأسلوب يضع صاحبه فى مكان بارز بين أئمة البيان العربى على مر العصور ، يقدم الدكتور زكى نجيب محمود بين دفتى كتابه « تجديد الفكر العربى » رأيا شجاعا فى قضية التراث من موقع تختلف معه وتتفق ، ولكنك فى النهاية تدرك أن الكاتب لم يأل جهدا فى مصارحتك بكل ما يدور بعقله ووجدانه دون لف أو التواء . ومنذ البداية أحب أن أقول أن القضية التى يتصدى لها زكى نجيب محمود ليست جديدة عليه ، فطالما تناولها فى عديد من مقالاته ومواقفه العمليـة ، ولكن الجديد حقا هو موقفه منها .. فبالرغم من أنه لم يتخل مطلقا عن قواعد فكره الفلسفى الذى عرف به طيلة السنوات العشرين الماضية ، الا انه يؤسس على هذه القواعد نفسها فى كتابه الجديد موقفا يغاير موقفه القديم من قضية التراث .. ولعل أبرز الامثلة على ذلك الموقف القديم بيان لجنة الشعر الشهير عام ١٩٦٤ وفيه يجرم الشعر الجديد لدرجة التحريم ، بحجة معاداته لتراث الاقدمين .

أما فى كتابه الجديد فهو ينطلق من زاوية جديدة تقول « **لننظر الى حياتنا اليوم وما تواجهنا به من مشكلات اساسية لم يعد يصلح لها ماقد ورثناه من قيم مبثوثة فى تراثنا ، لسبب بسيط ، هو أنها لم تكن هى نفسها المشكلات التى صادفت أسلافنا حتى نتوقع منهم ان يضعوا لهـا الحلول** » (ص ٧٣) ويؤكد أن المسائل التى شغلت المتكلمين والباطنية والفلاسفة الاقدمين والصوفية ليست هى المسائل التى تشغل دنيانا ، فما قالوه لا يغنى فتيلا

فى اعداد الانسان المعاصر « **ولا أقول فى دفع الصواريخ فى الفضاء** » (ص ٨٩)، ذلك ان هذا العصر لا يجد شفاءه فيما قاله أسلافنا « **حتى وان ثبت أن غيرنا قد وجد فيه الدواء الشافى لما يعرض لهم من معضلات** » (ص ٩١) فالمفكر فى عصرنا من طراز مختلف ، والمشكلات المطروحة امامه من طبيعة مختلفة ، وهو لن يجد ما يهتدى به عند اجدادنا فى ازمانه الفكرية (ص ٩٥) ومن هنا كان التراث الباقى من تلك الجماعات القديمة جديرا بالحفظ والصون فى متاحف الاثار « **لكنى كذلك لا استخدمها فى شئون الحياة الجاريه** » (ص ١٠٣) ان المحور الرئيسى فى تراثنا كله - كما يقول زكى نجيب محمود - هو العلاقة بين الانسان والله « **على حين أن ما نلتمسه اليوم فى لهفة مورقه هو محور تدور عليه العلاقة بين الانسان والإنسان** » (ص ١١٠) وينتهى الكاتب الى صيغة حاسمة تقول « **أما ان نعيش عصرنا بفكره ومشكلاته ، واما أن نرفضه ونوصد دونه الإبواب لنعيش تراثنا .. نحن فى ذلك أحرار ، لكننا لا نملك الحرية فى أن نوحد بين الفكرين** » (ص ١٨٩) .

ومع هذا ، فزكى نجيب محمود ، رغم عباراته الحادة القاطعة ، لا يرفض التراث جملة وتفصيلا ، وانما هو يركز ما عاناه من الداعين الى « احياء التراث وكأنه ميت يحتاج الى بعث ، بينما المشكلة الحقيقية تكاد تكون على النقيض من ذلك ، لان التراث كمجموعة من القيم والتقاليد والعادات والمبادىء ، مازال ساريا فى دمانا يعرقل نمونا الحضارى ويعوق نهضتنا الانسانية . فالذى يحتاج حقا الى احياء هو بعض المواقف النادرة فى التراث ، نأخذ منها القيمة والشكل وزاوية النظر أى المنهج دون المضمون الذى لا علاقة له بعصرنا وانساننا . من هنا كان الاجدر بالداعين الى « احياء » التراث « **أن ينشطوا بالفكر كما نشط الإباء ، ولكن فى مشكلاتهم هم وبعقولهم هم وبحلولهم هم ، لا فى مشكلات الاباء ولا بعقول الاباء وحلولهم** » (ص ٨٦) . ان كل تراث بهذا المعنى واجب الدراسة عند المؤرخين (ص ١٤٩) ولكن قليله النادر فحسب هو ما يمكن استلهامه - لا تقليده - فى بناء حياتنا المعاصرة ، فما أكثر الذى ينبغى علينا أن نرفضه من التراث بل ونقتله لانه حى فينا للاسف يفعل فعله السلبى فى حياتنا دون وعى منا . ان « الوعى بالتراث » كطرف فى المعادلة الحضارية التى نعيشها هو أول الخطوات نحو يقظة قومية حقيقية . والوعى به ليس هو اصطياد كلمات معاصرة كالحرية والعدل والعلم والتبجح بأن التراث ملىء بها « **ويفوتنا دائما أن نتروى حتى نستوثق من أن كئوس هذه الالفاظ مازالت تحمل شرابها القديم ، ولم تستبدل به شرابا جديدا ، به وحده تسرى فى أجسادنا روح العصر وبغيره نتخلف لنعيش مع الإقدمين لفظا ومعنى ، وشكلا ومضمونا** (ص ١٧٩) .

ويقدم الدكتور زكى نجيب محمود عدة نماذج تتمزق الانسان العربى بين قيم التراث وقيم الحياة ، وفى مقدمة هذه النماذج تجىء المرأة المثقفة كمثال حى لهذا التمزق ، فهى استاذة وعالمة ووزيره ، ولكن التراث بقوانينه وتشريعاته يضعها فى منزلة مهينة فالرجال قوامون عليها ، يستطيعون اذلالها بالطلاق والزواج عليها وحصتها فى الميراث وحضانتها للاطفال الى غير ذلك من قوانين العبودية القديمة التى ورثناها بالرغم من كل ما حققته فى الحياة الدنيا من « حرية اقتصادية » و « حمل للمسئولية » فهذا كله لايشفع لها أمام سطوة التراث (ص ٧٩ - ٨٠) . والنموذج الاخر الفاجع هو الرجل « المثقف » الذى يعيش بين جدران المعمل أو فى مدرج الجامعة أو بين آلات المصنع بعقلية الحياة المعاصرة ، ولكنه بين أهله ومواطنيه يعيش بعقلية الدراويش والمشعوذين (ص ١٦٦) .. هذه الازدواجية المرة فى حياة المثقفين - رجالا ونساء - قد لا نجد لها أثرا فى حياة « العامة » من الناس ، فيحتل وجدانهم وعقولهم مكان الانفصام نوع مميت من الخدر العقلى والخبال . ولا يمكن لامة ، تلك هى حال مثقفيها وعوامها ، أن تقدر على تحدى أعدائها مهما كثرت جامعاتها وتسلحت جيوشها لان داءها القاتل يسكن فى أغشية المخ وتحت مسام الجلد .

ويحدد الدكتور زكى نجيب محمود عوامل الضعف فى التراث العربى بثلاث عوامل رئيسية هى : ● السلطة السياسية هى صاحبة الرأى ، فالفكر مقصور على السلطان (ص ٢٧) وبالتالى فليست هناك معارضة ولا حتى تأييد بل لا يصبح هناك فكر لان « الفعل » السلطوى قد حل مكانه . ويعزو الكاتب ما عرفته المنطقة العربية فى تاريخها الحديث من دكتاتوريات مؤلهة الى هذا المعنى المنحدر الينا من التراث حيث كان الخليفة او الامير هو عقل الامة ووجدانها الوحيد . لذلك تبحث عبثا عن معنى « لحرية الفكر » فى تاريخنا القديم ، وتضيع جهودنا سدى اذا بحثنا عن « الحرية السياسية » بمعنى التمثيل النيابى للشعب ، وسيصيبنا اليأس حتما اذا حاولنا أن نبحث عن « الحرية الاجتماعية » فالصدقات هى المعنى الوحيد الذى سنصادفه . ● العامل الثانى من عوامل الضعف فى التراث العربى هو التكرار والتقليد وخنق روح الابداع والخلق والمبادرة ، حتى الادب لم يكن يتطلب من صاحبه الا أن يصوغ حقيقة معلومة فى لفظ جديد (ص ٢٠٠) و « كلما

مات مؤلف لبس ثوبه مؤلف آخر وأطلق على مؤلفه اسما جديدا » (ص٢٧) . ● أما العامل الثالث فهو غياب الايمان بقدرة الانسان وارادته ، فكل شيء منزل من عل ، ولا راد لمشيئة صاحب الامر ، وهو السلطان في جميع الاحوال .

في مواجهة عوامل الضعف هذه التي لا تحتاج الى « احياء » بل ان الوعي بها في الحقيقة هو مقدمة الادراك الايجابي الفعال لما ينبغي أن نرفضه من تراثنا ، وما ينبغي أن نقبله بتحفظات . وقد صاغ الكاتب قبوله لبعض ما في التراث ـ وهو أقل من القليل ـ في نقطة واحدة هي أن نأخذ القيمة ونستلهم الشكل ونستخدم زاوية النظر وميزان الحكم فيما يختص بالمواقف العقلية التي يمكن استخلاصها بشق النفس من تاريخ بعض الفرق الاسلامية كالمعتزلة ، وقد لقيت من العنت والعسف ما أودى بها ، وكذلك مواقف بعض الرجال كابن حنبل الذي اشفى به صموده في قولة الحق على حافة الموت ، وكذلك وقفات قلة من الادباء والفلاسفة كأبي العلاء والجاحظ وابن رشد (**فاذا أخذنا عن الاسلاف منظار العقل الذي استخدموه وهم اشداء اقوياء ، انبثقت لنا على الفور اسس جديدة نقيم عليها حياتنا الفكرية بدل الاسس السائدة ، والاسس الجديدة المرجوة هي أسس الحوار الحر الذي تتعادل فيه قامات الناس . وان تفاوتوا بعد ذلك في سداد الرأي وقوة الحجة ، وأما الاسس التي نريد لها الزوال فهي تلك التي تجيء فيها الفكرة من عل ، لتهبط كالقدر على رؤوس الناس ، وعندئذ يكون الصواب هو المعيار الذي تمليه تلك الفكرة (السامية) ويكون الخطأ هو الجرأة على مناقشتها فضلا عن الجرأة على تجريحها والتمرد عليها** » (ص ٣٠) اننا نتخذ من ابن حنبل هاديا في الدفاع عن حرية الفكر ، بالرغم من أن الفكر الذي دافع عنه لا يعنينا في شيء ، ولا ننسى ونحن نستلهم ابن حنبل أنه لا يعبر الا عن جزء ضئيل من التراث ، أما بقية الصورة التي يصبح فيها حامل السوط هو وحده صاحب الحق ـ وهو الجزء الاكبر في حياة السالفين ـ فاننا ندينه ونرفضه ونناضل بقاياه في حياتنا المعاصرة (ص ٤٦) . والمعتزلة اهم الجماعات التي يرشح الكاتب وجهة نظرها لان تكون تراثا باقيا بالرغم من أن الموضوعات التي ناقشتها لا تهم عصرنا في شيء ، ولكن يبقى الاحتكام الى العقل والحوار الفكري الحر والخلاق وتحمل الفرد لاعباء مسئولية اختياره من أثمن الدعائم التي ارتكزت عليها المعتزلة ويمكن لنا الافادة منها فيما يطرحه عصرنا من قضايا لم يعرفها الزمن القديم **« ولو تصورت الله تعالى في الصورة المجردة الموحدة التي أرادها المعتزلة لكان شيئا أقرب الى الضمير ولاصبحت وحدته وحدة في القيم . بحيث يصعب على المؤمن ـ بهذا المعنى ـ بعد ذلك أن يتصرف هنا على أساس وهناك على أساس آخر »** (ص ١٢٦) ووفق هذا التصور المعتزلي لاتعود الاخلاق رقابة خارجية اشبه بالوصاية ، وانما نزوع داخلي تحدده الذات الحرة والمسئولة معا .

والمعاصرة التي بدونها لاتتوفر للانسان اسباب الحياة يراها الدكتور زكي نجيب محمود في « الغرب » ـ اوروبا وامريكا على وجه التحديد ـ أنه يرى بوضوح أن حياتنا الثقافية لا زالت في مرحلة السحر « **وأننا لولا علم الغيب وعلماؤه ، لتعرت حياتنا على حقيقتها ، فاذا هي حياة لا تختلف كثيرا عن حياة الانسان البدائي في بعض** مراحلها الاولى » (ص ٦١) ونحن لم نجد حلا لمشكلات حياتنا الراهنة ـ وفي مقدمتها مشكلة الحرية ـ الا في النتاج الاوروبي الحديث (ص ٧٨ ـ ٧٩) ويتناول الكاتب معنى « الثقافة » كما رسخت في أذهاننا ووجداننا من صفحات التراث ، ومعناها كما تعرفه حضارة الغرب ، فيرى أن اللغة عند العرب لم تكن أداة الثقافة وانما كانت الثقافة نفسها . لذلك كانت تقاس عظمة الكاتب بمخزونه اللغوي ومهارته في السبك اللفظي وبراعته في تنسيق الايقاع الى غير ذلك دون احتفال كبير أو قليل بما هو خارج حروف اللغة من دنيا عامرة بالخبايا والغوامض تحتاج الى وهج الاكتشاف وحرارة المعرفة . وكان المبدأ في التعليم هو الحفظ والتسميع بالتكرار والتقليد وتوالد العبارات من بعضها البعض بغض النظر عن منطق التسلسل الفكري (ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٧) . واصبح التأليف اشبه بتناسخ أرواح الكاتبين ، فلافرق جوهري بين كاتب وكاتب حتى أصبح المطلوب من القارىء هو التقمص لا الحوار (ص ٢١٩) ولا أمل في ثورة ثقافية دون ثورة لغوية تتحول معها اللغة من حلوى يتمزز بها الناس الى اداة توصيل حقيقية في عصر التفكير العلمي (ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣) ان اللغة التي تلف بك وتدور حول الفراغ ليست أكثر من مادة للتسلية في ساعات الفراغ (ص ٢٤١) ومع هذا الانطامن رؤوسنا بل نتبجح ونطلب من الاخرين أن يترجموا « ثقافتنا » الى لغاتهم (ص ٢٥٢) .

ويفرق الدكتور زكي نجيب محمود بين منهج الانسان القديم ومنهج الانسان في العالم المعاصر مؤكدا أن عصرنا قد أضاف الى التربية العقلية للمثقف ما لم يكن يحلم به أحد من الاولين ، وذلك لتطور العلوم ومناهج البحث فيها تطورا مذهلا ، ومن ثم لم يعد مؤثرا على مجرى هذا التطور أن يكون عالم الطبيعة أو الكيمياء أو النبات أو الطب مؤمنا أو غير مؤمن بما تواضع السلف على تسميته بالايمان .. ان قوانين العالم الطبيعي لن

تتأثر بما اذا كان العالم قديم أو حادث ، أزلى أو مخلوق (ص ١٣٢ ، ١٣٣) .. فالمعاصرة الحقيقية « **لا تتنافى ولا تتأيد بالايمان الدينى كائنا ما كان فى شكله ومضمونه ، وانما المعاصرة هى فيما له علاقة بمشكلات اليوم ، المعاصر هى متابعة العلوم وتقنياتها وتطبيقاتها ، وفى متابعة الفنون على مقتضى نوازع الحياة الحاضرة ، وفى متابعة أنظمة الحكم والتعليم والاقتصاد وغيرها من وسائل العيش وفق الحضارة التى نحياها** » (ص ١٣٤) ويستخلص الكاتب من هذه المقدمة نتيجة مؤداها : ليؤمن من يشاء فالدين موكول الى الايمان « **ونجعل العلم موكولا الى العقل ، دون أن نحاول امتداد أى من الطرفين ليتدخل فى شئون الآخر** » (ص ١٣٦) وهى النتيجة التى تتجسد دلالتها الاجتماعية والسياسية فى فصل الدين عن الدولة .

كيف يتم التطور او الانتقال ، من القديم الى الجديد ؟ يجيب الكاتب بأن نتحول عن ثقافة اللفظ الى ثقافة العلم والتكنولوجيا والصناعة ، ولن يتم هذا بالتوجه الى الماضى والتراث ، بل الى أوروبا وأمريكا « **نستقى من منابعهم ما تطوعوا بالعطاء وما استطعنا من القبول وتمثل ما قبلناه** » (ص ٨٢) وليصبح معيارنا دائما فى الرفض والقبول هى مدى ما يسببه لنا من نفع أو ضرر فى حياتنا المادية والعقلية على السواء (ص ١٨ ، ١٩) .

تلك هى الافكار الاساسية التى تحتل ثلثى كتاب « تجديد الفكر العربى » ، ولكن زكى نجيب محمود قد أراد فى الثلث الاخير أن يقدم صياغة فلسفية للنتائج التى استخلصها من السياق .. حينئذ تصدى لما تقول بــه الماركسيــة فى تصوره مــن « جبر » يحجب فاعلية الانسان ويشل ارادته ما دام التطور التاريخى فى طريقه المحتوم ، كذلك ما قال به ماركس من أن انجاز الاشتراكية يتم فى البلدان الاكثر تطورا ، بينما العكس فى التطبيق العملى هو الصحيح . ولعله من المناسب أن أرجىء التعليق على هذه التصورات الشائعة ــ والمتعمدة أحيانا ــ عن الماركسية حتى نستكمل بقية أركان الصياغة التى يقدمها الكاتب فى النهاية « كمنهج » مقترح لحياتنا الجديدة .

وربما كانت ملاحظتى الاولى على هذا المنهج أنه رغم وحدته الظاهرية يفتقد الاتساق الداخلى ، فبين عناصره يضم بعضا من افكار عصر التنوير ، وبعضا من اركان الوضعية المنطقية والبراجماتية والتجريبية والمادية الميكانيكية فى وقت واحد كان من نتيجــة ذلك ــ وتجىء هنــا ملاحظتى الثانية ــ ان تناقضت كثير من النتائج مع المقدمات حتى ليبدو الثلث الاخير من الكتاب وكأنه رواسب الموقف القديم للمؤلف وقد غاصت فى القاع تؤكد صراعا عميقا ايديولوجيا فى نفســه بين ما تربى عليه وما توصل اليه بعد طول بحث وتدقيق . ويمكن لنا أن نتابع أهم النتائج التى تواجهنا قرب الخاتمة على النحو التالى : ● **ان قدرا كبيرا من ألفاظ حياتنا اليومية وحياتنا الثقافية على السواء يهيم فى فضاء المعانى المجردة غير الموصولة بجذورها المادية فلا نحصل منها على الفكر وانما على الرنين الاجوف** (ص ٢٩ ، ٢٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٢) ولكن هذا التفسير اللغوى المأخوذ عن المنطق الوضعى سرعان ما يلتوى عنقه (ص ٣٨٢) لتصبح اللغة العربية لغة الارادة الانسانية الفاعلة مادامت الجملة فيها تبدأ بالفعل . ● النقطة الثانية هى اننا فى مرحلة تحول تستدعى الا تكون لدينا قواعد ثابتة للقياس لنفتح الطريق امام المبادرة والمغامرة والخلق فنبتكر لكل موقف ما يلائمه من قيم ونظم (ص ٢٢٦) بالمعنى التجريبى البحت فى الفلسفة الذرائعية (البراجماتية) . ● النقطة الثالثة هى انه يتعين علينا ألا نكون مجرد « ناقلين » سواء للتراث القديم او للفكــر المعاصر ، وانما يشترط أن « نعانى لنبدع » لنشارك الانسانية ونضيف اليهــا فلســفة عربيــة أصيلة وجــديدة (ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥) وهنــا يقسم الكاتب الفلسفات السائدة على عالم اليوم تقسيمـا جغرافيا ، فغرب أوروبا مشغول بالمعرفة العلمية وشرقها مشغول بالمجتمع (ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩) وعلينا ان ننهج فى اقامة فلسفتنا الخاصة نهجــا وسطيا عرفت به حضارتنا العربية قديما حتى نتقى ما آلت اليه الامور فى الغرب من تدهور فى القيم (ص ٢٧٠) ونحتفظ بالجذور الثقافية الغائرة فى أعماق نفوسنا (ص ٢٧٤) وحينئذ تنقلب المثالب التى ادانها الكاتب فى البداية الى ركائز أصيلة يقام عليها البناء الجديد ، فالادب والشعر الذى قال فيه ما قال يعيد تفسيره ــ او اعتباره ــ بمــا يسمح له أن يكون ركنا ركينا فى النهضة الجديدة (ص ٣٢٢) ، ولايلبث الدكتور زكى نجيب محمود أن يعثر على « حلول وسطية » فى تراثنا يمكن الافادة منها فى تشكيل نظــرتنا المقترحة (ص ٣٢٧) . ● النقطة الرابعة يمكن ايجازها فى هذه العبارة التى يقول فيها الكاتب « **كان للعقل أعظم القيمة عند اسلافنا** » (ص ٣٢٩) وهى جملة يتناقض مضمونها تناقضا حادا وقاطعا مع كل ما جاء فى الكتاب من تقييمات لتراثنا اللاعقلى ، بل هو يعود الى القول مرة أخرى أن « **قطب الرحى عند فلاسفة الغرب هو احكام العقل ، وقطب الرحى عند المفكر العربى هو قيم السلوك . والخير كل الخير أن تضم هذه الى تلك** » (ص ٣٨٣)

من الواضح ان الليبرالية هى الاطار الفكرى لهذه المجموعة من القيم والاراء التى يبــديها

الدكتور زكى نجيب محمود ، ولا ريب أن هذا الاطار الرحب يستقطب قطاعا عريضا من الجماهير القارئة ، وعلى هذا الصعيد فهو يسهم ايجابيا فى تنشيط العقل العربى بطرح التساؤلات الاساسية من جديد ، ومحاوله الاجابة عليها بمنطق علمانى يدافع عن حرية الفكر وحقوق الانسان ويدين الروح التواكلية والسلوك النيوقراطى ويدعو الى قيم العلم والصناعه والانفتاح على الحضارات الاخرى . هذه المجموعه من الافكار ــ وهى تشكل العمود الفقرى للكتاب ــ تأخذ موقعها التقدمى بجدارة فى حلبة الصراع الدائر الان بين قوى التخلف والدكتاتورية ، وقوى التقدم والديموقراطية ، وتزداد أهميتها البالغة فى الوقت الراهن بالذات ، والرجعية العربية ترفع لواء التراث ، كما تتبلور قيمتها المؤكدة وسط الجماهير العريضة التى تدين بنهم لا نظير له على كتابات مصطفى محمود وأنيس منصور وغيرهما من الذين يرتدون أزياء جذابة ويبطنونها بمضمون يفاقم التخلف ويدعم التقاليد غير الديموقراطية فى اسلوب الحكم . ان الاهمية السياسية والاجتماعيه لهذا الكتاب بين الجماهير تفوق بغير شك أهميته الفكرية على الصعيد الفلسفى بين المثقفين . ولا عبرة لان يقال عن صاحب الكتاب أنه ينهل من معين الفكر البرجوازى الغربى ، أو أن غيره من المفكرين العرب فى أوائل هذا القرن قد سبقوه الى هذه الدعوة أو تلك ، فبالرغم من صحة هذا القول الا أنه يبقى صحيحا بنفس المقدار أن المجتمع العربى فى غالبيته الساحقة ينتمى فكريا الى العقلية الزراعية والبدوية والعشائرية والقبلية ، حيث تصبح بعض الافكار البرجوازية المغيرة لهذه العقلية انجازا تقدميا لا غش فيه . ويبقى صحيحا كذلك أن بعض الافكار التى دعا اليها رواد فكرنا الحديث قد لقيت نكسة خطيرة خلال السنوات العشرين الاخيرة بحيث يصبح احياءها وبعثها من جديد مهمة جليلة لا غبار عليها .

اننا على الصعيد الفكرى الخالص ــ بعيدا عن الاثر السياسى والاجتماعى المباشر ــ نختلف مع الدكتور زكى نجيب محمود فى النقاط التالية :

١ ــ نختلف معه فى المنطق الوصفى للغة باستبعاده أن تكون اللغة نفسها ظاهرة اجتماعية متغيرة ، انها ليست ظاهرة طبقية ولكنها بالقطع ظاهرة قومية تتأثر بكل ما يطرأ على الامة من تغيرات فى بنيتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

٢ ــ أن نكون فى مرحلة تحول ، فهذا يعنى بالضرورة تحولا فى القيم ، ولكن هذا لا ينفى أن هناك «ثوابت» يمكن استخلاصها من مجرى التاريخ . ان التاريخ لا يعيد نفسه أبدا ، ولكن قوانين التاريخ التى تصوغ ظواهره الاساسية من تجارب الشعوب هى قوانين ثابتة .. لا بمعنى القدر الميتافيزيقى المستقل عن ارادة البشر ، وانما على العكس ، بمعنى تجسيد ارادات البشر فى حقبة معينة من التاريخ . وزوال القانون مرهون بزوال الظروف التى صاغها ، ان الدعوة الى التغير صحيحة فى جوهرها ، ولكن اقترانها بالدعوة الى أنه ليس هناك من « ثوابت » يؤدى الى العفوية والتلقائية ، ربما الى التمرد والفوضى ، ولكن ليس الى الثورة .

٣ ــ وهنا يرد الحديث عن الماركسية ، فالكاتب يوجه لها الاتهام التقليدى فى التفكير الغربى والموجز فى نقطتين : الاولى أنها تغفل ارادة الانسان وترشح قدرا جديدا على مصائر البشر هو « التطور التاريخى » . والنقطة الثانية أن نبوءة ماركس لم تتحقق فى الدول المتقدمة . وكنت أرجو من الدكتور زكى نجيب محمود أن يتحقق من خطأ هذا الاتهام بنفسه من المصادر الاصلية للماركسية لا فيما جاء عنها فى الادبيات الغربية . انه حينئذ يكتشف ان « الارادة الفاعلة » من صلب النظرية الماركسية . وهى الارادة التى تفسر نضال الماركسيين والطبقة العاملة فى جميع أنحاء العالم نضالا مريرا لدرجة الاستشهاد . ولو كان التطور التاريخى قدرا مجاوزا لارادة البشر لاستكان الماركسيون فى أحضان الحلم الجميل وكفوا عن النضال حتى الموت . أما نبوءة ماركس فان تحققها فى بلد متخلف لاينفى سلامتها الفكرية بل هى دعوة للماركسيين أن يتعمقوا واقعهم الخاص . وتلك هى الاضافة اللينينية الى الماركسية . وفى حالتنا نحن فان الدعوى التى يقيمها الكاتب ضد الماركسية باسم اخفاق النبوءة ، يمكن استخدامها ضده هو لاننا ــ باعترافه ــ متخلفون ، وبالتالى فبلادنا مرشحه لقبول الماركسية .

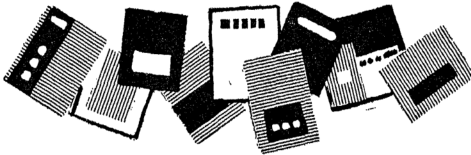
٤ ــ بالرغم من ان الدعوة الى العلم والصناعة دعوة صحيحة فى جوهرها ، الا ان الدكتور زكى نجيب محمود يركز على العلم بمعناه الفيزيقى .. الامر الذى لا يرفع القضية المطروحة الى مستوى أرقى ، فالمعامل والمصانع تملأ ساحة الوطن العربى ، وهى بغير شك تفعل فعلها البطىء فى عقولنا ووجداننا ، ولكن المعمل شىء والمنهج العلمى شىء آخر . ان ما نحتاج اليه جنبا الى جنب مع الانابيب والماكينات والعقول الالكترونية هو « المنهج العلمى » الذى يتجاوز أسوار المعمل الطبيعى الى العلوم الانسانية وحياة البشر .

٥ ـ اذا كان التخلف الحضارى المرعب والتقاليد غير الديموقراطية فى أسلوب الحكم يشكلان أبرز سمات « الانحطاط » العربى المعاصر ، فان الاشتراكية هى البديل الاقدر على اختصار الطريق بل واختزاله نحو الدولة الديموقراطية العصرية .. ولا يكفى فى هذا الصدد ما يدعو اليه المؤلف فى خطوط عريضة من حريات سياسية واجتماعية غامضة الملامح ناقصة التكوين . ان تجارب البلدان الاشتراكية التى كانت مثلا على التخلف فى يوم من الايام ، ينبغى أن تكون دليلنا الى التقدم والعصرية والديموقراطية .

٦ ـ والتقسيم الجغرافى الذى آثره المؤلف لفلسفات العالم المعاصر ، يجانبه الصواب وأبعد ما يكون عن المنهج العلمى ، فهو أقرب الى الصورة التى التقطت من طائرة فأوضحت سطوح الاشياء لا أعماقها ·· ان سيادة فلسفة معينة على السلطة السياسية فى غرب أوروبا وأمريكا ، لا يعنى غياب فلسفات أخرى تموج بها حركة الفكر الاوروبى والامريكى المعاصر ·· ولعله من المفارقات الجديرة بنظر الكاتب أن أهم الابحاث النظرية فى الماركسية تجيئنا من غرب اوروبا وأمريكا ·ومن ناحية اخرى فهناك فلسفات ليست مادية ولا جدلية فى بعض جامعات ومنابر أوروبا الشرقية . ان خطر التعميم هنا هو ان الكاتب ينظر الى « فلسفة السلطة » لا الى مجرى الحياة الدافق بتنوع القوى الاجتماعية واتجاهاتها الفكرية سواء كانت شرقا أو غربا .

٧ ـ ولعل هذه النقطة هى أخطر النقاط وان لم تكن الاخيرة ، فالدعوة الى فلسفة عربية تتجاهل أولا ماهو مشترك وعام بين جميع البشر ، وتتجاهل ثانيا محور العلاقة بين الدرجة الحضارية التى يبلغها أحد المجتمعات وميلاد « الفلسفة » فيه ، وتتجاهل ثالثا ان الطابع القومى للفلسفة هو جماع عناصر « الواقع » الذى ولدت فيه ، او طبقت عليه ، وان الطابع المطلق للفلسفة هو جوهرها كتعميم لنتائج العلوم فى زمان معين لا فى مكان معين .

غير ان هذه الملاحظات جميعها ـ وغيرها كثير ـ لا تقلل بحال من الاهمية العظمى لكتاب « تجديد الفكر العربى » الذى يجيىء فى أوانه معبرا أروع تعبير وأخلصه عن موقف الفكر الليبرالى العربى المعاصر من قضية التراث والتجديد ، وهى القضية التى تناور بها الرجعية العربية لاسباب سياسية واجتماعية ·· ولهذه الاسباب نفسها ـ بعيدا عن الفكر الفلسفى الخالص ـ يقف الدكتور زكى نجيب محمود وقفته الشجاعة الى جانب التقدم والديموقراطية .





تحرص « الطليعة » علي فتح صفحاتها للحوار بين الكتاب والمفكرين وتعمل على اتاحة فرص النقد والنقاش الموضوعي بين الاراء المتباينة •

وقد تتابع الحوار بين الدكتور عبد الرحمن البيضاني والدكتور محمد على الشهارى على صفحات الاعداد السابقة • وننشر فيما يلى الجزء الاخير من تعليق د• البيضانى وتعقيب د• الشهارى •

تهمة أنفيها •• وتهمة أقرها

د• عبد الرحمن البيضانى

يتلخص رد الدكتور محمد على الشهارى علينا المنشور فى مجلة الطليعة الغراء بتاريخ اول يوليه سنة ١٩٧٢ فى انه يتهمنى بتهمتين :

الاولى : اننى اعادى الاتحاد السوفيتى والمعسكر الشرقى

الثانية : اننى لست شيوعيا •

واننى اذ اشكر الزميل الكريم على ما وصفنى به من اننى اعلن ارائى باكبر قدر من الصراحة والوضوح ، فهذه مواقفى دائما مهما اتحمل بسببها من مصاعب ومضايقات ، لكننى فى نفس الوقت أستغرب قول الزميل فى رده علينا بما يناقض وصفه لنا حين قال « أما محاولة دفن الفقرات البالغة الاهمية والدلالة فى شرح أيديولوجية الدكتور البيضانى والتى تعبر بذاتها عن موقف فكرى متكامل وواضح السمات فى اكثر من قضية سياسية فانها محاولة غير موفقة وبالتالى غير مجدية » •

استغرب ان يقول الزميل اننى احاول دفن أيديولوجية يقول هو بنفسه اننى اسعى الى نشرها ، اذ كيف انشر شيئا

اريد دفنه ، أو كيف ادفن شيئا أريد نشره ، اللهم الا اذا تساوى النقيض مع نقيضه .

المهم ..

بالنسبة الى التهمة الاولى فلقد سبق أن نفيتها بوضوح فى ردى على الزميل المنشور فى الطليعة الغراء بتاريخ أول مايو سنة ١٩٧٢ ، ومع ذلك لا مانع من تكرار النفى لاننى اومن باهمية صداقة الدول النامية مع الاتحاد السوفيتى والمعسكر الشرقى عموما .

وقد يكون من المفيد فى هذا الصدد أن اذكر اننى كنت احد الاعضاء المؤثرين فىأول وفد يمنى يصل الىموسكو فى يونية سنة١٩٥٦ وكانالوفد برئاسة الامامالسابق البدر وولى العهد فى تلك الايام . وقد حصلنا على أسلحة روسية كثيرة بلا أى مقابل مادى ولم يشترط الاتحاد السوفيتى أية شروط سياسية على الحكومة الملكية اليمنية ، وكان العامل المشترك بين الدولتين فى ذلك الوقت هو مجرد توارد خواطر لايذاء الوجود البريطانى فى عدن والجنوب اليمنى .

وعندما قامت الثورة اليمنية فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وقضت على الملكية فى اليمن كان الاتحاد السوفيتى أول دولة مشكورة تعترف بحكومة الثورة اليمنية ، فالسياسة الدولية لا تعترف بالحب العذرى المجرد وانما بالحب المدعم بالمصلحة الذاتية التى من خلال توافقها مع المصالح الذاتية للدول الاخرى تنتظم العلاقات السياسية وتتحدد مواقف الدول . ولا باس بعدئذ ان تغلف هذه العلاقات شعارات تتردد على انغام الالحان الانسانية .

كما أنه من المفيد ان اذكر اننى كنت الرجل الثانى فى اليمن فى ثورة سبتمبر سنة ١٩٦٢ حيث كنت نائبا لرئيس مجلس الثورة ونائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا لخارجية الثورة التى يتباكى عليها الزميل ، واذكر انه فى اليوم الرابع للثورة وبعد أن تأكدت قيادة الثورة من تحفز القوى الاجنبية المعادية لها قمت بابلاغ السفير السوفيتى فى اليمن باننا سوف نرسل الى موسكو وزير الدولة اليمنى لشئون رئاسة الجمهورية ومعه تفويض من قيادة الثورة بالتوقيع على أية اتفاقية يراها الاتحاد السوفيتى ضرورية كى يمكنه أن يزودنا بالسلاح اللازم للدفاع عن الثورة ضد الخطر المحدق بها وسلمته صورة من قائمة بأنواع وكميات الاسلحة المطلوبة

واذكر اننى تسلمت برقية من الرفيق خروشوف يبلغنى فيها بأن الاتحاد السوفيتى أرسل الاسلحة المطلوبة بالكامل وانه يؤجل مناقشة اية اتفاقية الى ما بعد دفع الخطر المحيط بالثورة اليمنية .

اذكر ذلك لاثبت للزميل اننى مارست الصداقة السوفيتية عملا لا قولا ، كما اثبت اننى أحد الذين غرسوا جذورها منذ يونية ١٩٥٦ ولا زلت ادعو الى تعميق هذه الجذور ما دامت لا تمس حق الشعوب فى اختيار انظمتها الاجتماعية وفق ظروفها واختيارها الحر والمطلق ..

اما قول الزميل فى رده المذكور « ومن الملاحظ انه عندما يصطنع الدكتور البيضانى الحكمة فى اخفاء عدائه للاتحاد السوفيتى وغيره من الدول الاشتراكية ، فانه يضع حينئذ معسكر الغرب الاستعمارى ، ومعسكر الشرق الاشتراكى على قدم المساواة ، ويدعو الى التعامل معهما معا ، باعتبارهما مجتمعات متطورة واستشهد على ذلك بفقرة نقلها هذه المرة بامانة من مقال نشرته فى مجلة اخبار اليوم القاهرية بتاريخ ١٩٧٢/٤/٢٩ والفقرة تقول [وغنى عن الذكر انه فى معرض « الحديث العام » عن علاج التخلف لا مجال للاشارة الى « التعاون الخاص » مع اية دولة بعينها ، ولا مع أية كتلة بذاتها ، لان لكل مجتمع ظروفه الخاصة ، وفلسفته المختارة ، والخطاب فى هذا المقال « لكل المجتمعات المتطورة » دون استثناء ، مع اختلاف ظروفها الخاصة ، وتباين فلسفتها المختارة ، المهم أن تتوافر قدرة التحريك ، كى ينتقل المجتمع الراغب فى التقدم الى « حالة التقدم » .

الغريب ان معنى هذه الفقرة واضح كل الوضوح ويتلخص فى أن الدول المتطورة ينبغى أن تستهدف الحصول على قدرة تحريك مواردها الطبيعية والبشرية كى تنتقل فعلا « لا قولا » الى حالة التقدم ، وهى فى سبيل ذلك تتعاون مع الدولة او الدول التى تستطيع أن تكفل لها ذلك مع احتفاظها بفلسفتها التى املتها ظروفها ومقوماتها المتطورة .

فى تلك الفقرة لا أعرف بالتحديد من الدول المتطورة اخاطب حتى أشير عليها بمصادر معينة لطاقة التحريك ولذلك جعلت الخطاب عاما كما جاء فى نص تلك الفقرة .

اما اذا كان الدكتور الشهارى يريد منى ان احصر استلهام الفلسفة من الاتحاد السوفيتى وأدعو الى حصر التعامل الاقتصادى معه فنعزل أنفسنا عن بقية العالم فاننى لا استطيع أن اوافقه على ذلك اليوم ، ولن افعل ذلك فى أى يوم .

اولا — لانه يلغى حرية الشعوب فى اختيار انظمتها الاجتماعية الملائمة لها والتى قد تتفق وقد تختلف مع نظام الاتحاد السوفيتى الاجتماعى والاقتصادى .

وثانيا — لانه يحصر مصدر الحصول على الخبرة ورؤوس الاموال من الاتحاد السوفيتى وهذا ما يستحيل « كليا وبصفة مستمرة » واذا جاز « جزئيا وبصفة طارئة » فانه يرهق طاقات الاتحاد السوفيتى ويحمله أعباء ومسئوليات غير متناهية فضلا عن انه يخلق نموذجا مماثلا لاقتصاد الكومنولث الاستعمارى ايام انغلاقه .

والخلاصة انه لا يصح أن يستنتج الزميل اننى اتحامل على الاتحاد السوفيتى أو أعاديه لمجرد اننى أدعو كل مجتمع الى التعامل الدولى مع كل جهة تستطيع ان توفر له الحصول على الخبرة ورؤوس الاموال أى طاقة التحريك فى ظل الفلسفة الاجتماعية والاقتصادية التى اختارها لنفسه .

وليس فى ذلك اى جديد او اختراع لاننا نسلم جميعا بان لكل مجتمع ظروفا تختلف فى قليل أو كثير عن المجتمعات الاخرى وبالتالى استغرب الا نسلم باختلاف السياسات الخارجية فى قليل أو كثير لدى هذه المجتمعات تبعا لاختلاف ظروفها .

والقول بغير ذلك معناه أن الزميل يرى «تقنين» السياسة الخارجية و « تنميطها » ووضعها فى لوائح لتحفظ عن « ظهر قلب » . ولو صح ذلك لما كانت السياسة سياسة ، ولاصبحت نوعا من قواعد النحو والصرف التى لا تختلف من بلد الى آخر ، أو من زمان الى زمان .

لكن السياسة التى نعرفها .. هى مجرد اجتهاد .. هى فن بلوغ الممكن .. وليست اضاعة الوقت واهدار الطاقات فى طلب المستحيل .. والفن فن .. اى نتاج الموهبة المصقولة بالعلم والخبرة .. ولذلك لا يوجد النموذج الفرد فى السياسة الذى يمكن الدعوة الى الالتزام به .

وكل الذى يمكننا كمفكرين او كتاب ان نعطيه بسخاء هو مجرد استعراض النظريات والفلسفات والتجارب والدروس المستخلصة منها ، واذا وفقنا الى اضافة جديد فانه ليس اكثر من طرح افكار للبحث والتامل على سبيل الاسهام فى بناء فقه الفكر السياسى ، وليس على سبيل الجزم بصحة هذا الجديد والدعوة الى حتمية الالتزام به .

فالتعامل مع جميع الدول بما يحقق المصلحة الوطنيــة والقومية سياسة مفيدة لا تزال متعارفا عليها ، وسبق لى أن مارستها عملا عندما كنت المسئول عن ادارة الشئون الخارجية للثورة اليمنية فيمرحلتها الاولى والخطيرة ، ففى ذلك الوقت رغم علاقاتنا الوثيقة بالاتحاد السوفيتي الصــديق ، حرصت على الاحتفــاظ فى اليمن بالسفــارتين الامريكية والبريطانية رغم عدم اعتراف أمريكا وبريطانيا بحكومة الثورة ورغم الاختلاف المصيرى الجذرى الذى كان بين الثــورة اليمنية وبينهما ، اعتقادا بأن الاجهزة الدبلوماسية هى أجهزة تفاهم وتقريب وجهات النظر ، وانها اكثر فائدة وايجابية فى تحقيق هذه الغاية فى زمن الاختلاف بين الدول منها فى زمن الوئام والانسجام .

وأذكر اننى رغم عدم الاعتراف الامريكى بحكومة الثــورة اليمنية استلمت عن طريق السفير الامريكى فى اليمن خمس رسائل من المستر كيندى رئيس الولايات المتحــدة فى ذلك الحــين انتهت بالاعتراف الامريكى بحكومة الثــورة اليمنية وبتقرير معونة اقتصادية للجمهورية اليمنية وبدخول الجمهورية اليمنية فى عضوية الامم المتحدة وطرد المندوب الملكى اليمنى منها .

وكم كنت أود الاحتفاظ فى صنعاء بالسفارة السعودية رغم اشتداد هجوم حكومتها واذاعتها المستمرة على الثورة اليمنية واعلانها الامير السابق الحسن ملكا على اليمن ، غير أن الجماهير اليمنية الغاضبة اسرعت الى احتلال دار هــذه السفارة فى اليوم الثالث للثورة فقمت بنفسى باخلائهــا من الجماهير واصطحبت القائم بالاعمال السعودى الى مقــر رئاسة الجمهورية واحطته علما باننا لا نزال حتى تلك اللحظة لا نريد ان نرد على الهجوم الاذاعى بمثله املا فى اقتــاع الحكومة السعودية بصداقتنا وحسن عواطفنا نحوها ، واضفت ان قيادة الثورة تنوى ارسال وفد يمنى على مستوى القمة الى الرياض لتوقيع اية اتفاقية تراها الحكومة الســعودية مطمئنة لها ، واننا لا نرحب بانتقال الخلاف العربى الى ارض اليمن ، واننا يمكن ان نكون حمامة السلام فى ذلك الخلاف ، واستطردت قائلا ان الذى يجعلنا نتردد فى الاسراع بارسال هذا الوفد هو تجربة انتفاضة اليمن سنة ١٩٤٨ حين ذهب الى السعودية ابو الاحرار الاستاذ محمد محمود الزبيرى فى مهمة مماثلة فالقت السلطات السعودية القبض عليه ، ثم رجوت القائم بالاعمال ان يتوجه الى الرياض ليبلغ هــذه الرسالة الى جلالة الملك سعود وقلت اننا سوف نستدل على نجاح هذه المهمة عندما تتوقف اذاعة السعودية عن مهاجمة الحكومة اليمنية وعندئذ يتحرك الوفد اليمنى فورا الى الرياض اما اذا استمر الهجوم الاذاعى الذى كان يدعو الى حث الشعب اليمنى على الوقوف ضد الثورة وقطع رؤوس رجالها فاننا سوف نضطر بكل أسف شديد الى مواجهة الموقف .

وبكل اسف شديد ذهب القائم بالاعمال السعودى ولم يعد ثانية الى صنعاء واستمرت الحملة الاعلامية السعودية ضــد الثورة اليمنية ، وكان ما كان مما كنا نعمل على تفاديه منذ بداية الثورة .

ولا شك فى انه لو استمرت السفارة السعودية فى صنعاء تقوم بعملها رغم اختلاف الحكومتين فى ذلك الوقت ورغم المصاعب التى كان من الممكن ان تواجهها بسبب غضــب الجماهير لكان من الممكن اجتياز ازمة الخلاف فى اقرب وقت وباقل خسائر بين الطرفين ، وبطبيعة الحال كانت الحكومة اليمنية ستوفر الحماية الكافية لتلك السفارة ورجالها .

لذلك اكرر مرة اخرى انه لا محل لاستنتاج الزميل الدكتور الشهارى اننى ادعو الى معاداة الاتحاد السوفيتى لمجــرد دعوتى الى الاستفادة قدر الامكان من التعاون الدولى بصفة عامة حسب ظروف كل دولة ، وامامنا امثلة حية ومعاصرة ابرزها ما تعانيه السفارة السوفيتية فى امريكا من الصهيونيين الذين لا يكفون عن مواجهتها بالقنــابل ، ثم زيارة الرئيس نيكسون الى الصين والاتحاد السوفيتى والتى زادت شرح دروسها تلك النصوص الواضحة الــدلالة التى تضمنتهــا الاتفاقيات والبلاغات السوفيتية الامريكية .

فالسياسة الدولية لاتخضع للانفعالات والتشنجات ؛ وانما تقتفى اثر المصالح الحاضرة والمنتظرة ، ولا تفترض ان طرفا من الاطراف يمكن ان ياخذ ولا يعطى ، او يعطى ولا ياخذ ، وانما تقوم على تبادل المصالح المــادية والمعنوية المؤكدة والمحتملة ، وتتوقف على قيام كل طرف بموازنة ما يعطيه بمــا ياخذه ، ثم ياتى حاصل الجمع والطرح ليفرض على كل طرف موقفه .

هذا عن التهمة الاولى .

اما عن التهمة الثانية التى يتهمنى بها الدكتور الشهارى مثبتا اننى لست شيوعيا ، فهذه تهمة اعترف بها ، وليس الزميل فى حاجة الى ان يجهد نفسه فى المزيد من الكتابة لاثباتها ، ذلك لاننى مع احترامى لجميع الشيوعيين المناضلين لم ازعم فى يوم من الايام اننى شيوعى ، كما لا اجد اى تناقض بين كونى غير شيوعى وبين ايمانى باهمية الصــداقة مع الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية عموما بمـــا يحقق المصالح الوطنية والقومية سواء من ناحية التحرر الوطنى او من ناحية التنمية .

اما اذا كان الزميل الدكتور الشهارى يفرض على كل صديق للاتحاد السوفيتى أن يكون بالضرورة شيوعيا فان هذا الفرض يجرد الاتحاد السوفيتى من معظم اصدقائه فى العالم ، وهو فرض لم يدع اليه الاتحاد السوفيتى نفسه .

لقد كان الزعيم الخالد جمال عبد الناصر من اعظم واخلص اصدقاء الاتحاد السوفيتى دون ان يكون شيوعيا ، واكد ذلك على سبيل المثال ، فى مجلس الامة بتاريخ ١٢ نوفمبر سنة ١٩٦٤ حيث قال « مقلناش ان احنا اشتراكيتنا اشتراكية مادية .. ومقلناش ان احنا اشتراكيتنا ماركسية ، ومقلناش ان احنا خرجنا على الدين .. بل قلنا ان الدين بتاعنا هو دين اشتراكى وان الاسلام فى القرون الوسطى حقق اول تجربة اشتراكية فى العالم » .

وفى اجتماع الزعيم الخالد جمال عبد الناصر مع كبار علماء الدين فى اليمن فى صنعاء يوم ٢٥ ابريل سنة ١٩٦٤ قال سيادته « اشتراكيتنا هى التى سنها محمد عليه الصلاة والسلام » .

ثم عاد سيادته فى حديثه فى مؤتمر المبعوثين بالاسكندرية فى ١٠ اغسطس ١٩٦٥ فأكد هذا المعنى قائلا « اقول بصراحة ان اشتراكيتنا ليست ماركسية .. وليست ماركسية لينينية »

كذلك الزعيم القائد محمد انور السادات لا يشك احد فى صداقته المخلصة للاتحاد السوفيتى ، ومع ذلك لا يزعم احد غير الدكتور الشهارى ان الرئيس السادات شيوعى كمــا حاول أن يوحى الينا فى رده المذكور علينا .

لقد اعلن الرئيس السادات فى اجتماع سيادته باعضاء اللجنة المركزية بتاريخ ١٧ ابريل سنة ١٩٧٢ فقال « ان الاتحاد السوفيتى ظل يقدم لنا العون والتــأييد فى الوقت الذى نعلن فيه اننــا حريصون على نظامنــا الاجتماعى والاقتصادى » وقال سيادته « ان خط مصر واضح .. اننا حريصون على نظامنا وتراثنا وقيمنا الروحية فارادتنا الوطنية

قد تحررت نهائيا ، وقد تجاوزنا مرحلة الخوف والحساسية من التعامل مع الدول الكبرى » .

ثم عاد الرئيس السادات واكد هذا المعنى فى لقائه بلجنة العمل ورجال الاعلام يم ٢٤ ابريل ١٩٧٢ فقال « اننا نتعامل مع الاتحاد السوفيتى بوضوح كامل بعيدا عن الايديولوجيات» واضاف « بالنسبة الى علاقتنا بالاتحاد السوفيتى فهى علاقة صداقة ومصلحة مشتركة فى الوقوف ضد الاستعمار ، واننا نبنى مجتمعنا بالاسلوب الذى يتمشى مع ظروفنا » .

واما قول الدكتور الشهارى فى رده المذكور علينا « انه حتى سياسة عدم الانحياز لا تعنى الوقوف المتخشب بين جانب الشرق والغرب .. وان هذه السياسة لا تعدو أن تكون موقفا انتقاليا فى السياسة تلجأ البورجوازية الوطنية الضعيفة التكوين الى ممارسته بغية أن يشد ساعدها » فان هذا القول لا يمسنى الا بقدر ما يدين جميع دول عدم الانحياز وبقدر ما يسىء الى زعماء هذه السياسة الخالدين جمال عبد الناصر ونهرو وتيتو .

لانه لو صح ما زعمه الدكتور الشهارى لكان معناه أن هؤلاء الزعماء قد عملوا على استدراج الدول النامية عن طريق عدم الانحياز الى الانحياز ، ولكان معناه ايضا أن هذه الدول قد وقعت ضحية لهذه السياسة غير المنحازة اسما والتى تجرها الى الانحياز موضوعا .

ناهيك عن تسمية الدكتور الشهارى لدعاة عدم الانحياز بالبورجوازيين الضعفاء ، ومن هؤلاء جميع زعماء الدول العربية التقدمية غير المنحازة الذين نجلهم ونقف وراءهم مقتنعين بجهادهم فى سبيل التحرر السياسى واجتياز مرحلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى .

وفيما يتعلق بتهكم الدكتور الشهارى على ما جاء فى مقالى المنشور فى أخبار اليوم بتاريخ ٢٩ ابريل سنة ١٩٧٢ فقد اقتبس جملة ناقصة من فقرة ليصل من خلال ذلك الى تشويه معانيها فنقل عنى فى رده المذكور « فالفلسفة مجرد كلام ، كلام يمكن الاتفاق عليه ، ويمكن وضعه فى كتاب ، طرحه فى شعارات تردد فى خطب وتعلق على جدران » ووقف عند هذه الكلمة محاولة منه ان يثبت كما قال اننى ارى ان الفلسفة فى احسن الاحوال يمكن ان تضاف الى قصائد المعلقات السبع الشهيرة فى الشعر الجاهلى التى كانت تعلق على احد الجدران فى مكة .

وصحة الفقرة المنشورة فى ذلك المقال يمكننا اعادة نقلها متكاملة حتى يمكن استخراج المعنى المقصود منها وهى [أوضح الميثاق بكل جلاء أن تحرير الطاقات الخلاقة لاى شعب من الشعوب يرتبط بالتاريخ « تاريخه هو » ويرتبط بالطبيعة « طبيعته هو » ويرتبط بالتطورات السائدة والمؤثرة فى العالم الذى يعيش «هو» فيه] . أى أن الفلسفة التى يحسن أن يختارها المجتمع المتطور هى تلك التى يستخلصها من تاريخه ومن طبيعته ومن التطورات السائدة والمؤثرة التى يعيشها غير أن اختيار الفلسفة الملائمة ثم تفريغها فى أنظمة وتشريعات اقتصادية واجتماعية لا يعنى انتقال المجتمع من حالة التخلف الى حالة التقدم . فالفلسفة مجرد كلام .. كلام يمكن الاتفاق عليه .. ويمكن وضعه فى كتاب وطرحه فى شعارات .. تردد فى خطب وتعلق على جدران . كل ذلك يمكن أن يحدث .. ومع ذلك لا يحدث اى انتقال الى التقدم .. لان فلسفة التقدم كلام .. والانتقال الى التقدم حركة .. والحركة تحتاج الى محرك .. والمحرك يحتاج الى قدرة تحريك .. وقدرة التحريك فى البلاد النامية غالبا ما تكون غير كافية أو هى فعلا كذلك ، ولذلك فان هذه البلاد تحتاج الى تعاون دولى للحصول على قدرة التحريك .. أى الحصول على أمرين .. أولهما المعرفة بالتحريك أى الخبرة .. وثانيهما طاقة التحريك أى رؤوس الاموال . والتعاون الاقتصادى الدولى لا تستطيع أن تستغنى عنه دولة نامية او متقدمة .. لانه أحد الاسباب الجوهرية فى تقدم البشرية عموما منذ فجر التاريخ .. فلقد بدأت الحضارة منذ أن احتاج الانسان الفرد الى الانسان الفرد وبدأ يقول له اى شىء ثم أخذ يتبادل معه أى شىء ، أى منذ أن تعاون الانسان مع الانسان ، وقبل ذلك كان الانسان مجرد كائن تائه يأكل من شجرة .. ينام فوقها أو تحتها .. » .

والمقصود من هذه الفقرة واضح لاسيما اذا قرئت ضمن بقية المقال الذى موضوعه « فلسفة المجتمعات المتطورة » المنشور فى أخبار اليوم فى ١٩٧٢/٤/٢٩ . وهذه الفقرة بذاتها تشير الى أن بعض المجتمعات النامية ينقل على نفسه برفع الشعارات الرنانة الحماسية ، ويستنفذ جل طاقاته فى المناقشات الفلسفية دون أدنى محاولة الى البحث العلمى عن الامكانية المادية والفنية لوضع هذه الشعارات موضع التنفيذ .

وهذه الملاحظة سبقنى اليها الرئيس تيتو حين قال لزملائه بعد الاستقلال اليوغوسلافى « أريد عملا أكثر وسمادا أكثر ، وكلاما منقولا عن كارل ماركس أقل » .

وذلك حتى لا تبقى الثورات مجرد شعارات وقصائد ومعلقات ، يستمتع بها عشاق الجدل والقوافى ، ثم ينامون فوق شجرة أو تحتها .. لا يهم .

اننى أرفض أن يكون الكلام لمجرد التلعثم .. ولا اقر ان تكون الفلسفة لمجرد التحذلق .. وانما أقبل أن يكون كل ذلك مجرد وسائل تتوسط بين العلم وتطبيقه العملى .. اصر على أن يكون لذلك أى قدر من الفائدة العملية .. والفائدة العملية لا تتحقق الا اذا أمكن تطبيق العلم بالعمل .. والتطبيق لا يتم الا اذا راعى ظروف الممكن وتفادى سحر المستحيل .

واخيرا فان اعتراض الدكتور الشهارى على الفقرة التى نقلها مشوهة ومختصرة من مقال قومية الفكر الذى نشرته لى مجلة أخبار اليوم بتاريخ ٢٨ اغسطس سنة ١٩٧١ فان صحة هذه الفقرة هى « واذا كانت التجارب الهندسية منذ زمن اقليدس قد تطورت تدريجيا خلال عدد من القرون حتى أدت الى خلق بديهيات هندسية فى غير حاجة الى براهين تجريبية فان التجارب الاجتماعية لا تستطيع أن تؤدى الى خلق بديهيات اجتماعية مماثلة للبديهيات الهندسية ، ومجمل البديهيات المستخلصة من علم الاجتماع أن الحقائق الاجتماعية غير ثابتة .. بل متطورة ومستمرة فى التطور .. أى أن الفرضيات الاجتماعية متحركة وبالتالى لا تخضع لاحكام هندسية وثابتة وبديهية . وما دام المجتمع يتطور فالافكار الاجتماعية تتطور . وعندئذ تصبح مهمة المفكرين الثوريين تطوير الافكار الاجتماعية بالقدر الذى يستميل سرعة تطوير المجتمعات مع مراعاة ظروفها » .

هذه الفقرة لا تحتاج الى ايضاح ..

وأظن أنها من أفضل ما كتبت ..

وادعو الدكتور الشهارى الى المزيد من التأمل فيها ..

فقط .. لا غير ..

تعقيب

ليس هناك في دفاع الدكتور البيضاني قضية جديدة ،وموضوعة حقا تتطلب التوقف عندها ، والتعقيب عليها، حتى ان ما حاول نفيه عن نفسه من انه لا يعادي الاتحاد السوفيتي ، والمعسكر الاشتراكي ، سرعان ما اكده ، حين صور ان التعاون الاقتصادي والفني معه يقود الى الوقوع في شرك « الكومنولث الاستعماري » حيث قال ان مثل هذا التعاون « يخلق نموذجا مماثلا لاقتصاد الكومنولث الاستعماري أيام انغلاقه » . وحتى لا يحدث ذلك فانه يدعو « كل مجتمع الى التعامل الدولي مع كل جهة تستطيع ان توفر له الحصول على الخبرة ورءوس الاموال » .

واذا عرفنا أن الدول الاشتراكية لا تقدم « رءوس اموال » بحكم طبيعة نظامها الاجتماعي ، ولانها لا تملك « فائضا » من رأس المال ، لتصديره الى الخارج ، كما هو الحال بالنسبة للنظام الامبريالي ، سهل علينا ان نعرف حينئذ اى معسكر يقصده الدكتور البيضاني ،ويطلب من « كل مجتمع » التوجه للحصول على رءوس الاموال منه ! .

ــ يؤكد الدكتور البيضاني مجددا فلسفته البراجماتية التي ترفض « النظريات » ذلك ان « السياسة التي نعرفها هي مجرد اجتهاد ، هي فن بلوغ الممكن » والتي لا تخضع لغير المنفعة المادية البحتة ، « فالسياسة الدولية لا تخضع للانفعالات ، والتشنجات ، وانما تقتفي اثر المصالح الحاضرة والمنتظرة . »

ــ على ان ما يلفت النظر هو « انزعاج » د. البيضاني من قولي ان سياسة عدم الانحياز كانت موجهة اساسا ضد الاستعمار ، وقد عبر عن انزعاجه هذا بقوله ان ذلك « معناه ان هؤلاء الزعماء قد عملوا على استدراج الدول النامية عن طريق عدم الانحياز الى الانحياز » وان « معناه ايضا ان هذه الدول قد وقعت ضحية لهذه السياسة غير المنحازة اسما ، والتي تجرها الى الانحياز موضوعا »

واذا ما اخذ احد بكلام د. البيضاني فان على مصر ، والعراق ، والهند ــ وهي من دول عدم الانحياز ــ ان تعيد النظر في « معاهدات الصداقة والتعاون » المعقودة مع الاتحاد السوفيتي ، والتي جاءت تعبيرا اصيلا عن مدى نمو وازدهار علاقات التضامن والتحالف بين حركة التحرر الوطني العربية والعالمية ، والمعسكر الاشتراكي ، وعن انطلاقهما معا بقوة متعاظمة من جبهة ثورية عالمية موحدة ، معادية لمعسكر الاستعمار ، والامبريالية ، والصهيونية ، وان تفعل ذلك حتى لا يحق عليها قول البيضاني بانها غير منحازة « اسما » بينما هي منحازة « موضوعا » .

محاولة الدكتور البيضاني « حرف » « النقاش عن » مساره الموضوعي . « بتصويره انني جهدت في اثبات انه غير شيوعي ، هي محاولة ، ردي الوحيد عليها ، هو انما كنت اناقشه هو ، مواقف ، معينة ، و ، أفكار محددة هي « بذاتها » خير « دالة » على ايديولوجية البيضاني المعادية للمعسكر الاشتراكي ، وللقوى التقدمية .

وفي هذا الصدد استشهدت باقوال الرئيس العربي أنور السادات في اثبات ان معاداة الشيوعية ، والاتحاد السوفيتي . والمعسكر الاشتراكي ، وكل قوى التقدم الممثلة للثورة العربية ، والحليفة لها ، يعتبر اسلوبا من اساليب الاستعمار ، والصهيونية ، والرجعية .

وذلك هو بيت القصيد ، وجوهر القضية ، ليس غير .

د. محمد علي الشهاري



جاءنا من عبد العزيز جمال الدين التعليق التالي على مقال د. محمد رياض عن « القاهرة ــ المشكلات العامة للمدينة والعاصمة » .

حلول الأبراج العاجية
لمصلحة من ؟ ضد من ؟

في عدد يوليو الماضي نشرت « الطليعة » مقالا بعنوان « القاهرة ، المشكلات العامة للمدينة والعاصمة » للدكتور محمد رياض . وبالرغم من المعلومات الوفيرة التي تميز بها المقال فان هناك عدة ملاحظات على المقال نوجزها فيما يلي :

١ ــ عندما يقسم الكاتب مدن العالم الى « مدن العالم النامي والمتخلف » و « مدن العالم المتقدم » لا يفرق بين المدن في الدول الاشتراكية والدول الرأسمالية ، ويضعهما معا ضمن مجموعة واحدة هي مجموعة مدن العالم المتقدم ، وهذا طمس للواقع ، وتقسيم لا يفيد في أي بحث علمي . والدليل على ذلك أن المقال ذاته لم يستفد من هذا التقسيم

على الاطلاق . أضف لذلك ان العالم لا ينقسم الى عالم متقدم وعالم متخلف ، بل هو ينقسم الى عالم اشتراكى متقدم وعالم رأسمالى فى طور الانحلال ».

٢ ـ يقسم الكاتب القاهرة الى مدينتين ، مدينة قيمة فقيرة ومدينة حديثة غنية ، وهذا أيضا عرض غير علمى . فليس كل قديم فقير ، وليس كل حديث غنى ، والا فما هو السبب فى الفارق بين شبرا الخيمة ومصر الجديدة ، بين العمرانية وشارع الهرم وكلها أحياء جديدة حديثة ؟ وكان يمكن للكاتب أن يجعل مقاله مفيدا ويصل الى حلول حقيقية لو أنه اتبع التقسيم العلمى الوحيد وقسم القاهرة الى احياء اقتصادية، وطبقية ذلك ان المرء اذا ما تجنب التحليل العلمى للظاهرة التى يدرسها وامسك بظواهر سطحية محددة جزافا وتوصل الى نتائج ذاتية لا أساس لها ، فانه لا يستطيع أبدا ان يتوصل الى نتائج صحيحة فيما يتعلق بحل المشكلة التى يواجهها بل سينزلق الى طريق مغاير تماما للواقع العلمى ويكشف عن حلول سطحية للغاية كما هو الحال بالنسبة لهذا المقال .

٣ ـ المدينة عند الكاتب اما أن تنمو ، واما أن تنكمش ـ والنمو والانكماش عنده كمى لا كيفى ـ وهذا ما يمكن أن نقوله عن مدن السوق الرأسمالية ، والاصح القول ـ حتى لا نظلم موضوعية العلم ـ ان لكل مدينة ضرورة تتحدد بحسب النظام الاجتماعى الذى توجد فيه ، فالمدينة تتشكل وتنمو فى ظل المجتمعات الاشتراكية بفعل القوى الاجتماعية للجماهير العاملة المسيطرة على هذا المجتمع بحيث تخدم المجتمع كله ، اما فى ظل المجتمعات الرأسمالية فانها تتشكل وتنمو لتصبح سوقا للاستثمار لمصلحة الرأسمالى ، ومن هنا فان تضخم المدن فى الحجم يفيد الرأسمالى لانه بالتالى يمثل تضخما فى السوق والارباح ولا يهمه بعد ذلك دمار هذه المدينة لانه يمكنه خلق سوق جديدة ببناء مدينة جديدة وهكذا ..

٤ ـ يقول الكاتب : « تبنى المدينة لنفسها ـ روحا ـ أو تصطنع لنفسها ـ قلبا ـ يحولها الى كينونة ذاتية القوانين ـ ويصبح لهذه الكينونة نهم شديد للتوسع واجتذاب المزيد من البشر بصورة طاغية تؤثر بوعى وبلا وعى على الاختيار « الارادى » للمخططين والمستثمرين وجميع الاعمال والوظائف التى تمارسها المدن » . كلام غريب لا يمكن أن ينطلق الا من منطق رأسمالى صرف ، وهو لا يعنى الا استبداد المدينة بالمجتمع وفرضها « لقوانينها الذاتية » عليه ، لا يعنى الا استبداد المستفيدين من تضخم عدد سكان المدينة باعتبارها سوقا يحقق لهم الارباح المضاعفة ، وهكذا يطلق العنان لاستبداد الاحتكار وبتر كل محاولة ارادية للمجتمع والتخطيط .

أما بالنسبة لتضخم عدد سكان القاهرة ، فلابد أن نعرف اسباب ذلك اولا لنقترح الحلول السليمة بعد ذلك . فمن المسلم به أن كثيرا من وظائف العاصمة الراهنة تم توزيعه عليها لاسباب طبقية كالصناعات الثقيلة الى جانب مئات الالاف من الباعة المتجولين واصحاب الحرف غير الواضحة أضف لذلك ان نسبة من رقعة القاهرة الكبرى هى من العشش والصفيح والاكواخ الرثة غير الصحية والبيوت الاثرية ، مما يؤكد أن البورجوازية التجارية والصناعية النامية فى العاصمة عملت على نقل البروليتارية الريفية لتتحلق حول العاصمة كبروليتارية مدن وكعدد من العاطلين المستعدين لقبول أى اجر ، ومن هنا كانت سهولة استغنائها عن العمال وفصلهم دون أى تردد ، عقب التحركات العمالية المضادة للاستغلال والاستبداد الرأسمالى البورجوازى ، هذه حقيقة خطيرة واكبت تاريخ الحركة العمالية فى مصر . ومن هنا يفسر دور بورجوازية العاصمة فى نقل العاطلين فى الريف ليتحلقوا حول العاصمة والمدن وهدفها من ذلك واضح .

اذا كانت هذه هى أسباب تضخم عدد سكان القاهرة فان الحل لن يكون ما اقترحه الكاتب فيما بعد ، ولكن ما سنذكره بعد الانتهاء من سرد ملاحظاتنا على هذا المقال .

٥ ـ لا يكتفى الكاتب بفصل الارادة الاجتماعية عن توجيه نمو المدن بل يكمل حديثه فيقول ـ ولسنا نعرف على وجه التحديد الى أين يقود النمو الذاتى لمثل هذه المدن المتسلطة ، واغلب الظن أن يقود الى « انفجار » يشتت المدينة ويقضى عليها ـ . اذن المطلوب منا أن نترحم على القاهرة التى تسير نحو « الانفجار » وتكف أفكارنا عن البحث عن أى حل لمشاكلها ، حتى اذا ما جاء بعد ذلك الحل السطحى لكاتب المقال فعلينا أن نقبله دون أى تفكير ، قبول الغريق للقشة التى لن تنقذه .

٦ ـ يحدد الكاتب مشاكل المدن التى توشك على « الانفجار ـ والقاهرة من ضمنها ـ بأنه « يصبح الوفاء بخدمات المدينة الاساسية أمرا بالغ الصعوبة . مثلا مشكلة امداد المدينة بالمياه ، أو مشكلة الانتقال داخل المدينة » .

ولا يذكر الـــكاتب بالطبع مشكلة المساكن غير الصحي والتى لم تصلها المياه والنور ، ولا ارتفاع القيمة الايجارية ، ولا غلاء المواد الغــذائية والاستهلاكية ، ولا شيوع السوق السوداء ، ولا نقص الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية ، ولا انتشار الجرائم الخلقية وجرائم السرقات . الخ . فهو يعالج الامور من وضـــع طبقة لا يمسها من مشاكل القاهرة سوى عدم ارتفاع المياه للادوار العلوية وصعوبة اختراق الشوارع بسيــاراتها الخاصة .

٧ ـ هنا يعرض الكاتب حله الغريب فيقول أن هناك امكانيات كثيرة للسيطرة على مشاكل المدن التى على وشك الانفجار ، منها تنفيذ التشريعات التى تمنع الهجرة ـ للعاصمة ـ أو تمنع اقامة منشآت عمالية جديدة . ولكن هناك « دائما » كما يقول الكاتب تجاوزات عن التشريعات تحـدث بضغوط المصالح التى لا تقاوم ، وتبدأ التجاوزات فتتسع لتصبح قوانين غير معلنة ، وينتهى الامر الى تغيرات جديدة فى التشريعات السابقة . فهـل يتفضل السيد كاتب المقال فيذكر لنا ما هى هذه الضغوط ومن هم أصحابها ؟ وهل يتفضل فيبرر لنا لماذا نخضع لها ما دامت تتعارض مع المصلحة العامة ؟

٨ ـ انتقل الكاتب قافزا من عدم امكانية مقاومة ضغوط أصحاب المصالح المتعارضة مع المصلحة العامة ودون أى مناقشة لها ، الى اقتراح حل غير مجد يتلخص فى حرمان العاصمة من أحد وظائفها الاساسية ونقلها خارج العاصمة . وهو يرى نقل الوظيفة السياسية ـ أى الرئـاسة والوزارات والمجالس النيابية والقضائية ـ مبررا ذلـك بضخامة عدد العاملين فيها ،ويحدد لذلك مكانافى الفيوم أو قرب وادى النطرون ، هذا بالرغم من عدم اقتناع الكاتب بامكانية فصل الوظيفة السياسية للعاصمة عن وظائفها الاخرى . ولكن الهدف الذى كتب من أجله المقال يجعله يتخطى كل هذه النقاط المنطقية ليعرض علينا حله غير المنطقى .

٩ ـ يمضى الكاتب بعد ذلك فيفند الصعوبات التى تواجه رأيه هذا ويذللها بمنطق فى منتهى الغرابة وعندما يصل الى الصعوبة المالية التى تواجه تنفيذ المشروع يكشف عن عبقريته كممثل لرؤوس الاموال الاجنبية .

١٠ ـ عندما يقارن الكاتب امكانية نقل العاصمة ـ ونلاحظ هنا أنه انتقل من ضرورة نقل أحد وظائف العاصمة الى نقل العاصمة ، هكذا دون أى مقدمات تتم القفزة ـ بنقل عاصمة البرازيل ـ برازيليا ـ ينسى أن الامر قد تم هناك بيد سلطة رجعية عميلة كان هدفها من نقل العاصمة الهروب من حل مشاكل جماهير العاصمة القديمة ، وابعادا للسلطة السياسية والادارية عن يد الجمـاهير الغاضبة الثائرة . وأرجو الا يكون هذا هدف الكاتب . ونحب أن نسأل الدكتور محمد رياض ، هل فى نقل العاصمة الحالية ضمان ما ، يمنع العاصمة الجديدة من النمـو بنفس الشكل التضخمى القديم ووصولها الى نفس الازمة التى تعيشها القاهرة حاليا ؟ . واذا كان الامر تكرارا للازمة القديمة فى عاصمة جديدة ـ وهو كذلك بالفعل ـ اليس معنى ذلك اننا نخطط لمدننا وحياتنا على أسس تخدم الاستغلال الرأسمالى وليس النمط الذى تسعى اليه بلدنا ..؟

وبعد فان ما أرجوه ـ بعد هذا العرض السريع لمقال الدكتور ـ أن أكون قد أجبت ضمنا على السؤال المطروح فى أول كلامنا « حلول الابراج العاجية ، لمصلحة من « ضد من ؟ » واذا نحينا جانبا هذا المقال وسعينا بالبحث العلمى ـ الملتزم بمصالح الجماهير الكادحة ـ نحو الكشف عن حلول حقيقية جماهيرية لمشكلة القاهرة كمدينة وكعاصمة سنجد أن ضبط نمو القاهرة أولا ، والعودة الى القرية ـ الريف ـ لنقلها الى مستوى المدن ـ اقتصاديا وثقافيا وحضاريا ـ ثانيا من أهم نقط البدء فى أى حل لمشاكل مصر الاقتصادية والحضارية كلها ، وليس فى حل مشاكل مدينة القاهرة فقط .

ذلك أننا اذا ما نظرنا الى مشكلة الهجرة للقاهرة والتى حلل الكاتب عدم امكانية حلها بسبب ما ادعاه من قوانين ذاتية للمدينة وغير ذلك ، نرى أن محركات الهجرة من الريف للمدن والعاصمة اقرب الى باب عوامل الطرد منها فى باب عوامل الجذب ، وافراط الحجم فى القاهرة يشير الى أن هناك تجمعا مدنيا يستمد تضـخمه لا بقوى الجذب الكامنة فيه ولكن بقوى الطرد فى الريف . ولهذا فان ادخال عوامل التصحيح فى الريف والقرى جدير بأن يوقف هذا الزحف ، أما كيف يتم هذا التصحيح فيتلخص فى خلق اقطاب للتنمية فى الاقاليم تعمل كمغناطيس مضاد لجاذبية القاهرة وتؤدى الى توفير الخدمات وعناصر الانتـاج اللازمة محليا وتثبيت سكان الريف فى بيئاتهم المحلية دون أن تحرمهم من فرص الرفاهية التى تشعهـــا العاصمة وحدها ، بل ســوف تسحب الارياف عندئذ كل من نزح منها للعاصمة ، ويحدث ما يشبه « العودة من المهجر» بعد أن توفرت سبل الحياة المناسبة فى الريف .

اننا ندعو الى تصفية المركزية العاصمية للقاهرة وليس الى نقلها لمكان آخر ، وذلك حتى لا نخلق بأيدينا مشاكل مدننا من جديد ، وحتى نصفى خطر زيادة الاستبداد البيروقراطى ونمـــوه ، والاقلال من خطورة سلاح العاصمة سواء فى أيدى القوى الرجعية المضادة للجماهير ، أو اذا باتت تحت تهديد قوى أجنبية استعمارية • وبهذا لا نكون قد حققنا العدل والنمو السليم الديمقراطى والاقتصادى لكل مصر فحسب ، بل وقوينا الدفاع عن الوطن والحرص عليه من الاخطار الداخلية والخارجية ،وهو اعتبار اصبح اكثر خطرا واحتمالا فى الظروف التاريخية التى يعيشها عالم اليوم والمنطقة العربية بالذات •

ومن هنا فان القرية ـ الريف ـ هى التحدى الحقيقى فى مصر، ولن تتغير وتتطور مصر جذريا الا اذا تم رفع القرية المصرية الى مستوى المدينة ، وبدلا من نقل العاصمة الى عاصمة أخرى علينا أن ننقل العاصمة بخدماتها ومزاياها ومـرافقها ووظائفها الى كل جزء من الريف المصرى لا أن نمنع هجرة الريف للعاصمة بواسطة التشريعات ، فما هو بحل ولا محل له ، لا ديموقراطيا ولا عمليا • ولكن هذا كله لن يكون الا باعادة توزيع الثورة الوطنية والتنمية القومية المركزة الان فى العاصمة على رقعة مصر كلها توزيعـــا عــادلا وديموقراطيا ، وضرب كل التسلطات والحلـول الطبقية التى تحارب ذلك •

■ ■

وتعليقا على محضر اجتمـاع اللجنة الفرعية للعمال : كتب العامل عبد الرحمن محمد خير عوض الملاحظات التالية :

حـــاجة الحـــركة النقـــابية « للـــدم الجـــديد »

طرحت فى مناقشات اللجنة الفرعية للعمال بعض الموضوعات التى يجب الا تمر دون تعقيب وخاصة ممن يهمهم أن تلعب الطبقة العاملة دورها كاملا فى بلادنا •• ولكن قبل أن أتعرض لما طرح فان هناك ملاحظات ثلاثة لابد من الوقوف عندها •

الملاحظة الاولى : (طرحت مسألة شطب بعض القيادات النقابية فى الانتخابات الاخيرة « مجلسا الامة ـ الاتحاد الاشتراكى » وهى من قضـايا الممارسة الديموقراطية) باسلوب أعطاها الطابع الذاتى خاصة (الذين تحدثوا أو بعضهم تعرضوا لهذا الشطب) • وانه كان هناك شكلا آخر للشطب فى داخل الحركة النقابية حينمـا منعت بعض القيادات من التصعيد للمستوى الاعلى فـى النقابات واتحاد العمال •• بل والاكثر شطب قطاعين من أكبر القطاعات وأهمها من سجل الممارسة النقابية المشروعة (المصانع الحربية ـ هيئة النقل العام) •

الملاحظة الثانية : الحملة شبه الصليبية التى شنت على حديث السيد لطفى الخولى والتى تدل على الحساسية الشديدة تجاه أى اتجاه فكرى يخالف العقلية السائدة داخل الحركة النقابية (المحافظة فكريا) رغم ان حديثه كان نصرا مخلصا لاخوته العمال •

الملاحظة الثالثة : التمسك بالشكليات من جانب الكثير من القيادات النقابية ونزعة الزعـامة الطائفية لهذه القيادات مما يدل على حاجة الحركة النقابية للدم الجديد الذى يعرف طريقه جيدا مبتعدا عن الذاتية وحب السيطرة •

بعد هذه الملاحظات فان هناك نقاطا يجدر الرد عليها تمثلت فى الاتجاه الذى تبلور فى حديث السيد عبد اللطيف بلطية عندما طرح فكرة « أن يكون أعضاء اللجنة المركزية الذين يمثلون العمال هم رؤساء النقابات العامة والاتحاد العام » متعللا

بأن هذه « قيادات ارتضتها جماهيرها » ٠٠ وهنا نتساءل هل النقابات العامة ممثلة فى الاتحاد العام للعمال استوعبت كل شرائح العمال داخل صفوفها ؟ والحقيقة ان التنظيم لا يضم الا ٥ر١ مليون من العاملين من مجموع (العاملين القابلين للتنظيم والذين يزيد تعدادهم على ٥ر٧ مليون بل ان عضوية الـ ٥ر١ مليون لم تتعد كونها عضوية دفترية) أى أن حوالى ثلاثة ارباع جماهير العمال سيكونون خارج اطار التحالف بحكم عدم ممارستهم للعمل النقابى اذا ما طبق اليوم كلام السيد بلطية ٠٠ ولن يكون هنا مجال للادعاء بأن القيادات النقابية الموجودة هى الممثلة الشرعية للطبقة العاملة الا فى حدود الشرائح التى تضمها ٠٠ والتى تعجز فى الوقت الحالى حتى عن مجرد محاولة تحريكها بما يتناسب مع طاقتها على الصعيد الوطنى ٠٠ أو زيادة الوعى الطبقى فى صفوفها •

نقطة أخرى وردت فى رد السيد بلطية على السيد لطفى الخولى وهى الخاصة بالصراع والحوار ، ولست مع السيد بلطية فى تجاهله أو اغفاله لضرورة وجود صراع فى الوقت الذى يطالب فيه بالحوار بين قوى لم تصبح مؤهلة بالدرجة الكافية تنظيميا وفكريا لادارة الحوار فيما بينها ٠٠ ان الصراع موجود سواء أردنا أم لم نرد والصراع بالتحديد هو مع شرائح الطبقة الوسطى ومتسلقو البورجوازية الصغيرة الذين كونوا ما نسميه (الطبقة الجديدة) ٠٠ ونحن لم نفرض هذا الصراع وانما فرضته هذه الطبقة التى تصر على أن تحتفظ بكل شىء فى يدها وأن توجه العمل الوطنى لمصلحتها ٠٠ ولو كان فى ذلك اعاقة التقدم سواء على الطريق الاجتماعى أو تحرير الارض أو تجاه الوحدة العربية ٠٠ من أجل مصالح طبقية اقليمية ضيقة •

والحركة النقابية بصورتها الحالية عاجزة عن حسم أى حوار لصالح العمال خاصة وانها هى نفسها تقاسى من (انعدام الديمقراطية النقابية داخل التنظيم النقابى نفسه) • هذا رأيى ولا أبغى به الا الحق والمصارحة التى هى كفيلة بوضعنا على طريق الممارسة الديموقراطية السليمة •



وثائق

ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية في الجمهورية العربية السورية



تواصل « الطليعة » نشر وثائقهـا عن حركات التحرر الوطني والقوى الثورية فى العـالم فتقدم فى هذا العدد النص الكامل لميثـاق الجبهة الوطنية التقدمية فى الجمهورية العربية السورية ..

لقد كان اعلان هـذا الميثـاق خطوة ايجابية هامة على مسـار الحركة الوطنية والثورية فى سـوريا وتجـاوبا بالغ الصـحة مع متطلبـات المعركة التى تخوضها الامة العربية ضد العدوان الصهيونى ومن أجـل تحـرير الارض .

« والطليعة » اذ تقدم هذا الميثاق انما تقـدمه كوثيقة من وثائق النضال الثورى العربى على طريق وحدة القوى الوطنية والثورية .

ان نهضة العرب الحديثة التى بدأت فى مطلع هذا القرن ، وان كانت تتماثل مع نهضات الشعوب فى امور كثيرة ، الا انها ككل نهضة شعبية اصيلة لها طريقها وصفاتها الخاصة وقد تجلت تلك الصفات الخاصة للنهضة العربية بتلاحم النضال الوطنى بالنضال القومى ، ومعارك التحرر السياسى بمعارك التحرر الاجتماعي ، مما اعطى للثورة العربية ابعادا متلازمة كثورة تحررية وحدوية اشتراكية ، والهم طلائعها من خلال مواجهتها للواقع العربى ورؤيتها العلمية للمستقبل ، ومن خلال استيعابها لتطلعات الجماهير العربية والعوامل المحركة لنضالها ، ان تحدد اهداف الامة العربية بالوحدة والحرية والاشتراكية ، هذه المبادىء الاساسية بشر بها واغنى مضامينها واكد تلازمها حزب البعث العربي الاشتراكى ، الذى قاد نضال الجماهير العربية فى سبيل هذه الاهداف وصاغها من خلال مدرسته الفكرية اطارا عاما للثورة العربية الشاملة لتصبح الان اهدافا أساسية للحركات التقدمية العربية ، ومنطلقات ثابتة فى الفكر السياسى العربى المعاصر .

ولقد كان لصعود ثورة ٢٣ تموز (يوليو) فى مصر بقيادة جمال عبد الناصر دور كبير فى ترسيخ هذه الاهداف ، واغناء مضامينها بالممارسة والتجربة ، واعطائها مدا جماهيريا واسعا ، كما كان لتفاعل حركة الثورة العربية مع حركات التحرر العالمية والثورات والتجارب الاشتراكية دور هام فى اغناء مسيرة الثورة العربية وتوسيع آفاقها العالمية .

ان مجتمع الوحدة والحرية والاشتراكية اصبح اليوم هدفا يجمع تحت لواء النضال من اجل تحقيقه كل فصائل الثورة العربية مهما اختلفت تسمياتها وأيا كان مستوى انتشارها التنظيمى ، الا ان هذه الفصائل رغم وحدة اهدافها ، ورغم الدور الذى لعبته فى الحياة السياسية العربية ، فانها ما تزال من الوجهة التنظيمية تعيش واقع التجزئة نفسه الذى تعيشه الامة العربية ، هذا الواقع الذى أضعف طاقاتها النضالية ، ووضعها فى كثير من الاحيان بمواقع تصادمية فيما بينها كانت لها انعكاساتها السلبية على حركة النضال وعلى الوحدة الوطنية للجماهير .

وفي سبيل تخطى هذا الواقع ، ولكى نسد فى وجه قوى الاستعمار والتجزئة والرجعية كل منفذ ، وفي سبيل توحيد ارادتنا وترسيخ الوحدة الوطنية لجماهير شعبنا ، وتلبية لدعوة قائد مسيرتنا الرئيس حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية ، فاننا نجتمع اليوم ممثلين للقوى الوطنية التقدمية فى القطر العربى السورى لنخطو الخطوة الاولى فى سبيل توحيد فصائل الثورة العربية ، باقامة جبهة وطنية تقدمية تقود نضالنا على طريق توحيد اداة الثورة العربية ، هادفين ان تكون هذه الجبهة طريقنا الى التنظيم السياسى الموحد ، الذى نسعى اليه جميعا بالارادة الحرة ، والحوار الايجابى ، والنضال المشترك .

ان الجبهة الوطنية التقدمية التى تقيمها اليوم خطوة اولى على طريق توحيد فصائل الثورة العربية فى الجمهورية العربية السورية ، تاتى فى هذا الوقت بالذات ضرورة ملحة لتعبئة القوى جميعها ، وتمتين صلابة الجبهة الداخلية ضد شراسة الهجمة الاستعمارية الصهيونية التى تهددنا فى وطننا ووجودنا .

والجبهة الوطنية التقدمية تاتى لتعزيز كفاحنا الوطنى التقدمي فى سبيل بناء المجتمع العربى الاشتراكى الموحد ، وهى سبيلنا للالتفاف حول النظام التقدمى فى هذا القطر ، ولترسيخ دعائمه ، وحماية منجزاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ان قوى الجبهة الوطنية التقدمية التى تتطلع الى اهداف واحدة وتخاطب قطاعات اجتماعية واحدة هى قطاعات الجماهير الشعبية من عمال وفلاحين وجنود وحرفيين وكسبة صغار ومثقفين ثوريين ، تقيم هذه الجبهة لتعميق التحالف بين قوى الجماهير صاحبة المصلحة فى التقدم والثورة ، وتعزيز ممارستها الديمقراطية ، واطلاق طاقاتها النضالية المبدعة .

ان وحدة ارادتنا واهدافنا ، واصرارنا على العمل المشترك ، وتفاعلنا من خلال الحوار الايجابى الدائب ضمن الجبهة ، لن يحرك قوانا الذاتية فحسب ، بل سيجذب الى ساحة العمل النضالى قوى الجماهير الواسعة غير المنظمة التى تؤيد تلاحم القوى الوطنية التقدمية تاييدا لا حد له ، وتتفاعل مع هذا التلاحم لانه التعبير الصادق عن مصالح الجماهير وتطلعاتها .

انطلاقا من هذه الدوافع كلها ، وسعيا وراء تلك الاهداف جميعها ، تقوم الجبهة الوطنية التقدمية فى الجمهورية العربية السورية بقيادة حزب البعث العربى الاشتراكى .

ان ما قام به حزب البعث العربى الاشتراكى بعد حركة السادس عشر من تشرين التصحيحية من انفتاح جدى على الجماهير العريضة ، وعلى القوى الوطنية التقدمية ، وان تفاعل هذه القوى معه تفاعلا إيجابيا ، وتجاوبها مع الاستراتيجية العامة التى رسمها الحزب فى بيان القيادة القطرية المؤقتة ، ومقررات المؤتمر القطرى الخامس والمؤتمر القومى الحادى عشر وتأييدها للخطوات التى سار فيها الحكم بقيادة الرئيس حافظ الاسد فى مجال العمل الداخلي والعربى والدولي ، وان النتائج الايجابية التى اعطتها تجربة التعاون بين حزب البعث والقوى الوطنية التقدمية على المستويين الشعبى والرسمي ، كل ذلك ادى الى خلق المناخ الملائم لقيام هذه الجبهة وارسى دعائم بنائها .

ان حزب البعث العربى الاشتراكى ، من خلال الدور التاريخى الكبير الذى لعبه فى حركة النضال العربى ، على المستوى القطرى وعلى امتداد الوطن العربى ، ومن واقع تحمله مسئولية قيادة الدولة والمجتمع منذ ثورة الثامن من آذار حتى اليوم ، وما حققه من انجازات فى مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، هو المؤهل لاخذ موقع القيادة فى هذه الجبهة ، ولان يكون الدعامة الاساسية فى بنائها .

وتتجسد قيادة حزب البعث العربى الاشتراكي للجبهة بتمثيله بالاكثرية فى مؤسسات هذه الجبهة جميعها ، وبان يكون منهاج الحزب ومقررات مؤتمراته موجها اساسيا لها فى رسم سياستها العامة وتنفيذ خططها .

مهمات الجبهة الوطنية التقدمية على صعيد القطر :

ان المهمات التى تتصدى الجبهة الوطنية التقدمية فى الجمهورية العربية السورية للقيام بها فى السياسة الداخلية يمكن اجمالها بالمهام الاساسية التالية :

١ ـ ان تحرير الاراضى العربية المحتلة بعد الخامس من حزيران هو هدف هذه المرحلة من نضال امتنا ، وهو يتقدم جميع الاهداف المرحلية الاخرى ، وفى ضوء هذا الهدف الكبير يجب ان نرسم خططنا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والعسكرية على النحو الذى يؤدى الى تعبئة جميع القوى والطاقات البشرية والمادية ، وينظم الوحدة الوطنية لجماهير الشعب ، ويعزز صلابة الجبهة الداخلية وصمودها .

٢ ـ اقرار مسائل السلم والحرب .

٣ ـ اقرار الخطط الخمسية ومناقشة السياسة الاقتصادية لتحقيق بناء القاعدة الاقتصادية على أساس من التخطيط العلمى الشامل لمرافق البلاد وثرواتها وطاقاتها المادية والبشرية كلها ، ولتحقيق التطور السريع للقطاع الزراعى باعتباره القطاع الاساسى فى بناء اقتصادنا الوطنى ، وذلك بدعم الحركة التعاونية وتطويرها وباستعمال الالة فى الزراعة ، وبالتوسع فى الصناعات التحويلية الزراعية ، وايجاد المشاريع الانمائية الممكنة وتنفيذها ، واقامة نظام توفير حازم ، واستثارة حمية الشعب تحت شعار اقتصاد الحرب والارتفاع بكفاءة القطاع العام ليؤدى دوره فى قيادة عمليات الانتاج وقيادة القطاعين الخاص والمشترك ، ووضع سياسة انتاجية موحدة للدولة ، وبذل العناية الكافية بالقطاع العام التجارى ليتجاوب مع الحاجات الاساسية للاقتصاد ، والاستفادة من الرأسمال الوطنى غير المستغل لتغذية الاقتصاد والاسهام فى الانتاج العام ، ومكافحة الاحتكار والاستغلال ، وتحقيق

الاكتفاء الذاتي في المواد التموينية ، وتامين المواد الاستهلاكية الضرورية لجماهير الشعب ، وتامين المخزون اللازم للمعركة وظروف الحرب • كل ذلك في اطار الالتزام باستمرار السير في بناء النظام الاشتراكي على أسس علمية تنسجم مع واقعنا ومرحلة التطور التي يمر بها مجتمعنا •

٤ ـ **رسم خطط التثقيف القومي** الاشتراكي وقيادة التوجيه السياسي العام بما يؤمن خلق رأى عام موحد ويسهم فى تكوين المواطن ثقافيا واجتماعيا وسياسيا ونضاليا ، ليكون المواطن العربي القومي الاشتراكي المهيأ ماديا ومعنويا لتحمل أعباء النضال من أجل معركة التحرير ، وبناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد •

٥ ـ **العمل على استكمال بناء النظام** الديمقراطي الشعبي ومؤسساته الدستورية ، ومجالسه المحلية ، على اساس تحقيق السيادة الكاملة للشعب ، والعمل على حشد الطاقات والكفاءات العلمية والادارية والنضالية جميعها ، ووضعها فى خدمة الثورة وأهدافها القومية الاشتراكية •

٦ ـ **متابعة استكمال البناء** الديمقراطي للمنظمات الشعبية والمهنية ، وتوفير كل وسيلة ممكنة لهذه المنظمات لتقوم بدورها الاساسى فى قيادة التحويل الاشتراكي ، وتحقيق الرقابة الشعبية على مختلف اجهزة السلطة التنفيذية ، ولتوسيع قاعدة هذه المنظمات بحيث يلتف حولها وينتظم فى صفوفها أكبر عدد ممكن من قواعدها •

٧ ـ **ان العماد الاساسى للدفاع** عن ارض الوطن وحماية نظامنا التقدمى ومكتسبات جماهير شعبنا ، والتصدى لمعركة التحرير ، هو القوات المسلحة • ولذلك يجب العمل على توفير الطاقات والكفاءات الوطنية والقتالية كلها من أجل تطويرها ورفع قدراتها الى اقصى ما تسمح به مواردنا وطاقات شعبنا • كما يجب ان ينتفى أى صراع أو تناحر فى مجال الجيش والقوات المسلحة بوجه خاص • لذلك فان الاطراف غير البعثية فى الجبهة تتعهد بألا تقوم بأى تنظيم أو نشاط حزبى أو تكتلى داخل الجيش والقوات المسلحة • وسنعمل جميعا بكل وسيلة ممكنة على وضع الشعب فى حالة يقظة دائمة • واعداد متواصل ، ليحمى المقاتلين ويدعم صمودهم ، ويسهم بدوره فى عمليات الدفاع المدنى والشعبى على أوسع نطاق ، وذلك عن طريق تطوير الجيش الشعبى ودعمه بما يحقق تلك الاهداف •

٨ ـ **العمل الدائب** من أجل الوصول بالحوار الايجابى ، والتفاعل الجماهيرى الحى داخل اطار الجبهة الى التنظيم السياسى الموحد •

٩ ـ ان الطلاب ، وهم جيل المستقبل الذى يتكون بالمعرفة والتوجيه ، بحاجة ماسة لان يحاطوا بأحسن الشروط التى تهيىء لوحدة ارادتهم واتجاهاتهم ، ولتحقيق ذلك لابد أن ينتهى التنافس الحزبى عليهم • ولذلك أيضا فان الجبهة ترى فى وحدة هذا القطاع نقطة الانطلاق نحو وحدة قاعدة العمل السياسى ووحدة أداة الثورة •

لهذا كله ، ولتحاشى قيام أى نوع من أنواع التنازع بين الطلبة فى ظل الجبهة ، ومن أجل خلق الجو الايجابى الملائم لوحدة التوجيه وبالتالى وحدة القاعدة والاداة ، فان أطراف الجبهة من غير البعث تتعهد أن تعمل على وقف نشاطاتها التنظيمية والتوجيهية فى هذا القطاع ، بادئة بايقاف امتدادها والتنسيب لها •

١٠ ـ **ان المهمة المباشرة لقيادة الجبهة** هى وضع منهاج مرحلى جديد يكون اطارا مستوعبا للبرامج التفصيلية التى أشرنا اليها ، ومحيطا بآفاق المستقبل ، الذى تتطلع اليه جماهير شعبنا المكافحة •

مهمات الجبهة الوطنية التقدمية على الصعيد القومى :

ان الايمان بوحدة المصير ووحدة التراب ووحدة التاريخ ، والانطلاق من أهداف واحدة هى الوحدة والحرية والاشتراكية ، يحتمان على الجبهة الوطنية التقدمية فى الجمهورية العربية السورية ان تلتزم فى سياستها القومية العربية بالمبادىء الاساسية التالية :

١ ـ **ان وحدة المصير العربى** وتطلع الجماهير الى الوحدة هما الاطار الطبيعى لبناء المجتمع العربى الاشتراكى الموحد المتحرر من الاستعمار والاستغلال والتخلف ، والقادر على التصدى لتحديات العصر والاسهام فى صنع التقدم البشرى والحضارة الانسانية • ولذلك فان السياسة العربية للجبهة تقوم على اساس تحقيق خطوات وحدوية فى ضوء الواقع العربى الراهن ، مستفيدة من التجارب السابقة ، وآخذة بعين الاعتبار :

أ ـ ان الوحدة العربية لا يمكن ان تأتى الا تعبيرا عن ارادة حرة لشعوب حرة ، ولذلك فان الوحدة التى تناضل الجبهة من أجلها هى الوحدة التى تقوم بين أقطار عربية متحررة من السيطرة الاجنبية • وتناضل ضد الاستعمار والصهيونية وهى الوحدة التى تقوم بين نظم عربية تقدمية تؤمن بتلازم النضال القومى والاشتراكى مبدأ وطريقا لبناء الدولة والمجتمع •

ب ـ ان مواجهة ظروف المرحلة الخطيرة التى تمر بها أمتنا ، ولاسيما بعد عدوان حزيران ، تقتضى تدعيم كل خطوة وحدوية فى سبيل المعركة • ولذلك فان الجبهة تعمل لدعم دولة اتحاد الجمهوريات العربية وتوطيدها ، باعتبارها الاداة الرئيسية للامة العربية فى معركة التحرير ، وتناضل من اجل تعميق هذه الوحدة وتطويرها لكى تكون نواة للوحدة العربية الشاملة واقامة المجتمع العربى الاشتراكى الموحد •

٢ ـ **تؤمن الجبهة بضرورة تحقيق** تعاون عربى جدى فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية ، وفى كل ما يخدم أهداف أمتنا المرحلية والاستراتيجية •

٣ ـ **الثروة البترولية** فى الوطن العربى لا يمكن ان تكون مسالة قطرية تعالج من خلال واقع التجزئة ، بل هى قضية قومية لانها ترتبط بحرية الوطن العربى وبقضيته الكبرى فى فلسطين ، لذلك فان الجبهة ترفض عزل مسالة البترول عن الاهداف القومية لسلامة العربية ، وتلتزم بالنضال من أجل استخدام هذه القوة الاقتصادية الكبيرة فى معركة التحرير ضد الاستعمار والصهيونية •

٤ ـ **ان وحدة القوى الوطنية التقدمية** العربية هدف استراتيجى يرتكز على التحليل العلمى لتطور المجتمع العربى ، وتفرضه الظروف الموضوعية للنضال العربى ، لذلك فان الجبهة اذ تؤمن بهذا الهدف ترى ضرورة العمل على تحقيق أمتن أنواع التعاون والارتباط بين هذه القوى ، بغية قيام جبهة قومية تقدمية تكون السبيل الى اقامة الحركة العربية الواحدة •

٥ ـ **ان السياسة العربية للجبهة** ، المؤمنة بوحدة تراب الوطن العربى ، تقاوم بدون تحفظ وفى مختلف المجالات جميع الحركات الانفصالية وترى أن كل محاولة لاثارة التفرقة العنصرية أو الدينية أو الاقليمية بين مواطنى الوطن العربى هى أسلوب من أساليب الاستعمار وسلاح من أسلحة الرجعية لمنع تقدم شعبنا وتمزيق وحدته •

٦ ـ **ان القضية الفلسطينية** هى قضيتنا المصيرية فى هذا العصر ، ولذلك فان سياسة الجبهة تجاه القضية الفلسطينية تقوم على الاسس التالية :

أ ـ حشد الامكانيات والطاقات والجهود كلها من اجل معركة التحرير ، وتحديد علاقاتنا وتعاوننا مع الدول العربية فى ضوء ما تقدمه هذه الدول لقضية التحرير وللقضية الفلسطينية •

ب ـ ان الحقوق القومية للشعب العربى الفلسطيني فى أرضه ووطنه حقوق مقدسة لا يجوز التفريط فيها ولا المساومة عليها •

ج ـ لا صلح ولا تفاوض مع الدولة الصهيونية ، ولا تنازل عن أى شبر من الاراضى العربية المحتلة •

د ـ دعم المقاومة الفلسطينية دعما كاملا ، باعتبارها فصيلا من فصائل حركة التحرير العربية ، والالتزام بمبدأ الاخذ بيدها والتعاون معها والعمل من اجل وحدتها ، وحمايتها من التآمر عليها ، واتاحة حرية الحركة لها ، على أن يتم كل ذلك فيما يعزز ويخدم استراتيجية النضال العربى •

مهمات الجبهة الوطنية التقدمية على الصعيد الدولي :

انطلاقا من الايمان العميق بان حركة التحرر العربي جزء لا يتجزأ من حركة التحرر العالمية ، فان الجبهة الوطنية التقدمية في الجمهورية العربية السورية تعلن التزامها في سياستها الدولية بالمبادىء والاسس التالية :

١ – ان الصهيونية العالمية وصنيعتها اسرائيل هي العدو الاول والمباشر لامتنا العربية وان التناقض الرئيسي هو بين امتنا من جهة وبين الصهيونية واسرائيل والامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية من جهة اخرى .

٢ – ان الدول الاشتراكية الصديقة وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي هي القوة الدولية الرئيسية التي تقف الى جانب قضايانا في مختلف المحافل الدولية ، وهي التي تقدم لشعبنا مختلف أنواع الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي ، ولذلك فان سياستنا الدولية تنطلق من الحرص على تحقيق أوثق صلات التعاون والصداقة مع هذه الدول بما يخدم النضال المشترك على طريق التحرير وبناء الاشتراكية .

٣ – توسيع علاقاتنا بالشعوب والدول الاسلامية ودول العالم الثالث ، وتعزيزها بما يخدم قضايانا القومية وأهدافنا المشتركة مع تلك الشعوب .

٤ – الاستفادة من المواقف الايجابية لدول أوروبا الغربية ولجميع دول العالم ، وتطوير علاقاتنا الخارجية مع هذه الدول بما يخدم تطوير مواقفها من قضايانا القومية ، ولاسيما قضية فلسطين ومعركة التحرير .

٥ – اقامة أوثق العلاقات مع الحركات التقدمية في العالم ، ومع حركات التحرر الوطني ، وتقديم كل دعم ممكن لها ، والتوجه الى الرأي العام العالمي لدعم قضايانا العادلة ، وشجب جميع الاعمال والتحركات الامبريالية العدوانية ضد الشعوب الطامحة الى التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، والوقوف بحزم ضد جميع أشكال التمييز العنصري ، والعمل الجاد لكي تأخذ المنظمات الدولية دورا فعالا في خدمة تقدم الشعوب وفي خدمة السلام القائم على العدل ، ذلك لان شعبنا العربي يطمح الى الحرية والسلام ، وهو اذ يقف اليوم في خط النار ، فانه يقاتل دفاعا عن وطنه ومقدساته ، ودفاعا عن الشعوب المضطهدة في العالم كلها .

خـاتمة :

ان شعبنا في هذا القطر يتمتع بوعي سياسي وقومي يؤهله ليلعب دورا رائدا في الحياة السياسية العربية ، وان موقع قطرنا على خط النار الاول ضد الاستعمار والصهيونية ، يؤهله ايضا لان يلعب دورا رائدا في كيفية الاعداد للمعركة . لذلك فاننا نطمح من خلال اقامة هذه الجبهة الى تحقيق الوحدة الوطنية لابناء شعبنا ، والى اذكاء روح التضحية والفداء لديهم ، والى زج طاقات الشعب كلها في معارك التحرير والبناء الداخلي . اننا نطمح الى أن نجعل من تجربتنا في هذا القطر نموذجا يحتذى في الوطن العربي كله ، ودافعا للقوى الوطنية التقدمية في الوطن الكبير لتلتقي كلها في جبهة واحدة ضد قوى التخلف والتجزئة والاستعمار ، على طريق اقامة الحركة العربية الواحدة ، لتوجه طاقات الجماهير العربية ، وتصبها في تيار النضال من أجل تحقيق أهداف الامة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية .

النظـــام الاســـاسي للجبهة الوطنية التقدمية

مبادىء عامة :

مادة ١ – تقوم في الجمهورية العربية السورية جبهة بين الاحزاب والقوى السياسية التقدمية تسمى الجبهة الوطنية التقدمية .

مادة ٢ – تقوم هذه الجبهة على اسس الميثاق الذي اقرته اطرافها ولتحقيق أهدافه .

مادة ٣ – تتألف الجبهة من القوى والاحزاب السياسية التالية :

١ – حزب البعث العربي الاشتراكي .
٢ – حزب الاتحاد الاشتراكي العربي .
٣ – الحزب الشيوعي السوري .
٤ – تنظيم الوحدويين الاشتراكيين .
٥ – حركة الاشتراكيين العرب .

ويمكن ان تضم الى الجبهة اطراف او عناصر أخرى حسب أحكام هذا النظام .

مادة ٤ – المقرات السياسية الرسمية في الجمهورية العربية السورية هي مقرات الجبهة الوطنية التقدمية ومقرات حزب البعث العربي الاشتراكي .

مادة ٥ – تمارس أطراف الجبهة نشاطها السياسي العام في اطار الجبهة وتتوجه الى الجماهير بتوجيهات موحدة ، ويحق للجبهة اصدار صحيفة تنطق باسمها ، كما يحق لها اصدار النشرات والتعاميم والمطبوعات . وتمارس أطراف الجبهة بحرية نشاطها الخاص في مجالاتها ومنظماتها الخاصة .

مادة ٦ – تضع قيادة الجبهة منهاجا مرحليا مفصلا ، يقوم على أساس الميثاق ، كما تضع خطة في العمل والنشاط لتحقيق منهاج الجبهة وأهدافها .

مؤسسات الجبهة

مادة ٧ – تتألف مؤسسات الجبهة من:

١ – القيادة المركزية للجبهة .
٢ – القيادات الفرعية في المحافظات .
٣ – المكاتب واللجان .

مادة ٨ – تتشكل القيادة المركزية للجبهة من رئيس ومن سبعة عشر عضوا تسعة منهم يمثلون حزب البعث العربي الاشتراكي وثمانية منهم يمثلون بقية أطراف الجبهة بنسبة ممثلين لكل طرف .

مادة ٩ – رئيس الجبهة هو رئيس الجمهورية العربية السورية الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي .

مادة ١٠ – تسمى القيادات التنظيمية لاطراف الجبهة ممثليها في القيادة المركزية للجبهة وكذلك في الفروع .

مادة ١١ – تتشكل في مراكز المحافظات بقرار من القيادة المركزية للجبهة قيادات فرعية وتسمى من ممثلين عن أطراف الجبهة ومن عناصر أخرى تمثل قوى أو اتجاهات وطنية تقدمية .

مادة ١٢ – تشكل في المركز أو في الفروع وبقرار من القيادة المركزية ، المكاتب واللجان التي تراها القيادة لازمة لممارسة نشاطاتها المختلفة .

المهام والصلاحيات

رئيس الجبهة :

مادة ١٣ – يمارس رئيس الجبهة المهام والصلاحيات التالية :

١ – يرأس الاجتماعات الدورية والاستثنائية للقيادة المركزية ويدعو لجلساتها ويدير اجتماعاتها ويضع جدول اعمال الجلسات .

٢ – يشرف على تنفيذ قرارات القيادة المركزية ونشاطات قيادات الفروع والمكاتب واللجان .

٣ – هو الناطق الرسمي باسم الجبهة والموقع لقراراتها وبياناتها .

٤ – يشرف على تطبيق أحكام الميثاق والنظام الاساسي وهو المرجع في تفسير النصوص عندما يقع اشكال أو اختلاف في التفسير بين أطراف الجبهة .

٥ – يوقع أوامر الصرف والنفقات في الحدود التي تقررها القيادة المركزية .

٦ – يحتفظ بسجل وقائع جلسات القيادة المركزية ووثائقها .

مادة ١٤ – يحق لرئيس الجبهة أن ينيب عنه بقرار منه ، أحد أعضاء القيادة المركزية للقيام بمهماته أو ببعض منها .

مادة ١٥ – يكون لرئيس الجبهة أمانة سر تقوم بالاعمال الادارية التي يكلفها بها رئيس الجبهة ويصدر بتسمية عناصرها وتحديد مهماتها قرار من رئيس الجبهة .

القيادات المركزية :

مادة ١٦ – تقوم القيادة المركزية بالمهام التالية :

١ – وضع الميثاق موضع التطبيق .

٢ – وضع الخطط المرحلية والبعيدة المدى لعمل الجبهة وتنسيق النشاط السياسي والشعبي بين أطرافها .

٣ – تسمية القيادات الفرعية للجبهة

فى المحافظات واقران نظام عملها واجتماعاتها وتوجيه نشاطاتها ٠

٤ ـ تشكيل المكاتب واللجان اللازمة لممارسة مهامها ، ووضع نظام عملها واجتماعاتها ٠

٥ ـ وضع ميزانية الجبهة ووسائل تمويلها وأوجه انفاقها ٠

القيادة الفرعية :

مادة ١٧ ـ تنحصر مهمات القيادات الفرعية والمكاتب واللجان بتنفيذ قرارات وتعليمات القيادة المركزية للجبهة وتمارس اعمالها ونشاطاتها فى الحدود التى ترسمها لها ٠

جلسات القيادة المركزية واجتماعاتها وقراراتها :

مادة ١٨ ـ تعقد القيادة المركزية للجبهة جلسات دورية مرتين فى الشهر ، كما تعقد جلسات استثنائية بناء على دعوة من رئيس الجبهة ٠

مادة ١٩ ـ يبلغ اعضاء القيادة المركزية الدعوة للاجتماع معجدول أعمال الجلسة قبل يومين من انعقادها على الاقل ، الا فى الحالات الاستثنائية والطارئة ٠

مادة ٢٠ ـ تعتبر الجلسة نظاميه بحضور اكثرية الاعضاء ٠

مادة ٢١ ـ يفتتح الرئيس الجلسه ويعرض جدول الاعمال لاقراره ، ويمكن ان يضاف لجدول الاعمال مواد جديدة للبحث بناء على اقتراح الاعضاء وموافقة القيادة المركزية ٠

مادة ٢٢ ـ تكون اجتماعات القيادة المركزية ومداولاتها مغلقة ، الا اذا وجدت غير ذلك فى ظروف خاصة ، ولها ان تدعو لحضور اجتماعاتها من ترى دعوتهم لابداء آرائهم وتقديم خبراتهم فى شأن بعض المسائل المعروضة عليها ٠

مادة ٢٣ ـ تتخذ القرارات باكثرية الحاضرين ، باستثناء ما نص على خلافه فى هذا النظام ٠

مادة ٢٤ ـ يكون صوت رئيس الجلسة مرجحا فى حال تساوى الاصوات ٠

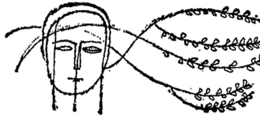
مادة ٢٥ ـ قرارات القيادة المركزية ملزمة لاطراف الجبهة جميعها ، فى حدود ما جاء فى الميثاق وفى النظام الاساسى ٠

مادة ٢٦ ـ تنظم ضوابط لوقائع الجلسات يحتفظ بها رئيس الجبهة ٠

مادة ٢٧ ـ يمكن للقيادة المركزية للجبهة وبقرار منها ان تضم للجبهة ، فى المركز أو الفروع ، أطرافا جديدة أو عناصر ، من خلال التزام تلك الاطراف والعناصر بميثاق الجبهة ونظامها الاساسى ٠

مادة ٢٨ ـ يفصل من الجبهة وبقرار منها أى طرف او عنصر يخرج على ميثاق الجبهة ونظامها الاساسى وقراراتها ٠

مادة ٢٩ ـ يعتبر هذا النظام الاساسى جزءا متمما للميثاق ولا يجرى تعديله الا بقرار من ثلثى أعضاء القيادة المركزية للجبهة ٠



غسان كنفاني: المنفى والفداء

الطليعة

ملحق الأدب والفن

العدد الثامن — أغسطس ١٩٧٢

أدب الستينات "الحلقة الرابعة"

⑦ هموم الأرض والعيال
⑧ التحليق في سرداب موحل

يشرف على التحـــرير :

د. لطيفة الزيات
غالى شــكرى
سـمير فريـد
صـبرى حافظ



غسان كنفانى

فى هــذا العــدد

غسان كنفانى .. المنفى والفداء

ادب الستينات

- همول الارض والعيال
- التحليق فى سرداب موحل

سينما : الجمهور المصرى والانتاج الاجنبى

مسرح : ملاحظات على موسم فقير

فن تشكيلى : عالم الفقراء فى أعمال جورج البهجورى

ايقاعات وجذور الشعر الاسود فى أمريكا

قصة قصيرة : المنتهى

كتاب جديد : بيكاسو

أدب الستينات

يتابع الملحق دراسته لادب الستينات ، فيقدم فى هذا العدد نموذجا من شعر العامية المصرية ونموذجا « خاصا » فى القصة القصيرة يطرح على الباحث مجموعة من التساؤلات حول أسلوب التعبير من ناحية ، وامكانية « الاستمرار » بهذا الاسلوب من ناحية أخرى .

وقد علق بعض أصدقاء « الملحق » على الحلقات الماضية من سلسلة «أدب الستينات» بأن المنهج النقدى السائد عليها يجنح الى مناقشة الجماليات اكثر من تصديه لمناقشة المضمون ، وبغض النظر عن أنه لا سبيل الى فصل الشكل عن محتواه ، فان أبرز السمات الدالة على أدب الستينات هو « التركيب » الذى يسميه البعض « غموضا » . لذلك كان « التحليل الفنى » هدفا رئيسيا لهذه الدراسة ، بغير انفصال عن التحليل الفكرى والتفسير الاجتماعى . على أن الملاحظة الجديرة بالنظر هى أن النقد يتطور بدوره فى موازاة تطور الفن .. فابتعاد الادب عن الجهر والتقريرية والمباشرة قد صاحبه ابتعاد النقد ايضا عن هذه الصفات . لذلك أصبح التفسير الاجتماعى خيطا ضمن خيوط عديدة تتخلل نسيج العمل النقدى ككل ولا تتحول به الى نظرة أحادية الجانب .

ولعل هذا المنهج بالفعل هو الرؤية النقدية السائدة على دراستنا لادب الستينات ، وربما كان هذا ما يؤكد الظاهرة الجديدة ، ظاهرة « الجيل » الجديد فى الادب والنقد على السواء .

٧ همـــوم الأرض والعيـــال

رضوى عاشور

عندما ظهرت مجموعة **الارض والعيال** لعبد الرحمن الابنودي سنة ١٩٦٤ كانت تحمل نبضا جديدا للشعر المصرى المعاصر. فقد قدمت ولاول مرة واقع صعيد مصر بصوره ورائحته والوانه ومعاناة الكادحين فيه. ولم يكن هذا النبض آتيا من فراغ، فلقد كان جزءا من تيار محلى خلقته أشعار بيرم التونسي وفؤاد حداد وصلاح جاهين كما كان يرتبط بتراث عالمى شكلته أشعار ناظم حكمت ولوركا واراجون وايلوار ونيرودا وغيرهم من الشعراء الاشتراكيين الذين ربطوا الشعر بقضية الجماهير العريضة. وقد استفاد الابنودى فى هذه المجموعة من شكل القصيدة الحديثة التى تبناها شعراء الفصحى امثال السياب والبياتى وصلاح عبد الصبور، مضيفا بذلك بعدا جديدا لشكل القصيدة العامية، ولقد استقبلت مجموعة الابنودى الاولى استقبالا حماسيا وتبنى شعره كثير ممن تشغلهم قضايا الجماهير .. والان، بعد مرور اكثر من ثمانى سنوات على صدور **الارض والعيال** وقد صدرت للابنودى العديد من المجموعات الشعرية، واصبح معروفا من خلالها ومن خلال تعامله الغزير مع اجهزة الاعلام ـ السينما والاذاعة والتليفزيون .. فقد تضاربت المواقف من حوله وثار العديد من التساؤلات، ولكنى هنا سوف احاول ان أصل الى الملامح الاساسية، الفكرية والفنية، فى شعر الابنودى من خلال دراسة تحليلية لكتبه المنشورة وهى: **الارض والعيال** [١٩٦٤] **الزحمة** [١٩٦٧]، **عماليات** [١٩٦٨]، **جوابات حراجي القط** [١٩٦٩]، **الفصول** (١٩٧٠) **واحمد اسماعيل** [١٩٧٢]

الارض والعيال (١٩٦٤)

ان قصائد هذه المجموعة تعبر عن موقف منحاز الى الطبقات الكادحة، فهى تصور عالم الضحية فى مواجهة عالم القتلة. صعيد مصر الفقير المطحون «ابدان سودة محنيه بفاس (ص ١٦)» «ونسوان لون الازمة» [ص ٨] «والقبر المحشور بالاموات من ضلع الفقر بيسحبله اربع خشبات» [ص ١٢].

هذا الواقع الفقير يحاصر اطفاله بالموت ويسحق امكانيات الغد المزهر، والصور الغالبة فى هذه القصائد مرتبطة بالليل والعتمة والتراب والموت والكفن والنعش والشنق والتابوت، وهى تتكرر بالحاح فى معظم القصائد تخلق

بيرم التونسى

صلاح جاهين

الابنودى

الجو العام للمجموعة وهو جو حزين تشيع فيه الالوان المعتمة او الكالحة:

وعيال قديمة مهلهلة .. ومبهدلة
جوه الجرون
متغطية بقش وعيدان ..
متغطية بضل الحيطان
من غير أمانى بنص عين
فيها سنين من غير ايدين من غير عينين.
ياحستى ع العيلين
والاب نخله مابتطرحش ع الحول تمرتين
[ص ٢٣].

ان الفقر والجوع والقهر تطفىء امكانيات الخصب والعطاء وتقضى عليها .. وتتكرر فى المجموعة صور العقم مشيرة الى حصار محكم يخلقه التداخل والوطأة المشتركة للفقر والعقم فكل منهما سبب للاخر ونتيجة له. ويعبر الابنودى فى قصائد **الارض والعيال** عن ايمانه بقوانين الجهل وحتمية ان يولد الغد من رحم اليوم المظلم .. ورغم ان معظم القصائد، كما أشرت من قبل، تدور حول تيمات الفقر والقهر والعجز فان الانطباع النهائى الذى يخرج به القارىء من المجموعة ليس محبطا على الاطلاق، بل هو الشعور بالرغبة فى تغيير الواقع والايمان بأن ذلك ممكن، بل أنه حتمى .. ان الكشف عن ظلمة الواقع وتعريته ليس سوى خطوة على طريق هذا التغيير انطلاقا من المقولة الماركسية القائلة بأن الوعى بالواقع هو الخطوة الاولى من أجل السيطرة عليه ومن ثم تغييره .. والشاعر التقدمى يتبنى الشعر كوسيلة من وسائل تغيير الواقع من طريق كسر الدائرة المغلقة للفرد وانفتاحه ووعيه بالواقع والامكانيات المتعددة السلبية والايجابية الكامنة فيه .. وفى شعره يؤكد الابنودى هذا الدور التقدمى للشعر ويرفض الارتباط بالتراث الشعرى الرسمى لكى يصبح جزءا من التراث الشعبى، تراث عبد الله النديم وبيرم التونسى والشاعر الشعبى المجهول الذين ارتبطوا بواقع الجماهير الكادحة وقضاياها ..

ويستخدم الابنودى فى نقل رؤيته الشكل الغنائى غالبا، وهو يراعى الوزن واحيانا القافية وبناؤه يقوم على التداعى اكثر مما يقوم على التتابع المنطقى .. وفى هذه المجموعة الاولى نراه يقع فى بعض الصور التقليدية الشائعة كصورة الديك المؤذن رمزا للصباح وصعود الفجر والربيع والشمس والقمر والنجوم .. الخ .. كصور ايجابية وفى مواجهتها الليل والظلام والشتاء .. الخ .. واحيانا يستطيع الابنودى أن ينجو من هذه الاكليشيهات بأن يدخل على الصورة التقليدية اضافة ما أو تعديلا طفيفا يكسبها الطزاجه والجدة الضروريتان للغة الشعر:

نشفت كل الخيوط الشمس .. لمت غزلها
والظلال اتاوهت واتمددت تحت الحيطان
نسمة فاتت فى الشجر

زى ما تنقر ديوك باب الظلام
ويخش فجر
زى قطـر
جه وخدنى م المدينة أم العيون مش مسبلة
[ص ٣٥]

ان تمكن الابنودى من موسيقاه الشعرية واضح تماما ، وهو يستخدم القافية فى أغلب الوقت بانسياب مدهش ، وهى فى أحسن حالاتها تلعب دورا فى تكثيف الشحنة الشعورية المنقولة ، ومع ذلك فان اصرار الابنودى على استخدام القافية بشكل يكاد يكون مستمرا يؤدى أحيانا الى الاساءة الى القصيدة . فمثلا نراه يقول فى قصيدة « الربابة الحزينة » .

حبيبتى أدينى

ولابس جاكته على الجلابية الزاتونى
وحالق بدينى .. !! [ص ٤٢]

ورغم أن قصائد **الارض والعيال** غنائية ، الا أن بها عددا من القصائد تشير الى مقدرة على خلق القصيدة الدرامية سوف يطورها الابنودى فى مجموعاته التى ظهرت بعد ذلك . ففى قصيدة « حطب القطن » مثلا يستطيع بلمسات سريعة جدا أن يخلق دورة كاملة هى حياة أحمد سماعين الفلاح الكادح منذ مات أبوه وهو مازال فنى صغيرا الى وفاته هو نفسه مرورا بزواجه من أربع نساء وانجابه ١٢ طفلا و معاناته المادية . ويرسم الابنودى شخصيته على خلفية المكان الذى يشكل بدوره واقعا اقتصاديا اجتماعيا ونفسيا . وهو يخلق بهذا ، وفى قصيدة قصيرة نسبيا وباختياره عددا قليلا من التفصيلات الدالة ، صورة نمطية لحياة القرية المصرية .

الزحمة (١٩٦٧)

واذا كانت **الارض والعيال** تمثل واقع القرية المصرية وتنطلق منه وتفجر بالصور المرتبطة به فان المجموعة التالية ، الزحمة (١٩٦٧) تعبر عن واقع مختلف تماما ، وهو واقع المدينة . فى المجموعة الاولى يتوحد الشاعر بالجماعة ويمتزج العام بالخاص ولكن واقع المدينة بعثرة وغربة و .. « توهة » وضياع ، او هكذا على الاقل تأثيره على هذا الشاعر الاتى من صعيد مصر .. ان الانتماء فى **الارض والعيال** ينقلب فى الزحمة الى الضد . ففى قصيدة « كباية شاى » نرى الشاعر يجلس على القهوة يراقب الاشياء بشكل منفصل ــ لم نره أبدا فى **الارض والعيال** ــ مزيج من الدهشة والغربة فى مواجهة الناس الذين يمرون به ، وكأنه متفرج وحيد أمام سينما صامتة ــ وفى زحمة المدينة يفقد الشاعر انتماءه ليس فقط للناس لكن أيضا للمبادىء السند .. وقصائد المجموعة تصل الى درجة كبيرة من تعرية الذات ومواجهتها .. ان الشاعر يرى نفسه «راقصا على السلم » تائه فى زحام المدينة وفقد نفسه الازرق والاحلى

وبا شاب يا مطفى العيون الماس
راح الحماس .. وقعدت فى الضله
كشفت عريك فى البلاد للناس
وناجرت فى الاشعار وفى الفعلا
لا دين
ولا مله
لا وصلت .. لا رجعت .. لا منـور
ولا مضلم
الحق قام
الكره قام
لا قمت تتكلم .. ولا تسلم ..
فارقص .. [ص ٤٨]

ان الشاعر يترك الرفاق « أول كلام ماصاحبتش اصحابى .. ــ ماخاويتش غير ضلى » (ص ١٢٠) يجد نفسه فى الانفصال والبعد وعدم الالتزام .. لكن ذلك يؤدى به الى احساس ملح بالاثم « يمضى الزمان نصغر ولا نكبرش » [ص ١١٨] والشعر سلاح المناضل فى معركة الكادحين فخر الشاعر وفرحته « صوت الغنا ــ بيزرع اللبلاب ــ ويقشر الكيزان ــ ويدفع العجل التقيل القلب ــ عشرين سنة لقدام » [«كلام للشعرا» ص ٥] يصبح حملا يضاف الى جعبة الذنوب التى ينحنى الظهر تحت وطأتها :

طلعت فى الجرنان .. وفى السينما
وبكيت
دموعى سرقت الفقرا .. [ص ١٢١]

واعتقد أن غالبية القصائد فى الزحمة تعبر عن تخبط نفسى وفنى بعد أن ابتعد الابنودى عن منابع العطاء الاولى سواء فى قريته أو فى شعوره بالانتماء للاخرين ففى حين تتفجر الصورة فى **الارض والعيال** خصبة وموحيه نجدها تشح فى الزحمة ، وهى ان وجدت فذهنية او غير موصلة بالشكل الكافى .

ومعظم القصائد قائمة على التقرير تكاد تخلو من الصور . وتستهوى الابنودى اللعب التكنيكية كالقطع والمونتاج « والفلاش باك » والتداخل فى الحوار كما فى قصيدتى « الناس للناس » و « قهوة الشعب » . ولكن هذه الحيل الفنية لاتؤدى الى التكثيف الشعورى اللازم للشعر .

ومع هذا يستطيع الابنودى احيانا بقدرته الشعرية أن يتجاوز هذا التخبط ويكتب قصائد جميلة جدا ليس فقط فى مقدرتها الشعرية ولكن فى الشحنة الانفعالية الكامنة وراءها .. ومن هذه القصائد مثلا ، « أرقص على السلم » و « الزحمة » وقصيدة « الخواجا لامبو العجوز مات فى أسبانيا » وربما كانت هذه القصيدة الاخيرة من أفضل ماكتب الابنودى على الاطلاق . وهى أساسا قصيدة درامية تشير الى مقدرة الابنودى المتفردة فى هذا الاتجاه ... وهو يستفيد فى بناء القصيدة ونسيجها من التكنيك السينمائى يبدأ بلقطة للبلدة ككل .

الضباب كان بات ليلها ع القزاز
كانت القرية اللى مات فيها الخواجا لامبو
نايمة على الجليد [ص ٦٠]

ثم يقترب ليسجل عددا من اللقطات السريعة لمجموعة من التفصيلات .. الخادمات فى المطابخ ، الحدادين ، الدواجن فى الحظائر ، الاطفال فى ملابس العيد ، الفتاة تشد حبل جرس الكنيسة ، القسيس ينفض الثلج عن عباءته .. وهى لقطات متحركه متكلمة شديدة الحيوية ينهيها :

كل أسبانيا بتصحى
عيد .. وعادى .. والجديد
الخواجا لامبو .. مات .. [ص ٦١]

ويكون البيت الاخير مفارقة حادة ليس فقط مع فكرة أنه العيد لكن أيضا مع الحياة النابضة التى بنتها الابيات السابقة وتكون هذه الخلفية مع تدخل الشاعر للحديث الموجز عن أسبانيا المنقسمة الى « فلاحين فقرا » و « أغنيا ــ لهم بيوت » [ص ٦١] (والذى اعتقد ان القصيدة تقوله فيما بعد بشكل أفضل) مقدمة لاقتراب من أبطال القصيدة ، الخواجا لامبو العجوز وجيتاره وقطته . لامبو يغنى فى الحانات أنه الشاعر المغنى الذى يحمل فى قلبه كل الفقراء ، ان مقدرته على الحب تتعدى البشر لكى تغمر الاشياء والحيوانات ان العلاقة بين لامبو وجيتاره وقطته علاقة متكافئة ، علاقة رفاق . والقصيدة رغم تناولها لثيمات سياسية صاخبة ، الا أنها فنيا مرثية خافتة الصوت تماما .. ويختار الابنودى التفاصيل الدالة التى تساعده على خلق جو حزين صامت الا من صوت جرس الكنيسة الذى يعلن موته :

« لامبو مات .. »
لامبو ؟؟؟ ياعينى .. وتبسكى الطفلتين
يمسحوا دموعهم فى ايد الامهات
فى المناديل الجديدة
[**آخر الرحلة تموت يا لامبو على طرف**
الرصيف
وانت لو جالك فقير
كنت تشوى قلبك الطيب تحطو له فى رغيف؟]
قطته توطى
عشان دمعتها ماتعملش ع الاسفلت صوت
[ص ٧٣ ، ٧٤]

والابنودى فى هذه القصيدة يختار الخواجا لامبو الشاعر المغنى بطلا يتوحد معه وهو بهذا يفلت من « توهة » المدينة والانعزال والبعد عن الرفاق .. انه بشكل غير مباشر يعود الى تجربة **الارض والعيال** .. حيث المغنى يتوحد مع الجموع ويموت وهو يحتضنها . والقصيدة تظهر مقدرة متميزة على رسم الشخصية وعلى تطويع اللغة انها

عمل لا تزيد ، ولا تعنينه سوى بعض الأبيات التقريرية التى تعيد ما تقوله القصيدة ضمنا فى أجزاء أخرى .

عماليات (١٩٦٨)

وبعد عام واحد من صدور الزحمة أصدر الابنودى مجموعة جديدة هى عماليات وفى اعتقادى أن هذه المجموعة ليست اشعارا بقدر ماهى مادة تصلح لاغنيات يكسبها اللحن البعد الناقص . فهذه « القصائد » تنقصها التجربة المكثفة والشحنة الانفعالية التى نسميها عادة بالتجربة الشعرية . انها صياغة سريعة وماهرة لمجموعة من الشعارات العقلانية ـ أو فلنقل الشعارات ـ كالاشتراكية وقيمة العمل والتصنيع والسد ، وحب الوطن فى شكل الاغنية البسيط الموزون والمقفى . وقصيدة سواق قطر فى يوم العيد » هى الاستثناء الوحيد فى المجموعة ، فهى تقدم موقفا دراميا موفقا فى شكل سائق القطار الذى يحمل الناس الى ذويهم فى العيد وهو بعيد عن أولاده يحلم بقضاء العيد معهم ومع هذا فالقصيدة كان يمكن أن تكون أفضل بقدر أكبر من العناية فى كتابتها .

الفصول (١٩٧٠) :

تقدم هذه المجموعة الشكل الارقى فنيا لبعض المعاناة التى عبر عنها الابنودى فى الزحمة . بل ان المعاناة التى تكمن وراء أشعار هذه القصائد تصل الى درجة من الكثافة تنفجر معها امكانيات شعرية تتفوق أحيانا على كل ماكتب الابنودى . فالشاعر هنا يقف فى مواجهة الذات ويعزفها ... وفى لحظات المواجهة يكون الشعور بالموت والعقم واللاجدوى ، والشعور بالاثم والرغبة فى التطهر . وتشكل قصائد المجموعة فى تتاليها بناء فنيا من نوع ما . فالمجموعة متسمة الى خمس أقسام ، هى : الفصول ، شعر من بلاد الارض والعيال ، مغنى الحزين ، انغام هادية ، وقصائد . القسم الاول « الفصول » عبارة عن مقدمة لهذا البناء كالبرولوج فى المسرحية الاغريقية وفيه نتعرف على الصورة الكلية المؤثرة . وتطرح الثيمات الاساسية فى المجموعة وهى الموت والوحشة والعزلة والشعور بالهزيمة والخذلان من قبل الذات والاخرين ... وامكانية الخلاص فى التوحد مع المجموع . الشتاء والخماسين يمثلان هذه القوى الضارية التى تأتى بها الايام التى تقتل اخضرار الزرع وكل امكانية للخير .

خماسين شديدة واحنا ميلنا
ايه كان وقف على حيله لما احنا
نقف على حيلنا ؟! [ص ٢٣]

شىء أشبه بالقدر الاغريقى يصيب اهل هذا العالم ، عالم الفصول بالعقم والموت



ناظم حكمت

وحين يأتى الصيف ، فصيل الازدهار والتحقق لايعود هناك الا مرثية لما كان ولم يعد ... لامكانية التحقق التى احبطت

يابرج عال فى طريق الواحة
لما وقع .. شت الحمام .. وراحا
يابرج عالى فى طريق الخيلى
لما وقع .. شت الحمام بالليلى
شت الحمام حوم لى منديلى
وطفى لى قنديلى [ص ٢٦]

ومن خلال الفصل الاول يستطيع الابنودى أن يخلق دورة عقيمة تبدا بالشتاء ... رياح قارسة يواجهها الاولاد بالتجمع والاقتراب من بعضهم ..

بردك كل ما يقسى فوق الارض
احنا بنحضن بعض [ص ١١]

وينتهى بالمرثية فى الصيف .. وهى بديل فنى للاحساس بالعقم واللاتحقق ، وهذه الرؤية التى يعبر عنها الابنودى فى دورة طبيعية فى القسم الاول سوف تجد تعبيرا منفصلا فى الواقع الاجتماعى فى الاقسام التالية .

والقسم الثانى ينتقل بنا من البانوراما الطبيعية : الفصول الى البانوراما الاجتماعية ، حيث الفقر والعقم والاحباط :

ياعم يا سبال
بيرك مشفط ليه .. ؟
ما عادش يسقى ليه
ودلوك الخربان رمينه جنبك ليه ؟؟
[ص ٣٦]

وهذا العقم ينعكس فقرا وشيئا ماديا وحزنا فى النفس « لازرق محزمنى ـ من يوم أبويا ما مات » [ص ٣٣] ليست زرقة السماء الصافية بل هى زرقة الفقر لون جلباب الفلاح الكادح .. لون النيلة الزرقاء التى تصبغ بها الوجوه حزنا على الموتى .. انها زرقة الضيق والالم .

وفى القسم الثالث مغنى الحزين ، يقترب الابنودى الى واقع اكثر خصوصية .. واقع الفن ودوره .. والعقم المتبدى على المستوى الطبيعى والاجتماعى لابد أن يصيب الفنان . والفن فى الاصل « شبابيك » مفتوحة » اذا اتقفلت ـ مايبقاش اسمها الشبابيك » [ص ٤٣] هى اتصال بالاخر وتوحد معه وتمثل له . ولكن الخوف والتمزق والضياع تغلق كل النوافذ .

عمال بنعوى لبعضنا فى الخوف
اطرافنا تزحف جنبنا لينا
وفى البحور السودة والطينة ..
عنينا مش بتشوف
وقلوبنا مش بتشوف
نفرق لكين حالنا فى حالنا بس
نفرق لكين ملناش
دعوه .. ببعضينا [ص ٤٨ ، ٤٩]

ان نتيجة هذا الخوف والتمزق والضياع هى موت الفنان المعطاء .. ان الفنان فى الاصل حارس مفتوح العينين يبصر الناس بتقدمهم خطوة خطوة على طريق الوصول ولكن فنان الفصول حارس زائف « خيال ماته » .

حرسنى غيطك ياشين ما فعلت
برسى على كتفى الغراب والبوم
بيولوا فوق كتفى
ويحوموا ويغطونى بنعق وريش
وأنا بازعق بس كيف تعرف
صوات الخشب مكتوم [ص ٥١]

ان الفنان كأرض « الحبل والسقوط » يعيش الموت فى الحياة . وفصل « مغنى الحزين » قائم أساسا على مواجهة عنيفة مع الذات وادانة لها .. ان المعاناة الكامنة فى قصائد هذا الفصل تحملها الى قدر من كثافة التجربة الشعرية يمهد للقسم الرابع . وهو فى رأيى من احلى شعر الابنودى .. ففى هذا القسم « أنغام هادئة » يندب الابنودى العقم المتبدى على المستوى الطبيعى ، والاجتماعى ، والذاتى ، انها مراثى شديدة الرقة ، تتفجر حزنا هادئا .. والما وادانة للذات وللعالم المحيط انها مرثية للذات ، ولكل الاحلام المفقودة والمحبطة

باودعك قبل الوداع .. بسنين
يا مليحة القول والفعال
ياطاهرة العينين
بامسك فى ديل جلابيتك .. وابكى
لما اليتيم بيعانق المجروح
يقع القمر .. نصين
يا وادعة ..
ياطاهرة الشفتين

ويوفق الابنودى فى ايجاد درجة من الصوت تناسب هذا الالم الكبير .. وتساعده فى ذلك حروف المد سواء فى القافية أو فى داخل الابيات ... والشاعر يودع هذه المرأة الطاهرة ذات الايحاءات المتعددة ، فهى الام والبلد والطهر فى الداخل وكل ما هو حلو نحلم به فى الوجود .. لقد خان الامانة « غاص القدم فى الوحل .. ـ غاص التلم فى الوحل » [ص ٦٥] وهو قد فتح عينيه ورأى ما فعل يشعر بالخجل والعار . اداري

بيدى عورتى وانعى » [ص ٥٩] يرغب فى التطهر والخلاص والعودة الى الذات الانقى ولكن الضياع والعتم فى الداخل قد مضيا الى ابعد مما يمكن اقتلاعه .

انا رايح ابل قميصى مية نهر
واطبش المياه بيدى
وافك الحزن عن قلبى
واخرج للهوا والشمس

* * * * * * *

وعمري ما رحت [ص ٧٠].

وفى اعتقادى أن قصيدة «أولاد شيحة» فى القسم الرابع وقصائد القسم الخامس لاضرورة لها ، فبصرف النظر عن القيمة الفنية لهذه القصائد فهى لاتضيف شيئا للبناء الدرامى الذى يشكل **الفصول** . فلقد اراد الابنودى أن يجعل من قصائد هذه المجموعة وحدة فنية فى نطاق شكل ما . بناء درامى ينتقل من الطبيعة الى المجتمع الى الذات ثم مراتى تندب العتم المبتدى فى هذه المستويات الثلاث .. ولقد وفق فى بناء هذا الشكل . وفى اعتقادى أن القسم الخامس لا يضيف له شيئا ، بل بالعكس ينسده . فقصائده لاتشكل اية وحدة كما تفعل قصائد كل قسم من الاقسام الاخرى كما أن القسم ككل لايشكل ، كما تفعل قصائد كل قسم من الاقسام **الفصول** .

جوابات حراجى القط (١٩٦٩)

ورغم أن **جوابات حراجى** قد صدرت قبل **الفصول** الا اننى اردت أن أؤجل الحديث منها حتى أتناولها مع **احمد سماعين** لاعتقادى أن الاثنين يشكلان رغم اختلافهما اتجاها واحدا فى شعر الابنودى وهو الاتجاه الى القصيدة الدرامية الطويلة القائمة على حكاية . وفى كل من القصيدتين يستطيع الابنودى أن يستعيد توازنه مع الجماعة . انه يعود الى صعيد مصر يستمد منه شخوصه وصوره وايقاعاته بل هو ولاول مرة يستخدم اللهجة الصعيدية الصرفة كلغة لهذه القصائد .

فى القصيدة الاولى : **جوابات حراجى القط العامل فى السد العالى الى زوجته فاطنة احمد عبد الغفار فى جبلاية الفار** [١٩٦٩] يرسم الابنودى من خلال ٢٤ رسالة متبادلة بين حراجى الذى ذهب الى أسوان للعمل بالسد وزوجته فاطنة المقيمة باحدى قرى الصعيد صورة بطلية ومن خلفهما واقع اقتصادى اجتماعى فكرى يمثل واقع القرية المصرية . والابنودى بذلك يختار الشريحة الجزئية الممثلة والملخصة للواقع الكلى .. كذلك يوفق فى اختياره للموقف من ناحية ، ولشكل الرسائل من ناحية اخرى ، اذ أن انتقال حراجى من القرية بتراثها المحافظ المغلق وعلاقات الانتاج السائدة فيها الى مدينة اسوان للعمل بالسد حيث تسود علاقات انتاج مختلفة وواقع مختلف يشكل موقفا ديناميكيا يسمح بالتفاعل مع شخصية حراجى وتطورهذه الشخصية ، كذلك فان اختيار الرسائل يتيح للابنودى ان يقدم الشخصية من اكثر الطرق مباشرة ، الا وهى حديثها عن نفسها ، وأسلوب تفكيرها وردود فعلها . ان الرسائل تحول القصيدة الى رواية بلغة الشعر التى بدورها تجعلها اكثر تكثيفا من الرواية العادية . وبطل الابنودى عادى وغير عادى . فهو من ناحية فلاح بسيط لم يخرج من قريته الا للسفر الى اسوان من ناحية اخرى مزيج من الذكاء و .. ـح والاقبال على الحياة ، والرقة الشديدة والحب وبالتالى فهو تربة صالحة قابلة للتفاعل مع بذور الواقع الجديد . ويختار الابنودى لبطله اسم حراجى لدلالته الخاصة فهو يكتب فى مقدمة الكتاب « فى الاراضى التى كانت تنتظر الفيضان كل عام .. اراضى رى الحياض .. يطلقون عليها فى قرانا اسم « الحرجان» جمع حرجة وهى ارض طمية .. قوية مهيبة .. تتشقق شقوقا بالغة الاتساع والعمق .. يسدها النيل كل عام لتعود لتتشقق فى موسم الجفاف . ولذلك يطلقون اسمها على ابنائهم لكى يخرجوا للحياة مثلها اقوياء .. قادرين على الخصب والعطاء ومثلما جاء السد العالى لكى تكف « الحرجان » «عن التشقق» جاء ايضا ليفعل نفس الشيء بحراجى » . والعمل بالسد يفتح أمام حراجى افاقا جديدة تكسبه الوعى ، ولكن ليس صحيحا انه يأتى بالخصب بل على العكس ان وعيه يحمل له الحزن والخوف .. فبعد ست سنوات من العمل بالسد لايستطيع حراجى اثناءها ان يذهب الى اسرته او تأتى هى اليه بسبب راتبه القليل يعنى حراجى والمشوار بين البليارد .. وبين .. اللقمة الحاف» [ص ١٤٨] ويعرف ان عمله فى السد لم يكن سوى أداة لرخاء «الاخرين» أن الوعى بهذه الحقيقة يتقاطع بشكل حاد مع فرحة حراجى بالسد وارتباطه به وانتمائه له الذى عبر عنه فى كل رسائله السابقة . ان فاطنة حين تطلب منه العودة الى قريته ، بيته وزوجته واولاده يكتب لها :

وان سبت السد وقعت فى قعر البير تانى
ده انا حتى ساعات باحدث نفسى واقول
يكونشى السد ده عاملينه عشانى .. ؟
علشان يا حراجى تعرف قيمتك وتفتح ع الكون والناس ..
رغم المر اللى بتشربه فيه .. ؟

[ص ٧١] .

ان الارض بعد ست سنوات من العمل الشاق تظل تنتظر فيضانا .. ورسائل حراجى الاولى التى كانت تحمل الفرحة والروح الشابة القوية ، يسرى فيها نغمة حزينة ، شيخوخة من نوع ما .. وتنتهى الرسائل وقد قرر حراجى ان يظل فى أسوان بجوار السد الذى صنعه ومع هذا يظل صدى كلمات فاطنه فى رسالتها الاخيرة :

السد حيبجى بخير
السد حيبجى بخير
فينه الخير يا حراجى ؟
بعدك خير ؟

خوفك ومرارك فى الغربة خير ؟
بحترتى وشندلة المركب بيا وبولادك .. خير ؟
تتفوروا ع الخواجات اللى بيهلكوا اعمارهم فيه

يعنى انت اللى حتورث فيه ؟
مش هم السبعة جنيه .

وتتكرر هذه العبارة الاخيرة « اياها السبعة جنيه » « مش هم السبعة جنيه » كلازمة فى رسالة فاطنه معبرة من خيبة الامل العظيمة والغربة ..

ان عمل حراجى فى السد لا يحمل له فقط تفتح آفاق جديدة ، بل لزوجته البعيدة من خلاله . ان مفاهيمها هى الاخرى تتطور وتتغير .. وفاطنه شخصية بسيطة وتلقائية تجد نفسها من خلال زوجها واطفالها كما هو الحال مع غالبية النساء .. ولكن مع مرور الوقت وبعد الزواج تبدأ هى أيضا فى الاعتماد على نفسها والتحقق من خلال العمل .. وفى الخلفية تظهر شخصية فلاحين آخرين فى جبلاية الفار وعمال فى أسوان .. وشخصية المهندس طلعت المثقف الثورى الذى يساعد حراجى على فهم الواقع ورفضه والتفكير فى تغييره . وربما كانت هذه الشخصية على خلاف شخصيتى حراجى وفاطنه ، خشبيه فالابنودى على ما يبدو أرادها كوسيلة لمساعدة حراجى ولكى تكتمل الصورة بالمثقف ولكنها تظل غائبة تماما كوجود انسانى نابض .

والابنودي فى هذه الرواية الشعرية يستخدم الصورة كاحدى الدعائم الاساسية لتعبيره الفنى .. ان الصور ـ صور الشوق والحنين بشكل خاص ـ تتتابع وباستمرار لتكثف الكلمات وتكسبها نبضا شعريا وهى مستمدة أساسا من واقع القرية والزرع والنيل وعناصر الحياة الاولية وهى النار والماء والارض والهواء . والصورة أحيانا تصل الى حد كبير من النضوج فهى مركبة مشعة تحمل العديد من الايحاءات . ومن هذه الصور صور النار والقنديل وهى توحى بالانفعال الشديد ، الشوق ، الرغبة الجنسية . وهى أيضا نور فى ظلمة ، وشعور بالائتناس ، ورمز حياتى ذو ايحاءات ايجابية . والرسائل تتابع الاختلاجات النفسية الدقيقة لكل من فاطنه وحراجى .. تتابع أحاسيسهم بالحب ، بالغربة بالحنين ، بالغضب بالحيرة . وعموما فالرسائل تقدم شعرا غزليا ذا مذاق فريد فى بساطة لغته وطبيعة صوره . وفى اعتقادى أن **جوابات حراجى** أدب تعليمى بالمعنى

الرأئى للكلمة » فحراجى مزيج من الفلاح كما هو والفلاح كما يجب أن يكون فى اقباله وتفتح ادراكه ورقته وحنانه .. وهى نموذج لنوعية الادب الذى نادى به انصار الواقعية الاشتراكية .

أحمد سماعين (١٩٧٢)

وفى أحمد سماعين يتبنى الابنــودى الرواية الشعرية لتتبع سيرة انسان .. وهو نفس الخط الذى سلكه فى حراجى مع فارق انه استبدل الرسائل بصوت الراوى وبالتصــوير المباشر للحــدث . والابنودى يستفيد فى هذا العمل الذى يمكن تسميته بالقصيدة الروائية . من التراث الشعبى (فن السيرة) ومن منجزات القصيدة الحديثة ومن الرواية . **واحمد ســماعين** تبدأ من حيث انتهت **حراجى** . الشــعور بالغربة والحــيرة والهم اللذان يشغلان البال . وهى تبدأ بلقطة للمكان كما فى قصــيدة « حطب القطن » فى **الارض والعيال** و « لامبو » فى **الزحمة** ، ولكن نلاحظ أن مقــدرة الابنودى على الوصــف الشــعرى قد تطورت وأصبحت أكثر نضوجا . فهــو فى وصفه لابنود ساعة الغروب يختار الجزئيات الحســية الدالة مكونا بذلك مشهدا ناطقا يثير الحواس الخمس : لون الشمس الغاربة ، ولون البرسيم ، وصــوت الاوز والضــفادع والكــلاب والطواحين ورائحة الاكل فى الدوروغبار أقدام العائدين والدخان المتصاعد من أسقف الدور .

أبنــود
بجمــيع ســواقيها .. وناســها ،
ونجومها . ونسايمها
بتكوع فى ساحات الليل
الا « احمد سماعين » [ص ٦]

ان احمد سماعين ــ البطل ــ يقدم لنا لاول مرة متبوعا بحرف استثناء . ان أبنود بناسها واشيائها تكون وجودا واحدا ، واحمد رغم انه من هذا الوجود الا أنه يقف منفصلا عنه ومواجها له .. وهذا هو الموقف الذى يختاره الابنودى لروايته . ان احمد ســماعين يتقــدم خطوات ليكون البطــل ولتكون ابنــود كلها اطارا له

وهو بطل بالمعنى التقليدى من حيث هو وجود مميز عن باقى اقرانه الشجاع وكريم ويعتمد عليه ، واحمــد سماعين فقد أبويه منذ طفولته ، وعرف الفاس منذ كان فى الحادية عشرة من عمره . ونحن حين نراه لاول مره نراه مهموما مشغول البال ..

وكأنه فى راسه حلقة ذكر
أول مرة احمد سماعين
بيخوض بهدومه فى شغل البال
أول ليله .. ماتغمضلوش عين
الفكرة المجنونة بتجرى جوه دماغه .
زى الوطواط
تطلع .. تنزل .. تجرى .. تتكعبل
تلزق فى سقف دماغه ..
ولما يحس بانه خلاص ارتاح . وعنيه تغفـل
يفلت ويحوم فى دماغه تانى الوطواط
[ص ٧]

واحمد يشعر بالغربه فى ابنود ، يريد الرحيل الى مصر (القاهرة) وغربة احمد سماعين وازمته محيرة للقارىء . هل هو الفقر الذى يدفعه الى السفر ، أو طموح لاتسعه قريته الصغيرة ، أم هى غربة فى الروح .. سوف تلاحقه اينما ذهب . ان التغيير الذى أصاب احمد [ونحن نراه وقد طرأ عليه هذا التغيير فعلا] لانجد له مبررا كافيــا فى الرواية . وهو حين يعتب عليــه أحد الاصدقاء لسفره يجيب :

« بقى أنا باقوى الحرية
من يومى
والدنيا فى الموضوع ده ســاعدتنى
لا أبو ولا أم
حر لوحدى .. [ص ١٣٨]

ونتساءل : اى نوع من الحرية هذه ، وما معناها .. هل هى شعوررومانسى يدفع بالانسان الى الرغبة فى التحليــق بعيدا عن واقعه .. أم هى شىء آخر ؟ وربما كانت غربة أحمد سماعين شيئا أعمق يضرب بجذوره فى تربة واقعه الاجتماعى القاسى .. لكن الابنودى على أى حال لايقدم فنيا سببا مقنعا لهذه الغربة .. رغم انه يصور الغربة بشكل مقنع جدا بل وممتاز .. ان احمد يحب الغناء ..

واحمد لمــا يغنى
روحه ترهف .. ترهف .. وعينه تبكى
وتحس كانه غريب بعصابة وخــرج
ومنديل [ص ١٨٠]

ولقد كف احمــد عن الانتمــاء الى الصحاب .. والصاحب الوحيد الــذى احتفظ بانتمائه له مات . وقرار الرحيل الى القاهرة مشوب بتأنيب الضمير .. فهناك نواره أم جوده الذى ابتلعتــه الاله وهو يعمل .. وهناك الخــاله والعم اللذان هجرهما الابن حسانى الى القاهرة ولم يعد .. واحمد فى غيبة الابناء هو السند ، وهو المعيل .

والابنودى فى تصويره لازمة احمــد سماعين يقدم واقعا كاملا لاحدى القرى المصرية ، أبنود ، ظروفها الاقتصادية والاجتماعية والقيم السائدة فيها .ويظهر الابنودى فى **احمد سماعين** مقدرةمتميزة على رسم الشخصيات . فجودة مثلا ــ رغم أن أحداث الرواية تتم بعد موته ــ الا انه وجود ــ يخيم على هــذه القصيدة الروائية وهو شديد الحضــور بغيابه . وكذلك حسانى الابن الــذى ذهب ناسيا من تركهم وراءه ، أمــه العجوز وأباه الضرير بلا عائل . ويوفق الابنودى فى رسم مجموعة من الشخصيات النابضــة تماما تتداخل وتتفاعل مــع بعضها ومع احمد سماعين لتخلق فى النهاية حياة البطل وواقعه الاجتماعى . والابنودى يستخدم فى تصوير هذه الحياة صوت الرواية . وصوت احمد سماعين فى شكل مونولوج داخلى .. وأحيانا يتداخل الصوتان بل يغلب صوت الاخير « الدنيا بحالها بتشوف / من عين احمد سماعين » [ص ٥٣] وصوت الرواية يمكن من تقديم الخلفية الوصفية للمكان وهى شديدة الاهمية ليس فقط للجــو الشعرى الذى تبنيه ولكن ــ وهذا هو الاهــم ــ للتفاصــيل ذات الدلالــة الاجتماعية . كذلك فهو يقدم الاحداث الخارجة عن وعى أحمد .. كحياة أبيه أو زواج أبيه بأمه وعمــه بخالتــه ، وافكار احمد سماعين واحساسه تنتقل الينا عبر التداعى الداخلى والتداخل بين الماضى والحاضر والمستقبل وعبر الحوار بينه وبين الاخرين . ويعتمد الابنودى على الصورة كاحدى الدعائم الاساسية للتوصيل ، ولاثراء التجربة الشعرية . والصورفى الوصف وفى المونولوجات الداخلية عادة ماتكون مركبه . أما فى الحوار فهى بسيطة تلقائية لايمكن فصلها عن الحديث التلقائى للشخصيات ، وفى جميــع الحالات فالصور مستمدة مــن البيئــة الفلاحية والطبيعة المحيطة .

ان **احمد سماعين** عمل رائد . فهو محاولة للمــزج الخــلاق بين الروايــة والقصيدة والاستفادة من انجازات كلا الشكلين . وهو فى نفس الوقت محاولة لاحياء نوع أدبى ارتبط به شعبنا لفترة زمنية طويلة ــ وهو فن الســيره ــ والابنودى فى محاولته هذه يجد الشكل الفنى الذى تمتد جذوره فى التربةالعربية وفى الوجدان الشعبى فى نفس الوقت الذى يمكنه استيعاب الانجازات الادبية المعاصرة .

ان مسيرة الابنودى من **الارض والعيال** الى **أحمد سماعين** مسيرة طويلة وخلاقة تكتنفها بعض العثرات ولكنه حين يتجاوزها يكون ذلك الى فن أكبر .. وعبر مسيرته ودائما يحمــل الابنودى همــوم الارض والكادحين ايجابا وســلبا . وأقصــد بالسلب معاناة الانفصال عن تلك الهموم وانتمائه لها ، وفى هذه الحالة يكون الضياع والاحساس بالذنب . وهمــوم الواقع المعاش تجر معها صور العقم والقهر وهى تتكرر فى شعر الابنودى كما تتكرر فى كتابات معظم ابناء جيله ، مشيرة الى معطيات الواقع المشترك . ولقد استطاع الابنودى عبر مسيرته الشعرية أن يتجاوز الشــكل الغنائى المباشر للقصيدة العامية الى شكل تركيبى أكثر خصوبة . ثم طوع هذا الشــكل لينجز من خلاله مايمكن تسميته بالقصيدة الروائية مرسيا بذلك نموذجا غيرمسبوق فــى الشــعر العــامى . يثــرى التجربة الشعرية العربية بلغتيها العامية والفصحى .



التحليـق فى ســرداب مـوحل

شفيق مقار

يبدو محمد ابراهيم مبروك ـ بين ذلك الحشد العميم من المشتغلين بالكتابة فى الستينات الذين اطلقت عليهم الصحافة الادبية أسماء عـديدة خـلابة كالادباء الشباب والادباء الغاضبين ، وكتـاب الموجة الجديدة ـ كظاهرة كاشفة جديرة بالتامل ، وقد تكون منفذا الى مزيدمن الاستكشاف ، ومـزيد من الفهـم لهذه الحكاية جميعها اولا عن اخر • فهذا كاتب شاب ، غاضب ، من الموجة الجديدة يبدو ـ فيما ينبىء عنه توقفه عن فعل الكتابةذاته ـ كما لو كانقد تلبث فيمدار الافعال الماضية • ولعل ذلك مـن قبيل الصدق مـع النفس والتورع عـن غش الاخرين ، وهو مما يحمد للكاتب ، مافيذلك شك ، متى أخذ المرء فى الحسبان عدداً لا يستهان به من ظواهر تلك الموجة الشابة لم يتوقف عن فعل الكتابة بعد فهو سادر فيه، بغيررحمة ، بلا هوادة، وان كان قد توقف ـ فيحقيقة أمره ـ عن آفراز كل ما يمكن أن يندرج تحت وصف الكتابة من زمن طويل ••

الطريق الى هذا الجيل

بشكل او باخر يذكرنا الدكتور لويس عوض فى تعليقه المحنق بعض الشيء ، « هذا الجيل اعصار حقيقى ، ام زوبعة فى فنجان » [الطليعة ـ سبتمبر١٩٦٩] بالشاعر الانجليزى سيسل داى لويس وما قاله فى مجال مماثل من « ذلك القطيع المـرث المؤسي من عابـرى السـبيل ، المنشغل بادعاء الفحولةباستماتة واصرار» فلويس عوض يتساءل : « هل هذاالجيل جيل معذبفعلا، أم أنه (يعانى من)مجرد قلق بيولوجى ، من ذلك القلق الذى يجعل الابناءيثورون على الاباء بمجردأن يخضر شاربهم وتظهر فيهم علامات الذكورة ؟ »

لكن الدكتور لويس ـ رغم الحنق الذى توتر به تعليقه ـ يختم قوله بهذه الكلمات التى لا مهـرب من صـدقها : «اننا لن نستطيع ـ ولاهم بمستطيعين ان يصـلوا الى نتيجة فى هذا الموضوع الا من خلال ما يقدمونه من تجارب فى الادب والفن » ولقد المح ـ رغم انشغاله فى ذلك التعلق بالحليات وحدها ـ الى مايبدو انه سيظل المحك الرئيسى للموضوع كله ، فى معرض تساؤله : ما هى ثقافة هـذا الجيـل؟ وهو ما سبقته اليه الدكتـورة سـهير القلماوى بمقالها : « ظاهرة العقـاد لن تتكرر » • (نفس العددمن الطليعة) •

غير مشـكلة الثقافة هـذه [بمعنى التثقف] التى قد نتفق حولها او نختلف [ولا خلاف هنا الا حيثما كان الامر متعلقا بعبقرية فذة قد تعلو بنبوغها على مطلب كهذا جوهرى فيتكوين الكاتب) وقدنضيف اليها اعتبارالاندرى لم تحرج الجميع (١) من ذكره او مجرد الاشارة اليه مع انه يطل علينا من كل ركن من اركان الصورة: هو عبء التخلف العام فى بلد نام،نقول عبر الفقر الثقافى والتخلف الحضارى يضع لطفى الخولى يده ، بحنكة الكاتب الايديولوجى المتمرس ، عـلى موضـع حساس آخر بعيد الفعالية فى مواقف ذلك الجيل الشاب الغاضب ، مشكلة الاصل الطبقى : « اذا طالعنا الشهاداتوضعنا ابدينا دون عناء ، على تحديد صريح حينا وشبه صريح حينا اخر لاصل طبقى موحد جميع اصحاب الشهادات ، او على الاقل لاغلبية الساحقة منهم • وهذا الاصـل الطبقى هو بالتحديد البرجوازية الصغيرة، وغالبا البرجوازية الصغيرة الريفية »[٢]

وهو ما يوصـلنا الى محمـد ابراهيم مبروك ، وكان لابد ان نصل اليه من هذه الدرب • اولا لانهككاتب وفرد ـ تتجسد فيه تلك الملامح الاساسية المشتركة بتركيز ووضوح قد يتجاوزان ما نجده فى حالة اى كاتب اخر من ذلك الجيل ، وثانيا ، فيما يخص مبروك ، يجب انتذكر اننـا بمعرض الحديث عنكاتب كتب خمس قصص ثم لزم الصمت تماما [٣] فما من سبيل الى تناوله تناولا جديا الا بوصفه ظاهرة جزئية منسوبة الى كل هو ذلك الجيل الذى ينتمى اليه ، او الذى ادلى بشهادته بوصفه فردا منه ، ولا جدوى حقيقية فى دراسته وتقييمه الا من خلال ما قدتلقيه حالته من ضوء على مشكلة ذلك الجيل ، وما قد ينطوى عليه صمته من مؤشرات لا تتحدد صلاحيتها بحدود حالته الفردية ، خاصة وان الامرمتعلق هنا بكاتب حقيقى ـ لا بمحترف من زمرة الادعياء ـ دفعته ظروف قاهرة لاتخاذ موقف الصـمت حتى الان ، رغم وعيه الجاد ـ الذى لانشك فى صدقه ـ بالواقع اللاانسانى تماما الذى يحياه عالمنا ، وحسه القوى بان الكاتب يحيا كل الصراعات والمشاكل التى تهدد ذلك العالم ، وتدمر امكانياته، فتحوله الى جحيم حقيقى ، وادراكه الواضح لان كل ما يمكن ان يفعلـه المـرء ـ ككاتب

---

[١] ولو انه ، لامانة العرض ، يجب ان يذكر المرء لادوار الخراط شجاعته التى عادت عليه بوبال شديد من بعض اصحاب الادب فى مقاله : « مجلة ٦٨ والقصة المصرية المعاصرة » ، المساء ١٠ ابريل ٦٩ ، الذى يقول فيه اننـا نعيش فى قرية خلفية من قرى العـالم المتحضر .. الخ .

[٢] لطفى الخولى ، العدد السـابق الاشارة اليه من الطليعة ، ص ٨٢ .

(٣) ولقد اعترض بعض الباحثين على اختياره اصلا كفرد ممثل لعينة البحث : « اذ نجد مثلا ان محمد ابراهيم مبروك لم ينشر له سوى ثلاث قصص أما غير المنشور فهو خمس قصص ، الى اى حد يمكن اعتباره اديبا من الادباء الشباب ؟ » دكتور سيد يس ـ الكاتب ـ نوفمبر ١٩٦٩ ـ ص ١٦٥ .

وكانسان ــ لا يخرج عن ادراكه لهذه الحقيقة البسيطة ، واننا اذا كنا نرغب حقا فى ايجاد عالم انسانى [ما من شك فى انه لم يوجد حتى الان] فانه يتعين على كل انسان منا ان يبحث بسرعة عن مكانه (اى يتخذ له موقفا) قبل ان يصحو العالم ويتنبه اليه فيصعقه ، ويشل قدرته حتى على الصراخ سقوطه فى فوهة هاوية [٤] » .

ولقد يجدى ان نطل بروؤسنا ، من خلال القصص الخمس ، فى فوهة تلك الهاوية التى يبدو من صمت مبروك انه قد سقط فيها كما تنبأ لنفسه ، لنتبين ان كان قد دفع اليها دفعا بركلات الجوع ، والاهمال ، والاحباط ، والظروف الاجتماعية المعاكسة ، واليأس ، والتشرد ، ام انه كان ــ بحكم قوة الاشياء ــ سائرا اليها من مبدأ الامر ، ولنتبين ايضا ان كانت تلك الهاوية فاغرة فاها فى طريق الاخرين من ابناء جيله .

بين الشهادات الكثيرة بكل تنويعاتها متفاوتة الحدة على تيمة الغضب ، والرفض ، والتمرد ، تبدو شهادة مبروك كواحدة من اهدئها واكثرها صدقا ، واقلها لهفة على النجاح والشهرة . لكنه عندما يتحدث من حياته الخاصة يغفل شيئا واحدا ، هو ان معظم دخله ، عندما يكون له دخل ، يذهب الى بطون اسرته التى لايستطيع الاب ان يفى بكل مطالبها ، وان بيت تلك الاسرة ، لضيق المكان ، وكثرة العدد ، يضيق به ، فلا يجد له مستقرا الافى بيوت اخرى ، تفتح ابوابها فى وجهه حينا ، وتوصد احيانا . ولقد كانت شكاته الوحيدة من حياة البدو الرحل هذه انها لاتدع له فسحة من وقت ليقرأ اوليكتب .

يقول الكاتب : « التحقت بأعمال كثيرة جدا ، ومتباينة . فانا ما زلت طالبا فى كلية الاداب(٥) ، وقد التحقت على فترات متباعدة بالاعمال التالية : صبى فى مقاومة دودة القطن . عامل فى تربية الدواجن . عامل صالة باحدى شركات الاغذية المحفوظة . عامل بوابة فى شركة . كاتب فى جمعية استهلاكية ، سباك . أمين مخزن . أمين مكتبة صغيرة .. (وهو يعمل حاليا كاتبا لدى أحد نجار الخضر لمدة عشر ساعات فى اليوم لقاء عشرة جنيهات فى الشهر) . والفائدة الوحيدة من كل ذلك هى التعرف على عديد من الناس وادراك حياتهم المتباينة عن قرب . أما قيمة كل هذه الاعمال فى ذاتها ، وتأثيرها فى انتاجى ، فلا أعتقد أن لها أى تأثير يذكر » (٦) .

وهو ما قد يبدو غريبا اذا ما تذكرنا كتابا آخرين فى ظروف مماثلة) وان كانوا قد عاشوا وكتبوا فى ثقافات اخرى) وجدوا مادة خصبة لافضل ابداعهم فى تلك الظروف الطاحنة عينها ، جون شتاينبك ، مثلا ، وجيمس فاريل ، كلاهما مدين بأفضل انتاجه الادبى لسنى الكارثة الاقتصادية العجاف فى الثلاثينات ، ولما اضطرتهما اليه من اعمال لا تختلف كثيرا عن قائمة الاعمال التى يعددها مبروك هذه . ولم يكن أى من هذين الكاتبين الامريكيين ماركسيا ولم يكن يكتب ليثير أحدا ، أو ليدين شيئا ، ولكن ليفهم ويدلى بشهادة صادقة على عصره ، بما رأى ، وعاش ، وسمع .

ولقد أبدى أحد نقاد شتاينبك ملاحظة بمحضر منه مؤداها ان بعض كتاباته قد تبدو حلوة المذاق لكنها ــ فى حقيقة امرها ــ تغلف بذلك المذاق الحلو قدرا لا يستهان به من السم الناقع . فكان رد الكاتب انه لاينبغى لاحد أن يستهين بكمية السم التى سقته اياها الحياة (٦) . ولهذا فان شتاينبك الذى كتب أعنف أعماله فى مرحلة من العمر لم يكن بوسع أحد أن يصفه فيها بالشباب ، أو الجدة ، او الاحتدام (عن الجرذان والبشر » وهو فى التاسعة والثلاثين ، و« كروم الغضب » وهو فى الحادية والاربعين) يبدولنا فى تلك الاعمال أكثر شبابا ، وأشد غضبا ، ونقمة ، وتمردا ، من مبروك ابن الستة وعشرين ربيعا ، الذى يقول فى شهادته بأن على الكاتب أن يحيا عصره ، وهو عصر ــ كما رآه ــ تملؤه الحروب ، والفشل الذى يصيب بعض الثورات ، وسوء توزيع الثروات وجرائم الجوع ، والاثار السيئة القاتلة لانسانية الشعوب ، والصراعات العالمية بين قضية التقدمية والرجعية ، ومن صنوف التزييف والخداع التى تقفز من معسكر الى آخر ، بالاضافة الى مشاكلنا المحلية القريبة جدا شديدة الوطأة ، ويقرر أن كل ذلك ــ بلا شك ــ يؤثر فى انتاجه فيخرج متسما بالغرابة ، والخوف ، والقسوة ، والذعر ، والاحباط ، والرعب من القوى اللاانسانية التى تتحكم فى عالمنا ، واليأس من الخلاص . (٧) .

فهو ــ ابتداء ــ يقرر ان تجربته الشخصية المباشرة تحت وطأة القوى اللاانسانية التى تمحقه ككاتب وانسان ليس لها اى تأثير يذكر . ثم يعود فيقرر ان وعيه ــ الذى يبدو عقلانيا بحتا ــ بجرائم العصر ولا انسانيته ، يؤثر فى انتاجه ، فيخرج متسما بالخوف ، والذعر ، والرعب ، والغرابة ، والقسوة ، والاحباط ، واليأس .

ولعلنا مستطيعون أن نضع ايدينا هنا على بداية الدرب المسدودة التى أفضت بهذا الكاتب الى الصمت . فهو ، منذ البداية ، منشق على ذاته ، موزع بين وعى عقلانى بأن « كل كاتب عظيم هو بالضرورة مع التغير الاجتماعى نحو مجتمع انسانى افضل ، (٨) ، وبين ما يبدو كاستلاب كامل يغرقه ، حتى قمة الراس ، فى مخاضات رعبه الداخلية . ولعله كان من الممكن لهذا الكاتب ــ الموهوب بغير شك ــ أن يتوصل الى الخط المستدق الذى يلتئم عنده ذلك الوعى الخارجى وهذا الرعب الداخلى ، فيكون ــ بتوفيق مجدود ــ قد توصل الى « التوليفه » التى كانت حرية بان تخلق منه كاتبا له دوام الكاتب الحق وتماسكه ، لو لم ينزلق ــ فوق هذا وذاك ــ الى متاهة جانبية خاض فيها صراعا غير متكافىء مع اللغة .

د. لويس عوض

د. سهير القلماوى

---

[٤] العدد السابق الاشارة اليه من الطليعة ــ ص ٤٢ ــ ٤٣ .
[٥] وعلى حد علمنا ، مازال طالبا منتسبا بتلك الكلية .
[٦] Tedlock and Wicker : « Steinbeck and His Critics » Albuquerque P. 276.
[٧] العدد السابق الاشارة اليه من الطليعة ــ ص ٤٢
[٨] نفس العدد ، نفس الصفحة .



محمد
ابراهيم
مبروك

الكاتب .. وعالمه

فى أولى قصصه ، « الركض فى سرداب موحل » (١٩٦٥) (٩) يتساءل البطل : « لماذا أنا خائف ؟ .. كل ما أجده يجرى ، يتوارى خلف عتمة الاعوام الموصدةالابواب .. فالباب يفتح فجأة وبسهولة ، فقط امام هرب ما نجده . لكن عندما نود العودة لاسترداده ، لا يحتاج الباب الا لاوهى دفعة لكى ينصفق متحولا الى باب وهمى » .

وقبل أن نذهب الى أبعد من هذا فى شأن هذا الكاتب ، ينبغى ان نتفق من الان على الانصراف ـ فيما يخصه ـ عن محاولة البحث عن « الحكاية » أو « الحدوتة » . بكل ما يتعلق بها من ترابط محكم يقيمه العقل والمنطق .فهذه قصص لا عقل لها ، ولا منطق فيها . أو هى خلو ـ وقد يكون ذلك أقرب الى الصواب فى شأنها ـ من العقل كما يعرفه العقلاء الطيبون ، مجردة من المنطق الدارج الذى تقتات عليه ـ بتكالب حقيقى ـ كل القصص المحبوكة محكمة الصنع . وذلك عند مبروك مصدر قوة وضعف مهلك فى الوقت ذاته : مصدر قوة من حيث أن تحرره من ربقة القيود ، والضوابط ، والقوانين الفنية التى تفرضها القصة التقليدية يزود المخيلة وأداتها ـ الكلمات ـ بقدر من الحرية مفروض أنه لا يحد الا بحدود قوانينه الذاتية الداخلية . والكاتب يمارس تلك الحرية بالفعل ، فيتحرك على مشارف السيريالية (التى يفسدها أحيانا بالرموز) ، لكنه ما يلبث أن يتعثر عند نقطة ما ، ولسبب ما (قد يكون ناجما عن عدم اقتناع داخلى كامل بمايحاول أن يجربه) يتخلى عن تلك الحرية ... وينكفىء الى الوراء بحثا عن الترابط المنطقى العقلانىالظاهرى ، ولا يعود من ذلك الا بافساد اكتشافاته التى تكون قد أوشكت أن تقوده اليها تلك الحرية الكاملة . ولعله ليس من قبيل المصادفة أنه يكرر القول أن طيوره لم تعد تملك الا جناحا واحدا . وان كلماته تتساقط وتموت .

فى « الركض فى سرداب موحل » نفاجأ بمركب من صور شعرية مكثفة ، يبدأ من حيث « ترف عينا الذهول فى أعقاب المرأة المتوجة بامرأة » ، ويعترف لنا الكاتب بعد سطرين اثنين بحوازه الاوديبى الذى لايكف عن مصارحتنا به فى قصصه الاخرى ، فيعطينا صورة متوهجة للمرأة « المشتعلة بالنارالتى يصرخ الطفل فينا جاريا بفرح نحو النار التى فيها دائما لينكفىء راقدا يتولى حتى تتصلب أطرافهالمشدودة على جسد الرغبة طويلة النفس ، الخافقة فوق صليب امرأة » . وفى مواضع أخرى من القصة يعود فيرتفع الى حيث بدأ ، ويتفوق على نفسه ، كذلك الموضع الذى يبتلع فيه « سائق العربة ريقه بمعاناة وهو يدير عجلة القيادة التى بدت كبيرة جدا عليه حتى استحال الى لعبة عليها ، وعيناه المحترقتان .. تحاولان فصل المرأة عن جذعى .. وبينما هو يجاهد مستميتا كفأر فى محنة ليحشرهما ، انفجرت الصرخةثاقبة الزجاج وظهرى .. واندفع السائق فى لون الموت ، محاولا الوقوف على قدميه .. وتحولنا الى حلقات متشابكة فى سلسلة حديدية عندما سال جوف العربة زاحفا وساقطا على الارض صانعا دائرة خرساء حولها .. » أو ذلك الموضع الذى « ليس ثمة وعد نبهر فيه ابدا ، والبندقية اطول منه ومنى .. » لكن القصة ما تلبث أن تفلت من ذلك كله لتحاول ان تصبح حكاية عن رجل يحب امرأة اسمها نادية ، وبينهما رجل حارس ، ورجل بشارب ، وصاحبة غرفة عجوز تصرخ عندما تراه يتعرى ويستنزف نفسه والباب مفتوح . وحتى الصور الشعرية تفسد هنا ، فعينا الحبيبة اللتين يصورهما كالنجوم : « وحولت نجومها عنى ، ناحية النهر المعتم .. وصرت أرى النجوم تومض فى العتمة .. » تفسدان فجأة : « ولحظة ان ثبتت النجوم فى عينى رأيت النجوم تبكى « نادية ! .. نادية ! » وظلت تحرقنى النجوم» .

ولحظة الرعب فى هذه الفقرة: « جنون الراس الثقيل المفتوح الفم ،الفارد أنيابه الطويلةالمسعورة المتعطشة الجائعة لالتهامها حتى قبل أن تكف عن الحياة وعن رؤيته وهو يشرع فى ذلك . ادارت راسها وكادت عيناها أن تتسلطا على لولا انى صرخت فانطلقت ترانى ، ودفعوا الوحش للوراء عنها فلم تعد ترانى .. » هذه اللحظة تفسد لتوها بهذه الاسطر التى تأتى فى أعقابها مباشرة : « واهتز الشارب أمام الوجه الذى كان يرتدى تميص نادية : « سجنوه مرة لانهم ضبطوه متلبسا بمطاردة النساء فى المركبات والوقوف وراءهم (!) .

هذا المستوى شديد التذبذب الذى لا يستقر يفسد القصة تماما ، ويعمى الكاتب عنها تأرجحه بين الاستسلام الشوان لانبثاقة اللاوعى ، أو الانطلاق الحر الذى لا يعوقه عائق للمخيلة ، وبين الجهد نافر العروق ، الواعى ، المتصبب عرقا ، المنصرف باصرار مستميت خائف ـ لا ندرى لم ـ الى تحويل الانكشاف بالغ الحدة الذى قادت الكاتب اليه مخيلته ، من اطلالة سيريالية على مدخل الجحيم الى حكاية مستأنسة كهذه : « عيناك بحار زرقة تحيطنى بالنجاة ، وفروع تخضر بالعناق ، وليل يهوى بالحكايات ، انه تحت جناح قمر ، وحصن يحمينا من حياة السياط الجحيمية : ونجوم لا تتعب من التألق كيما تضىء ، ولكنى رأيت النجوم وقد أخذت تبكى » .

والحقيقة ان الذى رآه الكاتب هنا لم يكن نجوما آخذة فى العويل . قصته فى مواضع اخرى كثيرة تقول غير ذلك . تقول أنه ـ حيث قادته المخيلة قبل أن يكبلها ـ وقف على انكشاف قريب للغاية من ذلك الذى يعبر عنه سارتر فى مسرحية « الجلسة سرية » بقوله ان الاخر هو الجحيم ، ويعبر عنه فى « الوجود والعدم » بقوله : « كانت خطيئتى الاصلية أنى وجدت فى عالم يوجد فيه الغير » .

بغير تدبير ، بذلك التوفيق المجدود الذى طالما تحدث عنه فاليرى ، وقف هذا الكاتب فى ذلك العمل الاول له (وقد يكون ذلك حظ المبتدئين ، كما قد يكون نتاجا غير واع لقراءة سارتر) على تلك الحقيقة الوجودية ، وعاين الجحيم . ولقد تصور سارتر الجحيم نظرة تخترق حجب الاشياء ، فتصل فى لحظة الى اقصى أقاصى العالم ، والى أعمق أغوار الذات . وقد تكون تلك نظرة تكمن كاتبنا عن هولها ، وقد يكون له فى ذلك عذره ، فعظمه طرى بعد ، وليست وراءه ثقافة بعيدة الغور تشد أزره وتضىء

---

[٩] نشرت فى « جاليرى ٦٨ » ، نوفمبر ١٩٦٨ ، ص ص ٣٩ ـ ٤٤ .

اكتشافاته ،لكنهمع ذلك يقول « وعرفت أين يستعر الجحيم عندما انتفض شعرها وعيناها تستديران باحيثى . ومن تحت أطراف الوحش حيث الجحيم يجعل حدود الافق ستارا حديديا محمرا ، ارسلت نظرتهاالطويلة بالرأس المسعور ، وكدت أموت خوفا من أن تموت أمام عيني . فبدأت بكل ما استطعت من حياة ركضا مذعورا بين الحوائط المغلقة ، وامرأة واحدة لم تفتح لى بابا أبدا في أى تجويف أو انحناءة في السرداب الذى انتفض وأخذ يركض أمام ركضى » .

ترى أى عمل فني كان يمكن أن يكون بين ايدينا في هذه القصة لو لم يفسدها الكاتب - كأنما عن عمد - فتظل مشروع عمل لم يتحقق ، بما اقحمه عليها من رومانسية ضد ، وانقلابات تصورها واقعية تحفظ على قصته توازنها فجاءت مبتذلة . وماالذى يمكن أنيصدقهالمرء في شأنه ؟ ما قالته سهير القلماوى عن عدم اكتمال النضج الفني ؟ أم ما تساءل عنه لويس عوض حين تحدث عن مدى ثقافة ذلك الجيل كله ؟ أم ما اضاء الطريق اليه لحلفى الخولى فيما يخص الاصل الطبقى ، وما قد يكون لذلك من اثر تمثل في تطلعات شخصية بحتة لبورجوازى صغير تحولت احباطاته الى جحيم فطغت على اكتشافات الكاتبفيه حتى أوشكت أن تفسدها وتطمسها ؟

ومع ذلك . ومع ذلك . يختتم مبروك قصته بهذا الصدق :

« انخلع فكى وتدلى من الشهقة الاخيرة لما فجعت بانى اركض مواجها الرأس المسعور ، وسعير النهش ، والتحديق دونما قدرة على ان اغمض عينى الملتصقتين بالوجه الميت الذى ظل يموت ، يموت ، يموت ، ولم يبد لى في الظلمة اوهىأملفى أنه ربما سيكف يوما عن الموت » .

وإن كان المجال يظل مفتوحا هنا التساؤل : هل الخوف ، والذعر ، والرعب ، والغرابة ، والقسوة ، والاحباط ، والياس ، التى حدثنا عنها مبروك في شهادته ، والتى تتجسد في هذه القصة ، وتبلغ ذروتها في ذلك الصدق الاخير ، نتاج لتأثير جرائم العصر - كما يقول - في وجدانه وفكره . أم هى رعب واحباط ويأس انسان فرد مطحون مستلب تماما ؟

القصة ونظام الكلمات

في قصته الثانية « نزف صوت صمت نصف طائر » (١٩٦٦) (١٠) تطالعنا هذه الكلمات : « وشفتاى اكتشفتا ان الكلام ليس سوى تعذيب ينتهى بالقتل . فلم تفتحا فمهما بكلمة » . ومنذ بداية القصة « ترفرف الكلمات ساقطة ، ولم تزل ساخنة » وما تلبث أن تموت .

ومع ذلك فالكمات وحدها هى التى تحمل عبء هذه القصة ، وهى التى ترفعها فوق سابقتها . ولا ادرى ان كان مبروك قد قرأ السيرياليين (١٠)وتاثريهم (وان كنت أشك في قيمة قراءته لهم مترجمين) ، لكن الواضح في شأنه أنه كلما أطلق العنان للكاتب فيه ، اقترب من السيرياليين كثيرا (مع أخذنا لفعالية التباين الثقافي في الحسبان بطبيعة الحال)الىالحد الذى يتيح لنا أن نصفه بمشروع كاتب سيريالى .

ولنصغ اليه قليلا في قصته هذه ذات الاسم الغريب :

« ظللت أراهم وهم يعبرون متطلعين الى عينى وما زالوا يرون ملامحى القديمة . ولما لم يروا داخل حاجزى الزجاجى شيئا اداروا وجوههم ناحية الطريق ، وواصلوا الخوض فيه ، وعيونهم أسطح بحيرات جامدة لم تهتز . وفي عاصفة الظلمة التى خلفتهم تذكرت يوم كان لى لسان بأكمله » .

ما زلنا هنا على ارض لحظة الصحو على جحيم الاخرين . والقصة في بدايتها تبدو كما لو كانت استطرادا من حديث سابق . استطرادا تبتهج النفس به لانه يبدو واعدا بلحظة حادة كشرارة تنبثق ، لولا أن الكاتب بحواذاته الدارجة يفعل بنا مافعله في قصته الاولى : ينحدر من قمة تلك الحدة الموعودة الى مخاضة مسطحة من الابتذال : « وتتبعتهم ليلتها حتى ايقظتهم من خميس زوجاتهم » ! حقيقة انه يقول « (ايقظتهم) على صوت الغربة وانا اسقطها بين المرتفعات التى قامت في المنخفضات » لكننا ما نلبث ان نكتشف انه لم تكن ثمة نتيجة لذلكالا انه « تصلبوافىالفراش واللهات يتباطأ في فزع ، ووجوههم الى اعلى ، يحدقون في أسقف الضوء الاحمر ، وليس ثمة قدرة علىتغييرالوضع ، والمرتفعات تبرد وتكتشف أنها عارية ، والانهار الدافئة التى كانت تجرى في القمم تجمد وانفاس الزوجات تصفعهم بالصقيع ، والمنخفضات أحضان كانت تتدفأ مع المرتفعات في ذاتها .. » وما من شك في اننا ، وقد بلغ الامر ذلك المبلغ ، سندرك - مهما تذرعنا بحسن الظن وحسن النية - ان الامر يتعلق هنا بشخص محروم يعوى في الطرقات ليزعج الناس الطيبين من صغار البورجوازيين امثاله ويوقظهم من « خميس زوجاتهم » فيحدث فجوات بين مرتفعاتهم ومنخفضاتهم التى كانت تتدفأ في أحضان بعضها البعض ، ويملأ تلك الفجوات بالغربة . لماذا ؟ لان فتاته فعلتها ، وأصبحت غريبة عنه .

ومنذ تلك اللحظة نجد انفسنا فيحلم بورجوازى صغير (وهو حلم مشروع للغاية ، وانسانى جدا ، وطيب ما في ذلك شك ، ولا اعتراض لنا عليه) مداره فتاة لعلها نادية التى ظهرت لنا في القصة الاولى ، ولعلها مجرد اسم آخر كل دوره ان يشخص الانثىالمشتهاة ، وطفل اسمه امل ، ولعبة : عصفور ميكانيكى غريد ، وقلب ذهبى فيه صورة الحبيبين،وعيد زواج ، والحبيبان في لندن ، والزوجة انجليزية ، وتقدم زوجها لاصدقائها - فخورة - بقولها : « شاعر من مصر » .

والطريف (وهذه ملاحظة جانبية وليست اتهاما) اننا نجد في حكاية هذا العاشق المصرى والزوجة الانجليزيةخطا موازيا تماما لحكاية بطل الطيب صالح الذى غزا لندن بفحولته (١١) . يقول بطل القصة : « وكنت غريبا عن المدينة لكنى لما وجدتك استرحت وارتويت تماما من الاحساس باننى اصبحت أملك عاصمة الامبراطورية ، واستسلامك في حضنى ذكرنى بحلم قديم عندما كنا صغارا

---

[١٠] ارجو الا تزعج كلمةالسيريالية احدا . فلعلنا لا ننسى أن السيرياليين هم ايضا اعلنوا منذ الثلاثينيات أن « السيريالية » في خدمة الثورة » واتفقت كلمتهم على نشر جريدة بهذا العنوان ، تنطق بلسانهم .

[١١] نشرت « موسم الهجرة الى الشمال » للطيب صالح عام ٦٩ في مصر « ونزف صوت صمت نصف طائر » لمبروك عام ١٩٦٦ في عدد اكتوبر من مجلة المجلة .



ونخاف من خوذات جنودكم التي تصلب شمسنا فوقها ، بأن نستعمركم كما تعلمتم معنا · لكنني وجدت في استسلامك شدنا أراهن أن يكون قد حصل عليه قائد الاسطول الذي وطأ جسد أمي لينتهكه بحر انخرت جسدا باردا مطعونا بلايدين ·· لكنك كنت امبراطورية تستسلم بالحب ، كالامبراطوريات التي كانت تتعرى وتفتح فتحة الرداء الامامية بكامل طولها لنعال الجنود المسعورة لانها عشقت النبي · عرفت يومها معنى أن ينتصر الانسان » ·

وعلى طول القصة ، نظل نتارجح بين انبثاقات مبروك (أم لعلها محاولاته) السيريالية (وهذا ما تقوله لغته التي تلعب دورا جوهريا في آلية الخلق عنده) وبين سرده المغلف بغموض مشتت لاحداث حكاية حب وغدر وخيانة تنتهي ببقعة دم بجوار الحائط ،حكاية أمل في أغنية فرح ومحبة لن تموت ، وخيبة أمل وانكسار قلب ، حكاية انتصار وهزيمة تنتهي بابتسامة وعيون مسبلة ، ووجه يموت ، ويظل يموت ·

سريالية مع وقف التنفيذ

يقول اندريه بريتون آن الصور السيريالية بتنوعاتها التي لاتحصى تشترك في سمتين أساسيتين : انها ـ بغير عمد ـ تقتنص العالم فتضعه في حقيبة الكلمات ، وأنها ـ من جانب آخر ـ لا تنطوى الا على أقل قدر من التصميم ، من التفكير المسبق ، من سبق الاصرار والترصد ، ان صح التعبير · فمن الخطأ الادعاء أو التصور أن الذهن ـ في الكتابة السيريالية ـ يكون قد ألم بالعلاقات بين واقعين قائمين · فالذهن في هذا النوع من الخلق الفني لا يكون قد امسك بأي شيء بطريقة واعية ·كل ما في الامر ان نوعا من التقارب العفوى يتحقق ـ بشكل ما ـ بين قطبين ـ فينبثق منه ضوء ما ، هو ضوء الصورة الشعرية ·· ويتوقف جمال تلك الصورة ، كما تتوقف قيمتها الفنية على حدة الشرارة التي يحدثها ذلك التقارب العفوى · (١٢) ·

ذلك ما يرقى اليه مبروك أحيانا ، بغير قصد ، وفي أغلب الظن دون أن يكون بريتون أوماقنن به بريتون السيريالية قد مر له ببال · لكن تلك لحظات سريعة العبور في كتابته ، ما يلبث أن يفسدها اذ يسده ويكبح جماحه تصور ـ متخلف ما في ذلك شك عن انطلاقاته الموقوتة ـ لما ينبغي أن تتكون منه القصة ·

ذلك التناقض الحقيقي بين استسلامه للغة احيانا ، وصراعاته المشبوبة معها احيانا أخرى ، التي توصله انكشافات شعرية تستطيع بحق ان نقول انها تقتنص العالم فتضعه في حقيبة الكلمات ، وبين سبق اصراره وترصده على أن يصب تلك الانكشافات في قالب « يقول شيئا » بالمعنى التقليدى للسرد والحدوتة ، هو القارض الحقيقي في فن هذا الكاتب الذى كان يعد لفنان حقيقي ·

ولقد نجد تفسيرا أوضح لهذه المشكلة المهلكة (التي لا تقتصر على مبروك دون غيره من « المجددين ») في قول بريتون أيضا : « أنا أدعى للكاتب حق الصرامة المطلقة ، لا تنازلات أو مصالحات مع العالم او ماهو كائن · ولارحمة وليسقط كل اولئك الذين يوزعون الخبز المسموم على الطيور ··

« ان كل من اشتهى أن يصل الى الغاية الاسمى للروح ، فسار على تلك الدرب التي يأمل أن توصله الى مكاشفات النبوة ، عليه أن يحرر ذهنه تماما من كل ما هو دارج ومبتذل وأن يطهر روحه من كل مرض ، أو ضعف ، أو هزال ، أو مكر ، أو أى عيب من تلك العيوب ، كما يجب عليه ان يطلق ذهنه من اسار كل حالة من حالات الذهن تتعارض مع الغاية التي ينطلق اليها » (١٣) ·

ولقد نبدو كما لو كنا نتجنى على مبروك بهذا كله · لكنه كاتب يقول في شهادته بوضوح كامل : « لا اعتقد في الواقع ان ثمة علاقة قوية تربطني بالاجيال الفنية السابقة في مصر ، وعلاقتي بها علاقة ثانوية تماما لا تتعدى مجرد اشباع الفضول لما يكتبونه ـ وبالتالي فتأثيرها علي ـ اذا قيس الى تأثير الاجيال الفنية السابقة في العالم ـ لا يكاد يذكر » (١٤) ·

فهو يتبرأ صراحة وقطعا من أى تأثير حقيقي للأجيال ـ وبالتالي للتجارب والاشكال ـ الفنية السابقة في مصر على انتاجه الادبي ، ويؤكد : « أما عن الاجيال الفنية السابقة في العالم فانني استفدت كثيرا من امكانيات الابداع لكل رحلة ادبية في الادب والفكر العالمي على اعتبار انها تشارك دوما ـ رغم مايبدو أحيانا من اختلاف أو تناقض بينها ـ في الوصول بالاشكال الفنية الى غايتها ، وهي التعبير عن الوجود الانساني ، وموقف الانسان منه·وأنا اذا كنت انحو الى الكتابة بشكل أكثر حداثة وحدة ، فذلك لاعتقادى بأن على الكاتب أن يحيا عصره ، وفي هذا العصر تتدفق كل تجربة الماضي ، وباضافة الكتابة المعاصرة لها، تعطى للمستقبل وجها صادقا لنا »(١٥)

الثوب الواسع والجسد النحيل

المشكلة مع مبروك أن الاتجاهات المعاصرة في الرواية والقصة والمسرحية والسينما التي يعلن انه يقف معها على أساس انها التعبير المتطور الصادق عن هذا العصر ، تبدو ـ في استخداماته لها ـ كالثوب الواسع الفضفاض فاقع الالوان على الجسد النحيل المعروق كابي اللون ، المسكين بحق ، والطيب أيضا ، والمظلوم ما في ذلك شك ، لهموم البورجوازى المصرى الريفي الصغير ، المطحون ، وأحلامه ، وطموحه ، واحباطاته ، وهزائمه ، ومرته الذى لا يتوقف ، حتى وهو يغزو لندن ، رمز الحضارة المقوتة المحبوبة التي استمد منها اتجاهاته المعاصرة ، ويقتحمها ـ في الخيال ـ بالسلاح الوحيد الذى ظل له : فحولته كذكر ·

لقد فعل الطيب صالح نفس الشيء ، من قلب قرى السودان ، القريبة من الغابة · ذهب الى لندن وغزاها واخضعها ـ في الخيال ـ بذكورته · لكن الطيب صالح الانسان كان قد سبق الطيب صالح الفنان الى لندن ، وفهمها ، واستوعب حضارتها ، وتشكل حقا باتجاهاتها الفنية المعاصرة في الرواية ، والقصة ، والمسرحية ، والسينما ، ولم يظل ـ وهو يقرأ عن تلك الاتجاهات ـ

---

[١٢] André Breton : « Manifestes du Survéalisme », Gallimand, idées, P. 51.

[١٣] المرجع السابق الاشارة اليه لاندريه بريتون ـ ص ص ١٣٩ ـ ١٤٢ .

[١٤] العدد السابق الاشارة اليه من الطليعة : ص ٤١ ـ ٤٢

[١٥] نفس العدد من الطليعة : ص ٤٢ .



أندريه
بريتون

حبيس قرية خلفية من قرى العالم المتحضر اللاهث هربا من جلده ·

وغنى عن الذكر اننا لانعنى – بما قلناه عن الطيب صالح – الانتقال بالجسد من قرى السودان الى شوارع لندن ، بقدر ما نقصد الانتقال بالفكر ، وبالفهم ، وبالروح ، الى حقيقة تلك الاتجاهات المعاصرة ، ومعايشتها داخليا قبل استخدامها خارجيا ·

الرهان على اللغة

فى قصته الثالثة ، « مسيح المراسيم المحالة » (١٩٦٦) (١٦) يواجهنا مبروك باعترافين هامين أولهما – وقد لا يكون أهمهما – أنه فقد ايمانه بالله ، وثانيهما أنه قد بدأ يكتشف أن معركته التى خاضها منذ أول كلمة . كتبها مع اللغة ، معركة غير متكافئة · فهو يملأ القصة بفراغات بين اقواس (او مساحات صمت كما يدعوها) ويقول انها « ليست فاصلا » ، بل انها امتلاء غير مرئى لكل ما تعجز عنه اللغة المنطوقة المحيطة بها » ·

ومشكلة مبروك مع اللغة (ولا أظنها الا سببا من أسباب صمته الاخير الذى يبدو نهائيا) تستحق وقفة تأمل · فوسط الحماسات متعددة الاشكال والالوان لجيله من « الغاضبين » التى تخلفت اللغة تحت وطأتها فى اعمال كثيرة من كتاب ذلك الجيل حتى باتت اعتبارا ثانويا ، وأقل من ثانوى أحيانا ، يبدو اهتمام مبروك – الذى يوشك أن يكون مرضيا – باللغة ، كعلامة صحة وسط مرض شامل · ولندع الركاكة والرثاثة والاخطاء اللغوية التى نصطدم بها عند كثيرين جانبا ، فلقد يبدو كما لو كانت اهتمامات أولئك الكتاب وهمومهم الكونية من الخطورة والالحاح والشدة بحيث يبدو مجرد التفكير فى اللغة – تحت وطأتها – ضربا من السخف والحذلقة القديمة · وما دمنا نجدد ، فلم لا نجدد فى النظرة الى اللغة أيضا ؟ لنضعها فى مكانها الصحيح : (ما دمت أوصل اليك المعنى الذى أريد أن أوصله ، ماذا تريد منى اكثر من ذلك ؟ محسنات وحذلقات لغوية · ليس لدى وقت لذلك والعالم يحترق) ذلك « المكان الصحيح » للغة – عند تلك الكثرة من جيل الجدة – يوازن كفة الميزان فى مقابل الثقافة التى وضعت هى الاخرى (بهدوء لا يعكر صفوه شىء) موضعها الصحيح باعتبار « انه عندما يتسع وقت للقراءة نقرأ (واحقاقا للحق لم يرد المرء أحدا منهم الا وفى يده كتاب) لكن الثقافة الحقيقية ليست فى بطون الكتب ، فالجيل القديم قرأ ، وماذا فعل بقراءته ؟ الثقافة فى الواقع · ويكفى اننا نعايش الواقع ونعيشه ونتحمل وطأته ونجربه » (١٧) ·

بازاء ذلك الانطلاق الجذل غير المكترث لصغائر كالثقافة واللغة ، يبدو اهتمام مبروك باللغة غريبا ، وملفتا للنظر · فهو منذ اللحظة الاولى – بحس ، أو بوعى ، أو بحدس بالغ الصدق بدور اللغة الذى لا يمكن أن نقدر أهميته بما فيه الكفاية فى عملية الخلق – يتعامل مع الكلمات بحرص الصانع المترهب الذى ، من فرط ولعه المشبوب بالمادة الخام التى بين يديه ، أصابه بعض هوس · ولكم تصور المرء مبروكا وهو آخذ فى كتابة قصصه كصائغ أو جواهرجى ، واضعا عدسته فى عينه ، منكبا على جواهره ومعادنه الثمينة ، الكلمات ، يلتقطها بحرص ، ويحملق فيها ، ويضعها جانبا ، أو يرصع بها سطوره وعلى وجهه حزن حقيقى ، لانه يجد فى كل جوهرة عيبا خفيا يشوبها ، ويجعلها قاصرة عن بلوغ الكمال اللفظى الذى يحترق ظمأ داخلى اليه ·

ولقد لجأ مبروك فى بداية تعامله المأخوذ هذا مع اللغة الى منهج داخلى اشبه بنزح اللا وعى الذى لجأت اليه السيريالية ، وهو منهج اتضح بوجه خاص فى قصتيه الاوليين ، لكنه ما لبث ، فى قصته الثالثة ، ان عدل عنه الى أسلوب الصياغة الشاعرية · لما يحاول سرده ، دون ان يتخلى تماما عما قد يكون استعذبه من غموض فى نهجه السيريالى الاول ، محتفظا بذلك الغموض – بطريقة تبدو متعمدة – من خلال تشتيت الصورة والتعبير الملفوف الذى لا يقترب من التحديد ابدا · ولعل الكاتب أدرك مدى التناقض الداخلى فى « السرداب » و « نزف صمت » بين صوره شبه السيريالية ، وبين ماظل يلجأ اليه من سرد وحكاية ، فلجأ الى ذلك السرد الشاعرى المسربل بالغموض ، ثم لم يكفه هذا ، فأضاف « مساحات الصمت » التى تتخلل الكلمات ، علها تعطيها بعدا داخليا أعمق ·

والذى لانود للقارىء ان يظنه ان اهتمام مبروك باللغة مسألة صنعة او محاولة تفرد أو اظهار براعة · من حيث ان اللغة – بالنسبة الى كاتب كهذا عالمه صوتى تماما والوجود عنده مركب من الكلمات – مرادف للخلق ، وليست مجرد وعاء او اداة توصيل · كل شىء هنا الكلمات · وبدونها لا يكون شىء · ولنلق بسمعنا اليه فى « مسيح المراسيم المحالة » : « فى البدء لم يكن حتى اللا شىء لم يكن موجودا » · « لا الصوت ولا حتى الصمت ·· تصرخ تظن أنه سيستيقظ انسان ، افنيت اضواءك لتضىء طرقات انقطعت عنها خطوات الكلمات ·· وصرخت : يا أبت ، ما أتاك · حدقت فيهم : فاسمعوك ، أدرت وجهك نحو الزيتون : فجعل ينتحب فى الصمت ·· (واخذوا) يملحون صوتك فى احواض البحار الميتة »

فى هذه القصة يتقمص الكاتب شخصية المسيح ، ويكرر عذاباته ، وصلبه ، وموته ، ولكن دون بعث · فهو هنا يكرر صيحة جان بول ريختر : « نوحوا يا أبناء ، لان السماء خاوية ، ولا أب لكم » · حقيقة ان الكاتب يتورط مرة اخرى فى لمسة الابتذال – التى قد تكون متعمدة – على النحو الذى شهدناه فى قصتيه السابقتين ، فيحول الانسان المصلوب الى قطعة لحم على سيخ شواء : « ويدور سيخ الشواء ، ونشوى ، وننتهى الى لا شىء » ، لكن ذلك لا يمنع من أنه قد توصل فى هذه القصة الى رؤية مأساوية بغير ميلودراميات ، عبر عنها بصفاء بالغ فى فقرات كهذه :

(وارفع رأسى لاقول لكم بصوتى المفقود بعد ماطفت بالارض الخراب من خلف شفتى الملوثتين بالرماد :

« عندما يقولون لكم ذهبنا الى المقبرة ورأينا الحجر الذى يسد الباب قد تدحرج ، لا تصدقوهم ، فلن يتدحرج ، وعندما يقولون سوف يعود لانه قام ، لا تنتظروا · لاننى من يوم مات ولدى مات

---

[١٦] نشرت بمجلة المجلة ، عدد أكتوبر ١٩٦٨ .

(١٧) هذا الكلام الذى بين علامات اقتباس لم يكتبه ويوقعه احد . وقد يكون فيه ظلم وافتئات بالنسبة للبعض . لكن أعمالا ومواقف كثيرة تقوله وتعيده وتكرره .

أبى ، قت ... وعندما تزون الشمس تصلب وتسقط كل يوم ، والعالم يمضى منكس الرأس ، حاملا كل احتجاجه ، مقتولا بسكين اليتم ، لا تعودوا تذكرون أن العالم معشوقة للذى صلبوه وأنه سيكون يوما ابا • امضوا حاملين يتمكم ، وقفوا امام العذارى اليتامى ، وليختر كل منكم يتيمة ويأخذ يدها فى حضنى يده : وعندما تهتف به والدموع فى عينيها : أبت ؟! فليهش لها ، ولتكونوا آباء اولادكم » •

يقول لكم ذلك ، لانهم ، قبل أن يرى أباه عندما اراد يوما أن يكون أبا ، شدوه ، بعدما رفعته ارادته على الصليب ») •

اليأس : الدائرة المغلقة

ها نحن قدعبرنا من الجحيم الوجودى فى « السرداب الموصل » ، الى رؤية انسانية لامكانية الخلاص بالحب فى « مسيح المراسيم المحالة » • ولكن هل خرجنا من دائرة اليأس المقفلة فى « نزف صمت » ؟ لا تظن ذلك • فذلك الخروج ضرب من المحال العبثى • ولنلق بسمعنا الى ختام القصة الثالثة :

« حتى اللا شىء ربما لن يكون موجودا ، الا شيئا واحدا يا أذانا طينية لن تستطيعى ان تديرى عنه وجهك الطينى ابدا مهما هرب فى الطين :

صوت وقع الخطى السائرة للافنية الخلفية يتساقط ليدفن فى الرتابة فجرجرا صداه ليغوصا معا فى الارض رائيا كنبى تعس كل التفاضات غبار الطريق الرمادية تبتهت تستحيل الى جليد يشحب تحت الضوء الابدى الساكن حيث ستدفن كل الاصوات وجثث كل رغباتها معها ولحن الجنازة يتلاشى • يظل صوت ايقاع واحد معتوه : لا ينتهى لا يبدأ لا يسمع » •

يبدو اليأس اذن كملاذ أخير • وهو – فى حالة مبروك – ليس اليأس الوجودى ، بل اليأس الرومانسى الذى تنعب به غربان الاصوات ، وينز من صوان زنزانه الصمت فى « جحيم ابد الرحم » (١٩٦٦) ، ذلك اليأس الرومانسى الذى يولول مرة « يا نارى ، يا نارى ، يا نارى ! » ويغمغم مرة : « كنا نأمل فى جحيم اقل • لو فقط من الممكن أن يكون جحيما اقل ! »

ورغم ان الكاتب قد ظل ، فى هذه القصة ، يدور فى اطار النمط الذى بدأ به ولم يخرج من اساره ابدا : نمط التذبذب شديد التوتر بين اللحظة الشعرية المكثفة وبين لحظة السرد الدارجة ، فى محاولة لا تكل للمزاوجة الناجحة بينهما من خلال التحايل على اللغة (حتى ولو كان ذلك باستخدام اقواس بنيها فراغات لا شىء فيها) فانه قد حقق أفضل انجازاته الفنية ببساطة ، لان « جحيم ابد الرحم » اقل قصصه شروخا (اذا ما استخدمنا أسلوبه الاثير لديه فى تعريف الاشياء تعريفا مبهما بنقائضها) اى اقربها الى تكامل العمل الفنى •

ذلك رغم أن حواذات الكاتب ما زالت هى هى حواذاته القديمة : الكلمات – الطيور التى لا تكاد تندفع آمنة فرحة بالانطلاق حتى تقتل ، والصدق الذى لا يكاد يتراءى للعينين حتى يموت ، والايام « المذبوحة كالعادة » ، والحزن الاتى ابدا كالغرق •• « فيا قدرنا القادم بدون خطى : ستقام المذبحة • انا نعرف• لكن ما لن يحدث ابدا ، حتى لو اغلقت افواهنا رغما عنا ، ان نغمض عيوننا • وسنزوى فى عتمة الاركان المقبورة ، وندفن ، لكن على ظهورنا ، ووجوهنا مدارة بفجوتينا السوداوين اللتين ستظلان شاهدا لا يمل ادانه العبث ! » •

لقد وفق مبروك أخيرا ، فى هذه القصة ، الى قول ما ظل يحاول قوله من مبدأ الامر : اعترف لنا بصدق فنى اعتراف انسان مستلب غارق حتى قمة رأسه – فى جحيمه الداخلى – فى رؤية العبث :

« عرفنا ذلك ، منذ وقعنا خلف الانتظار منتظرين ان يرتفع ، وماوراءه متخف به ، مغلق الفم فى رحم الصمت المجهول الملامح • لكنه كان سيأتى • وان كنا نتأرجح بين هوى الخوف وحواف الرجاء ، الا انه كان سيأتى ، ولم نكن نعرفه ، الا اننا كنا ننتظره • كان اليأس والامل يرفرفان معا فى انتظار مجىء الاتيان • والانتظار سميك الحوائط ، راسخ كنظام ضلوعنا التى اطبقت بها على رئاتنا العذبة • والرغبة تنسحب مضغوطة تشد نفسها من شق شديد الضيق عليها ، لا تنى تدور فى مكانها ، متمردة على الوقوف ، ضائقة بالاسى بين حوائط الانتظار الصلبة اللامبالية • حوائط فقدت الاحساس ، بما فى داخلها • تراها قابضة فقط ، لا تتسع ولاتسحق ، وما يرتفع ويصخب باللهب ليس سوى داخلنا •• (و) المتنفس الوحيد ، مسدود النوافذ حول الذين تختنق عيونهم بالظلمة ، تستجدى ما بين النوافذ المسدود بالطوب بالطين ، ما بين الحوائط ان يتسع ، ان يضىء •• » •



فى مقال ممتع اسماه « ثورة اليأس عند تشيكوف » (١٨) يقول مبروك : « كانت كل الطرق فى الاعين الروسية مسدودة واليأس معلق كضباب الشتاء الطويل فى السهول الجليدية ، والخمور او الكنائس ، او الانتحار منافذ الهرب الوحيدة ، والتى لا تمانع السلطات فى استخدامها » • ويضيف : « تلك كانت سمات العصر الذى عاشه تشيكوف • واذا كانت هذه السمات هى كل مايدور حولها ادبه ، فليس ذلك لانه متشائم ، بل لان اخلاصه ككاتب يرى العالم ويعطيه للانسان جعله لا يزيف هذه السمات •• كان الواقع مونسا ، وكان ادب تشيكوف كشفا عن كل (ذلك) ، مواجهة للنكبة التى يعيشها الشعب الروسى » •

وما من شك فى ان كل ذلك الموت والصمت والسواد الذى تنضح به رؤى مبروك ينبىء عن كراهيته للزيف ومحاولته ان يعطى الانسان العالم كما يراه •• لا مجال للشك فى صدقه فهذا ليس دعيا ولعله وراء حيطانه المطبقة على عالمه الداخلى كعظام الضلوع أطلق حقا صرخة رفض واحتجاج ومناواة • لكن تلك الصرخة رفرفت ساقطة من وراء تلك الحيطان ، بجناح محترق ، كانه توجع شخصية للغاية • ولا يسيئن فهمنا احد • فلسنا من سدنة الموضوعية المقدسة • لكن الذى نريد قوله ان ذاتية مبروك – حتى فى أعمق لحظات الاستلاب واليأس والعذاب – كان من الممكن (ومن المتاح) عن طريق العمل الفنى ، ان تتواصل وذاتيات الاخرين ، فتكون مشكلته التى يتوجع منها وراء حيطانه المطبقة عليه هى مشكلتك ، ومشكلتى ، ومشكلة الشعب التبتى ، لولا أن جسرا ما جوهريا ولا غنى عنه فى مثل ذلك التواصل اجتاحته وهدمته طوفانات الالفاظ الجذلة النشوانة والانشغالات التى بدت دائما ناضجة بالانا رغم استماتة الكاتب فى طمس رومانسيتها بما ظل يقحمه على السياق فى كل قصصه من فقرات تصورها منتذة نابضة بفظاظة الواقع وخشونته التى تنفى كل رومانسية •

الموت •• والصمت

فى قصته الخامسة والاخيرة التى لزم الصمت بعدها ، « شلالات الكهف الداعر » (مارس ١٩٦٧ – مارس ١٩٦٨) (١٩) يتحول مبروك باحثا عن الخلاص بالجسد ، بالرغبة لكنه يبدأ – من مبدأ الامر – يائسا • فهو مقدم على تلك المحاولة – التى بدت أخيرة – بشجاعة اليأس واستماتته وكأنه يقول « أنا ، الغريق فما خوفى من الـ (؟ ؟) • وليسمح لنا باستخدام أسلوب الاقواس مرة •

يستهل مبروك شلالات الكهف الداعر بقوله : « ماذا تبقى مناحتى تجتاحه بتدميرك يا الق العثور المترائى فى الوهم ، ياخطو الاشياء المتراجع ، ياقيد الرغبات العمياء ، ياحلما مكدودا خلف ما نخوضه من عذاب • » وبعد أسطر قليلة يقول : « أدرت رأسى مستجديا حب المدينة فلم أجد المدينة » •• « وجاهدت فى أن أذكر أياما لم أكن فيها بصقة ، فلم اذكر شيئا » • ويذهب بعد ذلك الى مقهى (يغلب على الظن أنه مقهى ريش لكن مبروكا لا يقول بطبيعة الحال ذهبت الى

---

[١٨] المجلة – يوليو ١٩٦٩ : ص ٦٩

[١٩] نشرت بمجلة المجلة : سبتمبر ١٩٦٩ – ص ص ٥٦ – ٦٧

مقبو فجلست الى منضدة من مناضدها • ذلك – حتى فى هذا السياق – يكون دارجا اكثر مما يجب • ولذلك يقول « انحنت الستره البيضاء أمامى » (والسترة البيضاء تعنى الجرسون او النادل) » فحدقت فى الرأس الذى تحمله وسالت : – (عندكم شىء) ينسى البصقة كونها (بصقة) ؟ واذ ذاك تأتى المرأة ، ولعلها المرأة المتوجة بامرأة التى طالعتنا فى بداية السرداب الموصل ، وتحتضننى براحة يد خفيفة كتف البطل وكفها الاخرى تشين للسترات البيضاء التى تكاثرت حوله محدقة به مهددة ، فتحنى السترات البيضاء رؤوسها وتنصرف • وبعد ذلك يبدأ حلم مختلط طويل يتلاشى فيه كل شىء أحيانا فلايبقى الا صوت الرغبة والعرى الرحب المنتظر باتساع الفراش ، وهوحلم من المحتوم ان ينتهى بلحظة الصحو الكابية على لا شىء ، وعلى الموت : « وفى يوم سألتنى الرغبه اين ذهبت المرأة • ولم أحر جوابا • فأنا نفسى لا أعرف أين ذهبت ، ولا من أين جاءت ، ولا حتى من كانت ، وأشارت (الرغبة ؟) نحو دائرة الزرقة الصدئة التى لا يعرف أحد منذ متى وهى مغرقة فى هذا الصمت والصدأ » [٩]

وفى ختام القصة يعود الكاتب فيتساءل : « ماذا تبقى منا ، حتى تجتاحه بتدميرك ؟! »

وبعد ذلك أطبق الكاتب فمه • ويحار المرء فى أمره • فما من شك فى أنه فنان حقيقى ، وكاتب لا ادعاء فيه • ولقد قلنا من قبل ان صمته قد يكون صدقا مع النفس ومع الغير ، اذ وجد نفسه فى نهاية الدرب المسدودة التى قادته اليها – ربما – ظروفه الاجتماعية المعاكسة ، كشخص ، وكفرد فى جماعة حضارية متخلفة لا تتسع رقعة وعيها الثقافى المحدودة لاستيعاب وتمثل الهموم الانسانية العريضة التى قال الكاتب – بطموح حقيقى – انه منشغل بها ولا الادوات الفنية التى حاول ان يستعيرها من الاتجاهات المعاصرة فى الروايسة والقصة ليعبر بها عما تصوره تعبيرا فنيا عن تلك الهموم •

يقول مبروك كلاما جميلا عن الرعب النووى فى شهادته ، ويتحدث كثيرا عن الموت فى قصصه – مرة بنبرة وجودية ، ومرة بنبرة عبثية – ودائما بأسلوب سيريالى او شبه سيريالى ، اوشاعرى فى أهدأ حالاته • ولكن اين فى قصة من قصص مبروك يمكن للوعى ان يلتقط صدى لذلك الرعب النووى ؟ او حتى (اذا ما تذكرنا مقاله عن تشيكوف (للتمرد على اليأس الذى تخلقه كل تلك الطرق المسدودة التى لا مهرب منها الا بالخمر أو الدروشة او الانتحار ؟

المشكلة فى شان هذا الكاتب – الذى لا نظن انه قد اصيب بالبكم نهائيا – انه كتب قصص مرحلته الاولى هذه وهوفى قبضة انفصام حقيقى بين تجربته الحياتية المعاشة بوجهها الفردى ووجهها الاجتماعى ، بوجهها المحلى ووجهها الانسانى الاوسع ، وبين ما تصور فى تلك المحاولات الاولى أنه يجب ان يكتبه ليبدع فنا • وان شئنا مقارنة توضح ما تورط فيه مبروك بذلك التصور ، فما علينا الا ان نقارن ما فعلهاهو فى قصصه الخمس وما فعله – ببساطة السهل الممتنع وبغير كثير شعرا وسيرياليات – كاتب اخر من جيله هو محمد البساطى •

حقيقة أن مبروك يشترك مع ابناء جيله كلهم – ومنه البساطى وغيره – فى سمات واحدة ابرزها ضيعة الوهم – رخيبة الامل ، واليأس – والنقمة ، والرفض • لكن كاتبا كالبساطى يبدو كما لو كان – انطلاقا من تلك النقطة المشتركة – قد خرج الى ذلك العالم المعاكس كله يتلقى ضرباته وينشب أظفاره فيه فيعريه ويهتكه ، بينما نكص مبروك عن ذلك العالم ، متقلبا على ذاته ، فاستلب ، وغاب – حتى الان – فى الصمت ، فى عتمة سرداب موصل •

ذلك مصير قد ينجو منه مبروك وقد لا يفلت منه آخرون من أبناء جيله • ومع ذلك ، فالمرء لا يملك الا أن يحس فى قرارة النفس ، سواء مات أولئك الكتاب ككتاب ، أم ردوا الى الحياة وعاشوا ، أنه معهم ، بكل قلبه وضميره ، فى تمردهم ، ورفضهم ، وتطلعهم الفنى ، ومحاولاتهم ، وتجديدهم ، وحتى فى موتهم • لانهم لو ماتوا سيكونون قد سقطوا فى معركة غير متكافئة خاضوها بشجاعة لاتوصف ضد اعداء راسخين لا يعدوا ولا يستهان بضراوتهم : الامية الفكرية ، الظروف الاجتماعية الطاحنة ، والتخلف ، والقديم المتشبث بمواقعه المتكتل حولها رغم اختلاف مشاربه ، المدافع عنها بالظفر والناب ، ضد كل جديد ، لكن يظل كل شىء على ماهو عليه ، مجسدا بذلك رعب المجتمع ذاته من الجدة وخوفه من الغد ••

عالم الفقراء فى أعمال جورج البهجورى



الفنان جورج البهجورى بريشته

افتتح الشهر الماضي بالمركز الثقافى التشكيلى بالقاهرة المعرض رقم ١٣ للفنان جورج البهجورى ، وشاركت فيه زوجته الفنانة « نيتوكريس » بمجموعة من اعمالها من الخزف والمينا . وقادته رحلته عبر ١٣ معرضا، ٧ منها فى القاهرة و ٥ فى الخارج ، من المانيا الى فرنسا حتى لندن « ... هناك فشلت .. لايهم الفشل .. فى البداية كل شىء ضد الموت يحتاج الى اصرار ... »

الموضوع الاساسى والملح عند جورج منذ معرضه الاول فى ١٩٥٦ هو « أولاد الحارة » وعالمهم الملىء ببراءة الطفولة وأحلامها وآلامها فى بلادنا .. كان ذلك مشروع تخرجه فى الكلية ، وظل منذ ذلك التاريخ ايقاعا يتردد بشكل ما أو بآخر فى أعماله .. التى تتميز بالقدرة التعبيرية العميقة التى تجعل المشاهد لاعماله يشعر بمدى الصراع الذى تعيشه هذه الطفولة .. فبعد اكثر من عشرة أعوام على معرضه الاول ، جاء معرضه فى ١٩٦٧ يتناول من زاوية أكثر عمقا موضوع أولاد الحارة .. حيث تحولت لوحاته الى سيمفونية حزينة أبطالها من الاطفال الذين لاينعمون بالحياة السعيدة فى ظل الاسرة .. مطحونون من أجل لقمة العيش .. لم يجدوا غير الحارة — حيث تتقلص الاشياء — عالما لهم ... ففى لوحة « طفل فى الحارة » نرى طفلا شبه عار ممسكا بعصا فى آخرها عجلة صغيرة .. الخلفية هنا ليس فيها تفاصيل .. بل تذوب ويتخللها هواء تعيش الشخوص المرسومة من خلاله .. كذلك لوحة « الاختان » فى نفس المعرض تقدم لنا طفلة صغيرة تحمل طفلة شبه عارية على جنبها .. العيون هنا تعطى المشاهد احساسا عميقا بالحزن .

●● قدم جورج فى معرضه الاخير ٢١ لوحة زيتية و١٥ رسما بالحبر الصينى .. منها عشر لوحات من « عالم الفقراء »

جورج لم يخلع ثوبه القديم تماما ، بعد طول تجواله وترحاله فى الخارج .

لقد عاد جورج هنا ايضا — رغم تنوع موضوعاته — الى معالجة موضوعه الاثير .. لكن ماهو الجديد فى هذه اللوحات .. ان تكوينات الفنان فى مجموعة « عالم الفقراء » — الذى هو امتداد لعالم الحارة والطفولة المحرومة — اشبه بأناء فخارى محروق القيت به على الارض فتناثرت جزئياته على مساحة بيضاء تتخللها ومضات بريق لالوان صفراء وحمراء .. لقد تحطمت شخصياته هنا .. فى احدى لوحات « المجموعة » تشغل المساحة السفلى من اللوحة جزئيات لشخوصه .. وجه لم يكتمل ، عيون مطلة ، وجه يطل من اللوحة وتختفى تفاصيل الجسد .. امرأة تنظر نظرة حزينة فيها توسل .. جزء من جسد فتاة ويديها .. الوجه فى أعلى اللوحة كأنه قمر أو شمس فى لحظة افول أو غروب .. وجه ممزق .. جزء من أنف وعين .. فى لوحة أخرى كبيرة من نفس المجموعة نرى فى مقدمتها امرأة ترتدى ملابس أقرب الى السواد وجزء من اناء وبراد شاى ، فى المنتصف وجه لامرأة ورجل وأطفال أخذوا شكل براد الشاى .. اللون الابيض هنا ايضا يحيط بجوانب وأطراف اللوحة .. ليصبح عند جورج اكثر من مجرد لون محايد .. لقد تحول الابيض هنا الى لون الحداد .. ان مجموعة « عالم الفقراء » تعد بحق دليلا على مدى مايمكن أن يصل اليه الفنان عند تعاطفه مع أعماله .

●● قدم الفنان ايضا ٥ لوحات من رحلة باريس ، استطاع من خلال الالوان الرمادى والازرق والابيض أن يعطينا شعورا بالبرودة والفراغ .. وبدت العمارات الشاهقة ذات التفاصيل الكثيرة ، اشبه بسجادة عربية . كذلك قدم لوحة لصديقه الراحل وحيد النقاش ولوحة عن الفدائى المنتحر « ابراهيم زاير » .

●● وقدمت زوجته الفنانة « نيتوكريس » مجموعة من الخزف وأعمال المينا .. وتضم مجموعة الخزف عددا من الانية استفادت فيها الفنانة من التراث ، خاصة الفن القبطى .. أما أعمالها فى المينا فهى متقدمة بشكل ملحوظ وغنية الالوان استخدمت فيها الاشكال الشعبية والفنون الاسلامية بألوانها وعمق حسها ..

وبعد .. ان معرض جورج البهجورى الثالث عشر يعد اضافة أصيلة لاعمال جورج السابقة سواء من حيث التكوين واستخدام اللون .

على دسوقى

الجمهور المصرى والانتاج الاجنبى

يوسف شريف رزق الله

نستطيع القول بأن أكثر من سبعين فى المائة مما يراه الجمهور المصرى فى دور العرض من الافلام الاجنبية ان لم يكن من أسوأ الانتاج العالمى فهو على الاقل عديم الاهمية ·· وكلمة الانتاج العالمى هنا كلمة غير دقيقة حيث ان الاحصائيات تشير الى ان ثمانين فى المائة من الافلام الاجنبية التى عرضت فى عام ١٩٧٠ (٢٠٠ فيلم) كانت من انتاج أربع دول على النحو التالى :

الولايات المتحدة	٨٠ فيلما
ايطـــاليا	٤١ فيلما
بريطـــانيا	٢١ فيلما
فرنســـا	١٨ فيلما
المجمـــوع	١٦٠ فيلما

أما احصائيات عام ١٩٦٩ فتشير الى ارتفاع نسبة انتاج هذه الدول الاربع مما شاهده الجمهور المصرى فى ذلك العام من أفلام اجنبية (٢١٦ فيلما) ··

الولايات المتحدة	٧٨ فيلما
ايطـــاليا	٤٢ فيلما
بريطـــانيا	٣٦ فيلما
فرنســـا	٢٦ فيلما
المجمـــوع	١٨٢ فيلما

وعلى سبيل المثال ،ففى اعتقادى أنه من بين الافلام الاجنبية المائتى وستة عشرة التى عرضت فى مصر خلال عام ١٩٧١ لم يكن هناك سوى أربعة أفلام ممتازة (الموت فى فينيسيا للوكينو فيسكونتى وكيمادا لجيلو بونتيكورفو وانهم يقتلون الجياد لسيدنى بولاك وويلى بوى لابراهام بولونسكى) ونحو خمسة عشر فيلما جيدا منها (نساء عاشقات لكين راسل ولو ·· للندسى اندرسون وجريمة العصر لوليم وايلر واشباه الحياة لكلود سوتيه وفارس الفرسان لجون فرانكنهايمر ونقطة زابريسكى لميكلانجلو انتونيونى ··) اما الباقى فافلام متوسطة ورديئة ، بل وبالغة الرداءة ·

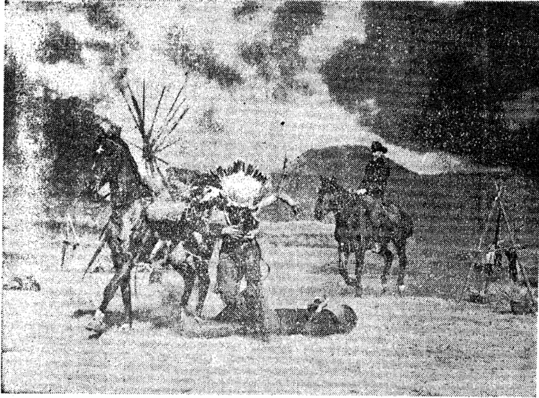
وبطبيعة الحال فان الحكم السابق ليس حكما على كل انتاج الولايات المتحدة وايطاليا وانجلترا وفرنسا السينمائى وانما على ما عرض منه فقط فى مصر فى العام الماضى · فمن البديهى ان هناك نسبة كبيرة من انتاج هذه الدول الجيد بل والممتاز مما لم يعرض فى مصر حيث انه من الصعب ان تغامر شركات التوزيع الامريكية وقطاع التوزيع فى هيئة السينما والمسرح والموسيقى وشركات القطاع الخاص بتوزيع هذا الانتاج الجيد - وهو فى أغلب الاحوال غير تجارى - طالما ان ضمانات تحقيق الارباح أو على الاقل تغطية التكاليف ليست متوفرة بالنسبة لهذه النوعية من الاعمال حيث انها تعامل تماما مثل اى فيلم تجارى اخر من ناحية الرسوم التى تحصل عنها ·

المستقبل :

والمتوقع ان تزداد نوعية الافلام الاجنبية التى تعرض فى مصر سوءا بعد ان صدر مؤخرا قانون ينص على عدم استيراد فروع الشركات الامريكية الست فى القاهرة اكثر من عشرة أفلام فى السنة ·· ومن الطبيعى ان يؤدى هذا التحديد الى اتجاه شركات التوزيع الى اختيار عشرة أفلام من قوائم انتاجها السنوى من الاعمال المضمونة الربح وهى غالبا افلام قليلة الاهمية الفكرية والفنية ·· فقبل صدور قانون الحد من الاستيراد كان يمكن لهذه الشركات المغامرة بعرض عدد من الافلام غير التجارية ،أما وقد أصبح الامر على نحو ما أشرنا اليه فقد باتت هذه المسألة شبه مستحيلة ·

وهناك سبب ثان يجعلنا متشائمين فيما يتعلق بمسألة نوعية الافلام الاجنبية التى تعرض فى مصر ·· هذا السبب الثانى هو القانون الذى يسمح لكل منتج مصرى باستيراد ثلاثة أفلام أجنبية مقابل كل فيلم ينتجه ·· ومن الطبيعى مرة أخرى ان يقوم هذا المنتج باستيراد أفلام تجارية (رعاة بقر وجاسوسية ومغامرات) يحاول من خلالها تغطية السلفة التى قدمتها له الهيئة لانتاج فيلمه الى جانب تحقيق الارباح ·

وبالاضافة الى ذلك يجب عدم اغفال ما يحدث أحيانا من قيام الرقابة بمنع أو تشويه بعض من الاعمال القليلة الجادة التى قد تستوردها الشركات الامريكية أو القطاع الخاص وهناك بعض أمثلة محددة فى هذا الشأن وقعت فى الشهرين الاخيرين مثل وقف فيلم « العسكرى الازرق » بعد أن شاهده أكثر من ثلاثة ارباع المليون متفرج ،ومنع فيلم «ذعر فى حديقة نيدل » لجيرى شاتزبرج الذى تبين أضرار تعاطى المخدرات والذى يعده النقاد من أهم الاعمال التى تناولت هذه



مشهد من فيلم « العسكرى الازرق »

المشكلة وفيلم « زد » لكوستاجافراس، الذى يدين نظم الحكم الفاشية وغيرها من الافلام •

دور الفن والتجربة :

الواقع ان تغيير نوعية الافلام الاجنبية المعروضة على الجمهور المصرى لا يمكن ان يتم هكذا دون تدخل من جهات عليا مسئولة تستطيع ان تفرض هذا التغيير بالتدريج •• فالشركات نفسها لن تقوم باستيراد الافلام الجيدة طالما استمرت الظروف السابق الاشارة اليها على ماهى عليه •• ومن هنا تصورى لضرورة رفع حد الافلام العشرة المصرح باستيرادها الى ١٥ فيلما مثلا مقابل التزام الشركات باستيراد خمسة افلام جادة على أن يتم توفير بعض الظروف المشجعة لعرض هذه النوعية من الافلام مثل انشاء دور عرض للفن والتجربة تختص بعرض الافلام الجادة التى ينبغى ان تعامل معاملة مميزة كأن تخفض الرسوم الجمركية المفروضة عليها ••

ويمكن ان تقوم وزارة الثقافة والاعلام بتشكيل لجنة من النقاد تتولى اعداد قائمة بالافلام المطلوب استيرادها •• فعلى سبيل المثال يمكن مطالبة شركة كولومبيا باستيراد « تحقيق مع مواطن فوق مستوى الشبهات » الايليوتبرى و « أزواج » لجون كاسافيتس و « ركبة كلير » لاريك رومر كما أن شركة وارنر لم توزع فى مصر « طائر البجن » لسيدنى لوميت و « ت. هـ. اكس ۲۱۳۸ » لجورج لوكاس و « الرجال يعارضون » « لفرانشيسكو روزى » أما شركة بارامونت فيمكن مطالبتها على سبيل المثال بـ « المتشل » لبرناردو برتولوتشى و « اداليين ٣١ » ليبوويدربرج وهذه مجرد أمثلة •

كما يتعين ان تقوم هيئة السينما والمسرح والموسيقى باستيراد نسبة من الافلام الجادة وهذا ما كنا نتوقع ان يكون عليه دور قطاع التوزيع فى الهيئة (المؤسسة سابقا) بعد دخول الدولة فى مجال السينما •• ولكن بدلا من ذلك وجدنا الهيئة تستورد أسوأ الافلام الايطالية والفرنسية والبريطانية التى عزفت الشركات الامريكية عن توزيعها ••

لقد آن الاوان لان تحذو الهيئة حذو مؤسسة السينما السورية على سبيل المثال التى استوردت أفلام فايدا البولندى وبازولينى الايطالى وأعمالا من أمريكا اللاتينية وغيرها للعرض فى سوريا •• وهناك المئات من الافلام الجيدة التى تنتظر موزعا لها فى مصر مثل افلام القارة الافريقية والقارة الاسيوية وأمريكا اللاتينية ، وكذلك أفلام أوروبية وامريكية مثل « ساكو وفانزيتى » لجوليانو مونتالدو و « الين أو الحياة الحقيقية » لميشيل دراش و « فيتنام فى عام الخنزير » لاميل دى انطونيو و « العبيد » لهربرت بيبرمان و « جوهيل » لبوويدربرج ، والدريدج كليفر الفهد الاسود لوليم كلاين •• وغيرها •

ان هناك المئات من الافلام الممتازة التى يمكن شراؤها بأقل الاسعار والتى يمكن بواسطتها رفع مستوى التذوق السينمائى فى مصر وانقاذ جمهورنا من أفلام المغامرات الامريكية والايطالية والميلودرامات الهندية •



غسان كنفانى : المنفى والفداء

فاروق عبد القادر

تبدو أعمال غسان كنفانى فى ضوء جديد بعد أن توهجت شهادته بالدم ، وبعد أن دلل – بأشلائه الممزقة – على صحة قضيته . بقيت لنا من غسان أعماله .. وبقى لنا ما هو أهم وأجدى : التحام الفكر والعمل ! أن تعمل ما تراه حقا ! وأن تمضى لنهاية الطريق ! مكللا مواقفك وأعمالك بحياتك نفسها مقدما الدرس الوحيد الذى يمكن أن يكون له معنى فى واقعنا المعاصر : أن تكون أنت القضية والبرهان ..

وفى أدبه لم يهتم غسان بغير فلسطين . أن أعماله – التى ظلت تتوالى من أوائل الستينات – تتوتر بعـذاب نموذجى لفلسطينى من هذا الجيل : سقطت يافا أمام عينيه وهو صبى لا يحمل السلاح وحملته أمواج النازحين فيمن حملت فعاش فى دمشق بضع سنوات .. بعدها « غاص فى المقلاة » .. عـاش المأساة عذابا وتوترا وتمزقا ومذلة ! وأخرجها أدبا صلبـا لا عويل فيه ولا نواح ، لا تهويل ولا تهوين ، لا تبرير ولا تعذيبا للذات ! لكن شهادة صدق تعكس مسـيرة هـذا الجيل من الفلسطينيين وبحثه الدامى عن الطريق . بهدوء وصلابة مضى أدب غسان جنبا لجنب مسيرة جيله : من المنفى الى حتمية الفداء ، من التشتت الى شهادة الدم ..



ومنتصف الستينات — التى شهدت انبثاق العمل الفدائى من قلب الساحة الفلسطينية — لنجد مقابلها فى أدب غسان . أغلقت كل الابواب التى تتخايل من ورائها ألوان السراب الخادع ، سقطت كل الاقنعة وتكشف وجه الحقيقه لم يبق غير السلاح سبيلا وحيدا للعودة واسترداد ما ضاع . ان أعماله فيما قبل ٦٤/٦٥ هى الاطار الواسع الذى ستنبثق من داخله ضرورة الفداء ، هى حيثيات ما سيأتى بعدها : هؤلاء الفلسطينيون الذين عرفناهم أطفالا وشبابا وشيوخا ، ذرات المأساة التى تطايرت الى كل مكان .. ماذا بقى لهم غير أن يحملوا السلاح ويتجهوا عبر الحدود ليحققوا أنفسهم فى الثورة ، ويسترد كل منهم الشيء الثمين الذى ضاع ؟ ليكفوا اذن عن مطاردة الوهم والحلم : وهم استرداد الكرامة فى أرض أخرى ، والحلم بالوصول الى وادى الذهب : تغطى جوانبه لزوجة البصاق وفى داخله يعيش أناس لا يريدون الموت ولا يستحقون الحياة ، أو الحلم بمراعى كاليفورنيا الخضر حيث يعيش النيازح بعيدا عن رائحة الهزيمة !

لا مفر . ثلاث سحابات فقط تظلل أرض عاد : سحابة الذل الصفراء وسحابة الموت السوداء وسحابة الدم الحمراء .. فأيها سيختار لنفسه وشعبه !

أجرى حامد — الفلسطينى الشاب — حساباته وقرر شيئا : ان مواجهة العدو — مواجهة حقيقية وصادقة — هى كل ما تبقى ، هى الشيء الوحيد الذى يميل بميزان الخسارة فيحول البقايا والفتات الى حقائق كاملة .

الذكرى .. فى غرفة بعيدة

وكما أن انبثاق العمل الفدائى لم يكن مفاجئا لمن يرقبون الساحة الفلسطينية الواسعة ، فان التعبير عن ضرورة الفداء لم يكن بعيدا عن غسان فى أعماله الاولى . انه يحدثنا فى قصة من أولى قصصه عن هؤلاء الفلسطينيين الذين تحولوا الى تجارة من نوع نادر ومفيد على الارض العربية ، ويقول بلسان أحدهم فى حديثه الى « الرجل المهم » : « تبدو لى حياتى ، حياتنا كلنا ، خطا مستقيما يسير بهدوء وذلة الى جانب تنسيبتى ، لكن الخطين متوازيان لا يلتقيان » ، الثورة فقط هى ما يجعل اللقاء ممكنا بين الخطين المتوازيين . يقول الفلسطينى للرجل المهم : « كثيرون يبدأون بالسؤال : ثم ماذا ؟ ومع الايام يبدأ الصراخ : أية حياة هذه ؟ الموت افضل منها ، والصراخ عدوى ، فاذا الجميع يصرخون ولان الناس لا يحبون الموت فلابد أن يفكروا بشيء آخر .. » [١].

ان اهتمام غسان فى هذه الاعمال الاولى كان يدور — فى المقام الاول — حول تصوير ضياع الفلسطينيين وتشتتهم فى الارض العربية الواسعة . لكن الفلسطينيين ليسوا وحدهم فى هذا الضياع ، الآفة واحدة لكن أعراضها تتنوع ، تماما كما يحتفظ كل فلسطينى فى قلب وجوده بطبعة خاصة من مأساة شاملة: قد تكون ذكرى سقوط قرية أو مدينة ورقة حب ذابلة ، خطوطا باهتة على صفحات كتاب ، حنينا طاغيا لبعض الذين يعيشون وراء الحدود .

ان سقوط يافا وحيفا وعكا وصفد وعشرات القرى الصغيرة بأسماء ومن غير أسماء ، تتردد فى قلوب هؤلاء الذين يحملون عذاباتهم معهم أنى يرحلون فى الغرفة البعيدة الضائعة فى ركن قصى من الارض العربية تسقط الذكرى من عينى صورة لبومة مبتلة معلقة على الحائط ، تسقط الذكرى فيأتى الدوار : « كنت طفلا آنذاك . وكنا نشهد — دون أن نقدر على الاختيار — كيف كانت فلسطين تتساقط شبرا شبرا ، وكيف كنا نتراجع شبرا شبرا . كانت البنادق العتيقة فى أيدى الرجال الخشنة تمر أمام عيوننا كأساطير دموية ، وأصوات القذائف البعيدة تدلنا أن معركة تقع الآن ، وأن ثمة أمهات يفقدن أزواجهن وأطفالا يفقدون آباءهم وهم ينظرون عبر النوافذ صامتين الى ساحة الموت »(٢). وقد تأتى الذكرى هادئة مجللة بالحزن والذنب ، يبعثها صوت القطار الرتيب يقطع أرضا عربية ضائعة أخرى — عربستان ، وخطوط باهتة خطتها ليلى على صفحات كتاب . ليلى ، الانسانة الرائعة التى كانت تحب وتقاوم سقطت فى أيدى اليهود .. « وعندما رأيتها كانت هادئة هدوءا مخيفا ، ولم يعد فى عينيها أى بريق ، فقط وجه حزين صامت . قالت لى بصوت متخفض هادىء : لقد ضاجعونى طوال تسعة أيام » ، وقالت له أيضا : « اننى لا أستطيع أن أنسى التسعة أيام القاسية . لكننى أريد أن استمر فى الدفاع عن حيفا .. باستطاعتك أن تغادر حيفا ، أن تهرب منها ، لكنك فى يوم سيأتى لابد أن تصحو وتكتشف وتندم .. » [٣] ، وقد تأتى مع آيار الذى يثقل القلب ككابوس لا يرحم : كان مع رفيقه فى المعركة وتردد لحظة فى أن يطلق النار .. « كنت أرتجف ، وبقى الهدف واقفا فى منطقة تصويبى ، ومن خلال هذه الاداة شاهدته يكتشفك ويلقى فوقك بقنبلته الثانية ويولى الادبار » [٤].

والاطفال الفلسطينيون يبعدون عن طفولتهم قدر بعدهم عن أرض البرتقال ، فالبعد عن فلسطين بعد عن كل شيء يحمل نسمة الاحساس بالسعادة . بعد عن الاسرة المتماسكة ، بعد عن كل الآمال والاحلام ، بعد عن الايمان بأية قوى غيبية يمكنها أن تحمل الخلاص لهؤلاء الضائعين : « لم أعد اشك فى ان الله الذى عرفناه فى فلسطين قد خرج منها هو الآخر ، وانه لاجيء حيث لا أدرى ، وأننا نحن — اللاجئين البشر القاعدين على الرصيف منتظرين قدرا جديدا يحمل حلا ما — مسئولون عن ايجاد سقف نقضى الليل تحته »(٥).

الغوص فى المقلاة

وحين يبلغوا أول الشباب عليهم أن يغوصوا فى المقلاة ، هذا التعبير الذى أحبه غسان واستخدمه اكثر من مرة ليصف حياة الفلسطينى المنفى ، اللاهث أبدا وراء لقمة تسد رمقه وقروش قليلة تقيم أود المنتظرين وراء الحدود ، ثم هم كهول ينوءون بحمل سنوات العمر والمذلة وطحين الاعاشة وبؤس المخيمات والفلسطينى عند غسان دائما على طريق أو فى طريق أو باحث عن طريق .. لان مساحات شاسعة من الصحارى والحدود والاسلاك تنتصب فى وجه المحاولة الشريفة كجدار صلد . لهذا يلقى أبطال روايته الاولى [٦] مصارعهم فى تلك البادية الملتهبة التى تفصل العراق عن الكويت ، ويلقى بطل روايته الثانية [٧]

---

[١] قصة « أبعد من الحدود » مجموعة : أرض البرتقال الحزين ، دار الفجر الجديد ، بيروت ، ١٩٦٣ .

[٢] قصة « البومة فى غرفة بعيدة » ، مجموعة : موت سرير رقم ١٢ ، منشورات مكتبة منيمنة ، بيروت ١٩٦٢ .

[٣] قصة « شيء لا يذهب » ، المجموعة نفسها .

[٤] قصة « منتصف أيار » ، المجموعة نفسها .

[٥] قصة « أرض البرتقال الحزين » المجموعة .

[٦] رجال فى الشمس ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٣ .

[٧] ما تبقى لكم ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ .

مضرمة - وتسط بادية أخرى تمتد من غزة للاردن .

فى سوق البصرة العبق برائحة التمور والسلال التقت خيوط مصائر هؤلاء : أبو الخيزران ، سائق ماهر ، كان محاربا فى ٤٨ ، واشتهر بأنه خبير من يصلح العربات المعطلة ويقودها ، خسر أبو الخيزران فى هذه الحرب رجولته ، انفجرت قنبلة بين ساقيه فأفقدته رجولته هاجر الى الكويت حيث يعمل قسائقا ومهربا ويتحدث لنفسه من حين لآخر : ها قد ضاعت فلسطين وضاعت رجولتك صرفت حياتك مغامرا لكنك لازلت أعجز من أن تنام الى جوار امرأة ... ليكسر الفخار بعضه فلست اهتم الان الا بمزيد من النقود » . التقط أبو الخيزران ثلاثة فلسطينيين يريدون أن يعبروا الصحراء الى الكويت واتفق معهم على أن يهربهم فى سيارته مقابل أجر على ان يختبئوا فى صهريج المياه عند نقاط التفتيش . أبو قيس كان أول هؤلاء : عجوز اختلطت فى رأسه الشعرات البيض بالسود ، كانت له أمنية : أن يبنى سقفا يعيش تحته وأن يجد لقمة غير طحين الاعاشة وحين قالت له أم قيس يوما : لم لا ترحل مع الراحلين نمت امنيته فطمح فى أن يملك يوما عرق زيتون أو عرقين وأن يعلم قيسا فى المدرسة . وكان أسعد هو الثانى : جاء من الاردن الى العراق عبر الصحراء وهو يريد الان أن يقطع صحراء أخرى ، وراءه معتقل «الجفر» وقهر النظام والبطالة والحياة القاسية ولعينيه يتخايل حلم الكويت « حيث يستطيع المرء أن يجمع نقودا فى مثل لمح البصر » ، وكان الثالث مروان : ترك وراءه بقايا أسرة ممزقة ، تخلى الاب فيها عن أمه واخوته الاربعة وتزوج بامرأة شوهاء لانها تملك سقفا يمكن أن يؤويه ، كان الاخ الاكبر يرسل للاسرة ما يقيم أودها ، لكنه انقطع وأرسل الى مروان يقول له : اترك هذه المدرسة السخيفة التى لا تعلمك شيئا ، وغص فى المقلاة مع من غاص .

هكذا : « انطلقت السيارة الضخمة تشق الطريق بهم وبأحلامهم وعائلاتهم ومطامحهم وآمالهم وبؤسهم ويأسهم وضعفهم وقوتهم وماضيهم ومستقبلهم كما لو انها آخذة فى نطح باب جبار لقدر جديد مجهول » ، لكن كويتيا عابثا يصر على أن يستبقى أبا الخيزران فى آخر نقطة من نقاط التفتيش فيختنق الرجال حيث هم داخل الصهريج الملتهب حزن أبو الخيزران لحظة على رفاق الطريق ، لكن حزنه لم ينسه واجبه الاخير نحوهم فجردهم من ساعاتهم ونقودهم القليلة قبل أن يلقى جثثهم على أكوام القمامة فى جنة الكويت .

نعم ، ان هؤلاء الرجال الذين يختنقون داخل صهريج جاف تحت وطأة شمس لا ترحم وسط صحراء تلتهب بالقيظ والغبار ليقدمون بموتهم معادلا له ألق هذه الشمس الساخنة وحدتها ، نعم . هذه هى مأساتهم : وراءهم قوى القهر والتشتيت والاذلال ، وأمامهم تتخايل أشباح الخلاص ، والنتيجة : أن تحظى جثثهم بمزبلة الكويت .

ولكن : ماذا يفعل هؤلاء الذين يصلون أحياء ؟

ان أكثر من عشر قصص فى مجموعتى غسان الاولى والثالثة تدور على أرض الكويت والخليج ، وترسم بكل تفاصيلها صورة الحياة فى ذلك البلد « الذى يحتوى كل شىء وليس فيه أى شىء ، البلد الذى يعطيك كل شىء ويضن عليك بكل شىء ، يتلون أفقه فى كل غروب بحرمان ممض ، ويشرق صباحه بقلق لا يرحم .. » [٨] ، هناك حيث تدور عجلة الحياة « شرسة الى حدود أسطورية ، لا تهتم بالانسان الفرد على الاطلاق ، والجوع بالنسبة للبذخ الماثل لا يمكن أن يكون الا منظرا مسليا فحسب ان الناس يلهثون راكضين وراء القرش الى حد أنهم لا يلتفتون خلفهم كى يشاهدوا الزاحفين .. » [٩] ، التقطت عيناه التناقضات القائمة بين مختلف أوجه الحياة : بين الغنى الاسطورى والفقر الفاضح من كل شىء ، بين كثرة الرجال وندرة النساء ، بين خشونة العلاقات وضرورة قيامها ، بين الاشتهاء والقرف ، بين الطفل يعد لفراش الرجل المترف ، والكهل يموت طاويا لانه لم يستطع أن يجد لقدميه مكانا بين الزاحفين واللاهثين والراكضين .. [١٠] .

ومن هناك ، التقط غسان كنفانى هذا النموذج الفريد فى القصة العربية القصيرة وأهداه أولى مجموعاته : محمد على أكبر صاحب سرير رقم ١٢ . كان محمد على أكبر فقيرا ، أفقر من أى تصور باذخ للفقر .. « كان الفقر شيئا محفورا فى وجهه ، على زنديه ، فى صدره ، فى طريقه اكله ، فى كل ما يحيط به من أشياء » ، وكان بحارا يعمل بين شواطىء تلك الارض العربية النائية : ساحل عمان ، حيث يعيش الانسان واقعا مرهقا من الفقر والتخلف ، جاء الى وادى الذهب عله يستطيع أن يدخل شيئا من طراوة العيش الى هؤلاء المنتظرين فى قريته البعيدة . وبعد كفاح شرس استطاع أن يملك صندوقا صغيرا على رصيف شارع ، لكن سرطان الدم لم يمهله ، ومات محمد على أكبر غريبا ، وحيدا ، على سرير فى مستشفى البلد الباذخ ، شهيدا من شهداء البحث المحموم عن لقمة للمنتظرين وراء الحدود .

كان هذا شيئا ثمينا فى تلك المرحلة من أعمال غسان كنفانى : أن يتوحد عذاب الفلسطينى الضائع فى أقطار الارض — من كاليفورنيا الى الربع الخالى — بعذاب العمانى الضائع وراء الهدف نفسه ، وأن يسقط الشاب الفلسطينى دفاعا عن ثورة تموز فى العراق . أليست هذه الثورة — فى نهاية الامر — خطوة فى الطريق نحو استرداد اللد ؟ [١١]

مقاتلون .. ومتفرجون .. وخونة

كيف يبدو ما حدث لعيون أبطال غسان ؟ بعبارة أخرى : كيف يرى غسان كنفانى ما حدث فى ٤٨/٤٩ ؟ ان كل أعماله ظلت تحتفظ بفاصل زمنى يفصلها عن تلك السنة الفاجعة ، رأى ما حدث بعيون كثيرة ، وحدد لنا أسباب الهزيمة . أجملها فى كلمات قليلة : « فى الوقت الذى كان يناضل فيه بعض الناس ويتفرج بعض آخر كان هنالك بعض اخير يقوم بدور الخائن .. [١٢] لم فصله لنا تفصيلا :

حدثنا عن كثرة الايدى وندرة السلاح ففى أعماله — قبل ٦٥ وبعدها — يلعب السلاح دورا هاما ، وتمتلىء قصصه بالرجال اللاهثين فى البحث عن بندقية عتيقة يدفعون بها خطرا جاثما أو متربصا . كانت البندقية العتيقة تنتقل من يد ليد ، وحين تفرغ ما فى جوفها وتصبح أشبه بعصا لاجدوى منها يحدثنا غسان عن حرب الفؤوس : « يشاهد المحاربون من خنادقهم الرطبة شبح انسان راكع ، يرفع كلتا يديه فوق رأسه ما وسعه ذلك ، وبين كفيه يتصلب فأسه الثقيل ، لم يهوى الفأس ، ويتصاعد صوت

---

[٨] قصة « فى جنازتى » ، مجموعة موت سرير رقم ١٢ .
[٩] قصة « لؤلؤ فى الطريق » ، المجموعة نفسها .
[١٠] وراجع كذلك قصص : « قلعة العبيد » و « الخراف المصلوبة » فى المجموعة نفسها ، وقصص : « الصقر » ، « كفر المنجم » ، « عشرة أمتار فقط » ، « علبة زجاج واحدة » ، فى مجموعته الثالثة : عالم ليس لنا ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٥ .
[١١] قصة « قتيل فى الموصل » ، مجموعة : أرض البرتقال الحزين .
[١٢] قصة « شىء لا يذهب » ، مجموعة : موت سرير رقم ١٢ .

ارتطام مريض مخنوق ، ويبتلع الظلام انة ممدودة يمقبها شخير عنيف ، ثم يصمت كل شيء .. » [١٣] .

وقد استطاع أبو على — الذى كان بيته آخر بيوت القريه وكان يتولى حمايتها من الضباع — أن ينتزع بندقية جديدة من جندى جاء القرية ليقيم فيها ، وحين انطلق أبو على بصيده الثمين فى طرقات القرية اعترضه رجلان منها ، وأحس أبو على أنه مطارد « ربما كان الجندى والضابط والمختار يطاردونه جميعا » ، وأحس كذلك بأنه محاصر ، وكان أبو على مريضا ذلك الصباح ، لذلك استطاع المعترضان أن ينتزعا منه السلاح ، وأن يقتلاه ، دون مقاومة تذكر [١٤]

صورة أخرى من هذا الرجل الذى انتزع سلاحه تطالعنا فى مجموعته الثالثة . استطاع الرجل أن يحصل على سلاحه من اسرائيلى قتيل وسط المعركة ، لكن الضابط العربى الموجود فى المنطقة أخذ منه السلاح ، بزعم ضرورة عرضه على القيادة ، وجاء الوقت الذى تزايدت فيه ضرورة الحصول على سلاح نقريته تقع فى أيدى اليهود ويستردها المقاتلون ، ثم تقع ويستردونها فى ملحمة بطولية لا تنتهى .. كل هذا وهو يطارد الضابط العربى من مكان لمكان حتى رأى بندقيته فى يد رجل اشتراها من الضابط بمائة جنيه ، وسقطت القرية للمرة الاخيرة ، ولعل الرجل لازال يبحث عن بندقيته الضائعة حتى اليوم .. « انه رجل طويل جدا ، صلب جدا ، لا أعرف اسمه ، يلبس بدلة خاكية قديمة ويبدو كأنه محاط برذاذ مضىء ، ويلوح لاول وهلة حين يستوقفك ليسألك : هل رأيت المسروس ؟ ، يلوح كأنه مخبون .. » [١٥]

من الجندى الذى انتزع أبو على سلاحه ؟ ومن المعترضان طريقه ومن المطاردون ؟ ومن الضابط الذى باع بندقية صاحب المسروس ؟ اذا استطعنا أن نسترجع أحداث تلك الفترة الدامية لعرفنا اجابة الاسئلة .

لكن غسانا لم يضع رأسه فى الرمل ولم يتخذ من النظم العربية مشجبا يعلق عليه كل ماحدث فى ١٩٤٨ صحيح أن هذه النظم قد لعبت الدور الرئيسى لكن هناك أدوارا أخرى لعبها الذين تفرجوا والذين خانوا والذين ترددوا والذين باعوا الارض . وعن كل هؤلاء حدثنا غسان : قالت السيدة للرجل « لا تبع الارض لليهود .. » ، لكنه رغم كل شيء باعها ؟ ولازالت يده تمتد الى الجرح الغائر فى وجهه وعنقه بعد أن أطلق عليه الملاحون النار [١٦] .

لماذا ضاعت فلسطين ؟ يجيب العجوز الذى يبيع أقراص العجوة على ارصفة دمشق : « يابنى .. فلسطين ضاعت بسبب بسيط جدا ، انهم لم يعرفوا كيف يقودون جنودهم ، كانوا يحسبون أن هؤلاء الجنود ضرب طريف من الاسلحة تحتاج الى حشو فصاروا يحشونها بالاوامر المتناقضة . اننى حاربت اكثر مما يستطيع الشخص الواحد أن يفعل ولكن الخطأ لم يكن منى أنا .. كان من هؤلاء الذين يقرأون ويكتبون ويرسمون خطوطا ملتوية ينظرون اليها باهتمام »[١٧].

لهذا اذن سقطت فلسطين : لفساد النظم وتناقض مصالحها ، لتخبط الزعامة وعجزها ، للامبالاة البعض وخيانتهم وترددهم لحظة الاشتباك .

أيقاع الحياة التافهة

ما السبيل — اذن — الى استردادها؟

فى المسرحية الوحيدة التى كتبها غسان كنفانى [١٨] يضع ايدينا — للمرة الاولى — وعلى نحو رمزى خالص على ما يراه سبيلا وحيدا لبعث الموتى واسترداد ماضاع . اختار غسان أسطورة عربية قديمة من القحط الذى أصاب قبيلة عاد بسبب الحاد عاد واصراره على تحدى الاله هبا ومنازلته وحين يستسقى الكهان الالهة يرسل لهم ثلاث سحابات ، من بينها يختار عاد السحابة الحمراء مواصلا اصراره على التحدى ، ويصرع عاد فى هذا النزال فيرث ملكه ابنه شداد ، وبنى شداد جنته فى ارم لكن هبا يمنعه من دخولها . يقول شداد بلسان هؤلاء الابطال الجدد عند غسان كنفانى : « أريد أن أقاتل هبا وأصواته فى الصحراء ، وحيدا الا من سيفى وذراعى ، أخطو الى موتى خطوة باسلة وراء خطوة باسلة ، الا أرتد حتى أزرع فى الارض جنتى ، أو اقتلع من السماء جنته أو أموت أو نموت معا .. » ، ويصرع شداد بدوره بين الاصوات والصواعق التى تتفجر بها الارض والسماء ، ويرث ابنه مرثد الملك فيبدأ البداية نفسها : يريد ان يبنى جنته على الارض .

لا حرية للموتى سوى حرية العبودية والضجر . والطريق ؟ هذا الباب الذى يفصل الموتى عن العودة للحياة ، فى هذا الباب تكمن قوة هبا : التابع هناك بعيدا ؟ تجسيدا لقوة الناس وعجزهم ان هبا لا يموت الا بالعودة ، بالولادة من جديد . يقول شداد بعد أن التقى بهما فى العالم الاخر : « سوف أنهد على الباب حتى أحطمه أو يحطمنى ، ولسوف يتهدون عليه من الخارج ، هم الاحياء ، لسوف نجعله يشق بين اكتافنا حتى يذوب .. هل فهمت ؟ .. حتى يذوب ، ولو كلفنى ذلك أن أبقى واقفا تحت مصراعه كل ما تبقى من الدهر .. »

هذا الباب ، ما أشبهه بتلك البوابة الحجرية التى كانت تفصل الارض المحتلة مما بقى من الارض ، بوابة مندلبوم ، يقف امامها الموتى يلقون اقاربهم بعيون يأتلق فيها الدمع الصامت ووجوه ترتسم عليها ابتسامات لا تعنى شيئا ، ووراءها يقف هبا : تجسيد خوف العبيد وعجزهم ، وفى عبورها موته . هذه الابواب يجب ان تفتح من ناحية واحدة فقط ، يجب ان تلين تحت أجساد العبيد حين يقررون الخطو الى حياتهم الحرة خطوة باسلة وراء خطوة باسلة .

ما يقوله غسان على نحو رمزى فى مسرحيته الوحيدة يكسوه باللحم والدم فى روايته التالثة . يلقى الينا صورة للعالم الفلسطينى فى تهوشه واشتباك مصائره ، يلقيه الينا وهو يلهث ، فنلقاه نحن نابضا بالعذاب والتوتر والالم :

حياة كل فلسطينى حساب للخسائر والبقايا ، فليس له من العالم سوى شيء صغير : بقايا حلم او فتات أمنية او كهف وهمى يعده ليلوذ به ان اتى يوم عسير . وحين سقطت يافا محترقة فى ايدى اليهود غادرها من بقى من اهلها فى قوارب صغيرة ، وانتهى المطاف بحامد وأخته الكبيرة مريم الى اكواخ الصفيح فى اطراف غزة ، بعد ان تركا الاب ذكرى مضرجة فى يافا ، وضاعت الام ، ثم عرفنا انها تعيش على الطرف الاخر من الصحراء : فى الاردن . واصبح حامد شابا فى عنفوانه ، ومريم لازالت جميلة وان كانت خطاها تدب نحو الذبول ، وطوال هذه السنوات لم ينقطع حامد عن التفكير فى لقاء امه ، ظل هذا اللقاء هو الكهف الذى يعده ليلوذ به حين تأتى الفاجعة .

وجاءت الفاجعة : حبلت مريم من زكريا ، وارغم حامد على تزويجها منه وهو يعلم تماما انه خائن يرشد اليهود الى الفدائيين ، ثم انطلق نحو الصحراء — بوحشتها الغامضة وصيتها المليء

---

[١٣] قصة « البومة فى غرفة بعيدة » ، مجموعة : موت سرير رقم ١٢ .
[١٤] قصة « السلاح المحرم » ، مجموعة : أرض البرتقال الحزين .
[١٥] قصة « العروسة » ، مجموعة : عالم ليس لنا .
[١٦] قصة « الرجل الذى لم يمت » ، مجموعة : موت سرير رقم ١٢ .
[١٧] قصة « ورقة من الطيرة » ، مجموعة : أرض البرتقال .
[١٨] الباب ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٤ .

بالترقب والمجهول – وحيداً أعزل ٠٠٠ ليلني أمه : كل ما تبقى له .

في حساب الخسائر .. ماذا بقي لحامد ؟

حين سقطت يافا لم يحمل السلاح فيمن حمل ، كان صغيراً وقتذاك ، وهو يذكر اباه : « حملوه من طرف الطريق مضرجا ، وسألني احد الرجال : « انت حامد ؟ » ، ونجأة اخذت ابكي ، ومن الشباك اطلت امي ثم مضت بنواح ممزق ، وانفتحت الشبابيك فجأة واخذت الاصوات تذب ، وتسلق الرجال السلم صامتين ، وهو ملفوف بمعطفين وزراعه العارية تتأرجح جيئة وذهابا . » .

ذكرى اخرى يحتفظ بها حامد كأثمن الاسرار : « اندفعت الى غرفتهما هناك وفور ان فتحت الباب واجتزت العتبة شهدتهما معا في السرير ، اعتقد انهما كانا عاريين لكنني لم ار الا ذراعه ، ذراعه العارية السمراء القوية حول خاصرتها البيضاء . هذا كل ما اذكره من والدي .. كل شيء ، هذا والدي . كله .. مجرد ذراع .. مرة تضاجع امي ومرة مضرجة بالموت .. » .

لهذا عاش حامد اعوام شبابه لايعرف النساء ، ولا يسمح لنفسه بالتفكير في الزواج الا بعد أن يجمع شمل العائلة المتناثرة ، لهذا أيضـــا لخص موقفه لمريم في كلمة واحدة : « لم يبق لي شيء ، انت ملطخة ، وانا مخدوع » ، قليت مريم منحت نفسها لرجل آخر .. ولكن زكريا ! انه رمز عار حامد وذله . جاء اليه سالم يوما وقال له : « اسمع ياحامد .. ان كنت تريد ان تنتقم فتعال معنا ، لدينا كل شيء » ، لكنه قبل ان يفكر كان سالم قد قتل .

يا للذكرى . صف الرجال متماسك ، صامت لا يجيب حين كان اليهود يسألون عن سالم ، وقبل ان يعرف أحد ماسيحدث كان زكريا خائنا بالفعل : انا ادلكم على سالم . الا ان سالم – في تلك اللحظات من الصفاء التي تسبق الموت – لم يشأ ان يجعل من زكريا خائنا اكثر مما هو ، فتقدم ثلاث خطوات وسلم نفسه . ومن وراء الجدار جاء صوت طلقة واحدة ، فانحنى زكريا كأنها اطلقت عليه من العيون المتجهة نحوه في صمت . « هذا هو زكريا يا مريم . مهري الذي قبلت ان ازوجك له بمهر قدره عشرة جنيهات كله مؤجل . كل شيء مؤجل . ليس في حساب البقايا الا الفتات ... »

لكن اللحظة الحقيقية تأتي كقدر . في ظلمة الصحراء ووحشتها يلتقي حامد بيهودي وحيد ، ويتلاحمان في الظلام والصمت ، ويتمكن حامد من نزع سلاح عدوه ويبقى في مواجهته ينتظران عدوهما المشترك : ضوء النهار . اي لقاء بشع ورائع بين العدوين . هنا فقط يوضـــع حساب البقايا في ميزان جديد ، ويروح حامد يتحدث لنفسه في مواجهة العدو : « لا يمكن ان يكون الوقت ضدنا نحـــن الاثنين بصورة متساوية ، فقد يكونون اقرب اليك مما اتصور ، لكنك اقـــرب الى مما يتصورون ، المسافة ليست الا زمنا وهي في صالحي ، وهناك قضية اخرى لها اهميتها : ان تقتل انت هنا ، على بعد خطوات من معسكرك ، ربمـــا هو عمل اخطر من ان اقتل انا ، مجرد عدو اقتحم عليكم قلعتكم وكان وحده تماما بلا سلاح . الامور هنا نسبية وهي لصالحي أيضا وهذا شيء غريب . فقبل دقائق فقط كان كل شيء في هذا الكون ضدي تماما ، وكنت اقف هنا بالضبط : رقعة محاطة بالخسائر من كل جانب ، فتعال اقل لك شيئا مهما : ليس لدي ما اخسره الان ، ولذلك فانت ملبك فرصة ان تجعلني ربحا . »

وفي غزة ترتفع الازمة بين زكرياومريم لقمة دامية : هو يريد ان يتخلص مـــن الطفل ، وهي متمسكة به تمسكها بالقليل الذي بقي لها ، ويندفعان الى عراك عنيف وكأنما على موعد خفي : تمتد يد حامد بالنصل الى جسد اليهودي وتمتد يدمريم بالنصل الى جسد زكريا .

وتشرق شمس يوم جديد

هذا هو المنطق الذي اكتسبه حامد بعد سنوات المنفى والغربة والحياة التائهة ، وهو الدرس الذي يقدمه غسان كنفاني لكل الفلسطينيين : ان مواجهة العدو – مواجهةحقيقية – والالتحام معه ، وقتله ، والتخلص من الخونة والخيانة هو ما يمكن أن يقلب ميزان الخسائر ويحول البقايا والفتات لحقائق كاملة .

ثم اشرق الرجال والبنادق ..

وتفجر الكفاح الفلسطيني المسلح ، وقدم غسان كنفاني مجموعتين من اللوحات او الصور القصصية تحددان ملامح هـــذا الافق وتؤكدان حتمية انتصاره[١٩] .

في الرجال والبنادق عودة الى تـــلك الايام من ٤٨ . تدور اللوحات الاربع الاولى حول أسرة فلسطينية في قرية مجد الكروم يحاول افرادها ان يلعبوا دورا في الصراع الدائر في الجليل . القضية نفسها مرة اخرى : ندرة السلاح وكثرة الايدي وافتقاد التنظيم ، على أن اللوحات الاربع توحي بأنها فصول منتزعة من عمل اكبر . ويبقى اليقين مرهونا بمعرفة مزيد من التفاصيل .

في هذه المجموعة لوحتان تكتسبان اهمية خاصة لانهما كتبتا بعد ٦٧ : «صديق سلمان يتعلم اشياء كثيرة في ليلة واحدة» و « حامد يكف عن سماع قصص الاعمام»

وقد تعلم صديق سلمان بالفعل اشياء كثيرة ، لكن أهم ما تعلمه درس واحد : لا طريق سوى طريق سلمان ، طـــريق السلاح ، والعدو لا يعنيه ان نكون بريئا او لا نكون ، هي معركة شاملة وانت تخوضها بحكم وجودك نفسه . ان هذه اللوحة يقدمها غسان لكل المترددين ، لكل هؤلاء الذين دعاهم سلمان لحمـــل السلاح فترددوا في الاجابة .

اما حامد فقد خرج مع اثنين من رفاقه الفدائيين لتدمير دبابة ، وتقدم حامد اكثر مما يجب فافقده دوي الانفجار سمعه ، لكن حامد لم يخسر شيئا كثيرا فلطالما سمع . كان يعيش ظروفا بالغة القسوة ارغمت اخته على الخروج والضياع ، ورقد حامد بعدها في فراشه فامتلأت حجرته بمئات الحكايات : حكايات العجائز والامهات والاطفال ، حكايات الخـــوف والذل والعويل والحيرة والضياع والتخلي .. ثم .. حكايات الاعمام الداعية الى الحرص والحكمة .

لم يخسر حامد شيئا حين فقد سمعه ، فبعد ان رجع مع رفيقيه من عمليتهم الناجحة وجدوا احد الاعمام لازال ينصحهم بضرورة الحرص والحكمة . بعد ٦٧ – تقول هذه اللوحة – ان الدعوة للحرص والحكمة والوصاية تخفي الدعوة للجبن والتخلي ، والصوت الوحيد الذي يجب ان يقر في آذان الجميع هو صوت انهيار جبل الحديد .

وفي ملاحظة اخيرة يحدثنا غسان عـــن امراة فلسطينية اسمها ام سعد : في الاربعين ، لم تكف لحظة واحدة عـــن العمل الشاق ، ام سعد هذه ستصبح ملاحظاتها وحكاياتها عن سعد هي موضوع المجموعة التالية من اللوحات .

وام سعد واحدة من « تلك الطبقـــة الباسلة والمسحوقة المرمية في مخيمات البؤس » ، واحدة من « تلك الطبقة التي دفعت ، وتدفع ، غاليا ثمن الهزيمة » ، وهي من ثم تكتسب حقها الطبيعي في ان تكون أما لكل المقاتلين ، بالسلاح وبالكلمة ، دون أن تساوي بين الجماعتين . أم سعد قد انهكها البؤس والعمل الشـــاق والهزيمة لكنها لم تفقـــد الامل : قطعت غصنا صغيرا من دالية وغرسته امام الباب ، وقالت للكاتب وهي تحاوره : بعد سنوات قليلة ستجني ثمار العنب . ويتذكر الكاتب ما حدث في ٦٧ : « كنت اسمع هدير الحرب من الراديو ، ومنـــه سمعت صوت المقاتلين وهو ينكفيء علـــى الطاولة ورائي ينوح مثل أرملة ، ويطلي بصوته المهزوم كل اشياء الغرفة بالتفاهة المكتبة والمقعد والزوجة والاطفال وصحن الطعام واحلام المستقبل .. » ، في مواجهة الاحساس الشامل بالعجز واليأس ، تعرف ام سعد طريقها : « كلنا يا ابن

---

[١٩] عن الرجال والبنادق ، دار الاداب ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ام سعد ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٦٩ .

الم تتمنون فى الحبس ؟ المخيم حبس ، وبيتك حبس ، والجريدة حبس ، والراديو والباص والشارع وعيون الناس .. » ، وليست هناك سوى طريقة واحدة للانفلات من هذا الحبس : ان تفعل كما فعل سعد وان تلتحق بالفدائيين ، فبخطاهم الشابة الواثقة انفلات من كل أنواع الحبوس ، انفلات من حبس المخيم الذى تغرقه الوحول ، انفلات من حبس الوهم والخرافة ، فقد استبدلت ام سعد حجابها ووضعت بدله رقية جديدة : رصاصة صغيرة فارغة .. « اننى اعلقه منذ كان عمرى عشر سنين ، ظللنا فقراء ، وظللنا نهترىء بالشغل ، وتشردنا ، وعشنا هنا عشرين سنة ، ذلك الصباح قلت لنفسى : اذا مع الحجاب هيك .. فكيف بدونه ؟ ايمكن ان يكون هناك ما هو اسوأ ؟ » ، وفيه انفلات من حبس الاخطاء القديمة ، ومشاركة فى صنع التاريخ والمستقبل . وحين يموج المخيم كله بحركة التدريب على السلاح يندفع اليه الفتيان والشباب ينظر الشيوخ — هؤلاء الذين عرفنا نماذجهم المهزومة الذليلة من قبل — وتتردد فى مآقيهم الدموع ، ويقول واحد منهم بلسان الجيل كله : « لو هيك من الاول .. ما كان صار لنا شىء .. » .

هذا التقدم نحو ضرورة الفداء يصحبه تقدم آخر : ان القضية الاجتماعية تزداد وضوحا عند غسان كنفانى . لم تكن غائبة فى اعماله من قبل[٢٠] لكنها لم تكن على هذا النحو من الوضوح : ان ام سعد تنظر بعداء وتشكك نحو اصحاب السيارات الذين تركوها فى الطريق عندما ضربت اسرائيل مطار بيروت ، ووقع عليها وعلى اهل المخيم عبء تنظيف الطريق من الشظايا ، ثم هى تتمنى ان تتحد مع اللبنانية الفقيرة وخفير العمارة للدفاع عن مصالحهم ضد المالك الجشع وبرعمت الدالية الصغيرة التى غرستها ام سعد .

الوطن .. والمستقبل

ويزداد فكر غسان وضوحا وتحددا فى روايته الاخيرة[٢١] ، اغنية الوداع التى اطلقها الطائر الشريد . بعد فتح الحدود فى اعقاب حرب ٦٧ يعود سعيد الى حيفا التى غادرها قبل عشرين عاما . وهو يقود سيارته فى شوارعها تندفع الى راسه الذكرى : ٢١ نيسان ٤٨ ، جاء القصف من الكرمل وانصبت القذائف فوق الحى العربى واجتاح الرعب المدينة ، حاول سعيد ان يرجع لبيته لكنه وجد طريقا واحدا مفتوحا امام حركة الجماهير المذعورة ، هو الطريق المفضى الى الميناء : « كان الناس يتدفقون من الشوارع الفرعية نحو ذلك الشارع الرئيسى المتجه نحو الميناء ، رجالا ونساء واطفالا ، يحملون اشياء صغيرة اولا يحملون ، يبكون او يسبحون داخل ذلك الذهول الصارخ بصمت كسيح » ، ولم يستطع سعيد أن يبلغ بيته ، وفى الوقت نفسه استبعد الفزع بزوجته الصغيرة فنزلت للبحث عنه والتقى الاثنان فى الميناء ، تاركين وراءهما طفلهما الصغير خلدون فى شهره الخامس ، ثم غابت حيفا وراء غبش المساء وغبش الدموع .

ولم ينطق احدهما الاسم بعدها ابدا . ظل همسة ممزقة على الشفاه الجافة . والان استبدت بهما رغبة فى البحث عنه . ماذا كانا يتوقعان حين تركا وراءهما طفلا فى شهره الخامس ؟

بعد ان ترك سعيد منزله جاء اليه مهاجر بولونى هو افرات وزوجته ميريام . كان الرجل يرى فى فلسطين مجرد مسرح ملائم لاسطورة قديمة ، اما المراة فقد فقدت اباها واخاها ايام الاضطهاد النازى ، وكان اول ما راته فى فلسطين جنديين يهوديين يلقيان بطفل عربى ميت الى شاحنة ، واصرت المراة على الرجوع لولا ان منحت بيتا مستقلا فى حيفا وطفلا فى شهره الخامس !.

هكذا اصبح خلدون هو دوف . وحين تلتقى الام اليهودية بالابوين يتفقون على أن يتركوا لدوف أن يقرر ما يشاء ، فهو الان شاب فى العشرين . يقول سعيد لامراته : اى قرار يا امراة ؟ لقد علموه عشرين سنة كيف يكون ، يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة ، مع الاكل والشرب والفراش . لقد سرقوه وانتهى الامر ، كان علينا الا نترك شيئا : خلدون والمنزل وحيفا ..

ويأتى دوف فى بزته العسكرية ليقول انه لا يعرف لنفسه اما غير ميريام او ابا غير افرات ، ويتساءل : كيف يستطيع الاب والام أن يتركا رضيعهما ويهربان وكيف يستطيع من هو ليس اباه ومن هى ليست امه ان يربياه عشرين سنة . ثم يلقى فى وجه سعيد باتهامه : « كان عليكم الا تخرجوا من حيفا . واذا لم يكن ذلك ممكنا فقد كان عليكم بأى ثمن الا تتركوا طفلا رضيعا فى السرير ، واذا كان هذا ايضا مستحيلا فقد كان عليكم الا تكفوا عن محاولة العودة . اتقولون ان ذلك ايضا كان مستحيلا ؟ لقد مضت عشرون سنة يا سيدى ، عشرون سنة ، ماذا فعلت خلالها كى تسترد ابنك ؟ لو كنت مكانك لحملت السلاح .. هل تقول انك امضيت عشرين سنة فى البكاء ؟ لكن دموع العالم كلها لا تستطيع ان تحمل زورقا صغيرا يتسع لابوين يبحثان عن طفلهما المفقود .. اهذا سلاحك التافه المفلول ؟ .. » .

جبناء . هذا صحيح ، ولا يجدى انكاره . لكن .. هل يبرر هذا شيئا ؟ لو كان كذلك لكان كل ما فعله النازيون صوابا . يقول سعيد لدوف : « متى تكفون عن اعتبار ضعف الاخرين واخطائهم مجيرة لحساب ميزاتكم ؟ مرة تقولون ان اخطاءنا تبرر اخطاءكم ، ومرة تقولون ان الظلم لا يصحح بظلم آخر . تستخدمون المنطق الاول لتبرير وجودكم هنا ، وتستخدمون المنطق الثانى لتتجنبوا العقاب الذى تستحقونه .. وانت .. اتعتقد اننا سنظل نخطىء ؟ واذا كففنا ذات يوم عن الخطأ ، فما الذى يتبقى لديك ؟ » .

كانت ذكرياتهما عن خلدون قبضة ثلج ذابت تحت شمس حزيران . وفى طريق العودة بدت الاشياء التى يذكرها سعيد اقل اهمية . انه هو الذى فاخر دونه بأبوته لابنه خالد قد حال بينه وبين الانضمام للفدائيين رغم ان هذا هو الشرف الوحيد الباقى . لكم يتمنى ان يرجع فيجد خالدا قد ذهب . سأل سعيد نفسه ما هو الوطن ؟ واجاب : اننى افتش عن فلسطين الحقيقية التى هى أكثر من ذاكرة ، ان خالدا لا يعرف عن فلسطين من الذكريات مثل ما نعرف لكنها بالنسبة له تستحق ان يحمل السلاح ويموت فى سبيلها .. « لقد اخطأنا حين اعتبرنا ان الوطن هو الماضى فقط ، اما خالد فالوطن عنده هو المستقبل ، وهكذا اراد خالد ان يحمل السلاح ، عشرات الالوف مثل خالد لا تستوقفهم الدموع المفلولة لرجال يبحثون فى اغوار هزائمهم عن حطام الدروع ، وتفل الزهور ، لذلك هم يصححون اخطاءنا واخطاء العالم كله .. » .

● ●

نعم يا صديقى غسان .

ان الوطن ليس الماضى لكنه المستقبل .

نعم . ان التخلى هو عارنا ، والفداء شرفنا الوحيد الباقى .

نعم . ان الرجوع لحيفا ليس بحاجة لحدود مفتوحة لكنه بحاجة لحرب[٢٢] .

---

[٢٠] راجع على سبيل المثال : « المنزلق » فى مجموعة : عالم ليس لنا .

[٢١] عائد الى حيفا ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ .

[٢٢] يجب ان اشير الى ان هذا العرض لاعمال غسان كنفانى قاصر على اعماله الفنية ، وهو بالتالى لا يتناول ثلاثة دراسات اصدرها على التوالى هى : ادب المقاومة فى فلسطين المحتلة [دار الاداب ، بيروت ١٩٦٦] ، فى الادب الصهيونى [دراسات فلسطينية ، العدد ٢٢ ، ١٩٦٧] ، الادب الفلسطينى المقاوم من ١٩٤٨ الى ١٩٦٨ [مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٩]

كما اود ان اشير الى هذا العرض قد افاد من مقالين سبق ان نشرتهما عن غسان كنفانى . راجع : مأساة فلسطين فى ادب غسان كنفانى ، الفكر المعاصر ، العدد ٣١ ، سبتمبر ١٩٦٧ ، عن رجال غسان كنفانى وبنادقهم التهديدية ، روز اليوسف ٢٨ – ١٢ – ١٩٦٨ .



« كتبت هذا المقال خصيصا للملحق الكاتبة الافرو - امريكية كونستانس هليارد . وهى تعد رسالتها لنيل الدكتوراه من جامعة هارفارد فى التاريخ العربى والافريقى ، وتقوم الان بدراسة اللغة العربية بالجامعة الامريكية فى القاهرة . وقد نقل المقال الى اللغة العربية الشاعر الفلسطينى مريد البرغوثى »

كونستانس هليارد

ايقاعات وجذور الشعر الأسود فى أمريكا

كانت السنوات ما بين ١٩٦٤ و ١٩٦٨ سنوات حرب فى أمريكا • فقد تفجرت مدنها بسلسلة متلاحقة من الثورات بلغ من شانها أنها كشفت للجميع وهن اقوى جهاز عسكرى فى العالم ازاء نضال داخلى عنيف • وفى يوليو ١٩٦٧ شكل الرئيس ليندون جونسون لجنة للنظر فى أسباب هذا العصيان المسلح الذى قام به السود • وبالرغم من أنه لا يمكن بأى حال من الاحوال وصف هذه اللجنة بأنها راديكالية ، فان النتائج التى توصلت اليها كانت صدمة عنيفة للوهم الجماعى الذى تعيشه أمريكا البيضاء • حيث ورد فى تقريرها : « ان العنصرية البيضاء مسئولة بشكل أساسى عن الاضطرابات المتفجرة فى مدننا • ان أمريكا الان تسير على نهج سوف يؤدى حتما الى تقسيمها الى مجتمعين ، مجتمع أسود ، ومجتمع أبيض منفصلين وغير متكافئين » • على ان الاشارة الى ان هذا التقسيم سوف يتم فى المستقبل كانت موضع جدل بين كثير من السود ، حيث أن أمريكا كانت دائما منقسمة الى مجتمعين بالفعل • ولكن هذه الاوقات الحرجة بالذات هى التى تكشف بشكل متزايد ان الغضب الاسود يمثل قنبلة زمنية تتكتك فى قلب أغنى دولة فى تاريخ العالم •

ان حالة احتجاج السود المريرة تتضح اكثر ما تتضح فى موسيقاهم ومسرحهم وادبهم • والثقافة السوداء ، من اكثر أشكالها غريزية وتلقائية الى أشكالها الاكثر تهذيبا وتطورا كانت دائما نابعة من الجماهير السوداء • ولهذا فان الشعر ، وهو اكثر أشكال التعبير الادبى تلقائية ، يقدم لنا أوضح الصور على الاطلاق لحالة الغضب والرفض التى يعيشها السود • فالشاعر الاسود يقول :

سحقا للقصائد ما لم تكن اسنانا
خناجر فى الكروش القذرة للاثرياء اليهود
نريد قصائد تقتل ، قصائد اغتيالية
قصائد تطلق الرصاص
قصائد تنفث الغاز السام على الوحوش
« ذوى القبعات الخضراء » (١)
وتطهر العالم من أجل الفضيلة والحب
فلنتوقف عن كتابة قصائد الحب
حتى يستطيع الحب أن يعيش بحرية وبنقاء
فليفهم السود
انهم المحبون وأبناء المحبين
انهم المحاربون وأبناء المحاربين
انهم القصائد والشعراء
وانهم كل الروعة فى هذا العالم
(الفن الاسود - امير بركه)

ان الشعر الامريكى الاسود ، كما وصفته ، بحق ، احدى المجموعات الشعرية الهامة « عملية تلقائية » • وبقدر ما هو فكرى يستمد قوته من رؤى نفاذة فانه أيضا لصيق بطبيعة الرجل الاسود تماما كطريقته فى المشى والعدو أو الحركة والايماء •

لقد رفعت التقاليد الادبية للغرب الشعر دائما الى أعلى مستويات الشكل الفنى البحت ، وذلك من أجل تذوق الطبقة المثقفة المرفهة • بينما نرى أن الطبقة الدنيا ، التى تشكل منذ عهد العبودية أصول الشعر الاسود والموسيقى السوداء ، تطرح الشعر كنبض للبروليتاريا السوداء المسحوقة فى جيتو

(١) اسم يطلق على « القوات الامريكية الخاصة » التى تقوم بعمليات وحشية ضد الثوار فى حرب العصابات ، خصوصا فى أمريكا اللاتينية وجنوب شرقى آسيا ، وذلك نسبة للون القبعات التى يرتدونها



المدن الامريكية وأيضا كأفضل أشكال التعبير الادبي الخلاقة في أمريكا الان :

لمجرد أن في شارعك قمامة ملقاه

فذلك لا يعني ان لا مجال للحضارة هناك

انه لا ينبغي عليك ان تخرج باحثا عن الحضارة

الحضارة يجب أن تنبع منك أنت

(الحضارة - أمير جهاد)

ان الجزء الاكبر والاهم من الشعر الاسود تعبير سياسي في أرقى الاشكال الفنية ، والى جانب قيامه بدور الامتاع فانه أيضا يعمل على الارتقاء بإيمان الرجل الاسود بنفسه ومن خلال ثقافته الى مستوى الوعي السياسي • ولقد كان لعاطفية وحساسية السود في وصفهم للحياة أعمق الاثر في توسيع اللغة الانجليزية أيضا ، وافساحها لتتضمن على نطاق واسع لم تعرفه من قبل هذه الاحساسيس الانسانية والايقاعات الفكرية • وقد دخل عدد ضخم من تعبيرات شوارع الجيتو الاسود وملاهي الجاز في اللغة اليومية للطبقة الوسطى الامريكية • والشباب السود ، القلقون والعاطلون عن العمل يقفون على نواصي الشوارع يرددون أشعار أمير بركه ومحمد نور وسونيا سانتشيز في سياق محادثاتهم العادية كما يرددون مقاطع من آخر اغنيات جيمس براون •

وفي اعداد هائلة ومتزايدة ، يعلن السود اليوم كما أعلن الشاعر الاسود لانجستون هيوز الذي ذاع صيته منذ عشرين سنة : « ان أمريكا لم تكن أبدا أمريكا بالنسبة لي » • وهذه العبارة تؤكد حقيقة أن الامريكيين السود لا يزالون مواطنين من الدرجة الثانية في أمريكا بالرغم من تقارير الحكومة اليومية التي تتحدث عن تحسن موهوم في أحوالهم • وفي نفس الوقت فان احصائيات الحكومة نفسها تعترف مضطرة أن نسبة البطالة بين الامريكيين السود تقارب ١١ في المائة من عدد السكان وان الرجل الاسود ذا التعليم الجامعي يتقاضى - على مدى حياته كلها - راتبا أقل مما يتقاضاه الرجل الابيض الذي لم يكمل دراسته الثانوية • غير اننا لسنا بحاجة للاحصائيات لاظهار التناقض بين البيض والسود ، وما على المرء الا أن يتجول في شوارع هارلم - أشهر جيتو في أمريكا - ليطالع مظاهر الفقر المدقع والبؤس الانساني في خضم الثروة الامريكية • ان كارولين م • روجرز تصف تربيتها في الجيتو بهذه الابيات :

لثات ثورة ما

حالة السلام لا أعرفها

على اية حال

كنا جميعا هناك

مجرد العيش كان حرب عصابات •• بيه

لثات ثورة ما

اذ ليس هناك ما هو أسوأ من الاحداث التي رأيتها

ان جريمة « اللاانسانية » التي يتهم بها السود أمريكا هي انها ضحت بالسود ليعيشوا في فقر بينما هي تفاخر بأضخم انتاج قومي شامل العالم • لقد عمل السود ٤٠٠ عام بدون أجر وكانوا هم القوة العاملة التي صنعت من امريكا ما هي عليه الان ، دون أن يعود عليهم شيء من ثروتها • وعلى سبيل المثال ، بينما كان العالم كله يرحب بهبوط أمريكا على سطح القمر ، كانت أمريكا السوداء تملك شيئا مختلفا تماما لتقوله عن ترتيب الاولويات لدى أمريكا :

فار عض اختي نيل

ووايتي على سطح القمر (٢)

تورم وجهها وذراعاها

ووايتي على سطح القمر

لا أستطيع أن أدفع فواتير الطبيب

لكن وايتي على سطح القمر

ولعشر سنوات منذ الان

ساظل أدفع

بينما وايتي على سطح القمر

الضرائب تاخذ كل مرتبي

الباعة يسببون لي انهيارا عصبيا

سعر الغذاء في ارتفاع مستمر

وان لم يكن هذا كافيا

فان فارا عض أختي نيل

لقد طفح الكيل

سوف أرسل فواتير الطبيب هذه بالبريد

الجوى

الخصوصى

الى وايتي على سطح القمر •

(جيل هيرن)

ان المعنى المتضمن في اتهامات السود ضد لا انسانية أمريكا ليظهر حدته البالغة اذا ما نظرنا الى فيتنام مثلا وتأملنا الحماس الذي تواصل به أمريكا جهودها لتدمير الفلاحين الاميين الفقراء هناك • هذا التصرف الذي أثار استهجان كافة اركان العالم المتمدن • وفي جو كهذا فان الامريكيين السود يشعرون بقلق بالغ بشأن المصير الذي قد يخبئه لهم مواطنيهم البيض • ولا يزال السود يذكرون التهديد المقنع الذي أطلقه الرئيس ليندون جونسون ابان ثورات المدن سنة ١٩٦٦ مشيرا الى أن أعمال الشغب يمكن أن تتحول الى مذابح منظمة • ان اللامبالاة التي ابادت بها أمريكا الهنود الحمر ووصفت اليابانيين الامريكيين في معسكرات الاعتقال (٣) توحى بانه ليس في وسع الانسان الاسود أن يشعر بالاطمئنان على امنه في الولايات المتحدة • انه يجد القليل من العزاء في التاكيد على أنه اذا اقتضى الامر ان يوضع في معسكرات الاعتقال فسيكون ذلك مجرد وسيلة لحمايته من البيض الذين لا يمكن ضبطهم •

حان وقت الفعل

الفعل الثوري المدوي

الفعل الذي يقلب الاشياء رأسا على عقب •

الفعل الذي يحرك قلبي الدامي

الفعل الذي يعني التغيير الحقيقي

فالشياطين اقدر على ابادة الجنس البشري الان

مما كانوا عليه منذ هبطنا من القارب

(السفن المحملة بالعبيد)

حقا ••••

انني اتحدث بصراحة وبكل معنى الكلمة

ابادة الجنس البشري بكل معنى الكلمة

حسنا ، تتذكرون

تتذكرون اعمال الشغب في الصيف الماضي

أعمال الشغب في الصيف الماضي •• هاه

اعمال الشغب في الصيف الماضي لم تجد شيئا

في الصيف القادم سيبذل الرجل كل ما بوسعه ليفعل كل ما بوسعه ليمسحكم عن وجه الارض

(حان وقت الفعل - بوب بينيت)

ان ابرز موضوع يشغل الوعي الثوري لدى السود في أمريكا اليوم هو الدعوة للوحدة الافريقية • ويتضح ذلك في التقدير العميق الذي يكنه السود للتاريخ الافريقي والتاريخ العربي ولحركات التحرر الوطنية في العالم الثالث • ان الوحدة الافريقية تعطى للسود الامريكيين منظورا اوسع يثرى نضالهم الداخلي • ان السود يؤيدون نضال الفيتناميين

---

(٢) وايتي : تعني هنا الرجل الابيض الامريكي •

(٣) اشارة الى السياسة التي اتبعتها الحكومة الامريكية ابان الحرب العالمية الثانية بوصفها كل الامريكيين من أصل ياباني في معسكرات الإعتقال •



وأهالى جنوب افريقيا والفلسطينيين من أجل السيطرة على اراضيهم وتحريرها كوسيلة حيوية لمواجهة الاعتداءات الغربية على بلاد العالم الثالث • ويرى الامريكيون السود بوضوح ان هزيمة دولية للامبريالية سوف تفرض اعادة تنظيم عنصرية واقتصادية شاملة فى داخل الولايات المتحدة وعندما تتوقف امريكا عن احتكار مصادر الثروات فى العالم الثالث وقواه العاملة فانها لن تستطيع أن تمنح الامتيازات لاقلية من الرأسماليين والعمال البيض •

وتأتى حركة « امة الاسلام » بقيادة الايجا محمد فى مقدمة المناصرين لقضية التطور المستقل للسود ، وقضية الوحدة الافريقية • والنجاح الذى يلاقيه الاسلام بين الافريقيين السود يجب ان لا يدهش احدا اذا اخذنا فى الاعتبار ان السود لم ينسوا أبدا أن الغرب قد برر نشاطه الاستعمارى ، وأعماله الامبريالية ، واستغلاله ، واستعباده للرجل الاسود بحجة انها واجب دينى مسيحى •وهكذا نرى ان المسلمين السود فى أمريكا يبرزون اليوم كقوة بالغة الاهمية فى الحركة السوداء •

مدوا ايديكم كما لم تفعلوا من قبل عبر الليالى الماضية
الداكنة الثياب
نحو سهول القدر المنحوسة الطالع
مدوا أيديكم لقبول جائحة سوداء
نحو الهلال القمرى الساطع
نحو شمس الانبياء والسحر العتيق
تنشرنا حبا ، وجمالا خالدا وايقاعات كونية
تنسكب من انغام بوق فيرو
مدوا ايديكم عبر الموت نحو الديانة الام ـ المفقودة منذ قرون وراء حجاب عيون يهودية •
الى قلب افريقيا النابض الذى يصب فى مكه
الدم الدافىء الدفاق الذى يجرى بالحقيقة
واغرسوا تمائم الجوجو فى اذهانكم (٤)
ودعوا تلك الجثث المتحركة المتعفنة فى الغرب المجنون
مدوا ايديكم الى رحم الزمن عبر سلاسلكم
لتكتشفوا روحكم الافريقية
ذلك الجزء المقدس فيكم
الذى يربط هارلم بجنور تمبكتو
فى هذه الرحلة الاخيرة العظيمة ،
سيروا سويا ايها الاطفال
خذوا يدى
أيتها الإخت ايها الاخ
خذوا قلبى ، حكمتى • خذوا
اديروا هذه العجلة نحو نظامها الكونى :
حب الله المنبعث فى الشروق
ومن الجيتو تهب رياح الحرية اللاهية
والملائكة تهتف :
الشروق
نهار المحاربين
فى زوبعة نهوضنا فى الغرب
(توحيد ـ لاسكيا محمد أبو بكر تور
مهداه الى فيرو ساندرز ، عازف الجاز ولشباب الامة السوداء)

هذا بينما حكماء العالم الغربى يعلنون موت الله ، وموت الايديولوجيات ، وموت الشعر نفسه • ويتجه الشعراء البيض المعاصرون ، بشكل تآمرى ، الى التعبير الذاتى جدا ، منفصلين تماما عن قضايا الانسان • وعلى أية حال فان الدوافع التى تبعد الشاعر الابيض عن قضايا العالم الحقيقية هى نفسها ـ بل بشكل أكبر ـ التى تبرز النزعة الجماعية لكفاح السود وينعكس هذا اللجوء الى النزعة الانسانية العامة على التعبير الشعرى والسياسى لدى السود •

والشاعر الاسود لا ينقصه الوعى بالهوة الهائلة التى تفصله فى مجال الادب من زميله الابيض • فهذا رون ويلبورن يقول فى قصيدته المسماه « مقالة اولى عن الفن فى الولايات المتحدة :

آندى وارهول : (٥)
هناك علب حساء فارغه
ملقاه على جوانب الطرقات
هذا هو فن الولايات المتحدة
وموت فنكم ، والوجوه المتماثلة تماما
(الذين هم أشبه بالاشباح
بدون روح
بدون جوهر
ذلكم هو نتاج نظريتكم المعقدة فى الفن
ان موقفنا من الثورة راسخ الجذور
فى فن شعبى ، راسخ الجذور
بينما انتم بلا جذور
أشبه بالاشجار الميتة
عقولكم منفصلة عن قلوبكم
انتم بعيونكم الصناعية
المفعمة بروح (تجعل المرء يتامل نفسه من الداخل
ويرى ان حقيقته متفسخة وغامضة
ان حقيقته خلو من الحيوية التى نحياها نحن)
ان حيويتكم لا تتمثل الا فى ملاحقة الانسان وبعثرته فى خوف فى واتس ، وهارلم وافريقيا وفيتنام
ومهما كانت حقيقتكم ، فان فنكم يعكس حقيقتكم
يعكس اول فرضية لمعرفتكم للانسان
الذى لا يستطيع ان ينجو من فوضى الجحيم الذى يصنعه دون أن يشعر •

ان النزعة الانسانية تشكل بالنسبة لثورة السود الاجتماعية والسياسية جوهر مفهومهم لهذه الثورة • ولا يتبدى ذلك بمقدار ما يتبدى فى قصائد الشعراء السود ، ان حركة الاحتجاج السوداء تعتبر نفسها قوة ايجابية ومخلصة فى مجتمع يتحلل بالتدريج نحو شكل رهيب من الشمولية •وبالفعل ، فان نجاح لنضال السود يمكن أن يكون آخر أمل لامريكا فى الخلاص •

(٤) الجوجو ، اشارة الى نوع من التمائم التى تدل على القوة الروحية لحضارة افريقيا التى يشعر الافروامريكيين بانتمائهم لها •
(٥) آندى وارهول ، من كبار الشعراء البيض المعاصرين •• والبتيان التاليان من طريقته فى اختيار موضوعاته الشعرية

بيكاســــو



تاليف : احمد مرسى
نشر : وزارة الاعلام العراقية ـ بغداد ١٩٧٢

عرض : نبيل فرج

يتتبع أحمد مرسى ، فى كتابه عن « بيكاسو » ، الذى صدر اخيرا عن مديرية الثقافة العامة العراقية ، حياة واعمال الفنان العظيم ، الذى احتفلت الاوساط الفنية فى ارجاء العالم ، يوم ٢٥ اكتوبر الماضى ، ببلوغه التسعين من عمـره ٠

يبدأ الكتاب بمولد بابلو رويز بيكاسو فى الاندلس ، والظروف الاسرية التى نشأ فى ظلها ، وافعل المؤثرات التى تلقاها فى طفولته ، مما سيكون لها شأن فى انتاجه ، مثل حبه للحمام ، وتمكنه من حرفيات التصوير الى حد ينبيء عن امكانيات فذة كادت تحوله الى أسطورة ، وتنقلاته الدائمة بين برشلونة وباريس وهولندة ، واهتماماته المبكرة بالانسان ، الذى يشكل المحور الاساسى لموضوعاته ، وصداقاته للنساء ، وللادباء والفنانين والنقاد الطليعيين ٠

فتيات افينيون

ثم يقف المؤلف وقفة خاصة عند لوحة « فتيات افينيون » ، باعتبارها بـداية للاتجاه التكعيبى ، الذى يـرجع الى بيكاسو فضل استحداثه ٠ ينهض هذا الاتجاه على التصميم الهندسى المحكم والبناء المعمارى الصارم ، الاحادى اللون ، الذى يتخطى المنظور الثلاثى الابعاد ، والمعانى العاطفية التى كانت ترف بها أعمال بيكاسو من قبل ، عبر « المرحلة الـزرقاء » القـاتمة ، التـى استهل بها انتاجه ، بعد تجاربه الواقعية والانطباعية ، ثم « المرحلة الوردية » المتفتحة ، التى اتسمت هى الاخرى ـ على غير ما يرى جارودى فى كتاب « واقعية بلا ضفاف » ـ بـأحاسيس الوحشة والاغتراب ، ولو ان احمد مرسى لم يقف عند هاتين المرحلتين بالقدر الذى يتـلاءم مع حجمهـا بالنسبة لانتاجه ، ودلالتهما الفنية والفكرية ٠

الا انه تحت تاثير سنوات الحرب العالمية الاولى تنوع انتاج بيكاسـو ، وتراوح بين التكعيبية ـ التى اخـذت تنحسر شيئـا ـ والكلاسيكيـة ، أو الكلاسيكية الجديدة ، التى تلقى بثقلها كله على الخط ودقة التكوين ٠ كما قام بيكاسو فى هذه الفترة بتصميم مشاهد باليه « الاستعراض » وباليه « القبعة مثلثة الاركان » ٠

يلى ذلك مرحلة تحولات استمرت حتى سنة ١٩٣٦ ، مارس فيهـا الحفـر ، والنحت المعمارى ، وكتابة الشعر ٠٠ وكثرت معارضه التى جذبت اليها جماهير غفيرة ، ضاعفت من رواج اعماله وذيوع اسمه ٠

جورنيـكا

وحين دمرت قنابل الفاشية (هتلر وفرانكو) قرية جورنيكا الوادعة ، فى ٢٨ ابريل ١٩٣٧ عبر الفنان الملتزم عن الجريمـة البشـعة بلوحتـه الشـهيرة « جورنيكـا » ، التى تنساولها عشرات النقاد بالدرس والتحليل ، ووصفها أحمد مرسى وصفا ادبيا بحتا بانها « صرخة روح ثائرة تطالب بالثار » ٠

كذلك كانت اعمال بيكاسو ، خلال الحرب الكبرى الثانية ، مما يثير حفيظة الاحتلال النازى فى فرنسا ٠

وينتهى الكتاب ببضعة فصول عـن بيكاسو الحفار ، والخزاف والنحات ، نتعرف خلالها على جوانب خفية من طاقة الابداع عند هذا الفنان ٠ ثم يعرض لبيكاسو العاشق ، والجنس فى أعماله ، وبيكاسو فى التسعين : يصف فيه بيته ومرسمه وبرنامجه اليومى وعـاداته الاجتماعية ـ حتى يزيد من تقريبه الى القارىء ٠

رؤيا جمالية وانسانية

والحق أن الكتاب ، فى جملته ، يهتم ببيكاسو الانسان ، أكثر من اهتمامه بفنه كاعظم خالق للصور فى العصر الحديث ـ على حد تعبير مالروه ـ وأكثر من الاهتمام بالمشكلات التكنيكية التى يواجهها فى خلقه ، واسلوبه الفريد المتميز فى صياغة المادة الخام ، الذى يحقق به أعلى مستوى من الوحدة العضوية المحبوكة النسج ٠

ذلك أن بيكاسو من الطراز الذى يصدر فى ابداعه المتصل عن رؤيا جمـالية وانسانية متكاملة ، وصفها بنفسه بانها « أقوى منه » ، رؤيا متمردة تقف على تمام الوعى بالعصر ، وترمى دائمـا الى ادراك قوانين الوجود ادراكا عميقـا كاملا ، ما اكثر المعانى التى تلهمنا اياها ٠

لا غرابة اذن ان يدع بيكاسو على السطح كل ما يتراءى له فى المخيلة ، حتى يثرى العوالم الفنية التى يقيمها ٠

وهذه هى الاصقاع التى كان ينتظر اقتحامها من فنان مثل أحمد مرسى ، يخوض بجدية بالغة تجربة الخلق الفنى ، الى جانب ممارسة النقد ٠

ويحوى الكتاب مجموعة كبيرة من الصور ، المطبوعة طباعة جيدة ، ولكنها لا تغنى بالطبع عن مشاهدة أعمال هذا الفنان الخالد ، التى تجوب انحـاء العالم ٠

المنتهى

جورج ســالم

بياض يملأ المكان · كلّ مـا حوله أبيض : الجدران والمنـاضد والخـزائن والمـلاءات والثياب · لوحـات بيض يتداخل بعضها في بعض ،الشعور السود ملفعة بقناع أبيض ، وكذلـك الوجوه · ليس ثمة الا العيون · عيون بنية اللون ، وعيون سود وزرق وخضر· عينان خضراوان أمامه هناك ،ومن الاعلى يتعكس ضوء أبيض باهر ، يضفى على البياض نصوعا «حادا» · وهذا البياض الناصع كله لا يشف عن شيء ، ليس خلفه الا جدران صم ، جبال من الحجارة تقترب منه وتبتعد عنه ، فلا يستطيع أن يلمسها أو يمسك بها ·

الصمت الهائل ، الصمت المقـدس الخاشع المهيمن على كل شيء ، تمزقه أصوات دقيقة حادة ، ارتطام الملاقط والمشارط وحفيف الاصابع عليها · ومن بعيد ، من مكان مجهول يتناهى منه صوت تكتكة ساعة · صوت منتظم رتيب ، فيه رهبة ، وفيه قوة تثير في نفسه الفزع ·

أمام رجليه الممددتين المغطاتين يقف أحد الاطباء الثلاثة · كان يمسك بيده شيئا صغيرا كالسلك الرفيع ، لابد أنه الطبيب الذى زرقه بالابرة قبل قليل · وعن يساره وقف الطبيبان الاخران ، مرفوعة أيديهم كمن يؤدى طقوس صلاة ، ومن حولهما المرضات · لا يلبث المشرط أن يتحرك ، برشاقة ورهافة ، بين أنامل الطبيـب كقوس كمان في يد عازف ماهر ، الدم يسيل على الملاءات البيض ، ويصل الى ملتصق لحمه بالملاءة ·

يشتد صوت دقات الساعة ويقوى ، ليس فيما حوله ساعة ، لعلها غيـر موجودة في المكان كله ، ومع ذلك فهو يسمعها ، يسمع تكتكتها تتوالى ببطء وزتابة ، تشتد التكتكة وتتضخم ، وتعلو على كل صوت عداها ، يظهر الصوت أمام ناظريه حيا «متجسدا» يتحرك· يقرع الارض بسنابكه · خيول ، خيول ، تنبثق من وراء الافق ، جحافل من الخيول ، فترسم في الافق خطا أسود ، يختفى الليل ويبزغ الفجر من الافق ، فجر تسوده الخيول ، فتتصل الظلمة بـالظلمة ، ويلتصق الليل بالليل · كل ما حوله اسود مظلم ، ثم ينبعث الضوء فجأة ، يلتمع في الافق البعيد ، يشق الظلام والقتام · لم تكن الشمس هي التى أنارت العالم ، كان ضوءا أبيض سلطته سيوف بيض لا حد لها ، والسيوف تنير الكون ، تتقدم الجحافل نصفها العلوى أبيض منير · ونصفها السفلي أسود قاتم ، والشريط الطويل المنبسط الذى رسمته في الافق ، ينحني ويتقلص ، فيرسم هلالا ، وسرعان ما تلتمع التروس والدروع في ناظريه ، يحاول أن يرفع يده الى وجهه ليغطي عينيه ، فلا تطاوعه يده المسرة المرتخية الممددة على مستوى جذعه ·

قال الطبيب لزميله الواقف الى جانبه :
ـ حدق لترى ·

يتطلع الى الافق ، ينظر اليه ، يحاول أن يخترقه ببصره ، وجه من هذا ؟ جنكزخـان ؟ تيمـور لنك ؟ هـولاكو ؟ يحاول أن يرفع راسه ليرى فلا يستطيع · الوجوه الثلاثة متلاصقة متداخل بعضها في بعض · تختفى الوجوه ليظهر وجه واحد ، وجه يعرفه ، رآه في كتاب مدرسى ، هولاكو : فرسه كبيرة وسيفه أكبر ، وجحافل الجيش من ورائه ، ايقاع الساعة يشتد ،يتزايد ،تتلاحق الضربات، يقترب منه الوجه المخيف ، ويقترب · ثم يسدد اليه طعنة في صدره ، فيختلج · لقد جنبته الاختلاجة حد السيف ،·

قال له الطبيب :
ـ ما بالك تختلج ؟ أتشعر بالم ؟

ثم نظر الى الطبيب البدين الواقف قرب قدميه ·
ـ كلا لا أشعر بشيء البتة ،الدى يسيل وحسب ·
ـ دعه يسيل ولا تابه به ·

لاذ الطبيب بالصمت · عيناه ويداه تعملان · تحركت المقصات كان لهـا نحيب خافت ·
ـ آه ···

لم يعرف سبب انطـلاق هذه الاهة الطويلة التى انبعثت منه فجأة ·

التفت احد الطبيبين الى الاخر :
ـ نكاد نصل الى القلب ·

الصداع يمسك براسه كالملقـط ، والطرقات تتهاوى وتتوالى ، وتعـود جحافل الخيول لتملأ الفضاء · هولاكو يقترب · سنابك الخيول تثير النقع ، تلتمع النيران أمام عينيه ، القـرى تحترق ، المدن تحترق ، المنازل تحترق ، بحيرة من النار يسبح فيها النـاس والشوارع والمنازل ، ويجأر هولاكو :

ـ احرقوا كل شيء ، اسلبوا ما ترونه ، احرقوا الناس من الداخل ·

يحترق الناس ، يقول الجند لهولاكو :
ـ ههنا كتب وملفات ومكتبات ·

يهز رأسه ويصرخ :
ـ أما هذه فالقوها في الماء ·

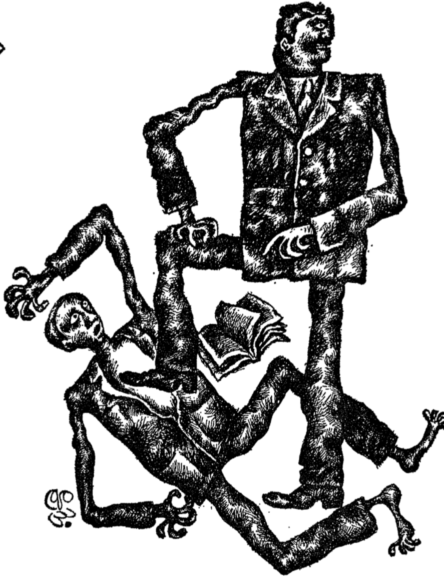
تضطرب القراطيس فوق صفحة الماء وتتقلب على وجوهها ، يغوص قسم كبير منها في اللجة ، ليفسح مجـالا لكتب اخرى ، ماء دجلة يتدافع بسرعة ويهدر في أذنيه · هو واقف وسط النهر والمياه السوداء تحيط به ، تندفع نحوه ، يتلقاها بصدره ، تغمره ، كل ما حوله أسود ، المياه السوداء تنفذ الى اذنيه ، وتملأ فمه وتعشي ناظريه ·

ـ هل قضيتم على العلم والعلماء ؟
ـ قضاء تاما ·

يبتسم الجنود إبتسامة الظفـر ، ويهزجون :







ـ لقد أحرقنا كل شيء ، وقضينا على كل شيء ، وتم النصر لنا ٠

توقفت طرقات المطارق فى اذنيه فارهف السمع ليلتقط ما يدور حوله ، قال الطبيب :

ـ ها قد وصلنا الى القلب ٠

وجس القلب براس سبابته ، ثم استدار نحو زميله :

ـ انه كسائر قلوب أبناء هذه المدينة ٠

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اليافه متخشبة ٠

ـ ولكنه يضخ الدم ٠

ـ عضلة ليس الا ٠٠٠

ـ ماذا فى نيتك أن تفعل ٠٠٠

، ليس في القلب عطب ، وليست فيه علة ٠

ـ هو سليم اذا ؟

ـ من الناحية الفيزيولوجية ؟ نعم ، ولكنه ٠٠٠

ـ ماذا ؟

ـ تباطات حركة اليدين الماهرتين ، واخذت المقصات والمشارط طريقها الى التعقيم ٠ وساد السكون ٠ انتقل الالم الى الطبيب :

ـ انه لا يحب ولا يكره ، لا يفرح ولا يحزن ٠

تنهد الطبيب الاخر ، ودارى دمعة ٠

تصدح الموسيقى وتقرع الطبول ٠ تدخل الفرقة الموسيقية التابعة لجيش هولاكو بسرعة الى المستشفى ٠ يسمع صوت أحذيتهم الثقيلة وهى تصعد السلالم ، ويدلف عدد منهم الى غرفة العمليات ٠ يقول قائد الفرقة الموسيقية للطبيب :

ـ ما هذا ؟

لا يتاح له أن يلتقط ما يقوله الطبيب ٠ يصرخ القائد :

ـ لماذا تضيعون وقتكم وجهدكم ٠ هيا بسرعة ٠

عينا الطبيب تسالان :

ـ ماذا نفعل ؟

ـ نحن بحاجة الى الاطراف العلوية والسفلية ٠

ـ عظامه ؟

ـ عظامه الفارغة ٠

ـ وما حاجتكم اليها ؟

ـ سنستخدمها مزامير للفرقة الموسيقية التى ستعزف اليوم لحنا جنائزيا ٠

يستدير قبل أن يخرج نحو الطبيب ويصيح :

ـ نريدها سليمة غير مفتتة ، انتزعوها من مفاصلها ٠

نادى الطبيب زميله البدين الواقف أمام قدميه المددتين ٠ وقال زائغ النظرة :

ـ يعاد تخديره ٠

الموسيقى تعزف ، تتصاعد الالحان ، شجية هادئة حزينة ٠ تشتد اصواتها وتقوى ، ويطغى صوت المزامير فيملا ردهات المستشفى والحي والمدينة والعالم كله ٠

المعلم عماشة لا يمثل الطبقة المتوسطة

ان هذه المسلسلة تمثل عالم الطبقة الوسطى فى واقعها الجديد .. فاذا كان هذا رأى الكاتب فما هو مفهوم الطبقة المتوسطة عنده ؟ ... هل المعلم عماشة يمثل الطبقة المتوسطة المصرية حقا ؟ .. الحقيقة انه اقرب الى شخصيات اغنياء الحرب منه الى فرد من افراد الطبقة المتوسطة ... فالطبقة المتوسطة مازالت كما هى لاتجلس على المقاهى وتدخر القروش لتربية الاولاد وتواظب على عملها [كما جاء فى المقال] وانما أمثال المعلم عماشة قلة لا تعبر عن هذه الطبقة التى تمثل القطاع الاكبر من المجتمع المصرى ...

فهذه الطبقة تحاول ان ترفع مستوى معيشتها بالادخار والعمل – نتيجة لدخول الاجهزة الحديثة – وليس بالاستهلاك « الهاى » كما جاء فى المقال ... ثم يقول الكاتب [ان عماشة المتخلف البلدى يحرزنا من مخاوفنا من عالم الاستهلاك « الهاى » ويدعونا لاقتحامه دون خوف او وجل] ما الذى يقصده بذلك ؟ هل ان عماشة كان على حق فى افعاله هذه ؟ او ان الطبقة الوسطى المصرية تخاف من عالم الاستهلاك وان عماشة يفتح لها الطريق لهذا العالم ؟ وهل عالم الاستهلاك الهاى هو السهر فى المطاعم واللوكندات الفاخرة وهل يستطيع كل افراد الطبقة المتوسطة اقتحام هذا العالم ؟

ثم يقول الكاتب بعد ذلك [الا ان عماشة فى الوقت ذاته لايدفع اجورا لعماله لانه يدير محله بطريقة بدائية كما ان علاقته بعماله علاقة أبوية لا دخل للنقود فيها] الحقيقة انا لم استطع ان اعرف هل الكاتب ينقد هنا ام انه يوافق على هذا الاتجاه . وفى الحق ان الجزء السابق فى المقال غير واضح على الاطلاق اذا كان الكاتب مع المسلسلة ام عليها فموقفه غير واضح .

بعد ذلك يتعرض الكاتب للجنس فى المسلسلة ، ويقول انه لايوجد فيها اثر للخوف القديم من الجنس [وهذا هو الجديد فى التمثيلية فى رأى الكاتب] فهو يقول ان المقدمة الغنائية التى ترسم لنا صورة للمسلسلة عندما تقول ان عماشة تزوج وطلق عدة مرات ولا يزال « ال ايه » له غراميات .. ان هذه « الال ايه » تهدىء ضمائرنا وتعطيها اجازة . ولكن فى الحقيقة هذه « الال ايه » تزعج ضمائرنا الى اقصى حد ..... ثم قول الكاتب ان [سهير زكى هى مثل الرمز الحى المتحرك لهذا الموقف الجديد من الجنس] فما هو هذا الموقف الجديد؟ ان التمثيلية تتكلم عن الجنس بطريقة مبتذلة مثلها مثل كل الافلام المصرية والتمثيليات الاخرى فلا جديد هناك . وسهير زكى لاهى رمز للموقف الجديد من الجنس ولا شىء ، ولكنها وضعت لملء الفراغ واضاعة الوقت فى التمثيلية ... ولكننى كنت اتصور ان يكون هذا الموقف الجديد من الجنس هو معالجته بطريقة صريحة غير طريقة البيع والشراء المبتذلة المقززة التى كانت فى المسلسلة .

وهناك نقطة اخرى وهى ان الكاتب يرجع سطحية المسلسلة الى عدم وضوح الرؤية عند مؤلف المسلسلة ، وان ذلك جعلها تشبه فوازير رمضان هدفها للتسلية . والحقيقة ان التمثيلية كان الهدف منها اولا واخيرا هو التسلية او الاضحاك ، ولم يكن المؤلف يصدر فى فى هذه المسلسلة عن موقف نقدى ولا غيره ، فلقد كانت التمثيلية من الناحية الفكرية رديئة ولا تمثل الطبقة الوسطى بأى حال ، وانما كان هدفها الاول هو عدم جعل المتفرج يفكر بل يضحك بأى شكل ولو حتى بضرب الممثلين [كما كان يفعل عماشة مع قفة وغيره] .

اخيرا يقول الكاتب ان التمثيلية نجحت لانها تجاهلت كثيرا من تصوراتنا الفكرية عن الواقع وجابهته مباشرة ... ولكن ماهو مقياس النجاح هنا : هل هو متابعة المسلسلة ؟ فى الحقيقة اذا اخذنا بهذا المقياس نكون اخطأنا ، لان ميعاد اذاعتها فى رمضان وبعد الافطار مباشرة يجعل عددا كبيرا من الناس يراها ، اى بصورة اضطرارية ، وان كان هناك كثير من الناس لم يتابعها ..... وايضا هل العمل الناجح هو الذى يتجاهل تصوراتنا الفكرية عن الواقع – وكيف يتجاهلها ثم يجابهها بصورة مباشرة كما جاء فى المقال .

الحقيقة العمل الناجح هو الذى يمثل الواقع بدقة ويجعل المشاهدين يتفاعلون مع العمل وبحيث لايكون دورهم مقصورا على الفرجة فقط ... العمل الناجح هو الذى يبقى دائما ولا يذهب فى طى النسيان مثل مسلسلة عماشة التى لايذكرها الان احد .

واذا اخذنا مثلا على العمل الناجح فيكون حلقات « القاهرة والناس » فهى لاتتجاهل تصوراتنا عن الواقع لان هذه التصورات لا تنفصل عن الواقع .

سناء ابو المعاطى


لتزيد دخلك
وتواجه أعباءك
يمكنك شراء
شهادات
المجموعة "ب"
إحدى
المجموعات
الثلاث
لـ
شهادات استثمار

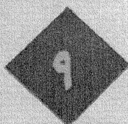
مطابع الأهـــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

السنة الثامنة ـ سبتمبر ١٩٧٢

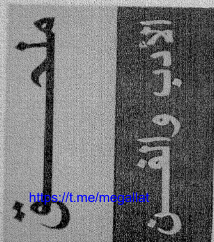


◆ أمريكا : الوجه والقناع فى الشرق الأوسط

◆ البرجوازية الصغيرة فى البلدان المتخلفة .. قدراتها وآفاقها

◆ المغرب .. بين «انقلاب القصر» والسخط الشعبى

◆ ميثاق العمل الوطنى فى الجمهورية العراقية «الوثائق»



الطليعة

طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

الفهرس

العدد التاسع ــ السنة الثامنة ــ سبتمبر ١٩٧٢

		ص
■ أمريكا : الوجه والقناع فى الشرق الاوسط		٥
ــ الامبريالية الامريكية وتصدير رأس المال الامريكى	عطيه مهدى سليمان	٦
ــ المؤسسات المالية الامريكية فى لبنان ودورها فى السيطرة على رأس المال العربى	د. هشام البساط	١٤
ــ العرب وأمريكا .. فى مرآة التبادل التجارى بعد ١٩٦٧	محمد ابو الحديد	٢٦
ــ الوجود العسكرى الامريكى فى الوطن العربى	محمود عزمى	٣١
ــ اتجاه الضربة الرئيسية نحو المصالح الامريكية		
● شبكة صهيونية دولية لاصحاب الملايين الامريكيين	احمد صادق سعد	٤٣
ــ أمريكا وحركة التحرر الوطنى العربية	وديع امين	٤٨
ــ أمريكا .. العدو الرئيسى	عبد المنعم الغزالى حسين شعلان	٥٣
ــ الهدف الحقيقى للحل الامريكى	خيرى عزيز	٦٢
ــ حصان طرواده الامريكى أو « نظرية الغزو من الداخل	غالى شكرى	٦٩
● البرجوازية الصغيرة فى البلدان المتخلفة . . قدراتها وآفاقها	محمود عبدالمنعم مرتضى	٧٨
● « الكوميكون » .. والتكتلات الاقتصادية الدولية	د. محمود متولى	٨٤
■ تقارير الشهر وتعليقات :		٩٥
ــ المغرب بين انقلابات القصر والسخط الشعبى	كمال السيد	١١٣
■ مكتبة الطليعة :		
ــ مصر تسعى الى تكوين جماعة سياسية	ناداف صفران عرض د. وليم سليمان	١١٨
■ مناقشات مفتوحة :		١٢٥
■ كيف يناقش عضو التنظيم الخطة الاقتصادية :		
ــ وثيقة تنظيمية		١٣١
■ وثائق :		
ــ ميثاق العمل الوطنى فى الجمهورية العراقية		١٣٥
■ ملحق الادب والفن :		١٤٧

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

د. محمد الخفيف

شارك في تاسيس « الطليعة
واسرة تحريرهـــا
فبـــاير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

ان « الطليعه » ميـدان مفتوح لكل راى حر ، وهى اعتقــادنا ان تفــاعل الاراء الحرة على اختــلافها هو وحده الــذى يســتطيع ان يبلور ويستخلص وحـــدة فكرية اصيلة .

من هــذا المفهــوم تفتح « الطليعــه » صفحاتها لكل راى لــديه كلمة يقولهـــا ــ مؤمنة بشعار الحــرية المجيــد الذى اطلقــه فولتير فى القــرن الثــامن عشر « قــد اختلف معــك فى الراى ولــكنى على اســتعداد لان ادفــع حيــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رائك » ..

أمريكا

الوجه والقناع

فى

الشرق الأوسط

لامريكا فى الحقيقة وجه واحد ، وان تعددت الاقنعة وألوان الماكياج التى تتزين بها .. وهو الوجه الذى أجاد الشعب العربى منذ وقت مبكر رؤيته ببصيرته الوطنية المرهفة ، أما الذين لم يروه فهم أولئك الذين شاركوا فى صنع الاقنعة الزاهية الالوان . أولئك الذين حاولوا خديعة شعوبهم حين ارتبطت مصالحهم الفئوية الضيقة بمصالح الحفنة القليلة من الاحتكاريين الامريكيين الكبار .

أولئك الذين كانوا حلفاء الامس مع الاحتكارات الانجليزية والفرنسية ، هم أنفسهم الذين فتحوا أبواب الوطن العربى على مصراعيها لتحالفات اليوم مع أمريكا . وهى التحالفات التى بدأت غداة الحرب العالمية الثانية ، وتطورت واتسع مداها خلال الربع القرن الاخير . واستطاعت أمريكا خلال هذه الفترة أن تدعم وجودها فى المنطقة العربية : على كافة الجبهات . ولم تكن (اسرائيل) الا واحدة من هذه الجبهات ، هى الجبهة العسكرية ..ولكن الوجود الامريكى على مختلف الجبهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية يملأ ساحة الوطن العربى طولا وعرضا ... تتباين أساليب هذا الوجود ووسائله فى التخفى والتستر ، ولكن العين الوطنية السليمة قادرة على رؤيته وتلمس أبعاده الخطرة على حاضر أمتنا ومستقبلها .

و (الطليعة) تساهم بدراستها الرئيسية فى هذا العدد : فى وضع خريطة تقريبية لمواقع الاستعمار الامريكى الجديد فى الوطن العربى ، حتى تتمكن القوى الوطنية والتقدمية وهى تبنى استراتيجيتها الثورية من التعرف الموضوعى الدقيق على (حجم) عدوها الرئيسى فى معركة شعبنا المصرية .

الامبريالية الأمريكية

وتصدير

رأس المال الأمريكى



د. عطية مهدى سليمان

يمكن من البداية ان نقرر ان النظام الرأسمالى المعاصر ، هو نظام رأسمالية الدولة — الاحتكارية . ويقصد بنظام رأسمالية الدولة — الاحتكارية ، ذلك النظام الذى تتداخل فيه الاحتكارات الاقتصادية مع الدولة من ناحية ، ومن ناحية أخرى توافر شكل الملكية الفردية الاحتكارية وشكل ملكية الدولة الاحتكارية . ويعتبر هذا النظام عموما قد بدأ فى الظهور والتطور ، بعد الازمة الاقتصادية العالمية فى بداية الثلاثينات ، الا ان شكله النهائى لم يثبت الا فى الستينات . ويمكن القول ان النظام الرأسمالى قد شهد تطورين رئيسيين خلال القرن العشرين :

١ — التطور الاول : وهو التطور من الرأسمالية الحرة أو التنافسية ، الى الرأسمالية الاحتكارية ، وبالتالى اختلفت طبيعة المشروع الرأسمالى الاحتكارى عن طبيعة المشروع الرأسمالى فى القرن التاسع عشر . وقد جاءت هذه التغييرات نتيجة لنمو التركيز فى رأس المال والملكية الفردية لوسائل الانتاج ، والرغبة فى التحكم فى ادارة وتمويل مشروعات كبيرة . وكانت هذه التغييرات نفسها دافعا الى مزيد من التركيز فى رأس المال والملكية ، ويمكن الاشارة هنا الى انه فى سنة ١٩٤٦ ، فان ١١٣ من المؤسسات الكبيرة فى الولايات المتحدة كانت تملك نصف وسائل الانتاج فى الاقتصاد الامريكى .

٢ — الانتقال من الرأسمالية الاحتكارية الى رأسمالية الدولة — الاحتكارية : وجاء هذا الانتقال نتيجة التغيرات الكمية فى دور ووظيفة الدولة فى النظام الرأسمالى من ناحية ، والتغيرات فى شكل الملكية فى النظام الرأسمالى من ناحية أخرى . ففى المرحلة السابقة ، أى مرحلة النظام الاحتكارى ، كانت الملكية تتصف بالتجمع «In groups» مثل : الكارتلات ، والبنوك القابضة ، والترتست .

«Cartels — holdings and trusts» .

الا انه فى المرحلة الراهنة للتطور الرأسمالى ، فانه بجانب هذا النوع من الملكية الاحتكارية ، توجد أيضا ملكية الدولة الاحتكارية ، وبالتالى فانه

يمكن القول بأن شكل الملكية فى النظام الرأسمالى فى الوقت الحالى ، أصبح يتكون فى الاساس من الملكية الفردية الاحتكارية [فى شكل تجمعات ملكية] . وفى الملكية الاحتكارية الجماعية [فى شكل ملكية الدولة] .

وكما يقرر كل من باران وسويزى ، فان النظام الرأسمالى فى شكله الحاضر ، هو نظام مركب من مجموعة من الاحتكارات التى تعمل بهدف تحقيق أكبر ربح احتكارى ممكن . ويمكن لهذه المجموعات الاحتكارية ان تحدد مستوى الاسعار بالشكل الذى يحقق اكبر ربح لهذه المجموعات ككل [١] [وهذه الاسعار تقترب عموما من الاسعار الاحتكارية التى تحدد بتقاطع منحنى الايراد الحدى مع منحنى التكاليف الحدية فى حالة الاحتكار] . ولكنه من ناحية أخرى يوجد عاملان مهمان يؤثران على تخفيض التكاليف المستمر ، وهما : ديناميكية تقسيم الاسواق ، ودعاية البيع . وكل من هذين العاملين لا يرتبطان بنظام الاسعار ، ومن هنا فان اتجاه التكاليف نحو الانخفاض المستمر ، مع ثبات الاسعار ، يؤدى الى اتجاه الارباح الى التزايد المستمر . **ومن هنا يمكن القول بأن القانون الذى يحكم النظام الرأسمالى فى مرحلته الحالية ، هو قانون تزايد « الفائض الاقتصادى »** ، والذى لا يستفيد به المجتمع ، وانما يذهب الجزء الاعظم منه الى مجموعات الاحتكاريين . وقد حل هذا القانون ، أى قانون تزايد الفائض الاقتصادى ، محل قانون اتجاه معدل الربح الى الانخفاض . وهو القانون الذى ساد الفكر الاشتراكى لمدة طويلة ، كقانون رئيسى يحكم النظام الرأسمالى ، ويؤدى به الى الانهيار .

ويمكن استيعاب الفائض الاقتصادى ، وذلك باستخدامه فى أربعة اتجاهات رئيسية :

١ ـ **استهلاك مجموعات الرأسماليين والاحتكاريين** : وعلى الرغم من انه يمكن ملاحظة ان حجم هذا النوع من الاستهلاك فى تزايد مستمر من ناحية الكمية ، الا ان نسبته الى الفائض الاقتصادى فى تناقص مستمر . ومعنى ذلك ان الاستهلاك الوفير لطبقة الرأسماليين والاحتكاريين ، عاجز عن استيعاب الفائض الاقتصادى .

٢ ـ **الاستثمار الجديد** : ومن المعروف فى التحليل الاقتصادى ان الاستثمار هو اما استثمارا تبعيا او استثمارا تلقائيا . وبخصوص الاستثمار التبعى ، فان نسبة هذا الاستثمار الى الفائض الاقتصادى ، أو نسبته الى الدخل القومى ، لا يمكن ان تستمر فى الارتفاع بدون حدود . وكذلك بالنسبة الى الاستثمار التلقائى ، فهو لا يستطيع ان يبتلع كل الفائض الاقتصادى ، أو حتى جزءا كبيرا منه ... فعلى الرغم من ان التقدم الفنى يستدعى احلال الآلات والمعدات المستخدمة فى عملية الانتاج ، بآلات ومعدات حديثة ، فان هذه العملية لا تتطلب استثمارا ضخما ، وعلى الاخص اذا اخذنا فى الاعتبار ان جزءا كبيرا من هذه العملية ، أى عملية الاحلال ، يتم تحويله باستخدام مخصصات الاحلال والاستهلاك لرأس المال .

٣ ـ **الاستثمار الخارجى** : وذلك عن طريق تصدير رأس المال الى العالم الخارجى ، وبالاخص الى دول العالم الثالث ، ويلعب تصدير رأس المال دورا مزدوجا ، فهو من ناحية يؤدى الى تصدير الفائض الاقتصادى المتولد فى الداخل ، ومن ناحية أخرى يؤدى الى خلق فائض اقتصادى جديد ، يفوق فى كميته عدة مرات الفائض الاقتصادى

[١] بول باران ، بول سويزى فى : «Monoply Capital. An Essay on» The American Economic and Social Order». New York 1968.

المصدر . وسوف نبحث تصدير رأس المال فى جزء تال .

٤ — **الانفاق العسكرى** : ومن الظواهر الاساسية فى النظام الرأسمالى المعاصر تزايد الانفاق العسكرى بدرجة كبيرة ، حتى فى أوقات السلم ، فيصل حتى مستوى ٤٦٣٠٠ مليون دولار فى سنة ١٩٦٠ فى الولايات المتحدة ، بنسبة ٦١٫٥ ٪ من الميزانية ، وبنسبة ٩٫٢ ٪ من الدخل القومى . وهذا المستوى يساوى أكثر من نصف أعلى مستوى وصل اليه الانفاق العسكرى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وهو ٩٠٥٠٠ مليون دولار سنة ١٩٤٥ . وقد جذب الانفاق العسكرى انتباه كثير من الاقتصاديين الاشتراكيين ، كعنصر هام من عناصر النظام الرأسمالى ، وكمخرج لأزمته الاقتصادية الناتجة عن عدم امكانية استيعاب الفائض الاقتصادى المتوالد [٢] وعلى الرغم من أهمية هذا العنصر ، الا اننا لن نتناوله بالتحليل فى هذه المقالة .

تصدير رأس المال والنظام الرأسمالى المعاصر

بعد التحليل السابق لطبيعة النظام الرأسمالى المعاصر ، وهو نظام رأسمالية الدولة الاحتكارية ، فانه يمكن بحث دور تصدير راس المال وعلاقته بخصائص النظام الرأسمالى المعاصر ، وعلى الاخص النظام الامريكى .

ولقد سبق أن اشرنا الى ان النظام الراسمالى المعاصر ، والذى يطلق عليه عادة « الامبريالية الحديثة » ، يقوم على اساس اقتصادى رئيسى ، وهو توالد الفائض الاقتصادى والتراكم الرأسمالى ولقد سبق أيضا أن اشرنا الى كيفية استخدام هذا الفائض الاقتصادى والاتجاهات التى يمكن أن يتركز فيها هذا الاستخدام ، ووصلنا الى النتيجة التى تقرر ان كلا من الاستهلاك الخاص بطبقة الرأسماليين ، وكذلك الاستثمار الجديد ، رغم انهما يستوعبان جزءا كبيرا من الفائض الاقتصادى ، الا ان ذلك لا يعنى ان هذا الفائض غير موجود . وبالتالى فان النتيجة الموضوعية هى حتمية وجود الانتاج الفائض ، والذى سوف يؤدى الى وجود بطالة فى عناصر الانتاج المختلفة مما يؤدى الى الانكماش والانهيار الاقتصادى . ولقد أشرنا الى انه يوجد طريقان للتخلص من هذه الحتمية ، وهما : تصدير رأس المال ، والانفاق العسكرى . **ومن هنا نرى ان تصدير رأس المال والانفاق العسكرى يرتبطان ارتباطا عضويا بطبيعة النظام الامبريالى الحديث ، وذلك كحل ضرورى لأزمته الراهنة** . وقبل ان نتحدث بالتفصيل عن تصدير رأس المال ، فانه يجب الاشارة الى الدور الذى يقوم به التراكم الراسمالى بصفة عامة فى النظام الامبريالى . وعموما فان التراكم الرأسمالى يقوم بدورين اساسيين [٣] :

١ — فمن ناحية ، يؤدى الى خلق او توالد الفائض الاقتصادى فى مكان العملية الانتاجية [المصنع — المنجم — الارض — السوق ... الخ] ، ومن هذه الناحية فان التراكم يكون عملية اقتصادية بحتة ، يدور الصراع فيها بين العمال والرأسماليين ، ويتم فيها استغلال العمال اقتصاديا ، وذلك عن طريق الاجور المنخفضة كثيرا عن الانتاجية الفعلية للعمل .

٢ — ان التراكم الرأسمالى الذى يتم خارج نطاق النظام الرأسمالى [سواء الداخلى او الخارجى] ، يؤدى الى توليد الفائض الاقتصادى خارج النظام الرأسمالى . ومن هذه الناحية ، فان عملية التراكم الرأسمالى ليست عملية اقتصادية بحتة وانما تتحكم فيها السياسة الاستعمارية ، نظام الائتمان العالمى ، سياسة الاحتواء والتطويق ، والحروب . والوسائل التى تستخدم هنا هى سياسات الضغط والتهديد والابتزاز .

ومن خلال هذين الدورين الرئيسيين ، يحاول النظام الرأسمالى الحديث ، الخروج من ازمته ، وعلى الاخص عن طريق تصدير رأس المال او الفائض الاقتصادى الى الخارج .

[٢] أنظر مثلا المراجع التالية :

a) Barnan, P.A., and Sweesy P.M., ibid.
b) Barah «Reflection on under consumption» in Allocation of Resources ed. by Abramovitz, California, 1959 pp. 52 — 63.
c) Roza Luxemburg «Accumulation of Capital» London 1963 ch. 32.
d) Mahmoud Abdel Fadil Hussein «Reflections on The Role of Military spending in the functioning of contemporary Capitalism «Co. existance, Vol. 8 1971 pp. 15 — 21.

Rosa Luksemburg «Accumulation of Capital» London 1963 p. 573.

دور السـوق الخارجية فى استيعاب الفائض الاقتصادى

وكنتيجة لعدم امكانية السوق الداخلية فى النظام الراسمالى فى استيعاب الفائض الاقتصادى بأكمله ، اصبحت السوق الخارجية ذات اهمية خاصة بالنسبة للنظام الراسمالى ، فى كونها امكانية جديدة لاستيعاب الفائض الاقتصادى من ناحية ، وخلق فائض اقتصادى جديد من ناحية أخرى . ويمكن القول ان دور السوق الخارجية فى استيعاب وخلق الفائض الاقتصادى ، يظهر فى صورتين رئيسيتين :

الاولى : فى تصدير واستيراد السلع . وفى هذه الصورة يتم التبادل التجارى بين النظام الراسمالى وبين النظام الغير رأسمالى [الدول المتخلفة عموما ، والقطاعات الغير رأسمالية فى الدولة الراسمالية] ، ويتم التبادل هنا على أساس تصدير السلع التى يزيد انتاجها عن حاجات الاستهلاك والاستثمار [أى الطلب الكلى] للسوق الداخلية ، ويتم استيراد السلع التى يوجد عليها طلب داخلى ، سواء لعدم انتاجها فى الداخل ، مثل السلع الزراعية والمواد الأولية والوقود ، أو لعدم كفاية الأنتاج الداخلى فى مقابلة احتياجات الطلب الداخلى . ومن الملاحظ فى هذا المجال ان مؤيدى النظام الراسمالى يدافعون بحرارة عن عملية التبادل هذه ، بوصفها عملية اقتصادية بحتة ، تتم لمصلحة جميع الاطراف وبالتالى يدعون الى حرية التجارة ، والى توسيع وزيادة التبادل التجارى ، وقد يكون هذا صحيحا ، الا انه من الملاحظ انه يتم فى حدود [illegible] ، عملية « سرقة اقتصادية » ، وذلك عن طريق ما يسمى بمعدلات التبادل الدولى «Terms of Trade» وهى تعبر عن العلاقة بين اسعار المواد المستوردة واسعار المواد المصدرة . ولو كانت هذه المعدلات ثابتة ، لكان هناك احتمال بقبول الدعوة الى حرية التجارة ، ولكن الملاحظ عموما ؛ هو ان هذه المعدلات تميل الى التغيير فى غير صالح الدول النامية باستمرار ، وذلك نظرا لارتفاع اسعار السلع التى تصدرها الدول الراسمالية المتقدمة [النظام الامبريالى] ، والانخفاض المستمر فى اسعار الحاصلات الزراعية والمواد الخام التى يصدرها القطاع الغير راسمالى .

ومن هنا ، فان تصدير السلع والخدمات لا يؤدى فقط الى تصدير جزء من الناتج الفائض ، والذى لا يوجد عليه طلب داخلى ، وانما يؤدى أيضا الى اشباع الحاجات الداخلية بامكانية الاستيراد ، وكذلك يؤدى الى خلق فائض اقتصادى جديد فى شكل الفروق بين أسعار السلع المصدرة وأسعار السلع المستوردة .

الثانية : تصدير راس المال : ويعرف تصدير راس المال عموما ، بأنه تصدير للفائض الاقتصادى ، بغرض التخلص من هذا الفائض من ناحية ، واستغلال امكانيات الانتاج المتاحة فى العالم الخارجى ، وبالتالى خلق فائض اقتصادى جديد من ناحية أخرى . ويأخذ تصدير الفائض الاقتصادى أشكالا متعددة ، لعل اهمها الاستثمار الفردى والقروض الحكومية أو الفردية ، وكذلك الهبات والمعونات الحكومية ، وعلى الأخص المعونات العسكرية والفنية للدول التى تقع تحت سيطرة النظام الامبريالى بطريقة أو بأخرى .

جـدول رقم ۱

رأس المال الفردى من الدول الاعضاء فى منظمة التعاون الاقتصادى المستثمر سنويا فى دول العالم الثالث [بالمليون دولار]

	۱۹٦۰	۱۹٦۱	۱۹٦۲	۱۹٦۳	۱۹٦٤	۱۹٦٥	۱۹٦٦	۱۹٦۷	۱۹٦۸
الاجمـالى	۱۹٦۹	۱۹۸٦	۱٥۲۸	۱۷۱۰	۱۹۱۰	۲۷۰۲	۲۳٥٥	۲۱۰۲	۲۷۷٥
فى صناعة البترول	٥٦٤	۷۱٦	۳۲۳	٤۰۱	٥۳۲	۸۷۸	٦۰٤	....	....
فى باقى الصناعات	۱٤۰٥	۱۲۷۰	۱۲۰٥	۱۳۰۹	۱۳۷۸	۱۸۲٤	۱۷٥۱	....	....

المصدر : L. Durand — Réville «Les Investissements privés au service du tiers-monde; Paris 1970. p. 80.

جدول رقم ٢
مجموع الاستثمارات الامريكية الفردية المباشرة فى دول العالم المختلفة من عام ١٩٢٩ الى عام ١٩٦٨
[بالمليون دولار]

الدولة / السنة	١٩٢٩	١٩٣٦	١٩٤٣	١٩٥٠	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦٣	١٩٦٨
كل دول العالم	٧٥٢٨	٦٦٩١	٧٨٦٢	١١٧٨٨	٢٥٢٦٢	٢٧٢٥٥	٢٩٧٣٥	٣١٫٩٠٠	٣٧٠٠٠	٦٥٠٫٠٠
كندا	٢٠١٠	١٩٥٢	٢٣٧٨	٣٥٧٩	٨٦٣٧	٩٣٣٨	١٠١٧١		١٢١٣١	
أمريكا اللاتينية	٣٤٦٢	٢٨٠٣	٢٦٢١	٤٤٤٥	٧٤٣٤	٧٧٥١	٨٢١٨		٥٩٢٧	
أوربا	١٣٥٣	١٢٥٩	٢٠٥١	١٧٣٣	٤١٥١	٤٥٧٣	٥٣٠٠		٨٨٤٣	
أفريقيا (اجمالى)	١٠٢	٩٣	١٢٩	٢٥٧	٦٦٤	٧٤٦	٨٤٣		١٢٤٦	
الجزائر	٣	١	٥	٦	١٠	١٢١	١٦		٤٥	
مصر	٧	٨	١٧	٣٩	٥٧	٥٩	٦٠		٢٦٣	
ليبيا										
آسيا	٣٩٥	٤٠٣	٣٧٧	١٠٠١	٢٠١٩	٢١٧٨	٢٢٣٦		٢٦٣٩	
منها										
الشرق الاوسط	١٤	٤٧	٦١	٦٩٢	١١٣٨	١٢٢٤	١٢٨٠		١٢٠٦	
استراليا	١٤٩	١١١	١٢٩	٢٥٦	٦٩٨	٧٨٦	٨٧٦		١١٧٢	
باقى العالم	غير معروف	٢٦	غير معروف	٣٥٦	١٠٤١	١١٨٨	١٣٢٠		١٧٠	

المصدر U.S. Business Investissements in Foreign Countries Published by U.S. Department of commerce O.B.C. Fortune Dec. 1963.

ومن خلال الجدول رقم [١] ، يظهر تطور تصدير رأس المال الفردى من النظام الرأسمالى الى دول العالم الثالث .

واذا ما أخذنا فى الاعتبار الاستثمارات الامريكية الفردية والمباشرة فى دول العالم الاخرى ، فاننا نجدها قد تطورت بشكل ملحوظ خلال السنوات الاخيرة ، وهذا يتضح من الجدول رقم [٢] :

ويمكن من هذا الجدول معرفة ان مجموع الاستثمارات الامريكية فى الخارج قد تضاعفت أكثر من ثلاث مرات ونصف المرة خلال الفترة من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٦٣ ، ثم تضاعف مرة أخرى خلال الفترة من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٠ ، وبخصوص تدفق رأس المال الامريكى الى الشرق الاوسط ومنطقة شمال أفريقيا ، والتى يمكن ان يصوروا معا بلاد العالم العربى ، نجد ان الاستثمارات الامريكية بدأت متأخرة نسبيا فى هذه المنطقة ، فهى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية لم تتجاوز ١٠٠ مليون دولار ، ثم أخذت فى الارتفاع فجأة ، وعلى الاخص بعد اكتشاف البترول العربى ، لتصل الى ٧٠٠ مليون دولار فى سنة ١٩٥٠ ، ثم الى ٢٫١ بليون دولار فى سنة ١٩٥٧ ، ثم الى أكثر من ٧٫١ بليون دولار فى سنة ١٩٦٣ .

ولقد وصلت الايرادات الصافية فى هذه المنطقة ، بعد خصم كل الضرائب والمستحقات ، الى أكثر من ٦٠٧ ملايين دولار فى سنة ١٩٥٧ ، أى نصف رأس المال المستثمر فى هذه السنة . ووصلت هذه الايرادات الى مستوى ٦٥٧ مليون دولار فى سنة ١٩٥٨ .

وهذه التطورات فى تصدير رأس المال الامريكى تؤكد ان الاستثمارات الاجنبية فى بلاد العالم الثالث لها طبيعة خاصة . واذا نظرنا الى توزيع الاستثمارات الامريكية على قطاعات الانتاج المختلفة ، لوجدنا ان هذه الاستثمارات تتركز أساسا فى الصناعات الاستخراجية ، وعلى الاخص البترول والحديد والذهب والنحاس ، وذلك بغرض استغلال هذه الموارد الطبيعية ، ووضعها فى خدمة تطور الاقتصاد الامريكى ، وكذلك التركيز على الاستثمارات فى الزراعة بغرض الحصول على المواد الزراعية لتصنيعها لتغذية سكان الدول المتقدمة ، وعلى الاخص الشعب الامريكى . وكنتيجة لهذه السياسة ، فان اقتصاديات الدول النامية أصبحت آحادية الجانب فهى اما مصدرة للمواد الاولية او الصادرات الزراعية ، وأصبحنا الان نجد دولا كثيرة ، وعلى الاخص فى العالم العربى ، تتمتع بدخل عال بالنسبة للفرد ، نتيجة الحصول على عائد كبير من التصدير للمواد الاولية ، وعلى الاخص البترول . ورغم ذلك فان اقتصاد هذه البلاد ما زال يعتبر اقتصادا متخلفا غير ناميا .

والواقع فان الصورة سوف تتغير كلية إذا ما أخذنا فى الاعتبار ، ليس فقط الاستثمارات الفردية المباشرة ، وانما مجموع الاستثمارات

الامريكية ، سواء المباشرة وغير المباشرة . ويتضح ذلك من الجدول رقم [٣] :

واذا ما أخذنا فى الاعتبار تطور الاستثمارات الامريكية فى العالم ، نجد انها قد تضاعفت ثلاث مرات خلال الفترة من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٧٠ ، بينما نجد ان الاستثمار الفردى وحده قد زاد اكثر من ست مرات ، ليقفز من ١٩ بليون دولار فى سنة ١٩٥٠ ليصل الى ١١٩ر٤ بليون دولار فى سنة ١٩٧٠ ، ونجد أن معدلات الزيادة فى السنوات الاخيرة هى معدلات عالية جدا فقد زاد خلال سنة ١٩٦٩ بمعدل يقترب من ١٠ ٪ سنويا ، من ١٠٢ر٥ الى ١١٠ر٢ بليون دولار فى عامى ١٩٦٨ و ١٩٦٩ على التوالى ، وكذلك من ١١٠ر٢ الى ١١٩ر٤ فى سنة ١٩٧٠ ، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى أهمية تصدير الفائض الاقتصادى فى الاقتصاد الامريكى للخارج .

ومن ناحية أخرى ، نجد ان الاستثمار الفردى طويل الاجل ، والذى يشكل الجزء الهام والفعال فى عملية تصدير راس المال ، هو الذى يجيز الاستثمار الفردى الخاص ، وذلك سواء فى شكل استثمار فردى مباشر متصل بالعملية الانتاجية وتكوين الفائض الاقتصادى المباشر ، أو فى شكل شراء أوراق مالية لدول العالم الخارجى وتكوين فائض اقتصادى مالى . ومما يدل على نشاط راس المال الامريكى الخاص ، هو زيادة معدلات الاستثمارات الامريكية فى الخارج ، فنجد انها ارتفعت من ١٧ر٥ بليون دولار فى سنة ١٩٥٠ ، لتصل الى ٤٤ر٥ بليون دولار فى سنة ١٩٦٠ ، اى أنها زادت بحوالى ١٥٠ ٪ خلال فترة السنوات العشر ، ومرة أخرى نجدها زادت من ٤٤ر٥ سنة ١٩٦٠ ، لتصل الى ٧٧ر٥ بليون دولار سنة ١٩٧٠ ، لتزيد بحوالى ٥٠ ٪ خلال هذه الفترة . ومن الواضح ان السبب الرييسى فى الزيادة الضخمة خلال فترة الستينات ، راجعة اساسا الى الاستثمارات الكبيرة التى تمت فى صناعة البترول الجديدة فى دول العالم الثالث .

تصدير الفائض الاقتصادى

فى شكل قروض ومساعدات

وعلى الرغم من الاهمية الكبيرة التى يتمتع بها الاستثمار الفردى فى عملية تصدير رأس المال والفائض الاقتصادى الى السوق الخارجية من ناحية ، وفى عملية خلق فائض اقتصادى جديد نتيجة للاستقلال الاقتصادى للدول النامية : الا انه يمكن ملاحظة ان راس المال الخاص مازال يأخذ فى الاعتبار العوامل الاقتصادية وخاصة معدلات الارباح ودرجة الامان التى يمكن ان يتمتع بها فى الخارج . وكنتيجة لذلك فان زيادة تصدير الفائض الاقتصادى عن طريق ، الاستثمار الفردى فى الاسواق الخارجية يعتبر محدودا الى درجة كبيرة ولا يمكن ان يستمر الى مالا نهاية . وكان نتيجة لهذه الظروف الموضوعية التى تحكم تصدير رأس المال الخاص ان بدات الحكومات فى الدول الرأسمالية البحث عن اشكال اخرى لتصدير رأس المال والفائض الاقتصادى غير شكل الاستثمار الفردى . ولا يمكن ان يعتبر ذلك احلالا لرأس المال الفردى وانما هو مكملا له وعاملا هاما فى تثبيت رأس المال الفردى والحصول على درجة عالية من الامان له .

وكان من اهم هذه الاشكال الجديدة هى المساعدات لدول العالم الثالث وكذلك القروض

جدول رقم ٣
الاستثمارات الامريكية فى العالم
[بالبليون دولار]

اتجاه الاستثمار	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠
مجموع الاستثمارات والاصول الامريكية فى العالم [٢ + ٨ + ٩]	٥٤ر٤	٨٥ر٨	١٤٦ر٨	١٥٧ر٨	١٦٦ر١
الاستثمار الفردى [٣ + ٧]	١٩ر٠	٤٩ر٤	١٠٢ر٥	١١٠ر٢	١١٩ر٤
الاستثمار طويل الاجل [٤ + ٥ + ٦]	١٧ر٥	٤٤ر٤	٨٩ر٥	٩٦ر٠	١٠٤ر١
المباشر	١١ر٨	٣١ر٩	٦٥ر٠	٧٠ر٨	٧٧ر٢
الاوراق المالية	٤ر٣	٩ر٥	١٨ر٢	١٨ر٧	١٩ر٩
مستحقات للبنوك الامريكية	١ر٤	٣ر١	٦ر٤	٦ر٦	٧ر٠
استثمار قصير الاجل	١ر٥	٥ر٠	١٣ر٠	١٤ر٠	١٥ر٣
قروض الحكومة الامريكية	١١ر١	١٧ر٠	٢٨ر٥	٣٠ر٧	٣٢ر٣
احتياطات مالية [فى شكل ذهب وخلافه]	٢٤ر٣	١٩ر٤	١٥ر٧	١٧ر٠	١٤ر٤

المصدر : Federal Reserve Bulletin, April 1971 p. 280.

طويلة الاجل . وتخدم هذه المســاعدات اهداف النظام الامبريالى الجديد والتى تتركز اساسا فى:

أ ــ الاحتفاظ بالدول الحديثة الاستقلال والدول النامية فى نطاق العالم الرأسمالى .

ب ــ جذب الدول الحديثة الاســتقلال والتى مازالت لم تحــــدد شــــكل وطــريق نموهـــا الاقتصـــــادى والأجتمـــــاعى الى النظـــــام الرأسمالى ، والوقوف ضــد اختيــار الطريق الاشتراكى للتقدم والتطور .

جـ ــ الاحتفـــــاظ بقوتهـــــا وتاثيرهـــا فى اقتصاديات الدول النامية .

د ــ الاحتفاظ باسواق هذه الدول كاسواق لتصدير السلع الصناعية وكمصدر للحصول على المواد الخام والحاصلات الزراعية .

هـ ــ الاحتفاظ بامكانية استقلال هذه الدول اقتصاديا عن طريق توليد فائض اقتصادى يعـــاد تصديره الى الدول الرأسمالية .

و ــ التأثير على سياسات الدول النامية على النطـــاق العـــالمى .

ز ــ الاحتفاظ بالمناطق الاستراتيجية والتى تتمتع بمميزات عسكرية خاصة .

ومن الطبيعى ان هـــذه الاهداف قد لا تظهر جميعها فى وقت واحد ، وانما يتم التركيز على هدف أو أكثر وذلك بالاخذ فى الاعتبـــار حالة كل دولة وكل منطقة على حدة .

وهذا النوع من تصدير الفائض الاقتصــــادى يشمل اشكالا متعـــددة من المســـاعدات المادية والنقدية ، فهى تشمل المساعدات والهبات التى لاترد كما تشمل المساعدات عن طريق مشروعات معينة مثــل قانون الفـــائض الزراعى ومشروع مارشال او النقطة الرابعة ، وهى الى جانب ذلك تشمل بيع السلع والخـــدمات بشروط ائتمـــانية خاصـــة . وأخيرا فهى تشـــمل القروض طويلة ومتوسطة الاجل . وعلى الرغم من هذا الشكل من تصدير الفائض الاقتصادى الى الدول النامية يتم اما عن طريق الاتفاقيات الثنائية بين البلـــد الرأسمالى المتقدم والبلد النامى أو عن طـــريق طرف ثالث هو فى الغالب منظمات دولية ، الا ان الجزء الاعظم من هذه المساعدات ويبلغ ٩٠٪ من اجمالى هذه المساعدات يتم عن طريق الاتفاقيات الثنائيـــة . وهـــذه الحقيقة تعتبر فى حد ذاتها برهان قاطع على مدى استخدام الدول الرأسمالية لهذا النوع من تصـــدير الفائض الاقتصـــادى فى تحقيق الاهداف السابق الاشارة اليها ، وذلك عن طريق الاحتفاظ بالعلاقات الاقتصادية المبـــاشرة والتى من خلالها تستطيع تحقيق الاهداف المحددة من تصـــدير الفائض الاقتصادى ، وبصرف النظر عن شكل الهبة سواء كانت بدون مقابل او فى شكل قروض فانها تعطى فى الغالب على اساس الشراء من البلد العاطى للهبة وكذلك تحديد نوع السلع التى يمكن الحصول عليها . ومن هنا يمكن للبلد العاطى تحديد الاسعار المناسبة للبيع [وهى دائما أسعار مرتفعة نظرا لعدم وجود متنافسين لتقديم عروض باثمان اقل] . هذا من ناحيـــة ومن ناحية اخرى فانها تتم لتنفيذ مشروعات معينة يتم الاتفاق عليها بين البلدين ومن خلال ذلك يتم التأثير على اتجاه النمو الاقتصادى للدول النامية .

ومن الجدول (رقم ٣) الخاص بتدفق راس المال الامريكى سواء فى شكل أستثمار فردى أو فى شكل مساعدات وقروض يمكن أن ترى مدى الأثر الذى يمكنان يقوم به تصـــدير الفـــائض الاقتصادى الى الدول النامية .

ومن خلال تحليل اجراءات اعطاء الهبـــات وانواعها وشروطها فانه يمكن القول انها تعتبر اســتمرارا للتمويل الـــذى كان يتم قبـــل ذلك للمستعمرات التى كانت واقعة تحت ســيطرة الدول الاستعمارية ، والتى اخــذت الولايـــات المتحدة على عاتقها الاحتفاظ بهذه الدول فى اطار النظام الرأسمالى . ويتضح ذلك على الاخص من أن جزءا كبيرا من هذه المساعدات والهبات يتم انفـــاقه على الادارة العـــامة للدولة والخدمات وانشـــاء الطـــرق .

٦ ــ الخلاصـــــــة

ومن هذا التحليل الســـابق لطبيعة النظـــام الرأسمالى المعاصر والدور الذى يلعبه تصدير الفائض الاقتصادى فى شكل راس المال وارتباط هذه العملية ارتباطا جذريـــا بطبيعة النظـــام الرأسمالى المعاصر وهو نظام رأســمالية الدولة الاحتكارية ، والذى يتمثل خير تمثيل فى النظـــام الرأسمالى فى الولايات المتحدة الامريكية ، والمانيا الغربية واليابان ودول غرب أوربا ، يمكن أن نخلص الى نتيجة هامة ، وهى انه لا يمكن أن يكون هناك اتجاه نحو الالتقـــاء بين النظـــامين الرأسمالى والاشتراكى . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان النضال ضد الامبريالية العالمية

ونظام راسمالية الدولة — الاحتكاريه لايتم فقط بالشعارات وانما يجب ان ياخذ شكلا محددا وهو النضال ضد تصدير رأس المال فى الشكل الذى يتم به حاليا بفرض استمرار النهب الاقتصادى للدول الناميه وبلاد المستعمرات القديمه ، ان النضال ضد الامبرياليه العالمية ورأسمالية الدولة الاحتكارية يمكن أن يتجمع فى اتجاه خنق هــذه الدول وذلك عن طريق تأميم الاستثمارات الاجنبية واستخدامها فى عملية التنمية الاقتصادية لخدمة الجماهير العاملة .

جدول رقم ٤ تدفق راس المال الامريكى الى بلاد العالم الثالث| بالمليون دولار |

	متوسط ٥٠ — ٥٥	١٩٥٩	١٩٥٧
[١	مجموع التدفقات الحكومية والخاصة	٣ + ٤] .	١٧٢٦	٣٢١٦	٤١٠٠
[٢] مجموع التدفقات الحكومية	الاجمالى]	١٢١٩	٢١٤٨	٢٤١٢
[٣] مجموع التدفقات الحكومية [الصافى] .	١١١٨	٢٠٠٦	٢٠٩١
[٤] راس المال الصافى الخاص .	٦٠٨	١٢٣١	١٩٩١

١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥
٣٩٩٤	٣٢٧٦	٣٨٤٥	٤٥٨٧	٤٣٩١	٤٥٣٩	٤٧٩٠	٥٥٢٤
٢٦٠١	٢٥٥٠	٣٠٣٣	٣٩٦٤	٣٧٩٩	٣٩٧٤	٣٨٥٥	٣٩٢١
٢٤١٠	٢٣٢٢	٢٨٠١	٣٤٨٨	٣٥٧٣	٣٧٢١	٣٤٦٥	٣٦٢٧
١٣٢٦	٩٥٥	١٠٤٤	١٠٩٩	٧٦٩	٧٨٨	١٣٢٥	١٨٩٧

١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
٥٠١٥	٥٦٤٥	٥٨٠٩	٤٦٤٥
٤٠١١	٤١٣٠	٤٠٤٨	٣١٦٣
٣٦٦٠	٣٧٢٣	٣٦٠٥	٣٣٢٨
١٣٥٩	١٩٤٢	٢٢٠٤	١٣١٧

المرجع من : ٥٠ — ٦٣
المرجع من : ٦٥ — ٦٨

بيان لسنة ١٩٦٩
Development Assistance
1970 Review OECD
Paris 1970
Flow of financial resources to Less-deve. countries Table IV — 4 p. 149.
Resources for the Developing World
Table 16 p. 254.
OECD

يعتذر لطفى الخولى عن كتابة افتتاحية
هـذا العدد بسبب سفره الى الخارج

المؤسسات المالية الأمريكية فى لبنان

ودورها فى السيطرة على رأس المال العربى



د. هشام البساط

- رئيس ادارة الاحصاء والدراسات فى البنك العربى المحدود ببيروت .
- خريج كلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٦١ .
- حصل على الدكتوراه فى الاقتصاد من فرنسا عام ١٩٦٦ ، وتخصص فى السياسة المالية والمصرفية .
- أمين عام نادى الخريجين فى صيدا وله نشاط ثقافى ونقابى واسع . نشرت له دراسات ومقالات فى عديد من الدوريات والمجلات .
- كان ينتمى لحزب البعث حتى عام ١٩٦١ ، وتركه بعد الانفصال .
- من أبرز الباحثين الاقتصاديين المشاركين بنشاط فى كشف دور رؤوس الاموال والمصارف الامريكية فى اقتصاديات وسياسات المشرق العربى .

لابد لنا فى معرض بحثنا عن المؤسسات المالية الامريكية فى لبنان من عرض لمحة موجزة عن كيفية دخول رأس المال الاجنبى لبلادنا والدور الذى تقوم به الامبريالية الامريكية اليوم فى محاولتها للسيطرة على ثروات العالم الثالث ونهب خيراته .

كيف تم دخول المؤسسات المالية الاجنبية :

كانت السلطنة العثمانية مسرحا واسعا للنزاع العنيف بين الدول الرأسمالية المتطورة التى تمتعت مؤسساتها المصرفية بقدرات مالية كبيرة وخبرات مصرفية عالية سهلت لها مجال السيطرة المالية خاصة بالنسبة للمصارف الانجليزية الفرنسية والالمانية . وبانتهاء السيطرة العثمانية ودخول سوريا ولبنان ضمن منطقة النفوذ الفرنسي عرفت المؤسسات المالية الفرنسية سيطرة خاصة الى جانب المؤسسات الاجنبية الاخرى .

ومنذ البداية كانت الغلبة والسيطرة للمؤسسات الاجنبية . أما دور المؤسسات الوطنية فكان ضعيفا وهامشيا للاسباب التالية :

« جــدول رقــم ١ » أكبر مصارف العالم الرأسمالى (٢) لعام ١٩٦٩.

اسـم المصرف	الجنسـية	مليون دولار [الودائع]
بنك اوف أمريكا	الولايات المتحـدة	٢٢١٧١
فيرست ناشيونال سيتى بنك	الولايات المتحـدة	١٩١٤٢
تشيز منهاتن بنك	الولايات المتحـدة	١٨٩٩٩
باركلز بنـك	بريطانيـا	١٢٥٠٨
مانيفكتورز هانوفر	الولايات المتحـدة	١٠٤٣٤
ناشيونال وستمنستر بنك	بريطانيـا	٩٦٥١
مورغـسان	الولايات المتحـدة	٨٩٨٦
بنكا ناشيونال دى لافورو	ايطاليـا	٨٨٤٩
ويسترن بنك كوربوريشن	الولايات المتحدة	٨٧٠٤
بنك ناشيونال دى بارى	فرنسـا	٨٢٥١
بانكرز ترست نيويورك	الولايات المتحـدة	٨٢٠١
كميكال نيويورك	الولايات المتحـدة	٧٨٨٣

— كونها بيوتا مالية فردية ضئيلة الرساميل وبدائية التنظيم اقرب الى المؤسسات الربوية منهـا الى المؤسسـات الماليـة فى المفهـوم الحديث . (١)

— ضعف التطور الاقتصادى العام فى البلاد، وبالتـالى ضـعف الدخـل الفـردى والادخار ، هذا بالاضـافة الى عـدم الاستقرار السياسي والاجتماعى ، والنظر بريبةالى المصارف (خاصة نظرة المسلمين للفائدة) وسيطرة عقلية التبذير عند القادرين وتدهور قيمة النقد فى كثير من الاحيـان .

— انعدام أى تشريع أو تنظيم خاص بنشاط المؤسسات المالية سواء فى العهد التركى أو فى ظل الانتداب الفرنسي مماترك الفرصةللمؤسسات المالية الاجنبية فى أن تغطى أغلب النشـاطات الاقتصادية الموجودة وتسيطر عليها . خاصـة أن هذه المؤسسات لم تكن تنظر الى اقتصـاد البلاد الا من زاوية مصالحها الخاصة بتحقيق أكبر قدر ممكن من الربح وتشـجيع عمليـات الاستيراد وتنشيط التجارة الداخلية حتى تقوى على تصريف المنتجات الاجنبية المستوردة .

ولم يغير الاستقلال كثيرا من العلاقات المالية الموروثة عن عهد الانتداب الفرنسى . حيثاستمر نشاط المؤسسات المالية الاجنبية وسيطرتها على الاسواق المالية المحلية . ولقد ساعد على ذلك ما تمتع به لبنان من ظروف مواتية على صعيد المال (سرية مصارف وحسابات مشتركة ، نظام ليبرالى لايحد من انتقـال الامـوال ولا ينالها بالضرائب العالية ولا يفـرق بين المؤسسـة الوطنية والاجنبية) .

دخول المؤسسات المالية الامريكية لـدعم النفوذ الاجنبى فى البـلاد

ولم يكن دخول المؤسسات المالية الامريكية مجال النشاط الاقتصادى فى لبنان فى أواسط الخمسينات الا توطئة لتقوية النفوذ الاجنبى بعد الضعف الذى عرفه الوجود الفرنسي والانجليزى فى المنطقة العربية . كما كان نتيجة لازدياد السيطرة الاميركية على العالم الثالث وقيـام الولايات المتحدة بدور الاداة الشرسة للامبريالية العالمية فى حربها لنهب خيرات العالم الثالث وثرواته . ولقد ساعد على ذلك سقوط الحكم الشمعونى (كميل شمعون) انذاك فى أيدى المخططات الامريكيـة والانجليزية كمنفذ واداة للرجعية العربية والامبريالية فى المنطقة ، مما أدى الى تصاعد الضغط الاستعمارى والتآمرى على البلاد العربية التقدمية لتبنيها سياسةعدم الانحياز ورفضها لسـياسة الاحلاف (مشروع ايزنهاور وحلف بغداد)

أهم المؤسسات المالية فى العالم .. أمريكية

لابد لنا من القاء نظرة سريعة على المؤسسات الماليـة الامريكية حتى نرى مقـدار نشـاطها وسيطرتها على أسواق المال والاعمالفى العالم،

[١] دكتور بدر الدين السباعى : أضـواء على الرأسـمال الاجنبى فىسوريا ١٨٥٠ ـ ١٩٥٨ ، ص ٩٤ ، دار الجماهير .

[٢] الامبريالية الحديثة ـ مسـح اقتصادى واحصائى صفحة ١٠، ملحق،مجلة قضايا السلم والاشتراكية عدد ٣ ، ١٩٧١.

وقد اكد تطور النظام المصرفى الحديث آن سيطرة رأس المال الاحتكارى والمالى اصبحت بدرجة لا مثيل لها . فالحصة العظمى من مصادر تمويل الاقطار الراسمالية تتمركز فى بضع عشرات من المصارف أغلبها أمريكية .

يبين لنا الجدول رقم [١] ان ودائع المصارف الامريكية الثلاثة التى لها فروع فى لبنان يزيدعن ٦٠ مليار دولار . كما تصل حصة المصارف الامريكية من ناحية العدد الى ربع عدد المصارف المائة الاول فى العالم ، ومن ناحية حجم النشاط الى ثلث حجم عمليات هذه المصارف . (٣)

أما بالنسبة للمجموعات المالية الرئيسيةالتى تقوم على اندماج رأس المال المصرفى والصناعى فانها تلعب دورا كبيرا فى اقتصاديات الراسمالية العالمية وتسيطر على قسم جوهرى من الصناعة والتجارة والنقل والخدمات . وتلعب المجموعات المالية الامريكية دورارئيسيا فىاقتصادالامبريالية العالمية ، فبالاضافة الى سيطرتها على المصارف فانها تمارس السيطرة على عدد ضخم من الاحتكارات الامريكية فى اكثر من ٦٠ بلدا فى العالم وعلى وكالات البيع فى ٣٠ بلدا آخر . أن تغلغلها فى أسواق البلدان الاخرى يجعلها قادرة على كسب السيطرة على الفروع الهامة فى الاقتصادمثل النفطوالكيمياويات والالكترونيات .. الخ . وفى الجدول رقم (٢) أهمعشر مجموعات مالية أمريكية . (٤)

حجم التوظيفات المالية الامريكية فى الخارج

زاد حجم التوظيفات المالية الامريكية فى الخارج بشكل كبير خلال العقدين الماضيين ، كما يبين الجدول رقم (٣) .

« جدول رقم ٣ »
التوظيفات الامريكية فى الخارج (٥)
١٩٥٠ — ١٩٦٩

نوع التوظيفات	١٩٥٠	١٩٥٥	١٩٦٩ مليار دولار
خاصة	و ١٩	٢٩،١	١١٠،٦٢
حكومية	١٢،٥	١٤،٢	٣٠،٧
المجموع	٣١،٥	٤٣،٣	١٤٠،٦٩

« جدول رقم ٢ »
اهم المجموعات المالية الامريكية لعام ١٩٦٨

اسم المؤسسة	المصالح الرئيسية	صيرفة	صناعة تجارة خدمات	مجموع الموجودات
نيويورك [مورغان]]	نفط ، فولاذ ، كبماويات ، سيارات اجهزة كهربائية ، الكترونيات ، مطاط	٥٤،٧	١١٢،٨	١٩٧،٥
نيويورك [تشيز كميكال آل روكفلر]	أغذية ، ورق ، كيماويات ، نفط ، اجهزة كهربائية الكترونيات	٦٧.٤	٥٧،٢	١٢٤،٦
كاليفورنيا [ويسترن بنك كوربوريشن كروكر ويلز فارغو سكيورتى باسفيك]	نفط ، معدات فضائية ، أجهزة كهربائية الكترونيات	٤٥،ـ	٢١،٧	٦٦،٧
شيكاغو [أملغميتد دن هيلتون]	فولاذ ، نفط ، معدات كهربائية	١٧،٤	٣٧،٦	٥٥،٠
نيويورك [فيرتستناشيونال سيتيبنك]	نفط ، كيماويات ، اطارات ، فولاذ	١٩،٤	١٣،٥	٣٢،٩
مليونر [فيرست بوسطن]	سيارات ، أجهزة كهربائية ، فولاذ	٧،٣	٢٢،٤	٢٩،٧
بوسطن	فولاذ ، أجهزة كهربائية	٢،٠٢	٧،٩	٢٨،١
تكساس [كريت أمريكا املغميتد ميركسون]]	نفط ، كيماويات ، أغذية ، هندسة	١٤،٧	١٣،٧	٢٧،٧
كليفلاند [املغميتد همفرى هان ايتون]	فولاذ ، كيماويات ، مطاط ، سيارات أجهزة كهربائية ، ماكينات زراعية	٧،٦	١٦،٤	٢٤،٠
ديبونت	كيماويات ، نفط ، مطياط ، اطارات اغذية ، خدمات	٧،٦	١٤،١	٢١،٧

[٣] American Barker July 31, 1969
[٤] الامبريالية الجديدة ص ١٤
[٥] المصدر نفسه ص ١٧

وهذا يبين مدى تداخل وسيطرة الراسمال الامريكي فى العالم . خاصة أن هناك قوانين جديدة تحكمت بتصدير رأس المال بعد الحرب العالمية الثانية . فبعد أن كان رأس المال يصدر الى البلدان النامية للحصول على مصادر المواد الخام والاستفادة من أجور العمل المنخفضة، نجد اليوم كميات كبيرة من رأس المال تصب فى البلدان المتطورة اقتصاديا لخلق وحدات انتاجية ومالية كبيرة تزيد من حدة الاحتكارات العالمية وسيطرتها على العالم .

مردود الاستثمارات الامريكية في الخارج

اما بالنسبة لمردود التوظيفات الخاصة فانه كان يفوق فى كثير من الاحيان رأس المال المستثمر . مما يؤكد أن الاستثمار الاجنبي اداة شديدة الفعالية لتحويل الفائض المولد في الخارج الى البلد المستثمر .

ويذكر الاقتصاديان الامريكيان « **بول باران** » و « **بول سويزى** » في كتابهما « رأس المال الاحتكاري » (٦) بعض الارقام ذات الدلالة على ذلك :

« جدول رقم ٤ »
تدفق الإستثمار والدخل ١٩٥٠ — ١٩٦٣

السنة	صافى مدخول راس المال المستثمر المباشر	مليون دولار دخل الاستثمار المباشر
١٩٥٠	٦١٢	١٢٩٤
١٩٥٥	٧٧٩	١٩٧٥
١٩٦٠	١٦٩٤	٢٢.٦
١٩٦٣	١٨٨٨	٣.٥٩

أولا : المؤسسات المالية الامريكية في لبنان

يجب أن لاتؤخذ دراسة المؤسسات المالية الامريكية فى لبنان بالنسبة لحجم نشاطها فى العالم بل بالنسبة لحجم السوق المالي اللبناني وعلاقاته الوثيقة باسواق المنطقة العربية . حيث مازال السوق المالي فى لبنان يتميز بسيطرة المؤسسات الاجنبية والمختلطة وضعف دور المؤسسات الوطنية نظرا لان معظمها مؤسسات عائلية صغيرة تطورت من بيوتات مالية تعمل بالخصم او التحويل الى مصارف صغيرة تحمل اسم مؤسسة ماليةتتيح لصاحبهاحمل لقب رئيس مجلس الادارة كما تتيح له عقد الصفقات المالية والتجارية والعقارية بأموال الغير وجني الارباح الطائلة نتيجة ضعف التشريعات المالية وسهولة التهرب من مراقبتها وقوانينها . وكان من نتائج هذا الوضع انعدام وجود مؤسسات ماليةوطنية مجهزة بشريا وآليا بطاقات وامكانات المؤسسات المالية العصرية مما أدى الىتردى مستوىنشاطها أمام منافسة النشاط الاجنبي .

ولقد ساعد على ذلك غياب السياسة الاقتصادية العامة التى تسعى لبناء اقتصادوطنى يرتكز الى مقومات أساسية متينة تمكنه من مجابهة الازمات والتغلب عليها . كل هذه السلبيات وسط المؤسسات المالية الوطنيةأتاحت للمؤسسات الاجنبية فرصة ذهبية في السيطرة على الاوضاع المالية حيثيرتكز اليوم (احصاءات عام ١٩٧٠) ما يقرب من ٦٥ بالمائة من ودائع المصارف فى لبنان لدى المصارف الاجنبية والمختلطة فى حين لاتزيد حصية المصارف الوطنة عن ٢٠ بالمائة والعربية عن ١٤ بالمائة فقط .

ولم يكن المقصود من دخول المؤسسات المالية الاجنبية خاصة الامريكية السيطرة على السوق المالى اللبنانى فقط بل كان ايضا امكانيةالاتصال باسواق المنطقة العربية (٧) حيث يقوم لبنان بدور الوسيط بين الاسواق الراسمالية الغربية والداخل العربى .

نشاط المؤسسات المالية الامريكية

يتركز نشاط المؤسسات المالية الامريكية فى لبنان في : المصارف الامريكية ، المصارف المختلطةاللبنانية الامريكية، مكاتب التمثيل المصرفية

[٦] بول باران وبول سويزى :
من كتاب « رأس المال الاحتكارى »ص ١١٤ مصدر الجدول وزارة التجيارةفى الولايات المتحدة .
[٧] دكتور بيار نصر الله :
التسليف المتوسط الاجلفى لبنان ص٤٧ — ٤٩ « طموح المصارف الامريكيةليس فى ان تحتكر عددا أكبر من العملاء أو فى أن تركز لديها حسابات المؤسسات والادارات الامريكية أو فى ان تفتح الاعتمادات الكبيرة للعديد من العملاء ومنها بعض المصارف المحلية .. أن مايهم المصارف الامريكية خاصة ـ على ما أعتقد ـ أن تصبح بيروت مركز مراقبة الشرق الاوسط » .

بالاضافة الى شركات التأمين ومكاتب التوظيف المـالية .

أ ـ المصـارف :

لم يكن دخول المصارف الامريكية عام ١٩٥٥ النشاط المصرفى فى لبنان من الباب الضيق . بل عرف مركز بيروت المـالى منافسة اكبر المؤسسات المصرفية الامريكية فى العالم . تشيز منهاتن بنك (١٩٥٥) فيرست ناشيونال سيتى بنك ١٩٥٥ ، وبنك أوف أمريكا ١٩٦٣ .

كما شارك الراسمال الامريكي في مصرف عبر الشرق ١٩٦٤ ، وانتقلت اليه ملكية بنك نعيـم والانماء ١٩٦٩ هذا بالاضافة الى سبعة مكاتب تمثيل مصرفية من أصل ٢٤ مكتب تنشيط فى بيروت

وفى الجدول رقم (٥) أهم المعلومات الاساسية عن المؤسسات المصرفية الامريكية :

ب ـ شركـات التـامين :

يصل عدد شركات التأمين العاملة فى لبنـان الى ٨١ شركة منها ١٣ لبنانية ، ٥ عربيـة والباقى ٦٣ اجنبية موزعة كالتالى :

٢٤ انجليزية و٥ سويسرية و٢ المانية و٣ لبنانية و٤ هولندية و٢ اردنية و١٢ فرنسية و٣ ايطالية و٥ امريكية وواحدة : كويتية ، مصرية ، سورية هندية ، سوفيتية ، بلجيكية ، وباهامس . أما شركات التأمين الامريكية الستفهى كما فى الجدول رقم [٦] :

« جـدول رقـم ٥ »

معلومات عن المصارف الامريكية فى لبنان

المصارف الامريكية	تاريخ بدء العمـل	رأس المال فى لبنان	ممثل المصرف فى لبنان
ـ تشيز منهاتن بنك	١٩٥٥	٣ مليون ل.ل.	ب.ك. هيلى
ـ فيرست ناشيونال سيتى بنك	١٩٥٥	٣ مليون ل.ل.	ف.س. ولسون
ـ بنك اوف اميركا	١٩٦٣	٣ مليون ل.ل.	جيمس تويلون
المصـاريف المختلطـة اللبنـانية الامريكيـة :			
ـ بنك عبر الشرق	١٩٦٤	٣ مليون ل.ل.	حامد باقى
ـ بنك كونتنتال الانماء	١٩٦٩	٨ مليون ل.ل.	لبو ش. دى كرايس
ـ فيرست ناشيونال بنك أوف شيكاغو	١٩٦٩	٣ مليون ل.ل.	هاريون ف. تمبست
مكـاتب التمثيـل المصرفيـة :			
ـ بنكرز ترتست كومبانى			ميخائيل الشـمور
ـ كميكال بنك			ميخائيل جون دافيد
ـ كونتتال اليبوتر اوف شيكاغو			ريتشارد ستورش
ـ فيرست ناشيونال بنك اوف بوسطن			د. ادفان غزالـة
ـ ايرفنغ ترست كومبانى			خالق ار لوغرول
ـ مينفكترز هانوفر ترست كومبانى			حسان صبينى
مورجان غرانتى ترست كومبانى أوف نيويـورك			بيتر ج. روز

« جـدول رقـم ٦ »

شركات التامين الامريكية (٨)	راس المـال فى الخارج مليون دولار	الموضوع	الفروع	الممثل فى لبنان
American International Underwriters Mediterrenean Inc.		تمثيل شركات التامين	الفروع فى جميع البلاد العربية	Artewis A. W. Joukousky
American Life Insurance Company	٥ر٥٠	تامين حياة	بيروت ، طرابلس ، صيدا، زحله، الاردن، السعودية ، ليبيـا ، الكويت ، بحرين ، قطر	Robert Staton
The Hanover Insurance Company	٢٢ر٨	حوادث ، حريق ، نقل	فى جميع انحاء العالم	American Interntaional Underwriters
Insurance Company of North America	٥٦ر٨	حوادث ، حريق ، نقل	ــــــ	جـان شـدياق
Life Insurance Company of Pensylvania	٧ر٥	تامين حياة	ــــــ	سـمير كيروز
St. Paul & Marine Insurance Company	٢٠ر٠	حوادث ، حريق ، نقل	ــــــ	Thomas Hauff

(٨) دليل الشركات اللبنانية المساهمة ١٩٧١.

ج ــ الصناديق المشتركة :

اول ما ظهرت فكرة الصناديق المشتركة في انجلترا (مقاطعة Ecosse) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث فكر بعض اغنياء المنطقة في وضع اموالهم في صندوق واحد مشترك حتى يتمكنوا من تثميره والاستفادة من الخبراء الماليين المتخصصين دونما كلفة كبيرة عن طريق تنويع استثماراتهم وتوزيع الارباح المحققة حسب نسب مساهمة كل منهم . وكان ظهور اول صندوق مشترك كما نعرفه الان عام ١٩٢٤ في الولايات المتحدة . حيث اقام ادوار ليفلر صندوقا سماه Massachusetts Investors Trust برأسمال قدره ٥٠ الف دولار زاد حتى اصبح عام ١٩٦٧ مليارين كما ارتفع عدد المساهمين فيه من ٣ افراد الى ٢٢٠ الف مساهم .

وهكذا يتبين لنا ان الفكرة في الاساس انجليزية ثم نمت وتطورت في الولايات المتحدة ، كما نشطت في بعض البلدان الاوروبية حتى وصل عدد الصناديق المشتركة في العالم الى ١١٠٠ صندوق قدرت موجوداتها عام ١٩٦٧ بحوالي ٥٥ مليار دولار منها ٤٥ مليارا في الولايات المتحدة نفسها .

اما في لبنان فلقد وجدت الصناديق المشتركة منذ اكثر من عشر سنوات ووصل عددها الى عشرين شركة تتوزع على خمسين نوعا من الصناديق المشتركة تثمر فيها عشرات الملايين من الدولارات . حيث قدرت دراسة نشرت في الديلي امريكان في عدد (اكتوبر) تشرين الاول ١٩٦٧ حجم ما وظف في الصناديق المشتركة في منطقة الشرق الاوسط عام ١٩٦٧ بما يقرب من ١٧٥ مليون دولار .

تحليل نشاط المؤسسات المالية الامريكية

بعد عرضنا للمعلومات الاساسية عن نشاط المؤسسات المالية الامريكية في لبنان نأتي للدراسة التحليلية التي تظهر لنا كيف بدأت هذه المؤسسات تكسب ارضا جديدة سواء بالنسبة لنشاط المصارف الامريكية الثلاث مباشرة أم بالنسبة للمصارف المختلطة اللبنانية الامريكية بعد ان بدأ الرأسمال الامريكي يدخل الى المؤسسات اللبنانية بحجة الدعم والمساعدة وهو يهدف بالحقيقة الى السيطرة والتملك .

كما حدث خاصة بالنسبة لبنك « نعيم » الذي أصبح ذي فيرست ناشيونال سيتي بنك اوف شيكاغو ش.م.ل. وبنك الانماء الذي اصبح بنك كونتنتال الانماء ش.م.ل. ولم يبق طبعا من لبنانية هذه المصارف سوى اختصارات (ش.م.ل) شركة مساهمة لبنانية .

١ ــ المصارف :

لم تكن المصارف الاجنبية حتى صدور قانون رقم ٦٧/٢٨ (الخاص بتعديل واكمال التشريع المصرفي) ملزمة بنشر ميزانية عن اعمالها في لبنان الى ان جاءت ازمة بنك « انترا » والزمت التشريعات الجديدة فروع المصارف الاجنبية على نشر ميزانية عن نشاطها في لبنان بالجريدة الرسمية مما افسح المجال لدراسة اوضاع هذه المصارف . وقد بين لنا ميزانية المصارف الامريكية الثلاثة المجمعة تشيز منهاتن ، فيرست ناشيونال واوف امريكا للسنوات ١٩٦٦ ــ ١٩٧٠ ما يلي :

ميزانيات المصارف الامريكية

يبين لنا الجدول (رقم ٧) ان المصارف الامريكية في لبنان :

ــ لم تكن تخصص اى مبلغ لرأسمالها العامل في لبنان حتى عام ١٩٦٧ حين الزمها البنك المركزي بتسديد الحد الادنى ٣ ملايين ليرة لكل مصرف . اى انها كانت تعمل في لبنان دون ان تتحمل اى التزام او مسئولية مباشرة .

ــ ان ودائعها هبطت عام ١٩٦٧ عما كانت عليه عام ١٩٦٦ اثر ازمة بنك انترا ، وهذا من غير المعقول او الممكن . اذ ان المصارف الامريكية استفادت من الازمة المصرفية ومن تحول بعض الودائع من المصارف اللبنانية الصغيرة الى المصارف الامريكية . لذلك من غير المعقول ان تنقص عام ١٩٦٧ ودائع المصارف الامريكية ٦٣ مليون ليرة وليس هناك من تفسير لهذا التغيير في حجم الودائع الامريكية سوى ان المصارف الامريكية على الرغم من كونها المستفيدة الاولى من نزوح الودائع من المصارف الوطنية اثر ازمة انترا قامت بتهريب بعض ودائعها الكبيرة لمراكزها الرئيسية في الخارج عن طريق فتح حسابات مباشرة بها هناك وهذا يخفف عن كاهلها دفع رسم مقداره الان ٥ر١ بالالف (٩) سنويا لمصلحة ضمان الودائع كما يعفيها ايضا من تأمين احتياطي الزامي دون الحصول على اية فائدة من مصرف لبنان .

[٩] كان رسم الضمان على الودائع ٢ بالالف في السنوات الثلاثة الاولى ٦٧، ٦٨، ٦٩ وبعدها خفض الى ٥ ؛ ١ بالالف فقط .

« جـدول رقـم ٧ »

ميزانية المصارف الامريكية المجمعة فى لبنـان
١٩٦٦ — ١٩٧٠

مليون ل.ل.

الموجودات	٧٠	٦٩	٦٨	٦٧	٦٦
الصندوق والمصـارف	٤١٢	٣٣٩	٢٩٠	٢٣٨	٩١
السندات التجارية	٧	٦	٨	٧	١٩
التسـليفات	٢٤١	٢٣٩	٣١٠	٣٢٨	٥٥٢
السندات المالية	٥	٥	٧	٩	—
عقـارات	٥	٥	٢	١	١
حسابات نظامية	٩	١٩	٥	٨	٧
النتائج [خسـارة]	—	—	١	—	—
المجمـوع	٦٧٩	٦١٣	٦٢٣	٥٩١	٦٧٠

المطلوبات	٧٠	٦٩	٦٨	٦٧	٦٦
الودائـع	٤٩٣	٤٧٠	٤٢٩	٣٧٣	٤٣٥
المصارف والعملاء	١٤٣	١٠٧	١٦٤	١٨٤	١٩١
دائنون مختلفون	٢١	١٤	١٦	١٦	٣٨
الحسابات النظامية	٤	٣	٢	٦	٣
الاموال الاحتياطية	٧	٨	٣	٣	٣
الرأسـمال	١١	١١	٩	٩	—
النتائج [ربـح]	—	—	—	—	—
المجمـوع	٦٧٩	٦١٣	٦٢٣	٥٩١	٦٧٠

المصـدر : الجريدة الرسـمية للاعوام ١٩٦٧ — ١٩٧١

— بالنسبة للخصم والتسليف لم يكن دور المصـارف الاجنبية — ومنها بالذات المصـارف الامريكية تقديم التسهيلات والحسـم للقطاعات الانتاجية فى لبنان من زراعية وصناعية بل ان الغرض الاول والرئيسى لها بالاضافة الى نقل ودائع المنطقة العربية للخارج . هو تشـجيع عمليات الاستيراد من البلدان الراسمالية والقيام بدور الوسيط بين الاحتكارات الغربية والمستهلك العربى فى لبنان ودول المنطقة . لذلك فانالقسم الاكبر من التسليف الذى تقدمه هذه المصـارف يقدم لتمويل استيراد البضائع الاجنبية وتسهيل تصريفها فى لبنان .

— واخيرا لابد ان نتوقف قليلا عند موضـوع ارباح المصارف الامريكية . فلقد اظهرت ميزانية بنك اوف امريكا الخاصةبنشاطه فى لبنان (وهو اكبر مصرف فى العالم عن النتائج التالية خلال السنوات ١٩٦٧ — ١٩٧٠ :

خسارة بنك أوف أمريكا فى لبنان خلال الفترة ١٩٦٧ — ١٩٧٠ —

١٩٦٧	٦٥٩/٩١ و ٣٥٣ ل.ل.
١٩٦٨	٩٦١،٧٨٠/٢٧ ل.ل
١٩٦٩	لم يذكر
١٩٧٠	١،٥٣٠/٩٣ ل.ل.

ولنا أن نتساءل ونستوضح كيف ان المصرف الامريكى الاول فى العالم يخسر فى لبنان فى حين أن ودائعه تصل الى ١٨٠ مليون ليرة !

ان المصارف الامريكية — كعادة الاحتكـارات الرأسـمالية — تتهرب من دفع الضرائب باظهار الخسارة في ميزانيتها وطبعا لها فى لبنان طمع وامل . فى أن ليس هناك رقابة ضريبية جادة فى عمليات التهرب من دفع الضرائب والرسوم.

« جـدول رقـم ٨ »

ميزانية المصارف الامريكية اللبنانية *
١٩٦٩ — ١٩٧٠

مليون ل . ل

الموجـودات	١٩٧٠	١٩٦٩
الصـندوق والمصـارف	٩١	٦٨
السـندات التجارية	١٤	١٩
التسـليفات	٦٩	٤٧
السـندات المالية	٣	٢
عقـارات	٥	٥
حسـابات نظامية	٣	٤
النتـائج [خسـارة]	٣	—
المجمـوع	١٨٨	١٤٥

المطلوبـات	١٩٧٠	١٩٦٩
الودائـع	٩٥	٧٤
المصـارف والعملاء	٦٤	٤٩
دائنـون مختلفـون	٧	٣
الحسـابات النظاميـة	٢	٣
الاموال الاحتيـاطية	٤	٢
الرأسـمال	١٦	١٥
النتـائج [ربـح]	—	—
المجمـوع	١٨٨	١٤٥

* تشمل ميزانية المصارف المختلطة اللبنانية الامريكية :
— فيرسـت ناشـيونال بنك أوف شيكاغو ش م ل
— بنك كونتيننتـال الانمـاء ش م ل
— بنك عبـر الشرق ش م ل

المصدر : الجريدة الرسمية لعام ٧٠ — ٧١

٢ ــ المصارف المختلطة اللبنانية الامريكية :

تشكل ميزانيات المصارف الامريكية ــ اللبنانية المختلطة حوالى ٣ فى المائة من حجم النشاط المصرفى فى لبنان (٣ر٣ فى المائة من رقم الاعمال ٢٫٣ فى المائة من حجم الودائع و ٣٫٤ فى المائة من القروض) . ويشكل بنك كونتننتال الانماء الجزء الاكبر من نشاط هذه المصارف . (٦٣ مليون ليرة ودائع ، ٥٠ مليون ليرة خصم وتسليفات) الا ان هذا المصرف بفروعه الكثيرة التى تغطى اكثر القرى والمدن اللبنانية الصغيرة (٣٥ فرعا فى لبنان) حقق خسارة كبيرة عام ١٩٧٠ (٣ مليون ليرة) واثار مشكلة كبيرة على صعيد الموظفين نتيجة رغبة ادارة المصرف الجديدة بحصر نشاطها بفروع قليلة وصرف غالبية الموظفين لديها . وطبعا فى معالجتنا للمصارف المختلطة حصرنا دراستنا فى القطاع الذى تزيد المساهمة الامريكية عن ٥١٪ بينما يصعب دراسة الحالات الاخرى من مشاركة الادارة وراس المال الاجنبى .

٣ ــ مكاتب التمثيل المصرفية :

تبلغ حصة المؤسسات المالية الامريكية ٧ من اصل ٢٤ فرع مصرف اجنبى فى لبنان موزعة بالشكل التالى :
٧ أمريكية ٣ فرنسية ٢ انجليزية ٤ سويدية ٢ المانية

وواحدة لكل من : أسبانيا ، النمسا ، اليابان ، تشيكوسلوفاكيا وباهامس

ولا تتطلب هذه الفروع موظفين كثيرين ولا رؤوس أموال معينة اذ يكفى وجود شخصية مالية ذات صلات قوية بالمنطقة العربية ولبنان يمكن ان يعهد اليها بهذا التمثيل فتقوم بالبحث عن الودائع الكبيرة سواء من المصارف المحلية أو من المموِّلين العرب الموجودين فى لبنان .

وهكذا فان مكاتب التمثيل تقوم بجانب واحد من نشاط المصارف الاجنبية ، وهو الجانب الذى يتعلق باجتذاب الودائع من السوق المالى واللبنانى والعربى وايداعها فى مراكزها فى الخارج دون أن تقوم بالمقابل بأى نشاط فى ميدان التسليف التجارى ، وحسم السندات الذى تضطر اليه فروع المصارف الاجنبية للقيام به لتمويل تجارة الاستيراد من الخارج .
وفضلا عن أن مكاتب التمثيل هذه لا تتحمل أى عبء فى التسليف التجارى نفسه ، فانها أيضا تحقق فوائد خاصة يمكن اجمالها بما يلى :

ــ ان نشاطها لايمكن تسجيله ... وتعمل فعليا بدون رأس مال وبامكانها من خلال ضعف الرقابة وحرية التحويل ونقل الاموال اجتذاب الودائع وايداعها فى الخارج دون الخضوع لاية رسوم أو ضرائب من النوع الذى تفرضه القوانين على نشاط المؤسسات المصرفية .

ــ ان اقتصار نشاطها على اجتذاب الودائع يوفر لها مصاريف كثيرة نسبيا تدفعها فروع المصارف الاجنبية منها تملك عقارات لمزاولة النشاط ودفع رواتب للموظفين واستخدام تجهيزات مختلفة . وهى بالتالى تحد من نمو المؤسسات المالية الوطنية وتنافسها بقساوة أكثر من المصارف الاجنبية .

ــ انها فضلا عن حرمانها السوق التجارى والقطاعات الاقتصادية اللبنانية المختلفة من بعض مصادر تمويلها وتطويرها والنجاة بنفسها من الضرائب والرسوم وتوفير المصاريف والاعباء عنها فانها تؤكد دور المصارف فى لبنان محطة لضخ الرساميل وعلبة بريد بين مصادر الاموال والاسواق العالمية .

ب ــ شركات التامين :

كذلك لا تتوفر معلومات رسمية محددة عن نشاط شركات التأمين العاملة فى لبنان ولكن تقدير قيمة الاقساط المجمعة لعام ١٩٧٠ فى شركات التأمين العاملة فى لبنان ــ ما عدا التأمين على الحياة ــ بلغ حوالى ٤٠ مليون ليرة لبنانية بالاضافة الى ذلك فان شركات التأمين تخضع كما هو معروف لتشريع ضرائبى خاص يقضى بأن تدفع رسما مقطوعا عن اعمالها فى لبنان سواء كانت نتائج الشركة ربحا أم خسارة ، كما أن عقود التأمين تخضع لرسوم غير مباشرة تبلغ نسبتها ٩ بالمائة من قيمة الاقساط (الطابع المالى والرسوم البلدية) .

وعلى الرغم من وجود نص فى المرسوم رقم ٩٨١٢ الصادر بتاريخ ٤ أيار ١٩٦٨ فى قانون تنظيم هيئات الضمان ، يوجب على الشركة التى ترغب ممارسة اعمال التأمين فى لبنان ان تجمد كحد ادنى مبلغ ٢٠٠ الف ليرة عن فرع الحياة و ١٠٠ الف ليرة عن كل فرع من الفروع الاخرى بالاضافة الى قيمة الحوادث العالقة والاخطار غير المنتهية ، وتقدر عادة نسبة

هذه الاخطار بين ٢٥ و ٤٠ بالمئة من قيمة الاقساط المكتبة التي تسمى بالاحتياط التقني .

كما نص القانون على وجوب توظيف أموال الاحتياطي التقني داخل لبنان ، أما في ودائع نقدية تجمد لدى المصارف المقبولة أو في استثمارات عقارية أو سندات حكومية لبنانية او اسهم شركات لبنانية .

ولو طبقت احكام القانون لتوجب على شركات التأمين العاملة في لبنان أن تودع المصارف أو توظف في لبنان مبلغا لا يقل عن مئة مليون ليرة لبنانية ، الا أن قانون ١٩٦٨ المشار اليه لم يطبق وشركات التأمين لم تخضع لاحكامه حتى الآن .

ج ـ الصناديق المشتركة :

تدفقت على لبنان ومنه على بلدان الخليج العربي خلال السنوات الماضية موجة من فروع مؤسسات التوظيف المالي والصناديق المشتركة مروجة لما سمته الادخار عن طريق التوظيف بالاسهم والصناديق المشتركة (فندز) وفي السنوات العشرة الاخيرة أخذت فكرة الفندز تلاقي قبولا ورواجا في لبنان وبلدان الخليج لاسيما الكويت التي احتلت المركز الثاني (بعد لبنان) في الاتجار بالاسهم المالية والصناديق المشتركة وتمكنت هذه المؤسسات المالية الاجنبية من تجنيد ما يزيد عن ١٠٠٠ بائع اسهم كما تمكنت من استقطاب اعداد كبيرة من الاشخاص معظمهم من الموظفين ذوي الدخل المحدود واغرائهم بادخار ما لديهم من مال في اسهم هذه الصناديق .

ويخضع هذا النوع من الشركات في الولايات المتحدة الى تنظيم خاص لايسمح فيه لاي صندوق مسجل في الولايات المتحدة شراء اكثر من ١٠ بالمئة من اسهم الشركات الامريكية كما لا يجيز لاي صندوق توظيف أكثر من ٥ بالمئة من موجوداته في اسهم شركة واحدة . والقصد من هذه القيود حصر قدرة الصناديق على التحكم باسعار اسهم الشركات والمتاجرة بها عن طريق المضاربة لمنفعة القيمين على الصناديق ، لذلك خرجت كثير من ادارات هذه الصناديق الى خارج الولايات المتحدة الى البهامس واللوكسمبورغ وسويسرا وبدلا من ان تقوم بتوظيف الاموال التي جمعتها في الاسهم العالمية قامت بتوجيهها الى جيب القائمين على ادارة هذه الصناديق أو نحو مشاريعهم الخاصة دونما رقابة أو قانون يؤمن الحماية لاموال المشتركين .

ومما يذكر ان الاوساط المالية الامريكية قدرت الخسائر التي لحقت بالمدخرين الامريكيين بما يزيد عن ٢٠٠ مليار دولار (١٠) مما دفع جمعية حماية المستهلك الى المطالبة الاجماعية بالتعويض عن الخسائر التي لحقت بهم . هذا في الولايات المتحدة أما في لبنان حيث لا علم للمستهلك باقامة دعوى على الشركات أو باعة الاسهم الذين كانوا السبب في خسارته ، فهل تراه يحلم باقدام الدولة على اتخاذ بعض الاجراءات التي تخولها حق الاشراف على اعمال شركات الاتجار بالاسهم بقصد حماية المدخرين من رعاياها ؟

خلاصة اولى : تزايد السيطرة المالية الامريكية على اقتصاد لبنان .

في ظل الانتداب كانت المؤسسات المالية الاجنبية المستفيدة الاولى والمسيطرة على الاقتصاد الوطني . ولقد استمر هذا الوضع خلال المرحلة الاستقلالية . بل اكثر من ذلك تشددت قبضة المصارف الاجنبية والمختلطة وشركات التأمين على القطاع المالي في لبنان بعد أزمة انترا حيث انتقلت ملكية بعض المصارف الوطنية الى المصارف الاجنبية مما يؤكد لنا أن حل الازمة المصرفية تم على حساب لبنانية الاقتصاد الوطني حيث ازدادت في المدة الاخيرة سيطرة رأس المال والادارة الاجنبية على المصارف والقطاعات الاقتصادية والمالية .

سيطرة المؤسسات المالية الامريكية

على رءوس الاموال العربية

كانت استفادة لبنان محدودة من تدفق رؤوس الاموال العربية في العقدين الماضيين ، حيث انحصر دور اللبناني في نقل الاموال وتوظيفها حيثما تتوفر فرص وامكانات الربح الاوفر . هذا الى جانب تسهيل تصريف المنتجات الاجنبية في المنطقة . لذلك كانت حصيلة مرور رؤوس

[١٠] وليد بركات :
ظهور بيدس في أمريكا . النهار الاقتصادي والمالي الاحد ١٧ آيار ١٩٧٠ .

الاموال هذه تتمثل فى نمو قطاع الخدمات وتوسيع قطاع البناء وارتفاع اسعار الاراضي .

لبنان باب العرب المفتوح

حاولت الرأسمالية الجديدة فى تقدمها أن تلحق بالمستهلك وتربطه بعجلتها اينما وجد عن طريق التأثير عليه بالوسائل الاعلانية واثارة الرغبات والحاجات بغية السيطرة على ذوقه ودخله . ولقد دفعت هذه الحملة المركزة الى سقوط اطراف من الطبقة العاملة والمتوسطة احيانا فى شرك الاستهلاك والتهافت على شراء كل ما هو جديد ومستحدث ورهن الحاضر والمستقبل فى سبيل اشباع ذلك . بالاضافة الى هذا انصب التركيز على العالم الثالث ليكون ميدانا لهذه التجارب وسوقا لتصريف السلع واستنزاف خيرات المنطقة واستمرار ربطها بالاستعمار ثانية . وكان للبنان دوره الكبير فى محاولة الربط هذه نتيجة قيامه بدور الوسيط بين الدول الغربية المنتجة للسلع وأسواق تصريفها فى المنطقة العربية .

لبنان المستهلك المعلم للاستهلاك

يعرف لبنان من بحور النفط ليشغل مصنع السيارات والبرادات والتليفزيونات ليشغل صانع الكرافاتات والروائح والالعاب وليشغل صالون الازياء والشعر والمطابع . لبنان يلتهم من الغرب بلاوعى ويعلم العرب الاستهلاك (١١) . حيث بلغت مستورداته عام ١٩٧٠ من البلدان الرأسمالية ١٦١٥ مليون ليرة بينما لم تزد صادراته اليها عن ١١٣ مليون ليرة محققا عجزا فى الميزان التجارى قدره ١٥٠٢ مليون ليرة منها ٢٠٠٠ مليون العجز مع الولايات المتحدة فقط . وليس هذا الامر خاص بلبنان فقط بل يشمل أغلب الدول العربية . ففى عام ١٩٦٨ بلغت قيمة ما صدرته الولايات المتحدة للبلاد العربية ٨٢٤ مليون دولار ، فى حين لم تتعد وارداتها من المنطقة ٣٠٤ مليون دولار محققة فائضا قدره ٥٢٠ مليون دولار . اكثر من ذلك تشكل صادرات الولايات المتحدة الى الاقطار العربية نسبة عالية من صادرات كل بلد عربى بلغت عام ١٩٦٧ مايلى :

« جدول رقم ٩ »
النسبة المئوية لصادرات الولايات المتحدة بالنسبة لمستوردات كل قطر عربى

فى المائة	القطر
٢٥٫٥	تونس
٢٢	السعودية
١٢٫٥	ليبيا
١٢	الاردن
١٠	المغرب
٩	مصر
٩	السودان
٨٫٥	لبنان
٨	الجزائر

ب — لبنان محطة لضخ رؤوس الاموال العربية

لم يكن دور المؤسسات المالية الاجنبية — وبالذات الامريكية — تقديم التسهيلات للقطاعات الانتاجية فى لبنان من زراعية وصناعية . بل كان الغرض الرئيسى لها نقل ودائع المنطقة العربية وتشجيع عمليات الاستيراد من البلدان الراسمالية ، بالاضافة الى ذلك تنحصر مشكلة السوق المالية اللبنانية فى تبعيتها وارتباطها السلبى بالاسواق النقدية والمالية العالمية ، فأى تغيير فى أسعار الفوائد والعملات الاجنبية تنعكس اثاره سريعة على رؤوس الاموال الموجودة فى لبنان فتنزح أو تعود لا لظروف اقتصادية وطنية ولكن لدوافع ربحية لا غير . ولعل مما يساعد على ذلك أن الطاقات العربية مبعثرة بين ستة عشر دولة عربية وكل دولة تخطط استثمارها بمفردها وبمعزل عن الاخرى . كما أن الدول العربية البترولية تتراكم لديها مدخرات مالية ضخمة توظف فى الغالب فى الاسواق المالية العالمية ويمر قسم مهم منها عبر لبنان . وان ضعف نسبيا هذا الدور اليوم بعد أن ازدهر دور الكويت فى منطقة الخليج وبعد أن ازدادت صلة ابناء الخليج بالمؤسسات المالية الاجنبية مباشرة عن طريق مكاتبها وفروع مصارفها المنتشرة هناك دونما حاجة للوساطة اللبنانية . ان الاحصاءات الرسمية تدل على أن اموال المصارف العربية الموظفة فى الخارج تبلغ تقريبا مليارا ونصف مليار دولار (١٢) . أما أموال الحكومات والمصارف

---

(١١) دكتور محمد عطا الله :
لبنان الموارد والحجم الحضارى من سلسلة محاضرات بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ أى لبنان ؟ منشورات محاضرات الندوة .
(١٢) دكتور جورج قرم :
الاستثمار الخارجى الخاص فى مجلة البترول والغاز العربى آب ١٩٧١ .

المركزية العربية الموظفة فى الخليج والتى يجب أن تضاف الى هذا المبلغ فتبلغ اكثر من أربعة مليارات من الدولارات بما فيه الاحتياطات الرسمية من الذهب للمصارف المركزية فيصبح بذلك مجموع أموال الحكومات والمصارف المركزية العربية الموظفة فى الخارج ما يقارب ٦ مليارات دولار . (١٣)

أما الاموال التى يوظفها مباشرة فى الخارج أصحاب رؤوس الاموال من الرعايا العرب او الاستثمارات المباشرة التى قام بها هؤلاء فلا تتوفر بالنسبة لنا تقديرات رسمية، غير اننا (١٤) لا نبالغ اطلاقا اذا قدرناها بحدها الادنى على الوجه التالى :

(جدول رقم ١٠)

الاستثمارات والتوظيفات العربية الفردية فى الخارج مليون دولار

	سويسرا	الولايات المتحدة وبريطانيا
ودائع مصرفية	٣٥٠	٦٥٠
اسهم وسندات	٢٠٠	٥٠٠
عقارات	١٥٠	٢٠٠
ذهب	٥٠	٧٠

المجموع ٧٥٠ + ١٤٢٠ = ٢١٧٠ مليون دولار

لبنان طريق الامبريالية الجديدة

يحتاج الغرب الصناعى المتقدم الى وسيط يسهل له تصريف منتجاته والى قاعدة تؤمن له الوصول الى ثروات المنطقة وخيراتها . ويقوم لبنان طواعية بهذا الدور . خاصة مع ازدياد الاستغلال الاميركى للمنطقة العربية والعالم الثالث ، وازدياد خطورة التقسيم الدولى للعمل وفق النموذج الرأسمالى الذى يدفع الدول المتخلفة الى أن تنتج وتصدر مزيدا من المواد الاولية والدول الصناعية أن تنتج وتصرف مزيدا من السلع المصنوعة . حيث بلغ نصيب المصالح الامريكية نسبة عالية من انتاج النفط فى البلاد العربية وصلت الى ٩ ، ٥٥ بالمائة فى منطقة الخليج ، ٩ ، ٦٨ فى شمال افريقيا ، أى ما يقارب ٥٥،٩ بالمئة من المجموع العربى .

ان استثمارات البلاد الرأسمالية والعالم الثالث تواصل فى معظمها اتجاهها نحو البترول والمواد الاولية . وحين تتجه فى بعض الاحيان الى بعض الصناعات التحويلية فلانها لا تستطيع ان تفعل شيئا آخر لكى تحتفظ بالسوق أو تستولى عليه بصورة اكيدة . وحتى فى هذه الحالات تشترك فى اغلب الاحيان مع رؤوس الاموال الوطنية مما يمنحها ميزات عديدة ويقدم لها نوعا من الضمان ضد الاخطار السياسية . وهنا نلتقى مع حمزة علوى (١٤) الذى يرى « أن الاستعمار الجديد يسعى الى تركيز الاستثمارات فى بلاده الاصلية بغية تنمية الانتاج القومى والسيطرة على السوق العالمية التى يوطد هيمنته عليها بشتى الوسائل » ، ويضيف : « ان النزوح الى تصدير رؤوس الاموال ليس سوى شكل من أشكال توسع الرأسمالية الاحتكارية وانتشارها للسيطرة على جميع مصادر المواد الاولية وجميع المنافذ الموجودة » .

خلاصة ثانية : السوق المالى فى لبنان تبعية وارتباط سلبى بالخارج .

على الرغم من كل السلبيات التى تعترض الاستفادة من وفرة رؤوس الاموال التى تمر عبر لبنان او تمكث أحيانا فيه ، يجب البحث عن وسائل ومجالات ممكنة تحد من المنافسة الاجنبية وسيطرتها على السوق اللبنانى .

ولابد لنا قبل ذكر المجالات التى يجب أن تدخل رؤوس الاموال والفرص التى يمكن أن تتاح لها فى لبنان من أن نحدد اولا مشكلة السوق اللبنانى التى نراها تنحصر فى تبعيتها وارتباطها السلبى بالاسواق النقدية والمالية العالمية ، فاى تغير فى اسعار الفوائد والعملات الاجنبية تنعكس آثاره بسرعة على رؤوس الاموال الموجودة .

فى وضع اقتصادى كهذا يشكل فيه لبنان دور المحطة لضخ رؤوس الاموال لايجدى ترديد

[١٣] الاحصاءات المالية الدولية . صندوق النقد الدولى نيسان ١٩٧٠
[١٤] حمزة علوى :
الامبريالية الجديدة — منشورات دار الطليعة .

ادبيات وشعارات مصرفية واقتصادية قديمة طالما كثر الحديث عنها فى السنوات الاخيرة من ضرورة ايجاد سوق مالية نشطة تكون مجالا حيويا لتحريك رؤوس الاموال بالاضافة الى مصرف للانماء يغذى طلبات القطاعات الانتاجية بما تحتاجه من رؤوس أموال وسلفيات الى غير ذلك من اهزوجة ضمان رؤوس الاموال الاجنبية. ان الوضع المالى يتطلب اكثر من ذلك ولكن يلزمه الخطوة الاولى فى الاتجاه الصحيح .

الخطوة المطلوبة

سيجد كثيرون اننا ندفع بابا مفتوحا حين نقول ان ليس ثمة من مخرج آخر سوى الاشتراكية للخلاص من الاستغلال الامبريالى لبلادنا . ولكن التجربة تبرهن لنا يوميا أن ابوابا كنا نظنها مفتوحة ما زالت تفتقر الى أن تدفع بقوة مرة أخرى .

ما قولنا بالاوهام التى يرددها دعاة الاقتصاد الحر فى لبنان بانه يمكننا أن نستخلص من دور الوساطة هذا مزيدا من المكاسب والارباح ، خاصة ان هناك عناصر ايجابية فى الرأسمالية ، وانه ينبغى بحكم كون الاشتراكية صعبة التطبيق فى بلادنا أن تتلاءم مع هذه الراسمالية .

ان البلاد العربية تستخرج وتبيع الراسماليين مزيدا من المواد الاولية والثروات الطبيعية بسعر اقل مما كان عليه بالامس وهى مضطرة لان تشترى بالمقابل من الدول الرأسمالية السلع المصنوعة التى تفتقر اليها ، وبما أن أسعار هذه النتجات المصنعة ترتفع اكثر فأكثر بينما تنخفض أسعار المواد الاولية فان البلاد العربية لن تتمكن من الخروج من أزمتها المستعصية .

خاصة أن التنمية الاقتصادية بالنسبة للفرد بقيت فى السنوات العشر الاخيرة فى البلاد الراسمالية أسرع بكثير مما هى فى بلدان العالم الثالث .

وهذا ما اشار اليه لينين حين قال « **ان راس المال النقدى والتروستات لا تضعف بل تقوى الفوارق بين نسق التنمية لمختلف عناصر الاقتصاد العالمى** » . ان الشعب العربى لن يخرج من الازمة التى يعيشها وليس الموضوع فى أن نعرف أن الاشتراكية محببة الى الحكام العرب مقبولة من جميع الافراد . ان الاشتراكية ليست ورودا ورياحين ، بل نضالا مستمرا ومتواصلا ، وهذا يدفعنا الى أن ندرك بشكل ملموس أن القضية ليست أيضا اية اشتراكية أو كيفما اتفق من الشعارات . فقلما شوهت كلمات ومفاهيم مثل ما شوهت كلمة الاشتراكية الا أن هناك اشتراكية وحيدة قهرت الموت وقضت على التخلف ودفعت نحو التحرر الوطنى العالمى هى الاشتراكية العلمية . ان دروب العالم الثالث نحو الاشتراكية ينبغى على بلاد العالم الثالث أن تحفرها باظافرها وتعبدها بتضحياتها لتشيد عليها صرح الاشتراكية الديمقراطية الشعبية .



العرب وأمريكا في مرآة التبادل التجارى بعد ١٩٦٧

محمد أبو الحديد

تعتبر عملية التبادل التجارى بين أى طرفين ، عملية سياسية من الدرجة الاولى . ويمكن لحجم التجارة بين أى دولتين ، أن يكون مؤشرا حقيقيا وعمليا لمدى نمو أو تدهور العلاقات السياسية بينهما . واذا استبعدنا بعض المؤثرات الاقتصادية والطبيعية التى يمكن أن تؤثر بالزيادة أو النقصان على حجم التبادل التجارى بين أى دولتين ، كانتهاء أجل اتفاقية معينة خاصة بتحديد حجم التجارة بينهما ، أو تعرض السلعة الرئيسية لاحدهما الى كارثة وطنية .. اذا استبعدنا هذه المؤثرات ، فانه يمكننا القول بأن حجم التبادل التجارى خارج هذا النطاق يخضع فى جملته للاعتبارات السياسية التى تحكم علاقة الطرفين .

وفى العصر الحديث ، فقدت عملية تبادل السفراء أو البعثات الدبلوماسية على أى مستوى ، بعض قيمتها التى كانت لها فى الماضى ، ولم تعد تمثل مقياسا حقيقيا لعلاقات أى دولتين ، وأصبح المقياس الحقيقى البديل لها ، هو حجم التعامل بين الدولتين فى الواقع . فنمو هذا الحجم يشير بطريقة لا تخطىء الى تقارب بين الدولتين المتعاملتين ، حتى وان لم يكن بينهما تمثيل دبلوماسى . كما أن تدهور هذا التعامل دليل بنفس المنطق ، على تباعد بينهما ، حتى وان كانت العلاقات الدبلوماسية بينهما قائمة على نحو أو آخر .

والنتيجة التى لابد ان نخلص بها من ذلك ، هى انه ، فى تقييمنا لمدى العلاقة الحقيقية التى تربط بين أى دولتين ، لا يجب ان نلجأ الى الشعارات والخطب السياسية لنحكم من خلالها على هذه العلاقة ، ولكن الصحيح هو أن نلجأ الى الارقام التى تعكس هذه العلاقة فى حجمها الحقيقى ، وتبين فى نفس الوقت ، الى أى مدى هذه الشعارات والخطب صادقة أم بعيدة عما يجرى فى الواقع فعلا .

ولعلنا نستطيع بعد هذه المقدمة ، أن ندخل مباشرة الى الموضوع ، وهو تطور العلاقات التجارية بين العالم العربى والولايات المتحدة الامريكية بعد ١٩٦٧ . وليس من شك فى أن الغرض من اختيار عام ١٩٦٧ لتسجيل تطور هذه العلاقات بعده ، هو غرض واضح . ففى يونيو من ذلك العام ، تعرض العالم العربى لغزوة صهيونية استعمارية جديدة ، ترتب عليها احتلال أجزاء من أراضى مصر ، وسوريا ، وبقية فلسطين . ولازال هذا الاحتلال قائما الى اليوم .

ومنذ اللحظة الاولى للعدوان ، اتضحت عدة حقائق أساسية ، تأكدت بعد ذلك من خلال المواقف العملية على مدى السنوات الخمس الماضية ، وأبرز هذه الحقائق ، أن الولايات المتحدة كانت ـ وماتزال ـ ركنا ضالعا فى هذا العدوان ، سواء فى مرحلة التمهيد له وترتيبه حيث شاركت بالتواطؤ ،

أولا : تطور صادرات الدول العربية للولايات المتحدة فى الفترة من ١٩٦٦ حتى نهاية ١٩٧١. (قيمة الصادرات بالمليون دولار) ٠

الدولة	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
البحرين	٢ر٤	٣ر٠	١٠ر٠	٩ر٤	٧ر٧	١٦ر٠
الكويت	٢٨ر٩	٢١ر٩	٣٩ر٤	٢٩ر٦	٢٥ر٤	٣٦ر٠
لبنان	٨ر٦	٧ر٤	١١ر٣	١٠ر٠	١٢ر٨	١٣ر٠
السعودية	٩٥ر٦	٥٧ر٨	٥٨ر٣	٤٠ر٧	١٩ر٧	٩٨ر٧
السودان	٢ ر٦	١٤ر٧	٧ر١	٨ر٧	١١ر٨	١١ر٥
تونس	٢ر٩	٤ر٩	٣ر٢	٢ر٠	٣ر٠	٤ر٩
اليمن الشعبية	١ر٠	٤ر٤	٠ر٣	٠٠ر١	٠٠ر١	٢ر٤
امارات الخليج	٣١ر٧	١٨ر٨	٢٩ر٧	٣٤ر٥	٦٠ر٨	—
الجزائر	٣ر٠	٣ر١	٥ر٣	٢ر٣	٩ر٥	١٩ر٧
مصر	١٧ر٨	١٥ر٠	٣٢ر٤	٣٧ر٨	٢٢ر٩	١٩ر١
ليبيا	٥٧ر٣	٣٦ر٣	٨٩ر٧	١١٠ر٦	٣٩ر١	٥١ر٢
العراق	٢١ر٣	٦ر٦	٢ر٨	٣ر٣	٣ر٠	٩ر٠
سوريا	٤ر٧	٣ر٧	٢ر٩	٢ر٥	٢ر١	٢ر١
المغرب	٩ر٨	١٢ر٥	١٠ر٦	٨ر٦	٩ر٦	٦ر٨
الاردن	٠٠ر٢	٠٠ر١	٠٠ر٢	٠٠ر١	٠٠ر١	—
الاجمالى	٢٩١ر٥	٢١٠ر٢	٣٠٣ر٢	٣٠٠ر٢	٢٢٧ر٦	٢٩٠ر٦

أو فى مرحلة تنفيذه ، حيث شاركت بالتجسس ، أو فى مرحلة تكريسه واستمراره ، حيث ماتزال تشارك بالمساعدات العسكرية والاقتصادية والسياسية الضخمة لاسرائيل ٠

معنى ذلك ، بساللغة البساردة ، أنسه حدثت « **مؤثرات سياسية سلبية** » فى العلاقات العربية الامريكية ، بعد ما ثبت بالدليل القاطع ، أن الولايات المتحدة شريك فى العدوان على العرب ، وأنها العقبة الرئيسية أمام أى محاولة لازالة آثار هذا العدوان بطريقة سلمية ٠ وكان الترتيب المنطقى على ذلك — ومايزال — هو أن تنعكس هذه المؤثرات السياسية السلبية على حجم التعامل بين العالم العربى والولايات المتحدة الامريكية ، خصوصا وأن السنوات الخمس الماضية ، شهدت ارتفاع شعارات طنانة تجأر بالعداء لامريكا ، وتهدد مصالحها فى المنطقة بالويل والثبور ٠

فهل كانت هذه الشعارات تعبيرا عما يجرى فى الواقع فعلا ، أم أنها كانت ستارا له ؟! وهل عكس العداء الكلامى لامريكا نفسه فى الاتجاه الصحيح ، أم فى الاتجاه المضاد ؟ !

هنا لابد أن نترك الاجابة للارقام ٠ ولتسهيل المتابعة ، فسوف نتناول المسألة من جانبين : الاول هو تطور صادرات الدول العربية للولايات المتحدة خلال هذه الفترة ، والثانى ، **هو تطور واردات** الدول العربية من الولايات المتحدة ٠ **والجانبان** معا : الصادرات والواردات ، يشكلان حجم التعامل التجارى بين العالم العربى والولايات المتحدة ٠ والارقام الواردة فى الجانبين ، هى الارقام التى اعتمدتها منظمتان من منظمات الامم المتحدة هما **صندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى للانشاء والتعمير ، وتضمنتها تقاريرهما بعنوان** : Trade Direction ٠ عن الفترة من ١٩٦٦ ، حتى الآن ٠

ومن هذا الجدول ، فنحن نستطيع أن نستخلص المؤشرات التالية :

١ — أن الدول العشر الاولى ، **ارتفعت قيمة** صادراتها عام ١٩٧١ ، ارتفاعا مطلقا عنها عام ١٩٦٦ ، أى قبل العدوان ٠ **وهذه الدول هى :** البحرين — الكويت — لبنان — السعودية — السودان — تونس — اليمن الشعبية — امارات الخليج (لم تذكر أرقام صادراتها عام ١٩٧١ ، حيث لم تعد تمثل وحدة متكاملة ، بعد أن استقلت قطر وعمان) — ثم الجزائر ، ومصر ٠

٢ — بين هذه الدول العشر ، أربع دول هى **البحرين — لبنان — السعودية — الجزائر** ، بلغت **قيمة صادراتها** للولايات المتحدة عام ١٩٧١ ، حدا

لم تبلغه فى أى سنة أخرى ، بما فى ذلك سنة ١٩٦٦ ، قبل بدء العدوان ٠

٣ ــ هناك خمس دول عربية ، هى **ليبيا ، العراق ، سوريا ، المغرب ، الاردن** ،سجلت قيمة صادراتها للولايات المتحدة انخفاضا فى عام ١٩٧١ عنها فى عام ١٩٦٦ وباستثناء الاردن ، التى انخفضت صادراتها ليس نتيجة لموقف سياسى من الولايات المتحدة ، ولكن نتيجة فقدانها للضفة الغربية التى كانت مصدرا رئيسيا للانتاج ، فان انخفاض صادرات الدول الاربع الاخرى ليبيا ــ العراق ــ سوريا ، اتخذ اتجاهات مختلفة :

● بالنسبة **لليبيا** يلاحظ أن حجم صادراتها للولايات المتحدة بلغ أقصاه عام ١٩٦٩ ، وهو العام الذى قامت فيه الثورة ، ثم أخذ بعد ذلك فى الانخفاض بشكل حاد ، حتى وصل الى أقل من نصف ما كان عليه عام ١٩٦٩ ، وأقل مما كان عليه عام ١٩٦٦ ٠

● بالنسبة **للعراق** ، فمع أن اتجاه الانخفاض واضح وكبير من ٣ر٢١ مليون دولار عام ١٩٦٦ ، الى ٦ر١ عام ١٩٦٧ ، ثم ٨ر٢ عام ١٩٦٨ ،و٣ر٣ عام ١٩٦٩ ، و ٠٠ر٣ مليون دولار عام ١٩٧٠ ، الا انه قفز مرة واحدة الى ٩ ملايين دولار عام ١٩٧١ ، وان كان لم يصل بعد الى ما كان عليه فى ١٩٦٦٠

● أما بالنسبة **لسوريا** ، فالواضح ان منحنى صادراتها للولايات المتحدة فى انخفاض تدريجى مستمر ومنتظم٠

٤ ــ يتضح فيما يتعلق باجمالى قيمة الصادرات ، وايضا بمفرداتها ، ان اثر العدوان على التبادل التجارى بين العالم العربى والولايات المتحدة فى جانب الصادرات ، قد اقتصر فقط على السنة التى وقع فيها العدوان وهى سنة ١٩٦٧ ، حيث نلاحظ انخفاض صادرات الدول العربية عموما الى الولايات المتحدة ، فيما عدا البحرين والسودان وتونس واليمن الشعبية والجزائر والمغرب ٠ وقد وصل الاجمالى الى أقل حد بلغه خلال السنوات الست الماضية .

٥ ــ يلاحظ أيضا أن عام ١٩٧١ يمثل عام قفزة بالنسبة لصادرات الدول العربية للولايات المتحدة ، حتى تلك الدول التى انكمشت صادراتها عن عام ١٩٦٦ . ويمكن ان نستخلص من ذلك ان أثر موجة العداء للولايات المتحدة، على الصادرات العربية لها ، يقل كلما ابتعدنا عن عام ١٩٦٧ ، برغم أن العدوان مازال قائما ، وأن تأييد الولايات المتحدة لاسرائيل يتصاعد يوما بعد يوم ٠

٦ ــ تبقى ملاحظة أخيرة بالنسبة لمصر ، وهى انه برغم أن حجم الصادرات المصرية للولايات المتحدة عام ١٩٧١ ، قد سجل ارتفاعا عما كان عليه عام ١٩٦٦ ، أى قبيل العدوان ، الا أنه من ناحية أخرى يسجل انخفاضا عما كان عليه فى أعوام ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ٠

ولعل الارتفاع الواضح فى قيمة الصادرات العربية الى الولايات المتحدة عام ١٩٧١ بكل ما ينطوى عليه من دلالات سياسية ، جدير بأن يثير سؤالا هاما هو : هل هذا الارتفاع مجرد « طفرة » مؤقتة ، أم أنه يمكن ان يكون مؤشرا بالنسبة للمستقبل ؟!

الواقع ان هذا الارتفاع ليس طفرة وقتية ، وانما هو ــ استنادا الى التوقعات ــ يمثل مؤشرا فعليا للمستقبل ٠ وهو ما يجعل الامر اكثر خطورة ٠ وتستند التوقعات الى مقارنة قيمة الصادرات العربية للولايات المتحدة خلال ربع السنة الاول من العام الحالى ، اى شهور يناير ــ فبراير ــ مارس ــ ابريل ١٩٧٢ ، بالفترة المماثلة من عام ١٩٧١ . وتؤكد هذه المقارنة بما لا يدع مجالا للجدل ، انه فيما عدا مصر وسوريا التى انخفضت قيمة صادراتهما للولايات المتحدة فى الفترة من يناير حتى ابريل ١٩٧٢ عنها فى الفترة المماثلة من العام الماضى ، فان جميع الدول العربية الاخرى بدون استثناء تسجل قيمة صادراتها ارتفاعا ، يبدو هائلا فى بعض الاحيان ، ويشير الى أن عملية «**فك**» الموقف العربى تجاه الولايات المتحدة تجرى حثيثا وبانتظام وربما تحت ستار شعارات العداء لامريكا والدعوة لضرب مصالحها فى المنطقة .

فبالنسبة للبحرين زادت قيمة صادراتها للولايات المتحدة من ٣ مليون دولار فى الفترة من يناير حتى ابريل ١٩٧١ الى ٦ مليون دولار فى الفترة المماثلة من العام الحالى ٠ وبالنسبة للعراق زادت من نصف مليون دولار الى ٥ر٣ مليون دولار ، والاردن من لا شىء الى ١ر مليون دولار ، والكويت من ٤ر١٤ مليون دولار الى ٥ر١٧ مليون دولار ٠ ولبنان من ٦ر١ مليون دولار الى ٦ر٢ مليون دولار ٠ والسعودية من ١٠ ملايين دولار الى ٩ر٥٧ مليون دولار ، واليمن الشعبية من نصف مليون دولار الى ٣ر١ مليون دولار ، وليبيا من ٤ر٩ مليون دولار الى ٥ر٣٩ مليون دولار ، والمغرب من ٢ر١ مليون دولار الى ٥ر٤ مليون

ثانيا : تطور واردات الدول العربية من الولايات المتحدة فى الفترة من ١٩٦٦ حتى نهاية ١٩٧١.

(قيمة الواردات بالمليون دولار)

الدولة	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
البحرين	١٢ر١	١٣ر٩	١٢ر١	١٠ر٧	١١ر٩	٢٣ر٨
الاردن	٤٨ر٢	٢٨ر٨	٢٤ر٠	٧٠ر٠	٦٣ر٤	٧٨ر٠
لبنان	٨٣ر٦	٥٥ر٤	٨٢ر٣	٨٩ر٥	٦٣ر٧	٨٥ر٩
السعودية	١٥٢ر٠	١٦٩ر١	١٨٧ر٢	١٥٤ر٣	١٤٠ر٨	١٦٤ر٠
سوريا	١٩ر٨	١١ر٦	٥ر٦	١١ر٨	١١ر١	٢٣ر٣
الجزائر	٦٦ر٧	٣٢ر٧	٥٢ر٨	٦٣ر٨	٦١ر٨	٨٢ر٢
ليبيا	٥٨ر٦	٨٦ر٢	١١٤ر٩	١٣٤ر١	١٠٤ر٤	٧٧ر٧
المغرب	٦٢ر٨	٥١ر٢	٦٩ر٧	٥٢ر٨	٨٩ر١	١٠٢ر١
امارات الخليج	٢٦ر٧	٣٣ر٣	٤٨ر٥	٣٨ر٨	٤٩ر٢	—
مصر	١٨٩ر٣	٦٦ر٣	٤٨ر٤	٦٧ر٢	٨٠ر٧	٦٢ر٩
العراق	٤٦ر٢	٢٩ر٣	١٥ر٠	١٤ر٨	٢٢ر٢	٣٢ر٣
الكويت	٨٩ر٠	١٠٨ر٣	١٠٩ر٣	٧٦ر٢	٦٢ر٤	٨٣ر٨
اليمن الشعبية	٤ر٨	٣ر٠	٣ر١	٢ر٥	٢ر٧	٠٠ر٨
السودان	١٤ر٦	١٦ر٤	٦ر٢	٧ر٠	٦ر٩	٦ر١
تونس	٤٣ر٦	٥٢ر٢	٤٨ر٥	٥١ر٨	٤٩ر٣	٤١ر٧
الاجمالى	٩٢١ر٠	٧٥٧ر٧	٨٢٧ر٦	٨٤٥ر٣	٨١٩ر٦	٨٦٤ر٦

دولار . وتونس من ٨ر مليون دولار ، الى ٣ر٢ مليون دولار . اما الجزائر فقد بلغت قيمة صادراتها للولايات المتحدة فى ربع السنة الاول من هذا العام ٢ر٢٦ مليون دولار - بينما كانت قيمة صادراتها للولايات المتحدة خلال عام ١٩٧١ كله ٧ر١٩ مليون دولار .

بل ان الدول العربية الحديثة الظهور مثل قطر وعمان ، والتى بدأت لاول مرة تمارس تبادلا تجاريا مستقلا مع العالم الخارجى بعد انفصالها عن اتحاد الامارات العربية ، هذه الدول بدأت فى نفس الاتجاه الصاعد ، فسجلت قيمة صادرات عمان مليون و ٣٠٠ الف دولارفى ربع السنة الاول من العام الحالى ، وسجلت قيمة صادرات قطر للولايات المتحدة عن نفس الفترة ٣ر٣ مليون دولار .

ننتقل بعد ذلك الى الشق الثانى من التعامل التجارى العربى الامريكى ، وهو واردات الدول العربية من الولايات المتحدة خلال نفس الفترة التى تنصب عليها الدراسة .

ولعل اولى الملاحظات التى ينبغى تسجيلها استنادا الى ارقام جدول تطورات الواردات العربية من أمريكا ، هى أن العالم العربى بالنسبة للولايات المتحدة هو « **منطقة مستوردة** » اكثر منه « **منطقة مصدرة** » بمعنى أن العالم العربى بالنسبة للولايات المتحدة هو « **سوق** » لتصريف المنتجات ، وليس « **مصدرا** » لهذه المنتجات مع ملاحظة أننا نستبعد صادرات البترول التى لا تدخل فى أرقام هذه الدراسة

وهذه الملاحظة واضحة تمام الوضوح . فالعالم العربى يصدر للولايات المتحدة فى المتوسط ثلث قيمة ما يستورده منها . وتفيد هذه الملاحظة فى أى خطة ، أو تحرك عربى يمكن التفكير فيه تجاه الولايات المتحدة ردا على انحيازها المستمر لاسرائيل ، حيث يصبح مطروحا ، امكانية مقاطعة البضائع والواردات الامريكية ، بعد ذلك فاننا نستطيع أن نستخلص من جدول الواردات المؤشرات التالية :

١ - ان الدول التسع الاولى وهى : البحرين - الاردن - لبنان - السعودية - سوريا - الجزائر - ليبيا - المغرب - امارات الخليج - هذه الدول سجلت قيمة وارداتها من الولايات المتحدة عام ١٩٧١ ارتفاعا مطلقا عما كانت عليه عام ١٩٦٦ قبيل العدوان : وقد بلغ هذا الارتفاع الضعف فى بعض الاحيان كما هو الحال بالنسبة للبحرين .

٢ ــ بين هذه الدول التسع ، هناك ست دول تمثل أرقام وارداتها من الولايات المتحدة عام ١٩٧١ ، أعلى حد بلغته فى السنوات الست الاخيرة بما فى ذلك عام ١٩٦٦ نفسه، وهذه الدول هى **البحرين ــ الاردن ــ سوريا ــ الجزائر ــ المغرب ــ الخليج** .

٣ ــ بالنسبة لليبيا ، فالواضح أن الملاحظة التى أوردناها عنها فى مجال الصادرات للولايات المتحدة تصدق أيضا بالنسبة لوارداتها منها ، حيث سجلت أقصى ارتفاع لها عام ١٩٦٩ ثم أخذت بعده فى الانخفاض وان لم تصل بعد الى حدها الادنى الذى كانت عليه عام ١٩٦٦ .

٤ ــ **انخفضت** واردات مصر من الولايات المتحدة عام **١٩٧١ الى ثلث ما كانت عليه عام ١٩٦٦ وشاركت فى ظاهرة الانخفاض ، بنسب أقل كل من العراق والكويت واليمن الشعبية والسودان وتونس** .

٥ ــ يلاحظ أيضا ، ان اثر موجة العداء العربى للولايات المتحدة قد ظهر بالنسبة للواردات ــ كما بالنسبة للصادرات ــ عام ١٩٦٧ فقط ، وان هذا الاثر يخف تدريجيا كلما ابتعدنا عن عام ١٩٦٧ برغم استمرار العدوان . وواضح ان عام ١٩٧١ يسجل اكبر ارتفاع فى قيمة الواردات منذ العدوان .

وتشير التوقعات الى أنه باستثناء الاردن واليمن الشعبية وليبيا ، والمغرب فان عام ١٩٧٢ سوف يشهد مزيدا من الارتفاع فى أرقام الواردات العربية من الولايات المتحدة . ففى الفترة من يناير حتى آخر ابريل ١٩٧٢ بلغت قيمة واردات البحرين من الولايات المتحدة ٩ر٣ مليون دولار ، مقابل ٦ر٧ مليون فى الفترة المماثلة من العام الماضى . وبالنسبة للعراق ٩ر١ مليون دولار مقابل ٨ر٧ مليون ، والكويت ٥١ر٤ مليون مقابل ٢٦ر٧ مليون ولبنان ٩ر٣٤ مليون مقابل ٣٣ مليونا والسعودية ٩٣ر٤ مليون مقابل ٩ر٥ مليون وسوريا ١٠ ملايين مقابل ٦ر٤ مليون ومصر ٨ر٢٨ مليون مقابل ٥ر٢٣ مليون والجزائر ٣٨ر٤ مليون مقابل ٩ر٣٦ مليون والسودان ٧ر٢ مليون مقابل ٣ر١ مليون وتونس ــ ٢٨ مليونا مقابل ٨ر١٤ مليون أى الضعف تقريبا .

بل انه بالنسبة لقطر وعمان ، بلغت واردات قطر من الولايات المتحدة خلال الشهور الاربعة الاولى من العام الحالى ٥ر٤ مليون دولار مقابل ١ر١ مليون فى الفترة المماثلة من العام الماضى ، اما عمان فبلغت ٨ر٢ مليون مقابل ٧ر مليون .

وبالنسبة لليمن الشمالية ٧ر مليون مقابل ٣ر مليون واتحاد الامارات العربية ٩ر١٤ مليون مقابل ٤ر١ مليون دولار

ونستطيع أن نضيف ما هو أكثر من ذلك ، وهو أنه باستقراء ترتيب الدول الاجنبية المصدرة للبلاد العربية ، يتضح التالى :

● ان الولايات المتحدة تحتل **المركز الاول** بين الدول المصدرة لثلاث من البلاد العربية هى **الاردن والكويت والسعودية** وبالنسبة للسعودية مثلا فان ما استوردته من الولايات المتحدة عام ١٩٧٠ وهو ما قيمته ١٤٠ مليون دولار يقارب وارداتها فى نفس العام من جميع دول الشرق الاوسط ، حيث لم تتعد قيمتها ٨ر١٥١ مليون دولار .

● ان الولايات المتحدة ، تحتل **المكانة الثانية** فى ترتيب الدول المصدرة بالنسبة لاربع دول عربية اخرى ، وذلك وفق ارقام ١٩٧٠ فهى الثانية بعد المانيا الغربية بالنسبة **لمصر** . وهى الثانية بعد ايطاليا بالنسبة **لليبيا** ، وهى الثانية بعد فرنسا بالنسبة لكل من **تونس والمغرب** .

● ان الولايات المتحدة تحتل **المكانة الثالثة** فى ترتيب الدول المصدرة ، بالنسبة لدولة عربية واحدة هى **الجزائر** حيث تأتى بعد فرنسا والمانيا الغربية .

ومعنى هذه الحقائق ان هناك ٨ دول عربية ــ اى نصف العالم العربى يرتبط بالولايات المتحدة ارتباطا كبيرا ، على الاقل فيما يتعلق بالواردات . واذا قارنا بين الدول التى ارتفعت صادراتها للولايات المتحدة عام ١٩٧١ ، وتلك التى ارتفعت وارداتها من الولايات المتحدة فى نفس السنة ، لوجدنا ان هناك اربع دول عربية تشترك فى الجانبين معا ، وهى **البحرين ــ لبنان ــ السعودية ــ الجزائر** ، أى أن حجم علاقاتها التجارية بشقيها الصادرات والواردات مع الولايات المتحدة فى ارتفاع مطرد .

ولعل ما تضيفه كل هذه الحقائق الى الموقف يتلخص فى شيء واحد ، وهو أن العالم العربى ، فى حاجة الى أن ينتقل من سياسة الحماس الاجوف والشعارات الطنانة ، الى موقف الفعل الايجابى فى علاقته بالولايات المتحدة ، وان تكون تصرفاته تجاهها على نفس مستوى تصرفاتها تجاهه . وهى التى لم تدخر وسعا فى اى لحظة لتأكيد انحيازها الكامل ، ليس الى جانب اسرائيل فحسب ، بل وضد العالم العربى على خط مستقيم .

الوجـود العسـكرى الأمريـكى فى الوطـن العـربى



محمود عزمى

لا ينظـر مخططـو الاسـتراتيجيـة العسكرية الامريكيـة الى الـوطن العربى او العالم العربى كمسرح عميات استراتيجى واحداو كوحدة تخطيط استراتيجى واحدة ، ضمن تقسيمهم للكرة الارضية الى مسارح استراتيجية مختلفة تضمها الاستراتيجية الامريكية الحديثة ، التى اصبحت تنسق خططها على مستوى عالمى وتنظر الى قارات بأكملها او أجزاء كبيرة منها كمسارح عمليات استراتيجية موحدة ، بعد أن تطورت أسـاليب الحرب الحديثة فى ظل الاسلحة النـووية والصواريخ عابـرة القارات والقاذفات بعيـدة المدى • ورغم أن العالم العربى يمثل حقيقـة جغرافية كبرى تمتد من الخليج الفارسى حتى المحيط الاطلسى • ورغم انه يمثل واقعا سكانيا وحضاريا يقوم على وحدة اللغة والتاريخ والمصير الا انها لاتعتبر منطقة واحدة •

ويرجع ذلك الى واقع أن العالم العربى ، بسبب الظروف التى تحكم الحركة السيـاسية لبعض دوله ، ما زال لا يمثل قوة فعالة الاثر من ناحية السياسة الدولية بسبب افتقاد وحدة العمل بين دوله الى حد كبير •

ولذلك نجد أن الكتابات والمؤلفات الاستراتيجية الأمريكية تضع مجموعة الدول العربية الواقعة فى شرق البحر الابيض المتوسط ، وهى مصر والاردن ولبنان وسوريا والعراق ، ضمن منطقة أو مسرح عمليات الشرق الاوسط الذى يضم أيضا اسرائيل وتركيا وقبرص •

بينما تدخل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ضمن مسرح عمليات البحر الابيض المتوسط بصفة عامة • اما العربية السعودية والكويت وامارات الخليج العربى واليمن الجنوبية والشمالية فتدخل ضمن منطقة شرق السويس او مسرح عمليات المحيط الهندى الذى يضم أيضا ايران وباكستان والهند وسيلان وبورما وجزر المحيط الهندى عند باب المندب او قرب شواطىء مسقط وعمـان والهند • ولذلك سنمضى فى بحثنا حول الوجـود العسكرى الامريكى فى الوطن العربى ضمن هذا الاطار من التقسيم الاستراتيجى الامريكى الذى يمثل واقع الوجود العسكرى الامريكى المؤثر بشكل مباشر بدرجات مختلفة من الوضوح والقوة على الوطن العربى كله كوحدة جغرافية وبشرية ومصير مشترك •

المصالح الاستراتيجية الامريكية فى المنطقـة العـربيـة

يقول الكاتب الاستراتيجى الامريكى « هانسون

بالدوين » فى كتابه «استراتيجية للغد » وهـو يستعرض المناطق الاستراتيجية الهامة بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية « اما الشرق الاوسط فهو أقليم له أهمية لا يمكن تقديرها ·· وان اهميته العظمى تزداد بالنسبة لثرواته الاقتصـادية الكبرى ، خصوصا انتاجه من البترول ·. كما أنه يعتبر حلقة اتصال بين ثلاث قارات ·· وعقدة لطرق المواصلات الجوية والبحرية فى العالم ، ومركزا للصراع بين العرب واسرائيل ، ولاطماع روسيا » (١) ·

كما يقول نفس الكاتب فى موضـع آخر من كتابه موضحا الاهمية الاستراتيجية للبحـر الابيض المتوسط الذى يشكل الوطن العربى شاطئه الجنوبى كله ومعظم شاطئه الشرقى ابتداء من سوريا حتى المغرب حيث مضيق جبل طارق ·

لقد كانت الاهمية الاسـتراتيجية للبحر الابيض المتوسط واضحـة منذ قرون عديدة · فهـو ممر بحرى يؤدى الى اعمـاق الارض ، فى جنـوب اوراسيا ، عن طريق البحر الاسود · ويقـع على جانب شبه جزيرة اوروبا ، ويـؤدى الى اقـصر طريق بحرى يصل الى كنوز المحيط الهندى عبـر قناة السويس ، ويسيطر على طـرق الاقتراب الى الشـرق الاوسـط . كمـا انه معـبر الى قارات ثلاثة ، ويغذى شرايين التجارة بين شمـال افريقيا وشواطىء اوروبا ·

ان البحر الابيض المتوسط هو أعظم ممر بحرى فى العالم ، اذ لا يقل عدد السفن التجارية فيه ، فى اى وقت ، عن ٢٦٠٠ قطعة فى المتوسط ، ١٥٠٠ منها فى البحر ، ١١٠٠ منها فى موانيه ، تلك هى الاهمية الرئيسية لهذا البحر ·· ويبدو واضحا ان السيطرة على هذا الطريق العظيم ، طريق التجارة والغزو ، لا يمكن تحقيقها بواسطة السفن التى تعمل فوق سطح الماء فقط ، اذ أن النصر فى هذا الميدان يقتضى عمليات مشتركة من الغواصات قبل كل شىء ، والمطارات البرية ، والقوات البرمائية ، والقوات البرية · وأى استراتيجية لحماية القطاع الاسفل من أوروبا ضد الهجوم من الجنوب ، تؤمن استخدام البحر الابيض المتوسط كطريق لشمال افريقيا والشرق الاوسط والهند ، يجب ان ترتكز على السيطرة على شواطىء البحـر الابيض المتوسط او على الجزر المتناثرة فيه » (٢) ·

ثم يحدد الكاتب بعد ذلك فى فصل خاص بمنطقة « شرق السويس » الاهمية الاستراتيجية ومصالح الولايات المتحدة فى ذلك الجزء من منطقة شرق السويس الذى يشمل شبه الجزيرة العربية والبحر الاحمر والخليج الفارسى وايران فيقـول « ان مصالح الولايات المتحدة كبيرة فى هذه المنطقة ، اذ تملك الشركات الامريكية ٤٧ فى المائة مـن استثمارات البترول فى المنطقة · وفى منطقـة الشرق الاوسط ، يوجد أعظم احتياطى معروف للبترول فى العالم ، وحقول البترول فى هذه المنطقة أسهل الحقول وأرخصها انتاجا حتـى الان · وتستورد غرب اوروبا ، واليابان واستراليا وافريقيا أغلب بترولها من هذه المنطقة . وتمون قوات الولايات المتحدة الامريكية فى فيتنام من وقود الشرق الاوسط . ويبلـغ دخل الشركـات الامريكية من استثماراتها فى هذا البترول ما بين ١ر٢ ، ٦ر١ بليون دولار كل عام ··

وبالاضافة الى البترول ، هناك طريق الملاحة القصير المباشر ، ذو الاهمية السياسية والعسكرية والاقتصادية الكبيرة ، من قناة السويس الى البحر الاحمر ومضيق باب المندب ، وهو اقصر طريق بحرى من اوروبا الى المحيط الهندى ، كما أنه يؤدى الى شرق افريقيا ، مما يجعل له اهمية استراتيجية عظمى · والخليج العربى (الفارسى) المحاط بدول ضعيفة ، ورثت المنافسات القديمة والاطماع التضاربة ، هو صفقة اخرى غالية · اذ تخرج منه أو تدخل فيه ٥٨ سفينة فى المتوسط كل يوم أغلبها من ناقلات البترول من مختلف دول العالم ·· وتتجمع الخطوط الجوية التجـارية والعسكرية فى منطقة الشرق الاوسط فى طريقها بين اوروبا وامريكا وبين شبه القارة الهندية وجنـوب شرق آسيا · وان مطـاري الظهران فى العربية السعودية ، وطهران فى ايران ، بالاضافة الى حقول الطيران فوقهما ، جميعها ضرورية لاى عملية نقل جوى سريعة ، تجارية او عسكرية · بالنسبة لاهمية موقعهما الاسـتراتيجى · ان للولايات المتحدة مصالح عظمى فى هذه المنطقة ، خاصة فى النطاق الاستراتيجى على المدى البعيد ، وهى مصالح مهددة بالتأكيد » (٣) ·

(١) بالدوين ، وهانسون ـ استراتيجية للغد ـ ترجمة محمود خيرى بنونة ـ القاهرة ـ الانجلو المصرية ـ ١٩٧٢ ـ صفحة ٨٠ ·

(٢) المرجع السـابق ـ صـفحات ١٥٤ ، ١٥٥ ·

(٣) المرجع السـابق ـ صـفحات ١٨٤ ، ١٨٥ ·

لقد اوردنا هذه الفقرات المطولة المنقولة من كتاب « بالدوين » حتى نبرز من واقع الكتابات الامريكية نفسها مدى الاهمية الاستراتيجية للوطن العربي وحجم المصالح الامريكية بالنسبة له .

وعلى ضوء ما تقدم من عرض يمكن لنا أن نلخص المصالح والاهداف الاستراتيجية الامريكية في منطقة الوطن العربي ، والتي اقامت الولايات المتحدة من أجلها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وجودا عسكريا لها يعمل على حماية وتحقيق تلك المصالح والاهداف ، وذلك في النقاط التالية :

١ - اقامة نطاق عسكري موجه ضد الاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الاشتراكي الاخرى في شرق أوروبا لتوجيه ضربات هجومية نووية اليه من الجنوب ومن البحر الابيض المتوسط .

٢ - حماية المصالح الاقتصادية للاحتكارات الرأسمالية الامريكية في المنطقة وخاصة البترولية منها .

٣ - تأمين طرق المواصلات البحرية والسيطرة على الممرات والمضايق المائية في حوض البحر الابيض والاحمر والخليج العربي ، وكذلك المواصلات الجوية في المنطقة ، وذلك لضمان حماية التجارة الدولية الامريكية والغربية بصفة عامة وعمليات النقل العسكري الاستراتيجية .

٤ - محاولة احتواء أي وجود مادي سوفييتي في منطقة الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط أو ايجاد حالة من التوازن العسكري والسياسي بالنسبة له في أسوأ الحالات .

٥ - الوقوف في وجه حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي للشعوب العربية ومنع تحول هذه الحركة الى قوة سياسية موحدة منسقة الضغوط فعالة الأثر في المنطقة .

وفي سبيل تحقيق هذه الاهداف وحماية تلك المصالح الاستراتيجية والاقتصادية أخذت الولايات المتحدة تدعم وتنشأ لنفسها وجودا عسكريا في وحول الوطن العربي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، كما سبق أن قلنا من قبل ، مستغلة أن بريطانيا قد خرجت من الحرب ضعيفة مستنزفة ولم تستطع بالتالي ان تصمد طويلا أمام معظم حركات التحرر الوطني والاستقلال التي سادت غالبية مناطق الامبراطورية البريطانية التي « لم تكن تغيب عنها الشمس » ، ففقدت نتيجة لذلك نحو ٨٧ في المائة من مساحة البلاد التي كانت تسيطر عليها قبل نشوب الحرب العالمية الثانية والتي كانت تضم نحو ٩٨٫٨ في المائة من سكان المستعمرات وشبه المستعمرات السابقة (٤) .

وتمثلت جهود الولايات المتحدة في سبيل انشاء وتدعيم وجودها العسكري في الوطن في انشاء قواعد عسكرية - جوية أساسا وبحرية في بعض الحالات - في بعض الدول العربية بمقتضى اتفاقيات خاصة كما حدث بالنسبة للمغرب وتونس وليبيا - قاعدة هويلس وغيرها من القواعد الامريكية قبل تصفيتها مؤخرا - والعربية السعودية « قاعدة الظهران الجوية » .

كما تمثل هذا الوجود العسكري الامريكي بعد ذلك في الاسطول السادس الامريكي الذي يعمل في البحر الابيض المتوسط ، وفي قوة الشرق الاوسط البحرية الخاصة الموجودة في الخليج العربي ومركزها امارة البحرين . وتمثل الوجود العسكري الامريكي أيضا في صورة غير مباشرة في خلق دولة « اسرائيل » وزرعها بالقوة في قلب الوطن العربي .

وسوف نتناول تفصيلا هذه الاشكال الثلاثة للوجود العسكري الامريكي في الوطن العربي فيما يلي :

● القواعد العسكرية الامريكية في الوطن العربي :

تحت شعار حماية الدول العربية من « العدوان الشيوعي » و « الزحف السوفييتي ، المرتقب المزعوم ، فرضت الولايات المتحدة خاصة في الفترة التي أعقبت انشاء حلف شمال الاطلنطي في ٤ أبريل ١٩٤٩ ، اتفاقيات أمن متبادل مع العربية السعودية وليبيا ، انشئت بمقتضاها في الاولى قاعدة الظهران » الجوية القريبة من شاطيء الخليج العربي ، والتي تستطيع قاذفات القنابل البعيدة المدى أن تهاجم منها الجمهوريات الجنوبية في الاتحاد السوفييتي مثل « كازاخستان »

(٤) East of Suez, Soviet Military Review, Moscow, September, 1966, p. 51.

و « اوزبكستان » بالقنابل النووية وأن تصل الى مدينة ماجنيتجورسك » الهامة هناك فى نحو ثلاث ساعات من الطيران ·

أما ليبيا فقد فرضت عليها اتفاقية عام ١٩٥١ مدتها ٢٠ عاما اقامت بمقتضاها الولايات المتحدة قاعدة « هويلس » ـ عقبة بن نافع حاليا ـ الضخمة التى تقع على مقربة من مدينة طرابلس ، والتى كانت تعتبر أكبر قاعدة عسكرية أمريكية خارج الولايات المتحدة ، واكبر القواعد العسكرية الامريكية فى الشرق الاوسط البالغ عددها نحو ٢٢ قاعدة · وكانت مساحتها تبلغ نحو ٣٠٠٠ فدان ، ويصل طول ممرات هبوط وصعود الطائرات بها الى حوالى ١١ الف قدم وتتسع لاستقبال اكثر من طائرة فى وقت واحد ، وكانت تتسع لستة أجنحة من الطائرات ـ الجناح يضم ٣ ـ ٤ أسراب ـ دفعة واحدة للتدريب واطلاق القذائف · وكان يوجد بها نحو ٦٠٠٠ جندى امريكى ، وقد استخدمت اساسا فى تدريب طيارين من حلف شمال الاطلنطى ،ولذلك كان عدد ساعات التدريب التى يتم بها يصل الى ٤٥ الف ساعة فى العام · وكان من حق الولايات المتحدة بمقتضى اتفاقية ١٩٥١ هذه احضار قوات غير أمريكية الى القاعدة وأشخاص غير محددة جنسياتهم ! ولذلك قيل أنه كان من المحتمل تدريب الطيارين الاسرائيليين هناك قبل الثورة · كما كان للقاعدة ميناء أو قاعدة بحرية (٥) ·

والى جانب « هويلس » كان هناك مطار تدريب يقع على مبعدة ١٧٠ كيلو مترا فى بلدة « الواطية » ، ومطار جمبوت » « والابريق » فى برقة على مقربة من حدود مصر ، وذلك بخلاف محطات الرادار فى « مسراته » و « درنة » و « طبرق » · وكان يمكن للقاذفات بعيدة « ب ـ ٥٢ » أن تهاجم من « هويلس » دول شرق أوروبا الجنوبية ، هذا فضلا عن توفير القاعدة وغيرها من القواعد الحماية الجوية للاسطول السادس ذتهديدها لمصر وبقية الدول العربية .
وعلى ضوء هذه المعلومات نستطيع أن نتبين مدى الاهمية الكبرى فى تصفية هذه القواعد والقواعد البريطانية الأخرى التى كانت فى طبرق بواسطة قوى الثورة الليبية ·

وتوجد حاليا قاعدة بحرية أمريكية فى « تونس » فى ميناء « بنزرت » القاعدة البحرية الهامة السابقة للاسطول الفرنسى فى غرب البحر الابيض المتوسط ، والتى استخدمها الاسطول السادس فى مبدأ الامر كورشة لاصلاح السفن ثم حولها بعد ذلك الى قاعدة عسكرية تعتبر الان من أهم القواعد الاستراتيجية فى شمال افريقيا والعالم العربى بصفة عامة · وذلك بحكم أن « بنزرت » ـ وهى ميناء ذو موقع محمى من الناحية الطبيعية وقوى التحصين ـ تستطيع السفن والطائرات العاملة منها أن تشرف وتسيطر على المضيق الواقع بين « رأس بون » فى تونس وجزيرة « صقلية » و « مالطة » والذى لا يزيد عرضه عن ٨٠ ميلا ، وهذا المضيق هو حلقة الاتصال الحيوية بين شرق البحر الابيض وغربه ·

هذا وتسيطر شركات البترول الامريكية على معظم الاستثمارات البترولية فى « تونس » خاصه فى منطقة « صفاقس » بالاشتراك مع بعض الشركات الفرنسية والبريطانية والهولندية ·

اما فى « المغرب » حيث عمل رأس المال الامريكى منذ عام ١٩٤٧ على منافسة الاحتكارات الفرنسية فى عمليات استخراج خامات الرصاص والزنك والبترول ، وكذلك فى مجال التجارة والاستيراد (٦) ، فقد اقامت الولايات المتحدة قواعد جوية ومحطة للاتصالات الالكترونية والمراقبة فى « سيدى يحيى » ، وهى تضم ايضا مستودعات للقنابل النووية بالاضافة لعدد كبير من الجنود ·
وتكمن أهمية القواعد الامريكية ومحطات الرادار والمراقبة الالكترونية ، بالاضافة لدورها فى تامين المصالح الاقتصاديه والسياسية فى المغرب ، فى انها توفر للولايات المتحدة سيطرة جوية وبحرية على مضيق « جبل طارق » البالغ عرضه ثمانية أميال ونصف فقط ، والذى يمثل المدخل الغربى الوحيد للبحر الابيض المتوسط ، وبواسطة هذه المحطات والرادارات بالاضافة الى الكابلات الخاصة بمراقبة الغواصات والسفن الموضوعة فى قاع المضيق ، يمكن احصاء عدد الغواصات السوفيتية التى تمر من والى البحر الابيض المتوسط عبر الاطلنطى وابلاغ قيادة الاسطول السادس بالمعلومات اللازمة عنها (٧) ولا يضايق مخططى الاستراتيجية العسكرية الامريكية فى هذه المنطقة فى العالم العربى بغرب البحر الابيض المتوسط سوى أن « سيطرة الغرب ، وقد كانت

---

(٥) مجلة المصور المصرية عدد ١٠أكتوبر ١٩٦٩ ، والسياسة الدولية ـعدد يناير ١٩٧٠ ـ صفحة ٩١ ·
(٦) فاخروشيف ـ السياسةالاستعماريةبعد الحرب العالمية الثانية ـ موسكوـالترجمة العربية ـ صفحة ١٩٤ ·

قائمة من قبل ، أصبحت مهددة بسبب القومية المتعصبة فى الجزائر ، والنشاط المتزايد للاسطول الروسى .. ولمطارات الجزائر الاثنى عشر أهمية حيوية لاستراتيجية غرب البحر الابيض المتوسط . وهى تسبب تهديدا اكيدا للاسطول الامريكى السادس وحلف الناتو .. وقد مهدت ومدت مدارجها لتكون صالحة للنفاثات بمساعدة الروس ، ونشرت فيها الطائرات المصرية ت يو ١٦ بعد حرب الايام الستة الاسرائيلية العربية (٧) ثم يستطرد الكاتب الامريكى « بالدوين » موضحا خطورة استمرار وجود الجزائر ومطاراتها بعيدا عن دائرة النفوذ الاستعمارى فيقول « ولما كان الدفاع الجوى لفرنسا وايطاليا موجهين الى الشرق والشمال ، فقد اصبح الجنوب والغرب معرضين لهجوم مفاجىء من الجزائر وقد يرى البعض ان ذلك لن يحدث أبدا ، وقد يكون هذا الرأى صحيحا لان فى القيام بهذا الهجوم مخاطرة بحرب نووية ، ولكن الجيوبوليتيكا تعنى الاوراق الهامه والمواقع والقوة .. أن هذا تهديد حقيقى يمكن – الى حد كبير – احتواءه ومقابلته بطريقتين : عودة فرنسا تدريجيا للمشاركة العسكرية فى « الناتو » ، وقد أصبح ذلك ممكنا منذ زوال حكم ديجول وباشتراك أسبانيا – كعضو فى الناتو او ضمن تنظيم تعاونى يتضمن داخله جبل طارق تحت السيطرة البريطانية – فى استراتيجية البحر الابيض المتوسط ، وربما يكون ذلك ممكنا فى المستقبل بعد عودة « دون كارلوس الى السلطة » ! (٧)

لقد كانت للقواعد العسكرية الامريكية خاصة الجوية منها ، أهميتها الخاصة فى مرحلة استراتيجية « الردع الجسيم » الامريكية التى ابتدعها « دالاس » فى وقت احتكار الولايات المتحدة للاسلحة النووية نظرا لان مدى قاذفات القنابل الذرية الامريكيه ب ٢٩ التى كانت موجودة عقب الحرب العالمية الثانية كان محدودا ، ولذلك اضطرت الولايات المتحدة الى انشاء شبكة كاملة من القواعد المحيطة بالاتحاد السوفيتى (٨)

وذلك كما يقول الجنرال والاستراتيجى الفرنسى « اندريه بوفر » فى كتابه « مدخل الى الاستراتيجية » . وبعد أن تغيرت استراتيجية « الرد الجسيم » وحلول استراتيجية « الرد المرن » محلها ، وهى الاستراتيجية التى قام بتحديدها الجنرال « ماكسويل تيلور » وتبناها الرئيس كينيدى – وتعنى هذه الاستراتيجية كما يقول « بوفر » دراسة كل حالة حسب أهميتها وعدم اللجوء الى الرد الشامل الا فى آخر المطاف ، أى أنها تحاول أن تكون فعالة فى الرد مع الحفاظ على أن يبقى النزاع محدودا (٩) – لم تفقد القواعد اهميتها رغم اتجاه الولايات المتحدة الى الاعتماد على الصواريخ العابرة للقارات « تيتان ٢ » ، « مينيتمان ٢ » وصواريخ « بولاريس » . التى تحملها الغواصات التى تسير بالطاقة الذريه ، والقاذفات بعيدة المدى والاساطيل القوية المتحركة . وذلك لان التكنولوجيا الحديثة رغم انها ضاعفت الفعالية القتالية وزادت مداها ، الا انها لا يمكن ان تحل محل القواعد البريه الاماميه ،

اذ ان القواعد البرية عنصر هام جدا للسيطرة على البحار .. وانه اذا كان من المحتم بقاء الاسطول السادس فى البحر الابيض المتوسط ، فيجب الاحتفاظ بقواعد برية حوله .. واذا لم يتوفر للغرب قواعد بريه فى البحر الابيض المتوسط ، فليس هناك بديل لاستراتيجية جوية – بحرية معدلة فى هذه المنطقة . وضياع القواعد البرية حول حوض البحر الابيض المتوسط يعنى شل الاسطول السادس وزوال تأثيره السياسى ، كما أن انسحاب هذا الاسطول يعتبر دليل انتصار سوفييتى له اثار هائلة فى المستقبل (١٠) » . هذا مايقوله « هانسون بالدوين » بصدد اهمية القواعد العسكرية البرية فى العصر الحالى رغم التقدم فى الاسلحة البعيدة المدى والقواعد العائمة ، وبالاضافة الى ذلك فان للقواعد اهمية خاصة فى فاعلية عمليات قوات الجو المنقولة بالطائرات عبر الاطلنطى الى المناطق المضطربة ، والتى تحتفظ منها الولايات المتحدة بفرقتين كاحتياطى استراتيجى خفيف الحركة ، لانها محطات امداد بالوقود لطائراتها ونقاط وثوب وارتكاز تعمل منها . وكل هذا فضلا عن الدور الرئيسى للقواعد فى اى حرب محدودة تريد ان تشنها الولايات المتحدة ، والحرب المحدودة فى جزء جوهرى من صميم استراتيجية الرد المرن ، لانها أحدى الاساليب الاساسية فى الرد على الاعمال التى تعتبرها الولايات المتحدة أعمالا

---

(٧) بالدوين – استراتيجية للغد – المرجع السابق – صفحة ١٥٨ ، ١٦٠ .

(٨) بوفر ، اندرية – مدخل الى الاستراتيجية – ترجمة اكرم ديرى والهيثم الكيلانى – دار الطليعة – بيروت – ١٩٦٨ – صفحة ١٣٣ .

(٩) بوفر – المرجع السابق – صفحة ١٢٩ .

(١٠) بالدوين – المرجع السابق – صفحات ٢٨٥ ، ١٨١ .

عدائية دون التورط فى حرب نووية شاملة او تعرض أرض الولايات المتحدة نفسها للقصف أو كما يقول الاستراتيجى الامريكى « برنارد برودى » « انها حرب لا يتم فيها استخدام القصف الاستراتيجى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى » (١١) اى انها حروب تعتمد اساسا على القوات العسكرية التقليدية وهى تحتاج الى القواعد كضرورة لا غنى عنها لاسلوب قتالها .

الأسطول السادس قاعدة عائمة

يشكل الاسطول السادس القوة الضاربة الرئيسية للولايات المتحدة فى حوض البحر الابيض المتوسط والشرق الاوسط ، والمحيطة عن قرب بمعظم الوطن العربى فى المنطقة ، وهو القاعدة الامريكية المتحركة حول حدود هذا الوطن ومن هنا تنبع خطورته الشديدة على حياة الشعوب والدول العربية السياسية وأمنها العسكرى ، لانه يتصف بمرونة كبيرة وتركيز هائل فى القوة ، كما أنه ليس ماثلا أمام أعين الشعوب العربية بشكل يحفزها للعمل على تصفيته ، مثل القواعد العسكرية البرية الثابتة ، التى يشكل وجودها بشكل ظاهر ملموس استفزازا مستمرا لحركة الشعوب الثورية .

ويتكون الاسطول السادس من نحو ٥٠ قطعة بحرية عادة تضم حاملتى طائرات هجومية من طراز « فورستال » وتبلغ حمولة كل حاملة من هذا النوع ، والتى بنت منها الولايات المتحدة اربعة حاملات فى الفترة من عام ١٩٥٥ ــ ١٩٥٩ نحو ٧٨ ألف طن عند التحميل الكامل (١٢) وتستطيع ان تحمل فوق ظهرها وداخل حظائرها الداخلية عددا يتراوح بين ٧٠ ــ ٩٠ طائرة وقد يصل الرقم فى بعض الاحيان الى ١٠٠ طائرة حسب نوع وحجم الطائرات المستخدمة . وتصل سرعة الحاملة الى ٣٣ عقدة فى الساعة تقريبا (١٣) وهى مزودة بالقنابل النووية ، وتشكل قاذفات القنابل نسبة ٧٥ فى المائة تقريبا من عدد الطائرات الموجودة بهاتين الحاملتين . اى أن اجمالى القوة الجوية للاسطول السادس يصل الى نحو ٢٠٠ طائرة . وهذا يوضح لنا أن الاسطول السادس هو قاعدة جوية متحركة ، او كما يصفه الكاتب الامريكى « هـ . لوينستين » فى كتابه « حلف شمال الاطلنطى والدفاع عن الغرب » ان هذا هو الواجب الاساسى للاسطول السادس وليس القتال البحرى ، وبمعنى اخر انه يعتبر جزءا متقدما من القيادة الجوية الاستراتيجية فى جبهة البحر الابيض المتوسط ، وهو قاعدة جوية عائمة غير معرضة لصواريخ العدو وبعيدة المدى وهو فى الوقت نفسه بعيدا عن الاضطرابات السياسية التى تتعرض لها القواعد الارضية » (١٤) بالاضافة الى ٢ ــ ٣ طراد ، ٢٠ مدمرة ، ونحو ٣ ــ ٤ غواصة من طراز « بولاريس » التى تبلغ حمولة الواحدة منها فوق سطح الماء مابين ٥٩٠٠ ــ ٧٣٢٠ طنا ، وهى مسلحة بـ ١٦ صاروخا يحمل كل منها قنبلة نووية قوتها مليون طن ت . ن . ت تقريبا وتستطيع بعض انواعه « بولاريس أ ٣ » ان تصل الى مدى ٤٦٠٠ كيلو متر . وهذا بخلاف قوة برمائية تتألف من نحو ١٨٠٠ ــ ٢٠٠٠ جندى من مشاة البحرية وسفن التموين والاصلاح والسفن المضادة للغواصات ، ويبلغ عدد اجمالى الجنود والبحارة والطيارين بالاسطول السادس نحو ٢٥ ألف رجل . وسفينة القيادة للاسطول السادس هى الطراد « ليتل روك » الذى تبلغ حمولته ١٤٫٦٠٠ طن المزود بصواريخ نووية بحر ــ ارض وصواريخ بحر ــ بحر ، وبحر ــ جو بالاضافة الى ٩ مدافع عيار « ١٥٢ مم » ، ٨ مدافع عيار ١٢٧ مم ، وعدد من طائرات الهليكوبتر ، ويوجد العديد من اجهزة الرادار والاتصال ونحو ١٢٠٠ بحار .

والقاعدة الرئيسية للاسطول السادس هى ميناء « نابولى » وله الان قواعد هامة فى « بيريه » باليونان و « بنزرت » بتونس و « سيدى يحيى » بالمغرب و « روتا » بجنوب اسبانيا التى بها محطة مراقبة ــ اى تجسس ــ الكترونية امريكية ومرفأ ضخم تحت سطح البحر لاستقبال غواصات بولاريس . وتشغل القاعدة البحرية المذكورة مساحة ٢٠ كيلومترا مربعا ــ وهى مساحة أكبر أربع مرات من قاعدة جبل طارق البريطانية ــ وبها أرصفة ضخمة لاستقبال وتموين حاملات الطائرات ومستودعات واسعة للبترول تحت الارض الصخرية . وتوجد فى اسبانيا قواعد اخرى فى « مورفى » و « سان بابلو » ، و « توريخون » ، و « سرقسطة » و « مادون » ومطاراتها مجهزة لاستقبال القاذفات بعيدة المدى حاملة القنابل النووية .

(١١) Brodie, B. Strategy in The Missile Age, New Jersey, Princeton University, 1969, p. 310.

(١٢) Jane's ceapon Systems, London, Sampson Law, 1970 — 1971, p. 251 — 325.

(١٣) برودى ، برنارد ــ الاستراتيجية البحرية ــ ترجمة سعد الدين صبور ــ القاهرة ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٦٤ ــ صفحة ٧٣ .

(١٤) لوينستين ، هـ ــ حلف شمال الاطلنطى والدفاع عن الغرب ــ الجزء الاول ــ ترجمة محمد طلعت حسن ــ القاهرة ــ الانجلو المصرية ــ صفحة ٢٧

كما توجد قاعدة بحرية امريكية هامة في ميناء « أزمير » بتركيا وهو ميناء مطل على البحر الابيض قرب الجزر اليونانية . وتوجد في ميناء « فاليتا » بجزيرة مالطة قاعدة بحرية لغواصات « بولاريس » وتستقبل موانى اسرائيل مثل « حيفا » و « عكا » و « تل ابيب » سفن الاسطول السادس، كما تتخذها غواصات بولاريس احيانا مكامن لها .

ورغم ان مخططى الاستراتيجية العسكرية الامريكية تصوروا أن من الممكن للاسطول السادس أن يلعب دوره في البحر الابيض المتوسط دون الاعتماد على قواعد برية في المنطقة - اى موانى ومطارات - وأن باستطاعته الاعتماد على الامداد من قواعد الوطن الامريكي مباشرة عبر المحيط الاطلنطى ، فقد أثبت الواقع صعوبة بل شبه استحالة استمرار بقاء الاسطول كقوة فعالة الاثر دون وجود القواعد البحرية والجوية الامريكية في اراضى دول البحر الابيض المتوسط ، سواء في غربه او شرقه ، والا أصبح وجوده معرضا لاخطار شديدة تجعله قوة غير مضمونة الفعالية حال قيام حرب شاملة او حتى حرب محدودة طويلة . ولذلك نجد «هانسون بالدوين» يقول - بالاضافة الى ماسبق ان اوردناه من اقواله حول اهمية القواعد العسكرية - يقول « القواعد البرية هي أهم الركائز اللازمة للسيطرة على البحار الضيقة المحدد فيها المسارات كالبحر الابيض المتوسط . وكلما قل عدد القواعد الارضية التى تحتفظ بها الولايات المتحدة كلما زادت القيود التىتحد من حرية العملللاسطول السادس » (١٥) .

وهو يعتقد ان قوة الاسطول السادس قد ضعفت عن ما هو مفروض فيه نظرا لظروف حرب فيتنام فيقول في هذا الصدد « لقد ضعفت قدرة الاسطول السادس القتالية ، مثل أغلب القوات الامريكية عبر البحار ، منذ ان وجهت الولايات المتحدة جهودها الى فيتنام ، لقد كانت السفن القديمة والافراد قليلى الخبرة ، والطائرات القديمة ، والنقص في قطع الغيار ، كلها عوامل انتقصت من قوته . ومن المؤسف إن حاملتى الطائرات المخصصتان للبحر الابيض المتوسط كانت عليهما طائرات مقاتلة ف ٤ - ٧ اقدم من الطائرات التى كانت واشنطن تمد بها اسرائيل » (١٥) .

هذا وقد أدى ظهور الاسطول السوفيتى فى البحر الابيض المتوسط فى بدايات الستينات ، وتحول هذا الظهور الى وجود بحرى ثابت قوى منذ عام ١٩٦٧ يتمثل عادة فى نحو ٤٠ - ٥٠ قطعة بحرية تضم حاملة طائرات هليكوبتر مضادة للغواصات وطرادات ومدمرات مجهزة بالصواريخ الموجهة وغواصات ذرية الخ وقوات برمائية ، الى القضاء على اسطورة ان البحر الابيض المتوسط بحيرة امريكية خاصة !

وبهذا أصبح من المستحيل تقريبا تكرار ما حدث من الاسطول السادس في عام ١٩٥٨ من انزال بحرى في لبنان . ان الاسطول السوفيتى هو القوة الوحيدة القادرة على مواجهة الاسطول السادس الامريكى والاقلال من آثار وجوده العسكرى والسياسى في منطقة البحر الابيض المتوسط ، وتتمثل مهمته الاساسية في الدفاع عن الاتحاد السوفيتى ودول اوروبا الاشتراكية من ناحية الجنوب فضلا عن تقديم الدعم السياسى والعسكرى للدول العربية في مواجهتها لاسرائيل التى يدعمها الاسطول السادس . ولذلك نجد «هانسونبالدوين» يقول «ان السفن الروسية تقابل بالترحاب في كثير من الموانى الرئيسية في شرق البحر الابيض المتوسط .. وفي مجال المقارنة الواقعية ، نجد أن هناك دولتين فقط يمكن للاسطول السادس ان يجرى لهما زيارات هادئة هما ايطاليا واليونان ، وحتى ايطاليا تبدو غير مستقرة من الناحيتين السياسية والاقتصادية . لقد اغلقت موانى المنطقة بالتدريج فيوجه الاسطولالامريكى السادس »(١٥) ولا يشير الكاتب بطبيعة الحال الى أن ذلك يرجع الى طبيعة ذلك الاسطول كقاعدة عسكرية استعمارية متحركة تعمل لشل حركة التحرر الوطنى في المنطقة وارهابها دائما .

ان النضال من أجل تصفية القواعد الامريكية البحرية والجوية الثابتة في اراضى الدول العربية المطلة على حوض البحر الابيض المتوسط ، هو السبيل الى انقاذ الاسطول السادس وهو القاعدة البحرية والجوية المتحركة للولايات المتحدة حول الوطن العربى ، فاعلية كبيرة في قدرته العسكرية . هذا وتوجد قوة بحرية أمريكية أخرى تعمل منذ نحو ٢٠ عاما في الخليج العربى وتتخذ لها من البحرين مركزا لها ، وهى تتكون من ٣ - ٥ سفن حربية ، كما توجد غواصة او اكثر من طراز « بولاريس » في مياه الخليج العربى لتوجيه ضربات نووية الى جنوب الاتحاد السوفييتى عند

(١٥) بالدوين - استراتيجية للغد-المرجع السابق - صفحة ١٧٦ ، ١٧٥، ١٦١ .

نشوب حرب عالمية . ويقول « بالدوين » بخصوص مستقبل هذه القوة بعد انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج العربي « ان بقاء هذه القوة والتسهيلات في البحرين بعد انسحاب القوات البريطانية سيكون له أثر سياسي سيء .. » ويفضل أن « تستبدل القاعدة الدائمة في الخليج بزيارات دورية تقوم بها قوات بحرية أمريكية ذات واجب خاص ، طبقا لنظام معين . وهذا اجراء بديل لما كان يأخذه التاج البريطاني على عاتقه ، وقد يبدو أنه سوف لا يكون بديلا فعالا . ومن الضروري أن يكون هذا الوجود باهتا غير ظاهر من ناحية ، ولكن من ناحية أخرى يتحتم وجود قوة مستعدة على علم بمجريات الامور أولا بأول في المناطق المضطربة حول الخليج العربي ، حيث توجد مصالح كبرى في البترول للولايات المتحدة الامريكية » .

ومن هنا نرى الاهمية التي يكتسبها النضال العربي المطلوب ضد الوجود الاستعماري في الخليج العربي .

اسرائيل قاعدة ثابتة غير مباشرة

عندما أنشأ الاستعمار العالمي دولة اسرائيل العنصرية القائمة على الاستعمار الاستيطاني ، كان يهدف ضمن ما يهدف الى ايجاد قاعدة عسكرية ثابتة له في المنطقة لا تتأثر بالهزات الوطنية التي تجتاح بلاد المنطقة العربية . ولذلك نجد أن الرئيس الامريكي الاسبق « هاري ترومان » يقول عقب انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ « ان اسرائيل قامت في منطقة الشرق الاوسط ، لكي تتصدى لتيار النعرة الوطنية ، فاذا لم تستطع أن تحقق هذا ، فلا أقل من أن تجتذبه بعيدا عن مصالح البترول الامريكي في الشرق الاوسط » (١٦) !

وقد تزايدت أهمية الدور الذي تلعبه اسرائيل لحساب الولايات المتحدة الامريكية في ظل استراتيجية « الرد المرن » و « الحروب المحدودة » خاصة بعد أن حققت النصر الخاطف في ١٩٦٧ ، موفرة للولايات المتحدة اشكالات أو صعوبات التدخل العسكري المباشر من جانبها لوقف تطور حركة التحرر الوطني والاجتماعي في المنطقة ، خاصة حركة « مصر » بالذات قلب الوطن العربي ، بعد أن وجهت اليها انذارها المشهور في عام ١٩٦٥ بضرورة تحديد عدد قواتها المسلحة الخ . ولكن اسرائيل نفسها لا تستطيع البقاء طويلا دون حماية الولايات المتحدة العسكرية غير المباشرة ، ولذلك يقول « بالدوين » أنه « يبدو واضحا أن اسرائيل لا يمكنها البقاء لمدة طويلة وسط بحر من العرب .. اذ بدون قوة أمريكية توازن النفوذ السوفييتي ، وبدون الاسطول الامريكي السادس في البحر الابيض المتوسط ، ستواجه اسرائيل قدرها » (١٧) . وهكذا يتأكد لنا أن النضال الوطني الثوري ضد الوجود العسكري الامريكي في الوطن العربي الثابت منه والمتحرك ، انما هو نضال ضد اسرائيل في نفس الوقت ، والعكس صحيح ، لان كليهما وجهي عملة واحدة .

(١٦) نص اورده الاستاذ صلاح منتصر نقلا عن محاضرة للاستاذ محمود رشدي في عام ١٩٦٩ ، وذلك في دراسة عن « الاستراتيجية البترولية الامريكية والشرق الاوسط » — السياسة الدولية المصرية — عدد أكتوبر ١٩٧٠ — صفحة ١٥ .

(١٧) بالدوين ، هانسون — استراتيجية للغد — المرجع السابق — صفحة ١٧٤ .

نحو استراتيجية عربية



اتجاه الضربة الرئيسية نحو المصالح الأمريكية

أحمد صادق سعد

منذ ١٩٦٧ كثر الحديث عن ضرورة رسم استراتيجية ، عربية ، وليس المقصود هنا بالطبع استراتيجية عسكرية ، فهذا ميدان من شأن رجال الحرب ، وانما المراد هو رسم سياسة واضحة المعالم لحركة التحرر الوطني بصفة عامة ، وللبلدان الوطنية ذات النظم المتقدمة بصفة خاصة . والحق أن لفظ الاستراتيجية ينطوى على عدد من المفاهيم ، منها تحديد الجبهة المعادية والجبهة الحليفة والموقف ازاء كل عنصر من العناصر المكونة لهما ، والاهداف الرئيسية للنضال ، والاسلوب المطلوب لتجميع القوى المناضلة الخ . وسنقصر حديثنا اليوم على نقطة واحدة ، وهى البحث عن العدو الرئيسى فى الجبهة المعادية ، وهو الاستعمار الامريكى فى رأينا .

العناصر الرئيسية للجبهة المعادية

والحق أن الحركة الوطنية العربية مواجهة فى المرحلة الحاضرة بقضية أساسية عاجلة هى محور جميع القضايا الملحة علينا ، وهى قضية تحرير الارض التى احتلتها اسرائيل فى حرب ١٩٦٧ . وفى هذا ، فان العدو المباشر الذى أمامنا هو اسرائيل الدولة وخاصة جهازها العسكرى . غير أن هذا العدو ـ فى حقيقة الامر ـ ينفذ سياسة متكاملة تتشابك فيها أكثر من ارادة واحدة أو مصلحة واحدة . ولقد كان الاحتلال الاسرائيلى ـ ومايزال ـ نتيجة التوافق والتلاقى بين أربع قوى رئيسية ، نذكرها فيما بعد دون ترتيب الاهمية :

١ ـ الرجعية العربية المرتبطة بالاستعمار والتى تقف بعناد ضد الحركة الجماهيرية العربيةالثورية وتقدمها الاجتماعى

٢ ـ الفئات الحاكمة فى اسرائيل التى ترغب فى استمرار التوسع ، وفرض الاستسلام على الدول العربية والقضاء على حركة المقاومة الفلسطينية • وهذه الفئات هى الاداة المنفذة لسياسة الجبهة المعادية .

٣ ـ الصهيونية العالمية التى تعمل على استمرار الهجرة اليهودية الى اسرائيل بأكبر قدر ممكن •

٤ ـ الاستعمار العالمى ـ وعلى رأسه الامريكى ـ الذى يريد المحافظة على اسرائيل كقاعدة استعمارية للابقاء على المصالح الاحتكارية الكبرى فى البلاد العربية ، ومنطقة الشرق الاوسط بشكل عام •

والحق أن هذه العناصر لاتشكل كتلة واحدة متجانسة ، بل بينها تناقضات تظهر حينا وتختفى حينا آخر ، مما يجعلها تتخذ مواقف مختلفة بنى عليها البعض استنتاجات متسرعة تؤدى الى تقديرات خاطئة من الناحية السياسية من زاوية المصلحة الوطنية للحركة التحررية العربية •

ولنضرب بعض الامثلة لذلك • فالملك حسين قد تراجع أمام الموجة الوطنية عام ١٩٥٧ وشكل حكومة تقدمية برئاسة النابلسى • وفى ١٩٦٧ اشترك بنفسه فى بعض المعارك شاهرا مسدسه •• وفى الفترة بين ١٩٦٩ و ١٩٧٠ حضر بعض اجتماعات القمة مع الرئيس الراحل ووقع على وثائق مشتركة مع المقاومة الخ • وكانت هذه الحوادث مادة غذت الدعاية القومية الواهمة والشوفينية التى تطرى كل من ينطق بالضاد، وتمجد كل من يرتدى العقال ، فركزت على الملك حسين باعتباره حليفا للجبهة الوطنية العربية •

وكذلك ظهرت سلسلة من التناقضات والخلافات بين اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية ، تميزت باتجاه اسرائيلى متزايد الى وضع نشاطات المنظمة تحت الاشراف المباشر للدولة اليهودية مما لقى مقارمة بمختلف الاشكال للاجهزة التنفيذية الصهيونية العليا • وكان من ضمن مظاهر هذه الخلافات مثلا تلك التصريحات والمقالات اليائسة الصادرة من « دافيدجولدمان » والتى يعبر فيها عن تخوفه على المستقبل الصهيونى لدولة اسرائيل بسبب الاتجاهات المغامرة للفئة التى تقرر الامر فى تل أبيب . وترتب على ذلك أن بعض العرب تساءلوا عن الامكانيات الموجودة للاتفاق الجزئى مع جولدمان ضد جولدا مائير وديان •

والاهم من هذا وذاك تلك الخلافات التى ظهرت ـ وتظهر حتى الان ـ بين تل أبيب وواشنطن • ومن المعروف أن فى الدوائر الحاكمة فى اسرائيل كانتتوجد نزعة ـ بقيادة بنجوريون الى التصرف المستقل فى بعض الاحيان وبعض الميادين ، وبالاعتماد على توثيق العلاقات مع فرنسا والسوق الاوروبى • وتبلورت هذه النزعة بصورة واضحة عام ١٩٥٦ عندما اتفقت اسرائيل مع انجلترا وفرنسا على العدوان الثلاثى ، الامر الذى أبقى أمريكا بعيدة ـ الى حد ما ـ عن المعركة • وبعد توجيه الانذار السوفيتى اتخذت أمريكا موقف الضاغط على الحكومة الاسرائيلية . حتى تنسحب قواتها من الاراضى المصرية التى احتلتها فى حرب السويس • وقد اتخذت الدبلوماسية الامريكية ، من هذا الحادث مادة أساسية لدعايتها فى البلاد العربية والقائلة بامكان الاتفاق مع واشنطن لممارسة الضغط على اسرائيل مرة أخرى بعد حرب ١٩٦٧ حتى تنسحب كما انسحبت من قبل • واحيت هذه الدعاية الفكرة البورجوازية ، لدى بعض العرب بضرورة استمالة الاستعمار ضد اسرائيل والصهيونية ، كما تلاقت مع المحاولات والجهود المحمومة التى تبذلها الرجعية العربية لتخريب الصداقة مع الاتحاد السوفيتى وبناء صداقة مزعومة مع الاستعمار العالمى بدعوى المحافظة على تراثنا وتقاليدنا •

خلافات جزئية واتفاق رئيسى

فى نظر البعض كان اذن ينقلب العدو الى حليف بسبب مواقف واقعة فعلا • ولكنها عابرة ويعود هذا الى النظر الى الخلاف الجزئى فى جبهة الاعداء على انه خلاف رئيسى • أى تحويل التناقض الثانوى الى تناقض أساسى مما يغير الاستراتيجية العربية من جذورها . فلقد وقف الملك حسين مع الحركة الوطنية العربية ، ومع بعض البلاد التقدمية عندما كانت تلك المواقف دون أهمية كبيرة من حيث النتيجة العملية . أمافى اللحظات الحاسمة التى قد يتقرر فيها مصير الحركة الجماهيرية الاردنية والمقاومة الفلسطينية ومستقبل النظام الملكى ، فعندئذ يسفر عن حقيقته ويخلع رداء العروبة التحررية ويضع يده فى يد الاستعمار واسرائيل •

وكذلك يشكو « جولدمان » من السياسة الاسرائيلية التى افقدت لها الاصدقاء والعطف العالمى ، ويلعب دورا فى المواقف العلمانيةلحزب الاحرار الاسرائيلى ويساند بعض الدعوات التى

تنادي بالتعاون مع العرب وبالاعتراف لهم ببعض الحقوق القومية . ولكنه لا يتنازل قيد أنملة عن الفكر الصهيوني الاساسي وهو أن تكون اسرائيل مركزا قوميا لجميع يهود العالم ، وهو أساس التحالف الوثيق بين الصهيونية والاستعمار بمختلف نوعياته المتتاليه . (التركي — الالماني — الانجليزي — الفرنسي — الامريكي الخ) وذلك هو بيت القصيد .

وأخيرا ، فاذا كان الاستعمار الامريكي في وقت ما اخذ موقف المقاومة من بعض التصرفات الاسرائيلية ، فقد كان هذا لسببين : الاول هو الرغبة في تفكيك الحلف المؤقت بين اسرائيل من جهة وانجلترا وفرنسا من جهة أخرى حتى تضمن واشنطن أن ترث التركة الاستعمارية القديمة دون مشاركة . والثاني أن تبقى على بعض الابواب مواربة بينها وبين العرب حتى تستمر في لعبة الخداع والمناورة التي قامت بها مدة طويلة حتى ١٩٦٧ بل وبعد ذلك بوعود روجرز المختلفة مثلا .

ومن المهم أن نتوقف قليلا عند هذه النقطة . فالملاحظ أن الاستعمار الصهيوني من نوع خاص ، ويتميز عن باقي الانواع — الفرنسي أو الانجليزي او البرتغالي الخ — في انه لم يكن لديه لمدة طويلة اجهزة دولة من جيش وادارة قومية الخ . بل انه تعبير عن شبكة من الاحتكارات المالية موزعة في البلدان الرأسمالية المتقدمة . ولذلك بحثت الصهيونية باستمرار عن سند استعماري تعتمد عليه، ووجدته في الانتداب البريطاني من ١٩١٧ حتى ١٩٤٧ . وعندما تاسست دولة اسرائيل كانت — ومازالت — قواها الذاتية ، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، من الضعف بحيث يستحيل عليها أن تكون لوحدها أداة للصهيونية ، وكان لابد أن تعتمد على الاستعمار الامريكي باعتباره أعظم قوة وقائدة للمعسكر الاستعماري العالمي في مختلف الميادين . ومن يطلع على القائمة المنشورة في وثائق هذا العدد والتي تتعلق بشبكة الصهيونية العالمية يجد أن غالبية أفرادها من الولايات المتحدة ويرتبطون بأضخم احتكارات فيها . ولذلك تعتبر التنظيمات الصهيونية المختلفة هي الحبل السري الذي يربط اسرائيل بالمنبع الاساسي لقواها وهو الاستعمار الامريكي . وقد أصبح للرأسمال الاحتكاري الامريكي اليد الطولى في الاقتصاد الاسرائيلي : فهو يملك ٧٠ في المائة من الاستثمارات في تلك الدولة . كما أن سلسلة من الاتفاقات والمعاهدات الفنية والثقافية والعسكرية تربط اسرائيل بعجلة الاستعمار الامريكي وتجعل منها قاعدته الاساسية في الشرق الاوسط وقلعته الكبرى في وجه حركة التحرر العربي .

واذا كان للاستعمار الاسرائيلي أهداف توسعية وعدوانية في الشرق العربي ، فان جزءا منها ما زال حتى الان في صورة الاحلام بالنسبة للمستقبل . أما أهداف الاستعمار الامريكي ، فهي ترتكز على مصالح قائمة تدر أرباحا هائلة وعلى مراكز استراتيجية ملموسة . فحول اسرائيل تركيا وايران واليونان التي فيها قواعد عسكرية أمريكية أو تابعة لاحلاف مرتبطة بواشطن . وفي الدول العربية القريبة امتيازات بترولية أمريكية هائلة . والمنطقة بأكملها رقعة في الشطرنج العالمي الذي تحرك عليه الولايات المتحدة قواها وعملاءها .

وفي العلاقة بين القطبين الاسرائيلي والامريكي ، هناك قطب خاضع وآخر سائد . واسرائيل هي الخاضع للاستعمار الامريكي، لان اسرائيل هي الاضعف ذاتيا ولا تستطيع أن تعيش كقلعة استعمارية دون مساندة القوة الامريكية ودون أن تكيف سياستها طبقا لارادة واشنطن ومصالحها .

هل تكسب الولايات المتحدة لصف العرب ؟

وان وجود تلك التناقضات الجزئية والثانوية بين العناصر المكونة لجبهة الاعداء قد جعلت بعض العرب يفكر في امكان استمالة عنصر ضد العناصر الاخرى ، لا لغرض مجرد الاستفادة من تلك التناقضات ، وانما على اساس كسب أحد الاعداء وجعله حليفا . وكان هذا التفكير منتشرا بصورة واضحة في المراحل الاولى للحركة الوطنية العربية ، عندما كانت البورجوازية في بلادنا ناشئة وضعيفة . وهكذا ظهر التفكير مثلا في الاستعانة بتركيا ضد الانجليز عند الحزب الوطني الاول ، والوهم الوفدي ، بعد معاهدة ١٩٣٦ — بصداقة انجلترا . وفي القضية الفلسطينية بالذات نذكر ان الملوك والرؤساء العرب دعوا الثوار الفلسطينيين عام ١٩٣٦ الى الكف عن نشاطهم الوطني المتفجر على أساس الثقة ببريطانيا العظمى الصديقة . وقد جاءت دروس الحياة بعد ذلك قاسية وواضحة ، اذ سلمت انجلترا ارض فلسطين لقوات الهاجناه عام ١٩٤٨ ، في حين كانت تقيم ستارا مسلحا بين العرب وبين تلك القوات بواسطة الجيش البريطاني المنسحب . ذلك لان مصالح الطبقة الاحتكارية الحاكمة في لندن تتفق في جذورها وأساسها مع الاستعمار الصهيوني ، وتوجه ضد

الحركة الوطنية العربية • ولم يبدأ هذا الموقف يتزعزع الا بعد أن فقدت بريطانيا مستعمراتها فى البلاد العربية الواحدة بعد الاخرى اما لانها تحررت من القبضة الاستعمارية الاجنبية أو لانها وقعت فى قبضة الاستعمار الامريكى المنافس •

وبعد فشل العدوان الثلاثى ونجاح السياسة الاستقلالية العربية المعتمدة على العون السوفيتى ، أخذت الحكومات الامريكية المتتالية تنغمس بشكل اوضح واوضح فىمساندة اسرائيل بصورة علنية .. الى أن قامت الحرب الخاطفة فى ١٩٦٧ بالتنسيق التام بين تل أبيب وواشنطن ، ثم انتهى الامر بالمعونة العسكرية الامريكية الاخيرة لاسرائيل رغم الاعتراف بتفوق الدولة اليهودية على البلاد العربية فى هذا الميدان •

وهنا ظهر فى الفكر العربى تيار متكامل واضح المعالم يبحث عن الاعذار للحكومة الامريكية : فهى تارة لا تستطيع أن تتصرف بصورة مستقلة عن قوة اليهود الانتخابية ، وتارة لا تدرك أن حقيقة مصالحها فى الصداقة العربية ، وحينا يعزى الموقف الامريكى الى التقارب الدينى بين البروتستانتية واليهودية ، وحينا آخر الى الانزعاج الامريكى الشديد من ارتباطاتنا مع السوفيت مما يدفع بواشنطن الى حركة عكسية لا ارادية فترتمى فى احضان تل أبيب الخ . وهذه جميعا حجج توجه السياسة العربية الى نتيجة حتمية : فاذا أردنا أن نمنع عن اسرائيل العون الامريكى ، علينا أن نتذرع بالصبر الجميل ونشرح لحكام الولايات المتحدة عدالة قضيتنا ... بالدرجة الاولى نقطع علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى بأسرع ما يمكن !

ان ذلك المنطق مبنى على فكرتين أساسيتين : أما الاولى فهى أن أمريكا مخطئة فى عملها ، وانها تتصرف تصرف الطفل الذى لا يعلم أين مصلحته الحقيقية • والفكرة الثانية انها تحت تأثير نوع من السحر المغنطيسى يصدر من اليهود فى العالم ، وخاصة فى الولايات المتحدة . والمثل البارز لهذه العقلية نجده فى كتاب فتحى الرملى « الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار » حيث توصف « اليهودية العالمية » على أنها قمة التطورات الاخيرة للاستعمار العالمى وصاحبة الكلمة الحاسمة فى تصرفات الدول الاستعمارية •

وقد آن الاوان أن نعدل صورة الحقائق ونقيم الامور على أقدامها لا على رأسها . ان الاستعمار الامريكى هو الان ــ ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ــ قائد المعسكر الاستعمارى العالمى ورأس رمحه ، لانه معتمد على الاقتصاد الاكثر تطورا . وان الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة هى الطبقة الاحتكارية المالية التى تجمع الاحتكاريين البروتستانت والكاثوليك واليهود وغيرهم فى وحدة قوية تعمل على خدمة مصالحها كطبقة احتكارية امريكية فى المرتبة الاولى ، وتضع خلافاتها ــ بصورة عامة ــ فى المرتبة الثانية • ومصلحة هذه الطبقة فى منطقة الشرق الاوسط هى أن تصدر اليها رأسمالها فى استثمارات للثروة العربية ، تدر بالارباح الطائلة [مثلما يحدث بالنسبة للبترول) . وهذا الاتجاه لكى يتحقق ويستمر فانما يحتاج الى الحماية العسكرية ، فهنا يكمن سر تجول الاسطول السادس فى شرق البحر الابيض ، وكذلك يكمن التعاون الوثيق بين أمريكا واسرائيل .

وفى الوقت نفسه ، فالسلطة الامريكية تدرك تماما أن الحركة الوطنية العربية ترفض السيطرة الاجنبية وتريد التخلص من الموجود منها • ولذلك تضع الحكومة الامريكية فى استراتيجيتها وكهدف رئيسى قلب الانظمة التقدمية فى البلاد العربية وايقاف الاتجاه نحو التطور الاشتراكى الذى تتمسك به الجماهير الكادحة العربية . وهنا تتلاقى تلك المصالح العميقة للاستعمار الامريكى مع المصالح الجذرية أيضا للرجعية العربية وللصهيونية وللدوائر الحاكمة فى اسرائيل . غير أن فى هذا الحلف المعادى للحركة الوطنية يكون الاستعمار الامريكى هو القطب السائد والباقى هى الاقطاب المسودة • وهذا معناه أن أمريكا هى العدو الرئيسى وان كانت اسرائيل هى العدو المباشر .

واذا كان صحيحا أنه لابد من أن تلقى اسرائيل هزيمة حاسمة فى الميدان العسكرى حتى تسحب قواتها من الاراضى المحتلة وتعترف للفلسطينيين العرب بحقوقهم القومية ، فمما لاشك فيه أن أحد الضمانات الهامة لتحقيق هذا هو اقتلاع أكثر ما يمكن من الجذور الاقتصادية والعسكرية والثقافية الامريكية من البلاد العربية اى ضرب العدو الرئيسى للحركة الوطنية العربية . فهذا وبهذا فقط يمكننا أن نتصور امكانية أن تفيق واشنطن وتخفف من ارتباطها بتل أبيب • وبهذا وبهذا فقط يمكننا أن نظهر للشعب الامريكى أين تقع مصالحه الحقيقية : مع الحركة الوطنية العربية أم مع الصهيونية ؟ وبهذا وبهذا فقط نستطيع أن نزيد من قوة الانظمة الوطنية العربية ونقطع على واشنطن الامل فى قلبها . وبهذا فقط نسحب الارض من تحت الانظمة والاتجاهات الرجعية العربية وندعم الحركة الجماهيرية العامة وحركة المقاومة الفلسطينية بصورة خاصة .

شبكة دولية صهيونية لأصحاب الملايين الأمريكيين

تقدم امريكا لاسرائيل مختلف عناصر الدعم المادى من الرغيف الى الفانتوم . ويفسر أغلب كتابنا هذه الظاهرة على اساس سياسى ، أى قيام اسرائيل بدور كلب الحراسة للمصالح الاستعمارية فى الشرق العربى . غير أن الحقيقة أيضا أن وراء الادوار المتبادلة - لامريكا واسرائيل - مصالح مادية متبادلة ، هى الارباح الوفيرة التى يجنيها أصحاب عشرات الملايين ومئات الملايين - فى **ايطاليا وفرنسا وسويسرا وانجلترا وأمريكا** . « هؤلاء الذين يجتمعون فى مؤتمرات تسمى بمؤتمرات « **بيلدربرج** » باوروبا لتقسيم الغنائم بينهم . وأولئك الذين يجتمعون فى القدس - فى **مؤتمرات المليونيرات السنوية** - للاتفاق على استثمار رؤوس أموالهم الضخمة فى اسرائيل أو عن طريقها .

وفى هذه الصفحات نقدم الى القارىء قائمة - مرتبة بترتيب الحروف الابجدية الافرنجية - لاصحاب عشرات الملايين ومئات الملايين من الامريكيين ، مبينين ثرواتهم وارتباطاتهم الوثيقة التى تشكل شبكة حقيقية يهيمنون بها على قمم الصناعة والتجارة والبنوك . ونقتصر هنا على رصد أصحاب الملايين الامريكيين .

وقد استقينا هذه المعلومات اساسا من كتب دليل الشخصيات والاعيان فى فرنسا وانجلترا وامريكا وايطاليا ، ومن دليل الشركات فى مختلف البلدان ، ومن شتى الدراسات الاقتصادية التى نشرت عن اسرائيل . وتاريخ هذه المعلومات يتراوح بين ١٩٥٠ و ١٩٧٠ أو ١٩٧١ حسب المعطيات المقدمة . وقد حاولنا ان نتوخى الدقة بقدر الامكان فى متابعة الخيوط المختلفة التى تربط بين نقط التقاء هذه الشبكة الهائلة .

ونلاحظ أن اصحاب هذه الملايين لايستطيعون

ـ رغم ثرواتهم الضخمة الشخصية ـ تحقيق اطماعهم كل على انفراد . ولذلك يدخلون فى اتفاقات وتحالفات تكاد تكون ثابتة على مدد طويلة وفى اشكال نسميها **مجموعات احتكارية**وهى التى سنركز على توضيحها وبيانها .

١ ـ برنارد باروخ BARUCH

مليونير ـ عضو مركز النفوذ الصهيونى فى امريكا LOBBY عضو بورصة الاسهم بنيويورك ـ مستشار البيت الابيض ، وخاصة فى ظل الرئيسين ترومان وايزنهاور ـ مدير التعبئة العسكرية منذ ١٩٤٣ ـ مندوب الولايات المتحدة فى لجنة هيئة الامم للطاقة الذرية عام ١٩٤٦ .

٢ ـ ى . بلاك BLACK

عضو اللجنة المالية لمؤسسة فورد ـ مدير سابق لبنك تشيز منهاتن (مجموعة روكفيلر) . موظف كبير ثم مدير ثم رئيس المجلس التنفيذى للمديرين فى البنك الدولى الامريكى للتنمية والتعمير بواشنطن عام ١٩٤٧ ـ (قروض هذا البنك من المصادر الرئيسية للمالية الاسرائيلية) .

٣ ـ عائلة براودر BROWDER

ـ فيليكس كارل براودر ـ ملاصق لمجموعة جوجنهايم (انظر بعده) عام ١٩٥٣ ـ ١٩٦٧ . زميل مؤسسة سلون ١٩٥٩ ـ ١٩٦٣ . مساعد البروفسير برانديس (احد المؤسسين لشركة فلسطين الاقتصادية) ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ . له مصالح مالية هامة فى اسرائيل .

ـ ويليام بايارد براودر ـ تزوج من مارى ليهمان (انظر بعده ـ عضو المعهد الامريكى للبترول .

٤ ـ الجنرال لوسيوس كلاى CLAY

مساهم كبير فى شركة ليهمان اخوان حتى ١٩٦٣ (انظر بعده) موظف كبير فى شركة تشيز للاستثمار (مجموعة روكفيلر ـ انظر بعده) وشركة كونتيننتال للتعليب . مدير عام شركة جنرال موتورز حتى عام ١٩٦٧ ـ قائد اعلى القيادة الاوروبية ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ ـ مدير مهمات الجيش الامريكى ـ ممثل شخصى للرئيس كيندى فى برلين عام ١٩٦١ .

٥ ـ مجموعة فريزر FRAZER

ـ تجمع هذه المجموعة شركة فريزر وجونز التابعة لمجموعة ايسترن (أعمال سباكة) .

ـ مرتبطة بمجموعة كايزر (انظر بعده) وشركة بايرش موتورن فيركه (المانيا غ) فى انشاء وادارة مصانع السيارات باسرائيل .

٦ ـ شركة جنرال تاير اند رابر (اوهايو) GENERAL TYRE & RUBBER

انتاج الكيماويات والمطاط واللدائن ـ رئيس مجلس الادارة م . ج اونيل (انظر بعده) .

ـ تملك الشركة جزءا من شركتى آلاينس ايست للمواسير وجنرال تاير اند رابر الاسرائيليتين .

٧ ـ عائلتا جولدمان وساكس GOLDMAN & SACHS

ـ هذه المجموعة متحالفة مع مجموعات لازار اخوان وليهمان وجوجنهايم (انظر بعده) .

ـ تشترك هذه المجموعة مع المجموعات الاتية فى الاشراف على عدةشركات منها :

● مع مجموعة مورجان جارانتى تراست على : بروكتير وجامبل (صناعة الصابون) . ذات اصول ١٠٠٠ مليون دولار

جنرال اليكتريك ذات اصول ٢٨٤٧ مليون دولار
جودريش (المطاط) ذات اصول ٦٤٨ مليون دولار
كونتيننتال للتعليب ذات اصول ٨٠٧ مليون دولار
ناشيونال للالبان ذات اصول ٧٧٤ مليون دولار

● مع بنك فيرست ناشيونال سيتى بنيويورك (مجموعة فورد وديلون وريد وهاريمان) على :
اوين ايلنوى (الزجاج) ذات اصول ٥٢٧ مليون دولار
اوين كومينج (اليافزجاجية) ذات اصول ٢٠٤ مليون دولار

● مع مجموعة كوهن وليب وآخرين (انظر بعده) على : شركة راديو كوربوريشيون بأمريكا (آر ـ سى ـ آيه) .

● مع مجموعة شركة مانيو فاكتشوريرز (تعليب اغذية ، نسيج ، بترول ، بناء ، شركات تجارية) التى اندمجت مع مجموعة هانوفر .

● مع مجموعات اخرى مثل :
المحلات المتحدة ذات اصول ٤٢٦ مليون دولار
اسبيرى راند ذات اصول ٨٧٣ مليون دولار
كلايمكس الامريكية للمعادن ذات اصول ٣٤٨ مليون دولار .

الاغذية العمومية ذات اصول ٦٠٢ مليون دولار
دايناميكس العمومية ذات اصول ٦٥٠ مليون دولار
سيرز وروباك ذات اصول ٢٧٩٢ مليون دولار
بارامونت للافلام ذات اصول ١٥٣ مليون دولار
ـ **آرون جولدمان** : مدير شركة فورد سيرفيس

ــ مدير بنك فيرست ناشيونال فى واشطن ــ رئيس الطائفة اليهودية بواشنطون الكبرى .

٨ ــ عائلة جوجنهايم GUGENHEIM

ــ اقارب للعائلة استراوس (انظر بعده) .
ــ الثروة الشخصية للعائلة فى الستينات : من ٢٠٠ الى ٣٠٠ مليون دولار .

ــ لها مصالح فى شركة انجلو لاتارو للنترات (شيلى ــ تشترك فى الاشراف على الاتى مع :
● مجموعة مورجان جارانتى تراست فى شركة كينيكوت للنحاس (اصول ٨٣١ مليون دولار) .

● مع مجموعتى روكفيلر تشيز وفيرست ناشيونال بنك نيويورك (فورد الخ) فى شركة اميريكان لصهر وتكرير المعادن ، ذات اصول ٤٧٧ مليون دولار .

٩ ــ شركة جالف اويل للبترول GULF OIL

ــ مرتبطة بعائلة روتشيلد (انظر بعده) ــ تشرف عليها مجموعة ميلون المتحالفة مع مجموعة فيرست بوسطن التى تشرف ايضا على شركة فيليبس للبترول ــ تملك ٥٠ فى المائة من أسهم شركة الكويت للبترول .

ــ فى عام ١٩٧٠ حققت هذه الشركة ارباحا بلغت ٧٠ مليون دولار ــ كان رئيس مجلس ادارتها عام ١٩٦٠ السيد و . ك ــ وايتفورد ذو الدخل السنوى ٥٣٢٠٠٠ دولار .

١٠ ــ ج . ك . جافيتس JAVITS

ــ عضو مجلس الشيوخ عن مدينة نيويورك
ــ رئيس المؤتمر البرلمانى لحلف الاطلنطى ــ عضو اللجنة الخاصة بالنمو الاقتصادى للدول المتخلفة المنبثقة من اللجنة السياسية لمنظمة الاطلنطى ــ رئيس الحملة الانتخابية لنيلسون روكفيلر (انظر بعده) عند ترشيحه محافظا فى نيويورك عام١٩٦٦
ــ مساعد خاص لقائد خدمات الحرب الكيماوية بالجيش الامريكى ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ . مؤلف كتاب «اقتراح بتعديل قانون مكافحة الاحتكار » عام ١٩٣٩ .

ــ عضو هيئة المحاربين اليهود القدماء ــ عضو مركز النفوذ الصهيونى Lobby

١١ ــ عائلة كايزر KAISER

ــ دائرة النشاط الرئيسى :الصلب والالمنيوم والمعادن الاخرى ــ البنك الرئيسى فيرست بوسطن (كاليفورنيا) تابع لمجموعة ميلون المرتبطة بفورد (انظر شركة جالف للبترول قبله) . الثروة الشخصية للعائلة فى الستينات : من ٣٥٠ الى ٥٠٠ مليون دولار .

ــ يشرف اتحاد شركات كايزر الصناعية على شركات : هنرى كايزر (انشاءات صناعية ومواد بناء] ــ وبلى للمحركات (لوريات ، سيارات لاغراض خاصة) ــ كايزر للصلب ــ كايزر للالمنيوم والكيماويات ــ بيرمانت للاسمنت ــ كوميونيتى للمنازل ــ كايزر للطيران فى الفراغ والالكترونيات ــ كايزر للاذاعة ــ جيب للسيارات ــ كايزر للادوات والمعدة الخ .

ــ هذه المجموعة مشتركة مع فريزر (انظر قبله) فى مصانع السيارات باسرائيل .

١٢ ــ مجموعة كوهن ولييب KUHN — LOEB

ــ مرتبطة بمجموعة روكفيلر ــ تشيز ومشاركة لمجموعة ليهمان (انظر بعده) منذ ١٩١٩ .وكان لبنك كوهن ولييب اصول عام ١٩٦٣ تبلغ ٧ملايين دولار تملك مجموعة روكفيلر (تشيز كيميكال) النصف . وتشارك مجموعة شيف فى الاشراف على هذا البنك . اثناء الحرب العالمية الاولى كانت المجموعة ممثلة فى بنك تشيز منهاتن ، ومنذ ١٩٢٠ حتى ١٩٥٥ اصبحت من كبار المساهمين فيه . واصبح احد ممثليها ــ ريتشارد ديلورث مستشارا ماليا لعائلة روكفيلر .

ــ هذه المجموعة مؤسسة رئيسية لشركة فلسطين الاقتصادية عام ١٩٢٩ بالاشتراك مع اخوان ليهمان وشركة الفواكه المتحدة .

١٣ ــ اخوان لازار (فرنسا والولايات المتحدة) LAZARD

نشاط على المستوى الدولى ــ متحالفون مع مجموعة ليهمان (انظر بعده) .
ــ المدير الرئيسى للفرع الامريكى هو أ . مائير (انظر بعده) .

١٤ ــ عائلة ليهمان LEHMAN

ــ الثروة الشخصية فى الستينات :من ٢٥٠ الى ٣٠٠ مليون دولار . فى عام ١٩٦٣ كانت هذه العائلة تشرف على الاتى متحالفة مع مجموعات جولدمان وساكس ولازار (انظر قبله) على الاتى:
● وحدها تقريبا :
شركات مصرفية ذات اصول ٧٠٠ مليون دولار
شركات صناعية وتجارية ونقل ذات اصول ٥١٣٩ مليون دولار .
● بالاشتراك مع مجموعة مورجان :
شركة كونتننتال للتعليب ذات أصول ٨٠٧ ملايين دولار .

● بالاشتراك مع مجموعة روكفيلر تشيز :
شركة راديو كوربوريشيون ذات أصول ١٠٥٩ مليون دولار .

● بالاشتراك مع مجموعة ساليفان مسارين ميدلاند وجولدمان ساكس :
شركة اسبيرى راند ذات أصول ٨٧٣ مليون دولار .

- اشتركت عائلة ليهمان عام ١٩٢٩ فى تأسيس شركة فلسطين الاقتصادية .

١٥ - ا . د . مارشال MARSHALL

- عمل مع شركة جنرال اليكتريك (التى تشرف عليها مجموعتا مورجان وجولدمان ساكس) عام ١٩٢٠ - ١٩٥٤ . كان سكرتيرا عاما لشركة جنرال داياميكس عام ١٩٥٤ - ١٩٦٢ - مدير شركة اسكوفيل وشركة ميوتوال لايف للتأمين .

- أحد مؤسسى شركة فلسطين الاقتصادية عام ١٩٢٩ .

١٦ - اخوان مائير MEYER

- شخصيات بارزة فى بنك لازار وشركاته (انظر قبله] .

- اندريه مائير : المساهم الرئيسى فى شركة اخوان لازار (فرع الولايات المتحدة) - مدير شركة نيومونت ماينتج للمناجم وشركة ميوتوال لايف للتأمين (مجموعة هاريمان نيومونت . أنظر مارشال قبله) .

- تملك هذه المجموعة العقارات والاراضى فى اسرائيل ، وتمول تجارتها الخارجية وتنشط فى البناء والانشاءات .

١٧ - مجموعة مونسانتو MONSANTO

- مجموعة احتكارية كبرى فى مدينة سانت لويس ، يقودها « كوينى » . لها ارتباطات وثيقة قوية مع مجموعة فيرست ناشيونال سيتى بنك نيويورك (فورد هاريمان) - تنشط فى الانشاءات والكيماويات والاجهزة الالكترونية والتصدير والابحاث والمصارف . لها فروع دولية .

- انشأت مع الرأسمال الاسرائيلى شركة مونسال لصناعة المهمات الحربية فى اسرائيل .

١٨ - عائلة مورجان MORGAN

- الثروة الشخصية عام ١٩٦٠ : من ٢٥٠ الى ٣٠٠ مليون دولار .

- تشترك مع المجموعات الصهيونية فى الاشراف على :

● شركة جنرال اليكتريك (أكبر منشأة أمريكية فى الصناعات الحربية والاليكترونية) ، مع مجموعة جولدمان ساكس .

● شركة جودريش (المطاط) التى انتقل مديرها السابق س . واينبرج من شركات جولدمان ساكس اليها .

● شركة كونتيننتال للتعليب (تحت سيطرة مجموعتى جولدمان ساكس وليهمان) والمدير المشترك هو س . واينبرج .

جوجنها . واينبرج ١٠ أ ب

● شركة كينيكوت للنحاس مع مجموعة جوجنهايم (أنظر قبله) .

١٩ - م . أونايل O'NEIL

- فى شركة جنرال تاير عام ١٩٤٧ (انظر قبله) . اصبح مديرا لعمليات الفنيزويلا عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، ثم مديرا للشركة عام ١٩٥٠ . رئيس المجلس التنفيذى لشركة ايروجيت جنرال .

- ارتباطات قوية بصناعة الاطارات والمطاط باسرائيل .

٢٠ - شركة فيلكو فورد PHILCO-FORD

- اعمال الطيران ، انتاج الاسلحة التكتيكية ، الراديو ، التليفزيون ، الثلاجات ، اعمال الصاج الصلب الخ .

- شركة فيلكو الدولية مساهمة فى صناعة التليفزيون فى اسرائيل .

٢١ - ا . ريبيكوف RIBICOFF

- عضو مجلس الشيوخ عن ولاية كونيكتيكات - محافظ الولاية عام ١٩٥٤-١٩٦١ وزير الصحة والتربية والشئون الاجتماعية عام ١٩٦١-١٩٦٢ .

- مؤلف الكتاب « الحياة على الطريقة الامريكية » بالاشتراك مع ج . ا . نيومان .

- عضو مركز النفوذ الصهيونى .

٢٢ - عائلة روكفيلر ROCKEFELLER

- الثروة الشخصية للعائلة فى الستينات بين ١٠٠٠ و ١٩٠٠ مليون دولار - مصالح كبيرة فى البترول العربى - تكون مجموعة واحدة مع بنك تشيز منهاتن ونيويورك ترست .

- مجموعة الاصول التى كانت تشرف عليها عام ١٩٦٣ :

فى الاعمال المصرفية ٣٤٧٤١ مليون دولار .

فى الصناعة والتجارة والنقل ٢٨٢٣١ مليون دولار .

المجموع ٦٢٩٧٢ مليون دولار

تشرف هذه المجموعه على شركات : ارامكو للصلب ، يونجستو للصاج والمواسير ، جوديير للاطارات والمطاط ، استندارد بتبرول (انديانا - كاليفورنيا - نيوجيرسى) ، موبيل اويل (بالاشتراك مع مجموعه مورجان - انظر قبله) - مجموعة اصول شركات البترول المذكورة ١٦٠٠٠ مليون دولار .

- تشترك مع هذه المجموعة مجموعتا كوهن ليب (انظر قبله) وسيف .

- **دافيد روكفيلر** : رئيس مجلس ادارة بنك تشيزمنهاتن - الثروة الشخصية فى الستينات من ١٠٠ الى ٢٠٠ مليون دولار .

- **نيلسون الدريش روكفيلر** : رئيس مجلس ادارة شركة بازيك ايكونومى الدولية - رئيس مركز روكفيلر - وكيل وزارة الخارجية الامريكية ١٩٤٤-١٩٤٥-رئيس لجنة التنمية للقارة الامريكية - رئيس الجمعية الامريكية الدولية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية - رئيس اللجنة الطائفية المعادية للحلقية فى نيويورك - مندوبا عن النداء اليهودى الموحد من ١٩٤٦ حتى الان .

- **استيلمان روكفيلر** : مدير بنك فيرست ناشيونال سيتى (مجموعة فورد وهاريمان) ، وفيرست ناشيونال تراست (باهاما) ، وناشيونال لالات تسجيل النقد ، وكلارك كيمبرلى ومونسانتو (انظر قبله) وسكك حديد باسفيك - وبان امريكان للطيران الدولية .

- تشرف مجموعة روكفيلر على شركة النيكل الدولية ذات المصالح فى اسرائيل .

٢٣ - **امير البحر ل. س. استراوس** :
STRAUSS

- من اقارب عائلة جوجنهايم (انظر قبله) - شريك كوهن وليب منذ ١٩١٩ (انظر قبله) - مساعد خاص لرئيس الجمهورية فى شئون الطاقة النووية عام ١٩٥٣ - رئيس لجنة الطاقة النووية عام ١٩٥٣-١٩٥٨ مدير شركة راديو كوبوراشيون (انظر قبله) وشركتى ناشيونال للاذاعة وجنرال اميريكان للنقل . مستشار مالى لعائلة روكفيلر فى ١٩٥٠-١٩٥٣ .

- اسس شركة فلسطين الاقتصادية عام ١٩٢٩ .

٢٤ - مجموعة ساليفان كروموبل مارين ميدلاند
SULLIVAN & CROMWELL MARINE

- تشرف على : شركة بيبسى كولا ذات اصول ١٣٤ مليون دولار ، وشركة النيكل الدولية (انظر قبله) ذات اصول ٧٦٠ مليون دولار .

مشتركة مع مجموعتى ليهمان وجولدمان ساكس فى شركة اسبيرى راند (انظر قبله) .

- لشركتى بيبسى كولا ونيكل الدولية مصالح هامة فى اسرائيل .

٢٥ - عائلة واربورج **WARBURG**

- **فيليكس واربورج** (امريكا) : من شركاء كوهن وليب (انظر قبله) - مقرض ومساهم رئيسى لشركة فلسطين الاقتصادية - اول رئيس للوكالة اليهودية - اكبر مساند للجنة اليهودية الامريكية

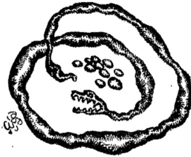
- **سيجموند واربورج** (انجلترا) : رئيس الفرع البريطانى لكوهن وليب - ارتباطات وثيقة مع عائلة روتشيلد وعائلة انيللى بايطاليا (انظر قبله) .

٢٦ - س. زيموراى **ZEMURRAY**

- رئيس مجلس ادارة شركة الفواكه المتحدة ببوسطن ، وشركة ريفرس للسكر (من فروع الفواكه المتحدة - كان مستشارا لمجلس «الرفاهية الاقتصادية » فطور موارد جديدة لزراعة الكتان والكينين والمطاط فى القارة الامريكية اثناء الحرب العالمية الثانية .

- أحد مديرى شركة فلسطين الاقتصادية عام ١٩٣٠ .

أمريــكا وحــركة التحــرر الوطــنى العــربية



وديع أمين

ان تاريخ الصراع بين حــركة التحرر الوطنى للشعوب العربية ، وبين الاستعمار الامريكى ، تاريخ حديث، نسبيا ، ويعود على وجه التحديد الى الفترة فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، حين اخذت تظهر فى مجال العلاقات الدولية صــورة الاســتعمار الجــديد ، وراء اشــكال الضــغط الاقتصادى ، والمساعدات والمعونات المشروطة ، والمشــاريع والاحلاف العســكرية العدوانيــة ، والتخويف من الخطر الشــيوعى ، والتخريب الثقــافى داخل البلدان العربية وســائر البلدان النامية ، وذلك فى اطار الاستراتيجية الامريكية لوراثة الاســتعمار البريطانى والفرنسى القديم ، وتحطيم حركات التحرر الوطنى العربيــة ، التى نشطت فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، من اجل الحصول على الاستقلال السياسى والاقتصادى .

ولقد شهدت الفترة التى تلت الحرب ، انهيــار بريطانيا الاقتصادى والســياسى ، وحصول عديد من البلدان الاســيوية والافريقية على الاستقلال السياسى ، وتفكك الروابط الاستعمارية القديمة ، مما افسح المجال أمام الاستعمار الامريكى لتولى زعامة الاســتعمار العــالمى فى المنطقة ، خلفا لبريطانيا ، وتجميع دول الاستعمار تحت قيادتها كأعضاء فى حلف شمال الاطلنطى .

وترجع علاقة الاحتــكارات الامريكية بالمشرق العربى الى أيام الحرب العالمية الاولى ، وذلك بعد ان فرغت الاحتــكارات الامريكيــة من احــكام ســيطرتها على جميع بلدان أمريكا اللاتينيــة ، وازاحة الدول الاســتعمارية منها ، وتحويلها الى مزرعة خاصة لراس المال الامريكى .

وكانت رائحــة البترول الذى اخــذ يتفجر فى منطقة الشرق الاوسط ، وراء نشــاط الاحتكارات الامريكية ، كما كانت من الدوافع الرئيسية وراء قرار دخول الولايات المتحــدة الحرب الى جانب بريطانيــا وفرنســا فى آخر وقت ، حتى تضمن الحصــول على نصيب من التركة العثمــانية فى المشرق العربى .

الامتيازات مقابل التأييد

وعندما جــاء دور توزيع التركة العثمانية من الاراضى العربيــة ، اختلفت الولايات المتحدة مع حلفائها ، اذ امتنعت فى البداية عن تأييد الانتداب البريطــانى ــ الفرنسى على البــلدان العربيــة المغلوبة على أمرها ، حتى تحصل على نصيبها من غنائم الحرب .

ولقد خدعت الحركة الوطنية فى المشرق العربى فى ذلك الوقت ، واصيبت بخيبة أمل شــديدة فى

الولايات المتحدة ، التى كانت تعتبرها بانية العالم الجديد ، عالم ما بعد الحرب ، وعلى أساس من العدل والسلام وحرية الشعوب ، وفقا للمبادىء الاربــع عشرة ، التى كان يبشر بهــا الرئيس الامريكى **ولسون** قبل انتهــاء الحرب . وكان ان أطاح بها ولسون عند أبواب مؤتمر **فرساى** للصلح فى باريس ، وذلك بمجرد الاتفاق على حصــول الولايات المتحــدة على كثير من الامتيــازات فى البلدان العربيــة ، فى مقــابل تأييدها ومباركتها لتقسيم البلدان العربية بين بريطانيا وفرنســا ، تحت اسم الانتداب .

وكان أول صـــوت ارتفع فى المجال الدولى فى ذلك الوقت المبكر ، دفاعا عن الشــعوب العربية وحقها فى تقرير مصــيرها بنفسها ، هو صوت **لينين** زعيم الدولة الاشــتراكية الوليــدة ، بعــد انتصار ثورة أكتوبر الاشــتراكية فى روســيا ، وأعلن لينين : « نحن نعــلم حق العلم انهم عندما يتحدثون عن توزيع الانتدابات على المستعمرات ، فانما يعنون توزيع الانتدابات للســلب والنهب ، واعطاء أقلية ضــئيلة من ســكان الارض حق استثمار الاكثرية من سكان الكرة الارضية ، وهذه الاكثرية التى ظلت حتى اليوم بصورة تامة خارج اطار التقدم التــاريخى ، حتى انه لم يكن بوسعها ان تمثل قوة ثورية مستقلة » [١] .

وشهدت الفترة عقب الحرب العالمية الثانية ، نمو وتعــاظم حركة التحــرر الوطنى للشــعوب العربية ، ضــد الوجود الاســتعمارى البريطانى والفرنسى . واســتطاعت حركة التحرر الوطنى العربيــة ان تشــق طريقهــا فى ذلك الوقت ، مستفيدة من الظروف العالمية الجديدة ، الناجمة عن ظهور المعسكر الاشتراكى كقوة رئيسية حليفة للشعوب المضطهدة فى نضــالها ضــد المعســكر الاستعمارى . ولم يتوان الاتحــاد السوفيتى عن الوقوف الى جانب الشعوب العربية والدفاع عن حقوقها ، فقد اعترف الاتحاد السوفيتى باستقلال ســوريا ولبنان فى عام ١٩٤٤ ، وفى عام ١٩٤٥ طلب من الدول الاســتعمارية وقف العمليــات العسكرية فى سوريا ولبنان . كما أيد طلب سوريا ولبنــان فى مجلس الامن ، ودافع عن مطلبهمــا بانســحاب القوات الفرنســية والبريطانية من أراضــيهما ، وطلب الاتحاد السوفيتى فى نفس الوقت تصــفية الوجود الاســتعمارى فى مصر والاردن ، والجنوب العربى ، والسودان ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش .. ووقف أيضــا الى جانب مصر والدفاع عن حقها فى طلب جــلاء القوات البريطانية عن أراضيها فى عام ١٩٤٧ ، ولكن حال دون الوصول الى قرار فى مجلس الامن وقوف الولايات المتحدة والدول الدائرة فى فلكها فى ذلك الوقت ، الى جانب بريطانيا .

الاســتعمار الجــديد

محل الاســتعمار القــديم

ولقد ادركت الولايات المتحدة ، التى كانت تطمع فى الحلول محل الاستعمارين البريطانى والفرنسى فى السيطرة على البلدان العربية ونهب مواردها ، ووقف الثورة الوطنية والاجتماعية التى كانت تنمو باطراد ، ان عهد الاســتعمار القديم المبــاشر قد انتهى ، ومن ثم فقد لجأت الى تغيير وسائلها بما يتلاءم مع هــذه الظروف العــالمية الجديدة ، فى التمويه على الشعوب واخفاء طبيعتها الاستغلالية والعدوانية فى صورة الاستعمار الجديد ، والتغلغل فى اقتصاديات البلدان العربية وغيرها من البلدان النــــامية ، وذلك عن طــريق تقــديم القروض والمعونات الاقتصادية ، ومنعها من تحقيق التقدم الاقتصادى والاجتماعى ، والابقاء عليها فى اطار النظام الاقتصادى الرأسمالى ، وفى نفس الوقت عملت على جذب هذه البلدان الى مختلف التكتلات والاحلاف العسكرية ، واقامة القواعد العسكرية ، وتقــديم المعونات العســكرية للانظمة العميلة ، وتدعيم أجهزة القمع البوليسية ، بزعم الحماية من اى هجوم شيوعى .

وقد تميزت الســياسة الامريكية بالتسلل الى البلدان العربية ، والعمل على كسب الاصدقاء ، وشراء العملاء فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقــافية وأجهزة الدولة والجيش والامن ، من العناصر المعادية للتقدم الاجتماعى والديمقراطية .

ويعتبر دور أمريــكا فى التمهيــد لخلق دولة اسرائيل فى ذلك الوقت ، ومدها بــكافة أنــواع المساعدات المالية والاقتصــادية والعســكرية ، مكملا لاســتراتيجيتها فى الســيطرة على العالم العربى .

وعن طريق مشروعات النقطة الرابعة الامريكية للنهوض بالبلاد النامية ورفع مستوى معيشتها ، دخلت الولايات المتحــدة الى ليبيــا عام ١٩٤٩ ، ومصر والاردن عام ١٩٥١ ، وغيرها من البلدان

[١] مختارات لينين . مجلد ٣ ج ١ . صفحة ٤٠٩ .

العربية . وباسم المعونة والخير ؟ دخل خبراء الاحتكارات ومعهم خبراء وكالة المخابرات المركزية وخبراء البنتاجون العسكريين الامريكيين ، وبحجة عمل الدراسات والاحصائيات اللازمة ، أخذوا ينتشرون فى مختلف المصالح والهيئات الحكومية ويتجولون فى كل اركان البلاد ، ويتصلون بالقوى الرجعية والعناصر الانتهازية ، ويجندون العملاء ، ويقومون بالتجسس على القوى الوطنية والتقدمية وجمع المعلومات عنها ، وذلك بما يفيد فى التعرف على الاوضاع والاتجاهات السياسية وعلاقات القوى داخل البلدان العربية .

وقد استهدفت هذه الخطط والمشاريع الامريكية عرقلة التنمية الزراعية والصناعية ، والسيطرة على اقتصاديات البلاد العربية ونهب المواد الخام ، وحتى تظل البلاد العربية سوقا لتصريف المنتجات الامريكية ، ومن ناحية أخرى التأثير على عمليات التطور الاجتماعى والاقتصادى ، وفرض نظم موالية للغرب ، وايجاد هياكل طبقية واجتماعية ، تعمل على قيادة البلاد على الطريق الرأسمالى ، ويمكن الاعتماد على هذه الفئات الاجتماعية لكى تصبح حليفا للامبريالية الامريكية فى المستقبل .

وقد أعلنت مصر عن رفضها ومقاومتها للضغط الامريكى للحلول محل الاستعمار البريطانى فى قناة السويس ، وأكد الرئيس **عبد الناصر لدلاس** وزير خارجية الولايات المتحدة فى ذلك الوقت ، « انه لا يرى هناك خطر شيوعى على مصر ، وان الخطر الذى يتهدد العرب هو الخطر الاسرائيلى » .. كما اعلن الرئيس عبد الناصر فى ٣١ / ٨ / ١٩٥٤ : « ان الدول العربية لا يمكن ان تشترك مع الدول الغربية الكبرى فى أى مشروع للدفاع عن الشرق الاوسط ، لان شعوب هذه الدول ترى ان المنظمة ليست سوى استعمار مقنع » . وخاض الشعب العربى فى سوريا والاردن ولبنان والعراق معارك عنيفة وراء قياداته الوطنية والتقدمية ضد الرجعية وعملاء الاستعمار ، والتى انتهت بافشال هذه المحاولات الاستعمارية ، ولم توقع على وثيقة حلف بغداد ، سوى حكومة نورى السعيد العميلة فى العراق عام ١٩٥٥ .

وبلغت حركة التحرر العربية أشدها بعد تأميم قناة السويس وفشل العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، ضد السيطرة الامبريالية والرجعية ، وفى سبيل التقدم الاجتماعى والديمقراطية . وقد كان للتأييد الحازم الذى قدمه الاتحاد السوفيتى ودول المعسكر الاشتراكى لصد العدوان على مصر ، أثر كبير فى رفع معنويات الشعوب العربية وتعزيز ثقتها بنفسها فى مواجهة القوى الامبريالية ، مما أكد التحالف الاستراتيجى بين النظام الاشتراكى العالمى وحركة التحرر العربية .

ولم تتوقف هذه المحاولات الامريكية للسيطرة على الشعوب العربية ، وعقب العدوان الثلاثى مباشرة تقدمت الولايات المتحدة **بمشروع ايزنهاور** لملء الفراغ فى الشرق الاوسط ، الذى صممته الامبريالية الامريكية خصيصا للشرق الاوسط بحجة ملء الفراغ الذى نشأ عن رحيل القوات البريطانية من المنطقة ، ولم يكن غريبا ان يتحدث المشروع عن منطقة الشرق الاوسط باعتبارها مهبط الاديان السماوية وتعرضها لموجة من الالحاد ، غير ان الجماهير العربية لم تكن فى حاجة الى جهد كبير لكى تشتم من وراء مشروع ايزنهاور رائحة البترول فى ذلك الوقت .

واخذت امريكا تشن حملة للضغط على الحكومات العربية لقبول مشروع ايزنهاور ، فقامت بتجميد الارصدة المصرية فى البنوك الامريكية ، ومنع بيع القمح الى مصر لتجويع الشعب المصرى واجباره على الخضوع للسياسة الامريكية . وقد فضح الرئيس عبد الناصر أهداف المخطط الاستعمارى الامريكى الجديد وقتئذ بقوله : « بعد الانسحاب كان عندنا فى مصر احتياطى من القمح يكفى مدة محدودة وكنا نشترى القمح الاحتياطى من امريكا بالنقد المصرى وكان المفروض ان يبيعوا لنا القمح المتفق عليه ، ولكن بعد الانسحاب رفضت امريكا ان تبيعنا القمح : وكان الهدف من ذلك أن تحدث مجاعة وتتحكم فينا وبهذا تتحقق بالوسائل السلمية الاهداف التى كانت تسعى اليها بريطانيا وفرنسا بالحرب » [٢]

وراحت أمريكا تكثف من مؤامراتها الداخلية ضد بلدان المشرق العربى ، وقد تمكنت المخابرات الامريكية بالتعاون مع القوى الرجعية الاردنية من الاطاحة بحكومة **سليمان النابلسى** الوطنية فى ابريل ١٩٥٧ ، بزعم انقاذ الاردن من الخطر الشيوعى . وكان ان ذهب ضحيتها مئات من المناضلين الذين ينتمون الى كافة فصائل الحركة الوطنية فى الاردن ، وتصفية كل الانجازات التقدمية التى حققها الحكم الوطنى خلال الاشهر القليلة التى مكثها فى السلطة . وكانت تلك هى التجربة العملية أمام الشعوب العربية لمشروع ايزنهاور لملء الفراغ والدفاع عن الشرق الاوسط فى التطبيق ، كما لم تتورع أمريكا وبريطانيا عن انزال قواتهما فى لبنان اثر قيام ثورة العراق فى ١٤ يوليو عام ١٩٥٨ ، لمحاصرة ثورة العراق

الوطنية ، ومنع انتشار نفوذها وتأثيرها الى بقية بلدان المشرق العربى .

وبالرغم من نجاح الولايات المتحدة فى تدعيم نفوذها السياسى والاقتصادى والعسكرى فى عدد من البلدان العربية فى ذلك الوقت مثل الاردن والسعودية والسودان وليبيا وتونس والمغرب ، غير انها قد فشلت فى محاصرة حركة التحرر واخضاع الشعوب العربية ، التى كانت تستهدى فى نضالها بالنجاحات المتزايدة للنظام الاشتراكى العالمى ، والتأثير العام للافكار الاشتراكية العلمية ، وتفاقم الازمات داخل البلدان الراسمالية .

وشهدت الفترة فى اوائل الستينات تحولات عميقة فى العالم العربى ، وتوفر امكانيات لدى بعض الدول العربية المستقلة [**مصر** ، **الجزائر** ، **سوريا**] لرفض الطريق الراسمالى ، بفضل الاعتماد على النظام الاشتراكى فى سبيل تدعيم استقلالها السياسى والاقتصادى وتحقيق التقدم الاجتماعى .

العقيدة الدينية .. السلاح الاخير

ان الامبريالية الامريكية لم تكن غافلة عن ادراك الاتجاه العام والتغيرات الجذرية التى تحدث داخل حركة التحرر الوطنى العربية ، والتقارب بين فصائل حركة التحرر العربية على اختلاف ايديولوجياتها المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية ، وزيادة اعتمادها على المعسكر الاشتراكى ، وتوطيد علاقاتها بالقوى الديمقراطية والتقدم والسلام فى العالم . وكانت الولايات المتحدة ترى فى كل ذلك تهديدا مباشرا ليس بالنسبة لمصالحها فى الشرق الاوسط فحسب ، بل للنظام الراسمالى العالمى والاستراتيجية الامبريالية عموما .

ولقد اضطرت الامبريالية الامريكية والرجعية العربية المتعاونة معها الى التخلى عن الاساليب القديمة ، والدعوة الى ما يسمى « **بالحلف الاسلامى** » واستخدام الدين كسلاح أخير ضد حركة التحرر العربية ، وضد فكرة القومية العربية ، بدعوى ان القومية العربية قد استنفدت أغراضها .

وتحت ستار الدين شنت القوى الرجعية فى السودان هجومها ضد جميع القوى الوطنية والتقدمية التى صنعت ثورة اكتوبر عام ١٩٦٤ وفى مصر وسوريا تم الكشف عن مؤامرات للاخوان المسلمين للاطاحة بالحكم الوطنى فى كلا البلدين .

وخاض الرئيس جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت نضالا عنيفا **لفضح أهداف « الحلف الاسلامى »** امام الشعوب العربية بقوله : « طبعا الرجعية بتتعاون مع الاستعمار وهى تشعر بالخوف من المد الثورى العربى الذى يمثل خطرا متزايدا على مصالحها ، والاستعمار يشعر ان المد الثورى العربى يمثل خطرا متزايدا على احتكارات البترول ، والرجعية تشعر ان ما يحمله تيار الاشتراكية يهدد كيانها ويهدد وجودها ، اذن فان الرجعية تتحالف مع الاستعمار ، وهم يبدأون فى فكرة جديدة ، استغلال الدين كسلاح حتى تتحقق أهداف الرجعية والاستعمار فى المحافظة على نفوذها والمحافظة على دورها فى سلب ناتج عمل الشعب العربى ، والاستعمار ليستمر وليضمن المحافظة على الاحتكارات البترولية اللى بياخد منها مكاسب باهظة ، ويضمن ايضا استعادة نفوذه فى البلاد العربية ، وبهذا يمكن التخلص من الحركات التحررية والشعبية فى العالم العربى » .. « ونحن نقول ان التضامن الاسلامى الحقيقى ، هو تضامن الشعوب الاسلامية المناضلة ضد الاستعمار ، لاتضامن من الحكومات الرجعية العميلة للاستعمار ، والمستغلة والمزيفة للاسلام . الحكومات الرجعية التى تريد أن توقف سير التقدم » [٣] :

ان متابعة تاريخ الامبريالية الامريكية المعادى لصالح الشعوب العربية ، تؤكد تماما وبما لايدع مجالا للشك حقيقة دور الولايات المتحدة فى التحضير للعدوان الاسرائيلى فى يوليو عام ١٩٦٧ الذى كان المقصود به توجيه ضربة قاصمة لحركة التحرر الوطنى العربية ، بعد أن فشلت كل خططها وأساليبها السابقة فى وقف نضال الشعوب العربية . وقد كشف ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل عن دور الولايات المتحدة فى التحضير لهذا الدور بقوله : « ان رحلتى الى الولايات المتحدة قبل ثلاثة اعوام ، قد أرست أسس الانتصار العسكرى الذى احرزناه فى حرب الايام الستة » [٤] ، كما

---

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٦ ـ ٧ ـ ١٩٥٧
(٣) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٦٦
(٤) صحيفة جيروزاليم بوست الاسرائيلية فى ٢٩ ـ ١٢ ـ ١٩٦٧ ـ نقلا عن «التحالف بين اسرائيل والولايات المتحدة» ، بقلم صليبا خميس ـ مجلة الوقت اللبنانية ـ أغسطس ١٩٦٨ .

تحدث **فيلب بن** مراسل صحيفة معاريف الاسرائيلية فى نيويورك عن دور اسرائيل فى خدمة المصالح الامبريالية الامريكية فى الشرق الاوسط بقوله : « لقد استفادت الولايات المتحدة من انتصار اسرائيل من غير أن تطلق طلقة نارية واحدة » [٥] .

محاصرة وتطويق

حركة التحرر العربية

ولم يؤد العدوان الى ماكانت تهدف اليه أمريكا واسرائيل من اسقاط الحكم الوطنى فى مصر وسوريا ، واخضاع البلدين لسيطرة الاستعمار الجديد ، وذلك بفضل مقاومة الجماهير العربية التى خرجت يومى ٩ ، ١٠ يونيو ، واعلنت رفضها للهزيمة ، وتمكنت بوعيها وصلابتها فى وقت بدا فيه ان كل شيء قد تداعى من أن تحول دون تحقيق هزيمة كاملة .

ان النتيجة الان وبعد مايزيد على خمسة أعوام على عدوان يونيو ، واستمرار احتلال اسرائيل للاراضى العربية ، تؤكد من جديد أن الولايات المتحدة واسرائيل لن تتراجعا عن مخططاتهما العدوانية . وان مايزال الهدف الرئيسى للامبريالية الامريكية هو تحطيم حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية .

وهى من أجل تحقيق هذا الهدف الاستراتيجى ، تعتقد أن الوضع الحالى الناجم عن النكسة هو أفضل الظروف المتاحة لتحقيق هذا الهدف ، ذلك هو ما تكشف عنه واقع السياسة الامريكية تجاه حركة التحرر العربية خلال السنوات الماضية منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ ، بما يشير الى ما يحدث الان وسيحدث فى المستقبل ، وان المخطط الامريكى الحالى يعمل فى عدة اتجاهات فى وقت واحد وهى :

● المحافظة على التفوق العسكرى الاسرائيلى وعدم السماح باختلال ميزان القوى لصالح حركة التحرر العربية ، وان اسرائيل هى الاداة الرئيسية لتنفيذ المخطط الامريكى لضرب مصر وسوريا، باعتبارهما ابرز انجازات حركة التحرر الوطنى العربية .

● تكتيل القوى الرجعية العربية لتقوم بمهمة تصفية فصائل حركة التحرر فى شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج ، بالتعاون مع الرجعية الايرانية ، ولقد أوضحت زيارة الرئيس الامريكى نيكسون لايران فى أواخر **شهر مايو الماضى ، وزيارة ويليام روجرز وزير الخارجية** الامريكية لليمن الشمالية والبحرين والكويت فى أوائل شهر يوليو الماضى ، تصميم الولايات المتحدة على تصفية حركات التحرر فى المنطقة التى تعد الجناح الشرقى للعالم العربى .

● التشكيك فى الصداقة العربية السوفيتية بهدف عزل حركة التحرر العربية عن حليفها الاستراتيجى سواء فى زمن الحرب أو السلم .

● العمل على استعادة المواقع السياسية التى فقدتها أمريكا فى البلدان العربية [مثل السودان واليمن الشمالية] وخلق شعور عام بفشل العرب فى اتخاذ موقف عام موحد تجاه أمريكا واسرائيل .

● الوقوف فى وجه التحولات الاجتماعية فى البلدان العربية المستقلة ، وتفريغ الاستقلال الوطنى من محتواه الاقتصادى ، وأبرز مثال على ذلك تصفية القطاع العام فى السودان واليمن الشمالية .

● اعداد وتجهيز الجيش الاردنى وزيادة عدد افراده ، لتنفيذ المهام الاستعمارية فى الشرق الاوسط ، وربما لتهديد سوريا والعراق بالتنسيق مع اسرائيل . وقد أعلن الملك حسين فى ٧/٤ الماضى عن ارسال قوات أردنية لمحاربة حركة التحرير فى سلطنة عمان .

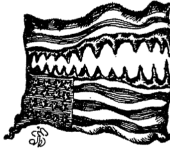
● الضغط على لبنان لتصفية الوجود الفدائى الفلسطينى فى جنوب لبنان ، ودفع القوى اليمينية لأردنة لبنان .

● تدعيم السيطرة الامريكية الاسرائيلية عند المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ، والاستيلاء على الجزر القائمة هناك وبناء القواعد العسكرية عليها ، وتحويل البحر الاحمر الى بحيرة أمريكية اسرائيلية .

ان كل هذه الحقائق لابد وأن تكشف عن الدور الذى تلعبه الولايات المتحدة وخاصة الرجعية العربية ، فى تضليل وخداع الجماهير العربية ، بهدف كسب الوقت على أمل أن يؤدى استمرار الوضع الراهن الى احداث مزيد من الاضطراب والتصدع داخل حركة التحرر العربية ، الامر الذى يجعلها فى النهاية فى وضع لاتملك حياله سوى الانصياع والاستسلام للشروط الامريكية والصهيونية .

(٥) المصدر السابق

أمريكا: العدو الرئيسى



حسين شعلان ـ عبد المنعم الغزالى

في أواخر عام ١٩١٨ ، تعلقت ابصار الزعامة الوطنية المصرية فى ذلك الوقت بقيادةسعدزغلول ،بزعماء الغــرب المجتمعين فى مؤتمــر فرساى للصلح بباريس ، على أمل التدخل من أجل الغاء الحماية البريطانية على مصر ، وتحقيــق استقلالها الوطنى . وكانت القيادة الوطنية وقتها تعقد آمالا خاصة على أمريكا ممثلة فى رئيسها **ودرو ولسون** الذى حضر المؤتمر .

فى ذلك الوقت كان الاتحاد السوفيتى ـ بعدثورة اكتوبر الاشتراكية ـ قد أعلن فى يناير ١٩١٨ عن « تحرير المستعمرات الروسية القيصرية » ونادى بحق تقرير المصير للشــعوب المضطهــدة الاخرى ، بعدها ، بادر الرئيس الامريكى ولسون الى اعلان مبادئه الاربعة عشرة فى محاولة لجذب أنظــــار الرأى العــــام العالمى وخاصة شعوب المستعمرات ، بعيدا عن النظام الاشتراكى الوليد فى روسيا • وكانت مبادىء ولسون تتحدث عن حق الامم فى تقرير مصيرها واختيار الحكم الذى يرضيها • وقد أحدثت هذه المبادىء وقتها تاثيرها فى المستعمرات والبلدان التابعة ، واستقبلتهــا الطبقة الوسطى فى مصر بتفاؤل شديد • ووجدت فيها قيادة الوفد سندا دوليا يعتمد عليه فى تحقيق « الاستقلال والجلاء » • فأرسل الوفد الى الرئيس الامريكى يحيى مبادئه ويطلب منه التدخل للسماح للوفد بالسفر الى باريس لحضور مؤتمر الصلح وعرض « المسألة المصرية » •

ولكن ، لم تكد تمر شهور قليلة حتى تكشفت لمصر وقيادتها الوطنية حقيقة نوايا ومــواقف أمريكا . ففى أبريل ١٩١٩ أعلن الرئيس الامريكى ولسون اعتراف بلاده بالحماية البريطانية على مصر وعلى وضع فلسطين وشرق الاردن تحت الانتداب البريطانى ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى •

وقتها ، حاول سعد زغلول بكل الطرق عندما وصل باريس أن يقابل ولسن : مجرد أن يقابله لعرض المسألة المصرية ، ولكن طلبــه تــوبل بالرفض • وفى هذا يقول المؤرخ المصرى **عبد الرحمن الرافعى** : « **ان الثورة فى مصر صدمت صدمة شديدة،وكانت الامة تعلق على قبول مبادىء ولسن آمالا كبيرة ، فجاء اعترافه بالحماية مخيبــا للامـــال** » •

كانت هذه هى الصدمة الثانية التى واجهتها

قيادة الحركة الوطنية المصرية ولم يكد يمر عشرون عاما على الصدمة **الاولى** عندما عقدت الامال على فرنسا ــ فى محاولة للاستفادة من تناقضات الدول الاستعمارية ــ فصدمتها فرنسا بتوقيع **الاتفاق الودى** (١٩٠٤) مع بريطانيا الذى بمقتضاه اقتسمتا الوطن العربى .

وفى الصدمتين ، غاب عن الحركة الوطنية وقتها ، ان الاعتماد ــ أو حتى مجرد عقد الامال ــ على دولة استعمارية لحل المسألة الوطنية ، كان مجرد وهم أضر بالحركة الوطنية نفسها . غاب عنها أن مشكلتها مع بريطانيا ، هى نفس مشكلتها مع فرنسا ثم مع أمريكا ، وباختصار فان طبيعة النظام السائد فى أى من هذه الدول الثلاث واحد ، وبالتالى لا يمكن أن تعقد الامال الوطنية على تدخل أو مساندة نظام استعمارى هو بطبيعته يتربص الفرصة بالحركة الوطنية نفسها .

أمريكا استعمار له تاريخ

يعود ذلك التاريخ الى منتصف القرن التاسع عشر ، حيث أنهى القادمون المهاجرون من اوربا ، حرب **الابادة** التى خاضوها ضد الهنود الحمر . وقتها ألقوا نظرة للمرة الاولى ، عبر هضاب كاليفورنيا ، على المساحات الشاسعة للقسم الشرقى من المحيط الهادى ، يراودهم حلم « الحدود الجديدة » . وفى خمسينات القرن التاسع عشر ، أعلن وليام هنرى سيرفارد (وزير خارجية حكومة لينكولن) وأحد دعاة التوسع فى المحيط الهادى : « المحيط الهادى وشواطئه وجزره والمناطق الواسعة التى يؤدى اليها ، ستصبح المسرح الرئيسى للاحداث فى المستقبل العظيم للعالم » . وكان استيلاء أمريكا على جزر هاواى ، بمثابة « **القفزة الاولى** » عندما اعلن حكام واشنطن يومها : « لقد حصلنا على « **جبل طارق** » فى المحيط الهادى » .

وبزعم تحرير **كوبا** ، أعلنت أمريكا الحرب على **اسبانيا** وأزاحتها من نصف الكرة الغربى ، واحتلت كوبا والحقت جزر الفلبين وجوام وبورتريكو وبقفزتها « **الثانية** » هذه ، نقلت الحدود الغربية لأمريكا الى مسافة تبعد ٧٠٠٠ كيلو متر الى الغرب فى المحيط الهادى . وأمام مقاومة شعب الفليبين الذى لم يكن راضيا عن الاستعماريين الجدد اكثر من رضائه عن الاسبان المطرودين ، شنت أمريكا فى ١٨٩٨ أول حرب استعمارية كبرى ضد شعب اسيوى .

فى نفس الوقت ، وضعت امريكا حدا أمام النشاط البريطانى فى نصف الكرة الغربى ،وحين انفجر الصراع على الحدود قبيل نهاية القرن التاسع عشر بين **بريطانيا وفنزويلا بشأن جويانا البريطانية ، ابلغ وزير** خارجية امريكا وقتها اولنى ، أبلغ بريطانيا رسميا : « ان هذه القارة عمليا فى الوقت الراهن ، تحت سيادة الولايات المتحدة » . وقتها ، سحبت بريطانيا اسطولها من المنطقة وأصبح البحر الكاريبى « بحيرة أمريكية » وانشئت قاعدة بحرية فى كوبا ووضعت جمهورية **الدومينيكان وهايتى ونيكاراجوا** تحت الوصاية . وأمام المقاومة الباسلة لشعب نيكاراجوا بقيادةبطلها الاسطورى **ساندينو** ، شنت أمريكا حربها الاستعمارية الكبرى الثانية واستخدمت فيها على نحو كثيف سلاح الطيران ضد المدنيين لارهابهم وبشكل مدمر . ذلك كله تقليد وضعه الامريكيون قبل زمان طويل من **تدمير طيران هتلر لجيرنيكا** الاسبانية فى الحرب الثانية .

كانت هذه التوسعات الاستعمارية (**الكولونيالية**) ، انعكاس مباشر ودقيق للتطور الاقتصادى الضخم داخل أمريكا . هذا التطور الذى تحقق بسرعة أكبر من سرعة تطور المانيا التى كانت تتطور بدورها بسرعة أكبرمن سرعة تطور **بريطانيا وفرنسا** وبأسرع مما تتطور **روسيا القيصرية** . منذ ذلك الوقت دخلت الرأسمالية الامريكية مرحلة **الامبريالية** . فقد شهدت البلاد وقتها تركزا عاليا فى الانتاج ورأس المال ، مما أدى الى سيادة الاقلية المالية ــ الصناعية على اقتصاديات وسياسة البلاد بشكل حاد ، والى اتساع الفجوة الهائلة بين المستوى المعيشى لهذه الاقلية وبين مستوى معيشة الفئات الاخرى من الشعب .

وفى بداية القرن العشرين أصبحت الرأسمالية الامريكية الامبريالية اكبر مستغل مالى فى العالم ، وحتى فى البلاد المتقدمة . فعند قيام الحرب الاستعمارية الاولى العالمية فى ١٩١٤ ، ظلت الامبريالية الامريكية تتحين الفرصة للاشتراك فيها . وبعد أن أشبعت نهمها عن طريق بيع الاسلحة للفريقين المتحاربين ، وحققت أرباحا هائلة من جراء ذلك ، قررت الدخول فى الحرب فى سنتها الاخيرة حليفة لبريطانيا وفرنسا ، بعد أن مالت كفتهما الى الرجحان وحتى تضمن الحصول على نصيب من المستعمرات الالمانية والعثمانية . وقدم الرئيس الامريكى ــ وقتها ــ ودرو ولسن ، المبررات للشعب الامريكى للاشتراك فى الحرب تحت شعار « الدفاع عن الديمقراطية » و « ضد الدكتاتورية » ، والعمل على « ايجاد عالم يسوده

السلام والامن . وبانتهاء الحرب ، ارتفعت الاستثمارات الامريكية الخاصة في الخارج من مبلغ لا يتجاوز ٧٠٠ **مليون دولار** في عام ١٨٩٧ الى مبلغ ٣٫٥٠٠ **مليون دولار** . أي بحوالي ٥ **أمثال (١)** .

على أن سنوات الحرب العالمية الثانية واعقابها ، ستظل المنحنى الهام والحاد الذي حقق للولايات المتحدة الامريكية قفزتها الهائلة « **الثالثة** » . ففي المحيط الهادي ، بعد أن استخدمت أمريكا السلاح الرهيب : القنبلة الذرية فوق هيروشيما ، انشأ الامريكيون **شبكة قواعد عسكرية تمتد من اليابان الى كوريا الجنوبية والى جزيرة فرموزا** .

كما أدت الحرب ، الى اثراء الولايات المتحدة ثراء فاحشا وبخاصة في نمو تصدير رأس المال الامريكي . فقرب نهاية الحرب الثانية وفي خلال سنوات التعمير بعدها ، ارتفعت **مديونية** عشرات البلاد لامريكا الى ٢٧٠٠٠ **مليون دولار (٢)** ، بخلاف قروض « الاعارة والتأجير » . وفي عام ١٩٦٦ بلغ راس المال الامريكي المستثمر في الخارج **١١١٫٩٠٠ مليون دولار [٣]** .

وعلى منتصف القرن العشرين ، سحقت الولايات المتحدة كل منافسيها الامبرياليين في النهب الاقتصادي والاستعباد السياسي للعالم الرأسمالي . وتميز انتقال الامبريالية الامريكية في هذا الوقت الى « قائدة الامبريالية العالمية » ، بدعم هائل لرأس المال المالي الامريكي ، ليس على النطاق القومي فحسب ، بل وعلى النطاق الدولي أيضا . فقد زاد نصيب رأس المال المالي الامريكي في الرصيد الكلي لرأس المال المالي العالمي من ٢٢ **في المائة** في عام ١٩١٠ الى حوالي ٥٠ **في المائة** في عام ١٩٦٠ ، وفي عام ١٩٦١ كانت البنوك الامريكية تستحوذ على **٤٤٫١ في المائة** من أصول أكبر **٥٠ بنكا** في العالم الرأسمالي كله . وفي عام ١٩٦٦ كانت تمتلك (مع كندا) ٤٧ **في المائة** من أصول البنوك الكبرى في **العالم (٤)** . وبذلك أصبح لرأس المال المالي العالمي زعامة واحدة ، هي زعامة الولايات المتحدة .

الامبريالية الامريكية

تبتلع أوروبا نفسها

صدقت المقولة التي تقول : « **أن البورجوازية لا تسترشد باعتبارات وطنية أو أخلاقية أو دينية لان وطنها الحقيقي موجود في كل مكان تتمكن فيه من تكديس الاموال . ان الشيك لا رائحة له فقط بل هو كذلك لص لا وطن له** » .

لقد أخذ الغول الامريكي يبتلع بنهم بعد الحرب العالمية الثانية غير عابيء بأي حدود قومية أقزام العالم الرأسمالي الاخرين والمصالح الاقتصادية لبلدان أوروبا الرأسمالية ليحقق سيطرته العالمية . وفي السنوات العشر الاخيرة اتخذ من التمركز العالمي لرأس المال العالمي في الشركات المتعددة القوميات فرصة ذهبية ليزيد من سيطرته وتحكمه في النظام الرأسمالي العالمي . وقد تمكنت المشاريع الامريكية من تحقيق سيطرتها تلك بفضل ضخامة رؤوس أموالها وتملكها لاحدث الاساليب التكنولوجية ، وازدياد حدة استغلالها للمستعمرات والبلدان النامية . انه في ١٩٦٤ كان من بين أكبر مائة شركة في العالم الرأسمالي ٦٥ شركة أمريكية و ١١ بريطانية و ٥ يابانية و ١٨ اوروبية .

وفي الفترة من ١٩٥٨ الى ١٩٦٥ ارتفعت رؤوس الاموال التي توظفها الشركات الامريكية كل عام في الدول الاوروبية الست من ٢٢٨ مليون دولار الى ٩٠٨ ملايين دولار ، وبذلك أصبح مجموع رؤوس الاموال المستثمرة خلال ثمانية أعوام حوالي خمسة مليارات من الدولارات ، وأصبح في عام ١٩٦٦ ٧٫٥ مليار دولار .

وفي ١٩٦٩ كانت الاستثمارات الامريكية الخارجية ٧٠ مليار دولار ، منها ٤٨ مليارا في البلاد الرأسمالية المتقدمة [٥] .

وفي ١٩٦٥ كان ٨٠ في المائة من انتاج الحاسبات الالكترونية تحت رقابة فروع البيوت التجارية الامريكية ، و ٢٤ في المائة من صناعة

---

[١] من مقال بمجلة دراسات اشتراكية — عدد فبراير ١٩٧٢ ، نقلا عن :
Historica Statistics of the United States, Colonial times to 1959. Washington, 1960, p. 565.

[٢] و [٣] و [٤] المصدر السابق

[٥] مجلة الحركة النقابية العالمية — مايو — يونيو ١٩٧١ .

السيارات ، و ٥ فى المائة من صناعة المطاط الصناعى و ١٠ فى المائة من الصناعة البتروكيميائية . وفى سويسرا وحدها ارتفع رأس المال الامريكى من ٢٥ مليون دلاور فى ١٦٥٠ الى ٦٧٠ مليونا عام ١٩٦٣ و ٩٤٨ مليونا عام ١٩٦٤ و ١١١٦ مليونا عام ١٩٦٥ و ١٢١٠ ملايين عام ١٩٦٦ . وأصبح عدد الفروع السويسرية للبيوت الامريكية التجارية ٦٠٠ فرع فى ١٩٦٦ بعد أن كان ٥٠ فرعا قبل الحرب العالمية الثانية .

وابتلع رأس المال الامريكى احتكارات رأسمالية ضخمة بكاملها والامثلة عديدة ـ فقد ابتلعت شركة فيرستون الامريكية الفينيكس ديرك ـ هامبورج ـ هاربورج . وابتلعت جنرال الكتريك مشروع كوبا امبريال للراديو والتليفزيون ، واشترى التروست الامريكى بروكه اندنامبل معامل ريه المنتجة للعقاقير المنظفة . واشترى تروست جيليت شركة برون الشهيرة . واشترى التروست الامريكى جنرال الكتريك شركة ماشين بول الفرنسية وقطاع أوليفين للحاسبات الالكترونية الايطالى .

وهكذا يتم تمركز الرأسمالية العالمية لصالح رأس المال الامريكى الضخم . وحيث يحقق هذا التمركز للاحتكارية الامريكية فرصة تحقيق أرباح أكبر ونسبة فوائد أعلى وامكانيات تمويل أضخم ، وامكانية توجيه سياسة العالم الرأسمالى لخدمة مصالح السياسة الامريكية .

امريكا ـ اقتصاديا ـ لها مثل هذا النفوذ الضخم على أوربا ، ومن ثم تلعب دورها فى توجيه السياسة الاوربية على نحو ما ، فهل يصدق أحد أن أوربا يمكن أن تتخذ موقفا سياسيا الى جانب أى دولة خارجية ، وان يتعارض هذا الموقف ـ جذريا ـ مع المصالح الامريكية ؟ هذا بالاضافه الى الطبيعة الامبريالية للنظام الرأسمالى الاوربى ، مما يجعله معاد بطبيعته لحركة التحرر الوطنى فى اى مكان.

وتنهب العالم الثالث

هكذا نجد أن تاريخ تطور الولايات المتحدة قد أعدها لان تصبح بعد الحرب العالمية الثانية ، القوة الحديثة الرئيسية فى معسكر الراسمالية العالمية ، خاصة وقد تركز فى يدها القسم الاعظم من الاقتصاد الرأسمالى العالمى ماليا وعسكريا .

كان الوضع العالمى بعد الحرب يتحدد وفق معطيات عناصر اربعة :

● قيام معسكر اشتراكى يضم الى جانب الاتحاد السوفيتى دول شرق اوربا والصين ، تتسع خريطته وتتنامى قواه بسرعة وله مبادئه وقيمه التى تختلف بشكل جذرى مع مبادىء وقيم المعسكر الرأسمالى ، وعلى النقيض منه يقف موقف المؤيد والمساند لكل شعوب المستعمرات فى نضالها من اجل حريتها واستقلالها .

● قيام حركة التحرر الوطنى التى تضم اكثر من موقع فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تسعى قواه الى التحرر والتقدم .

● خروج بريطانيا وفرنسا من الحرب ، اضعف مما كانتا قبل الحرب .ولمتعد اى منهما ـ وكلاهما معا ـ صاحبة الكلمة الاولى فىحركة الرأسمالية العالمية .

● خروج الولايات المتحدة ـ عملاقا اقتصاديا تلعب دورا سياسيا يتلاءم مع حجمها الاقتصادى الحقيقى بعد أن تجاوزت « مبدأ مونرو » لتنطلق خارج حدودها الى العالم كله .

هنا ، اتجهت امريكا الى العالم تشهر مؤهلات بها تجذب الكثيرين « دولة بلا مستعمرات » « دولة ديمقراطية » « زعيمة العالم الحر » تقدم « معونات اقتصادية وعسكرية ضخمة » .

لكن الاستعمار أيا كانت الدولة التى تمثله ـ هو فى جوهره واحد : **عملية اخضاع سياسى واقتصادى وثقافى وعسكرى من دولة لشعب** . تلك العملية كانت تتم ـ من قبل ـ عن طريق اقامة سلطة سياسية اجنبية فىالغالبالاعم . وهذا هو الشكل المفضل للامبريالية . لكن متغيرات عالم ما بعد الحرب الثانية ، فى مواجهة نظام اشتراكى عالمى ظافر ، وفى مواجهة حركة تحرر وطنى وليدة ومتنامية ، جعل ممارسة وتكريس هذا الشكل المفضل .. عملية صعبة .. ومن هنا كان على الاستعمار ان يبحث عن أساليب جديدة تبقى على **جوهر** سيطرته ، يدعم بها ويبقى على توسع نفوذه الاقتصادى بعد ان تخلى فى كثير من المواقع عن السلطة السياسية .

لم تكن الاساليب الجديدة « عملية اختيار » بقدر ما كانت « عملية تكيف مع الواقع الجديد . وبرغم ان الاساليب الجديدة قد مورس بعضا منها من قبل ، الا أنه يمكن القول بأن ممارستها قد تمت بشكل جعل منها « **نمطا استثنائيا** » فى ذلك الوقت . لكنها بعد ذلك اصبحت هى « **النمط**

الاستثمارات الامريكية المباشرة فى الدول النامية
(بالمليون دولار)

القـارة	١٩٥٠	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٢	١٩٦٤	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٦٩
امريكا اللاتينيه	٤ر٤٤٥	٦ر٢٣٣	٨ر٣٨٧	٨ر٤٧٢	٨ر٩٣٢	٩ر٨٥٤	١١ر٠٣٣	١١ر٦٦٧
افريقيـا	٢٨٧	٥٨٢	٩٢٥	١ر٢٤٦	١ر٦٢٩	٢ر٠٧٨	٢ر٦٧٦	٢ر٩٧١
اسيا [بدون جزر المحيط الهـادى]	١ر٠٠٠	١ر٦٢٦	٢ر٢٩١	٢ر٤٩٥	٣ر٠٦٢	٣ر٨٩١	٤ر٧٢٤	٥ر١٩٠

الارباح التى حققتها الاحتكارات الامريكية من
استثماراتها المباشرة فى الدول النامية
[بالمليون دولار)

القـارة	١٩٥٠	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٢	١٩٦٤	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٦٩
امريكا اللاتينية	٥١٣	٦٧١	٦٤١	٦٧١	٨٩٥	٩٦٢	١ر٢١٨	١ر٢٧٤
افريقيـا	٣٥	٧١	١٧	٣٤	٣٠١	٣٣٨	٥٩٣	٦٨٤
آسيا [بدون جزر المحيط الهـادى]	٢٩٧	٥٥١	٨٥٣	١ر٠١٧	٩٨٣	١ر٠١٠	١ر٢٧١	١ر٤٥٠

السائد » فى ممارسة الامبريالية لجوهر عملية الاخضاع والنهب .

ويلخص الزعيم الفرنسى شارل ديجول ، اتجاه امريكا بعد الحرب نحو مزاحمة الاستعمار البريطانى والاستعمار الفرنسى من أجل زحفها الاقتصادى والسياسى فى المستعمرات السابقة بقوله : « كنا نشعر بالضغوط الامريكية المباشرة وغير المباشرة كلما انتقلت السلطة السياسية فى مستعمرة ما من ايدينا الى ايدى محلية (٦) » .

وتكفى الاحصائيتان المبينتان بأعلى لتغنينا عن اى حديث حول حجم **الاستثمارات** الامريكية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وحجم **الارباح** التى نهبتها امريكا ، وكيف أن الحجمين كانا فى تزايد **مستمر** (٧) .

هنا يجب ان نشير الى أن أى حديث عن « المساعدات » و « القروض » و « المنح » الامريكية لاى دولة من البلدان النامية ـ وبغض النظر عن أية اعتبارات اخرى ـ ليست سوى فتات ، مجرد فتات ، تقدمه بعد أن تلتهم كل شىء . وهـذه المساعدات ،آخر الامر ـ ليست الا جزءا من عرق ودم هذه الشعوب نفسها .

والاغرب .. دلالة هذا المثل الذى نقدمه :

تسلم المغرب منذ عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٠ من الولايات المتحدة ٨٣ر٥ مليون دولار فى شكل قروض و « منح » ، وفـى الفتـرة نفسـها (٥٦ ـ ١٩٦٠) بلغت الديون المترتبة على المغرب بمقتضى هذه الاشكال من « المساعدة » الامريكية نحو ١٥٠ مليون دولار حسب ما أوردته صحيفة نيويورك تايمز الامريكية (٨) .

العنف الامريكى تطور .. حتمى

من أجل حماية هذه الاستثمارات وأرباحها المهولة ، مرت السياسة الخارجية الامريكية حتى الان منذ اعقاب الحرب العالمية الثانية ، بمراحل اربعة :

---

[٦] مؤتمر صحفى لديجول . جريدة الموند الفرنسية ـ ٢٥ يوليو ١٩٦٤

[٧] Statistical Abstract of the United States, 1961, p. 867; 1963, p. 856; 1965, p. 858; 1968, p. 792. Survey of Current Business, Octobre 1970, p. 28.

[٨] البلدان المتخلفة وسياسة الغرب الاقتصادية ـ فيتونى ، دار التقدم ـ موسكو ، ص ٨٨ .

١ ــ دالاس أو « العصا الغليظة » :

فى أواخر الاربعينات وخلال الخمسينات ، نمت الحركات الوطنية فى المستعمرات السابقة ، تناضل من اجل استقلال وحرية بلادها . ولم تعد هذه الحركات الوطنية المتعددة تناضل معركتها وحدها ، بل اتجهت الى الالتقاء مع غيرها لتشكل **ظاهرة عالمية هى حركة التحرر الوطنى العالمية** . وكان مؤتمر باندونج تجسيدا بليغا لاتجاه هذه الظاهرة .

فى ذلك الوقت كان دالاس وزير خارجية امريكا ، هو مهندس نظرية « من ليس معنا فهو بالضرورة ضدنا » وفى مواجهة هذا « الضد » عادت السياسة الخارجية الى ما يسمى بسياسة « **العصا الغليظة** » لتأديب كل من لا يتمشى مع أهداف السياسة الامريكية من جهة ، وراء هدف أخير هو استمرار تطويق المعسكر الاشتراكى العالمى وعزله عن حركة التحرر الوطنى النامية .

بهذا المنطق شنت الولايات المتحدة الحرب فى **كوريا** وحاولت ان تجر بريطانيا للتدخل فى **فيتنام** بعد هزيمة فرنسا ، وقامت بغزو **جواتيمالا** وهددت بغزو **سوريا** ، وانزلت قواتها العسكرية فى **لبنان** لتهديد ثورة **العراق** الوطنية . وقد أسبقت امريكا ذلك واعقبته بعدد من الاحلاف العسكرية : حلف شرقى آسيا وحلف بغداد ، وعدد آخر من المحالفات العسكرية والسياسية الثنائية : مع الفلبين واليابان ١٩٥١ ومع استراليا ونيوزلندا ١٩٥١ وكوريا الجنوبية ١٩٥٣ وفرموزا ١٩٥٤ وباكستان ١٩٥٤ . وكانت قد أقامت من قبل مع دول امريكا اللاتينية « منظمة الوحدة الامريكية » فى ١٨٩٠ وجددت محالفاتها فى هذه القارة خلال اتفاقيات هافانا ١٩٤٠ ،ثمميثاق ريو١٩٤٧ ،ثمميثاق بوجوتا ١٩٤٨ .

فى هذه الفترة كانت ما بين ٨٠ فى المائة و ٩٠ فى المائة من المساعدات الامريكية الى الدول التى تنتهج سياسة لا تتعارض مع سياستها ، تتجه الى المجال العسكرى بقصد خلق نظم عسكرية قوية فى مواجهة الهبات الوطنية التى كانت تكتسح عالم المستعمرات السابقة . وكانت السياسة الامريكية وقتها تفضل التعامل مع نظم عميلة مباشرة تقيمها هى او تساهم فى اقامتها من أمثلة نظام بون آدم فى لاوس وعدنان مندريس فى تركيا ونورى السعيد فى العراق وكميل شمعون فى لبنان ونجو دينه دييم فى فيتنام الجنوبية وشانج كاى شيك فى فرموزا .. الخ .. الخ .

لكن « العصا الغليظة » جلبت على أمريكا مزيدا من سخط وكراهية شعوب الدول المستقلة حديثا نحو « الوجه الامريكى القبيح » . ومع موت دالاس ثم اعتزال ايزنهاور ، اثبتت التجربة فشل سياسة « العصا الغليظة » .

٢ ــ كيندى او « الحدود الجديدة » :

كانعكاس للازمة العميقة التى أدت الى سياسة « الدفاع عن الاستغلال والقهر بأى ثمن » التى انتجها دالاس ، ظهر اتجاه جديد فى السياسة الامريكية عبر عنه ولتر روستو وادلاى ستيفنسون وشستر باولز وكينيث جالبريت وهى المجموعة التى سميت « **بمجموعة هارفارد** » كانت هذه المجموعة التى قادها **جون كيندى** ترى أن « ما نحتاجه هو الجديد الذى يتلاءم مع العالم المتغير » (٩) والعالم المتغير هنا هو : التقدم الضخم الذى أحرزه المعسكر الاشتراكى والاتساع الكبير الذى شهدته خريطة الدول المستقلة وحركة التحرر الوطنى العالمية ، فضلا عن توثيق العلاقات بينهما نتيجة لاقدام حركة التحرر الوطنى على عمليات البناء الاقتصادى والاجتماعى .

فى ذلك الوقت تحددت معالم سياسة « الحدود الجديدة » التى رأت أن السياسة الامريكية يجب ألا يقودها تبنى **اعتبارات تاكتيكية** وانما **أهداف استراتيجية** تتركز فى نقطتين :

- الحفاظ على الحركة العامة للدول المستقلة فى اطار الاستعمار العالمى .
- الحفاظ على عمليات البناء الداخلى فى هذه الدول فى اطار العلاقات الرأسمالية .

وكانت ترجمة هذه الاهداف فى التطبيق العملى ، لا تأخذ بسياسة « الانقلابات » كأسلوب وانما بسياسة « الاصلاح فى مواجهة الثورة »

The departement of state bulletin, April 1961, p. 182. [٩]

واذا كانت الاساليب العسكرية عند دالاس هي الاساس ، فان سياسة « الحدود الجديدة » لم تكن تستبعدها تماما وانما تركز على الاساليب الاقتصادية .

في هذا الاطار أعلن كيندى برنامج « التحالف من أجل التقدم » في ١٣ مارس ١٩٦١ . وبمقتضى هذا البرنامج كانت المساعدات الامريكية تتدفق على الدول « المفاتيح » في القارات الثلاثة من وجهة النظر الامريكية . البرازيل في أمريكا اللاتينية ، والهند في آسيا ، ونيجيريا في افريقيا . وكانت معظم هذه المساعدات الاقتصادية تقدم للقطاع الخاص في هذه الدول بهدف دعم العلاقات الرأسمالية فيها وربط البلاد ككل بالاقتصاد الامريكي .

وبرغم ذلك فان حكومة كيندى اقدمت على اكثر من مغامرة عسكرية . واذا كانت قد أرسلت السفن الحربية الى سواحل جمهورية الدومينكان في نهاية عام ١٩٦١ للارهاب ، فانها قد شنت حملة خليج الخنازير لغزو كوبا في نفس العام ولكنها منيت بفشل ذريع . وفي ظل حكم مجموعة « الحدود الجديدة » أيضا ، قامت أمريكا بتحريك اسطولها السادس في البحر الابيض المتوسط في ربيع ١٩٦٣ لاستعراض القوة والتهديد عندما احتدم الصراع في الوطن العربي بين القوى المحافظة فيها وبين القوى الثورية ومصر قيادتها . وفي ١٠ مايو ١٩٦٣ كتبت صحيفة واشنطن بوست الامريكية تقول : « لن تسمح الولايات المتحدة بسقوط أي من النظم الملكية في المنطقة » .

وفي أواخر عهد كيندى ، شهدت حركة التحرر الوطني العالمية ، تحولا هاما . فقد اتجهت النظم الثورية فيها الى أحداث تغييرات اقتصادية واجتماعية جذرية ، وراحت تتبنى في اكثر من موقع « الاشتراكية » كطريق لتقدمها واعادة بعث حياتها القومية .

وبدت سياسة « الحدود الجديدة » بالنظرة السطحية السريعة لكثير من القوى الضاغطة تحت المجتمع الامريكي ، سياسة لا تتبنى درجة « العنف » اللازمة — من وجهة نظر هذه القوى — لمواجهة التطورات الخطيرة في حركة التحرر الوطني العالمية فقتلت هذه القوى الرجل المدافع عنها نفسه . واغتيل جون كيندى .

٣ — جونسون أو سياسة العنف :

يمكن القول ان جولد ووتر (المرشح الجمهوري ضد كيندى وقتها) لم يكن سوى الصورة « الفجة » للسياسة التي اتبعها جونسون منذ توليه السلطة بعد موت كيندى . ويمكن تلخيص هذه السياسة في كلمة : العنف . في مواجهة حركة التحرر الوطني وحركة الثورة والتقدم في العالم .

ففي عام ١٩٦٤ وحده ، اقدمت أمريكا على عمليات عسكرية متعددة ضد شعوب البلدان النامية . كان كيندى قد وضع اللبنة الاولى للتدخل في فيتنام عندما أرسل البعثات العسكرية . لكن جونسون — بمؤامرة خليج تونكين المعروفة — غاص بأمريكا في مستنقع الوحل حتى قمة رأسها عندما وصلت القوات الامريكية في فيتنام في ظل حكمه الى حوالى نصف مليون جندى — كذلك تدخلت أمريكا عسكريا في نفس العام في قناة بناما والبرازيل والكونجو [ليوبولدفيل وقتها] وبوليفيا ثم الدومينكان في ١٩٦٥ . وفي خلال عامى ١٩٦٥ و١٩٦٦ كانت الولايات المتحدة تقف وراء سلسلة الانقلابات العسكرية المتتالية في اندونيسيا والكونجو ليوبولدفيل وغانا وافريقيا الوسطى الخ

واذا كانت فيتنام هي المثل الاسيوى للعنف الامريكي فان الحرب العدوانية الاسرائيلية ضد مصر وسوريا والاردن في يونيو ١٩٦٧ ، هي قمة العنف الامريكي في مواجهة حركة التحرر الوطني العربية .

٤ — نيكسون أو العنف بأيدى محلية :

لم يتحقق « المجتمع العظيم » الذى وعد به جونسون الرأى العام في بلاده ، وعلى العكس من ذلك ، ترك مجتمعا تنهبه حالة من السخط تتسع دائرتها باستمرار من قضيتين : ١ — الحرب التي بلا « أمجاد » أو « بطولة » في فيتنام حيث لا نهاية ٢ — معارك العنصرية الطاحنة التي تشهدها البلاد بين الزنوج والبيض .

وأمام ضغوط فشل سياسة جونسون ، اضطر للانسحاب من انتخابات الرئاسة . ونجح نيكسون

وراء بريق وعوده بضرورة الانسحاب من فيتنام .

ومن الناحية العملية لم تختلف سياسة نيكسون الخارجية عن سياسة جونسون . واقدام نيكسون على تلغيم موانى فيتنام الشمالية ، تعد في الواقع ، تصعيد لسياسة العنف في فيتنام لا يقل في خطورته — ان لم يزد — عن اقدام جونسون على مؤامرة خليج تونكين .

جوهر السياستين واحد، الجديد الذي استحدثه نيكسون هو مبدأ جوام أو الفتنمة • ومعنى هذا الجديد : الاستمرار في سياسة العنف بالاعتماد على ايدي محلية لا ايدي امريكية . ومؤداه : تكريس ودعم النظم التابعة لامريكا بكل الاساليب التي تمكنها من أن تمارس ما كان يجب أن تمارسه القوة الامريكية دون ان تمارسها القوة الامريكية نفسها .. ومن أمثلة ذلك :

في فيتنام : مد حكومة العملاء في سايجون بكل الطاقات التي تمكنها من التصدي لحركة التحرر الوطني المنتصرة في البلاد .

في الشرق الاوسط : مد حكومة اسرائيل بكل شيء حتى بتصنيع الاسلحة المتطورة لتكريس الاحتلال الاسرائيلي وردع حركة التحرر الوطني العربية . وعندما كان اتجاه الاحداث وتطورها في فيتنام ، يؤكد بشائر فشل سياسة الفتنمة أو العنف بأيدي محلية ، أجرت الامبريالية الامريكية **تغيرا شكليا** في سياستها مؤداه الابقاء على تناقضها الرئيسي ضد المعسكر الاشتراكي في اطار تحركات تهدف الى :

١ ـ تكريس الخلاف الصيني ـ السوفيتي وتغذيته لاستثماره •

٢ ـ اختراق حصار العلاقات القوية بين المعسكر الاشتراكي ، وحركة التحرر الوطني مستثمرا بعض الخلافات في وجهات النظر من جهة ونصب الفخاخ عن طريق ادبيات ايديولوجيسة ، ومفاهيم « العمالقة الذين يقتسمون العالم » و « ... على حساب الغير » .

في هذا الاطار يمكن فهم تحليلات الصحف الغربية حول زيارتي نيكسون الى بكين وموسكو •

أمريكا لاتطلق النار بنفسها ولكن !

اذا أخذنا مجالا واحدا من مجالات استثمارات أمريكا في الشرق الاوسط ، وتركنا جانبا الاعتبارات الخاصة بالموقع وبالمصالح العديدة السياسية في الشرق الاوسط والتي تشكل جزءا أساسيا في الاستراتيجية الامريكية للسيطرة على مقدرات الشعوب ونهبها ، فاننا نذكر هنا مجال البترول ، فأمريكا **تستثمر ١٦٥٤ مليون دولار في صناعة البترول العربي وتربح مقابلها ١٠٧٩ مليون دولار** [١٠]

ولحماية هذه الارباح المهولة ـ فضلا عن حماية المصالح الاخرى ـ لجأت أمريكا ـ وسوف تلجأ ـ الى استخدام كل الاساليب . وهنا تحتل **اسرائيل** مكانا بارزا في تحقيق هذا الهدف •

في بيان **لليفي اشكول** رئيس وزراء اسرائيل السابق ، نشرته صحيفة **جيروزاليم بوست** في ٢٩ ديسمبر ١٩٦٧ ، يقول :

« ان رحلتي الى الولايات المتحدة قبل ثلاثة أعوام : قد أرست أسس الانتصار العسكري الذي أحرزناه في حرب الايام الستة » .

التدبير الامريكي ـ الاسرائيلي لعدوان ٥ يونيو بلسان أشكول نفسه ، في غير حاجة الى تدليل •

ويكتب مراسل صحيفة **معاريف** الاسرائيلية في نيويورك ، في أعقاب العدوان ، يقول :

« لقد استفادت الولايات المتحدة ، من انتصار اسرائيل ، من غير أن تطلق طلقة نارية واحدة » •

مهمة اسرائيل بالنسبة لامريكا في تطبيق سياسة « العنف بايدي محلية » ، بلسان الصحيفة الاسرائيلية نفسها ، في غير حاجة الى تدليل أيضا •

وبعد ٥ سنوات من العدوان ، لم تغير أمريكا موقفها **ولن** تغيره طالما تتصدى مصر لقيادة حركة التحرر الوطني في المنطقة وطالما تنتهج سياسة معادية للاستعمار وساعية للتقدم . وهكذا تتحدد معالم الموقف : **تلبية مطالب حماية المصالح الامريكية أو تكريس العنف والعدوان ضد حركة التحرر الوطني في مصر والوطن العربي . والعنف هنا في التحليل الاخير ، هو العنف الامريكي** •

ما زال الهدف الاخير للسياسة الامريكية كما

[١٠] مجلة النفط العربي ـ نوفمبر ١٩٧١ .

هو : ضرب نظام ثورة يوليو الوطنية وتصفية كل منجزاتها التقدمية ومكاسب الشعب المصرى ، كمقدمة لتصفية حركة التحرر العربى ككل .

ولن تتردد الولايات المتحدة فى استغلال أى فرصة لتنفيذ هدفها • وأساليبها متعددة وسريعة التلون وفق مقتضيات كل ظرف جديد .

فعندما توفى الزعيم **جمال عبد الناصر** ، هللت كل أبواقها الدعائية والايديولوجية لتدس سمومها وتتحدث عن حلقة اولى فى طريق تنفيذ الهدف من خلال الهجوم على « الناصرية » بهدف أن تفقد النظام الوطنى القائم فى مصر واحدة من أهم دعائمه باعتباره استمرار لنظام عبد الناصر . ولا تلبث هذه الدوائر تتحين فرص بروز أى خلاف بين دولة عربية وأخرى حتى تعمل بكل الطرق على تغذيته وتعميقه لتحقيق هدف آخر هو عزل النظام الوطنى فى مصر عن الدول العربية • وتحاول أخيرا استغلال ما وصفه الرئيس السادات « بوقفة موضوعية مع الصديق » ، لتضع كل الاسلاك الشائكة فى طريق العلاقات العربية السوفيتية ، سعيا وراء عزل مصر عن المعسكر الاشتراكى الصديق وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى .

تسعى الولايات المتحدة كما قلنا الى استثمار كل الفرص التى تبدو لها مواتية • وجنبا الى جنب ، تروج دوائرها الفكرية والسياسية لما تسميه باحتمالات « الحل الامريكى » .

وموقف أمريكا من آمال مصر الوطنية أيام الرئيس الامريكى ودرو ويلسون ــ الذى عرضناه فى أول هذه السطور ــ أبلغ دليل يقدمه لنا التاريخ وتؤكده لنا كل سنوات التجربة منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ وحتى اليوم ، على ان امريكا هى العدو الرئيسى لشعبنا .

عندما رفض الرئيس الامريكى ولسون مطالب الوفد المصرى ورفض مقابلته ، لم تكن هناك سرائيل وبالتالى لم تكن هناك قضية أصوات اليهود فى الانتخابات • **ولكنه رفض ووقف مع بريطانيا ضد شعب مصر .**

وعندما فعل الرئيس الامريكى ولسون ذلك ، لم يكن هناك ما سمى « بالوجود الروسى » فى مصر • بل لم يكن أصلا هناك وقتها أية علاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ولكنه رفض ووقف مع بريطانيا ضد شعب مصر .

وعندما وقف الرئيسى الامريكى ولسن ذلك الموقف ، لم يكن هناك فى مصر وقتها قضية اسمها « البناء الاجتماعى » أو « التحول الاشتراكى » كما لم يكن هناك وقتها فى مصر شىء اسمه « القطاع العام » الخ .. الخ . والاكثر من ذلك ، كانت قيادة الحركة الوطنية نفسها فى أيدى كبار ملاك الارض والراسماليين وعناصر الطبقة الوسطى المصرية . وبرغم ذلك كله رفض ولسون ، ووقف مع بريطانيا ضد شعب مصر .

كان ذلك هو موقف الولايات المتحدة عندما لم تكن قائدة للاستعمار العالمى وأكبر قوة فيه وليس لها مصالح أساسية فى الشرق الاوسط .

وأكثر ذلك أيضا سيظل موقف العدو الرئيسى لبلادنا ، الولايات المتحدة الامريكية ، بعد أن أصبحت قائدة للامبريالية العالمية ومصالحها الاقتصادية والسياسية تفترش الوطن العربى من اقصاه الى اقصاه .

الهـــدف الحقيـــقى للحـــل الأمـــريكى



خيرى عزيز

حرب الشرق الاوسـط سـنة ١٩٦٧ كانت اسـاسا « **حـرب بـترول** » تستهدف تأمين الموارد البترولية الضخمـة فى الشرق العربـى ، والاحتـياطى البترولى الضخمفيهـا **للاستعمار الامريكى** ، وتستهدف كذلك حماية هذه المـوارد والاحتياطيات من اخطار حركة القومية العربيـة المتصاعدة التى فجرها « **جمال عبد الناصر** » وليس صدفة قط ، ان هذه الحرب شنت على الدول العربية وبدأت بصفةخاصة ، بالتهديد بغزو سوريا ، بعدأن خاض الحكم التقدمى فى سوريا معركة هامة ضد الاحتكارات البترولية لاسترداد حقوق الشـعب السورى فى الرسوم المفروضة على خطوط انابيب البترول ، وبعد ان نجح فى مقاومة تحـركات الرجعية ، التى فشلت فى القيام بانقلاب فـى سبتمبر عام ١٩٦٦ ، وبعد أن ظهرت حينذاك قدرة الثورة اليمنية على الصمود ، وبعد ان يتحقق أيضا انتصار الثورة المسلحة فى اليمن الجنـوبى ، بأفاقها التقدمية الواضحة ، واقتربت حركة الثورة العربية من منطقة الخليج ، اغنى مستودع عالمى للبترول ·

هذه كلها قد تكون عوامـل تكتيكية سريعـة مباشرة فى « حرب البترول » أدت الى الاسراع بشن عدوان يونيو ١٩٦٧ ، ولكن العدوان كان يستهدف مع ذلك ، تحقيق اهداف استراتيجية بعيدة المدى فى المنطقة العربية كلها ، وفى علاقاتها باسرائيل ، ترقى الى مستوى أهمية هذه المنطقة فى نظر الولايات المتحدة الامريكية ، وفى نظر مخططى سياستها الاستعمارية الاستراتيجية ·

فالمنطقة العربية بالذات · تتسم بأهميتهـا الشديدة للولايات المتحدة ، لا من ناحية موقعها الاستراتيجى ، وانما من ناحية الثروة البترولية الضخمة الكامنة فيها ، وحجم المصالح الامريكية الضخمة العاملة فى صناعة البترول العربية ·

فراس المال الامريكى المستثمر فى البتـرول والذى يعتمد أساسا على مصادرنا العربية ، هو

اضخم رأسمال توظفه امريكا فى اى مجال واحد من المجالات خارجها ، وهو يحقق بسبب ارتفاع عائده عن أى استثمار آخر ، ٥٠ فى المائة من الربح الذى تحصل عليه كل الاستثمارات الامريكية فى الخارج . ومن ناحية اخرى ، نجد ان المنطقة العربية تمثل للمستعمرين الامريكيين أفضل مناطق استغلالهم البترولية فى العالم ، فبينما يبلغ الاحتياطى المحقق للبترول فى هذه المنطقة ثلثى احتياطى البترول فى العالم ، لا تحظى هذه المنطقة سوى بـ ٣ فى المائة من الاستثمار الكلى المستخدم فى البترول ، (٤ بليون دولار من ١٥٠ بليون دولار) كذلك نجد انه بينما تبلغ ارباح الاستثمارات الامريكية البترولية فى اوربا ٣ فى المائة ، نجد انها تبلغ فى الشرق الاوسط ٦٥ر٢ فى المائة (١٩٦٨) ، كذلك فبينما **يحتاج استخراج مليون طن بترول فى الولايات المتحدة الى استثمار قدره ٩٠ مليون دولار ، يحتاج استخراج نفس الكمية فى البلاد العربية الى استثمار قدره ٥ ملايين دولار فحسب** . انها اذن الدجاجة العربية **التى تبيض ذهبا ، فبينما تبلغ قيمة انتاج برميل البترول فى ولاية تكساس الامريكية ١٥٦ سنتا ، تبلغ قيمة انتاج هذا البرميل فى السعودية والكويت مثلا ١٠ سنتات فقط** . وهكذا يتبدى لنا البترول العربى كبقرة حلوب لشركات البترول الامريكية الاحتكارية التى عمدت الى تلافى القيام بأى استثمارات او تنمية او تصنيع فى المنطقة سواء فى مجالى النقل (حيث لا يملك العرب سوى ٤ فى المائة من امكانيات نقل بترولهم) أو فى مجال التكرير (حيث لا يملكون سوى ١٢ فى المائة من امكانيات التكرير) . ويزيد من حساسية الولايات المتحدة ومخاوفها على البترول العربى ، « انه يتميز بوضع استثنائى يسهل تأميمه ، **فالمستهلك الاساسى له هو اوربا الغربية ، فى حين ان المساهم الاساسى فى رأس المال الاجنبى المستثمر هو امريكا** . ولذلك فلن تكون هناك مقاطعة فعالة للبترول العربى غداة تأميمه ، لان اوربا سيكون من مصلحتها دائما ان تشترى البترول العربى ، وهى لن تضار بالتأميم بحيث تقف منه موقف العداء ، بل انه يمكن ان تشترى بشروط افضل ، ففى وسع العرب ان يخفضوا بعد التأميم سعر البترول بنسبة ٢٥ فى المائة ، ومع ذلك يزيد دخلهم منه لانهم سيستولون عندئذ على نسبة ٥٠ فى المائة من الارباح التى تستولى عليها حاليا الاحتكارات العالمية » . (١)

بدون كسر مصر

لا ضمان لامن البترول

ولما كانت مصر وحركة التحرر الوطن التى تقودها فى المنطقة العربية هى الخطر الذى قد يؤدى الى حركة نهضة قومية وانبعاث قومى فى **منطقة البترول** العربى ، مما يهدد أمن الوجود الاستعمارى الامريكى فى المنطقة ، لذا كان لزاما من وجهة نظر الامبريالية الامريكية ومصالحها الاستراتيجية ، كسر مصر ، ودحرها ، وتحطيم قواها ، وتدمير زعامتها لحركة النهضة القومية العربية ، والتمكن فى النهاية من اخماد هذه الحركة ، واطفاء شعلتها كلية ، حتى تعود المنطقة ، منطقة تبعية للاستعمار ، ويسدل عليها الستار لصالح الاستعمار لمدة ربع أو نصف قرن قادمين . هذا هو الهدف الاصيل من وراء عدوان يونيو ١٩٦٧ ، والذى فى ضوئه ينبغى ان نفهم مغزى التحركات الامريكية ضد بلادنا منذ ١٩٦٧ ، وفى ضوئه ايضا ينبغى ان نتفهم المغزى الحقيقى الكامن وراء اى « حل » أمريكى لمشكلة الشرق الاوسط .

ضرب « القيادة السياسية » وتأمين

« القاعدة الاقتصادية البترولية »

ينبغى ألا تكون هناك أية أوهام بهذا الصدد ، لان عددا من العرب يتملكهم بقوة ، الوهم القائل ، بأن المصالح البترولية الامريكية الكبرى فى العالم العربى ، ستجعل الولايات المتحدة تتخذ فى نهاية الامر موقفا محايدا فى الصراع العربى الاسرائيلى ، أو أنها فى التحليل النهائى ، وفى مجال المفاضلة بين العرب واسرائيل ، ستحبذ الوقوف الى جانب العرب ، بحكم هذه المصالح الامريكية الواسعة . وهذا الوهم زائف لسببين هامين : الاول هو أنه فى توزيع النيران الامريكية الصهيونية فى الشرق الاوسط ، تعمد الولايات المتحدة الى استخدام اسلوبى الضرب والتأمين . لانه فى الوقت الذى لا تطلق فيه أمريكا نيرانها على مناطق البترول العربى ، وحيث لا حاجة بها وباسرائيل الى ذلك ، تركز أمريكا نيرانها الكثيفة

(١) الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله : « فى مواجهة اسرائيل » ص ١٤١ .

العسكرية والسياسية والاقتصادية على مراكز **القيادة السياسية التقدمية للعالم العربي في** القاهرة ودمشق بصفة خاصة · وهكذا تعمل الولايات المتحدة في الوقت الذي تقصر فيه ضربها العنيف الساخن على القسم السياسي الطليعي من الامة العربية ، على تأمين القاعدة الاقتصادية البترولية لها بحبل سرى من الصداقة بينها وبين مناطق البترول العربي الغنية . ولذا فان الولايات المتحدة لا ينتابها القلق على مناطق البترول العربية ، في عز احتدام المعركة بين اسرائيل والعرب ومصالحها في هذه المناطق ـ حتى الان ـ في الحفظ والامان · بل وعلى العكس نجد أنه بدلا من أن ينجح العرب في تحييد أمريكا ، نجحت أمريكا في تحييد مناطق البترول العربي الغنية في معركة غير محايدة اصلا ، بل ونجحت في جعل هذه المناطق ، مناطق صداقة للولايات المتحدة الامريكية ، حسبما أعلن « **وليم روجرز** » وزير الخارجية الامريكية مؤخرا في الكويت عن « وجود أصدقاء كثيرين لامريكا في العالم العربي » ·

الحل الامريكي الاقتصادي :

[مزرعة] عربية و (مصنع) اسرائيلي

والسبب الثاني الذي يحول دون وقوف الولايات المتحدة الى جانب العرب في أي « حل أمريكي » قادم لمشكلة الشرق الاوسط ، **هو المصالح الامريكية المالية داخل اسرائيل نفسها ، وهي أكبر مصالح مالية للولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، خارج نطاق مناطق البترول « المأمونة »** · فقد بلغت الاستثمارات الامريكية في اسرائيل في الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٦٤ على سبيل المثال ، ٧٧٩ مليون دولار ، قامت بها اساسا احتكارات أمريكية كبرى مثل « **فورد** » و « **كيزر** » و « **فريزر** » و « **كوكاكولا** » الخ ·· كذلك فقد حصلت الدولة الصهيونية من المغرب على ٧٠٠٠ مليون دولار في ١٤ عاما ، **ولو حصلت جمهورية مصر العربية ، على مثل هذا العون بنسبة عدد سكانها ، لاتيحت لنا موارد تعادل تكاليف بناء السد العالي أكثر من ٤٠ مرة** · ويلقي ذلك ضوءا مكثفا على طبيعة المواقف الامريكية في الشرق الاوسط حيث رفضت أمريكا **تمويل سد عالي واحد في بلادنا** ·

ولذا فان أي « حل أمريكي » قادم لمشكلة الشرق الاوسط ، سوف يضع كل هذه المصالح الضخمة في اعتباره من اجل تحقيق مايسمونه « **بالتكامل الاقتصادي » للشرق الاوسط** ، على أساس أن تكون **اسرائيل قاعدته الصناعية ، وتكون الاقطار العربية مورد المواد الاولية** ، وسوق تصريف المنتجات الصناعية ·

فالصناعة الاسرائيلية في أمس الحاجة الى الموارد الاولية التي تنتجها البلاد العربية ، تستثمر فيها خبراتها الفنية ، ورؤوس الاموال الاستعمارية الضخمة التي تستطيع تعبئتها · وسوق اسرائيل الداخلية ضيقة لا تستوعب انتاجا يذكر ، والمنافسة في الاسواق الاوربية عسيرة ، ومن ثم كان أمل اسرائيل ورؤوس الاموال الامريكية والغربية العاملة فيها ، هو أن تستوعب البلاد العربية انتاجها الصناعي · وليس هذا مجرد استنتاج ، أو استقراء للنوايا ، فالاقتصادي الاسرائيلي « **شارل مزراحي** » يكتب بصريح العبارة في مجلة « اسبري » الفرنسية (سبتمبر ١٩٦٦) قائلا : « **ان البلاد العربية تنتج البترول والقطن وغيرهما من المواد الاولية التي تحتاج اليها الصناعة الاسرائيلية ، ونحن نملك من أسباب التقدم التكنولوجي ما يسمح لنا بتصنيع تلك المواد وتزويد الاسواق العربية بما تحتاج اليه من منتجات صناعية** » (٢) ، ويستعيد قادة الاقتصاد الاسرائيلي في ذهنهم بهذا الصدد ، ذكريات فترة الحرب العالمية ، حين نشأت الصناعات « اليهودية » الاولى في فلسطين ، وأهمها الادوية ، وكان انتاجها يباع في الاسواق العربية بفضل قرارات « مركز تموين الشرق الاوسط » البريطاني ·

ان أي « حل أمريكي » قادم لمشكلة الشرق الاوسط ، لابد وأن يضع في اعتباره دون أدنى شك ، تحقيق المخططات الاقتصادية الاستراتيجية للامريكيين والصهيونيين في هذه المنطقة من العالم ، والتي تستهدف بالاضافة الى ذلك ، ان تصبح اسرائيل بمثابة « كنتوار » للاحتكارات العالمية · تقيم فيها مصانع للتجميع والتركيب والتجهيز ، للكثير من منتجاتها التي تبيعها بالفعل في الاسواق العربية . فمثلا حين أقامت شركة « **فورد** » مصنعا للتجميع في اسرائيل ، فانها تعلم دون شك أن قدرة السوق الاسرائيلية على استيعاب السيارات محدودة ، ولابد أن يكون قد روعي في

(٢) المرجع السابق : ص ٣٥ ·

تنفيذه ، البيع لتركيا واليونان ، وقبرص ، الخ · او تزويد الجيش الاسرائيلى بالمركبات ولكن فى حالة وجود علاقات اقتصادية تجارية مع الدول العربية يمكن ان يزود المصنع المذكور كل السوق العربية بالسيارات . وبهذه النظرة تهدف اسرائيل الى ضرب الاقتصاد اللبنانى القائم على تجارة الترانزيت ، وتصفية وضع بيروت من أجل أن تكون تل أبيب هى نافذة المنطقة على الحياة الغربية ·

وبالاضافة الى كل ذلك فان للبترول مكانة خاصة فى خطط اسرائيل المقبلة · فالصهيونية العالمية تريد ان تكون شريكا فى استغلال البترول العربى ، وأن تكون اسرائيل قاعدة لتصديره ومركزا لتصنيعه تستقر فيه صناعة بتروكيميائية ضخمة تغطى احتياجات المنطقة كلها · كذلك فان للعناصر الصهيونية مصالحها فى احتكارات البترول التى تعمل فى الاراضى العربية وهى ترغب ــ دون شك ــ فى أن تستفيد اسرائيل من البترول ، وان تدب الحياة فى خطوط الانابيب وتتضاعف طاقة مصفاة حيفا ، وان تنتقل من مجرد التكرير الى تصنيع البترول والبتروكيميائيات ، بل ان المطامع يمكن أن تصل الى حد حصول شركات اسرائيلية على امتيازات بترولية فى البلاد العربية ·

والاحتكارات البترولية الامريكية بالذات يسعدها ان تشارك اسرائيل ، وان تعتمد على الخبرات الفنية التى توجد بها فى أعمال التنقيب والاستخراج ، كما انه يكون من المريح لها أن تركز عمليات تكرير البترول وتصنيعه فى حيفا وغيرها من موانى اسرائيل لتصدر لاوربا منتجات بترولية بدل تصدير البترول الخام · فزيادة نسبة التصنيع ، تعنى زيادة الارباح ، ونقل المنتجات البترولية اقل تكلفة من نقل البترول الخام . **هذا هو على العموم المحتوى الاقتصادى لاى حل أمريكى قادم لمشكلة الشرق الاوسط وهو الحل الذى يستكمل على المستوى الاقتصادى عملية سحق الطلائع السياسية للامة العربية فى مصر وسوريا ، على نحو خاص ·**

هل يساعد الامريكيون حركات التحرر على تخطى نكساتها ؟

غير انه اذا ما تتبعنا النتائج التى حققها الاستعمار الامريكى فى حربه البترولية فى يونيو ١٩٦٧ لوجدنا انه استطاع فعلا عن طريق عملائه الاسرائيليين الحاق الهزيمة العسكرية بمصر وسوريا والاردن ، لكن مصر وسوريا وهما القطبان الرئيسيان فى دول المواجهة العربية ، لا تزالان منذ ذلك التاريخ صامدتين تقاومان خطط التصفية الامبريالية . وقد استطاعت مصر بنجاح ان تعيد بناء جيشها الوطنى . وهى تستعد مرة اخرى لمعركة تحرير اراضيها ، ولجولة اخرى مع عملاء الاستعمار فى المنطقة . **ولم يتحقق الهدف الامريكى فى القضاء على مصر كمركز اشعاع وطنى وقومى فى المنطقة العربية وكموقع قيادى للامة العربية من أجل النهضة والسيطرة على موارد الثروة القومية ، ولم تنجح امريكا فى تصفية الخط الوطنى المستقل الذى وضع اسسه الرئيس عبد الناصر** ، ومازالت بذور حركة القومية والوحدة العربية قائمة تهدد بظهور مراكز جديدة للنهضة القومية فى العالم العربى غير المراكز التقليدية المعروفة ·

فاذا ارادت أمريكا اليوم حسبما يتصور البعض ان تتدخل فى مشكلة الشرق الاوسط ، فلن يكون ذلك بأى حال من الاحوال من اجل اخراج مصر من الوضع الصعب الذى لا تزال تجابهه ، ولن يكون ذلك قط من اجل اتاحة الفرصة لها مرة اخرى كى تصبح قطبا جاذبا لتجميع وتعبئة جهود الامة العربية وانهاضها وتحقيق سيطرتها على ثرواتها ، **خاصة وقد كانت مصر تدعو دائما الى انتزاع نصيب اكبر من ارباح البترول لصالح الشعوب العربية ، وتحرير الاقتصاد الوطنى لدول البترول من السيطرة الاجنبية لكفالة سبل التراكم اللازم لعمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية لصالح الشعوب العربية** · والا فلو حدث هذا التدخل الامريكى لصالح مصر وسوريا لكان معنى ذلك حقيقة بالغة الغرابة والتناقض مع الواقع ، الا وهى **مساهمة المستعمرين فى اقالة حركات التحرر الوطنى من عثراتها** ، حتى تقف مرة اخرى لتجابههم وتحاربهم ، وهو واقع يتعارض تماما مع كل وقائع التآمر الاستعمارى على حركات التحرر الوطنى كافة ويتعارض ايضا مع أبسط منطق لادراك الامور .

ومن هنا نقول انه لا يمكن للولايات المتحدة بحكم مصالحها واهدافها البترولية ، واهدافها فى السيطرة الاستراتيجية على المنطقة العربية ان تساعد الحكم الوطنى فى القاهرة ودمشق على الخروج من الوضع الصعب الراهن ، وان تساعده على اخراج جيش الاحتلال الاسرائيلى من الاراضى العربية ، ولم ولن يكون قط من **تقاليد الاستعمار** الامريكى مساعدة **الحكومات الوطنية المستقلة على**

دحر التحديات الصعبة التى تجابهها . ولا يوجد مثل واحد فى العالم يمكن أن يكون بيدنا دليلا على موقف امريكى واحد من هذا القبيل .

ان القضية التى لا ينبغى ان تغيب عن أذهاننا قط فى العالم العربى ، هى ان « الحل الامريكى » للمشكلة ، سوف يؤدى بدرجة أو بأخرى الى تحقيق الهدف الاستراتيجى للغرب الاستعمارى فى هذه المنطقة من العالم ، الا وهو الحيلولة دون الثورة العربية ، ودون تحقيق وحدة الامة العربية فى دولة متحررة ديموقراطية وتقدمية . ولعله لم يغب عن الذاكرة العربية بعد ، ان الجو الذى صاحب عدوان يونيو ١٩٦٧ فى أوربا الغربية وأمريكا كان جو « حرب صليبية » وجو فرح وتشفى فى الهزيمة العربية .

ان عديدا من مواطنى شعبنا فى تبسيطهم لطبيعة التناقضات العميقة القائمة بين بلادنا والاستعمار الغربى والامريكى بخاصة ينسون ان نجاح الثورة العربية يعنى قيام دولة كبرى لها من عدد السكان ، واتساع الرقعة ، والموقع الجغرافى ، وغنى الموارد ، والتراث الحضارى ما يجعلها قادرة برغم ما تعانى من تخلف فى الحاضر على ان تتبوأ فى السياسة العالمية مركزا مرموقا ، وان تقطع فى طريق التقدم شوطا بعيدا فى زمن قصير ، وهذا ليس فى صالح الاستعمار باى حال من الاحوال ، فظهور مثل هذه الدولة لن يكون فى الواقع الا ايذانا بأفوله الدولى عامة وغروب شمسه نهائيا عن منطقة من أخطر مناطق العالم اقتصاديا واستراتيجيا .

واذا عدنا مرة أخرى الى الاهداف الاستعمارية العامة التى حققها عدوان يونيو ١٩٦٧ لقلنا دون شك ان أحد النتائج الملموسة التى استطاع الاستعمار الغرب أوربى والامريكى ان يحققها من هذا العدوان هو انه **وسع من نطاق القطاع الجغرافى الذى يفصل مابين شرقى العالم العربى** وغربية ، فلم يعد هذا القطاع قاصرا على صحراء النقب ، وانما ضمت اليه ايضا صحراء سيناء باتساعها ، فأصبحت الشقة التى تفصل بين جناحى العالم العربى ، أكثر اتساعا ، وذلك تحقيقا لهدف من أهم أهداف الاستعمار الغرب أوربى والامريكى بخاصة ، ألا وهو عزل شرقى العالم العربى عن غربى هذا العالم .

ثلاثة اعتراضات أمريكية

أن الموقف الامريكى الراهن والمقبل من أى حل لمشكلة الشرق الاوسط يقوم على التمسك بعناصر أساسية ثلاث ، باعتراضات اساسية ثلاث تمثل الالتزام الامريكى تجاه اسرائيل ، أشار اليها جميعا ، الرئيس أنور السادات فى خطابه فى افتتاح المؤتمر القومى ، وهى الاعتراض على الزام اسرائيل بالعودة الى حدود ما قبل ٥ يونيو ، والاعتراض الامريكى على اى تسوية للازمة بغير طريق المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل ، والاعتراض الثالث على قيام توازن عسكرى بين العرب واسرائيل ، أى ضمان امريكا لتفوق اسرائيل العسكرى الدائم على الدول العربية مجتمعة .

مغزى [الصلح] و (المفاوضة) و « العلاقات العادية »

والهدف من هذه الاعتراضات جميعا ، انما هو فى الواقع ممارسة ضغط ساحق على العرب كى يستسلموا امام المطالب الامريكية الاسرائيلية . فالاصرار الامريكى الاسرائيلى مثلا على ضرورة عقد « **معاهدة صلح** » وليس على اجراءات لتحقيق الامن والسلام ، يرجع الى ان اسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة ، تنظر الى تلك المعاهدة باعتبارها « كشف تسليم المغانم » . لكن هدف الصهاينة يذهب الى أبعد من ذلك بكثير فى الواقع ، فهم باصرارهم على توقيع معاهدة صلح ، يريدون ان يصيبوا حركة النضال العربى فى صميمها : فى روح الصمود ، وارادة المقاومة ، ورفض التسليم بالامر الواقع . انهم يريدون صكا يسلم فيه العرب بشرعية الاغتصاب ، ويتنازلون فيه نهائيا عن حقوق الشعب الفلسطينى ، وثمة فرق هائل بين التزام الدول العربية باحترام ميثاق الامم المتحدة وقراراتها ، وعدم مبادأة اسرائيل بالعدوان ، وبين التسليم بشرعية اقتطاع جزء من الوطن العربى ، واقامة قاعدة صهيونية امبريالية عدوانية عليه . ان التخلى عن الحقوق المشروعة أمام القوة الغاشمة ، طريق له بداية وليست له نهاية . فاذا تخلينا أمام اسرائيل ، فهل يمكن ان نقاوم بعدها الاستعمار؟ ان المراد منا **هو** فى التحليل الاخير ، التخلى عن ارادة الحرية ، عن حقنا فى تشكيل مصيرنا كما نشاء ، فى بناء وطننا ووحدتنا القومية ، فى رفع مستوى معيشة الانسان العربى ليستأنف مسيرته على طريق الحضارة بعد ان حرفته السيطرة الاجنبية عنه أمدا طويلا .

ومن ناحية ثالثة تريد اسرائيل « **بالصلح** » وما يعقبه من تصفية لارادة المقاومة ، ان تفتح السبيل لماتسميه « **علاقات عادية** » مع البلاد العربية المجاورة وفى مقدمتها العلاقات الاقتصادية ، التى

تدرك الصهيونية طبيعتها بين طرف متقدم اقتصاديا يتمتع بمساندة الامبريالية العالمية ، وطرف فى مرحلة النمو • ان الصلح فى منطقهم انما هو فى الواقع تمهيد لنشر نفوذهم الاقتصادى فى المنطقة كلها ، حتى تحقق اسرائيل السيطرة الاقتصادية التى تحلم بها •

وان الاصرار الامريكى على دعم المطلب الاسرائيلى الخاص **بالمفاوضات المباشرة** انما يعكس جانبا هاما من جوانب « الحل الامريكى » لمشكلة الشرق الاوسط ، يعتبر فى واقعه وحقيقته ، دعما لمطالب اسرائيل التوسعية • لاننا نود أن نتساءل أولا وقبل كل شىء عن موضوع المفاوضات التى تريد اسرائيل اجراءها مع العرب • ان الامر المؤكد هو انه لو كان السلام هدف اسرائيل ، حقيقة ، لكان من الممكن تحقيقه بمجموعة من الاجراءات يقررها مجلس الامن ويقبلها الطرفان • كذلك فلو كانت اسرائيل تقبل مبدأ الانسحاب من الاراضى المحتلة كلها ، ولا تضم منها شيئا ، فان قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ يرضى كل مطالبها الاخرى : **حدود آمنة معترف بها ، وانهاء حالة الحرب ، وحرية الملاحة فى الممرات المائية الدولية** ، فماذا تريد اسرائيل فوق ذلك ؟ الواقع انها لا تريد الانسحاب • وتبغى من وراء المفاوضة ، المساومة على الارض المحتلة ، بل مساومة كل دولة عربية على حدة لمحاولة ضربها ببعضها البعض • وباختصار فان الهدف الحقيقى من وراء الالحاح الاسرائيلى الامريكى بالمفاوضات المباشرة انما هو **الرغبة العارمة فى استغلال النصر العسكرى الاسرائيلى فى توسع اقليمى على حساب الدول العربية وحقوقها الدولية الشرعية** •

ورقة « معاداة الشيوعية »

وتصاعد الطموح الامريكى

لكننا اذا عرجنا مرة أخرى على بعض الاوهام الزائفة التى لاتزال تروج فى بعض الدول الوطنية المعادية للاستعمار فى العالم الثالث ، لوجدنا أن من أكبر هذه الاوهام التى تشكل خطرا على التطور الوطنى المستقل الذى تتبعه هذه الدول ، هو اعتقاد بعض فصائل الحركة الوطنية فيها ، بأن وقوفها حائلا فى وجه الشيوعية بل معاداتها للشيوعية ، وملاحقتها لها ، يمكن أن يرفع عنها يد الاستعمار الامريكى الضاغطة من أجل تصفيتها ، ومن اكبر الاوهام ايضا اعتقاد هذه الفصائل الوطنية بالتالى ، بأنه يمكن لمواقف معاداة الشيوعية التى تتبعها ، بعض الانظمة الوطنية ان تصبح شفيعا لدى الولايات المتحدة ، يرجىء وقد يلغى العملية التآمرية الدؤوبة التى تقوم بها أمريكا لاستبدال هذه النظم الوطنية المحايدة ، بنظم عميلة تابعة ، فى كل دول العالم وهى العملية التى تعتبر اليوم من الاهداف الرئيسية الهامة فى الاستراتيجية الدولية للاستعمار الامريكى •

ان المشكلة الحقيقية لدى هذه الفصائل من الحركة الوطنية تكمن فى الحقيقة فى عدم ادراكها لطبيعة التطورات التى طرأت على خطط وأطماع الاستعمار الامريكى فى الفترة الاخيرة • لانه اذا كان الوهم المذكور سالفا ، يتضمن فى الماضى جانبا من الحقيقة ، عندما كان تيار الثورة الوطنية فتيا قويا عارما ، وعندما كانت القوى الاستعمارية تقف عاجزة متراجعة أمام زحفه ، الا انه لم يعد يتضمن ذلك اليوم ، فى فترة تراجع قوى الثورة الوطنية ، امام المد الاستعمارى على نطاق عالمى ، وبعد سنة ١٩٦١ بالذات حيث نجحت عشر انقلابات مضادة للثورة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية وذلك لان **الطموح الاستعمارى المتزايد للولايات المتحدة ، لم يعد يقبل بوجود اى شبح للوطنيين على رأس حكومات دول العالم الثالث حتى ولو كان هؤلاء الوطنيون معادون للشيوعية ، وحتى ولو كانت أنظمتهم تتبع سياسة ملاحقة الشيوعية واضطهادها** •

وليس ادل على ذلك وأبلغ من مثل كمبوديا « **سيهانوك** » • لانه على الرغم من أن نظام سيهانوك الوطنى بدأ منذ ١٩٦٧ عمليات اضطهاد الشيوعيين وملاحقتهم مع قوى اليسار عامة ، وما صحب ذلك من عمليات الاعتقال والسجن ، واغتيال الوطنيين ، والافتراءات ، وتشويه الحقائق ضد المثقفين والرهبان والعناصر المحايدة والوطنيين التقدميين ، وطرد الوطنيين التقدميين من أجهزة الدولة وغير ذلك من الملاحقات التى اضطرت الثوار اليساريين والوطنيين التقدميين عامة الى اللجوء الى الغابات ، الا أن كل تلك الاجراءات لم تشكل ترضية للاستعمار الامريكى واليمين الكمبودى عامة اللذان اصبحا اكثر جشعا ونهما وطموحا واللذان لم يقبلا اصلا بمبدأ الابقاء على نظام سيهانوك الوطنى المحايد فى كمبوديا . لذا لجأ اليمينيون المتطرفون وعملاء الامريكيين بزعامة **لون نول وسيريك ماتاك** الى العمل المباشر باستخدام جماعة « **الخمير سيراى (أى كمبوديا الحرة** » اليمينية الارهابية المتطرفة التى تمولها المخابرات المركزية الامريكية (والتى يسهل الحصول على مثيلاتها

دائما فى الدول المتخلفة) واستخدموها كقوة صدام ارهابية ضد كل القوى الوطنية فى البلاد ، وبعد ضرب اليسار ، بدأ ضرب أنصار الوسط ، وسقطت الحكومة تماما فى أيدى اليمينيين المتطرفين ، ووقع الانقلاب الموالى لامريكا الذى أقصى سيهانوك عن الحكم .

هذه هى مأساة الذين لم يعد يفطنوا اليوم الى مستوى الاستقطاب الذى بلغته حركة الثورة ، وحركة الثورة المضادة فى العالم الثالث ، حيث ينفذ المستعمرون من أى ثغرة تعترى نظم الحكم الوطنية ، من أجل تقويض مثل هذه النظم والاجهاز عليها واحدا بعد الاخر ، وهى فى نهاية الامر مأساة **غانا نيكروما ، واندونيسيا سوكارنو ، وكمبوديا سيهانوك** ، وغيرها من النظم المشابهة لها فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

مذابح سبتمبر نموذج على الطريق الى « الحل الامريكى »

وفى النهاية نود أن نقدم ولو بايجاز ، نموذجا واقعيا من هنا ، من قلب تجربتنا فى العالم العربى على نوع وطابع الطريق الذى يتعين سلوكه من أجل تنفيذ مخططات الولايات المتحدة وغاياتها فى هده المنطقة من العالم ، لانه اذا كانت احدى الدول العربية وهى الاردن قد سارت بوضوح وصراحة على هذا الطريق ، فان المسار الذى اتخذته عامر حقا بالعبر والدروس .

ان هذا المسار الذى انتهى بالتنفيذ الصريح المكشوف للمخطط الامريكى الاسرائيلى ، بعد المحاولات السرية الخفية ، والذى شكل فى النهاية نوعا من المشاركة النشطة فى تنفيذ ذلك المخطط ، هذا المسار لم يتحدد فى الحقيقة الا من خلال عمليات القمع والتنكيل والارهاب للشعب الفلسطينى والحركة الوطنية الاردنية ، من خلال مستنقعات الدم التى جرت كسيل عارم على أيدى نظام الملك حسين وبطانته من العملاء المباشرين لوكالة المخابرات المركزية الامريكية ، الذين خضبت مخالبهم وأنيابهم ، دماء الشعب الفلسطينى ، والذين ذبحوا الالاف من أبنائه وبناته بجبن فى شوارع عمان ، وجرش ، واربد ، وعجلون ، والاحراش .

وكل ذلك ليس الا نموذجا على الطريق الذى يتعين سلوكه وصولا الى تحقيق الهدف الامريكى ، والامر المؤكد أن مثل هذا الهدف لن يتحقق فى كل عاصمة عربية ، الا عن طريق قهر وتصفية الحركة الوطنية التقدمية فى كل بلد عربى على حدة ، حسب المستوى الذى بلغه تطور ونضج هذه الحركة ، وبأساليب المواجهة التى تتفق مع واقع كل حركة على حدة وذلك من أجل التمكن فى النهاية من عزل نظم الحكم الوطنية المعادية للاستعمار ، والاطاحة بها ، واستعادة السيطرة الاستعمارية على العالم العربى مرة أخرى .

ان المستعمرين الامريكيين فى صراعهم من أجل السيطرة العالمية ، وفى تصدرهم صفوف الثورة المضادة العالمية ، لن يتوقفوا عن العمل من أجل احتواء العالم العربى مرة أخرى داخل نطاق التبعية الاستعمارية ، وهم يواصلون ابتزازهم لحركة التحرر الوطنى العربية ، ويتصاعدون على الدوام بمطالبهم وضغوطهم مع كل بادرة عربية تستهدف تحقيق السلام فى منطقة الشرق الاوسط على أساس من العدل والحق ، علهم يصلون الى أهدافهم الحقيقية من وراء عدوان يونيو ١٩٦٧ .

ولذا فليس هناك من سبيل أمام القوى الوطنية والتقدمية فى مواجهة كل هذه المحاولات والاساليب ، سوى المقاومة الدائبة اليقظة للمخطط الامريكى عن طريق دعم الجبهات العربية الداخلية فى دول المواجهة بالذات ، دعما حقيقيا ، **بالديموقراطية للجماهير الشعبية** ، وتوحيد كل القوى الوطنية والتقدمية فى الصراع ضد المخطط الاستعمارى للولايات المتحدة . فلم يعد هناك طريق آخر اليوم أمام الدول الوطنية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية سوى طريق الوحدة النضالية بين القوى الوطنية التقدمية ، وقوى اليسار الثورى فى هذه البلدان .

فقد أصبح من الواضح اليوم ، أكثر من أى وقت مضى ، وبعد العديد من الانقلابات المضادة للثورة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، أن الاستراتيجية الرئيسية للامبريالية العالمية وعلى رأسها امبريالية الولايات المتحدة ، تكمن أساسا فى العمل على عزل القيادات الوطنية التقدمية عن القواعد الشعبية الواسعة ، واليسار الثورى فى هذه البلدان ، وقوى الثورة العالمية وفى مقدمتها المعسكر الاشتراكى ، ثم الاجهاز عليها بعد ذلك باستخدام قوى اليمين المحلى والدولى .

حصان طروادة الأمريكي

أو

نظرية الغزو من الداخل



غالي شكري

منذ البداية يجب أن نفرق بين نوعين من الثقافة الامريكية : اولهما ينتسب بجدارة الى الشعب الامريكي ، بالتعبير العميق عن آلام هذا الشعب وهمومه واشواقه وتطلعاته القومية والانسانية . هذا النوع من الثقافة هو الذي أثمر عمالقة الادب الامريكي العظام من والت ويتمان الى روبرت فروست ومن ابتون سنكلير الى همنجواى ومن فوكنر الى آرثر ميلر مرورا بعشرات الاسماء الامريكية العظيمة التي تركت بصماتها واضحة على الوجدان الانساني المعاصر داخل أمريكا وخارجها . أما النوع الثاني الذي يعد خصيصا للتصدير فهو لا ينتسب الى « روح » الشعب الامريكي وعبقريته المبدعة بقدر ماينتسب الى ذكاء السلطة المهيمنة على الحياة الامريكية، بأجهزتها الاخطبوطية المتطورة تطورا مذهلا في موازاة الثورة التكنولوجية المعاصرة . ان هذا النوع من الثقافة يعبر عن مصالح تلك المجموعة الضيقة من الاحتكاريين الكبار، وبالتالي فهو تشويه لحقيقة الثقافة الامريكية وتخريب متعمد ومصنوع لاكثر قيمها وتقاليدها ايجابية وثراء .

منذ البداية ايضا يجب أن نفرق بين انعكاسات الثقافة الامريكية بنوعيها على الفكر العربي الحديث ، وبين صادرات الاجهزة السياسية الحاكمة في الولايات المتحدة من الثقافة المصنعة خصيصا لنا . انعكاسات الثقافة الامريكية — تقدمية كانت أو رجعية — على مؤلفات أو نظريات أو برامج بعض مثقفينا ، تعكس التناقضات الاجتماعية التي يعبر عنها هؤلاء المثقفين ، كل حسب موقعه الاجتماعي وانتمائه الفكري . الثقافة الامريكية هنا بشقيها ، كغيرها من المؤثرات الاجنبية على ثقافتنا المعاصرة ، مجرد « اختيار » يستلهمه هذا التيار الثقافي او ذاك من تياراتنا المتصارعة ، لدعم وجهة نظره وبلورتها وصياغتها . ولكنها بعد ذلك ، هي تيارات أصيلة

فى تقدميتها أو رجعيتها ، اذ هى تعبر باستجابتها لهذا المؤثر دون ذاك ، عن ابنية اقتصادية واجتماعية وسياسية قائمة . أما الصادرات الثقافية المعتمدة والموجهة من اجهزة الحكم الامريكى ، فهى وحدها ، محور هذا الحديث .

ملء الفراغ : نظرية أمريكية

لقد كانت الولايات المتحدة هى صاحبة الفكرة القائلة بأن ثمة فراغا وشيك الحدوث فى منطقة الشرق الاوسط بعد الحرب العالمية الثانية ، وبوادر الغروب تطل من بين السحب على الامبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس • كان التصور الامريكى هو ان الولايات المتحدة هى الوريث الطبيعى للاستعمار البريطانى والفرنسى فى المنطقة ، فليس من المعقول ولا من المنطق - الامريكى - أن تترك هذه الموارد والخامات الاولية الثمينة ، كالبترول مثلا ، بغير استثمار الاحتكارات الامريكية الكبرى . واذا كان لكل عصر أساليبه ، فانه يتعين على الاستعمار الامريكى الجديد ، ان يبحث عن اكثر الاساليب اتساقا مع روح العصر . هذه الروح التى ترفض النماذج العسكرية للاستعمار ، فواجهة الجيوش ليست أكثر الواجهات بريقا . لتكن اذن « الاحلاف » التى تربط اقتصاديات المنطقة ، وبالتالى سياستها الداخلية والخارجية بالولايات المتحدة هى النموذج الامريكى الجديد • وكان « مشروع ايزنهاور » هو المبادرة النظرية الامريكية لملء الفراغ فى الشرق الاوسط ، وكان الحلف المركزى - بغداد سابقا - هو التطبيق العملى لهذه المبادرة .

على أن نظرية ملء الفراغ الامريكية لم تقتصر على المضمون المادى - وهو الهدف الاقتصادى والسياسى - بل هى اعدت الوسائل والاساليب الكفيلة بالصياغة الفكرية لهذا الهدف . وهكذا كان ملء الفراغ العقائدى هو الوجه الاخر لملء الفراغ السياسى .

وقد كان هذا الفراغ بوجهيه فراغا متوهما ، أبعد ما يكون عن حركة الواقع العربى الذى احتدم الصراع بينه وبين الاستعمار القديم غداة الحرب الثانية بهدف الاستقلال ، جنبا الى جنب مع الصراع الداخلى المحتدم بين القوى الاجتماعية المختلفة حول صورة هذا الاستقلال ومحتواه . وقد كانت البورجوازيات العربية بشكل عام ، ومعها الطبقات الشعبية ، تبغى استقلالا ينجز مهام ثورتها الوطنية الديموقراطية ، وكانت الفئات العليا من هذه البورجوازيات متحالفة مع كبار الملاك والعناصر الكومبرادورية تبغى استقلالا شكليا لا يحطم الجسور بينها وبين الاحتكارات الاجنبية ، ويحمى من زاوية أخرى مصالحها الاستراتيجية المعادية للشرائح الوسطى والصغيرة من البورجوازية وجماهير العمال والفلاحين . كان الصراع القومى - بمضمونه الطبقى - قائما بعد الاستقلال ولم يكن هناك فراغ على الاطلاق . وانما كان الصراع من أجل الحرية والتقدم يملأ الساحة العربية كلها . ومن ثم لم يكن هناك فراغ عقائدى من أى نوع ، وانما كان التراث النضالى بمختلف أشكاله الوطنية والاجتماعية متمثلا فى عديد من التيارات الفكرية الليبرالية والثورية ، المعتدلة والمتطرفة ، يملأ ساحة الفكر العربى بطولها وعرضها .

وانما كان ملء الفراغ الامريكى يستهدف التدخل المباشر فى شئون الوطن العربى الداخلية بحسم الصراع انتصارا للقوى المهيأة للتحالف معه ، والحاق الهزيمة بالقوى المناوئة له . هذا على المستوى السياسى . وعلى الصعيد الفكرى كان يقصد بملء الفراغ أن يمد القوى المرشحة للتعاون معه بترسانة ثقافية مسلحة بأحدث منجزات الفكر الاستعمارى . ومن هنا تبدأ قصة تصدير الثورة المضادة لتقدم شعوبنا وأمنها واستقلالها . لقد نجحت أمريكا فى السيطرة الاقتصادية والسياسية على أجزاء كبيرة من الوطن العربى ، ولكنها أخفقت فى أجزاء أخرى .

أما على الجبهة الفكرية فقد نجحت فى جميع الاجزاء ، بدرجات متفاوتة حقا ، ولكنها نجحت فى معظم الاحيان .

واذا كانت امريكا قد توهمت فراغا عقائديا فى الوطن العربى تريد ملئه ، فانها - للحقيقة والتاريخ - لم تتوهم أو تفتعل المشكلات القائمة فى هذا الوطن . ان ملء الفراغ ليس أكثر من « لافتة حياء » توسلت بها للتسلل الى ديارنا . ولكن لم يخطر ببالها قط ، ولا للحظة واحدة ، ان هناك فراغا حقيقيا . وانما هناك مشكلات حقيقية يمكن استغلالها بما يلائم وضعها الجديد فى المنطقة .

أى أننى أريد القول ، أن الاجهزة الامريكية كانت تخطط لغزوفكرها الاستعمارى ، على ضوء الواقع الموضوعى ، لا بناء على اسقاطات ذاتية موهومة ، وانها فى محاولاتها لتنسيق وتعديل وأحيانا لتغيير هذا الواقع بما يتفق ومصالحها ، قد وظفت أحدث منجزاتها العلمية وأكثر أساليبها خبثا ودهاء .

حصان طروادة :

أو الغزو من الداخل

وقد تبلورت النظرية الامريكية فى ملء

« فراغنا » الثقافي أو الفكري أو العقائدي في أن يتم هذا الغزو من الداخل، بمعنى أن تكون « الطاقة العربية » هي الاداة الرئيسية في بلوغ هذا الغزو لغاياته المرسومة بذكاء في واشنطن • ومن ناحية اخرى يتم استخدام هذه الاداة بالوسائل الشرعية وفي مقدمتها الاتفاقيات الثقافية المتبادلة بين الحكومة الامريكية والحكومات الاخرى .

وبالرغم من أن نشاط الفكر الاستعماري الامريكي في الوطن العربي يسبق نهاية الحرب الثانية بكثير – ممثلا في الجامعات والمعاهد وارساليات التبشير – الا أن انشاء مؤسسة فرانكلين بالقاهرة عام ١٩٥٣ هو المؤشر التاريخي لبدايه الحرب الفكريه التي شنتها الولايات المتحده على شعوبنا .

وقد كان واقعنا الموضوعي طيلة العشرين عاما الماضية مشغولا بعديد من المعضلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي واجهت معظم البلدان الحديثة الاستقلال • ولم تفعل أجهزة الثورة المضادة الامريكية من أن تحركت داخل هذا الاطار القائم الواقعي . تندرج كافة التفصيلات في حدود هذا الاطار، كالتنمية الاقتصادية والتصنيع والصراع العربي الاسرائيلي والنماذج السياسية المقترحة بعد الاستقلال ، وبقية المشكلات المترتبة على هذا التطور كالتناقضات المحتملة بين برامج التربية والتعليم والتشريعات القانونية والاسس الدستورية وبين الواقع الجديد المثقل برواسب الماضي ومتاعب الحاضر وآفاق المستقبل . وكان دور الجامعات والمعاهد الامريكية هو اعداد « الصورة الموضوعية » لهذا الواقع ، بالرصد والاحصاء والفرز والتبويب . أي أنه كان دورا أكاديميا خالصا ، عليه أن يقدم « المادة الخام » لاجهزة التحليل الدقيق بالمخابرات المركزية التي تقوم بدورها في استخلاص النتائج وتركيبها في منظور يوجه دور النشر التابعة في المنطقة نحو اختيار ما ينشر ، واسلوبه بالتركيز على هذا وباستبعاد ذاك •

هذا من ناحية المضمون ، أما من ناحية الشكل فقد كان تجنيد الطاقة العربية لخدمة هذه الاهداف تجنيدا شاملا هو أنجع الوسائل لتحقيقها ، وللحيلولة دون أن تؤدي هذه الطاقة دورها الطبيعي في الفكر الوطني . هكذا تفرغت دور النشر العربية والمطابع وأساتذة الجامعات والمترجمون – تحت وطأة الاغراء المادي الذي لا يزاحم – لانجاز التخطيط الامريكي في ميدان الثقافة . وهكذا أيضا أقبل القارىء العربي ، بجاذبية الاخراج اللامع والورق الابيض المصقول والسعر الزهيد على التفاعل مع هذا التخطيط والتورط في شباكه المحكمة .

أجهزة الارسال والاستقبال

الجامعة الامريكية اذن ، في بيروت أو القاهرة أو طنجة ، والمبعوثون من جامعات الولايات المتحدة بجنسياتهم المختلفة ، هم الخطوة الاولى على طريق الغزو الفكري للاستعمار الجديد . وقد نشرت «الاهرام» بتاريخ ٢٢-٣-١٩٦٧، ما نصه أن لجنة الطلبة في الجامعة الامريكية ببيروت « أذاعت تقريرا ضمنته نتائج أبحاثها في النشاط المشبوه الذي تقوم به الجامعة الامريكية في بيروت . وقد أكد التقرير وجود علاقة بين هذه الجامعة ووكالة المخابرات المركزية الامريكية ، وأن رئيس الجامعة مستر كيركود يعرف أسماء العاملين في خدمة المخابرات داخل الجامعة . كما كلفت المخابرات الامريكية أحد أساتذة الفلسفة بتنفيذ خطة لمحاربة الفكر التقدمي ». وقال التقرير أن المخابرات الامريكية تتستر خلف برامج تعليمية محددة لتوجيه أسئلة خاصة تتعلق بعلم النفس والاجتماع ، وترسل الاجابات على هذه الاسئلة الى مقر المخابرات في أمريكا » . وهو نفس المنهج الذي تتبعه الجامعة الامريكية في القاهرة ، فقد حدث ان أوفدت ثلاثة اساتذة هم ماكورد ولولب الامريكيين وفاخوري الاردني الى محافظة أسوان للقيام بمسح اجتماعي وسيكلوجي لشعب المنطقة ، ولكن طبيعة الاسئلة أثارت الشكوك عند المسئولين في المحافظة ، ومن ثم كان أن كتبت السلطات رسميا الى الجامعة تقول انه ينبغي أن يرجع الاساتذة والطلبة الوافدون الى الجهات المسئولة في المحافظة قبل وبعد توزيع الاسئلة على العينات البشرية المطلوبة ، وذلك حتى يتحقق نوع من الاشراف القومي على الابحاث التي تقوم بها جامعة أجنبية داخل حدودنا . ولكن الجامعة الامريكية رفضت هذا الطلب العادل من جانب السلطات المصرية التي لم يكن أمامها – والحالة هذه – الا أن ترفض بدورها الجولات المريبة للطلبة والاساتذة الامريكيين بين عمال السد العالي وشركة كيما . وقد حدث مرة أخرى – ان اهتمت الجامعة الامريكية في القاهرة بدراسة التاريخ المصري الحديث اهتماما أثار الريبة الشديدة ، اذ بدأت تتصل ببعض الشخصيات السياسية لتحصل على مذكراتهم ، وكذلك مذكرات بعض من أصبحوا في ذمة التاريخ . ولما كان الامر يتصل مباشرة بتاريخنا

القومى فقد توجهت الجهات المسئولة الى ادارة الجامعة الامريكية بالقاهرة بخطاب يقول « اننا لا نرفض التعاون العلمى بل نرضى به ، ولكننا نرى أن يكون هذا العمل المشترك بين أساتذة التاريخ المصريين والباحثين الامريكيين تحت اشراف جامعة القاهرة » . وقد ردت رئاسة الجامعة برفض الاقتراح ، وان لم تسحب المشروع (١)

ولم تكن لتنورع الجامعة الامريكية فى بيروت أو القاهرة عن فصل الطلبة والاساتذة الذين يشتم من سلوكهم داخل الجامعة أو خارجها رائحة الوطنية أو التقدم . ولقد تختلف هنا طبيعة المناخ السياسى فى الجامعة الامريكية فى بيروت عنه فى القاهرة . ذلك أن الجامعة الاولى تضطرم بتيارات السياسة العربية اضطراما يجعل منها احد مراكز النشاط الوطنى ، بينما الوضع فى الجامعة الثانية يختلف بسبب طبيعتها الاجتماعية المتوارثة ، فهى اقرب الى النادى الارستقراطى لابناء وبنات « العائلات » منها الى الجامعة فى بلد يغلى بشتى الصراعات والتناقضات . لذلك ، كان فصل الطلاب والاساتذة بالجملة من الجامعة الامريكية فى بيروت ، هو السمة البارزة على أحداث هذه الجامعة الموازية للتطورات السياسية فى الوطن العربى . وربما كان فصل الدكتور بشير الداعوق ، ثم الدكتور صادق العظم ، وأخيرا الدكتور حليم بركات من العلامات الدالة فى هذا الصدد . غير أنه يتبقى للجامعة الامريكية هنا أو هناك ، بعد وسائل القمع والاضطهاد لاصحاب الميول الوطنية والتقدمية ، يتبقى لها جهازها الضخم فى اعداد « الصورة الموضوعية » للواقع العربى ، رصدا واحصاء ، فرزا وتبويبا ، كمادة خام ضرورية للمخابرات الامريكية ، تتعرف بواسطتها على المشكلات الحقيقية والاحتياجات الفعلية لهذا الواقع . بعد ذلك مباشرة تبدأ مهمة التوجيه لادوات التنفيذ ، وفى مقدمتها دور الصحف ومنابر النشر . وتتوجه هذه المنابر ، بالخطاب ، الى المواطن العربى من قبل أن يولد حتى بعد أن يموت ، أى من العناية بالام الحامل الى العناية بالورثة . وتتوجه هذه المنابر بالخطاب ، الى كافة المستويات الاجتماعية من العامل والطالب والفلاح الى المهندس والمحامى والطبيب والمفكر والقائد السياسى . وتتوجه هذه المنابر بالخطاب عبر الوسائل الملائمة لكل عمر ومستوى عقلى واجتماعى – من مجلات الاطفال وكتب الجيب والاسطوانة الى المجلات الفكرية ذات الوزن الثقيل وكتب المراجع والمعاجم ودوائر المعارف ، ومن الفانوس السحرى الى الافلام التسجيلية القصيرة والسينما الروائية الكبيرة ومن صالات العرض التشكيلى والموسيقى والمسرحى الى المكتبات العامرة بأحدث المؤلفات الامريكية فى كل موضوع يرد على الخاطر ولا يرد .

الخطة فى التطبيق

لنقرأ ببطء برنامج مؤسسة فرانكلين فرع القاهرة بين عامى ١٩٥٣ و ١٩٧٠ (٢) اصدرت المؤسسة خلال هذه الفترة ٩٦٢ كتابا (بعضها من عدة أجزاء لم نضفها بالطبع الى الرقم) . وقرابة الف كتاب ينشره فرع واحد للمؤسسة فى سبعة عشر عاما ، كاف التصور « الحجم » و « الوزن » الذى دخلت به فرانكلين سوق النشر العربى . من ناحية الشكل فقط علينا أن نحصى عدد دور النشر المصرية التى أنجزت هذه الخطة ، فاذا هى خمسة عشر دارا يمكن تسميتها : دار احياء الكتب العربية ، دار الفكر العربى ، دار المعارف ، دار المعرفة ، دار النهضة العربية ، دار نهضة مصر ، عالم الكتب ، المكتب المصرى الحديث ، مكتبة الانجلو المصرية ، مكتبة الخانجى ، مكتبة غريب ، مكتبة النهضة المصرية ، مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع ، دار الشعب ، دار الكاتب العربى . (تضاف اليها دار الكرنك التى تعد فرعا لمكتب الاستعلامات الامريكى بالسفارة ، وصاحبها – ماهر نسيم – هو المدير المصرى السابق لهذا المكتب) . قصدت بتسمية هذه الدور أن أقول أن « كبرى » دور النشر المحلية وصغراها على السواء قد ارتبطت بانجاز خطة فرانكلين . هذا الارتباط الذى من شأنه أن يؤدى سلبا الى امتناع هذه الدور – ومن بينها ما يتبع القطاع العام فى النشر للاسف – عن نشر الثقافة الوطنية ، كما ان من شأنه فى المستوى الاقتصادى أن ترتبط ميزانية هذه الدور فى حاضرها ومستقبلها بما « تتبرع » به المؤسسة الامريكية من أرباح عالية وسهلة . وهكذا يرتبط جانب من اقتصادنا القومى ، يمارس أثره فى صناعات متعددة كالطباعة والورق ، بعجلة الاحتكار الامريكى الذى يخصص جزءا ضخما من ميزانيته العامة للدعاية التى تعود عليه فى الامد القصير والطويل معا ، بمردود اقتصادى لا غش فيه .

---

[١] راجع « امريكا والحرب الفكرية » – غالى شكرى – دار الكاتب العربى بالقاهرة – [ص ٤٨]

[٢] من المفارقات الغريبة التى تحتاج الى تفسير انه مع قرار مصر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع امريكا عام ١٩٦٧ صدر قرار بتجميد مؤسسة فرانكلين ووضع الجامعة الامريكية تحت الحراسة ، ومع هذا فقد صدر عن فرانكلين فى ثلاث سنوات فقط [٦٧ – ١٩٧٠] ١٧٩ كتابا ومرجعا مثبتة كلها بالتفصيل فى القائمة الرسمية للمؤسسة والتى توزع مجانا !!!

لنتوقف مرة أخرى عند الشكل فقط ، فهذه الكتب الالف‌عد احتاجت - قبل أن تصل الى الناشر المحلي - الى طاقة ما يقرب من الالف متقف بين أساتذة جامعيين ومترجمين محترفين وكتاب وفنانين وصحفيين ، ارتبطت مصالحهم سلبا بالامتناع عن المشاركة فى صنع الثقافة الوطنية ، وايجابا بمعدلات اقتصادية منتظمة تجعل من العسير التنازل عن ديمومتها مما يورطهم في القبول التدريجي بما لا يرضاه الضمير الوطني ، كذلك يرتفع بهم هذا القبول الى مستويات اجتماعية تتواءم مصالحها الطبقية وأفكارها الايديولوجية مع هذا الانتاج الثقافي الذى يشاركون بعرقهم فى صنعه • وقد كانت فرانكلين من الذكاء بحيث استدرجت الى مقدمة اغلفتها الانيقة بعضا من الاسماء اللامعة فى حياتنا الفكرية وتاريخنا الثقافي •

لنتوقف مرة ثالثة عند حدود الشكل فقط . لقد خططت فرانكلين لنشاطها كبديل لنشاط ثلاث وزارات فى وقت واحد هى الثقافة والتربية والتعليم والتعليم العالى . انها ترافق الناشئة فى مجموعة من السلاسل عناوينها « الف باء ، الكتب العلميه المبسطة ، كتابك الاول عن ، كل شيء عن ، تعال معى الى ، العلم خطوة خطوة ، العمل شرف ، حول العالم فى كتب ، معالم الطريق » . وللكبار سلاسلهم أيضا مثل « أدب المسرح ، حول مائدة المعرفة ، علم النفس للاباء والمدرسين ، بحوث تربوية فى خدمة العلم ، العلاقات الانسانية ، الثقافة العائلية ، التعليم فى ضوء التجارب ، دراسات فى نظم الحكم ، ماذا يعملون » . سلاسل الصغار ، عالمها الوحيد هو امريكا ، حتى اذا خرج الكتاب الى العالم الواسع فرفيق الرحلة رحالة أمريكى ، البطولات أمريكية ، تجارب العلم نفسها كلها تجارب امريكية . سلاسل الكبار ، عالمها الوحيد هو البرامج الامريكية فى التربية والتعليم ، وما يتصل منها بالاداب والفنون وبقية العلوم الانسانية ، أبعد ما يكون عن صورة الثقافة الامريكية ، بل فى معظمها أسماء تافهة وقضايا هامشية لا تشغل حيزا حقيقيا من ابداعات الانسان الامريكى . وما زلنا عند حدود الشكل فقط . تتابع فرانكلين مشكلات واحتياجات واقعنا متابعة استراتيجية وتاكتيكية فى آن واحد . انها تربط ثقافتنا فى مجموعها بمشروعاتها الطويلة النفس كالمعاجم والموسوعات والمراجع الكبيرة كالموسوعة العربية الميسرة المأخوذة عن دائرة معارف كولومبيا ، وكموسوعة الطالب التى تقع فى حوالى ١٢٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وككتاب « المجتمع » المكون من ثلاثة أجزاء لمجموعة من الاساتذة الامريكيين وقد صدر الجزء الاول فى ٤٣٢ صفحة ، وككتاب « مشكلات السكان » لمجموعة أخرى من الاساتذة الامريكيين ويقع فى ١٠١٢ صفحة ، وككتاب « تطور الفكر السياسى » الذى يقع فى خمسة أجزاء متوسط الواحد منها ٢٥٠ صفحة ، وككتاب « العلم : اسراره وخفاياه » الذى يقع فى ثلاثة اجزاء ، وغير ذلك من عشرات المجلدات المتخصصة فى مختلف فروع العلم . بالاضافة الى مئات الكتب التفصيلية الدقيقة فى متابعتها لقضايا العالم المتخلف كمشكلات الانفجار السكانى والتخطيط والتنمية والتصنيع والزراعة وما اليها .

ولا شك أن بعضا من هذه الكتب لا يخلو من فائدة ، ولكن الخطر يتمثل فى سيطرة السياق العام الذى تندرج فى اطاره هذه الكتب القليلة كمادة جاذبة يضيع اثرها فيما بعد تحت ضغط العجلة الجهنمية التى لا تكف عن الدوران . ويبقى الاثر الرئيسى الموجه هو المضمون الحقيقى لانتاج فرانكلين وغيرها من دور النشر المستترة تحت لافتات محلية تصل الى ٨٠ دارا فى بيروت وحدها • هذا الاثر الذى يبدأ مع الطفولة المحرومة من المجلات الوطنية فيسرح خيالها المنطلق عبر الاجواء الخرافية التى تزينها مجلات « سوبرمان » و « الوطواط » و « الجواسيس » وغيرها من المنشورات اللبنانية اسما ، والامريكية لحما ودما ، تلتقط حساسية المخيلة العربية عند الطفل والصبى المراهق فتشطح به فى عوالم سحرية لا تعرف الحواجز والضغوط التى يعانى منها واقعه المثقل . ويصبح جيمس بوند - أو فتى العصر الامريكى - هو نموذج التفوق الاسطورى على كافة الصعاب والاهوال . ويصبح الافريقيون مجموعة من أكلة لحوم البشر ، أنقذهم الرجل الابيض لطيبة قلبه وحبه الغامر لنشر الحضارة . وتصبح أمريكا - بقدرة قادر - مجتمعا ديموقراطيا بلا طبقات ، فالمليونير يتزوج خادمته ، والرجل الاسود يفوز بالمرأة البيضاء . بل ان أمريكا تصبح جنة الزنوج ، كما جاء فى مجلة « المختار » - عدد مارس ١٩٦٧ - حيث جاء فى مقال مترجم عن مجلة تايم (ص ٢٧) أن دخل الزنوج قد ارتفع بمعدل ٢٤ فى المائة منذ سنة ١٩٦٠ مقابل ١٤ فى المائة فقط للبيض ، وأن الزنوج قد أحرزوا مكاسب مثيرة فى ميدان التعليم اذ ارتفع عددهم فى الجامعات وحدها الى ٢٣٤ الفا وهو رقم أكبر كثيرا من جملة عدد الطلبة فى بلجيكا والسويد والنرويج والدانمرك وفنلندا وسويسرا معا .. الى غير ذلك من معلومات تطالبك بأن تنسى ما تقرأه

وتسمع عنه في كتاب لم تنشره فرانكلين يدعى « الوجـــه الاخر لامريكا » (٣) لكاتب امريكي معروف اسمه هارنجتون ، وتطالبك بأن تنسى ما تقرءه وتسمع عنه فيما تنقله وكالات الانبـاء الامريكيه نفسها عن حرب الزنوج التى وصلت فى تصاعدها حد احراق مدن كاملة . عليك أن تنسى فيتنام لان المجلات الامريكية المعربة ستصور لك الأمر « دفاعا عن السلام والحرية » يضحى فى سبيله الشعب الامريكى بزهرة شبابه . ولا تصدق مظاهرات الشباب التى تجتاح الشوارع الامريكية ضد الحرب ، ولا تصدق محاكمات الذين يرفضون التجنيد ، فهذه كلها دعاية شيوعية يقوم بهـا الروس والصينيون ، أولئك الشياطين الحمـر والصفر الذين يجب أن تعود نفسك على كراهيتهم كجنس وعقيدة . ان العداء للسوفيت هو الطبق الغربى الجديد الذى حل مكان العداء للسامية . والوجه الجميل لامريكا ، هو مجموعة الملامح التى أجادت صياغتها كتب فرانكلين وافلام هوليود وبعض الصحف العربية . هذا الوجه البديل لوجه مجتمعك الدميم . فليكن حلمك دوما هو « أمريكا » فهذا الحلم سيعمق العزلة بينك وبين واقعك ، فاما أن تهاجر اليها ، خاصة اذا كنت أحد العقول والخبرات البارزة ، لا حاجة لوطنك المتخلف اليك ، اننا سنعطيك كل ما تحلم به ، واما أن تتبنى « النموذج الامريكى » لاعادة بناء وطنك . ولا تصدق أنباء الكوارث الاجتماعية والسيـاسية والاقتصادية فى « تركيا » او « ايـران » أو « اليونان » أو غيرها من البلدان التى احتذت القدوة الامريكية ، فهذه كلها دعاية شيوعية حتى وان نقلتها وكالات الانباء الامريكية . ان أمريكا تمنح الحلم بسخاء ، ولكنها لا تغير الواقع الا بشروط سيادة احتكاراتها على مقدرات شعوبنا ، أى أن تزيد تخلفنا تخلفا ، وتمنح بلاد تمثال الحرية ثقتها المطلقة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية لمجرمى الحرب وسفاحى الشعوب . وهذا كله سوف تكتشفه فى الواقع من حولك ، وسوف تجده فى الكتب الامريكية التى تخصصت فرانكلين ومثيلاتها فى عدم نشرها ، والحيلولة دون نشرها ، بشغل ماكينات الطباعة وأجهزة التوزيع وطاقة المترجمين ،فى تقديم الصورة الاخـــرى لامريكـــا الجميلة . سوف تجد كاتبا أمريكيا حرا هـو ف . ج . جيروم يصف هذه الثقافة فى كتابه « الثقافة فى عالم متغير » بقوله « ان هدف هذا النوع من الثقافة هو أن يزرع فى نفوس الناس رخص الحياة الانسانية ، حيث يصبح أمرا عاديا ان تشنق زنجيا على شجرة أو تبيد عدة ملايين من (الاجانب) ببعض القنابل الذرية .. ان هذه الثقافة هى نتاج سياسة واعية لتحويل السخـط الاجتماعى واستغلال الانسان الى نزعات غير انسانية » (٤) . لم تنشر فرانكلين ولامثيلاتها فى الشرق العربى هذا الكتاب ولا غيره من مئات الكتب التى يناضل بها أبناء « أمريكا الثانية » ـ على حد تعبير هارنجتون ـ أمريكا العنصريـة الاستعمارية .

ماذا يريدون منا ؟

بالمراجع الكبيرة والمعاجم التى تخلو مـن موضوعاتها المكتبة العربية ، ترتبط الكوادر المفكرة؟ بالتفسير الامريكى للحياة ارتباطا يطول أجيالا بعد أجيال .. فمن يحتاج الى دائرة معارف عربية لن يجد سوى موسوعة كولومبيا المترجمة بالاضافة الى بضع مواد عربية قليلة وضعت بنفس المنهج وسميت بدائرة المعارف العربية الميسرة . وخطورة هذه الموسوعة أنها تخلو من التجرد الاكاديمى النسبى فى دائرة المعارف البريطانية مثلا ، اذ هى تصور فرانكلين وروزفلت وولسن على أنهم أبطال الحرية الوحيدون فى التاريخ الانسانى ، كما انها تصور ثورات الشعوب ـ ومن بينها نضـال الزنوج ـ على انها اعمـال ارهـــابية فوضويـة ، وتصف قادة الاستقلال الوطنى بنعوت وقحة بالغة الاسفاف . وعن طريق عدد الاسطر والصياغة تهون وتهمل او تمجد وتكيل الثناء لاحداث العالم وشخصياته وعلاماته البارزة ، وفق وجهة النظر الامريكية الرسمية فى هذه الاحداث والشخصيات والعلامات . بل ان المواد المضافة لتعـريب الموسوعة تجرح تاريخنا القومى فى مصر والوطن العربى تجريحا مروعا ، فقد أفردت الصفحات لاسماء موغلة فى الرجعية وزينت أعمالها بطابع وطنى ، وتجاهلت تماما أو صاغت باهمال بعض الاسماء والحوادث المشرقة فى تاريخنا الوطنى .

اما كتاب « الادب العربى فى آثار الدارسين » الذى أصدرته الجامعة الامريكية فى بيـروت لمجموعة من أساتذة اللغة العربية وآدابها بها ، فقد كان همه الوحيد أن يبرهن على أن النقد المعاصر لتراثنا الادبى من الشعر الجاهلى الى الادب الحديث يدين بأعظم منجزاته الايجابية للباحثين الذى تربوا فى أحضان العلم الامريكى بجامعتى بيروت والقاهرة الامريكيتين . اما طه حسيـن

[٣] نشرته دار الاداب اللبنانية من ترجمة الكاتب المصرى ادوار الخراط

[٤] النص منقول عن كتاب « دفاع عن الثقافة العربية ـ فتحى خليل ـ دار الفجر الجـديد للنشر والترجمـة ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ ـ [ص ٧٩] .

والعقاد ، ومحمد مندور ولويس عوض ، فهم قطيع من الجهلة واللصوص ، كما أثبت المجلد الضخم ! وهو من ناحية الشكل ، الموسوعة اليتيمة في مكتبتنا العربية في هذا الموضوع ٠

ولن يجد الناقد العربي مرجعا متكاملا في نظرية النقد إلا بين دفتي المراجع الامريكية التي نقلتها مؤسسة فرانكلين في بيروت ككتاب « النقد الادبي ومدارسه الحديثة » وكتاب « مناهج النقد الادبي الحديث » ٠ وهما كتابان مفيدان بغير شك ، ولكنهما يربطان الناقد العربي بالاتجاهات الامريكية وحدها في النقد ووجهات النظر الامريكية في تاريخ الادب ٠ ٠

لقد ضربت هذه الامثلة القليلة لاقول أنه وان كنا لا نعاني من فراغ عقائدي ، فاننا نعاني من قصور شديد في تزويد الكوادر الفكرية بالمراجع الهامة اللازمة لها ، سواء كانت من أمريكا أو غيرها ، حتى نتيح لها فرصة « الاختيار » الحر بما يتلاءم مع رؤياها الخاصة لمجتمعها ووطنها ومرحلتها التاريخية ٠ ان تكوين « رؤية وطنية » لا يتم بنظرة أحادية الجانب ، هي النظرة الامريكية ، خاصة اذا سادت هذه النظرة على مراجع حيادية المظهر موضوعية الشكل أكاديمية القالب ، لا مفر من أن الاستعانة بها ، والتأثر بمحتوياتها أمدا طويلا من الزمن ٠ ان دائرة معارف عربية تشارك في صياغتها كافة دوائر المعارف العالمية الكبيرة المعتمدة تمثل احتياجا استراتيجيا لثورتنا الثقافية ٠ ان كتابا في « تاريخ النقد الحديث » لرينيه ويلك ، أو كتابا في تاريخ النقد اليوناني والعصر الوسيط والنقد الانجليزي لاتكنز ، من المراجع الاساسية لاي ناقد ، ولم يتم نقلها للعربية بعد ٠ وهناك عشرات الموسوعات والمعاجم التي يمكن أن تؤدي لثقافتنا أجل الخدمات ، لا يفكر أحد في ترجمتها ، ولكن أجهزة الفكر الامريكي الاحتكارية لا تكف عن التفكير والتنفيذ بما يسد هذا النقص ويسد أمامنا الطريق ٠

الى جانب هذه المدفعية الثقيلة أو المطبوعات ذات الطابع الاستراتيجي ، هناك الكتب التكتيكية التي تناسب كل مرحلة ، فاذا نزلت القوات الامريكية الى الشواطيء اللبنانية عام ١٩٥٨ صدر كتاب « تاريخ الجيش الامريكي » يرهب ويغري ، يرهب بقوة هذا الجيش ويغري برسالته السلامية في الحفاظ على الامن الدولي ٠ واذا فكرت بعض حكومات الوطن العربي في الاعتراف بالصين الشعبية ، صدر كتاب « السلام العظيم » يصور الصين بلاد الافيون والنوم الطويل والعصابات الحمراء ٠ واذا تقاربت الاهداف بين بعض دول المنطقة والاتحاد السوفيتي في العداء للاستعمار صدر كتاب « الاستعمار الاقتصادي » ، الذي يؤكد أن الروس « يستعمرون » البلدان الحديثة الاستقلال استعمارا اقتصاديا ٠ ويقول العقاد في تقديمه لهذا الكتاب الذي نشر ضمن سلسلة « الناقوس » التي كان يشرف عليها مكتب الاستعلامات بالسفارة الامريكية بالقاهرة ، وتنشرها مكتبة الانجلو المصرية ، يقول الكاتب الكبير بالحرف الواحد (ص ٤٩) :« ان القرن العشرين قد تمخض عن استعمار آخر من نوع غير أنواع الاستعمار التي عرفها الناس في التاريخ القديم والتاريخ الحديث ٠٠ وهو لحداثته لايزال مجهول الحقيقة عند الكثيرين ، طامعا في خديعة العقول حيث انكشف القناع عن كل خديعة استعمارية تلتبس عند الناس » « ذلك هو استعمار المبادىء الهدامة التي اشتهرت في الزمن الاخير باسم الماركسية ٠٠ فانه استعمار يجمع كل شرور الاستعمار القديم والحديث ، ويزيد عليها ذلك المسخ والتشويه الذي يصاب به الانسان فيهبط الى حضيض السوائم العجماء » ، « وعلى الجملة لا يعرف في القرن العشرين نوع من استعمار التوطن اعتف ولا أبلغ في الاجرام من هذا الاستعمار الشيوعي الذي تقوم به الامبراطورية الروسية » ٠ وعندما ظهر في الافق مشروع ايزنهاور صدر كتاب « حرب أم سلام » لوزير الخارجية الامريكي الشهير جون فوستر دالاس صاحب نظرية « حافة الهاوية » يبرر الاسلوب الامريكي في صياغة السلام بحزام الاحلاف الاجنبية ٠ وعندما فكرت بعض أجزاء من الوطن العربي في التخطيط صدرت عشرات الكتب القائلة بأن التخطيط يقضي على حيوية الاقتصاد ويقطع الطريق على التقدم والرخاء ، بالمعنى الراسمالي طبعا ٠

ويطول الحديث في مجال الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس وبقية العلوم الانسانية فقد صدرت مئات الكتب التي ترى في المنهج الوضعي والبراجماتية والمدرسة السلوكية أسلوبا علميا وحيدا في تربية الانسان وتغييره . وقد نجحت هذه الاتجاهات في غزو جامعاتنا ومعاهدنا ومدارسنا بالطرق الرسمية ، فتقررت بعض الكتب المنتمية اليها على الطلاب ومعلمي المستقبل ٠

وكانت السينما هي السلاح الجماهيري الواسع الانتشار ، لدى أجهزة الغزو الفكري الامريكي ، سواء بتصدير مئات الافلام سنويا الى هذا العالم المتخلف ، أو بالتصنيع المحلي أي بأمركة السينما الوطنية وهي المحاولة التي جربتها هوليود في الهند وايطاليا واليابان ، هذه البلدان التي سبق أن قدمت روائعها الوطنية انزلقت بعدئذ في وهاد

السينما الامريكية . ويخطىء من يظن ان السينما الامريكية مجرد صناعة رابحة ، انها فى قطاعات عريضة منها ليست أكثر من جهاز الدعاية المنظم بذكاء خارق ، للاستعمار الامريكى . ان الافلام الامريكية القليلة العظيمة التى تصور الوجه الاخر لامريكا ، لا تصل نسبتها الى مجموع الانتاج العام لشركات هوليود الى واحد فى الالف ، وقصص الاضطهاد المتواصل للفنانين الكبار من شارلى شابلن الى جين فوندا لا تقع تحت حصر . لقد مات مكارثى ، ولكن المكارثية لم تمت . لقد مات طرزان ، ولكن جيمس بوند قد ولد . الجريمة والجنس المزيف ، والفرار من الواقع ورسالة الرجل الابيض الحضارية وتزوير تاريخ الشعوب والحروب البربرية من اجل السلام الوهمى . هذه كلها وغيرها كثير هى الموضوعات الاثيرة لدى الفيلم الامريكى . والنسبة العالية من الاميين العرب تحتاج الى هذا اللون المثير من ألوان التسلية التى سرعان ما تتحول بهم الى المحاكاة والتقليد . المحاكاة فى الواقع قبل التقليد فى الانتاج الفنى . ان متوسط ما يصلنا من أمريكا سنويا هو مائة فيلم ، وفى تقرير رسمى للبنك الصناعى ما يشبه الاستغاثة وطلب النجدة من التأثير السيىء والضار لهذه الافلام ، وكذلك فى تقرير رسمى مماثل أعده المجلس الاعلى لرعاية الشباب (٥) جاءفيه ان البوليس قبض على نشال عمره ٢٢ سنة تبين من بحث حالته الاجتماعية أنه من هواة الافلام البوليسية (١٥ ـ ٩ ـ ١٩٥٥) وأن شابين اعتديا على فتاة عمرها ١٣ سنة اعترفا فى التحقيق انهما قلدا ماشاهداه فى فيلم أمريكى (٤ ـ ١٠ ـ ١٩٥٥) وأن خفيرا ارتكب جريمة قتل طبق فيها نفس الاسلوب الذى مارسه البطل على شاشة السينما (١١ ـ ٧ ـ ١٩٥٦) ولا يزال عالقا بالاذهان حادث البان الشهير الذى أطلق فيه الشبان الثلاثة اعيرتهم النارية على طريقة افلام العصابات الامريكية « وقد قامت اللجنة بمقابلة المتهم بقتل والدة الضابط بروض الفرج وقائد الاوركسترا الايطالى وتتبعت معه كيف انحدر الى الجريمة التى حاكى فى ارتكابها مشاهداته فى السينما » .

هذه نماذج قليلة للغاية لتأثير الفيلم الامريكى المباشر ، وهى نماذج خاصة باللحظة الاخيرة فى حياة الجريمة . وليست هناك احصائيات مماثلة على اشكال التأثير السابقة على ارتكابها ، أو على من لا يرتكبون الجريمة على الاطلاق ، ولكنهم يختزنون الحلم الامريكى فى مخيلتهم ولا وعيهم فيزدادون انعزالا عن واقعهم وتتعمق تناقضاتهم معه . غير أن محاكاة الفيلم الامريكى فى الحياة ، بالخيال او بالفعل ، اخف ضررا من محاكاة الفيلم العربى للسينما الامريكية . وفى هذه النقطة أترك الفنان الراحل كامل التلمسانى ليقول (٦) : « وهلودة الفيلم العربى هى ماساته .. هذه صلب الحقيقة والاسمنت المصدع فى العمارة التى اوشكت على السوقوع . تعدت الهلودة حدود القصة لتصل الى بقية عناصر افلامنا ، فأصبحنا نرى الذى يمثل بأسلوب مارلون براندو والممثلة التى اقتبست من ريتا هيوارث شعرها ، والمغنى الذى يقلد فرانك سيناترا والكوميدى على طريقة دانى كاى . ولقد مات جيمس دين الممثل الامريكى أخيرا ليظهر فى جسد احد ممثلينا .. والحكاية تناسخ أرواح . وانتقلت الهلودة بالعدوى الى ملابس الممثلين والممثلات واصبحنا نرى أن برنيطة الممثلة المصرية فلانة هى نفس برنيطة الممثلة الامريكية علانة . وهكذا دواليك .. وسارت العدوى حتى وصلت الى القصة المصرية الموضوعة ، وأصبح التأليف للسينما المصرية يتبع الاسلوب الهوليودى فى المادة والقصة وفى شخصيات القصة التى أصبحت شخصيات امريكية ترتدى اللاسة والجلباب ، أو الملاية اللف ، واذا دققت النظر رأيت برنيطة رعاة البقر تحت لاسة المعلم ، والقميص الافرنجى المشجر تحت صديرى ابن البلد .. وهذه هى أصول الهلودة . وانتقلت الهلودة الى المصورين ومهندسى المناظر التى تصور فيها افلامنا ، وصرنا نرى فى بعض الافلام المصرية بارات لها ابواب تفتح بضلفتين مزازتين على طريقة أبواب الصالون فى أفلام الغرب والهنود الحمر » .

أمريكا ضد أمريكا

وبعد ، فاننا لسنا ضد الثقافة الامريكية .. لسنا ضد الثقافة الامريكية ذات المضمون الانسانى الرفيع ، بل نحن الذين كتبنا ونقلنا ونشرنا أعظم ما فى التراث الامريكى . كان كامل التلمسانى هو الذى كتب عن « عزيزى شارلى » وصلاح حافظ هو الذى ترجم سيرته ، وسعد زهران هو الذى نقل شتاينبك ، وميخائيل رومان هو الذى ترجم ارثر ميلر ووليم فوكنر ، ومازن الحسينى هو الذى قدم ريتشارد رايت ، ومنير

[٥] راجع « دفاع عن الثقـافة العربية » لفتحى خليل [ص ٥٣]
[٦] راجع كتابه « سفير أمريكا بالالوان الطبيعية » ـ دار الفكر ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ ـ ص ١٤١

البعلبكى هو الذى نقل ممنجواى وموارد فاست وجاك لندن وكالدويل ، وغيرهم كثيرون من المثقفين الوطنيين والتقدميين العرب الذين رأوا فى التراث الامريكى العظيم تراثا لهم . وقد كانت دار الفكر ودار النديم المصريتين ، ودار العلم للملايين ودار الاداب اللبنانيتين وغيرهما من دور النشر الوطنية والتقدميـة هى التى نشرت هذا التـراث حـيث احجمت عمدا عن التعريف به مؤسسـة فرانكلين ودار الكرنك ودار الصراع الفكرى وغيرها من عشرات الدور الامريكية فى الوطن العربى ؛ ذلك أن هذه المؤسسات لم تكن تعبر عن « أمريكا الثانية » التى أنجبت بول روبسون وشارلى شابلن وجين فوندا وجميع كتابها الاحرار .

وليس غريبا أن أمريكا التى اضطهدت فكرنا الوطنى والثورى ، هى نفسها التى اضطـهدت المفكرين والمثقفين والفنانين العظام فى بلادها ، وليست المكارثية ببعيدة عن خيال شعبنا ولا عن خيال الشعب الامريكى . ذلك أن المعركة داخل أمريكا وخارجها واحدة ، انها معركة أمريكا ضد نفسها اولا ، وضد البشرية جمعاء ثانيا : معـركة أمريكا الاحتكارات ضد أمريكا الشعب ، معركة الاستعمار الامريكى ضد الانسان فى كل مكان .

ولقد عانى انساننا العربى من ويـلات هـذه الحرب ، على كافة الجبهات ، معاناة هائلة . ولكن معركة « غزو الرؤوس » لا تزال أكثر معـاركنـا ضراوة .. فحصان طروادة الامريكى الذى اخترق حصوننا بالخديعة كالاربعين حرامى فى حكاية على بابا ، تلزم فى مواجهته خطة ثورية جديدة من جانب ثقافتنا الوطنية . خطة تلبى الاحتياجات الموضوعية لشعبنا ، خطة تقول بـالفعل لا بالشعار ، انه ليس لدينا فراغ يملؤه غيرنا .

وهذا هو التحدى ، أن نبرهن على صدق هذه الحقيقة : ان لافراغ فى بلادنا .



البورجوازية الصغيرة فى البلدان المتخلفة

قدراتها وآفاقها

محمد عبد المنعم مرتضى

كان ماركس وانجلز يستعملان لفظ « البورجوازية الصغيرة » عادة بمعناها المعروف اى الطبقة المتوسطة الدنيا ، وهى الطائفة التى تقع بين أصحاب رؤوس الاموال من الطبقة الوسطى وبين عمال المصانع . ففى كتابه (المعارك الطبقية فى فرنسا) مثلا ، يدخل ماركس فى عداد طبقة البورجوازية الصغيرة « صغار التجار ، وأصحاب الدكاكين ، وذوى المهن اليدوية الخ (١) ، الذين لا ينطبق عليهم تماما القول بأنه « ليس لديهم ما يفقدونه سوى أغلالهم » ، اذ أن لهم بعض الاملاك لكنها ليست بالكثير . كما كان هو وانجلز يضمان اليها أحيانا صغار ملاك الاراضى ، اما لينين وستالين وخاصة اولهما فقد كانا يقرران دائمـا أن الفلاحين عموما يدخلون فى غمار هذه الطائفة ، غير أن ما كان يجول فى ذهنهما من هذه الناحية هو استعداد الفلاحين للاثراء وخاصة اذا كانوا يملكون شيئا من الارض ، أما فيما عدا ذلك فان الطائفتين فى اعتبارهما ، متميزتان أحدهما عن الاخرى .

والسبب فيما تقدم من التقسيم ان ماركس وانجلز كانا على العموم يقصدان بالبورجوازية الصغيرة صغار التجار ، الذين كانوا فى رأيهما لا يقوون على الوقوف أمام أصحاب رؤوس الاموال الاحتكاريين ، فيضطرون الى التراجع الى صفوف البروليتاريات ، بل انهما قد ذهبا فى كتابة **المانفستو الشيوعى** الى أفراد نوع من الاشتراكية تسمى اشتراكية البورجوازية الصغيرة (٢) ، تنعكس فيها آراء هذه الطائفة من المجتمع ، وقد قضيا بعدم صلاحيتها لانهـا وان كانت تعترف كل الاعتراف بمساوىء النظام الرأسمالى ، فانها لم تر لها علاجا الا العودة الى نظام الانتاج القديم وما يتضمنه من علاقات الملكية ، أو بفرض قوى الانتاج الجديدة على تلك العلاقات التى أصبحت عتيقة بالية ، وكلا الوسيلتين ليستا فى الامكان ، اذ أنه لا يمكن وقف ارتقاء قوى الانتاج ، وهذه تأتى معها بنظام الملائم لها .

والبورجوازية الصغيرة فى الكلاسيكيات الماركسية تعتبر ثورية فى حدود جد ضيقة ، وضمن آفاق مغلقة ، والسبب فى ذلك انه بالرغم مما يعانيه أعضاؤها من الظلم فى ظل الرأسمالية ، فان لهم كأفراد مطامح وتطلعات ، تبعث فى نفوسهم الامل فى ان يصبحوا من ذوى رؤوس الاموال اذا صعدوا الى صفوف البورجوازية ، أى أن موقفهم

(١) الاعمال المختارة من ماركس وانجلز ـ المجلد الاول ـ الطبعة الانجليزية ـ دار الطبع باللغات الاجنبية ـ موسكو ١٩٦٢ ـ أنظر الصفحات ١٣٩ ـ ٢٢٨ .

(٢) أنظر ماركس ـ انجلز ـ مانيفستو الحزب الشيوعى ـ مطبعة التقدم ـ موسكو ـ صفحة ٨٦ ـ ٨٨ .

مزدوج الميول • وقد قال لينين عن هذه الطائفة في كتابه الشيوعية اليسارية (٣) ، ان غيظها من الرأسمالية يكاد يبلغ حد الجنون ، ولكنها عاجزة عن التمسك بالمثابرة ، وعن اظهار المقدرة على التنظيم والثبات والنظام • وهذه المثالب نراها في زعمائها السياسيين أو خاصة في الديمقراطيين الاشتراكيين ، (ممثلي ديمقراطية البورجوازية الصغيرة ، الذين وصفهم لينين في هذا المقام بأنهم يوافقون على أن يكون هدفهم ايجاد مجتمع جماعي ثم يمتنعون عن اتخاذ الوسائل التي يرى انها هي وحدها التي تمكنهم من بلوغ هذا الهدف والاحتفاظ به •

وقد وجه هذه الانتقادات الصارمة ذاتها الى قومه أنفسهم ، فانه صرح في مؤلفه أغراض الثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ ان روسيا هي بلاد البورجوازية الصغيرة • فالسواد الاعظم من اهلها يدخلون في نطاق هذه الطبقة ، وترددهم بين البورجوازية والبروليتاريا أمر لا يمكن اجتنابه مع أن انضمامهم الى البروليتاريا هو الضمان الوحيد لانتصار قضية الثورة • كما اوضح في كتابه الشيوعية اليسارية أن صغار منتجي السلع لا يمكن سحقهم كما سحقت البورجوازية وهم مع ذلك يطوقون البروليتاريا من كل جانب بجو من البورجوازية الصغيرة • فالسواد الاعظم من اهلها يدخلون في على الدوام بنكسات الخور والانحلال والنزوع الى الفردية ، فضلا عما يعتري نفوسهم من الحيرة بين الانتعاش والاكتئاب •

وقد استعمل ستالين هذا اللفظ « البورجوازية الصغيرة » في كتابه أسس اللينينية قاصدا ، على وجه التخصيص (المنشفيك) و (الثوريين الاجتماعيين) كما قصد به يوجه أعم تلك العناصر غير البروليتاريا التي مازالت متأثرة بالافكار البورجوازية التي تنفذ الى الحزب وتدخل فيه روح التردد والانتهازية • وكذلك استعمله لوصم اي سياسة لم يقرها وأي أعضاء في الحزب يعملون على مؤازرة تلك السياسة •

البرجوازية الصغيرة واعتلاء السلطة في البلدان المتخلفة

لعبت ظاهرة الاستعمار في البلدان المتخلفة دورا أساسيا في تشكيل الخريطة الطبقية والاقتصادية لهذه البلدان ، وكذلك في مواقف مختلف الطبقات فيها من مسائل التحرر الوطني •

فقد ربطت ظاهرة الاستعمار والامبريالية اقتصاد البلدان المتخلفة بالسوق الرأسمالية العالمية ، واخضعت حركة تطور هذا الاقتصاد لمصالح السوق الرأسمالية العالمية ، ومن هنا فالطبقة البورجوازية التي نشأت في البلدان المتخلفة لم تمثل أصلا طبقة ثورية كما هي حالة الطبقة البورجوازية الكبيرة (التقليدية) في البلدان الاوروبية ، والتي انجزت مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ، اذ أن الطبقة البورجوازية الكبيرة في البلدان المختلفة من طبيعة طفيلية « كمبورادورية » ومن هنا بقيت منذ البدء عاجزة عن ممارسة دورها الوطني والثوري في حل مشكلات التحرر الوطني وانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية • فقد انتهت جميع الثورات البورجوازية الكومبرادورية الى الالتقاء مع الطبقة الاقطاعية ومع الاستعمار في تحالف ثلاثي ضد الطبقات الوطنية في المجتمع كما حكمت العلاقة بين اقتصاد البلاد المتخلفة والسوق الرأسمالية العالمية ، تطور الطبقة البورجوازية الصغيرة والطبقات الاخرى • فالطبقة البورجوازية الصغيرة التي ترى في نفسها طاقات وطنية وثقافية وسياسية اكثر عصرية من البورجوازية الكمبرادورية تجد أن الاقطاع والبورجوازية الكمبرادورية والاستعمار قد وقفوا في وجهها وحالوا بينها وبين حصولها على الامتيازات التي ترضيها طبقيا وثقافيا وسياسيا •

ومن هنا احتلت هذه الطبقة موقفا ثوريا بالمقارنة مع موقع الطبقة البورجوازية الصغيرة في البلدان الاوربية التي تحددت وضعيتها دوما كعربة اضافية وخلفية في قطار الطبقة البورجوازية الكبيرة • بينما مارست دورا وطنيا في البلدان المتخلفة ، لان هناك تناقضا جديا قائما بينها وبين الاقطاع والكمبرادور والاستعمار محتفظة في ذات الوقت بطبيعتها الطبقية المزدوجة فهي تضع قدما مع قوى الثورة وقدما مع قوى الثورة المضادة في كافة مواقفها ، وبمقدار عداء الاقطاع والكمبرادور والاستعمار لها ، بمقدار ما تمارس دورا وطنيا ذا طبيعة تقدمية •

---

(٣) انظر الاعمال المختارة للينين ــ المجلد الثالث ــ دار الطابع باللغات الاجنبية الطبعة الانجليزية موسكو ١٩٦١ ــ الصفحات ٣٧١ ــ ٣٨٤ انظر كذلك حول الصبيانية اليسارية والنزعة البورجوازية الصغيرة (لينين ــ المختارات) الجزء الثالث دار التقدم موسكو ١٩٦٨ ــ باللغة العربية الصفحات ١٤٦ ــ ١٨٧ •

ان الحكم فى البلدان المتخلفة ـ لم يكن كما كانت عليه الحال فى أوروبا ابان القرن الثامن عشر تهيمن عليه البورجوازية المنتجة وانما كان بين يدى الامبريالية التى كانت تقف وراءها طبقة نصف اقطاعية والبورجوازية الطفيلية (كمبرادورية) أساسا فى وقت لم تكن فيه الطبقة العاملة قادرة على القيام بمهمة هدم النظام القديم ، فمارست هذه المهمة طبقات اجتماعية وسيطة وبوجه خاص الفصائل الوطنية من البورجوازية الصغيرة التى اتاحت لها أصولها الدينية والريفية الادعاء بانها تعبر عن تطلعات قطاعي (المدينة والريف) معا .

هذا التركيب الاقتصادى الخاص عكس نفسه كذلك على القوى الطبقية الاخرى فحجب عن الطبقة العاملة فى البلدان المتخلفة وعيها الطبقي واغرقها فى ايديولوجية الطبقات السائدة كما ابقى الطبقة الفلاحية غارقة فى الثقافة الاقطاعية الرجعية والعلاقات الاجتماعية الاقطاعية .

ان طبيعة تكوين الطبقة البورجوازية الصغيرة ومصالحها ما يحول بينها وبين توفر القدرة لها فى ان تلبى مهمات التحرر الوطنى التام الناجز . فعملية التحرر الوطنى فى البلدان المتخلفة تتطلب نضالا طويل النفس ودءوبا امام التحالف الطبقى الاستعمارى المضاد ، والطبقة البورجوازية الصغيرة لا تحمل هذا النفس الطويل انطلاقا من طبيعة مصالحها . كما ان برنامج الطبقة البورجوازية الصغيرة يقف بالضرورة عند حدود رؤيا ومصالح هذه الطبقة ، ايديولوجيا واقتصاديا وسياسيا . ومن هنا تطرح هذه الطبقة برنامجها للتحرر الوطنى الديمقراطى ، او برنامجها الاشتراكى البورجوازى الصغير للتحرر الوطنى القائم ضمن حدود مصالح هذه الطبقة والذى يعتمد بالاصل على ابقاء هيمنة البورجوازية الصغيرة على رأس المجتمع ثقافيا وسياسيا واجتماعيا وعلى فرض دكتاتورية البورجوازية الصغيرة على باقى طبقات المجتمع لتضع طبقات المجتمع تحت شعارات اللاطبقية ، ونعنى الصراع الطبقى او القول بالحلول الديمقراطية لمسألة الصراع الطبقى وذلك كى تحتفظ لنفسها بالموقع القيادى واضعة كل عملية الثورة الوطنية الديمقراطية ضمن افقها القائم بالضرورة على رؤياها ومصالحها .

عناصر ومكونات البرجوازية الصغيرة فى الدول المتخلفة

ان البورجوازية الصغيرة فى الدول المتخلفة فى العالم الثالث تتكون من الحرفيين واصحاب الحوانيت والتجار الصغار والفلاحين من اصحاب الملكيات الصغيرة والمتوسطة . ان وجود هذه الاشكال المرتكزة على الملكية الصغيرة باتساع فى الاقتصاد الوطنى انما يعود الى التطور الرأسمالى المحدود الذى تحدثه البورجوازية الكبيرة فى اطار استمرار علاقاتها بالرأسمالية العالمية المتفوقة صناعيا وتكنولوجيا .

ففى البلاد المتخلفة حيث التطور الاقتصادى الرأسمالى ضعيف ومحدود وحيث لا يعد هو نمط الانتاج الرئيسى فى الاقتصاد ، يهيمن الاقتصاد البضاعى الصغير والملكية الصغيرة . هذا الشكل المتخلف لاقتصاديات هذه البلاد كان هو الاساس الموضوعى لانتاج البورجوازية الصغيرة العددى ومن أسباب قوتها على الصعيد السياسى .
ومن هذه الفئات البورجوازية الصغيرة خرجت افواج المتعلمين التى كونت أجهزة الدولة القائمة ومؤسساتها .

وقد تمثلت قيادات البورجوازية الصغيرة فى البلدان المتخلفة فى المتعلمين والمثقفين من ابنائها الذين حركوا بجيوشهم الاقتصادية والسياسية طبقة مشتتة على صعيد الانتاج .

ففى المدن تشمل البورجوازية الصغيرة صغار التجار والحرفيين وذوى المهن الحرة والجمهور الكبير من المثقفين . اما فى الريف فتشمل الفلاحين المتوسطين (٤) . هذا الاتساع الهائل العدد ، وهذه الميوعة فى الحدود بالاضافة الى غياب طليعة عمالية ثورية ساعد البورجوازية الصغيرة على القيام بدورها السياسى فى البلدان المتخلفة .

الافق الايديولوجي والسمات الاساسية

ان البورجوازية الصغيرة فى البلاد المتخلفة عبارة عن فسيفساء (٥) عجيبة مثيرة للفضول

---

(٤) بالرغم من ان الفلاحين ككل يدخلون فى عداد الطبقة البورجوازية الصغيرة حسب التصنيف الكلاسيكى للاشتراكية العلمية لكن الفلاحين الفقراء والبروليتاريا الريفية فى البلدان المتخلفة هم فى الواقع انصاف بروليتاريين ويشكلون قوة ثورة أساسية وحليفا أولا للطبقة العاملة فى حال توفر حركة طليعية ثورية للطبقة العاملة تستطيع قيادتهم .
(٥) انظر مقال الحفيف الاخضر : مجلة الديمقراطية الجديدة باريس عدد فبراير ١٩٦٨ .

تتغير بصفة دائمة لا تؤدى وظيفة انتاجية ثابتـة وباختصار انها تحاول البقاء فى مكانها (بكل الوسائل) ونشير فيما يلى الى الخصـائص الجوهرية والسمات الاساسية التـى تحـدد للبورجوازية الصغيرة افقها الايديولوجى وحدود قدراتها على العمل الوطنى والتحويل التاريخى ٠

١ ـ التناقض الاساسى الكامن فى مـوقفهـا الطبقى ٠ فالبورجوازية الصغيرة على الدوام تريد فى آن واحد قلب بنيات المجتمع والمحافظـة على العالم القديم ويحول مسعاها الاصـلاحى دون مضيها حتى نهاية الشوط مع شعاراتها العادلة والصحيحة ٠

٢ ـ الشلل الادارى الذى تسببه بيروقراطية طفيلية (كمبرادورية) منبثقة مـن الطبقـات المسيطرة المرتبطة بها عن طريق ايديولوجيتها أو علاقات القرابة أو المصلحة وتنبع قوة هـذه البيروقراطية من اجهزة الدولة التـى لـم تحدث فيها اية ثغرات ، ومن المؤسسات المؤممة التى لا تخضع لاى نوع من الرقابة من جانب العاملين وقد تحولت بسبب الامتيازات الضخمـة التى تحصـل عليها الى قوة مقطوعة الجذور من الشعب تسير فى اتجاه لا اقتصادى ٠

ان احتلال البورجوازية الصغيرة لاجهزة الدولة القديمة (الاقطاعية البورجوازية) أو استلام هذه الاجهزة من السلطة الاستعمارية ، جعلهـا تبقى تلك الاجهزة على حالها وعدم تحطيمها لابدالهـا بأجهزة جديدة ثورية ٠

ان الشرط اللينينى الاساس للثورة كما يـذكره كتاب لينين (الدولة والثورة) هو تحطيم أجهزة الدولة القديمة ٠ ان الثورة البورجوازية الصغيرة عاجزة عن تحقيق هذا الشرط لانها آتية بالاصل من أجهزة الدولة القديمة نفسها ٠

وهذا هو سبب كون ثورة البورجوازية الصغيرة ثورة فوقية (٦) بعيدة عن احداث ثغرات جذرية فى البنى الايديولوجيـة السـيا سية لان هـذه الثغرات تتطلب عملا سياسيا وتثقيفيا بيـن الجماهير ٠

٣ ـ عدم تقدير البورجوازية الصغيرة لعواقب ما تفعله ، فقد كانت تطلب من الجماهير دعمهـا ومساندتها فى الوقت الذى كانت ترفض فيه اعطاء هذه الجماهير حق المراقبة المنظمة ٠

٤ ـ عدم قدرتها على حسم التناقض الذى ولدته ازدواجية السلطة التى يتقاسمها اتجاهان : الاول تقدمى والاخر رجعى محافظ ، وهذا التناقض لا يمكن حله الا بواسطة الشعب ولكن الصعوبة التى يلقاها الشعب لتنظيم نفسه وممارسة الرقابة تشل فى معظم الاحيان القدرة على اية حركة وتترك المشـاكل بدون حل لصالح الجنـاح الرجعى ٠

ان البورجوازية الصغيرة المؤلفة من مجموعة من الفئات الطبقية ـ اذا جازت التسميـة ـ ذات الحدود الغامضة الموصولة مع ما فوقها وما تحتها كانت دوما ـ بحكم ظروفها هذه ـ طبقة متذبذبة رجراجة ٠

ان كون البورجوازية الصغيرة طبقة وسيطـة وانكان لا يحول ذلك بينها وبين ان تكون طبقة قائدة فى احدى حقبات التطور التاريخى الا انه يمنعها بالمقابل من ان تكون قائدة لمرحلة تاريخية كاملة ٠ ان القيادة البورجوازية الصـغيرة هى بماهيتها قيادة انتقالية لان الاقتصاد البورجوازى الصغير هو بالاساس اقتصاد انتقالى ، وتفتقر البورجوازية الصغيرة الى افق استراتيجى محدد مما يجعل اختياراتها السياسية والطبقية تأخذ طابع الانحياز والتذبذب الذى تمليه عوامل ذاتية اكثر مما تاخذ طابع الحتمية الذى يمليه واقع طبقى محدد ومتماسك ومصالح طبقية واضحة تعطى تلك الاختيارات صفة الدوام وعدم التقلب ٠

وافتقاد الافق الاستراتيجى المحدد يجعـل البورجوازية الصغيرة طبقة بعيدة من ان تكون محركة للتاريخ حتى عندمـا تكون طبقـة قـائدة سياسيا ٠ فهى لا تتوقع التناقضات ولا تستبق حركتها ولا تسهم فى ايضاحها ولا تتدخل لحلها الا عندمـا تبلغ مرحلـة الانفجار وذلك فقط لحماية مصالحها ولتثبيت هيمنتها ٠

ان الوضع الطبقى للبورجوازية الصغيرة هو الذى يجعلها تتوجس من دياليكتيك التناقض هذا فالبورجوازية الصغيرة بمساهمتهـا فى النضال ضد سيادة الاقطاعية والبورجوازية الكبيرة تحب ان تتصور ان افق النضال الطبقى ينتهى عند هذا الحد وانه لا تعود هناك من مشكلة تتطلب الحل غير مشكلة التنمية التى تريد ان تحلها فى اطـار مصالحها ومن خلال افقها الطبقى ٠

لقد كشفت البورجوازية الصـغيرة فـى دول العالم الثالث عن « صدق » ما تمتاز به من انانية وطفيلية متمثلتان عمليا فى السعى المحموم الى تكديس الامتيازات الشخصية ورفع مسـتوى

---

(٦) انظر مقال محمد كشلى ، مجلة مواقف ، نوفمبر ١٩٦٩ ٠

ممارستها للرخاء والبذخ الى اقصى حد ممكن . وهكذا نشأت فى هذه الاقطار جماعات من المتدفعين تضم محترفى النضال السياسى والانتلجنسيا عن العسكرية ومنتسبى الاجهزة الادارية مع نفر كبير من المثقفين الذين اتقنوا صنعة التبرير وتمرسوا على الصعود فوق كل مناسبة . وبديهى ان البورجوازية الصغيرة بفصائلها تلك قاصرة عن الاستجابة لمتطلبات التطور الحضارى للمجتمعات المتخلفة التى تولت ادارتها .

كما فشلت فى تقديم برنامج للتقدم العلمى والتكنيكى ويبدو أن من مصلحة هذه البيروقراطية البورجوازية الصغيرة ابقاء الجماهير على حالها من التخلف فى الوعى وفى الوضع الاجتماعى . وتبرز هذه الحقيقة بوضوح أكثر فى السياسة التعليمية لهذه البورجوازيات الصغيرة التى لا تعنى الا بتنمية بيروقراطية معزولة من الجماهير غريبة عن مصالحها وعن افكارها كما يقول شارل بتلهايم الخبير الاقتصادى المعروف (٧) الذى يؤكد ان من مقتضيات النضال ضد التخلف الارتفاع بمستوى وعى الجماهير الى اقصى حد ممكن وفى هذا المقام لابد من العناية الخاصة بالنضال ضد الامية ومن أجل التعليم الاساسى ، فمن الخطورة والخطأ فى الوقت نفسه الشروع فى البناء الاقتصادى دون الشروع فى الوقت ذاته فى العمل على تصفية الجهل والامية . ان شارل بتلهايم يؤكد هنا الشروط الايديولوجية وعلى دور وعى الجماهير فى سياسة النضال ضد التخلف وهى هدف الثورة النهائى .

هذا فضلا عن ان ايديولوجية البورجوازية الصغيرة تتعارض دوما فى خطوطها الرئيسية مع منطق التحويل الجذرى فى تلك البلدان المتخلفة على الصعيدين الاجتماعى والاقتصادى يشير شارل بتلهايم كذلك الى تلك المشكلة فيقول (٨) « اذا لم يتحقق تحول جذرى ليس فى علاقات الملكية فحسب . انما فى مجموع نمط الانتاج والبنى الفوقية للمجتمع أيضا » . تكون النتيجة عجز قوى الانتاج عن التطور او اضطرارها الى التطور بشكل مناقض اى بأن تولد قوى مخربة متزايدة على الصعيد المادى او على صعيد البشر انفسهم .

وهكذا لم يكن بامكان هذه البورجوازية ـ ولاهو بامكانها فى المستقبل ـ ان تقيم غير أنظمة هزيلة كرست امكاناتها لاشباع حاجات ومصالح ممثلى النظام ووجهت طاقاتها العسكرية والبوليسية نحو القمع (٩) ومما يجب ان يلاحظ هنا أن هذه الانظمة التى امتنعت عن الاستجابة لمتطلبات المجابهة الحاسمة مع العدو الامبريالى وظلت لاهية فى مساوماتها ومازال اقطابها وأذنابها قد تركت فى الوقت ذاته الباب مفتوحا لعناصر الخيانة والتسلق والارتزاق لكى تنمو وتترعرع ، وتفرض ظلالها الثقيلة على الوجود السياسى والفكرى والعسكرى للمجتمع والدولة حتى اذا حان الوقت المناسب قامت هذه العناصر بالدور التخريبى لصالح قوى اليمين العالمى وهو الدور الذى كان من المحتم ان تقوم به ، كما حدث فى ايدونيسيا ـ كمبوديا ـ غانا ـ مالى .. الخ .

البرجوازية الصغيرة

وبنـاء الاشتراكية

ان القضية التى تثور اليوم هى قضية النظرة العامة التى تشكل اسس الممارسة الثورية لانتفاضة العالم الثالث ضد الاستغلال الامبريالى والامر الذى يجعل من هذه المسألة قضية حادة وجوهرية هو الاضطراب والاختلاط الفكرى الشديد الذى احاط ويحيط بكل ما يندرج تحت ممارسات انظمة البورجوازية الصغيرة فى هذه البلدان المتخلفة فى العالم الثالث من مسميات ترفع جميعها لافتة الاشتراكية او تضع على واجهاتها لفظة الاشتراكية .

ان المشكلة هنا ليست هى الطموح الى الاشتراكية ، او الحديث عنها بصفة تجريدية ، بل انها الشروع فى اقامة الاسس الفعلية للاشتراكية بمفاهيمها الاقتصادية والاجتماعية فاختبارنا الثورى اذن فى ميدان الوسائل (١٠) ، معناه ان كل سياسة لا تمر من استئصال جذور الهيكل الاقطاعى والراسمالى الاستعمارى . انما تخدم مصالح الاستعمار الجديد رغم ادعائها بالعمل على التصنيع وحتى الاشتراكية .

يقول شارل بتلهايم (١١) ان بلدا ما لا يكون اشتراكيا او رأسماليا حسب افكار حكامه

---

(٧) انظر التخطيط والتنمية : شارل بتلهايم ـ دار المعارف القاهرة .
(٨) انظر بناء الاشتراكية فى الصين : شارل بتلهايم واخرون ترجمة فواز طرابلس دار الطليعة بيروت .
(٩) انظر مقال هادى العلوى : حول أسباب فشل البورجوازية الصغيرة : مجلة الهدف العدد ٤١ بتاريخ ٩ مايو سنة ١٩٧٠ .
(١٠) المهدى بن بركة ـ الاختيار الثورى فى المغرب ـ بيروت دار الطليعة ١٩٦٦ ص ٦٢ .
(١١) شارل بتلهايم ـ التخطيط والتنمية دار المعارف ـ القاهرة .

ونواياهم وانما تبعا لبنيانه الاجتماعى الذى يميزه ولطبيعة الطبقات التى تلعب فيه بالفعل الدور القيادى ولا تتوفر شروط نمو اشتراكى الا حيث يكون الدور القيادى فى المجتمع بين العاملين . ولا تكفى ملكية الدولة لبعض وسائل الانتاج بالطبع لتمييز التطور نحو الاشتراكية والا تعين اعتبار التأميمات البورجوازية بداية تطور نحو الاشتراكية فى حين انها ليست الا وسائل لتدعيم السلطة الجماعية للبورجوازية .

ان حركة البورجوازية الصغيرة الوطنية لا تتوفر لديها الشروط الاساسية لبناء الاشتراكية فهى قد حققت مهمات تاريخية محددة حين ضربت مصالح ثالوث الاستعمار والاقطاع والبورجوازية الكبيرة والكمبرادورية وكانت هذه المهمات تتفق ومصالحها الطبقية ولكن لا يمكن ان تتجاوزها الى تطور نحو الاشتراكية وهذا يعود الى الطبيعة الطبقية والخصائص الذاتية للفئات الحاكمة ولجهاز الدولة فى هذه البلدان المتخلفة التى تسيطر عليها البورجوازية الصغيرة .

ان بيروقراطية بورجوازية (١٢)هى المسيطرة فى اجهزة الدولة فى البلدان المتخلفة على كافة الاجهزة الادارية والسياسية والاقتصادية والعسكرية . وقد تكونت هذه البيروقراطية من محترفى النضال السياسى والكادرات العسكرية العليا والوسطى . ومن التكنوقراط ذوى الاصول البورجوازية الصغيرة ، واحيانا من البورجوازيين القدامى التقليديين وتتمتع هذه البورجوازية الحاكمة بمستوى معيشة مرتفع جدا وتعيش فى مستويات استهلاكية مرفهة لا تختلف عما كان عليه الاقطاع والبورجوازية الكبيرة والكمبرادور القديم . لذلك فهى تستولى مثلهم على قسم كبير من الفائض الاقتصادى الذى يحتاجه البلد المتخلف لاستثمار انتاجى بدل صرفه على الاستهلاك .

ان الاشتراكية البورجوازية الصغيرة خيالية ومثالية لانها تحلق فوق الواقع ، وتريد تغييره وفق افكارها الذاتية واوهامها التى تضعها عنه لا بما يحمله هو من تناقضات فعلية فى جوفه (١٣) .

ان فكر البورجوازية الصغيرة المثالى يجعلها تخضع خضوعا اعمى لحركة التناقضات فى الواقع بدلا من توجيهها ايجابيا وهذا ما يدفعها على الصعيد الايديولوجى الى نزعة تجريبية كثيرا ماتكون انتهازية . ان التجريبية هو الموقف الطبيعى والعفوى للبورجوازية الصغيرة تجاه حركة التناقضات التاريخية وقد تقودها هذه التجريبية احيانا الى مشارف الايديولوجية الاشتراكية العلمية ولكنها قد تتحول فى احيان اخرى وذلك هو الاكثر شيوعا الى تخبط اعمى .

فالتجريبية هى موقف طبيعى وعفوى للبورجوازية الصغيرة باعتبارها اصلا طبقة رجراجة وانتقالية ليست لها مصالح طبقية محدودة ومتماسكة .

وهذه التجريبية قد تكون واسطة البورجوازية الصغيرة لتظل طبقة مفتوحة للتطور التاريخى وربما للالتزام فى النهاية بايديولوجية الاشتراكية العلمية ، ولكن البورجوازية الصغيرة قد تحاول غصب واقعها الطبقى والايديولوجى وابتداع ايديولوجية مستقلة خاصة بها ، تنزلها منزلة الطبقة المستقلة المتمايزة الحريصة على هذا الاستقلال والتمايز . ان البورجوازية الصغيرة عندما تسعى الى التمايز ايديولوجيا تهدد بان تتحول الى مواقع فاشية من طراز جديد .

ان البورجوازية الصغيرة حين تتطور من مواقع السلطة والهيمنة وتكديس الثروات والمصالح المادية ، لتصبح بورجوازية بيروقراطية تغلف نفسها بتغاليف ايديولوجية ، تكون قد كفت بالفعل عن ان تكون بورجوازية صغيرة وفق المعنى الاصطلاحى العلمى المعروف لها لتصبح بالفعل طبقة اجتماعية متجانسة ، ذات مصالح اقتصادية ثابتة ، تتبلور فى مواقف سلوكية متشابهة ، وتعبر عن نفسها من خلال فكرية متكاملة . فانها تتحول طبقة البورجوازية ـ البيروقراطية ، وتكون ايديولوجيتها هى ايديولوجية البورجوازية البروقراطية التى تتسم بسمات بورجوازية كاملة تتميز عن غيرها من البورجوازيات فى انها تتخذ من مناصبها الادارية والفنية فى القطاع العام ـ المنشأ حديثا فى بلدان العالم الثالث ـ وسيلتها الرئيسية فى دعم وجودها المادى والسلوكى والفكرى ، وهى بالضرورة تكون قاصرة عن الاستجابة لمتطلبات التطور الحضارى لمجتمعات هذه البلدان ، بل وتكون متعارضة ومتعادية مع منطق التحويل الجذرى للمجتمع على الصعيدين الاجتماعى والاقتصادى .

---

(١٢) انظر مقال محمد كشلى الطبقة الجديدة وشروط بناء الاشتراكية مجلة الحرية العدد ٤٧١ بتاريخ ٧ يوليو ١٩٦٩
(١٣) انظر مجلة مواقف ـ مرجع سبق ذكره عدد نوفمبر سنة ١٩٦٩ .
(١٤) انظر مجلة دراسات عربية العدد ١٢ سنة ١٩٦٦ ص ٢٣ .



«الكوميكون»

والتكتلات الاقتصادية الدولية

د. محمود متولى
جامعة أسيوط

تعتبر التكتلات الاقتصادية علامة من علامات القرن العشرين وسمة أساسية فى حركة التجارة العالمية . ذلك أنه من المتعذر على أى اقتصاد قومى بمفرده ان يواجه متطلبات التنمية وان يكفل لنفسه مقومات التقدم والتطور ، ومن ثم أصبح ضروريا أن تتكتل المجموعات الاقتصادية المتقاربة جغرافيا أو عقائديا او مصلحيا فى شكل سوق مشتركة ، او هيئة تبادل المنافع والمصالح . ولا شك أن الذى يحدوها الى هذا هو ايمانها بأن ذلك الشكل هو الاطار الوحيد الذى يعطيها القدرة على المنافسة والمزايا النسبية الاخرى التى تهيئها لها فكرة الاتحاد الجمركى .

ومن أهم التكتلات الاقتصادية الموجودة فى العالم حاليا ، يمكننا أن نجد نماذج ناجحة حيث وجدت عدد منها طريقها الى الواقع الملموس وقطعت شوطا ملحوظا نحو تحقيق أهدافها ، والبعض الاخر لازال واقفا متجمدا بسبب بعض الاجراءات أو بسبب التفاوض طويل الاجل والبعض الثالث مجرد شكل فقط لا غير .. على الورق وليس له أية فاعلية - ومحسوبا بغير وجه من الحقيقة - ضمن التكتلات الاقتصادية فى العالم . وتمثل تجارب التكتلات الاقتصادية الحالية ثروة قيمة تحوى فى طياتها عددا من الخبرات والدروس التى يمكن - بل يجب - الاستفادة منها والاعتبار بها عند تخطيط أو تصميم أى مشروع جديد للتكتل أو الوحدة الاقتصادية لدولتين أو مجموعة من الدول .

ولا يجب أن يقتصر الامر على التعرف على الشكل العام لهذه التكتلات اذا أردنا الاستفادة الكاملة وانما يجب مناقشة التفصيلات التنفيذية والتعرف على نقاط الضعف والقوة فيها وعلى الظروف التى من خلالها تعمل حتى يمكن الوعى بعصارة التجربة والاستفادة منها فى حياتنا

العملية خاصة وأن ظروف التقارب العربي والوحدوى تتطلب منا النظر بشكل جدى فى واقع المصالح قبل الشعارات والتخطيط لوحدة اقتصادية ناجحة انما يعنى بزوغ وحدة سياسية قادرة وقوية ٠

والواقع ان نظرية التكتل الاقتصادى تناقش التعاون بين الدول المشتركة فيه سواء كانت اقتصادياتها متكاملة أو متنافسة ،فان كانت متكاملة تكون هناك درجة كبيرة من التخصص فى الانتاج وفى التجارة وييسر التكتل فى سهول ويسر وتتسع نطاق السوق ونطاق الانتاج ، وان كانت متنافسة كان التكتل ألزم وأدعى حتى تخف حدة هذا التنافس وتزيد درجة التكامل وقوة منافسة دول التكتل حيال العالم الخارجى ٠

ولعل أهم التكتلات الاقتصادية فى عالم اليوم تشمل خمسة تكتلات ظاهرة ملموسة لها فاعليتها بالنسبة لدولها ،ولها تأثيرها على التجارة الخارجية والدولية ٠

المجموعة الاولى :

السوق الاوربية المشتركة وتسمى دول الست « «The Six» » لان عددها ٦ دول هى ألمانيا الغربية وفرنسا وايطاليا بالاضافة الى دول « البنلوكس » وهى بلجيكا وهولندا ولوكسمبرج وتكاد هذه المجموعة بماتملكه من مقومات بشرية ومن خبرات فنية ومن حسن ادارة وتنظيم تكاد أن تكون النموذج المثالى والنادر لنجاح فكرة التكتل الاقتصادى وما قد يحققه من مزايا ومن ارتفاع فى معدل التنمية، بل وفوق ذلك لا نبالغ اذا قلنا أن نجاحها فى المجال الاقتصادى كان سببا فى ان تخف حدة التوتر السياسى بين دول اشتهرت بعدائها التقليدى من الناحية السياسية ٠ وهذه المجموعة يصل نصيبها من التجارة العالمية حوالى ٢٥ فى المائة أى ربع التجارة الدولية وتسيطر هذه المجموعة ايضا على ٣٠ فى المائة من الاقتصاد العالمى .

ولقد كانت وسائل السوق المشتركة الاوربية « E.C.C. » لتحقيق أهدافها الاقتصادية كالاتى : (١)

١ ـ تحرير التجارة بين الدول الاعضاء عن طريق الالغاء التدريجى للرسوم الجمركية على الواردات بين الاعضاء والغاء القيود الجمركية على الاستيراد والتصدير بين الدول الاعضاء ٠

٢ ـ توحيد التعريفة الجمركية للدول الست الاعضاء تدريجيا فى تعريفة خارجية مشتركة ٠

٣ ـ السماح بحرية انتقال العمال فى نطاق السوق

٤ ـ السماح بحرية انتقال رأس المال فى نطاق السوق

٥ ـ تكوين سياسة مشتركة فى الزراعة والنقل وتحسين وتنسيق طرق المواصلات بين الدول الاعضاء ٠

٦ ـ تحسين انتاج القوى المحركة

٧ ـ تنسيق السياسات النقدية والاقتصادية بالدول الاعضاء

٨ ـ حظر كافة الوسائل التى تعوق المنافسة الحرة فى أسواق الدول الاعضاء سواء فى مراحل الانتاج أو التسويق ٠

٩ ـ انشاء بنك للاستثمار الاوربى بغرض زيادة النشاط الاقتصادى عن طريق خلق رأس المال اللازم ٠

١٠ ـ تنسيق التدابير الاجتماعية المعمول بها فى الدول الاعضاء

١١ ـ انشاء صندوق أوربى للمعونة الاجتماعية بغرض زيادة فرص العمالة والمساهمة فى رفع مستوى معيشة العمال

١٢ ـ ضم الاقاليم التابعة وراء البحار والخاضعة لنفوذ الدول الاعضاء الى السوق المشتركة وذلك لفترة مؤقتة مدتها ٥ سنوات بهدف زيادة المبادلات التجارية معها ، مع انشاء صندوق استثمار تساهم فيه كافة الدول الاعضاء فى السوق لتمويل مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى تلك المناطق

١٣ ـ تحديد فترة انتقال مدتها ١٢ سنة للوصول الى تحقيق سوق مشترك كامل بالمعنى الذى تهدف اليه الاتفاقية مع تقسيمها الى ثلاثة مراحل متساوية كل مرحلة ٤ سنوات .

---

(١) وقع ميثاق السوق الاوربية المشتركة فى روما سنة ١٩٥٧ ودخل التنفيذ فى السنة التالية ٠

ونتيجة للمزايا التى حصلت عليها دول السوق المشتركة بعد اعادة بناء صناعاتها على النظم الحديثة وادخال كافة التعديلات الفنية والتنظيمية نجد أن أسعار سلع السوق المشتركة تقل عن أسعار السلع الامريكية المماثلة لها بنسب تتراوح بين ١٠ ، ١٥ فى المائة وقد تصل فى بعض الاحيان الى ٣٠ ، ٤٠ فى المائة هذا بالاضافة الى أن مستوى الاجور فى دول السوق المشتركة يعتبر منخفضا عند مقارنته بمستوى الاجور فى الصناعة الامريكية فى الوقت الذى يكاد يتساوى فيه مستوى الكفاية الانتاجية فى بعض الصناعات .

المجموعة الثانية :

هى منطقة التجارة الحرة وتشمل هذه المجموعة سبع دول ولذا فانها فى بعض الاحيان تسمى دول السبع وهذه الدول هى المملكة المتحدة والدانمرك والسويد والنرويج والنمسا والبرتغال وسويسرا وبلغ نصيبها فى التجارة العالمية حوالى ١٥ فى المائة .

وكان الهدف الاساسى من اقامة منطقة التجارة الحرة أن تكون مقدمة لمنطقة أوربية كاملة يسود فيها مبدأ الحرية التجارية لذا فان الدول السبع رغبت فى أن تتكتل فيما بينها وقد اتفقت مصالحها فاجتمعت فى استكهلم (عاصمة السويد) سنة ١٩٥٩ ووقعت اتفاقية فيما بينها أنشأت بمقتضاها منطقة التجارة الحرة الاوربية «E.F.T.A.» وقد انتسبت اليها فنلندا عام ١٩٦١ انتسابا بسيطا يحقق الغايات التجارية من جهة وفى الوقت الذى لا يثير غضب روسيا من جهة أخرى .

والفارق الجوهرى بين السوق المشتركة الاوربية وبين منطقة التجارة الحرة الاوربية تتلخص فى أن السوق تقيم تكاملا اقتصاديا جذريا بين أعضائها ينتهى بوحدة سياسية فى آخر المطاف فى حين أن منطقة التجارة تهدف فقط الى تسهيل التبادل التجارى فيما بينها وفى الحقيقة أن نشاط هذه الكتلة الاقتصادية قد أصابه شىء من التراخى وكان لنجاح تجربة السوق الاوربية المشتركة أساس لاغراء المملكة المتحدة للبحث عن ضرورة الانضمام الى السوق المشتركة وقد تم الاتفاق فعلا بين السوق وبين المملكة المتحدة وثلاث دول اخرى من دول منطقة التجارة الحرة منها النرويج والدانمرك . وقد جرى استفتاء بين الشعب الفرنسى ليؤخذ رأيه بالنسبة لانضمام المملكة المتحدة فوافق

المبادىء التنظيمية للكوميكون

١ ــ تتخذ القرارات على اعلى المستويات التنفيذية

٢ ــ المتابعة تتم بحزم ودقة

٣ ــ تمارس الفكرة الديموقراطية الاقتصادية حيث يعرض الكثير من اموره وقراراته على المجالس الشعبية والتنظيمات النقابية .

٤ ــ تقسم موضوعات الدراسة والبحث وتعرض على لجان فنية متخصصة مثل [لجنة البترول ــ لجنة الفحم ــ لجنة الكهرباء ــ لجنة الزراعة ــ لجنة النقل ــ لجنة الانشاءات ــ لجنة الصناعات ــ لجنة التجارة .

٥ ــ يقوم بالدراسات جهاز متخصص للبحث

٦ ــ الهيئة العليا التى تشرف على المجلس تضم رؤساء الدول الاعضاء وتجتمع مرتين فى السنة وتناقش جميع المسائل المطروحة للبحث وتصدر بشانها القرارات والتوصيات التى تحول فورا على أجهزة التنفيذ والمتابعة .

٧ ــ اللجنة التنفيذية تكون على مستوى نواب رؤساء ووزراء الدول الاعضاء باعداد الاقتراحات للهيئة العليا للمجلس وتنظيم العمل وتنسيق التنفيذ ، وتقوم بالنظر فى المسائل العاجلة التى تتطلب اجراءات سريعة ما بين فترات انعقاد الهيئة العليا للمجلس .

٨ ــ اقرار مبدأ تقسيم العمل بين الدول الاعضاء والعمل على تركيز انتاج السلع المتشابهة فى دولة واحدة .

٩ ــ الاهتمام بالتخطيط باعتباره الموجه الاول لنواحى النشاط الاخرى التى يقوم بها المجلس

١٠ ــ الاهتمام بالكفاية الانتاجية للدول الاعضاء والعمل على رفعها بشتى الوسائل العلمية والفنية .

١١ ــ ازالة الفوارق بين مستويات المعيشة تدريجيا

١٢ ــ العضوية اختيارية وهى مفتوحة لجميع الدول

١٣ ــ التعاون قائم على مبدأ السيادة والمساواة لكل دولة

١٤ ــ توصيات المجلس تستلزم الموافقة بالاجماع ولا تنفذ الا بعد اقرار الحكومات المختصة .

١٥ ــ أصبحت الاتفاقات التى تربط دول الكوميكون طويلة الاجل لمدة خمس سنوات بعد أن كانت لمدة سنة واحدة .

١٦ ــ الاسعار التى يتم على أساسها التبادل التجارى تحدد على أساس متوسط الاسعار العالمية خلال السنوات السابقة ثم تظل ثابتة طوال تنفيذ الاتفاق طويل الاجل وبذلك يمكن التغلب على الاضطرابات الاقتصادية التى قد تصاحب تقلبات الاسعار .

وعرض موضوع انضمام بريطانيا للسوق الاوربية المشتركة على مجلس العموم فوافق وبذلك أصبحت بريطانيا عضوا عاملا فى السوق المشتركة التى أصبحت الان تسمى دول العشرة لان عدد اعضائها اصبحوا عشرة ، وانهارت منطقة التجارة الحرة وأصبحت أوربا الغربية وحدة اقتصادية

عملاقة [٢] بعد أن تم توقيع المعاهدة التاريخية بانضمام الدول الاربع الجديدة فى بروكسل (عاصمة بلجيكا) يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٧٢ ·

المجموعة الثالثة :

هى منظمة التجارة الحرة لامريكا اللاتينية وقد انشئت بمقتضى اتفاق مونتفيديو فى ١٥ فبراير سنة ١٩٦٠ وكانت الاتفاقية تضم فى البداية سبعة دول ثم أصبحت تضم تسع دول هى :

الارجنتين ـ البرازيل ـ شيلى ـ المكسيك ـ براجواى ـ بيرو ـ اوراجواى ـ كولومبيا ـ الاكوادور ·

وكان أهم ما تضمنته الاتفاقية المذكورة :

١ ـ تلغى الرسوم والحواجز الجمركية فيما بين الدول الاعضاء خلال فترة لا تتجاوز ١٢ عاما ·

٢ ـ تنصب التخفيضات على ٨٥ فى المائة من السلع المتبادلة فيما بينها وتنفذ ٨ فى المائة سنويا حتى يتم ازالة الحواجز نهائيا فى نهاية فترة الانتقال ·

٣ ـ تضاف السلع التى يتفق على اعفائها الى قوائم تجارية وطنية فى كل بلد من البلدان المتعاقدة ·

٤ ـ تصل نسبة التخفيضات فى نهاية المرحلة الاولى الى ٢٥ فى المائة وفى نهاية المرحلة الثانية الى ٥ فى المائة وفى نهاية المرحلة الثالثة ٧٥ فى المائة ويتحقق التخفيض الكامل أى بنسبة الـ ١٠٠ فى المائة فى نهاية المرحلة الرابعة ·

ونصيب هذه المجموعة من التجارة العالمية لا يتجاوز ٥ فى المائة فقط لانها تعتبر كتفية اكتفاء ذاتيا فى المواد الغذائية، كما أن صادراتها تتركز فى المواد الاستخراجية والمواد الغذائية فقط الى جانب ان عامل صعوبة المواصلات وارتفاع تكلفتها والى جانب هذه المجموعة الضعيفة نسبيا يمكننا ان نضع تكتلات قارية اخرى لا وزن لها لانها حتى الان لم تدخل فى طور التطبيق الجاد أو العملى وهى مرسومة فقط على الورق ولا تكييف قانونى او نظام ادارى او اقتصادى يحكمها والامثلة على ذلك دول القارة الافريقية ، ذلك أن أيا منها لم يصل الى المستوى الذى يجعل منها تكتلا قويا شاملا يوحد كلماتها وينسق العمل بينها ، فهناك تكتل فى شرق افريقيا واخر فى دول غرب افريقيا وثالث فى شرق آسيا وهناك اتفاقات بين الدول العربية سواء ما هو على نطاق الجامعة العربية او دول المغرب العربى ·

المجموعة الرابعة :

هى الولايات المتحدة الامريكية ورغم أنها فى العرف التقليدى او المفهوم الحرفى لا تعتبر تكتلا اقتصاديا الا انه نظرا لمساحتها الشاسعة وما تملكها من تاثير على الاقتصاد العالمى ، ووزنها فى التجارة العالمية حيث نصيبها يصل الى حوالى ١٣ فى المائة فهى تعتبر نسبيا وتجاوزا تكتلا اقتصاديا ·

المجموعة الخامسة :

هى موضوع دراستنا الموجزة لهذا المقال وهى :

مجلس التعاون الاقتصادى المتبادل بين دول أوربا الشرقية ، ويضم هذا المجلس : الاتحاد السوفيتى والبانيا وبلغاريا والمانيا الشرقية والمجر ورومانيا وبولندا ومنغوليا وتشيكوسلوفاكيا ، ويصل نصيب هذه المجموعة ١٠ فى المائة من التجارة العالمية · وهذه المجموعة ستضع خطوطها التفصيلية فى دراسة تحليلية موجزة · وان كنا من البداية يجب أن نقول ان هذه المجموعة لا ترقى الى نموذجية السوق الاوربية المشتركة الا أنها تعتبر النموذج الثانى الناجح بعد انهيار فكرة منطقة التجارة الحرة ·

ويوضح الرسم البيانى التالى نصيب التكتلات الاقتصادية من التجارة العالمية :

ليس أدل على أهمية دراسة هذا الموضوع من ان تجارتنا الخارجية مع الكتلة الشرقية أصبحت تضطرد زيادة فى الحجم وفى القيمة ، واصبحت هناك مصالح متبادلة بين مصر وبين دول الكتلة الشرقية تحتم علينا دراسة مثل هذا التكتل لما يعنيه من انعكاس عن صورة الاوضاع الاقتصادية لهذه البلدان ، وقد سجلت التجارة الخارجية المصرية فى علاقاتها مع هذه الدول ان حوالى ٦٠ فى المائة من

---

(٢) اصبح نتيجة لهذا التغير الجديد ـ والذى لايعتبر فقط تغيرا اقتصاديا وانما أيضا سياسيا ـ أن السوق المشتركة تضم عددا من السكان يربو على الـ ٢٥٥ مليون نسمة ودول السوق العشرة الان هى بلجيكا وهولندا ولوكسمبرج وايطاليا وفرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا وايرلندا والدانمرك والنرويج ، فالسوق بهذه الكيفية تكتل اقتصادى ضخم له خطورته الحقيقية (لاسيما على الولايات المتحدة الامريكية) اذ أن الاحصائيات الاولية تقول ان امريكا ستخسر تجاريا ١٠٠ مليون دولار سنويا بعد أن دخلت بريطانيا السوق بينما يؤكد بعض الخبراء أن خسارتها قد تصل الى مايقرب من بليون دولار ·



الكوميكون
أو
بنك المعونة المتبادلة الاقتصادية بين
دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى

صادراتنا خلال عام ٦٩ ـ ٧٠ وصل الى دول الكتلة الشرقية .

ويكفى ان نضرب مثلا بالمعونة التى يقدمها الاتحاد السوفيتى حاليا فى بناء مجمع الحديد والصلب ذلك المشروع الذى يطلق عليه بعض الخبراء مشروع السد العالى الثانى .

واذا ما أردنا ان نضع توضيحا اكثر تفصيلا فاننا نجد ان القطن وهو السلعة الرئيسية النقدية فى الصادرات المصرية ويصل الجانب الاكبر منه الى الكتلة الشرقية ، فقد حصلت روسيا وحدها مثلا على ٥٦ر٧٪ فى المائة من اجمالى الصادرات المصرية (٣) اما مجموع دول العملات الحرة فتمثل نسبة الصادر اليها ١٦ر٤ فى المائة من جملة الصادر وذلك عن الموسم ٦٩ ـ ١٩٧٠ . وفيما يلى صورة احصائية لنصيب دول الكتلة الشرقية فى الصادرات من القطن المصرى :

الدولة المستوردة	الصادر من أول موسم ١٩٧١/٧٠ حتى ١٩٧١/١/٢٩		الصادر من أول موسم ١٩٧٠/٦٩ حتى ١٩٧٠/١/٣٠		الفرق
	بالة	٪	بالة	٪	
الاتحاد السوفيتى	١٦٤١٠٠	٥٦ر٧	٢٥٢٥٠	٦٨ر٨	ـ ٨٨٤٠٠
تشيكوسلوفاكيا	١٥١٠٠	٥ر٢	٧٩٣٠	٢ر٢	+ ٧٠٧٠
الصين	٧٥٠٠	٢ر٦	ـــ	ـــ	+ ٧٥٠٠
رومانيا	٧٥٠٠	٢ر٦	٥٠٠٠	١ر٤	+ ٢٥٠٠
المجر	١١٠٠	ر٤	٤٥٠	١ر٠	+ ٦٥٠
بولندا	٧٣٠٠	٢ر٥	١٣٠٠٠	٣ر٥	ـ ٥٧٠٠
المانيا الشرقية	٢٦٨	٠ر١	٤٠٠٠	١ر١	ـ ٣٧٣٢
بلغاريا	٢٠٠٠	٠ر٧	٤٥٠٠	١ر٢	ـ ٢٥٠٠
يوغسلافيا	١٠٠٠	٠ر٣	٢٠٧٠	٦ر٠	ـ ١٠٧٠

(٣) فى القطن المصرى .

واذا ما وضعنا امام ناظرنا ذلك التحول الذى يتم الان تدريجيا من حيث اتجاه الصادرات العربية من بلدان كالعراق واليمن والجزائر نحو مجموعة الكوميكون ثم ما تبديه هذه الدول من اهتمام حول المشاركة فى استخراج الثروات المعدنية من الوطن العربى والمشاركة فى تصريف الفائض من البترول واستعدادها لمدنا بالخبراء كل هذه العناصر وغيرها تعطى لهذه الدراسة اهمية خاصة ليس فقط على المستوى المحلى ، بل ايضا على المستوى الإقليمى بالنسبة لامتنا العربية .

تاريخ نشأة الكوميكون وأسلوب عمله

انشىء الكوميكون عام ١٩٤٨ لتشجيع التعاون الاقتصادى بين دول اوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى ولتقليل اعتماد هذه الدول على التجارة مع الغرب بحيث يحصل الاتحاد السوفيتى على حاجاته من الالات من المانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا كما يحصل على المواد الاولية من الدول الاخرى المنضمة للكوميكون فى مقابل حصول هذه الدول على حاجاتها من السلع المصنوعة فى الاتحاد السوفيتى ، وبدأت اتفاقية تدخل فى حيز التنفيذ فى أوائل عام ١٩٤٩ .

وبعد نجاح تجربة السوق المشتركة بدأت روسيا جديا تعمل على تطوير الكوميكون لكى تقف فى وجه هذه التكتلات ومنافستها ومن ثم بدأت تجميع كل طاقات وامكانيات دول المجلس لتحقيق اعلى معدلات النمو الاقتصادى وزيادة الانتاج وايجاد تعاون وثيق فيما بينها فى مجالات :

أ ــ المجال الاقتصادى .

ب ــ المجال العلمى والفنى .

وكان المجلس فى البداية يهتم بتشجيع التجارة بين دوله وتنويعها وزيادتها عاما بعد عام الى جانب تنسيق منتجاتها ليمكنه ايجاد كتلة اقتصادية متناسقة ومنسجمة اقتصاديا ، ومكتفية اكتفاء ذاتيا خاصة وان الظروف العقائدية واحدة وان الاخطار الخارجية من العالم الرأسمالى المحيط بها تكاد تكون على درجة واحدة من محاولتها القضاء عليها .

وفى ظل مجلس المعونة المتبادلة كان من المسموح زيادة التعاون الوثيق بين اعضائه عن طريق عقد الاتفاقيات الثنائية والثلاثية ، وكانت معظمها تنص على السلع المتبادلة وانواعها وكمياتها وتعمل على زيادتها كل عام .

ولكن بعد اعلان السوق المشتركة ، ثم السوق الحرة لمنطقة التجارة الحرة شعرت دول الكوميكون بأن الوضع الاقتصادى بينها يحتاج الى مزيد من التفاهم ، ومزيد من التحرك ومن العمل، ولم يعد يقتصر الامر كما كان فى البداية على موضوع التجارة فيما بين دول المجلس ، وانما كان من الضرورى تنسيق الاوضاع الاقتصادية بأكملها بين الدول المذكورة خاصة بعد ما وضح ان الاهتمام بالتجارة وحدها والعمل على زيادتها عاما بعد عام قد يؤدى الى قيام نفس الصناعة دون مبرر فى أكثر من دولة ، او الى اقامة صناعات غير اقتصادية فى بعض الدول الاعضاء ، وذلك اعتمادا منها على وجود السوق الكبيرة لباقى اعضاء المجلس وكان هناك فى بداية سنوات الكوميكون اخطار نتيجة لكل هذه العوامل تهدد الوحدة الاقتصادية بينها حيث بدأت ترتفع تكاليف الانتاج وتهدر الموارد وبدأت صعوبة مواجهة السلع فى المجال العالمى .

ونتيجة لكل ذلك فقد أصدر مجلس المعونة فى دورته التى انعقدت فى موسكو فى يونيو سنة ١٩٦١ بيانا هاما تضمن المبادىء الاساسية المتعلقة بتقسيم العمل فى العالم الشيوعى وقد أصبح هذا البيان بمثابة برنامج للعمل يتولى الاشراف على تنفيذ مجلس المعونة المتبادلة فى المدى الطويل وقد تناول البيان ما يلى :

١ ــ التعاون الوثيق لتحقيق نمو اقتصادى سريع داخل المنطقة .

٢ ــ رفع الكفاية الانتاجية وحسن استخدام العمل ومصادر المواد الخام .

٣ ــ الغاء الفوارق التاريخية بين مستويات التنمية فى الدول الاعضاء .

٤ ـ التوزيع المنطقى للقوى الانتاجية داخل نطاق المجلس عن طريق اتباع اجراءات بعيدة المدى فى التخصص والملاءمة .

٥ ـ احلال نظام بتعدد الاطراف للتجارة والدفع محل الاتفاقات الثنائية القائمة .

ومن الواضح أن تحقيق هذه الاهداف على أكمل وجه يهيء لقيام سوق شيوعية يحركها جهاز منفرد للتخطيط ، غير ان الاتجاه الجديد نحـــو التكامل الاقليمى فى أوربا الشرقية لم يتخذ الصبغة العملية ولم يوجد المزيد من الاهتمام الا فى نهاية عـــام ١٩٦٢ وذلك بصدور قرار للمجلس المذكور فى الدورة السابعة عشرة المنعقدة فى بوخارست باقامة بنك مشترك للدول الشيوعية للمقاصة المتعـــددة الاطراف لتقسيط التبادل التجارى ولتمـويل المشروعات المشتركة التى تقام فى المنطقة ، كما قدم اقتراح فى الدورة الرابعة للمجلس التى انعقدت فى موسكو فى فبراير سنة ١٩٦٣ لمناقشة توحيد سياسات القوى والوقود القومية واقامة جهاز أعلى للتخطيط على مستوى فوق القومية يكون تـابعاً للمجلس كـمـا أعلـن عـن انشـاء منطقة « الروبل » تضم جميع الدول الاعضاء فى المجلس .

وسمى هذا البنك ، البنك الدولى للتعـــاون الاقتصادى ، وهو يتعامل بالروبل القابل للتحويل ويعمل على اجراء التسوية المتعددة الاطراف بين الدول الاعضـــاء ، كما يقبل الودائع ويقرض الاعضاء ، ويقيم العلاقات المصرفية مـــع البنوك الاخرى فى الدول النامية والدول الرأسمالية والى جانب ذلك فان :

١ ـ الدول غير الشيوعية تستطيع أن تنضم الى هذا البنك اذا كانت مستعدة للاشتراك فى رأس ماله .

٢ ـ يقوم البنك بتمويل العمليات التجارية مع الدول غير الاعضاء فى السـوق الشـــيوعية المشتركة .

والواقع أن وجود هذا البنك كان دافعا لزيادة التعاون بين الدول الاعضاء بصورة أكثر تخطيطا وجدية .

وقد بدأ هذا البنك أعماله فى أول يناير سنة ١٩٦٤ وأضيفت الى اختصاصاته القضاء على عدم التوازن الذى يحدث فى موازين التجارة بين دول المنطقة ودول العالم الاخرى .

ويتكون الكوميكون من الاتحاد السـوفيتى والمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وبولندا والمجر ورومانيا وبلغاريا ومنغوليا . وقد انسحبت منه البانيا نتيجة للخلاف العقائدى كما أن رومانيا تعتبر عضوا منتسبا اكثر منها عضوا عاملا بسبب خروجها على اجماع أعضاء الكوميكون وذلك لاتباعها سياسة اقتصادية مستقلة .

ويعقد الكوميكون اجتماعاته بصفة دورية كل سنة لدراسة المشاكل التى قد تنتج من العلاقات الاقتصادية بين بلاد الكتلة الشرقية وفى نفس الوقت لرسم سياسة موحدة لمواجهة التكتـلات الاقتصادية الاخرى الموجودة فى العالم مثل السوق الاقتصادية الاخرى الموجودة فى العالم مثل السوق المشتركة الاوروبية ، أو منطقة التجارة الحرة ، أو التكتلات الاقتصادية لافريقيا أو منطقة التجارة الحرة لامريكا اللاتينية .

كذلك يقوم الكوميكون برسم سياسة اقتصادية لمدة السنة القادمة مع تحديد وتخطيط صورة الاحتياجات ونطاق التوزيع وتبادل المســاعدة والمعونات حتى يكتمل البناء الاشــتراكى لهـذه الدول .

ولعل أخطر ما تقوم به هذه الاجتماعات الدورية هو دراسة النظريات الجديدة فى علم الاقتصاد والمحاسبة والتكاليف ، وأثر ذلك على الاقتصـــاد الاشتراكى، وماقد يؤديه منتطويرللانظمةالاشتراكية يتفق وظروف العصر والتقدم العلمى والتكنولوجى .

وقد طغى الطابع السياسى فى بداية الامر على تكوين الكوميكون واتخذت مجريات الامور قاعدة اقتصادية خطرة مؤداها أن تقوم بقية دول أوربا الشرقية بخدمة الاقتصاد الروسى بصفته التجربة الرئيسية للقاعدة الاشتراكية فى العالم ، ومن ثم استنزفت موارد شرق أوروبا لصالح الاتحاد السوفيتى فى بداية السنوات الاولى من حياة المجلس وأثبتت هذه السياسة عقمها واتضح أنها لم تقم فقط بتعطيل نمو اقتصاد أوربا الشرقية فحسب ، بل انها أدت الى خلق حالة من التبعية والتخلف أصابت اقتصاديات هذه البلاد فـى

الصميم وأساء كثيرا الى صورة التجربة الاشتراكية فى هذه البلاد سواء بالنسبةللداخل فيها ، أو بالنسبة لنظرة الدول الخارجية المحيطة ، ولعل هذا ما جعل الكثير من دول أوربا الشرقية تعلن تذمرها من هذا الاسلوب .

ولكن بموت « ستالين » وانتهاء عصره بدأت صورة جديدة من المساواة فى المعادلة بين الدول الاشتراكية وتبنت روسيا سياسة جديدة مؤداها أن الاتحاد السوفيتى يقود الدول الاشتراكية بصورة جماعية وليست تسلطية ، سياسة جديدة فيها مصلحة الجميع دون تفضيل وذلك حتى يمكن تحقيق المجتمع الاشتراكى العادل لكل دول المعسكر الشيوعى .

وقد استعاضت دول « الكوميكون » بعض أساليب العمل فى التكتلات الرأسمالية من ذلكمثلا توحيد الرسوم الجمركية حيث اجتمع مؤتمر الجمارك التابع للكوميكون فى « بودابست » فى أواخر شهر سبتمبر سنة ١٩٦٣ لتوحيد الرسوم الجمركية التى تفرضها هذه الدول على وارداتها من الدول الاخرى ، ويعتبر هذا القرار خطوة أخرى نحو اقامة تكتل اقتصادى أقوى وأمتن .

وقبل أن نبحث فى مدى التعاون وصورة التجارة بين الدول الاشتراكية يحسن بنا ان نتكلم عن نقطتين أساسيتين :

الاولى : الكوميكون والتجارة الخارجية مع البلاد الاقل تقدما والدول النامية . لقد تم فىبوخارستفى رومانيا فى أواخر سنة ١٩٦٣ اجتماع على مستوى عال بين دول الكوميكون حضره نواب رئيس الوزراء لشئون الكوميكون ونواب وزراء التجارة ووزراء الصناعة الثقيلة وذلك للبحث فى العلاقات بين شرق أوربا والبلاد المتخلفة لا سيما فيما يتعلق بالمساعدات والمعونات وتقديم الخبرات والتخطيط على المستوى العالمى بالنسبة للتجارة الخارجية والاشتراك فى مؤتمرات الدول النامية .

الثانية : موقف رومانيا من الكوميكون :

تقع جمهورية رومانيا الاشتراكية جنوب شرق أوربا فى حوض الدانوب المنخفض وتبلغ مساحتها ٢٣٧ ٣٨٤ كم مربع أى أنها تساوى ١٨ر٠ فى المائة من مساحة الكرة الارضية ، وهى تحتل المرتبة الـ ٦٦ فى العالم من حيث المساحة ويبلغ عدد السكان فى رومانيا ٢٠٫٤٠٠٫٠٠٠ نسمة حسب احصاء يناير سنة ١٩٧١

وتحتل التجارة مع البلدان الاشتراكية أعلى نسبة فى مجموع التجارة الخارجية لرومانيا اذ أنها تبلغ حوالى ٥٥ فى المائة من حجمها الاجمالى أما المكان الاول فتحتله العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتى ، وتنتج رومانيا سنويا حوالى ٣ ملايين طن من البترول الخام ، وهى تمثل جوهرة اقتصادية فى المعسكر الاشتراكى .

وقد أدى نقص النمو الاقتصادى خلال الـ ١٥ سنة الماضية فى دول شرق أوربا الى أن تعمل وعلى راسها روسيا على تنفيذ مبدأ التخصص داخل نطاق الكوميكون ولكن رومانيا رفضت التعاون مع جاراتها فى هذا المجال لاسباب كثيرة منها أن تشيكوسلوفاكيا والمجر وألمانيا الشرقية تعانى من النقص فى اليد العاملة مما عاق برامج التنمية فيها الى حد كبير ولا تظهر المشكلة بوضوح فى الاتحاد السوفيتى (الذى يبلغ تعداد سكانه حوالى ٢٤٠ مليون نسمة تقريبا) أما بالنسبة لدول شرق أوربا الاخرى فالمشكلة تبدو بوضوح حيث أن تعداد تشيكوسلوفاكيا ١٦ مليونا، والمجر ١٢ وشرق المانيا ١٩مليونا ، بالاضافةالى وجود عجز فىالمانيا الشرقية بالنسبة لعمال الصناعات الرئيسية نتيجة لهجرة عدد كبير من العمال الى غرب ألمانيا قبل أن يتم بناء سور برلين فى عام ١٩٦١ .

أما بالنسبة لرومانيا فان الايدى العاملة يبلغ ٧٥ر٣ مليون عامل من تعداد سكانها البالغ عددهم ٤ر٢٠ مليون نسمة لذا فان الانتاج الصناعى فى رومانيا يقفز سنويا بمعدل ١٥ فى المائة كما أن رومانيا تتمتع أيضا باحتياطات هائلة من المواد والقوى المحركة وترفض التعاون مع دول الكوميكون خوفا من هبوط معدل النمو الاقتصادى بها .

هذا ، ورغم أن حجم التجارة الخارجية ــ كما سبق أن أوضحنا ــ يتجه للكتلة الشرقية ، الا أنه لا ينتظر ان تعدل رومانيا عن سياستها الاستقلالية خاصة بعد اتصالاتها مع العالم الرأسمالى وزيادة حركة التبادل التجارى مع الولايات المتحدة .

ولعل اوجز دليل على سياسة رومانيا الاستقلالية هو أن روسيا لديها فائض من الصلب تبلغ طاقته الانتاجية ٦ ملايين طن عند بلدة « جلانز » على نهر الدانوب ، وفى حين ان رومانيا ليس لديها الموادالخام اللازمة لهذهالصناعة فانها

لم تطلب من روسيا المساعدة لمدها بالمواد الخام او بناء المصنع ، بل ان رومانيا قامت عام ١٩٦٤ بـأبرام عقد قيمته ١٣ مليون جنيـه استرليني مـع عدد من الشركات البريطانية والفرنسية لبناء جزء من هذا المصنع، واقامت رومانيا مصنعا للسيارات عند « براسون » بمنطقة ترانسلفانيا » بتوكيل من مصانع فيات «Fiat» » الايطالية فهى هنا لا تطبق تعليمات الكوميكون الخاصة بتنسيق صـناعة السيارات وفوق ذلك تتعاون مع دولة غربية من أجل قيام هذه الصناعة وهذا دليل قاطع على استقلالية رومانيا •

وان كان من المهم أن ننوه أن أحكام الكوميكون لا يتعرض للدول الاعضاء فيه فى علاقاتها بالدول الغربية اذ أن هناك اتفاقا تجاريا جديدا عقد فى سبتمبر الماضى بين رومانيا والمملكة المتحدة كما أن هناك اتفاقا عقد من نفس النوع فى أوائل سنة ١٩٦٣ بين الاتحاد السوفيتى وفرنسا وبين الاتحـاد السوفيتى والمملكة المتحدة • الا أن ذلك لا يجب أن ينسينا أن رومانيا سارت أبعد من الشوط المقرر فى التصرف الاستقلالى نحو الغرب •

اسوة بكل تنظيم أو تكتل اقتصادى عالمى فان الكوميكون له هيئاته ولجانه ، ويتكون من هيئات رئيسية تتمثل فى المجلس الاعلى للكوميكون الذى يتكون من رؤساء وزراء حكومات دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى ومن وزراء التجارة الخارجية ومن وزراء الصناعة ، ويتفرع من هذا المجلس لجنة تنفيذية تقوم بتنفيذ السياسة التى يضعها المجلس ثم هناك مجلس التخطيط الاعلى وتتبعه مباشرة لجنة المساعدات الخارجية الى جانب أن هناك لجنة للتمويل والبنوك ولجنة لمتابعة تنفيذ القرارات التى تتخذ •

ثم هناك أربعة مجالس نوعية متخصصة هى مجلس الصناعة ، ومجلس التجارة الخـارجية ومجلس الجمارك ومجلس التنمية •

العـلاقات الاقتصـادية مع الدول الاعضـــــاء فى مجلســـــ التعـــاون الاقتصـادى المتبـادل

زادت قيمة التجارة الخارجية بين الاتحـاد السوفيتى وسائر دول اعضاء الكوميكون زيادة كبيرة حيث ارتفعت من حوالى ١٧٠٠ مليون روبل سنة ١٩٥٠ الى ٨٦٠٠ مليون روبل سنة ١٩٦٦ ، أى خمسة اضعاف والزيادة مستمرة فحجم التجارة وصل سنة ١٩٧١ الى ما يقرب من ١٠٫٠٠٠ مليون روبل ••

وصادرات الاتحاد السوفيتى لدول الكوميكون لا تقتصر على الالات والمعدات والمصانع ولكن نسبة هامة من المواد الخام تدخل ضمن قائمة صادراته الى الدول الاعضاء مثل الفحم والبترول والغاز الطبيعى والحديد الخام وبعض المعادن الاخرى والمنتجات الزراعية أو الحيوانية مثل القمـح والشحومات • ويستورد الاتحاد السوفيتى من الدول الاعضاء آلات ومصـانع • والاتحـاد السوفيتى بصفته أكبر شريك ولما يقع عليه من عبء لحماية المعسكر الاشتراكى فانه يقوم بتقـديم المساعدات الفنية الكبيرة والقروض طويلة الاجل لكل الدول الاعضاء •

نشاط الكوميكون ومدى نجاحه

تبذل الدول الاعضاء فى الكوميكون مزيدا من الجهد لازالة ذلك التفاوت الكبير بينها وبين الدول الصناعية الكبرى فى ميدان الصناعات الكيماوية والتكنولوجيا وتعمل على تطوير انتاج الاسمدة الصناعية ،والدخول الى صناعة الالياف الصناعية • وقد بدىء العمل بنظام التخصص فى الصناعة الصيدلية كما تم تحديد التخصصات فى انتـاج صناعات جديدة مثل الادوية المضادة لامراض النبات والحيوان ، وتجرى حاليا تنفيذ الاجراءات الخاصـة بالتخصص فى ميـدان المطاط ، وزاد نشاط الكوميكون نجاحا فى زيادة معدل التجارة بين الكتلة الشرقية وزيادة حجم التجارة ايضا وان كان يلاحظ أن أى صناعة جديدة مقصورة على دولة واحدة دون غيرها أى لا تقام صناعة متماثلة موجود نظيرها فى دولة اخرى ، وانما تتخصص كل دولة شيوعية فى صناعة تقام فيها على اوسع نطاق وتتركز فيها الخبرة ورءوس الاموال وبذا لا تجد منافسة لها من الدول الاخرى الموجودة فـى الكوميكون •

وقد قام مجلس التجارة الخارجية بجهود خارقة حيث أن دول الكتلة الشرقية كانت حتى عام ١٩٤٩ تسـتورد مـا يقرب مـن ٧٠ ــ ٨٥ فى المائـة من

احتياجاتها من الدول الصناعية فى أوربا الغربية فاذا بها عام ١٩٦١ لا تستورد الا ما يقرب من ١٥ ـ ٣٥ فى المائة ، ووظيفة المجلس المذكور انه يقوم بتنسيق تجارة الصادر والوارد بين دول الكوميكون ويضع جداول بالسلع والبضائع المراد تصديرها واستيرادها فى كشوف سلعية ويعمل على الاكتفاء الذاتى اولا فى حدود نطاق « الكوميكون » ثم ما يكون ناقصا يستورد من الخارج وما يكون فائضا يصدر الى الخارج .

وما من شك ان الكوميكون قد حقق نتائج بالغة الاهمية فاستطاع فى وقت قصير ان يحقق المطلوب ويساعد الى حد بعيد على تصنيع كثير من هذه الدول المنضمة اليه والنهوض بها اقتصاديا ، ولا ريب ان من أهم مظاهر قوته هو التركيز والتخصص ذلك انه من المهم ان نسجل ان تلك ميزة ينفرد بها الكوميكون عن اى تكتل آخر ، ذلك ان فكرة التخصص وان كانت موجودة مثلا فى السوق الاوروبية المشتركة الا انها أيضا لا تصل الى درجة التركيز الموجود فى « الكوميكون » فدول السوق المشتركة لها حريتها المطلقة فى الاستيراد والتصدير ، ففى بعض الاحيان نجد احدى دول السوق المشتركة تقوم باستيراد ما تريد من الخارج بدلاً من أن تأخذه من الدول المشتركة معها فى السوق ، هذا فضلا عن ان التعاقد قد يتم دون الرجوع الى هيئة تمثل الدول الاعضاء لانه من الممكن ان يتم هذا التعاقد رأسا ، ومن ثم نجد ان دول السوق المشتركة تفتقر الى سياسة التنسيق التى تمتاز بها الكوميكون .

وما يصدق على قطاع التجارة يصدق من باب أولى على قطاع الصناعة ، فالسوق الاوروبية المشتركة وان كانت تهدف أيضا الى تركيز صناعات بعينها فى كل دولة فانها لا تستعين الى تحقيق هذا الغرض بهيئة مركزية مثل الهيئة الموجودة فى الكوميكون بل تترك السوق الاوربية الامر لمقتضيات الظروف الاقتصادية بمعنى أن يكون البقاء للاصلح فى ظروف المنافسة الحرة فبعد توحيد القوانين المالية والضريبية وغيرها من التشريعات وتقريب التفاوت بين الاجور قد ترى صناعة الحرير تتركز فى فرنسا وصناعة الصلب تتركز فى المانيا وهذا من شأنه أن يؤدى الى زوال الكثير من الصناعات الصغيرة ، كما أن الصناعات الجديدة قد تبدأ تجربتها فى كل دولة من الدول الاعضاء (فى السوق المشتركة) ثم ينتهى الامر باضمحلالها بعد قليل فى جميع الدول عدا دولة واحدة تكون الظروف فيها مواتية لتركزها وبقائها ، وذلك بخلاف ما نراه فى الكوميكون حيث تتفق الدول الاعضاء منذ البداية على الدولة التى تقام فيها الصناعة الجديدة .

ولاشك ان السوق الاوربية المشتركة بتلك المنافسة والتجربة انما تضيع الكثير من الجهد والوقت ، ويعتبر ذلك استنزافا وتبديدا للثروة القومية .

ان التباين فى السياسة الاقتصادية بين كلا التنظيمين انما هو فى الواقع تباين فى المذهب والايديولوجية التى تعتنقها كل من الدول المشتركة فى المنظمتين . فدول السوق الاوربية المشتركة تعتنق مذهب الاقتصاد الحر ولكل دولة فيها أن تتمسك بمبدأ السيادة على حين أن دول اوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى (وهى مجموعة الكوميكون) تعتنق المذهب الاشتراكى الذى يترك فيه للدولة مهمة التوحيد والسهر على التنفيذ بما يتفق والمصلحة العامة .

كما أن الدول المشتركة فى الكوميكون وان اختلفت من حيث التجربة فانها اجتمعت على عقيدة الاشتراكية فهى متحدة من حيث العمل على تحقيق هذا الهدف . اما الدول الغربية المشتركة فى السوق الاوربية المشتركة فانها وان اتفقت من حيث تمسكها بمبدأ الاقتصاد الحر الا انها متباينة من حيث تلك الحرية الاقتصادية وهى تخضع سياستها العامة لاكبر من ضغط حزبى ومن هنا قد يتعذر عليها أن تخضع لهيئة عليا ترسم لها السياسة الاقتصادية بكامل تفاصيلها اودقائقها .

ومع ذلك فان دول « الكوميكون » لم تحقق النمو الاقتصادى المرتفع باستثناء رومانيا (التى بلغ معدل النمو السنوى فيها حوالى ١٥ فى المائة) ويمكن تفسير النقص فى ذلك النمو الاقتصادى فى دول اوربا الشرقية بالذات نتيجة لنقص الايدى العاملة (كما هو الحال فى دول مثل المجر والمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا) وظروف الخبرة التكنولوجية بجانب ظروف الحرب الباردة بين المعسكرين ، ثم يمكن ان نضيف الى ذلك سياسة روسيا أيام ستالين والتى كان الاتجاه مكرسا فيها لبناء روسيا على حساب الاسرة الاشتراكية . ثم يمكن ان يقال ان جمود بعض الافكار الاقتصادية

فى النظرية الاقتصادية وعدم وضوح البعض منها ومشاكل التطبيق أثر فى أن تظل دول الكوميكون ذات نمو اقتصادى منخفض عن المعدل الذى بلغته دول كالسوق الاوربية المشتركة الا أنه بعد الستينات بدأت تزول عقبات كثيرة ، وبدأت ترتفع معدلات النمو فى دول « الكوميكون »

ومع كل ما يوجه لمنظمة الكوميكون من محاولات النقد الا أننا يجب ان نؤكد ان ذلك ليس معناه أن منظمة الكوميكون لم تحقق نجاحا ، فالواقع ان الاقتصاد الاشتراكى قد حقق مزيدا من العدل لكثير من الطبقات الكادحة واعطى فرصا جديدة لحياة الملايين من العمال ، وان كان أيضا من الصعب المقارنة بين اسلوب التنمية الرأسمالى ، واسلوب التنمية الاشتراكى ، ذلك أن الاصول والأساليب والنتائج مختلفة تماما . فالاقتصاد الرأسمالى قد بنى على سرقة عرق الشعوب وعلى الاستعمار وبنى على الملكية الفردية الاستغلالية والنظرة الانانية وبنى أيضا على سنين طويلة من الخبرة والتقدم العلمى والتكنولوجيا وهى لا يمكن ابدا ان تتوفر بسهولة لدول المجتمع الاشتراكى ، والاسرة الاشتراكية التى ظل المعسكر الرأسمالى يعاديها ويحاربها ويقف منها موقف العداء سنين طويلة .

فالدول الاشتراكية التى تقف ضد الرأسمالية والامبريالية والاستعمار تجاهد من أجل الاحتفاظ بخبرائها خوفا من اغراء الدول الغربية لهم . فى الواقع نتيجة لاعتبارات سياسية واجتماعية كثيرا ما تضحى بالاعتبارات الاقتصادية ، ولكن ينتظر بعد ادخال المفاهيم الجديدة للكثير من النظريات العلمية الحديثة على الاقتصاد الاشتراكى بما يتناسب وظروف القرن العشرين ينتظر فى ظل ذلك نجاح المعسكر الاشتراكى وتطوره وانطلاق قدراته ليبنى لشعوبه حياة جديدة فيها الحرية الاجتماعية التى تعتمد على الرخاء وعلى البناء الاقتصادى الذى يشبع حاجات الجماهير ولا يسرق عرق الكادحين .



● جمهورية مصر العربية ●

الوحدة بين مصر وليبيا

● اليمن الشمالية ●

عدن ـ صنعاء

بعد زيارة روجرز

● أوغندا ●

النزاع الثانى

للقوى النظامية

● فيتنام ●

الثورة الفيتنامية تحتفظ

بزمام المبادرة عسكريا وسياسيا

● جويانا ●

قرارات ايجابية

لمؤتمر عدم الانحياز

تقرير خاص :

المغرب : بين « انقلابات

القصير » والسخط الشعبى

خـاص للطليعـة

مخطط أجهزة المخـابرات الامبريالية لتصــفية المقــاومة الفلســطينية

علمت « الطليعة » أن اتفاقا جديدا قد تم بين المخابرات الامريكية والاردنية والاسرائيلية ، لتصفية المقاومة الفلسطينية .

وتجرى أعمال التنسيق والتخطيط المشترك لنشاط أجهزة المخابرات الثلاث ، فى عمارة تقع بمنطقة الروشة فى بيروت . ويملك هذه العمارة الملك حسين . ويمثل جانب المخابرات الاردنية فى هذه اللقاءات العميل الاردنى **م . عودة .**

وتؤكد الانبــاء ــ التى تلقتهـا الطليعة من مصـــادر عربية مطلعة ــ أن **ج . ب . أوكنـــايل** [ســكرتير الســـفارة الامريكية فى عمان] ، هو المكلف بالاشراف على هذه الشــبكة الجديدة ، وعلى أعمـــال التنســـيق بين أجهزة المخابرات الثلاث . كما تتضمن مسئوليته قيادة الحملة المعــادية للفلسطينيين ونشاطهم فى منطقة الشرق الاوسط وفى أوربا .

كما علمت « الطليعة » أن **ج . ميكواين سيفير** [موظف الســـفارة الامريكية فى بيروت] ، هو المســـئول عن تخطيط وتنفيذ عمليـــات اغتيـــال القـــادة الفلســـطينيين ، بالتنسيق مع بعض الدوائر فى بيروت . وقد بــدأت هــذه العمليات فى الاسابيع القليلة الماضية ، باغتيال **غســان كنفـــانى** ، وبارسال الطرود المتفجرة ، التى أدت الى اصابة كل من **بسام شريف** ، **وانيس صايغ .**
وتفيد هذه الانباء المؤكدة ، أن عددا من المؤامرات يدبر حاليـــا لاغتيال عدد آخر من قادة المقـــاومة الفلســـطينية ، فى المجـــالات الفكرية والســـياسية والعسكرية .

واكدت مصادرنا أن هناك ترتيبات تستهدف اغتيال ياسر عرفات .

والهدف الذى يتوخاه المخطط ، هو اثارة البلبلة والفوضى والاضطراب داخل صفوف المقاومة الفلسطينية .

وتتوقع هذه المصادر العربية المطلعة أن يتزايد نشـــاط هذه الشبكة ، كجزء من المخطط العام الذى يجرى تنفيذه على النطاق العربى ، خاصة فى ظروف :

ــ النجـــاح الذى حققته لقاءات قادة المقاومة فى موســـكو بالمســـئولين الســـوفيت .

ــ المؤامرات التى تحـــاك حاليـــا لتوقيع اتفـــاق منفصـــل بين الاردن واسرائيل .

■ جمهورية مصر العربية

الوحـــدة بين مصر وليبيــــا

اقر مجلس الشـــعب فى بداية دورته الطارئة التى عقدت فى منتصف أغسـطس الماضى ، أول قوانين تنفيذ الوحدة الشـاملة بين مصر وليبيا . فقـد وافق المجلس بالاجمـــاع على مشروعى القانونين الخـاصين بتقرير حق الليبيين فى تملك العقارات والمنقولات فى مصر ، وكذلك فى تقرير حقهم فى العمل فى مصر .

وكان الرئيسان **أنور السادات ومعمر القذافى** قد وقعا فى اليوم الثانى من شهر أغسطس الماضى ـــ فى مدينة **بنى غازى** بليبيا ـــ « اعلانا تاريخيا » باقامة وحدة شاملة بين مصر وليبيا « تتم فى أسرع وقت ممكن ، وعلى أقوى أساس ممكن » . وحدد الرئيسان فى اعلانهما موعدا أقصاه أول سبتمبر من العام القادم لاتمام هذه الوحدة .

وقد بدأت المباحثات بين الرئيسين بشأن اتمام الوحدة بعد انتهـــاء مهلة الشـــهور الخمسة التى طلبها الرئيس الســـــادات ـــ عندما عرض عليه الرئيس معمر القذافى فى أوائل العام الحالى ـــ اتمام الوحدة الاندماجية الفورية بين ليبيا ومصر .

وتضـــمن الاعلان الذى صـــدر عن مباحثات الرئيســـين ببنى غـــازى .. ان الشـعب المصرى والشـــعب الليبى تجمعهما عوامل وثيقة وصلات متعددة جغرافية واقتصـــادية وتاريخية وسياسية وبشرية وفكرية ـــ تلقى عليهما ازاء الامة العربية مسئوليات والتزامات ـــ وهذه المسئوليات ليست دورا متميزا للشعبين ، ولكنها التزام محدد لخدمة الاهداف القومية العليا ، مهما كانت العوائق .

وتحددت فى الاعلان ـــ خطوات اتمام الوحدة على شكل برنامج زمنى يبدأ بانشاء قيادة سياسية موحدة بين البلدين ـــ يصـــدر بتشكيلها قرار من الرئيسين السادات والقذافى فى الاسبوع الاول من سبتمبر الحالى ـــ وتضع هذه القيادة الموحدة فى أسرع وقت مســتطاع ، الاســس المقترحة للوحـــدة الكاملة بين البلدين ، وتشرف على تنفيذ الخطوات اللازمة لتحقيقها .

وتشكل هذه القيادة الســياسية الموحدة سبع لجان مشتركة من البلدين لدراسة ووضع الانظمة التى على أسـاسها تقوم الوحدة فى المجـــالات الدستورية والتنظيمات السياسيه والدفاع والامن والاقتصـــاد والتشريع والقضـــاء والنظم المالية والادارية والتعليم والعلوم والثقـــافة والاعلام ، على أن تعرض نتائج عمل هذه اللجان على القيادة السياسية الموحدة لتتخذ ما تراه بشأنها .

وتقوم القيادة السياسية الموحدة باقرار واعلان الصيغة النهائية لمشروع الوحدة ، وذلك لعرضه على الســـلطات المختصـــة فى كل من البلدين ـــ وطرحه للاستفتاء الشـعبى ـــ ونص الاعلان على ان تتم هذه الاجراءات كلها فى موعد أقصاه الفاتح من سبتمبر عام ١٩٧٣ .

وقد أثار اعلان الوحدة الشاملة بين مصر وليبيا ضجة كبيرة فى صـــحف اسرائيل والبلاد الغربية ـــ وانتهزت اسرائيل والصـــحف الموالية لها فى فرنسا ـــ اعلان الوحدة لشن حملة ضغط واسعة على الحكومة الفرنسية لمنعها من الاســـتمرار فى تسليم طائرات الميراج لليبيا ، على أساس أن ليبيا بعد وحدتها مع مصر ، أصبحت من دول المواجهة التى ينطبق علـيـهـا قـــرار الحظر الفـــرنسى المصادر الرســـمية الفرنسية ، اعلنت انهـــا ستنتظر الى موعد اتمام الوحدة الكاملة بين مصر وليبيا ، وساعتها ستحدد موقفها فى ضوء مشروع الوحدة الذى يتم تنفيذه .

وفى صحافة الدوائر الاستعمارية ، كانت أكثر التعليقـــات تكشف عن المخـــاوف حول نقطتين : احتمال استخدام البترول الليبى كسلاح للضغط ، وأيضا الخوف من الاثار التى ستخلفها الوحدة بعد توحيد امكانيات الدولتين .

وجاء فى تقرير « لليونايتد بريس » ، ان الخبراء العسكريين الغربيين يعتقدون ان الوحدة الشاملة بين مصر وليبيا يمكن ان تدعم القوة الجوية العربية بصورة حاسمة ، فالوحدة سوف تربط واحدة من أغنى الدول العربية ، وهى ليبيـــا ، بأكثر الدول العربية تقدما ، وهى مصر . كما انها ســـتخلق اكبر دولة من حيث المســـاحة فى افريقيا ومنطقة الشرق الاوسط بأسرها ، فضـــلا عن انها ستكون أقواها .

وعندما تتم الوحـــدة ، ســـوف تضـــم الدولة الجـــديدة ٣ ملايين كيـــلو متر مربع و ٣٧ مليون نسمة من الســـكان ، ويصـــل دخلها القومى الى تسعة آلاف مليون دولار .

وقـــد أعرب الرئيس **بودجورنى** عن ارتيـــاحه الكامل لاعلان الوحدة بين مصر وليبيا ، باعتبار أن ذلك يمثل قوة جديدة للامة العربية فى نضـــالها العـــادل .

■ الوطن العربي

بين أنغام التسوية الجزئية والمقاومة المستمرة

طرح **أبا ايبان**، فى اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى يوم ٣٠ يوليو الماضى، مشروع اعادة فتح قناة السويس .

وفى الرابع من اغسطس ادلى **ايجال آلون**، نائب رئيسة وزراء اسرائيل، بتصريح لجريدة **دافار** الاسرائيلية ، قال فيه ان خروج المستشارين السوفيت من مصر جاء تتويجا لوقف اطلاق النار فى السابع من اغسطس عام ١٩٧٠ وان خروجهم يعطى الشرق الاوسط فرصة جديدة للسلام . واعرب عن امله فى ايجاد فرص افضل للسلام على ضوء الوضع الراهن . واوضح آلون أنه يفضل عقد اتفاق شامل وليس تسوية مؤقتة تعتمد على اعادة فتح قناة السويس .

وفى الثامن من الشهر نفسه ، ادلى **اسحق رابين** ، سفير اسرائيل فى واشنطن ، بحديث للتلفزيون الاسرائيلى ، قال فيه ان الطريق الوحيد لتحقيق تقدم نحو حل سياسى هو تسويات جزئية يتم التوصل اليها على مراحل .

اما **وليم روجرز** ، وزير الخارجية الامريكية ، فقد أعرب فى حديث له يوم ١١ اغسطس عن ارتياحه للوضع المستقر فى الشرق الاوسط ، واعاد عرض فكرة التفاوض بين مصر واسرائيل وتوسط الولايات المتحدة من أجل ايجاد حل جزئى للمشكلة .

وفى نفس اليوم ، نفى متحدث رسمى بلسان **كورت فالدهايم** ، السكرتير العام للامم المتحدة ما نسبته اليه بعض وكالات الانباء من انه يطالب بتعديل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الخاص بتسوية مشكلة الشرق الاوسط ، كما كذب المتحدث الانباء التى راجت حول ايمان فالدهايم بعجز مهمة يارنج عن اقرار السلام فى الشرق الاوسط .

وفى اليوم التالى نفى **جونار يارنج** انه تقدم بمشروع جديد لتسوية الازمة . وكانت بعض مصادر الامم المتحدة قد أكدت انه تقدم بمشروع يتضمن انسحاب اسرائيل جزئيا من المتنازعين ، على أن تضمن الدول الكبرى هذا الاجراء المرحلى لحين انتهاء المفاوضات . وتنسحب اسرائيل بعد ذلك الى خطوط ١٩٦٧ . ويدمج قطاع غزة بالضفة الغربية ، التى تعود بدورها للوحدة مع الضفة الشرقية للاردن . ويكون للامم المتحدة وجود عسكرى دائم بين الاطراف المتنازعة . وتكفل حرية الملاحة لسفن كافة الدول بما فيها اسرائيل فى الممرات المائية العربية ، ويعوض اللاجئون الفلسطينيون .

يجرى كل هذا بينما تطبق اشكال جديدة للمقاومة . فيقتحم ، يوم ٧ اغسطس ، نحو ٥٠٠ شخص من اهالى قريتى « **برعم** » و « **افرت** » دربنيهم الواقعتين على الحدود الاسرائيلية اللبنانية . والتى كانت السلطات الاسرائيلية قد اجلتهم عنهما — بالقوة — فى نوفمبر ١٩٤٨ ، وقد تصدت القوات الاسرائيلية لهؤلاء العائدين واخرجتهم مرة اخرى بعد ان سقط عشرات الجرحى العرب . واعلن **يوسف ريا** ، مطران الروم الكاثوليك فى اسرائيل اغلاق الكنائس فى اسرائيل وعددها ٢٣ كنيسة يوم الاحد ١٣ اغسطس . وفى اليوم السابق نظمت مظاهرة طافت شوارع تل أبيب ونددت بأساليب جيش الدفاع الاسرائيلى الوحشية .

وفى الرابع من اغسطس دوت الانفجارات فى مستودعات البترول فى تريستا الايطالية . وهى المستودعات التى تستخدم فى تخزين نفط الشرق الاوسط ، وتحول لالمانيا الغربية والنمسا . وفى اليوم التالى اعلنت **منظمة ايلول الاسود** الفلسطينية مسئوليتها عن الحادث ، فى حين أعلن البوليس الايطالى انه يرجح تقديم بعض العناصر اليسارية الايطالية المساعدات للفدائيين الفلسطينيين لانجاز مهمتهم هذه . وفى اليوم نفسه وقع انفجار فى مكتب تشغيل العمال فى قرية قبلان من ضواحى نابلس بالضفة الغربية .

ولم يعرف بعد ما اذا كان الحريق الذى أتى على السفينة الاسرائيلية **بات تيران** هو من فعل المقاومة الفلسطينية ام لا . وكانت بات تيران قد غادرت ميناء تريستا قبل انفجارمستودعات البترول بيومين وقد شبت النار فيها عقب تركها المياه اليوغوسلافية ودخولها المياه اليونانية فى طريقها الى ميناء حيفا الاسرائيلى . وقد تمكن ٢٠ من بحارتها وستة من ركابها من النجاة فى حين غرقت السفينة (حمولة ٢٦٠٠ طن) ومعها قائدها .

وفى مساء ١٢ اغسطس وقع انفجار فى صالة

افراح فى تل أبيب • صرحت مصادر البوليس الاسرائيلى بأنه وقع نتيجة انفجار انبوبة غاز فى الفناء الخلفى للصالة ، ثم عادت وذكرت ان قنبلة القيت على الصالة •

وتقع هذه الحوادث فى الذكرى الثانية لوقف اطلاق النار • وتؤكد وكالة الانباء الفلسطينية فى هذه المناسبة ، بحق ، بان المقاومة لا يمكن أن يحكمها مرسوم •

●

■ **الاردن**

الحـــــدود المفتوحـــــة

عندما زار **رشاد الشوا** ، رئيس بلدية غزة ، الاردن فى النصف الثانى من يوليو الماضى ، طلب الى **الملك حسين** منح أهالى قطاع غزة جوازات أردنية . وقد وافق الملك على طلب رئيس بلدية غزة • وقال فى حديث ، نقلته فى حينه اذاعة عمان ، أنه سيمنح جواز سفر أردنى لكل شخص من قطاع غزة يحمل توصية من رشاد الشوا • وقد أقدم **الملك حسين** على هذه الخطوة ليغرى سكان قطاع غزة ، المتلهفين للتنقل فى البلاد العربية ، بميزات الانضمام للملكة العربية المتحدة ، التى كان قد اقترح الملك حسين تشكيلها من الضفـة الغربية والضفة الشرقية ، مبقيا الباب مفتوحا أمام قطاع غزة للانضمام اليها .

وكانت اسرائيل قد سمحت لسكان قطاع غزة والضفة الغربية بزيارة بعضهـم البـعض ، دون استخدام تصاريح ، وذلك اعتبارا من أول يوليو الماضى •

وفى يوم ٢٩ يوليو الماضى نقلت **اليونايتدبرس** تصريحا **لرشاد الشوا** قال فيه أن قطاع غزة مرتبط بالضفة الغربية • وكان بذلك يدلى بصوته لصالح مشروع الملك حسـين . وقد وصل الشـوا الى عمان ، يوم ١٣ أغسطس الماضى ، على رأس وفد يضم ٤٠ من وجهاء قطاع غزة ، بحجـة تقديـم العزاء بوفاة الملك السابق **طلال** ، والد الملـك حسين • وكانت منظمات المقاومة قـد وزعت منشـورا فى قطاع غزة ، يوم ٧ أغسطس ، نددت فيه بمشروع الملك حسين وبرشاد الشوا • وفى ٢٢ أغسطس عاد الشـوا من عمان ليقدم تقريرا عن محادثاته مع السلطات الاردنية الى موسى ديان •••

وذكرت صحيفة **واشنطن بوست** الامريكية ، فى عددها الصادر فى ٢٥ يوليو الماضى ، أن الاردن واسرائيل قد توصلتا الى اتفاق يقضى باستخدام الاردن لميناء غزة ، لاستيراد وتصدير البضائع من خلاله .

وتفيد اسرائيل من سياسة الجسور المفتوحـة هذه ، حيث تصرف من خلال الاردن ما تشاء من السلع والبضائع • فقد ذكرت **وكالة الانبـاء الفلسطينية** ، يوم ٢٩ يوليو الماضى ، أن كميات المنتجات الزراعية والغذائية التى اسـتوردتها الضفة الشرقية خلال النصف الثـانى من يوليو تفوق بكثير احتياجات الاردن ! وأن اسرائيل اتفقت مع بعض العملاء من تجار الضفة الغربية وقطاع غزة على تزييف العلامات علـى البضـائع الاسرائيلية ، ليصرفها هؤلاء فى البلاد العربية من خلال الاردن • وأكدت صحيفة **لوموند** الفرنسية ، عدد ٣١ يوليو ، « ان المنتجات الاسرائيلية التى لا تحمل ما يدل على أنها صنعت فى اسرائيل ، تباع فى عدد من الاسواق العربية » . كما أكدت بعض الوفود التى حضرت **المؤتمر الاول للاتحاد التعاونى الزراعى العربى** ، المنعقد فى القاهرة فى أوائل أغسطس الماضى ، أن بضـائع اسرائـيل أخـذت تتسرب الى البلاد العربية من خلال الضفة الغربية وقطاع غزة ، التى لا ترغب البلاد العربية فى حصارها ومقاطعتها •

ولسياسة الجسور المفتوحة فائدة أخرى تجنيها اسرائيل ، وتتمثـل فى تدفق اكثر من ١٥٠ الف أردنى الى الضفة الغربية المحتلة ، ويساهم هؤلاء ـ حسب الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية ـ بنسبة ١٥ فى المائة من دخل اسرائيل السياحى .

ومن المعروف أن اسرائـيل بدأت ، منذ يونيو الماضى ، بالتصريح للسكان العرب المقيمين بها منذ عام ١٩٤٨ بزيارة شرقى الاردن • كما يزور كبار المسئولين الاردنيين الضفة الغربية المحتلـة واسرائيل ، علنا ودونما حرج • وكان آخر هؤلاء المسئولين هو مدير الزراعة الاردنى ، الذى حضر افتتاح **المعرض الزراعى** فى نابلس ، والذى نظمته وزارة الزراعة الاسرائيلية ، فى أواسط أغسطس الماضى .

وبذا يتأكد ما ذكره مندوب **الاسوشيتدبرس** فى بيت لحم بالضفة الغربية ، من « ان الحدود بين الاردن واسرائيل قد اختفت .. وان هناك طرقا جديدة تحمل عـلامات بـالعبرية والعـربية والانجليزية ، تربط بين الضفة الغربية المحتلة وبين المدن الاسرائيلية الرئيسية » .. كما نستطيع أن

ندرك دلالة التصريح الذى كان قد أدلى به **الياس فريج** ، رئيس بلدية بيت لحم ، يوم ١٢ يونيو الماضى ، والذى أكدفيه « أن الصلح بين اسرائيل والاردن سيعقد خلال عام » .

●

■ اليمن الشمالية

عـــــدن ــ صـــــنعاء
بعـــــد زيارة روجـــرز

عاد شبح الصدام العسكرى يخيم من جديد على الحدود بين اليمن الشمالية واليمن الجنوبية ويلاحظ المراقبون ان الوضع قـد ساء من جديد بين اليمن الشـمالية واليمن الجنـوبية ، عقب زيارة ويليام روجرز وزير خـارجية الولايات المتحدة لليمن الشـمالية ومنطقة الخليج العربى فى أوائل شهر يوليو الماضى ، واعلان حـكومة صنعاء عن عودة العـلاقات الدبلوماسـية مع الولايات المتحدة ، والمعروف ان اليمن الشمالية وبعض الدول العربية قد قطعت عـلاقاتها مع الولايات المتحدة بسبب تأييدها لاسرائيـل فى عدوان يونيو عام ١٩٦٧ . وكانت فى مقـدمة جدول أعمال روجرز بحث الوضـع فى اليمن الجنوبية ، ووضع حد لنشاط حركات التحرير الوطنية فى جنوب شـبه الجزيرة العربية ، والنفوذ السوفيتى فى المنطقة ، والوضـع فى الشرق الاوسط .

وقد أجرى **روجرز** مقابلات فى صنعاء معقادة المجموعات الجنوبية المعادية للنظام التقدمى فى اليمن الجنوبية ، من أنصار السلاطين السابقين، وحزب رابطة الجنوب العربى ، وعبـد القوى مكاوى ، وقحطان الشعبى ، والعقيد حسـين العسال ، وسالم باسندوه ، من أجل توحيد هذه المجموعات ، وعقبمغادرة روجرز لصنعاء أخذت الاسلحة الامريكية من كل نوع تصل الى موانى اليمن الشمالية ، كما تفيد التقارير الواردة من داخل اليمن الشمالية ، ان قادة المجمـوعات المعادية لليمن الجنوبية ، يعدون حاليا جيشا من المتطوعين والمرتزقة الاجـانب فى معسـكرات داخل اليمن الشمالية استعـدادا للهجوم على اليمن الجنوبية .

ويرى المراقبون أن ما يجرى الان فى شبه الجزيرة العربية هو تنفيذ لسياسة الاسـتعمار الجديد ، لتعريب الحرب فى المنطقة ، ودعوة العرب لمحاربة العرب ، وان تكتفى الولايـات المتحدة بمد القوى المضادة بالاموال والاسلحة والخبراء العسكريين . بدون أن تقحم هى نفسها مباشرة فى القتـال ، وذلك بهـدف اعادة ترتيب الاوضـاع فى المنطقة من جديد بما يوفر الامن والاستقرار لشركات البترول الامريكيةوالبريطانية فى المنطقة .

ويربط المراقبون بين اهداف امريكا والقوى الرجعية فى المنطقة ، مع اهداف اسرائيل فى القضاء على جمهورية اليمن الجنوبية باعتبارها تشكل المدخـل الطبيعى للجزيرة العربيـة ، وتسيطر على المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ، وكما وضح ذلك من حوادث القبض على شبكات التجسس لحساب اسرائيل فى اليمن الشمالية فى الفترة الاخيرة ، واستيلاء اسرائيل وامريكا على الجزر القائمة فى مدخل البحر الاحمرواقامة القواعد العسكرية عليها .

وتفيد الانباء الواردة من المنطقة ، انه يجرى حاليا تعبئة الحشود العسـكرية وعمليات بث الالغام على الحدود بين اليمن الشمالية واليمن الجنوبية ، مما ينذر بانفجارالموقف فىأية لحظة.

■

■ أوغنـدا

النـــــزاع الثـــانى
للقـــوى النـــامية

لم يكد يمضى شهور خمسـة ، على النزاع الذى نشب بين **عيدى امين** وبين **اسرائيل** ، حتى فتح الرئيس الاوغندى « جبهة نزاع ثانية » مع **بريطانيا** . فقد طلب فى أوائل الشهر الماضى من بريطانيا استعـادة الاسيويين المقيمين فى بلاده ويحملون جوازات سـفر بريطـانية ولم يتجنسوا بالجنسية الاوغندية على أن يتم هـذا خلال ثلاثة اشهر ، وبرغم أن بريطانيـا أرسلت مبعوثا الى اوغندا « للتفاوض » ، وأعلنت انها ستتصل ببعض الدول « للتوسط » ، الا أن الرئيس الاوغندى لم يستجب لذلك كله بل أعلن انه لن يصغى الى نصائح البريطانيين « ملوك الامبريالية » . ومن المعـروف أن القـوانين البريطـانية لا تسـمح بدخول اكثر من ٣٥٠٠ آسيوى الى بريطانيا سنويا ، بينما يقدر عدد الاسيويين فى أوغندا بحوالى ٨٠ الفا يحمل

منهم ٤٠ الفا الجنسية البريطـانية ، وينتمون جميعهم فى الاصـــل الى الهنـود والعـرب والباكستانيين والسيلانيين

وبرغم أن المراقبين يختلفون بشكل ملحوظ حول تقييم الوضع ككل فى أوغندا وطبيعته ، الا انهم يجمعون على أن تطورات الاحداث هناك ، انما تعبر عن بروز قوة اجتماعية جديدة نامية تحاول أن تستبعد من طريقها كل ما يمكن أن يعوق نموها وسيادتها الاجتماعية والسـياسة والاقتصادية .

ومعروف أن الاسيويين قد هاجروا الى اوغندا ابان الحكم البريطانى وعملوا فى أجهزة الدولة والاقتصاد وشكلوا فئة من الوكلاء التجـاريين والسماسرة والحرفيين . ومع نمو العـلاقات التجـارية لاوغنـدا وادخال بعض التطورات الاقتصادية ، وجد الافريقيون أنفسهم فى المرتبة الثالثة من السلم الاجتماعى للبـلاد . وجـدير بالذكر أن الاسيويين [الهنود بشكل خاص] يسيطرون على تجارة القطن ويملكون ٩٠٪ من محالج القطن .. مثلا . وبشكل عام سيطروا على ٩٠٪ من تجارة أوغندا الخارجية فيمـا قبل الاستقلال .

ومع استقلال اوغندا ، بدأ الافريقيون وبخاصة الفئات الاجتماعية النـامية ، تصـطدم بهؤلاء الاسيويين الى حد وصل فى بعض الاحيان الى الدعوة الى عدم التعامل معهم اقتصاديا أو تدمير ممتلكاتهم . ولان معظم هؤلاء كانوا قد اختاروا ــ عند الاستقلال ورحيل بريطانيا ــ البقاء فى البلاد « كرعايا بريطانيين أو رعايا الكومنولث البريطانى » ، فقد كانت بريطانيا تتدخل لدى حكومات دول شرق افريقيا [التى تعانى من نفس المشكلة] بهدف التوصل الى حلول ترضى الطرفين .

وفى نفس الوقت الذى يتوقع فيه المراقبون أن تعيد بريطانيا محاولات الاتصال بعيدى أمين من أجل الوصول الى حل ، فانهم لا يتوقعون أن يتراجـع الرئيس الاوغنـدى عن القرار الذى اتخذه وعبأ الرأى العام فى بلاده حوله باعتبار أن الاسيويين « يخربون اقتصاديات البلاد » .

وتخشى بريطانيا من النتائج التى يمكن أن تترتب على تنفيذ قرار عيدى أمين، فهو من جهة يخلق لها مشاكل داخلية فى أراضيها ، ومن جهة أخرى يهدد بحدوث سلسلة من ردود الافعال المماثلة داخل كل من كينيا وتنزانيا .

■ جنوب افريقيا ■

جـــون مـاركس
مناضـلا وطنيـا

فقدت حركة الكفاح المسلح الوطنية فى جنوب أفريقيا ، فى أول الشهر الماضى ، واحدا من أبرز قياداتهـا السياسـية والجمـاهيرية ، هو جون ب . ماركس [١٩٠٣ ــ ١٩٧٢] ، أحد زعماء **المؤتمر الوطنى الافريقى والحركة العمالية والحزب الشيوعى** لجنوب أفريقيا .

وقد بدأ جون ماركس حياته مدرسا ، ثم فصل بسبب نشاطه الوطنى ، فعمل فى مدارس أطفال عمال مناجم الماس واتصل مباشرة « بالمأساة » التى يعيشها عمـال المناجم تحت وطأة الاضطهاد الاقتصـادى والسياسى والعنصرى .. فبـدأ يدعو بين عمال المناجم الى أهمية وحدة الحـركة العماليـة من أجـل تحقيق مطالبهم فى مستوى معيشة أفضل . وفى ذلك الوقت كان **الحزب الشيوعى** لجنوب افريقيا هو الحزب الذى يدافع عن حقوق عمال المناجم فالتحق به فى عام ١٩٢٨ .

وقام جـون ماركس بتنظيم اضراب ١٠٠ر٠٠٠ عامل مطالبين برفع الاجـور وذلك فى عام ١٩٢٨ ، وكان لنتائج هـذا الاضراب خسائر كبيرة فى أسواق نيويورك ولندن . ويومها أطلق البوليس النار على العمال المضربين وقبض على قيـادة **اتحاد عمال المناجم الافريقى** بما فيهم ماركس الذى كان رئيسا للاتحاد .

ويعد جون ماركس فى الاوساط النقابية والتقدمية الافريقية والعـالمية ، مناضـلا وطنيا وأمميا ، فقد كرس حياته لقضـية تحرير بلاده

وقد لعب جون ماركس دورا بارزا فى المؤتمر العام لحزب المؤتمر الوطنى الافريقى، فى ١٩٦١ ، من أجل اقـرار قضية الكفاح المسلح « كطريق وحيد لتحـرير البـلاد » وتصفية الحكم العنصرى .

وبوفاة جون ماركس ، خسرت الحركة الوطنيـة التقـدمية فى أفريقيا ، مناضلا كرس ٤١ عاما من حياته للـكفاح من أجل حرية شعبه ، وتأسيس « دولة شـعبية ديمقراطية » .

■ الاتحاد السوفيتي .

تقييد هجرة اليهود السوفيت يهز توازن لعبة صهيون المزدوجة

لا تزال الصهيونية الاسرائيلية والامريكية تمارس بالنسبة لقضية « هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل » ، تلعب على حبلين ، لكل منهما اتجاه ، ولكل منهما مستوى مختلف .. الاول يتمثل فى توجيه السهام السامة ضد الصداقة العربية ــ السوفيتية ، عن طريق ترديد المعلومات المحرفة أحيانا ، والاكاذيب السافرة أحيانا أخرى عن اليهود السوفييت الذين يسمح لهم بالهجرة الى اسرائيل .

أما الحبل الثانى الذى تلعب عليه الصهيونية فانه يتمثل فى توجيه **حملات الدعاية والضغط على الاتحاد السوفيتى نفسه ، بحجة انه لا يسمح لليهود السوفييت الراغبين فى الهجرة الى اسرائيل بتحقيق رغبتهم ،** وانه بذلك يحجر على حريتهم ويضطهدهم ، ويمارس سياسة « **العداء للسامية** » .

وكما هو واضح ، فان الاتجاهين اللذين تسير فيهما الصهيونية الاسرائيلية والامريكية **متناقضان تماما ، وكل منهما ينفى الاخر .** ومع ذلك فانها قد **وجدت فى الظروف الراهنة للعلاقات السوفيتية ــ المصرية ، فرصة مواتية لممارسة نفس العمليتين معا** مرة أخرى ، وبتركيز شديد ، الضغط على العلاقات العربية ــ السوفيتية ، والضغط على الاتحاد السوفيتى نفسه . ولهذا الغرض خرجت تلك القصة الزائفة من تل ابيب عن **تصريحات روكفلر حاكم نيويورك ، عن اتفاق سرى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، حول هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل .** وهى قصة طرحت بطريقة معينة ، ثم نفيت بطريقة معينة ، وأعيد تأكيدها بطريقة أخرى . وفى كل الحالات كانت الحقيقة التى يراد اخفاؤها ، ان الاتحاد السوفيتى ، فى هذه المسألة بالذات ، يتوخى مبادىء أساسية تتعلق بمصالحه القومية ، ومصالح الدول العربية التى لا تختلف فى الجوهر عن مصالحه ، وكذلك مصالح السلام فى الشرق الاوسط ، التى يدرك الاتحاد السوفيتى جيدا انها تتعارض مع مسعى اسرائيل الاساسى لفتح الابواب على مصراعيها أمام هجرة اليهود السوفييت .

ولهذا ، فان الاجراءات الاخيرة التى أعلن الاتحاد السوفيتى فى منتصف أغسطس عن اتخاذها بشأن هجرة العناصر المثقفة اليهودية الى اسرائيل ، جاءت بمثابة لطمة افقدت الصهيونية فى اسرائيل ، وفى الولايات المتحدة توازنها .

وقد شملت هذه الاجراءات فرض رسوم تتراوح فى قيمتها بين ٥ آلاف و٢٥ الف دولار على المتعلمين اليهود الراغبين فى الهجرة الى اسرائيل وكانت هذه الرسوم من قبل لا تتجاوز الف دولار . وبطبيعة الحال ، فان وابلا من الاتهامات ضد السلطات السوفيتية ، بانتهاج سياسة التمييز ضد اليهود ، والعداء للسامية ، قد انهال على اثر بدء تنفيذ هذه الاجراءات التى تحد بغير شك من هجرة المثقفين والعناصر التى حصلت على ميزات التعليم الثانوى والجامعى والعالى فى الاتحاد السوفيتى وتريد أن تنتقل بخبرتها ، وبعد ان انفقت عليها الدولة الاشتراكية مبالغ طائلة لتحصل على هذا القدر من التعليم ، الى اسرائيل .

وبعد هذا فان رد الفعل لدى اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية ولدى الولايات المتحدة الامريكية يقدم مقاسا دقيقا وصادقا لتأثير وفاعلية هذا القرار ضد خطط الصهيونية للقيام بعملية « استنزاف للعقول » من الاتحاد السوفيتى بالذات الى اسرائيل ، فى الوقت الذى لا توجد فيه خطة مماثلة لاستنزاف العقول اليهودية من الولايات المتحدة . ويتضح رد الفعل لدى اسرائيل فى الحملة التى افتتحتها رئيسة وزرائها جولدا مائير يوم ٢٣ أغسطس الماضى فى جلسة خاصة للكنيست حيث أعلنت أن صدور الاجراءات السوفيتية الاخيرة قد قضى على أمل عدد كبير من ١٠٠ الف يهودى سوفيتى تريد اسرائيل أن يفتح الاتحاد السوفيتى أبواب الهجرة أمامهم اليها .

وتجاوز الامر حدود الكنيست الاسرائيلى الى المنظمة الصهيونية العالمية حيث دعت الى عقد مؤتمر عالمى للزعماء اليهود من جميع دول العالم ليعقد فى لندن يوم ٤ سبتمبر الحالى لتنظيم حملة عالمية ضد الاتحاد السوفيتى بسبب القيود المفروضة على هجرة اليهود السوفيت ، وخاصة من حملة المؤهلات والفنيين .

ويمكننا أن نتصور كيف ستكون حملة على هذا النطاق العالمى الشامل تنظمها الصهيونية العالمية فى أحد مراكزها فى العالم الغربى ــ لندن ــ ضد الاتحاد السوفيتى . ومن المؤكد أن الاتحاد السوفيتى عندما اتخذ قراراته الاخيرة لم تفته حسابات مثل هذه الحملات وردود الفعل المضادة

وما سيتعرض له من محاولات ابتزاز وتشهير بسبب مواقفه الموضوعية .

والحقيقة الاهم من كل هذا **ان مجرد اصدار السلطات السوفيتية تعليمات باجراءات جديدة تحد من هجرة مثل هذه العناصر بالذات الى اسرائيل ، قد فضحت كذب القول بأنه جرت اتفاقية سرية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . وأكدت أن الاتحاد السوفيتي لم يدخل في صفقة مع الامريكيين لصالح اسرائيل** ، كما أرادت كل الحملة الدعائية الأخيرة ان توحى . وبقي ان ندرك **ان مصلحة الاتحاد السوفيتي في منع تسرب خبراته العلمية وطاقاته البشرية الى اسرائيل ، وهي مصلحة عليا للمجتمع السوفيتي بغير جدال ، تلتقى مع مصلحة المجتمع العربي في حجب هذه الخبرات والطاقات عن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، حتى لا تستخدم ضد العرب . وتكاد تكون هذه الحقيقة اكثر وضوحا من البديهيات .**

■

■ **فيتنام :**

الثورة الفيتنامية تحتفظ

بزمام المبادرة عسكريا وسياسيا

يمكن القول بان احداث شهر اغسطس الماضي ، بالنسبة لحركة الصراع الرهيب الدائر في فيتنام على جميع مستوياته ، كانت تكثيفا لكل ملامح هذا الصراع ، العسكرية والسياسية ، ومسلك كل طرف فيها . بمعنى ان احداث أغسطس تلخص بتكثيف شديد ذروة الصراع ، وقدرات القوى المتصارعة فيه واتجاهاتها .

فقد شهد هذا الشهر **أعنف تصعيد للغارات الجوية الامريكية ضد فيتنام الشمالية** ، وشهد في الوقت نفسه **تصعيدا كبيرا جديدا لنشاط قوات جبهة التحرير الوطني في فيتنام الجنوبية** ، وهما أمران لا تزال الولايات المتحدة بحربها العدوانية على الشعب الفيتنامي ، تعتقد أن بينهما تناقضا . فهي تواصل تصعيد حملتها الجوية المركزة ضد الشمال ، ظنا منها ان هذا هو الطريق الوحيد الموصل الى التأثير في الجهد النضالي المسلح للثوار في الجنوب . ولقد كان هذا دائما **محور الاستراتيجية العدوانية الامريكية** . ورغم ان هذه الاستراتيجية لم توصل الولايات المتحدة ، لا كليا ولا جزئيا الى هدف ضرب القوة العسكرية للثورة الفيتنامية في الجنوب ، الا ان العسكرية الامريكية لا تزال متمسكة باتباعها والدوران معها في الحلقة المفرغة ، من سلبية النتائج مع الشمال ، وتلقى الضربات في الجنوب .

وفي الوقت نفسه ، فان شهر اغسطس شهد في فيتنام الجنوبية ما وصفته المصادر العسكرية الامريكية بأنه **عودة قوات الثوار الى توجيه ضربات فجائية على طريقة حرب العصابات في مناطق حيوية هامة** ، مثل منطقة العاصمة سايجون ، وقاعدة دانانج الامريكية الضخمة ، وقاعدة كام ران ، التى تعد أكبر قاعدة أمريكية خارج أراضي الولايات المتحدة ، وكذلك في منطقة دلتا نهر الميكونج . وكانت تحليلات العسكريين الامريكيين قد ذهبت في الفترة الماضية ، الى ان الثوار قد تخلوا عن أساليب حرب التحرير الشعبية ، وانهم لجأوا مع بداية هجومهم الموسع في ٣١ مارس الماضي ، الى الحرب النظامية التقليدية . ولهذا جاءت الهجمات الفدائية بضرباتها الموجعة ضد القواعد الامريكية والقوات الحكومية مفاجأة غير محسوبة وغير سارة للعسكريين الامريكيين .

وقد حاول المسئولون في **وزارة الدفاع الامريكية** التمهيد لتوقعات بعمليات أكثر نشاطا للثوار ، بأن أعلنوا في ١٥ أغسطس الماضي ، أن « **آلافا جديدة من قوات فيتنام الشمالية قد عبرت المنطقة المجردة من السلاح الى فيتنام الجنوبية خلال الاسبوع أو نحو الاسبوع الماضي** » . وقالوا ان هذه التحركات تحير المحللين في وزارة الدفاع بواشنطن ، وانهم « **يعترفون بأنهم لا يعرفون تماما ماذا يفعلون ازاء استراتيجية فيتنام الشمالية** » .

والحقيقة ان القيادة العسكرية الامريكية في سايجون ، وكذلك قيادة قوات حكومة فيتنام الجنوبية ، وجدت نفسها أمام وضع عسكرى يتناقض كلية مع ما سارت فيه دعاياتها طوال الفترة السابقة عن « الهجمات المضادة لاستعادة كوان ترى » . فان هذه الهجمات المضادة لم تفشل فحسب ، **بل ان قوات الثوار أثبتت طوال الاسابيع الماضية مقدرتها على فتح جبهات جديدة ، وتوجيه هجمات متواصلة ضد قوات الحكومة في معظم الجبهات** ، دون أن تتمكن قوات جيش سايجون من وضع قوات الثوار في مواقع الدفاع .

ولقد كان الموقف **على الصعيد السياسي** للمشكلة الفيتنامية ، انعكاسا موضوعيا للموقف في جبهة القتال . **فقد استطاعت الدبلوماسية**

الشـــعبية الفيتنامية ان توجه ضربات مؤثرة الى الولايات المتحـــدة فى حمـــلة عالمية عادلة ضـــد القصف الجوى الامريكى للســـدود ، حتى وجدت وزارة الخـــارجية الامريكية نفســـها مضطرة الى تكذيب بياناتها السابقة ، والاعتراف ــ وان كان ذلك بصـــورة ملتوية ــ بحقيقة قصف السدود . وفى الوقت نفسه كشفت **تصريحات المدعى العام الامريكى الســـابق رامزى كلارك ــ الذى زار فيتنام الشمالية ، خلال أغسطس ، وهو عضو فى لجنـــة التحقيق الدوليـــة ضـــد جرائم الحـــرب الأمريكية ــ أن حكومة واشنطن قد خدعت الرأى العـــام الامريكى ، ولجـــأت الى الكذب مع الرأى العام العالمى .**

وكان من أخطر ما كشفه كلارك فى تصريحاته تأكيده بأنه فى الاماكن المصابة التى رآها بنفســـه فى سدود دلتـــا النهر الاحمر ، لم تكن هناك اية أهداف عســـكرية ، وكانت تلك هى الحجة التى تذرعت بها وزارة الدفاع الامريكية لتبرير قصـــف السدود الفيتنامية الشمالية .. [ولعلنا نتذكر ان اسرائيل لجأت الى الحجة نفســـها لتبرير غاراتها عام ١٩٧٠ على مصنع أبى زعبل ، وعلى مدرسة بحر البقر فى مصر] .

وبينمـــا الولايات المتحـــدة تتعرض للهـــزائم العسكرية والســـياسية أمام الثورة الفيتنامية ، عادت خلال الشهر نفســـه الى حيلتها القديمة ، وهى **القيـــام بمنـــاورات وتحركات كثيرة حـــول**

تعـــليق

أزمة النقد وتناقضـــات العالم الرأسمالى

خلال السنوات العشر الاخيرة كان الصراع والتنافس حول الاســـواق بين الدول الرأسمالية الكبرى من جانب ، وبين الولايات المتحدة من جانب آخر هو السمة البارزة التى حددت العلاقات بين بلدان العالم الرأسمالى طوال هذه المراحل .. وفى خضم هذا الصراع كان التذبذب فى « أسعار الصرف » بين العملات الرأسمالية « والتخفيض الجماعى » يظهر بصورة واضحة ، ولا جدال فى أن هذا التذبذب فى أسعار الصرف صعودا وهبوطا كان يشـــير فى اتجاهه الى هـــدم قرارات « بريتون وودز » عام ١٩٤٤ والاتفاقيات التى كانت تهـــدف الى تشجيع التعاون الاقتصادى بين هـــذه الدول وتنشيط التجارة العالمية واستقرار تداول العملة وأسعار الصرف ، غير أن هذه الاتفاقيات جعلت من الدولار العملة الرئيســـية فى نطاق العالم الرأسمالى كوسيلة دولية للدفع وتم تثبيت أسعار العملات الاخرى ازاء الدولار واستطاع الكونجرس الامريكى منذ ذلك التاريخ أن يمنع اى تغير فى تعـــادل قيمة الدولار وتمكنت الخزانة الامريكية فى أن تعلن بوضوح بأنه لا يسمح لاى دولة أن تغير أو حتى تقترح تغيير القيمة الذهبية للدولار ، ومن ثم تأكد طوال هذه المراحل معـــدل الصرف للدولار فى سوق الذهب بلندن بواقع ٣٥ دولارا لكل أوقية من الذهب ، أما الانحراف فى معـــدلات الصرف من تعادل القيمة الذى تم تحديده ــ ذلك الانحراف الذى يحدث طبقا لحالات « العرض » و « الطلب » على العملة ــ فيسمح به فى حدود لا تزيد عن ١٪ صعودا وهبوطا كما أن التغير فى « تعادل القيمة » «Parity» يصبح أيضا من الامور المسلم بها بما لا يزيد عن ١٠٪ اذا ما كان هنـــاك العجز الواضـــح فى ميزان المدفوعـــات لاية دولة من الدول التى انضمت فى ذلك الوقت الى صندوق النقد الدولى حتى يصبح هذا التغيير بموافقة الصندوق وتحت اشرافه .. وســـوف لا نغالى فى القول هنا اذا ما قرنا بأن العالم الرأسمالى لم يشهد هذا القدر من فقدان الثقة فى عملاته مثلما شهد فى هذه المراحل العصيبة التى تحددت خصائصها فى عمليات « المضاربة » على العملة واكتناز الذهب والتخلص بقـــدر الامكان من العملات التى اصابها الاهتزاز ، لقد كانت البداية قبيل تخفيض الاسترلينى فى ١٨ نوفمبر ١٩٦٧ عندما اندفع « المضاربون » الى اكتناز الذهب ثم جاء الخفض فى الميعاد المحدد له فاذا بهؤلاء الافراد يندفعون مرة أخرى للتخلص من الدولار الذى احتفظ بمكانته كعملة رئيسية فى نطاق العالم الرأسمالى طوال هذه المراحل ، وكان الاندفاع للتخلص من الدولار بمثابة المؤشر الذى يهدد الثقة فى نظام النقد الدولى ويدفع بمزيد من « القوى التضخمية » الى البلدان الرأسمالية التى شهدت أسواق الصرف الاجنبى فيها المزيد من التـــدفق للارصدة الدولارية واستبدالها بالعملات الاكثر قوة مثل المارك الالمـــانى والين اليابانى .. ومن هنا تبلورت الازمة بشكل واضح . وكان يوم ٥ مايو من العام الماضى علامة بارزة من علامات الطريق ــ الطريق المشحون بالمضاربة وفقدان الثقة بالدولار الذى فقد كل وسائل الدعم التى كانت تقدم له من جانب البنوك المركزية عندما قامت بنوك كل من : «سويسرا» و « بلجيكا » و « والنمسا » و « هولنـــدا » و « المـــانيا الغربية » باغلاق « أسواق الصرف الاجنبى » ووقف مشتريات الدولارات التى لم تعد فى حاجة اليها والتى وصلت حوالى ٢ر١٠٠ مليون دولار فى غضون ثلاثة أيام !! وفى ١٠ مايو على وجه التحديد قامت كل من المـــانيا الغربية وهولنـــدا « بتعويم » المـــارك والجيلدر الهولندى فى محاولات لوقف تدفق الدولار ، وكان هذا الاجراء يعنى فى جوهره التخفيض كأمر واقع للدولار ازاء هـــاتين العمليتين ــ بيد أن هـــذه الاجراءات كلها لم تكسر من حدة الازمة واستمرت المحاولات للتخلص من الدولار وسرعان ما انتشرت « الحمى النقدية » فى الاسواق الحرة الرئيسية للذهب فى كل من : لنـــدن وزيوريخ حيث ارتفع سعر الذهب الى ٤٢ دولارا لكل أوقية !!

ولا جدال فى ان هذه الاحداث كان لها الانعكاسات الواضحة على العالم الرأسمالى ككل ، لقد فجرت التناقضات بين دول غرب أوروبا من جانب ، ودول الســـوق من جانب آخر ، بالاضافة الى الخلافات التى نشبت بين العالم الرأســـمالى والولايات المتحدة ، فاذا اتجهنا صوب فرنسا نجد أن السلطات فى هذه المرحلة فرضت الرقابة النقدية بعد أن عانت فرنسا

محادثات باريس ؟ لمجرد الايحاء للرأى العام الامريكى — حيث يقترب موعد انتخابات الرئاسة — بأن الحرب الفيتنامية فى سبيلها الى التسوية . ولهذا أحاطت واشنطن **رحلة هنرى كيسنجر مستشار الرئيس الامريكى الى سايجون** فى الاسبوع الثالث من أغسطس باهتمام مبالغ فيه . ورددت عنها كثيرا من التكهنات ، وصلت الى حد الايحاء بأن حكومة نيكسون تتجه الى « **مبادرة جديدة تقوم على التخلص من حكومة فان ثيو** » رئيس فيتنام الجنوبية ، وهو أحد الشروط الاساسية لفيتنام الشمالية وحكومة الثورة للتوصل الى تسوية كاملة للمشكلة الفيتنامية .

الا أن المصادر الامريكية نفسها رددت — فى الوقت نفسه — « **ان هناك واقعة مؤكدة ، هى أن الغارات على فيتنام الشمالية قد تضاعفت مع وصول كيسنجر الى سايجون** » . وكان من الطبيعى ان يستنتج الكثيرون ان هذا قد حدث « **لطمأنة الرئيس فان ثيو على التصميم الامريكى** » وهو ما سمح لثيو فعلا بأن يعلن « **ان الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية لابد ان تستمر ٦ أشهر أخرى ، حتى يتم الاجهاز على فيتنام الشمالية وتدميرها** » .

والامر الذى تؤكده مصادر الثورة الفيتنامية ؟ **أن موقف أمريكا فى محادثات باريس — وحتى تلك**



من تدفق « النقد الساخن » اليها ، ومن ثم كانت تعارض بشدة اى مشروع يهدف الى « تعويم » عملات دول السوق أو اعادة « التقييم الجماعى » ازاء الدولار ، و . عبرت صحيفة « لوموند » فى ذلك الوقت بأن اجراء المانيا «بتعويم» المارك يعتبر خرقا للاتفاقية المبرمة بين دول السوق وأضافت الصحيفة بان قرار بون « بتعويم » المارك قد ابرز الى حيز المناقشة مستقبل الوحدة النقدية والاقتصادية للدول المشتركة فى السوق .. والواقع انه لم يكن فى موقف فرنسا سوى المعارضة للاتجاه الامريكى .. ذلك الاتجاه الذى كان يرغب فى رفع أسعار الصرف لهذه العملات ازاء الدولار والخروج من المازق بدون الاعلان الرسمى لتخفيض الدولار ، فلقد كانت السلطات الامريكية تدافع بشدة لتأييد هذا الاجراء من جانب الدول الغربية حينما طالب « وليام روجرز » فى الكونجرس الامريكى برفع سعر « الين » والعملات الاخرى الغربية فى الوقت الذى كان يطالب فيه وزير خارجية اليابان بأن تتحمل الولايات المتحدة نصيبها من محاولات اعادة التوازن بين العملات والح فى طلبه بتخفيض الدولار تخفيضا رسميا وكان ذلك فى يوم ١٩٧١/٩/٩ .. ولم تمض بضع شهور حتى اضطرت الولايات المتحدة الى اعلان الخفض رسميا فى ديسمبر من العام الماضى .. وفيما يختص ببريطانيا كان الامر فى هذه الاونة ملائما لها فتعويم المارك واعادة تقييم « الجيلدر » الهولندى والفرنك السويسرى والشلن النمسوى كان يعنى فى اتجاهه التخفيض المستتر للاسترلينى ازاء هذه العملات مما يعطى بريطانيا موقفا تنافسيا لصادراتها ، وبجانب ذلك فان التناقضات بين دول السوق كانت تدعم من موقف بريطانيا فى مفاوضاتها للدخول الى السوق فى بداية العام القادم .

ولا حاجة الى القول هنا بأن مظاهر هذا الاضطراب فى أسواق النقد قد حملت اسوأ الاثار التى برزت بشكل واضح فى عمليات المضاربة ، فتعويم المارك أخفق فى أن يوقف تدفق الدولار الى المانيا الغربية ، بينما سمح «لحاملى المارك» بشراء الدولارات محققين بذلك ربحا معينا ، ولم يكن « المضاربون » وحاملى المارك هم الذين يظهرون الاهتمام البالغ بتعديل سعر الصرف للمارك ، فلقد كانت المشكلة ذات شق سياسى واضح . فالعودة الى المستوى السابق لتعادل القيمة للمارك يعنى تأكيد تضامن بون مع الرفاق فى السوق المشتركة ، بينما اعادة التقييم برفع سعره يشير الى تنازلات سياسية الى الولايات المتحدة وينزل بأعباء اقتصادية على كاهل المانيا .. وأخيرا وليس آخرا اذا ما ألقينا هذا الاستفسار ما هى الاسباب الرئيسية التى أدت الى تخفيض الدولار وتعويم الاسترلينى ؟ يضيق المقام هنا لذكر العوامل التى ادت الى تلك الاجراءات ويكفى أن نذكر باختصار شديد بأن الدولار طوال هذه المراحل كان مقوما بأعلى من سعره الحقيقى او بمعنى آخر : ان الدولار كان مغالى فى قيمته ازاء علاقته بالذهب [المحتوى الذهبى للدولار بقى بدون تغير طوال ٣٧ عاما بالرغم من أن أكثر من ٤٠٪ لقوته الشرائية قد تلاشت تماما نتيجة لارتفاع الاسعار فى السوق الداخلى] ، كما أن العجز المتزايد فى ميزان المدفوعات تكاتف مع العامل السابق وادى كل منهما الى تدفق واضح للدولارات الى الدول الاخرى التى حققت فائضا فى موازين مدفوعاتها ، ولكى تعمل هذه الدول على وقف التدفق كان عليها اما أن تعوم عملاتها أو تقوم باعادة تقييم هذه العملات لمنع التدفق ، ولقد أعيد تقييم بعض هذه العملات وتمت الزيادة فى اسعار الصرف لعملات اخرى فى الوقت الذى كانت فيه هذه العملات قد استهلكت بواسطة « التضخم المستورد » .. ومن ناحية اخرى لم يكن التعويم للاسترلينى أمرا غريبا فالاضرابات المتكررة فى بريطانيا والمطالبة بزيادة الاجور أمام « التضخم » المستمر أثرت بشكل واضح على المركز التنافسى لبريطانيا فى مجال الصادرات واستمر العجز فى الميزان التجارى يعكس هذه المشاكل .. مما ادى الى اهتزاز قيمة الاسترلينى فى أسواق النقد بـ ٥٪ . ولا شك فى أن التنافس على الاسواق الخارجية من جانب بعض الدول كاليابان والمانيا الغربية قد أدى الى انحسار نصيب بريطانيا فى الاسواق العالمية

يوسف الحجاجى

المحادثات السريعة بين كيسنجر ولودوك ثو عضو المكتب الســياسي للحزب الشيوعي الفيتنامي ـــ لم يطرأ عليه أي تغير . أي ان الحكومة الامريكية مستمرة في المماطلة ، تريد فقط كسب الوقت ، والتظاهر بالعمل من أجل السلام ، لتكسب معركة انتخــابات الرئاســة . فهذه هي معركتها الاولى والاساسية الان . أما معركة السلام فهي لا تهمها في شيء .

واذا كانت الثورة الفيتنامية تعي هذه المناورات وتحتفظ ـــ كما بينا ـــ بزمام المبادرة العســكرية والسياسية ، فاننا نستطيع ان نستنتج **ان الفترة القادمة التي تســبق انتخابات الرئاسة الامريكية ستشهد جهدا نضاليا مضــاعفا وكثيفا من جانب الثورة الفيتنامية ، لا لتعرية موقف حكومة نيكسون فحسب في معركته الانتخــابية ، وانما ـــ وهــذا هو الاساس ـــ توجيه ضربة قوية لركيزة الوجود الامريكي في فيتنام ، وهي حكومة فان ثيو .**

■

■ الصين الشعبية

مســألة لين بيــاو واستمرار الصراع فيمــا بعــد مرحلة الثــورة الثقــافيــة

كشفت المعلومات التي أذيعت منجانب الصين أو من جانب المسئولين الصينيين في الخارج عن مسالة لين بياو النقاب عن حقيقة أساسية هي أن الصين مرت خلال الفترة الاخيرة بفصل جــديد من فصول الصراع بين الخطين المتعارضين اللذين يمثل أحدهمــا الزعيم ماوتسي تونج . ويمثــل الصراع الاخر القوى المختلفة التي تريد توجيــه الصين في طريق مختلف .

وقد تبين من التصريحات الصينية الاخيرة عن مؤامرة لين بياو لاغتيال ماو ثم سلسلة الاحداث التي انتهت بوفاته في حادث ســقوط طائرته في منغوليــا في سبتمبر المــاضي . ان الشعب الصيني قد عرف بأمر « المؤامرة » ومصير لين بياو فيها قبل عدة اشهر من اعلانها على العــالم الخارجي . اذ يبــدو أن المسئولين الصــينيين لا يطمئنون بطريقة أو بأخرى في صحة ما يعرف الان بالوثيقة السرية التي وزعت على أعضــاء الحزب الشيوعي الصيني فيانحاء البلاد لدراستها وليعرفوا من خلالها تفصيلات المؤامرة .

ولقد جاء اعلان هذه الامور كلها فيوقت تميزه الملامح التالية بالنسبة لسياسة الصين الداخلية والخارجية :

● كانت الفترة السابقة ـــ التي وقعت فيها « المؤامرة » تعد فترة مابعــد الثورة الثقافيــة الصينية . أي أنه **كان الاعتقاد السائد أن الثورة الثقافية بصراعاتها الداخلية المختلفــة قد انتهت وأن الاوضاع قد استقرت على النحو الذي تم به اعادة تشكيل لجان الحزب في الاقاليم الصينية المختلفة . وعلى النحو الذي أقره دستور الحزب الشيوعي الصيني في مؤتمر الحزب التاسع في أبريل عام ١٩٦٩** . وهو نفسه الدستور الذي تضمن لاول مرة وصف لين بياو بأنه « خليفة » ماوتسي تونج في زعامة الحزب . وبصفة خاصة فقــد كان الاعتقاد سائدا بأن « **مجلس الشعب الوطني** » ـــ أي البرلمان ـــ سيعقد خلال فترة قصيرة بعد غياب طويل ليكون انعقاده بمثابة التأكيد الاخير لاستقرار الاوضاع الداخليــة في الصــين ، ربما في ذلك الاضــاع الدستورية والحزبية .

● **كذلك كانت الفترة نفسها تتميز بانتهــاج سياسة « انفتاح » الصين على العالم الخارجي والتركيز على اقامة علاقات دبلوماسية مع أكبر عدد من دول العالم . وتكثيف الجهود الدبلوماسية بما أدى فعلا الى حصول الصين على عضويتها المشروعة في الامم المتحدة** . ومضت الدبلوماسية الصينية ـــ بجهود شواين لاي بصفة خاصة ـــ الى طريق **التقارب مع الولايات المتحدة** على النحو الذي شهده العالم خلال السنة الماضية منذ اعلان نبأ دعوة الرئيس الامريكي **نيكسون** لزيارة الصين حتى اتمام هذه الزيارة وعقد اتصــالات باريس الدبلوماسية بين البلدين .

ثم جاءت أحداث « مؤامرة » لين بياو لتعطي **أدلة جديدة على أن الاوضاع الداخلية في الصين لم تصل الى حالة من الاستقرار الكامل بعد الثورة الثقــافية** . وان تلك التطورات التي كان من المفروض أن تنتهي بانعقاد المؤتمر التاسع للحزب قد أتت بنوع جديد من الصراع يتمثل في غلبــة العناصر العسكرية على العناصر الحزبية المدنية عنــد اعادة تشــكيل لجــان الحزب في الاقاليم المختلفــة .. وتوضــح التفصيلات المذاعة عن « مؤامرة » لين بيــاو أنه على حين كان الصراع خلال فترة الثورة الثقافية علنيا في وضح النهار وأمام أعين الجماهير ، وباشتراكها المباشر . فان

الفصلُ الجديدَ من الصراع الذىَ بلغ ذروته بعملية لين بياو كان صراعا يجرى فى الظلام .

وبالنسبة لسياسة الصين الخارجية وعلاقاتها مع دول العالم فان الاحداث التى صدق المسئولون الصينيون أخيرا على صحة وقوعها قد اكدت أن **هناك عناصر لاتوافق على الاتجاه نحو التقارب مع الولايات المتحـدة الامريكية فى الوقت الذى يستمر فيه تدهو العلاقات مع الاتحاد السوفيتى** فى نفس الاتجاه الخطير بانعكاساته الســــلبية الخطيرة ليس فقط على البلدين الاشتراكيين وانما على باقى المعسكر الاشتراكى وعلى حركة التحرر الوطنى العالمىوذروتها المتمثلة فىنضال الشعب الفيتنامى .

وبالتحديد فانه اتضح أن **العلاقات الصـينية السـوفيتية لعبت دورا فى الصراع الاخـير** ، ولا يعنى هذا بطبيعةالحال صحة أى تصور بأنه كان للاتحاد السوفيتى ضلع فى تطـورات ذلك الصراع . وهو أمر تحاول أن تتخـذ الدعايات الغربية منه سلاحا لتوسيع هوة الشقاق الخطير بين الدولتين الاشتراكيتين باعتبار هذا الشقاق اكثر الاوضاع ملاءمة لاغراض الامبريالية العالمية فى الوقت الراهن .

ان استمرار الصراع على أى الاحوال يؤكد حيوية وطاقة الحزب الشيوعى الصينى ومقدرته على مواصلة النضــال من أجـل تغليب الخط الصحيح للثورة الصينية . ولا شك أن الحـزب الشيوعى الصينى من الخبرة التاريخية ما يمكنه فى النهاية من تحقيق انتصار حقيقى ومســتقر لسلطتـــه الاشتراكية ، ولقيـــادته لحركة الثورة الصينية .

■

■ اليـــابان

بـــداية التحلـــــل من عمليـــة السـيـاسة الامريكية

يعتقد كثـــير من المراقبين أن العـــلاقات بين اليابان والولايات المتحدة ـــ التى اتسمت طوال الفترة الماضية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بالتحالف الكامل .. سوف تمر بمرحلة تبدأ معها تغييرات جديدة فى طبيعة هذه العلاقات . ويذهب بعض المراقبين الى حد تصور أن معاهدة الامن المتبادل الموقعة بين اليابان وأمريكا عام ١٩٦٠ والتى شكلت أســـاس **تدهور العلاقات بينهما** ســتصبح لاول مرة محل اعـادة نظر من جانب اليابان . وان هـــذا الموضـــوع لابد ان يـــكون قد أثير فى اجتماع القمة الاخير فى هونولولو بين الرئيس الامريكى نيكسون ورئيس وزراء اليابان كاكوى تاناكا .

ويرجع هذا كله الى عـــدة عوامل اساسية :

أولا ـــ فوز **تاناكا** برئاسة الحكومة اليابانيــة باتجاهاته السياسية الاقل محافظة عن اتجاهات سلفه **ايزاكو ساتو** .

ثانيا ـــ الحالة النفسية التى نشأت فىاليابان نتيجة اتجاه الولايات المتحدة الى التقارب مـــع الصين خلال العام الماضى دون أية مشـــاورات سابقة مع اليابان وهى الحليف الرئيسى لامريــكا فى آسيا .

ثالثـــا ـــ الخـــلافات الاقتصادية بين اليابان وأمريكا الناشئة عن تنافس الاحتكارات اليابانية مـــع الاحتـــكارات الامريـكية ســـواء على أسواق آسيا أو على أسواق امريكا نفسها .

رابعا ـــ اتجاه اليـــابان الى اقامـــة علاقات طبيعية معالصين خشية منها لانتنفرد الرأسمالية الامريكية بأسواق الصين الشاسعة .

ويرصد المتابعون لتطورات العلاقات اليابانية ـــ الامريكية خلال الفترة الماضية المتـــدة بين ١٥ يونيو ـــ ١٥ اكتوبر من العام الحالى ثلاثة أحداث رئيسية تجسدت فيها بشكل حاد ملامح الصراع بين الرأســـمالُ اليابانى والرأسـمال الامريكى ، وحجم كل منهما فى مواجهة الاخر :

الحدث الاول : هو اتفاقية عودة اوكيناواالتى وقعت فى١٧ يونيو ١٩٧١ .

الحدث الثانى: هـــو التقـــارب الامريكى ـــ الصـــينى الـــذى فوجئت به اليابان من خلال زيارةالرئيس الأمريكى نيكسون لبكين ..

الحدث الثالث: هـــو ازمة الدولار الامريكى التى تفجرت بالقرارات التى اتخذها الرئيس نيكسون .

ولعله من الملفت للنظر حقا ان اليابان بكلٌ

حجمها الاقتصادي ظلت تلعب فى هذه الأحداث الثلاثة وما تثيره من قضايا دور الطرف المغلوب على أمره ازاء الولايات المتحدة ، وانها ايضا كانت تستسلم فى كل مرة للشروط والضغوط الامريكية رغم كل التصريحات الغاضبة التى يلقى بها العديد من المسئولين اليابانيين هنا أو هناك .

ومع ذلك فقد يكون مفيدا لموضوعنا أن نلقى مزيدا من الضوء على كل من هذه الاحداث الثلاثة :

اولا : اتفاقية عودة اوكيناوا .. من المعروف ان معاهدة الصلح مع اليابان فى عام ١٩٥١ قد اعطت الولايات المتحدة رسميا السيادة المطلقة على تلك الجزيرة .. وان معاهدة الامن اليابانية — الامريكية لم تغير شيئا من وضعها حينما وقعت فيما بعد . وتحولت اوكيناوا تحت السيطرة الامريكية الى معقل استراتيجى للدفاع عن المصالح الامبريالية فى آسيا وأصبحت تضم بين جنباتها اضخم مجموعة من القواعد النووية وغير النووية [١٤٨ قاعدة] .

وعلى الجانب المقابل كان موقف الشعب اليابانى بما فيه شعب الجزيرة نفسها هو موقف الرفض الكامل للاحتلال الامريكى والمطالبة المستمرة « **بالعودة الفورية الكاملة وغير المشروطة لاوكيناوا** » وقدم الشعب اليابانى خلال العشرين عاما الماضية مئات القتلى والجرحى فى سبيل تحقيق هذا المطلب . وتفاقمت مشكلة اوكيناوا حتى اصبحت كما وصفها رئيس مجلس مشكلات اوكيناوا « ورما خبيثا فى **العلاقات الامريكية — اليابانية** » .. وتحت الضغط الشعبى اضطرت الدوائر اليابانية الحاكمة الى طلب التفاوض مع الولايات المتحدة بشأن ازالة هذا الورم الخبيث ... وفى عام ١٩٦٩ صدر بيان يابانى — امريكى مشترك يدعو الى عودة الجزيرة ولكن « **دون اضرار بالمصالح الامريكية فى الشرق الاقصى** » وفى هذا العام جاءت الاتفاقية الجديدة التى تقضى بعودة اوكيناوا قبل يوليو ١٩٧٢ محققة تماما لمضمون ذلك البيان . فبنود هذه الاتفاقية تقضى باستمرار الطابع العسكرى للجزيرة وتسمح ببقاء ٨٨ قاعدة وتعطى امريكا حق العودة للقواعد الملغاة عند الضرورة ، وحق اتخاذ اى اجراء عسكرى من الجزيرة يخدم أمنها ضد اية دولة ، وحق ابقاء الاسلحة النووية فيها . ذلك كله فضلا عن خلو الاتفاقية من اى نص على دفع تعويضات لاهالى الجزيرة عن خسائرهم الناتجة من استمرار هذه الاوضاع .

ومن المثير حقا ان نتذكر انه — **رغم كل ذلك** — كان هناك من المراقبين من علق على هذه الاتفاقية قائلا بأن الولايات المتحدة قد قبلت توقيعها مقابل تعهد غير مكتوب من الحكومة اليابانية بحمل ملوك صناعة النسيج بها على تخفيض صادراتهم الى السوق الامريكى مساهمة منها فى تمكين الولايات المتحدة من السيطرة على ميزان مدفوعاتها المتدهور ، وكأنما الحكومة اليابانية بهذا الشكل تعتبر الاتفاقية « مكسبا كبيرا ! » ينبغى عليها ان تدفع ثمنه فى مجال آخر .

ثانيا : التقارب الامريكى — الصينى .. أن احدا لا يستطيع ان ينكر — مهما كان منطلقه فى التفكير — زيارة الرئيس الامريكى نيكسون لبكين كان مصدر قلق وغيظ بالغين للدوائر اليابانية الحاكمة ولرجال الاعمال المرتبطين بها ، وهو الامر الذى لم تجتهد تصريحاتهم فى اخفائه . ويرجع ذلك كما يقول المراقبون الى عدة أسباب أهمها :

الاول : ان هذه الزيارة تعنى تغييرا أساسيا فى موقف الولايات المتحدة ازاء الصين وهو ما سوف يكون له بالتالى آثارا بالغة الوضوح على كثير من المسائل السياسية والعسكرية والاقتصادية فى القارة الآسيوية . ومن باب أولى على حجم التبادل التجارى بين البلدين وهو ما يعنى أن الولايات المتحدة سوف تدخل كمنافس خطير لليابان فى السوق الصينى .

الثانى : ان التمهيد لهذه الزيارة والاتفاق عليها قد تم دون التشاور مع الحكومة اليابانية وحتى دون علمها .

الثالث : ان اليابان تشعر بأنها كانت على حق بالمبادرة الى اتخاذ خطوة من هذا النوع فهى من ناحية دولة آسيوية شأنها شأن الصين ، وهى من ناحية اخرى قد نجحت فى تطوير حجم علاقاتها الواقعية مع الصين [رغم عـدم وجود تمثيل دبلوماسى متبادل] سواء من حيث عدد الوفود التجارية والسياسية اومن حيث التبادل التجارى الذى بلغ اكثر من الف مليون دولار سنويا .

ومن المؤكد ان اليابان فى الظروف الراهنـة ــ وهى بصدد التحلل التدريجى من الارتبـاط بعجلة السياسة الامريكية فى آسيا ادراكا منها لتعطل الدور الامريكى فى القارة ــ ستجد نفسها بالوقت أفضل فى مفاوضاتها القادمة مع الصين من أجل توقيع معاهدة صلح نهائية واقامة علاقات دبلوماسية كاملة . وستجد نفسها فى مـوقف أقوى ايضـا فى مواجهة مطالب الرأسماليـة الامريكية بالحد من التوسع التجارى فى الاسواق الاسيوية والامريكية . وهذا يعنى ان تناقضات الرأسمالية اليابانية والامريكية فى سبيلها الى التفاقم والى انتعكس تفاقمها على الجو السياسى بين البلدين .

■ بريطانيـــا

اضراب عمـــال الشـحن والتفريغ يهز حكومة المحافظين

فى نهـاية شهر يوليو الماضى ، كادت الجزيرة البريطانية تشـهد أضـخم اضراب قومى عام ، منذ عام ١٩٢٦ ، احتجاجا على قرار احدى المحاكم البريطانية بايداع خمسـة من قادة عمال الشحن والتفريغ السـجن ، تنفيـذا لقانون العلاقـات الصـناعية . وكانت حـكومة المحـافظين قـد استصدرت هذا القانون فى الصيف الماضى ، وهو اجراء قصد به تمهيد الطريق للدخول فى السوق الاوروبية المشتركة ، حيث انه يهدف الى تقسيم الحركة النقابية البريطانية بتجريمه للاضرابات غير الرسمية ، التى تقوم بها القـاعدة ، والى فرض قيود قانونية على الحركة النقابية لشـل حركتها النضالية المتصاعدة ضد الرأسمالية البريطانية .

وأمام تهديد مؤتمر النقابات البريطانية باعلان الاضراب العـام ، تراجعت حكومة المحافظين ، وتراجعت المحكمة ، وأصدرت قرارا بالافراج عن القـادة النقـابيين المعتقلين من عمـال الشحن والتفريغ ، والغى قراره بالاضراب العـام . ولكن قيادات عمال الشـحن والتفريغ أعلنت استئنافها للاضراب من أجل الحصول على ضمانات تحميهم من البطالة التى تهددهم بسبب تطوير اسـلوب العمل فى الموانى . فانه بعد التقدم التكنولوجى الذى طرأ على صناعة الشحن ، والذى أدى الى الاسـتغناء عن عدد كبير من العمـال . فخلال السنوات الخمس الماضيـة ، انخفض عدد عمال الشحن والتفريغ فى بريطانيـا من ٦٠ الف عامل الى ٤٢ الفا .

وقـد أدى هـذا الاضراب الى تعطيل حوالى ستمائة سـفينة فى الموانى البريطانية ، محملة بالمواد الغذائيـة والمواد اللازمة للصـناعة . وتكاليف اضراب عمال الشـحن فى اليوم الواحد تبلغ ٥٠٠ الف جنيه اسـترلينى ، كما قدرت قيمة الصـادرات المحتجزة بـ ١٠٠ مليون جنيـه اسـترلينى . وتبدو خطورة هـذا الاضراب على الاقتصاد البريطانى من كون بريطانيا تستورد أكثر من نصـف المواد الغذائيـة ، و ٧٥ ٪ من المواد اللازمة للصـناعة . وقـد أثر الاضراب على الاسـترلينى ، فانخفض للمرة الرابعة من ٢٫٤٥ الى ٢٫٤٤٨٧ فى سـوق الاوراق المـالية . وقد أصدرت الملكة مرسوما فى ٣ أغسطس الماضى ، باعلان حالة الطوارىء لفتح الموانى التى اغلقتها اضرابات العمال ، ولاسـتخدام قوات الجيش فى فتح الموانى ، وفى الاستيلاء على اللوريات لنقل المواد الغذائية .

وقد أعلن عمال الشـحن والتفريغ فى البلدان الاوروبيـة ــ وخاصـة فى فرنسـا وبلجيكا ــ التضامن مع العمال البريطانيين ، وذلك بمقاطعتهم للسفن البريطانية التى اتجهت الى موانى اخرى بعد اعلان الاضراب .

لقد هز اضراب عمال الشحن والتفريغ حكومة هيث ، وأبرز تحـدى الطبقة العـاملة البريطانية لسياسة المحافظين ، التى تريد القاء عبء الازمة على عاتق الطبقة العاملة بتجميدها للاجور وفرض مزيد من القيود على النضـال النقابى . لقد كان

اضراب عمال الشحن والتفريغ واحدا من سلسلة الاضرابات الضـخمة التى هزت الثقة فى حكومة المحافظين خلال هـذا العام .. اضراب عمـال المناجم الذى بـدأ فى الثـامن من يناير من العام الماضى ، واستمر سـبعة أسابيع ، والذى حصل فى نهايته العمال على زيادات فى الاجور ، بلغت ٤ر٥ ، ٥ ، ٦ جنيهات استرلينية ، وكان أضـخم اضراب منذ قانون العلاقات الصـناعية ، يوجه ضربة قاضـية لاسـتراتيجية حكومة المحافظين الخاصـة بتجميد الاجور ، وبفتح الطريق أمـام قطاعات عديدة من الحركة النقابية لتحقيق نضالات ناجحة .

واضراب عمال الشـحن والتفريغ الاخير فى بريطانيا يفتح الطريق كذلك أمام مزيد من النضال ضد البطالة التى ارتفع معدلها مؤخرا فى بريطانيا بنسبة ٢ر٤ ٪ ، وضد قانون العلاقات الصناعية ، الذى يفرض قيودا عديدة على الحركة النقـابية البريطـانية . وهو يعيـد الى الطبقة العـاملة البريطـانية ذكرى أيام نضـالها الكبير ضـد الرأسمالية البريطانية فى العشرينات .

■

■ جويانا

قـــرارات ايجـــابيـــة

لمؤتمر عـــدم الانحيـــاز

لم يكن مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز الذى عقد فى جورج تاون [جويانا] مجـرد اجتماع عادى ، بل كان تظاهرة حقيقية تستهدف احياء فكرة عدم الانحيـاز من جديد ومحـاولة البحث لها عن مكان فى المناخ العالمى السريع التقلب .

ويكتسب هذا المؤتمر الاخير أهمية خاصـة بانعقاده فى جويانا [٧٢١ الف نسمة] والتى تقع على الساحل الشمالى لامريكا الجنوبية ، فان الكثير من دول أمريكا اللاتينية بالرغم من أن أوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تقترب بها من الوضع العام لمجموعة عدم الانحياز مازالت متباعدة عن هذا المحور . وهكذا فان المؤتمر الاخير يمثل اقتحاما لميدان جديد على عالم عدم الانحياز هو أمريكا اللاتينية بكل ماتكتسبه هذه المنطقة من أهمية استراتيجية بالغة .

كذلك فان أهمية هذا المؤتمر الذى حضره ٦٤ من وزراء خارجية دول عدم الانحياز تأتى من الظروف السياسية العالمية التى تحيط بانعقاده وأهم هذه الظروف ..

● تغير طبيعة الاوضـاع الدولية ، بتحول العالم من مجتمع ثنائى الاقطاب الى عالم متعدد الاقطاب .

● التعثر الذى أصاب منطلقات عدم الانحياز فى الفترة الماضـية وبعض الصـعوبات التى واجهتها أنظمته فى أكثر من موقع ..

● غياب أهم أقطاب فكرة عدم الانحياز .. **عبد الناصر ، نهرو ، سوكارنو ، نكروما ..**
وقد صاحب انعقاده مهرجان ضم لاحياء ذكرى هؤلاء الاقطاب فازيح الستار عن نصب تذكارى ضخم يضم تماثيل **لعبد الناصر — تيتو — نهرو — نكروما** .. ووقف رئيس وزراء جويانا ليصف هؤلاء القادة بأنهم « العظماء الاربعة فى جيلنا وفى هذا القرن » .

وفى الحفل الذى اقيم لازاحة السـتار عن تمثال **عبد الناصر** تلى **د. مراد غالب** رسالة من **الرئيس أنور السـادات** أعرب فيها الرئيس عن تقديره وتقدير الشعب المصرى لجمهورية جويانا الصديقة لاتخاذها مبادرة تكريم رواد حـركة عدم الانحياز .

وقال **الرئيس السادات** فى رسالته « **ان جمال عبد الناصر** كرس حيـاته كلها لقضـية الشعوب المنـاضلة من أجل تحرير نفسـها من الاستعمار والاستغلال والقهر ، وحارب من أجل كرامة الانسان ومن أجل تحقيق الرفاهية له . وقد شارك بعد ثلاث سنوات فقط من قيام الثورة المصرية فى مؤتمر باندونج الذى نادى بمبادىء سامية وأهداف نبيلة صارت فيما بعد خطوطا هادية لعدم الانحياز » .

وجاء فى رسالة الرئيس الى المؤتمر « أن حركة عدم الانحياز التى نتشرف جميعا بالانتساب اليها تواجه اليوم مسئوليات كبرى وتحـديات خطيرة .. وان الامبريالية العالمية تعمل كل ما فى وسعها لاضعاف هذه الحركة عن طـريق احتواء حركات التحرر وتشجيع العدوان المسلح ضد دول تنتمى الى تيار عدم الانحياز » .

وقال الرئيس السادات « ان الاستعمار الذى أظهر وجهه القبيح مازال ينتهج جميع أشـــكال الاضطهاد والقمع والتفرقة العنصرية فى انحاء متفرقة من العالم » .

ولقد واجه وزراء دول عدم الانحياز كثيرا من المشكلات التى طرحت للبحث بشجاعة وتقدير كامل للمسئولية .. فبرغم معارضة شديدة أدت الى انســحاب ثــلاثة دول من الاجتمــاع هى اندونيسيا ولاوس وماليزيا قرر المؤتمر حضور وفد ثوار فيتنام الجنوبية كعضو فى المؤتمر وليس مجرد ضيف . كذلك قرر المؤتمر منح حــكومة الامير سيهانوك المقعد المخصص لكمبوديا وذلك باعتبارها الحكومة الشرعية لدولة كمبوديا .

وفيمـــا يتعلق بأزمة الشرق الاوســط فان المؤتمر قد تبنى قرارا يعتبر انتصارا حقيقيا للحق العربى ويمثل خطوة بالغة الاهمية فى تطــور الادانة الدولية للعدوان الاسرائيلى . وقد أكد القرار الذى وافقت عليه اللجنــة الســياسية للمؤتمر بالاجماع على مبدأ عدم السماح باكتساب الاراضى عن طريق القوة وعدم السماح لاسرائيل بالاحتفـــاظ بالاراضى العربيـــة المحتلة كثمرة لعدوانها » .

كذلك أشـار القرار الى « ان اسرائيل تحتل أراض مملوكة لثلاث من الدول العربيـــة ذات السيادة والاعضاء فى مجموعة دول عدم الانحياز وطالب القرار بانسحاب اسرائيل غير المشروط من جميع الاراضى التى احتلتها والى خطوط ما قبل حرب يونيو عام ١٩٦٧ كما طالب باستعادة الفلسطينيين لحقوقهم الوطنية » .

وجاء فى القرار « ان الدول غير المنحـــازة سوف تزيد من مساعدتها للدول العربية فى المحافل الدولية وخاصة فى الامم المتحدة ، واتخاذ كل المبـــادرات من أجل الانســـحاب غير المشروط للقوات الاسرائيليـــة من كل الاراضى العربيـــة المحتلة » .

كذلك حث القرار جميع الدول الاعضاء فى الامم المتحـــدة عن الامتنـــاع عن مد اسرائيل بالاسلحة والمعدات الحربية » .

وقد وصف المراقبون السياسيون هذا القرار بأنه واحد من أفضـــل القرارات الدولية التى اتخـــذت تأييدا للحق العـــربى . كذلك لاحظ المراقبون انها المرة الاولى التى يتجاهل فيهـــا قرار مماثل الاشـــارة الى ضرورة تنفيـــذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .»

وقد صدر عن المؤتمر بيان عام تناول عـــددا من النقاط الهامة التى تحدد الاتجاهات المقبلة لسياسة الدول غير المنحازة ومن اهم هـــذه النقـــاط :

● السعى بكل الوسائل لجعل مبادىء عـــدم الانحياز أساسا للعلاقات الدولية .

● استمرار التشاور والتنسيق بين دول عدم الانحياز للاتفاق على القرارات الخاصة بوضع هذه الســـياسة موضـــع التنفيـــذ على كافة المستويات .

● التضامن والتعاون المتبـــادل فى المواقف التى تهدد استقـــلال الدول غير المنحـــازة أو سيادتها الاقليمية .

● تدعيم الجهود للعمل على وضـع نهـــاية للحروب العدوانية والاحتلال الاجنبى .

● تصـــفية آثار الاستعمـــار وتأييد حركات التحرر فى افريقيا وتقـــديم المســـاعدات المالية والاسلحة والتدريب لها .

● اتخاذ موقف حـــازم لانهـــاء المعـــاملات التجارية بين بعض الدول وجنوب افريقيا .

وبعد صراع عنيف بين الجزائر وسيرى لانكا حول مقر المؤتمر المقبل ، تقرر فى الاجتماع اختيار الجزائر كمقر لهذا الاجتماع .

■

■ شيلى

محـــاور ثلاثة للتـــآمـــر ضـــد الحـــكومة الاشـــتراكية

تصاعدت المؤامرات وحملات العداء الضارية ضد حكومة الوحدة الشعبية فى شيلى خـــلال الشـــهور الاخيرة : بعضـــها ــ كما يقـــول المراقبون ــ تديره **احتكارات النحاس الامريكيـــة** المؤممة والبعض الاخر يأتى من جانب **اليمين**

الشيلي • والبعض الثالث تخلقه تصرفات **شرائم اليسار المغامر** •

فبعد اثنين وعشرين شهرا من وصول **الليندى** الى الحكم وتشكيل حكومته أصبح واضحا ان الامبريالية الامريكية قد فقدت الهدوء المصطنع الذى استقبلتهم به خصوصا ، وقد تأكدت أخيرا ـ بناء على حكم محكمة شيلية ، وضد رغبة اليمين واليمين المتطرف ـ دستورية القرار الذى اصدره الليندى باقتطاع **مبلغ ٧٧٤ مليون دولار** من قيمة التعويضات (٨٠٠ مليون دولار) التى كان مقررا اعطاؤها لشركات النحاس المؤممة باعتبار ان هذا المبلغ يشكل **أرباحا غير مشروعة** حققتها الشركات (وبالذات شركتى أناكوندا وكينكوت) خلال خمسة عشر عاما من ١٩٥٥ حتى ١٩٧٠ •

ولذلك فلم تعد الامبريالية الامريكية تكتفى ـ كما يقول المراقبون ـ بالتصريحات الغاضبة او الحملات الإعلامية او اغراء الفنيين الاجانب على مغادرة البلاد ، **وانما** راحت تحرض عناصر المعارضة اليمينية على نحو مباشر ، وتضع القيود على القروض المعطاة لشيلى حتى انها انخفضت هذا العام الى ٣٢ مليون دولار بعد أن كانت فى العام السابق مباشرة على وصول الليندى الى الحكم تزيد على المائتى مليون • بل ولجأت الاحتكارات المؤممة الى القضاء الامريكى لتأخذ منه أحكاما بمصادرة كافة أرصدة المؤسسات الحكومية الشيلية لدى البنوك الامريكية ، والاستيلاء على شحنات من قطع الغيار والمواد الطبية المصدرة لمناجم النحاس ومستشفياتها فى شيلى •

وعلى الجانب الاخر ينظر كثير من المراقبين الى تحركات المعارضة اليمينية (المكونة من الحزب الوطنى والجناح اليمينى من الحزب الديمقراطى المسيحى بزعامة الرئيس السابق ادوارد فراى ، وجماعة « الوطن والحرية » ذات الاسلوب الفاشى) ضد حكومة الليندى سواء فى الشارع الشيلى أو داخل البرلمان باعتبارها ظهيرا مباشرا لضغوط الاحتكارات المؤممة •

ففى الشارع يرصد المراقبون المظاهرات والمسيرات العدائية وعلى رأسها مسيرة « **العناصر الفارغة** » التى نظمتها جماعات المعارضة اثناء زيارة **كاسترو** فى نوفمبر الماضى للاساءة الى جهود الحكومة الاشتراكية من أجل توفير احتياجات الجماهير • ويرصد هؤلاء المراقبون أيضا أعمال **العصابات اليمينية الفاشية** ومحاولاتهم لاغتيال قادة الحكومة وغيرهم من الرسميين والاغارة على مقار المنظمات اليسارية وارهاب السكان الامنين • **أما فى البرلمان** فيرصد المراقبون سلسلة من المواقف منها على سبيل المثال توجيه اللوم الى « **هيرنان ديل كانتو** » وزير الداخلية فى اوائل الشهر الماضى ومنها أيضا القرار الذى صدر أخيرا بعدم احقية **رئيس الجمهورية** فى التأميم بمقتضى مرسوم • ثم تكتل المعارضة بعد ذلك للوقوف ضد اعتراض الليندى على هذا القرار ، وواضح أن اليمين يحاول بذلك حماية نفسه حينما يأتى عليه الدور بعد الانتهاء تماما من المعركة ضد الاحتكارات الامريكية المؤممة •

ومن جانب ثالث تشير يشير كثير من المراقبين تصرفات شرائم اليسار المغامر باعتبارها تصرفات تضر اكثر مما تنفع • لانهـا تزود الرجعيين بالمادة اللازمة للافتراءات والاستفزازات ضد الحكومة الشعبية القائمة • **ففى الريف** نجد الحركة اليسارية الثورية وهى أهم مجموعات اليسار المغامر المتبقية فى شيلى تحرض الفلاحين على الاستيلاء على أراضى صغار المنتجين ومتوسطيهم ، وتدبر عمليات الاغتيال بنفس الاسلوب الفاشيستى لجماعة « الوطن والحرية » **وفى المدن** تحاول الحركة ان تثير صدامات بين الشعب العامل وأصحاب الاعمال دون أى تفرقة بين أصحاب الاعمال الذين كانوا يحتلون مراكز السيطرة ذات يوم وبين اولئك الذين عانوا بشكل ما من السياسة الاحتكارية والامبريالية •

وفى ندوة عقدتها أخيرا مجلة « **السلم والاشتراكية** » عن الصراع الايديولوجى للاحزاب الشيوعية فى أمريكا اللاتينية ونشرتها فى عدد يونيو الماضى مجلة « **دراسات اشتراكية** » التى تصدر فى القاهرة يعلق « **ج • كامبوساتو** » ممثل الحزب الشيوعى الشيلى فى الندوة على هذا المناخ **قائلا** : « لقد أوضحت حكومة الوحدة الشعبية ان الاقتصاد ينبغى ان يستند الى ثلاثة أنواع من الملكية : ملكية الدولة ، والملكية المختلطة ، والملكية الخاصة • كما طمأنت الفئات الوسطى الى أنها ستمنح القروض وتسمح لها بحرية منشآتها ، وتوفر الحصانة لممتلكاتها ولكن هذا لم يمنع اليمينيين او اليساريين المتطرفين من الهجوم على الحكومة . فالاولون يتنبأون بأن الملكية ستصادر فى حين يتخطى الاخرون كل مراحل التطور ويطالبون بالاشتراكية فورا مما يفزع الفئات الوسطى ويضلل الشعب العامل » •

ويشير المراقبون الى أن خطة الحكومة الشعبية

للسيطرة على مختلف التطورات وتفادى تأثيرات اليمين الامبريالى واليسار المغامر على حد سواء تعتمد على عدد من العناصر أهمها ما يلى :

أولا : تحديد أولويات العمل الوطنى تحديدا قاطعا على أساس أن المعركة ضد الاحتكارات الاجنبية والامريكية منها بوجه خاص هى المعركة الرئيسية خلال الحقبة التاريخية الراهنة وحشد كل الجهود من أجل انجاح هذه المعركة المتفق عليها من جانب كل القوى الوطنية .

ثانيا : الاعتماد المكثف على العمل السياسى لمساندة اجراءات السلطة الشعبية بهدف رفع مستوى الوعى لدى الجماهير الشيلية وتفويت الفرصة على جماعات كل من اليمين غير الوطنى واليسار المغامر بعدم الاستجابة لما يقومون به من استفزازات مع العمل على قمعها بالوسائل المناسبة وقد أدى ذلك بالفعل الى تصفية العديد من جماعات اليسار المتطرف وتقليص حجم المتبقى منها .

ثالثا : فتح باب الحوار الديمقراطى مع يسار احزاب المعارضة ، وبالتحديد مع يسار الحزب الديمقراطى ـ المسيحى الذى تبلور وجوده كجناح مستقل عقب هزيمة الحزب فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٧٠ وذلك بهدف تفتيت احتمالات وحدة المعارضة وتكوين أوسع تجمع شعبى حول السلطة التقدمية ، وقد زرعت فعلا بذرة الشقاق فى أوساط المعارضة حيث يتبادل قادة الحزب الوطنى ويسار الديمقراطيين المسيحيين الهجوم والانتقادات العلنية .

رابعا : الاستمرار فى عملية التنمية الاقتصادية بهدف رفع مستوى معيشة المواطن الشيلى وتهيئة الاساس المادى للتحول الى الاشتراكية ، ويشير المراقبون الى برنامج التنمية الذى أعلنه الرئيس الشيلى فى الشهر الماضى « أغسطس » باعتباره خطوة هامة فى هذا المجال ، فهو يتضمن « استثمارات حكومية » فى قطاعات الصناعة والزراعة والخدمات تبلغ نحو ٨٠٠ مليون دولار ، وزيادة فى الاجور بنسبة ٢٥ فى المائة ، وتشكيل تعاونيات زراعية وتعاونيات لتجار التجزئة ، ولجان شعبية للرقابة على التموين والاسعار فى الاحياء ولجان للخدمات الاجتماعية المختلفة ... الخ ، ويرى كثير من المراقبين أنه من الامور ذات المغزى « أن الليندى ؛ قدم هذا البرنامج الى الشعب بقوله « أنه اذا كان يتعين على العمال ان يشدوا الاحزمة على بطونهم مرة حتى تؤتى البرامج الجديدة ثمارها فسوف يتعين على الاغنياء أن يشدوا هذه الاحزمة على بطونهم أربع مرات » .

■ ■

تقرير خاص

المغرب .. بين « انقلابات القصر » والسخط الشعبى

بعد سنة وشهر وأسبوع من محاولة الاطاحة بالحسن الثانى فى يوليو ١٩٧١ ، تكررت محاولة التخلص منه كالمرة السابقة من حيث لايحتسب، من الجيش ومن أقرب معاونيه وخلصائه .

وكان الحسن ومنذ بداية حكمه قد بذل كل جهده لضمان محاصرة أى اتجاهات مناوئة فى الجيش ، بأن راعى فى اختيار الضباط أصولهم الطبقية ، ثم اغدق عليهم المنح والخلع وازدهر كثيرون منهم بالفعل فى عهده وأثروا ثراء فاحشا ، وارسلهم فى بعثات خصوصية الى مدارس فرنسا وأمريكا العسكرية لاعدادهم بشكل يحقق مصالح النظام ، ثم اشرف بنفسه على حجم السلاح والذخيرة بين القوات المغربية، واطلق وراء الضباط والجنود رجال مخابراته بل استعان فى ذلك بمخابرات فرنسا وأمريكا ..

ولكن كل ذلك لم يجده شيئا ، وانقلب عليه حماته .

وحظ الملك « السعيد » فى المرتين لايرجع الى « بركة » يتمتع بها كما أعلن هو عقب المحاولة الثانية ، وانما الى حقيقة أن الشعب كان غائبا عن المشاركة فى المحاولتين ، وهنا تلعب عوامل الصدفة والحسابات الخاطئة دورها كاملا .

وحوادث المغربليست « **تراجيديا شكسبيرية** » كما تقول **الاكسبريس الفرنسية** ، بل هى مجرد « **انقلابات قصور** » وصراع سلطة يهدف فى التحليل الاخير الىالابقاء على الاوضاعالاجتماعية والاقتصادية كما هى ، مع تغيير فى الاشخاص والحكام فحسب .

والواقع أن حال الحسن الثانى ينطبق عليه تمام الانطباق قول القائل يا رب احمنى من أصدقائى ، أما أعدائى فأنا كفيل بهم ، فأعداؤه منقسمون على أنفسهم ، أما أصدقاؤه كالطيارون الذين دبروا وقادوا المحاولة الاخيرة ، فهم « ارستقراطية الجيش ، ممن اختيروا بعناية لتكوين « القوات الجوية المغربية الشريفة » وقائد العملية « **كويره** » (تصغير كرة) هو مسئول قاعدة القنيطرة وهى تقريبا قاعدة أمريكية تحمل اسما مغربيا ، اذ يسيطر فيها الامريكيون على كل شىء ويستحيل تماما أن يتم أى شىء دون علمهم ، وان كان السفير الإمريكى قد رد غاضبا على تواطؤ بلاده فى العملية الاخيرة ، بأن رجاله فى القاعدة ليسوا مكلفين بمراقبة المغاربة . وضباط الطيران المغاربة وعددهم لا يتجاوز الخمسين فى بعض التقديرات ، جرى تدريبهم فى كلية **هوستون** فى تكساس ، ورئيسهم كويره عين فى القاعدة منذ شهر فقط وهو صديقمخلص لاوفقير وكان يتولى المخابرات من قبل وهو من أصل بربرى ، وكلهم موضع تكريم ورعاية الملك الشخصية .

واذا كان ضحايا محاولة ١٩٧١ قد بلغوا بضع مئات فحسب ، فان الحسن أعلن استعداده فى المرة الثانية لابادة ثلث الشعب ليستقرحكمه، ولم يتعظ من المحاولة الاولى ليدرك أن الاعتماد على الاجهزة ورجال مثل أوفقير لن يؤدى الامزيد من القلاقل ، على الرغم من أن الروايات تقول أن أوفقير نفسه سحب مسدسه فى أول اجتماع لمجلس الوزراء عقب محاولة ١٩٧١ ، وقال للوزراء « ايها السادة اذا لم تغيروا الاوضاع جذريا ، فسيكون هناك انقلاب آخر » ثم هدد بالانتحار ولكن الملك منعه وقيل انه وعد بالتغيير

ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، فمع ادراك الملك انه ليس بالجيش وحده يستقر حكمه ويدوم ، فان سعيه للالتقاء بالمعارضة لم يكن عن رغبة فى التغيير ، بل لمجرد الحصول على دعامة سياسية لنظامه ، الى جانب دعامات الاجهزة وفى مقدمتها الجيش رغم ما حدث ، واضفاء طابع من المشروعية على نظامه باشراك احزاب كانت تنادى من قبل بالتغيير ، لانقبولها المشاركة فى اطار الوضع القائم يعنى موافقتها الضمنية عليه . كما كان الملك يهدف من ذلك أيضا الى تحميل المعارضة عند اشتراكها ، مسئولية الاوضاع المتردية ، فضلا عن سعيه لتقسيمها حول قضية المشاركة

والغريب أن المعارضة الممثلة أساسا فىحزب الاستقلال والاتحاد الوطنى للقوى الشعبية وتجمعهما الكتلة الوطنية ، قبلا الحوار ، رغم انهما كانا قبلا يطرحان قضية تغيير الوضع جذريا ويطلبان « توزيعا عادلا للثروة ، واصلاح زراعى حقيقى ، وسياسة للتنمية ترتكز على التخطيط الاقتصادى والتصنيع ، وفتح المجال أمام الشباب على أساس سياسة وطنية » .

ويفسر المراقبون هذا بأن المعارضة كانت تخشى أن يكون الخروج من الازمة على « يد الجيش » بانقلاب عسكرى يجىء أسوأ من الملك ، ومن ثم ابقت الحوار مفتوحا مع هذا الاخير ، الذى اتضح فى نهاية المطاف انه مصر على الانفراد بكل شىء ، الى حد انه رفض مطالب المعارضة التى تواضعت الى حد الرضاء بحكومة تشرف على انتخابات ، واطلاق سراح المسجونين السياسيين

والواقع أنالجيش – على مستوى القاعدة– غير راض عن سياسة الملك ، بغض النظر عن مؤامرات هذا النفر او ذاك من قادته وسعيهم وراء سلطة شخصية ، أو عملهم لحساب أمريكا أو فرنسا . وسر السخط الذى انتشر ليشمل حتى بعض الفئات المالكة ، يتمثل فى :

● شيوع الفساد بصورة زادت عن الحد ، فوزير المالية حتى ابريل ١٩٧١ وكذلك وزير الاشغال و ١٤٩ من كبار رجال الدولة والبوليس قبض عليهم بتهمة الرشوة والفساد (قالت الاخبار الاخيرة أن زوجة وزير المالية هذا يحقق معها لانها شوهدت منفردة بأوفقير)

● الدعاية السياسية خاصة من التجمعات

الاشتراكية التى تركز على القضايا الاجتماعية

● السخط على موقف المغرب من القضايا العربية ، والذى يتمثل فى مناواة دول المواجهة والدول العربية التقدمية ، فضلا عن محاباة السلطات للجالية اليهودية المغربية التى تستفز مشاعر السكان باستمرار (كالاحتفالات التى نظمتها عقب النكسة وعقب استقالة عبد الناصر ، الـخ)

● تدهور الاوضاع الاقتصادية ، فالقطاع التقليدى من الاقتصاد الذى يضم ٩٠ ٪ من السكان لاينتج سوى ثلث الدخل فى حين ينتج القطاع الحديث الذى يعمل به ١٠ ٪ من السكان ثلثين الدخل ، وكذلك سوء توزيع هذا الدخل اذ يحصل ٩٠٪ من السكان [١٤ مليون من ١٥ مليونا] على ٢٠٪ من الدخل ، فى حين يحصل بضع آلاف على ٥٠٪ منه .

وبالطبع لم يكن الحسن مستعدا لاجراء تحولات جذرية ، فقد حاول الظهور بمظهر الساعى للالتقاء بالمعارضة ليمتص السخط الشعبى . وعندما التقط انفاسه قطع المفاوضات معها ، كما لجأ الى بعض المحاكمات بسبب الفساد ولكن لم يمض فيها طويلا لان معظم وزرائه ، بل وافراد أسرته متورطون فيها ، كما خفض بعض الاسعار بنسب تافهة ورفع الاجور قليلا ، ولكن ذلك كله استقبل بفتور من جانب الشعب . واستمر الفساد واستشرى وزادت الاوضاع تدهورا ، وكان الحل هو اطلاق يد أوفقير ، والمزيد من العنف ، مما جعل قطاعات متزايدة من المستفيدين من الوضع الحالى تخشى الانفجار ، ومن هنا جاء التفكير — كما يرى معظم المراقبين — فى عمل يطيح بالحسن ويقيم نظاما أقوى يبقى على الاوضاع كما هى عليه . والتقى هذا بتطلعات وطموح وجراة أوفقير الذى كان الملك يقول عنه « انه اخلص خادم لى »

واوفقير مستعد لكل شىء ، فما يروى عنه انه عندما كان يحارب فى صفوف الفرنسيين فى الهند الصينية ، حوصر هو وجنوده فأمرهم بالالتفاف بالاعلام البيضاء رمزا للتسليم وان يخفوا تحتها رشاشاتهم ، وبالفعل توقف الثوار عن اطلاق النيران عليهم عندما شاهدوا هذا ، ولكن جنود أوفقير فاجأوهم بوابل من الرصاص عندما اقتربوا منهم . كذلك فان أوفقير أول عربى استخدم النابالم ، وذلك فى القضاء على تمرد الريف فى ١٩٥٨ ، وفى ١٩٦٥ تولى اطلاق الرشاش بنفسه من هليكوبتر على طلاب الدار البيضاء

والواقع ان فهم الاوضاع فى المغرب يقتضى الرجوع قليلا للوراء . فالمغرب احتفظت باستقلالها طويلا ، ولم تحتل الا فى ١٩١٢ عندما اعلنتها فرنسا محمية لها ، وقسمت أراضيها مع أسبانيا ، وحولت طنجة الى منطقة دولية . وبعد الحماية ظلت السلطة الاسمية للسلطان فى حين كانت السلطة الفعلية للمقيم الفرنسى

ولم يتقبل الشعب المغربى الاحتلال ، ولم يتمكن الفرنسيون من فرض حكمهم الا فى السهول ، أما الجبال الغنية بالمعادن فقد كلفتهم السيطرة عليها حروبا طويلة . والواقع أن المغرب كان بلدا اقطاعيا عند احتلاله ، مع بقايا النظام الجماعى البدائى فى الجبال ، وكانت غالبية سكانه تعمل فى الزراعة والرعى ، والمدن يسكنها فحسب ١٠ ٪ من السكان من العناصر الاقطاعية والتجار وأصحاب الحرف . وفى الوادى كانت الاراضى مملوكة لحكومة السلطان (المخزن) ، وللعناصر الاقطاعية وللمؤسسات الدينية (الحبوس) وكانت مجتمعات الفلاحين والقبائل الرعوية وشبه الرعوية تدفع مقابل استغلال الارض لحكومة السلطان والاقطاع . وفى الجبال كانت الاراضى مملوكة للجماعة ، ولكن الفئات العليا من القبائل كانت تستغل باقى القبيلة وتستحوذ على الارض وتجمع الضرائب .

وبعد الاستعمار زادت نسبة المعدمين ، فقد صادرت السلطات الفرنسية ٩٠٠ الف هكتار من أجود الاراضى منحتها للاحتكارات خاصة « الشركة العامة المراكشية » التى استحوذت مع « بنك باريس والاراضى الواطئة » على أهم المراكز الاقتصادية ، فكانت لها اقطاعات واسعة ، ومزارع لتربية الماشية ومعامل وورش الخشب والمناجم والمصايد والسكك الحديدية والموانى ومحطات الكهرباء

وكان الاجر المدفوع للعامل المغربى يقل كثيرا عن أجر زميله الاوربى ، ففى المناجم مثلا كان يبلغ من ١٦ الى ٢٥ ٪ منه . والشكل السائد لتأجير الارض هو مايسمى « الخماسة » التى ان يكون الخمس للمستأجر والباقى للمالك . وكان من يملك قطعة صغيرة من الارض ، مضطرا لايجار ما يكملها أو للعمل كأجير أو كعامل موسمى فى المدن لاستكمال مايلزم لدفع الضرائب واقامة أود اسرته . وفى المنطقة الاسبانية تكونت شركات خاصة للاستغلال

والواقع أن المقاومة فى منطقة « الريف » — فى الجزء الاسبانى — لم تتوقف ، فقد ثارت العناصر الاقطاعية على نزع أراضيها ، وقـادوا الفلاحين فى محاربتهم للمستعمرين . وتولى محمد عبد الكريم الخطابى ، وهو ابن « سيد » قبائل بنى اورياغل فى الريف القيادة بعد أبيه فى ١٩٢٠ وترأس النضال ضد الإسبان للدفاع عن مصالح طبقته وقبائله ، وكان متأثرا أيضـا بأفكار التحرر العالمية التى انتشرت اثر ثـورة أكتوبر . فقد صرح لمراسـل مجلة « العمل » الفرنسية بقوله « ان ثورة روسيا هزت الظلم والقهر ونحن نتبع نفس الطريق ، ولن تنتهى الحرب الا بالتحرر الكامل » . وفى يوليو ١٩٢١ انزلت قواته الهزيمة بالجيش الاسبانى البالغ ٢٠ الف عسكرى ، وفى سبتمبر عقد أعيـان « الريف » مؤتمرا انتخبوا فيه جمعية وطنيـة واعلنوا « جمهورية الريف المستقلة » برياسـة عبد الـكريم

ولقد كانت حركة الريف حركة للتحرر الوطنى للفلاحين تقودها مجمـوعة عليا من الاقطـاع الابوى ، وتضم قوات نظامية (حوالى ٧٠٠٠ جندى) ووحدات عصابات (حوالى ٥٠ الفا ، وفى الفترة من ١٩٢١ الى ٢٤ وجهت ضربـات قاصمة للاسبان التى رفعت قواتها من ٦٣ الف جندى الى ١٠٠ الف . ومع انزعاج فرنسا من الحركة ، تحرشت بها واستولت على أخصب جزء من أراضيها ليموت أعضـاؤها جوعـا ، ونسقت عملياتها الحربية مع أسبانيا ، وفرضـا الحصـار البحرى والبرى على الجمهـورية ، وخصصـا لقتالهـا ٤٠٠ الف جنـدى مزودين بالطائرات والدبابات . وبدأت هزيمة قوات الريف فى ١٩٢٥ وسقطت العاصمة ، وثارت القوى التقدمية الدولية على عمليات القمع والقتل وكون الحزب الشيوعى الفرنسى « لجنة العمل ضـد الحرب فى مراكش » رأسها موريس توريز ، ونظم اضرابا اشترك فيه ٩٠٠ الف عامل ، وفى اسبانيا تعددت المظاهرات ، وأصدر الكومنترن بيانا بادانة العدوان الاستعمارى . وزادت أعمال التعاطف مع ثوار الريف فى الاتحاد السوفيتى . وتحت الضـغط الدولى بدأت المفاوضـات بين الجانبين ، ولكن الاستعماريين طالبوا الثوار بنزع السلاح والخضوع لسلطان المغرب ، وبالتالى فشـلت المحـادثات واستؤنف القتال ، ولم تكن القوة متكافئة واستسلم عبد الكريم ونفوه الى جزر ريونيون ومنها سافر الى مصر

وفى بداية الثلاثينات بدأت مرحلة جديدة من النضال قادتها فى هذه المرة البرجوازية والمثقفين بدلا من الاقطاع والقبائل ، وتمت فى المدن بدلا من الريف ، ولعبت فيها الطبقة العاملة والحركة الشيوعية دورا بارزا (تكون القسم المغربى من الحزب الشيوعى الفرنسى فى ١٩٢٠ ولكنه لـم يكن قوة جماهيرية) ومع ذلك كانت الطبقة العاملة مبعثرة وغير ناضجة سياسيا ، فتولت البرجوازية القيادة . ومما ساعد على الثورة أزمة — ١٩٣٣ ومحاولة المسـتعمرين نقل اعبـائهم الى سكان المستعمرات . ولمواجهة الثورة حـاولت فرنسا اثارة الفرقة بين العرب والبربر (٦٠ ٪ و ٤٠ ٪ على التوالى من السكان) . ولعب المثقفون دورا بارزا وأصدروا مجلة « العمـل الشـعبى » بالفرنسـية ، ولم يكونوا يطالبون بالاستقلال بل الاصلاح ووحدة البلاد . وتأسس أول حزب برجوازى فى ١٩٣٤ وهو « لجنـة العمل المغربى » للمطالبة بالحد من الحماية لا الغائها وتكوين برلمان وطنى وحكومة موحدة . ومع نجاح الجبهة الشعبية فى فرنسا فى ١٩٣٦ ، عقدت لجنة العمل المغـربى مؤتمرا وطنيا فى الرباط طـالبت فيـه بالاصـلاحات والحريات والمساواة وأرسلت وفدا الى باريس فى ١٩٣٧ ، ولكن الحكومة الفرنسية رفضت استقباله . وكما هى العادة ثار الخلاف بين البرجوازية ممثلة فى « الحزب الوطنى لتحقيق الاصلاح » بقيـادة علال الفاسى و « حزب الحركة الوطنية » بقيادة محمد الوزانى . وعقد الحزب الاول مؤتمره فى ١٩٣٧ وضـع فيه برنامجا سـياسيا . وزاد الأرهاب الفرنسى ونفى الفاسى والوزانى (ولم يرجعا الا فى ١٩٤٦) وحرمت سلطات الاحتلال نشاط القسم المغربى من الحـزب الشـيوعى الفرنسى ، ومع تولى فرانكو السلطة فى أسبانيا شدد قبضته الفاشية على الريف الذى تـولى القيادة فيه « الحزب الوطنى للاصلاح » بقيـادة عبد الخالق توريس (تكون فى ١٩٣٦) . وبعد نشوب الحرب زادت فرنسا من قبضتها الارهابية ، ومع استسلامها وقيام حكومة فيشى العميلة لهتلر ، اخضـعت موارد المغـرب لالمانيا النازية التى استنزفتها ، واقامت فيها قواعد عسكرية

وحارب المغاربة ضد المانيا وساعدوا القوات الامريكية والانجليزية على النزول فى شـمال أفريقيا فى ١٩٤٢ . وفى ١٩٤٣ تأسس « حزب

الاستقلال » ؛ وبعد الحرب كثفت فرنسا استغلال البلاد ، فزادت استخراج الرصاص ٥ مرات ، والزنك ١٢ مرة ، والمنجنيز ٥ر٥ مرة والبترول ٣٢ مرة ، وكانت تصدرها خاما كما هى ٩٠٪ من الحديد والمنجنيز والكوبالت والرصاص) . ولم تقم سوى مصنع للفوسفات ، وتحققت لها أرباح عالية فقد حصلت مجموعة روتشيلد مورجان مثلا فى ١٩٥٤ ، على أرباح صافية مقدارها ١٢٥٠ مليون فرنك قديمة . وكان القطاع الحديث من الزراعة أوربيا ،ومن ١٩٣٩ الى ١٩٤٨انخفضت ملكية المغاربة من ٦ر٤ مليون هكتار الى ٩ر٣ مليون وفى الخمسينات كانت الشركات الفرنسية تملك مايزيد عن مليون هكتار ، واستمر افقار صغار الفلاحين تحت عبء الضرائب وارتفاع الأسعار ، ووصل عدد العمال الاجراء الى ٣٣٪ من سكان الريف ، وبلغت نسبة المعدمين ٦٠ ٪ منهم ، فى حين زادت ملكية الاقطاع المحلى (وصلت فى مجموعها الى حوالى ٢ مليون هكتار)

ومن جانب آخر زاد التسلل الامريكى فى شكل قواعد وجيوش وملكية أراضى وشركات (فروع لمورجان وستاندارد أويل) حتى وصل رأس المال الامريكى الى ٧٠٠ مليون دولار

واشتدت المعارضة بعد نمو الطبقة العاملة (٤٠٠ الف عامل) أثر التوسع فى الصناعات الاستخراجية والنقل والشركات ونمو سكان الحضر (نما حوالى ٥ر٥ مرة فىمدى ٢٠عاما) وتكوين الحزب الشيوعى المغربى ، وتدعيم الحركة النقابية ، وتولى القمع الارهابى الشهير الجنرال جوان ، ولعب الحزب الشيوعى المغربى دورا بارزا وكذلك النقابات وطالب بالغاء الحماية والقواعد العسكرية والاستقلال ، وفى ١٩٤٨، شكلت فى القاهرة « لجنة تحرير شمال أفريقيا » برئاسة الامير عبد الكريم وتعاطف السلطان مع حركة التحرر فنفته فرنسا فى ١٩٥٣ وعينت بدلا منه السلطان بن عرفه ، وتولى الجلاوى العميل قمع المظاهرات ، ومع مطالبة مصر والبلاد العربية والتقدمية بعرض القضية على الامم المتحدة فى ٥١ و ٥٢ و ١٩٥٣ ونجاحها فى ذلك، الا أن الولايات المتحدة وفرنسا منعتا اتخاذ قرار فى ذلك ، ومع ذلك اضطرت فرنسا للتفاوض فى ١٩٥٥ ورضيت بعزل بن عرفة وعودة محمد بن يوسف واعلان الاستقلال فى ٢ مارس ١٩٥٦ ،

وفى ابريل اعترفت اسبانيا بالاستقلال ووحدة البلاد وفى أكتوبر عادت طنجة للمغرب .

ومع ذلك لم يؤد الاستقلال الى انتهاء التبعية فقد استمرت القواعد الاجنبية بل واحتلال اجزاء من البلاد (افنى وما يسمى الصحراء الاسبانية)، ولارهاب البلاد بدا المستعمرون فى استعادة رؤوس أموالهم (حوالى ٥٠ مليون فرنك فى عام) واغلاق المصانع والمشروعات (٨٠مشروعا و ٢٠٠ مصنع فى نفس المدة) وانقاص المساحة المزروعة (الى الثلث) ومن ثم زادت البطالة (٣٠٠ الف فى ١٩٥٦) وقدم الحزب الشيوعى برنامجا يتمثل فى : ١ ــ تأميم شركات التعدين ومحطات القوى والنقل والشركات الاجنبية ٢ ــ تنمية الصناعة الثقيلة ٣ ــ الاصلاح الزراعى ومصادرة أراضى الاجانب والاقطاع ٤ ــ تشجيع الصناعة ورقابة الاستثمارات .

ومع قيام الحكومة المغربية التى لعب الدور الاساسى فيها الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية (وهو الانقسام اليسارى من حزب الاستقلال) باصلاحات محدودة ، الا أن المشاكل تفاقمت خاصة بعد تولى الحسن السلطة بسبب :

● اختيار طريق التنمية الرأسمالية وفتح المجال واسعا أمام رأس المال الخاص فى القيام بالاعمال الطفيلية والمضاربات والتلاعب

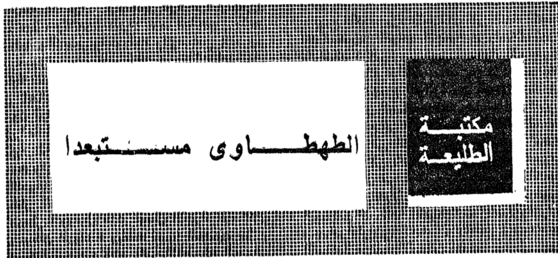
● زيادة تدفق رؤوس الاموال الاجنبية واستنزاف ثروات البلاد

● الكساد الاقتصادى ونقص فرص العمل وازدياد البطالة فى بلد ترتفع فيه كثيرا نسبة الشباب الباحث عن عمل

● شيوع الفساد والارهاب ومعاداة الديمقراطية

واستمرا الملك الاستعانة بالاجهزة والاعتماد على مكانته الدينية وانقسام المعارضة وتفتتها ، ولكن حركات الجيش مهما كانت اطماع مدبريها « هزت مكانته » فضلا عن اشتداد ساعد القوى المعارضة الجديدة كاتحادات الطلاب والمهندسين والمعلمين والمحامين وغيرها ، ونمو الحركة العمالية ، حتى بات الجميع يؤمنون بأنه لابد من قلب كامل للنظام وللعلاقات السائدة ، أما ابادة ثلث الشعب فلن تكون حلا بأى حال من الاحوال.

كمال السيد



عرض لكتاب .. مصر تسعى الى تكوين جماعة سياسية ..
تحليل لتطور مصر الثقافى والسياسى من ١٨٠٤ ـ ١٩٥٣

■ تأليف :

ناداف صفران

■ عرض وتحليل :

د. وليم سليمان قلادة

لم يكن « أبو العزم » (١) رفاعه رافع الطهطاوى « مثقفا » استطاع بعزيمته ـ كفرد ـ أن يتجاوز عوامل التخلف الفكرى التى تراكمت فوق مجتمعه ، وأن يستوعب الفكر الانسانى المعاصر له فى أرقى مستوياته ومختلف مجالاته .

الحقيقة أن الطهطاوى كان تعبيرا عن حركة فى المجتمع المصرى ـ ترفض الواقع المتخلف وتدعو الى تغييره . كان ارهاصا بالجديد الوليد الذى يتخلق وينمو ـ ماديا وفكريا . كان تيارا ضم مدرسة كبيرة من ابناء مصر ، وارتبط بالجماهير

---

[١] يقول أحمد أمين : « كان من العادات الظريفة ان يجتمع الجم الغفير من العلماء والامراء والاغنياء والتجار فى ليلة من ليالى رمضان فى بيت السادات .. ويجلس الشريف الحسيب النسيب شيخ السادات مجلسه الفخم الوقور يمنح الرتب والالقاب لمن يشاء من الزوار .. فهذا ابو الانوار ، وهذا ابو الوفاء وهذا ابو البركات وهذا ابو الخير . ففى ليلة من هذه الليالى .. كان من الزوار شيخنا الشيخ رفاعه ، فتفرس فيه الشيخ السادات .. ثم قال له : « اذهب فانت ابو العزم » وكذلك كان . وكانت كنيته ، فابرز صفات الشيخ رفاعه « عزمه » اوردها جمال الدين الشيال رفاعه رافع الطهطاوى ، نوابغ الفكر العربى ، ص ٤٩ .

الواسعة التى كانت وقتئذ تستطيع أن تقرأ له فى كتبه وفى الصحافة التى كان يصدرها ، وعن طريق تلاميذه الذين صاروا معلمين ـ كما كانت تنظر اليه كفلاح مصرى استطاع أن يحقق هذا الانجاز الحضارى الرائع . كان مركزا تحيطه دوائر تتأثر به ـ تتسع بامتداد التأثر دائرة بعد أخرى . وكان هدفا للرجعية ـ عرفت خطورته فلم تقنع بأقل من نفيه خارج البلاد .

وحين مات « اهتزت مصر لموته ، واحتشد لتشييع جنازته الالوف المؤلفة من رجال المعارف والامراء والنبلاء وتلاميذ المدارس ، وازدحمت الشوارع بالناس يرددون بعض جميله : يذكره الازهريون على أنه ابنهم ، والمتعلمون المدنيون على أنه أبوهم ، والجالية الفرنسية على أنه أخوهم ، والمصريون كلهم على أنه مؤسس نهضتهم . وكلهم يتوجع لفقده ويشيد بذكره . وسار المشهد من منزله « بالمهمشا » حتى اذا قارب المدينة كان ينتظره شيخ الازهر وعلماؤه وطلبته فاشتركوا فى تشييع الجنازة . ووضع النعش فى القبة الجديدة ولا يدفن ذلك الا لعظيم . وأخذ الافاضل فى رثائه بالقصائد والخطب . ثم حمل الى « بستان العلماء » حيث طويت صحيفته . وبقيت آثاره خالده تعظم وتتزايد وتتوالد .. » (٢) .

فهل من الممكن أن يكتب تاريخ الفكر المصرى الحديث ويستبعد منه هذا الرائد العظيم .. واذا حدث أن استبعد فعلا ـ فماذا يعنى هذا الاستبعاد .. ؟

وفى حقيقة الامر فاننا نجد اتجاها فى دراسة تاريخ الفكر المصرى يجهد لتاكيد مفاهيم معينة ـ نعرض هنا نموذجا له ...

NADAV SAFRAN ناداف صفران

« ... يهودى مصرى الاصل ، وصلته وثيقة بالدوائر الاسرائيلية الحاكمة . وهو استاذ فى جامعة هارفارد ، وصديق ومستشار غير رسمى لهنرى كيسنجر مستشار الرئيس الامريكى نيكسون ، ورجل السياسة الخارجية الامريكية القوى » (٣) .

ولعل أولى المؤهلات التى جعلت لصفران هذا المركز الخطير هو دراسته التى نشرها عام ١٩٦١ بعنوان :

Egypt in Search of Political Community An Analysis of the Intellectual and Political Evolution of Egypt, 1804—1952.

« مصر تسعى الى تكوين جماعة سياسية « تحليل لتطور مصر الثقافى والسياسى من ١٨٠٤ الى ١٩٥٢ » (٤) .

ماذا يريد هذا الدارس الامريكى الاسرائيلى للفكر المصرى أن يقول ؟

يجمل صفران فى الصفحات الاولى من كتابه فروضا ثلاثة يحدد بها منهج دراسته ، وهى فى حقيقة الامر ليست مجرد فروض ومنهج ، بل تتعدى ذلك الى مجال النتائج :

«الفرض الاول والرئيسى هو أن الجماعة السياسية لا يمكن أن تكون لها حياة واستقرار ما لم تكن مؤسسة على مجموعة من الافكار وأساليب التفكير والقيم التى تعتنقها بصفة عامة ـ يمكن أن يطلق عليها اسم بناء عقائدى ، او إيديولوجيا ، او نظرة الى العالم .. والخبرة التاريخية تؤكد أن كل انهيار سياسى كانت ارهاصاته تظهر مقدما من خلال انهيار البناء العقائدى المشترك ...

« الفرض الثانى هو أن ثمة رابطة وثيقة بين الحقائق المادية ـ الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ـ وبين أساليب الفكر والقيم .. ولكن ليس من المفروض ان تؤدى مجموعة من الظروف المالية حتما الى تكوين نموذج البناء العقائدى الذى يتفق معها . على الاقل ليس فى الفترة التاريخية القصيرة ـ ثلاثة أجيال أو أربعة ـ وهى موضوع هذه الدراسة . باختصار ، هناك رابطة بين الحقائق المادية والابنية العقائدية الى حد ان تغييرا جذريا فى الاولى يمكن أن يجعل بناء عقائديا معينا شيئا عتيقا ، وأن يتطلب تعديله أو احلال بناء آخر مكانه . محددا اتجاه ذلك . مثل هذا التعديل الايديولوجى يحتاج الى زمن طويل كى يتجسد ـ بفرض أن هذا شىء ممكن حدوثه . وفى نفس الوقت ، فان الجماعة التى تحرم من مذهب عقائدى صحيح ، يمكن ان تصبح ضحية للفوضى والاضطراب .. ويستدعى الامر حفظ النظام بالقهر السافر أو بوسيلة مؤقتة .

« الفرض الثالث ـ ثمة عملية يجب أن تجتازها معظم ـ ان لم يكن كل ـ المجتمعات . وفى جميع الاحوال تقريبا تحدث هذه العملية ضغطا على البناء العقائدى القائم الى حد الاطاحة به ـ الامر الذى يؤدى الى انهيار الجماعة السياسية . فى هذه العملية ، واذ تنطلق الجماعة من اعتناق بناء

---

(٢) احمد امين ، زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
(٣) احمد بهاء الدين ، الاهرام ٥ ديسمبر ١٩٧١ .
(٤) الناشر : — Cambridge, Massachusettes, Harvard University Press.
— London, Oxford University Press.
وجاء فى غلاف الكتاب ان المؤلف ولد بالقاهرة وتلقى تعليمه السابق على المرحلة الجامعية فى مصر .

عقائدى ذى اتجاه لاهوتى ، تجد الجماعة نفسها تحت مؤثرات العلم والتكنولوجيا والاقتصاد وأساليب الادارة الحديثة . وهكذا تواجه ضرورة اعادة صياغة بنائها العقائدى واعطائه طابعا انسانيا . وضرورة هذه الانتقال من « اللاهوتى » الى « الانسانى » بسبب العلم والتكنولوجيا والاقتصاد واساليب الادارة الحديثة واضحة : فهذه الاساليب تكشف عن قدرة الانسان على أن يفهم البيئة الطبيعية والبشرية التى يحيا فيها من خلال مبادىء قام هو باختشافها أو تعلمها . اما أن هذا الانتقال صعب فذلك لان الابنية العقائدية — عموما — بسبب وظيفتها التى تؤديها فى الجماعة تصبح جزءا من وعى الجماعة بذاتها ، وأداة لاثبات الشخصية وتمييز الذات عن الجماعات الاخرى . وبذلك تكتسب قداسة تجعلها أكثر مقاومة للتغير من الظروف المادية .. فاذا كان هذا هو الحال بالنسبة للابنية العقائدية فى مجموعها ، فكم يكون الامر بالنسبة لابنية يعترف بها بأنها مقدسة وموحى بها ... » .

هذه هى المسلمات الثلاثة التى يبدأ بها المؤلف دراسته ، والتى يجعلها أساسا نظريا لكل استخلاصاته . ثم يطبق صفران فورا ، وفى المقدمة — هذه المسلمات على مصر . وهنا تتحول الفروض الى نتائج . يقول :

« كانت مصر وارثه لبناء عقائدى قائم على الشريعة الاسلامية ، استمر الى فترة قرون عديدة مصاحبا لتطور ظروفها المادية ، ومقدما أساسا لجماعتها السياسية . تبلور كل من البناء العقائدى والظروف المادية عند بداية الاحتلال العثمانى . ولم يتغير الا قليلا خلال القرون الثلاثة التالية . ومع بداية القرن التاسع عشر بدأ الطابع الاساسى للحكومة المصرية والهيكل الاقتصادى والمجتمع — هذا كله بدأ يجتاز تغيرا سريعا تحت تاثير صدمة الاتصال المتجدد مع اوربا ، بينما بقى البناء العقائدى جامدا . ونشأت هوة اخذ اتساعها يتزايد بين الواقع والايديولوجية — وهى هوة قوضت أساس الجماعة السياسية القائمة ، وهددت بان تلقى المجتمع المصرى الى حالة دائمة من عدم الاستقرار والتوتر — ما لم تعبر هذه الهوة بواسطة اعادة تكييف للبناء العقائدى التقليدى ، او صياغة بناء جديد يكون قادرا على ان يصبح أساسا لجماعة سياسية جديدة » .

ويشير صفران الى ما حدث فى اوربا مع انهيار القرون الوسطى ، وكيف أن « المجتمعات الغربية عرفت — قرونا عديدة ، وقامت فيها الثورات والحروب الاهلية والدولية قبل أن تتوصل أخيرا الى أبنية عقائدية وجماعات سياسية قادرة على الحياة » ويخلص من هذا كله الى أنه « اذا أخذ ذلك فى الاعتبار فانه يكون من غير المتوقع أن المجتمع المصرى كان يستطيع أن يجد حلا للمشكلة بعد جيلين او ثلاثة اجيال من بدء وعيه بها » .

ومن الواضح أن صفران يسد الطريق على مصر فلا يتيح لها فرصة الحياة العصرية — ماديا وفكريا . والميدان الذى يواجه هذا التذبذب مصرية هو مجال الايديولوجيا . وهو يريد ان يثبت ان الهوة التى يتحدث عنها بين الوجود والوعى لم تعبر فى مصر . ولهذا فان سبب انهيار الجماعة السياسية — مرة بعد أخرى — فى مصر هو عدم قدرة الشعب على التكيف فكريا مع ظروف الحياة الجديدة . وهو يريد أن يثبت أن مصر فى مراحل ثوراتها الوطنية لم يتجاوز وعيها ماكانت عليه وقت أن تبلور بناؤها العقائدى — من وجهة نظره — عند بداية الفتح العثمانى .

والقضية ليست ذات طابع اكاديمى تاريخى وحسب ان القيمة المعاصرة لهذه الدراسة الخطيرة هى أن ما انطبق على مصر خلال هذه المائة والخمسين عـاما ، ينطبق بالضرورة عليها خلال النصف الثانى من القرن العشرين . ومن خلال الفروض والنتائج التى يجهد المؤلف لاثباتها فى الفترة التاريخية التى يدرسها — يكون تخطيط مواجهة مصر وقد بدأت مرحلة جديدة من صراعها الوطنى والاجتماعى .

وهكذا تاتى أقسام الدراسة الخمسة — عرضا لتاريخ مصر منذ ١٨٠٤ — ١٩٥٢ ، لاثبات فروض صفران ونتائجه التى أجملها فى الصفحات الاربعة الاولى من كتابه .

وفى كتاب صفران كله لم يرد اسم رفاعة الطهطاوى قط .

لقد خصص المؤلف الفصل الثانى من القسم الاول لدراسة « التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ ١٨٠٤ — ١٨٨٢ » . ودرس فى هذا الفصل ما قام به محمد على فى الزراعة والصناعة والتجارة والادارة والتعليم والملكية . وفى رأى الكاتب « كل هذه التطورات — لم يكن لها سوى اثر ضئيل او بلا اثر تماما — فى مجال النشاط الثقافى . فالمؤسسة التعليمية الدينية لم تنجح فى انتاج أى عمل له قيمة خلال القرون السابقة — مع استثناء تاريخ الجبرتى . والتعليم المدنى المنشأ حديثا كان قريب العهد جدا وذا طابع مهنى ، بحيث كان عاجزا عن المساهمة بأى شىء فى الحياة الثقافية . لقد أنشأ محمد على مطبعة عام

١٩٣٢ أصدرت ٢٤٣ كتابا فى العشرين سنة الاولى من وجودها . ولكن الجزء الاكبر منها يتكون من كتب دراسية عسكرية وبحرية . ولم تطبع الا عملين أدبيين » (٥)

. وخلال المراحل التالية من الفترة التاريخية التى يدرسها ، صمم المؤلف على أن يسقط نهائيا اسم الطهطاوى ــ سواء فى المتن ، أو فى الهوامش ، أو فى ثبت المصادر والمراجع .

وهكذا أصبح الطهطاوى مستبعدا من تاريخ الفكر المصرى .

وكان من الطبيعى لكاتب مثل صفران لديه هذه الافكار المسبقة عن مصر ، وعن ثبات وعيها على حالته عند بدء الفتح العثمانى ، ان يستبعد هــذا المفكر المتحرر ، لانه الدليل على قدرات العقــل المصرى ، الذى احدث بالفعل تأثيرا حقيقيا ــ تؤكده المكانة الشعبية التى احتلها فى البلاد . وصــار اسمه وعمله وتلاميذه وآثاره دليلا على قدرة هذا الشعب ذى التراث الحضارى الاصيل على اختزال الزمن وتعويض التخلف ــ لو انه ترك يصــنع حاضره دون اجهاض لفكره وتعويق لمساره .

ان الطهطاوى هو البرهان على خطأ المسلمة القبلية التى يفترضها المؤلف تفسيرا للتــاريخ السياسى والفكرى المصرى . ولهذا كان لابد مــن استبعاده .

ولنأخذ مجالين صاغ فيهما صفران ما يراه معبرا عن الفكر الذى ساد مصر : النظرة الى التاريخ ــ ونظرية الدولة وعمل الحكومة .

ففى رأى صفران تتميز النظرة الى التاريخ التى سادت مصر بمميزات ثلاثة :

أولا ــ انها تشاؤمية ، ترى الكمال فى الماضى ولا تتوقع التقدم فى المستقبل وخير ما يعمله الانسان هو الاقتداء بالسنن القديمة والسلف الصالح .

ثانيا ــ ان قدرة الله تنكر على الانسان وعلى الطبيعة أية فاعلية . ومادامت ارادة الله خفية ولا يمكن معرفة كنهها فمن العبث البحث وراء الاسباب والنتائج ، أو وراء القوانين فى التاريخ .

ثالثا ــ مادامت أحداث التاريخ هى مظاهر الارادة الإلهية ، فثمة خطوة سهلة لاسباغ الشرعية على وقائع التاريخ . فما يقدمه التاريخ هو ارادة الله ظاهرة فى الواقع . ومادام « الاجماع » قد أجاز ولو ضمنيا وعن طريق التسليم الصامت بما يحدث ، فان الواقع يكون شرعيا .

هذه النظرة الى التاريخ ظهر أثرها واضحا ــ فى رأى صفران ــ فى نظرية الدوله وعمــل الحكومة . فلديه أنه ليس فى الفكر السياسى الذى ساد مصر اى ضمان لصلاحية الحكومة الا النيــة الطيبة للحاكم . أما التكوين الداخلى للحكومة والرقابة عليها وضمانات صلاحيتها وتــوازنات المصالح وما الى ذلك ــ فقد ظل غريبا عن هــذا الفكر . فسلطة الحاكم مطلقة . وجميع تصرفات تابعيه تتخذ باسم السلطة التى يفوضــهم فيهـا . وفيما عدا الحاكم ليست هناك ــ تقــريبا ــ مؤسسات عامة يمكن أن تنهض بسلطتها . وسلطة الحاكم لا يستمدها من الشعب بل من الله . وليس ثمة تنظيم وضعى لمحاسبة الحاكم أو عزله فيما عدا الثورة .

هذه هى نظرة صــفران التجريدية الى الفكر المصرى .

ان الشىء الخطير الذى يقوم به هذا الدارس هى فى كيفية اسقاطه هذه النظرة على الواقــع ، وبالذات فى تفسيره للجهد وللثورة اللذين كان يقوم بهما الشعب المصرى مرة بعد أخرى لتجاوز واقعه ولمواجهة استبداد الحاكم .

يقول صفران انه مع بداية القرن التاسع عشر بدأت مصر تعيش فى ظل نظــام جــديد . ويــرى صفران أن البناء العقائدى الذى يساند هذا النظام العصرى الحديث يتناقض مع التراث العقــائدى الذى تبلور فى مصر منذ الفتح العثمانى .

ولم تستطع مصر أن تكيف نظرتها لتتفق مع واقعها الجديد .

فكان أن انهار هذا النظام لانعدام البنــاء العقائدى الذى يسانده .

فبكلمة واحدة يجمل صفران اسباب انهيار الجهد الذى بذلته مصر أيام محمد على لتجاوز واقعها . الفشل هنا مرده أن النظام الجديد لا يتفق مع الفكر العثمانى ــ الذى آثره الشعب المصرى على التقدم .

أما المقاومة التركية المستميتة ، والتــدخل الاجنبى ــ فهى أمور لا تدخــل فى الحســاب .

ومرة أخرى يتوقف صفران عند تاريخ مصر أيام

---

(٥) صفران ، ص ٣٣ .

اسماعيل ، واثناء حكم خلفه الذى قامت فى عهده الثورة العرابية . ومن المعلوم ان تطــور الصراع أدى الى اقامة مجلس نيابى بدأ استشاريا ، ومع الممارسة طالب بأن يكون له رأى ملزم فى امور الحكم . ومع « التقدم العام الذى حدث خــلال نصف القرن السابق ، وانتشار التعليم ، والاتصال بالافكار الاوربية عن الحكومة ، ظهرت مجموعــة من الموظفين والمهنيين والمثقفين ذوى الاهتمامات العامة الذين يستطيعون ـ لاول مرة فى تاريخ مصر أن يتبادلوا بوضوح آراءهم حول الظــروف السياسية والاجتماعية » (٦)

ومن الواضح ان هذا دليــل على امكانية حــدوث تغيير فى النظام السياسى والبنــاء العقــائدى يصاحب ويعبر عن التغيير الذى حدث ويحدث فى الواقع الاقتصادى والاجتماعى . وتجىء الثورة العرابية لتؤكد اصرار الشعب المصرى على تأكيد التغيير والدفاع عنه

ولكن صفران يقدم تفسيرا آخر :

فلديه أن التحول عن المفاهيم العثمانية واعتناق الافكار الجديدة هو المسئول عن الانهيــار الــذى منيت به الحكومة المصرية فى أواخر عهــد اسماعيل ، يقول : « ان الاثار المتراكمة للتطورات التى حدثت فى عصر اسماعيل لم تؤد الى أقل من التحول الكامل لطابع المجتمع المصرى وتنظيمه . هذا التحول هدم الاساس الايديولوجى (العثمانى) التقليدى الذى قام كأساس للجماعة السياسية . ومع غياب بناء عقائدى بديل تعرض استقرار الجماعة السياسية بل وجودها نفسه للخطر متزايد ـ واذا كانت القوة السافرة والتأخر الحتمى لبلورة الوعى الشعبى قد مكنا محمد على من المحافظة على مظهر الجماعة فان هذه الدعائم لم تكن تكفى لزمن طويل . ومع نهاية حكم اسماعيل وبدء حكم خلفه صارت هذه ـ القوة وتأخر الوعى ـ ضعيفة تماما . وأصبحت الجماعة فريسة لقوى التفتت » .

كيف ظهرت قوى التفتت هذه ؟

اجابة صفران : انها قوى الثورة بزعامة عرابى

وما الدافع لها على التحرك ؟

اجابة صفران : لانها تدافع عن نظام الحــكم العثمانى ومفاهيمه وتثور ضد النظم السياسية والافكار الجديدة الغريبة عنها .

وهذه هى عبارات المؤلف :

« لقد كان عرابى وزملاؤه قادرين على اثارة جميع طبقات الشعب لان هؤلاء كانوا خلال الفترة الماضية قلقين تحت حكم نظــام ســياسى لم يكن يقهرهم وحسب . ولكن كان غريبا عنهم هنا يظهر فى حقيقة الامر تصوير كامل لواحد من الفروض الاساسية لهذا الكتاب . هكذا يقول صفران ـ ان النظام السياسى الذى يفتقد أساســه فى المفاهيم الشائعة لا يمكن أن يكون له الا وجود مزعزع . ومادام النظام المصرى قد تحول جذريا عن البناء العقائدى التقليدى فانه يكون قد فقد اى حق فى مطالبة الشعب بالولاء . اما قدرة هذا النظام على استخلاص الطاعة من المواطنين فلن تدوم الا بقدر ما يكون القهر والرهبة فى مكنته » (٧)

ويبدو انه ليس هناك من حاجة لمناقشة تصوير الكاتب للاحداث وتحليلها وتفسيرها . انه نفسه كما يثبت فى نصوصه هذه يعترف بأن التيار الفـكرى الجــديد كسب قطاعات متزايدة مــن الشعب . وهو تيار يستند الى تغير فى البناء الاساسى والاقتصادى والاجتماعى . فضلا عن أن الثورة الوطنية بقيادة عرابى كانت تطالب بمزيد من القيود على الحاكم (العثمانى) المطلــق ، واصرار على اقامة الجماعة السياسية ـ لاعلى الاسس العقائدية التقليدية ، بل وبالذات فى اطار النموذج الذى كان الطهطاوى ومدرسته قد أشاعوا معرفته والاقتناع به . ففى حقيقة الامر كان البناء التقليدى ـ ماديا وعقائديا ـ هو الذى صار غريبا عن قطاعات الشعب ، وفقد حقه فى المطالبة بالولاء واستخلاص الطاعة .

والمهم هنا أن نتتبع تصور هذا الكاتــب الصهيونى لحركة المجتمع المصرى خصوصا وانه على أساس هذا التصور يقدم مشوراته للدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة واسرائيل .



ثم جاء الاحتلال البريطانى .

ويثور سؤال جوهرى ـ ماذا يمكن ان يكون موقف الشعب المصرى وصــفوته من المثقفيــن والزعماء السياسيين ازاء هذا الحاكم الجديد طبقا لفروض صفران الاساسية ؟

لقد رأينا هذا الدارس ينعى على محمد على

(٦) ص ٣٩ .
(٧) ص ٥٠ .

واسماعيل اصطناعهما لنظام اقتصادى وسياسى غريب عن الشعب ، يخالف بناءه العقائدى التقليدى . اما الان ، فليس النظام وحده هو الغريب ، بل ان الحاكم نفسه أصبح محتلا دخيلا .

يقول صفران :

« بمجرد ان أجهزت واقعة الاحتلال الحاسمة على امكانيات النشاط السياسى تماما ، واقعدت اى حافز للعمل النضالى - اصبح الجو مهيئا امام القادة المثقفين المصريين ان يركزوا على انجاز تقييم اعمق للمشكلة الايديولوجية الاساسية . وبدا انه من الممكن عمل الخطوة الاولى نحو حل المشكلة من غير ان يضطرب القائمون عليها فى النزاع السياسى المباشر - دون امل،ذلك الاضطراب الذى كان يمكن ان يبعدهم عن قصدهم الفكرى . وقد تحقق هذا كله الى حد كبير . وأصبحت السنوات من ١٨٨٢ الى الحرب العالمية الاولى - فى حقيقة الامر - مرحلة تكوين حقيقية فى التطور الايديولوجى و التاريخى لمصر الحديثة » (٨) .

هكذا أصبح التفلسف ممكنا ومشروعا فى ظل الهدوء الذى ترفرف عليه رايات الاحتلال .

ومن أجل هذا كان حتما أن يستبعد الطهطاوى الذى بدأ يفكر ، فى اطار مصر الناهضة المنتصرة ويعبر عنها .

● ● ●

على أن الخبرة يمكن أن يستفاد منها مرة اخرى .

ففى ٥ ديسمبر ١٩٧١ كتب احمد بهاء الدين فى الاهرام يقول : « قبل أسابيع ادلى خبير امريكى فى شئون الشرق الاوسط هو البروفسور صفران بشهادة هامة امام لجنة العلاقات الخارجية للكونجرس .. قال صفران انه يرى ان تنسحب اسرائيل من سيناء على ثلاث مراحل .. وقال ان كل مرحلة يجب ان تستغرق خمس سنوات .. اى أن يتم الانسحاب خلال خمس عشرة سنة .. وقيمة هذه السنوات الخمس عشرة انها فى رأيه الوقت اللازم كى يتأكد خلاله زوال العداء العربى الاسرائيلى نهائيا ، وتقبلهم للعلاقات الطبيعية معها .. خمسة عشر عاما تبدأ بهذا المعنى - بعد عقد الحل السياسى ، اذا عقد .. » .

مرة اخرى يريد المخططون ان تترك مصر ومثقفوها النضال،ليعكفوا على التفلسف - تحت رايات الاحتلال الاسرائيلى هذه المرة ، كما اصطنعوا ذلك - فى رأيه - تحت رايات الاحتلال الانجليزى .

والحجة مردودة وفى صالح الشعب المصرى . لان كل ما صنعته الرايات الانجليزية من هدوء كان مؤقتا ، وظاهريا .. وانها لحقيقة تاريخية لا تقبل الشك أن الشعب المصرى أخرج الانجليز من مصر ..



ان هذا الدارس الذى يلوى التاريخ المصرى فى شراسة وعناد لا يكف عن متابعة كل هبة مجيدة يعترف بها العالم كله لهذا الشعب . ونستطيع أن نتابع تفسيره للثورة الوطنية فى ١٩١٩ . وانكاره للهبات المصرية ضد المماليك والعثمانيين طوال وجودهم فى مصر (٩) . وفى هذا كله يكشف الكاتب عن طابع تعصبى عنصرى يريد به أن يقول إن اسرائيل والايديولوجية التى قامت عليها ليستا وضعا شاذا فى المنطقة (١٠) .

ان ما نريد أن نستخلصه من متابعة تصوير هذا الدارس للتاريخ السياسى والفكرى المصرى ، ومع الاخذ فى الاعتبار المهمة التى يقوم بها الى جوار الدوائر الحاكمة الامريكية والاسرائيلية ، هو أن نحدد الخطوط الرئيسية للمخطط الذى يوضع وينفذ حاليا ضد شعبنا :

أولا : نقطة البداية هى الايديولوجيا - تعميق الهوة بين الافكار الشائعة فى المجتمع ونظام الحكم العصرى الوطنى التقدمى . والوسيلة هنا هى تأكيد مفاهيم العصر العثمانى عن الله والتاريخ والطبيعة والانسان ونظام الحكم والتنظيم الاقتصادى والاجتماعى . ومع تأكيد هذه المفاهيم ونشرها واظهار انحراف نظام الحكم عنها تتسع الهوة ويصبح النظام محاطا بفراغ يعزله عن التأييد الشعبى - الضمان الوحيد لمساندته والدفاع عنه .

---

(٨) ص ٥٤ .
(٩) ص ١٠١ - ١٠٧ وهامش ١ص٢٧٦ . وانظر أيضا ص ١٢٦ .
(١٠) انظر تعليق وليم سليمان ،المواجهة الحضارية بين مصر واسرائيل،الطليعة سبتمبر١٩٦٨ ص ١١٢ .ومقال: محمد على حاكما ، الطليعة ، أكتوبر١٩٦٩ ، ص ٤٧ .

ثانيا : محاصرة نظـــام الحكم والضغط عليـه بمختلف الوسائل فى الداخل والخارج ـ سياسيا واقتصاديا ، الامر الذى يزعزع تقـــدير الشعب لنظام ، واحترامه له ويمس هيبتـــه .

ثالثا : توجيه ضربة حاسمة للنظـام فى الوقت المناسب يسقط بعدها صريعا . وقد تابع صفران كيفية محاصرة نظام محمد على واسماعيل وتوجيه الضربات اليهما موضـحا الاســاس الايديولوجى لذلك كله .

رابعا : اجبار الحطام الباقى على تنفيذ ما كانت القوى المضادة تسعى للحصول عليه .

لقد اتبعت هذه الخطوات مع محمد على ثم مع اسماعيل والثورة الوطنية بقيادة عرابى . وهى نفس الخطوات التى تواجهها مصر منذ حددت طريقها الوطنى والاجتماعى نحو الاشتراكية ، وما زالت المراحل الاخيرة من المخطط تنفذ ـ كما يوضح ناداف صفران فى شهادته امام الكونجرس الامريكى .

وشكرا للهبات الشعبية المصرية منذ ٩ يونيـو ١٩٦٧ التى وقفت حائلا دون نجاح المخطط للمرة الثالثة فى تاريخنا الحديث .

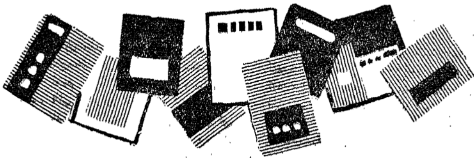
● ● ●

وبعد ـ فان الخطوة الاولى من هذا المخطط كما رأينا ذات طابع ايديولوجى . ومن هنا فانه اذا كنا نواجه العدو اليوم فى الجبهة العسكرية ونعد الجبهة الداخلية لمواجهة المعركة ـ فان الجبهة الايديولوجية تحتاج منا الى التفات مركز . فليس يكفى أن يكون لنا نظام سياسى ودستور ونظام اقتصادى تحدده القوانين واللوائح ونصطنع العلم والتكنولوجيا فى مختلف نواحى حياتنا ـ بل لابد ان يساند ذلك كله الفكر الذى يتناسب مع طبيعة النظام العصرى الوطنى التقدمى . وان يشيع هـذا الفكر فى جماهير الشعب لتواجه به كل دعاوى التخلف والردة الى العصر العثمانى ولتدافع عن نظامها عن وعى واقتنـاع .

وفى هذا المجال تتبدى أهمية رفاعه الطهطاوى ـ الاب الشرعى لحركة الفكر المصرى الحديث . نؤكد مركزه ، ونمنع استبعاده .

وفى العام القادم ـ ٢٧ مايو ١٩٧٣ ، تكون قد مضت على وفاته مائة عام كاملة ، وانها لمناسـبة يجب أن نستعد لها منذ الان ، نعبر فيها عن تمسكنا بالمنهج الذى بدأ به هذا الرائد نقلته للفكر المصرى ، ونراجع تراثه ، ونعيد نشره بأدق الاســاليب العلمية ، (١١) ونقرأه قراءة جديدة معاصرة .

ولتكن هذه المناسبة عملا مشتركا : عملا مصريا وعربيا وعالميا . نبرز فيها امام أنفسنا وأمام العالم كله . فيم يختلف فكرنا عن الفكر الصهيونى العنصرى التعصبى ، ونؤكد انتماءنا للعصر الذى نعيش فيه ، وللمستقبل الانسانى التقدمى ـ كما اكد الطهطاوى انتماءه الحضارى الى جيله .



(١١) انظر التنبيــه والاعتــذاروالتصويبات التي الحقها ناشرو طبعــهوزارة الثقافة لكتاب الطهطاوي « تخليص الابريز في تلخيص باريز » بالكتاب عندنشره عام ١٩٥٨ ـ ص ٣٢٠ ـ ٣٣٠ ·وانظر ماسقط في هذه الطبعة من النص الاصلى ، لويس عوض ، تاريخ الفكرالمصرى الحديث ، كتاب الهلال · الجزءالاول ، ص ٣١ هامش ٢ ·



كتب المهندس ابراهيم عبد الفتاح
سعد الدين بمديرية الزراعة
بطنطا عن :

مهام الاعلام فى هذه المرحلة

فى هذه المرحلة البالغة الخطورة فى تاريخ نضالنا ، تتحدد مهمة جهاز (الاعلام) فى الدولة كمؤثر هام يشكل عقول ووجدان الجماهير .

لسنا بصدد تحديد اطار ينظم عمل هذا الجهاز ومهامه فى تلك المرحلة ، فهذه مسئولية يقع عبئها على رجال الاعلام أنفسهم . ما نبغيه - فقط - ان تكون مهام هذا الجهاز وانجازاته ومسار حركته ، معاصرا حيا ، يتأثر ويؤثر فى أحداث وانفعالات شعبنا بكل قطاعاته وطوائفه ، ويجعل مواطنينا - ممن قدر لهم أن يشهدوا هذه الحقبة التاريخية الحرجة - يحيون هذه المرحلة بكل همومها وتبعاتها .

ومن هنا تأتى أهمية اجهزة الاعلام بامكانياتها فى الحركة ومقدرتها على التأثير ، كقوة تنفذ مباشرة الى عقول الجماهير وقلوبهم ، لتجعل للكلمة والصورة ، وجودا حقيقيا وخلاقا فى نفوس الجماهير .

على أن هناك تحفظا ينبغى أن نشير اليه - خشية الوقوع فى بعض الخلط - اذ أن تصورنا لمسئولية الاعلام ، لا تعنى ان تجند وسائل الاعلام نفسها لترديد الشعارات البراقة ، والكلمات الزاعقة النبرة ، تحت دعوى اشعال حماسة الجماهير والهاب عواطفهم . فقد أثبت الواقع الانسانى أن حركة الجماهير لا توجهها الهتافات والكلمات الضخمة ، وانما توجهها التعبئة الواعية والمسلحة بفهم كامل لطبيعة الانسان ومتطلباته ، وبنفس الدرجة ، فهم كامل أيضا لقضايا هذا الانسان .

اذا كان هذا هو تصورنا لدور الاعلام فى دولة يخوض شعبها الان تجربتين بالغتى الحرج والخطورة ، على المستوى الدولى يخوض قضية من أشرف وأعدل قضايا النضال فى عالمنا المعاصر ، وفى الداخل يخوض تجربة التحول الاشتراكى ، بما تستتبعه هذه التجربة من خلق وارساء قيم وأخلاقيات جديدة داخل الانسان المصرى ذاته ، كلبنة صغرى ، يتشكل منها فى النهاية ، بناء المجتمع الكامل .

بعد هذا كله ، تبقى للاعلام مسئولية ، تندرج ضمنا داخل الهيكل العام الذى أسهبنا فى الحديث عنه - عن ضرورة - وهى الان قضيتنا التى سنتعرض لمناقشتها بشيء من التفصيل . وأعنى بها دور الاعلام فى حماية الانسان المصرى مما يتعرض له عقله ووجدانه من عمليات التخريب التى تأخذ فى بعض الأحيان شكل التعمد الموجه ، وفى أحيان أخرى ، تصدر عن فهم ساذج ، او تصور مريض ، لدور الاعلام وتأثيره على أفهام الناس وسلوكهم .

خشية التورط فى خطأ آخر ، نقول أننا لا نطالب بفرض وصاية أو حجر على عقول الجماهير ، كما لا نطالب بمصادرة حرية هذه العقول وتقييد مقدرتها على الخلق والابداع - وانما نطالب بنوع من الرقابة على ما يصل الى افهام الناس ، داخل اطار عام ، لا يضع نصب عينيه أمن الدولة فحسب - فهذا مكفول باجهزة لسنا بصدد الحديث عنها - وانما يحرص فى المحل الاول على حماية المواطن المصرى مما يتعرض له وجدانه من تيارات ضارة ، تصيبه بالبلبلة والاهتزاز ،وتصرفه فى النهاية عن تحمل ما ينبغى عليه أن يتحمله من تبعات ومسئوليات هذه المرحلة .

ان ما نشهده فى العديد من افلام الجنس والجريمة وما نسمعه فى الاغنية وفى التمثيليات الاذاعية وفى الكثير من المسرحيات ، انما يمثل انفصالا تاما بين واقعنا اليومى وهموم شعبنا الحقيقية ، وبين وسائل التعبير عن هذا الواقع ،وتلك الهموم . ناهيك عن مناقشة المستوى الفنى ذاته - الذي يصل من الرداءة القدر الذى يجعل المناقشة او التفكير فى المناقشة أصلا شيئا تأباه النفس .

ثم يأتى دور الصحافة - ولنتجاوز عما تثيره من قضايا ليس هنا مجال التعرض لها - لنجد انفسنا امام ظاهرة سادت صحافتنا فى الاونة الاخيرة (ولعلها بالتحديد ليست الاونة الاخيرة) وأعنى بها محاولة تأكيد سلطان الغيبيات والخرافة فى حياتنا .

وفى الوقت الذى يسود فيه المنهج العقلى تفكير عالمنا الحديث ، ويشهد عصرنا أعظم منجزات العقل البشرى - تفسح صحافتنا صدرها لانواع من بدائيات التفكير الانسانى . بحيث لم يعد من دواعى الاستغراب او الدهشة ان يخرج علينا يوما من ينادى بان نقيم الطقوس والشعائر ، ونقدم القرابين ، علها تنفض عن كاهلنا غبار الهزيمة .

وقد يبدو غريبا الى حد الشذوذ ، أن نصادر بقوة القانون ، أعمال الدجل التى تبتز اموال الناس ، فى الوقت الذى نسمح فيه بممارسة الشعوذة الفكرية جهرا على صفحات الجرائد .

ناهيك عن بضاعة الجنس المنتجة محليا ؟ أو الواردة الينا عن طريق بعض الاقطار الشقيقة ، أو غير الشقيقة ، وهى منتجات ظاهرها دراسات فى علم الجنس ، وباطنها تصوير خرافى للجنس ، بحيث يحسب المتسكع على رصيف الفكر عندنا ، ان أهل مصر قد اكتشفوا الجنس حديثا ، فخلفوا وراء ظهورهم ، كل هموم حياتهم ، وانصرفوا لاستقصاء هذا الشيء الفريد .

بعد كل هذا .. تبقى مساحات لم تشغل فى الحديث عن وسائل الاعلام ، وتحديد مهامه ، فليس هذا كل ما يقال أو بعضه فى هذا المجال . بل هى مجرد استطلاعات سريعة ، وطاقات ضئيلة من النور ، نستكشف بها بعض العموميات ، التى يمكن القياس عليها فى كل ما يتسرب الينا بالكلمة او بالصورة .

ماذا اذن .. ؟

هنا نأتي الى نقطة البداية فى حديثنا عن دور الاعلام فى تربية وجدان الناس ، وشحن معنوياتهم ، وهو حديث لا تنهض بمسئوليته الكلمات وحدها ، لكنه يأتى بالدراسة العلمية الواعية ، والتخطيط المنظم والجاد ، الذى ينبع من المعاصرة الجية لقضايا الناس وهمومهم ، ليعود اليهم فى النهاية يخاطب عقولهم وحواسهم ، بالكلمة والصورة ، التى تنير البصائر ونكشف ما يكتنفها من مبهمات .

وهى مهمة ينهض بها سوى رجال الاعلام أنفسهم ، لتصبح للاعلام حقا ، مهامه الحضارية والوطنية معا .

●●●

كتب هانى خلاف « دراسة فى المنهاج » متسائلا عن :

« كيف يكون البحث عن الذات القومية .. ؟ »

لاحظ علماء الاجتماع وبعض أساتذة العلوم السياسية ان عملية البحث عن الذات القومية تعتبر ظاهرة حتمية ترتبط زمنيا وموضوعيا بالهزائم الكبرى فى حياة الشعوب ، وهى ظاهرة تبررها منطقيا وسيكلوجيا عملية البحث عن النصر المفقود أو البحث على الاقل عن مبررات الهزيمة .

هذه الظاهرة شهدتها فرنسا فى سبعينات القرن الماضى عقب هزيمتها من المانيا ، وشهدتها روسيا عقب هزيمتها من اليابان سنة ١٩٠٤ ، ثم شهدتها

المانيا عقب هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية ، وها هى ذى الظاهرة اوضح ما تكون فى حالة مصر عقب هزيمتها فى يونيو ١٩٦٧ ٠

والبحث عن الذات القومية يختلف ـ منهاجيا وغائيا ـ عن البحث فى الطابع القومى ٠ فالعملية الاولى يقوم بها الشعب بنفسه ولنفسه بهدف اثبات الاصالة وذلك تعزيزا للمعنويات العامة وتحفيزا للهمم ٠ اما البحث عن الطابع القومي فتقوم به عادة الاطراف الاجنبية سواء المعادية أو الصديقة تمهيدا لرسم سياسة خارجية لهذه الاطراف تجاه الشعب موضع التحليل وذلك من واقع المقومات الموضوعية والعناصر المميزة لهذا الشعب ٠

الاولى اذن عملية غير محايدة ، ذات طابع عاطفى ، تنطلق من منطق التبرير ، أما الثانية فهى فى اغلب حالاتها عملية علمية يؤخذ فيها بأساليب البحث العلمى ومناهجه التحليلية الدقيقة ٠

ونموذج البحث عن الذات القومية هو ما نفعله الان فى مصر على صفحات الجرائد وموجات الإذاعة من اجترار لقصص البطولات القديمة فى تاريخنا ، والتغنى بها فى الاشعار والروايات ، ثم ما نفعله ايضا من تكرار غير واع لاقوال الاجانب المؤيدين لنا فى الماضى أو الحاضر ، والتشبث بالامل الواهى فيما يسمى بدوائر الصداقات التقليدية ، والتعسف فى استخراج الصفات الاخلاقية والسلوكية ونسبة الجيد منها الينا والصاق الردىء بعدونا ، واللجوء الشكلى الى بعض مظاهر التميز القومى كالفلكلور الشعبى والازياء الوطنية بغير توظيف عملى لها فى خدمة بحث متكامل عن الطابع القومى على نحو ما يتم علميا فى أبحاث الطابع القومى التى تجريها الدول المتقدمة فى شأن حلفائها وأعدائها وفى شأن نفسها ٠

ففى الدول المتقدمة التى تأخذ بالاساليب العلمية فى صناعة سياستها الخارجية تجرى مراكز الابحاث المتخصصة دراسات فى الطابع القومى لعدوها بهدف تحديد مواطن الضعف والقوة فيه ، واستغلالها أو توجيهها وذلك من خلال ما يلى :

أ ـ التعرف على تاثير أنماط السلوك والتفكير الاجتماعي فى القرارات السياسية التى تتخذها النخبة الحاكمة فى الدولة المعادية ٠

ب ـ توجيه حملات الحرب النفسية الى مقاتلها فى صفوف الشعب المعادى .

وقد فتحت الخبرة الامريكية فى هذين المجالين فتحا مبينا عندما تلقفت مراكز الابحاث السؤال الذى كان يتردد بين الكتاب والمفكرين اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها عن السبب فى أن الشعب الالماني قد شن حروبا عالمية ثلاثة خلال قرن بل واقل من قرن ؟ ولماذا يلجأ الالمان الى سياسة القوة العدوانية التى لم يعرف العالم لها من قبل مثيلا ؟

تلقفت مراكز الابحاث السياسية فى أمريكا هذا السؤال وربطته بسؤال آخر : كيف تستطيع السياسة الامريكية دون اللجوء الى العمليات العسكرية أن تحقق "رويضا" للشعب الالمانى domestication ؟ وبدأت سلسلة الابحاث فى الطابع القومى الالمانى ، وتمت الخطوة الاولى فيها أثناء الحرب على بعض الاسرى الالمان ثم استمرت الدراسات عقب نهاية الحرب على مستوى عام وشامل ٠ بل وانتقلت الى دراسة الطابع القومى لغير الالمانى كاليابانيين والروس والصينيين . وهكذا استمر هذا النوع من الدراسات العلمية فى أمريكا ، ثم نقلته بعض الدول الاخرى ليصبح الانجزءا اساسيا منعملية صناعة السياسة الخارجية للدول المتقدمة ٠

ولم تقصر الدول المتقدمة دراساتها فى الطابع القومى على عدوها ، بل راحت تعتمدها منهاجا أساسيا فى تخطيط سياستها تجاه اصدقائها وحلفائها . فكانت دراسات الطابع القومى خلال الحرب العالمية الثانية من أهم العوامل المفيدة فى تيسير التعامل بين قوات الحلفاء المنتمية الى جنسيات وديانات وقوميات مختلفة .

ثم كانت الدراسات الميدانية التى اجرتها هيئة **اليونسكو** فى سبيل خلق المناخ المناسب للاتصال بين الشعوب على اختلاف مشاربها الايديولوجية وشخصياتها القومية ٠

والان .. وقد علت فى مصر أصواتتبحث بعد الهزيمة عن الذات القومية ، فى محاولة لتاكيد اصالة المصريين واستحقاقهم للنصر ، فانه لمن الواجب التنبيه الى ضرورة التخلى عن المنهاج المتبع فى ذلك على نحو ما أشرنا سابقا ، والانتقال الى المنهاج العلمي في تحليل الطابع القومى لنا ولعدونا ٠

ينبغى أن يكون بحثنا عن ذاتنا القومية فىاطار المنهاج العلمى الدقيق الذى يفهم الطابع القومي على انه مجموعة من الخصائص والصفات السلوكية والاخلاقية منها المعيب ومنها الصالح ، فلا نتجاهل الخصائص السيئة فينا ، ولا نتعسف فى ايجاد خصائص طيبة ننسبها الى انفسنا ٠

والمنهاج العلمي فى تحليل الطابع القومي يأخذ فى الاعتبار ضرورة تضافر مختلف الجهود العلمية

ذات الصلة بالظاهرة الاجتماعية • ووفقا لذلك يشترك فى الدراسة علماء الاجتماع مع علماء السياسة مع الاقتصاديين ، وذلك الى جانب علماء النفس والانثروبولوجيا والجغرافيا • واختلاف هذه الخبرات يصاحبه تعدد فى مسالك التحليل حيث يلزم الجمع بين« الملاحظة الحقلية الجماعية » ، و « التحليل الاكلينيكى الفردى »، و « الدراسة التاريخية » ، و « تحليل المضمون » (ويجرى هذا الاخير على اهم الوثائق والاعمال الادبية والفنية ذات الصبغة الشعبية) •

وللانصاف : تلزم الاشارة هنا الى بعض المحاولات الجادة التى قام بها علماء مصريون منهم من ينتمى الى مدارس العلوم السياسية كالاستاذ الدكتور **حامد ربيع** الذى لم يقصر جهده على الاسهام المباشر فى تحليل الطابع القومى المصرى بل تجاوز ذلك ووضع أمام طلابه وقرائه الاساسيات المنهاجية لفهم وتحليل هذه الظاهرة المعقدة •

والاستاذ الدكتور **جمال حمدان** الذى ينتمى الى المدرسة الجغرافية والذى اخرج الى المكتبة العربية كتابه القيم عن« شخصية مصر » وركز فيه على البعد الجغرافى واثره فى تشكيل الشخصية المصرية •

والاستاذة الدكتورة **نعمات فؤاد** التى وضعت مؤلفها الممتاز فى (الشخصية المصرية) وساهمت بمحاضراتها فى الجمعيات والمنتديات الثقافيه فى نشر بعض المفاهيم المرتبطة بالاصالة المصرية • وقبل هذه الجهود العلمية كان هناك الاسهام الاصيل الذى قدمه فى سنة ١٩٣٦ الاستاذ المرحوم **عباس محمود العقاد** وذلك فى كتابه عن « **سعد زغلول** » . ففى هذا الكتاب استطاع مفكر مصر العظيم ان يتصدى بطريقة علمية لمشكلة تحديد الشخصية المصرية حيث افرغ لها فصلين كاملين بعنوان (الطبيعه المصريه فى اوهام الناس) و (الطبيعة المصرية فى حقيقتها) • ويبدو حتى من ظاهر العنوان الفهم العلمى المنهاجى المبكر للفارق بين ما تسميه الان الصورة القومية National Image وما نسميه الطابع القومى National Character

على انه مهما يكن من امر هذه الاسهامات الفكرية الفردية وعظمتها ، وهناك لاشك غيرها ــ فانه يبقى على مؤسسات الدولة الرسمية ان تعمل فى مجال تحليل الطابع القومى المصرى على اساس برنامج ابحاث قومى ضخم تتكامل عناصره العلمية والماديه والتنظيمية ، والانتقال منه الى برنامج مماثل لدراسة الطابع القومى الاسرائيلى وهو ــ بعد ــ ظاهرة غنية بعناصر الاثارة والتحدى فى كل اشكالهما وانه بغير هذا لا نستطيع قط أن نقول اننا نعرف معنى الحرب المحسوبة ! •

كتب عمرو عبد المنعم حمودة
ليسانس حقوق جامعة القاهرة من
برما ــ غربية عن :

الثقافة العربية المعاصرة

ليس من شك فى عمق التغيرات الجذرية التى حدثت فى حياتنا الثقافية والفكرية منذ انطلاقة ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ • فهذا الحدث التاريخى الفذ اضاف الى الفكر والثقافة العربية اضافات لها قيمتها • وكانت مسيرة خلال العشرين عاما ثرية خصبة فى هذا المجال • ثم كان الحدث ..خر خطورة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ بكل ابعاده والامه .. هذا الحدث الذى هز العقل العربى بعنف وجعل الضمير العربى يتمزق من المعاناة التى لم يكن لهذا الضمير ان يستوعبها • كما ان هذا الحدث التاريخى وضع الفكر والثقافة العربية فى اختبار عملى قاسى فى مواجهة تحديات حضاريه وفكريه وثقافية • ومنذ ذلك التاريخ وكتابنا ومفكرونا يبحثون عن دور الثقافة العربية المعاصرة فى المرحلة الراهنة وحيال هذا الحدث بالذات • وكان الحصاد الفكرى لهذه المرحلة لا يضيف جديدا واستمرت المناقشات والندوات تدور وتنعقد على المستويات المختلفة فى مجالات الفكر والثقافة ولكن دون جدوى • فمعركة الفكر العربى والثقافة التقدمية بكل ابعادها اضخم من ان تحل عن طريق الندوات أو المناقشات المبتسرة •

وارتفع شعار « **الدولة العصرية** » كصياغة لفكر تقدمى واع باحداث العصر ومتطلباته .. توقع مثقفون الثوريون ان تثور المعارك الفكرية الجادة والبناءة حول هذا الموضوع فى اسس قيام هذه الدولة العصرية المنشودة بين كبار كتابنا ومثقفينا ولكن الامور لم تسر على نحو ما يتطلع اليه هؤلاء من آمال واقتصر الامر على بعض المبادرات الفردية الجادة •

ان الدولة العصرية لا يمكن أن تولد بين يوم وليلة ولكنها تأتى بجهد ايجابى متصل الخطوات واضح السمات ومتفاعل مع كافة تيارات الفكر الانسانى تقوم به الطلائع الوطنية الثورية والمثقفة وصولا الى أمل مصر الثورة فى مجتمع عصرى متفتح

ولسوف اعرض تصورا متواضعا لقيام الدولة العصرية .. فكريا وثقافيا وهو ما يعبر عنه بصورة أخرى بموقف الفكر والثقافة العربية فى

المرحلة الراهنة حتى يجتاز هذا الفكر وتلك الثقافة أعتى الازمات التى تعرضت لها ٠٠ أعرض هذا التصور فى نقاط على الوجه التالى :

اولا : ان الدولة العصرية لابد وان تقوم أساسا على فكر عقلانى متفتح لا يحبس نفسه فى أطر النظريات والصيغ والقوالب التى تحد من نشاط قوى الثقافة والفكر على الارض العربية • وهذه النظريات والقوالب تجعل معطيات الفكر العربى تبرز على السطح فى أروع حالاتها فى صورة شعارات جامدة •

ثانيا : أن تبدأ فى مصر وفورا ثورة ثقافية لتطوير الفكر والثقافة العربية وحتى لا تكون هناك مفارقات بين عناصر هذه الثقافة وهذا الفكر وروح العصر وسيادة الثقافة التقدمية • هذه الثورة لا تنطلق من فراغ بل تستمد أصولها من التراث الثقافى والحضارى العربى مستهدفة التبشير بالقيم التى تدعم الاشتراكية والتى قامت فى تجربة خلاقة على أرض هذا الوطن ومازالت تحارب من أجل الحياة فى مواجهة تحديات القيم البرجوازية المتعفنة والتى ترسبت تاريخيا فى أعماق المجتمع المصرى •

ثالثا : ان الاشتراكية والثورة باعتبارهما وجهين لعملة واحدة فى مجتمعنا يفترضان وجود التنظير الاصيل المستمد من الواقع الاجتماعى والتجارب الإنسانية الاخرى دون توان أو قصور فى الجهد • على انه بالنسبة لهذه النقطة بالذات أشير الى موقف النظر الفلسفى فى مصر من قضية الماركسية أكاديميا ، ففى حين ان تيارات الوضعية المنطقية والوجودية والبراجماتية تشكل أهم الدراسات الفلسفية فى الجامعات المصرية نجد ان الماركسية كفلسفة وفكر وعلم تغيير اجتماعى مازالت تسير على استحياء لتأخذ طريقها فى الدراسة والمناقشة ـ أكاديميا ـ وهذا الامر غريب • اننى لا أدعو الى اعدام أو تجميد كافة التيارات الفلسفية التى تشكل الفكر الانسانى فى مرحلته الراهنة كى تأخذ الماركسية مكانها فذلك ما لا يستطيع أحد القول به • فان الفكر الفلسفى فى تياراته المختلفة وعلى تباينها تأخذ وتعطى دون أية حساسية •

رابعا : وان كانت الدولة العصرية تقوم على العلم كأسلوب للتنمية وتطوير قوى المجتمع حضاريا وثقافيا ذلك ما يؤكده التاريخ وأثبتته المجتمعات المتقدمة فانها تجد ركيزتها الثانية فى الايمان ٠٠ الايمان القائم على الفهم الواعى لحقيقة رسالات السماء على انها دعوات تقدمية تستهدف الحياة المثلى للانسان فى ظل قيم خالدة من العدالة والحق والخير والجمال • ولقد آن الاوان ان نتناول الفكر الاشتراكى العلمى بنظرة موضوعية دون أية حساسية فى علاقته بالدين • واننى لا أجد فى موقف الفيلسوف الفرنسى الماركسى الكبير روجيه جارودى تجاه الاسلام والحضارة من ناحية والثقافة الاسلامية وروح العصر من ناحية أخرى • ما يجعلنا نقرر أن الحساسية المفتعلة فى العلاقة بين الماركسية والاديان هى حساسية خلقها رجال الكهنوت للحفاظ على مصالحهم الطبقية دون النظر الى جوهر الاديان • ولو نظرنا الى واقعنا فاننى أتصور أن هناك قصورا من هذه النوعية من المفكرين فى ابراز معاملات الارتباط بين الاشتراكية وما أتت به الاديان •

خامسا : انه لابد من تقييم شامل وجامع لكل التراث الفكرى والحضارى العربى فى مرحلته الراهنة حتى نكشف عن جوهره الاصيل مع تنحية كل الشوائب التى لحقته فى عصور التاريخ المختلفة • وذلك وصولا الى تكوين الذاتية الخاصة بالفكر العربى • ولا يعنى ذلك التقوقع والانزواء عن تيارات الفكر الانسانى والعالمى • على انه يجب ان يتحرر الفكر العربى من اسر التبعية لمراكز التوجيه الغربية فى أوربا بل يصبح له دورا مؤثرا فى تيار الفكر العالمى •

ان هناك مسئولية ملقاة على عاتق كتابنا ومفكرينا تجاه الفكر العربى المعاصر،تنصرف هذه المسئولية الى القيام بالتزاماتهم فى قيادة الثورة الثقافية المنشودة نحو تطوير العقلية العربية واطلاق قواها الايجابية حتى تلحق ركب العصر، وحتى تنبت الارض العربية عمالقة فى الفكر يكون لهم تأثيرهم العالمى ولن يكون ذلك الا فى ظل فكر حر لايعرف التعصب أو الوصاية الفكرية •



وكتب أيضا عمرو عبد المنعم حمودة التعليق التالى على مقال د٠ رفعت السعيد

و« عادت الليبرالية تيارا مصريا »

نشرت الطليعة فى عدد اغسطس الماضى مقالا للاستاذ الدكتور رفعت السعيد بعنوان « وعادت الليبرالية ٠٠ تيارا مصريا » والمقال فى مضمونه يتناول قضية الليبرالية المصرية بعد الثورة العرابية وخلال النصف الاول من القرن العشرين وهذه الدراسة ثرية وخصبة ، وتعد فى مقدمة الدراسات التى أصلت لهذا التيار الفكرى على

أرض الواقع المصري .. ومع ذلك فسائني أود أن ابدى بعض الملاحظات على هذا المقال :

اولا : فى مقدمة المقال ينعى الدكتور على المفكرين الشوام الذين تصدروا لتيار النضال الليبرالى موقفهم من الاحتلال الانجليزى ومهادنتهم له ، ولكن حسبنا منهم انهم كانوا الطليعة المثقفة التى وضع اساسيات الفكر الثورى ونظرية الثورة « شبلى شميل » ولكننا نسلم مع الاستاذ بان ذلك الموقف جعل الجماهير تفقد الثقة فيهم وفى قيادتهم الفكرية .

ثانيا : المقال لا يضع أمامنا تحديدا دقيقا لمفهوم الليبرالية المصرية فى هذه الفترة التاريخية . وانما يسوق هذا المفهوم فى نتف متفرقة يعوزها الربط والاتساق . كما ان المقال لا يحدد لنا ايضا نهاية المرحلة التاريخية محل البحث بل يجعله مفتوحا يحث الباحث امام اجتهادات شتى للوصول الى نهاية المرحلة التاريخية المقصودة بالبحث .

ثالثا : انه كان بودنا ان يعرض الاستاذ الدكتور لفكر احمد لطفى السيد فى اسهاب وتفصيل لا ان يشير اليه اشارة عابرة . فالليبرالية المصرية تأخذ على يد لطفى السيد الصيغة الفلسفية المتكاملة والتى سجلها فى كتاباته وعلى صفحات « الجريدة » فالعرض فى هذه النقطة بالذات ـ وهى من صلب البحث ـ تؤدى بنا الى نظرة قاصرة الى هذا التيار الفكرى .

رابعا : ان الدكتور السعيد اشار الى بعض العوامل التىأدت الىدفع تيار الليبرالية الصاعد الى مواقع القوة واغفل أهمها وهو دور المؤسسات الثقافية والتعليمية والاعلامية . والتى كان فى مقدمتها الجامعة المصرية القديمة (سنة ١٩٠٨) كذلك فاننى اضيفالى هذه العوامل ـ وله اهميته فى نظرى ـ دستور سنة ١٩٢٣ باعتباره الترجمة القانونية ونظام الدولة الليبرالية .

خامسا : كذلك فان الدكتور لم يستطع ان يكشف بوضوح عن الروافد الفكرية والثقافية التى غذت هذا التيار النامى فى هذه المرحلة التاريخية فاشار اشارة عابرة الى كتابات محمد حسين هيكل وعبد العزيز جاويش ولم يمد نطاق بحثه الى أعلام الفكر المصرى المعاصر فى الادب والفن والذى يمكن من خلال كتاباتهم ان نكتشف هذه الروافد المتعددة لهذا التيار وفى طليعة هؤلاء الاعلام طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم .

سادسا : ان الكاتب لم يوجد العلاقة ـ فى وضوح ـ بينالليبرالية المصرية وظهورارهاصات التيار الاشتراكى فى مرحلة التكوين وانما اقتصر فى ذلك على ذكر مجهود المنصورى كرائد تقدمى للفكر اليسارى فى هذه المرحلة التاريخية . واعتقادا راسخا منا بأن الليبرالية المصرية باعتبارها تيارا فكريا وتقدميا خلال مرحلة تاريخية معينة كانت هى الاساس الذى انبثق منه فى مرحلة متقدمة الفكر الاشتراكى الثورى .

واخيرا ، فاننى أود شكر هيئة تحرير « الطليعة » على هذا الجهد الخلاق .. وان كنت ارسل عتابا لها حيث انها اغفلت فى العدد السابق جهود المرحوم الاستاذ الدكتور **محمد** مندور كرائد من رواد الفكر الاشتراكى فى مصر وقد كان له موقف فكرى من التيار والفكر الليبرالى .



الاتحـاد الاشـتراكى العـربى

أمـانة الشـئون السـياسية والعـلاقات الخـارجية

أوراق تنظيميـة

قامت أمانة الشئون السياسية والعلاقات الخارجية بتوزيع ورقة تنظيمية تتناول مشاكل التخطيط القومى ، خاصـة فى ظروف حـرب التحرير .

وبعد ان تعرض الورقة الخطوط الاسـاسية للخطة العشرية الجديدة ، تقدم دليلا سياسيا لاسلوب مناقشة الخطة ودور الاجهزة السياسية والشعبية فى وضع ومتابعة تنفيذها .

وتنشر الطليعة نص الورقة التنظيمية حتى تتيح فرصة المناقشة على أوسع نطاق للخطة التى سوف تقرر اتجاهات التنمية فى جميع مجالات النشاط الوطنى خـلال فترة السـنوات العشر القادمة .

تتقـدم امانة الشـئون السياسية والعلاقات الخارجية بورقتهـا التنظيميـة الاولى الى جميـع مسـتويات التنظيم السياسى حتى عضو الوحدة الاساسية ، عن الخطة العشرية الجديدة .

والخطة ، فى حقيقتها ـ هى جوهر العمل السياسى الواعى للجمـاهير ، واهـدافها هى اهـداف حـركة التنظيم السـياسى .

ولذلك فان من الاهمية بمكان ان يسهم التنظيم السياسى ـ اجهزة واعضـاء ـ فى مناقشة الخطة واقرارها ومتابعـة تنفيذها وتنظيم رقابة شعبية مسئولة عن التنفيذ بالتعاون مع اجهزة الدولة المختلفة

وهذه الورقة التنظيمية ، هى نوع من الدليل السياسى لرؤية الخطـة وكيفيـة مناقشتها ومتابعة تنفيذها .

ومن هنا تاتى اهمية ان تصل الورقة من خلال مستويات التنظيم المختلفـة الى جميع اعضاء الاتحاد الاشتراكى . وذلك عن طريق اعادة طبعهـا . وأن يجـرى دراستها ومناقشتها من خلال اجتماعات تنظيمية تخصص لهذا الغرض على جميع المستويات كى يكون الاتحاد الاشتراكى ـ تنظيما واعضـاء ـ على اسـتعداد مسئول لمناقشة الخطة عند طرحها عليه .

امانة الشئون السياسية
والعلاقـات الخـارجية

تعتبر مناقشة الجماهير ـ على اوسع نطاق ـ لمفاهيم واطار الخطـة ضرورة قصوى بالنسبة للعمل الوطنى فى الفترة القـادمة .

فلقد وضع « برنامج العمل الوطنى » فى تقييمه لثورة ٢٣ يوليو عبر السنوات الماضية يده على عديد من اكبر المشاكل التى ادت الى نقائص المرحلة الماضـية والتى نعرفها . ويتضح ذلك من اهتمام البرنامج الزائد بأمرين :

الامر الاول : اهمية مناقشة مفهوم التخطيط ، وبمشاركة اكبر قدر من تحالف قوى الشـعب العـاملة وممارسـته للديموقراطية . مناقشة اهميته وخطوطه العامة وفلسفته .

تلك المناقشة التى يعزى برنامج العمل الوطنى الى غيابها اولى نواحى قصـور السنوات الاخيرة . يقول البرنـامج فى تقييمه لما انجزه النضال الشعبى : «لقد صدرت الخطة الخمسية الاولى كقسم من خطة عشرية هدفها مضاعفة الدخل القومى، غير اننا لم ننجح فى تحقيق هذا الهدف بالرغم من أن معدلات التنمية خلال الخطة الخمسية الاولى قد اقترب الى حد كبير من المعدلات المطلوبة لتحقيقه ، وربمـا كان السـبب الرئيسى هو ان **التخطـيط القومى الشامل ـ كفلسفة وسياسة ـ لم يلق الإهتمام الكافى الذى يرفع من كفاءة اجهزته وينشر الوعى به بين المواطنين .**

نضيف الى ذلك بالطبـع تعثر الخطط التى تلت الخطة الخمسية الاولى .

الامر الثانى : ان برنامج العمـل الوطنى ماهو فى الحقيقة الا بعض الاهداف المحددة وجداول زمنية لتنفيذها فى المجالات المختلفة سـياسية واجتماعية واقتصادية ومن ذلك كله تقع الخطة العشرية القادمة فى مكان القلب . فكل الامـال والوعود التى جاءت بالبرنامـج مرهـونة بتحقيق اهداف التنمية الاقتصادية وزيادة الكفاية الاقتصادية كما جاء فى اهداف البرنامج [ناقش برنامج العمل الوطنى فى اكثر من ثلاثة اخمـاس صـفحاته التخطيط ومطالب التنمية] . كما ان ميثاق العمل الوطنى اشار الى دور التخطيط واهميته فيما يلى :

أ ـ اتـاحة الفرصـة لحل الصراع الطبقى حلا سلميا .

ب ـ مدخل لوضع برامج متوازنة بين القطاعين العام والخاص تحدد لكل منهم دوره دون تعسف .

جـ ـ يعطينا الحدود المتفائلة للجهد الذى يتحمله العمـل الوطنى فى مجـال التنمية ورفع مستوى المعيشة .

د ـ يحل لنا مشكلتى تزايد السـكان وتزايد الاستهلاك ■

١ ـ التخطيط القومي الشامل

يعني التخطيط تطبيق الاسلوب العلمي في ادارة حياتنا ، مستخدما كل فروع العلوم . والتخطيط القومي الشامل يعني وضع برنامج عمل للانشطة الاقتصادية وغيرها ، لكل أنواع النشاط الهامة ، لكل وحدة اقتصادية وعبرفترات زمنية متفاوتة ويكون ذلك البرنامج في صورة اهداف استثمارية ، ادخارية ، استهلاكية ، انتاجية ، وتبادلية مختلفة . كما يحدد المتوسطات ومعدلات النمو التي تمثل هيكل الاقتصاد ونموه . ويتناول التخطيط كذلك الاسعار والاجور ، واعادة توزيع الدخول على الفئات ، واعادة توزيع السكان على المناطق السكانية المختلفة . والتخطيط يعني كذلك نظرة طويلة الاجل ، الى اكبر اجل ممكن . ويعني الاستفادة من اية ميزات نسبية لبلدنا ، وابةميزات نسبية للتعامل مع البلدان الاخرى . والتخطيط هو ضمان لتوجيه قدر كاف من الاستثمار لتحقيق زيادة مناسبة في الدخل تفوق الزيادة المتوقعة في السكان .

والقيام بعملية بناء وتطوير نظام للتخطيط القومي الشامل ، يتطلب ربطه بالتطوير المستمر للنظام الاجتماعي . ولا يمكن اهمال علاقته بالديموقراطية ونظام التعليم .

كما يعني التخطيط ايضا لاختيار انسب قائمة من المشروعات الاقتصادية لتحقيق اهدافنا في العمالة وتوفير العملة الصعبة وتوفير الخدمات . وذلك دون حدوث اي شكل من اشكال الاختناق او تعطل الموارد

من هنا نجد ان التخطيط القومي الشامل عملية موجهة لخدمة فئات من الشعب طال حرمانها . وكان التأميم بداية لحشد الطاقات من اجلها ، وايضا لحشد طاقات الجماهير . ولذلك فان القضاء على الامية ، وعلى التخلف ، والعمل على رفع مستوى الطبقات الفقيرة واعادة توزيع الدخل والقضاء على الفئات الطفيلية وتنمية الاقاليم المتخلفة واعادة توزيع الموارد لصالح القرى والمراكز الصناعية الناشئة هي **اهداف ممكنة التحقيق بل ولازمة لحشد هذه الطاقات والسيرة في اتجاه التقدم** ، والذي يمثل التخطيط القومي الشامل اداة له ليس الا .

والتخطيط القومي الشامل عملية للحساب العلمي ، ولذلك فهو يتطلب توفيراكبرقدر من المعلومات والبيانات في اقصر فترة زمنية ممكنة ، ولهذا تستحيل عملية وضع الخطة دون هذه البيانات ، كما ان متابعة تحقيق الخطة تستحيل ايضا دون ذلك . **وهذا جزء من التناول السياسي لقضية التخطيط .**

البيانات الغير دقيقة قد تؤدي الى اتخاذ قرار خاطىء ، مثل انشاء صناعة لاتوجد حاجة لها ، وتتبين بعد انشائها ذلك ، فيتراكم المخزون من انتاجها الباهظ التكاليف . او تعمل فقط بجزء من طاقتها وتضطر الدولة في سبيل تسويق منتجاتها الى خفض السعر . او البحث عن سوق خارجي بسعر دون التكلفة وهكذا .

ومن الجدير بالذكر ان مشكلة البيانات هذه ، الى جانب مشكلة الكوادر التي ستقوم بعملية التخطيط ومتابعته ، مازالت مشكلة قائمة حتى اليوم رغم انها كانت من الاسباب الرئيسية في تأجيل تطبيق التخطيط القومي الشامل في مصر حتى عام ١٩٦٠ بعد الثورة .

٢ ـ التخطيط الجزئي

تديثار تساؤل لماذا كان التخطيط القومي الشامل ، ولماذا الحديث عنه الان في الواقع ؟

● ان التخطيط من اجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية لايتجزا . اذ انها عملية مستمرة للوصول الى التقدم الاجتماعي العصري ، او سد الفجوة مابين الدول النامية والدول المتقدمة . ولذا فالامر يتطلب وجودجهاز مستمر ومتخصص يعمل على اقتراح الوسائل التي تكفل تحقيق الاهداف التي يختارها المجتمع والتي وضعت بمعرفة السلطة السياسية المسئولة .

● انه لنجاح عملية التخطيط لابد من وجود التزام المجتمع بتنفيذ قرارات الخطة ومتابعتها .

● ضرورة وجود الترابط بين الوحدات المنتجة من جانب واجهزة التخطيط المركزي من جانب آخر لامكان مواجهة كل الاحتمالات .

● ان التنمية الاقتصادية المتوازنة والسريعة في نفس الوقت تتطلب دراسة اقتصاديات الدولة كمجموعة وكذلك دراسة المشروعات المختلفة فيه بهدف اختيار البدائل التي يمكن ان تحقق اهداف التنمية باقصى كفاية ممكنة .

لذلك فاذا ماتم التخطيط الجزئي ، والذي يعني دراسة بعض المشروعات المختلفة داخل قطاعات مختلفة او داخل نطاق قطاع واحد ، فان ذلك لايحقق التوازن المنشود . ويعني ذلك كثير من الامور نذكر منها :

ـ عدم المعرفة المسبقة لنمو الاقتصاد القومي ككل وما يترتب عليه من نتائج .

ـ عدم المعرفة المسبقة لاحتياجات المجتمع واهدافه .

ـ وجود الاختناقات بين القطاعات المختلفة .

وبصفة عامة لايمكن ان يحقق الاهداف المنشودة ، نتيجة الاختلال في التوازن الاقتصادي ووجود الاختناقات .

٢ ـ الاوضاع التي تحكم الخطة العشرية القادمة

من المفيد اولا التعرض للظروف التي تصاحب فترة الخطة العشرية القادمة . ويمكن ان نجمل ذلك في النقاط الثمانى التالية : ـ

١ ـ الفترة القادمة تشمل المواجهة مع العدو بكل مايعنيه ذلك من حشد لكل الطاقات وتوقع اية خسائر اقتصادية بالاضافة الى امداد الجبهة العسكرية باحتياجاتها .

٢ ـ ان جبهة العدو تشمل ايضا دولا امبريالية ، قد تحاصرنا اقتصاديا لتنال منا

٣ ـ ان المواجهة مع العدو تمتص قدرا كبيرا من مواردنا وطاقاتنا الانتاجية ، كان من الممكن توجيهها للتنمية الاقتصادية ـ وكاقتصاد نام فان أعباءنا تصبح في هذه الحالة اعباء مضاعفة . وهذه هي الضريبة المفروضة على كل شعب يريد ان يحرر ارضه بنفسه .

٤ ـ الانتماء الفكري على المستوى القومي ، باهمية تعميق الاجراءات الاشتراكية لمعالجة مشاكل التطبيق الاشتراكي .

٥ ـ نتيجة لظروف كثيرة مر بها العمل الوطني ، فان المرحلة القادمة يمكن النظر اليها على انها بداية جديدة تماما بالنسبة لمفهوم واستخدام التخطيط القومي الشامل بمعنى تطوير المفهوم والاسلوب في ضوء الاخطاء السابقة التي صاحبت الخطة الخمسية الاولى وما تلاها .

٦ ـ ما ارتضيناه لانفسنا من اختيار لاصدقائنا على الاجل الطويل الذي يخدم اهدافنا الاستراتيجية في التصنيع والتنمية ويفتح أمامنا فرصا لتقسيم العمل في البلدان الشقيقة والصديقة .

٧ ـ الاتحاد الثلاثي وامكانية التنسيق الاقتصادي بين دوله .

٨ ـ تركيز المرحلة القادمة للتخطيط ، لابد وان يكون على الصناعات الثقيلة والرائدة لتضمن لنا اكبر عائد على الاجل الطويل . كما انه لايمكن ان نهمل تطوير القطاع الزراعي والتشييد وقطاع المواصلات والنقل ، اللذين يمثلان اختناقا بالنسبة للفترة القادمة .

٣ ـ ظروف واحتياجات مرحلة المواجهة مع العدو

لقد كانت خطة العدو تهدف بالدرجة الاولى الى تحطيم التجربة المصرية [بابعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية] وذلك باعتبارها كمدخل لتحرير الانسان العربي وتوعيته ورفع مستواه . ذلك معناه ان الاستمرار في التنمية هو منع العدو من تحقيق انتصار سياسي لصالحه . كذلك فان ظروف الحرب لاتمنع من حشد الطاقات وتنظيم الموارد ، بل على العكس تصبح هذه العمليات التخطيطية ضرورة لاستمرار المعارك العسكرية وتفادي حدوث اي انهيار داخلي كل ما هنالك ان عملية التخطيط نفسها واجهزتها يجب ان تكون اكثر مرونة لمقابلة اى ظروف طارئة . كما ان فنون التخطيط الحديثة ـ والتي نشأت في غمار الحرب العالمية الثانية ـ تمدنا بهذه المرونة المطلوبة .

لظروف الحرب واحتياجات البلاد من معدات لمواجهة الحرب والاستمرار فيها بقصد تحرير الارض يعنى امورا كثيرة اهمها :

● مواجهة طلبات القوات المسلحة .

● مواجهة الطلب المحلى للمجتمع [الاستهلاك العائلى — الجماعى] .

● مواجهة النتائج المترتبة من تخريب فى ممتلكات المجتمع ، واعادة البناء لضمان انتظام العمليات الانتاجية وتعويض ماتم تخريبه .

● متطلبات الاستمرار فى المعركة للاجل الطويل وهذه النقطة بالذات تعنى امرين :

ا — استمرار المعركة عسكريا .

ب — استمرار تطور اقتصاد المجتمع لمواجهة كل المتطلبات .

● مواجهة كل الاحتمالات من توقف الاستيراد من الخارج ، او الاعتماد عليه نتيجة العمليات العسكرية ، او الحصار الاقتصادى الذى يشنه علينا الاستعمار العالمى .

كل ذلك يجعل من الضرورى ، بل يحتم علينا ، التخطيط فى زمن الحرب . كما انه يفسر عدم تناقض وجود خطة ووجود معركة .

ومن دراسة التاريخ الحديث ، نجد ان جميع الدول قد قامت بالتخطيط القومى من اجل الحرب ومتطلبات النمو . ويظهر ذلك بصورة واضحة فى فرنسا وانجلترا مثلا ، وهم من عتاة الدول الراسمالية ، بل اكثر من ذلك ان التخطيط كان هناك اكثر مركزية لمواجهة الظروف المشار اليها

ويمكن تفسيرذلك من الوجهة الاقتصادية فالاقتصاد يعنى فى المجال الاول سد احتياجات الانسان فى ظل الموارد المحدودة . والتخطيط بالمعنى العام ، هو المنهج الذى يمكننا من الوصول الى الاستخدام الكفء للموارد .

ان الحرب لم تعد فى صورتها التقليدية مجرد مواجهة بين جيشين او فريقين ثم تنتهى بمكسب او خسارة احدهما ، ولكن الحرب الحديثة هى عملية مستمرة قد لا ينهيها الدور العسكرى ، بقدر مايؤثر عليها الدور الاقتصادى .

والتخطيط لما له من ادوات يمكننا فى ظروف الحرب من :

● التحكم فى الاسعار ، وتلافى التضخم وظهور طبقة اثرياء الحرب .

● التحكم فى عمليات الادخار والاستثمار ، وتوجيهها الوجهة الصحيحة باستخدام البدائل المختلفة .

● التحكم فى الاستهلاك بالطريقة التى تمنع الاختناقات ووجود المضاربة .

● التحكم فى الانتاج حسب المتطلبات الاساسية واللازمة .

● التحكم فى سياسة المخزون وادارته

● ومن كل ماسبق يمكن عمل التوازن فى النمو الاقتصادى وقطاعاته المختلفة لصالح استمرار المعركة .

● خلق اجهزة للتخطيط والمتابعة على قدر كبير من الخبرة والمرونة »

٤ — برنامج العمل الوطنى

تتحدد الاهداف العامة لاستراتيجية المرحلة القادمة للعمل الوطنى الوصول الى الدولة الحديثة ، والتى يمكن تصورها على ضوء الخطوط الثمانية التالية :

١ — دولة الانسان الحر الفخور بوطنه المعتز بكرامته ، المطمئن الى يومه وغده وغد اولاده ، والغير مستغل .

٢ — دولة مؤسسات شعبية قوامها افراد احرار ، اى دولة تحالف قوى الشعب العاملة ، لا دولة الاقلية او الصفوة او النخبة الممتازة .

٣ — دولة لاتقنع باستيراد بعض منجزات العلم الحديث ، بل تزدهر فيها شخصية الانسان وثقافته وتنوع معارفه وتنطلق قدراته ليقيم بنفسه منجزات العلم على ارضه وذلك باستخدام كل ماوصل اليه العلم الحديث .

٤ — دولة لامكان للامية فيها .

٥ — ازالة البطالة وتوافر فرص العمل لمن بلغه ، وارتفاع الدخل والمستوى الثقافى والعلمى واتساع الخدمات بكافة انواعها لجميع العاملين مع اعطائهم التأمين ضد العجز والشيخوخة .

٦ — دولة تقوم على الديموقراطية والتكنولوجيا المتطورة باستمرار من اجل زيادة الانتاج كما ونوعا وبمعدل نمو يرتفع باطراد من اجل زيادة الدخل القومى بمعدل يزيد على معدل عدد السكان .

٧ — الربط بين مقر العمل والسكن لتوفير افضل ظروف العمل للعمال وخلق احدث الاساليب وافضل ظروف السكن المريح .

٨ — حجر الزاوية فى بناء الدولة الحديثة ، هو القرية الحديثة التى توفر لكل فلاح المسكن الصحى الحديث المزود بالماء والكهرباء .

ولتحقيق هذه الاستراتيجية ، كان ولابد من وضع برامج تفصيلية **تضمها خطة قومية** تحدد مهام العمل الوطنى لفترة زمنية محددة هى العشر سنوات القادمة . وهذه المهام هى :

● اعادة بناء قرى الجمهورية خلال عشرين سنة .

● تطوير تجمعات الصناعة المهمة .

● تطوير التعليم ونشره على اوسع نطاق .

● زيادة كفاية الخدمات الصحية .

● عمل مظلة من التأمينات الاجتماعية تحمى كل مواطن .

● تهيئة الظروف المناسبة للعمل .

● مضاعفة الدخل القومى لرفع مستوى المعيشة .

٥ — مفهوم مناقشة الخطة

تبرز الاهمية القصوى لمشاركة الجماهير فى مناقشة الخطوط العامة للتخطيط القومى الشامل وللخطة المقبلة فى المبادىء الاتية :

المبدأ الاول : ان التخطيط القومى الشامل عملية واعية تمثل اكبر استفادة بالتفكير المنطقى فى توجيه النشاط الاقتصادى وما يتبعه . وعملية اى خطة — تتناول مصائر واحوال الملايين من الجماهير — تتوقف الى درجة كبيرة على مشاركة الجماهير بالراى فيها ، لتحديد احتياجات المراحل المقبلة لها ، لاعطاء بدائل معقولة فى صورة مشاريع تستغل الكفاءات البشرية والموارد الطبيعية ، ولمعرفة مدى استعداد الجماهير للتضحية الوقتية فى سبيل تحقيق اهداف المستقبل

المبدأ الثانى : ان مدى استعداد الجماهير للالتزام وللمتابعة ، وللرقابة الشعبية على السلطات الادارية والتنفيذية والرقابة على مدى صحة وواقعية البيانات المطلوب تجميعها والرقابة على مدى تحقيق اهداف الخطة ، كل ذلك مرهون بمدى مشاركتها فى اتخاذ القرار — فى صورة خطة قومية ملزمة — ومدى وعيها باهمية التخطيط . ان قرارات الخطه لابد وان تكون ملزمة لتعطى الدولة القدرة على تحريك الموارد وتوجيهها بالشكل الذى يضمن تنفيذها .

المبدأ الثالث : ان التخطيط القومى الشامل — وبمفاهيمه الدقيقة — امر لايحتمل التسويف ، ولايحتمل التهاون فى المتابعة ، ولا يحتمل التلفيق او الاستهتار فى الحساب فى مراحله المختلفة . وعندما يتحول بلد الى الاشتراكية وعندما يكون للقطاع العام زيادة النشاط الاقتصادى ، فعلى قدر مايصبح التخطيط القومى الشامل هو الاسلوب الوحيد الممكن لادارة امور الحياة المختلفة ، على قدر ما تتزايد مشاكل هذه الادارة . وفى غياب السوق الحر حيث تترك الكميات والاسعار تتغير كما تريد وتصحح نفسها ، تكون عملية اتخاذ القرار مسئولية ضخمة وحساسة وتحتاج الى اكبر قدر من الحساب العلمى والموضوعية .

المبدأ الرابع : ان عملية التوعية باهداف التخطيط القومى الشامل واهدافها لابد وان تمتد من خلال مشاركة الجماهير ومناقشتها لخطوطه العامة الى اجهزة التخطيط نفسها . فعملية التخطيط لايمكن ان تكون عملية فنية بحتة ، لا تأخذ فى الاعتبار واقعية التطبيق على مستوى الحقل والمصنع ، ولا نأخذ فى الاعتبار احاسيس الجماهير ومصاعب حياتها اليومية

المبدأ الخامس : ان مناقشة الجماهير للخطة والتخطيط لاتكون فقط مناقشة لما سوف ينال كل مواطن او كل جماعة ، ولكن هى اولا :

● مناقشة لما يستطيع كل مواطن ان يعطيه وواجباته تجاه العمل الوطنى .

● مناقشة لما يستطيع كل مواطن ان يحصل عليه لجميع الجماهير — اى المستوى القومى ككل .

ثم يأتى بعد ذلك مناقشة ما يمكن ان تحصل عليه جماعة او يحصل عليه فرد من الخطة القومية .

٦ — معنى الالتزام تجاه الخطة

١ — ويعنى هذا الالتزام بمواثيق العمل الوطنى الثورى ، وبما جاء بهما من خطوط سياسية عامة تحكم شكل تحولنا الى مجتمع تتمثل فيه الكفاية فى استخدام مواردنا والعدل فى توزيع هذه الموارد . وفى داخل هذه المواثيق ، لبرنامج العمل الوطنى مكانة خاصة حيث انه يترجم الى اهداف رقمية واضحة تحدياتنا بالنسبة لعشر سنوات قادمة . وليست هذه الاهداف الرقمية معطيات لاتقبل المناقشة . انها تقبل المناقشة بمنطق مزيد من التفاؤل ، بمنطق مزيد من البحث العلمى بمنطق المزيد من العطاء والحماس والاهداف ، ولكنها لاتقبل المناقشة بمنطق الاستسلام لمجريات الامور العادية الاستسلام لنزوات العدو ومخططاته ، الاستسلام للضعف الشخصى ، او منطق الاتكالية واستبعاد الحساب العلمى .

٢ — يعنى الالتزام بتحضير البيانات المطلوبة امانة ، ووعى بأهميتها للمجموعة والفرد .

٣ — يعنى الالتزام باهداف الخطة القومية ، وان تكون كافة القرارات الاقتصادية بعد ذلك على المستويات اللامركزية ومستوى المصنع والحقل لاتتناقض مع هذه الاهداف القومية .

٤ — يعنى التزام القانون بالنسبة لاطار الخطة ومقرراتها .

٥ — يعنى التزام اجهزة التخطيط التابعة الخطة وتطور الساليب وضعها وبشكل يومى لايحتمل الموسمية او نوبات الصحو .

٦ — التخطيط القومى اسلوب علمى ، يتطلب اكبر قدر من الالتزام بالاعلان وبالعلنية ، يضمن له تحقق اهدافه وتوعية الجماهير باهميته . يضمن اولا واخيرا ممارسة الديموقراطية التى هى الركن الاساسى فى التخطيط العلمى . يمكن ذلك بالتاكيد بقدر من المرونة ، ودون أن يصل العدو عن طريق ذلك الى أسرارنا التى يتطلب العمل العسكرى الحفاظ عليها . وخارج هذا الاطار — المطلوب تضييقه الى اقل قدر ممكن — فان التخطيط يستحيل دون هذا الاعلان وهذه العلنية .

٧ — للتخطيط القومى الشامل التزام خلقى ايضا . ومن اكبر الاخطار التى يمكن ان تواجهها بلدنا هى ان نبيع ونستهلك اصولنا وراس مالنا . ذلك ما قد يفعله البعض عن استهتار او تخريب لتحقيق ارباح سريعة دون النظر الى مصائر الاجيال القادمة .

٧ — دور الاجهزة السياسية والشعبية

تحقيق متطلبات العمل الوطنى لرفع مستوى معيشتنا متمثلا فى الاهداف الاقتصادية كما جاءت ببرنامج العمل الوطنى تتطلب التزاما من جانب العمل السياسى الذى يقوده الاتحاد الاشتراكى من خلال تعاونه مع الاجهزة التنفيذية لتحقيق الاتى :

١ — تدعيم الاسس الاقتصادية للمجتمع الاشتراكى فى تطوير ظروف العمل ، ومنع اى نمو لجيوب راسمالية .

٢ — خلق ظروف مناسبة لتطور البحث العلمى كقوة من قوى الانتاج .

٣ — تحديد ابعاد عملية اعادة بناء القرية المصرية . والتاكيد على ان هذه العملية ، تعنى اولا خلق مجتمعات وافراد اكثر تطورا ووعيا .

٤ — ضمان ان تؤدى المشاريع المقترحة لكهربة الريف الى تطويره دون اسراف وحتى يمكن استخدامها فى مزيد من تقدمه

٥ — اعادة النظر فى الهياكل الاجتماعية وهياكل توزيع الدخل ونظم تقييم العمل الانتاجى .

٦ — ان يصبح التخطيط اسلوب حياة وقيمة اجتماعية ، تحكم تصرف الانسان اليومى ، وان تربى فى الانسان مجموعة العادات التى يمكن ان تفيد على المستوى القومى .

٧ — ان نستمع للفلاح او العامل — دون تعقيدات المكاتب — ليقول رايه فى كل مشكلاته الانتاجية وان تقترح الحلول لهما .

٨ — اعادة النظر فى عاداتنا الاستهلاكية واستئصال الضار منها ، كذلك الانفاق الحكومى .

٩ — حماية اية مشروع صناعى رائد من التعقيدات الادارية وغيرها .

٨ — الانتاجية والكفاية

تعنى الانتاجية بصفة عامة — وهى ايضا هدف اساسى من اهداف التنظيم السياسى — الوصول الى الهدف المحدد باقل تكلفة فى الوقت وبالشكل المناسب ومعنى ذلك :

- الحصول على السلعة او الخدمة بصورة افضل .
- الحصول على السلعة او الخدمة بتكلفة اقل . ويعنى ذلك الاتى :

أ — الوفر فى عوامل الانتاج المستخدمة عن طريق الاقلال من الفاقد .

٢ — استخدام الوفر فى زيادة الانتاج من ناحية او استخدام الوفر فى انتاج سلعة جديدة اخرى .

ويؤدى ذلك بالتالى ، الى دفع عجلة الانتاج والنمو ، مما يؤدى الى رفع مستوى الدخل القومى .

ولايكفى فى هذا المجال ان ينصب الحديث عن الخطة واعدادها ومناقشتها . ولكن ايضا دور القيادات فى انجاح الخطة او بمعنى اكثر شمولا رفع كفاية الخطة ككل فقد يكون من معوقات بلوغ اهداف الخطة الاتى :

١ — مشكلة التنسيق بين القطاعات الانتاجية ، الامر الذى يؤدى الى وجود الاختناقات فى المشروعات الناتج عن عدم توافر المواد الاولية او المستلزمات الوسيطة المنتجة من قطاع لاخر . وبالتالى عدم استخدام المشروعات لطاقتها الكاملة

٢ — مشكلة الكفاءة فى المخزون وادارته ، وبمعنى أكثر عدم التنسيق بين الانتاج والاستيراد من جهة والاستهلاك بانواعه المختلفة والتصدير من جهة مما يترتب عليه تراكم المخزون . وفى هذا المجال هناك خسائر فى الاقتصاد القومى تظهر فى :

أ — وجود أموال معطلة لايمكن الاستفادة منها اقتصاديا .

ب — ضياع الاموال والمجهودات الانتاجية الناتج من تراكم المخزون سنة بعد اخرى .

٣ — مشكلة عدم استخدام الكفاءة البشرية استخداما امثل بوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، واجراء عمليات التدريب وزيادة المهارات المختلفة للقوى البشرية .

ما سبق هو امثلة للمشاكل التى تعوق الكفاية الانتاجية للخطة وعلى القيادات السياسية العمل على مواجهتها بعديد من الطرق نذكر منها مثلا :

١ — دراسة نظام الحوافز للافراد والمؤسسات المختلفة .

٢ — دراسة توازن الخطة ككل اقتصاديا واجتماعيا .

٣ — الرقابة الشعبية الواعية والعمل على تدريب الافراد الفنيين وكذلك الدراسة العلمية للطلب على القوى العاملة وتخصصاتها .

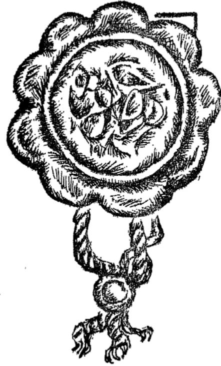
ان مناقشة التنظيم السياسى لابد وان تركز على هذه الاتجاهات العامة وخطوط تنفيذ الاستراتيجية ، والبعد عن التفصيلات الجزئية بالنسبة للمشروعات الموضوعة . بمعنى دراسة مؤشرات اقتصادية مثل معدل الزيادة فى العمالة ، واتجاهات عامة مثل نمو الصناعات الثقيلة ونصيبها من الاستثمار او التركيز على صناعات دون اخرى ، معدل الاستثمار والادخار اللازم لتحقيق اهداف الخطة ، مستوى الدخل القومى ، دراسة هيكل الاقتصاد القومى ككل ونسب القطاعات فيه التى تحقق درجة النمو المطلوب ... الخ

فالجزئيات قد تتطلب دراسات فنية دقيقة لايعرفها غير الخبراء الفنيين فى المسائل الهندسية التكنيكية او الخبراء الفنيين فى دراسة وتقييم المشروعات الاقتصادية كأجزاء متناثرة عن خطة قومية شاملة . كما ان دراسة الجزئيات والتفصيلات ، بعيدا عن الاطار العام يبعد المناقشة عن هدفها الاساسى فى متاهات تضييع الوقت وتستحيل فيها الرؤية على المستوى القومى . ان اى مناقشة للخطة القومية على مستوى الجماهير لابد وان تقودنا الى نوع من الالتزام الوطنى تجاه تحقق الخطة ومتابعة تنفيذها والالتزام بالمبادىء الاساسية لتطوير المجتمع وتحرير الوطن .

امانة الشئون السياسية
والعلاقات الخارجية

وثائق

ميثاق العمل الوطنى
فى الجمهورية العراقية



تواصل « الطليعة » نشر الوثائق الخاصة بحركات التحرر الوطنى ووحدة الفصائل الثورية فى مختلف بلدان العالم . فنقدم فيما يلى النص الكامل لميثاق العمل الوطني في الجمهورية العراقية ، كوثيقة من وثائق النضال الثوري العربي على طريق وحدة القوى الوطنية بمختلف اتجاهاتها ومنطلقاتها الطبقية والفكرية .

وقد كان اعلان ميثاق العمل الوطني خطوة ايجابية هامة لدعم الحركة الوطنية التحررية ، خاصة وان الميثاق طرح لمناقشة جماهيرية واسعة ولم يفرض من جانب طرف واحد ، أو من موقع السلطة وحدها .

كما نقدم بالاضافة الى مشروع الميثاق نص الرأى الذي قدمه الحزب الشيوعي العراقي تعليقا عليه .



ان حركة الثورة العربية على تفصلف فصائلها ، وعبر مسيرتها النضالية الطويلة ، قد حققت انتصارات كثيرة وعظيمة ولكنها ، فى الوقت نفسه ، منيت بهزائم ونكسات خطيرة • ومن خلال التجارب العديدة والغنية ، التى حفلت بها مراحل نضالها المختلفة ، يمكن استخلاص عبر كثيرة تتقدمها حقيقة اساسية هى : أن من أبرز اسباب قدرة الحركات الثورية العربية على تحقيق النصر ، وعيها لدور العمل المشترك ، والتحالف بين فصائلها • كما أن من أبرز اسباب هزائمها ونكساتها نزوع فصائلها الى تغليب التناقضات الثانوية ، فيما بينها ، على التناقض الرئيسى القائم بينها من جهة وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية من جهة أخرى •

ان الفترات التى تميزت بارتفاع المد الجماهيرى ، فى كل جزء من اجزاء الوطن العربى ، وباشتداد الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية ، وبارتفاع هيبة الافكار والشعارات والتطبيقات الثورية والتقدمية ، هى ذاتها الفترات التى اتسمت باتجاه مختلف القوى الوطنية والتقدمية الى التعاون فيما بينها فى اطارات وصيغ معينة •• كما أن الفترات التى تميزت بانحسار المد الثورى ، وبهبوب تيارات الردة وافكارها السوداء والمتخلفة ، وتفاقم الاخطار الاستعمارية والصهيونية والرجعية على حركة الثورة العربية وعلى مصير الشعب العربى ومكتسباته التحررية والتقدمية ، هى ذاتها الفترات التى اتسمت بالصراعات الحادة اللاموضوعية بين الاطراف الوطنية والتقدمية العربية •

وليس من شك فى ان الاتجاه الى العمل المشترك والتعاون بين اطراف الحركة الوطنية والتقدمية العربية كان محصلة طبيعية للارتفاع بالمستوى السياسى والايديولوجى عند تلك الاطراف ، كما ان اتجاهها الى تفجير التناقضات الثانوية فيما بينها ، قبل حسم المعركة مع الاستعمار والصهيونية والرجعية ، كان تعبيرا عن تدهور فى ذلك المستوى •

وكانت هزيمة الخامس من حزيران ، التى اصابت النضال العربى بنكسة بالغة الخطورة ، ايذانا بمرحلة جديدة ، تتطلب – فى البدء – دراسة علمية دقيقة لتجارب المرحلة السابقة ، ومراجعة جذرية وجريئة لاخطائها وانحرافاتها ، وعملا ثوريا صادقا وحاسما من أجل بلوغ مستوى جديد يرفض واقع الهزيمة ويحول النكسة الى منطلق للنصر •

ان الهجمة الامبريالية الصهيونية على الامة العربية فى الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، رفعت التناقض ، بين الامة العربية من جهة وبين الامبريالية والصهيونية من جهة أخرى ، الى أعلى درجات الحدة ، الامر الذى يتطلب من جانب الامة أوسع حشد لطاقاتها الكفاحية من أجل مواجهة هذه الهجمة ، وردها على أعقابها ، وتحقيق تقدم بارز فى النضال ضد مواقع الامبريالية والصهيونية وحليفتها الرجعية •

ولا يمكن لعملية الحشد والتعبئة ان تكون جادة وفعالة الا اذا اتجهت الى الجماهير العربية ، التى عطلت انظمة ما قبل الهزيمة دورها ، وباعدت بينها وبين قضاياها المصيرية بأساليب القهر والاضطهاد حينا ، وبالخداع حينا آخر •• ذلك لان الجماهير هى وحدها القوة التى لا تقهر والمستعدة لمجابهة الهجمة الامبريالية والصهيونية مجابهة حازمة لا تلين •

كما ان من أهم الضرورات فى هذه المرحلة ، ان تتلمس القوى الوطنية والتقدمية ، فى كل جزء من اجزاء الوطن العربى ، سبل التعاون فيما بينها لتحقيق ارقى وأمتن الاشكال الممكنة للاتحاد لتامين القوة الطليعية اللازمة لقيادة الجماهير فى المعركة وكجواب منطقى وطبيعى على التحالف الاستعمارى الصهيونى الرجعى ، الذى بلغ درجات عالية من التماسك والاتقان ، والذى لا يمكن ان يواجه ، مهما كانت الطاقات كبيرة والحماسة عالية ، الا بتحالف مضاد يمثل كل قوى التحرر والتقدم العربية المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية •• واذا كان حشد الجماهير وتعاون القوى الوطنية التقدمية فيما بينها شرطين لازمين لمواجهة الهجمة الامبريالية والصهيونية ، ولمواجهة الرجعية المتحالفة معهما ، والتى برزت الى المسرح بعد الهزيمة – تحاول أن ترث مكان الانظمة المهزومة وان تعيد لنفسها الاعتبار والمواقع بعد سنوات طويلة من التراجع والانكفاء – فان هناك شرطا اساسيا آخر لوضع قضية النضال العربى على مستوى يجنبه مخاطر الهزيمة من جديد ويضعه على طريق النصر ذلك هو ان تحتل الجماهير ومؤسساتها الثورية مواقع القيادة والتوجيه بعد ان فشلت الانظمة الدكتاتورية والبرجوازية والاقطاعية •• فى وقف العدوان الاستعمارى والصهيونى على الامة العربية ، وفى تحقيق اهدافها فى التحرر والوحدة والتقدم •

ان الانظمة البرجوازية والدكتاتورية ، التى قادت مرحلة ما قبل الهزيمة ، قد اكدت عجزها وفشلها بالهزيمة نفسها ، ولم يعد من المنطقى والمعقول ان تحتكر هذه الانظمة قيادة النضال العربى ، فى مرحلة أشد خطورة ودقة ، وتتطلب امكانات فكرية وتعبوية وسياسية واقتصادية وعسكرية أقوى واكبر •

وان الاتحاد بين مختلف اطراف الحركة الوطنية والتقدمية العربية الذى تتطلبه المرحلة الجديدة ، سواء على الصعيد القطرى أو القومى ، يجب ان يقوم على أسس تتضمن تشديد الكفاح ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية وتمكين الجماهير من قيادة معركتها وتوفير كل الاجواء الديمقراطية الثورية لها ، وتصفية كل مظاهر اضطهاد الجماهير ومؤسساتها السياسية والنقابية والثقافية ، وتصفية كل أشكال النفوذ الاستعمارى ، واغلاق الابواب نهائيا بوجه المحاولات الخبيثة للدول الامبريالية لاستغلال الاوضاع الراهنة فى الوطن العربى ، من أجل العودة لاحتلال مواقع سياسية واقتصادية جديدة • كما ان الاتحاد بين اطراف الحركة الوطنية والتقدمية ، فى أى قطر عربى – لكى يكون جادا وحقيقيا – لابد له من ان يتجه الى تحقيق الوحدة بين الاقطار العربية المهياة لها • والوحدة الحقيقية ، بالاضافة الى ضرورة توفر الشروط السابقة فيها ، هى الوحدة التى تتجه الى النضال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية بشكل حازم ، أما الصيغ الوحدوية التى تقوم فى ظل مهادنة الامبريالية والاعتراف بالكيان الصهيونى وتوسيع الصلات مع الرجعية ، فهى ليست وحدة ، وانما هى اطار لتجميع قوى الردة فى مواجهة القوى الوطنية والتقدمية ولتمرير المخططات الاستعمارية والصهيونية التى يرفضها الشعب العربى رفضا قاطعا •

وفى مقدمة الاسس الجوهرية لاى تحالف بين القوى الوطنية والتقدمية ، سواء على الصعيد القطرى أو القومى ، ضرورة تبنى الكفاح الشعبى المسلح كاسلوب رئيسى من اساليب الكفاح ضد العدو الامبريالى والصهيونى ، ويتطلب ذلك ، التحالف بصدق وفعالية مع المقاومة الفلسطينية •

ان المقاومة الفلسطينية مهما اختلفت اراء القوى الوطنية والتقدمية حول فصائلها ، هى أداة اساسية من ادوات كفاح شعبنا ضد العدو الامبريالى والصهيونى وضد حلفائه المحليين • وان التحالف مع المقاومة الفلسطينية وتقديم العون المادى والمعنوى لها فى كفاحها المشروع ، هو أحد الشروط الاساسية التى تتطلبها المرحلة الجديدة – مرحلة ما بعد هزيمة الخامس من حزيران •

ولذلك فان من اول مهمات اى تحالف ينشا بين القوى الوطنية والتقدمية ، استنكار كل اساليب المناورة والالتفاف التى تحاول تطويق المقاومة الفلسطينية وانتزاع اسلحتها الكفاحية من ايديها ، وترويضها وفقا للمخططات الاستعمارية والصهيونية والرجعية ، والنضال الحازم ضد هذه الاساليب • وفضح آية محاولة تستهدف تصفية القضية الفلسطينية ، سواء باقامة دويلة مصطنعة على شطر من ارض فلسطين ، او عن طريق استبعاد الجانب التاريخى والسياسى والحقوقى من المسالة الفلسطينية ، وتصويرها وكأنها مجرد قضية لاجئين يستحقون العطف والمعاونة ، ومقاومة هذه الاساليب بالنضال الشعبى • ان الهدف الرئيسى للنضال العربى على الصعيد القومى ، تصفية الكيان الصهيونى العنصرى والعدوانى ، وتمكين الشعب العربى الفلسطينى من تقرير مصيره على ارضه المحررة •

منذ السابع عشر من تموز ١٩٦٨ والثلاثين منه ، قاد حزب البعث العربى الاشتراكى التغيير الثورى فى القطر

العراقي ·وقد جاء هذا التغيير في ظروف داخلية وعربية ودولية بالغة الخطورة والدقة ·

لقد انبثق التغيير الثوري في ظروف دولية تميزت باشتداد الهجوم الشرس ، الذي تشنه الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، ضد شعوب العالم ، وبصورة خاصة شعوب الهند الصينية والشعب العربي والشعوب الاخرى التي تناضل من أجل الحرية والتقدم في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية · كما تميزت الفترة التي ولدت فيها الثورة بخصائص تقابل ذلك الهجوم حيث تصاعدت حدة النضال ضد المعسكر الامبريالي العدواني ، وبشكل خاص في جبهة الهند الصينية ، حيث صمدت شعوب فيتنام ولاوس وكمبوديا والحقت بالامبرياليين الامريكان وحلفائهم العالميين والمحليين ، هزائم كبيرة عديدة ·· كما تميزت تلك الفترة بظاهرة سلبية خطيرة هي تفاقم الانقسام بين صفوف المعسكر الاشتراكي ·· ذلك الانقسام الذي الحق أضرارا كبيرة بالنضال الانساني ضد الامبريالية ·

وعلى الصعيد العربي، ولدت الثورة في أخطر مرحلة من مراحل نضال الامة العربية ·· مرحلة هزيمة الخامس من حزيران التي انتهت باحتلال العدو الصهيوني لكامل الارض الفلسطينية ولاراض عربية أخرى في القطرين المصري والسوري ·

واذا كانت تلك الفترة هزيمة عسكرية وسياسية خطيرة فانها ، من الناحية الاخرى أدت الى تحقيق نهوض ثوري عربي واسع النطاق ، تميز باشتداد ساعد المقاومة الفلسطينية ، وبتصاعد ملموس في النضال ضد الامبريالية والصهيونية · في اغلب اجزاء الوطن العربي ، كما تميز باشتداد الحركة الجماهيرية المطالبة بالتغيير الجذري في كافة الاوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والاجتماعية ، تلك الاوضاع التي أدت الى الهزيمة · وان ثورة السابع عشر من تموز هي ، في أحد جوانبها التاريخية ، ثمرة من ثمرات هذه الحركة ·

اما على الصعيد القطري فان قيام ثورة السابع عشر من تموز التي قادها حزب البعث العربي الاشتراكي كان في أشد ظروف القطر حراجة ودقة وكان على هذه الثورة أن تؤدي مهمتين تاريخيتين في آن واحد ·

المهمة الاولى : هي استكمال جوانب الثورة الوطنية التي بدأت في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ واستئناف مسيرتها وتصحيح ما وقعت فيه من اخطاء وانحرافات ، وازالة ما اصابها من تشويهات · أما الثانية : فهي تحقيق مهمات المرحلة الجديدة ·· مرحلة ما بعد هزيمة الخامس من حزيران ·

لقد حدد المؤتمر القطري السابع لحزب البعث العربي الاشتراكي ، في بيانه الصادر في كانون الثاني ١٩٦٩ ، طبيعة المرحلة ووصفها بأنها مرحلة اقامة نظام ديمقراطي ثوري وحدوي ، كمرحلة اساسية ومتقدمة من مراحل النضال المشروع لشعبنا في القطر العراقي وفي الوطن العربي ، من اجل اقامة المجتمع العربي الديمقراطي الاشتراكي الموحد ·

وقد أكد المؤتمر ، في بيانه التاريخي ، ادراك الحزب وقيادة الثورة لاهمية التعاون بين القوى الوطنية والقومية التقدمية ، العربية والكردية ، في القطر العراقي ، لانجاز مهمات هذه المرحلة ·· وهي مهمات كبيرة ، ومتشعبة ، ودقيقة ، وصعبة تستقطب العداء الشرس من جانب الدوائر الاستعمارية والصهيونية ومختلف أشكال القوى الرجعية والانتهازية المحلية والعربية ، وتستدعي ، بالتالي ، بحكم الضرورة ، وحدة القوى النضالية صاحبة المصلحة في هذه المهمات على الصعيد القطري والقومي ·

ان حزب البعث العربي الاشتراكي ، الذي قاد المسيرة الثورية طيلة أكثر من ثلاث سنوات ، ينظر الى مسالة التحالف بين القوى الوطنية والقومية التقدمية في القطر العراقي وفي الوطن العربي نظرة مبدئية واستراتيجية · ان مهمات الثورة على الصعيدين القطري والقومي ، كما ان مهمات الكفاح ضد العدو الامبريالي والصهيوني وضد حلفائه من العملاء الرجعيين المحليين تتطلب تضافر جهود وطاقات كل القوى الوطنية والتقدمية في اطار عمل جبهوي مشترك تحدده في كل قطر أوضاعه الخاصة ·

وانطلاقا من هذه النظرة المبدئية والاستراتيجية اتجه حزب البعث العربي الاشتراكي ومنذ اليوم الاول لثورة السابع عشر من تموز نحو اعداد المناخ الملائم لقيام وحدة حقيقية ومتينة بين كل القوى الوطنية والقومية التقدمية عن طريق تحقيق الشروط الموضوعية والضرورية لذلك ·

وعلى هذا الطريق الصعب ورغم قسوة الظروف الداخلية والعربية والدولية أمكن للثورة بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي خلال السنوات الثلاث الماضية ان تنجز أو تقطع اشواطا كبيرة على طريق انجاز المهمات التالية :

١ ـ توجيه ضربة قوية وجريئة لفصائل العملاء والجواسيس ، الذين استمروا سنوات طويلة يعيثون في البلاد ويعرضون سيادتها ومصير شعبنا وحركته الوطنية الى أكبر الاخطار واحباط المؤامرات الاستعمارية والرجعية التي استهدفت اسقاط السلطة الوطنية لاعادة النفوذ الاستعماري والرجعي الى البلاد ·

٢ ـ المشاركة ، بكل ما تيسر لدى القطر من طاقات ، في المعركة القومية ضد العدو الامبريالي والصهيوني ، وفضح المؤامرات الاستعمارية في الخليج العربي ، ومطامع الحكومة الايرانية الرجعية والعميلة فيه ، ووضع هذه الطاقات في خدمة معركة التصدي لها ·

٣ ـ تصدت الثورة بحزم للمؤامرات والمخططات الاستعمارية التي استهدفت السيطرة على ثرواتنا النفطية والمعدنية وبصورة خاصة (الكبريت) ·· ونقلت شعار الاستثمار الوطني للنفط والكبريت الى حيز الواقع · وقد تم حتى الان انجاز الجزء الاكبر من المرحلة الاولى من الاستثمار الوطني للنفط في حقل الرميلة وسيبدأ العراق منذ مطلع السنة القادمة في تصدير نفطه الوطني ·كما تم الشروع بالمرحلة الثانية ·وفي مطلع السنة القادمة أيضا ، سيبدأ الانتاج الوطني للكبريت · كما استطاعت الثورة أن تنتزع أجزاء غير يسيرة من حقوقنا المهضومة من شركات النفط الاحتكارية العاملة في البلاد ،وتحققت زيادة كبيرة في العائدات، وصولا الى انتزاع كافة حقوقنا المشروعة ·

٤ ـ اصدار تشريعات ثورية في المسالة الزراعية كالغاء مبدأ التعويض وحق الاختيار للاقطاعيين وتوزيع الارض على الفلاحين بدون مقابل وتشريع قانون الاصلاح الزراعي رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ · ويشكل هذا القانون بداية جادة وواسعة النطاق لاحداث ثورة زراعية تحرر الفلاحين من نير النظام الاقطاعي وتحقق نهضة اقتصادية واجتماعية شاملة في الريف ·

٥ ـ العمل باخلاص على توفير أجواء جديدة وايجابية للعلائق بين القوى الوطنية والقومية التقدمية وقد بادرت الثورة منذ أيامها الاولى الى اطلاق سراح كافة المعتقلين والمسجونين السياسيين واعادتهم جميعا الى وظائفهم ، وقبل فترة وجيزة أصدرت الثورة تشريعا باحتساب فترة الفصل السياسي لاغراض الترفيع والتقاعد ·

٦ ـ اصدار قانون العمل رقم ١٥١ لسنة ١٩٧٠ واصدار قانون التقاعد والضمان الاجتماعي رقم ٣٩ لسنة ١٩٧١ · ان هذين القانونين قد حققا للطبقة العاملة مكاسب تقدمية مهمة وضمنا لها حرية العمل النقابي ·وكل الحريات الاساسية ، وأمن لها قانون التقاعد والضمان حياة كريمة ، في حدود الامكانات الراهنة ، التي تقدر الدولة على توفيرها ·

٧ ـ استطاعت الثورة بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي وبالتعاون مع الحزب الديمقراطي الكردستاني أن تصل الى صيغة الحل السلمي والديمقراطي للمسالة الكردية ، التي تمثلت ببيان الحادي عشر من آذار ١٩٧٠ · ومنذ اعلان البيان وحتى هذا اليوم تم تحقيق اجزاء كبيرة وأساسية فيه ، وصولا الى تطبيق كافة بنوده ، بما فيها الحكم الذاتي لشعبنا الكردي ضمن اطار الجمهورية العراقية ·

٨ ـ تعميق العلائق الديمقراطية بين الجماهير والسلطة الثورية ،وذلك بالعمل

المنظمات الشعبية في مناقشة ودراسة مختلف القضايا الاساسية وتعميم الندوات الشعبية ونشر حملات العمل الشعبي في كافة أنحاء القطر • وقد أنجزت هذه الحملات ثمارا رائعة تمثلت في الكثير من المشاريع الزراعية الكبيرة ومشاريع الخدمات •

٩ ـ اتاحة الظروف التشريعية والسياسية الملائمة لقيام المنظمات الديمقراطية في البلاد ، كالاتحاد العام للجمعيات الفلاحية والاتحاد العام لنقابات العمال والاتحاد الوطني لطلبة العراق والاتحاد العام لنساء العراق وعشرات المنظمات المهنية والنقابية والاجتماعية الاخرى • وكذلك اتاحة الظروف التشريعية والسياسية اللازمة لقيام المنظمات الخاصة بشعبنا الكردي وفقا لما جاء في بيان الحادي عشر من آذار ، كاتحاد شبيبة كردستان واتحاد معلمي كردستان واتحاد الادباء الاكراد واتحاد طلبة كردستان وغيرها من المنظمات •

١٠ ـ اعداد أضخم خطة تنمية خمسية في تاريخ البلاد فقد بلغت تخصيصاتها حوالي الف مليون دينار ، تستهدف تحقيق تنمية شاملة في الزراعة والصناعة والمواصلات والثقافة والخدمات والصحة والتعليم وكل مرافق المجتمع •

١١ ـ احداث نهضة اقتصادية واسعة النطاق تمثلت في احكام سيطرة الدولة على التجارتين الخارجية والداخلية ، وتوفير السلع الاساسية للمواطنين ، كما تمثلت في اكمال وتشغيل العديد من المصانع المتأخر انجازها والمعطلة ، وبناء مصانع جديدة وتوسيع المصانع القائمة وزيادة انتاجيتها ، وتطوير أوضاع الزراعة واقامة مشاريع جديدة وانشاء العديد من المزارع التعاونية والجماعية ومزارع الدولة وتطبيق شعار العودة الى الريف وتشغيل المثقفين في حقل الزراعة •

١٢ ـ انجاز اصلاحات واسعة ومهمة في الحقل التربوي ، وبصورة خاصة في المؤسسات الجامعية ومؤسسات التعليم العالي ، واعادة النظر في مختلف مناهج التعليم وفقا لمبادىء الثورة القومية التقدمية ، وتشجيع التعليم المهني ، وربط الخطط الخاصة بالتعليم بخطط التنمية ، وانشاء اعداد كبيرة من المدارس في كافة انحاء القطر وانشاء جامعة جديدة هي جامعة السليمانية •

١٣ ـ انجاز مشاريع ثقافية وصحيه ومشاريع خدمات ومواصلات عديدة في كل انحاء القطر• ان السنوات الثلاث الماضية قد شهدت نشاطا لا نظير له في تاريخ البلاد في بناء المستشفيات وتوسيعها ، وفي انشاء العيادات الشعبية ، وشق الطرق الجديدة ، وتحسين كل الخدمات وتعميمها على المواطنين ، وانشاء مختلف المرافق الثقافية •

ان حزب البعث العربي الاشتراكي ، اذ يطرح ميثاق العمل الوطني على الجماهير وعلى القوى الوطنية في هذا القطر المناضل ، بعد أن استكملت الثورة شروط انطلاقتها للدخول في مرحلة جديدة تعبىء فيها قوى الشعب كافة لمواجهة المخطط الاستعماري الصهيوني والمد الرجعي ، وتتهيأ لممارسة الديمقراطية الشعبية ممارسة مسئولة تتيح المجال أمام جميع القوى الوطنية للمساهمة في تعميق المسيرة الثورية وترسيخ دعائمها وتحقيق الامال والمطامح الكبيرة لشعبنا وتحويل هذا القطر الى ساحة ضخمة للعمل والانتاج ، وقلعة راسخة للصمود ، ومثال صادق وحي لنضج العمل الثوري في الوطن العربي وقاعدة انطلاق للثورة العربية •

ان أمام القوى الوطنية في هذا القطر فرصة تاريخية تفرضها الظروف الموضوعية التي تضعها في صف واحد ، وتتطلبها شروط نماء هذه الثورة والطاقات والامكانات الزاخرة في هذا القطر المستعدة للتضحية والعطاء •

فامامها الشيء الكثير الذي تستطيع أن تقدمه لهذا الشعب الابي ، بالمساهمة المسئولة التي تلبي حاجات المرحلة •

ان الدور القومي الكبير الذي يقع على عاتق قطرنا يتطلب وضع هذا القطر على طريق العمل الجبهوي الجاد •

وان استغلال ثروات هذا القطر ووضعه على طريق الوحدة العربية وعلى طريق الاشتراكية يحتم أيضا ترسيخ الوحدة الوطنية •

لذلك فان اعلان هذا الميثاق ياتي استجابة حقيقية للشعور الكامل بالمسئولية التاريخية والوعي الشامل لابعادها • وان قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي اذ تطرح هذا الميثاق للمناقشة تأمل ، في الوقت نفسه ، أن تعبر جميع القوى والعناصر الوطنية والتقدمية عن استعداد مخلص لفتح صفحة جديدة مشرقة في تاريخ نضالها الطموح من أجل اهدافنا الوطنية والقومية •

النظـــــام الســـــياسى

ـ ١ ـ

ان النظام السياسي ، هو التعبير القانوني عن مصالح ومطامح الطبقات والفئات الاجتماعية التي يمثلها • ولما كان حزب البعث العربي الاشتراكي يمثل مصالح أوسع الجماهير ، من العمال والفلاحين والفئات الكادحة الاخرى ، والبرجوازية الصغيرة المرتبطة مصالحها وآمالها بمصالح الطبقات الكادحة ، فان النظام السياسي الذي سعى الحزب الى اقامته ، في المرحلة التي اعقبت الثورة التي قادها في السابع عشر من تموز ١٩٦٨ ، هو كما حدده المؤتمر القطري السابع الحزب : نظام ديمقراطي ثوري وحدوي • وان هذا النظام هو خطوة مرحلية على طريق تحقيق النظام الديمقراطي الاشتراكي العربي الموحد •

وقد أكد الدستور ، الذي أعلنته الثورة في السابع عشر من تموز عام ١٩٧٠ ، هوية النظام السياسي هذه ، حيث جاء في مادته الاولى : « العراق جمهورية ديمقراطية شعبية ذات سيادة هدفه الاساسي تحقيق الدولة العربية الواحدة واقامة النظام الاشتراكي » •

وان الائتلاف الوطني ، الذي يدعو اليه حزب البعث العربي الاشتراكي ، هو القاعدة الواسعة لهذا النظام والقوة الدائمة والمحركة له ، من أجل تعميقه ومنحه قدرات معنوية ومادية اكبر ، لتحقيق مهماته التي يحددها هذا الميثاق ، والانتقال الى مرحلة أكثر تقدما ، على الصعيدين الوطني والقومي •

وعلى هذا الاساس تتحدد طبيعة النظام ومؤسساته الدستورية بما يلي :

١ ـ ان النظام السياسي الذي اقامته ثورة السابع عشر من تموز بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي ، والذي يسعى الى تحقيق الائتلاف الواسع بين كل القوى والعناصر الوطنية والقومية والتقدمية ، هو نظام ديمقراطي شعبي وحدوي •

٢ ـ يضمن النظام السياسي كافة الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب وقواها الوطنية والتقدمية ، بما فيها حرية الاحزاب السياسية ، والجمعيات الاجتماعية والمهنية والنقابات ، وحرية الصحافة والرأي والمعتقد ، وغيرها من الحريات الاساسية ، وفقا للقوانين التي تشرعها الدولة •

٣ ـ تمارس السلطتان التشريعية والتنفيذية طوال الفترة الانتقالية الراهنة من قبل المؤسسات العامة المنصوص عليها في الدستور المؤقت • ويتم تشكيل المجلس الوطني وفق أحكام القانون وفي ضوء الاسس الواردة في هذا الميثاق •

٤ ـ تطبيق صيغة الحكم المحلي والمجالس الشعبية في كافة الوحدات الادارية في الجمهورية العراقية ، ويكون لهذه المجالس حق الاشراف والنقد والمراقبة على اجهزة الدولة المختصة ، وفقا للقانون الذي ستشكل بموجبه •

٥ ـ تتحدد نهاية الفترة الانتقالية الراهنة بوضع الدستور الدائم واقراره بالاستفتاء الشعبي العام • لذلك يعتبر هذا الميثاق مهمة اعداد مشروع الدستور الدائم من اولى مهمات المرحلة القادمة التي يتوقف عليها استكمال الشروط الموضوعية الضرورية لتوطيد النظام الديمقراطي الشعبي وبناء مؤسساته الوطنية •

ان جماهير الشعب ، من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين ، هي قاعدة الثورة وهدف نضالها ، ولا يمكن للثورة ان تحقق مهامها المرحلية والبعيدة الا عن طريق تعبئة كاملة وحشد كل طاقاتها لبناء المجتمع الديمقراطي الشعبي الثوري ، ولصد المؤامرات الامبريالية والصهيونية والرجعية على قطرنا وعلى الوطن العربي •

ان تنظيم الفلاحين والعمال والطلبة والمثقفين والنساء فى جمعيات ونقابات واتحادات ، حق مشروع يؤكده هذا الميثاق وضرورة وطنية أساسية ، وركن جوهرى من أركان المجتمع الثورى الجديد • لذلك فان الثورة تشجع تشجيعا مطلقا ، وبكل ما يتيسر لها من امكانات وطاقات الجمعيات الفلاحية ونقابات العمال والمهنيين ومنظمات الطلبة والنساء ، وكل المنظمات الاجتماعية الاخرى ، كى تؤدى دورها الطليعى والفعال فى تسريع التحولات الاجتماعية الثورية وتحقيق أكبر قدر من الانجازات فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية •

وتعتبر الثورة مسالة تنظيم الشباب ، من الذكور والاناث فى منظمات شبيبة واسعة النطاق ، ضرورة أساسية وهدفا تسعى الى تحقيقه لكى يتمكن الشباب ، فى اطار منظماتهم الديمقراطية النشيطة ، من تادية واجباتهم تجاه عملية البناء الثورى وفى حماية مكتسبات الثورة وتطويرها وفى المعركة القومية المصيرية ، ضد العدو الامبريالى والصهيونى ، وضد كل الطامعين فى اى جزء من أجزاء الوطن العربى •

كما تعتبر الثورة انضمام النساء الى كل النقابات والجمعيات والمؤسسات القائمة امرا أساسيا وضرورة يجب العمل على تحقيقها باوسع نطاق ، وهى تدعم دعما كاملا منظمات النساء الخاصة ، وذلك من اجل ان تحتل المرأة مكانتها اللائقة وتؤدى دورها الفعال المطلوب فى عملية البناء الثورى وفى المعركة القومية • كما تضمن الثورة لكل نساء العراق ، الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى يتمتع بها الرجل •

كان شعار انشاء قوات مسلحة وطنية فى مقدمة مطاليب النضال الشعبى فى عهد السيطرة الاستعمارية • وعندما فرضت ارادة شعبنا ، على المستعمرين واعوانهم من الحكام ، تشكيل الجيش الوطنى ، حاول اولئك بشتى الطرق والاساليب ابعاد الجيش عن الشعب وحركته الوطنية والقومية ، وتحويله الى مؤسسة منعزلة مهمتها الاساسية حماية النظام الرجعى ومصالح الاستعمار •

غير ان الاغلبية الساحقة من جنود الجيش وضباطه ، التى تتألف من ابناء الفلاحين والعمال والطبقة المتوسطة ، لم ترضخ لارادة ومخططات المستعمرين واعوانهم ، بل عبرت عن انسجامها مع مطامح الشعب وتطلعاته الى الحرية والتقدم والوحدة القومية ورفضه الكامل لكل اشكال الاضطهاد والتسلط • وقد فشل الاستعماريون واعوانهم الرجعيون فى جعل الجيش اداة فى ايديهم لضرب الحركة الوطنية والقومية المتصاعدة • وفى أكثر من مناسبة فى تاريخ نضالنا الوطنى ، عبر الجيش عن التزامه بمطاليب الحركة الشعبية فى التحرر من السيطرة الاستعمارية وهيمنة الطبقات الرجعية المستغلة والفاسدة ، وما ثورتاه المجيدتان فى ٢ مارس ١٩٤١ و ١٤ تموز ١٩٥٨ الا الدليل الحى على ذلك •

وفى ظل الثورة التى قادها حزب البعث العربى الاشتراكى فى السابع عشر من تموز ١٩٦٨ ، والتى اسهمت فيها الفصائل العسكرية الثورية اسهاما واعيا وباسلا ، وكذلك فى هذه المرحلة ، مرحلة بناء المجتمع الديموقراطى الثورى الوحدوى ، والكفاح ضد العدو الامبريالى والصهيونى ، تتاكد ، أكثر .. اهمية التصاق الجيش بالحركة الشعبية وتأديته لوظائفه الوطنية والقومية على الوجه الاكمل :

١ ـ ان المهمة الاولى للجيش والقوات المسلحة هى الدفاع عن القطر وسيادته ووحدته الكاملة • كما ان فى مقدمة مهامه الكبرى ، المشاركة الطليعية فى النضال القومى من أجل تحرير فلسطين وكل الأراضى العربية المغتصبة ، ومن اجل صد كل المؤامرات والاطماع التى تستهدف اى جزء من اجزاء الوطن العربى •

وتتطلب هذه المهمات الجسيمة امداد الجيش باحدث الاسلحة والتجهيزات ، ورفع المستوى القتالى والعلمى والمقنى لكافة منتسبيه ، ورفع درجة اليقظة والالتزام والضبط فيه ، وتطوير المدارس والمعاهد العسكرية وبناء صناعة عسكرية وطنية كما تتطلب ايضا عناية خاصة بالجندى بحيث يكون عنصرا واعيا وفعالا موفور الكرامة •

٢ ـ لما كان الجيش جزءا اساسيا من الشعب ، وفصيلة طليعية من فصائله المناضلة من اجل حريته وتقدمه ، فى كافة الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ولما كان بحكم تركيبه وتطلعاته ، مرتبطا بمصالح الاغلبية الساحقة من ابناء الشعب من الفلاحين والعمال والطبقة المتوسطة ، لذلك تقع على عاتقه مسئولية المساهمة فى العمل الوطنى الشامل لبناء المجتمع الثورى الجديد ، وفقا للشعار الذى رفعته الثورة « الجيش للحرب والاعمار » • اذن فان اسهام الجيش فى حملات العمل الشعبى وفى كل النشاطات الشعبية الاخرى الهادفة الى رفع المستوى الإقتصادى والاجتماعى والثقافى لجماهير الشعب ،هو أحد الشروط الاساسيةللحفاظ على هويته النضالية الشعبية ووقايته من النزعات الانعزالية والبيروقراطية والمتعالية ، التى يحاول تغذيتها الاستعماريون والقوى الحليفة لهم والعناصر المتخلفة عن ركب التحول الثورى ، كما ان هذه المشاركة هى ضرورة وطنية كبرى من أجل تحقيق التقدم فى البلاد بأسرع الوسائل الممكنة وفى كافة المجالات •

٣ ـ ان ضمان تادية الجيش لمهاته المقدسة فى الحرب والاعمار ، وضمان التصاقه بالحركة الشعبية ومصالح الجماهير ، يتطلبان العمل الدائب على تعميق الوعى القومى والديمقراطى والتقدمى بين صفوفه ، وكذلك الحفاظ على نقاوته من انحرافات الزمر المغامرة التى لا تفكر الا بمصالحها الخاصة على حساب اهدافه الاساسية ومصالح الشعب العليا بدفع من الدوائر الاستعمارية والرجعية المعادية للشعب •

وان وحدة الجيش وكل القوات المسلحة الوطنية والتفافها الراسخ حول الثورة ومبادئها وقيادتها ، والتزامها التشبث بالدفاع عنها وعن مكتسبات الشعب ضد اى شكل من اشكال العدوان او التآمر او التخريب ، أمور أساسية لا يمكن التفريط بها • وتتولى قيادة الثورة وحدها مسئولية تامين هذه الشروط •

اما اجهزة الشرطة والامن التى كانت قبل الثورة اداة فى يد السلطة الرجعية والدكتاتورية ، لاضطهاد الجماهير وقواها الوطنية والقومية التقدمية ومؤسسة تتناقض فى سلوكها مع الحقوق الاساسية للجماهير ومع مطامحها المشروعة فى الديمقراطية والتقدم ، فانها اليوم ، وفى ظل الثورة والائتلاف الوطنى تتحمل مهمات مختلفة اختلافا جذريا •

ان المهمات الاساسية لقوى الشرطة والامن الوطنى اليوم هى حماية أمن المواطنين وسلامتهم وممتلكاتهم من كل شكل من اشكال العدوان او الاغتصاب ، وحماية البلاد من عبث الجواسيس والعملاء والمخربين ، والتصدى بكل حزم للفصائل المضادة للثورة •

وفى ظل النظام الثورى والائتلاف الوطنى ، يجب الحرص على تعميق الصلات الديمقراطية بين اجهزة الشرطة والامن والجماهير وقواها الوطنية ومنظماتها النقابية والمهنية ، كما يجب الحرص على تنقية هذه الاجهزة من العناصر الفاسدة والمعادية ، بطبيعة افكارها ومصالحها ، لاهداف الثورة وتطبيقاتها الديمقراطية الشعبية •

ويتطلب ذلك تعميق الثقافة الوطنية والقومية والديمقراطية فى صفوف منتسبى هذه الاجهزة ، والحرص الشديد على جعل شعار « الشرطة فى خدمة الشعب » حقيقة واقعة فى كل جزء من اجزاء القطر •

ورثت الثورة جهاز الدولة عن عهود السيطرة الاستعمارية والتحكم الرجعى والدكتاتورى • ومن الطبيعى ان يكون هذا الجهاز ، الذى نشأ ابان تلك العهود وعاش فى كنفها ، قد تأثر فى تكوينه وفى اتجاهاته ، بمصالحها وأوضاعها المتخلفة وموقفها المعادى لجماهير الشعب وتطلعاتها الى الحرية والديمقراطية والتقدم •

ان أمراضا كثيرة ما تزال قائمة فى جهاز الدولة ، منها تضخمه وتخلف أساليبه ووسائله واستهلاكه نفقات كثيرة وانتشار العلائق اللاديمقراطية واللاموضوعية فيه ونزوعه الى التعالى على الجماهير والانعزال عن مصالحها وتطلعاتها الاساسية •

وتمارس بعض اطراف هذا الجهاز ادوارا ضارة وتخريبية فى مرحلة التحولات الثورية ، وتكون بتخلفها عن تلك التحولات ونظرتها السلبية اليها والى ابعادها ، معوقا اساسا يعترض مسيرتها •

وتتطلب مرحلة الثورة واتحاد القوى الوطنية والتقدمية استكمال التغييرات الجذرية فى بنية جهاز الدولة وفى علاقاته

الذاتلية مع الجماهير ومنظماتها السياسية والاجتماعية ، وان الشعار الذى يجب أن يسود وان يطبق ، بوعى وحزم ، هو شعار وضع اجهزة الدولة فى خدمة الجماهير • كما ان من الضرورى ان تواكب اجهزة الدولة جميع التحولات الثورية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية •

وتتطلب هذه المهمات ، نشر الوعى الثورى الديمقراطى الشعبى بين اجهزة الدولة وتعميق الشعور بالمسئولية ، ومحاربة النزعات البيروقراطية والاستعلائية ، وتصفية كل مظاهر الانحراف والفساد ، وبصورة خاصة الرشوة والمحسوبية وتنقيتها من العناصر الفاسدة والعاجزة وامدادها باستمرار بالعناصر الوطنية والتقدمية وبالعناصر الشابة المؤمنة بالثورة واهدافها •

كما تتطلب هذه المهمات ايضا تطوير الانظمة فى اجهزة الدولة وتقليص الروتين ، وتعميم الدورات التدريبية ، ووضع اسس علمية موضوعية لاختيار الموظفين وترفيعهم وترقيتهم وتوحيد قوانين الخدمة وفقا لامكانيات الدولة ومقتضيات التنمية والتطور واتخاذ الخطوات العملية المدروسة اللازمة للقضاء على مظاهر البطالة المقنعة المتفشية بسبب تضخم الجهاز الادارى وتوجيه الطاقات الفائضة فى هذا الجهاز الى المشاريع الانتاجية التي تسهم فى تسريع النهضة والتقدم فى كافة مرافق البلاد ومن اجل استخدام كل الطاقات الوطنية الى ابعد مدى •

ويحتل جهاز القضاء بين اجهزة الدولة مكانة اساسية لما يتحمله من مسئولية تطبيق العدل بين المواطنين وتتطلب المهمات المنوطة بالقضاء تطوير اجهزته وتنقيتها من العناصر المعادية للثورة وتحسين وسائل عملها وصيانة كرامة القضاء واستقلاله وفقا لما جاء فى احكام الدستور •

كما تتطلب ايضا اعادة النظر فى القوانين والتشريعات التى تتناقض مع مبادىء الثورة واهدافها •وسن قوانين وتشريعات جديدة تنظم العلائق فى المجتمع الثورى ، وفقا لمنطلقاته واسسه واهدافه ، وتيسر تطبيق كل المنجزات والبرامج الثورية •

بقيت المسالة القومية الكردية طيلة سنوات عديدة فى مقدمة المسائل الوطنية الكبرى التى تنتظر الحل وقد تكبد شعبنا من جراء بقائها معلقة كثيرا من الخسائر وتحمل كثيرا من الالام وتعرضت وحدته ووحدة الوطن الى الخطر •

وقد فتحت ثورة السابع عشر من تموز ، بحكم تعبيرها عن مبادىء حزب البعث العربى الاشتراكى الديموقراطية والانسانية افاقا رحبة لحل هذه المسالة حلا سلميا وديموقراطيا نهائيا ، فتكللت جهودها ، من خلال التعاون بين حزب البعث العربى الاشتراكى والحزب الديمقراطى الكردستانى • باصدار بيان الحادى عشر من اذار التاريخى •

ان بيان الحادى عشر من اذار هو الاطار السليم لضمان الحقوق والتطلعات القومية المشروعة لشعبنا الكردى ، بما فيها الحكم الذاتى ، ولضمان وحدة الوطن والشعب ووحدة قواه الوطنية والقومية التقدمية على طريق النضال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية •

ولاجل المضى قدما فى انجاز كل مهمات الحل السلمى والديمقراطى للمسالة الكردية ، وفقا لروح البيان وبنوده ، وفى ظل العمل الوطنى المشترك من اجل بناء المجتمع الديمقراطى الثورى الوحدوى ، يحدد الميثاق ما يلى :

١ ـ ان التحالف بين حزب البعث العربى الاشتراكى والحزب الديمقراطى الكردستانى ، والذى يشكل حجر الاساس فى الائتلاف الوطنى ، يقوم من حيث المنطلق ومن حيث الاهداف البعيدة ، على اساس التحالف الثورى التاريخى والمصيرى بين الشعبين العربى والكردى ، وبصورة خاصة الجماهير الكادحة العربية والكردية • وهو يستند الى هذه الجماهير ويمثل مصالحها ويعبر عن تطلعاتها ومطامحها المشروعة •

٢ ـ ان ممارسة الجماهير الكردية لحقوقها القومية المشروعة بما فيها الحكم الذاتى تتم ضمن اطارها الطبيعى الذى تجسده وحدة السياسة الوطنية ووحدة الارض ووحدة النظام السياسى فى الجمهورية العراقية •• كما تتم ايضا على اساس الاقرار والايمان بان العراق جزء لا يتجزأ من الوطن العربى • وبان امكانات الامة العربية وطاقاتها ونضالها المشروع والعادل من اجل التحرر الكامل من السيطرة الاستعمارية والاغتصاب الصهيونى ، ومن اجل تحقيق الوحدة والاشتراكية ، هى ضمانات تاريخية اكيدة لحريات القوميات والاقليات ولحقوقها المشروعة •

٣ ـ ان تنفيذ كافة بنود بيان الحادى عشر من اذار ، واستكمال حلقات الحل السلمى والديمقراطى للمسالة القومية الكردية ، يرتبطان ارتباطا لا ينفصم بصيانة النظام الثورى القائم وتطوره المستمر وتوطد مواقعه فى مواجهة التآمر والتخريب ، الذى تدبره الدوائر الاستعمارية والصهيونية والرجعية المحلية والمجاورة ، ويرتبطان أيضا بالنضال من اجل تصفية القوى والعناصر المشبوهة والمغامرة التى تتحرك بتوجيه من تلك الدوائر •

ان العلاقة بين الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ، السائرة باتجاه تحقيق الوحدة والاشتراكية ، والتى يعززها تحالف حزب البعث العربى الاشتراكى والحزب الديمقراطى الكردستانى واتحاد كل القوى والعناصر الوطنية والقومية التقدمية ، وبين الحل السلمى والديمقراطى للمسالة القومية الكردية ، هى علاقة جدلية لا يمكن فصمها ، وان اية نظرة تجزيئية لابد وأن تخدم بالنتيجة ، مخططات الاستعمار والصهيونية والرجعية المحلية والمجاورة لضرب الثورة وسحق تطلعات شعبنا الكردى الى ممارسة حقوقه القومية المشروعة •

٤ ـ التحولات الثورية ، فى كافة الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، باتجاه تنفيذ مهمات مرحلة الديمقراطية الشعبية وصولا الى الاشتراكية ، وتحقيق مصالح الفلاحين والعمال وجماهير الشعب الكادحة ، هى ضمانات موضوعية للحل السلمى والديمقراطى للمسالة الكردية ولترسيخ محتواه التقدمى •

٥ ـ ان مسئولية تنفيذ بيان الحادى عشر من اذار وتحقيق الحل السلمى والديمقراطى للمسالة الكردية ، لا تقع على عاتق طرف واحد فقط ، وانما هى مسئولية وطنية مشتركة لا يمكن لاى طرف وطنى أن يعفى نفسه منها •

٦ ـ ان النضال الايديولوجى والسياسى المستمر ، ضد العناصر والتيارات الشوفينية والانعزالية والاستعلائية والانفصالية ، شرط أساسى لصيانة الحل السلمى والديمقراطي للمسالة الكردية وضمان تطوره من ناحية ، ولصيانة الوحدة الوطنية والتحولات الثورية الهادفة الى تحقيق المهمات الوطنية والقومية من ناحية أخرى •

الاقتصـــــاد الـــــوطنى

ـ ٢ ـ

تميز الاقتصاد الوطنى ، فى مرحلة ما قبل الثورة ، بسمات كان من ابرزها تبعية اغلب فروعه للدول والاحتكارات الامبريالية وقيامه على أسس تؤمن مصالح الطبقات الاقطاعية والبورجوازية المستغلة على حساب مصالح الاغلبية الساحقة من أبناء الشعب وتخلفه فى كافة الميادين وتفاقم الازمات فيه وارتباك السياسات الاقتصادية وتناقضها وفساد الاجهزة الاقتصادية وتخلفها • وقد بقيت كل المحاولات الهادفة الى تحرير الاقتصاد الوطنى وتنظيمه ووضعه على اسس علمية وتقدمية ، محاولات ناقصة ومرتبكة ومهددة بالتراجع نتيجة لطبيعة الانظمة السابقة وسياساتها المعادية للشعب وقواه الوطنية والقومية التقدمية •

أن مرحلة الثورة وقيام التحالف الوطنى تتطلب العمل النشيط والحازم لانجاز المهمات التى تقتضيها المرحلة وذلك على أساس بناء اقتصاد وطنى من خلال نظرة وحدوية تضع الاسس والبدايات لقاعدة عربية اقتصادية متكاملة توضع كليا فى خدمة قضية النضال الشعبى ضد الامبريالية والصهيونية •• وعلى أساس اعتبار طريق التطور الرأسمالى طريقا مرفوضا من الناحية المبدئية علاوة على انه عاجز عن تحقيق مهمات تحرير الاقتصاد الوطنى وبنائه على أسس متينة وتامين الرفاهية للمواطنين • فالخط الاقتصادى الذى تلتزم به الثورة هو ذلك الذى تحتمه منطلقات وضرورات مرحلة الديمقراطية الشعبية ومقتضيات الانتقال الى الاشتراكية وحاجات المعركة القومية المصيرية •

وتتطلب المرحلة المقبلة انجاز مهمات اساسية فى الحقل الاقتصادى منها :

١ ـ السير بثبات ، ووفق خطة علمية مدروسة ، لتحرير الاقتصاد الوطنى بكل

فروعه تحريرا كاملا من قيود التبعية الاجنبية ٠

٢ ـ بناء اقتصاد وطنى متنوع ومتكامل ، والحرص على تجنيب البلاد حالة الاقتصاد وحيد الجانب الذى خططت له الدول والاحتكارات الاستعمارية وتحقيق الاكتفاء الذاتى فى كل الفروع الممكنة ٠

٣ ـ تكوين أجهزة اقتصادية متخصصة وكفؤة ونشيطة تؤمن بالاهداف الوطنية والثورية ، وتعمل بحرص واتقان على تطبيقها ٠

٤ ـ العمل من أجل تحقيق الوحدة الاقتصادية ودعم السوق العربية المشتركة ٠

٥ ـ وضع المصلحة الوطنية والقومية كأساس فى أى شكل من اشكال التعاون والتعامل الاقتصادى مع الدول الاجنبية والعمل على تطوير العلائق الاقتصادية مع الدول الاشتراكية والصديقة على هذا الاساس ٠

٦ ـ تأمين الرفاهية لجماهير الشعب ، وبصورة خاصة للفلاحين والعمال والفئات الكادحة ، وتصفية مظاهر وأساليب الاستغلال والقهر الطبقى وتحقيق العدالة بين جميع المواطنين ٠

٧ ـ ان القطاع العام هو حجر الاساس فى الاقتصاد الوطنى بكافة فروعه ،سواء فى الزراعة أو الصناعة او التجارة أو الخدمات ٠ وتتولى الدولة مسئولية توجيه النشاط الاقتصادى ووضع الاسس والقوانين التى تنظمه ٠ وان من أول الشروط فى العمل ـ الاقتصادى الوطنى ، توسيع القطاع العام وتدعيمه بكل الامكانات التى تزيد من فعاليته وقدرته على تحقيق مهمات المرحلة الراهنة ومهمات الانتقال الى الاشتراكية ٠ أما القطاع الخاص فانه ما يزال قادرا على أن يؤدى مهمات ايجابية فى بناء الاقتصاد الوطنى ٠ ومن الضرورى دعم هذا القطاع بتوجيه من القطاع العام وبالتعاون معه ، وفقا للشروط والبرامج والقوانين التى تشرعها الدولة على أسس من مبادىء هذا الميثاق ٠

كما يؤدى القطاع المختلط ، الذى تنظمه الدولة وتشجعه مهماته الايجابية فى بناء الاقتصاد الوطنى ، ولابد من العمل على اختيار الفروع الاقتصادية التى توكل الى هذا القطاع ٠

٨ ـ ان مقتضيات التنمية الاقتصادية تتطلب مساهمة راس المال العربى فى كل المشاريع التى يمكنه المساهمة فيها والتى تحددها الدولة وتقدم الضمانات الكافية لمشاركة هذه الرساميل ، العامة والخاصة ، فى الاقتصاد الوطنى ٠

يشكل النفط ، فى هذه المرحلة ، المورد الاساسى فى اقتصاد البلاد ، ويقوم بدور حاسم فى تعيين مستقبلها السياسى والاقتصادى ٠ وبسبب هذه الاهمية الاستثنائية للنفط فى حياتنا ، لعبت الشركات الاحتكارية الاجنبية وما زالت ادوارا خطيرة فى تهديد استقلال البلاد ، والتآمر على قواها الوطنية والتقدمية وعلى طموح الشعب لتحقيق الحرية والتقدم ٠

ومن الطبيعى أن يكون الهدف الاستراتيجى للثورة ، تحرير الثروة النفطية تحريرا كاملا من السيطرة والاستغلال الاجنبيين ، واخضاعها للسيادة الوطنية من كافة الوجوه ، ووضعها بصورة كاملة فى خدمة رفاهية الشعب ، وجعلها اداة حاسمة من أدوات الكفاح ضد الامبريالية والصهيونية ٠

ويتطلب العمل الجاد والعلمى ، لتحقيق هذه الاهداف ، مواصلة السير بحزم وثبات فى السياسة النفطية الوطنية التى تنتهجها الثورة والتى تستهدف أولا بناء صناعة نفطية واسعة وقوية ومتكاملة ٠

وتقتضى مهمة بناء الصناعة النفطية الوطنية ، تدعيم هذا القطاع بكل الامكانات المادية والبشرية اللازمة ، وتطوير المعاهد والمؤسسات التى تؤمن الكوادر التى تحتاجها صناعة النفط ، والتعاون مع الدول الاشتراكية والدول الصديقة ٠

ويؤكد الميثاق ، ضرورة الاستمرار فى سياسة انتزاع حقوقنا من الشركات الاحتكارية ، سواء عن طريق العمل من خلال المنظمات العربية والدولية ، أو من خلال الاجراءات والتشريعات التى تصدرها الدولة ٠

وان فى مقدمة أهداف هذه السياسة ، تأمين مشاركة الحكومة فى راسمال شركات النفط العاملة فى بلادنا وفى ادارتها ، وتخطيط الانتاج ووضعه فى خدمة مصالحنا الوطنية ، وزيادة أسعار النفط وزيادة العائدات ٠ واستمرارا على نفس النهج فى حقل السياسة النفطية ، يولى الميثاق أهمية بالغة لمواصلة استثمار المعادن استثمارا وطنيا مباشرا ٠

ان اقامة صناعة معدنية واسعة هى عنصر أساسى فى عملية بناء الاقتصاد الوطنى المتنوع والمتكامل الذى يحقق التقدم ويمكن البلاد من السيطرة الكاملة على مقدرات اقتصادها ووضعه فى خدمة مصالحها وقضاياها الوطنية والقومية ٠

تتحمل الثورة مسئولية احداث تغيير جذرى فى مجمل الاسس والعلائق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لصالح حركة التحرر والتقدم ٠ ويقف الريف ، وقطاع الزراعة ، فى مقدمة القطاعات التى تحتاج الى التغيير السريع والحاسم ٠ لما يعانيه من أوضاع بائسة ومتخلفة وهو القطاع الاكبر بين أبناء الشعب ٠

ان الريف فى بلادنا بحاجة الى ثورة شاملة تصفى فيه العلائق الاقتصادية والعشائرية والطائفية وكل القيم المتخلفة التى ورثتها عن قرون الاستعباد ، والتى اشاعها فيه النظام الاقطاعى الاستغلالى والمتخلف ٠ وان الاصلاح الزراعى الجذرى ، الذى شرعت الثورة بتطبيقه فى الريف ، ما هو الا بداية لاحداث الثورة الزراعية التى تنقذ الريف من أوضاعه المتخلفة ٠

ويتطلب تحقيق الاصلاح الزراعى الجذرى ، وصولا الى الثورة الزراعية الشاملة ، الاستمرار فى الاجراءات التى اتخذتها الثورة لتصفية الملكيات الاقطاعية وتوزيع الاراضى على الفلاحين وتوفير البذور والاسمدة والمكائن والقروض للفلاحين وانجاز مشاريع الارواء والبزل الكبرى ، لزيادة رقعة الارض المزروعة وتحسين انتاجيتها ٠ كما تتطلب ، تعميم النوعية الشاملة وتوفير الظروف المادية لوقف الهجرة من الريف الى المدينة وتوسيع نطاق الهجرة المعاكسة والاستمرار على تشجيع الشباب المثقف على العمل فى الريف ٠ ومن الضرورات الاساسية لاحداث ـ التغييرات الثورية المطلوبة فى الريف ، مكافحة الامية بين صفوف الفلاحين ، وادخال الزراعة كمادة أساسية فى التعليم ، وتعميم المدارس والمعاهد الزراعية ، وانشاء معاهد ومختبرات متخصصة فى العلوم الزراعية ٠

وأن الاطار السليم والمتقدم لتحقيق الثورة الزراعية ولرفع المستوى المعاشى لجماهير الفلاحين ولزيادة الانتاج وفقا لمتطلبات الاقتصاد الوطنى ، هو مزارع الدولة والمزارع الجماعية والمزارع التعاونية ، التى تعمل الثورة على تعميمها فى كل أجزاء الريف فى البلاد ٠

تعتبر الصناعة قاعدة أساسية من قواعد التقدم الحضارى فى العصر الحديث ، وهى شرط أساسى من شروط الانتقال الى الاشتراكية ٠ وقد حاول الاستعماريون وحلفاؤهم المحليون عرقلة نشوء صناعة وطنية قوية ونشيطة ، لسببين أساسيين ، أولهما : الابقاء على أوضاع التخلف فى بلادنا وجعلها ، باستمرار ، سوقا لتصريف البضائع المصنعة فى الدول الاستعمارية ٠ وثانيهما : الحيلولة دون تكون طبقة عاملة كبيرة ٠ وعندما فرضت الارادة الوطنية والظروف الموضوعية ، قيام صناعة وطنية ، حاولوا بشتى الطرق جعلها تابعة للسوق الاستعمارية وحصرها فى الاطار التكميلى والاستهلاكى ٠

ان الثورة تواجه اليوم ، فى ميدان الصناعة ، مهمتين كبيرتين ، الاولى هى اكمال وانجاح وتطوير وتوسيع الصناعات القائمة ، والثانى هى بناء قاعدة صناعية واسعة ومتنوعة ، تكون سندا للاستقلال الوطنى ، وقاعدة للتطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، المتجه نحو الاشتراكية ٠

ولما كان الاقتصاد ، فى القطر العراقى ، يعتمد من حيث الاساس على ركيزتين مهمتين ، هما النفط والزراعة ، فان من الطبيعى أن تتجه عملية التصنيع الى تحقيق الترابط المتبادل بينها وبين هاتين الركيزتين ٠

ان المهمات الاساسية للتصنيع فى بلادنا ، هى اقامة وتطوير الصناعات البتروكيماوية والتعدينية ، وانشاء الصناعات التى تعتمد على المواد الزراعية التى تنتجها البلاد ٠

ويقتضى ذلك أيضا اقامة الصناعات التى تمد قطاع النفط والمعادن وقطاع الزراعة بما يحتاجانه من لوازم ومعدات ٠

وان مهمة بناء صناعة وطنية قوية وقادرة على تأدية وظائفها فى معاركنا الوطنية والقومية من ناحية ، وفى تحقيق الرفاهية للجماهير من ناحية أخرى ، تتطلب الحرص على خلق توازن صائب بين الصناعات الثقيلة والانتاجية ، التى لا يمكن بدونها ارساء قواعد صناعة وطنية مستقلة وقوية ، وبين الصناعات الاستهلاكية ، التى تسد حاجات المواطنين ، مع الحرص الشديد على زيادة معدلات النمو ، وعدم الانجراف فى منزلقات الاقتصاد الاستهلاكى .

وان من الشروط الاساسية ، التى ترافق عملية التصنيع الشاملة ، توسيع صناعة الطاقة وبصورة خاصة الطاقة الكهربائية ذات الضغط العالى .

ان القطاع العام فى الصناعة هو الاساس وعليه تقع مسئولية قيادة القطاعين الخاص والمختلط . وعلى الثورة أن تدعم هذا القطاع بكل الامكانات المطلوبة وان توسعه الى أبعد مدى ممكن . وبالنظر لحاجة البلاد الى النمو السريع والى مشاركة المواطنين فى عمليات البناء ، فان مساهمة القطاع الخاص فى البرامج الصناعية ، وبصورة خاصة - الصناعات الاستهلاكية والتكميلية الصغيرة ، أمر ضرورى جدا على الدولة أن تشجعه وتوفر له كل شروط النجاح وضماناته .

كما أن العمل على توسيع الادارة الديمقراطية فى المنشآت الصناعية والانتاجية ، عن طريق توسيع مشاركة العمال فى مجالس الادارة ، على النحو الذى يؤمن زيادة الانتاج وتطويره وتحديد علاقات عمل سليمة وواعية ، هو أحد الاهداف التى تسعى اليها الثورة والتى تؤمن للبلاد ملاكات واعية ومخلصة ونشيطة لقيادة هذا القطاع الحيوى .

ويتطلب انجاز هذه المهمات ، تطوير أجهزة القطاع العام فى الصناعة وتطوير اجهزة التخطيط الصناعى ، وزيادة المدارس والمعاهد الصناعية والاستعانة بكل الخبرات الوطنية والعربية وخبرات ومساعدات البلدان الاشتراكية والصديقة

يحتل قطاع التجارة مركزا بالغ الاهمية لما له من علاقة اساسية بمسألة التنمية الوطنية والاستقلال الوطنى من ناحية ، وباعتباره القطاع المسئول عن تأمين الحاجات الاستهلاكية للشعب من ناحية اخرى .

وان الخط الواجب انتهاجه فى السياسة التجارية ، هو اخضاع التجارتين الداخلية والخارجية لمقتضيات الاستقلال الوطنى والاكتفاء الذاتى وخطة التنمية وتحديد حركة التجارة ضمن الاتجاهات التى تحولها . من قطاع وسيط مستغل وجشع ، الى حلقة اساسية من حلقات الاقتصاد الوطنى المتكامل والمتطور الهادف الى خدمة الشعب . ويقتضى ذلك السير فى طريق تأميم التجارة الخارجية وتجارة الجملة - واخضاع سياسة الاستيراد والتصدير لمقتضيات التنمية والمصلحة الوطنية العليا .

وان الثورة اذ تحرص على حماية مصالح الجماهير الكادحة وتأمين المستوى المعاشى اللائق بها وتصفية كل مظاهر الاستغلال والجشع والابتزاز ، فانها تحرص فى الوقت نفسه ، على صيانة مصالح صغار التجار ومتوسطيهم وترى ان بامكان القطاع الخاص فى حقل التجارة ان يؤدى دورا ايجابيا اذا ما وضع فى اطار مصالح الجماهير والمصلحة الوطنية العليا .

ويدعو الميثاق الى تدعيم القطاع العام التجارى وامداده بكل وسائل النجاح والتطور والاتساع ليتمكن من تأدية مهماته فى عملية تعزيز الاستقلال الوطنى وبناء القاعدة الاقتصادية المتينة وفى توفير السلع للمواطنين بأسعار مناسبة . بعيدا عن التقلبات فى الاسعار وعن الازمات التى تسهم فى افتعالها الاطماع الاحتكارية والقوى المعادية للشعب .

كانت السياسة المالية ، طوال العهود السابقة ، مضطربة ومرتجلة وغير مرتبطة بمصالح الجماهير وقضاياها الاساسية الوطنية والقومية . وكما تحقق السياسة المالية دورها الاساسى فى بناء النظام الديمقراطى الشعبى الوحدوى فانها يجب أن تقوم على اساس الالتزام العلمى الواضح والثابت بمصالح الجماهير الاساسية وقضاياها المصيرية الوطنية والقومية ، وذلك بتوجيه ابواب الصرف فى الميزانية نحو شئون الدفاع الوطنى والتنمية والتعليم والصحة والضمانات الاجتماعية والخدمات العامة .

ويرى الميثاق ضرورة اعادة النظر فى السياسة الضريبية بما يضمن وضع نظام عادل للضرائب وتخفيض الضرائب غير المباشرة على السلع الانتاجية والادوية والمواد الاستهلاكية الاساسية .

كما يرى الميثاق ضرورة اتخاذ كل ما يسهم فى خلق وعى اتتمانى لدى الجماهير بهدف تعميق الشعور لديها للاشتراك فى بناء المجتمع .

الاهـــــداف الاجتمـــاعية

٣ -

لقد سادت فى مجتمعنا ظروف شاذة وامراض خطيرة عبر قرون السيطرة الاجنبية والاضطهاد الطبقى وتحكم الفئات الفاسدة والدكتاتورية . فعطلت قدرة الجماهير على العمل والانتاج والابداع ، وارهقتها بقيود الظلم والتخلف .

ولقد كان شعار القضاء على الفقر والجهل والمرض ، احد الشعارات الاساسية فى كفاحنا على الصعيدين القطرى والقومى . وان هذا الشعار ما يزال يحتل مكانته الرئيسية بين اهداف الثورة ، التى تطمح الى تحقيق التغيير الجذرى والشامل فى الاوضاع الاجتماعية ، ضمن نظرة وحدوية اشتراكية ديمقراطية .

وان المنطلق فى التغيير الذى تسعى اليه الثورة ، هو الايمان العميق بالجماهير وبدورها الخلاق فى صنع التاريخ وبناء الحضارة الانسانية . لذلك فان الثورة وفى ظل العمل الوطنى المشترك لبناء المجتمع الثورى الجديد ، تسعى الى تأمين كل الشروط الاجتماعية اللازمة لصيانة حرية المواطن وكرامته وتمكينه من العمل والانتاج والابداع . وتحريره من كل القيود التى تعطل قدراته ومطامحه الانسانية . ويمكن تلخيص المهمات التى تواجه الثورة ، فى هذا الميدان بما يلى :

١ - اعتبار العمل حقا وواجبا على كل مواطن قادر عليه ، والقضاء التام على البطالة بكل أشكالها .

٢ - توفير الضمان الاجتماعى للمواطنين وتأمين الحياة الكريمة لهم ضمن خطة تنسجم مع تطور الثورة وامكانات الدولة .

٣ - تامين العناية الصحية والدواء والوقاية من الامراض واعتبار حياة الانسان قيمة أساسية ، يجب الحفاظ عليها بكل الوسائل وذلك ضمن خطة علمية متصاعدة تنسجم مع امكانات الدولة فى كل مرحلة .

٤ - نشر التعليم ، بكل فروعه بين المواطنين كافة ، وربطه بشكل مخطط ، باهداف التطور والتنمية وبالقضايا الوطنية والقومية . ووضعه على اسس تؤمن تنشئة الجيل وفق متطلبات اهداف الثورة ومطامح الجماهير الشعبية ، ضمن العلائق والقيم الديمقراطية الاشتراكية الوحدوية . وتستهدف الثورة ، فى مرحلتها الراهنة ، تطبيق خطتها فى الزامية التعليم ، على صعيد المرحلة الابتدائية ، وصولا الى المرحلتين التاليتين المتوسطة والثانوية . والقضاء على الامية هو احد الشروط الاساسية لتحقيق التغيير الجذرى فى الاوضاع الاجتماعية باتجاه التقدم . وقد سعت الثورة الى تسريع عمليات القضاء على الامية ، ولكن هذه المهمة ما تزال تتطلب الكثير من الجهود والطاقات ، وتتحمل المنظمات الشعبية وفصائل الطلبة والمثقفين ، مسئولية المساهمة الواسعة النطاق لانجازها باسرع وقت .

٥ - تامين السكن الصحى واللائق لجميع المواطنين وفقا لمقتضيات المرحلة وامكانات الدولة . وتستهدف الثورة فى المرحلة الراهنة ، تحديد بدلات الايجار بشكل يتناسب مع دخل المواطن ويحميه من الجشع والابتزاز ، كما تستهدف تشجيع المؤسسات الاجتماعية التعاونية ، التى تعمل على توفير السكن لمنتسبيها . وتتحمل الدولة مسئولية أساسية فى بناء وحدات سكنية كبيرة فى كافة انحاء القطر تتوفر فيها شروط الصحة والمواصلات والثقافة والامن .

٦ - ان المراة التى عانت من كل ظروف الاستعباد والاستغلال والتخلف التى عاشها شعبنا عانت بالاضافة الى

ذلك من ظروف سيئة خاصة بها اهدرت انسانيتها وعطلت مساهمتها الحرة والواعية والمبدعة فى الحياة الانسانية . لذلك فان العناية الخاصة بالمرأة للانتقال بها الى أوضاع جديدة هى هدف أساسى من اهداف عملية التغيير الاجتماعى .

ان تحرير المرأة من ترسبات النظرة الاقطاعية والبورجوازية ومن الظروف والقيود التى كانت تعاملها وكأنها مجرد متاع او مواطن من الدرجة الثانية ، واجب وطنى وقومى مقدس يجب النضال من أجله بكل ايمان وحماسة .

ان مجتمعنا الذى يواجه مهمات النضال ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية والتخلف ، وضد الكثير من الاخطار المحدقة بمصيرنا يجب ان لا يحرم من الدور الفعال والنشيط الذى يمكن ان تؤديه المرأة ، وهى التى تشكل نصف المجتمع .

كما ان تحرر المرأة من كل القيود والمعوقات المتخلفة هو البداية الصحيحة لتنشئة جيل جديد قادر على تحمل مسئولياته الوطنية والقومية .

الثقافة والفنون والاعلام

- ٤ -

ان الثقافة والفنون والاعلام هى من أرقى ثمار الحضارة الانسانية ومن أكثر الوسائل التى ابتكرها الانسان ، قوة وتأثيرا فى التعبير عن أوضاعه الاجتماعية وعن مشاعره ومطامحه وتطلعاته . ولقد كان لكل مرحلة من مراحل تطور الانسان ثقافتها واعلامها وفنونها الخاصة ، بحكم الارتباط الجدلى بين هذه الفروع وبين النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى . لذلك فان من الطبيعى والمشروع ان تكون للنظام الثورى الجديد ثقافته واعلامه وفنونه التى تعبر عن مبادئه وأوضاعه وعن تطلعاته ومطامحه .

ان الثقافة والاعلام والفنون الثورية تنشأ فى المجتمع القديم وتناضل للتعبير عن نفسها ، ولاحتلال مواقع التأثير بين صفوف الجماهير . وعندما ينهار المجتمع القديم ، وتصل الثورة الى السلطة لابد من تكريس انتصارها الحاسم والشامل على ثقافات وفنون واعلام المجتمع القديم . وتكون العلاقة بين ثقافة واعلام وفنون المجتمع القديم ومجتمع الثورة الجديد علاقة جدلية ذات مظهرين : الاول ، هو الارتباط الحى والواعى وذو النظرة التاريخية التطورية العميقة . بالتراث ، والثانى هو الطموح الى تكوين اعلام وثقافة وفنون جديدة تعبر تعبيرا كاملا عن أوضاع المجتمع الجديد وحاجاته ومشاعره وتطلعاته .

ان المرحلة الراهنة .. مرحلة بناء المجتمع الثورى الديمقراطى الوحدوى ، وصولا الى الاشتراكية ، تشترط الاطارات والمهمات التالية فى حقول الثقافة والفنون والاعلام :

١ - ان أعلام الثورة وثقافتها وفنونها هى التى تنطلق من النظرة القومية الديمقراطية الاشتراكية المتفاعلة مع الثقافة الانسانية عامة والتقدمية خاصة والمنفتحة عليها وهى التى ترتبط ارتباطا حيا بالجماهير ومصالحها وقضاياها ومشاعرها وتطلعاتها مع الحرص على احترام حرية اختيار أشكال التعبير وأساليبه والحفاظ على مقومات عملية الخلق والابداع .

٢ - النضال الحازم والواعى ضد الافكار والنظريات والتيارات والاساليب ، التى تروج للطائفية والشوفينية والعنصرية والشعوبية والاقليمية وروح الانهزام والليبرالية ، وتخدم الامبرياليين وركائزهم من اقطاعيين وبرجوازيين وكل أعداء الثورة ، وما يتفرع عنها وما تفرزه فى كل مرحلة ، وتنقية المؤسسات الاعلامية والثقافية - والفنية منها ، ومن العناصر التى تؤمن بها وتروج لها بأشكال مباشرة أو غير مباشرة .

٣ - الحفاظ على التراث العربى ، واستكشاف كل المعانى الانسانية والتقدمية فيه ، والاهتمام بنشره بين الجماهير وفى العالم ، وكذلك الاهتمام بالتراث الانسانى لحضارة وادى الرافدين ، - وبالتراث القومى الكردى ، وبالخصائص الفولكلورية لجميع القوميات والاقليات فى القطر .

٤ - توفير الامكانيات لبناء مؤسسات راقية للثقافة والفنون والاعلام ، وتطويرها باستمرار لتواكب روح العصر وتقدمه ، ونشرها بشكل واسع بين صفوف الجماهير ، وامدادها بالكفايات المؤمنة بالثورة وأفكارها وطموحاتها والاستفادة من كل الخبرات الوطنية والعربية والعالمية فى هذه الميادين .

٥ - النضال ضد النظرة السلبية تجاه العمل الثقافى والفنى والاعلامى ، ورفع المكانة الاجتماعية والمستوى المعاشى للعاملين فى هذه الحقول الطليعية ، وتشجيع الشباب على الانخراط فيها .

٦ - تؤدى الجامعات ، فى هذا العصر ، دورا مهما ورائدا فى حياة المجتمعات باعتبارها احدى الوسائل المهمة فى نشر الوعى والمعرفة واعداد الكوادر العلمية فى مختلف الاختصاصات . وفى قطرنا يكون لهذه المؤسسات دور خاص فى مواكبة عملية الثورة واسنادها لتنفيذ كافة متطلبات التغيير الاجتماعى لصالح النضال الوطنى والقومى . وعلى هذا الاساس ، يرى الميثاق ، ضرورة تدعيم المؤسسات الجامعية ومعاهد البحث العلمى فى الاتجاه الذى ينسجم مع مطامح الجماهير فى تسريع عمليات التغيير الاجتماعى والاقتصادى ، لاقامة المجتمع الديمقراطى الشعبى الموحد وصولا الى الاشتراكية . وهذا لا يتم الا من خلال تنقية هذه المؤسسات من كل التيارات اليمينية والليبرالية المعادية لفكر الثورة ، والتى تعيق تقدمها . ومن خلال - اصلاح المناهج فى التعليم الجامعى بشكل يضمن انسجامها مع منطلقات الثورة وبرامجها فى التنمية والحاجة الماسة الى تطوير وتوسيع الدراسات العلمية والتكنولوجية .

تتحدد سياسة الثورة فى المجال العربى بهويتها الوحدوية التقدمية الديمقراطية الشعبية ، ومن ايمانها بالاشتراكية . وان المهمة التاريخية للثورة : هى الاسهام الكامل الفعال والطليعى ، فى حركة النضال العربى وفى تحقيق أهدافه التى تتلخص ، فى بناء المجتمع الديمقراطى الاشتراكى العربى الموحد .
وسبيلا للتعبير عن هذه السياسة وتحقيق أهدافها . يرى الميثاق :

١ - النضال الحازم والشامل ، بكل الوسائل ، ضد الامبريالية ونفوذها ومصالحها ومرتكزاتها ، وتحرير كل جزء من الاجزاء العربية منها ، والتصدى بشدة لمحاولاتها التسلل الى الوطن العربى بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

٢ - التصدى الحازم لاية محاولة أجنبية تستهدف اغتصاب اى جزء من أجزاء الوطن العربى ، أو فرض الهيمنة عليه ، أو اقتطاعه ، ولما كان الخليج العربى يتعرض اليوم الى محاولات متواصلة تدبرها الجهات الامبريالية وحكومة شاه ايران العميلة ، تستهدف محو عروبته واغتصاب بعض اجزائه . فان النضال ضد هذه المحاولات واجب وطنى وقومى مقدس .

٣ - النضال بكل الطرق لتحقيق الوحدة العربية الشاملة على أساس تحررى وديمقراطى شعبى ، وعلى أساس تكون فيه الجماهير هى الاداة الفاعلة فى صنع عملية الوحدة التاريخية ، وكذلك النضال ضد الاشكال الزائفة للوحدة وفضحها وتعريتها لانها تهدف الى تشويه جوهر الوحدة وتشكل أسلوبا من أساليب التآمر عليها .

٤ - ان قضية تحرير فلسطين من الاغتصاب الصهيونى ، قضية مركزية فى النضال العربى ، وهى مرتبطة جدليا بالنضال من أجل التحرر والوحدة وبناء الاشتراكية ، وعلى أساس حق شعب فلسطين بالعودة الى أرضه المحررة وممارسة حقه الكامل فى تقرير مصيره فيها ، ويعنى ذلك شجب كل الحلول والمشاريع الاستسلامية الهادفة الى تصفية قضية فلسطين أو تمييعها بحلول جزئية .

٥ - ان تحقيق هذه المهمات القومية الكبيرة يتطلب حشد الجماهير العربية ضمن صيغ كفاحية فعالة ، وان الكفاح الشعبى المسلح وبصورة خاصة على الجبهة الفلسطينية وحيثما تفرضه الضرورة فى كل جزء من أجزاء الوطن العربى ، هو أسلوب أساسى لا يمكن الاستغناء عنه .

٦ - تحقيق وحدة العمل المشترك بين كافة القوى والفصائل الثورية والوطنية التقدمية فى كل مكان ، وبتوثيق أواصر الصعيد الشعبى ، فى الوطن العربى وداخل كل قطر ، من أجل توفير أكبر الطاقات وأكثرها فعالية فى النضال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية .

٧ ـ دعم التغييرات الثورية فى الاقطار العربية ، ومساندة الحركات التحررية والوطنية التقدمية • بما يعزز أهداف النضال العربى ويعمق مسيرته التاريخية •

انطلقت السياسة الخارجية للثورة من هويتها التقدمية والمعادية للامبريالية وتحددت على أساسها • كما انطلقت من الايمان بان ثورة السابع عشر من تموز والثورة فى الوطن العربى هى جزء حيوى وفعال من الثورة العالمية المعادية للامبريالية • وخلال المرحلة الماضية • عبرت الثورة فى الحقل الدولى عن هذه الهوية بالانحياز الكامل والحازم الى معسكر الشعوب المناضلة ضد الامبريالية والعدوان والتمييز العنصرى • وبمساندة الحركات التحررية العالمية والقوى التقدمية فى كل مكان ، وبتوثيق أواصر العلائق معها ومع الدول الاشتراكية • وكان من أبرز معالم هذا النهج ، توسيع العلائق السياسية والاقتصادية والثقافية مع الدول الاشتراكية • والاعتراف بجمهورية المانيا الديمقراطية وبالحكومة الثوريه لفيتنام الجنوبية وحكومة الاتحاد الوطنى فى كمبوديا ، ومساندة كل القوى المناضلة من أجل الحرية والتقدم فى العالم •

رأى الحزب الشيوعى العراقى فى مشروع ميثاق العمل الوطنى

أصدر المكتب السياسى للحزب الشيوعى العراقى بيانا حول ميثاق العمل الوطنى بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٧١ وفيما يلى نصه الكامل :

تناول حزبنا باهتمام مشروع ميثاق العمل الوطنى الذى طرحته قيادة حزب البعث العربى الاشتراكى وباشرت هيئات الحزب القيادية بدراسته ومناقشته ،ولكن قصر الفترة التى انقضت على تسلم حزبنا نسخة من هذا الميثاق واعلانه على الرأى العام لم تسمح الا باعطاء تقييم عام لمضامين واتجاهات الميثاق •

وقد ثمن حزبنا خطوة عرض ميثاق العمل الوطنى فى هذا الظرف الذى يشعر فيه كل الوطنيين أن التعاون بين الاحزاب والقوى الوطنية واقامة جبهة موحدة بينها قد بات ضرورة لا تحتمل التأجيل وذلك لمجابهة العدوان الاسرائيلى والمخططات الامبريالية والصهيونية والرجعية التى تفاقمت مخاطرها مؤخرا ـ سواء على صعيد حركة التحرر الوطنى وبلادنا العربية ككل أم حركتنا الوطنية وبلادنا ولانجاز المهمات الصعبة والمعقدة التى تواجه شعبنا العراقى وأمتنا العربية • ويرى حزبنا مبدئيا ان مشروع الميثاق المقترح يتضمن أسسا صالحة للتعاون الوطنى خصوصا اذا ما اقترن السعى للاتفاق عليه بمناقشة جادة تستهدف وضعه بصيغة مقبولة من جميع الاطراف المدعوة للتعاون •

ان فى اساس تقييم حزبنا هذا هو :

أولا : ـ ان مشروع الميثاق من حيث مضامينه واتجاهاته الرئيسية معاد للامبريالية وهو من خلال ذلك يحدد أهدافا اساسية وملموسة للكفاح الوطنى التحررى ويدعو القوى الوطنية المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية الى التعاون من اجل تحقيق هذه الاهداف •

ثانيا : ـ ان مشروع الميثاق يؤكد على أهمية الاستمرار فى توثيق علاقات التعاون مع الدول الاشتراكية واعلان الانحياز الكامل والحازم الى معسكر الشعوب المناضلة ضد الامبريالية والعدوان •

ثالثا : ـ ان مشروع الميثاق يرسم برنامجا تقدميا للتحولات الاقتصادية ـ الاجتماعية ويعتبر ـ طريق التطور الراسمالى طريقا مرفوضا من الناحية المبدئية •

رابعا : ـ يؤكد مشروع الميثاق على الحل السلمى الديمقراطى للمسالة الكردية وبان ـ بيان الحادى عشر من آذار هو الاطار السليم لضمان الحقوق والتطلعات القومية المشروعة لشعبنا الكردى بما فيها الحكم الذاتى •

ويرى حزبنا ان التأكيد على هذه المسالة الحيوية وتنفيذها نصا وروحا يتسم باهمية خصوصا فى هذه الايام التى تلوح فيها بوادر سلبية فى العلاقة بين الحكومة وحزب البعث من جهة وبين الحزب الديمقراطى الكردستانى من الجهة الثانية • كما يرى أن تحلى جميع الاطراف باعلى درجات اليقظة والتصرف بحكمة وروية لمعالجة هذه الظواهر وتجاوزها هو أمر يتجاوب مع مصالح الشعب فى وحدته الوطنية وتعزيز التحالف الكفاحى بين الشعبين العربى والكردى •

خامسا : ـ الى جانب ذلك يستخلص مشروع الميثاق فى مقدمته بعض الاستنتاجات الهامة من تجارب الاخطاء والاخفاقات التى منيت بها الحركة الثورية فى العراق وفى العالم العربى وأخصها :

ا ـ رد أسباب الهزائم والنكسات الى نزعة تغليب التناقضات الثانوية بين فصائل الحركة الثورية على التناقض الرئيسى القائم بينها من جهة وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية من جهة أخرى •

ب ـ التاكيد من خلال ذلك ومن خلال الاخطار الحالية المحدقة بالعراق والعالم العربى على اهمية العمل المشترك التحالف الكفاحى بين الشعبين العربى

لقد لاحظ حزبنا باهتمام فقرة فى مقدمة مشروع الميثاق تشخص بشكل صائب وجهة الكفاح الوطنى التحررى الذى تتطلبه المرحلة الراهنة ومضمون هذه الفقرة هو :

ان الاتحاد بين مختلف أطراف الحركة الوطنية والتقدمية يجب ان يقوم على أساس تشديد الكفاح ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية وتمكين الجماهير من قيادة معركتها • كما تتضمن نصا يدعو الى :

ـ توفير كل الاجواء الديمقراطية الثورية لهذه الجماهير وتصفية كل مظاهر الاضطهاد ضدها وضد مؤسساتها السياسية والنقابية والثقافية •• الخ

وانطلاقا من هذا الموقف يؤكد الميثاق فى مجال السياسة الخارجية ما يلى :

١ ـ التمسك الحازم بسياسة النضال ضد الامبريالية فى العالم ورفض كل أشكال التبعية ودعم حق الامم والشعوب فى تقرير مصيرها ، وشجب سياسات العدوان والاغتصاب والتمييز العنصرى ·

٢ ـ مقاومة الاحلاف والمشاريع والتكتلات العسكرية العدوانية والسياسات الامبريالية التى تهدد أمن الشعوب وسلامتها وتعرض السلام العالمى الى الخطر .

٣ ـ تعزيز العلائق مع دول وشعوب المعسكر الاشتراكى بما يضمن المصالح المتبادلة ويرجح كفة النضال العالمى لدحر الامبريالية وتصفية نفوذها ·

٤ ـ تعزيز وتطوير العلائق مع حركات التحرر الوطنى والقومى ، فى قارات اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية خاصة ، ومع جميع حركات التحرر فى العالم عامة ، بما فيها الحركات العمالية والشعبية والتقدمية فى أوربا والولايات المتحدة الامريكية .

٥ ـ بناء علائق صداقة وتعاون مع كل الدول التى تقف موقفا ايجابيا من قضايانا ومصالحنا الوطنية والقومية ·

ان مستلزمات النضال الظافر ضد الامبريالية والصهيونية والقوى الرجعية يتطلب فى رأينا التاكيد على بعض المبادىء المرتبطة إرتباطا كليا وعضويا بهذه المستلزمات ·

أولا ـ فى مقدمة هذه المستلزمات وأهمها على الاطلاق تصفية كل مظهر من مظاهر الاضطهاد ضد الجماهير ومؤسساتها السياسية ـ وخصوصا احزابها الوطنية ·

اذ لا يمكن الجمع بين الدعوة الى الكفاح ضد الامبريالية وبين اضطهاد أية قوة وطنية معادية للامبريالية ·

ان حزبنا الذى دعا مؤخرا وبشعور عال من المسئولية الى فتح صفحة جديدة من التعاون او العلاقات الايجابية يهمه جدا ان يرى خاتمة نهائية وحاسمة لكل مظاهر الاضطهاد ضده وضد اية قوة وطنية أخرى ·

ثانيا ـ لكى يتحقق تعاون وطنى كفاحى وفعال يتطلب الامر بداهة ـ وكما ورد فى مشروع الميثاق ـ ضمانات باطلاق ـ كافة الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب وقواها الوطنية والتقدمية بما فيها حرية الاحزاب السياسية والجمعيات الاجتماعية والمهنية والنقابات وحرية الصحافة والراى والمعتقد وغيرها من الحريات الاساسية ·

وبهذا الصدد يلاحظ حزبنا :

ا ـ ضرورة اطلاق هذه الحريات من كل قيد قانونى لاحق ·

ب ـ يقيم ايجابيا اهمية النص على حرية الاحزاب السياسية ·

ثالثا ـ وبالتالى فمن أهم الضمانات الأساسية للنظام الديمقراطى اقامة المؤسسات الدستورية ووضع الدستور الديمقراطى الدائم وانهاء فترة الانتقال فى وقت محدد ·

ويعتقد حزبنا ان هذه الامور يمكن الاتفاق عليها من خلال الحوار المباشر والهادف الى التوصل الى افضل صيغة للتعاون · يلاحظ حزبنا من جهة أخرى استعراضنا فى مشروع الميثاق لمنجزات حزب البعث العربى الاشتراكى خلال السنوات الثلاث التى أنقضت على وجوده فى الحكم تلك المنجزات التى حظيت بتاييدنا ومساندتنا · ويرى ان تثبيتها هو أمر مفهوم بالنسبة لحزب يقود السلطة السياسية فى البلاد ولكن مشروع الميثاق كوثيقة معروضة للتعاون مع الاحزاب والقوى الاخرى يتطلب فى رأينا تثبيت بعض المبادىء الاساسية فى التعامل مع هذه القوى ولاسيما احزابها السياسية المنظمة وفى مقدمتها الاحترام المتبادل بينها كاحزاب سياسية مستقلة أيديولوجيا وسياسيا وتنظيميا فبالنسبة لحزبنا مثلما لسائر الاحزاب الوطنية الاخرى دوره المشهود فى المسيرة الثورية الطويلة لكفاح شعبنا ·

ان هذه النقاط وبضمنها بوجه خاص الافكار الواردة فى مشروع الميثاق عن النظام السياسى وقضايا الديمقراطية وكذلك فيما يتعلق بطبيعة المرحلة وببعض الحلول المقترحة للقضايا العربية والكردية هى من الامور التى يمكن التفاهم والاتفاق عليها من خلال حوار مباشر بين الاحزاب والقوى الوطنية ·

ويعتقد حزبنا ان اللقاء المباشر والمناقشة الانشائية الهادفة والاسترشاد بروحية التعاون المخلص هى الوسيلة الافضل لاختزال الوقت ولوضع مشروع الميثاق المقترح فى صيغة أكثر كمالا ودقة وبحيث تكون مقبولة فى سائر الاطراف الوطنية المدعوة الى التعاون ·

ان حزبنا اذ يتخذ هذا الموقف انما ينطلق من سياسته المبدئية الثابتة ازاء اهمية التعاون والجبهة التى انتهجها على الدوام ، ومن المصالح الوطنية والقومية الجذرية ، ولا سيما مصالح الجماهير الكادحة التى ما انفكت تدعو وتناضل من اجل أن تلتقى احزابها وقواها الوطنية فى جبهة موحدة ووفق برنامج كفاحى يقود خطى الشعب فى طريق التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعى ·

بغداد فى ٢٧ ـ ١١ ـ ١٩٧١

المكتب السياسى

للحزب الشيوعى العراقى

التراث: إعادة نظر

الطليعة



العدد التاسع — سبتمبر ١٩٧٢

أدب الستينات (٩)

لعبة البراءة والديمومة والتحقيقات المستمرة

في هذا العدد



بهاء طاهر



عبد الوهاب البياتى

التراث : اعادة نظر

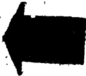
ادب الستينات : لعبة البراءة والدينونة والتحقيقات المستمرة

- مسرح : جروتوفسكى .. والمسرح الفقير
- سينما : المؤثرات الادبية في السينما المصرية
- قصة قصيرة : الاحزان القديمة
- وقصيدة : تحولات نيتوكريس في كتاب الموتى

التراث
اعادة نظر

غالي شكري

لاسبيل لثورة ثقافية عميقة دون أن تشمل قضية « التراث » باعادة نظر جذرية تتناول كافة « المحرمات » التي عانى الفكر العربي من تجاهلها أمدا طويلا . ولعله من المفيد القول بأن ثمة مضاعفات خطيرة قد طرات على موقفنا من التراث خلال السنوات العشرين الماضية .. فالحق أن جيل الرواد منذ نهايات القرن الماضي الى بدايات هذا القرن ، قد تصدى لكثير من المشكلات الاساسية التي واجهتنا مع الحضارة الاوروبية الوافدة ، وفي مقدمتها مشكلة «العلمانية» التي عالجها رفاعة رافع الطهطاوي ومشكلة « تحرير المرأة » التي عالجها قاسم أمين ومشكلة الخلافة التي عالجها علي عبد الرازق في « الاسلام وأصول الحكم » ومشكلة «الشعر الجاهلي» التي عالجها طه حسين . هذه كلها ليست أكثر من نماذج للتحدي الذي تحمل اعباؤه رواد فكرنا الحديث في مواجهتهم الشجاعة لتراثنا . وبالرغم من كل ما لاقوه وعانوه من عنت ومن أهوال ، فقد كانت « موجتهم » عنصرا نشيطا من عناصر فجر « النهضة » التي تعرضت لانتكاسة لم يعد ميسورا ولا مباحا معها بعد حوالي نصف قرن أن تناقش — مجرد المناقشة — هذه الاصول التي تجاوزها الزمن وطرح بالاضافة اليها عديد من القضايا استحدثتها روح العصر .. فالزمن لا يتوقف اذا توقفنا نحن ، بل هو يضاعف مسئولية التحرك والتزامات التقدم .





رفاعة الطهطاوى



قاسم أمين

□ الطريق الى التراث !؟

وربما كانت أولى المهام التى يتعين على ثورتنا الثقافية ان تباشرها فى هذا الصدد ، هى أن تنزع كافة ما يحيط كلمة « التراث » من لبس وغموض ، وأن تؤسس منهجا جديدا يتناول هذه القضية على ضوء منجزات العصر ، وأن تحاول الربط بين متغيرات النظر الى التراث والنظر الى المجتمع ربطا جدليا عميقا ومحكوما برؤية موضوعية لحركة التاريخ .

على ذلك ، فان طرح موضـــــوع « الاصالة والمعاصرة » بمعنى أن الاصالة هى التراث والمعاصرة هى أوروبا ، يعد طرحا خاطئا ومبتورا وضارا .. اذ يمكن طرح المشكلة ثوريا على أســـــاس ان الاصالة هى « الواقع بكل ما يشتمل عليه من عناصر ومن بينها التراث » والمعاصرة هى « استخدام المنهج العلمى فى التفكير » .

لقد ظلت اجيال بعد اجيال فى الفكر العربى الحديث أسيرة هذا التناقض الشكلى المفتعل بين ذاتنا القومية الاصيلة والحضارة العـــالمية المعــاصرة . كان السلفيون من أدبائنا ومفكرينا يرون فى التراث ملجأ لهم من الرياح القادمة من وراء البحار ، وكان المجددون يرون فيها قوة دافعة للشراع المطوية الســـاكنة منـــذ قرون وقرون ، وكان المعتـــدلون يكتفون بالقول أن قدما هنا وقدما هناك تكفل لنا البقاء فوق أرضنا وأن نتنسم الهواء الجديد فى وقت واحد . وقد كان الخلط بين الاصالة والتراث ــ ولايزال ــ هو السبب الحقيقى لاتخاذ هذه المواقف الشكلية ، قبولا ورفضا وحلا وسطيا .. فلو اعتبرنا الاصالة هى « الواقع » بكل شموله وعناصره لرفضنا من التراث الشىء الكثير مما يعوق حـركة الواقع وتقدمه ، وتصبح أصالتنا هى ذلك الرفض الواعى للوجه السلبى فى التراث .. ولو اعتبرنا الاصالة مرة أخرى هى « الواقع » الحى فى الماضى والحاضر والمستقبل ، لقبلنا من الاخرين دون عقد أو مركبات نقص ما يمكن أن يوجـــه حاضرنا الى آفاق ارحب وأعمق ، بل لعلنا نجد لدى الاخرين الذين سبقونا فى مضمار التقدم ما يفتح عيوننا على جوانب من تراثنا ما كنا لنراها بغير ما اكتشفوه من أدوات البحث العلمى الحـــديث . وهكذا تتدعم أصالتنا بمزيد من الاختيار الحر لما فى التراث من قيم دافعة لحركة المجتمع ، والانفتاح المستنير على الدنيا من حولنا ، ويظل « الواقع » معيارا وحيدا للرفض والقبول ، وضابطا وحيدا لحركة الاختيار والانفتاح . حينئذ تختفى المعاصرة كمرادف للاستيراد من أوروبا وتختفى الاصالة كمرادف للتراث ، وتمسى أصالتنا ومعاصرتنا رهنا بموقفنـــا من واقعنا ، تصورنا له وحركتنا داخله ، هل نراه واقعا موضوعيا مستقلا من مواطفنا ؟ وهل نتحرك به فى اتجـــاه المستقبل ؟ هذه الرؤية وحدها هى التى ستمدنا بما نحتاج اليه من التراث ومن الحضارات الاخرى ، وقبل ذلك وبعده بما نحتاج اليه من خلقنا وابداعنا ، اى ما ينبغى أن نضيفه الى جهود السالفين من أجدادنا ، والمعاصرين لاجيالنا فى ارجاء العالم الواسع .

لقد كان جيل الرواد معذورا حين فزع فريق منه الى أحضان التراث خوفا من المجهول القادم مع « الغزاة » .. ذلك أن لقاءنا بالحضارة الحديثة قد تم فى مناخ بالغ التعقيد ، كان حملة مشاعل هذه الحضارة ممن يحملون فى نفس الوقت أسلحة « الاستعمار » . وسواء فى ذلك من كان يهرع منهم الى الحضارة الاسلامية أو الى الحضارة الفرعونية ، فالنتيجة واحـــدة هى نســـج وســـادة رومانسية دافئة دفء الماضى العريق وآثاره العتيدة . ولكن الرومانسية لم تكن هى المرض العضال ، وانما حين تطورت الى نوع من الشوفينية فانهـــا تحولت الى حائط عنصرى أصم . ان رفع راية الامجاد القديمة فى وجـــــه المستعمرين ، كانت فى البداية لونا من المقاومة السلبية ، ولكنها سرعان ما تحولت الى « نظرية » عرقية مدمرة . وكذلك فقد كان جيل الرواد معذورا حين فكر فريق منه فى ضرب الاستعمار بأسلحته وفضل الانتماء بصورة مطلقة الى الحضارة الغربية ، لقد نسى هـــذا الفريق فى غمرة انبهاره بالعلم الحديث وأساليب العصر ان الابحار بعيدا عن أرض الواقع الصلبة سيتوقف به عند حدود « الحلم » وان الغرب لن يحقق له هذا الحلم ، بل هو من أجل ان يصبح « حضارة عظيمة » كان عليه أن يلتهم أحلام الاخرين وان يزيد واقعهم تخلفا . وهكذا فان العودة الى التراث كالانتماء الحضارى للغرب كانا مجرد رد فعل مذعور أمام الرياح القادمة من وراء البحار ، كانا ابتعادا من الواقع ، هروبا منه ، والتحاقا بالبساط السحرى للسلف أو بمظلة الثقافة الغربية على السواء . وكان الوسطيون الذين رأوا الحل السعيد فى الاخذ من القديم والجديد أصحاب نظرة أفقية تبصر الامور مـــن السطح ، وأصحاب رؤية كمية تستهدف التراكم . و « البعد من الواقع » بكافة عناصره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعقلية والوجدانية ، هو الاساس النظرى لهذه المحاولات الثلاث . والبعد عن الواقع بهذا المعنى ، هو فى اللحظة نفسها ، بعد عن الاصــــالة والمعاصرة معا .. لان الاصالة ليست « شكلا تراثيا » والمعاصرة ليســـت « شـــكلا غربيا » . وانما الاصـــالة والمعاصرة كلاهما « محتوى كيفى جديد » نحصل عليه بالمعرفة الرأسية ـ العمقية ــ لواقعنا ، باختراق كافة طبقاته الاجتمـــاعية والتـــاريخية والنفســـية ، والتلوث بكل ما يشتمل عليه ترابه ، لا بالطيران من فوقه الى كهوف السلف ولا بالتعلق بأشرعة السفن القـــادمة من المجهول ، ولا بوضــع أحد القدمين هنا والاخرى هناك . تلك كلها كانت حلولا عاطفية سهلة . اما استبصار عميـق أعماق واقعنا بتحليله واعادة تركيبه فى « منظور » جديد يستهدى بما يحتاج اليه موضوعيا من التراث أو الغرب ، فهو الابداع العقلى الخلاق الذى يكفينا حقا عناء كبيرا ، ولكنه أيضا يضيف الى التجربة الانسانية شيئا جديدا .

□ الانبثاق عن واقعنا :

على ان خلطا آخر بين « التراث » و « الطابع القومى » و « الواقع » يثير من المشكلات مالابد معه من التفرقة الواضحة بين هذه التعبيرات التى يؤدى استخدامها أحيانا كمترادفات الى فوضى فكرية مخيفة . ويبدو هذا الخلط على سبيل المثال فيما يرد على لسان البعض من أن هذه الفكرة أو تلك « منبثقة من واقعنا » أو أنها تحمل طابعنا القومى ، أو أنها بنت تراثنا ، وكأن التعبيرات الثلاثة تعنى شيئا واحدا . ان الطابع القومى هو جماع التقاليد المنحدرة الينا



طه حسين

منذ انصهرت بعض المجموعات البشرية لاحد الشعوب فى وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية ذات تكوين تاريخى وجغرافى ونفسى مشترك . لذلك ، فان عصر القوميات الاوروبية مثلا هو عصر النضال ضد الاقطاع والنبلاء ، عصر « السوق » البرجوازى الجديد الذى يحل مكان « الارض » بكل ما يشمل عليه هذا التحول من فروق بين قيم الزراعة وقيم الصناعة . من هنا كانت الليبرالية هى مجموعة التقاليد الديمقراطية التى رسختها فى الحياة الاوروبية سواعد الطبقات الشعبية والبرجوازية فى مواجهة الاقطاع والكنيسة . ومن هنا أيضا كانت مجموعة الكشوف العلمية التى رافقت الانقلاب الصناعى من ثمار اليقظة القومية الوافدة مع الثورة البرجوازية . ومن هنا كذلك كان ميلاد فن جديد يلائم وجدان الطبقة المتوسطة البازغة هو فن الرواية . تلك كلها ، وغيرها كثير ، كانت « العناصر » التى شكلت ما يسمى « الطابع القومى » لفرنسا وانجلترا والمانيا وغيرها من الاقطار الاوروبية ، مع اختلاف فى التفاصيل . الطابع القومى فى بلادنا يتخذ شكلا مختلفا ، فالنضال ضد الاستعمار هو البوتقة التى انصهرت فيها وحدتنا القومية .. ولقد اتسع نطاق هذه الوحدة ليضم بعض العناصر الاقطاعية ، والحكومة المركزية فى وادى النيل مثلا ، لم تكن انجازا قوميا ، بل كانت تراثا قديما . بينما كانت وحدة عنصرى الامة — المسيحيين والمسلمين — من اهم ملامح ثورتنا الوطنية . كذلك فان منازلة الاستعمار ، كانت تجرى جنبا الى جنب مع الانفتاح على الغرب فى العلم والفكر والصناعة . من هنا يصبح النضال ضد الاستعمار والوحدة الوطنية ومقاومة التخلف الحضارى من أبرز سمات « طابعنا القومى » .

أما التراث ، فليس مرحلة تاريخية بعينها ، انه سابق على التكوين القومى للشعوب وتال له فى نفس الوقت ، فهو جماع التاريخ المادى والمعنوى للامة منذ أقدم العصور الى الان . لذلك فهو أيضا أبعد ما يكون عن التجانس ، لانه وثيق الارتباط بمتغيرات لا حصر لها من ظواهر الحياة المتنافرة والمنسجمة ، الحية والجامدة ، التى عرفتها مجتمعات ما قبل التاريخ وبقية العصور والبيئات البدوية والرعوية والقبلية والعشائرية والزراعية وغيرها. هكذا يتحدد دور التراث فى حياتنا بما قد يضيفه الى « المرحلة القومية » من مؤثرات ، سلبية أو ايجابية . لقد اكتشف الاوروبيون فى عصر نهضتهم أن تراثهم اليونانى والرومانى يستطيع أن يمدهم بعناصر التحدى اللازمة لمواجهة المؤسسة الدينية — البابوية والكنيسة الكاثوليكية — التى كانت فى اللحظة عينها مؤسسة اقطاعية معادية للعلم ومتحالفة مع النبلاء . التراث اذن ليس هو الطابع القومى ، ولكنه قد يسهم فى مشاركة اليقظة القومية . الخطأ الفادح الذى تورط فيه الفكر العربى هو أنه نظر الى تراثنا نظرة جزئية من ناحية ، وتعميمية من ناحية أخرى . هى نظرة جزئية لانها حددت « مولد » تراثنا بالفتوحات العربية ، وأصبح « الاسلام » وحده هو كل تراثنا . وهى نظرة تعميمية لانها لم تركز على فترة الازدهار العظيم الذى عرفته الحضارة الاسلامية ، بل خلطت الحابل بالنابل . بالاضافة الى ذلك فقد كانت نظرة شكلية لم تؤثر ايجابيا باستلهام التراث ، بل آثرت الطريق السهل بالنقل الحرفى والتطبيق الميكانيكى واختزلت حضارة كاملة فى دعوة سياسية مباشرة تتجاوز « الطابع القومى » و « الواقع » معا .. ان تراثنا أغنى من أن يحد بمرحلة حضارية واحدة ، فمن بابل وآشور ، ومن الفراعنة والفينيقيين وغيرهم من بناة الحضارات القديمة ، ومن اليهودية والمسيحية والاسلام وغير هذه الديانات من الرسالات الروحية والاجتماعية والفكرية الكبرى ، ينحدر الينا تراث ضخم لم يلق للاسف ما هو جدير به ، وما هو جدير بنا من تحقيق وتمحيص — قبل الرفض والقبول — ابان يقظتنا القومية . لقد انشغلنا بالمباراة بين التراث العربى والحضارة الغربية ومحاولة التوفيق بينهما . وكان الانجاز التاريخى المطلوب هو استعادة ذاكرتنا الحضارية بكل محتوياتها ، مهما تعارضت وتناقضت .. فقد كان البحث فى أغوار هذه الذاكرة وما تتضمنه من طبقات حضارية راسبة فى لاوعينا كفيلا بأن يحل العقدة التى صادفتنا مع الحضارة « الغربية » الوافدة . كان كفيلا بأن يجيب على « سؤالنا القومى » .. بل لعله كان يطرح « الازمة » طرحا جديدا .. فالغرب نفسه قد اخذ من تراثنا القديم والوسيط ما دعم به بنيان « حضارته » .. أى أننا كنا سنكتشف أن حضارته هذه ليست حضارته وحده ، انها التتويج — غير النهائى — لحضارات اخرى ، نحن منها . ولقد اسهم « الغرب » بالطبع منذ عصر النهضة ، وقبل ذلك فى العصر اليونانى ، فى بناء هذه الحضارة .. ولكننا نحن أبناء هذه المنطقة من العالم قد أسهمنا بدورنا فيما لا ينكره علماء الحضارة الغربية أنفسهم . وحين أخذ الغربيون عن الاشوريين والفراعنة والفينيقيين والعرب لم يرتعب بعضهم ويسمى هذا الاخذ « استيرادا أجنبيا » كما نفعل بعضنا ولايزال . الحضارة فى جوهرها « انسانية » لها دورات جدلية تعتمد الاخذ والعطاء .. ونحن حين نأخذ من الحضارة الحديثة لا « نستورد » ولا نطلب من الغرب أن يسدد « دينا » ، لان الحضارة حضارتنا كما هى حضارتهم بلا زيادة أو نقصان ، والامتناع من « الاخذ » هو تنكر لتراثنا الذى يشكل عنصرا تاريخيا من عناصر تكوين هذه الحضارة ، وهو أيضا تنكر لقيمة « العطاء » الذى يرفع جباه أجدادنا عاليا . انسانية الحضارة — وهى حقيقة موضوعية — تقينا شر الزلل فى براثن العنصرية من ناحية ، والعدمية القومية من ناحية أخرى ..

فالذين يتصورون تراثنا فى قوقعة صدفية منيعة لا تأخذ ولا تعطى يترددون فى وهاد الرؤية العرقية للعالم ، والذين يفضلون الابحار نهائيا يصدقون الابواق الاستعمارية القائلة بأن لا تراث لنا ولا حضارة ، ومصيرهم الوحيد هو الضياع لانهم لن ينجحوا مهما فعلوا فى الانتماء العضوى الى الاخرين . والسبب هو اننا لم نطرح فى ذروة صحوتنا القومية تراثنا طرحا تاريخيا جدليا ، لم نكتشف وحدته وتنوعه ، لم نبحث تراكماته الكمية وتغيراته الكيفية .. وبالتالى لم نتعرف على اعظم ما فيه ويمكن أن يشكل لنا عناصر التحدى اللازمة لمواجهة ميلادنا القومى . وهكذا ضاع تراثنا كمؤثر ايجابى فى هذا الميلاد ، بل شارك جزء منه تم اختياره بنظرة ضيقة وسطحية ، جزئية وتعميمية ، فى صدنا عن قبول الحضارة المعاصرة التى اتخذت

لاسباب عنصقيدة مؤكزها الراهن فى أوروبا .

ولقد بلغ الامر من البشاعه حدا أن بعضا من أصحاب الافكار النازية عن « العروبة » راحوا يتهمون كل من يذكر احدى مراحلنا الحضارية السابقة على الاسلام بالشعوبية والاقليمية ، ولا أدل على هذا التفكير الضار والمتخلف معا من أن لجنة الشعر المصرية بالمجلس الاعلى للفنون والاداب قد أصدرت فتوى عام ١٩٦٤ تهدر فيها دماء الشعراء المجددين لمجرد انهم يستخدمون فى شعرهم « رموزا يونانية » ، هذا لا ينفى من ناحية أخرى أن افكار اقليمية داعبت الفاشسية كأفكار مصر الفتاة والقوميين السوريين قد استمدت من بريق المجد القديم سلاحا ضد التقدم . ان هؤلاء وأولئك — سواء بسواء — ينزلقون الى مهاوى العنصرية بتفتيتهم مراحل التاريخ وتمزيقه الى وحدات منفصلة منغلقة على ذاتها تبدأ من القول بأن سومر أو مصر القديمة أو فينيقيا هى « أصل الحضارة » وتنتهى كالقائلين بالحضارة الاسلامية وحدها الى اننا خير الامم وأعظم الشعوب وأخلد العالمين . والحقيقة أن ماتحتاج اليه هو صياغة تراثنا الحضارى صياغة موضوعية أبعد ما تكون عن الاهواء والدعوات السياسية الموقوتة ، صياغة « توحد » هذا التراث فى سياقه التاريخى رغم «تنوع» هذا التراث ، و « تناقضات » هذا السياق . جنبا الى جنب مع هذه الصياغة ، نحتاج الى وضع تراثنا فى مكانه من تاريخ الحضارة الانسانية . فالقضية ليست ملكنا وحدنا ، كما ان حضارة الغرب ليست ملكهم وحدهم ، لقد تأثر تراثنا وأثر ، أخذ واعطى ، والضرورة العلمية تقتضى رصد هذه المجموعة من المؤثرات والتأثيرات المتبادلة حتى نحدد « البعد الانسانى العام » لتراثنا . اذا آمنا بأن الحضارة الانسانية دورات جدلية لا تنتهى ، فلابد من أن تكون هذه الحضارة قد استوعبت وتمثلت عبر التاريخ أعظم وأروع ما فى تراثنا من قيم وتقاليد .. فاذا اتخذت مركزها الحالى فى الغرب ، فان هذا لا ينفى اننا شركاء فيها ، واننا لن نستطيع أن نضيف اليها اضافة خلاقة ذات وزن الا اذا عانينا مشقة اكتشاف تراثنا وتراث الانسانية جمعاء من جديد .. هذا « التفاعل التاريخى الجدلى » بين الفكر العربى والتراث لم يتم ، رغم مضى حوالى الف سنة على تدهور الحضارة العربية العظيمة ، ورغم قرابة القرنين من الزمان على فجر نهضتنا

□ الاصالة والمعاصرة :

ذلك ، لان الاسترشاد العلمي باحتياجات «واقعنا» ـ وهو البوصلة الفكرية القادرة على هذا الانجاز التاريخى — لم يصل الى مستوى الوعى الثورى للطبقات التى قادت عصر النهضة فى بلادنا . لقد ظلت شمس العصر المملوكى الذهبية أمدا طويلا وكأنها الضوء الوحيد الذى يملأ كياننا ، وظلت السلطنة العثمانية وخلافتها المقدسة أمدا طويلا وكأنها الفردوس المفقود . واختلطت أحلام الفكر العربى الحديث بمعانى التراث والطابع القومى والواقع اختلاطا مفزعا حجب الضوء الحقيقى والفردوس الارضى .. فكما ان التمايز بين التراث والطابع القومى لم يكن واضحا فى مخيلة هذا الفكر ، كذلك فان « الواقع » كان فى الاغلب الاعم اسقاطا ذاتيا على الحقائق الموضوعية . ان الواقع كطرف فى معادلة طرفها الاخر هو الذات المدركة ، كان غائبا عن وعى الفكر السائد ، ويبدو انه لايزال غائبا الى الان بالنسبة لقطاعات عريضة فى ثقافتنا المعاصرة . أن واقعنا الذى تنبثق عنه ، أو ينبغى أن تنبثق عنه لدى البعض ، كل أفكارنا وأساليب حياتنا ، ليس هو « الحلم الشخصى » الذى تسقطه الذات على ما حولها .. بل هو مجموعة الحقائق الموضوعية المستقلة عن مواطفنا ورغباتنا ، والموجودة شئنا أو لم نشأ ، رأيناها أو عمينا عنها . والجهد الخلاق الذى يمكن أن « تعطيه » الذات ، هو ادراك هذه الحقائق — المادية والمعنوية ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية — ادراكا علميا صحيحا . وهذا ما يعيدنا الى بداية حديثنا عن الاصالة والمعاصرة ، فاذا كانت الاصالة هى الواقع بكل ما يشتمل عليه من عناصر ومن بينها التراث ، فالمعاصرة — مرة أخرى — هى «استخدام المنهج العلمى فى التفكير» . الواقع تحكمه مجموعة من القوانين الموضوعية التى توجز شكلا ومضمونا ، حركة التاريخ وصراعات المجتمع . والارادة الفاعلة للانسان ، هى اكتشاف هذه القوانين المضمرة فى باطن الحركة الاجتماعية ، والسيطرة عليها وتوجيهها صوب التقدم . وهذا ما أدعوه باختراق الواقع أو النظرة الرأسية — العمقية له ، على نقيض النزعة الغالبة على الفكر العربى الحديث من تجاوز للواقع ومفارقة له ، اى النظرة الافقية — السطحية . وهى النظرة التى ترى فى « العودة » الى التراث العربى أو الفرعونى أو الفينيقى منقذا من الضلال ، تماما كالنظرة التى ترى فى « الذهاب » الى الحضارة الاوروبية أو الامريكية ، هذا المنقذ من الضلال . كلتا النظرتين — رغم التناقض الظاهرى بينهما — يلتقيان ، فهما يتجاوزان الواقع الماثل الى « شكل » معد سلفا ، عند الاجداد أو لدى الغرباء . وهما لا يستفيدان على هذا النحو من الاجداد ولا من الغرباء ، لان هؤلاء وأولئك « أبدعوا » نموذجهم الخاص . لو أننا أخذنا منهما فكرة الابداع ذاتها ورحنا نؤكد ونعانى الخلق الجديد ، لكنا أحفادا أوفياء . وسوف نلاحظ ـ بالدراسة العميقة الموضوعيه للتراث ـ ان الاجداد فى أعظم نتاجهم تبادلوا التأثير والتأثر مع الغير ، وانهم لم يكونوا فى عصور ازدهارهم منغلقين على النفس مكتفين بالذات . ان التفكير المثالى هو الذى انعكس واضحا فى تجاوز مفكرينا الواقعهم . لقد أسقط مفكرونا المثال الذهنى على الواقع ولم يفعلوا العكس : أن يدركوا أبعاد هذا الواقع ، طبيعته وتكوينه ، وعلى ضوء هذا الادراك يحددوا امكانيات التغيير ووسائله وأهدافه . بل ان ادراك الواقع بهذا المنظور ، هو نفسه الذى يحدد موقفنا نحن المعاصرين من التراث ، تراثنا وتراث غيرنا . سوف نكتشف أن كل تراث فى مختلف العصور ، حتى مايسمى بالشعبى منه ، كان يجسد احلاما متناقضة ، بعضها يعبر عن وجدان المقهورين وبعضها الاخر يعبر عن وجدان قاهريهم . والفرز والتبويب والتصنيف والتوثيق من المهام الاولية الواجبة ، على أن تتلوها مباشرة عملية التقييم التحليلى الامين البعيد عن الاهواء العارضة ، وأخيرا تجىء أقدس الواجبات وهى ترشيح أكثر عناصر التراث قدرة على الاسهام فى تغيير « واقعنا » . وسوف نكتشف فى تراثات الاخرين ماغاب عن تراثنا ولابد من استلهامه فى حركة التغيير . غير أن ادراك الواقع الذى يحدد لنا ماذا ومن اين نأخذ ، هو المقدمة الاولى والاساسية والتى أسميها باستخدام المنهج العلمى فى التفكير . لقد كان المجتمع الراسمالى هو المادة الخام التى اجرى عليها ماركس وانجلز أبحاثهما ، ولكن الاقتصاد السياسى البريطانى والاشتراكيات الطوبوية الفرنسية والفلسفة الالمانية كانت العناصر المنهجية الاولى فى بناء النظرية الثورية ، كما كانت الطاقة والخلية ونظرية داروين هى النواة الاولى لاكتشافهما المنهجى المتكامل . اى أن تفاعلهما — هما الالمانيان — مع التراث الانجليزى والفرنسى ، وتمثلهما لمنجزات العلم فى عصرهما ، وارتباطهما الوثيق بحركة الواقع موضع الدراسة ، هو الذى أدى بهما الى تأسيس المنهج العلمى فى التفكير الثورى . ولم يخطر على بال لينين ورفاقه انه « يستورد » بضاعة أجنبية حين طبق الماركسية على المجتمع الروسى ، ولكنه أيضا لم «ينقل» ، لم يتجاوز واقعه ، بل استرشد بالمنهج فحسب فى رؤية هذا الواقع رؤية راسية ـ عمقية . بهذا المنهج تعرف لينين من جديد على تراثه القديم وتقاليده القومية ورأى — وتلك اضافته التاريخية — انه ليس مستحيلا تغيير هذا المجتمع القيصرى المتخلف الى الاشتراكية .

ولقد كان لينين أول من تصدى لفريق من المثقفين المتحمسين الذين رفعوا راية

الثقافة البروليتارية فى مواجهة التراث، قال لهم بوضوح وحسم « لا اختلاق ثقافة بروليتارية جديدة ، بل تطوير خيره نماذج وتقاليد ونتائج الثقافه الموجودة من وجهة نظر الماركسية عن العـالم » كما جاء بالحرف بمختاراته المعنونة « فى الثقافه والثورة الثقافية » [ص ١٤٦] وحين سأل بعض الشباب عما يقرأون وأجابوا مايكوفسكى ابتسم لينين وقال انه يفضل بوشكين [ص ٢٢١ نفس المصدر] . وكتابات ماركس وانجلز عن التراث اليونانى وشكسبير وبلزاك وغير ذلك من مختلف العصور تشكل فىمجموعها مجلدا كاملا « فى الادب والفن » . ولكن تبقى المشكلة هى استخدام المنهج العلمى فى التفكير الذى يمكن بواسطتهتحليل الواقع تحليلا موضوعيا ثم « تركيب » النظرة اليه تركيبا ثوريا غير منفصل عن حركة هذا الواقع . ان عظمة لينين الحقيقية هى أنه أدرك واقعه ادراكا ثوريا ، عايش هذا الواقع معايشة حارة حتى النخاع ، لم يتجاوزه بنقل يوتوبيا جميلة واسقاطها ذهنيا عليه ، بل شارك فى صراعه وتناقضاته حتى وهو على قمة السلطة ، مشاركة حسية فاعلة وصلت به الى حافة الاغتيال .

ولكن لينين لم يتحرك داخل واقعه بفروسية العصور الوسطى ، بل كان مسلحا بأحدث منجزات التفكير العلمى ، بالماركسية . والابداع الثورى ، منذ ذلك الوقت ظل رهنا بالقدرة الخلاقة على التفاعل بين الواقع والنظرية الثورية . تلك ، بالضبط ، هى عظمة الثورة الروسية والثورة الصينية والثورة الفيتنامية والثورة الكوبية ، وبقية الثورات الاشتراكية التى استطاعت أن تضيف الى التجربة الانسانية تراثا جديدا من ابداعها الخاص ، من وحى تاريخها وتقاليدها القوميةوتطبيقها الخلاق للمنهج العلمى . هذا التراث هو تراثنا بقدر ما نستطيع تمثله والاضافة اليه ، بادراك موضوعى عميق لواقعنا وتغيير جذرىلهذا الواقع . حينذاك يصبح تعبير « الانبثاق عن واقعنـا » والمراد به القوقعة داخل قشرة صدفية محكمة الاغلاق ، تعبيرا مضللا .. لان واقعنا ليس حلما زاهى الالوان من الفراديس القديمة او الجديدة ، وانما هو مجموعة من الحقائق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتعارضة فيما بينها تعارض الطبقات الاجتماعية التى تضمها هذا الواقع . واتجاه تغيير واقعنا – من ثم – سوف يختلف من طبقة الى أخرى . ومن هنا تتباين مواقف الفكر الثورى من « التراث » و « الطابـع القـومى » و «الواقع» عن مواقف الفكر المضاد للثورة .. فالاول باستخدامه المنهج العلمى فى التفكير يحصل على مؤشرات تختلف عن مؤشرات الفكر الاخر . لن يعود الخلاف بين التراث العربى القديم

ماركس

انجلز

لينين

والحضارة العربية ، ولن يعود الحل السعيد هو التوفيق بين الفريقين ، ولن يصبح الخلاف ويمسى بين دعاة التراث القديم حول ما اذا كان المعتزلة والقرامطة هم الافضل ، أو الباطنية والاشعرية ، ولن يصبح الخـلاف ويمسى بين دعاة الحضارة الغـربية حول ما اذا كانت المدرسة الانجليزيةهى الافضل أو المدرسة الفرنسية أو الامريكية . وانما سـوف يتحدد الخلاف حول « مصير » واقعنا : هل هو الى التبدد والضياع ، أم الى النماء والتقدم .

□ وكان الادب رائدا :

ان المعـادلة التى لم يوفق فكرنا الاقتصادى والاجتمـاعى والسياسى فى حلها ، كان الادب والفن فى أهم نماذجه قـادرا على التصدى لهـا . ويبدو لى أحيانا كثيرة ان أهمية توفيق الحكيم التاريخية هى أنه ارتاد هذه الطـريق المجهـولة ، فهو لم يتردد طويلا وهو يخلق فنا جديدا على اللغة العربية أمام ما اذا كان هذا الفن قد عرفه أسلافنا أم لا ، وانما راح يستبصر أبعاد الواقع المصرى استبصارا عميقا ، واكتشف أن بعض قوالب الأدب والفن الغربى – كالرواية والمسرح – قادرة على تجسيد هذا الواقع حتى ولو لم يكن التراث قد عرف هذا الشكل أو ذاك . ان توفيق الحكيم – مع هذا – لم « يستورد » قالبا فنيا بعينه من الغرب ، وانما كان « الواقع » الموضوعى مستقلا عن عواطف الفنان الذاتيه ، هو البوصلة التى وجهته نحو الغرب من ناحيه الشكل ، ونحو التراث الفرعونى والمسيحى والاسلامى من ناحية الرمز ، ونحو الثورة الوطنية الديموقراطية من ناحية المضمون .

هكذا جاءت «عودة الروح» و «يوميات نائب فى الارياف » و « أهل الكهف » و « شهرزاد » ابداعا مصريا خالصا ، عانى صاحبه فى خلقه عسر « التركيب » بين عناصر متباينة ، تآزرت فى صياغة مرحلة جديدة كيفيا فى الادب العربى . لقد أخلص توفيق الحكيم لواقعه أولا ، وبادراكه النفاذ لهذا الواقع ، اكتشف انه على صعيد الفن ، لم تعد المقامة العربية هى أداة التعبير المثلى ، وانما اكتشف أن السرد الروائى والحوار المسرحى هما هذه الاداةالمعادلة موضوعيا لما يجرى فى باطن الواقع من تحولات تختلف جوهريا عما كان عليه مجتمع المقامات العربية . ولكنه من ناحية أخرى، اكتشف فى التراث الاوزيرى وفى تاريخ المسيحية وفى القرآن موادا ملهمة . وكان الفلاح المصرى والثورة المصرية هى المحور الجاذب للشرق والغـرب فى تكوين عمله الفنى . من هنا كانت « عودة الروح » و « أهل الـكهف » ميلادا قوميا للرواية المصرية والمسرح المصرى ، رغم المؤثراتالاجنبية والتراثية التى دخلت فى تكوينهما . كانالواقع من ناحية والايمان بوحدة التراث وتاريخيته من ناحية أخرى ، هما الاطار الحقيقى لهذه « الثورة » الكاملة فى تاريخنا الادبى . ان توفيق الحكيم لم يمصر نصوصا أجنبية ولميعرب تجربتهالمصرية ، بل عانى معاناة الانبياء فى اكتشاف الصيغة الحضارية الملائمة ليقظتنـا القومية،وهو طريقصعب ، ولكنه الطريق الصحيح ، والطريق الاخـر – سواء بالنقل الحرفى من الغرب او التراث – هو الطريق السهل ، لكنه أيضا الطريق الخطأ .

وليست مصادفة أن يلد هذا المعنى – الاخلاص للواقع أولا – كل ثورات الادب الحقيقية ، فالذين تجاوزوا توفيقالحكيم على خشبة المسرح ، وفى مقدمتهم نعمان عاشور والفريد فرج ويوسف ادريس وميخائيل رومان ومحمود دياب ، ممن يمكن أن نطلق عليهم – رغم تباين الاجيال والاتجاهات والتجارب – أصـحاب « الثورة الثانية » كان الواقع المصرى هو المركز الجاذب ، لعناصر التراث والتجديد فى أعمالهم . وسوف نكتشف فى هذه الاعمال تأثرات هائلة بتاريخ المسرح العالمى عبر مختلف العصور ، وتأثرات مماثلة بالتراث العربى والسامر الشعبى المصرى .. ولكننا سنكتشف قبل ذلك كله وبعده أن « الواقع » هو



حسين فوزى

الاب الشرعى والتجربة الاساسية التى امتصت وتمثلت وابدعت هذا الفن الجديد الذى يتلاءم مع طبيعة المرحلة الجديدة من مراحل ثورتنا القومية : مرحلة البحث عن مضمون اجتماعى أكثر تقدما يلبى الاحتياجات الموضوعية لجموع الشعب. وهى المرحلة التى أثمرت منذ أواخر الاربعينات ثورة التجديد فى الشعر العربى. وليس من قبيل المصادفة أن الغالبية العظمى من رواد التجديد فى شعرنا الحديث ، كانوا من الثيبوار على مجتمعاتهم المتخلفة الفقيرة المغلولة فى قيود الاستعمار القديم أو الجديد . ان بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتى وعبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبدالصبور وادونيس وأحمد عبد المعطى حجازى ، لم يترددوا فى التخلى عن العمود الخليلى ، ولم يترددوا فى استلهام تجارب اليوت وسان جون بيرس جنبا الى جنب مع تجارب ناظم حكمت واراجون والوار وبابلونيرودا .. ولكن التخلي عن العمود التقليدى واستلهام تجارب الاخرين لم يكن « لعبة » من العاب الهواة ، فشعر هؤلاء الرواد الجدد قد تفاعل تفاعلا حرا عميقا مع التراث الاشورى والبابلى والفرعونى والمسيحى والعربى ، تماما كتفاعله مع التراث الانسانى القديم والحديث خارج ديارنا . وكان هذا التفاعل محكوما بضابط واحد هو معيار الاصالة والمعاصرة فى ثورتهم : الواقع بكل ما يشتمل عليه من صراع وتناقضات . لهذا جاءت أعمالهم « ثورة كاملة » فى تاريخ الشعر العربى، ابدعها واقعنا نفسه ، قبل أن يستجيب لها الشعراء ، واقبلت عليها الجماهير العربية قبل ان يستجيب الناشرون لهذا الاقبال . وقد كان شعراؤنا قادرين على تقليد السلف أو نقل الغرب كما هو ، ولكن عملهم حينذاك ــ وقد أقدم عليه البعض ــ مآله السقوط .. كسقوط الذين حاولوا فى المسرح والرواية والشعر أن « يستحدثوا » قالبا شكليا كالوعاء الزجاجى من الغرب ، وأن « يضمنوه » محتوى موغلا فى التخلف كالخمر الفاسدة . هؤلاء ايضا سقطوا . لان القضية الحقيقية هى معاناة الخلق فى ايجاد الصيغة الفنية القادرة على تمثل الواقع تمثلا ثوريا .. وهو الامر البعيد كل البعد عما يعنيه البعض بتعبير « الانبثاق عن واقعنا » حيث يقصد فريق منهم « الحل الوسط » كما يتضح مثلا من كتاب يحيى هويدى « حياد فلسفى » أو كما يقصد فريق آخر « العودة الى التراث » بمعناه الجزئى المعمم ، أى حصره فى دائرة الحضارة الاسلامية دون اختيار لازهى عصورها. ليس هذا انبثاقا حقيقيا حيا عميقا من واقعنا ، بل هو استناد كسول على وسائد الحلول التلفيقية بالنسبة للمنادين بالحياد ، أو الوسائد الجاهزة المعدة سلفا بالنسبة للمنادين بالتراث . وكلاهما يتجاهل الواقع الموضوعى : اما تطبيقا آليا لدعوة « عدم الانحياز » السياسية كنوع من الانتهازية الفكرية ، واما ارتباطا صريحا بدعوة سياسية اخرى ممعنة فى الرجعية والتخلف . وهكذا تحول شعار « الانبثاق من واقعنا » الى نقيض معناه اللغوى ، فبدلا من ادراك هذا الواقع ادراكا علميا صحيحا ومحاولة تغييره فى اتجاه التقدم التاريخى ، يهدف أصحاب الشعار الى تحييد حركة هذا الواقع فى أطر ملفقة اذا حسنت النوايا وفى أطر تتقهقر بنا الى الوراء اذا ساءت ، وفى الحالين معا لا يتم ادراك الواقع وتحليله ، وانما يسقطون عليه اخيلتهم الذاتية بصورة مفروضة من عل . ويقع الفريقان كلاهما فى مأزق حقيقى : فالذين يرفعون شعار « الانبثاق » بمعنى الحل الوسط بين الشرق والغرب ، أو بين المادية والمثالية ، يكتشفون بعد حين أنهم معلقون فى فراغ اذا تم هذا « الحياد » باستبعاد ما هو شرقى وما هو غربى على السواء .. اذ يجدون أنفسهم فى مرحلة حضارية متخلفة تحتاج الى تكنولوجيا الغرب ، ويجدون انفسهم تحت ضغوط الاستعمار والاستعمار الجديد بحاجة الى الشرق . فاذا استبعدوا الطرفين ، باتا فى العراء المطلق ، واذا جمعا بين الطرفين تولدت على الفور تناقضات لا حصر لها . ومن هنا يرى المنادون بالتراث فرصتهم كبديل للملفقين ، وهم بالفعل أكثر اتساقا وتماسكا من الوسطيين ، فهم يطرحون الماضى بديلا للحاضر بشرقه وغربه ، والحد الادنى من الاتفاق بين السلفيين هو التراث الاسلامى ، ولكنهم يعودون فيختلفون فيما بينهم حول مراحل هذا التراث الواجبة التطبيق ، وان كانت الغالبية منهم تمشيا مع سلفيتها ترفض على صعيد الفكر عقلانية المعتزلة وابن رشد وثورية القرامطة وتستظل براية الغزالى حينا وبالفكر العثمانى فى معظم الاحيان .

ان التوفيقيين والسلفيين كليهما ، بعدم انبثاقهما الحقيقى من الواقع بل بتجاهلهما له ، يقعون ويوقعون غيرهم فى تناقض حاد بين الحلم والواقع ، بين الوهم والحقيقة . التوفيقيون مثلا يحبذون مثلا ــ وبالحاح متصل ــ أن نستورد



الفريد فرج



توفيق الحكيم

التكنولوجيا الغربية الحديثة ، ويحاربون باصرار وعناد ما يسمونه استيرادافكريا من الغرب ،وهم ينسون بذلكأو يتناسون، أن الالات والماكينات والعقول الالكترونية ليست مجرد تركيبة صماء من الحديد والصلب بل هى ثمرة « الفكر » و « التراث » الغربى ، والانسانى عامة . واقتصارنا على قطف الثمرة دون معرفة عميقة بجذورها الفكرية والعقلية ، قد لا يحول بيننا وبين « استهلاكها » و « الاستمتاع » بها ، ولكنه الاستهلاك السطحى والمتعة العابرة . ويبقى بعدها أن تعاملنا مع احدث منجزات التفكيرالغربى بعقلية تغاير جوهر هذا التفكير بل هى تتخذ منه — وجدانيا — موقفا معاديا ، سببا رئيسيا فى هذا « الفصام »الذى نشاهدآثاره بوما بعد يوم بين الانسان العربى والتكنولوجيا الغربية [الينست حرب حزيران شاهدا لا يدحض على صدق هذا التصور ؟] . اننا لا نمانع غالبا فى جلب المصانع من الخارج ، ولكننا نرفض الفكر الصناعى ونتشبث بعقليتنا الزراعية او البدوية ، بل نحن نتمادى فى استخدام ادوات الثورة الصناعية الثانية كالعقل الالكترونى ، ونتمادى فى نفس الوقت فى اجترار افكار العصور الوسطى . وتتسع الهوة بيننا وبين « روح » العصر لحظة بعد اخرى ، لان « الانبثاق عن واقعنا » يعنى لدى البعض منا ان نستوردالثمرة دون البذرة ، ان نستورد العلم دون المنهج العلمى .

ان الحصول على النتائج واستنكارنا الفعلى للمقدمات التى أدت اليها ، يجعل منا مجموعة شرهة من « المستهلكين » للحضارة لا « مشاركين » فيها . ان ما يلزمنا حقا ، ليس هو المقدمات وحدها او النتائج وحدها ، وانما هو «السياق» الذى تجيىء الالة فى خاتمة المطاف مجرد مرحلة من مراحله المتصلة ، هذه الالة التى لا يمكن فهمها بتمزيق صلتها بما سبقها من مراحل ، انها ليست مجموعة من المعادلات الرياضية بالحديد والصلب والكهرباء ، انها أكثر من ذلك ، كائن حى ، وتجسيد عميق للفكر البشرى ، انها — أيضا — تعبير بالغ الرقى عن التراث .

☐ احياء التراث وقتله :

ولا يقل انفصام شخصيتنا تمزقا حين ينادى الاخرون باحياء التراث ، وكأن التراث ميت يحتاج الى احياء ، هؤلاء يقلبون القضية رأسا على عقب : فأكثر جوانب التراث سلبية تعيش بين ظهرانينا فى حياتنا اليومية وفى حياتنا الثقافية على السواء . ونظرة موضوعية امينة على عاداتنا العقلية وسلوكنا الاجتماعى ، على اساليبنا الاخلاقية ووسائلنا التربوية ، على عواطفنا ومشاعرنا ، ما نبطنه منها وما نظهره تصل بنا الى قرار موضوعى يقول أن الوجدان القبلى والعشائرى والرعوى والبدوي والزراعي والطائفى هو الوجدان التراثى الغالب على تكويننا النفسى . واذا كان اتصالنا الحضارى بالغرب قد ادخل المعامل والمصانع والجامعات ،فانه رغما عنا قد ادخل بعض المظاهرالمتصلة بالعلم والتصنيع . وتتناقض هذه المظاهر مع باطننا ولا وعينا تناقضا صارخا اليما وفاجعا . من هذه الزاوية ،فالدعوة الى احياء التراث تصبح غير ذات موضوع اذا لم تقترن بتمويت جذرى لتراثنا السلبى الحى فى يقظتنا ومنامنا ، واذا لم تقترن باحياء حقيقى لازهى عصور تراثنا وتراث العالم . والاحياء او القتل ليس مقصودا به هذا الجانب الشكلى او ذاك من اعادة طبع وشرح وتفسير الكتب القديمة . فتمويت تراثنا السلبى لا يتاتى باحتراق الكتب — فملايين الفلاحين الفقراء والمتخلفين اميون لا يقرأونها وانما التراث السلبى فى دماهم واسلوب حياتهم — وكذلك احياء التراث الايجابى ، ليس بالتوثيق وحده يمكن أن يتم — فكم من خاصة المثقفين يقرأون كتب التراث ؟ — وانما يتأتى الاحياء الحقيقى للتراث باستلهامه فيما يؤثر فى اعرض قطاعات جماهيرية قارئة وامية على السواء . كذلك فالموت الحقيقى للتراث السلبى الغالب ، لا يتاتى ألا بعمليتين متوازنتين ولكن جدليتان هما تغييرالتكوين المادى — الاقتصادى الاجتماعى — تغييرا ثوريا فى وقتواحد مع تغيير التكوين الثقافى — الفكرى والوجدانى — تغييرا ثوريا كذلك [يطول هنا الحديث ويتكرر حول عمل سياسى منظم لمحو الامية ، تغيير مناهج التعليم من المرحلة الابتدائية حتى الجامعات .. الخ] .

والمفارقة الجديرة بالنظر ، ان السلفيين وحدهم هم الذين ينظرون الى قضية احياء التراث نظرة شكلية تكتفى بالدعوة الى توثيقه ، وهم بذلك يحصرون تاثيرهم الفعلى فى بضععشرات من المؤرخين والاكاديميين . بينما نلاحظ ان التقدميين انصار التجديد والثورة هم الذين يستلهمون التراث استلهاما حيا فاعلا فى نفوس أوسع رقعة جماهيرية . ان التفسير اللامع الذى اعطاه عبيد



نعمان عاشور

الرحمن الشرقاوى لحياة « محمد رسول الحرية » أو محمد عمارة فى كتابه الممتاز « مسلمون ثوار » انما يستمد قيمته الحقيقية من ارتباطه الوثيق بمشكلات « الواقع » الذى نعيشه ، وارتباطه الاكثر عمقا بمنجزات « المنهج العلمى فى التفكير » . الكتابان كلاهما صفحات مشرقة من تاريخ الاسلام ، ولكن « الاختيار » و « التحليل » هو الذى يمنحها صفات الايجابية والفعالية والقدرة على التأثير فى مجريات تطورنا الفكرى والروحى . ولقد شهد المسرح المصرى عروضا بالغة الجاذبية والروعة فى « الفتى مهران » و « حلاق بغداد » و « السلطان الحائر » و « ايزيس » و « مأساة الحلاج » وبين دفتى كتب « الحسين ثائرا » و الحسين شهيدا » و « الراهب » وغير ذلك من اعمال امتصت التراث وتمثلته ، تراثنا وتراث غيرنا ، ثم بعثته حيا متجددا بروح الواقع والعصر . هذا هو الفرق بين الذين « يتكلمون » عن احياء التراث وبين الذين يحيونه بالفعل : الاولون يقتلون اعظم ما فيه بتكفينه فى كهنوت التفاسير والورق المصقول ، والاخرون يهبون اروع ما فيه شرارة الحياة الجديدة المعاصرة . الاولون فى واقع الامر يشكلون جبهة الثورة المضادة للتراث ، والاخرون يشكلون طليعة الثورة داخل التراث . وهكذا لا تعود القضية كما كانت فى زمن المراهقة الفكرية : هل انت مع او ضد التراث ؟ ولكنها تعود الى شكلها الطبيعى : ما هى وجهة النظر التى تتبناها ازاء التراث . ووفق موقعك الفكرى والاجتماعى تكون اجابتك بل وحركتك : مع الثورة او مع الثورة المضادة . ان السلفيين يتسقون فى دعاواهم مع ذواتهم واوهامهم الجوانية ، اكثر من ذلك انهم يتسقون مع انتماءاتهم الطبقية وارتباطاتهم الاجتماعية واتجاهاتهم السياسية ، ولكنهم — وهنا يلتقون حتفهم — يفتقدون الاتساق مع حركة الواقع فى شمولها وصيرورتها .. فالجمود التوفيقى عند اهل الوسط ، والتخلف عند اهل الوراء ، يتعارضان جذريا مع الاحتياجات الموضوعية للواقع والتطلبات المتطورة له ، والمستقلة عن رغبات وعواطف كل منهما . هذا التعارض الذى ينتهى فى التطبيق العملى الى الهزائم المرة الساحقة .

غير أنه يتعين على التقدميين الذين برهنوا على وفائهم العميق للتراث ، بأن اضافوا بالخلق والابداع الى روح الاباء والاجداد ورفضوا التقمص والتناسخ ، يتعين عليهم الا ينزلقوا فى مواجهة الحملة الضارية باسم التراث والتى يحمل لواؤها الرجعيون القدامى والجدد فى مهاوى المزايدة البعيدة عن روح العلم . ان التراث — حتى فى ازهى عصوره — يجسد مصطلحا حضاريا محددا . وكما لا ينبغى فرض هذا المصطلح على حياتنا الحديثة ، كذلك لا ينبغى ان نفعل العكس ونفرض مصطلح الحضارة المعاصرة على التراث القديم . ان اقصى ما نستطيعه فى هذا الصدد هو الاستنارة بأدوات البحث العلمى الحديثة فى رؤية التراث رؤية جديدة ، وهو ما ندعوه باعادة التقييم . اما فرض المصطلح الجديد على التراث القديم بهدف سياسى نبيل هو اقناع الاخرين بأن الاشتراكية مثلا ليست غريبة على تراثنا — فهو يحمل من المجافاة عن روح العلم ما يبتعد بالمحاولة فى المدى الطويل عن الهدف النبيل .

بل قد يجيء برد فعل عكسى نتيجة ما نتوهم أنه « أرض مشتركة » ، فوق هذه الارض يكسب الرجعيون بغير شك لانها فى الاصل أرضهم وليست ارضنا . اقول ذلك وفى ذهنى كتابان لا يفتقران الى الجهد الحماسى للاشتراكية والنظرية الثورية ، هما « اليمين واليسار فى الاسلام » لاحمد عباس صالح و « المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد » لمحمد عمارة . ان هذين الكتابين ، اولاهما فى التاريخ والاخر فى الفلسفة ، يصلحان كنموذجين واضحين على هذا الفرض المتعسف لمصطلح معاصر على سياق حضارى بعيد تماما عن دلالات هذا المصطلح الذى تبلور وتكون فى ظروف تاريخية مغايرة . ولا يعيب التراث مطلقا انه لم يعرف الاشتراكية أو المادية ، ولكن يعيبنا نحن أن نبدو كما لو كنا نعتذر عن الاشتراكية بأبى ذر الغفارى ، وعن المادية بابن رشد ، وعن شعرنا الحديث بأبى نواس وابى تمام كما فعل أدونيس فى «مقدمة للشعر العربى» . والحقيقة ان القيم الايجابية والسلبية فى التراث هى قيم تاريخية ، اى ان مكانها من التاريخ هو الذى يحدد مدى تقدمها أو تخلفها بالنسبة لعصرها .

ومن هنا كانت « النظرة التاريخية » للتراث هى اداة التحليل العلمى الاولى حتى لا يتورط الثوريون فى شباك الاسقاط التى تورط فيها الرجعيون . ان اسقاط الاشتراكية اوالمادية على التراث كما يفعل الرومانسيون والشوفينيون والسلفيون جميعا ، يتجاوز الواقع التاريخى للتراث والواقع المعاصر لنا على السواء . وربما كان كتاب الدكتور طيب تيزينى « مشروع رؤية جديدة للفكر العربى فى العصر الوسيط » هو النموذج المقابل . نموذج اكتشاف المصطلح القديم فى سياقه التاريخى ، وبالتالى اكتشاف قوانين التطور الاجتماعى التى اثمرت ذلك المصطلح القديم ، واخيرا اكتشاف الوعى النظرى الثورى الذى يمكن للتراث ان يلهمنا به .

وبعد ، فان الربط الميكانيكى بين الاصالة والتراث وبين المعاصرة وأوربا يستند على مفهوم رجعى ومتخلف للاصالة والمعاصرة معا . والواقع وحده ، بقوانينه الموضوعية ، هو الذى يحدد ماذا نأخذ من هنا أو من هناك ، وقبل ذلك وبعده ماذا نضيف . والموقف الثورى من هذا الواقع بماضيه وحاضره ومستقبله ، بتراثه وانفتاحه وفتوحاته ، هو وحده الذى يجعل منا اصلاء ومعاصرين فى وقت واحد : أصلاء بالتزامنا الحر العميق بأبعاد هذا الواقع ، بادراكها واكتشاف قوانينها ، ومعاصرين بالاسترشاد الثورى — فكرا وحركة — بالمنهج العلمى فى التفكير ، فى السيطرة على هذه القوانين وتوجيهها نحو التقدم التاريخى . بهذا المنهج فقط نستطيع تغيير واقعنا — بعد معرفته — تغييرا ثوريا . وهذا التغيير وحده هو الذى يشرف أسلافنا العظام لانه خير برهان على أن خصوبتهم لم تلد عقما . وهذا التغيير وحده ايضا ، بما يحتويه من اضافة خلاقة مبدعة الى التجارب الثورية للانسانية المعاصرة يفسح لنا مكانا بارزا بين طلائعها المتقدمة . ■



بدر شاكر السياب



عبد الوهاب البياتي

□ خاتمة :

على ضوء هذا التصور العام ، لا يمكنك أن تكون أصيلا فقط ، أو معاصرا فقط ، فالاصالة والمعاصرة متلازمان وان كانا متمايزين : الاولى أحد طرفى المعادلة والثانية هى الطرف الاخر ، ولا يمكن حل المعادلة حلا صحيحا بغير تصورهما فى وحدة جدلية واحدة . ومن هنا كان المعيار فى قياس مدى الاصالة والمعاصرة لظاهرة ما ، اجتماعية أو فكرية أو فنية ، هو مدى انسجام هذه الظاهرة مع الواقع فى شموله من ناحية ، ومع المنهج العلمى فى التفكير من ناحية أخرى . هذا المعيار يحتاج بدوره الى مجموعة من الضوابط التى تحكم رؤيتنا للتراث :

● أول هذه الضوابط هو النظرة الطبقية للتراث والتى ينبغى الا تضيع عن بالناقط ، سواء فى تقييمنا لما يزال مطمورا فى بطون الكتب القديمة ، او ما يزال حيا فى سلوكنا اليومى . ان امثالنا الشعبية — كنموذج — مليئة لحد التخمة بالتفكير العبودى والاقطاعى . ان « دراسة » هذه الامثال واجبة وضرورية ، ولكن « احياءها » جريمة تشجع عليها الطبقات الراهنة المناظرة لاسلافها من الطبقات القديمة . هكذا يصبح نجيب سرور فى استلهامه لموال ياسين وبهية كاتبا ثوريا ، بينما يصبح رشاد رشدى فى استلهامه لسيرة السيد البدوى كاتبا رجعيا ، رغم أن كليهما يبنى عمله الفنى بوحى من التراث . ان الانتماء الطبقى والفكرى للكاتب هو الذى يحدد « معنى » ارتباطه بالتراث .

● ثانى هذه الضوابط هو النظرة القومية للتراث ، والتى أقصد بها الوحدة التاريخية للشعب . هذه النظرة تذلل لنا كثيرا من الصعاب فى لحظات التحدى الحضارى ، فما يتعذر علينا استنباطه من احدى مراحل تراثنا قد لا يتعذر العثور عليه من مرحلة اخرى . اى أن ما لا نجده فى الحضارة الاسلامية قد نجده فى الحضارة السومرية او الفرعونية أو الفينيقية أو المسيحية ، وما لا نجده فى هذه المراحل الحضاريه من تراثنا القومى قد نجده فى الاسلام وهكذا . أن الجمود داخل احدى هذه المراحل ، بغض النظر عن خلفيته العنصرية ، يحول دون الاستلهام الحقيقى الشامل لتراثنا . اننا نظلم أنفسنا ظلما فادحا حين نتوهم أن تراثنا خلا من هذه النقطة أو تلك من نقاط التحدى الحضارى ، وسبب ذلك هو تصور البعض منا لهذا التراث تصورا جامدا ضيقا . وكثيرا من معضلات حياتنا الحديثة كحرية المرأة والرق والانفتاح على العلم والقوالب الحديثة فى الفن ، وغير ذلك من مشكلات ، تبدو لنا عسيرة الحل على التراث اذا نظرنا اليه هذه النظرة المبتسرة الظالمة . بل ان كثيرا من أمراضنا السياسية والاجتماعية هى نتيجة هذا الانفصام والمحدودية فى شخصيتنا التراثية .. فلو أن المسيحى العربى اعتبر الاسلام جزءا جوهريا من تراثه ، والعكس أيضا صحيح ، ولو أن الكردى والاشورى اعتبر الحضارة العربية جزءا من تراثه وكذلك القومى العربى لو أنه اعتبر بابل وآشور ومصر القديمة والحضارة القبطية والفينيقية جزءا لا يتجزأ من تراثه .. اذن لانتفت — فى المستوى الاجتماعى والسياسى الراهن — عوامل الفرقة العنصرية البغيضة . ولكن هذا «الاعتبار» للتراث الموحد لا يتأتى هكذا مصادفة وعن هوى شخصى . وانما يتأتى بتأسيس نظرة قومية ثورية شاملة للتراث ، لا يقوم بها الافراد المخلصون فحسب ، بل تدخل فى نسيج ثورتنا الثقافية المبتغاة . ان جهود مفكر مستنير كحسين فوزى فى « سندباد مصرى » والجهود المكملة له على يدى كاتب شاب هو محمد العزب موسى فى كتابه « وحدة التاريخ المصرى » هى حقا جهود ممتازة ، ولكنها لا تكفى بحال لقيام هذه النظرة القومية الواحدة للتراث . لقد صدرت عدة ترجمات فى العراق لملحمة جلجامش ، وعدة دراسات جيدة حول التراث البابلى . ولكن هذا أيضا لا يكفى . اننا نحتاج الى « تصور كامل » لتراث المنطقة حضاريا فى تسلسله التاريخى ، المتقطع والمنتظم على السواء . ومن الغريب حقا ألا توجد ترجمة عربية الى الان « لكتاب الموتى » الذى تم نقله الى مختلف لغات العالم . بل ان كتابا خطير الاهمية هو « وصف مصر » الذى قام بكتابته علماء الحملة الفرنسية لم يجد حتى الان من يتحمس لترجمته ، بينما تخرج علينا مطابع الحكومات العربية كل يوم بأطنان من الورق المطبوع ، معظمه لا يساوى ثمن الحبر الذى سوده .

● ثالث هذه الضوابط هو النظرة الانسانية للتراث . وبغض النظر عن ان مشاركة تراثنا القومى فى سياق الحضارة الانسانية العامة يمنحنا الحق فى التفاعل بالاخذ كما تفاعلنا قديما بالعطاء .. فان ثورة العصر الحديث تتطلب منا هذا « البعد الانسانى » فى رؤية التراث حتى لا ينتهى بنا الامر الى هامش التاريخ ، أو نصير كبعض الحضارات المنقرضة الى ذمة التاريخ . وفى رؤيتنا الانسانية للتراث يجب أن نستنير بنظرتنا الطبقية ونظرتنا القومية لواقعنا . ان « دراسة » تراث العالم كله — خصوصا مرحلته الحديثة — واجبة وضرورية ، ولكن « اختيار » ما يلزمنا منه هو الذى يحتاج الى بصيرة ثورية واعية باحتياجات واقعنا فى التغيير ومتطلبات مجتمعنا فى التقدم . والتراث الانسانى المرشح لتلبية هذه الاحتياجات والوفاء بهذه المتطلبات هو تراث الوجه الثورى للحضارة العالمية الحديثة . اننا لا نحتاج مثلا الى التراث الاستعمارى من أوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية ، ولكننا أحوج ما نكون الى التراث الاشتراكى العلمى ، نظرية وتطبيقا . هذا التراث هو الذى سيمدنا على الصعيد الفكرى بأدوات التعرف على واقعنا معرفة علمية موضوعية عميقة . وهذا التراث هو الذى سيمدنا على صعيد الحركة بأدوات التغيير الثورى لواقعنا المتخلف . ولان الواقع واقعنا نحن بكل صفاته الفريدة ، فسوف تكون ثمرة « المعرفة » و « التغيير » تجربة فريدة بدورها ، تضيف نموذجا جديدا الى الثورة العالمية المعاصرة .

بغير هذا التصور لن نحصل على مفهوم عام وشامل لحركة التاريخ فى بلادنا .

بغير هذا التصور ايضا لن نكتشف « مسارنا الخاص » فى التاريخ الانسانى .



تحولات نيتوكريس في كتاب «الموتى»

عبد الوهاب البياتي

١

أكتب تحت قدم الأميرة ـــ العاشقة ـــ الكاهنة ـــ المعبودة ـــ التمثال ـــ اشعارا ـــ وفوقى القمر المصرى فى عباءة النجوم يلتف وعبر الهرم الكبير يستلقى ـــ وفى الحدائق الوحشية الحمراء محموما على سجادة النور أنام ميتا ـــ وجسدي مصر وشعرى النيل ـــ محموما أنام ميتا ـــ وشفتى فوق فم الاميرة ـــ التمثال ـــ محموما ـــ وعينى ترصد السماء فى تكوينها وحركات الريح فى الصعيد والنخيل فى الواحات والطيور فى وادى الملوك تتبع الكاهنة العذراء فى المدافن السرية المنهوبة الكنوز ـــ فوقى القمر المصرى ـــ والسمان فى هجرته الاولى الى منابع الشمس ـــ وأنت ترصدين جسدى مصر وشعرى النيل ـــ أنت وأنا معتنقان ـــ عاشقان التقيا من بعد الف سنة فى المتيه .

٢

قدمت لها فى القداس الاول والثانى والثالث :
خبز الجسد ـــ الخمر ـــ القبلات .

٣

ها انذا عار عرى سماء الصيف الابدي ـــ
البحر ـــ المنفى ـــ الصحراء ـــ الكلمات .

٤

أقوم بعد الموت من قبرها
مرتديا عباءة الشمس
وزهرة الصبار ـــ فى الضوء اذ
تذوى أسى ـــ تاج على رأسى
تعويذتى الاهرام فى صمتها
وساحرات مدن الامس
اتبعها مغامرا رائيا
مقتحما دائرة القدس
وحاملا نارى وقيثارتى
وعالم الغباء والبؤس
تقول : أهواك . وتذوى على
حديقة الصبار فى نفسى
فراشة يصطادها ساحر
تموت بعد اللمس فى الضوء
مرت على وجهى ومرت على
منازلى حاملة موتى
تاركة خيط دم فى الضحى
يمتد من بيت الى بيت
أقول للسماء فى عريها
هل أنت نيتوكريس ؟ هل أنت ؟

٥

زمن للحب أتى وستأتى أزمان للموت .

٦

يا حبى لم يبق لنا الا الصمت .

٧

ترحل الشمس الى البحر وفى
يدها خصلة شعر الملكة
وقناع وثنى ودم
سال فوق الطرقات المهلكة
وانا الكاهن فى معبدها
تركتنى فوق أرض المعركة
أرتدى أقنعتى منتحرا
قاتلا حبى وحب الملكة

٨

يختبىء القمر .
فى شعرها وزنبق السماء .
ويحمل الشفق .
عبير هذا العالم المغسول بالمطر .

وبعد أن ينسدل الستار أبكى — وأنا أصغى الى العصفور فى الافق يغنى — عاشقان التقيا من بعد الف سنة فى التيه — كنا هاهنا نمارس الحب — وكنا — آه كم أحب عينيك — وكم — أحب أن اقبل الربيع فى جسمك والحديقة المعطار فى شعرك — عبر الهرم الكبير محموما أنام ميتا — وجسدى مصر وشعرى النيل — محموما أنام — وأنا أحلم فى تدمير هذا العالم القديم — فى احراق هذا الوثن الصامت — فى الفرار والرحيل من جحيم هذا الاسر نحو مدن الله — وفى الحلول فى الثورة — فى نسف جسور الموت — فى الرقص على الانقاض — في اغراق هذا المركب الملىء بالجرذان — فى العودة للظهور بعد الموت — فى الحضور فى العالم — فى الرحيل للكواكب الاخرى على ظهر جواد الشعر — فى البكاء تحت قدم العاشقة — الكاهنة — المعبودة — التمثال — تحت مطر الخريف — والسمان فى هجرته الاولى الى منابع الشمس — وانت فى مهب الريح تبكين — وانت وانا نعبر بوابات هذا العالم المكتظ بالجنود والمنتحرين والمجانين، وبالموتى وبالاصفار والمرضى وبالمنتظرين — آه كم أحب عينيك — وكم — أحب ان أنام فى الحدائق الوحشية الحمراء فوق ذهب النهدين — فوق سرة النهر — أنام ميتا — وجسدى مصر وشعرى النيل .

٩

زمن للحب أتي وستأتى أزمان للموت .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

9

لعبة البراءة والدينونة والتحقيقات المستمرة

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

أدب الستينات
« الحلقة الخامسة »

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

صبرى حافظ

ما ان تقرأ قصص بهاء طاهر دفعة واحدة، حتى يتخلق فى داخلك سؤال يهتف .. أى عالم غريب هذا ؟ ! فالقصص كلها تصوغ لك تفاصيل عالم كابوسى مفزع الى اقصى حد . ومقدم بألفة وعادية الى اقصى حد ايضا ، وكأنما ليس فيه مايثير الدهشة أو ما يدعو الى الاستهجان . فغرابته قد استحالت تحت وقع معالجة الكاتب الفنية الى نوع من الغرابة الحميمة التى الفها الجميع .. وتحول الكابوس فيه الى طقس من طقوس الحياة اليومية المألوفة . وهذا هو ما يمنح الكابوس فى هذا العالم مذاقه المفزع .. لانه ليس وليد مواضعات عارضة أو ابن احداث غير عادية وليس شيئا موقوتا يسهل أن نتحمله لاننا لن نلبث أن نتخطاه ونتجاوزه بعد هنيهة قصيرة . ولكنه شىء دائم وراسخ وأبدى ، مستكن فى كل جزئية ومنتشر مع الهواء فى كل موقع ، لا تلحظه العين العادية لكن المعالجة الفنية الحاذقة تعريه لنا وتكشفه . لانها تعمد الى عقد تزواج حميم بين الصفات الكيفية المتضادة والى التاليف بين المتناقضات .. ومن هنا نجد أن الغرابة فى هذا العالم قد عانقت الالفة ، وان القسوة اندغمت فى النعومة فاصبحت القسوة ناعمة والنعومة قاسية، وان المنطق فيه لا منطقى ولكنه مع ذلك شديد الصرامة والاحكام . وهذا التاليف بين المتناقضات هو السبيل الذى يقدم عبره بهاء طاهر واحدة من اعمق رؤى كتاب الستينات لعصرهم وواقعهم وهمومهم معا .

ومع أن بهاء طاهر قد تجاوز الخامسة والثلاثين بقليل فانه ينتمى الى جيل الستينات من حيث الرؤية والزمن معا.. فرؤيته للعالم وطبيعة تصوره للشخصية المصرية ولقضاياها تنتمى للجوهر الاصيل لرؤى هذا الجيل وتصوراته، اوبالاحرى تشارك بفعالية فى صياغة جوهر هذه الرؤى والتصورات. ومن ناحية الزمن فان كتاب الستينات بداوا فى نشر انتاجهم متفرقا مع أوائل الستينات ثم جمع أغلبهم هذا الانتاج فى دواوين شعرية أو مجموعات قصصية فى النصف الثانى من نفس العقد. لكن بهاء طاهر لم يبدأ نشر قصصه الا بالقرب من منتصف الستينات — فاولى قصصه منشورة عام ١٩٦٤ — كما انه لم يجمع هذه القصص فى كتاب حتى اليوم برغم انها تكمل بالكاد مجموعة. فهو، وهذه خاصية قد يختلف فيها مع أكثر كتاب الستينات، كاتب مقل شحيح الانتاج. لايعرف ذلك النوع من الاسهال فى الكتابة الذى يستهوى الكثيرين من اقرانه. بل يحاسب نفسه بصرامة شديدة. ويأخذها مأخذ الجد بصورة واضحة. فقد اتاح له هذا التأخر فى النشر فرصة واسعة لتجريب قلمه وانضاج ادواته. وتكشف قصصه من الناحية الفنية عن بناء من طراز فريد. له أسلوبه المتميز وطريقته الخاصة فى البناء والتعبير. لا يعمد الى الالاعيب الشكلية والحيل المبهرة ولكنه يميل الى الرصانة والى البناء التقليدى الراسخ. وهى من الناحية المضمونية تكشف عن بصيرة واعية وخبرة عميقة بالشخصية المصرية فى تلك المرحلة الدامية من عمرها.. مرحلة الستينات. وتنطوى على رؤية تستقطب أهم سمات هذه الشخصية وأبرز ملامح المرحلة معا.. رؤية من رأى لا من سمع كما يقولون.. فبهاء طاهر — ولانه من أكبر كتاب جيل الستينات سنا — عاش فى مرحلة دراسته الثانوية بالسعيدية وفى مرحلة دراسته الجامعية بكلية الاداب جامعة القاهرة آخر سنوات الليبرالية، وعاصر بوعى كل سنوات المرحلة الجديدة التى عاشتها مصر بعد ١٩٥٢.. فشهد عالما بأكمله من القيم يتقوض وعالما آخر ينهض ويحكم قبضته على كل شىء.. وعاصر بوعى التفاصيل الصغيرة لانهيار العالم القديم.. وشهد قيمه كلها.. بما فيها قيمة الحرية نفسها وهى تشحب وتذوى ثم تموت.. ثم شهد سلما جديدا للقيم ترتفع فيه قيم كانت فى اسفل الدرجات وتهوى من اعلاها قيم أخرى.. وعانى — كما عانى جيله بأكمله من آثار عملية الصعود والهبوط تلك.

بناء كلاسيكى ولكن

وقد تركت هذه المعاناة آثارها على شكل قصصه وعلى محتواها فى نفس الوقت. فكانت تقليديتها الظاهرية نوعا من محاولة درء الشبهات عنها فى عالم لا أمان فيه. وكأنها تريد أن توحى بأنها لاتقدم شيئا خارجا عن المألوف ولا تتمرد على المواضعات السائدة ولا على الشكل السائد للتعبير.. ولكنها من حيث توهمنا بهذا الشكل المتعارف عليه انها لاتفعل غير ما يفعله الجميع تقدم أعمق انواع الاحتجاج على هذا الواقع الذى تصدر عنه. وتكشف لنا بمهارة محنكة مافى هذا الواقع من جور وخوف وزيف. وتعرى لنا الكثير من سوءات انسانه دون صراخ أو زعيق.. ولكن بهدوء ورهافة وليونة. وهى لاتختار لذلك بطلا ايجابيا يفضح كل هذه الاشياء ولكنها تلجأ الى البطل المضاد.. أى البطل السلبى الذى لايفعل شيئا.. ليس عزوفا عن الفعل فحسب ولكن عجزا عنه فى نفس الوقت.. ولان الكاتب بناء كلاسيكى من طراز رفيع فانه يضع فى مقابل هذا البطل المضاد أو فى موازاته مجموعة أخرى من النماذج الايجابية — نسائية غالبا — ولكن ايجابيتها من نوع أشد سلبية من السلبية لانها ايجابية تنطوى على الشر لا الخير وعلى التدمير لا البناء.

ومنذ أول قصة نشرها الكاتب [المظاهرة] [١] يطل علينا هذا البطل المضاد غير المسمى، وهو فى [المظاهرة] وفى أغلب القصص بعد ذلك موظف صغير.. ينتمى لتلك الشريحة المأساوية من الطبقة الوسطى والمعروفة بالبرجوازية الصغيرة.. ويعمق من مأساويته أنه مختار من أكثر ابناء هذه الشريحة حسا بالمأساة.. من الموظفين الصغار ذوى الاهتمامات الخاصة والتطلعات والاحلام الصغيرة، التى ترفدها روافد تتراوح بين العمق والضحالة من المعرفة والثقافة، والجذور المنبتة والرغبات المحبطة والامنيات التى تفوق دائما طاقتهم على الفعل.. ومن السطور الاولى نحس بفقدان التواصل بين هذا البطل وأمه.. تقول له أمه « احترت.. ماذا افعل لارضيك » فيجيبها « لا تفعلى شيئا فقط لاتطبخى بطاطس ولا تطلبى منى أن أزور أخى » فارضاء هذا البطل لا يتم بالاعمال الايجابية ولكن بالسلب.. بالكف من الفعل انه بطل لايعرف ما يريد وان كان يعى ما يرفضه تماما.. انه يرفض هذا الواقع الفظ المكرور اليومى. ويرفض ما يشده الى عالم العلاقات الجاهزة والعواطف المفتعلة والواجبات العائلية السليمة.. وأثناء زيارته لاخيه نتعرف على شىء آخر من الاشياء التى يرفضها ولكنه لا يستطيع أن يتحلل منها تماما. هذا الشىء الجديد هو الميراث.. فهو يريد أن يبيع نصيبه فى البيت القديم الذى ورثاه عن ابيهما لكن أخاه يعارض هذه الرغبة.. وأخوه هذا هو النموذج النقيض له.. متزوج وله ثلاثة اطفال والرابع فى الطريق. متمسك بالميراث القديم. لكن بطلنا أعزب.. عازف عن الزواج راغب فى التحلل من كل المواريث القديمة. لكن بين الرغبة والفعل يسقط ظل هذا البطل ويتمدد طوال القصة. فأمام رفض أخيه للبيع وامتناعه عن اعطائه المستندات لايستطيع شيئا « فى المرة السابقة قلت له هذه سرقة. ولكننى فى هذه المرة انزلت الطفلة عن ركبتى وخرجت دون كلمة ». ودون هدف أيضا.. يدخل أول سينما تصادفه يشهد بمصادفة فيها بعض الفعل المحسوب مقدمة اعلانية عن فيلم [المصارع الوحشى] وهو الذى لايستطيع أن يصارع شيئا.. ودون قصد أيضا يعاكس أول امرأة تصادفه.. يخرج معها من السينما يجلسان فى مشرب للشاى ويثرثران.. ومن خلال حديثهما تتجمع الجزئيات التى يرفضها البطل حتى تكاد تشمل الحياة بأكملها.. بدورتها المملة ونمطيتها المعادة ويتسلل ضيقه الى صياغة الجملة فينعكس فى ذلك التكرار المسئم للفظى الاطفال ويتشاجر.. لان اللغة فى قصص بهاء طاهر شديدة الحساسية لحالة الشخصية.. لكن هل انتهت القصة بهذا الايقاع الرتيب فى احداثها وبهذا التتابع غير المسيطر عليه والخاضع للاستجابات نصف الارادية فى حياة بطلها.. أبدا.. انها بالكاد قد بدأت. فبعد أن يفنى

بهاء طاهر

---

(١) مجلة الكاتب، عدد مارس ١٩٦٤.

الكاتب النغمة الرئيسية في القصة بهذا التنويع الجديد على نفس لحنها الرئيسي والذي تقدمه المرأة التي يعاكسها في السينما ويصحبها الى مشرب الشاي .. اذ تقدم لنا هذه المرأة صورة مجسدة لما سوف يكون عليه بطلها عندما يبلغ الاربعين من العمر مثلها .. وازاء دخول البطل في خارطة حياة هذه المرأة يصرخ « ما معنى ذلك ؟ .. ما معنى أي شيء ؟ » ويعود الى الاستجابات نصف الارادية من جديد .. يخرج ليشتري سجائر فيجد نفسه منخرطا في مظاهرة لايدري عنها شيئا . مبديا التحمس لها تحت وطأة تهديد مستريب في ولائه للفريق ، فيؤكد انه موال للفريق بلاشك ويتحمس بالفعل وينخرط جديا في المظاهرة بالرغم من انه لم يشهد في حياته مباراة كرة واحدة .. كانت المظاهرة عن انتصار فريق كرة على فريق آخر .. وكانت المفارقة أن ينخرط بطلنا في مظاهرة المنتصرين وهو مثخن بالهزائم .. وتنتهي القصة أو بالاحرى المظاهرة ببطلنا جريحا في سيارة الشرطة تقطع به الطريق الى القسم هو واقرانه من المنتصرين الزائفين .

وفي القصة التالية [عيد ميلاد] (٢) نلتقي بهذا البطل وقد أخذ صديقته الى شقة أحد أصدقائه .. لم يتركها هذه المرة في مشرب الشاي ويهرب . ولم يشتبك معها في حوار طويل يقهر ارادته الرخوة في اصطحابها الى شقة صديقه كما حدث في [المظاهرة] لانه يعرف انه « اذا تكلمنا بهذه الطريقة يمكن أن نستمر حتى الصباح » فتجيبه الفتاة « اذن تكلم بطريقتك انت » .. وبالفعل يتكلم بطريقته هو .. فتوافق على أن تذهب معه الى الشقة ليتكلما كما تقول في مسألة هامة . وتدهشه هذه الموافقة وتسعده معا . ولا يصدق البطل نفسه . لكنه « امسك بذراعها وخرج وهو يشتري الثقة بنفسه ببقشيش كبير » لكن الثقة لا تشترى بمثل هذا الثمن البخس . وهذا ما ستكشف عنه الاحداث القادمة ، فبعد أن يذهب بها الى الشقة وينتهي كل شيء يشعر انها لم تسعد معه « ربما لم ترض عن رجولته . ربما لم يكن عاطفيا بما فيه الكفاية . ربما كان أسرع مما يجب » .. لا أحد يدري .. المهم أن الثقة التي اشتراها بالبقشيش الكبير قد تبخرت ولكنه يحاول أن يستعيدها بشكل ساذج اثناء الحوار الجارح بينه وبين الفتاة بعد أن انتهيا ، وعندما يفشل يصفعها ويبكيها فيسبب له ذلك نوعا من الرضا الظاهري عن نفسه « لقد حدثت له أحداث ، وأبكى فتاة ، ووضعت رأسها على صدره وأصبح من المجربين » . وكالمجربين بدأ يصدر احكاما عن أن كل البنات فاسدات وانه لابد الا يتزوج أبدا . لكن هذا الرضا المؤقت سرعان ما يتبخر عندما تخفي الفتاة مفاتيح الشقة ويضطرب ويحار ويتوتر وهو يبحث عنها « أنا حظي نحس .. كل الناس تفعل كل شيء وأنا تضيع مني المفاتيح في أول مرة آخذها فيها » .. انه لاينتبه الى انه لم يضيع فقط مفتاح الشقة بل ضيع أيضا مفتاح الاستمرار مع فتاته تلك ، وضيع مفتاح الاستمرار في أي علاقة .. والفتاة تعرف ذلك .. تعرف انه ضيع كل المفاتيح وانه لن يستطيع السيطرة على أي شيء فتضحك .. ضحكة ساخرة مؤلمة جارحة لا شفقة فيها ولا حتى رثاء .. ضحكة فيها الكثير من التشفي فيه .. ويدرك هو المعنى « لو صفعتني لما شعرت بمثل هذا الخجل » .

في القصة التالية [الاب] [٣] نلتقي بهذا البطل الذي يترك حياته للاستجابات نصف الارادية وقد تزوج برغم عزوفه عن الزواج . والزواج بالنسبة لهذا البطل الرافض ليس تحققا ولكنه شبكة تقتنص في ثقوبها المخاتلة واللامرئية كل احلام البطل في حياة يتحقق فيها .. لذلك فان أول كلمة نلتقي بها في قصة زواجه هي كلمات الشجار مع زوجته في الغرفة الراكدة بهواء الامس . وهي كلمات قصيرة حادة تنتهي بكلمة الطلاق .. وتذهب الزوجة الى بيت أبيها .. ويذهب بطلنا اليها في الليل .. تماما كما توقعت حماته « في الليل سيعود هنا كالكلب ويقبل الاقدام » يعود ليقع في شبكة مناورات الحماة المعتادة التي تنتهي بعودته بزوجته الى المنزل دون تفاهم حقيقي .. والزوجة تدرك ذلك وتقول « سنتفاهم في البيت » لكنهما لما « بدءا يتفاهمان في الفراش هامدين ومرتخيين » وجد الزوج نفسه وقد وقع تماما في الشبكة .. قرر أن يعطيها الطفل الذي تريده والذي حرص طول الوقت على الا ينجبه . وكانت هي ومن ورائها أمها تلح في الحصول عليه ولم يكن ممكنا الا أن ينتصرا لان من الطبيعي أن تنهزم ارادة خائرة أمام دهاء ارادتين صارمتين . وفكر « الان انتهى كل شيء على الارجح .. سيعطيها الطفل ، وسوف تسعد به ، وسيظل مشدودا للوظيفة والبيت . ولن يسافر في العالم كما كان يحلم .. سوقة تحيط به الشبكة كاملة ، لقد حاول دائما أن يتجنب هذه الشبكة ولكن بلا فائدة » ويستعيد قصته معها ويفكر اين كانت الشبكة بالضبط ؟ ولايعرف لانه يبحث عن الشبكة في الاشياء الخارجية « في الجهاز ؟ في رسالة الانتحار ؟ في ابتسامته الاولى ؟ » ولا يبحث عنها في مكانها الحقيقي في داخله هو حيث هذه الارادة الخائرة المثخنة بالجراح والهزائم والاحلام المحبطة . فيخرج « يمشي وحده في الليل ، ويفكر في كل شيء .. في الاشياء العديدة التي كان يريد أن يعملها وفي الاشياء القليلة التي حدثت » .. يخرج في محاولة للاحتجاج اليائس على هذا المصير الرهيب الذي ينتظره والذي جسدته القصة في صورة [الاب] والد الزوجة بجلبابه المقلم وطاقيته التي يبدو معها كما زائدا لا قيمة له ولا دور .

الخارج كمفتاح للداخل

في هذه القصص الثلاثة [المظاهرة] و [عيد ميلاد] و [الاب] والتي قدمها بهاء طاهر لقرائه لاول مرة عام ١٩٦٤ استطاع الكاتب ومن أول ثلاث قصص يكتبها أو بالاحرى ينشرها أن يقدم لنا صورة كاملة لنموذجه الانساني الاثير الذي سيشغل مكانا محوريا في بقية أعماله . وصورة موازية ومضادة لهذا البطل من خلال النماذج النسائية التي قدمها في قصة [الاب] والتي سيطورها ويبلورها في القصص الباقية . واستطاع أيضا أن يبلور ملامح أسلوب فني له طابعه الخاص ومذاقه الفريد .. أسلوب يعتمد على الحدث والحوار ويستعمل اللغة العارية الخالية من كل زخرف في تجسيد عري الشخصيات النفسي وعجزهم الجسدي معا .. فاللغة في هذه القصص حادة كالموضوع تعمد الى رسم خطوط مستقيمة بين العين والموضوع وبين الموضوع والقارئ .. وهذا الاسلوب التعبيري المباشر جزء من منهج فني في التناول يعمد فيه الكاتب الى أن « يكون عين كاميرا حساسة محايدة لا تنفعل . لا تجمل الواقع ولا تشوهه . لاتضيف اليه ولا تكون بما في داخله . تقدمه وحده عبر الزوايا التي تجعله أكثر نقلنا وأكثر تمكنا من أن يضيء في أعماق القارئ القدرة على اكتشاف نفسه وواقعه بصورة أكبر ، ومن ثم على تغييرهما .

واذا كانت القصص الثلاث التي تحدثنا عنها منذ قليل قد بلورت بعض ملامح

---

(٢) نشرت في العدد ٨٤ من (الملحق الادبي والفني لجريدة المساء) الصادر في ١٤ يوليو ١٩٦٤ .
(٣) نشرت في (صباح الخير) العدد ٤٦٤ في ٢٦ نوفمبر ١٩٦٤ بعنوان (كانت فتاة جميلة تقف على محطة الاتوبيس) .

هذا البطل فان القصص الثلاث القادمة ستصوغ لنا الكثير من تفاصيل المناخ الثقيل الذى يعيش فيه ..

هذه القصص الثلاث هى [اللكمه] و [الخطوبة] و [النافذة] وهى أقرب الى [المظاهرة] منها الى [الاب] و [عيد ميلاد] .. أقرب اليها من ناحية الموضوع والاسلوب معا. فالقصص الثلاث مروية بنوع شديد الخصوصية من الضمير الاول مثل [المظاهرة] وهو نوع لا تعبر فيه الرواية بالضمير الاول عن تحقق الراوى بل عن انسحاقه. ومن هنا يبدو الضمير الاول فيها وكأنه نوع جديد من ضمير الغائب .. تتغلب فيه الموضوعية على الذاتية . ويعبر فيه هذا الخلط الشعرى بين الضميرين عن الغياب الحقيقى للبطل برغم روايته للاحداث .. انه يبدو وكأنه مجرد راوية أو شاهد على احداث لاتهمه بالرغم من انها تتناول جوهر حياته نفسها . ومن هنا تبدو الانا الراوية وكأنها نوع من الانا العكسية . ومع هذا فانها تطمح لان تكون تلخيصا فنيا للنحن الجماعية فى انسحاقها واحباطها وعدم تحققها . وبقدر ما تعبر رواية هذه الانا للاحداث عن توقها العارم وحنينها الطفلى العاجز لصياغة الاحداث لا روايتها فحسب وللسيطرة على الوقائع لا مشاهدتها فقط . فانها تعبر أيضا عن عجز هذه الانا الراوية عن فهم حقيقة وضعها المؤسف ذاك ، وعن الوعى بشكل كامل بكل العوامل الصانعة لازمتها .. هذا النوع الشديد الخصوصية من الرواية بالضمير الاول هو مانجده فى هذه الاقاصيص الثلاثة . فهى ليست محكية بضمير الغائب مثل [الاب] ، و [عيد ميلاد] ولكنها مروية على لسان راو ومن وجهة نظره وهذا الراوى هو ذلك البطل غير المسمى الذى تعرفنا على بعض ملامحه النفسية منذ قليل . انه نفس الموظف الصغير الذى عرفنا الكثير عن حياته العائلية والخاصة ، ونحن نعرفه أكثر حينما ندلف الى حياته فى العمل . والعمل باعتباره جوهر الانسان هو أكثر المحكات قدرة على سبر أغواره ..

فى قصة (اللكمة) (٤) سنتاكد من أن هذه الازمة التى تبدو وكأنها مشكلة خاصة تثير سخرية صديقى البطل وتعليقاتهما اللاذعة ليست كذلك بأى حال من الاحوال ، وانما هى بلورة فنية لمرحلة تاريخية بأكملها ، عانت فيها الشخصية المصرية من الخوف والمطاردة وفقدان الامان (٥) وتنفست فيها هواء مثقلا بالاسترابات الغامضة والمخاوف المبهمة . ومرنت نفسها على انتحال الاعذار لكل شىء ، وعلى تبرير كل الاشياء المستعصية على التبرير ، وعلى معرفة الحقيقة ثم تنحيتها بعيدا . واحترمت مسلما مقلوبا للقيم وقانونا معكوسا للبقاء ، وفقدت حس الدهشة والقدرة على الاستهجان . وتيقنت من أن كل الاشياء غير المنطقية منطقية للغاية ، واسترجعت كل الحكم والمقولات التى تقول أن « قضاء أخف من قضاء » و« حد عارف كان حيحصل ايه » و « الحمد لله اللى جات على قد كده » مع ان « قد كده » هذه قد تكون شيئا مهولا ، وكأنها نزعة تاريخية الى التهوين من شأن الشر والى الصبر عليه واعتياده ، وافتراض أنه القاعدة وان ما عداه الاستثناء . كل هذه أشياء تلمسها القصة لكنها لاتتحدث منها بشكل مباشر .. لانها تعمد الى منهج تعبيرى يكتفى بالتلميح دون التصريح ويعتمد على الجزئيات المباشرة وحدها وينأى عن التحليلات العقلية دون اطراح النزعة العقلية جانبا .

اذا كان ثمة حدث خارجى قد فجر هذا التحقيق الغريب فى [اللكمة] وجعل الجميع ينظرون بارتياب الى الضحية وكأنه هو الجانى لا الضحية .. وهو بالفعل كذلك ، لان الجانى هو الضحية فى لعبة التأليف بين المتناقضات وعقد أواصر التزاوج بين الصفات والمواقف الكيفية المتضادة . فان مايحدث فى قصة (الخطوبة) (٥) امر أكثر غرابة .. اننا نلتقى فيها بنفس البطل غير المسمى الموظف الصغير الذى يقيم بمفرده فى المدينة — يسكن الان وحده وكان يقيم قبل ذلك مع أسرة خاله — وهو يواجه مرة أخرى تحقيقا من نوع غريب . والتحقيق فى هذه القصة غير مفهوم كما حدث فى [اللكمة] ولكنه أكثر منه ضراوة .. فاذا كان تحقيق [اللكمة] قد فجر حدث خارجى مباغت فان التحقيق المروع الذى يدور فى [الخطوبة] — والذى تكاد القصة معه أن تتحول الى تحقيق — يفجره شىء بسيط للغاية .. موقف مألوف بسل وتقليدى .. شاب يذهب الى بيت زميلته فى العمل ليخطبها من أبيها .. ويبدو كل شىء تقليدى ومألوف للغاية .. غرفة الجلوس برائحتها المألوفة « رائحة الخشب الذى تحافظ عليه التهوية القليلة وقلة الاستعمال » وصورها التقليدية ولوحتها الزخرفية .. ثم دخول الاب بالقميص والبنطلون والنظارة والخف المنزلى . وبداية الحديث عن فتح النافذة وعن الربيع المتقلب فى مصر وعن رياح الخماسين .

كل شىء يبدو مألوفا ودارجا .. لكن الكاتب ينتقل بنا بهدوء من المألوف والعادى الى الغريب والكابوسى .. فيصبح الحديث عن الربيع المتقلب وعن رياح الخماسين لا ارهاصا بالزوبعة الخماسينية التى ستعصف ببطلنا عصفا .. فبعد أن يطلب بطلنا غير المسمى من والد زميلته ليلى يد ابنته ويتحدث عن شهاداته ومرتبه وأبيه يبدأ التحقيق المروع .. وهو تحقيق أعد له بمهارة وكأنه شبكة صياد محنك أعدها لفريسته وانتظر .. فالاب لم يعر طلبه التفاتا « وبدا لى انه لم يسمع شيئا مما قلت » ويبدأ مباشرة فى التحقيق الذى أخذ يتصاعد فى ايقاع رهيب [كريشندو] لا يلوى على شىء ولا يجسر على ايقافه شىء .. وكلما ارتفع الايقاع كلما ازداد بطلنا تخبطا وتعثرت اقدامه فى خيوط هذه الشبكة اللامرئية حتى احكمت قبضتها عليه .. وهى شبكة لا مرئية وخادعة الى اقصى حد .. تختفى فى حديث الاب الزائف عن الحرية « الحقيقة يا ابنى ان الاباء يتركون لبناتهم الحرية هذه الايام » وفى البيانات الكثيرة التى جمعها عنه « لقد سألت عنك .. وأنا أعرف الكثير من البيانات .. الكثير من البيانات» وفى المعلومات الغريبة التى جمعها عن حياة البطل والتى لايعرفها البطل نفسه .. معلومات عن أبيه الذى بدد ميراثه فى المتعة . وعن الخلافات بين أبيه وأعمامه والتى بدأت قبل أن يولد وانتهت بهذه القطيعة الكاملة التى تركته متوحدا ومعزولا بل ومنبوذا . وعن الاسباب التى دعت خاله الى طلاق زوجته التى عاش معها أكثر من عشر سنوات .. وعن عقم هذه الزوجة والشائعات التى قيلت عن علاقة البطل بها . وعن محاولة خاله الفاشلة للانتحار والتى بقى على أثرها لفترة فى المستشفى وعن أعمامه الذين هددوا خاله بأن يقتلوه هو وزوجته وابن شقيقته [البطل] اذا لم يطلق زوجته .. وعن أبناء اعمامه الذين لايعرفهم والذين يرددون هذه الشائعات عنه .. وتتراكم هذه المعلومات أو الشائعات لتحاصر بطلنا فى هذا الحديث الهادىء الذى ينطوى على تحقيق مروع يجد البطل نفسه بمقتضاه مدانا بلا جريرة محكوما عليه بمجموعة من

---

(٤) مجلة (الهلال) عدد أغسطس ١٩٧٠

(٥) نشرت فى مجلة (صباح الخير) عدد ٩ مايو ١٩٦٨ ثم اعيد نشرها فى عدد القصة الذى اصدرته مجلة (جاليرى ٦٨) عام ١٩٦٩ .

الشائعات والاحداث التى جرت قبل أن يولد والوقائع التى ترتدت على حسن نيته ..

ويبدأ هذا العالم الغريب يكشف من نفسه سافرا .. أنه ليس شيئا استثنائيا بقتطله أب يريد أن يرفض خطيب ابنته .. بل جزء من عالم كلى .. فما يدور خارج هذه الغرفة المغلقة بجوها الخانق وهوائها المكتوم ليس منفصلا عما يدور داخلها . ففى البنك الذى يعمل فيه البطل حيكت نفس المؤامرات .. وحقق معه واتهم بالتبديد دونما ذنب أو جريرة « كانت مؤامرة مدبرة دسوا على أوراقا لا أعرف عنها شيئا » .. انه تفتت ما يدور داخل الغرفة .. فما هى احداثه ومعلومات وشائعات تدس عليه دون أن يعرف عنها شيئا . وبعضها حدث قبل أن يولد .. وما هو يقع تماما فى شبكة هذه الاشياء الغريبة ويدخل فى مساومة معها .. يعرض عليه الاب ، الذى يهدده طوال الوقت بعلاقته الوثيقة بالموظفين الكبار [عبد الستار بك مدير المنطقة التعليمية ثم الاستاذ عبد الفتاح رئيس قسم الشطب بالبنك الذى يعمل به البطل] ، يعرض عليه أن يوهم ليلى بأنه هو الذى انصرف عنها ولم يعد راغبا فيها . ويهدده بأنه ان لم يفعل ذلك فسوف يشهر به .. وسوف يذيع ما حاول خاله وأعمامه أن يبقوه سرا من الشكوك والشائعات حتى يدفع أعمامه — وهم قوم من الصعيد — الى قتله غسلا للعار . وييسر له سبل الانصراف من ابنته بأن يساعده فى أن يصبح رئيسا لفرع البنك فى مصر الجديدة .. حتى يبتعد بذلك عن المقر الرئيسى الذى تعمل فيه ليلى .. وهو انتقال قد يرد له اعتباره فى البنك .. أن الاب يمزج الترهيب بالترغيب ويكشف عن الاهداف المزدوجة للموقف الواحد .. ويكشف عن المزيد من المعلومات حتى يذعن البطل فى نهاية الامر لكل ما يطلبه « أسكت أرجوك ، سأفعل كل ما تريد ولكن أرجوك أن تسكت » .. ويسكت الاب بالفعل فقد برهن له البطل على انه انسان عاقل . ولهذه البرهنة قيمتها الكبيرة فى القصة .

فالاب نفسه ، والذى يبدو من خلال هذا التحليل الموجز للقصة انسانا شريرا ، يعانى فيما يبدو من انه لم يستمع فى موقف غابر — لا ندرى كنهه — من حياته لصوت العقل هذا .. وهو عقل يتواءم مع سلم القيم المقلوب ومع قانون البقاء المعكوس اللذين يسيطران على الواقع الذى تدور فيه الاحداث . عقل يتساوى مع الجنون لانه يؤدى بكل بارقة للتحقيق ، ويكشف فى أغوار الانسان العجز والاحباط . لذلك فان البطل بعد أن خرج ونزل السلم وترك البيت وسقط على وجهه وتورم حاجبه من أثر السقطة . حس بأنه أخطأ حينما استجاب لصوت هذا العقل المقلوب ، فيقرر العودة من جديد ويندفع صوب البيت دون أن يعبأ بالاضواء الحمراء فى مؤخرات السيارات وهى تناديه بالوقوف . ولكنها عودة لن تسفر عن شىء فى اعتقادى لانها مفروضة على القصة من خارجها .. فحتى لو عاود البطل الجولة من جديد فسينتهى الى نفس المصير الاسيف الذى انتهى اليه فى هذه القصة .. لان ضراوة الاب فى مواجهته ليست شيئا طارئا ولكنها وليدة تاريخ وحياه . فالاب الذى يبدو من خلال النظرة السطحية ضاريا وشريرا وكأنه يتصرف وفق منطق خاص .. خاص به وحده لكن النظرة العميقة تكشف بطلان ذلك ، وتؤكد أن هذا المنطق الخاص الذى يتصرف الاب وفقا له ابن الظروف التى عاشها والتجارب التى حنكته ، فهو أشد ما يكون حاجة الى مرتب ابنته كما تقول لنا مغالاته فى نفى حاجتهم الى عملها .. وهو أشد ما يكون ندما على موقف غابر أودى به ، وجعله رفض البطل قبول المساومة وتمرده عليها يستعيده — دون أن تفصح القصة عنه — فيقول فى مرثية ضمنية لذاته « نعم .. نعم .. أنا أعرف هذه الشجاعة . عرفت فى حياتى كثيرين يرفضون صوت العقل ، والان العشرة منهم بقرش . ولكن صدقنى ، ليست هذه هى الشجاعة ، الشجاعة هى أن تعرف ما بعد هذا وأن تقبله » ولو عرف الاب هذه الحقيقة فى حينها لكان الان كزميل دراسته عبد الستار بك الذى أصبح مديرا للمنطقة التعليمية . والقصة فى تبريرها المحكم بطبيعية هذا المنطق الخاص وفى تتبعها لجذوره تقول لنا أن فقدان المنطق المشترك وفقدان التواصل ليس شيئا عارضا بالنسبة لهذا الواقع ولكنه شىء طبيعى ومبرر الى أقصى حد . ومن الطبيعى والحال كذلك أن تتصرف كل شخصية وفقا لمنطقها الذاتى وباعتبارها جزيرة متوحدة منعزلة لا يهمها الاخرين . لذلك فان الاب لا يفتح نافذة الحجرة أبدا برغم أن البطل كان فى مسيس الحاجة الى نسمة من الهواء ، انه يتصرف وفقا لمنطقه هو ولرغبته فى حصر الموضوع فى أضيق نطاق وفى دائرة من المخافتة والسرية . لا يخضع للمنطق العام أو الطبيعى .. وكلما كان المنطق خاصا وذاتيا كلها كان استثنائيا . لكن الاستثناءات فى هذا العالم قد أصبحت قواعده الصلبة ومنطقه الذى لا يحيد .

عالم بلا نافذة

واذا انتقلنا الان الى القصة التالية فاننا سنجد أن النافذة التى لم تفتح أبدا والتى كادت أن تخنق البطل فى [الخطوبة] وتكتم انفاسه .. تكاد مرة آخرى أن تودى به عندما فتحت فى قصة (النافذة) (٦) .. فهذا عالم لا يطيق أن تفتح فيه نافذة .. فقد تهب منها رياح تتسم بالعفوية أو التلقائية فى البداية لكنها لن تلبث أن تطيح بالهواء الفاسد والاوضاع الفاسدة . وتنهض قصة [النافذة] على تحقيق مادى ومعنوى معا .. يواجه به بطلها وهو نفس البطل غير المسمى الذى يقيم وحده فى المدينة — يسكن هذه المرة فى لوكاندة — ويعمل موظفا فى احدى المصالح الحكومية ، وقد فوجىء هذا الصباح بمنشور غريب يقول « ممنوع على الموظفين الوقوف فى النوافذ والشرفات فى أوقات العمل الرسمية » . وما كاد النهار ينتصف حتى أعقبه استدعاء الى التحقيق له هو وزملائه الاربعة . كمال وسامح وحسان وسمير . ولكن التحقيق الذى يتناول واقعة محددة هى معاكسة هؤلاء الموظفين لتلميذات مدرسة البنات المقابلة لا يلبث أن يتجاوز هذه الواقعة ليصبح تحقيقا شاملا أو بالاحرى محاكمة من نوع شديد الخصوصية .. تكشف لنا عن بعض الفساد المستشرى فى هذا الواقع ، وعن طبيعة الدوافع التى تحرك كل شىء فيه . وعن نوعية الحياة التى يعيشها انسانه . محاكمة تتناول كل شىء .. الطريقة التى يقضى بها البطل أوقات فراغه .. هل هو متدين أم لا ؟ .. هل له اصدقاء ؟! هل يطل من النافذة ؟! هل يرى من يطلون منها ؟! مع من يسكن ؟! كيف يعيش ؟! وعشرات الاسئلة التى يتحول معها التحقيق الى نوع من التعذيب يدفع سمير الى القول « كنت مستعدا أن أقول له أننى اقتل البنات بشرط أن تتوقف أسئلته » .

لكن الاسئلة لم تتوقف أبدا .. توقفت فى التحقيق لكنها اندلعت فى حجرة الموظفين الخمسة . وأطاحت بالجو الهادىء والعلاقات الانسانية التى كانت تربطهم ببعضهم أو بالاحرى تربطهم بالبطل . وحاصرت البطل بمجموعة من الاتهامات والاسترابات والمخاوف ، خلقت حاجزا رهيبا بينه وبين بقية الموظفين ،

---

(٦) نشرت فى الملحق الادبى والفنى لجريدة (الاخبار) الصادر فى ٢٧ يوليو ١٩٦٩ .

وأهدرت انسانيته لا لذنب ارتكبه ؟ بل لانه كان واضحا وبسيطا وتلقائيا فى هذا العالم الذى لا يطيق نافذة مفتوحة على الوضوح أو البساطة أو التلقائية .. لقد وقع البطل فى نفس أنشوطة التحقيق التى دمرت أعصاب سمير من قبله . وتلعثم وارتبك وتيقظت فى داخله المخاوف . ولم ينقذه من هذا الموقف العصيب سوى مصادفة لا دخل له فيه .. اذ اكتشف فجأة أن وكيل النيابة الذى اسند اليه التحقيق فى هذه الواقعة التافهة كان زميلا له فى المدرسة .. وانقذته هذه الزمالة القديمة من أنشوطة التحقيق الدامية . وخرج من التحقيق ليحكى لزملائه كل شىء . وهو لا يعرف أن العالم الذى لايطيق نافذة مفتوحة لا يستسيغ أيضا احاديث الذكريات القديمة ويرتاب دائما فى أى عاطفة انسانية صادقة . وما أن أسفر التحقيق عن انذار لسمير حتى تكشف سمير الذى لم يتحمل اسئلة المحقق عن داهية كبير [وهذا صدع فى بناء شخصيته من الناحية القصصية] يجرى الاتصالات ويحوك المؤامرات ويرسل الشكاوى المجهولة وينشر الاشاعات ويضم الى جانبه مجتمع الحجرة بأكمله .. ويعرب هذا المجتمع فى استحياء وخوف أول الامر عن ضيقه بالبطل ثم ما يلبث بعد ذلك بقليل أن يسفر عن كراهيته اياه ، وعن ضيقه ببساطته وتلقائيته . عندئذ أخذت تتخلق فى الحجرة اللعبة المروعة لعبة البراءة والدينونة والتحققات المستمرة والاستراتيات الغامضة . ويتيقن الجميع من أن البطل جاسوس يشى بهم لدى صديقه وكيل النيابة . وبداوا يعاملونه وفق هذا اليقين ، يتصرفون أمامه باحتراس وحذر ويتحاشون الحديث معه أو الاحتكاك به . واختلطت الامور بشكل مروع واهتزت المعايير وسيطر على عالم القصة منطق من نوع فريد .. فالبطل وهو الضحية الحقيقية لهذا المجتمع المحيط يتحول فى نظرهم الى جانى .. وهم الجناة يتصورون أنفسهم ضحايا ويفتنون فى الدفاع عن أنفسهم بشتى الطرق . ويتحول عالم القصة الى كابوس ممزق ، فالجماعة العاجزة عن مواجهة عدوها الحقيقى ، تصطنع من نفسها عدوا زائفا وتعامله بمنتهى القسوة والشراسة . وكأنها تريد أن تقنع نفسها بأنها لم تقصر فى الدفاع عن نفسها .. وبطلنا جزء لا يتجزأ من هذه الجماعة المهدرة لكل المقادير ، أو بالاحرى غفلته عن احترام طقوس اللعبة ، قد وضعته فى الجانب الاخر . وهيأت للجماعة فرصة التضحية به حتى تضمن لنفسها نوعا من السلامة النفسية الكاذبة وحتى تزيح عن كاهلها بتضحيتها به جزءاً من احتشاشها الدفين بالعجز والاحباط . ويكشف هذا الموقف عن ضيق واضح بالجماعة التى تبدو فى بعض أقاصيص كاتبنا وكأنها كيان معاد ومستعد للسخرية من الفرد وللتشفى فيه . وقد سبق لها أن انتهكت لحظة تحقق صغيرة لبطل [المظاهرة] وسخرت منه ، وحمله كل فرد فيها نتائج فشله فيما نجح - البطل - فيه دونما قصد . وها هى تنساق وراء تقولات سمير فى هذه القصة وتتحول الى جلاد رهيب للبطل .. وسوف تسفر بعد قليل عن نفس الموقف من بطل قصة [بجوار اسماك ملونة] وتحاصر لحظة فشله بنوع من التشفى عند نهاية القصة .. لكن علينا أن نعود الان - بعد تسجيل هذه الملاحظة - الى مواصلة تحليلنا النقدى للقصة .

وتقدم القصة - كعادة بهاء طاهر فى نسج التنويعات الجزئية على اللحن الرئيسى - تنويعا آخر على مأساة البطل من خلال كل من مدير الادارة التى يعمل فيها البطل ، ووكيل النيابة الذى اجرى معهم التحقيق . فكل منهما يتحرك على مد المساحة الفاصلة بين البراءة والدينونة . المدير المضطهد المحروم من عضوية كل اللجان ومن الرواتب الاضافية وحتى من الاعتراف بالدكتوراه التى حصل عليها من اليابان . المتهم فى نفس الوقت من جماعة الموظفين لانه لا يوفر لهم الحماية التى يوفرها غيره من المديرين لزملائهم . ووكيل النيابة الذى يبدو فى بداية القصة من خلال اسئلته الغريبة التى تلاحق الموظفين حتى لتكاد تودى بهم ، جانيا حقيقيا ، لا يلبث أن يتحول فى نهايتها الى ضحية للحظة تيقظ انسانيته فى اغواره . فلو ظل جلادا من البداية للنهاية ولم يضعف أمام ذكريات الصبا واحلام السفر فى العالم وارتياد الاصقاع المجهولة ، لما أصابه ضرر . وهو بالفعل أقل الشخصيات الثلاثة تعرضا للضرر لانه أمرفهم بقواعد اللعبة . فهو يؤكد للبطل « نحن لن نصلح الكون » ويعرف ما الاشياء التى ينبغى أن يذيعها المرء وما هى الاشياء التى عليه أن يبقيها سرا . وهو بذلك يعطينا صورة متشابهة للبطل ومناقضة لها فى نفس الوقت . أقول أن كلا من المدير ووكيل النيابة يقدم تنويعا آخر على مأساة البطل يعمق من احساسنا بها . ويؤكد أن ما اكتوى به البطل من عذاب ليس شيئا استثنائيا ، ولا ظلما وقع على فرد سىء الحظ ، ولكنه جزء من أجحاف عام ، ومن شبكة كاملة من العلاقات المقلوبة ومن نظام كامل للقيم . فليس البطل هو الشخصية الوحيدة ولكن هناك كثيرون غيره ، يهبط الجو الخانق كاهلهم فى هذا المناخ الذى لا يطيق نافذة مفتوحة على عالم الفتيات المتوهجات بالرغبة والحياة . وكأنهن نداء مكتوم دائم للتمرد على هذا الهواء الفاسد من ناحية .. وشراك منصوب دائم للغواية من ناحية أخرى .. فنحن كما ذكرت من قبل فى عالم التآليف بين المتناقضات والكشف عن الاهداف المزدوجة الثاوية فى أغوار الحدث الواحد والفعل الواحد .

البطل .. والعالم الخارجى

بعد هذه الاقاصيص الثلاثة لابد أن تجىء آخر اعمال الكاتب وأكثرها تعبيرا عن فداحة هذا العالم الخارجى الذى يعيش فيه بطله وهى قصة [كومبارس من زماننا] (٧) فالبطل هنا لا يخرج الى العالم بل يقذف العالم بكل مشاكله حتى مقر داره . مؤكدا استحالة انفصاله عما يدور فيه . والقصة كما يشير عنوانها هى قصة هذا الكومبارس الصامت الذى لا يعطونه حق الحديث ابدا ، ولا يتركون له فرصة التعبير عن نفسه . ولكن النظرة المتفحصة لما يدور فيها تؤكد لنا انها قصتنا جميعا . وأن هذا الكومبارس الصامت المضطهد المحبط يلخص الكثير من سمات الشخصية المصرية فى هذه المرحلة من تاريخها . وان هذه العمارة التى يدور حولها الحديث برغم أنها تظل طوال الوقت مجرد عمارة معينة تتسع حتى تصبح المقر والوطن . ولهذا تكتسب القصة أهميتها الكبرى من حيث تعبيرها عن فداحة العالم الخارجى الذى يعيش فيه بطل كاتبنا الاثير . وان كانت لا تقدم لنا نفس البطل الذى تعرفنا على ملامحه النفسية والاجتماعية والموقفية فى الاقاصيص الثلاثة السابقة . فهى قصة العالم الذى يعيش فيه البطل لا قصة البطل نفسه . لكنها لا تقدم هذا العالم بشكل تجريدى بل من خلال ثلاثة نماذج أساسية يقترب احدها وهو الكومبارس من بطل كاتبنا الاثير الى أقصى حد . ففيه بعض من تلقائيته وبعض من تصوره لوجود منطق عام يحكم الاشياء وبعض من لا مبالاته وسلبيته وسذاجته . بينما يختلف عنه النموذجان الباقيان الى حد التناقض معه .. أولهما جاره الاعزب الذى يتزعم حملة جمع توقيعات سكان العمارة على شكوى جماعية ضد صاحبها . وهو شخصية ايجابية من نوع فريد اذا قيست بالشخصيات التى قدمها الكاتب فى أقاصيصه الباقية . وربما كانت هى الشخصية الايجابية الوحيدة فى عالمه

---

(٧) نشرت فى الملحق الادبى والفنى لمجلة [الطليعة] عدد ابريل ١٩٧٢ .

إذا فهمنا الايجابية بمعناها الصحيح من انه شخص يهتم بشئون الاخرين ، يعرف « أن سبب كل ما حدث ويحدث فى العمارة ان كل ساكن يتصرف بمفرده ولهذا يسهل ضربه » ثم يقرن المعرفة بالعمل ويبادر بجمع توقيعات السكان لان من المستحيل ضربهم جميعا . أما النموذج الثانى فهو صاحب العمارة وهو نقيض شخصية الجار الاعزب وان كان يماثله فى ايجابيته ، ولكنها ايجابية من النوع المعكوس لانها ايجابية شريرة. وقد صاغت هذه الايجابية الشريرة مجموعة من الجزئيات والظروف المروعة التى تلخص مراحل بأكملها من تاريخ مصر . وعلى انقاض هذه المراحل شيد صاحب العمارة اسلوبه فى السيطرة على سكان عمارته . وهو اسلوب يتسم بالتسلط والمرونة ويندغم فيه الترهيب بالترغيب .. يذكرنا بأسلوب الاب فى قصة [الخطوبة] اذا ما سدت الخطوط حتى نهاياتها المحتومة . ويوقظ فى أغوارنا مجموعة من الذكريات الاليمة التى شوهت الشخصية المصرية وأوهنت روحها .. ذكريات التعذيب الوحشى وامتهان كرامة الانسان وآدميته .

ومن خلال تشابك العلاقات بين هذه الشخصيات الثلاثة تصوغ لنا القصة تفاصيل الكابوس الرهيب الذى تتسع فيه دلالات الجزئيات المحدودة فى القصة، وتتعدد فيه مستويات المعنى فيها دون أن تفقد القصة تأثيرها وشاعريتها على أي مستوى من مستويات رؤيتها أو تفسيرها . فحتى اذا ما أخذت على انها مجرد قصة هذه الانماط البشرية وهذه العمارة المثقلة بالمشاكل ، فانها تظل عملا فنيا جيدا . صاغ لنا بتمكن واقتدار ملامح مجموعة من الشخصيات الانسانية المتميزة ، ولا سيما شخصية صاحب العمارة . لكن القصة توحى لنا بعدة مستويات من المعنى ، تشير فى احدها المشاكل المتراكمة فى العمارة من انقطاع المياه وتعطل موتور الخزان وتوقف المصعد وقذارة السلالم وانطفاء نورها ، الى تراكم المشاكل فى عالمنا ، وتشير حكايات صاحبها عن الارهاب والتعذيب الى جذور المخاوف التى تعانى منها شخصياتها والتى تجعلها عاجزة عن مواجهة هذه المشاكل بصورة صحيحة . فبطلها الكومبارس المحبط الذى اندفع تحت تأثير تأنيب الضمير الى التوقيع على الشكوى ما يلبث أن يعود تحت تأثير هذه المخاوف ويطلب شطب توقيعه . لان هذه المخاوف أقوى من كل اندفاعات تأنيب الضمير أو المبادرات الراغبة فى الاصلاح . والقصة تؤكد لنا أن ما يعانيه بطلها فى العمارة لا ينفصل عما يقاسيه فى عمله ككومبارس صامت . وان محاولاته الفردية للنجاة من شبكة هذا الكابوس عبث . كما أن محاولة جارة لجمع توقيعات جميع السكان لم يقيض لها النجاح . فصاحب العمارة لا يلبث أن يهدده .. بل ويغريه بأن يترك العمارة بأسرها ويهاجر الى مكان آخر يهيء له سبل الانتقال اليه . فما عادت العمارة باسرها تطيق مشاغبا مثله ، لم يعرف بعد أن عليه الا يهتم بغير مصلحته الذاتية والا يعبأ بمشاكل الاخرين وكأنه لم يسمع بعد بقول وكيل النيابة فى قصة [النافذة] « نحن لن نصلح الكون » .

هذه هى القصص التى يقدم فيها الكاتب بطله الاثير فى مواجهة العالم الخارجى .. وهو لايتبنى هذا البطل كلية ، ولكنه يتعاطف معه . انه يعرف أن فيه عيوبا تكاد تودى به . لكنه يعرف أيضا أن هذه العيوب بنت الظروف الحضارية التى عاشها . والتى رسبت فى أغوار هذا النوع من اللامبالاة المرضية . وهذا الاحساس المدمر بالعجز والاحباط . لذلك يصعب علينا أن ندين هذا البطل ادانة كاملة ، أو نبرئه براءة كاملة .. بل لنتركه على الاعراف الفاصلة بين البراءة والدينونة . لانعرف أن كان مصيبا فى اتخاذه من اللامبالاة والسلبية صدفة تقيه من الانخراط فى تيار الانتهازية والبراجماتية ، واعتياد الشر أو بالاحرى مباركته والموافقة عليه . ولا نعرف ان كان تمسكه بأذيال ذلك المنطق العام موقفا ايجابيا منه ، ازاء الشر المستشرى أم انه عجز عن فرض منطقه الخاص بالصورة التى يفرضها بها الاب فى قصة [الخطوبة] . غير اننا لا نستطيع برغم ذلك كله الا أن نتعاطف مع هذا البطل لانه صورة منا . ولانه قلعة مائلة فى وجه رياح الشر ، لا تستطيع أن تصد عربدة هذه الرياح ولكنها تعوق انطلاقها ، فلم تسقط بعد برغم انهيار بعض ابراجها وتصدع بعض جدرانها . ولذلك فان القصص الثلاث لا تكشف عن نواقص شخصية البطل بقدر ما تعرى مواضعات هذا الواقع الاجتماعى وتيهه الشائه . بصورة نحس معها أن فى هذا البطل السلبى قدر من البطولة الايجابية ، لانه أستطاع أن يقاوم الامواج التى تشده الى الجانب الاخر .

وعلى هذا الجانب الاخر تقف مجموعة من النماذج التى لاتقل بؤسا من هذا البطل . وبرغم ذلك فان الكاتب لا يتعاطف معها كما تعاطف مع بطله هذا بل يكاد ينفرنا منها .. وهذه المجموعة من النماذج تكاد تشمل كل الشخصيات النسائية التى قدمها فى اقاصيصه باستثناء شخصية أو شخصيتين .. فالنساء عنده يقدمن الصورة المناقضة تقريبا لصورة البطل الذى تعرفنا على كل ملامحه من خلال تحليلنا للاقاصيص السابقة — وستؤكد بقية الاقاصيص نفس هذه الملامح — .. فاذا كان هذا البطل لا مباليا فى أغلب الاحيان يؤمن بانه مازال ثمة منطق عام أو بالاحرى منطق معقول أومنطقى ويستجيب لعواطفه الانسانية ويعتقد بوجود مجموعة من القيم ، التى تبدو للاخرين بالية وربما مضحكة .. اذا كان البطل ، أو الرجل، هكذا فان المرأة عنده عكس ذلك على طول الخط . انها ليست من ذلك الجنس الناعم العاطفى الرقيق كنساء القصص الرومانسية ، ولكنها من جنس آخر غريب .. لا تأسرها كلمات الحب ولا العواطف الانسانية الصادقة . ولا تعرف اللامبالاة أو السلبية ولا تعترف بغير منطقها الذاتى الذى لايعرف الروادع الانسانية أو الاجتماعية بل يمضى فى سبيل تحقيق هدفه ولا يلوى على شيء . ولا نلتقى فى أى واحدة من قصصه بتلك المرأة الرقيقة الشاعرية التى تهب الرجل الراحة والحب والطمأنينة .. فالمرأة عنده قاسية .. عملية الى أقصى حد ، فكره العواطف والانفعالات ، وتعرف غرضها والطريق اليه معا . وحتى فى اللحظات التى تلوح فيها هادئة منكسرة مطواعة ومستسلمة — كالزوجة فى قصة [الاب] — فانها تخفى تحت قناع هذا الاستسلام المنكسر هدفها وغرضها العملى . وتجعل من هذا الاستسلام سبيلها الخفى لقهر الرجل وللانتصار على ارادته . وهذه الصورة القاسية التى يرسمها قصاصنا للمرأة هى أكثر الصور تواؤما مع مواضعات هذا العالم الذى انقلبت معاييره واختلت موازينه . ففى عالم لا يستطيع الرجل أن يسيطر على أبسط أشيائه تجنح فيه المرأة الى احتلال مكانة الرجل .. وهناك قصة بأكملها [نهاية الحفل] تؤكد لنا فشل الرجال ككل حتى فى تحقيق السيطرة القضيبية على نسائهم ، وتندر الزوجات المكشوف الجارح معا بعجز أزواجهن عن اشباعهن . وانتقال العجز والاحباط الذى يعانيه الرجال فى الخارج الى فراشهم فى الداخل . وتنتهى هذه القصة بصورة تجسيدية لانهيار الرجال حيث يبكى أحدهم ويصاب آخر بالقيء وثالث بالانهيار ، بينما تبدو النساء متماسكات آمرات مسيطرات على كل شيء بما فى ذلك أزواجهن . والقصة لا تترك أمام النساء خيارا فى الاضطلاع بدور الرجل . بل وتشير الى سعادتهن بهذا الدور ، ولنتريث قليلا عند هذه القصة .

العالم — المقلوب

تدور أحداث (نهاية الحفل) (٨) فى حفل عيد ميلاد يرين عليه جو مألوف

وقريب فى آن . تحت سطح الاحداث المألوفة والقفشات العابرة والنكبات الدارجة تدور أحداث من نوع غريب يتخلق عبرها الكابوس المروع الذى تصوغه القصة . ومن البداية يشير الينا الديك الرومى المنتهش بعظمة فخذه العارية وبتربعه الزائف وسط شرائح الليمون على مائدة الاحتفال ، الى طقوس النهش الجماعى التى سوف تمارس بحذق وهدوء ومهارة .. طقوس التعرية وتبادل الاهانات الجارحة وتعذيب الذات والاخرين معا .. فالنساء جميعا يجرحن ازواجهن ويعترفن بأنهن سباع بحر . وهن يفعلن ذلك بشكل علنى ويقلن « أن النميمة أصبحت مودة قديمة . نفضل الان الهجوم المباشر » . والرجال أشبه مايكون بهذا الديك الرومى المنتهش المتربع فى أبهة كاذبة على مائدة الاحتفال . فبرغم نجاحهم التجارى فى الحياة وحصولهم على الفيلا والسيارة والشهرة والجوائز — كل أبطال القصة من الكتاب والفنانين — فان فى داخلهم آلام وتمزقات وتشوهات دفينة .. ترتوى من التناقض الدامى بين واقعهم المرير الرافل فى رفاهية جارحة . وبين ماضيهم العامر بالكفاح والاحلام المشرقة والاهداف النبيلة .. فها هو بطل انتفاضة عام ١٩٤٦ الوطنية قد تحول الى عميل سرى لاجهزة الامن وكاتب مسرحى تصادر الرقابة اعماله فى نفس الوقت . والاهم من ذلك أن الجميع يعرفون عنه ذلك ويحترمونه ويتوددون اليه ، بل ويستضيفونه فى بيوتهم . ويستضيفون أيضا عشيقته معه والغريب أن الشخصية الوحيدة التى لا تشكك القصة فى عجزها الجنسى ، ربما لانها عرفت برغم هذه الازدواجية الخطيرة بين وجهها السرى والعلنى ، وهذا التناقض الواضح بين ما تعتقده حقيقة وما تعلن عن اعتناقه ، عرفت برغم هذا الطريق الى التحقق والسبيل الى مداراة جراحها التى لاتطفو الا عند الافراط فى الشراب . وهذا الجرح الغائر الذى تعانى منه هذه الشخصية تعانى بقية الشخصيات من تنويعات مشابهة له . وتسفر هذه المعاناة عن نفسها فى ذلك العجز الجنسى والعضوى الذى يشى بفقدانها للفعالية برغم تحققها الظاهرى الكاذب . ونساء القصة يعرفن كل هذا عن رجالهن . وبينهن جميعا اتفاق على عدم احترام الرجل وعلى عدم التفريط فيه فى نفس الوقت . لذلك فانهن يعاملنه بنوع من التعالى الجارح والسيطرة القسرية . باعتباره شيئا ضروريا وان لم يكن محبوبا أو محترما . وتؤكد القصة فى النهاية هذه العلاقة الغريبة المعقدة من خلال حديثها عن تمثال الراقصة الاسبانية الذى يبدو من الظاهر جميلا وسليما ولكنه فى الحقيقة مشروخ بل مكسور وملصق . وهذه حالهم جميعا .. ممزقون ومحبطون ومليئون بالصدوع والشروخ وان كان يبدو عليهم النجاح والتحقق والتماسك .

فى قصتى (المطر فجأة) (٩) ، و (بجوار أسماك ملونة) (١٠) يواصل الكاتب تعميق هذه الصورة البشعة للمرأة .. فاذا كان باستطاعتنا أن ننتحل لنساء [نهاية الحفل] الاعذار وان نلقى بعض اللوم على ازواجهن برغم تعاطف القصة الشديد مع الازواج ونفورها من سلوك الزوجات البشع ، فاننا لا نستطيع أن نفعل ذلك بالنسبة لشخصيتى القصتين .. وهما بالاحرى شخصية واحدة تتكرر فى القصتين — فمحصول الكاتب من تنوع الشخصيات قليل للغاية والرقعة التى تتحرك فيها هذه الشخصيات فى عالمه القصصى ضيقة ولكنه استطاع أن يقدم الكثير من خلال هذا العدد المحدود من النماذج وهذه الرقعة الضيقة — أقول أن القصتين تقدمان شخصية واحدة وأضيف هنا أن هذه الشخصية الواحدة هى التكثيف الفنى لبعض خصال شخصيات [نهاية الحفل] النسائية .. فى القصة الاولى — [المطر فجأة] — ومن خلال موقف بسيط وحوار فنى بارع يقدم لنا الكاتب شخصية الفتاة العملية أو بالاحرى البراجماتية فى ثقتها بنفسها التى تبلغ حد الحماقة أو الغرور ، وفى صممها ازاء كلمات الحب وجفولها من لمسات الود الرقيقة ، ومعرفتها المتززة لهدفها واندفاعها الاحمق نحوه دونما مراعاة لمشاعر صديقها المتيم بها . وفى القصة التالية [بجوار اسماك ملونة] يعالج نفس الموقف ولكن بعد خبرة خمس سنوات بالفن وبالشخصية الانسانية معا . تسفر عن نفسها فى ازدياد تمكنه من السيطرة على الشخصية والموقف ، وفى قدرته على اكتشاف أكثر من بعد واحد فيهما ، وعلى استخدام المفارقة كوسيلة بنائية مرهفة بصورة ناضجة ، وعلى تعرية الشخصية الانسانية والسخرية منها فى نفس الوقت .. فبطلة هذه القصة تكاد تكون هى نفسها بطلة [المطر فجأة] لكن الكاتب يكشف لنا هنا شخصيتها بشكل أعمق .. فبراجماتيتها الصارمة لاتفلت هنا من سخريته ولا من سخرية القارىء الذى سيذهله أن بطل القصة يفلح فى التفاهم وربما فى التواصل مع الجنود الهنود الذين لايعرف لغتهم بينما يخفق فى مجرد التفاهم لا التواصل معها .. والقصة ببساطة قصة شاب يطلب من زميلته فى العمل موعدا للقاء فى الخارج بعد أن يصرح لها بحبه .. وهى لاتبدى أى اهتمام بعواطفه وان كانت تقبل أن تجىء فى الموعد .. تجىء متأخرة وربما فى نيتها أن تلقنه درسا فهى من النوع العملى الذى يعرف هدفه بوضوح . وتظل تحكى عن أخيها الضابط الطبيب الذى دفع مهرا كبيرا ورغم ذلك فان أهل زوجته يعذبونه كلما نزل من الجبهة فى أجازة قصيرة .. وعن ايمانها — الزائف بالطبع — بالصداقة بين الجنسين ، وعن اعتبارها تصريحه بالحب مجرد هفوة لسان أو لحظة طيش ، وعن الفارق بين جروبى وصالة الشاى الهندى وعن اعجابها بالاسماك الملونة التى دار بجوارها الحديث والتى لم تشهدها فى الواقع الا لحظة انصرافها . لكنها لا تحكى هذه الاشياء بلا هدف . فتصرفاتها وحكاياتها كلها محسوبة .. وما دار قبل أن يصرح لها البطل بأنه « شخصيا لايؤمن بالمهر والشبكة وغير ذلك » كان يستهدف الايحاء بنوعية العلاقة الوحيدة التى يمكن أن تقيمها معه وبشروط هذه العلاقة أيضا .. لذلك ما أن صرح هذا التصريح حتى اختلف الموقف وتغير ايقاع الحدث والحديث معا . لكنها — أى البطلة — فيما قبل الحديث وبعده ظلت مخلصة لحسها العملى مستمرة فى زيفها وادعائها ، محافظة على القشرة الخارجية الهشة التى تستر خواءها وشراستها معا .

اما قصة (الصوت والصمت) (١١) فانها تقدم لنا جانبا آخر من هذه

(٨) نشرت فى مجلة (المجلة) عدد مايو ١٩٧٠ .
(٩) نشرت فى (صباح الخير)العدد ٤٨٤ فى ٨ ابريل ١٩٦٥ بعنوان (وانا ايضا لا احبك) .
(١٠) نشرت فى جريدة (المساء)فى ٢ يناير ١٩٧٠ .
(١١) نشرت فى مجلة (الكاتب)مارس ١٩٦٦ .

الشخصية النسائية من خلال تلك العلاقة الغريبة المعقدة بين أم وابنتها . حيث ينهض تعارض مؤلم بين رغبات وصبوات كل منهما بصورة تصبح معها كل واحدة منهما عقبة فى سبيل تحقق الاخرى .

ويصبح على كل منهما أن تختار بين التضحية بالاخرى أو التضحية بنفسها . وقد خلق هذه العلاقة المعقدة بينهما استسلام الام التى مات عنها زوجها وهى لما تزل فى عقدها الرابع لرغبتها فى التحقق كأنثى . مما اساء الى سمعتها ، ودفع خطيب ابنتها الى الانفصال عنها بسبب سوء هذه السمعة. وقد كتب الخطيب للابنة خطابا يحدثها فيه عن مباذل أمها الساقطة . قررت بعده الابنه أن تقاطع أمها والا تكلمها أبدا .. وتحولت بذلك الى عينين صامتتين تراقب الام وتدينها وتعذبها . والام تحتمل هذا العذاب لان العمارة التى يعيشان منها مسجلة باسم الابنة وهى فى حاجة الى جانب من ايراد هذه العمارة لتنفق على شهواتها . أماالابنة فانها تواصل بالصمت تعذيب امها ، وحينما تدرك انها بدونها ستكون وحيدة فى هذا العالم من خلال ذلك العرض المفتعل لمأساة طفلين فقدا أمهما تؤوب الى أمها لكن دونما وصال حقيقى . فكل منهما ينظر الى الحياة بصورة مختلفة الام تفضل أن يتم تحققها الانثوى على حساب تحققها الانسانى ،بينما نهجت الابنة بتحققها الانثوى لحساب تحققها الانسانى . ولذلك فانهما لا يلتقيان أبدا ويظل كل منهما عبئا على الاخر وعذابا له حتى تتحول العذابات الانسانية من ثقلها وفداحتها الى آلام عضوية حادة فى نهاية القصة .

لا تبقى بعد ذلك سوى قصة (فنجان قهوة) (١٢) وهى قصة لا تنتمى كلية الى هذا العالم المألوف الغريب الذى يقدمه بهاء طاهر فى أقاصيصه السابقة وان طالتها بعض ملامحه .. ففى هذه القصة يدلف بنا الكاتب الى واحد من بيوت القلوب المحطمة .. الى بيت فقد عائله حديثا . ويستغل رصانة البناء التقليدى فى القص والتقطيع الحديث الذى يلعب بعنصر التزامن وهو يقدم لنا المفارقات الحادة بين ما يدور فى اللحظة الواحدة . وزمن القصة هو ذلك الزمن الذى يستغرقه اعداد فنجان القهوة الذى يشير اليه عنوانها . لكنه برغم قصره ذاك ملىء بالاحداث الصغيرة التى تكشف لنا عما يدور فى أغوار شخصياتها أبناء الفقيد الثلاثة مدحت وسمير وليلى وأمهم وعمهم حامد . فلكل شخصية من هذه الشخصيات عالمها الخاص الذى اصابه موت الفقيد بضربة قاصمة . فالابنة التى كانت ترفض الزواج بابن عمها لانها تحب جارها عليها الان أن ترضى بمن هو أسوأ منه . والابن الذى كان يسخر من الموظف السمين الذى كان يؤدى معه الامتحان هو وحبيبته عليه الان أن يواجه مصيرا كمصيره وأن ينحى حلمه بأن يصبح معيدا فى الجامعة بعيدا . وهكذا الحال بالنسبة لبقية الشخصيات التى ينجح الكاتب فى تعريتها والكشف عن أغوارها بشاعرية وليونة . وخاصة شخصية الابن الاصغر الذى فقد مع الاب المثال ، لانه سمع فى سرادق العزاء عن فساد الاب احاديث مروعة ، لذلك فانه اجرأهم فى مواجهة العم وفى وضع النقاط على الحروف .. والقصة كقصة بيت من بيوت القلوب المحطمة عمل شاعرى جميل . تشده الى عالم كاتبنا بعض الخيوط الواهنة التى تجدلها المفارقة بين واقع الاسرة وأحلامها وبين تقاليد العائلة وموقف العم وسلوكه .

هذه هى تفاصيل العالم الذى يقدمه لنا بهاء طاهر .. وهى تفاصيل تنطوى على أغلب القضايا التى يثيرها وأهم المقولات التى يطرحها فى نفس الوقت . وقد آثرت خلال عملية التحليل النقدى ان امزج الحديث عن بنيان القصة بالحديث عن محتواها بالموقف النقدى من الجزئيين فى نسيج واحد . غير أن هذا لم يستغرق كل الملاحظات التى اثارتها هذه المجموعة من الاقاصيص، ومن هنا فسوف أجمل هنا بقية الملاحظات التى لم يتسع لى أن أوفيها حقها اثناء عملية التحليل النقدى وان كنت قد مسست بعضها مسا خفيفا . وأول هذه الملاحظات هى ان لجوء الكاتب الى التحقيق كشكل من أشكال البنيان القصصى واعتماده الكبير على الحوار ، كان جزءا من جوهر رؤيته للانسان المعذب بنيران الاعراف الفاصلة بين البراءة والدينونة . ولان هذا الانسان عنده مدان بلا جريرة ومصلوب على صليب الدينونة هذا فان الكلمات تصبح الخناجر المشرعة فى وجهه . والمسامير التى تشدده الى هذا الصليب . ومن هنا يأخذ الحوار عنده هذا الايقاع الحاد وهذه الرنة التى تقترب به من التحقيق الصارم . وهو تحقيق تبدو فيه القوى المضادة مخاتلة داهية تعرف من أين تنقض على البطل وكيف تودى به وما هى نقاط ضعفه !! ويتأكد عبره توقد الجانب العقلى لدى كاتبنا دون أن يوقعه هذا التوقد فى التجريد أو الذهنية .

وتسلمنا هذه الملاحظة الى لجوء الكاتب الى البناء التقليدى الرصين ، والى قدرته على أن يصوغ بأدوات هذا البناء التقليدى عالما فنيا معاصرا . وأن يبلور رؤية تنتمى الى جوهر رؤى الستينات وتستقطب أهم ملامح المرحلة وقضاياها . دون أن نلمح أى صدع بين البناء والرؤية . اذ استطاع أن يجعل هذه الادوات البنائية وجها من وجوه المعنى فى عالمه ، وفعالة مشاركة فى التأليف بين المتناقضات وفى اكتشاف دورها الثانوى فى رحم الاشياء . كما انه استطاع أن يستخدم هذا البناء التقليدى الرصين فى تحقق ثلاثة أهداف أساسية .. أولها كسر حدة غرابة هذا العالم الذى يقدمه ، فهو عالم غريب بما فيه الكفاية ولا ينقصه الاغراب التكتيكى . وثانيها تأكيد صلابة هذا العالم الغريب ورسوخه واستقراره . وثالثها تقديم نوع من البرهان العقلى الصارم على المقولات التى يقدمها فهو أميل الى العقلانية — كما ذكرت — وأبعد ما يكون عن السنتمنتالية . ولكنها عقلانية غير باردة فبها درجة عالية من الحرارة والشاعرية . وان جنحت فى بعض الاحيان الى الذهنية والتمحل عند محاولتها لاحكام البناء القصصى . فقصاصنا شديد الميل الى احكام بنائه القصصى بشكل هندسى صارم ، والى تقديم مجموعة من التنويعات الجانبية على لحنه الرئيسى بصورة تدفعه الى اختلاقها اختلاقا فى بعض الاحيان . وان استطاع أن يوظف هذه التنويعات بصورة ناجحة فى معظم الاحيان وأن يوسع بها من أفق عالمه الفنى وأن يؤكد عبرها صلابة هذا العالم الغريب . وأن يمزج خلالها عذابات بطله النفسية والوجودية بالهموم الاجتماعية والسياسية والحضارية . ثم يغلف هذا كله برداء شفيف من التهكم والسخرية .

---

(١٢) نشرت فيمجلة (روزاليوسف)خلال عام ١٩٦٥ .

جــروتــوفســكى والمســرح الفقــير

فاروق عبد القــادر

[لعل المسرحي البولنــــدى جيرزى جروتوفسكى أن يكون أكثر فنانى المسرح المعاصر تأثيرا فى الغرب . فمن معمله المسرحى فى مدينة بولندية صغيرة يمتد تاثيره الى مراكز التجــريب فى أوربا وامريكا : الى بيتر بروك و « النيو ــ أولدفيك » فى لندن ، الى بوجين باربا ومسرحه فى ايطاليا ، الى جوليان بيك ومسرحه الحى وبيتر شــومان ومسرح الدمية والخبز فى أمريكا . ولعل تفرد جروتوفسكى كامن فى أنه ليس مجــرد مخرج أو مؤلف أو ممثل او مدير فرقة أو مفكر نظرى فى المسرح ، هو شيء من هذا كله أو هذا كله معا ، هو رجــل مسرح بالمعنى الشامل للتعبير قبل أن نفتته ضرورات التخصص . ولعل تفرده كذلك كامن فى أنه طــرح على نفســه السؤال الرئيسى : ماهو المسرح ؟ . وفى البحث عن اجابة لم يعمد للتفلسف، لكنه دخل مباشرة قلب التجربة . وهو يقول عن مسرحه انه معمل بمعنى محدد للكلمة : البحث فيه محاولة للغوص داخل التجربة الانسانية نفسها : « فى عصر اختلطت فيه الامور اختلاط اللغات فى برج بابل ، وتمازجت فيه الانواع الفنية المختلفة ، فان الموت يتهدد فن المسرح : فالســينما والتلفزيون يغيران عليــه ويقتطعان من أرضه كل يوم . كل هذا دفع بنا الى محاولة البحث فى طبيعة المسرح : ما الذى يجعله مختلفا عن سواه من الفنون ؟ ما هذا الشيء فيه الذى لا يمكن استبداله أو الاستغناء عنه ؟ » .

ما هو المسرح ؟ لعلك ان ألقيت هذا السؤال على من يعنيهم الامر لراعك اختلاف الاجابات وتنافرها : هو عنــد الدارس الاكاديمى مكان يلقى فيه الممثل نصا مكتوبا ويســتعين على تفسيره بسلسلة من الحركات كى يجعله مفهوما على نحو أفضل ، المسرح عنــد هــذا الاكاديمى قطعــة أكســسوار ضرورية ومفيــدة لــلادب المسرحــى ، للنــص المكتوب . حتى ما يمكن أن يســمى بالمسرح الذهنى أو الثقافى أو ماشئت مجرد تنويع للفكرة نفسها : شيء أشبه بالمبارزات الشفاهية التى سادت أدب العصور الوسطى .

والمتردد على المسرح يعــرفه بأنه مكان للتسلية والتسرية ، ولعل أكثر ما يعنيه هو تلك الفصــول الصغيرة المضحكة أو التأثيرات الكوميدية . انه النص مرة أخرى . ان ممثلة حسناء تضع على جسدها أقل ما يمكن من الثياب هى فى ذاتها اغراء لبعض المترددين على المسرح ، دع عنك الحديث ــ المزركش بشيء من الثقافة ــ عن أدائها التمثيلى ، فليس هذا القول ــ عند جروتوفسكى ــ سوى تعويض عن احباط شخصى .

لكن ثمة نوعا آخر من المتفرجين : ذوى التطلعات الثقافية . هؤلاء قد يحب أحدهم أن يرى ــ بين الحين والحين ــ مسرحية « جادة » ، بل قــد يتعمد أن يشهد عرضا تراجيديا كلاسيكيا [مفترضــا بالطبــع أن بها عنصرا ميلودراميا لا باس به] ، هذا المتفرج يريد من ناحية أن يراه الاخرون وقد اندمج بهذا القطاع الراقى من المجتمع حيث تعتبر ممارسة الفنون الرفيعة أمرا مفروغا منه ، وهو من الناحية الاخرى يريد ان يمارس بعض المشاعر التى تمنحه شيئا من الرضا عن نفســه : أنه قد يحس شيئا من الرثاء لمصــير انتيجونا المسكينة ، وشيئا من الكراهية لكريون القاسى ، هنا تأتى الخدعة : رغم انه لا يشارك البطلة مصــيرها الفاجع إلا أنه يعتقد أنه يشــاركها امتيازها الخلقى ، الامــر بالنسبة له هو أن يحس القــدرة على ممارســة « نبله » الخاص ، يقول جروتوفسكى ان القيمة التعليمية لمثل هذه المشاعر أمر مشكوك فيه ، فالمشاهدون ــ وكلهم كريون ــ يقفون الى جوار انتيجونا طوال العرض ، لكن الواحد منهم لايفلت فرصة أن يسلك مسلك كريون بمجرد أن يضع قدميه خارج المسرح !

أما المسرح عند أهل المسرح فأمره أشد وأنكى . انهم لا يتفقون حول الحد الادنى من تصورهم له . ولنر بعض النماذج : فالواحد من أوساط الممثلين يرى نفســه هو المسرح ، أنه هو المسرح لا ما يمكن أن يحققه من خلال وسائله الفنية ، وهذا الاتجاه ضرورى من أجل تلك « الصفاقة » التى تجعل هــذا الممثل راضيا عن نفسه حين يسكون كل ما هو مطلوب منه أن يمارس أعمالا لا تقتضيه معرفة ولا جهدا : كأن يمشى ويجلس ويشعل سيجارة ويضع يديه فى جيوبه ... الخ ، يرى الممثــل المتوسط هذه الافعال غايات فى ذاتها واذا لقيت قبــولا من الجمهور تعمقت خدعته .

ومصمم المناظر لا يرى فى المسرح غير مساحة قابلة للتشكيل . هــؤلاء دائما من أنصار « المسرح الادبى » وهم يزعمون أن الديكور ، مثل الممثل ، يمكن أن يوضع فى خدمة الدراما . لكن هذا لا يعنى رغبتهم الملحة فى الدفاع من الادب قدر ما يعكس حساسياتهم الخاصة تجاه المخرجين . انهم يفضلون الوقوف الى جانب المؤلف لانه الاكثر بعدا من تنفيذ عمله والاقل تدخــلا فى عملهم . أما فى التطبيق فان أكثر المصممين قدرة وأصالة انما يعمد الى تقديم رؤية تشكيلية تواجه نص المؤلف أو تتجاوزه .



جروتوفسكى

والاخطر من هذين : ماذا يعنى المسرح بالنسبة للمخرج ؟ ان المخرجين كلهم جاءوا الى المسرح بعد أن فشلوا فى أعمال أخرى : فمعظم هؤلاء الذين حلموا يوما بأن يكونوا كتاب مسرح انتهوا الى الاخراج ، والممثل الفاشل يتجه الى الاخراج ، والممثلة التى لعبت يوما أدوار الفتاة الاولى ثم تقدم بها العمر تتجه الى الاخراج ، وناقد المسرح الذى يحس نفسه منينا تجاه فن لا يملك منه الا الكتابة عنه بعد اكتماله يتجه للاخراج ، ومدرس الادب الضجر بعمله الاكاديمى يرى نفسه أحق الجميع بالاخراج : فما المسرح فى نهاية الامر سوى تجسيد نص أدبى على الخشبة !

ولان المخرجين مدفوعون بدوافع نفسية مختلفة ، فطبيعى ان تتعدد وجهات النظر تعدد دوافعهم ، وطبيعى أن يتضح فى عملهم التعويض عن عاهات متباينة : فالرجل صاحب الاهتمامات السياسية المحبطة يتجه الى الاخراج مستمتعا بممارسة السلطة التى يتيحها له هذا المنصب ، مثل هذا الرجل فى العادة هو الذى يقدم العروض التى تناوش السلطة القائمة أو تماحكها !

ويود المخرج بالطبع أن يكون خلاقا ، لهذا يحاول — بوعى أو دون وعى — أن يقدم مسرحا مستقلا عن الادب الذى اتخذه مجرد تكأة فقط ، ومن الناحية الاخرى فان الافراد القادرين على تقديم مثل هذا الفن نادرون بالفعل ، أما معظمهم فتانبون بفهم أدبى أو ثقافى للمسرح ، أو ملتزمون بنظرية فاجنر التى ترى المسرح تأليفا من كل الفنون ، فهى نظرية تتيح استخدام عناصر تشكيلية فى تصميم المناظر ، الشىء نفسه ينطبق على الموسيقى سواء كانت مونتاجا أو أعدت خصيصا للعرض ، يضاف لهذا اختيار عرض لبعض الممثلين ذوى الاسماء المعروفة ، ومن خلط هذه العناصر — التى قد تتآزر تآزرا له منطق ما وقد لا تتآزر — يتكون العرض الذى يرضى تطلع المخرج . أنه ملك تم تتويجه على عرش كل الفنون رغم انه طفيلى يأكل فتات موائدها جميعا دون أن يرتبط بالجانب الخلاق لاى فن منها .

أليست هذه هى الافكار السائدة عن المسرح ؟ .. ماذا يقدم اذن هذا المسرحى الصابىء جيرزى جروتوفسكى ؟ أن تجربة جروتوفسكى — فى جوهرها — ليست تجربة لفظية ، ومن ثم يصعب دائما أن تصاغ فى كلمات ، وكل ما يمكن أن نصل اليه انما هو شىء تقريبى قد يوحى لكنه لا يحدد .

والفصل التالى ترجمة للنص الوحيد الذى كتبه جروتوفسكى عن تصوره للمسرح ، ونشر فى كتابه الذى يحمل العنوان نفسه [١] أما بقية فصول الكتاب فمقابلات أجريت معه على فترات مختلفة حول معظم القضايا التى يثيرها مسرحه .

نحــو مسرح فقيــر : نحو مسرح فقير

● يضيق صدرى أحيانا حين يسألنى سائل : «ما أصل عروضك التجريبية ؟» ويبدو لى أن الافتراض الكامن وراء السؤال هو أن العمل « التجريبى » شىء اضافى ، عارض ، [يلهو فى كل مرة بتكنيك جديد] ، ونتيجته المفترضة هى اضافة شىء لفنون العرض الحديثة : قد يكون شيئا فى تصميم المناظر يستخدم عناصر من النحت الحديث أو الالكترونيات او شيئا من الموسيقى المعاصرة ، أو ممثلين يعملون بحرية فى اسقاط كليشيهات ذات طابع تهريجى أو من فنون الكباريه . أعرف هذا كله وقد اعتدت أن أكون جزءا منه . أما عروض معملنا المسرحى فتمضى فى اتجاه آخر : اننا نحاول — أولا — أن نتجنب الانتقائية ، نرفض التفكير فى المسرح من حيث هو مركب مؤلف من فروع متباينة من الفنون والمعارف ، نحن نبحث عن تعريف ما هو مسرحى على الاصالة دون ريب ، ما يميز هذا النشاط عن سواه من أشكال العرض والاداء . ونحن — ثانيا — نرى أن عملنا بحوث تفصيلية فى العلاقة بين الممثل والجمهور ، ذلك أننا نعتبر التكنيك الشخصى والمنظرى للممثل جوهر فن المسرح .

● ومن الصعب أن أعين مصادر هذا الاتجاه تعيينا دقيقا ، لكننى أستطيع أن أشير الى تراثه : لقد ربيت على ستانسلافسكى ، فبحثه الدءوب المتصل وتجديده المنظم لطرائق ملاحظته ، وعلاقته الجدلية بعمله ، كل هذا جعل منه نموذجى الشخصى . لقد طرح ستانسلافسكى الاسئلة المنهجية الرئيسية وقد تكون الاجابات التى نقدمها نحن لهذه الاسئلة اجابات مختلفة ، وقد نصل الى نتائج تناقض ما وصل اليه .

● ودرست كل المناهج الاساسية لتدريب الممثل فى أوروبا وما وراءها . ووجدت أكثرها اهمية لتحقيق أهدافى هى : تدريبات دبلان للايقاع ، وبحوث دلسارت فى ردود الافعال الانبساطية والانط...

Jersy Grotowski, Towards a poor Theatre Methuen & Co. London, 1969.

وعمل ستانسلافسكى فى « الافعال الفيزيقية » وتدريبات ميرهولد البيو ـ ميكانيكية ، وتأليف فاختانجوف . والهمتنى كذلك وسائل تدريب الممثل فى مسرح الشرق ، وأشير ـ على وجه الخصوص ـ الى الاوبرا الصينية ، والكاتاكالى الهندية ، ومسرح النو اليابانى . واستطيع أن أضيف مناهج مسرحية أخرى . غير أن المنهج الذى نحاول تطويره ليس توليفا بين وسائل أخذناها من هذه المصادر [رغم اننا نحاول أحياناتطويع بعضعناصرها لاستخدامنا] نحن لا نريد أن نعلم الممثل مجموعة من المهارات المحددة سلفا أو نزوده بجعبة ملاى بالحيل والالاعيب . منهجنا ليس منهجا استدلاليا يقوم على جمع المهارات بل كل شىء فيه يتركز حول «انضاج» الممثل كما يعبر عنه توتر متجه لذروة قصوى (Climax) عن طريق عملية تجرد كاملة، يعرىخلالها فرد خصوصيته غير منقوصة دون أقل بادرة للاحساس بالذات أو الاستمتاع بعرضها : ان الممثل يقدم عطاء كاملا لنفسه ، وهذا سبيله لبلوغ « النشـــوة » وتحقيق التكامل بين كل قواه الجسدية والنفسية النابعة عن أعمق الطبقات فى غرائزه ووجوده ، تشق طريقها فى نوع من لحظة الاشراق التى يمكن انتقالها .

● تعليم الممثل فى مسرحنا لا يعنى اضافة شىء لما يعرفه ، نحن نحاول أن نستبعد مقاومة الكائن الحى فيه لهذه العملية النفسية حتى يتحرر من الفاصل الزمنى بين النبض الداخلى والاستجابة بحيث يصبح النبض الداخلى استجابة خارجية ، يتزامن النبض والفعل فيتلاشى الجسد ويحترق ، ولا يرى المشاهد غير سلسلة من النبض المرئى الخالص .

● منهجنا اذن يقوم على الاستبعاد والنفى (Via Negativa) . انه ليس تجميعا للمهارات لكنه ازاحة للعقبات .

● ان سنوات من العمل ـ خاصة من التدريبات المركبة [التى تحاول عنطريق تدريب الجسد والحركة والصوت أنتقود الممثل نحو النوع الصحيح من التركيز] ـ سمحت لنا فى بعض الاحيانباكتشاف بداية الطريق ، بعدها أمكن أن نرعى بحرص ما بعثناه . هذه العملية نفسها ـ رغم اعتمادها بعض الاعتماد على التركيز والثقة والكشف والاختفاء الكامل فى حرفـة التمثيـل ـ ليست عملية ارادية : هى حالة نفسية من التهيؤ السلبى لتحقيق دور ايجابى . هى حالة « لا يريد فيها الانسان أن يفعل كذا » بل « يقاوم من أجل الا يفعله » .

● وقد بدأ معظمممثلى المعمل المسرحى تدريباتهم نحو أن تصبح هذه العملية ممكنة الرؤية . انهم الان يركزون فى عملهم اليومى لا على الوسيلة الروحية بل « يقاوم من أجل الا يفعله » .

والدلالة التعبيرية للعلامات ـ انهم يركزون الان على الصنعة . ولا تناقض بين الوسيلة الداخلية والصنعة [بمعنى نطق الدور عن طريق مجموعة من العلامات] ، فنحن نعتقد أن العملية الشخصية التى لا يدعمها ويعبر عنها نطق له شكل محدد للدور وتكوين منتظم له ليس خلاصا ، وسيستعل دون شك فى هوة عدم التحدد (Shapelessness)

● ونحن نرى أنالتكوين الزائفللدور لا يؤدى للحد من تدفق ما هو روحى ، بل هو فعلا يؤدى لهذا التدفق ، [فالتوتر ـ الذى يغلب عليه طابع الاستجابة الحيوانية للمؤثر الخارجى ـ القائم بين العملية الداخلية والشكل يؤدى لتقوية كل من جانبى الصراع ، والشكل أشبه شىء بطعم شهى تستجيب له العملية الروحية استجابة تلقائية يجب ان تقاومها) . واشكال السلوك « الطبيعى » المألوفة تؤدى لان تصبح الحقيقة غائمة ، ونحن نبنى الدور بحيث يصبح نظاما من العلامات يحاول الكشف عما هو كامن خلف قناع الرؤية العادية: اى ديالكتيك السلوك الانسانى . ففى لحظة الصدمة النفسية العميقة ، وفى لحظة الرعب الطاغى ، وفى لحظة الخطر الداهم ، وفى لحظة الفرح الجارف لا يسلك الانسان مسلكا « طبيعيا » ، فالانسان فى حالته الروحية الرفيعة يستخدم نظاما من العلامات المنطوقة حسب أيقاع خاص ، ثم يشرع فىالرقص والغناء ، والعلامة هنا ـ لا الحركة المألوفة ـ هى القاعدة الاولى للتعبير عندنا .

● وباستخدامالمصطلح ، فاننا لانعمل عن طريق توليد هذه العلامات أو تراكمها [على نحو ما يفعل التكرار الشكلى فى مسرح الشرق] ، بل لعل الامر أقرب للجانب الاخر : فنحن نطرح من هذه العلامات ، ونقطرها ، ونستبعد منها كل ما هو خاص بالسلوك العادى وكل مايحجب النبض الخالص . وثمة تكنيكآخر يضىء التكوين الخلفى للعلامات عنطريق التناقض [بينالايماءة والصوت، بين الصوت والكلمة ، بين الكلمة والفكرة بين الارادة والفعل .. الخ] ، وهنا أيضا يقوم عملنا على الاستبعاد والنفى.

● وفى عروضنا من الصعب أن نحدد تحديدا دقيقا أى عناصرها صدر عن برامجنا المخططة يومى وأيها صدر عن البناء الاساسى لتخيلنا . وكثيرا ماسئلت عما اذا كانت هناك عناصر من مسرح العصور الوسطى وراء هذه العودة المقصودة للاصول كما تبدو فى الطقوس فى عروضنا . وليست لدى اجابةمحددة لهذا السؤال . فحسب المرحلة التى بلغها وعينا الفنى حتى الان تبدو لنا مشكلة « الاصول » الاسطورية للموقف الانسانى الاساسى مشكلة جديرة بالنظر . وليس هذا الاقتناع نتيجة فلسفةخاصة فى الفن بل نتيجـة الكشف العملى واستخدام قواعد المسرح . هكذا لاتنبع هذه العناصر عن مقدمات جمالية مسبقة لكن الامر أقرب لما يقوله سارتر : « ان كل تكنيك لابد أن يؤدى لتأمل ميتافيزيقى »

وقد ظللت سنوات عديدة متأرجحا بين الدفعات التى تولدها الممارسة من ناحية وتطبيق مبادىء جمالية مسبقة من ناحية أخرى دون أن أعى تناقضى . وقد كان صديقى وزميلى لودنيك فلازن هو أول من كشف لى هذا الخلط فى عملى : فالمادة والتكنيكات الصادرة تلقائيا عن اعداد العرض ، عن طبيعة العمل نفسه مادة كاشفة وواعدة ، أما ما آخذه عن تطبيق افتراضات نظرية فشىء أقرب للتعبير عن شخصيتى. انه اكثر مما هو تعبير عن فكرى . وأيقنت أن العرض يجب أن يؤدى الى الوعى أكثر مما يكون نتاجا له . وتركز عملى ـ منذ أوائل الستينات ـ حول المنهج ، كنت ـ عن طريق التجريب العملى ـ ألتمس اجابات للاسئلة التى بدأت بها : ما المسرح ؟ ما الشىء الذى يميزه عن سواه ؟ ما الشىء الذى يستطيع تقديمه وتعجز عنه السينما والتليفزيون ؟ وتبلور أمامى تصوران ملموسان : المسرح الفقير ، والاداء من حيث هو فعل من أفعال الكشف يمكن انتقاله .

● وبالاستبعاد التدريجى لكل ما يبدو زائفا وجدنا أن المسرح يمكن أن يوجد دون مكياج ، ودون تصميم للمناظر ، ودون مساحة مستقلة يدور فوقها الاداء [خشبة] ، ودون مؤثرات صوتية أو ضوئية .. الخ . لكنه لا يمكن ان يوجد دون علاقة الممثل بالمشاهد ، وهى علاقة تقوم على مشاركة مرئية وحية ومباشرة . صحيح أن تلك حقيقةمسرحية قديمة لكننا ان وضعناها فى موضع الفحص الدقيق والعميق أدت لنسف معظم أفكارنا المعتادة عن المسرح .. فهى ضد الفكرة السائدة عن المسرح من حيث هو تجميع يضم نظما فنية ابداعية مستقلة : الادب والنحت والرسموالاثاث والاضاءة والاداء [تحت ادارة مخرج (Mehear-en-scene)] ، هذا المسرح التأليفى هو المسرح المعاصر ، وهو ما ندعوه المسرح الغنى أو المترف .. مسرح غنى من حيث امتلائه بالشروخ والصدوع .

● والمسرح الفنى يقوم على مرض سرقة فنى ، فهو يقترض من نظم فنية أخرى ، ويبنى مشاهد مهجنة بمزيج خليط دون جوهر أو تكامل . رغم ذلك يقدم على انه عمل فنى متميز له خصوصيته وعضويته . وبمضاعفة هذه العناصر التى التهمها يحاول المسرح المترف ان يهرب من المأزق الذى أوصلته اليه السينما والتليفزيون . ومادامت افلام

السينما والتليفزيون متفوقة من حيث استخدام التوظيف الميكانيكي [المونتاج ، التغيير الفوري للاماكن .. الخ] فقد رد المسرح المترف بهجوم مضاد تمثل في دعوة تعويضية صاخبة لما سمى « بالمسرح الشامل » تقوم على التكامل بين وسائل مقترضة [شاشات العرض السينمائي على الخشبة مثلا] . ان هذا « اخفاء مسروقات » تكنيكية يأخذ طابعا متحذلقا حين يسمح بحركة وديناميكية هائلتين ... هذا كله لغو لا غناء فيه .

● ومهما كان المدى الذي يبلغه المسرح في مصادره التكنيكية واستغلالها فسيظل تكنولوجيا ، دون الفيلم السينمائي والتليفزيوني . لهذا أنا أطالب بمسرح فقير . لقد استغنينا عن تكنيك الخشبة ومكان العرض : وفي كل عرض نجد مساحة جديدة للممثلين والمشاهدين ، وهكذا تتاح لنا امكانيات لتنويعات لا نهاية لها على علاقة الممثل والجمهور : فبوسع الممثلين أن يلعبوا وسط المشاهدين معطين لهم الدور السلبي في الدراما [مثل عرضنا لمسرحية بايرون : « كين » ، وعرض «شاكونتالا» عن كاليداسا] ، وقد يستطيع الممثلون أن يقيموا تكوينات بين المشاهدين ويضموهم بالتالي داخل معمار الحدث ، مخضعينهم للاحساس بالضغط والحصار وضيق المكان [في عملنا القائم على مسرحية وسبيانسكي « أوكروبولوس »] وقد يلعب الممثلون بين المشاهدين متجاهلينهم تماما ناظرين من خلالهم ، وقد يكون الجمهور مفصولا عن الممثلين بسور مرتفع يتيح لرؤوسهم فقط أن تطل من فوقه على ما يحدث [« الامير القوي » عن كالدرون] ومن هذا المنظور المرتفع يطل المشاهدون على الممثلين كما لو كانوا يشاهدون حيوانات في حلبة سباق أو كما لو كانوا طلبة طب يشهدون عملية جراحية [وبالاضافة فان هذا الارتفاع المعزول يضفي على الحدث احساسا بالانتهاك الخلقي] ، وقد تستخدم الصالة كلها مجرد مكان : غرفة طعام في دير حيث يقدم فاوست « عشاءه الاخير» ويمتع المشاهدين الذين هم مدعووه في حفل ذي طابع باروكي حول موائد ضخمة يعكس لمحات مما يحدث في الحياة ، لكن الغاء الفصل القائم بين الخشبة ومكان المشاهدين ليس هو المهم هنا ، انه يخلق فقط موقفا معمليا محايدا وأرضا مناسبة للبحث . الشيء الاساسي هو العثور على الصيغة المناسبة للعلاقة بين المشاهد والممثل لكل لون من ألوان العرض ، ثم تجسيد هذه الصيغة بوسائل فيزيقية .

● وقد نبذنا مؤثرات الاضاءة ، وكشف هذا عن مدى غني بالامكانيات في استخدام الممثلين لمصادر الضوء الثابت ، عن طريق الحوار المقصود مع الظلال والبقع المضيئة .. الخ ، ومن المهم بوجه خاص ملاحظة أن المفرج اذا وضع في منطقة متوهجة بالضوء ، بعبارة أخرى اذا أصبح مرئيا فهو بالتالي يلعب دورا في العرض ، ومن المهم كذلك ملاحظة أن الممثلين — مثل الشخوص في لوحات الجريكو — يمكن أن يتوهجوا من خلال وسائلهم الشخصية حيث يصبحون مصادر «اضاءة روحية» .

● وقد نبذنا المكياج : الانوف الصناعية والمؤخرات المحشوة بالوسائد ، وكل شيء يضاف الى الممثل في حجرة الملابس قبل العرض . وقد وجدنا أنه شيء مسرحي من الطراز الاول أن ينتقل الممثل من نمط لنمط ومن شخصية لاخرى — على حين يرقبه المتفرجون — مستخدما جسده الفقير وحرفته فقط ، وتكوين تعبير وجهي ثابت باستخدام الممثل لعضلاته ونبضه الداخلي يخلق تأثيرا ذا طابع مسرحي باهر ، في حين أن القناع الذي يصممه فنان المكياج ليس سوى خدعة .

كذلك الازياء المسرحية التي تفتقد اية قيمة مستقلة ، انما توجد قيمتها فقط من حيث ارتباطها بشخصية معينة ، ويمكن تحويلها أمام المشاهدين في تناقض مع وظائف الممثل .. الخ ، وأدى استبعاد العناصر التشكيلية التي لها حياة في ذاتها [أي التي تمثل شيئا مستقلا عن نشاط الممثل] لان يخلق الممثل لنفسه أكثر العناصر أهمية وأكثر الموضوعات وضوحا . فباستخدامه الدقيق والمنضبط للايماء يمكن للممثل أن يحول الارض الى بحر ، والمائدة الى كرسي اعتراف وقطعة الحديد الى شريك حي .. الخ ، واستبعاد الموسيقى [حية أو مسجلة] التي لا تصدر عن الممثلين انفسهم أتاح للعرض أن يخلق موسيقاه الخاصة من خلال تناغم الاصوات الانسانية وأصوات الارتطام بالموضوعات ونحن نعلم أن النص في ذاته ليس هو المسرح ، وانه لا يصبح مسرحا الا من خلال استخدام الممثلين له ، بعبارة أخرى : انه لا يصبح مسرحا الا من خلال النطق وترابط الاصوات وموسيقى اللغة .

● وقبول الفقر في المسرح ، مجردا عن كل ما ليس أساسيا فيه يبين لنا العمود الفقري لهذه الوسيلة ، ليس هذا فقط بل كشف لنا كذلك تلك الاعماق الثرية الكامنة في الشكل الفني نفسه .

● لماذا نهتم بالفن ؟ من أجل أن نعبر حدودنا ، أن نتجاوز قيودنا ، أن نملأ خواءنا — أن نحقق أنفسنا . وليس هذا حالة لكنه عملية يضيء خلالها ما هو معتم داخلنا شيئا فشيئا وعلى مهل . في هذا النضال من جانب الفرد نفسه حقيقته الخاصة ، وجهده المتصل كي ينزع قناع حياته فان المسرح بقدرته على الادراك الممتلىء بالنبض يصبح مكانا للتحريض والاثارة ، وهو يصبح قادرا على تحدي نفسه ومشاهديه حين ينتهك تلك الانماط الجامدة المقبولة في الرؤية والاحساس والحكم ، وأكثر قدرة على الاثارة لانه مصور بأنفاس الكائن الانساني الحي وجسده ونبضه الداخلي الخالص . هذا الاعتداء على المقدس المحرم [التابو] ، وهذا الانتهاك يوفران الصدمة التي هي ضرورية لنزع القناع ، ويتيح لنا امكانية أن نعطي أنفسنا بتجرد كامل لشيء مستحيل لانعرف كيف نحدده على وجه الدقة ، لكن فيه رغبة الحياة والعشق والتطهر جميعا .

● هكذا .. كان مما يغريني في عملي كمخرج ان استخدم هذه المواقف القديمة التي احاطتها التقاليد بسياج القداسة ، مواقف تعتبر محرمات [من جانب الدين أو التقليد] ، وأحسست بحاجة لان أواجه نفسي بهذه القيم ، كانت هذه المواقف تخلبني ، واستجيب في الوقت نفسه لاغراء الكفر بها : أريد أن أواجهها ، أهاجمها ، أنفذ خلالها ، أو — بالاحرى — أريد أن أضع في مواجهتها خبرتي أنا المحددة بالخبرة الجماعية لعصرنا . هذا العنصر في أعمالنا أطلقت عليه تسميات مختلفة : « الضرب في الجذور » ، « ديالكتيك الهزء والتأليه .. » ، بل و « التعبير عن الدين من خلال الكفر ، ونطق الحب بكلمات الكره . »

● وحين أصبح وعيي العملي شعوريا وقادتني التجربة الى المنهج أحسست انني مضطر لالقاء نظرة جديدة على تاريخ المسرح من حيث علاقته بغيره من فروع المعرفة ، وبوجه خاص علاقته بعلم النفس والانثروبولوجيا الثقافية . واستدعى هذا النظر من جديد الى قضية الاسطورة ، وبدا لي بوضوح أن الاسطورة هي موقف بدائي بالاضافة لانها كل نموذجي له وجوده المستقل في سيكولوجية الجماعات الانسانية يلهمها سلوكها واتجاهاتها .

● وحين كان المسرح لايزال جزءا من الدين كان مسرحا حقيقيا : فهو يحرر الطاقة الروحية للحشد أو القبيلة عن طريق تجسيد الاسطورة والكفر بها ، أو بالاحرى تجاوزها ، وتمنح المشاهد بالتالي وعيا جديدا بحقيقته الخاصة في ضوء حقيقة الاسطورة ، ومن خلال الخوف والشعور بالقداسة يبلغ التطهر . وليس مصادفة أن تنتج العصور الوسطى فكرة « الباروديات المقدسة » أو المحاكاة الهازئة المقدسة (Sacral parody)

● لكن الموقف اليوم جد مختلف . فالجماعات الانسانية يتناقص شيئا

تقشيا تعرينها على أساس الذين ؟ والاشكال الاسطورية التقليدية فى تغير دائق ودائم ، تختفى وتعود للظهور فى اشكال جديدة ، والمشاهدون يزدادون فردية وتميزا من حيث علاقة كل بالاسطورة التى تجسد الحقيقة أو نموذج الجماعة والعقيدة اصبحت — فى أغلب الامر — قضية اقتناع عقلى . هذا يعنى مزيدا من الصعوبات فى التوصل لنوع الصدمة الضرورى لبلوغ تلك الطبقات النفسية العميقة وراء قناع الحياة . أن تعيينى الجماعة نفسها بالاسطورة (identification) — بمعنى تطابق الحقيقة الشخصية والفردية بالحقيقة الكونية أصبح اليوم أمرا مستحيلا كل الاستحالة

● اذن .. ما هو الممكن ؟ ● أولا: مواجهة الاسطورة بدل التوحد بها . بعبارة أخرى : ونحن نحاول أن نستعيد خبراتنا الخاصة نستطيع أن نحاول تجسيد الاسطورة بأن نلبس جلدها الذى لا يلائمنا من أجل أن ندرك نسبية مشاكلنا ، ومدى ارتباطها « بالجذور » ونسبية هذه « الجذور » فى ضوء تجربة اليوم . واذا بلغ صدق هذا الموقف حد الايلام ، اذا استطعنا أن نلمس طبقة بالغة الحميمية من أنفسنا ونعريها فان قناع الحياة سينشقق ثم يتهاوى .

● ثانيا : حتى مع غياب « السماء المشتركة » للعقيدة ، وغياب المسلمات التى لا يرقى اليها الشك ، فان قدرة الكائن الحى على الادراك تظل قائمة . الاسطورة فقط — مجسدة فى حقيقة الممثل ، حقيقة كيانه الحى — يمكن أن تؤدى وظيفة المقدس المحرم [التابو] وانتهاك هذا الكائن الحى ، وتعريته الى المدى الذى يدفع للغضب الجامح ، يردنا لموقف أسطورى ملموس : خبرة بحقيقة انسانية مشتركة .

● أكرر مرة ثانية : اننى لا أستطيع أن أحدد المصادر التى اخذنا عنها مصطلحنا تحديدا دقيقا ، ودائما ما يوجه الى السؤال عن أرتو حين أتحدث عن « القسوة » ، رغم أن نتائجه تقوم على مقدمات مختلفة وتتخذ مسارا مختلفا . كان ارتو فنانا ممتازا من حيث اهتمامه بالرؤية ، لكن كتاباته بلا قيمة كبيرة لانها ليست نتيجة بحث تجريبى طويل متصل . هى نبوءة مدهشة لكنها ليست برنامج عمل . واذا تحدثت عن « الجذور » أو « الروح الاسطورية » سئلت عن نيتشة واذا تحدثت عن « خيال الجماعة » سئلت عن دوركيم ، واذا تحدثت عن « الانماط البدائية » سئلت عن يونج . أود أن أقول أن صياغاتى هذه ليست مستمدة من أى من العلوم الانسانية وان كنت استخدمها فى التحليل . واذا تحدثت عن تعبير الممثل من خلال العلامات سئلت عن المسرح الشرقى ، خاصة المسرح الصينى الكلاسيكى [وبوجه أخص حين يعرف اننى درست هناك] ، لكن العلامات الهيروغليفية فى المسرح الشرقى جامدة محددة مثل حروف الهجاء ، أما العلامات التى نستخدمها فهى أشكال تخطيطية ملخصة للفعل الانسانى ، بلورة لدور معين ، اخراج منطوق لفسيولوجية وسيكولوجية ممثل ما .

وأنا لا أزعم أن كل ما جئنا به جديد كل الجدة . فنحن مضطرون — وعينا أو لم نع — للتأثر بالتقاليد والعلم والفن ، بل وأشكال الخرافات والاوهام السائدة فى عصرنا ، تماما كما نتنفس هواء القارة التى منحتنا الحياة . كل هذا يؤثر على أعمالنا رغم أننا ننكر أحيانا هذا التأثر . حتى حين نصل لافكار نظرية ما ونقارنها بأفكار أسلافنا الذين أشرت اليهم فاننا مضطرون لان نلجأ الى نوع من المراجعة التأملية للماضى [

(Retrospective Correction)

هذه المراجعة تتيح لنا أن نرى بوضوح أكثر حدود الامكانيات المتاحة أمامنا ;

● وحين نواجه التقليد العام للمسرح فى فترة « الاصلاح الكبرى » : من ستانسلافسكى الى ديلان ، ومن مييرهولد الى ارتو فاننا نوقن اننا لم نبدأ من فراغ ، لكننا نعمل فى مناخ خاص ومحدد . وحين تؤدى بحوثنا الى تأكيد ومضة سبق اليها أحد فان داخلنا يمتلىء بالاتضاع : فنحن نعتقد أن للمسرح قوانينه الموضوعية الخاصة التى لا يمكنه التحقق الا من خلالها أو — على حد تعبير توماس مان — من خلال نوع من « الانصياع السامى » علينا أن نوليه كل اهتمامنا .

● أن لى مكانة خاصة فى قيادة معمل المسرح فى بولندا ، لكننى — ببساطة ، لست المدير أو المخرج أو « المعلم الروحى » له ، فعلاقتى بعملى — أولا — ليست علاقة ذات بعد واحد أو علاقة تعليمية . واذا كانت أفكارى تتجسد فى التكوينات المكانية لمهندسنا « جورافسكى » فمن الضرورى القول بأن رؤيتى قد تشكلت خلال سنوات طويلة من العمل معا .

● وثمة شىء خصوصى حميم لا تمكين مقارنته بشىء آخر فى عملى مع الممثل الذى يسلمنى نفسه . يجب أن يكون هذا الممثل يقظا وواثقا وحرا ، لان عملنا هو استكشاف امكانياته للحد الاقصى ، ويتحقق نمو الممثل من خلال الملاحظة والدهشة والرغبة فى تقديم العون ، ويسقط نموى أنا الخاص عليه ، أو هو بالاحرى يوجد فيه ، ونمونا المشترك كشف لنا . ليس هذا تدريب تلميذ لكنه تفتح وانفتاح كاملين على شخص آخر ، يتيح لنا تحقق هذه الظاهرة : « ظاهرة الميلاد المشترك أو المزدوج » ، فالممثل يولد من جديد — لا كممثل ولكن كانسان — ومعه أولد بدورى من جديد . قد تكون هذه طريقة خرقاء فى التعبير ، لكن ما يتحقق هو قبول كامل من جانب كائن انسانى لكائن انسانى آخر .

تصويب

فى باب « حوار مع الاصدقاء » نشر الملحق بالعدد الماضى ردا عنوانه « المعلم عماشة لايمثل الطبقة المتوسطة » . وقد حدث خطأ غير مقصود فى اسم صاحبة التعليق ، وصحته « **نفيسة حسن عبد الوهاب** » الطالبة باعدادى ماجستير قسم الاجتماع كلية البنات جامعة عين شمس .

العقليـــة الأدبيـــة وتأثيرها في الســـينما

علي الشوباشي

كان للعقلية الادبية تأثير كبير على الفن السينمائي في العالم كله منذ أن بدأ « الفن السابع » يشب عن الطوق، فهذا الفن الوليد لم يستطع طوال حوالي ثمانين عاما أن يؤكد وجوده « كوسيلة اتصال جماهيرية » فنية متميزة ، بل استأنسه الادب وأخضعه لسلطانه بمجرد أن بدأت أهميته تتضح •

واذا كانت العقلية الادبية هي خلاصة تجارب الانسان وخبراته العملية في مجال التعبير عما يعتمل في نفسه بالكلمة ، واذا كانت هذه العقلية هي التي قدمت للانسانية كنوزا من روائع الشعر والمسرح والرواية والقصة ، فان تاثيرها على السينما لم يكن تأثيرا حميدا ، بل يمكن أن نزعم أنه كان ضارا بهذا الفن الوليد • والسبب في ذلك أن الكلمة والصورة تختلفان اختلافا جوهريا ، فطبيعة كل منهما تختلف عن طبيعة الاخرى •

ويتضح مما سبق أن المقصود بعبارة تاثير العقلية الادبية على السينما ليس هو اقتباس عدد كبير من الاعمال الادبية للشاشة ، فاني أعتقد أن هذا الاقتباس يعد نتيجة للعقلية الادبية وليس هو الظاهرة ذاتها • فسيطرة العقلية الادبية على السينمائيين هي التي تدفعهم – في جميع بلاد العالم – الى سلوك الطريق السهل ، واقتباس الكنوز الادبية •

ولعل ما قد يثير دهشة البعض ، أن المخرج السينمائي الذي ثبت أركان العقلية الادبية في السينما ، ووضع أسسها النظرية ، وأعني بذلك المخرج السوفيتي الكبير سيرجي ايزنشتاين ، لم يقتبس في أحد أفلامه عملا أدبيا واحدا •

وتتميز العقلية الادبية بعنايتها الشديدة « بالحكاية » أو « بالحبكة القصصية » في المسرح والرواية والقصة وبالتتابع الذي يقوم على المنطق العقلي ، والذي بسطور المطبعة التي تسير في خط مستقيم جميع الاعمال الادبية ، ويرى مارشال ماكلوهان أستاذ علم الاجتماع في جامعة تورنتو بكندا ، الذي تخصص في وسائل الاتصال الجماهيري ، أن هذا التتابع المنطقي العقلي الذي يسير في خط مستقيم ماهو الا نتيجة لاكتشاف جوتمبرج للمطبعة • فقد تاثرت العقلية الانسانية بسطور المطبعة التي تسير في خط مستقيم كلمة بعد كلمة ، فأصبحت تحاكيها في أعمالها الادبية • وبصرف النظر عن مدى صحة هذه الملحوظة ، اذ أن الكتابة اليدوية كانت تنتهج نفس الاسلوب في الكتابة قبل اختراع المطبعة ، فمما لا شك فيه ان العقلية الادبية تلتزم بالسير في خط التتابع المنطقي العقلي ، لاتحيد عنه مطلقا •

كذلك تتميز العقلية الادبية باستخدام الصور والتشبيهات بوفرة ، بل لعل مقياس جودة العمل الادبي هو مدى استخدام الصور والتشبيهات ومدى ما تتضمنه من قيم جمالية ، ومطابقة هذه الصور والتشبيهات لمقتضى سير الاحداث في العمل الادبي •

ويمكننا أن نضيف أيضا أن «الكلمة» ، وهي وحدة التعبير الادبي • تكون دائما شيئا مجردا ، وهي لا تتجسد وتتخذ معنى محددا واضح المعالم الا بعلاقتها بالكلمات الاخرى في الجملة ، سواء في تآلفها مع هذه الكلمات ، أو في تناقضها معها •

ما الذي يجعل اذن خصائص العقلية الادبية واداتها في التعبير – اي الكلمة – ضارة اذا فرضت نفسها على مجال التعبير السينمائي « اليست السينما حكاية تروى وصورا تتحرك ، كما أن وحدة التعبير فيها هي اللقطة ؟

لقد لمس المخرج الايطالي الكبير روسيلليني نقطة هامة جدا في هذا الصدد عندما وضع يده على احدى الخصائص الاساسية للسينما عندما قال انها الفن الوحيد الذي يعبر عن واقع معين بهذا الواقع ذاته ، بمعنى أني اذا قدمت على الشاشة غرفة استقبال في منزل مثلا ، فان الصورة التي اقدمها ستكون تعبيرا عن غرفة الاستقبال هذه ، وليس عن شيء اخر • فالصورة لايمكن تحت اية ظروف ، أن تتضمن شيئا يبدو كشيء آخر تماما • وهذا ينطبق أيضا على الاشخاص • فحتى في الافلام الروائية ، بل والتاريخية ، لا يمكن أن نقول أن مارلون براندو ، مثلا عندما يقوم بدور نابليون ، يبدو كنابليون تماما • فالصورة التي نراها على الشاشة هي صورة مارلون براندو ، والوجه البادي أمامنا هو وجهه بالرغم من كل المساحيق ومن الملابس التاريخية •• ولاشك أيضا ان شخصية الممثل وأسلوبه في التمثيل يلعبان دورهما في تحديد تفاصيل الشخصية التي يرمز اليها ، مهما حاول من جانبه أن يتقمص هذه الشخصية •• فهو مجرد رمز لها •

فعملية « الايهام » في السينما اذن ما هي الا تزييف للواقع ، واستخدام للسينما بطريقة تتعارض مع طبيعتها ذاتها •

أما في الادب ، فالامر يختلف ، اذ هو يعبر عن الواقع باداة هي في حد ذاتها مجردة ، وهي اللغة ، لذلك فانه يحاول تجسيد الواقع « بالايهام » به ، اذ هو لا يمتلك وسيلة أخرى لتجسيده ، بعكس الصورة التي تجسده بمجرد ظهورها •

وهكذا فان الاديب ، نتيجة الحرية المتاحة له في تجسيد الواقع ، يستطيع أن

يقوم بعملية « تكثيف » للـدراما الانسانية ، ورسم خط سيرها في شكل بناء منطقي يتضمن التآلف والتناقض في العالم الذي تفرضه الاحداث • أما في الصورة ، وعليه انيحاول تقديم الدراما النوع من الحرية وان كانت حريته كبيرة جدا في مجالات اخرى نتيجة لواقعية الصوره وعليه الا تحاول تقديم الدراما الانسانية بالقدر الذي تسمح به هذه الواقعية ، أي بدون ان يحاول تكثيفها بشكل مصطنع ؟ واعداد بناء منطقي لا يسمح بزيادة أو نقص ، وانمابمحاولة استخلاص التآلف والتناقض من الواقع الحي الذي تقدمه الصـورة ذاتهـا • فالواقع الانساني يتضمن كل عناصر الحيوية والدراما الانسانية •

وأريد هنا أن أضرب مثالا سريعا يوضح ما أقول :

فعندما كان المخرج الفرنسي جان لوك جودار يقوم بتصوير فيلم « اللاهث » (A bout de souffle)كان أحدمشاهد الفيلم يقضي بأن يسير جان بول بلموندو في شارع الشانزيليزيه بباريس • وفي يوم التصوير ، اكتشف جودار ان موكبا يضم الرئيسين ديجول وايزنهاور سيمر في الشارع • ولكنه لم يلغ التصوير ، وطلب من بلموندو ان يتصرف بصورة طبيعية • وأثناء تصوير اللقطة مـر الموكب بالفعل ، وأخذ بلموندو يقفز لاعلى حتى يستطيع أن يرى موكب الرئيسين الذي تحجبه الجماهير عنه • وقد حرص جودار على الابقاء على هذا المشهد كما هو برغم انه ليست له أية علاقة بالفيلم ، والسبب في ذلك ان الشارع في الواقع مكان يمكن ان تجرى فيه أحداث كثيرة جدا ليست لها علاقة بالتركيب الدرامي للفيلم ، واذا ما تجاهلناها تماما فاننا نخل بالواقع ونزيفه •

ولو كان أديب يكتب المشهد السابق في احدى قصصه وذكر ـ بلا سبب ـ ان موكبا مر في الشارع ، لشعرنا بغرابة هذا التصرف من جانبه ، ولتساءلنا عما دعاه لان يصف شيئا لا يمت لقصتنا بأية علاقة •

والسبب في ذلك في رأيي ، هـو اختلاف طبيعة الصورة عن طبيعـة الكلمة •

ونستطيع ان نقول اذن ان « الحبكة القصصية » في السينما لا يمكن ان تكون بنفس الاحكام في السينما • ولا يعني هذا الحد من حرية المخرج في رسم حدود وتفاصيل عمله ، أي في الاختيار ، بل لعل مجال الاختيار لديه كبير جدا ، اذ هو الى جانب اختيار موضوع أحداثه وشخصياته ، يختار أماكن التصوير ، وتاثيرات الاضاءة وزوايا اللقطات ، ثم يختار الممثلين الذين سيقومون بالادوار ؟ ويختار طريقة التمثيل الملائمة •• وربما كان عليه ـ لهذا السبب ـ ان يترك متنفسا للواقع ، والا فان « الحرفية » تستغرق الفن ، وتصبح السينما شيئا مصطنعا من ألفه الى يائه •

ونتيجة لاختلاف طبيعة الصورة عن طبيعة الكلمة ، فان التشبيهات والصور السينمائية يجب ان تختلف اختلافا شديدا عنها في الادب • أو بعبارة اخرى ، يتعين أن تكون التشبيهات والصور في السينما جزء لا يتجزأ من الواقع المتضمن في الصورة السينمائية ، بينما يمكن في الادب ـ بل وهذا هو ما يحدث دائما ـ ان تكون التشبيهات والصور بعيدة كل البعد عن الموضوع • فانا أستطيع في الادب مثلا أن أقول انني « رأيت شخصا ضخما بدا لي وكأنه فيل » • ولكنني اذا صورت في السينما رجلا ضخما جدا ،ثم قدمت في اللقطة التالية صورة فيل ، حتى يمكن للمتفرج عقد المقارنة بينهما ، لكان معنى ذلك انني فشلت ـ في الصورة الاولى ـ في ان انقل الىالمتفرج احساسا بضخامة هذا الانسان ، واني فرضت عليه ـ تعسفا ـ تشبيها خاصا بي أنا ، كان يمكن لو نجحت في اللقطة الاولى أن يستخلصه هو بنفسه • فأنا استخدم التشبيه في الادب لتقريب الواقع وتجسيده للقارىء • أما في السينما فاستخدام التشبيه بهذه الطريقة يعني تزييفا للواقع (فالرجل الضخم والفيل لا يقف أحدهما أمام الاخر دائما) كما يعني فرض تشبيهات المخرج على المتفرج تعسفا •• وهذا مثال لاستخدام التشبيهات الادبية في السينما •

وتزخر افلام صلاح أبو سيف في مصر بمثل هذه التشبيهات الادبية • ففي فيلم « شباب امرأة » نرى دائما مقابلة بين الشاب الريفي الذي تستنفذ المرأة القاهرية اللعوب قواه ، والحمار الذي يدير طاحونة ، حتى انهما يمرضـان سويا • كذلك نرى في فيلم « القاهرة ٣٠ » محجوب عبد الدايم وهو يخطب عشيقة الوزير ، وقد بدا وكأن قرنين معلقين على الحائط ينبتان من رأسه •• الى آخر هذه التشبيهات الادبية ، التي لابد وان المتفرج شعر تجاهها بعـدم الارتياح ، وبأنها مفتعلة ومفروضة على الفيلم ، كذلـك فان افـلام سيرجي ايزنشتاين مليئة بهذا النوع من التشبيهات الادبية ، وخاصة في فيلم اكتوبر • ففي احدى لقطات هذا الفيلم مثلا ينظـر كيرنسكي للمرآة بعد ثورة فبراير • وفي اللقطة التالية نرى في المرآة انعكاسا لا لصورة كيرنسكي وانما لصورة نابليون بونابرت •• وكأن ايزنشتاين يعترف في هذه اللقطة بأنه فشل في أن ينقل لنا غرور كيرنسكي واعتداده المبالغ فيه بنفسه •

ولن اطيل في مناقشة هذا الموضوع ، وانما اريد أن أشير الى ان « المونتاج » هو الذي يلعب الدور الاساسي في فرض التشبيهات الادبية على الصورة ، التي تتناقض طبيعتها مع هذا النوع مـن التشبيهات •

فقد اخطأ ايزنشتاين ـ في رأيي ـ عندما عد اللقطة مقابلا للكلمة ، ونادى باستخدام المونتاج الجدلي ؟ اى بوضع لقطة ثم لقطة تالية ، ومن التناقض بينهما ينتج المعنى • فاللقطة لا يمكن أن تكون مقابلا للكلمة ، واذا امكن المقارنة بين السينما والادب لكان الاقرب الى الصواب ان نقول ان اللقطة مقابل للجملة ، بل وللفقرة احيانا • فاللقطة تحتوى على عالم بـأسره (مـن مكان وزمـان وشخصيات وأشياء •• الخ)

فالجدل في السينما ـ بحسب ظني ـ لا يكون بالمونتاج ، وانما بتقديم الواقع الذي يتضمن بذاته عناصر الجدل كلها ، وعلى المخرج تقديم الجدل من الواقع ذاته ، لا فرض جدل خارجي على الواقع بطريقة متعسفة • فالكلمة تجريد ، أما اللقطة المتحركة فهي واقع محدد تمام التحديد •

ولا يعني كل ما سبق ان اى محاولة من جانب السينمـا لـلاستفادة بـالادب والاقتباس منه يعد خطأ • فـالسينما تستفيد كثيرا من اقتباس الاعمال الادبية الى الشاشة ، على أن تضع في اعتبارها الفـارق بين طبيعـة الكلمـة وطبيعـة الصورة ، كذلك فان الحوار في السينما اذا كتب باسلوب ادبي رفيع ، حتى ولو تضمن تشبيهات ادبية ، يمكنه ان يخدم الفن السينمائي افادة كبيرة ، خاصة وان مستوى الحوار في كثير من الاعمال السينمائية ـ والعربية منها بـوجه خاص ـ لا يمت الى الفن بصلة •

وأود ان أشير اخيرا الى ان « الرواية الجديدة » بدأت بدورها تتأثر بالسينما ، وتتخلى عن العقلية الادبية التقليدية ، ولكن الحكم على هذه التجارب متروك بالطبع لنقاد الادب •

الأحزان القديمة

سمير

« خمس حكايات من ألف ليلة وليلة »

محمد المنسى قنديل

الحكاية الاولى

علاء الدين

عودى ايا قرة عينى ..

انا علاء الدين التعس •فى ظهرى آثار اشواك الحطب الدامية • نفد الزيت من مصباحى ولازلت أتعثر فى الظلام . البس الدمقس . اشرب من كؤوس الفضة . اتكىء على حشايا النمام . لكن ماذا يجدينى والصفقة كلها — منذ البداية — خاسرة .. ؟

• • •

فى وسط الصحراء اخلع عباءتى . قناعى الاخير . ومازلت اناديك ايا قرة عينى . لماذا تركتنى فجاة .. ؟ قالوا انك عشقت بائسا حقيرا . شحاذا كان على باب قصرى .. عشقت قاطعا للطريق وانه تمضغين الصبار .. عشقت المغربى العجوز . تعشقين الجميع ما عداى .. ويلى كاسى فارغة حتى من المودة والصمت كالجبل . وانت طيف رائق كالنجوم • نابض كتردد الانفاس كالمد والجزر . ويلى منك . وانت بعيدة .. ومن سهام الثلج ومن عيون المغاربة القاسية .

• • •

عندما انتفض المصباح بين اصابعى كانت صرختك انت . والملح فى جوف المغارة يكون اشكالا غامضة تحمل نذير الوعد والمكتوب . وانا احك جدار المصباح المعدنى الصدىء بجنون المحرومين .. حذرتنى .. ادرك ذلك .. ضحكت لحظتها .. يابلهاء . من ذا يرفض قصر السلطان . يرفض تاجه وصولجانه مهما كان الثمن . لم اكن مخطئا لهذه الدرجة الرهيبة .. ما يدرينى أن العطن يرقد خلف كل شىء .. وان الاشياء البراقة دائما زائفة . ما يدرينى أن اللعبة لا تخصنى . واننى تعس كزهر الصبار

• • •

بالامس حاول الخدم سرقة عقود الياقوت والزبرجد انتهزوا فرصة نومى وانا احلم بك حلما قلقا .. وعندما علمت صلمت آذانهم .. كنت اخفى خلف خوفهم خوفى .. وخلف بكائهم بكائى .. وأمى العجوز تصرخ خلف النوافذ . احضرت لها اعظم أطباء بغداد . كانت تغافل الجميع وتبتلع قطع الذهب وفصوص الماس . حاولت افهامها ان كل شىء ملكنا . حقنا المشروع فلنحاول قليلا يا أمى ان ننسى ذكرياتنا المرة .. لكنها ظلت تغافل الجميع حتى امتلات معدتها .. وكان زيت المصباح يتناقص .. أيامى التى مضت .. أيامى القادمة . لحظاتى التى بعتها بثمن بخس . أياقرة عينى الم تكونى مخطئة عندما ذهبت بعيدا لهذا الحد ..؟.. كنت فى حاجة ملحة لكلمة منك.. تقولين عد . تقولين اطفىء ذبالة المصباح . انزع الاقنعة عن وجوه المغاربة . دع المغارات للخفافيش وعشاق الظلمة .. لكنك ضننت على بالكلمة الاخيرة .

• • •

— يامولاى .. بحثت عنها فى كل مكان ..

— هل اصابك العجز ؟ ..

— فتشت كل القبور .

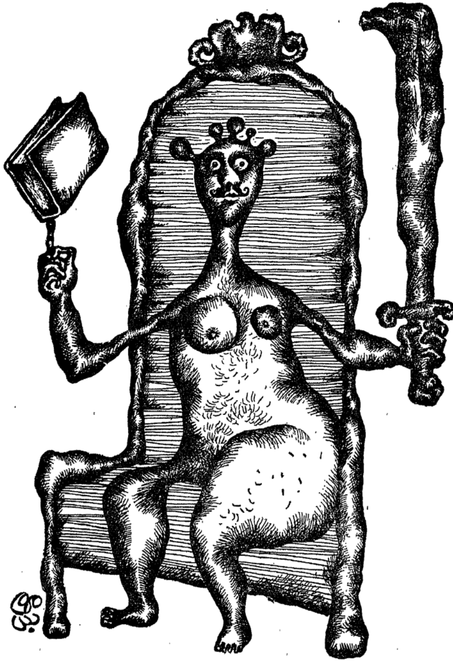
— هل أصابك العجز ؟ ..

— لكنها يا مولاى .. يبدو انها تكرهك الى حد كبير .. هناك أسوار لا اتخطاها .

— ايها الجن الخائن .

• • •

على القبر وضعت قبضة التراب الاولى .. وضعت قبضة التراب الاخيرة . تذكرت كم عاشت مسكينة وماتت مسكينة .. كانت تاخذنى فى احضانها . تنزع — بدفئها — برودة الغابات الليلية من عظامى . احسست بالاشواك الدامية فى ظهرى رغم الفراش الحريرى .. بالعرى والجوع .. فقدت كل شىء ..



خسرت كل شيء .. اى شيء بقى ولم نبعه بعد .. ؟ ..

● ● ●

على الصخرة البعيدة فى نفس المكان .. كان المغربى العجوز جالسا يحدق فى وأنا أخوض احراش العظام النخرة ..

ـ ايها المغربى الحكيم .. ماذا لو الغينا الصفقة .. ؟

ـ لا أرد بيعه أبدا ..

ـ صفقة خاسرة .. روحى زائفة .. ضحك بصوت هادر واختفى .. وماذا كسبت أنا .. ؟ .. مازلت وحدى فى المسالك المجهولة . تركت القصر والعبيد والمصباح لكننى لم ابتعد كثيرا . تحيط بى قبضة الارض الصلبة . تراقبنى الوجوه المنهكة . تحدق بياس احيانا . بشماتة أحيانا .. عشرات الوجوه التى أعرفها .. اهل واصدقاء وخلان .. كلهم معلقين فوق قمم الاشجار .. يموتون ببطء مر .. قالوا ..

ـ خدعنا المغاربة .. اعطونا المصابيح وسلبونا كل شيء ..

حاولت الهرب .. أن اتفادى قدرى الزائف .. وعيون المغاربة تترصدنى من خلف التلال .. وانت ياقرة عينى تركتنى .. اخذت بشارات خلاصى .. تركتنى اقضى دينى الفادح وحدى .. اهتف باسمك ولا اجد سوى الصدى والموت .

الحكاية الثانية

هارون الرشيد

حفظ الله الخليفة ..

فهو عندما ينام تغفو الارض .. وتسهر السموات كالثكلى .. حفظ الله احلامه

منَ البوار لانها قانون الدنيا والدين ..
لكن هارون الرشيد ــ هذا المساء الغريب ــ استيقظ مذعورا . قبضت على عنقه الايدى السوداء وجذبته من ثنايا فراشه الحريرى الدافىء .. احاطته وجوه الخصيان والعبيد من كل جانب .. حملوه كالمتاع القديم .. حاول التملص .. زعق بصوته السلطانى ..
ــ حكمت عليكم بالاعدام ..
لكن من ذا يهتم بالانصات اليه . القوة بلا مبالاة فوق بلاط قاعة العرش. بهره الضوء السّاطع الذى يغمر المكان .. لولا بقايا العتمة لحسب انه النهار جاء مبكرا .. من خلف النوافذ بدت بغداد ايضا ساهرة .. قال فى حيرة :
ــ ما هذا .. عيد قومى .. ؟
لم تعرف بغداد ابدا اعيادا .. قاعة العرش محتشدة .. حملق مفزوعا .. الخصى مرجان .. عبده الوفى ــ كما كان يظن ــ يلبس ثياب الخليفة الرسمية ويجلس فوق العرش .. يقضى فى حاجات الناس ..يفصل قضاياهمويسوى خلافاتهم . بقية العبيد يلبسون ثياب الامراء وقواد الحرب . عبيد كالفحم يتحركون بنفس الابهة والعظمة .. فى حياة هارون الرشيد لم يشاهد قاعة عرشه بهذا النظام والاهمية ..
والناس ــ رعيته هو ــ يدخلون طائعين ويخرجون راضين .. تحولت دهشته الى غضب جارف .. احس مدى مهانته . مدى مهانة الرعبة وهم خير امة اخرجت للناس عندما تحكمها هذه الفئة من العبيد دون أن يفطنوا .. زعق بأعلى صوته ..
ــ يامرجان ياخائن انا آمر باعدامك
حاول النهوض . ضربه اثنان من العبيد ــ الحراس فى مؤخرته بعنف .. انكفأ .. استدار مرجان فى وقار وقال بصوت هادىء عميق ..
ــ دعوه يقترب .. لا يكتم احد شكواه ..
وقف أمام العرش وهو يرتعد غاضبا.
ــ عبد خائن .. هل نسيت نفسك .. انا هارون الرشيد الهاشمى من سبط الرسول ضحك مرجان بانشراح .. ابتسم العبيد ــ الامراء .. والعبيد ــ القواد .. استمر الخليفة فى الهدير .
ــ لقد حكمت عليك بالاعدام .. وسيأتى السياف حالا ..!
التفت للخلف وهو ينادى ..
ــ يا سياف .. يا سرور ..
ضج الجميع بالضحك .. أشار مرجان للعبيد ــ الحراس .
ــ خذوه .. دعوا وجهه الكريه يرى مملكته الكريهة ..
مرة أخرى وجد الخليفة نفسه محمولا بلا حول ولا قوة .. مضوا وهو يزعق..
ــ غدا يعود الجيش من بلاد السند .. غدا يعود .
ركضوا به فى ممرات القصر الموحشة .. شاهد غرف المستشارين والوزراء مغلقة .. شاهد المناكب فوق خوذات الحرس السلطانى .. اشتم رائحة الموت فى كل ركن .. صرخ يائسا .. الحقونى .. النجدة ..
والعبيد يركضون ضاحكين .. قصر بارد كالعراء . والعبد ــ رئيس الحراس .. يهتف .
ــ هيا الى القبو ..
يسعون وراء الخمر بلا شك ــ قال الخليفة .. اعتاد ان ينزل بنفسه ليختار أجود الانواع المعتقة .. لكن الدرج أطول من المعتاد .. هدأوا سرعتهم . تأمل ما حوله نفس القبو القديم لكن ملامحه تغيرت تماما .. كانوا فى الممر .. قال ..
ــ هنا يوجد البراندى ..
لفحته نار مشتعلة .. شاهد فوقها الاسياخ المحماة .. تطلع فى فزع .. أجساد عارية مصلوبة وآثار الكى لازال الدخان يتصاعد منها مختلطا برائحةاللحم المحترق ..
قال العبد ــ رئيس الحراس ..
ــ هل تعرفهم .. ؟ ..
كان مذهولا تقريبا
ــ هذا جدى المنصور .. وعمى جعفر .. وجدنا الامام الاكبر .. وهذا .. وهذا .. مضوا مسرعين . كان لازال يتمتم ــ كنت اظنهم قد ماتوا .. فى الجنة الان على الاقل .. وصلوا الممر الثانى .. تمتم بنفس الهدوء الذاهل ..
ــ هنا كان يوجد الويسكى ..
والعبد ــ رئيس الحراس لايريد ان يرحمه .
ــ هل تعرفهم .. ؟ ..
هياكل ممصوصة فوق صلبان منخشب الجميز .. وماء مجمدة ورءوس مدلاة..
ــ هم قوادى وخيرة فرسانى الذين فتحوا العالم .. وجاءوا بالجزية والغنائم .. أسرعوا نحو الممر الثالث .. بدأ يبكى هسترية مواصلة .
ــ هنا النبيذ والفودكا ..
الجوارى والوصيفات . اجمل نساء الارض واشدهن سحرا ودلالا .. جثث شاحبة وتوابيت متراصة ..
ــ هنا الجن والروم .
الندماء . الشعراء . فقهاء الدين . شيوخ المذاهب . اخلص الخلصاء
والعبيد ــ الحراس يسرعون .. سرادبب بلا نهاية . والبكاء انقلب الى صراخ متشنج ــ عودوا بى..عودوا.. ليس هذا عالمى .. ليسوا ناس ..
كان البرامكة يتألمون . وابو مسلم يخوض فى الدماء . والعباسة تهيل التراب فوق راسها . اشرف البطون وشيوخ القبائل يلغون فى القذورات .. المومسات يرقصن فوق تكايا الامراء والضفادع تخرج من فم الموصلىوالخصيان يسودون كل شىء . فى كل ممر موت جديد وطعنة اكثر حدة .. والخليفة يبكى .. يودد الحراس ويتوسل لهم .. بغنى ويسب بغداد والملكة.. وولده المأمون .. وزبيدة الهاشمية والزمن الغادر ..
وعندما القوه على الارض اخيرا ظليغنى .. ويتقافز فى حركات غريبة .. ابعدوا عنه .. قال العبد ــ رئيس الحراس
ــ يبدو انه قد جن فعلا .. ؟ ..
.. .. ولكن هل جن الخليفة حقا ..؟
كلا .. حفظ الله الخليفة .. فلو انه جن .. ماذا يبقى للسدنة والكهنة والسماسرة والنخاسين وتجار الحروب..
كلا .. حفظ الله الخليفة .. حفظ الله الخليفة ..

الحكاية الثالثة

معروف الاسكافى

دكان مغلق .. بيت مهدم .. وفتات من الذكريات الباهتة ..
قال الجيران .. ماتت زوجتك .. ههم متبرما ولم يشعر بأى حزن او اسف .. قالوا اين كنت .. ؟ .. حسبناك قدمت .. انفجر ضاحكا .. مازال الحى القديم كما هو .. حارات ضيقة . ارض طينية لزجة . بيوت متلاصقة فى تحفز .. وكل شىء يغمره التراب ..
تجمعت حلقة من الاطفال والنساء ثم جاء الرجال بعد ذلك . وقف وسطهم لايستطيع مغالبة ضحكاته .. ضحك ناعم له متعته الخاصة .
ــ تسبالونى اين كنت ؟ .. واين الكلمات التى تصف وتعبر. تخيلوا.. شمس اكثر وداعة وظلمة رقيقة واحلام بلا كوابيس ..
لم يكن سيره لاهثا متوترا مثل ايام الجوع القديمة .. كان اشبه بالانسياب . رقصة بسيطة كاهتزاز البنات يصحبها ايقاع خافت .. ساروا خلفه .. كتلة شاحبة ملوثة بالطين وبقايا الذباب .. تهامسوا ..
ــ معروف الاسكافى .. يالله .. لم يمت .. اصبح يضج بالحياة ..

شعور السعادةالخالصة مازالطازجا فى اعماقه والحى القديم يكشف نقابه المنهرىء .. الذكريات الرطبة . بيوت الاصدقاء القدامى . المقهى وجدرانه الملونة بالدخان .. المشربيات المتداعية والمناكب تحط فى كل ركن .. وهو لايكف عن الكلام .. تذكارات عذبة لاتتناثر من فمه وتسقط فوق الارض الحارة . بل تذوب على لسانه مثل قطع الحلوى ..
ــ لايوجد براغيث .. ولانقود .. ولا حراس .. ولا نكت بذيئة بالطبع ..

حيرة مبهورة . نسوة على ابواب البيوت . شفاه جافة . تحت الجلد تتشابك التفرعات الزرقاء .. تساءلحائرا .. هذا الضمور كله وماتزال فيهم بقية من حياة .. ؟ اكانت زوجته هكذا .. ؟

كانْ لسانها سليطا .. تركهـا ذات ليلة ورحل وما حسب انه سيعود ابدا .. رحل غريبا وعاد غريبا .. لكن صـفاء العالم المجهـولة كان يغمـر داخله .. عالمه القديم كانمرسوما فوقالنعال البالية والحالة الضنك والشكوى بلا جدوى .. ولسان زوجته لايهدأ ..

— ارض للجميع .. نساء للجميع .. وفى كل ليلة رقص وغناء حتى الصباح . تخطى باب الحارة الضخم . ازداد عدد السائرين خلفه . وجد نفسه فى حارةاكثر ضيقا وقذارة . حارة بلا اسم . البيوت المتلاصقة فى تحفز تحـاصره . تنشر فى الجو دمدمة غامضة .

— لافقراء. لااغنياء . كلهم علىنفس الدرجة من الرضى والسعادة .. طوال هذه المدة لم اشاهد شرطيا واحدا ..

مال نحو رجل جالس جنب الحائط ..

— ولا شحاذ واحد .

هذه المرة ظلت البيوت صامتة . لـم يفتح اى باب ولم يخرج انسان . فوق الضلف الخشبية تتابعت بقع الشمع الاحمر فى رتابة . بقع مهوشة — أشبه باللطمة — فوق كل مزلاجبجانبها منشور ابيضحاد الكلمات فى ذيله التوقيع المعروف ..بأمر الوالى . بأمر الوالى .. دونما اراده بدات ذرات المرارة تتكاثف داخـله .. توقظ الحزن الباهت والذكريات المطموسة .. اشتات الطفولة والشباب .. طعام الطين وهواء العفونة ..

— لا اثر للبرد .. للجوع .. للبؤس .. لا مشاجرات على الاطلاق ..

ارتفع ايقاع الدمدمة .. كأنما تتفجر من داخل الشقوق .. تتخلق من ركام الرطوبة والشحوب . التفت خلفه فىفزع .. شاهد كتلة الرجال والنساء ترتعد فى شراسة محمومة .. من خلال الاسـنان الصفراء والعيون المنهكة تتفجر التاوهات مثلما الجرحى المحتضرين . بدا يشـعر بالخوف . كان قد فقد هذا الشعور لكنـه عاد يداهمه الان اشد عنفا .. قال ..

— لكنهم لايغفرون ابدًا ..

ساحة الحى .. السـبيل المعطل . المسجد ذو المئذنة المكسورة .. الطين. الرجال الهزالى مقعين .. مازالوا كمـا تركهم فى الزمن القديم . متناثرين فوق الارصفة فى تعطل ابدى . ينتظرون الفرج الذى لاوجود له .. يداهمهم حـرس السلطان كل لحظة .. يسلبونهم كل شىء حتى ماء الوجه .. انتصبوا فى خور .. انضموا للباقين .. فطن فجأة للكابوس الهائل .. ماتت الذكريات وسط الغمغمات الجائعة ..

— ظلوا ينتظرون خطيئتى الاولى .. خطيئتى الاخيرة ..

اى احلام تستيقظ . اى احلام تموت يتدافعون حوله فى يقظة مفاجئة .لانهاية لدمدمة الحشود العاطلة . والنسوة اللاتى يمن انفسهن والاطفال نصف المبصرين .. نصف العقلاء ..

— وانا اخطات مرة واحدة .. [ولاول مرة تعلو صوته نبرة من المـرارة ..] مرة واحدة فقط ..

ولكن كم مرة اخطا الجميع .. اى عقاب صارم حل بهم .. مجرد خطيئة .. تولد وتنمو وتموت وتنشر العفونة .. التفوا حوله وحاصروه .. كان الامر مجرد حلم — خدش فى جـدار العجز .

— انتظروا .. انها خطيئتكم انتم . الوالى . الضرائب . الحراس السجون. الذبـاب والـبراغيث .. اخطـاؤنا الصغيرة القاتلة . والوجوه الشـاحبة تدمدم والايدى الضارية تمتد .. تتوسل

— انصتوا قليلا . أنا اسكافى . وعندما تتلوث القدم بالطين .. يعنى هذا أن الحذاء مثقوب .. انصتوا .

لم يعد يرى شيئا ... العيون بقع حمراء متصلة .. الاسنان الصفراء تزار .. شاهد زوجته تتلوى وسطهم .. شاهد النعال القديمة .. وطريقه الطويل .. وأيام وحدته .. وخطيئته الصغيرة .. وادرك انه مهما صرخ فلن يبالى به أحد ..

الحكـاية الرابعـة

زينـة النسـاء

قبل الغروب هبطت « زينة النساء » من بيتها الصغير وسط المدينة .. ألوان ثيابها باهتة وعلى وجهها نقاب كثيف .. منذ مدة طويلة تركتها جاريتها وبدأت هى تستمرىء الحزن والوحدة ..

السماء بعيدة وقطع السحاب مثـل زبد البحر . شوارع بغداد الضـيقة مزدحمة . المصابيح الصغيرة المعتمة منذ اول خليفة لم يوضع فيها فانوس واحد .. عربات فارهة تعبر الطريق بجنون تتبعها موجة طويلة منالاحتجاجات العـاجزة .. كانت الاصـوات تخفت .. تـذوب .. ووقـع السـنابك يتلاشى .. كتل المارة المتداخلة فى كل اتجاه .. التجار الذين يعرضونبضائع الهند والسند .. البيع والفصال .. كل ذلك دون أى صوت .. ليس اكثر من حفيف خافت .. .. فجأة أحست « زينة النسـاء » كأنها تسـتحم فى النهر .. تغوص وحدها فى احضـان دجلة الصافية .. عارية تماما .. وفى القاع كانت الاف القواقع والطحـالب والمخلوقات الغريبة تراقبها فى انبهار خالص .. وعندما كانت تصعد برأسها أحيانا كانتترى السماءصافية كبطنالنهر، يحيط بها احساس تام بالنقاء حتى انها للمرة الاولى لم تخجلْ منْ جسدها العارى .. لم تخجل ان يراهـا احـد .. كان الماء يمتص كل الرغبات النزقة .. كان باردا ورقيقا لكنه لا يبعث على السعادة .. لا يوحى آلا بشىء ما كالشـجن العميق الممتـد .. « زينة النساء » خلف نقابها الكثيف تبكىنفسها .. وشوارع بغداد تضج بالحركة ودون صوت ..

أمس بلغت زينة النساء عامهـا الثالث والعشرين . مرت لحظة منتصف الليل وهى منزوية فى ركن صغيربالحجرة .. لم تجرؤ على الحركة .. أو اضاءة مصباح واحد صغير . قالت لنفسـها للمرة الاولى ..

— لم يعد هناك جدوى من الاحساس بالزمن .

قال رجل عابر — يبدو انه كان غريبا عن بغداد — هه يا آنسة .. هه .. وانصرف سريعا وقفت وسط الميدان . أمام تمثال الخليفة الاول . كانت تتألم من النظرات التى تحاصرها تذكرت ان نظرته هو كانت تختلف تماما .. تلك العين الصغيرة البراقة المتعبة التى لا يخفت توهجها .. تطل منها نفس النظرة الطفولية الغريرة كأنما تكتشف العالم — للمرة الاولى وبطريقة جديدة .. من خـلال وجهها يتلمس بأطراف أصابعه جبينها الناصع ويهتف فىاهتمام بالغ ..

— هل اخبرك أحد ما .. أن جبينك احلى من الفجر والشروق ..

تضحك — حتى وهى عصبية وملولة .. أخبرنى شاعر أبله ذات مرة .. يضحك هو ويزيح شعرها النافر خلف أذنها وفى المساء — اى مساء قريب — كانت تجلس وتتلمسه تكتشف فى اللحظة أنه مصنوع من نوع رقيق جدا منالزجاج .. يشف حتى الموت . تتلمسـه وتخشى أن تجرحه .. أن يجرحها .. وعندما أخبرتهما الجارية أن العيـون السوداء تترصدهما فى السوق وخلف المشربيات وامام باب البيت .. كان يبدو شاردا وحزينا فوق العادة ..

لم تستطع قراءة الكلمات التى فوق قاعدة تمثال الخليفة الاول .. حدقت فى كل اتجاه .. هذه بغداد . أجل مدينتنا الغريبة وحلمنا الكئيب .. كم مرة أخذها فى يده وطافا سويا فى كل الاماكن . فى الصباح البارد والمساء .. انظرى .. هذه بغداد .. طرق طويلة ومتشعبة كخيبة الامل .. مزدحمة بالوجوهالخجلى من الشمس .. أن تعريها ان تغرى جلدها .. والنهر اذ يعبر المدينة .. كم هو خائف وجل .. والمشعوذون فى أطراف الازقة يحلمون بالفردوسالموعود والخليفة المنتظر .. تموت الاشـجار مختنقة وسط روائح المسك والكافور والمر .. ويباع لحم العالم الابيض فى السوق الواسع بدنانير بخسة . آه

يا بغداد .. عندما تعطين النحاسين أكبر الاوسمة والمكافآت لاشرس الحراس لا يعود هناك مكان للحب ..

زينة النساء وحدها .. لاتدرى كيف اخذتت زحمة المرور فجاة .. التمثال يحدق فيها ببلاهة .. عرفها والف ملامحها وأدرك انها تعطيه الان ظهرها حتى تعبر النهر الى الجانب الغربى من المدينة ... لم يكن الجانب الغربى الا قلعة موحشة .. ترقب المدينة كلها فى غضب متحفز .. تنتظر اللحظة حتى تنشب فيها اظافرها الحجرية .. كانت زينة النساء تتضاءل .. تتضاءل .. والسور يكبر .. ينتفخ .. يبتلع السماء .. وفى الاعلى كان الحراس يرقبون مقدمها .. يتوقفون عن السير .. يتأملون لحظة عبورها الانسيابى الحزين .. يتهامسون ..

– هذه هى .. أجل .. هى ..

– تصور .. تحسب ان شاعرها مازال موجودا عندنا ..

– تصور .. حمقاء ..

تواجهها الحجارة الضخمة فى تحد .. تخمشها كالطيور المفزوعة دون صوت .. كانت أحلام اللحظة قد ماتت .. وأصبحت تدرك بطريقة غامضة ان المساء قد أتى وان الليل يربض خلفه .. وصبح .. ومساء آخر .. وأيام انتظار باردة ..

الحكاية الخامسة

السندباد

١

اجراس البصرة تدق تكريما لسندباد .. قاهر البحار والعواصف بعد ان عاد من رحلته السابعة .. لكن الذى يدقها هو اشهر مزايدى السلطنة .. وصوته الاجش الذى يعرفه كل التجار بدوى ..

– اللاوانا .. اللادوى .. اللاتروا

فى ميناء البصرة الواسع ترسو سفينة السندباد .. سفينة وفية .. مخربها عباب البحر وقهر تشنجات المد والجزر .. تقف مزدانة بالزهور والرياحين تكريما لرحلتها الخالدة .. وعلى مقدمتها لافتة صغيرة سوداء مكتوب عليها بالطباشير كلمة واحدة .. « للبيع »

فى الجانب الايمن يقف سندباد .. وفى الجانب الايسر يقف البحارة .. فى وسط يقف تجار السلطنة يتهامسون فى ود .. والمزايد الشهير امامهم تماما .. يدق الجرس ويقسم على ايقاعاته مقاطع الكلمات .

– فرصة عظيمة .. أعظم سفينة شهدتها السلطنة .. سفينة سندباد العظيمة .. همهم التجار بصوت مسموع

– سفينة مستهلكة .. نخرها السوس .. يجب أن تفك وتباع أخشابا بالقطاعى . والسندباد يحدق فى الوجوه كأنما ترتدى أقنعة غريبة .. كان ما يجرى مجرد لعبة هزلية طال أمدها .. والحارسان – واحد على كل جانب – يمنعان حركته كلما حاول التملص ..

– نبدأ باربعمائة دينار .. هه .. من يزيد ..

تبرم التجار .. زعق أحدهم ..

ولا اربعمائة درهم .. ماذا يجدى شراء السوس ..

زعق السندباد – السندباد يسب التجار .. رفيقة عمره الغالية . وجدت قبل أن توجد السلطنة .. ووقف – هو خلف دفتها قبل خلق العالم .. زعق فيه المزايد ..

– اخرس خالص . دعنا لشغلنا ..

[التفت ناحية البحارة ..] .. هبه .. تقدم « السنان » رئيسهم .. رفيق رحلاته السبعة .. قال ..

– لابد من البيع .. نريد مرتباتنا ..

دق الجرس .. ثلاثمائة اذن .. مائتين .. سفينة فى حالة جيدة .. ومستعدة للابحار فى الحال .. قال احد التجار وكأنه تورط :

– مائة وخمسون .. بالله .. هه دار المزايد ببصره فى الحاضرين .. قال فى أسف .. فقط ..

لم يرد احد .. وافق السفان يهزء من راسه .. وقع المزايد عقدا باسم التاجر ..

كان العبيد قد نزلوا قاع السفينة فى الصباح واخرجوا محتوياتها . اشار لهم المزايد فاحضروا أمامه اربعة صناديق ضخمة . .والجرس يدق ..

– الان .. جاء دور المحتويات .. كتب السندباد التى جمعها فى كل أسفاره .. مرة أخرى يزعق ولا أحد ينصت . كانت هذه رحلة عمره الحقيقة عندما حلم ذات يوم بجنة الارض الموعودة .. أحضر كتب الفلسفة من بلاد اليونان .. والحكمة من فارس .. والسحر من الهند والقانون من بلاد الروم .. كتب قديمة صفراء .. لكنها حصيلة آلاف البشر الذين تعذبوا وصلبوا وماتوا

زعق المزايد .. مائة دينار ..

انفجر التجار ضاحكين .. قال احدهم محاولا تمالك نفسه ..

– يارجل .. هذا مجرد ورق « دشت » ..

استطاع السندباد الافلات من ايدى الحارسين .. توقف أمام بحارته القدامى

– أتوسل اليكم ..تذكروا مافعلناه سويا .. نحن رفاق العمر ..

قال السنان :

– كان ذلك قبل ان يصيبك الجنون .. كنا دائما نعود بالغنائم والذهب لكنك هذه المرة ملات السفينة بالتفاهات

– كل مرة كانت زيفا هباء .. رحلتنا الاخيرة .. كانت من اجل الحقيقة .. الم تفهموا بعد ..

دق المزايد الجرس .. قال ساخرا .

– الحقيقة بلا قيمة ياسيد .. تماما مثل قطرة الماء المالح .. خمسون دينارا .. ثلاثون دينارا ..

أعاده الحارسان . وافق احد التجار متبرما على شراء الصناديق بعشرة دنانير .. ونجح المزايد البارع فى ان يزيدهم خمسون درهما .. تامل السندباد وجوه بحارته .. ربما للمرة الاولى . رفاق الليالى الصعبة . جاءوا عبر البلاد البعيدة وربط القدر المجهول خيوط المصائر الرفيعة . عبر المحيط وبحر الظلمات .. والان تطل من عيونهم نظرات اللامبالاة الباهتة .. الباردة كالموت .. وضع العبيد عدة صناديق ضخمة واخذوا يخرجون محتوياتها . آلات من الحديد والزجاج غريبة الشكل.. نثروها بلامبالاة آلات لرصد الفلك والنجوم .. اسطرلابات ومزاول .. قياسات للملوحة والاعماق . للحرارة والضغط معامل زجاجية كاملة للتقطير . ولتخليق المواد . انابيق وخزانات خزفية .. والجرس يدق كالنعيق ..

– فرصة عظيمة .. آلات غريبة .. لزوم الحواة والمشعوذين وكل شطار السلطنة ... تقدم تاجر وقال بحسم .

– اسمع لا تهول .. انها لا تخرج عن كونها قطعا من الحديد وسأشتريها بسعر الكيلو .. تن .. تن .. اقمشة غريبة. ليست من الصوف ولا من القطن .. تن .. تن .. سوائل ملونة رائحتها نفاذة . هياكل محنطة .. تن .. تن .. نباتات فى علب زجاجية خاصة . ركام هائل من الاشياء التافهة لا تستحق عناء البيع والفصال . هبطت الدنانير الى الدراهم .. الى أنصاف الدراهم .. ووجوه البحارة لا تلين .. تن .. تن .. يصيح المزايد ..

– آخر قطعة .. علبة من القطيفة مطعمة بالفضة ..

زعق السندباد .. كلا .. صرخة مبحوحة وجريحة ..

– دعوها لى .. انها تخصنى وحدى ..

تطلع اليه المزايد بازدراء .. فتحها .. كان بداخلها وردة حمراء جافة ورسالة صغيرة مطوية بعناية .

القاها بلا مبالاة وعرض العلبة للبيع وحاول سندباد الافلات .. أمسكه احد الحراس .. اسرع الاخر ودهس الوردة الجافة والرسالة المطوية فى الطين ..

والسندباد يصرخ ثم يجهش فى بكاء طويل متصل ..

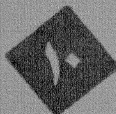
.... ورغم ذلك لم تف المزايدات الا بنصف المتاخر من المرتبات ..

مطابع الأهرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر



السنة الثامنة ـ اكتوبر ١٩٧٢

- ضد العقل .. والمنطق .. والتاريخ
- حركة الفلاح والأرض فى مصر ١٩٥٢ - ١٩٧٢
- عبد الناصر : مناضلا ضد الاستعمار الجديد
- مناقشات حول مشروع دليل العمل للاتحاد الاشتراكى
- أوروبا الغربية .. والسيطرة الأمريكية

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

الفهرس

العدد العاشر ــ السنة الثامنة ــ اكتوبر ١٩٧٢ ص

■ ضد العقل .. والمنطق .. والتاريخ — لطفى الخولى ٥
■ عبد الناصر : مناضلا ضد الاستعمار الجديد — أبو سيف يوسف ١٤
■ حركة الفلاح والارض فى مصر [١٩٥٢ ــ ١٩٧٢] ٢٢

[١] خريطة توزيع الملكية ٢٣
ــ التفتيت : المشكلة والحل — عبد الخالق الشهاوى ٢٧
ــ المزارع التعاونية للقضاء على تفتيت الملكية — أحمد حسن ابراهيم ٣١
[٢] الاراضى الجديدة ٣٧
ــ نحو سياسة مرنة تتفق مع نظامنا الاجتماعى — سعد هجرس ٤١
ــ التركيب المحصولى فى الاراضى الجديدة — د. أحمد أحمد جويلى ٤٤
ــ شكل الاستغلال يتوقف على طبيعة المنطقة — ابراهيم الغتورى ٤٨
ــ التوسع الافقى ضرورة .. لكن بشروط — حسين طلعت ٤٩
ــ هل يمكن الارتفاع بكفاءة الانتاج فى ظل الاطار الحالى للحيازة ؟ — د. رجاء عبد الرسول ٥٣
[٣] التعاون الزراعى فى مصر ٥٦
ــ تطوير الزراعة من خلال التعاون — د. محمد محمود عبد الرءوف ٦٢
ــ المشكلة المالية والادارية هى الاساس — د. جامع مصطفى جامع ٦٩

● التضخم البيروقراطى خلال العشر سنوات الاخيرة — محمد صبحى الاتربى ٧٢
● تاريخ وتطور الحركة العمالية فى البحرين — سعيد عبد الله ٧٦
● أوروبا الغربية .. والسيطرة الامريكية — حمدى عبد الجواد ٨٣
■ أوراق سياسية من الاتحاد الاشتراكى : ٨٩

ــ تقرير الامانة العامة لتطوير أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى ٩٠
ــ مشروع دليل العمل السياسى ــ الفكرى والتنظيمى ٩٦
ــ مناقشات حول مشروع الدليل — عادل حسين ١٠٥

■ تقارير الشهر وتعليقات : ١١٠

ــ الحصاد السياسى والرياضى لدورة ميونيخ ١٢٥

■ مكتبة الطليعة :

ــ اقتصاديات التسليم — جون فيزى ١٣١

■ مناقشات مفتوحة : ١٣٥

■ وثائق :

ــ برنامج حزب التوحيد الثورى فى كوريا الجنوبية ١٤١

■ ملحق الادب والفن : ١٤٧

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

عنوان المراسلات :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ــ ٥٩٠١٠ ــ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا ــ

د. محمد الخفيف

شارك فى تاسيس « الطليعة »
واسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ مارس ١٩٧٢

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعه » صفحاتها لكل راى لديه كلمه يقولهــ — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا احقك فى الدفاع عن رايك » ..

الافتتاحية

ضد العقل .. والمنطق .. والتاريخ

ضد العقل والمنطق والتاريخ ، أن تتمكن اسرائيل بقوة تقل عن ثلاثة ملايين نسمة ، ان تشن حروبا دورية ، وتوطد استعمارا استيطانيا تحت راية العنصرية والامبريالية العالمية • وتهزم ــ مرة بعد أخرى ــ قوة تقارب مائة مليون عربى ، تدافع عن وطنها ، تحت راية الحرية والتقدم الانسانى •

ضد العقل والمنطق والتاريخ ، أن تظل اسرائيل آمنة • تحتل منذ يونيو ١٩٦٧ ما احتلته من اراضى عربية ، علاوة على فلسطين ، وأن تنفرد بين آن وآخر ببلد عربى ، ارهابا وقتلا وتدميرا ، ولا تملك البلدان الاخرى الا ممارسة قومية صراخ الاحتجاج • وأحيانا يغلها الخوف من العصا الاسرائيلية ، حتى عن الصراخ •

ضد العقل والمنطق والتاريخ ، أن تبقى المقاومة الايجابية الوحيدة فى الميدان ، هى مقاومة طلائع هذا الشعب الفلسطينى الصغير المشرد المثخن بالجراح على مدى ربع قرن ، يقاتل فى ظروف غاية فى التعقيد والصعوبة ، فى حين يتلقى فى ظهره طعنات السكاكين العربية • واذا ترفق به بعض الاشقاء كبلوا حركته بعشرات القيود بحجة « سيادة الدولة » التى تنتهكها اسرائيل يوميا • ولا يعدم الامر ان تتفضل عليه بعض أصوات السياسيين والمثقفين اللائذين فى مكاتبهم المريحة بنصائح عن الثورة والارهاب ، والفروق النظرية بينهما •

ما معنى هذا كله ؟

معناه ــ ببساطة ــ أن واقع رجحان كفة اسرائيل على كفة العرب فى ميزان الموقف ، هو بعينه اللاعقل واللامنطق واللاتاريخ • ومع ذلك فهو الحقيقة الموضوعية التى تصفع وجودنا ــ صباح مساء ــ منذ أكثر من خمس سنوات •

تناقض رهيب · ما السبب ؟

لابد أن هناك اسبابا عديدة وراء هذا الموقف العبثي الذى نعيشه · ولكن المهم دائما هو وضع اليد على السبب الرئيسى أو الحاسم ، وتمييزه عن مجموعة الاسباب الثانوية أو الفرعية ·

هل يكون السبب هو ذلك الدعم غير المحدود سياسيا وعسكريا واقتصاديا الذى تقدمه الولايات المتحدة لاسرائيل بحكم ارتباط المصالح بينهما فى مواجهة حركة التحرر العربى ؟

ان مثل هذا الدعم ، بل وأضعاف حجمه ونوعه يقدم الى حكومة فيتنام الجنوبية · اكثر من هذا فان القوات المسلحة الامريكية والقوات الحليفة لها تشارك فعلا فى القتال والعدوان · ومع ذلك فلم يقدر هذا الدعم وهذه المشاركة المباشرة ، أن تسجلا نصرا عسكريا أو سياسيا ضد حركة التحرير الفيتنامية · قد يقال ان السر فى ذلك يرجع الى الدعم المقابل الذى تتلقاه حركة التحرير الفيتنامية من الاتحاد السوفيتى ·

بيد أن الواقع يؤكد أن مثل هذا الدعم تلقيناه نحن ايضا من الاتحاد السوفيتى · على الرغم من كل ما يثار حول الخلاف عن الاسلحة المتطورة التى طلبتها مصر من الاتحاد السوفيتى ·

نفس الوضع يمكن أن نلمسه فى تاريخ الصراع بين الشعب الكوبى والولايات المتحدة الامريكية · وذلك خلال عملية الثورة ضد نظام حكم « باتستا » وبعد اسقاطه وانتصار الثورة ، وتوالى عمليات الغزو والثورة المضادة التى تسيرها وكالة المخابرات الامريكية ·

ومن هنا ، فالدعم الخارجى لا يمكن اعتباره سببا رئيسيا فى نجاح حركة التحرير الفيتنامية والثورة الكوبية ، أو فى اخفاق العرب · فالقضية فى النهاية تتوقف على ارادة من يتلقى الدعم ويستخدمه · وبتعبير آخر على قوى النضال الوطنية · صحيح تظل مسألة الدعم الخارجى مسألة هامة ولكنها تندرج فى اطار المسائل ذات الدرجة الثانية من الاهمية ·

واذا لم يكن الدعم الخارجى سببا رئيسيا فى هذا التناقض بالموقف ، فهل يمكن اعتبار قوى الصهيونية العالمية ومشاركتها الفعالة لاسرائيل ، هى السبب الرئيسى ؟

ليس من شك فى أن الصهيونية العالمية تمثل بثقلها البشرى والمادى والسياسى احتياطيا هاما لقوى العدوان الاسرائيلى ·

لكن ساحة الصراع تضم أيضا ـ أو المفروض ـ أن تضم فى مقابل الصهيونية العالمية ، قوى العالم العربى تحت شعار القومية العربية · ورغم حرصنا على عدم التهوين من امكانيات الصهيونية العالمية ، الا أنه بمقارنة هذه الامكانيات ، بتلك التى تملكها القومية العربية ، كما ونوعا ، فان النتيجة تسجل تفوق الثانية على الاولى ·

فاذا كانت الصهيونية العالمية تمثل فى أقصى درجة متصورة ـ وحتى باحتساب كل يهود العالم ، الصهاينة منهم والمسادين للصهيونية ـ حوالى ١٧ مليونا ، فان القومية العربية تفوقها من ناحية الكم البشرى ، اذ تقترب من مجموع مائة مليون عربى ·

واذا كانت الصهيونية العالمية ، بحكم مراكز نفوذها فى الدوائر المالية الاحتكارية وأجهزة الاعلام الغربية ، تمد اسرائيل بما تحتاج اليه فى عدوانها ، فان القومية العربية تمتلك على أرضها وفى حسابات البنوك الغربية (تتراوح قيمة الودائع العربية المعروفة بين ٨ الى ١٠ مليار جنيه استرلينى) وبوزنها الدولى ، ثروات وطاقات تزيد ، حجما ونوعا ، اضعاف مايتوافر لدى الصهيونية العالمية · ويكفى فى هذا النطاق أن نضرب مثلا واحدا ٠٠ البترول العربى ، وهو عصب الحياة الصناعية للغرب ، ان الارض العربية تختزن وحدها مايزيد على ٥٠ فى المائة من الاحتياطى العالمى المعروف · بل ان القومية العربية تتميز عن الصهيونية العالمية بخاصية هامة ، وهى قدرتها على مد المعركة ضد اسرائيل بأعماق استراتيجية من الارض تغرق فيها حشود العدو · وهذا ما تفتقده الصهيونية العالمية افتقادا تاما ·

وهكذا ، فانه بالحساب الكمى والنوعى ، نخرج بحصيلة تفوق امكانيات القومية العربية على امكانيات الصهيونية العالمية · بيد أنه فى الوقت الذى نجد فيه امكانيات الصهيونية العالمية مستخدمة استخداما فعليا ومنظما فى المعركة ، فان امكانيات القومية العربية مبددة ، بل ومحجوبة عن المعركة نتيجة لاسباب اجتماعية وسياسية عديدة ·

ولعل ذلك يرجع الى نقطة هامة ، وهى أن اسرائيل ، كقوة حضارية وكيان اجتماعى — سياسى — عسكرى — عنصرى ، قد غدت القيادة الحقيقية للصهيونية العالمية · وتأكدت لها هذه القيادة فى أعقاب انتصارها فى حرب يونيو ١٩٦٧ · وذلك عندما حسم الصراع على القيادة بين صهاينة الداخل فى اسرائيل ، وبين صهاينة الخارج الذين كان يمثلهم « **ناحوم جولدمان** » رئيس المؤتمر الصهيونى السابق · وهزم اتجاه جولدمان على أساس أن « الداخل » المشتبك فى المعركة ضد العرب هو وحده الذى يخطط ويقرر وينفذ السياسة الصهيونية ويحدد ما هو مطلوب من الصهيونية العالمية فى الخارج ·

أما فى وضعنا العربى ، فالتفكك وعدم الالتزام بخطة عمل موحدة على النطاق العربى ، هما وجها القانون السائد للحركة العربية · ولم تقدر قوى المواجهة العربية مع اسرائيل أن تبلور قيادة عربية قادرة على تسيير النضال العسكرى والسياسى ضد اسرائيل ، وفرض الالتزام بخطتها على مجمل ما نسميه بالقومية العربية · وذلك نتيجة عوامل متعددة ، نعود الى بحثها فيما بعد ·

ومن هنا فان عامل الصهيونية العالمية — فى حد ذاته — لا يمكن اعتباره السبب الرئيسى فى الموقف العبثى الذى نعانيه · اذ تظل القضية فى النهاية تدور حول الداخل لا الخارج ، وتوافر أو عدم توافر قيادة عربية قادرة وعلى مستوى المسئولية التاريخية من خلال القوى الداخلية ·

واذا لم تكن الصهيونية العالمية هى السبب الحاسم ، فهل يمكن اعتبار التفوق العسكرى الاسرائيلى على العرب هو السبب الرئيسى ؟

نخطىء اذا لم نضع فى حسابنا التفوق العسكرى الاسرائيلى الراهن · ولكننا نخطىء خطأ قاتلا ، اذا سمحنا لهذا التفوق أن تزداد نسبته فى المدى القريب ، أو أنه يستحيل تخطيه على المدى البعيد ·

ومع ذلك ، فأين ، بالدقة ، يكمن التفوق العسكرى الاسرائيلى الراهن ؟ ·

اذا اعتمدنا حساب الكم — جنودا وسلاحا — فلاشك أن التفوق يكون لصالح

العرب لا اسرائيل . وقد ثبت أننا خسرنا حرب ١٩٦٧ على الرغم من تفوقنا في العدد والعدة .

واذا اعتمدنا حساب الموارد الطبيعية والطاقات الانتاجية من صناعية وزراعية — وهى الاساس المادى للقوة العسكرية — فان التفوق أيضا يكون لصالح العرب لا اسرائيل .

ولعل نتائج حساب الكم وحساب الموارد والطاقات تكشف عن توافر امكانيات موضوعية لانتزاع التفوق على اسرائيل . وأن المشكلة هى فى عدم استغلالنا لهذه الامكانيات .

ونعود فنسأل :

هل يكون مرد التفوق الاسرائيلى الى أن الانسان الاسرائيلى أشجع من الانسان العربى ؟

نخطىء أيضا اذا أسلمنا تفكيرنا الى المنطق العنصرى فى النظر الى الاجناس وحكمنا بشجاعة جنس معين وجبن جنس آخر . فالانسان فى حياته اليومية وتجاربه التاريخية مزيج من الشجاعة والجبن فى نفس الوقت ؛ بيد أن الظروف الموضوعية — أساسا — التى تحيط بالانسان هى التى تحدد فى النهاية مدى شجاعته أو جبنه أمام التحديات . وفضلا عن ذلك فان مفهوم الشجاعة فى الحرب الحديثة ، يختلف اختلافا جذريا عن مفهوم الشجاعة فى الحروب القديمة . فلقد تراجعت الشجاعة البدنية للمقاتل الى المحل الثانى من الاهمية ، لتتقدم عليها الشجاعة المعنوية وشجاعة العقل والحركة للمقاتل فى اطار الخطة المحددة للمعركة .

والشجاعة المعنوية ، أو شجاعة العقل والحركة ، ليست صفات وراثية فى المقاتل . وانما هو يكتسبها من خلال ارتباطه العميق اجتماعيا وسياسيا بقضية وطنه وحركة التقدم فيه ، ومن خلال وعيه بطبيعة وأهداف الصراع الدائر مع العدو ، ومن خلال معرفة علمية دقيقة لطبيعة الحرب الحديثة عامة والحرب الدائرة على أرضه خاصة ، ومن خلال التدريب الشاق الذى يثمر ثقة لا حدود لها بين الجندى وسلاحه ، ومن خلال يقينه بأن تضحيته بحياته لن تذهب بلا ثمن . أو تتحول الى غرم على عائلته وأولاده ، والى غنم لطائفة الانتهازيين والمتسلقين ومضاعفى الثروات الخاصة من تضحيات الغير . وأخيرا من خلال قيادة قادرة — سياسيا وعسكريا واجتماعيا — على العمل واعطاء القدوة والمثل فى البذل والفداء .

ويجب أن نعترف أن اسرائيل قد هيأت لمقاتلها المناخ والظروف الموضوعية التى تفجر شجاعته الذاتية والجماعية بمفهوم الحرب الحديثة . فى حين افتقد مقاتلنا هذا المناخ والظروف الموضوعية . وذلك على الرغم من أن المقاتل الاسرائيلى ينطلق من أرضية عدوانية عنصرية توسعية ، يحارب ضد حركة التاريخ الانسانى . فى حين أن أرضية مجتمعنا المفروض أن ينطلق منها مقاتلنا العربى ، أرضية تحررية معادية للعنصرية والاستعمار ، وبالتالى فهو يحارب فى اتجاه حركة التاريخ .

وفى كل صدام مع العدوان الاسرائيلى لم يتمكن المقاتل العربى من أن يمارس شجاعته وأن يحارب حربه العادلة والمشروعة . بمعنى أن التفوق العسكرى الاسرائيلى لم يلق فى مواجهته رادعا عربيا كان ممكنا ومتاحا . ومع توالى ثلاث حروب عدوانية خلال فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز عشرين عاما ، أى فى حدود جيل واحد ، كان النصر فيها دائما حليف اسرائيل والهزيمة من نصيبنا ، صور المقاتل الاسرائيلى كما لو

كان « هرقل » العصر الحديث .. لاسبيل الى مقاومته . وعمدت الدعاية الاسرائيلية الى العزف على نغمة أسطورة الجيش الأسرائيلي الذى لا يقهر . ورددت أبواق الامبريالية والانهزاميين العرب نفس النغمة لزرع اليأس وعدم الثقة فى الشعوب العربية ومقاتليها . ودفع حركة التحرر العربية نحو الاستسلام . وكأن هناك قانونا طبيعيا يحتم فى كل مرة تصطدم اسرائيل الصهيونية بحركة التحرر العربى ، أن تحيق الهزيمة بالعرب !

ان التجربة التاريخية لعالمنا، تؤكد أن العنصرية والامبريالية تمضى الى زوال ، فى حين تشرق الحرية والاخاء الانسانى والتقدم الاجتماعى . لكن التجربة التاريخية ، تؤكد أيضـــا أن خط الــزوال ، أو خـط الشروق ، ليس بالخط المستقيم . وانما هو متعرج ، عديد الانحناءات ، يحفل بكثير من المنعطفات . تظهر فيه القوى العـدوانية ضخمة ومتفوقة على قوى الشعوب فى البداية . ولكن مع استمرار المعركة والصمود تتضاعف قوى الشعوب وخبراتها فى حين تتضاءل قوى العدوان حتى تتهاوى الى قـــاع الهزيمة . وقراءة مستنيرة فى قصة الحرب العالمية الثانية التى بدأها المارد النازى الذى كان يجتاح شعوبا بكاملها فى ساعات ، ثم انهياره فى النهاية بعد حوالى خمس سنوات من معارك متواصلة ، تدفىء يقيننا بهذه الحقيقة .

ولعل قراءة اخـرى فى قصـة لم تكتمل فصولها بعد .. تزيد من يقيننا بهـذه الحقيقة . ونعنى بهـا قصـة الثـورة الفلسطينية . بدأت كما لو كانت عصفورا صمم على أن يقاوم فيلا . وتتابعت فصول القصة ، رغم الظروف القاسية وطعنات الظهر الخائنة ، فان الفيل الاسرائيلى يضج اليوم بالصراخ من العصفور الفلسطينى حتى ليضطر الى الاعلان الصريح ــ بعدما كان يتبجح بأنه مع حليفه الملك حسين قد ذبحا العصفور ــ بأن القضية التى تواجهـه الان ليست قضية الشرق الاوسط بقدر ماهى قضية الثورة الفلسطينية ، ونشاطها المتعدد الجبهات . وهذا بالضبط هـو الهدف السياسى الذى تستهدفه الثورة : القضية فى جوهرها قضية شعب فلسطين الذى يعانى استعمارا استيطانيا عنصريا على جزء من الارض العربية .

لا أريد أن أستطرد كثيرا فى هذا المجال . ولكن ما أود التركيز عليه أن تفوق قوة العدو لحرية الشعوب وحركة التاريخ ، لا يمكن أن يستمر مع استمرار صمود ومقـاومة الشعوب خلال معارك حقيقية متواصلة . وان خوض هذه المعارك ينبع أولا وأخيرا من داخل الشعوب وقدرتها على العطاء .

ومن هنا ، فـان التفـوق العسكرى الاسرائيلى يخرج بدوره عن دائرة السبب الرئيسى أو الحاسم للموقف اللامعقول الذى نعانيه . وتظل القضية ، فى النهاية وفى الأساس ، القضية الداخليـة لشـعوبنا العربية .

باختصار ، فان كل ما نراه أو نلمسه ـبأحجام وصور متنوعة ـ على سـطح ما درجنا على تسميته بأزمة الشرق الاوسط ، لايقوم ـ رغم ما قد تكون له من أهمية نسبية ـ بالدور الرئيسى أو الحاسم فى استمــرار « الازمة » ، متحدية كل عقل ومنطـق وتاريخ .

وكل تحليل موضوعى لاى مظهر مـن مظاهر سطح الازمة ، مهما بدا متضخـما ومسيطرا ، يقودنا فى النهاية الى جوهر السبب الحاسم والرئيسى : **واقـع الشعوب العربية .. داخلياتها .. مدى قدرتها على العطاء من اجل الحرية والتقدم .. وبالدقة الى أين تسير ، سيـاسيا واجتمـاعيا وعسكريا ، فى هذه المرحلة من مراحل حركة التحرر العربى .**

وبتعبير آخر فان القوة الرئيسية لتغيير هذا الموقف الراهن المجافي للعقل والمنطق والتاريخ ، هي القوة الذاتية العربية .

والاعتماد على القوة الذاتية ، كمصدر أساسي للتغيير ، ليس اكتشافا جديدا ، كما يحلو لبعض الكتاب العرب في الاونة الاخيرة أن يصوروه . وانما هو قانون جوهري من قوانين الحركة التاريخية . ويقع موقع « الالف باء » من أبجدية النضال الثوري بالمفهوم العلمي . وكل عون خارجي ـ مهما بلغت قيمته ومقداره ـ يبقى مجرد عامل ثانوي لا وزن له اذا لم تتوافر في الداخل قوى التغيير القادرة على الحركة .

لو أن الاتحاد السوفيتي صب ترسانته العسكرية في فيتنام ، دون أن تتوافر في الداخل حركة تحرير وطنية قادرة على الحركة ، لما أمكن للعون السوفيتي وحده ان يحقق شيئا . بمعنى ان « الداخل » لا « الخارج » ، هو الاساس .

والداخل ـ بمفهوم الصراع العربي الاسرائيلي ـ هو « الداخل » على المستوى الاقليمي لكل بلد عربي ، في ارتباط وتفاعل مع « الداخل » على المستوى القومي .

بيد أن قانون الحركة التاريخية في الاعتماد الاساسي على الذات ، لا يضع « الداخل » بديلا « للخارج » . وانما هو يوثق علاقة جدلية متبادلة التأثر والتأثير بين الداخل والخارج . ولذلك فان قانون الاعتماد الاساسي على الذات لا يغفل من حسابه ، لحظة ، قضية كسب الحلفاء والمناصرين في الخارج ، لقضية الداخل . وتكتسب هذه المسألة للعلاقة بين الداخل والخارج ـ في اطار قانون الاعتماد الاساسي على الذات ـ أهمية خاصة بالنسبة لقضايا النضال ضد الامبريالية العالمية وأدواتها ، في عصرنا الراهن . حيث تتشابك وتتفاعل ابعاد التحرر القومي مع الابعاد الاجتماعية والعالمية .

وقضيتنا اليوم ، في مواجهة الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل ، هي نموذج متكامل الابعاد ، للنضال ضد الامبريالية العالمية وأدواتها .

ولكي نمارس بفاعلية قانون الحركة التاريخية ـ ازاء قضيتنا ـ في الاعتماد الاساسي على الذات ، يجب أن نحسم بوضوح ثلاث نقاط رئيسية :

النقطة الاولى ، تحديد دقيق للهدف . والتحديد هنا على مستويين رئيسيين : مستوى استراتيجي بعيد المدى ، ومستوى تكتيكي قصير المدى .

وبالنسبة **للمستوى الاستراتيجي** ، فان الهدف يمكن تجسيده في :

● وقف زحف الموجة الجديدة من الاستعمار الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة الى منطقتنا وتصفيته .

● تحرير كامل الارض العربية المحتلة بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ .

● عودة الشعب الفلسطيني الى وطنه والاعتراف دون مساس أي تحفظ بحقه في تقرير مصيره على أرضه ، بعيدا عن كل اتجاه عنصري او تعصب ديني . وذلك في اطار بناء الدولة الديمقراطية التي لا تمييز فيها بين الاجناس والاديان .

اما بالنسبة **للمستوى التكتيكي** ، فان الهدف يمكن تعيينه على النحو التالي :

● التحطيم العملي لاسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يهزم .

● البدء في تنفيذ حملة مدروسة متصاعدة بخطوات محسوبة لتصفية مصالح الامبريالية الامريكية في المنطقة .

● فتح جميع الاراضي العربية بلا استثناء أمام المقاومة الفلسطينية باعتبارها فصيلة هامة وذات وزن خاص في حركة التحرر العربية .

● **النقطة الثانية** ، تغيير النظرة ، جذريا ، الى القضية . فنحن قد استدرجنا

ـ زمنا طويلا ـ الى اعتبار القضية مجرد« ازمة طارئة فى الشرق الاوسط » «وأن المطلوب بالتالى هو الوصول الى « حل »لهذه الازمة .. و « الحل » لا نملكه ، وانما علينا أن نسعى للحصول عليه من« الخارج » .

وفى بعض الاحيان ، فسر لنا« الخارج » ، بأنه يمكن أن يكون الاتحاد السوفيتى على أساس ان يتحول من صديق يدعم ويساعد ، الى قوة محاربة لمعركتنا . وهو تفسير متعمد للاساءة الى كل من الاتحاد السوفيتى والينا معا ، ذلك انه يعنى الغاء دورنا كقوى وطنية تحررية فى قضيتنا ، وتحميل الصديق مسئولية مستحيلة التحقيق ، لسبب بسيط وهو اهدار القوة الرئيسية الداخلية صاحبة القضية .

بيد أن هذا التفسير للخارج ، سرعان ماكان يستطرد الى تقديم « خارج بديل » ، يتحدد فى قيام الولايات المتحدة بممارسة ضغط على اسرائيل للانسحاب من الاراضى المحتلة .ولكن واقع الاحداث اثبت أن الولايات المتحدة تمارس بتصاعد ضغوطا مسلحة واقتصادية وسياسية ضد الشعوب العربية . ذلك انها ليست من السذاجة بدرجة تقبل معها الضغط على اسرائيل والاكانت ـ فى حقيقة الامر ـ تضغط على نفسها وتخاطر بمصالحها فى المنطقة .

وأيا كانت التفسيرات ، فتجربة الخمس سنوات الماضية تكشف خرافة البحث عن حل من الخارج للقضية . وبالتالى فساد نظرة الازمة ـ الحل . ومن هنا يتوجب الامر أن نصحح نظرتنا بحيث تنبع من طبيعة القضية ذاتها .

والقضية ، ليست مجرد حرب اقليمية مجردة وقعت فى ظروف استثنائية ، الحق فيها طرف الهزيمة بطرف آخر . ويسعى المهزوم الى انقاذ ما يمكن انقاذه من أنياب المنتصر .

لا ..

ليست القضية حربا اقليمية مجردة .وانما هى مرحلة من مراحل نضال حركة التحرر العربى باهدافها الوطنية والتقدمية ضد الامبريالية والقوى المرتبطة بها فى المنطقة وخاصة اسرائيل الصهيونية . ومن هنا فهى جزء من كل له جذوره التاريخية وواقعه الراهن ومستقبله المفتوح . ومرحلة اليوم مرحلة معقدة وشائكة نتيجة تداخل عوامل الاستعمار الاستيطانى القديم مع الاستعمار الجديد مع القوى الصهيونية مع القوى الرجعية القديمة والجديدة معا فى المنطقة . واذا كان ثمة أزمة فى القضية فهى أزمة عدم تجمع وتبلور كل القوى الوطنية والتقدمية العربية فى الداخل لمواصلة حركة التحرر الوطنى العربية على مستوى مهام المرحلة وطبيعتها المعقدة . بمعنى أن مصدر «الحل» ـ اذا صح استخدام هذا التعبير ـ هو الداخل . وهو حل لازمة البعثرة والتفكك فى قوى حركة التحرر العربى ، وممارستها لفاعلياتها التاريخية سياسيا وعسكريا واجتماعيا . وذلك فى اطار كونها جزءا رئيسيا من قوى الثورة والتقدم فى عالم الثلث الاخير من القرن العشرين ضد قوى الامبريالية والعنصرية والتخلف الرجعى .

● **النقطة الثالثة** ، هى حصيلة النقطتين الاوليتين ، بمعنى أن تحديد الهدف على المستوى الاستراتيجى والتكتيكى وتحديد النظرة الموضوعية الى القضية ، يقود بالضرورة الى تحديد دقيق لكل من طرفى الصراع المباشرين والحلفاء الاساسيين لكل منهما .

وفى هذا الضوء فان الصراع المباشر ،اذا كان وجه العدو فيه اسرائيلى فان الجسد

امريكي. وهذا التداخل العضوى بين المصالح الاسرائيلية والامريكية فى الصراع ، يعنى أن المعركة ليست مجرد وجود اسرائيل وتوسعاتها الصهيونية اقليميا ، وانما هى أيضا فى محاولة الامبريالية العالمية تصفية حركة التحرر العربى ، أو على الأقل احتوائها وافراغها من اتجاهاتها التقدمية .

وهذا المفهوم ، يقدم لنا معيارا لضبط وقياس القوى العربية الداخلية صاحبة المصلحة فى استمرار خوض معركة التحرر والتقدم الاجتماعى . بحيث تسقط من حسابها كل القوى والنظم المعادية لمواصلة المعركة بسبب مصالحها . وذلك مهما تسترت بشعارات وأردية عربية . ويمكن فى هذا المجال أن نقدم – مثالا لهذه النظم – بنظام الملك حسين فى الاردن ونظام الحكم السودانى فيما آل اليه .

وفى مجال القوى الاجتماعية ، نشير الى تلك القوى الجديدة التى طفت على سطح العالم العربى من خلال تحالف بين الملكيات الزراعية المتوسطة فى بعض البلاد والبرجوازية البيروقراطية ، والتى تتميز بشراهتها فى اكتناز الثروات الخاصة على حساب الجماهير ، والتقدم الاجتماعى ، ومعاداتها للديمقراطية ، وتخلفها الحضارى وافلاسها الفكرى . وهو الافلاس الذى تحاول أن تغطيه بشعارات دينية ، الدين بقيمه الروحية النضالية منها براء . ومن أجل ذلك فان هذه القوى تعمد الى بث روح الهزيمة والاستسلام فى الشعوب العربية والدعوة الى قبول « الامر الواقع » من خلال مساومة (مشرفة!) مع الاعداء الذين لا حول ولا قوة لنا ، أمام قوتهم .

وتحديد القوى الوطنية والتقدمية الداخلية للمعركة ، يتطلب أيضا تحديد الحليف . والحليف هنا ليست مسألة نزوة أو اختيار ذاتى وانما هى فى الاساس مسألة موضوعية .

ومادامت المعركة هى ضد اسرائيل والامبريالية العالمية ، فان كل القوى فى العالم – أيا كان الاتفاق أو الاختلاف معها أيديولوجيا – المعادية للصهيونية والامبريالية ، هى حليف موضوعى لنا يجب العمل على كسبه وتدعيم الروابط به .

من هنا تبرز – كحليف طبيعى فى معركتنا – قوى حركات التحرر الوطنى العالمية ، والحركات المعادية للعنصرية ، والقوى الديمقراطية المعادية للعدوان والاستعمار فى العالم الغربى بما فى ذلك أمريكا نفسها ، والقوى الاشتراكية ، وبالذات الاتحاد السوفيتى الذى يحتل المركز القيادى فى الاسرة الاشتراكية .

وليس شرطا لازما للتحالف التوافق التام مع الحليف .

فمثلا حركة التحرر العربى فى عموميتها وقيادتها ليست بماركسية لينية . فى حين أن الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية وعدد من القوى التقدمية فى الغرب ماركسية لينية . وبالتالى فان اختلاف النظرة والطبيعة الاجتماعية والسياسية وارد ومقبول ويجب احترامه . ولكن ما يجب مراعاته واحترامه فى نفس الوقت هو هذه الدائرة المشتركة بين الجميع فى العداء للعنصرية والعدوان والامبريالية العالمية .

واذ أردنا أن نبسط الامر فان النظرة العلمية والموضوعية تكشف عن تمايز فى الفكر والاسلوب والاهداف الاجتماعية والسياسية بين « برجنيف » سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى وبين « **أنور السادات** . رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى . وذلك بحكم الاختلاف بينهما فى القوى الاجتماعية التى يمثلها كل منهما ، وفى

النظرية الاجتماعية والسياسية التي يسيركل منهما على هداها الـخ ••• ولكن الرجلين ••• كل من موقعه يمثلان قيادة معادية للامبريالية والعنصرية والعدوان •

من الطبيعي اذن أن يكون هناك خلاف •ولكن من الطبيعي بنفس القدر ـ أن يكون هناك أيضا اتفاق • والمهم ـ فيمعركتنا ـ ان لا نسمح لعوامل الخلاف أن تؤثر على عوامل الاتفاق وتهدر فاعليتها •

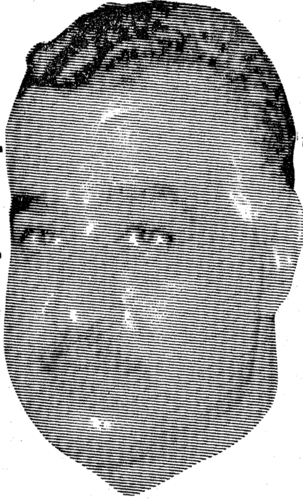
ولقد حرص الرئيس أنور السادات ـ أثر قراره الخاص بانهاء مهمة المستشارين السوفيت ـ أن يؤكد على استمرار الصداقة المصرية السوفيتية ، وتدعيمها وذلك بالدعوة الى تخطي مسئولي لعوامل الاختلاف •

بيد أن بعض القوى في العالم العربي «تحاول عامدة تحقيقا لمصالحها ـ أن تجعل من مسألة المستشارين السوفيت الفرعية،كل المسألة في العلاقات المصرية السوفيتية وذلك بهدف تصفيتها وتحويل المعركة ضد اسرائيل والامبريالية الامريكية الى معركة ضد السوفيت واظهار حركة التحرر الوطني العربية بأنها فقدت الاتجاه ،حتى لتعاقب الاصدقاء على معاونتهم لهـا ، وتكافيء الاعداء على احتلالهم لاراضينا وتشريدهم لشعبنا الفلسطيني وعدوانهم المستمر علينا •

ولعل هذا هو مادفع الرئيس السادات أكثر من مرة الى التحذير من القوى الانهزامية في العالم العربي التي تحاول استثمار مسألة المستشارين السوفيت لصالحها •

والحق أن القوى الوطنية والتقدمية فيحركة التحرر الوطني مطالبة من خلال حركتها البناءة لوحدة العمل والنضال أن تطهر صفوفها من هذه القوى والعناصر الانهزامية المستترة وأن تتصدى من مواقع المصلحة الوطنية التحررية لأفكارهم واتجاهاتهم وان تتقدم بشجاعة لتغيير الموقف الراهن المعادي للعقل والمنطق والتاريخ •

لطفي الخولي



عبد الناصر

مناضلا ضد الاستعمار الجديد

أبو سيف يوسف

منذ ان استولى تنظيم الضباط الاحرار على السلطة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، لم يتوقف جمال عبد الناصر عن توضيح هذه الفكرة ، وهى ان ثورة يوليو لايمكن ان تقف عند حد تحقيق الاستقلال السياسى والسيادة القومية . وبديهى ان تصفية كل آثار التبعية السياسية للامبرياليين الانجليز كان يعتبر - بلا شك - ضرورة حيوية ، وشرطا مسبقا لكل انجاز لاحق . لكن **جمال عبد الناصر** ، اعلن منذ اللحظة الاولى أن النظام الجديد يقوم **بثورتين** : وطنية من أجل الاستقلال ، واجتماعية ضد المظالم الاجتماعية التى تعانى منها اغلبية الشعب المصرى . وهذا الموقف - كما نعلم - كان عبد الناصر قد عبر عنه - وبوضوح - فى كتاب « **فلسفة الثورة** » .

هنا ، لابد من التنبيه الى ان قضية « الثورة الاجتماعية » عند قادة النظام الجديد لم تكن مجرد اضافة ثانوية الى مهام النضال الوطنى ضد الامبريالية ، ولم تكن ابدا مرادفة لهذا النضال . كانت « الثورتان » فى مفهوم الضباط الاحرار متميزتين ، وان ظل الترابط العضوى قائما بينهما . وبمعنى آخر ، فان « الاتجاه الاجتماعى » والنضال ضد مظالم النظام الطبقى فى مجتمع تحكمه الطبقة البورجوازية الاقطاعية ، كان اتجاها أصيلا فى مذهب الضباط الاحرار . وهذا الامر ،

يمكن بالطبع ، تفسيره على أساس ، أن الضباط الاحرار كانوا جزءا من المثقفين المصريين ، ولكن فى ملابس عسكرية . وكان المثقفون المصريون ــ هم بدورهم ــ وبحكم انهم جزء لا يتجزأ من الشعب ، وبالتالى ، من الحركة الوطنية يتجاذبهم اتجاهان : اقلية منهم تنحاز بفكرها نحو اليمين، وتضع خدماتها فى مصلحة الطبقة البورجوازية الاقطاعية ، واغلبية تنحاز ــ بشكل عام ــ نحو اليسار ، نحو الشعب الكادح بفلاحيه ، وعماله .

ونحن نعلم ، من استقراء تاريخ الحركة الوطنية قبل ٢٣ يوليو ان ذلك التيار اليسارى بين المثقفين كان يلد ــ بشكل طبيعى ــ اتجاهات وافكار ونظريات ومواقف « اشتراكية » ترتبط بهذه الطبقة او تلك من الطبقات الاجتماعية . فالى جانب الاشتراكية الماركسية والاشتراكية الديموقراطية ، كانت تولد ايضا « اشتراكيات » وهذه الظاهرة كان لينين قد سبق أن درسها وحللها فى وقت مبكر (فى ١٩١٣) ، عندما درس ثورة الصين الديموقراطية التى قادها صن يات صن . فقد لاحظ لينين أن قسما من الشرائح الثورية من ابناء الطبقات المتوسطة الصغيرة ، فى مجتمع غالبيته من الفلاحين الفقراء ، يصبحون ــ ومن منطلق اخلاقى ومثالى ، وفى مجرى النضال ضد القهر والعبودية الاقطاعية «اشتراكيون ذاتيا » ، وذلك من واقع رغبتهم فى اجراء اصلاحات ديمقراطية ، ومن واقع احساسهم بأن طريق الرأسمالية مسدود .

وفيما يتعلق ، بمصر ، فان هذه الحقيقة لا يغير منها واقع أن كلمات « الاشتراكية » و « الاشتراكية الديموقراطية التعاونية » ، ثم « الاشتراكية العلمية » لم يرد لها ذكر فى كتاب فلسفة الثورة . ولسوف ننتظر من ١٩٥٢ ــ ١٩٦٢ حتى نجد فى « ميثاق العمل الوطنى » برنامجا مطروحا للتحول الاشتراكى وبين هذين التاريخين ، كان لا بد وان يثبت لقادة ثورة يوليو ــ من خلال التجربة والخطأ ان الرأسمالية المحلية ، هى ايضا ، غير قادرة ، وان الاقسام الكبيرة غير راغبة قطعا فى انقاذ البلاد من آثار التخلف الاقتصادى والاجتماعى .

وإذا كنا ركزنا فيما سبق على اصالة الاتجاه الاجتماعى فى ثورة يوليو ، فلأنه يفسر كل الانجازات التى حققتها هذه الثورة فى مجال الاصلاح الزراعى ، وبناء قاعدة متسعة للصناعة، وفى مجال الاصلاحات الديموقراطية والإجتماعية التى تمت ، وفى مجال المؤسسات السياسية التى اهتم عبد الناصر باقامتها .

ليس هذا فحسب ، بل ان اصالة هذا الاتجاه الاجتماعى تفسر كل المعارك التى خاضها جمال عبد الناصر ضد رأس المال الاجنبى الاحتكارى من أجل اقامة قطاع عام ظل يعتبره على الدوام دعامة الاستقلال الاقتصادى . وكل المعارك التى خاضها ضد قوى اليمين الرجعى التى حاولت ان تنتكس بقوانين الاصلاح الزراعى ، وكل المعارك التى خاضها ضد بعض الشرائح العليا من الرأسمالية الطفيلية .

وباختصار ، فمن الثابت أن جمال عبد الناصر الذى ظل يردد دائما أن الاستقلال الاقتصادى هو جوهر الاستقلال السياسى ، قد نقل ، وحول النضال الوطنى ضد الامبريالية ــ بعد تحقيق الاستقلال ــ الى نضال ضد العلاقات الاقطاعية والرأسمالية .

لكن اتساع المعارك التى خاضها جمال عبد الناصر فى الداخل ، بكل ما انطوت عليه من تعقيدات وصعوبات بالغة ، لا يعنى أبدا أن نضال عبد الناصر الوطنى ضد الامبريالية العالمية قد توقف لحظة واحدة . بل على العكس ، لقد تضاعف هذا النضال ، ولكن من منطلق داخلى جديد هو منطلق « الثورة الاجتماعية » أو بناء القاعدة المستقلة للاقتصاد . وفى هذا ما لم يغب عن جمال عبد الناصر حقيقة أن كفاحه فى الداخل من أجل التغيير الاجتماعى لا يمكن الا أن يجرى ، ولابد له من أن يجرى بكيفية حتمية ، فى اطار الصراع ضد ظاهرة الاستعمار الجديد . فهذا ــ على الصعيد الدولى ــ هو الوجه الاخر لمعارك التنمية والبناء على الصعيد الداخلى . بل هو شرط التقدم فى الداخل ، شرط صيانة الاستقلال وحمايته . ولكن العكس صحيح أيضا ، فان بناء قاعدة مستقلة للاقتصاد القومى ، واجراء اصلاحات اجتماعية عميقة ، من شأنها ان توفر الضمانات اللازمة لاحباط مخططات الاستعمار الجديد .

ولسوف نكتفى هنا بالتركيز على الجانب الدولى من الصراع الذى خاضه جمال عبد الناصر ضد الاستعمار الجديد ، مقدمين هذا المقال تحية لهذا المناضل الثورى فى ذكرى وفاته الثالثة .

أثبت تطور الاحداث ، بعد الحرب العالمية الثانية ، أنه ما أن ينجح شعب من الشعوب فى عبور جسر الاستقلال الذهبى ، حتى يجد هذا الشعب نفسه ــ عند الطرف الاخر من الجسر ــ أمام عدوه القديم : الامبريالية العالمية .

وكما نعلم ، حاولت الامبراطوريات القديمة (كما فعلت هولندا فى اندونيسيا ، وفرنسا فى سوريا ومدغشقر ، وبريطانيا فى مصر .. الخ)

ان تتظاهر بالتسليم بالجلاء عن البلاد • لكنها ما لبثت فى محاولة يائسة أن حاولت العودة بقوة السلاح ، الا أن هذه المحاولات قد فشلت ، ومن ثم بدأت الدول الامبريالية تكييف سياستها ومناهجها فى عالم متغير أبرز سماته الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، ونهوض حركة التحرر الوطنى بكيفية لم يسبق لها مثيل : باختصار ، بينما احتفظ الامبرياليون بأهدافهم بدون تغيير ، واجهوا حركة التحرر الوطنى بهذه الظاهرة التى عرفت منذ منتصف الخمسينات باسم « الاستعمار الجديد » • اما القسمة الرئيسية فى تاكتيك الاستعمار الجديد فهى استبدال الخداع بالعنف الوحشى السافر . اى مواصلة عملية نهب البلدان المتخلفة • ومواصلة استغلالها اقتصاديا • بدون الحاجة الى حكم عسكرى وسياسى ، سافر ومباشر ، من قبل الدولة الامبريالية

وكانت مصر فى الطليعة من بلدان العالم الثالث ، حين خاضت المعركة الضارية ضد قوى الاستعمار الجديد التى تتزعمها الولايات المتحدة الامريكية • فبعد عقد اتفاقية الجلاء مع بريطانيا عام ١٩٥٤ ، – وعلى وجه اخص – بعد فشل العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، واجهت مصر هجوم المستعمرين الجدد مجسدا فى السياسات التالية :

– محاولات ربطها بالاحلاف والكتل العسكرية تحت شعار حمايتها من العدوان أو الخطر الشيوعى المزعوم •

– محاولات عزلها عن النضال الوطنى التحريرى للشعوب العربية الذى ظل يتعاظم من أجل الاستقلال والتقدم الاجتماعى والوحدة العربية

– محاولات عزلها عن حركة الثورة العالمية ، وبوجه خاص ، عن معسكر البلدان الاشتراكية ، وحركة التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية •

– محاولات اجبارها على تأمين الحرية لنشاط رأس المال الاجنبى ورأس المال الخاص ، تارة بوسائل الترهيب (الضغوط الاقتصادية ، واعمال التخريب ، وتنظيم الانقلابات ، وتارة بوسائل الترغيب : الاغراء بطعم القروض والخبرة الفنية •

غير اننا نعلم ان جمال عبد الناصر قاوم المشروعات البريطانية والامريكية • مستبعدا أى حلف تنضم اليه مصر والبلاد العربية ويرتبط فى الوقت نفسه بالغرب ، هكذا رفض فى ١٩٥٤ عرض نورى السعيد بالانضمام الى حلف بغداد • وفى ١٩٥٥ عبر جمال عبد الناصر عن رأيه فى هذا الحلف ، وذلك فى لقاء له مع انتونى ايدن بقوله :

« انه « أى حلف بغداد » قد يكون حلفا يعتمد على الرجعية ، ولكنه سيعتبر فى نظر شعوب المنطقة نوعا جديدا من السيطرة ، نوعا جديدا من الاستعمار » (١)

غنى عن الذكر ان رفض عبد الناصر لحلف بغداد كان يمليه حرص فائق على سلامة الاستقلال الوطنى والسيادة القومية • غير اننا نعلم ان عبد الناصر كان على الدوام مشغولا ، والى اقصى حد ، بقضية التصنيع ، بهدف اقامة قاعدة اقتصادية مستقلة • هذه القضية التى تراءت له باعتبارها وسيلة رفع مستوى المعيشة

وفى هذا السبيل ، خاض جمال عبد الناصر سلسلة من التجارب المريرة مع المستعمرين الجدد الامريكان • فلقد لاحظ فى عام ١٩٥٥ :

« ان هناك ناس يقولون انه من الناحية الاقتصادية يمكن ان نعتمد على نواح خارجية ، وانا ارد على هذا قائلا : « اننا اذا اردنا ان نبنى اقتصادنا القومى – على أساس سليم – يجب أن يعتمد علينا اعتمادا كليا » •

ثم علق على المعونة الامريكية فقال : « ان المعونة الامريكية التى حصلنا عليها فى العام الماضى (١٩٥٤) وهى ٤٠ مليون دولار ، وجهنا هذه المبالغ على أنها ليست اسسا من اسس الاقتصاد بل وجهنا هذه المعونة الى الطرق واصلاح الموانى • وجهناها الى تقصير المدة اللازمة لتوصيل المياه النقية الى القرى فنحن لم نبن عليها ابدا اقتصادنا القومى (٢) •

نعم ، ادرك عبد الناصر – وفى وقت مبكر – ان المعونات الامريكية ، لا تقدم ، ولن تقدم من أجل بناء اقتصاد قومى مستقل • وقد ثبت هذا بكيفية قاطعة ، عندما طلبت مصر أن تعاونها امريكا على بناء السد العالى •

---

(١) حديث عبد الناصر الى الصحفيين الامريكيين : ١٩٦٠/٣/٢١ م
(٢) قال الرئيس – كتاب الهلال – العدد ٢٧١ ص ١٠٠ م

لقد استغلت الولايات المتحدة الامريكية حاجة مصر الماسة الى القروض والى الخبرة الفنية ، لكى تمارس ضدها أشد انواع الضغوط .

وهكذا عندما طلبت مصر من البنك الدولى للانشاء والتعمير تمويل مشروع السد العالى ، اشترط البنك - فى المقابل - ان يتولى الرقابة على خطة الاستثمارات الوطنية . ثم طالب بتخفيض المساحة المزروعة قطنا . ثم اشترط على مصر الا تبحث عن قروض عند مصدر آخر غيره . وفى باذىء الامر ، وافقت مصر على هذه المطالب . غير ان البنك لم يقف عند هذا الحد ، فمضى يطالب بضغط برنامج التصنيع ، على زعم ان مصر لا تستطيع الوفاء بالتزاماته المالية قبل البنك . ولكن عند هذا الحد ، رفض جمال عبد الناصر هذا الابتزاز السافر ، واتجه الى ضرب اقوى الاحتكارات الاجنبية فى البلاد ، فأمم شركة قناة السويس . ولم يكن من قبيل المبالغة ان يصف الميثاق عام تأميم القناة بأنه العام الفاصل فى النضال الوطنى . وقوم عبد الناصر معركة تأميم القناة بقوله :

« **ان المقاومة ضد الاستعمار الجديد تكشف امام** الشعوب المستقلة يوما بعد يوم ، ان استقلالها السياسى لا يمكن تدعيمه بغير الاستقلال الاقتصادى .. وان النصر فى مصر وآثاره الاجتماعية ، اكد أمام جميع الشعوب ان معارك التحرير السياسى لا تنفصل عن معارك التحرير الاجتماعى ، وان الاستقلال ليس علما ونشيدا ، ولكنه سيادة على التربة الوطنية بكل ما عليها وبكل ما فيها ، اى أنه اقتصادى بأكثر مما هو سياسى (٣) » .

على أن الاحتكارات العالمية ، خاصة احتكارات البترول الامريكية فى الشرق الاوسط ، كانت قد استشعرت الخطر من وراء تأميم القناة وما تلاه من تمصير رؤوس الاموال البريطانية والفرنسية . ومن ثم هجم الاستعمار الجديد الامريكى على منطقة الشرق الاوسط رافعا اعلام « **مبدأ ايزنهاور** » وكان **فوستر دالاس** قدشرح فى رسالة سرية موجهة الى الرئيس ايزنهاور الاسباب التى تحتم على أمريكا ان تضم منطقة الشرق الاوسط (والبلدان العربية بوجه خاص) الى منطقة نفوذها . قال دالاس :

- ان امريكا ينبغى أن تحل محل بريطانيا وفرنسا بعد هزيمتها فى السويس .

- لابد من ابعاد البلاد العربية عن الاتحاد السوفيتى لان المساندة التى قدمها لمصر ابان العدوان الثلاثى من شأنها ان تشد ازر العرب فى نضالهم ضد الاستعمار .

- ان نزوع البلدان العربية نزوعا عاصفا نحو الاستقلال من شأنه ان يؤدى الى تقوية القومية العربية . وتدعيم هذه القومية ، من شانه أن يصعد الكفاح ضد الاستعمار فى المنطقة . وهذا هو «**الخطر الرئيسى على الغرب فى المنطقة**» وذلك على حد تعبير دالاس .

لا حاجة الى التأكيد على أن صمود مصربقيادة عبد الناصر ضد محاولات فرض « مبدأ ايزنهاور » قد هزت اركان هذا المخطط الامريكى للسيطرة الكاملة على المنطقة ، رغم ان عددا من البلدان العربية قد وقع فى الشرك الامريكى بحكم طبيعة النظم السياسية السائدة فيها اذ ذاك .

لكن الذى يهمنا فى هذا الصدد ، هو أن الصورة الحقيقية لحركة الاستعمار الجديد واهدافه الحقيقية كانت قد وضحت أمام عبد الناصر .. وعلى سبيل المثال :

١ - عندما اصطدم عبد الناصر مع الاحتكارات الفرنسية والبريطانية فرضت على مصر حرب السويس .

٢ - وفى الصدام مع احتكارات النفط التى كانت المحرك الحقيقى وراء« مبدأ ايزنهاور » ، وفى الصدام مع البنك الدولى ، تعرضت مصر للحصار الاقتصادى الامريكى الذى وصل الى حد محاولة احداث مجاعة فى البلاد . هذا بالاضافة الى المؤامرات المحمومة التى تعرضت لها مصر من قبل حلف بغداد ، وكانت امريكا قد انضمت الى لجانه الاقتصادية والعسكرية .

٣ - وفى التعامل مع الاحتكارات الالمانية الغربية (شركة ديماج التى اقامت مصنع الحديد والصلب عام ١٩٥٨) ثبت بعد تصدع احد الفرنين المخصصين لصهر الحديد ، ان هذه الشركة قدمت معدات قديمة ، الامر الذى ترتب عليه ان تكاليف انتاج الحديد والصلب المحلى بلغت ضعف تكاليف استيراده من الخارج .

وفيما بعد ، عندما رأى جمال عبد الناصر ، وكان ذلك فى ١٩٦٦ ، ثم فى اوائل عام ١٩٦٧ ، ان

---

(٣) خطاب جمال عبد الناصر اثناء زيارة رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى لمصر . من ٩ - ٢٥ مايو ١٩٦٤ .

اسرائيل تستعد لشن حرب ضد مصر وسوريا (معتمدة على التسليح المكثف من امريكا والمساعدات الاقتصادية الهائلة (التعويضات) من المانيا الغربية ، وضع عبد الناصر يده على حقيقة أن المستعمرين الجدد يعملون يدا واحدة ، وانه يوجههم مخطط واحد (٤) .

وهذه الظاهرة - ظاهرة التعاون بين الاحتكارات الدولية - تستحق منا وقفة قصيرة . فاذا كان من المقطوع به أن الدول الامبريالية تقوم بينها تناقضات حادة حول المصالح ومناطق النفوذ . واذا كانت هذه التناقضات تفسر التباين والتمايز فى مواقف الدول الامبريالية من بعض القضايا . واذا كان صحيحا ، بعد هذا كله ، أن حركة ثورية واعية ونشطة تستطيع أن تستفيد - لحسابها - من هذه التناقضات فتعمل على تحديد هذه الدولة الامبريالية ، أو تعزل الدولة الاخرى نقول اذا كان هذا كله صحيحا فان من الصحيح ايضا أن المستعمرين الجدد كثيرا ما يوحدون مواقفهم وينسقون أوجه نشاطهم ، كلما تعلق الامر بمواجهة حركة ثورية تستهدف التغيير الاجتماعى وتعمل على اضعاف مواقع الرأسمالية أو تصفيتها (امثلة الحرب فى فيتنام ومساندة الاحتكارات الامريكية ، وعدد من الاحتكارات الاوربية للحرب القذرة هناك . الحرب فى الشرق الاوسط والتنسيق بين احتكارات النفط الامريكية والاوربية الغربية لدعم ومساندة العدوان الاسرائيلى ومطالب اسرائيل) .

ان هذا ما اوضحه عبد الناصر عام ١٩٦٦ فى العيد الرابع عشر لثورة يوليو . فلقد طرح هذا السؤال :

« ليه العدوان الخارجى مستمر علينا ؟ »

واجاب :

« طبعا نجاح هذه الثورة يستلفت النظر فى المنطقة المحيطة بها ، وفى انحاء العالم الثالث .. واذا استلفت النظر ، هذا النجاح ، ستحاول كل الشعوب أن تطبق فى بلادها انظمة تقضى على الاستغلال . فاذا قضت على الاستغلال ستتأثر مصالح الرجعية والاقطاع والرأسمالية ، وفى نفس الوقت تتأثر مصالح الاحتكارات العالمية » .

ان جمال عبد الناصر لم يهتز يقينه ولم يتوقف عن تأكيد هذه النتيجة التى وصل اليها : وهى أن معركة التقدم الاجتماعى والالتزام بما كان يسميه « خط التنمية الاشتراكى » .. هذه المعركة كانت تتم ضد الاحتكارات العالمية وضد الرجعية والاقطاع والرأسمالية ، وبعبارة اخرى ضد الاستعمار الجديد وضد الطبقات والقوى الاجتماعية التى تمثل ركائز له ، وتتعاون معه ، لانه - كما قال عبد الناصر : « **لايمكن أن نفصل الرجعية بحال من الاحوال عن الاستعمار** » (٥)

ان سياسة سلمية داخلية للتنمية المستقلة ، قد فرضت على بلادنا أن تدخل معارك متعددة ومتنوعة ضد المستعمرين الجدد ، ولم يكن هناك بديل عن خوض هذه المعارك . لكن جمال عبد الناصر لم يكن دائما فى موقف الدفاع . بل كثيرا ماكان ينتقل الى موقف الهجوم . وكان من رأيه سياسة ايجابية حازمة تتفق عليها بلدان العالم الثالث ، هى التى يجب أن تسود من أجل تصفية الاستعمار واستئصال الشر من جذوره .

غير أن الشرط الحاسم لتأمين سياسة هجومية وناجحة ، ضد هذا العدو الخطر ، كان يتطلب بالضرورة على الصعيد الدولى - ان تتخذ مصر مكانها البارز ، وتضاعف من نضالها داخل صفوف الحركة الثورية العالمية المعادية للامبريالية والاستعمار الجديد . وبالفعل فانه فى غمار المعارك التى قادها عبد الناصر ضد الاستعمار الجديد تأكد الدور الطليعى لمصر فى المنطقة العربية وفى بلدان العالم الثالث . وبدا منذ عام ١٩٥٥ ، وبكيفية خاصة بعد حرب السويس عهد جديد من العلاقات بينها وبين بلدان المعسكر الاشتراكى وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى . أكد على هذا عبد الناصر بقوله :

« ان ثورة الشعب المصرى الحديثة ، منذ أيامها الاولى ، ميزت ذاتها العربية ، ووجودها الاسيوى الافريقى ، وموقفها فى جبهة مقاومة الاستعمار ، وحركتها مع قوى السلام .

وكان عبد الناصر قد أشار عندما حلل أسباب النصر فى حرب السويس - الى أن فى مقدمة العوامل الحاسمة فى تحقيق هذا النصر ، وقوف ومساندة القوى المادية والمعنوية والرأى العام

---

(٤) خطاب عبدالناصر فى عيد الوحدة ١٩٦٧/٢/٢٢ .
(٥) خطاب عبد الناصر فى عيد الوحدة ١٩٦٧/٢/٢٢ .
(٦) خطاب عبد الناصر اثناء زيارة رئيس وزراء بلغاريا ١٩٦٥/١١/٩ .

العالمى فى صف مصر وضد المعتدين الامبرياليين والاسرائيليين ٠

هكذا ، على صعيد حركة التحرر الوطنى فى المنطقة العربيه تأكدت – فى ذهن عبد الناصر – حقيقتان :

الاولى : هى أن مصر اذ تدافع عن البلدان العربية الشقيقة وتساندها فى الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية ، انما تدافع عن استقلالها ، بل عن وجودها ذاته . ان المساندة المادية والمعنوية لثورة الجزائر ، والنضال من أجل حق تقرير المصير بالنسبة للشعب السودانى ، والمقاومة العنيدة التى انتهت باسقاط حلف بغداد ، والوقوف الى جانب سوريا ضد تهديدات هذا الحلف بغزوها ، ومساندة انتفاضة شعب اليمن ضد نظام الامامة المتخلف ، والمساعدات المقدمة لثورة الجنوب العربى ٠ كل هذه – كما تعلم – معارك دخلها عبد الناصر لاحباط محاولات تطويق الثورة فى مصر٠ ان هذا يفسر ماقاله عبد الناصر عندما سئل عن الاسباب التى أدت الى ارسال القوات المصرية الى اليمن : لقد أجاب اننا كنا نقاتل هناك دفاعا عن الثورة المصرية ٠

الثانية : هى ارساء قضية القومية العربية والوحدة على أسس نضالية موضوعية ٠ وكان هذا هو الدرس الذى استخلصه جمال عبد الناصر من تجربة الانفصال بين مصر وسوريا ٠ ان التاريخ المشترك والارض واللغة ، انما تمارس تأثيرها فى بناء القومية العربية ، وتبعثبطريقة حية من خلال النضال الذى لا يهدأ ضد الامبرياليين والمستعمرين الجدد وضد الصهيونية والرجعية ٠ وربما لخص عبد الناصر رأيه فى المحتوى الحقيقى للوحدة العربية ، عندما قال فى عبارة موجزة انها وحدة الهدف ٠ ثم شرح « وحدة الهدف » فى اكثر من حديث وخطاب بأنها المضمون الاجتماعى المتقدم للثورة العربية : السير على خط التنمية الاشتراكية . يقول عبد الناصر :

« ان قوى الشعب العاملة فى الوطن العربى كله ٠٠ تعرف أنها تواجه اكثر الاعداء شراسة وضراوة ٠ تعرف انها ضد الاستعمار القديم والجديد ٠وتعرف انها تقف ضد الاحتكارات ، وضد الامتيازات المنهوبة على حساب هذه الجماهير ٠ وتعرف انها تقف ضد الاقطاع ورأس المال المستغل ، وتعرف انها تقف ضد السلطة السياسية لهذه القوى » (٧) ٠

ولم يكن من قبيل الصدفة أن يحدد عبد الناصر أعداء الوحدة العربية فيقول :

« المصالح الكبرى الاجنبية تعادى الوحدة ، لان المصالح الكبرى الاجنبية تعتقد أن الوحدة التى لها مضمون اجتماعى ، والوحدة التى لها مضمون اشتراكى لا يمكن أن تسمح للسلب أن يستمر ، ولا يمكن أن تسمح لنهب الثروات أن يستمر ٠ ولهذا نرى المصالح الاجنبية كلها ، الاقتصادية تعادى الوحدة » (٨) ٠

وعلى صعيد بلدان العالم الثالث ، وعندما بدأ عبد الناصر يقاوم الاستعمار الجديد مجسدا فى « مبدأ » ايزنهاور » ، فلقد فعل هذا مسلحا بمبادىء مؤتمر باندونج ، وبوقائع ومنجزات النضال الوطنى التحريرى فى آسيا وافريقيا ٠ وفيما بعد لخص عبد الناصر خبرة النضال على جبهة بلدان العالم الثالث ، فحدد ان مصر – كما أثرت فى الكفاح التحريرى لبلدان العالم الثالث – عادت وتأثرت هى أيضا بكفاح الحركة الوطنية العالمية المعادية للامبريالية :

« فنحن فى بلدنا – مثلا – استطعنا ان نأخذ من بعض البلدان الاسيوية بعض تجاربها ، ثم طورناها ، فنجحت عندنا ٠ أخذنا من بورما ، وأخذنا من الهند ، وكان للتقارب والتعارف فائدة لنا ، واستطعنا أيضا أن نعطى تجاربنا للبلدان الاخرى » (٩) ٠

على ان الاساس الموضوعى لقيام هذا التفاعل المتبادل بين خبرات وتجارب بلدان العالم الثالث كامن فى تضامن هذه البلدان – خصوصا – تلك التى « اختارت لنفسها موقف الاستقلال السياسى والاقتصادى ، من أجل القيام بجهود مركزة تتجه الى :

« تصفية الاستعمار باعتباره أصلا من أصول الشر ، وسببا من أسباب التوتر فى عصرنا ٠ اننا نستطيع بتوحيد جهودنا وتنظيمها أن نوجه الى هذا الخطر ضربات ساحقة ، تساعد الشعوب التى

---

[٧] عبد الناصر : خطابه فى ٢٠مايو ١٩٦٤ .
[٨] عبد الناصر : خطابه فى عيدالوحدة ٦٥/٢/٢١ .
[٩] عبد الناصر : خطابه فى المؤتمر النسائى الافريقى الاسيوى فى ١٩٦٢/٢/١٥ .

مازالت تعانى من قبضته عليها أن تخلص نفسها ، وان تخلص الانسانية كلها منه ، ومن آثاره » (١٠) ٠

وعلى صعيد معسكر البلدان الاشتراكية ، لم يكن من قبيل الصدفة ان علاقة مصر معها قد نمت وتوطدت فى غمار الصراع الذى خاضته بلادنا ضد المستعمرين الجدد ٠ ولم يكن من قبيل الصدفة ، أيضا ، أن تتدعم هذه العلاقات منذ منتصف الخمسينات ، أى بالدقة فى الفترة التى شهدت بدايات هجوم الاستعمار الجديد على حركة التحرر الوطنى ٠

وعبد الناصر ، يلاحظ فى هذا الصدد أنه :

« بالنسبة لعلاقتنا مع الاتحاد السوفيتى ، فانه لم تكن هناك علاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى قبل ١٩٥٥ ، وكانت العلاقات تقريباواهية ،وبعد سنة ١٩٥٥ بدأت هذه العلاقات ٠٠٠ وقوى التعاون بيننا وبين الاتحاد السوفيتى » (١١) ٠

ولقد نمت هذه العلاقات على أسس موضوعية كما أوضح عبد الناصر ، وعلى أساس المنفعة المتبادلة ، والمصلحة المشتركة ٠ وأوضح مرارا أن الخلافات بين النظم والمعتقدات لم تكن حائلا دون نموها وازدهارها ٠ ذلك ان العلاقات مع الاتحاد السوفيتى هى :

« تنفيذ لمبدئنا فى التعامل بين الدول ذات المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة » ٠

ثم حدد عبد الناصر فى مايو ١٩٦٤ ، أن العلاقات مع الاتحاد السوفيتى هى ثمرة من ثمار الاستقلال والسيادة القومية ، وذلك حين أشار الى أن :

« القوى الاستعمارية أرادت دائما أن تضع الحواجز على طريقنا والعراقيل ٠ وحين ملكت شعوبنا ارادتها ، فانها شقت طريق اللقاء مع شعوبكم ٠٠ » ٠

ومنذ ذلك التاريخ لم يتوقف عبد الناصر عن شرح وتوضيح الاسس الموضوعية التى تحكم علاقة مصر مع الاتحاد السوفيتى وبقية البلدان الاشتراكية ٠ فحدد أن هذه الاسس تتمثل فى :

١ ـ الوقوف الى جانب مصر فى معاركها التى خاضتها ضد الامبريالية ، وضد الصهيونية التوسعية (كسر احتكار السلاح ـ الانذار السوفيتى عام ٥٦ ـ افشال المؤامرة الامريكية فى تجويع مصر عام ١٩٥٧) (١٢) ٠

٢ ـ الوقوف الى « جانب شعب مصر فى جهده البطولى لبناء وطنه اقتصاديا » ٠ وفى هذا تعاون الاتحاد السوفييتى فى بناء سد أسوان العالى ، ومجمع الحديد والصلب ، والترسانة البحرية ، والمزرعة النموذجية وصناعة تكرير البترول ، وفى عدد آخر من الصناعات الهامة ٠ واوضح عبد الناصر أن التعاون فى المجال الاقتصادى لا تتحكم فيه اعتبارات مذهبية أو فكرية بل ان نقطة البدء فيه هى أن مصر على استعداد لان تأخذ القروض من البلد الذى يقدم القروض بفائدة اقل وبشروط أحسن ٠ (١٣)

٣ ـ وبعد أن نمت العلاقات وتوطدت مع الاتحاد السوفييتى ، أوضح جمال عبد الناصر أن :

« الصداقة السوفييتية العربية ، هى فى حد ذاتها ، الان هدف يسعى اليه ، وغاية تبذل من أجلها الجهود ٠٠ فنحن واياكم ـ بعد ذلك كله وقبله ـ شركاء فى بناء عالم السلام المقبل ، حيث لا استغلال ولا تخلف » (١٤) ٠

فاذا لخصنا هذا كله أمكن أن نقول أن مصر عندما وثقت علاقاتها بمختلف فصائل الثورة العالمية ، خاصة ، بمعسكر البلدان الاشتراكية ، فانها كانت ترى فى هذا ، شرطا رئيسيا وضمانا يجنبها الوقوع فى مصيدة الاستعمار الجديد ٠

واخيرا ، وحتى نقوم حصيلة المعركة العظيمة التى خاضها جمال عبد الناصر ضد الاستعمار الجديد ٠ لابد ان نختمها بهذه الكلمة القصيرة :

بعد أن فشلت عصا دالاس الغليظة فى ارهاب

---

[١٠] عبد الناصر : خطابه فى مؤتمرعدم الانحياز ١٩٦١/٩/١
[١١] عبد الناصر : خطابه فىمجلس الامة ـ نوفمبر ١٩٦٤ ٠
[١٢] عبد الناصر : خطابه فىمايو ١٩٦٤ ٠
[١٣] عبد الناصر : خطابه فىمجلس الامة ـ نوفمبر ١٩٦٤ ٠
[١٤] عبد الناصر : خطابه اثناءزيارة رئيس وزراء الاتحاد السوفيتىمايو ١٩٦٤ ٠

عبد الناصر وحمله على قبول مبدأ ايزنهاور ، وبعد أن سقط حلف بغداد ، وفشلت سياسة كيندى (الحدود الجديدة) فى احتواء مصر . وبعدأن فشلت قبضة جونسون الحديدية فى رد مصر عن اتباع خط التطور السياسى والاقتصادى المستقل . لم يكن أمام المستعمرين الجدد الا أن يعاودوا اسلوبهم المفضل : استخدام العنف السافر ضد البلاد .

هكذا ، وفى عام ١٩٦٧ شنت اسرائيل هجومها المعروف بحرب الايام الستة . وعلى رغم من هول الهزيمة العسكرية ومرارتها ، فان جمال عبد الناصر لم يفقد الرؤية الواضحة عندما اخذ يحلل الدوافع التى تكمن وراء العدوان الاسرائيلى الامريكى . لقد طرح عبد الناصر هذا السؤال :

ما هى أهداف العدوان الصهيونى الامبريالى ؟

وأجاب عبد الناصر على ذلك فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ بقوله :

« القصد الحقيقى لعملية العدوان المبيتة التى تعرضنا لها أخيرا .. القضاء على الثورة الاشتراكية » .

وفى عيد أول مايو ١٩٧٠ تحدث عن التوقيت للعدوان : فأشار الى ان مذكرات قادة اسرائيل وتصريحاتهم لم تخف هذه الحقيقة ، وهى انهم كانوا يستعجلون المعركة ، وذلك :

« قبل ان نكون قد اقمنا ما نريد من اجل تقوية بنائنا الداخلى ، وبنائنا الصناعى ... » .

هنا ، يطرح عبد الناصر مرة أخرى قضية المضمون الاجتماعى للثورة . ولقد كان لمعركته ضد الاستعمار الجديد ، على المستوى الدولى ، وجهها الاخر على النطاق المحلى . فلقد شهدت بداية الستينات ، وخاصة سنوات ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، احتداما فى الصراع ضد الطبقات والقوى الاجتماعية المعادية لاستمرار الثورة . وطرح عبدالناصر بوضوح قضايا النضال ضد بقايا الاقطاع ، وضد الطبقة الجديدة ، وضد البيروقراطية التى تريد أن ترث امتيازات الرأسمالية . وانتهى عبد الناصر الى أن النضال الناجح ضد اعداء الثورة يتطلب العمل السياسى للجماهير ، والوعى الاشتراكى والتضامن من قبل القوى الاشتراكية ، والالتزام الواضح والانحياز من قبل المثقفين الثوريين نحو الطبقات التى طال حرمانها . ولخص عبد الناصر هذا بقوله : اننا نحتاج الى « ثورة على الثورة » .

فلم يكن صدفة بعد ذلك ، أن يقع العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ ، ولم يكن صدفة ان تشترك الامبريالية فى التحضير والتخطيط له . كان الهدف هو اسقاط الحكم فى مصر حتى يتم تأمين مصالح الاحتكارات الاجنبية ، وفى مقدمتها مصالح الكارتل الدولى للبترول . وعلى مدى السنوات الخمس الماضية لم تتغير استراتيجية الامبريالية الامريكية وقبضتها الضاربة اسرائيل . ولم تتأخر اجهزة الاعلام والحرب النفسية الامريكية عن تقديم شروطها لحل « أزمة الشرق الاوسط »

ومهماتعددت الشروط ، والحلول المقدمة ، فقد كان جوهرها ان تعدل مصر عن خط التحولات الاجتماعية ، بمايتضمنه ذلك من عمل داخلى ، ومن علاقات ومهام دولية تربطها بالمعسكر العالمى المعادى للامبريالية . كان هذا هو موقف الامبريالية الامريكية عند تقديم مشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧ ، وموقفها عقب عدوان ١٩٦٧ ، وموقفها بعد ان سحبت مشروع روجرز ، ولا نستغرب — بعد ذلك — ان يكون هو ايضا موقفها فى هذه اللحظات بالذات . والى هذا اشارت جريدة المحرر اللبنانية منذ ايام (١٣ سبتمبر ١٩٧٢) عندماكتبت تقول : **ان شروط التسوية الجزئية فى نظر الولايات المتحدة الامريكية تتضمن الحد — الى اقصى حد — من التعاون مع البلدان الاشتراكية ، واجراء تحويل جذرى فى تجارة مصر الخارجية ، واهم من هذا كله « تصفية كل ما له علاقة بالاشتراكية فى مصر واساسا القطاع العام »** .

ثم اليست هذه هى الشروط للاستعمار الجديد؟ .

ثم تقول بعد ذلك ، انه لكل ذلك ، سوف يسجل تاريخ النضال الوطنى اسم **جمال عبد الناصر** فى الطليعة من القادة الوطنيين الذين أبلوا احسن البلاء فى مقاومة الد الاعداء : الاستعمار الجديد .

حـــركة الفـــلاح والأرض

فى مصـــر ١٩٥٢ـ١٩٧٢

فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، منذ عشرين عاما ، صدر أول قانون للاصـلاح الزراعى ، وبدأ توزيع الارض على المعدمين ، وتتابعت القرارات والتنظيمـات ، تسـتهدف تطوير السياسة الزراعية ، والتخطيط للتوسع الافقى والـراسى فى الانتـاج • واتسـع نطـاق النشـاط التعـاونى •

وخلال السنوات العشرين الماضية ، حدثت تطورات هـامة فى خريطـة توزيع الملـكية والحيازة وأساليب الاستغلال الزراعى المنظم والموجه ، كما استصلحت عشرات الآلاف من الاراضى الجـديدة ، ودار حوار طويل حول أساليب استغلالها •

وبسبب أهمية ((القرار)) فيما يتعلق بهذه الاراضى ، والآثار التى اتضحت خلال التجربة طوال الفترة السـابقة ، يصبح من الاهميـة بمكان طرح هذه الموضوعات للنقاش من جديد •

وتقدم ((الطليعة)) فى دراستها الحـالية ثلاثة تقارير اسـاسية تعرض فيهـا لمشكلات خريطة توزيع الملكية والحيـازة (فتحى عبد الفتاح) ، والموقف من الاراضى الجـديدة ، والتعـاون الزراعى وتطـوره (الطليعـة) ثم تعليقات من المختصين والمهتمين بالشئون الزراعية من مختلف المنطلقـات الفـكرية عن رأيهم فى السياسة الزراعية •



خـــــــريطة
توزيـــع الملكيـــة *



بالرغم من الصورة البشعة التى ظهرت بها الملكية الزراعية فى مصر وبالذات الملكية الكبيرة ، وبالرغم من كل مظاهر التخلف سواء فى علاقات الانتاج الزراعى أو وسائله الاأننا يجب ألا ننسى أن الملكية الزراعية لم يكن قد مضى على استقرارها حتى صدور قانون ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ سوى أقل من ستين عاما ، ومن هنا تنبـــع أهمية وخطورة القانون ٠

ولعل هذا هو الذى يفسر العناد الغبى من جانب كبار الملاك وسلطتهم فى مواجهة أى اقتراحات خاصة بتحديد الملكية أو شبهة تحديد الملكيةبالرغم من أن زملاء لهم فىايران وتركيا والهندتقبلوا مثل هذه القوانين وأخطر منها بصدر رحب

فوضع حد أقصىلملكية مائتى فدان ـ هى واقع الامر ثلثمائة واعطاء تعويضات مجزية للملاك وفقا لاحدث الاسعار وبفائدة تصل الى ٣ فى المائة وتوزيع الارض على صغار الملاك بالثمن المؤجل وبفوائد ، واعطاء الفرصة لكبار الملاك بالتصرف فى الزائد من أرضهم ، كل هذا بالمقارنة الموضوعية مع ما كان يجرى من اصلاحات زراعية فى بلاد رأسمالية كثيرة تجعل قانون ٩ سبتمبر اجراء معتدلا للغاية ، قامت به من قبل بلاد مثل الهند واليابان وفورموزا وايران وتركيا ٠

ولكن الظروف التى أحاطت بتاريخ الارض والفلاح فى مصر جعلت قانونا كهذا ـ بكل اعتداله ومنهجه الاصلاحى ـ يمثل خطرا حقيقيا علىقدسية الملكية الزراعية فى مصر وهى لم تزل وليدة محملة بأثقال مظالم مكثفة عانى الفلاح المصرى منها ونتيجة لها ٠٠

ولقد حدد قانون الاصلاح الزراعى الاول الملكية بمائتى فدان واوجب الاستيلاء على ما يزيد لدى كل مالك عن هذا القدر خلال خمس سنوات مـن صدوره ، وسمحت المادة ٤ من القانون للمالك أن يحتفظ عـــلاوة على المائتى فدان ، بمائة أخرى يستطيع أن يبيعها صوريا لاولاده ٠٠

كذلك سمح للملاك الذين يخضعون للقانون بحق بيع الفائض من أراضيهم قطعا صغيرة لا تزيد مساحتها على خمسة أفدنة ولا تقل عن فدانين وبيعها لصغار الملاك ، واستثنى القانون من تحديد الملكية الاراضى البور المملوكة للافراد لمدة ٢٥ عاما من وقت التملك وكذلك الاراضى التى تستصلحها الشركات

ونص القانون كذلك على تسديد ثمن الارض والمنشآت والالات والاشجار المستولى عليهـا لاصحابها بسندات بفوائد ٣ فى المائة تستهلك خلال ثلاثين عاما ، ويمكن لحامل هذه السندات دفعها للحكومة فى تسديد الضرائب على الاطيـان المستصلحة وفى دفع قسط ثمن الارض المستصلحة وفى اداء ضريبة التركات ٠

ووفقا لهذا تكون مجموع الاراضى الخاضعة للاستيـلاء بمـوجب قانون ٩ سبتمبر ٦٥٦ر٧٣٦، فدانا تخص ١٧٨٩ مالكا كبيرا . ولكن الذى خضع للاستيلاء فى الحقيقة أقل من هذا بكثير ويرجع ذلك لعدة عوامل على رأسها المادة التى سمحت لكبار الملاك فى التصرف فى أراضيهم الزائدة بالبيع قطعا صغيرة ، فالثابت أن كبار الملاك سارعوا الى بيع أراضيهم حتى لا تخضع للاستيلاء وذلك بهدف الحصول علىثمن أكبر منالتعويضات، وأهممنذلك أتاح القانون لهم الفرصة الواسعة لاجراء بيع صورى مع استمرار حيازة الارض .

ولقد زادت هذه البيوع زيادة كبيرة خلال أقل

(*) الجداول الخاصة بخريطة توزيع الملكية صفحتى ٦٧ و ٦٨

من عام من صدور القانون حتى أنه فى تلك الفترة تم بيع ١٤٥ الف فدانا أى حوالى ربع الاراضى الخاضعة للاستيلاء ، وكان ذلك سببا فى صدور القانون ٣٠٠ لسنة ١٩٥٣ لوقف العمل بهذه المادة .. كذلك استفاد كبار الملاك من النص الخاص باخراج أى مساحات مباعة من الاستيلاء اذا ثبت التحقيق أنها صدرت فعلا قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أو قبل يناير سنة ١٩٤٤ اذا كان البيع لزوجة المالك أو أولاده وحفدته .. وقد استطاع الملاك أن يصطنعوا الكثير من العقود المزيفة التى مكنتهم من استبعاد مساحات من أراضيهم من الاستيلاء .

وكان نتيجة كل هذا أن الاراضى التى تم الاستيلاء عليها بناء على قانون سبتمبر مضافا اليها الاراضى المصادرة من الاسرة المالكة بناء على قانون سنة ١٩٥٣ لا تزيد عن ٤٥٠٣٠٥ أفدنة . فاذا طرحنا من هذا الرقم ١٧٨ الف فدان وهى التى صودرت من ممتلكات أسرة محمد على ، تصبح الاراضى التى تم الاستيلاء عليها بموجب القانون ٢٧٢ر٣٠٥ افدنة أى حوالى نصف المساحة التى كان من المفروض أن يتم الاستيلاء عليها ..

وباختصار فان هذا القانون قد تضمن اعادة توزيع ما يساوى ٧ فى المائة من مجموع مساحات الاراضى الزراعية فى مصر فى ذلك الوقت فهو قد مس الشرائح العليا من الملكية وهى التى تزيد على مائتى فدان فى حين أن استفادة الشرائح الدنيا من الملكية وهى التى تقل عن خمسة افدنة ظل محدودا وبشكل نسبى رغم أن هناك ١٥٠ الف عائلة استفادت من توزيع الاراضى ، الا ان الثابت أن المساحات التى تقل عن فدان ظلت حتى ذلك الوقت تمثل ٧٠ فى المائة من مجموع الملكيات وتبلغ حصتها ١٤ فى المائة من مجموع المساحة المنزرعة والواضح كذلك أن قطاعات الملكية المتوسطة قد استفادت بدرجة ملموسة وذلك عن طريق المبيعات التى أقدم عليها كبار الملاك حين أتاح لهم القانون فى السنة الاولى التصرف فى اراضيهم الزائدة بالبيع .

واذا مضينا فى تلمس آثار قوانين الاصلاح الزراعى التى صدرت بعد ذلك فى توزيع الملكية فسنجد أنها مضت فى تعميق الخط العريض الذى رسمه قانون سبتمبر سنة ١٩٥٢ وهو ضرب القطاعات العليا من الملكية الكبيرة وتوسيع قاعدة الملكية الصغيرة مع الاستفادة المطلقة فى كل الحالات للملكية المتوسطة .

وهذه أهم التطورات والاجراءات التى اتخذت فى مجال تحديد الملكية الزراعية بعد سبتمبر سنة ١٩٥٢ :

١ ـ القانونان ٨٤ و ١٤٨ لسنة ١٩٥٧ والذى فرضا رقابة هيئة الاصلاح الزراعى على ما تستصلحه الشركات من اراضى ، وما تبيعه منها ، وأوجب تخصيص نسبة من أراضيها تباع لصغار الفلاحين .

٢ ـ القانون ٢٤ لسنة ١٩٥٨ الذى جعل الحد الاقصى لملكية الاسرة ـ الزوج والزوجة والاولاد القصر ٣٠٠ فدان .

٣ ـ قانون يوليو سنة ١٩٦١ (الاصلاح الزراعى الثانى) والذى حدد الملكية بمائة فدان للفرد والحيازة الزراعية بخمسين فدانا للاسرة ، كذلك الغى الاستثناء الخاص بالاراضى البور ومنع بيع أى مساحة للاولاد ..

٤ ـ القانون ١٦ لسنة ١٩٦٣ الذى نص على الاستيلاء على كل أراضى الاجانب .

٥ ـ الاجراءات التى اتخذتها لجنة تصفية الاقطاع سنة ١٩٦٦ لوضع الحراسة على ٣٠٠ ألف فدان وهى بعض الاراضى المهربة من تنفيذ قوانين الاصلاح الزراعى .

وقد صفيت معظم هذه الحراسات بعد ذلك وتم الاستيلاء على جزء من الاراضى كما أعيد جزء منها الى أصحابها .

٦ ـ القانون الخاص بجعل الحد الاقصى لملكية الفرد خمسون فدانا على أن يكون الحد الشامل لملكية الاسرة ـ الاب والام والاولاد القصر ـ مائة فدان ..

وحتى سنة ١٩٦٦ كان مجموع الاراضى المستولى عليها ، أو المسلمة للاصلاح الزراعى تبلغ ٩٧٠ر٤٣٥ فدانا بيانها كالاتى :

٠٥٠ر٣٠٥ أراضى مستولى عليها بموجب قانون سبتمبر سنة ١٩٥٢ وقانون مصادرة أراضى العائلة الخديوية .

١١٠ر٤٥١ اراضى الاوقاف (البر العام) وفقا لقانون ١٥٢ لسنة ١٩٥٧ .

٢١٤ر١٣٢ اراضى استولى عليها وفقا لقانون ١٢٧ لسنة ١٩٦١ .

٣٨ر٣٣٦ اراضى الاوقاف (البر الخاص) وفقا لقانون ٤٤ لسنة ٦٢ .

٦٩ر٣٢٣ اراضى مشتراه من الشركات والحراسة .

١٥ر٧١٣ أراضى المؤسسات والهيئات التى سلمت للاصلاح الزراعى .

٩١٠ر٦١ وفقا لقانون ١٥ لسنة ١٩٦٣ الذى يحظر ملكية الاجانب للاراضى الزراعية ٠
٢٦٦ر١٠ أراضى سلمت من المؤسسات للاصلاح الزراعى سنة ١٩٦٤ ٠

● وحتى سنة ١٩٦٦ كان مجموع الاراضى التى وزعت تبلغ مساحتها ٦٩٩ر٦٤٤ فدانا انتفعت بها ٤٣٩ر٢٦١ أسرة تمثل حوالى مليون و ٣٠٠ ألف شخص ٠٠ ومعنى ذلك أن هناك حوالى ٣٠٠ ألف فدان لم توزع وتحولت اما الى بساتين تشرف عليها شركات اقتصادية حكومية (٧٠٥ر١٧ الف فدان) أو اراضى خصصت للمبانى والتوسع السكنى والمنافع العامة (٣٧٢ر١٧ الف فدان) أو اراضى مملوكة على المشاع (١٨٩ر٩٧ الف فدان) أو أراضى بور ضعيفة الانتاج (حوالى ١٨٢ الف فدان) ٠٠

ولا شك أن قوانين الاصلاح الزراعى اجرت تغييرا فى نسب توزيع الملكية الزراعية ، فهى فى صورتها النهائية ضربت القطاعات العليا من الملكية الكبيرة بل وضعتها بقانون سنة ١٩٦٩ والخاص بجعل الحد الاقصى للملكية خمسون فدانا (١) ٠ وهى أيضا وسعت من قاعدة الملكية الصغيرة ٠ وقد ازداد عدد الملاك لاقل من خمسة افدنة من ٠٠٠ر٦٤٣ر٢ سنة ١٩٥٢ الى ٠٠٠ر٨٧٠ر٢ سنة ١٩٦٠ ثم ٩٢٠ر٢ الف سنة ١٩٦٤ الى ٠٠٠ر٠٣٣ر٣ سنة ١٩٦٦ كما زادت المساحة التىيمتلكونها من ٠٠٠ر١٨٢ر٢ فدان سنة ١٩٥٢ الى ٠٠٠ر٦٩٣ر٣ سنة ١٩٦٦ أى أن من يملكون أقل من خمسة أفدنة أصبحوا يمثلون ٥ر٩٤ فى المائة يزرعون مساحة تبلغ نسبتها ١ر٥٧ فى المائة من الاراضى المنزرعة ، بينما كانوا سنة ١٩٥١ يمثلون ٩٤ فى المائة من الملاك ويملكون مساحة تبلغ نسبتها ٤ر٣٥ فى المائة من الاراضى الزراعية ٠

أما ملكية من يزيدون على خمسة افدنة حتى خمسين فقد سجلوا زيادة سواء فى المساحة التى يزرعونها أم فى متوسط ملكية الفرد ٠ فمجموع الملاك من ٥ ـ ٥٠ فدانا كان يبلغ سنة ١٩٥٢ ، ١٤٨ الف مالك تبلغ نسبتهم الى جميع الملاك ٥ر٣ فى المائة ويملكون مساحة قدرها ٨١٨ر١ فدانا تبلغ نسبتها ٤ر٣٠ فى المائة ٠

وفى عام ١٩٦٦ كان عددهم ١٦٨ الف مالك يمثلون ٥ر٢ فى المائة من الملاك ويملكون مساحة قدرها ٠٠٠ر٩٥٦ر١ فدانا ، تبلغ نسبتها ٣ر٣٠ فى المائة ٠

ولا شك ان قانون سنة ١٩٦٩ الخاص بجعل الحد الاقصى للملكية الزراعية سيجرى بعد أن تتضح صورته النهائية بعض التغييرات فى نسب توزيع الملكية وخاصة بالنسبة لهذه الفئة الا أن هذا التغيير ـ كما يتضح من البيانات الاولية سيكون طفيفا للغاية ولا يؤثر على الهيكل العام لتوزيع الملكية الزراعية وفقا للاحصائيات التى أوردناها

ولنا هنا بعض الملاحظات :

أولا : انه بعد كل القوانين الخاصة بوضع حد أقصى للملكية وتوزيع الارض فان من يملكون أقل من خمسة أفدنة يمثلون ٥ر٩٤ فى المائة من الملاك ويملكون ١ر٥٧ فى المائة من الارض فى حين أن ٥ر٥ فى المائة من الملاك يملكون خمسة أفدنة فاكثر يستحوذون على مساحة تبلغ نسبتها ٩ر٤٢ فى المائة من الاراضى الزراعية .

ثانيا : من بين من يملكون خمسة افدنة فاقل هناك ٨٩ فى المائة منهم يملكون فدانا فأقل ٠٠

ثالثا : نلاحظ كذلك ازدياد نسبة أراضى ملاك من خمسة الى عشرة أفدنة من ٨ر٨ فى المائة من الارض الى ٥ر٩ فى المائة ، وأيضا ازدياد عدد الملاك لعشرين فدانا حتى خمسين من ٢٢ ألف مالك الى ٢٩ ألف مالك وزيادة المساحة التى يمتلكونها من ٩ر١٠ فى المائة من الاراضى الى ٦ر١٢ فى المائة ٠٠

وبشكل عام فان الملكيات من خمسة الى خمسين فدانا قد زادت سواء فى عدد الملاك ، أم فى مساحة الاراضى التى يمتلكونها أم فى نسبة ملكية الفرد فى هذه الشريحة ويعود ذلك الى عدة عوامل أهمها :

● ان هذه الفئات هى التى كانت قادرة على شراء اراضى كبار الملاك الذين سمح لهم بالتصرف وفقا لقانون سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، كذلك فان هذه الفئات قد استطاعت بنفوذها التقليدى فى القرية والذى تدعم لضرب الفئات العليا أن تصبح تقريبا هى الوريث لكل الامتيازات التى كان يتمتع بها كبار الملاك فسيطروا على الجمعيات التعاونية وأصبح لهم نفوذهم القوى داخل المؤسسة الائتمانية حتى أنه قد ثبت أن ٨٠ فى المائة من قروض وسلفيات بنك التسليف ذهبت الى هذه الفئات ، فحتى سنة ١٩٦٧ كان رصيد الديون المتأخرة على المزارعين (لاكثر من ٢٥ فدانا) لحساب مؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى ٦٠ مليون جنيه سنة ١٩٦٦ اى ٧٥ فى المائة من اجمالى متأخرات الديون التىبلغت ٨٠ مليون جنيه ٠

(١) حتى الان ليس هناك احصائيات متاحة عن الاراضى التى استولى عليها بموجب هذا القانون ، وان كنا نعتقد إنها ستكون طفيفة للغاية لا تتعدى ١٢٠ الف فدان ٠٠

● كذلك تمت لهم علاقات قوية مع بعض الأجهزة العاملة فى الحقل الزراعى والتى أشرفت على تنفيذ قوانين الاصلاح مما قدم لهم تسهيلات كثيرة سواء فىتوزيع اراضى الاصلاحاو استخدام، أساليب غير قانونية وابتزاز اصحاب الملكيات الصغيرة متعاونين فى ذلك مع بعض الاجهزة البيروقراطية العاملة فى القرية. او فى جهاز الاصلاح الزراعى ..

وهناك نماذج كثيرة مما حوته لجنة تصفية الاقطاع عن نماذج من أصحاب الملكيات المتوسطة ـ تمكنوا أن يرتفعوا بملكياتهم إلى الحد الاقصى المسموح به أو حتى الى حدود غير مسموح بها .

رابعا : كذلك لابد أن نضع فى اعتبارنا ان المعدمين وهم عمال الزراعة والتراحيل لم يستفيدوا من توزيع اراضى الاصلاح الزراعى ، اذ كان التوزيع غالبا يقتصر على صغار الملاك ولذلك فليس هناك ما يدعو لان نناقش آثار التوزيع بالنسبة لهذه الفئة والتى تؤكد الاحصائيات ان اعدادها ظلت فى ازدياد .

خامسا : بالرغم من الاثار الايجابية التى حققتها قوانين تنظيم الايجارات الا اننا نلاحظ ان نسبة الاراضى المؤجرة ما زالت مرتفعة (اكثر من ٥٠ فى المائة) ، وهذا يعنى بقاء المالك الغائب ووجود علاقات ايجارية متخلفة . وفىدراسة قامت بها جماعة الدراسات الاقتصادية لارض العالم فى يوليو سنة ١٩٦٠ ثبت أن غالبية كبار الملاك يؤجرون ارضهم (من ١٠ ـ ٥٠ فدانا) وان غالبية الفلاحين الفقراء الذين يملكون اقل من فدان يؤجرون أرضهم لانها لا تكفيهم ، وان ثلث الاراضى من ١ ـ ٥ ـ أفدنة يملكها سكان فى المدن ويقومون بتأجيرها ، وان من بين ٥ر٣ مليون حائز زراعى فان ٧٣٠ ألف مالك هم الذين يزرعون بانفسهم فى اراضيهم ، ٣٤٦ ألف مستأجر بنظام العقود ، ١٦٨ ألف مستأجر بنظام المزارعة أى ان مجموع الذين يباشرون الزراعة بأنفسهم ٠٠٠ر٢٤٤ر١ مليون .. أى ان ظاهرة المالك الغائب ما زالت تسود الزراعة المصرية ..

سادسا : ازدياد التفتيت فى الملكيات الزراعية بطريقة خطرة وانتشار الملكيات القزمية للغاية التى لا يمكن لها سواء من الناحية الانتاجية او حتى من ناحية الملكية ان يكون لها ثقل ما،وتلعب دوراسلبيا فى الانتاج وتنظيمه ، فهناك ٠٠٠ر٢٥٠ر٢ مليون مالك يملكون فدانا فاقل من مجموع الملاك البالغ عددهم ٠٠٠ر٢١١ر٣ مليون مالك (٥)

الحيازات الزراعية

كان هذا هو وضع الملكية الزراعية أما فيما يتعلق بوضع الحيازة الزراعية فان الامر يختلف بعض الشيء من حيث الكمية ، فاذا نظرنا الى الهيكل التوزيعى للحيازات الزراعية فى مصر فاننا نلاحظ ان الهيكل الحيازى الزراعى المصرى يتسم بسيادة الحيازات الزراعية الصغيرة فطبقا للتعداد الزراعى لسنة ١٩٦١ كانت الحيازات الاقل من خمسة أفدنة تمثل نحو ٨٤ فى المائة من مجموع عدد الحيازات الزراعية فى حين أنها كانت تشغل نحو ٣٨ فى المائة فقط من مجموع مساحة هذه الحيازات .

ولقد كانت الحيازات الصغيرة تمثل نحو ٥ر٧٨ فى المائة وتشغل نحو ٢٣ فى المائة من مجموع عدد ومساحة الحيازات الزراعية فى عام ١٩٥٠ . وهذا يعنى أن عدد الحيازات الزراعية الصغيرة قد ازداد فى عشر سنوات بنحو ٧٦ فى المائة بينما ازدادت مساحتها فى نفس الفترة بنحو ٥ر٦ فى المائة فقط مما يعنى مزيدا من الانخفاض فى متوسط مساحة الحيازة فى هذه الفئة .

ومنناحية اخرى يلاحظ انىنسبة عدد الحيازات فى الفئة من ٥ الى ٢٠ فدانا قد انخفضت من ١٧ فى المائة من مجموع عدد الحيازات فى عام ١٩٥٠ الى نحو ١٤ فى المائة فقط من مجموع عدد هذه الحيازات فى عام ١٩٦١ فى الوقت الذى ازدادت فيه نسبة مساحة الاراضى التى تشغلها هذه الحيازات من ٢٣ فى المائة من مجموع مساحة الحيازات فى عام ١٩٥٠ الى ٣٠ فى المائة منها فى عام ١٩٦١ . أما فئة الحيازات من ٢٠ فدانافاكثر، فقد انخفضت نسبتها العددية من ٤ فى المائة الى ٢ فى المائة فيما بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٦١ بينما انخفضت نسبة المساحة التى تشغلها من ٥٠ فى المائة الى ٣٢ فى المائة فى نفس الفترة .

ولعله من الجدير بالاشارة أن الهيكل التوزيعى لحيازة الاراضى الزراعية فى الوقت الراهن يختلف اختلافا واضحا عنه فى عام ١٩٦١ ، وان هذا الاختلاف يعكس زيادة اكبر فى نسبة عددالحيازات الاقل من خمسة افدنة ، وربما فى مساحتها ايضا ، وهو ماقد يعزى الى اعادة توزيع المساحات المستولى عليها طبقا لقوانين الاصلاح الزراعى ، وكذلك الى عوامل التوريث والبيع ، وكذلك الى وضع حد أعلى للحيازة الفردية للاراضى الزراعية ، غير ان هذا الاختلاف لا يمكن قياسه رقميا بسبب انعدام الاحصاءات الخاصة بتوزيع الحيازات الزراعية بعد عام ١٩٦١ (٥).

التفتيت المشكلة والحل

عبد الخالق الشهاوى

طوال القرن التاسع عشر ، وعلى وجه التحديد منذ قسم محمد على الزمام عام ١٨١٣ حتى عام ١٨٩١ ، ومشكلة الملكية والحيازة بالنسبة للارض المصرية بين شد وجذب • فبينما كان محمد على يقصد من مسح الارض وتحديد الزمام أن يحكم قبضته على ما تنتجه الارض كان ابنه ابراهيم ينزع الملكية بالكامل فى الصعيد ثم من بعدهما بدأ الفلاح يحصل على اجازة حق التصرف بالرهن او التنازل للغير عن حق الانتفاع بينما يمكن اعادة هذا الحق الى الحكومة تحت ذرائع شتى ، الى أن جاءت اللائحة السعيدية فاعترفت بحق التملك بينما احتفظت للدولة بملك الرقبة على الارض ، ثم جاء اسماعيل فاغترف من الفلاحين أرضهم وأصبح مالكا لخمس الاراضى الزراعية بينما أهدى فى ذات الوقت خمسا آخر لحاشيته وأتباعه وخدمه •

وفى أول عهد الاحتلال الانجليزى امر توفيق ببيع بعض أملاك الحكومة القديمة وبعض الاراضى الجديدة بالبرارى ، ولم يسقط حق « ملك الرقبة » الذى كانت تحتفظ به الحكومة بالنسبة للارض الا فى عام ١٨٩١ • وحينئذ ارتكز الوضع العام للتملك فى الارض على عدة محاور :

اولها : أصبح حق التملك بالكامل قائما من الناحية النظرية بالنسبة لكل المصريين •

ثانيها : طرحت الدائرة السنية وبعض أملاك الحكومة للبيع فأصبح للارض سوق •

ثالثها : استقرت الملكيات الكبيرة التى حصل عليها أصحابها عن طريق الهبة أو النهب لاصحابها • ومنذ نهاية القرن الماضى حتى منتصف القرن الحالى يعتبر التطور الذى حدث فى ملكية الارض تطورا **طبيعيا** فى حدود السيطرة السياسية والاقتصادية للاقطاع والاستعمار • ولهذا فان مقارنة الجدول الاول بالثانى - فضلا عن أهميتها - تعتبر مقدمة ضرورية لدراسة أثر الاصلاح الزراعى فى تلجيم هذا التطور الطبيعى والمدى الذى يمكن أن يؤدى اليه فى تحقيق أهداف الثورة الزراعية .

وتوضح هذه المقارنة ان الملكية الصغيرة (أقل من خمسة أفدنة) قد زادت فى مجموعها بالنسبة

(*) الجداول الخاصة بخريطة توزيع الملكية صفحتى ٦٧ و ٦٨

بالارض المنزعة من ٧٣ر٢١ فى المائة الى ٦ر٣٥ فى المائة أى بحوالى ١٤ فى المائة بينما زاد عدد الملاك من ثلاثة أرباع مليون تقريبا الى اكثر من مليونين ونصف أى أكثر من ثلاثة اضعاف وهذه الزيادة فى عدد الملاك هى فى الاساس زيادة فى الملاك الصغار ، ومن هنا يمكن استخلاص القانون الاساسى لهذا **التطور الطبيعى** فى مجال ملكية الارض ، الا وهو تركز الملكيات الكبيرة وتشتت الملكيات الصغيرة ، فبينما كان ٤٤ فى المائة من الارض يملكها ٤ر١٪ من مجموع الملاك نراها قبل الثورة وقد أصبح ٣ر٣٤ فى المائة من الارض يملكها ٤ر فى المائة من الملاك اى أن الملكية الكبيرة حين نقصت بالنسبة لكل الارض ، الا أن عددملاك هذه الفئة قد تركز الى ٢٩ فى المائة تقريبا من مجموع ملاك الفئة ذاتها ٠

ويلاحظ ان التجانس داخل فئة مفتقد ، فبفرض اتحاد عدد الافدنة فان نوع الارض ، ونسوع الاستغلال وعدد الاسرة يجعل التفاوت داخل كل فئة حتميا . ولكن الملكيات داخل الفئة الواحدة تتراوح بين الحدالاقصى والحد الادنى ، وفىداخل الفئة المعنية يحدث تركز داخلى،وتشتت فى الفئات الدنيا من الطبقة على غرار ما يحدث فى المجتمع كله ، ويتضح هذا بأبشعصورة فى الفئة (أقلمن خمسة أفدنة) حيث ان ٢٥ فى المائة من مجموع ملاكها يملكون ٦٥ فى المائة من مجموع ملكيتها ٠ ويزداد التشتيت كلما قلت الملكية حتى يصل الى القيراط والقيراطين فى ملكية الاقل من فدان .

واذا كان هذا هو الوضع فى ظروف **التطور الطبيعى** قبل التحكم فى حجم الملكيـة بمقتضى قوانين الاصلاح الزراعى المختلفة بعدالثورة ، فما هو الوضع بعد هذه القوانين ؟

أولا : تظل قواعدالتركز والتشتتسارية المعمل فيما تحت الحد الاقصى للملكية الذى تحـدده القوانين ٠

ثانيا : على الرغم من الاضافات الناشئة عن تفتيت الارض بالتوزيع بمقتضى قوانين الاصلاح فان الكم الاساسى من القطع الصغيرة يأتى عن طريق **التطور الطبيعى** ٠

ثالثا : تتغير أشكال التركز الىأعلى تلاؤما مع القانون او تحايلا عليه ٠ وذلك بتغييـر شكل الاستغلال او شكل الملكية ٠

ويبين **الجدول رقم ٣** أن صورة التركز الىأعلى لم تتغير كثيرا حيث بقى ٤ر فى المائة من مجموع الملاك يملكون ٢٦ فى المائة من مجموع الارض وذلك حتى عام ١٩٥٩م . اما الفئات الوسطى فقد كانت قبل الثورة تملك ٣٠ فى المائة من الارض ، وكان عدد ملاكها يمثل ٥ر٤٪ من الملاك، وقد كانت هذه الفئات فى بداية القرن تملك ٣٤ فى المائة من الارض وكان عدد الملاك ٦ر٢٢ فى المائة من الملاك ومعنى هذا ان ١٨ فى المائة من الملاك قد هبطوا من الفئات الوسطى الى الفئة الدنيا ومعهم ٤فى المائة فقط من الملكية ٠ وبهذا يتضح أن التركز يتم على حساب الفئات الوسطى وأن التشتت فى القاعدة يتم باضافة الهابطين من الوسطى فضلا عما تحدثه قوانين الميراث وعمليات الشراء والبيع الخ ، وقد كانت الاضافة التى احدثها الاصلاح الزراعى للمالكين من ٣ـ٥ (الفئات العليا فى القاعدة)فى حدود ٤٤ر١١٦ ، ولكن هذه الاضافة لا تمثل الا القليل بالنسبة للفيض الواسع من الزيادة المطردة فىالقاعدة ، ففىمقابل هؤلاء أضيف للذين يملكون اقل من فدان (الفئات الدنيامن القاعدة) فىنفس الفترة (١٩٥٢ـ١٩٦١) ٩٥ر١٧٠ وذلك من مصدر واحد فقط وهو الميراث ٠

وكما أثر الاصلاح الزراعى بالاضافة الى أعداد الذين تقع ملكيتهم فى القاعدة ، فقد أثر كذلكبوقف عمليات التقلص فى الفئات الوسطى ، وذلك بفضل المادة الرابعة من قانون الاصلاح الاول ، وبفضل عمليات التهريب بالبيع لمتوسطى الملاك الخ ٠

وحينما يصل دورالاصلاح الزراعى الىمداه ، ويعود الى خريطة الملكية تأثير **التطور الطبيعى** دون تلجيم خارجى ، فان القانون الاساسى للملكية الزراعية يفعل فعله ، لكى يسير التطور فى اتجاه التركيز الى أعلى والتشتيت الى أسفل والتقلص فى الوسط ٠ وبالطبع فان الاصلاح الزراعى لن يكف عن كونه قيدا بأى صورة على حركة **التطور الطبيعى** ٠ فسيبقى أنه ـ أى الاصلاح الزراعى قد وضع سقفا للملكية ، بحيث لا يجوز قانونا تملك أكثر من خمسين فدانا للفرد . ولكن هذا السقف يمكن اعتلاؤه بأشكال اخرى من الاستغلال وانواع عديدة من التملك ٠ وعلى أية حال فانه تحت هذا السقف ستبدأ دورة جديدة من التمركز والتشتيت ٠

على أننا يجب أن نشير الى أن الاحصاءات بالنسبة للملكية لا تعنى التعبير الدقيق عن التفتيت من الناحية العددية ، ان هناك فى حدود الارقام المعبرة عن الملكية الصغيرة أنواعا من التفتيت .. مثلا المالك لفدان واحد على أكثر من قطعة ٠ ومثلا آخر المالك لاكثر من فدان ثم يؤجر ما يملك على قطع صغيرة ، وهناك ملكيات فى الحد الاقصى ، ولكنها مقسمة بالايجار وتقع حيازاتها من حيث

التفتيت فى القاعدة الدنيا • وبهذا فان مشكلة التفتيت أعمق بكثير مما تقدمه احصاءات الملكية ، بل ان الحيازة نفسها لا تعبر بدقة عن وضع التفتيت ، فهناك حائز يقسم الارض بين أولاده ، وهذه الارض على الرغم من أنها مقسمة تبدو فى الاحصاء قطعة واحدة الخ .

وبهذا فان القضية توضع وضعها الصحيح باعتبار أن الارض المصرية كلها مهددة والانتاج القومى فى مجال الزراعة مهدد أيضا • فعلى الرغم من أننا أوشكنا على استغلال كل الاراضى الصالحة للزراعة فان الانتاج المحلى من الحبوب لا يفى بحاجات السكان ، وحيىما تصل رقعة الارض الى الثبات بعد وصول عمليات الاستصلاح الى غايتها ، فان شيئا آخر لا يتوقف وهو الانفجار السكانى ، واذا كانت درجة الاكتفاء الذاتى فى مجال الحبوب سنة ١٩٦٨ قد وصلت الى ٨٠ فى المائة فان السير بهذا المعدل فى مجالى التفتيت والنمو السكانى يهدد بكارثة تصل الى حد المجاعة .

أن من نافلة القول أن نعدد أضرار التفتيت من ضعف الانتاجية ، وزيادة الهالك ، وانتشار الجسور والحشائش ، والاسراف فى المياه المستخدمة فى الرى مما يؤدى الى زيادة نسبة المياه الجوفيةوالاختناق فى عمليات‌الصرف الخ • ولكن الطامة الكبرى تأتى حين يعوق التفتيت أية محاولة للزراعة العلمية عن طريق الميكنة واستخدام الالات • ومصر فى مجال الالات الزراعية تمثل المستوى الادنى على النطاق العالمى ، فلدينا حوالى ١٣٫٠٠٠ تراكتور : جزء كبير منها يستخدم فى عمليات الاصلاح بينما الجزائر مثلا تملك أكثر من ٣٠٫٠٠٠ وتونس أكثر من ١٨٫٠٠٠ والمغرب أكثر من ١٠٫٠٠٠ ومقارنة مجموع ما تملكه البلادالعربية من الالاتبما تملكه بلد رأسمالى مثل النمسا يصيب بالذهول ، فكل ألالات العربية هى ربع ما تملكه النمسا أو ثلثه ففى النمسا يصل المعدل الى ١٣ آلة لكل كيلو متر مربع من الارض المنزرعة بينما فى البلاد العربية آلة واحدة لكل تسعة كيلو مترات مربعة •

هذه هى المشكلة فما هو الحل ؟

بداهة فان حل مشاكل التفتيت لا يأتى الا بالغاء التفتيت ذاته ، ولقد قدم الاصلاح الزراعى عدة اجراءات للحد من آثار التفتيت الضارة مثل التعاون والتسويق التعاونى والدورة الزراعية ، ولكن كل هذا لا يحل المشكلة من جذورها ، **ويبقى أمر واحد يمكن تقديمه كبديل للتفتيت هو التجميع .**

ولست أدرى ما هو الحائل الفكرى دون التجميع ؟ • هل التجميع يلغى الملكية الفردية ؟ • بالطبع لا • اننا بدلا من ملكيات صغيرة تزرع بشكل بدائى وتؤدى زراعتها الى نتائج عقيمة نشرك عددا من الملاك فى ملكية قطعة كبيرة يمكن زراعتها بأحدث الوسائل ، وتؤدى زراعتها الى نتائج عظيمة . هذا هو التجميع ببساطة . لا يلغى الملكية بل يرشدها • وعملية الترشيد هذه وان كانت قيدا على الحرية الفردية • الا أن مفهوم هذه الحرية لا يمكن أن يكون حق كل انسان فى أن يفعل ما يشاء دون نظر لمصلحته الخاصة أو مصلحة المجتمع ككل •

ولقد سعيت جاهدا لكى أعرف لماذا لا نواجه مشكلة التفتيت بما يجب أن تواجه به ، وأردت أن أعرف : هل هناك وجهة نظر أخرى تقول بحل آخر للمشكلة ؟ليس هناك شىء أكيد الا المشكلة ذاتها . ثم من حولها ليس هناك الا حل واحد مطروح للمناقشة وهو التجميع ، وقد كثر الحديث عنه والدعوة اليه ، والافاضة فى حدوده وضرورته • وكان من المنطقى أنه طالما أن هذا هو الحل الوحيد المطروح للمناقشة ، اذا فلا خلاف حول التجميع ، ولكن التناقض يبرز حين يبقى التفتيت واقعا ، والتجميع مجرد أفكار للتداول والكتابة دون أن يتحول الى واقع عملى فى التطبيق •

ولكن يبدو أن التفتيت واقع لا يحتاج الى دفاع فكرى طالما هو مفروض وقائم ، وأنه طالماأن التجميع فكر لا يجد سبيله الى الواقع والتطبيق فلا حاجة هناك لمناقشته والرد على منطلقاته . وبين هذا وذاك تضيع المشكلة ويندثر الحل ويبقى التخلف الذى يهدد بالكارثة •

وعلى أية حال فان الواقع القائم تعبير عن فكرية ، أو على الاصح ان للتفتيت انعكاسا فكريا . وعلينا أن نبحث عن المستفيد منه لكى نقرر أية فكرية تعبر عنه •

أولا : ان الملكية الكبيرة فى حدود سقف الاصلاح الزراعى يمكن أن تنجو من آثار التفتيت • اذ أنها تستطيع استخدام الالات ، بل هى فى الغالب تستخدمها وتسعى لتكثيف الاستغلال تعويضا عن تحديد الملكية •

ثانيا : الملكيات المتوسطة هى الاخرى يمكن أن تنجو من آثار التفتيت للسبب السابق ، ولانها تتطلع الى النمو الفردى والوصول الى أعلى حد •

ثالثا : كلا النوعين من الملكية يدركان بشكل أو بآخر خطر الانهاض الجماهيرى المتمثل فى صحوة صغار الملاك ، حيث لا يمكن التجميع الا بحركة سياسية ناهضة ، تسعى لتوضيح المشكلة وتعميق المفاهيم التى يقدمها الحل ، واقناع أكثر الملاك تخلفا بضرورة التجميع .

رابعا : يؤدى التفتيت الى بعثرة جهود الملاك الصغار ، واستنفاد طاقاتهم الانسانية فى العمل المجهد طوال اليوم . ثم فى النهاية يكون وجودهم فى الجمعيات التعاونية وكافة المؤسسات الريفية وجود منهك وممزق مما يتيح لكبار الملاك ومتوسطيهم السيطرة على هذه المؤسسات . وعلى العكس من ذلك فان التجميع فضلا عن أنه يجمع الارض ، ويوحد طاقاتها الانتاجية ، ويرفع من مستوى العاملين عليها ، فضلا عن ذلك فانه يؤدى الى ايجاد روح تعاونية ريفية تجعل لصغار الملاك ثقلا اجتماعيا فى المؤسسات الريفية يستطيع الوقوف بحزم ضد عمليات السيطرة والتسرب من جانب كبار الملاك .

لهذا ولغيره يمكن أن نقرر أن الفكرية الكامنة خلف التفتيت هى فكرية بورجوازية الريف ، تلك الفكرية المحافظة التى تأخذ **قضية الثورة** لتحولها الى **تجديد عصرى** يفيد مصلحتها الانانية دون نظر الى المجتمع فى مجموعه . فالزراعة الرأسمالية نوع من التجديد العصرى ، ولكنهم يريدون التقدم التكنولوجى تجديدا عصريا لهم فحسب . أما التجميع فهو أداة **للتقدم الاجتماعى** . وهذا شىء مخيف بالنسبة للافكار المحافظة على الرغم من أنه يحقق أهدافها فى التجديد .

ان أرقى أنواع التقدم العصرى هو السياسة كعلم ، والتفتيت رغم أنه قضية اقتصادية فى المقام الاول ، الا أن حلها كمشكلة لا يمكن أن يأتى الا بالسياسة والوعى الاجتماعى الثورى ودراسة المجتمع ومعرفة تناقضاته والسعى الى حل هذه التناقضات فى اتجاه التقدم ، وايجاد مثل هذه الحركة السياسية فى الريف ، واتجاه هذه الحركة الى صغار الملاك وفقراء القرية ، يؤدى الى حالة من الانهاض يستحيل فى ظلها على بورجوازية الريف أن تحتكر العمل السياسى ، وأن تتسلل منه وبه الى بقية المؤسسات الريفية .

ونحن نعلم أن أول مراحل تغيير الواقع هو فهم هذا الواقع والوعى بمشاكله وتناقضاته . ولذلك فان الفكر المضاد للتجميع يرفض التعبير عن نفسه ، لان اثارة المشكلة ، وطرح الاراء المختلفة حولها ، ومناقشة هذه الاراء ، كل هذا فى حد ذاته مشاركة فى التوعية بالقضية المثارة ، اذا فلا معنى لابداء الرأى حيث أن الفائدة فى كتمانه ، ولا ضير من الاستعانة على قضاء الحوائج بالكتمان . خصوصا وأنه لا يوجد بالنسبة لاصحاب المصلحة فى التفتيت مشكلة ، حيث أن التفتيت موجود ، وليس فى الامكان أبدع مما كان !! .

فاذا حدث بعد هذا أن انتشرت الشائعات بأن التجميع ضد الملكية الفردية أو أنه ضد الدين ، أو أنه خطوة فى طريق الشيوعية .. الخ ، فان هذه الشائعات لا تعتبر من قبيل ابداء الرأى الذى يجب مناقشته والرد عليه ، لان مصدرها كشائعة غير معروف ، ولان الرد عليها يعطيها صفة المشروعية الفكرية .

أما الشىء الوحيد القابل للرد ، فهو الزعم بأن التجميع والميكنة يزيدان من البطالة فى الريف ، وهذه حجة صريحة من حجج بورجوازية الزراعة ، وهى حجة مردودة لان هذه البورجوازية ذاتها تستخدم الالات ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ليس فقط فى زراعتها الخاصة ، وانما أيضا فى عمليات ايجار للاخرين ، وتنظيم الميكنة عن طريق نظام عام يحرمها من هذا السوق المغلق عليها ، أما أن البطالة ستشمل الملاك الصغار الذين ستقوم الالات بعملهم ، فهذه حجة سيئة ، لانه لا يوجد من يستطيع الدفاع عن عملية الانهاك البدنى اللاانسانى التى يقوم بها هؤلاء الملاك فى قطعهم الصغيرة طوال اليوم دون جدوى انتاجية . ثم ان تنظيم العمل فى المزرعة الجماعية سيأخذ من بين الملاك الصغار ما تريده المزرعة من قوة عاملة .

وفوق هذا وذاك فاننا نعلم أن التجميع (حتى من الناحية الفكرية) لا يمكن أن يؤخذ به كنظام الا فى اطار عام لتخطيط القرية والانتاج الزراعى ، وهذا التخطيط نفسه سيحتاج لقوى عاملة تمتص الفائض ، فضلا عن أن هذا النظام والاطار العام للتخطيط يفترض أن يتسق جميع ما فى القرية مع خطة التصنيع ، والتصنيع حينما يمتد الى الريف ، والى الانتاج الزراعى قبل نقله ، فان هذا سيمتص هو الاخر مزيدا من البطالة المتفشية ، وكذلك فان التجميع والانتاج الزراعى الكبير فى كل الزراعة سيحتاج الى شبكة للنقل والطرق ، والى محطات للجرارات والالات واصلاحها ، والى مراكز للتنمية فى الثروة الحيوانية و .. و .. الخ .

ونحن نقدم التجميع فى اطار الخطة العامة ، وليس كلحن نشاز فى اطار فوضى زراعية .

المـــــزارع التعــــاونية

نظام يجب علينا أن نجربه
للقضاء على تفتيت الملكية

أحمد حسن ابراهيم

تفتت الملكية أو الحيازة الزراعية اصطلاح يطلق على مشكلة أو ظاهرة ذات شقين ، أولهما هو تجزؤ الحيازة أو الملكية ويقصد به تكون الهيكل التوزيعي للملكية أو حيازة الارض الزراعية من عدد هائل من الملكيات أو الحيازات القزمية والصغيرة . أما الشق الثاني للمشكلة فهو تشتت الملكية أو الحيازة الواحدة وتناثرها في عدد كبير من القطع المتباعدة عن بعضها البعض . ويترتب على تفتت الملكية أو الحيازة الزراعية بشقيها عديد من العيوب والمساوىء التي لا يكاد يختلف فيها اثنان من الاقتصاديين الزراعيين . ومن أهم هذه العيوب والمساوىء ما يلي :

١ ـ فقد وضياع قدر كبير من الارض والعمل .

٢ ـ عجز الملكية أو الحيازة عن اعاشة اسرة المالك او الحائز عند ادنى مستوى يليق بحياة الانسان .

٣ ـ تخلف أساليب ووسائل الانتاج الزراعي .

٤ ـ ارتفاع تكاليف الانتاج الزراعي .

٥ ـ تعذر اجراء التحسينات الزراعية .

٦ ـ انهاك التربة واستنفاد خصوبتها .

٧ ـ عجز المالك او الحائز عن امتلاك الحيوانات .

٨ ـ انتشار البطالة الجبرية وما يصاحبها من انتشار الفقر والديون .

٩ ـ التخلف الاقتصادي بسبب العجز عن الانتاج من أجل السوق .

١٠ ـ اعاقة التنمية الصناعية .

١١ ـ تهيئة الظروف المشجعة على خلق المنازعات بين الزراع .

ومما لا شك فيه أن اقتصادا زراعيا يعاني من هذه العلل والامراض لابد وأن يعجز عن المساهمة

فى تطوير المجتمع وتقدمه ليس هذا فقط بل انه يكون عبئا على الاقتصاد القومى كله يضعف امكانياته وقدراته على التطور ويعيقه عن الانطلاق على طريق التنمية والتقدم • وبسبب الاخطار التى تتهدد الاقتصاد القومى لمجتمع ما ، نتيجة معاناته من انتشار ظاهرة تفتت الملكية والحيازة الزراعية ، فان مواجهة هذه الظاهرة والقضاء عليها تصبح من القضايا الملحة التى يتحتم على المجتمع أن يصل بلا تباطؤ الى قرار حاسم وفعال بشأنها •

ونحن فى مصر مطالبون ومحتاجون أكثر من غيرنا من بلدان العالم الى اتخاذ مثل هذا القرار من غير تسويف أو ابطاء • فالمتتبع للاحصاءات الخاصة بتوزيع الاراضى الزراعية ملكية وحيازة يستطيع بسهولة ان يلاحظ التزايد المستمر فى حجم مشكلة تفتت الملكية والحيازة الزراعية وفى درجة تعقيدها ، وهذا أمر طبيعى فى بلد يزيد فيه السكان بمعدلات مرتفعة ، وخاصة بين المشتغلين بالزراعة ، ويتسم بضيق مساحة الارض الزراعية الحالية والارض التى يمكن استصلاحها وزراعتها مستقبلا ، فضلا عن أن نظمه وقوانينه تسمح بتملك وحيازة الارض الزراعية لكل فرد من ابنائه ولا تقصرها على من تكون الزراعة هى عملة ومصدر دخله الوحيد • ولهذه الاسباب فان مشكلة تفتت الملكية والحيازة الزراعية قد ازدادت حدة وتعقيدا بحيث أصبحت بالوعة تستنزف القسم الاعظم من الجهود المبذولة لتطوير الزراعة المصرية ورفع كفاءتها الانتاجية • ومع كل عام يمر تزداد هذه البالوعة عمقا واتساعا ، الامر الذى يفرض علينا مسئولية البحث بجدية عن حل سليم وحاسم لهذه المشكلة • وفى بحثنا عن هذا الحل فانه قد يكون من المفيد بل وربما من الضرورى أن ندرس ونناقش المحاولات التى تمت حتى الان فى هذا الشأن لكى نتعرف على جوانبها الايجابية فندعمها ونطورها وأن نعرف جوانبها السلبية فنعالجها ونقضى على أسبابها •

احساس قديم بخطورة المشكلة

على الرغم من أن ظاهرة تفتت الملكية الزراعية قد وجدت مع استكمال عملية اقرار حق الملكية الفردية فى الارض الزراعية فى أواخر القرن الماضى الا أن الاحساس بخطورتها لم يتبلور ويتضح الا فى منتصف الاربعينيات حيث راح البعض يدعو الى ضرورة العمل على ايجاد علاج لهذه الظاهرة الضارة بالاقتصاد الزراعى المصرى • وتتلخص الطرق التى اقترحت آنذاك لعلاجها فيما يلى :

١ ــ منع حدوث التجزؤ والتضاؤل فى المستقبل ، وذلك بوضع حد أدنى للتجزئة الناتجة عن التوارث او انتقال الملكية بأى طريقة لمنع حدوث التفتت مستقبلا • وقد حدد البعض هذا الحد الادنى بثلاثة أفدنة •

٢ ــ علاج التضاؤل القائم وذلك بضم الملكيات الضئيلة الى بعضها البعض لتكوين ملكيات صغيرة لا تقل عن الحد الادنى المقرر وذلك بتشجيع أصحاب الملكيات الضئيلة ، وخاصة من تقل ملكياتهم عن فدان واحد على التخلص منها بالبيع لجيرانهم •

ومن الواضح أن تنفيذ هذين الاقتراحين لو تم فى اطار نظام الملكية والحيازة الفردية للارض الزراعية فانه يعنى تمكين عدد قليل نسبيا من الافراد من احتكار ملكية الارض الزراعية وذلك على حساب التزايد المستمر فى أعداد المعدمين ممن يعملون بالزراعة • ومثل هذا الامر يزداد خطورة بالنظر الى الامكانيات المحدودة لزيادة مساحة الاراضى الزراعية فى وقت يتزايد فيه السكان المشتغلون بالزراعة بمعدلات كبيرة سنويا •

٣ ــ ضم القطع المشتتة التى تتكون منها الملكية الواحدة ، وذلك بتقدير قيمة اراضى القرية واعادة تقسيمها بحيث تتكون كل ملكية من قطعة واحدة •

قوانين فى الظل

لم يخرج أى من المقترحات السابقة من حيز التفكير والدعوة الى حيز التنفيذ ولا حتى الى حيز التقنين قبل يوليو ١٩٥٢ • وعندما قامت ثورة يوليو وصدر قانون الاصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢ ، اهتم القانون بايقاف الاتجاه المستمر نحو المزيد من التجزؤ فى ملكية الاراضى الزراعية وما ينشأ عنه من ملكيات تبلغ من الصغر درجة تعجز عن أن توفر لاصحابها مستوى معيشة يليق بالانسان • ففى هذا الشأن نص القانون فى مادته رقم « ٢٣ » على أنه : « اذا وقع ما يؤدى الى تجزئة الاراضى الزراعية الى أقل من خمسة افدنة ، سواء أكان ذلك نتيجة للبيع أو المقايضة أو الميراث أو الهبة أو غير ذلك من طرق كسب الملكية ، وجب على ذوى الشأن أن يتفقوا على من تؤول اليه ملكية الارض منهم • فاذا تعذر الاتفاق رفع الامر الى

المحكمة الجزئية الواقع فى دائرتها أكثر العقارات قيمة بناء على طلب أحد ذوى الشأن أو النيابة العامة للفصل فيمن تؤول اليه الارض فاذا لم يوجد من يستطيع الوفاء بباقى الانصبة قررت المحكمة بيع الارض بطريق المزاد » ٠

ولعله من الامور الملفتة للنظر أن قانون الاصلاح الزراعى الذى نص على عدم تجـزئة الاراضى الزراعية الى اقل من خمسة أفدنة كان هو نفسه الذى نص فى مادته رقم « ٩ » على توزيع الاراضى المستولى عليها على صغار الفلاحين بحيث يكون لكل منهم ملكية صغيرة لا تقل عن فدانين ولا تزيد عن خمسة أفدنة ٠ وهكذا يلاحظ أن القانون فى موضع منه قد جعل الخمسة أفدنة حدا أقصى لما يجوز أن يمتلكه المنتفع بأراضى الاصلاح الزراعى فى حين أنه فى موضع آخر منه قد جعل الخمسة أفدنة حدا ادنى لا يجوز تجزئة الاراضى الزراعية الى أقل منه ٠ ومن ثم فقد وقع القانون فى تناقض أضعف من قدرته وفاعليته فى الوقاية من حدوث مزيد من التجزؤ فى ملكية الاراضى الزراعية ٠ ولهذا السبب ولغيره من الاسباب ، فان مواد القانون المتعلقة بالحد من تجزئة الاراضى الزراعية لم تزد عن كونها مجرد نصوص تاريخية لم يقدر لها أن تخرج من دائرة الظل أى من نطاق الاطار التشريعى النظرى الى مجال التنفيذ العملى ٠

تجميع الاستغلال الزراعى وتنظيم الدورة الزراعية

اهتم قانون الاصلاح الزراعى ، نظـريا ، بالوقاية من حدوث مزيد من التجزؤ فى ملكية الاراضى الزراعية مستقبلا ، غير أنه لم يهتم ،ولو حتى نظريا على الاقل ، بما من شأنه علاج الاثار المترتبة على التجزؤ والتشتت القائم فعلا فى ملكية وحيازة الاراضى الزراعية ٠ وفى عام ١٩٦٠ تقرر أن يتم خلال عشر سنوات ، اختصرت فيما بعد الى خمس سنوات ، تعميم نظام اصطلح على تسميته تجميع الاستغلال الزراعـى وتنظيـم الدورة الزراعية ٠ وتجميع الاستغلال الزراعى يقصد به تجنيب المساحات الصغيرة المزروعة بمحصـول واحد وتجميعها فى كل قرية فى مساحات متجاورة دون مساس بالملكية الفردية ودون تدخل فى عمل الحائز على حيازته الخاصة ٠ أما تنظيم الدورة الزراعية فيقصد به وضع نظام لتعاقب الحاصلات المختلفة على قطعة من الارض فى ضوء الدورة الزراعية الملائمة وهى غالبـا فى مصر الـدورة الثلاثية ٠

ولقد طبق نظام تجميع الاستغلال الزراعـى وتنظيم الدورة الزراعية بهدف علاج مشكلة ضآلة الحيازات الزراعية ٠ وقد عدد المتحمسون لهذا النظام المزايا والفوائد التى يمكن أن تتحقق بتنفيذه وتؤدى فى النهاية الى زيادة الانتاج الزراعى ٠ ومن أهم هذه الفوائد والمزايا التى عـددها المتحمسون للنظام الحالى لتجميع الاسـتغلال الزراعى ما يلى :

١ ـ امكان استخدام الالات الزراعية الحديثة فى المساحات الكبيرة الناتجة عن التجميع ٠ وفى هذا الشأن كتب البعض (١) : « هذه مسألة ييسرها تجميع المحاصيل فان الجرار الذى يراد استعماله فى مساحات مفتتة تفصلها عن بعضها قنوات ومصارف وسكك ، قد يتعـــذر استعماله فى فلاحة بعض هذه القطع نتيجة لهذه العوائق ٠ أما استعماله فى المساحة المتسعة فسوف يجعل قيامه بالخدمة منتظما وأداءه للحرث بعمق متمـاثل وبنفقات أقل وفى وقت مبكر » ٠ هذا ويلاحظ أن تجميع الاستغلال الزراعى بالشكل الذى تقـرر والمتبع حاليا لا يفيد فى هذا المجال اذ أنه لم يؤد الى تغيير فى أوضاع الطرق الموصلة الى الحقول بما يمكن سهولة وصول الالات الزراعية الحديثة كالجرارات مثلا الى هذه الحقول ، كما أنه لم يلغ الفواصل والحدود بين الحقول المختلفة ومن ثم فانه لم يقض على العقبات التى يرى المتحمسون لتجميع الاستغلال الزراعى أنها كانت تعيـق استخدام الالات الحديثة قبل تنفيذه ٠ وباختصار يمكن القول بأن تجميع الاستغلال الزراعى لم يأت بجديد فى مجال تيسير استخدام الالات الزراعية الحديثة أكثر مما كان سائدا قبل تنفيذه ، وان التوسع فى استخدام تلك الالات يعتمد بالدرجة الاولى على وعى الزراع بفوائد استخدامها وعلى مدى توفرها وانخفاض تكاليفها الى المستوى الذى يحتمله دخل الزارع ٠

٢ ـ توفير مياه الرى والقضـاء على أسباب المنازعات على المياه (٢) ، وذلك على أساس أن

(١) سيد مرعى ـ الاصلاح الزراعى ومشكلة السكان فى القطر المصرى ـ ص ٢٢٧ ، ومحمود فوزى وآخرون ـ تنظيم الدورة الزراعية ـ ص ٢٣ ٠

(٢) سيد مرعى ـ المرجع السابق ـ محمود فوزى وآخرون ـ المرجع السابق ص ٢٢.

تجميع المحاصيل المتماثلة فى مساحات متسعة يسهل عملية الرى بحيث تروى المساحة كلها فى وقت أقصر من الوقت الذى يستغرقه ريها اذا كانت مكونة من قطع متناثرة · ومثل هذا القول يمكن أن يكون صحيحا اذا كانت عملية الرى تتم فى وقت واحد وبشكل مشترك لجميع أراضى الحائزين التى تضمها هذه المساحة المتسعة وهو ما لم يوفره تجميع الاستغلال الزراعى بشكله الحالى ·

٣ ـ الاستفادة من مساحات البرسيم بطريقة اقتصادية وتوفير المساحات من البرسيم اللازمة لسد احتياجات تغذية الماشية ، اذ أن مساحات البرسيم المبعثرة فى القرى لا يستفاد منهـا بطريقة اقتصادية (٣) · وبالنظر الى الواقع الفعلى وطبقا لما أسفرت عنه احدى الدراسات الميدانية يتضح أن تجميع الاستغلال الزراعى لا يحقق هذه الفائدة حيث أن التجميع لا يمتد الى مساحات البرسيم · ومن ناحية أخرى فان تجميع الاستغلال الزراعى وتنظيم الدورة الزراعية قد جاء بآثار عكسية بالنسبة لمساحات البرسيم ، وبالتالى بالنسبة للانتاج الحيوانى فى المحافظات التى أجريت بها الدراسة الميدانية السالف الاشارة اليها ، مما ترتب عنه لجوء بعض الزراع الى تأخير موعد زراعة القطن ليتمكنوا من أخذ حشتين من البرسيم التحريش الذى يسبق محصول القطن وذلك بدلا من حشة واحدة ، وكذلك لجوء البعض الى التخلص من نتاج حيواناتهم ببيعها قبل أن تصل الى سن مناسب للتسويق الاقتصادى ، وذلك بالاضافة الى ارتفاع القيمة الايجارية للارض الزراعية لفترة زراعة البرسيم فقط الى ما يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ جنيها ، وهذه القيمة تزيد عن القيمة الايجارية المقررة بموجب قوانين الاصلاح الزراعى بمـا يتراوح بين مرتين ومرتين ونصف ، وبطبيعة الحال فان عبء هذه الزيادة يقع على كاهل فقراء الزراع ملاكا كانوا أم مستأجرين ·

٤ ـ تيسير الخـدمات واحكام الرقابة على توزيعها واستخدامها ، حيث يفترض المتحمسون لتجميع الاستغلال الزراعى أنـه يقتـرن بتـوفير الاسمدة والتقاوى الحسنة فى وقت منـاسب وبأسعار فى متناول الزراع بالاضافة الى امكانية مراقبة وصول الخدمات لتحقيق أهدافها المحددة كضمان وضع الاسمدة فى المساحات والزراعات المقررة لها (٤) · هذا ما يقوله المتحمسون لتجميع الاستغلال الزراعى الا أن الواقع العملى يؤكد أن مثل هذه الرقابة لا وجود لها وأن تسليم الاسـمدة والتقاوى ، بل وحتى المبيدات الحشرية الى الزراع يتم فى مقار الجمعيات التعاونية وليس على رأس الحقل بل وحتى فى غياب المشرف الزراعى ، وبالتالى فان الرقابة على استخدام الاسـمدة والتقاوى تكاد تكون معدومة، بل هى بالفعل كذلك فى خارج أراضى الاصلاح الزراعى وعلى الرغم من تنفيذ تجميع الاستغلال الزراعى خارج هذه الاراضى ·

٥ ـ تنظيم مقاومة الافات ، حيث أن تجميع المساحات المنزرعة بمحصول واحـد فـى دورة زراعية منتظمة يؤدى الى سهولة مقاومة الافات والحشرات المختلفة بأحدث الوسائل العلميـة والعملية والمبيدات الحشرية الحديثة ، اذ يمكن معه استعمال موتورات الرش وآلات التعفير بسهولة وبتكاليف منخفضة مع ضمان عـدم الاضرار بالانسان والحيوان والذى قد ينشأ نتيجة لتجاور مساحات القطن ومساحات البرسيم أو الخضر مع ما قد يترتب على هذا التجاور من تسرب قدر من المبيدات الحشرية المستخدمة لمقاومة آفات القطن الى زراعات البرسيم أو الخضر ، وما ينشأ عن ذلك من أضرار بالانسان والحيوان (٥) ·

٦ ـ تلافى الاثر السيء لتجاور المحـاصيل المختلفـة ، حيث أنه نظرا لاختـلاف معـاملات المحاصيل عن بعضها البعض فانه يترتب على زراعة محاصيل مختلفة فى مساحات صـغيرة متجاورة حدوث اضرار كبيرة لبعض هـذه المحاصيل · فعلى سبيل المثال فان زراعة القطن بجوار البرسيم قد تؤدى الى انتقال دودة ورق القطن من حقول البرسيم الى حقول القطن ، كما أن زراعة الارز فى مساحات متخللة لمساحات مزروعة بالقطن يؤدى الى الحاق الضرر بالقطن بسبب كثرة المياه المستعملة فى رى الارز ، وكذلك يؤدى تجاور الاراضى المزروعة بالقطن والاراضى الشراقى الى الاضرار بمحصول القطن أيضا (٦) ·

(٣) محمود فوزى وآخرون ـ المرجع السابق ـ ص ٢٦
(٤) المرجع السابق ـ ص ٢٤
(٥) المرجع السابق ـ ص ٢٢ ، وزارة الزراعة ـ **مشروع تنظيم الدورة الزراعية** ـ ص ١٠.
(٦) محمود فوزى وآخرون ـ ص ٢٦ ـ وزارة الزراعة ـ **المرجع السابق** ـ ص ٨

المشكلة مازالت قائمة

فى الحقيقة فان الميزتين الاخيرتين تعتبران من أهم وأوضح المزايا ، بل والميزتين الوحيدتين المتحققتين من تجميع الاستغلال الزراعى . ومن الواضح ان تحقيق هاتين الميزتين لا يعنى ان تجميع الاستغلال الزراعى قد نجح فى علاج مساوىء تفتت الملكية والحيازة الزراعية ، وفى القضاء على الاثار الضارة الناشئة عنها . فمازالت المشكلة على حالها الذى كانت عليه قبل تجميع الاستغلال الزراعى ، لابل ان حدتها قد ازدادت وقدرتها على استنزاف الجهود المبذولة لتطوير وتنمية الزراعة قد ازدادت ايضا . ولعل نظرة سريعة الى الارقام التى يتضمنها الجدول التالى تكشف عن حقيقة ان تجميع الاستغلال الزراعى لم يستطع حتى مجرد أن يجمد اثار الزيادة السنوية فى حدة مشكلة التفتت ، وان يوقف التدهور فى معدلات نمو الانتاجية الزراعية وفى معدلات نمو الانتاج الزراعى الناشىء عن تزايد حدة هذه المشكلة . فمن هذا الجدول الاتى يتضح أن المتوسط السنوى لمعدل نمو الانتاجية ومعدل نمو الانتاج للمحاصيل الزراعية الرئيسية باستثناء الذرة الشامية قد انخفض انخفاضا واضحا فى الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٧٠ بالمقارنة بما كان عليه فى الفترة من ١٩٥٠ ـ ١٩٦٠ وذلك على الرغم من زيادة الاستثمارات الموجهة الى التنمية الزراعية الرأسية من ١١٥ مليون جنيه فى الفترة ٥٠ ـ ١٩٦٠ الى ٢٫٥ ملايين من الجنيهات فى الفترة ٦٠ ـ ١٩٧٠ .

وهكذا يتضح ان تجميع الاستغلال الزراعى لم ينجح فى القضاء على مشكلة تفتت ملكية وحيازة الاراضى وبالتالى فانه لم ينجح فى تحقيق زيادة لا فى معدل نمو الانتاجية الزراعية ولا فى معدل نمو الانتاج من المحاصيل الزراعية المختلفة على الرغم من الزيادة فى الاستثمارات الموجهة الى التنمية الزراعية الرأسية ليس هذا فحسب بل ان تجميع الاستغلال الزراعى وتنظيم الدورة الزراعية بالشكل المنفذ به حاليا قد أدى الى ظهور عدد من المشاكل التى يعانى منها الزراع وفقرائهم ، وهم الغالبية المطلقة ، بصفة خاصة . ومن أهم هذه المشاكل ما يلى :

١ ـ حرمان نسبة كبيرة من صغار الزراع من تنويع حاصلاتهم ومصادر دخولهم الزراعية .

٢ ـ معاناة كثير من صغار الحائزين من نقص الحبوب الغذائية لهم ولاسرهم ، وكذا معاناة الكثيرين منهم من نقص فى العلف الشتوى والصيفى لحيواناتهم مما أدى بدوره الى تزايد حدة أزمة اللحوم .

٣ ـ ارتفاع اسعار الحبوب والاعلاف فى القرى بسبب كثرة الطلب عليها وقلة المعروض منها فى سوق القرية . ومن ثم وقوع صغار الزراع والعمال الزراعيين فريسة لاستغلال الراسمالية الزراعية فى الريف ، اذ انها وحدها التى تملك فائضا من هذه المنتجات عن حاجة استهلاكها الذاتى .

٤ ـ ارتفاع القيمة الايجارية للاراضى الزراعية ارتفاعا فاحشا فى مواسم زراعة حاصلات معينة كالبرسيم والذرة الشامية وذلك بسبب زيادة الطلب على الاراضى الزراعية لاستئجارها فى هذه المواسم وعدم كفاية المعروض منها لمواجهة هذا الطلب . ولا شك ان الرأسمالية الزراعية هى المستفيد الوحيد من هذه الظاهرة فهى وحدها التى تملك من الارض مساحة تتيح لها ان تؤجر جزءا منها لصغار الزراع لفترة موسم زراعى واحد حتى تستطيع أن تتهرب من الخضوع لقوانين تنظيم

محصول	المتوسط السنوى لمعدل نمو الانتاجية		المتوسط السنوى لمعدل نمو الانتاج	
	٥٠ ـ ١٩٦٠	٦٠ ـ ١٩٧٠	٥٠ ـ ١٩٦٠	٦٠ ـ ١٩٧٠
الارز	٥ر٨ ٪	ـ ٠ر٢ ٪	١٢ر٢ ٪	٥ر٨ ٪
القطن	٢ر٣ ٪	٢ر٠ ٪	٢ر٩ ٪	١ر٣ ٪
القمح	٢ر٧ ٪	٠ر٢ ٪	١ر٨ ٪	ـ ٠ر٩ ٪
الذرة الشامية	ـ ٠ر٣ ٪	٦ر٦ ٪	ـ ٠ر٤ ٪	٤ر٥ ٪
البصل	١ر٧ ٪	٠ر٨ ٪	٤ر٩ ٪	ـ ٣ر٠ ٪
القصب	١ر٨ ٪	صفر	٣ر٨ ٪	٣ر٩ ٪

العلاقات الايجارية وتفرض على المستأجرين شروطها .

ما الحل ؟

ان تجميع الاستغلال الزراعى لم يعجز فقط عن حل مشكلة تفتت ملكية وحيازة الاراضى الزراعية، بل انه ادى ايضا الى خلق مشاكل جديدة . وهذا يعنى اننا مازلنا محتاجين ومطالبين بالبحث عن اسلوب آخر لحل هذه المشكلة ، اسلوب تتوفر له القدرة على حل المشكلة جذريا دون أن يترتب عنه مشاكل جانبية او مشاكل جديدة ، اسلوب يحقق زيادة الكفاءة الانتاجية للزراعة المصرية دون أن يترتب عنه اضافة اعداد جديدة سنويا الى المحرومين من تملك او حيازة قطعة من الارض الزراعية . اسلوب يسمح باستخدام الاساليب والوسائل العلمية الحديثة والمتطورة فى الانتاج الزراعى . أسلوب يساعد كما جاء فى برنامج العمل الوطنى على « اقامة علاقات انتاجية متقدمة تدفع بالانتاج الى الامام ، وتنمى قيما اجتماعية جديدة » وفى رأيى فان الاسلوب الذى يستطيع تحقيق كل هذا هو اسلوب او نظام المزارع التعاونية الذى اثبت نجاحا غير محدود فى علاج مثل هذه المشكلة فى كثير من بلاد العالم . اننى اعرف مقدما أن الدعوة الى تطبيق نظام المزارع التعاونية كوسيلة لحل مشاكل الزراعة المصرية جميعها سوف يلقى معارضة قوية من كثيرين،وذلك استنادا الى دعاوى واسباب قد تكون وهمية . ولست اريد ان استبق الحوادث وارد على معارضة متوقعة . فالمطلوب فقط هو أن نبدأ بمحاولة تجريب نظام المزارع ومما أكثر ما جربنا . المطلوب هو الا نصدر احكاما ضد نظام لم نحاول ولو مرة واحدة ان نجربه . ولكن مطلوب ايضا ان تتوفر لهذه التجربة ظروف موضوعية ملائمة وان تتوفر لها عوامل الحيدة والاخلاص . وان ينظر لها من زاوية مصلحة الوطن التى لابد وان تحققها زيادة الانتاج الزراعى ، وتطوير الزراعة المصرية .



٢

الأراضي الجـديدة



منذ بدء تنفيذ سياسة التوسع الافقي باستصلاح الاراضي ، لقيت قضية الاسلوب الذي يستخدم في استثمارها اهتماما كبيرا ، وكانت مثار مناقشات وحوار استمر حتى يومنا هذا بين السياسيين والفنيين بمختلف اتجاهاتهم الفكرية .

ونحن اذ نطرح هذه القضية لمزيد من البلورة ، نعرض فيما يلي لحقائق وبيانات تشكل الارضية الموضوعية الضرورية لمناقشة المشكلة ، نجملها فيما يلي :

احصـــاءات عامة

— المساحة المنزرعة سنة ١٩٠٧ : ٥ر٤٠٠ر٠٠٠ فدان ، وبلغت هذه المساحة في سنة ١٩٦١ الى ٥ر٩٧٠ر٠٠٠ فدان ، بزيادة قدرها ٥٧٠ر٠٠٠ فدان ، نسبتها ١٠ ٪ خلال ٥٤ سنة .

— بينما نلاحظ ان تعداد السكان سنة ١٩٠٧ بلغ ١٥ر٧٣٠ر٠٠٠ نسمة ، ووصل في سنة ١٩٦٠ الى ٢٥ر٨٣٠ر٠٠٠ نسمة ، بزيادة قدرها ١٠ر١٠٠ر٠٠٠ ، نسبتها ٦٥ ٪ تقريبا .

— **وكانت المساحة المحصولية** سنة ١٩٠٧ : ٧ر٦٦٠ر٠٠٠ فدان ، بلغت سنة ١٩٦١ ١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ فدان ، بزيادة قدرها ٢ر٣٤٠ر٠٠٠ فدان ، بنسبة تصل الى ٣٠ ٪

— نصيب الفرد من الفدان سنة ١٨٩٧ ، ٥ر فدان ، انخفض سنة ١٩٥٢ الى ٢٥ر فدان ، ثم وصل سنة ١٩٦٤ ، ٢ر فدان ، أي ان انخفاض حصة الفرد السنوية تبلغ ٠٠٥ر من الفدان .

— نصيب الفرد من المساحة المحصولية ٧ر فدان سنة ١٩٠٧ ، وصل في سنة ١٩٥٢ الى ٥ر ، ثم انخفض الى ٣٥ر في سنة ١٩٦٤ .

— **مستوى التغذية** الطبيعي للفرد يوميا ٣٠٠٠ سعر حراري + ٥٨ جم بروتين حيواني .
سنة ١٩٥٢ ٢٣٧٠ سعرا [٧٩ ٪] + ١٢ جم بروتين حيواني [٢٠ر٧ ٪ من الاحتياج] .
سنة ١٩٥٧ ٢٥٧٠ سعرا + ١٣ جم بروتين حيواني .

سنة ١٩٦٢ ٢٥٣٠ سعرا [٨٤ ٪] + ١٢ جم بروتين حيواني [٢٠ر٧ ٪] .

— نصيب الانتاج المحلي من هذه السعرات ١٥٠٠ ، والمستورد ١٠٣٠ .

— مساحة الجمهورية مليون كيلو متر مربع ، ما يعادل ٢٢٨ مليون فدان ، المنزرع حاليا حوالي ٧ ملايين فدان ، بنسبة ٣ ٪ من اجمالي المساحة .

— **المساحة القابلة للزراعة** فى حالة توافر الظروف المهيأة حوالى ١١ر٠٠٠ر٠٠٠ فدان داخل وخارج وادى النيل ، موزعة كالاتى :

٢ر٢٦٠ر٠٠٠ فدان الوادى والبحيرات والصحراء المتاخمة حتى العلمين .

٣٥٠ر٠٠٠ فدان الساحل الشرقى .
٣ر٠٠٠ر٠٠٠ فدان الوادى الجديد .
٤ر٠٠٠ر٠٠٠ فدان سيناء .
٥٦٠ر٠٠٠ فدان بمنطقة البحيرات .
١ر٠٠٠ر٠٠٠ فدان بحيرة ناصر .

— المياه المتاحة للاستصلاح تكفى ٦ر٠٠٠ر٠٠٠ فدان ، وقدرها ٤٤ مليار متر مكعب .

النيل: مشروعات السد وأعالى النيل ٣٨ر٧ مليار
الخزان الجوفى بالوادى الجديد ٤ر٣ «
أمطار ومياه جوفية بسيناء ٣ر «
أمطار الساحل الشمالى ٩ر «

والمياه المتاحة هى العنصر المحدد للتوسع الافقى .

— **المساحات المستصلحة حتى سنة ١٩٦٧ :**

● من ٥٢/١٩٦٠ ٧٩٠ر٠٠٠ فدان ، بمتوسط سنوى ١٠٠ر٠٠٠ فدان خلال ٨ سنوات .

● ٦٠/٦١ ٢٨ر٠٠٠ فدان
● ٦١/٦٢ ٨٩ر٠٠٠ فدان
● ٦٢/٦٣ ١٢٢ر٠٠٠ فدان
● ٦٣/٦٤ ١٥٩ر٠٠٠ فدان
● ٦٤/٦٥ ١٣٧ر٠٠٠ فدان
● ٦٥/٦٦ ١١٩ر٠٠٠ فدان
● ٦٦/٦٧ ٥٦ر٠٠٠ فدان

اجمالى ٧٩٠ر٠٠٠ فدان ، بمتوسط سنوى خلال المدة كلها ٥٣ر٠٠٠ فدان [وصلت حاليا الى ٩٦٠ر٠٠٠ فدان] ، بمتوسط سنوى خلال ٧ سنوات ١١٠ر٠٠٠ فدان .

نسبة الزيادة السنوية فى الاراضى المستصلحة من ٥٢/٦٧ ٩ ٪ ، ومن ٦٠/٦٧ ١٠ر٧ ٪ .

— **انتاجيات هذه الاراضى بالنسبة للاراضى القديمة سنة ١٩٦٧ :**

الارز : ٢٧ ٪ — **الشعير** ٣٩ ٪ — **القمح** ٤٧ ٪ — **الذرة الشامية** ٣١ ٪ — القطن ٢٨ ٪ — **الفول السودانى** ٣٦ ٪ . . اى بمتوسط عام ٣٣ ٪ بالنسبة للمحاصيل الاربعة الرئيسية [تحفظات] .

— **المساحات المنتجة الى المساحات الاصلية فى الاراضى الجديدة بالمحافظات المختلفة :**

١ — **الاسكندرية** ٥٥ر٨ ٪
٢ — **القنال** ٤٧ر٧ ٪
٣ — **دمياط** ٦٦ر٤ ٪
٤ — **الشرقية** ٦٨ر٨ ٪
٥ — **كفر الشيخ** ٧٨ر٠ ٪
٦ — **البحيرة** ٧٣ر٠ ٪

متوسط عام تنفيذ الزراعة فى حدود ٧٠٪ من المساحة .

— **الانتاج الحيوانى فى سنة ١٩٦٧ :**

● أبقار ٢٠ر١٦١ نصيب الفدان ١/٤٠ بقرة
● جاموس ٣٢٦ نصيب الفدان ١/٢٠٠٠ جاموسة .
● أغنام ١١ر٧٤٢ نصيب الفدان ١/٧٠ .
● دواجن ١١٨ر١٦٨ نصيب الفدان ١/٧ .

— **الالات الاساسية الصالحة للاستعمال :**
لوريات نقل ٦١٧ ٣/٤ لورى لكل ١٠٠٠ فدان
جرارات ٩٨٥ ١ لكل ٨٠٠ فدان
جرارات . ٧٥١ ١ لكل ١٠٠٠ فدان .
مقطورات ٥٨١ ٣/٤ مقطورة لكل ١٠٠٠ فدان

— **تكاليف العمالة :**
● مؤسسة تنمية الاراضى ٣ر٣٧٠ر٠٠٠ المتوسط فى الاراضى الجديدة للفدان ٥ ج .
● مؤسسة تعمير الصحارى ١ر٨٠٠ر٠٠٠ المتوسط فى الاراضى الجديدة للفدان ٥ ج .
● الاصلاح الزراعى ٦ر٤٥٥ر٠٠٠ المتوسط فى الاراضى القديمة المنزرعة ٦ر٥ ج هذا بخلاف العمالة الموسمية «عمال التراحيل وعمال الزراعة» .

— **العمليات اللازمة لاستصلاح ١٠٠ الف فدان :**
● **تسوية** : [نقل وحفر] ٩٠ مليون متر مكعب
● **رى وصرف** : ١٥ محطة رى وصرف قوة من ٥٠/٢٠٠ حصان او حفر ٥٠ بئرا ارتوازية بأعماق من ٦٠٠ الى ١٠٠٠ بئر

● **قناطر وكبارى** : ١٠٠ كوبرى حمولة من ١٠/٧٠ طن .
● **طرق** : ١٠٠٠ كيلومتر طولى طرق ترابية ٢٠٠ كيلومتر مرصوفة .
● **تعمير** : ١٠٫٠٠٠ مسكن مزارعين [مسكن لكل ١٠ فدادين] .
١٠٠٠ مسكن عاملين [مسكن لكل ١٠٠ فدان] .
٢٠٠ منشأة .
● تمثل الاجور نسبة ٣٠ ٪ من اجمالى الاستثمارات .

— **الخطة ومدى تحقيقها من٦١/٦٠ الى٦٥/٦٤ [داخل وخارج الوادى] :**

اجمالى المستهدف	٧٢٣٫٠٠٠	فدان
اجمالى المحقق	٥٣٦٫٠٠٠	فدان
نسبة الانجاز	٧٤ ٪	
منها خارج الوادى	٢٠٣٫٠٠٠	فدان
المنجز	٨٣٫٠٠٠	فدان
نسبة الانجاز	٤٠ ٪	

— **الاستثمارات المقدرة للفدان والفعلية « دون احتساب مصروفات السد العالى » :**

المقدرة	١٩٧ ج
الفعلية	٣١٠ ج
الزيادة	١١٣ ج بنسبة حوالى ٥٨ ٪ .

التخـــطيط :

أ — من الناحية الفنيـة :

١ — الاراضى الاكثر خصـوبة والاسرع انتاجية .
٢ — الاكثر قربا من العمران .
٣ — الاكثر اقتصادية فى اقامة مشروعات الرى والصرف .
٤ — التلاؤم مع شكل الاستغلال المقترح .

ب — من الناحية الاجتماعية :

١ — شكل الملكية فى الاراضى الجديدة : قطاع دولة — تأجير — تمليك .

المشاكل من الناحية الفنية :

١ — الخبرة فى المجال المحدد .
٢ — الدراسات الاولية ودقتها .
٣ — حجم الشركات المنفذة وقدراتها .
٤ — متابعة التنفيذ .

٥ — نوعية الاجهزة القائمة على التخطيط والتنفيذ .
٦ — خطة الاستغلال المقترحة مستقبلا : دولة — تمليك — تأجير .
٧ — برامج التدريب وفاعليتها .

موضوعات مطروحة للمناقشة :

● افضلية التوسع راسيا أم افقيا على ضوء نتاج خبرات العشرين عاما الماضية .
الالات الزراعية والاسمدة والمبيدات .
● علاقة التوسع الافقى بالتصـنيع وأساسا
٨ — تعدد جهات الاشراف .
٩ — ديمقراطية الادارة .
١٠ — قواعد الاجور ونظم الحوافز .
● اشكال الاستغلال فى الاراضى الجديدة واقتصاديات كل شكل منها :
— التوزيع بالتمليك : فردى أم تعاونى
— التأجير : فردى أم تعاونى
— قطاع دولة :

علاقة التوسع الرأسى بالتوسع الافقى وافضلية أيهما : —

حجج فى غير صالح التوسع الافقى

● الاستثمارات الباهظة فى التوسع الافقى تكاليف الفدان تقدر ما بين ٤٠٠ — ٥٠٠ ج
● بطء العائد من هذه الاراضى حتى الآن نسبة محدودة وصلت الى الحدية الانتقالية مع التفاؤل الشديد ١٠ ٪ من اجمالى المساحات المستصلحة حتى الان .
● الانتاجية لاتتعدى بشكل عام ٣٠ — ٤٠ ٪ من الأراضى القديمة .
● مشروعات الصرف المغطى أعطت زيادة فى الغلة للفدان بنسب تزيد عن ٣٠ ٪ .
● ادخال علاقات انتاج جديدة يمكن أن تزيد من العائد — تعاونيات الانتاج .
● حاجة الاراضى القديمة الى زيادة كميات الاسمدة المعدنية فى حالة التوسـع فى صناعتها محليا يمكن زيادة الغلة بما لايقل عن ١٥ — ٢٠ ٪ .
● تقاوى بعض المحاصيل يمكن أن تضـاعف

الغـلة حتى ٤ ـ ٥ أضـعاف ـ القمح المكسيكى ـ تقاوى الخضر المهجنة .

- الموازنة بين عائد الاستثمار فى الصناعات وبين عائد التوسع فى الاراضى الجديدة .
- الحدود القصوى للتوسع الافقى ٦ ملايين فدان دون المعدل السنوى لزيادة السكان

حجج فى صـالح التوسـع الافقى

- امكان التخطيط للمساحات الجديدة بمـا يخدم الاقتصاد القومى والزراعات الغير تقليدية من اجل التصدير .
- ضمان مساحات جديدة من الاراضى تغطى احتياجات البـلاد الغـذائية فى ظروف الطوارىء .
- ادخال الزراعة الحديثة والميكنة الكاملة على نطاق واسع .
- نـواة للقطاع العـام الزراعى وفـكرة المجمعات الزراعية الصناعية .

أشكال علاقات الانتاج والاستغلال

التمليك الحـالى :

١ ـ العودة الى التفتت .

٢ ـ الاقتصـار على ٣٠٠,٠٠٠ أسرة فى الحدود القصوى . والباقى دون أرض

٣ ـ خسارة قدرها ٢٥٠ مليون جنيـه فى اطار مساحة المليون فدان .

٤ ـ تحول المـلاك الجـدد من منتفعين تقليديين الى رأسماليين ريف .

التمليك التعاونى والتاجير التعاونى :

١ ـ تخطى عقبة التفتيت .

٢ ـ امكان تطبيق الزراعة الحديثة .

٣ ـ تلافى قصـور الاجهزة الادارية فى مزارع الدولة .

٤ ـ امكان رفع معدلات الانتاج بما يغطى قيمة القسـط « ايجـارا وتمليـكا » اقتصاديا .

التـاجير الحـالى :

١ ـ القيمة الايجارية دون القيمـة التى توازى قسط التكلفة ٤٥٠ ج تـكلفة الفـدان على ٣٠ عاما قسط سنوى ١٥ ج دون الفوائد .

٢ ـ يسمح بتسلل عنـاصر دخيلة على هيئـات المنتفعـين ـ موظفين ـ بورجوازية ريفية .

٣ ـ القصور فى تحصيل قيمة الايجـارات وضياع مبالغ كبيرة .

٤ ـ عدم احتساب أجور الرى للفدان التى تصل الى ١٢ جنيها فى السنة .

مزارع الدولة بالنظام الحالى :

١ ـ الادارة البيروقراطية ـ فكريا ضد فكرة مزارع الدولة .

٢ ـ انخفاض الانتاج بصورة لن تحقق أى عائد اقتصادى حتى على المدى البعيد

٣ ـ التفاوت الشديد بين المستوى الاقصى والمستوى الادنى للاجور .

٤ ـ نظام الحوافز لا يحقق عائدا على من تسببوا فى زيادة الانتـاج وتقتسمه شرائح ليس لها الحق فيه .

٥ ـ انخفاض مسـتوى التدريب والعمالة الفنية .

٦ ـ عـدم الاعتماد على الالات ـ رغم وجـودها ـ والاعتماد على العمالة اليدوية مما يزيد كثيرا من تـكاليف الانتاج ويفتح أبوابا الى السرقة .

٧ ـ الاعتمـاد حتى الان أسـاسـا على المحاصـيل التقليدية وتقلص مساحات المحاصيل الغير تقليدية .

٨ ـ نظام الاجور لا يحقق ادارة متطورة .

الاشكال المقترحة لمزارع الدولة :

١ ـ الشركات المتخصصة .

٢ ـ المجمعات الصناعية الزراعية .

٣ ـ نظم الادارة ـ انتخاب جزء من الادارة

دور الصناعة الثقيلة فى تطوير الزراعة :

١ ـ صناعات الاسمدة .

٢ ـ صناعات الالات الزراعية .

٣ ـ علاقة الاسعار بتكاليف الانتاج .

نحــــو ســــياسة مســــرنة

تتفق مع نظامنــا الاجتمـــاعى وتقاليــد المجتمـــع

المهندس سعد هجرس
رئيس الهيئة العامة للاصلاح الزراعى

لقد أثارت قضية الاراضى الجديدة ونظام استغلالها اهتماما كبيرا فى السنوات الاخيرة .. وتحتاج مناقشة هذا الموضوع الى كثير من الشرح والى بحث متعدد الجوانب ، لعلاقته بنواح اقتصادية واجتماعية وانسانية مختلفة ومترابطة ، وسأعرض هنا لمقدمة بسيطة عن هذا الموضوع ، وأحاول ان أتناوله بتفصيل أشمل فيما بعد .

لا تبدو اهمية الموضوع من ناحية قيمة مشروعات التوسع الافقى المادية ، والتى انفق عليها أكثر من ٤٠٠ مليون جنيه حتى الان ، ولا تزال الحكومة تنفق عليها حوالى ٣٠ مليون جنيه سنويا ، ولكن تبدو أهمية هذه المشروعات اذا ما تعرضنا الى الاثر الاجتماعى والانسانى الذى ينشأ عن استغلال هذه الاراضى ، وعلاقة المجتمع بها .. وبوجه خاص علاقة المشتغلين فى زراعتها او الحائزين لمساحات منها ، وهم جميعا الطبقة المستفيدة مباشرة من هذا الشغل ، ومن هذه الحيازة ، واننى أذكر انه رغم ما بذل من جهد فى سبيل استغلال الاراضى الجديدة واستزراعها وتنميتها ، فان جهدا أكبر بات منتظرا وضروريا فى السنوات القادمة ، بقصد تحقيق أقصى حد من الدخل ، وأعلى مستوى من كفاءة الاستثمار .

ويمكن تحقيق ذلك عن طريق تخطيط علمى شامل ، تكون نقطة البداية فيه هى معرفتنا للهدف من هذه المشروعات ، وهنا يثار سؤال أساسى للاجابة عليه .. « لماذا تقوم الدولة بتنفيذ مشروعات التوسع الافقى » ؟ .. أو بمعنى آخر « لماذا تستصلح أراضى جديدة » ؟

والاجابة على ذلك يمكن أن نوضحها فى نقاط اساسية ، هى :

● أصبحت المشكلة السكانية تمثل أحد التحديات الرئيسية التى تواجهنا فى عملية النمو والتقدم ، وتتطلب مزيدا من الموارد والاستثمارات والعمل من اجل توليد طاقات مثمرة وواسعة ، من أسباب الانتاج والخدمات ، مع العمل الدائب لاستغلال اى مورد عاطل عن الاستثمار أينما يكون وحيثما نجد الى ذلك سبيلا .

● .. لهذا كان تحويل الاراضى البور الى أراضى منزرعة أمرا ضروريا لاضافة طاقات انتاجية جديدة تفى بحاجات السكان الذين يتزايد عددهم سنة

بعد أخرى بمعدلات عالية ، ينشأ عنها اضافة ما يقرب من مليون نسمة فى العام ، يوجد أغلبهم داخل القطاع الريفى .

● تهدف الدولة من استصلاح الاراضى الجديدة وتحويلها الى مزارع منتجة ، زيادة دخول الافراد الذين يشتغلون فى هذه الاراضى او يتملكون مساحات منها ، وذلك عن طريق استثمار الطاقة البشرية لهؤلاء الافراد ، ووضعهم فى حالة من العمل المثمر والمفيد ، حيث ينتجون منها محاصيل زراعية تستفيد منها الدولة فى نمو انتاجها القومى ومواجهة احتياجات التنمية ، مع تحسين ميزان المدفوعات بينها وبين غيرها من الدول ، وذلك كله، بهدف رفع مستوى المعيشة الفردى والقومى .

● لما كانت الدولة قد اخذت بنظام التخطيط الشامل للتنمية ، فان مشروعات التوسع الافقى ـ وهى أحد جوانب التنمية الزراعية ـ يجب ان تتواءم مع التنمية الشاملة وترتبط بها وتدعمها ، وهنا يصبح حتما ربط هذه المشروعات ، من حيث المنشأ ، ومن حيث الاستغلال ، مع مشروعات التنمية الزراعية الرأسية من ناحية ، ومشروعات التنمية الصناعية من ناحية أخرى .. ويصبح أيضا استثمار الاراضى الجديدة مرتبطا ببرامج التنمية ومتسقا معها وفى خدمتها .. وذلك كله فى اطار المصلحة القومية للمجتمع .

● تنشأ هذه المشروعات من أجل تحقيق مصلحة مباشرة للمشتغلين فى الزراعة ، وهم دعامة العمل والاستثمار فى هذه الاراضى .. وهنا يجب ان يشعروا دائما بارتباط مصالحهم ومنفعتهم باستغلال هذه الاراضى ، حتى يتولد لديهم الحافز والدافع نحو صيانة الارض والمحافظة على خصبها ورفع انتاجيتها بصفة مستمرة .. وفى ذات الحال ، فان غياب هذا الشعور وذلك الدافع ليعكس دونما شك آثارا مضادة .. كما ان هذا الوضع تختلف طبيعته وموقفه عن المشتغلين فى قطاعات التنمية الاخرى الصناعية أو التجارية .. ذلك ان الارض الزراعية بالنسبة للمشتغلين فيها والحائزين لها ، هى محور حياتهم ، وليست الزراعة مهنة فحسب ، بل هى نظام للحياة يرتبط فيه الحقل بالمسكن ، كما يرتبط افراد الاسرة بوحدة العمل .

مقومات استثمار الاراضى الجديدة

اذا ما اتفقنا على ان هذه هى الاهداف ، وتلك هى الغايات التى تنشدها الدولة من عمليات استصلاح الاراضى ، فاننا نعرض لنقطة على جانب كبير من الاهمية ، وهى كيفية الوصول الى هذه الاهداف وتلك الغايات ، او بعبارة أوضح القواعد والمقومات التى توصلنا الى بلوغ القصد

نعتقد أن هذه القواعد يمكن أن نتناولها فى نقاط اساسية ، هى :

● سياسة استثمار الاراضى ، سواء عن طريق الدولة أو فى نطاق التعاونيات أو المزارع ، بحيث تكون واقعية ، وبما يتفق ونظمنا الاجتماعية وتقاليد المجتمع . كما يجب ان تتسم بالمرونة والفاعلية ، بحيث ليس ثمة ما يمنع من تطويرها أو تعديلها حسبما تتطلب ظروف التنمية ذلك ، أو مقتضيات تطوير المجتمع واحتياجاته ، أو عند مواجهة أى من المشكلات والعقبات .

● ان نوع الاستثمار ، سواء كان ذلك بانتهاج أى من الطرق السالف ذكرها ، تعتمد كفاءته وفاعليته على مساهمة الحكومة ودعمها وتشجيعها بصفة مستمرة ، جنبا الى جنب مع دقة الاشراف على هذا الاستثمار ومتابعته وتقييمه بصفة مستمرة .

● ان يكون ملحوظا ان ممارسة الدولة لعمليات الاستثمار وادارة المزارع الجديدة ، تقوم حيثما لا يستطيع الافراد القيام بهذه العمليات ، أى تلتزم الحكومة بادارة واستثمار المشروعات التى تخرج عن نطاق قدرة الفرد وامكانياته وطاقاته ، أو حيثما تستوجبه متطلبات التنمية فى ميادين التصنيع او التصدير ، ويكون ذلك فى نطاق الجهد الحكومى ، مرتبطا بحتمية ادارتها لهذه المشروعات واستثمارها ، وان ترك مسئولية توفير هذه المتطلبات للافراد قد تنشأ عنه مخاطر أو اختناقات أو صعوبات ، وهنا يكون واجبا ، ومن أجل مصلحة المجتمع ، ان ترتبط ادارة واستثمار هذه الاراضى بأجهزة الدولة .

● ان يؤخذ فى الاعتبار دائما ، ان حرية التملك للارض الزراعية لم يعد ينظر اليها كحق من الحقوق ، وانما تمثل الملكية وظيفة اجتماعية يتعين ان تؤديها على خير ما يكون الاداء لمصلحة المجتمع ومصلحة صاحبها على حد سواء . كما يلحظ دائما انه اذا اساء الفرد لحق التملك ، فانه ليس ثمة ما يمنع من تدخل الدولة بوسيلة أو بأخرى لازالة حقه فى التملك من اجل صيانة حق المجتمع .. فالقاعدة الاساسية هى صيانة مصلحة المجتمع واخضاع حقوق الافراد لهذه المصلحة .. فاذا كفل القانون حقا معينا ، فانه لا يكفله لذاته ، بل لان مصلحة المجتمع تقتضى كفالته .. وهنا يمكن ان نشير الى ان تمليك مساحات من الاراضى لا يعنى ملكية مطلقة من كل قيد ، أو متحررة من كل شرط ، انما نعنى به الملكية التى ينظم قواعدها ومقوماتها القانون واللوائح ، من أجل تحقيق هذه الغاية .

● يجدر بنا ان نشير أيضا الى ان التطبيق الاشتراكى لا يعنى ملكية الدولة لمصادر الانتاج كلها ، ولا يعنى الالغاء الكامل للمشروعات الخاصة والملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، وبالذات في مجال الاستثمار الزراعى .. وان القائلين بضرورة بقاء الاراضى الجديدة كلها فى حيازة الدولة ، تمشيا مع مبادئنا الاشتراكية ، يناهضون هذه الفكرة وهذه القاعدة الاساسية التى يقررها الميثاق والدستور ، وتتفق تماما مع التطبيق الاشتراكى السليم .. ونعتقد ان نظامنا الاشتراكى ، اذ يضمن سلامة الملكية الخاصة ، فان الاراضى الجديدة تتسع حدودها لانشاء الكثير من هذه الملكيات ، جنبا الى جنب مع ملكية القطاع العام لمزارع أخرى .

● ان ادارة واستثمار الاراضى الجديدة ، يجب ان تتم فى نطاق مناخ ديمقراطى ، بعيدا كل البعد عن عمليات التسلط والسيطرة ، وتنمحى في نطاقه كل أسباب البيروقراطية التى تؤدى التنمية وتعطل مسيرتها .. ونعنى بديمقراطية الادارة كل انواع المزارع التى تنشأ فى الاراضى الجديدة ، سواء أكانت مزارع تديرها مؤسسات القطاع العام ، أومزارع خاصة فى نطاق التعاونيات ، حيث ان هذا الطابع بدت سماته ومعالمه فى بعض مناطق الاراضى القديمة ، ويجب تحاشيه تماما فى الاراضى الجديدة .

ويمكن تأكيد المبادىء الديمقراطية ومقوماتها عندما تتأكد السلطة الشعبية ، ويتأكد دورها فى عمليات الادارة عن طريق ممثلين منتخبين انتخابا صحيحا للمشتغلين فى هذه الاراضى أو الحائزين لها داخل الهيئات التى تتولى مسئولية الاشراف والادارة .

نظام حيازة الاراضى الجديدة

بعد ان عرضنا الاهداف التى تنشدها الدولة من مشروعات التوسع الافقى ، وشرحنا بايجاز لماذا تستصلح الدولة أراضى جديدة ؟ .. وبعد ان استعرضنا المقومات والقواعد الاساسية التى تحقق استثمارا مفيدا لهذه الاراضى ، وتوصلنا الى الاهداف التى ينشدها المجتمع منها .. تبقى نقطة مهمة ، وهى « ما هو النظام الامثل لحيازة هذه الأراضى وكيفية ادارتها واستثمارها فى نطاق هذه الحيازة » ؟

نعتقد بعد ذلك كله ، ان هذه الاراضى التى تبلغ مساحتها ما يقرب من المليون فدان ، من المتوقع ان تصل الى نحو ٥ر١ مليون فدان فى الاعوام المقبلة ، يمكن ان تشتمل على الانواع الثلاثة من الحيازات التى طرحت للمناقشة ، وهى :

١ — الشركات الزراعية التى تستثمر مزارع تملكها الدولة .

٢ — المجمعات الزراعية المصنعة التى تملكها الدولة .

٣ — المزارع الخاصة التى يملكها أو يستأجرها الافراد .

ولكل من هذه الانواع الثلاثة دوره ووظيفته فى استثمار هذه الاراضى ، وفى احداث التنمية التى تنشدها الدولة فى نطاق التخطيط الشامل على المستوى القومى .. ولكل منها ايضا موقعه ومناطقه التى يمكن ان تحدد تحديدا واضحا ومعلوما ، على أساس من الدراسة العلمية والفنية الدقيقة .. ولكل من هذه الانواع ايضا مقومات وأساليب فى العمل ، وفى الاستثمار ، ويمكن ان تحددها لوائح ونظم تكفل سلامة التطبيق وتحقيق النتائج .

ونود أن نشير ان هذا الرأى لا يعنى الوصول الى طريق سهل يرضى به أصحاب الاراء الذين تختلف أفكارهم ومذاهبهم ، بل يعنى الطريق الوحيد الواجب سلوكه من أجل تحقيق الاهداف السابق ذكرها ، بحيث يلحظ ان اغفال أى نوع من هذه الانواع فى منوال حيازة هذه الاراضى ، قد يترتب عليه عدم تحقيق الاهداف الاقتصادية والاجتماعية والانسانية المرتقبة من الاراضى الجديدة ، أو بعبارة اخرى يمكن القول بوضوح ان هناك أراض لابد من انشاء شركات زراعية فيها ، لان طبيعة استغلالها على أساس من الكفاية والجدارة الانتاجية ، تستلزم ذلك ، اذ انها لو وزعت على الافراد لتعذر بلوغ هذه الاهداف والعكس صحيح تماما فى حالات لا يجوز انشاء شركات فيها ، بل لابد من استغلالها عن طريق الافراد ، وكذلك الحال ، فانه فى بعض المناطق يتعين ان يقوم استثمارها على أساس نظام المجمعات الزراعية المصنعة التى يرتبط فيها الانتاج الزراعى بالتصنيع ارتباطا كاملا منذ البداية وعلى طول مراحل الاستغلال .

اما كيفية تحديد هذه المناطق وتخصيصها لكل نوع من هذه الانواع ، وكيفية انشاء وتكوين هذه المزارع فى نطاق الانواع الثلاثة وأسلوب الحيازة لكل منها ، ومنوال الادارة والاستثمار ، فهو موضوع طويل يمكن ان يناقش مسهبا ومفصلا فيما بعد .

والله يوفقنا الى حسن وكفاية استثمار مواردنا الزراعية الجديدة ، وتحقيق الاهداف التى يطلبها المجتمع من هذه الموارد .●

التركيب المحصولى فى الأراضى الجديدة

د· أحمد أحمد جويلى

تعتبر التنمية الاقتصادية القضية الاولى للمجتمعات النامية فى الوقت الحاضر ، وأصبح الارتقاء بالمستوى الاجتماعى والاقتصادى الهدف الاساسى لتلك المجتمعات · ومما لا شك فيه أن التنمية الاقتصادية الزراعية تعتبر لغالبية تلك المجتمعات أحد الزوايا الرئيسية للتنمية الاقتصادية الشاملة . وقد أخذت خطط التنمية الاقتصادية الزراعية فى جمهورية مصر العربية لتحقيق أهدافها مسلكين رئيسيين هما التوسع الرأسى والتوسع الافقى فى الزراعة · ويعنى التوسع الرأسى فى الزراعة زيادة الانتاج الزراعى القومى عن طريق زيادة الغلة الفدانية للاراضى المزروعة (فعلا) وذلك بالعمل على زيادة الكفاءة الانتاجية لعناصر الانتاج الزراعي وبتكثيف استخدام تلك العناصر فى الرقعة الزراعية المحدودة ، أما التوسع الافقى فيعنى زيادة الانتاج الزراعى القومى بزيادة الرقعة المزروعة باستصلاح اراضى جديدة .

ويعتبر الاخذ باسلوب التوسع الافقى ضرورة فرضتها وتحتمها الظروف الموضوعية للزراعة المصرية من حيث الموارد الزراعية المتاحة وعدم التوازن بينها ، خاصة العلاقات بين موردى الارض والعمل الزراعى · فمن المعروف ان عدد السكان يتزايد بمعدلات مرتفعة ، فى حين ان مساحة الارض المزروعة ومساحتها المحصولية لم تتزايد الا بمعدلات منخفضة للغاية بالمقارنة بتزايد السكان · وأمر هذا شأنه حتم ضرورة اضافة أراضى جديدة لزيادة الانتاج الزراعى لمقابلة احتياجات السكان من ناحية والاختلال بين عناصر الانتاج الزراعى من ناحية أخرى · ومن ذلك يمكن استنتاج ان التوسع الافقى فى الزراعة نتيجة حتمية للظروف الموضوعية للمجتمع ·

وقد دارت وما زالت مناقشات عديدة عن افضلية التوسع الرأسى عن الافقى او العكس . ويمكن فى هذا الشأن ــ كما سبق أن تبين ــ القول بأن كليهما ضرورى للتنمية الزراعية فى المدى الطويل ، ولكن المشكلة القائمة تكمن فى كيفية توزيع الاستثمارات بينهما فى المدى القصير · وحتى الان لم تتبع قاعدة اقتصادية واضحة لتوزيع تلك الاستثمارات بما يضمن تحقيق أهداف المجتمع فى كل من المدى الطويل والقصير . ويستلزم ذلك دراسة العائد الاقتصادى لكلا النشاطين فى ضوء الاهداف التى يبغى المجتمع تحقيقها · وتتلخص أهداف المجتمع من التوسع الافقى فيما يلى :

١ ــ زيادة الانتاج الزراعى القومى ·

٢ ــ زيادة توظيف الموارد البشرية الزراعية ·

٣ ــ التوسع فى انتاج المحاصيل التصديرية غير التقليدية عامة والبستانية خاصة ·

٤ ـ اقامة مجتمعات جديدة تتوفر فيها وسائل أفضل للمعيشة ·

ومما لا شك فيه أن جمهورية مصر العربية قد قطعت شوطا بعيدا فى استصلاح واستزراع الاراضى فقد اضيفت مساحات شاسعة وجه اليها المجتمع طاقات رأسمالية وبشرية هائلة · وتختلف الاراء حول التجربة المصرية فى التوسع الافقى · وظهرت اتجاهات ثلاثة : الاولى ترى ان تلك التجربة فشلت وتبددت مجهودات المجتمع حيث كان يمكن الاستفادة بها بدرجة افضل فى التوسع الرأسى للزراعة · الثانية ترى أن التجربة لها من الحسنات بقدر ما عليها من الاخطاء التى يمكن الاستفادة منها مستقبلا ، والثالثة ترى انه مهما كان للتجربة من أخطاء فهى فى مجملها ناجحة ·

ويعتبر الرأى الثانى أقرب الاراء الى المنطق فى ضوء نتائج التجربة · فمما لا شك فيه أن تجربة التوسع الافقى قد أثرت الخبرة المصرية فى استصلاح واستزراع الاراضى علاوة على امتصاصها لحجم كبير من العمالة الزراعية ومن خريجى المدارس المتوسطة والجامعات ، فضلا عن تنشيطها للعديد من قطاعات البنيان الاقتصادى القومى · كما أن التجربة قد شابها بعض الاخطاء مما انعكس أثره فى ارتفاع تكاليف استصلاح واستزراع الاراضى وانخفاض العائد منها · وربما يرجع ذلك لعدة أسباب أهمها وأولها الاعداد غير المتكامل لعدد من مشروعات التوسع الافقى والذى يتمثل فى عدم دراسة تلك المشروعات من كافة الزوايا ، بل اقتصر الاعداد على النواحى الهندسية والزراعية الفيزيقية ، على الرغم من أن الاعداد لتلك المشروعات يستلزم دراسة علمية متكاملة باشراك جميع الفنيين المتخصصين فى مختلف المجالات الهندسية والزراعية والاقتصادية والاجتماعية ووضع أولويات لها · وثانيها ادارة تلك المشروعات الانتاجية بأساليب يغلب عليها الروتين وعدم المرونة الكافية · فضلا عن الهيكل التنظيمى لاجهزة استصلاح الاراضى قد تميز بعدم الاستقرار من حيث عدد الشركات والمؤسسات واختلاف تبعية كل منها · ومن البديهى أن تكرار التغيير فى هذا الهيكل خلال فترة وجيزة له أثره البعيد على الكفاءة التى يعمل بها قطاع استصلاح واستزراع الاراضى لذا فانه يلزم بالضرورة اتباع هيكل تنفيذى مستقر نسبيا حتى يحقق أقصى درجة من الكفاءة فى استصلاح واستزراع الاراضى المستصلحة ·

وللاستفادة من التجربة المصرية فى استصلاح الاراضى يلزم تقييمها تقييما شاملا · ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن تلك المشروعات قد نفذت لتحقيق جملة أهداف سبق ذكرها ، أى أن التقييم لا يجب أن يبنى على العائد الاقتصادى بمفهومه المحدود أى العائد للتكاليف بنظرة فردية للمشروعات ، بل يجب أن تبنى على النظرة الشاملة التى تأخذ فى الاعتبار كافة الاثار على البنيان الاقتصادى القومى ·

واذا سلمنا بجدوى الفائدة التى قد تنتج من تقييم التجربة فى ظل القواعد السابقة ، فان هناك فى الاراضى الجديدة مشاكل ملحة ومعقدة يجب أن تدرس دراسة وافية لما لها من اثار بعيدة المدى على البنيان الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع · ويعتبر نظام الحيازة فى الاراضى الجديدة والتركيب المحصولى لها من أهم المشكلات التى تواجهها الاراضى المستصلحة بالاضافة الى موضوع المركبات الزراعية الصناعية ·

ويعتبر نظام حيازة الاراضى من أكثر الموضوعات تعقيدا نظرا لتعدد وتشابك جوانبه ، فنظام الحيازة هو مجموعة من العلاقات بين الانسان والمؤسسات والتنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والارض ، وبالتالى فهو يتضمن جوانب اقتصادية واجتماعية وسياسية · ويعنى اتباع نظام حيازة معين تحديدا لشكل ومضمون عنصر الادارة المزرعية · ويعتبر هذا العنصر من الاهمية بمكان فى البنيانات الاقتصادية المتقدمة والنامية على حد سواء · وتتدرج نظم حيازة الاراضى من الادارة الحكومية للاراضى اى مزارع الدولة وبين الملكية الخاصة ، ويقع بين هذين النظامين عديد من نظم الحيازة تختلف من حيث العلاقات الانتاجية ·

ومن الناحية النظرية يمكن القول بأن كل نظام من نظم الحيازة له مزاياه وعيوبه ، فمزارع الدولة لها من الامكانيات المادية والفنية بما يمكنها أن تتمتع بمزايا الانتاج الكبير بدرجة لا تتوافر فى المزارع الصغيرة الخاصة سواء مملكة او مؤجرة مما يجعلها أعلى كفاءة فى استخدام عناصر

الانتاج ، ومن ناحية أخرى قد يؤخذ على تلك المزارع ضعف الحافز الشخصى مما يترتب عليه آثار سيئة بالنسبة للكفاءة فى استخدام العناصر الانتاجية والذى قد يتوافر فى المزارع الخاصة

وعلى نفس النمط يمكن تعداد مزايا وعيوب كل نظام من نظم الحيازة على الاقل من الناحية النظرية . وقد أثير الكثير من الجدل النظرى حول هذا الموضوع ، وتفاوتت فيه الاراء بين مؤيد ومعارض لنظام معين ، وحتى الان لم يحسم هذا الموضوع •

وتحديد نظام الحيازة يتطلب بادىء ذى بدء وضوح الاهداف المطلوب تحقيقها من اتباع ذلك النظام سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية . تلك الاهداف تنبع من القيم المجتمعية الراهنة ، ومن تلك القيم التى يصبو المجتمع الى سيادتها مستقبلا • وتجدر الاشارة أن القيم دائما فى تعارض • وترتيبا على ذلك تتعارض الاهداف المنبثقة منها • مثل هذه الحقائق تحتم اجراء دراسات موضوعية فى شتى النواحى الاجتماعية لنظم الحيازة نظرا لما لها من آثار على التنظيمين الاجتماعى والاقتصادى فى المدى الطويل •

وقد تم حتى الان تطبيق ثلاثة صور من الحيازة فى الاراضى الجديدة هى ــ مزارع الدولة والتمليك والتأجير • وقد اتجه الرأى خاصة فى السنوات القليلة الماضية الى الاتجاه الى التوسع فى تمليك وتأجير تلك الاراضى على حساب مزارع الدولة ، وقد يبرر ذلك الاتجاه اعتقاد البعض بأن نظامى التمليك والتأجير أكثر كفاءة فى استغلال تلك الاراضى عن الادارة الحكومية ، أضف الى ذلك ما يواجه تلك الاراضى من نقص فى الامكانيات المادية (على الاقل فى الوقت الحالى) والعمالة الزراعية • ويمكن فى هذا الشأن تقييم تلك النظم ليس فقط من الوجهة النظرية ولكن من الوجهة التطبيقية مع ضرورة الاخذ فى الاعتبار ضرورة دراسة وتجريب صور أخرى من صور الحيازة .

ويجب أن يؤخذ فى الإعتبار عند دراسة تلك النظم النواحى الاتية :

أولا ــ ضرورة الابقاء على مساحات من الاراضى تدار كمزارع دولة وذلك لتحقيق الاهداف القومية خاصة فى مجال تصدير الحاصلات غير التقليدية . ويمكن تحديد مساحة تلك الاراضى فى ضوء السعات السوقية العالمية الحالية والمتوقعة للحاصلات المصرية . وفى هذا الشأن يجب أن تدار تلك المزارع بأسلوب يختلف تماما عن الاسلوب المتبع حاليا • أى وفقا لمبدأ التكامل الرأسى فى الانشطة •

ثانيا ــ أن تدار تلك الاراضى بأسلوب يسمح بالاستفادة الكاملة بالاساليب العصرية فى الانتاج الزراعى من ميكنة وأسمدة ورى وخلاف ذلك •

ثالثا ــ يجب تلافى أوجه القصور الشائعة فى نظام الحيازة الحالى فى أراضى الوادى خاصة فيما يتعلق بالتفتت • فمن المعروف أن تفتت الملكية الزراعية فى مصر يعتبر من أهم المشاكل الرئيسية المعوقة للتنمية الزراعية المصرية •

رابعا ــ أن المجتمع قد أنفق على استصلاح واستزراع تلك الاراضى كمية هائلة من الاستثمارات يجب أن تعود عليه بأقصى عائد اقتصادى •

خامسا ــ أن تلك الاراضى الجديدة ، يجب أن تسهم مساهمة فعالة فى زيادة درجة الاستفادة من القوة العاملة الزراعية سواء ماهرة أو غير ماهرة .

تلك بعض النقاط ولاشك فى وجود نقاط أخرى • ولعل الواجب يحتم اجراء دراسات عن هذا الموضوع دون حساسية أو جمود فكرى يعوق موضوعيتها .

أما التركيب المحصولى فى الاراضى الجديدة فهو المشكلة الهامة الثانية ، ويعبر التركيب المحصولى عن نوعية المحاصيل ونسبتها فى المساحة المزروعة وعندما نتكلم عن تحديده انما نتكلم عن تحديد المحاصيل أولا ثم تحديد مساحة كل منها ثانية . والتركيب المحصولى الامثل هو ذلك التركيب الذى يضمن أقصى عائد اقتصادى للموارد الاقتصادية المتاحة •

ويعتبر تحديد أنواع المحاصيل ومساحتها فى الاراضى الجديدة احدى المشاكل الرئيسية التى تواجه القائمين عليها • ومن البديهى ان اختيار المحاصيل المزروعة ليس بمشكلة فى مرحلة الإستزراع حيث عادة ما تكون هذه المحاصيل ضرورية لبناء التربة ، رغما عن انخفاض العائد منها • ونظرا لارتفاع تكاليف استصلاح واستزراع الاراضى الجديدة بالاضافة الى أن بعضها ترتفع فيه تكاليف الرى نظرا لارتفاع

منسوبها فان تلك الاراضى يجب أن توجه لانتاج الحاصلات ذات العائد المرتفع كلما أمكن ذلك تكنولوجيا . ونخص بالذكر فى هذا المجال الحاصلات البستانية (فاكهية وخضرية وزهور عطرية وطبية) والانتاج الحيوانى خاصة فى مرحلة الاستزراع .

ويستلزم تحديد التركيب المحصولى للاراضى الجديدة دراسة عدة موضوعات رئيسية هى : الطلب على المحاصيل التى يمكن انتاجها اقتصاديات انتاج تلك المحاصيل فىكل من الاراضى الجديدة واراضى الوادى ، امكانيات تسويق انتاج تلك المحاصيل .

أما بالنسبة للموضوع الاول وهو الطلب على المحاصيل التى يمكن انتاجها بالاراضى الجديدة فيشتق أهميته من كونه الموجه الرئيسى للموارد الاقتصادية سواء كان هذا الطلب محليا او عالميا وفقا لطبيعة تلك المحاصيل . فدراسة الطلب اذن تتضمن زاويتين رئيسيتين : الاولى خاصة بالطلب العالمى ، والثانية خاصة بالطلب المحلى . اما بالنسبة للطلب العالمى فله اهمية خاصة لاراضى التوسع الافقى حيث من المستهدف توسيع الطاقة التصديرية لبعض المحاصيل مما ينعكس أثره على الحصيلة التصديرية وبالتبعية على برامج التنمية . وبناء على ذلك فان دراسة الطلب العالمى لابد أن تتضمن تقديرات للسعات السوقية العالية الحالية والمستقبلة والاسعار ومستواها وتقلباتها والاصناف المرغوبة وتفضيلات المستهلك وغير ذلك . كما يجب تقدير حجم الاستهلاك المحلى الراهن والمتوقع لتلك المحاصيل وفى ضوء دراسة الطلب العالمى والمحلى على المحاصيل التى يمكن انتاجها فى أراضى التوسع الافقى يمكن بعد استبعاد الكمية التى تسهم بها الاراضى فى الوادى تحديد الكمية التى يجب أن تنتجها الاراضى الجديدة .

اما دراسة اقتصاديات انتاج المحاصيل الممكنة فى أراضى التوسع الافقى فيتضمن دراسة الغلة الفدانية واحتمالاتها وتكاليف الانتاج الثابتة ، هذا بالاضافة الى دراسة انتاج اراضى الوادى حيث أن الانتاج قد يكون منافسا لانتاج اراضى التوسع الافقى .

ومن الدراستين السابقتين ـ الطلب والانتاج ـ يمكن تحديد كمية المحاصيل التى يجب ان تنتج فى أراضى التوسع الافقى والذى تمثل الفرق بين الانتاج المتوقع لاراضى الوادى وجملة التوقعات بالطلب العالمى والمحلى . ومن هنا يتضح اهمية دراسة النواحى التسويقية من حيث المعدات التسويقية وطرق التعبئة ووسائل النقل الى آخره .. هذا بالاضافة الى تقدير التكاليف التسويقية للمحاصيل الممكنة .

وفى ضوء تلك الدراسات يمكن تحديد نوع المحاصيل ومساحتها فى الاراضى الجديدة . وقد برز فى السنوات الاخيرة مفهوم المركبات الزراعية الصناعية كاسلوب للتنمية فى الزراعة المصرية بصفة عامة وفى الاراضى الجديدة بصفة خاصة . وتتضمن المركبات الزراعية الصناعية تصنيع المحاصيل الزراعية ، ولكن لا يعنى تصنيع تلك المحاصيل اقامة مركبات زراعية صناعية . فالتصنيع يمكن اقامته دون الحاجة الى انشاء مركبات زراعية صناعية كما هو متبع حاليا بالنسبة للصناعات الزراعية . ورغما عن جاذبية ذلك المفهوم « المركبات الزراعية الصناعية » فانه يعتبر مفهوما غير محدود ، الامر الذى يجعل استبداله بمفهومعلمى ضروريا .ويمكن القول بأن الذى يجب ان يقوم فى مزارع الدولة على الاقل فى الاراضى الجديدة وحدات انتاجية بالمفهوم العام تقوم على مبدأ التكامل الرأسى بين الانشطة . ويعنى ذلك اقامة وحدات تتضمن مسئوليتها الانتاج والتسويق المحلى والتصدير والتصنيع اى أن الوحدة القائمة بالانتاج هى نفسها المسئولة عن الانشطة الاقتصادية الاخرى حتى المستهلك النهائى سواء محليا او خارجيا بما فى ذلك التصنيع . مثل هذه الوحدات اذا اقيمت وتوفرت لها الامكانيات المادية والحافز يمكن أن تدفع التصدير غير التقليدى خطوات واسعة الى الامام . اذ أن من أهم المعوقات الحالية لتصدير الحاصلات غير التقليدية انفصال الهيئات المسئولة عن كل من الانتاج والتسويق المحلى والتسويق للتصدير والتصنيع .

استعرضنا فيما سبق بعض الاراء فى التوسع الافقى فى مصر وبعض مشاكله الرئيسية . وتبين ضرورة اجراء العديد من الدراسات العلمية الاساسية لرسم سياسة زراعية رشيدة للتوسع الافقى وتتولى وزارتا الزراعة واستصلاح الاراضى اجراء بعض هذه الدراسات فى الوقت الحالى .

شكل الاستغلال يتوقف على طبيعة المنطقة

المهندس ابراهيم الفنوري
وكيل وزارة استصلاح الاراضى للتخطيط والمتابعة

تناول تقرير الاراضى الجديدة احصاءات عامة عن الاراضى القديمة والاراضى الجديدة والمساحات القابلة للزراعة وانتاجية هذه الاراضى وحجوم الاعمال بالاراضى الجديدة وغيرها مما لم يتسع الوقت لمراجعتها أو التعرف على مصادر تلك البيانات (*)

كما طرح التقرير موضوعات للمناقشة يمكن اجمالها فيما يلى :

- افضلية التوسع رأسيا أم افقيا .
- علاقة التوسع الافقى بالتصنيع وأساسا الالات الزراعية والاسمدة والمبيدات (*)
- أشكال الاستغلال فى الاراضى الجديدة واقتصادياتها .

وسأتناول بالتعليق بايجاز كل من هذه النقاط :

● فبالنسبة لافضلية التوسع الرأسى عن التوسع الافقى ، فلا يمكن التسليم بالسير فى اتجاه التوسع الرأسى واهمال التوسع الافقى فى جمهورية مصر العربية التى يقل فيها نصيب الفرد من الاراضى المزروعة عاما بعد عام كما هو واضح من التقرير ، فالتوسع الرأسى بمعناه الواسع هو زيادة انتاجية الفدان من الارض الحالية . وهذه الزيادة لها حدود ستقف عندها عندما يعمل قانون الغلة المتناقصة .

● أما من ناحية علاقة التوسع الافقى بالتصنيع وأساسا الالات الزراعية والاسمدة والمبيدات ، فلا شك أن أى زيادة فى مساحة الرقعة المزروعة تتطلب استخداما للالات الزراعية والاسمدة والمبيدات مما يتيح فرصا لتنشيط قطاع الصناعة وزيادة الوحدات القائمة ، على أنه يجدر الاشارة الى أن استخدام الالات الزراعية فى الاراضى الجديدة يرتبط الى حد كبير بما يحتاجه من عمال مهرة لتشغيل وصيانة هذه الالات بكفاءة ، لكن الذى لا شك فيه أن استغلال مناطق استصلاح الاراضى الجديدة يجب أن يعتمد الى حد كبير على الميكنة الزراعية .

● أما من ناحية أشكال الاستغلال سواء أكانت فى صورة توزيع الاراضى أو تأجيرها أو احتفاظ الدولة بها ، فهنا يجب التنبيه الى أن لكل نظام مزايا وعيوب لا يتسع المجال لذكرها ـ كما أن تطبيق أى نظام منها يتوقف على طبيعة المنطقة المستصلحة ومساحتها فلا ينبغى أن يحتفظ بالمساحات التى تقل عن ١٠ آلاف فدان لادارتها كمزارع دولة ، كما لا ينبغى أن يحتفظ بالمساحات التى تزرع بالمحاصيل التقليدية ويتعذر تحويل

التركيب المحصولى بها الى محاصيل غير تقليدية تعطى عائدا يغطى نفقاتها ، هذه المساحات قد يكون أنسب الوسائل هى تأجيرها وتمليكها والتخلص من تكاليف الاشراف عليها التى تمثل عبئا كبيرا على الدولة ، مع ضرورة الاخذباسلوب التعاون لعلاج الاثار التى تترتب على التوزيع .

أما الاراضى التى يمكن الاحتفاظ بها ، فهى تلك الاراضى التى تحتاج الى خبرة خاصة ، وتلك الاراضى التى تزرع لخدمة اغراض الدولة الاستهلاكية والتصديرية والتصنيعية ، وتلك التى تلزم لانتاج التقاوى او المناطق المعزولة التى تصلح فيها زراعات خاصة .

انما ينبغى أن نضع فى الاعتبار أن تنظيم الادارة فى مثل هذه المزارع وربط الاجر والحوافز بالانتاج ومحاسبة المقصرين والمهملين عامل حيوى وهام يؤدى الى تقليل خسائر الارض الجديدة .

اما فيما جاء فى التقرير من زيادة بتكلفة استصلاح الفدان ، وضآلة العائد منه فهناك عوامل تحكم الفدان ترتبط أساسا بنوعية الاراضى، وهذه بحكم ظروفنا ذات درجات صلاحيتها متأخرة وستتحمل نتائجها طالما ينبغى توسعا فى الرقعة الزراعية ، وان كانت قد حدثت بعض الاخطاء التى أدت الى ارتفاع التكاليف واستمرار الانفاق .

أما بطء العائد فراجع أساسا الى ضعف درجة خصوبة الاراضى المستصلحة وعدم تنظيم وادارة المزارع ، وبسبب ماصادف المشروعات من عدم توفير الاعتمادات اللازمة لاستكمالها .

هذه الامور استلزمت الاتجاه الى استكمال المساحات القائمة حاليا وأرجاء عمليات استصلاح مساحات جديدة الى ما بعد عام ١٩٧٤ .

وفى نهاية التعليق أرى أن استصلاح مساحات جديدة ضرورة حتمية تمليها ظروف بلادنا ، ولكن بشرط أن تتكامل المشروعات ، وتوفر الاعتمادات وبشرط اتباع أسلوب جديد فى الادارة يهدف الى تخفيض الاتفـــاق المباشر ، أى تخفيض تـكاليف الادارة .

التوســـع الأفــقى ضرورة

ولكـــن بشـــــــروط ؟

المهندس : حسين طلعت

منذ بدء تنفيذ سياسة التوسع الافقى فى الزراعة لقيت قضية الاسلوب الذى يستخدم فى استثمارها اهتماما كبيرا وكانت مثار مناقشات وحوار استمر حتى يومنا هذا بين السياسيين والفنيين بمختلف اتجاهاتهم الفكرية .

ونحن اذ نطرح هذه القضية بهدف التوصل الى مزيد من البلورة نعرض فيما يلى بعض الحقائق والبيانات التى تشكل اساسا موضوعيا لمناقشة الموضوع .

كانت المساحة المنزرعة عـــام ١٩٠٧ ٥٠٤٠٠ر٥ فدان ، ووصلت عام ١٩٦١ الى

٥٬٩٧٠٬٠٠٠ فدان بزيادة قدرها ٥٧٠٬٠٠٠ فدان وذلك خلال ٤٥ عاما وتمثل هذه الزيادة ١٠ فى المائة بمتوسط مستوى قدره ١٢٬٧٠٠ فدان .

هذا بينما كان تعداد السكان عام ١٩٠٧ ، ١٥٬٧٣٠٬٠٠٠ نسمة ، وصل عام ١٩٦٠ الى ٢٥٬٨٣٠٬٠٠٠ نسمة بزيادة قدرها ١٠٬١٠٠٬٠٠٠ نسمة أى بنسبة ٦٥ فى المائة ، ويعنى هذا ان نسبة الزيادة فى عدد السكان تفوق نسبة الزيادة فى الاراضى الزراعية بما يزيد عن ستة اضعاف خلال هذه الفترة .

وفيما يتعلق بالمساحة المحصولية فقد كانت ٧٬٦٦٠٬٠٠٠ فدان عام ١٩٠٧ ، زادت حتى عام ١٩٦١ الى ١٠ ملايين فدان بزيادة قدرها ٢٬٣٤٠٬٠٠٠ فدان أى بنسبة ٣٠ فى المائة وتمثل الزيادة فى المساحة المحصولية نسبة تقل عن نصف نسبة الزيادة فى عدد السكان خلال هذه الفترة .

كما هبط نصيب الفرد من المساحة المحصولية من ٠٫٧ فدان عام ١٩٠٧ الى ٠٫٥ فدان عام ٥٢ ، ثم الى ٠٫٣٥ من الفدان عام ١٩٦٤ .

وأدى هذا الهبوط فى نصيب الفرد من المساحة الزراعية الى هبوط ملحوظ فى مستوى التغذية الطبيعى للفرد — والذى يقدر بـ ٣٠٠٠ سعر حرارى بالاضافة الى ٥٨ جرام بروتين حيوانى يوميا الى ٢٣٧٠ سعرا حراريا + ١٢ جرام بروتين حيوانى فى عام ١٩٥٢ ، أى بنسبة تقل ٢١ فى المائة عن المعدل الطبيعى للسعرات الحرارية ، ٧٩٫٣ فى المائة عن المعدل الطبيعى للبروتين الحيوانى ويقدر نصيب الانتاج المحلى من هذه السعرات ١٥٠٠ سعرا ، بينما يمثل الانتاج المستورد ١٠٣٠ سعرا .

ويتضح مما سبق أن المواطن المصرى يعانى نقصا واضحا فى مستوى التغذية وعلى وجه الخصوص فى البروتين الحيوانى . ويزداد هذا الانخفاض اذا وضعنا فى الاعتبار ان هذه المتوسطات تشمل فئات اجتماعية مختلفة ، وبالتالى تنخفض هذه المتوسطات بالنسبة للفئات الاجتماعية الفقيرة فى المدينة والريف .

المساحات القابلة للزراعة

تبلغ مساحة الجمهورية مليون كيلو مترا مربعا أى ما يعادل حوالى ٢٢٨ مليون فدان يزرع منها حاليا حوالى سبعة ملايين فدان أى بنسبة ٣ فى المائة من اجمالى المساحة .

وتبلغ مساحة الاراضى القابلة للاستزراع حوالى ١١٫٩ مليون فدان داخل وخارج وادى النيل منها ٢٬٢٦٠٬٠٠٠ فدان بالوادى والبحيرات والصحراء المتاخمة للوادى ، ٣٥٠٬٠٠٠ فدان فى الساحل الشرقى ، ٣ ملايين فدان بالوادى الجديد ، ٤ ملايين فدان بصحراء سيناء ، ٥٦٠٬٠٠٠ فدان بمنطقة البحيرات ، مليون فدان حول بحيرة ناصر .

أما بالنسبة للمياه المتاحة لاراضى الاستصلاح فتكفى لحوالى ٦ ملايين فدان ، وتعتبر المياه العنصر الرئيسى المحدد لمساحات التوسع الافقى .

وقد بلغت المساحة المستصلحة من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٦٠ ٧٩ الف فدان بمتوسط مستوى قدره ١٠ آلاف فدان . أما المساحات المستصلحة منذ عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٧ ٧٩٠٬٠٠٠ فدان بمتوسط مستوى قدره ٥٣ الف فدان . هذا وقد بلغت اجمالى المساحات المستصلحة حتى نهاية سنة ١٩٧١ حوالى ٩٦٠٬٠٠٠ فدان

ولا تزال الاراضى المستصلحة التى بلغت حد الانتاجية ، اقل انتاجا بالمقارنة بالاراضى القديمة فى الوادى ويمثل متوسط انتاجها فى محصول الارز ٣٧ فى المائة من متوسط انتاج الاراضى القديمة ، ٣٩ فى المائة بالنسبة للشعير ، ٤٧ فى المائة للقمح ، ٣١ فى المائة للذرة الشامية ، ٢٨ فى المائة للقطن ، ٣٦ فى المائة للفول السودانى ، وتبلغ نسبة الاراضى المنتجة — من حيث المساحة — الى اجمالى مساحات الاراضى الجديدة ٧٨ فى المائة فى محافظة كفر الشيخ ، ٧٣ فى المائة فى البحيرة ، ٦٨٫٨ فى المائة فى الشرقية ، ٦٦٫٤ فى المائة فى دمياط ، ٥٥٫٨ فى المائة فى الاسكندرية ، ٤٧٫٧ فى المائة فى القنال .

أما من ناحية الانتاج الحيوانى فيبلغ عدد الابقار فى الاراضى الجديدة ٢٠٫١٦٠ بقرة بمعدل ربع بقرة لكل فدان ، ويبلغ عدد الجاموس ٣٢٦ جاموسة بمعدل ٠٫٣ جاموسة لكل فدان ، وعدد الاغنام ١١٫٧٤٢ بمعدل ١/٧٠ رأس لكل فدان .

وفيما يتعلق بالالات الزراعية الاساسية الصالحة للاستعمال يوجد ٦١٧ لورى نقل بمعدل ثلاثة ارباع لورى لكل ١٠٠٠ فدان ، ٩٨٥ جرار كاوتش بمعدل جرار لكل ٨٠٠ فدان ، ٧٥٠ جرار كتيز بمعدل جرار لكل ١٠٠٠ فدان ، ٥٨٠ مقطورة بمعدل ثلاثة ارباع مقطورة لكل ١٠٠٠ فدان .

وتبلغ تكاليف العمالة الثابتة فى مؤسسة تنمية الاراضى المستصلحة ٣٬٣٧٠٬٠٠٠ جنيه ، مؤسسة تعمير الصحارى ١٬٨٠٠٬٠٠٠ جنيه بمتوسط قدره خمسة جنيهات للفدان الواحد .

وهذا بخلاف العمالة الموسمية ـ عمال التراحيل والمجاورة .

ولكى نتصور بشكل عام العمليات اللازمة لاستصلاح ١٠٠ الف فدان ، يحتاج الامرالى عمليات تسوية ـ من حفر ونقل للاتربة ـ تبلغ حوالى ٩٠ مليون متر مكعب . كما تحتاج الى محطات للرى والصرف فى حدود ١٥٠ محطة بقوة تتراوح بين ٥٠ ، ٢٠٠ حصان أو حفر ٥٠ بئرا ارتوازية . ومائة كوبرى وقنطرة تتراوح حمولتها من ١٠ الى ٧٠ طنا ، ١٠٠٠ كيلو متر من الطرق الترابية بالاضافة الى ٢٠٠ كيلو متر طرق مرصوفة ـ اما من ناحية التعمير فتحتاج هذه المساحة الى ١٠٫٠٠٠ مسكن للمزارعين بمعدل مسكن واحد لكل عشرة افدنة ، بالأضافة الى ١٠٠٠ مسكن للعاملين بمعدل مسكن لكل ١٠٠ فدان علاوة على ٢٠٠ منشأة للمرافق العامة .

وقد قدرت الاستثمارات اللازمة للفدان فى الاراضى الجديدة ـ دون احتساب نصيب السد العالى بحوالى١٩٧ جنيها زادت الى ٣١٠ جنيهات، اى ان الاستثمارات الفعليةزادت عن المقدرة بنسبة ٥٨ فى المائة تقريبا .

ويراعى فى تخطيط استصلاح الاراضى افضلية الاستصلاح بالنسبة للاراضى الاكثر خصوبة والاسرع انتاجية ، والاكثر اقتصادية فى مشروعات الرىوالصرف، والاكثر قربا من العمرانكلما كان ذلك ممكنا .

وتعترض عمليات استصلاح واستزراع الاراضى الجديدة مشاكل معقدة من الناحية الفنية كانت سببا فى بطء انتاجية هذه الاراضى ، واستمرارها لفترة زمنية طويلة بعد استزراعها دون الحدية الانتاجية .

ونورد أهم هذه المشاكل فيما يلى :

١ ـ ضعف الخبرة فى هذا المجال وخاصة فى السنوات الاولى للاستصلاح والاستزراع .

٢ ـ عدم دقة الدراسات الاولية سواء من الناحية الفنية أو النواحى الاقتصادية .

٣ ـ قصور حجم الشركات المنفذة للعمليات المختلفة عن مواجهة التوسع المتزايد فى الاراضى الجديدة .

٤ ـ ضعف المتابعة بالنسبة للتنفيذ مما يؤدى الى تأخير وعرقلة العمليات المختلفة وتضاربها .

٥ ـ نوعية وكفاءة الاجهزة القائمة على التخطيط والتنفيذ الامر الذى ترتب عليه فى بعض الاحيان تأخير تسليم المشروعات دون أن تكتمل مقومات نجاحها الفنية وبالتالى قصور المشروع فى الوصول الى أهدافه الانتاجية فى المدة المحددة .

٦ ـ عدم الملاءمة بين تخطيط المشروع وشكل الاستغلال فى المستقبل كأن يصمم المشروع على أساس الزراعة الواسعة الحديثة ويأتى التنفيذ متناقضا مع هذا الاساس فتوزع الارض اما بالتمليك أو بالتأجير على أساس شرائح صغيرة تتراوح بين ٣ ، ٥ أفدنة .

٧ ـ قصور برامج التدريب عن مواجهة الاحتياجات الفعلية للزراعة الحديثة وبالتالى انخفاض المستوى الفنى والادارى فى المشروع المعين وتدهوره اقتصاديا .

٨ ـ تعدد جهات الاشراف على المشروع الواحد مما يصعب معه تحديد المسئوليات . ومثالعلى ذلك شكل العلاقة بين أجهزة وزارة الرى وادارات القطاعات الزراعية فى الاراضى الجديدة .

٩ ـ مركزية الادارة بشكل يتعارض مع طبيعة العمل الانتاجى فى الاراضى الجديدة مما يترتب عليه عجز الادارات عن القيام بدورها القيادى وتحويل القاعدة العريضة من العاملين فى الانتاج الى مجرد منفذين بصورة حرفية للتعليمات .

١٠ ـ تخلف نظم الاجور والحوافز عن ملاءمة متطلبات زيادة الانتاج .

١١ ـ التخلف فى تطبيق سياسة المشروع المتكامل من الناحية الزراعية والصناعية مما يلقى على المشروع اعباء اقتصادية مرهقة تعرقل من امكانية وصوله فى الزمن المحدد الى الانتاجية الاقتصادية .

كما أن هناك أسبابا أخرى خارج النطاق المباشر للاستصلاح والاستزراع تحد من تطوير شكل الاستغلال ومستوى الانتاجية فى الاراضى الجديدة نوجزها فيما يلى :

أولا ـ نقص انتاج الاسمدة المعدنية بأنواعها المختلفة محليا ، ويجبأن تفى باحتياجات الاراضى الجديدة ، التى تفتقر تربتها الى الخصوبة ويتعذر تدبير الاسمدة العضوية التقليدية اللازمة لها .

ثانيا ـ قصور الصناعة الثقيلة عن مد الزراعة المصرية عموما والاراضى المستصلحة على وجه الخصوص بالالات الزراعية الحديثة ومعدات النقل من جرارات وسيارات .

ثالثا – بطء ادخال الكهرباء فى الاراضى المستصلحة مما ترتب عليه الاستمرار فى استعمال أساليب متخلفة فى الميكنة الزراعية .

رابعا – تخلف جهات البحث العلمى عن مد اراضى الاستصلاح بمختلف البحوث اللازمة لتطوير وزيادة الانتاج .

خامسا – عدم رسم سياسة متكاملة بين وحدات القطاع العام فى الانتاج الزراعى وبالاراضى الجديدة ووحدات القطاع العام سواء فى التسويق أو التصنيع الزراعى مما يؤدى الى اعتماد وحدات الاستزراع على القطاع الخاص بدرجة لا يستهان بها سواء فى عمليات الشراء أو البيع .

كل هذه العوامل مجتمعة ادت الى تخلف مشروعات الاستصلاح والاستزراع فى الاراضى الجديدة عن أن تصل الى اهدافها المحددة ، وغدت تشكل عبئا اقتصاديا على الانتاج الزراعى بدلا من تحقق فائض يمكن استخدامه فى مشروعـــات التنمية . وترتب على ذلك ظهور الاراء المختلفة التى تنادى باعادة النظر فى سياسة التوسع الافقى من أساسها .

فهناك من يرى ضرورة الانكماش الى اقصى الحدود فى استصلاح الاراضى الجديدة والاقتصار على تحسين الكثافة الانتاجية للمساحات الموجودة حاليا .

واتجاه آخر يحبذ ضرورة التوسع فى سياسة التأجير والتمليك لهذه الاراضى للفلاحين والمهندسين الزراعيين فى مساحات تتراوح بين ٣ افدنة وعشرين فدانا ، حتى تتخلص الدولة من عبء المصروفات الباهظة التى تنفق عليها سنويا .

واتجاه ثالث يرى ضرورة السير فى الطريقين معا – التوسع الرأسى والتوسع الافقى – بشرط سلامة التخطيط والتكامل فى المشروع ، واتباع أساليب جديدة فى الادارة مع تخفيض التكاليف الادارية .

ولنتناول هذه الاراء بالتعليق يجب ان نقرر بعض الحقائق التى قد تفيد فى تحديد معالم هذه القضية :

أولا – تحتاج مشروعات استصلاح الاراضى واستزراعها الى استثمارات ضخمة ولمدة طويلة كى تحقق هذه الاراضى عائدا اقتصاديا .

ثانيا – لا تقتصر هذه المشروعات على الدول النامية التى ترتفع فيها معدلات الزيادة فى السكان سنويا ، وانما تقوم بها ايضا الدول الصناعية المتقدمة التى يمكنها زيادة استثماراتها فى الصناعة دون صعوبات أساسية ، وبغض النظر عن انخفاض معدلات زيادة السكان السنوية بها وان اختلفت نظمها السياسية والاقتصادية – الاتحاد السوفيتى وهولندا – على سبيل المثال .

ثالثا – تعتمد الزراعة الحديثة العالية الانتاجية على اقامة الوحدات الانتاجية الواسعة مع استخدام احدث الاساليب العلمية والتكنيكية فى الزراعة وهذه القاعدة سارية المفعول سواء فى النظام الرأسمالى أو النظام الاشتراكى – الشركات الرأسمالية فى الولايات المتحدة الامريكية والمزارع التعاونية ومزارع الدولة فى الاتحاد السوفيتى .

رابعا – تعتمد سياسة التخطيط العلمى فى الزراعة سواء للانتاج المحلى او للتصدير ، على اقصى قدر من التحكم فى التركيب المحصولى وهذا يتوفر بشكل افضل فى مزارع الدولة الواسعة الحديثة عنها فى الوحدات الصغيرة التى تخضع لنظام الملكية الخاصة .

خامسا – تفوق الانتاج الزراعى فى الدول الصناعية المتطورة – الاجمالى والنسبى – عنه فى الدول النامية نظرا للدور الهام الذى تقوم به الصناعة فى خدمة التقدم الزراعى ، ويصاحب ذلك انكماش ملحوظ فى عدد السكان بالريف وانخفاضه المستمر بالنسبة لسكان المدينة .

مما سبق نستطيع أن نصل الى الاستنتاجات التاليه دون خشية الوقوع فى اخطاء أساسية :

اولا – ان سياسة التوسع الافقى لابد وان يكون لها مكان مع التوسع الراسى والتنمية الصناعية بنسب محددة تحقق توازنا اقتصاديا سليما وتحقق زيادة فى الدخل القومى وبالتالى زيادة فى مستوى دخل الفرد السنوى .

ثانيا – ترتبط سياسة التوسع الافقى ارتباطا أساسيا باقامة احدث اشكال الانتاج الزراعى فى شكل وحدات انتاجية واسعة تعتمد على الميكنة والتصنيع الزراعى .

ثالثا – لا يمكن تحقيق هذا النموذج فى الانتاج الزراعى عن طريق تفتيت الرقعة الزراعية فى الاراضى الجديدة وانما يتأتى اما فى شكل مزارع الدولة او فى شكل التعاونيات الزراعية الانتاجية .

رابعا – لابد من الاسراع فى تدعيم قاعدة الصناعـــات الثقيلة – الحديد والصلب –

البتروكيماويات ـ الالات ـ لامكان مد الزراعة المصرية بمقومات الاتساع والتطور ـ الاسمدة ـ الالات الزراعية ـ المبيدات ـ معدات النقل ـ المصانع .

خامسا ـ التوسع المضطرد فى المحاصيل العالية الغلة فى الاراضى الجديدة والمحاصيل التصديرية ومحاصيل التصنيع .. الموالح .. خضر التصدير ـ المحاصيل الطبية والعطرية ـ الانتاج الحيوانى والدواجن ـ المحاصيل الزيتية ـ وذلك لامكان تغطية نفقات استصلاح واستزراع هذه الاراضى فى وقت قصير نسبيا .

سادسا ـ يلعب التخطيط العلمى ، والادارة العلمية السليمة دورا فاصلا فى نجاح أو فشل مشروعات استصلاح الاراضى ـ ولا يجب ان ترجع قصور التوسع الافقى فى بلوغ اهدافه الى خطأ الفكرة ذاتها وانما يجب أن ترجعها بالدرجة الاولى الى قصور التخطيط والتنفيذ بأسبابه المختلفة .

سابعا ـ يلعب المناخ الفكرى السائد فى مجال الاستصلاح والاستزراع دورا أساسيا فى نجاح أو فشل هذه المشروعات ولا يمكن أن تؤدى الافكار التى تنادى بتحويل هذه المساحات الى شظايا صغيرة متناثرة او العودة الى سياسة توزيع الاقطاعات الزراعية التى انقضى عهدها منذ أكثر من ربع قرن او التى تنظر الى تطوير القطاع العام فى الزراعة باعتباره بدعة ، ان تلعب دورا ايجابيا فى تطوير انتاج الاراضى الجديدة .

هل يمكن الارتفاع بكفاءة الانتاج فى ظل الاطار الحالى للحيازة ؟

د. رجاء عبد الرسول حسنى
خبير بمعهد التخطيط القومى

لعل المدخل المنطقى لتحديد اطار عام لمناقشة موضوع توزيع خريطة الملكية أو خريطة توزيع الحيازة الزراعية يتمثل فى محاولة الاجابة على هذا السؤال :

الى أى مدى تمكن الهيكل الزراعى القائم فى مصر بعد قوانين الاصلاح الزراعى المتعاقبة من الوفاء باحتياجات التنمية ومتطلباتها ؟

ولا يقتصر مفهوم الهيكل الزراعى على هيكل الملكية أو هيكل الحيازة فحسب ، بل اننا نعنى الهيكل الزراعى بالمفهوم الواسع الذى يمتد ليشمل الى جانب هيكل الحيازة وهيكل الملكية كافة العلاقات الاجتماعية والقانونية والتقليدية والمؤسسية التى تؤثر على نمط الاستغلال الزراعى المصرى ومنواله . ذلك أن قوانين الاصلاح الزراعى وان استخدمت فرض حدود عليا للملكية كأداة رئيسية قد امتد تأثيرها بشكل مباشر أو غير مباشر الى عديد من المتغيرات الداخلة فيما يمكن أن نطلق عليه اسم « معادلة الانتاج الزراعى المصرى » .

ودون محاولة لكى ننساق وراء اغراء الارقام

الكثيرة المتاحة عن المساحات التي تم الاستيلاء عليها طبقا لقوانين الاصلاح الزراعي المتتالية أو تلك التي تم توزيعها لكي نتناولها بالتحليل ، فان ثمة ملاحظات ثلاثة هامة تكشف عنها الاحصاءات:

الأولى : انه حتى عـــام ١٩٦٦ فان اجمالي الاراضي المستولى عليها لم يتجاوز ٩٧٠ الف فدان أو ما لا يزيد عن ١٥٪ من اجمالي المساحة الزراعية في مصر . ولم يوزع من هذه المساحة سوى نحو ٦٤٥ الف فدان أو ما يعادل نحو ١٠٪ من اجمالي المساحة الزراعية ، أفليس من الطبيعي اذن أن يقرر المرء مباشرة ودون أدنى تردد أن تأثير قوانين الاصلاح الزراعي على خريطة توزيع الملكية بشكلها العـام كان تأثيرا محدودا للغاية ؟

الثانية : ومن ناحية أخرى فان آثار تطبيق قوانين الاصلاح الزراعي قد اقتصرت على الناحيتين المتطرفتين في توزيع الملكية ، وهما ناحية الملكيات الكبيرة وناحية الملكيات الصغيرة ، فقد هبط نصيب كبار الملاك (١) (والذين لم تتغير نسبتهم الى جملة عدد الحائزين وهي ٢ر٠٪) من ٢٧٪ من المساحة الزراعية قبل عام ١٩٥٢ الى ١ر١٣٪ بعد صدور قانون الاصلاح الزراعي الاول في عـــام ١٩٥٢ ثم الى ٢ر٨٪ بعد صدور قانون عام ١٩٦١ واخيرا الى نحو ٥ر٦٪ في عام ١٩٦٥ . وفي نفس الوقت ارتفع نصيب حائزي الملكيات الصغيرة (٢) (والذين لم تتغير نسبتهم أيضا الى جملة عـــدد الملاك وظلت في حدود ٩٥٪ تقريبا) من ٤ر٣٤٪ قبل عام ١٩٥٢ الى ٦ر٤٦ في المائة بعد قانون ١٩٥٢ والى ١ر٥٢ في المائة بعد ١٩٦١ واخيرا الى ١ر٥٧ في المائة في عام ١٩٦٥ . أما الملكيات المتوسطة فقد ظلت دون تغير يذكر تقريبا ســـواء من حيث نسبة الملاك الى جملة عددهم أو من حيث نصيب مساحة هذه الملكيات الى اجمالي الرقعة الزراعية ، وبمعنى آخر ، فانه يمكن القول ان قوانين الاصلاح الزراعي قد احدثت « خدوشا » في هيكل الملكية الزراعيـــة في مصر ، لـــكنها لم تتمكن من تغييره الى هيكل مختلف تماما سواء من حيث ملاءمته لتحقيق العدالة الاجتماعية أو تحقيق الكفاءة الاقتصادية للزراعة المصرية أو كليهما معا . ويؤيد ذلك دراسة معامل التركيز لتوزيع الملكية الزراعية والذي يساوي صفرا في حالة المساواة والعدالة التامة في التوزيع ويصل حده الاقصى الى الواحد الصحيح ويعني ذلك انه كلما اقترب هذا المعامل من الصفر كلما كان التوزيع أقرب الى العـــدالة والعـــكس صحيح . ويشير حساب معامل التركيز لتوزيع الملكية الزراعيـــة في مصر الى ارتفاعه من ٦٩٥ر٠ في عام ١٩٠٠ الى ٧٦٩ر٠ في عام ١٩٢٥ ثم الى ٧٥٤ر٠ في عام ١٩٣٩ وأخيرا الى ٧٤١ر٠ في عام ١٩٥٠ . ثم اتخذ المعامل اتجاها نزوليا بعد عام ١٩٥٢ وما تلاها حتى بلغ ٦٩٩ر٠ في عام ١٩٦١ ثم نحو ٥٤٤ر٠ في عام ١٩٦٥ . والدلالة الواضحة لتأثير قوانين الاصلاح الزراعي على معامل التركيز أن هذا التأثير مازال محدودا .

الثالثة : وبصرف النظر عن خريطة «الملكية» فان أهم ما يتميز به الهيكل العام للزراعة المصرية هو أنها زراعة « مؤجرة » اذ تصل نسبة المساحة الزراعية المؤجرة الى نحو ٤٦٪ من المســـاحة الزراعية الكلية . ويعني ذلك في بساطة مؤلمـــة أن القائمين بحيازة الاراضي واستغلالها في هذه النسبة العظمى من الاراضي الزراعية المصرية هم من طائفة المستأجرين كما يمكن النظر الى الامر من زاوية أخرى لنقول ان ٤٦٪ من المساحـــة الزراعية المصرية يملكها « ملاك غائبون » . ومن البديهي أن مثل هذا الوضع يؤثر بشكل مبـــاشر وخطير ليس فقط على أسلوب الاستغلال الزراعي بل على كافة العلاقات الاقتصادية التي تحـــكم البنيان الزراعي المصري وتؤثر على نمط توزيـــع الدخل ســـواء داخل القطاع الزراعي نفســـه أو بين القطاع الزراعي وغيره من القطاعات .

على أن هذه الملاحظات ينبغي أن توضع في اطارها الصحيح بمعنى أنها لا تعني فشل قوانين الاصلاح الزراعي أو قصورها . فالواقع أن الهدف الاساسي لقوانين الاصلاح الزراعي وتحديد الملكية هو هدف ثوري وسياسي في المقام الاول ومن الطبيعي أن يكون كذلك في ظل الاوضاع الاقطاعية التي سادت الحياة السياسية والاجتماعية المصرية قبل عـــام ١٩٥٢ .

وفي ظل هذا المفهوم فقد تحقق هدف القوانين الى حد بعيد ، اذ تمت الاطاحة بمراكز الاقطـــاع

(١) يقصد بكبار الملاك من تصل حيازتهم الى مائة فدان فاكثر .
(٢) يقصد بالملكيات الصغيرة تلك التي تقل عن خمسة افدنة .

المتحكمة فى قدرات المجتمع المصرى السياسية والاقتصادية ، وتحددت علاقات ملاك الاراضى ومستأجريها بشكل قانونى ، وارسيت للتعاون الزراعى أسس ومفاهيم جديدة ٠

ان الحجم الحقيقى لمشكلة توزيع الموارد الارضية الزراعية فى مصر يتمثل أساسا فى زيادة عدد السكان الزراعيين مع بقاء المساحة الزراعية ثابتة تقريبا ٠ ومع أن التوسع الزراعى الافقى قد يخفف من حدة المشكلة فان التوسع الافقى لا يمكن أنيستمر الى مالا نهاية بل هو محددبمواردنا المائية والتى دخلت مرحلة الاستغلال الكامل بعد اتمام السد العالى ٠ وبمعنى آخر فان الاضافات الجديدة الى الرقعة الزراعية هى الاخرى ثابتة ولها حدها الأقصى . وكنتيجة مباشرة ومنطقية كان هذا الاتجاه الملموس نحو تفتت الحيازة الزراعية والذى يكفى للاحاطة بمداه أن نلاحظ أن عدد الحيازات « القزمية » (والتى تقل عن فدان واحد) قد تضاعف بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٦١ فبينما بلغ هذا العدد ٢١٤ الف حيازة طبقا لبيانات التعداد الزراعى عن عام ١٩٥٠ اذا بهيرتفع فى مدى عشر سنوات ليصل الى نحو ٤٣٤ الف حيازة فى عام ١٩٦١ ٠

ومن المؤسف أن الاحصاءات المتاحة لا تكفى لاستكمال الصورة والتى تشير الدلائل الى انها تسير فى نفس الاتجاه .

لقد ظل هدف تحقيق العدالة التوزيعية داخل القطاع الزراعى ٠ من ناحية » وتحقيق الكفاءة الاقتصادية القصوى لهذا القطاع » من ناحية اخرى هدفين من أهم أهداف السياسة الزراعية المصرية خلال منتصف الخمسينات والستينات ٠ ومع ذلك فان عديدا من الاجراءات والبرامج التى نفذت لم تأخذ فى اعتبارها مدى الترابط بين الهدفين اذ أن ارتباطهما فى الواقع أكثر وثوقا مما قد يبدولنا للوهلة الاولى ، فقد يأخذ هذا الارتباط اتجاها موجبا بمعنى أن يسير تحقيق الهدفين فى اتجاه واحد أو أن تزيد الكفاءة الاقتصادية مع زيادة عدالة توزيع الدخل الزراعى ويحدث ذلك بتكوين قطاع عام قوى وقادر فى قطاع الزراعة يرفع دخول صغار الزراع وفى نفس الوقت يتيح للانتاج الزراعى أن يتم فىوحدات اقتصادية ذات حجم أكثر كفاءة ، ويحدث ذلك أيضا عندما تستصلح مساحات زراعية جديدة وتتسع قاعدة الملكية وفى نفس الوقت تزيد طاقات الانتاج الزراعى٠ كما قد يأخذ الارتباط بينالهدفين اتجاها سالبا بمعنى أن تؤثر عدالة توزيع الملكية على كفاءة الانتاج الزراعى فتفتيت الرقعة الزراعية الى مزارع قزمية قد يمثل « عدالة » فى توزيع الموارد المتاحة لكنه يؤدى بالضرورة الى تدهور الكفاءة الانتاجية ٠

ان هيكل الملكية والحيازة يمثل واحد من أهم المتغيرات الداخلة فى معادلة الانتاج الزراعى أن لم يكن أهمها على الاطلاق . ومن الواضح ان الارتفاع بكفاءة الانتاج الزراعى المصرى فى ظل الاطار الحالى للحيازة الزراعية يبدو أمرا بالغ الصعوبة وبعيد المنال ٠ واحداث ثورة فى الانتاج الزراعى المصرى يقتضى احداث تغيرات جوهرية من شأنها تغيير الاطار العام الذى يتم فيه النشاط الانتاجى الزراعى ويحتاج الى اصلاح زراعى جديد لا يكتفى بمجرد تحقيق عدالة فى توزيع الثروة وانما يهتم فى المقام الاول بتحقيق دخل زراعى اعظم وترشيد استخدام الموارد المتاحة ولا يمكن أن يتم ذلك فى ظل المنوال الحالى للاستغلال الزراعى المصرى الذى يتميز بتفتيت الحيازة الزراعية واستمرار الاتجاه نحو مزارع ذات احجام غير اقتصادية ٠

ان تغيير الاطار العام ـ حيازيا ومؤسسيا واجتماعيا ـ يعنى كسر حالة الجمود الاستاتيكية التى تميز بها الانتاج الزراعى المصرى فى سنواته الاخيرة والانتقال به الى آفاق أوسع وأرحب ٠

٣

التعـــاون الـزراعى فى مصـــر

تطـــــــــوره

وحالتـه الراهنـة

ان التعاون حركة شعبية منظمة تضم جماهير عريضة من قطاعات المجتمع المختلفة لتحقيق اهداف اقتصادية ذات طابع عام او مشتركة ٠

والتعاون الزراعى هو فى جوهره حركة شعبية منظمة جمهورها ملايين الفلاحين الذين يتكتلون معا فى جمعيات تعاونية لتحقيق أهداف اقتصادية هى الارتفاع بمستوى دخولهم عن طريق اعطائهم فرصة التمتع بميزات الانتاج الكبير فى الزراعة، وما يحققه من وفورات فى التكلفة وجودة فى الانتاج وأسعار مرتفعة عند التسويق وبالتالى دخول مرتفعة لاعضاء التعاونيات .

ولقد مر التعاون فى مصر بعدة مراحل حتى وصل الى شكله الحالى يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ـ عندما حلت الازمة الاقتصادية التى أصابت العالم الرأسمالى ومصر عام ١٩٠٣ وتوقف ورود رأس المال الاجنبى الذى كان يقوم بتمويل انتاج المحاصيل الزراعية وخاصة القطن ، وقعت البلاد فى ضيق شديد عجزت على مقاومته وساءت أحوال الفلاحين . لهذا نادى بعض المفكرين والمصلحين فى ذلك الوقت وعلى رأسهم عمر لطفى بنظام التعاون الذى بدأ ينتشر فى دول أوروبا كوسيلة لحماية المزارعين وتدبير ما يلزمهم من أموال لتمويل زراعاتهم ٠ وبدىء فعلا فى انشاء بعض الجمعيات التعاونية فى مصر عام ١٩٠٨ ٠ وكانت أول جمعية تعاونية زراعية انشئت هى جمعية شبرا النملة مركز طنطا وذلك فى أبريل عام ١٩١٠ . وحاول عمر لطفى دفع الحكومة لاصدار تشريع تعاونى الا أن جهوده فشلت فى هذا المجال ، بل وكانت هناك مقاومة من قبل اولى الامر وسلطات الاحتلال والاقطاعيين لهذا الجهود . الا أنه مع ذلك فقد استمر تكوين الجمعيات التعاونية الزراعية حتى بعد وفات عمر لطفى عام ١٩١١ ٠ وبلغت ٢٣ جمعية حتى عام ١٩١٤ ٠ ومع صدور القانون رقم ٤ لسنة ١٩١٢ والمعروف باسم قانون الخمس أفدنة والذى يقضى بعدم نزع الملكية الصغيرة التى لا تزيد عن خمس أفدنة ، أحجمت البنوك ، وهى ذات رأس المال الاجنبى ، عن تمويل صغار الزراع : مما دعا الحكومة الى التفكير فى الاستعانة بالجمعيات التعاونية الزراعية كحل لمشكلة تمويل صغار الزراع . واقترح فى ذلك الوقت قانون قدم عام ١٩٦٤ الى الجمعية التشريعية لمناقشته ولكن حالت ظروف الحرب العالمية الاولى دون اقراره . وبعد أن عانى الفلاح المصرى الصغير من ويلات الحرب العالمية الاولى بدأت الدولة فى عام ١٩٢٣ فى مد يد العون الى الحركة التعاونية .

٢ ـ صدر أول قانون التعاون فى مصر فى شهر يوليو عام ١٩٢٣ وهو القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ الذى نظم شركات التعاون الزراعية واعترف بوجودها ومنحها الشخصية المعنوية وحدد مسئوليات اعضائها ، ويسر لها سبل الاقتراض ٠ كما اعترف هذا القانون بالجمعيات التى انشئت قبل صدوره بشرط ان تعدل من لائحتها

الداخلية وفقا لنصوصه فى مدى ستة شهور . كذلك نص على أن ينشأ فى وزارة الزراعة قسم لتسجيل الجمعيات التعاونية الزراعية والاشراف عليها ولجنة استشارية تمد وزير الزراعة والقسم المذكور بالمشورة والرأى لتشجيع الحركة التعاونية وتنميتها . وقد تطورت الحركة التعاونية فى ظل هذا القانون حتى وصل عدد الجمعيات التعاونية الزراعيـة الى ١٤٧ جمعيـة عام ١٩٢٥ وبدأت تحصل على قروض من الحكومة بفائدة ٥ فى المائة سنويا .

٣ ــ دعت الحاجـة الى اصدار قانون جديد للتعاون يشمل جميع أنواعه الزراعى وغيـر الزراعى ولذلك صدر القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ وقد شمل انواع مختلفة من الجمعيات التعـاونية ومنحها امتيازات خاصـة • ونص على انشـاء اتحادات تعـاونية لنشر التعليـم والتـدريب التعاونى • وقد زاد عدد الجمعيات التعاونية فى ظل هذا القـانون الى ٢٩٧ جمعيـة عام ١٩٣٠ وزادت قيمة القروض التى حصلت عليها والتى أعطيت بفائدة ٤ فى المائة ، أى أقل مما كان سائدا قبل ذلك ، وفى عـام ١٩٣١ انشىء بنك التسـليف الزراعى الذى عهدت اليه الحكومة بـاقراض الفلاحين دون أن تضع له حدا اعلى لهـذه القروض .

٤ ــ فى ظل ظروف الحرب العالميـة الثانيـة واشتداد احتياج الفلاحين الى هيئات تساعدهم فى ظل ظروف الكساد هذه واحتياج المستهلكين الى جمعيات تساعدهم فى القرى والمدن ، لجـأت الحكومة مرة ثانية الى الحركة التعاونية هادفة الى دعـم هـذه الحركـة لكى تقوم بعبء هـذه المساعدة . لذلك أصدرت القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٤٤ بحيث يكون متمشيا مع الظروف السائدة فى ذلك الوقت وقد منح هذا القانون الجمعيات التعاونية سلطة التحصيل الادارى لاموالها قبل أعضائها • ويعتبر هذا القانون بداية للاشراف الحكومى المنظم على التعـاونيات حيث أنشئت مصلحة التعاون بوزارة الشئون الاجتمـاعية للاشراف على التعاونيات • وفى عـام ١٩٤٨ اصدرت الحكومة قانونا بتحـويل بنك التسليف الزراعى الى بنك التسليف الزراعى والتعاونى وزيد رأس مال البنك نصف مليون جنيه وتحملت الحكومة نصف الزيادة ، والجمعيـات التعـاونية النصف الاخر • ورخص للبنك بالتعامل مع جميـع أنواع الجمعيات التعاونية . ولقد ازدهرت الحركة التعاونية فى ظل هذا القانون حتى بلغت عـام ١٩٤٨ حوالى ٢٠٠٧ جمعية ، منها ١٩٦٤ جمعية تعاونية زراعية •

وعلى العموم فقد كان النظام التعاونى فى ذلك الوقت يعكس طبيعة النظام الاقتصادى والاجتماعى والسياسى السائد فى المجتمع ، لذلك حيث يسيطر الاقطاع وأغنياء الريف على الحياة فى القرية ، فقد سيطروا كذلك على التعاون وليس أدل على ذلك من أن عدد المتعاملين من الفلاحين مع التعاونيات عام ١٩٥١ كان حوالى ٣٠ الف متعامل وكان حجم التعامل حوالى ٥ر٤ مليون جنيه وبذلك يخص كل جمعية فى ذلك الوقت ١٠ ــ ١٢ متعامل وبالطبع سيكونون من كبـار الملاك أو الاقطـاعيين الذين استغلوا التعاون لمصلحتهم وأفقدوه مهمتـه الاساسية وهو مساعدة صغار الزراع . واستمر الفلاح الصغير سواء كان مالكا أو مستأجرا يعمل معتمدا على جهوده ومدخراته الذاتية مع ضآلتها مما تركه فريسة لمرابى القرية وانعكس ذلك على ضعف الانتاج وتدهور الانتاجية الزراعيـة •

٥ ــ فى سبتمبر عام ١٩٥٢ أصدرت حكومـة الثورة قانون الاصلاح الزراعى الاول (١٧٨ لعام ١٩٥٢) ووزعت بمقتضاه الاراضى المستولى عليها من الاقطاعيين على المعدمين . ونص القانون على تكوين جمعيات للتعـاون الزراعى ينضم اليهـا المنتفعون وغيرهم من صغار الزراع لتقـديم الخدمات ومستلزمات الانتاج الزراعية وتسويق منتجاتهم الرئيسية وتقديم بعض الخـدمات الاجتماعية • أما فى الجمعيات التعاونية خارج نطاق الاصلاح الزراعى ، حيث كان بنك التسليف يعطى القروض بضمان الارض ، فقد أعرض الملاك عن ضمان مستأجرى أراضيهم عند الحصول على قروض من بنك التسليف مما دعـا الحكومـة الى التدخل لحمل البنك على اعطاء القروض بضمان المحصول • ولكن البنك لم يستجب لهذا الامر الا لمدة بسيطة ومن ثم أصبحت هناك حاجة ملحة لاصدار قانون جديد للتعاون لدعم الحـركة التعاونية خارج نطاق الاصلاح الزراعى .

٦ ــ بعد صدور دستور عام ١٩٥٦ والذى نص على « أن تشجع الدولة التعاون وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها ، وينظم القـانون الاحكام الخاصة بالجمعيات التعـاونية » ولمضى أكثر من ١٢ عاما على صدور القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٤٤ الخاص بتنظيم التعاون وللافاة العيوب التى ظهرت أثناء العمل وفقا لنصوص هذا القانون ولايجاد جو تشريعى يتيح للتعاون أن ينمـو ويتناسب مع الظروف الاقتصادية والاجتمـاعية والسياسية الجديدة للبلاد ، فقد دعت الحاجة الى

اصدار القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ ، ليوفر المناخ الملائم للتطور المستمر للحركة التعاونية . ولقد نظم هذا القانون البناء التعاوني من القاعدة الى القمة في صورة جمعيات تعاونية زراعية محلية ، جمعيات تعاونية مشتركة على مستوى المركز ، جمعية تعاونية عامة على مستوى المحافظة ، جمعيات تعاونية متخصصة ، اتحادات تعاونية اقليمية ونوعية ، والاتحاد التعاوني العام . كما أن هذا القانون منح اعفاءات ومزايا اقتصادية للجمعيات التعاونية ، كذلك اهتم القانون بأعداد الكوادر التعاونية وتدريبها . ويعتبر هذا القانون هو المسئول عن الصورة الحالية للتعاون الزراعي في الريف . وأهم ما نص عليه القانون هو تنظيم الجمعيات التعاونية الزراعية وتوجيهها وتدعيمها . ولتحقيق هذه الغاية وضعت التنظيمات الاتية موضع التنفيذ :

أ ـ تم ابعاد بعض العناصر المسيطرة في الريف عن محيط الجمعيات التعاونية بحظر عضوية مجالس الادارة بالنسبة للمحرومين من حقوقهم السياسية ورجال الادارة بالقرى كالعمد والمشايخ والخفراء ، وكذا من يزاولون اعمالا ـ بحكم وظائفهم ـ ترتبط بنواحي الاشراف أو التوريد أو التمويل أو التحصيل بالنسبة للجمعيات التعاونية الزراعية .

ب ـ تم تصحيح الاوضاع بالنسبة للتمثيل في مجالس الادارة حيث أتيحت الفرصة أمام صغار الحائزين باعتبارهم يمثلون السواد الاعظم للزراع واصحاب المصلحة الحقيقية لكي يمارسوا حقهم الطبيعي في ادارة جمعياتهم بعد أن حرموا منه زمنا طويلا . حيث قضت هذه التنظيمات بأن تخصص أربعة أخماس مقاعد مجالس الادارة على الاقل لصغار الزراع ممن لا تجاوز حيازتهم خمسة أفدنة .

جـ ـ تم توفير الاجهزة الفنية المتخصصة بجانب مجالس الادارة وذلك بتعيين مشرف زراعي لكل جمعية من بين موظفي وزارة الزراعة ، يناط به معاونة الجمعية في اعداد وتنفيذ المشروعات اللازمة لها وتنفيذ قرارات المجلس والتأكد من ان جميع الخدمات تؤدى على الوجه الصحيح بما يحقق زيادة الانتاج وتقديم الارشادات الفنية لاعضائها وتعيين كاتب حسابات مؤهل لاستيفاء وحفظ كافة السجلات والمحررات التي تتطلبها طبيعة العمل بالجمعية .

د ـ محاولة ايجاد مقار مستقلة للجمعيات التعاونية ومكاتب لموظفيها والمخازن اللازمة لها .

هـ ـ أصبحت كافة الخدمات الزراعية تؤدى في مقار الجمعيات بالقرى وفي متناول أيدى الزراع حيث يحصلون على سلعهم النقدية من خزينة الجمعية كما يحصلون على مقرراتهم العينية كالبذور والاسمدة والاعلاف والمبيدات من مخازن الجمعية . كذلك تم نقل جميع السجلات الخاصة بالاقراض الى مقار الجمعيات للعمل على توفير الجهد والنفقات وبث الطمأنينة في نفوس الزراع .

و ـ العمل على ان تكون منطقة العمل لكل جمعية مناسبة مع طاقتها لذلك اتفق على أن تخدم كل جمعية مساحة ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ فدان ، وذلك بالجهاز الوظيفي السابق ذكره .

ز ـ وضع برنامج سنوي مدروس لنشاط الجمعية يشترك في اعداده مجلس الادارة مع الاجهزة الفنية المختصة بحيث يغطي كافة مراحل الانتاج الزراعي ويتم تنفيذه والاشراف عليه من قبل الجمعية .

ح ـ العمل على رفع الوعي التعاوني بمفهومه السائد بين أعضاء التعاونيات بصفة عامة وأعضاء مجالس الادارة بصفة خاصة ورفع كفايتهم بما يحقق المشاركة الايجابية لهم في تنفيذ أهداف التعاون .

ط ـ أن يسلم لكل عضو بطاقة تضم كافة بيانات التعامل مع الجمعية موضحا بها كل بيانات حيازته حتى يمكنه معرفة موقفه المالي مع الجمعية بمجرد الاطلاع عليها .

وفي ظل هذا القانون بدىء في تنفيذ مجموعة من البرامج بهدف تطوير البنيان التعاوني الزراعي والنهوض بالانتاج الزراعي يمكن ذكرها فيما يلي :

أولا : مشروع الإئتمان الزراعي التعاوني : كان لنتيجة نجاح تجربة اقراض المستأجرين الزراعيين بضمان المحصول والتي اجريت في بعض قرى الجمهورية أثر كبير في تنفيذ هذا المشروع في أوائل عام ١٩٥٧ والذي يقضي بتوفير كافة احتياجات الزراع سواء كانوا ملاكا أو مستأجرين بالنقد او بالاجل ، وأساس الاقراض في المشروع ضمان المحصول . على أن تحل الجمعيات التعاونية الزراعية في القرية محل بنك التسليف الزراعي والتعاوني في تقديم السلف اللازمة ، ومنح القروض بما يتفق ومساحة كل حائز وتتولى الجمعيات التعاونية الرقابة على استخدام القروض في الاغراض المقدمة من أجلها ، وأيضا تتولى تحصيلها في مواعيدها وذلك بمالها من

شخصية معنوية فى القرية . كما كان من أهداف هذا النظام العمل على تطوير أجهزة الاقراض على المستويات المحليةوالمركزية والقومية ، وبالتالىخلق نظام اقراض تعاونى سليم . وفى ظل هذا النظام اتسعت قاعدة التعاون حتى غطت جميع قرى الجمهورية ، فارتفع عدد الجمعيات التعاونية الزراعية من ٢١٩٠ جمعية قبل تطبيق القانون الى ٤٠٣٨ جمعية عام ١٩٦١ . وارتفع عدد الاعضاء من ٤٤٨٧٥٨ الى ١٦٦ر٠٢٥ر١ عضوا وعدد المتعاملين من ٢٦٨٥٨ الى ٦٥٠٠٤٢ متعامل ، والمساحة المخدومة من ٢٩٠ ر ٩٢٠ ر٢ فدانا الى ٤٥٠ر٣٧٥ر٣ فدانا ، وقيمة السلف من ٣٤ر١٤٣ر٢٠ الى ٢٠٩ر٥٧٤ر٣٢ جنيهات خلال تلك الفترة .

ولقد ترتب على تنفيذ هذا المشروع زيادة حجم الخدمات المقدمة عن طريق الجمعيات التعاونية وحفظ كيان صغار الزراع وخاصة المستأجرين فهم دون ما حاجة الى تحكم ملاك الاراضى للحصول على ضماناتهم .

وفى عام ١٩٦١ صدر القرار الجمهورى رقم ١٢٥ لسنة ١٩٦١ بالغاء الفائدة من معاملات بنك التسليف وبالتالى أصبح الاقراض الموسمى فى جميع استخداماته الزراعية بدون فوائد . كما تم نقل الاشراف على الجمعيات التعاونية الزراعية من وزارة الشئون الاجتماعية والعمل الى وزارة الزراعة والمؤسسة التعاونية الزراعية . ويمكن اعتبار بداية تطبيق القانون ٣١٧ لعام ١٩٥٦ هى بداية فترة ما يسمى بالتعاون المشرف عليه من قبل الدولة . ولقد ترتب على توسع حجم الخدمات والقروض وتدخل الدولة فى أمور التعاون الى تولد كثير من المشاكل المالية والفنية والادارية حدت من الاستفادة من هذا النظام الذى كان بداية حقيقية لتعاون له صفة الشعبية .

ثانيا : انشاء المؤسسة العامة للائتمان الزراعى : وتعتبر بمثابة الجهاز المركزى لمسئول عن تمويل الحركة التعاونية وتزويدها بكافة القروض والتيسيرات الائتمانية اللازمة لنموها فى شتى الميادين عن طريق فروعها الاقليمية وهى بنوك التسليف الزراعى والتعاونى بالمحافظات والمراكز (وهى عبارة عن بنك التسليف الزراعى والتعاونى وفروعه) ولقد نظمت هذه المؤسسة على هيئة شركات مساهمة لكل فروعها فى المحافظات لاعطائها المرونة الكافية فى تقديم خدماتها . وقد انيط بهذه المؤسسة منح قروض قصيرة الاجل (لا تتجاوز١٤ شهرا) ، ومتوسطة (لا تتجاوز عشر سنوات) وطويلة (لا تتجاوز ٢٠ سنة) وذلك لاغراض خدمة الانتاج الزراعى . كما ضمنت لها الدولة حق الحصول على قروض لتمويل نشاطه من الدولة ، واعطاءه حق الامتياز على المحاصيل التى تنتج بقروضه ، وكذلك حق تحصيل ديونه بواسطة صيارف الحكومة عن طريق الحجز الادارى على المدينين . ولقد ساعد هذا النظام على زيادة نشاط البنك حيث ارتفعت قيمة القروض المنصرفة فى صورة نقدية وعينية من ٨٦٩ر٨٩٤ر٣٠ الى ٨٠٦ر٩٩٤ر٥٣ جنيها خلال الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٣ .

ثالثا : انشاء المؤسسة التعاونية الزراعية العامة : انشئت بهدف القيام بمهام التخطيط والتوجيه والاشراف واعداد ومراقبة تنفيذ كافة المشروعات والبرامج التى تعمل على تدعيم القطاع الزراعى التعاونى . وتقديم المعونة الفنية والمالية لقطاع التعاون ، وقد سعت المؤسسة لكى تقوم بواجبها الى الاهتمام بتنظيم الجمعيات التعاونية وفقا لقانون ١٩٥٦ ووضع خطة خمسية للجمعيات التعاونية الزراعية بالقرى والاشراف على تنفيذها ، تدريب وتعليم العاملين فى مجال التعاون الزراعى (ابتداء من اعضاء مجالس ادارة التعاونيات والقادة التعاونيين فى القرى وكتبة الجمعيات والمشرفين الزراعيين وتوفير المدربين على المستوى المحلى وتدريب الاجهزة الوظيفية بالمؤسسة ذاتها ، اعداد وتأهيل طلبة المعاهد والجامعات للعمل فى مجال التعاون . انشاء واعانة مراكز التدريب الدائمة) والتوعية ونشر الثقافة التعاونية وتوفير مستويات عليا فى شئون التعاون الزراعى ، كما انها تقدم المعونات الفنية وتشرف وتراقب الجمعيات التعاونية الزراعية على جميع مستوياتها لضمان ضبط حساباتها وسير أعمالها وفقا لقانون التعاون .

وبذلك تكون قد اكتملت صورة التعاون المشرف عليه حيث نجد أن المؤسسة التعاونية الزراعية العامة تقوم بالتوجيه والاشراف واعطاء المشورة الفنية ومراقبة سير التعاونيات وفقا لقانون التعاون ، وتقوم وزارة الزراعة عن طريق المشرف الزراعى فى القرية الذى هو فى الحقيقة مدير الجمعية التعاونية الزراعية بالاشراف على تنفيذ الخطة الزراعية ومهمته توصيل الخدمات الزراعية واستخدامها فيما صرفت من اجله ، وبطريقة اقتصادية وهو فى هذا يخضع لمفتش الزراعة بالمركز ومدير عام الزراعة بالمحافظة فى تنفيذ سياسة وزارة الزراعة . كما تقوم مؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى بتوفير القروض اللازمة للتعاونيات .وهكذا أمكن الربط بين جميع

الاجهزة المسئولة عن زيادة الانتاج الزراعى بما يحقق التنسيق المطلوب لبلوغ أهداف الدولة .

ولقد أدى هذا التعدد فى جهات الاشراف وعدم تحديد المسئولية الى تعدد الاخطاء وسهولة الانحراف عن تحقيق أهداف هذه الحركة ، وكثر التلاعب فى أموال التعاونيات وارتفعت شكوى الفلاحين من نظام التعاون . ولا ادل على كثرة التلاعب فى هذاالمجال من ان عدد الجمعيات التعاونية الزراعية التى تم حل مجالس ادارتهامن قبل وزارة الزراعة وأشرفت الوزارة عليها اشرافا مباشرا حوالى ١٠٠٠ جمعيه خلال الفترة من ١٩٦١ حتى ١٩٦٩ .

رابعا : التوسع فى نظام التسويق التعاونى : انشىء هذا النظام وتم التوسع بهدف الغاء الوسطاء وتمكين وزارة التموين من الحصول على الحاصلات الغذائية وموادالتموين اللازمه لسكان المدن ، وكذلك لكى تمكن اجهزة التصدير من الوفاء بالتزاماتها التصديرية . وقد بدأ فى تنفيذ هذا المشروع بتسويق القطن خارج الاصلاح الزراعى عام ١٩٦٢ ثم توسع حتى شمل معظم حاصلات التصدير مثل الارز والبصل والبطاطس والخضروات المختلفة .

خامسا : تجميع الاستغلال الزراعى وتنظيم الدورة الزراعية : ويهدف المشروع الى اعادة تنظيم استغلال الاراضى بحيث تصبح الزراعات الصغيرة مجنبة فى وحدات كبيرة وبذلك تتحول المساحات المبعثرة من الحاصلات الزراعية فى كل قرية الى وحدات كبيرة ومجمعة يمكن استغلال الموارد الارضية استغلالا افضل وفقا للاصول الزراعية الفنية . وقد أوكل تنفيذ هذا المشروع الى الجمعيات التعاونية لتنفيذه والاشراف عليه وقد تم ذلك على مستوى الجمهورية فى نهاية الخطة الخمسية الاولى عام ٦٤ ــ ١٩٦٥ .

سادسا : مشروع تنظيم الاستغلال الزراعى : يهدف المشروع الى ايجاد الاطار التعاونى الملائم لاحداث التنمية الزراعية وذلك عن طريق اعادة تنظيم الجمعيات التعاونية ومدها بالكادر الادارى والفنى والامكانيات المادية الاخرى وجعلها مسئولة عن رسم وتنفيذ خطة التنمية الزراعية على مستوى القرية . كذلك يضيف المشروع الى الجمعيات التعاونية مهمة أساسية هى مساعدة المزارعين على اتباع الوسائل العلمية فى الزراعة لزيادة الانتاج وخفض التكاليف . وتتلخص وسائل تنفيذ المشروع فى اعادة تنظيم الجمعيات التعاونية الزراعية بحيث تشرف على ١٥٠٠ فدان وتزود بمشرف زراعى (جامعى) ، ٢ مساعدى مهندس ، مدير جمعية (دبلوم زراعة) وكاتب وأمين مخزن وتنظيم الدورة الزراعية ، وتجميع الاستغلال الزراعى وفقا للاصول الفنية وحسب خطة الدولة . مع توفير الخدمات والقروض المادية والعينية . وقد بدأ فى تنفيذ المشروع عام ١٩٦٣ فى محافظات كفر الشيخ وبنى سويف ، ثم تم توسيعه فى سبع محافظات أخرى هى البحيرة ، الغربية ، القليوبية ، المنوفية ، الجيزة ، المنيا ، أسوان . ولكنه لم يعمم بعد ذلك فى باقى المحافظات .

كما ظهرت جمعيات تعاونية زراعية وغيرها فى المناطق الصحراوية ومناطق الاراضى الجديدة المستصلحة التى تم توزيعها على المعدمين بهدف مد الزراع فى هذه المناطق بالخدمات والقروض المالية والعينية اللازمة والخدمات الاخرى وقد بلغ عدد أعضاء الجمعيات التعاونية الزراعية بالاراضى الجديدة ٨٧ جمعية عدد أعضائها ٢٢٨٧٥ عضوا وتخدم مساحة قدرها ٩١٢٦٤ فدانا ورأس مالها حوالى ٩١٤٨٥ جنيها . كما بلغت عدد الجمعيات التعاونية الزراعية التابعة لمؤسسة تعمير الصحارى ١٠٣ جمعية موزعة بين منطقة مرسى مطروح وسيناء والوادى الجديد . وكان نتيجة تعدد اشكال التعاون (تعاون الاصلاح الزراعى ، تعاون الائتمان الزراعى ، تعاون الاراضى المستصلحة الجديدة ، تعاون الاراضى الصحراوية) وكذلك لتعدد الهيئات المشرفة عليه أن ظهرت كثير من النقائص والعيوب التى عرقلت سير الحركة التعاونية وجعلت الفلاح المصرى وخاصة صغار الزراع (وهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى نجاح التعاون وازدهاره) يقف موقف المتردد تجاه الحركة التعاونية بل والمتشكك فى مدى جدواها بالنسبة للنهوض باقتصادياته . كما أن صدور قوانين يوليو عام ١٩٦١ وما ترتب على ذلك من تغيير فى الهياكل الاقتصادية للاقتصاد المصرى ، أن ظهرت الحاجة ملحة لاصدار قانون جديد للتعاون الزراعى ، يتلافى مصادر الشكوى فى قانون عام ١٩٥٦ . لذلك صدر قانون خاص بالتعاون الزراعى فقط وهو القانون رقم ٥١ لسنة ١٩٦٩ وذلك ليعالج المشاكل التى ظهرت فى التطبيق فى ظل القانون السابق . ومن أهم ما نص عليه القانون الحالى هو :

ــ أعطى القانون كافة الحقوق والاختصاصات الرئيسية فى الجمعية لاعضائها من الفلاحين ممثلين فى جمعيتهم العمومية وهم الذين يختارون مجالس الادارة ويسحبون الثقة بها متى أرادوا .

ـ اعتبار أموال الجمعية فى حكم الاموال العامة وأعضاء مجلس الادارة ولجان المراقبة والموظفين فى حكم الموظفين الحكوميين وأوراق وأختام الجمعية فى حكم الاوراق والسجلات الرسمية .

ـ تقوم الجمعية التعاونية الزراعية بالعمل فى اطار خطة الدولة الزراعية وتنظيم الدورات الزراعية وتجميع الاستغلال الزراعى بالتعاون مع أجهزة الدولة المختلفة وذلك وفق خطة سنوية تنبع من خطة الدولة ويلتزم بهاجميع الاعضاء .

ـ الغاء الفائدة على القروض الذى ألغى العمل به بعد عام ١٩٦٧ .

ـ تمثيل العزب والكفور فى مجالس ادارة الجمعيات التعاونية ضمانا لتمثيل جميع المنتفعين .

ـ لا يجوز اسقاط العضوية الا بقرار من الوزير المختص .

ـ اعطاء حوافز مجزية لمجلس الادارة والعاملين بالجمعية تشجيعا لهم على العمل .

ـ نص القانون على توزيع العائد بحيث لا يقل عن ٣٥ فى المائة من صافى الفائض طبقا للميزانية المقدمة للجمعية العمومية .

ـ أعطى القانون للجمعيات حق التحصيل الادارى لاموالها .

ـ اهتم القانون بالرقابة على الجمعيات التعاونية وقسمها الى قسمين :

رقابة داخلية من الجمعية العمومية ولجنة المراقبة ،ورقابة خارجية هى الرقابة الشعبية عن طريق جهاز الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى .

رقابة الدولة عن طريق الهيئة العامة للتعاون الزراعى ومديريات التعاون بالمحافظات .

ـ يكون الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى هو قمة البنيان التعاونى الزراعى الشعبى بجميع أنواعه الثلاث فى الاصلاح الزراعى ، والاراضى المستصلحة والائتمان . وهذه خطوة هامة فى سبيل توحيد نظام التعاون .

ـ اختيار مجلس الادارة لمدير الجمعية وتعيينه للموظفين بها .

ـ فى عام ١٩٦٩ حدد القانون شروطا جديدة لعضوية مجلس الادارة ، منها معرفته للقراءة والكتابة ثم الغى شروط تمتع صغار الفلاحين بـ ٤/٥ عضوية مجلس الادارة والتى كانت موجودة فى القانون السابق ، ورفع حد الملكية الى عشرة افدنة .

ـ نص القانون على تخصيص ٥ فى المائة من الفائض للتعليم التعاونى ، ٥ فى المائة لرعاية عمال الزراعة .

ـ حدد القانون البنيان التعاونى فى بنيان تعاونى شعبى فى جمعيات الائتمان فى جميع القرى المصرية وتكوين جمعيات مشتركة على مستوى المراكز ، وجمعيات مركزية على مستوى المحافظات وجمعية تعاونية زراعية عامة على مستوى الجمهورية .

ـ استثنى القانون مؤقتا جمعيات التعاون الزراعية فى الاصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى من الخضوع للاحكام المباشرة للقانون نظرا لظروفها الخاصة حتى يتم دمجها جميعا فى نظام تعاونى موحد .

وقد أجريت الانتخابات فى ظل هذا القانون لتكوين مجالس ادارات الجمعيات التعاونية وكذلك تم تشكيل البنيان التعاونى الزراعى بجميع مستوياته على مستوى الجمهورية وبذلك يكون لدينا الصورة التالية للتعاون :

ـ ٤٢٠٠ جمعية تعاونية زراعية تغطى جميع قرى مصر تبلغ عضويتها حوالى ٢,٥ مليون فلاح برأس مال ٧ ملايين من الجنيهات .

ـ ٧٠٠ جمعية تعاونية فى مناطق الاصلاح الزراعى يشترك فى عضويتها ثلث مليون فلاح من الملاك الجدد برأس مال حوالى مليون ونصف مليون جنيه .

ـ ٤٨ جمعية تعاونية فى استصلاح الاراضى .

ـ ١٠٣ جمعية فى المناطق الصحراوية .

كذلك يوجد اتحاد تعاونى زراعى عام يتكون مجلس ادارته من ٣٩ عضوا ، منهم ٢٥ عضوا يمثلون الجمعيات التعاونية الزراعية المحلية ، ٣ أعضاء عن الجمعيات التعاونية المتخصصة ، ٣ عن الجمعية التعاونية الزراعية العامة ، عضوان عن الجمعية التعاونية الزراعية للاصلاح الزراعى ، عضو واحد عن الجمعية التعاونية الزراعية لاستصلاح الاراضى ، ٥ اعضاء يختارهم وزير الزراعة والاصلاح الزراعى من المشتغلين بالتعاون .

وفى ظل هذا التشكيل تعمل أجهزة الاقراض الزراعى والتسويق التعاونى ووزارة الزراعة والاصلاح الزراعى فى الحركة التعاونية .

وبعد هذا السرد لتاريخ التعاون الزراعى فى مصر وحالته الراهنة ، لابد من سرد المشاكل التى يعانى منها نظام التعاون الحالى وكذلك المشاكل التى يعانى منها الزراع نتيجة لوجود بعض الخلل فى الاطر التنظيمية والادارية لجهاز التعاون والاجهزة الاخرى العاملة معه فى مجال خدمة الانتاج الزراعى .

ـ مشكلة مجالس ادارة الجمعيات التعاونية

الزراعية فبالرغم من أهمية هذه المجالس فى ادارة شئون الجمعية الا ان هذه المجالس لم تمارس هذا العمل ،ويعزى هذا القصور الى استمرار نفوذ كبار الملاك ، وللتدخل الادارى من طرف ممثلى الدولة وما اكثرهم وتعدد جهاتهم ومسئولياتهم وتجاهلهم لهذا المجلس واجباره على أمور تخالف صالح الجمعية ،أى بصورة عامة الانتقاد الى الديمقراطية

– عدم ممارسة الجمعية العمومية لاختصاصاتها حيث لم تدع هذه الجمعيات للانعقاد ولم تعط الفرصة لكى تمارس سلطاتها .

– عدم وجود رقابة شعبية على سير العمل بالتعاونيات وانفراد الاجهزة الادارية والفنية فى معظم الاحوال بالعمل والادارة مما افقد التعاون صفة الشعبية وهى روح التعاون .

– عدم تشكيل لجان المراقبة التى نص عليها القانون وعدم فاعلية الرقابة الشعبية والحكومية على التعاون .

– تفاقم مشكلة حسابات الفلاحين مع مؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى وشكوى الفلاحين من عدم صحتها وعدم الاعتراف بالبطاقة الحسابية للفلاح كمستند رسمى يحاسب على أساسه .

– تعدد نواحى الانحراف من موظفى الجمعيات التابعين لجهات مختلفة مما يضر بالجمعية .

– التلاعب فى صرف مستلزمات الانتاج مما يجلب الضرر على الفلاحين .

– نقص الكوادر الفنية والادارية والتعاونية .

– عدم تحديد نوعية العلاقة بين التعاون والمخازن الخاصة بها .

– تعدد أنواع التعاونيات وتبعيتها لجهات مختلفة .

– عدم تحديد نوعية العلاقة بين التعاون والاجهزة الحكومية وتدخل الجهاز الحكومى بالشكل الذى جعل جهاز التعاون فى وضع القاصر عن ممارسة أعماله .

ان هذه المشاكل تحمل فى طياتها كثير من التفاصيل والمشاكل الفرعية التى تنخر فى جسم التعاون، فهو وان كان فى حالة انتعاش كمى يغطى كل المساحة المنزرعة الا أنه فى حالة تدهور كيفى وهذا ما يستدعى الاهتمام بهذا النظام الذى يخدم اعرض فئات هذا الشعب واكثرهم عددا واشدهم احتياجا للمعاونة .

تطوير الزراعة
من خلال التعاون

د. محمد محمود عبد الرءوف

تمتد جذور الحركة التعاونية فى مصر الى عام ١٩٠٨ ، الا أنه رغم هذا الظهور المبكر لها فانها لم تلعب دورا رئيسيا فى تطوير الزراعة المصرية الا بعد صدور قانون التعاون رقم ٣١٧ لعام ١٩٥٦ . وقبل ذلك لم تكن تحظى الحركة التعاونية بالتأييد والمعاونة الا فى ظل الازمات الاقتصادية حيث كانت الدولة تلجأ الى الحركة التعاونية لكى تحمل عنها عبء مساعدة الزراع فى تحمل تبعات الازمات الاقتصادية . وفى ظل هذا القانون زادت أعداد الجمعيات التعاونية وزادت الخدمات التى تؤديها لاعضائها وبدون فوائد (حسب نص القرار

الجمهورى رقم ١٢٥ لسنة ١٩٦١ والصادر فى ١٠ ـ ٨ ـ ١٩٦١) الا أن أهم ما تميز به هذا القانون هو توجيهه التعاون لمن هم فعلا فى حاجة اليه ، فقد جعل جميع القروض الزراعية تمر من خلال الجمعية التعاونية . وبضمان المحصول ، وبذلك حرر المزارع الصغير والمستأجر من سيطرة الملاك فى الريف وضمن لهم الحصول على تمويل لعمليتهم الانتاجية ، كما حررهم من مرابى القرية وتجار السوق السوداء فى المحاصيل الزراعية . كما أنه اشترط ان تكون ٤/٥ اعضاء مجلس ادارة الجمعية التعاونية الزراعية المحلية بالقرية ممن يملكون خمسة أفدنة فأقل (وهم يمثلون حوالى ٨٦ فى المائة من مجموع الحائزين الزراعيين) وبذلك جعل التعاون تحت سيطرة من هم فعلاً فى حاجة اليه كما وجه ضربة قاضية لسيطرة كبار الملاك على الجمعيات . هذا بجانب انه فعلا ضمن ابعاد العناصر المستغلة والمسيطرة فى الريف من محيط الجمعيات التعاونية بحظر عضوية مجلس الادارة عليهم . كما أنه فى ظله ازدهرت المنظمات الاقتصادية الزراعية الحالية من منظمات التمويل والتسويق والتنظيم الزراعى .

وكان من أهم ما أخذ على هذا القانون هو اعترافه بتعدد التعاون الزراعى ، وكذلك تعدد الهيئات المشرفة عليه مما أدى الى وجود كثير من الاخطاء من قبل المشرفين مما انعكس أثره على مصالح الفلاح بالضرر ، وقد أدى هذا الى انهيار سمعة الجمعيات التعاونية الزراعية فى الريف بشكل واضح . كذلك فانه فى الوقت الذى منح فيه هذا القانون لفقراء الفلاحين سلطة توجيه التعاون لمصلحتهم ، لم يضمن لهم وسيلة لكى يعطوا من وقتهم للتعاون ، فمثلا لم ينص القانون على اعطاء مكافآت لاعضاء مجالس الادارة هؤلاء نظير ما يقومون به من أعمال ، وكما هو معروف فان فقراء الفلاحين مشغولين أكثر من باقى طبقات الريف المصرى فى الحصول على ما يفى بمعيشتهم ، كل هذا جعل هؤلاء الفلاحين لا يعطون الوقت الكافى لجمعيتهم مما أوجد كثيرا من الانحرافات والمشاكل أدت الى تدهور سمعة هذه الجمعيات .

وحينما صدر ميثاق العمل الوطنى عام ١٩٦٢ ، أسند الميثاق الى التعاون الزراعى دورا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا خطيرا فى تطوير مجتمع القرية والنهوض بالفلاح ، وعلى ذلك شعر المهتمون بشئون التعاون الزراعى بقصور قانون ٣١٧ لعام ١٩٥٦ عن تحقيق هذا الدور والاضطلاع بمسئولياته الكبيرة ، لذلك صدر القانون رقم ٥١ لعام ١٩٦٩ حيث جاء فى مادته الاولى « الجمعية التعاونية الزراعية جماعة شعبية تقوم بصفة دائمة باعتبارها منظمة ديمقراطية على مبادىء التعاون وخططه وأساليبه **وباعتباره من وسائل تطبيقنا الاشتراكى** » أى ان التعاون نص صراحة على أن التعاون وسيلة لاقامة الزراعة الاشتراكية فى الريف المصرى . كما نص القانون على حتمية وحدة الحركة التعاونية الزراعية من القاعدة الى القمة (مع استثناء جمعيات الاصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى والمناطق الصحراوية مؤقتا من هذه الوحدة القاعدية الى أن تنضج الظروف لذلك) كما أن للقانون كثيرا من المزايا الاقتصادية والاجتماعية وعلى كفالة ديمقراطية التعاون والتى ورد ذكرها فى الدراسة السابقة . الا أننا سوف نركز هنا على أن القانون قد نص على أن التعاون وسيلة للتطبيق الاشتراكى فى مجال الزراعة وبالرغم من ذلك فقد نص القانون فى المادة (٣٠) على أن يحتفظ بأربعة اخماس مقاعد كل مجلس ادارة جمعية تعاونية للفلاحين الذين يملكون ١٠ أفدنة فأقل (أى أنه رفع الحد الادنى للملكية عن القانون السابق الى الضعف) كما نص فى مادته (٢٢) على تخصيص مكافآت لاعضاء مجلس الادارة ، كذلك نص فى مادته (٣٢) على أن يكون من يرشح نفسه لعضوية مجلس الادارة ملما بالقراءة والكتابة ، وان يكون مسددا لجميع الديون الواجبة الاداء للجمعية وللمؤسسة المصرية العامة للائتمان الزراعى والتعاونى . وبمناقشة هذه الشروط نجد أننا نواجه حالة تناقض واضحة بين نصوص القانون المختلفة .

ففيما يختص بشروط العضوية نجد أن جعل الاغلبية المطلقة داخل مجالس الادارة للجمعيات للفلاحين الذين يملكون عشرة أفدنة فأقل ، فيه استبعاد للاغلبية المطلقة للمزارعين الصغار ، حيث أن مالك العشرة أفدنة فى الريف هو من أغنياء القرية ، كما أنه بالتأكيد سليل أسرة غنية أو قريب لها وهم ما زالوا القوة المسيطرة اقتصاديا واجتماعيا فى الريف ، وبالتالى نكون قد ابعدنا التعاون عن سيطرة من هم فى أشد الحاجة الى خدماته . ثم جاء الشرط الثانى وهو أن يكون عضو مجلس الادارة ملما بالقراءة والكتابة وهذا يدعونا الى التساؤل فى بلد مثل بلدنا وفى الريف حيث تبلغ نسبة الامية ما يقرب من ٩٠ فى المائة ، من

القادر على تعليم ابنائه ، انهم فقط الاسر المتوسطة والغنية أى من يملكون عشرة أفدنة فى المتوسط ، ان هذا الشرط هو امعان فى تحديد نوعية مجلس الادارة وهمالبورجوازية القرية ، وليس من المعقول أن نوجه التعاون لخدمة الجميع ومن يسيطر عليه هم أكثر الناس تطلعا للاثراء وأكثرهم قدرة على استجلابه . من المعقول أن نجعل التعاون وسيلة لمحو أمية الفلاحين الصغار وتدريبهم وتعليمهم على اصول التعاون ، ولكن ان نجعل هذا شرطا مسبقا ، فان فيه ابعـــاد لهؤلاء عن مباشرة مصالحهم بأنفسهم ووضع وصاية عليهم مـن مستغليهم . وكلنا نعلم أن الفلاح الصغير هو أدرى الناس بمصلحته ، وانه بحسه الاقتصادى قادر على تنظيم أمور تعاونيته لو مدت له يد المساعدة الفنية والعلمية والادارية واتيحت له الفرصة للتعليم والتدريب وتركت له المبادرة فى تصريف أموره دون وصاية .

ثم جاء بعد ذلك نص أن يكون مسددا لجميع ديونه ، من المعروف أن هناك مديونيات قبـل الفـلاحين بجميـــع فئاتهم لجهـــات الاقـــراض الزراعى ، ولكن من يستطيع أن يدفع فورا كل هذه الديون ، انهم بالتأكيد من يملكون الحيازة الكبيرة فى القرية ولديهم فائض مالى يمكنهم من ذلك . وفى هذا أيضا ابعاد لفقراء وصغار الزراع عن الدخول فى مجالس ادارة تعاونياتهم وأن من يملكون المال السائل من الاسر الكبيرة فى القرية سددوا ديونهم فورا حتى يتاح لهم التـرشيح وبالتالى ضمنوا السيطرة على هذه الجمعيات وتم ابعاد من هم فعلا فى حاجة الى التعاون . وكان من الافضل أن يتم تسديد المديونيات وفقا لخطة عامة شاملة لجميع الفلاحين باختلاف فئاتهم دون ما حاجة الى وضع هذا الشرط الذى أبعد التعاون عن مفهومه فى خدمة التحول الاشتراكى ، وكذلك أبعده عن سيطرة غالبية جماهير الزراع .

ثم جاء نص دفع مكافآت شهرية لاعضاء مجلس الادارة كحافز لهم على الاهتمام بالتعاونية واعطاء الوقت للعمل التعاونى ، ان هذا فعلا لامر عجيب ، فحينما كان صغار الفلاحين هم المسيطرون على مجالس ادارات الجمعيات التعاونية (فى ظـل القانون السابق) لم تصرف لهم مكافآت نظير عملهم التعاونى ، رغم أنهم فى أشد الحاجة اليه حيث يعانون فى سبيل الحصول على مصـــادر رزقهم ويصرفون فيه كل وقتهم ، وبالتالى انخفض الوقت المخصص للعمل التعاونى ، فى حين أننا فى ظل هذا القانون قد جعلنا مجالس الادارة تحت سيطرة بورجوازية القرية ، ثم كلفناهم بعد ذلك بمكافآت شهرية ، هذا بجانب ما يمكن أن يحصلوا عليه من مزايا أخرى نظير وجودهم فى موقع السلطة هذا .

انكثيرا من الاصوات ترتفع لتبرير أن يكون اعضاء مجالس الادارات متعلمين قادرين على الاطـــلاع على حسابات الجمعية وتعاملاتها ، كذلك يمكن أن يتفهموا بصورة أفضل طرق تسيير الجمعية وادارتها . كما أن تعريف الفلاح فى ظل قانون الاتحاد الاشتراكى قد أباح لهم هذا التحديد . كما أن هذه الاصوات تقول أن تاريخ التعاون فى ظل صغار الفـــلاحين الاميين كان يتسم بكثير من الاخطاء والمشاكل التى ترتب عنها حل كثير من مجالس ادارات هذه الجمعيات ، والرد على هذه الادعاءات هو أن الفلاح الصغير الذى لم يمارس هذا الدور قبل ذلك ولم يؤخذ بيده توجيها وارشادا دون وصاية أو تجاهل ، لكى يمارس هذا الدور ويتعلمه ، كما لم يعط الجزاء فى مقابل عمله حتى يعطيه الوقت الكافى ، كذلك تسلط الاجهزة الادارية وتعدد جهاتها والمسئولين فيها ، كل هذا قد أدى الى وجود مثل هذه الاخطاء ، ولكن حل هذه المشاكل لا يكون أبدا بابعاد الفلاح الصغير عن الاشراف والسيطرة على التعاون الذى هو موجود فـى الاصل لخدمته ، بل الامر يحتاج الى كثير من التدريب والتعليم لهؤلاء الفلاحين حتى يأخذوا دورهم بأنفسهم ، واعطاء الفرصة لمبادرة هؤلاء الفلاحين فى قيادة التعاون ومنح الديمقراطية على أوسع مدى لكى يباشر مجلس الادارة دوره فى الادارة والتوجيه والجمعية العمومية دورها فى الاشراف ورســـم الســـياسة كـــاملة . ان منح الديمقراطية ومزيد من الديمقراطية للعمـــل التعاونى فى الريف وتوسيع قاعدته عن طريـــق اتاحة الفرصة لصغار الزراع بتمثيل اكبر فى مجالس الادارة هو المقدمة الواقعية لحـل كل مشاكل التعاون . والواقع العملى من خلال التطبيق فى ظل القانون الجديد فى التعاونيات الزراعية يؤكد سيطرة أغنياء الريف على معظم مجالس ادارات الجمعيات التعاونية وبالتالى سيطرتهم على التعاون كما يؤكد عدم الالتزام بالكثير من الاسس التى بنى عليها التعاون ، وعدم ايجابية الرقابة الشعبية وانفراد الاجهزة الادارية والفنية بالعمل والادارة دون رقابة أو مشاركة مجلس الادارة أو الجمعية العمومية التى لم تدع ولا مرة واحدة للانعقاد ولم تباشر مهام سلطاتها من يوم ان

أجريت الانتخابات فى ظل هذا القانون الجديد . وهذا يعود فى الحقيقة لظروف موضوعية كثيرة أبرزها عدم الاهتمام بالتدريب والتعليم التعاونى وتعميق الثقافة والوعى السياسى برسالة التعاون فى المجتمع الذى نحاول بناءه . والنتيجة هى شكوى جماهير الفلاحين من الحسابات ، وعلاقتها ببنوك التسليف والجمعيات التعاونية والصيارف ، والتسويق التعاونى والتكاليف المشتركة ، وتوفير مستلزمات الانتاج ، ومن أسلوب العاملين بالجمعيات فى معاملة الفلاحين ووضع مديرى الجمعيات وعلاقة الجمعيات بكل من الهيئة العامة للتعاون الزراعى والمؤسسة العامة للائتمان الزراعى والتعاونى ووزارة الزراعة والاتحاد التعاونى . وهذه الشكوى مرجعها الى وقوع الفلاح تحت سيطرة كل من مديرى التعاونيات الزراعية المعينين من قبل الاجهزة الادارية وكذلك تحت سيطرة موظفى بنك التسليف ومؤسسة التعاون ، وموظفى التسويق التعاونى وصيارف الدولة الذين يحصلون مطلوبات الدولة ، كل هؤلاء يؤدون بما يكتنف أعمالهم من أخطاء تنصب كلها فى التأثير على دخل الفلاح الى زعزعة ثقته فى التعاون والقائمين عليه . وبالنظر الى ميثاق العمل الوطنى الصادر فى عام ١٩٦٢ والى قانون التعاون ٥١ لعام ١٩٦٩ فى مادته الاولى والى برنامج العمل الوطنى الصادر عام ١٩٧١ ، وهى المواثيق التى أكدت على أن التعاون هو أحد وسائل مجتمعنا لاقامة الاشتراكية فى الريف المصرى .

وفى رأينا ان التعاون بوضعه الحالى لا يمكنه القيام بهذا الدور بل انه غير قادر على القيام بدور التعاون الخدمى الذى يسهل للفلاحين الحصول على مستلزمات الانتاج والقروض بأقل تكاليف ممكنة ويساعدهم فى تسويق بعض محاصيلهم . وفى شكوى الفلاحين منه، ومن وضعه الحالى ما يكفى للتدليل على ذلك ، وأن أى محاولة لتطوير عمل الجمعيات التعاونية الزراعية يجب أن تسير فى اتجاه زيادة دور هذه الجمعيات فى تنظيم عمليات الانتاج الزراعى وفى تطوير أساليبه ووسائله . وهذا بكل تأكيد أمر ممكن وفى متناول أعضاء مجالس ادارة هذه الجمعيات والذين هم فلاحون أولا وقبل اى شىء آخر . كما انه أمر يمكن مراقبة تصرفات مجلس الادارة فيه عن طريق الجمعيات العمومية لاعضاء التعاونيات الذين هم أيضا فلاحون ومن ثم فان لديهم القدرة على اكتشاف الصواب والخطأ فى تصرفات مجلس الادارة والمديرين فيما يتعلق بتنظيم وتوجيه الانتاج الزراعى والاشراف عليه . وعندما تتحول الجمعيات التعاونية الزراعية من مجرد تعاونيات خدمات الى تعاونيات انتاجية زراعية ، فانها ستصبح مطالبة بالقيام بالاقتراض بصفتها شخصية معنوية ، اذ أنها ستحل محل جميع الاعضاء فى الاقتراض والانفاق والسداد .

وقد يتبادر الى الذهن بأن الظروف الموضوعية فى الريف المصرى غير مواتية للدعوة للتعاون الانتاجى الزراعى وتطبيقه ، وهذا فى الحقيقة غير صحيح ، وأن الظروف فى الريف المصرى مواتية بدرجة كبيرة ، بل انها مواتية بدرجة اكبر بكثير مما وجد فى كثير من دول العالم الذى طبقت التعاون الانتاجى وطورت زراعتها على الاسلوب الاشتراكى . وحققت نجاحات كبيرة فى هذا المجال . ويمكن تطوير الجمعيات التعاونية الزراعية الحالية الى جمعيات للتعاون الانتاجى على مرحلة زمنية مناسبة (عشر سنوات مثلا) وفى أثناء فترة التحول هذه لابد من الاهتمام بما يلى :

ـ التأكيد على مبدأ ديمقراطية الادارة التعاونية والخروج به من حيز الشعارات الى حيز التطبيق فى الواقع . ويتأتى ذلك باتاحة الفرصة للجمعيات العمومية لاعضاء التعاونيات ولمجالس اداراتها لممارسة دورها كاملا فى ادارة التعاونية واتخاذ القرارات الانتاجية والتمويلية والتسويقية وتنفيذها . وعلى الاخص تعيين مدير وموظفى الجمعية التعاونية والاشراف على أعمالهم .

ـ ان الديمقراطية الحقيقية للادارة التعاونية فى الريف المصرى (مع الاخذ فى الاعتبار طبيعة التركيب الحيازى للزراعة المصرية) تقتضى اعطاء سلطة الادارة فى التعاونيات الى أصحاب المصلحة الحقيقية فى التعاون الا وهم صغار الزراع . ومن ثم يكون من المحتم لنجاح التعاون فى أداء دوره أن تكون الاغلبية المطلقة فى مجالس ادارة هذه التعاونيات لصغار الزراع ، اى من يملكون او يحوزون خمسة أفدنة فأقل .

ـ اتباع نظام للحوافز لكافة العاملين فى الجمعية التعاونية بحيث يتناسب مع حجم العمل التطوعى الذى يقومون به ، ووضع نظام للجزاءات لمعاقبة من يستغل نفوذه ،ويضر بمصالح الجمعية او

الاعضاء وباختصار وضع قانون لحماية الملكية التعاونية ٠

ـ العمل على خلق الملكية التعاونية وتدعيمها ، ولا يمكن أن يستقر التعاون بدون وجود الاساس المادى له وهو الملكية التعاونية ٠ ويمكن خلقها بوسائل عديدة من أهمها تمويل شراء الجمعيات التعاونية الزراعية لاراضى من يرغب فى بيع أرضه من الفلاحين أو الملاك الغائبين فى القرى والسماح لهما بتأجير الاراضى الزراعية واستغلالها ٠

ـ الاهتمام بالتعليم والتدريب التعاونى سواء لاعضاء مجالس الادارات أو العاملين بالتعاونية أو لاعضاء التعاونية من العناصر النشطة ٠

ـ احياء لجان المراقبة وتوجيه نشاطها الى تدعيم التعاونية وليس الحظر عليها ، كذلك يجب الاهتمام بالارشاد والتوعية بأهمية التعاون الانتاجى فى مجال الزراعة فى تنمية الانتاج ورفع الأنتاجية وتوطين علاقات الانتاج الاشتراكية فى الريف المصرى وازدهارها ٠

أرقام لها دلالات خاصة

عام ١٩٥٩

أقل من فدان :

عدد الملاك	متوسط الملكية
٢ر٠٤٧ر٠٥٠	٤١و

من ١ : ٥

عدد الملاك	متوسط الملكية
٧٠٥ر٥٢٢	٢ر١٦

عام ١٩٥٢

أقل من فدان :

عدد الملاك	متوسط الملكية
٢ر٠١٨ر١٣٢	٣٩و

من ١ : ٥

عدد الملاك	متوسط الملكية
٦٢٣ر٧٤٦	٢ر١٥

عام ١٩٦١

عدد الملاك الذين أضيفوا لاكثر من فدان بالتوزيع ويلاحظ أن من بينهم عدد من الذين تقل ملكيتهم عن الفدان ١١٦ر٤٤٠ ٠

عام ١٩٦١

١٧٠ر٠٩٥ قطعة أضيفت للاقل من فدان بسبب الميراث ٠

خريطة ملكية الـ ٥ أفدنة فأقل

عام	عدد الملاك	النسبة لكل الملاك	الملكية بالفدان	النسبة لكل الأرض	متوسط الملكية
١٩٠٠	٧٦١,٣٠٠	٪٨٣,١	١,١١٣,٠٠٠	٪٢١,٧٣	١,٤٦
١٩٥٠	٢,٦٤١,٨٧٨	٪٩٤,٥	٢,١٢١,٨٦٤	٪٣٥,٦	٠,٨
١٩٥٩	٢,٧٥٢,٥٨٢	٪٩٤,٤	٢,٥٣٥,٦٢٧	٪٤٠,٠	٠,٨٤
١٩٦٦	٢,٩٦٥,٠٠٠	٪٩٤,٣	٣,٣٥٣,٠٠٠	٪٥٤,٠	١,١٣

المشـــــكلة

الماليـــة والادارية

هى الأســـاس

د. جامع مصطفى جامع

على الرغم من كثرة ما كتب عن مشاكل التعاون الزراعى فى مصر وما اتخذ من اجراءات لحلها الا انها فى اعتقادى لم تمس جوهر المشكلة بل كانت دائما توضع لحل ما يطفو على السطح من اشكالات دون التعمق الى المسببات ، كمن يعالج الداء بالمسكنات دون علاج المرض نفسه .

ويعتبر التكوين الخاطىء للجمعيات التعاونية فى مصر المصدر الاساسى لمشكلة التعاون الزراعى والذى يسبب كل ما تشكو منه الحركة التعاونية فى البلاد . وفى اعتقادى الراسخ انه لن تفيد أية اجراءات او قوانين او وسائل دعم او غيرها من حلول لمشاكل التعاون طالما بقى ذلك التكوين الخاطىء للتعاونيات .

ولشرح وجهة نظرنا فى ذلك الموضوع نسرد باختصار التعريف الاساسى للجمعية التعاونية التى يتلخص فى انها وسيلة من وسائل ادارة الاعمال تقوم على أساس من حاجة الاعضاء لخدماتها لذلك فهى تقوم بترابط اختيارى بينهم بهدف او مصلحة مشتركة هى تحقيق عائد لمصلحة اعضائها المتعاملين معها وليس المستثمرين أموالهم بها ، واعضاء الجمعية التعاونية هم ملاكها ومستخدمى خدماتها وهم وحدات انتاجية فردية يؤدى كل منهم وظيفته الانتاجية الاقتصادية مستقلا ولكن اهداف الجمعية تعتبر امتدادا لاهداف الوحدات المكونة لها التى لا تتساوى فى انتاجتها ولذلك فان اشتراكها فى أعمال الجمعية يكون بنسب مختلفة تبعا لانتاجها ، وبالتالى فان مساهمتها فى تكاليف الجمعية واستفادتها من العائد من نشاطها يكون بنفس نسبة اشتراكها فى أعمال الجمعية بمبدأ العدالة وليس المساواة . ومن هنا تظهر عظمة الجمعية التعاونية كوسيلة لادارة الاعمال حيث تعتمد على المجهود الذاتى لاعضائها فى تكوينها وادارتها والاستفادة منها ـ الامر الذى تفتقده التعاونيات المصرية .

وقد ذكر في التقرير انه يوجد الان حوالى ٥٠٥١ جمعية تعاونية زراعية ما بين جمعيات ائتمان واصلاح واستصلاح اراض ، والمناطق الصحراوية . وقد وجد المعلق ان متوسط رأس مال الجمعية الواحدة يتراوح بين ١٢١٠ جنيهات للاصلاح ، ١١٥٤ جنيها لاستصلاح الاراضى ، ٧٩٤ جنيها للمناطق الصحراوية ، ٤٤٨ لجمعيات الائتمان التى تمثل غالبية الجمعيات التعاونية الزراعية واهمها ، وحيث أن الجمعية التعاونية وسيلة من وسائل ادارة الاعمال الانتاجية الاقتصادية فيلزم لها رأس المال لتقوم بأعمالها بالكفاءة الانتاجية المناسبة ، وهنا يكمن المصدر الاساسى لمشكلة التعاون الزراعى فى مصر ،حيث ان التعاونيات الزراعية الان بتكوينها الحالى ــ وسيقصر الكلام هنا على جمعيات الائتمان التى تمثل غالبية التعاونيات حيث يوجد منها ٤٢٠٠ جمعية ــ تتعرض للمخاطر الاتية :

١ ــ **لا تتمكن الجمعية** بعضويتها المحدودة من صغار الفلاحين ذوى الوحدات الانتاجية المفتتة التى لا تكفى لسد الاحتياجات الذاتية لاصحابها من توفير الاموال اللازمة لاعمالها الانتاجية مما يضطرها الى الاعتماد الكامل على الاقتراض من المؤسسة العامة للائتمان الزراعى والتعاونى وبنوك التسليف التابعة لها ، مما يفقدها سيطرتها على أعمالها حيث يكون لبنك التسليف الحق الاول فى الاشراف على أعمال الجمعية لضمان استرداد أمواله ، والتى لم يستطع على الرغم من ذلك من تقليل ديونه المعدومة لدى اعضاء التعاونيات . والمعروف أن الاقتراض هو اسوأ طرق تمويل المشروعات لما فيه من مخاطر .

٢ ــ **قلة عدد اعضاء الجمعية** الذى يتراوح بين ٣٠٠ ــ ٤٠٠ عضو فى المتوسط مع كبر عدد اعضاء مجلس ادارة الجمعية ، اذ ينص قانون التعاون الزراعى رقم ٥١ لسنة ١٩٦٩ على الا يقل عن خمسة اعضاء وتنص اللائحة التنفيذية للقانون على الا يزيد عن ١٧ بجانب نص القانون على الاحتفاظ بأربعة اخماس عضوية المجلس لصغار الفلاحين (على عكس ما جاء فى التقرير بالغاء هذا البند) ، يظهر السبب فيما تعانيه التعاونيات الزراعية من فشل فى ادارتها حيث لا يمكن توفير ذلك العدد الكبير من اعضاء مجلس الادارة على مستوى المسئولية والوعى من العدد المحدود لاعضاء الجمعية مما يؤدى الى تسلط بعض الاعضاء او مدير الجمعية المعين من احدى الجهات الحكومية على المجلس والغاء شخصية اعضائه وبالتالى فشل عمل الجمعية التعاونية بأكملها .

وعلى ذلك فضعف الجمعية التعاونية ماليا واداريا بسبب التكوين الخاطىء لها يعتبر المصدر الاساسى لكل مشاكل التعاونيات الزراعية المصرية ونقطة الضعف الواجب ايجاد حل لها ، وطريقة الوصول الى التغلب على ذلك الضعف ممكنة بالعمل على تكبير حجم الجمعية التعاونية والوصول بها الى الوضع الاقتصادى المناسب لادارة اعمالها مما يساعد على القضاء على أصل المشكلة ومسبب الفساد فى التعاونيات الزراعية .

واستعرض هنا باختصار تصورى لما يمكن ان يتم فى هذا المجال معددا المزايا التى يمكن الوصول اليها نتيجة لتطبيق الحل المقترح .

المعروف ان هيكل البنيان التعاونى الزراعى فى مصر يبدأ من القاعدة بالجمعيات التعاونية المنتشرة فى القرى (جمعيات الائتمان) التى تتجمع فى جمعيات مشتركة على مستوى المراكز ، وجمعيات مركزية فى المحافظات تضم الجمعيات المشتركة وجمعيات الائتمان فى مراكز وقرى كل محافظة ثم الجمعية التعاونية الزراعية العامة على مستوى الجمهورية ، ثم الاتحادات التعاونية بعد ذلك . والحل المقترح هنا يتمشى مع هذا الهيكل، الا ان الاساس فيه يبدأ بالجمعيات المشتركة بالمراكز حيث تكون هى جمعيات الائتمان أى الجمعيات الاساسية فى الهيكل التى يشترك بها الاعضاء فى كل مركز ادارى مباشرة وهى التى ينطبق عليها جميع شروط الجمعيات التعاونية من ناحية تكوينها وادارتها .. الخ . على أن تستخدم جمعيات القرى الحالية كتوكيلات للجمعيات الجديدة لتسهيل تقديم خدمات الجمعية لاعضائها فى قراهم مباشرة دون ان يكون لها اى صفة ادارية اخرى ، وتأخذ تعليماتها من الجمعية الجديدة المقترحة على مستوى المركز وليس للاعضاء اى صلة بها سوى انها حلقة اتصال تقوم باستلام طلباتهم وتسليمهم طلبياتهم . على أن تتجمع بعد ذلك تلك الجمعيات المقترحة فى جمعيات المحافظات يليها الجمعية العامة على مستوى الجمهورية ، على أن تقوم الجمعية العامة بأعمال الاتحاد التعاونى المركزى المنصوص عليه فى قانون التعاون الزراعى لسنة ١٩٦٩ بحيث يكون اجتماعها السنوى فى صورة مؤتمر لتدارس الحركة التعاونية فى البلاد ومحاولة ايجاد الحلول لمشاكلها .

ويمكن تلخيص النتائج التى يمكن ان تترتب على هذا الوضع فيما يلى :

١ - زيادة عدد الاعضاء فى الجمعية التعاونية الاساسية لشمولها مركز ادارى بأكمله مما يعمل على زيادة رأسمالها واعمالها وخدماتها ، وبالتالى زيادة دخلها والعائد من معاملاتها مما يمكنها بالتالى من :

ا - القيام بخدماتها بصورة افضل حيث يتوفر لها الامكانيات المادية اللازمة للقيام بتلك العمليات الانتاجية .

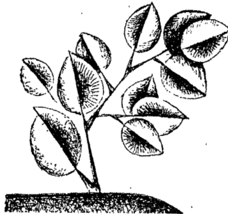
ب - امكان توظيف الموظفين الاكفاء اللازمين لادارة اعمال الجمعية على خير وجه مع السيطرة الكاملة عليهم مما يؤدى الى تحسين الخدمة المؤداة .

ج - الاستغناء عن الاقتراض الى درجة كبيرة مما يحد من تدخل الجهات المقرضة ، وسيطرتها على أعمال الجمعية .

٢ - يؤدى كبر حجم عضوية الجمعيات التعاونية الى توفر العناصر الجيدة من الاعضاء الى مستوى المسئولية ودرجة كافية من الوعى التعاونى والادارى يمكن اختيارهم كأعضاء مجالس الادارة مما يمنع المخاطر المترتبة على ضعف أعضاء مجالس الادارة الحاليين، ويؤدى الى قيام تلك المجالس بمهمتها بصورة مرضية تعيد لاعضاء التعاونيات ثقتهم بجمعياتهم والقائمين عليها .

٣ - يؤدى قيام الجمعية التعاونية العامة بأعمال الاتحاد التعاونى ادماج شقى العمل التعاونى - التنفيذى والاشرافى - مما يمنع الازدواج فى العمل وتحمل الجمعيات الاساسية لمصاريف غير ضرورية نتيجة اشتراكها فى التنظيمين التنفيذى بجمعياته المختلفة المستوى والاشرافى بالاتحادات التعاونية .

بذلك يمكن ايجاد حل جذرى لمشاكل التعاون الزراعى بالبلاد ليقوم بالاعمال الهامة المطلوبة منه فى مراحل التنمية الاقتصادية التى يمر بها الوطن حاليا .



خريطة توزيع الملكية الزراعية فى مصر
من نهاية القرن التاسع عشر حتى ١٩٦٦

جدول رقم (١) خريطة الملكية قبيل نهاية القرن الماضى .

فئة الملكية	عدد الافدنة	النسبة لكل الارض	عدد الملاك	النسبة لكل الملاك	متوسط ملكية الفرد بالفدان
من اقل من ٥ افدنة	١,١١٣,٠٠٠	٪ ٢١,٧٣	٧٦١,٣٠٠	٪ ٨٣,١	١,٤٦
من ٥ : ١٠	٥٦٠,١٠٠	٪ ١٠,٩٣	٨٠,١٠٠	٪ ٨,٨	٧,٠٠
من ١٠ : ٢٠	٥٥٠,٠٠٠	٪ ١٠,٣٥	٣٩,٧١٠	٪ ٤,٤	١٤,٠٠
من ٢٠ : ٣٠	٣٠١,٣٠٠	٪ ٥,٨٧	١٢,٣٦٠	٪ ١,٤	٢٤,٣٧
من ٣٠ : ٥٠	٣٤٤,٧٠٠	٪ ٦,٧٢	٨,٩٠٠	٪ ٠,٩	٣٦,٥٠
اكثر من ٥٠	٢,٢٤٣,٥٠٠	٪ ٤٤,٤	١١,٩٠٠	٪ ١,٤	١٨٨,٥٠

جدول رقم (٢) خريطة الملكية قبيل الثورة

فئة الملكية	عدد الأفدنة	النسبة لكل الارض	عدد الملاك	النسبة لكل الملاك	متوسط ملكية الفرد بالفدان
اقل من ٥ أفدنة	٢,١٢٢,٨٦٤	٪ ٣٥,٦	٢,٦٤١,٨٧٨	٪ ٩٤,٥	٠,٨
من ٥ : ١٠	٥٢٥,٩٠٤	٪ ٨,٤	٧٩,٢٥٩	٪ ٢,٩	٦,٦
من ١٠ : ٥٠	١,٢٩١,٤٢٣	٪ ٢١,٧	٦٩,١١٥	٪ ٢,٢	١٨,٧
من أكثر من ٥٠ فدانًا	٢,٠٤٣,٠٧٠	٪ ٣٤,٣	١١,٦٩٨	٪ ٠,٤	١٧٤,٦
الجملة	٥٩٨٢,٢٦١	٪ ١٠٠	٢,٨٠١,٩٥٠	٪ ١٠٠	

جدول رقم (٣) خريطة الملكية قبيل الاصلاح الزراعي (١٩٥٩)

فئة الملكية	عدد الافدنة	النسبة لكل الارض	عدد الملاك	النسبة لكل الملاك	متوسط ملكية الفرد بالفدانات
أقل من فدان	٨٣٢,٦٠٦	٪١٤,٣	٢,٠٤٧,٠٥٠	٪٧٠,٢	٠,٤١
من ١ : ٥	١,٥٢٣,٠٢١	٪٢٥,٧	٧٠٥,٥٣٢	٪٢٤,٢	٢,١٦
من ٥ : ١٠	٥٥٦,٥٧٦	٪٩,٥	٨١,٠٦٢	٪٢,٨	٦,٨٦
من ١٠ : ٢٠	٦٥٠,٥٦١	٪١١,٨	٤٨,٠٨٣	٪١,٦	١٣,٥٣
من ٢٠ : ٥٠	٧٢٦,٨٥٤	٪١٢,٧	٢٤,٥٣٢	٪٠,٨	٢٩,٦٣
أكثر من ٥٠	١,٥١٩,٢٤٦	٪٢٦	١١,٢٤٣	٪٠,٤	١٣٥,١٣

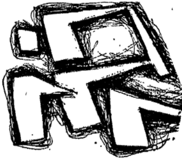
جدول رقم (٤) خريطة الملكية قبيل الاصلاح الزراعي الثالث (١٩٦٦) •

فئة الملكية	عدد الافدنة	النسبة لكل الارض	عدد الملاك	النسبة لكل الملاك	متوسط الملكية بالفدان
أقل من ٥ افدنة	٣,٣٥٢,٠٠٠	٪ ٥٤,٨	٢,٩٦٥,٠٠٠	٪ ٩٤,٣	١,١٣
من ٥ : ١٠	٦١٤,٠٠٠	٪ ١٠,٢	٧٨,٠٠٠	٪ ٢,٥	٠,٨
من ١٠ : ٢٠	٥٢٧,٠٠٠	٪ ٨,٦	٦١,٠٠٠	٪ ٢	٨,٦٤
من ٢٠ : ٥٠	٨١٥,٠٠٠	٪ ١٣,٢	٢٩,٠٠٠	٪ ٠,٩	٣٢
أكثر من ٥٠	٨١٣,٠٠٠	٪ ١٣,٢	١٠,٠٠٠	٪ ٠,٣	٨١,٣
الجملة		٪ ١٠٠		٪ ١٠٠	

• الارقام من الاحصاء الزراعي السنوي لعامي ٦١ / ٦٤ وهي واضحة الخطأ

التضخم البيروقراطي خلال العشر سنوات الأخيرة

بعض المؤشرات العامة*



محمد صبحي الاتربي

يشير ميثاق العمل الوطني في الباب الثامن - مع التطبيق الاشتراكي ومشاكله - الى خطر البيروقراطية حيث يذكر « ان هذه القيادات قد تقع في خطأ توهم أن المشاكل الكبرى للتطوير الوطني تحل خلال التعقيدات المكتبية والادارية ، ان هذه التعقيدات تضع أعباء جديدة على العمل الوطني دون أن تساعده .

انها قادرة لو تركت لخطأ وهمها أن تصبح طبقة عازلة .. ان أجهزة العمل الادارى ترتكب غلطة العمر اذا ماتصورت ان أجهزتها الكبيرة غاية في حد ذاتها ، ان هذه الاجهزة ليست الا وسائل لتنظيم الخدمة العامة .. كذلك فان تكديس سلطات كبيرة في أيد قليلة ، يؤدى دون جدال الى انتقال السلطة الحقيقية الى غير المسئولين عنها بالفعل أمام الشعب » .

كما أوضح الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، دور البيروقراطية خلال مرحلة الانتقال عندما قال : « ان البيروقراطية في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ستعمل على أن تحصل بكل الوسائل على أكبر قدر من السلطة ، حتى تستطيع أن تقوم بدور حاسم في الانتاج وفي العلاقات الاجتماعية ، وأن تحتكر هذا الدور .. » (١)

---

[*] جميع الارقام مستقاة من المصادر التالية :
- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء - الكتاب السنوى للاحصاءات العامة ١٩٥٢ - ١٩٧٠ ، يونية ١٩٧١ .
- مختارات من الاحصاءات العامة ٥١/١٩٥٢ - ٦٨/١٩٦٩ - يونية ١٩٧٠
- الجهاز المركزى للتنظيم والادارة - الاحصاء الوظيفى للسنة المالية ٦٦/١٩٦٧ .
- وزارة الخزانة - البيان الاحصائى للموازنة العامة للدولة ، السنة المالية ٧١/١٩٧٢ ، نوفمبر ١٩٧١ .
- البيان الاحصائى للموازنة العامة للدولة ، السنة المالية ٧٠/١٩٧١ ، نوفمبر ١٩٧٠ .

[١] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى افتتاح مجلس الامة عام ١٩٦٤ .

والواقع أن البيروقراطية فى المجتمع المصرى ، تعتبر من أقدم البيروقراطيات تاريخيا ، نظرا لطبيعة الاقتصاد الزراعى القائم على نظام الرى المركزى ، هذا بالاضافة الى المؤثرات الخارجية خلال العصور المتعاقبة ممثلة فى الاشكال المختلفة من الحكم الاستعمارى ، بحيث تكونت ونشأت البيروقراطية لتكون فى خدمة القوى السياسية الحاكمة بمعزل عن الاهداف الاساسية للجماهير العريضة من المجتمع ٠

وقد أدت الظروف الموضوعية والتاريخية لمسار ثورة ٢٣ يولية الى استمرار الاعتماد على هذه البيروقراطية التقليدية القديمة ، فى القيام بالعديد من المهام والاجراءات الثورية ، مما ترتب عليه تضخم كبير فى حجم البيروقراطية ، وبعض التغييرات فى تكوينها ووظائفها خاصة بعد اجراءات التأميم فى يولية ١٩٦١ أى خلال المرحلة الانتقالية من اقتصاد رأسمالى متخلف الى اقتصاد اشتراكى ٠

ان اتساع نطاق القطاع العام وسيطرته على الاقتصاد القومى ، قد استوجب بالضرورة خلال المراحل الاولى من النمو الاتجاه نحو المزيد من السلطات المركزية ، مما أتاح الفرصة لاتجاهات التضخيم الذاتى لفئة البيروقراطية الادارية والفنية وتحولها الى فئة قوية أو شريحة منفصلة ـ وليست طبقة ـ تحمى بقاءها وأهدافها ومصالحها تحت شعار خدمة المجتمع ٠

وبذلك يمكن أن نتحدث عن ظاهرة البيروقراطية خلال مرحلة الانتقال باعتبار أنها ظاهرة تاريخية خاصة ، تعكس من ناحية نظام العلاقات الاجتماعية الاساسية ، وتمثل من ناحية أخرى فئة اجتماعية قائمة بذاتها تتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلال ، ومنفصلة عن المنتجين الاصليين ، كما تسيطر بفكرها على السلطة ، وتتميز ببعض الخواص التى يمكن أن نحددها فى النقاط التالية :

ـ احتكار عملية الادارة ، ليس على أساس حقوق ملكيتها لوسائل الانتاج ، بل على أساس الحقوق المفوضة لها ، فوسائل الانتاج مملوكة للدولة وتديرها البيروقراطية نيابة عن المجتمع ٠

ـ تركيز جميع وظائف اتخاذ القرارات واصدار التعليمات ، ووضع الانماط الاساسية للتنظيم ، فى الشرائح العليا من البيروقراطية ، وفى نفس الوقت عدم تحمل مسئولية مباشرة للقرارات التى تتخذها ، أمام الجماهير والمجتمع ٠

ـ التصرف فى توزيع الفائض الاقتصادى ، بما يؤدى من جهة الى الافراط فى تحديد أجور الوظائف البيروقراطية ، ومن جهة أخرى الى توجيه جزء كبير من الفائض الاقتصادى الى مصروفات ادارية عالية للجهاز الادارى للدولة والقطاع العام ، وهو اتجاه يهدد بالتهام هذا الفائض الموجه أساسا لخدمة اهداف التنمية الاقتصادية ٠

والواقع أن المجال ليس هنا لتقديم تحليل نظرى لظاهرة البيروقراطية ، بل الهدف من هذا العرض المختصر ، هو ابراز بعض المؤشرات العامة لتضخم البيروقراطية خلال فترة العشر سنوات الاخيرة من ٦٢ ـ ١٩٦٣ الى ٧١ ـ ١٩٧٢ ، وقد تكون لهذه المؤشرات بعض الدلالات فى تأكيد جانب من الاتجاهات التى حددناها فى الفقرة السابقة ، حيث أنه يمكن قياس بعض النواحى الكمية والكيفية لظاهرة البيروقراطية ، فى حين أن بعض الجوانب الاخرى قد لا تخضع لامكانية القياس الكمى الدقيق (أثر البيروقراطية على اتخاذ القرارات على سبيل المثال) ٠

وقد اعتمدنا على ثلاث مؤشرات أساسية لنمو البيروقراطية خلال فترة الدراسة ، وهى اجمالى عدد الوظائف والدرجات ، اجمالى المرتبات والاجور (اعتمادات الباب الاول) ، واجمالى المصروفات الجارية (اعتمادات الباب الثانى) ، مع محاولة مقارنة تطور هذه المؤشرات بتطور بعض المؤشرات العامة لنمو الاقتصاد القومى خلال الفترة من ٦٢ ـ ١٩٦٣ الى ٦٩ ـ ١٩٧٠ (نظرا لعدم توافر بيانات بعد عام ٦٩ ـ ١٩٧٠) ، وكانت النتائج على النحو المبين بعد :

١ ـ النمو فى حجم الوظائف :

ـ **التطور الاجمالى :** بلغ اجمالى عدد الدرجات فى ميزانية الخدمات والاعمال عن ٦٢ ـ ١٩٦٣ حوالى ٧٧٠ **ألف درجة** ارتفع عددها الى نحو ١٢٩١ **ألف درجة** فى عام ٧١ ـ ١٩٧٢ ، أى بزيادة نسبتها ما يقرب من ٧٠ **فى المائة** ، بينما ارتفع حجم العمالة على مستوى الاقتصاد القومى خلال الفترة من ٦٢ ـ ١٩٦٣ الى ٦٩ ـ ١٩٧٠ بنسبة حوالى ٢٠ **فى المائة** ، وكانت الزيادة السكانية

المحققة خلال السنوات من ١٩٦٣ الى ١٩٧٠ بنسبة ٢٠٪ فى المائة أيضا •

وقد ترتب على هذا المعدل المرتفع للزيادة فى الحجم الاجمالى للوظائف ، أن أصبحت تمثل ما بين ٢٢ فى المائة الى ٢٤ فى المائة من اجمالى حجم العمالة فى القطاعات السلعية خلال عامى ٦٩ ـ ١٩٧٠ ، ٧١ ـ ١٩٧٢ ، كما ارتفعت الاهميـة النسبية لها الى اجمالى حجم العمالة فى قطاعات الخدمات من ٣٥ فى المائة الى حوالى ٤٢٫ فى المائة عن نفس الفترة •

ـ التطور الكمى فى بعض المجموعات الوظيفية : ان نسبة التطور فى اجمالى الوظائف والتى بلغت ٧٠٪ فى المائة ، لا تعكس فى الواقع معدلات النمو على مستوى بعض المجموعات الوظيفية التى سجلت معدلات مرتفعة جدا ، لا تتمشى مع بقية معدلات النمو فى المؤشرات الاخرى كما يتبين من الارقام التالية :

ـ بلغت نسبة الزيادة فى الوظائف العليا ٩٧ **فى المائة** حيث ارتفعت الى ١٩٠٥ فى ٧١ ـ ١٩٧٢ مقابل ٩٦٧ فى عام ٦٢ ـ ١٩٦٣ •

ـ ارتفع عـدد الموظفين بالدرجات الثـانية والثالثة من ٩٨٩٧ الى ٢٠٤٢٣ عن نفس الفترة أى بزيادة نسبتها ١٠٦ **فى المائة** •

ـ بلغ عدد العاملين فى الوظائف التخصصية والفنية حوالى ١٩٨ الفا بميزانية الخـدمات والاعمال عن عام ٦٢ ـ ١٩٦٣ ، أى ما يمثل ٢٦ **فى المائة** من مجموع العاملين ، وارتفع عـدد العاملين بهذه الوظائف الى ٣٤٦ الفا فى ميزانية الجهاز الادارى للدولة فقط عن عام ٧١ ـ ١٩٧٢ أى ما يمثل ما يقرب من ٤٠ فى المائة من اجمالى عدد العاملين •

ـ بلغ عدد العاملين فى الوظائف التنظيمية والادارية والمكتبية فى عام ٦٢ ـ ١٩٦٣ ما قدره ٧٨ الفا بنسبة ١٠ فى المائة من الاجمالى ، ارتفع عددهم الى حوالى ١١٢ الفا عن عام ٧١ ـ ١٩٧٢ أى ما يمثل حوالى ١٣ فى المائة من مجموع العاملين بالحكومة •

ويوضح الجدول التالى هذه الاتجاهات :

٢ ـ النمو فى أجمالى المرتبات :

بلغت قيمة المرتبات فى المؤسسات العـامة والهيئات العامة فى عام ٦٢ ـ ١٩٦٣ حوالى ٢٠٠ مليون جنيه ارتفعت الى ٤٤٦ مليون جنيه فى عام ٧١ ـ ١٩٧٢ أى بزيادة قدرها ٢٤٦ مليون جنيه وبنسبة **١٢٣ فى المائة** ، فى حين بلغت نسبة الزيادة فى اجمالى الاجور المدفوعة على مستوى الاقتصاد القومى خلال الفترة من ٦٢ ـ ١٩٦٣ الى ٦٩ ـ ١٩٧٠ نحو ٦٧ **فى المائة** • (بلغت قيمة المرتبات فى عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ حوالى ٤٠٤ مليون جنيه أى بزيادة بلغت نسبتها حوالى ١٠٢ فى المائة عن عام ٦٢ ـ ١٩٦٣ ، وهى تزيد كثيرا عن معدل النمو فى اجمالى الاجور) •

وبذلك أصبحت المرتبات تمثل حوالى ٣٥ فى المائة من اجمالى دخل العمل فى ٦٩ ـ ١٩٧٠ مقابل ٢٨ فى المائة فقط فى ٦٢ ـ ١٩٦٣ ، كما ارتفعت الاهمية النسبية لها الى اجمالى قيمة الاجور المدفوعة للعاملين فى القطاعات السلعية من ٦٦ فى المائة فى ٦٢ ـ ١٩٦٣ الى حوالى ٨٥ فى المائة فى ٦٩ ـ ١٩٧٠ • ويوضح الجدول رقم

جدول رقم (١) تطور اجمالى عدد الوظائف (٢) خلال عشر سنوات

	٦٢/١٩٦٣ عـدد	٦٦/١٩٦٧ عـدد	٧١/١٩٧٢ عـدد
الاجمـالى	٧٧٠٣١٢	١٠٣٥٧٤٧	١٢٩٠٥٣٨
الوظائف العليـا	٩٦٧	١٥٤٤	١٩٠٥
الوظائف التخصصية	٧١٦٦١	١٠٣٥٨٧	١٣٧٨١٤
الوظائف الفنيـة	١٢٦٠٩٠	١٦١٠٣٠	٢٠٨٠٤٤
الوظائف التنظيمية والادارية	١٣٦٧١	١٩٨٦٢	٢٥٢٨١
الوظائف المكتبية	٦٣٤٥١	٧٦٠١١	٨٥٩٢٨

(٢) جميع الارقام الواردة لا تشمل الشركات •

(٢) تطور اجمالى المرتبات (اعتمادات الباب الاول) خلال الفترة من ٦٢ ـ ١٩٦٣ الى ٧١ ـ ١٩٧٢ ، مقارنة بتطور اجمالى الاجور خلال المدة من ٦٢ ـ ١٩٦٣ الى ٦٩ ـ ١٩٧٠ .

جدول رقم (٢)

	١٩٦٣/٦٢ مليونجنيه	١٩٦٧/٦٦ مليونجنيه	١٩٧٢/٧١ مليونجنيه
اجمالى المرتبات	٢٠٠	٣٣٦	٤٤٦
اجمالى الاجور	٧٠٧	١٠٠٢	١١٨٠
قطاعات سلعية	٣٠٣	٤٢١	٤٧٢
قطاعات الخدمات	٤٠٤	٥٨١	٧٠٨
١٩٧٠/٦٩ [*]			

٣ ـ النمو فى اجمالى المصروفات الجارية :

ارتفعت قيمة المصروفات الجارية الى حوالى ٧١٥ مليون جنيه فى عام ٧١ ـ ١٩٧٢ (٣)، مقابل حوالى ٣١٧ مليون جنيه فى عام ٦٢ ـ ١٩٦٣ ، أى بزيادة نسبتها ١٢٥ فى المائة وهى نسبة مرتفعة للغاية ، خاصة اذا ما لاحظنا أن الزيادة المحققة فى الدخل القومى خلال الفترة من ٦٢ ـ ١٩٦٣ الى ٦٩ ـ ١٩٧٠ بلغت حوالى ٦٣ فى المائة .

ويوضح الجدول رقم (٣) تطور بعض المؤشرات الاقتصادية الاساسية :

جدول رقم (٣)

	١٩٦٣/٦٢ مليونجنيه	١٩٧٠/٦٩ مليونجنيه
الانتاج القومى	١٥٦٣	٢٥٥٣
الدخل القومى	٣١٥٤	٥٣٠٧
العمالة [بالالاف]	٦٨٦٨	٨٢٧٥

يمكن أن نخلص من هذا العرض المختصر ، الى أن معدلات النمو البيروقراطى خلال الفترة موضع الدراسة ، كانت تفوق بكثير معدلات النمو فى المؤشرات الاقتصادية الاساسية ، مما يدل على التوسع الكبير والتضخم فى الجهاز الادارى للدولة والمؤسسات العامة ، بحيث يمكن القول بأنه لا توجد ضرورة موضوعية أو علاقة منطقية بين هذا النمو السريع والمذهل والاحتياجات الفعلية التى تتطلبها عملية الانتاج ، **ويؤكد ذلك أن زيادة الإنتاج القومى خلال الفترة الموضحة بجدول رقم (٣) بلغت ٦٨ فى المائة ، وقد أمكن تحقيق هذا المعدل بزيادة فىحجم القوة العاملة لم تتجاوز ٢٠ فى المائة ، فى حين كانت الزيادة الكميه فى الوظائف بنسبه ٧٠ فى المائة وفى المرتبات بحوالى ١٢٣ فى المائة .**

ان هذه الاتجاهات تستوجب القيام بالدراسات العلمية الدقيقة لكافة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لظاهرة البيروقراطية ، خاصة اذا ما تذكرنا أنها من الظواهر القديمة والراسخة فى المجتمع المصرى .

---

[٣] تم استبعاد بعض عناصر الرقم الاجمالى للمصروفات الجارية عن السنة المالية ١٩٧٢/٧١ ، حتى تكون الارقام المقارنة على أساس سليم .

« هذا المقال من البحرين عن « تاريخ وتطور الحركة العمالية فى البحرين » — كتبه « للطليعة » قائد من قادة الحركة العمالية هناك — سعيد عبد الله — وقد اشترك مؤخرا فى المؤتمر الخامس للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ، الذى انعقد فى القاهرة فى الفترة من ٢٦ الى ٢٩ مايو ١٩٧٢ ».

تاريخ وتطور الحركة العمالية فى البحرين

سعيد عبد الله

يبدأتاريخ الحركة العمالية فى البحرين من بدء اكتشاف النفط عام ١٩٣٢ ، اذ ترك معظم عمال البحر عملهم والتحقوا بالعمل فى « شركة نفط البحرين المحدودة» بابكو » (١) .

ومنذ ذلك التاريخ برزت عمليات الاستغلال البشع التى تمارسها الشركة عن طريق وسيطها المحلى « حسين نعيم » اذ يشغل العامل ما لا يقل عن ١٢ ساعة الى جانب الساعات التى يقضيها ذهابا وايابا الى العمل والتى لا تقل عن اربع ساعات مع الاجر الضئيل الذى يتقاضاه عن الاجر اليومى وهو « ٦ آنات » سابقا (أو ٢٥ قرشا سوريا) . وهذا بعد ان يأخذ الوسيط من قيمة الاجر نصيبه وهو النصف .

هذا الاستغلال البشع كان هو البذرة الاولى التى ساهمت فى ايقاظ الوعى العمالى ، وتكاتف الطبقة العاملة رغم الدعاية المستميتة لزرع الروح الطائفية بين طائفة السنة والشيعة والتى كان يغذيها الاستعمار البريطانى الذى يحتل البحرين احتلالا عسكريا .

ففى مثل هذه الظروف الاجتماعية ، والاضطهاد المباشر الذى كان يمارسه آل خليفة من سلب ونهب لشعب البحرين والذى تشهد به مناطق « شده ، وسنابس وتوبلى والبلاد القديمة والمحرق » .

والنتيجة الحتمية لمثل هذه الظروف المعيشية والاجتماعية هو اعلان السخط ، فتفجر اول اضراب عمالى عام ١٩٣٨ وقام به عمال شركة « بابكو » . ويعد هذا الاضراب أول اضراب عمالى فى الخليج العربى .

(١) شركة امريكية تمتلك اسهم كل من ستاندرد أويل أوكاليفورنيا ٥٠٪ شركةتكساسكو ٥٠ ٪

ولم يكن من السلطة الا ان اعتقلت ونفت العديد من العمال وقامت بمضايقة الاخرين . وكان نتيجة للعسف والقمع ان هجر الكثير من العمال الوطن وسافروا الى السعودية حيث بدأ تدفق النفط ، وامكانية الحصول على العمل متوفرة .

وفي اعقاب قمع انتفاضة ١٩٣٨ بدأت الشركة تفكر في وضع حد للاضرابات او تأخيرها ، فأعطت للعمال زيادة ضئيلة ، ودأبت من الناحية الاخرى على استبدال البحرينيين بالاجانب ، ولان الشركة في حقيقة الامر هي حكومة فعلية مدعومة بسلطة الضباط الانجليز . ولقد عاد الى البلاد معظم العمال الذين سافروا الى السعودية مدفوعين برغبة العيش بجانب عوائلهم ، فتحملوا شروط وظروف العمل القاسية التي تفرضها شركة «بابكو»

ومع موجة تطور الحركة السياسية في الوطن العربي في الخمسينات كانت الحركة السياسية بمحتواها الاصلاحي الديمقراطي تسير الى الامام في البحرين .

وتمخض عن هذا التطور خروج « **هيئة الاتحاد الوطني** » الى الوجود ، وهو التنظيم السياسي الذي مثل طموح شعب البحرين آنذاك ، وسيطر على المسرح السياسي .

وكان ذلك هو الانعكاس الصحيح لهذا التطور ، ومن الطبيعي ان ينال تأييد الشعب بكامل فئاته ، وبالذات العمالية منها .

وشكلت « هيئة الاتحاد الوطني» الضالة المنشودة لشعب البحرين ، وتمكن العمال عن طريق الهيئة شن نضال مرير دءوب طوال ثلاث سنوات من أجل مطالبهم الديمقراطية . ففي الوقت الذي كانت الهيئة مشغولة في المفاوضات مع الحكومة للتوصل الى بعض المطالب الاصلاحية المطروحة ، كان يجري من جانب العمال الاعداد لشن نضال منظم لانتزاع تلك المطالب ، وجاء اول ديسمبر من عام ١٩٥٤ ليعلن فيه العمال اضرابهم الشهير والذي استمر ١٤ يوما تعطلت فيها جميع مرافق الحياة في البلاد . وأضطرت الحكومة تحت هذا الضغط الشعبي الهائل الرضوخ الى بعض المطالب العاجلة وفتح باب الحوار مع العمال حول المطالب الديمقراطية الاخرى .

واستدعت حكومة البحرين خبيرا بريطانيا في شئون العمل ، وأعلنت عزمها على اصدار قانون للعمل ، ومن ناحية اخرى شرعت « **هيئة الاتحاد الوطني** » في تكوين اتحاد عام للعمال ضم كذلك أصحاب سيارات التاكسي والموظفين الصغار واطلقوا على الاتحاد « **اتحاد العمل البحريني** » واصدرت بطاقات عضوية لـ ١٣٠٠٠ عضو «لا يزال يحتفظ بها البعض للذكرى » .

وأمام هذا التطور السريع رأت الحكومة انه من الافضل أن تواكب الاحداث وتعمل بسرعة لكي لا يفلت من يدها ما بقي من زمام ، فأصدرت قرارا يقضي بتشكيل لجنة استشارية مكونة من تسعة اعضاء ثلاثة يمثلون الشركات بما فيهم شركة بابكو ، وثلاثة يمثلون الحكومة ، هم عبارة عن الخبير الانجليزي الذي أتى به من انجلترا ، واثنان من العائلة الحاكمة ، وثلاثة ينتخبهم العمال .

وبعد ٥٨ جلسة توصلت اللجنة الى وضع مسودة « لقانون العمل البحريني » وقانون التعويضات .

وفي تلك الفترة شاءت الظروف ان تعصف بالمشرق العربي بوقوع العدوان الثلاثي على مصر ، فما كان من جماهير البحرين الا ان خرجت في مظاهرات عطلت حركة البلاد ، وقام العمال بأحراق الممتلكات البريطانية وجانب من مصفاة النفط ، وقد جرى ذلك بصورة عفوية قبل ان يخرج النداء الذي يدعو العمال العرب الى ضرب مصالح الدول المشتركة في العدوان والمتواجدة في الوطن العربي .

وكانت الفرصة الذهبية لحكومة صاحبة الجلالة لضرب الحركة الوطنية والقضاء على كل المكاسب التي استطاعت هذه الحركة انتزاعها خلال ثلاث سنوات بأساليب غاية في البساطة مدعومة بحرارة العمال وثباتهم . فنزلت القوات البريطانية شوارع البحرين ، واحتلت البلاد احتلالا عسكريا ، وشنت غارات على البيوت وفتشت تفتيشا وصل الى حفر أرضية الحجر ، وقبض على قادة « هيئة الاتحاد **الوطني** » وأودع بعضهم سجون القلعة وجدة ونفى البعض الى جزيرة سنت هيلانة .

وتراوحت مدد الاحكام التي نفذت بين الـ ٢٠ سنة والعشر سنوات . وبذلك خسرت الطبقة العاملة والتي تشكل غالبية سكان البحرين كل ما استطاعت تحقيقه من مكاسب ، عدئ مسودة قانون العمل التي شوهت وحذف منها الكثير من الفقرات والمواد وخرجت بالشكل الذي لا تزال السلطة في البحرين تحتفظ به في ادراج وزارة العمل وتلوح به للشركات التي يهمها امر تنظيم العلاقات بين العمال واصحاب الاعمال .

وفرضت منذ ذلك التاريخ حالة الطوارىء ، والتي لا تزال البلاد تحكم بموجب قانونها . اذ لم يصدر اي بيان يعلن ان حالة الطوارىء هذه قد رفعت ، ولم تخل سجون البحرين ولا حتى لاسبوع واحد منذ اكتوبر ٥٦ حتى يومنا هذا من معتقلين ، ويوجد حتى تاريخ كتابة هذه السطور كل من : ١ ــ **حسن الستراوي** . ٢ ــ **علي الشيراوي** . ٣ ــ **أحمد حمدان**

٤ ـ مجيد مرهون • ٥ ـ حسن الذيباري • ٦ ـ ابراهيم رجب • ٧ـ جليل الحوري • ٨ ـ ابراهيم سند • ٩ ـ عبد الله مطيويع • ١٠ ـ حسن بديوي • ١١ ـ خليفة الوردي • ١٢ ـ أحمد الشملان • ١٣ ـ عبد المنعم الشيراوي • ١٤ ـ بدر ملك • ١٥ ـ يوسف البنكي • ١٦ ـ عوض اليماني • ١٧ ـ أحمد قاسم عبد الرسول • ١٨ ـ سلمان كمال الدين • ١٩ ـ محمد بخيت • ٢٠ ـ علي الشرقاوي • ٢١ ـ يوسف الصباح ، عدا المنفيين خارج الوطن ويبلغ عددهم الـ ١٢٠ مواطنا منذ عام ١٩٦٥ حتى يومنا هذا . هذا غير العائلات التي تركت البحرين بسبب رفضها الاضطهاد المباشر من العائلة الحاكمة ، ومن ضمن هذه العائلات المشهورة النعيمي ، وسلطة ، والبوكوارة ، والبنعلي ، ولا يزال يوجد بالبحرين القليل من افراد هذه العائلات ، والذين هجروا البحرين منتشرين في بلدان الخليج والسعودية •

وبعد قمع تظاهرات ١٩٥٦ نشط « جهاز المخابرات » في مطاردة جميع الوطنيين واتبع نظام ليس من نوعه نظاما في تفتيش المواطنين وهو أن أي عامل او موظف يريد العمل لابد أن يمر عبر جهاز « القسم الخاص » لتقبله الشركة او المؤسسة التي يريد العمل بها ، وعلى اثر ذلك كله تفشت البطالة في البلاد . لان جهاز المخابرات يتذارع بالصاق تهمة « سياسي » بأي مواطن يريد مضايقته ، وشعب البحرين الذي لا يزيد عدده عن ٢٠٠,٠٠٠ ، « يقدر العاملون فيه بـ « ٤٠ الفا » هؤلاء الـ ٤٠ الفا أما ان يكون احدهم قد سار في تظاهرات ١٩٥٦ أو تظاهرات تأييد الوحدة الثلاثية او شجب الانفصال او أبوه او صديقه يقرأ المصور أو آخر ساعة او يستمع الى صوت العرب « آنذاك » . نخلص من كل هذا ان كل بحريني « سياسي » ، وبما أنه « سياسي » فيمنع من العمل !!

ومع حركة المد القومي في الوطن العربي ، وازدياد تعسف شركة النفط « بابكو » والحملات المحمومة التي يقوم بها « جهاز المخابرات البريطاني » خلال الفترة الواقعة بين اكتوبر ٥٦ ومارس ٦٥ ، توجت هذه السلسلة من القمع المتواصل باقدام شركة النفط على تسريح ١٥٠٠ عامل خلال ثمانية شهور •

كل هذا كان كافيا لان يفجر انتفاضة مارس ١٩٦٥ المجيدة ، والتي بدأها الطلبة بمظاهرات داخل المدرسة الثانوية يوم الاحد ٥ مارس احتجاجا على هذا التعسف وتبعهم العمال الذين كانوا يعدون لتفجير الانتفاضة ان لم يبدأ بها الطلبة . وتبع ذلك التفاف كافة الجماهير البحرينية حول مطالب العمال والتي تركزت في ١ ـ اعادة المفصولين • ٢ ـ حرية العمل النقابي •

وما كان من السلطة القمعية الا أن فتحت النار وخرقت صدور المئات من العمال ضحية يوم الجمعة ١١ ـ ٢ ـ ٦٥ ، وعم الاضراب العام البحرين من أقصاها الى أقصاها وتعطلت الحركة ١٥ يوما متتالية ، وسقط على أرض الوطن ستة من شهداء نضال الطبقة العاملة واستمرت الانتفاضة طيلة ثلاثة شهور ، وامتلأت السجون بالمعتقلين والمعتقلات • وشرد المئات من الوطنيين وغيرهم خارج الوطن والذين لا يزالون حتى الان خارج الوطن حيث لا تسمح لهم السلطات بالعودة الى الوطن الحبيب •

نستطيع أن نستخلص دروسا من انتفاضة مارس ١٩٦٥ هي :

١ ـ رغم وجود المنظمات التي منها من تطرح التزامها بأيديولوجية الطبقة العاملة والاخرى ذات الاهداف القومية ، الا أن جماهير البحرين وفي مقدمتهم الطبقة الحاكمة كانت تسير في المقدمة وهذه المنظمات تتبعها ببطء شديد •

٢ ـ الاضراب تم تصعيده يعني الاصطدام ببنادق المرتزقة ، بينما لم يكن هناك من يحكم تسيير هذا الاضراب •

٣ ـ النقابة العمالية هي المدرسة التي يمكن من خلالها تعلم تنظيم شن النضالات العمالية •

واستطاعت الطبقة العاملة بعد ذلك لململة شتاتها من جديد خلال ثلاث سنوات ، لتبدأ النضال من جديد • فحدث اضراب عمال « شركة الكهرباء » في مطلع عام ١٩٦٨ وبلغ عددهم الـ ٤٧٠ عاملا وطرحوا المطالب التالية : ١ ـ السماح بانشاء نقابة عمالية ٢ ـ تعديل الاجور لتناسب غلاء المعيشة ٣ ـ توفير أدوات السلامة ٤ ـ تعديل درجات العمل « جريدز » ٥ ـ توفير المواصلات أو صرف بدل لذلك .

واستمر الاضراب أربعة أيام قوبل بمحاولة التمييع في البداية ثم قمع بالقوة ، وختم بانشاء مركز للشرطة داخل المبنى •

وفي اول آيار ١٩٧٠ اضرب عمال « شركة طيران الخليج » (٢) ويبلغ عددهم ٢٧٠ عاملا ، ورفعوا المطالب التالية : ١ ـ حرية العمل النقابي ٢ ـ تعديل الاجور لتناسب غلاء المعيشة ٣ ـ توفير المواصلات ٤ ـ صرف علاوات الزواج •

---

(٢) شركة تابعة لشركة الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار

واستمر الاضراب أحد عشر يوما . وقابلت السلطة هذا الاضراب بجلب ما يقارب الـ ٢٥٠ جنديا من « فرقة الشغب » المدربة تدريبا خاصا على قمع التظاهرات والاضرابات . وعمدت السلطة من جانب الى ارهاق العمال عن طريق تطويل المفاوضات معهم والتهديد بتفريق الاضراب بالقوة من جهة أخرى . غير أن القمع هو الوسيلة الحاسمة لدى السلطة ، وتلى ذلك حملة محمومة قام بها جهاز المخابرات فى اعتقال العديد ممن كانت تشك فى أمر قيادتهم ، او تدبيرهم لهذا الاضراب .

وتلى اضراب عمال طيران الخليج عمال « شركة اتحاد المقاولين العرب » وكانت مطالبهم نفس المطالب السابقة ، وقمع هذا الاضراب أيضا والذى بلغ عدد المضربين فيه ٣٥٠ عاملا .

وفى شهر يونيو ١٩٧٠ اضرب عمال « دائرة الاشغال » البالغ عددهم ٣٥٠ عاملا ، وارتفع عدد المضربين بعد يومين الى ٦٠٠ عامل .
وفى يونيو ١٩٧٠ أضرب عمال دائرة الصحة « قسم الملاريا » ويبلغ عددهم الـ ٢٠٠ عامل .

وفى يوليو من نفس العام اضرب عمال « شركة البرق واللاسلكى » (٣) وكانت مطالبهم هى نفس المطالب السابقة . الا أنهم استطاعوا تحقيق نسبة ضئيلة فى الاجر اليومى اذ صدر بيان فى شهر أغسطس ينص على :

١ ــ يعتبر الاجر اليومى للعامل الذى خدم مدة لا تزيد عن السنتين هو ٩٥٠ فلسا ــ و ١٠٠ر١ لمدة الخدمة التى لا تزيد على الخمس سنوات ــ و ٢٠٠ر١ للذى خدم أكثر من خمس سنوات !!!
هكذا صدر البيان . غير أنه لم يغير شيئا فى وضع العامل والذى يقدر غلاء المعيشة بـ ٥ر٢٦ فى المائة خلال خمس سنوات (٤) منذ ١٩٦٥ ــ ١٩٧٠ . وفى ديسمبر ١٩٧٠ اضرب ٣٠٠٠ عامل وهم عمال مصنع الالمنيوم « فى مرحلة تشييده » . وجاء هذا الاضراب نتيجة لمعاناة العمال المريرة منذ دق أول عمود فى بناء المصنع حيث مات ثمانية من العمال نتيجة لاهمال المسئولين به ، وعدم معرفتهم بأبسط قواعد السلامة حيث لم يمارسوا العمل الا فى الجيش وهم فى غالبيتهم من مخلفات الجيش البريطانى البشرية . لقد تجمهر العمال فى مكان واحد ، ورفعوا مطالبهم فى لافتات لكى يفوتوا على السلطة فرصة التلاعب وتمييع الاضراب بطلبها المعتاد وهو لجنة تفاوض عن العمال .
وكانت المطالب هى : ١ ــ حرية العمل النقابى .
٢ ــ دفع الاجور للعمال كما تدفعها الشركة للعمال عن طريق الوسيط « عبد الهادى العنو » ٣ ــ توفير المواصلات ٤ ــ توفير أدوات السلامة !

وكان جواب السلطة هو جلب أربعة لوريات محملة بفرقة الشغب ، وقاموا بتطويق العمال والتحرش بهم ، وتجاهلت السلطة الاضراب طيلة ١٢ يوما ، الى أن ارهق العمال ، اذ ليس هناك من يدعمهم لاستمرار الاضراب ، وحيث الافقار الاقتصادى المخطط والمدروس والمنفذ من قبل القسم الخاص والحكومة والشركات .

والان يتضح لنا من هذا السرد لسلسلة الاضرابات المتعاقبة منذ اضراب عمال الكهرباء ٦٨ حتى اضراب عمال الالبا (٥) . ان جميع هذه الاضرابات قد فشلت ولم تحقق أى مكسب ، ولماذا يا ترى يكون لدى العمال من قناعات جديدة ؟؟ هل الاضرابات ليست هى الاسلوب الذى يمكن به تحقيق المكاسب ؟ . هل هناك من أسلوب آخر للنضال ؟ . هذان السؤالان هما ما كان يحاول العمال فى حوارهم طوال الفترة التى تلت ديسمبر ١٩٧٠ .

وكان مشروع النقابات العمالية هو الاسلوب الذى يجب خوض نضال جديد من أجل تحقيقه ولكن كيف تتم المطالبة ؟

فعمال شركة الكهرباء سبق وأن طالبوا بنقابة فى ١٩٦٨ ولاقوا رفضا قاطعا من أحد كبار المسئولين .

وعمال شركة طيران الخليج قدموا طلبا فى شهر يوليو ١٩٧٠ « بعد فشل اضرابهم » واستندوا فى ذلك الى مواد الباب الثالث من قانون العمل الصادر فى نوفمبر ١٩٥٧ . ولكنهم فشلوا بسبب رفض المسئولين للطلب بطريقتهم المعتادة الغير مباشرة ، وهى التمييع ــ والامل فى مطالبة جديدة حيث لن يجنى منه العمال الا خسارة ، وهى عدد من زملائهم استضيفهم السلطة فى أحد سجونها . وازدادت اهمية ايجاد حل لازمة الطبقة العاملة فى البحرين ، وهو ازدياد الاسعار المضطرد .

غير ان البحث عن الحل لم يطل كثيرا ، اذ أجمع العمال على ايجاد مدخل مع الحكومة يكون

---

[٣] شركة انجليزية من الشركات التى تقوم بتاجير اجهزتها ومعداتها للبلدان كما هو الحال بالنسبة لشركة « بابكو » .
[٤] تقرير شركة نفط البحرين « سرى لم ينشر »
[٥] شركات مساهمة ٨٨ ٪ من راس مالها اجنبية و ١٢٪ حكومة البحرين

الهدف من ورائه « فتح حوار » مع المسئولين يتم عن طريقه تلمس ما يمكن للعمال الدفع به ومن ثم ابرازه الى حيز الوجود فى الوقت المناسب ، وكان هذا المدخل هو تشكيل لجنة تأسيسية لاتحاد عام يضم العمال والموظفين والحرفيين وفعلا تشكلت اللجنة التأسيسية وطبعت أول بيان وهو الاول والأخير أوضحت فيه الهدف من المطالبة بالاتحاد وهو فتح حوار مع المسئولين ، حول ما يمكن التوصل اليه على الا يكون ذلك على حساب الطبقة العاملة .

وكانت اللجنة التأسيسية هى الضالة المنشودة ليس لدى العمال فحسب بل ولكل من يرهق كاهلهم غلاء الاسعار واوضاع العمل الغير انسانية وقامت اللجنة التأسيسية بطبع قانون مؤقت يحتوى الابواب الرئيسية فى دساتير النقابات وهى :

١ ـ الاهداف ٢ ـ العضوية ٣ ـ المالية .

وجمع مايقارب الـ ٢٨٠٠ توقيع وقدم الى وزارة العمل بتاريخ ٢٣ ـ ٨ ـ ٧١ وكان وزير العمل بطبيعة الحال يعلم قبل تقديم الطلب أن العمال يجمعون توقيعات ليقدموها لوزارة العمل فكان مستعدا لذلك وواضع فى باله انه سوف لن يقابلهم وهذا ما حصل حين حضر أعضاء من اللجنة التأسيسية الى وزارة العمل ليقدموا الطلب فحاول التذرع بشتى الوسائل لعدم مقابلتهم غير أنهم أصروا على تسليمه الطلب يدا بيد .

ومضى على تاريخ تقديم الطلب الشهر ثم الشهران حتى وصلت الى السبعة شهور . وفى الوقت الذى كانت وزارة العمل تكرر الجواب نفسه للجنة التأسيسية وهو « طلبكم لا يزال يدرس » كانت التوقيعات تزداد يوما عن يوم ، وحاجات العمال تزداد بقدر ازدياد التوقيعات على طلب الجواب من الوزارة اما سلبا مع ذكر الاسباب ، أو ايجابا .

ومع تصاعد موضوع مطالب العمال والتى أصبحت حديث الشارع والمقهى والنادى ، كانت موجة غلاء الاسعار فى ازدياد مضطرد (نسبة الزيادة ١٠ فى المائة سنويا) ، وكانت الحكومة تعالج موجة الغلاء هذه بالتجاهل فى معظم الحالات ، ولما استفحلت وباتت تشكل جرس الانذار للانفجار قامت الحكومة بمحاولة تعيسة جدا لمعالجة هذه المشكلة فشكلت لجنة من التجار وأسندت لها مهمة تحديد الاسعار غير أن اللجنة قامت برفع الاسعار الى الحد التى يروق لها وأتحفت الشعب ببيان « تجميد الاسعار » وكان كل شىء بعد ذلك ينذر بالخطر .

وجاء يوم ١١ ـ ٣ ـ ٧٢ ليعبر فيه العمال عن سخطهم لهذه المهازل ، فخرجوا فى مسيرة توجهت فى اليوم الاول الى مبنى وزارة العمل : غير أن أحدا لم يخرج من المسئولين ، وفى اليوم التالى ١٢ ـ ٣ ـ ٧٢ انضمت قطاعات عمالية عديدة فكانت المسيرة تضم عمال « المنطقة الصناعية » والتى يعمل فيها ما لا يقل عن عشر شركات ، وعمال «آلبا» ، وعمال « بابكو » ، وعمال المقاولات الموزعة فى عدة أماكن ، ومن ثم انضمت فئات جماهيرية عديدة الى جانب الطلبة والذين أخرجوا بتدبير من السلطة ضمن «مخطط افتعال الفوضى لضرب المسيرة ، وفى ذلك اليوم توجه العمال الى « مبنى الحكومة » حيث كان مجلس الوزراء يعقد جلسته المعتادة « يوم الاحد » .

وحين وصول المسيرة الى المبنى كانت المفاجأة حيث يقف وزير العدل داخل المبنى يحمل بيده ميكروفون ، وعن يمينه وزير الزراعة والبلديات وخلفه وزير العمل ، وبجانب وزير العمل يقف السيد « هندرسون » مدير المخابرات ، وفى الخلف تقف اربع فرق من « قوات المرتزقة » فى حالة تأهب يحملون بنادق « FK » وفى هذا الجو الى جانب صخب وضجيج العمال أرادت السلطة التفاوض مع العمال ، فطلب وزير العدل فى الميكروفون من العمال ممثلين منهم ، فأجاب العمال أن الممثلين سوف يعتقلون وطلبوا الضمان بعدم أعتقالهم ، فرد وزير العدل وهو يضرب فوق صدره « وكأنه يسألهم الا تثقون فى كلام وزير العدل ـ العدل !! » وحين أكد لهم وزير العدل انه لن يمس أحد من اللجنة فوض العمال اللجنة التأسيسية لتمثلهم . وتقدم أعضاء اللجنة التأسيسية وقدموا المطالب عبر الباب الحديدى . والجدير بالذكر هنا ان اللجنة التأسيسية طلبت الدخول الى داخل المبنى ليتسنى للطرفين التباحث فى جو معقول وليس فى الجو الانف الذكر ، غير أن اللجنة الوزارية رفضت ذلك باصرار !! وقد اجاب وزير العدل فى الميكروفون على ان المطلب الاول وهو : ١ ـ حرية العمل النقابى انه لا يساوى الا جزءا بسيطا لا يذكر من الحريات الديمقراطية التى يكفلها الدستور والذى لن تؤخر اكثر من اسبوعين ، وبشأن المطلب الثانى وهو اطلاق سراح المعتقلين من اللجنة التأسيسية ، وهم على الشيراوى ، وحسن الستراوى . فانه سوف يتم أطلاق سراحهم بعد يومين ووعد بذلك ودق على صدره أيضا للتأكيد .

وحول المطلب الثالث وهو تحديد الاسعار ، قال أن هناك لجنة قد شكلت من وزارة العمل وسوف تباشر اعمالها من الغد .

وحول المطلب الرابع وهو : زيادة الاجور تتناسب وغلاء المعيشة قال ان لكل شركة ومؤسسة أجور تدفع للعمال وتتفاوت هذه الاجور من شركة

لاخرى • فطلب من أعضاء اللجنة التأسيسية الاتصال بعمال هذه الشركات والذين منهم معتصمين فى أماكن عملهم كعمال « المستشفى العام« السلمانية » وعمال « شركة طيران الخليج » وأبلاغهم طلب اللجنة الوزارية ، مع رصد المطالب حتى الجزئية منها ، وحدد موعد الساعة ٣٠ر٩ يوم الاثنين ١٣ ـ٣ ـ٧٢ لاجتماع اللجنة الوزارية باللجنة التأسيسية •

وفي ليلة الاثنين أغارت سيارات الشرطة بصحبه المخابرات على بيوت جميع أعضاء اللجنة التأسيسية وأعتقلت من حصلت عليهم في بيوتهم أما من لم تحصل عليهم فقد قامت بأخذ آبائهم كرهائن حتى يتم تسليم انفسهم • وصباح يوم الاثنين توجهت المسيرة العمالية ، ومن تبقى من أعضاء اللجنة التاسيسية الى مكان الاجتماع • غير انهم فوجئوا بأن من فى انتظارهم فرقة الشغب وليست اللجنة الوزارية كما اتفق عليه من قبل .

وحال اقتراب المسيرة من سور مبنى الحكومة ، انهالت عليهم قنابل «غاز الغثيان» ، ثم لحقته طلقات الرصاص ، وأثناء اطلاق الرصاص على العمال كان امران يجريان بعيدا عن الساحة التى سالت فيها الدماء : الاول : هو تأهب جنود « القاعدة الامريكية البحرية » للتدخل وقت الحاجة،والثانى :هو ان شرذمة من المرتزقة البلوش والباكستانيين كانوا يجرون وسط السوق ويحطمون واجهات المتاجر ، كان ذلك بلا شك بايعاز من « الحكومة الفعلية » لدولة البحرين الفتية ! ؟ ونعنى بذلك « ضباط القسم الخاص » الانجليز •

وظن الاوغاد أنهم بذلك سوف يفكون الاضراب ويعيدون العمال الى اعمالهم . غير ان العمال واصلوا الاضراب من بيوتهم !! فحالة الذعر قد عمت البلاد وقامت السلطة بأخلاء معسكر « قوة دفاع البحرين » وقامت بتوزيعهم على جميع قرى ومدن البحرين بمصفحاتهم ومدافع ٥٠٠ التى تحملها سيارات الجيب وكامل معداتهم وحفرت الخنادق داخل دوارات الشوارع التى تتمركز فيها مفارز من قوة الدفاع ونصبت الخيام ، وعاشت البحرين حالة عسكرية لم تعشها حتى أثناء الحرب العالمية الثانية .

ولقد كتب لهذه الانتفاضة العمالية الفشل من غير ان تحقق أى مكسب ، ولكن من عادة السلطة بعد كل انتفاضة أو اضراب يقوم به العمال أو شعب البحرين هو تحقيق بعض المطالب الثانوية كمحاولة منها لامتصاص ما يمكن من نقمة الجماهير، واختتمت السلطة عملها التعسفى وبتأجير بعض الاقلام المرتزقة لتشوه الانتفاضة ، غير أن من ارادت بهم تشويه الانتفاضة رغم براعتهم فى حبك المواضيع والحوارات لم يستطيعوا اخفاء بعض الحقائق التى يمكن للقارىء المتوسط الثقافة استشفافها •

والان نعود لنقول ماذا يمكننا الخروج به ، من دروس ؟ . نقول ان الانتفاضة الاخيرة تميزت عن انتفاضة ١٩٦٥ • ونوجز ذلك فى :

ان الطبقة العاملة فى عام ١٩٦٥ كان هناك من يدفع بها ويتقدم فى شن النضال ، بل أن بدء انتفاضة ٦٥ توضح هذا الامر بصورة أدق، اذ ان الطلبة فى المدرسة الثانوية هم من بدأوا نفجير الانتفاضة يوم الخميس ٩ ـ ٣ ـ ١٩٦٥ حين التجمع فى ساحة المدرسة ورفع اللافتات التى تحمل مطالب : اعادة العمال المفصولين وحرية العمل النقابى • وما تلى ذلك من تدخل الشرطة « الخيالة » بالهراوات ، وضرب الطلبة فى حرمة المدرسة • وما تلى ذلك أيضا من التفاف العمال والفئات الجماهيرية الاخرى حول المطالب ، ثم تبنى المنظمات الوطنية الانتفاضة ومحاولة تسييرها : فى مارس ٧٢ وتحدد من بداية ٦٨ : العمال هم من بادر فى شن وقيادة نضالهم ، ثم متابعة ذلك النضال بطلب الاتحاد ، وتكوين لجنة تأسيسية ثم الخروج الى الشارع واحكامه يومين متتاليين من غير اعطاء اية فرصة للسلطة التدخل بحجة الفوضى او التكسير او أية حجة تختلقها • وهذا الامر (تنظيم المسيرة) هو ما أغاظ السلطة ، وجعلها تخرج عن طورها ، وترتكب حماقات لابد وأن اختلف عليها ان لم يكن فى مجلس الوزراء « اذ أن رئيس الوزراء والذي على اتصال وثيق بالقسم الخاص هو الامر والناهى فى المجلس » . نقول أن لم يكن فى مجلس الوزراء ففى جلسات « الشرب » الجانبية لبعض الوزراء الذين تعلموا اسلوب « المراجعة » فى حلقات المنظمات التى كانوا ينتمون اليها قبل سقوطهم فى مستنقع الوحل !

والامر لم يقف عند سيطرة العمال على الشارع واحكام المسيرة ، بل وحتى فى تحاشى الاصطدام مع المرتزقة المسلمين ببنادق FN الرشاشة اذ لولا وجود العديد من العمال المخلصين والواعين لكان شهداء انتفاضة مارس ٧٢ لا يقل عن الـ ١٠٠ شهيد غير الجرحى •

هذا ما يمكن الاشارة اليه باختصار جدا بصدد مقارنة انتفاضة مارس ٦٥ بـ مارس ٧٢ .

غير أن هذا لا يعنى ان عمالنا قد وصلوا الى

المستوى الذي يجعلهم يوقفون من تطوير أساليبهم النضالية اذ أن الطبقة العاملة فى مرحلتها هذه أشبه بالطفل الذى شعر بالقوة حين قدرت قدماه على السير ، وتخلص من الاستعانة بالجدار فى سيره . والان ما هى مخططات السلطة لصد حركة العمال الناهضة ؟ من خلال تصريحات المسئولين يظهر انهم لا يعتزمون تشريع النقابات على الاطلاق ، ويسند هذا الاصرار على عدم التشريع الحكومة السعودية ودليل على ذلك أنها ارسلت ما يقارب الـ ٢٠٠ جندى لقمع الانتفاضة الاخيرة .

ومن ناحية اخرى تحاول السلطة ايجاد « لجان استشارية » كبديل للنقابات وقد جربت ذلك فى شركة نفط البحرين الا أنها افشلت بواسطة العمال وايضا حاولت السلطة ايجاد هذه اللجان فى شركه « الالبا » الا أنها افشلت قبل مولدها أيضا .

ونستطيع القول ان « الدولة الديمقراطية » متورطة ، وتريد الخروج من هذه الورطة بايجاد نموذج جديد مستحدث ، ليكون النموذج الفريد فى الوطن العربى . وليس أدل على هذه الورطة ما تحاول السلطة تبريره والتشويه باستئجار الاقلام المرتزقة .

ان الطبقة العاملة فى بلدنا بحاجة الى من يقف معها فى قضيتها العادلة ، الى من يؤازرها فى نكباتها وفى صراعها المرير الدءوب ، والذى لن يتوقف يوما .

ان السلطة حين قمعت الانتفاضة الاخيرة وهمت انها قد أنهت الروح النضالية لدى العمال ، ولكنا نقول وكلنا ثقة ان نضال الطبقة العاملة لن ينتهى الا حين لا يكون هناك وجود لهذه الطبقة .

أن نضال الطبقة العاملة باق ما بقيت هذه الطبقة التى لابد وان تفرز من بينها فى كل حين عمالا جسورين يحسنون التفاوض فوق طاولات المفاوضات ، كما يحسنون الحديث مع بعض حين يجلسون على الارض ياكلون غداءهم ، اويشربون الشاى كما ويحسنون العمل حين يطلب العمال ذلك .

تحية الى الذين ردوا بدمائهم أرض الوطن من أجل الحرية والديمقراطية .

أوربا الغربيــــة

والسيطرة الأمريكية

حمدى عبد الجواد

فى بداية القرن العشرين كتب **فريد ماكينزى** الناشر البريطانى فى كتابه « الغـزاة الامريكيـون » خططهم وتكتيكاتهم وتقدمهم ، « يقول : ان اخطر جانب فى الغزو الصناعى الامريكى يكمن فى ان هؤلاء الدخلاء قد اصبحت لهم السيطرة على كل الصناعات الجديدة تقريبا التى أنشئت خلال الخمسة عشر عاما الماضية »

غير أن ما حدث فى بداية هذا القرن يعتبر امرا محدودا للغاية اذا ما قورن بما حدث فى النصف الثانى من القرن العشرين . فلقد ادت الحرب العالمية الثانية الى توزيع جديد للقوى بين بلدان العالم الراسمالى . وترتب على الحرب فى أوروبا القضاء على الامبريالية الالمانية ، كما اضعفت لدرجة كبيرة مراكز فرنسا وايطاليا وبريطانيا . واصيبت البلدان الاوربية نتيجة للحرب بدمار اقتصادى لم تعرف له مثيلا من قبل بينما خرجت الولايات المتحدة الامريكية وقد تدعم مركزها واصبحت هى سيدة الموقف بلا منازع ، داخل العالم الراسمالى .

المساعدات ومعها السيطرة

وكان من الطبيعى فى ظل هذا الوضع أن تقبل بلدان غرب اوروبا المساعدة الامريكية وأن تتنافس فى تقديم مختلف التسهيلات لجذب رأس المال الامريكى بهدف اعادة تعمير اقتصادها الذى دمرته الحرب وكانت حكومات بلدان غرب اوروبا وهى تفتح ابوابها امام الاحتكارات الامريكية تأمل فى حل عديد من المشاكل التى تواجهها مثل زيادة احتياطاتها من العملات الاجنبية وايجاد مصادر جديدة لتمويل اقتصادياتها وتجديد صناعتها والتوسع فى العمالة .

غير أن دوافع رأس المال الامريكى كانت مختلفة ، فتدفق رأس المال الامريكى لاوربا الغربية فى ذلك الحين كان يهدف فى المحل الاول الى اعادة بناء اوروبا لتصبح فصيلة صدام أمامية فى استراتيجية الولايات المتحدة ضد بلدان المعسكر الاشتراكى ، كما أنها كانت فى ذلك الوقت سوقا ضخمة للاستثمارات والمنتجات الامريكية ومصدرا للعمل الرخيص أمام الاحتكارات .

وعندما اقيمت السوق المشتركة للدول الست فى

غرب اوربا ساندتها الولايات المتحدة وحاولت احتوائها داخل استراتيجيتها الاطلنطية وكانت تلك الاستراتيجية ترمى الى تعبئة القوى الاساسية للنظام الامبريالى تحت قيادة الولايات المتحدة للقضاء على الاشتراكية العالمية واستخدام حلف شمال الاطلنطى لتدعيم وتوسيع النفوذ الامريكى فى اقتصاديات غرب اوروبا وسياستها . وكانت الولايات المتحدة تهدف الى توجيه عمليات التكامل فى غرب اوروبا فى اتجاه « تكامل الاطلنطى » تحت سيطرة الولايات المتحدة، ومما هو جدير بالذكر ان التوسع الامريكى فى اوروبا قد اتخذ ابعادا أكبر بعد قيام السوق المشتركة . ويرجع ذلك الى الخوف من نمو قدرة الدول الست المشتركة فى السوق على المنافسة وسعى الولايات المتحدة الى التغلب على الحواجز الجمركية لدول السوق .

فخلال الفترة من ١٩٥٦ ـ ١٩٧٠ ، زادت الاستثمارات الامريكية المباشرة فى غرب اوروبا الى ستة اضعافها تقريبا ،وبلغت حوالى ٢٢٫٠٠٠ مليون دولار متخطية بذلك مجموع الاستثمارات الامريكية فى أى منطقة أخرى من العالم الرأسمالى . وحسب تقديرات الاقتصاديين فى غرب اوروبا فان الرقم الحقيقى يصل الى أربعة اضعاف ذلك التقدير على الاقل لان القيمة السوفيتية لما تمتلكه الولايات المتحدة فى اوروبا الغربية تصل الى ضعف قيمته الاسمية ، ولان الاستثمارات الامريكية تتحكم فى رأس المال المحلى بما يساوى ضعف قيمتها . وهكذا قدر المجموع الكلى للاستثمارات الامريكية فى غرب اوروبا فى نهاية ١٩٦٩ بحوالى ٨٨٫٠٠٠ مليون دولار .

والهدف الرئيسى للتوسع الامريكى هو بلدان السوق المشتركة حيث توجد حوالى نصف الاستثمارات الامريكية المباشرة فى البلدان الرأسمالية المتطورة . وتقل الاستثمارات الامريكية فى بريطانيا فى الوقت الحاضر عن مجموع استثماراتها فى منطقة السوق المشتركة لكنها تزيد عنها فى أى بلد على انفراد من البلدان القارية وتبلغ حوالى ٧٢٠٠ مليون دولار .

وتتصدر عملية التوسع الامريكى اقوى الشركات الاحتكارية . فمن بين الاحتكارات الالف الاقوى أقامت حوالى ٨٠٠ منها فروعا لها فى غرب اوروبا . ويأتى على رأس قائمة الاحتكارات الضخمة أمثال جنرال موتورز وفورد وستاندرد اويل اوف نيوجرسى ، والانترناشيونال بيزينيس ماشينزوديبونت . والقسم الاكبر من الاستثمارات الامريكية فى غرب اوروبا يملكه حوالى ٢٠ من الاحتكارات الضخمة . وتفوق أصول هذه الاحتكارات العشرين أصول الشركات الموجودة فى غرب اوروبا عدة مرات . وتقول مجلة فورشن أن مبيعات احتكارين منهما فحسب تساوى تقريبا مجموع مبيعات أكبر ٥٠٠ شركة فى فرنسا . وتبلغ قيمة مبيعات ١٩ شركة رئيسية فى الولايات المتحدة ما يساوى مجموع الناتج القومى فى بريطانيا ، كما يكفى الدخل الصافى لاربعة احتكارات امريكية ضخمة لتغطية مصروفات ميزانية بلجيكا . وهذا هو السبب فيما تتمتع به الاحتكارات الامريكية من ميزات فى المنافسة ضد الشركات الاوروبية الغربية، وفى أنها ابتلعت كثيرا من منافسيها . فخلال عام ١٩٦٧ على سبيل المثال تسربت الاحتكارات الامريكية الى ٤٨ شركة من شركات السوق المشتركة وأقامت ١٩٦ فرعا لها مقابل ١٤٧ فرعا اقامتها شركات اوروبا الغربية .

وقد احتكرت المصالح الامريكية فى غرب اوروبا انتاج الالات الحاسبة وتتحكم فى انتاج ٨٠ فى المائة من هذه الصناعة ، كما تسيطر على حوالى ٣٠ فى المائة من صناعة السيارات وعلى جزء هام من صناعة الكيماويات والاليكترونيات وعلى حوالى ٦٠ فى المائة من صناعة الفحم وعلى ٩٥ فى المائة من الاسواق المركزية .

وفى بريطانيا تسيطر الاحتكارات الامريكية على مؤسسات تنتج ٧٥ فى المائة من الالات الحاسبة ، ٧٠ فى المائة من الغسالات ، ٥٠ فى المائة من السيارات ، ٢٠ فى المائة من العدد ، ٣٠ فى المائة من اطارات السيارات ، ٣٥ فى المائة من الجرارات والالات الزراعية ، ٤٢ فى المائة من اجهزة التليفون والتلغراف التى تنتج فى هذه البلاد .

وفى فرنسا تصل هذه النسبة الى ٥٠ فى المائة فى الثلاجات وأكثر من ٤٠ فى المائة فى الجرارات ، والالات الزراعية ، ٢٠ فى المائة من المنتجات الدوائية، ويسود بقية بلدان القارة اوضاع مماثلة تقريبا وقد اتخذ التوسع الامريكى اتجاهين رئيسيين : مجال الصناعات المرتبطة بالاليكترونيات ومجال الخدمات . ويرتبط بذلك زيادة تغلغل الشركات الامريكية فى الفروع المنتجة للالات ، الحاسبة والمعدات الاليكترونية والصناعات الهندسية والمستحدثات العلمية والتكنولوجية المعقدة .

ولم تعتمد الاحتكارات الامريكية على مواردها الخاصة فحسب ، كما كانت تتوقع بعض الدوائر الغربية ، وانما هذت العالم القديم برؤوس الاموال الموجودة فى الاسواق النقدية لغرب اوروبا . ففى عام ١٩٦٨ طرحت الاحتكارات الامريكية فى الخارج ، وخاصة فى غرب اوروبا من الاوراق المالية ما قيمته ٢٢٠٠ مليون دولار مقابل ٤٤٧ عام ١٩٥٩ . وزادت نسبة استثمارات الولايات المتحدة الخارجية فى بلدان السوق المشتركة خلال

السنوات العشر الماضية من ٣٠ فى المائة الى ٤٧ فى المائة . وخلال ربع القرن الماضى ، على سبيل المثال ، لم ينقل جنرال موتورز دولارا واحدا من امريكا الى اوروبا وأعتمد فى الاساس على الائتمان الاوروبى .

وخلال عام ١٩٧٠ حققت الاستثمارات الامريكية فى غرب اوروبا ارباحا تقدر بحوالى ١١٠٠٠ مليون دولار وبلغت الارباح المحولة من غرب اوروبا الى الولايات المتحدة ١٧٠٠ مليون دولار . لقد اصبح غرب اوروبا كمصدر للارباح الامريكية يقارب الان فى مستواه منطقة بترول الشرق الاوسط .

وتتحكم الولايات المتحدة الامريكية فى المستحدثات العلمية والتكنولوجية وتحتفظ بهسا للاحتكارات داخل الولايات المتحدة ولا تعطى لاحتكارات غرب اوروبا من هذه المعلومات الا النذر اليسير وفى الحدود التى تسمح بها . ونتيجة لذلك اصبحت بلدان غرب اوروبا اكثر اعتمادا على المعلومات العلمية والتكنولوجية الامريكية ، وهكذا تستمر الهوة التكنولوجية بين بلدان غرب اوروبا وبين امريكا .

فائض الحاصلات الامريكية في وجــه أوربا الخضراء

خلال فترة ما بعد الحرب سيطرت الولايات المتحدة على الاسواق الزراعية فى بلدان غرب اوروبا التى كانت تعانى نقصا شديدا فى الحبوب واللحوم وغيرها من المواد الغذائية وخلال عام ١٩٦٢ ، وهو العام الاول للسياسة الزراعية للسوق المشتركة ، قدمت الولايات المتحدة من ٥٠ فى المائة الى ٩٠ فى المائة من واردات بلدان المجموعة الاقتصادية الاوروبية من الحبوب والدجاج . ونتيجة لذلك بدأ المزارعون الامريكيون يفرضون وجودهم فى اسواق غرب اوروبا واستثمروا اموالهم فى بناء صناعة تربية الدواجن .

غير أن المخططات الامريكية لفرض السيطرة على الاسواق الزراعية فى اوروبا قد فشلت نتيجة للسياسة الزراعية للسوق المشتركة التى كانت تهدف فى الاساس الى زيادة الاكتفاء الذاتى . وقد فرضت دول السوق المشتركة اسعارا زراعية موحدة اعلى من مستوى الاسعار العالمية ، كما فرضت رسوما جمركية عالية على المنتجات الزراعية الاجنبية حتى تحول دون اغراقها لاسواق اوروبا .

وكان لذلك اثر كبير على المنتجات الزراعية الامريكية المصدرة الى اوروبا مثل القمح والدواجن ومنتجات الالبان وبذلك انخفضت صادرات امريكا من هذه المنتجات من ٤٩٩ مليون دولار عام ١٩٦٣ الى ٤٨٠ مليون دولار عام ١٩٧١ ، ولجات الولايات المتحدة الى تصدير المنتجات التى لم تفرض عليها رسوم جمركية عالية . ورغم كل اجراءات الحماية فقد زاد مجموع صادرات الولايات المتحدة الى دول السوق المشتركة من ١٣٠٠ مليون الى ١٨٠٠ مليون دولار خلال نفس الفترة . وتحاول دول السوق تخفيض وارداتها الزراعية خاصة مع تزايد انتاجية بلدانها .

وهناك مصدر آخر للتوتر بين الولايات المتحدة وبين دول السوق المشتركة وهو تزايد تصدير المحاصيل الزراعية لدول السوق فى الاسواق العالمية وحتى داخل السوق الامريكى نفسه , ولما كانت اسعار السوق المشتركة مرتفعة فقد انشأت الدول الست صندوقا خاصا لدعم الصادرات الزراعية ولمساعدة المصدرين من بلدان غرب اوروبا على المنافسة .

وتمثل الاتفاقيات التفضيلية التى تعقدها السوق المشتركة مع البلدان النامية أحد مصادر التوتر بين الولايات المتحدة ودول السوق التى تمارس احتكاراتها عن طريق تلك الاتفاقيات نوعا من الاستعمار الجماعى يضمن لها مواد أولية رخيصة وأسواقا واسعة ويربط الدول النامية بها . وتعارض الولايات المتحدة تلك الاتفاقيات لانها تقوى مركز الدول الست فى العالم الثالث على حساب المصالح الامريكية .

لقد سعت احتكارات غرب اوروبا باقامتها لسوق زراعية مشتركة داخل المجموعة الاقتصادية والاوربية الى تدعيم مواقفها الاقتصادية والسياسية فى الصراع ضد الاحتكارات الامريكية فى الاساس . وحاولت بلدان السوق المشتركة التغلب على التناقضات القائمة فيما بينها والتى كانت تهدد قيام وتطور السوق الزراعية المشتركة ، وكلما ازدادت حدة الخلافات فيما بينها تسعى الى التوصل الى تسويات مؤقتة لمواجهة خطر التوسع الامريكى الذى يهددها من خارج القارة .

وتصطدم سياسة الحماية الزراعية التى تطبقها دول السوق المشتركة بمصالح الولايات المتحدة . ان خمس ما تحصل عليه امريكا من تجارتها الخارجية يأتى من تسويق حاصلاتها الزراعية . وقد اعتادت امريكا أن تصدر جزءا كبيرا من تلك الحاصلات الى بلدان غرب اوروبا . فقبل انشاء السوق الزراعية المشتركة كانت الولايات المتحدة تصدر ٣٨ فى المائة من الحبوب ، ٤٦ فى المائة من

الذرة الى بلدان غرب اوروبا الست . وبدأت الولايات المتحدة تواجه التحدى بعد فرض الدول الست للحواجز العالية ورفع اسعار الحاصلات الزراعية ودعم الصادرات الزراعية ونتيجة لذلك بدأت سلسلة من الصدامات بين بلدان غرب اوروبا وبين الولايات المتحدة دعت الولايات المتحدة على اثرها الى محادثات المائدة المستديرة التى لم تصل الى نتيجة ، اذ رفضت دول غرب اوروبا رفع القيود الزراعية التى سبق ان فرضتها ٠

وخلال السنوات الاخيرة واجهت الولايات المتحدة صعوبات متزايدة فى السوق الزراعية الاوروبية ٠ ففى عام ١٩٦٨ انخفض المجموع الكلى للصادرات الزراعية حوالى ٤٥٨ مليون دولار بالمقارنة مع العام السابق ٠ وبالاضافة الى ذلك ساعدت سياسة دعم الصادرات الزراعية فى دول السوق على زيادة تغلغل تلك المنتجات فى الاسواق الامريكية (اللحوم ومنتجات الالبان الهولندية والخضروات والفواكه المحفوظة من فرنسا وايطاليا) . كما ساعدت سياسة دعم الصادرات الزراعية بلدان السوق المشتركة على منافسة الولايات المتحدة فى أسواقها الزراعية الخارجية حيث بدأت تغزو هذه الاسواق ٠ وخلق ذلك بعض المتاعب لرأس المال الامريكى فقد صرح موريس ستانز وزير التجارة الامريكى الاسبق قائلا : « أنه تحت ضغط سياسة المنافسة التى تتبعها المجموعة الاقتصادية الاوروبية تحتدم المنافسة فى الاسواق الزراعية » ٠

أوربا تقف على قدميها من جديد

كانت اعادة التعمير الاقتصادى لبلدان غرب اوروبا وأحتلالها من جديد لذلك الدور الهام على مسرح الحياة الاقتصادية للعالم الراسمالى اهم تغيير شهده العالم الراسمالى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ٠

واستفادت بلدان غرب اوروبا من المساعدات الامريكية ومن احتكار الدولة لدفع التنمية الاقتصادية بصورة ساعدتها على أن تتخطى الولايات المتحدة فى معدلات نمو الانتاج الصناعى ونتيجة لذلك وصل الانتاج الصناعى فى غرب اوروبا عام ١٩٧١ الى ٨٥ فى المائة من الانتاج الصناعى الامريكى بينما كان فى سنوات ما بعد الحرب لا يزيد عن ٥٠ فى المائة فحسب ٠ كما تخطت بلدان غرب اوروبا الولايات المتحدة فى معدل نمو التجارة الخارجية . ففى عام ١٩٧١ بلغ نصيب غرب أوروبا فى الصادرات الراسمالية العالمية ٢ر٣ ضعف الولايات المتحدة بينما لم يزد عام ١٩٤٨ عن ٤ر١ ضعفا كما يبين الجدول التالى :

وكانت احد الدوافع الهامة لتأسيس السوق المشتركة هو رغبة احتكارات غرب اوروبا والدوائر الحاكمة فيها فى توحيد جهودها لمواجهة السيطرة الامريكية . وفى الحقيقة فان المركز الاقتصادى لدول السوق الست فى مواجهة الولايات المتحدة قد تحسن كثيرا منذ تأسيس السوق المشتركة ٠ ورغم أنها ما زالت متخلفة فى الانتاج الصناعى عن الولايات المتحدة فان بلدان غرب اوروبا تحتل اليوم مواقع أقوى فى مجال الاقتصاد الراسمالى العالمى ٠ لقد قفزت المانيا الغربية الى المرتبة الثانية فى اقتصاد العالم الراسمالى فيما يتعلق بالانتاج الصناعى والتجارة الخارجية والى المرتبة الاولى فيما يتعلق باحتياطيات النقد ٠ كما تحسن مركز كثير من بلدان اوروبا الغربية بشكل عام خلال الفترة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ٠

وهكذا فشلت محاولات الولايات المتحدة فى اقامة تكامل امبريالى تحت قيادتها كما أن توحيد رأسمالية الدولة الاحتكارية فى غرب اوروبا لم يسر فى نفس الخطوط التى رسمتها الدوائر الحاكمة الامريكية ٠ أن تدعيم المركز الاقتصادى لبلدان غرب أوروبا وزيادة استقلالها السياسى ووحدتها فى السوق المشتركة قد جعل من استمرار خضوعها للولايات المتحدة أمرا صعبا . فلقد كان هناك تناقضات حادة بين الاحتكارات الامريكية وبين منافستها فى غرب أوروبا وسرعان ما بدأت

	نصيبها فى الانتاج الرأسمالى العالمى		نصيبها فى الصادرات الرأسمالية العالمية		الاحتياطيات النقدية	
	١٩٤٨	١٩٧١	١٩٤٨	١٩٧١	١٩٤٨	١٩٧١
الولايات المتحدة	٪٥٥/٨	٪٤٠/٨	٪٢٣/٤	٪١٤/٠	٪٤	٪١٧/٨
بلدان السوق المشتركة	٪٣٠/٤	٪٣٤/٣	٪٣٣/٢	٪٥٠/٠	٪٩/٤	٪٣٥/٨

تفرض نفسها على سطح الحياة الاقتصادية فى القارة . وأصبح من الواضح أن المجموعة الاقتصادية الاوروبية رغم أنها تأسست فى البداية لدعم قوى الامبريالية ضد الاشتراكية فانها فى نفس الوقت قد دخلت فى منافسة حادة مع الامبريالية الامريكية وخلال عملية التكامل الاقتصادى لبلدان غرب اوروبا تزداد انفصالا عن الولايات المتحدة الامريكية وتزداد حدة خلافاتها معها .

ورغم وجود تناقضات بين دول غرب أوروبا فقد تمكنت البلدان الست من الغاء الرسوم الجمركية فيما بينها وخلقت ظروفا أفضل لانتقال رؤوس الاموال والايدى العاملة ونسقت سياسة الاسعار وفرضت قيودا على الواردات واتبعت سياسة دعم الصادرات الزراعية وأقامت الحواجز الجمركية فى مواجهة البلدان الخارجية وخاصة الولايات المتحدة ، وحاولت أن تجذب الى فلكها عددا من بلدان أفريقيا والبحر المتوسط على أساس توقيع اتفاقيات العضوية المنتسبة والافضليات المتبادلة . ولقد وصل تطور المجموعة الاقتصادية الاوروبية الى مرحلة معقدة تزداد فيها حدة المنافسة بين بلدان السوق من ناحية والمنافسة بينها وبين الولايات المتحدة من ناحية أخرى مع مضى الوقت . وقد أوضحت التجربة أن اتجاه التكامل الاقتصادى الرأسمالى لا يستطيع أن يقضى على التناقضات القائمة بين تلك البلدان .

ولقد حاولت الولايات المتحدة التوصل الى تسوية تناقضاتها مع بلدان السوق المشتركة ولكن تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح بل لقد ترتب على اضطراب النظام النقدى الرأسمالى العالمى وما نتج عنه من تخفيض قيمة الدولار ، تفاقم حدة التناقضات بين الولايات المتحدة ودول السوق المشتركة .

توسيع السوق المشتركة

ولقد تمكنت بريطانيا بعد مساومات طويلة من الانضمام الى السوق المشتركة فى يناير ١٩٧٣ ومعها ايرلندا والدنمارك والنرويج . كما وقعت بقية دول اتحاد التجارة الحرة اتفاقا مع دول المجموعة الاقتصادية الاوروبية خاص برفع الحواجز الجمركية مع دول السوق خلال فترة زمنية معينة . لقد أدت خيبة أمل بريطانيا فى اتحاد التجارة الحرة وتدهور أهمية بلدان الامبراطورية البريطانية فى علاقات بريطانيا الاقتصادية الخارجية ، وتخلف معدل النمو الاقتصادى فيها عنه فى المانيا الغربية وفرنسا وايطاليا ، والنمو الاقتصادى السريع لدول السوق واتساع نفوذها ، الى اجبار بريطانيا على السعى للانضمام الى السوق المشتركة .

ويأمل البعض فى أن يؤدى انضمام الدول الاربع الى السوق المشتركة الى تسهيل التطور الاقتصادى فى غرب اوروبا والى تحررها من السيطرة الامريكية التى أصبحت عبئا ثقيلا على هذه المنطقة طوال ربع القرن الماضى . ويحلم دعاة توسيع السوق بتحالف قوى جديد لاحتكارات غرب اوروبا يسيطر على ٢٦٠ مليون شخص وعلى أكثر من ٤٠ فى المائة من تجارة العالم وعلى ناتج قومى يبلغ حوالى ٦٤٠٫٠٠٠ مليون دولار .

وفى الحقيقة فان توسيع السوق الاوروبية المشتركة بدخول الدول الاربع ليس الا محاولة لرسم استراتيجية جديدة للعالم الرأسمالى فى ضوء حقائق وتطورات الاوضاع القائمة فى اوروبا خلال السنوات الاخيرة . وتهدف تلك المحاولة الى تدعيم التحالف العسكرى لبلدان غرب اوروبا وزيادة التعاون والتنسيق السياسى فيما بينها . فهل سيتحقق ذلك الامل الذى يراود التشابك العسكرى الصناعى على جانبى الاطلنطى .

فى الحقيقة أنه مع انضمام الدول الاربع الى السوق المشتركة ستضاف متاعب بريطانيا الاقتصادية الى متاعب دول القارة . والمشاكل التى تواجهها الدول الست ستزداد اتساعا وتعقيدا امام الدول العشر فى السوق المشتركة . فالمجموعة الاقتصادية الاوروبية ليست الا تجمعا للاحتكارات الرأسمالية بكل ما يترتب على طبيعته من نتائج وتنجح السوق المشتركة فى حل مشاكلها فى الحدود التى تتفق فيها مصالح احتكارات الدول الاعضاء ، ولكن كثيرا ما تتعارض هذه المصالح بدرجة حادة .

وتأمل احتكارات البلدان الاوروبية أن يساعدها توسيع السوق فى القاء جزء من متاعبها على أكتاف شركائها . اذ تحاول الاحتكارات فى كل بلد استثمار أموالها فى البلدان الاخرى التى تتوفر فيها شروط أفضل ، ففى عام ١٩٧١ على سبيل المثال تضاعفت استثمارات المانيا الغربية فى فرنسا بالمقارنة مع العام السابق ووصلت الى ٥٨٠٠ مليون فرنك وهو ضعف ما استثمره الفرنسيون داخل بلادهم .

لقد أصبحت اوروبا الغربية الوثيقة الارتباط اقتصاديا وسياسيا بالولايات المتحدة ضحية لعدم الاستقرار الاقتصادى والنقدى وللتناقضات السياسية وتتعاون احتكارات بلدان غرب اوروبا مع الاحتكارات الامريكية كلما رأت ذلك فى مصلحتها دون أن تهتم كثيرا باستقلالها .

فماذا سيكون تاثير انضمام بريطانيا الى السوق على علاقة غرب اوروبا بالاحتكارات الامريكية ؟

ان استثمارات راس المال الامريكى فى بريطانيا تزيد على ٧٠٠٠ مليون دولار ، وهو مبلغ يقل قليلا عن الاستثمارات الامريكية فى بلدان السوق المشتركة معا . وهكذا سيؤدى انضمام بريطانيا الى السوق المشتركة الى تدعيم مركز الاحتكارات الامريكية فى غرب اوروبا بدرجة كبيرة . فهل يمكن ان تساعد دول السوق المشتركة على تدعيم استقلال بريطانيا ؟ كلا ، فبريطانيا لا تنـوى اضعاف روابطها مع الولايات المتحدة . ولا يجب أن ننسى أن بريطانيا تحتل المكانة الاولى بين مستثمرى رأس المال فى الولايات المتحدة اذ تزيد استثماراتها هناك على ٤٠٠٠ مليوندولار . وتؤكد الديلى تلغراف أن لندن ستؤيد الاتجاه نحوتدعيم علاقات السوق الموسعة مع الولايات المتحدة .

غير أن ذلك لا يعنى أن التناقضات بين الولايات المتحدة والسوق الاوروبية الموسعة لن تتفاقم . وعلى العكس فلابد من انفجار جديد لتلك التناقضات بسبب التغيرات الخطرة التى طرات على الاوضاع داخل السوق المشتركة ، تلك الاوضاع التى زاد من تعقيدها وضع بريطانيا المزدوج كشريك رئيسى للولايات المتحدة من جانب وكعضو فى السوق الموسعة للدول العشرة من الجانب الاخر . وستواصل السوق الموسعة سعيها الحثيث للحد من الضغط والنفوذ الامريكى فى غرب اوروبا ، كما أن الاحتكارات الامريكية لن تكف عن الكفاح ضد القيود التى تفرض فى طريق توسعها فى اوروبا .

ورغم ان هذا التناقض فى المصالح قائم ، وان استقلالية أوروبا النسبية عن الهيمنة الامريكية الاقتصادية والسياسية تتزايد ، الا أن هذا الصراع هو بالذات صراع على المستعمرات والاسواق ومناطق النفوذ ، أى موجه ضد الشعوب وحركات التحرر الوطنى . فالنظام الاجتماعى هنا وهناك — عبر الاطلنطى — واحد ، والاهداف مشتركة والموقف من الشعوب هو انعكاس موضوعى لهذا النظام أو ذاك .

ومن الطبيعى انه يمكن الاستفادة من هذه التناقضات كعنصر ثانوى فى نضالنا ، الا أنه لا يمكن التعويل على الغرب ، سواء فى أوروبا أو أمريكا أن ينصر حركة التحرر الوطنى أو يساندها أو يتهادن معها .

ومن هنا التفرقة بين الاستفادة من التناقضات داخل معسكر العدو وبين التحديد الاستراتيجى للحليف الرئيسى ، والعدو الرئيسى على النطاق العالمى والذى يستند أولا وقبل كل شيء على النظام الاجتماعى لكل منهما .



أوراق سياسية

من

الاتحاد الاشتراكي العربي

[١] تقرير الأمانة العامة الذى أقرته اللجنة المركزية بشأن تطوير أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى

[٢] مشروع دليل العمل السياسي الفكري والتنظيمي .

[٣] مناقشات حول مشروع دليل العمل

حرصت « الطليعة » على نشر الوثائق التنظيمية الخاصة بالمناقشات التي جرت من أجل تطوير الإتحاد الاشتراكى العربى . تحت عنوان « الاتحاد الاشتراكي .. وقضية التحالف » وذلك على امتداد ثلاثة من اعدادها هى : عدد مايو ١٩٧٢ ، عدد يونيو ١٩٧٢ ، عدد يوليو ١٩٧٢ .

كان من بين ما نشرناه فى العدد [مايو] ، : « مشروع ورقة العمل ، المقدم من السكرتير الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى . ونشرنا فى العدد [يوليو] ، : « مفاتيح التطوير الفكرى والسياسي والتنظيمى للاتحاد الاشتراكى العربى ، ثم تقرير السكرتير الاول الى اللجنة المركزية فى ضوء ما انتهت اليه لجنة العمل ، الذى تضمن تكليف بعض أعضاء لجنة العمل بمهمة اعداد مشروع لدليل العمل السياسي والتنظيمى .

وفى هذا العدد ، تنشر « الطليعة » نص التقرير النهائى الذى اصدرته الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى بتكوينها الجديد ، بعد تقرير السكرتير الاول .

وكان قد أعيد تكوين الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ، فى ٣٠ يوليو ١٩٧٢ ، حيث شكلت من كل من السادة :

المهندس احمد عبد الآخر [امينا اول مساعدا لشئون الوجه القبلي] ، ومحمد حامد محمود [امينا اول مساعدا لشئون الوجه البحرى] ، ومحمد عثمان اسماعيل لشئون التنظيم ، والمهندس ابراهيم شكرى لامانة المهنيين ، وعبد المجيد شديد للشئون المالية والادارية ، والدكتور عبد العزيز كامل للشئون الدينية والدعوة والفكر ، والدكتور حافظ غانم للشئون الاقتصادية ، ومحمد شتا للحرفيين والرأسمالية الوطنية ، والمهندس ابراهيم نجيب للخدمات ، والدكتور كمال أبو المجد للشباب ، والسيدة كريمة السعيد للمرأة ، ومسعد التميمي للعمال ، ومحمد مهدى شومان للفلاحين ، وكل من الدكتور جابر جاد عبد الرحمن ، وفخرى عبد النبى ، مستشارين للامين الاول .

وفي هذا العدد أيضا ، تنشر « الطليعة » ، نص « مشروع دليل العمل السياسي — الفكرى والتنظيمى » ، الذى أعدته الامانة العامة بعد تكوينها الجديد .

ومساهمة من « الطليعة » فى الحوار الواسع الذى يجري الان في مختلف المستويات التنظيمية للاتحاد الاشتراكى ، تفتح صفحاتها لمختلف الآراء ووجهات النظر التى تصلها ، اثراء للحوار ، بهدف الوصول اخيرا الى النتائج الايجابية المرجوة .

[١]

تقرير الامانة العامة الذى أقرته اللجنة المركزية بشأن تطوير أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى

تقديم

فى هذه المرحلة الدقيقة من جهاد شعبنا المجيد تصميما على اقامة مجتمع عصرى تدفعه روح الايمان وتحركه قوة العلم ، ووفاء بمسئوليته التاريخية واستمرارا لعطائه الحضارى للمجتمع الانسانى كله والجماهير تتدافع بالمناكب لكى تقوم بدورها كاملا وتصر على الا يعرقل مسيرتها نحو أهدافها متخاذل أو سلبى أو انتهازى ، وجموع الشعب تبذل العرق والدم والروح فى سبيل الاعداد للمعركة الضارية ضد قوى العدوان والاستعمار والتسلط ، وكلها ادراك أنه ليس هناك ما هو أغلى وأثمن من ثرى مصر الخالدة وكرامة امتنا العريقة .

وازاء ايمان قيادتنا المناضلة من موقع الالتزام والارتباط الاصيل بالجماهير بأن المجتمع المصرى القوى لا يقوم الا على صرح مؤسسات دستورية وسياسية جديرة بأن تكون تعبيرا حقيقيا عن آمال الشعب واحلامه ، فقد عهد السيد الرئيس محمد انور السادات الى السكرتير الاول للجنة المركزية بمهمة اساسية تستهدف « تدعيم قدرة الاتحاد الاشتراكى وزيادة فاعليته وانفتاحه على الجماهير » .

وحدد سيادته لهذه المهمة خطوطا اربعة رئيسية هى :

١ — حشد طاقة كافة جماهير الشعب عن طريق وضعها فى الصورة دائما .

٢ — ادارة الحوار الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة ، لكى تتحقق مشاركتها الايجابية فى النضال الشامل لامتنا .

٣ — فتح أبواب الاتحاد الاشتراكى ليكون مجالا للتفاعلات الصحية بين كل القوى الشعبية ، ولتكون كل خطوة للامام متصلة بعملية ديمقراطية سليمة .

٤ — اعداد الجماهير نفسيا وفكريا وعمليا لاعباء مسئولياتها ، وعلى ان يكون واضحا ان الناس يتقبلون مسئوليتهم اذا حملوا امانتها واذا امسكوا بأيديهم حقوقهم بما فى ذلك حقهم فى توجيه السلطة الوطنية التى لم تقم الا لتعبر عن ارادتهم .

وقد عرض السيد الرئيس تفاصيل هذه المهمة ودواعيها على المؤتمر القومى العام الثانى فى جلسته الافتتاحية يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٧٢ .

وقد سبق ان اوضح السكرتير الاول للجنة المركزية فى البيان الذى القاه فى تلك الجلسة تصوره الذى استخلصه من الاستطلاع الواسع لرأى ممثلى قوى الشعب العاملة فى الاجتماعات العديدة التى عقدت داخل التنظيم وخارجه مع النقابات العمالية والمهنية والطلبة والشباب واساتذة الجامعات ورجال الفكر والصحافة وجرى من خلالها حوار عميق حول التنظيم السياسى وسبل تطويره ومشكلاته ووسائل علاجها .

وانتهى من ذلك كله الى ان الاوعية التنظيمية اصبحت تضيق — بعد مرور عشرة أعوام على قيام الاتحاد الاشتراكى وازاء المتطلبات الخطيرة لمعركة التحرير ، عن استيعاب وتعبئة كل القوى الجديدة والشابة والصاعدة ، فضلا عن طاقات اخرى وطنية ومناضلة ، وذلك اما لسلبيات موضوعية فى التنظيم نفسه واما لسلبيات ذاتية واما نتيجة للسببين مجتمعين ، الامر الذى يقتضى مزيدا من الانفتاح على الجماهير وفتح ابواب التنظيم امام قوى الشعب العاملة ليستوثق الجميع ان تنظيمهم هو اداتهم الشرعية للتعبير عن الرأى .

كما عرض تصوره لوسائل تحقيق هذا التطوير التى تتمثل فى :

١ — تحديد وتوضيح المنهج السياسى الفكرى والتنظيمى للاتحاد الاشتراكى ودوره ، وتطبيق هذا المنهج على واقع الاتحاد .

٢ — رصد هذا فى وثيقة تنظيمية تكون دليلا سياسيا فكريا وتنظيميا للاتحاد .

٣ — تعديل قانون الاتحاد الاشتراكى تعديلا يحقق هذا التطوير ، ويعبر عما تنتهى اليه الدراسات والاقتراحات والتوصيات .

وانتهى من هذا التصور بأجزائه الثلاثة الى تشكيل « لجنة عمل » ولجان تسع متفرعة عنها تضم اصحاب الرأى والخبرة من اعضاء المؤتمر القومى واللجنة المركزية والاعضاء العاملين بالاتحاد الاشتراكى ، تكون مهمتها ترجمة هذا التصور وصياغته بعد الدراسة والمناقشة الواسعة — الى مجموعة اقتراحات ومشروعات محددة تطرح بعد ذلك على القواعد الجماهيرية ثم تعرض على اللجنة المركزية لدراستها واقرارها .

وقد وافق المؤتمر القومى العام بجلسته المنعقدة فى ١٨ فبراير سنة ١٩٧٢ على هذا التصور وعهد الى السكرتير الاول للجنة المركزية بتشكيل هذه اللجنة .

وقد روعى فى تشكيل اللجنة واللجان الفرعية ان تكون انعكاسا لمختلف الاهتمامات العامة فى المجتمع ، فشمل التشكيل مسئولين متفرغين للعمل السياسى داخل التنظيم وآخرين يتولون بجانب مسئولياتهم فى التنظيم السياسى مسئولياتهم فى الجهازين التنفيذى والتشريعى ، كما شمل عددا من المتخصصين فى مجال الاقتصاد والفكر السياسى والقانونى والسياسة الداخلية والخارجية والدين فضلا عن العاملين فى مجالات الفلاحين والعمال والرأسمالية الوطنية والشباب والجامعات وتوسيعا لقاعدة المناقشة والحوار فقد شكلت لجان استشارية تمثل مختلف قوى الشعب العاملة تعاون لجنة العمل فى مهمتها .

وقد اوضح السكرتير الاول للجنة المركزية للجنة العمل منذ اجتماعها الاول امورا ثلاثة رئيسية حددت طبيعة دورها وحدود مهمتها :

١ — انها لجنة فنية مهمتها الاعداد والدراسة ، وان عملها سيطرح على تنظيمات الاتحاد الاشتراكى فى مستوياتها ثم يرفع بعد ذلك الى اللجنة المركزية وبذلك تكون لجنة خبرة ومشورة تسهم بفكرها فى دعم حركة التنظيم ونشاطه وسلطاته واختصاصاته فى مجالات عمله .

٢ — انها اخذا بما جاء فى بيان السيد رئيس الجمهورية امام مجلس الامة فى ١٩٧١/٥/٢٠ تتحرك فى اطار الاحكام والمبادىء الرئيسية لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كما عبرت عنها الوثائق الرئيسية للثورة وهى ميثاق العمل الوطنى وبيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ وبرنامج العمل الوطنى والدستور .

٣ — ان مهمتها الرئيسية هى المساهمة فى انجاز امرين رئيسيين :

الاول : وضع دليل سياسى فكرى وتنظيمى لاعضاء التنظيم على ضوء الميثاق ووثائق الثورة .

الثانى : التقدم بمشروع لتعديل القانون الحالى للاتحاد الاشتراكى .

وقد عقدت اللجنة ستة اجتماعات طويلة كان احدها اجتماعا موسعا مع السيد رئيس الجمهورية ، وتداولت فى اجتماعاتها آراء كثيرة ، هى فى الحقيقة ثمرة جهد فكرى كبير ولقاءات عديدة ودراسات مستفيضة اجراها اعضاء اللجنة طوال الفترة التى مضت منذ تشكيلها .

وقد تقدم أعضاء لجنة العمل منفردين ومجتمعين تقارير ضافية ناقشت كافة القضايا المبدئية والتنظيمية المتعلقة بالاتحاد الاشتراكى وتقويم الفترة الماضية من حياته ، وأسلوب عمله ، وموقعه من الجماهير خلالها ... كما طرحت فيها حلول تبادلية عديدة لكل ماكشفت عنه الممارسة من سلبيات او ثغرات ... وجرت حول تلك الدراسات مناقشات صريحة طويلة داخل اللجنة نفسها وخارجها ، وتناولت الصحافة كثيرا منها بالتعليق والتحليل .

وكان ذلك كله — فى حد ذاته — مدخلا الى طريق انفتاح التنظيم وشد مزيد من اهتمام الجماهير اليه ... والى ضرورة زيادة فاعليته ، املا فى ان تجد فيه بعد تطويره الساحة الرحبية والمنبر الحر لارائها وتطلعاتها ومشاركتها العلميه والعملية فى توجيه حياتها وصنع مستقبلها كل ذلك فى اطار المواثيق الرئيسية للثورة .

كذلك عقدت اللجان الفرعية الاستشارية اجتماعات ناقشت فيها مشروع ورقة العمل مع توجيه عناية خاصة من كل منها بالجوانب الداخلية فى اختصاصاتها النوعية . ولقد اعقب ذلك عرض تقرير اللجنة على جميع اللجان الفرعية للجنة المركزية حيث قامت بدراسته ومناقشته وادخلت عليه ما ارتأته من تعديلات .

ويمكن تحديد خطوط الاصلاح والتطوير الرئيسية التى امكن استخلاصها من اعمال لجنة العمل واللجان الفرعية الاستشارية ولجان اللجنة المركزية فى خمسة موضوعات رئيسية :

■ الموضـوع الاول ■

اهمية الوعى بطبيعـة المرحلة التى يجتازها نضالنا الوطنى والقومى

ان المرحلة الدقيقة التى تمر بها امتنا اليوم، تحتم اصرار جماهير شعبنا الواعية — اكثر من اى وقت مضى — على الوحدة الوطنية باعتبارها الطاقة الخلاقة التى تدفع العمل الوطنى وتحكمه ، وتضمن الا يذهب سدى او يتشتت فى متاهات الصراع والتناحر والفرقة ، وعلى ان الترجمة الحقة لهذه الوحدة الوطنية هى الصيغة التى قام عليها تنظيمنا السياسى وحرصت عليها الجماهير ورفضت ماعداها وهى صيغة تحالف قوى الشعب العاملة على ان يكون تحالفا حقيقيا وواقعيا بين القوى الاجتماعية وليس تحالفا شكليـا بين افراد ينحرفون بالسلطة او يقيمون مراكز قوى تبطش بالشعب او تتخذ من العمل السياسى وسيلة لتحقيق مآرب ومصالح ذاتية .

ونحن — فى تحركنا داخل هذا الاطار فكرا وتنظيما وعملا ندرك تمام الادراك الامور التالية :

الاول : تعاظم التحدى الذى يواجهه الشعب العربى فى مصر نتيجة لتوثيق التحالف مابين الاستعمار والصهيونية... وهو التحالف الذى استطاع عام ١٩٦٧ ان يصل الى إحتلال جزء من اراضينا مما يوجب علينا ان نحول جزءا هائلا من طاقتنا الوطنية ومن مواردنا لتحرير الارض وازالة آثار العدوان .

الثانى : ضرورة استيعاب التغيير المتواصل فى الظروف العالمية التى تحيط بالنضال الوطنى فى هذه المرحلة من نضالنا الخارجى والداخلى على السواء وهو تغير يشبه الثورة فى العلاقات السياسية الدولية وفى ميزان القوى والمصالح بين اطراف هذه العلاقات ، وفى العلاقات الاقتصادية وموازينها بين الدول المتقدمة والدول النامية ... وفى مجال التطورات الاجتماعية والثقافية والعلمية العميقة التى تشكل بعدا اساسيا بالغ التأثير فى مسيرة النضال الوطنى والقومى واساليبه ووسائل حركته .

الثالث : وقفة مع النفس بعد عشرين عاما من بدء الثورة لمراجعة اساليب العمل مراجعة تستهدف تخليصها من الشوائب وجعلها أكثر قدرة على خدمة الاهداف الرئيسية للنضال الوطنى بيعديه السياسى والاجتماعى ... وعلى مستوياته الوطنية والقومية والدولية ... وهى الوقفة التى عبرت تعبيرا مباشرا عن نفسها بحركة التصحيح الثورية فى مايو الماضى .

على أنه بالموافقة على هذه الامور ، فان الامر يقتضى وضع برنامج مفصل يحدد الخطوات التى يجب اتخاذها لكى يواجه الاتحاد الاشتراكى العربى — فى مسيرته بفاعلية — كل هذه الظروف على ضوء المبادىء التى قررتها ثورة ٢٣ يوليو وميثاق العمل الوطنى وقررها الدستور، واقرها الشعب فى الاستفتاء ، وهى تحرير الارض والاشتراكية والوحدة العربية بمعنى انه ينبغى على الاتحاد الاشتراكى العربى ان يحدد مدلول هذه المبادىء باستمرار على ضوء الظروف المتغيرة ، ثم وضع البرنامج السياسى لترسيخها ووضعها موضع التنفيذ باستمرار .

وينبغى ايضا ان يكون هذا البرنامج بخطواته التنفيذية فى متناول كل فئات الشعب على جميع المستويات الثقافية .

والهدف من كل هذا هو ان يكون الاتحاد الاشتراكى العربى هو الموجه السياسى للشعب فى كل الظروف .

■ الموضوع الثانى ■

موقف التنظيم من الجماهير وموقف الجماهير منه

واذا كان موقف التنظيم السياسى من الجماهير التى يمثلها ويتحدث باسمها وموقفها منه امرين حيويين بالنسبة لها وله .

فقد واجهت الدراسات والتقارير هذين الامرين معا ، تقصيا للجوانب السلبية على وجه الخصوص باعتبارها عنصر الاختناق والقصور مع التقدير لما سوى ذلك من جوانب الايجاب ، ويمكن تحصيل اسباب السلبية فى هذا الشأن بالنسبة لجماعة كبيرة من جماهير الشعب فى انها لم تكن تحس احساسا كافيا بأن لها دورا يمكن ان تتاح له فرص الفعالية فى الحياة العامة تستطيع ان تمارسه من خلال التنظيم ، اما لان الاطارات التنظيمية القائمة لا تتسع لها او لاتتيح لها الفرصة الكافية للتعبير عن رأيها واما لانها اعتقدت ان هذا التعبير — حين يتم — ليس له تأثير على مجريات الامور فلا جدوى منه .

ولقد ثبت ان فاعلية التنظيم السياسى انما تنبع من الجهد الجماعى المشترك لاعضائه واجهزته المختلفة ابتداء من الوحدة الاساسية حتى القيادة المركزية للعمل اليومى متمثلة فى الامانة العامة والسكرتير الاول للجنة المركزية ولا يمكن لهذا الجهد الجماعى ان ينتج اثره دون ان تتوفر حياة ديمقراطية داخل التنظيم .

ولذلك رئى ان الاصلاح لابد وان يسير — فى وقت واحد — فى خطوط اربعة :

الخط الاول :

السربط بين التنظيم السياسى وبين المؤسسات الشعبية المعبرة عن قوى الشعب العاملة ، كالنقابات والاتحادات العمالية والمهنية والشبابية والطلابية والغرف التجارية والصناعية،والتعاونيات الزراعية والهيئات النسائية .

ويراعى فى هذا المجال أن الاتحاد الاشتراكى العربى تنظيم سياسى وليس تنظيما مهنيا او طائفيا هدفه هو تحقيق التحالف السياسى بين كافة قوى الشعب العاملة باعتبارها تمثل مجموع الشعب ، مع مراعاة ان نصف اعضاء تنظيمات الاتحاد من العمال والفلاحين لا باعتبارهم ممثلين لمهنهم ، ولكن لانتمائهم فى مجموعهم لاغلبية الشعب ، فهم والحالة هـذه يعبرون عن الرؤية السياسية والفكرية لهذه الاغلبية وليس عن مصالح طائفية او مهنية .

ولهذا فان الاستعانة بالمؤسسات النقابية والمهنية ، عند بحث بعض الامور

الهامة ، لتحديد الافكار في الاتحاد الاشتراكي العربي لايعني أكثر من الافادة من الخبرات الفنية للوصول الى وضوح الرؤية في تحديد الخط السياسي .

وفي هذا المجال ، يقوم الاتحاد الاشتراكي العربي بعقد اجتماعات دورية بين اعضاء مجالس النقابات والاتحادات والمؤسسات المشار اليها مع المسئولين في الاتحاد الاشتراكي لتبادل الراى في الأمور ، تأكيدا لوضوح الرؤية السياسية لدى كافة الاطراف .

واخيرا فان الاتحاد الاشتراكي باعتباره تنظيما سياسيا فانه لايتدخل في ادارة شئون تلك النقابات والمؤسسات ، وان كان يحرص على سلامة السلوك ووضوح الرؤية .

الخط الثاني :

وضع صيغة مناسبة للممارسة الديمقراطية داخل التنظيم عن طريق الانفتاح الكامل للاراء والمصالح المختلفة للتعبير من نفسها داخل اطارة ولتأمين حرية التعبير وضمان استمراره . بتدعيم سيادة القانون في الحياة السياسية بوجه عام وداخل التنظيم بصفة خاصة .

وترى اللجنة كذلك ان مؤتمرات التنظيم — لاجتماعات لجانه — هي التعبير المباشر عن انفتاحه للجماهير وارتباطه بحركتها وان هذا يتحقق بعقد مؤتمرات التنظيم على مستوى المحافظات والمراكز والاقسام والوحدات الاساسية في مواعيد منتظمه وبجداول عمل محددة واجراءات صحيحه منتجة وبحيث ينتهي عملها باصدار توصيات وقرارات محددة ... وبهذا تتاح للقاعدة العريضه من الجماهير فرصة التعبير المنظم والمشاركة المستمرة في القضايا العامة واليومية .

وترى ان تأمين الممارسة الديمقراطية داخل التنظيم يدعو الى اعتناق مبدا « الشرعية التنظيمية » حتى يمكن التوفيق بين مبدا الالتزام التنظيمي ومبدا حريه التعبير والنشاط داخل التنظيم ، توفيقا تضبطه قواعد معينة ومعروفة مقدما ولا يتحكم فيه تقدير افراد او مجموعات داخل التنظيم ، وفي نفس الوقت يحقق الانضباط التنظيمي للاتحاد ويقضي على التسيب الذى يؤثر على وحدته وتماسكه وقدرته وفعاليته .

وتؤكد اللجنة ان ضمان الحوار الحر داخل التنظيم يقتضي الا تكون هناك قيود تحد من تعبير اعضائه خلال الاجتماعات واوجه النشاط المختلفة عن ارائهم وافكارهم في المسائل العامة، وطالما كان ذلك في نطاق الوثائق الثورية الاربعه .

الخط الثالث :

تحديد العلاقة بين التنظيم السياسي ووسائل الاعلام المختلفة وعلى راس تلك الوسائل الصحافة والاذاعة والتليفزيون هذه الوسائل هي اداة التعبير عن الخط السياسي والفكر الاشتراكي ... وهي اداة توعية جماهير الشعب العاملة وتعبئتها . وتحديد العلاقة المذكور تحديدا حاسما او تهيئة الوسيلة لذلك انما يضمن سير الامور في الطريق المرسوم وعلى الا يحد ذلك من حرية وسائل الاعلام في التعبير وفي المنافسة المشروعة فيما بينها .

واذا كان قانون الصحافة لسنة ١٩٦٠ قد قضى بتملك الاتحاد الاشتراكي للصحف فان هذا القانون لم يتجاوز تسجيل المبدأ الاساسي ، بحيث لم تترتب النتائج المنطقيه الحتميه فعلا لهذا التمليك .

فلا يقتصر الامر على تقرير ملكيه الاتحاد الاشتراكي للصحف وينتهي الامر عند هذا الحد ، بل يجب الا تخرج تلك الصحف من الاصول الجوهرية للخط السياسي الذى تقرره وثائق الثورة ويرتضيه الاتحاد الاشتراكي ، من غير تدخل من جانب اجهزة الاتحاد الاشتراكي في الادارة اليومية للصحف .

ان الصحافة يجب ان تكون في كل الظروف للشعب ومعبرة عن اهدافه .

واستجابة لتوجيه السيد رئيس الاتحاد الاشتراكي رئي اصدار ميثاق شرف للعمل الصحفي يتقيد بمبادئه وقيمه الصحفيون ويمارسون عملهم الصحفي بحرية في ظله وتشكيل مجلس اعلى للصحافة يضمن في تشكيله تمثيل المظاهر السياسيه والصحفيه الى جانب العنصر الفنائي وذلك بقصد حل مايتعرض له الصحافة من مشاكل وحتى يكون وسيله الاشراف على تنفيذ السياسة العامة للنشر التي يقررها التنظيم السياسي والاشراف على تطبيق الميثاق السالف الذكر والعمل على تنسيق نشاط المؤسسات الصحفيه والنهوض بمستوى الخدمة الصحفيه وتنظيم المنافسة المشروعة بينها ، وكذلك لابداء الراى في القوانين المتعلقه بالصحافة والنشاط الصحفي واعتماد لوائح تنظيم العمل بالمؤسسات الصحفية والنظر في الموازنات السنوية لتلك المؤسسات وتقارير مجالس اداراتها وذلك كوسيلة من وسائل رقابة التنظيم السياسي على المؤسسات الصحفية المملوكة له ، لذلك يختص هذا المجلس بالنظر في الموضوعات التي تقدمها نقابة الصحفيين المتعلقة بشئون المهنة ويدعم حرية الصحافة ، والنظر في التظلمات التي يقدمها العاملون في المؤسسات الصحفية من اية اجراءات تمس حق الصحفي في ادائه عمله او حرية الصحافة بوجه عام .

وبالنسبة لمرفق الاذاعة والتليفزيون ، فانه تشرف عليه اجهزة الدولة التنفيذية وهي المسئولة عن ممارسة نشاطه امام رئيس الجمهورية ثم امام مجلس الشعب وهي ملتزمة بالخط السياسي للاتحاد الاشتراكي العربي الذى تلتزم به الدولة .

ويلتزم الاتحاد الاشتراكي بأن يضع خبرة اعضائه ممن ترى هذه الاجهزة الاستعانة بهم تحت تصرف هذه الاجهزة .

الخط الرابع :

ضبط علاقة الاتحاد الاشتراكي بسائر الاجهزة في الدولة وخصوصا السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية، على الوجه الذى يكفل للشعب السيادة التي قررها الدستور ، وقد عنى الدستور نفسه بضبط هذه العلاقة وتحديد اسسها في المادة الخامسة من الدستور ينص على ان الاتحاد الاشتراكي العربي هو التنظيم السياسي الذى يمثل بتنظيماته القائمة — على اساس مبدا الديمقراطية — تحالف قوى الشعب العاملة ، وانه يؤكد سلطة هذا التحالف عن طريق العمل السياسي الذى تباشره تنظيماته بين الجماهير وفي مختلف الاجهزة التي تضطلع بمسئوليات العمل الوطني ، وهكذا فانه حسب الدستور فان الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم السياسي المعبر عن الاتجاه السياسي للشعب والذى يتولى مهمة التوجيه السياسي .

اما السلطة التشريعية فقد وكلها الدستور الى مجلس الشعب ، ثم عهد بالسلطة التنفيذية الى رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء والحكومة تحت رقابة مجلس الشعب ، وبذلك انضبطت الحدود بين الاجهزة الدستورية المختلفة على الوجه الذى رسمه الدستور ، حيث حدد لكل جهاز اختصاصا واضحا . فالتنظيم السياسي يقوم عليه الاتحاد الاشتراكي العربي وحده . والتشريع تتولاه السلطة التشريعية وحدها ، وشئون الحكم تتولاها السلطة التنفيذية وحدها . والجهاز السياسي — وهو الاتحاد الاشتراكي العربي — يعاون الاجهزة التنفيذية والتشريعية وتتعاون معه دون أن يحل محلها في اختصاصاتها ، وضبط العلاقة على هذا الوضع الذى رسمه الدستور هو الذى يكفل للاتحاد الاشتراكي ان يظل تنظيما سياسيا حرا مؤديا لوظيفته ، وهو الذى يمنع تدخل السلطتين التشريعية والتنفيذية في شئونه كما حدث في الماضي اذ ان عدم احكام هذه العلاقة وضبطها يؤدى الى احد محظورين : اما تراخي الاتحاد الاشتراكي عن ممارسة نشاطه السياسي انتظارا لصيغ محددة تفرض عليه ، او اندفاع دون دراسة مما يؤدى في الحالين الى الصدام .

ومن المناسب لتحقيق هذا التعاون :

١ — اتباع التقليد الذى ارساه السيد رئيس الجمهورية بتسمية رئيس الوزراء في اللجنة المركزية قبل تعيينه .

٢ — ان تختص اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي بمناقشة الخطوط الاساسية للخطة القومية للتنمية ، والخطوط العامة للسياسة الداخلية والخارجية على ضوء المبادىء الواردة في وثائق الثورة لا

٣ ـ عقد مؤتمرات دورية مشتركة بين أجهزة التنظيم واجهزة التنفيذ على جميع المستويات لتبادل الراى والمعلومات ومناقشة المشكلات التى تنجم عن ممارسة كل جهاز لاختصاصه واقتراح انسب الحلول

٤ ـ فى مجال الصلة بالسلطة التشريعية : ان مجلس الشعب هو مرآة الديمقراطية التى تمارسها جماهير الشعب ومناقشته العلنية المفتوحة ، تثرى العمل السياسى الذى يقوده الاتحاد الاشتراكى وتدعم حركته .

ومن ثم فانه ينبغى دعم الدور الذى كفله الدستور لمجلس الشعب ، على ان يكون دور الاتحاد الاشتراكى هو التوجيه الى الخطوط السياسية الرئيسية فى اطار الالتزام بمواثيق الثورة .

ويتحقق ذلك عن طريق الهيئة البرلمانية التى ينبغى دعمها بضم الامانة العامة وامناء المحافظات اليها ... كما ينبغى ان يوفر لاعضائها مقر فى الاتحاد الاشتراكى وأن تتوثق الصلة بينهم وبين الامين الاول واعضاء الامانة العامة ، وان يزودوا بكافة الوثائق والبيانات التى توزع على اعضاء اللجنة المركزية وامناء الاتحاد الاشتراكى بالمحافظات .

كما يكون من اختصاص الهيئة البرلمانية مناقشة المسائل الهامة المتصلة بالتشريع ، والتداول فى المسائل التى تهم اعضاء مجلس الشعب كانتخاب رئيس المجلس ووكيليه ورؤساء اللجان وغير ذلك من الموضوعات ذات الاهمية ، وينبغى انشاء مكتب للهيئة البرلمانية ولشئون المجالس الشعبية يتبع الامين الاول .

ومن ناحية اخرى يلزم تدعيم التعاون والارتباط التنظيمى بين المجموعات الاقليمية وامناء المحافظات فى ضوء مسئولية امناء المحافظات عن قيادة العمل السياسى فى محافظاتهم ومشاركة عضو مجلس الشعب فى العمل السياسى على مستوى المحافظة .

■ الموضوع الثالث

تحديد الخط الفكرى للتنظيم

ان وثائق الثورة قد حددت بشكل واضح ان الحرية الاشتراكية والوحدة هى المبادىء لتى تشكل فكر الثورة والتزامها وحركتها ، ومع ان هذه المبادىء واضحة فى ضمير شعبنا ولها جذورها الاصيلة من فكره الذاتى وخصائصه المتميزة الا ان ... الممارسة اليومية للعمل السياسى عبر فترة طويلة قد كشفت عن بعض المحاولات لتفسير هذه المبادىء تفسيرات لا تلتزم الواقع المصرى والعربى الاصيل ، وانما تحاول الاستناد فى مضمونها الى متناقضات ومذهبيات وافدة ومطروحة على الساحة العالمية ربما كانت صالحة فى بعض المجتمعات ولكنها عندنا لا تتلاقى مع المقومات الذاتية لشعبنا وبالتالى فان استيراد مضامين من هذا النوع لاتكون عامل توضيح وتحديد لرؤيتنا ولخطنا ونقل هذه المضامين من الخارج يؤدى الى التشتيت او اضعاف الحركة او فى النهاية يؤدى الى لبس بين الهدف والفكر .

لذلك فان التحديد القاطع لما تضمنته وثائق الثورة حول قضايا الفكر الاساسية يحسم كثيرا من التفريعات النظرية او الجدلية ويكثف جهد الجماهير على طريق العمل الذى يجب ان ينطلق اليه ويقوده اعضاء التنظيم .

ان مثل هذا التحديد ـ كما دلت التجربة ـ شرط اساسى لقوة الحركة واندفاعها ولحماس اعضاء التنظيم وارتباطهم به ، ومن هنا كان من الضرورى ان يعرض دليل العمل السياسى لهذا الاطار الفكرى الى جوار ما يتعرض له من قواعد العمل التنظيمى واساليبه .

وفى سبيل ذلك عهدت اللجنة الى بعض اعضائها بمهمة اعداد مشروع لدليل العمل السياسى الفكرى والتنظيمى ومشروع للنظام الاساسى وهو التعبير الذى أطلقه الدستور على قانون الاتحاد الاشتراكى « كما عهدت اليهم اعداد بيان بالقوانين المنفذة للدستور فى مجال حماية الحقوق والحريات » .

■ الموضوع الرابع

المبادىء التنظيمية

ان التنظيم بحاجة ماسة الى استقرار عدد من مبادىء الحركة التنظيمية ، داخل مستوياته المختلفة وبين هذه المستويات بعضها والبعض ، ذلك ان الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى جامع لتحالف قوى الشعب العاملة يحتاج الى قدر اساسى من الانضباط التنظيمى ودقة الحركة الداخلية حتى يستطيع أن يؤدى دوره السياسى فى استيعاب حركة الجماهير وتنظيم التعبير عن آرائها وتهيئة الوسائل التنظيمية لنقل الحركة والتعبير بحيث تتحقق المشاركة فى توجيه العمل الوطنى ورقابته .

ومن هنا لزم ان يقدم دليل العمل لاعضاء التنظيم تحديدا واضحا لاصول العمل التنظيمى وفى طليعتها ان الاتحاد الاشتراكى يحتضن دون تحدد او حساسيات آراء القوى المتحالفة وينظم الحوار بطريقة ديمقراطية بحيث يكون معبرا حرا لكل قوى الشعب العاملة على هدى اتجاهين اساسيين :

الاول :

تحديد المصالح الموحدة ذات الوزن القومى الشامل والتى لا خلاف عليها بين مختلف قوى التحالف ، مثل تحرير الارض المحتلة واستمرار التنمية الاقتصادية على اساس مبادئنا الاشتراكية ومستندين الى قاعدة صلبة من العلوم والمعارف فى كل الخطوات والارتقاء بمستوى الخدمات العامة الموجهة لجموع الشعب ورفع مستوى الاداء فى كل الانشطة ومحاربة البيروقراطية فى اجهزة الدولة والقطاع العام ومحو الامية وتنظيم الاسرة ودعم القيم الدينية وتزكية تحرير المواطنة والتعزيز الدائم للديمقراطية ، وسيادة القانون والانتماء المصيرى الى الامة العربية .

الثانى :

تحديد اهم المصالح الخاصة لكل قوة اجتماعية فى التحالف وترتيب اولويات تحقيقها بحيث لا تتعارض من ناحية مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومى الشامل وبحيث تسمح الامكانيات المتاحة والظروف الراهنة بتحقيقها من ناحية وبحيث لا يكون فى تحقيق هذه المصالح انحراف عن طريق التحول الاشتراكى والنظام الديمقراطى على ضوء وثائق الثورة الرئيسية .

وفى الوقت ذاته يلتزم التنظيم السياسى ان يجعل من منابره ساحات حوار بناء ، وانطلاقا هادئا من قوى الشعب العاملة جميعا للتعبير عن آراء الجماهير وآمالها بالاسلوب الذى ترتضيه فى اطار مواثيق الثورة .

■ الموضوع الخامس

اعادة النظر فى بناء الاتحاد الاشتراكى واساليب عمله

فى مقام اعادة النظر فى بناء الاتحاد الاشتراكى واساليب عمله ، تحددت عدة خطوط رئيسية :

أولا ـ فيما يتعلق بهذا التحالف :

اجتمعت الاراء على اهمية الحفاظ الكامل على المبدأ الذى يقوم عليه تنظيمنا السياسى وهو تحالف قوى الشعب العاملة واعتباره الاساس الراسخ للوحدة الوطنية الذى لايجوز النيل منه اوالمساس به استمساكا بجوهر النظرية

التى يقوم عليها الميثاق وتأكيدا للمحاور الاساسية التى يتضمنها ، ومن اهمهـا تصورنا المحدد لاسلوب التغيير الاجتماعى فى مصر ، الذى يتمثل فى حل التناقضات بين قوى الشعب العاملة سلميا داخل اطار التنظيم ، بالوسائل السياسية الديمقراطيه .

كل اولئك ومصر تجتاز مرحلة دقيقة من مراحل المواجهة مع العدو ، لاتحتمل التفرقة ، وانما توجب الوحدة .

ثانيا – فيما يتعلق بالعضوية والحقوق المترتبة عليها واكتسابها وسحبها :

فى هذا المجال استقر الرأى على المبادىء الاتية :

١ – العضوية اختيارية حيث لاينضم للتنظيم الا الراغبين حقيقة فى المشاركة السياسية الايجابية ، والمؤمنون بالخط الفكرى والسياسى الذى يقوم عليـه التنظيم ، والمستعدون فعلا للتضحية فى هذا السبيل ، فلا يرغم احد على عضوية الاتحاد دون اقتناع ، او لمجرد الحصول على منصب فى احدى المنظمات الجماهيرية .

على انه يلزم لشغل المناصب السياسية والقيادية عضوية الاتحاد الاشتراكى العربى ، وفقـا للشروط التى تـرد باللائحة المنظمة لذلك .

٢ – توفير الضمانات لاكتساب العضوية وممارستها وان تكون تلك الضمانات سياسية وعامة ، فلا يتوقف منح العضوية او سحبها على رأى فرد او افراد داخل التنظيم او فى قياداته

وبهذه الضمانات ينفتح باب التنظيم السياسى انفتاحا كاملا أمام المواطنين جميعا بحيث تكون العضوية حقا لكل مصرى يتمتع بحق الانتخاب ويتقدم بطلب للعضوية وتتوافر فيه الشروط التى ينص عليها النظام الاساسى للاتحاد الاشتراكى ويكون للعضو حق الترشيح للمستويات الاعلى ، مالم يصدر بمنعه من الترشيح قرار من لجان النظام لسلوك تؤثمه هذه اللجان بعد تحقيق واف تحقق فيه دفاعه .. واستقر الرأى على ضرورة ان يتضمن النظام الاساسى كيفية تشكيل لجان وهيئة النظام ، على ان يمثل فيها عنصر قانونى مـع تحديد اختصـاصاتها وتأكيد استقلالها .

٣ – ومن ذلك كله فانه لم يعد هناك مبرر لاستمرار نظام العضوية المنتسبة المعمول بها حاليا ..

ثالثا – فيما يتعلق بانشـاء أمانات ومكاتب جديدة :

استقر الرأى على انشـاء امانات جديدة للجنة المركزية الى الامانات الحالية لتوفير مواجهة حقيقية وفعالة للقضايا والمشاكل المطروحة فى المجتمع وهـذه الامانات هى :

١ – امانة شئون الراسمالية الوطنية والحرفيين

٢ – امانة الشئون الاقتصادية

٣ – امانة شئون الخدمات .

وقد حلت الامانتان الاخيرتان محل امانة برنامج العمل الوطنى عـلى ان تتولى الامانة العامة مباشرة اعمالها فى صورة لجنة برنامج العمل الوطنى .

وفى ضوء ما اسفرت عنه الممارسة العملية من ضخامة الاعباء التى تتولاها الشئون المالية والادارية .. فقد استقر الرأى على تخصيص أمانة مستقلة لها .

وفى ضوء ما تتميز به مسائل الامن الوطنى والامن القومى ، من اهميـة قصوى خاصة فى هذه المرحلة التى تمر بها البلاد ، فقد رئى أن تكون مسائل الامن الـوطنى والامن القـومى ضـمن مسئوليات الامانة العامة مجتمعة .

ونظرا لان محو الامية وتنظيم الاسرة عملان سياسيان قوميان لهما اهميتهما الخاصة فقد رئى انشاء مكتبين لهذين النشاطين يتبعان الامين العام مباشرة .

كذلك رئى انشاء مكتب لشئون المغتربين يتبع الامين الاول لمواجهـة مشـاكلهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية مع مراعاة التنسيق مع السلطة التنفيذية .

وضمانا لحفظ وثائق التنظيم السياسى فقد رئى انشاء مكتب للوثائق يلحق بالامانة العـامة .

رابعا – فيما يتعلق بالـوحـدة الاساسية :

اتفق على اهمية تدعيم وتنشيط الوحدة الاساسية للتنظيم ، باعتبارها القـاعدة التى تربط بين قياداته وبين الجماهير .. بعد ان دلت التجربة الماضية على ان العلاقة بالجماهير لاتتوثق ولا تنمو عن طريق العمل المركزى على مستوى قيادة التنظيم وان احساس الشعب بتنظيمه السياسى رهن بحركة وحداته الاساسية ونشاطها .

وفى هـذا المقـام اتفقت الاراء على التدعيم المادى والفنى للوحدة الاساسية بتوفير المقار المناسبة لها وتزويدها بكل مايمكنها من الحركة بين الجماهير وبتدريب افرادها ثقافيا وتنظيميا وتسليحهم بالثقافة السياسية الشاملة لقضايا التنظيم والمجتمع بحيث تكون الوحدة منبعا رئيسيا منتظما لقيادة الجماهير .

وضمانا لزيادة فاعلية العمل فى الوحدة الاساسية فقد رئى :

١ – ان تولى اللجنة عنايتها الكاملة بالشئون السياسية بحيث تقوم بنشر الوعى السياسى بين اعضاء مؤتمر الوحدة وعليها ايضا أن تقوم بتجميع وتنسيق كافة مايعلن لاعضاء مؤتمر الوحـدة من تسـاؤلات لرفعها الى المستويات التنظيمية الاعلى .

٢ – ان ترعى حركة الشباب وان تقوم بتدعيم النشاط الثقافى والاجتماعى والرياضى فى نطاق الوحدة الاساسية .

٣ – ان تقوم المستويات القيادية فى التنظيم بمعاونة اعضاء الوحدة الاساسية فى عملهـا بالنزول اليهـا فى موقعهـا والمشاركة فى اعمالها وتقديم الخبرة لها والعمل على حل مشاكلها .

خامسـا – فيما يتعلق بدعم اللجنة المركزية :

ان المؤتمر القومى العام هو اعلى سلطة بالاتحاد الاشتراكى العـربى ، واللجنة المركزية هى السلطة القيـادية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى فى الفترات ما بين انعقاد المؤتمر القومى العـام ، وتلعب دورا بالغ الاهمية فى تحـريك الجهاز السياسى كله من منطلق تحالف قوى الشعب العاملة وفى ضوء الخط الاشتراكى الذى حددته مواثيق الثورة ، ومن ثم فان دعم اللجنة المركزية وزيادة فاعليتها امر ضرورى لتنشـيط التنظيم السياسى على كل المستويات ابتداء من الوحدات الاساسية .

وفى سبيل تحقيق الاهداف المتقدمة يلزم ما يلى :

١ – عقد اجتماعات دورية للجنـة المركزية فى فترات متقاربة على ان يتم اعداد جدول اعمال محدد لكل اجتماع وان تعد تقارير بشأن كل موضوع ورد فى جدول الاعمال تتضمن دراسة كاملة من مختلف الاجهزة التنظيمية سواء الامانات او لجان الرأى او امناء المحافظات او المؤتمـرات .

٢ – أن تمارس اللجنـة المركـزية سلطتها فى الرقابة على العمل السياسى فى كافة مستوياته التنظيمية ، فيلزم أن تقدم كل امانة تقريرا عن نشاطها خلال مدة معينة وكذلك الامر بالنسبة لامناء المحافظات .

كما يقوم الامين الاول للجنة المركزية من وقت لاخر بتقديم تقرير للجنة المركزية عن نشاط الاتحاد الاشتراكى العـربى فى المجالين الداخلى والخارجى بما يتضمنه من ايجابيات وسلبيات .

٣ – ان تمارس اللجنة المركزية التوجيه والرقابة على الاجهزة التنفيذية . وبذلك يتأكد دور الاتحاد الاشتراكى ويكون قادرا على ممارسة حقه فى التوجيه والرقابة على اعمال الاجهزة التنفيذية ، فى حدود اختصاصه كما نص الدستور .

وبهذا يتحقق امران : اولهما ان يمارس الجهـاز التنفيذى اختصـاصاته كاملة ، والثانى ان يمارس الجهاز السياسى حقه

فى التوجيه والرقابة وذلك كله فى اطار الخط السياسى العام .

ومايؤدى الى زيادة فاعلية اللجنة المركزية فى هذا الخصوص انها وهى بسبيل مناقشة الخطة القومية والخطوط العامة للسياسة الداخلية والخارجية تجمع آراء ومقترحات القواعد الاساسية للتنظيم بحيث تنبع الخطة فعلا من جماهير تحالف قوى الشعب العاملة تمهيدا لاقرارها من المؤتمر القومى العام .

سادسا — فيما يتعلق بكفاءه التنظيم الفنية ولوائح عمله الداخلية :

ترى اتباع نظام ثابت فى مستويات التنظيم المختلفة وفقا للائحة داخلية تنظم اسلوب العمل فى الاجتماعات ، ووضع جداول العمل ، وما يقتضيه من تشكيل لجان دائمة او فرعية تكفل حرية المناقشة والاقتراح وضماناتها .

واتفق ايضا على لزوم رفع الكفاءة الفنية للتنظيم عن طريق تزويده بعنصر الخبرة خصوصا فى مستوياته العليا والمركزية ، بتدعيم الاجهزة الادارية والمعاونة بالمتخصصين فى الشئون الفكرية والتنظيمية والسياسية داخلية كانت او خارجية دون مساس بالتركيب التنظيمى للاتحاد ، واعتبار مستوياته المختلفة مسئولة وحدها فى النهاية من العمل السياسى .

سابعا — فيما يتعلق بتكوين « مؤتمر الامناء »

وفى مقام ضمان اتصال التنظيم المستمر بحركة الجماهير فى مجالاتها المتجددة والمتعددة ، ترى :

١ — تكوين مؤتمر الامناء من اعضاء الامانة العامة وامناء المحافظات وهو يجتمع مرة على الاقل فى كل شهر برئاسة الامين الاول لمناقشة بنود جدول الاعمال المقترحة من الامانة العامة او امناء المحافظات .

٢ — عقد مؤتمر دورى كل ثلاثة اشهر يضم امناء المحافظات والاقسام والمراكز يرأسه الامين الاول للجنة المركزية ويحضره اعضاء الامانة العامة لمناقشة المشاكل والقضايا العملية للنشاط السياسى التى يواجهها التنظيم فى المواقع المختلفة ولتبادل الخبرات وتقويم الموقف على مستويات التنظيم المتعددة بالنسبة لاحتياجات الجماهير ومطالبها وترتيب اولوياتها ومتابعة الجهد المبذول من اجل تنفيذ قرارات التنظيم القيادية .

ويجوز بقرار من رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى توسيع هذا المؤتمر ودعوة امناء الوحدات الاساسية فى مجالات الانتاج والخدمات والسكن ذات الوزن ، او ذات الصلة المباشرة بالموضوعات المطروحة على المؤتمر ، كما يجوز ان يدعى اليه بعض الوزراء او المسئولين فى الاجهزة التشريعية والتنفيذية .

ثامنا — فيما يتعلق بنشاط التنظيم فى الخارج :

١ — ان نشاط الامانات المختلفة للتنظيم ، وبصفة خاصة امانة الدعوة والفكر والشئون الدينية وامانة الشئون السياسية وامانة الشباب فى المجال الخارجى على اساس من التعاون الكامل مع الجهاز التنفيذى ، ومن هنا كان الانفتاح على العالم الخارجى وعلى التنظيمات السياسية والثقافية واقامة العلاقات مع التنظيمات والقوى المؤثرة فيه لايجب ان يقتصر على منطقة دون منطقة فى العالم .

٢ — ان التنظيم السياسى مدعو الى توسيع دائرة نشاطه وفتح آفاق جديدة لا تبلغ مداها احيانا الاجهزة التنفيذية بحكم اوضاعها الرسمية وبخاصة فى بلدان الوطن العربى والعالم الاسلامى وبلدان العالم الاشتراكى والدول الغربية التى نستطيع ان ندير فيها حوارا سياسيا وبصفة خاصة مع الاحزاب الاشتراكية العمالية والمسيحية وغيرها واحزاب العالم الثالث وكذلك المنظمات النقابية والعمالية والدينية وتقوم بهذا الاجهزة المناظرة لها فى الاتحاد الاشتراكى .

تاسعا — فيما يتعلق بالتنظيم الشبابى :

ان الشباب هو ضمانة استمرار الثورة ومواصلة التقدم بها ، ولذلك لابد وان يكون هناك فى كل وقت جيل جديد قادر على تحمل المسئولية لخدمة أهداف العمل الوطنى والقومى ، ولحشد قوى الشباب حول خطة التنمية والمشاركة فى حل مشاكلها وصولا الى اقامة الدولة العصرية على العلم والايمان ، وتحقيقا لما قرره المؤتمر القومى العام فى دورته المنعقدة فى يوليو سنة ١٩٧١ ، ولما اعلنه السيد الرئيس محمد انور السادات من ان اى شعب يفقد ايمانه بشبابه سوف يصبح شعبا لا عزة له : شعبا آثر التوقف ليس عن التقدم فحسب ، بل عن مسيرة الحياة فكان من الضرورى اقامة تنظيم شبابى ولاؤه لله والوطن يحظى بثقة واحترام وحب الشباب فى مختلف القطاعات تمكينا ودعما للتنظيم السياسى واثراء له فى كل مراحل النضال الوطنى وبما يحقق الوحدة الوطنية .

واذا كان الشباب هو القوة الدافعة لتقدم المجتمع فى ظروف السلم ، فمن الاولى ونحن نجابه العدوان ونحقق التنمية فى نفس الوقت ، ان توضع خطة قومية للشباب تهدف الى تربيته وصقله دينيا وخلقيا وسياسيا ونفسيا ، وتوفير الخدمات اللازمة له .

وتحقيقا لذلك كله استقر رأى اللجنة على مايلى :

١ — تأييد اقامة تنظيم شبابى يرتبط بالتنظيم الام مع تمتعه بقدر من الاستقلال وحرية الحركة التى تناسب الشباب ، والتى تضمن له الحركة الذاتية .

٢ — ان يكون للتنظيم قياداته الذاتية على كافة مستوياته .

٣ — ان يمثل التنظيم الشبابى فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى .

عاشرا — فيما يتعلق بالتنظيم النسائى :

ان النساء وهن نصف الامة عددا وشريكات رجالها فى المسئولية والحفيظات على جيلها الجديد لابد وان يلعبن دورهن كاملا فى بناء المجتمع ، ولئن كانت المرأة قد بدأت فى مباشرة دورها فى هذا النطاق . فأن الحركة النسائية لاتزال تختزن قدرا ثمينا من طاقاتها ينبغى ان تشترك فى مجالات العمل الوطنى المختلفة .

وتحقيقا لذلك استقر رأى اللجنة على مايأتى :

١ — تأييد قيام التنظيم النسائى والعمل على دعمه واستمرار نموه .

٢ — وجوب توفير امكانية الحركة الذاتية للتنظيم النسائى على ان يعمل فى تآزر وترابط وتعاون مع التنظيم السياسى الام .

٣ — ان يكون للتنظيم النسائى قياداته المعبرة عن فروع القطاع النسائى المختلفة .

٤ — العمل على تمثيل العنصر النسائى فى الشعب والمكاتب المنبثقة عن الامانات الفرعية المختلفة .

خاتمـــة

تلك هى المبادىء والاسس التى امكن للجنة استخلاصها من المناقشات التى دارت على مستويات مختلفة وشاركت فيها كافة قوى التحالف ، ولقد جاءت حصيلة لارائها وخبراتها وآمالها فى تنظيم سياسى قوى يقود العمل الوطنى فى كافة مجالاته . ويحقق حشد كافة الطاقات وتعبئتها لتحقيق الوحده الوطنية ولدعم الجبهة الداخلية لكى تكون قادرة على مواجهة تحديات المعركه المصيرية وتحقيق آمال النصر وما بعد النصر .

ولن يتحقق ذلك الا بترجمة هذه المبادىء والاسس الى عمل جاد ومخلص ومستمر ينبع من الايمان العميق بأهمية العمل السياسى الواعى لحاضرنا ومستقبلنا وذلك فى اطار من العلاقات الانسانية التى تقوم على المودة والمحبة والتضامن وتبعد عن الانانية والحقد فذلك

من تراثنا وقيمنا التى عشناها آلاف السنين .

ولما كان يتضح من كل ماورد فى هذا التقرير حجم المهام الكبيرة التى يجب ان يقوم بها الاتحاد الاشتراكى فى المجالين الداخلى والخارجى فانه مما لاشك فيه ان تنظيم العمل فى اجهزة الاتحاد الاشتراكى وتحقيق مزيد من كفاءة الالتحام والاتصال بين الامانة العامة ومستويات التنظيم الاخرى يقتضى فى المرحلة الحاليه ان يكون الى جانب الامين الاول امين مساعد او اكثر ، ومتى اقرت اللجنة المركزية هذا المبدأ ، فانها تعهد الى الامين الاول باختيارهم وتحديد اختصاصاتهم ، وعرض الامر على السيد رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى ، فاذا ما اقر سيادته ذلك الاختيار ، اصدر قرار تعيينهم .

■■■

[٢] مشروع دليل العمل السياسى والفكرى والتنظيمى

تقديم

ان مصر ، بما تزخر به من طاقات وطنية متوثبةوموهوبة ، لتجدمن ابنائها جنودا تتصدى بهم لكل التحديات المفروضة عليها .

ولقد انبثق فجر جديد — فجر ثورة ٢٣ يوليو ـ فكشف عن عظم هذه الطاقات النابعة من ايمان عميق بالوطنية المصرية والقومية العربية ، طاقات جسدتها تضحيات ابطال مصر وأبطال العروبة فداء وبذلا واستمساكا بالحق ومراعاة للامانة والعهد .

من اجل مصرنا ، ومن اجل الامة العربية ، علينا نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ان نتحرك بعزمات لا تكل محصنة بامل واع عربى ، علينا انطلاقا من منجزات ثورتنا الكبرى وقيمها ومثلها ، قيم العرب ومثلهم ، علينا بعد ان كسرت جماهير شعبنا — بحركة التصحيح المجيدة الاغلال والقيود التى اطبقتها مراكز القوى المندثرة على الطاقات الخلاقة لهذا الشعب العظيم ، فى فكره وحريته ـ علينا ، وقد وعينا درس النكسة ، عظات وعبرا ، ان نتحرك فى النور بهدى من عقيدتنا ، باذلين كل ما وسعته قدرتنا وطاقاتنا لدعم العمل الوطنى ، ولتوطيد الجبهة الداخلية لجماهير شعبنا وراء قواته المسلحة الباسلة الرابضة على خطوط المواجهة ، المتأهبة لخوض معركة الشرف والمصير .

علينا ان نعمل من اجل مصر ، امتنا الخالدة خلود الحياة لكى نستحق الحياة ، وحتى تكون ، والا لما استحققنا ان نكون .

واذا انقضت عشرون سنة من مولد الثورة الام .. عشناها جهادا للتحرر والتحرير والانطلاق ، استطعنا خلالها ان نستوعب عظات ودروسا .. عشناها نتابع الخطى ، نتكشف الصديق والعدو ، نسجل على انفسنا الصواب والخطأ .

واذا استطاع الشعب ، وهو يستقبل مرحلة جديدة ان يعيد الحساب حصيلة فكر وتجارب عشرين سنة ماضية يتخذه دليلا يحكم حركته المستقلة الذى رسمته مواثيق ثورة ٢٣ يوليو العظيمة ، ثم يرسى دستوره الدائم ضمانا لاستقرار الثورية ومكاسبه الاشتراكية .

واذا استطاع الشعب ذلك ، فانه اليوم ـ ليتطلع الى سجل يدون فيه حصيلة فكر وتجارب عشرين سنة ماضية يتخذه دليلا يحكم حركته المستقلة .. يؤكد ويحدد ويوضح الخط الذى ارتضاه فى مواثيق الثورة تعبيرا عن تمسكه بمعانى الحرية والاشتراكية والوحدة .

واننا نحن اعضاء تحالف قوى الشعب العاملة نقدم هذه الوثيقة تقديرا منا لما تتطلع اليه جماهير هذا الشعب .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

القسم الاول

وقفة مع النفس بعد عشرين عاما

ان تجارب الماضى وواقع الحاضر وخطوط المستقبل وآماله .. هى مضمون الحركات الثورية للشعوب وكيانها المتكامل الذى ينبىء عن مقوماتها ومثلها .

واليوم ، وقد مضى على ثورتنا عشرون سنة كاملة حافلة بالتجارب زاخرة بالانجازات ، نقف ـ نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ـ لنحاسب انفسنا حساب مراجعة وتدبير وتخطيط :

ـ تجارب الماضى نرصدها ، نحدد منجزاته لندعمها ، نقوم سلبياته لنقاومها .

ـ واقع الحاضر نستوعبه ، نتامل فيه ابعاد الحقبة الحالية من تاريخ هذه الامة .

ـ خطوط المستقبل نرسمها ، نحدد بها آفاق حركتنا الوطنية والقومية ، نسخر من اجلها طاقاتنا ، مواجهة للتحديات التى تفرض علينا حتى نفرض انفسنا عليها .

الجزء الاول

تجارب الماضى

استطاع الشعب المصرى على مدى عشرين عاما . تحقيق انجازات حضارية سوف تبقى دائما شاهدا على صلابة الانسان المصرى وقدرته وعمق ارادة الثورة فيه .

غير أن مؤامرات وتحديات القوى الخارجية العدوانية التى حاولت ان تفرض نفسها على جهادنا الوطنى وتطلعات مراكز القوى ومحاولاتها المستمرةالافتئات على سيادة القانون بغية التسلط على مقدرات هذا الشعب ، وذلك كله قد تسبب فى تعريض العمل الوطنى لبعض القصور والمآخذ .

اولا ـ المنجزات الثورية :

لقد جاءت حركة ثورتنا — وهى تستجيب لرغبات الشعب وآماله ـ شاملة مجالات العمل الوطنى المختلفة .

ففى مجال بناء الدولة السياسى ، ومن منطلق حرية الوطن وحرية المواطن .. تمكنت الثورة من تحقيق الاستقلال الوطنى بجلاء القوات البريطانية عن بلادنا ، كما كان الغاؤها لكل من النظام الملكى والنظام الحزبى مدخلالسعيها الى اقامة حياة دستورية وديمقراطية سليمة ، عمادها الوحدة الوطنية بين قوى الشعب العاملة . وتاكيدا لحق الغالبية التى حرمت من حقوقها ، كفلت فى مواثيقها للفلاحين والعمال النصف على الاقل من مقاعد التنظيمات السياسية والشعبية .

وفى مجال التحول الاجتماعى والاقتصادى استطاعت جماهيرنا الثورية أن تسقط تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل ،كى تضمن سيطرة قوى الشعب العاملة علىوسائل الانتاج .وأبرزتخطها الاشتراكى الذاتى ، القائم على الكفاية والعدل بمقتضى قوانين الاصلاح الزراعى وتشريعات التحول الاشتراكى التى عهدت بالدور القيادى فى حركة التصنيع والانتاج للقطاع العام ، باعتباره ممثلا لملكية الشعب لوسائل الانتاج ، كما ضمنت حقوق العاملين فى المجالات المختلفة .

وواجهت متطلبات التنمية والمعوقات التى صادفتها بتاميم قناة السويس وبناء السد العالى واقامة الصناعات الثقيلة كاساس عريض لحركة التصنيع

المستمرة التى أحدثت تغييرا هائلا فى هيكل الاقتصاد الوطنى ·

كما اقامت خططها المتتابعة للتنمية فى مجالات الصناعة والزراعة على أساس من التخطيط العلمى الاشتراكى ، رافضة ان تتم عمليات التنمية على حساب الجماهير التى طال حرمانها لصالح الاجيال اللاحقة وحدها · ومن ثم فقد وجهت جهود كبيرة نحو توسيع قاعدة الخدمات فى سائر المجالات وبسطت مظلة من التامينات الاجتماعية على قوى الشعب الكادحة ضمانا لاستمرار العيش واطمئنانا للمستقبل ·

وفى مجال العمل الوطنى ، فاناندفاعة الثورة التحريرية قد أعادت الى مصر وجهها الاصيل ، ومكنتها من أن تتحمل مسئولياتها التاريخية فى قلب الامة العربية كقاعدة للثورة العربية وللنضال العربى ضد الاستعمار والصهيونية ·

وقد قامت سياستها العربية دواما على اساس تلبية ذلك النداء التاريخى للامة العربية فى وحدتها الشاملة · منطلقة من تحرير الارادة العربية وتحقيق الاستقلال الوطنى لابنائها ، رافضة سياسة الاحلاف العسكرية او السياسية وكل محاولات اخضاع الامة العربية لمناطق النفوذ ·

كما كان تأكيدها على المفهوم العميق للقومية العربية ، وعلى صلابة هذا المفهوم للدخول بوحدة الامة العربية الى مرحلة الثورة الاجتماعية والتحريرية · حافزا مستمرا لها على مساندة الانطلاقة التحريرية والوحدوية فى المنطقة العربية ، وعلى التصدى للمؤامرات والاعتداءات الصهيونية والدفاع عن حقوق شعب فلسطين ، ومد يدها بالتاييد لكل وحدة ولو جزئية فى العالم العربى تمثل ارادة شعبين او أكثر من شعوب الامة العربية ، باعتبارها خطوة وحدوية تقدمية ، ومن هذا المنطلق ياتى حماسها واخلاصها لاتحاد الجمهوريات العربية باعتباره نواة لوحدة عربية شاملة ، تسير على أسس علمية مدروسة ، وتتدارك قصور التجارب الوحدوية السابقة ، كما كان حماسها بالغا للوحدة الكاملة بين مصر وليبيا ، وهى خطوة اخرى على الطريق ·

وفى المجال الدولى ، حطمت الثورة اطار العزلة التى فرض عليها لفترات بعيدة . وكان لسياستها التحررية ودعوتها لعدم الانحياز فى دول العالم الثالث اثر عميق فى امتداد اشعاعها الى آفاق دولية متعددة ملهما شعوب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ·· فاحتلت بذلك مكانا بارزا فى حركة التحرر الوطنى العالمية التى تتعاون مع سائر القوى المعادية للاستعمار ·· وفى مقدمتها الدول الاشتراكية ·

ان الخطوط العميقة فى سياستها الخارجية تعبر تعبيرا صادقا عن كل مبادئنا الوطنية : وجوب التصدى للاستعمار تمكينا لكشفه فى جميع اقنعته ولمحاربته فى صوره المختلفة ·· والعمل من اجل السلام بما يهيئه لمصر من دور ايجابى فى حل الكثير من المشكلات الدولية وما يوفره من ظروف ملائمة لرعاية التقدم الوطنى ·· ثم التعاون الدولى من اجل الرخاء ايمانا بان الرخاء المشترك لجميع الشعوب لا يمكن تجزئته ·

ثانيا ـ ثغرات للتقويم :

اذا كان العمل الوطنى فى بلادنا قد حقق أهدافه فى هذه المنجزات الثورية الحضارية الضخمة فانه قد تعرض خلال المرحلة الماضية ـ فى بعض جوانبه ـ لعراقيل ومعوقات ، فرضتها عليه القوى المعادية للثورة او بعض ادعيائها ·

والثورة ـ وشاهدها تلك المنجزات ـ قد قاومتهم فغلبتهم ، الا ان محاولاتهم المغرضة ابت الا ان تترك فى العمل الوطنى بعض ثغرات علينا ان نحصرها فنحاصرها لنقضى عليها ·

فحجم التحديات الخارجية والمعارك المستمرة التى فرضها الاستعمار علينا ، قد استنفذت الكثير من امكانيات وطاقات شعبنا ، بما اثر على تحقيق المعدلات المأمولة فى التنمية ·

ان عمليات التنمية هذه قد تعرضت وهى بسبيل استيعاب الوسائل العلمية الحديثة · لبعض نواحى القصور ·

ولقد انعكست اثار ذلك كله على حركة التنظيم السياسى فى مجال دفع خطط التنمية ومتابعتها حيث انكمشت فاعليته فى تعبئة وقيادة الجماهير فى معركة الانتاج ، وفى تمكينها من استيعاب منجزات التطور وارساء القيم الاشتراكية الجديدة مترجمة فى سلوك اجتماعى متميز ·

كذلك تسبب التناقض الذى افتعل بين ضرورة تحقيق الاشتراكية وإمكانية ممارسة الديمقراطية السليمة فى ظهور كثير من العلل فى كيان التنظيم السياسى ، عزلته الى حد كبير عن جماهيره ·· حيث استطاعت بعض العناصر الانتهازية ـ من خلف ستار هذا التناقض المفتعل ـ ان تخلق جوا من الارهاب تلاشت فيه سيادة القانون ، كما اختفى معه كل ضمان حقيقى لحرية الانسان وحقوقه وكرامته ·· واغلقت نتيجة لذلك كل أبواب النقد الحر ، فضاعت فرص كثيرة للاصلاح والمراجعة ·· وتحكمت ارادات الافراد وأهواء التجمعات فالتقت على مصالح ذاتية ، سلطة او جاه او منفعة ، داخل مؤسسات الدولة ، حتى تحول البعض منها الى مجرد ظلال وأشباح ·· واستعمل التنظيم السياسى وسائر المؤسسات لاضفاء صورة من الشرعية الزائفة على الوان عديدة من الفساد والافساد والظلم ·

ولعل اخطر ما واجهه تنظيمنا السياسى فى هذه المرحلة ، وفى ظل تلك الاوضاع ، هو تعرضه لفقد ثقة الجماهير ·

اذ تضاءل لديها حجم الاحساس بأن لها دورا فعالا فى الحياة العامة يمكن أن تمارسه من خلال تنظيمها السياسى ·· حيث ضاقت الاوعية التنظيمية فيه عن أن تفسح لها المجال اللازم لتعبر عن رأيها ، وعن أن تصل هذا التعبير الى أحداث التاثير المنتج على مجريات الامور ·

الجزء الثانى

واقـــع الحاضر

ان منجزاتنا الثورية قد حققتها الارادة العربية وسط معارك عديدة ضارية ، وجهاد بطولى خاضه شعبنا فى مواجهة تحدى الامبريالية العالمية والصهيونية والقوى الرجعية وادعياء التقدمية ·

ولا شك أن الحفاظ على تلك المنجزات وتدعيمها والسعى لتحقيق المزيد المستمر منها ، يقتضى منا ـ نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ـ أن ندرك تمام الادراك طبيعة وظروف المرحلة الحالية التى يجتازها نضالنا الوطنى بعد عشرين عاما منذ قيام الثورة ، تغيرت خلالها عاما بعد عام ظروف العمل الوطنى فى الداخل ، واختلفت اثناءها صورة العالم الخارجى الذى تتحرك فيه مسيرتنا الثورية ·

فواقع حاضرنا يشد عقولنا وقلوبنا وحواسنا نحو :

ـ معركتنا المصيرية :

ـ نخوضها مدركين اوضاعا وظروفا عالمية متغيرة ·

ـ ملتزمين مفاهيم واساليب عمل جديدة ·

أولا ـ معركة المصير

ان التحدى الذى تواجهه الثورة وتواجهه الامة العربية قد تفاقم واتسع مداه نتيجة الارتباط الوثيق ولقاء المصالح والاطماع بين الاستعمار والصهيونية ، ذلك الارتباط الذى استطاع عام ١٩٦٧ ان يصل الى احتلال أجزاء غالية من أراضى الامة العربية ، وأن يحول جانبا هائلا من طاقاتنا الوطنية ومن مواردنا وجهدنا لازالة آثار العدوان ·· دفاعا عن كياننا الحضارى والمادى الذى يتربص به التآمر الاستعمارى الصهيونى ·

واننا نؤكد ان كل فكر يقدم خلال هذه المرحلة ، وكل جهد يبذل فى موقع من مواقع العمل ، لابد ان يتم فى اطار الاعداد والتعبئة الشاملة لمواجهة هذا التحدى ولخوض كل ما يتطلبه من معارك ·· ان خوض هذه المعارك لم يعد قرارا سياسيا يمكن أن يتخذ او لا يتخذ ، وانما صار امرا تفرضه الظروف الموضوعية المتمثلة فى احتلال الارض وفى أطماع الصهيونية العالمية فى أرضنا ، أرض الامة العربية كلها ، بكل ما تمثله هذه الاطماع من أخطار سياسية واقتصادية ، وما تشكله من تهديد للحضارة العربية ·

ثانيا ـ الاوضاع العالمية المتغيرة :

ان التغير الهائل فى الاوضاع العالمية التى تحيط بالنضال الوطنى ، هو تغير قد بلغ اليوم درجة الثورة سواء فى العلاقات السياسية الدولية وتوازن القوى والمصالح بين أطراف هذه العلاقات أو فى العلاقات الاقتصادية وميزانها بين الدول المتقدمة والدول النامية ·

واننا نقدر بوعى كامل ان استيعاب هذا التغير أمر ضرورى لسلامة الحركة الوطنية فى المجالين الداخلى والخارجى .

على السواء ، بعد أن تهاوت الحواجز بين الشعوب ، وتشابكت المصالح بينها ، وصار الانغلاق الكامل على التجربة الوطنية والمحلية ـ ولو بقصد حمايتها وتامينها ـ عيبا يحرم هذه التجربة ابعاد الرؤية السليمة والحسابات الصحيحة ، ويعرض العمل الوطني كله لاخطار او اخطاء قد تكون فادحة •

ثالثا ـ نحو مفاهيم جديدة للعمل السياسى :

ان جماهير شعبنا قد عبرت بوضوح فى حركة مايو عن اصرارها ـ اكثر من اى وقت مضى ـ على الوحدة الوطنية ، باعتبارها درعا للطاقة الخلاقة التى تدفع الجهد الوطنى وتحكمه ، وتضمن الا يذهب سدى او يضيع فى متاهات الصراع والتناحر والتحزب •

كما ان هذه الجماهير ـ فى اصرارها وبوعيها الثاقب ـ قد كشفت عن أوجه القصور والعجز فى العمل السياسى خلال الفترات السابقة ، حين افتقد التنظيم السياسى الرؤية الواضحة للهدف ، وحينما تفرقت باعضائه السبل واعوزتهم دقة الحركة وانتظامها ، فعجز وعجز اعضاؤه معه عن تحقيق التعبئة البشرية الكاملة المتناسقة لشعبنا ، مما هدد وحدتها الوطنية فى وقت يتطلب المزيد من دعمها •

وقد كان لزاما علينا ـ نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ـ استجابة لذلك الشعور الجماهيرى فى ضرورة قطع الطريق على أساليب العمل الفاسدة التى اسهمت بالكثير فى وقوع النكسة ، وبعد أن امكن لحركة التصحيح أن تزيح تلك الضغوط الهائلة التى فرضتها مراكز القوى وعرقلت بها انطلاق تلك الطاقة الجماهيرية نحو تحقيق برامجها وأهدافها ، كان لزاما علينا أن ندخل فى مراجعة جدية لمفاهيم العمل السياسى وأساليبه على الوجه الذى ينقيه من الشوائب ، ويعيد ثقة الجماهير اليه ، ويجعله أكثر قدرة على تحقيق الاهداف الرئيسية للنضال الوطنى ببعديه السياسى والاجتماعى ، وعلى مستوياته المحلية والقومية والدولية •

الجزء الثالث

خطوط المستقبل

ان واجب الحفاظ على منجزاتنا الثورية ، تأكيدا ودعما وأملا فى المزيد منها وتقويما لما شاب العمل الوطنى من ثغرات ، يرسم لنا ـ على مدى من واقع الحاضر وقد وعيناه ـ خطوط ومعالم الطريق نحو الانطلاق بعملنا السياسى الى آفاق رحبة ممتدة ، تخدم الهدف وتحقق الانتصار فى كافة المجالات •

ولزاما علينا ـ نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ـ وقد وضحت امامنا الرؤية ، أن نوجه الانطلاقة الجديدة لعملنا الوطنى نحو الآمال العريضة للمستقبل ، مدركين فى ايمان وثقة ، خطوطه ومعالمه •

أولا ـ نحو المعركة :

نخوضها مؤمنين بحتميتها ، مضحين فى سبيلها بكل شىء بالعرق والدم ، بالمال والبنين ، بالوقت والجهد المضنى •• واثقين من رعاية الله لكل ذى حق مشروع ، غير باغ ولا عاد ••

ان المعركة هى الشاغل الاول لهذا الشعب • واذا كان الشعب المصرى يضحى اليوم من اجلها بما يفوق الثلث من دخله القومى ، فانه لن يضن عليها بالمزيد ، طاقات وامكانيات وتضحيات •

ثانيا ـ ملاحقة متجددة للأوضاع العالمية المتغيرة :

نتحرر من خلالها بامعان وعمق ، نتابع احداث هذه الاوضاع أولا بأول ، ساعة بساعة ، نسبر أغوارها ، نحدد ابعادها ومفهومها •• ثم نتخذ قرارنا السياسى بعد حساب ودراسة علمية دقيقة وفورية ، ليأتى تحركنا واعيا واثقا ، يجابه التغيير بما يقتضيه ، دون جمود أو توقف ، بلا تباطؤ أو توان •• متوخين الاعتماد على الله ـ جل شأنه ـ وعلى انفسنا وطاقات وامكانيات امتنا العربية •

ثالثا ـ التزام كامل بالوحدة الوطنية ••

ادراكا منا انه بفضل الوحدة الوطنية أمكن تحقيق المنجزات الثورية لشعبنا ••

ادراكا وثقة أنها ليست فقط ضرورة للحفاظ على تلك المنجزات او لتحقيق المزيد منها • وانما هى ضمان رئيسى كفلته جماهيرنا فى مواثيقها الثورية ، تحقيقا للتغيير الاجتماعى ، على أساس حل التناقضات بين قوى الشعب العاملة سلميا وبالوسائل الديمقراطية ••

ادراكا أن الحرص عليها لا يعنى انهاء تعسفيا أو مصطنعا للمصالح المختلفة لقوى الشعب العاملة او اتخاذها ذريعة لحجب الديمقراطية أو تعلة لتقييد حرية التعبير والنقد داخل التنظيم السياسى ••••

ادراكا أنها ضرورة حياة لهذا الشعب ، تجنبه الفرقة ، تكفل حشد قواه الوطنية فى هذه المرحلة الدقيقة من مراحل المواجهة مع العدو •••

ادراكا لذلك كله ، علينا ـ نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ـ ووحدتنا الوطنية قد وجدناها فى الماضى ضرورة عقل ومنطق ، أن نستمسك بها اليوم ، قوية منيعة ، وهى لحاضرنا ومستقبلنا ضرورة حياة وبقاء •

رابعا ـ دفع منتظم للتنمية الاقتصادية :

اذا كانت معركة التحرير والشرف والكرامة ـ المعركة العسكرية ـ تجد مكانها اليوم فى المقام الاول • فان معركة الحضارة والتنمية والتقدم ـ المعركة الاقتصادية ـ يجب أن تتواءم مع قدراتنا على تحقيق النصر ، تقترن بمعركة التحرير ، سندا ودعما ، حتى تسجل به لنا الشرف والكرامة •

وعلينا ، بالجهد والمال والتضحيات ، أن نخوض معركتنا ضد التخلف والحاجة ، واضعين فى خدمتها كل امكانيات التقدم العلمى الحديث ، داعمين القيادات الفنية ، وعيا والتزاما نحو استيعاب هذا التقدم ، واستلهام المعانى الاجتماعية والانسانية لعملية الانتاج •

وواجبنا ـ نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ـ فى التوعية بالتنمية الاقتصادية وأهدافها ، والمشاركة فى وضع خططها ومتابعة تنفيذها ، هو واجب اساسى يفرضه علينا اعتزازنا بحق جماهير هذا الشعب ، جيلا بعد جيل ، فى العيش الحر الكريم •

وعلينا بعد تحقيق النصر ومحو آثار العدوان ، أن نرد الى معركة التنمية حقها فى الصدارة من عملنا الوطنى ، ونعيد للاستثمار القومى كل ما كانت تستغرقه التزامات التحرير من أموال وطاقات •

خامسا ـ حفاظ دائم لدولة الشعب •• دولة المؤسسات :

دولة الانسان العربى الابى ، الفخور بوطنه ، المعتز بدينه وقيمه •• بتاريخه وحضارته •

دولة قوى الشعب العاملة ، اساسها العلم والايمان ، قوامها مواطنون احرار ، صنعوا فيها الثورة ومنجزاتها ، ويصنعون عليها الاشتراكية والتقدم •

دولة شعبها هو صاحب السلطة والسيادة والارادة ، صاحب الفضل الاول والاخير ، صاحب المصلحة فى الثورة والاشتراكية •

دولة المؤسسات الشعبية والدستورية ••• دولة الشعب كله ••• الشعب فيها أسرة واحدة •

دولة لا تورث ولا تورث ، ولا تكون حكرا أو احتكارا لشخص أو فئة ، لا مكان فيها لسلطان الفرد أو طاغية •

دولة تتخذ من مؤسساتها سياجا ، ومن سيادة القانون درعا تصد مراكز القوى ، وتمنع ظهورها ، ووقاية للشعب من تسلطها ، وحماية له من تجبرها •

ان دولة الشعب دولة المؤسسات قد انفتح لها الطريق ورسم لها الاطار •• وما أن ازيحت مراكز القوى عن مواقعها حتى صدر دستورها الدائم ، وقوانينه المكملة •• حماية للحريات العامة ، الغاء لموانع التقاضى ، تحديدا للفصل بغير الطريق التأديبى ، تنظيما لمباشرة الحقوق السياسية ، تدعيما لمجلس الشعب وتأكيدا لسلطاته •

وعلينا ـ نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ـ أن نتم البناء ، نحييه بوعى وثقة ، نعمل فى النور ، متخذين من تنظيمنا السياسى منبرا حرا مفتوحا ، يعبر بحرية وصدق عن آراء اعضاء قوى التحالف •• فيكون لدولة المؤسسات كيانها الكامل ، ولا تقوم فيها لمراكز القوى قائمة •

سادسا ـ ضمان مستمر لثقة الجماهير :

ان التنظيم السياسى ـ اى تنظيم سياسى ـ لا يكون الا بجماهيره ، بثقتهم فيه ، فثقتهم هى حياته وحيويته ، ثقله وقوته •

ان الثقة الجماهيرية متى اهتزت ، فاستعادتها ليست امرا سهلا • ولكن طموحنا - نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي - فى ظل الانطلاقة الجديدة للعمل السياسى ، ينبغى أن يكون كبيرا •

ولزاما علينا ، من اجل هذه الثقة ، سعيا اليها واستمساكا بها ، ان نوفر الضمانات والظروف الكفيلة باستعادتها والتمكين لها والحفاظ عليها •

١ - من وضوح فى خطنا الفكرى والسياسى أمام جماهيرنا العريضة ، باعتبار هذا الوضوح نقطة البدء فى الاقتناع والاقناع ، وفى تنمية القدرات الخلاقة لهذه الجماهير ، وضمان تفاعلها المستمر والمتجدد داخل التنظيم السياسى •

٢ - من التزام بأساليب ديمقراطية فى الحركة والعلاقات داخل التنظيم السياسى ، تحدد بالتبعية طريقة تعامله ونوعية علاقاته بالجماهير ، مدركين أن التنظيم الذى يقوم على الديكتاتورية أو القهر واصدار الاوامر دون مناقشة ، لا يمكن بحال من الاحوال أن يكسب ثقة الجماهير • ولا يمكن الا أن يتعالى عليها ، ولن تقبل الجماهير هذا التعالى منه بطبيعة الامر ، وانما ستنفض بالضرورة من حوله •

٣ - من توكيد على الدور الرائد للمستويات القاعدية فى التنظيم السياسى ، وعلى اهمية الجهد الجماعى المشترك لاعضائه واجهزته المختلفة ، ابتداء من الوحدة الاساسية حتى قيادته المركزية ••• مدركين أن اعطاء كل الايجابية وكل العمل الجاد للقاعدة نفسها يشعر الجماهير بفاعلية التنظيم ، فتتولد من احساساتها طاقات العمل المتجددة داخله •• مدركين أن التنظيم السياسى اذا رسخ فى قواعده اثمر على كامل مستوياته ، واذا لم ينجح فى المستوى القاعدى فلن يكون له نجاح ، مهما كانت مستوياته أو قوة أعضائه •

٤ - من احكام وضبط العلاقة بين التنظيم السياسى واجهزة الدولة التشريعية والتنفيذية ••• بما يكفل السيادة للشعب ، ويضمن لهذا التنظيم السياسى الحرية فى أداء وظيفته ، ويمنع تدخل تلك الاجهزة فى شئونه •• مدركين أنه بغير هذا الضبط والاحكامفان التنظيم السياسى لابد وأن يقع - كما حدث فى الماضى - فى أحد محظورين : اما أن يظل محجوبا عن اداء دوره انتظارا للصيغ المحددة التى ترسماليه هذا الاداء ، واما أن يندفع التى ترسم له هذا الاداء ،واما أن يندفع الصدام بينه وبين تلك الاجهزة ، وفى الحالين يحدث الاضطراب فى ثقل التنظيم وفاعليته ، أو فى احساس الجماهير بقيمته ووجوده •

وعلينا - نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكي العربى - تفاديا للوقوع فى ذلك ومن اجل ضمان مستمر لثقة الجماهير ، أن نلتزم نصوص الدستور التى تنظم العلاقة بين اجهزة الدولة ومؤسساتها ، جاعلة من تنظيمنا جهازا معبرا عن الاتجاهات السياسية الاصيلة للشعب ••• جهازا قائما بمسئولية التوجيه السياسى ، معاونا الاجهزة التشريعية والتنفيذية ومتعاونا معها ، دون أن يسلب احدهااختصاصات الاخرى او يحل محله فيها •

ان الضمان المستمر لثقة الجماهير انما يقوم - فى خلاصة الامر على الوضوح فى الرؤية والهدف ، ودقة فى الحركة والاسلوب • وليس من بديل لتوفير هذا الضمان سوى ترجمة الوضوح والدقة الى أشياء ملموسة تتفهمها الجماهير وتستجيب لها وتتفاعل معها ••• اشياء محسوسة ••• حتى ينتهى موقف المواطن المتفرج ليحل محله موقف المواطن المشارك •

وهذا ما نعرض له الان •••

القسم الثانى

خطنا الفكرى والسياسى

نحن - اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربي - نؤمن بان هذا الوضوح فى الرؤية والهدف - وضوح خطنا الفكرى والسياسى - هو التاكيد الحقيقى لاصالة الشخصية العربية ••• هو التصوير العملى لقدرة جماهير شعبنا العريضة على تمييز طريقها وصوغ نظريتها على الوجه الذى يحسم امامها كثيرا من التفريعات النظرية او الجدلية ، ويقى هذه الجماهير التردد او الاضطراب فى حركتها ، ويصد عنها حملات التشكيك او اليأس التى تستهدف حجب رؤيتها السليمة وشل انطلاقها الثورى •

ان مواثيق الثورة ، وقد ابرزت الاتجاه التحررى الاشتراكى الوحدوى للتحرك السياسى الشعبى فى وطننا ، انما تعبر عما ارتضته جماهير شعبنا خطا فكريا أساسيا ، تسير عليه ، لا تتخلى عنه أو تحيد ، رغمأى تحديات اوعقبات، بل تعمل على تعميق مضمونه وصقله بالممارسة اليومية للعمل الوطنى •

ان مبادىء الحرية والاشتراكية والوحدة ، رغم وضوحها واستقرارها فى ضمير شعبنا ، ورغم انها تستمد جذورها الاصيلة من فكره الذاتى وخصائصه المتميزة ، قد تعرضت - عبر فترة طويلة من الممارسة السياسية ، لتفسيرات لا تلتزم الواقع المصرى العربى ولا تحترم القيم الدينية ، وانما تحاول الركون فى مضمونها الى عقائدومذاهب وافدة أو مطروحة على الساحة العالمية •

واننا اذ ندرك أن هذه العقائديات والمذهبيات ، وان صلحت فى بعض المجتمعات ، فانها لا تتلاقى مع المقومات الذاتية لشعبنا ، ولا يؤدى فرض مضامينها على مجتمعنا الى توضيح أو تحديد لرؤيتنا ، بل يحمل فى الواقع خطر التشتت واضعاف الحركة ، ويؤدى الى وقوع الخلل بين الفكر والهدف •

ومن هنا ، كان لزاما علينا ، نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى - أن نعيد التاكيد على معالم خطناالفكرى السياسى ••• ناقلين - فى يسر وعمق - الى قواعدنا الشعبية العريضة، على مستوياتها المختلفة ، تلك المعانى الاصيلة التى تحدد أهداف أمتنا وتحققها •• توضح الاسس والنطاق للنشاط السياسى فى وطننا ، تبرز الخصائص والمبادىء للنشاط الاقتصادى والاجتماعى فى الدولة :

- التزاما بتحالف قوى الشعب العاملة •
- وتاكيدا لذاتية اشتراكيتنا •

الجزء الاول

مبدأ تحالف قوى الشعب العاملة

ان مبدأ تحالف قوى الشعب العاملة - وقد جسده هذا الشعب تنظيميا فى الاتحاد الاشتراكى العربى - استقر بديلا للنظام الحزبى •• تعبيرا علميا سليما عن واقع النضال الوطنى لشعبنا •• تعبيرا عن ظروفه الموضوعية والتاريخية التى تشهد بتضامن هذه القوى وتلاحمها فى سبيل خدمة الامانى القومية ، دون ان تستاثر احداها عن الاخرى بشرف تحقيق هذه الامانى •

ان هذا المبدأ يرفض استخدام الصراع الاجتماعى كأداة لسيطرة الطبقة ولكنه - فى العصر الحديث بمناخه ووسائله ، وبما يصله من تحديات ومخاطر لدول العالم الثالث - صمام أمن يصون وحدة القوى العاملة فى الوطن ويحقق ازالة ما قد يقوم من تناقضات بينها فى تفاعل ديمقراطى سليم •

واذا كان مبدأ التحالف يجسد الوحدة الوطنية المقدسة ، ويعبر عن اجماع الجماهير بمختلف قواها العاملة على الحركة الدائبة من أجل تحقيق الامال والمصالح القومية ، فان كل ادعاء يشكك فى هذا المبدأ ، من شأنه - فى النهاية - أن يضعف الوحدة الوطنية ذاتها ، ويهدد قدرة الشعب على خوض المعارك المرتقبة ، تحريرا لارضه ، ودفاعا عن حرية ارادته وتأمينا لتقدمه •

ولزاما علينا - نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى - وتنظيمنا السياسى هو الامين الحريص على مبدأ التحالف ، أن نجعله دائما نابعا من الجماهير غير مفروض علينا ••• فلنعمق مقوماته ومفاهيمه فى اذهانهم ••• فلترب الامال والمصالح القومية المشتركة ، ركيزةهذا المبدأ ورباط التحالف •• فلنحددماقد يقوم من مصالح خاصة بكل من قوى هذا التحالف ••• وذلك كله بالتطبيق اليومى ، بالحركة النشطة ،وبالنتائج المحددة التى تتحقق بفضل تحالف قوى الشعب العاملة على مر أطوار العمل الوطنى •

أولا : مقومات التحالف :

ان مبدأ التحالف ، وقوامه الوحدة الوطنية وتجميع حركة قوى الشعب العاملة ، يرفض اقامة ترادف حتمى بين تحقيق الثورة الاجتماعية واللجوء الى الاساليب العنيفة أو الدموية • ولذلك فهو يؤكد :

١ - ضرورة تغيير البنيان الاجتماعى بوساطة الاساليب السليمة والديمقراطية التى تحقق تذويب الفوارق بين المستويات الاجتماعية ، على أساس الكفاية والعدل •

٢ ـ ان التحالف داخل الاتحاد الاشتراكي العربي ليس تحالفا بين طبقات ، وانما بين قوى الشعب العاملة ، كما أن هذا التحالف لم تفرضه قوة منتصرة ، أو صيغة تفرض بهاقوةمعينة ارادتها على سائر القوى الاخرى •

وهو بذلك ـ وسيظل ـ تحالفا حقيقيا وواقعيا بين سائر القوى العاملة ، وليس تحالفا شكليا بين افراد او جماعات يتخذون منه وسيلة قمع أو طريقا لتحقيق مآرب ومصالح غير مشروعة •

٣ ـ ان حركة التحالف تحكمها المواثيق الثورية الرئيسية :

ميثاق العمل الوطني وتقريره ، بيان ٣٠ مارس ، برنامج العمل الوطني • والدستور ••• تلك المواثيق التي تستظل بتراث القيم الروحية والحضارية المميزة لشعبنا •

٤ ـ ان التحالف يبرز الوزن الحقيقي لقوى الفلاحين والعمال داخل التنظيمات السياسية والشعبية ، وفقا لما قررته تلك المواثيق • وان تخصيص نصف مقاعد هذه التنظيمات ، على الاقل ، للعمال والفلاحين لا يمثل وضعا طائفيا او مهنيا ، ولا يعني اقامة دكتاتورية لهاتين القوتين تفرضها على سائر القوى الاخرى ، وانما هو التعبير السليم عن حق الاكثرية التي طال حرمانها في المشاركة الفعالة في صنع مستقبل أمتنا ، وفي دفع المسيرة الاشتراكية لشعبنا •

٥ ـ ان التحالف ـ كتعبير عن الوحدة الوطنية ـ يرتب العلاقة بين المصالح القومية المشتركة لقوى الشعب العاملة من ناحية ، وما قد يقوم من مصالح خاصة لكل قوة من هذه القوى من ناحية أخرى ، على اساس اعطاء الاولوية والافضلية للمصالح المشتركة ، دون أن يلغي تلك المصالح الخاصة او يصادرها ••فنضال التنظيم السياسي من أجل الاهداف ذات الوزن القومي الشامل ـ ركيزة الوحدة الوطنية ومحورها ـ لا يطمس ما قد يقوم من مصالح خاصة او متميزة لقوى من القوى الداخلة في التحالف ، بل على العكس يخلق انسب الظروف للدفاع عنها ، ولمواجهة ما قد يظهر من تناقضات بحلول سليمة •

ثانيا : المصالح القومية المشتركة:

ان مبدا تحالف قوى الشعب يعبر عن وجود مصالح وطنية وقومية ، هي الجوهر والاساس •• مصالح لاخلاف عليها ـ ولا يتصور عليها الخلاف ـ بين قوى الشعب العاملة الخمس ، كما يعبر عن رجحان تلك المصالح وضرورة الحفاظ عليها واعلائها على اي مصالح خاصة او ذاتية محتملة لكل قوة اجتماعية داخل التحالف •

وعلينا ان ندرك ـ نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي ـ أن المصالح الوطنية والقومية هي عماد نشاطنا وحركتنا الدائبة داخل تنظيمنا السياسي • فتلك المصالح تترجم ، بصدق ودقة ، الهدف الاسمى لامتنا العربية في اقامة الدولة العصرية المتحررة التي يظلها العلم والايمان • وهي ـ في ذات الوقت ، وكنتيجة لتحليل الظروف الموضوعية الداخلية والخارجية للعمل الوطني في الاونة الراهنة ـ تبرز المهام الرئيسية للاتحاد الاشتراكي العربي وفقا لما تقرره مواثيقنا الثورية •

١ ـ الحرية والتحرير :

ان الحرية في كافة ابعادها ، هي حجر الاساس في مصالحنا القومية المشتركة •

والحرية تعني ارساء مبادىء الديمقراطية وكفالة الحقوق والحريات العامة في ظل سيادة القانون •

ان سياج الحرية الذي يضم حركة النضال الوطني للجماهير ، ويضمن لها تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي ، بعيدا عن الاهواء أو الظلم يقتضي منا ـ نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي ـ ان نجعل من تنظيمنا السياسي منبرا حرا مفتوحا لجماهير الشعب العريضة ، باعتباره أداة تحالف قوى الشعب العاملة في تعميق قيم الديمقراطية السليمة •

ان التحرير ـ واجب الشرف والكرامة ـ يقتضينا ، نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي ـ وأمتنا تواجه العدوان الاسرائيلي الاستعماري على الاراضي العربية المحتلة ، ان نحشد طاقات جماهير شعبنا كلها ، دعما لجبهتها الداخلية •• وقوفا وراء قواتها المسلحة الباسلة •• سبيلاً لتحرير الارض العزيزة ، وصد الغزوة الصهيونية للمنطقة العربية ، باعتبارها التهديد المباشر لوجودنا القومي ذاته ، ماديا وحضاريا •

ان تحرير الارادة العربية وكفالة استقلالها ازاء مصالح واطماع القوى العالمية ، يقتضي ان ينطلق تحركنا السياسي دائما من مبدأ صيانة الاستقلال الوطني اقتصاديا وسياسيا •• تدعيما مستمرا لهذا الاستقلال ••عملادائبافي سبيل القضاء على النفوذ الاستعماري بيقظة واعية تكشفه في صوره وأساليبه المختلفة •

٢ ـ الاشتراكية العربية :

ان مواثيقنا الثورية قد جعلت من الاتحاد الاشتراكي العربي أداة تحالف قوى الشعب العاملة في تعميق قيم الاشتراكية • وعلينا ـ نحن اعضاء هذا الاتحاد تبعا لذلك ، وانطلاقا من الخصائص الذاتية لاشتراكيتنا العربية ، ومن رفضها الحل الشيوعي أو الراسمالي ـ كطريق لتحقيق التغيير الاقتصادي والاجتماعي في بلدنا ، ان ندفع حركتنا الجماهيرية نحو تدعيم تلك الخصائص الذاتية لاشتراكيتنا وان نجعل من عملنا الوطني والقومي تطبيقا سليما وواضحا لها •

٣ ـ الوحدة العربية •

ان الوحدة العربية لم تعد تستند الى عوامل تاريخية فحسب وانما أصبحت ضرورة تمليها المصالح الحقيقية التي تحدد مصير الامة العربية كلها • ولهذا فان علينا ـ نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي ـ ان نقود حركتنا القومية دواما نحو تعميق الانتماء المصيري الى الامة العربية ، استنادا الى واقعنا ومستقبلنا السياسي والاقتصادي والاجتماعي •• استنادا الى تلك الحقيقة التاريخية من أن الشعب المصري هو جزء من الامة العربية وانه يعمل على تحقيق وحدتها الشاملة •

٤ ـ التنمية الاقتصادية :

ان التنمية الاقتصادية بما تعنيه من ضرورة تحقيق الزيادة المطردة في الانتاج والموارد ، على أساس الالتزام بمبادىء الاشتراكية والأخذ بأساليب التقدم والعلم والمعرفة ، تتطلب منا ـ نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي ـ أن نجعل من عملية التنمية قضية جماهير هذا الشعب في جهدهم وعملهم اليومي ، فجماهيرنا يجب أن تعي بكل وضوح اعماق هذه القضية ومستلزماتها •• وان تشارك في اعداد خططها وبرامجها المشاركة الايجابية البناءة •• وأن تتابع تحقيقها ومراقبة تنفيذها بكل فاعلية واخلاص •

٥ ـ التوعية بالمرحلة الحالية :

ان هذه التوعية باعتبارها نقطة ارتكاز في الانطلاقة الجديدة للعمل السياسي ، تقتضي منا ـ نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي ـ تسخير كل الجهود التثقيفية المخلصة ، وتمكينها من أن تنقل على وجه مستمر لجماهير شعبنا الصورة الحقيقية لواقع حاضرنا وظروف المرحلة التي نمر بها وخصائصها ، حتى تجيء حركة نضالنا الوطني ـ دائما ـ متفاعلة مع ذلك الواقع وهذه الظروف والخصائص ، مهتدية بكل الابعاد والمتطلبات •

٦ ـ بناء الانسان الجديد :

ان بناء الانسان العربي الجديد القادر على اقامة الدولة العصرية يفرض علينا ـ نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي ـ جهدا قياديا وتربويا يأخذ باسباب التقدم العلمي ، ويدفع عجلته نحو تنشئة الاجيال المثقفة التي تتمسك بالقيم الوطنية والدينية والاخلاقية ، ونحو الايمان الواعي والنزاهة والشرف في حب الوطن العربي وتقديس العمل والتفاني فيه •

ان علينا ـ تبعا لذلك ـ الاهتمام بالشباب والعناية بمشاكله وتغطية مطالبه ، وتحقيق آماله •• فالشباب ثروة الوطن وذخيرته المستقبلة في حمل الامانة وتولي القيادة •

وعلينا كذلك أن نعمل على ان تتبوأ المرأة مكانها ، فهي نصف المجتمع وعماد الاسرة نواة هذا المجتمع • علينا أن نمكنها من أن تلعب دورها السياسي بجانب دورها التربوي ، وأن تشارك بجهد فعال في حركة البناء والتصنيع ، جنبا الى جنب مع الرجل •

علينا أن نعطي دفعة كبرى لواجب محو الامية وتنظيم الاسرة باعتبارهما من القضايا القومية الرئيسية في بلدنا ، واعدادهما لدورهما الاساسي في بناء

الانسان الجديد ، متحررا من أوضاع التخلف الفكرى والمادى التى تعوق الحركة والتقدم وتعرقل تطوير الاقتصاد القومى •

٧ ـ الارتقاء بمستوى الخدمات العامة :

ان الخدمات العامة ، اذ تنصرف الى القاعدة العريضة من جماهير الشعب تحتل مكانا بارزا من اهتمامنا • وعلينا ـ نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ـ ان نعمل على الارتقاء بمستوى هذه الخدمات ، حتى تحصل جماهيرنا على عائد كدها فى ظل احسن الظروف وايسرها ، وبعيدا عن البيروقراطية أو الاساءة فى الاداء •

ثالثا ـ المصالح الخاصة داخل التحالف :

ان التسليم بقومية المصالح المشتركة بين قوى الشعب العاملة •• والتسامى بها فوق أية مصالح فئوية ، لا يجب لما قد يقوم من مصالح ذاتية لواحدة أو أكثر من هذه القوى ، ولا ينفى احتمالات التمايز والاختلافات فيما بينهما •

وان حماية المصالح القومية ، باعتبارها ركيزة الوحدة الوطنية ودعامة النضال المشترك لقوى التحالف الخمس ، يقتضى أيضا السماح بقيام المصالح الخاصة بما يضمن استمرار التحالف بقبول هذه القوى جميعا له وحرصها عليه •

لذلك فان علينا ـ نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ـ ان نحقق التوازن الضرورى بين حماية المصالح القومية وبين حق كل قوة من قوى التحالف فى أن تعبر عن نفسها وعن مصالحها الخاصة داخله •

ويكون من الملائم ـ تبعا لذلك ـ أن يجرى داخل القنوات التنظيمية التعريف بأهم المصالح الخاصة لكل قوة فى التحالف وترتيب اولوية تحقيقها ، وفقا للظروف القائمة وتبعا للامكانيات المتاحة ، وبحيث لا يقوم التعارض بينها وبين المصالح القومية المشتركة التى لا يمكن بحال اهدارها او التضحية بها ، وعلى الا يكون فى تحقيق تلك المصالح الخاصة انحراف عن الخط المرسوم فى وثائقنا الثورية للتطور الاشتراكى الذى نضعه فوق اى اعتبار •

الجزء الثانى

اشتراكيتنا

لقد استطاعت جماهير شعبنا ، بايمانها الراسخ بقيمها الدينية وبوعيها العميق لتاريخها ، وباستيعابها الكامل لسجل حركتها الوطنية والقومية ، وبفكرها المفتوح للتجارب الانسانية ، ان تشق طريقها وان ترسم اهداف جهادها فى سبيل الحرية والاشتراكية والوحدة •

ان الحل الاشتراكى الذى نبع من ضمير جماهيرنا ، وفرضته الآمال العريضة لها فى الحرية الاجتماعية القائمة على الكفاية والعدل ، قد أرسته هذه الجماهير فى مواثيقها الثورية على اساس القيم الانسانية والحضارية لامتنا العربية والابعاد الحقيقية لواقعنا السياسى والاقتصادى والاجتماعى •

ان هذا الحل الاشتراكى الذى تمثل فيه خطنا الفكرى والسياسى ، قد تعرض بالرغم من الانجازات الثورية الكبرى التى تحققت بفضله ، لحملات ضارية من التشكيك تستهدف صد الانطلاقة التقدمية للجماهير واعاقة مسيرتها الواثقة نحو تحقيق التغيير الاجتماعى فى بلدنا • وقد ساعدت على هذه الحملات تفسيرات متباينة تدور اغلبها فى قوالب جامدة غير واعية بواقع تاريخ امتنا وجهادها • مستغلة فى ترويجها بعض اخطاء التطبيق او عوامل القصور فيه •

ان علينا ـ نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ـ ان نعيد التأكيد على هذا الخط المتميز لاشتراكيتنا ، درءا لاى محاولة خارجة أو غير ملتزمة واعين :

ـ أبعاد نظرة جماهيرنا العميقة لخطنا الفكرى والسياسى •

ـ وما تصونه لاشتراكيتنا من ذاتية خاصة مستقلة ، وما تبرزه من مبادىء متميزة تقوم عليها هذه الاشتراكية •

أولا : أبعاد نظريتنا :

ان الخط الفكرى والسياسى لشعبنا انما يرسمه تلاقى الابعاد الحقيقية لقيمنا وواقعنا وجهادنا :

١ ـ فنظرتنا تجد بعدها الروحى فى الدين والايمان بالرسالات السماوية التى اكملها الاسلام بسماحته وقيمه الانسانية ، ومثله وتشريعه •

٢ ـ وتجد بعدها الوطنى فى الاستقلال السياسى والوحدة الوطنية ، بما يعنيه ذلك من ان يكون وطننا ملكا لابنائه جميعا ، احرارا فيه ، يصرفون داخله مستقبلهم ، ويصنعون عليه ارادتهم بانفسهم •

٣ ـ وتجد بعدها القومى فى الانتماء للامة العربية ، انتماء واقع ومصير ، ومستقبل طريقة الوحدة •

٤ ـ وتجد بعدها الاجتماعى فى الحرية الاجتماعية لجماهير شعبنا ، بما تعنيه من كفالة العيش الكريم لها ، بعيدا عن الاستغلال وفى ظل الفرص المتكافئة فى نصيب عادل من الثروات الوطنية •

٥ ـ وتجد بعدها الاقتصادى فى كفاية الانتاج باعتباره دعامة للاستقلال السياسى ، وما يعنيه من وضع الامكانيات والموارد الاقتصادية تحت تصرف أبناء شعبنا ، تواجه بها مشكلات التخلف والتنمية ، وتسعى بوساطتها لتحقيق التقدم والرخاء •

٦ ـ ثم تجد ـ اخيرا ـ بعدها العلمى والثقافى فى التقدم العصرى ، وفى ظل استقلالها الفكرى النابع من حضارتها وذاتيتها •

ثانيا : ذاتية اشتراكيتنا :

ان الابعاد الحقيقية لنظرة شعبنا تحدد فى الواقع مفهوم اشتراكيتنا ومقوماتها الذاتية ، على الوجه الذى ينأى بها عن ان تكون دعوة نظرية ، او مذهبا جامدا ينفصل عن مشاكل جماهيرنا وواقع وظروف مجتمعنا ••

ان العالم تصطرع فيه اليوم عقائد ومذاهب ونظم تختلف فكريا وسياسيا ، وان القوى الكبرى تحاول أن تستقطب الى فلكها مناهج التقدم عند الشعوب النامية • واذا كان لكل نظام جوانبه الايجابية وسلبياته • فان الحقيقة الباقية من وجهة نظرنا واصولها الروحية الضاربة فى اعماق التاريخ مع شريعة الحق شريعة الله ، تجعلنا نؤمن ان عندنا ما نستغنى به عنها ، بل ان ما عندنا يقدم الحلول العلمية السليمة لمشاكل الحياة ويعطى البشرية ما تحتاجه فهما وفكرا ورشادا •

وعلينا ـ نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى ـ ان نضع أيدينا فى وضوح كامل على الاشتراكية العربية التى يعمل من اجلها تحالف قوى الشعب العاملة ، ويقوم على اساس مبادئها تحقيق اهداف المجتمع فى التنمية والتكافل ، والتقدم والرخاء •

فالاشتراكية العربية التى نؤمن بها ويرتضيها شعبنا هى التى تستمد اصولها من مبادىء عقيدة هذا الشعب وما اثريت به من اجتهادات وتجارب وتطبيقات عبر العصور ، وتستمد من جهاده عبر الاجيال من اجل الحق والقوة والخير ، الذى تمخض عن مبادىء تمثلها فى ضميره وترجمها ـ مع آماله ـ فى وثائق الثورة ، دون أن تعزل نفسها عن اى عطاء فى تجارب الانسانية يخدم هدفى الكفاية والعدل •

ثالثا : مبادىء اشتراكيتنا :

وانطلاقا من هذه الذاتية الخاصة ، فللاشتراكية العربية مبادىء متميزة ، تحكمها وتحددها :

١ ـ ان الاشتراكية العربية تؤمن بوجود قوانين اساسية تحكم الكون والحياة •

وتلك القوانين ليست بالضرورة كل ما صاغه وقدمه الفكر الاشتراكى فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، فهذه الصياغات تمثل جهدا يخطىء اصحابه ويصيبون ، ولم يكن ما قدموه دائما تعبيرا دقيقا عن علاقات عامة وثابتة لها صفة الشمول والاطراد على النحو الذى يجعل منها قانونا علميا وحيدا بالمعنى الصحيح أو يعتبر هو القانون الثابت الذى يحكم سائر المجتمعات ، رغم اختلاف الثقافة والاصول الحضارية والظروف الاقتصادية •

ان فى تراثنا وديننا ـ قبل أى فكر حديث ـ ومايؤكده وجود قوانين أساسية تحكم الكون والحياة لخير الانسان والانسانية فى كل زمان ومكان ، ولاشك ان تجاهل هذه القوانين يفقد اشتراكيتنا اساسها العلمى المتميز •

ان الاساس العلمى المتميز لاشتراكيتنا يعنى انها تسعى الى تحقيق أهدافها فى الكفاية والعدل ، اعتمادا على الاسس العلمية السليمة والقوانين والسنن

الضابطة للمجتمع وللحياة "

ووصف العلمية هذا هو نتاج تراث انسانى ، لا يسمح لاحد ان يستأثر به او يحتكره لفكر بعينه او للدفاع عن منطق مذهبى واحد دون غيره • بل ان محاولة الاحتكار هذه ، هى — فى ذاتها — محاولة غير علمية •

٢ — ان اشتراكيتنا العربية هى الحل الحتمى للاسراع بمعدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، قضاء على مشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى ، وانطلاقا ثوريا نحو التقدم والرفاهية •

تلك الحتمية فرضها واقع المجتمع العربى ، وما يحدث من تطورات على الصعيد العالمى •

فلقد بات واضحا ، من استقراء واقع مجتمع ما قبل الثورة ، ان الافراد مالكى رؤوس الاموال كانوا غير قادرين او غير راغبين فى استثمار القدر اللازم للاسراع بمعدلات النمو الاقتصادى ، بما يواجه التضخم السكانى وحتى نلحق بمستويات الدخل المرتفع الذى حققته دول اخرى كثيرة •

كذلك بات واضحا ان السيطرة الضخمة للاحتكارات العالمية قد اكدت عجز التجارب الراسمالية عن تحقيق آمال جماهير دول العالم الثالث فى التقدم والرخاء •

فالتنمية الاقتصادية والاجتماعية — بما تتطلبه من تجميع للمدخرات وزيادة فى معدلات تراكم رأس المال القومى — لا يمكن ان تتم ، بنهج علمى وعملى وانسانى ، الا على أساس من التخطيط الاشتراكى الكفء لكافة الموارد والطاقات • على الوجه الذى يكفل لعملية الانتاج الدقة فى التنظيم وحسن الادارة والاداء وينأى بها عن المعوقات والتراخى او البعثرة والتفتيت •

ان التخطيط العلمى السليم — من وجهة نظر اشتراكيتنا — يجد جميع الموارد والطاقات ومصادر الثروة طيعة غير مستعصية على استغلال الانسان العربى •• وفلسفة الاشتراكية العربية ترى تلك الموارد والطاقات مسخرة من الخالق ، كى يستغلها المجتمع بكفاءة من أجل سعادة ورخاء جميع أبنائه •

٣ — ان اشتراكيتنا العربية ، وهى تعمل جاهدة على الاسراع بمعدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، تؤكد ضرورة تحقيق العدالة فى توزيع دخل وثروة المجتمع •

ان الاسراع بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية يفرض تضحيات مستمرة على جماهيرنا ، وما كان يحق مطالبتها بهذه التضحيات الا اذا ايقنت ان ثروة المجتمع لها جميعا ، وان عائد هذه الثروة يجرى توزيعه على نحو عادل •

ولم يكن يتفق مع فلسفة اشتراكيتنا العربية أن تترك مثل هذه القضية الهامة لارادة الافراد ، بل كان لازما وضروريا احداث التغييرات الجوهرية فى التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية ، على نحو يضمن تحقيق هذا الهدف ، كما كان من المتعين ترسيخ فكرة العدالة فى التوزيع باعتبارها حقا وليست منة او صدقة •

لقد تعرضت عدالة توزيع الدخل فى مجتمعنا لمخاطر كثيرة ، نتيجة سيطرة الاستعمار والاقطاع والراسمالية المستغلة لفترات طويلة •واذا كانت الثورة — بعد ان قضت على تلك السيطرة — قد خطت خطوات جادة اكيدة من اجل تلك القضية ، قضية عدالة توزيع الدخل القومى ، الا ان أهم ما يهددها فى الاونة الحاضرة هو استمرار هوة التفاوت بين مستويات عائد عمل أبناء هذا الشعب •

فالطريق طويل •• ونحن مطالبون بتحقيق الكثير •• مدركين أن انجازاتنا فى هذا المجال ترتبط ارتباطا وثيقا بنجاحنا فى الاسراع بخطى التنمية والتقدم •

ان قيم مجتمعنا ، مستوحاة مما نؤمن به من رسالات سماوية ، تتناقض مع استثمار البعض بخيرات هذه الامة ، بينما الاكثرية لا تحصل على حقها العادل •

٤ — ان اشتراكيتنا العربية ترفض الاستغلال — بكافة صوره — رفضا قاطعا •

والاستغلال — فى نظر اشتراكيتنا مفهوم متغير يرتبط بما يرسخ فى ضمير الجماعة من قيم ، وبما تراه محققا لاهدافها فى الكفاية والعدل •

وانطلاقا من النظرة الشاملة المتعمقة للظواهر الاجتماعية ، فان اشتراكيتنا لا تقف جامدة لتقصر مفهوم الاستغلال على الجانب الاقتصادى المرتبط ببعض صور الملكية الفردية ، بل تتعدى ذلك لترفض كل صور الاستغلال اقتصاديا كان أم اجتماعيا ام سياسيا ، وأيا كانت مجالات تطبيقه •

انها تؤمن ان الانسان •• انه قد خلق حرا ، ان تفجير طاقاته والاستفادة بامكانياته الخلاقة لا يمكن ان يتما بكفاءة الا اذا تحرر من شتى صور الاستغلال ، وليس من المتصور — تبعا لذلك ان تتحقق الحرية الحقيقية ، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، بينما نجد انسانا خاضعا لاستغلال انسان آخر •

٥ — ان اشتراكيتنا العربية تؤمن بان العمل هو الاساس الاول والرئيسى لتحديد نصيب الفرد من الدخل القومى •

لقد كان منطقيا وحتميا ، واشتراكيتنا العربية تستهدف الاسراع بمعدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتحرص على العداله فى توزيع الدخل والقضاء على الاستغلال بكافة صوره ، أن تؤكد على قيمة العمل وقدسيته •

فتنمية الموارد والثروات لا يمكن أن تتم الا بالعمل ، كما ان محاولة التغاضى عن العمل كاحد الاسس الرئيسية لتوزيع الدخل ، من شانها ان تؤدى الى حصول انسان على دخل دون جهد ، وهو الامر الذى لا يتفق بحسب الاصل مع العدالة فى التوزيع ، كما أنه قد ينطوى على قدر من الاستغلال •

واذ تؤكد اشتراكيتنا ان العمل هو الاساس الاول والرئيسى لتحديد نصيب الفرد من الدخل القومى ، فانها لا تجعل منه الاساس الوحيد •

وهى لذلك لا تهمل الضعفاء ولا الذين يعجزون عن العمل ، وانما تقرر لهم حقوقا لا منة فيها • ان هذه الحقوق — فى جوهر الامر — هى نصيبهم فى الانتاج لو لم تقعد بهم الظروف عن المشاركة فيه •كذلك فان الاشتراكية العربية تحترم الحق الشرعى فى الارث والوصية ، بما يحققه من حوافز على العمل ، وزيادة فى الثروة القومية ، وتزكية لصلة الرحم •

واذا كانت الاشتراكية العربية ، فى تبنيها هذه المعانى عن « العمل » تنسق مع الفكر الاقتصادى والاجتماعى التقدمى المعاصر ، فانها — فى واقع الامر — تستقى أصول تلك المعانى وجذورها من شريعتنا ، شريعة الله ••• فشريعتنا اعطت العمل قيمته •

« انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » ، وأكدت ارتباط العمل وزيادة كفاءته بتنمية الثروات ، حينما حثت على العمل واتقانه •

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » •

« ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا ان يتقنه » •

كما حضت على التكافل الاجتماعى تاكيدا للعدالة فى التوزيع •

« وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » •

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » •

٦ — ان اشتراكيتنا العربية لها نظرتها المتميزة لقضية الملكية •

ان اشتراكيتنا تفرق بين الملكية المستغلة فلا تسمح بها ، والملكية غير المستغلة فتجيزها ، وذلك كله فى الحدود التى يقرها القانون مترجما ضمير الجماعة واحتياجاتها •

انها بذلك تختلف عن تلك النظم التى تعتبر الملكية حقا مطلقا او يكاد • كما انها لا تاخذ بما تراه نظم أخرى من ان ملكية عناصر الانتاج — بمختلف صورها وتحت أى الظروف — شر يتعين القضاء عليه بالغائه •

٧ — ان اشتراكيتنا تهدف الى حل التناقضات الاجتماعية حلا سلميا •

انها ترفض بذر الحقد والكراهية بين القوى الاجتماعية عن طريق اذكاء فكرة الصراع الدموى وضرورته لحل ماقد يقوم بينها من تناقضات •

انها تهدف الى حل مثل هذه التناقضات حلا سلميا ، بتذويب الفوارق بين القوى الاجتماعية ، مستندة فى ذلك الى فكرة التكافل الاجتماعى ، وما تقضى به تعاليم ديننا من عدم تفاضل قوة على اخرى أو فرد على الاخر الا بما يقدمه من عمل مساهمة فى تقدم المجتمع ورفاهيته •

« لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » •

٨ — ان اشتراكيتنا ترتكز على ديمقراطية تحالف قوى الشعب العاملة •

انها تتبنى الديمقراطية التى تحقق الوحدة الوطنية ، بما تعنيه من رفض لاشكال وصور الحكم الاخرى •

فهى ترفض الدكتاتورية بكل الواعها ، لفرد كانت او لطبقة ، لما ينطوى عليه ذلك من اهدار لجهد وفكر غيرها من القوى القادرة على الاسهام فى تطوير المجتمع وتقدمه •

كذلك فانها ترفض ديمقراطية الاحزاب التى تتنازع أولويات المجتمع وتشتتها ·

انها تؤكد على القضايا المرتبطة بالاهداف الاساسية التى يصبو اليها شعبنا ، ويحددها بالحوار الحر والمشاركة الايجابية فى الرأى وفى القرار ·

- « وأمرهم شورى بينهم » ·

٩ - ان اشتراكيتنا العربية وهى تعلى مصلحة المجتمع على مصلحة الفرد تؤمن بالانسان وتحافظ على حريته وكرامته وتسعى لتحقيق سعادته ·

انها ترى أن التسليم باحتمال قيام تناقض بين مصلحة المجتمع ومصلحة الفرد ، لا يصح أن يتخذ ذريعة لتسلط دكتاتورى يصادر حرية الفرد وكرامته ، مستترا فى ذلك وراء حجة ان مصلحة المجتمع تجب مصلحة الفرد ·

١٠ - ان اشتراكيتنا تؤمن بالاديان السماوية وما تتضمنه وتشجع اليه من مبادىء وقيم ، هدى للانسانية فى كل زمان ومكان ·

انها تؤكد - بلا تواكلية ولا قدرية - على الدور الاقتصادى الاجتماعى الايجابى للدين فى تزكية الايمان بالعمل وقيمته ··· فى الحض على بذل المال والنفس من أجل بناء المجتمع وتنمية الثروة ··· فى تربية الاجيال الصالحة على الخلق القيم ·

وهى ، اذ تقر وجود القوى المادية وامكان تاثيرها على حياة المجتمعات الانسانية ، تستبعد الفلسفة المادية بما تعنيه من رفض للقوى الروحية وضرورتها لبناء المجتمع ·

انها تؤمن أن القوى الروحية والقوى المادية تحتمان معا حياة الانسان · ويتعين لذلك ايجاد التوازن بين ماديات المجتمع وروحانياته المستمدة من القيم والمبادىء السامية النابعة من الدين ·

١١ - ان اشتراكيتنا العربية تؤمن بالقومية العربية ·

انها لا تتحرك فى اطار رؤية اقليمية منعزلة ، ولا تلتزم - مع ذلك - بالاممية القومية التى تفرض نفسها على واقع الشعوب وخصائصها الذاتية ومصالحها ·

انها تؤمن بان الامة العربية كيان حضارى وقومى واحد ··· يشهد بذلك التاريخ ، وتدعو اليه ضرورات الواقع القائم ، وحسابات المستقبل القريب والبعيد ·

انها تؤمن بان التنمية الاقتصادية والاجتماعية للوطن العربى تتطلب - فى مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية - تحقيق تنسيق وتعاون بين أجزاء هذا الوطن ، يكفل اقامة اقتصاد قومى وقادر ، ويوفر التكامل بين قطاعاته المختلفة فى تلك الاجزاء ·

القسم الثالث

أسلوب عملنا

ايمانا منا - نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى - أن تنظيمنا السياسى لا يمكن أن يكون أداة فعالة لتغيير الواقع ، ولحشد طاقة الجماهير فى مواجهة التحدى الحضارى القائم ، ولاقامة الدولة العصرية على الارض العربية ، الا اذا جاءت حركته تعبيرا صادقا وابرازا حقيقيا لخطنا الفكرى السياسى ·

وايمانا باصالة هذا الشعب وبقدرته الفذة على التمييز بين العمل العلمى المدروس والعمل غير الجاد الامر الذى يتطلب مصارحة الجماهير بصفة دائمة بالابعاد الحقيقية للمشاكل حتى تساهم فى حلها بوعى وادراك كامل كما يتطلب ، الابتعاد عن الاسراف فى اعطاء الوعود التى تفوق امكانياتنا ·

وادراكا بضرورة الترابط بين الواجب والحق والالتزام بالمثل السلوكية والاخلاقية السامية التى تقدم البذل والعطاء على المطالبة بالمزايا محافظة على الثروة القومية ودعما لعملية التنمية ·

علينا أن نتوخى فى عملنا السياسى بين جماهير شعبنا العريضة اسلوب عمل مرسوم وواضح :

- تحكمه قواعد تنظيمية محددة ·
- ويرسمه سلوك ملتزم ·

الجزء الاول

القواعد التنظيمية

ادراكا منا - نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى - أن نجاح تنظيمنا السياسى فى أداء دوره وتحقيق أهدافه لا يقتصر على مدى ما يبذله أعضاؤه وقياداته من جهود مخلصة فحسب ·· ولا يتوقف على سلامة الاسس النظرية التى يطرحها خطنا الفكرى السياسى ليس غير ، ولكنه ، فضلا عن كل ذلك ، يرتبط بضرورة التقيد بقواعد تنظيمية أساسية ، تحكم حياته وتنظم حركته اليومية ·· مبادىء تنظيمية تكفل لهذا التنظيم الفاعلية ·· تجنبه سلبيات التفكك وقلة الانضباط ، وتقيه آفات المظهرية والتسلط ·

لذلك فعلينا جميعا - أن نلتزم هذه القواعد ، جاعلين منها قوام عملنا وعماد حركتنا داخل التنظيم السياسى ، فتاتى ممارستنا للعمل السياسى :

- كفالة للديمقراطية ·
- ضمانا للشرعية التنظيمية ·
- توخيا للمشاركة الجماعية ·
- اقرارا لحق النقد والنقد الذاتى ·

أولا - كفالة احترام الديمقراطية:

ان كفالة احترام الديمقراطية توجب :

١ - أن تكون لوائح وخطط وبرامج التنظيم السياسى وقراراته نتاج فكر مشترك ، وحصيلة مناقشات حرة بين أعضائه على مختلف المستويات ·

٢ - أن تكون ممارسة الاعضاء حقوقهم التى تكفلها عضوية التنظيم السياسى مسئولية ، يمثل التقصير فى أدائها وضعا سلبيا يدخل فى الاعتبار عند تقييم العضو وتقدير صلاحيته ، أو ترشيحه للمواقع القيادية ·

٣ - أن تتولى قيادات التنظيم ، فى مستوياته المختلفة ، ضبط حدود الممارسة الديمقراطية على النحو الذى يكفل اذكاء قدرة الاعضاء على التعبير عن الاهداف الاساسية للشعب وضمان الوصول اليها ·

٤ - أن تقوم هيئات التوجيه والتثقيف فى التنظيم السياسى بتصحيح ما قد يثور لدى الاعضاء من مفاهيم خاطئة عن الممارسة الديمقراطية ·· فقيام العضو بالتعبير عن فكره وآرائه لا يصح أن يعد تحديا أو خروجا على قواعد الالتزام والتنظيم ·· كما أن استمرار العضو فى جدل مسرف أو غير هادف ، أو اطلاقه العنان لفكر يناقض مصالح ومبادىء التنظيم السياسى متخذا من الديمقراطية ذريعة يتستر خلفها ، هو موقف تشجبه قواعد الالتزام بالتنظيم ·

ثانيا - ضمان الشرعية التنظيمية:

ان الشرعية التنظيمية هى مظلة التنظيم السياسى ومستوياته المختلفة ، تكفل القوة والسلامة لعمله السياسى ، وتمنحه ايجابية النفاذ والفاعلية ·· تقيه الانحراف أو الخروج عن الخط المرسوم فكريا وسياسيا لهذا التنظيم ·

وضمان الشرعية التنظيمية يقتضى تبعا لذلك :

١ - أن يتقيد العمل السياسى والقرارات التى تنبثق عنه ، على كافة المستويات ، بالاصول والاسس العامة التى يقوم عليها التنظيم السياسى وتحكم حركته ·· التزاما بمواثيق الثورة الرئيسية ·· والتزاما بمبدأ تحالف قوى الشعب العاملة ·· وتأكيدا وايمانا بمبادىء الاشتراكية ·

٢ - احترام تدرج هيكل التنظيم السياسى ، بما يكفل لقراراته تسلسلها الواجب الاتباع والتنفيذ من المستويات المختلفة · واحترام هذا التدرج يعنى ، من ناحية ، التزام المستويات الادنى للتنظيم بقرارات المستويات الاعلى ، والعمل الجاد على تنفيذها ، كما يعنى ، من ناحية أخرى ، التزام المستويات الاعلى بالرجوع الى المستويات الادنى والتعرف على رأيها عند اتخاذ القرارات ورسم الخطط والسياسات ·

٣ - احترام الاختصاص بدءا بوجوب أن يباشر كل مستوى تنظيمى نشاطه فى حدود الصلاحيات المرسومة له تنظيميا ، دون تدخل أو افتئات على صلاحيات المستويات الاخرى ·

٤ - احترام كل عضو - بصفة مستقلة - للقرارات والتوصيات الصادرة عن المستوى التنظيمى الذى ينتمى اليه أو عن المستويات الاعلى والتزامه بتنفيذها ، دون اعتداد بموقفه الفردى حيالها ·

٥ - الا يتخذ اجراء تنظيمى فى مواجهة عضو من أعضاء التنظيم أو لجنة من هيئة من هيئاته الا وفقا للضوابط والاجراءات المنصوص عليها فى قانونه الاساسى ونظامه الداخلى والقواعد التنظيمية العامة الصادرة من مستوياته المختلفة والمعلنة سلفا ·

ثالثا – توخى القيادة الجماعية :

١ – ان توخى المشاركة الجماعية فى العمل السياسى يعنى ضرورة أن تجىء قرارات وتوصيات التنظيم السياسى على كل المستويات ، نتاج جهد واسهام مشترك ، بما يضمن استمرارا متجددا وفعالا للعمل السياسى يعصمه من الجموح الفردى ، ويحول دون ظهور مراكز قوى أو تكونها .

ان المشاركة الجماعية تكفل للتنظيم السياسى الاستقرار وتحميه من الهزات .. تضع دور الفرد والقيادى فى اطارهما الصحيح دون الغاء أو اهدار لهما .

لذلك ، لتحقيقا للمشاركة الجماعية يلزم تجنب منح القيادات سلطات واسعة تعفيها أو لا تلتزمها باشراك القاعدة معها فى صنع القرارات .

٢ – الحرص فى العمل اليومى ، على الاستفادة الكاملة بكافة الخبرات والقدرات داخل التنظيم السياسى .. الوجه الذى يتيح قاعدة المشاركة فى العمل والنشاط والمسئولية .

٣ – الزام القيادات – داخل مستويات التنظيم المختلفة – بتقديم تقارير دورية عن نشاطها الى المستوى التنظيمى الذى تضطلع بمسئولية القيادة فى نطاقه .

رابعا – اقرار حق النقد والنقد الذاتى :

ان حق النقد والنقد الذاتى دعامة أساسية لعمل سياسى علمى ومدروس ، صادر عن وعى سليم بالمعطيات والظروف التى يمارس بمناسبتها .. انه كذلك ضمان أكيد لكشف الاخطاء وجوانب القصور فى العمل ، انه يمكن من التطوير المستمر والتصحيح الهادف للحركة والنشاط داخل التنظيم .

ان ممارسة النقد والنقد الذاتى تعنى حق العضو فى تقييم المواقف وأوجه النشاط ، ابرازا للجوانب الايجابية والسلبية فيها ، ايضاحا للجيد والردىء .. للصواب والخطأ .. للتكامل والنقص .

وحق النقد – وصولا به الى غايته – تحكمه أصول وضوابط :

١ – أن يكون للصالح العام ملتزما بمواثيق الثورة وخطها الفكرى والسياسى ، متمشيا مع مبادىء التنظيم وأهدافه .

٢ – أن يتم داخل اطار التنظيم السياسى طالما كان متعلقا بقضايا تنظيمية أو متصلة بنشاطه السياسى ، تجنبا لمظنة التشهير والتجريح أو الاساءة الى التنظيم خارج نطاقه .

٣ – ان يتبع – عند ممارسة حق النقد – اسلوب سليم ، يقوم على منهج علمى وموضوعى ، يبتعد عن الانفعال والتعصب أو تصيد الاخطاء أو محاولة تضخيمها ، وبحيث لا يكون نقدا لمجرد النقد ، بل يتيح تصحيح الاخطاء والتخلص من السلبيات .

٤ – أن يرتبط النقد باقتراح البديل ، متضمنا ما قد يتطلبه هذا البديل المقترح من تصور لقرارات أو توجيهات يمكن اتخاذها .

٥ – ممارسة حق النقد فى نطاق الأصول والضوابط تضمن تحقيق الهدف ، وتمنع اتخاذ مواقف عدائية قبل ممارسته وتحميه من اى محاولة للتشكيك فى ولائه الفكرى أو التزامه التنظيمى .

السلوك الملتزم

الجزء الثانى

ان الانطلاقة الجديدة للعمل السياسى تتطلب منا – نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى – سلوكا ملتزما – نحمل به من الفعل والاداء لغة التعبير الاولى قبل الكلمة والحديث .. نقدم من خلاله الى جماهيرنا الدليل الواقعى على صدق ما ننادى به وندعو اليه .

ان علينا أن تكون حياتنا بين الجماهير ، داخل التنظيم السياسى وخارجه ، تجسيدا عمليا للمبادىء والقيم التى يتبناها خطنا الفكرى السياسى مدركين أن الثقة الجماهيرية تتزعزع حين ينفد الصبر من كثرة الكلام .. حين تبدو المفارقة هائلة – فى أمور الحياة العامة والخاصة – بين الكلمة والفعل .. حين تفقد الشعارات مضمونها عند الجماهير .

أولا : الالتزام بأصول الديمقراطية وسيادة القانون :

ان هذا الالتزام يجب أن يتمثل فى سلوك واضح يقوم على الاحترام الكامل لرأى الجماعة فى العمل التنظيمى وفى الحياة اليومية ، فى قبول هذا الرأى والتقيد به واتباعه .. سلوك يقوم على عدم اغفال الرأى الفردى ورأى الاقلية ، وعلى الافساح لهما داخل مجالات العمل المختلفة .. سلوك يعتاد احترام القانون ، ويدعو الى هذا الاحترام ، يشجعه ويتعقب كل خروج عليه .. حتى يطمئن الناس الى أننا – نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى – حراس على حقوقهم السياسية ، ساهرون على كفالة تمتعهم بسيادة القانون .

ثانيا : الالتزام بمبادىء اشتراكيتنا ومعانيها :

ومن هذا الالتزام يقتضى منا – نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى – مسلكا مثاليا خاصا ، يعطى الاسوة الحسنة لجماهير هذا الشعب .. يسمو بمعانى اشتراكيتنا ويقدر أهدافها ، يبرز خصائصها ، يطبق مبادئها ويعتز بذاتيتها . أن علينا فى ذلك ان نلتزم منهجا علميا واضحا فى شرح معانى اشتراكيتنا والدعوة اليها والدفاع عنها .

ومن أجل ذلك – وحتى ترى الجماهير فينا المثل والقدوة – علينا ان ننأى بأنفسنا عن كل صور الاستغلال فى تعاملنا اليومى مع الناس .. ان نقدس العمل ونحترم العاملين ، مصححين النظرة السائدة عن العمل اليدوى ، ناظرين الى الافراد جميعا على أساس عملهم ودورهم فى المجتمع ، نابذين المفاهيم الاجتماعية المتخلفة التى تزن قيمة الناس على أساس ثرواتهم أو سلطتهم .

وعلينا – من أجل ذلك أيضا – ان نحمى المال العام وننميه ، نحافظ عليه ونصونه ، وندعو الى ذلك ، كاشفين كل اعتداء عليه أو اسراف فيه أو اهمال فى صيانته .

ثالثا : الالتزام بالمفهوم القومى للعمل الوطنى :

ان هذا الالتزام يقتضى منا – نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى – أن نمد رؤيتنا ونوجه اهتمامنا الى ماوراء الحدود الاقليمية الضيقة لبلدنا .. ان نعيش واقع الامة العربية ، نعيه ونتفاعل معه .. ان نسعى – بأكثر الوسائل سرعة وتأثيرا – الى كسر الحواجز المصطنعة التى اقامتها التجزئة بين أبناء هذه الامة .

ان هذا الالتزام يقتضينا – فوق ذلك – ان نحرص على المحافظة على التراث الحضارى للامة العربية ، وأن نبرز أهمية المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية المشتركة لابناء الوطن العربى ، أن علينا أن نحرص على اقامة علاقات وطيدة وثابتة مع كل المنظمات الشعبية فى البلاد العربية ، وعلى توسيع كل صور الالتقاء بين الافراد والتبادل فى الخبرات بين أبناء هذه الامة .

رابعا : الالتزام بتعاليم الرسالات السماوية :

ان هذا الالتزام يقتضى منا – نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى – أن نسير فى حياتنا بسلوك يتفق ومبادىء هذه الرسالات وتعاليمها وقيمها .. انه يتطلب من أجهزة تنظيمنا السياسى وقياداته بذل جهد مضاعف فى الدعوة الى التحام السلوك بالقيم الدينية ، والى التصرف بمبادىء الدين وأحكامه ، والى رد مظاهر الفكر والسلوك الدينى فى المجتمع الى وجهها المشرق الاصيل .

اننا ندرك – نحن أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى – ان الالتزام بكل تلك المبادىء والمعانى والقيم والمفاهيم ، هو الاساس فى سلوكنا الملتزم .. سلوك يوضع فى الحسبان عند تقييم عملنا السياسى ، ويدخل عنصرا أساسيا فى الحكم على نشاط كل عضو منا وصلاحيته ، وفى الاختبار لاى موقع قيادى ، وفى المساءلة التنظيمية .

هذا الشعب ..

خلاصة

لقد قدر هذا الشعب فى أرض مصر ثورة ، واقام عليها دولة ... دولة خالصة لابنائها ، غير باغية ولا مستضعفة ، تريد لنفسها المنعة ، ولمواطنيها العزة والعيش الكريم .

ان ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ قد اثبتت فى مدى عشرين عاما ، وهى فترة قصيرة فى عمر الدول ان الشعوب المغلوبة على امرها ، متى ملكت ارادتها واستعادت زمامها ، تقدر على التغيير ... تقدر على مجابهة التحدى ، والانطلاق نحو التقدم .

ان هذه القدرة ، رغم قصر تلك الفترة ورغم تشابك واتصال المعارك خلالها ، قد حققت انتصارات سياسية واقتصادية واجتماعية غيرت صورة المجتمع المصرى والعربى تغييرا جذريا ، كما فتحت الطريق امام مستقبل عربى كبير ، ارسيت خطوطه ومعالمه .

ان التغيير الثورى فى هذا الوطن العظيم كان ولن يكون الا نابعا من ذاتية وخصائص الشعب العربى ، مهتديا بأصول ومبادىء عقيدته ، مستمسكا بقيم مجتمعه فى الحق والخير مستوحاة من تلك العقيدة .

ان هذا التغيير الثورى يقوم على خط فكرى سياسى يحكم النشاط السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، ويدفعه نحو اهدافه القومية بلا انحراف او قصور ... خط فكرى سياسى ارتضته جماهير هذا الشعب فى مواثيقها الثورية ، والتزمته فى وحدتها الوطنية .. وحدة تجمع بين قوى الشعب وتضعها فى تحالف يعبر عن المصالح الوطنية والقومية ، ويسعى الى تحقيق هذه المصالح عن طريق حل ثورى اشتراكى ووحدوى ، نبع من ذاتية وخصائص هذا الشعب ومن مبادئه وقيمه الروحية ، كما فرضته وستظل تفرضه ، تلك الامال العريضة للجماهير العربية فى الحرية الاجتماعية كفاية وعدلا .

ان طلائع هذا الشعب - اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى - يحملون امانة غالية ، وتقع عليهم المسئولية الكبرى فى الوصول بذلك الخط الفكرى السياسى الى غاياته المرجوة ... انهم وهم يحملون امانة العمل الوطنى ويتحملون مسئوليته ، قد التزموا وتقيدوا .. التزموا كفالة احترام الديمقراطية وضمان الشرعية التنظيمية وتوخى المشاركة الجماعية واقرار حق النقد والنقد الذاتى ... كما انهم تقيدوا بسلوك ملتزم يحفظ اصول الديمقراطية وسيادة القانون ، ويعلى مبادىء اشتراكيتنا ومعانيها ويصون المفهوم القومى للعمل الوطنى وتعاليم الرسالات السماوية .

ان أمام هذا الشعب عملا وطنيا كبيرا ، عليه ان يقوده بكل ايمان وعزم وثقة ... يرعاه بكل يقظة وحذر فى مواجهة أطماع ومطامع ... اطماع ومطامع قوى كبرى تتألب عليه وتتربص به كلها ، تريد أن تقطع عليه الطريق نحو تحقيق امانيه المشروعة . ان على هذا الشعب وقد ازال بوعيه الثاقب الاقنعة المختلفة لتلك القوى الكبرى فبرزت له من ورائها اعماق الخطر والعداوة ، حتى ما كان خافيا منها او مستترا ، ان يكتل صفوفه وان يجمع قواه المصرية والعربية ، بما يكفل للوطنية المصرية والقومية العربية أن تملأ الميدان ، وأن تواجه كل التحديات والاطماع والمطامع ، معتمدة على نفسها وعلى ايمانها وقدراتها الذاتية .

ان هذا الشعب يعى ماضيه ... يعى جهاده الطويل منذ الزمان البعيد ، يعيه تاريخا حافلا - سبق الانسانية حضارة ، وهى بعد لم يكن لها حضارة ولا تاريخ وان وعى الشعب لماضيه ليس مدعاة فخر واعتزاز فحسب ، وانما هو فى الاساس شعاع أمل يهديه دائما الى الطريق .

ان هذا الشعب يعيش حاضره ثورة ... ثورة سياسية وثورة اجتماعية فى آن واحد ، ارادته ملكه ، حريص عليها لا يفرط .. مبادئه قوية ، امين عليها لايكل ... عقيدته واثقة ، حفيظ عليها لا يتزعزع .

ان هذا الشعب يصنع مستقبله بكل جهد وعرق وتضحيات ... انه يشق فى هذا المستقبل ويعتز به قدر اعتزاز الدنيا كلها بماضيه وحضارته ... انه يريد مستقبله مشرقا ... يريده سبيلا يثبت به للدنا معانى الاصالة والحق والخير فى هذه الامة العربية سبيلا غير رأسمالى ولا شيوعى يرسى قيم الانسانية والشرعية والعدل والسلام .



[٣] مناقشات حول مشروع برنامج العمل

كتب عادل حسين :

مشروع دليل العمل السياسى والفكرى والتنظيمى هو علامة هامة من علامات الطريق فى تاريخ الاتحاد الاشتراكى العربى ويقول الدليل [فى القسم الاول] انه بعد مضى عشرين سنة كاملة « حافلة بالتجارب ، زاخرة بالانجازات ، نقف - نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى - لنحاسب انفسنا حساب مراجعة وتدبير وتخطيط » .

ولاشك ان هذا كان أمرا ضروريا ، فقد مرت سنوات طويلة على صدور الميثاق ، وحدث اثناء ذلك عدوان ١٩٦٧ ، بكل ماترتب عليه من اوضاع ومهام جديدة ..

وقد صدر فى عام ١٩٦٨ بيان ٣٠ مارس ، وكان مفروضا انه استكمال لما جاء فى الميثاق ، ومحاولة لعلاج الانحرافات والسلبيات التى ظهرت فى المسار ، والتى منعت تنفيذ بعض النقاط الهامة التى نص عليها فى الميثاق .. الا ان محاولات تنفيذ بيان ٣٠ مارس لم تلبث أن تعثرت هى الاخرى. وقد كان دليل العمل صريحا عند الحديث عن الكثير من العلل التى ظهرت فى تلك الفترة ، وادت الى عزل التنظيم السياسى من جماهيره ... فبسبب « التناقض الذى اختل بين ضرورة تحقيق الاشتراكية ، وامكانية ممارسة الديمقراطية السليمة استطاعت بعض العناصر الانتهازية « ان تخلق جوا من الارهاب تلاشت فيه سيادة القانون ، كما اختفى معه كل ضمان حقيقى لحرية الانسان وحقوقه وكرامته .. واغلقت نتيجة لذلك كل ابواب النقد الحر ، فضاعت فرص كثيرة للاصلاح والمراجعة .. وتحكمت ارادات الافراد ، واهواء التجمعات ، فالتقت على مصالح ذاتية ، سلطة او جاه او منفعة ، داخل مؤسسات الدولة ، حتى تحول البعض منها الى مجرد ظلال وأشباح .. واستعمل التنظيم السياسى وسائر المؤسسات لاضفاء صورة من الشرعية الزائفة على الوان عديدة من الفساد والافساد والظلم » [القسم الاول - الجزء الأول] .

هذه مواجهة صريحة وشجاعة لاخطاء جسيمة فى مرحلة ماضية .. ولكن لماذا حدث ماحدث ؟ كيف وصل المناخ السياسى ودور الاتحاد الاشتراكى الى هذه الصورة التى وصفها دليل العمل ، رغم أن كلمات المواثيق السياسية المختلفة كانت تبشر بعكس هذا تماما ؟

لقد قال الميثاق « ان الكلمة الحرة ضوء كشاف امام الديمقراطية السليمة وبنفس المقدار فان القضاء الحر ضمان نهائى وحاسم لحدودها .. ان حرية الكلمة هى المقدمة

الاولى للديمقراطية وتسيادة القانون هى الضمان الاخير لها وحرية الكلمة هى التعبير عن حرية الفكر فى اى صورة من صوره ، كذلك فان حرية الصحافة ، وهى ابرز مظاهر حرية الكلمة ، يجب ان تتوافر لها كل الضمانات » .

.. ولكن هذا الكلام العظيم ، كان واضحا انه لم ينفذ وعاشت الجماهير ، وعاش التنظيم السياسى فى جو يختلف تماما عن مضمون هذه الكلمات .

ثم جاء بيان ٣٠ مارس ونص بدوره على ضمان ان تكون « حماية الثورة فى ظل سيادة القانون » ونص على اعادة انتخاب الاتحاد الاشتراكى لانه « اكثر الصيغ ملاءمة لحشد القوى الشعبية بوسيلة الديمقراطية وعلى أساسها ، وهى تجسيد حى وصحى لمعنى ان تكون الثورة للشعب وبالشعب» .. « ولم تكن المشاكل التى عاناها الاتحاد الاشتراكى ، ترجع الى قصور او عيوب فى صيغته العامة ، وانما كانت اسباب القصور والعيوب ترجع الى التطبيق .. واول هذه الاسباب هو أن عملية اقامة الاتحاد الاشتراكى ، لم تبن على الانتخاب الحر من القاعدة الى القمة » .

الا ان العلاج الذى تصوره بيان ٣٠ مارس لم يكن شافيا.. ففشل التطبيق مرة اخرى ، واستعمل التنظيم السياسى لاضفاء صورة من الشرعية الزائفة على الوان عديدة من الفساد والظلم ، فانعزل عن الجماهير .. كما يقول دليل العمل .

لماذا ؟ كان مطلوبا أن تحل هذه المسألة بعمق ضمانا للتطور الديمقراطى فى المستقبل .. ومن المسلم به ان انحراف المؤسسات لايمكن ان يفسر بمجرد أن « مجموعة من الانتهازيين » قد استولت عليها ، وان الامر يختلف بوصول رجال طيبين الى مراكز المسئولية .. فمصائر المؤسسات السياسية لاينبغى أن تخضع لمجرد نوايا الاشخاص المسئولين عنها ، فالاشخاص مهما صلحوا ، زائلون .. ثم ان مواقف ومصالح الافراد قد تتغير .. ولذا يجب أن يكون صمام الامن فى نظام العمل فى هذه المؤسسات نفسها .. يجب أن يكون النظام قادرا على منع اى مسئول عن الانحراف ، او تنحيته .. لو اراد أن ينحرف ..

فما هى التعديلات التى سيدخلها الاتحاد الاشتراكى — فى نظامه واسلوب عمله — خلال المرحلة الحالية والمقبلة ، لكى يحقق ذلك ؟

لقد كان النظام الاساسى للاتحاد الاشتراكى — مثلا — وخاصة على ضوء بيان ٣٠ مارس ، يعطى صلاحيات واسعة لمستويات التنظيم السياسى ، وعلى رأسها اللجنة المركزية.. فلماذا لم تمارس هذه الحقوق فتمنع الانحرافات ؟

هذه اسئلة كنا نرجو أن يجيب عليها دليل العمل ، مادمنا نرصد تجارب الماضى ، ونقوم سلبياته — كما يقول الدليل — ولكنه لم يفعل للاسف .. وكان طبيعيا — على ضوء هذا — أن تكون التوجيهات التنظيمية [الواردة فى القسم الثالث — اسلوب عملنا] احكاما عامة عن ضمان الشرعية التنظيمية وتوخى القيادة الجماعية واقرار حق النقد والنقد الذاتى .. وكل هذا عظيم ، ولكن سبق أن قيل فى الوثائق السابقة .. والجديد الذى كان متوقعا أن يضيفه دليل العمل — واستفادة من تجارب الفشل السابقة — هو : ضمانات التنفيذ « مدركين أن الثقة الجماهيرية تتزعزع حين ينفذ الصبر من كثرة الكلام حين تبدو المفارقة هائلة — بين امور الحياة العامة والخاصة — بين الكلمات والفعل » [القسم الثالث — الجزء الثانى] (٥)

• • •

هذا عن تقييم الدليل للمرحلة الماضية ، وانعكاسات ذلك على الديمقراطية السياسية وعمل الاتحاد الاشتراكى العربى .. أما عن أوضاع الحاضر وخطوط المستقبل ، فقد أشار الدليل الى المعركة كنقطة اولى ، تستحق التعبئة ، وكل التضحية ، وتعلو فوق الاعتبارات .. ومن الطبيعى ان تؤثر المعركة ، وتحور كل اوجه النضال الى الاشكال التى تخدمها . ولكن دليل العمل لم يضع برنامجا متكاملا وفق هذه النظرة يشمل : علاقاتنا الدولية والعربية ، والجوانب الاقتصادية ، وتطوير التخطيط ، ومهام العمل السياسى ، واشكال التنظيم ، ونوع التضحيات المطلوبة من كل طبقة من طبقات الشعب العامل .. وفى الحقيقة كان هذا هو الاسهام الاساسى الاخر الذى كان متوقعا ان يضيفه دليل العمل فى هذه الظروف .

• • •

نصل الان الى بعض الصياغات النظرية والسياسية التى جاءت فى دليل العمل .. فهناك اضافات ايجابية هامة :

● يقول الدليل — مثلا — انه « اذا كانت الثورة — بعد ان قضت على سيطرة الاستعمار والاقطاع والرأسمالية المستغلة — قد خطت خطوات جادة أكيدة من اجل قضية عدالة توزيع الدخل القومى ، الا ان اهم ما يهددها فى الاونة الحاضرة هو استمرار هوة التفاوت بين مستويات عائد عمل ابناء هذا الشعب » .. « ان قيم مجتمعنا ، مستوحاة مما نؤمن به من رسالات سماوية ، تتناقض مع استئثار البعض بخيرات هذه الامة ، بينما الاكثرية لا تحصل على حقها العادل » .

لاشك ان هذه النقطة اضافة هامة ، ونابعة من تتبع اتجاهات التطور فى مجتمعنا .. فقط نرجو أن تكون الصياغة اكثر وضوحا فنحن لا نعتقد ان المقصود هنا هو فقط فارق الاجور بين ادنى الدرجات واعلاها .. وانما المقصود هو الفارق بين مستويات الدخول على نطاق المجتمع ككل ، سواء كان الدخل فى شكل اجر او فى شكل عوائد تملك .

● ومثل آخر للاضافات الايجابية .. فالدليل يطلب من القيادات « ان ترى الجماهير فيها المثل والقدوة — علينا ان ننأى بانفسنا عن كل صور الاستغلال فى تعاملنا اليومى مع الناس .. ان نقدس العمل ونحترم العاملين ، مصححين النظرة السائدة عن العمل اليدوى ، ناظرين الى الافراد جميعا على اساس عملهم ودورهم فى المجتمع » .. هذه الاضافة هامة .. لاننا — على ضوء التجارب الماضية — كنا نفتقد القدوة والمثال فى قيم وسلوك كثير من العناصر القيادية .

ولكن الى جانب هذه الاضافات المتطورة ، تعرضت المراجعة بعض المفاهيم التى جاءت فى الوثائق الاساسية لثورة ٢٣ يوليو .. ومن الطبيعى ان تراجع هذه المفاهيم على ضوء التجارب والممارسة ، ولكننا نلحظ — فى هذه المراجعة — غموضا وتضاربا فى عرض بعض الافكار .. واخطر من ذلك اننا نلحظ تراجعا فى بعض النقاط ، عن ايجابيات كانت قد تقررت فى الوثائق السياسية السابقة ، ولم تثبت الممارسة خطأها ، بل اثبتت اننا نطلب منها المزيد .

● مثلا .. من المفروض أن أهم ما يميز التطور فى الاتجاه الاشتراكى ، هو التوجه الى العدالة فى توزيع مسئوليات العمل ، والعدالة فى توزيع ثماره .. وبالتالى فانه من الخطير « ان يستمر التفاوت بين مستويات عائد عمل ابناء هذا الشعب » .. ومع ذلك لم تتجه حراب دليل العمل الى القوى التى تحرص على استمرار هذا التفاوت ، بل وزيادته .. وانما وجهت حراب الاتهام بإعاقة التطور الاجتماعى (٦)

الى المدارس الاشتراكية ، التى مهما قيل فى الخلاف معها ، فانها بالقطع تسعى فى اتجـاه تقليل التفـاوت ، واذابة الفوارق بين الطبقات ، من خلال التنمية وعدالة التوزيع .

لم تذكر كلمة ضد الفريق الاول ، كان خبرة الممارسة لم تكشف أى خطر من ناحيته ، فمبـادئنا « رغم وضوحهـا واستقرارها فى ضمير شعبنا ، ورغم انها تستمد جذورها الاصيلة من فكره الذاتى ، وخصائصه المميزة ، قد تعرضت ــ عبر فترة طويلة من الممارسة السياسية ــ لتفسـيرات لاتلتزم الواقع المصرى العربى ولا تحترم القيم الدينية ، وانما تحاول الركون فى مضمونها الى عقائد ومذاهب وافدة او مطروحة على الساحة العالمية » .. وهذه العقائد « تحمل فى الواقع خطر التشتت واضعاف الحركة ، وتؤدى الى وقوع الخلل بين الفكر والهدف [القسم الثانى] ..

وهكذا .. خطر التشتت ، واضعاف الحركة ، وحملات التشكيك .. كل المصائب تأتى فقط ممن يسمون اصحاب النظريات الجامدة . واذا فرضنا ان هذا صحيحا ، افليس صحيحا ايضا ان هناك من يحارب فكرة القطاع العام اصلا ؟ الس هناك من يخرب القطاع العام والتعاونيات ؟ أليس هناك من يطالب بفتح الباب امام رأس المال الاستعمارى بلا قيود ؟ أليس هناك من يطالب بالحد من حقوق الجمـاهير الكادحة ، ؟ .. الخ اذن كيف فات دليل العمل أن يكشف ــ ايضا ــ هذه الاتجاهات ويندد باصحابها ؟!

ومع ذلك .. ماهى حكاية المذهبيات الجامدة واصحابها ؟ وهل نستطيع ان نقول حقيقة أن هناك فئة سادت مصر ، او لعبت دورا كبيرا « عبر فترة طويلة من الممارسة السياسية » وكانت لاتحترم قيمنا الدينية ؟ ومن هم هؤلاء ؟

هل اصحاب مراكز القوى المنهارة هم المقصودون ؟ لا أعتقد صحيح انهم لعبوا دورا تخريبيا كبيرا فى تطورنا الاجتماعى والسياسى ، ولكنه تخريب من نوع اخر ، لاتنطبق عليه الاوصاف التى يلح عليها دليل العمل .

أذن هل الماركسيون المصريون هم المقصودون ؟ اذا كان الامر كذلك . فان الامر قد يبدو غريبا بعض الشىء . فالماركسيون المصريون لم يكونوا اصحاب دور يذكر او لايذكر فى الدولة ، وكان اغلبهم ــ فى ظل مراكز القوى ــ محرومين من المشاركة فى اى عمل سياسى . فكيف تسنى لهم ان يلعبوا هذا الدور الكبير فى اعاقة المسيرة ، على النحو الذى يصوره دليل العمل ؟ وعلى اى حال .. فايا كان حجم الدور الذى لعبه الماركسيون المصريون ، من خلال التنظيم السياسى ، ومن خـلال مانشروه ، فان هذا الدور لم يكن بالقطع ضد احترام القيم الدينية ، كما يقول دليل العمل .

كذلك .. من هو هذا الذى يطلب او طالب فى الماضى ، بنقل التجارب الخارجية كما هى ؟ واى تجارب خارجية ؟ هل تجربة الاتحاد السـوفيتى ، ام بولنـدا ، ام المانيا الديمقراطية ، ام يوجوسلافيا ، ام الصين ، ام كوبا ، ام فيتنام ؟ ان كل تجربة من هذه التجارب تختلف اختلافا كبيرا عن الاخرى ، سواء لاختلاف البعد الحضارى ، او الموقع الجغرافى ، او المسـاحة ، او مسـتوى التقدم العلمى والاقتصادى ، او لاختلاف التصور الفكرى وأسلوب الثورة فى الوصول الى السلطة .. فاى تجربة ــ بالتحديد ــ طالب البعض بنقلها .

ليس الخلاف فى بلدنا ــ على ما أعتقد ــ بين اشتراكيين « خواجات » بعيدين عن الواقع ، وبين اشتراكيين مصريين عرب .. فالخلافات الموجودة هى تصورات نابعة من واقعنا ومجتمعنا حول اسلوب التطور الذى يصلح لمصر وللمنطقة العربية ؟ ومن المفيد أن يدور الحوار حول هذه التصورات المختلفة ، ولكن بطريقة موضوعية ومحددة .

ولكن ينبغى أن اسجل هنا تخوفا معينا . فالاقتباسات السابقة التى نقلتها من دليل العمل تشير بشكل او آخر الى أن كثيرا من عثرات المرحلة الماضية كان بسبب شـبهة الشيوعية التى لحقت بنا ، وفى الحديث حول هذه الشبهات والتأثيرات الشيوعية استفزت هذه العبارات المخاوف الدينية بلا مبرر .. مع ان تناول الماركسية والنظم الشيوعيه بهذه الطريقة بطل منذ فترة طويلة فى كل الدوائر التقدمية العالمية .. بل والعربية ، بعد ان ثبت انها مخاوف بلا اساس .

صحيح انه حدث فى المراحل الماضية ان وصف كثير مما يحدث فى بلدنا بانه « شيوعية » .. ولكن هذا الكلام كان يطلق من القوى الرجعية ، وهو يستخدم دائما من هذه القوى لوصف اى تقدم ايجابى .. ومفروض الا نفزع من مثل هذا الكلام ، بحيث نقف موقف الدفاع ، او نبدأ فى التراجع عن بعض مانراه ضروريا لتطور بلدنا .. ولكن دليل العمل خضع ــ فيما يبدو ــ لابتزار الدعايات الرجعية ، واعتبر انه كانت هناك فعلا تفسيرات شيوعية « لعينة » اعاقت مسيرتنا .. وينبغى ان نتخلص منها ..

ولعل هذا هو التفسير لقيام دليل العمل بمراجعة بعض الافكار الاساسية .. وهو فى الحقيقة لم يصحح تفسيرات خاطئة .. ولكن راجع مفاهيم واضحة فى الوثائق السابقة لثورة ٢٣ يوليو .

● أن دليل العمل يقول أن « الحقيقة الباقية من وجهة نظرنا ، وأصولها الضاربة فى أعماق التاريخ مع شريعة الحق وشريعة الله ، تجعلنا نؤمن أن عندنا ما نستغنى به عنهـا [اى العقائد والمذاهب والنظم القائمة فى العالم] ، بل ان ماعندنا يقدم الحلول العلمية السليمة لمشاكل الحياة ، ويعطى البشرية ما تحتاجه قيما وفكرا ورشادا » [القسم الثانى ــ الجزء الثانى] .

هذه الفقرة تعبر عن موقف انعزالى غريب ، فى الثلث الاخير من القرن العشرين . والميثاق كان قد طالب « بفكر مفتوح لكل التجارب الانسانية ، يأخذ منها ويعطيها ، لايصدها عنه بالتعصب ، ولا يصد نفسه عنها بالعقد » [الباب الاول] وقال الميثاق ايضا « ان هذه الظروف تأتى بتغييرات شاملة وعميقة على الجو الذى يجرى فيه النضال الوطنى لكل الامم وليس معنى ذلك أن النضال الوطنى للشعوب وللامم مطالب اليوم بان يخترع مفاهيم جديدة لاهدافه الكبرى ، ولكن معناه انه مطالب اليوم بأن يجد الاساليب المسايرة لاتجاه التطور العام والمتفقة مع طبيعة العالم المتغيرة » [الباب الثانى » « ان التجارب الاجتماعية قابلة للانتقال لكنها ليست قابلة لمجرد النقل » [الباب الثانى] ــ « أن التجربة الوطنية لا تفترض مقدما تخطئة جميع النظريات السابقة عليها ، او تقطع برفض الحلول التى توصـل اليها غيرها ، فان ذلك تعصب لاتقدر أن تتحمل تبعاته » [الباب الخامس] .

.. وعلى اى حال ، فان دليل العمل نفسه ، عاد وتناقض مع هذه الفقرة الغريبة التى اوردتها ، فقال « ان الاشتراكية العربية تستمد اصولها من مبادىء عقيدة هذا الشـعب وما أثريت به من اجتهادات وتطبيقات عبر العصور » .. أن الاشتراكية العربية تستمد اصولها من مبادىء تمثلها الشعب فى ضميره ، وترجمها فى وثائق الثورة » دون ان تعزل نفسـها عن اى عطاء فى تجارب الانسـانية يخدم هدفى الكفاية والعدل » .

ونرجو ان يحسم دليل العمل موقفه فى هذه النقطة بلا لبس ، ووفقا للمبادىء التى سـبق ان أقرت .. فنحن نؤمن بان

الاشتراكية تطور حتمى لمسارنا الاقتصادى والاجتماعى ، وبالتالى فهى تنبع من واقعنا .. ولكن اذا كان من خطئنا أن هناك فى العالم من سبقنا الى هذا الطريق ، حين نبعت الاشتراكية من واقعه ، فان الامر الطبيعى هو ان نبدأ من حيث انتهى الاخرون .. لا لنكرر مافعلوه ، وانما من خلال الإطار المشترك ، نتجنب الاخطاء التى وقعوا فيها ،ونستفيد مما ينفعنا ، وبما يتفق مع ظروفنا وظروف العالم .

فنحن — على سبيل المثال — نستطيع ان نستفيد من تجربة الإتحاد السوفيتى ولكننا بالقطع لن ننقلها .

ان دليل العمل محق حين يطالب بتاكيد لذاتية اشتراكيتنا ، ولكن دون ان يعنى هذا اغفالا للجانب العام والمشترك — على نطاق العالم — فى مفاهيم وخبرة بناء الاشتراكية .

ان الجانب العام والجانب الذاتى ، جانبان لا ينبغى ان يفترقا .. فى الجانب العام هناك ما ناخذه ونستفيد به .. وفى الجانب الذاتى هناك ماننقدمه للاخرين . وما اكثر ما نستطيع ان نقدمه فى الحقيقة — حين نجد فى العمل والبناء فالقيم الروحية — على سبيل المثال — جزء هام من حياتنا فى هذه المنطقة . وبهذه القيم نستطيع — فى ظل الاشتراكية — ان نقدم للعالم نموذج الانسان الجديد ، الذى تطمح اليه كل النظم التقدمية .. الانسان الذى يقدس الواجب ويؤدى المسئولية بوازع من قيمه الروحية ، وبوازع من ضميره ، قبل ان يكون ذلك بدفع الحوافز المادية .. انسان مستعد فى كل لحظة ان يقدم حياته ووقته من اجل جاره وزميله وشعبه ولعل هذا أروع ما تقدمه الاشتراكية فى مصر ... الى العالم .. وليتنا نستطيع .

● مسالة اخرى فى مراجعة المفاهيم : الحديث عن الطبقات : فدليل العمل يرفض الاعتراف بوجود طبقات فى المجتمع المصرى « ان التحالف ، داخل الاتحاد الاشتراكى العربى ، ليس تحالفا بين طبقات ، وانما بين قوى الشعب العاملة » [القسم الثانى — الجزء الاول] .. وتمشيا مع هذا ، فقد غير التعبير التقليدى الذى نستخدمه منذ ايام الميثاق عن اذابة الفوارق بين الطبقات ، والتعبير الذى يستخدمه دليل العمل هو « تذويب الفوارق بين المستويات الاجتماعية » [القسم الثانى — الجزء الاول] او « تذويب الفوارق بين القوى الاجتماعية » [القسم الثانى — الجزء الثانى] .

والحقيقة ان الميثاق لم تكن لديه هذه التفرقة بين التعبيرين فاستعملهما لنفس المعنى بلا اى حساسية . فالميثاق حين تحدث عن اذابة الفوارق بين الطبقات كان يقصد طبقات الشعب العامل ..

كذلك يقول الميثاق ان ازالة التصادم [يقصد مع قوى الاستعمار والرجعية] لاتزيل التناقض بين باقى طبقات الشعب ، وانما هى تفتح المجال لامكانية حلها سلميا ، اى بوسائل العمل الديمقراطى » [الباب الخامس] .. وفى نفس الباب يقول الميثاق « ان تحالف الرجعية وراس المال المستغل يجب ان يسقط .. ولابد ان ينفسح المجال بعد ذلك ديمقراطيا للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة » .

وواضح من الفقرتين ان الميثاق يقول طبقات الشعب ، ويقول قوى الشعب ، قاصدا نفس المعنى .. ولذلك لا ادرى سر الحذر الشديد فى دليل العمل من الاعتراف بالحقيقة الموضوعية ، وهى ان الشعب العامل يتالف من طبقات متحالفة . ومع ذلك ليست المشكلة ان نستخدم كلمات طبقات او قوى ، فالمهم ان نتفق حول المعنى المقصود .

لقد اكد دليل العمل على ان هناك اهدافا وطنية وقومية تجمع اطراف هذا التحالف .. وهذه الاهداف لها الاولوية ، « دون ان يلغى ذلك المصالح الخاصة او يصادرها » كما ان النضال من اجل الاهداف المشتركة « لا يطمس ما قد يقوم من مصالح خاصة او متميزة لقوى من القوى الداخلة فى التحالف » [القسم الثانى — الجزء الثانى] — « ان الحرص على الوحدة الوطنية لايعنى انهاء تعسفيا او مصطنعا للمصالح المختلفة لقوى الشعب العاملة ، او اتخاذها ذريعة لحجب الديمقراطية ، او تعلة لتقييد حرية التعبير والنقد داخل الاتحاد الاشتراكى » .

ولا شك ان الاتفاق حول هذه المضامين يضيق من شقة الخلاف بين كلمة طبقة وكلمة قوى ، وهى تمثل تصورا سليما وواقعيا ، فقوى الشعب العامل — كما نراها فى الحياة — تواجه ظروفا مختلفة ، وتتناقض مصالحها الى حد ما . فاهل الريف يتناقضون — بشكل عام — مع اهل المدن ، حيث يشعر الاولون انهم أبعد عن رعاية الدولة .. وفى داخل الريف هناك تناقض بين الفلاحين الاغنياء وبين الفلاحين الفقراء وعمال الزراعة ، كذلك هناك تناقض بين الفلاحين .. وخاصة الفقراء ، وبين البيروقراطية الادارية .. ونفس الامر يقال فى المدينة عن التناقض بين العمال واصحاب الاعمال . وبين العمال والادارات العليا فى القطاع العام . وبين جمهور المستهلكين والتجار .. وهكذا .

هذه حقيقة موضوعية .. والتناقض يعنى تعارضا فى المصلحة ، ما يراه فريق مصلحة له ، يراه فريق آخر ضد مصلحته ، وفى هذه الحالة لابد ان ينشا نوع من الصراع .

ان دليل العمل لم ينف اذن وجود التناقض بين « القوى الاجتماعية » ولا اعتقد ان من بين القوى الاشتراكية من يطلب سفك الدماء اشفاء للاحقاد . كل الاشتراكيين المخلصين لوطنهم يطلبون — فى كل الظروف — حل التناقضات بين القوى الاجتماعية داخل اطار التحالف الوطنى .. وهذا المطلب اكثر الحاحا فى ظروف احتلال العدو لارضنا ، واستعدادنا لحربه .

ولكن كان مطلوبا هنا وضع عدد من الضمانات لتنفيذ هذا الهدف السليم . فالميثاق — على سبيل المثال — لم يكتف بالحديث عن ازالة التناقضات سلميا بين قوى الشعب العامل . وانما راى ان تكون للعمال والفلاحين قوة خاصة داخل التحالف ، وكان هذا ضمانة هامة لاستمرار التقدم فى اتجاه اذابة الفوارق .. وصحيح ان دليل العمل اكد مبدأ الـ ٥٠٪ ، ولكن يلاحظ ان تبرير هذا المبدأ فى دليل العمل هو انه « التعبير السليم عن حق الاكثرية التى طال حرمانها فى المشاركة الفعالة فى صنع مستقبل امتنا » [القسم الثانى — الجزء الاول] ولاشك ان هذا صحيح ، وقد سبق الميثاق الى تقرير هذه الحجة ، ولكنه اضاف ان « هذه القوى هى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة ، كما انها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان . ان ذلك فضلا عما فيه من حق وعدل . باعتباره تمثيلا للاغلبية ، ضمان اكيد لقوة الدفع الثورى نابعة من مصادرها الطبيعية الاصيلة » [الباب الخامس] .

ولاشك ان هذا التفسير الهام الذى كان الميثاق قد نص عليه لاينبغى اغفاله ، فهو تفسير يعبر عن تجربتنا الذاتية بالفعل ، فليس صحيحا ان حماس العمال للقطاع العام يماثل حماس بعض الفئات الاخرى لنمو القطاع العام .. وليس صحيحا كذلك — فى حالة زيادة الضرائب على بعض اصحاب الدخول العالية من اجل الحرب او التنمية — ان التاييد سيكون متكافئا من الجماهير الكادحة ومن بعض الفئات الاخرى فى التحالف الوطنى .. وهذا يعنى ان الـ ٥٠٪ تعنى شيئا اكثر جدا واعمق من مجرد مراعاة النسبة العددية للعمال والفلاحين .

وإذا كان هذا المبدأ الذى اقره الميثاق لم يؤد الى النتائج التى كان مفروضا ان يؤديها فى دفع الحركة الثورية الى الامام ، فان هذا الامر كان مطلوبا من دليل العمل ان يعالجه وفى تقديرى ان من ضمن اسباب فشل هذا المبدأ فى احداث اثره ، ان تعريف العامل والفلاح كان فضفاضا بحيث فشل الجزء الاكبر من صغار الفلاحين والعمال الحقيقيين فى استثماره ومن ناحية أخرى فان وسائل التنفيذ العملية ، أعجزت العمال والفلاحين الحقيقيين فى معظم الاحيان عن استخدام حقهم [اقصد مثلا المصاريف الباهظة للمعارك الانتخابية] .. ومن ناحية ثالثة فان مراكز القوى كانت تعمد الى افساد العناصر العمالية والفلاحية التى تتمكن من النجاح ، فعزلتها عن قواعدها ، وحولتها الى امتدادات مشوهة للطبقة المتوسطة ففقدت دورها المتميز .. هذا طبعا بالاضافة الى ازمة الديمقراطية العامة التى سادت فى المراحل السابقة .. وكل هذا كان مفروضا أن يعالجه دليل العمل .

نسبة العمال والفلاحين ضمانة اساسية اذن للضغط داخل التحالف من اجل حل التناقضات باسلوب ديمقراطى .. يضاف الى هذا ان الميثاق لم يكن رومانسيا فى تصوره للعلاقة بين قوى التحالف . وكان واضحا فى الميثاق ان مصدر الخطر على سلمية حل التناقض يأتى من جانب الرجعية « ان ضراوة الصراع الطبقى ودمويته والاخطار الهائلة التى يمكن ان تحدث نتيجة لذلك هى فى الواقع من صنع الرجعية التى لاتريد التنازل عن احتكاراتها ومراكزها الممتازة التى تواصل منها استغلال الجماهير » .. « ان ازالة هذا التصادم [مع الطبقات الرجعية] يفتح الطريق للحلول السلمية أمام صراع الطبقات » [الفصل الخامس] .

ولكن دليل العمل لم يكن واضحا فى ضرورة الحذر من هذا الاتجاه .. مع ان هذا الحذر هو الضمانة الثانية والهامة لتحقيق الاسلوب السلمى فى حل التناقضات بين قوى او طبقات الشعب العامل .

● مسألة اخرى : فقد نص دليل العمل على ان من سمات الاشتراكية العربية ان لها « نظرتها المتميزة لقضية الملكية » .. « ان اشتراكيتنا تفرق بين الملكية المستغلة فلاتسمح بها ، والملكية غير المستغلة فتجيزها ، وذلك كله فى الحدود التى يقرها القانون مترجما ضمير الجماعة واحتياجاتها » [القسم الثانى — الجزء الثانى] .. هذه النظرة المتميزة فى دليل العمل تختلف عن الموقف الذى نص عليه الميثاق .. « فالتأميم ليس ، كما تنادى بعض العناصر الانتهازية ، عقوبة تحل برأس المال الخاص حين ينحرف ، ولا ينبغى بالتالى ممارسته فى غير احوال العقوبة . ان نقل اداة من ادوات الانتاج فى مجال الملكية الفردية الى مجال الملكية العامة اكبر من معنى العقوبة واهم » [الباب السادس] .

ويعنى هذا ان الخط الفاصل بين ملكية القطاع العام وملكية القطاع الخاص ليس هو الخط الفاصل بين الاستغلال وعدم الاستغلال .. وانما مصالح التخطيط والتنمية .. اى قد تكون الملكية غير مستغلة ، ولكن ضرورات التقدم العام للمجتمع قد تدعو الى تأميمها .

هذه واحدة .. والنقطة الثانية ان الميثاق حين تحدث عن حق القطاع الخاص فى العمل ، كان قاطعا فى ان تكون مشاركة هذا القطاع فى التنمية « فى اطار الخطة الشاملة من غير استغلال .. على ان تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعين [اى العام والخاص] مسيطرة عليهما معا » [الباب السادس] .

فالميثاق لم يطلب تأميم كافة وسائل الانتاج .. ولكنه نص على سيطرة الشعب على كافة وسائل الانتاج « ان رأس المال الفردى فى دوره الجديد يجب ان يعرف انه خاضع لتوجيه السلطة الشعبية ، شأنه فى ذلك شأن رأس المال العام ، وان هذه السلطة هى التى تشرع له ، وهى التى توجهه على ضوء احتياجات الشعب، وانها قادرة على مصادرة نشاطه اذا ما حاول ان يستغل او ينحرف .. انها على استعداد لان تحميه .. ولكن حماية الشعب واجبها الاول » .

لا ادرى لماذا فات دليل العمل ان يؤكد على هذه المعانى الهامة وهو يتناول مسألة الملكية الخاصة لبعض وسائل الانتاج ، مع اننا فى الحقيقة نحتاج الى التأكيد والتشديد ، لان السنوات الاخيرة شهدت مظاهر متزايدة من اتجاه جزء كبير من القطاع الخاص الى مجالات للنشاط طفيلية وغير انتاجية ، ولاتضيف شيئا الى دخلنا القومى .. ودعك طبعاً من الانحرافات .

● مسألة اخيرة فى دليل العمل هى تعبير « القوى الكبرى التى تحاول ان تستقطب الى فلكها مناهج التقدم » [القسم الثانى — الجزء الثانى] .. ويقول الدليل ايضا ان تحرير الارادة العربية وكفالة استقلالها ازاء مصالح واطماع القوى العالمية ، يقتضى أن ينطلق تحركنا السياسى دائما من مبدأ صيانة الاستقلال الوطنى اقتصاديا وسياسيا » [القسم الثانى — الجزء الاول] .

وليس منا بطبيعة الحال من يختلف حول وجود قوى كبرى فى العالم .. ولا يختلف حول ضرورة الحفاظ على اكبر قدر ممكن من استقلال ارادتنا .. ولكن وضع القوى الكبرى والقوى العالمية كلها فى سلة واحدة ، يبدو غريبا على خبرتنا خلال السنوات الماضية . فخبرة نضالنا دلت على ان عدونا الرئيسى هو القوة الكبرى الممثلة فى الولايات المتحدة الامبريالية واذا كان هناك بعض الامل فى بعض الدعم والتأييد من شبه القوى الكبرى التى لازالت تحت التكوين [اقصد اوربا الغربية] فان القوة الكبرى التى نعتبرها صديقة حقيقية ، وقادرة على دعمنا هى الاتحاد السوفيتى .. ومهما كانت التحفظات حول مدى هذا الدعم ، فان علاقتنا بالاتحاد السوفيتى علاقة من نحو خاص ، وايجابية بشكل عام ، بل ومقننة فى معاهدة .

وفى وثيقة تحدد المسار السياسى للاتحاد الاشتراكى العربى ، وخاصة فى ظروف الصراع ضد العدوان الاسرائيلى لابد ان تتحدد اتجاهات علاقاتنا الدولية على نحو لايقبل اللبس او الغموض .

● ● ●

وبعد .. ان من واجبنا أن نطلب أن تجرى مناقشة دليل العمل على اوسع نطاق قبل اقراره ، وهذه الملاحظات محاولة للاسهام فى هذا النقاش .. فوضوح الفكر والخط السياسى الذى يخدم جماهير الشعب هو شرط اساسى لاستعادة العمل السياسى لحيويته .. والجدية فى التنفيذ — بعد وضوح الخط — هو الشرط الثانى .. وكل هذا يتحقق بالحوار الديمقراطى .. ولنذكر دائما التحذير الصادق الذى سجله دليل العمل فأخطر ما واجهه تنظيمنا السياسى — فى المرحلة السابقة — هو تعرضه لفقد ثقة الجماهير » ومن الواجب « ان ندخل فى مراجعة جدية لمفاهيم العمل السياسى على الوجه الذى ينقيه من الشوائب ، ويعيد ثقة الجماهير اليه » .. ولكن ينبغى ان نأخذ فى اعتبارنا « ان الثقة الجماهيرية متى اهتزت ، فاستعادتها ليست امرا سهلا ولكن طموحنا — نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى — فى ظل الانطلاقة الجديدة للعمل السياسى ينبغى أن يكون كبيرا »

لنبدأ اذن هذا الطريق الطويل .. بالحوار الديمقراطى والعمل الجاد .



■ لبنان :

تنفيذ مخطط .. معد سلفا

●

■ المغرب :

أســـــباب ثلاثة ..

لتفسير محاولة أوفقير

●

■ اوغندا :

غزو + مشـــاكل + قروض

●

■ ميونيخ :

الحصاد السياسي والرياضي

للدورة الاوليمبية العشرين



طريقة جديدة للثورة الفلسطينية للعمل فى الداخل

اكدت مصادر موثوق بها « للطليعة » ان الثورة الفلسطينية نجحت فى زرع مزيد من القواعد السرية داخل اسرائيل بطريقة جديدة لم تكشف المصادر عن ماهيتها . ولكن نفس المصادر تضيف أن « الطريقة الجديدة » أتاحت حرية وسرعة الحركة فى مناطق استراتيجية هامة ضد العدو فى الداخل مع توفير قدر كبير من الامان . ويستدل على ذلك بالعمليات الاخيرة التى قامت بها الثورة فى تل أبيب والقدس وغيرها من المناطق دون أن تستطيع قوات الامن الاسرائيلية الاهتداء الى المخططين والمنفذين لها .

ويكمل الصورة ما صرح به عدد من المراقبين الغربيين المتابعين عن كثب للاوضاع فى اسرائيل من أن السلطات الاسرائيلية لم تعد تخفى قلقها الشديد من ظاهرة اشتراك عدد من الاسرائيليين — بنحو أو بآخر — فى عمليات الثورة الفلسطينية الاخيرة . وان المعلومات المتوافرة لدى اجهزة الامن تكشف عن انه جرت داخل اسرائيل مناقشات سياسية بين عدد من شباب الثورة الفلسطينية وعدد من الشباب الاسرائيلى المعادى للصهيونية والمؤسسة العسكرية الاسرائيلية . وذلك على اساس العمل المشترك من اجل اقامة الدولة الديمقراطية فى فلسطين دون ما تمييز بين الاجناس والاديان .

ويضيف المراقبون انه اذا صحت هذه المعلومات فان الثورة الفلسطينية تكون قد بدات عملية اختراق استراتيجى من تحت اقدام المؤسسة العسكرية الاسرائيلية . وهذا ما يفسر الحملة الضارية المشوبة بالعصبية الشديدة التى تشنها المؤسسة العسكرية ضد ما تسميه « بالارهاب الفلسطينى » .

■ ليبيا

أسس الوحدة بين مصر وليبيا

في نهاية الاجتماعات بين الرئيسين « أنور السادات » و « معمر القذافي » التي بدأت في طرابلس في ١٥ ـ٩ ـ١٩٧٢ وقع الرئيسان ثلاث وثائق أساسية خاصة بوضع الاسس للوحدة بين مصر وليبيا ، وهي الوحدة المقرر اتمامها في سبتمبر ١٩٧٣

وكانت الوثيقة الاولى هي البيان السياسي الصادر عن الاجتماع والذي يحدد الاحكام العامة لدولة الوحدة الجديدة ، فتم الاتفاق على : ١ ـ أن تكون عاصمة الدول الجديدة في مصر ٢ ـ ان يكون نظام الحكم في الدولة هو النظام الجمهوري ديمقراطيا (الشورى) الذي يقوم على أساس السيادة للشعب ينتخب حكامه ويكونون مسئولين أمامه وفقا لاصول نظم التمثيل النيابي ٣ ـ أن يكون للدولة رئيس للجمهورية يتم اختياره عن طريق الاستفتاء الحر المباشر • كما تقوم في الدولة الجديدة ، حكومة واحدة تمارس اختصاصاتها على كل اقليم الدولة ٤ ـ ان تكون في الدولة الجديدة سلطة قضائية واحدة وتنظيم سياسي واحد يمثل تحالف قوى الشعب العامل • ٥ ـ باب الانضمام للدولة الجديدة مفتوح أمام أي دولة عربية تؤمن بأهداف الدولة الجديدة وتقبل أحكام دستورها •

وقد اتفق على أن تحقيق النتائج التي تترتب على قيام الدولة الجديدة لا يتم بالضرورة دفعة واحدة بل ان الواقع يستلزم أن تنفذ على مراحل زمنية وطبقا لاولويات تفرضها طبيعة الموضوعات ذاتها .

وأعلنت الوثيقة السياسية تشكيل القيادة السياسية الموحدة من ١ ـ الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية ٢ ـ العقيد معمر القذافي رئيس مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية الليبية . وبمقتضى المادة الثالثة من هذا القرار فان هذه القيادة تكون مؤقتة، وينتهي تشكيلها بقيام دولة الوحدة .

وأعلنت الوثيقة الثالثة تشكيل تسع لجان مشتركة متخصصة تكون مهمتها هي بحث وسائل تحقيق أهداف الوحدة وتوقيت مراحل التنفيذ وهذه اللجان التسع هي : لجنة الشئون الدستورية ، ولجنة التنظيمات السياسية ، ولجنة الدفاع ، ولجنة الامن ، ولجنة الشئون الخارجية ، ولجنة النظم الاقتصادية ، ولجنة التشريع والقضاء ، ولجنة النظم الادارية والمالية ، ولجنة التعليم والعلوم •

■ ■

■ لبنان

تنفيذ مخطط معد سلفا

شنت القوات الاسرائيلية في الشهر الماضي سلسلة من الاعتداءات العسكرية الوحشية ضد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، سواء في سوريا او في مدن وقرى الجنوب اللبناني • وكان اكبر هذه الاعتداءات وأشدها عنفا ، هو عملية الغزو التي بدأتها اسرائيل في جنوب لبنان ، فجر السادس عشر من سبتمبر ، واستمرت لمدة ست وثلاثين ساعة ، وقد وصفتها وكالات الانباء بأنها « أوسع هجوم اسرائيلي ضد لبنان منذ حرب عام ١٩٤٨ » ، حيث استخدمت فيه قوات ضخمة تقدر بخمسة آلاف جندي [في لواء مدرع وكتيبتين للمشاة] ، تعززها المدفعية الثقيلة ، وتغطيها مظلة جوية من حوالي مائة طائرة .

ففي أعقاب حادث ميونيخ ، الذي قام به فدائيو منظمة « يد أيلول الاسود » الفلسطينية في أوائل سبتمبر ، قامت اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية معا بحملة اعلامية ودبلوماسية منظمة ضد المقاومة الفلسطينية والدول العربية المساندة لها ، تصحبها تهديدات اسرائيلية سافرة بالانتقام ، وسرعان ما بدأت عملياتها الانتقامية ـ فعلا ـ بالاغارة على عدد من **المواقع المدنية** الآهلة بالسكان في كل من سوريا ولبنان . وردت سوريا بغارات مماثلة ضد المواقع الاسرائيلية في الجولان المحتلة . وكما يقول المراقبون ، فقد اتخذت اسرائيل من حادث ميونيخ مجرد ذريعة لرفع حدة التوتر في المنطقة الى درجة الغليان ، وبهدف تنفيذ مخططات جرى الاعداد لها مسبقا . وأعلنت اسرائيل ذلك صراحة ، فقال « **دافيد العازر** » رئيس أركان الجيش : « ان الغارات الجوية التي قمنا بها لم تكن انتقاما لحادث ميونيخ فحسب ، بل أيضا انتقام لموجة الهجمات المتزايدة على خطوط اسرائيل مع سوريا ولبنان » ، ووصفها « **ايجال آلون** » نائب رئيسة الوزراء ، بأنها تمثل « مرحلة جديدة في التحرك الاسرائيلي » . وبالمقابل فقد أعلنت كل القوى والدول المحبة للسلام في العالم معارضتها للخطط الانتقامية الاسرائيلية . وأدان الاتحاد السوفيتي وأسرة الدول الاشتراكية غارات

اسرائيل ضد سوريا ولبنان وقواعد المقاومة الفلسطينية .. وفى مجلس الامن ، تقدمت الصومال وغينيا ويوجوسلافيا بمشروع قرار يطالب بوقف العمليات العسكرية الانتقامية التى تقوم بها اسرائيل ، وافقت عليه ١٣ دولة وامتنعت دولة واحدة عن التصويت هى بناما ، ولكنه مع ذلك لم يصدر ، نظرا لاعتراض الولايات المتحدة عليه ، مستخدمة « الفيتو » لثانى مرة فى تاريخ المنظمة الدولية [**كانت المرة الاولى أثناء العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ ، بهدف منع مجلس الامن من اصدار قرار يربط بين وقف اطلاق النار — كالعادة — وبين الانسحاب الفورى الى خطوط ما قبل بدء القتال**] . وهنا يرصد المراقبون دور الولايات المتحدة فى تشجيع العمليات الانتقامية الاسرائيلية ضد ارادة المجتمع الدولى بأسره . ويرصدون « الفيتو » الامريكى ، باعتباره اشارة ضوء خضراء أمام المخططات الاسرائيلية . فبعد ثمان وأربعين ساعة ، أعلنت جولدا مائير ، وهى تشير الى الفدائيين : « اننا سنقاتلهم ، وسنضرب فى كل مكان تصل اليه أيدينا بكل ما لدينا من قوة » . وأعرب البرلمان الاسرائيلى عن ثقته فى أن « الحكومة سوف تستخدم كل الوسائل للدفاع عن مواطنيها وممثليها فى الخارج ، وتقوم بأعمال تستهدف مكافحة [الارهابيين] وقواعدهم ، وكل من يساندونهم » . ولم تنقطع الاستفزازات الاسرائيلية على طول الجبهة الشمالية ، حتى بدأ الغزو الوحشى الواسع النطاق ضد جنوب لبنان ، ويقول بعض المراقبين ان الولايات المتحدة كانت على علم مسبق بهذا الغزو ، وقد اعترفت صحيفة « معاريف » الاسرائيلية « بأن واشنطن لم تعرب عن استيائها من هذه العملية » . وقالت الصحيفة « ان الانطباع السائد لدى المسئولين الاسرائيليين ان الحكومة الامريكية قد أعربت عن تفهمها لهذه العملية وللدوافع التى حملت اسرائيل على القيام بها » .

ويؤكد كثير من المراقبين ان الهدف الرئيسى للغزو ، هو مساومة لبنان على تصفية الوجود الفدائى من أراضيه تصفية نهائية ، فقد وصفت اسرائيل هذه العملية ، فى مذكرة بعثت بها الى مجلس الامن أخيرا ، بأنها « جزء من السياسة التى تمارسها اسرائيل ضد المنظمات التى تعمل من الاراضى اللبنانية » . وأعلنت مصادر عسكرية اسرائيلية على مستوى عال ، فى تهديد موجه مباشرة الى لبنان ، انه اذا خضعت الحكومة اللبنانية مرة أخرى ، فانها ستفقد كل سلطة فعلية لها على قطاع كبير من لبنان ، وان عودة الفدائيين الى مواقعهم السابقة يعرض جنوب لبنان حتما لعمليات اسرائيلية أكبر وأشد عنفا » . ومن ناحية أخرى ، علق تشارلز براى ، المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية على عملية الغزو ، معربا عن اعتقاد حكومته « بأن منطقة الحدود اللبنانية — الاسرائيلية يمكن ان تصبح هادئة اذا توقف النشاط المعادى بطريقة فعالة » ، وهو ما يعد تحريضا سافرا للبنان ضد المقاومة الفلسطينية ، ويؤكد فى نفس الوقت الموقف الامريكى المتواطىء

ويرصد المراقبون الجهود العربية لوقف التدهور بين المقاومة وبين السلطات اللبنانية ، بأمل ان تحقق أهدافها لتوحيد جهد المقاومة والجيش اللبنانى فى مواجهة العدو الاسرائيلى .

●

قضية « الكروتال » والقدرات الدفاعية

عادت قضية صواريخ «كروتال» الشهيرة لتحتل مكانها من جديد على مسرح السياسة اللبنانية ، اثر الاعتداءات الاسرائيلية الاخيرة على لبنان ، وما كشفت عنه من عجز السلطة عن توفير الامن والحماية للبلاد ، وذلك بعد أن كادت تنجح المحاولات من جانب الجهات العليا لتطويق القضية تحاشيا لما تثيره من فضائح تتناول بعض أشخاص من القائمين على السلطة فى لبنان .

وترجع حكاية صواريخ كروتال الى أوائل عام ١٩٧١ عندما تقرر تخصيص مبلغ مائتى مليون ليرة لبنانية لشراء أسلحة للجيش ، وقامت الحكومة بعقد صفقات مع شركات الاسلحة فى فرنسا وايطاليا وامريكا وبلجيكا وبريطانيا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتى . وكان أكبر نصيب من الصفقات هو الذى حصلت عليه الشركات الفرنسية ، لتوريد طائرات هليكوبتر قيمتها ٤٨ مليون فرنك فرنسى ، وصواريخ قيمتها ٦٢ مليون فرنك ، وكانت أصغر هذه الصفقات مع الاتحاد السوفيتى وقيمتها ٩ ملايين ليرة .

وفى أوائل العام الحالى قررت الحكومة اللبنانية الغاء صفقة الصواريخ المتعاقد عليها مع شركة **كروتال** الفرنسية ، بعد تسديد جزء من قيمتها ، وطلبت استبدالها بأسلحة أخرى ، وذلك بدون ابداء سبب واضح . وان كان قد تردد انه لم تعد هناك أهمية للصواريخ بعد الغاء القيادة العربية الموحدة .

وقد ترتب على موقف حكومة لبنان خلاف مع شركة كروتال الفرنسية التى رفضت اعادة المبالغ المدفوعة من أصل قيمة الصفقة ، بحجة ان لبنان هو المسئول عن عدم تسليم الصواريخ فى المواعيد

المحددة ، واخطار الشركة بالغاء صفقة الصواريخ . كما رفضت وزارة الخارجية الفرنسية الوساطة بين لبنان وبين الشركة الفرنسية ، على أساس أن ما حدث هو عمل تجارى بين الشركة الفرنسية والحكومة اللبنانية ولا شأن لها به .

ثم عادت الحكومة اللبنانية وأعلنت فى شهر أغسطس الماضى موافقة لبنان على تسوية الخلاف مع الشركة الفرنسية وتنازل لبنان عن ٩ر٥ ملايين فرنك فرنسى ، و ٥ر٢ مليون فرنك أخرى هى قيمة فائدة المبلغ الباقى من أصل ثمن الصفقة ، على أن تدفع الشركة باقى المبلغ الذى دفع من قبل الى لبنان .

وقد هاجمت الصحافة والاحزاب التقدمية ونواب المعارضة اتفاق التسوية مع الشركة الفرنسية ، ووجهت الاتهامات الى بعض العناصر الحكومية ، وأشارت الى أن هناك مصالح مادية ومعاملات مشبوهة وراء صفقة الصواريخ ، سواء عند توقيع الصفقة أو الغائها ، الى آخر سلسلة الاتهامات التى تحتل مساحة كبيرة من الصحافة اللبنانية .

ووجدت الصحافة فى فضيحة الصواريخ فرصة مناسبة لكى تثير من جديد صفقة طائرات الميراج الفرنسية السابقة التى تم استبدالها بصواريخ كروتال ، موضوع المشكلة الحالية ، وقضية الرادار القديمة الاخرى مع احدى الشركات الفرنسية . فبالرغم من وصول الرادار الى لبنان فانه مازال عاطلا عن العمل ، وفى انتظار قطع الغيار المطلوبة ، والتى وعدت الشركة الفرنسية أخيرا بعد مماطلة طويلة بتسليمها بعد سنتين ، وكان أن كلف لبنان أكثر من ٥٠ مليون ليرة ، ويقال الان أن الدولة ترغب فى التخلص منه ببيعه سرا .

ووسط متاهة المناقشات والاتهامات المتبادلة ، ترتفع الاصوات الان مطالبة الحكومة بتفسير قرارها بالغاء صفقة الصواريخ ، وتحديد المسئولية ومن الذى تسبب فى هذا الضرر الذى ألحق بخزينة الدولة الخاوية خسارة بلغت ٥ر١٢ مليون فرنك فرنسى ، ثم اثارة موضوع السمسرات والعمولات التى تقاضاها البعض ، والمطالبة بتقديم كشف لمجلس النواب بخصوص جميع صفقات الاسلحة ، وتفاصيل المبالغ التى أنفقت حتى الان من أصل اعتماد مبلغ المائتى مليون ليرة .

ويعتقد المراقبون فى لبنان انه لا جدوى من وراء التحقيق فى قضية الصواريخ أو غيرها من القضايا لعدم وجود قانون فى لبنان لمحاكمة الوزراء ، وان الدستور يمنع محاكمة الرؤساء والوزراء الا بواسطة محكمة عليا ، وهذه المحكمة لاتوجد بعد فى لبنان .

وتواجه حكومة الرئيس صائب سلام فى الوقت الحاضر هجوما عنيفا من جانب الاحزاب التقدمية والتنظيمات والهيئات الشعبية ، بسبب موقف القوات المسلحة أثناء الاعتداءات الاسرائيلية الاخيرة ، وما تكشف من عجز الدولة عن حماية البلاد والدفاع عنها . خاصة وان الحكومة الحالية سبق أن تعهدت بتوفير وسائل دفاع قوية للبلاد عند اقرار قانون المائتى مليون ليرة الخاص بشراء الاسلحة .

■ ■

■ قطاع غزة

نشـــاط ومشـــاكل

بعد ركود دام نحو ثلاثة أشهر قضتها المقاومة فى قطاع غزة فى تنظيم صفوفها ومراجعة مواقفها وتكتيكاتها ، عاد للمقاومة نشاطها وحيويتها . ففى الخامس والعشرين من اغسطس الماضى ، القى أحد رجال المقاومة قنبلة على سيارة اسرائيلية فى ميدان فلسطين بمدينة غزة اصيب من جرائها ٢٦ شخصا جراح أربعة منهم خطيرة . وربما كانت هذه العملية هى الرد على تصريح **جولدا مائير** رئيسة وزراء اسرائيل فى اليوم السابق ، والذى اعلنت فيه تصميمها على ضم قطاع غزة الى اسرائيل ، بعد تفريغه من سكانه العرب . وفى ٢٨ من الشهر نفسه انفجرت قنبلة اخرى فى معسكر للقوات الاسرائيلية قرب معسكر جباليا للاجئين شمال قطاع غزة . وبعدها بيومين القى بعض الفدائيين الفلسطينيين عدة قنابل على سيارة اتوبيس كانت تقل بعض العمال المتوجهين للعمل داخل اسرائيل . وقد حملت هذه القنابل طابع التحذير للعمال ولم يكن القصد من القائها قتل هؤلاء العمال وان كان قد اصيب منهم اثنان اصابة طفيفة . ووقع الهجوم الرابع للمقاومة بعد ستة أيام من هجومها الاول ، حين القى أحد الفدائيين الفلسطينيين صباح اليوم الاخير من اغسطس الماضى ، قنبلة على سيارة عسكرية اسرائيلية فى دير البلح جنوبى مدينة غزة .

وفى الرابع من سبتمبر حاول ثلاثة من الفدائيين الفلسطينيين اغتيال **رشاد الشوا** ، رئيس بلدية

غزة الا أن القنابل التى القيت على سيارته لم تنفجر ، كما أن رصاص رشاشات الفدائيين لم يصبه . وقد فشلت القوات الاسرائيلية فى العثور على الفدائيين الثلاثة بالرغم من عمليات التفتيش الواسعة والدقيقة التى أجرتها هذه القوات من منزل الى منزل فى المدينة .

وفى العاشر من سبتمبر انفجرت شحنة متفجرات قرب مدرسة فلسطين الثانوية بغزة .

وفى الوقت نفسه تصاعدت عمليات المقاومة فى المرتفعات السورية . فارتفعت معدلات اشتباكات المقاومة الفلسطينية مع القوات الاسرائيلية كما وسع الفدائيون الفلسطينيون المساحات التى زرعوها بالالغام فى هذه المرتفعات وزادوا من عدد مرات قصف القوات الاسرائيلية بالمدافع والصواريخ . وفى العاشر من الشهر نفسه صرح متحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية بان الحكومة السورية قد رفعت كل القيود التى كانت تفرضها على تحركات الفدائيين الفلسطينيين فى المرتفعات السورية المحتلة ، بحيث اعفتهم من ابلاغها سلفا بالعمليات العسكرية التى ينوون القيام بها ضد القوات الاسرائيلية .

وفى الضفة الغربية فتحت مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين يوم ١٠ ـ ٩ ـ ١٩٧٢ النار من مدافعها الرشاشة ومدافع البازوكا على داورية اسرائيلية قرب الخليل بالضفة الغربية .

وقد شهد الاسبوع الاول من سبتمبر الماضى ، العديد من الاجتماعات على مختلف المستويات فى أجهزة المقاومة لعلاج الخلاف بين منظمات المقاومة

يجرى كل هذا بينما تحاك المؤامرات للتعجيل بأمر التسوية الاسرائيلية ـ الاردنية . ففى الاسبوع الثانى من اغسطس الماضى ، أعلن موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى استعداد الملك حسين ، ملك الاردن لتوقيع اتفاق شامل مع اسرائيل لتسوية الموقف بينهما ، يتضمن تعديلا فى الحدود بين الضفة الغربية واسرائيل ونزع سلاح الضفة الغربية ، واعطاء اسرائيل الحق فى اتخاذ ترتيبات أمن خاصة على طول نهر الاردن الذى يفصل الضفة الغربية عن الضفة الشرقية . وقد افضى ديان بهذا الحديث فى اجتماع خاص ضم قادة حزب العمل الاسرائيلى ، ونشرته صحيفة يديعوت أحرونوت الاسرائيلية يوم ٢٣ اغسطس الماضى .

وكشفت مجلة تايم الامريكية (٣ ـ ٩ ـ ١٩٧٢) النقاب عن ان الملك حسين كان قد اجتمع خلال العام الحالى ، مرتين بايجال آلون ، نائب رئيسة وزراء اسرائيل .

واخذت اسرائيل فى ترميم الطريق البرى الموصل بين الخليل وغزة ، فى اطار ربط قطاع غزة

تعليق

الى متى لا تفاجئنا قرارات الآخرين ؟

ان موقف الخرطوم فى الشهر الماضى ، باتخاذها قرارا بتصفية فرعين لشركتين مصريتين ، انما هو تطور طبيعى لسياسة النظام السودانى الخارجية منذ منتصف عام ١٩٦٧ ، هذه السياسة التى اتجهت بكلياتها الى التعاون مع الغرب الرأسمالى الاستعمارى ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ المانيا الغربية ـ بريطانيا ـ وقد تمثل ذلك فى عودة العلاقات مع المانيا الغربية ، والاتفاقيات الاقتصادية مع بريطانيا ، واعادة العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الامريكية ، وتسليم جنوب السودان للانيانيا بقيادة جوزيف لاتو الذى تلقى تدريبه العسكرى باسرائيل واستعان بخبراء اسرائيل فى تنظيم الانيانيا . ان شرطا أساسيا من شروط الغرب كان هو البعد عن حركة التحرر العربية ، وهو نفس شرط الانيانيا ، وللانيانيا شرط خاص ضمنته برامجها السياسية هو ضرورة البعد عن مصر وعن القومية العربية .

ان الاوضاع الداخلية فى السودان تؤكد كل يوم ازدياد قبضة الاستعمار والرجعية ، وان الاستعانة بالفين من جنود الانيانيا للعمل فى أجهزة الامن السودانية ، وفى حراسة الرئيس نميرى ، وتسليم أجهزة الامن القومى فى السودان لخبراء أمريكيين من جهاز المخابرات الامريكية ـ كل ذلك يؤكد أن الاتجاهات الرجعية والعميلة للغرب هى التى توجه سياسة السودان الخارجية ، وخاصة السياسة الرجعية المعادية لمصر ولحركة القومية العربية المعادية للامبريالية والصهيونية ـ ولقد كان موقف الرئيس نميرى معبرا عن هذه السياسة فى خطابه الذى القاه فى قرية الكلاكا فى ١٩٧٢/٦/٥ ، وكذلك فى خطابه فى جوبا .

ان علاقات السودان مع الاحتكارات الغربية ، واعتماد النظام السودانى على الانيانيا عميلة اسرائيل ـ كان يؤكد دائما ان النظام السودانى سيعود الى نفس طريق الرجعية السودانية التقليدية المعادية للعلاقات مع مصر المناضلة ضد الاستعمار والصهيونية . لذلك فان قرار الخرطوم لتصفية فرعى الشركتين المصريتين لم يكن مفاجأة ـ لكل من تتبع تدهور النظام السودانى منذ منتصف عام ١٩٧١ وانزلاقه الى طريق التبعية للاستعمار الحديث والرجعية المحلية عربية كانت أو افريقية .

عبد المنعم الغزالى

بالضفة الغربيةفالشرقية ولتسهيل نقل البضائع من ميناء غزة الى الضفة الشرقية وبالعكس

وفى ٣١ اغسطس صرح **موسى ديان** ، لوفد يهودى امريكى يزور اسرائيل ، ان التطورات الاخيرة فى المنطقة « تعطى الملك حسين حرية أكبر فى اقامة سلام مع اسرائيل » ، **وأبدى ديان** استعداده للتجاوب مع اتجاهات **الملك حسين** السلامية !

وفى اليوم التالى قال ديان فى اجتماع للطلبة الاسرائيليين فى الخارج انه يرفض الانسحاب الكامل من الاراضى المحتلة ، واكد انه يتطلع الى انتزاع حق الاقامة لليهود فى الاراضى العربية بعد الانسحاب منها ، كما أعلن ديان استعداده للانسحاب من صحراء سيناء اذا نزع سلاحها.

وفى اليوم نفسه ادلى **ايجال آلون** بحديث لصحيفة معاريف الاسرائيلية اعرب فيه عن تأييده لعقد « اتفاق سلام يفرض حدودا يمكننا الدفاع عنها على خط بديل » . ورأى ان الاردن يمكنه عقد تسوية مع اسرائيل وان مثل هذه التسوية ستشجع دولا عربية اخرى على اتباع نفس الطريق . أما **جولدا مائير** ، فقد أدلت فى الثامن من سبتمبر بحديث لصحيفة معاريف ، قالت فيه انإسرائيل مصممة على ادخال تعديلات كبيرة على الحدود وطالبت العرب بضرورة تقديم تنازلات ، اذ عليهم أن يدفعوا ثمن السلام الذى يريدونه . واشارت رئيسة وزراء اسرائيل الى أن قواتها ستبقى فى شرم الشيخ والمرتفعات السورية ، وبعض مناطق الضفة الغربية ، وانها لن تسمح لاى دولة عربية بضم غزة اليها . كما أفادت مائير فى حديثها بانه سيتم منح تسهيلات **للملك حسين** فى أراضى واجواء وموانىء اسرائيل وغزة « فنحن نثق فيه عندما يعلن عن رغبته فى السلام » !

●

رشاد الشوا .. تاريخ حافل

فى السنة الاخيرة احتل اسم **رشاد الشوا** مركزا شبه ثابت فى الصفحات الاولى من الصحف ، بعد أن خلف **راغب العلمى** فى رئاسة بلدية غزة ، وبعد أن أبدى حماسا ملحوظا فى تأييده لمشروع **الملك حسين** ، المعروف باسم **المملكة العربية المتحدة** ، والذى كان قد اعلنه فى منتصف مايو الماضى . وقد جرت محاولة لاغتياله فى الرابع من سبتمبر الماضى على يد ثلاثة من الفدائيين الفلسطينيين .

ترى من هو **رشاد الشوا** ؟ وهل يمثل شخصه ، أم عائلته ، أم طبقته ؟ وما هى آفاقه ؟

يبلغ **رشاد الشوا** نحو ٦٥ سنة ، وهو ابن **سعيد الشوا** ، مالك لمائة الف دونم فى أراضى غزة وبئر السبع قبل عام ١٩٤٨ ، فهو سليل أسرة اقطاعية ، طالما عرفت بولائها للهاشميين ، وان كان والده قد آزر - الى حين - **الحاج أمين الحسينى** ، مفتى فلسطين ورئيس المجلس الاسلامى الاعلى فيها ، ورأس الحركة الوطنية فيها طوال ثلاثينات وأربعينات القرن الحالى ، والخصم الالد للهاشميين فى ذلك الحين .

تخرج **رشاد الشوا** من الجامعة الامريكية بالقاهرة عام ١٩٣٢ ، وهى نفس السنةالذى تخرج معه فيها **عبد القادر الحسينى** . وعاد رشاد الى غزة مسقط رأسه ، حيث قامت حكومة الانتداب البريطانى بتعيينه ، عام ١٩٣٦ ، قائمقاما لمدينة **طولكرم** ، فى حين عينت شقيقه عز الدين قائمقاما لمدينة **جنين** .

وابان الثورة الفلسطينية ، عام ١٩٣٦ ، جرى ضبط كميات من الاسلحة المهربة للثوار الفلسطينيين تنقلها سيارة **عز الدين الشوا** مما دفع عز الدين الى الفرار للسعودية ، حيث عينه **الملك عبد العزيز بن سعود** مستشارا له ، فى حين أصدرت حكومة الانتداب فى فلسطين حكمها باعدام عز الدين واقصاء شقيقه رشاد عن منصبه .

وعندما سأل أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى ، وزير المستعمرات البريطانى عن سر اقصاء **رشاد الشوا** عن القائمقامية ، أفاد وزير المستعمرات بأن رشاد لم يثبت كفاءته خلال الاشهر الستة التى قضاها تحت الاختبار

وقد كان لرشاد الشوا اربعة اخوة أشقاء ، ماتوا جميعا ، خلال السنوات العشر الماضية ، وهم : **رشدى ، عز الدين ، سعدى ، وعادل** .

وقد عرف عن الاول انتماءه لاحدى الجمعيات السرية السورية المناهضة للاتراك ، فى مطلع هذا القرن ، وانه تقدم كشاهد ملك ضد اعضائها عند القبض عليهم من قبل الاتراك ، مما ادى الى اعدام معظمهم . ثم اصبح **رشدى الشوا** رئيسا

لبلدية غزة ، ابان الانتداب البريطانى على فلسطين بالتعيين ، وبالرغم من فوز منافسه **فهمى الحسينى** عليه فى الانتخابات التى أجريت فى غزة فى الاربعينات . ثم أقصته الادارة المصرية عن رئاسة البلدية عام ١٩٥٢ . وعندما احتلت اسرائيل غزة عام ١٩٥٦ ، أقصت رئيس بلديتها ، **منير الريس** ، وعينت بدلا منه **رشدى الشوا** ، الذى اعتقلته الادارة المصرية لدى عودتها لقطاع غزة ، فى مارس ١٩٥٧ .

أما **سعدى الشوا** فقد كان أمين سر **حزب مؤتمر الشباب الفلسطينى** ، منذ عام ١٩٣٤ ، وعرف عنه نشــاطه الكبير فى السمسرة لحساب الحركة الصهيونية فى بيع الاراضى . وفى عام ١٩٥٨ جرت محاكمته فى غزة بتهمة الاتصال بالنظام الهاشمى فى الاردن وتدبير انقلاب لحسابه فى قطاع غزة . وقد أصدرت المحكمة حكمها باعدام سعدى ، الا أن هذا الحكم خفف الى المؤبد ، بفضل وساطة **شكرى القوتلى** ، المــواطن العربى الاول انذاك ، لدى الرئيس **عبد الناصر** ، وقد توفى **سعدى** عام ١٩٦٨ .

أما شقيقه **عادل** فقد كان أكثرهم وضوحا فى عدائه للشعب ، اذ كان عضوا فى الهيئة المركزية **لحزب الدفاع الوطنى الفلسطينى** ، وهو الحزب الذى عبر عن الثورة المضادة فى فلسطين ، والذى كان يدعو علنا للتعامل مع الانتداب البريطانى فى فلسطين . وقد عرف عن هذا الحزب عداءه الشديد للحركة الوطنية الفلسطينية بشكل عام ، وقيامه بدور بـارز فـى ضـرب ثـورة الشــعب الفلسطينى (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) . ويحكى أن عادل الشوا هذا ، كان الوحيد فى مدينة غزة الذى رفض الاستجابة لنداء الثورة ، عام ١٩٣٨ ، بارتداء الكوفية والعقال حماية الثوار ، الذين كانوا يرتدون نفس الزى حتى يسهل لهم اخفاء ملامحهم عند الاقتضاء وقد استجاب الشعب عن بكرة أبيه لنداء الثورة هذا ، وعمت الكوفية والعقال فى الريف والمدينة . ولم تشذ الا حفنة ضئيلة من رجال حزب الدفاع ، الذين أصروا على ارتداء الطربوش اعلانا لرفضهم للثورة . ومعروف أن كلا من **رشدى ورشاد** كانا قد أصـدرا بيانا تبرأ فيه من شقيقهما **عادل** ، عندما

تعليــق غزة .. القلعة المقاتلة

مزق انفـجار القنابل وأزيز الرصـاص الهدوء الذى ساد قطاع غزة طوال ثلاثة أشهر . وأثبتت تلك العمليات أن قطاع غزة لازال الشعلة الوحيدة المضيئة فى عالمنا العربى .

هـذا القطاع المتأجج ، المتدفق بطولة وفدائيـة ، ذى الخمسين كيلومترا طولا ، والخمسة كيلومترات عرضا [فى المتوسط] ، والمحدق به العدو من كل جانب احداق الاسورة بالمعصم ، والذى حرمته الطبيعة من الجبـال والغـابات والمستنقعات ، التى يتحدث البعض عن ضرورتها للعمليات

والواقع أن بسالة غزة ومقاومتها الرائعـة لم تكن نبتا شيطانيا ، بل كان وراءها ذلك العمل السياسى الدؤوب ، الذى نظمته وقادته « الجبهة الوطنية المتحدة » منـذ اليوم الاول للاحتـلال الاسرائيلى للقطاع . وتدرجت « الجبهة » بالنضال الجماهيرى ، بادئة باشكال المقاومة النشطة ، من المنشور السياسى الى الجريدة السرية ، ومن المظـاهرات الى الاضراب السياسى ، فالمقاطعة والعصيان ، وتتويج كل ذلك بالكفاح المسلح ، كل ذلك بما يتـلاءم واسـتعدادات الجماهير ، ونمو قوة الحزب وامكانياته التنظيمية والسياسية والعسكرية .

لقد وصلت المقاومة البطوليـة فى غزة الى أن « تبـدو المدينة فى الليل وكأن الفدائيين هم الذين يحكمونهـا » على حد تعبير جريدة « هآرتس » الاسرائيلية فى صيف ١٩٦٩ .

ولم تجد محاولات الاسرائيليين وأساليبهم الارهابيـة فى وقف المقاومة . فقدأرسلت حكومة اسرائيلجنودها من « ذوى القبعـات الحمراء » الى قطـاع غزة ، للبطش بالجمـاهير العربية فيه . كما اسـتبدلت الحكومة الاسرائيلية الحـاكم العسكرى للقطاع ثلاث مرات، خلال السنوات الاربع الماضية، ولم يزد كل هذا المقاومة الا اصرارا واتساعا .

ووراء اشتداد المقاومة فى قطاع غزة عوامل واسـباب عديدة ، لعل أهمها :

● النضال التحضيرى الطويل الذى سبق المقاومة بشكلها العنيف الحالى . مما جعل الحركة الوطنية فى قطاع غزة ، تاخذ مسارها الصحيح « من السياسة الى المقاومة » وليس العكس ، وتعطى الاولوية لقضية الحزب الثورى المحكم .

● اشتداد الارهاب الاسرائيلى ضـد جماهير القطاع ، وقد كان لهـذا الارهاب رد فعل تمثـل فى تلك المقـاومة الباسلة .

● تردى الوضع الاقتصادى فى القطاع . حيث كسدت التجارة ، وجرى الاستغناء عن مئات الموظفين ، وقذف باكثر من نصف عمال ومزارعى القطاع الى رصيف البطالة . مما جذب تلك الطبقات الى خضم النضال الوطنى .

● كانت المقاومة تشتد فى قطاع غزة وتتعـاظم ، مع احتدام القتال على القناة . وفى جهة أخرى كان لضرب النظام الاردنى للفدائيين الفلسطينيين فى الاردن ، أثر سلبى على المقاومة فى غزة . فبالاضافة الى التاثير المعنوى البـالغ الاهمية الذى كان يباشره وجود العمل الفدائى فى الاردن على حركة المقاومة فى قطاع غزة ، كان هذا الوجود يمثل النبع المادى أيضا ، والذى طالما أمد المقاومة فى غزة بالمال والسلاح .

● تحقق فى قطاع غزة الحد الادنى من الوحدة الوطنية ، وهو ما تفتقده المقاومة فى الخارج .

عبد القادر ياسين

وافق هذا على الذهاب الى لندن ومفاوضة الانجليز نيابة عن حزب الدفاع عام ١٩٣٩ ٠

ونعود الى رشاد الشوا ، الذى بادر ، بمجرد اخراجه من القائمقامية الى افتتاح دار للسينما فى غزة ، ثم أنشأ بيارة برتقال فى أرض واسعة كان يمتلكها ، وفى أوائل الخمسينات أقام مصنعا للمياه الغازية ٠ وفى عام ١٩٥٤ أصدر صحيفة « الوطن العربى » ، وكان يساعده فى تحريرها الدكتور فؤاد مسلم ، الذى تولى منصب وزير الصحة الاردنية فيما بعد ، وهارون هاشم رشيد الشاعر الفلسطينى وصاحب قصيدة « عائدون » ! وعبد الكريم رشدى الشوا ٠ وقد كفت الوطن العربى عن الصدور فى ربيع عام ١٩٥٥ .

وفى عام ١٩٥٨ القى القبض على رشاد الشوا بتهمة تزوير خاتم الدمغة الحكومى ، التى كانت الادارة المصرية تختم به تذاكر السينما التى يمتلكها رشاد ، وذلك تهربا من دفع الضريبة ٠ وقد أدانت المحكمة المركزية بغزة رشاد فى هذه التهمة وصادقت محكمة الجنايات على الحكم ٠

وفى أوائل الستينات أصبح رشاد الشوا وكيلا لشركة جنرال موتورز التى تقوم بصناعة مختلف انواع الالات والسيارات والجرارات ، وتفوق ميزانيتها ميزانيات ٣٥ دولة افريقية مجتمعة ٠ ثم افتتح مصنعا لتشميع الحمضيات المصدرة للخارج ٠ وعندما احتلت اسرائيل قطاع غزة ، عام ١٩٦٧ ، سارع رشاد الى اخذ توكيل شركة تمبو للمياه الغازية فى اسرائيل ٠

وفى عام ١٩٧٠ أقصت السلطات الاسرائيلية راغب العلمى عن رئاسة بلدية غزة ، ورفض رشاد الشوا الحلول محله ، وأخذ يستشير بعض منظمات المقاومة ، التى حجبت عنه اجابتها ٠ مما زاد من اصراره على الرفض ، فما كان من سلطات الاحتلال الاسرائيلى الا آن عينت ضابطا اسرائيليا بدلا منه لرئاسة البلدية . الا أن ضغط سكان القطاع تزايد على رشاد الشوا ، وجمع له الشيخ هاشم الخزندارة أحد وجهاء غزة ، ستة آلاف توقيع على عريضة تطالب برشاد الشوا رئيسا لبلدية غزة . وجرى تعيين رشاد الشوا بالفعل رئيسا لبلدية غزة فى العام الماضى ٠

وهكذا تطور رشاد الشوا طبقيا ، من الاقطاع ، الى الرأسمالية الزراعية ، فالصناعية ، وأخيرا ولج الى البورجوازية الكومبرادورية ، وهى الطبقة المرتبطة بالسوق الاستعمارية ، والتى تميل بحكم مصالحها الى الارتباط بالاستعمار سياسيا أيضا ٠

ويكاد رشاد الشوا يكون ممثلا لمصالح الطبقات الثلاث الاخيرة مجتمعة أصدق تمثيل ٠ وفى هذا الاطار يمكن فهم مواقف وآراء رشاد الشوا السياسية ٠



■ المغرب

أسباب ثلاثة لتفسير محاولة أوفقير

فى حديث ادلى به الملك الحسن للاذاعة والتليفزيون الفرنسى ، طالب المعارضة بالتعاون معه « لوقف نفوذ العناصر الرجعية » !! واستطرد قائلا انه « على الاحزاب السياسية التى تريد الديمقراطية والحرية أن تساعدنا فى عملنا ، لانه لو كان أوفقير قد نجح — وانى استطيع أن أؤكد ان القوى الرجعية الدولية كانت تقف وراءه — لما كانت هناك فى هذه اللحظة احزاب سياسية فى المغرب » . والواقع ان مثل هذا القول يؤكد ما يردده بعض المحيطين بالملك ، من انه يفكر بسرعة تزيد مرتين عن السرعة التى يفكر بها كل من يعملون معه ٠ فقد انتقل الحسن من الحديث عن ابادة ثلثى الشعب ، ليعيش الثلث الباقى فى سلام — كما قال عقب محاولة أوفقير للاطاحة به — الى محاولة جديدة للالتقاء بالمعارضة تارة باغرائها بتعيين « وزير أو اثنين منها » فى الحكومة التى ستشرف على الانتخابات ، وتارة بتهديدها بأنه ما لم تستقر الامور وتتعاون معه المعارضة ، فان الجيش قد يقوم بحركة أخرى تكون المعارضة من بين ضحاياها .

والغريب ان محاولة الملك وجدت استجابة فورية تقريبا من المعارضة رغم تجاربها معه ، والتى حاول فيها ايهام الرأى العام بأنه يسعى للالتقاء بها حتى تمر الازمات كان يتعرض لها عرشه . ونتيجة ونتيجة للمحاولة الجديدة حدث انشقاق فعلى فى

المعارضة . فقد اجتمعت اللجنة الوطنية للاتحاد الوطنى للقوى الشعبية فى ٣٠ يوليو الماضى فى منزل بن بركة برئاسة عبد الرحمن بو عبيد وقررت وقف اعمال المكتب السياسى بهدف محدد هو التخلص من عبد الله بن ابراهيم والمحجوب بن صديق بحجة « انهما يسعيان لتكوين حزب عمالى تحت سيطرة الملك » . وسارع عبد الله بن ابراهيم بدوره ، الى ارسال خطاب لعلال الفاسى رئيس حزب الاستقلال ، الذى يشكل مع الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية ما يسمى « الكتلة الوطنية » ، يعلنه فيه بان الاتحاد سيوقف نشاطه فى الكتلة ، وذلك بسبب « تصرف بعض العناصر التى حاولت القيام بعمل انقسامى . وان الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية سيستأنف عمله فى الكتلة عندما يصبح فى موقف أفضل » . ويؤكد المراقبون انه اذا سارت اغلبيته وراء بوعبيد ، فانه سيصبح زعيما للحزب الذى يحركه المثقفون ، ومن ثم تزداد مرونته فى العمل السياسى وفرص اشتراكه فى انتخابات الملك

وبالفعل تواضعت مطالب بوعبيد للاشتراك فى الحكم الى مجرد اعطاء « الملك ضمانات تؤكد الرغبة فى اجراء تغييرات » ، وقال ان ذلك لو تم « فاننا لن نتردد فى مساندة الاتجاه الجديد للملكية » . فى حين كانت اللجنة السياسية للاتحاد الوطنى قد أعلنت قبل ذلك بأيام « **ان الوضع الحالى هو نتيجة للسلطة المطلقة المعادية للشعب وسياسة القمع والخديعة والتزييف التى تتبعها ، وهو يعكس التبعية للاستعمار الجديد ، وأثراء قلة من الاقطاعيين والرأسماليين . واصلاح هذا الوضع يقتضى اقرار سياسة تخدم الشعب ، وتغيير الهياكل القائمة وبناء مجتمع جديد** » . وبالطبع كان قادة حزب الاستقلال أكثر استعدادا للتعاون مع الملك من جناحى الاتحاد ، رغم أنهم كانوا قد أدانوا بدورهم « الطريق اللاديمقراطى » وأكدوا أن القضية « *ليست* قضية قمع » ولابد من الاصلاح الفورى

ويؤكد كثير من المتتبعين للاحوال فى المغرب ، ان حكم الحسن يقوم على دعامتين هما اعتماده على الاجهزة وخاصة الجيش ــ ورغم كل ما حدث ــ ثم ضعف المقاومة وتفتتها . والواقع ان الحسن كان وما يزال ، يعتمد كثيرا على الجيش . فالجيش المغرب الذى يبلغ عدد افراده ٥٠ الف ضابط وجندى ، اختيرت قياداته بعناية ، ويتبع الملك الحسن حياله سياسة متعددة الجوانب ، قوامها « رشوة الكبار » و « تجميد الصغار ومحاصرتهم » و « غسيل مخ » الجميع ومراقبتهم . فقد نشرت صحيفة « التلغراف »

المغربية فى ١٤ يوليو ١٩٧١ بيانا عن ثروات مدبرى انقلاب ١٩٧١ ، جاء فيه ان مدبوح كان يملك عدة مزارع وفيللات ، والجنرال حامولة عدة املاك عقارية ومواشى ومزرعة ، والجنرال فينيرى يملك ١٠ مزارع وعدة قطعان وفيلا ، والجنرال كبير يملك آلاف الهكتارات .

اما بالنسبة لصغار الضباط ، فكان الحسن يجمد وضعهم الوظيفى عند حدود دنيا ، ويرسل فى اثرهم رجال المخابرات والجواسيس ، علاوة على قيامه بعملية غسيل مخ مستمرة لهم ، مستعينا فى ذلك بمن اسماهم « المدربين الامريكيين » ويبلغ عددهم ١٠٠٠ ، منهم ٤٥٠ فى قاعدة القنيطرة التى انطلقت منها محاولة أوفقير الاخيرة . والواقع ان خطر قيام الصغار بحركة « للتغيير الفعلى » هو الاحتمال الارجح ، ولكن ذلك يقتضى أولا تنظيمهم . ومحاولة ابتعادهم ، أو جرهم بالخداع الى احد المغامرات ، *لن تؤدى الى نتيجة* . وفى كتابه عن « جذور الثورة الافريقية » يؤكد « **جاك** ووديس » انه مهما بلغت روح الثورة لدى بعض افراد المستويات القاعدية فى فترات الاضطراب ، فان هذه الجيوش قد تشربت تماما بالروح الاستعمارية ، واعتادت أن يعهد اليها بسحق الثورات المعادية للاستعمار ، وان تطلق النار على المضربين . . وفى الفترة التى أعقبت ١٩٤٥ ، اتخذت الدول الغربية خطوات خاصة لمحاولة التأثير فى الجيوش الافريقية ، ولاحتضان ورعاية القوات المسلحة ، وبخاصة الضباط الذين يمكن أن يتعاونوا مع الامبريالية . وقد اتجهت غالبية الدول الافريقية المستقلة الى ارسال ضباط للتدريب فى المدارس العسكرية بالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية ، والى الحصول على حاجتها من المدربين من هذه الدول » . وبالفعل يلعب المدربون الامريكيون فى المغرب دورهم فى توجيه التدريب العسكرى للضباط ليتلاءم مع استراتيجية الولايات المتحدة العسكرية وخططها فى قمع حركات التحرر ، كما يقوم هؤلاء المدربون بتدريب الضباط « ايديولوجيا » بما يجعلهم أداة لخدمة مناورات الاستعمار الجديد والحفاظ على الاوضاع الموالية . ومن جانب آخر ، يقيم الامريكيون صلات وثيقة مع بعض الضباط المغاربة الذين يتم ارسالهم فى بعثات تدريبية الى الكليات العسكرية الامريكة .

والواقع ان كثيرا من المراقبين يرون فى المحاولتين العسكريتين ضد الحسن ، اصابع امريكية واضحة . ويفسرون ذلك بأن الولايات المتحدة أصبحت تؤمن بان النظام الحالى استهلك ولم يعد قادرا على تحقيق اغراضها . ومن ثم تريد اقامة نظام عسكرى على غرار الوضع فى **اليونان**

أو فى فيتنام الجنوبية يحمى مصالحها الاقتصادية (تبلغ استثماراتها حوالى ٧٠٠ مليون دولار ، كما تبلغ مساعداتها فى السنوات السبع الماضية حوالى ٧٥٠ مليون دولار) ومصالحها العسكرية (قاعدة القنيطرة علاوة على القاعدتين البحريتين فى بو قنديل وسيدى يحيى وعديد من مراكز الاتصال)

وتورد مجلة النوفيل أوبزرفاتير سببا ثلاثة لمحاولة أوفقير هى :

● مطامع « فاطمة الحلوة » زوجة أفقير ، والتى نسبت اليها صور مروعة فى عشق الرجال والمال والسيطرة ، وكيف كان أوفقير القاتل وناشر الرعب والفزع ، ضعيفا مهانا امامها ، يرفض لها طلبا وان كان غير خليق بالرجال .

● محاولة الحسن التقارب مع المعارضة ولقاءاته السرية فى باريس مع نفر من قادتها ، واستعداده للتضحية بأوفقير ثمنا لهذا ، وتحميله كافة آثام وشرور سياسة الملاحقة والقتل والخطف ، ومن ثم تحرك أوفقير لانقاذ نفسه .

● تلهف الولايات المتحدة على الحفاظ على موقعها الاستراتيجى فى المغرب الذى ادركت اهميته منذ نزول قواتها فيه فى ١٩٤٢ والذى زادت اهميته بعد تواجد الاسطول السوفيتى فيه وسخطها على تقارب الحسن مع فرنسا وسياستها فى جعل البحر الابيض وقفا على سكانه فقط . والمعروف ان موريس شومان وزير خارجية فرنسا زار المغرب فور محاولة الانقلاب ، وأعلن تدعيم بلاده لموقف الحكم الحالى ومساندته .

ومصدر الخطورة فى محاولة أوفقير انهاجاءت من حيث لا يحتسب الحسن ، اذ تروى الصحف الفرنسية أن الحسن كان دائم السؤال اثناء تجواله فى باريس عن نوع الهدية التى يمكن أن يحملها لاوفقير ، مما يؤكد انه لم يكن يشك فيه . ومع ذلك فلم يتورع الحسن عن أن يروى الحكايات عن محاولة أفقير ضرب طائرة القذافى اثناء ذهابه الى موريتانيا ، وعن دوره فى حادثة بن بركة وتضحيته بالعلاقة مع فرنسا فى سبيل حماية أوفقير ، وعن عشق امرأة أوفقير للرجال ، وبالطبع لم يفت الحسن وهو يتحدث عن اوفقير ان يعلن انه غير آسف على ما حدث لبن بركة ، ومع ذلك فان قيادة الاتحاد الوطنى تجتمع فىمنزل هذا الاخيرلتعلن مايدل علىقبول التعاون معهذا الملك، ولكى يشوه الحسن صورة اوفقير أعلن فى المؤتمر الذى عقده للضباط « لغسيل مخهم » ان اوفقير لم يكن ينوى اعلان الجمهورية بل كان يريد تنصيب نفسه ملكا .

ورغم امتلاء صحافة العالم بالاشارات والقرائن على موقف الولايات المتحدة ، الا ان الوزارة المغربية اعلنت فى اجتماعها الاول فور الانقلاب ، انه ليس لاوفقير دخل فى السياسة الخارجية ومن ثم فان ذهابه لن يؤثر عليها ، لان الملك هو الذى يحددها

والسؤال هل تنجح فى اعادة الاستقرار للبلاد ، محاولات الملك فى التقرب من المعارضة ، وفى القيام باصلاحات جزئيه كتوزيع ٣٠ ألف فدان على بعض المعدمين وكذلك توزيع اراضى المعمرين السابقين (من قبل كانت هذه تحول لكبار الملاك ، وعندما حاول المعدمين وضع ايديهم عليها ـ كما فى منطقة سوق الثلاثة ـ ضربهم اوفقير بالنابالم) .

والواقع ان المعارضة التقليدية ضعيفة التأثير فعلا بسبب الملاحقة والتخبط ، علاوة على انقسام قياداتها حول التعاون مع الملك . ومن ناحية أخرى هناك المعارضة الجديدة ، وتضم كثيرا من المهنيين ، وهى ذات اتجاهات يسارية يصفها كثيرون بأنها متطرفة ، وترفض أى تعاون وتطالب بقلب النظام . كذلك فان قواعد الاتحاد الوطنى ، اغضبها كثيرا ابرام الاتفاق على الاستقلال على تكوين الكتلة من أعلى ودون استشارتها . كذلك عجز الاتحاد عن حماية المناضلين (كخطف اليازجى مثلا) . والاهم من ذلك كله هو تدهور أوضاع البلاد وشيوع البطالة فيها ، بحيث ان الوظيفة الواحدة يتسابق عليها ٢٠٠ جائع ، مما يجعل الحل المطروح هو تغيير الوضع وقلبه رأسا على عقب لا مجرد تقاسم الحكم بين ملك مصر على أن تظل الامور على ماهى عليه ، وساسة مستعدون لاى شىء

■ ■

■ أوغندا

غــزو + مشــاكل + قـــروض

لا تزال تطورات الاحداث داخل أوغندا وعلى حدودها . **غير واضحةتماما** ، **حتى كتابة هذا** التقرير . اذ لم تتوفر بعد أنباء مؤكدة حول توقف

الاشتباكات والقتال على الحدود مع **تنزانيا** . كما لم تتضح بعد صورة الوضع الداخلي واستقراره .

وكان الجنرال عيدى أمين ، قد أعلن فى ١٧ سبتمبر الماضى ، أن **أوغندا** « تتعرض لعملية غزو مفاجئة وموجهة من أراضى تنزانيا » . واتهم **بريطانيا** بتدبير الغزو عبر اراضى الحدود مع تنزانيا . وقدرت المصادر الرسمية فى أوغندا قوات الغزو « بأكثر من ألف جندى بينهم جنود من تنزانيا ، ومتمردون من أوغندا وعدد من المرتزقة الاسرائيليين والبريطانيين » .

وقد نفت تنزانيا « وقوع الهجوم من جانبها » . وصرحت المصادر الرسمية فيها « أن الهجوم ربما قامت به قوات جيش الشعب الاوغندى » . ومن المعروف أن حكومة تنزانيا قد رفضت الاعتراف بحكومة الجنرال عيدى أمين منذ الانقلاب الذى قاده ضد **ميلتون أوبوتى** (يقيم فى تنزانيا منذ ذلك الوقت) . ومعروف أيضا أن عددا كبيرا من أفراد « القوات الخاصة » التى كان قد شكلها أوبوتى أثناء حكمه والتى ظلت تقاوم الانقلاب لعدة أيام ، قد هرب الى الريف فى أوغندا بأسلحتهم ثم لجأ بعضهم الى تنزانيا حيث شكل منهم أوبوتى ما أصبح يعرف باسم « جيش الشعب الاوغندى » . وفضلا عن ذلك فقد لجأ الى تنزانيا عدد من الاوغنديين يقدر عددهم ككل بحوالى ٥ آلاف » .

وجدير بالذكر أن عددا من الاشتباكات المسلحة قد وقعت من قبل على الحدود بين أوغندا وتنزانيا . ففى يوليو عام ١٩٧١ أعلن عيدى أمين عن وقوع اشتباكات عسكرية على الحدود مع تنزانيا . ولكن تنزانيا نفت ذلك وقتها . وفى أغسطس ١٩٧١ ، أعلن عيدى أمين مرة أخرى عن وقوع اشتباكات جديدة قائلا أن « ٦٧٠ أوغندى قد قتلوا فى هذه الاشتباكات بين قواته وقوات حرب العصابات التى تعمل لحساب أوبوتى » .

وقد نفت بريطانيا كذلك قيامها بتدبير عملية الغزو . ومن المعروف أن الجنرال عيدى أمين قد هاجم بريطانيا هجوما عنيفا فى الاسابيع الماضية وطلب منها ترحيل كل الاسيويين الذين يحملون جوازات سفر بريطانية ويعملون فى أوغندا بعد أن اتهمهم « بتخريب اقتصاد البلاد » . ومنذ أكثر من شهر مضى والازمة محتدمة فى العلاقات بين الدولتين .

وقد أعلنت أوغندا عن اشتراك « عدد من المرتزقة الاسرائيليين فى الغزو وأن ثلاثة منهم قد قتلوا أثناء المعارك حول مدينة مبارارا فى الجنوب » .

ويعتقد بعض المراقبين ، أن أوغندا سوف تمر بفترة من عدم الاستقرار الثابت ، بسبب عوامل الصراع المختلفة القائمة داخل المجتمع الاوغندى نفسه وبخاصة الصراع القبلى والطائفى . ويميل هؤلاء المراقبون الى الاعتقاد بأن المشاكل الاقتصادية المتفاقمة داخل البلاد ، تلعب دورا هاما فى عدم الاستقرار هذا ، اذ لم يتمكن الجنرال أمين حتى الآن من تحقيق أى تحسن أو تغيير فى المجال الاقتصادى . ومعروف أن **السعودية** قد قدمت قرضا لاوغندا فى الشهور القليلة الماضية ، قيمته **١٥ مليون دولار** يسدد على مدى ٦ سنوات . كما قدمت **ليبيا منحة قدرها ٥ر٣ مليون دولار لاوغندا** فضلا عن ٥ر٤ **مليون دولار** قيمة أسهم يشتريها **البنك الليبى العربى** من هيئة التنمية التابعة للحكومة الاوغندية .

هذا وكان الرئيس الليبى معمر القذافى قد عرض على حكومة أوغندا « المساندة الكاملة من جانب القوات المسلحة الليبية » . وقال « ان العمل الامبريالى الذى يتطور ضد أوغندا لا يمكن السماح به » ، وأنه لذلك قرر أن يقدم « **كل العون** العسكرى الذى يمكن لليبيا أن **تقدمه** » **بوضع** قواتها البرية والجوية « **اذا اقتضى الامر** » **تحت** تصرف الجنرال أمين .

ويبدو أن وضع الجيش الاوغندى فى مواجهة القتال بعد سقوط بعض المدن على الحدود ، قد تطلب بالفعل امدادات عسكرية قدمتها حكومة ليبيا . الا أن حادثة انزال **الطائرات الليبية فى الخرطوم** واعادتها بما عليها **من أسلحة ورجال** الى ليبيا ، قد حال دون ذلك .

■ ■

■ **ايران**

مشروعات بترولية واعدامات بالجملة

يتعرض نظام الحكم الايرانى فى **الوقت الحاضر** لحملات انتقادية شديدة من جانب **الرأى العام** العالمى ، بسبب الاعدامات التى تجرى داخل ايران للعناصر السياسية اليسارية المعارضة ، وكان آخر من نفذ فيه حكم الاعدام هو الطالب « **مهدى رضا** » وعمره ١٩ سنة ، فى ٧ سبتمبر الماضى ، **بتهمة** الانتماء الى منظمة « **حركة تحرير ايران** » ، وهى

واحدة من المنظمات السياسية المناهضة لنظـــام الحكم الحالى فى ايران . ويقـــدر عدد الذين أعدموا خلال الفترة من شهر يناير حتى مايو من العام الحالى ٢٨ **مناضلا** ، وذلك طبقا لما أذاعته السلطات الايرانية .

وقد أعلنت كل من اللجنة الدولية للحقوقيين ، والرابطة الدولية للمحامين الديمقراطيين ، ولجنة حقوق الانسان ، ومنظمة الرحمة العـالمية ، والسكرتارية الدولية للحقوقيين الكاثوليك عـن احتجاجها واستنكارها الشديدان لاعمال التعذيب الوحشية التى يتعرض لها مئات الوطنييـن والتقدميين داخل سجون ايران الرهيبة على أيدى رجال « **السافاك** » ــ وهو الاسم الذى اشتهرت به المخابرات الايرانية ــ لاجبار المعتقلين علـى الاعتراف على أنفسهم والارشاد عن زملائهم ، باعتباره مخالفا للقوانين الدولية الخاصة بمعاملة المسجونين السياسيين ، ثم المخالفـات القانونية خلال سير المحاكمات ، وانه بالرغم من وجود ضمانات فى الدستور باحالة الجرائم السياسية الى محاكم مدنية ، ووجود هيئات تحكيم فـى ايران ، فان جميع هذه القضايا تحال الى المحاكم العسكرية ، كما يمنع المحامون المدنيون من الدفاع عن المتهمين أمام هذه المحاكم ، ويحرم علـى الجمهور وعائـلات المتهمين والصحفيين حضور هذه المحاكمات .

ومن الملاحظ انه نادرا ما يمر يوم دون أن تنشر الصحف العالمية والعربية اخبارا من طهران عن وقوع حوادث انفجارات فى المنشآت الامريكية ومحاولة اغتيال أو اختطـاف للشـخصيات الامريكية ، أو مهاجمة مراكز البوليس ووقوع اشتباكات بين قوات البوليس والثوار الوطنيين فى المدن والقرى الايرانية .

وينتمى هؤلاء المناضلين الى المنظمات اليسارية مثـل منظمـة « مجاهدو شـــعب ايـــران » ومنظمة « قوات الشعب الفدائية » وغيرهما من المنظمات المناهضة لسياسة النظام الحالى ،وهم فى نفس الوقت من العمـال والفلاحين والموظفين وطلاب وخريجى الجامعات الايرانية ــ مما يوضح تزائد المعارضة الشعبية فى داخل ايران ، يضاف اليها معارضة ٣٠ الف طالب ايرانى فى الخارج لسياسة الحكم الايرانى الموالى لاحتكارات البترول الامبريالية الامريكية والمعادى لمصالح الشـعب الايرانى وحركات التحرير الوطنية فى منطقـة الخليج العربى .

وقـد نشرت صحيفة **لوموند** الفرنسية فى ٩ اغسطس الماضى مضمون الاتفاق الذى تم بين ايران وبين شركات البترول الاستعمارية لاقامة مشاريع مشتركة للتنقيب عن البترول ، وتمويل انشاء أكبر معمل لتكرير البترول فى العالم ، ومد أنابيب النفط الضخمة ، وبناء ميناء لاستقبال أكبر نـاقلات البترول فى العالم التى تسع حمولتها ٥٠٠ ألف طن .

وكان شاه ايران قد أعلن فى حديث لـه لصحيفة « **ديلى اكسبريس** » البريطانية بتاريخ ١٥ يونيو الماضى استنكاره لتأميم العراق وسـوريا لشركة نفط العراق الاستعمارية ، وانه يـؤمن بالتعاون الحقيقى مع شركات البترول الاجنبية ، وان الاهمية الاستراتيجية لايران بالنسبة للغرب قد تدعمت فى السنوات الاخيرة .

وقد أكد **جوزيف سيسكو** مساعد وزيـر الخارجية الامريكى هذه الحقيقة أمام أعضـاء اللجنة الفرعية فى مجلس النواب الامريكى لشئون الشرق الاوسط فى ٩ أغسطس الماضى بقوله : « ان الولايات المتحدة لديها مصالح اسـتراتيجية واقتصادية كبرى ترتبط باستخراج البترول فى منطقة الخليج العربى ، وان أمريكا لا تنوى الحلول محل بريطانيا فى الدفاع عن مصالح الغرب فى الخليج العربى ، ولكنها مصممة على مساعدة بلاد المنطقة فى الدفاع عن نفسها ، وأن تدفق هذا النفط له أهمية حيوية بالنسبة لحلفائنا فى حلف شمال الاطلنطى ولاصدقائنا فى شرقى قناة السويس » .

ويربط المراقبون بين اتفاقات البترول الايرانية الامريكية الجـديدة ، والاعـدامات بالجمـــلة للمناضلين الايرانيين ، وبين ما أعلنه جوزيف سيسكو عن رغبة امريكا فى الدفاع عن مصالح الغرب فىمنطقة الخليج ، ومساعدة بلاد المنطقة فى الدفاع عن نفسها . مما يكشف بجلاء عن اتجاه السياسة الامريكية فى استخدام ايران والانظمة الرجعية فى الخليج والجزيرة العربية وتقـديم المساعدات العسكرية لها لضرب حركات التحرير الوطنية فى المنطقة ، بالنظر لما تعنيه حـركات التحرير الوطنية من تهديد مباشر للمصـــالح الامريكية فى المستقبل .

■ ■

■ **اليابان**

قمـة هـونولـولـو والعلاقات اليابانية الامريكية

شهدت ولا تزال تشهد العلاقات اليـابانية الامريكية خلال هذا العام تطورات هامة ومتلاحقة صعودا وهبوطا فـى المجـالات السيـاسية والاقتصادية والعسكرية .

وقد وصلت هذه التطورات الى قمتهـــا الخطرة فى الفترة الاخيرة مما اضطر الرئيس الامريكى لان يعجل فى عقد مؤتمر « قمة » مع رئيس الوزراء اليابانى الجديد **تاناكا** فى اوائل شهر سبتمبر ليصبح هذا المؤتمر هو مؤتمره الثالث خلال هذا العام بعد مؤتمرى بكين وموسكو ، وقد كان فى مخطط الرئيس الامريكى **نيكسون** أن يتم هذا المؤتمر بعد خوضه معركة الرئاسة الامــريكية القادمة .

وقد تابع الرئيس الامريكى سلسلة « تنازلاته » فى الهيبة الامريكية التى بدأها بذهابه بنفسه الى بكين وموسكو ، فلم يطلب عقد المؤتمر مع الرئيس اليابانى فى « **سانت كليمانت** » فى كاليفورنيا كما طلبه وحققه مع الرئيس اليابانى السابق **ساتو** بل قرر أن يسير الى آخر نقطة « تنازل » تسمح بها بقايا الهيبة الامريكية لترضية الرئيس اليابانى الجديد تاناكا ، ولامتصاص نقمة الشـــعب اليابانى وأن يكون مكان مؤتمر (القمة) فى **هونولولو** التى لا تبعد عن طوكيو بأكثر من (٢٦٠٠) ميل .

وفى قاعدة **هيكوم** الجوية التى كانت هدف اليابانيين عندما هاجموا **بيرل هاربر** سنة ١٩٤١ وقف نيكسون وزوجته يستقبلون الرئيس اليابانى تاناكا الذى صرح قبل أن يستقل الطائرة فى طوكيو بأنه يحرص على تأكيد معاهدة الامن المتبـــادل مع الولايات المتحدة ، لان اليابان وامريكا أخوان ، وأمريكا بالطبع هى الاخ الاكبر .

وعقد الاجتماع فى جو من السريـــة وكانت التصريحات فيه قليلة وغامضة وقد وصفها تاناكا بأنها كانت ناجحة للغاية . وانه تبادل مع الرئيس نيكسون وجهات النظر بدون تحفظ وبلا تردد حول العديد من المسائل بما فيها مسألة العلاقات مع الصين الشعبية ، وأضاف بأن اليابان ستحاول اصلاح عدم التوازن فى ميزانها التجارى مع الولايات المتحدة خلال ثلاث سنوات وذلك بدون الاضرار بالروابط الودية بين البلدين .

وفى الطرف المقابل فقد أكد **زيجلر** المتحـــدث الصحفى باسم البيت الابيض الامريكى بأن المحادثات حققت تقدما صحيا وأن تاناكا أكـــد للرئيس الامريكى أن تحركات اليابان بهدف تحسين علاقاتها مع الصين الشعبية لن تترك أية آثار ضارة على اتفاقيات الدفاع القائمة فى منطقة المحيط الهادى وأضاف « **اننا واثقون من ان اليابان لن تتخذ أية اجراءات من شأنها أن تؤثر على معاهدة الامن المتبادل بين البلدين** » .

هذا وقد علم أن الرئيسان توصلا الى اتفاقات تجارية هامة تقضى بأن تستورد اليابان ســلعا أمريكية قيمتها ١٫١ مليار دولار سنويا **لمواجهة** العجز فى الميزان التجارى بين البلدين ، وان هذا الاتفاق يهدف الى تخطى العجز فى الميـــزان التجارى الذى وصلت قيمته الى ٤٫٣ مليـــار دولار .

وحتى تكتمل لدينا الصورة عن مؤتمر القمة الامريكى اليابانى لابد لنا من معرفة الحقائق التالية :

١ ـ ان ميزان القوى العالمى قد بدأ يضطرب لظهور قوى جديدة مؤثرة لابد وأن تضع ثقلها فيه فقد تأكدت امريكا بأن الصين الشعبية قد أصبحت قوة لايمكن تجاهلها وأن اليابان والمانيا الغربية قد أصبحتا قوتين اقتصاديتين تتحديان الولايات المتحدة الامريكية .

٢ ـ فشلت أمريكا فى احراز نصر عسكرى فى حرب فيتنام مباشرة بقواتها أو عن طريق غير مباشر « الفتنمة ، لاعتمادتلك الحرب على الاسلحة التقليدية وبقائها تحت المســتوى الذرى ، وان انسحابها من تلك الحرب القذرة أمر مؤكد ولكنها لابد لها من ايجاد اسلوب جديد لتدخلها فى جنوب شرقى آسيا لحماية مصالحها .

٣ ـ ان انفتاح اليابان على الصين الشعبية ستكون نتائجه خطيرة على الاحتكارات الامريكية ولابد من ايجاد أسلوب لتنظيم وتوزيع نشاط الاحتكارات اليابانية والامريكية للترابط بينهما وتمايزهما فى الانتاج بدلا من التنافس والتناحر على سوق الصين ، لان اليابان رغم كل شىء أقرب للصين من أمريكا ، والتنسيق بينهما يعطى لليابان سوقا استهلاكية ضخمة ويعطى للصين خبـــرة تكنولوجية وفنية تساعدها فى متابعة تقـــدمها وانطلاقها .

٤ ـ ان التغيير فى زعامة السلطة اليابانية وذهاب « **ساتو** » وقدوم **تاناكا** الذى أعلن بـــأن الحكم اليابانى الجديد سيعمل على تصفية آثار الحرب والتزامات اليابان التى حملتها سابقا فى كل المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية .

هذا الاعلان وضع موضع الاهتمام فى أمريكا لان اليابان مرتبطة مع أمريكا باتفاقية أمن متبادل وقعتها عام ١٩٦٠ والمادة السادسة فى تلـــك الاتفاقية تقول « لتحقيق أمن اليابان وللمحافظة على السلام العالمى والامن فى الشرق الاقصى تمنح اليابان تسهيلات للقوات الامريكية لاســتخدام موانيها وأجوائها وأراضيها » .

وتطبيقا لهذا النص منحت « التسهيلات » فى أكثر من ١٠٠ قاعدة استخدمت كقواعد للطائرات الامريكية المشتركة فى حرب فيتنام ، وان كانت أمريكا تدعى بأنها تستعمل فقط فى صيــانة الطائرات العائدة من الحرب !

٥ ـ ان اليابان قد تلقت صفعة شديدة من الحليفة أمريكا فى اعترافها بالصين الشعبية وفى تخليهـــا عن تايوان « جزيرة فورموزا » هى التى وثقت بالحليفة عندما وقع رئيس وزرائها السابق ساتو بعد اجتماعه بنيكسون فى نوفمبر ١٩٦٨ معاهدةجاء فيها : « ان المحافظةعلى الامن والسلام فى الشرق الاقصى مرتبط بالمحافظة على امن وسلامة تايوان باعتبار ان ذلك متربط بأمن وسلامة اليابان نفسها » .

بل ان تايوان نفسها كانت مرتعا خصبا للاستثمارات اليابانية طوال ربع القرن الماضى .

وكذلك فان انفتاح امريكا على الصين اثار فى اليابان خوف العزلة بعد أن كانت العزلة مننصيب الصين وقد اكد هذه النقطة ديريك ديفيز رئيس تحرير مجلة « الريفيو » الاقتصادية فى جنـوب شرقى آسيا (ان موقف اليابان اشبه بموقف بريطانيا التى ذاقت خيانة امريكا لها على طول الطريق من يالتا الى قناة السويس) .

٦ ـ انالصين متلهفة للاجتماع مع قادةاليابان فى محاولة (فرملة) نمو اليابان الاقتصـادى واندفاعها نحو الامـــام .. وقد عبر شوان لاى للصحفىالبريطانى عن ذلك بقوله :

« انه أمر مؤكد اذا استمر النموالاقتصادى اليابانى الحالى بغير ضوابط . فالصناعة تأكل الزراعة داخل اليابان . والحاجة الى المـواد الغذائية والمواد الخام والترويج السـلعى تقتضى أسواقا خارجية ، وقد تحتم بدورها فى آخر الامر وجودا عسكريا ، واليابان تنتقل ـ فـى رأى الصين ـ الى مرحلة الاستعمار تدريجيا » .

ويشترك فى هذا الرأى تقريبا ـ فى صورة أخرى ـ الطرف المقابل للصين ونقصد به أمريكا حيث يقول جولد ووتر ـ المرشح الامريكى السابق لرئاسة الجمهورية : « ان نمو العسكرية اليابانية سوف يجعلها تشكل تهديدا لامن الولايات المتحدة ، وأنه يتوقع أن تهبط الولايات المتحدة الى المكان السادس أو السابع بين قيادات العالم ما لم تزد من قوتها العسكرية ، وان اليابان أكثر دول العالم أيضا فى النزعة الحربية ، ومن المتوقع أن تتخطى الولايات المتحدة خلال السنوات الاربع القادمة ، وانه على ثقة من أن نمو العسكرية اليابانية واحد من الاسباب التى دفعت نيكسون الى العمل على زيارة الصين ثم الاتحاد السوفيتى » .

ومن هنا يتضح أن الصين تخشى تجديد روح العسكرية اليابانية وترغب كل الرغبة فى احتواء هذه الروح حتى لا يتحول المجتمع اليابانى كله الى روح اليمينية التقليدية القديمة الذى سوف يفجر روح الفاشية العسكرية ، ولهذا لابد من اتفاقيةعدم اعتداء بين الصين واليابان يضاف اليهما بعد ذلك امريكا وروسيا .

بينما تريد امريكا أن تقوى اليابان بقدر يسمح لها بأن ترث بعض أعبائها العسكرية ولكن مع بقائها تحت سيطرتها الكاملة ، وطالما بقيت القوات الامريكية على الاراضى اليابانية فسوف يستمر الوضع الحالى وقتا طويلا .

٧ ـ يشعر اليابانيون الذين رسخ وجودهم على اساس أنهم يمثلون الدولة الاقتصادية والصناعية الرائدة فى آسيا ، يشعرون أنهم معرضون بشدة لمواجهة التهديدات والضغوط المحتملة من جانب الدول الكبرى الرامية الى قطع امدادات المواد الخام ومصادر الطاقة عنهم . والمعروف ـ مثلا ـ أن اليابان تحصل على ما يزيد على نسبة ٩٠ فى المائة من البترول العربى الذى يغذى صناعتها فى الشرق الاوسط ، وأنها لا يمكنها أن تأمل فى حماية خط الامداد الطويل هذا سواء فى أماكن الانتاج أو فى المحيط الهندى .

٨ ـ ان الاحتكارات الامريكية الكبرى بدأت تدرك بأن استخدام القوة الانتاجية فى المجال الحربى قد بدأ فى الانحسار نتيجة فشل سياسة فرض النفوذ بالتدخل العسكرى ـ فى فيتنام ـ ولابد من اتجاهها الى الانتاج السلمى ، وكانت وراء عمليات (رقم ١) نيكسون الثلاثة،بل أنها تخشى أن تسبقها اليابان وحتى فى أوربا نفسها حيث ارتفع صوت بريطانى هو كامبل اديسون المدير العام للصناعات البريطانية الذى حذر من أن اليابان قد تسبب حربا تجارية اذا قامت بحمـــلة مركزة لسلعها فى بريطانيا والاسواق الاوربية وذلك بعد انصرافها جزئيا عن السوق الامريكية من جراء سياسة الحماية الجمركية وزيادة الرسوم الامريكية على الواردات اليابانية .

٩ ـ ان الميزان الامريكى التجارى (الرسمى) سجل هذا العام عجزا مع اليابان مقداره ١ر٢ مليار دولار وهو ضعف عجز العام الماضى .

بينما سجلت رؤوس أموالخمسين بنكا منأكبر بنوك البنوك التجارية الامريكية خارج الولايات المتحدة زيادة وصلت الى ٣٥ فى المائة خلال عام ٧٠ ـ ١٩٧١ وأهم هذه البنوك فى اليابان حيث سجلت الزيادة من ٥٤ فى المائة حتى ٥٦ فى المائة فى حين ان البنوك الامريكية داخل الولايـات المتحدة الامريكية سجلت زيادة فى رؤوس أموالها لا تزيد عن ١٣ فى المائة وأكدت مجلة « فورش » التى أذاعت هذه الارقام أن رؤوس اموال البنوك فى اليابان وألمانيا الغربية تصل الى حوالى نصف اجمالى رؤوس الاموال فى البنوك التجارية خارج

الولايات المتحدة ، هذه الحقائق كلها لابد من وضعها أمامنا ونحن نرسم صورة شبه كاملة لمؤتمر القمة الذى تم منذ شهر تقريبا بين نيكسون وتاناكا فى هونولولو .

ان صراع اليابان الاقتصادى مع الدول الغنية الكبرى ، وصراعها السياسى فى محاولة الوقوف على قدميها فى زعامتها الجديدة مستندة الى قوتها الاقتصادية الجبارة مع الولايات المتحدة .

ان هذا الصراع سيكون أحد العوامل المؤثرة فى حركة العالم السياسية المقبلة . والتساؤل : هل تستطيع القوى الكبرى أن تكبح جماح اليابان الاقتصادى فى محاولة انتقاله الى القوة السياسية والعسكرية ، وبالتالى الى دخوله فى معركة بسط النفوذ والاستعمار الجديد ؟ .



الحصاد السياسى والرياضى للدورة الأوليمبية العشرين

■ ميونيخ :

تحليل سياسى للنتائج الرياضية فى أولمبياد ميونيخ

لن نعمد هذه المرة الى اثبات تفوق النظام الاشتراكى العالمى ، على النظام الرأسمالى العالمى ، استنادا الى ارتفاع معدلات الانتاج فى الدول الاشتراكية ، أو سرعة تحقيق التقدم العلمى والفنى فيها ، أو توفر الضمانات الاقتصادية والاجتماعية والانسانية لافرادها ، فتلك قضايا تناولها ويتناولها الباحثون والكتاب عادة ، على اتساع العالم بأسره ، وانما سنحاول هذه المرة اثبات هذا التفوق ، عن طريق تحليل النتائج النهائية للبطولات فى دورة ميونيخ الاولمبية ، وانطلاقا من حقيقة ان البطولة الرياضية ، كمظهر من مظاهر النشاط الانسانى الامثل ، تعتبر دون شك معيارا من معايير الاكتمال البدنى ، والسلامة المعنوية والاخلاقية والحضارية ، ومعيارا من المعايير الدالة على مدى اهتمام الدول بمواطنيها ، صحة ، وغذاء ، وسلامة بدنية ، وكمال معنوى واخلاقى ايضا .

ونتائج دورة ميونيخ تعتبر اصدق الدلائل على الحقائق العالمية فى مجال التقدم الرياضى . فقد كانت هذه الدورة اكبر الدورات الاولمبية على الاطلاق ، وأوسع مجال رياضى تم فيه لقاء انسانى عالمى سعيا وراء البطولة فى مختلف نواحى النشاط الرياضى اذ اشترك فى هذه الدورة ١٤٠٠٠ بطل رياضى من ١٣٠ دولة وهى ارقام لم تصل اليها اى دورة اولمبية من قبل .

وأول الدلائل على تفوق المعسكر الاشتراكى العالمى فى الاول فى العالم بحصوله على ٥٠ ميدالية ذهبية ، وتراجع المجال الرياضى هو احتلال الاتحاد السوفيتى للمركز الرياضى الولايات المتحدة الى المركز الثانى بحصولها على ٣٣ ميدالية ذهبية فقط كذلك فقد احتلت المانيا الشرقية المركز الثالث فى العالم بعد الولايات المتحدة مباشرة بحصولها على ٢٠ ميدالية ذهبية ، وسبقت أكبر الدول الغربية والرأسمالية مثل المانيا الغربية التى لم تحصل سوى على ١٣ ميدالية ذهبية ، واليابان ١٣ ميدالية ذهبية ، وبريطانيا ٤ ذهبية ، وفرنسا ميداليتين ذهبيتين ، أما تفوق المانيا الشرقية على أكبر الدول الغربية والرأسمالية فى مجال الميداليات الفضية والبرونزية فكان تفوقا ساحقا واكثر وضوحا وبروزا . وهكذا دفع الاتحاد السوفيتى الولايات المتحدة خلفه ، ودفعت المانيا الشرقية ، المانيا الغربية خلفها ، واحتلت الاخيرة المركز الرابع فى الترتيب العالمى .

واذا اخذنا الميداليات الذهبية معيارا لارقى تفوق بطولى فى الدورة لوجدنا ان المعسكر الاشتراكى حصل على ١٠٠ ميدالية ذهبية ، بينما حصل المعسكر الرأسمالى الغربى على ٩٥ ميدالية ذهبية .

على ان هذا الاحصاء لايعبر عن الحقيقة بدقة ، اذ لم يلعب المعسكر الاشتراكى الماركسى بكل قواه العالمية فى ميونيخ ، وانما لعب بجناحه الاوربى فقط دون الاسيوى ، بالدول الاشتراكية الماركسية الاوربية اساسا [أقل من ٤٠٠ مليون نسمة] اذ لم تشترك الصين الشعبية بكتلتها البشرية الضخمة [٧٠٠ مليون نسمة] فى دورة ميونيخ ، لان فريق فورموزا احتل مكانها الشرعى فى اللجنة الاولمبية الدولية ، ولذا فان الذى حقق المائة ميدالية ذهبية ليس المعسكر الاشتراكى الماركسى بأسره ، وانما فى الحقيقة ثلث القوى البشرية لهذا المعسكر فحسب .

كذلك فان القول بان المعسكر الرأسمالى الغربى حصل على ٩٥ ميدالية ذهبية ، لايعبر عن الحقيقة بدقة ايضا لان هذه الميداليات الخمس والتسعين لم تحصل عليها كبرى الدول الرأسمالية الغربية وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية وبريطانيا وفرنسا مضافا اليهم اليابان فحسب ، وانما حصلت عليها ايضا كل دول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية واستراليا ، غير الماركسية اى ١٢١ دولة . وهكذا نجد انه بينما حصلت تسع دول اشتراكية على ١٠٠ ميدالية ذهبية حصلت ١٢١ دولة رأسمالية كبرى ومتوسطة وصغرى وغير ماركسية على ٩٥ ميدالية ذهبية فحسب .

كذلك فاذا كانت الدول الاشتراكية الاوربية تشكل ١/٩ سكان العالم بما فيه الصين الشعبية [٣٥٠٠ مليون نسمة] ، فانها تشكل ١/٧ سكان الدول الرأسمالية وغير الماركسية عامة بعد استبعاد الصين بالطبع . بمعنى انه اذا كانت الدول الاشتراكية الاوربية قد حصلت على ١٠٠ ميدالية ذهبية ، فانه يتعين على الـ ١٢١ دولة رأسمالية كبرى وغير ماركسية

التي تشكل باقي العالم كي تكون متعـادلة فقـط وغير متفوقة على الدول الاشتراكية ان تحصل على ٧٠٠ ميدالية ذهبية على سبيل الافتراض ــ لكنها لم تحصـل سوى على ٩٥ ميدالية ذهبية فقط .

واذا كانت الدول الاشتراكية الماركسية الاوربية قد حصلت على ٩٢ ميداليةفضية ، فانه يتعين علىالـ ١٢١ دولةرأسمالية كبرى وغير ماركسية ، كي تكون مجرد متعادلة فقط وغيـر متفوقة على الدول الاشتراكية ، ان تحصل على ٦٤٤ ميدالية فضية ــ فرضا ــ لكنها لم تحصل سوى على ١٠٢ ميدالية فضية فقط .

واذا كانت الدول الاشتراكية الماركسية الاوربية قد حصلت على ٩١ ميدالية برونزية ، فانه يتعين على الـ ١٢١ دولة راسمالية وغير ماركسية [التي تمثل باقي العالم] كي تكون مجرد متعادلة فقط ، وغير متفوقة على الدول الاشتراكية ، ان تحصل على ٦٣٧ ميدالية برونزية ــ فرضا ــ لكنها لم تحصل الاعلى ١١٦ ميدالية برونزية فقط .

واذا كان هذا الحال في مجال الرياضة و « اللعب » ، فما هو حال دول معسكر الاشتراكية الماركسية هذا ، في ميدان « الجد » والقتال ايضا ؟ هناك مثل واحد شهير في هذا المجال ، دولة فيتنام الشمالية الصغيرة ، احدى فصائل الحركة الماركسية العالمية ، التي تتصدى بل وتنزل الهزائم البيئة بأضخم قوى الرأسماليـــة العالميـــة ، حيث اثبتت استراتيجية وتكتيكات الجنرال جياب ، تفوقهـا ونجاحهـا الباهرين على استراتيجية وتكتيكات وستمورلند وابرامز التي باءت بالفشل والهزيمة .

الوصـــية الجمـــاعية لشـــهداء عمليـــة ميونيـــخ

وزعت « منظمة أيلول الاسود » وصايا الشهداء في عملية ميونيخ ، وذكرت في بيان لها أن المنظمة ستنشر الوصـية دون ذكر الاسماء ، حرصـا على بعض القضايا التي تتعلق بالعملية .

وفيما يلي النص الكامل لها :

الى اخوتنا رفاق الدرب الطويل :

لم نكن نحب أن نكتب وصية لاننا كنا نريد الحياة لا لاننا نحب الحياة وخاصة حياتنا نحن شـعب فلسطين . الحياة القاسية المريرة ، ولكن لاننا نحب أن تستمر حياتنا من أجل أن ينتصر نضالنا ..

والليلة ٤ أيلول ١٩٧٢ . الساعة العاشرة مساء ، ولم يبق على تحركنا سوى ساعات . طرح أحـد الاخوة سؤالا : « لماذا لا نكتب كلمة الى رفاقنا ..

والى أهلنا وأمتنا ، والى الرأي العام العالمي ــ الذي لايساوي عندنا شيئا . وبدأنا نتناقش ، ولكن لنكتب حصيلة هذا النقاش ويكون وصيتنا الجماعية . ولتكن أسلوبا جديدا فنحن نشترك في عملية واحدة وقد نموت دفعة واحدة ، وقد تنجح عمليتنا ، وينتصر شعبنا كله . فلتكن الوصية جماعية رمزا للتعاون الخالد ورمزا للجماعية في التفكيروالتخطيط والتنفيذ .

وسأل قائد العملية نائبه والمسئول عن مفاوضة الالمان : كم لغة تجيد ؟ فأجابه : ان كنت تعني اللغات التي يتفاهم بها الناس فأنا أجيد الالمانية والانجليزية والفرنسـية . وان كنت تعني اللغـة التي يفهمها اعداؤنا فهي لغتنا التي آمنا بها : لغة القوة .. لغة التحدي والاصرار على الهدف .. لغة النضـال الحقيقي الذي لا يتجزأ في فلسطين .. في فيتنام .. في كمبوديا .. في لاوس .. في أمريكا اللاتينية وأفريقيا .. وفي كل بقعة من الارض عليها مضطهدون يقاتلون من أجل الحرية والعدالة .

وسـأل أحدنا : ماذا تتوقعون رد الفعـل على عمليتنا ؟

فأجاب آخر : يتوقف ذلك على تصرفنا ونجاحنا في ابراز هدفنا الانساني . فنحن لسـنا قتلة . ولا قطاع طرق . نحن مضطهدون . لا نملك أرضا ولا نملك وطنا . ليس لنا هوية ولا جـواز سـفر . ليس لنـا ما نخاف عليه . وليس لدينـا ما نخاف منه . لقد صمتنا كلاجئين أكثر من ثمانية عشر عاما ونحن نتسول الرحمة والشفقة والعطف . كل ما أعطونا اياه اغاثة المتسـتضعفين ، واعانة الشتاء والصيف . أما الارض والوطن ، فهي لعدونا يمرح ويسرح ، الى أن حملنـا البندقيـة وشـعرنا بانسـانيتنا فتآمروا علينـا . ماذا تتوقع من هؤلاء الاعداء ؟ سيكون رد فعلهم عنيفا ضدنا . سيقولون ارهابيون ، فاشيون ، قتلة ، مجرمون .. الى آخر هذه الصفات التي لا يستحقها غيرهم .

وسأل أحدنا : وهل تسـتجيب دولة الاحتـلال الصهيوني الى مطالبنا ؟

فرد آخر : لا ادري ، ولكننا سنجبرها هذه المرة على أن تعرف أننا جادون وأننا سننفذ خطتنا كاملة ، وان أكبر ضمان لنجاح خطتنا أننا بعنا حياتنا منـذ اللحظة التي دخلنا بها صفوف الثورة . ومن يبـاع حياته من أجل هدفه لابد أن ينجح ولابد أن ينتصر .

وقال احدنا : وعلاقتنـا بألمانيا كعـرب ، ماذا سيكون مصـيرها ؟

وضحك قائد العملية وهو يقول : ان المانيا تمـد الكيان الصـهيوني بشرايين الحيـاة فهي تدفع ثمن اخطائها على حساب أخطاء أخرى في حق شعبنا . **هل اعدد لك الاموال التي دفعتهـا المانيـا الى عدونا** . شيطول الحساب ، ومع ذلك ، نحن لسنا ضد الشعب الالماني الذي نعرف تطلعه الى وحدته وتطلعه الى التخلص من الاسـتعمار والامبرياليـة المتحكمة في بلاده . ونحن لسنا ضد أي شعب في العالم ، ولكننا في نفس الوقت نسأل ، وذلك من حقنـا :

ــ لماذا يحتل الوفد الصـهيوني مكانا في هـذه الـدورة ؟

ــ لماذا يرفع علم الاحتلال القائم على الارهـاب والتعسف جنبا الى جنب مع كل اعلام دول العالم ؟ وعلمنا غائب عن الدورة ، والعالم كله يلهو ويتفرج ونحن نعاني ونعاني . ونقاتل على أكثر من جبهة ولا من اذن تصغي لشكوانا وأنين شعبنا ؟ ويأليت الامر يتعلق بعدونا وأنصار عدونا . ولكن الضريـة

الا يحقل كل ذلك ــ ان « لعبا » او « جدا » ــ بالدلالة لكل من له عين تبصر ، وأذن تسمع ، وعقل يعى ، وقلب يستشف المستقبل ؟

خيرى عزيز

تل أبيب ــ ميونيخ : بلا عودة

الامر الذى لا شك فيه أن العملية الجريئة التى قام بهـا بعض فدائيى الثورة الفلسطينية فى ميونيخ يوم ٥ سبتمبر الماضى لن تذهب هباء ، أيضا ستكون النتائج المتوقعة لهذه العملية واسعة .

نجح الهجوم الفلسطينى على مقر البعثة الاسرائيلية فى جذب انظار العالم لمدة ٢٤ ساعة كان تركيز اجهزة الاعـلام الغربية فيها واضحا على ادانة العمل الفدائى الفلسطينى ووصفه « بالمغامرة » « والارهاب » و « القتل » .

وبعد اعلان فشل الكمين الذى دبرته سلطات المانيا الغربية واسرائيل ومصرع الرهائن الاسرائيليين بدأت نغمة جديدة فى بعض الصحف الاوربية تقول « على حكومة تل ابيب ان تدرك ان الفلسطينيين هم الطرف الوحيد الذى يجب التفاوض معه » [صحيفة كومبا الفرنسية يوم ٩/٧] كذلك صدرت بعض البيانات لتذكر الراى العام الاوربى بحقيقة دولة اسرائيل مثل ذلك البيان الذى اصدره لوسيان بيترلان سكرتير عام رابطة التضامن الفرنسى العربى « ان الشىء الذى له دلالة

التى تأتى ممن يدعى العروبة والوطنية ويدعى الحرص على الشعب والتضحية ، هى التى تؤذى وتؤلم .

ــ هل نسيتم يا شباب اننا نعمل تحت اسـم [منظمة أيلول الاسود] ؟

ــ هل نسيتم أيلول حسين الخائن ؟

ــ هل نسيتم أيلول العائلة الهاشمية الخائنة ؟

ولكن الدرب طويل وطويل وشـاق . ولابد أن ننتقم . ولابد أن تصل الراية من جيل الى جيل حتى تتحرر الارض ويتطهر الوطن من العملاء والمأجورين .

وهنا دخل أحد الاخوة ، واقترح أن نكتب وصية بنقاط مجددة بعد تسجيل هذا النقاش وارسـاله بالطرق السرية الليلة ٤ أيلول الساعة الواحدة ليلا الى قيادتنـا السريـة .

وكان ان سجل احد الاخوة هذه النقاط التى وقعنا عليها جميعا . نحن ثوار عملية [كفربرعم واكريت فى ميونيخ] ، نعاهد شعبنا الا نتخاذل أو نتهـاون فى تأدية المهمة التى كلفنا بها ، وأن أرواحنا ستكون رخيصة فى سبيل حرية أسرانا فى سجون الاحتلال . ونحن لا نقصد من وراء عملنا قتل أبرياء . ونحن نقاتل من أجل العدالة ونكافح ضد الظلم ، ولكننا من أجل المضطهدين سنفعل كل شىء .

أولا : نحن لا نبتغى من عملنا الثورى تدمير العالم وتعكير السلام ، بقدر ما نقصد أن يفهم العـالم ويتفهم حقيقة الدور البشـع الـذى يمثله الاحتـلال الصهيونى على بلادنا ، وحقيقة المأساة التى يعيشها شـعبنا .

ثانيا : اننا نناشد كل احرار العالم وشرفائه ، أن يتفهموا أسـلوبنا الثورى الذى نرمى من ورائه ضرب كل المصالح الاستعمارية والامبريالية فى العالم والذى يرمى الى فضح العلاقات الامبريالية الصهيونية علنا . وحتى تعرف أمتنا العربية والجماهير الثورية فى العالم من هى اسرائيل ومن هم مناصروها ؟

ثالثا : نحن جزء لايتجزأ من حركة الثورةالفلسطينية المسلحة ، التى هى جزء من حركة التحرر العربى . وبالتالى فاننا نوصى :

ــ الا تلتقى البنادق الفلسطينية مهما كان التآمر ، ومهما كان التعسف ومهما كانت صعوبة الطريق .

ــ كما نوصى الامة العربية أن تحرك بنادقها ، ويتحرك رجالها . فليس بغير القتال والقتال وحده ، وليس بغير الصموت والموت وحده ، وليس بغير الدماء والدماء وحدها ، يتحرر الوطن ... وتتحـرر الارض .

رابعا : ان العالم لا يحترم الا الاقوياء . ونحن لن نكون أقوياء بالكلام والاعلان والاعلام . ولكن نكون أقوياء حين نضع الموت موضع الحياة . ونجعل شرف الالتزام يرتقى الى شرف الممارسة . وبالتالى نعطى لشـعاراتنا مضـمونا نضـاليا عمليا يجعل اعداءنا يشكون فى مقدرتهم على مواجهتنا ونجعلهم فى نهاية الامر يؤمنون الا مناص لهم الا التسليم بمطالبناالعادلة.

خامسا : نحن نعتذر لشباب العالم الرياضى ، الذى اشـترك فى الدورة الاوليمبية ، ان كنا قـد أسأنا الى مشاعره بعمليتنا . ولكننا نطالبه أن يعرف أن هناك شعبا مضى على قضيته أكثر من أربعة وعشرين عاما احتلت أرضـه ، وديست كرامته . شعب يتألم ويعانى فلا بأس على شباب العالم ان يتفهم حقيقة مأساته لسـاعات . ولتقف المبـاريات لساعات . فهناك شعب مرت عليه سنون وهو يتعذب ويتاسى ويعانى من عدو يحتل مكانه بينكم .

سادسا : اننا لا نهتم اين تدفن وتوارى أجسادنا. « فلا يضير الشاة تسلخها بعد ذبحها » ، كما قال اجدادنا . ولكننا نوصى شـباب الامـة العربية أن يحرصوا على الموت حتى توهب لهم الحياة : الحياة لهم ولاوطانهم ولشعوبهم .

سابعا : الى رفاقنا من جماعة أيلول الاسود ، والى رفاق السلاح واخوان النضال من قوات الثورة الفلسطينية نقول : « ان وفاءكم لدمائنا أن تستمروا فى الطريق . والى كل أبناء الامة العربية نقول انه كلما سقط منا شـهيد نبت مكانه الف رجل ، وأن كل نقطة دم سالت منا وتسيل منكم هى الزيت الـذى يضىء لهذه الامة مشاعل النصر والتحرير .

ثامنا وأخيرا : عذرا يا اخواننا . فستجدون على رسالتنا مبلغ خمسمائة دولار وتسعة وثلاثين ماركا حرصنا على توفيرها للثورة ، لاننا نعرف انه قد يأتى اليوم الذى تكونون فيه بحاجة الى هذا المبلغ مـن المال على ضـآلته .

وأسلموا لنا .. ثوارا مناضلين .
وأسلموا لنا .. رافعين راية التحرير
عاش شـعبنا الفلسـطينى
وعاشـت امتنـا العربيـة
وعاش ثوار العالم الاحرار .

فى ميونيخ هو ان الناس قد نسيت كيف اقيمت دولة اسرائيل؛ لقد نسوا جماعات شتيرن والارجون واغتيال الكونت برنادوت ودير ياسين ، ونسوا أن حكومة تل ابيب قد استخدمت ابشع وسائل الارهاب لتحقيق غاياتها الطويلة لمدة خمسة وعشرين عاما » . وكتبت صحيفة لومانتيه فى ٩/٧ « أن مصير مليون ونصف مليون من الفلسطينيين لا يمكن أن يوضع بين قوسين أو يحل عن طريق الاسلاك الشائكة والابادة السريعة والبطيئة فى مخيمات اللاجئين التى تشبه سراديب تفضى الى الموت ، وعلى قتلة فيتنام وفرسان «العالم الحر» ان يكنسوا أقذارهم ويكفوا عن العنف قبل أن ينصبوا من انفسهم حكاما على أفعال الاخرين » .

حقيقة هامة نخلص اليها من مراجعة تعليقات الصحف وتقارير وكالات الانباء بعد انتهاء الهجوم ، هذه الحقيقة تقول أن العقلية الاوربية بدأت ــ بعد أن فاقت من صدمة الانتقال من العاب البهجة الى مذبحة مورستنفلد بروك ــ تبحث عن الاجابة لسؤال : لماذا قام ثمانية من الشبان فى ربيع العمر بهذا الهجوم الانتحارى ؟!

وقد بدأت فعلا بعض الاقلام الشريفة والشجاعة فى الاجابة على هذا التساؤل موضوعيا . بينما أصرت بعض الاقلام الاخرى على مواصلة انتهاج أسلوب التشهير والادانة ، وهى تفعل ذلك لانها مرتبطة موضوعيا بنفس الهدف الذى من أجله أقيمت دولة اسرائيل ، ومن ثم فهى قد اتخذت موقفا مسبقا من قضية ضرورة الدفاع عن دولة اسرائيل وكل ماتمثله وادانة الثورة الفلسطينية وكل ما تتطلع اليه .

انطلاقا من هذا نستطيع القول أن الهجوم الذى قام به فدائيو الثورة الفلسطينية فى ميونيخ يوم ٥ سبتمبر قدم الى العقلية الاوربية « الموضوعية » و « المحايدة » صدمة كهربائية ضرورية ولازمة تساعدها على فهم حقيقة المشكلة الفلسطينية والوجود الاسرائيلى ، بعد أن كانت هذه العقلية الاوربية قد سئمت كثرة الكلام وصفحات الاعلان فى الجرائد المدفوعة الثمن الامر الذى صور لها الانسان العربى بانه شخص لا يتقن سوى فن الكلام أو البحث عن المتعة .

يلاحظ ان وكالات الانباء بدأت تردد الان نغمة خاصة تقول بأن الفدائيين قاموا بعملية ميونيخ ليقطعوا الطريق على محاولات التقارب مع أوربا الغربية ، وأن استمرار الفدائيين فى عملياتهم « الارهابية » سيوصد الطريق أمام امكانية التوصل الى حل لازمة الشرق الاوسط وهو مابدا قريبا فى الافق قبل ٥ سبتمبر [الديلى تلجراف دوم ١٣/ ٩] .

ان المضمون الحقيقى لهذه النغمة هو فى محاولة الوقيعة بين العمل الفدائى الفلسطينى والحكومات العربية ، ومسئولية التيقظ لهذه المحاولات تقع أساسا على عاتق الحكومات العربية ، ويكفى العمل الفدائى الفلسطينى ما يتلقاه من طعنات فى الظهر اكثر مما يتلقاه من الامام .

ولقد بدأت القوى الاستعمارية فى استغلال حادث ميونيخ فى محاولة لاحداث انفصال تام وكامل بين المقاومة الفلسطينية والحكومات العربية للاجهاز أولا على المقاومة ثم بعد ذلك « تصفية الحساب » مع الحكومات العربية .

وقد بدا هذا التخطيط واضحا فى الغارات الانتقامية الاسرائيلية على سوريا ولبنان وتصريحات المسئولين الاسرائيليين ، ثم ، وهذا أمر هام فى لجوء الولايات المتحدة الى استخدام حق الفيتو فى مجلس الامن لوقف اصدار قرار يدين الغارات الاسرائيلية .

كان استخدام الولايات المتحدة لحق الفيتو أمر له دلالته ، فهذه هى ثانى مرة ــ فى تاريخ الامم المتحدة ــ تلجأ فيها امريكا الى استخدام حق الفيتو ، وقد أعلن جورج بوش المندوب الامريكى أنه لا يستطيع أن يوافق على قرار بدين الغارات الاسرائيلية دون أن يتضمن ادانة هجوم الفدائيين فى ميونيخ . وأصدر يوسف تيكواه المندوب الاسرائيلى بيانا صحفيا ــ تعليقا على الفيتو الامريكى ــ قال فيه « أن العالم سيصفق للموقف الامريكى الشجاع » .

فهل فعلا سيصفق العالم ؟!

الامر أولا وأخيرا بأيدينا نحن .

سمير تادرس

■ رسالة من ميونيخ :

لماذا فشلت بعثة مصر فى دورة ميــونيــخ

اعرف ان كل مصرى يراوده الان هذا السؤال :

لماذا فشلت بعثة مصر فى دورة ميونيخ ؟ او بصيغة أخرى: لماذا لم تحصل مصر على ميدالية برونزية واحدة ، فى حين أن ٤٠ دولة حصلت

شـــريط العـــلاقات الألمـانية - الصـــهيونية

ــ بدأ محور « بون تل ابيب » مع اتفاقية التعويضات عام ١٩٥٢ . والتى دفعت المانيا الغربية للعدو الصهيونى خلال ١٨ عاما ٣٨ الف مليون مارك تحت اسم التعويضات ، وذكرت صحيفة **جويش اوبزرفر** فى ٢٧ مارس ١٩٧٠ . ان هذا المبلغ سيزداد حتى يصل الى ٦٥ الف مليون مارك على شكل مدفوعات اضافية ..

ــ قدمت بعض الشركات الالمانية مثل **كروب** وشيمنز مبالغ تقدر بمبلغ ٢٠ مليون مارك سدادا لما اسموه بالمطالب الخاصة بالتعويضات

ــ فى الخامس من نوفمبر ١٩٧١ . كشف النقاب عن توقيع اتفاقية اقتصادية بين بون وتل أبيب تقدم بون بموجبها للعدو الصهيونى ١٤٠ مليون مارك ..

ــ **والسؤال : كيف تستخدم [اسرائيل] مبالغ التعويضات الضخمة هذه ؟**

ــ العدو الصهيونى يستخدم هذه التعويضات فى بناء وتوسيع صناعات السلاح على احدث طراز مصرى .

ــ وقد امتدح **فرانز جوزيف شتراوس** رئيس الاتحاد المسيحى الاجتماعى هذه السياسة فى حفلة اقامتها صحيفة **ميونيخ المسائية** حين قال : « الاسرائيليون لا يحتاجون الى مظاهر التأييد والعطف فحسب وانما الى الدعم المالى والسلاح ، وأفخر بأننى دافعت دائما عن امداد اسرائيل بالسلاح » .

على ميداليات من بينها نيجيريا والنيجر ومنغوليا وكولومبيا وغيرها من الدول الصغيرة ؟

والحقيقة ان اللجنة الاوليمبية المصرية كانت تعرف النتيجة مسبقا ، ولم يراودها اطلاقا أمل الحصول على ميدالية من أى نوع . ومدى الاشتراك فى الدورة كان محل دراسة طويلة فى ضوء المبادىء الاتية :

أولا : ان الاشتراك فى الالعاب الاوليمبية واجب محتوم ، ولو بشكل رمزى . من جهة لان الالعاب هى أكبر تجمع شبابى فى العالم من أجل التفاهم والسلام ، ولان اللقاء هو الاساس اما الفوز فأمر ثانوى ، خاصة وان المسابقات بين « افراد » يفوز فيها الاعلى والاقوى والاسرع ، وهو الشعار الاوليمبى ، ومن جهة أخرى لأن مصر هى مهد الرياضة فى العالم ، قبل أن يعرف الاغريق الالعاب الاوليمبية عام ٧٧٦ قبل الميلاد . ومن هذا المنطلق فان مصر لم تتخلف عن الدورات منذ عام ١٩١٢ الا مرة عام ١٩٣٢ بسبب خلاف مع اللجنة الاوليمبية الدولية حول ممثلها فى مصر .

ثانيا : ان الاشتراك فى دورة ميونيخ يجب أن يكون محدودا بسبب سياسة التقشف من جهة، وبسبب ضعف المستوى الرياضى العام من جهة اخرى .

ثالثا : أن يحدد عدد البعثة المصرية بناء على تصفيات القارة الافريقية التى تنظمها الاتحادات الدولية فى مختلف اللعبات الجماعية ، وبناء على ضمان التمثيل المشرف فى اللعبات الرقمية مثل العاب القوى والسباحة ، واللعبات النزالية مثل الملاكمة والمصارعة . مع تغليب السلوك الاخلاقى على المستوى الفنى ضمانا لحسن المظهر .

وتطبيقا لهذه الاسس اشتركت مصر فى تصفيات افريقيا فى العاب كرة القدم والهوكى والكرة الطائرة وكرة اليد وكرة السلة ، فخسرت جميعاما

— وفى ديسمبر ١٩٥٧ . واثناء زيارة بن جوريون للمستشار الالمانى اديناور تم عقد اتفاقية سرية للمعونة الالمانية العسكرية . وطبقا لنص الاتفاقية حصل الجيش الصهيونى على ذخيرة للرشاشات عيار ٧ر١٢ ملم وللدبابات عيار ٧٦ ملم و ٩٠ ملم وقاذفات قنابل .

— بالاضافة لهذه الاتفاقية أخذت المانيا الغربية ترسل الهدايا من الاسلحة والمواد الحربية الالمانية للعدو وتبع ذلك تقديم طائرات هليوكبتر ، اشتريت خصيصا من امريكا بجانب ارسال ٢٠٠ دبابة حديثة أمريكية من طراز م ٤٨ .

— وبعد ذلك حصل العدو الصهيونى فى المرحلة الاولى من المانيا على ٥٠ طائرة من بينها نورابلاتس و ٢٧ طائرة اتصال من طراز د ٠٠ وطائرات نقالة فونجا ماجستر وسيارات شحن ومستوصفات ومدافع مضادة للطائرات الاتوماتيكية عيار ٤ سم مع معداتها الالكترونية الموجهة و ٣٦ مدفعا وصواريخ موجهة مضادة للدبابات من طراز كير الالمانية .

— ولم يكتف المسئولون بذلك بل الحقوا الضباط والجنود الصهاينة فى مدرسة الدفاع الجوى فى ريندمبورج ومدرسة مرقد القتال فى مونستر لاجز لتدريبهم تدريبا عسكريا كاملا ..

— وفى أكتوبر ١٩٦٤ . رفع النقاب من اتفاقيات جديدة بين حكومة بون وتل أبيب لارسال صواريخ أمريكية وغواصات ومدافع مضادة للطائرات وطائرات هليوكبتر خلال الفترة الواقعة بين ١ — ٤ — ١٩٦٥ ، و ٣١ — ١ — ١٩٦٦ .

— ولم تكتف حكومة [[بون]] بذلك بل أعلنت بعد كشف الاتفاقية السرية عن اقامة علاقات دبلوماسية مع العدو الصهيونى .

— وكانت حكومة [[بون]] على علم تام بموعد العدوان الصهيونى فى الخامس من حزيران يونيو ١٩٦٧ . حيث دعى مجلس الوزراء ليقرر ارسال حوالى ٢٠ الف قناع ضد الغازات السامة من جيش المانيا الغربية الى قوات الاحتلال الصهيونى ووافقت حكومة بون على ارسال مرتزقة للاشتراك فى العدوان .

— قالت الصحيفة الالمانية بيلد فى ١٠—٦—١٩٦٧ ان الاسلحة التى صنعت انتصار اسرائيل فى الحرب قد قدمتها المانيا ضمن اتفاقية التعويضات .

— ولا تقتصر العلاقات العسكرية على تقديم السلاح لاسرائيل بل هناك علاقات خطيرة تبدأ من تدريب الضباط مرورا بالتعاون فى مجال المخابرات العسكرية وتبادل المعرفة والمعلومات حتى الامداد بالاسلحة الجرثومية والتعاون فى مجال الانتاج الذرى .

— وفى نوفمبر ١٩٧١ ، واثناء زيارة سيسكو الى فلسطين المحتلة كشف النقاب عن موافقة المانيا الغربية بانشاء ما يسمى بمخزن الطائرات الفانتوم المقاتلة فى أوروبا لكى تكون على أهبة الاستعداد لنجدة اسرائيل ..

— وتتضمن خطة التدخل الامريكى فى الشرق الاوسط وضع ما بين ٨٠ — ١٠٠ طائرة فانتوم أمريكية فى منطقة مجاورة لاسرائيل لكى تنطلق منها فى الوقت المناسب .

— وفى الميدان الاقتصادى يحتل العدو الصهيونى المرتبة الرابعة فى قائمة المصدرين فى آسيا الى المانيا الغربية .

ومنذ عام ١٩٦٥ والعدو الصهيونى ينال قرضا قيمته ١٤٠ مليون مارك كل عام فضلا عن مئات الملايين من الماركات التى توفرها الصناعات العسكرية الاسرائيلية على شكل اعفاء من الضرائب تمنحه بون للاستثمارات المترحية للشركات الالمانية للعدو الصهيونى (*)

عدا كرة السلة ، وبذلك شكلت البعثة من ٢٨ لاعبا هم : ١٢ فى كرة السلة ، ٦ فى الملاكمة ممن فازوا ببطولة دورة البحر الابيض فى أزمير فى اكتوبر ١٩٧١ ، ٦ مصارعين ممن احرزوا نتائج طيبة فى أزمير ، ٢ فى العاب القوى أحدهما ناجى أسعد صاحب سابع رقم عالمى فى رمى الجلة ، ٢ فى السباحة .

النتائج المرجوة .. والنتائج الفعلية

كرة السلة : يلعب فى الدورة النهائية ١٦ فريقا قسمت الى مجموعتين وكان الامل أن يفوز الفريق المصرى آخر مجموعته ، على السنغال اول افريقيا وآخر مجموعته ، ليحرز المركز الخامس عشر . ولكن فريقنا لم يكمل اللعب بسبب احداث الفدائيين ، فجاء فى المركز الاخير ، وان كان يعنى أنه الفريق رقم ١٦ فى العالم ، وهو ترتيب غير واقعى ، لان هناك دولا كثيرة اخرى اقوى منه ، وانما هو نتيجة للتصفيات الجغرافية ، على أساس القارات ، سعيا وراء نشر اللعبات الرياضية فى مختلف انحاء العالم .

وبصرف النظر عن ذلك كله فان الفريق المصرى كان اداؤه سيئا ، لان مستواه ضعيف ، فنيا وجسمانيا ونفسيا وصحيا . وقد خسر امام امريكا والبرازيل وتشيكوسلوفاكيا واسبانيا وكوبا واليابان واستراليا ، وكانت أقسى الهزائم امام أمريكا ٣٣ ــ ٩٦ ، وامام كوبا ٦٤ ــ ١٠٥ .

المصارعة : بدأت مبارياتها يوم ٥ سبتمبر عقب أحداث الفدائيين . وفى أول يوم لعب أربعة من مصارعى مصر ، ففاز راغب المالكى على الديسمى التونسى فى وزن ٤٨ كيلو ، وخسر ابراهيم عبد الفتاح أمام السوفيتى كينستاتوف فى وزن ٥٢ كيلو ، وخسر ابراهيم السيد أمام موسكيدس اليونانى فى وزن ٥٧ كيلو ، وخسر محمد جابر امام كيستدنوف السوفيتى فى وزن ٦٨ كيلو . واضطر الفريق الى السفر وعدم التكملة . ولكن هذه النتائج الاولية تدل على أنه ما كان ليحقق اية نتيجة حتى ولو كانت مجرد مركز شرفى ، أى من الستة الاوائل .

الملاكمة : تساقط الملاكمون المصريون من الادوار الاولى . بعضهم خسر من أول مباراة لانه قابل منافسا قويا ، وبعضهم اجتاز الدور الاول ــ لضعف منافسه ــ ثم خسر فى الدور الثانى ، اى دور الستة عشر ، ومعظمهم بالضربة القاضية الفنية أى بايقاف الحكم للمباراة لعدم التكافؤ ، وحتى الذى خسر بالنقط كان فى حالة سيئة ، ولو امتدت مباراته دقيقة لسقط !

العاب القوى : اشترك العداء محمد خميس فى سباق ١٠ آلاف متر عدوا ، وسجل رقما قياسيا مصريا جديدا ، رغم أنه وصل متأخرا فى تصفيته ، فى المركز ١٥ من ١٦ ، ومسبوقا بدورتين كاملتين أى بزهاء ٨٠٠ متر ! وهذه الحقيقة توضح بجلاء مدى ماانحن عليه من تخلف ، بصرف النظر عن أن اللاعب أدى واجبه وضرب رقمه !

ولم يشترك ناجى أسعد فى رمى الجلة لان بعثة مصر غادرت ميونيخ قبل بدء مسابقته بيوم . وكان ناجى هو اللاعب الوحيد الذى يرجى ان يكون بين الستة الاوائل ، لان ارقامه قبل اللعب كانت تضعه فى المركز السابع . ووفقا لنتيجة المسابقة فى ميونيخ فان رقم ناجى كان يؤهله للمركز السادس فعلا ، وهو ٧١ر٢٠ متر مقابل ٣٥ر٢٠ لاولدفيلد الامريكى الفائز السادس .

السباحة : اشترك السباح عادل يوسف فى السباحة على الظهر وكان فى حدود مستواه فى مصر ، وهو ضعيف وتذيل المتسابقين فى تصفيته ، واشترك السباح على قناوى فى عدة مسابقات أهمها ٤٠٠ متر حرة حيث سجل رقما مصريا جديدا هو ٢٤ر٤ر١ دقيقة وكان رقمه القديم٢٩ر٤ر١ وهو تقدم كبير من سباح نعتبره ناشئا وعمره ١٧ سنة ، وان كان اكبر سباحى العالم وأكفأهم فى هذه السن . ولم يكن يرجى منه أكثر من ذلك على كل حال .

أين الفشل ؟ وما السبب ؟

الفشل اذن فى أن الملاكمين ابطال دورة ازميرلم يصل احدهم الى دور الثمانية كما كان مرجوا .

اما جميع النتائج الاخرى فكانت متوقعة . ولا حيلة للجنة الاوليمبية فيها ، بل لا حيلة لكل الهيئات الرياضية من اندية واتحادات ، لان أسباب تخلفنا الرياضى ليست رياضية ، او بعبارة اخرى فان تخلفنا الرياضى ليس مسئولية الاجهزة الرياضية ، وانما هو حصاد عوامل اجتماعية وصحية ونفسية وخلقية وثقافية وبدنية تراكمت جميعها نتيجة لاهمالنا للتربية الرياضية واهدارنا لقيمها الخلاقة فى تقوية الشعوب ، وخلق المواطنين الصالحين الاقوياء . ولكن هذه حكاية اخرى !

نجيب المستكاوى

مكتبة الطليعة

كتاب « اقتصـــاديات التعليم »

The economies of education

تأليف :

جون فيزى

عرض وتعليق :

نصـار محمد عبد اللـه

الناشر :

faber and faber

- London -

اقتصاديات التعليم واحد من عدة كتب صدرت فى السنوات الاخيرة حول طبيعة التعليم وما يرتبط به من مشاكل وقضايا من حيث وجهة النظر الاقتصادية ، مما يعكس الاهتمام الكبير الذى أخذ يلقاه التعليم من جانب المشتغلين بالاقتصاد ، بعد أن ظل زمنا طويلا لا يكاد البحث فى مسائله يخرج عن نطاق الفلسفة وعلم النفس .

والاهمية الحقيقية لكتاب اقتصاديات التعليم الذى نعرض له هنا ، والذى كتبه واحد من المشتغلين بالاقتصاد وبالتربية والتعليم فى نفس الوقت ، هى فى اعتقادنا تكمن فى المقام الاول وقبل كل شىء فى أن الكتاب مسح واسع عريض لمعظم القضايا التى تثيرها الدراسة الاقتصادية لموضوع التعليم ، فى حين أن كثيرا من المؤلفات التى كتبت فى الموضوع ذاته كانت تقتصر على تناول جانب واحد من جوانبه ، وعلى وجه التحديد فان هذا الجانب هو عادة علاقة التعليم بالنمو الاقتصادى ، كما نلاحظ اذا تأملنا كتابات **هاريسون أو شولتز** على سبيل المثال . بل أن هذا الجانب لم يغفل تناوله أيضا كتاب **جون فيزى** بشىء من الاسهاب ، حيث أفرد له الفصلين العاشر والحادى عشر .

والكاتب يبدأ مؤلفه بفصل يستعرض فيه آراء عدد من مشاهير الاقتصاديين فى التعليم ، ونحن نلاحظ من خلال عرضه أنه لا يبرز لنا فحسب

التمايز في نظرة كلّ منهم بالنسبة لهذا الموضوع ، وانما يبرز لنا أيضا التمايز في بناءاتهم الفكرية العامة التى تصدر عنها النظرة للتعليم ولغيره من المسائل .

ان آدم سميث كان فيلسوفا اخلاقيا الى جانب كونه اقتصاديا ، ومن ثم فانه رغم ادراكه للحقيقة الاقتصادية التى مؤداها أن التعليم استثمار انسانى لا يختلف عن الاستثمار فى رأس المال المادى ، فان تناوله لمشكلة التعليم كان يتسم بمسحة اخلاقية تبدو فى أنه كان يرى فى التعليم وسيلة لتقليل التعصب الدينى و « الدوجماتية » القائمة على غير أساس فكرى ، ونفس الامر بالنسبة لجون ستيوارت ميل الذى كان يرى فى التعليم وسيلة لتغير العادات ، خاصة عادات الطبقة العاملة ، وكذلك نجد أن اهتمام مالتس بالتعليم هو جزء من اهتمامه بالمشكلة السكانية التى كانت المحور الاساسى لتفكيره الاقتصادى ، وذلك من حيث أن التعليم وسيلة لتغير العادات المتعلقة بالانجاب ومن ثم فهو وسيلة لضبط النمو السكانى ، كذلك كان يعلق على التعليم اهمية سياسية تتمثل فى اعتقاده بأن التعليم وسيلة لتكوين المجتمع السياسى الصالح، فاذا ما انتقلنا الى نظرة كارل ماركس الى التعليم نجد أنها أيضا جزء من نقده للنظام الرأسمالى ، هذا النظام الذى يقوم على أساس أن العمل البشرى سلعة من السلع يستخدمها الرأسمالى فى خلق قيمة فائضة تعمل بالاستمرار على زيادة التراكم فى رأسماله ، ان هدف التعليم فى هذا النظام طبقا لرأى كارل ماركس ، لا يعدو أن يكون وسيلة لزيادة القيمة الفائضة عن طريق تحسين مهارات العامل وزيادة قدراته ، لاباعتباره انسانا ، وانما باعتباره وسيلة للانتاج ، وهكذا فان هدف التعليم فى المجتمع الاشتراكى الى جانب انه يوخى تحسين قدرات العامل ومهاراته ، فهو يهدف أيضا الى الابقاء على العامل انسانا الى جانب كونه أداة للانتاج .

وبعد أن يخلص الكاتب من هذا العرض لاراء مشاهير الاقتصاديين ، يبدأ فى تناول أول قضايا مشكلة التعليم ، وهى القضية الخاصة بطبيعة الانفاق على التعليم ، أهو انفاق على الاستهلاك أم انفاق على الاستثمار ؟ ان التعليم قد يطلب لذاته أى أن الانفاق على التعليم قد يشبع حاجة قائمة بذاتها ، وهو فى هذه الحالة لا يختلف عن أى انفاق استهلاكى آخر .

الا أن الانفاق على التعليم شانه فى ذلك شأن كثير من الانفاقات التى توجه الى البشر ، يزيد من الكفاءة الانتاجية للانسان بحيث أنه يعطى بعد حين عائدا مرتفعا ، وهو فى هذه الحالة يبرز طبيعة استثمارية واضحة ، والكاتب يناقش مشكلة عائد التعليم وكيفية قياسه مستعرضا محاولات الاقتصادى النرويجى أود أوكرست ، الذى لاحظ ان معدل النمو فى الدخل القومى لا يتوقف فقط على الزيادة فى رأس المال والعمل ، بل انه يتجاوزه نتيجة ما أسماه « بالعامل الثالث » ويدخل التعليم بشكل أساسى فى تحديد هذا العامل ، وقد أمكن لمجموعة من الاقتصاديين فى شيكاغو أن يقيسوا عائد التعليم بطريقة بسيطة تنبنى على أن الشخص الذى يحصل على تعليم أعلى وحصل عادة على دخل أعلى ، وباعتبار أن الفرق بين دخلىشخصين مختلفين فى المستوى التعليمى هو عادة عائد الفرق فى الانفاق على تعليمهم ، فانه يمكن احتساب متوسط عام لعائد التعليم فى زمان ومكان معينين ، ويعرض لنا الكاتب احدى الدراسات التاريخية المقارنة لنفقة التعليم فى عدة بلاد هى المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا ، تخرج منها بملاحظة ارتفاع نفقة التعليم فى هذه البلاد بوجه عام — وعلى سبيل المثال فقد ارتفعت هذه النفقة بمقدار ستة أمثال فى المملكة المتحدة ما بين عامى ١٩٢٠ — ١٩٥٥ ، وليس هذا فحسب وانما نلاحظ أيضا ارتفاع نسبة الجزء المخصص للتعليم من الدخل القومى واتساع اسهام القطاع العام فى هذا المجال ، الامر الذى ربما يرجع جزئيا على الاقل الى اتساع القطاع العام فى البلاد الاوربية والامريكية عموما — كنتيجة للتأثر بالنظرية الكينزية .

ثم يعقد الكاتب فصلا يستعرض فيه اعداد القوى البشرية والدور الذى تلعبه فى اقتصاديات عدة بلاد أبرزها الاتحاد السوفيتى — لقد لعب التعليم دورا هاما فى نموالاقتصادالسوفيتى — كماأوضح نيكولاس دى ويلت — فى دراسة له عن القوى البشرية فى الاتحاد السوفيتى — لقد كان المبدأ الذى يصدر عنه التعليم فى الاتحاد السوفيتى ، وأن بناء الاجهزة البشرية مفتاح لكل شىء ، ويهدف التعليم السوفيتى الى اعداد عامل مدرب تدريبا مرتفع المستوى شديد التخصص ، بحيث يصعب على الشخص أن يغير عمله اذا ما حصل على التدريب الخاص به ، أما فيما يختص بالمستويات العليا من التعليم فان السياسة التعليمية السوفيتية تهتم بأشباه المهنيين أكثر من المهنيين ، ويلاحظ أنه رغم التوسع الشديد فى التعليم فى الاتحاد السوفيتى فلايزال النظام الاقتصادى يعانى من عجز مزمن فى جميع مستويات العمال نتيجة للنمو السريع فى الاقتصاد القومى ، الذى أوجد زيادة فى الطلب على التعليم عن العرض ، مما فرض مبدأ الاختيار وايجاد

أولويات معينة على أساسها يتبنى توجيه الموارد التعليمية ، وهذا يفسر افتقار الاتحاد السوفيتي الى فروع كثيرة من الدراسة كادارة الاعمال والقانون والتجارة والعلوم الانسانية .

ثم يتحدث الكاتب فى نفس مجال الحديث عن القوى البشرية عن المرأة كجزء من هذه القوى، معتمدا على دراسة قام بها أحد الباحثين عن المرأة فى المجتمع الامريكى ، وأهم الملاحظات التى قدمها فى هذا المجال هو ارتفاع نسبة النساء المشتغلات الى مجموع المشتغلين فى الولايات المتحدة من السدس الى الثلث ما بين سنة ١٨٩٠ ، ١٩٥٦ مما يؤيد عكس الاعتقاد بأن سير المجتمع نحو الرفاهة سيقلل من خروج المرأة للعمل ، وكذلك من الملاحظات الهامة التى قدمها أيضا اتجاه المرأة الى أنواع معينة من العمل ، وهى الانواع التى تتفوق فيها على الرجل كالتدريس والطب ، وأما فيما يتعلق بمستوى تعليم المرأة فهو يتساوى مع مستوى تعليم الرجل باستثناء التعليم الجامعى الذى تتوقف عنده المرأة الامريكية عادة ، ويلاحظ كذلك أنه رغم أن الزواج من عوائق عمل المرأة الا أنها تعود الى العمل عادة بعد أن يذهب أبناؤها الى المدرسة .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى فصل قصير يناقش فيه مشكلة مرتبات المدرسين ، ويرى أن سببا أساسيا من أسباب عدم اقبال الكثيرين على مهنة التدريس هو انخفاض مستوى دخول المشتغلين بهذه المهنة بالنسبة لدخول كثير من أصحاب المهن الاخرى .

الا أن أهم فصول الكتاب فى رأينا هما الفصلان الخاصان بالعلاقة بين التعليم والتنمية ، خصوصا بالنسبة للقارىء الذى ينتمى الى بلد من بلاد العالم الثالث ، هذه البلاد التى تعد التنمية مشكلتها الاولى ، وسوف نحاول هنا أن نعرض لهذين الفصلين بشىء من التفصيل آملين ألا يكون فى هذا التفصيل ابراز للمركز النسبى لهما بين فصول الكتاب على غير حقيقته .

ان اصطلاح « البلاد المتخلفة » يطلق على عدد كبير من البلاد تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا سواء من ناحية تاريخها الحضارى أو موقعها وظروفها الجغرافية ، بل وتختلف من حيث المستوى تخلفا أيضا ، ورغم اختلافها الكبير عن بعضها البعض فان بينها من الخصائص المشتركة ما يبرر ادماجها تحت اصطلاح واحد ، ومن ابرز هذه الخصائص انخفاض مستوى التعليم بها ، وعلى سبيل المثال فان كثيرا من هذه البلاد لا تتعدى نسبة الذين يدخلون المدارس بها ١٠٪ فى المائة من الذين تقع أعمارهم بين ٥ ، ١٠ سنوات ، بل وحتى الذين يدخلون المدارس لا يلقون خدمة تعليمية ذات مستوى مناسب ، حيث أن المدرسين غير مدربين اطلاقا أو مدربين تدريبا جزئيا على التدريس ، كما أن مبانى المدارس غير ملائمة ، الى جانب أن التلاميذ عادة يعانون من سوء التغذية مما يعوق مستوى تحصيلهم ، وهم غالبا لا يواظبون على الحضور الى المدارس ، كما أن نسبة مرتفعة منهم تنقطع عن الدراسة تماما قبل الحصول على مستوى مناسب من التعليم ، الا أن أهم ما يميز مشكلة التعليم فى البلاد الفقيرة ، هو أن هذه المشكلة شأنها شأن سائر المشاكل فى البلاد المتخلفة تدور فى دائرة مفرغة ، بمعنى أن فقر هذه البلاد يؤدى بشكل أو بآخر الى انخفاض مستوى التعليم بها ، كما أن انخفاض مستوى التعليم يؤدى أيضا بشكل أو بآخر الى انخفاض مستوى المعيشة .

ثم يقدم الكاتب فى هذا المجال ملاحظة هامة مؤداها أن الارتباط بن التعليم والتنمية ليس تاما ، فليس التعليم وحده هو مفتاح النمو والا لوجب أن تكون الهند أو مصر مثلا أكثر غنى مما هما عليه طالما أن فى مصر نسبة من المؤهلين جامعيا أكثر مما فى انجلترا ، ان هذا يقود الى الحديث عن ظاهرة معروفة فى كثير من البلاد المتخلفة وهى ظاهرة « البطالة الذهنية » ، انه لا يفيد كثيرا أن تقوم البلاد المتخلفة بانشاء المدارس والجامعات طالما أن الخريجين لن يجدوا فرصة للعمل ، وهكذا فان السياسة التعليمية يجب أن تكون جزءا من برنامج عام للتنمية يأخذ فى اعتباره الاستثمار فى التعليم جنبا الى جنب مع أنواع الاستثمار الانسانى الاخرى كالصحة الى جانب الاستثمار فى رأس المال المادى .

ويلخص الكاتب الدور الذى يلعبه التعليم فى اقتصادنا م فى ثلاثة وظائف :

الاولى : هى أن التعليم مصدر عرض القوى العاملة المدربة والفنيين الذين بدونهم يكون رأس المال المادى عرضة للتبديد .

الثانية : خلق مناخ ملائم للنمو عن طريق اعطاء الجماهير القدرة على التفكير فى ظل الحاجات والمشاكل الراهنة .

الثالثة : تعليم المزارعين الوسائل الفنية والمهارات التى تمكنهم من انتاج فائض زراعى يكون أساسا للتراكم المادى .

كما يضيف الكاتب الى الادوار الثلاثة **دورا**

رابعا للتعليم بالنسبة لمعظم البلاد الافريقية غير الواقعة فى مركز القارة ، هذا الدور الذى يعبر عنه بقوله « ان الثقافات الدينية فى هذه البلاد كالاسلام والبوذية والهندوكية والمسيحية ، هى ثقافات ذات قيم معادية للتقدم ، ومن ثم كان التعليم من حيث المضمون ذا أهمية قاطعة بالنسبة لها » ، ونحن لا نستطيع أن نمر مرور الكرام على مثل هذا القول المتسرع الذى لا يدعمه الكاتب بدليل ما ، وفى اعتقادنا أن الاديان (خاصة الاسلام) لها من المرونة ما يمكنها من التعايش مع كافة الاوضاع والنظم الاقتصادية ، طالما استهدفت هذه الاوضاع والنظم شرف الانسان وسعادته .

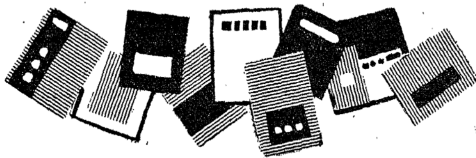
وعندما ينتقل الكاتب الى استعراض هيكل التعليم القائم حاليا ، يلاحظ أن هذا الهيكل يسيطر عليه مشكلتان .. **الاولى : هى اتجاه التعليم الى** الفنون والاداب فى مجتمع يحتاج الى المهارات والخبرات الفنية ، وتفسير هذا بسيط ، فمن ناحية تجد أن هناك كراهية للعمل اليدوى ، ومن ناحية ثانية نجد أن تدريس الفنون البحتة أرخص من حيث تكلفة تدريسها ، ومن ناحية ثالثة نجد أن الصناعة لم تتقدم الى الحد الذى يسمح باستيعاب اعداد كبيرة من الفنيين ، **والمشكلة الثانية** ، هى ان التعليم فى المقام الاول تعليم حضرى ، فى حين أن حاجة هذه المجتمعات هى فى المقام الاول حاجات غير حضرية ، وان كانت هذه المشكلة أقل أهمية مما تبدو ، ذلك أن مسايرة التقدم فى هذه المجتمعات يعتمد على التصنيع الذى يؤدى الى نشوء الحاجات الحضرية واضطرادها باضطراد عملية التصنيع .

ثم ينتقل الكاتب الى مناقشة مشكلة المدرسين فى البلاد المتخلفة ، وامكان الاستعانة بمدرسين من الخارج بطبيعة الحال ـ كما يذكر الكاتب ـ فانه اذا كان استيراد رأس المال المادى وسلع الاستهلاك أمرا ميسورا ، فان استيراد المدرسين من الصعوبة بمكان ، ذلك أننا فى حالة كهذه تعترضنا حواجز اللغة والثقافة والولاء القومى والعنصرى ،

وبالطبع فان هناك استثناءات من هذه القاعدة ، فقد اعتمدت الهند على المدرسين الانجليز وبدلا من أن تكون اللغة حاجزا كانت وسيطا عاما للتعليم فى أنحاء الهند المختلفة اللغات ، ثم يناقش الكاتب مشكلة الطلاب ، ان البلاد المتخلفة تعانى عادة من عدم انتظام الطلاب فى تلقى التعليم ، ومنشأ هذا أن الابناء كثيرا ما يفضلون العمل بالزراعة ، الى جانب آبائهم أو بأى عمل آخر ليسهموا فى مساعدة أسرهم التى هى فى العادة ذات دخل منخفض ، ان علاج هذه المشكلة لا يتم الا عن طريق خطة عامة للتعليم تدخل فى اعتبارها تقديم المساعدات المالية للاسر الفقيرة التى ينتظم ابناؤها فى التعليم .

وبعد أن ينتهى الكاتب من العرض النظرى للعلاقة بين التعليم والتنمية ، يعرض لدراسة عملية قام بها **هاريسون لنيجيريا** ،كما يعرض الخطة التعليمية فى **باكستان**، ونحن هنا نعرض أهمية ما ورد فى دراسة هاريسون عن نيجيريا . نظرا لما يمثله الاقتصاد النيجيرى من أهمية خاصة بالنسبة للمشتغلين بالاقتصاد عموما .

وتوضح دراسة هاريسون أنه فى سنة ١٩٧٠ ستحتاج نيجيريا الى مضاعفة العاملين بالمراكز الاساسية فى الزراعة بمقدار خمسة الاضعاف بالنسبة لعام ١٩٦٠ ، والى عشرة أضعاف العاملين بالمراكز الوسيطة ، كما ستحتاج الصناعة الى أربعة الاضعاف من المنفذين ذوى المستوى المرتفع ، والى ستة الاضعاف من الفنيين ، كما ستحتاج الى ضعف أو ثلاثة اضعاف عدد الاطباء الموجودين ، وقد لاحظ هاريسون فى هذا المجال أن سياسة الاجور لاتساير الحاجات الاقتصادية لنيجيريا ، أى أن المؤهلين لا ينظر اليهم فى ضوء القيمة النسبية لهم ، كما لاحظ هاريسون عدم عدالة توزيع التعليم فى نيجيريا سواء نوعيا أو جغرافيا ، حيث تستأثر بأهمية أكبر بعض فروع التعليم من ناحية ، وبعض المناطق الجغرافية من ناحية ثانية ، وأوضح هاريسون ضرورة المساعدة الخارجية حتى تتمكن من تحقيق تنمية التعليم .





نحو استراتيجية متكاملة لاستغلال الخامات الاساسية

كتب ميشيل فرج أستاذ المواد النووية
ورئيس قسم الكيمياء بهيئة الطاقة الذرية

انفض مؤتمر الامم المتحدة الثالث بعد ان انعقد قرابة اربعين يوما فى سنتياجو بشيلى لدراسة حالة التجارة والتنمية فى العالم ، فى جو وصفته البرقيات أنه « خيبة أمل عامة » — فقد يئست الدورة من تحديد موقف واحد بالنسبة لاشتراك الدول النامية فى مفاوضات الجات التى ستفتح عام ١٩٧٣ ، واكتفت بذكر وجهة نظر هذه الحكومات من أنها لم تسهم فيها مالم تحترم وجهة نظرها ومصالحها وتعويضاتها — وبالنسبة لسياسة تبادل الخامات الاولية فقد رفضت الدول الغنية اعطاء أى تعهد للشعوب الفقيرة بضمان تسعيرة مجزية للمعادن والخامات الغذائية وأحالت الامر للتفاوض الثنائى بين البائع والمشترى ، أى بعبارة أبسط : ترك التجارة الدولية لذبذبة الدولار والتضخم وروح السوق السوداء .

واستنادا الى هذه الحقائق ، لابد ان نتوقف قليلا لنستخلص العبرة ، مبتدئين بعرض بعض الحقائق الاساسية المستقاة من مصادر الامم المتحدة واحصائياتها المتاحة فى انتظار نشر الابحاث الكاملة الاحدث .

● بالنسبة للخامات ولا سيما المعدنية، يجدر أن يلاحظ كل باحث أن العالم الثالث وحتى ١٩٥٨ قبل تحرر القارة الافريقية كان ينتج ٤ فى المائة من فحم العالم و٢ر٤٥ من معادنه و٩ر٣٥ من بتروله — وفى ١٩٦٤ وصل انتاج بتروله الى ٦٥٠ مليون طن (مقابل ٣٧٢ للولايات المتحدة) ، ونحاسه الى ٢ من ٤ مليون طن خام نحاس أنتج عالميا ، و٧ر٢ مليون من ٩ر٥ طن منجانيز عالميا ، و١٢ من ٧ر١٦ ألف طن كوبلت فى العالم ، و٩٣٠ من ١٢٦٠ طن كروم ، و١٣٣ من ١٦٥ ألف طن قصدير ، و١٧ من ٢٥ مليون طن خام بوكسيت أى ألومنيوم ، وأيضا حوالى ثلث الحديد والرصاص والزنك فى العالم — أما بالنسبة للفوسفات أساس صناعة السماد عصب الزراعة فقد أنتج العالم الثالث ١٦ر٦٣٠ ألف طن فى حين أنتجت الولايات المتحدة ١٩ر٧٠٠ — وأخيرا فالانتيمون ينتج العالم الثالث منه ٢٣ر١٨٠ طن والبلاد الاشتراكية ٢٨ر٣٨٠ [منها ١٧ر٠٠٠ للصين] ، ولا ينتجه العالم الغربى بتاتا .

يتضح مما تقدم أنه باستثناء الفحم وقبل تحرر افريقيا ، ورغم أنه خامة تندثر كمصدر طاقة أمام البترول واليورانيوم ومساقط المياه ، فان العالم الثالث الملقب بالمتخلف أو الفقير هو فى الواقع الثرى بالخامات المعدنية .. ناهيك عن الغذائية .

● الا ان أكثر من ٣٠ دولة شابة لا تزال تعتمد فى دخلها القومى على انتاج خامة او اثنين فقط ، فالعراق يعتمد على نحو ٩٠ فى المائة دخل من البترول ، وفنزويلا على ٩٥ فى المائة ، وشيلى ٩٩ فى المائة من دخلها على النحاس والحديد ، وغانا على ٩٩ فى المائة كاكاو ، وانجولا على ٩٧ فى المائة ماس وبن ، وتايلاند ٩٧ فى المائة على تصدير المطاط والارز ، وكولومبيا على ٩٥ فى المائة بترول

وبن والبرازيل ٩٤ فى المائة بن وخلافه ، وزائيرى على ٨٨ فى المائة مطاط وخامات وبن ، والمغرب ٨٦ فى المائة من دخلها فوسفات وموالح ، و ٨٦ فى المائة فى الارجنتين صوف ومنتجات حيوانية ، و ٧٠ فى المائة من دخل ماليزيا من المطاط، و ٦٣ فى المائة من هايتى من البن ، و ٦٠ فى المائة من دخل بوليفيا على القصدير ، و ٦٠ فى المائة من سان دومنجو على السكر - والعبرة من هذه الارقام ان التخلف مرتبط بالسلعة الواحدة والخروج منه رهن بتنويع وتكامل الاقتصاد بين الزراعة والصناعة من جهة وبين صناعات الاستخراج والتحويل من جهة ثانية والصناعات الحديدية وغير الحديدية الخ .

● ولما كان الخروج من الخامة الاساسية الاولية الى المواد المكررة والمجهزة والمنقاة والمفصولة من الخبث والمشكلة والمسبوكة يتطلب اقامة ركيزة تكنولوجية من البحث والصناعة معا ، فتصادف الدول النامية نقصا فى المدخرات الامر الذى يجعلها تعتمد على الخبرة او رأس المال الخارجى ، وهذا يعرضها لجذب سياسى واستقطاب حتمى أو عدم انحياز يضطرها الى استيراد هذه المصنعات باثمان باهظة فى وقت يتعسف عالم الوفرة بماله وخبرته معا . مثال ذلك ما جاء فى تحليل مالى بترولى من ان كل ١٠٠ فرنك يدفعها المستهلك الغربى يعود منها ١٠٫٦ فى المائة للبلد الناتج كالعالم العربى. (منها ٩٫٧ فى المائة ضريبة حكومية و ٢٫٧ للمصنع نفسه) فى حين أن البلد الذى ينقل ويكرر ويعود فيوزع ينال ٨٩٫٤ فى المائة (منها ٤٧٫٥ ضريبة الحكومة الغربية و ٣٥٫٦ فى المائة مصاريف نقل حول افريقيا وارباح وتكاليف وظائف فنية احتكارية).

معنى ذلك ان التجهيز والتكرير والاستخلاص والسبك والتشكيل يتم خارج العالم الثالث أساسا ويعيد الينا السلعة بعد أن أضيف اليها حاجز الشراء واستحالة الاسترداد ، وتسويف استقلالنا التكنولوجى بعد تسويف النهب السابق ومتابعته بشكل فنى خفى .

وقد أورد بيير جالى فى دراسة بعنوان : نهب العالم الثالث : دار مسبيرو ١٩٦٨ . مثلا آخر صارخا قال : فى حين استخرج العالم الثالث عام ١٩٦١ حوالى ١٣٣ الف طن قصدير من ١٦٥ انتاج عالمى ، الا ان عشر المقدار فقط عاد مسبوكا لاستهلاك واستخدام العالم الثالث - وكذلك فى حين استخرج ٦٢ فى المائة من البوكسيت المنتج للالومنيوم فى العالم (وهو عنصر المدنية الكهربائية ورفاهية النقل الجوى بالطائرات) لم يعد لاستهلاك العالم الثالث منه سوى ٢٫٢ فى المائة فقط .

فى اعقاب مؤتمر التنمية اذن وفى ضوء التعنت والتسويف يتحتم على حكومات العالم الثالث والمنظمات الاقليمية عربية كانت أو أفريقية ، أو أفروآسيوية ، أو مجموعات السبعة وسبعين أن تحدد استراتيجية جديدة متكاملة لاستغلال الخامات لداركة التحدى الجديد فى سوقها وتبادلها ، معتمدة على نقاط انطلاق جديدة يهمنا فى مصر منها بعض الجوانب على سبيل المثال :

١ - توعية جماهيرية بمشاكل التنمية والتخلف التكنولوجى بوضع هذه الحقائق أمام المواطن طالبا أو عاملا أو قياديا أو فنيا حتى يفهم الاحتياجات والابعاد الواقعة لهذا الموضوع ، وهذه امانة فى عنق الصحافة .

٢ - نظرة جديدة للخامات تخرجنا من التحمذ عند ضخ النفط « وتوسيع وتصحيح الرؤيا » الى تكرير وفصل وبتروكيميائيات ، وتوجيه بعض ربح البترول لتمويل برامج كشف واستخراج معادن أخرى لاسيما غير الحديدية والنووية ، فالمستقبل لها .

٣ - هضم الخبرة العالمية ونقل المراجع والدوريات الى طبعات رخيصة فى متناول جيب الطالب والمهندس الشاب اسوة بما عملت الهند واليابان باعادة طبع كتب ماكجروهيل فى طبعات رخيصة طلابية ، والاقتراح موجه لهيئة الكتاب .

٤ - تنظيم ندوات علمية بمعرفة الجمعيات الجيولوجية والهندسية والكيمائية لمناقشة المشروعات الكبرى قبل التعاقد بغية اجلاء الحقائق وتدارك كل الجوانب كأن يناقش المجمع الفسفورى مثلا ومبررات اختيار الطريقة الجافة ومدى استردادها للعناصر النادرة ، أو الاستراتيجية ، وذلك فى جو متحرر من كل نظرة مسبقة أو مركز تأثير .

٥ - تشجيع المدارس البحثية التى تستهدف كسر الحاجز المضروب حول سر الاختراع وتقليد الصناعة وتوفير التجهيزات للمعاهد بسخاء لاقامة هذه الدعامة والاغداق عليها بالحوافز لتدارك هجرة العقول .

٦ - رسم منطلق جديد للاستغلال يتفق مع انماط الشعوب المتواضعة بتلمس اختصار مراحل الاستغلال كالاعمال المنجمية المفتوحة ، وتذويب الاعماق والاكوام والاستغناء عن الصحن

واستغلال المياه الجوفية والطاقة الشمسية لتحضير الركازات فى المناجم وتوفير ثمن النقل وعدم بيعها الا مكررة أو مجهزة .

٧ ـ بث العقلية العلمية التى تعتمد على المبادرة والتجريب والعكوف على النظرات المتعمقة وترجمة المراجع والمراسلة مع الخبراء واحترام العمل اليدوى والتمسك بالقياس والدقة وعمل حساب الخطأ والتفاوت وعدم اهمال الجوانب المالية والانسانية لاى مشروع تجسيدا لتحالف القوى بين المنجم والمختبر والمصنع ابقاء لخبرة التكرير والتمويل والتشكيل لصالح الانسان المصرى ، على ارض مصر ، وعدم تصدير الخام الا اذا فاض ، وفى الضرورة القصوى .

■

تاريخنـــا الحـــــديث ..

جاءنا من عمرو عبد المنعم حمودة ـ برما غربية ، التعليق التـــالى الذى يدور حول « تاريخنـــا الحـــديث والبحث عن الــذات القومية » .

منذ أن بدأ الحديث عن الذات القومية والبحث عنها وكأنهـــا شىء مفقود ، والقضـــايا تطرح والمناقشات تثور وماتزال صحافتنا تطالعنا شبه يوميا بمقالات وأبحاث حول هذا الموضوع تـكاد تمسه من قريب أو بعيد ، ولكنها لا تستطيع أن تنفذ الى أعماقه . فمن دراســات عن فترات تاريخيـة محددة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر وأمثلة ذلك تلك الدراسة التى كتبها الدكتور **جمال الدين المســــدى** عن ثـــورة ٢٣ يوليـــو فى جـــريدة الجمهورية . . ومذكرات مدام دى شيرون ، والزعيم محمد فريد فى الاهرام الاسبوعى . وهـــذه الدراسات وتلك الابحاث رغم انها أعدت باشراف أساتذة متخصصين فـى التــاريخ الحــديث والمعاصر ، الا انها لا يمكن أن تمثل العمـل التاريخى العلمى والموضوعى .

واذا كان البحث عن الذات القومية ضرورة حتمية تفرض وجودها وتلح فى دراستها تأكيدا لهذا الوجود ، فانه من المنطقى والطبيعى أن تتعدد المدارس والاتجاهات الفكرية الباحثة فى الـذات القومية بتعددالمدارس الباحثة فىالعلوم الانسانية فهناك المدرسة الجغرافية ومدرسة الانمـاط السلوكية والاخلاقية والمدرسة التاريخية .

والحقيقة ان الحديث عن الذات القومية وما يرتبط بها من قضايا أخرى مثل معالم الشخصية المصرية ، يأتى مبتسرا ناقصا اذا لم يعالج بمنهج تاريخى علمى . فالدراسة التاريخية للـذات القومية ، يمكن أن تكشف عن كافة العطاءات الاجتماعية والنفسية والسياسية للذات القومية خلال عصور التاريخ المختلفة . وبالتالى فـان مجموع هذه العطاءات يشكل السمات البارزة والقسمات الواضحة للذات القومية وذلك من خلال الترسيبات الكمية والكيفية للعملية التاريخية .

وهذا المنهاج التاريخى لدراسة الذات القومية يستلزم مسبقا وجود فلسفـة للتاريخ القومى ، فلسفة بنائية شاملة تستطيع أن تكشف كل أبعاد التاريخ القومى بمنجزاته ايجابيا وسـقطاته سلبيا . ففقدان فلسفة التاريخ القومى يجعـل العملية التاريخية فى غيابها ، نوعا من النشاط المادى اللاانسانى والغير محكوم بقوانين تامة الانضباط والتقنين . هذه هى الخطوة الاولـى والثانية يأتى فى اثرها ـ بعد وضوح فلسـفة التاريخ القومى ـ أن يكون التاريخ القومى ذاته أمامنا واضح المعالم بارز القسمات متصـل الحلقات والبعيد عن العيوب التى تشوب كتابة تاريخ أى أمة من أمم الارض من زلف ونفاق .. بعبارة اخرى لابد من اعادة كتابة تاريخنا القومى بما يمكننا أن نستشف من خلال صفحاته التجربة التاريخية فى عصورها المختلفة وتأثير الانسان المصرى فيها وتأثرهبها . فالتاريخ القومىبالدرجة الاولى هو معمل الابحاث للباحث فى العلـوم الاجتماعية والانسانية .

ذلك ان تاريخنا القومى الذى تعرفه الكتب المتداولة مملوء بالاخطاء والاكاذيب . فقد كتب فى عصور القهر الاستعمارى . وللانصاف والحقيقة نسجل لفريق من المؤرخين الوطنيين وعلى رأسهم المرحوم الاستاذ عبد الرحمن الرافعى انهـم استطاعوا بجسارة أن يسجلوا التجربة التاريخية المصرية فى أمانة علمية رائدة ورائعة فى نفس الوقت . حتىهذه الجهود الفرديةتوقفت بعد وفاة الاستاذ الرافعى فى سنة ١٩٦٦ .

فاذا أردنا أن نصحح هذه الاوضاع التاريخية فلابد من اعادة كتابة التاريخ القومى بأسلوب تحليلى علمى يأخذ فى اعتباره بالدرجة الاولى نشاط القوى الاجتماعية المختلفة فى حركة التاريخ

الحديث والمعاصر (الاقطاع والفلاح المصرى – الرأسمالية الوطنية – الحركة الوطنية – الطبقة العاملة) بالاضافة الى قوة مؤثرة كان لها وضعها الفعال فى عمليات التعبير التاريخى وهى الجيش والمؤسسات العسكرية وهذا ما أغفله كثير من المؤرخين للآن .

كذلك فانه لابد من كتابة تاريخ الحياة الثقافية فى مصر وابراز دور الرواد ممثلا فى رفاعة الطهطاوى وعبد الله النديم وعلى مبارك ومحمد عبده وقاسم أمين وعلى عبد الرازق وطه حسين والعقاد وسلامة موسى ومحمد مندور . واذا كنت قد ذكرت كل هؤلاء الرواد فان ذلك مرجعه أن فكر هؤلاء الرواد هو الذى شكل الفكر السيساسى والاجتماعى بتياراته المختلفة .

أما بالنسبة لتاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فانه لم يكتب بطريقة علمية حتى الان باستثناء بعض كتابات علمية جادة من أساتذة اقتصاد وعلى رأسهم استاذنا الدكتور رفعت المحجوب والدكتور حسين خلاف . بالاضافة الى ذلك فانه اذا كان الفكر الاشتراكى قد أخذ طريقه الى أرض الواقع المصرى كأساس للنظام الاقتصادى والاجتماعى للدولة ، فان دراسة الاصول التاريخية للفكر الاشتراكى فى مصر وموقف الطبقات المختلفة منها نقد مسألة أساسية للغاية لتفهم التغيرات الجذرية التى طرأت على الواقع المصرى والا أصبحت هذه التغيرات كنبت طفيلى عائم دون جذور .

اننى أتساءل عن كتاب « وصف مصر » أين هو الان ولماذا لم ينشر ؟ تساؤلات وتساؤلات تطرح نفسها ولا تجد أية اجابة من كبار مؤرخينا .

وننبه الى مجموعة حقائق وهى :

أولا : انه لابد من كتابة التاريخ القومى بروح علمية محايدة وواعية بعيدا عن التيارات السياسية أيا كان موقعها من خريطة الواقع المصرى وبالنسبة لهذه النقطة لا أجد ما اقوله سوى كلمات المرحوم الاستاذ الرافعى « من أن المؤرخ فى طبيعة رسالته تشبه أن يكون قاضيا يفصل فى القضايا التاريخية التى يتعرض لها » .

ثانيا : إن تكرس كافة الامكانيات المادية والانسانية والمعنوية ويحشد من أجل هذا العمل كبار أساتذة التاريخ عندنا ومؤرخينا .

ثالثا : الاهتمام بالمذكرات الخاصة بكبار الشخصيات التى لعبت أدوارا هامة فى تاريخ مصر الحديث وأهمها مذكرات سعد زغلول ومحمد فريد وعزيز المصرى ولطفى السيد والزعيم الراحل جمال عبد الناصر والرئيس انور السادات .

رابعا : اننى أود أن يسهم « الاهرام » باعتباره أهم مؤسسة فى عالم الصحافة العربية المعاصرة فى هذا العمل بامكانياته المادية والانسانية وعن طريق مركز أبحاثه .

ان دراسة تاريخنا القومى دراسة علمية موضوعية لابد وأن يكون الاساس – بل أكاد أقول الاساس الوحيد – للبحث عن الذات القومية . وهذه الدراسة تفضى بدورها الى كشف النقاب عن معالم الشخصية المصرية .

■

٩ سبتمبر .. وقضايا الفلاحين

وجاءنا من عريان نصيف التعليق التالى بمناسبة مرور ٢٠ عاما على صدور القانون الاول للاصلاح الزراعى :

مع احتفال بلادنا – وجماهير فلاحينا بشكل خاص – بيوم ٩ سبتمبر كذكرى لانتصار ارادة الفلاح المصرى – ممثلة فى قيادة ثورة ٢٣ يوليو المجيدة – على قوى الاقطاع الزراعى ، فاننا فى نفس الوقت الذى نتمثل فيه التغييرات الثورية العميقة التى أحدثها قانون الاصلاح الزراعى ليس فى المجال الزراعى والفلاحى فحسب بل على المستوى الاجتماعى العام أيضا ، نتمثل أيضا بعض القضايا الهامة – فى مجال المسألة الزراعية – التى ما زالت فى حاجة الى تكاتف كافة القوى التنفيذية والشعبية من أجل بحثها ووضع أفضل الحلول الملائمة لها بما يكفل المزيد من التقدم لبلادنا ولثورتنا .

فأولا : بالنسبة لعمال التراحيل وعمال الزراعة الموسميين – الذين يشكلون بعائلاتهم قطاعا كبيرا فى المجتمع يحصى بعدة ملايين – فانه بالرغم من التغيرات الجذرية – القانونية – التى أصبحت منظمة لحياتهم وعملهم ، وبالرغم من الجهود الكبيرة التى بذلت وما زالت تبذل فى هذا المجال ، فما زال لمقاولى الانفار دور كبير فى تشغيلهم تحت ظروف عمل لا توصف بأقل من أنها غير انسانية .

ثانيا : بالنسبة للاراضى الجديدة : فلم يحسم

مصيرها بعد .. هل ستوزع أم سيتم انشاء قطاع عام زراعي يتيح استغلال الامكانيات العلميــــة والالية في الزراعة بما يعنيه ذلك من التاثير الكبير على انتاجنا الزراعي كما وكيفا وما يؤدي اليه أيضا من خلق الفلاح الجديد الذي سيكون العمل هو القيمة الاولى في حياته وليست الملكية .

ثالثا : بالنسبة لتحديد من هو « الفلاح » لم تزل هناك عدمدقة كافية – في هذا المجال – ممايكون له انعكاسه في اختيار ممثلي الفلاحين سواء على المستوى التعاوني أو السياسي أو البرلماني ، ومما يتيح للبعض العمل السياسي باسم الفلاحين على غير أساس واقعي وشرعي لذلك .

وأخيرا .. تحية لذكرى ٩ سبتمبر ، وللقيادة الثورية التي مكنت الفلاح المصري من احراز العديد من المكاسب والانتصارات ، بل ومكنته أيضا من طرح العديد من القضايا التي يرى أنها في حاجة الى تكاتفه مع قياداته التنفيـذية والسياسية من أجل حلها .

■

وجاءنا البيان السياسي التالي الذي أصــدره المؤتمر العــالمي للتضامن مع الشـــعب العراقي حول تاميم البترول ، وقد عقد يومي ١٧و١٨ اغسطس الماضي .

١ – نحن ممثلي مختلف المنظمات السياسية والاجتمـاعية ذات المعتقــدات السيـــاسية والايديولوجية المختلفة اجتمعنا في بغداد يومي ١٧ و١٨ آب (اغسطس) ١٩٧٢ بمناسبة المؤتمر العالمي للتضامن مع الشعب العراقي في تاميم النفط .

وقــد جئنا من ٤٥ قطرا من أقطـار أفريقيا وأمريكا وآسيا وأوروبا ، ممثلين مائة منظمـة وطنية و١٢ منظمة عالمية .

٢ – ان النفط ذو أهمية استثنائية في العراق فهو المصدر الرئيسي لرأس المال والطاقة ، ويشكل المادة الخام الاساسية للصناعات الكيمـاوية والبتروكيمياوية التي تعتبر حيوية للتنمية الزراعية والصناعية في العراق .

٣ – لقد أخذت شركة نفط العراق التي هي جزء من احتكار النفط العالمي تستغل ثروة العراق النفطية منذ ان كان تحت الاحتلال والسيطرة العثمانية ثم البريطانية . وتدخلت شركة نفـط العراق طوال سنين عديدة في الوضع الداخلي في البلاد،وأثرت فيه بشكل يسمحلها ادامة استغلالها، وقد استخدمت وتائر انتاج النفط وعوائده وسيلة للضغط على العراق واعاقة استقلال العــراق الاقتصادي .

٤ – لقد تآمر الامبرياليون والاحتكارات النفطية ضد حركة التحرر العربي عن طريق العدوان المسلح والعدوان الاقتصادي والتخريب . وكان تأميم ش .ن . ع الجواب الصحيح على هـذا العدوان وعلى التخفيض البالغ والتعسفي في الانتاج وعلى رفض الشركة الاعتراف بمطالب العراق المشروعة . ان العراق بتأميمه النفط انما مارس حقه في السيادة الوطنية على موارده الوطنية وهو حق اعترفت به قرارات الامم المتحدة ومحكمة العدل الدولية .

٥ – لقد فتح التأميم آفاقا جديدة لتقدم العراق اقتصاديا واجتماعيا ودعم استقلاله السياسي . وهكذا فان الثروة النفطية يمكنها الان ان تسهم بشكل أفضل في رفع مستوى معيشة شعب العراق وقدم التأميم للعراق امكانية حقيقية لازالة الفقر والمرض وتوفير حياة لائقة للجماهير الشغيلة . كما قدم مثلا للبلدان المنتجة للنفط في الشرق الاوسط وفي العالم الثالث لتحرير ثرواتها النفطية من الاستغلال الامبريالي . ووفر تأميم شركة نفط العراق الشروط اللازمة لقيام علاقات جديدة بين البلدان المنتجة والمستهلكة للنفط على أســاس المصالح المتبادلة .

٦ – وتحاول الامبريالية بقوة يدفعها في ذلك جشــعها ورفضـــها في تحقيـــق ارباح اكبر والسيطرة على العالم ان تمنع العراق من بيع نفطه المؤمم ويشدد الامبرياليون جهودهم ويستخدمون حلفاءهم الرجعيين في الشرق الاوسط ضد العراق كما يحاولون افشال التأميم العراقي باعتبار ذلك خطوة نحو الاطاحة بالحكومة الوطنية وجزءا من مؤامراتهم ضد حركة التحرر العربي .

٧ – ان هذا المؤتمر العالمي يعتبر تأمين شركة نفط العراق اسهاما اساسيا في النضال ضد الامبريالية ويناشد جميع قوى السلم والتقدم ان تبذل أقصى ما في وسعها للمساعدة على نجاح قرار التأميم التاريخي الذي اتخذه العراق .

٨ – ويؤكد هذا المؤتمر العالمي على اهمية

الشروط اللازمة لهذا النجاح الا وهى الوحدة الكفاحية ، وحدة العرب والاكراد والاقليات القومية . ولا يمكن الحفاظ على تعبئة جماهير الشعب العراقى وخدمة نضاله فى الظروف الراهنة الا عن طريق مواصلة سياسة واقامة الجبهة الوطنية الموحدة وحكومتها الائتلافية .

ان نضال الشعب العربى وتضامنه مع العراق عامل اساسى فى احباط المخططات التى تدبرها الدوائر الرجعية وسوف يلعب التعاون والتنسيق بين البلدان العربية المنتجة للنفط فى مقاومة ضغوط الاحتكارات النفطية دورا هاما جدا فى انتصار شعب العراق والشعب العربى . كما ان التضامن بين البلدان المنتجة والمصدرة للنفط عن طريق الجهود المشتركة والسياسات المشتركة ، يستطيع كما حدث ذلك فى الماضى ان يساعد على التخفيف من الضغط الذى تمارسه شركة نفط العراق على العراق ولذلك فان المؤتمر يناشد جميع شعوب هذه البلدان وحكوماتها ان تدعم العراق ضد مناورات شركة نفط العراق وان تساعد على ان يبلغ قرار التأميم نهايته الظافرة .

٩ ـ ان هذا المؤتمر العالمى يعتبر أن عمل العراق الموحد مع قوى السلم والتقدم الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى وحركة الطبقة العاملة والحركة الديمقراطية فى البلدان المتطورة وحركات التحرر الوطنى ـ فى وسعه أن يؤمن كل الموارد والوسائل المادية والسياسية اللازمة لمساعدة العراق بشكل شامل . ان هذه القوى قادرة على مساعدة العراق على الابقاء على معدلات النفط المؤمم والبدء بصناعة نفطية متقدمة وتطورها .

وتعتبر معاهدة الصداقة والتعاون بين العراق والاتحاد السوفيتى سلاحا فعالا وناجحا ضد المؤامرات والدسائس الامبريالية . وقد استطاع العراق بمساعدة الاتحاد السوفيتى وهنغاريا ان ينتج النفط ويصدره من حقول نفطه بصورة مستقلة عن شركة نفط العراق والشركات التابعة لها . وقد أسهم الاتحاد السوفيتى وتعاونه الشاملان مع العراق الان ، وسوف يسهمان فى انجاح قرار التأميم . ونظرا للمحاولات التى تبذلها الاحتكارات النفطية لتقويض قرار تأميم شركة نفط العراق ، واستمرار العدوان الاسرائيلى ، واشتداد الدسائس الامبريالية ضد العراق والبلدان العربية الاخرى ، فان تدعيم علاقات الصداقة والتعاون العربى ـ السوفيتى تدعيما أكبر قد أصبح عاملا لا غنى عنه لصد هذه المحاولات وتحقيق الظفر .

١٠ ـ يحيى هذا المؤتمر الشعب العراقى وحكومته بمناسبة انتصارهما فى تأميم شركة نفط العراق ، ويناشد كل القوى التقدمية وكل من يعز عليه الكرامة الانسانية ، والوفاء والتعاون بين الامم ، ان ينفذوا برنامج العمل الذى وضعه هذا المؤتمر ، وان يعربوا عن كامل تضامنهم مع شعب العراق .

تقييم واقتراحات .. من سوريا

وصلنا من الطالبة صبيحة عامر ـ بالمرحلة الثانوية ـ بمدينة حلب فى سوريا ، تعرض فيها لوجهة نظرها فى « تقييم » الطليعة منذ صدورها . واذ يكشف العرض الذى قدمته الاخت السورية ، عن متابعة دقيقة ذكية وفاحصة للطليعة وكتاباتها ، فانها تتقدم بعدد من المقترحات لدراستها « من جانب الطليعة وجانب جميع الاخوة العرب » ، هى :

١ ـ قضية الحركة العربية الواحدة .

٢ ـ العقبات التى تعترض الوحدة العربية ، ومناقشة انسب الحلول لها .

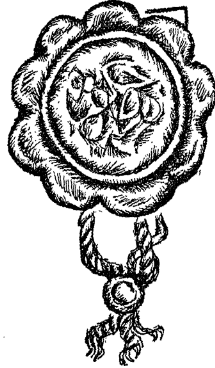
٣ ـ ايديولوجية القومية العربية .

٤ ـ انتشار الفكر الناصرى القومى وعلاقاته مع القوى السياسية العربية وتحديد نقاط الاتفاق والافتراق بينه وبين بقية الافكار المنتشرة .

٥ ـ مناقشة قضية انشاء تنظيم قومى عام وشامل .

وتقدر الطليعة كل التقدير الاهتمام الملحوظ للاخت السورية ، وقد وضعت امام أسرة التحرير الاقتراحات التى تقدمت بها ، لتكون موضع دراستها فى جدول أعمالها .

وثائق



برنامج حزب التوحيد الثورى بكوريا الجنوبية

تقدم الطليعة فى هذا العدد برنامج « حزب التوحيد الثورى » فى كوريا الجنوبية ، وهو الحزب الذى يخوض الكفاح فى الجنوب من أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية ، واعادة توحيد البلاد وبناء الاشتراكية .

وتحتل قضية توحيد كوريا أهمية كبيرة فى حياة الشعب فى الشمال والجنوب ، بعد الوضع الانقسامى المؤلم الذى أسفرت عنه الحرب الضارية التى خاضها الشعب الكورى فى الفترة من ١٩٥٠ ـ الى ١٩٥٣ .

وجدير بالذكر أن الدولتين الكوريتين كانتا قد اصدرتا منذ شهرين اعلانا مشتركا عن الخطوات العملية التى ينبغى البدء بها من أجل تقدم العلاقات بين الشمال والجنوب بهدف اعادة توحيد البلاد .



انّ الامبريالية الامريكية التي أخذت مكان الامبريالية اليابانية بعد الحرب العالمية الثانية قد احتلت كوريا الجنوبية عسكريا بهدف تحقيق الاطماع العدوانية التي سيطرت على مخيلة الامبرياليين الامريكيين طوال قرن كامل ازاء بلادنا ولتشييد رأس جسر عدوان الامبريالية الامريكية على القارة الاسيوية ، ولقد ظهرت هذه الامبريالية فىثياب الاستعمار الجديد ولجأت الى القمع والطغيان تحت اسنة حراب قواتها المحتلة ساخرة منا بكلمات « الاستقلال » و « المعونة » المعسولة .

واذا كانت قد حدثت أية تغيرات فى مجتمع كوريا الجنوبية منذ ذلك الحين فانها تتمثل فى ارتداء الثوب «الوطنى» المزيف أو مجتمع « الديمقراطية » الذى أقيم فقط بقصد التأثير الزخرفى ، بينما لايزال تاريخ العبودية الاستعمارية الذى بدأ منذ مطلع هذا القرن العشرين مستمرا .

يقال ان هناك « الدولة » و « الشعب الذى يحكم » ولكن هذه الكلمات لايبقى منها فى النهاية سوى الاسم لان الغزاة الامبرياليين الامريكان قد اصبحوا الحكام الحقيقيين الذين يمتلكون كل السلطات السياسية والاقتصادية والعسكرية الخ .. فى كوريا الجنوبية ولا تعتبر ماتسمى بـ « حكومة جمهورية كوريا » سوى لوحة تزين السيطرة الاستعمارية الشنيعة وتلك « السلطة » هى اداة للاستعمار الجديد تساندها وتحركها القوات العدوانية الامبريالية الامريكية و « معونة الدولار » وهى حكومة دمية من الخونة الذين يغررون بالبلاد والشعب .

وان «حكومة» باك جونغ هى الحالية هى أيضا حفنة من الصنائع الدمى ،نشأوا فى روث الاستعمار الامريكى والاستعمار اليابانى ، وهى عميلة لقوى العدوان والسلب والنهب تنفذ فى اخلاص توجيهات ساداتها .

لقد سيطر الامبرياليون الامريكيون على اقتصاد كوريا الجنوبية ووضعوه تحت رحمة « المعونة » واستولوا على دعائمه وأركانه وأعادوا تنظيم بنائه بهدف احكام سيطرتهم الاستعمارية وفرضها وانشأوا وربوا عن طريق منح مختلف « الامتيازات الخاصة » وكلاء للرأسماليين الاجانب وهؤلاء يعملون كوكلاء لتصريف الفائض من السلع الامريكية ، وكمرشدين لتسلل رؤوس أموال الاحتكارات وكمتآمرين على سلب ونهب أموال الجماهير ، ومن ناحية أخرى فانهم عن طريق فرض « الاصلاح الزراعى » الخادع المضلل ، قد منحوا الحماية لاصحاب الاملاك الوطنية الاقطاعيين ، بهدف اقامة قاعدة اجتماعية لحكمهم الاستعمارى .

ونتيجة لذلك فقد وجد الرأسمال الاحتكارى للامبريالية الامريكية أذنابا له فى المدن ، حفنة من الرأسماليين الكمبرادور الجدد الذين يستنزفون دماء الشعب حتى آخر نقطة واصبحت هذه الحفنة تسيطر على الفروع الرئيسية للاقتصاد الصناعى واصبح الرأسمال الوطنى الضعيف مطرودا ومعرضا للافلاس فى كل مكان ، أما فى الريف فان نظام ملكية الارض وطريقة الاستغلال والاقتصاد القائمة على النظم البدائية يؤدى الى انكماش الانتاج الزراعى وعوز الاقتصاد الزراعى الصغير الواسع النطاق .

وبناء على ذلك فقد حرم اقتصاد كوريا الجنوبية من السير فى طريق النمو المستقل وتضاءل الى اقتصاد « تابع » ستخدم فى السلب والنهب الاستعمارى المطلق العنان وكذيل عسكرى لا يتحرك الا فى اصفاد التخلف الهمجى ، أما النظام الاجتماعى الحالى فى كوريا الجنوبية فانه نظام استعمارى وشبه اقطاعى فى طبيعته .

وأسوأ من ذلك ، منذ تم توقيع « المعاهدة المعقودة بين كوريا الجنوبية واليابان» التى يبيع فيها وطننا فان المناورات التى قامت بها قوى العسكرية اليابانية بايعاز من الامبريالية الامريكية للعدوان على بلادنا من جديد تسير قدما ،وتدفع بلادنا الى هوة التبعية الثنائية للامريكان واليابانيين .

ان هذا النظام الاجتماعى المتعفن الذى يحافظ على وجوده بالاستناد الى حراب القوات العدوانية للامبريالية الامريكية والقمع الفاشى الذى يمارسه عملاؤها انما هو مجرد ورم سرطانى غير قابل للشفاء فى طريق تطور مجتمع كوريا الجنوبية بل هو السبب العميق الجذور لجميع الامراض التى يعانى منها هذا المجتمع .

يدل الخراب الاقتصادى والفوضوية السياسية والقلق الاجتماعى والفقر الجماهيرى والاختلاس والفساد الذى يسود المجتمع كله والشرور الاجتماعية الفاسدة الخ .... على الاوضاع الفظيعة التى تزداد استشراء يوما بعد يوم نظرا للاعمال اليائسة من جانب القوى العدوانية الاجنبية وعصاباتها العميلة وتدل بوضوح كذلك على طبيعة النظام الاجتماعى القائم المعادى للوطن والشعب ، والذى يتعارض مع التطور المستقل والديمقراطى للبلاد .

ان الاطاحة بالنظام القائم عن طريق الثورة ، مطلب تاريخى للامة التى تتطلع الى الاستقلال والاكتفاء الذاتى وهو مطلب يعكس ارادة جماهير الشعب التى تتوق الى الحرية والتحرر وضرورة موضوعية لتطور مجتمع كوريا الجنوبية .

وثورة كوريا الجنوبية المختمرة داخل المجتمع الاستعمارى وشبه الاقطاعى مطالبة بتنفيذ واجبات مناهضة للامبريالية فى سبيل التحرر الوطنى وبواجبات ديمقراطية ضد الاقطاع فى وقت واحد ، وهذه الواجبات التاريخية لا يمكن القيام بها الا عن طريق نضال حاد بين القوتين اللتين تستطيعان التعايش معا

الغزاة الامبرياليون الامريكان والرأسماليون الكمبرادور والملاك البيروقراطيون الاشرار يتصرفون فى طغيان واستبداد ويتمتعون بالثورة والشهرة والجاه معتمدين على السلطة وعلى الاساس الاقتصادى القائم حاليا ، ويقاومون فى يأس وقنوط التغيير الثورى فى المجتمع .

... وهم جميعا قوى معادية للقوى الوطنية والديمقراطية ، تدوس باقدامها حقوق ومصالح شعبنا وتعارض التقدم الديمقراطى لمجتمعنا . وتشكل بذلك الهدف الذى تسعى الثورة الى تدميره والاطاحة به .

والامبريالية الامريكية ، زعيمة الثورة المضادة ومربية الرجعيين المحليين ،هى الهدف الرئيسى للثورة الذى تسعى الى ضربه . وعلى العكس من ذلك فان الجماهير العمال والفلاحين والجنود على اختلاف رتبهم والشباب التقدمى والطلبة والمثقفين والبرجوازية الصغيرة فى المدن والرأسماليين الوطنيين الواعين الذين خضعوا دائما للاستغلال والجور تحت النظام الاجتماعى الاستعمارى شبه الاقطاعى ، مصلحة حيوية فى الثورة .. وهم لارتباطهم الوثيق بالاواصر الديمقراطية الوطنية ، قوة دافعة من قوى التقدم الاجتماعى ويشكلون قوة محركة من قوى الثورة والطبقة العاملة بصفة خاصة ، هى أكثر القوى تقدما وثورية ومن ثم فانها الطبقة القائدة المكلفة بأداء المهمة القيادية فى الثورة .

وثورة كوريا الجنوبية ثورة شعبية ديمقراطية تستهدف تحقيق الاشتراكية بقيادة الطبقة العاملة .. وتستهدف تجديد المجتمع فى كوريا الجنوبية .. أما الطريق الذى سارت فيه الرأسمالية الغربية فى القرن التاسع عشر ، فقد عفا عليه الزمن وهذا الطريق لن يقود امة متخلفة مستعمرة الى تحقيق واجباتها الديمقراطية وفى الظروف التاريخية الحالية حيث تجد الرأسمالية نفسها فى مرحلة الامبريالية بعد انتهاء تطورها السلمى فان البناء الرأسمالى سيؤدى مرة أخرى الى الخضوع للامبريالية وسيجر الاغلبية المطلقة

للجماهير الشعبية الى الفقر وسوء المعاملة وسيتكرر التاريخ الراهن للمأساة الوطنية •• والثورة الشعبية الدمقراطية هى الطريق الوحيد الذى يضمن ويصون فى حسم وثبات السيادة لهذا البلد ، وسيحقق الحرية الكاملة والتحرر للشعب وسيحقق الهدف الوطنى الاكبر وهو الوحدة الوطنيـــة •

وفى الشمال ، وبعد أن تحقق التحرير فى ١٥ اغسطس تحت القيادة الحكيمة لزعيم الثورة العظيم الرفيـــق كيم ايل سونغ شمس أمتنا والبطل المقدام الذى لم ينتج العـــالم مثله من قبل فان العمال والفلاحين والمثقفين والشعب كله قاموا بثورة شعبية منتصرة وبنوا دولة الاستقلال الغنية والقوية ذات الاســـتقلال الذاتى والاكتفاء الذاتى والدفاع الذاتى ، وأقاموا فردوسا للشعب الذى تحمل الاضـــطهاد والجوع من قبل واسيئت معـــاملته ، والذى يتمتع اليوم بكل حقوقه وبالرفاهية وبالسعادة •

ان الثورة الشعبية الديمقراطية التى تقوم بها القوى الوطنيـــة التقـــدمية من مختلف أوســـاط وطبقـــات الشـــعب ، ستكتسح من هذه الارض • جميع القاذورات الاجتماعية التى تكدست منذ زمن طويل وستفتح عصرا جديدا زاهيا فى تاريخنا وحزب التوحيد الثورى ، الفصيلة الطليعية للطبقة العاملة ، والجمـــاهير الاخرى الـــكادحة ، والممثل للمصالح الوطنيـــة لشعب كوريا الجنوبية بأكمله يتحمل على كاهله المهمة السامية للقيام بهذه الواجبات الثورية وهو بذلك يقيم نظاما اجتماعيا جديدا ، نظاما شعبيا ديمقراطيا للوطن والشعب ويخلق تاريخا مجيدا تصبح فيه جماهير الشعب العامل سادة نفسها •

ومن أجل الاطاحة بالنظام الاجتماعى الاستعمارى وشبه الاقطاعى الملعون ، وضمان التقدم الديمقراطى الوطنى لمجتمع كوريا الجنوبيـــة ، ولانجاز الهدف الاكبر المتمثل فى توحيد أرض الوطن ، فان حزبنـــا يتقدم بالبرنامج التـــــالى ذى الاثنتى عشرة نقطة •

وسيناضل فى شجاعة وجرأة لتحقيقه •• وهو :

١ ـ الاطـــاحة بالحكم الاستعمارى للامبريالية الامريكية واقامة سلطة مستقلة ديمقراطيـــــة • ستتم الاطاحـــة بالحكم الاستعمارى عن طريق مقـــاومة الشعب بأسره مع القوى الوطنيـــة للامبرياليـــة الامريكية وسوف تطرد القوات العسكرية المعتـــدية ، وتصفى القواعد العسكرية ، وينتهى الاحتلال العســـكرى للامبرياليـــة الامريكيـــة وســـتحطم أجهزة العـــدوان الامريكى وتلغى الاتفاقيات والمعـــاهدات التى تكبل البلاد •

وستتحقق الاســـتقلال السياسى عن طريق الاطاحـــة بالحكم العميل واقامة حكومة شعبية ديمقراطية تمثل مصالح مختلف أوساط وطبقـــات الشـــعب من العمال والفـــلاحين والمثقفين التقـــدميين والبرجوازية الصـــــغيرة فى المـــدن والراسماليين الوطنيين الواعين •

٢ ـ تصفية الدكتاتورية الفاشيستية وتحقيق الديمقراطية فى الحياة الاجتماعية السياسية •

ستحل وكالة المخابرات المركزية بكل فروعها والمنظمات التابعة لها والبوليس وهيئات القضاء وهيئات الادعاء العـــام وغيرها واجهزة القمع الاخرى • وسيلغى « قانون الامن الوطنى » و « قانون مناهضة الشيوعية » وغيرها من القوانين الشريرة الاخرى غير الشعبية وسيعدم زعمـــاء العصـــــابة الفاشيستيون الذين قتـــلوا المواطنين والاشـــخاص الابرياء وسيطلق سراح « المسجونين السياسيين » بدون قيد أو شرط وستتكون قوة امن شعبية ، وتنشأ هيئـــات ديمقراطيـــــة للعـــدالة والقضـــاء والادعاء العـــام ، لحمـــاية المـــكاسب الثورية ، وحمـــــاية أرواح وممتلـــكات الشعب •

وسيمنع فورا كل افتئـــات على حقوق الشعب الديمقراطيـــــة منعـــا باتا • وســـتكفل عمليـــا الحرية الديمقراطيـــة وحقوق الخطـــابة والصـــحافة ، وحرية الاجتماعات وتكوين الجمعيات والمظاهرات والحرية الدينيـــة الخ •• وكذلك ستصان حرية اختيـــار الفكرة التقـــدمية ودعايتها وحرية تـــكوين الاحـــزاب السياســـية والديمقراطية والمنظمات الديمقراطية التى تمثل حقوق ومصالح الشعب من مختلف الاوساط والطبقات والمهن وحريتها فى مزاولة نشاطها •

وستضمن حرية الاقامة والانتقـــال ، واختيـــار المهنـــة ، وعدم انتهاك الحرية الشخصية المقدسة والمساكن ، وسرية المكاتبات والمراسلات وسيمنح كذلك حق الانتخاب والترشـــيح للانتخـــابات لجميع المواطنين فوق سن الثامنة عشرة ماعدا حفنة من الخونة •

٣ ـ تنفيذ اصلاح زراعى ديمقراطى والقضاء على التخلف الذى استمر طوال عدة قرون والفقر فى الريف وفى قرى صيد الاسماك •

وسيتم تنفيـــذ « اصـــلاح زراعى » ديمقراطى لحل مشكلة الارض الزراعية حلا جذريا ، ومن اجل تحرير الفلاحين تحريرا تاما من طغيـــان الاقطـــاع ومن الاستغلال •

وستصـــادر حقـــول الارز التى تبلغ مساحتها ثلاثة جونغ بو فأكثر وكـــذلك الحقول الجـــافة التى تبلغ مساحتهـــا خمسة جونغ بو فأكثر التى يملكها أو يؤجرها أصحاب الاملاك وستكون المصادرة بـــدون دفـــع أى تعويض أما الاراضى الصغيرة الحجم التى يملكها صغار الملاك أو اغنياء الفلاحين فستشترى مع التعويض وتوزع بدون تعويض توزيعا مجانا على الفلاحين الذين لا أرض لهم أو الـــذين يملـــكون القليل من الارض • وأما الاراضى التى يملكها المواطنون الذين اسهموا فى أعمال ضد أمريكا وفى انقـــاذ الوطن فسوف تشترى مع التعويض بصرف النظر عن مساحتها •• وستؤمم مرافق زراعة الغابة والرى لتنمية المصـــلحة العـــامة للفلاحين •

وســـوف تسترد الاراضى التى منحت للعسكريين ، وكـــذلك تعـــاد الاراضى القـــابلة للزراعة على طول خط الهدنة • واستصلاح الاراضى التى تغمرها ميـــاه المـــد على طول الســـاحل الغربى ، وأراضى المنـــاطق الجبليـــة لـــكى توزع أيضـــا على فقراء الفـــلاحين والعمال الاجراء حتى يمكن زيادة مســـاحـــة أرض كل أسرة من الفـــلاحين الى ٤ر١ جونغ بو كحد أدنى ، وحتى تحل مشكلة فقر الفلاحين حلا جذريا •

أما صـــيادو الاسماك فيتحررون من أســـاليب الاســـتغلال التى تعود الى العصور الوســـطى وستكفل لهم حـــرية الصيد أو تســـتقر معيشتهم وأرزاقهم • وســـتقدم الدولة ســـفن وأجهزة الصيد والاموال ، الى فقراء الصيادين • وستنشأ فى الوقت نفســـه شركات حكومية للصيد وستنظم الجمعية التعاونية لصيد الاسماك على نطاق واسع على أساس من التطوع وتقـــدم لهـــا الدولة التـــأييد والعون المـــادى والمالى بهـــدف تحسين أوضاع الصيادين تحسينا جوهريا •

٤ ـ تأميم الصناعات الكبرى ، وبناء اقتصاد وطنى مستقل •

ستصادر وتؤمم المصـــانع والمنـــاجم والبنوك وشركات الاعمـــــال الخ التى يملـــكها اصـــحاب الاحتكارات الاجنبية ووكلاء الرأسماليين الاجانب ، وعلى رأسهم الامريكيين واليابانيين ، بقصد استغلالها فى تطوير الصناعات الوطنية ، ومن أجل فائدة الشعب وكذلك سيقضى على النفوذ الاقتصادى الضخم للاجانب والاحتكارات الاقتصادية لحفنة ممن ينتمون الى دوائر اصحاب الامتيازات وستفرض الحمـــاية على النشاط التجـــارى الذى يقوم به أصـــحاب رؤوس الاموال الـــوطنيين ، وأصحاب الحرف اليدوية وصغار التجار وتبث فيهم روح المبـــادرة لـــكى يسهموا فى بناء الاقتصاد الوطنى •

وستبيعالج الانحراف الاستعماري في تركيب الاقتصاد ، وتوضع الاسس الراسخة لاقتصاد وطني مستقل ، وستمحى الاثار السيئة « للمعونة » الامريكية من كافة مجالات الاقتصاد ، وسيوقف دخول وتدفق رؤوس الاموال الاجنبية وستتم سيطرة الدولة على التجارة الخارجية لحماية الاقتصاد الوطني من الضغط الاقتصادي للدول الاجنبية وستستغل مصادر الثروة الوطنية استغلالا تاما وكذلك ستقام صناعة وطنية تعتمد على خاماتنا الاولية وأموالنا وفننا بهدف تخليص اقتصادنا تماما من الاعتماد على الخارج وستخفض المصروفات العسكرية والنفقات الادارية تخفيضا جوهريا لزيادة الاموال المستثمرة في الانتاج ، وفي الوقت نفسه سيزداد التعامل والتجارة بين الشمال والجنوب لتدعيم التعاون الاقتصادي ، وتحقيق تنمية مشتركة متوازنة لاقتصاد الشمال والجنوب •

٥ — تنفيذ قانون عمل ديمقراطي وتحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي للعمال •

سيوضع قانون عمل ديمقراطي جديد لضمان حقوق العمال الديمقراطية بصفة خاصة ، حتى يقوموا بدور نشيط فعال في ادارة الدولة وادارة شئون الاقتصاد

وسيوضع كذلك موضع التنفيذ نظام لتحديد ساعات العمل اليومي بثماني ساعات ، والحد الادنى للاجور ، واجازة سنوية باجر كامل تتراوح بين أسبوعين وثلاثة أسابيع ، ونظام الضمان الاجتماعي على حساب الدولة والشركات وكفالة وظائف دائمة مستقرة للطبقة العاملة لمحو البطالة الكلية والجزئية •

وسيتغير الاستخدام المتقطع [(الموسمي)] وكذلك شروط العمل وستتخذ التدابير اللازمة لسلامة العمل وحماية العمال وسيحظر حظرا تاما الفصل التعسفي وتأخير دفع الاجور ، وسيكفل الاستقرار في الوظيفة وتدفع مكافآت عن الاعمال الضارة والخطرة واجور اضافية •

٦ — ضمان حقوق ومصالح النساء وتحسين وضعهن الاجتماعي •

سيوضع قانون المساواة للسيدات لتحريرهن من كل القيود الاقطاعية ومنحهن حقوقا متساوية مع الرجال في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية • وسيمنع منعا باتا الاتجار في الرقيق والبغاء المرخص وغير المرخص واتخاذ المحظيات •

وستكفل الظروف العملية الواقعية لنشاط السيدات الاجتماعي وستقدم الحماية الخاصة للامهات والاطفال ،

وستحدد يوم العمل بست ساعات للامهات العاملات في شركات الدولة ، ومنح هؤلاء الامهات اجازة باجر كامل للوضع تزيد على ٧٠ يوما قبل وبعد الولادة ، وستنشأ على نطاق واسع دور الحضانة ورياض الاطفال ومستشفيات الولادة ، بهدف كفالة الظروف الملائمة لانشطة السيدات الاجتماعية والسياسية ولعملهن نفسه •

٧ — تحقيق ازدهار وتنمية الثقافة الوطنية الديمقراطية وتأمين معيشة المثقفين •

ان الانهزامية والعدمية الوطنية وطريقة الحياة الامريكية واليابانية المتعفنة لن تجد لها مكانا بين الشعب الكوري • وستزرع بدلا منها التقاليد الثقافية الموروثة في بلادنا ، وتعمل على خلق ثقافة وطنية ديمقراطية على أساس فكر جوتش العظيم القائم على روح الاستقلال الوطني والوطنية الحقة •

وستكفل الدولة الوظائف للمثقفين العاملين في حقول الخطابة والتعليم والعلوم والتكنولوجيا والثقافة والفنون كما تكفل لهم استقرار أرزاقهم ، وسيزداد البحث العلمي زيادة كبيرة بهدف تحسين الظروف للابتكار والبحث •

واستغلال مواهب المثقفين بحيث يسمح لهم بالاسهام الايجابي في بناء المجتمع الجديد •

وسيتم التبادل الثقافي بين الشمال والجنوب لنمو التنمية النقية للثقافة القومية كما تدخل وتستوعب الثقافة التقدمية والعلوم والفنون الاجنبية •

٨ — تجديد التعليم وتنفيذ نظام التعليم المجاني والمنح الدراسية لابناء وبنات الشعب العامل •

سيقضى على نظام التعليم الرجعي القائم على عبادة أمريكا والمعادي للشيوعية وستتجدد تجديدا تاما كل مواد التعليم على أساس الافكار والاراء الديمقراطية وينشأ نظام تعليم شعبي تقدمي •• وستقلع العسكرية والانتهازية في المدارس من جذورهما ، وسيحظر الاشراف السياسي على المدارس حظرا تاما ، وستكفل الديمقراطية في المدارس •

وسيتحرر الشعب العامل من اعباء تعليم أبنائه وبناته وستمنح فرص التعليم الجامعي والثانوي اجباريا على التعليم الجامعي والثانوي اجباريا على نفقة الدولة وستلغى كل المصروفات المتنوعة المختلفة والتبرعات الاجبارية •

وستقدم في الوقت نفسه المنح الدراسية على نطاق واسع للطلبة الذين يعولون انفسهم والى طلبة المدارس العليا والكليات والجامعات وستكفل الدولة الوظائف لخريجي المدارس على مختلف مستوياتها الذين بلغوا سن العمل •

٩ — انشاء نظام خدمة صحية شعبية تقدمية وتنفيذ نظام العلاج المجاني للخدمة العامة •

ينشأ نظام خدمة صحية عامة شعبية يتمتع فيه السكان بمزايا الخدمة الطبية المجانية ، نافضين عن كاهلهم عبء مصروفات العلاج وسينفذ نظام التأمين الصحي الذي تتحمل بمقتضاه الدولة بكل أو بعض نفقات العلاج ، وستتاح العناية الطبية المجانية كاملة للعمال والفلاحين الفقراء ، وفقراء المدن •

وسيدعم العمل الصحي ومقاومة الاوبئة ، للقضاء على اشكال وأنواع الاوبئة والامراض المتوطنة وتحسين صحة الكادحين ••• وستتوسع الدولة في انشاء الهيئات الطبية على نطاق واسع بحيث توجد عيادات ومستوصفات في كل مدينة وقرية •

١٠ — انشاء الجيش الوطني للدفاع الذاتي •

ستلغى جميع الاتفاقيات العسكرية العدوانية وكذلك سيلغى نظام المستشارين العسكريين • والقيادة العسكرية المتميزة للقوات المسلحة وسوف يتحقق نظام مستقل للدفاع الوطني • وسيعاد تنظيم جيش « جمهورية كوريا » بهدف تأسيس الجيش الوطني للدفاع الذاتي ، والذي يتكون من الشباب الوطني • وسينزل العقاب الصارم بعدد قليل من الضباط الاشرار الذين خانوا البلاد •

وسيرقى الضباط الذين اشتركوا في العمل ضد أمريكا وانقاذ الوطن •

وسيلغى التجنيد الاجباري وقوات الاحتياط المحلي وسيوقف التدريب العسكري للطلبة وسينفذ نظام التطوع للخدمة العسكرية وسيتناول الاصلاح كل البناء العسكري • وسيسمح للجنود المتطوعين بالاشتراك في الادارة العسكرية وستجد حقوقهم من يدافع عنها • وسيحرم تحريما باتا توجيه الاهانات للجنود المتطوعين ومنها الاستعباد والعنف الخارج على النظام • وسيلغى العزل الانفرادي التأديبي كي تسود الديمقراطية في الخدمة العسكرية ولخلق جو من الوحدة بين الضباط والجنود داخل نطاق القوات المسلحة وسيعامل الجنود المتطوعون معاملة افضل وستتحمل الدولة مسئوليتها عن الحياة السعيدة لاسرهم وضمان حياة مستقرة لهم ، وتقديم العمل والارزاق للجنود المسرحين •

وستخفض مستوى القوات المسلحة بحيث يمكن تخفيض قوة الجيش العامل الى ٢٠٠ الف جندى أو اقل ، وبحيث يمكن تخفيف عبء المصروفات العسكرية ، عن كاهل الشعب الى أبعد الحدود .

١١ – تحقيق دبلوماسية مستقلة وتنمية الصداقة مع الدول المناهضة للاستعمار والمحبة للسلام .

سيتم القضاء على الدبلوماسية الذليلة القائمة على الاعتماد على القوى الخارجية وستوضع سياسة خارجية مستقلة تتمشى تماما مع فكر جوتشى الوطنى ، وتنمى الصداقة مع الدول الديمقراطية الصديقة على مبادىء المساواة والمنفعة المتبادلة وعدم التدخل .

وستجد السياسة العدوانية للامبريالية الامريكية ، واحياء وبعث العسكرية اليابانية كل معارضة من شعب كوريا . وسيجد كفاح الشعوب المضطهدة فى سبيل التحرر كل تأييد ومساعدة ايجابية

وستتدعم أواصر العلاقات المتبادلة مع الدول المناهضة للامبريالية والاستعمار

وستساهم الدولة اسهاما فعالا فى سبيل اعادة السلام الى الشرق الاقصى وبقية انحاء العالم . وفى رفع مكانة الدولة فى العالم كله .

وسيطالب بتعويض خسائر القوة العاملة من الرجال والخسائر المادية التى الحقها الامبرياليون الامريكيون بالشعب خلال مدة احتلالهم كلها ، وستمزق « المعاهدة المعقودة بين كوريا الجنوبية واليابان » وستعدل علاقاتنا مع اليابان تعديلا تاما على أساس المحو الكامل لاثار الجرائم الدامية التى ارتكبتها الامبريالية اليابانية خلال حكمها الاستعمارى السابق لكوريا .

١٢ – تحقيق توحيد الوطن بطرق مستقلة وسلمية .

سيرفض « التوحيد المناهض للشيوعية » وكذلك « التوحيد تحت اشراف الامم المتحدة » وسوف يتحقق توحيد الوطن اعتمادا على ارادة الشعب المستقلة الديمقراطية فى الشمال والجنوب وعلى القوى الوطنية نفسها بدون اى تدخل اجنبى .

وسيرفض التقسيم الوطنى الذى اثار العداوة والبغضاء وتقابل الاخوة الاشقاء مع بعضهم البعض بين الشمال والجنوب وسيزول التوتر ويسود جو من السلام والوحدة الوطنية وسيبذل كل جهد لتمهيد الطريق لاجراء محادثات بين الشمال والجنوب وسيتم تبادل الاتصالات والمقابلات والزيارات الشخصية وحرية الانتقال والتبادل الثقافى والمادى وستظهر فى عالم الوجود حركة وطنية واسعة النطاق من أجل توحيد الوطن بالطرق السلمية .

وعندما تنتصر الثورة وتقام السلطة الشعبية ، ستبدأ المفاوضات بين الشمال والجنوب بدون تأخير وبالاتفاق بين كلا الجانبين ، وسيعلن تصريح سلام ينهى حالة الحرب ويلغى خط الهدنة .

وستجرى انتخابات عامة تحت ادارة مشتركة من حكومتى الجانبين وعلى أساس ضمان حرية النشاط السياسى فى كل من الشمال والجنوب لاقامة حكومة مركزية موحدة .

وبذلك يتحقق هدف توحيد الوطن العظيم . وهو الواجب الاسمى للامة .

اللجنة المركزية لحزب التوحيد الثورى
سيول – اغسطس ١٩٦٩

زنوج وبدو وفلاحون
«قصة قصيرة»

الطليعة

ملحق الأدب والفن

العدد العاشر — اكتوبر ١٩٧٢

أدب الستينات

⑩ زمن الشوق والأسى
⑪ أجنة الرؤى الجديدة

يشرف على التحرير :

د. لطيفة الزيات

غالي شكري

سمير فريد

صبري حافظ

في هذا العدد


محمد عفيفي مطر
مسافة بين الساحات والينبوع المفاجيء

ادب الستينات ((الحلقة الأخيرة))

- زمن الشوق والأسى (١٠)
- اجنة الرؤى الجديدة (١١)

قصيدة : مسافة بين الساحات والينبوع المفاجيء

سينما : سينما المقاومة العربية

نقد : مدخل الى دراسة مصادر الشعر

قصة قصيرة : زنوج وبدو وفلاحون

الحلقة الأخيرة

أدب الستينات

بهذه الحلقة ، يختتم الملحق سلسلة دراساته حول أدب الستينات ، والتى نشرت على مدى سنة أعداد متتالية ، وتناولت بالنقد والتحليل أعمال الشعراء والقصاصين : محمد عفيفى مطر ، وأمل دنقل ، ومحمد ابراهيم ابو سنة ، وعبد الرحمن الابنودى ، ويحيى الطاهر عبد الله ، وجمال الغيطانى ، وابراهيم أصلان ، ومحمد ابراهيم مبروك ، وبهاء طاهر ، وعبد الحكيم قاسم ، ومحمد حافظ رجب .

ويهم الملحق ، فى خاتمة هذه المجموعة من الدراسات ، أن يسجل بعض الملاحظات :

- اننا لم نستهدف تغطية شاملة وتفصيلية لأدب الستينات المصرى فى الشعر والقصة القصيرة ، بقدر ما كنا نهدف الى التقاط حساسية الجيل الأدبى الجديد ، عبر أهم العلامات البارزة فيه .

- على ذلك ، فهناك أسماء لها قيمتها المؤكدة ، ولا تقل أهميتها الفكرية والفنية عمن تناولتهم هذه الدراسات ، ولكن الجودة والامتياز لم يكن معيارا فى اختيار هذا الاسم أو ذاك ، وانما تنوع الدلالة واختلاف الاتجاه .. الامر الذى كان يدفعنا حينا الى تناول كاتب واحد ينوب انتاجه عن مجموعة من أقرانه ، رغم ايماننا بأن لكل فنان صفاته الخاصة والفريدة .

- فى نفس الوقت الذى كنا ننشر فيه هذه الدراسات ، نشرنا أيضا — وسننشر دوما — نماذج فنية لكتاب وشعراء لم نتناولهم بالنقد ، وانما هم « حاضرون » بانتاجهم ذاته .. وهو الانتاج الذى ينتمى فى غالبيته الى حساسية الستينات .

- اننا اذا كنا بهذه الحلقة السادسة نختتم هذه السلسلة من الدراسات ، فان هذا لا ينفى أن قضية هذا الجيل ستظل محورا هاما من محاور التفكير الأدبى فى « الملحق » .. فصفحاته سوف ترحب دائما بانتاج الجيل الجديد ، نقدا وفنا .

- اذا كنا قد عنينا بالشعر والقصة القصيرة فى دراسات هذه السلسلة ، فهذا لا يعنى اغفالنا لابداعات الجيل فى بقية الفنون ، كالمسرح ، والرواية ، والسينما ، والفنون التشكيلية ، مما نرجو تغطيته فى الأعداد القادمة .

- كذلك ، فان انتاج الجيل المصرى ليس مقطوع الصلة بالجيل العربى فى مختلف أرجاء الوطن .. فأدب الستينات فى حقيقته ظاهرة عربية وليس ظاهرة اقليمية . واذا كنا قد حاولنا تغطية الانتاج المصرى فى هذا الصدد ، فاننا سنحاول ، بقدر المستطاع ، تغطية بقية الانتاج العربى .

وبعد ... فلا شك ان لتجربتنا بعض جوانب القصور والثغرات ، حبذا لو تفضل أصدقاء الملحق من الكتاب والنقاد بملئها .. على انه يتبقى للذين أسهموا معنا فى انجاز هذه الدراسة ، كل الشكر والتقدير ، على ما بذلوه من عناء وجهد فى تقديم هذه الصورة التقريبية لجيل ما أسخى عطاءه فى المستقبل .



زمن الشـــــوق والأسى

رضوى عاشور

من الظواهر الملفتة للنظر أن عددا كبيرا من الكتاب الشـــبان فى مصر قد توجه الى كتابة القصة القصيرة فى حين أن عددا أقل بكثير قد توجه الى الرواية. وقد يرجع ذلك الى أن الروايـــة تحتاج الى نفس طويل فى الكتابة والى جهد بنائى قد لاتحتاجه القصة القصيرة ويرجح هذا الاحتمال أن عددا من الكتاب الذين تمرسوا فى كتابة القصة القصيرة قـــد قاموا بعد ذلك بكتابة الرواية . وعبد الحكيم قاسم من القلائل الذين طرحوا أنفســـهم كروائيين فى المقام الاول . ورغم أن هذه الدراسات لادب الستينات قد اختارت أن يكون تقييمها لهذا الجيل الطالع من الكتاب من خلال دراســـــة جنسين أدبيين أساسا هما القصــــــة القصيرة والشعر الا اننى اعتقد أن تقييم عبد الحكيم قاسم يجب أن يكون كروائى أولا ، كما انه لايمكن دراسة القصـــة القصيرة لديه بمعزل من روايته « أيام الانسان السبعة » .

الزمن .. مرة اخرى

ورواية عبد الحكيم قاسم فى مجملها وفى أثرها الكلى ترثى وتؤبن نمطا من الحياة يختفى ويموت ليحل محله نمط مختلف جديد . ان الثيمة الرئيسية للرواية هى الزمن يمر بكفيه الغليظتين على الرجال فيتحولون من الباس والقوة الى الضعف والهزال والمرض ويتحول ابناؤهم الصغار الذين كانوا يرتجفون لخطوهم الى رجال أقوياء . والزمن يحمل فى طياته موت نمط كامل من الحياة ، حياة الحـــاج كريم ، ليالى الذكر فى رفقة الصـــحاب والتشوقات المتسوقية والتسحى وراء اروائها . وثيمة الزمن فيما يبدو احـــدى الثيمات الملحة على وعى عبد الحـــكيم قاسم فهى تعاود الظهور فى عدد مـــن قصصه القصيرة ، ففى قصة **الاشـــواق والاسى** يصبح الاب الذى كان « يملك زوجتين رهينتى الدار حينما تريانه كأنما تسخن الارض تحت أقدامهما فلاتستقران فى مكان ، وصيحاته تطاردهما تدفعهما ، ويملك الى ذلك دارا مليئـــة بالعيـــال والاجراء والبهائم والدجاج ، وهو السيد من فوق كل هذا ، السيد الرهيب المزدحم الجوانب بالهياج » **هذا الاب** تصـــيبه الشيخوخة والهزال فسرت قدماه « فاصبح المركوب واسعا عليه ، يمشى يخب فيه الى مجلسه أمام باب الدار ، خطـــوط ظهره هزيلة محدودبة » والاب يقـــوم بمحاولة أخيرة يائسة لاستعادة شـــبابه بالاستعانة بالعطار ووصفاته ومساحيقه وتكون محاولة مثيرة للشفقة والاسى .

ويعود عبد الحكيم للنفس الموضـــوع فى قصة أقل جودة من **الاشواق والاسى** هى قصة **الخوف القديم** والقصة هـــذه المرة من وجهة نظر الاب فى حين أنها فى **الاشواق والاسى وفى أيام الانسان السبعة** من وجهة نظر الابن .

بين عبد الحكيم قاسم وجويس

وتتشابك مع ثيمة الزمن فى رواية عبد الحكيم عدد من الثيمات الاخـــرى النابعة منها والمتصلة بها ولعل أهم هذه الثيمات هى نمو عبد العزيز الطفل وانفصاله عن العالم الذى كان يرتبط به وينتمى اليه قبل ذلك . وكثيرا ما يلجأ الروائيون لثيمة النمو هذه خاصـــة اذا كانت روايتهم نوعا من السيرة الذاتية ونحن نجدها فى رواية **صورة الفنان فى شبابه** . للكاتب الايرلندى جيمس جويس وفى رواية **أبناء وعشاق** للكاتب الانجليزى د.هـ. لورنس . وفى اعتقادى أن رواية عبد الحكيم تقترب من رواية جويس رغم الاختلاف الكبير بينهما فى الاسلوب فكلا الكاتبين يحاول تتبع نمو البطل من طفل صغير الى شاب والبطل فى كلتا الروايتين يرفض ان يمتثل لمجموعة القيم السائدة . يرفض ستيفن فى صورة الفنان فى شبابه أن يمتثل لسلطة الدين والاسرة ويرفض أن يلتزم بأية قضية حتى قضية الوطن أما عبد العزيز فهو يرفض حلقات الحضرة والذكر وواقعه عموما . وكلا البطلين يشعران بالعزلة الشديدة نتيجة لعـــدم انتمائهما . وقد يكون عبد الحكيم قاسم قد استفاد من جويس فى تقسيمه لروايته الى عدد من الاقسام يشكل كل قسم منها مرحلة من مراحل نمو البطل وتطوره وقد تكون هذه الاقسام نابعة من الثيمة الواحدة التى اختارها كلا الكاتبين ومع ذلك فالروايتان كما أشرت مـــن قبـــل تختلفان الى حد بعيد جدا فى الاسلوب وهذا الاختلاف ناتج عن موقف مختلف من الواقع الموضوعى . ففى حين يشكل تسجيل العالم المحيط احدى الدعامات الاساسية لرواية عبد الحكيم نجـــد أن هذا العالم المحيط فى رواية جويس ليس سوى خلفية باهتة اللون لانرى منـــه ولا تعرف عنه الا بالقدر الضئيل جدا الذى يشغل وعى ستيفن . كذلك فان جويس يستخدم ما يسمى باســـلوب تيار الشعور فى السرد وذلك فى محاولته

اقتناص حياة النفس البشرية فى اتصال تدفقها ايمانا منه بأن الاسلوب التقليدى فى السرد عاجز تماما عن توصيل حقيقة ما يدور داخل هذه النفس ولانه أيضا يرفض المفاهيم عن الزمن والشخصية . وعلى العكس من جويس يلتزم عبدالحكيم فى سرده بصيغة الغائب المفرد وبناء الشخصية بالمفهوم المتعارف عليه والذى أرسته الرواية فى القرن التاسع عشر . وفى حين تمثل رواية جويس انجازا فنيا نادرا من حيث الاقتصاد الشديد واستخدام الصور والرموز الدالة فان الرواية **ايام الانسان السبعة** تشكل عملا أقل تواضعا.

بناء محكم

وتنقسم الرواية الى سبعة أجزاء هى الحضرة والخبز والسفر والخدمة والليلة الكبيرة والوداع والطريق . وهذه الاقسام السبعة تشكل دورة سنوية هى أيضا دورة حياتية تتجسد فى حياة الحاج كريم تبدأ قوية لتصل الى ذروتها ثم تبدأ بعد ذلك فى الافول فى نفس الوقت التى تحل محلها دورة أخرى جديدة . ان حياة الحاج كريم وحياة عبد العزيز من بعده تجسد أيام الانسان السبعة من ناحية وهى رؤية عبد الحكيم لحياة الانسان المتجددة أبدا عبر الزمن كما أنها من ناحية أخرى ترمز لكل الدورات الاخرى المتجسدة فى آلاف الاجيال على وجه الارض .

فى القسم الاول **الحضرة** يقدم لنا الراوى صورة لنمط حياتى كامل لمجموعة من الناس القرويين يعيشون فى ظلال أشواق صوفية يحيون لياليهم بالانشاد وترتيل دلائل الخيرات والاشعار الصوفية واقامة حلقات الذكر . وهذا النمط الاجتماعى مرتبط بل نابع من تشوفات رومانسية صوفية يعيشها الحاج كريم وأصحابه وينشأ عبد العزيز فى أجوائها. والرواية من هذا القسم الاول تتقدم بشكل مكثف الى ذروة معينة . فليالى الذكر والانشاد تهفو وتشتاق «للسلطان» وهو السيد البدوى ومقامه فى مدينة طنطا . ان ضريح السيد البدوى يشكل الموضوع الذى تهفو له الارواح وتتجسد الاشواق فيه .

وفى القسم الثانى « الخبز » يتم الاستعداد للسفر لحضور مولد السيد البدوى وعبد العزيز لم يعد طفلا بل مراهقا تشغله احتياجاته الجنسية . ويكمل هذا القسم الصورة الاجتماعية التى يريدها الكاتب ففى حين يسجل الجزء الاول الرجال بتشوفاتهم الصوفية وحنينهم للتحليق بعيدا الى عالم ضبابى نرى النساء على النقيض من ذلك . فالرجل فى عالم عبد الحكيم قادر على الانطلاق والحلم ينظر لاعلى أما المرأة فهى مثبتة القدمين على الارض التى تدب عليها قدماها تعيش أسيرة التفصيلات اليومية وأمور المعيشة وذلك يتبدى فى طنطا حين ينطلق الرجال الى حلقات الذكر أو الى الشوارع والسينما والنساء لايبرحن المطبخ . والحلل التى ينبعث منها البخار . والحاج كريم هو الصورة الاصلية Prototype المتكررة بتنويعات مختلفة فى اصحابه الرجال وزوجته هى الصورة الاصلية أيضا للشخصيات النسائية أو لمعظمهن والفارق بين الحاج كريم المحلق على اجنحة الكرامات والنساء فى عالم هذه الرواية « سنين طويلة والعالمان لا يلتقيان » عالم الحاج كريم المحلق على أجنحة الكرامات والبركة والبذل للاخوان كخبز سبيل لتكثير القليل وتبريكه ، وعالمها المحدود بالجرار والقدور ومخازن الحبوب . » [ص ٥٣] فهو بعيونه البنية يحلق دائما بعيدا وهى بقامتها القصيرة « وعيونها الضيقة التى تحدق دائما الى الارض » على النقيض تماما من بعضهما.

وفى القسم الثالث « السفر » نصل الى الرحلة السنوية الى طنطا وهى أيضا رمز لرحلة العمر الواحدة التى تحمل حلم التحقق . وفى هذا القسم أيضا يصل عبد العزيز الى شىء من التحفظ فى قبوله لاهله .

وفى القسم الرابع « الخدمة » يكون عبد العزيز طالبا بمدينة طنطا وهو يشعر بالانفصال عن أهله الفلاحين وبالرفض لهم ، لقذارتهم ونهمهم ودروشتهم . انه يخجل منهم ويتعالى عليهم لكنه فى نفس الوقت يخجل من شعوره هذا ويتبدى رفض عبد العزيز فى الاسلوب المختلف الذى يعبر عن رؤيته للاشياء فالناس على شاطىء الترعة « كافواج الذباب يغسلون الثياب وأوعية الطبيخ » و «هؤلاء الناس وترعتهم راقدة كخرقة قذرة طيعة الضرع تخلى أخلافها وبين الحالبين» [ص ١١٤] وتكثر فى هذا الفصل التفاصيل المادية الموحية بالتقزز والاشمئزاز وتراكم صور العفن والحشرات الخ .. ويشعر عبد العزيز نتيجة لانفصاله بالوحدة والعزلة انه يشعر انه « من معدن غريب غير متجانس » [ص ١٣٠]

والقسم الخامس « الليلة الكبيرة » يشكل ذروة القصة فلهذه الليلة اجتمعت النظرات والاشواق على مدى عام كامل. وهى أيضا الذروة فبعدها تبدأ الحياة فى الافول . وفى هذا القسم أيضا يصل رفض عبد العزيز لهذا الواقع الى الحد الذى يعلن رفضه له وثورته عليه وتستمر فى هذا الفصل كما فى الفصل السابق صور العفن والحشرات والتفاصيل الموحية بالغثيان والاشمئزاز.

وفى القسم التالى « الوداع » تبدأ الحياه فى الافول ، حياة الحاج كريم وصحابته فهو مريض ينتظر الموت والصحاب تفرقوا منهم من مات ومنهم من فقد بصره ومنهم من ماتت امرأته.. الخ . وفى القسم الاخير « الطريق » يموت الحاج كريم ويموت غيره من الرفاق وتكون الدورة قد وصلت الى نهايتها مؤذنة ببدء دورة جديدة فحلقات الذكر والانشاد حل محلها المذياع ونشرة الاخبار والنقاش السياسى والتشوفات الصوفية اختفت لتظهر حساسية من نوع آخر هى عالم جديد ينتمى له عبد العزيز ويكون

هو الدورة الجديدة التى تصل لذروتها يوماً ثم تأفل هى أيضا لا محالة .

وفى اعتقادى ان بناء الرواية هو انجازها الحقيقى اذ أن هذه الاقسام السبعة كما أشرت من قبل تشكل فى مجملها دورة حياتية تمتد دلالتها لابعد من مجرد حياة مجموعة شخصيات فى قرية مصرية فترمز للدورة الحياتية المتكررة أبدا على مدى الزمان وهذا البناء يثرى الرواية ويعلق على احداثها .

شريحة من الحياة

وعبد الحكيم قاسم فى روايته مغرم بالتسجيل . ان أسلوبه يقترب من أسلوب الطبيعيين الذين يؤمنون أن الادب يجب أن يكون شريحة من الحياة . وهو بذلك أقرب لجيل نجيب محفوظ منه لجيل الستينات . انه يسجل كل دقائق الحياة اليومية ليصل فى النهاية الى لوحة بنورامية لنمط حياتى معين . انه يصف حلقات الذكر والخبز والطقوس الخاصة بحلب الجاموسة وطقوس علاج طفل مريض وصنع الاحجبة والمساحيق ويصف السفر بالقطار وشوارع المدينة ولا يفوته شىء دون أن يسجله بدقة . وأتساءل الى أى مدى يخدم كل هذا الوصف الثيمات الرئيسية للرواية ؟ ان كل هذا الوصف لا يثرى الرواية بأى شكل الا لو قبلنا أن يكون تسجيل حياة المكان الذى تدور فيه الرواية هو هدف القصة الاساسى . ومقدرة عبد الحكيم على الوصف متميزة تماما ويتفاوت وصفه مابين حيوية شديدة كوصفه للخبيز مثلا وبين رتابة مملة كوصفه الطويل لشوارع مدينة طنطا . وفى تصورى ان رواية أيام الانسان السبعة ينقصها بعض الاقتصاد ويعيبها بعض التقريرية . ولا أدرى ان كان عبد الحكيم لا يثق فى قارئه بالشكل الكافى أم انه لا يثق فى قدرته على التوصيل بأدواته الفنية. ان عدم الثقة هذا يؤدى به الى التقريرية فهو يضع فى جمل تقريرية مباشرة ماسبق أن عبر عنه بشكل فنى جيد . فهو مثلا يكتب « عالم يهوى تتساقط لبناته كبناء قديم » [ص ٢٠٧] ان عبارة كهذه تنسف وجود الرواية الفنى اذ أنها تستبدل عمل الفنان المضنى فى تصوير هذه العبارة فنيا وتجسيدها فى شكل مواقف وشخصيات وأحداث بعبارة واحدة تقريرية . وهو يفعل نفس الشىء فى تقديم شخصياته فى بداية الرواية انه يعدد اسماءها على التتالى ويتبعها بوصف موجز لكل شخصية وهذا الاسلوب غير مناسب لا طائل من ورائه لان كل هذه الشخصيات التى قدمها عبد الحكيم فى صفحة واحدة ترافق القارىء لاكثر من مائتى صفحة تاليه والعلاقة بين القارىء وهذه الشخصيات تنمو بشكل تدريجى حتى تصبح حميمة جدا فى نهاية الرواية . فعمر فرهود مثلا وزوجته وجمله يصبح جزءا حيا من تجربة القارىء الحياتية المكتسبة من خلال الفن ولكن عمر فرهود كما يرد فى ثلاثة أسطر فى بداية الرواية ليس له أى معنى على الاطلاق . وتتفاوت قدرة عبد الحكيم على بناء الشخصيات لكنه عموما يقدم عددا من الشخصيات الحية جدا .

الحاج كريم وآخرون

ولعل أبرز شخصيات « أيام الانسان السبعة » هى شخصية الحاج كريم بتشوقاته الرومانسية الصوفية « وجهه أسمر سمين متناسق الملامح وعيناه البنيتان طائران يغيبان فى الافاق الوردية من شفق المساء [ص ٩] وترتبط صور الطائر وصور التحليق بالحاج كريم طوال الرواية وباستثناء هذه الصورة فان استخدام الصور البنائية معدوم فى الرواية . والحاج كريم كريم ومعطاء يسافر أبدا فى عوالم الوجد والشوق والحنين « كل مساء سفر فى عالم غريب ، وبطل رحلة المساء هو الحاج كريم ، الاب الكبير ، سافر كثيرا وحينما يشرع فى الكلام فان عيناه تسبحان فى الفضاء المضاء بالضوء الاصفر وتطل النقوش من الحيطان بعيونها البراقة ... عالم ضبابى مسحور رائق يشعل الوجد ، والحاج كريم يضىء مصباحه كل مساء للاخوان ، ويضىء المجلس بالكلام الطيب » [ص ١٣] وتتكرر المفردات المرتبطة بهذه الحساسية الصوفية كالوجد والشوق والاسى كما تتكرر الاشارة للدموع التى تطفر من العيون وتسح ساخنة على الوجوه . شخصيات عبد الحكيم تبكى بلا حساب وهى فى ذلك صادقة مع حساسيتها الرومانسية وربما أيضا مع حساسية خالقها الذى يتقبل هذه الحساسية تماما وخاصة بالنسبة لعبد العزيز . وقد نحتاج هنا لوقفة لكى نناقش علاقة عبد الحكيم قاسم بشخصية عبد العزيز وفى اعتقادى أن كاتب أيام الانسان السبعة لايحقق المسافة الكافية بينه وبين شخصية عبد العزيز وربما لو فعل لاستفادت روايته كثيرا . وحتى لو سلمنا أن الرواية سيرة ذاتية تظل ضرورة أن يحقق الكاتب بعض البعد بينه وبين صورته الفنية تمكنه من النظر اليها بقدر من الموضوعية . وشخصية عبد العزيز لهذا السبب بالذات أقل توفيقا من شخصيات الحاج كريم وعمر فرهود وعلى خليل العايق وكلها شخصيات مرسومة بتوفيق كبير .

شكل القصة

تتميز قصص عبد الحكيم قاسم القصيرة بنفس الصفتين اللتين تميزان فنه الروائى فمن ناحية هناك محاولة التسجيل الدقيق لواقع ما بكل تفاصيله كما أن هناك أيضا محاولة خلق شكل معمارى يعبر عن الرؤية بقدر ما يضيف لها . ان قصصا مثل « هل تعرفون قريتى » و « السفر » محاولة لخلق لوحة تسجيلية . فى القصة الاولى القرية المصرية ، الجامع ، الايمان بالغيبيات ، الزار ، السفر . الخ وفى القصة الثانية نرى تسجيلا لرحلة المرأة الريفية الوحيدة الى المدينة يستغلها الاخرون ويعاملونها بغلظة وفظاظة . وفى هاتين القصتين كما فى قصص


نجيب محفوظ

أخرى لعبد الحكيم نجد أن الوصف عماد القصة وهو لايخدم الحدث بقدر ما يخدمه الحدث ، فالرؤية عموما كما أشرت من قبل صورة لقرية أو لبيت أو لشخصية .. الخ .

وفى قصص أخرى « كحكايات حول حادث صغير » و « شجرة الحب » و « عن البنات » يحاول عبد الحكيم ان يقدم شيئا مختلفا بعض الشيء انه يعمل على خلق شكل تركيبى ، اجزاؤه تصوير لعدد من الشخصيات أو الاحداث أو شخصية أو حدث واحد من زوايا متعددة ترتبط الاجزاء لتشكل خطوطا متوازية أو متقاطعة تعلق على بعضها البعض ويكون الكل هو الرؤية الشاملة الاكثر ثراء من كل جزء على حدة ويتأرجح عبد الحكيم بين التوفيق والفشل فى تجاربه البنائية هذه . ففى قصة « عن البنات » مثلا يقدم لنا عبد الحكيم مجموعة من الاقسام كل قسم يدور على مغامرة مع فتاة تبدأ القصة وتنتهى وتفصل بين الاقسام وبعضها فقرات قصيرة تنقل مشاعر القارىء ومواقفه وردود أفعاله . تبدأ القصة « عن البنات أحكى ، عن الشعر فى داخلى ، عن الرؤى الضبابية المرتجفة فى أعماقى ، عن الشوق واللهفة والضحك والحزن والجنون ، عن الحبور ، عن فساتين طائرة الذيول ، عن شفاه تواقة ، عن عيون مفعمة بالجسارة الهشة والغزل ، عن الوحدة اليقظة الحارقة فى صميم الليل الناعس » واذا استبعدنا أن هذه الكلمات شديدة التقليدية فى شكلها ومضمونها بشكل يتنافى مع ارتباط الفن بالجدة والطزاجة فسوف نتوقع من هذه المقدمة العالية النبرة لوحة بنورامية للبنات من وجهة نظر عبد الحكيم قاسم . وأعترف اننى صدمت جدا من القصة فهى لاتزيد عن كونها مجموعة من المغامرات بالمعنى الدارج للكلمة والتى تفتقد أية دلالة الا أن تكون البنت أداة جنسية . والقصة فنيا متفككة اذ أن العبارات التى ترد بين أقسام القصة والتى يبدو أنه قصد منها أن تكون تعبيرا عن أحلام الراوى المحلقة فى البنات ثم خيبة امله فيهن،وفى علاقته بهن لاتفيد القصة فى شيء بل العكس . والقصة ككل فى شكلها ومضمونها تفشل فى توصيل أية رؤية ذات دلالة أو أهمية .

شجرة الحب

وقصة **شجرة الحب** على عكس « عن **البنات** » تقدم النموذج الناجح تماما لهذه القصص التركيبية التى يكتبها عبدالحكيم. وفى اعتقادى انها أفضل قصصه القصيرة على الاطلاق فيها قدر كبير من الشاعرية والرهافة كما أن بناءها محكم ودال . وشخوص هذه القصة هى الام والولد والمعلم والعيال ، الام امرأة وحيدة قانعة بلح « تغنى أشواقها ، الحنان الذى بلا حدود ، الوجه الحبيب ، طفل ملء ذراعيها الرخصتين السمينتين الممتلئتين حنانا » ولكنها بلا زوج ولا طفل ولا أحد تغدق عليه حنانها الدفاق وهى تقضى عمرها فى الانتظار . والولد « لا يعرف الاياب ، داره حيث يقف يدق قدميه ، وحيث يريح ظهره غرفته ، على مصطبة جنب جدار فى جوف ليل شاسع نجومه خرساء لا تقول ، يغمض عينيه ، يشتاق لو يدخل فى ذلك الكن الدافىء الحنون ، لو يدفن وجهه فى صدر ملىء بالحب ، لو يجرب الاحتضان ، ذراعان سمينتان تضمانه ، لو كانت له أم ، أنفاسها ساخنة على رقبته فى الليل .. آه من وحشة اليتم ، تتحدر دموعه سخينة» ان الكاتب يطلق على المرأة اسم «الام» وهى ليست ذلك لكن الامومة حاجتها وامكانيتها الكامنة وكذلك الولد . ويخترع الولد شيئا اسمه شجرة الحب علامة يصبغها بحرف الطاقية على جباه الاولاد وتكون هذه العلامة الطفلية هى الرمز بالمعنى الحق للكلمة فهى ليست ترجمة لمعنى واحد بل هى وجود محدد يثير فى القارىء العديد من الاحاسيس والافكار وهى مرتبطة بالحب والحنان والجنس ، مرتبطة بشقاوة العيال أيضا وبحيويتهم وباقبالهم على الحياة والعبارة نفسها مكونة من كلمتين موحيتين تماما هما حب .. وشجرة ولكل كلمة ايحاءاتها العديدة المختلفة لكنها كلها مرتبطة بالحياة والنماء والايجاب . ان شجرة الحب هى المنقذ فى هذا العالم القاسى الذى يعيش فيه شخوص القصة لكن المعلم رمز السلطة والقهر الاجتماعى يعاقب الاولاد «يجتاحهم بالعصا ، يمزقهم تمزيقا » حين يرى شجرة الحب .. وتظل القرية الحزينة.. والمرأة على حالها .. وكذلك الولد . ويوفق عبد الحكيم فى اختيار المفردات الموحية بالحنين وهى مناسبة تماما لموضوع قصته . واللونان الغالبان فى هذه القصة هما لون الشمس الحارقة يوحى بوطأة الواقع القاسى ولون خافت يوحى بالاحلام والاشواق المستحيلة . ولايعيب هذه القصة سوى التقريرية التى ينهى بها عبد الحكيم قصته « فى هذا الليل ما أشوق كل المخلوقات للصبح ، للنور حتى تزدهى كل أوراق النوار وأجنحة الفراش » ومرة أخرى أقول لماذا لايثق عبد الحكيم قاسم فى قارئه ؟ ومع ذلك اعتقد أن قصة « شجرة الحب » قصة ممتازة وعبد الحكيم لاينجح فقط فى التخلص من الحاح اتجاهه للكتابة التسجيلية لكنه أيضا يتقن تماما الشكل الجديد الذى اختاره . وربما كانت قصة « شجرة الحب » محاولة من قبل عبد الحكيم لكسر نطاق الشكل التقليدى الذى يميل له فى كتابته عموما . فروايته على جودتها تظل أسيرة الشكل الروائى الذى أرساه كتاب القرن التاسع عشر وهى تظل بعيدة تماما ـ كمعظم كتاباته الاخرى ـ عن الاسلوب الذى اختاره العدد الاكبر من كتاب الستينات شعراء وقصاصين على اختلافهم . هذا الاسلوب الذى يتمثل فى اختيار عدد محدود من الاحداث أو التفصيلات الدالة الموحية وربطها ببعضها فى محاولة لخلق شكل تعبيرى يخلق الجو العام أو الاحساس الكلى . ولعل قصة « شجرة الحب » هى اقرب قصص عبد الحكيم قاسم الى هذا الاسلوب .

١١

أجنـــــة الرؤى الجديدة

صـــبرى حافظ

لابد لاى دراسة جادة عـن أدب الستينات ان تبدأ بمحمد حافظ رجب ·· لانه أول من فجر قضية الادب الجديد وطرح الاسئلة حول هويته فى مطلع هذا العقد الغريب ولانه اول من نقل قضية الكتابات الجديدة من منطقة الهواجس المبهمة والارهاصات المبعثرة الغامضة الى نطـــاق التنـــاول العقلـــى والادراك الشعورى · ولانه اول من استشعر ضرورة البحث عن اساليب تعبيـرية ومنطلقات بنائية طازجة تتمكن الاقصوصة عبرها من استيعاب هذا التغير الشامل فى الحساسية وهذا الانقلاب الجذرى فى النمط البشرى الذى تستقطب همومه · ولانه بلور البدايات الحقيقية للتحـول الكبير فى الرؤية والاسلوب الذى صاغت كتابات الستينات بقية ملامحه · واذا كانت بعض هذه البدايات قد تجاوزت من قبل كتاب آخرين من نفس الجيل فاننا لا نستطيع ان ننكر استشراف محمد حافظ رجب الباكر لاطلالات هذا التحـول الوشيك ·· وصراخه الدائم بغية التملص من اهاب الرؤى القديمة والاشكال القديمة والذى بلغ ذروته فى قولته المشهورة ·· نحن جيل بلا اساتذة ·· تلك الصرخة التى تنطوى على قدر من الحقيقة ومقدار من الافتعال · وتتجلى حقيقتها فى انها كانت بالفعل تعبيرا عن نزوع له جذوره العميقة لتجاوز الجمود المكرور فى الابداع الادبى وهو يعالج قضايا مطالع الستينات بنفس الاسلوب الذى تناول به هموم الاربعينات · وتجسيدا لحنين هذا الجيل الجديد الى التحرر من قبضة الجيل القديم والانفلات من اسار رؤاه واساليبه التى تشكلت فى مناخ قيمى مغاير الى اقصى حد لذلك المناخ الذى يعيشه ابناء الستينات · كما انها كانت صرخة ضرورية لتنبيه الواقع الادبى الى ان ثمة رؤى جديدة تتخلق بعيدا عن كل التصورات القديمة · والى ان التغيرات الجذرية التى انتابت الواقع الحضارى قد اسفرت عن نفسها فى انتاج هذا الجيل الذى عانى اكثر من غيره من عملية التغيير ومن سيطرة الطـابع التجريبى عليها · هذا الجيل الذى ما كاد يتعلم الكلام حتى ارتفعت فى وجهه مختلف انواع الكوابح ، وجد لزاما عليه ان يبتكر لغة جديدة تتسرب مفرداتها من بين جداثل الكوابح القوية · ومن هنا كان محمد حافظ رجب مصيبا فى صرخته « نحن جيل بلا اساتذة » لانه من الجيل الذى اكتوى بعذابات صياغة هذه اللغة الجديدة التى تتميز بقدرتها على الافضاء برغم كل الكوابح ·فلم يجد من هذه الناحية لدى الاجيال السابقة حفنة من المصطلحات او حتى المفردات القادرة على التواؤم مع معاناته الدامية · بل فوجىء بانقلاب الكثير من هؤلاء (الاساتذة) اثناء عملية التغيير الحادة فى سلم القيـم الاجتماعى ، وتنكرهم للفكريات والقيم التى ارتفعت بهم ثم آثروا فى لحظة الغرق ان يدوسوا فوقها حتى لا يجـرفهم الطوفان · وتكشف بعضهم فى لحظة الخطر عن بهلوانات بارعة تجيد اللعب على كل الحبال والحديث بكل لغات برج بابل · فما كان الاحرى به ان يتنصل من هؤلاء الاساتذة وان يرفع فى وجههم عصا العقوق ·

لكن مقدار الافتعال الضئيل فى هذه الصرخة لا يجب ان تطمره عـلامات صدقها · لان هذا الجيل ، برغم معاناته النوعية الخاصة ، لم ينبت من الفراغ · ولم يفقد الثقة نهائيا فى كل النماذج السابقة ، بل ظلت هناك نماذج قليلة للغاية نستطيع القول بانها كانت خير الاساتذة لجيلنا · وحتـى النمـاذج البهلوانية المهترئة او الغبية الجـامدة والمعاندة كانت بالنسبة لجيليا اساتذة بالسلب · لقنتنا تشوهاتها ومصائرها المؤسفة دروسا لايمكن ان ننساها · هذا من ناحية ·· ومن الناحية الاخرى فان قضية الاساتذة لم تكن هى القضيـة الاساسية لهذا الجيل ولا كانت الساحة التى تدور فيها معركته · صحيح ان هناك فى قصص الستينات ورواياتها نزوعا قويا الى اسقاط المراث التاريخى الذى آل اليها من الجيل السابق والتحرر من قبضة الرؤى القديمة والقيم القديمة · او بمعنى آخر حنيننا الى تجاوز سنوات القمع والقهر والعذاب ، وخوفا من تحمـل وزرها · لكن هذا النزوع لم يكن باى حال جوهر قضية هذا الجيل الجديد برغم مشاركته فى صياغتها وكونه احـد قسماتها · وانما كانت قضيته هى تجسيد صورة الشخصبة المصرية فى الستينات · فى معاناتها لتناقضات التحقق المقلوب وفى مكابدتها صنوف الخوف والقهـر والاحباط وفى انكماشها على ذاتهـا وانسحابها من ساحة المبادرات العامة وفى حنينها الى تجاوز عجزها وعجزها عن هذا التجاوز فى آن ··

وقد شارك محمد حافظ رجب فى تجسيد صورة هذه الشخصية وفى بلورة بعض قسماتها · بل لقد كانت رحلته الفنية ابلغ تلخيص لمجاهدة الاقصوصة الجديدة فى تخليق ملامحها تحت قشرة الاقصوصة القديمة وضدها · وأوفـى تعبير عن انسلاخ هذه الاجنة الجديدة وتجمعها بعيدا عن منبعها القديم ثم تآزرها وتكوينها لاسلوب جديد فى التناول ولمجموعة جديدة من قواعد الاحالة الى الواقع الذى تصدر عنه · فلم يبدأ محمد حافظ رجب تجربته الفنية وقد اكتملت تفاصيل الحساسية الجديدة واتضحت ابعادها · ولكنه بدأ مغامرته القصصية قبل ذلك بكثير ·· بالقرب من منتصف الخمسينات وفى ظل سيطرة المفهوم البدائى للواقعية والقائم على ايقاع الواقع فى براثن مجموعة من التصورات الميكانيكية المسبقة عنه ·· فى ظل هذا المفهوم الذى تحولت فيه اغلب النماذج الانسانية الى مجموعة من التجريدات النمطية الشاحبة بدأ محمد حافظ رجب تجربته القصصية · واهلته ظروفه الخاصة المتمثلة فى الفقر المادى والثقافى للوقوع سريعا تحت ظل هذا المفهوم الواقعى ـ البعيد عن الواقعية الحقة ـ والكتابة وفقا له · ومن يقرأ محاولته القصصية الاولى ، والتى آثر هو ان يسقطها كلية من مجموعتيـه القصصيتين ، يدرك هذه الحقيقة · بل وتنتابه دهشة شديدة لبشاعة البون بين هذه النماذج المسرفة فى الفوتوغرافية

والسذاجة وبين النماذج الشاعرية التى قدمها بعد أقل من سبع سنوات من بداياته الاولى • فلا يتصور من يقرأ قصصا مثل (الخائنة) (١) و (القرش الاخير) (٢) و (حلاوة الموسم)(٣) و (أرض الدماء) (٤) و (عدت وحدى) (٥) و (نمرة سبعة) (٦) و (اهل المدينة) (٧) وغيرها ان باستطاعة كاتبها أن يتجاوزهذه البدايات التقليدية • وان يمد قرون استشعاره المرهفة فيتلمس أجنة الرؤى الجديدة ويقتنص بوادر التغير الوشيك فى الحساسية بعد ذلك بعدد قليل من السنوات وقبل ان يتمكن غيره من اقتناصها • غير ان من يتأمل النماذج الجيدة لبدايات محمد حافظ رجب التقليدية يدرك ان رهافة حس الكاتب التى تبدت فى الكثير من هذه القصص هى التى رشحته لهذا الدور • برغم وقوع الكثير من اقرانهمن شباب القصة التقليدية فى الخمسينات فى منطقة الظل •

بدايات واقعية

ففى قصصه الاولى الناضجة نلمس نزوعا واهنا الى التميز داخل نطاق واقعية الخمسينات • والى بلورة طابع خاص به برغم اندراجه تحت اللواء العام لهذا التيار الفنى • والى الابتعاد تدريجيا عن قصص الخبرة السماعية والغوص فى قيعان التجارب التى خبر عوالمها بعمق ودلف الى اغوار خزائطها الخاصة والمعقدة •• ومن هنا فقد تخلى سريعا عن القصص التى تدور فى عوالم لم يخبرها عن قرب مثل (الانشوطة السوداء) (٨) و (الرمح الملتهب) (٩) و (لوسى الصغيرة) (١٠) والتى تناول فيها مأساة الزنوج فى امريكا وافريقيا لان الكاتب اكتشف أن لا حاجة به الى البحث عن تلك المآسى البعيدة فما يكاد يمعن النظر فى تفاصيل حياته وفى تجارب الاخرين من حوله حتى يبصر عالما يتفجر باعنف من مأساة التفرقة العنصرية بكثير • لكن التفرقة فيه تمارس بشاعتها لاسباب اخرى •• تنهض على الفوارق الاقتصادية تارة وعلى الفوارق الجسدية اخرى • وترتوى من تراكم القهر والعجز والعنف الكظيم داخل انسانها المسحوق • وتتاجج من حدة التناقض بين رغبة اناسها القوية فى التحقق والاستمتاع بالحياة وشبح امكانياتهم الاقتصادية تارة والعضوية أخرى • وما ان ادرك محمد حافظ رجب غنى هذا العالم بالحس المأساوى حتى انصرف اليه كلية يحاول ان يستخرج كل مافيه • واثناء هذه المحاولة التى تميزت بالصدق والدأب والاخلاص اخذت تتفجر تحت يديه ينابيع الرؤى الجديدة والاساليب التعبيرية الجديدة ، بدأت على هيئة سورات صغيرة ما تلبث ان تتفجر لتخبو • لكنه اخذ يجمع حصاد هذه الانفجارات الخاطفة بدأب ومثابرة حتى تكونت له مع بدايات الستينات مجموعة الادوات الفنية الجديدة التى تنطوى بدورها على تفاصيل الرؤى الجديدة وعلى أجنتها الوليدة • ومن هنا قلت أن رحلة محمد حافظ رجب القصصية هى ابلغ تلخيص لمجاهدة الاقصوصة الجديدة فى تخليق ملامحها تحت قشرة الاقصوصة القديمة وضدها •

واذا كانت رحلة كاتبنا الفنية أبلغ تلخيص لرحلة الاقصوصة الجديدة مع الميلاد فانها تنقسم من هذه الزاوية الى ثلاث مراحل •• فى المرحلة الاولى اندرج الكاتب تحت لواء الاقصوصة الواقعية البسيطة بجنوحها الى الموقف الانسانى الدال وبتركيزها على الشخصية الانسانية الطيبة والمنسحقة فى آن بينما عقد فى المرحلة الثانية نوعا من التصالح بين اطلالات الرؤى الجديدة ـ الفنية والمضمونية وضرورات البناء التقليدى ثم انتقل فى المرحلة الثالثة أو الاخيرة الى تقديم اضافته الحقيقية الى ضمير الاقصوصة المصرية فى الستينات بعد أن خلص هذه الاضافات من أوشاب المعالجة التقليدية واقترب بها من آفاق الشعر الخالص • واذا بدأنا باقاصيص المرحلة الاولى فان علينا أن نميز فيها بين نوعين من الاقاصيص • يندرج أولهما تحت لواء واقعية الخمسينات الساذجة بصورة لا نستطيع معها أن نتعرف عليه وسط ركام الانتاج الكبير لاعمال هذه المدرسة • بينما يتميز ثانيهما وهو قليل العدد نسبيا بالقياس الى الاول ببعض الملامح الخاصة وان اقتربت بعض مفرداته من روح وأعمال يوسف ادريس الاولى فى تلك المرحلة •• واذا كان الكاتب قد تجاوز من أكثر من عشر أقاصيص تنتمى فى الواقع



صبرى حافظ

(١) مجلة القصة ٥ مايو ١٩٥٤
(٢) جريدة الشعب اغسطس ١٩٥٦ •
(٣) جريدة المساء ١١ ديسمبر ١٩٥٧ •
(٤) مجلة الرسالة الجديدة ديسمبر ١٩٥٦ •
(٥) جريدة القاهرة ٩ مارس ١٩٥٨ •
(٦) مجلة التحرير ٣ يوليو ١٩٥٦ •
(٧) جريدة الشعب ٩ مايو ١٩٥٨ •
(٨) مجلة القصة مايو ١٩٥٤
(٩) جريدة القاهرة ٢٥ مايو ١٩٥٨ •
(١٠) جريدة القاهرة ١٣ ابريل ١٩٥٨ •

الى النوع الاول ولم يدرج منها شيئا فى مجموعته القصصية الاولى (غرباء)(١١) فان من التعسف ان نتريث عندها هناوان نتصيد عبرها اخطاء البدايات الاولى لكننا ونحن نتجاوز عن هذا القسم من الاقاصيص لا يفوتنا ان نشير الى تمكن الكاتب فيها من ادواته التقليدية والى تفوقه فى التجارب التى يبتعد فيها عن نطاق الخبرة السماعية ويقترب فيها من تفاصيل العالم الحسى المسحوق الذى طلع منه . اذ استطاع ان يقدم فى هذه التجارب الكثير من النماذج الانسانية التى ظلت بعيدا عن افق الاقصوصة المصرية لفترة طويلة . وان يدخل الى نطاق هذه الاقصوصة مشاكل وهموم مجموعة من الشرائح الاجتماعية الهامشية .

وتتألق هذه الميزات بشكل أفضل فى القسم الثانى من أقاصيص هذه المرحلة والذى يضم اقاصيصه السبع (البطل) (١٢) و (الجنيه) (١٣) و (المليونير) (١٤) و (غرباء) (١٥) و (شغلانه) (١٦) و (خناقة) (١٧) و (المستحيل) (١٨) . كما نلمس فى بعضها كذلك بعض الثيمات الاساسية التى ستظل تلح على كاتبنا فى مرحلتيه التاليتين . ومنذ (البطل) و (الجنيه) نلمس هذه الثيمات وتلك الميزات .. ففى (البطل) تدور اللعبة المجنونة بين الرجل والمرأة والعشيق والتى تلح على عدد كبير من قصصه . لكنها هنا تفتقر الى ذلك العنف الدموى الذى تتشح به فى المحاولات الاخيرة .. فها هو الزوج يعود فجأة الى منزله ليجد زوجته فى أحضان عشيقها . وليجد نفسه وهو يسوقهما الى القسم محاطا بهالة زائفة من البطولة .. اذ تتصور الالسنة التى لاكت سيرته طويلا أن كل ماحدث كان بترتيب منه ودهاء . اما هو فانه يلعن تلك الهفوة التى دفعته الى العودة الباكرة لمنزله على غير ميعاد . فاذا كانت العبرة بالخواتيم فان هذه البطولة المدعاة قد تركته فى الليل وحيدا مع ابنه وابنته بعد ان قوضت حياته ومنزله . وبعد أن انفض من حوله كل الذين ربتوا على كتفه باعتزاز واثنوا على بطولته بفخار ، وتتأسى القصة على وحدة الزوج بعد انكشاف الخيانة ولكنها تنفرنا فى نفس الوقت من الحياة التى عاشها بطلها مخدوعا قبل أن يسقط جدار الخديعة وتظهر من خلفه القاذورات . وتبدأ القصة بلمسات سريعة ترهص بما سيدور فيها من وقائع وترسم الخلفية الاجتماعية والبيئية التى تجرى فوقها احداث القصة . ثم تقوم بمزج مقتدر بين حضور الاكتشاف والبطولة الزائفة وبين جزئيات الماضى التى تهب هذا الحضور عمقه وحدته ، متكأة على نثار الاحاديث تنتقل عبره الى الماضى وتعود به الى الحاضر فى ليونة ويسر . مبررة لنا سلوك شخصياتها بتركيز شديد ، فالزوجة الخائنة مدفوعة بتفجر الحياة بها وباحساسها الحاد بجمالها وحيويتها وعجز زوجها عن اطفاء ظمأتها الدائم الى الحياة . والزوج المسحوق فى عمله اللاهث لتعويض فارق العمر الكبير بينه وبين زوجته ، المستنيم الى دعة الحياة الرتيبة من اجل ابنه وابنته ، غير قادر على مواجهة عاصفة مدمرة كهذه التى وجد نفسه وسط دوامتها فلا يملك فى نهاية القصة غير الانخراط فى البكاء . وتشى لنا القصة بان كل ما دار فيها كان نوعا من التعويض عن تلك العلاقة غير المتكافئة بين عبده افندى وزوجته بدرية . نوعا من التعويض الضرورى الذى تستمر به الحياة ، والذى تبدو معه آراء الجماعة مشحونة بالقسوة خالية من الفهم مسارعة الى البرهنة على أنها تدفع عن نفسها الخطر ولو على حساب الاستمرار .

أما قصة (الجنيه) فانها تقدم لنا واحدة اخرى من الثيمات التى تلح على كاتبنا وهى فكرة العنف الممزوج بنوع من العبثية . وقد كان باستطاعة هذه القصة ان تكون عملا رائعا لو لم يقحم الكاتب عليها تصوراته المسبقة عن امتلاء الطبقة العاملة بالطيبة حتى التخمة . وتقدم لنا القصة نموذجين من نماذج القاع البشرى احدهما عملاق شرس كظيم والاخر قزم انبساطى المزاج ضئيل . ومن البداية تسفر لنا القصة عن مقدرتها اللامعة فى الكشف عن الطبيعة المتنافرة لكل منهما من خلال ايقاعات حديثة ونوعية استجاباته للمواقف . وطريقة معالجته للمعضلات . ثم تعرى لنا بعد ذلك جوهر كل منهما خلال الحدث . حيث تأخذهما سيارة شحن ليحملا بعض الصناديق .. تلتقط الاول من مقهى فقير وهو يشد بشراهة أنفاس عقب سيجارة التقطه من الارض . وتلتقط الاخر من جانب الطريق وهو يفتش فى سلة الفضلات عله يجد فيها شيئا . وبعد أن يقوما بالعمل المرهق تعود بهما السيارة لكنها تتركهما فى بقعة مهجورة بمنتصف الطريق وتتوجه صوب الصحراء . وتدفع لهما اجرهما المتفق عليه وهو خمسون قرشا لكل منهما ، غير ان الريس يقول لهما ان ليس معه فكة ويمد يده اليهما معا بورقة من فئة الجنيه . فيسارع العملاق ويتناول الورقة . وتسارع معه الهواجس فى الانقضاض على القزم فى هذه البقعة الموحشة . ويلح خاطر على العملاق .. لماذا لا يستولى على الجنيه وحده ويضرب هذا القزم الهزيل أو حتى يقتله اذا اقتضى الامر .. وتتجه الاحداث صوب العنف . لكن الكاتب لا يدع لها فرصة للتمادى لان المقولات المسبقة تقول ان ابن الطبقة العاملة لابد أن يكون طيبا الى اقصى حد ، بغض النظر عن كل الظروف الطاحنة التى يعيشها وقد نتفق معه على صحة هذه المقولة بصفة عامة لكن معطيات القصة لا تؤدى الى البرهنة عليها . كما ان كل عامل فى القصص ليس بالضرورة ممثلا للطبقة العاملة ، اذ ربما يصبح ممثلا للانسان بشكل اعم . وفى هذه القصة المحددة فان العنف لا يبرهن على سوء الطبقة العاملة بقدر ما يعرى النزعات الانسانية من جهة ويدين المواضعات الاجتماعية الجائرة التى انجبت هذا النموذج البشرى الشرس من جهة اخرى . لكن الكاتب لا يفطن الى هذا ومن هنا فانه يعمد الى اراقة ماء الانسانية البارد على هذا العنف المتصاعد برغم أن جزئيات القصة وطبائع الشخصيات كانت تستلزم ان يترك حتى النهاية . فالمقادير نفسها قد هيأت له بعبثية نادرة ، أو بالاحرى بنوع من التواطؤ الخفى ، فرصة النمو والتصاعد . لكن الكاتب ما يلبث أن يحشد كل طاقته العملاقة لان يفك يديه عن عنق القزم بعد أن أشرف على الموت . ويجعله يحس بندم كبير ويتدفق بحنان مفاجىء يضع معه الجنيه فى يد القزم ويضع يده على كتفه فى حنان ويتجهان صوب المدينة . وتفقد القصة بهذه النهاية المقحمة الكثير من قدرتها على التأثير . وتريق على سخطنا على المواضعات الاجتماعية الجائرة وضيقنا بالظروف القاسية التى تدمر فى الانسان الانسان ماء باردا !

فى هاتين القصتين نلمس نوعا من البناء التقليدى المتماسك الذى يسيطر على بقية الاقاصيص السبعة .. وان جنح فى بعضها مثل (المليونير) الى نوع من المبالغة الكاريكاتورية الزاعقة . واعتمد فى البعض الاخر مثل (المستحيل) على المفارقة الحادة بين ما تتوهمه الشخصية وما يقع بالفعل . وتأتى مبالغة القصة الاولى من كونها محاولة متعسفة لاثبات صحة مقولة جوجول المثبتة فى صدرها . « ان المليونير لا يحتاج الى اللجوء الى طرق غير مشروعة .. انه يمشى الى الامام ويأخذ كل مايراه . ولا يكون لدى غيره القوة والمقدرة على منافسته » .. لكننا اذا ما تغاضينا عن هذه المبالغة سنجد ان فى القصة مقدرة واضحة على السخرية والتهكم من خلال المفارقة بين ما تتوهمه بقية الشخصيات عن هذا المليونير الهادىء وحقيقته بالفعل . وسنجد فيها كذلك نوعا من الاغراب الناجم عن تدخل الكاتب لكسر حدة الايهام القصصى ولاستباق التوقع دون اللجوء الى اشباعه . فبعد ان يبدأ الكاتب بذلك المدخل الذى يصوغ فيه تفاصيل الجو العام يعمد الى هذا الاغراب عندما يقول « وارى الا نتوقف امام ركاب

---

[١١] صدرت عن دار الكاتب العربى بالقاهرة عام ١٩٦٨ متأخرة من موعدها بكثير .
[١٢] و [١٣] نشرتا لاول مرة ضمن المجموعة القصصية المشتركة [عيش وملح] عام ١٩٥٩ .
[١٤ و١٥ و١٦ و١٧ و١٨] من اقاصيص مجموعته الاولى [غرباء] .

العربة الاخيرة • فنصفهم كما يفعل كل الكتاب عادة • فهذه الطريقة وان كانت ناجحة ومثيرة فانها تكلف المؤلف كثيرا من اللفافات الرخيصة •• لا أجد ثمنها الان ؟! كما انها تكلف القارىء كثيرا من الباستيليا التى يروح يستحلبها كأوامر الاطباء وهو يتمخط بين كل سطر واخر بينما عيناه تعالجان قراءة القصة • لذلك سأصرف النظر عن وصف ركاب عربة الدرجة الثالثة واعدو بسرعة الى بطل قصتى •• فى هذه الجملة يحقق الكاتب عدة اهداف •• يخلق نوعا من التماثل بينه وبين القارىء حينما يشركه معه فى اقتراح بناء مناسب للقصة ، وحينما يفضى اليه بعجزه عنشراء اللفافات اللازمة لعملية الكتابة ، حينما يشفق عليه من ان ترهقه قراءة هذه الاجـزاء الزائدة ، كما انه يحقق من خلالها نوعا من كسر الايهام يدفع معه القارىء الى التيقظ للمفارقات التى ستكشف عنها القصة بعد قليل • حتى لا يكتفى بالوقوف فى جانب السخرية التى تثيرها القصة من المليونير ومن بقية الشخصيات على حد سـواء •

أما القصة الثانية (المستحيل) فانها تنهض على المفارقة التى يصوغها توهم بطلتها مرسيه التى تعمل خادمة فى احدى بيوت ـ الزمالك ـ الحى الراقى مـن المدنية ، ان سيدتها قد تجىء بالفعل لزيارتها فى حجرتها ـ بامبابة ـ بالحى الفقير المقابل لهذا الحى الارستقراطى • وتصف القصة بحساسية تهكمية واضحة استعداد مرسية واسرتها الصـغيرة لاستقبال هذه الزائرة الهامة التى لا تجىء ابدا •• فالقصة تشككنا من البداية فى كنه وعدها بالحضور •• هذا الوعد الذى آلقته ككلمة تشجيع عابرة لمرسية حتى تبذل جهدها فى الاعداد للحفل الذى تقيمه سيدتها • فتكشف لنا من خلال تحول هذا الشك الى يقين عن طبيعة كل مـن شـخصيتى صـفافى ـ السيدة ـ ومـرسية • ويتحـول الاسراف فـى الاستعدادلاستقبال هذه الزائرة الهامة الى حصاة تحرك حياة هـذه الاسرة الفقيرة ثم يعود بعدها كل شىء الى سيرته الاولى • وهذا نفس ما يحدث فى قصة (خناقة) التى تذكرنا بقصة يوسف ادريس (هـ •• هى لعبـة) (١٩) حيث تحرك مشاجرة بين طفلين سطح الحياة الراكدة لاسرتين متجاورتين فى حارة اخوان الصفا ثم ما يلبث كل شىء ان يعود الى ما كان عليه • ولكن بعد ان يعرىلناالكاتب من خلال الحدث والتناول التهكمى له فى أن اعماق الشخصيات ويكشف عن مكنوناتها ويدلف بنا الى جوهر العلاقات التى تقوم بين آسرهذه المناطق الفقيرة والى اسلوبهم المتميز فى الترويح عن انفسهم والتنفيس عـن همومهم • اما قصته (شغلانة) فانه يعمد فيها الى نوع من الاسـتقصاء الداخلى لهموم عامل محبط فى مطعم طرد من عمله بسبب هفوة تافهة واخذ يتسكع بلا عمل ولا دخل •• وهموم عمال المطاعم موضوعسيستأثر بعد ذلكبعدد غير قليل من اقاصيص الكاتب القادمة •• كما أن التركيز على المنولوج الداخلى للشخصية سيتحول بعد ذلك الى نوع من اطلاق العنان لخيالاتها المجنحة •

ولا تبقى بعد ذلك سوى قصـة (غرباء) التى نحس بان الكاتب يتناول فيها غربته هو من خلال حديثه عن غربة بطلها • فمحمد حافظ رجب هو ذلك الغريب السكندرى الذى تمزقه عذابات الوحدة فى القاهرة • او هو بالاحرى غريب فى هذا العالم بعد ان خلف وراء ظهره العالم الذى آحس عنده الفهم والالفة ولم يتمكن بعد من الاندغام فى العالم الجديد • وهذه الغربة التى يعانى منها بسبب الوحدة لن تلبث بعد قليل ان تهاجمه وسط الزحام وان تتحول الى نوع من الاغتراب المرير عن هذا العالم الذى لا يهب الامنولاالسلام فى أقاصيص المرحلة الاخيرة • ومن هنا فان هذه الاقاصيص التقليدية الناضجة هى المدخل الحقيقى الى عالم محمد حافظ رجب • لاننا نعثر فيها على بذور الموضوعات التى شغلت الكاتب بعد ذلك فى أغلب أقاصيصه • كما نجد فيها بدايات الاساليب التعبيرية الجديدة التىاكتملت ملامحها فيما بعد • اذ نشهد فيها بعض الصور التخيلية المثقلـة



بالايحاءات والتى ستصبح فيما بعد وسيلة الكاتب المفضلة فى التعبير • ونجد فيها ذلك الاستخدام ذى الطاقة الرمـزية للجزئيات وتلك النزعة الى انسنة الاشياء والى التعامل معها باعتبارها كائنـات تنبض بالحياة وهى الظاهرة التى ستنقلب الى تشييىء الانسان فيما بعد والىتمزيق اوصاله والتعامل مع كل منها على حدة ، وسنجد فيها ذلك الاغراب الذى ينهض على تدخل الكاتب لكسر حدةالابهام وعلى اشتراك القارىءفى عملية الخلق الفنى •كما سنجد فيها ذلك الاتجاه الى الوصف التلخيصى الذى يعمد الى التقاط الملامح البارزةوالدالة للموصوف والربط بينها بعلاقات من التماثل والتضاد • يتحول معها الموصوف الى كائن له استقلاله النوعى ، وهذا ما سيتحول بعدذلكالى التركيز على الكنايات والتعامل معهـا كحقائق ، او الى اللجوء الى نوع من البـدل ـ على الصـعيد اللغـوى ـ وتجسيده بصورة يصبح معها البدل بديلا حقيقيا عن الاصل • وغير ذلك من الوسائل البنائية التى سنلمسها بوضوح أكثر فى المرحلة الثانية من تطـوره الفنى •

ارهاصات القصص الجديدة

لان هذه المرحلة الثانية هى المرحلة التى طور فيها الكاتب ادواته البنائية وان ظل يتعامل معها بمنطق واقعى • أو بمعنى اخر ظل يقيمنوعامنالتصالح بين المعالجة الواقعية بمنطقها القائم على التتابع السببى وأساليب البناء الشعرى بمنطقها القائم على التتابع الكيفـى وبتحررها النسبى من سيطرة الواقع واقترابها من تخوم السريـالية دون الاندغام فيها كلية • فسرياليته أقرب الى تلك السريالية النظرية التى يتحدث عنها اندريه بريتون فى البيان السريالى •• والسريالية التى تعبر عن الرغبةفى تعميق أسس الواقع والرغبة فى الوصول الى وعىبالحياة اكثر وضوحا من قبل ، الى وعى بها اعنف عاطفة وأشد شعورا ، والتى تحاول آن تصف الحقيقة الداخلية

(١٩) من مجموعة يوسف ادريس [اليس كذلك] ١٩٥٧ م.

والحقيقة الخارجية كعنصرين هنا فى طريقهما الى الاندماج لكيما يصبحا فى النهاية حقيقة واحدة • ان هدف السريالية الاسمى هو هذا التوحيد النهائى • اذ ان الحقيقة الداخلية والحقيقة الخارجية هما الان فى المجتمع الراهن على طرفى نقيض • وهذا التناقض بينهما هو السبب فى شقاء الانسان • ولذلك اخذنا على عاتقنا (السرياليين) ان نجابه هاتين الحقيقتين الواحدة بالاخرى فى كل مناسبة ممكنة ، دون ان نجعل لايهما اهمية اكثر من الاخرى • وبذلك جعلنا نفحص ما بينهما من تجارب وتداخل • وافسحنا لتلاعب هذه القوى كل مجال • لكى تتقارب هاتان الحقيقتان فتصبحا فى النهاية شيئا واحدا (٢٠) اقول ان محاولات محمد حافظ رجب للجموح من خيالات العالم الداخلى كانت اقرب الى السريالية النظرية من حيث وعيه بوجود حقيقتين متباينتين هما الحقيقة الداخلية والحقيقة الخارجية ومن حيث ادراكه للطبيعة العدائية للحقيقة الخارجية • وكانت حدة وعيه بهذه الطبيعة العدائية للواقع الخارجى هى التى حالت بين محاولاته والانخراط فى تيار السريالية • وهى التى جعلته يوظف جموحه الخيالى فى تحقيق اشياء مضادة السريالية • وهى التى جعلته يوظف اندماج الحقيقتين الخارجية والداخلية، ولا يسعى ، باى حال من الاحوال الى التوحيد بينهما كما يفعل السرياليون • فهو لا يطلق لعنانه الخيال بشكل مطلق ولا يستسلم لقوانين الفنتازيا التى يبدعها بل يتعمد السيطرة عليها بالمنطق الواقعى • ومن هنا يظل هناك نوعا من التصالح بين منطقتين متباينين • ويظل هذا التصالح موجودا حتى فى أكثر اقاصيصه خضوعه لمنطق الفنتازيا واقترابا من روح الشعر وربما لان الكاتب لم يستطع الانفلات من اسار بداياته الواقعية ، وربما لتشككه فى قدرة الفنتازيا وحدها على خلق عالم فنى ، وربما لرغبته الدائمة فى الالتزام بقواعد الاحالة التقليدية الى الواقع الخارجى ولوعيه بضرورة خلق الجسور بين العالم الفنى الذى يبدعه والواقع الخارجى الذى يصدر عنه •

ولقد كانت (المدية) (٢١) و (الفارس) (٢٢) و (جداران ونصف) (٢٣) و (الطيور الصغيرة) (٢٤) و (اصابع الشعر) (٢٥) هى الجسر الذى انتقل الكاتب عليه من عالم الواقع الى آفاق الفنتازيا • لانها أكثر القصص دلالة على عملية التصالح تلك • ولان عناصر الرؤية الجديدة وأدواتها الفنية تجاور فيها ملامح الرؤى القديمة وأساليبها البنائية • ومن هنا فاننا نجد بعض مقاطع هذه القصص وكأنها منتزعة من أعمال المرحلة الاولى بينما نحس فى مقاطع اخرى منها بأن الكاتب يغامر باطلاق بعض بالونات الاختبار المقتطعة من عالمه الجديد فى هذه القصص حتى يتعرف على مدى استجابة القارىء لها • ويتفاوت حجم بالونات الاختبار تلك من المقاطع المتناثرة فى (جداران ونصف) حتى الكتلة الاساسية فى العمل القصصى فى (أصابع الشعر) • لذلك فاننا اذا استثنينا (جداران ونصف) سنجد أن بقية الاقاصيص الخمسة اقرب الى جوهر المرحلة الاخيرة رؤية وبناء وربما كانت مدخلا طبيعيا الى خرائطها المعقدة •

ومفتاحا ضروريا للتعرف على المراحل التى مرت فيها المجازات والكنايات حتى تحولت الى رموز شعرية شفيفة وحلقت بالقرب من انطلاقات السريالية وجموحها فى بعض الاقاصيص الاخيرة •• ولما كانت قصص المرحلة الثانية شديدة الالتصاق بجوهر الرؤية التى يقدمها الكاتب فى اعماله الاخيرة فاننا سنتجنب الحديث عنها على حدة حتى لانقع فى تكرار مكونات الرؤية أو ملاحظاتنا عليها •• بل سنتحدث عن كل قصة من هذه الاقاصيص عند حديثنا عن قسمات الموضوع الذى تشارك فى صياغته أو ملامح الوسائل التعبيرية التى تشكلت فيها هذه الرؤى الجديدة وسيكون تناولنا لها ضمن دراستنا لقصص المرحلة الاخيرة بعد ان أشرنا هنا الى الملاحظة النقدية التى تثيرها اقاصيص هذه المرحلة دون بقية اقاصيصه الاخيرة ، وأعنى بها التصالح بين الاسلوبين • وتفرض علينا طبيعة اقاصيص المرحلة الاخيرة والاتهامات الموجهة اليها بالغموض والارتباك وتوافر عدد من المحاور الاساسية تدور حولها تجاربها طريقة خاصة فى التناول • تحاول ان تتصيد ملامح رؤية الكاتب للعالم وطبيعة تصوره للشخصية المصرية فى هذه المرحلة من خلال تحليلها للاقاصيص كمجموعات متشابهة •

جريمة قتل الاب

ويقدم الكاتب فى اقاصيصه كلها نمطا انسانيا يكاد يكون هو الكاتب نفسه •• نمط الانسان المسحوق المقهور سواء أكان بائعا جائلا ــ وقد كان الكاتب نفسه فى بداية حياته بائعا متجولا ــ أو عاملا فى مطعم ، وقد عمل الكاتب فى بواكير حياته عاملا فى مطعم أبيه أو موظفا صغيرا وما يزال الكاتب حتى اليوم موظفا صغيرا يعانى من سخافات القبوع بالقرب من قاع السلم الوظيفى • أو كاتبا شابا فى عالم منصرف عن الاهتمام بالكلمة أو متجه الى المتاجرة بها • هذا النمط الواحد المتعدد الوجوه ــ البائع الجائل والموظف والفنان ــ يغامر به الكاتب مجموعة من المغامرات ويخوض به عدة تجارب تبلور لنا الكثير من قضايا الشخصية المصرية فى الستينات • ومن البداية سنجد ان الموقف من الاب يستأثر باهتمام الكاتب كمنافس ، يوجد عادة ــ أيضا قدر من بصورة كبيرة فيتناوله فى عدة اقاصيص هى (المدية) و (الاب حانوت) (٢٦) و (حديث بائع مكسور القلب) (٢٧) و (الكره ورأس الرجل) (٢٨) و (عظام فى الجرن) (٢٩)، وهو موقف على درجة كبيرة من التعقيد والتشوش • تختلط فيه أسطورة فوبيوس وابنه فايثون بنوع من التحليل الفرويدى للموقف من الاب • ومن الغريب ان نجد لدى الكاتب هذين الموقفين المتناقضين من الاب وان كان لابد ان نسجل قبل دهشتنا ان الكاتب يميل الى الجانب الفرويدى من هذه القضية • والذى بلوره فرويد فى دراسته الشهيرة عن (ديستويفسكى وجريمة قتل الاب)بصورة نجد معها ان بعض سطور هذا التحليل تنطبق تمام الانطباق على بعض المواقف فى هذه الاقاصيص • لان فى هذه الاقاصيص محاولة دائمة لتناول ذلك النزوع البالغ التعقيد بقتل الاب وميل دائم الى تجسيد حالات النزوع فى تقمصها للبطل وتسلطها عليه • يقول فرويد فى هذه الدراسة أن « جريمة قتل الاب هى الجريمة الاساسية والاولية للبشرية » • وكذلك للفرد • وهو على اى حال المصدر الرئيسى للشعور بالذنب رغم اننا لانعرف ما اذا كان هو المصدر الوحيد • فالابحاث لم تصبح بعد قادرة على ان تثبت ــ فى تعيين ــ الاصل العقلى للذنب والحاجة للتكفير • الا انه ليس من الضرورى لهذا المصدر ان يكون هو المصدر الوحيد • فالموقف النفسى معقد ويتطلب ايضاحا • ان علاقة الصبى بابيه علاقة متناقضة • فبالاضافة الى الكراهية التى تهدف الى التخلص من الاب الحنين له • وهذان الموقفان الذهنيان يرتبطان ليخلقا نقصا لشخص الاب • فيود الصبى ان يكون فى مكان والده لانه يعجب به ، ويريد ان يصبح مثله ، ولانه يريد ايضا ان يبعده عن طريقه • ويقف هذا التطور الكلى عندئذ أمام عائق قوى • ففى لحظة معينة يصل الطفل الى فهم ان محاولة ابعاد الاب كمنافس قد يعاقب عليها بالخصاء • ومن ثمة فانه خوفا من الخصاء ، اى اهتمامه بالاحتفاظ بذكورته يصرف النظر عن رغبته فى امتلاك أمه والتخلص من أبيه • وطالما

---

[٢٠] اندريه بريتون فى [البيان السريالى] والنص من ترجمة جبرا ابراهيم جبرا فى [الرحلة الثامنة]] ص٦١

[٢١ و٢٢ و٢٣]] من اقاصيص مجموعته الاولى [غرباء]] •

[٢٤]] من مجموعته الثانية [الكرة وراس الرجل] ، صدرت عن دار الكاتب العربى عام ١٩٦٧ وقبل صدور مجموعته الاولى بعام كامل •

[٢٥] نشرت فى مجلة [القصة] عدد يونيو ١٩٦٥ •

[٢٦ و٢٧ و٢٨] من مجموعة [الكرة ورأس الرجل]] ص

[٢٩] نشرت فى مجلة المجلة بعدد فبراير ١٩٦٦م ص


اندريه بريتون

مكثت هذه الرغبة فى اللاشعور فانها تشكل اساس الشعور بالذنب • ونحن نعتقد ان ما نصفه الان هنا هو العمليات السوية • اى المصير السوى لمايسمى بعقدة أوديب • لكن ما يجعل كراهية الاب أمرا غير مقبول هو الخوف من الاب ، فالخصاء شىء بشع ، سواء كعقاب أو كثمن للحب • ومن بين العاملين اللذين يكبتان كراهية الاب ، يمكن انءنسمى العامل الاول ، أى الخوف المباشر من العقاب والخصاء بالعامل السوى • بينما العامل الثانى الذى ينحرف فيه الطفل الى اتجاه الانوثة ، ليضع نفسه فى مكان امه ويقوم بدورها كموضوع لحب ابيه فهو العامل غير السوى • لان الطفل يدرك ان عليهان يخضعايضا للخصاء اذا اراد ان يكون محبوبا من ابيه كامرأة • وهكذا فان الدافعين ـ كراهية الاب والدخول علاقة حب معه ـ يعانيان الكبت » (٣٠)

من خلال هذا التحويل الفرويدى اللامع لهواجس الابن الداخلية نحو أبيه نستطيع أن نفهم بعض جوانب العلاقة المعقدة بين الابن وابيه فى قصص محمد حافظ رجب •• ولكن علينا ألا ننسى انه يمزج هذا الموقف الاوديبى المثقل باحاسيس الذنب بنوع من عاطفة فايثون صوب أبيه فويبوس ـ أبوللو الابيض اله الشمس ـ تلك العاطفة التى يمثل فيها الاب فويبوس بسيطرة المقتدرة على مركبة هليوس ـ الشمس ـ ذات الخيول الابدية المجنحة • ارادة القوة بالنسبة للابن فايثون ومن هنا فانه يحبه ويجله ويبادله الاب الحب والحنان • لدرجة انه يسمح له بقيادة عربة الشمس الذهبية لكن الخيول تجمح به وتوشك أن تحرق العالم فيرسل له زيوس صاعقة لتحرقه •• فى هذه الاسطورة نلمس موقفا مضادا الى حد ما للموقف الاوديبى • لانه موقف مشحون بالحب والاكبار • وهذا ما نجده فى بعض أقاصيص كاتبنا وخاصة فى (المدية) • حيث يحاول البطل أن يستحوذ على تقدير أبيه وأن يشعره بحبه له وأن يشارك فى دفع الخطر بعيدا عنه دون جدوى •• لان الاب ودون أن يقصد ما يلبث أن يجهز على كل ما فعله الابن ، وأن يودى بمحاولته اليائسة للتحقق • ان الاب فى هذه القصة عاجز عن فهم ابنه برغم رغبة الابن القوية فى مساعدة الاب واستماتته فى تحقيق رغباته والاجهاز على اعدائه • وهى رغبة تنطوى على نوع من احتياج الابن الى فهم أبيه له وتقديره لحبه اياه وحرصه على مكانته • لكن الاب لايشبع هذه الحاجة للابن ، بل يسهم على العكس فى تدمير كل محاولة للتحقق من قبل الابن • ومن هنا فان الابن ما يلبث أن يتجه بعد ذلك اتجاها مغايرا يتمثل فى رغبته قتل الاب الذى فشل فى الحصول على اعجابه به • كما نجد فى بقية القصص الاربعة (عظام فى الجرن) و (الاب حانوت) و (حديث بائع مكسور القلب) و (الكرة وراس الرجل) •• وتصل محاولته للاجهاز عليه ذروتها فى (الاب حانوت) حيث يرفع الابن المدية فى وجه أبيه بعد أن ضاق بتعسفه معه فى (عظام فى الجرن) •• وحينما يجد الاب أن العلاقة بينه وبين ابنه قد وصلت الى هذا الحد يقرر طرده من حانوته ـ فالابن يعمل فى حانوت أبيه •• وكأنما يطرده من الفردوس عقابا على خطيئة التمرد والشروع فى قتل الاب •• وبالطرد من الحانوت ينزع الاب رداء السلطة والحماية من فوق ابنه ويتركه فى عراء هذا العالم الضارى • فتبدأ اول صدوع شخصيته فى الظهور فى (حديث بائع مكسور القلب) •• وتحتل كلمة مكسور مكانا رئيسيا فى عنوان القصة وفى عالم الكاتب معا •• بصورة نجدها أكثر الصفات تكرارا فى كتاباته • لقد تخلى عنه الاب ولكنه يزد أن يوهم نفسه بانه هو الذى قتل هذا الاب فى داخله • وبين فكى الايهام بالانتقام من الاب ـ وهو شىء يورث الاحساس بالذنب ـ والشعور بالهوان من جراء الطرد وفقدان الامن فى هذا العالم الموحش يكتوى بطلنا بنيران العذاب • ويحاول أن يتخذ من الكتابة وسيلة للتنفيس عما فى نفسه المعذبة لكنه ما يلبث أن يصطدم بشيئين يكرسان فى داخله العجز والاحباط •• أولهما أن ضراوة العالم الذى يهرب منه تصدمه من جديد وبصورة أحد فى العالم الذى هرب اليه كما تقول لنا (جولة ميم المملة) • فها هم حراس الكلمة قد تحولوا الى مجموعة من اللصوص ، يسرقون قطعة من لسانه ويطردونه من عالمهم • ويدفعونه فى الواقع الى الصراخ « نحن جيلا بلا أساتذة » •• ومعه حق •• لقد كان يتصور انه واجد الامن والحماية اللذان فقدهما بعد طرد الاب له عند هذا الاب البديل ، الكاتب الكبير • لكن هذا الاب البديل لا يلبث أن يكرر معه موقف الاب الاصلى •• عدم الفهم ثم الطرد • وثانيهما انه يكتشف أن الكلمة قد فقدت دورها الاجتماعى الكبير • وأن البشر الذين تمرد وعانى لكى يكتب لهم عن عذابه ومعاناته منصرفون عنه وكأنه يصرخ فى واد كما تقول لنا (الكرة وراس الرجل) •• انهم سادرون فى لهو سقيم ، لا يعبأون معه بأى شىء •• وهذا ملمح هام من ملامح هذا العقد الغريب • فالكلمة لم يعد لها هذا الدور الكبير الذى مارسته فى الماضى •• وفقد معها الكتاب مهابتهم وشاركوا فى امتهانها وامتهان انفسهم معها حتى أصبحوا جماعة من المرتزقة او فئة من المهرجين •

واذا ما حاولنا أن نترجم هذا الموقف من الاب فى أقاصيص كاتبنا الى دلالاته الاجتماعية وأن نكتشف خلف المستوى النفسى فى تحليل تجربة الكاتب مستوى اجتماعى وحضارى ، فسنجد أن الكاتب يعبر من خلال بطله فى هذه الاقاصيص المليئة بالعجز والاحباط وشهوة العنف والصور السريالية والجزئيات الفنتازية عن توقى هذا الجيل الى التحلل من الميراث والقيم التى بدأ يعى زيفها وجورها • والاب فى هذه القصص هو المثل الاكبر لهذا الميراث القيمى والحضارى الذى يرفضه هذا الجيل ، وهو حتى فى التحليل الفرويدى صورة للسلطة • وتؤكد لنا

(٣٠) سيموند فرويد : [ديستوفيسكى وجريمة قتل الاب] ترجمة سمير كرم ، مجلة الاداب ، مارس ١٩٦١ •

القصص هذه الحقيقة حينما تشير الى أن بطلها الواحد المتكرر ما يلبث أن يصطدم فى كل خطوة يخطوها بصور بديلة لهذا الاب تتصرف وفقا لمنطقه وفهمه .. نلتقى بها فى عساكر البلدية وموقفهم من الباعة الجائلين فى القصص التى يتناول فيه البطل بائعا متجولا . بالكتاب الكبار وموقفهم من الكاتب الشاب فى القصص التى يتحدث فيها الفنان عن البطل كاتبا بصاحب المقهى الاجنبى العجوز فانجلى فى القصة التى ركز فيها الكاتب كل كثافة عـالم المهـزومين المشـوهين المكسورين (مخلوقات بـراد الشـاى المغلى) (٣١) . ونلتقى به فى صورة المواضعات والظروف المختلفة التى يواجه بها البطل فى كل موقع يأخذ منها نفس الموقف ويتلقى منها ذات الاستجابات . وحينما يحاول البطل فى صوره المتعددة ان يجهز على هذا الاب القيمى فانه ما يلبث أن يفشل ولا يجنى من محاولاته سوى الصدمات . ويظل هـذا البطل ضائعا محبطا فاقدا للدور وللامان . لا يستطيع حتى أن يشيد عالما تعويضيا من الفنتازيا الحلمية الزاهية . لانه لا يلبث بين لحظة وأخرى ان يصطدم بالواقع الخارجى فتتناثر قصور الفنتازيا الحلمية التى شيدها كسرا فى الهواء ويعود من جديد الى هذا الواقع الموحش الذى يكتوى بعذاباته البطل مهما تعددت وجوهه ومهما اختلفت سبل الخلاص التى يهرب عبرها منه . لكنه اينما يولى وجهه يجد نفس القيم التى يتمرد عليها ونفس المواضعات التى يرفضها . ولا يجد فى نفسه القدرة على زحزحة هذا السلم المقلوب من القيم فينكفىء على ذاته يجتر مرارات الفشل . ولا يفطن الى انه ابن هذه الظروف والمواضعات التى يريد أن يقف ضدها . وأن تكوينه فى ظل هوائها الخانق قد فل ارادته وضيع فاعلية تمرده . لكنه يحدث هذا بصورة تدفعه الى تحويل هذا الاحباط والعجز الاجتماعى والحضارى الى موقف حسى ملىء بصور التشوهات الجسدية فى قصته الاخيرة (مخلوقات براد الشاى المغلى) . حيث نجد فيها القزم والكسيح والعاجز والحالم والمشوه والاعـور والعجوز وقد تجمعوا فى بؤرة واحدة هى فى حقيقة الامر وعى الكاتب بهذا العجز والاحباط ومعاناته من مرارة الفشل . ويعود من جديد لكى يدفن هذا الفشل فى أحضان انثاه ، ليصوغ لنا بهذه التجربة الدامية المحور الثانى فى هذا العالم الفنى الغريب .

تستاثر علاقة الرجل بالمراة فى أعمال محمد حافظ رجب بالاهتمام التالى لعلاقة البطل بأبيه . اذ تدور حولها مجموعة كبيرة من الاقاصيص تتناول مختلـف مبادرات البطل فى هذا المجال وتعكس لنا تجاربه الدامية فيه . بدأ من محاولته الفاشلة للزواج بالفتاة المثيرة الشهية التى أحبها فى (الطيور الصغيرة) حتى علاقته المؤلمة الجارحة بزوجته الخائنة .. ة وبزوجة أبيه اخرى فى (الامطار تلهو) (٣٢) و (الابحانوت) . (اصابع الشعر) و (عظام فى الجرن) ومارش الحزن) (٣٣) . والمراة فى هذه القصص جميعا مشتهاة ومنفرة معا جائعة رحانته أبدا . تنظر الى الرجل بشبق ممزوج بنوع من الاستهانة والاستعلاء . انها تسبر اغوار آغواره وتنكا دائما جراحه الجسدية والاجتماعية معا ، لا ترضى عن ضعفه أو فقره . ولا تأبه بالروادع الاجتماعية او القيمية التى تطالبها باحترامه والاخـلاص لـه . والكاتب يصورها دائما فى عـلاقتين بالرجل ، احدهما علاقة مشروعة ومحبطة معا ، والثانية علاقة آثمة ولكنهـا متحققة . يبتدى فى الاول الرجل صاحب الحق المشروع فى الاستمتاع بـالمرأة والسيطرة عليها مهزوما ومحبطا وعاجزا عن السيطرة القضيبية على انثاه .. ويرتوى هذا العجز ذو المظهر الجسدى أو العضوى فى أغلب الاحيان من روافد اجتماعية واقتصادية غالبا اذا استثنينا قصة (اصابع الشعر) التى يظهر فيها العجز اثر صدمة نفسية مروعة يفقد فيها الاب ابنه . فبطلة (الطيور الصغيرة) ترفض الزواج من البطل الذى تحبه لانها تشك فى قواه الجسدية والاقتصـادية معا .. انها تطمح على الصـعيد الاقتصادى فى الزواج من مقاول ثرى . ولما تفشل فى تحقيق مطامحها فى التنعم والثراء تقرر التضحية بالبطل الذى تحبه وتتزوج ذلك الرجل الطويل الفارع الذى تعدها قوته الجسدية باطفاء ظمئها الجنسى . لقد ضحت بالبطل مرتين مرة بسبب فقره لانه موظف صغير قابع فى قاع السلم الوظيفى . ومرة لان جسمه المهزول وقامته القصيرة لا تشبع شوقها الجسدى الى الذكر القوى القادر .

وهكذا يتلقى البطل أولى صدماته من المراة وهو لما يزل على أعتاب الارتباط بها . وما أن يتزوجها بالفعل حتى تطحنه الهواجس والشكوك وهو يدرك من طرف خفى أن لها علاقات برجال آخرين . وما يضنيه أكثر انه يعرف انها تقيم هذه العلاقات على أنقاض عجزه وفشله . فبعد ان يخفق البطل فى تسليك المزراب المسدود فى قصة (الامطار تلهو) بما فى هذه العملية من طابع جنسى . يأتى الاخر ويدك عصاه باقتدار فى فم المزراب المسدود فيتدفق منه المطر المحبوس . والبطل يخفق لان ظهره مكسور ـ لاحظ ما فى هذا التعبير من دلالات جنسية ايضا ـ ولانه انسان محطم ومثقل بمتاعب الفقر والعجز وفقـدان الامان . وهو لذلك كله يبصر تفاصيل الخيانة وشواهدها تحت عينيه ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا . وهذا ما تدركه المراة فتتمادى فى غيها وترتكب خياناتها بنوع من السفور الذى لا حياء فيه ، كما فى قصة (أصابع الشعر) .. حيث يظل الرجل قابعا فى أسفل السلم ، وهى لادراكها عجزه عن الصعود . تستقبل عشيقها فى أعلاه دون أن تطرف لها عين . صحيح أن العجز قد أصاب بطل (أصابع الشعر) على كبر وأثر صدمة فقدانه لابنه . لكن بطل (عظام فى الجرن) المحبط المهزوم المطرود من عمله فى المطعم يعانى العجز منذ بواكير حياته وتترسب فى داخله تواريخ واحداث تحول بينه وبين الوصال الحقيقى مع ابنة عمته المشتهاه . لذلك فانها ما تلبث أن تنكره ولا تسمح له بأن يحظى براحته مادام لم يحقق لها الاشباع . وهذا نفس ما يحدث فى (مارش الحزن) حيث تنكر الزوجة بعلها ميتا كما أنكرته من قبل وهو لا يزال على قيد الحياة . والمرأة معذورة فى الحالين لانها تتوق هى الاخـرى الى الاشباع بعد أن أضنتها ممارسة الامومة المبكرة مع اطفال ذوى أجساد خائرة وشوارب كثيفة . ومن هنا فانها تتجه صوب المحرمات غير عابئة بـالروادع الاخلاقية او الاجتماعية كما فى (حديث بائـع مكســـــور القلب) و (الاب حانوت) ، فهى الاخرى مشوقة الى التحقق ولا تستطيع لطبيعة الشريحـة الطبقية التى يدير فيها الكاتب اعماله أن تمارس نوعا من السيطرة الاجتماعية على الرجل أو من الاضطلاع بدوره واحتلال مكانته . فالطريق الوحيد أمامها بعدما اغلق هذا السبيل البديل هو الخيانة وهى أنسب الحلول مع هذه النوعية من النساء الاميات الفائرات اللائى لا يعرفن سوى الحلول الجسدية لما يواجههن مـن معضلات . وهذا بالذات ما يودى بالبطل ويكرس فى داخله العجز والاحباط .

عالم الكلمات الغريب

ننتقل بعد ذلك الى المحور الثالث والاخير الذى يستاثر باهتمام كاتبنا وهو الاحباط فى العمل والعجز عن الاضطلاع بالدور الذى يبتغيه من خلال العمل أو الكلمات فى وقت واحد . وتدور قصة واحدة عن احباط الموظف الصغير ازاء خواء الجهاز الوظيفى وفساده وهى قصة (الفارس) أما القصص الباقية فانها تتناول البطل كاتبا وتصور لنا مجاهدته للتعبير عن رؤاه الخاصة وسط عالم مثقل بالزيف والشعارات الجوفاء وهى (الكرة ورأس الرجل) و (جولة ميم المملة) ، و(حديث شاعر مهموم) (٣٤) واذا كانت القصة الاولى تثير موقف البطل ازاء تنامى الزيف والملق والانتهازية ، وضيقه من ذلك الوضع الذى اصبح فيه الانتهازى بطل المرحلة المدلل ونموذجها الاثير . فان القصص الباقية تضعنا مباشرة أمام موقف الكاتب من الفن وتقدم لنا اقذع هجائيات الجيل الجديد للواقع الادبى الذى يتعامل معه . وتثير قضايا الشكل والاضافات التعبيرية التى قدمها الكاتب فى اعماله المختلفة . ومن الناحية المضمونية نرى أن (الفارس) هـى

---

[٣١] نشرت فى مجلة [المجلة] عدد اغسطس ١٩٦٦ .
[٣٢ و٣٣] من قصص مجموعة [الكرة ورأس الرجل] .



فرانز كافكا

المدخل الطبيعى الى هذه الجزئية فى عالم محمد حافظ رجب القصصى • أنها تصور لنا تخلق شبكة من الانتهازيين فى مواقع العمل وتماسك أفراد هذه الشبكه وتضافرها فى العمل من أجل سحق أى صوت مخلص وأى عمل حقيقى لان وجود هذا العمل يشكل بالنسبة لها نوعا من التبكيت الضميرى • والبطل لا يستطيع أن يصمد لمؤامرات هذه الشبكة المحكمة فى الواقع فيندحر امام تماسكها ، ليعكس بذلك النتيجة التى يؤول إليها مثل هذا الصراع فى مرحلة الستينات • ولكنه يسارع بتشييد عالم حلمى يعيد فيه خلق الاحداث المقلوبة بالصورة السليمة • اذ تندحر فى رؤاه الحلمية كل قوى الشر والانتهازية أمام حقيقية هذا الواقع الهادىء البسيط •• واقع العمل برغم العجز والتشوه وضياع الحقوق • وهذا هو ما يكرره الكاتب بأسلوب مختلف ومصطلحات متعددة فى الاقاصيص الثلاثة التى يتناول فيها عالم الكتابة • تبدأ أولهما (الكرة ورأس الرجل) بتقديم صورة مؤسية للعالم الذى يمارس فيه الكاتب عمله •• وهو عالم منصرف عن الكتابة الجادة ، مكتف بالصراخ المجنون فى ملاعب الكرة • فقد حرم من ممارسة اللعبة واكتفى بمشاهدتها • وهو لذلك عازف عن قراءة أى كلمة توقظه من هذا السبات الذى استمرأه • ومن هنا عانى كتاب الكلمات الجادة من الافلاس بعد أن انصرفت عنهم القطاعات الواسعة من الجماهير • ربما لانها تعى أن الكتاب يمارسون فى هذه الكتابات نوعا من التنفيس التعويضى عن عجزهم عن الفعل واكتفائهم بدور المشاهد كالاخرين •

اما القصتان الباقيتان (جوله ميم الملة) و (حديث شاعر مهموم) فانهما تقدمان عالم الكتاب من الداخل فى مواجهته لرغبة البطل فى التغيير • وفى محاولته لاستيعاب صدمة هذه الكتابات الجديدة والرؤى الجديدة وامتصاصها • ان هذا العالم يقتطع جزءا من لسان الكاتب ويستعذب مذاقه الغريب • ويحاول أن يمضغه ويبتلعه حتى يذوب غرابته الطازجة فى أسن لعابهم المكرور • لكن الكاتب يبذل جهدا هائلا للاحتفاظ ببكارته بعيدا عن هذا العالم الموبوء • ويوطن نفسه على هدهدة رؤاه وتعهد انجازاته التعبيرية وكأنه يدخرها ليوم تسترد فيه الكلمة دورها وفعاليتها • وتستطيع فيها أن تهز الجمود فى أعماق هذا الجمهور السادر فى لهوه ومواته فى آن حيث لاتوقظه أبعد الامور عن التوقعة بعد أن فقد حس الدهشة والقدرة على الاستغراب كما تقول قصة (وجف البحر) (٣٥) تلك القصة المدهشة التى يتمرد فيها الحمار ولا يتمرد البشر المصفدين فى السلاسل • لا يحركهم ذلك الخبر المدهش القائل بأن البحر قد جف •• ولا حتى محاولات الذباب لان يهشهم بلا طائل • وتذكرنا هذه القصة بعالم كافكا فى قصته (امام القانون) ولكننا هنا بازاء قانون مقلوب يتناسب مع العالم المقلوب الذى تقدمه هذه الاقاصيص • هذا العالم هو ما يحاول الكاتب أن يخلق معادلا فنيا له فى اقاصيصه يتواءم مع تلك الحالة المستعصية على التصديق التى وصل اليها • حيث لم يعد باستطاعة حتى اكثر شرائحه تفتحا — وهم الكتاب — قبول شىء جديد • ومن هنا فان الكاتب يرفض كل أساليب هذا العالم القديم ويقدم فى مواجهته أسلوبا يحطم المنطق القديم وان ظل محتفظا ببعض قواعده كما هى الحال عند كافكا • وهذا الاسلوب الملىء بالتشوش ليس فى الواقع سوى وجه من وجوه الواقع الكئيب الملىء بالتشوش والذى تعيشه هذه الشخصيات المنسحقة القريبة من النمطية ، حيث يكتفى الكاتب بالاشارة اليها بمجرد حروف توحى بطبيعتها النمطية أو القناعية • وهو لذلك يلجأ الى الحوار الفصيح برغم عدم تناسبه مع الشخصيات الامية الفقيرة ليجهز على أى مشابهة غلافية بالواقع قد يوحى بها الحوار العامى • ويقدم لنا الكاتب شخصياته تلك وهى تعانى من ضغوط أغلبها ضغوط خارجية تحوم دائما حول هذه الشخصيات والاشباح • ويساهم ضعف شخصياته وانسحاقها ازاء هذه الظروف القاهرة فى تجسيد هذه الظروف فى صورة مجسمة للشر وللمواضعات الجائرة • لذلك فانه ينطلق من الفنتازيا ويحلق فى أجواء شديدة الحزن والسواد • محطما أمامه كل شىء ، الزمن والواقع والشخصية على السواء وهو فى سبيل ذلك يستبدل الصفات بالمصادر ويتعامل مع المجازات المالوفة وكانها صور حقيقية ويمنح هذه المجازات عبر الحس الفنتازى طاقة على الحياة المستقلة بعيدا عن الموضوع الاصلى الذى ظهر المجاز فى معرض وصفه أو الحديث عنه • ويلجأ الى استخدام نفس المنهج مع البدل اللغوى اذ يعزله عن المبدل منه ويمنحه نوعا من الاستقلال الذى تهن به كلما توغلنا فى القصة الصلة بين البدل والمبدل منه حتى تنقطع • وهو فوق ذلك كله يهب هذه الجزئيات الجديدة نوعا من المنطق الجديد ولا يخضعها باى حال من الاحوال لمواضعات المنطق المالوف فنجد لديه رؤوسا مقطوعة ولكنها برغم ذلك قادرة على الحياة والتفكير واذرع ممزقة وأرجل مقطوعة ولكنها تسعى فى الارض وكأنها كائنات مستقلة وهو يصوغ من خلال ذلك صورا تقترب من مجال الشعر وان طالها فى بعض الاحيان شىء من الافتعال ، الناجم عن احتفاظ الكاتب فى قشرة وعيه بدرجة من العلاقة (العاقلة) بين المستوى الواقعى والمستوى الرمزى الذى يجسده بصورة تجهز على طاقة المستوى التخيلى على التحليق وتحد من طاقة هذا العالم الجديد على الايحاء من ناحية ، وتفرض على منطقه الخاص بعض متطلبات المنطق المالوف من ناحية اخرى • لكن ذلك لا ينفى قدرة الكاتب على التحليق فى عالم من الرموز الشعرية الشفيفة القادرة على تناول شتى هموم الستينات ، برغم تمردها على كل قواعد الاحالة المتعارف عليها فى القصة المصرية القصيرة قبل ظهورها •

---

[٣٤] نشرت بمجلة [نادى القصة] عدد يونيو ١٩٧٠ •

[٣٥] من مجموعة [الكرة ورأس الرجل] •

مسافة بين الساحة والينبوع المفاجئ

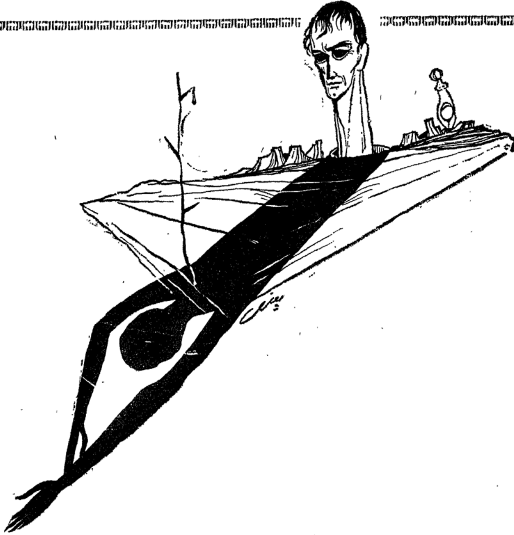
شعر : محمد عفيفى مطر

بين عينى دمى ، فوق جبينى
موعد بينى وبين الســاحة المثلثة
ببطون الامهــات
ومحاريث العيون المطفأة
(أنت فى هوة أعماقى غابة
طلعت ٠ نارا من الصخر ، ينابيع فراش مشتعل،
ونوافير طحالب
دومت تحت انفراط الطيف بدءا من تواقيع النهاية) ٠
وأنا كنت ــ بأخلاط المشــيمة ــ
هاربا نحو جذور الشمس فى لحم الظـلام ٠
كانت الساحة ملأى بالعظــام
ربما يأتى البدائيون من فوق الفروع
يحملون العالم الطالع فى همهمة الخوف وأعراس القبيلة
(آه يا مختبئا فى قشرة العــالم يا منكشفا بين الضلوع ٠٠)
يقلبون القمر الصامت أنثى ، والسحابة
مهرة تصهل فى الافق فتنشق المدائن
(أنت تأتى ٠٠ شبحا يلبس من مــاء المرايا جسدا ، تخطو الى الســاحة ما بين الشهود
كلما نقلت أقــدامك ٠٠ فرت فى الزوايا
صــورة العــالم ، وانشــق القنــاع
فتعرى الحى عن جيفته واخترقت ليل العيــون
صرخة الموتى على الموتى ٠٠
ومــا كــان يذوب
ــ بين عينى ــ أراه يتجســد
وهو يمضى هاربا فى جســد الليل العظيم ٠٠)
وأنا أبصر ظلى ساقطا بين العيون
يفتح الساحة كالشفرة ، ينصب بأعتاب البيوت

وأنا أرقص فوق الخشــبة
رقصة الذاكرة الحبلى بعرس الماء والنار وأيام الحــوار
(حين كان الموت يأتى كل عــام
فى خطــا قابلة القرية ، يرمى كعكه المــن واكليل الفطام
كنت فى موعد ميلادك تبكى وتغنى ٠
عاقر القرية تعطى بيتك الخائف سبعا من
كرات الخبز (فى كل رغيف
طبقات الارض ٠) كى يمنحها قطعة ثوب وجديلة
يبدأ الحمل الطقوسى المخيف
بعبير الجسد الظامىء اذ تدخل من طوق القميص
ساقطــا فوق الزوايا والنتوءات الى الارض ،
فيلقاك فراغ القدمين
سبع مرات (وفى كل عبور
كرة الافق ارتمت بين يديك ٠)
يومها كان الردى يرتد عنك
تاركا زهرته الخضراء وشما بارزا فى ساعديك ٠) ٠
وأغنى باكليل الدم النازف : آه
من ترى يعذرنى ممن رأونى جائعا واكتنزوا

طرف العــالم ، أنســاب الامــامة

فانظروا يا فقراء الارض ٠ هــذا دمكم
فى سروج الخيل أجراس ، وفى شال العمامة
مدن يمسخها النقش رســوما شجرية
وانظروا يا فقراء الارض ٠ هــذا لحمكم
حينما ينضجه الرعب الخرافى ٠ ٠ يجىء الامويون
ويأتى الفقهــاء



(فى لغات العصر ٠)تمتد المســـافة
بين كفى ولســـــانى ، نطفة العالم تنصب سيوفا،
والمسافة بين رأسى وفروع الشمس ٠٠ تمتد حبالا٠
كرة الافق تضـــيق
وتلف الريح أنشوطتها ، تنسج حول الرقبة
عقدة الصرخـــــة
ظلى كان فى الساحة يبكى ويغنى للقيـــامة :
انظروا ٠٠ فى جسدى فرحة ينبوع مفاجىء
(كان جـرحى غربة مـكتوبة فــــوق جبينى
علمتنى رقصة الموت الرشيق
يومها ٠٠ حط على صـــبدرى صقر معدنى من
لغات الارض من أجناســـها
ينقر القلب ٠٠ تعرفت بعينيه على موتى الصـــديق
حجة الله على صمت المـــلايين المدانة
يومها كان كتاب الذاكرة
برعم النار رماد الحطبة
قطعـوا رأسى ٠٠ فأبصرت به يهرب مخبـــوءاً
بأسرار الكهـــانة
فابحثى عن جسدى الضائع فى أزمنة الهدم ، خذينى
لك طفلا يقطع الغربة شعرا وبكاء
وخذينى لك زوجا واماما ٠٠)
انظروا فى جسدى فرحة ينبوع مفاجىء
انظروا ٠٠ فى جسدى تختبىء الارض وتصحو
كلما طوحنى العالم فى دائرة الموت الرشيق
(أنت فى هوة أعماقى غابة
طلعت ٠٠ نارا من الصخر ، ينابيع فراش مشتعل
ونوافير طحالب
دومت تحت انفراط الطيف ٠٠ ثـم انتظـرت
جسدا يمنحها مملكة الافق العميق ٠٠) ٠

ســـــينما المقـــاومة العـــربية

ســمير فريد

يبدأ اليوم فى العاصمة التــونسية أسبوع افلام حركة تحرير فلسطين ، وذلك فى اطار المهرجان الدولى الرابع للايام السينمائية بقرطاج الذى ينتهى فى السابع من أكتوبر • وقد أقام اتحاد نقاد السينما المصريين ندوته الشهرية الثالثة فى سبتمبر الماضى عن «قضية فلسطين على الشاشة العربية» ، بمناسبة هــذا الاسبوع ، وهو الاسبوع الثانى من نوعه بعد أسبوع فلسطين الذى أقيم فى اطار مهرجان دمشق الدولى الاول لسينمـــا الشباب فى ابريل •

\- ١ -

عبر الانتاج السينمائى العربى عن قضية فلســطين ، فى كميته ، وفــى نوعيته ، منذ عام ١٩٤٨ الى اليوم ، عن واقع القضية فى البلدان العربية ، ربما أكثر من تعبيره عن القضية ذاتها • ولا شك أن من أهم اسباب هذه الظاهرة الارتباط الوثيق بين الانتاج السينمائى ونظم الحكم السياسية ، ســواء كان انتاجا خاصا ام انتاجا عاما •• فالانتاج الخاص فى السينما يرتبط بنظم الحكم أيضا ، نظرا لطبيعة السينما الاقتصادية التى تفرض ما لا يفرض على الفنون الاخرى ، والرقابة المشددة التى تخضع لها بحكم تأثيرها الجماهيرى الواسع الذى يفوق تأثير كل الفنون مجتمعة ، أو منفردة •

لقد انتجت السينما العربية عن قضية فلسطين نحو مائة فيلم ، وبالتحديد ٨٥ فيلما حسب القائمة التى قمت باعدادها ونشرها اتحاد النقاد فــى نشرتــه الشهرية

والغالبية الساحقة من هذه الافلام (٧٨ فيلما) تم انتاجها بعد حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، بل ان عدد الافلام التى انتجت خلال الشهور الستة التالية لهذه الحرب ، وهو سبعة أفلام ، يعادل تماما عدد الافلام التى انتجت طوال ما يقرب من عشرين عاما ، منذ طــرد الشــعب الفلسطينى من أراضيه ، وانشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ •

كما أن عدد الافلام التى انتجت قبل وقف اطلاق النار عــام ١٩٧٠ (٤٣ فيلما) يفوق عدد الافلام التى انتجت بعد وقف اطلاق النار (٣٥ فيلما) • فقد هبط عدد الافلام من ١٢ فيلما عام ١٩٦٨ ، و ٢٤ فيلما عام ١٩٦٩ ، الى ١٥ فيلما عام ١٩٧٠ ، و ٩ أفلام عــام ١٩٧١ ، و ١١ فيلما فى عام ١٩٧٢ حتى الان •• الامر الذى يحمل دلالة خطيرة فى المستقبل •

وتعكس هذه الارقام ثلاث حقائق هامة بالنسبة لواقع القضية فى البلــدان العربية :

أولا : ان القضية لم تكن موضع اهتمام الاعلام العربى طوال ما يقرب من عشرين عاما ، وبالتالى عجز العالم عن معرفة أبعادها من وجهة النظر العربية ، وتأييد حق الشعب الفلسطينى فى العودة الى بلاده ، وترك مسرحا تجول عليه اسرائيل وتصول منفردة تماما • هذا عوضا عن العالم العربى ذاته الذى يجهل ابعاد القضية أيضا ، وان تعاطف معها بالضرورة •

ثانيا : ان القضية لم تصبح موضع اهتمام الاعلام العربى نسبيا الا بعد أن قامت اسرائيل باحتلال اجزاء من مصر وسوريا والاردن بعد هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ • بينما احتلال فلسطين اصل القضية التى ترتب عليه غــزو الدول المجاورة ••

ثالثا : ان اهتمام الاعلام العــربى بالقضية ليس اهتماما استراتيجيا ، وانما اهتماما مرحليا يرتبط بالاحداث الانية ، ويتضح ذلك من هبوط عدد الأفلام من ٢٤ فيلما عام ١٩٦٩ الى ١٥ فيلما عام ١٩٧٠ بعد وقف اطلاق النار • وغنى عن القول أن قضية فلسطين هــى القضيــة الاستراتيجية الاولى فى العالم العربى •

\- ٢ -

قامت مصر بانتاج أكبر عدد من الافلام العربية التى تناولت القضية الفلسطينية (٣٣ فيلما من ٨٥) من بينها كل الافلام التى انتجت قبل حرب يونيو عام ١٩٦٧ •

ولا يرجع ذلك الى رسوخ صناعة السينما فى مصر بالنسبة الى غيرها من الدول العربية ، فكل الدول العربية تنتج الافــلام التسجيلية والقصيرة ، وربمــا يتفوق الفيلم التسجيلى على الفيلم الروائى فى التعبير عن القضايا السياسية ، وملاحقة تطوراتها •

وبعد مصر تجىء سوريا (١٧ فيلما) ثم العراق (٩ أفلام) ثم الاردن (٨ أفلام) ثم لبنان (٦ أفلام) • وكلها من دول المواجهة المباشرة مــع العــدو الاسرائيلى ، ما عدا العراق • فــاذا أضفنا الفيلم الكويتى الوحيد ، والفيلم الجزائرى الوحيد ، وافلام المنظمــات والهيئات الفلسطينية والعربية والدولية (١٠ أفلام) التى تم انتاج ٦ منها بعد وقف اطلاق النار عام ١٩٧٠ أدركنا الى جانب الحقائق الثلاث السالفة :

رابعا : ان القضية لم تصبح عربية ، رغم أنها قضــية عربيــة واقعيــا ، وتاريخيا •

خامسا : ان المنظمات والهيئات تحاول فى ظل وقف اطلاق النار أن تقوم بالدور الاعلامى الذى لا تقوم بــه الدول والحكومات ، مع ملاحظة أن المنظمات الفدائية لم تبدأ انتاج الافلام الا عام ١٩٧٠ •

ومن بين الافلام العربية التى تناولت القضية الفلسطينية ٢٥ فيلما روائيا ، و ٦٠ فيلما تسجيليا وقصيرا على النحو الاتى :

افلام روائية طويلة : ١٥ فيلما •

افلام روائية متوسطة الطــول : ٣ افلام •

أفلام روائية قصيرة : ٧ افلام •

افلام تسجيلية طويلة : ٥ أفلام •

افلام تسجيلية متوسطة الطول : ٥ افلام •

افلام تسجيلية وافلام تحريك قصيرة : ٥٤ فيلما •

ويعكس تحليل هذه الافلام مجموعة من الحقائق الخطيرة الخاصة بأهم قضايا العرب على الاطلاق •

« عن كتاب « الحلم والواقع » للناقد البريطاني كريستوفر كودويل يقدم الملحق هذا الفصل الذي نقله الى العربية سعد صموئيل . ويعد كودويل من كبار النقاد الماركسيين ، غير أن هذا لا يمنع أن وجهات نظر أخرى الى قضية الشعر قد اختلفت معه فيما بعد »

مدخل الى دراسة مصادر الشعر

كريستوفر كودويل

ليست هذه دراسة للشعر فحسب ، لكنها دراسة لمصادر الشعر . ولان الشعر يكتب باللغة ، لذلك فهي دراسة لمصادر اللغة . ولان اللغة نتاج اجتماعي وأداة اتصال وتفاهم بين الناس ، فان دراسة لمصادر الشعر لايمكن أن تنفصل من دراسة المجتمع .

ومن الشائع في مجال النقد الادبي افتراض أن مصادر الادب تعد أمرا ثانويا لاعلاقة له بالادب ، وأن عملية النقد الادبي يمكن أن تعتمد كلية على مصطلحات الادب . ولقد ظهر منذ وقت قريب تصور فلسفي مماثل حول دراسة الطبيعة — وهو مادية هولباخ الميكانيكية ، التي يتبناها بلا وعي معظم العلماء اليوم . فقد افترض أن وصف المادة يعتمد تماما على مصطلحات المادة ذاتها ، وبما أن الانسان يتكون من المادة ، اذن فمصطلحات المادة يمكن أن تصفه هو بدوره . ولقد بدأت هذه الفلسفة بتجريد المادة من كل الصفات المكونة من عناصر ذاتية أوعقلية كاللون والصلابة والمذاق .. أما الكتلة والحجم والزمان والمكان فهي صفات مادية موضوعية — أي هي المادة موصوفة بمصطلحاتها ذاتها ، الى أن أثبت اينشتين ان **الملاحظ** أيضا يتدخل في تحديد هذه الصفات . ومع ذلك فقد بذل اينشتين نفس المحاولة ليقدم مصطلحا مطلقا ، وهو الكمية المتمددة (The Tensor) الذي انقلب بدوره في ضوء مبدأ عدم التحدد الذي قدمه علماء الطبيعة الكمية فيصبح **متوقفا على الملاحظ** . ولم تترك علوم الطبيعة الحديثة شيئا مطلقا بل تركت معادلات — وما هذه المعادلات الا أفكار .

ومن الواضح أن هذا المصير غير المتوقع للمادية الميكانيكية لا يرجع الى انها كانت مادية ، بل يرجع الى أنها لم تكن مادية الى حد كاف . وباعطاء الافكار والصفات الحسية وجودا ذاتيا خالصا ، ووهميا ، بعزلها عن واقع المادة ، شيد الماديون الميكانيكيون دفعة واحدة مجالا لواقع غير مادي يتناقض مع أساس نظامهم .

وبينما كانت المادية الميكانيكية تنمي الجانب الموضوعي أو التأملي للمادة ، كانت المثالية تنمي جانبها الفعال أو الذاتي . وهكذا أصبحت المثالية دراسة للحساسية ، وعملية الاحساس هي عملية فاعلة . وبدا العالم كما هو معروف للانسان مكونا من صفات حسية فقط — من أشكال ومفاهيم وأفكار . ففي البداية سلم الفيلسوف كانت بعدم معرفة الشيء في ذاته ، ولكن هيجل سفه هذا الشيء في ذاته وأبقى على الفكرة فقط ، وهي ليست الفكرة الموجودة في رأس الانسان ولكنها الموجودة خارجه — أي الفكرة المطلقة . وكون الفكرة مطلقة يعني أنها موضوعية ، وكونها موضوعية يعني أنها مادية . وبذلك تصبح المثالية مادية ، ولكن لانها تستبعد منذ البداية المادة الموضوعية التأملية ، لذا كانت بالنسبة لمنطق هيجل مجرد شبح لمادية جامدة ، ذات بناء قاصر محدود بالفكر .

ولم يحدث هذا الا لان الموضوع كان قد انفصل عن الذات في المادية ، وأصبح ينظر اليه بطريقة تأملية ، في الوقت الذي أصرت فيه المثالية على أن الذات فعالة ، وان كانت فعالة في لاشيء ، في المظهر المجرد . ولقد أدى ادراك ماركس لهذا الى مفهوم العلاقة بين الذات والموضوع بوصفها علاقة تنطوي على الفاعلية والى أن « النظرية » هي نتاج « ممارسة » الذات للموضوع ، والى اعتبار « الاحساس » احساسا « بشيء ما » . وهكذا اصبحت النظرية في ضوء هذا المفهوم تتولد من صراع الانسان « الذات » مع الطبيعة « الموضوع » .

ولم يكن في امكان هذا المفهوم أن يستقر على هذا النحو . وذلك لانه منذ أن أصبح واضحا أن اخطاء الفلسفة ترجع الى أنها تجرد الذات عن الموضوع ، يصبح من الواضح أيضا أن العلاقة الفعالة بين الذات والموضوع ماهي الا حياة الانسان في قلب الطبيعة . وليس المقصود بذلك الانسان المجرد في الطبيعة المجردة ، بل الناس كما يعيشون ويسلكون بالفعل ، الناس الذين يجب أن يعيشوا عينيا قبل أن ينتقلوا الى مرحلة التأمل المجرد ، والذين تحمل تأملاتهم المجردة نتيجة لذلك سمات حياتهم العينية . ولقد رأى ماركس أن الانفصال الذي حدث في الفلسفة بين الذات المستمتعة والموضوع المتأمل لم يكن سوى الانعكاس المجرد لانقسام مشابه في الحياة العينية بين الوجود الواعي للطبقة المتفلسفة وبين الافعال اللاواعية لبقية المجتمع . لقد كانت النظرية والتطبيق منفصلين في الوعي لانهما منقسمان في الواقع الاجتماعي ،

وهكذا فقد تبين لماركس أن فهم الحياة العينية هو شرط أولى لفهم نتاج هذه الحياة العينية ، والفلسفة من بين ذلك النتاج . فهناك الحياة العينية ذاتها ، التى تتضمن كلا من النظرية والتطبيق وهناك نظرية الحياة العينيـة ، التى تحاول اخضاع العلاقة العينية بين النظرية والتطبيق للنظرية .

والحياة العينية ليست مادة جامدة . ولم يكف الناس فى أى وقت من الاوقات من القيام بأعمال مختلفة ولذلك فهم ينخرطون فى علاقات فيما بينهم . ودراسة هذه العلاقات الانسانية بشكل عام تشكل موضوع علم الاجتماع . ومجموع العلاقات الانسانية ليست ثابتة فى الزمان لكنها تتغير بسرعة . والقوانين العامة التى تحدد علاقات الكائنات الانسانية فى فترة معينة ، وتغير هذه العلاقات من فترة الى اخـرى ، تشـكل نظرية المـادية التاريخية .

ولم تكن المادية الميكانيكية والمثالية موضوعات قاصرة على الفلسفة وحدها ، لكنهما ظهرا فى العلم والجماليات وتاريخ الناس . فالشعر من وجهة نظر المادية الميكانيكية فى علم النفس يعتبر شـكلا للسلوك ، ومن وجهة نظر فلاسفة المادية الميكانيكية فى الفلسفة يعتبر اشـباعا للحس « الجمالى » الموروث فى المادة المنتظمة فى الجسد الانسـانى . أما الافتراض المثالى فيعتبر عمـوما أكثر اتساقا فى تناوله للشعر ، حيث يفسره بمصطلحات الجمال والحق والخير .

ومن السهل لاى شخص صادق مهتم بالفن أن يرفض هذه التهجمات ، لانها كثيرا ماتكون تهجمات خادعة ومشوشة . ولكن يلاحظ أيضا على اساليب اولئك الذين ظلوا يحصرون أنفسهم داخـل نطاق الفن ولم يقبلوا سوى الاعتبارات الجمالية « الخالصة » نفس الانقسام فى طريقة التناول .

فان الماديين الميكانيكيين فى الفن ينظرون الى عمل الفن كموضوع منفصـــل ، ويحاولون استخراج نظرية للفن تستبعد الذات أو الفنان ، مصاغة بمصطلحات الفن من حيث التكنيك أو الشـــكل . وتفترض هذه النظرية أنه عندما تستخلص كل الادوات والتكنيك والصفات « المجردة » المتعلقة بالفن على اعتبار أنها تستخدم بمعزل عن الفنان وتخضع للنظرية ، عندئذ يكون الفن موصوفا بمصطلحاته الخاصة . هذه هى نظرية « الشكلية » فى الفن ، وواضح انها كنظرية تقابل فى علوم الجمـال المادية الميـكانيكية فى الفلسفة . والشكليون مثلهم فى ذلك مثل أولئك الفلاسـفة ، لم يتركوا فى النهاية سوى حقائق ذاتية مجردة — أى مفاهيم وافكار ومخططات وقواعد .

والمثاليون فى الفن يرون أن العمل لفن طابعا ذاتيا ، مثل « الشعور » فى عقل المدرك أو الفنان . وهم يعتقدون أن الانفعال الجمالى غاية قصوى لايرقى اليه الشك ، وموجود بكامله داخلهم ، وأى نقد للفن يقوم فى مفهومهم على اساس شخصى وذاتى . وهذه هى نظرية « العاطفية » فى الفن .

ولا تقابل هذه النظرية « نظرية » المثاليين فى الفلسفة فحسب ، لكنهم يصلون فى النهاية الى سراب مادى . فمثلا تبين نظريات أوجدن وريتشاردز* أن العاطفة الجمالية تخضع فى النهـاية لاحساس داخلى يتحول الى اثارة لاعصاب معينة .

وهكذا كما تصبح الشكلية « فكرة » تصبح العاطفة « علم لوظائف الاعضاء » .

وعندما وصل هيجل بالتناقض الى الحد الذى خلق منه ماركس فى النهاية منهجا جديدا ، ظلت هناك امكانيـة ظهور تسوية مزيفة ، وهى تسـوية الوضعية أو الظاهراتية . فقد حلت مشكلة العلاقة بين الذات والموضـوع بجعل العلاقة وحدها هى الحقيقة . أى الظواهر وحدها هى الموجودة .

ولم يكن ذلك حلا فى حد ذاته . فاذا كانت الظاهرات وحدها هى الموجودة ، لما وجد واقع [مثل العقل أو المادة] يقوم بمهام تنظيم أو تقييم الظاهرات . وما يسرى على الجزء يسرى على الكل بالتساوى . وتعتبر نظم الظاهـرات المعروفة كالعلم أو النظرية أو الحقيقة تحكمية ولا اساس لهـا . لان عدد الظاهرات لامتناه .

أما الوضـعية فهى فى الواقع غير أمينة دائما ، لانها منذ البداية تهـرب واقعا آخر [غالبا مايكون العقل] فى نظام ينشأه وتضفى عليه سمات الشرعية

ويتخفى هذا الواقع تحت بعض الاسماء مثل « الموافقة » أو « الاحتمال » وهكذا تكون الوضعية فى الواقع مثالية خجولة عموما أو مادية مخجلة أحيانا أخـرى [فى شكل اللا أدرية » . والوضعية فى الفلسفة علامة انحطاط فكرى بالمقارنة مع الهيجلية ، وأكثر انحطاطا بالمقارنة مع المادية الجدلية التى حلت المشكلة حلا واقعيا .

لذلك تظهر الواقعية أيضا فى علوم الجمال على أنها محض فعل الاستمتاع بالعمل الفنى ، وعلى انها « الفن من أجل الفن » . وبالطبع لا يقدم هذا اطلاقا معيارا للتمييز بين أعمال الفن وبين متع الفن ، ولذلك فان كل علماء الجمـال الوضعيين يدخلون خلسة فى بعض المبادىء المنظمة ، عاطفيـة عامة [تـكامل الشخصية أو واقع العاطفة] ولـكن أحيانا شكلية [الايقاع أو « الشكل »] .

واذا ما فحصنا الكتابات الانجليزية الشهيرة فى علم الجمال ، نجد أنه حتى أولئك الكتاب الذين ظلت طريقتهم فى الفهم جمالية خالصة ، يتبنون وجهة نظر العاطفة من ناحية ومن ناحية أخـرى يستخدمون معيارا شكليا دون اى محاولة منهم للتوفيق بين التناقضات الواضحة بين النظرتين . ولكن من النادر فعـلا العثور على كاتب انجليزى فى علم الجمال يقدم منهجا متماسكا فى ذلك العلم . وكثيرا ما يستورد أيضا من خارج مجال الفن آراء نفسية أو تاريخية أو حتى بيولوجية من حيث الاصول . وبما أن بعض الآراء قد تكون مثالية فى نظريتها [كالتحليل النفسى مثلا] والبعض الاخر مادى [مثل علم وظائف الاعضاء أو البيولوجيا الداروينية] ، وبمـا أن هذه الاراء قد تكون مختلطة مع نظريات ميتافيزيقية تستند على مصادر منفصلة وميئوس من تقابلهـــا مثـل ديكارت وسبينوزا وهيجل وايضا ماركس ، اذا تكون النتيجة معروفة . فالتخصصـــية ناقصة ، والتكامل ضرورى ، والانتقائية التى تتجنبهما معا ، تصنع الاسوأ لكلا

---

* أوجدن وريتشاردز « معنى الفن »
ريتشاردز « مبادىء للنقد الادبى » .

من عاليهما ، وهــذه الانتقائية هى السمة المميزة للفكر الحديث .

وكما نرى فى هذه الدراسة للشعر ، فاننا نرفض منذ البـدء أى تحـديد من مقولات جمالية خالصة . واذا أراد أى شخص أن يظل داخل نطاق الجماليات ، فسيظل سواء كان خالقا أو مدركا لاعمال الفن ،-داخل هذا الحيز المحدود فحسب من الجماليات « الخالصة » .

ولكن مجرد أن ينتقل المرء من المتعة أو خلق أعمال الفن الى نقد الفــن ، يتضح له عندئذ أنه قد انتقل الى خارج نطاق الفن ، لكن ينظر اليــه من ذلك الموقع » . ولكن ما الذى خارج الفن ؟ ان الفن نتاج المجتمع ، مثل اللؤلؤة التى هى نتاج المحارة ، ومعنى أن نقف خارج الفن هو أن نقف داخل المجتمع » ونقــد الفن يختلف عن المتعة الخالصة أو الخلق ذلك لانه يحتوى على عنصر ينتمى الى علم الاجتماع . وفى النقد الادبى ، تنتظم القيم وتتكامل فى منظور أو رؤية شاملة وهى نظرة كلية للفن من الخارج ، فعالة ، علاقتها به علاقة مفعمة بالحياة وليست تأملا باردا له . لذا فهى تنظر اليــه كفعالية ذات محتوى نشط ومتفجر . وهى نظرة للفن وليست نظرة للمجتمع أو للعقل .

ولكن علــوم الطبيعــة والانثروبولوجيا والتاريخ والبيولوجيا والفلســفة وعلم النفس نتاج المجتمع أيضــا ، ولهــذا فان علم الاجتماع العلمى هو الذى يخول لناقد الفن استخدام معيار يستند على هذه المجالات دون الوقوع فى الانتقائية أو خلط الفن بعلم النفس أو السياسة .. ويوجد علم اجتماع علمى واحد يكشف العلاقة العامة الفعالة بين البناء الفوقى وهو النتاج الايديولوجى للمجتمع وبين الحياة العينية — وهذا العلم هو المادية التاريخية . لهذا فان أساس هذه الدراسة هو المادية التاريخية .

وقد ارتأيت أنه من الافضل التركيز أولا على فن واحد معين ، وهو الشعر ، رغم أن الفنون الاخرى قد عرضــت فى علاقتها العامة بالمجتمع ، وذلك لان الشعر تاريخه قديم وظاهرة اهماله الى حد ما فى هذه الايام تطرح مشــكلات حاسمة أمام دارسى علوم الجمــال ، بالاضافة الى أنه كان فى الواقع الفن الأثيرلدى الكاتب مما أضفى على مهمته أهمية خاصة » .

عن :

Illustion and Reality
A study of the sources of poetry
By
CHRISTOPHER CANDWELL
International publishers N.Y. fifthe printing 1963

عفت سكون النار

تأليف : الحسانى حسن عبد الله
عرض ونقد : محمد ابراهيم أبو سنة
الناشر : مطبعة المدنى — ١٩٧٢

« عفت سكون النار » والغاء ألف عام من التطور

الشعر لحظة توازن نادرة فى الروح تنبثق على شكل أجنحة خيالية كلها تشير الى الحرية والجمال والموسيقي • وهذا ليس تعريفا للشعر بل محاولة للمسه لقد أخفقت محاولة قدامة بن جعفر فى تحديد معنى الشعر عندما قال بأنه « الكلام الموزون المقفى » والذى يتضمن معنى ، وأخفق ابن خلدون وغيره فى نفس المضمار لا لانهم أرادوا أن يقيسوا بالمنطق ما ليس منطقيا بل لانهم لم يدركوا المنطق الخاص للشعر • فبينما نجد المنطق الشكلى باردا فان منطق الشعر ساخن ومرن وبينما المنطق الشكلى محدود وواضح نجد الشعر غير محدود وغير واضح • ولما كان كل تعريف هو قيدعلى المعروف فان كل التعريفات فشلت فى أن تقول فى تعريف جامع مانع ما هو الشعر لان الشعرحرية • واذا كان المنطق الشكلى تحده حركة الذهن فان الشعر يجرى فى عروق التجربة • واذا كان المناطقة والبلاغيون قد دحضوا تعريف قدامة بن جعفر للشعر فان انصار قدامة يثبتون أنهم يستطيعون الظهور فى كل العصور ، وقد صدر حديثا جدا ديوان « عفت سكون النار » للشاعر الحسانى حسن عبد الله يؤكد بصوت عال وبصخب شديد أن كل حركات التطور فى الشعر العربى منذ ألف عام ما هى الا هباء • وقد علق الاستاذ الحسانى على غلاف ديوانه لافتة تقول « من الكلام الموزون المقفى » ، وما كان اغناه عن تعليق هذه اللافتة لولا أن موقفه النفسى يموج بالغضب والهياج لانه يرى الشعر الحديث يذيع ويشيع ويهدد بتقويض أساس اللغة العربية • كما يزعم وقد صدر الشاعر ديوانه ببيان غاضب يشتعل بالغيظ والانفعال والمبالغة • هذه المبالغة التى تعطى صورة اليمة لتفكير هذا الشاعر الذى يملك بلا شك قدرة جيدة على ضبط ايقاع عروض الخليل بن أحمد ولكنه لا يملك أدنى احساس بالعصر الذى يعيش فيه • يقول الاستاذ الحسانى بعد أن أنذرنا بانتصار الشعر الحديث كما لو كان وباء « ان الذى لا شك فيه عندى اننا خاسرون وأن مزيدا من افلات الزمام مفض الى تهلكة محققة وها هو ذا أول شر • شيوع الركاكة والتخليط والتشابه والتوسط والفن كله على النقيض • احكام وقصد وتمييز وعلو ، اما آخره فموت العربية — عاشت لنا — أى موت العرب » • وهكذا ينتهى بنا الاستاذ الحسانى الى هذا الاكتشاف المروع ان الشعر الجديد سيؤدى الى موت العرب « والعياذ بالله » ومما لا شك فيه أن ما حدث على النقيض مما ذكره الاستاذ الحسانى فان ظهور الشعر الحديث قد انقذ فى اللحظة الاخيرة الشعر العربى كله لانه دفع به الى ساحة الاهتمامات البسيطة الانسانية ونفى عن اللغة العربية تراب الغرابة وجدد شبابها باستخدام رموز جديدة وصور جديدة وتجارب جديدة وتفكير جديد •

ولو أن هذا الشكل لم يظهر وتصورنا حال الشعر العربى متمثلا فى انتاج المتطفلين على موائد مدرسة أبوللو فقط ودعاة الرجعة الى تقليد المعلقات فاننى أعتقد أن الشعر العربى ما كان سيحظى بكل هذا الانتشار الواسع ، والاهتمام الحقيقى على امتداد رقعة الوطن العربى • ولا أظن يا استاذ حسانى أن شعراء العراق وسوريا ومصر والمغرب والسودان ومعظمهم من أبناء جيلك قد قرروا أن يساعدوا الاستعمار فى نطاق الشعر على التعجيل بموت العرب • وأن النظرة المنصفة لانتاج الموهوبين من الشعراء الجدد تؤكد أن

الشعر الحديث كان الوسيلة الوحيدة لابقاء الشعر العربي حيا ، ثم يسوق الاستاذ الحسانى ما يعتقد انه أدلة منطقية تدحض مفهوم الشعر الحديث فيرى ان اقتصار الشعراء المحدثين على استخدام البحور الصافية يفقر الامكانية الموسيقية التى أتاحها لنا التراث • والحقيقة أن الشعر الحديث جاء اساسا ليوسع من نطاق التشكيل فى الشعر لا ليفقره فهو لم يهدم الاساس الموسيقى للقصيدة العربية لانه احتفظ بالتفعيلة ولكنه هدم التشكيل ليقيم تشكيلا جديدا • القضية اذن ليست فقط قضية استيعاب الموسيقى لتجارب النفس البشرية المعقدة لانك تستطيع أن توقع على آلة بسيطة نغما بالغ العمق والعبرة أساسا بالتشكيل وليست بالاساس الموسيقى فاذا استطاع الشعر الحديث أن يستوعب عن طريق التشكيل تجربة عصره فقد نجح فى التعبير عن هذا العصر •

وبالاضافة لذلك فان الشعر لم ينه مسيرته الان بل ان الشعراء يمكن أن يفاجئونا غدا باستخدامات موسيقية جديدة والاستاذ الحسانى يعرف أن هناك ينشط بحر الطويل فى العصر الجاهلى وفى البيئات بحورا خاملة فى بعض العصور ، وعلى سبيل المثال البدوية أكثر من نشاطه فى البيئات الحضرية وذلك لبطء ايقاعه ، بينما الحركة فى الحضر تتطلب السرعة والخفة وربما كان علم النفس أقدر على الكشف عن مثل هذه الدوافع • ولقد تعسف الاستاذ الحسانى كثيرا عندما حاول تطبيق عروضه على بعض قصائد من الشعر الحديث فصاغ للشعراء قصائدهم فى الاطار التقليدى فوقع فى خطأين : الاول افساد الاحساس الشعرى بهذه القصائد ، ثانيا فرض وصاية لم يعطها له احد لكى يقوم ما يقوله شعراء آخرون بأسلوبهم وفى لحظة ابداعهم • والشعر لحظة ابداع أساسا • أما ما فعله الاستاذ الحسانى فقدرة ذهنية وموسيقية وهذا بعيد عن الشعر لانه قصد أن يكتب هذا الشعر فى أسلوب آخر ••• والقضية أن :

الاستاذ الحسانى يرى أن الشكل القديم قادر والشعراء عاجزون • وهذا ليس صحيحا بل على العكس الشكل عاجز والشعراء قادرون لماذا • من الذى يصنع الشكل • الشعراء ومن الذى يهدمه لينشىء شكلا جديدا الشعراء أيضا • اذن • الشاعر له الحق فى ابتكار شكله ولا يوجد من يلزمه بالتزام شكل من ابداع شعراء آخرين لان هذا قسر يلغى حرية الابداع • الشكل ملك الشعراء • ولكن بشرط الاقناع • وفى البيان شتائم كثيرة نصرف النظر عنها • ومن عجب أن الاستاذ الحسانى حين يقارن بين الحديث والتقليدى يهرع فورا الى امرىء القيس والمتنبى ، ليقول لنا كيف استطاع الشكل التقليدى أن يستوعب تجربتهم وفى هذا مغالطة لان العبرة ليست بما حدث فى الماضى فكل المنصفين يعرفون قيمة شعر المتنبى وامرىء القيس ، ويعرفون أن شكلهم كان لائقا بعصرهم ، ولكن لماذا يحملنى امرؤ القيس من القبر فى عصر آخر •

أليس من حق الاستاذ الحسانى أن ينفض عنه اوهام الماضى ويعيش عصره هو ، لقد كان اساتذته القدامى الذين يفخر بهم ونفخر بهم معه أشجع منه لانهم لم يقدسوا القاعدة التى ركع عندها وسجد • فاذا جئنا الى شعر الديوان وجدنا تطابقا محزنا بين أفكار البيان الموغل فى الهروب الى صحراء كنده وبلاط سيف الدولة • وجدنا قصائد يستيقظ فيها الذهن وينام فيها الالهام • وهذا واضح فى بناء الابيات التى تخلو من التلقائية التى يخلقها الاندماج فى العملية الابداعية • يقول فى قصيدة لن يرجع الماضى :

ان كنت كنت علمت ما ألقى ولم تعن فجرمك أعظم الجرم

أوكنت والاحجار قد علمت بهلم تعلمى فلتقبلى حكمى

وهذا شعر قريب من النثر الغليظ رغم وزنه الرصين ، لان الوزن وحده لا يصنع الشعر الحقيقى • وتطالعنا فى هذا الديوان تجارب الشاعر التى تتمثل فى عاطفة عصبية لا تكشف لنا عن حقيقة الحب أو الذات العاشقة بقدر ما تؤكد كبرياء الشاعر وتعاليه وهو أمر ليس فى حاجة ملحة للكشف عنه • وهناك طائفة من القصائد التى يمكن أن تنتمى الى شعر المناسبات ما بين رثاء وتحية وتهنئة • وهناك طائفة تعكس همومه الذاتية وأزمته تجاه عالم لا يرى فيه صورة لما يبتغيه ، ولعل من ابرز الظواهر الفنية فى هذا الديوان وضوح أصوات الشعراء القدامى مع صوت الشاعر فيطغى صوتهم على صوته أحيانا ويطغى صوته هو حينا آخر • ولكن تأثير امرىء القيس والمتنبى يبدو سائدا • ورغم أن هذه الظاهرة تعيب أصالة الشاعر الا اننا نستطيع أن نرجع ذلك فى الحقيقة الى المبالغة النفسية التى تسيطر على الشاعر فيما يتعلق بشكل الشعر حتى أن هذه المبالغة لتدعوه الى رفض العصر كله والفرار الى عصور أخرى • والى جانب هذه الظاهرة هناك أيضا وضوح القصد والذهنية الواعية فى كتابة القصائد • الى جانب المماطلة فى اختيار الالفاظ • فهو يختار الغريب طلبا للاحساس الشديد بالتفرد والتميز ، وبالتالى ارضاء صفة التعالى التى تبدو واضحة فى شعره ونثره فهو يريد ان يبرهن بلغته الغريبة على أنه يعرف ما لا يعرفه الكثيرون • ولان الشاعر قد صرف جهده فى أمور هامشية ولم يسلم نفسه كلية لهذا المدى الواسع الذى تفتحه الحرية أمام الشاعر المغامر فقد كان حصاد الشاعر مرا فى النهاية ، فجاءت التجربة مسطحة وتقليدية •• ان القراءة العابرة والمتأنية لهذا الديوان « عفت سكون النار » تؤكد أن الشعر الحديث كان ضرورة حياة للشعر العربى المعاصر ••

زنوج وبدو وفلاحون

سمير

غالب هلسا

الفصل الاول
جون باجوت جلوب

جاء الضابط البريطانى عند منتصف الليل • لم يتجه الى الخيام ولكنه نام مع الرعيان • فى الصباح زار الشيخ • وجلس فى الجزء المخصص للرجال فى الخيمة ، فى صدر المكان • يتكىء بكوعه على المسند المغطى بالسجاد • والشيخ يجلس بجواره : ضئيلا وقذرا •

كان للضابط البريطانى وجه طفل : أحمر ، ومستدير وخال من التجاعيد كأنه خزف مشوى • عيناه ذات زرقة باهتة ، فى جانب الوجه جرح غائر يجعل فمه يبدو معووجا ، ولذا أطلق عليه البدو لقب « أبو حنيك » • كان يرتدى لباس جيش البادية الاردنى : كوفية حمراء ، وعقالا رفيعا علقت فيه ــ فوق الجبين ــ شارة الجيش العربى ، وقمبازا من الخاكى •

تناول زنجى ذو وجه عريض لامع دلة القهوة وقدم فنجان القهوة للضابط البريطانى • تذوقها ، ضاقت عيناه وتفحص الزنجى • هز الفنجان وقال :

« الزمها النار يا ولد ، قهوتك باردة » •

كان يتصرف بوحى اعتقاد ساذج انه انما يكسب ولاء هؤلاء البدو بادعاء التمسك بعاداتهم وبالحرص المبالغ فى التقيد بها ، يخدعه الاستحسان الذى يثيره أمثال ملاحظته عن القهوة • وأمامه كان يتظاهر البدو بالتعلق الشديد بتلك العادات •

أعاد الزنجى الدلة الى النار • تناول ملقطا واخذ ينقل الجمرات ويحيط بها الدلة • ثم جمع قطع الحطب الصغيرة ووضعها فوق الجمرات حتى اختفت النار تماما • أمسك بطرف جلبابه وأخذ يهوى على النار ، تصاعد الدخان بسرعة ثم ارتفع اللهيب •

التفت الشيخ بسرعة نحو الضابط وكلمه بصوت نحيل محشرج :

طولت غيبتك يا صاحب •

رد الضابط : أشغال يا شيخ ، أشغال •

كان يتكلم بلهجة تخالطها لكنة غريبة • ارتسمت على وجوه الجالسين ابتسامات اخفوها بتقطيب الحاجبين • قال الشيخ :

شفت الشريف عبد الله ؟

اخذ الضابط البريطانى يتكلم بسرعة ، معتقدا أنه بذلك يخفى لكنته المضحكة :

والله سيدنا مشغول • شفته مدة قصيرة •

ــ وش قال عن العيال اللى يريدون يخشوا الجيش ؟

ــ قال سيدنا تتبدون على غيركم فى دخول الجيش والرتبة • سيدنا ما ينسى وقفتكم معه •

سرت همسات بين الرجال • وكان وجه الشيخ صارما يحدق بقسوة واشمئزاز فى محدثة •

همس رجل الى آخر يجلس الى جواره :

سياسى ملعون الوالدين •

نظر اليهما الضابط طويلا • امتقع وجه الذى تكلم وأطرق • أخذ يرسم باصبعيه خطوطا متوازية على الارض المتربة •

• • •

فى المحرم كانت زوجة الشيخ الثالثة تصغى لحديث الرجال • كانت ابنتها تسمع الاصوات ولكنها لم تحاول أن تفهم ما يقال • يصلها صوت أبيها متقطعا ، مختنقا ، نحيلا كأنه صوت طفل ، وكانت تفكر فى تلك الساعة من الليل عندما يجىء « على » ويدعوها اليه • أصبحت تلك الفترة هى مركز حياتها •

قالت لها الام :

الشيخ يكلم الصاحب عن الفلاح اللى ذبح سحلول •

رأت ابنتها غير مصغية فأدركت ما يشغلها • قالت هامسة :

بنتى خليكى حرة •• البنت مالها غير شرفها •

أطرقت الابنة بضيق • اضافت الام وهى تبسط كفيها كأنما سوف تتلقى عليهما حملا :

الله يوفقك ، ربنا يوفقك ، يارب ، أنت شايف ، زغيرة ومالها ذنب •

اقبل الورادون فعلت نسجة فى المحرم • عينا الابنة ساهمتان غائبتان • احتدت عيناها وقالت :

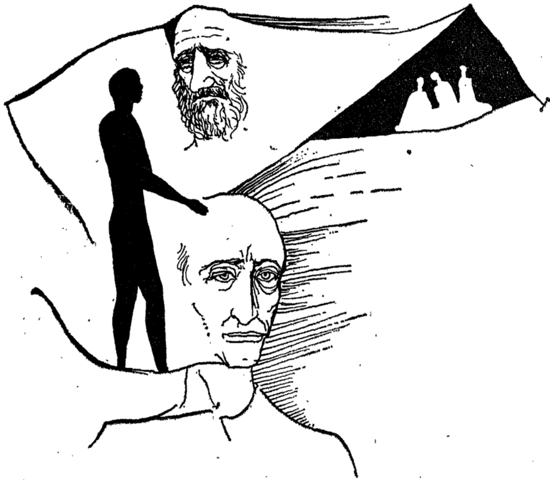
يمه ، الصاحب من أمة محمد ؟

لم يكن سؤالها منتظرا فاضطربت الام وأخذت تنظر الى ابنتها ثم قالت :

شهد واستهدى قبل سنتين • قاله واحد ، أظنه بالله سحلول ، « مانمشى ورا النصرانى » •

قال أبوك : « الصاحب ما هو نصرانى ، شهد يا صاحب . وبرى ذمتك » ، وشهد الصاحب •

من وراء الستار الفاصل بين خيمة الرجال والمحرم امتدت قدم وطرف عباءة لها لون الرمل • القدم كانت نحيلة الكاحل ، بارزة العروق • استدارت عينا سلمى ، الابنة ، وصعد الدم الى وجنتيها • بدا « على ». كان يرتدى



ثوبا أبيض طويلا وعباءة خفيفة ، وكوفية بيضاء ناصعة ، وعقالا ينزلق حتى يكاد يلامس الحاجبين • وجهه طويل ، مشوب بصفرة ، هادىء كأنه نائم •

قالت الام : وش علومك يا على ؟

اختلس نظرة سريعة الى وجه سلمى ثم قال : عمى أمر بغدا الصاحب •

قالت وضحا ، زوجة الشيخ الاولى ، أم القبيلة ، وأكثر نسائها مدعاة للتقدير والحب :

العوافى يا على ، الصاحب يريد يبات الليلة ؟

صوتها الواضح الهادىء . ووجهها الجميل الكبير اسكت الاسئلة الكثيرة وزعزع تماسك على • قال : مدرى يا عمة • ما قال •

الفصل الثانى
الورادون

الخيام المستطيلة المتجاورة تمتد من الشمال الى الجنوب بخط شبه مستقيم • خيام سوداء مصنوعة من شعر الماعز لرجال القبيلة ، واخرى صغيرة الحجم للزنوج والفلاحين وصناع الادوات المنزلية والاسلحة • وهذه مصنوعة من الخيش أو شعر الجمال •

أمام خيام رجال القبيلة تقف خيول عربية أصيلة دقيقة الاطراف ، ضامرة البطن ، متوترة ، قلقة •

فى الصباح تعلو ضجة المحرم وحركة الدخول والخروج تتزايد ، تضع النساء ثلاثة أحجار كبيرة ، وتوقد بينها النار ، ويعدون عليها الطعام ، العيون دامعة من الدخان ، والرؤية عسيرة والاصوات النسائية تعلو كأنها تستغيث والاطفال يسرعون بين أقدامهن فتتعثر فيهم النساء ويضربنهم ان كانوا فى متناول اليد •

ومع الضحى يقبل الورادون يسوقون حميرا محملة بقرب الماء : زنوج وفتيان وصبايا • الفتيان والصبايا فى المؤخرة يستمتعون بآخر لحظة من اللقاء والغزل • زمن رحلة وورود الماء تنشأ الزيجات المقبلة •

عند وصول الورادين تعلو ضجة أمام الخيام ، وتكتسب الوجوه تعبيرا فيه جدية وتعاسة • يسود التوتر وتدع النساء ما كن يزاولنه من أعمال • التوتر

يسرى الى الشيخ • تزداد عيناه الحمراوان نفاذا وتبرز عقدة بين حاجبيه • يمسك بخيزرانته ويطرق الارض براسها المدور الاسمر طرقات سريعة متتالية •

أمام كل خيمة يقف حمار أو اثنان ، وأمام بيت الشيخ وقفت ثمانية حمير وزنجيان وثلاث نساء • كانوا متربين ، دامعي الاعين ، تفوح منهم روائح العرق • الزنوج يشتمون النساء ، والنساء يتوسلن الى الرب أن يزيل الزنوج والرجال جميعا والهم الذى يعشن فيه • يحدث هذا وكلهم مستغرقون فى عملهم يفكون القرب عن ظهور الحمير، ويتعاونون فى نقلها الى داخل المحرم •

عند باب المحرم تقف وضحا طويلة، مهيبة ، خلف انفراجة شفتيها تلمع أسنانها البيضاء مشيرة الى المكان المخصص للماء •

يشرق وجهها ، تتكون غمازتان على جانبى الفم وتقول :

يعطيهم العافية •

تتناثر الاصوات : يعافيها ••

فى المحرم زوجات الشيخ الاربع ، وبعض الزنجيات ، والاطفال وبناته وبدوية متسولة • وضحا أطول الجميع ، وهى المركز الذى يدورون حوله • كل الحركات تتجه من وضحا واليها •

توقفت خيزرانة الشيخ عن طرقاتها العصبية • انتصب وسكن فى جلوسه • نهض فجأة كانه انطلق من قذيفة ، مسرعا بخطواته القصيرة ، وجسده يعلو ويهبط مع كل خطوة •وظهر كالنذير فى وسط المحرم : مستقيما ، قذرا ، مشمئزا ، بالغ الضآلة • قال :

وش هالحس ؟

توقف كل شىء لحظة • انفرج فمه وأصبح أنفه أحد تجاعيد وجهه الكثيرة • ثم ارتفعت يده السوداء الصغيرة التى تشبه المخلب بالخيزرانة وأهوى بها على كتف زنجى يحمل قربة ماء • وجسد الزنجى العريض يتقلص ، وينشنج • قال :

هذى وطفا والله • ارتفع صوت وطفا: العبد الزفر •

واندفعت خيزرانة الشيخ تهوى فى كل الاتجاهات • رأى زنجيا داخلا يحمل قربة ماء فضربه على عجيزته وساقيه وكتفه،والزنجى يدبتحت حمله بثقةوهدوء كأن لاشىء يحدث • ووضحا تقف منتظرة فورة الغضب •

قالت بعد قليل : علامك ؟ وشنهو مزعلك ؟

نظر اليها ، سقطت يده الى جانبه وقال :

قللن حس •

استدار بخفة وعاد الى مجلس الرجال • وارتفع صوت وضحا محايدا ، نسائيا جدا ، وغير موجه الى أحد بالذات :

قللن حس يا نسوان • فيه ضيوف •

عينا البدوية المتسولة تضطربان بجنون • رأتها وضحا التى لا يفوتها شىء فألقت اليها برغيف خبز •

الفصل الثالث

المساء والليل

الظلام يزحف من صحراء بادية الشام كقطعان ماعز سوداء تنفذ من عمق الافق الشرقى ، والشمس ما تزال معلقة على المرتفعات الشرقية لوادى الاردن • تغيب الشمس فيهطل الظلام فى الشرق كندف أسود • القلة تشكل الفاصل بين غبش الليل الاسمر والضوء المتلاشى من الغرب • يعلو الدخان فوق الخيام لولبيا وله لمعة زرقاء • من اتجاه المراعى فى الغرب تعلو غيمات غبار ، وبقايا ضوء الشمس الغاربة يتسلل بين سيقان الرعاة والحمير والماشية • كل قطيع من الغنم يتقدمه حمار علق فى عنقه جرس • الرجال أشكال سوداء يحدد اطارها ضوء الغروب •

على علو شاهق تندفع طيور صامتة ، ساكنة الاجنحة •

النساء يعددن العشاء ويمهدن المراح لاستقبال الابل والغنم • ويطفو على المكان ثغاء التيوس ، والنعاج ، عواء الكلاب وصهيل الخيول •

ضوء الغروب بلا مصدر ، يستمر لمدة طويلة • الليل مثقل بروائح الاعشاب الجافة ، بعر الماعز ، روث الدواب ، رائحة اللحم المطبوخ بالجميد ، دخان حطب الرتم والدفلاء ، عطور نسائية عتيقة ، وروائح شجيرات الشيح ، تشق الليل نداءات نسائية ، أوامر رجال ، أغان لمسافرين فى الصحراء ، عواء الذئاب والثعالب •

يقدم العشاء على صوانى كبيرة • أكوام من الرز فوقها أكوام من اللحم رأس الخروف فى وسط الصينية شاخص العينين يتسلل لسانه من شدقه • ينتهى الرجال من الطعام بسرعة ويمسحون أيديهم بستارة الخيمة • ثم يلمعون أحذيتهم بما تبقى من دسم على ايديهم • وبعد ذلك يغسلونها بالماء والصابون •

أضىء الكلوب فى خيمة الرجال والفانوس فى المحرم • هرب الضوء الداكن وسقطت النجوم • ارتفع نباح الكلاب • وبدأت سهرة الرجال • يتكلم رجل ويصغى الاخرون • فى المحرم ـ النساء يتكلمن فى آن أصواتهن دافئة ، غامضة •

فى مجلس الرجال تروى حكايات تتخللها أشعار • ومعظم الجالسين قد سمعوا هذه الحكايات من قبل • فهم لذا يقاطعون الراوى ويعترضون على بعض التفاصيل • عندما يصل الراوى الى موضع الشعر فى الحكاية يمسك بالربابة وينشد • ويعبر الجالسون عن استحسانهم بترديد آخر كلمة فى كل بيت من الشعر بشكل جماعى •

فى المحرم تصمت النساء عندما يرتفع صوت الربابة وانشاد الشاعر • يستخففن اللحن فيرددنه من خلال أفواه مطبقة • وعندما ينتهى الشاعر ياخذن فى التعليق دفعة واحدة ، كان هنالك زوجات الشيخ الاربعة وبنته الكبرى سلمى وبعض الجارات والزنجيات والبدوية المتسولة • على سيقانهن يغفو الاطفال • امام الكثيرات غليون محشو بالتبغ ، له قصبة من الدفلاء يزيد طولها عن متر •

كانت السهرة هى نهاية يومهن الذى بدأ ببرد الفجر والركض مع الحمير والفتيان والزنوج الى آبار المياه • فى تلك الساعة تكون عيونهن ملاى بالرقص والنوم ، وأنوفهن محمرة من البرد • وعندما يرجعن بالماء تكون الصحراء قد تحولت الى لهبة من النار ، تسفى رملا دقيقا ، ناعما ، لاسعا • ثم يأتى دور الرجال جميعا : الازواج والاقارب والزنوج يلقون بالاوامر والشتائم واللكمات ، ثم يلى ذلك الطبيخ والخبيز ولسع النار والدخان • وحديث النساء فى مثل هذه السهرات يدور حول الارواح الشريرة ، وعواطف الرجال ، والامراض الخفية التى يشعرن بها • وعند ما يتحدثن عن الجنس فكأنما يتحدثن عن طقس محرم •

كانت سلمى تجلس صامتة ، تطالع الجميع بعينين مزهرتين • قبلة « على » على خدها ماتزال لينة ، رطبة ، مدورة، معلقة لا تسقط ولا تثبت فى مكانها • أمها تنظر اليها بين آن وآخر بقلق ، فوراء هذا الذهول تكمن روح غامضة ، أميل الى الشر ، ووراءه المرض الذى لا شفاء منه ، والذى يلقى بملامحه الغريبة على جسدها •

كان الرجال يراقبون الضابط البريطانى بسخرية يجيدون اخفاءها وهو يخرج بين الحين والحين كراسة صغيرة يكتب فيها بعض السطور بسرعة مذهلة ثم يعيدها الى جيبه الداخلى • وفجاة ساد الصمت وتبادل الجالسون النظرات • فقد رأوا عينى الضابط يغشاهما الاحمرار على الرغم من انه مازال نشيطا ، يقظا • وهم يعلمون أن الاجانب يختلفون عن العرب فلا يستطيعون النوم عندما يصرخ الاخرون فوق رؤوسهم •

تنبهت النساء الى الصمت الذى ساد بين الرجال فقدرن انهم يستعدون للانصراف وللتو تثاءبت واحدة وهى ما تزال تتحدث فسرى التثاؤب بينهن •

● ● ●

مع تقدم الليل كل شىء يتغير ، ترتخى خطوطه وتنفك عقدة لسانه عدا الشيخ فانه يظل صامتا ، مشمئزا ، مشدود الجسد • ينهض فجأة دون تمهيد فيسرى تيار من الحركة ينتظم الجميع ويستعد البعض للانصراف • يسرع الى المحرم فتنهض النساء باستعجال حاملات مغازلهن ـ والغلايين الطويلة ،واطفالهن

ويهرولن مسرعات • وتنصرف زوجاته الى مضاجعهن • تدعوه صاحبة الدور : « هنا » • ويصبح الشيخ فى المنام شرسا ، يداه كمخلبين تخرمشان ولهاثه ثقيل كالحشرجة ، والرجال من وراء الستار ينادونه مقهقهين :

على هونك يا لاقى الخير ، على هونك على العجوز ••

يتوتر جسد الشيخ فجأة ، وينخر كأنه حصان ، ثم يرفس المرأة بقسوة وينصرف • والمرأة مخزية ، مهانة ، تتوجع وتئن •

● ● ●

التف الضابط البريطانى بعباءته ، تصنع النوم وأخذ يصغى • كان ضجرا ، وللتخلص من الضجر أخذ يتحدث عن نفسه كأنه شخص آخر : بريطانى ، ينام فى خيمة فى جوف الصحراء ، ينفذ الى أعماق اناس مجهولين للعالم ، يكسب ولاء هؤلاء البدائيين الذين هم على استعداد للقتل لادنى سبب •• رأى نفسه يعيش مغامرة فذة • قسر نفسه على أن يتذكر العراق ، قبل العنزة ، الجمال وهى ترد الماء بعيونها الواسعة الوديعة ، والرجال خلفها يصيحون (هوى •• هوى ••) •• بعد قليل استغرقته هذه الذكريات بالفعل • ثم رأى المغامر يعود ، يقطن بيتا ريفيا على ضفاف احدى البحيرات ، الملك جورج السادس يستقبله فى قصر بكنجهام ويمنحه لقب فارس •

انتزعه من حلم يقظته نهوض الشيخ وانصرافه للمحرم ، وقع خطواته الخافت ، وصوت المرأة وهى تدعوه : هنا ثم حشرجة الشيخ وأنين المرأة ، وأعقب ذلك السكون •

حاول أن يجعل ذلك كله مع اجترار الجمال ، وثغاء التيوس الخافت القصير (تذكر المعيز بعيونها الصفراء المنحرفة) ونبساح الكلاب المتقطع والاصوات الاخرى التى يصعب تعيين مصدرها (أضاف الى ذلك لمسة درامية يمكن أن تحدث : انطلاق رصاصة يعقبها الصدى والصمت) حاول أن يجعله راسخا فى ذهنه حتى يكتبه فيما بعد • وأمتعه أن يرى القارىء البريطانى يواجه سوء الفهم ذاته الذى واجهه هو عندما كان صبيا فتبدو له الصحراء دائمة الاثارة • ثم أتاه النوم ووجه الملك جورج السادس ينظر برصانة الى شىء ما خلف ظهر الفارس الجديد •

● ● ●

كانت فاطمة تنام لصق ستارة المحرم الخلفية • ولهذا كانت تسمع حركة الزواحف وهى تمر بين الاعشاب الجافة ، ووقع أقدام مارة ، أو خلوة رجل وامرأة • تسمع ذلك فى نومها ويقظتها • كان نومها لصق الستارة يعطيها احساسا بالحرية ، بأنها تعيش خارج الخيمة •

كانت ابنتها تتمدد بجانبها • أمسكت سلمى يدها ، داعبتها برفق ، ثم أدخلتها من فتحة الثوب لتحك لها ظهرها • وسلمى مستسلمة ، مستمتعة • بملمس اليد الجافة على ظهرها •

لمست الام بيد سلمى تضغط على يدها • كان ذلك قبل أن تسمع الصفير المتقطع ، الذى تنبهت له والفتاة تزحف تحت الستارة وتتجه الى الخارج •

اقتربت الام بوجهها من الستارة ومدت اصبعها وفرجت شقا فيها واخذت تراقب • كان « على » متمددا على جانبه الايسر يغرز كوعه فى الارض ويتكىء برأسه على كفه • وكانت سلمى تجلس متربعة أمامه • لم تكن تسمع كلامها ، بل كانت تستدل على المتكلم من جرس صوته ومن حركة رأسه اذ يهز رأسه هزات خفيفة متلاحقة • كان « على » يقوم بمعظم الحديث ، وسلمى تلقى همسات متقطعة ، سريعة كأنها تحتج ، ثم تصمت • و « على » يتكلم ويتكلم • واندهشت الام • لقد كان « على » صموتا دائما فمن أين له هذا الكلام الكثير • (عندما تزوجت الشيخ لم تكن قد رأته الا مرة واحدة • كانت صغيرة تملأ قربتها من البئر • أرعبها وهو يطلب منها ليشرب • كانت عيناه تتفحصانها ، وسألها عن اسم أبيها • اعتقدت انه يريد بها شرا • وظل رعبها منه قائما • تعودته حتى أصبح جزءا من حياتها ضروريا • فلو لم تكن تخاف الشيخ وتكرهه لاصبحت حياتها مجانية ، بلا طعم كحياة الاطفال • كانت تخون الشيخ مع آخرين : رعيان ورجال من القبيلة وزنوج • كانت تزدريهم ولكنها تحس معهم بمشاركة عميقة تحن اليها دائما) •

سمعت حركة فى الخارج فعادت الى المراقبة • عندما تعودت عيناها الظلام رأتهما • كان « على » يمد يده الى فم ابنتها ـ وسلمى تهز رأسها بحركة نصف دائرية وتهمس « ما أريد » ، و « على » يلح • ثم سمعت صوت المضغ والتمطق • فكرت : « ها هما يأكلان الحلاوة » وأحست بطعمها فى فمها • (عندما كانت تمر امام دكان التاجر النصرانى كان يحنى جسده فوق الدكة ويقول : « تتجوزينى يا بنت ؟ » ويضحك ، فتقول : « قول لابويا » ويضحك وتظل واقفة • يتناول بضع قطع من الحلوى ـ تتراوح بين أربعة وستة دائما ـ ويقول لمن حوله : « عليم الله خلقة نصارى »، ثم يمد يده ويضع الحلوى فى يدها • وعندما تحس بملمسها فى يدها تنطلق مسرعة بأقصى سرعة • تسترجع طعمه وتفكر أن الحلوى أيام زمان كان لها طعم ونكهة ، أما الان فهى مجرد صبغة وسكر •• والحلوى التى أعطاها لها اسماعيل لها طعم حاد يتسلل الى الانف • اكتشفت انه يعدو خلفها ، سألها وهو يلهث : « وين رايحة يا بنت ؟ » قالت : « وش يخصك انت ؟ » وأعطاها الحلوى ، فقالت : « رايحة لخوالى ورا التلول » وابتعدت • ولكنها اكتشفت بعد قليل انه مازال يتبعها • كان المذاق ينفذ الى أنفها •• فاجأها قائلا : « خذى » ووضع قطعة الحلوى فى يدها وقبلها على خدها • كان فمه وأنفه يسيلان • مسحت خدها بيدها ، ويدها بثوبها واخذت تركض • تطلعت خلفها فرأته عائدا بخطى بطيئة • وعندما تذكره بها الان يضحك ، ويرد دائما بنفس الاجابة : « قطعت نياط قلبى هناك اليوم » ، ويضحك) •

داهمتها قشعريرة فلفت اللحاف حول جسدها وهى تتمتم واسترخت • كانت رغبة مبهمة ، ضاجة بالفرح والوعود تشعل فى جسدها رغبة فى احتواء جسد ما • وأتتها أصوات الليل فى سياق جديد : حريفة ، لاذعة ، مثيرة للذكرى •• عواء كلب أبح ، خشن النبر ، قصير النبحات • ترد عليه كلبة بصوت ناحب ، ممطوط ، نحيل وعميق • تسمع صوت العصا على جسدها ، والرجل الذى ينهرها وعواءها المتوجع فى آن واحد • حركة الابل وهى تتململ فى المراح يشبه عراكا صامتا ، لاهثا • صفير صراصير الحقول •• والزواحف وهى تصدر خشخشة وفحيحا خلال تسللها بين الاعشاب الجافة مثيرة الخوف والترقب •• تنفس النيام وهذيانهم المتقطع •• وصوت الريح كمواء قطة •• والصمت : طنين فى الاذنين يقبل متواليا على شكل دوائر سوداء صغيرة كثيرة العدد ـ مرتعشة تدور وتدور بسرعة مخيفة •

وكل صوت من هذه الاصوات يثير احساسا ثقيلا فى الصدر كأنه الرغبة فى البكاء أو الضحك المخنوق •• ثم أتاها النوم •

من فوق قمة الجبل الشاهق كانت ترى هذا الخط الاخضر المتعرج • كانت تعلم أن تحته نهرا ـ هل هو نهر الموجب أم الزرقاء ؟ أخذت تقترب منتظرة أن ترى زهر الدفلاء الكبير الحجم وشجيرات الرتم • ويتغير المنظر • بركة ماء مستطيلة ـ قالت لنفسها هذه بركة زيزياء ـ ماء البركة شديد الزرقة ، مشمس • حول البركة أشجار اللوز والرمان والمشمش ، والاطفال يتسلقون الاشجار ويرمون الثمار فى الماء • كانت علاقة مودة حميمة تربطها بالاطفال والاشجار والبركة • وكان لون الماء الغامق الزرقة ، وضوء الشمس الذى تخلله قداعد خصيصا لها • وفى العيون رفق وتعبير حزن لما نالها من عناء • أن آلامها والعذاب الذى عانته قد جعل لها وضعا مميزا بينهم والجميع حريصون على ارضائها والتسرية عنها • كانت مع الاطفال يتسللون بين الاشجار وكانوا يطأون الثمار المتساقطة بأقدامهم •

وفجأة اكتشفوا صفيحة الحلاوة الطحينية مفتوحة ومعدة لهم • قالت للصغار انها للتاجر النصرانى واخذت تأكل منها •• اكلت كثيرا دون أن تحس بمذاقها أو يشبع •• كل شيء كان يشع بالفرحة غير أن خوفا أصم كان يحاول أن يخنق كل شيء • فى أعماقها كانت تعلم أن الصفيحة ليست للتاجر النصرانى • كان بامكانها أن تخمن من يكون صاحبها ولكنها لم تجرؤ •

كانت تود أن تختفى بسرعة ولكن ذلك لم يكن لائقا • ثم أتى • قالت للصغار : « هاهو التاجر النصرانى » ولكنه كان الشيخ : قذرا ، شرسا ، عيناه بلون الدم • فتأكدت انه هو صاحب الصفيحة • حاولت ان تكذب ولكنها لم تستطع ان تنطق بكلمة واحدة • نظرت حولها مستنجدة بالصغار ولكنهم اختفوا • امسك الشيخ بالخيزرانة كأنها سيف وصوبها الى احشائها • صحت من نومها مفزوعة وهى تحس ان سائلا دافئا ينساب بين ساقيها وأن حلقها جاف • وخطر لها على التو أن « على » قد ضاجع سلوى وفضحها ••

● ● ●

رفعت سلمى طرف الستارة وتمددت الى جانبها • رائحة عطورها وجسدها كانت قوية نفاذة قالت : « طولت الليلة ياحنونتى » •

ضمتها ويدها تتحسس الثوب الذى بلله الندى والشعر جعلته الرطوبة متشابكا حتى أصبح من الصعب ان تمرر يدها خلاله كانت سلمى تلتصق بها وعلى امتداد جسدها كانت تحس بارتعاش جسد الفتاة • قالت الام بشبه نواح :

« سقعانه ياجنينى » •

وهى تشم روائح جسدها الحريفة التى اشاعها وحللها ندى الليل •

« يمه ياالحبيبه ، علامك ساكتة ؟ وش قال لك •• ؟ »

والفتاة صامتة ، تنفسها هادىء منتظم كتنفس النيام • توتر جسدها فجأة قالت :

« يمه ، يقول على نتجوز ونسافر لعمان ونسكن ببيت حجر هناك • قلت له • وامى ؟ قال : تظلى هنا وتصحى مع طلوع الفجر ، وانت والعبيد مساواة ، والشيخ يسوطك بخيزرانته لما البين يسوطك ؟ يقول يمه ، نسكن ببيت حجر ، ويجيب ، يمه ، خدامة تخدم على وسيارة • قلت له ما اروح عمان واخلى امى ورايا ، يقول يمه ، امك تيجى وتزورك كل راس شهر والا اذا تريدين تسكن عندنا دايم دوم •) قلت له : (عمان ما أعرف فيها أحد وش يودينى!! وامى ؟ •••) قال نجيبها معانا •• » •

اخذت الام تنتحب بصوت خافت :

« يايمه ، ياالحبيبة ••• اريدك عكبرى »

اخذ البكاء يهز جسد سلمى ومضت الام :

« ويوم اموت ، يانوارة قلبى ، ياالحبيبة •• من غيرك ينقط بحلقى ويغسلنى ويدخلنى الكفن ياكبدى •• اريدك عكبرى •• »

● ● ●

تراءت عمان لسلمى بيوتا حجرية ، تنتشر على مسافة شاسعة جدا لا ترى العين نهايتها • اهلها ذوو وجوه حمراء كوجه الصاحب ، يتكلمون بلهجة بدوية مضحكة ، ينادى احدهم الاخر باسم الصاحب •• غشاها احساس بالاختناق وراء الابواب المغلقة • قالت لنفسها : كيف يتعرفون بعضهم على بعض اذن ؟ وفجأة غشاها انهاك مفاجىء وبدا كل شيء بلا معنى « على » وامها والشيخ والحب واللهفة •• اتاها النوم وتنهداتها ما تزال تهز جسدها كأنها طفل أطال البكاء



احتضنتها امها • كانت خائفة • ان ذهبت سلمى الى عمان •• ؟ بدالها الان فقط معنى ذلك : ستكونان وحيدتين حاولت ان تسكت الرعب الذى تولاها : لو ذهبت الى عمان فسوف ترتاح من صحوة الفجر والضرب •• ستبعد عن الهم والشيخ •• ولكن الرعب والفراغ احاطا بها كنطاق •• لو مرضت سلمى فلن تكون أمها هناك لترعاها • قد تموت فى بلاد غريبة ! احست ببرودة صماء تنساب فى عمودها الفقرى • حاولت ان تطرد فكرة الموت ، حاولت بكل كيانها قالت : « بعد عمر طويل ياحنونتى •• بعد عمر طويل •• » سلمى على فراش الموت صفراء ذاوية ، شفتاها يابستان ، تطلب الماء بصوت ضعيف ولا أحد يأتى به اليها •• وساعة الاحتضار ، الوجه شمعى ! لم تستطع الاستمرار • رددت بصوت مرتفع لتطرد هذا التوارد الذى لا يتوقف لخواطرها : « بعد عمر طويل •• بعد عمر طويل ياالحبيبة » •• واحساس بالعجز يبهظها •• « على » يجلس مع امراة عارية الراس والذراعين وابلتها تموت دون ان تكون هى بجانبها تقطر الماء فى حلقها لتخفف مرارة الموت •• وتدفن دون ان تقبلها وتشمها وتبكيها ، دون ان تذبح جديا على قبرها ، دون ان تضع معها فى القبر حجلتها وثوبها •• وخلال ذلك ينبعث من داخلها لحن حزين ، لحن تنويمة الطفل ، ينبعث من حركة دائرية يائسة تتكرر دون انقطاع ••

ومع الفجر يقبل يوم آخر كسابقه •

الفصل الرابع

الزنوج

كان الشابان يجلسان على طرف البيدر الغربى • وضع كل منهما بندقيته على فخذيه • قال طافش : « لعنة الله عليك من سنه » •

وجه طافش كالجمجمة : محاجر واسعة وعيون صغيرة غائرة • خدان ضامران تبرز عظمتا الوجنتين فوقهما • واسع الجبين ، على جانبيه عروق زرقاء داكنة • الجلد الذى يغطى وجهه كجلد سلحفاة عجوز • اخفى شعره وفكه الاسفل بكوفية من الشاش الابيض وعقال أسود رفيع • كان جذعه فارعا ، مستقيما ، رشيقا •

فرك انفه بيده وارسل من انفه صفيرا خافتا ، وعندما اعاد يده الى مكانها كان قد تكون على فمه تعبير اشمئزاز وتأمل • تكلم من خلال تعبير الاشمئزاز محدقا الى الامام شأن من لا ينتظر ردا :

« لعنة الله عليك من سنه » •

كان الشيخ الجديد يجلس على بيدر القمح حيث تكومت السنابل بشكل دائرى ، يرتدى ثوبا لا لون له ، وقد جعل من كوفيته عصابة يربطها حول راسه جاعلا عقدتها فى منتصف الجبين • يضع بندقيته على وركيه • عيناه ملتهبتان وانفه صغير جدا فى وجهه الاشعر الجاف • كان يركز نظراته على الزنوج الذين ربطوا الى لوح الدراس بدلا من الدواب ، والفتى الذى يقف على لوح الخشب الذى يجرونه يطرقع بسوطه فى الهواء ثم يهوى به على ظهور الزنوج صائحا : هه ! يندفع الزنوج مسرعين لمسافة قصيرة ثم يعاودون سيرهم البطىء المتعثر • والشيخ يراقبهم بوجه متصلب كأنه منحوت من الصوان

عدل طافش من مجلسه تنحنح وعيناه تحدقان بالبيدر • نواح النساء يصلهما رتيبا :

ياشيخنا ياللى عليك المعتمد
خليتنا مثل البيوت بلا عمد
ياشيخنا ياللى عليك اللوم
خليتنا بين العدا والقوم

ثم يتبع ذلك انتحاب حار • ثم هدأ النحيب واصبح مجرد انين •

قال طافش وهو يدير رأسه ويومىء به فى اتجاه الخيام التى كانت تبدو من هذا البعد والارتفاع مجرد شريط أسود تنعقد فوقه سحابة من الدخان :

« ما احب هذا »

رد سمحان : « حريم » •

– صار لهن يومين معمرات النواح – حريم •

ثم صمتا • كان ستة من الزنوج قد ربطوا الى لوح الدراس • محنيى الظهور

والسيقان وقد التصقت قطع قش دقيق بالجزء الاعلى من اجسادهم · كانوا يلهثون وقد انتفخت أنوفهم ، ومخاط أصفر مختلط بالقش والعرق يسيل منها · وعندما يهوى السوط على ظهورهم كان يصدر عنهم فحيح حـاد مبتسور · الدراسون على البيادر الاخرى قد ربطوا الى الالواح الخشبية خيولا هرمة ، او بغالا · والدراس الذى يقف على اللوح كان يمسك باعنة الحيوانات التى تندفع مسرعة جارة اللوح الخشبى وراءها

ومن بعيد ارتفع صوت دراس متغنيا :

دورى يا حمــرا يالواحــة

دورى ياما أحلى خد الفلاحة

قال طافش :

« ما اجت اخبار عن العيد ؟ »

ـ « من يجيبها ؟ هذاك صار فـى الغور وضاع بين الغوارنة »

قال طافش : « عبد يذبح شيـخ · عمرها ما انسمعت » ·

شرد سمحان بنظراته بعيدا وقال ان الرجل عندما يتضايق فلابد ان يضرب ، حتى ولو كان عبدا ·

صاح الدراس : هه ·· هه ··

واهوى بالسوط فـاندفع الزنـوج مهرولين قال طافش :

« العبد ذبح الشيخ ، والفلاح ذبح سحلول عمرها انسمعت · ما ظل غير النسوان » ·

ولكن سمحان لم يكن مصغيا (عندما عاد البارحة من السهرة لم تكن زوجته قد نامت بعد · كانت تنهنه بـالبكاء · جـذبها ، فقـالت : « يارجل وعمك ممدد ! » كان الميت ممددا فى مجلس الرجال ، عيناه مغمضتان وفمه مفتوح قليلا · وهو بين الرجال كان يفكر فى أولئك النساء القادمات من أعمـاق الصحراء ، يمتطين جمالا محملة بالملح ، لا يستر أجسادهن سوى ثوب ممزق لا يستر شيئا وعباءة · كان لهن مثل هذه الرائحة الثقيلة التى تنبعث من الميت · كن اول من عرف من النساء · ابنته الصغيرة كانت تنام بجوار أمها ، قالت هـذا الصـبـاح : « وين راح عمـى الشيـخ ؟ » قـال لهـــا : « مات » قالت « اقول ، وين راح ؟ » اوضح لها انه وانهم سوف يدفنونه · وبكت وهى تقول « وانت احرص تموت يـابوى احرص » · قال لها انه عندما يكبر فلابد ان يمـوت ولكنهـا اسـتمرت فـى البكاء : « احرص تكبر يابوى وتموت » فقال لها : « على خاطرك ، ما أموت ، على خاطرك » ·· وزوجته تطـالعهما دامعة العينين ·· وكانت تبكى البارحة أيضا عندما انتهى ودفعها بيده ـ غشاه دوار خفيف وهو فى القمة ، وعندما انتهى شعر بغثيان يصعد الى سقف حلقه وتراءت له صور الرجال وهم يغسلون ايديهم بعد الغداء ، وجوههم صارمة قاسية منذرة بالادانة والنبذ ، يحيط بهم صمت منذر بالاذى ·· لم يستطع النوم · دفعه الاحساس بالقذارة الجسدية والتقزز من جسد المرأة الذى تمدد بالقرب منه الى النهوض · ارتدى ملابسه وراح يخوض فى الظلمة · دخل الى مجلس الرجال وجلس خائفا بينهم · فم الميت مفتوح قليلا ، تبدو منه اسنانه الصفراء كأنه ينصت لحكاية لا يمكن تصديقها · ووجهه قد بدأ مزرقا ، منتفخا ، وشم الرائحة ـ وفى داخله ادراك مبهم انه جاء ليشم هذه الرائحة وحسب ، ليستعيد تلك الذكرى البعيدة لامرأة قادمة من جوف الصحراء استجابت له واناخت ناقتها خلف كثيب رملى وضاجعها ـ واصابه دوار · وللتو هزه الشوق الى جسد امراته ، الى وجهها المبلل بالدمع والمخاط ··)

وطافش يقول : علامك ساكت ؟

ويتنبه الى غناء دراس يصل اليه من بعيد :

دورى ياحمرا يا مالية اللهب ··

(ويمد يده الى هويمل « آخـذ عنك » ويمسك بالسوط يهوى به على ظهور الزنوج ، يهوى بعنف والسوط يرتفع مخلفا وراءه خطوطا دامية · يضع فى السوط هذا الثقل الذى يضغط على صدره ، هذا الخوف الذى يحيط بجسده كنطاق جليدى ·· ويمد يده « · عنك ، استرح شوية · وصوت طافش يصـل اليه : « علامك ساكت » ويرفع وبكل قوته بكل شوقه للمرأة القادمة من جوف الصحراء يهوى به ··) ·

يلتفت الى طافش ويقول :

البنت الزغيرة قالت وين راح عمى ؟ قلت لها مات ·

واحس برعب مفاجىء فتمتم : « ربنا يأخذها » (ويحس بالحصان تحته يعدو والهواء يملأ رئتيه ·· يمد يده الى هويمل « عنـك » ويتناول السـوط ·· الذى يترك اثرا داميا والميت الممدد ، كانت تحيط بجبينه لفافة من القماش الابيض قد تجمد عليها الدم واسود · والرجـل الضخم بلحيته الهائلة وصوته الذى يشبه تتابع الطلقات مفتوح الفم يحكى قصة « عرار وعمير » وفكر فى أن عينيه تنظران برعب الى الميت واشتاق الى جسد زوجته كأنه يعرفها لاول مرة) ·

الفصل الخامس

طافش يتحدث عن الفلاح الـذى دنت منيته

شهدت اليوم الذى قتلّ به سحلول الفلاح · كنا نسقى على بركة زيزيا والدنيا لهبة نار وخلق كثير حول الماء ، الاطفال الصغار يخلعون أثوابهم ويغمرون اجسادهم بالماء والكلاب تستظل بالجدران لاهثة يسيل اللعاب من اشداقها · الابقار اصابها جنون ، بدت قلقة ، مستعدة للنطاح ثم انطلق بعضها يعدو وخوارها يعلو · وطوال الوقت والدواب تشرب ، والناس تملأ القرب · كان سحلول يحدق بالفلاح · كنت اقف بالقرب منه أدل فرسى على الماء وعين سحلول لا ترتفع عن الفلاح · شربت فرسى ، وكنت اريد ان اصل اهلى قبل الغروب · قلت امر بطريقى على اخوالى · جذبت الفرس وتهيات للركوب واذ بسحلول يهمزنى ويقول :

تشوف الفلاح ؟

قلت : « اشوفه علامه ؟ » ·

قال : « والله ما تشوفه انثى بنت أمها وما تقع ! » ·

ولعبت النجاسة بقلبى · قلت نضحك وما بظنى ان سحلول يبغى قتله · قلت له ومن يدريك انها لم تقع · فعندما تنتهى السهرة وينام الرجال فلا يوجد انثى منقوق وتدها · عبس وقال صدقت لا يوجد انثى فى ساقها رباط · قلت والله لانتظرن وارى ما سوف يحدث ·

أومأ سحلول فتقدم ·· قال :

« اشوفك مربى جدايل ، ما قلت والله غير ، انك بدوى وانت فلاح مقطـوع الاصل » · رد ملعون الوالدين : « كل ابن أدم وله اصل » ·

كان سمحان يعرف الحكاية · حول عينيه الى البيادر وقال : « منيتـه دنت » ·

قال الفلاح : « كل ابن آدم ولـه اصل · ما أحد مقطوع من شجرة · الفلاح له أصل والبدوى له أصل والعبد له اصل · كل الناس لها أصل » ·

غضب سحلول : « اصبر يا فلاح · انت لك اصل ؟ اللى امك واحدة وابوك ألف » ·

انعقد الشر بوجه الفلاح قال :

« امى لا تجيب سيـرتها علـى لسانك » ·

ـ « منيته دنت » ·

قال سمحان « لك عين تحكى يا فلاح » ويرد يقول الفلاح : شوف عقب شيخكو اللى اشقر واللى اسمر واللى ابيض » ·

ـ « منيته دنت ، ملعون الوالدين » ·

ـ « اللى اسمر واللى أبيض واللى واللى » وهجم على سحلول كالوحش ، امسكت ـه غير انه افلت منى فعاجله سحلول برصاصة · قلت بفكرى : حرام ان يكون هذا الولد فلاحا ، الذى يرى الموت بعينه حرام ان يكون فلاحا ·

وبعدها بخمسة شهور قتل اخو الفلاح سحلول · لعنة الله على ذاك اليوم · خليف عاد من عمان ومعه تنكة حلاوة · وكنا نجلس عنده · وقال واحد ـ أظنه عودة ـ : « يا رجـال جارنا القليليح عنده حرمه تقول شمعة ، عين مثل عين الحار والرقبة طول ذراع » وقـام يوصفها :

« والفم مثل الفتحة » وبعدها قال : « وين عيال البدو اللى يخلوا فلاح ماله اصل يتحللها » · وسحلول ساكت وكان الله يرحمه دمه يفور كلما سمع سيرة حرمه · وعوده ـ اظنـــه باللـــــه عوده ـ يوصفها والله واذا بســحلول

يقول : « الليلة الف ثمرة الفلاح يحضنى » • ونحكى وننسى الموضوع • وعندما نسكت دقيقة يقول : « الليلة غير تسمعون طقطقة ضلوعها » وعيونه محمرة مثل مشاهيب النار • ثم يصمت ، وخلال ذلك يعبس ويثقل تنفسه ، وان كلمه احد لا يرد ثم يقول : « يا عيال هذه حرمتى ، وما ابغى احد منكم يقربها » • بعدها قلت له : يا سحلول احرص من الفلاح • اشوفه واقع خشيمه » ويقول سحلول الله يسرحمه « على الطلاق غير اتحللها قدام عينه ، وغير اخلى فليليحكم يركب لنا ابريق الشاى • هو فلاح والا أكثر » قلت : « انت تغير أخوه لولا ربنا والا ملعون ذبحك » قال : « يا طافش ، على الطلاق من ذراعى لو فتح الفلاح فمه غير الحقه باخوه » قلت له : انا قلت اللى عليا واحنا نشوف عواقبها » •

قال سمحان : « الدنيا نار » •

قال طافش :

ـ سمحان ، اشوف سويلم •

كان سويلم يتقدم متوكئا على عصاه فارشا كفه اليسرى على حاجبيه يحجب بها الضوء وانفه الحاد الصغير يحدد غايته • هب هواء خفيف من الغرب واثار زوابع محملة بالرمال والتبن الدقيق • توقف الدراسون واخذوا يحجبون التبن عن عيونهم باكفهم السمراء وهم يتمخطون بوجوه سوداء ، مغضنة ، تعسة ، واتى ندب النساء كانه قادم من طبقات الجو العليا فى دوائر كبيرة وانية •• اقترب العجوز وهو يتحسس طريقه بعصاه ••
وقال بصوت حلقى مهجور :

عليان ، هـ عليان !

حدثت الاعجوبة • اذان التمثال راسه وقال :

يا خين ؟

ـ الرجل ريحته فاحت ، قم ابوى ندفنه • كرامة الميت دفنه •• والعبد ملين نجيب لك العبد ؟

رد الشيخ بصوت حاسم :

الصبح ان شاء الله ، الصبح !

قال سويلم بضيق وقد اصبح صوته اشد عمقا وحدة :

هذى الساعة ريحته فاحت فاحت اقول •• ادفنه ابوى ، والعبيد فك عنهم • ما غلطوا • وش سووا ؟ انت كبيرنا اليوم ولازم تعرف مصلحتنا • قم ادفنه • وفك عن العبيد واقعد عند الرجال •

اجاب الشيخ منهيا الحديث بلهجة قاطعة :

الصبح ، الصبح ، ان شاء الله الصبح •

استدار سويلم وهو يردد : « الصبح ، الصبح » ينغمها على ايقاع عصاه ، ثم اختفى عند حاجب الهضبة •

قال طافش :

« سويلم معه حق ، كرامة الميت دفنه • وهذا جسر ياما مرت عليه قفول » •

انفجر سمحان على غير توقع :

« يا رجل ، الناس كلت من التعب وكل واحد يريد يروح لشغله واهله وشيخنا الجديد رابطهم •• يدفنه ويريح الناس • بعض الرجاجيل يظلوا عيال طول عمرهم » •

كان سمحان ما يزال يتكلم •• وكانت البيادر واكوام القش والتبن ، والشيخ الجديد بجلسته المتصلبة والزنوج وهم يسرعون على طرحة القمح ، والدراس ، والبيدر ورؤوس الدراسين ، والحمير والبغال والخيول وهى تجر لوح الدراس وغمامة الدخان المرتفعة من الوادى •• ذلك كله يبدو لسمحان لوحة ثابتة عناصرها المرئيات والحركة الدائرية الرتيبة ، والوان الغروب • والملاحظة ان هنالك عناصر متحركة واخرى ثابتة كان لابد للمشاهد ان يركز انتباهه لتبين ذلك حتى الاصوات اصبحت لا تسمع الا عندما يقع نظرك عليها •

ورأى سمحان فى طرف عينه اللوحة تهتز • شعر بضيق وابطأ فى كلامه قليلا • وعندما سمع دراسا بعيدا يصيح « هه ، هه ، هوه ، » كان عازما على مواصلة الحديث • لكنه رأى عينى طافش تشردان بنظرة سريعة يقظة ، ويرفع البندقية بيديه الاثنتين عن وركيه ويحنى ظهره للامام •• فكر انه يستعد للنهوض ، وضايقه ، واخذ يستعد لمواصلة حديثه • ثم انتقل اليه الاحساس بالخطر على شكل صدمة ، كانه لسعة نار • التفت فشله المنظر •

كان اول شعور تبادر اليه ان تلك غلطة وسوف يتم اصلاحها ولكن كل شىء اخذ يحدث بسرعة كبيرة منعته من حسن التصرف ومن الفهم لما يدور • سمع الدراس يصيح : « وا ويلاه » ولم يره ولوح الدراس مقلوب ، والزنوج قد تكوموا بعضهم على بعض ، ويحاولون النهوض ، ولون احمر يلون القش ، قال لنفسه : « اهذا دم ؟ » وزنجى يرفع العصا فوق راس الشيخ والدم عالق بها ، والشيخ ينحنى فى جلسته واضعا يديه على راسه ، وسقطت العصا مرة ثانية على راس الشيخ وفى نفس اللحظة انفجرت طلقة على شماله ، اصمت اذنيه ، وملات رائحة ملح البارود انفه ، ورأى الزنجى يهوى على التو ـ يهوى كانه كيس دون صراخ او صوت ، ودون ادمية • رأى فقط الدم ينبثق من جبينه ، ثم رآه يميل على ظهره بانحراف نحو اليمين • وخطر له ، دون أن يتوقف ليفكر فى ذلك : « اذن فالزنوج يموتون هكذا » •

يذكر بعد ذلك ان زنجيا اسرع نحو الشيخ ومد يديه الاثنتين ليتناول بندقية الشيخ • دوى صوت طلقة فمال نحو الشيخ فى بطء • كان وجهه متشنجا وجسده يرتعش • ورأى للحظة شيئا لا يصدق : الزنجى والشيخ يحتضنان احدهما الاخر،طلقة اخرى اصابت الزنجى فانتفض جسده عدة مرات كأن احدهم يزغزغه ، ثم مال محتضنا الشيخ على جانبه الايسر • وعلم بعد ذلك ان الرجال قد بذلوا مجهودا عنيفا ليفكوا ايدى الاثنين • كانت اصابع الزنجى متشابكة وراء ظهر الشيخ وقد اضطروا الى قطع يده عندما تعذر فكها •

صوب سمحان بندقيته واخذ يضغط على الزناد ، يضغط ويضغط ، واذا متهيئة لسماع صوت الانفجار وكتفه متوترة العضلات منتظرا صدمة كعب البندقية • والرصاصة لا تنطلق • سمع أصواتا كثيرة مقبلة ، تزعق وتصيح وصوت الطلقات يتزايد لمع نور باهر امام عينيه واخترق الالم رأسه كسكين حادة ، وفى نفس اللحظة تذكر أنه لم يفك امان البندقية ثم انتهى كل شىء •

الفصل السادس
سحلول يقوم بزيارة فى منتصف الليل

اراد زيدان ان يطفىء الفانوس ولكن زوجته قالت ان الظلام يخيفها • سالها عما يخيفها وهو ينام بجانبها ، ردت انه عندما ينطفىء الضوء تشعر انها نائمة فى العراء •

قال : لما نلم شوية الحبات ، نبيعهن ونشترى دار حدا دار ابوكى •

ردت : مش مهم حدا ابوى ، وين ما بتروح انا معاك •

ادرك انها تعتذر عن تذمرها من الخيمة ، وسره ان يكون لها هذا الذكاء • قرر انه لن يغريها بعدهذه المرة • عندما تزوجها كان يعرف انها من عرق نساء حكيمات وحنونات ، ويشعر على الدوام انها من عنصر اكثر تهذيبا • كان يعتقد انه لو جمع مالا كافيا لشراء بيت وبضعة دونيمات فسوف يصبح مستحقا لها • ولهذا السبب تغرب هو واخوه •

قال لها انه نادم لانه ابعدها عن امها وصاحباتها • وفى صوته رنة اسى حقيقى • خاف ان تحتقره بسبب ذلك • فوجىء بها تندفع بجسدها الكبير نحوه وتتعلق به • وفى نفس اللحظة سمع صوت الرجل آتيا من الخارج :

ـ زيدان ، هـ زيدان •

وقبل ان يرد ، ويندهش لهذا الزائر القادم فى هذه الساعة المتأخرة رأى البدوى يقتحم عليه الخيمة وهو يقول بغضب :

« علامك ما ترديا فلاح ؟ » •

فنهض لاستقباله والح البدوى :

« علامك ما ترد ؟ » •

قال زيدان بارتباك :

« اهلا وسهلا » •

وجلس عندما جلس البدوى واخذ يشد اللحاف على جسد زوجته المتمددة • ضرب البدوى ساق الزوجة من فوق اللحاف بخيزرانته وقال :

« قومى ، ما تكرمون الضيف : »

كان وجه البدوى جافا مستطيلا ، ومن تحت الكوفية المتسخة كانت تنساب جدائل شعوره طويلة فاحمة السواد • عيناه تلمعان بشراسة ووجهه كهرم مستطيل ، انفه فيه قمته المدببة • على صدره يتقاطع حزامان وضع رصاص البندقية اكياسهما الجلدية ، انتصب البدوى واقفا ، فاعتقد زيدان انه سوف ينصرف فمد يده ليصافحه • تجاهل البدوى اليد الممدودة واستدار خلف المرأة المستلقية وهمزها فى ظهرها ، وقال :

« قومى يا بنت ، سخنى لى ميه • اريد استحم » •

تعلقت المرأة بعيلى زيدان • غض نظرته ، وراح ينظر الى يديه الكبيرتين الخشنتين • نضت اللحاف عن الجزء الاعلى من جسدها وتناولت ثوبها الاسود وادخلت رأسها من ياقته • ابعدت اللحاف بساقها وقامت واقفة • تردد الثوب لحظات على عجيزتها قبل ان ينسدل • وبدت ساقاها عاريتين ، ومستديرتين يشوب بياضهما حمـرة • غشاء شعور بالاشمئزاز لمرأى الجسد العاري ـ كأنه رأى امه عارية •

قال لها البدوى : « همى ! » وعاد الى الجلوس معطيا ظهره لزيدان • جلس هادئا ولكنه منذر بالعنف •

كان زيدان يجلس محنيا ، خجلا من جسده العضلى القوى ، يحس بهـذا الجسد كبيرا وفائضا عن الحاجة • تمنى ان يكون كالبدوى خفيفا ، وسريعـا • احتوى البدوى فى داخله فاخذ يكره كفيه العريضتين وكتفيه الممتدتين ـ كما خيل اليه ـ على عرض الخيمة •

رأى نفسه بعينى سحلول ، اطل من خلال كبريائه الارستقراطية على هؤلاء الفلاحين باجسادهم الضخمة ، وحركاتهم البطيئة الثقيلة ، ولكنتهم المضـحكة بجرسها الغليظ الرتيب ونطقها المتعثر المتأنى للالفاظ فازداد كرهه لنفسه •

اخذت المرأة تجمع قطع الحطب الصغيرة ، وتغرسها فى الارض ، مقاربة بين رؤوسها ، جاعلة اياها على شكل مثلثات مفرغة لينفذ الهواء فى داخلها • اخذت تبحث بسبابتها فى الرماد عن جمرة ولما فشلت مسحت ابهامها بثوبها ، فركت انفها مخلفة بعض الرماد على طرفه ، ثم استدار جسدها ـ وهى ما تزال جالسة ـ وتناولت كيسا جلديا واخذت تبحث فيه عن كبريت • استدارت الى الجانب الاخر وتناولت علبة الجاز بأصابع طيعـة سكبت بضع قطرات من الجاز على اعواد الحطب واشعلت النار •

كان وجهها موردا ـ مستغرقا • تململ البدوى فادرك انها اثارته • واخذ زيدان يرغب فيها ، من خلال البدوى الذى يحتويه فى داخله • واحس ان رغبته فيها جديدة ، غريبة كانها رغبة فى احد المحارم •

كان البدوى يدير له ظهره تقريبا ـ لم يكن يستطيع ان يرى سوى جديلة شعره ووجنته البارزة ـ كانت عباءته تنزلق عن اعلى ظهره الذى بدا مقوسا ، وكان يرتدى قمباز روز ابيض • عظمتا كتفيه بارزتان وبينهما يتكون انحدار عميق • شدت عيناه الى تلك الفجوة ، واخذ يرغب بشده فى لمسها ، فى انسياب يده بين العظمتين ، واحس بملمس الحرير الابيض فى اصابعه ، ببروز الفقرات •

احس فجاة ان عليه أن يفعل شيئا ، أن يحسم امرا بسرعة • اخذ يرتعش ، وهو يسمع نبضات قلبه تدق كالطبول فى اذنيه •

ملا الدخان الخيمة واحاط بالفانوس • من خلال الدخان والدموع التى اثارها فى عينيه رأى وجه زوجته عنيفا ، متعاليا ، مستغرقا فى مراقبة النار •

قال البدوى :

« حطى حطب يا بنت ، حطـى حطب » •

كلمات نفذت اليه كانها لكمة ، جعلته يشعر بحدود جسده ـ وبالمسافة التى تبعده عن البدوى وبأن كلا منهما وحدة منفصلة لها مكانها على ارض الخيمة • وتكشفت له بحدس مقلق حقيقة الوضع: مغزى الزيارة وعجزه عن فعل اى شىء •

تحاشى النظر الى وجه زوجته • خاف من تلاقى نظراتهما ، من الالحاح الذى فى عينيها الذى يطالبه بان يقدم ويتصرف فكر : ماذا سيقول البدوى بعد ان يسخن الماء ؟ هل سيخلع ملابسه امامه ؟ هل يضاجعها على الفراش وجسده مبلل ؟ وهى ، كيف سوف تتصرف ؟ خطر له انها سوف تعالج المرقف • انها تبدو متماسكة ومعنى ذلك انها اعدت خطتها • ركن الى هذه الفكرة وارتاح لها •

اخذ البدوى يكح ومع الكحة يرتفع كتفاه وينخفضان •

قال لنفسه ان البنات يحكين لامهاتهن ما يحدث لهن فى ديار الغربة • وفى لمحة رأى وجه امها ، سوق القرية ، ودكاكينها ـ رواد القهوة الوحيدة اشجار الزيتون ، ومئذنة الجامع وضوء الصباح الباكر يشملها كلها • (استل خنجره وغرزه فى الفجوة الواقعة بين عظمتى الكتف • كان ظهر البدوى قاسيا كانه خشب منديان وهو لم يضرب بالقوة الكافية • باستطاعته ان يرى التمزق الذى احدثه فى قمباز سحلول والخدش الاحمر الصغير الذى لم تنزف منه قطرة دم واحدة •• التفت اليه البدوى • كان يضحك ، مد يده الى البندقية وهو يضحك واطلق النار •• هنا ، هنا فى جبينه نفذت الرصاصة وليس مكانها هو الذى يؤلمه فقط ،ولكن راسه كله فيه دوى وصداع)• شعر بأن جلوسه مترفصا محنى الرأس يؤلمه ، ولكنه لم يجرؤ أن يعدل جلسته • كان خائفا وراغبا فى ملاطفة البدوى بعد هذا العنف الذى ملأ خياله منذ لحظات•

من الخارج اتى صهيل حصان • اعتبر ذلك نذير خير لسبب لم يتبينه • انتهى الراوى فى بيت الشيخ من احد اغنياته التى ترافقها الربابة • قال لنفسه : اذن ، فسوف يتم كل شىء على خير •

انتبه الى البدوى يكلم زوجته • صمت ولم ترد زوجته • ولكنها صوبت اليه نظرة سوداء ، لامعة ، سريعة متواطئة • لم يفهم معناها ولكنها نفذت اليه كنصل حاد • اختلـج قلبـه وغشـاه دوار • (وجه امها غاضبا ومتعاليا ، تقول له : « احنا جوزنا بنتنا لرجل يـا زيدان •• ميك تفضحها فـى ديـار الغربة ! » حاولى ان تفهمينى ، حاولى ان تفهمينى •• « فضحتها فى ديـار الغـربة » •• اجـل ، رجـل •• انتظرى •• استل خنجره واندفع يهوى به على ظهر البدوى مرة ، مرتين ، ثلاث مرات ، اربع ، خمس ، ست •• ومال البدوى وهو يرفس بقدميه كانه جدى ذبح لتوه •• ها هو زيدان يمتطى حصانا وزوجته خلفه ينطلقان عبر الجبـال والليل) •

اكتشف فجاة عينى البـدوى فـى مواجهته كان يقول :

« اشوفك ساكت • احرص تزعل » •

قال : « لا » •

فقهقه البدوى احس زيدان بالحرج لم يدر ماذا يفعل • فاخذ يضحك مجاملا • اشاح البدوى بوجهه (هل سيضاجعها وجسده مبلل ؟) ثم مد عنقه فى اتجاه المرأة واشار بابهامه الى زيدان وقال :

« ما هو زعلان » •

وقهقه مرة أخرى • فكر زيـدان : ايضحك هو ايضا ؟ والاهانة كحمل ثقيل يحط على صدره • ثم خطرت له نظرة زوجته اللامعة ، المتواطئة وخيل اليه انه ادرك الرسالة التى تحملها : دع كل شىء لى • فسوف اقتل البدوى والصابون يغطى جسده • ان ذلك معقول تماما ففى نهاية الامر انها هى التى سوف يضاجعها البدوى لا هو •

غير ان شيئا ما قد حدث لا يدرى ما هو زوجته تلقى عليه نظرة مباشرة صريحة ، كأنها تستنكر شيئا او كأنها قد القت سؤالا وتنتظر الرد عليه ابتسم البدوى وخاطب المرأة قائلا :

التفكير يعكر الدم •

ثم يخاطبه :

علامك ساكت ؟

ويستدير نحو المرأة ويضحك وهى تنظر الى زوجها غير مصدقة • اذن ، هنالك حديث خاص دار بينها وبين البدوى لم يشارك هو فيه • وهو خلال ذلك يشعر بعبء نظرتها المندهشة تلح عليه ان يفعل شيئا • قال لنفسه : « ماذا يريدان منى ؟ » • وغضب عنيف يستولى عليه يحاول به أن ينفلت من عينيها الساطعتين بضياء اسود : « ماذا تريد منى هذه المرأة ؟ من اجل ان تظل عفيفة مصونة ، لا تمس كأنها ابنة ملك ، اموت أنا » وما اهمية ان يضاجعها ؟ انه سيده وسيدها وما داما قد رضيا انيعملا عنده فليتحملا النتائج • وأخذ يوجه الحديثالى امها : « وماذا يدريني انه كان ينوى مضاجعتها ؟ كنت اتصور انه سوف يستحم فقط ثم يعود بعدها الى بيته •• وهذه عادتهم فى هذه البلاد •• اننا نخدمهم فلابد ان نفعل هذا •• لماذا سمحت له هى ان يضاجعها ؟ هل كان ذنبى انها فضلته على واغوته ! » •

وتعلق بهذه الفكر كأنها طوق نجاة : فضلت البدوى عليه ، فضلته عليه •• وخلال ذلك كان يدرك ان خطأ ما فى هذا المنطق الذى يقنع نفسه به سوف ينكشف : عندما ينصرف زائر الليل ويواجهها هو فى السرير ، عندما يواجه الفلاحين الاخرين غدا فى الحقل ، عندما يجلس مع اصحابه على مقهى البلدة ؟ خطأ سوف يجعله يدرك انه كان مطالبا بأن يفعل شيئا ولكنه لم يفعله • ثم يتساءل : هل يضاجعها البدوى وجسده مبلل ؟

البدوى يكلم زوجته وهى تنظر إلى زوجها بتلك النظرة اللامعة المندهشة • ايقاع كلمات البدوى ماثل فى ذهنه كموال نسى كلماته • كان خائفا ان يسترجعها ، وفى داخله يعلم ان البدوى يقول لها كيف تتزوج امرأة جميلة مثلها جلفا كهذا لا يستطيع حمايتها ولا اطعامها • وهى لا ترد الا بهذه النظرة المندهشة الغريبة غير انه اقنع نفسه بانه لم يسمع شيئا •

تعلقت عيناه بظهر البدوى ، بالفجوة بين عظمتى الكتف • ود ان يلمسها كما يلمس شيئا مألوفا • كما يضع يده على كتف صديق • رغبته فى ذلك ملحة لا تقاوم • واشتاق أن ينظر اليه البدوى يفهم •

حميت الميه ؟

سأل البدوى فأومأت المرأة ايجابا • فعلت ذلك بتلقائية • تبين له فجأة ان مايحدث هو أمر طبيعى تماما • ليس هناك ما يدعو لان ينهار نظام الكون • ان زوجته ، وهى أكثر ذكاء منه ، قد ادركت ذلك وأنه لا داعى لهذا الخوف والعذاب • ود أن يضحك : البدوى جاء اليهم كصديق •

خلع البدوى كوفيته والقى بها على الفراش • بدا بشعره الطويل كفتاة عجفاء • كان يقف متباعد القدمين • اخرج يديه من أكمام عباءته ودفع بها فى عنف الى الوراء • ثم التفت خلفه • رأى زيدان فضاقت عيناه :

أنت هنا ؟

تلجلج زيدان • ومضى البدوى غاضبا :

تريدنى اشلح قدامك ! يا عيبك ما تستحى ! اطلع بره •• !

لم يقف ولكنه زحف خارجا من الخيمة على يديه وعجيزته • فى الخارج خطر له أن يغادر المكان بعيدا جدا ولا يعود • سمع صوت البدوى يناديه من الداخل:

هـ زيدان ، لا تبعد ، أريد تعمل لنا شاى •

أجاب دون تفكير انه لن يبعد •

الفضاء واسع أسود • بعض الخيام تضيئها فوانيس عمشاء ، يحجبها بين حين وآخر اشباح تروح وتجىء • كان يعلم انه فى احد هذه الخيام يجلس أصحاب سحلول يراقبونه فى مغامرته الليلية ويضحكون • وهم قد رأوا النار تشتعل ، ورأوه هو يغادر الخيمة تاركا زوجته لسحلول • شعر بالمذلة والعجز يصفعانه • التفت الى خيمته فرأى الستارة الامامية مسدلة • سار نحوها ، توقف خلفها وأخذ يصغى • سمع صوت رشق الماء •

هبت نسمة باردة من الغرب • فكر : « لابد أنهم رأونى وأنا أغادر الخيمة » ولم يكن ذلك يعنى أى شىء • بحث باصبعه عن شق فى الستارة فوجده • وسعه باصبعيه وأخذ يطل • كان البدوى عاريا يقرفص على الارض والصابون يغطى رأسه • كان ضئيلا كأنه طفل وفوقه زوجته بجسدها الكبير • كانت تفرك جسده بالليفة ثم تعقب ذلك بسكب الماء • (المسألة عادية ، الرجل يريد أن يستحم » وقرر انه بمجرد أن تنتهى زوجته من غسل جسده سوف يدخل رأسا ويضع ابريق الشاى على النار •

كانت زوجته تقف خلف الرجل العارى • رآها تمد يدها فوق كتفه وتفرك صدره بالليفة • أحس بغثيان فغادر مكانه وسار مبتعدا • وللتو شعر أنه مطارد • تلفت حوله ، ثم توقف وانصت ولكنه لم يسمع أحدا • قال : « من ؟ » وتاه صوته فى الفراغ • قال لنفسه انها أوهام •

سار فى منحدر من الارض والهضبة سوداء ترتفع فى الجانب الاخر من الوادى • خطواته قلقة على الارض الزلقة المائلة • وهو خلال ذلك يشعر أنهم يترصدونه وسوف يفاجئونه ، وعليه آنذاك أن يرد على اسئلتهم : ما الذى تفعله هنا ؟ ولماذا تركت زوجتك مع البدوى ؟ ولماذا رضيت بسحلول ، ونحن لا نملأ عينك ؟ فكر ان يعود ، ولكنه عندما تذكر يد زوجته وهى تمتد فوق كتف البدوى شعر بالاشمئزاز وعدل •

توقف وأخذ ينصت • لا شك أن أحدا يترصده ، ان صوت خطواته واضحة • حاول أن يعدو ويتسلق الهضبة ولكن ساقيه لم تطاوعاه • وهو يقول لنفسه : « اهرب يا زيدان ، من الان فصاعدا ، وفى كل ليلة سوف الثانى •• » ••ثم رآه هناك ، اطار جسده منعكس على السماء الصافية • كان يقترب منه بسرعة ، فأسرع ليتفاداه • استطاع أن يميز صخرة ضخمة فاختبأ فى قاعدتها • أصبحت خطوات الرجل واضحة الا أن من المؤكد أنه تاه عنه • تريث قليلا قبل أن يواصل سيره نحو الهضبة • أما مطارده فلابد أنه يئس من العثور عليه وعاد • وعندما كانت تخطر له صورة زوجته كان يراها وهى تمد يدها بالليفة فوق كتف البدوى وتفرك صدره •

ثم أتاه الصوت قريبا ، غير مكترث بالسكون :

وش ها لزول ؟

غشته رغبة مجنونة فى الهرب ، ولكن صوت الرجل لاحقه بالحاح سوف يعقبها حتما اطلاق النار ان لم يرد • قال :

أنا •

ـ من أنت ؟

نهض واقفا • قال :

أنا زيدان •

اقترب الرجل دون أن يتكلم • كان جرم الرجل الضخم يدل على أنه ليس بدويا • أخذ زيدان يرتعش :

يدى آخذ على أيدى ميه •

لم يرد الرجل •

ـ مين ؟ • خليل ؟ مسا الخير •

والرجل صامت يواجهه •

ـ فيها نسمة باردة •• مبين بدها تمطر ••

والرجل الضخم يطل عليه دون أن يبادله كلمة •

ـ كيف المره ؟ مروح ؟ الليل فى أوله •• كيف الضفوف ؟ تفضل زى مابقولوا العرب •• هاها •• اشرب شاى •• تفضل صحيح •

ثم صمت فجأة • ان خليل يعرف كل شىء • استدار ليمضى :

ـ تصبح على خير •

أمسكه خليل من كتفه ومنعه من مواصلة السير •

ـ زيدان ، من فيه عندك جوه ؟

ـ خليل •• خليل •• انت ••

قال له خليل :

خذ !

كان المعدن باردا فى يده •

الفصل السابع
رحلة العودة

فمه جاف وعيناه غائمتان • حتى الافكار الصغيرة كانت تنهكه • يشعر بيديها تتشبثان بقمبازه ، تشدان ياقته على عنقه وهوعاجز عن أن يطلب اليها أن تخفف قبضتها •كان الحصان عصبيا • يسير بقفزات قصيرة سريعة فيخيل لزيدان انذاك أن عاموده الفقرى قد تحطم ، ثم يتوقف الحصان دون تمهيد فيكاد يسقط لولا ان المرأة تشده اليها •

التلال الصخرية تتتالى شاهقة ، مدببة القمم ، سوداء • على قممها تلمع أضواء عمشاء ويبهظ سمعه أصوات خيول قادمة ، يتردد صدى وقع حوافرها فى الجبال • على جانبى الطريق كان يسمع حركة الزواحف القلقة بين الاعشاب الجافة •• تراءت له القرية بشوارعها ، والسائرين فى طرقاتها وأم زوجته ولكن ذلك لم يكن يعنى أى شىء بالنسبة له • وللحظة خاطفة تبدو له صورة البدوى : عاريا ، مبللا ، طويل الشعر ثم تختفى ويزداد شعوره بالمطاردة •

كان صوته محشرجا ، لاهثا ، هامسا كفحيح الافعى حين قال لها :

بحرى ، فيه خيل ورانا ؟

ـ مش شايفه •

احنقه ان يكـون صـوتها هادئا وطبيعيا •

ـ عمى يعميكى • انا سامع حس خيل ورانا •

كان الجو يرعد بوقع حوافر اقدام خيول كثيرة ، دويها يكاد يصم اذنيه •

ـ انتـى عميـا •• ؟ بحـرى وراكى •• !

لم ترد • غضب عنيف يندفع من أعماقه • لكمها بكوعه وأخذ يفح :

انتى السبب • انتى السبب •• وصوت نشيجها يرتفع •• ولماذا تبكين ؟ لاننى قتلت البدوى ؟ كنت ترغبين فيه ••أليس كذلك ؟ كنتما تتبادلان كلمات الغزل أمام عينى •• تريدين اذلالى ؟

ونشيجها يعلو مكتوما ، مرا ، يهز صدرها فيشعر بضغط ثدييها على صدره ، بحرارة جسدها فى ظهره فيتولاه تقززا ورغبة فى التقيؤ •• ماالذى دعاه لقتل البدوى •• وماذا لو ضاجعها ؟ وماذا يهمه من القرية ومن أهلها ؟ •• وهى كان بامكانها أن تقتله وهو عار أمامها •• صفعته هذه الحقيقة : كان عاريا أمامها • كيف رضى بذلك ، وكيف رضيت ؟

كان عاريا أمامها وهى تفرك جسده بالليفة •• ! والتنهدات ما تزال تهز جسدها :

« سدى فمك •• الليل يوصل الصوت •• بدك يذبحونى ؟ زعلانه اللى ذبحت البدوى ؟ »

أخذ يكره ضعفها ، وتنهداتها ، وفقدانها للسيطرة على نفسها • وفى داخله كان يعتقد أنه ينتقم منها لانها فضلت البدوى • بل ربما دبرت مع البدوى كل شىء •

انحدرت بهما الطريق الى واد ، فأسرع الحصان • أطلقت صرخة خافتة وتشبثت يداها به بقوة • قالت :

« جيت ما أوقع يا خوى » ،

رد بعنف : « يا ريتك وقعتى وانقصفت رقبتك » •



تسلق الحصان الجانب الاخر من الوادى وعندما وصلا الى الارض المستوية بدا لهما سهل فسيح ينبسط حتى استدارة الافق • تلمع فيه أضواء متفرقة بعيدة •

سألته : احنا وين رايحين ؟

ـ اسكتى الليل بوصل الصوت •

واحساس بالتقزز والمهانة يستولى عليه من هذا الجسد الكبير الذى يحتويه من الخلف ، لينا ، دافئا ، وهذه الانفاس الحارة التى تلفح عنقه • كل ذلك يتم بايقاع يحدده خطو الحصان •

والاحداث القريبة تتداعى مختلطة بلا نظام • خليل •• ثم سار نحو الخيمة •• هل سمع صرخة ؟ انه غير متأكد •• ثم يبدو له ما حدث بعد ذلك كمشهد صامت : البدوى، عار يقفز بسرعة ، وزوجته تمسك بالبشكير وتمده بيد ، وبالاخرى تحمى نفسها •• ثم هنالك فجوة •• ثم قالت : مات •• ولم يكن هنالك فرصة ليسال : كيف ومن ؟ •• زوجته تفرك يديهـا وتقول : « ايش اللى عملته يا زيدان ؟ » ثم زوجته تحمل الخرج وبندقية البدوى •

لمع البرق ثم اعقبهصوت الرعد واندفع المطر • كان زيدان يرتعش :

مريم •• أنا دايخ يا مريم •

وتحيطه بذراعيها وتقول سوف نصل ، لقد وصلنا • وعندما يضىء البرق كان زيدان يرى البدوى ـ من خلال خيوط المطـر ـ ملقى على جـانب الطـريق ، عاريا ، أسنانه البيضاء تلمع ، وعيناه شاخصتان • بحث عن الخنجر فى صلبه، فلم يجد الا غمده •

ـ وين الشبريه ؟

فلا يسمع ردها ويرى البدوى ملقى على جانب الطريق ، عاريا ،ضاحكا والخنجر مغروس فى كتفه • ويتذكر الكلاب ، لقد نبحتهم وهم يغادرون الخيام • واستمر واحد منها يطاردهما مسافة طويلة • ويسال مريم لماذا لاحقهم ذلك الكلب فتقول انهما وصلا ، بعد قليل سوف يصلان • ويلمع البرق ، فيبدو الماء وقد غطى الارض وتجمع فى برك صغيرة فـى الطريق • ويقول لها انه يسمع صياح ديك •• وأسنانه تصطك ، والطريق مرحلة والحصان يسير بصعوبة •

الفصل الثامن
اشتى وزيدى

ـ ١ ـ

طال احتجاب المطر • مر تشرين الاول والثانى فى أعقابه والسماء ما تزال بيضاء لامعة كعينى امرأة فاجرة لا تسقط منها دمعة واحدة • وفجر السماء من فجر العباد ، هكذا قال الاب صليبا ، وأصبح يقيم القداس كل يوم • شيخ الجامع قال كلاما مشابها •

فى المساء ، تجمع الاطفال ورفعوا خرقة سوداء على رأس عصا طويلة من الدفلاء ساروا فى طرقات القـرية وهم ينشدون :

يا أم الغيث غيثينا
بلى زريع راعينا
راعينا حسن الاقرع
ما بشبع ولا بقلع

ـ ٢ ـ

عاد الحراثون مبكرين • لقد استيقظوا قبل الفجر ورأوا المياه تغمر الارض ولكن السماء صافية عدا بضع غيمات تطاردها ريح الشمال الثلجية • ساق الفلاحون ثيرانهم وجمالهم ، وقد حمل كل منهم المحراث والبذار على حماره • انحدروا بها من قمة التل التى بنيت عليها القرية • بعضهم قد وضع محراثه على جمـل وآخرون على بغال • وأخذوا يزعقون لبعضهم البعض متعجبين كيف أنهم ناموا البارحة والسماء صافية ولا شىء ينذر بالمطر ، وكيف أصبحوا على ارض لبصة يغمرها الماء • قال البعض أنهم خمنوا ذلك ، ففى المساء كانت هنالك نسمة غربية رطبة ،واعتذر الاخرون قائلين ان الحارة الشرقية تحجبها قمة التل عن الريح فيفاجأون به دائما ، وان نساءهم قد نمن دون أن يدخلن الدجاج والخراف من الحوش ، وهكذا فلم يكن بامكانهم أن يخمنوا كما خمن سكان الحارة الغربية والحارة القبلية •

أخذ اتجاه الهواء يتغير فلم ينتبه احد لذلك • ومضوا يفركون أكفهم الكبيرة ويتمخطون ، مخلفين وراءهم بضـعة أقراص من روث البقر صفراء ، مدورة ، يتصاعد منها البخار ملتويا لولبيا • ولكنهم ما كادوا يربطون المحاريث الى الثيران والجمال والبغال ويستعدون للبذار ، وقد شق بعضهم بمحراثه خطا أو خطين حتى تحولت الريح الى جنوبية غربية ، ولم تمض سوى دقائق قليلة حتى

امتلات السماء بغيوم سوداء محملة بالمطر • توقف البعض وأخذوا يطالعون السماء • صاح عطية :

« يا ولد ، يا فرحان ، غيمة مارة ، دقيقة ويقشعها الشمالى • »

وكان السماء كانت بانتظار آخر كلمة من عبارة عطية حتى تقول لهم : « خذوا! » •

وكأن قرب مساء انفتحت فوق رؤوسهم • وألح عطية :

« دقيقة ويقشعها الشمالى » •

ورفع وجهه الى السماء • هبت ريح قوية وتوقف المطر لثوان قليلة ثم فجأة زخت بردا بحجم رأس الابهام كأنه قطع حجارة صغيرة • فك الحراثون محاريثهم وحملوها وتبعهم عطية مرغما •

ارتفع صوت مترى :

« والله تشرين طلع فى كلامه راس ، قام وسواها •• » •

أخذ شوقى يصيح :

« انا قلت ، انا قلت •• » •

كان يتحرك بحيوية ، ومضى بصوته الحاد وقد احمر وجهه :

« أنا قلت شمس مبارح ماهيه بلاش ، أنا قلت لازم يتبعها مطر » •

قال عطية :

« « أنا قلت ، انا قلت » يا ولد ما تبطل كذب » •

رد شوقى :

« أنشد عزيزة يا عطيه ، انشدها ، وان ما قالت أنا قلت هذا الكلام بقطع ذراعى » •

ومضي عطيه ممعنا فى اغاظته :

« (أنا قلت شمس امبارح ما هى بلاش) يا خوى أنت منجم ، والا شفت طبيخ الارض •• » •

وسانده مترى قائلا :

« هذا شوقى يا عمى فيه بينه وبين ربنا سلكى •• » •

وأخذ الجميع يضحكون حتى شوقى نفسه •

ساروا صامتين بعض الوقت • ارتفع صوت عطية فجأة :

« انا قلت •• قال •• أنا قلت شمس امبارح ماهيه بلاش •• » •

وانفجر الجميع ضاحكين • وخبط مترى ظهر شوقى وقال :

« بطل كذب يا ولد » •

عندما اقتربوا من القرية اتاهم صوت جرس كنيسة الكاثوليك • توقف البعض وأخذ يرسم اشارة الصليب ، والضحكات ما تزال مطبوعة على ملامحهم • قال عطية بضيق :

« والله ما حد رايح الصلاة فى هالسمطة • أبونا الله يسامحه ما بقطع فرض لو كانت حتى ثلج » •

قال آخر :

« اللى وده يروح الصلاة هو حر • » •

قال مترى ضاحكا :

« ما فيه مثل خورينا احنا ياالروم،ما بفارق منام أم بطرس غير لما تضحى الدنيا • » •

فقال عطية دون اهتمام والضيق مازال منطبعا على وجهه :

« خوريكو يا عمى سبع » •

قهقه مترى :

« أسد وأنت الصادق » •

– ٣ –

اتى الصحو الى مرثا دون تمهيد : فتحت عينيها ثم نهضت وهى تشعر أن شيئا ما قد حدث • كان احساسا مفجعا غامضا ، بكارثة غير متوقعة • واخذت تدور فى وسط الدار كالنحلة لتواجه الكارثة قبل أن تحل • رفعت الغطاء عن العجين ورسمت اشارة الصليب بكفها فوقه وتمتمت :

« باسم الصليب ورشم الصليب » •

ثم خفقته • غطته ثانية ووضعته فوق راسها وهى تتمتم :

« تحنن علينا يارب » •

وصور فواجع كثيرة تتراءى لها : الخراف فى الخارج ، الدجاج ، الجمل ••• هل حدث لها شىء ؟

فتحت الباب فرأت الارض يغرقها الماء • أنزلت العجين وأطلقت ولولة ، ثم أسرعت الى ضم الدجاج لترى ان كان المطر قد اغرقه ، ثم قادت الخراف التى تحتمى بالسور الغربى الى داخل الدار وهى تزعق ، ناشرة جوا من الخوف :

« قومى يا بنت ، المطر غرق الدنيا ! » •

واستمرت تزعق ، وتتمخط وتضرب كفا بكف :

« قومى ! ربنا يأخذك • • • •• • •

والفتاة تنهض محمرة العينين ، تتمطى وتتثاءب وتقول بشكوى : « يا رب ! »

والام تصرخ وتزعق بكلمات سريعة ، متتابعة ، مبتورة كطلقات رشاش •

نهض الاب واتجه دون كلام الى مربط الدواب وأخذ يحمل المحراث على الجمل ، ويعد البذار •

غسلت الابنة يديها ووجهها بالماء والصابون ، وسرحت شعرها وأخذت تنظر فى المرآة وخلال ذلك تعدل شعرها ، وتفحص أسنانها ، ومرثا فى قمة انفعالها وحركتها السريعة تزعق من خلف ابنتها :

« يا ريتك يا أختى ما تتهنى ! هذا وقته ؟ يا بنت اكنسى الدار وفطرى اخواتك ••• » •

ويتزايد انفعالها حتى يصعب فهم ما تقول • أنها تريد من الجميع أن يقفوا معها ، وباقصى درجات الاستعداد ، فى مواجهة كارثة مرتقبة خفية • وتشعر بالغبن لان عليها أن تواجه هذا الاحساس وحدها • ويتصاعد انفعالها ويعلو الى درجة الاختناق لان الاخرين لا يرون النذر السيئة التى تراها • ان حضورا قويا كحضور زوجها هو الذى يردها الى الهدوء والتماسك •

فى الخارج تكونت جوقة من الاطفال واخذت تغنى جماعة :

اشتى وزيدى ‎ ‎ ‎ ‎ بيتنا حديد
عمنا عطا الله ‎ ‎ ‎ ‎ رزقنا ع الله

وخرجت اليهم مرثا وهى تصرخ :

يا عيال والله لالعن ذيول اماتكو •

فابتعد الاطفال مواصلين غناءهم بصوت أعلى :

اشتى وزيدى ‎ ‎ ‎ ‎ بيتنا حديد

– ٤ –

دخل عطية البوابة وقد تشبعت ثيابه فى الماء • وللتو رأى الحصان واقفا • قال المرابع الذى يسير بجانبه :

« ضيوف » •

قابلته زوجته أمام مربط الدواب • قالت :

فيه عندنا ضيوف يا لاقى خير !

ترك زوجته مع المرابع تفك المحراث وتربط الدواب ودخل الدار • كانت النار مشتعلة ، وعلى مرتبتين متقابلتين ينام رجل وامرأة يغطى كل منهما لحاف • القى السلام فلم يرد أحد • لحقت به زوجته وقالت :

جوا من شوية مخروسين من البرد •

قال عطية :

منين الضيوف ؟

ردت المرأة بصوت متلعثم وهى ترتعش :

قوم يا زيدان •• إصحى ••

مطابع الأهرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

السنة الثامنة ــ نوفمبر ١٩٧٢

- هزيمة اسرائيل ممكنة في اطار الثورة العربية
- أوربا الغربية ... موقعها من حركة التحرر العربي
- عبد الحميد بن باديس « ملف خاص »
- برجوازية العالم الثالث .. وطريق التطور الرأسمالي

١١

ملحق الأدب والفن

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفى الخولى

مستشارو التحرير :
د . ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د . اسماعيل صبرى عبد الله
د . جمال السعطيفى
د . رشدى سعيد
د . عبد الرازق حسن
د . لطيفة الزيات
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :
ميشيل كامل

سكرتير التحرير :
مصطفى سامى

المحررون :
حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
وديع أمين

الفهرس

العدد الحادى عشر ـ السنة الثامنة ـ نوفمبر ١٩٧٢

ص

■ هزيمة اسرائيل ممكنة فى اطار الثورة العربية « الافتتاحية » — لطفى الخولى — ٥

● بورجوازية العالم الثالث وطريق التطور الراسمالى — محمد فتحى عافية — ١٠

■ أوربا الغربية : موقعها من حركة التحرر العربى — ١٥

ـ ماذا تملك اوربا الغربية بالنسبة لازمة الشرق الاوسط — محمد سيد أحمد — ١٦

ـ العضو رقم « ١٦ » فى حلف الاطلنطى — سمير كرم — ٢١

ـ العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية والسوق المشتركة — د. السيدعبد العزيز — ٢٧

ـ الوجه الحقيقى للاشتراكية الديمقراطية فى أوربا — محمد حمدى عبد الجواد — ٣٢

ـ ثلاث مجالات للنشاط الفرنسى ـ البحر الابيض اكثرها اغراءوسهولة — كمال السيد — ٤٠

ـ بون .. تل أبيب .. والعرب — د. عصام الدين الحفناوى — ٤٥

ـ المانيا الغربية تشارك فى بناء اسرائيل — عبد المنعم الغزالى — ٤٨

● عبد الناصر وحركة التحرر الوطنى .. الفكر والتطبيق — نورى عبد الرازق — ٥٠

● تضامن عربى واسع معموقف عدنالنضالى — د. محمد على الشهارى — ٥٣

● البترول سلاحا — د. محمد أحمد عجلان — ٦٣

● تطوير نظام الاجر بالانتاج — فتحى محمد رفاعى — ٧١

● مناقشات حول مشروع دليل العمل السياسى — حسين شعلان — ٧٤

■ ملف الطليعة :

ـ عبد الحميد بن باديس — محمد عمارة — ٧٨

■ تقارير الشهر وتعليقات : — ٩٦

■ مكتبة الطليعة :

ـ الحركة السياسية فى مصر [١٩٤٥ ـ ١٩٥٢] — طارق البشرى، عرض صلاح عيسى — ١٢٢

■ مناقشات مفتوحة : — ١٢٨

■ الوثائق :

ـ برنامج الجبهة القومية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ـ جمهورية اليمن الديقراطية الشعبية ـ — ١٣٣

■ ملحق الادب والفن : — ١٤٧

● ●

عنوان المراسلات :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاءالقاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م دولاتحاد البريد العربى ودول السدان البيضاء ١٢٠ قرشا .

د. محمد الخفيف

شارك فى تاسيس « الطليعه »
واسرة تحريرهـا
يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ..

الافتتاحية

هزيمة اسرائيل ممكنة ..
في اطار الثورة العربية

درجنا ، على تحليل الصراع العربى ـ الاسرائيلى بأنه انعكاس للصراع الدائر بين حركة التحرر العربية بمجموعها القومى وبين الامبريالية والصهيونية . وانطلاقا من هذا التحليل ، حددنا طبيعة القضية الفلسطينية بأنها فى جوهرها قضية قومية تتصل بمصالح كل العرب . وذلك بغض النظر عن اختلاف منابعهم وانتماءاتهم الاجتماعية والسياسية .

ويمكن القول،أن كلا من التحليل للصراع،والتحديد لطبيعة القضية الفلسطينية ، مايزال ـ فى خطه العام ـ صحيحة موضوعيا . لكنه لم يعد كافيا .

لماذا ؟

نحن نتحدث باسهاب اليوم ، عن المتغيرات الجديدة التى طرأت على العالم ، وعلى موازين القوى المتصارعة فيه واتجاهات حركتها .وهذا صحيح . ولكننا ، مع ذلك ، نغفل ان الوطن العربى فى النهاية جزء لا يتجزأ من هذا العالم المتغير ، وبالتالى فقد اصابه ايضا ـ وبالضرورة ـ شيء من هذه المتغيرات . واسقاط المتغيرات العربية من الحساب ، فى حركة الصراع العربى الاسرائيلى عامة والقضية الفلسطينية خاصة ، يورطنا فى اخطاء مدمرة ، بل اكاد أقول : ان عدم ادراكنا لواقع واثار هذه المتغيرات فى الوطن العربى ، هو السبب الاساسى فيما تعانيه حركة التحرر العربية فى المرحلة الراهنة من عجز وشلل فى مواجهة الإمبريالية والصهيونية ، مواجهة ايجابية وفعالة . وذلك رغم توافر النيات الطيبة والمشاعر الحماسية والشعارات الثورية بكميات هائلة ، تفوق أضعاف أضعاف ما تختزنه الارض العربية من بترول .

وادراك حجم ونوعية المتغيرات ، يضيع القوى الوطنية والتقدمية فى حركة التحرر

العربى ، أمام مسئولية جوهرية ، وذلك على المستوى النظرى والتطبيقى معا . ونعنى بها اعادة حساب القوى فى الصراع محليا وقوميا وعربيا ، وبالتالى اعادة النظر فى الرؤيه للحركة واساليبها المتعددة، وذلك كله فى ضوء هذه المتغيرات .

ما هى هذه المتغيرات ؟

يمكن ــ باختصار ــ رصد المتغيرات بالوطن العربى فى النقاط الثلاث التالية :

● منذ بداية الستينات من هذا القرن ،لم يعد العالم العربى على صورته الاجتماعية الموحدة والشاملة سواء تحت تيجان الملوك أو رايات الجمهوريات ، ونعنى بها صورة المجتمع الشبه اقطاعى ـ الشبه رأسمالى .

ففى مواقع ذات وزن من العالم العربى راحت الصورة تتغير ، وتتغير معها مكوناتها ، وذلك ببروز دور الطبقة الوسطى فى عدد من المجتمعات العربية ونجاحها فى بناء ما اصطلحنا على تسميته بالنظم العربية التقدمية التى تعادى الاقطاعية والرأسمالية الكبيرة . ومن هنا كان لا مفر من انفجار تناقضات بين هذه المواقع العربية التقدمية الجديدة ، وبين المواقع العربية التى مابرحت على صورتها التقليدية . وتراوح الصراع من حول هذه التناقضات بين المباشرة وغير المباشرة ، بين العنف والسلم، بين العلن والخفاء .

وهذا الانقسام الاجتماعى الذى حدث فى العالم العربى ، حقيقة واقعة ، لا نستطيع ان نلغيها من الوجود ، باهمالها وتغافلها ومنع الحديث عنها . صحيح تظل هناك عوامل قومية تجمع بين «كل العرب» ،وتميزهم مثلا عن « كل الفرنسيين » أو « كل الامريكان » أو « كل الروس » . ولكن على الميدان الاجتماعى هناك مصالح محددة تتمايز فيما بينها ، وأحيانا تتصادم . تجعل من « كل العرب » قوى اجتماعية متميزة بعضها عن بعض فى حركتها وأهدافها ، وبالتالى فان القوى الاجتماعية التى تحكم وتسيطر فى المواقع والنظم التقدمية تختلف فى حركتها وأهدافها عن القوى الاجتماعية التى تحكم وتسيطر فى المواقع والنظم التقليدية .

ولعل هذا ما يفسر لنا ــ مثلا ــ عدم تمكنا تحت شعار كل العرب من استخدام سلاح البترول فى المعركة الشاملة الابعاد ضد اسرائيل والصهيونية . ذلك أن البترول العربى لاتسيطر عليه القوى والمواقع والنظم التقدمية العربية وحدها . بل ان السيطرة الاكبر فى هذا المجال ماتزال للقوى والمواقع والنظم التقليدية ، وهى بالضرورة ، وبحكم مصالحها الاجتماعية والسياسية لا تقبل باستخدام ما تملكه من سلاح بترولى لتحقيق مصالح القوى والنظم التقدمية العربية ، لان معنى هذا أضعاف لمراكزها التقليدية فى العالم العربى .

ولعل هذا ، أيضا ، مايفسر لنا موقف الملك حسين ونظامه الراهن فى الاردن . ماالذى يجعل الملك حسين ــ رغم عروبته ــ أن يتحرك ويتصرف فى الصراع العربى الاسرائيلى على نفس النسق الذى يتحرك ويتصرف به ايجال آلون او موشى ديان من الاسرائيليين . ليست المسألة هنا ــ فى جوهرها ــ خيانة فردية ، او موقفا عائليا للأسرة الهاشمية ، كما يقال لنا من قبل عدد من الكتاب ، وانما هى ــ فى الاساس ــ وحدة المصالح الاجتماعية والسياسية بين القوى التى يمثلها الملك حسين ويمثلها كل من ايجال آلون وموشى ديان فى اطار الصراع العربى ــ الاسرائيلى . والتى تتحدد فى معاداة حركة التحرر العربية بأهدافها الاجتماعية التقدمية . فالتمايز بين الملك حسين العربى المسلم، وبين كل من آلون وديان الصهيونيين الاسرائيليين لم يمنع من

وحدة حركتهم ضد مجملَ حركة التحرر العربية وضد القوى الوطنية والتقدمية فى الاردن ، واخيرا ضـــد حـــركة التحرر الفلسطينية وثورتها المسلحة ·

من هنا فان حساباتنا تظل غير دقيقة وابعد ما تكون عن الفاعلية ، اذا ظللنا نصر على الجمع الميكانيكى لكل العرب · وكذلك فان حركتنا لن تكون مسئولة وقادرة اذا لم نتخط حالة التفكك والبعثرة للنظم والقوى الوطنية التقدمية ونجمع بينها تجميعـا ديناميكيا .

● **والمتغير الثانى** فى العالم العربى ،يكمن فى النجـاح الذى حققته حـــركة التحرر الوطنى العربية خلال الخمسينيات والستينيات ضـد القـواعد العسكريـة الاستعمارية فى البلاد العربية ، بحيث يمكن القول أن الحركة الجماهيرية العربية بقيادة القوى الوطنية التقدمية استطاعت بالفعل أن تصفى الكم الاعظم من هذه القواعــد وقدراتها الضاربة ·

وقد تبلور عن هذا الوضع ، تغيير فى علاقات القوى بين النظم التقدمية والنظم شبه الاقطاعية شبه الرأسمالية فى الوطن العربى · وذلك لصالح النظم الاولى، اذفقدت النظم الثانية بهذه التصفية عنصرا هاما من عنـــاصر الحماية من ناحية ، والردع ضد النظم التقدمية من ناحية أخرى ·

وجـاء زرع اسرائيل فى قلب الـــوطن العربى ، لتكون قاعدة عسكرية استعمارية فى شكل دولة بالمنطقة ، وهذا ما يحقق فى نفس الوقت وبنفس الدرجة مصالح الحركة الصهيونية ، ومصالح القوى الاستعمارية · ومعنى ذلك أن اسرائيل قد ورثت فيما ورثته من النفوذ الاستعمارى القديم فى المنطقة الدور الذى كانت تقوم به القواعد العسكرية فى حماية القوى والنظم العربية شـبه الاقطاعة ،شبه الرأسمالية ، وفى ردع النظم والقوى التقدمية، وهذا بالفعل ما تمارسه ـ بتصاعد مستمر ـ اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم .

ومن هنا ، فان جانبا من العرب متمثلا فى هذه القوى والنظم شبه الاقطاعية شبه الرأسمالية له مصلحة أكيدة فى وجـودواستمرار اسرائيل قوية ومتفوقة عسكريا· وهذه حقيقة موضوعية اذا صدمت شعورنا القومى ، نكون ساذجين ، واذا لم نضعهافى حسابنا نكون على غير مستوى المسئولية ·

ويكفى هنا أن نسأل أنفسنا ببساطة : **هل قهر العدوان الاسرائيلى وتحرير فلسطين من الصهيونية فى صالح القوى المسيطرة فى نظام الملك حسين مثلا ، أم لا ؟**

ان كل الاحاديث والخطب الرنانة عن معركة المصير والشعارات الزاعقة فـى عروبتها التى يرفعها الملك حسين وغيره ، لا يجب أن تضللنا عن رؤية الحقيقة فى واقعها المصلحى ، وحركتهـا المخططة ، ذلك أن فى هزيمة اسرائيل هزيمة للقوى التى يمثلها الملك حسين فى نفس الوقت .

● **والمتغير الثالث** الاساسى فى العالم العربى هو موجة الاستعمار الجديد التى تزحف على العالم العربى اثر انحسار نفوذ وقوة الاستعمار القديم ·

وربما يمكن القول أن هناك اختلافات فى صور وأساليب الاستعمار الجديد · ولكن ماتزال القوة القيادية وذات الوزن فيه هى للولايات المتحدة الامريكية .

ويبدو واضحا ، اليوم ، أن الاستعمار الجديد وخاصة فى منطقة اسـتراتيجية وحساسة وغنية بمصادر الطاقة ، وبالذات البترول ، مثل منطقة الشرق الاوسط، أصبح

يواجه صعوبات فى حركته وتسربه الى البنيان الاقتصادى والتجارى لكل بلد على حدة . وذلك نتيجة قوة الفضح والكشف والتعرية التى تملكها حركة التحرر العربية من ناحية ، وتمركز القوى والنظم التقدمية فى مواقع ذات وزن مؤثر فى العالم العربى من ناحية أخرى (مصر سوريا العراق الجزائر اليمن الجنوبية ...) ومن هنا كان لابد لقيادة الاستعمار الجديد من أن تخطط لبناء قاعدة لها تتجسد فى كتلة بشرية وصناعية ومالية وتكنولوجية وعسكرية ذات وزن وتاثير فى المنطقة .

واسرائيل هى النواة القوية لهذه الكتلة فى خطة الولايات المتحدة والاستعمار الجديد فى المنطقة ، ولكن اسرائيل وحدها لاتكفى ، بل ولا تستطيع منفردة أن تقوم بالدور المطلوب منها اذا بقيت معزولة ومحاصرة فى العالم العربى . وبالتالى فلابد وأن تتمدد النواة وتتسع لتصبح كتلة اسرائيلية - عربية . وانطلاقا من هذا المفهوم انبثق المشروع الامريكى - الاسرائيلى المسمى باسم « **الشرق الاوسط الصغير** » والذى يرمى الى تكوين كتلة موحدة اقتصاديا وسياسيا من كل من اسرائيل والاردن ولبنان .

ولقد امكن بالفعل ترويض الاردن تماما وتطويعه ، وساعد على ذلك وعى الملك حسين بالمصالح الاجتماعية والسياسية للقوى التى يمثلها فى العالم العربى . ويدل على ذلك سلسلة الاجراءات التى اتخذها نظام الملك حسين ابتداء من مجازر الابادة ضد الثورة الفلسطينية الى مشروع المملكة العربية المتحدة ، والذى هو فى حقيقته نوع من التسوية المنفردة مع اسرائيل ، الى انتهاج سياسة الجسور المفتوحة سياسيا واقتصاديا وبشريا مع اسرائيل .

بقى لبنان .. حيث مابرحت قواه الوطنية والتقدمية تقاوم مخطط الاستعمار الجديد ، ومن هنا تتركز المحاولات الامريكية والاسرائيلية منذ اكثر من سنة حول هدف « **أردنة لبنان** » وتطويعه للدخول فى مشروع « الشرق الاوسط الصغير » وازاء صمود ومقاومة الشعب اللبنانى كان العدوان العسكرى الاسرائيلى على لبنان يتصاعد بوحشية وبتأييد سافر من الولايات المتحدة الامريكية .

ويجرى العمل على تنفيذ هذا المخطط فى نفس الوقت مع العمل على أضعاف قوة ووزن حركة التحرر الوطنى العربية وشلها عن الحركة حتى لاتستطيع الوقوف فى وجه مخطط كتلة الشرق الاوسط الصغير ، وذلك باستخدام وسائل متعددة : اشعال نيران الحرب بين اليمن الديمقراطية واليمن الشمالية .. تصوير مصر بأنها عاجزة عن الفعل .. والجزائر بأنها تبتعد عن المعركة .. فتح جبهات صدام ضد العراق مع ايران حينا ومع الاكراد حينا آخر .. محاولات تعكير المياه بين سوريا ومصر وليبيا الخ ...

هذه المتغيرات ، تنعكس آثارها - شئنا أم أبينا - على حركة الصراع العربى - الاسرائيلى عامة ، والقضية الفلسطينية خاصة . ومن هنا فالمسالة فى جوهرها لم تعد ذات بعد واحد هو البعد القومى التحررى . وانما يتداخل مع هذا البعد ، بعد جديد وهام هو البعد الأجتماعى ، وهذا التداخل يفرخ - بمعيار الظروف والعصر الراهن - صعوبات فى ترتيب القوى الثورية والقوى المضادة وحلفاء كل منهما .

وفى تقديرى أن مواجهة هذه الصعوبة وحلها يكون برؤية البعد القومى للمعركة فى ضوء البعد الاجتماعى . وليس ادل على صحة هذه الرؤية من اجماع المراقبين والمحللين السياسيين - من جميع الاتجاهات - على ان الهدف الاساسى من حرب يونيو ١٩٦٧ التى

شنتها اسرائيل هو اسقاط النظم التقدمية دون غيرها من النظم التقدمية، دون غيرها من النظم العربية الاخرى ، رغم وجودهـا القومى العربى .

كما يدل على ذلك أيضا التعاون الوثيق بين الامبريالية الامريكية والصـهيونية والرجعية العربية فى المحاولات المسعورة الدامية للقضـاء على حركة التحـرر الفلسطينى وطلائعها المسلحة ، وعزلها عن حركة التحـرر العربيـة ، والسعى الى افتعال « بديل » شكلى لها متعاون ومتآمر داخل الارض المحتلة ، وذلك على غرار ما حاوله الاستعمار الفرنسى خلال حـرب التحرير الجزائرية عن طريق خلق ما كان يسمى باسم « القوة الثالثة » ·ذلك ان استمرار الثورة الفلسطينية فى خطهـا التحررى يقوى ويدعم حركة التحرر الوطنى العربية ككل ،بمعنى ان تحرير فلسطين ، بالمعيار السياسى والاجتماعى هو فى غير صالح القوى والنظم الشبه اقطاعية ،الشبه رأسمالية ·

قد يثار حول هذه النقطة ملاحظة بعض مظاهر داخل فئات من هذه القوى والنظم شبه الاقطاعية ، شبه العربية ، مابرح حسبها الوطنى والقومى ظاهرا ونقيا ، ويسير ــ مضحيا بمصالحه الانية ــ فى خط حركة التحرر الوطنى العـربى عامة ، والثـورة الفلسطينية بوجه خاص · الا أننا أيضا يجب أن نلاحظ أن هذه الفئات محدودة الكم وتشكل استثناءات متفاوتة القيمة ، وهـى استثناءات تؤكد القاعدة العامة لحـركة الصراع ، هذه الحركة التى تستقطب فى جانب قوى التحرر والتقدم الاجتماعى العربى ، وتستقطب فى الجانب المضاد قوى الامبريالية العـالمية وبـالذات أمـريكا والصهيونية التى تجسد مصالح الرأسمالية اليهودية اساسا ، والقوى العربية شـبه الاقطاعية ، شبه الرأسمالية .

ومن هنا فالحساب الموضوعى لـواقع الصراع وطبيعته تكشف عن أن شعار « كل العرب » فى المعركة ليس الا سراب مقصود به افراغ طاقتنا حتى اليأس وضياع الوقت هدرا فى مسيرة تائهة فى صحراء المنطقة .

ان القوى صاحبة المصلحة الحقيقية فى قهر العدوان الاسرائيلى ونجاح الثـورة الفلسطينية فى تحقيق هدفها فى بناء الدولة الديمقراطية الفلسطينية ، وبالتالى فان وحدة قواها وحركتها يشكل القوة الضـاربة الاساسية والممكنة لهـزيمة الامبـريالية والصهيونية ، ويصبح العمل على بناء هذه الوحدة هو الطريق الثورى الذى لابديل له ، وبتعبير آخر ، فان هزيمة اسرائيل متاحة وممكنة فى اطار الثورة العربية باهدافها السياسية والاجتماعية التقدمية .

لطفى الخولى

بورجوازيـــة العـــالم الثـــالث

وطـــريق التطـــور الرأســـمالى

محمد فتحى عافية

طريق النمو التقليدى أمام البورجوازية فى العالم الثالث مسدود ٠ الكبير منها امتـدادا للامبريالية ونصيبه من الدخل محدود ٠ والمتوسط والصغير منها لا يجد فرصته بعد أن استولت الامبريالية على أسواقه ٠ وهناك اختلاف كبير بين الظروف التى نمت فيها البورجوازية فى البلاد الرأسمالية ، والظروف التى تريد أن تنمو فيها بورجوازية الدول المتخلفة ، فلقد اســتطاعت بورجوازية الدول الغنية أن تحقق ، فى سالف العصر والاوان ، تراكما من التجارة ، ثم من الصناعة ، باستغلال المستهلكين ثم العمـــال ٠ وقضت على الاقطاع وأكدت علاقات الانتـاج الرأسمالية التى تقسم المنتجين مابين أصـــحاب عمل يملكون رأس المال وعمال لا يملكون الا عملهم ويعرضونه للبيع ٠ ولما تكونت الطبقـة العاملة ، وأصبحت قوة تهدد نفوذ البورجوازية ، وتقف بقوة ضد الاستغلال ، نقلت تلك الدول عبء الاستغلال الى البلاد الاخرى ٠ واستطاعت أن تقدم فى الوقت المناسب تنازلات للطبقة العاملة ، أبقت على النظام الرأسمالى بكل تناقضاته ٠

نمـو بورجوازية العـــالم الثالث فى ظروف مختلفة

وكان على بورجوازية العالم الثالث أن تنمو فى ظل ظروف ، تعتبر بالنسبة لها غير مواتية ٠ فعليها أن تعمل على القضاء على الاستعمار لتكسب منه الاسواق المحلية التى استولى عليها بغير حق ٠ وعليها ان تتعامل مع طبقة عاملة تقاوم الاستغلال وتخوض حربها ضده ٠ وكان عليها ايضا تحقيقا لاغراضها ــ أن توفر لنفسها ظروفا اقتصادية واجتماعية ملائمةلنموها،وتستفيد ــ ولاقصى حد ــ من الظروف القائمة، وكانت ضعيفة فى مواجهة الاستعمار وضعيفة فى مواجهة الطبقة العاملة ، وغير قادرة على تحقيق معدل نمو معقول ٠ وكان عليها أن تختار بين أن تنضم للاستعمار ، فتجمد وتخسر ، وبين أن تقف مـــع العمال والفلاحين فتحرر الارض ، وتخلو لها الاسواق ، فتنمـــو وتنتعش ٠

وجدت البورجوازية المتوسطة والصغيرة نفسها عاجزة عن ان تقود التنمية ٠ وعاجزة عن أن ترث الاستعمار والرأسمالية الكبيرة بفعل تكوينهـا وظروفها الانتاجية ٠ وكانت غير قادرة على تقديم البديل لهما ، الا بافتراض العودة الى الاساليب الانتاجية للمنتج الصغير ، وهو فرض غير سليم وغير عملى ، وعودة الى الوراء وضد منطق التاريخ ٠ كانت تحتاج ــ بعد التخلص مـن الاستعمار والرأسمالية الكبيرة ــ الى انتمهد لها الارض ٠ واستفادت من الضربة التى وجهت الى الاقطاع فى بادىء الامر ٠ اذ خلقت ، بتوزيعها

للدخل لصالح صغار الفلاحين ، ظروفا مواتيـة لها ٠

ورأت أن أفضل صيغة لضرب الرأسمالية الكبيرة، هى عن طريق تكوين قطاع عام ، يرث هـذه البورجوازية الكبيرة ، ويقع عليه عبء تحطيم حلقة الفقر الخبيثة ، ويوفر الظروف المناسبة للنشاط الاقتصادى ٠ويتحقق ذلك كله بدخول هذا القطاع فى الصناعات التى تفيد فى النمو ، ولا تحقق له ربحا وقد تحقق له خسارة ٠ على أن يترك أوجه النشاط الاقتصـادى المربحـة للقطاع الخاص ٠ وأيـدت الانفتاح ــ والى حد ــ على الدول الاشتراكية للوقوف فى مواجهة مؤامرات الاستعمار ٠

ومن هنا كان عليها أن تتحول الى نوع جديد من البورجوازية لا يتصف بالصراحة والوضوح ٠ ومن ثم اصبحت بورجوازية من الباطن ٠ ترفع ــ مع الرافعين ــ علم الاشتراكية ، بشرط ان تكون خاصة ٠ وتنادى ــ مع المنادين ــ بـالعدالة الاجتماعية ، شريطة ان يتم ذلك وفقا لتصورها ٠ وفى غيبة تنظيم سياسى تتمايز فيه الطبقات ، تلعب فيه طبقة العمال والفـلاحين الدور الـرئيسى ٠ ويساعد على ذلك الاستفادة من ظروف تقدمية لطمس الوعى الطبقى لدى العمال بحيث تتلمس تلك الطبقات وعيها بصعوبة ٠

يمكن اذن أن نعرف هذه النوعية المتميزة من البورجوازية ، بأنها بورجوازية العالم الثالث التى لا يمكن أن تنمو الا بالتخلص من الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع والرأسمالية الكبيـرة ٠ ولابد وأن تعتمد على قطاع عام قوى ٠ يوفر لها أنسب الظـروف لتنمـو ، ولتحقق المـزيد من الارباح ٠ ويساعد على نجاحها فى تحقيق أهدافها التحالف مع العمال والفلاحين فى صيغة سياسية ، تجعل ظاهر الامر غير باطنه ٠ وتكون القيادة الحقيقية فيه للبورجوازية من الباطن ٠

الظروف الموضوعية لتحقيق أهداف هـذه القطـاعات من البورجوازية

أما وقد وعت تلك القطاعات من البورجوازية دورها المعاكس للتاريخ والمضاد لحركته ٠ كان عليها أن تستفيد بقدر المستطاع من الظـروف المحيطة لتخلق منها ما يناسبها ٠ كان عليها أن توفر فى ظل القطاع العام وفى حمايته ، وفى ظل « الاشتراكية » وعدالة التوزيع وتحت أعلامها ، الشروط الموضوعية لنموها وبقائها ٠ ولتلجأ فى ذلك الى كافة الاساليب المباشرة وغير المباشرة ، الملتوية أو الصريحة ٠ ولتعمد الى المواجهة او الاحتواء حسبما تقضى به الظروف ٠ والاهم من ذلك كله أن تحاول بكل السبل أن تحول بين التناقضات والانفجـار ، اخفـاء الاسـتغلال يساعدها ، نشر الملكيـات الصغيرة يمدها بقاعدة عريضة للاعتماد عليها ، غير الطبقات الاساسية الخطرة ٠ تفتيت الطبقة العاملة الى مجموعات ذات ظروف مغايرة يلائمها ، وتلك انسب الظروف واكثرها لنموها وتفشى فكريتها ٠

القضـاء على الاقطـاع

صدر قانونين للاصلاح الزراعى من سـنتى ٥٢ ، ١٩٦١ ٠ حددت الملكية بموجب الاول بمائتى فدان ، ثم فى الثانى بمائة فدان ٠ونظمت العلاقة بين مالكى الارض ومستاجريها ٠ وخفضت الايجار الى سبعة امثال الضريبة ٠ واصبحت الصورة العامة لتوزيع الملكية وفقا للجدول رقم (١) على الوجه التالى :

جدول رقم [١] (x)
توزيع الملكية الزراعيــة
فى الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٥

حجم الملكيات بالافدنة	عددالملاك بالالف	المساحة بالالفدان	النسبة المئوية لعددالملاك	النسبة المئوية للمساحة
أقل من ٥	٣٠٢٣	٣٦٩٣	٩٤ر٥	٥٧ر١
٥ —	٧٨	٦١٤	٢ر٤	٩ر٥
١٠ —	٦١	٥٢٧	١ر٩	٨ر٢
٢٠ —	٢٩	٨١٥	٠ر٩	١٢ر٦
٥٠ —	٦	٣٩٢	٠ر٢	٦ر١
١٠٠—	٤	٤٢١	٠ر١	٦ر٥
الجمـــلة	٣٢١١	٦٤٦٢	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

[x] وزارة الزراعة « الاقتصاد الزراعى » عدد ممتاز يوليو ١٩٦٨ ــ صفحة ١٤

وقد تطورت الملكية عما كانت عليه منذ ١٩٥٢ ٠ ففى الوقت الذى بقى فيه نسبة الملاك فوق ٩٤ فى المائة بقليل فى هذا الحجم على ما هى عليه قبل وبعد الاصلاح الزراعى ٠ فقد تطورت النسـبة المئوية للمساحة المنزرعة من ٣٥ر٤ فى المائة قبل صدور قانون الاصلاح الزراعى سـنة ١٩٥٢ ، واصبحت ٤٦ر٦ فى المائة بعد صدور القانون الأول ، ٥٢ر١ فى المائة بعد صدور القانون الثانى فى عام ١٩٦١ ، واصبحت ٥٧ر١ فى المائة فى عام ١٩٦٥ وفقا للجدول رقم (١) ٠ وتزايد عدد الملاك فى خلال هذه الفترة من ٢ مليون حتى وصل الى ٣ر٢ مليـون ، وزادت المسـاحة من ٩٨٤ر٥ الى ٤٦٢ر٦ مليون فدان ٠ فيما بين السنوات ٥٢ ــ ١٩٦٢ ٠ وصحب كل ذلك تنظيمات أخـرى للايجارات الزراعية وللتعاون الزراعى ، وتحديد حد أدنى لاجر العامل ٠

وقد أدت كل هذه القوانين الى زيادة كبيرة فى دخل الفلاح الصغير ، وصحبها خفض كبير فى دخل الاقطاعيين . ويعنى ذلك خلق سوق أوسع فى الريف . ولا حاجة الى القول أن الفلاح الصغير — بخلاف الاقطاعي الكبير — يستوفى معظم احتياجاته من السوق المحلية . وهذه الخطوة التقدمية قد افادت البورجوازية من الباطن ، وفتحت المجال امامها رحبا وفسيحا لتكسب الكثير .

ولا تقف استفادة البورجوازية من الباطن عند هذا الحد . فوجود الملاك الصغار وعدم انتشار التعاون بينهم والعمل على تعويقه يؤدى الى تفشى الفكر البورجوازى بينهم يصعب فيه عليهم تصور امكان قيام ملكية تعاونية او ملكية الدولة . ويتمسكون بهذا القليل الذى فى أيديهم ، ويقتنعون به ، ولا يتقبلون بسهولة الفكر الاشتراكى الذى يخفف من حدة نزعة الملكية الفردية ، يشجع الانضمام الى جمعيات تعاونية ، يكون عمل الفلاح ، هو مصدر ما يحصل عليه من دخل .

الطبقة العاملة

ولا يمكن — بعد صدور « القوانين الاشتراكية » — النظر الى الطبقة العاملة ، فى ظل قطاعين عام وخاص ، كما لو كانت كلا متجانسا ، تحركهم مشاعر واحدة ، ووعى سياسى متقارب . كان ذلك ممكنا ، فيما لو كانت الطبقة العاملة تواجه طبقة المشغلين والمستثمرين . وكان ذلك ممكنا اذا كانت الغالبية أو الجانب المؤثر من العمال يعمل فى مصانع خاصة كبيرة ، توجد فيها التجمعات القوية . هنا يكون التناقض فى أكثر صوره صراحة ووضوحا وقطعا ، وهنا يكون الصراع من أجل تحقيق الاشتراكية أمرا ملحا وضروريا .

ويوضح الجدول رقم (٢) ان الطبقة العاملة بأجر تمثل ٧٣ر٩ فى المائة من قوة العمل فى المحافظات الحضرية ، وتمثل ٦١ر٦ فى المائة فى المدن الاخرى ، ٨٣ر٩ فى الارياف والمتوسط العام ٤٩ر٢ فى المائة . وتضم هذه النسب كل العاملين بأجر سواء كانوا فى الحكومة أو القطاع العام ، أو القطاع الخاص . وسواء كانوا من كبار أو صغار العاملين . وهذه فى الحقيقة نسبة كبيرة تشكل قوة عمل مؤثرة فيما لو اجتمعت كلمتها فى مجتمع يتصف بالتخلف .

ولكن هؤلاء العاملون بأجر ، يعملون فى ظروف مختلفة ومتباينة . تتأثر باعتبارين أساسيين فيما اذا كانت الملكية عامة أو خاصة . وفيما اذا كانت المنشآت كبيرة أو صغيرة الحجم . ويمكن فى ضوء هذه الحقائق ان نميز ثلاث نوعيات من العمال : عمال يعملون فى القطاع العام ، وينعمون بمزاياه . وعمال يعملون فى القطاع الخاص المنظم ولهم أيضا مزايا نسبية لا بأس بها . وعمال يعملون فى القطاع الخاص غير المنظم ، وهؤلاء يتعرضون لكل أنواع الاستغلال وعدم الاستقرار .

جدول رقم (٢)

التوزيع النسبى لقوة العمل فى الحضر والريف حسب الحالة العملية

تعداد السكان عام ١٩٦٠ ×

الحالة العملية	المحافظات الحضرية	المدن الاخرى	الريف	الجملة
صاحب عمل ويديره	٤ر٠	٦ر٢	٨ر٧	٧ر٤
يعمل لحسابه	١٤ر٢	٢٢ر٠	٢٥ر٠	٢٢ر٤
يعمل بأجر	٧٣ر٩	٦١ر٦	٣٨ر٩	٤٩ر٢
يعمل لدى اسر	٢ر٢	٦ر٨	٢٦ر٠	١٨ر٥
يعمل لدى الغير بدون اجر	٠ر٢	٠ر٥	٠ر٣	٠ر٣
متعطل	٥ر٤	٢ر٩	١ر١	٢ر٢

[×] الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء « زيادة السكان فى الجمهورية العربية وتحدياتها للتنمية — نوفمبر سنة ١٩٦٦ صفحة ١٦٨

جدول رقم (٣)

المتغيرات الاقتصادية فى الصناعة للقطاع العام والخاص

٦٦/١٩٦٧ ×

البيان	انتاج	قيمة مضافة	اجور	عمال	متوسط الاجر	اصحاب عمل	جملة المشتغلين
قطاع عام	٩٢٦	٢٥٣	١٢٩	٤٧٧	٢٧٠	...	٤٧٧
قطاع خاص	٢٧٦	٨٢	٣٢	٢٣٥	١٣٦	١٧٥	٤١٠
١٠ فاكثر	١٣٣	٢٤	٢٢	١١٩	١٨٥	٦	١٢٥
أقل من عشرة	١٤٣	٥٨	١٠	١١٦	٨٦	١٦٩	٢٨٥
الجملة	١٢٠٢	٣٣٥	١٥١	٧١٢	٢١٢	١٧٥	٨٨٧

[×] الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء — تعداد الانتاج الصناعى جزء اول وثان لعام ٦٦/٦٧ للمنشآت عشرة فاكثر ، ١٩٦٧ للمنشآت اقل من عشرة قطاع خاص .

ويكشف الجدول رقم (٣) عدم التجانس عند النظر الى الانتاج والقيمة المضافة والاجور وعدد العمال وأصحاب العمل وجملة المشتغلين بين القطاع العام والقطاع الخاص فى الصناعة . ويؤكد الجدول ان ثلثى العمال يعملون فى القطاع العام ، اذ يبلغ عددهم ٤٧٧ الفا ، اما الثلث الباقى فيبلغ عددهم ٢٣٥ الفا ويعملون فى

القطاع الخاص • ويبلغ متوسط أجر العامل فى القطاع العام ضعف أجره فى القطاع الخاص ، وأكثر من ثلاثة أمثال أجر العامل فى القطاع غير المنظم •

ونجد ان المنشآت ذات الاحجام الكبيرة تتبع القطاع العام • أى أن العمال فيها لا يواجهون رأس المال المستغل • ويبين الجدول رقم (٤) أن الجانب الاكبر من العاملين يعملون فى الحجم ٥٠٠ فأكثر • ويمثل القطاع العام ٩٨ فى المائة منهم • وأغلب العاملين فى القطاع الخاص (عشرة عمال فأكثر) يعملون فى منشآت حدها الادنى (١٠) مشتغلين وحدها الاقصى (٥٠) مشتغلا • وتبلغ نسبتهم الى مجموع المشتغلين فى القطاع الخاص عشرة فأكثر ٥٩ فى المائة ويسود القطاع الخاص غير المنظم (وعدد المشتغلين فيه محل شك) فى الاحجام الصغيرة •• أقل من عشرة • وهنا نجد الغلبة لاصحاب الاعمال وأقاربهم ففى الوقت الذى يبلغ فيه عدد العمال ١١٦ ألف عامل ، يقابلهم أصحاب عمل ١٦٩ الفا (انظر الجدول رقم ٣) وعلاقات العمل فى هذه المنشآت طابعها حرفى ، وعائلى تماما • كما كان الحال فى فترة الاقطاع وفجر الرأسمالية •

فالطبقة العاملة الاكثر فاعلية وتأثيرا ووعيا تعمل فى القطاع العام ، وتنال حقوقا لا بأس بها • ولا تواجه استغلالا واضحا أو صريحا • والطبقة العاملة فى القطاع الخاص ، تعمل فى ظل ظروف تؤخر وعيها الطبقى • ولا تجعل منها قوة منظمة قادرة على حفظ حقوقها والدفاع عنها •

جدول رقم (٤) ×

توزيع العاملين فى القطاع العام والخاص حسب احجام المنشأة ونسبة كل حجم الى المجموع

عدد المشتغلين بالالف

الحجم	عام: عدد المشتغلين	عام: النسبة	خاص: عدد المشتغلين	خاص: النسبة
أقل من عشرة	٢٣٠			
١٠ —	١٥١١	٣	٤٢٥٢٧	٣٣
٢٥ —	٧٠٠٧		٣٤٧٦٤	٢٦
٥٠ —	١٥٥٨٨	٣	١٥٩٣٢	
١٠٠ —	٥٩٤٨١	١٢	٢٥٩٤٠	٤١
٥٠٠ فاكثر	٣٩٣٣٩٥	٨٢	٨٩٩٥	
الجملة	٤٧٧٢١٢	١٠٠	١٠٩٩٦٨	١٠٠

[x] المصدر السابق

التشنيع على القطاع العام

كان — وسيظل — تاييد البورجوازية من الباطن للقطاع العام، مرهونا بما يستطيع ان يحقق لها من أرباح سواء كانت لما ينتج لتبيعه فى السوق الابيض او الاسود او تبيع له ما تنتجه او تعمل من باطنه ،ومع ذلك فتأييدها للقطاع العام محدود ولا تريد أن تتسع مجالاته • وتقبلها لذلك قاصر فقط على مراحل النمو ، وحتى يتحقق الانطلاق • ويتزايد بعد ذلك دور القطاع الخاص • لا تعلن عن ذلك صراحة ولكن بأساليبها التى تتصف بالذكاء • فهى مع تأييدها لقيام القطاع العام ، ومع اقتناعها بالدور الذى يؤديه لصالحها تخشى نجاحه ، وتخشى أن يمتد ويتسع ، ليشمل المجالات التى تعتبرها حقها • لذلك لا تترك فرصة الا وتنتقد القطاع العام وتبرز اخطاءه ، وتشكك فى قدراته وتعمل على افساده ، وتقارن بين قدرة القطاع الخاص على تحقيق الارباح وتوفير المدخرات اللازمة للاستثمار والضرورى لعملية التنمية وقدرة القطاع العام على الاسراف وتحقيق الخسائر ومن ثم عجزه عن توفير المدخرات الا بأفدح التكاليف • انها تنتقد القطاع العام لا بقصد اصلاحه والقضاء على عيوبه وانما لتفقد الجماهير — مع ضعف وعيها — ثقتها فيه• وليتأكد عند ذلك وفى هذا المنعطف — دورها، وتضمن استمراره •

صيغة التحالف وبورجوازية الباطن

واستطاعت بورجوازية الباطن أن تعوق حركة المجتمع نحو صيغة ملائمة للتحالف • واستغلت فى ذلك وبذكائها المعهود الظروف التى يمر بها مجتمعنا • ولم يكن التمايز الطبقى فى اطار التحالف ، وفى معركة التحرير ضرورة حتمية • والطبقة العاملة تفتقر الى تنظيم سياسى قوى أو حتى تنظيم نقابى قادر • بفعل ظروف الرجعية والاستعمار فى مرحلة سابقة • كذلك لم يكن التمايز الطبقى ضرورة عندما صدرت القوانين الاشتراكية والاستعمار على الابواب والضربة موجهة اليه والى الرأسمالية الكبيرة •

كان من الضرورى أن يعبر المجتمع اولا مرحلة التحرر بنجاح ، وعندما أصبح من الضرورى المضى قدما فى التحول الاجتماعى لتحقيق النمو ولمواجهة الاستعمار، لم يعد فى الامكان تجاهل التمايز الطبقى بكل خصائصه داخل التحالف • ولقد ركزت بورجوازية الباطن على صيغة التحالف التى يختفى فيها التمايز • وهى تسعى الى أن تجعل منها صيغة دائمة وابدية • مستغلة فى ذلك ظروف حرب تحرير الارض ومستغلة الاوضاع الاقتصادية

وعلاقاتنا بالعالم العربى • ونتيجة لهذا كله فقدت الاهداف وضوحها • وتباينت الوسائل للوصول اليها • مرجع ذلك كله الى صيغة التحالف التى لا تمايز فيها الطبقات ومسئولية الظروف الموضوعية التى يتم التحول الاجتماعى فيها فـى غيبة طبقة عمالية واعية ، ومتحالفة مع الفلاحين لتقود معركة التحرير والتنمية •

البورجوازية تنتعش

وهكذا توافرت الارض التى تحقق للبورجوازية الانتعاش والتقدم المستمر • والتأمل فى الجدول رقم (٥) وهو قاصر على الصناعة ـ نجـد أن القطاع الخاص ينمو بنفس المعدل الذى ينمو به القطاع العام • واذا قدرنا ما يخفيه القطـاع الخاص من بيانات ، ليمكن القول معه ان معدل نمو القطاع الخاص يتفوق على معدل نمو القطاع العام • ويكشف عن ذلك بيانات الجدول رقم (٧) عن تطور القيمة المضافة فى القطاع العام والخاص فى السنوات من ٦٦ ـ ٦٧ الى ٦٩ ـ ٧٠ **للمنشآت** ذات الاحجام ٢٥ مشتغل فأكثر • فنجد أن رقم قياسى القيمة المضافة فى القطاع العام فـى ٦٩ ـ ٧٠ أصبح ١٢٩ **وفى القطاع الخاص** ٤٦٠ **متخذين** سنة ٦٦ ـ ٦٧ أساس (١٠٠) •

وهكذا يتضح من الارقام كيف اسـتطاعت بورجوازية الباطن أن تحقق اهدافها فى المزيد من النمو والارباح • وهى اذ تحقق هذا كله، لا تعلن عنه ولا تكشفه (والكثير من نشاطها غيـر معروف) • وانما تتقدم بهدوء مستفيدة من القطاع العام •

جدول رقم (٥) ×

اجمالى قيمة انتاج القطاعين العام والخاص من الصناعات التحويلية ورقمها القياسى فى الاعوام من ٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٨ ـ ١٩٦٩

القيمة بملايين الجنيهات

السنوات	قطاع عام		قطاع خاص		جمـــــلة	
	قيمة الانتاج	الرقم القياسى	قيمة الانتاج	الرقم القياسى	قيمة الانتاج	الرقم القياسى
٦٤/٦٣	٦٦٦ر٤	١٠٠ر٠	٢١٣ر٢	١٠٠ر٠	٨٧٩ر٦	١٠٠ر٠
٦٥/٦٤	٧١٤ر٢	١٠٧ر١	٢٣٧ر٩	١١١ر٦	٩٥٢ر١	١٠٨ر٢
٦٦/٦٥	٧٥٨ر٤	١١٣ر٨	٢٧٠ر٢	١٢٦ر٧	١٠٢٨ر٦	١١٦ر٩
٦٧/٦٦	٨١١ر٠	١٢١ر١	٢٨٢ر٤	١٣٢ر٤	١٠٩٣ر٤	١٢٤ر٣
٦٨/٦٧	٩١٩ر٨	١٣٨ر٠	٢٩٢ر٣	١٣٧ر١	١٢١٢ر١	١٣٧ر٨
٦٩/٦٨	٩٩٥ر١	١٤٩ر٣	٣١٣ر٦	١٤٧ر١	١٣٠٨ر٧	١٤٨ر٨

[x] الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء « المؤشرات الاحصائية » ١٩٥٢ ـ ١٩٦٢ ـ ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٠ ـ صفحة ١٢٣

جدول رقم (٦) ×

تطور القيمة المضافة فى الانتاج الصناعى ٢٥ عاملا فأكثر فى السنوات ٦٦/٦٧ الى ٦٩/٧٠

القيمة بالمليون جنيه

السنة	قطاع عام		قطاع خاص		جمـــــلة	
	قيمة	رقم قياسى	قيمة	رقم قياسى	قيمة	رقم قياسى
٦٧/٦٦	٣٩٢	١٠٠	٣٨	١٠٠	٤٢٩	١٠٠
٦٨/٦٧	٤٢٨	١٠٩	٣٠	٧٩	٤٥٨	١٠٧
٦٩/٦٨	٤٨٤	١٢٤	٥٣	١٤١	٥٣٧	١٢٥
٧٠/٦٩	٥٠٥	١٢٩	٩٣	٢٤٦	٥٩٨	١٣٩

[x] الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء « الانتـاج الصناعى الربع سنوى فى المنشآت ٢٥ فأكثر •

يتبين لنا من هذه الدراسة ان « التطبيق الاشتراكى » من أعلى يحرفها عن مسارها ما لم يكن مصحوبا بوعى سياسى • وما لم تع فيه كل طبقة مصالحها فى اطار من التحالف • وعليناان ندرك ان البورجوازية من الباطن استطاعت ان تحقق اغراضها واستغلت لصالحها قوانين التأميم وتسعى الى تمييع قضية الصراع الطبقى بدلا من فتح الحوار لحلها سلميا • وتعمل على أن ينتشر الفكر البورجوازى حتى بين الطبقات العاملة •

وعندما تسود ايديولوجية بورجوازية الباطن، عندئذ لا تحتل متطلبات المعركة والتنمية الاولوية على ما عداها وتنتشر بين الطبقات روح « هل من مزيد » من الكسب والربح والدخل • يسود ذلك فى الوقت الذى يكون المطلوب فيه فرض انماط من الحياة التى يسود فيها التقشف لتعبئة أكبر قدر من المدخرات ، للمضى فى حرب التحرير وفى التنمية فى نفس الوقت • لتحرير الارض ولخلق فرص عمل لن لا عمل لهم • أو من يعملون جزئيا •

ولعل الكشف عن ظاهرة البورجوازية مـن الباطن يكون بداية لدراسات منهجية تتناول هذه الظاهرة المعقدة بالتحليل لوقف آثارها الضارة ويمكن أن تكون البداية الصحيحة هى فى توفير جو من الديمقراطية الحقة يسمح بتجمعات طبيعية تدير فيما بينها • ومع الطبقات الاخرى حوارا يحقق تطويرا وحلا سلميا للمتناقضات قبل أن تتراكم وتتعقد وتصبح عصية على الحل •

أوربا الغربية ...

موقعها من حركة التحرر العربى

سنوات قليلة على رحيل الاستعمار الاوروبى لا تكفى لطمس بصماته الدامية على الارض العربية .. فقد سقط ملايين الشهداء ونهبت الثروات واستذل الانسان وزرع التخلف الاقتصادى والثقافى .

وخلال صراعنا الطويل ضد الاستعمار كانت بعض القوى تنشد خلاصا على أيدى « بدائل » من نفس النوع ، فحينا تتطلع الى تركيا أو تعلن آمالا على المانيا الهتلرية أو ترنو الى أمريكا زعيمة العالم الحر !

واستقت الشعوب وعيها من خبراتها ، فأصبحت تدرك أن كل هذه النظم وغيرها ، التى تنتمى الى نفس « الفصيلة » الامبريالية هى على حد سواء ، قد تختلف الاساليب أما الهدف فلا يختلف والمصير واحد .

لذلك فان القوى الثورية عندما تضع استراتيجيتها وتحدد وترتب موقعها وموقفها من القوى المعادية والحليفة، الرئيسية والثانوية تضع فى اعتبارها أولا وقبل كل شىء طبيعة النظام أو الوضع الاجتماعى لهذه القوى . وهى قد تستفيد بصفة ثانوية من التناقضات القائمة داخل المعسكر الامبريالى ، ولكنها لا تقيم أبدا تحالفا مع دول استعمارية .

من هذا المنطلق تقدم « الطليعة » دراستها فى هذا العدد ، عن أوروبا الغربية .



مــــاذا تملــك أوربـــا الغربيـــة بالنســبة لأزمة الشرق الأوسط؟

محمد سيد أحمد

لم تكن أوروبا الغربيـــة أبـــدا بنفس تمـادي الولايات المتحدة في تأييد اسرائيل ــ بلا تحفظ ــ قبل ، واثنــاء ، وبعد عدوانها في ٥ يونيو ســنة ١٩٦٧ .. فان أوروبا ، وليست أمريـكا ، كانت الساحة الرئيسية لاضطهاد اليهود ، بوجه خاص أثناء الاحتلال النازى . ولكن كان لهذا الاضطهاد جذوره البعيدة ، منذ قضية « **دريفوس** » الشهيرة في فرنسا عام ١٨٩٤ [١] ، وبعد ان بلغت حملات اضطهاد اليهود ذروتها ، ابتداء من منتصف القرن الماضى فى روســيا القيصرية وبعض بلدان أوروبا الشرقية . وكان هذا الاضطهاد لليهود ــ الذى لم يجد له مثيلا فى تاريخ الولايات المتحدة ــ **منبت النظرية الصهيونية** ، ومصــدر تعقد « **القضيــة اليهودية** » ، كأحــد المظــاهر البــارزة لاحتدام الاضطهاد العنصرى ، المصــاحب لتفاقم تناقضات الرأســمالية الامبريالية . وكل هــذه العوامل ، وبالذات « عقــدة الذنب » التى نجمت عن تخلي أوروبيين كثيرين عن اليهود أثناء الاضطهاد النازى كانت ترشـــح أوروبا الغربية ، أكثر من أمريكا ، لتبنى مزاعم الصهيونية واسرائيل . ولكن العكس هو الذى حــدث ، **الامر الذى يضــفى على تأييد الغرب لاسرائيل صفة « المصلحة السياسية » أكثر مما تدعيه دعايات الصــهيونية عن ان القضـــية « أخلاقية » ، أو « انســانية » ، أو « مبدئية » ، أو غير ذلك من الدعاوى التى تحرص هذه الدعايات على تغذيتها ــ بشكل لا ينقطع ــ ايضا لاغراض سياسية ومصلحية .**

ظاهرة .. لهــا تفســيرها

ومع ذلك ينبغي ان نســلم بأن بعض البلدان الاوروبية الغربيـــة أســيرة الدعايات والدعاوى الصــهيونية على نحو لا يقل عن قطاعات عريضة من الراى العــام الامريكي . فان هولندا مثلا ، أو

[١] ضابط يهودى فرنسى ، لفقت ضده تهمة التجسس ، وحكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة عام ١٨٩٤ ، وبرىء عام ١٨٩٩ بعد ان كانت قضيته سببا فى تقسيم فرنســـا الى انصار وخصوم له ، معسكر الخصـــوم كان يمثل اليمين المتعصب العنصرى ، وضم معسكر الانصار اليسار الراديكالى المعادى للاضطهاد العنصرى .

سويسرا ، أو المانيا الاتحادية ، متاثرة الى أبعد حد بهـذه الدعايات . كمـا تحتفظ هـذه الدعايات بانتشارها الواسع ، واثرها الفعال في ايطاليا ، وانجلترا ، وحتى في فرنسـا . وهـذه مسـائل لا يجـوز ان نغض النظر عنهـا ، أو نهـون من شـأنها .

ورغـم ذلك ، كان لاوروبـا الغربيـة [في مجموعها] طوال هـذه السـنوات الخمس التي تفصـلنا عن عدوان يونيو سـنة ١٩٦٧ ، موقف [على الاقل على مستوى الحكومات] ، أخذ يتباعد نوعا وبالتدريج عن موقف التـأييد لاسرائيل ، بل كان لفرنسا الديجولية — على سبيل المثال — ومنذ البـداية ، موقف يتسـم بالانصـاف وبالرؤية الصافية ، موقف سرعان ما اصـطدم مع الدوائر الحاكمة في اسرائيل ، رغم ان فرنسا كانت شريكة اسرائيل في العـدوان الثلاثي على مصر في سنة ١٩٥٦ .

ماهو تفسير هذه الظاهرة ؟

❶ طبعا في مقدمة الاعتبارات التي تحكم موقف غـرب أوروبا ، الاختـلاف النسـبي بين موقف « الاستعمار القديم » و « الاستعمار الجديد » .. كانت انجلترا وفرنسـا تجسدان « **الاسـتعمار القديم** » ، دفاعا عن مصـالحهما « الامبريالية » ، وهما تشـاركان مع اسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، انتقاما **لتأميم مصر** شركة قناة السويس ، وبأمل اسـتعادة هذه المصـالح « الإمبرياليـة » . وكانت أمريـكا وقتـذاك ، بمعارضـتها للسلوك البريطـاني — الفرنسي ، وبتدخلهـا لدى المعتـدين لحثهم على الكف عن اسـتخدام هـذه الاساليب الفجة للحفـاظ على مواقعهم الاسـتعمارية ، انمـا كانت تمثـل « **الاسـتعمار الجديد** » ، الذي وجد تجسيده بعد ذلك في « **مشروع ايزنهـاور** » ، ومحاولة أمريكا « ملء الفراغ » الناجم عن فقدان بريطانيا وفرنسا — بعـدوانهما الفاشـل — الكثير من مواقعهما السابقة في قطاع واسع من العالم العربي ..

أما في عام ١٩٦٧ ، فقد تبادلت هذه الاطراف الغربيـة الادوار .. فكانت انجلترا ، وفرنسـا بالذات ، قد تعلمتا من تعـاظم حركة التحرير في العالم العربي ، وفي أفريقيا وآسيا ، ان الاساليب القديمة لم تعد تجـدي ، فبين عام ١٩٥٦ ، وعام ١٩٦٧ ، نالت معظم دول القـارة الافريقيـة استقلالها ، وبلغت هذه الحركة ذروتها عام ١٩٦٠ وفرنسا التي تكبدت هزيمتين ساحقتين في الهند الصينية وفي السـويس ، وتعلمت من تجربة الجزائر بالذات ضرورة انتهـاج سـياسة تختلف نوعيا عن سياساتها السابقة حيال الدول الحديثة الاستقلال ، حتى تسـتطيع ان تحتفظ بامتيازات خاصـة لها داخلها . وربما كان من أبرز قسمات السياسة الديجولية ، ادراكها مبكرا لهذه الضرورة واستخلاصها الدروس اللازمة من تجربة الجزائر التي انعـكست بآثارهـا على الواقـع الفرنسي الداخلي ، على نحو لا يقل عما تعانيه أمريكا الان من جراء حرب فيتنام .. فأصبحت فرنسا ، والى حد ما انجلترا ، هما اللتان تمرستا في سياسات أقرب الى ما يسـتدعيه الحفـاظ على مصالحهما الرأسمالية بأسـاليب أكثر تكيفا لظروف العصر ، وهو ما يمكن تسـميته بخـواص « **الاسـتعمار الجديد** » العصرية . واصبحت أمريكا ، التي ورثت مراكز كثيرة في العـالم الثالث ، من جراء تقلص مراكز الامبراطوريات الاوروبية السـابقة ، هي التي أصبحت تجسـد في سياساتها « **الاستعمار القديم** » .. وما ينطبق على فرنسـا وانجلترا ، ينسحب أيضا — بدرجات متفاوتة ، وبأشـكال مختلفة — على دول أوروبا الغربية الاخرى ، التي أخذت تتقارب وتتداخل مصـالحها وسياساتها مع زيادة اندماج هذه الدول اقتصاديا وسياسيا داخل اطار السوق الاوروبية المشتركة .

لقد كانت اسرائيل « القاسم المشـترك » ، في الوقوف دائما في صف الاستعمار ، ولكن اقرب حلفائها ، وهي تمارس وظيفتها كوكيل واداة ورأس رمح للمصـالح الاسـتعمارية عموما ، هم هؤلاء الذين مثلوا المصالح الاسـتعمارية بأكثر صورها عدوانيـة ، ورجعيـة ، وعـداء لحركة التحرير العربية في هذا الوقت أو ذاك .

❷ لم تـكن أوروبا الغربيـة تريـد ان تترك السـاحة العربيـة مفتوحة للدول الاشـتراكية وحـدها ، ولم تكن تريد ان تبـدو هـذه الدول الاشتراكية كأنها هي وحدها التي تقف في الصف العربي ، حتى لا تبدو المواجهة على انها مواجهة بين الرأسـمالية والاشـتراكية ، وان اسرائيل وحدها تمثل مصالح « الغرب » الاستعماري ، مما لا يترك للدول العربيـة غـير ان تحتمي بـدول المعسكر الاشتراكي .

ومن هنا كانت سياسة ديجول بعيدة النظر ، برفضه منذ البداية ان ينحاز الى جانب اسرائيل .. وبدت فرنسا بفضله داخل المعسـكر الغربي ، كدولة اتسمت « بالانصاف والعدل » ، واحتفظت بكباريها مع العـالم العربي الذي اعترف لها بهذا الجميل ، كما وجدت سياسة فرنسا تأييدا من كافة القوى العربية التي لم تكن تريد له يقتصر كل تأييد

له شأنه خارج العالم العربى على قوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى ، والقوى الدوليــة عموما التى تعادى الغرب .

كذلك كان من شأن العدوان استعادة الوطنية العربية قوتها ، وخاصــة فى داخل الدول العربية التى فقدت جزءا من أراضيها . ومن شأن المنطلق الوطنى ان « يرفع صوت المعركة فوق كل صوت آخر » ، وان يضع مشكلة « ازالة آثار العدوان » واســترداد الارض المحتلة فى مقدمة كافة المهام الاخرى ، بما فى ذلك **مهام التحول الاجتماعى** التى تعتبر الاســـاس الاول لدعم الدول الاشتراكية ، وهو المنطلق الذى يــرى فى النزاع العــربى ـــ الاسرائيلى صــورة من صــور النزاع الدولى بين الاســتعمار وأدواته من جانب ، وحركة التحرير العربية من الجــانب الاخر . وهناك فى الغرب ، قوى لا شــك ، من مصــلحتها تشجيع النزعات الوطنيــة التى تعتبر نفســها منتمية الى منطلق « التحول الاجتماعى » ، كما من مصلحتها تشجيع الاعتقــاد بأن اســترداد الحق الوطنى ربما يكون أيسر اذا تخلت الدول العربية عن ارتباطها القوى بدول المعسكر الاشتراكى . وان استرداد القضية الوطنية لاهميتها يمــكن ان يكون أســاسا لابعاد النظم التقدمية العربيــة عن التركيز على منطلق التحول الاجتماعى ، مما يستجيب لمصالح الغرب فى الحــد من الظواهر التى من شــأنها اغلاق القنوات التى من خلالها يمكن للاحتكارات الدولية الكبرى الاحتفاظ بوجود لها داخل العالم العربى ، أو استعادة الغرب قدرا من نفوذها السابق .

٣ لاوروبا الغربية ـــ تحديدا ـــ مصالح معينة معطلة أو مهددة ، بسبب استمرار تعثر الازمة ، دون ظهور أية بــوادر تنبىء بتســـويتها فى أى مســـتقبل منظور . فمن المحقق ان دول أوروبا الغربية ـــ خلافا للولايات المتحدة ـــ لها مصــلحة فى التعجيل باعادة **فتح قنــاة السويس** ، كشريان حيوى لمصالحها الاقتصــادية عموما ، وانفتاحها على آســيا والشرق الاقصى ، ولا لمجرد استيراد البترول ـــ على أهميته البالغة ـــ ذلك ان هــذه الدول ظلت طوال السنوات الخمس الماضية منذ نشوء الازمة ، أهم مستهلك **للبترول العربى** ، بما فى ذلك البترول المستخرج من الدول العربية التى لا تطل على البحر الابيض . وحتى لو ســلمنا بأن ناقلات البترول الضخمة أصبحت بوسعها أن تنقل البترول من منطقة الخليج ، ومن ايــران والعراق عبر جنوب القارة الافريقية ، وخففت بالتالى من الازمة الخانقة التى تعرضت لها أوروبا ـــ بسبب النقص فى المخزون من البترول المتاح للاستهلاك ـــ بعد اغلاق القناة فى عام ١٩٥٦ ، واذا صح كذلك ان مشــاريع أنابيب البترول عبر مصر أو شــبه جزيرة سيناء ، من شأنها ايضا التخفيف من حــدة المشكلة الان [مشروع اسرائيل فى هذا الصدد من أشدود الى عسقلون ، أو المشروع المزمع اقامته فى مصر] ، الا ان كل هذه القنوات لربط المحيط الهندى بالبحر الابيض المتوسط لا تعوض عن فتح القناة كممر مائى يحتفظ بأهميته لاغراض لا تقتصر على البترول وحــده ، بعد تعــاظم دور الدول الاسيوية والافريقية فى التعاملات الدولية ، وبعد فقد العواصم الاوروبية صفة المقرر وحدها لمصائر المناطق المتخلفة من العالم .

كذلك لاوروبا الغربية مصلحة فى التخفيف من حدة الازمة ، والتعجيل بايجــاد حل لها ، بعد ان أصــبح البحر الابيض المتوسط [وهو البحر الذى يشكل الحد الجنوبى للقــارة الاوروبية] **ســاحة لمواجهــة بين الاســـطول الســادس الامريكى والاسطول السوفيتى** ، وان استقطاب الأساطيل فى هــذه المنطقة ، ووجود موانى بالبحر الابيض المتوســط على اســتعداد لايــواء وتمــوين كلا الاســطولين ، من شــأنه فى نظر عواصم غرب أوروبا ان يضــيف بعدا جديدا الى الاخطار التى تتهدد أمنها . ذلك ال دون القارة الاوروبية عموما قد اتسمت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بوجود خط محدد المعــالم يفصل الدول الرأســمالية من الدول الاشتراكية فيها ، واثبتت التجارب ان هذا الخط الفاصل **مستقر** ، وليكن فقط بسبب التوازن الاستراتيجى والعسكرى بين جانبى القارة . أما الان ، فان تعاظم شأن الاستقطاب بالاساطيل بين أمريكا والاتحاد الســوفيتى فى جنوب القــارة ، أصــبح يقلق قــادة دول غرب أوروبا من موقف يضعها بين قوى تنتمى الى المعسكر الاشتراكى فى شمالها الشرقى وفى جنوبها فى آن واحد ، وهو **أمر قد لا يعرض مصــيرها الاجتمــاعى ـــ كدول رأسمالية ـــ « لاخطار » فى مواجهة الاشـــتراكية فحسب ، بل من شأنه كذلك الحد من حرية حركتها ومن مطامعها فى تأكيد اســتقلاليتها النسبية ازاء الولايات المتحدة الامريكية كذلك** .

٤ فوق هــذه الاعتبــارات ، لعواصم أوروبا الغربية طموح فى استخدام البحر الابيض المتوسط لا كحاجز يعزلها جنوبا ، بل كمعبر لهــا تنفتح به على شمال أفريقيا ، والقــارة الافريقية عموما . لهــذا الطموح أبعــاد مختلفة ، أيديولوجيــة ، وجغرافية ، وسياسية ، واقتصادية وكلها تلتقى فى أن عواصم أوروبا الغربيــة ترى انه من حقها اعادة بناء علاقاتها مع افريقيــا على أسس أكثر تكيفا لظروف العصر ، بعد انهيــار امبراطورياتها السابقة ، وان امتدادها الى افريقيا عملية حيوية

من وجهـــة نظرها ، فى وجــه أمريكا والاتحــاد السوفيتى على حد ســواء . وتدرك دول أوروبا الغربية ان هذا الامتداد الى أفريقيا تتسع فرصه بقدر نجــاحها فى ان تنهض بدور مؤثر فى انهاء أزمة الشرق الاوســـط ، وفى دعم علاقاتهـــا مع الدول العربية فى شـــمال القارة ، ذات الصــلة الاكيدة بالازمة ومضاعفاتها .

ان من ابرز ما أصـــبح يقلق دول الســـوق الاوروبية المشتركة بعد لقاء القمة فى موسكو بين نيكسون والقادة السوفييت ، ان أى اتفاق يوفق الطرفان فى انجـــازه ، يضعف من الوزن النسبى للعواصم الاوروبية فى تقرير مصـــائر السياسات الدولية ، ومن هنـــا حرص هذه العواصم الخاص بتعزيز مواقعها فى كل منطقة تســـتطيع ان تمتد اليها .

اتجاه التجانس .. له آثاره

كمـــا تدرك هـــذه العواصم كذلك ان أوروبا الغربية **كوحدة متجانســـة العناصر** ، قادرة على النهوض بدور له ســـماته المميزة والمســـتقلة فى العالم ، **لا تزال حلمـــا بعيد المنـــال** ، وان عوامل الاحتكاك فى تحقيق « الاندماج الاوروبى الغربى » تكاد تتساوى فى الاهمية مع عوامل التقارب بين دوله . واذا صـــح ان دور أمريـــكا والاتحـــاد الســـوفيتى فى تقرير مجريات الوضـــع الدولى يتعاظم شأنه ، بالمقارنة الى الاطراف الاخرى ذات وزن على مسرح السياسة الدولية ، بقدر ما ينجز من اتفاقات بينهما ، وأيا كان مدى الاختـــلاف فى منطلقتهما الاجتماعى والعقائدى ، وان هذا أمر من شـــأنه **تقريب** دول أوروبا الغربيـــة فيما بينها ، وتعزيز اتجاهاتها نحو الاندماج .. فمن الصحيح أيضـا ان موقفا دوليا تتعدد فيه أوجه التعاون بين أمريكا والاتحاد السوفييتى ، من شأنه ايضا ان يخفف من جوانب التوتر فى العالم .

وكل انفراج أو استرخاء فى العلاقات الدولية لابد ان يكون له تأثيره على دول أوروبا الغربية فى اتجاه يعاكس مســـاعيها للاندماج ، وينشط أوجه التنـــافس والتزاحم بينها . **وهكذا تشـــهد دول أوروبا الغربية فى آن واحد اتجاهات تسعى الى الاندماج ، تصاحبها اتجاهـــات أخرى تعمل فـــى الاتجاه العكسى ، وتتداخل كل هـــذه الاتجاهات على نحو يحد من فعـــالية أوروبا الغربيـــة ككتلة متجانسة ذات أثر فعال ، وذات قدرة على النهوض بـــدور مميز ومؤثر فى مســـتقبل منظـــور .** وما ينسحب هنا على سياسات أوروبا الغربية ككيان دولى له سماته المميزة ، بشكل عام ، **ينطبق أيضا** على سياســـاتها من ازمة الشرق الاوســـط بوجه خـــاص .

ســـــؤال الـوقت

فى ضوء هذه الحقائق ، يمكن طرح التساؤل : ماذا تملك دول أوروبا الغربية فعله بالنسبة لازمة الشرق الاوسط فى الظروف الراهنة ؟

الامر الذى يبدو واضحا ان دول غرب أوروبا **تريـــد ان تنهض بدور فى أزمة الشرق الاوسط** ، ربما أكثر مما **تقدر** ان تقوم به .. كما **تريد** الدول العربية ان تنهض دول غرب أوروبا بدور ، ولو لغرض واحد ، وهو الا يكون اعتمادها على نوعية محددة من الدول ، هى تلك التى تنتمى الى قـــوى الاشتراكية والتحرر فى العـــالم ، وحتى لا يتخذ النزاع العربى ـ الاسرائيلى ، بما ينطوى عليه من ابعاد **وطنيـــة** فى مواجهة العـــدوان الاسرائيلى ، صـــفة النزاع بين قوى الاشـــتراكية من جانب ، وقوى الرأسمالية الامبريالية من الجانب الاخر .

وهذا التلاقى فى الارادة ، ارادة دول غرب أوروبا من ناحية ، وارادة الدول العـــربية من ناحية أخرى ، يجد ترجمة له فى بيانات وقرارات وتوصيات اصدرتها هيئات عديدة تمثل اجهـــزة أوروبا « المندمجة » [السوق الاوروبية المشتركة أو غيرها] ، وهى بيانات وقرارات زادت على مر الاعوام قوة ووضوحا فى تأكيد ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن ، وعدم جواز الاستيلاء على أراضى دول أخرى بطريق القوة ، الخ .. وقوبل هذا الاتجاه من قبل غرب أوروبا ، بترحيب واضح من الدول العربية ، وأكدت هذه الاخيرة ضرورة تشجيعه كاتجاه .. وهو اتجاه لاشك له ايجابياته ويستحق التشجيع . **غير أنه لا يستطيع فى حـــد ذاته ان يكون حاسما ، سواء فى التوصل الى حل سياسى للازمة ، أو لتوفير مقومات حـــرب التحرير لاسترداد الارض المحتلة بطريق الحـــل العسكرى .**

لقد كان لفرنسا الفضل فى اقتراح الاجتماعات الرباعية [**الولايات المتحدة ـ الاتحاد السوفيتى ـ فرنسا ـ انجلترا**] ، لتنشيط مهمـــة جونار **يارنج** ، والتعجيل بايجاد منطلق للحل بمقتضى بنود قرار مجلس الامن ، وكان الاقتراح تعبيرا عن فكرة نهوض الاعضاء الدائمين بمجلس الامن

دور ، كما كان تعبيرا عن الرغبة فى عدم قصر هذا الدور على الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وحدهما ، وبرز الاقتراح وكأنها كان ينطوى على معنى ان مشاركة أوروبا الغربية ، بجانب الدولتين الكبريين ، هو تأكيد لمعنى البحث عن حل للازمة انما يتم من خلال اجهزة الامم المتحدة ، وعلى نحو يصبغ على هذا الهدوء صفة العمل من خلال الشرعية الدولية . ومع ذلك ، فقد أثبتت تجارب السنوات الاخيرة أن هذا الاقتراح وغيره من الجهود المماثلة التى بذلتها دول مختلفة من أوروبا الغربية ، لم تكن قادرة على بلوغ نتائج ملموسة فى تحريك الموقف ، مما يبرزا صورة امكانيات أوروبا الغربية فى أن تكون عنصرا فاصلا فى اخراج الازمة من تعثرها .

أما عن الدور الذى تملك دول أوروبا الغربية، النهوض به فى الاعداد لمعركة عسكرية مع اسرائيل ، فمن المقطوع به ان هذه الدول لن تزود العرب بأسلحة تعرض اسرائيل — كدولة — لخطر ، وان كان بعضها على استعداد لبيع أسلحة للعرب ، كصفقاتتتسم ، بصفة تجارية ، وكوسيلة لتنشيط انتاج مصانع السلاح ، والتغلب على ما قد تتعرض لها من مشاكل فى ايجاد أسواق لمنتجاتها ، ولكن على نحو لايحدث تغييرا محسوسا فى التوازن العسكرى بالمنطقة .. ومما هو جدير بلفت النظر اليه أن مصادر السلاح الغربية ، خلافا لمصادر السلاح من الدول الاشتراكية ، هى شركات خاصة تتعامل كثيرا من خلال وسطاء . ومنهم العناصر المريبة التى لمصر سوابق فى توريدهم سلاحا غير صالح للاستخدام .. هذا فضلا عن أن السلاح الغربى يختلف نوعيا عن اسلحة الدول الاشتراكية ، وتهيئة الظروف لاستخدامه بكفاءة تقتضى أنماطها الخاصة للعمل العسكرى التى تخالف الانماط والتشكيلات المطابقة لمواصفات السلاح المستورد من الدول الاشتراكية .

مما سبق يتضح أن أوروبا الغربية ترغب فى أن تنهض بدور ، ولا يجوز بأى حال اغفال أو تجاهل هذه الرغبة ، أو عدم استثمار هذا الاستعداد على النحو الافضل ، غير أن هذه الرغبة تفوق قدراتها الفعلية فى انجاز دور حاسم أو مؤثر بشكل فعال فى ادخال تغييرات أساسية على ملامح المواجهة ، سواء بالاعداد لسلم عادل، أو بتوفير مقومات خوض الحرب العادلة فى تحرير الارض واسترداد الحق بقوة السلاح .

العضو « رقم ١٦ »

في حلف الأطلنطي

المفتاح الرئيسي الى دور الحلف في الشرق الأوسط

سمير كرم

لا تنفصل نشأة « منظمة حلف شمال الاطلنطي » انفصالا تاما عن ظروف منطقة الشرق الاوسط . ولهذا لابد في محاولة التصدى لمسألة دور هذا الحلف ازاء العالم العربي وازاء ازمة الشرق الاوسط - وبالتعبير الاصوب ازاء قضية تحرير الارض العربية - من الحفر تحت جذور نشأة الحلف من البداية . ويحتاج الامر في تناول نشأة هذا الحلف ان يكون النظر اليها هذه المرة من زاوية نظر هذه المنطقة . فقد عولجت نشأة تحالف الاطلنطي من زاوية النظر الاوروبية معالجة متعددة وشاملة . بمعنى أن الدعايات الغربية - الاوروبية والامريكية على السواء - تحدثت كثيرا عن خطر « التوسع الشيوعي » لتبرير انشاء حلف عسكري غربي بعد نهاية الحرب العالمية ، وقيل الكثير في هذا المجال عن « مخاوف » الغرب بعد صعود الاحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية تباعا . ولكن الامر الذي أكدته أحداث السنوات التالية أن اصطلاح « التوسع الشيوعي » لم يكن المقصود به فقط تولى الاحزاب الشيوعية السلطة في البلاد الاوروبية فحسب ، بل كان المقصود به اتساع كل حركة التحرر الوطني في العالم وبوجه خاص في أقرب المناطق الى أوروبا - قلب التحالف الغربي - والتي تشكل ظهيرا جغرافيا للدول الاشتراكية الجديدة والدولة الاشتراكية الاولى للاتحاد السوفيتي .

وقد اتضحت حقيقة مناوأة حلف الاطلنطي - وهو لايزال مشروعا يبحث في مجلس الشيوخ الامريكي ويناقش في مجلس العموم البريطاني - لحركة التحرر الوطني في العالم والمناطق المحيطة بأوروبا بالذات من مجرد ابتعاد أصحاب مشروع الحلف أنفسهم عن فكرتهم الاصلية ،وكان التصدى لاى احياء للنازية الالمانية . وقد قادت الولايات المتحدة بنفسها نبذ فكرة التأييد في انشاء هذا الحلف على التصدى لاى عدوان ألماني مجدد .

والواقع أن تعبير « الاستقلال السياسي » له دلالة خاصة في قاموس حلف الاطلنطي . فانه اذا تولت السلطة في بلد ما حكومة اشتراكية أو حكومة تتبع « الطريق غير الراسمالي » على أية صورة من صوره ، أو تشترك في تشكيلها الطبقة العاملة ، فانها تكون بالمفهوم الغربي الاطلنطي قد فقدت استقلالها السياسي . وبهذا المفهوم نفسه فان الحلف يعطى لنفسه حق التدخل للدفاع عن اى « تهديد للاستقلال السياسي » لمثل هذه الدولة .

ومما يؤكد أن حلف الاطلنطى انما أسس منذ البداية ليكون جزءا من الحزام العسكرى الكبير للامبريالية الامريكية ضد حركات التحرر الوطنى بالدرجة الاولى ، هو انه انشىء والولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تملك السلاح الذرى . أى أنها كانت - حتى من وجهة النظر الغربية البحتة - تتمتع بتفوق استراتيجى حاسم على الدولة الاشتراكية الكبرى التى تزعم أن « الخطر الشيوعى » قادم من ناحيتها .

١٩٤٨ عـــام التكـــوين

لحلف الاطلنطى واسرائيل معا

وليس من قبيل المصادفة أن ندرك - اذا نظرنا الى نشأة الحلف من زاوية رؤيتنا نحن فى العالم العربى - أن عام التكوين بالنسبة لحلف الاطلنطى كان عام ١٩٤٨ ، وهو نفسه العام الذى شهد تحولا خطيرا فى تاريخ المنطقة باقامة اسرائيل فيها وربطها بالاستراتيجية الغربية - العسكرية والسياسية - وان لم يتم ذلك أبدا بطريقة رسمية وانما ظل ارتباطا عمليا قويا . وهو أمر اتضحت معالمهفى حدثين أساسيين : اولهما حملة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وثانيهما العدوان الاسرائيلى على الدول العربية عام ١٩٦٧ .

هذا من الناحية التاريخية ، أما من الناحية الجغرافية فان الامر أكثر دلالة ووضوحا . ومن أشد الامور غرابة أن أكبر رجال الاستراتيجية الغربية يتحدثون عن « النطاق الجغرافى » لحلف الاطلنطى باستمرار بطريقة تنطوى على ابهام وغموض كبيرين . فهم لا يريدون الزام الحلف بنطاق محدد لعملياته العسكرية ومجال نشاطه . فنجد أن دين راسك وزير الخارجية الامريكى السابق يقول (فى محاضرة جامعية فى ٦مارس ١٩٦٥) : « **لا تستطيع مجموعة دول أوربا وشمال الاطلنطى الحفاظ على أمنها بمجرد الصمود على خط عبر أفريقيا . ان أمنها المشترك يتوقف أيضا على ما يحدث فى أفريقيا والشرق الاوسط وأمريكا اللاتينية وجنوب آسيا وغرب المحيط الهادى** » .

ويقول **مانليو بروزيو** السكرتير العام السابق لحلف الاطلنطى - فى محاضرة أمام جمعية العلوم السياسية فى بون فى أبريل ١٩٧١ - انه من الصعب تحديد ما هى منظمة حلف الاطلنطى فى شكلها الحالى !

فاذا رجعنا الى ما تنص عليه « معاهدة حلف شمال الاطلنطى » نفسها - التى أصبحت نافذة المفعول فى ٢٤ أغسطس عام ١٩٤٩ - بحثا عن تحديدها للنطاق الجغرافى لنشاط الحلف ، وجدنا أن المادة السادسة من المعاهدة تنص على ما يلى : « **لاغراض تنفيذ المادة (٥) فان أى هجوم مسلح على واحد أو أكثر من الاطراف الموقعة يقصد به أن يتضمن هجوما مسلحا : (١) على أرض أى من الاطراف فى أوروبا أو أمريكا الشمالية أو على أراضى تركيا أو الجزر التى تقع تحت سلطة أى من الاطراف فى منطقة شمال الاطلنطى الى الشمال من مدار السرطان ؟ (٢) على القوات المسلحة أو السفن أو الطائرات التابعة لاى من الاطراف وهى داخل أو فوق هذه الاراضى أو فى أى منطقة فى أوروبا ترابط فيها قوات احتلال من أى من الاطراف فى تاريخ بدء تنفيذ هذه المعاهدة على البحر الابيض المتوسط أو منطقة شمال الاطلنطى الى الشمال من مدار السرطان** » .

وتكفى نظرة سريعة على خريطة العالم لندرك أن حلف الاطلنطى يضم فى نطاقه الجغرافى بهذا المعنى كل دول الشمال الافريقى ابتداء من المغرب الى مصر ، وكل دول المشرق العربى الواقعة على الخط الموازى لحدود مصر الجنوبية .

ومن الجدير بالاهتمام أن المادة السادسة من معاهدة حلف شمال الاطلنطى - وهى الخاصة بتحديد نطاقه الجغرافى - هى المادة الوحيدة التى أدخلت عليها تغييرات متعددة منذ انشاء الحلف من بين كل مواد وبنود المعاهدة . وقد كان أحد أسباب هذا التعديل ضم اليونان وتركيا الى الحلف عام ١٩٥٢ ، وبعد انضمامهما اعتبرت « كل منطقة البحر الابيض المتوسط » جزءا من النطاق الجغرافى للاطلنطى . وفى عام ١٩٦٢ عندما حصلت الجزائر على استقلالها - وبناء على طلب الحكومة الجزائرية نفسها - حذفت الاشارة الى « **المقاطعات الجزائرية لفرنسا** » من المادة السادسة .

وقد ظلت فرنسا على مدى ٨ سنوات كاملةتبذل كل جهدها لسحق حركة التحرير الوطنى فى الجزائر بقوة السلاح مستندة الى التأييد العسكرى والسياسى لكل حلف الاطلنطى . وكان اعتبار الجزائر جزءا من فرنسا فيما وراء البحار هو الذريعة لادخالها فى نطاق نفوذ الحلف واطلاق يد فرنسا وقوات الاطلنطى العسكرية فى المحاولات المستميتة لضرب حركة التحرر الوطنىالجزائرية .

وكانت بعض الفرق الفرنسية التى تحارب ضد الشعب الجزائرى فى حربه الاستقلالية فرقا تقع رسميا تحت قيادة حلف الاطلنطى ، ولم تكن القيادة العليا فى حلف الاطلنطى تتردد أبدا فى الموافقة على نقل قوات فرنسية تابعة لها من المانيا

الى الجزائر للقيام بدورها فى محاولة سحق حركة التحرر الوطنى الجزائرية .

على أن الحلف لم يشأ فى أى وقت أن يلزم نفسه بحدود معينة ، حتى انه فى ديسمبر عام ١٩٥٢ اعلن المجلس الوزارى للحلف فى احد قراراته أنه « يدرك أن مقاومة أى عدوان مباشر أو غير مباشر فى أى جزء من العالم هو اسهام جوهرى فى الامن المشترك للعالم الحر ... » والقرار بهذا النص يعنى أن حلف الاطلنطى يعطى لنفسه حرية الحركة والنشاط العسكرى فى كل جزء من العالم يقدر على الدخول اليه .

خمس قيـــادات أطلنطيـــة خاصة بمنطقة الشرق الاوسط

واذا ألقينا نظرة على هيكل القيادات العسكرية حلف الاطلنطى - وهى مقسمة حسب المنـاطق جغرافية - وجدنا بالمثل ان منطقـة الشرق لاوسـط - والعالم العـربى يشـغل معظـم مساحتها - تحظى باهتمام خاص ولها قيـادة واسعة يطلق عليها أسم « قيادة القوات المتحالفة لجنوب اوروبـا Afsouth ومقر هذه القيادة فى يطاليا .

وتنقسم هذه القيادة الى قيادتين بريتين :

١ - قيادة جنوب اوربا البرية Landsouth

٢ - قيادة جنوب شرق اوروبا Landsouth East

وبالاضـافة الى القيادتين البريتين تـوجد القيادات النوعية التالية :

١ - قيادة القوات الجوية لجنوب اوروبـا وتتفرع عنها قيادة اخرى للقوات الجوية المحمولة بحرا فى منطقة البحر الابيض المتوسط Marair Med

٢ - قيادة القوات البحرية لجنوب اوروبـا Nau South

وتتفرع عنها قيادة القوات البحرية الضاربة جنوب اوروبا Strike for South وهى تتكون فى أساس من الاسطول السادس الامريكى فى البحر الابيض المتوسط) .

٣ - القيـادة الدائمة للقوات البحريـة لحلف الاطلنطى فى البحر الابيض المتوسط .

ورغم وضوح هذه التقسيمات النظرية لقيادات حلف الاطلنطى فانه لم تكن هناك اية حدود فاصلة واضحة بين القوات المسلحة الوطنية الخاصة بكل من الدول الاعضاء فى الحلف والقوات الخاضعة لقيادة الحلف اى الخـاضعة لـلاستراتيجية العسكرية الامريكية بالدرجة الاولى . وهو أمر يعكس فى الحقيقة واقعا سياسيا . فان سيطرة الولايات المتحدة على دول اوروبا الغربية المتحالفه معها من خلال حلف الاطلنطى جعلت دول اوروب الغربية تشكل سياساتها ومواقفها ازاء مشكلات العالم المختلفة - بما فى ذلك مشكلـة الصراع العربى الاسرائيلى وفقا للمصالح الامـريكيه المسيطرة أكثر منه وفقا لمصالح الدول الاوروبيه نفسها .

ولهذا السبب نفسه فانه لم تكن لحلف الاطلنطى فى أى وقت منذ انشائه مهمة محددة او ملامح ثابتة لاهدافه . بل كما يقول واحد من كبـار الاستراتيجيين النظريين فى العالم الغربى وهو **الاستير بـوكان** (مـدير معهـد الدراسـات الاستراتيجية فى لندن)«انه من المهم للغاية ان يكون واضحا ان المهمة التى يؤديها حلف الاطلنطى تخضع لتعديل مستمر » . وهو يضرب مثلا على نوع التعديلات التى دخلت على مهمة الحلف خلال سنوات حياته « **بازدياد اهتمام الحلف بتركيز مزيد من مناقشاته على موضوعات مثل الرقابة على التسلح وتأثيرات الصراع فى مناطق مثل الشرق الاوسط وافريقيا عما كان عليه الامر فى السنوات الاولى للحلف . حين كانت هذه المسائل تعد من اهتمامات الدول الاكبـر** » . « اغـراض حلف الاطلنطى وتطوره مستقبلا » عدد فبراير - مارس ١٩٦٩ من مجلة « حلف الاطلنطى - دولة الخمس عشرة) .

والواقع ان اتساع وتركز اهتمام حلف الاطلنطى فى السنوات الاخيرة بالشرق الاوسط والتطورات القائمة فى العالم العربى يرجع فى المحل الاول الى فشل الحلف المركزى فى القيام بالدور الذى أرادت له الاستراتيجية العسكرية الامريكية العالميـة ان يقوم به فى المنطقة . وهو احتواء المنطقة عسكريا وسياسيا من خلال سلسلة من القواعد العسكرية للولايات المتحدة وبريطانيا بوجه خاص فى المنطقة ومن خلال سلسلة اخرى من القواعد السياسية تتمثل فى عدد من الحكومات التى ترتبط مصالحها بالمصالح الغربية فى المنطقة وتقوى شـوكتها بازدهار هذه المصالح . لقد فشل الحلف المركزى فى القيام بهذا الدور فى الشرق الاوسط امام ضربات التحول الثورى السياسى والاجتماعى التى وجهت اليه من مصر منذ انشائه حتى يمكن القول انه ولد ميتا . وقد أجهزت عليه تماما ثورة العراق فى يوليو عام ١٩٥٨ . ولما كان حلف الاطلنطى هو المؤسسة العسكرية الرئيسية لتنفيذ الاستراتيجية الامريكية فى العالم فقد كان من الطبيعى أن يزحف باهتمام اكبر بمنطقة الشرق الاوسط ليقوم مباشرة بالدور الذى كان الحلف المركزى (حلف بغداد سابقا) قد انشىء من أجل تنفيذه .

من نظرية الفراغ الى عدوان ١٩٦٧

ولقد كان دور حلف الاطلنطى ضد حركات التحرر الوطنى فى كل دول العالم الثالث القريبة منه والبعيدة عنه ، يزداد اهمية عن دوره التقليدى السابق فى مواجهة الاتحاد السوفيتى ومجموعة الدول الاشتراكية فى اوروبا ، ذلك انه عندما انشئ حلف الاطلنطى فى عام ١٩٤٩ كانت كل الدول الاعضاء الموقعة على معاهدته تملك مستعمرات عديدة لها فيما وراء البحار ، ولكن مع مرور الوقت نجد أن اثنتين من دول الحلف ـ هما **ايطاليا وبلجيكا** ـ قد فقدتا كل مستعمراتهما السابقة وبقيت لاثنتين أخريين ـ هما بريطانيا وفرنسا ـ مناطق تابعة صغيرة جدا • وازاء هذه التطورات البالغة الاهمية وفى خط مواز لها كانت الولايات المتحدة القوة الرئيسية الاولى ، وصاحبة الكلمة الاخيرة فى حلف الاطلنطى تبرز من وراء الدول الاستعمارية القديمة شريكتها فى الحلف للقيام بدور جديد هو التشبث بالسيطرة الاقتصادية على الدول التى حصلت على استقلالها السياسية وفى هذا الاتجاه وجهت الولايات المتحدة استراتيجية الحلف سواء فى منطقة الشرق الاوسط أو غيرها من مناطق العالم •

ومن هنا نشأت « **نظرية الفراغ** » التى نادت بها الولايات المتحدة بالتحديد فى عام ١٩٥٧ فى عهد رئاسة **دوايت ايزنهاور** بعد فشل حملة السويس الثلاثية على مصر • وكان القصد النهائى من نظرية « ملء الفراغ الذى تركته القوى الاستعمارية القديمة » هو أن تحل الولايات المتحدة محل تلك القوى المنسحبة • وكان هذا هو سر الازمة الدبلوماسية التى هزت حلف الاطلنطى من جذوره بسبب اختلاف الاهداف داخله بين الاستعماريين القدامى ممثلين فى فرنسا وبريطانيا ، والاستعماريين الجدد ممثلين فى الولايات المتحدة فى مواجهة «ازمة السويس » عام ١٩٥٦ ، فقد استخدمت قوات الحلف من قبل بريطانيا وفرنسا ـ ومعهما اسرائيل ضد مصر ، بينما رأت الولايات المتحدة انه لايتفق مع مصلحتها فى وراثة الاستعمار القديم فى المنطقة •

والحقيقة انه عندما قدم هذا التفسير لموقف الحكومة الامريكية من العدوان الثلاثى المسلح على مصر عام ١٩٥٦ لم يستسغه كثير من الواقعين تحت تاثيرات الدعاية الامريكية ـ فى المنطقة ، ولكن احداث المنطقة العربية فى السنوات التالية لهذا العدوان أكدت أن للولايات المتحدة خططها العدوانية الخاصة التى لا تتردد فى تنفيذها لها فى أن تستخدم امكانيات حلف الاطلنطى سواء الخاضعة لقيادتها مباشرة أو التى تخضع لقيادات اوروبية أخرى •

اتضح ذلك فى أحداث لبنان والاردن عام ١٩٥٨ ولكن من المؤكد أن عدوان يونيو ١٩٦٧ كان أكثر التطورات تأكيدا لتوظيف امكانيات حلف الاطلنطى دعم القاعدة الاسرائيلية باعتبارها القاعدة الاساسية لحماية المصالح الامريكية فى المنطقة خلق حالة تهديد مستمر لحركة التحرر العربية والثورة الاجتماعية فى الشرق الاوسط كله ، ولهذا كان توطد العلاقات بين اسرائيل والحلف خلال الفترة السابقة على عدوان يونيو ١٩٦٧ وبعده ـ وحتى الآن ـ جدير بنظرة تفصيلية •

ولا أحد ينسى تصريحات المسئولين الاسرائيليين فى الايام السابقة مباشرة على عدوان ١٩٦٧ عن شمول **اسرائيل بحماية الاسطول السادس الامريكى** • وهو القوة الضاربة الرئيسية ـ سواء من الناحية الجوية او البحرية ـ لحلف الاطلنطى فى منطقة الشرق الاوسط ، وهى تصريحات وجدت باستمرار تأكيدا لها فى بيانات المسئولين الامريكيين ابان الازمة التى سبقت العدوان، على الرغم من كل الجهود التى تحرص الولايات المتحدة واسرائيل دائما على بذلها لاخفاء آية علاقة بين اسرائيل والحلف الغربى •

ولقد كانت حادثة الهجوم الاسرائيلى الخطأ على سفينة التجسس الامريكية « **ليبرتى** » يوم ٨ يونيو عام ١٩٦٧ وهى ترابط أمام سواحل سيناء برهانا اكيدا على حقيقة العلاقة الخاصة التى تربط بين اسرائيل وحلف الاطلنطى • فقد كان من الطبيعى ـ وطبقا لنص المادة السادسة من معاهدة الحلف بوجه خاص ـ ان تعتبر الولايات المتحدة وكل دول الاطلنطى الهجوم الاسرائيلى على « ليبرتى » بمثابة هجوم مسلح عليها فتهب للرد على هذا الهجوم من جانب اسرائيل • وذلك حتى مع غض النظر عن دور « ليبرتى » فى مساعدة القوات الاسرائيلية فى عدوانها على مصر • وبدلا من أن تسارع الولايات المتحدة الى اتخاذ موقف الدفاع عن قطعها البحرية ضد اسرائيل سارعت الى قبول اعتذار اسرائيل عن الحادث •

وربما كان من المفيد أن نستعيد فى هذا المجال حقيقة ان حادثة مماثلة لحادثة « ليبرتى » قد أدت الى اعنف رد فعل عسكرى من جانب الولايات المتحدة ، ونعنى بها حادثة هجوم زوارق الطوربيد التابعة لفيتنام الديمقراطية على احدى المدمرات الامريكية فى خليج تونكين امام سواحل فيتنام الديمقراطية عام ١٩٦٤ • ان اختلاف نمط السلوك العسكرى والسياسى للولايات المتحدة فى حادثة «ليبرتى» امام سواحل سيناء عنه فى حادثة خليج تونكين الشهيرة يشهد على طبيعة العلاقة الخاصة

لاسرائيل والمرونة المطلقة بغير مبدأ فى تطبيق معاهدة حلف الاطلنطى ·

قنـــاة السـويس · · ·

والوجود البحرى السوفيتى

وربما كان أكثر التعبيرات صراحة عن أهمية اسرائيل الاستراتيجية لحلف الاطلنطى ودوره فى المنطقة ذلك الذى قاله الادميرال **بيريندبللى** قائد الاسطول الجنوبى لحلف الاطلنطى ـ قبل وقت قصير من قرار حكومة مالطة العمالية بطرده منها ـ فقد أعلن فى حديث لصحيفة اسرائيلية فى منتصف عام ١٩٧١ انه « **من الجنون ان تنسحب اسرائيل من الاراضى العربية التى تحتلها · فمن المهم ان تبقى اسرائيل على حافة قناة السويس لتظل مغلقة لان استمرار اغلاق القناة ـ حتى وان كان يلحق اضرارا اقتصادية جسيمة بعدد من دول الحلف مثل اليونان وتركيا ومن غير دول الحلف مثل مالطة ـ هو وحده الذى يلائم حلف الاطلنطى · أما فتح قناة السويس فانه يكون بمثابة ضربة قوية لقوات الحلف** » ·

وقد كشف الادميرال بيريندبللى نفسه ـ فى حديثه للصحيفة الاسرائيلية « معاريف » ـ انه اجتمع قبل أربعة اشهر من ذلك الحديث مع اسحق رابين السفير الاسرائيلى فى واشنطن وحدثه عن « **دور اسرائيل ومهمتها التى يتعين عليها أن تقوم بها ، والتى تجعل من الجنون ان تتنازل أمام العرب** » ·

ولقد تناقضت المواقف داخل حلف الاطلنطى فعلا ازاء مسألة قناة السويس · فعلى حين أعلن **توماس ستوفر** الخبير الامريكى ان الدول الاعضاء فى منظمة حلف الاطلنطى تضغط من أجل الاسراع باعادة فتح قناة السويس بعد ان عانت من اغلاق القناة طوال الفترة الماضية مما ادى الى ارتفاع باهظ فى تكاليف حصولها على البترول · ولكن « **معهد الدراسات الاطلنطية** » التابع للحلف اعلن ـ فى دراسة عن الاوضاع العسكرية فى البحر الابيض المتوسط ـ أن بقاء قناة السويس مغلقة هو الضمان الوحيد للغرب لاحكام الرقابة على تحركات الاسطول السوفيتى · فكل المضايق والممرات المائية التى يتحتم على الاسطول السوفيتى عبورها للخروج الى أعالى البحار أو الى البحر الابيض المتوسط تخضع ـ كما تقول الدراسة ـ باستثناء قناة السويس لرقابة امريكا وحلف الاطلنطى · « ومن ثم فليس من المصلحة الاستراتيجية للغرب ان يعاد فتح قناة السويس فى الوقت الراهن بهدف فرض نوع من الحصار أو الرقابة على الاسطول السوفيتى » · (سبتمبر ١٩٦٩ ·

والاختلاف بين تقدير الخبير الاقتصادى وتقدير المعهد الاستراتيجى للاطلنطى ليس اختلافا بين زاويتى الرؤية الاقتصادية والعسكرية بقدر ما هو فى الحقيقة اختلاف بين ما يؤكده الواقع الموضوعى وما تريد الولايات المتحدة ان تفرضه على الدوام باعتبار انها الطرف الاطلنطى الوحيد المستفيد استراتيجيا واقتصاديا فى الوقت نفسه من استمرار اغلاق قناة السويس · وهكذا نجد مرة اخرى ان التقـاء المصلحة الامريكية والاسرائيلية ضد مصالح كل أو بعض دول حلف الاطلنطى يسير بحكم السيطرة الامريكية الكاملة على الحلف فى أتجاه المصلحة الامريكية الاسرائيلية ·

والواقع أن الضغط الامريكى لصالح اسرائيل داخل حلف الاطلنطى هو بالدرجة الاولى ضغط على الدول الصغرى فى الحلف ـ مثل اليونان وتركيا ـ ذلك أن الدول الكبيرة فى الحلف ـ التى تلى الولايات المتحدة ـ مثل المانيا الغربية وايطاليا تتخذ مواقف تنسيق عملى واسع النطاق مع اسرائيل · وليس خافيا التأييد الذى تحظى به تحركات الحلف أخيرا لدعم « **الجناح الجنوبى** » وتقريبه عسكريا من اسرائيل · وقد كتبت مجلة « **ناتو بريخيته** » الالمانية الغربية الناطقة بلسان الحلف فى عام ١٩٧٠ تقول انه « **بدون التعاون مع اسرائيل لا يمكننا ان نعتبر أمن الجناح الجنوبى لحلف شمال الاطلنطى مضمونا** » ·

وقد قدم الجنرال النازى السابق «**هيلين**» الذى كان يرأس جهاز المخابرات فى المانيا الغربية اقتراحا ـ فى كتاب له بعنوان « **المخابرات** » صدر فى العام الماضى بضرورة انشاء « رأس جسر سياسى وعسكرى خاص للدفاع عن جناح حلف الاطلنطى بسرعة فى **المنطقة الجنوبية الشرقية** للحلف ـ أى فى القسم الشرقى من البحر المتوسط » · وأكد انه فى سبيل تحقيق هذه الغاية « **من الضرورى التوصل الى تعاون أوثق بين دول حلف الاطلنطى وبين تركيا واليونان واذا أمكن اشراك دولة اسرائيل ، القادرة رغم صغرها على خوض المعارك السياسية والحربية** » ·

وسجل اجتماعات المجلس الوزارى لحلف الاطلنطى ـ الذى يضم وزراء الدفاع والخارجية فى الدول الاعضاء ـ حافل طوال السنوات من عام ١٩٦٧ **حتى الان باهتمام كبير من الحلف باسرائيل وتوطيد علاقتها باستراتيجية الاطلنطى** بحجة مواجهة « خطر الاسطول السوفيتى » فى

البحر الابيض المتوسط . وعلى سبيل المثال فقد اقترح **ملفين ليرد** وزير الدفاع الامريكي الحالي في مجلس الحلف في ديسمبر ١٩٧١ أن تنشأ في البحر المتوسط قوات بحرية دائمة لحلف الاطلنطي يكون من مهامها المساعدة غير المباشرة للعمليات الحربية الاسرائيلية المحتملة ضد العرب من البحر . وقد أعلن **جوزيف لونز** السكرتير العام للحلف أن الإطراف المعنية تدرس هذا الاقتراح بعناية .

اسرائيل : والقوة الضـاربة للاطلنطي في الشرق الاوسط

ويبدو أن النتيجة التي انتهت اليها هذه الدراسة هي اتفاق دول الحلف على تقريب حلف الاطلنطي من اسرائيل عن طريق انشاء نقطة متوسطة على شكل قاعدة في اليونان يكون من مهامها أن تضمن تحرك حلف الاطلنطي نحو الشرق حتى الاقتراب من اسرائيل . ولهـذا فقد وصفت الصـحف الامريكية اقامة قاعدة للتسهيلات البحرية للاسطول السادس الامريكي في ميناء **بيريه** بمنطقة العاصمة اليونانية أثينا بأنها بمثابة « **آخر محطـة الى الشرق** » تمر بها امدادات الاسلحة الامريكية الى اسرائيل .

وقد كشفت وكالة « **نوفوستي** » السوفيتية في تحقيق أخير لها عن القاعدة الامريكية الجديدة في اليونان طبيعة دور هذه القاعدة مع اسرائيل . فقد ذكرت الوكالة أن أدميرالات الحلف يسعون على الدوام الى الربط الدائم والتعاون بين السفن والوحدات الاطلنطية في الجانب الشرقي من البحر المتوسط وبين السفن الواقعة في الجانب الغربي من المحيط الهندي وفي منطقة البحرين ، وكذلك بين ما يسمونه بالقوات المحتملة في البحر الاحمر . وليس من الصعب على المرء أن يستنتج أن تعبير القوات المحتملة في البحر الاحمر يعني القوات الحربية والبحرية لاسرائيل المتمركزة في ايلات حيث بدأت تعمـل منذ وقت غير بعيـد محطات الرادار التابعة نظام الاتصال المباشر بين البحر المتوسط والمحيط الهندي . وبهذا الشكل تقوم الان القوى الامبريالية ببعض الاعمال بهدف ربط قواتها الحربية والبحرية في المحيط الاطلنطي عبر البحر المتوسط بسلسلة موحدة بالقوات الواقعة فـي المحيط الهندي وادخال اسرائيل في هذه السلسلة باعتبارها حلقة من حلقاتها » (نوفوستي ـ ١١ اكتوبر ١٩٧٢) .

وليس خافيا بالمثل أن الولايات المتحدة لعبت ـ من داخل حلف الاطلنطي ـ بورقة خطر الوجود البحري السوفييتي في البحر المتوسط ـ لتبرير مد اسرائيل باستمرار بالاسلحة . وذلك على أساس ان وجود الاسطول السوفييتي في المنطقة يؤثر على الدور الذي عهدت به الاستراتيجية العسكريـة الامريكية الى اسرائيل وهو دور القوة العسكرية الضاربة في المنطقة الجنوبية لحلف الاطلنطي أي في شرق البحر الابيض المتوسط . وقد ذهبت الولايات المتحدة في صدد تعميق روابط اسرائيل الخفية وغير الرسمية بحلف الاطلنطي الى حد شحن الاسلحة وقطع غيار الطائرات الى اسرائيل من مستودعات الحلف في منطقة **كابيلين** بالقرب من لوكسمبورج . وقد انشئت بالفعل شركـة امريكية خاصة في **لوكسمبورج** تتولى شحن هذه المعدات الى اسرائيل . وقامت الشركة فعلا خلال الاشهر الاولى من انشائها بشراء قطع غيـار للطائرات النفاثة ومعدات حربية مختلفة تقـدر قيمتها بنحو ٥٠ مليون دولار من مستودعات اسلحة حلف الاطلنطي في اوروبا وشحنتها الـى اسرائيل .) براقدا من لوكسمبورج في ٢٥ يوليو ١٩٧٠) .

وذهب **ملفين ليرد** وزير الدفاع الامريكي الى مدى أبعد من ذلك في ربط حلف الاطلنطي بسياسة واستراتيجية معادية تماما للعرب حين أعلن أمام المجلس الوزاري للحلف في بروكسل (٢٩ مايو ١٩٧١) « أن وصول معدات عسكرية سوفيتية متقدمة الى مصر يؤثر على توازن القوى بين حلف الاطلنطي والمعسكر الاشتراكي » .

بعد كل هذا يمكننا أن نقول أنه اذا كان التعبير المجازي عن علاقة اسرائيل الخاصة والعضوية بالولايات المتحدة قد اعتبرها **الولاية الحـادية والخمسين** بين الولايات الامريكية ، فان الواقع الموضوعي لعلاقة اسرائيل الخاصة والعضـوية بحلف الاطلنطي واستراتيجيته العـدوانية على النطاق العالمي وفي منطقة الشرق الاوسط بوجه خاص يؤكد أنها العضو السادس عشر بين أعضاء حلف الاطلنطي .

واذا كانت اسرائيل تقوم بدور الاداة في تنفيذ الاستراتيجية الاطلنطية الامريكية ضد حـركات التحرر والثورة الاجتماعية في الشرق الاوسط والعالم العربي ، فان هذا الدور الاسرائيلي ـ كما رأينا ـ هو المفتاح الوحيد الى فهم دور حلف الاطلنطي في المنطقة واهدافه فيها .

العلاقات الاقتصادية
بين
البلاد العربية
والسوق المشتركة

يكتب د. السيد عبد العزيز المقال التقريرى التالى عن حقيقة العلاقات الاقتصادية بين السوق الاوروبية والبلاد العربية وتطورها . والوقائع التى يوردها تفضح الاهداف الاستغلالية للامبريالية الغربية والمصالح التى تحققها الاحتكارات الاوروبية من خلال تعاملها مع العالم العربى .

د. السيد عبد الحميد دحية

تلعب التجارة الخارجية دورا هاما فى النشاط الاقتصادى للدول العربية سواء عن طريق ضمان أسواق لتصريف فائض المنتجات المحلية خاصة البترولية والزراعية ، او عن طريق ضمان توفير السلع المختلفة التى لا يكفى الانتاج المحلى منها لتغطية الاستهلاك ، فضلا عن توفير المعدات الانتاجية اللازمة لعملية التنمية . واذا اعتبرنا ان نسبة مساهمة قطاع التجارة الخارجية فى الناتج المحلى أحد المقاييس التى توضح مدى أهمية الدور الذى يلعبه هذا القطاع فى النشاط الاقتصادى ، فاننا نجد أن نسبة الصادرات الى الناتج المحلى قد بلغت فى عام ١٩٦٨ حوالى ٢٥ فى المائة للبلاد العربية فى مجموعها ، بينما بلغت نسبة الواردات الى نفس الناتج حوالى ٢٠ فى المائة فى نفس السنة . وقد تراوحت نسب الصادرات الى الناتج المحلى بين حوالى ٨ فى المائة بالنسبة لـ ج.م.ع. واكثر من ٦٠ فى المائة بالنسبة للبلاد المنتجة والمصدرة للنفط ، خاصة الكويت وليبيا والسعودية . وقد تراوحت نسب الواردات الى الناتج المحلى بين حوالى ٩ فى المائة بالنسبة لـ ج.م.ع.، واكثر من ٣٠ فى المائة بالنسبة للكويت وسوريا ولبنان والاردن » (١) .

وانطلاقا من ذلك فانه يتعين دراسة العلاقات الاقتصادية المختلفة بين البلاد العربية وأسواقها الرئيسية . وذلك للتعرف على التطورات التاريخية والتطورات المحتملة فى تلك العلاقات . وتعتبر منطقة السوق الاوروبية المشتركة احدى هذه الاسواق الرئيسية . وقد زاد اهتمام البلاد العربية بهذه المنطقة للاسباب الرئيسية التالية :

اولا : ضخامة حجم التبادل التجارى بين البلاد العربية ودول السوق الست

ثانيا : قيام اسرائيل بعقد العديد من الاتفاقيات التجارية مع السوق ، الامر الذى دعا البلاد العربية للتحرك لزيادة المواجهة العربية لاسرائيل فى الاسواق الاوروبية .

ثالثا : النمو المتوقع فى حجم السوق بحيث ستصبح عملاقا اقتصاديا دوليا بعد انضمام بريطانيا والدانمرك والنرويج وغيرها من الدول الاوروبية اليها .

(١) جامعة الدول العربية ـ مركز التنمية الصناعية ، التجارة الخارجية للدول العربية ، أكتوبر ١٩٧١ صفحة ٣.

العربية والسوق الاوربية المشتركة

تطور حجم التبادل التجارى بين الدول

يبين الجدول التالى التطور فى حجم التجارة الخارجية بين البلاد العربية ودول السوق الاوروبية المشتركة خلال الفترة ١٩٦٠ — ١٩٧٠ :

(جدول رقم «١٠» صادرات البلاد العربية الى، ووارداتها من دول السوق الاوروبية المشتركة ١٩٦٠ — ١٩٧٠) بالمليون دولار

السنة	١٩٦٢		١٩٦٤		١٩٦٦		١٩٦٨		١٩٧٠	
الدولة	الصادرات الى	الواردات من	الصادرات الى	الواردات من	الصادرات الى	الواردات من	الصادرات الى	الواردات من	الصادرات الى	الواردات من
فرنسا	١٣٤٧ر٢	٩١٧ر٨	١٣٢٧ر٩	٩١٣ر٨	١٥٠٠ر٠	٩١٥ر٠	١٥٧٧ر٠	١٠٠٦ر٠	١٩١٠ر٠	١٣١٤ر٠
المانيا الغربية	٤٣٦ر٢	٣٢٨ر٨	٧٦٩ر٦	٣٨٤ر٩	٩٣٣ر٠	٤٢١ر٠	١٣٥٩ر٠	٤٨٣ر٠	١٤٢٧ر٠	٦٠٧ر٠
ايطاليـا	٦٠٥ر١	٢٠٣ر٨	٨٠٠ر٨	٢٥٤ر٩	٨٨٣ر٠	٣٩١ر٠	١٣٢٠ر٠	٥٠٧ر٠	١٧٢٢ر٠	٦٠٨ر٠
هولنـدا	٣٥٥ر٢	١١٤ر٠	٤٠٧ر٢	١٠٩ر٠	٤٣٩ر٠	١٣١ر٠	٥٨٧ر٠	١٤٤ر٠	٨٥٦ر٠	١٨٤ر٠
بلجيكا	١٥٣ر٢	٨٩ر٢	١٦٦ر٣	٩١ر٤	٢٠٤ر٠	٦٠ر٠	٣٧٢ر٠	١١١ر٠	٤٤٢ر٠	١٦٠ر٠
اجمـالى	٢٨٩٦ر٩	١٦٥٣ر٦	٣٤٧١ر٨	١٧٥٤ر٠	٣٩٥٩ر٠	١٩١٨ر٠	٥٢١٥ر٠	٢٢٥١ر٠	٦٣٥٧ر٠	٢٨٧٢ر٠

المصدر I.M.F. Direction of Trade Annual Volumes, 1960-64 and 1966- 1970.

من هذا الجدول يتضح أن صادرات البلاد العربية لدول السوق قد ارتفعت من حوالى ٥ر٢ بليون دولار فى عام ١٩٦٠ الى حوالى ٤ر٦ بليون دولار فى عام ١٩٧٠ ،بزيادة صافية قدرهاحوالى ١٩٠ فى المائة • وخلال نفس الفترة ارتفعت الواردات العربية من حوالى ٢ر٢ بليون دولارفى عام ١٩٦٠ الى حوالى ٩ر٢ بليون دولار فى عام ١٩٧٠ بزيادة صافية تقل كثيرا عن معدل زيادة الصادرات حيث بلغت حوالى ٢٢ فى المائة فقط •

وتعتبر فرنسا أهم دول السوق الاوروبية المشتركة تعاملا مع البلاد العربية فمثلا فى عام ١٩٦٠ كانت صادرات البلاد العربية اليها تمثل حوالى ثلثى صادرات البلاد العربية الى دول السوق الست •وعلى الرغم من انخفاض الاهمية النسبية لفرنسا بين دول السوق كمستورد للبلاد العربية ، حيث انخفضت وارداتها من البلاد العربية الى ٣٠ فى المائة فقط من جملة الصادرات العربية الى دول السوق الاوروبية فى عام ١٩٧٠ الا أنها حافظت على مكانتها كأكبر مستورد من البلاد العربية • وتأتى المانيا الغربية فى المرتبة الثانية فى معظم سنى الفترة محل الدراسة — ففى عام ١٩٦٠ بلغت صادراتها الى البلاد العربية حوالى ١٥ فى المائة من جملة واردات البلاد العربية مندول السوق ،كما أنهااستوردتحوالى ١٦ فى المائة من جملة صادرات البلاد العربية لدول السوق فى نفس السنة •

أما فى عام ١٩٧٠ فقد ارتفعت ايطاليا الى المركز الثانى حيث استوردت حوالى ٢٧ فى المائة من جملة صادرات البلاد العربية لدول السوق بينما صدرت اليها ما يقرب من ٢٢ فى المائة من الاجمالى • وتتركز التجارة العربية مع دول السوق فى ثلاث دول هى فرنسا والمانيا الغربية وايطاليا،حيثاستوردت هذهالدول الثلاث ما يقرب من ٧٥ فى المائة من صادرات البلاد العربية للسوق ،وصدرت اليها مايقربمن٩٠ فى المائة من جملة واردات البلاد العربية من دول السوق • ونظرا لان البترول يمثل سلعة التصدير الرئيسية لدول السوق ، فانناتجد أن حوالى ٧٠ فى المائة من جملة الصادرات العربية يتركز فى الدول المنتجة للبترول وهى الكويت والعربية السعودية وليبيا والعراق ، كما استوردت هذه البلاد فى عام ١٩٧٠ مايقرب من ٥٦ فى المائة من جملة صادرات السوق الاوروبية الى البلاد العربية ، كما هو واضح من الجدول رقم (٢) •

جدول رقم «٢» صادرات وواردات أهم الدول العربية تعاملا مع السوق الاوربية المشتركة بالمليون دولار

سنوات	١٩٦٢		١٩٦٤		١٩٦٦		١٩٦٨		١٩٧٠	
الدولة	صادرات الى	واردات من	صادرات الى	واردات من	صادرات الى	واردات من	صادرات الى	واردات من	صادرات الى	واردات من
١ ـ السكويت										
اجمالى عام	١٤٥٧	٢٣٢	١٢١٨	٣٢٢	١٣١٣	٤٦٢	١٥٧٣	٦١٣	١٧٧٦	٦٥٢
اجمالى السوق الاوربية	٥٠٤	٤٩	٥٨٠	٦٩	٥٩٩	٩١	٦٥٤	١٢٤	٧٣٣	١٥٠
٢ ـ العربية السعودية										
اجمالى عام	٩٤٨	٢٤٧	١٠٦٠	٢٨٥	١٥١٩	٤٥٧	١٦٩١	٤٩٢	٢٥٤٤	٨٣٣
اجمالى السوق الاوربية	٢٣١	٥٣	٣٢٩	٢٠	٣٨٥	١١١	٤٥٨	١١٩	٨٧٣	١٩٤
٣ ـ ليبيا										
اجمالى عام	١٤٠	٢٠٥	٦٢٠	٢٩٢	٩٩٥	٤٠٥	١٨٦٦	٤٦١	٢٢٨٩	٦٦٢
اجمالى السوق الاوربية	٨٨	٩٩	٣٨٢	١١٦	٧٠٠	١٩٠	١٢١١	٢٨٧	١٦٢٣	٢٧٩
٤ ـ العراق										
اجمالى عام	٦٨٨	٣٦٢	٨٣٩	٤١٣	٩٣٥	٤٩٣	١٠٣٨	٤١٤	١١٠٥	٥١٠
اجمالى السوق الاوربية	٣٩٠	٨١	٣٧٦	٧٩	٤٠٣	١٢٠	٦١٦	٩٠	٦١١	١٠١
٥ ـ الجزائر										
اجمالى عام	٨٠٩	٧٠٨	٧٢٧	٧٠٣	٦٢١	٦٣٩	٨٣١	٨٠٧	٩٤٤	١١٨٣
اجمالى السوق الاوربية	٧٥٦	٥٨٦	٦٥٥	٥٣٧	٥٢٥	٤٨٢	٦٤٧	٥٨٤	٧٨١	٨٩٣
٦ ـ المغرب										
اجمالى عام	٣٤٩	٤٢٨	٤٣١	٤٦٢	٤٣٠	٤٨٠	٤٤٢	٥٢٢	٥٧٧	٧٥٤
اجمالى السوق الاوربية	٢٠١	٢٣٥	٢٦٩	٢٣٩	٢٥٧	٢٥٤	٢٦٧	٢٧٠	٣٢٥	٢٧٧
٧ ـ تونس										
اجمالى عام	١١٦	٢١٦	١٢٩	٢٤٨	١٤١	٢٥٠	١٦٠	٢١٨	١٨٦	٣٠٤
اجمالى السوق الاوربية	٨٥	١٤٢	٨٤	١٤٥	٧٩	١٣٠	٧٣	١١٧	١٠٥	١٦٤
٨ ـ ج٠م٠ع										
اجمالى عام	٤١٣	٧٥٨	٥٣٩	٩٥٣	٦٠٦	١٠٧٠	٦٣٥	٦٥٧	٩٩١	٩٧٠
اجمالى السوق الاوربية	٧٤	٦٣	٨١	١٩١	٧٠	٢٠٧	٦٧	١٦٧	١٥٧	٣٠٨

مرجع سابق : Source. I.M.F. Direction of Trade

وتتركز واردات السوق الاوروبية المشتركة من البلاد العربية فى البترول ، حيث يمثل البترول العربى حوالى ٨٠ فى المائة من جملة واردات دول السوق من البترول ، وكذلك المنتجات الزراعية خاصة القطن والحمضيات والبصل والبطاطس وغيرها ، وبعض السلع الصناعية مثل الغـزل والنسيج وغيرها من السلع الصناعية ٠ أمـا واردات البلاد العربية من السوق الاوروبيـة المشتركة فتتركز أساسا فى المعدات الرأسمالية اللازمة لعملية التنمية ، والعديد من السـلع الاستهلاكية الصناعية المعمرة وغير المعمرة، وكذلك بعض المنتجات الغذائية مثل القمح والدقيـق والمعلبات .. الخ .

واخيرا يتضح من الجدول السابق أن ميزان التعامل التجارى بين البلاد العربية ودول السوق الاوربية المشتركة كان فى صالح المجموعة الاولى طوال فترة الدراسة وقد تزايد حجم هذا الفائض تزايدا كبيرا خلال فترة الستينات نظرا للارتفاع الكبير فى صادرات البلاد العربية السابق الاشارة اليه ٠ ففى عام ١٩٦٠ كان حجم هذا الفائض حوالى ٣٤٩ مليون دولار ارتفع الى حوالى ٢٠٤١ مليونا فى عام ١٩٦٦ ، ثم ارتفع مرة أخرى الى حوالى ٣٤٨٤ مليون دولار فى عام ١٩٧٠ ٠ ولا شك أن ذلك الفائض يتركز أساسا فى الدول العربية المنتجة للبترول خاصة الكويت والسعودية وليبيا

الاتفاقيـات التجـارية بين البـلاد العربية والسوق الاوربية المشتركة

لا شك أن للاتفاقيات التجارية أثرها الايجابى على حجم التبادل التجارى بين البلاد المتعاقدة، فضلا عن استقرار تلك العلاقات ٠ ولاهمية ذلك ، ومن أجل الحصول على الاقل على نفس الامتيازات التى تحصل عليها اسرائيل من دول السوق ، أوصت الجامعة العربية فى قرار لها عام ١٩٦٦ بعقد ما يمكن من اتفاقات مع دول السوق ٠ وقد تم عقد العديد من الاتفاقات التجارية بين البلاد

العربية والسوق الاوربيــة المشــتركة نـذكر نها (٢) .

١ ـ اتفاقية لبنان مع السوق والتى وقعت فى ١ ـ ٥ ـ ١٩٦٥ لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد بموجبها :

(أ) معاملة لبنان معاملة الدولة وذلك بالنسبة لمنتجات الطرفين على أن تسرى هذه المعاملة على جميع الرســوم المفــروضة علــى الواردات والصادرات وعلى الاجراءات المتعلقة بالترانزيت والتخزين .

(ب) تكوين لجنة مشتركة من ممثلى السوق وحكومة لبنان لمتابعة الاتفاقية .

(ج) تقديم المعونات الفنية للبنان

٢ ـ اتفاقية المشاركة بين كل من تونس والمغرب مع السوق . وقد وقعت هذه الاتفاقية فى مارس ١٩٦٩ لمدة خمس سنوات ومن أحكامها :

١ ـ منح امتيازات جمركية تتراوح بين التخفيض الجمركى والاعفاء الكامل على بعض المنتجات . فمثلا منحت تونس والمغرب تخفيضات تتراوح بين ٨٠ فى المائة، والاعفاء الكامل على صادرات هاتين الدولتين من الحمضيات لدول السوق ، كذلك منحت تخفيضات على صادراتهما من زيت الزيتون والمعلبات ، مقابل قيام المغرب وتونس بتخفيض رسومهما الجمركية علــى وارداتهما من السوق بحوالى ١٢ فى المائة .

٣ ـ اتفاقية ج.م.ع. مع السوق .

بدأت المفاوضات فى يوليو ١٩٦٩ ، حيث تقدمت ج . م . ع بقائمة تتضمن أهم السلع الزراعية والصناعية التى يراد اعفاؤها أو تخفيض الرسوم الجمركية عليها من دول السوق . وبعد مفاوضات عديدة ، تم توقيع الاتفاق النهائى فى ابريل ١٩٧٢ والذى بمقتضاه تقوم دول السوق الست بخفض الرسوم الجمركية على وارداتها من مصر بنسبة ٤٥ فى المائة عند بدء تنفيذ الاتفاقية ، تزاد الى ٥٥ فى المائة من أول يناير ١٩٧٤ . وسوف تخفض الرسوم الجمركية على السلع الزراعيــة بنسبة تتراوح بين ٢٥ ـ ٥٠ فى المائة أما الموالح فسيكون التخفيض عليها بنسبة ٦٠ فى المائة . وقد حددت حصة صادرات البترول المصرى لدول الســوق بمقدار ٢٠٠ ألف طن سنويا ، والمنسوجات بمقدار ٢٥٠ ألف طن سنويا . وفى مقابل ذلك سوف تخفض مصر تعريفتها على السلع الصــناعية المستوردة من السوق بنسب تتراوح بين ٣٠ ـ ٥٠ فى المائة . وبذلك تصبح مصر ثامنة دولة تتمتع بحقوق الدولة الاكثر رعاية فى تعاملها مع السوق الاوربية المشتركة (٣) .

البترول العربى ودوره فى العلاقات الاقتصادية

يلعب البترول العربى دورا هاما فى العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية ودول السوق لعدة أسباب نذكر منها :

أولا : يعتبر بترول البلاد العربية المصــدر الاساسى لواردات السوق الاوربية المشتركة من البترول ، حيث تحصل تلك البلاد على حوالى ثلاثة أرباع وارداتها البترولية من الدول العــربية . وبجانب أهمية البترول كسلعة اســتراتيجية رئيسية ، فان استيراده من البلاد العربية له مزايا عديدة عن استيراده من مصادر أخرى . فقد اشارت احدى الدراسات أنه لو اضطرت البلاد الغربية الى استبدال بترول البلاد العربية ببترول من فنزويلا أو أمريكا ، فانها سوف تتحمل أعباء اضافية تقدر بحوالى ١٫٥ بليون دولار عنــد استيراده من فنزويلا ، وحوالى ٢٫٥ بليون دولار عند استيراده من الولايات المتحدة ، هذا مــع افتراض أن هذين المصدرين يستطيعان تــوفير حاجات دول السوق للبترول ، وهو امر قد لايكون ممكنا فى كل الظروف . ويرجع ذلك بطبيعة الحال الى انخفاض تكاليف الانتاج فى الدول العربية عنها فى فنزويلا وأمريكا ، حيث بلغت تكاليف انتاج البرميل فى هاتين الدولتين حوالى ٠٫٦٩ دولار ، اكثر من ٠٫٢ دولار فى عام ١٩٦٦ ، بينما كانت تكاليف انتاج برميل البترول فى البــلاد العربية حوالى ٠٫١٨ دولار فى نفس السنة ، الامر الذى يعنى ان تكاليف انتاج برميل البترول الخام تبلغ فى البلاد العربية حوالى ربع مستواها فى

(٢) بنك مصر ـ النشرة الاقتصادية ـ مارس ـ يونيو ١٩٧٠ .
(٣) جامعة الدول العربية ، الاتحــاد العام لغرف التجارة والصناعة : اتفاقيات التجارة والدفع بين اسرائيل ودول العالم واتفاقيات الدول العربية ـ يونيو ١٩٧٢

فنزويلا ، واقل من ١٠ فى المائة من مستواها فى أمريكا · هذا فضلا عن انخفاض تكاليف شحن البترول العربى لدول السوق عنها بالنسبة لبترول المناطق الاخرى (٤) ·

ثانيا : ارتفاع عائد الشركات البترولية التى تعمل فى البلاد العربية ، والذى يفوق كثيرا معدل العائد على الاستثمارات فى المناطق الاخرى من العالم · ذلك أن غزارة الاحتياطى البترولى العربى وسهولة الكشف عليه مع ضمان معدلات مرتفعة لانتاج الابـــار ، يجعل الاستثمارات اللازمـــــة لاستخراج البترول فى البلاد العربية ضئيلة ، اذا ما قورنت بالحاجات الاستثمارية فى المنـاطق الاخرى من العالم · فمثلا قدرت الاستثمارات اللازمة لاستخراج برميل من البترول الخام (أو نصيب البرميل من اجمالى الاستثمارات) بحوالى ١٦٠دولارا فىالبلاد العربية ،وحوالى ٨٦٠دولارا فى فنزويلا واكثر من ٣٠٠٠ دولار فى الولايات المتحدة الامريكية · كل ذلك يجعل العـــائد الاستثمارى فى البلاد العربية كبيرا · وقد قدرت استثمارات البلاد الغربية فى بترول الوطن العربى بحوالى ٦٠٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٦٦ ،بلغت أرباحها الصافية حوالى ٣٩٦٠ مليون دولار فى السنة،اى بمعدل ٦٠ فىالمائة سنويا ،وهو معدل يفوق أى نوع من الاستثمارات الاخرى وتحصل الشركات البريطانية على حوالى ٩٩٠ مليون دولار من هذه العوائد ، بينما تحصل الشركات الامريكية على حـــوالى ٢١٧٨ دولار ، بينمـــا تحصـــل الشركات الاخرى ـ الفرنسية واليابانية وغيرها على حوالى ٧٩٢ مليون دولار · ويوضح ذلك مدى أهمية البترول العربى كمصـــدر لذلك العـــائد المرتفع ، هذا فضلا عما يتيحه رخص بترول الشرق الاوسط وشمال أفريقيا من موارد كبيرة لميزانيات الدول المستوردة والتى تحصل عليها فى صورة ضرائب على استهلاك البترول فى هذه الدول ·

ثالثا : ضخامة احتياطى البلاد العربية خاصة المصدرة للبترول من العملات الاجنبية وارتفاع قيمة ودائعها فى البنوك الغربية ، وينتج ذلك بطبيعة الحال من الفوائض فى موازين مدفوعات تلك الدول نتيجة لتصدير كميات هائلة من البترول الى دول السوق وغيرها · وتشير أرقام صندوق النقد الدولى (٥) الى أن حجم احتياطى البلاد العربية من العملات الاجنبية ، قد بلغ ما يزيد على ٥ر٧ بليون دولار فى يونيو ١٩٧٢ · ولا شك أن الجزء الاكبر من هذه الاحتياطيات يتم استثماره فى أوراق مالية فى الدول الغربية ، أو تودع فى البنوك الاجنبية فى أوربا الغربية والولايـات المتحدة . وقد قدرت احدى الدراسات ان الاموال التى تقوم البنوك العربية باستثمارها فى البنوك الاوربية والامريكية بلغت حوالى ٥ر١ بليون دولار فى عام ١٩٧١ ، فضلا عن الودائع الخاصة التى قدرت بحوالى ٥٠٠ مليون دولار · واذا اعتبرنا أن عائدات البترول المتوقعة فى عام ١٩٧٥ سوف تبلغ حوالى ٢٠ بليون دولار ، فانه ينتظر لهذه الودائع أن ترتفع فى المستقبل ·

ومهما كان الامر ، فان اكثر تقديرات الودائع العربية تحفظا تشير الى ضخامة مثل هذه الودائع فى البنوك الاوربية والامريكية ، ولا يخفى ما لذلك من أهمية بالغة فى استقرار الاحوال الاقتصادية وأسعار صرف عملات هذه البلاد · هذا فضلا عن أن هذه الودائع تمكن هذه البنوك من اعادة استثمار جزء منها فى البلاد العربية وغيـــر العربية ، الامر الذى يعمل على زيادة عوائد تلك البلاد من تلك الاستثمارات · ولا شك أن ضخامة وأهمية هذه الودائع يجب أن تولى العناية الكافية عند مناقشة العلاقات الاقتصادية بين البـــلاد العربية والسوق الاوربية المشتركة ·

وبجانب الاستثمارات التى تقوم بها دول السوق الاوربية فى الدول العربية ، فانها تمنح بعض البلاد العربية معونات اقتصادية وفنيـــة ، بلغ متوسطها السنوى خلال الفتـــرة ١٩٦٨ـ١٩٧٠ حوالى ١٦٠ مليون دولار ، فضلا عن تسهيلات موردين قدرت بحوالى ١٢٠ مليون دولار (٦) · بالاضافة الى ذلك تقوم هذه البلاد ، خاصة فرنسا وألمانيا الغربية بالمساهمة فى موارد بعض المنظمات الدولية التى تقوم بمنح اعانات للدول النامية مثل البنك الدولى للانشاء والتعمير وصندوق النقد الدولى وخلافه · ولا شك أن الرقـــم الاجمالى للمساعدات المختلفة التى توفرها دول السوق للبلاد العربية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، يقل كثيرا عن العوائد الصافية التى تحصل عليها هذه البلاد من علاقاتها الاقتصادية مع البلاد العربية ·

(٤) البترول العربى ـ السنة الخامسة ـ ١٩٦٧ ·

(٥) I.M.F. International Financial Statistics, 1972.

(٦) Development Assistance Effoors & Policies, 1971 Review.

الوجـه الحقيـقى

للاشـــتراكية الديمقراطيـــة

فى أوربـــــا

حمدى عبد الجواد

لا يستطيع أحد أن ينكر أن الحركة الاشتراكية الديمقراطية تشكل أحد العوامل السياسية الهامة فى الصراع الاجتماعى فى البلدان الرأسمالية المتطورة، وأن كثيرا من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية المنضمة الى الدولية الاشتراكية أو المرتبطة بها تمثل قوة سياسية حقة وتتمتع بتأييد القسم الاكبر من الطبقة العاملة . وأن لها أساس جماهيريا ذو تاريخ طويل فى دول أوروبا الرأسمالية . ووفقا لاخر الارقام التى أعلنتها الدولية الاشتراكية عام ١٩٧٠ تضم الدولية الاشتراكية ٥٢ حزبا يصل مجموع اعضائها الى حوالى ٤ر١٥ مليون ، وقد حصلت فى آخر انتخابات على ٦ر٧٧ مليون صوت. وقد تفاخر الاشتراكيون الديمقراطيون فى المؤتمر الثانى عشر للدولية الاشتراكية الذى انعقد فى فيينا فى يونيو عام ١٩٧٢ « بالقوة التى لم يسبق لها مثيل للاشتراكية الديمقراطية الاوروبية » و « بالحزام الاحمر لحكم الاشتراكيين الديمقراطيين فى شمال أوروبا حيث اصبحت حكومات البلدان الاسكندنافية الاربعة لاول مرة فى التاريخ ، حكومات ذات تشكيل اشتراكى تماما » ! . كما اشاروا الى النمسا وجمهورية المانيا الاتحادية حيث يشارك الاشتراكيون الديمقراطيون » بالنصيب الاكبر فى حكوماتها الائتلافية » ، والى بلجيكا وسويسرا حيث « يشترك الاشتراكيون الديمقراطيون على قدم المساواة فى حكومات ائتلافية » واخيرا الى الموقع الجنوبى للاشتراكية الديمقراطية الاوروبية فى مالطه حيث يتمتع حزب منتوف العمالى بأغلبية محدودة .

والغالبية العظمى من هذه الاحزاب موجودة فى أوروبا الغربية . أما فى خارج أوروبا الغربية فلا يوجد سوى عدد محدود من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ومعظمها محدود النفوذ ولا وزن له فى الحياة السياسية . فمن بين أحزاب آسيا الثمانية المنضمة الى الدولية الاشتراكية يعتبر الحزب الاشتراكى اليابانى هو الحزب الجماهيرى الوحيد الذى يلعب دورا هاما على المسرح السياسى . ولا يوجد من يمثل القارة الافريقية فى الدولية الاشتراكية سوى الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى مالاجاش وحزب آخر فى جزر موريس .

أما في أمريكا اللاتينية فتوجد ستة احزاب للاشـــتراكية الديمقـراطية ، غير أن اربعـــا منهـا (احزاب بيـرو وفنـزويلا وبـاراجواى وكوستاريكا) قبلت في الدولية الاشـتراكية كمراقبين اذ أنها أحزاب ليبراليـــة برجـــوازية لم تشترك قط في الحركة الاشتراكية . ويعتبر الحزب **الراديكالي الشيلي** أقوى أحزاب الدولية الاشتراكية في أمريكا اللاتينية ، ويشترك هذا الحزب في الجبهة الشعبية التي ترتكز عليها حكومة الليندى اليوم .

كما يوجد للدولية الاشتراكية حزب صغير في الولايات المتحدة وأحزاب أخرى في كل من **كندا واستراليا ونيوزيلندا** .

وبينما تشترك عشرة من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في أوروبا في حكوماتها أو تتزعم تلك الحكومات ، لا يوجد خارج أوروبا من أحزاب الدولية الاشتراكية في الحكم سوى في **اسرائيل وكوستاريكا ومدغشقر وجزر موريس وسنغافورة** .

لقد ظهرت الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الى الوجود كتنظيمات سياسية تتحدث باسم الطبقة العاملة الاوروبية في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، وأعلنت هذه الاحزاب تبنيهـــا للاشتراكية كهدف نهائي لها . وفي ظل تلك الظروف لم تكن الطبقة العاملة تواجه بعد مهمة الاستيلاء على السلطة وتركزت أهدافها في تحسين ظروف عملها ومستوى معيشتها وتوسيع حـرياتها وحقوقهـــا الديمقراطية في المجتمعات الرأسمالية التي تعيش فيها . وبلورت الاشتراكية الديمقراطية هذه المطالب في برنامج متكامل للاصلاحات سعت الى تحقيقه . لكنها فشلت في الربط بين النضال من أجل المصالح العاجلة للطبقة العاملة وبين النضال من أجل الاشتراكية . واتجه نشـاط الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية نحو النضـال البرلماني والدفاع عن الحقوق الاولية والمطالب العاجلة للطبقة العاملة .

وفي عام ١٩١٤ وصل عدد اعضاء الاحزاب الاشـــتراكية الديمقـراطية في أوروبا الى ٣٫٠٤٠٫٠٠٠ عضو ، وحصلت على حوالى ١١ مليون صوت انتخابي . وفي عام ١٩٢٥ زاد عدد أعضائها الى ٦٫٣٠٠٫٠٠٠ عضو ، بينما وصل عام ١٩٧٠ الى ما يقرب من ١٦ مليون عضو وحصلت على حوالى ٧٧ مليون صوت انتخابي .

علام تستند الاشتراكية الديمقراطية

ومن الممكن تفسير النفوذ الذى تتمتع به الاشتراكية الديمقراطية في ضوء التطور العام للوعي السياسي للجماهير في البلدان الرأسمالية المتطورة . ولا شك في أن هناك أسبابا تاريخية لنفوذ الاشتراكية الديمقراطية تتمثل في الظروف المحددة التي تشكلت فيها التنظيمات الجماهيرية للطبقة العاملة في تلك البلدان . ولقد كانت هذه العملية نتيجة طبيعية لتطور الانتاج الالي الكبير الذى أدى الى تركيز وتوحيد جماهير واسعة من عمال الصناعة . وارتبط ذلك بالنمو السريع للوعي الطبقي للعمال ونشاطهم ، وبادراكهم للحـــاجة الملحة للدفاع عن مصالحهم الطبقية في المجالين السياسي والاجتماعي . وفي مثل هذه الظروف حدث انتقال سريع في الحركة العمالية مـــن التنظيمات الحرفية الصغيرة الى التنظيمات المهنية والسياسية الجماهيرية على النطاق القـــومي . وسجلت الطبقة العاملة مكاسبها الاولى في ميدان الحقوق الاجتماعية والبرلمانية والديمقراطية .

وظهرت الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في أوروبا في هذه الظروف كأحزاب تتحدث باسم الطبقة العاملة . وقد احتفظت هذه الاحزاب بقيادتها لجماهير العمل ونفوذها بينهم لفترة طويلة لا بحكم رصيد المكاسب التي حققتها في تلك المرحلة فحسب ، وانما بحكم القصور الذاتي السياسي في الحركة العمالية . فلقد تعود العمال ان ينظروا منذ تلك الايام الى الاشتراكية الديمقراطية باعتبارها حزبا لهم ، وحتى حينما يتمردون على سياستها عادة ما يبحثون عن حل داخل احزابهم خوفا من تقسيم قوى الطبقة العاملة واضعافها . وحتى اليوم ما تزال اقسام واسعة من قواعد الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية من البرجوازية الصغيرة والمثقفين والموظفين وبعض مجموعات العمال رغم خيبة أملهم في سياسة هذه الاحزاب غير قادرين على اتخاذ موقف معاد للرأسمالية ، ومازالوا يفضلون تأييد الاشتراكية الديمقراطية كتيـار سياسي يساري ولكنه معتدل في نفس الوقت .

غير أن تفسير استمرار نفوذ الاحـــزاب الاشـــتراكية الديمقـــراطية بحكم « العـــادة السياسية » ليس بكاف اذ لابد من وجود أساس اجتماعي يولد ويحافظ على تلك العادة السياسية ، اي على استمرار هذا النفوذ . ان الاشتراكية الديمقراطية انما تعكس مصالح الارستقراطيـة العمالية والبيروقراطية العمالية أو بشكل عام مصالح تلك الفئات من العمال التي استمالتها

البرجوازية الحاكمة بما منحته لها من امتيازات . ولذا ظهرت هذه الفئات التي اغرقتها البرجوازية بالامتيازات باعتبارها المدافع الاساسي عن الاصلاحية في صفوف الحركة العمالية . ولقد أصبح عدد كبير من المسئولين في الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية والنقابات الاصلاحية والبرلمانات والمجالس البلدية جزءا لا يتجزأ من نظام السلطة السياسية والاقتصادية للرأسمالية المعاصرة . ومن هنا يأتي دفاعهم النشط عن هذا النظام وجهودهم الواعية للحيلولة دون أن تحطمه حركة العمال .

وعادة ما تنتشر الاصلاحية والانتهازية في حركة العمال عندما تكون الظروف الموضوعية المواتية ناضجة من أجل المطالب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية اليومية للجماهير ، أي في فترات التطور الاقتصادي السريع للرأسمالية . ولقد واجهت الرأسمالية في غرب أوروبا فترتين من هذا الطراز الاول في نهاية القرن التاسع عشر ومع مطلع القرن العشرين أي مع دخول الرأسمالية في المرحلة الامبريالية ، والثانية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية،واعادت البرجوازية الاوروبيةبناء اقتصادها الذي دمرته الحرب من جديد وقد امتدت هذه الفترة من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى النصف الاول من الستينيات . وبفضل الظروف الاقتصادية المواتية نجحت الطبقة العاملة احيانا في تحقيق عديد من المكاسب . وترتب على ذلك اضعاف حدة التناقضات الطبقية مما أدى بدوره الى طمس الاهداف النهائية وفصل معارك النضال اليومي عن النضال من أجل التغيير الراديكالي . واذا ما وضعنا في الاعتبار ان تلك المكاسب قد حققتها الجماهير العمالية في كثير من البلدان،اما من خلال حكم الاشتراكيين الديمقراطيين واما عندما كان الاشتراكيون الديمقراطيون على رأس النضال الجماهيري فسيتضح السبب في تزايد نفوذ احزاب الاشتراكية الديمقراطية بين الجماهير العمالية .

وقد نمت الظروف المواتية لنمو الاصلاحية والانتهازية بشكل خاص بين العمال في الخمسينيات عندما أدى الازدهار الاقتصادي في أوروبا وما ترتب عليه من نمو لم يسبق له مثيل للارباح الى تسهيل الفرصة أمام رأس المال الاحتكاري للدخول في مناورات اجتماعية واسعة النطاق ، وأمام الحركة العمالية لتحسين وضعها الاقتصادي . وبالاضافة الى ذلك أدت التغييرات الجوهرية في توازن القوى العالمية لصالح الاشتراكية وارتفاع مستوى تنظيم الجماهير العمالية والنمو الواسع للحركة الاضرابية في البلدان الرأسمالية المتطورة الى أجبار رأس المال الاحتكاري على تقديم بعض التنازلات الاجتماعية والاقتصادية للعمال كي يتجنب النزاعات الاجتماعية العنيفة .

وكنتيجة لذلك حققت الطبقة العاملة في تلك البلدان في فترة مابعد الحرب نموا ثابتا في الاجور ، وتحسينا في نظام التأمين الاجتماعي ، وتخفيضا لساعات العمل والتوسع في الاجازات المدفوعة . وكان الاشتراكيون الديمقراطيون مسئولون عن أو ساهموا في تحقيق عدد من الاصلاحات والاجراءات التي ساعدت على رفع مستوى معيشة الجماهير ، كما أن النجاح في كسب بعض المطالب الملحة أضاف الكثير الى الرصيد السياسي للاحزاب الاشتراكية الديمقراطية بين العمال .

غير أنه خلال السنوات الاخيرة حدثت تغيرات جوهرية في المصالح والمطالب العاجلة للجماهير . ان المشاكل المرتبطة بالعمالة وضمانات مستوى المعيشة وحق التعليم واشتراك العمال في الادارة قد ازدادت أهميتها بدرجة كبيرة . ولا يمكن حل أي من تلك المشاكل من خلال تنازلات جزئية لا تمس أسس السلطة الاقتصادية والسياسية للبرجوازية الاحتكارية . وعلى هذا الاساس قلت فرص التأييد الجماهيري للاتجاهات الاصلاحية . وهكذا فان التغيرات الموضوعية في الاوضاع السياسية والاجتماعية تواجه الحركة الاشتراكية الديمقراطية بمشاكل عديدة معقدة ويحاول معظم قادة الاحزاب الاشتراكية حل تلك المشاكل بأساليب اصلاحية ومازال هذا ممكنا في حدود معينة نتيجة للظروف التاريخية التي اشرنا اليها من قبل،ولذلك فان الاشتراكية الديمقراطية تواجه في الحقيقة مأزقا خطيرا .

الجناح اليميني في خدمة رأس المال الاحتكاري

شهدت فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها توسعا في اجراءات رأسمالية الدولة الاحتكارية . فقد اتسع مدى تدخل الدولة ونشاطها في المجال الاقتصادي واتخذ هذا النشاط اشكالا جديدة . وساعد اتساع اجراءات رأسمالية الدولة البرجوازية على الاستفادة لصالحها من الامكانيات التي تقدمها الثورة العلمية والتكنولوجية ، واعطاها فرصا اكبر للمناورة الاجتماعية .

وأدركت البرجوازية الاحتكارية الحاجة الى أن تكيف نفسها مع المتطلبات الجديدة للتنظيم الاقتصادى ونمو الطابع العام للانتاج والثورة العلمية والتكنولوجية ، والمواجهة بين النظامين الاجتماعيين العالميين ، وحاولت ملاءمةنفسها مع تلك الاوضاع من خلال عدد واسع من الاصلاحات ولكنها وضعت فى اعتبارها فى نفس الوقت ضرورة ضمان عدم تحرك الجماهير العمالية على نطاق واسع أى ضرورة لجم حركة الجماهير وأوكلت المهمة الاخيرة الى الجناح اليمينى للاشتراكية الديمقراطية ٠

وخرجت الاشتراكية الديمقراطية اليمينية من هذه التطورات باستنتاجات على جانب كبير من الخطورة والتضليل اذ ادعوا أن اتساع اجراءات رأسمالية الدولة الاحتكارية يجعل الرأسمالية فى المرحلة الحاضرة تسير بالتأكيد فى طريق الاشتراكية ، وأن على الطبقة العاملة فقط أن تزيح بعض العراقيل من طريق هذه العملية « **التلقائية** » ويقول **ديجفورس** أحد كبار منظرى الجناح اليمينى للاشتراكية الديمقراطية فى السويد : « اننا نعيش فى فترة تحول النظام الاجتماعى القديم الى نظام اجتماعى جديد ٠ وقد أصبح التناقض الرئيسى بين الاشتراكية والرأسمالية مجرد تجريد، لان المجتمع الذى يستمر فيه النشاط الاقتصادى فى التطور فى شكل رأسمالية خاصة يمكن أن يتسع تدريجيا بالافكار الاشتراكية » ٠

ولقد أصبحت الثورة العلمية والتكنولوجية فى نظرهم ضمان لسير التطور فى اتجاه تعطيل قوانين الانتاج والتوزيع الرأسمالية وهكذا غدت اجراءات رأسمالية الدولة الاحتكارية فى نظرهم دليلا على الطبيعة « **فوق الطبقية** » للدولة البرجوازية الحديثة،ولذلك استبعدوا من برامجهم كل ما يتعلق بالتأميم والصراع الطبقى وبالاهداف الاشتراكية ورأوا فى نمو ملكية الدولة الرأسمالية قضاء تدريجيا على الملكية الرأسمالية وعلى مساوئها أما التغيرات التى تحدث فى تركيب الطبقة العاملة ونمو الأرستقراطية والبيروقراطية العمالية فقد فسروها بأنها عملية **ذوبان** وتداخل للطبقات ٠

وهكذا بدأ الجناح اليمينى للاشتراكية الديمقراطية يصوغ سياسة على أساس تفسيرهم للعمليات الاقتصادية والاجتماعية التى تجرى داخل النظام الرأسمالى وحصروا أنفسهم فى كثير من البلدان فى اصلاحات تخدم البرجوازية الاحتكارية فى نضالها ضد الحركة العمالية ولقد بدأوا فى تقديم النظام الاقتصادى والسياسى للبرجوازية الحديثة على أساس أنه لا تربطه صلة بالرأسمالية التى تعرض لها ماركس فى كتاباته ٠ « لقد كانت الاصلاحية تمثل فى البداية كما يقول **لويجولونجو** فى كتابه المراجعة الجديدة والقديمه » تيارا اشتراكيا ، لكن اصلاحية الاشتراكية الديمقراطية اليوم قد أصبحت اصلاحية الرأسمالية الحديثة اصلاحية الاحتكار » ٠

وتبلورت المواقف الايديولوجية والسياسية للاحزاب الاشتراكية الديمقراطية خلال فترة ما بعد الحرب فى برامج تلك الاحزاب وفى بيانات الدولية الاشتراكية (١٩٥١ ـ ١٩٦٢) وفى كثير من المؤلفات التى كتبها أيديولوجيو الاتجاه الاصلاحى وقد عكست تلك البرامج التعديلات الايديولوجية التى توصلوا اليها كى يتلاءموا مع المواقع الجديدة التى اختاروها لانفسهم فى ظل علاقات القوى الجديدة فى المجال الدولى وداخل البلدان الرأسمالية المتطورة فيما بعد الحرب ٠وقد سعى القادة اليمينيون لتخليص برامج الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية من بعض الفرضيات العلمية التى ترتبط بالصراع الطبقى « وتشريك » وسائل الانتاج ٠ الا أن احترام التقاليد والمحافظة على الاساليب والاهداف الاشتراكية للماضى قد ضربت بأعماقها فى وعى قواعد وجماهير الاشتراكية الديمقراطية التى ظلت مخلصة لتقاليد الاصلاحية التى تعترف بالاشتراكية كهدف نهائى لها وتعارض فى الواقع اصلاحية « الرأسمالية الجديدة » للجناح اليمينى ٠ وهكذا تنبع وتتبلور المقاومة ضد سياسة الجناح اليمينى للاشتراكية الديمقراطية ومن خلال هذا الصراع تتبلور الاتجاهات المختلفة للاشتراكية الديمقراطية والتناقضات فى الوثائق السياسية لتلك الاحزاب ٠،

أن محاولات تجديد برامج الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية والتى انتهت الى تعديل برامج غالبيتها فى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات تسمح لنا بأن نقول ان الاشتراكية الديمقراطية بشكل عام قد ازدادت ابتعادا عن التحليل العلمى للمجتمع الرأسمالى المعاصر ،وعن نقد هذا المجتمع والنضال ضده وخلال عملية التحديد ازداد التمايز الايديولوجى داخل صفوف الاشتراكية الديمقراطية وتشتتت الى اتجاهات فكرية متباينة ٠

ومع تزايد حدة الصراع الاجتماعى فى أوروبا الرأسمالية خلال السنوات الاخيرة ومع لجوء الطبقات الحاكمة من جديد الى الاجراءات المعادية

للحركة العمالية والديمقراطية يزداد افتضاح سياسة التعاون الطبقى التى تنتهجها الاشتراكية الديمقراطية . وتجد نفسها مواجهة بمأزق صعب : فاما تأييد تلك السياسة وما يترتب عليه من تزايد سخط قواعدها وتدهور نفوذها الجماهيرى ، واما مقاومة سياسة البورجوازية الحاكمة ولو جزئيا مما يهدد بالقضاء على سياسة التعاون الطبقى ويحمل معه خطر فتح طريق النضال أمام حركة الطبقة العاملة وخطر وحدة صفوفها .

التمايز داخل الحركة

الاشتراكية الديمقراطية

ولا تشكل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية تيارا متجانسا ، وانما تختلف عن بعضها البعض سواء فى مفهوماتها أو فى سياستها العملية . وتعكس تلك الاختلافات خصائص التطور التاريخى للبلدان المختلفة وتتوقف على الاوضاع الداخلية والدولية والمكانة التى يحتلها الحزب المعين فى النظام السياسى لبلد ما ، ودرجة النضوج السياسى لحركة الطبقة العاملة وتنظيماتها السياسية .

ومن الممكن تقسيم الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية بشكل عام الى جناحين : الجناح اليمينى للاشتراكية الديمقراطية ويشمل تلك الاحزاب التى ينظر قادتها الى المجتمع البورجوازى باعتباره مجتمع الرخاء والى الدولة التى تسيطر عليها الاحتكارات باعتبارها دولة فوق الطبقات . وهؤلاء القادة لا يرفضون الصراع الطبقى فحسب ولكنهم ينكرون حتى وجود الطبقات فى المجتمع الرأسمالى الحديث ، **ويؤيدون سياسة بورجوازيتهم القائمة على العدوان والتوسع الامبريالى واتجاهات الاستعمار الجديد ويباركون حلف الاطلنطى والحملات الافترائية ضد بلدان المعسكر الاشتراكى ويعادون حركات التحرر الوطنى وحق شعوب المستعمرات فى الاستقلال .** وعندما يصل مثل هؤلاء القادة الى الحكم لا يقومون بأية اصلاحات جوهرية وعندما يكونون فى المعارضة لا يتحركون ضد الاحزاب البورجوازية الا فى حدود ضيقة بل ويتعاونون معها فى كثير من الاحيان ويسعون الى حصر نشاطهم فى حدود الصراع البرلمانى ويعملون على الحد من حركة الجماهير النضالية فى بلدانهم . ومع التجاوز عن بعض الخلافات الجزئية بين الاحزاب ذات الطابع اليمينى فى الحركة الاشتراكية الديمقراطية يمكننا أن نقول أن من أبرز الاحزاب التى يضمها هذا الجناح فى أوروبا حزب الوحدة الاشتراكى الايطالى وحزب العمال البريطانى والحزب الاشتراكى الديمقراطى الالمانى والحزب الاشتراكى النمساوى . كما يلاحظ أن هناك اتجاه نحو اليمين بين زعماء عدد آخر من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية وعلى الاخص الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى السويد والنرويج والدنمرك .

أما الجناح اليسارى فى الاشتراكية الديمقراطية فمن أبرز أحزابه الحزب الاشتراكى الديمقراطى الفنلندى والحزب الاشتراكى الجديد فى فرنسا والحزب الاشتراكى الايطالى . وهذه الاحزاب يجمع بينها بشكل عام أنها تتخذ موقفا تقدميا من كثير من القضايا القومية والدولية وتتعاون مع الاحزاب الشيوعية وغيرها من التنظيمات فى حركة الطبقة العاملة .

ولا يقتصر التمايز داخل الحركة الاشتراكية الديمقراطية الى امكان تقسيمها بشكل عام الى أحزاب يسارية وأحزاب يمينية ، وانما يمتد هذا التمايز الى الصراع داخل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية بين التيارات المختلفة . وتتوقف درجة التمايز بين التيارات المختلفة داخل كل حزب على درجة نضوج الصراع الاجتماعى فى البلد المعين ودرجة نضوج ووعى حركة الطبقة العاملة .

وبشكل عام يمكننا أن نلحظ اتجاها واضحا وعاما فى جميع الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية بين جماهير الاعضاء نحو اتخاذ مواقف أكثر استقلالية عن البورجوازية ، بل ومواقف نضالية دفاعا عن مصالح الحركة العمالية وفى اتجاه تحقيق تغيرات راديكالية . ويتزايد نشاط القواعد فى تلك الاحزاب ضد اتجاهات القادة اليمينيون . وتتبلور اكثر فأكثر الاتجاهات اليسارية داخل صفوف الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية بدرجات مختلفة . وتضم هذه الاتجاهات اليسارية بينها تيارات فكرية وسياسية متباينة للغاية تختلف حسب ظروف كل بلد . ويشير ذلك الى خيبة أمل القواعد الاشتراكية الديمقراطية فى سياسة زعماء تلك الاحزاب . وفى معظم قواعد الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية تتعالى صيحات النقد الموجه ضد برنامج الحزب ومواقفه سواء فى السياسة الداخلية أو الخارجية ويجب الا يغرب عن البال أن مثل هذا النقد يتم فى اطار المفهومات الاشتراكية الديمقراطية ، أى أنه لا يتخطى المفهومات الايديولوجية والسياسية التى فرضها زعماء تلك الاحزاب ، ولكنه موجه فحسب الى بعض جوانب السياسة العملية .

وفى الظروف الحالية يتعاظم الاتجاه داخل الحركه العمالية والجماهير فى أوروبا بما فى ذلك أنصار الاشتراكية الديمقراطية لتوسيع حـدود الديمقراطية القائمة بهدف الحد من سيطـرة الاحتكارات وتوسيع حقوق الجماهير العمـالية للمشاركة فى حل مشاكل الانتاج ، ومن أجل تحقيق اصلاحات سياسية واجتماعية تساعد على تغيير النظام الرأسمالى • وبينما تسعى القوى اليسارية فى الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية للاندماج فى هذا التيار المتعاظم لحركة الجماهير يحاول زعماء الجناح اليمينى البحث عن وسيلة للحد من نضال الجماهير مدعين أن أهدافها انما تتفق ومبادىء الاشتراكية الديمقراطية .

موقف ايجابى من قضـايا السلام والامن الاوربيين

وتمتد عملية التمايز داخل الحركة الاشتراكية الديمقراطية الى مواقف تلك الاحزاب فى مجال العلاقات الدولية وخاصة فيما يختص بمشكلة السلام والامن والتعاون فى القارة الاوروبية ..
ورغم ان الجناح اليمينى فى بلدان غرب أوروبا ما زال يتمسك بسياسة تأييد **حلف الاطلنطى** ويرون ان امكانية تخفيف التوتر الدولى من خلال هذا الحلف الا أن هناك عددا متزايدا من قادة الاشتراكية الديمقراطية الدولية بدأ يدرك أن استمرار الموقف السلبى من التغيرات الموضوعية التى تحدث فى الواقع الاوروبى ، يمكن أن يؤدى الى الضرر البالغ بنفوذ ومراكز الحركة الاشتراكية الديمقـراطية الدولية ويعزلها عن جماهيرها التى تتطلع الى تدعيم السلام وتؤيد سياسة الامن والتعـاون الاوروبى •

ولقد انعكس هذا فى التحول الهام فى سياسة الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى مـؤتمرها الاخير الثانى عشر الذى انعقد فى **فينا** (يونيو ١٩٧٢) . فتحت ضغط وتأثير الرأى العـام لجماهير الاشتراكيين الديمقراطيين والرأى العام العالمى فى الظروف الراهنة رحب المؤتمر بنتائج محادثات القمة السوفيتية الامريكية • وجاء فى وثائق المؤتمرات الاشتراكية الدولية « تـرحب بحرارة بالتوقيع على المعاهدات بين ألـمانيا الاتحادية وبين كل من الاتحاد السـوفيتى وبولندا » • كما أشار المؤتمر بالارتياح الى قرار بدء المحادثات المتعددة الاطراف حول التحضير لمؤتمر الامن والتعاون الاوروبى ، وأصر علـى ضرورة بدء المحادثات التمهيدية فى أقرب وقت •
وقد لخص ويلى برانت رئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى ألمانيا الاتحادية التغيرات الايجابية فى الوضع الدولى فقال « ان الاتجاه الرئيسى للتطورات السياسية فى عالم اليوم هو التحول من المواجهة الى التعاون » •

ويرتبط هذا التحول فى موقف الاشـتراكيـة الديمقراطية نحو تخفيف حدة التوتر فى أوروبا بعاملين هامين : العامل الاول هو أن شـعوب أوروبا التى عانت اهوال الحرب العالمية الثانية تدرك تماما معنى تورط البشريـة فى حرب جديدة ولذا تجتاح الرأى العام الاوروبى رغبة ملحة لتصفية المشاكل التى تعتبر مصدرا للتوتر فى القارة حتى يمكن تدعيم أمن وسلام القارة الاوروبية • ولاشك أنه كان لهذه الحركة الجماهيرية الواسعة أثر كبير فى الضغط على قيادات الاحزاب الاشـتراكيـة الديمقراطية فى اتجاه هذا التحول • أما العامل الثانى فهو أن قطاعات واسعة من البرجوازية الاحتكارية فى بلدان أوروبا الغربيـة قد بدأت تنفصل عن السياسة الامريكية وتتناقض معها ولا ترى لها مصلحة مباشرة فى الارتباط باستراتيجية الحرب الامريكية وفى زيادة حدة التوتر داخل القارة مع بلدان المعسكر الاشتراكى . ولذا بدأت تلك القطاعات المستنيرة فى البرجوازية الاوروبية الحاكمة تتحول بالفعل من هذا الاتجاه نحو تصفية بؤر التوتر فى أوروبا وتوسيع التفاهم والتعاون بين دولها لضمان أمن وسلام القارة .

الاشتراكية الديمقراطية والعـــالم الثـــالث

فشلت كل الجهود التى قامت بها الاشتراكية الديمقراطية لتدعيم وجودها فى بلدان العـالم الثالث ، او خلق صلات قوية مع الاتجـاهات والاحزاب الاشتراكية او الليبرالية والقوى الوطنية فى هذه البلدان • وهذا أمر طبيعى فلقد وقف زعماء الجناح اليمينى للاشتراكيـة الديمقراطيـة الاوروبية ولعشرات السنين موقف العداء على طول الخط لمصالح حركـة التحرر الوطنى فى آسيـا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ولم يحدث على الاطلاق

ان كانت لهم أى صلات معها ، ومازال تمثيل الاحزاب المنضمة الى الدولية الاشتراكية فى هذه البلدان ضعيف للغاية . ولا يوجد للاشتراكية الديمقراطية فى افريقيا سوى حزبين فى جزر خارج القارة كما لا يوجد لها فى البلدان العربية سوى حزب واحد هو حزب الشعب العدنى الاشتراكى فى جمهورية اليمن الديمقراطية .

غير أن محاولات زعماء الاشتراكية الديمقراطية لا تتوقف فى سبيل تدعيم روابطهم مع العالم الثالث . فقد أشار رئيس مجلس الدولية الاشتراكية فى اجتماع هلسنكى عام ١٩٧١ الى : « ان الدولية الاشتراكية يمكنها أن تظل جديرة باسمها فحسب اذا ما وجدت الطرق والوسائل لاقامة التعاون مع أنصار الاشتراكية الديمقراطية فيما يسمى بالعالم الثالث بغض النظر عن موقفهم المتميز . فبدون أن نضع أيدينا فى أيدى اخواننا فى البلدان المستقلة حديثا سيكون مصير نضالنا ضد الاستغلال الى الفشل فى الداخل والخارج » .

وقالت جون ليستر مندوبة حزب العمال البريطانى فى المؤتمر الثانى عشر للدولية الاشتراكية انها أصيبت بفزع نتيجة لعجز الدولية الاشتراكية عن أن تكون دولية حقا مما يتضح من عدم حضور أى حزب من القارة الافريقية . كما تأسف كثير من المندوبين لهذه العزلة عن العالم الثالث واضعين اللوم فى ذلك على الروح الاوروبية والاطلنطية . غير أن المندوبين الاكثر صراحة قد قالوا « ان الاصلاحية ليس لديها ما تقدمه للعالم الثالث » ... « وأن بلدان السوق المشتركة تتصرف وفق مصالحها الانانية نحو الدول النامية » ، « وتتجاهل العقوبات التى فرضتها الامم المتحدة ضد الانظمة العنصرية فى جنوب افريقيا وروديسيا » . وأشار عدد آخر من المندوبين الى « أن الاشتراكية اليمينية التى تدافع عن الاصلاحات التافهة بمدلول رأسمالى لا يمكن أن يكون لهم جماهيرية فى البلدان التى تناضل من اجل الاستقلال الاقتصادى والسياسى ، اذ أن الاحزاب السياسية فى الدول النامية تتحول الى احزاب أكثر راديكالية وتتقدم بمطالب معادية للامبريالية لا يمكن للدولية الاشتراكية أن تؤيدها .

ويكمن السبب فى عزلة الاشتراكية الديمقراطية عن دول العالم الثالث فى معاداة الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى أوروبا لحركة التحرر الوطنى ونضال شعوب تلك البلدان من أجل الاستقلال ووقوفهم صراحة فى صف البرجوازية الامبريالية فى محاولاتها لقهر واستعباد والعدوان على هذه الشعوب . بل لقد تصدت بعض هذه الاحزاب لمهمة قمع حركات التحرر الوطنى لحساب برجوازيتها الاحتكارية . ودور حزب العمال البريطانى فى قمع حركة التحرر الوطنى فى بلدان افريقيا التى كانت خاضعة للاستعمار البريطانى لاتزال عالقة بأذهان شعوب افريقيا المستقلة . بل لقد تصدى « الاشتراكى » جى موليه مؤامرة العدوان الاستعمارى الصهيونى على مصر عام ١٩٥٦ تحت علم الاشتراكية الديمقراطية دفاعا عن المصالح السافرة للامبريالية والصهيونية . واذا كان الرأى العام الاوروبى واتساع حركة النضال الجماهيرى قد شكلا عوامل موضوعية ضاغطة على الاحزاب الاشتراكية فى اتجاه اجراء بعض التعديلات فى مواقفها فيما يختص بمشاكل القارة الاوروبية أو بمشاكل النضال الاجتماعى والسياسى داخل هذه البلدان ، فان الرأى العام الاوروبى مازال موقفه متخلفا بشكل عام عن قضايا العالم الثالث ولم يصل بعد الى المستوى الذى يمكن أن يشكل به عاملا ضاغطا للحد من العداء المكشوف للدولية الاشتراكية لحركة التحرر الوطنى والبلدان المستقلة حديثا . ومن الممكن أن نلمس ذلك بوضوح لو استعرضنا موقف الاشتراكية الديمقراطية الاوروبية من المشكلتين البارزتين فى العالم الثالث واللتين تمثلان ذروتى الصدام بين الامبريالية وبين حركة التحرر الوطنى فى عالم اليوم وهى مشكلة فيتنام ومشكلة الشرق الاوسط .

فمنذ بداية العدوان الامريكى على فيتنام لزمت الدولية الاشتراكية الصمت لفترة طويلة ، بل وخرجت بعض الاجنحة اليمينية للاشتراكية الديمقراطية تدافع فى صراحة عن العدوان الامريكى .

وعندما انعقد المؤتمر الحادى عشر للدولية الاشتراكية فى انجلترا (ايستبورن ١٩٦٩) أصدر قرارا عن فيتنام دعا فيه الى تسوية سياسية ولكنه سوى فى نفس الوقت بين طرفى النزاع ولم يدن العدوان الامريكى صراحة . غير انه مع افتضاح العدوان الامريكى فى فيتنام وازدياد عزلة الولايات المتحدة فى العالم والتحولات التى طرأت على الرأى العام الاوروبى فى موقفه من المشكلة الفيتنامية وتحول الرأى العام الاشتراكى الديمقراطى الى صف الشعب الفيتنامى وضد العدوان الامريكى ، لم يجد زعماء الاشتراكية الديمقراطية مفرا من الانحناء أمام الموجة

المتعاظمة فى اتجاه ادانـة العدوان الامريكى • وهكذا جاء موقف المؤتمر الثـانى عشر للدوليـة الاشتراكية فى فيينا (يونيو ١٩٧٢) أكثر وضوحا وتحديدا بالمقارنة مع الماضى • فقد أشار المؤتمر الى ضرورة الوقف الفورى للغارات الامريكيـة كشرط لابد منه للتوصل الى تسوية سياسية فى فيتنام . وأشار قرار المؤتمر الى أن السلام فى فيتنام يمكن أن يستند فحسب على الحق المطلق لشعوب الهند الصينية فى تقرير مصيرها بنفسها دون أى تدخل خارجى كما استنكر المؤتمر أساليب الحرب التى تتبعها الولايات المتحدة ، وطالب الحكومة الامريكية بضرورة تحـديد مـوعد للانسحاب العاجل من فيتنام • كما أشار الى ضرورة اقامة حكومة تضم كل العناصر المحبة للسلام فى فيتنام الجنوبية لتعد لانتخابات حرة •

وفيما يختص بأزمة **الشرق الاوسط** تتخذ قيادة الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية اليمينية موقفا معاديا لاستقلال الشعوب العربية وحقوق سيادتها على أراضيها ، وتقف الى جـانب العـدوان الاسرائيلى • ويرجـع موقف قيادة الاشـتراكيـة الديمقراطية المعادى لحقوق الشعوب العـربية واستقلالها الى الصلات الشخصية والحـزبية الوثيقة التى تربط هـؤلاء الزعمـاء بحزب العمل الاسرائيلى الحاكم الذى تتزعمـه جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل والتى انتخبها المؤتمر الثانى عشر للدولية الاشتراكية الذى انعقد فى فيينا فى يونيو ١٩٧٢ نائبة لرئيس الدولية الاشـتراكية كتكريم لها . والى جانب ذلك فان الصهيونية الدولية تلعب دورا هاما داخل الدولية الاشتراكية وأحزابها الاوروبية بحكم مصالح الصـهيونية ورأس المال الاحتكارى الذى تمثله فى تصفية النضال الاجتماعى والسياسى للجماهير العاملة ومحاولة احتوائه تحت مختلـف الشـعـارات البراقة • هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجحت الصهيونية فى خداع وتضليل الرأى العـام الاوروبى بشكل عام فيما يتعلق بحقيقة الاوضاع فى أزمة الشرق الاوسط بل لقد نجحت حتى فى تضليل قطاع كبير من القوى اليسارية وجعلته فى أحسن الاحوال يتشكك فى موقف العرب ويتخذ موقفا متحفظا من تأييد الحقوق المشروعة للشعوب العربية فى نضالها ضد العدوان ،وليس هناك شك فى أن موقف الرأى العام الاوروبى الذى لم يتحول بعد بما فيه الكفاية فى صف الحق العربى والذى ما زالت غلالات الدعاية الصهيونية تحجب عنه الرؤية • وانما يسمح لقيادات الاحـزاب الاشتراكية باتخاذ موقفهـا المعـادى للعرب دون خوف من ضغط الرأى العام • وقد انعـكس هذا الموقف المعادى لنضال الشعوب العربية والمتعاطف مع العدوان الاسرائيلى فى مؤتمر الدوليـة الاشتراكية فى ايستبورن عام ١٩٦٩ حينما دعا القرار الخاص بالشرق الاوسط الاطراف المتنازعة الى تسوية النزاعات بالوسائل السلمية . لكنه لم يدن على الاطلاق سياسة اسرائيل العـدوانية التوسعية وانما التزم الصمت الكـامل حيالها •

والامر الملفت للنظر أنه بعد ذلك بعامين جاء قرار المؤتمر الثانى عشر للدولية الاشتراكية المنعقد فى فيينا ١٩٧٢ مخيبا للامال بدرجة أكبر • فقد خلت قرارات المؤتمر تماما من أى اشارة الى أزمة الشرق الاوسط • وحينما سئل **برونوبيترمان** رئيس الدولية الاشتراكية فى أحد مؤتمراته الصحفية عن السبب فى هذا الصمت المطبق ازاء أزمة الشرق الاوسط حاول تبرير ذلك بقوله « ان القرار السابق الذى اتخذه مجلس الدولية الاشتراكية فى هلسنكى فى مايو ١٩٧١ ما يزال سارى المفعول » • ولم يكن ذلك سوى محاولة لتغطية موقف الاشـتراكية الديمقراطيـة المسـاندة للعـدوان الاسرائيلى •

غير أنه على الرغم من أن الدوائر المسئولة فى الدولية الاشتراكية تنحاز بشكل واضـح الى اسرائيل فانها لم تستطع أن تترجم هذا الانحياز الى لغة الوثائق السياسية • انهم يدركون أن المساندة المكشوفة للمعتدين قد تثير سخطا واسع النطـاق من جانب قواعدهم ، كما انهـا ستثير اشمئزاز وغضب الرأى العام التقدمى فى جميع انحاء العالم • ومهما بذلت الدولية الاشتراكية من محاولات للتمويه على مشكلة الشرق الاوسط فان العالم يعرف بوضوح أن الحكومة التى ترأسهـا أحد نواب رئيس الدولية الاشتراكية هى التى قامت بغزو واحتلال أراضى الدول العربية المجاورة . ولذلك فان صمت المؤتمر الثانى عشر فيما يختص بمشكلة الشرق الاوسط لا يحمل سوى دلالة واحدة وواضحة وهى تعـاطف ومسـاندة الدوليـة الاشتراكية للعدوان الامبريالى علـى الدول العربية •

وهكذا تواصل الدولية الاشتراكية بحكم ظروفها وارتباطاتها مواقفها التقليدية لعشرات السنين من قضايا التحرير العربى وتستمر فى عدائها لنضال الشعوب العربية من أجل الاستقلال والسيـادة وتأييدها لكل الاعمال العدوانية للصـهيونيـة والامبريالية والتى لا تزال قائمة حتى اليوم •

ثــلاث مجــالات للنشــاط الفــرنسى

البحـــر الأبيـــض

أكـــثرها اغـــراء وســـــهولة

كمــال السيد

في رسم السياسة كما فى أى نشــاط انسانى آخر ، ليس هناك أشــد ضررا من الاوهـــام الناجمة عن تكوين فكرى واجتماعى ينزع الى التهوين أو التهــويل ، خاصــة آبان الازمــات والمعضلات .

ففي السياسة كما فى التجارة يتعين وضع « موازنة حسابية » تحدد الربح والخسارة من اى تحركات ، والغنم والغرم مــن اى عــلاقات وتحالفات ، حتى تنبع الافعال والتصرفات مــن المصلحة وتتفق معها ، ولا تعتمد على مجــرد الاستلطاف والعواطف ، ولا يكون هناك « أعداء محبوبون » و « اصدقاء مبغوضون » .

وعلى مدار التاريخ العربى الحديث ، جانب بعض الوطنيين الصواب فى نظرتهم الى حلفائهم ، سواء بالمغالاة فى قيمة ما يقدمه هؤلاء أو فى التقليل منه . ففى اواخر القرن الماضى واوائل القرن الحالى وقرب منتصفه ، عول وطنيون عرب كثيرا على مساندة تركيا وفرنسا ثم ألمانيا ثم أمريكا لهم ، ولم يزنوا الوزن الصحيح اسباب وحدود التعاطف الذى ابدته معهم هذه الدول ، وفى الساعات الحاسمة تبدى واضحا ان هذه المساندة كانت تهدف فى المحل الاول الى تحقيق مصالح هذه الدول ، وان سياستها الخارجية عامة كانت انعكاسا مباشرا وأمينا لما يجرى داخل اراضيها من احداث وتطورات وتحقيقا لسياسة ما يسود فيها من مصالح اجتماعية .

والواقع ان التقييم السليم للتعاون مع اى صديق أو حليف بما يكفل استفادة كل الاطراف من هذا التعاون ، يقتضى وضوح أهداف كل طرف من هذا التعاون ، وفى هــذا لابد من ادراك متعمق لطبيعة النظام الاجتماعى والاقتصادى الذى يمثله كل طرف ، فذلك يسهل كثيرا ادراك حدود ومرامى حركته الخارجية .

وفى المرحلة الراهنة تحتل فرنسا مكانة متزايدة الاهمية فى نشاط الدبلوماسية العربية ، حتى ان ثلاثا من كبار المسئولين فى البلاد العربية ، **بورقيبة وصدام حسين ومراد غالب** ، زاروها فيما يقل عن ثلاث شهور . ومن الرباط حتى امارات الجنوب والعراق ، حققت فرنسا مكاسب هائلة فى الاونة

الاخيرة خاصة بعد ١٩٦٧ ، فبين ١٩٦٦ و ١٩٧٠ زادت صادراتها الى المنطقة من ٩٢٠ر٩ مليون دولار الى ١٣٢٦ مليونا ، اى بنسبة ٤٤ر٨ فى المائة ، فى حين زادت صادرات بريطانيا الى نفس المنطقة بنسبة ٢٣ر٢٥ فى المائة ، وارتفعت من ٥٨٩ر٣ مليون دولار الى ٧٢٦ مليون دولار ، وزادت صادرات المانيا الغربية من ٤٤٨ر٩ مليون دولار الى ٦١٩ مليون دولار ، اى بنسبة ٣٧ر٨٦ فى المائة . وفى ١٩٧١ زادت صادرات فرنسا للمنطقة بنسبة ٢٥ فى المائة عنها فى ١٩٧٠ ، وزادت مشترياتها منها ، خاصة البترول ، بنسبة ٥٠ فى المائة .

وفهم حدود التعاون الفرنسى يقتضى فهمـــا للتطورات الداخلية فى فرنسا ليسهل تحديد اهداف سياستها الخارجية ومن ثم امكانيات وحـدود التوافق معها .

والواقع أن فرنسا شهدت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، زيادة واضحة فى عمليات التركز فى مجالى الانتاج ورؤوس الاموال للـوصول بالمشروعات الى « الحجم الدولى » القادر علـى المنافسة وفتح المنافذ والاسواق لكل منهمـا . وترجع هذه الزيادة الملحوظة فى عملية التركز الى أسباب عامة وأخرى خاصة (١)

أما الاسباب العامة ، فتتمثل فى أمرين : أولهما تقدم العلوم والتكنيك والذى لم يعد يتم اليوم بطريقة بطيئة ومستمرة ، بل يتحقق فى قفزات تتتابع بشكل سريع ، ويتطلب تطوير القـــوى الانتاجية على أساس منها ، رؤوس أمـوال ضخمة ، لان عملية الانتاج أصبحت تشمل مراحل ثلاث ، هى مرحلة التمهيد لـلانتاج (الابحاث العلمية والتصميمات) ومرحلة الانتاج بـالمعنى الحرفى ، ثم مرحلة ما بعد الانتاج . ولكيلا تتخلف المشروعات الانتاجية عن غيرها ويسهل القضاء عليها ، يتعين عليها تمويل ابحاث مكلفة وطويلة كما يتطلب الاستخدام الامثل للتكنيك المتقـدم والاتوميشن ، وحدات انتاجية غاية فى الضخامة ومن ثم يحفز بدوره على التركز .

أما العامل العام الثانى للتركز فيتمثل فى تفاقم الازمة العامة للنظام الامبريالى العالمى عقـب الحرب العالمية الثانية وتصاعد حركة الاشتراكية والتحرر الوطنى ، مما قلل مجـال حـركة الامبريالية ، وفاقم مشكلة الاسواق وكثف المنافسة العالمية ، التى كانت على الدوام من أهم عوامل التركز

وتتمثل العوامل الخاصة التى حفزت التركز فى فرنسا ، أولا فى التأميم . فقد أدى تصاعد الحركة الوطنية فى أعقاب هزيمة المانيا الهتلرية ، وتنامى دور الطبقة العاملة والحزب الشيوعى الفرنسى ، الى موجة من التاميمات شملت أساسا صناعات الفحم والكهرباء والغاز والبنوك الكبيرة وشركات التامين . ومع ذلك فان التحول الذى حدث فى السياسة الداخلية الفرنسية ابتداء من ١٩٤٧ اتاح للبرجوازية الاحتكارية أن تحول القطاع المؤمم الى قطاع دولة والى جهاز من أجهزتها التى تخدم الاحتكارات ، وساعد قطاع الدولة بما قدمه من خدمات للاحتكارات ، على ازدياد التركز ، كما أن التعويضات التى دفعت لاصحاب المشروعـات المؤممة ساعدت بدورها على التركز .

أما العامل الخاص الثانى للتركز الفـرنسى فيتمثل فى أزمة النظام الاستعمارى الفرنسى . فقد انعكست المرحلة الثانية من أزمة النظام الرأسمالى العالمى التى بدأت بالحرب العالمية الثانية وحتى منتصف سنوات ٥٠ ــ ١٩٦٠ ، وبداية المرحلة الثالثة من الازمة ، بطريقة حادة على الامبريالية الفرنسية التى فقدت كثيرا من قواعدها الاقتصادية الهامة وامبراطوريتها الاستعمارية الواسعة فى آسيا وافريقيا ، وأدى هذا الى عودة رؤوس أموال ضخمة كانت مستثمرة فيها ، ليعاد استثمارها فى فرنسا فى البنوك والصناعة والتجارة ، مما فاقم التركز .

أما العامل الخاص الثالث للتركز فى فرنسا (*) فيتمثل فى انشاء السوق المشتركة رغبة فى تركيز قوى العالم الرأسمالى لمواجهة التناقضات التى تأخذ بخناقه ، وكان انشاء السوق بدوره دافعا لمزيد من التركز سواء على مستوى كل بلد من بلدانه على حدة أو على مستوى البلدان الستة المكونة له ، أو على مستوى العالم الرأسمالى بأسره .

Henri (Aude) la concentration capitaliste Pouvoir Economique et Pouvoir Gaulliste, Editions Sociales, Paris, 1965.

وفى الوقت الذى فقدت فيه البورجوازية الاحتكارية الفرنسية امبراطوريتها الاستعمارية ، اتاح لها قيام السلطة الديجولية فرصة الاستخدام الاكفأ لجهاز الدولة ولسياستها فى الداخل والخارج ، لمواجهة المنافسة الضارية مع الدول الامبريالية الاخرى • وبالفعل حققت السلطة الديجولية هدفين أساسيين : هما توفير الاساس المادى للصمود فى المنافسة الدولية ، ثم استخدام السياسة الخارجية ومختلف روافع الدولة كالقروض والمساعدات وغيرها لغزو المواقع بأسلوب جديد ، يختلف كيفيا عما كان شائعا فى الجمهورية الرابعة ، وهو الاسلوب الذى اصطلح على تسميته بالاستعمار الجديد . وبالفعل وفرت الديجولية اساسا ماديا واقتصاديا وايديولوجيا للاحتكارات الفرنسية لمواجهة المنافسة الضارية فيما بين الدول الامبريالية . وتحقيقا لهذا تم تشجيع التركز ، لتصل المجموعات الاحتكارية الى « الحجم الدولى » ، وأكدت الخطة الخامسة ضرورة قيام مشروع واحد أو أثنين على الاكثر فى كل فرع صناعى •ولم تكن المسألة الاساسية فى هذه السياسة هى تحقيق التوازن للاقتصاد القومى ، بل اقتطاع أكبر جزء من موارد الامة لوضعه تحت تصرف القدرة التنافسية للاحتكارات •• وكانت السياسة الخارجية انعكاسا مباشرا للمصالح السائدة فى فرنسا فاتجاه ديجول الى تكوين قوة رادعة خاصة ، وسياسته تجاه بلدان آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية والشرق الاوسط ، والموقف من البلدان الاشتراكية ، كل ذلك يؤكد ان السياسة الخارجية لديجول كانت تتوخى تحقيق أهداف الاحتكارات الفرنسية فى نضالها ضد المنافسين ، بأساليب جديدة ظاهرها التمايز عن المعسكر الاستعمارى التقليدى والميل الى التفاهم •

وبالفعل أدت سياسة التمايز عن الولايات المتحدة وعن بريطانيا ، بل وادانة سياسة الجمهورية الرابعة (وعدوان ١٩٥٦ واحد من أساليبها) والاعتماد على التسلل « السلمى » بل واستخدام المعونات والقروض العامة لفتح المجال أمام رأس المال الخاص ،أدى كلذلك الى اشتداد ساعد فرنسا فى النضال ضد منافسيها وتعويض الضعف النسبى فى امكانياتها بالمقارنة مع الولايات المتحدة مثلا ، وجذب اعداد متزايدة من الدول الى مجال التعاون المجزى لفرنسا اولا ، وبالذات فى نواحيه المادية •

ومع ذلك فالسياسة الفرنسية ليست حرة تماما فى التمايز عن المعسكر الامبريالى ، ذلك أن دخول الاحتكارات الفرنسية الى الحلبة الدولية يفرض عليها نوعا من تدويل الانتاج ورأس المال وتشابك المصالح ، كما أن تصاعد النضال الطبقى والمواجهة مع النظام الاشتراكى ومع حركة التحرر يدفع فرنسا الى نوع من التضامن الامبريالى ، ولكن المنافسة على الاسواق والارباح يوهن الروابط الامبريالية (٢) ويضعفها •

ولقد ركزت السياسة الخارجية الفرنسية على ثلاث مجالات رئيسية ، بأمل ايجاد المنافذ لصناعتها وتجارتها ولمكانتها الدولية ، وهذه المجالات هى :

● العلاقات مع المعسكر الاشتراكى : فلم ترد فرنسا أن تترك لحلفائها ان ينفردوا وحدهم بالتعامل مع السوق الاشتراكى الواسع والقادر اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وحضاريا . ومن ثم فان فرنسا سعت من جانبها لايجاد علاقات تعاون وتبادل عريض مع الاتحاد السوفيتى ومع الصين وغيرهما ، ضاربة عرض الحائط بكل القيود والتحريمات الامريكية ، مما اضطر الولايات المتحدة بدورها الى الاسراع بالتعاون مع المعسكر الاشتراكى •

● الاتجاه الاوربى ومحاولة تكوين كتلة ثالثة للوقوف فى وجه التسلط الامريكى بصفة خاصة وتنظيم المنافسة بين الدول الاوربية • وكانت الخطوة البارزة فى هذا الاتجاه ، هى تكوين السوق الاوربية المشتركة ، التى عملت فرنسا طويلا على منع انجلترا من الانضمام اليها حتى لا تنافسها فيها ، وحتى لا يتسرب الامريكيون من ورائها الى السوق •

● التعاون مع بلدان العالم الثالث خاصة مع المستعمرات الفرنسية القديمة وبالذات فى أفريقيا . وفى هذا الصدد سارت السياسة الفرنسية فى ثلاث اتجاهات :

Traité Marrxiste DEeconomie politique. Le Capitalisme Monopoliste d'Etat.
Philippe de Saint Robert, le Jeu de la France En Méditerranée, Julliard, Paris, 1970.
Tome 2, Editions Sociales, Paris 1970.

● الدعوة لوحدة الناطقين بالفرنسية ،أو ما سمى « بالفرانكفون » والواقع ان اللغة والثقافة المشتركة تلعب دورا هاما فى توطيد اقدام الاستعمار الجديد ، وقد استغلتها فرنسا جيدا فى مواجهة منافسة القوى الامبريالية الاخرى الناطقة بلغات مخالفة كالانجليزية والالمانية .

● الدعوة الى جعل « البحر الابيض بحيرة سلام » خاضعة لسيادة الدول الواقعة على شطآنه ، تمهيدا لقيام نوع من التعاون الاقتصادى بينها تستفيد منه فرنسا بالطبع نظرا لامكانياتها الاقتصادية الكبيرة ،وبالفعل وجدت فرنسا رجالا كالمصمودى وزير خارجية تونس يدعون لاخراج الاسطول السوفيتى من البحر الابيض ومن بـاب التغطيـة الاسطـول الامـريكى ، ثـم يطالب « بمشروع مارشال اوربى » لمساعدة بلدان المغرب .

● التعاون مع البلاد العربية ، وحاجة فرنسا اليها كبيرة فى الحصول على البترول ، أولا لجودته ورخص اسعاره (توفر فرنسا ٧٥ سنتا فى كل برميل بترول تستورده من الجزائر عما لو جاءها من مكان آخر) وثانيا لتقليل اعتمادها على البترول الامريكى ، وبالفعل حصلت فرنسا على امتيازات فى ليبيا والعراق ،وقدمت شركة ايراب عروضا جديدة بالمشاركة تحوز رضاء أوليا ، علاوة على انتاجها ٧٠ فى المائة من بترول الجزائر ناهيك عن الموارد الخام الاخرى فى المنطقة ، وما تمثله من سوق واسع للانتاج الفرنسى .

ولا يخفى المفكرون الفرنسيون ان اتجاه فرنسا الى البلاد العربية والبحر المتوسط ، فضلا عن انه يتفق مع حقائق التاريخ والجغرافيا ، فانه يوفر لفرنسا مواقع ثابتة تمارس منها دورها كدولة كبرى . ويؤكد **فيليب دى سان روبير** ، المفكر الديجولى (٣) ،ان «**الكادرالاطلنطى** » قدتجمد منذ ٢٠ عاما من جراء السيطرة الامريكية ، وفشلت جهود ديجول فى اقامة تعاون بين دولة بعيدا عن تحكم أمريكا ، وان التعاون الاوربى لم يحقق اغراضه ، لان المانيا لم تعد فى حاجة الى ستار اوروبى تعمل من ورائه،كما ان نفوذ امريكا تزايد فى الدول الاخرى الاعضاء فى السوق المشتركة مثل هولندا وبلجيكا . ومن ثم كـانت الحاجة ماسة الى الاتجاه جنوبا ، صوب العرب والبحر المتوسط ، وشجع فرنسا على هـذا السقوط « **الانجلو ساكسونى** » فى المنطقة والتورط الامريكى مع اسرائيل . وكما يقول **فيليب دى سان روبير** « فى هذه المنطقة هناك أمم تعيسة ؟ تنتظر أى شىء من فرنسا ».

ولم تكن النقود هى الامر الاساسى الذى تستطيع فرنسا ، بل يجب عليها ان تقدمه للشرق الاوسط، بل ارادتها السياسية . فهى بالنسبة لهذه الامم اكثر قيمة » وبالفعل استطاعت فرنسا بالفعل السياسى وحده ، ودونما تكاليف مادية ان تحقق لنفسها الكثير ، لمجرد أنها اتخذت موقفا عادلا من العدوان . فعندما اعلنت أنها لن تؤيد من يبدأ باطلاق النيران ، ثم ادانت اغتصاب الاراضى بالقوة كسبت عطف كل العرب « المحافظين » و « التقدميين » على حد سواء ، رغم أنها تحبذ تسوية عادلة للنزاع بالتفاوض ،وتربطها علاقات اقتصادية وثقافية كثيرة باسرائيل . ولكن « الموازنة الحسابية » التى اجراها قادة فرنسا ، بينت لهم ان عدم اتخاذ موقف عدائى من العرب يكسبهم الكثير ، خاصة وان هـؤلاء لا يطالبونهم بقطيعة مع اسرائيل . والواقع ان التعامل العربى الفرنسى ، يزيد كثيرا عن التعامل الفرنسى الاسرائيلى ، كما يتضح من الارقام التالية :

● تبلغ صادرات فرنسا الى البلاد العربية ٣ر٨فى المائة من مجموع صادراتها ، فى حين لا تتجاوز صادراتها الى اسرائيل ٤٣ر فى المائة . وتبلغ وارداتها من البلاد العربية ١٢ فى المائة من مجموع وارداتها ،فىحين تصل وارداتها من اسرائيل الى ١٤ر فى المائة . وفى حين تحتل البلاد العربية المكانة الثانية فى تجارة فرنسا فان اسرائيل تحتل المكانة التاسعة والاربعين .

ويعمل فى البلاد العربية ٥ر٨٢ فى المائة من المدرسين الفرنسيين فى الخارج و٧٦فى المائةمن الخبراء الفرنسيين فى حين تبلغ الارقام فى الخارج على التوالى ٦ر٩ فى المائة و ٢٧ر٠ فى المائة .

لقد أدركت فرنسا ان تموين اوربا من الطاقة كف منذ ١٩٦٠ عن ان يعتمد على امريكا،فمن كل ٥ أطنان تستوردها اوربا يأتى ٤ من البلاد العربية ، ومن ثم أصبح الاستقلال البترولى ، وهو دعامة اساسية للاستقلال الاوروبى بصفة عامة ، يعتمد على حسن العلاقات مع العرب وفى سبيل دفع مشترياتها من البترول سعت فرنسا الى توسيع تجارتها والى بيع الاسلحة للبلاد العربية ، من غير دول المواجهة حتى لا تثير اسرائيل . وعلاوة على الصفقات مع ليبيا ، ظارت بعثات عسكرية الى السعودية والكويت وغيرها من البلاد العربية

لتسويق السلاح الفرنسى ، ومن ورائه الخبراء وغيرهم ٠

والواقع ان علاقات فرنسا مع البلدان العربية مرت بمراحل ثلاث كما يقول بول بالتا فى جريدة الموند ٠: الاولى من ١٩٤٥ حتى نهاية الحرب الجزائرية ، وسادتها الاعتبارات السياسية المتعلقة بالظروف القائمة اثناء هذه الفترة وفيها تدهورت علاقات فرنسا مع العالم العربى ٠ وتميزت المرحلة الثانية التى امتدت حتى حرب الايام الستة ، باستعادة العلاقات الثنائية ٠ وفى المرحلة الثالثة تعمقت وتدعمت هذه العلاقات ، وانتقل العمل العربى فيها من المبادرات الفردية والمتقطعة الى عمل جماعى ومنظم بدرجة ما لدعم العلاقات مع فرنسا ،وبالفعل كان لمبادرة العراق الخاصة بعدم تأميم نصيب فرنسا فى شركة بترول العراق اثر طيب على فرنسا نفسها وعلى الدول الاوروبية الاخرى ٠ ذلك ان وضع فرنسا يمكن أن يكون فعلا مثلا يحتذى من قبل الاخرين فى قيام نوع من التعاون يحقق مصالح كل الاطراف على الرغم من اختلاف درجات النمو الاقتصادى وتباين الانظمة الاجتماعية ولكن ذلك يتطلب فى المحل الاول وضوح الاهداف والبعد عن أى اوهام ٠والواقع ان طارق عزيز وهو أحد المسئولين العراقيين اوضح هذه الحقيقة فى مؤتمر صحفى فى باريس أكد فيه « ان العرب لم يطلبوا شيئا من ديجول . لقد عرضوا عليه وجهة نظرهم فحسب ، تماما كما فعلوا مع العالم كله ٠ وتركوه ليقرر ما يراه محققا لمصالح فرنسا ٠ والواقع ان مصالح اوربا تشبه مصالح فرنسا فى نواح كثيرة ، ولهذا فاننا لا نستبعد ان يقرقادة اوربيون آخرون ، ذات يوم بأن ديجول كان ابعد نظرا ويتبعون الطريق الذى اختطه عندما وضع فى اعتباره الحقائق الحالية والمقبلة . وفرنسا لم تخف ابدا انها تدافع عن حق اسرائيل فى الوجود وانها مع حل للنزاع يتم الاتفاق عليه والتفاوض حوله ٠ ونحن لا نطلب من فرنسا ان تغير اتجاهها ولكننا نعترف لها بأنها اتخذت حيالنا موقفا منصفا » ٠

ومن ثم فان وضوح الاهداف هى الشرط الاول لقيام تعاون مثمر مع فرنسا ودورها فى اوربا وفى العالم الثالث كبير كقوة مناوئة ومنافسة للولايات المتحدة ٠ ومثل هذا التعاون يستحق الاهتمام والتركيز بدلا من تركيز الجهود على المانيا الغربية لتقوم بهذا الدور ، فهذه الاخيرة اكثر خضوعا للمشيئة الامريكية والاسرائيلية ، فضلا عن أن مصالحها فى المنطقة ليست بمثل ضخامة مصالح فرنسا ٠

بـــون ..

تـل أبيـب ..

والعـــــرب

ماقيمـــة ألمـــانيـــا الغـــربية للعــــرب ؟

د. عصام الدين الحناوى

أن كل معاصر للتاريخ الاسرائيلى وكل اقتصادى يعلم ان اسرائيل لم يكن لها أى نوع من أنواع الاقتصاد فى عام ١٩٤٩ . وكدولة « جديدة ناشئة » كـان لابد من البحث لـهـا عـن منبع يدعـم بنائها وبقائها .. وبدأ ساسة اسرائيل فى ذلك الوقت عملية تخطيط منظمة لمطالبة المانيا الغربية بدفع « **تعويضات مالية** » لليهود من ضـحـايا النازية ...وحينما بدأت الهمسات عن ذلك سـارع **اديناور** مستشار ألمانيا الغربية فى ذلـك الوقت بارسال هدية عينية من البضائع الالمانية قيمتها ١٠ ملايين مارك كرمز لحسن نوايا الالمان والـدولة الالمانية الجديدة .... وكانت هذه الهدية بداية الخيط الذى أمسكت به اسرائيل فقامت فى عام ١٩٥٠ باتصالات سرية لجس النبض تقدمت بعدها فى ١٦ يناير و ١٢ مارس ١٩٥١ بمذكرات الى قوات الاحتـلال فى المانيـا الغربيـة تطالب فيها بأن تقوم ألمانيا الغربية بدفع تعويضات مالية لاسرائيل تكفيرا عن أعمال النازى ووافقت دول الاحتلال على مطلب اسرائيل من النـاحـية النظرية ... وسرعان ما توالت الاحداث ..

● مايو ١٩٥١ اجتماع سرى بين اديناور مستشار ألمانيا وموريس فيشر سفير اسرائيل فى باريس ودكتور هوروفيتش مدير بنك اسرائيل فى فندق بريستول بباريس .

● ٢٧ سبتمبر ١٩٥١ **خطاب اديناور الشهير أمام البرلمان الالمانى « البوندستاج » موضحا فيه «عقدة الذنب»وانه يجب على الالمان ان يكفروا عن ما فعله النازى باليهود بدفع تعويضات لهم**

● ٦ ديسمبر ١٩٥١ مقابلة سرية بين اديناور ودكتور جولدمان زعيم المؤتمر اليهودى العالمى فى فندق كلاريدج بلندن .

● بدء المباحثات الرسمية فى فاسينار بهولندة فى ٢١ مارس ١٩٥٢ بين الوفد الالمانى برئاسة فرانز بوم والوفد الاسرائيلى برئاسة دكتور فيلكس شينار التى استمرت حتى ٢٧ أغسطس ١٩٥٢ .

● **١٠ سبتمبر ١٩٥٢ .. توقيـع معاهـدة لوكسمبورج بحضـور اديناور وموشى شـاريت ودكتور جولدمان** ... وتتضمن هذه المعاهدة ثلاث اتفاقيات هامة :

١ ـ الاتفاقية الالمانية ـ الاسرائيلية (المعروفة باسم اتفاقية شيلوميم) وتدفع بمقتضاها المانيا الغربية تعويضات قدرها ٣ بلايين مارك خلال فترة تتراوح ما بين ١٢ و ١٤ عاما .

٢ ـ بروتوكول رقم ١ وتقوم المانيا الغربية بمقتضاه باعداد قوانين جديدة لتعويض الافراد اليهود من ضحايا النازية .

٣ ـ بروتوكول رقم ٢ تدفع بمقتضاه المانيا الغربية ٤٥٠ مليون مارك لصالح المؤتمر اليهودى العالمى تحول الى نيويورك لاستغلالها فى انعاش المنظمات اليهودية العالمية .

ولقد قوبلت هذه المعاهدة بارتياح شديد فى اوساط الساسة الاسرائيليين ، وعلى رأسهم بن جوريون ... فلقد ضمنت لاسرائيل موردا أساسيا لبناء « الدولة الجديدة » . وفى نفس الوقت قوبلت هذه المعاهدة بفتور فى المانيا الغربية ولتحريك الشعور الالمانى حتى يتم التصديق على المعاهدة فى البرلمان الالمانى قام بعض السياسيين الالمان ومن بينهم فيلى برانت مستشار المانيا الغربية الحالى بحملات دعائية تحت اسم حركة « نحن نطلب السلام لاسرائيل » ... وكان من الطبيعى أن تقوم اسرائيل والصهيونية بحملات سياسية كبيرة خاصة بعد أن هاجمت الدول العربية المعاهدة وهددت جامعة الدول العربية بمقاطعة البضائع الالمانية ـ ومن الجدير بالذكر ان الموقف الذى اتسم بالحزم من جانب الدول العربية كان موقف السعودية ، ففى نوفمبر ١٩٥٢ اصدرت السعودية تعليمات الى جميع الشركات الالمانية بوقف نشاطها فى البلاد ومغادرة الاراضى السعودية .

وللاسف نجحت الحملات الاسرائيلية فى اقناع رجال الاعمال الالمان بأن العرب لن يقاطعوا المنتجات الالمانية لانهم لا يستطيعون الاستغناء عنها وأن ما يفعله العرب ما هو الا « زوبعة فى فنجان » ... ولاسكات الاصوات العربية المعارضة قامت المانيا الغربية بدفع بعض المبالغ الرمزية لبعض الدول العربية فى صورة مساعدات اقتصادية ... وهكذا كما قال البعض .. لقد اشترى الالمان الاصوات العربية المعارضة ....

وفى ٢٠ مارس ١٩٥٣ تم تصديق البرلمان الالمانى على معاهدة لوكسمبورج وفى ٢٢ مارس صدق عليها الكنيست الاسرائيلى ....

ولم تضيع اسرائيل دقيقة من الوقت فقامت على الفور بتعيين بعثة اسرائيلية برئاسة دكتور فيلكس شينار فى مدينة كولن بألمانيا لمتابعة تنفيذ طلبات اسرائيل ... وتم التخطيط على أساس أن تقوم اسرائيل بتقديم قوائم محددة لمنتجات صناعية وأجهزة تمكنها من بناء عدد من المصانع والمرافق العامة ... ويمكن تقسيم الطلبات التى قدمتها البعثة الاسرائيلية فى كولن والتى نفذتها المؤسسات الصناعية الالمانية خلال الفترة ما بين ١٩٥٣ و ١٩٦٥ كالاتى :

١ ـ أجهزة ومعدات لصناعة الحديد والصلب ... فى حدود ٤٠٠ مليون مارك .

٢ ـ بناء ٥٩ سفينة مختلفة الاحجام .... فى حدود ٥٨٥ مليون مارك .

٣ ـ معدات للبناء ومعدات كهربية والكترونية ... فى حدود ٩٥٠ مليون مارك .

٤ ـ اجهزة ومعدات للصناعات الكيميائية .... فى حدود ٤٠٠ مليون مارك .

٥ ـ منتجات وأجهزة زراعية .... فى حدود ٩٢ مليون مارك .

٦ ـ خدمات مختلفة وتامينات ... فى حدود ٢٥٠ مليون مارك .

٧ ـ شراء بترول من انجلترا (شركة شل) ... فى حدود ٩٨٠ مليون مارك .

وهكذا قامت عدة مصانع المانية بالعمل طيلة اثنى عشر عاما لتنفيذ الطلبات الاسرائيلية ،وهكذا اتاحت اتفاقية شيلوميم الفرصة لبناء الاقتصاد الاسرائيلي وساعدتها على البقاء .

وفى عام ١٩٦٥ عندما شعرت اسرائيل بأن شيلوميم على وشك الانتهاء تحركت فى اتجاه أخر .. أدى الى لقاء بن جوريون وأديناور والى الحديث عن العلاقات الدبلوماسية ... وتطورت الاحداث بسرعة ، وفى ١٣ مايو ١٩٦٥ قطعت معظم الدول العربية علاقتها الدبلوماسية مع المانيا الغربية بعد تبادل العلاقات بين اسرائيل والمانيا لاول مرة فى التاريخ . وبطبيعة الحال استمرت المعونات الالمانية السخية لاسرائيل وأخذت صورا متعددة متغيرة .. فتتلقى اسرائيل تسهيلات مصرفية بما قيمته ١٥٠ مليون مارك سنويا وفى عام ١٩٧٠ تلقت الصناعات الجوية الاسرائيلية قروضا من البنوك الالمانية بلغت قيمتها ٢٠ مليون مارك .. ودفعت المانيا الغربية مساعدات مادية بلغت ٢٥٠ مليون مارك للمركز الذرى الاسرائيلى فى ديمونه باسرائيل .

ولم تقتصر المساعدات الالمانية لاسرائيل على التعويضات والمنتجات الصناعية بل تعدتها الى مجالات أخرى .. فقامت المانيا بشحن كميات من الاسلحة « الامريكية » عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ الى اسرائيل .. وقامت المخابرات الالمانية بمساعدة المخابرات الاسرائيلية فى عمليات تجسس كبيرة فى الدول العربية وخاصة فى مصر .. وكان لهذه العمليات اثر كبير فى سير العمليات العسكرية فى حرب يونيو ١٩٦٧ .. ولقد كشف النقاب عن هذه

العمليات بعد نشر مذكرات الجنرال رينهارد جيهلن رئيس المخابرات الالمانية السابق فى أواخر عام ١٩٧١ ...

ما قيمة ألمانيا الغربية للعرب ؟

يجب علينا فى تقييمنا للعلاقات العربية الالمانية ان نسقط من حسابنا المجالين العسكرى والسياسى . فمن الناحية العسكرية لا يمكن أن نتوقع أن تقوم المانيا الغربية ببيع اسلحة او معدات ذات صبغة حربية لاى دولة عربية ومن الناحية السياسية فان ألمانيا الغربية **لا ولن** تستطيع مساندة القضية العربية نتيجة لعدة عوامل أهمها الضغط الامريكى الصهيونى و « عقدة الذنب » التى تلوح بها المنظمات الصهيونية **فى** وجه السياسة الالمانية بالاضافة الى سيطرة وسائل الاعلام الموالية للصهيونية على الرأى العام الالمانى .. **وتحت أحسن الظروف ـ وأقول تحت احسنها ـ سوف تقف بون موقفا سلبيا من قضية الشرق الاوسط** .. ومن الجدير بالذكر أن هانز جورج شتلتزر سفير ألمانيا الغربية فى القاهرة ـ الذى لم يقدم أوراق اعتماده بعد ـ صرح فى حديث لجريدة فرانكفورت روندشاو فى ١٩ أغسطس الماضى بقوله « أن عودة العلاقات الدبلوماسية بين ألمانيا الغربية ومصر لا يجب أن تكون على حساب العلاقات الطيبة بين ألمانيا واسرائيل .. » !

أما من الناحية الاقتصادية **فأن ألمانيا الغربية حريصة كل الحرص على ابقاء هذه الناحية مفتوحة** ـ حتى لو كانت العلاقات الدبلوماسية غير موجودة مع العرب .. ويحرص رجال الاقتصاد على بقاء الاسواق العربية مفتوحة أمام منتجاتهم خاصة بعد ظهور منافس خطير هو فرنسا وبعد اقبال الاسواق العربية على شراء المنتجات الالكترونية والكهربية من اليابان .. ويعمل خبراء التسويق الالمان كل ما فى وسعهم بشن حملات نفسية فى الاسواق العربية بالتحدث عن جودة وصلابة المنتجات الالمانية وعن عدم وجود بديل لها ـ ولقد لاقت هذه السياسة نجاحا الى حد ما فبعض الدول العربية التى تتوافر لديها العملات الحرة تقوم بشراء منتجات المانية بأسعار مرتفعة ويمكنها شراء نفس المنتجات من اليابان مثلا بأسعار أقل بكثير وعلى سبيل المثال فأن احدى هذه الدول قام بشراء ميكروسكوب الكترونى من المانيا بثمن بلغ ثلاث أضعاف مثيله اليابانى ـ ومن الجدير بالذكر ان الهيئات الالمانية نفسها تقوم بشراء مثل هذه الميكروسكوبات من اليابان للفارق الكبير فى السعر .

ولقد أدى دخول اليابان وتفوقها السريع فى الصناعات الالكترونية والبصرية الى توقف انتاج انواع كثيرة من هذه المنتجات فى المصانع الالمانية لعدم وجود الاسواق الكافية لتوزيع هذه الاجهزة بالاسعار المعقولة .

ومن ناحية أخرى تحرص ألمانيا الغربية ـ تحت ستار ما يسمى بالمساعدات والقروض للدول العربية ـ على ترويج بعض منتجاتها واقامة مشروعات طويلة الاجل تتقاضى عنها فوائد تصل الى اكثر من ٨ فى المائة من قيمة القروض الممنوحة، وتعمل المؤسسات الالمانية بكافة الوسائل ـ مشروعة وغير مشروعة ـ على استمالة المسئولين فى بعض الدول العربية حتى تتاح لها فرصة القيام بهذه المشروعات التى تحقق لها الانفتاح على العالم والدول النامية ومما يؤسف له فأن الكثير من هذه المشروعات لا ينفذ بالامانة والدقة المطلوبة وهناك على سبيل المثال مشروع كبير فى احدى الدول العربية نفذ منذ اعوام .. ولم تعمل وحداته حتى الان لعيوب فنية فى التنفيذ .. !!

هذا واذا ما قمنا بدراسة للميزان التجارى الالمانى ـ العربى لوجدنا ان **المانيا الغربية تستورد من الدول العربية بما يعادل ثلاث أضعاف ما تقوم بتوريده** . ففى عام ١٩٧١ استوردت المانيا ما قيمته ٦٥٠٠ مليون مارك منتجات عربية معظمها من البترول الخام فى حين قامت المانيا بتصدير ما قيمته ٢٣٠٠ مليون مارك منتجات لجميع الدول العربية .. هذا **ويعتمد الاقتصاد الالمانى الخاص بالصناعات البترولية وما يتعلق بها من منتجات على الخام العربى فتستورد المانيا الغربية ٧٦ فى** المائة من البترول الخام الذى يدخل الى معامل التكرير الالمانية من الدول العربية (٣٠ فى المائة من ليبيا ـ ١٧ فى المائة من السعودية ـ ١١ فى المائة من الجزائر ـ ١٨ فى المائة من باقى الدول العربية) .

لذلك فان المستفيد الاول من العلاقات الاقتصادية هى المانيا الغربية، اذ أن الاسواق العربية ـ خاصة تلك التى تتوافر فيها العملات الحرة ـ تستطيع الاستغناء التام عن المنتجات الالمانية والحصول على بديل لها من الدول الاخرى .. وخبراء الاقتصاد الالمان يعلمون ذلك جيدا ولكنهم لا يخوضون فى مثل هذا الحديث حتى لا يسترعى ذلك انتباه الدول العربية ... وكما قال لى أحدهم مبتسما : **لماذا نوقظهم .. دعهم نائمون !!!**

ألمانيا الغربية

■ « يجب أن نستعمل جميع الامكانيات من أجل تقوية مواقعنا وعلاقاتنا مع ألمانيا الغربية وعن طريقهم نستطيع أن نقوى مواقعنا فى القارة الاوروبية • »

ليفى أشكول

■ « ان الحكومة الاتحادية سوف تتابع السير فى هـذا الاتجاه أيضا وان المساعدة الاقتصادية تشكل جزءا مـن العلاقات بين الدولتين •

من حديث أدلى به «شيل» وزير خارجية ألمانيا الغربية للصحيفة الاسرائيلية « يديعوت أرونوت » فى ١٧ ــ ١٢ ــ ١٩٦٩

■ « ان جيش اسرائيل هو الجيش الوحيد الموجه من قبل الغرب الذى يمكن الاعتماد عليه والاستفادة منه فى منطقة الشرق الاوسط ! •

« شميث » وزير الحربية فى ألمانيا الغربية •

تشـــارك فى بنـــاء اسرائيـــل عســـكريا واقتصـــاديا

عبد المنعم الغزالى

تؤكد الحقائق المنشورة وغير المنشورة ــ ان اسرائيل لا تعيش بأموال وسلاح أمريكا وحدها ــ ولكن كذلك بأموال وسلاح ألمانيا الغربية • وتأتى ألمانيا الغربية فى المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الامريكية من ناحية العون والمساعدات لاسرائيل واستثمار رؤوس الاموال بها •

ففى ١٩٦٠ ، وبعد أن أحست اسرائيل ان اتفاقية ١٩٥٢ السرية على وشك أن تنهى أغراضها وقع اديناور مع بن جوريون رئيس وزراء اسرائيــل حينئذ اتفاقية سرية بمقتضاها تعهدت ألمــانيا الغربية بمد اسرائيل بالطائرات والدبابات وزوارق الطوربيد والصواريخ البعيدة المدى • وفى ١٩٦٢ وقعت اتفاقية سرية أخرى ــ بموجبها تعهدت ألمانيا الغربية بتقديم أسلحة مجانية لاسرائيل قيمتها ٣٢٠ مليون مارك ــ وكانت هذه الاسلحة عبارة عن ٢٠٠ دبابة أمريكية م ــ٤٨ وخمسين طائرة بما فيها قاذفات قنابل وطائرات مواصلات نـو ــ٢٧ وطائرات سفر « نورتلاس » وطـائرات نفـاثة للتدريب « فوخارماجستيد » وصواريخ مـوجهة مضادة للدبابات من طراز « كوبرا » ومدرعات من طراز « جوجكيس » ومدافع أوتوماتيكية مضادة للطائرات وخمس زوارق طوربيد وأسلحة أخرى • وفى عام ١٩٦٧ على ٧٠ طائرة نقل و٥٠ دبابة ام ــ٤٨ وقطع غيار قيمتها ٩٠ مليون مارك وكميات كبيرة من العتاد الحربى ، ووضع تحت تصرف اسرائيل فى نفس العام ١٦٠ مليون مارك اضافى تحت تصرف اسرائيل لشراء معدات حربية من سويسرا وأقطار أوروبا الغربية • وفى الفترة بين ديسمبر ١٩٦٨ الى مارس ١٩٦٩ حصلت اسرائيل من ألمانيا الغربية على ١٥٠ دبابة من طـراز ليوربارد وعلى ٧٥٠ مدفع مضاد للجو و٥٢ طائرة و٥ غواصات و٣٠٠٠ مظلة و٥ مستشفيات ميدان و٣٧٠ عربة عسكرية و٣٧٣ صاروخا مضـادا للدبابات وطائرات هليوكوبتر بالاضافة الى مختلف انواع الاسلحة الكيميائية •

وبعد عدوان ١٩٦٧ (١) وقبله ــ تدرب فـى اسرائيل عدة آلاف من الجنود الاسرائيليين فى جيش ألمانيا الغربية (البوندستير) على الحرب الخاطفة ، كما حصلت مجموعات من الضباط الاسرائيليين على كورسات خاصة فى جيش ألمانيا الغربية من أجل بناء فرق كوماندوز خاصة للقتال ضد الفدائيين الفلسطينيين وللقيام بمهام تجسسية وتخريبية فى داخل الدول العربية • كما يوجد ضابط اتصال فى قيادة الجيش الالمانى مختص بالتعاون العسكرى مع اسرائيل وهو البريجادير جنرال بيكر •

(١) كتبت « دافار » الاسرائيلية بعد اقامة العلاقات الدبلوماسية مـع ألمانيا الغربية فى ١٩٦٥ : « انه بالنسبة لاسرائيل فان هـذه الخطـوة تمكننا من الانطلاق من مواقع القوة بالنسبة لجيراننا العرب » •

وتعتبر المانيا الغربية من أكبر الدول الرأسمالية الاوروبية المستثمرة لرؤوس أموالها فى اسرائيل ٠ وقد وجهت معظم هذه الاستثمارات بصفة خاصة الى قطاع الصناعات الحربية ، وفى هذا المجال ارتبطت المانيا الغربية مع اسرائيل بمشروعات عديدة ٠ وقد أرادت وزارة الحرب الالمانية أن تحقق ذلك من وراء هذه الاتفاقيات اختبار أسلحتها فى التطبيق العملى ٠ وتعمل فى اسرائيل مجموعات الشركات الالمانية الغربية فى اسرائيل لتقوية مدفعيتها الصاروخية الضاربة « مسر شميث » وبيلكوف وبلوم ونيتركيميك — كروب — وجيزل شافت زار فيفرتونج شيمشر .

وفى الفترة بين ١٩٦٠ — ١٩٦٦ استثمرت بون ٢٥٫٤٠٠٫٠٠٠ مارك فى البحوث الالمانية الاسرائيلية على الاسلحة النووية. وتشارك المانيا الغربية فى أضخم مشروع اسرائيلى لاقامة مفاعل ذرى فى صحراء النقب ، والذى ينتج وفق تقدير الخبراء كمية كافية من المواد اللازمة للحصول على عدد من القنابل الذرية الصغيرة . وتتلقى الشركة الكيماوية الاسرائيلية « كتسهيم كيميكالا ليمتد » والعاملة بـ جيرشيفا ومعهد وايزمان فى ريحفوت التأييد والعون من أكبر شركات المانيا الغربية الكيميائية خلفاء التروستات الثلاث الكبرى اى ٠ ج فارين وتعمل هذه الشركة فى انتاج وتطوير الاسلحة الكيماوية للقتل الجماعى ٠

وللشخصيات الالمانية الغربية من أصحاب الملايين نشاط خاص باسرائيل مثل هرمان آبس رئيس مجلس ادارة البنك الالمانى والمليونير « شبرنغو » وهو صاحب اكبر احتكار للرأى فى المانيا الاتحادية ٠ وقد تبرع « شبرنغر » ببناء مكتبة فى القدس قيمتها ٣٫٦ مليون مارك ، وفى الاحتفال بتدشين هذه المكتبة فى ٢٤ مارس ١٩٦٩ قال عمدة القدس : « هذا المبنى يعتبر شيئا من الاشياء الكثيرة التى قام بها « شبرنغر » من أجل القدس ومن أجل اسرائيل ، والتى نعرف جزءا منها ونجهل القسم الاخر ٠ وهى أشياء غالبا ما كانت اكثر من المساعدة المادية والاسمنت والحديد » ٠(٢)

وازدادت حركة التصدير الى اسرائيل من المانيا الغربية من ١٩٦٥ الى ١٩٦٩ بنسبة ١٩٠ فى المائة ، وأهم المواد المصدرة الى اسرائيل من المانيا هى الحديد والفولاذ والتجهيزات الالكترونية والالات الصناعية والمنتجات الكيميائية ٠ ويتضح هذا الازدياد فى حركة تصدير السلع من المانيا الغربية الى اسرائيل من الارقام التالية :

حركة التصدير الى اسرائيل

١٩٦٥	٢٣٧ مليون مارك من السلع
١٩٦٨	٤٨٠
١٩٦٩	٦١١
١٩٧٠	اكثر من ٧٠٠ (٣)

وتعفى حكومة المانيا الغربية الشركات الالمانية الغربية من قسم كبير من الضرائب حالة قيامها بمشاريع فى اسرائيل أو استثمارها لرؤوس أموالها فيها ٠ وتحظى اسرائيل بالتأييد المطلق من اكبر القوى المالية فى المانيا الغربية مجموعة « دويتشه بنك » المملوك لاحتكار هيرتى والممول الهتلرى المعروف آبز . وقد اعلن شيل وزير خارجية المانيا الغربية فى ختام زيارته لاسرائيل فى ٩—٧—١٩٧٠ بأنه : « قد تم الاتفاق اثناء اجتماعه مع ايبان — على أن تواصل المانيا الغربية نشاطها فى الحقل الاقتصادى بتشجيع استثمارات الافراد والقروض لاسرائيل » . وقال : « ان بون تؤيد اسرائيل بتوثيق علاقاتها مع السوق الاوروبية المشتركة لتصبح عضوا مشاركا فى السوق » . وقال : « ليس هناك ما يدعو اسرائيل الى التعهد بالانسحاب الكامل من المناطق التى احتلتها بعد حرب يونيو قبل بدء مفاوضات السلام » ٠

ومحصلة الأرقام التى قدمناها تؤكد أن اسرائيل كقاعدة للاستعمار فى قلب الوطن العربى ، ليست من صنع الولايات المتحدة الامريكية وحدها ، انما هناك شريك آخر لها فى صنع اسرائيل ٠ هذا الشريك هو المانيا الغربية ٠ ولذلك صرح أبا ايبان لتليفزيون المانيا الغربية قبل زيارة فالتر شيل وزير خارجية المانيا الغربية لاسرائيل فى يوليو ١٩٧١ ، « ان زيارة شيل تعتبر تتويجا للتعاون القوى القائم بين البلدين » كما أعلن شيل قبل مغادرته المانيا الغربية متجها الى اسرائيل « ان زيارته هذه ليست كغيرها من الزيارات ولها أهمية خاصة لوضع أسس العلاقات الحالية والمقبلة بين البلدين وتطويرها الى مراحل أعلى مما كانت عليه فى الماضى ، وسيؤكد للسياسيين الاسرائيليين الاهمية المتزايدة لحكومته فى منطقة الشرق الاوسط » وأكد أن زيارته « ستعمل على تنشيط سياسة بون فى منطقة حوض البحر الابيض المتوسط » .

[(٢)] جريدة شتوتغارتر تسايتونغ — ١٩٦٩/٣/٢٦ .
[(٣)] حتى ١٩٧٠ حصلت اسرائيل من اعتمادات التعويض على ٣٫٥٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ مارك . وبلغت القروض الممنوحة لاسرائيل فى الفترة بين ١٩٦٦ و١٩٦٩ حوالى ٦٠٠ مليون مارك .

عبد النـاصر وحركة التحرر الوطنى

الفكــــر والتطبيــق

كتب هذا المقال للطليعة المناضل العراقى ثـورى عبد الرازق من قادة النضال الوطنى والديمقراطى والثورى فى العراق . كان سكرتيرا لاتحاد الطلبة العالمى فى الستينات . ويشغل الان مركز مندوب العراق فى السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية .

نورى عبد الرازق

لقد جاء الاحتفال بالذكرى الثانية لوفاة القائد جمال عبد الناصر فى ظرف عالمى وعربى دقيق ، حيث بلغ التحدى الصهيونى للامة العربية أقصى درجات التعنت والاستهتار ، وحيث تواجه حركات التحرر فى آسيا وافريقيا مقاومة شرسة وضارية من الامبريالية العالمية والامريكية بشكل خاص ٠

وتدرك حركة التحرر اليوم قيمة أفكار عبد الناصر ونهجه وكم هما ضروريان اليوم لكفاح الشعوب من أجل التحرر الوطنى والانعتـاق السياسى ٠ وتدرك أيضا أهمية التمسك بمثلـه ومبادئه التى رفعها عاليا فى مصر ، واصبحت مثالا لدول آسيا وافريقيا ٠ مبادىء الكفاح الحازم ضد الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجـديد ٠ النضال من أجل استكمال الاستقلال الاقتصادى والنهوض بالتنمية المبنية على أساس التخـطيط والقيام بالتحولات الاجتمـاعية العميقة والتخطيط للاشتراكية ٠ مبادىء التحالف العالمى مع القوى المناهضة للامبريالية ، وبالاخص مـع المعسـكر الاشتراكى والاتحاد السوفيتى ٠

حتميـة ارتبـاط الثــورة الوطنية بالثورة الاجتماعية

ان عبد الناصر الذى قاد ثورة ٢٣ يوليو الوطنية أدرك بتجربته وباحساسه النضالى ، ان الاستقلال السياسى لا يمكن أن يتكامل ما لم يقترن بالاستقلال الاقتصادى ٠ **والثورة الوطنية لن تستطيع ان تمد جذورها وتستكمل مقوماتها ما لم تقترن بالثورة الاجتماعية ٠ وان التخطيط والبرمجة لا غنـى عنهما فى التطور الاقتصادى ، وان الاشتراكية العلمية هى غـاية وهدف هـذا التخطيط وهـذه التنمية ٠**

فعندما قامت الثورة فى يوليو ١٩٥٢ كانت مصر

مجتمعا شبه اقطاعى وشبه مستعمر، ومنذ البداية حدد عبد الناصر من بين أهداف الثورة الستة ، أن يقضى على الاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم .

فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ صدر قانون الاصلاح الزراعى الاول . وفى فلسفة الثورة أوضح عبد الناصر المتاعب الناجمة عن ضرورات الثورة الاجتماعية فى مرحلة الثورة الوطنية . ولقد اتجهت الثورة فى البداية لانشاء مشروعات صناعية عامة . وكان ذلك بدء تدخلها فى ميدان الانتاج . وفى عام ١٩٥٥ أنشئت لجنة التخطيط وفى عام ١٩٥٦ تأسست وزارة الصناعة التى وضعت أول برنامج للتصنيع على مدى خمس سنوات ، وكان هذا البرنامج يفترض أن تقدم الدولة ٦١ فى المائة من التمويل اللازم للاستثمارات وكان أغلبها فى التصنيع الثقيل الذى يحجم عنه رأس المال الخاص . وفى عام ١٩٥٨ صدر اول قانون للتنظيم الصناعى ، وكان الغرض منه تدخل الدولة لتحديد نوع الاستثمارات الجديدة فى الصناعة .

لكن عمليات التمصير والتأميم التى بدات عقب العدوان الثلاثى ، كانت فى الواقع هى نقطة البدء لقيام قاعدة اقتصادية مستقلة عن الراسمالية المحلية ومتحررة من نفوذ رأس المال الاجنبى ، ومملوكة فى الوقت ذاته للدولة مباشرة . وصارت هذه القاعدة فيما بعد أساسا متينا للتنمية المطلوبة .

فلقد افسحت الثورة كل مجال للراسمالية والرأسماليين لكنهم عجزوا بالتجربة وفى الواقع عن اجراء التنمية الاقتصادية التى كانت تلح عليها ظروف بلد متخلف قد توقف عن النمو طيلة ٤٠ سنة كاملة ولقد كشف التطبيق فى العام الاول للخطة الخمسية التى وضعت فى عام ١٩٦٠ عن استحالة السير بالخطة مع استمرار خضوع الاغلبية الساحقة من الاقتصاد القومى لسيطرة الرأسمالية الكبيرة المحلية التى اتجهت عندئذ لتجميد الثورة لحسابها الخاص . ولهذا كان على الثورة أن تتصدى لمهمات التنمية بنفسها .

وفى يوليو ١٩٦١ بدا السعى لاحداث التنمية الحقيقية للدخل القومى وتأكد الاتجاه الحاسم نحو التصنيع ، وبذلت المحاولات لرفع مستوى معيشة الكادحين بالحرص على مسير التنمية الاقتصادية الى جانب التنمية الاجتماعية . وتوالت بعد ذلك الاجراءات تفتح باب التحول الاجتماعى واسعا .

وهكذا فان الثورة الوطنية المعادية للاقطاع والاستعمار قد مهدت الطريق للتطور الوطنى المستقل نحو التقدم الاجتماعى ،وترتبط باسم عبد الناصر جميع الانجازات الاجتماعيه والاقتصاديه الاساسية التى نفذت حتى الان لصالح الجماهير الكادحه .

ان المبادىء الستة التى أعلنتها **الثورة فى يوليو ١٩٥٢ تطورت فى عقد من الزمن ومن خلال المنعطفات والتقدم والتراجع والخطأ والصواب الى الميثاق الذى اصبح دستور الثورة المصرية ، والذى وضع مهام التطور الاجتماعى الى جانب التطور السياسى .**

الصداقة مع المعسكر الاشتراكي

ان أحداثا **وطنية** كبرى لعبت دورا هاما فى تطور ثورة يوليو ،فقدتمتحت قيادة عبد الناصر جلاء القوات البريطانية عن القناة ، والتصدى للاحلاف الامبريالية العدوانية ولا سيما حلف بغداد ، وكسر احتكار السلاح ، وتحدى الضغوط الاستعمارية فى امتناعها لتمويل السد العالى ، فجابه عبد الناصر هذاالتحدى بتأميمقناة السويس . وتصدى للعدوان الثلاثى ، وحقق النصر ، ثم بنى السد العالى ، وضرب الرأسمال الاجنبى والرأسمال الوطنى الكبير . وثم قرارات يوليو ١٩٦١ التاريخية ، والاعتراف بالاشتراكية العلمية كمنهج ومستقبل للمجتمع الذى يلغى فيه الاستغلال .

وخلال هذه العواصف العاتية التى واجهتها الثورة المصرية ، وجدت فى المعسكر الاشتراكى والاتحاد السوفيتى صديقا أمينا ، وعونا ودعما لها ، ليس فى مجال السلاح فحسب وانما الى كافة مجالات التصنيع والتنمية والتحولات الاجتماعية ومقاومة الضغوط والحصار الاقتصادى . ولقد امتزجت وتلاحمت الثورة المصرية التقدمية بالثورة الاشتراكية امتزاجا وتلاحما يوحد العملية الثورية العالمية التى تنهض بها قوى الثورة العالمية الثلاث ، المعسكر الاشتراكى والقوىالديمقراطية والعمالية فى المعسكر الرأسمالى،وحركة التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

ان عمق التحالف والوضوح فى العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى يرتبط باسم عبد الناصر . وهذه الاهمية فى العلاقة العربية ـ السوفيتية كان ذا أثر تاريخى ، ليس فى مصر وحسب ، وانما على عموم حركات التحرر فى القارتين ـ افريقيا وآسيا .

ولم يعتبر عبد الناصر الصداقة مع الاتحاد السوفيتى مسألة مصلحية أو حدث طارىء فقد قال فى خطاب ألقاه فى ٢٤-٥-١٩٦٤ : « ان الصداقة العربية السوفيتية تجاوزت بكثير كل الاعتبارات المؤقتة .. أى أن صداقتنا بهم الان لا يمكن أن يكون مصدرها السلاح الذى نشتريه ، أو انهم مصدر العون السياسى ضد الاستعمار ، والعون الاقتصادى ضد حصاره ، او ضد التخلف الذى فرض علينا » .

ان الصداقة تجاوزت هذه الاعتبارات .. بصرف النظر عن السلاح، وعن العون السياسى والاقتصادى نحن واياهم بعد ذلك كله وقبله شركاء فى بناء عالم السلام المقبل .. حيث لا استغلال ولا تخلف » .

وتاريخ الثورة المصرية وهى فى عامها العشرين تزكى أقوال ومفاهيم عبد الناصر عن الاهمية المصيرية لهذه الصداقة .

فكسر احتكار السلاح وبناء السد العالى وتأميم القناة والتصدى للعدوان الثلاثى ، وافشال الحصار الاقتصادى ، بالاضافة الى مشاريع التصنيع والتنمية ، وغيرها من الدعم السياسى والمعنوى كلها جرت بمساعدة الاتحاد السوفيتى اللحازمة .

وعندما حدثت نكسة حزيران الاليمة ، وبعد أن صمم شعب مصر العظيم أن يتمسك بقائده رغم عمق الضربة ومرارة الفشل فخرج بمظاهراته وهبته فى يومى ٩و ١٠ يونيو ١٩٦٧ ليحول دون استقالة الرئيس ، بادر الاتحاد السوفيتى فورا لاعادة بناء القوات المسلحة المصرية ، وخلال فترة وجيزة أعيد لجيش مصر سلاحه وهيبته . وقد قال عن ذلك عبد الناصر فى خطابه أمام الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى فى ٢٤-٣-١٩٧٠ .

« ان الاتحاد السوفيتى وفى بجميع تعهداته فيما اتفقنا عليه سواء فى المجالات العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية ، وأنه بدون مساندته لنا فان موقفه ما كان يمكن أن يصبح بالغ الصعوبة ، وأنه لا يمكن لوطنى عربى أن ينظر الى الامور نظرة عادلة ، الا ويشعر بعمق التقدير للاتحاد السوفيتى . ولكل ما قدمه لنا خصوصا فى المجال العسكرى الذى نعلم جميعا انه سيكون المجال الذى يتحتم علينا ان نحقق اهدافنا فيه اذا تعذر علينا ذلك فى غيره من المجالات ، ذلك أن هدف نضالنا الان .. سياسيا وعسكريا .. هو ازالة آثار العدوان . وفى هذا الهدف الذى نلتقى عليه جميعا فان الاتحاد السوفيتى لم يقصر على الاطلاق .

والحقيقة فان الاتحاد السوفيتى هو الدولة الكبرى الوحيدة التى تقدر على مساعدتنا فى تحقيق هدفنا والدولة الكبرى الوحيدة التى رضيت بمساعدتنا فى ذلك وبغير ذلك كان فى مقدور العدو وأصدقائه أن يفرضوا ما يشاءون علينا من الشروط »

ان الاتحاد السوفيتى يرتبط اليوم مع مصر ومع دول أسيوية أخرى كالهند والعراق بمعاهدات صداقة وتعاون ذات أثر هام وعميق فى تطور هذه الدول وفى تقوية مواقعها ضد الامبريالية والعدوان وفى سبيل التقدم الاجتماعى .

ان كفاح قارة آسيا العظيم من فيتنام الى الهند وفى الشرق الاوسط يجابه مواجهة ضارية من الامبريالية العالمية والامريكية بشكل خاص ، وفى هذا الكفاح تلتحم الثورات الوطنية بعون الثورة الاشتراكية .

فلنقارع الامبريالية

بنفس جرأة عبد الناصر

مات عبد الناصر وهو فى قمة انجازاته بوقف المذبحة ضد المقاومة الفلسطينية التى خططتها الدوائر الامبريالية ونفذتها الرجعية الاردنية . وكم يؤسفنا اليوم وبعد عامين على رحيله أن نرى ان هذه المقاومة ، هذه الفصيلة الباسلة فى حركة التحرر العربى تتعرض الى التنكيل والتشريد . وكم يؤسفا ان نرى اليوم العدو الصهيونى لا زال قابعا فى أراضينا المحتلة وقد ازداد غرورا وغطرسة وصلافة .

ان التحدى الذى تواجهه حركاتنا فى آسيا يدعونا اليوم الى أن نقارع الامبريالية بنفس الجرأة التى واجهها بها عبد الناصر وتحداها . علينا أن لا نستكين لوطأة الظروف وصعوبات الموقف ، وأن لا نساوم على مبادئنا ، وأن نرفع من حماس الجماهير ، وقابلياتها النضالية ، كما كان يعمل عبد الناصر دوما فى الملمات » .

تضامن عربي واسع مع موقف عدن النضالي

د. محمد على الشهارى

لم تتعرض ثورة عربية لما تعرضت له الثورة اليمنية من المؤامرات ، ولم يعان شعب من الشعوب العربية ما عاناه الشعب اليمنى ، وهو يدافع عن ثورته ، ولم يرتبط مصير ثورة عربية ارتباطا يبلغ حد الالتزام الادبى والخلقى ، فوق الالتزام القومى والتاريخى ، كما ارتبط مصير الثورة اليمنية بمصير ثورة ٢٣ يوليو التى خرجت - ولاول مرة الى جزيرة العرب - شاهرة سيفها ، حاشدة جندها فى معركة ربما كانت أخطر معاركها النضالية ضد الاستعمار والرجعية ، ولم يتنبه الاستعمار الى مدى خطورة دعوة **عبد الناصر** فى التحرير القومى والاجتماعى ، كما تنبه لها بعد أن وضع الرائد القومى الشجاع قواته بالفعل فى خدمة هذه الدعوة ، ومن أجل تحقيقها ، كما تمثل ذلك بصورة خاصة فى اقتحام هذه القوات لاوكار وأقبية القرون الوسطى البعيدة والمعتمة والمتحصنة داخل جزيرة العرب وخلف جبالها الوعرة ، وتهديدها لمصالح الاستعمار النفطية الخيالية فيها .

من هنا قررت قوى الاستعمار والرجعية أن تدخل فى معركة حاسمة مع عبد الناصر وجيشه ودعوته تقرر مستقبل كل الاطراف المتصارعة ليس على نطاق الجزيرة العربية ، وانما على النطاق العربى كله .

آثار حلول النكسة

وعندما بدا أن هزيمة الثورة اليمنية وهزيمة عبد الناصر على ساحتها غدت مستحيلة بعد مضى خمس سنوات من الصراع ، ولاسيما بعد أن أعلن القائد العربى أننا مستعدون للبقاء فى قلب المعركة المحتدمة فى اليمن لعشرين سنة أخرى ، عزمت قوى الاستعمار أن تطلق أقوى قواها الاحتياطية فى المنطقة والممثلة فى اسرائيل لتوجيه ضربة مؤثرة الى مركز وقلب الثورة العربية فى القاهرة تضطر بها مصر الى سحب جيشها من اليمن حتى ينفتح الطريق أمام الاستعمار والرجعية - وقد اختل توازن القوى ، وضعف جانب الطرف الثورى - لتصفية الحساب مع الثورة اليمنية وقواها ، ولمسح (آثار العدوان المصرى) على اليمن ، والجزيرة العربية ، ولوضع حد نهائى لدعوة القومية العربية !

وتحقق للاستعمار ما أراد ، حيث اعتدت اسرائيل ، وحدثت النكسة العامة وانسحب الجيش المصرى من اليمن ، وتقدم الاستعمار والرجعية للاجهاز على الثورة اليمنية وقواها ، فكانت ردة ٥ نوفمبر ١٩٦٧ التى قادتها القوى الاقطاعية التى كانت قد تركت تقوى شوكتها ، وتنمو مصالحها ، وتشتد اتصالاتها بالخارج والتى « ابتدأت بضرب

الذين كانت قد زرعتهم وتعهدتهم ، واستعملت كل الوسائل لتمويه حقيقتهم وطلائهم بمختلف الاصباغ المزوقة ، وتغطيتهم « بطاقية الاخفاء » الوطنية !

وبعد أن عجزت عن خديعة قوى الثورة فى ظفار وامتصاصها داخل النظام « المتفتح » الذى أقامته ليخلف نظام سعيد بن تيمور « المقفل » وبحجة أن اليمن الديمقراطية هى وراء الثورة الوطنية هناك أخذت سلطات الاستعمار البريطانى تصب جام غضبها على الحكم الوطنى الذى حول (مستعمرة التاج البريطانى عدن) الى لؤلؤة ثورية فى جبين جزيرة العرب ، لا يخطىء بريقها نظر ، ولا تقوى على طمس لمعانها كل أتربة صحراء الربع الخالى المحيطة بها من مختلف الجهات ، ولا تستطيع التهامها كل بشاعة الاوضاع الكئيبة المتجهمة من حولها ٠٠

ورغم أن بريطانيا الاستعمارية أعلنت أنها قد سلمت باستقلال عمان التى غدت عضوا فى الجامعة العربية،والامم المتحدة ، فانها لم تتحرج ولاسيما بعد أن فشلت كل مؤامراتها التى دبرتها عن طريق طابورها الخامس من الداخل ضد السلطة التقدمية فى اليمن الديمقراطية ـ عن أن تلجأ فى محاولة أخيرة ويائسة الى استعمال السلاح الجوى والبحرى ـ اضافة الى القوى المرتزقة البرية ـ لضرب الحصن الثورى فى عدن ، مبتدئة بالمحافظة السادسة التى تحاذى سلطنة عمان من جهة الشرق ٠

ان هذه المؤامرة لا تعدو أن تكون جزءا من مؤامرة أكبر وأشمل أخذت تطبق على اليمن الديمقراطية من كل الجهات ، وقد بدأ تنفيذها منذ شهر أبريل ١٩٧٢ ومازال متصاعدة ومستمرة ، وما يزال يجرى الاعداد لها على قدم وساق حتى غدت اليمن الديمقراطية منذ مدة مواجهة من ناحية (الشرق بقوة عسكرية متزايدة ينفق عليها أكثر من ٥٠ فى المائة من دخل البترول وذلك يمثل حلقة من حلقات الحصار الرجعى الامبريالى ، ومخططات ضرب النظام الثورى فى اليمن الشعبية) (٥) كما أوضح عبد الفتاح اسماعيل الامين العام للجبهة القومية ٠

خطط تحطيم الكيان اليمنى

ان أحد أهداف هذه المؤامرة هو فصم عرى وحدة الشعب اليمنى ، وضرب كيان جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، والحيلولة دون قيام وحدة يمنية ،واطفاء نار الثورة اليمنية نهائيا والى الابد ٠ وقد كان الاستعمار يدرك منذ البداية أن اليمن بماضيها الحضارى الشامخ ، وكيانها التاريخى الحى، وشعبها الاصيل المتجانس ، وحركتها الوطنية المهددة وجوده ، وثورتها التقدمية الواعدة ، مرشحة لقيادة الاحداث فى جزيرة العرب ، التى تعوم على بحيرة من البترول ، والتى تقوم على ظهرها هنا وهناك امارات وممالك تابعة ، تنقصها ـ حتى وان أوتيت حظا كبيرا من الثروات البترولية التى ينهبها الاستعمار ـ المقومات الانفة الذكر المتوفرة لدى شعب اليمن ، ولذلك فقد كان كل دورها الموكول اليها من قبل الاستعمار هو تعطيل حركة التحرر الوطنى فى جزيرة العرب ، وضرب دور اليمن القيادى والثورى فى هذه الحركة ٠

من هنا سياسة (فرق تسد) التى استخدمها الاستعمار البريطانى منذ البداية أيضا ، وتحريك وتغذية النزعات القبلية والطائفية ، واقامة محميات شرقية (حضرموت) ومحميات غربية (النواحى التسع) ثم اقامة دولة (اتحاد الجنوب العربى) من هذه المحميات ، الغاء لصفتها « اليمنية » وتكريسا لفصلها عن (اليمن الام) وأخيرا عملية التصدى الشرسة لثورة ٢٦ سبتمبر فور قيامها ، بغية اجهاضها ، خوفا من انتشار لهيبها الى مواقع سيطرته المباشرة ، وانشداد اليمن كلها الى الكفاح المسلح لاجلائه ، واستعادة كيانها التاريخى ، وتحقيق وحدتها الوطنية ، بما يترتب على ذلك من نتائج خطيرة على مصالحه فى الجزيرة العربية ، وتصدر اليمن بماضيها الحضارى العريق ، وحاضرها الثورى المتفجر ، لقيادة ودفع الاحداث فى الاتجاه التاريخى التقدمى فى هذه المنطقة الحساسة من الارض العربية ٠

محاولة اعادة صياغة خارطة اليمن

ان هذا المخطط القديم الذى تبناه الاستعمار الامريكى أيضا الذى يريد الان وراثة الجزيرة العربية كلها قد أخذت القوى الامبريالية تعمل على تنفيذه من جديد ، بعد أن نجحت فى اطفاء شعلة ثورة ٢٦ سبتمبر ، وقطعت بذلك شوطا حاسما على نفس الطريق ٠

وبمقتضى هذا المخطط تعاد صياغة خارطة اليمن

(٥) روز اليوسف ١٩٧٢/٤/١٧

المقاومة الشعبية فى ٢١ – ٣ – ١٩٦٨ ، مرورا بتصفية القوى الوطنية فى القوات المسلحة والامن العام ، وضرب القوى الوطنية والديمقراطية والحركة النقابية ، والاتحاد العام لعمال اليمن فى ٢٣ ، ٢٤ أغسطس وما بعد ، وصولا الى افراغ النظام الجمهورى من قواه الثورية ومضامينه التقدمية » (١) وتمكينا للقوى القبلية والاقطاعية وحلفائها خارج البلاد من السيطرة على « حبل الامن المضطرب » داخل الجزيرة ، ومن ابعاد خطر الثورة والثورية عنها !

وفى خط مواز للعدوان الصهيوني والاستعمارى القائم والمستمر ضد الانظمة التحررية فى شمال الوطن العربى ، ومنذ عام ١٩٦٧ ، والى اليوم ونفس القوى الاستعمارية والرجعية تعمل ليل نهار ومن أجل استئصال آخر أثر تركته الثورة العربية على خارطة جزيرة العرب وآخر حصن تبقى من حصون الثورة اليمنية ، ألا وهو ثورة ١٤ أكتوبر والنظام الوطنى التقدمى فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وحتى الصهيونية نفسها دخلت طرفا مباشرا فى هذه المعركة باعتبار أن الاستيلاء على قناة السويس ، وعلى الطرف الشمالى للبحر الاحمر لا يكمل من الناحية الإستراتيجية والسياسية الا بأحكام قبضتها على **باب المندب** ، وعلى كل المواقع الاستراتيجية فى الطرف الجنوبى للبحر الاحمر التى تسيطر عليها اليمن الديمقراطية ٠ ان من أسباب تكالب القوى الصهيونية والاستعمارية على الموقع الاستراتيجى والفريد فى باب المندب هو وجوده تحت يد وطنية أمينة جادة وعازمة على وضعه تحت تصرف قوى المواجهة العربية ، ذلك أن « هذا الموقع لايمكن أن نتركه لاسرائيل ، ولن نسمح لاى قوى بالسيطرة عليه ، فنحن فى المعركة المصيرية القادمة سوف نشكل جبهة أمامية متقدمة فى مسرح العمليات المقبلة ، والذى سيستفيد من هذه المنطقة : نحن وأنتم – فأرضنا ، ومياهنا سيكونان فى خدمة المعركة » (٢) .

مضيق باب المندب بعد قناة السويس

ومنذ حين والصراع يدور حول مدخل هذا البحر « مضيق باب المندب » وتروج الولايات المتحدة من باب الحرب النفسية – أخبارا عن النفوذ الشيوعى فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية « عدن » وتخطط اسرائيل لاحتلال أو لاستئجار بعض الجزر المتناثرة بكثرة فى المضيق وعلى الشاطىء الافريقى للبحر ، تقوم القاعدة العسكرية الامريكية فى أسمرة بموجب اتفاقات مع أثيوبيا ، وهى قاعدة يغطى نشاطها كل مناطق شمال أفريقيا وغرب آسيا ، (٣) واستكمالا لحلقات الطوق المضروب من حول قلعة الثورة اليمنية المتبقية والصامدة فى استبسال فى الركن الجنوبى من جزيرة العرب ، وحفاظا على قواعد الامبراطورية البترولية فى هذه الجزيرة من أى اهتزازات جديدة ، وتأمينا لمستقبل الامبريالية ، وركائزها الاقطاعية فى هذه المنطقة التى تحتفظ بأكبر احتياطى عالمى من البترول ، وامتدادا لنفس المخطط الصهيونى الاستعمارى المستهدف خنق الثورة العربية من أساسها ، عن طريق الاطباق عليها من جهة الشرق والغرب ، والشمال والجنوب « عقدت الولايات المتحدة اتفاقية عسكرية مع البحرين للاستفادة بالقاعدة البحرية التى استعملتها بريطانية قبل اعلان الاستقلال ، وقامت ايران باحتلال الجزر العربية فى مدخل الخليج بجوار ما تسيطر عليه من جزر ايرانية ، وما زالت بريطانيا تسيطر على جزيرة مصيرة التابعة لعمان ، وهى قاعدة جوية فى بحر العرب » (٤) .

من التآمر الخفى الى العدوان السافر

ومنذ تمكنت الجبهة القومية من القيام بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ التى أسقطت بها الجناح اليمينى الذى كان مهيمنا على قيادتها ، والذى كانت بريطانيا الاستعمارية قد حلمت بأن تتمكن من خلاله من الحفاظ على مصالحها فى جنوب الجزيرة العربية ، ومنذ صفى الجناح اليسارى فى الجبهة بسيفه القاطع ركائزها الخطيرة ، وألغامها المتفجرة داخل الجيش ، بعد قيام هذه الانتفاضة الثورية مباشرة ، أخذت الامبراطورية العجوز من مواقعها المتبقية فى عمان تعد العدة وتخطط للانتقام من النظام الثورى فى عدن الذى « غدر » بآخر رجسالاتها « المعتمدين »

---

(١) من تقرير الاتحاد العام لعمال اليمن فى ٢/٥/١٩٧٢
(٢) جريدة الجمهورية القاهرية ٢٥/٥/١٩٧٢ من حديث لعبد الفتاح اسماعيل الامين العام للجبهة القومية
(٣) الاهرام ٢٥/٢/١٩٧٢ أحداث تنزانيا ، د. عبد الملك عودة
(٤) المصدر السابق

السياسية والجغرافية ، بحيث تفصل المحافظة الخامسة والسادسة من اليمن الديمقراطية (حضرموت) ، وتقام فيها (دولة الجنوب العربى) ويسقط النظام التقدمى فى عدن كخطوة تالية ، وتلحق الاراضى الباقية التابعة لها (النواحى التسع) بالجمهورية العربية اليمنية ، باسم وتحت شعار تحقيق الوحدة اليمنية !

البترول وراء هدف فصل حضرموت

ان مما زاد من خطورة وأهمية هذا المخطط المستهدف فى جزئه الاول فصل المنطقة الشرقية عن عدن احتمالات وجود البترول فيها ، وبدء عمليات التنقيب عنه بواسطة شركة يمنية - جزائرية مشتركة ، ورغبة شركة الارامكو الامريكية فى الاستحواذ عليه ، وتمكين أصدقائها من الاطلال على مشارف المحيط الهندى عبر (دولة الجنوب العربى) التى ستكون عمليا امتدادا حيويا لمناطق نفوذهم ، وستكون محليا تحت سيطرة (تجار حضرموت)الكومبرادوريين ، الذين لايعرفون لهم وطنا غير أسواق الكومنولث ، ومراتع الهيمنة الاستعمارية ، حيث يعيشون طفيليات على كل مجتمع ، وفى كل بلد ، وحيث يريدون اليوم اقامة (دولة كومبرادورية -اقطاعية) تحتزعامة حزب رابطة أبناء الجنوب ، ممثل التحالف الكومبرادورى - الاقطاعى ، تضع نفسها تحت (وصاية) كل القوى الاقطاعية والاستعمارية الحليفة والصديقة والسائدة فى المنطقة ، وبصورة خاصة تحت (حماية) عاصمة الاستعمار الجديد واشنطون !

ان الخطوات الاولية لتنفيذ هذا المخطط قد تمثلت - كما أشار الى ذلك عبد الفتاح اسماعيل - فى « أنشركات البترول والقوىالرجعية أنشأتما يسمى بجيش الانقاذ الوطنى الذى يقوم بتدريبه ضباط امريكيون ، ويقوده العميل عبد القادر الجيلانى ، والذى يضم المتضررين من انجازات الثورة فى عدن ، وهدف الجيش احتلال حضرموت والمهرة ، بدعوى أنها مناطق غير يمنية ، واقتطاعها من اليمن الشعبية ، لتصبح ركيزة ومنطلقا لضرب النظام » (٦) كما تمثلت فى زيارة روجرز فى مطلع يوليو ١٩٧٢ لبعض دول الجزيرة العربية .

الحاق الجزء المتبقى باسم الوحدة اليمنية

كما شجع على الاقدامعلى تنفيذ هذا المخطط أن القوى الاقطاعية اليمنية سواء تلك التى تضررت باجراءات الاصلاح الزراعى فى اليمن الديمقراطية ، أو التى تأكد لها أن الموجة الثورية الكاسحة ستجرفها لا محالة ، قد وضعت نفسها - انطلاقا من هذا الموقع الطبقى المعادى للثورة الزراعية ، والرافض لتسلمالقوى الفلاحية فىأحد شطرى اليمن زمام أمرها ، وتحررها من عبودية الاقطاع بقيادة قواها التقدمية هناك - وضعت نفسها فى حالة استعداد واستنفار كاملين ، وتحت التصرف المطلق للقوى الاستعمارية ، للسير بمشروع ضرب النظام الثورى فى اليمن الديمقراطية الى نهايته ، اذ أن ذلك سوف يكفل لها القضاء على شبح الاصلاح الزراعى المؤرق ، وستعاد الاراضى المصادرة حينئذ الى أصحابهامن السلاطين والامراء ، والمشايخ ، وتعود الطمأنينة المفقودة الى نفوس القوى الاقطاعية الاخرى فى المناطق الاخرى من اليمن ، التى كانت تخشى نفس المصير ، وستتحقق وحدة اليمن الشمالية مع ما تبقى من جسم جمهورية اليمن الديمقراطية الممزق ، وستكون وحدة اقطاعية رجعية ، تباركها كل قوى الثورة المضادة ، وستتم تحت عين وفى ظل التعاون والتحالف الكاملين مع كل القوى الاقطاعية - القبلية فى الجزيرة العربية ، ومع كل الحلفاء الطبقيين والاسياد خارجها !

دور الصهيونية فى المؤامرة

وفى توافق تام مع هذا المشروع الامبريالى - الرجعى المستهدف تمزيق أوصال جمهورية اليمن الديمقراطية ، والقضاء على نظامها التقدمى وتتميما له ، أخذ الخطر الصهيونى يحيط باليمن الشعبية من جهة البحر الاحمر ، هذا الخطر الذى بدأ يتهيأ - كما ورد فى تصريح رسمى لمصدر اعلامى فى عدن نشر فى جريدة ١٤ أكتوبر فى ١٤-٦-١٩٧٢ - « ليتسلم دوره فى العدوان على بلادنا ، بحيث تصبح جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بمثابة جزيرة وسط بحر مليء بالاعداء ، يحيطون بها من كل جانب » وحيث شرع « العدو الصهيونى يحاول القيام بجولة عدوانية هذه المرة على اليمن

(٦) المصدر السابق

الديمقراطية ، منطلقا من قواعـــده فى البحر الاحمر » وهو بـذلك « لا يستهدف اليمن الديمقراطية فقط ، وانما يستهدف قوى الثورة العربية » .

شجب العمال والمنظمات اليمنيـــة للمخطط

وعن هذه المخاطر الاكيدة تحدث بيان الاتحاد العام لعمال اليمن الصادر فى ٢-٥-١٩٧٢ بلهجة التحذير قائلا : « اذا كان الوضع فى اليمن الديمقراطية لا يطمئن القوى الرجعية والامبريالية فى المنطقة ، فان هذه القوى تعمل من أجل تصفية النظام التقدمى فى اليمن الديمقراطية بشتى الاشكال حتى لو أدى الامر الى الصدام ، وما الحشود العسكرية والقبلية على الحدود المصطنعة الا دليل على ذلك » ويحدث كل ذلك من قبل القوى الاقطاعية فـى نفس الوقت الذى تنـزل فيه « الضربات اليومية المتلاحقة بالقوى الوطنية الديمقراطية والجماهير الشعبية التى ابـدت استياءها وقلقها من هذه الاجراءات اللامسئولية والتى سوف تجر الى حرب أهلية طاحنة بين شعب اليمن الواحد والتى لا يستفيد منها الا الاقطاع والرجعية والامبريالية العالمية » .

وذلك هو أيضا ما ينبه اليه بيان صادر من منظمة حزب البعث العربى الاشتراكى واتحاد الشبيبة الديمقراطية اليمنية فـى ج . ع . ى . بتاريخ ٦-٣-١٩٧٢ من أن أعداء الديمقراطية والتقدم الاجتماعى يضغطون بشدة لدفع شمال البلاد « باتجاه معركة شاملة ضـد النظـام الديمقراطى فى جمهورية اليمن الديمقـراطية الشعبية عبر أشكال مختلفة من أعمال القمـع والاضطهاد والاعتقالات الكيفية والمطـاردة لكل القوى الوطنية الديمقراطية المعادية لـلاقطاع والرجعية والصهيونية والامبريالية فى بلادنا » .

تنبيه الصحافة العربية للمخاطر

ومن هنا تلك الاشارة الموضوعية التى أبداها الاستاذ محمد حسنين هيكل ،والتى تبين أن بعض القوى الخارجية - مستغلة حالة الحصار المضروبة حول قاعدة الثورة العربية - مصر - تريد تصفية الحساب مع الاوضاع فى اليمن الديمقراطية وفى غيرها من المناطق العربية الاخرى ، ذلك « أن الامساك بمصر على هذا النحو فى قبضة حالة اللاسلم واللاحرب يعرقل تماما أى تأثير لمصر فى فترة حاسمة من التطور العربى ، وبالتالى فان أوضاعا كثيرة يمكن تسويتها فى غيبة مصر ، يمكن تسوية الاوضاع فى الجنوب العربى ، وفى الخليج العربى ، وفى المغرب العربى ، وفى جنوب وادى النيل ذاته ، وهذه كلها تسويات تهم الولايات المتحدة ، ومطالبها الاقتصادية والاستراتيجية فى المنطقة » . وتلك الاشارة الموضوعية التى ابداها هيكل أيضا ، والتى تظهر أن « تأثير الجغرافيا السياسية والاهتمامات الاقليمية - يبرز ويشتد ، كما اتضح ذلك مثلا فى أن « المملكة العـربية السعودية مشغولة بترتيب الاوضاع في الجزيرة العربية واهتمامها بالدرجة الاولى مـوجه الى الخليج والى الجنوب بدرجات متفاوتة ، ولاهداف متعددة » (٧) ومن هنا أيضاتلك الملاحظةالوصفية والتقريرية التى قالها أحد اليمنيين من أن صنعاء هى اليوم أدنىالى جيرانها منها الىنفسها » وهى الان أقرب الى المملكة السعودية منهـا الى الجمهورية الديمقراطية فى عدن » (٨) .

وقد ربطت جريدة الجمهورية القاهرية التى حذرتفى ٢١-٦-١٩٧٢ من المخاطر « والمؤامرات الاستعمارية ضد اليمن الشعبية » ربطت بتاريخ ٢٨-٣-١٩٧٢ بين مخططات الاستعمار فى جنوب البحر الاحمر وفى شماله ، والاسلوب الذى يتبعه لتحقيقها ، بما فى ذلك الزج بالقوى العربيةنفسها فى صراعات داخلية ، يكون هو المستفيد الاساسى منها ، حين أوضحت أن تصرفـات » وتحركات الولايات المتحدة بقوتها البحرية فى البحر الابيض المتوسط والخليج العربى ومحاولات تطويق الجبهة الجنوبية لمصر من خلال ما تسعى اليه اسرائيل باقامة قواعد بحرية لها على الشواطىء الغربية للبحر الاحمر ، وما يرتبط بكلذلك من مؤثرات ،كل ذلك يساهم مع مرور الوقت واستمرار الصمت على جبهات القتال فى احداث التفاعل فى المنطقة العربية بما يخدم أهداف السياسة الامـريكية الاسرائيلية فى تمزيق الوطن العربى ، وتفتيت قواه ، واغراقه فى الصراعـات والخـلافات الجانبية ، ودفع أطراف منه الى تعميق ذلك كله وتكريسه سواء عن تخطيط متعمد ، أو عن جهل بحقيقة ما تؤدى اليه التصرفات » .

كما دعت فى ٢-٤-١٩٧٢ - عند رفع شعار

---

(٧) الاهرام ١٩٧٢/٦/٩ بداية السنة السادسة بعد معارك الايام الستة «محمد حسنين هيكل » دور أمريكا ومسئوليتها » هيكل ، الاهرام ٧٢/٦/٢٣

(٨) مجلة الاسبوع العربى البيروتية ١٩٧٢/٤/٣

التضامن العربي ـ الى التمييز بين الانظمة والاوضاع المتجاوبة بحكم المصلحة القومية ودواعي الثورة والتجانس الطبقي مع الانظمة الواقعة على خط النار ، وبين الانظمة والاوضاع البعيدة جغرافيا وسياسيا وطبقيا عن دول خطوط المواجهة ، والتى لا تقصد من المواربة بالتظاهر بالموافقة على مفهوم التضامن العربي الا الاستفادة منه لمصالح خاصة بها ، وذلك حين كتبت « وليس عيبا التسليم بوجود نظم عربية غير مهتمة فعليا بالارض المحتلة أو تحرير فلسطين ، نظرا لبعدها عن المواجهة والصدام أو لطبيعة النظام الحاكم فيها ، وليس جديدا القول بوجود نظم عربية ـ والاردن مجرد مثال ـ أقرب الى العدو منها الى الانسان العربي في فلسطين أو سيناء أو الجولان ، ولن تتغير هذه الاوضاع فى يوم وليلة فدونها مخاض طويل مرهق ، ولا يمكن تعليق التحرير بتوفر هذه الظروف المستحيلة أنيا ، الا اذا كانت خطة مرسومة لدفعنا لليأس والاستسلام » ولذلك فان الجريدة نفسها كانت قبل ذلك فى ٢٥ـ٣ـ١٩٧٢ ـ قد طرحت تساؤلا مشروعا « يتعلق بجدوى الاتصال والاخذ والعطاء مع بعض النظم العربية التى تلتقى مع الاردن وملكه فى الاهداف النهائية حتى ان هذه النظم رغم ما تدعيه علنا قد أعلنت من خلال بعض الاتصالات السرية عن مباركتها للمشروع ورضائها عنه » وفى نفس الوقت تسعى بعض هذه الدول « وبطرق ووسائل مختلفة أن تحرف النضال العربي الى دروب ومسارب فرعية أصبح مسلما لدى كل مواطن عربي يتصف بأدنى حدود المسئولية الوطنية والقومية أنها أبعد ما تكون عن ميادين النضال الحقيقية وأكثر ما تكون قدرة على الحاق الضرر والضعف بالنضال العربي حاليا ومستقبلا . وهذا يجعل الموقف العربي يحتاج اليوم بأول ما يحتاج الى دقة فى التقدير والحساب للقوى العربية : أيها تقف فى صف النضال العربي وأيها لا تقف ، أيها تستعد لتحمل أعباء هذا النضال ، وأيها يوضع فى الكفة الايجابية لقوانا ، وأيها علينا أن نسقطه من حسابنا ، هذه الدقة فى التقدير والحساب لا مفر من القيام بها اليوم قبل غد ، حتى لا تطيش خطانا ، وحتى لا تضل حساباتنا وتقديراتنا » .

ادانة المنظمات السياسية والعمالية العربية للمؤامرة

ومن جهة أخرى فان الاحزاب والمنظمات السياسية العربية لم تكتف بتمييز دور اليمن الديمقراطية الوطني فى دعم مواقع الثورة العربية عن الادوار الاخرى المعاكسة لبعض الاوضاع العربية ، وانما شجبت المؤامرة الاستعمارية الرجعية التى تتعرض لها هذه الجمهورية الفتية .

ففى بيان خاص اشترك فى اصداره مؤخرا من بيروت الاتحاد الاشتراكى العربي مصر ـ الاتحاد الاشتراكى العربي ـ ليبيا ـ الجبهة القومية ـ جمهورية اليمن الديمقراطية ـ الكتلة الوطنية المغربية ، حزب البعث العربي الاشتراكى ـ سوريا ـ حزب البعث العربي الاشتراكى ـ العراق ـ الجبهة الوطنية الاردنية ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ الحزب التقدمى الاشتراكى ـ الحزب الشيوعى اللبنانى ـ حزب البعث العربي الاشتراكى ـ لبنان ـ منظمة حزب البعث العربي الاشتراكى فى لبنان ـ حزب العمل الاشتراكى العربي ـ منظمة العمل الشيوعى فى لبنان ـ الحركة اللبنانية المساندة لفتح ـ الحزب الديمقراطى ـ اتحاد الشيوعيين اللبنانيين ، أشادت فيه هذه الاحزاب والمنظمات بأولئك المناضلين فى اليمن الديمقراطى الذين حققوا استقلال بلادهم والذين يدافعون عنه ببسالة (ويساهمون اليوم بكل امكانياتهم فى القضية المصيرية العربية ، وخاصة القضية الفلسطينية) واعتبرت المخاطر التى تتعرض لها بلادهم (حلقة من التآمر الاستعمارى الرجعى الذى يستهدف اسقاط نظام تقدمى عربى ، وهو ما تكشف عنه طبيعة الحشود العسكرية على حدود اليمن الديمقراطية التى تضاعفت فى الاونة الاخيرة ، والحملات الاعلامية التى تشن ضد اليمن الديمقراطية لتبرير العدوان والاتصالات المريبة بين الاستعمار والرجعية لتصعيد العدوان وتصفية الحركة التحررية العربية فى هذا الجزء من العالم) وتختتم الاحزاب والمنظمات التقدمية العربية بيانها بمثل هذه الادانة القوية للقوى المتآمرة (ان الاحزاب والقوى التقدمية التى اشتركت فى اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الشعبى للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية اذ تستنكر هذا العدوان السافر على اراضى اليمن الديمقراطية ، وتندد بالمحاولات الاستعمارية والرجعية المستهدفة حرية وسيادة شعب عربى تهيب بكافة المنظمات العربية والصديقة فى العالم الى التضامن مع شعب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى نضاله من أجل حماية استقلاله ومنجزاته ، والدفاع عن سيادة القومية) (٩) .

كما ادان المؤتمر الخامس للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب الذى انعقد فى ٢٦ـ٢٩ مايو

(٩) النداء اللبنانية ١٢/٥/١٩٧٢.

١٩٧٢ بالقاهرة الاعمال العدوانية ضد اليمن الديمقراطية « وناشد كافة القوى التقدمية العربية والعمالية الوقوف الى جانب نضال شعب اليمن الديمقراطى فى نضاله ضد كافة المؤامرات التى تحيكها الامبريالية والرجعية العربية فى الجزيرة العربية والخليج » (١٠)

موقف لجان أنصار السلام العربية الحازم

كما تبنى المجلس المصرى للسلام فى نهاية اجتماعاته فى ١٨-٥-١٩٧٢ البيان التالى الخاص بالاوضاع فى اليمن :

« تابع المجلس المصرى للسلام بقلق بالغ انباء احداث المؤامرة الاستعمارية والصهيونية - الرجعية التى يتعرض لها النظام الوطنى الديمقراطى فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، والتى تستهدف وجود الثورة اليمنية أساسا ، والمتمثلة فى الاعمال العدوانية على حدود هذه الجمهورية الفتية وفى ذلك الطوق الامبريالى المضروب حولها ، والممتد عبر الخليج العربى والبحر الاحمر ، وفى المشاريع الاسرائيلية - الامريكية ، المستهدفة المداخل الاستراتيجية الجنوبية للبحر الاحمر ، والمتمثلة أيضا فى تشديد حدة التوتر بين شطرى اليمن بهدف دفع قوى التخلف - اخفاء لتناقضاتها الاجتماعية مع قوى التقدم - الى تحويل الصراع عن طابعه الوطنى والثورى الموجه ضد الاستعمار والاقطاع والرجعية العربية الى صراع عقيم مطموس المعالم والغايات ، والى حرب أهلية رجعية - استعمارية ، مدمرة ، تأتى على المكاسب والانتصارات العظيمة التى حققتها ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر اليمنيتين ، وتقضى على كل ما انجزته الثورة العربية على الارض اليمنية خلال صراعها القومى ، البطولى الشامل الذى امتد سنين طويلة ومريرة مع الاستعمار والرجعية ، وتفتح جرحا داميا وجديدا فى جسم الامة العربية المثخن بالجراح ، وتمتد - بالتالى - بنكسة ١٩٦٧ الى أقصى ركن جنوبى فى الارض العربية .

لذلك فان المجلس المصرى للسلام اذ ينبه الى خطورة هذه المؤامرة ، واذ يحذر من عواقبها الوخيمة على مسيرة النضال فى اليمن ، ومن انعكاساتها السلبية على مجرى الكفاح العربى كله ، واذ يدعو كل قوى التحرر والتقدم العربية الى التيقظ الكامل ازاء ما يدبر من مؤامرات على امتداد الخليج العربى والجزيرة العربية - هى بالطبيعة متممة للمؤامرة الاستعمارية - الصهيونية التى يتعرض لها الوطن العربى كله - فانه يوجه النداء الى كل أنصار السلام والحرية فى كل بلد عربى لبذل أقصى الجهد من أجل حصر مخاطر هذه المؤامرة ، ويهيب - فى الوقت نفسه - بالاطراف اليمنية المعينة بأن تعمل كل ما من شأنه أن يفوت على الاستعمار فرصة استغلال التناقضات الداخلية على نطاق الساحة اليمنية لصالح تنفيذ مشاريعه المشبوهة ، والمدانة ، فى المنطقة العربية . كما يعرب عن يقين - بأنه بالتحام منظمات وفصائل الثورة اليمنية ضمن جبهة نضال موحدة ، وبتعاونها التام والشامل - من هذا المستوى - مع قوى الثورة العربية مجتمعة ، ومع القوى الاشتراكية فى العالم ، ليس فى امكانها فحسب تطويق هذه الخطط العدوانية التوسعية للامبريالية والاستعمار الجديد ، وانما أيضا كبح وأحباط كل مؤامرة استعمارية - رجعية يمكن أن تتعرض لها الارض والثورة اليمنية » ، وأرسلت لجان السلام العربية التى اجتمعت فى القاهرة فى ١٩-٥-١٩٧٢ برقية الى المكتب السياسى للجبهة القومية تستنكر فيه « بقوة العدوان الاستعمارى الرجعى السافر الذى تتعرض له جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وتعتبر أنه يشكل حلقة خطيرة من حلقات التآمر الاستعمارى الصهيونى ضد الوطن العربى وهى تهيب بكافة المنظمات العربية والصديقة فى العالم للتضامن مع شعب جمهورية اليمن الديمقراطية فى نضاله من أجل حماية استقلاله الوطنى ومنجزاته التقدمية والدفاع عن سيادته القومية .

تضامن عربى شامل

وفى فهم واضح ، وعطف شديد تضمن بيان اتحاد طلبة كردستان العراق ، والاتحاد العام لطلبة فلسطين، والاتحاد الوطنى لطلبة الكويت، والاتحاد الوطنى العام لطلبة اليمن الصادر فى ٢٢-٤-١٩٧٢ بندا خاصا بطبيعة المؤامرة التى تواجهها الثورة اليمنية وأهدافها الحقيقية ، وشجبا قويا لها على النحو التالى (تدين اتحاداتنا حملات الغزو الدورية لليمن الديمقراطية الشعبية التى تهدف الى اسقاط الانجازات الاقتصادية - الاجتماعية - السياسية التقدمية التى أرسى ركائزها النظام الوطنى هناك ، وعرقلة النمو

(١٠) الطليعة يوليو ١٩٧٢ ص ١٣٤.

المتصاعد والتي تشكل اليوم قطبا مشعا) .
وتفجر (أكثر من مناخ ثوري في عموم المنطقة والمتمثل أساسا في دعم ثورة الخليج ، وانهاض قوى الساحة على رجليها ، للتصدي المباشر والمسلح لكل أشكال التخلف ، ولكل الانظمة الكهنوتية .. وكل القوى الرجعية اليمنية والنظام اللاعصري في عمان والتجمعات العشائرية التي يهدد النظام الوطني الجماهيري كل امتيازاتها ، وامتصاصها لثورات الجماهير الكادحة هناك) (١١) . أما مؤتمر الصحفيين العرب الثالث الذي انعقد ببغداد في ١٧ ابريل ١٩٧٢ فانه لم يكتف بكشف أطراف المخطط الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي الذي يحاول الاطباق على قلعة الثورة اليمنية في عدن ، واستئصال جذورها من كل بقعة يمنية على الاطلاق ، ولم يقف عند حد مطالبة جميع الاوساط المستنيرة بفضحه وتعريته وانما هو يطالب كل الانظمة والقوى التقدمية العربية بالوقوف في وجهه واحباطه عن طريق التعاون والتنسيق الكامل مع اليمن الديمقراطية ، حيث جاء في بيانه ما نصه :

« ١ ـ يطالب المؤتمر بكشف خطورة التغلغل الصهيوني في منطقة جنوب البحر الاحمر من خلال ـ تسليط الاضواء على القواعد العسكرية الامبريالية التي تشكل أحتياطي أي هجوم أو توسع استعماري والموجودة في الجزر الاثيوبية ، هليب ، دهلك ، وأبراز ما تمثله هذه القواعد من أخطار ، وما تقوم به من خدمة المخططات الصهيونية والاستعمارية والتوسعية ، والانتباه الشديد الى تحركات السفن الاسرائيلية والامبريالية .

٢ ـ يطالب المؤتمر القوى والانظمة العربية التقدمية بمواصلة دعمها لليمن الديمقراطية وتمكينها من التصدي للمخططات الاستعمارية العدوانية في جنوب البحر الاحمر .

٣ ـ يدعو المؤتمر جميع الصحفيين العرب الى فضح محاولات السيطرة الاستعمارية على الجزر العربية : سقطرة (وبريم ، ميسون) وكشف المخططات التي تريد جعل جزيرة أبو علي وما جاورها من جزر منطلق العدوان على الثورات التحررية في منطقة جنوب البحر الاحمر ويؤكد المؤتمر ضرورة تأمين حماية عروبة هذه الجزر .

٤ ـ يرى المؤتمر أن الأخطار الحقيقية التي تهدد البحر الاحمر تتطلب من الدول العربية المطلة على شواطئه التوصل الى صيغة للتنسيق العسكري فيما بينها يواجه محاولات التسلل الصهيوني ومخططات الاستعمار للسيطرة على مدخل البحر الاحمر الجنوبي .

٥ ـ يشجب المؤتمر مؤامرات الامبريالية العالمية بقيادة أمريكا والرجعية العربية ضد ثورة ٢٦ سبتمبر و١٤ أكتوبر في شطري اليمن ويندد بالاعتداءات المسلحة وأعمال التخريب ضد النظام التقدمي في اليمن الديمقراطية الشعبية، كما يندد بمؤامرات الرجعية في المنطقة الهادفة الى جر الشعب اليمني الى أقتتال أهلي بقصد ضرب الانجازات الثورية للشعب اليمني وأعاقة تقدمه (١٢) » .

تعاطف الانظمة العربية التحررية مع عدن

وعندما توجه حكومة اليمن الديمقراطية النداء ـ كما جاء في بيان ١٠ ـ ٥ ـ ١٩٧٢ الى كل القوى الثورية العربية والصديقة للوقوف الى جانبها ، وعندما تنبهها الى أن المؤامرة التي تستهدفها « هي جزء لا يتجزأ من المخطط الامبريالي الشامل الذي تتعرض له الشعوب العربية منذ الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، هذا العدوان الذي يستهدف في الاساس اسقاط الانظمة التقدمية العربية وتصفية روافد الثورة العربية » وتذكرها بأنه لما كانت اليمن الديمقراطية الشعبية جزءا لا يتجزأ من الانظمة التقدمية العربية ، وجبهة فعالة في النضال العربي ضد القوى الامبريالية والرجعية» فانه كان (لابد من أن تتعرض لاشرس المؤامرات وأضخمها) عندما تفعل ذلك فان نداءها وتذكيرها يلقيان على الفور آذانا صاغية ، وقلوبا واعية ، كما أتضح ذلك جيدا في البيانات الانفة الذكر للقوى الثورية الشعبية العربية ، وفي موقف التعاطف الذي أظهرته الانظمة الثورية العربية في مصر ، والعراق ، وسوريا ، والجزائر ،وليبيا والتقدير للموقف النضالي الشجاع لقلعة الثورة عدن في مواجهة المؤامرة الصهيونية ـ الاستعمارية ـ الرجعية، وهو ما تجلى في البيانات الرسمية المشتركة بين ممثلي هذه البلدان العربية التحررية ، وبين وفد الجبهة القومية برئاسة عبد الفتاح اسماعيل خلال زيارته لهذه الدول العربية في شهر أبريل ـ مايو ١٩٧٢ والتي لخص الامين العام للجبهة القومية نتيجتها بقوله أنها حققت (نجاحات رائعة حيث أعرب الاشقاء عن تقديرهم للدور الذي تلعبه جمهورية

(١١) مجلة الحارس المدنية مايو ٧٢
(١٢) المصدر السابق ص ٣٨

اليمن الديمقراطية والتنظيم السياسي ـ الجبهة القومية ـ في المجرى العام للثورة العربية، وتصديها للمؤامرات الامبريالية في هذا الجزء الاستراتيجي الهام من الوطن العربي، حيث تشعر الامبريالية من تآمراتها على النظام التقدمي في اليمن الديمقراطية بصفته العقبة الوحيدة التي تقف أمام مشاريعها، ومخططاتها في التغلغل والسيطرة على المداخل الجنوبية للبحر الاحمر لتؤمن مصالح الامبريالية والصهيونية والرجعية في البلاد العربية » (١٣)

تأييد قوى الاشتراكية

وفوق ذلك كله فان موقف عدن النضالي يلقى التأييد والدعم من قبل كل قوى التحرر الوطني والإشتراكية وعلى رأسها جميعا الاتحاد السوفيتي ومنظماته الشعبية التي أعلن أحد وفودها الى عدن ـ وهو وفد لجنة التضامن الاسيوي ـ الافريقي ـ أننا « جئنا الى جمهورية اليمن الديمقراطية، لكي نعبر عن تضامن الشعب السوفيتي مع شعب اليمن الديمقراطية المناضل ضد الإمبريالية والرجعية، من أجل الحرية والاستقلال والتقدم الاجتماعي» ذلك «أن الشعب السوفيتي يراقب باهتمام كبير جدا تلك التطورات التي تجرى في اليمن الديمقراطي، وكادحو الاتحاد السوفيتي يدركون تمام الادراك الاعمال البطولية والانجازات الكبيرة التي يقوم بها الشعب اليمني في هذه المنطقة، فحركة الشعب اليمني الثورية تمثل عاملا هاما في حركة التحرر الوطني، العربية والعالمية، والشعب السوفيتي يعرف جيدا أن اليمن الديمقراطية هي قاعدة استراتيجية ـ ونضالية وسياسية ـ ضد الامبريالية والاستعمار والرجعية في هذه المنطقة من الوطن العربي » (١٤)

تماسك الجبهة الداخلية

أســاس الانتصــار

على أن مدى تأثير وفعالية التضامن والتأييد العربي والعالمي لموقف اليمن الديمقراطية النضالي في مواجهة المخطط الاستعماري ـ الصهيوني ـ الرجعي متوقف الى حد كبير، وبشكل حاسم وأساسي على تماسك جبهتها الداخلية، ومتانة حركتها الوطنية، وتوثيق عرى وحدة قواها التقدمية، وتغليب التناقض الرئيسي والعدائي مع القوى المضادة على التناقضات الثانوية في صفوف القوى الثورية، ونهوض حلف وطني ديمقراطي راسخ، وعميق، وعريض، وعلى امتداد الساحة اليمنية يضم كل القوى الشعبية، والوطنية، كما أن الانتصار على هذا المخطط، والقضاء عليه نهائيا مرهون ـ على وجه التحديد ـ بظهور الجبهة القومية، قيادة، وكوادر، وقواعد، في وحدة تنظيمية وسياسية رصينة ومتينة، لا تخترق، ولا تفل، ولا يجد الاستعمار فيها شرخا أو ثغرة على الاطلاق، يستطيع النفاذ منها، وتمرير مؤامراته من خلالها، ولا فيما يقال ـ حقا أو باطلا ـ من تناقضات في داخلها « فرصة العمر » لتأجيجها وتهويلها، وتحويلها من تناقضات موضوعية ومحدودة، ثانوية، وبديهية، مشروعة ومعقولة، وقابلة للاتفاق والحل، الى تناقضات ذاتية مستعصية، أو حتى تناقضات « فكرية » غير مفهومة، وغير مبررة ـ يودى السماح لها بالاستمرار بالجبهة القومية، وبكل القوى الوطنية اليمنية، وبالثورة ذاتها، وبالبلاد من أساسها، ويسلم اليمن الديمقراطية الى مصير مظلم ومخيف، كذلك المصير التعس والمشئوم، المنذر والمحذر الذي لقيه أحد شطرى اليمن، ويسبب ـ بالتالي ـ نكسة خطيرة لليمن برمتها، ولقضية الثورة في الجزيرة العربية، ويضيف مأساة جديدة الى مآسي الامة العربية الكثيرة والاليمة.

لذلك فان انتصاب الجبهة القومية، والفصائل الثورية الاخرى من حولها كسد شاهق ومنيع في مواجهة الاعداء كفيل وحده ـ باعتباره العامل الحاسم والرئيسي في الانتصار في كل معركة دفاعية أو هجومية ـ ليس فقط بتفويت الفرص على الاستعمار الجديد، وقهر أساليبه الخبيثة، ودسائسه الماكرة، القائمة على اللعب على التناقضات الثانوية، وتضخيمها، والدق عليها باستمرار والحاح، في محاولة لتفجير الاوضاع الثورية من داخلها، « وهدم المعبد على رؤوس الجميع »، وانما هو كفيل أيضا بقطع الطريق عليه تماما، واحباط مخططه من أساسه، والحكم عليه ـ ومنذ البداية ـ بالخذلان والخسران.

مغزى وعبرة الاحداث

الحربية الاخيرة في اليمن

ولقد أثبتت الاحداث الحربية الاخيرة التي فرضت على اليمن مع الذكرى العاشرة لقيام ثورة ٢٦ سبتمبر أنه في أتون المعركة تتحدد وتتحد قوى الثورة، كما تتحدد وتتحد قوى الثورة المضادة، ويتناسى كل فريق خلافاته الثانوية،

(١٣) صوت العمال العدنية ٧/٥/٧٢

(١٤) جريدة الثورة العدنية ٢٥/٥/١٩٧٢ ص ١٢.

ويكون « تحت وابل نيران الحرب » أشد ما يكون التصاقا بالصف الذى ينتمى اليـه ، واقوى ما يكون دفاعا عن القضية الرئيسية المشتركة التى تجمعه معه ، ويختفى نهائيا « ترف » الخلافات « الثانوية » الذى يبدو فى أوقات « السلم » كما لو كان قد احتل المكانة الرئيسـية من دائـرة الاهتمام . فكما أوضحت الاعمال الحربية الاخيرة وقوف كل القوى التقليدية ــ الاقطاعية والقبلية ــ معززة بقوى المرتزقة المجموعة من كل مكان فيها ، وبالقوى الاسـتعمارية صـاحبة الاحتكارات الواسعة بها ــ وقوفها فى جبهة واحدة ، فقد اكدت فى نفس الوقت وقوف كل القـوى الجماهيرية ــ من فلاحين ، وعمال ، ومثقفين ثوريين ، وبورجوازية صـغيرة ، وجنـود وطنيين ــ ووقوف كل القـوى الوطنيـة والتقدمية ــ على نطاق الساحة اليمنية ــ جبهة واحدة متراصة .

وقـد ابدت قـوى التقـدم ــ رغم النصر الذى حققته على قوى المرتزقة والاقطـاع ــ مرونة فائقة فى قبول المقترحات السلمية للجنة الوساطة العربية ، وتقديرا كامـلا لجهود الرئيس السادات الذى كلف من قبل مجلس الرياسـة الاتحادى فى ٦ ــ ١٠ ــ ١٩٧٢ « باتخاذ كل الاجراءات الناجعة لمعالجة هذا الوضع فـى اليمنين » وتقبلا حسنا لمساعى مبعوثى الرئيس البكر ، هذه المقترحات والجهود ، والمساعى المتعلقة بايقاف اطلاق النار ، وعـودة قـوات الجانبين الى مواقعها الاصلية ، وسحب الجيوش من « الحدود » والتى جاءت متفقة مع ما كانت قد طالبت به عدن نفسها ــ ان كل ذلك ليؤكد أنه لا بديل على الاطلاق عن الوحدة الدائمة والمستمرة والاستراتيجية والمتينـة والواعيـة والثورية لكل قوى التقدم اليمنية التى تحقق لها هذا النصر ، لمواجهة كل الاحداث والطوارىء المتوقعة وغير المتوقعة ، ولمجابهة مختلف المواقف المتأزمة ، فى أوقات السلم وحين البأس ، وانه لا عوض عن التفاعل الخصب والخلاق بينها ، وعن تكريس وتجسيد وحدتها هذه فى جبهة وطنية ديمقراطية على اتساع الارض اليمنية كلها ، تتولى ــ على النطاق الشعبى ــ مواجهة جبهة الرجعية والاستعمار ، وتحول او تقيد ــ قدر الامكان ــ يد هذه الجبهة المتنمرة المتكالبة عن أن تطلق أو تستمر فى اطلاق النيران على قلعة الثورة اليمنية الصامدة والباسلة فى عدن ، وتعمل ــ دون تقليل من ضرورة واهمية وفاعلية الدعم الثـورى والحيوى واللازم من قبل الاشقاء والاصدقاء ــ على منع « تعريب » أو « تدويل » الصراع اليمنى الداخلى ، لما يترتب على ذلك من مضاعفات سبق أن عرفتها اليمن من قبل فى ظروف ثورية أفضل كثيرا من الظروف الحالية التى يريد الاستعمار استغلالها وتكرار ما صنعه قبل ذلك مع ثورة ٢٦ سبتمبر ، وتقف ــ هـذه الجبهة العريضة ــ دون اطفاء هذا الصراع فى ماء بارد من المساومات والمناورات ، التى قد تمليها حالة الجزر الثورى فى المنطقة العربية ، ومن طلب التنـازلات غير المبدئية وغير الثورية ، باسم الحيلولة دون زيادة تصعيد الموقف الحربى ، كما تقف دون اخراجه عن طبيعته الطبقية والاجتماعية والسياسية ، باعتباره صراعا بيـن القـوى الاقطـاعية والارستقراطية القبلية والكومبرادورية وحلفائها وسادتها من جهة ، وبين جماهير الشعب اليمنى ، وطلائعه الوطنية ، والديمقراطية من جهة اخرى ، يستهدف فى الاخير من الناحية الموضوعية البحتة ، من وجهة نظر هذه القوى المتخلفة ــ سواء نجحت الوساطة والجهـود العربية أو تعثرت ، وبقطع النظر عن امكانية نجاحها من عدمها ، وسواء توقفت الحرب أو استمرت ــ يستهدف :

١ ــ تنكيس راية الثورة اليمنية ، عن طريق ضرب ثورة ١٤ أكتوبر بعد أن أمكن اجهاض ثورة ٢٦ سبتمبر ، والقضاء على حركة التحرر الوطنى اليمنية فى عمومها ، واعـادة الامتيازات المفقودة فى جنـوب البـلاد للقـوى الاقطـاعية والاستعمارية ، والاجهاز على النظام الوطنـى الديمقراطى المعادى للامبريالية والرجعية العربية فى عدن ، وتعميم حكم الاقطاع والقبليـة والكومبرادورية ، والاستعمار الى آخر ركن فى جزيرة العـرب مـا يزال يشع بالثورة ويتحدى جحافل الظلام ، وحتى تغدو الجزيرة العربية كلها ببحيراتها النفطية النادرة المثال فى العالم كله مضمونة لخمسين سنة قادمة فى يد الاستعمار العالمى ، وينتفى بذلك آخر خطر يهدد هـذه المصالح الاسطورية فـى هـذه الجـزيرة « الذهبية » .

٢ ــ كما يستهدف هذا الصراع ــ من زاوية القوى الثورية ــ الحفاظ على المنجزات الثورية والتقدمية التـى تجسـدها جمهورية اليمـن الديمقراطية الشعبية ، والاستمرار بـالعمليـة الثورية المتفاعلة المتنامية فى اليمن كلهـا ، وفى مختلف أنحاء الجزيرة والخليج ، ومجابهة النفوذ الامبريالى الامريكى والرجعى الاخذ فى التغلغل والاستشراء فى هذه المنطقة منذ نكسة ١٩٦٧ ، وجعل اليمن الديمقراطية صورة ثورية نموذجية لمستقبل اليمن كلهـا ، والتمـكن للحـركة الوطنية والجماهيرية ــ الاخذة فى بعض المواقع طابع الثورة الشعبية المسلحة ــ من النمو والتقدم والانتصار على القوى الاقطاعية والعشـائرية والكومبرادورية والاستعمارية ، وايجاد أوضاع اجتماعية اكثر تمثيلا لمصالح الشعب ، وأكثر اتساقا مع حركة التحرر فى المنطقة العربية ، وأكثر انسجاما مع منطق التاريخ .

البترول سلاحا

د. محمد أحمد عجلان

لم يكن ممكنا ليونيو المشئوم بصدمته المروعة الا ان يستنفر العرب كافة ضد كل ما تعنيه الهزيمة ، فكانت على الفور وقفة الشعب العربي في كل بقعة منه ترفضها يومى ٩ ، ١٠ يونيو . وكان بحثه العاجل عن سلاح — بعد أن ضاع السلاح — يرد به على المعتدين . وعلت الاصوات وبحت ، تطالب بقطع البترول عن كل من ايد العدوان ، أو شارك فيه .

وربما لو أن ذلك كان قد تم وقتها ، لما وجد **الاعداء فرصة المناورة والتسويف .. فتمضى — حتى اليوم — سنوات خمس ، ولما اتيح لكل الصلف والغرور أن يركب رأس اسرائيل ، ولما استطاع الشامتون ان تطول شماتتهم ، ولما كان قرار** مجلس الامن بصورته الهزيلة الجديدة عندئذ على المجتمع الدولى .

ولكن ارتفعت اصوات مشئومة هى الاخرى تهول أن ستقف الحياة على أرض العرب ان أوقف ضخ البترول . وأن لن يجد الناس قوت يومهم ان تأخرت عوائد الثروة التى تنهب . وأخفيت عن الاعين تلك الارصدة المالية الضخمة التى ترقد فى خزائن الغرب .

ونعتقد أن القيادة رأت وقتها أن لا قبل لها بجبهة جديدة داخلية بين العرب ، وأنه فى ضوء ضرورة أن تركز على الجبهة الساخنة فان عليها أن تقبل بمنطق الرافضين ، وأن يظل السلاح فى غمده ولو الى حين . وكان الدعم لدول المواجهة مساهمة من أصحاب الثروة وكأنه نوع من ذر الرماد فى العيون ، وثمنا للصمت عن الاشارة حول ذلك السلاح .

وتأكد أنه ثمن الصمت حين تعرض خط التابلاين لحادث عرضى أدى الى تعطله بصورة مؤقتة عن نقل البترول ، فعرضت احدى دول الدعم أنها لن تستطيع دفع قسطها نقدا ، ولمن شاء أن يقبله عينا .

وظل السلاح فى غمده ، ولكن من جانبنا نحن حسب • فقد ظل تدفق البترول لتقوم عليه صناعات الغرب — وهى لاتيام لهابدونه — وليتحول فى جيوب الشركات الاحتكارية من ذهب أسود الى الاصفر الرنان أقل ما يقال فيه أن جزءا منه يذهب بالتاكيد لمعونة اسرائيل علينا ان سلاحا أو ذخيرة أو دعما اقتصاديا •

وظل السلاح فى غمده من جانبنا فحسب ، ولكن جبهة المعادين بقيت على استخدامه ضـدنا ، استنزافا لثروة انذهبت فلن تعود ، ومعارضة فى رفع أسعاره الى ما يستحقه ، وعدم قبول بمنطق المشاركة فى رؤوس الاموال المستغلة ، وتبديدا لنصفها على شكل حريق الغاز الذى يتصاعد مصاحبا للبترول ، وغيرها من ظواهر الاستخدام فى مصالحنا . وزادت الدوائر الاستعمارية بسأن توجهه للتحكم فى مقدراتنا ، واحداث التنمية اللازمة لصالح شعوبنا •

وانطلقت الشرارة من جديد • لقد استعملت شركة بترول العراق نفس السلاح الذى وضعناه فى غمده حربا على شعب العراق صاحبه الاصلى • حبست ٩٩٫٥ فى المائة من المساحة التى حصلت على امتياز التنقيب فيها عن أن يتم بها تنقيب • وان حدث وتم شىء منها فالنتيجة لها ، لا يعلم أصحاب الشأن عنها شيئا • ثم عادت فخفضت الانتاج حتى تتحكم فى عوائد العراق فلا يستطيع تنمية ولا انفاقا .

ولعله لم يغب عن فطنة العرب أن ذلك قد حدث فى نفس الوقت الذى بدأت فيه العراق اتصالات جادة مع الدول العربية التقدمية بهـدف راب الصدع بينها ، بل والدعوة للوحدة ، وفى الوقت الذى بدأت فيه مفاوضات معاهدة مع الاتحاد السوفيتى ذات هدفين أحدهما التنمية الداخلية ، والثانى التسلح حتى تستطيع المشاركة مع دول المواجهة .

لقد بقى السلاح فى غمده من جانبنا ، ولكن ظل فى يد المعادين سيفا مشهرا ضدنا .

وأممت العراق البترول — وان بقدر • وقصرت التأميم على مصالح الاعداء ، وأبقت على الاصدقاء أو المحايدين • وقامت الضجة ، وأرغى الاستعمار وأزبد

وكان تأميم العراق بمثابة اطلاق الشرارة من جديد

ولكن لعله لا يغيب عن فطنة العرب كذلك أن ثمة **محاولة لاحتواء الشرارة حتى لا يتسع الحريق** تنازلت بريطانيا عن مقاضاة من يشترون البترول ولم يثر أحد على فرنسا ان اتجهت لممارسة حقوقها فيما لم يؤمم ولم يفاتح أحد سوريا فى شىء .. الى آخر الاجراءات التى اتخذت وقت مصدق وتأميم بترول ايران على سبيل المثال •

وبعد انطلاق الشرارة ...

تعالت الامال أن يعلو الصوت باستعمال سلاح البترول • وتعبر عن الامل أول الامر بالتأييد الواسع لخطوة العراق وسوريا ، الى درجـة اعتبارها اجراء مساويا لتأميم قناة السويس فى وقته • وبلغ الضغط الشعبى حدا جعل كل دول منظمة الاوبك تقرر المساندة المالية الكاملة حتى يعود تدفق البترول . ونعود فنقول ، انه بفضل هذا التأييد ، وفى ضوء ظروف أزمة الشرق الاوسط اتجهت سياسة الاستعمار نحو ألا يلقى الزيت على النار ، بل أن يجتهد فى احتوائها حتى لا تمتد النيران الى غير الموقع .

ولكن الامل فى اخراج السلاح من غمده ظل يعتمل فى قلوب العرب .

ان ظروف أزمة الشرق الاوسط وتطورها تمثل كابوسا ثقيلا على صدر الشعوب العربية ، لا يمكن معه أن تقف عن البحث عن كل وسيلة يمكن أن تزيحه •

ومن ثم تتابعت بيانات تدعو الى استخدام سلاح البترول ، وتتابعت أقلام الكتاب تدعـو الى استخدامه ...

كتب البعض عن المعركة القادمة ، ووضـع البترول ، وتتابعت اقـلام الكتاب تدعو الى عربى كبير باقتراح ألا نبيع الا ما يكفى مصالحنا فحسب ونضغط بنقص مصدر الطاقة علـى المستخدمين •

وتواترت الانباء بأن الفدائيين فجروا مخازن تريستا حتى تجرب بعض دول أوربا آثار نقص البترول .

وتحدث البعض عن وضع البترول بين مصادر الطاقة ، وكيف يمثل السند الوحيد المضمون للعالم كله حتى نهاية هذا القرن على الاقل .

وتحدث آخر أو آخرون عن عنق الزجاجة التى تقترب منه أمريكا بحتمية اعتمادها على البترول العربى خلال العشر سنوات القادمة فحسب .

وغيرهم .. وغيرهم ..

وكثير مما كتب - ان لم يكن معظمه - قد ينعش الصدور ، ويرفع الامال .

وارتفاع الامال واجب بالفعل ، لانه البديل الوحيد للوقوع بين براثن اليأس . فبقاء جذوة الامل متقدة مشتعلة مطلب عربى ، بينما الوقوع فى اليأس مطلب وهدف استعمارى .

ولكن هل حق الشعوب العربية ان نقف بها عند حدود الامل فحسب . وهل حق المعركة أن نشهر سلاحها كما نرفع العلم فحسب ، قد يجمع الجيش حوله ، ولكنه لا يطعن ولا يقتل ؟ ان ايماننا وواجبنا يجب أن يذهب الى أبعد من ذلك .

الشعب المستنير ضرورة حاسمة

وقبل أن نحدد البعد الذى يجب أن نذهب اليه فى معالجة امور ذلك السلاح وأى سلاح فليسمح لنا القارىء أن نخرج الى نقطة أخرى وان بدت أول الامر بعيدة عن الموضوع إلا أنه سوف يتضح بعد قليل صلتها الشديدة به .

لقد اجتهد أحد الكتاب يوما ، وكتب تصوره عن المعركة القادمة مع اسرائيل ، ما اذا كانت معركة طويلة أو قصيرة ، وما اذا كانت فى الجبهة أو فى العمق . وانتقل الى المحاذير التى يـراها ، والضرورات التى يجب اتخاذها ، وهكذا . كانت وجهة نظر مطروحة لم يلزم أحدا أن يأخذ بها ، ولا قيادة أن تتبناها .

ولكن ما كتب استفز العديدين . واهتاجت بعض الاقلام والالسن . تارة وتارة يـدمغ الرأى بالضحالة والقصور . ولا عيب فى ذلك ان تقدم أحد برأى أكثر دقة وعمقا . وتارة يهاجم بانحراف فى هذا الاتجاه أو ذاك . ولا عيب عليه أو على الهجوم ذاته فى ذلك ان تقدم أحد بالاتجاه الصحيح . ولكن أخطر ما قيل هو أن ما شأنه بهذا الموضوع ليكتب فيه . وما مؤهلاته الاستراتيجية ليتصدى له . ان ذلك دور القيادة وحـدها ولا مدعاة لان يسطر أحد سطرا فيه .

وذلك اتجاه عجيب بالفعل . فالعدو يدرس من تسطيح للامور ، وشىء أقرب الى أسلوب النعام بدفن الرأس فى الرمال ، أو دفع فى اتجاه ، كنا نظن أن ممارسة الديمقراطية قد دفعت به الى الخلف ، وهو اتجاه أن ما على القوم الا أن يتبعوا الشعار ، كما يتبع الراعى القطيع .

وذلك اتجاه عجيب بالفعل . فالعدو يدرس من أمورنا كل الاحتمالات ، بل وتناقشه الصحافة سواء فى اسرائيل أو فى الغرب . وينقسم الراى بينهم حتى يوصف البعض بالحمائم ويـوصف البعض الاخر بالصقور . ويصبح الامر عجيبا أن يناقش الاعداء أمورنا ولا نناقشها نحن .

واذا جئنا الى قول البعض بأن تلك قرارات القيادة فحسب ، وليس لاحد أن يدلى فيها برأى لكان هذا - على الاقل - قدرا كبيرا من سوء الفهم . فالقيادة تتخذ بالفعل القرار . ولا منازع فى ذلك . والقرار الذى تتخذه القيادة هو بالتحديد الاختيار بين عديد البدائل تبعا للظروف الموضوعية وقت اتخاذ القرار ، ثم هى تحدد كيف يستعمل السلاح ، ومتى ، وضد من ، وبأى الدرجات ، وكيف يتغير مع سير المعركة والتغير فى تشكيل القوى . وهكذا . وهى جميعا قرارات محددة وتنفيذية ، وعلى الجنود جميعا احترامها والالتزام بها . ولكنها لا تتعارض مع انتشار الفهم بمضمون القرار وهدفه . بل يجب أن نؤكد أن انتشار الفهم ضرورة حاسمة لنجاح تنفيذ القرار .

ان للقيادة حق القرار ، وعلينا واجب التنفيذ المخلص الواعى الامين المتفانى . ولكن لنا - من أجل ذلك - حق الفهم ضمانا لوعى التنفيـذ ، وللتصرف فيما يطرأ فى دائرة الفرد أو المجموعة من ظروف .

ان ما سبق ليس خروجا على الموضوع ، بل هو فى صميمه . لقد لاحت فى الافق آمال باستخدام سلاح البترول . فما هو واجب كل الكتـاب والمفكرين فى هذا الشأن ؟ وما هو حق للشعوب العربية أن تعرفه ؟

هل يقف الواجب بالاولين عند حد التلويح به .. وعند رفعه راية وكأنها تهدد فحسب .. وعند بيان بعض احتمالاته فى صورة تقف عند حد

انعاش الامال . وهل لا حق للشعوب العربية الآن تعلق أمامها الامال ، ثم تتوه فى غيبوبة ماضغى القات ، والمسطولين بالافيون أو غيره ؟ أم أنه واجب الاولين ، وحق الاخرين - ليصبح فى نفس الوقت واجبهم - أن يحدد بوضوح امكانيات ذلك السلاح ، ومجالات استخدامه ، ومحظورات الاستخدام ، والمعوقات أمام استخدامه ، والاثار البعيدة - مضمونا أو مكانا - له ، والقريبة . والكتاب ان فعلوا ، والشعوب ان فهمت واستنارت ، كان ذلك أكبر سند للقيادة حين تتخذ القرار ، وأكبر ضمان للنجاح فى التنفيذ ، وأكبر قوة للتغلب على كل المعوقات .

ونعود الان الى صميم سلاح البترول .

لقد عالجت الطليعة فى العددين السابقين موضوع البترول العربى وأوضاعه . فى العدد الاخير اقتصر البحث على اسرائيل والبترول العربى . ولكنها فى العدد السابق له قدمت دراسة واسعة الى حد ما عن البترول العربى وأوضاعه . عرضت لوضع البترول بين مصادر الطاقة على مستوى العالم كله ، وأوضحت انه سيظل حتى نهاية القرن على الاقل المصدر الاكبر والاقتصادى لكل النشاط الانتاجى فى العالم . وشرحت كيف يمثل استخراج البترول مجرد نقطة بداية لسلسلة تكاد تصبح فى ضوء التطور التكنولوجى لا نهاية لها من العمليات الصناعية ، تضيف كل منها لاصحابها قيمة مضافة تتضاءل بشدة أمامها عوائد الاستخراج . ثم عرجت على الانتاج العربى والمخزون المحقق من بترول العرب ، ومدى اعتماد الصناعات عليه سواء فى أوربا الغربية أو فى الشرق الاقصى . وأفردت قدرا من الاهتمام لوضع أمريكا فى حقل الطاقة المتاحة ، وأبرزت كيف ستصل - وفى القريب العاجل - الى الاعتماد بصورة متزايدة على البترول العربى . وانتهت الدراسة بتعداد لامكانيات ذلك السلاح التى تبدأ من مجرد احداث الضغوط الى امكان الحسم النهائى ، وان أشارت لبعض من الشروط يجب أن يتوفر .

وما كان القصد من تلك المعالجة - ولا يمكن له أن يكون - مجرد سرد لعدد من الحقائق والقاء بعض الاضواء على جوانب فى قضية البترول . فلو اقتصر على ذلك لكان نوعا من نزف المعرفة لسنا فى حاجة له الان ، أو كان مجالا للتشدق ببعض المعلومات التى يوجد فى الكتب والمجلات مئات أصنافها أو يزيد . ولكن كان هدف المعالجة - ويجب أن يكون دائما كذلك - أن تضع أرضية محددة ، وأن تكشف نقاطا أساسية يمكن الانطلاق - وبطريقة علمية - منها لدراسة تلك القوة الكبرى ، أو ذلك السلاح الهام الذى تملكه الشعوب العربية ، ولم تستعمله بعد .

امكانيات سلاح البترول

سبق أن أوضحت دراسة الطليعة السابقة - فيما ترى ، وقد يرى غيرها أبعد - أن امكانيات سلاح البترول تقع ضمن اتجاهين أساسيين ، أحدهما امكانية حسم ، والاخرى امكانية ضغط .

أما **الحسم** فيأتى من واقع النسبة التى يمثلها انتاج العالم العربى الى انتاج العالم ، ومخزونه المحقق فى جوف الارض الى مخزون باقى مناطق الانتاج ، وأن تخزين البترول المستخرج فى صورة الخام أو المنتجات المكررة لا يمكن أن يزيد عن استهلاك بضعة شهور قليلة ، وأن النقص فى الامداد بالبترول العربى - ان حدث - لفترة معقولة ، فانه لا يمكن تعويضه من أى مصادر حالية ، وأن عديدا من الدول يقوم كيانها الانتاجى ، بل والعديد من مظاهر حياتها اليومية على توفر البترول لها بكميات كافية ، خاصة تلك التى لا تملك من مصادره شيئا .

وبناء على هذه الاوضاع ، فان منع البترول عن مستهلك ما أو أكثر ، اذا ما انطبقت عليه تلك الشروط ، كفيل بأن يجعله فى الموقف الاضعف . بل انه اذا أمكن تحقيق جدية كاملة فى المنع فانه لابد يخضع .

والمنع قد يكون كليا ، اذا ما أمكن ايقاف الضخ تماما من كل حقول البترول أو من نسبة مرتفعة منها ، وقد يكون جزئيا بألا يتعدى الانتاج حدودا يفرضها المالكون للثروة تكفى استهلاك البلاد العربية ومن تراه من بلاد أخرى ، خاصة اذا ما استطاعت - وهى تستطيع ذلك بالفعل - أن تمنع شحن أى ناقلة للبترول لا تكشف وبدقة عن وجهتها وأين أفرغت شحنتها السابقة .

وأما **الضغط** فأوجهه عديدة وكثيرة ، وتتوقف على الهدف منه . فمن أوجه الضغط محاولة الحفاظ على الثروة واطالة أمدها مثل تحسين تكنولوجيا الاستخراج ، واعادة تخزين الغازات المتصاعدة أو استخدامها انتاجيا بدلا من حريقها ، أو تقنين الاستخراج مع المخزون ، أو الالزام بالاستكشاف واتاحة النتائج فيما منح من مناطق امتياز .

ومن أوجه الضغط ما يمكن ان يستهدف زيادة نصيب الدول المنتجة من عائد البترول بتعديل

الاسعار دائما حسب نوعية البترول ومدى الاستثمار ، والمشاركة فى رأس مال العمليات بين الشركات المنتجة والدول صاحبة الثروة ، أو فى النهاية بالتأميم الكامل والادارة الذاتية لكل عمليات الاستخراج .

ومن أوجه الضغط ما يمكن أن يستهدف قيما حضارية بالاضافة الى زيادة نصيب الدول المنتجة من عائد الثروة البترولية . فقد اثبتت الدراسة السابقة أن عائد استخراج البترول هو اقل الانصبة فيما يحققه من قيم مضافة فى مراحل التكرير والنقل والتوزيع ثم التصنيع الى بتروكيماويات • ويكون الضغط عندئذ بدخول الدول المنتجة هذه المجالات ، حيث يتحقق لها بالاضافة الى عائد العمليات كل القيم الحضارية من دخول هذه الصناعات المتقدمة ، ويتزايد أثر الضغط فى هذا الاتجاه كلما تزايد المدى الذى تحققه الدول المنتجة فيه • وقد رأينا ضآلة نصيب العرب فى التكرير حيث لا يتعدى ١٢ فى المائة مما ينتجون ، وفى النقل حيث لا يتعدى ٨ فى المائة منه •

ومن أوجه الضغط ـ وقد يكون أثره كبيرا ومحققا للامساك أكثر واكثر بذلك السلاح ـ ازاحة الوسيط من الطريق • فالمعروف أن الشركات السبع العمالقة فى صناعة البترول بحكم أخطبوطها الواسع وعلاقاتها المتشابكة تمارس الانتاج حيث لا تملك ، وتسوقه حيث لا تستهلك ، وأن عديدا من الدول المستهلكة فى أوربا الغربية والشرقية وفى الشرق الاقصى تسعى للحصول على البترول بصورة مباشرة ، وتعرض خدمات شركاتها فى أعمال الاستكشاف والاستخراج وبناء الناقلات ومعامل التكرير والبتروكيماويات على دول الانتاج • وقد تحقق تواجد العديد من الشركات اليابانية والايطالية والمجرية والرومانية والتشيكوسلوفاكية ، والفرنسية التى تمارس أعمالا فى عدد من البلاد العربية ، وان كان بنسب مازالت ضئيلة حتى الان • وقد يؤدى الضغط هنا ـ ولابد ـ الى شروط أفضل فى الامتيازات الممنوحة ، والى تصاعد امكانيات الدول العربية فى تحقيق القيم الحضارية بدخول حقل الصناعة الحديثة ، وتحقيق نسبة إكبر من امكانيات النقل بالمبادلة على الناقلات بالخام •

وطبيعى الا تخلو ساحة البترول من امكانيات أخرى عديدة مثل أن تحبس امتيازات الكشف أو الاستخراج عن اى شركة أجنبية وأن تتولاه بالكامل أو بالنسبة العظمى شركات وطنية تشرف على كل ما يتعلق بالثروة وان استعانت عن طريق التعاقد لاعمال محددة بشركات غير وطنية .

ومن الامكانيات كذلك أن تخضع الشركات الاجنبية العاملة الى كل القوانين الوطنية والقواعد الجمركية والمحاسبية ، والا يصرح لها بتصدير كل أرباحها الى الخارج ، بل أن تلزم بانفاقها فى الداخل ، ولا يسمح بالخروج الا للنسبة المقبولة عالميا لعائد رأس المال المستثمر .

وعديد آخر من الامكانيات التى قد يتضاءل بعضها بالنسبة الى ما سبق طرحه فتصبح فى حدود المضايقات .

تلك امكانيات سلاح البترول ـ ونكرر أنه قد يرى فيها المتخصصون أبعد مما ذهبنا اليه ـ ولكن تبقى نقاط هامة فى استخدامه يجب بحثها • منها ، هل تلك الامكانيات مطلقة ، أم أن لها حدودا وعليها قيودا ؟ وهل استخدام سلاح البترول متاح والى أى الحدود ؟ وهل هو بطبيعته وامكانياته التى استعرضناها ، يعتبر سلاحا استراتيجيا أم هو سلاح تكتيكى ، أم فيه ما يحقق هذا وما يحقق ذاك ؟ •• والاجابة على تلك الاسئلة وغيرها ، واعمال الفكر فى شأنها يعتبر أمرا رئيسيا فى تقييم ما نملك ، وزيادة فاعليته عند الاستخدام •

البترول وقومية المعركة

انه لا يمكن أن نتصور تجسيدا لقومية المعركة ، دون أن يكون البترول بامكانياته العديدة ـ سواء كلها أو جزء منها ـ أحد الاسلحة الاساسية فيها •

فالدول العربية جميعا ـ على التقريب ـ منتجة للبترول • والقليل منها غير المنتج حتى الان وهى السودان واليمن بشقيه شمالى وجنوبى ولبنان والاردن بها احتمالات بترولية •

وأثبتت الدراسة السابقة ان العالم كله فى حاجة شديدة الى البترول حتى نهاية القرن على الاقل . كما أثبتت أن الجانب الاكبر من الانتاج يأتى من الدول العربية • وأن الاحتياطى الذى يوفر الامل للسنوات المقبلة يوجد منه لدى العرب ضعف ما فى العالم • وأضافت الدراسة أن أكبر استثمارات امريكا فى الخارج [٣٠ فى المائة] هى فى البترول • وأن عائده يمثل نصف عائدات أمريكا من الخارج ، ومن ثم يكون أثره على ميزان مدفوعاتها ، فضلا عن النشاط الانتاجى الداخلى فيها المرتبط بالبترول (٢٦٠٠٠ شركة) .

وتؤكد الدراسة كما تؤكد الانباء وتصريحات المسئولين أن حاجة أمريكا لاستيراد الطاقة سوف يرتفع من ٤ فى المائة حاليا الى حوالى ٣٥ فى المائة فى حدود عام ١٩٨٥ .

فهل تلصنون أمريكا لاهية عن ذلك ، أو أنها لا تعلمه ، أو أنها سوف تترك نفسها تحت رحمة الظروف ، وما تأتي به الرياح ؟ وهل نتصورها تقبل بمبادلة تجارية عادية وعادلة تقف فيها الاطراف ندا لند ، وهى التى قد اعتادت على نهب الثروة العربية ، بل وبينى اقتصادها وميزان مدفوعاتها على ذلك ؟

بالطبع لا .

وطبيعى اذن أن تجتهد لفرض سيطرتها على كل الثروة العربية .

وطبيعى اذن أن تجتهد لفرض سيطرتها على كل تحرك لامريكا فى المنطقة منفصلا عن هذا الهدف الاستراتيجى لها .

ويصبح غباء منا نحن العرب — أو على الاقل دفنا للرأس فى الرمال على طريقة النعام — أن نفصل بين حرب ١٩٦٧ وكل سياسة أمريكا بعدها ، وبين هذا الهدف البعيد والاكيد .

وتصبح جبهة القناة ليست مدافعة عن مصر وحدها ، ولا جبهة الجولان مدافعة عن سوريا وحدها ، ولكن جزءا من معركة كبرى اما أن تنتصر فيها الشعوب العربية فتكسب حريتها ، وتكسب ثروتها ، واما خسرتها فسوف تخسر من بعدها كل شيء .

ويصبح أى تصور للمعركة الحالية أقل من هذا ، انما هو خيانة لقضية الشعوب العربية كلها . ويصبح حقا لها على كل الثوريين العرب أن يدحضوا ما عدا ذلك . انها أول خطوة فى المعركة أن تجتمع الشعوب العربية حول رؤية واحدة ومن ثم هدف واحد .

فالعدو يخطط لكسب معركته ...

وقد بداها بأن يضرب سوريا ومصر ، لا لان بهما بترولا ولكن لان تيارهما التحررى الذى قادتاه وصل الى الدرجة التى صار يقلق فيها مراكزه فى المنطقة (٦٠ فى المائة من استثمارات البترول وحده لامريكا عدا غيرها من الاستثمارات) . ولان النظام الاجتماعى الذى تسعيان اليه ، والذى يعتمد فى الاساس على استخلاص الثروة الوطنية من كل مستغل أجنبى أولا وتوجيهها لصالح الجماهير الكادحة، نموذج يجب أن يمنع من أن ينتشر ، وأن يرهق حتى لا ينجح ، وأن يوصم بكل موبقة حتى لا يحتذى .

وهزمنا . ذلك صحيح . ولكنا رفضنا الهزيمة ورفضتها معنا كل شعوب العرب . وصمدنا ، ولم يكن الصمود من أجل مصر وسوريا وحدهما ، ولكن لصالح كل العرب . وردعنا . ونجحنا فى الردع فى وقت ما . ولم يكن الردع من أجل مصر وسوريا وحدهما ، ولكن من أجل كل العرب .

ولكن الاستعمار ينتهز فرصة انغماسنا فى مشكلتنا — ونكرر أنها ليست مشكلتنا وحدنا — واحتباس صوت الثورة التحررية التى نقودها ، ويرتب فى المنطقة أموره . فيدعم ايران التى لا يهددها أحد بالسلاح ، ويجود عليها بالفانتوم سلاحه الاثير لضرب الشعوب المتحررة ، حتى تقول بأنها صارت أكبر قوة ضاربة فى المنطقة . وتدفع الثمن تحرشات متكررة بالعراق ، وتعاون مع اسرائيل فى مجالات عديدة لعل أهمها امدادها بالبترول ،ثم أطماعها فى الخليج العربى ودفعها للالاف من أبنائها يتسللون فى غفلة الرقابة الى اماراته حتى تكاد تخلق هناك مشكلة فلسطين جديدة ، وأخيرا تسهل لها بريطانيا احتلال جزر الخليج الثلاث . ويسير الاستعمار فى مخططه لاكمال سيطرة تامة على الخليج ، فالمستشارون البريطانيون يقودون الحملة على الثوار فى عمان ، وحسين ذو التاريخ الاصيل فى التآمر على العرب يشارك بالطيران فى تمشيط المنطقة ، وتتحالف عديد من القوى لتقضى على حكم وطنى تقدمى فى جنوب الجزيرة العربية فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . وطبيعى أن تشارك الاستعمار فى تخطيطه هذا قوى ودوائر عربية تآمرت على شعوبها لانها تخشاها ، ونظنها تدعو الله آناء الليل وأطراف النهار أن نظل محبوسين فى مشكلتنا حتى تكمل التخطيط قسمة مع الاستعمار ، له كل المغنم ، ولها كالعادة الفتات .

ويسير المخطط بافصاح حسين عن وجهه بعد أن جاهد فى اخفائه طويلا . ويجرى الضغط على قبرص . وتتسلح اليونان وتركيا بالفانتوم كذلك ليكتمل حزام فى الشمال من مصر ، كما اكتمل أو كاد حزام تحتها فى الجنوب . بل ويذهب أبعد من ذلك اذ يسعىٰ الى ألا تلتقى الثورات التقدمية فى المنطقة ويظل يبذر بينها بذور الخلاف .

والمخطط وان كان يستهدف فى الاساس حبس مصر عن المنطقة فهو لا ينسى البترول ، فتسليم من الاستعمار بامكان المشاركة فى رؤوس أموال شركات استخراج البترول بمفاوضات تستمر

سنوات من الان حتى تبقى له العوائد الاضخم مما بعد الاستثمار ، وذرا للرماد فى عيون الشعوب العربية • ولكنه يعود فيطعن تضـامن الدول المصدرة للبترول باتفاق من الخلف مع ايران على الاسعار وعلى زيادة الكميات • ويسعى جاهدا قبل غيره وقد تفجر الغاز فى الجزائر الى ربطها به بعقد لاطول فترة ممكنة قدرها خمسة وعشرون عاما سعيا الى التحكم فى هذا الشكل الجديد من اشكال الطاقة ومحاولة لربط هذاالبلد التقدمى به قدر الامكان •

ويتوافق بالتـــالى ويترابط فى تـــكامل هدف اسرائيل الاستراتيجى فى الارض «من النيل الى الفرات » لتمثل الذراع الطويلة للاستعمار فـــى « سيطرة من الخليج الى المحيط » •

عودة الى سلاح البترول وقـوميـــة المعـركـة

واذا كانت المعركة الام ليست هي المواجهة على القناة وفى الجولان والضفة الغربية والقدس ، بل هى معركة تحرير الشعوب العربية من سيطرة الاستعمار كلية ، واستعادة ثرواتها ، والخروج من دائرة التخلف الى حياة القرن العشريـــن ، والتحضير للاجيال القادمة حين ينضب معـــين الثروة التى تستنزف ، والتحول من مجتمعات تستهلك ثرواتها الى مجتمعات تستغلها لاقامـــة كيانات انتاجية قوية •

واذا كان العدو الاول هو أمريكا بما تمثله مصالحها الضخمة والتى تتخذ ما تتخذ من مواقف للمحافظة عليها فى الحال وفى الاستقبال تلبها اسرائيل بحكم كونها زرعت زرعا فى المنطقة لا شفقة على اليهود ــ فزنوج أمريكا اولى بالشفقة ــ ولكن لتكون خفير الحراسة فى الموقع ، وأداة الضرب على كل نزعات التحرر فى المنطقـــة • وتليهما الدوائر الاستعمارية الاخرى فى الغرب من تلك التى أمدتها بدبابات النمر وتعويضات أعطتها فرصة الحياة ازاء المقاطعة العربية الصارمة،الى أخرى تبيع بعض العرب بضع دبابات لتستر تموين اسرائيل بالغواصات . وينضم اليها جميعا تلك الدوائر العربية التى تتهالك تحت أقدام الاستعمار لتظل تعيش صورة الغنى المتلاف الى درجـــة السفه .

فان قومية المعركة لا يمكن ان تترجم واقعا : الا اذا قامت ثورة عربية تحررية قوامها الشعوب التى تستهدف الخلاص من كل انواع الاستغلال ومظاهر التخلف •

واذا كان لكل ثورة طليعة ، تلعب بحكم وعيها دور القيادة ، فان ذلك أمر يلقيه التاريخ على كاهل الثورات التحررية القائمة فى المجتمع العربى بما فيها شعب فلسطين •

وتصبح بالتالى وحدة الثورات التحررية جميعا حتمية ملزمة ، لا يجوز أن تتعطل نتيجة مواقف أو أخطاء من أى جانب لا تعلو الى مستوى الهدف الواحد الذى يهدد مستقبلها جميعا •

ان مصر وسوريا والعراق وليبيا والجزائر واليمن الجنوبية يواجهون واجبا تاريخيا عليهم أن يتصدوا له ، وليس بالضرورة أن يأتى ذلك بالوحدة الاندماجية او الاتحاد فذلك ما قد يتأخر وقتا ، ولكن بوحدة كاملة فى الهدف ، وتنسيق كامل فى الحركة .

والثورة العربية التحررية لابد أن تستعمل كل أسلحتها ، وأولها السلاح المشترك بينها وهـو البترول • ان نظرة الى الجدول التالى عن البترول العربى ونسبته الى الانتاج العالمى ونسبة انتاج كل دولة أو مجموعات منها الى الانتاج العـــربى والعالمى توضح أن دول الطليعة تملك فيما بينها ٤٠ فى المائة من الانتاج العربى وهى نسبة تتيح لها قدرا كبيرا من الحركة • ولكن يظل الامل معقودا حتى تؤتى اثرا قويا وضغطا حاسما أن تستطيع أن تجذب وراءها فيما ترى من اجراءات شعوب بلاد أخرى حتى تنخرط بلادها فى نفس الطريق •

واستعمال سلاح البترول بعدهذا يجب أن يتجه نحو العدو الرئيسى وأذنابه دون غيرهم • ان التخطيط الناجح هو ذلك الذى يكسب فى صفه اكبر عدد من الاصدقاء والمناصرين ويعزل العدو وحده فيمكن ان تكال له الضربات .

ان امريكا بالذات واسرائيل ليستا حتى الان فى الوضع الذى تعتمدان فيه لتسيير دفة الاعمال فيهما على البترول العربى . فامريكا لا تحتاج لاكثر من ٥ فى المائة من احتياجاتها حتى الان ــ وان كانت النسبة فى تزايد كل عام ــ ويمكنها تعويضه بسهولة من مصادر أخرى عـــديدة • واسرائيل ان لم يكفها بترول سيناء او لم يتلاءم مع قدراتها فى التكرير فعندها تمـــوين مستمر من

البترول الايرانى ، ومن ثم قد يكون ايقاف الضخ كاملا الان بحيث يقع عبؤه على دول فى غرب أوربا وفى الشرق الاقصى نريد أن نكسبها الى صفنا . وقد أفلحنا فى ذلك بعض الشىء أو على الاقل أفلحنا فى وقوفها موقف الحياد . وربما كان فى حاجة هذه الدول الى البترول ، وامكانياتها فى عمليات الكشف والاستخراج والتكرير وبنـاء الناقلات وصناعة البتروكيماويات ، ووقوعها — مثلنا — تحت رحمة « الوسيط الذى ينتج مالا يملك ويسوق مالا يستهلك . ربما كان كل هذا دافعا الى أن يمثل الارتباط المباشر بيننا وبينها فى هذه العمليات — كلها او بعضها — يمثل اتجاه الضربة الرئيسية التى يجب أن نوجهها . ولا يجوز أن نهمل فى هذا الصدى امكانيات المعسكر الاشتراكى بما فيه الصين الذى اثبت طول الوقت ومع كل الدول العربية اخلاصا وصدقا فى التعامل دون شروط تفرض أو استنزاف نتعرض له أو نهبـا لثرواتنا . ان المعسـكر الاشـتراكى لديه من الامكانيات والخبرة فى قطاع البترول من جهة ، وتتزايد حاجته الى كميات منه (راجع الدراسـة السابقة) من جهة اخرى . وهما شرطان يجعلان منه منافسا ، وامكانية لنا فى الحصول على افضل التعاقدات . ان مثل هذا التوجه والذى يعنى الارتباط فى النشاط البترولى بغير الشركات السبع الكبرى ورفع قدراتنا على التكرير ونسبة ما ننقله ونوزعه من البتـرول ، واقـامة الصـناعات البتروكيماوية بعد تأميم كل المصالح الاستعمارية وسحب كل الارصدة المالية من بنوك الدول الغربية كالخطوة الاولى ، هو الكفيل — حاليا — بضرب مصالح امريكا فى الصميم ، والسبيل الوحيد لانتقال مجتمعنا العربى من التخلف الى آفاق القرن الحادى والعشرين .



وبعد — فتلك وجهة نظر نعرضها حول سلاح البترول وامكانياته والشروط اللازمة لاستخدامه، واتجاه الضربة الرئيسية فى استعماله .

وما نرجوه ألا تقف كتابة المفكرين العرب عند مجرد التلويح بذلك السلاح ،بل أن يسهموا جديا فى دراسة وشرح وبسط امكانياته . انهم ان فعلوا لكان فى جهدهم نورا للثوريين العرب يعملون على هداه فى كل مكان ، وكان استعمالنا للسلاح فى النهاية قائما على دراسة وتخطيط ، لا استعمال اليائس ، فان سلاح اليأس دائما مشلول .

البترول العربى والإنتاج العالمى

البلد	انتاج ١٩٧١ [الف طن مترى]	مجموع	النسبة المئوية للانتاج العربى	النسبة المئوية للانتاج العالمى
السعودية	٢٢٢ر٠٠٠		٢٥	
الكويت	١٤٥ر٠٠٠		٢٠	
		٣٦٧ر٠٠٠	٤٥	١٤
العراق	٨٣ر٠٠٠		١٨	
ليبيا	١٣٢ر٠٠٠		١٧	
الجزائر	٣٦ر٥٠٠	٢٥١ر٥٠٠	٤ ٣٢	١٠
ابو ظبى	٤٤ر٥٠٠		٦	
المنطقة المحايدة	٣٦ر٤٠٠			
قطر	٢٠ر٠٠٠			
عمان	١٤ر٧٠٠			
دبى	٦ر٥٠٠			
البحرين	٣ر٧٥٠	١١٥ر٨٥٠	١٣	٤
مصر	١٥ر٥٠٠			
سوريا	٦ر٥٠٠			
تونس	٤ر٢٠٠			
المغرب	٢٥	٢٦ر٢٢٥	١٠	٣
اجمالى		٧٦٠ر٥٧٥	١٠٠	٣١

تطــــوير نظـــــام الأجــر بالانتاج



فتحى محمد رفاعى

هناك عـــدة نظـــم فى جمهـــورية مصر العربية لحســـاب الاجور . ارتبط كل منها بظروف خاصة ، من حيث النشـــأة ، والعوامل الاجتماعية المتداخلة ، والسياسة ، ونوع الصناعة ، وتطور القوى العاملة .. وأهم هذه النظم هى :

١ ــ حســـاب الاجــر بالوقت [اليـــوم أو الساعة] ، وهذا النظام متبع غالبا بين عمال القطاعين العام والخاص ، وكذلك بين العمال الزراعيين .

٢ ــ حساب الاجر بالشهر ، وهو الذى يتمتع به الموظفون فى الحكومة أساسا ، وفى القطـــاعين العام والخاص ، وان كانت نسبتهم ، بالنسبة الى مجموع العاملين فى القطاعين العام والخاص ، قليلة .

٣ ــ نظام الاجر بالقطعة [بالانتـــاج] ، وهو موضوع دراســـتنا الحالية ، وهو الذى يرتبط فيه أجر العـــامل بعدد الوحدات التى ينتجها .

مزايا نظام الاجر بالانتاج

يعتبر هذا النظـــام متقدما من غيره من النظم السائدة لارتباط الاجر المدفوع بالانتاجية المحققة ، فى حين أن النظم الاخرى السائدة ، سواء المطبقة فى الجهاز الحكومى ، او فى الادارةالمحليه أوفى معظم وحدات القطاع العـــام ، لا تربط بين الاجر وبين الانتاج ، وانما تعتمد فى الاساس على الفترة الزمنية المقرر وجود العامل فيها فى العمل ، من الساعة المحددة لتوقيعه بالحضور ، الى الساعة المقررة لانتهـــاء العمـــل ، وهى فى الغـــالب ست ســـاعات فى الحكومة ، وسبع ساعات فى القطاع العام ، دون أى ارتباط بكمية العمل المنتجة خلال تلك الساعات . ولا يرجع تقدم نظام العمل بالانتاج الى كونه فقط يحاول أن يقيم أساسا عادلا لدفع الاجر مقـــابل العمل المبذول ، بل يرجع ذلك التقدم الى النتائج التى يحققها النظام ، حيث إنه يؤدى الى زيادة الانتاجية . واذا لاحظنا ــ مثلا ــ ان دورة العمليـــات الانتاجية فى صناعة النسيج مترتب بعضها على بعض ، من التحضـــيرات الى النســـيج الى التجهيز النهـــائى ، لرأينا ان زيادة الانتـــاجية فى احدى العمليـــات ، نتيجة العمل بالانتاج ، ستجر معها جميع العمليات الاخرى فى خط الانتاج ، والتى يتم حســـاب الاجر فيها على أساس زمنى .

وزيادة الانتـــاجية ترتبط فى المحل الاول ، بما يبذله عامل الانتـــاج من جهد فائق فى فترة زمنية محددة ، لتحقيق أقصى انتاج ممكن ، لان هذا هو الطريق الوحيد لحصوله على أقصى أجر ممكن فى حدود الامكانيـــات المتاحة ، أى ان هـــذا النظام يؤدى الى تكثيف العمـــل فى كل خط الانتـــاج ،

ويؤدى كذلك الى استخلاص أقصى طاقات الجهد البشرى ، وأقصى استغلال للطاقات الآلية المتاحة .

عيوب التطبيق المصرى للاجر بالانتاج

ان نظام الاجر بالانتاج ، المطبق حاليا ، يشوبه كثير من التحفظات ، تحد من امكانية اعتباره أداة صالحة لاطلاق طاقات قوى الانتاج . وأهم هذه التحفظات ما يلى :

١ ـ تقييم عامل الانتاج تقييما مساويا لعامل الاجور الاخرى .

٢ ـ تجميد أجور عمال الانتاج عند مستوى معين ، هو أقصى طاقة للعامل والآلة ، ولا يمكن تجاوزها فى الوقت الذى تنطلق فيه أجور العاملين فى نظم الاجور الاخرى ، بفعل وتأثير عاملين :

أ ـ الزيادة المنتظمة فى الاجور ، نتيجة اضافة العلاوات الدورية للاجر .

ب ـ الزيادة مقابل الترقيات .

ولقد أدى هذا الى خلق تغيير فى نسب الاجور عند تقييم العاملين بالقطاع العام ، بين مستويات أجور العاملين بالانتاج ، والذين يبذلون أقصى طاقاتهم ، وبين أجور العاملين بمرتبات شهرية دائمة .

وترتب على ذلك انعكاسات كبيرة على الانتاج وعلى العاملين على السواء :

أ ـ لجوء بعض العمال للعمل الخفيف ، طلبا للراحة ، مما حمل الانتاج أجورا غير منتجة .

ب ـ قناعة البعض بمتوسط الاجر المقرر .

جـ ـ لجوء البعض الاخر الى هجرة الانتاج للعمل باحدى نظم الاجور الاخرى .

د ـ زيادة عدم الانتظام فى العمل ، الذى يسبب تعطيل العديد من الآلات .

التشريع والعلاوات الدورية لعمال الانتاج

يبدو ان المشرع ، عند اعداده للقرار الجمهورى رقم ٣٣٠٩ لسنة ١٩٦٧ ، قد خدعته ظاهرة الارتفاع النسبى فى أجور عمال الانتاج ، دون أن يتعمق فى دراسة شاملة لظروف وحالة عمال الانتاج ، بالمقارنة الى زملائهم المعينين حديثا ، ممن يتقاضون مرتبات شهرية ثابتة ، وتصور ان هذا الارتفاع النسبى يعد مقابلا للعلاوة الدورية . فقد نصت المادة ٢٩ ، على المنع الصريح للجمع بين العلاوة الدورية والعمل بنظام الاجر بالانتاج . أما فى القانون رقم ٦١ لسنة ١٩٧١ ، فقد كان المشرع أكثر تفهما لطبيعة نظام الاجر بالانتاج ، اذ ابتعد عن المنع الصريح للجمع بين هذا النظام وبين العلاوات الدورية ، ولكنه لم يصل الى درجة النص الصريح على منح العلاوة الدورية ، تاركا هذا الامر لرأى مجالس ادارات المؤسسات والشركات ، الذين أفقدوا المادة ٢٢ من القانون سالف الذكر حيويتها ، وجمدوا الاجور ، بحجة نهاية مربوط المستوى ، دون مراعاة لظروف الاجر بالانتاج .

ضرورة منح علاوات دورية لعمال الانتاج

اطلاقا لطاقات الجهد الخلاق للعمال ، يلزم القضاء على حالة تجميد أجور عمال الانتاج ، بمنحهم علاوات دورية ، وتجىء هذه الضرورة للاعتبارات التالية :

● **الاعتبار الاول :**

ان أساس منح العلاوة الدورية لا يعتمد على الزيادة الفعلية فى انتاجية عامل الشهر ، بل يعتمد على زيادة ربحية المنشأة ، وهذه الربحية هى التى تحدد نسبة منح العلاوة الدورية . ولهذا فقد حرم القانون منح العلاوة الدورية للعاملين فى المنشأة الواحدة بنسب مختلفة ، بل تمنح بنسبة واحدة للجميع . أى ان العلاوة الدورية لا تقوم على أساس من الفروق الفردية فى انتاجية العاملين ، وفوق ذلك ، فان انتاجية العاملين بالانتاج ، وان كان لها دور أساسى فى ارتفاع وانخفاض مؤشر ربحية المؤسسة ، الا انها ليست المؤثر الوحيد فى هذا المؤشر .

ومن الامور المستقرة ، ان العلاوة الدورية تقابل أساسا الزيادة فى الاعباء الاجتماعية ، وفى نفقات المعيشة ، فى حين ان الترقيات هى المقابل لزيادة كفاءة العامل ، أى مقابل زيادة انتاجيته ـ كما ونوعا ـ وجدير بالذكر فى هذا المقام ، ان نظام الاجر الثابت [الاجر بالوقت] ، ذو العلاوة الدورية ، مستقر فى الاعمال التى تعتمد على الجهد البشرى ، أو الصناعات التى تعتمد على الآلات . ولكنها لم تصل بعد الى وضع معدلات انتاج نمطية تحسب على أساسها الاجور .

ومعنى هذا ان نظام الاجر الثابت ، لا يحفز العامل على بذل أقصى طاقته فى الانتاج .

وهناك بعض المحاولات الرائدة فى بعض الصناعات ، لايجاد ربط بين الاجر والانتاج . ومن هذه المحاولات ، ما يطبق حاليا فى قطاع المصانع الحربية ، وفى الشركة المصرية لغزل ونسج الصوف [وولتكس] غزل امبابة .

ويقضى هذا النظام ، بتحديد كمية من الانتاج يلزم العامل بها مقابل أجره المحدد . فاذا زاد انتاج العامل ، احتسبت الزيادة بأجر يزيد عن الاجر الاساسى لكل وحدة ، مع احتفاظ العامل بالعلاوة الدورية والترقيات .

● **الاعتبار الثانى :**

قد يبدو غريبا ان نقول ان نظام الاجر بالانتاج ،

لا يتيح زيادة فعلية فى أجور العاملين بما يقابل العلاوات الدورية ، ولكن الحقيقة ان أجر عامل الانتاج له حد لا يمكن تخطيه بالزيادة ، ويرجع ذلك الى :

أ ـ الوقت المقرر للعمل وقت محدد ، وهو « وردية » ، ولا يمكن للعامل التحكم فى زيادة الوقت ، وبالتالى لايمكن للعامل من زيادة الانتاج بزيادة الوقت .

ب ـ زيادة الانتاج فى وقت العمل المحدد ، تحكمها عدة اعتبارات ، منها أساسا ان الانتاج يتوقف على أفضل وسيلة لاستغلال انتاجية الآلة ، والآلة لها طاقة قصوى لا يمكن تجاوزها ، ومن هنا فان العامل لا يتمكن من زيادة انتاجيته عن طاقة الآلة القصوى ..
[وفى صناعة النسيج ـ مثلا ـ فان للآلة عدد لفات قصوى معروفة لا يمكن زيادتها] .

جـ ـ معدلات الانتاج ، والتى يحسب على أساسها الاجر ، تحدد بواسطة ادارة الشركة ، ويقوم بذلك جهاز فنى متخصص ، وتفترض النظم العالمية حساب هذه المعدلات على أساس أداء ممكن لعامل متوسط الكفاءة .

ومعنى هذا ، ان الهامش المتاح لزيادة الانتاجية ضئيل ، ويتمثل فى الفرق بين انتاجية العامل متوسط الكفاءة ، وبين انتاجية العامل عالى الكفاءة ، وهذا الاخير تحدد انتاجيته الطاقة القصوى للآلة . هذا من الناحية النظرية ، ولكن من الناحية العملية ، فان الاجهزة الفنية المنوط بها الدراسة لحساب معدلات الانتاج ، تعتمد فى حساباتها على عاملين :

١ ـ الطاقة القصوى للآلة .

٢ ـ البيانات التاريخية عن انتاج العامل .

ومعنى هذا ان أى زيادة فى انتاجية العاملين سوف تستنفد فى معدلات الانتاج الجديدة للاصناف المتجددة دائما . وبذلك لا تكون الفرصة متاحة للعامل لكى يزيد انتاجيته لرغبته فى زيادة دخله .

وبعبارة أخرى ، فانه يمكن للادارة ـ وهى تضع تعريفة الاجر ـ ان تتحكم فى الاجور ، من خلال معرفتها لطاقات الآلات القصوى ، ومعرفتها بمستوى أداء العاملين ، وذلك بمراعاة عاملين :

١ ـ كمية الانتاج .

٢ ـ نوع ومستوى الانتاج .

والعامل مطالب فى نفس الوقت ، بأن يزيد من كمية الانتاج ، ولكن بنفس نوع ومستوى الانتاج المطلوب .

د ـ فى الوقت الذى تحتسب فيه معدلات الانتاج على أعلى كفاءة وصل اليها مستوى الانتاج بالوحدة الانتاجية ، فان انتاجية العاملين تتناقص بفعل مؤثرات السن وأمراض المهنة وتقدم الآلات وحاجاتها المتزايدة للصيانة . وهذا كله ينعكس على أجر عامل الانتاج بالتناقص ، فى حين يزيد أجر زميله ، نتيجة لحصوله على العلاوات الدورية .

الخلاصة

ومما سبق ، نستخلص النتائج الآتية :

١ ـ أن العاملين بالانتاج لا يتمكنون من زيادة اجورهم بما يعوضهم العلاوات الدورية .

٢ ـ ان أى زيادة فى دخول هؤلاء نتيجة زيادة انتاجهم فى بداية حياتهم ، يرجع الى الجهد الاضافى والغير عادى منهم ، فى وقت العمل المحدد . وهذا الجهد الاضافى تقابله زيادة انتاجية عامل الاجر الثابت فى الساعات الاضافية ، التى يأخذ عنها أجرا اضافيا ، بل وبزيادة عن الفئة العادية . والفارق الوحيد بين الحالتين ، هو ان عامل الانتاج ينجز كمية معينة من الانتاج فى فترة قصيرة ، نتيجة تكثيف العمل ، فى حين ينجز عامل الاجر الثابت نفس الكمية فى وقت أطول ، ويتقاضى عن الوقت الزائد أجرا اضافيا .

٣ ـ فى حين ان الهدف من نظام الاجر بالانتاج هو اطلاق طاقات القوى العاملة ، فان النظام الحالى [حرمان عامل الانتاج من العلاوة الدورية] يجمد الاجور ، ويضع قيودا على تحقيق الهدف .

الاقتراحات

ترتيبا على ما سبق ، فاننا نقترح الآتى :

١ ـ يستمر نظام حساب الاجر بالانتاج ، مع اعادة تقييم عامل الانتاج تقييما تتوفر فيه مراعاة خصائص العمل بالانتاج .

٢ ـ يمنح عامل الانتاج علاوة دورية تستمر دون التقيد بنهاية مربوط المستوى الوظيفى المسكن عليه العامل ، بحيث لا يزيد عدد العلاوات الممنوحة للعامل عن العدد المحدد بالمستوى الوظيفى ، على أن يبدأ حساب هذا العدد من أول علاوة تمنح لعامل الانتاج .

٣ ـ يسمح بترقية العاملين الى درجات أعلى دون الانتقال الى وظائف أخرى [اشرافية وخلافه] .. وتحقيقا لذلك ، يلزم زيادة مدى الدرجات المقررة لعمال الانتاج ، مع مراعاة ضرورة تضمين توصيف المنقول اليها شروطا خاصة ، تتعلق بزيادة كفاءة العامل ومهارته من الناحية النظرية والعملية .

ان تلافى السلبيات الموجودة فى النظام الحالى للعمل بالانتاج وتحقيق ما أشرنا اليه من اقتراحات سوف تترتب عليه زيادة امكانية استفادة الانتاج من خبرات العاملين ذوى الكفاءة المرتفعة والخبرة الطويلة ، نتيجة لاستقرار العمل .

بل ان هذه السلبيات ، اذا ما قدرت آثارها ماليا ، وما تتحمله جملة حصر تكاليف الانتاج ، نتيجة لها من جهة ، ثم قدرت جملة العلاوات الدورية لعمال الانتاج من جهة أخرى .. وبمقارنة بسيطة بين النتائج ، سنجد أن تكلفة السلبيات ، تساوى أضعاف تكلفة العلاوات الدورية لعمال الانتاج .

مناقشات حول مشروع دليل العمل

نشرت « الطليعة » فى العدد الماضى ، نص مشروع دليل العمل السياسى ـ الفكرى والتنظيمى الذى أعدته الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى • وتواصل « الطليعة » فى هذا العدد ، فتح صفحاتها لوجهات النظر التى تصلها حول مشروع الدليل ، مساهمة فى الحوار الواسع الذى يجرى فى مختلف المستويات التنظيمية للاتحاد الاشتراكى ، اثراء للحوار من جهة وبهدف الوصول أخيرا الى النتائج الايجابية المرجوة •

السياسة الدولية

بين مشروع دليل العمل

ووثائق الثورة

حسين شعلان



عرض « مشروع دليل العمل السياسي ـ الفكري والتنظمى » تصوراته لسياسة مصر الخارجية فى المجال الدولى ، من خلال ثلاثة اجزاء رئيسية هى : « تجارب الماضى » ، « واقع الحاضر » ،ثم «خطوط المستقبل » (١) . **ويمكن حصر القراءة النقدية** لهذه التصورات على أساس مقارنتها بـوثائق الثورة ، فى قضيتين أساسيتين :

أولا ـ قضية منهجية

وضوح الرؤية وتحديد المهام ـ سواء فى مجال الاستراتيجية او فى مجال التاكتيك ـ ضرورة بديهية وحاسمة ، بغيرها يضيع أى معنى للعمل السياسى . ورغم أن مشروع الدليل يلح على اهمية « الرؤية الواضحة » و « العمق » و « الحسابات الدقيقة » .. الخ ، الا انـه لا يترجـم ذلـك الى حقيقةملموسة فىتصوراته للعمل السياسىفى المجال الدولى .

فكل وثيقة سياسية ، وخاصة فى مجـال التاكتيك ، تحدد دليلا للعمل السياسى فى المجال الدولى ـ كما فى كل مجال ـ ينبغى أن تبدأ باعطاءتصورها **التحليلى** لطبيعة الوضع الدولى الراهن : خريطة قواه السيـاسية وحـركتها واحتمالات آفاقها فى المرحلة التى تنـاقشها . ويترتب على ذلك ـ كما ينبغى فى كل أدبيات الفكر السياسى العالمى باتجاهاته المختلفة ـ أن تحدد موقعنا على هذه الخريطة : مع من .. ولماذا .. وكيف ؟ ضد من .. ولماذا وكيف ؟ ومن يمـكن كسبه .. ومن يمكن تحييده .. الخ . وينتهى ذلك كله بتحديد شعار لهذه المرحلة يوجز مهامها فى المجال الدولى لتنفيذه والسير فى خطاه .

لكن هذا كله ، بالجملة ، لا نعثر له على أثر فى مشروع دليل العمل السياسى .

كذلك ، فان تقسيم مشروع دليل العمل السياسى لتصوراته فى المجال الدولى ، الى اقسام ثلاثة (تجارب الماضى ، واقع الحـاضر ، خطـوط المستقبل) دون الربط بينها بخط سياسى واحد ، يحمل ضمنا ـ أو يوحى ـ بأن هناك تغيير فى طبيعة الوضع الدولى ومن ثم تغيير فى موقعنا . وهذا جائز . ولكن الذى لا يجوز أن يكتفى مشروع الدليل بأن يقول أن هناك تغيرا فى الاوضاع العالمية « **قد بلغ اليوم درجة الثورة سواء فى العلاقات الدولية وتوازن القوى والمصالح بين أطراف هذه العلاقات ...** » (٢) ، ثم لا يذكر او يحدد ماهية هذاالتغيير وطبيعته،او آفاقهواحتمالاته ،وبالتالى لا يحدد موقعنا منه ومهامنا تجاهه ... الخ .

ما هواذن هذا التغيير الذى بلغدرجة الثورة ـ أى تغييرا جذريا ؟ وأين معالم هذا التغيير الذى يعد « استيعابه ضرورة » بدونها لا تتوفر « **الرؤية السليمة** » و « **الحسابات الصحيحة** » ويتعرض « **العمل الوطنى كله لأخطار او أخطاء قد تكون فادحة** » ؟ كما يقول مشروع الدليل نفسه .

والواقع أننا اذا قمنا بحذف كلمات : عمق ، أبعاد ، مفهوم ، واعى ، واثق ، حساب ، امعان ، دراسة علمية دقيقة ، أغوار ، فورا ـ وكلها صفات تقريبا ـ من النص الكامل لتصـورات مشروع الدليل عن خطوط المستقبل فى المجال الدولى ، نقول اذا حذفنا هذه الكلمات فلا نعتقد اننا سوف نلمس أى تحديد أو تفسير أو توضيح « لخطوط ومعالم الطريق » كما يسميها مشروع الدليل .

ثانيا ـ قضية المضمون

هل صحيح ان هناك تغييرا فى الوضع العالمى المحيط بالنضال الوطنى ، يبلغ **درجة الثورة** . كما يقول مشروع دليل العمل السياسى . (راجع نص مشروع الدليل ـ الجزء الثانى : واقـع الحاضر ـ عنوان فرعى:ثانيا ـ الاوضاع العالمية المتغيرة) ؟ **وأين موقع هذا من تصورات ميثاق العمل الوطنى وبرنامج العمل الوطنى وتصورات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والرئيس أنور السادات ، فى هذا المجال ؟** .

يحدد « **ميثاق العمل الوطنى** » ، معالم الوضع الدولى والتغييرات التى طرأت عليه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية (٣) ، فى خطوط أو معالم رئيسية أربعة هى :

« **أولا : تعاظم قوة الحركات الوطنية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية** ..... » (٤)

---

[١] انظر مشروع دليل العمل السياسى ـ ص ١٠ ، ١٢ ، ١٣ .
[٢] مشروع دليل العمل السياسى ـ ص ١٢ .
[٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧] ميثاق العمل الوطنى ـ الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ـ ص ١٤ ، ١٥ .

« ثانيا : ظهور المعسكر الشيوعي كقوة كبيرة ... في مواجهة المعسكر الرأسمالي » .(٥)

« ثالثا : التقدم العلمي الهائل ... » (٦) .

« رابعا : زيادة تأثير القوى المعنوية في العالم كالامم المتحدة والدول غير المنحازة وقوة الرأى العام العالمي » (٧) .

ثم يحدد الميثاق محاور السياسة الخارجية لمصر في الباب العاشر منه فيقول بالنص :

« ان الخطوط الثلاثة العميقة في السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة تعبيرا عن مبادئها الوطنية هي :

الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل ،وكشفه في جميع اقنعته ومحاربته في كل أوكاره .

والعمل من أجل السلام لان جو السلام واحتمالاته هي الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطني .

ثم التعاون الدولي من أجل الرخاء ، فان الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة ، كما أنه أصبح في حاجة الى التعاون الجماعي لتوفيره » . (٨)

ثم يحدد الميثاق بعد ذلك تصوره الدقيق لمفاهيم الاستعمار والسلام والتعاون الدولي ويختم ذلك بأن يحدد بشكل قاطع موقع شعبنا في المجال العالمي فيقول في وضوح :

« .. ان شعبنا يعيش على الباب الشمالي الشرقي لافريقيا المناضلة ، وهو لا يستطيع أن يعيش في عزلة عن تطورها السياسي والاجتماعي والاقتصادي . ان شعبنا ينتمي الى القارتين اللتين تدور فيهما الان أعظم معارك التحرير الوطني ، وهو أبرز سمات القرن العشرين .

ان شعبنا يعتقد في السلام كمبدأ ، ويعتقد فيه كضرورة حيوية ، ومن ثم لا يتوانى عن العمل من أجله مع جميع الذين يشاركونه نفس الاعتقاد » . (٩) .

وقد يقال ان هذه التصورات والتحديدات وضعت عام ١٩٦٢ وقد مر عليها عشر سنوات

اذن لننظر ماذا يقول الزعيم الراحل جمال عبد الناصر في عام ١٩٦٦ ، بعد ان شرح نفس التصورات العامة ، التى حددها الميثاق ، فحدد موقع مصر في المجال الدولي بقوله :

« ان النضال الشعبي المصرى والنضال الشعبي للامة العربية كلها ، يجرى في اطار الثورة العالمية لحركة التحرر الوطني ، هذه الثورة الرائعة التي تتعرض اليوم لغارات استعمارية رجعية ضارية في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية » (١٠) .

تحديد موقع مصر هنا — في خطاب الزعيم عبد الناصر — يصدر عن نفس المحور المبدئي الذى حدده الميثاق . ثم يرصد الجديد في تصوره : ان الثورة العالمية لحركة التحرر الوطني تتعرض لغارات استعمارية رجعية ضارية .

ويستمر حرص الزعيم عبد الناصر — حتى بعد ٣ سنوات من ذلك الخطاب وبعد سنتين من عدوان يونيو — في توضيح جبهة الاصدقاء وجبهة الاعداء فيقول في عام ١٩٦٩ :

«... أصدقاؤنا هم الذين يرون الحق في موقفنا ويساعدون الحق حين يساعدون موقفنا . وأعداؤنا هم الذين تتفق مصالحهم مع عدونا الذى نحاربه ويحاربنا . ولا يمكن ان تستوى الحسنة ولا السيئة . ولا يمكن ان يتساوى الصديق مع العدو . ان الذين يقفون معنا دوليا ويساعدون حقنا بما يقدمونه الينا من السلاح ويمنحونا تاييدهم .. هؤلاء هم أصدقاؤنا . والذين يقفون مع العدو دوليا ضد كل مبادىء مجتمع الدول والذين يعطونه السلاح ليقاتلنا به بل ليقتلنا اذا استطاع : هؤلاء هم أعداؤنا بطريقة أجلى وأوضح .. » (١١) .

---

[٨] ميثاق العمل الوطني — الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ص ١٠٠ ، ١٠١ .
[٩] ميثاق العمل الوطني — الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ص ١٠٧ .
[١٠] خطاب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر — مايو ١٩٦٦ .
[١١] خطاب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر — نوفمبر ١٩٦٩ .

وقد يقال أيضا أن ذلك كله فى عام ١٩٦٩ ٠ فماذا يقول الرئيس أنور السادات فى نوفمبر ١٩٧٠ :

« .. اننا جزء من هذا العالم ٠٠٠ ولكنه جزء يعطى قدر ما يأخذ ويتفاعل ويفعل ٠ ويكفى فى تبيان ذلك دورنا فى ركة التحرر الوطنى وحركة عدم الانحياز وحركة الثورة الاجتماعية فى القارات الثلاث : افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ٠ ونحن نتمسك باستقلالنا وبقوميتنا وبرأينا الحر فى مشكلات السلام والحرب ، وذلك فى حد ذاته لا يجعل موقفنا موقف عزلة وابتعاد ، ولكنه يجعل موقفنا موقف نضال وجهاد ، لان ذلك يضعنا بالقطع فى الجانب المعادى للاستعمار .

ان عداءنا للاستعمار موقف مع الاستقلال ومع القومية ، ومع الحرية السياسية والاجتماعية .

وعداؤنا لاسرائيل ليس تعصبا عنصريا ولكنه فى الواقع جبهة من جبهات حربنا ضد الاستعمار نتيجة لموقفنا مع الاستقلال ومع القومية ومع الحرية السياسية والاجتماعية ٠

وصداقتنا للاتحاد السوفيتى ليست انحيازا له ، وانما هى أيضا وبنفس المعيار ، انحياز للاستقلال وللقومية وللحرية السياسية والاجتماعية .

وصداقتنا مع الاتحاد السوفيتى هى فى نفس الوقت وقفة تضامن تجمع كل القوى المعادية للاستعمار » (١٢) ٠

هكذا حدد الرئيس السادات موقع مصر كجزء من حركة التحرر الوطنى العالمية ، وان جبهتنا العالمية هى جبهة كل القوى المعادية للاستعمار فى العالم

وماذا يقول « برنامج العمل الوطنى » الذى قدمه الرئيس السادات الى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى يوليو ١٩٧١ ، وأقره المؤتمر كوثيقة من وثائق الثورة ٠

بعد أن يعيد البرنامج تأكيد الخطوط الثلاثة للسياسة الخارجية لمصر التى حددها الميثاق ، باعتبارها « ايجابيات » ـ كما جاء فى البرنامج ـ ، يعود البرنامج عندما يناقش « المهام الرئيسية للاتحاد الاشتراكى العربى » ، فيتحدث عن ضرورة « التوعية بخصائص المرحلة الحالية » فيحدد معالم الوضع الدولى حيث يقول :

« ٠٠٠ ان الامبريالية على الرغم من اتساع وتعاظم حركة التحرر العالمية ، لم تضع السلاح ، بل انها لتزداد شراسة وضراوة ، تريد أن تبقى على استغلالها للشعوب وأن تضرب النظم التقدمية الحديثة وأن تبقى على الرأسمالية مصدر ثرائها ونفوذها ٠ وانها لتلجأ فى سبيل تحقيق أهدافها الى كل الوسائل ، من الحرب الى الضغط الاقتصادى الى المخادعة ، الى التخريب من الداخل ٠٠٠٠ » (١٢)

ثم يستطرد البرنامج فيقول :

« ٠ ان هذا الوضع يحدد لنا على الفور وبوضوح تام ، من العدو ومن الصديق ٠ ان تصميم الولايات المتحدة على استمرار دعم اسرائيل ، عسكريا وماديا ، يجعلها كما سبق أن قلت ، مشتركة فى احتلال اراضينا ، والعدوان على سيادة أوطاننا يبين أنها بذلك تضع نفسها فى موقع العداء للامة العربية ٠٠ » (١٣) ٠

هكذا يحدد البرنامج ان حركة التحرر الوطنى تتسع وتتعاظم ، رغم شراسة الامبريالية وهجماتها ، ثم يعود فيحدد طبيعة وماهية العدو ٠

بعد ذلك كله ، نطرح السؤال التالى : أين تصورات وثائق الثورة : ميثاق العمل الوطنى وبرنامج العمل الوطنى ، وأين تصورات الرئيس الراحل عبد الناصر والرئيس أنور السادات ، فى هذا المجال ، فى « مشروع دليل العمل السياسى ـ الفكرى والتنظيمى » ؟؟ واذا كانت هناك متغيرات بلغت درجة الثورة ، فأين تحديد هذه المتغيرات ؟ وأين هى مهامنا تجاهها ؟ وموقفنا منها ؟

أليس من المفيد لعضو الاتحاد الاشتراكى ـ وبخاصة فى القواعد التنظيمية ـ أن يعرف طبيعة حركة الاحداث العالمية والخطوط العامة لمجرياتها ليحدد موقفه منها ـ أمام جماهيره ـ على ضوء « الرؤية الواضحة » التى ينبغى أن يوفرها له الدليل ؟ .

---

[١٢] خطاب الرئيس السادات ـ نوفمبر ١٩٧١ .
[١٣ ، ١٤] برنامج العمل الوطنى ـ يوليو ١٩٧١ .

ملف الطليعة

عبد الحميد بن باديس

١٨٨٩ ـ ١٩٤٠ م

عـــودة الروح القوميـــــة الى شـــعب عريق •• وجـــريح

إعداد محمد عمارة

فى حياة الامم والشعوب: كما فى حياة الانسان الفرد عندما تتداعى الهزائم والنكبات ويخيل للكثيرين أن النهاية قد حلت ، وأنه لا مفر من الاستسلام •• تحدث الاختلاجات والانتفاضات التى تعتصر ضمير هذه الامة ، وتفتش فى تراث هذا الشعب ، وتبحث فى مكونات هذا الانسان عن العوامل الايجابيـــة والمكونات الثورية كى تصوغ منها بطلا أو تنظيما ثوريا أو انتفاضة شعبية ضد هذه الهزائم وتلك النـــكبات • ومن خـــلال ذلك البطل أو التنظيم أو الانتفاضة تعود الروح الثورية ثانية لذلك الشعب وتلك الامة وهـــذا الانسان الذى ظن الكثيرون انه قد لفظ ـ الى الابد ـ هذه الروح •

وفى الجزائر ، وبالنســـبة لثورة ذلك الشعب الذى تحـــدى عوامل الابادة الجماعية ، والارادة العاتية للمسخ القومى والتشويه الحضارى ، كان « ابن باديس » ذلك الضمير الذى نبض بعـــودة الروح العربيـــة القومية الى شعب أراد له أعداؤه أن يصبح ذكرى فى التـــاريخ يغتالها النسيان بعد سنوات •• كما كان « ابن باديس » الدليـــل على أن هذه الامـــة العربية ستظل تقـــدم من أحشـــائها الابنـــاء البررة الذين يضيئون لها درب تطورها وتقدمها رغم ظلمات الهزائم ومـــرارة النكبات والانتكاسات •• ومن هنا كانت حياة « ابن باديس » ومسيرة نضاله درسا علينا أن نعيه •• وصفحة يجب أن نتأملها ونحن نتحسس السبل التى يمكن لامتنا أن تتخطى بها المواقع التى دفعها اليها الاعداء •



القرن الحالك الظلام

اذا قيل للناس ان « **ابن باديس** » قد استحق وصف العبقرية والنضال والثورة وبلغ فى هذا السبيل مراتب الفدائيين الذين خاضوا معاركهم بعزيمة الشهداء .. اذا قيل ذلك للناس ، ثم قدمت اليهم أعماله كمجرد مفكر اسلامى «« سلفى » المنهج ، يدعو الى العروبة والقومية ويدافع عن الاسلام .. فأغلب الظن أن الناس لن يقتنعوا باستحقاق « **ابن باديس** » لكل هذه الصفات .. ذلك لان الموقف السلفى ، والدعوة الى العروبة ، والدفاع عن الاسلام ، قد شارك « **ابن باديس** » فى الدعوة اليها - بل وفاقه فيها - أناس كثيرون فى مختلف اقطار العالم العربى دون أن يتحلوا بكل هذه الاوصاف .

لكن الامر الذى يجعل من استحقاق « **ابن باديس** » لكل هذه الصفات ، ولما هو أكثر منها ، حقا وأمرا طبيعيا ، هو النظر الى الرجل والى أعماله ومواقفه وأفكاره هذه فى ضوء الظروف والملابسات التى عاش فيها هو وشعبه الجزائرى ، وكذلك أبصار الاهداف التى اثمرتها هذه الاعمال التى ربمابدت بسيطة وعادية فى غير المجتمع الذى عمل فيه « **ابن باديس** » والتى كانت ضربا من العبقرية والاعجاز فى المجتمع الجزائرى تحت احتلال الفرنسيين .

ابادة واستيطان

ذلك أن الاحتلال الفرنسى الــذى بدأ للجزائر بوصول الحملة المسلحة الى ميناء « **سيدى فرج** » فى ١٤ يونيو سنة ١٨٣٠ م ، لم يكن مجرد عمل استعمارى من النوع الذى شاع فى كثير من أنحاء آسيا وافريقيا بواسطة الامبرياليين الاوربيين ، بحثا عن مصادر الثروة وموادها الخام ، والايدى العاملة الرخيصة ، والاسواق التجارية المفتوحة .. وانما كان عملا آخر تتلخص أهدافه فى كلمتين : **الابادة لسكان البلاد الاصليين .. وتوطين الاوربيين فى الجزائر** ، لتكون الامتداد اللاتينى عبر البحر المتوسط ، والتجسيد الامبريالى المعاصر للحلم الصليبى الاقطاعى فى العصر الوسيط .

وهذا التخطيط الفرنسى لم يكن سرا يخفيه هؤلاء الفاتحون ، فلقد عبر عنه صراحة المفكر الصهيونى « ماكس نوردو » بقوله : « **ان شمال افريقيا سيكون مهجرا ومستوطنا للشعوب الاوربية ، وأما سكانه الاصليون فسيدفعون نحو الجنوب ، الى الصحراء الكبرى الى أن يفنوا هناك** (١) .. كما عبر عنه المفكر الاستعمارى الفرنسى « سايسيمون دى » عندما كتب عن الجزائر فى بدء احتلالها سنة ١٨٣٠ م يقول : « **ان هذه المملكة الجزائرية ستصبح بلدا جديدا يتدفق اليه الفائض من السكان ومن نشاط أبناء فرنسا** (٢) » .

ولم يكن طريق الفرنسيين نحو تحقيق أهدافهم هذه سهلا ولا خاليا من العقبات الكبار ، فعملية الاحتلال العسكرى ذاتها قد استغرقت منهم سبعة عشر عاما كاملة من الحرب والقتال .. حقيقة هم احتلوا عاصمة البلاد فى ٤ يوليو سنة ١٨٣٠ م وتحقق لهم تقهقر الجيش التركى العثمانى واستسلامه قبل الخامس من نوفمبر من نفس العام .. ولكن سنوات خمسة تمر عليهمدون أن يتجاوز احتلالهم مدنا ثلاثة تتفرق على ساحل البلاد فى الشمال ، فيضطرون فى ٢٦ فبراير سنة ١٨٣٤ م الى التعامل مع أمير البلاد « **عبد القادر الجزائرى** » والاعتراف بسلطان حكمه على داخل البلاد كلها .. ولكن القتال يتجدد فى العام التالى ويستمر حتى سنة ١٨٣٧م ليتوقف ثانية حتى يتجدد مرة أخرى فى سنة ١٨٤٠ م ليستمر فى صورة بشاعتها منقطعة النظير ، لما فيها من الابادة الجماعية للعنصر الوطنى باحراق القرى وتدمير معالم البلاد وآثار الانسان فيها ، حتى تم لهم الامر بتسليم الامير **عبد القادر** فى ديسمبر سنة ١٨٤٧ م .

وعندما تحققت للفرنسيين هذه الخطوة الاولى ، وارتفع علمهم على الوطن الجزائرى - بل حتى قبل تمام هذه الخطوة - بدأت خطتهم توضع فى الممارسة والتطبيق .. وبلوغا الى تحقيق هذه الخطة وتلك الاهداف ساروا فى طرق ثلاث ، متوازية ،ومتشابكة ، تكمل كل منها الاخرى ، وتفضى جميعا الى تحقيق الابادة للعنصر الوطنى وتوطين الاوربيين فى هذه البلاد ... وهذه الطرق هى :

اولا : التقسيم الادارى الجديد .. الذى يتيح لهم أحكام القبضة مباشرة على مقدرات البلاد .. فقد سموها الى ولايات (عمالات) ثلاث ، على رأس

---

[١] محمد عمارة الامة العربية وقضية التوحيد ص ٩٤ . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
[٢] المرجع السابق ص ٩٥ .

كل ولاية منها موظف فرنسى يتبع وزير الداخلية الفرنسية فى باريس ، وذلك تعبيرا عن التبعية المباشرة والاندماج فى فرنسا « الوطن الام » ، وباعتبارها أرضا فرنسية ، بشكل كامل من الناحية القانونية ، وليست مجرد مستعمرة ، ولذلك كانت هذه التبعية لوزارة الداخلية ، لا لوزارة المستعمرات . ولقد طبق الفرنسيون هذا النظام الادارى فى سنة ١٨٧٠ م بعد فترة من الحكم العسكرى الذى مارسه الجيش الغازى ، واستمر هذا الحكم العسكرى لمنطقة الجنوب الجزائرى (جنوب جبال أطلس) .. ويبدو أن رفع القبضة العسكرية عن الولايات الشمالية الثلاث انما كان لمصلحة المستوطنين الاوربيين الذين كانت قد ظهرت بوادر سيطرتهم على شمال البلاد فى سنة ١٧٨٠ م بينما استبقيت قبضة هذا الحكم العسكرى على الجنوب الذى قرر الاستعماريون سلفا أن يدفعوا اليه العنصر الوطنى ، والسكان الاصليين « حتى يفنوا هناك » !؟

وثانيا : عمليات النهب الاقتصادى التى بدأت حتى قبل أن تستقر للغزاة أمور الغزو والاحتلال .. والناظر الى بشاعة الوقائع والاجراءات التى صنعها الفرنسيون على هذا الطريق تتجسد أمامه فى جلاء ووضوح تلك الحقيقة التى قلنا انها كانت الهدف ، وهى الابادة الكاملة لهؤلاء السكان الاصليين .

● فعندما أسلم القائد الفرنسى الغازى « **بومون** » زمام القيادة الى خلفه الجنرال « **كلوزن** » بدأ هذا الجنرال تنفيذ خطة احلال الاوربيين محل الجزائريين فى حيازة مصادر الثروة فى البلاد ، وبالذات أرضها الزراعية الخصبة .. فاقام خطا ملاحيا بين ميناء « مرسيليا » ، وبين الجزائر يعمل بنشاط فى نقل العناصر الفقيرة والمعدمة والمغامرة من أبناء فرنسا واسبانيا وايطاليا ومالطة لتوطينها فى البلاد . وأرسلوا من يجمع ويتسوق مثل هذه العناصر من « حوض الراين » . وجلبوا من خريجى اصلاحيات الاحداث الفرنسية خمسة وأربعين ألفا .. وأعطيت لكل هؤلاء الوافدين كافة الامكانيات التى تتيح لهم انتزاع مقدرات البلاد الاقتصادية من أهاليها .. أعطيت لهم الارض ، وأدوات الزراعة ، وأقيمت لمساعدتهم الشركات الزراعية المساهمة ، ومن أجل ذلك بدأ الفرنسيون فى مصادرة الارض الجزائرية لحساب هؤلاء المستوطنين ، وكانت أولى اجراءات المصادرة خاصة بممتلكات الحاكم الجزائرى السابق « **الداى** » وممتلكات الاتراك العثمانيين هناك .

● وفى سنة ١٨٤٠ م أصدر الجنرال « **بوجو** » أول قرار ينتزع « لحساب الفرنسيين » ملكية الارض من السكان العرب الذين حملوا السلاح بشكل أو بآخر ضد جيش الاحتلال .

● وفى سنة ١٨٤٦ م أصدروا قرارا جديدا بمصادرة جميع الاراضى الخالية لحساب الفرنسيين ، وكذلك مصادرة الاراضى المأهولة بسكانها والتى يزرعها أصحابها ان هم عجزوا عن تقديم مستندات رسمية تثبت ملكيتهم لها فى تاريخ سابق على يوليو سنة ١٨٣٠ م !! .. وفى مجتمع كالمجتمع الجزائرى ، وفى ذلك التاريخ ، فان هذا الشرط يعنى وضع أغلب الاراضى الجزائرية تحت السلطة المباشرة ، وفى اطار الملكية الخالصة لسلطات الاحتلال .. ولقد كانت هذه المصادرات نتاجا طبيعيا لتزايد عدد المستوطنين الاوربيين الذين بلغ مجموعهم فى تلك السنة أكثر من سبع وسبعين ألفا منهم ٤٧ر٤٧٤ فرنسيا و ٢١ر٥٢٨ اسبانيا و ٨ر٠٠٠ من ايطاليا والمانيا ومالطة ؟؟

● وفى العام الاول لاستقرار السلطة لفرنسا فى البلاد (سنة ١٨٤٨ م) جلب الفرنسيون ١٢ر٠٠٠ مستوطن فرنسى يعملون جميعا فى الزراعة ، واعطيت لهم كل امكانيات الاستيطان والاستغلال لارض البلاد ..

جمال الدين الافغانى

[١٨٣٩ — ١٨٩٧ م]

فيلسوف ثورة الشرق العربى والاسلامى فى العصر الحديث ضد الزحف الامبريالى الذى بدأ وانتشر فى القرن التاسع عشر .. وأول من قدم للمسلمين المنهج العقلانى فى الدراسات الاسلامية كسبيل لتحويل الفكر الاسلامى الى سلاح فى معركة التقدم ومقاومة الاستعمار .. ولقد قاد العديد من الحركات الثورية ضد الاستعمار ، ونظم العديد من الاحزاب والجمعيات الوطنية السرية لمقاومة الانجليز بالذات .. سواء فى بلاد الافغان ، أم فى الهند أم مصر أم ايران أم السودان .. بل وحتى فى منفاه بباريس ؟ ! ومن التنظيمات السرية التى أنشأها [الحزب الوطنى الحر] — فى مصر — وهو الذى رعى وقاد الثورة العرابية ، وجمعية [العروة الوثقى] ذات الفروع بمصر والهند وكل بلاد الشرق التى أصيبت باحتلال الانجليز .

وللافغانى — الى جانب فكره الثورى العقلانى — مواقف فى النضال تجعل منه أبرز الرجالات الذين أثروا فى حياة الشرق والشرقيين ، والذين لا يزال تأثيرهم حيا وباقيا حتى الان .

ولقد كانت لمصر فى فكره مكان القائد لشعوب الشرق ، كما كانت سنوات اقامته بها [١٨٧١ — ١٨٧٩ م] أخصب السنوات فى الحياة النضالية لذلك المناضل الثورى العملاق .

وفى سنة ١٨٥١ م أصدر الفرنسيون قرارا يضم الى ملكية الدولة (الفرنسية طبعا) أراضى الغابات والاحراش وما فيها من امكانيات اقتصادية .. وفى نفس العام بلغت ممتلكات الفرنسيين من أرض الجزائر ١١٫٧٠٠٫٠٠٠ هكتار موزعة ما بين المستوطنين ، والبلديات وجهاز الدولة مباشرة .. وهى بالطبع أكثر الاراضى خصوبة فى البلاد ..

● وفى سنة ١٨٧٩ م ، عندما فشلت احدى الثورات الجزائرية وهى التى قادها « محمد المقرانى » ، انتهز المستعمرون الفرصة ففرضوا على من شارك فى هذه الثورة ونجا من الاعدام ، غرامة قدرها ٢٦٫٠٠٠٫٠٠٠ من الفرنكات !! ومن لم يستطع الدفع صودرت أرضه !! وبالطبع صودرت أرض الذين نفذ فيهم حكم الاعدام !! .. حتى لقد وصل الامر الى أن أصبح متوسط ما يمتلكه المستوطن الاوربى من الارض ١٠٨ هكتارا (أى ٢٦٦ فدانا) من أخصب الاراضى الزراعية ، بينما متوسط ما يمتلكه المواطن الجزائرى من الارض — وأغلبها مراعى — ١٤ هكتارا (اى خمس فدان) (٣) !!؟ .

وثالثا : تجريد الوطن الجزائرى والمواطن الجزائرى من كل الخصائص والقسمات المميزة له عن المستوطنين ، تلك التى تجعل له ذاتية قومية مستقلة ، وتشده الى الماضى العربى والتراث الاسلامى ، وتضعه فى الاطار القومى للعروبة ، مهما كانت قدسية هذه القسمات وجلال هذه الخصائص ، بل لقد كانت الحملات تشتد ، والعداء يزداد ، والسحق لا يعرف الحدود كلما زادت الحرمة والقدسية لهذه الخصائص والقسمات !؟ .

والفرنسيون — وصولا الى هدفهم هذا — شنوا منذ اليوم الاول لاحتلالهم البلاد حربا لايكاد يوجد لها مثيل فى التاريخ ضد اللغة العربية ، كلغة للجزائريين .. ولقد كانوا واضحين وحاسمين فى هذه الحرب ، فقالوا منذ ذلك التاريخ ، فى احد التقارير الرسمية : « ان « ايالة » الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية الا عندما تصبح لغتنا (الفرنسية) هناك لغة قومية ، والعمل الجبار الذى يتحتم علينا انجازه هو السعى وراء نشر اللغة الفرنسية بين الاهالى بالتدريج الى أن تقوم مقام اللغة العربية الفصحى الدارجة بينهم الان . » وفى تقرير آخر كتبوه بعد عام من استقرار الوضع لهم (سنة ١٨٤٩ م) عبروا عن جانب من تطبيقهم لمخططهم هذا ، وعن آمالهم فى الوصول الى ما يبتغون ، فقالوا : « .. يجب الا ننسى أن لغتنا هى اللغة الحاكمة ، فان قضاءنا المدنى — الجزائى والعقابى — يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون فى ساحته بهذه اللغة . وبهذه اللغة يجب ان تصدر ، بأعظم ما يمكن من السرعة ، جميع البلاغات الرسمية ، وبها يجب أن تكتب جميع العقود ، **وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا !! ان أهم الامور التى يجب أن نعنى بها قبل كل شىء هو السعى وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين ، بين الذين عقدنا العزم على استمالتهم الينا ، وتمثيلهم بنا ، وادماجهم فينا ، وجعلهم فرنسيين** » (٤) .

ولذلك بادر الفرنسيون منذ اليوم الاول لاحتلالهم الى الغاء المدارس الجزائرية التى تعلم أبناء الشعب بلغته القومية ، فأغلقوا نحوا من الف مدرسة ما بين ابتدائية وثانوية وعالية ، كان بالعاصمة وحدها منها مائة مدرسة ابتدائية ، وعدد من المدارس الثانوية ، وذلك الى جانب مائة واثنان وثلاثين مسجدا تقام فيها حلقات التعليم والتدريس أبطل منها هذا النظام وشمله الالغاء والتحريم .. وأحل الفرنسيون محل مؤسسات التعليم القومى هذه مدارسهم الفرنسية التى حرموا فيها دراسة العربية فضلا عن التدريس بها ، وسجلت احصاءات سنة ١٨٨٠ م أن عاصمة البلاد ليس بها سوى ثلاثة عشر مدرسة تدرس المناهج الفرنسية بلغة الفرنسيين . ولذلك لم يكن غريبا أن تسجل الاحصاءات بعد قرن وربع القرن من الاحتلال (سنة ١٩٥٤ م) أن نسبة الامية بين الجزائريين هى ٩١ فى المائة ، وأن الذين يقرأون العربية من بين مثقفى الجزائر هم ٢٠٠٫٠٠٠ مواطن من بين شعب كان تعداده يومئذ عشرة ملايين (٥) !؟ .

بل ان هؤلاء الذين قرأوا بلغتهم القومية انما صنعوا ذلك من خلال المعركة التى تحدى فيها الشعب مخطط أعدائه ، عندما فتح المدارس الاهلية ، أو أرسل أبناءه الى الخارج ، وخاصة مصر والازهر ، وبالذات عندما انتشرت المدارس العربية التى افتتحتها جمعية العلماء التى أسسها

---

[٣] د. زاهر رياض استعمار افريقية ص ١٧٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥ م .
[٤] الامة العربية وقضية التوحيد ص ٩٦ ، ٩٧ .
[٥] المرجع السابق ص ٩٧ ، ٩٨ ، ود. محمود قاسم والامام ابن باديس ص ٧ طبعة القاهرة .

« ابن باديس » ، والتى بلغت فى سنة ١٩٥٤ م ١٧٠ مدرسة تكلفت ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ من الفرنكات، وبلغ عدد تلاميذها ٥٠،٠٠٠ من أبناء الجزائريين (٦) ».

ذلك أن الموقف الفرنسى المعادى للعروبة ولغتها كان شديد الحسم كما قدمنا ، وكان أيضا دائما ومستمرا ، لم تهذب منه السنوات ولا التطورات ولا تعدد الحكومات التى تعاقبت على الحكم فى باريس ، حتى لقد شهدنا وزير الداخلية الفرنسية « شوطان » ، يصدر فى ٨ مارس سنة ١٩٣٨ م قرارا بمنع تدريس اللغة العربية بالمدارس الجزائرية واعتبارها لغة أجنبية (٧) .. كما سلكوا الى هدفهم هذا سبيل التفرقة بين عنصرى الشعب الجزائرى العرب والبربر ، فأرادوا أن يحدثوا حركة التفاف حول رابطة الاسلام التى تجمع العنصرين وتوحدهما وذلك عن طريق اقامة ذاتية مستقلة للبربر ، حددوا نطاقها فى : « الظهير [المرسوم] البربرى » الذى أصدروه بعد انتصارهم على ثورة الامير عبد الكريم الخطابى سنة ١٩٣٠ م (٨) ».

ولقد كانت عروبة الجزائر — ككل أجزاء العالم العربى — شديدة الارتباط ، الى حد التلاحم ، مع الاسلام كحضارة وعقيدة ودين . وذلك لصلة اللغة العربية بالقرآن ، ولأن القرآن قد كان ولا يزال سبيلا لتعريب اللسان وابراز مكانة العرب فى الحفاظ على هذا الدين ، وللروابط التى يمثلها هذا الدين ، والتى تجمع بين الجزائر وسائر أقطار العالم العربى ، ولذلك كان الإسلام هو الآخر ، ولهذه الأسباب ، أحد الاهداف التى شن عليها الفرنسيون حربا تشين الهمج والمتوحشين من البشر ، فضلا عن المتمدينين الذين يعيشون فى العصر الحديث ؟!

فعندما بدأ الفرنسيون فى سنة ١٩٣٠ م يحتفلون على نطاق واسع بمرور قرن على بدء احتلالهم للجزائر كانت بعثات التبشير التى كرسوا لها الاموال — أموال الجزائر — كى تحول أبناء البلاد عن دينهم ، فى مقدمة الدوائر التى تعمل على قدم وساق فى هذا السبيل ، وكانت لا تزال تخطط لمحو الاسلام من الجزائر وتعلن اصرارها على بلوغ هذا الهدف ، والكاردينال « لافيجرى » يصرح فى غمرة هذه الاحتفالات بقوله : « ان عهد الهلال فى الجزائر قد غبر ، وان عهد الصليب قد بدأ ، وانه سيستمر الى الابد .. وان علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الانجيل (٩) ؟! » .

ولم يكن هذا الموقف الفرنسى الذى عبر عنه الكاردينال « لافيجرى » يعكس غيرة فرنسا على الدين المسيحى ولا اخلاص نظامها الاستعمارى لتعاليمه — وهى تعاليم تتناقض حتما مع صنيع الفرنسيين هذا — وانما كان هذا الموقف ، وحركة التبشير المسيحية الفرنسية فى الجزائر بأكملها عبارة عن احدى الكتائب وأحد الاجهزة التى تعمل من خلالها الامبريالية الفرنسية لاحكام القبضة على البلاد ، تلك القبضة التى كان الاسلام يفل من قدرتها على الامساك بما تريد أن تمسك به من الخيوط .. ولقد فطن المثقفون الجزائريون الى « أن موقف البورجوازية الفرنسية هذا هو مدعاة للعجب ، فان هذه البورجوازية نفذت أحكام الاعدام فى القسس ، وأحرقت الكنائس ، وحاولت محو الدين المسيحى فى فرنسا المسيحية .. أما فى الجزائر فقد اتخذت مسلكا مخالفا ، فحولت المساجد الى كنائس ، ومجدت المسيحية ، واستخدمت أموال المسلمين لتنصرهم — (أى تجعلهم نصارى) — وهكذا أحيت الروح الصليبية عندما

محمد عبده

[١٨٤٩ — ١٩٠٥ م]

أهم من تكونت من حوله مدرسة فكرية فى مصرنا الحديث ، أخذ عن الافغانى منهج الاصلاح الدينى ، ورفض « الثورة » مستبدلا اياها بالاصلاح .. وتزعم فى عصره الاتجاه « السلفى » الذى يطالب بالعودة الى المنابع الاسلامية الاولى — وبالذات القرآن — والوقوف أمامها بفكر عقلى مستنير .. ولقد تجلى طريقه هذا فى الجهود التى بذلها فى تفسيره للقرآن سواء فى الدروس التى ألقاها « بالمسجد العمرى » ببيروت ، عندما كان منفيا هناك ، وهى الدروس التى كان يحضرها المسيحيون والمسلمون على السواء ؟! أو فى الدروس التى ألقاها لمدة ست سنوات بالجامع الازهر ، فى أخريات حياته ، أو فى كتابته لتفسير بعض سور القرآن .. وهى الجهود التى تعتبر التجسيد الحى للفكر الاسلامى العقلانى المستنير عندما يقف وقفة واعية امام القرآن الكريم .

[٦] استعمار افريقيا ص ٢٧١ .
[٧] الامام ابن باديس ص ٩ .
[٨] المرجع السابق ص ١١ .
[٩] المرجع السابق ص ٢٢ ، ١١ .

رفعت علم المسيحية ضد الاسلام ، فى الوقت الذى ظلت تسخر فيه من المسيحية والاسلام فى آن واحد (١٠) •• » .

والامر الذى يؤكد أن أهداف الفرنسيين من خلف هذا الموقف انما كانت سياسية اكثر منها دينية وروحية ، وأن عداءهم للاسلام فى الجزائر انما كان عداء للجانب الثورى والطابع القومى العربى لهذا الدين ، ولتلك الروابط والوشائج التى يشد بهاالجزائر الجزائريون الىالعرب والعروبة بعيداعن « الفرنسة » والاندماج فىالفرنسيين •• الامر الذى يؤكد أن هذه الاهداف « **غير الدينية** » هى التى كانت قائمة خلف هذه « **الحملة الدينية** » ، **أن الفرنسيين قد احتضنوا رجال الدين المسلمين الرسميين فى الجزائر ، ودافعوا عنهم ضد هجوم « ابن باديس » وجماعة العلماء ، كما سيأتى الحديث عن ذلك ، واحتضنوا كذلك رجال الطرق الصوفية الذين تحول الاسلام لديهم الى طقوس للشعوذة ، فلم يعد نمطا من أنماط الفكر الثورى ولا سلوكا نضاليا يمارسه المسلم فى الحياة** ••ويكفى ان نقرأ كلمات المسيو « **برك** » احد كبار الموظفين الفرنسيين فى الولاية العامة بالجزائر التى يتحدث فيها عن المعايير التى كانت تحدد للفرنسيين اختيار رجال الدين الاسلامى لمناصبهم الرسمية ، لنعلم المهانة والاهداف التى استهدفها هؤلاء المستعمرون •• يقول المسيو « **برك** » : « لقد وصل بنا امتهان واحتقار الدين الاسلامى الى درجة أننا أصبحنا لا نسمح بتسمية (تعيين) المفتى أو الامام الا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس ، ولا يمكن لموظف دينى أن ينال أىرقى الا اذا أظهر للادارة الفرنسية اخلاصا منقطع النظير (١١) » ؟ !

كما أن النجاحات التى أحرزها الفرنسيون فى **معركتهم هذه ضد الاسلام فى بلاد الشمال الافريقى كانوا يتحدثون عنها باعتبارها خطوات تتم لهم على درب تحويل هذه البلاد عن عروبتها والاتجاه بها الى الاندماج فى فرنسا والفرنسيين** ، فوزير خارجيتهم فى مطلع هذا القرن الكاتب الشهير « **جبرييل هانوتو** » يكتب عن نجاح مسعاهم هذا فىتونس فيقول : انه « يوجدالان بلد من بلاد الاسلام قد ارتخى ، بل انفصم الحبل بينه وبين البلاد الاسلامية الاخرى الشديدة الاتصال بعضها ببعض ، **اذا توجد أرض تنقلت شيئا فشيئا من مكة ومن الماضى الاسيوى ، أرض نشأت فيها نشأة جديدة ، أثبتت فى قضائها وادارتها وأخلاقها** •• » (١٢) •• **فهى اذا « مكة »** « و « الماضى الاسيوى » ومكونات هذه البلاد وقسماتها التى تميزها فى « القضاء » و « الادارة » و « الاخلاق » هى التى يوجه اليها الفرنسيون نيران حملتهم باسم المسيحية وضد الاسلام .

والذى حدث **أن الفرنسيين قد بلغوا بهزيمة الشعب الجزائرى فى هذا الميدان حدا ادخل اليأس على قلوب الكثيرين . حتى خيل لـلاغلبية الساحقة من المثقفين الجزائريين طوال قرن من بدء الاحتلال أن التفكير فى شىء آخر غير الاندماج فى فرنسا والفرنسيين هو ضرب من الاحلام الخيالية.. وأن السعى فى أى طريق أخر هو ضرب من الجنون** .

كان هذا هو التيار السائد فى صفوف المثقفين الجزائريين •• **أما عند عامة الشعب فلقد حدث شىء آخر ، فبفعل الصدمة ، وشدة الهجوم الفرنسى على مقومات الشعب وتقاليده وعاداته ومعتقداته تنبهت فى الشعب عوامل المقاومة ولكنه وجد أن لا سبيل اليها ايجابيا ، فاتخذ موقف المقاومة السلبية ، واعتصم « بالامية » ضد التعليم الفرنسى ؟ ! واتخذ من لغة المشافهة والحديث بديلا يستعيض به عن لغته المكتوبة المحرمة عليه ؟ ! وأقام لنفسه بناء ثقافيا وفنيا وأدبيا اداته لغة الحديث ؟ !!** •• ومن الكلمات الجيدة التعبير عن هذه الحالة التى وصل اليها الشعب الجزائرى قول أحد أبنائه : ان هذا الشعب عندما « هزم ، وتمزق ، ونهبت ثروته ، وعندما واجه الضياع ، وأصبح ظهره الى الحائط ، لجأ قبل كل شىء الى قلعته المنيعة ، الى ايمانه وتقاليده المعنوية ، ولغته المنطوقة ، لجأ اليها حتى يتمكن يوما ، فى ميدان آخر ، وبوسائل جديدة ، وفى ظروف أكثر ملاءمة ، من القيام بهجوم مضاد •• فكان الاعتماد التام على« لغة الحديث التى تستخدم ـ حسب التقليد المتبع ـ القصص والاشعار والاغانى . وخلال سنوات طويلة كان لدينا تيار ثقافى قائم على الادب الشفوى ، كان العمود الفقرى لمقاومة الجهود المبذولة للقضاء على الشخصية الجزائرية ، وكان النبتة المتينة الناشئة فى ترتبها ، والتى تنتظر التطعيم الملائم حتى تعطى أفضل الثمار » ولم يكن هناك منفذ يتعدى منه هذا الشعب نطاق لغة الحديث والمشافهة الى نطاق اللغة القومية المكتوبة سوى أكثر أشكال التعليم بدائية »

---

[١٠] المرجع السابق ص ١٠ .
[١١] الامة العربية وقضية التوحيدص ٩٩
[١٢] المرجع السابق ص ٩٥ .

وهو « الكتاب » ... فسلك الشعب هذا الطريق « فمدارس تحفيظ القرآن كانت تعطينا شيئا أكبر بكثير من مجرد تعريفنا بالمبادىء الاولى للغة ، فهي رغم اطارها الجامد كانت عاملا من عوامل الوحدة التي تربط البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وكانت طوقا من أطواق النجاة التي تعلقت بها الامة التي تتقاذفها الامواج » (١٣) .

ونحن نستطيع أن نقول ان هذه الهزيمة وذلك التمزق وتلك الحال قد استمرت سائدة في الجزائر حتى بدأ « ابن باديس » في تنفيذ مخططه الذي استهدف اعادة ايمان الجزائر بذاتيتها العربية المستقلة ، عن طريق احياء قسمات العروبة وبعث مجد الاسلام في نفوس شعبها .. وأن نقول كذلك ان هذا الشعب قد استمر معتصما بلغة المشافهة والحديث حتى دخل ابناؤه مدارس (جمعية العلماء) التي أسسها « ابن باديس » .. وأن نقول ايضا أن هذا الشعب قد ظل في موقف الدفاع ضد الهجوم الذي بدأه الاعداء في سنة ١٨٣٠ م ، ولم يتحول الى موقف المقاومة الايجابية المدعومة بالتخطيط والتنفيذ الا عندما قاده « ابن باديس » ، وبالذات بعد تكوين جمعية العلماء في سنة ١٩٣١ م .

هجوم على الجبهة العريضة

منذ أن عاد « ابن باديس » الى الجزائر من رحلته الحجازية سنة ١٩١٣ م وهو دائم السعي لتنفيذ مخطط رسمه مع بعض أعوانه لاعداد كتيبة من المثقفين والعلماء الجزائريين تتقدم لصد الهجوم الفرنسي على المقومات الذاتية للشعب الجزائري .. واذا كانت حملة فرنسا هذه قد استهدفت الغاء الذاتية المستقلة لهذا الشعب حتى تصل لتحويل الجزائر الى مقاطعة فرنسية ، فان « ابن باديس » قد اراد وخطط وعمل لاحياء ذاتية هذا الشعب حتى يصل الى احياء وتأكيد الايمان بالوطن الجزائري المستقل تماما عن فرنسا والفرنسيين .. ومن هنا كان هجومه على جبهة عريضة ، غطى نضاله عليها كل المواقع التي حارب الفرنسيون فيها الجزائريين منذ بدء الاحتلال ..

الانتصار للعروبة

منذ بدأ « ابن باديس » نشاطه ـ وكما سبق أن أشرنا ـ كان تركيزه على التعليم للصغار والكبار يستهدف بعث الروح العربية ، والتعليم العربي حتى تتحصل للجزائر قسمة العروبة فتعيد الاتصال بماضيها العربي والارتباط بأمتها العربية الممتدة أرضها من الخليج الى المحيط ، ولذلك ارتبطت لديه دائما فكرة عروبة الجزائر باستقلال الوطن الجزائري عن الفرنسيين .. وهو عندما أصدر مجلة (المنتقد) في سنة ١٩٢٦ م جعل شعارها كلمة ذات مغزى يقول فيها : (الحق فوق كل أحد ، والوطن قبل كل شيء) .. وحتى قبل أن تتكون جمعية العلماء ، كتب « ابن باديس » في سنة ١٩٣٠ يقول : « ان الجزائر بلد عربي .. ومن ذا الذي يفكر في انكار هذه الحقيقة ؟ ! وهي أرض اسلامية أصيلة ، وذلك حق أيضا ، ومهما يكن من ارادة الامبريالية في الماضي والحاضر ، ومهما يكن من قوة حرابها ، فان هذه الظاهرة التاريخية تظل صادقة تمام الصدق . ان الاستعمار الفرنسي لم يدخر جهدا حتى يستعبد الجزائريين ، وحتى ينتزع من قلوبهم الاسلام والعروبة .. وقد حاول الاستعمار جهده طيلة قرن من الزمان لكي يصل الى هذه الغاية ، ولم يكتف الاستعمار باستخدام القوة وتبريرها من الوجهة القانونية ، بل أراد أن يبرر مسلكه وأن يجعل ضم الجزائر اليه أمرا مشروعا » (١٤) . ولقد كتب « ابن باديس » هذه الكلمات القوية الحاسمة في الوقت الذي أعلن فيه بعض المستعمرين الفرنسيين في الجزائر « أن عهد الهلال في الجزائر قد غبر » ، وبدأوا فيه احتفالاتهم المجنونة والاستفزازية بمرور قرن على بدء احتلالهم للبلاد ، وهي الاحتفالات التي قرروا لها أن تستمر ستة أشهر ، فاستطاع « ابن باديس »

عبد الرحمن الكواكبي

[١٨٥٤ ـ ١٩٠٢ م]

ولد في « حلب » ، وكافح بها ، عن طريق الصحافة ضد استبداد الاتراك العثمانيين . ودخل السجن ، واضطهد ، وكاد ينفذ فيه الاعدام من قبل سلطة الاتراك ؟ ! .. ثم هاجر الى مصر سرا سنة ١٨٩٩ م وفيها نشر أفكاره في صحافتها ، ثم جمع هذه الافكار في كتابيه [طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد] و [أم القرى] .

وفي كتاباته ، كما في مواقفه النضالية دعا الى العروبة وبناء الخلافة العربية على أنقاض الخلافة العثمانية ، والى الاشتراكية والعدالة الاجتماعية ، والى الحرية والشورى والديمقراطية ، كما دعا الى التمييز بين السلطة السياسية التي تقود جهاز الدولة في المجتمع وبين الدين كعقيدة يؤمن بها المواطنون .

---

[١٣] المرجع السابق ص ١٠١ ـ ١٠٣ [والكلمات للكاتب الجزائري بشير الحاج علي في دراسته عن « الثقافة الوطنية وثورة الجزائر »] .

[١٤] الامام ابن باديس ص ١٣ [نقلا عن كتاب فرحات عباس « الظلمة الاستعمارية » سنة ١٩٦٢ م] .

وأنصاره أن يعكروا صفوها حتى تم الغاؤها بعد شهرين فقط من بدئها ؟ .

وكان « فرحات عباس » ، يومئذ ، من أقوى الاصوات الجزائرية التى تنادى باندماج الجزائريين فى « فرنسا الام » .. وعندما كتب مقالا ينكر فيه وجود « وطن جزائرى » عنوانه : (لو أننى عثرت على الوطن الجزائرى !) رد عليه « ابن باديس » ردا تاريخيا ، وقال : « .. ان هذه الامة الجزائرية الاسلامية ليست هى فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت ... بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد : فى لغتها ، وفى أخلاقها وفى عنصرها ، وفى دينها ، ولا تريد أن تندمج .. ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائرى بحدوده الحالية المعروفة » (١٥) .

ولقد أجاد « ابن باديس » الربط ما بين العروبة والاسلام ، لا بالنسبة للجزائر فقط ، بل كان يرى أن الاسلام - بالرغم من عالميته - قد جعل للعرب مكانا ملحوظا بين الاجناس ، حتى عهد اليهم رب هذا الدين بالقيام على ابلاغه وحراسة تعاليمه .. وهو فى هذا الموقف يذكرنا بالكواكبى وحديثه عن دور العرب وخصائصهم بالنسبة للنهضة الاسلامية فى كتابه (أم القرى) (١٦) .. فيقول « ابن باديس » : « .. من الطبيعة العربية الخالصة أنها لا تخضع للأجنبى فى شىء ، لا فى لغتها ولا فى شىء من مقوماتها ، ولذلك نرى القرآن يذكرها بالشرف .. ان عناية القرآن باحياء الشرف فى نفوس العرب ضرورية لاعدادهم لما هيئوا له من سياسة البشر .. وبهذا نستعين على فهم السر والحكمة فى اختيار الله للعرب للنهوض بهذه الرسالة الاسلامية العالية ، واصطفائه اياهم لانقاذ العالم مما كان فيه من شر وباطل .. ان الامة العربية استطاعت أن تنهض بالعالم كله ، وأن تظهر دين الله على الدين كله .. » (١٧) .

وهذا المزج العبقرى بين العروبة والاسلام ، كان يسميه « ابن باديس » أحيانا « الوطنية الاسلامية » ، وهى وطنية غير متعصبة ، لا تنكر الدوائر الاصغر منها ، ولا تتنكر للدائرة الانسانية الاكبر ، اذ « الوطنية الاسلامية العادلة هى التى تحافظ على الاسرة بجميع مكوناتها ، وعلى الامة بجميع مقوماتها ، وتحترم الانسانية فى جميع أجناسها وأديانها ، فالانسان من طفولته يحب بيته وأهل بيته .. وما البيت الا الوطن الصغير .. فاذا تقدم اتسع أفق حبه وأخذت تتسع بقدر ذلك دائرة وطنه .. فاذا غذى بالعلم الصحيح شعر بالحب لمن يجب فيهم صورته الإنسانية ، وكانت الارض كلها وطنا له ، وهذا هو وطنه الاكبر ، وهذا ترتيب طبيعى لا طفرة فيه ولا معدل عنه ، فلا يعرف ولا يحب الوطن الاكبر الا من عرف وأحب الوطن الكبير ، ولا يعرف ولا يحب الوطن الكبير الا من عرف وأحب الوطن الصغير » (١٨) .

وهذه الكلمات البالغة درجة عظيمة من العمق والعبقرية جعلت « ابن باديس » يضع يده ، سياسيا ، فى يد كل التيارات السياسية التى ناصرت عروبة الجزائر واستقلالها بما فيها الحزب الشيوعى ، وفى ذات الوقت انتقد موقف بعض الشيوعيين الذى قللوا يومئذ من خطر وأهمية الرابطة القومية ، فيقول : ان هناك قسما من الناس « زعموا انهم لايعرفون الا الوطن الاكبر ، وأنكروا وطنيات الامم وعدوها مفرقة بين البشر ، وعاكسوا الطبيعة جملة ، وما عرفته البشرية من آلاف السنين » (١٩) .

ولقد أدرك أعداء « ابن باديس » ادراكا عميقا خطورة ربطه هذا بين العروبة والاسلام ، وصلة ذلك ببعث الوطن الجزائرى ، فكتبوا يقولون : « هل يمكن لنا أن نقول : ان (جمعية العلماء) ملية (دينية) ؟ نعم .. وعجيب أن يشك أحد فى ذلك . ولكن هذه الملية لا تظهر مباشرة ، فالعلماء يحملونها فى صدورهم ، ولا يتحدثون بها . على أن نشاطهم لا يبعدهم عنها أبدا ، فكل من اصغائهم لدمشق والرياض والازهر وجامع الزيتونة والقرويين ، وكل من دعوتهم ضد متأخرى شيوخ الطرق هو لفائدة القومية الجزائرية التى يخدمونها .. ان سياستهم الحاضرة تنحصر فى المرابطة بحصن الثقافة والدين ، وهكذا يتدخلون فى كل شىء ، ينتظرون أن يتقدم رجال آخرون لاستعمال السلاح الذى يصقلونه الان بأيديهم ويعدونه .. ان مجددى فكرة الوطن الجزائرى هم بالاحرى هؤلاء الذين أسسوا (جمعية

---

[١٥] الشهاب عدد نوفمبر سنة ١٩٣٧ م .
[١٦] أنظر : الاعمال الكاملة لعبدالرحمن الكواكبى مع دراسة عن حياته وآثاره ص ٣٠٠ - ٣٠٤ دراسة وتقديم محمد عمارة : طبعة سنة ١٩٧٠ م
[١٧] الامام ابن باديس ص ١٤١ [نقلا عن الشهاب ج ١ م ١٥ سنة ١٩٣٩ م] .
[١٨] المرجع السابق ص ١٣٣ ، ١٣٤ [نقلا عن الشهاب ج ٧ م ١٣ سنة ١٩٣٧ م] .
[١٩] المرجع السابق ص ١٣٤ [نقلا عن الشهاب ج ٧ م ١٣ سنة ١٩٣٧] .

العلماء .. فمنذ سنة ١٩٣٠م نرى في الواقع أن هؤلاء الرجال ذوى الثقافة الرفيعة والعلم الواسع ـ وهم من أقوى الشخصيات الاسلامية فى المغرب المعاصر ـ قد ربطوا محاولتهم لتجديد الاسلام وللقضاء على الطرق الصوفية بمحاولة تجديد الوطن الجزائرى .. ! (٢٠) .

العروبة والخلافة الاسلامية

فى حياة « ابن باديس » دار الجدل فى مصر مرتين حول قضية « الخلافة الاسلامية » ، وبذلت محاولتان لتولى ملك مصر لهذا المنصب ، أولاهما كانت فى عهد « الملك فؤاد » والثانية فى عهد « الملك فاروق » ، وفى المرة الثانية كانت « لابن باديس » مكانة كبرى فى الجزائر ، ووسائل اعلامية تتيح له أن يشارك بالرأى فى هذا الموضوع الذى شغل المسلمين والعرب أجمعين ..

وفى الاراء التى أبداها « ابن باديس » حول هذا الموضوع يتكشف لنا الرجل عن عقل تقدمى مستنير .. فرغم مزجه الرائع ما بين عروبة الجزائر واسلامها ، ورغم مكانته الدينية ، الا أنه كان داعية من دعاة التمييز ما بين الدين والسلطة والحكومة ، رافضا للخلط ـ الى درجة الاتحاد ـ بين السياسة وبين الدين ..

● فهو يرى أن هذا المنصب بمعناه الاسلامى قد ذهب ودرس منذ عهد صدر الاسلام ، فيومئذ ، كانت « الخلافة هى المنصب الاسلامى الاعلى الذى يقوم على تنفيذ الشرع وحياطته بواسطة الشورى من أهل الحل والعقد من ذوى العلم والخبرة والنظر ، وبالقوة من الجنود والقواد وسائر وسائل الدفاع ، وقد أمكن أن يتولى هذا المنصب شخص واحد فى صدر الاسلام وزمنا بعده ، على فرقة واضطراب ، ثم قضت الضرورة بتعدده فى الشرق والغرب ، ثم انسلخ عن معناه الاصلى وبقى رمزا ظاهريا تقديسيا ليس من أوضاع الاسلام فى شىء » (٢١) .. ولذلك فان التماس السلطة والسلطان على المسلمين يجب أن يكون طريقه الكفاءة والحصول على رضى الامة وتأييدها « فلا حق لاحد فى ولاية أمر من أمور الامة الاسلامية الا بتولية الامة ، فالامة هى صاحبة الحق والسلطة فى الولاية والعزل ، فلا يتولى أحد أمرها الا برضاها » (٢٢) . ثم يمضى « ابن باديس » فى موقفه هذا الى تبنى رأى (المعتزلة) فى تقديم الاكفا فى السياسة على الافضل فى الدين لمنصب الحكومة ، تعبيرا عن ايمانهم بأن هذه المناصب سياسية وليست دينية بالدرجة الاولى ، فيقول : ان « الذى يتولى أمرا من أمور الامة هو أكفؤها فيه ، لا خيرها فى سلوكه .. لذلك قدم الارجح فى الكفاءة لا فى الخيرية .. » (٢٣) .

● وهو يؤمن ايمانا شديدا بالديمقراطية والقانون الصادر عن الامة والنابع منها ، ويقول : انه « لا تحكم الامة الا بالقانون الذى رضيته لنفسها وعرفت فيه فائدتها ، وما الولاة الا منفذون لارادتها ، فهى تطيع القانون لانه قانونها ، لا لان سلطة أخرى لفرد أو جماعة فرضته عليها ، كائنا من كان ذلك الفرد وكائنة من كانت تلك الجماعة فتشعر أنها حرة فى تصرفها .. اذ هذه الحرية والسيادة حق طبيعى وشرعى لها ولكل فرد من أفرادها (٢٤) » . ولذلك فانه يرى أن آفة الآفات هى الحكومة المستبدة ، ويحكى قول الامام « جعفر الصادق » : ان أعظم الفتنة أن يسلط الله على الناس السلطان الجائر ، ويقول تعليقا عليه : « ان أعظم ما لحق الامم الاسلامية من الشر والهلاك كله جاءها على يد السلاطين الجائرين منها ومن

المعتزلة

تيار فكرى وتنظيم سياسى تبلور فى أواخر القرن الاول الهجرى ، وصبت فيه روافد فكرية وحركات سياسية سبقته فى الظهور ، أهمها حركة [القدرية] التى نادت بحرية الانسان ، وقامت بثورة فى أواخر العصر الاموى قتلت فيها الخليفة « الوليد بن يزيد » ونصبت بدله « يزيد بن الوليد » .

وأهم القسمات الفكرية للمعتزلة تقديمهم تصورا للذات الالهية يقترب كثيرا من تصور الفلاسفة العقلانيين ، وهو قائم على « التنزيه » و « التجريد » متناقض مع تصور الفرق « المجسمة والمشبهة » الذين يقدمون لهذه الذات تصورا « ماديا مجسما » .. كما يؤمنون بحرية الانسان واختياره ، ويعتبرونه صاحب الحق فى اقامة السلطة السياسية ، فى مجتمعه ، وعزلها .. ويقولون بوجوب الثورة على السلطة الجائرة اذا كانت امكانيات النجاح محتملة للثوار .

[٢٠] المرجع السابق ص ٢٨ .
[٢١] الشهاب جـ ٢ م ١٤ سنة ١٩٣٨ م .
[٢٢] الامام ابن باديس ص ٦٥ .
[٢٣] المرجع السابق ص ٦٥ .
[٢٤] المرجع السابق ص ٦٦ .

غيرها ، وهذا ما يشهد به ماضيها وحاضرها ، فما أصدق كلمة جعفر الصادق وما أعمق نظره فيها » ! (٢٥) » .

● « وابن باديس » لا ينكر ، بموقفه هذا من فكرة الخلافة الاسلامية ، التضامن الاسلامى والرابطة الاسلامية ، ولكنه يرى جامعة المسلمين في صورة رأى عام قوى واعمستنير ، تتبلور ارادته فى تنظيم ينهض بالتخطيط لتقدم المسلمين ورعاية هذا التقدم ، فى اطار الحياة الدينية والادبية ، فهو يقول : ان المسلمين « انما تكون لهم قوة اذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر ، وتتشاور وتتآزر ، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة ، متساندة فى العمل عن فكر وعزيمة ‥ » (٢٦) ‥ فهو اذا لم ينكر الروابط الاسلامية ،فهو منكبار الائمة المسلمين المجاهدين فى عصره ، ولقد كانت تهمة الدعوة الى «الجامعة الاسلامية » من بين التهم التى وجهها اليهخصومه من عملاء الفرنسيين .

● ولكن الرجل كان مناهضا لتلك « اللعبة » التى كان يمارسها البعض فى مصر تحت شعار تولية ملك مصر خلافة المسلمين ، بدعوى أن الاتراك قد ألغوا هذا المنصب الاسلامى السامى فى عهد الكماليين . فهو أولا ينكر أن المنصب الذى الغاه الاتراك كان منصبا اسلاميا ، فضلا عن أن يكون خلافة المسلمين ، فيقول : « ‥ فيوم ألغى الاتراك الخلافة — ولسنا نبرر كل أعمالهم — لم يلغوا الخلافة الاسلامية بمعناها الاسلامى ،وانما ألغوا نظاما حكوميا خاصا بهم ، وأزالوا رمزا خاليا فتن به المسلمون لغير جدوى ، وحاربتهم من أجله الدول الغربية المتعصبة للنصرانية والمتخوفة من شبح الاسلام » ، ثم يمضى « ابن باديس » ليكشف كيف أن ما يحدث فى مصر انما هو لعبة استعمارية لاستغلال اسم « الخليفة » ويقول ان الامم المتمدينة لن تنخدع بهذه اللعبة حتى « ولو جاءتها من تحت الجبب والعمائم ؟ ! »لانه ليس بعدالرسول صلى الله عليه وسلم « شخص مقدس الذات والقول ندعى له العصمة ‥ ولكن لنا جماعة المسلمين وهم أهل العلم والخبرة الذين ينظرون فى مصالح المسلمين من الناحية الدينية والادبية ويصدرون عن تشاور ما فيه خير أنفسها بعيدة كل البعد عن السياسة وتدخل الحكومات ‥ لا الحكومات الاسلامية ولا غيرها ، ‥ وهو فى ذلك يتبنى موقف الامام محمد عبده فى مدنية السلطة ، وانكار الحكومة الدينية، وتحديد اطار العمل لجماعة المسلمين .

ولقد كتب « ابن باديس » برأيه هذا الى شيخ الازهر ، وأنكر عليه دعوته لخلافة « الملك فاروق » .. ولما لم يأته رد من شيخ الازهر استمر على موقفه مهاجما الذين « يتحدثون فى مصر وفى الازهر عن الخلافة كانهم لا يرون المعاقل الانجليزية الضارية فى ديارهم » ، وتنبأ بفشلهذه «اللعبة» قائلا: «وسيرىصاحب الفضيلةالاستاذ الاكبر أن خيالالخلافة لنيتحقق وانالمسلمينسينتهون يوما ما — انشاء الله —الى هذا الرأى (٢٧) » . فكان فى موقفه هذا التحديد الدقيق لمضمون دعوته لاسلام الجزائر ، وعلاقة قسمة الاسلام بقسمة العروبة فى دعوته لاحياء ذاتية الجزائريين (٢٨) .

العروبة والتعليم

ولقد كان بعث عروبة الجزائر هذا يستدعى تطوير بقايا التعليم العربى البدائى فى البلاد ، وتوسيع دائرته بانشاء المدارس و « الكتاتيب » واعادة دور « المسجد » التعليمى فى حياة الامة الاسلامية الى « مساجد » الوطن الجزائرى ‥ وهو ما صنعه « ابن باديس » وجمعية العلماء ، فالجمعية قد أنشأت مائة وسبعين مدرسة ، وذلك غير « الكتاتيب » التى انتشرت فى كل مكان ، والتى سارت على منهج متطور يقترب بها من المدارس الاولية ، حتى لقد أخذ الفرنسيون يحاربونها ويسحبون رخصها ، ويغلقون منها تلك التى تستخدم المناهج المتطورة والحديثة فى التعليم ، وكما يقول « ابن باديس » : لقد « صار من شروط اعطاء الرخصة للقليل الذى أعطيت له أن يعلم على الكيفية القديمة الخالية من كل تهذيب ، ذات « العصا » و « الفلقة » ،

---

[٢٥] المرجع السابق ص ٤٧ .

[٢٦] المرجع السابق ص ٥٥ .

[٢٧] الشهاب ج ٢ م ١٤ سنة١٩٣٨ م .

[٢٨] حول المعركة التى دارت بمصر حول هذه القضية أنظر كتابنا [الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق . دراسة ووثائق] طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ وكذلك عدد [الطليعة] « ملف » [على عبدالرازق — معركة فكرية] سبتمبر سنة ١٩٧١ م . وحول رأى الامام محمد عبده فى هذه القضية انظر دراستنا عن رأيه فى [الجامعة الاسلامية] فى ج ١ من [أعماله الكاملة] طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م .

و «الحصير» ، وفى العصر الذى تتقدم فيه الامم كل عام فى أساليب التعليم نرد نحن الى الوراء ، فاسمع ، ونعجب يا عصر المدنية والنور (٢٩) .

ولكن « ابن باديس » لم تقعده قيود الفرنسيين هذه ، ولا مضايقاتهم له ، واستدعاؤهم لـه لسؤاله : « أن كانت معه رخصة للقيام بالتعليم ؟ ! على حين أنهم يعلمون ممارسته لهذا العمل منذ سنوات وسنوات ·· فمضى ومضت (جمعية العلماء) فى نشاطها التعليمى الذى لا يقتصر على تعليم العربية وحدها ، ولا يتنكر للغات الاخرى ، فنص قانون (جمعية التربية والتعليم) التى أقاموها « على تعليم العربية والفرنسية ، لاننا قوم نريد الحياة لانفسنا كما نحبها لغيرنا ، ونكره أن ندخل الضرر على أى كان غيرنا ، كما لا نرضى أن يدخل علينا الضرر آى كان غيرنا . ونحترم لغتنا ومجدنا كما نحترم لغة ومجد غيرنا .·· وللجمعية نيات أخرى تنوى أن تقوم بها فى المستقبل ان شاء الله ، تنوى أن تبعث البعثات العلمية الى الخارج ، وتسعى جهدها فى تحقيق ما ينص عليه قانونها الاساسى من **تأسيس المصانع والملاجىء والمحلات العامة** (٣٠) ·.· » ·

ولقد نجح «**ابن باديس**» فى أن يجمع من حوله كل فئات وتيارات الشعب الجزائرى مطالبة بالتعليم العربى للبلاد ، وفى الوقت الذى أصدر الفرنسيون فيه قانونا يحرم التعليم العربى ويجعل العربية لغة أجنبية طالب القسم العربى لمجلس النيابات المالية بالجزائر فى نفس العام (سـنة ١٩٣٨ م) ومن خلفه الاحزاب الجزائرية جميعها بالتعليم العربى ، وكتبوا لفرنسا يقولون : « **ان مسألة اللغة العربية والتعليم الدينى بالقطر الجزائرى ليست مسألة حزب خاص أو جمعية معينة ·· بل هى مسألة الامة جمعاء ·· تختلف فى كل شىء وتتفق فيها** ؟ ! ··» (٣١) فلقد كانت الجزائر تسـير خلف « **ابن باديس** » سعيا لتغيير ذلك الوضع المهين الذى ساد يوم ان كان ابناؤها « يذهبـون الى المدارس الاجنبية التى لا تعطيهم غالبا من العـلم الا ذلك الفتات الذى يملأ أذهانهم بالسفاف ، حتى اذا خرجوا منها خرجوا جاهلين دينهم ولغتهـم وقوميتهم ، وقـد ينكرونهـا ·· » (٣٢) عـلى حد تعبير « **ابن باديس** » ··

والذين قرأوا « **جمال الدين الافغانى** » ، وحديثه فى (العروة الوثقى) وفى غيرها عن دور اللغة القومية الواحدة (اللسان) فى جمع شتات الامة التى أصابها الاستعمار بالتمزق ، وشن عليها حرب السحق والابادة (٣٣) ·· ثم قرأوا ايضا « **ابن باديس** » يعلمون كيف كان فكر « **الافغانى** » وفكر الزعيم الجزائرى على درب واحد وفى ميدان واحد ، صنعه اتحاد المشرب والمنهج ، واتفـاق الظروف ·· « **وابن باديس** » يجسد هذه الفكرة عن اهمية اللغة العربية ودورها المنتظر فى بعث الجزائر وربطها بماضيها ، فيقول فى عمق غـير مسبوق : « اننا نعتصم بالحق ونعتصم بالتواضع عندما نقول : اننا شعب خالد ككثير من الشعوب لكنا ننصف التاريخ اذا قلنا اننا سبقناها فى ميادين الحياة ، سبقناها بهدايتنا ، وسبقنا هذه الامم فى نشر الحق ايام كانت فى ظلمات الجهل ، ذلك ما كنا فيه وما سنعود اليه ، وانما علينا ان نعرف تاريخنـا ومن عرف تاريخه جدير بان يتخذ لنفسه منزلة لائقة به فى هذا الوجود ، **ولا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الاغر والمستقبل السعيد الا هذا الحبـل المتين : اللغة العربية ، لغة الدين ، لغة الجنس ، لغة القومية ، لغة الوطنية المحروسة ·· انها وحدها الرابطة بيننا وبين ماضينا وهى وحدها المقيـاس الذى نقيس به ارواحنا بأرواح اسلافنا ، وبهـا يقيس من بعدنا من ابنائنا واحفادنا الغر الميامين ارواحهم بأرواحنا · وهى وحدها اللسان الذى نعتز به وهى الترجمان عما فى القلب من عقائد ومـا فى العقل من أفكار وما فى النفس من آلام وآمال**» (٣٤)

وبقدر الاهمية التى علقها « **ابن باديس** » على اللغة العربية فى بعث الجزائر العربية الاسلامية كان الجهد المضنى الذى قدمه فى هذا السبيل ·· مدارس قد فتحت ·· و « كتاتيب » قد أنشئت ·· ومساجد قد آقيمت وانعقدت فيها حلقـات الدرس والتعليم ·· كل ذلك كى تتكون للوطن الجزائرى الكتيبة التى تمهد الطريق للثورة ، والتى تتولى صنع السلاح وتدفع به الى أيدى جيل جديد من المقاتلين ··

---

[٢٩] الامام ابن باديس ص ١٤٠ [نقلا عن الشهاب ، ج ٨ م ١٤ سنة ١٩٣٨ م] .
[٣٠] المرجع السابق ص ١٤٤ [نقلا عن البصائر فى ٢٢ بونيو سنة ١٩٣٩ م]
[٣١] المرجع السابق ص ٨٢ .
[٣٢] المرجع السابق ص ٦٣ .
[٣٣] انظر دراستنا التى قدمناها للاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى ص ٦٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م .
[٣٤] المرجع السابق ص ٦٣ [نقلا عن البصائر فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٩ م]

ضد الطرق الصوفية

وكما حارب الفرنسيون عروبة الجزائر وذاتيتها القومية بواسطة اشاعة الجهل و لامية بين الاغلبية الساحقة جدا من الشعب ، وبواسطة « فرنسة » التعليم للقلة القليلة جدا من الجزائريين الذين أتيحت لهم فرص الالتحاق بمدارسهم ، فانهم قد شنوا هجومهم على الاسلام عندما رأوه لحنا يميز المواطن الجزائرى ، ووشيجة تربطه بالعروبة والعالم العربى ، وتشده بعيدا عن فرنسا والفرنسيين .

ولم يعتمد الفرنسيون فى حربهم للاسلام بالجزائر على المبشرين فقط ، ولا على اطلاق العنان لجماعات التبشير فى المناطق الجنوبية واغلاقها أمام (جمعية العلماء) فحسب ، وانما اعتمدوا أيضا على رجال الطرق الصوفية (الطرقية) ومكنوا لهم من احكام القبضة على القلوب ، وشل عقول أغلبية الشعب بالشعوذة والخرافات ، وشل ارادتهم وفعاليتهم بالتواكل والاستسلام ، ولذلك حارب « **ابن باديس** » خطة فرنسا على هذه الجبهة بواسطة الصراع العنيف الذى شنه ضد هذا المسخ المشوه للاسلام وتعاليم الدين الحنيف .

فلقد وضع رجال الطرق الصوفية أنفسهم فى خدمة المستعمر ، وأصبحوا أدواته التى يعتمد عليها فى تخدير الجماهير ، وصوروا للناس ما أنزل الفرنسيون بالبلاد على أنه ارادة الله سبحانه ؟! ودعوا من أجل ذلك للاندماج فى فرنسا امتثالا لارادة الله هذه ؟!! . وقالوا : « اذا كنا أصبحنا فرنسيين فقد أراد الله ذلك ـ وهو على كل شىء قدير ـ فاذا أراد الله أن يكسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل ، وكان ذلك عليه امرا يسيرا ، ولكنه كما ترون يمدهم بالقوة ، وهى مظهر قدرته الالهية ، فلنحمد الله ولنخضع لارادته » (٣٥)

ولكن « **ابن باديس** » يعلن الحرب ضد هذه الطائفة الضالة ، ويقول : انها قد فرت الى حمى المستعمر ، وان الله برىء مما يفترونه عليه . ويصور نزاع (جماعة العلماء) معهم فيقول : اننا « اذا رأينا طائفتين من المؤمنين تنازعتا ، فالتجأت احداهما الى السلطان تستغيثه وتستعين به .. فاغاثها وانتصر لها وأمدها وقربها وأدناها ، وأما الاخرى فلم تستغث الا بالله ولم تستنصر الا به ، ولم تعتمد الا عليه ، ولم تعمل الا فيما يرضيه من نشر هداية الاسلام .. وتحملت فى سبيل ذلك كل ما تسببت لها فيه الفئة الاخرى ، ومن تولته وهربت اليه .. اذا رأينا هاتين الطائفتين عرفنا من منهما يقينا ، الفارة من الله والفارة اليه ، فكنا ـ ان كنا مؤمنين ـ مع من فر الى الله .. » [٣٦] .

ومن هنا كانت الحرب الضروس التى شنها « **ابن باديس** » وشنتها (جمعية العلماء) ضد هؤلاء المشعوذين .. ومن هذا الموقف المبدئى رفض « **ابن باديس** » عديدا من المحاولات التى بذلت « للصلح » بين الفريقين . رفض محاولة بذلت فى سنة ١٩٣٣ م لان الذين قاموا بها طلبوا من (جمعية العلماء) أن تسكت على قيام الصوفية بممارسة البدع الدخيلة على الدين ، وأيضا أن تترك وتهجر الميدان السياسى والاشتغال بالسياسة (٣٧) .. كما رفض محاولة اخرى « للصلح » قام بها ودعا اليها احد علماء الازهر ، وكتب « ابن باديس » يومئذ فى رفضه لهذه المحاولة يقول : « اننا نعلن لاخواننا أننا على رجاء اليأس من خصوم تضيع معهم حكمة (لقمان) ، ولا يجدى معهم حلم (معاوية) ، ولا يرضيهم عدل [ابن الخطاب] ، ولا تسامح (صلاح الدين) .. وليس لنزاعهم معنا غاية غيركم أفواهنا وكسر اقلامنا ثم اتلاق راحتنا ان أعجزتهم المقادير عن ازهاق أرواحنا ، وليس لهم الى هذه الغاية غير وسيلتين : احداهما **الوشاية بنا الى الحكومة بأنا وطنيون ضد الاستعمار ، وأننا نعمل للجامعة الاسلامية** .. وثانيهما الاختلاق علينا مع الامة بأنا ندعى الاجتهاد ، **وأنا** نستخف بأمتنا فى الدين ، **وأنا ننكر الولاية** والكرامة .. » (٣٨) ، ولذلك فانه لا أمل فى مثل هذا « الصلح » وذلك اللقاء .

ولقد نجحت (جمعية العلماء) نجاحا ملحوظا فى تجريد هؤلاء المشعوذين من صلاحيات التحدث باسم الاسلام ، وأخذ المجتمع الجزائرى ينظر اليهم كمارقين قد باعوا دينهم وكرامتهم للمستعمر ، حتى لم يعودوا ـ هم ومن تبعهم على درب الاندماج ـ يستحقون شرف الانتساب للاسلام ،

---

[٣٥] الشهاب ج ٧ م ١٤ [نقلا عن جريدة « الريبيليكان » الفرنسية فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٨ م] .

[٣٦] الامام ابن باديس ص ٣٧ ، ٣٨ [نقلا عن تفسير ابن باديس للقرآن ص ٤٦٧ ، ٤٦٨] .

[٣٧] المرجع السابق ص ٤١ .

[٣٨] المرجع السابق ص ٤١ .

وتصور الجريدة الفرنسية (الريبيليكان) تجاح العلماء هذا فتقول فى غضب ومرارة : « لقد نجح هؤلاء فى حمل الناس على البراءة من مواطنيهم الذين قبلوا أن يعدوا من الفرنسيين ، وامتنعوا عن دفنهم فى مقابر المسلمين !! • وهؤلاء القـادة ينفذون أوامر تأتيهم من « القاهرة » و « دمشق » و « مكة » ، وهى المدن التى تعمل فيها جماعات خفية لتنفيذ أغراض على جانب كبير من الخطورة •• والتبعة فى ذلك تقع على الحكومة الفرنسية ، فهى التى تركت هؤلاء المتعصبين او الخبيثين يبثون دعوتهم ، ويضيعون من سلطان أصدقائنا المرابطين » (الطرقية) (٣٩) ولقدكان انحسار نفوذ هؤلاء المشعوذين يعنى زيادة القوة والانصار (لجماعة العلماء) وأيضا تصحيح صورة الاسلام ، واتخاذه أداة فى مناواة الاستعمار .

فكر سلفى مستنير

ونحن اذا تجاوزنا الصدام السياسى المباشر الذى حدث بين « ابن باديس » وبين رجال الطرق الصوفية ، استطعنا أن نبصر لهذه المعركة سببا آخر يرجع الى اختلاف المنطلق الذى ينطلق منه كل فريق فىفهمه للاسلام ،فهؤلاء المتصوفة قد تحول الاسلام لديهم الى ركام من البدع والخرافات التى تراكمت بفعل الزمن والقرون ، بينما كان « ابن باديس » مفكرا سلفيا يرى فى العودة الى منابع الاسلام النقية الاولى وأصوله الجوهرية السبيل الاوحد لبعث الجزائر المناضلة ، والطريق الذى لا طريق سواه كى يتحول الاسلام الى سلاح فى معركتها الحالية بعدما حوله المتصوفة الى وسيلة لتبرير الخضوع للفرنسيين .

وهذا الموقف السلفى « لابن باديس » يتجلى فى مواقف فكرية عديدة ، نكتفى هنا بأمثلة عليها تضاف الى ما قدمنا من اشارات .

● فهو يدعو للعودة بعقيدة التوحيد الاسلامية الى نقائها الاول ، قبل أن تلحق بها شبهات الوثنية على أيدى « المشبهة والمجسمة والمتصوفة » الذين يعظمون الاموات والقبور ، ويقول : « انك تجد السواد الاعظم من عامتنا غارقا فى هذا الضلال ، فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الاحياء والاموات ، يسألونهم حوائجهم •• ويذهبون الى الاضرحة •• ويدقون قبورهم وينذرون لهم ، وتراهم هناك فى ذل وخضوع وتوجه : قد لا يكون فى صلاة من يصلى منهم »

● وهو فيما يتعلق بالاحكام الفقهية يدعو الى بساطة تعاليم الاسلام وسهولتها ومرونتها • ويرى فى التعقيد الذى أصاب المذاهب الفقهية أحد الاسباب التى دفعت الناس الى التحلل منها عن طريق الانخراط فى الطرق الصوفية ، التى أباحت لهم التحلل من التكاليف •.

● كما يرى فى العودة الى « الخلق الاسلامى » البسيط ، والسلوك البعيد عن « الاغراق فى النسك الاعجمى والتخيل الفلسفى » أحد السبل التى تتلافى التعقيدات التى دفعت بجماهير مسلمة غفيرة الى طريق التصوف أيضا .•

● كما برأ السلوك الاسلامى من ذلك « التواضع الصوفى » الذى بلغ حد « الذلة » ، و « القنوط » فدعا لاستبدال ذلك بالايمان والتقوى ورأى فيهما « العلاج الوحيد من حالتنا •• فنقطة البدء فى أى اصلاح هى تطهير العقائد من الشرك ، والاخلاق من الفساد » •

● **وكانت دعوته الدائمة والمستمرة الى موقف سلفى ينظر صاحبه بعقل معاصر ومستنير فى أصول الاسلام الاولى ومنابعه النقية والجوهرية دونما اغراق فى تعقيدات الفلاسفة والمتكلمين (٤٠) .**

والذين قرأوا « عبد الرحمن الكواكبى » ، وخاصة كتابه (أم القرى) يلمحون صلات لا تنكر بين فكر « الكواكبى » فى هذه القضايا وفكر « ابن باديس » .

● وهذا الموقف السلفى « لابن باديس » قد اتضح أكثر ما اتضح فى تفسيره للقرآن الكريم •• فهو قد نهج فيه منهج الامام محمد عبده فى التفسير ، وفى ذلك يقول صديقه وزميل نضاله الشيخ البشير الابراهيمى فى حديث له عن التفسير والمفسرين «.. ثم كانت المعجزة بعد ذلك الارهاص بظهور امام المفسرين بلا منازع «محمد عبده » » أبلغ من تكلم فى التفسير بيانا لهديه ، وفهما لاسراره ، وتوفيقا بين آيات الله فى القرآن وبين آياته فى الاكوان • فبوجود هذا الامام وجد علم التفسير وتم ، ولم ينقصه الا أنه لم يكتبه بقلمه

[٣٩] المرجع السابق ص ٩٥ .
[٤٠] المرجع السابق ص ٩٢ ، ٥٣ ، ٥٠ .] نقلا عن تفسير ابن باديس للقرآن ص ١٥٥ ، ١٦٤ ، ٢٤١ - ٢٤٢] .

كما بينه بلسانه ، ولو فعل لابقى للمسلمين تفسيرا ، لا للقرآن ، بل لمعجزات القرآن ، ولكنه مات دون ذلك فخلفه « محمد رشيد رضا » فكتب في التفسير ما كتب ، ودون آراء الامام فيه ، وشرع للعلماء مناهجه ، ومات قبل أن يتمه ، فانتهت امامة التفسير بعده فى العالم الاسلامى كله الى اخينا وصديقنا ومنشىء النهضة الاصلاحية العلمية بالجزائر ، بل بالشمال الافريقى : عبد الحميد بن باديس .. » (٤١) .

ولقد لخص احد شيوخ « ابن باديس » له هذا الموقف السلفى فى تفسير القرآن عند ما نصحه قائلا :« اجعل ذهنك مصفاة لهذه الاساليب المعقدة وهذه الاقوال المختلفة ، وهذه الاراء المضطربة ، ليسقط الساقط ويبقى الصحيح ، وتستريح ؟! » ..

ولقد كان هذا الموقف السلفى « لابن باديس » شديد الوضوح ، وكما تحدث به أصدقاؤه فلقد أبصر خطورته أعداؤه ، فكانت بعض اتهاماتهم له أنه « وهابى » ــ نسبة الى « محمد بن عبد الوهاب » ، ومذهبه السلفى ــ وانه « عبداوى » ، نسبة الى الشيخ محمد عبده زعيم هذا الاتجاه فى عصرنا الحديث (٤٢) .

شيء من الاعتزال

فى الاعتدال فى الموقف السلفى تبع « ابن باديس » الامام محمد عبده ، فأنكر الاغراق فى « النسك الاعجمى والتخيل الفلسفى » ، ولكنه وقف قريبا من مدرسة (المعتزلة) وخاصة فى قضية الحرية الانسانية ، فرأى الانسان حرا مختارا . وما كان له الا ان يقف هذا الموقف ، وهو المناضل الذى صنع على عينه كتيبة مجاهدة كى تريد لوطنها وتصنع له حاضرا ومستقبلا غير الذى اراده وصنعه المستعمرون .. وهو فى هذا المقام يدعو الى تبنى مجموعة من المبادىء والقواعد والعقائد التى سبق أن قررها (المعتزلة) ، والتى هى فى ذات الوقت الموقف الاسلامى النقى فى بابها وموضوعاتها .. وذلك مثل :

● الموقف من الاسباب وفعلها وفعاليتها ، وارتباط المسببات بهذه الاسباب .. وهو يعزو نجاح اسلافنا وصنعهم لعصر حضارتنا الذهبى الى ايمانهم بارتباط الاسباب بالمسببات ، ومن ثم عنايتهم بهذه الاسباب (٤٣) .

● وهو يدعو الى الاعتقاد بحرية الانسان واختياره لافعاله وصنعه لها ، والى أن حسابه وجزاءه انما هو على فعله هو الذى قدمته يداه .. ووجود علم الله بالمطيع والعاصى لا يعنى ان هذا العلم هو الذى أوجد الطاعة والمعصية ، فالذى أوجدها هو اختيار الفاعل لها .. فالله سبحانه « قد أحاط بكل شيء علمــا ، فعلم من سيطيعه ومن سيعصى ، ولكنه الحكم العدل ، فلم يكن ليجازيهم على سابق علمه فيهم ، الذى لا دخل لهم فيه ، بل جعل جزاءهم ــ بعد اقامة الحجة عليهم ــ بما يكون من اختيارهم ، ليكون جزاؤهم على ما عملوا وما قدمت أيديهم .. فلا يصبح أن يحتج بالقدر فى الذنوب ، لان حجة الله قائمة على الخلق بالتمكن والاختيار والدلالة الفطرية والدلالة الشرعية ، لقوله تعالى : (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم . ما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يخرصون) .. » (٤٤) .. » .

● ووقف « ابن باديس » الى جانب (المعتزلة) ــ وتبع فى ذلك محمد عبده أيضا ــ فى القول بأن العقل الانسانى يدرك ، ذاتيا ، الحسن والقبح ، ويميز ما بين الحسن والقبيح ، دون أن يكون ذلك وقفا على الادلة النقلية والنصوص (٤٥) .

وهكذا اتخذ موقفا سلفيا معتدلا ومستنيرا ، واقترب الى حد ما من بعض مواقع (المعتزلة) ، الفكرية ، وكان فى كل ذلك مستجيبا لاحتياجات عصره ووطنه ، ناظرا فى تعاليم الاسلام وملء قلبه وعقله هذه الاحتياجات .

أكثر من مفكر

على أن عظمة « ابن باديس » وعبقريته لم تكن أبدا مقصورة على ما قدم من أفكــار فى الاصلاح الدينى ، وآراء فى التعليم العربى . وانما كان مرجع هذه العظمة والعبقرية الى أن الرجل قد كان مناضلا من الطراز الاول فى سبيل تنفيذ هذه الافكار والآراء فى ظــروف غـاية فى الصـــعوبة والقسوة ، هى تلك التى صنعها المستعمرون الفرنسيون بالجزائر على عهد « ابن باديس » .

[٤١] المرجع السابق ص ١٢٠ ، ١٢١ [نقلا عن مقدمة تفسير ابن باديس ص ٢٨ ــ ٣٢] .
[٤٢] المرجع السابق ص ٥٧ .
[٤٣] المرجع السابق ص ٩٧ .
[٤٤] المرجع السابق ص ١٠٥ [نقلا عن تفسير ابن باديس ص ٣٨١ ، ٣٨٢ وكتاب العقائد الاسلامية ص ٥٩] .
[٤٥] المرجع السابق ص ١٠٨ ، ١٠٩ [نقلا عن تفسير ابن باديس ص ١٤٢ ــ ١٤٤] .

وحتى ندرك أهمية هذه الملاحظة يكفى أن نعلم ان بعض آراء « ابن باديس » هذه ، وبالذات الاعتماد على التعليم كسبيل للتحرر الوطنى ، قد سبقه اليها « محمد عبده » فى مصر ، ولكنها من سلبيات فكر الاستاذ الامام ، حسبت عليه لاله ، لانهامكنت المستعمر وعميده« كرومر » من أن يضم الرجل الى القوى التى يعتمد عيها ، والتى تؤيده ، ومن أن يتخذ منها سلاحا ضد أصحاب المواقف الوطنية « الثورية » فى ذلك الحين ، ولقد كان موقف « محمد عبده » هذا موضع نقد الكثيرين ، وفى مقدمتهم استاذه « جمال الدين الافغانى » ، الذى قال له : « انما انت مثبط ؟ ! » وعجب من موقفه المهادن للانجليز ، وكيف لم يؤلف « من تلاميذه ، مثل « سعد زغلول » واخوانه .. عصبة حق تصدم باطل الانكليز » (٤٦) ، فهذا الذى كان موقفا ــ من محمد عبده ــ متهادنا مع المستعمر الانجليزى فى مصر كان نفسه موقفا ثوريا من « ابن باديس » فى الجزائر لاختلاف الظروف والملابسات ، ومن هنا كانت كثير من مواقف « ابن باديس » ، وآراؤه تبدو عادية اذا ما نظر اليها بمعزل عن ظروف الوطن الجزائرى الذى عاش فيه تحت القبضة الساحقة للمستعمرين الفرنسيين . وكانت حياة هذا الرجل الفكرية برمتها غير ذات أهمية كبرى اذا ما أخذت بمعزل عن مواقفه السياسية النضالية ضد الفرنسيين .

● فالرجل كان يتخذ من القرآن مدرسة يعلم فيها الناس النضال والصبر على المكاره فى اثناء هذا النضال ، فيكتب فى تفسير قول الله سبحانه : (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور) (٤٧) يقول : ان « دفع الله يكون باسباب وأنواع ، وعلى وجوه تختلف بسبب الحكمة ، ولا تخلو كلها من دفاع ، فان ما يصيب المؤمنين فى أفرادهم وجماعاتهم هو ابتلاء يكسبهم القوة والجلد ، ويقوى فيهم الصبر والثبات ، وينبههم الى مواطن الضعف فيهم ، وناحية التقصير منهم ، فيتداركون امرهم بالاصلاح والمتاب ، فاذا هم بعد ذلك الابتلاء أصلب عودا وأطهر قلوبا ، وأكثر خبرة وأمنع جانبا . وان فى صبر الصابرين منهم ، وقد نزل بهم البلاء الذى لايقدر على دفعه والظلم الذى لا يقدر على ازالته ، لبعثا للقوة فى نفس غيره ممن يأنس به ، وضعفا فى قلب ظالمه ، وفى كليهما دفع من الله للمؤمنين » . (٤٨) .

● والرجل كان صاحب موقف ثورى ضد الاستعمار الفرنسى .. ولقد تصاعد بهذا الموقف الثورى بتصاعد قوة القاعدة والتنظيم الذى اسسه واقامه ورعاه ، كما كان يدعو الجميع أن يسلكوا مثله هذا المسلك الثورى ، وأن ينفخوا مثله « روح الاجتماع الثورى فى كل ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم حتى لا يستبد بهم مستبد .. » (٤٩) .

ونحن لو ذهبنا نستقصى مواقف الرجل الثورية ضد السلطة الفرنسية المستبدة لطال بنا المقام والمقال ، ولذلك نكتفى بعدد من الامثلة ذات الدلالة فى هذا المجال .. مثل :

١ ــ رد الفعل العنيف الذى حدث من جانب الفرنسيين عند قيام « ابن باديس » بتأسيس (جمعية العلماء) ، فلقد أصدر سكرتير الامن العام بالجزائر تعليماته بمراقبة العلماء مراقبة دقيقة ، ورصد تحركات « ابن باديس » .. وحرم على غير رجال الدين الرسميين الموالين للسلطة ممارسة الوعظ بالمساجد أو القاء خطبة الجمعة بها وحرم على أعضاء الجمعية فتح المدارس وممارسة التعليم فى « الكتاتيب » ؟! . وذهب الامر بسكرتير الامن العام هذا ــ وهو فرنسى طبعا ــ الى أن عين نفسه رئيسا للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالجزائر ، حتى يباشر بنفسه مواجهة خطر « ابن باديس » وجمعية العلماء ؟! .

٢ ــ فى سنة ١٩٣٦ م ، عندما حكمت فرنسا حكومة « الجبهة الشعبية» انتعشت الامال لدى دعاة الاندماج الجزائريين فى تحقيق مساواتهم بالفرنسيين واندماجهم فيهم على قدم المساواة . ولكن « ابن باديس » ظل على عدائه لهذا الاندماج ، ودعا الى تأسيس (المؤتمر الاسلامى الجزائرى) من كل الاتجاهات والاحزاب ،فانعقد المؤتمر فى ٧ يونيو سنة ١٩٣٦ م ، ولم يشأ « ابن باديس » أن يكون العلماء أعضاء فيه ، فحضروه كمراقبين ، وذلك حتى تكون لهم حرية الحركة اذا ما تغلبت أصوات دعاة الاندماج .. وتحقق ظن « ابن باديس » ، فاحتفظ العلماء لانفسهم بحرية الحركة

---

[٤٦] الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى ص ٤٧٩ . وانظر تقديمنا للجزء الاول من الاعمال الكاملة للامام محمد عبده ، الفصل الخاص بفكره السياسى والفصل الخاص باصلاحه للتربية والتعليم
[٤٧] سورة الحج : ٣٨ .
[٤٨] الامام ابن باديس ص ١١٣ نقلا عن تفسير ابن باديس ص ٤٥٣
[٤٩] المرجع السابق ص ٣٦ نقلا عن تفسير ابن باديس ص ٢٢٣

فى سبيل الاستقلال عندما وقفت أغلبية المؤتمر الى جانب الاندماج .

٣ - فى ١٨ يونيو سنة ١٩٣٦ م سافر الى باريس وفد يمثل (المؤتمر الاسلامى الجزائرى) ، ولقيهم « دلادييه » وزير شـئون الجـزائر فى الحكومة الفرنسية ، الذى هدد أعضاء الوفـد بقوله : « ان لدى فرنسا مدافع طويلة » !! فتصدى له « **ابن باديس** » قائلا : « ان لـدينا مـدافع أطول ؟ ! » . فتساءل « **دلادييه** » عن أمر هـذه المدافع الاطول التى تحدث عنها هذا الشيخ ؟ ! فأجابه الرجل : « انها مدافع الله ؟ ! » . وبالطبع سخر الوزير الفرنسى ، وما كان يدرى يومئذ أن اصدق الاقوال التى قيلت يومئذ وأكثرها واقعية ومطابقة للحقيقة انما كان هذا القـول الذى قاله « **ابن باديس** » ، **والذى كان يرمز به الى** القوة الجديدة التى أخذت تتحرك فى الجزائر ضد الاستعمار .

٤ - وشهدت سنة ١٩٣٧ م ، تزايد حرارة المواقف الثورية « **لابن باديس** » ، وذلك تبعا لتزايد قوته واقترابه من بلوغ الحد الذى أراده لهذه الكتيبة المناضلة التى سهر على تكوينها منذ نحو ربع قرن من الزمان . .

أ - فعندما أراد الفرنسيون الاحتفـال بمرور قرن على احتلالهم لمدينة « قسنطينة » - بلد « **ابن باديس** » - أصدر الرجل فى ٢٨ سبتمبر منشورا باسمه ، طلب فيه من الاهالى مقاطعة هـذه الاحتفالات .. واستجاب له الشعب ، وفشـلت احتفالات الفرنسيين .

ب - ووجه الى الامـة نداء يدعوها فيه الى المقاومة السلبية حتى تسلم السلطات الفرنسية بمبدأ مساواة الجزائريين مـع المسـتوطنين الفرنسيين فى المجالس النيابية بالجزائر ، وقال فى هذا البيان : « حرام على عزتنا القومية وشرفنا الاسلامى أن نبقى نترامى على أبواب برلمان أمة ترى ، أو ترى أكثريتها ، ذلك كثيرا علينـا !! ويسمعنا كثير منها فى شخصيتنا الاسلامية ما يمس كرامتنا ويجرح أعز شىء لدينا ، **لندع الامة الفرنسية ترى رأيها فى برلمانها ، ولنتمسك - عن ايمان وأمل - بشخصيتنا ، ولنطالب بالمساواة التامة فى جميع الحقوق فى وطننا** ، وأولهـا المساواة فى المجالس النيابية » .

جـ - وكان خطر الحزب قد اقترب من فرنسا ، فسعت حكومتها الى الحصول على المسـاندة والتأييد ، وطرقت لذلك أبـواب (جمعيـة العلمـاء) بواسـطة أحـد أعضـاء الجمعية - الشـيخ « **العقبى** » - وأيد « **العقبى** » فى ارسال برقية تأييد للحكومة الفرنسية ثلاثة من أعضاء الجمعية ، فرفض « **ابن باديس** » ومعـه أغلبية الاعضاء ، وقال « **ابن باديس** » يومها : ان الاغلبية لو وافقت لقدمت استقالتى ، واننى لن أوقع هذه البرقية حتى لو قطعوا عنقى ؟ !

د - وأطـلق « **ابن باديس** » **على يـوم** افتتاح (**جمعية العلماء**) **لمؤسسة** « **دار الحديث** » التعليميـة « بتلمسان » « يوم عيـد النهضـة الجزائرية » ، وذلك تعبيرا عن اقتراب الثمرة التى عمل لها من النضج والاستواء ، وفى خطابه فى ذلك اليوم - ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٧ م - قال عن هذه النهضة : انها سلام على البشرية « لا يخشاها النصرانى لنصرانيته ، ولا اليهودى ليهوديته ، بل ولا المجوسى لمجوسيته ، ولكن يجب ، والله ، أن يخشاها الظالم لظلمه ، والدجال لدجله ، والخائن لخيانته !! » **وفى هذه الكلمة حدد** « **ابن باديس** » **أعداء هـذه النهضـة وهـم** « **الظلمة** » (**المستعمرون**) ، و « **الدجالون** » (**الطرقية**) ، و « **الخونة** » (**دعاة الإندماج**) .. وأهم من ذلك ، فانه أعلن أن هذه النهضة قد بلغت الحد الذى يخشاها فيه هؤلاء الاعداء ؟ !

٥ - وفى سنة ١٩٣٨ م ، نرقب من خلال أحاديث « **ابن باديس** » أن الحركة التى صنعها وقادها قد انتقلت الى طور جديد ، فهو يقول : **اننا قد « استطعنا أن نعلن عن وجودنا ، وأن نخيف بعد أن كنا نخاف** » . كما أعلن أن (جمعية العلماء) لن تلجأ بعد اليوم الى ما كانت تلجأ اليه من قبل من الشكوى الى السلطات الفرنسية من الاعمال التى تقوم بها هذه السلطات ، مباشرة أو بواسطة العملاء ، فيخطب الرجل ، ويقول هذه الكلمات ذات الدلالة : « أيها الاخوان .. فنحن مع بقائنا على جميع ما قلنا وبينا ، واستمرارنا فى موقفنا كما كنا ، لا نريد اليوم أن نرفع شكوانا ولا ان نقدم احتجاجنا ، وحسبنا هذه **السنة السكوت** ، وكفى بالسكوت احتجاجا عند مـن عـرف وأنصف » ، ثم يتحدث عن تضحيات (**جمعية** العلماء) فتدلنا كلماته على المستوى النضالى الذى بلغته الحركة فى ذلك العام ، فهو يخاطب مؤتمر الجمعية فيقول : « أما بعد .. فسلام عليـكم يا أعضاء (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) أجمعين .. **وسلام على مساجينكم فى المساجين ، وسلام على متهميكم فى المتهمين ، وسلام على منكوبيكم فى المنكوبين .. سجون واتهـامات ونكبات .. ثلاث لا تبنى الحياة الا عليها ، ولا تشاد الصروح السامقة للعلم والفضيلة والمدنية**

الحقة الا على أسسها ‥ فاليوم ـ وقد قضى الله للجمعية بهذه الثلاث ـ اثبتت الجمعية فى تاريخ الإسلام وجودها ، وسجلت فى صحيفة الخلود رسمها ، ونقشت فى قلوب أبناء المستقبل اسمها ، وبرزت فى ذلك كله أسماء المسجونين والمتهمين والمنكوبين نجوما متألقة تأخذ بالابصار ‥ » (٥٠) .

ومنذ ذلك التاريخ وهذه الكتيبة المؤمنة التى صنعها « **ابن باديس** » تقدم العديد من النجوم المتألقة ، وترتفع بهاالى سماء النضال :مسجونين ومتهمين ومنكوبين ‥ حتى جاء الوقت الذى فتحت فيه هذه الكتيبة أذرعها لجيل جديد من الثوار قاد ثورة الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤ م ، التى حققت حلم « **ابن باديس** » وطبقت خطته التى بدأها سنة ١٩١٣ م ، حققتها فى سنة ١٩٦٢ م ، بعد قرن وثلث القرن من الاحتلال الوحشى ، ومحاولات الابادة لهذا الشعب العربى الصابر المناضل العنيد .

حياته فى سطور

● يرتفع نسب أسرته الى « **المعز بن باديس الصنهاجى** » ، مؤسس الدولة « **الصنهاجية** » ، التى حكمت مملكة « القيروان » فى شمال أفريقيا بعد دولة « الاغالبة » ‥ ولقد اشتهرت أسرته بمكانتها العلمية والادبية والمالية فى مدينة « قسنطينة » الجزائرية ، وكان والده من الشخصيات ذات الاحترام عند السلطات الفرنسية فى الجزائر .

● ولد بمدينة « قسنطينة » فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٩ م وعاش حتى ١٦ أبريل سنة ١٩٤٠ م ، حيث توفى فى ظروف غير طبيعية ، دعت البعض الى القول بأنه قد مات مسموما ؟! .

● كانت له ثروة استعان بها فى حياته النضالية ‥ وكانت جهوده أعظم من بنيته الضعيفة ، وعوضت الفرق بينهما ارادة شديدة الصلابة والتصميم .

● درس اول ما درس فى « قسنطينة » علوم اللغة العربية والاسلام ، ثم رحل ـ وهو فى التاسعة عشرة من عمره (سنة ١٩٠٨ م) ـ الى جامعة « الزيتونة » ـ رغم أنه لم يكن يستسيغ منهج التدريس بها ـ وفيها أخذ العلم عن كثيرين فى مقدمتهم الشيخ « **محمد النخلى** » والشيخ « **طاهر بن عاشور** » .

● من شيوخه الذين درس عليهم بالجزائر الشيخ « **حمدان الونيسى** » الذى أخذ على « **ابن باديس** » عهدا ألا يعمل موظفا بالحكومة فى يوم من الايام ؟! وظل « **ابن باديس** » يأخذ هذا العهد على من يتخير من التلاميذ والمريدين فيما بعد ؟! ‥

● سافر الى الحجاز سنة ١٩١٢ م ، وكان قد سبقه ـ مهاجرا اليها ـ شيخه « **حمدان الونيسى** » ، فالتقى به فيها ، وتتلمذ هناك ايضا على الشيخ « **حسين أحمد الهندى** » ‥ وفى رحلته الحجازية هذه عرض على مشايخه أمر بقائه فى الحجاز أو عودته الى الجزائر ؟ فأشار عليه « **الونيسى** » بالاقامة الدائمة فى المدينة المنورة ، بينما نصحه الشيخ « **حسين أحمد الهندى** » بالعودة الى وطنه ، والاجتهاد فى خدمة القضية التى تشغل باله ـ خدمة العروبة والاسلام ـ بقدر ما يستطيع . ووافق هذا الرأى ميله ورغبته ، فقد كان عزوفا عن هجر الوطن والهجرة منه ، وقال : « **نحن لا نهاجر ، نحن حراس الاسلام والعربية والقومية فى هذا الوطن** ‥ » .

● فى المدينة المنورة ، وقبل العودة الى الجزائر ، أخذ يفكر فى الخطوط العريضة لرحلته النضالية بعد العودة الى الجزائر ، وفى لقاءاته فيها بالشيخ « **البشير الابراهيمى** » اتفقوا على ضرورة تربية جيل من العلماء والمثقفين ينهض بمهمة اعادة الجزائر الى « العروبة والاسلام والقومية » ‥ جيل يمتلك « فكرة صحيحة ولو مع علم قليل » ، وكتيبة لمهمة محددة هى مهمة وضع الوطن الجزائرى على الطريق الى الاستقلال ، وتسليمه لجيل جديد يواصل رحلة النضال .

● عاد الى الجزائر سنة ١٩١٣ م ، وقضى ثمانية عشر عاما فى اعداد العدة وتكوين النواة التى تبلورت فى قيام (**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**) فى ٥ مايو سنة ١٩٣١ م ‥ التى نضج تيارها الفكرى وولد هيكلها التنظيمى من خلال لقاءات المثقفين الجزائريين فى (نادى الترقى) بالعاصمة ، فتكونت بعد مؤتمر ، حضره علماء الجزائر وفقهاؤها ، دام أربعة أيام ، وانتخب « **ابن باديس** » ـ فى غيابه ـ رئيسا لها

(٥٠) المرجع السابق ، ص ٢٨ ـ ٣٤ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١٦ ، ١٠٠ ، ١٤٠ .

•• وكان قيامها هو الرد الجزائرى العربى الاسلامى على الاحتفالات الصاخبة المجنونة التى أقامها الفرنسيون احتفالا بمرور قرن من الزمان على بدء احتلالهم للبلاد .

● بعد عودة « ابن باديس » للجزائر نهض بتنفيذ برنامج تعليمى وتثقيفى واصلاحى كبير .. فكان يلقى « بقسنطينة » دروسه فى « مسجدسيدى قموش » وفى « الجامع الكبير » ، وعندما منعته الحكومة الفرنسية سنة ١٩١٤ م من التدريس فى « الجامع الكبير » . تحول الى التدريس فى « الجامع الاخضر » . وكان التدخل الفرنسى هذا بناء على طلب « المفتى » الموالى للفرنسيين .

وكانت دروسه فى « مسجد سيدىقموش » تبدأ بعد صلاة الفجر .. ثم يقضى النهار فى تعليم اطفال المدينة القرآن والعربية والدين .. وفى المساء تبدأ دروسه للكبار والكهول فى « الجامع الكبير » أو « الجامع الاخضر » .. وكثيرا ما كان يسافر بعد الفراغ من دروسه الليلية - فى برنامج أسبوعى شبه منتظم - بدروسيلقيهافى « الجزائر العاصمة » و « وهران » و « تلمسان » .

● من سنة ١٩١٣ م حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ م كانت قد تكونت من حوله مجموعة من التلامذة والمريدين والانصار بلغت الالف عددا ؟! .. كل ذلك بواسطة التعليم واللقاء المباشر ، فلقد كان الرجل يتحدث عن نفسه بأنه **لا يؤلف الكتب وانما يريد صنع الرجال ؟!**

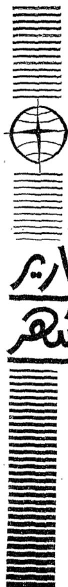
● كان اعتماد فرنسا الاساسى على رجال الطرق الصوفية (الطرقية) ورجال الدين الرسميين .. ولقد بدأ « ابن باديس » حملته العلنية ضد الطرق الصوفية سنة ١٩٢٥ م ، وبسببها تعرض للاغتيال فى سنة ١٩٢٧ م وهو عائد الى بيته فى منتصف الليل ، بعد فراغه من القاء درسه فى تفسير القرآن ، ولكن المحاولة فشلت ، وألقى القبض على الجانى بواسطة أعوان « ابن باديس » .. ولكنه عفا عنه .

● كان يقول الشعر ويضمنه أفكاره السياسية ، وشاعريته متوسطة الجودة اذا قيست بمقاييس العربية بالجزائر فى ذلك التاريخ .

● منذ سنة ١٩٢٥ م بدأت مشاركته فى العمل الصحفى ، فشارك فى تأسيس جريدة (النجاح) ثم تركها .. وفى سنة ١٩٢٦م ، أصدر جريدة (المنتقد) وتولى رئاسة تحريرها ، ولقد الغتها الادارة الفرنسية بعد أن أصدر منها ثمانية عشر عددا فقط ؟! .. وبعد الغائها أصدر (الشهاب) فى لهجة أخف من لهجة (المنتقد) مع اهتمام أكثر بالجوانب الدينية ، والتزام بخطه الفكرى الذى لا يحيد عنه .. وكانت (الشهاب) فى البدء أسبوعية ، ثم صارت تصدر شهرية ، واستمر يصدرها حتى وفاته سنة ١٩٤٠ م . كما أصدر صحفا أخرى لم تعمر طويلا ، بسبب اضطهاد الفرنسيين لها ، مثل (الشريعة) و (السنة المحمدية) و (الصراط) .

● كان « ابن باديس » سلفيا ، يرى فى الاسلام - كما يتمثل فى منابعه النقية الاولى - طوق النجاة للجزائرمن الشعوذة والخرافة التىصارت عقيدة الطرق الصوفية ورجال الدين الرسميين ، الذين أصبحوا خدما للاستعمار الفرنسى .. وهو يعد الامتداد الجزائرى لمدرسة « جمال الدين الافغانى » و « عبد الرحمن الكواكبى » و « محمد عبده » مجتمعين .. ولقد أكمل للقرآن تفسيرا نهج فيه نهج الشيخ « محمد عبده » فى التفسير ، وأسماه (مجالس التذكير) ..

● جمع الاخوة الجزائريون كتاباته ، وطبعت أخيرا فى أربعة مجلدات .. طبعتها دار الحياة فى بيروت .



● جمهورية مصر العربية ●

كـــادر جـــديـــد لرجـــال القضاء والجامعات والخريجين

● اليمن ●

لحســـاب من يدور القتـــال ؟

● فرنســـا ●

عـدوى التضـــخم أصـــابت مؤتمـــــر القمـــة الاوربى

● المانيـــا الغربيـــة ●

هل يغلق الانفتاح على الشرق الطـــريق أمـــام برانت ؟

تقارير خاصة

الذكرى الثامنة لثورة اكتوبر السودانية

رسالة شيلى

شيلى بين فكر كسارة البندق

■ جمهورية مصر العربية

الدورة الخامسة لمجلس رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية

اجتمع الرؤساء الثلاثة أنور السادات ومعمر القذافي وحافظ الاسد فى القاهرة فى اليوم الخامس والسادس من اكتوبر ١٩٧٢، وقد بحث الرؤساء الثلاثة التطورات الاخيرة للموقف السياسى والعسكرى.
كما بحث الاجتماع : ١ - مشروع الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا وعلاقته بدولة الاتحاد الثلاثى .
٢ - دعم الاتحاد الثلاثى باتخاذ خطوات أكثر تقدما على طريق وحدة الدول الثلاث .

وانتهى الاجتماع باتخاذ مجلس الرئاسة لمجموعة من القرارات :

أولا : قرر المجلس معاملة رعايا ألمانيا الغربية فى جمهوريات الاتحاد وفق مبدأ المعاملة بالمثل ، وذلك بعد أن تمادت سلطات ألمانيا الغربية فى سوء معاملتها للمواطنين العرب على جميع المستويات فى الوقت الذى تتجاهل فيه ألمانيا الغربية جرائم السلطات الصهيونية ضد المواطنين العرب والابرياء فى الوقت الذى تتجاهل فيه ألمانيا الغربية جرائم السلطات الصهيونية ضد المواطنين والابرياء لا سيما ذبح الاطفال والنساء والشيوخ .

ثانيا : كلف المجلس الرئيس أنور السادات باتخاذ كل الاجراءات اللازمة لعلاج الوضع القائم بين جمهوريتى اليمن الشمالية واليمن الجنوبية المتمثل فى القتال الناشب بين الاخوة العرب فى الجمهوريتين .

ثالثا : قرار بقانون بشأن كفالة حق العمل وممارسة المهن الحرة والحرف لمواطنى الاتحاد فى الجمهوريات الثلاث .

رابعا : قرار بقانون بشأن حق تملك الاراضى الزراعية والعقارات والاموال المنقولة لمواطنى دولة الاتحاد .

كما أقر المجلس مشروع الموازنة الاتحادية للسنة المالية ١٩٧٣ ، ومجمل الميزانية ٢٣ مليونا و٣٢٢ الف جنيه . وكذلك اقر المجلس على قرار بتنسيق التمثيل الدبلوماسى والقنصلى للجمهوريات الاعضاء ، ووافق المجلس على مبدأ انشاء مجلس أعلى للتخطيط الاتحادى ، وفى مقدمة المهام التى ستوكل لهذا المجلس اقتراح المجالات أو القطاعات و الامور التى ينبغى أن يتم فيها التوحيد أو التكامل او التنسيق داخل دولة الاتحاد .

●

كادر جديد لرجال القضاء والجامعات والخريجين

أعلنت فى بداية الشهر الماضى تفاصيل القوانين الجديدة ، والخاصة بتحسين اوضاع رجال القضاء واساتذة الجامعات والمعاهد العليا ، ثم القرارات الوزارية الاخيرة بزيادة مرتبات خريجى الجامعات والمعاهد العليا وحملة الشهادات الفنية المتوسطة .

وكان قد صدر فى شهر سبتمبر الماضى قرار جمهورى خاص بالحركة القضائية ، والتى شملت تعيينات وتنقلات وانتدابات بين ٥٤٧ من رجال القضاء والنيابة ، وتضمنت تعيين ١٣٢ وترقية ٧٨ وتنقلات بين ٢٤٨ وندب ٩٩ من رجال القضاء .

وقد استحدث القانون الجديد عدة قواعد ،منها: تقسيم وظائف القضاة ورؤساء المحاكم ومن فى حكمهم من رجال النيابة العامة الى فئتين « ا » و « ب » وأجاز ترقيتهم للكفاية الممتازة ولو لم يحل دورهم فى الترقية ممن أمضوا سنتين على الاقل فى وظائفهم . وتقدر هذه الكفاية على أساس حصولهم فى أخر تقديرين على درجة « كفء » ويتضمن الكادر الجديد للقضاة منحهم بدل قضاء وبدل تمثيل لا يخضعان للضرائب .

وتضمن القانون الخاص بالجامعات والمعاهد العليا كادرا جديدا يطبق على هيئات التدريس ، ويشمل بدلات وعلاوات دورية ، وتعالج مشكلة تاخر ترقيات هيئة التدريس ، كما يسرى الكادر الجديد على أعضاء هيئات التدريس بجامعة الازهر .

وسيتقاضى رئيس الجامعة وهو الاصطلاح الجديد لمدير الجامعة مرتب ٢٠٠٠ جنيه سنويا و ١٥٠ جنيها بدل تمثيل ، والعميد من ١٤٠٠ - ١٨٠٠ جنيه بالاضافة الى ٤٢٠ جنيها بدل جامعة و ٣٠٠ جنيه بدل خاص وبعلاوة ٧٥ جنيها ،ووكيل الكلية من ١٤٠٠ - ١٨٠٠ جنيه و ٤٢٠ جنيها بدل

جامعة و ١٨٠ جنيها بدل خاص وبعلاوة ٧٥ جنيها ، ورئيس القسم من ١٤٠٠ ـ ١٨٠٠ جنيه و ٤٢٠ جنيها بدل جامعة و ١٢٠ جنيها بدل خاص وعلاوة ٧٥ جنيها سنويا . والاستاذ مرتبه من ١٤٠٠ ـ ١٨٠٠ جنيه و ٤٤٠جنيها بدل وعلاوة ٧٥ جنيها ، والاستاذ المساعد من ١٠٨٠ ـ ١٤٤٠ جنيها وبدل ٣٢٤ جنيها وعلاوة ٦ جنيهات فى الشهر ، والمدرس من ٢٠ ٧ـ ١٤٤٠ جنيها و ٢١٦ جنيها بدل وعلاوة ٦ جنيهات فى الشهر ، والمدرس من ٧٢٠ ـ ١٤٤٠ جنيها و ٢١٦ جنيها بدل وعلاوة ٦ جنيهات فى الشهر ، والمدرس المساعد من ٤٨٠ ـ ٧٨٠ جنيها وبدل ١٤٤ سنويا وعلاوة سنوية ٣٦ جنيها ، والمعيد ٣٠٠ ـ ٧٨٠ جنيها وبدل ٩٠ جنيهات سنويا وعلاوة ٥ جنيهات شهريا ثم ٢٤ جنيها كل سنة بعد ذلك .

كذلك اصدر الرئيس **أنور السادات** فى اول الشهر الماضى ثلاث قرارات جمهورية بانهاء جميع الاوضاع الخاصة بالحراسات وتحدد قواعد تصفيتها نهائيا ، ويطبق القرار الاول على الحراسات التى فرضت قبل عام ١٩٦٤ ، والتى كانت تنص على أن تؤول الأموال الخاضعة للحراسة فيها الى الدولة ، وأن يعوض اصحابها بسندات على الدولة بحد أقصى قيمته ٣٠ الف جنيه ، وكانت هذه السندات تستحق فى سنة ١٩٧٩ وبفائدة قدرها ٤ فى المائة سنويا وتبلغ القيمة التقديرية التى تستحق لهاحوالى ١٤مليون جنيه .

وتقضى قواعد تصفية هذه الحالات بأن تؤول تلك السندات الى بنك ناصر الاجتماعى ، وأن يقرر لهم معاش مجز يقرره وزير الخزانة يراعى فى كل حالة منها قيمة السندات وغيرها من الاعتبارات ـ والقرار الثانى وهو خاص بالحالات التى فرضت فيها الحراسة بعد عام ١٩٦٤ ، وهى التى عرفت باسم (حراسة الامن) وسيقوم المدعى الاشتراكى بدراسة كل حالة منها والبت فيها ، وكان قد سبق تصفية أوضاع عدد كبير من هذه الحالات وقد

ذكرى الفرنسى الذى أحب مصر من أعماقه

احتفلت فرنسا فى شهر أكتوبر الماضى بذكرى مرور مائة وخمسين عاما على الرسالة التى بعث بها **شامبليون** الى أكاديمية المخطوطات والفنون الجميلة والتى عرض فيها المبادىء الاساسية لحل طلاسم اللغة الهيروغليفية .

وقد ولد **جان فرانسوا شامبليون** فى مدينة **فيجياك** فى ٢٣ ديسمبر عام ١٧٩٠ ، وأمضى طفولته فى كيرس بوسط فرنسا ، ثم بدأ دراسته فى جرينوبل ، وكان طالبا فريدا ، فقد بدأ ، وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، فى دراسة اللغات والكتابات الشرقية ، مثل اللغة العبرية ، واللغة السريانية ، واللغة القبطية . ولكن كانت مصر القديمة هى التى استحوذت على اهتمام الشاب ، وقال شامبليون فى ذلك الوقت : « **أريد أن أقوم بدراسة جديدة وعميقة عن هذه الامة ، فليس هناك من كل الشعوب التى أحبها شعب تعادل محبته الحب الذى يحتله المصريون فى قلبى** » .

وفى عام ١٨٠٧ قدم شامبليون ، الذى لم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، الى اكاديمية جرينوبل ، دراسة عن اسماء الاماكن التاريخية فى مصر ، ولما ذهب الى باريس بدأ يدرس اللغة العبرية ، واللغة الكلدانية ، واللغة العربية ، واللغة الحبشية ، وقد تعمق فى دراسة اللغة القبطية ، وقد افترض ، وهو الافتراض الذى ثبت فيما بعد ، أن لغة الاقباط فى مصر هى امتداد للغة مصر القديمة .

وقد أبعد عالم الآثار المصرية الشاب عن باريس ، فى عهد أسرة البوربون ، للاشتباه فى ميوله السياسية . الا أنه بعث بعدة دراسات عن الخط الديموطيقى الى أكاديمية المخطوطات ، وهو الخط الشعبى الذى استخدمه المصريون القدماء فى حياتهم اليومية .

وفى ٢٧ سبتمبر عام ١٨٢٢ قرا امام الاكاديمية بحثه عن « **الاصوات الهيروغليفية واستخدامها فى الكتابات على الآثار المصرية** » .

وقررت الاكاديمية صحة هذه الاكتشافات ، وطلبت من الحكومة طبع كل أعمال شامبليون عن الكتابات المصرية على نفقتها .

وفى عام ١٩٢٨ ، توجه شامبليون الى مصر لاول مرة ، وتأكد أنه ليس هناك أى تعديل يمكن ادخاله على رسالته الخاصة « بالابجدية الهيروغليفية » .

وفى أواخر عام ١٨٣١ اصيب بشلل فى المخ ، وتوفى فى ١٤ مارس عام ١٨٣٢ وعمره ٤٠ سنة .

وفى الحفل الذى اقامته أكاديمية المخطوطات

تبقى منها ١٢٣ حالة ، تقرن احالتها جميعا الى المدعى الاشتراكى للدراسة ، على أن ترفع الحراسة والاثار المترتبة عليها بالنسبة للحالات التى لا يتضح سبب حقيقى لفرضها واحالة باقى الحالات الى محكمة الحراسة التى ينص القانون على عدم فرض أية حراسة الا بحكم منها ـ كما يقضى القرار الثالث بالغاء جهاز الحراسات العامة ونقل اختصاصاته الى وزارة الخزانة ٠

ويسرى العمل بتنفيذ القوانين الخاصة برجال القضاء وأعضاء هيئات التدريس ، وقوانين تصفية الحراسات ابتداء من أول شهر اكتوبر الماضى ٠

وقد أعلن عن القرارات الخاصة بزيادة مرتبات خريجى الجامعات والمعاهد العليا وحملة الشهادات الفنية والمتوسطة ضمن الحديث الشهرى للدكتور **عزيز صدقى** رئيس الوزراء ، وتقضى برفع مرتب خريجى الجامعات من ٢٠ الى ٢٥ جنيها (ويستفيد من هذا القرار ١٢٠ الف موظف) ، وحملة الشهادات الفنية المتوسطة الزراعية والصناعية والتجارية من ١٢ الى ١٥ جنيها (ويستفيد من هذا القرار ١٢٠ الف موظف) وتعيين حملة الفنية فوق المتوسطة بمرتب ١٧ جنيها (ويستفيد من هذا القرار ٣٠ ألف موظف) وقد تقرر البدء بتنفيذ هذه القرارات من اول يناير القادم مع بدء الميزانية الجديدة لعام ١٩٧٣ ٠

وأوضح رئيس الوزراء أن هذه القرارات للعاملين فى القطاع العام ولهيئات التدريس بالجامعة وللقضاء ، وانه كان من الضرورى أن تشمل فئات الخريجين الجدد ٠ وسوف تتحمل الدولة هذه الاعباء المالية بفضل الزيادة التى تحققت فى الانتاج فى السنة المالية الاخيرة ، وتبلغ قيمة هذه الزيادة فى الانتاج الصناعى بـ ١٠٩ ملايين جنيه ، والزيادة فى محصول القطن بما قيمته ٢٨ مليون جنيه ، كما أعلن رئيس الوزراء عن قرارات أخرى وأبرزها اقامة ١٠ آلاف وحدة سكنية لطلبة الجامعات ، وانشاء مستشفى خاص لعلاج الطلبة تبلغ تكاليفه نصف مليون جنيه فى كل جامعة من الجامعات .

والفنون الجميلة فى شهر أكتوبر الماضى فى باريس ، تحدث رئيس الجمعية الفرنسية لعلوم الاثار المصرية ، وعضو الاكاديمية عن الكيفية التى نجح بها شامبليون فى حل رموز حجر رشيد الذى عثر عليه ضابط فرنسى فى رشيد ، وقد نقش على الحجر نص واحد ـ باللغة اليونانية ، واللغة الديموطيقية ، واللغة الهيروغليفية ـ لرسوم أصدره فى عام ١٩٥ قبل الميلاد ، مجمع الكهنة فى ممفيس ، ففى بداية القرن الحادى عشر قبل الميلاد كان من الضرورى أن تذاع البيانات بلغات وكتابات عديدة ٠

ولم يشهد شامبليون حجر رشيد على الاطلاق ، ولكنه كان يملك نسخة منه ، وفى عام ١٨٢١ عندما الغى الكرسى الذى كان يشغله فى جامعة جرينوبل ،أقام فى باريس لدى شقيقه ، واذ توفر له الوقت ، أخذ يفحص الافتراضات التى كانت لديه حول اسم كليوباترا ٠ فالصورة الديموطيقية (الخط الشعبى الذى استخدمه المصريون القدماء) لهذا الاسم توفرت له فى مخطوط كتب باللغتين الديموطيقية واليونانية من مخطوطات المكتبة الملكية ٠٠٠ وتعين عليه بعد ذلك أن يعثر على الشكل الهيروغليفى لاسم كليوباترا الذى لم يقدمه له حجر رشيد ٠وقد حصل شامبليون على هذا الاسم المحفور على احدى مسلات معبد فيلة مما شجع شامبليون على حل نقوش أسماء الملوك الاخرين المدونة على حجر رشيد ، وفى ١٤ سبتمبر عام ١٨٢٢ قرأ شامبليون فجأة اسمى تحوت موزيس ورمسيس فصاح قائلا وفقا لما ترويه الاسطورة : «لقد وجدتها » وسقط فى غيبوبة ٠

وفى الحفل أشار بوزينير الاستاذ بالدوبيج دى فرانس الى **حل شامبليون لطلاسم الخط الهيرى(وهو خط هيروغليفى مبسط استخدمه كهنة مصر القدامى) وهو الاكتشاف الذى لم يلق أى اهتمام** ،وان كان يستحق الدراسة نظرا لما أسهم به فى اكتشاف أسرار اللغة الهيروغليفية . وثمة تساؤل يثور فى الختام ٠٠ الم يكن من المناسب أن تحتفل جمعياتنا التاريخية ، وجمعية الصداقة الفرنسية العربية ، واجهزة الاعلام بهذه المناسبة التى تتسم بأهميتها المشهورة فى تاريخ شعبنا ، وفى تاريخ الحضارة المصرية بصفة خاصة ؟

نبيل محمد ابو الفتوح

■ اليمن

لحساب من يدور القتال ؟

شغلت أنباء القتال على الحدود بين دولتى اليمن خلال الفترة الاخيرة اهتمام المراقبين والرأى العام العربى ، خاصة وان هذه الحرب غير المعلنة رسميا ،لم تكن مفاجأة بالنسبة للجميع ،فقد سبق أن حذرت الصحافة الوطنية العربية من المؤامرات التى تحيكها الامبريالية الامريكية التى تسيطر على انتاج البترول فى شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج بالتعاون مع القوى الرجعية العربية ضد حركة التحرر الوطنى فى شبه الجزيرة العربية ، واسقاط النظام التقدمى فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، والعمل على دفع ابناء الشعب اليمنى فى الشمال الى مقاتلة أشقائهم فى الجنوب .

ومن الملاحظ أن الامور قد أخذت تسوء بين دولتى اليمن اللتان يتبع كلا منهما نظاما سياسيا مختلفا ، عقب اتفاق المصالحة بين الملكيين والجمهوريين بعد حرب استمرت حوالى سبع سنوات ، وعودتهم الى اليمن الشمالية فى عام ١٩٧٠ . وقد عادت معهم أيضا فلول الثورة المضادة المطرودة من اليمن الجنوبية بعد الاستقلال من السلاطين السابقين وحزب رابطة الجنوب والعسكريين بزعامة العقيدحسين **العشال** وجماعة **عبد القوى مكاوى وقحطان** الشعبى ، حيث أخذوا يمارسون نشاطهم ضد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية من داخل حدود اليمن الشمالية . وقد سبق أن احتجت حكومة عدن فى الجنوب على حكومة صنعاء بسبب هذا النشاط العدوانى ضدها ، والسماح للقوى المعادية للنظام فى الجنوب بفتح معسكرات فى الشمال لتدريب قوات المرتزقة استعدادا لشن الحرب ضدها ، والذين يجدون تشجيعا ومساندة من داخل اليمن الشمالية .

والمعروف أنه قد تم فى الفترة الماضية تشكيل حكومة منفى فى اليمن الشمالى أطلق عليها « **حكومة وحدة وطنية** » من رؤساء الوزراء السابقين أثناء الاحتلال البريطانى للجنوب ، والعقيد حسين العشال قائدا للجيش ،وكان قائدا للجيش فى الجنوب اثناء الاحتلال البريطانى ، وضمت هذه الحكومة كافة المجموعات اليمينية .

وقد نشرت مجلة « **الصياد** » اللبنانية فى ٥-١٠-٧٢ وثيقة هامة وهى عبارة عن رسالة تحمل توقيع أربعة مشايخ من زعماء القبائل واعضاء مجلس الشورى فى الشمال ، ومؤرخة فى ٢٩ يونيو ١٩٧٢ . وجاء فى الرسالة : « بعد عمل متواصل كان الغرض منه تصحيح الموقف وتوحيد الصف وتحقيق الهدف المنشود ، كان اجتماع ابناء اليمن الذين يمثلون المجاميع الموجودة من أبناء الجنوب ، مع عدد من أعضاء مجلس الشورى ، وبعد نقاش طويل ودراسة مستوفاة للموقف من جميع جوانبه كان وضع ميثاق وطنى تحت عنوان (الميثاق الوطنى للوحدة اليمنية) يتكون من عدة مواد الغرض منه اسقاط الحكم القائم فى الجنوب ، واقامة حكومة واحدة تستمد قوانينها ونظمها من تعاليم الشريعة الاسلامية الغراء ، وعلى رأسها مجلس جمهورى يتكون من خمسة أعضاء ، ومجلس تشريعى منتخب من جميع المحافظات ومحكمة دستورية تتكون من عدد من العلماء الشرعيين وذوى الكفاءات ، كما نص الميثاق على حصر الحزبية بجميع أشكالها » .

والجدير بالذكر أنه كان قد تم لقاء بين «**ويليام روجرز**» وزير خارجية الولايات المتحدة وزعماء المجموعات المضادة بمناسبة زيارة روجرز لليمن الشمالية واعلان حكومة صنعاء استئناف العلاقات مع الولايات المتحدة فى شهر يوليو الماضى ، وذلك بهدف تصفية الخلافات بين جماعات الثورة المضادة فى الجنوب وتوحيدهم حول قيادة عبد القوى مكاوى ، كما أعلن روجرز عن : « اهتمام الولايات المتحدة بالوضع فى اليمن الجنوبية ، وأمن واستقرار منطقة **الخليج وعمان** ومنع العناصر المخربة من النفاذ اليها وما يسمى بالنفوذ السوفيتى فى المنطقة) ، وعلى اثر مغادرة روجرز لصنعاء ، أخذت المعونات والاسلحة الامريكية تتدفق على اليمن الشمالية ، ومعسكرات تدريب قوات المرتزقة التابعة لحكومة مكاوى .

وقد اتهمت حكومة عدن قوات المرتزقة بقيادة **حسين العشال** ، وقوات القبائل بقيادة **الشيخ عبد الله الاحمر** ، وبعض وحدات جيش اليمن الشمالى بشن الحرب ضدها فى ٢٦ سبتمبر الماضى واستمر العدوان نحو ثلاثة اسابيع راح ضحيتها مئات القتلى والجرحى ، كما انتهزت القوات البريطانية المتمركزة داخل سلطنة عمان الفرصة وقامت هى الاخرى بشن الهجوم على اليمن الجنوبية متذرعة بالرد على إطلاق النار من داخل اليمن الجنوبية .

وقد بذلت لجنة الوساطة الخماسية التى تشكلت بتوصية من مجلس جامعة الدول العربية وتضم ممثلين عن مصر وسوريا والكويت والجزائر ولبنان جهودها لتسوية الخلافات بين البلدين الشقيقين ، وقد تحفظت كل من المملكة السعودية وسلطنة عمان وامارة قطر على مهمة اللجنة ، وكانت اللجنة تضم ممثلا عن ليبيا الا انه انسحب منها بناء على تعليمات من حكومته .

وقد أعلنت اليمن الديمقراطية موافقتها على جميع الشروط التى حددتها اللجنة العربية بوقف العمليات العسكرية ، وسحب الحشود من منطقة الحدود ، وعقد لقاء قمة بين رئيس الدولتين . وقد تم الاتفاق خلال الاجتماعات بين المسئولين فى دولتى اليمن فى مقر الجامعة العربية بالقاهرة ، على تشكيل لجان عسكرية مشتركة لمراقبة وقف اطلاق النار ، وسحب الحشود العسكرية للطرفين الى مسافة ١٠ كيلو مترات داخل اراضيهما ، كذلك وافقت دول المصالحة العربية على تشكيل قوة مشتركة رمزية للمساهمة فى أعمال مراقبة الحدود . هذا فى الوقت الذى تعترض فيه اليمن الشمالية على ذلك ، وتطالب بدلا منه بحث قضية اقامة الوحدة الفورية بين البلدين ، بينما ترى اليمن الديمقراطية انه لابد من وجود مرحلة انتقالية يتم خلالها توحيد النظام السياسى والاقتصادى والمالى فى كلا البلدين ، كما يتطلب من اليمن الشمالية اصدار قانون للاصلاح الزراعى وتأميم البنوك الاجنبية حتى تقوم الوحدة على أسس اجتماعية واحدة .

●

■ فلسطين

الشعب الفلسطينى بين النفى وحكومة المنفى

يجرى التركيز فى الوقت الحاضر ، فى اسرائيل ، على انكار حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره ، وتردد دوائر عمان الرسمية ، أصداء التصريحات الاسرائيلية بنفس الحماس .

ففى الثامن والعشرين من سبتمبر الماضى صرحت **جولدا مائير** ، رئيسة وزراء اسرائيل ، للتليفزيون البريطانى ، بانها لاترى امكانية حصول الفلسطينيين على وطن لهم «فليس هناك مكان لهم وليست هناك ضرورة لذلك » على حد تعبيرها ! وقد رحبت رئيسة وزراء اسرائيل باجراء مفاوضات مع الدول العربية ، فى حين رفضت اجراء مثل تلك المفاوضات مع الفلسطينيين « لانهم لا يستطيعون أن يقدموا لنا شيئا ، ونحن لا نستطيع أن نقدم لهم شيئا » .

وفى أول اكتوبر الماضى عينت **جولدا مائير** ، **الجنرال أهارون باريف** ـ الرئيس السابق للمخابرات العسكرية الاسرائيلية ـ مستشارا للمهام الخاصة لها . وأكدت الصحف الاسرائيلية أن مهمة باريف هى « تنسيق العمل ضد الفلسطينيين » .

وفى الثالث من الشهر نفسه قام **موشى ديان** ـ وزير الدفاع الاسرائيلى ـ بزيارة **جسر اللنبى** الذى يربط الضفة الغربية المحتلة بالضفة الشرقية للاردن ، وصرح ديان بأن السلطات الاسرائيلية تبحث رفع القيود المفروضة على العرب المقيمين فى الاراضى المحتله والراغبين فى زيارة الاردن ، واعرب عن توقعه منحهم جوازات سفر دائمة ، وطالب ديان لبنان بفتح حدوده للسياح الاجانب الاتين من اسرائيل ، اسوة بما يحدث فى الاردن .

وبعدها بيومين نشرت صحيفة **الفيجارو** الفرنسية حديثا لديان ، أكد فيه أن اسرائيل لن تتخلى عن الاراضى المحتلة ، وأعلن تمسك حكومته بوحدة مدينة القدس . وأنكر على الشعب الفلسطينى اقامة دولة له فى فلسطين مؤكدا عدم وجود « مكان لدولة جديدة فى الضفة الغربية » . وبذا يؤكد ديان ما كان قد صرح به قبل يوم واحد من حديثه هذا ، من أن حكومة فلسطين هى فى عمان واذا كانت هذه الحكومة لا تعجب الفلسطينيين ففى وسعهم أن يغيروها .

وفى نفس الاتجاه ، قال **شلومو هيلل** ، وزير الشرطة الاسرائيلى ، فى اجتماع لجنة **حزب العمل** فى تل أبيب ، ان « عاصمة الفلسطينيين لم تكن ولن تكون أبدا القدس » وأكد أن الاردن كانت وستظل دولة الفلسطينيين بعاصمتها عمان .

وظل راديو اسرائيل يردد طوال يوم السادس عشر من اكتوبر ما قاله **حاييم هيرتزوج** ـ المعلق العسكرى الاسرائيلى المعروف وقائد المخابرات الاسرائيلية السابق ـ من ان وجود الفدائيين « بحد ذاته استفزاز لا يحتمل » .

ووسط كل ذلك اقترح الرئيس انور السادات ـ فى الخطاب الذى القاه يوم ٢٨ سبتمبر ـ على المقاومة الفلسطينية تشكيل حكومة فى المنفى .. وفى الثانى من اكتوبر اجتمعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لبحث مسألة تشكيل

حكومة فى المنفى ، ووصل الى القاهرة وفد يمثل المقاومة الفلسطينية قابل الرئيس السادات يوم ٧ أكتوبر • وفى اليوم نفسه اصدر **خالد الفاهوم** ــ رئيس المجلس الوطنى الفلسطينى ورئيس الوفد المذكور ــ بيانا أوضح فيه ان الرئيس السادات كان يرمى باقتراحه كشف الاخطار المحدقة بالشعب الفلسطينى،وتأكيد حقه فى تقرير مواقفه والعمل على وحدة فصائله الوطنية لضمان مواصلة النضال •

●

الدورة الاستثنائية للمؤتمر العام لمنظمة العمل العربى

فى ١٩٦٥ اتخذ المؤتمر الاول لوزراء العمل العرب المنعقد فى بغداد قرارا بانشاء **منظمة العمل العربية** • وفى ١٩٧٠ أعلن عن قيام المنظمة ووقعت ثلاث عشرة دولة على « الميثاق العربى للعمل » وبمقتضى المادة الاولى من دستور المنظمة يكون لمنظمة العمل العربية شخصية اعتبارية ، وتعتبر وكالة متخصصة فى نطاق جامعة الدول العربية • وبمقتضى المادة الثالثة تحددت أهداف المنظمة بأنها : تنسيق الجهود العربية فى ميدان العمل ، توحيد التشريعات العمالية وظروف وشروط العمل فى الدول العربية كلما امكن دلك . القيام بالدراسات والابحاث العمالية الخاصة بتخطيط القوى العاملة ، وظروف وشروط للعمل للمرأة والاحداث ، المشاكل المتعلقة بالعمل فى الصناعة والتجارة والخدمات، مشاكل عمال الزراعة ، الامن الصناعى والصحه المهنيه ، الصناعات الصغيرة والريفية ، الثقافة العمالية ، التصنيف المهنى ، التعاونيات ، الكفاية الانتاجيه وعلاقتها بالتشغيل والانتاج . وتقديم المعونة الفنية فى ميدان العمل ، ووضع نظام للتأمينات الاجتماعيه لحماية العمال وعائلاتهم ، ووضع خطة التدريب المهنى ، وتنظيم حلقات تدريبية للعمال ، واعداد القاموس العربى للعمل •

وقد عقدت المنظمة دورة استثنائية لمؤتمرها العام فى القاهرة فى الفترة من ٢٥ ــ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٢ ، وقرر المؤتمر تعيين الدكتور **طيب الحضيرى** ــ جزائرى ــ مديرا عاما لمكتب العمل العربى . وقد تأجل انتخاب المديرين المساعدين لمؤتمر المنظمة ــ مارس ١٩٧٣ ــ كما قرر المؤتمر قبول فلسطين عضوا بالمنظمة •

وقد أعلن الدكتور طيب الحضيرى فى خطابه ــ بعض الخطوط الاساسية التى ستحكم عمل

تعليق

أين العدو الحقيقى ؟

لقد لاحظ الذين تابعوا باهتمام خطابات وتصريحات الرئيس انور السادات فى المناسبات السياسية المختلفة ، حتى خلال وبعد ايام الجفوة التى رافقت انهاء مهمة الخبراء السوفييت ودعوتهم للعودة الى بلادهم ــ لاحظوا بجد مدى حرص الرئيس على العلاقات المصرية السوفييتية ، وعلى اثبات ان الخلافات بين الاصدقاء هو خلاف فى وجهات النظر حول بعض قضايا رأى الرئيس من الافضل عدم التعرض لها بالتفصيل علنا ــ حتى لا يستفيد منها العدو .

وذلك بالتاكيد ادراكا من سيادته على ضوء مكتسباته من خلال الخبرة والتجارب أن قيام الخلافات بين اعضاء الاسرة الواحدة أمر عادى يمكن علاجه ولا يمكن استبعاده . والواقع أن الخلافات والتعاون فى العلاقات الاجتماعية . مثل التنافر والتجاذب فى الظواهر الطبيعية . وتلك حقيقة موضوعية تلازم كل ظاهرة فى الطبيعة والمجتمع . وتشكل احدى خصائص علم الحركة الجدلية . التى تعمل بشكل جبرى . فى الطبيعة والمجتمع .

لذلك فان التعاون لايستبعد الخلافات ولا يلغيها لكنه يحتاج الى فهم طبيعتها بحيث لاينكر وجودها اصلا ولا يبالغ فيها .

فالخلافات بين الاصدقاء الذين تجمعهم مصلحة مشتركة•• ويواجهون عدوا مشتركا تختلف نوعيا عن الخلافات بينهم وبين ذلك العدو . الاولى خلافات ثانوية تقوم بين اصدقاء من الممكن بل من الواجب التغلب عليها وحلها عن طريق المناقشة والحوار الموضوعى ، كما هو حاصل حاليا بين القاهرة وموسكو ..

اما النوع الثانى من الخلافات فانه تناقض عدائى فى جوهره . يقوم بين جبهة الاصدقاء من ناحية . وجبهة الاعداء من ناحية أخرى كما هو الحال بين المعسكر الاشتراكى وحركات التحرر الوطنى على الصعيد العالمى من جانب . وبين المعسكر الاستعمارى والصهيونية العالمية من الجانب الاخر .

هذا النوع من الخلافات توجد شبه استحالة فى حلها بالمناقشات والحوار . وليس هناك سبيل لحلها غير طريق الكفاح المسلح وتقديم مزيد من الدم والتضحيات .

المنظمة ـ فأشار الى دور منظمة العمل العربية فى الحفاظ على الحرية النقابية والانطلاق بها الى أكمل صورها ، « **فبغير أن نوفر للحركة العمالية العربية جوا صالحا تحوطه الحرية فى التعبير والقدرة على التحرك والنمو ، لن تستطيع المنظمات العمالية العربية أن تقوم بدورها الاساسى الفعال فى مجالات التنمية والانتاج** »

كما أشار الى ضرورة اعطاء أهمية خاصة لاقامة مشروعات للثقافة العمالية على المستوى العربى وتأكيد التعاون الوثيق بين مؤسسات الثقافة العمالية القائمة فى الاقطار العربية وكما انه : « **من اهم ماينبغى ان يشغل بال المنظمة ومكتب العمل العربى اقامة نظام متكامل للمعونة الفنية فى مجال العمل والعمال** » .

وقد أشار الدكتور طيب فى خطابه الى : « **أن قيام منظمة العمل العربية فى اطار جامعة الدول العربية لا يعنى على الاطلاق أن يكون للجامعة العربية ممثلة فى مجلسها أو أمانتها العامة وصاية ورقابة أو اشراف على المنظمة ونشاطاتها أوسير العمل فى مكتبها ، فالرابطة بين الامانة العامة للجامعة العربية ومنظمة العمل العربية ينبغى أن تكون رابطة تشاور وتعاون لا رابطة رقابة أو اشراف** » .

■ المملكة العربية السعودية

البترول السعودى

والمكانة الخاصة مع امريكا

فى مؤتمر « متطلبات الطاقة العالمية والشرق الاوسط » أعلن وزير البترول السعودى الشيخ **زكى اليمانى** أنه يجدر بالولايات المتحدة والمملكة العربية أن تبرما اتفاقية تجارية للبترول تتيح للمملكة العربية السعودية « مكانة خاصة » فى السوق الامريكية متحررة من الضرائب الجمركية، ومن أى نوع من قيود الحصص ، كما تشجع استثمار الاموال السعودية على أوسع نطاق فى تسهيلات موانى تصدير البترول الخاصة بتسويقه فى الولايات المتحدة . وقد أعلن وزير البترول السعودى أن **المملكة العربية السعودية تعتزم أن ترفع انتاجها من النفط الخام من معدله الحالى (٦ ملايين من البراميل يوميا ـ الى معدل يفوق التصور هو ٢٠ مليونا من البراميل يوميا فى ١٩٨٠** .

وقد وصف مستر « **جيمز اكينز** » الاقتراح بأنه « بالغ الاهمية » بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية . وتجمع الدوائر الاقتصادية والسياسية العالمية على أن الاقتراح السعودى سيفيد الولايات

من هنا بات واضحا لجماهير الشعب وبسطاء الناس أن الاحتلال الاسرائيلى المدعوم بتاييد ومساندة الولايات المتحدة الأمريكية هو عدو العرب الاساسى الذى شرد الشعب الفلسطينى واحتل سيناء والقدس والجولان . ولازال يخطط مع الامبريالية العالمية للقضاء على جميع النظم السياسية المستقلة فى أرجاء المنطقة . ليؤمن لنفسه وللاحتكارات الامريكية أرباحا خيالية من السلب والنهب لمصادر الثروات المدفونة فى جوف أرض المنطقة وفوق سطحها وفى مقدمتها الثروة « البترولية » .

ومن جديد تستأثر الاحتكارات الاجنبية لنفسها بالسوق المحلية واستغلال العمال والمثقفين أبشع استغلال . ويمارس مندوبو الاحتكارات الاجنبية مهمتهم الخاصة بهدم الاستقلال السياسى وتدمير الصناعات الثقيلة كأساس لهذا الاستقلال، والعودة بشعوب المنطقة الى الوراء لمئات السنين .

هنا . وهنا فقط . يكمن التناقض الاساسى والعدو الاساسى . وضد هذا العدو يجب تعبئة الجماهير واثارة سخطها ..

أما محاولة تعبئة الجماهير واثارة سخطها ضد أصدقائنا السوفييت الذين قال عنهم الرئيس أنور السادات . انهم قدموا لنا الصنية وقت المحنة ووصفهم بالصديق الامين الذى لا يناور ولا يساوم فهى فى الحقيقة محاولة خبيثة . مقصود منها وبها أمرين مترابطين . يكمل أحدهما الاخر ويدعمه .

الامر الاول ـ تغطية العدو الحقيقى بستار من التهريج والاشاعات المفتعلة وخلق مناخ ملائم له يساعده على النجاح فى اتمام مهمته ..

الامر الثانى ـ تطويق فضائل الشعب الثورية فى مواقعها بعد نسف الجسور . وتخريب العلاقات بيننا وبين معسكر الاصدقاء الاشتراكى .

وتلك محاولات مدانة سوف لايفلت اصحابها من الحساب.. أما الصداقة العربية السوفيتية فانها لن تتزعزع . بل ستزدهر وتصان وتعزز .

محمد على عامر

المتحدة الى أبعد مدى - فاحتياج الاستهلاك الامريكى المحلى فى ازدياد مستمر ، ففى ١٩٧١ استوردت الولايات المتحدة حوالى ٣ر٧ مليون برميل يوميا - اى ما يقرب من ٢٥ فى المائة من استهلاكها المحلى ، وسيصل مجموع وارداتها هذا العام الى ٦ر٤ مليون برميل يوميا ، وسيزيد عن ٦ ملايين فى ١٩٧٣ ، ويصل فى ١٩٨٠ الى حوالى ١٢ مليونا .

والولايات المتحدة كما يؤكد الخبراء ستحمى بقبولها للاقتراح السعودى استثماراتها الضخمة فى المملكة العربية السعودية ، حيث تمتاز أرامكوا بأنها الشركة العملاقة الوحيدة بين الشركات صاحبة الامتيازات البترولية فى الشرق الاوسط التى يمتلكها بأكملها امريكيون ، وعلى ضمان امدادات منتظمة من البترول المستورد .

كما سيساعد قبول هذا الاقتراح على تخفيف العجز الهائل فى ميزان المدفوعات ، ويؤدى الى استثمار الطاقة المالية الهائلة المعطلة للدول العربيه المنتجة للبترول - والتى لديها من المال فوق ما لديها من نواحى الانفاق .

وسيفيد قبول الاقتراح السعودى المصالح الامريكية وليست المصالح الغربيه - فحصول السعودية على معاملة تفضيلية من امريكا - سيمنح امريكا نفس المعاملة التفضيلية ومن ثم فان بعض أواكثر البترول السعودى سيتحول عن أوروبا - وكما يقول الشيخ زكى اليمانى انه « **سيكون ذلك أمرا قاسيا بالنسبة لاوربا** » .

●

■ موسكو

زيارة حققت الغرض المحددلها

يعتقد المراقبون ان المحادثات التى أجراها الجانب المصرى برئاسة الدكتور **عزيز صدقى** والجانب السوفيتى برئاسة **اليكسى كوسيجين ونيكولاى بودجورنى** ، قد حققت بالكامل الغرض الذى تحدد لها منذ البداية .وتكتسب زيارة الدكتور صدقى **لموسكو** اهميتها الخاصة ، من واقع انها أول حوار مباشر مصرى - سوفيتى يجىء بعد قرار انهاء مهمة المستشارين والخبراء السوفيت فى مصر منذ يوليو الماضى وما أعقبه من تطورات .

ويشير المراقبون هنا بشكل خاص الى ما جاء فى البيان المشترك للمحادثات حول :

● اتفاق الجانبان « **على اطراد الاتصالات بين قادة الاتحاد السوفيتى وجمهورية مصر العربية لتبادل الاراء حول المشاكل التى تهم الجانبين** » .

● الدعوة التى وجهها الدكتور عزيز صدقى « نيابة عن الرئيس **أنور السادات** » **الى ليونيد بريجنيف ونيكولاى بودجورنى واليكسى كوسيجين لزيارة مصر ، وقد قبلوا الدعوة شاكرين على أن يحدد موعد الزيارة فى الوقت المناسب .**

وجدير بالذكر ان الرئيس **أنور السادات** كان قد اشار فى الخطاب الذى ألقاه فى افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الشعب عشية زيارة الدكتور عزيز صدقى الى موسكو قائلا « اريدها ان تنجح واعطيها تأييدى الكامل مبدأ وضرورة » .

وقد جرت المحادثات حول قضيتين جوهريتين : **اولا :** « مسائل العلاقات المصرية السوفيتية **ثانيا :** « الوضع فى الشرق الاوسط » وبالنسبة للقضية الاولى ، اعلن الجانبان « **ان معاهدة الصداقة والتعاون المصرية السوفيتية هى اساس اطراد تعزيز وتعميق العلاقات الودية والتعاون بين مصر والاتحاد السوفيتى فى كافة الميادين** » أما بالنسبة للقضية الثانية فقد رصد الجانبان الوضع الذى يتمثل فى مرور اكثر من خمس سنوات على عدوان اسرائيل واحتلال الاراضى العربية تحقيقا لاطماعها التوسعية وتحديها لقرارات الامم المتحدة بالانسحاب ، وزيادة ارهابها العسكرى فى المنطقة وتصعيده .ذلك كله« بمساندة قوى الامبريالية »وقد حدد البيان المشترك فى هذا المجال - عددا من النقاط والمهام :

● فقد أعلن الجانب السوفيتى مرة اخرى « **ان للدول العربية كل الحق فى تحرير اراضيها بمختلف الوسائل طبقا لنصوص ميثاق الامم المتحدة والحق المشروع للدول فى الدفاع عن حريتها** » .

● ان الاتحاد السوفيتى « **سيعمل كل ما يستطيعه لتحقيق الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية المحتلة ، وكذلك للحفاظ على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربية** » .

● اقتناع الجانبان « **بأن الصداقة المصرية السوفيتية تمثل عاملا هاما فى النضال ضد الامبريالية والصهيونية** » .

● أكد الجانبان « الضرورة الملحة **لوحدة القوى التقدمية المعادية للامبريالية للنضال ضد العدوان الإسرائيلى والامبريالية الدولية والصهيونية** » .

● كما أكد الجانبان الضرورة الملحة « **لصد المحاولات الرامية الى اضعاف الصداقة السوفيتية المصرية** » . ومن المعروف ان **كوسيجين** قد أشار في دمشق الذي القاها في الحفل الذي أقامه للدكتور **عزيز صدقي** الى « خصوم » الصداقة المصرية السوفيتيه والى أنهم الان يروجون للادعاء بأن الاتحاد السوفيتي قد وصل الى نوع من (التواطؤ) مع الاستعماريين بشأن تسوية في الشرق الاوسط على حساب مصالح الشعوب العربية · ونحن نرفض بشدة مثل هذه الادعاءات ان للاتحاد السوفيتي سياسة خارجية واحدة وخطا سياسيا واحدا في شئون الشرق الاوسط · وهذا الخط هو التأييد الكامل للشعوب العربية والنظم التقدمية في الدول العربية في كفاحها ضد العدوان الاسرائيلي » · ثم أضاف « اننا لا نجد في طلب أية مصالح تتسم بالانانية وفضلا عن ذلك فان الاتحاد السوفيتي قد تولى طواعية التزاماته · ومسئوليته بالنسبة لعدة وجوه في الموقف بالشرق الاوسط » وجدير بالذكر أن **الدكتور عزيز صدقي** قد رد بكلمة على خطاب **كوسيجين** شكرفيهاالاتحاد السوفيتي على « الكثير من المساعدات التى قدمها في النواحي الاقتصادية ، وفي اعادة بناء قواتنا المسلحة » ثم أضاف انه قدم الى موسكو « لنتباحث معا فيما يجب أن نعمله لطرد اسرائيل من الاراضي المحتلة» وقال «ان الصداقة التى تربط بينشعبينا لابد أن تؤدي الى تحقيق اجلاء المعتدى الاسرائيلي » ·

● كذلك فقد دعا الجانبان « **جميع دول العالم والقوى المحبة للسلام للضغط على اسرائيل لتنفيذ قرار مجلس الامن وقرارات الامم المتحدة للانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة لتحقيق سلام دائم مبني على العدل** » ·

وتتوقع الدوائر السياسية المطلعة ، ان تشهد الاسابيع القليلة القادمة عددامن التطوراتالهامة التى تعد مؤشرا بالغ الدلالة على انجاز كثير مما جاء في البيان المشترك .

■ ■

■ **مؤتمر القمة الاوروبي**

عدوى التضخم أصابت مؤتمر القمة الاوربي

لم تستمر موجة الحماس الدعائي لنتائج وقرارات مؤتمر القمة الاوروبي الذي عقده رؤساء دول وحكومات الدول الاوروبية التسع اعضاء السوق المشتركة الموسعة (يومى ١٩ و ٢٠ اكتوبر الماضي) الا ٢٤ ساعة فقط ، بدأت تتضح بعدها ملامح الجسم الحقيقي لنتائج المؤتمر وقراراته ·، ولقد هدأ الحماس الشديد حتى من جانب اكثر من رحبوا بالمؤتمر وقراراته وبيانه وهم بالدرجة الاولى ممثلو الرأسمالية الاوروبية الكبيرة والصحافة الناطقة بآرائهم ·

وفي اليوم التالي لصدور البيان الختامي لمؤتمر القمة الاوروبي وصفت المصادر الاوروبية قراراته بأنها « **ليست قرارات جوهرية للغاية** » · وهذا أصدق ما يمكن أن يقال · فانه اذا كان المؤتمر قد توصل الى **اتفاق على تحقيق وحدة اقتصادية ونقدية** · **فان هذا الاتفاق ليس الا ترديدا لما كان قد توصل اليه من قبل وزراء مالية دول السوق الاوروبية الموسعة في اجتماعهم في روما في ١١ سبتمبر الماضي** ·

اما فيما يتعلق بمجالات السياسة الاقليمية والاجتماعية للسوق الموسعة ، فان البيان لم يتضمن الا نوايا لا تتسم بالوضوح والتحديد ·

وبالنسبة للمساعدات الخاصة للدول النامية فان المؤتمر اقتصر على التوصية بوضع برنامج دراسة للعام القادم · **الا انه لم يتخذ في الواقع** قرارات محددة بالنسبة لهذه القضية التى احيطت بقدر هائل من الدعاية لجذب انتباه الدول النامية ، الى « دور أوروبا » سواء قبل أو اثناء انعقاد مؤتمر القمة الاوروبي ·

يبقى الموضوع الاساسي للبيان الختامي لمؤتمر القمة الاوروبي وهو تعهد الدول التسع بأن تقيم قبل نهاية عام ١٩٨٠ وحدة يطلق عليها اسم **الاتحاد الاوروبي** ، فقد كان من الواضح ان زعماء اوربا التسعة قد علقوا جوهر هذا القرار الاساسي بدراسات تجرى خلال السنوات القادمة ، فقد تركوا مهمة تحديد الصفة القانونية لهذا الاتحاد فيما بعد · ولهذا قيل في التعليق على هذا القرار بتحديد عام ١٩٨٠ موعدا لتحقيق الوحدة الاوروبية ان « الزعماء الاوروبيين قد اتفقوا على تحديد « وحدة » ولكنهم لم يتفقوا على ما هى هذه الوحدة » !

وقد اتضحت في مناقشات المؤتمر تناقضات مواقف الدول الاوروبية ــ وخاصة الدول الكبيرة التى تعتبر أن لها دورا زعاميا في القارة ، ومواقف الدول الصغيرة التى تخشى ان تبتلع داخل هذه « الوحدة » الموعودة . وبرزت هذه التناقضات بشكل خاص فيما يتعلق بمسألتين :

١ ــ شكل الاتحاد الاوربي المزمع ، وما اذا كان فيدراليا اى « اتحاد ولايات اوروبية » أو كونفدراليا وهو شكل يحفظ لدول الاتحاد درجة اكبر من الاستقلالية في سياساتها الخارجية الوطنية ·

٢ ـ شكل العلاقات بين أوروبا الغربية والولايات المتحدة : وقد كشف الخلاف على هذه النقطة عن تناقض مزدوج • وجهه الاول بين الرأسمالية الاوروبية كمنافس للرأسمالية الامريكية • ووجهه الثانى بين الرأسمالية الاوروبية الكبيرة والصغيرة • ويفسر هذا التناقض الخلافات الحادة التى حدثت ـ فى آخر جلسات المؤتمر بوجه خاص ـ حول الديمقراطية فى مؤسسات السوق المشتركة • وقد لوحظ أن الدول الصغرى (وكانت هولندا فى مقدمتها) تلح فى طلب أن يكون اختيار أعضاء البرلمان الاوروبى عن طريق الانتخاب المباشر ابتداء من عام ١٩٧٣ ، وهو أمر لم يلق حماسا من جانب الدول الاوروبية الكبرى وخاصة فرنسا . وكانت نتيجة هذا الخلاف حول الديمقراطية فى مؤسسات السوق تأجيل اتخاذ أى قرار فيها حتى موعد مؤتمر القمة الاوروبى القادم فى عام ١٩٧٦ •

ويفسر هذا التناقض ايضا حرص فرنسا الشديد ـ رغم موقفها ضد الديمقراطية داخل المؤسسات الاوروبية (مثل البرلمان واللجنة التنفيذية) على رسم سياسة خارجية مشتركة لاوروبا الموسعة تكون مستقلة تماما عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، وان تكون السياسة الخارجية لكل من الدول الاوروبية من شأن هذه الدولة وحدها ولا دخل للمؤسسات العليا للسوق بها • ولهذا تقرر أن تكون اجتماعات وزراء خارجية الدول الاوروبية (٤ مرات سنويا) خارج اطار السوق المشتركة •

ورغم الاهتمام الدعائى المركز على مسألة « السياسة الخارجية الاوروبية المستقلة عن السياسة الامريكية » الا أن بعض الدوائر الاوروبية لم تجد فى البيان الختامى لمؤتمر القمة الاوروبى موقفا ضد الولايات المتحدة • وقالت صحيفة « ديلى تلجراف » البريطانية ذات الاتجاه اليمينى الاستعمارى : « **يبدو أن العلاقات بين السوق والولايات المتحدة قد تحددت على أساس التعاون بدلا من المواجهة** » •

وبعد فان مؤتمر القمة الاوروبى قد عقد بناء على دعوة فرنسا فى يوليو عام ١٩٧١ عندما كانت الازمة النقدية تهز فيه العالم الغربى كله وفى مواجهة الاجراءات الاقتصادية الخطيرة التى اتخذها نيكسون لحماية الدولار • ومنها قرار وقف تحويل الدولار الى ذهب • ولكن الفكرة من عقد المؤتمر تضخمت كثيرا من مجرد مواجهة للسياسة الاقتصادية الامريكية وآثارها على اقتصاد أوروبا ، الى شىء يتجاوز ذلك ، الى محاولة خلق الوحدة

تعليق

كيف تحول « سجن الشعوب » الى جنة الانسان ؟

يحتفل الاتحاد السوفيتي هذه الايام بالعيد الخمسين لتاسيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، تتويجا للنجاح فى القضية القومية كأحد الانتصارات العظيمة التى حققها الشعب السوفيتى بقيام ثورة اكتوبر الاشتراكية •

وكانت الامبراطورية الروسية قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية فى عام ١٩١٧ دولة متعددة القوميات ، وكانت الطبقات الاقطاعية والراسمالية الروسية الحاكمة تمارس الاستغلال والقهر على جميع العمال والفلاحين ، وكانت شعوب القوميات الاخرى تعانى من طغيان القومية الروسية ، محرومة من كافة الحقوق السياسية والاقتصادية وتنمية ثقافاتها القومية • وقد وصف لينين روسيا قبل الثورة بحق بانها « سجن الشعوب »

وتعد القضية القومية احدى القضايا الاساسية فى المجتمع الانسانى المعاصر ، وبالنسبة للعالم الرأسمالى • هناك عدم المساواة الاجتماعية والاستغلال والعنف والازمات ، كما تتمثل أيضا فى العدوان الوحشى على شعب فيتنام ، وقمع شعب ايرلندا والتفرقة العنصرية ضد المواطنين السود فى الولايات المتحدة ، والاضطهاد العنصرى فى روديسيا وجنوب افريقيا ، وطرد الشعب الفلسطينى من أراضيه ، والاستيلاء على أراضى الشعوب العربية ، الخ •

ان القضية القومية التى تواجه البشرية ، تجد اليوم الحل السليم فى تجربة الاتحاد السوفيتى ، حيث تنتظم اكثر من مائة أمة وقومية طوعا فى أسرة شعوب واحدة متآخية ، على أساس من المصلحة المشتركة فى بناء الحياة الاشتراكية الجديدة ، ووفقا لمبادىء وتعاليم « الماركسية اللينينية » ، ودليلا ناصعا على انتصار أفكار الطبقة العاملة العالمية •

ان نجاح الاتحاد السوفيتى فى حل قضية القوميات هو اليوم محل اهتمام كبير من علماء واساتذة الفلسفة والاجتماع والقانون والتاريخ والسياسة ورجال الدولة وقادة الفكر فى كافة أرجاء العالم •

ولقد طرحت قضية القوميات أمام الاشتراكيين والديمقراطيين فى أوربا منذ العقد السابع من القرن الماضى • هذا فى الوقت الذى كانت فيه الرأسمالية كحركة قومية تقدمية ، قد استنفدت دورها التاريخى ، ودخولها المرحلة الامبريالية التى اتسمت بنمو الاحتكارات وسيطرة رأس المال ، وتخطى رأس المال حدود الدولة القومية ، والاتجاه الى آسيا وافريقيا والمستعمرات ، والصراع حول الاسواق ومصادر الخامات ، وتدويل العلاقات الاقتصادية ، مما يعنى اتساع الظلم والقهر القومى على أساس تاريخى جديد ، وشن الامم المسيطرة والدول الكبرى الحروب الامبريالية لاضطهاد واستغلال الامم والقوميات وغالبية سكان الارض •

ولقد فشل الديمقراطيون فى حل القضية القومية نتيجة تفكيرهم البورجوازى الصغير وانكار حقيقة الصراع الطبقى والثورة الاشتراكية ، وطرحوا بدلا عنها الدعوة الى المنافسة الرأسمالية السلمية بين أمم حرة ومتساوية فى الحقوق فى عهد الرأسمالية •

وقد انتقد ماركس « افكار البرودونيون » التى تلغى القوميات

الاوروبيـــة على أســس من الوحــدة النقدية والتنسيــق الاقتصادى . وفى ضوء هذا التضخم يمكن القول بأن نتائج المؤتمر تكشف أن الاعداد له تم على أساس الفكرة الاولية منه ولهذا جاءت نتائجه — بعد التضخم — نتائج شبه هلامية .

●

■ **المانيا الغربية**

الانتخابات واضـطهاد العرب

حاول المسئولون الالمان منذ حـادث الهجوم على مقر البعثة الاسرائيلية فى الدورة الاوليمبية عدم توسيع نطاق العمليات البوليسية بصـورة سافرة لتشمل كل المواطنين العرب فى المـانيا الاتحادية . ولكن بعد حل البوندستاج والبدء فى الاستعداد لخوض المعركة الانتخابية التى ستجرى يوم ١٩ نوفمبر ، أزاح هؤلاء المسئولين الاقنعة من على وجوههم وبدأوا يتصرفون بصورة أقل ما يمكن ان توصف به انها اعادت الى اذهـان الكثيرين — حتى من مواطنى المانيا الاتحادية — ذكريات زيـارات الفجر التى كان يقـوم بها الجستابو الالمانى فى عهد النازى .

أن يكون هناك عداء من جانب سلطات المانيا الغربية تجـاه الثورة الفلسطينية أمر مفهوم انطلاقا من واقع أن لحكومة المانيا الغربية خط سياسى واضح لا يمكن أن يتفق وما تمثله الثورة الفلسطينية من آمال وتطلعات .

وأن تكون هنـاك رعاية خاصــة من جانب سلطات المانيا الغربية للمصالح الاسرائيلية امر لا يجب أن يثير دهشتنا أو أن ننظر اليه نظــرة « عتاب ممزوج بالامل » انطلاقا من واقع أن المانيا الاتحادية دولة رأسمالية متقدمة واسرائيل — من موقعها الجغرافى — تمثل نقطة حراســة وحماية للمصالح الرأسمالية العالمية فى منطقة الشرق الاوسط وافريقيا .

وبالتالى فاذا حدث تعـاون المانى اسرائيلى فى مجال الاجراءات البوليسية ضـد المواطنين العرب المقيمين بالمانيا الاتحادية ، فلا يجب انطلاقا أن ننظر الى هـذا التعـاون على أن مرجعه هو عقدة الشعور بالذنب تجاه اليهود ، أو أن المانيا الغربية دولة لا تملك سيادتها بين أيديها ،

وفضح جوهرها الشوفينى وتعصبها القومى ، وسكوتها عـن ابتلاع القوميات الاوروبية الضعيفة من قبل الامة الفرنسية النموذجية ،وأيد ماركس انفصال ايرلندا عن انجلترا فى ذلك الوقت ، كخطوة أولى لاقامة اتحاد فيدرالى بعد ذلك والاتجاه للتمركز السياسى والاقتصادى على أساس الديمقراطية ، باعتبار ان هذا الحل يخدم مصالح النضـال الثورى الذى تخوضه بروليتاريا الامة الانجليزية الظالمة ضد الرأسمالية ، وقال : « ان شعبا يظلم شعوبا أخرى لا يمكن ان يكون حرا » ولا يمكن ان تكون الطبقة العاملة الانجليزية أممية حقا دون ان تناضل من اجل انفصال ايرلندا ، ذلك ان مبـدأ الاممية يحتم على الطبقة العاملة فى جميع البلدان توحيد جهودها داخل بلادها ، وعلى المستوى العالمى للنضال ضـد قوى الامبريالية والرجعية وضد كافة اشكال الاستغلال والقهر ، وتعبئة الجماهير العريضة فى المعركة لتحقيق السـلام بين الشعوب .

ولقد شغلت القضية القومية حيزا كبيرا من تفكير عبقـرى الثورة الاشتراكية العالمية « لينين » وخاصة قبل ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ فقد قام بتطوير واثراء النظرية الماركسية بمقتضى الظروف التاريخية الجديدة ، وكشف عن القوانين الرئيسية للتطور الاجتماعى ، قانون الانتقـال من الرأسـمالية الى الاشتراكية ، واعتبر لينين قضية القوميات جزءا هاما من القضية العامة ، وضرورة اخضاعها لاهداف ومصالح الصراع الطبقى، والمصالح العليا للثورة الاشتراكية ، لتوحيد النضال القومى وتحرير الطبقة العاملة وجميع القوميات والامم المقهورة .

ان كتابات لينين بخصوص القضية القومية وحق الامـم فى تقرير مصيرها ، بالاضافة الى بقية كتاباته ، تشكل اليوم جزءا أساسيا من أسس النظرية « الماركسية اللينينية » وقد كتب لينين قبل ثورة اكتوبر بوقت قصير يقول : « اننا نطالب بحرية تقرير المصير ، أى الاستقلال ، أى حرية الانفصال للامم المقهورة ، وليس ذلك لاننا نريد تقسيم البلاد من الناحية الاقتصادية ، أو اننا من أنصار تكوين الدول الصغرى ، على النقيض من ذلك فاننا نريد تكوين دول كبرى وتحقيق الوحدة الوثيقة بل الاندماج بين الامم ، ولكن على أســس ديمقراطية حقا وأممية حقا ، وهذه لا يمكن بلوغها دون حرية الانفصال » وأوضح لينين : « انه يتوجب على الماركسيين فى الامم التى تضطهد غيرها من الامم وهم ينادون بحق الامم فى تقرير مصيرها ، ان يؤكدوا حقها فى الانفصال . فى حين يتعين على الماركسية فى الامم المضطهدة ان يبرزوا امكانية الوحدة الاختيارية بين الامم .

ولقد حطمت ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا أساس النظام الاقطاعى والرأسمالى القديم ، واقامت لاول مرة فى تاريخ العالم دولة العمال والفلاحين والجنود ، على أساس من العلاقات الاشتراكية ، وأخذت الدولة السوفيتية منذ اليوم الاول ترسى مبادىء جديدة فى مجال العلاقات بين الامم وترسم معالم وطريق التغيير الثورى فى العالم . والتى وجدت تعبيرها الناصع فى وثائق الثورة وخلال الايام الاولى مثل «مرسوم السلام» « واعلان حقوق شعوب روسيا » و « نداء الى جميع المسلمين الكادحين فى روسيا وفى الشرق » .

وتمثل الخبرة المستفادة من ثورة اكتوبر الاشتراكية ثروة لا تنضب من النظرية والتطبيق . هى اليوم ملك لكل المناضلين الثوريين والساعين الى بناء عالم جديد .

وديع أمين

أن مثل هذه النظرة في واقع الأمر تحمل معنى تبرير التصرفات الالمانية والتماس العذر لها .

ان المعركة الانتخابية الجارية الان فى المانيا الغربية معركة هامة ، فاذا كانت انتخابات ١٩٦٩ قد جاءت بالاشتراكيين الديمقراطيين — لاول مرة فى تاريخ المانيا الاتحادية — الى مقاعد رئاسة الحكومة بعد الديمقراطيين المسيحيين ، فان انتخابات هذا الشهر اما ستسمح لهم بتثبيت مواقعهم لفترة أطول أو ستطيح بهم لأمد ماخارج مقاعد الحكم .

وعندما عقد الحزب الديمقراطي المسيحى مؤتمره العام يوم ١١ اكتوبر بمدينة فيسبادن ، تقدم راينر بارزل زعيم الحزب بالبرنامج الذى يخوض الحزب على أساسه المعركة الانتخابية ، وكان البرنامج تحت عنوان « سنبنى التقدم على أساس من الاستقرار » وكان المقصود بكلمة الاستقرار في هذا البرنامج معنيين :

— الاستقرار الاقتصادى لمواجهة حالة التضخم وارتفاع الاسعار والتى تتهم المعارضة برانت بأنه لم يهتم بمعالجتها .

— والمعنى الثانى — وهو ما يهمنا هنا — الاستقرار السياسى بمعنى القضاء على المنظمات اليسارية المتطرفة والتى — على حد زعم المعارضة — انتشرت فى المانيا بحيث أصبحت تتطلب حلا عاجلا .

والمعروف أن ظاهرة قيام حركات اليسار المتطرف فى أوربا الغربية عموما نشأت كرد فعل لفقد الشباب الاوروبى الثقة فى نظم الحكم الديمقراطية فى الغرب ، وفى نفس الوقت لعدم تقبله — أو تفهمه — سياسة التعايش السلمى التى أعلنها الاتحاد السوفيتى . وقد اتسمت حركات اليسار المتطرف فى المانيا الغربيةبظاهرة العنف الذى تمثل فى الهجوم على بعض القواعد العسكرية الامريكية والاهتمام الشديد بقضايا التحرر فى دول العالم الثالث وبالذات فيتنام والشرق الاوسط .

لقد اختارت المعارضة فى المانيا الغربية موضوع القضاء على التنظيمات اليسارية المتطرفة واستقرار القانون كقضية اساسية فى البرنامج الانتخابى . وهذا أمر يتفق تماما وما تمثله المعارضة باعتبارها تجمع لاحزاب اليمين واليمين المتطرف . [أعلن الحزب النازى الجديد

تعليق — لا قيمة للانسان اليهودى عند الصهيونية

اصبحت الجرائم الارهابية التى ارتكبتها وترتكبها الصهيونية ضد العرب معروفة لكل الناس ، فالعصابات الصهيونية هى التى نظمت جملة الانفجارات فى الاسواق العربية فى القدس وحيفا ويافا واللد فى اواخر عام ١٩٤٧ واوائل عام ١٩٤٨ ، والتى راح ضحيتها مئات المواطنين العرب الفلسطينيين . كما قامت عصابتى الارجون وشتيرن بتنظيم مذبحة دير ياسين فى التاسع من ابريل ١٩٤٨ . وقد ذهب ضحية هذه المذبحة نحو ٢٥٠ عربيا فلسطينيا ، ذبحوا ذبح الشياه ومثل باجسادهم ، فقطعت أوصال بعضهم وبقرت بطون البعض الاخر . وسجل الصهيونية ملىء بعد ذلك بالمذابح الوحشية التى نظمتها للعرب المدنيين من نساء وشيوخ وأطفال . فالصهيونية هى التي قتلت نحو ستين مدنيا فلسطينيا من سكان قرية قبية بالضفة الغربية فى الرابع عشر من اكتوبر عام ١٩٥٣ ، وهى التي قتلت نحو مائتى مواطن فلسطينى فى قطاع غزة فيما بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٥٦ . وهى التى دفنت مئات المدنيين أحياء فى القطاع نفسه بعد احتلالها له فى نوفمبر ١٩٥٦ . وجيش اسرائيل هو الذى قتل غدرا ٤٩ عربيا من سكان قرية كفر قاسم العرب فى الاراضى المحتلة ، وذلك فى التاسع والعشرين من اكتوبر ١٩٥٦ .

اما المجال الثانى الذى مارست فيه العصابات الصهيونية ارهابها ، فقد كان ضد المعارضين من اليهود أنفسهم .

● ففى آخر شهر يونيو ١٩٢٤ ، اطلق اثنان من عصابة الهاجاناه الارهابية الصهيونية النار على الدكتور يعقوب ديهان فاردوه قتيلا . وكان ديهان رئيسا للجنة السياسية لحزب أجودات اسرائيل الدينى ، وكان قد اخذ منذ عام ١٩٢٢ ، يعارض فى انشاء دولة يهودية فى فلسطين ، لمخالفة ذلك للدين اليهودى .

● اما حاييم اورلزوروف فقد واجه نفس مصير ديهان ، فى السادس عشر من يونيو ١٩٣٣ ، لمجرد اختلافه مع دافيد بن جوريون على الاساليب الواجب اتباعها لبناء الدولة اليهودية ، فقد كان اورلزوروف يرى ضرورة تعاون الحركة الصهيونية مع العرب لاقامة هذه الدولة . فى حين كان بن جوريون يرى ضرورة الارتكاز على الاحتلال البريطانى للوصول الى هذا الغرض . وثمة امر آخر دفع بن جوريون للتخلص من أورلزوروف ، وهو اقدام الثانى على توقيع اتفاق مع ادولف هتلر ، مستشار الرايخ الثالث ، لتهجير اليهود الالمان الى فلسطين .. وقد خشى الصهيونيون المنحدرون من اصل سلافى على مراكزهم فى الحركة الصهيونية ؟ اذ ان هجرة الالمان كانت ستخلخل ميزان القوى داخل الحركة ، بما يفقد الصهيونيون السلاف تفوقهم واغلبيتهم داخل الحركة الصهيونية ومؤسساتها المختلفة .

فى المانيا الغربيـــة أنه ستـــؤيد الديمقراطيين المسحيين فى الانتخابات] .

ايضا قبلت حكومة الاشتراكيين الديمقراطيين أن يكون هذا الموضوع مجال تنافس بينها وبين المعارضـــة ، وكانت بداية ذلك ما تناقلته وكالات الانباء فى شهر يوليو الماضي من انباء الحملـــة الهستيرية التى قامت بها الحكومة فى جميـــع أنحـــاء البلاد ضد منظمة بادر مينهوف والتى اتخذت فى بعض الاحيان طابعا مسرحيا عندما هاجم البوليس فى ساعات الفجر الاولى مسكن احد رجـــال الاعمـــال البريطـــانيين فى مدينة شتوتجارت وقتله بزعم وجود صلة بينـــه وبين أفراد منظمة بادر مينهوف . وقد أثار هـــذا الحادث استياء أوساط كثيرة واتهم عدد من الكتاب ورجال القانون الحكومة الالمانية بأنهـــا تتعمد تضخيم صورة نشـــاط منظمة بادر مينهوف لتحصل لنفسها على بطـــــولة زائفة فى ضرب حركات اليسار المتطرف .

بعد ذلك جاء حادث هجوم فدائيي منظمة ايلول السوداء على مقر البعثة الاسرائيلية فى دورة ميونيخ الاوليمبية .

وحـــاولت الحـــكومة الالمانية أن تســـتدرج الحكومات العربية للتدخل ضد الثورة الفلسطينية ولكنها فشلت ، بل ان بيان المتحدث الرســـمى المصرى كشف انه فى نفس الوقت الذى كان نيلى برانت يجرى خلاله حديثا تليفونيا مع رئيس الوزراء المصرى ، كانت الحكومة الالمانية تدبر للكمين والهجوم الذى وقع بمطار قاعـــدة فور ستينفلد بروك ، وكشف ذلك كله عن فشـــل وتورط الحكومة الالمانية .

وقد اتفقت احزاب المعارضة مع الحـــكومة فى كل ما قامت به من اجراءات خلال هـــذا الحادث ، بل انها ـــ اى احزاب المعارضـــة ـــ اشتركت فى هذه الاجراءات وذلك عن طريق وجود وزير داخلية اقليم بافاريا ـــ وعاصمته ميونيخ ـــ وهو من المعارضـــة مع المسئولين ، وكذلك عن طريق انتقال فرانز جوزيف شتراوس زعيم الحزب المسيحى الاجتماعى ، وهو الجناح البافـــارى للحزب الديمقراطى المســـيحى ، مع المسئولين فى طائرة الهليـــوكبتر من القـــرية الاوليمبية الى قاعدة فورستينفلد بروك . ومن أجل هـــذا كان الاتفاق الذى تم بين الحـــزب الاشتراكى الديمقراطى وأحزاب المعارضة على عدم استغلال حادث ميونيخ فى المعركة الانتخابية

ومن المعروف ان اورلزوروق كان احد قادة حزب هابوعيل هاتسوفير الذى اتحد عام ١٩٣١ مع حزب آحدوت هاعفودا والذى كان يرأســه بن جوريون ، مكونين بذلك حزب المباى وتقبله تسنى لبن جوريون الانفراد فى قيادة الحزب الجديدة .

ولم تسلم التجمعات اليهودية نفسها مـــن أذى الاساليب الارهابية الصهيونية .

● ففى الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩٤٠ ، نظمت الوكالة اليهودية الانفجار المروع في الباخرة « بتريا » ، ممـــا تسبب معه غرق المائتى وخمسين مهاجرا يهوديا ، كانت تقلهم السفينة المذكورة . وقد أقدمت الوكالة اليهودية على هذه الفعلة ، بعد رفض سلطات الانتداب البريطانى فى فلسطين السماح لهؤلاء المهاجرين غير الشرعيين بدخـــول فلسطين . وقد رأت الوكالة اليهودية ان خير وسيلة لتحريض الرأى العام العالمى ضد الانتداب البريطانى فى فلسطين ، اغراق السفينة بمن عليها !

● كما تسببت الوكالة اليهودية فى اغراق ٧٦٨ مهاجرا آخرين كانوا يستقلون سفينة « ستروما » فى البحر الاسود فقد أمرت الوكالة ربان السفينة بالمكوث فى البحر المذكور لمدة شهرين ، عجزت بعده السفينة عن مواجهة اخطار البحـــر ، فابتلعها البحر بكل ركابها ولم ينج منهم الا راكب واحد !

● وقد تواطأ الزعيم الصهيوني كاستنر [رئيس لجنـــة انقاذ اليهود فى المجر ابان الحرب العالمية الثانية] مع النازى ايخمان ، وعقدا معا صفقة وافق فيها كاستنر على انقاذ الف صهيونى المانى من الاغنياء ، مقابل سكوت الحركة الصهيونية عن اعدام نحو ربع مليون يهودى آخرين على يـــد النـــازى .

وبعـــد ...

على ضوء ما سبق يمكن فهم اتهام لوى تيرير نوان ، وزير الاستعلامات السابق ، لجولدا مائير .. رئيسة وزراء اسرائيل ـــ بانها المسئولة عن مقتل الرياضيين الاسرائيليين الاحد عشر فى ميونيخ فى سبتمبر الماضى . وقد جاء اتهامه هذا فى مقال نشرته له فى ٢٥ سبتمبر الماضى : مجلة « فرنسا والدول العربية » الفرنسية ، اذ جاء فيه « لقد قررت جولدا مائير بعجرفتها اعدام الرياضيين الاسرائيليين ، وانها وحدها التى نطقت بالحكم » !!

عبد القادر ياسين

ولكن حكومة الاشتراكيين الديمقراطيين وعلى مرمى البصر منها المعركة الانتخابية وكرسي الحكم الذى يهتز بشدة ، وافتعلت معركة جديدة واتهمت الطلبة العرب بتشكيل جماعات يسارية متطرفة وبدأت فى تطبيق اجراءات بوليسية ضدهم ، وهى عندما تفعل ذلك تقع فى الفخ الذى نصبته لها احزاب المعارضة .

وهنا يثور تساؤل هام ...

هل تطبق الحكومة الالمانية اجراءاتها البوليسية ضد جميع الطلبة العرب والمصريين فى المانيا الاتحادية ؟ ؟

منذ ست سنوات ، وبالتحديد فى اغسطس ١٩٦٦ عندما عقد مؤتمر المبعوثين فى الاسكندرية وقف الاستاذ عبد الشافى غنيم وكيل مكتب البعثة التعليمية فى بون يوم ٨ أغسطس يتحدث عن موضوع بداية خروج الطلبة المصريين للدراسة بألمانيا الغربية وتطوره والمشاكل التى تواجه هؤلاء الطلبة وقال : « فى بداية الامر ماكانش فيه على المسرح فى ذلك الوقت الخونة من الاخوان المسلمين الموجودين فى الخارج والذين يعملون كعملاء تحرسهم السلطات الالمانية ، وتحرسهم مكاتب الاجانب التابعة لوزارة الخارجية فى بعض الجامعات . ولما حدثت مؤامرة الاخوان المسلمين فى القاهرة والكل علم بالدور الخطير الهدام الذى كان يريده هؤلاء أن يدفعوا به عجلة الثورة المتقدمة الى الوراء كان له أثر فى المانيا بالنسبة لبعض الطلاب فعلا أن يخرجوا من القاهرة وأن يدرسوا بالخارج . هؤلاء الطلبة كلهم بيعملوا فى ظل حماية البوليس الالمانى ومكاتب الطلبة الاجانب والبوليس الالمانى فى منتهى القسوة بالنسبة لاى طالب يخرج عن النظام فى النطاق العام » .

[الاهرام ١٩٦٦/٨/٩] (*)

وكان كلام وكيل البعثة التعليمية حول الاعمال الموجهة ضد نظام الحكم فى مصر من بعض الطلبة المصريين فى الخارج والذين يعملون — على حد قوله — فى ظل حماية البوليس الالمانى .

فهل يتعرض هؤلاء ايضا — الان — لاضطهاد البوليس الالمانى ؟!

ان أهمية الاجابة على هذا السؤال تكمن فى ضرورة استيعاب الاتجاهات السياسية الحقيقية لحكومة المانيا الاتحادية تجاه الدول العربية وقضاياها المصيرية والثورة الفلسطينية . فما تقوم به السلطات الالمانية الان ضد الطلبة العرب والمصريين سيتوقف ان آجلا اوعاجلا، فالسياسة الالمانية كانت — ومازالت — تهدف دائما الى الابقاء على صلات ثقافية قوية مع الدول العربية

ولكن المهم جدا بالنسبة لنا ليس هو التركيز على الحدث فى حد ذاته ، ولكن على المضمون الحقيقى الكامن وراءه .

●

هل يغلق الانفتاح على الشرق الطريق أمام برانت ؟

بعد صراع طويل اضطرت حكومة المستشار الالمانى **فيلى برانت** أن تنقل المعركة بينها وبين المعارضة ، من « **البوند ستاج** » الى الناخب الالمانى مباشرة . ففى اواخر سبتمبر الماضى — استخدم برانت الحق الذى تعطيه له المادة ٦٨ من الدستور بأن طلب من البوند ستاج الاقتراع على الثقة فى حكومته واثقا — كما قالت مجلة الايكونومست البريطانية فى عدد ٢٢ سبتمبر — أنه قد رتب كل شىء لكى يخسر النتيجة . وهكذا تحدد موعد الانتخابات الجديدة يوم ١٩ نوفمبر الحالى أى قبل موعدها الطبيعى بعشرة أشهر كاملة حيث كان من المقرر ان تجرى فى سبتمبر من العام القادم . ويجمع المراقبون على أن برانت قد أقدم على هذه الخطوة وظهره للحائط ، فلا يمكن للانسان — على حد تعبير برانت نفسه — أن يحكم بلدا ببرلمان يقف ضدم على طول الخط — وكان هذا هو حال برانت ، فقد وصل حزبه الاشتراكى الديمقراطى الى الحكم متحالفا مع الحزب الديمقراطى الحر فى عام ١٩٦٩ بأغلبية ضئيلة لا تتجاوز اثنى عشر صوتا . ولكن حتى هذه الاغلبية الضئيلة ظلت تتناقص مع كل أزمة الى أن تلاشت تماما منذ فترة وجيزة وأصبح لكل من الحكومة والمعارضة عددا متساويا من المقاعد فى البوند ستاج (٢٤٨ لكل منهما) . ورغم ذلك حاول برانت أن يستثمر كل امكانية للعمل داخل البوند ستاج مهما بدت ضئيلة ، ولكن الازمة مع المعارضة — فيما يبدو — لم تكن مجرد أزمة عمل داخل البرلمان بقدر ما كانت تعبيرا عن الصراع بين تيارين سياسيين يتناقض كل منهما مع الاخر تناقضا حقيقيا (*)

فالمعارضة التى تتكون من الحزب الديمقراطى المسيحى وجناحه اليمينى المتطرف برئاسة **راينر بارتزل وجوزيف شتراوس** على التوالى تتشبث بمجموعة المواقف والعلاقات التقليدية مع الدول العربية ، وتضم كل خطوة نحو الشرق بأنها صفقة خاسرة .

أما الحكومة فانها على العكس من ذلك تقدمت بسياسة **الإنفتاح على الشرق « الاوستبوليتيك »** باعتبارها السياسة التى تمثل استجابة واقعية لحقائق العصر بصفة عامة ، والواقع الفعلى فى القارة الاوروبية ، كما أنها السياسة الاجدى بالنسبة للمصالح الالمانية ، وقد كان برانت يرد على منتقدى هذه السياسة بقوله « اننا لم نفعل سوى محاولة اللحاق بالركب . اذ ان لكل دولة من حلفائنا الغربيين علاقات طبيعية مع الكتلة الاشتراكية . وبدرجة أكبر مما نتمتع نحن به » . كما أوضح المتحدث الرسمى مرارا أن الحكومة فى سعيها نحو الشرق تفعل ذلك على أساس « أن هناك حدا لا يمكن تجاوزه فى الحوار مع الشرق ذلك الحد الذى يفرضه انتماء المانيا الى المعسكر الغربى وحلف الاطلنطى » .

ويرصد المراقبون نقاط الضعف فى موقف برانت خلال المعركة الانتخابية القادمة على أنها :

أولا : الموقف تجاه المانيا الشرقية ، فما يزال منطق « دولتين المانيتين داخل أمة واحدة » الذى يتبناه برانت يلقى معارضة شديدة من جانب قوى اليمين الالمانى المتطرف الذى يفضل الحديث عن توحيد شعبى المانيا فى دولة واحدة . ولعل هذه المعارضة الشديدة هى التى دفعت حكومة برانت منذ عدة أشهر الى التأكيد بأنه ليس فى نيتها الاعتراف بألمانيا الشرقية . واذا كان اليمين يعترف بعدم امكانية توحيد دولتى ألمانيا بالوسائل التقليدية ، فانه أيضا لا يحدد الوسائل البديلة لبلوغ هذا الهدف ، وتلك نقطة ضعف هامة فى موقف اليمين المتطرف يمكن حسابها لصالح برانت .

ثانيا : الانقسام داخل الحزب الديمقراطى الحر حول مسألة اعادة توحيد ألمانيا الى جناحين أحدهما بقيادة **فالترشيل** ويؤيد سياسة الانفتاح على الشرق ، والاخر بقيادة **دكتور مندى** ويقف ضد هذه السياسة وأهمية هذا الحزب فضلا عن كونه شريك « برانت » فى الائتلاف الاخير أنه يعد أقرب القوى الى سياسة برانت ومن ثم فان اى قوة ينالها الحزب يمكن أن تضاف الى قوة برانت فى مواجهة اليمين .

ثالثا : موقف الاحتكارات الالمانية الكبرى : ونذكر بالذات موقف **اكسل شبرنجر** امبراطور الصحافة الالمانية فى الاتجاه المناوىء لسياسة برانت بما يملكه من جهاز صحفى ضخم فهو يملك نحو ٩٠ فى المائة من الصحف التى توزع على الصعيد القومى فى ألمانيا . وكان له دور فعال خلال السنوات الماضية فى التأليب ضد سياسة الانفتاح على الشرق .

رابعا : الاتجاه التضخمى للاقتصاد الالمانى : ويمكن هنا - على أية حال - التعلل بأن التضخم فى الاقتصاد الالمانى هو جزء من الظاهرة التى سادت اقتصاديات أوروبا الغربية بشكل عام خلال السنوات الاخيرة ومع ذلك فهو أقلها من حيث النسبة .

وينظر المراقبون الى الانتصارات الجزئية التى حققها الديمقراطيون المسيحيون اثناء الانتخابات الاقليمية فى كل من : و « **ستفاليا** » و «**السار**» ، و «**ساكسونيا**» عام ١٩٧٠ وفى «بادن‌فورتبورج» عام ١٩٧٢ باعتبارها نذير خطر آخر أمام برانت والحزب الاشتراكى الديمقراطى .

وعلى الجانب المقابل يرصد المراقبون فى موقف برانت عددا من النقاط الايجابية لعل أهمها ما يلى :

أولا : عجز المعارضة عن تقديم سياسة عملية وايجابية بديلة لسياسة الانفتاح على الشرق التى يقدمها برانت .

ثانيا : التحالف بين الديمقراطيين المسيحيين وبين الحزب الوطنى وهو الحزب النازى الجديد فى المانيا الاتحادية ،وقد بدا ذلك واضحا للجميع فى الانتخابات الاقليمية خلال سنوات ١٩٧٠ ، ١٩٧٢ . وهو أمر يمكن استخدامه فى الحملة الانتخابية ضد الحزب الديمقراطى المسيحى .

ثالثا : التأييد العالمى الذى تحظى به سياسة برانت سواء من الشرق أو من الغرب ، وحصوله فى أوائل هذا العام على جائزة نوبل للسلام تقديرا لمساهماته فى حل مشاكل الامن الاوروبى .

رابعا : ان الانتصارات التى حققها الديمقراطيون المسيحيون فى الانتخابات الاقليمية لم

تكن على حساب الحزب الاشتراكى الديمقراطى ، وانما كانت بالدرجة الاولى على حساب الحزب الديمقراطى الحر ، والحزب الوطنى الذى لم يدخل الانتخابات أصلا ودعا ناخبيه الى التصويت لصالح الديمقراطيين المسيحيين .

خامسا : ان برانت استطاع ان يحقق خلال السنوات الثلاثة الماضية جزءا هاما من سياسته ، فعقد معاهدتى عدم الاعتداء مع كل من موسكو ووارسو ، وبدأ حوارا مع ألمانيا الشرقية اسفر عن الاتفاقيات الثنائية الخاصة بالمرور بين البلدين ، ومهد الارض لاقامة علاقات طبيعية مع الصين الشعبية ، وغير ذلك من الانجازات التى يمكن حسابها لصالح برانت وحزبه .

●

■ الولايات المتحـــدة

نيكســون الجمهــوري يستقطب أصوات الديمقراطيين

تصل معركة انتخابات الرئيس الامريكى الى ذروتها صباح الاحد ٥ نوفمبر الحالى حيث يقوم الناخبون الامريكيون فى مختلف الولايات باختيار أعضاء المجمع الانتخابى لكل ولاية . والمعروف أنه من مجموع هؤلاء يتكون **المجمع الانتخابى العام** للولايات المتحدة كلها ، وان هذا المجمع الانتخابى العام هو الذى سيقوم — طبقا للنصوص الدستورية — بانتخاب الرئيس المقبل لدورة الرئاسة الجديدة ١٩٧٢ — ١٩٧٦ .

والنظام المتبع فى المجمع الانتخابى العام [٥٣٨ عضوا] أنه اذا فاز مرشح بغالبية أصوات أية ولاية فاز بأصوات الولاية كلها ، ولذلك يشتد التنافس بين المرشحين على الولايات الكبرى ذات العدد الاكبر من الممثلين ، وعددها تقريبا ١٢ ولاية ، ومن بينها على سبيل المثال نيويورك ٤٣ صوتا ، كاليفورنيا ٤٠ ، بنسلفانيا ٢٩ ، تكساس ٢٥ ، وميتشجان ٢١ صوتا .

ويصف عديد من المراقبين الحملة الانتخابية للحزبين الديمقراطى والجمهورى بأنها أسوأ الحملات فى تاريخ الولايات المتحدة ، وينعون بشكل خاص على تلك العمليات من نوع عملية اقتحام مقر الحزب الديمقراطى والتجسس عليه التى افتضحت فى شهر يونيو الماضى باعتبارها جزء من حملة واسعة النطاق تقوم بها المخابرات المركزية لصالح الرئيس نيكسون ونائبه اسبيرو أجنيو . ويشرف عليها موظفون مسئولون فى البيت الابيض . وقد اعترف بذلك منذ ثلاثة أسابيع **تشارلز تافت** رئيس لجنة الاشراف على الانتخابات وهى لجنة لا تنتمى الى أى من

تعليق
تجربة الثورة .. التى يبنيها شعب الصومال

احتفل شعب الصومال فى ٢١ أكتوبر الماضى ، بالذكرى الثالثة لثورته الوطنية الديمقراطية التى يقودها بنجاح الجنرال محمد سياد بارى الذى تمكن — مع زملائه أعضاء المجلس الاعلى لقيادة الثورة — من تحقيق انجازات وطنية وتقدمية تتابعها الشعوب الافريقية باهتمام وحنو تستحقها .

وليس مبالغة أن نقول ، ان ما حدث — ويحدث — على أرض الصومال اليوم ، يعد من اهم ملامح التطور السياسى فى أفريقيا منذ عام الاستقلال فى ١٩٦٠ ، بل ان استمرارحماية وتطور مايحدث فى الصومال ، سوف يؤثر — فى تقديرى — على مجريات الاحداث فى حدود تتعدى بكثير حدود شرق أفريقيا ، لتحدث آثارا تقترب من تلك الآثار التى احدثتها ثورة كوبا فى بلدان أمريكا اللاتينية .

لماذا ؟

اذا كانت المسألة مجرد اعلان قائد الثورة الصومالية ، عن تبنى البلاد « للاشتراكية العلمية » منهاجا لاعادة البناء القومى والتقدم الاجتماعى ، فربما يفتقد ما قلناه كثيرا من أهم معانيه ، بل ربما لايبدو الامر جديدا على الاطلاق وانحصر فى حدود أن يكون خبرا تهتم أولاتهتم به الصحف ووكالات الانباء . وهى بالفعل — وللاسف — لم تهتم به .

الجديد أن تجربة الثورة الصومالية هذه ، هى نتاج المعطيات التى تمكنت استخلاصها — بوعى — من الانتكاسات التى مرت بها تجارب التقدم الاجتماعى فى عديد من بلدان آسيا وأفريقيا . انها بالتحديد تجاوز للدروس المستخلصة من تجارب : اندونيسيا وغانا ومالى .. الخ ، ومن ثم اقول انها اضافة كيفية جديدة لا للتطبيق الثورى فى افريقيا فحسب ، وانما للفكر الثورى العالمى .

وتبدأ تجربة الصومال ، من ايديولوجية واضحة ومحددة هى « الاشتراكية العلمية » ، ويقترن بها جهود هائلة فى التطبيق . ولعل ذلك ما يفسر لنا الوضوح الذى تتميز بهــا رؤية قيادة الثورة فى الصومال للعمل الوطنى — السياسى والاجتماعى والاقتصادى — سواء فى الداخل أو فى الخارج

الحزبين ، وقال « تافت » أن الاساليب السياسية القذرة تتزايد عادة خلال الاسبوعين الاخيرين من الحملة ، وحتى اذا استمر المعدل الحالى للمخالفات فاننا سنصل الى معدلات جديدة فى الاساليب غير القانونية خلال انتخابات هذا العام .

ويقول كثير من المراقبين انه لم يحدث فى التاريخ السياسى للولايات المتحدة — الا فى أحوال نادرة — أن كان التباين بين اتجاه محافظ فى الحزب الجمهورى واتجاه ليبرالى فى الحزب الديمقراطى بمثل هذا الوضوح الذى كان عليه فى العام الحالى ، ففى احد الاستفتاءات التى جرت فى يوليو الماضى على نطاق واسع اكد ٥٤٪ من الديمقراطيين انهم ليبراليون فى حين لم تتجاوز هذه النسبة ٥٪ فقط من الجمهوريين ، وعلى العكس فقد أكد ٤٨٪ من الجمهوريين أنهم محافظون بينما لم تزد النسبة من الديمقراطيين عن ٧٪ فحسب . ويشير هؤلاء المراقبين الى أن هذا التباين قد انعكس على البرنامج الانتخابى لكل من الحزبين خاصة فى المسائل الداخلية . أما فى المسائل الخارجية فيرى كثير من المراقبين انه لا يوجد خلاف جوهرى بين البرنامجين فكلاهما يعد بحل مشكلة فيتنام والاستمرار فى تأييد اسرائيل ، ومحاولة العمل على ترتيب الاوضاع العالمية بما يتفق مع المصالح الامريكية الى أكبر حد . ويرصد المراقبون الاهمية الخاصة التى تحتلها حرب فيتنام ضمن الحملة الانتخابية لكل من الحزبين تماما مثلما حدث فى انتخابات عام ١٩٦٨ . ويرصدون فى نفس الوقت جهود نيكسون الاخيرة لتغطية فشله فى حل هذه القضية عن طريق الضغط على هانوى بالتصعيد العسكرى والديبلوماسى معا لعله يتمكن من احداث تطور ما يتقدم به للناخب الامريكى قبل ٥ نوفمبر .

ومع ذلك فان كثيرا من استفتاءات الرأى العام تشير الى ان قائمة **نيكسون — اجنيو** الجمهوريين تتفوق كثيرا على قائمة **ماكجفرن — توماس ايجلتون** مرشحى الحزب الديمقراطى لمنصبى الرئيس ونائب الرئيس . وقد سجل استفتاء قريب نشرته كل من « النيويورك تايمز » ومجلة « تايم » ٦٢٪ لنيكسون مقابل ٢٣٪ فقط لماكجفرن . بل ومن المفارقات الغريبة التى كشفها هذا الاستفتاء أن نيكسون الجمهورى يحظى بتأييد ٤٣٪ من أصوات الديمقراطيين . فى حين يؤيد ماكجفرن الدمقراطى ٤٠٪ فقط من عينة حزبه . ويعزو بعض المراقبين ذلك الى آثار التفتت التى مازال يعانى منها الحزب الديمقراطى منذ انتخابات عام ١٩٦٨ ، والتى نكأت جراحها من جديد عملية اختيار المرشح الديمقراطى للرئاسة فى يوليو الماضى . فقد أدت

وإذ يبدأ الجنرال سياد من تصوره بضرورة تجاوز فكرية « الطريق الثالث » ، ينتهى الى تحديدات يدل على وضوحها التطبيقات اليومية . فهو يرى ضرورة أن يتم البناء الجديد من خلال « هدم الاجهزة القديمة » وبناء « الديمقراطية الجديدة » التى تطرح قضاياها من خلال « الجماهير » وفى اطار جماهيرى . ولهذا فهو يركز دائما على مفهوم « مجتمع الجماهير العاملة » . وفى نفس الوقت الذى يواجه فيه بحسم — وبلا مهادنة — القوى التى لا تتفق مصالحها مع البناء الجديد ، يحرص أيضا على نبذ كل الظروف التى يمكن أن تفرخ « قوى جديدة » تعوق مسار الثورة وتطورها الى آفاق أرحب . وإذ يركز على قضية التنمية فى اطار جماهيرى، يركز ايضا على قضية « العمل » وقيمه الجديدة ، ويصبح واجبا على كل مواطن صومالى أن ينضم الى « معسكرات العمل » لمدة أربعة أشهر كل عام . وينطبق ذلك على الجميع حتى اولئك الذين يعملون بالسلك الدبلوماسى خارج البلاد . ولا يغيب عن رؤية الثورة الصومالية ان الاستعمار — وبخاصة الاستعمار الجديد وفى كل صوره — هو العدو الرئيسى والمباشر للثورة . وعلى هذا الاساس ترتب الثورة تناقضاتها وفق هذا التصور .

كيف كان كل هذا الانجاز الضخم ؟ فى ظل ظروف لحركة التحرر الوطنى الافريقية يميزها طابع الدفاع عن النفس ، وفى ظل غياب حزب سياسى قائد ، وفى ظل عدم وجود طبقة عاملة واسعة ومنظمة ، وفى ظل غياب حركة فلاحية منظمة ، بل وفى ظل وجود بورجوازية تجارية قديمة ، ولها جذورها كان يساندها راسمال اجنبى عاتى ، وفى ظل وجود مشكلة وطنية على الحدود مع الجيران ، وفى ظل وجود عدو استعمارى متربص يمثل هذه الانجازات .

تلك هى الأسئلة التى يتحمل الثوريون الصوماليون ، مسئولية الاجابة عليها وصياغتها فكريا وفق معطيات التطبيق العملى الذي قامت فيه الجماهير بمبادرات هائلة . وهم اذ يفعلون ذلك ، انما يثرون لا فكرهم الثورى فحسب بل والفكر الثورى العالمى كله .

تحية لشعب الصومال العظيم الذى يبنى تجربته الرائدة التى تستحق المتابعة بالاهتمام كله وعناية القلب كله .

حسين شعلان

هذه العملية الى اغضاب عديد من قادة الحزب القدامى وعلى راسهم هيوبرت همفرى واستنفارهم ضد ماكجفرن . ولا يعنى ذلك فى راى عديد من المراقبين أن المعركة الانتخابية اصبحت محسومة مقدما لصالح نيكسون فما يزال وراء ماكجفرن العديد من القوى المؤيدة ، وخصوصا من الشباب والنساء والزنوج وجماعات المناهضين لحرب فيتنام وغيرهم ممن يمكن ان يقلبوا ميزان القوى لصالحه على نحو غير متوقع . وعلى أية حال مهما عددنا من عوامل لصالح نيكسون أو ماكجفرن فسيبقى العامل الحاسم فى مدى قدرة كل منهما على تمثيل مصالح التحالف العسكرى — الصناعى المسيطر على الحياة الامريكية والمناخ الذى صنعه هذا التحالف واجهزته للسيطرة على المعركة الانتخابية من اولها . هل هو مناخ محافظ يتناسب مع برنامج نيكسون وحزبه أم انه مناخ ليبرالى يتقبل تطلعات ماكجفرن المتواضعة .

●

■ اليابان — الصين الشعبية

هل هو الختام المظفر للفصل الدرامى فى حياة ماو ؟

يرى عدد من المراقبين السياسيين ان زيارة **كاكوى تاناكا** رئيس وزراء اليابان الاخيرة للصين الشعبية ، قد تكون أحد الفصول الختامية المظفرة فى حياة الزعيم الصينى **ماوتسى تونج** بعد الفصل الذى سبقها وتمثل فى زيارة الرئيس الامريكى **نيكسون** لبكين . اذ رضخ زعيما الدولتين العظميين فى عدائهما للصين تاريخيا ، وهما **اليابان** (التى شنت حروب ابادة ضد الشعب الصينى فى الثلاثينات راح ضحيتها عدد يتراوح ما بين ٢٥ ، ٥٠ مليونا صينيا حسب تقديرات المؤرخين) **والولايات المتحدة الامريكية** التى ساهمت عسكريا فى محاولات ضرب الثورة الصينية ، وفرضت « بالكتاب الابيض » الذى اصدرته حصارا اقتصاديا لا يعرف الرحمة على جمهورية الصين الشعبية منذ تأسيسها سنة ١٩٤٩ رضخ زعيما هاتين الدولتين فى نهاية الامر ، وفى بكين نفسها ، لحقيقة نجاح النظام الصينى ، وثباته ، وتوطيد دعائمه · وهكذا فرضت الصين الشعبية وجودها فى نهاية الامر ، على **أكبر دولة امبريالية فى آسيا وعلى أكبر دولة امبريالية فى العالم** ، وهو نجاح يضفى على المراقبين طابعا اشبه بالختام الدرامى **المظفر** لحياة ماوتسى تونج السياسية .

وليس ثمة شك فى أن **العامل الاقتصادى** هو احد العوامل الهامة وراء هذه الزيارة ووراء تقارب اليابان من الصين ، ذلك أن الاعلان المفاجىء عن زيارة الرئيس الامريكى نيكسون لبكين ، سبب ذعرا شديدا فى دوائر رجال الاعمال والصناعة فى اليابان أولئك الذين يعتبرون الصين سوقهم الطبيعى ، والذين خشوا ان تغلق مبادرة نيكسون السياسية ، السوق الصينية الضخمة أمامهم ، عن طريق استخدام الطاقة الاقتصادية الضخمة للولايات المتحدة . واشتد الذعر فى طوكيو من أن يخسروا الصين مرتين : « مرة لماو ومرة لامريكا » . وزاد من هذا الذعر والاستياء ، سياسة **ايزاكو ساتو** رئيس الحكومة اليابانية السابق ، المتعنتة الحمقاء ازاء الصين الشعبية والتى ساهمت فى الاطاحة به فى النهاية ·

ويميل عدد من المراقبين الى المبالغة فى تصور سياسة تاناكا من ناحية استقلاليتها عن الولايات المتحدة وسيرها على خطوط ذاتية ويستدلون على ذلك بقبول حكومة اليابان لشروط الصين من أجل اقامة العلاقات الدبلوماسية معها ، وهى : الاعتراف ببكين ، كالحكومة الوحيدة التى تمثل الشعب الصينى ، وبتايوان كجزء من أراضى الصين ، والغاء معاهدة الصلح بين اليابان وفورموزا — ولكن الحقيقة الرئيسية التى لا ينبغى أن تغيب عن البال هى أن تاناكا عندما شرع فى سياسة التقارب مع الصين ، كان يسير فى نفس الوقت على خطوط اكثر اتساقا مع الخطوط الاستراتيجية العريضة للسياسة الامريكية فى آسيا ، والتى تقوم فى الفترة الراهنة على أساس التقارب مع الصين — وليس ثمة شك فى أن سياسة تاناكا ازاء الصين أكثر اتساقا مع سياسة الولايات المتحدة ازائها ، من سياسة **ايزاكو ساتو** السابقة التى كانت « نشازا » فى المنطقة وكانت تبدو وكأنها « أكثر ملكية من الملك نفسه » بغير أن يعود على اليابان من وراء ذلك ، أى نفع اقتصادى ، أو تجارى ·

ولذا فالاصح أن يقال أن الاشارة الخضراء قد أعطيت من واشنطون أولا بشأن التقارب مع الصين ، ولعل التغير الجماعى فى مواقف حلفاء الولايات المتحدة وتوابعها فى آسيا ازاء الصين يعكس هذه الموافقة الامريكية المسبقة . فمبادرة **تايلاند** بارسال مبعوث خاص الى بكين ، ليست بمحض الصدفة ، وكذلك سفر وفد برلمانى **فلبينى** الى بكين للالتقاء بشواين لاى ، واعلان **اندونيسيا** استعدادها لاعادة العلاقات التى قطعت مع الصين الشعبية سنة ١٩٦٧ . يضاف الى كل ذلك التقرب **الكورى الجنوبى** من كوريا الشمالية صديقة

الصين وحليفتها والذى بدأ محسوسا فى الفترة الاخيرة .

وليس ثمة شك فى أن هناك مصلحة متبادلة مؤكدة لكل من الصين واليابان فى سياسة التقارب بينهما ، ذلك أن الصين تريد ألا ينفرد الاتحاد السوفيتى بصداقة اليابان ، فى حين تريد اليابان ألا تنفرد أمريكا بصداقة الصين . ومن هنا فان التقارب اليابانى الصينى يشكل بالنسبة للبلدين **عوامل توازن آسيوى** ازاءكلمن الاتحادالسوفيتى والولايات المتحدة الامريكية .

وليس ثمة شك ايضا فى أن زيارة تاناكا للصين قد شكلت ظرفا مواتيا للمصالح الاقتصادية اليابانية ، فقد اسفرت عن اقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، وانهاء حالة الحرب بينهما التى استمرت ٣٥ عاما واعادة العلاقاتبين البلدين الى حالتها الطبيعية . ولكل ذلك أهميته بالنسبة للمصالح التجارية اليابانية خاصة بعد أن أعلنت الصين أنها ستمنح الافضلية فى عقد الاتفاقيات الجمركية للدولالتى تقيممعها علاقات دبلوماسية ، كذلك فقد شكل الخلاف الامريكى ـ الصينى بسبب الحرب الفيتنامية ، ظرفا مواتيا آخر للمصالح اليابانية اذ رفضت بكين على الدوام تطوير علاقاتها التجارية مع واشنطون قبل انهاء الحرب فى الهند الصينية بصورة تامة .

●

■ مالاجاش

تسيرانانا .. البداية والنهاية

اخيرا ، وفى الحادى عشر من اكتوبر الماضى رضخ **فليبيرتسيرانانا** رئيس جمهورية مالاجاش (مدغشقر) للارادة الشعبية ، واضطر أن يعلن استقالته من منصبه ، مؤكدا بذلك فشل النظام الكومبرادورى الذى بناه ، وافلاس حكمه المستند **الى التحالف الوثيق مع الامبريالية العالمية** .

واذا كان تسيرانانا قد اغتصب قبل أن يذهب نحو أربعة عشر عاما متصلة من حياة شعب مالاجاش (٧ ملايين نسمة) منذ تم انتخابه للمرة الاولى فى مايو عام ١٩٥٩ كأولرئيسللجمهورية بعد الاستقلال ،الا أن القوى الشعبية قد تمكنت فى النهاية من اسقاطه .

وقد تكون استقالة تسيرانانا بملابساتها المباشرة مسألة عادية أو مألوفة فى دنيا السياسة والحكم ـ الا أن قصته من أولها ـ فى واقع الامر ـ تعطى للاستقالة مغزى آخر وتبرزها كدرس يجدر الاستفادة منه .

فتسيرانانا حمل معه الى الحكم ـ من البداية ـ خطا قائما على الارتباط الوثيق بفرنسا (الدولة الام !) ، وحتى حينما تقدم ديجول على المستعمرات الفرنسيةبعرضه الشهير عام ١٩٥٨ باستفتاء المستعمرات الفرنسية عن مستقبل العلاقة بفرنسا قاد تسيرانانا التيار الذى ينادى باستمرار الارتباط بفرنسا ضد **التيار الوطنى الحقيقى الذى** يطالب بالاستقلال التام وتمكن ـ بمساعدة سلطات الاحتلال الفرنسى ونفوذ الجاليات الاوروبية ـ **من** هزيمته وتشتيتقياداته أو **اعتقالهم** . ورغم ان تسيرانانا قد انتخب ـ كما اسلفت ـ رئيسا للجمهورية فى مايو١٩٥٩ الا أنه فيما يبدو ظل يعتبر نفسه **مفوضا من قبل « الدولة الام »والشرائح الاجتماعية المرتبطة بها للاشراف على تحويل العلاقات الفرنسية ـ المالاجاشية من علاقات استعمار تقليدى الى علاقات على نمط الاستعمار الجديد** . ففى يوم « **الاستقلال** » ٢٥ يونيو عام ١٩٦٠ صدر بيان « فرنسى ـمالاجاشى » مشترك أكد على استمرار« **الصداقةالتقليدية** » . التى تربط الفرنسيين بمدغشقر ، **والافكار** والمبادىء المشتركة التى تدعم التعاون داخل **نطاق** المجموعة الفرنسية . وخطب **تسيرانانا فى نفس** اليوم فعبر عن امتنانه بحرارة **لكل ما قدمته وما** تقدمه فرنسا لبلاده من مساعدة وتأييد **(التايمز** البريطانية ٢٧ ـ ٦ ـ ١٩٦٠) ، **وانطلاقامن نفس** الخط الموالى للامبريالية **قنن تسيرانانا علاقته** العسكرية بفرنسا فى معاهدة دفاع ثنائية ، **وفتح** ابواب العاصمة تاناناريف ليعقد فيها **تشومبى وكازافوبو** المؤتمر الذى **اتفقا** فيه على **تمزيق** أوصال الكونجو عام ١٩٦١ ، وتبنى **سياسة** المحاور الانقسامية داخل القارة الافريقية **فكان أول** المتحمسين للدعوة التى اسفرت فى نفس **عام** ١٩٦١ عن تكوين مجموعة دول **أفرو مالاجاش** . واتبع سياسة قمع وحشية ضد كل معارضيه من الافراد والقوىوالاحزاب الوطنية والتقدمية وليس غريبا بعد ذلك وفى ظل مناخ من هذا النوع ان تسقط مالاجاش نهائيا فى **قبضة الاستعمار الجديد** وان تتحول الى ساحة للصراع بين دوله **المختلفة** وان يتلفت شعب مالاجاش حوله فيجد نفسه الطرف الخاسر على طول الخط . فالامية ماتزال طبق على أكثر من ٧٠ فى المائة من ابنائه ومتوسط **الدخل الفردى** لم يزد عما كان عليه **فضلا** عن **التفاوت**

الرهيب فى الدخول وسيطرة الاحتكارات الاجنبية والفرنسية منها بشكل خاص على الاقتصاد القومى بأكمله · وتتجمع الحركة الوطنية من أجل الاطاحة بهذا الحكم المستبد ويبدا صوتها فى الظهور ، وتصادف أن حدث انقلاب زنزبار التقدمى فى نفس الفترة تقريبا عام ١٩٦٤ فأصيب تسيرانانا بالذعر وصرخ طالبا من فرنسا مساعدته ضد الخطر « الصينى والسوفيتى » الذى يوشك أن يطيح به · وحينما قرر تسيرانانا اجراء الانتخابات الجديدة عام ١٩٦٥ بهدف الحصول على واجهة ديمقراطية لحكمه اضطره نضال الحركة الوطنية الى تزييف تلك الانتخابات واعلان نجاحه بل وحصول حزبه المسمى بالاشتراكى الديمقراطى على كل مقاعد البرلمان البالغة ١٠٧ مقعدا فيما عدا ثلاثة فقط .

وعندما قررت الدول الامبريالية فك الحصار المضروب حول حكومة جنوب أفريقيا العنصرية من جانب دول القارة الافريقية كان تسيرانانا على رأس المنفذين لهذه السياسة ·

وهكذا راح تسيرانانايكشف نفسه أكثر وأكثر حتى على رفاقه فى نفس الطريق ·· وانتقلت الازمة الى داخل حزبه الحاكم ، فأقال وزارته فى ديسمبر عام ١٩٦٩ استعدادا للانتخابات التشريعية ، وحينما انتهى من تزييف الانتخابات فى سبتمبر ١٩٧٠ شكل الوزارة الجديدة برئاسة «ريسامبا » الذى كان وزيرا للداخليةفيما قبل ، ولكنه سرعان ما أقاله رغم أنه واحد من أهم قيادات نظامه ليضعه وزيرا للزراعة فى التشكيل الجديد ·

لكن طلائع الشعب حملت السلاح واتسعت جبهة المقاتلين يقودهم حزب « مونيما » التقدمى وزعيمه « أندريا مونجاتو » وخلال عام ١٩٧١ يتصاعد الكفاح المسلح فى الجنوب وداخل العاصمة تاناناريف · ويعجز المظليين الفرنسيين الذين استعان بهم تسيرانانا عن وقف تيار الثورة ويضطر (وهو الرئيس الذى انتخب للمرة الثالثة فى يناير ١٩٧٢) أن يتنازل للجيش عن تصريف الامور ويأتى بالجنرال « جابريل راماناتسوا » رئيسا للوزراء ويعلن وزير الخارجية الجديد فى حكومة « رامانا تسوا »يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٢ عن عزم الحكومة اعادة النظر فى سياسة الحوار مع جنوب أفريقيا ، ويطلب رئيس الوزراء الجديد سلطات تنفيذية واسعة لمدة خمس سنوات من أجل اصلاح أحوال البلاد ويعارض تسيرانانا بحجة أن ذلك يعنى فرض الديكتاتورية العسكرية ، ولكن حينما يعرض الامر على الناس فى استفتاء جماهيرى يضربون بمعارضة تسيرانانا عرض الحائط فيجد الرئيس نفسه ولا مفر أمامه من الاستقالة

■ ■

تقرير خاص
الذكرى الثامنة لثورة اكتوبر السودانية

فى أكتوبر ١٩٦٤ شهدت السودان انتصار الارادة الشعبية السودانية ــ على حكم عسكرى رجعى استمر يحكم البلاد لمدة ستة سنوات · وعلى انقاض « حكومة العساكر » تألفت حكومة تمثل سلطة مزدوجة ــ اليمين بكل أحزابه التقليدية ، والقوى الوطنية والثورية بكل فصائلها الثورية والديمقراطية ·· وكان اليمين بكل قواه التقليدية يستمد قوته فى السلطة ، من مواقعه التى تدعمت خلال سنوات الحكم العسكرى وازداد ارتباطه بالاستعمار الجديد واحتكاراته ، وخاصة بالولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية ، وكما أن أجهزة السلطة ومؤسساتها كانت لاتزال فى قبضة المؤسسة العسكرية والبوليس والخدمة المدنية ، والمؤسسات القبلية والطائفية . وكانت القوى الثورية والوطنية تعتمد أساسا على القوى الطبقية والاجتماعية الحديثة ــ العمال والمزارعين والمعلمين والمثقفين الوطنيين ، لقد كان الشارع السودانى فى المدن الرئيسية فى أيدى هذه القوى ــ بينما كانت السلطة فى قبضة اليمين يدعمه نفوذه وسط الجماهير العريضة فى الريف والمناطق القبلية ·

ومنذ الايام الاولى لاكتوبر بدا اليمين يعد العدة للتخلص من هذا الوضع الثورى الجديد ــ وللانفراد بالسلطة · وتمكن اليمين بواسطة سر الختم خليفة رئيس الوزراء أن يحكم مؤامرته

للانقضاض على ثورة اكتوبر ، وكان محورمخططه اجراء انتخابات سريعة للجمعية التاسيسية •وفى فبراير١٩٦٥هدمسر الحتم اسقانتهمجلس السيادة، وعاد وشكل وزارة جديدة استبعد منها العمال والمزارعين . وجاءت الانتخابات لصالح اليمين وشكل محمد محجوب وزارة الردة الأولى من الامة والوطنى الاتحادى • وتلتها وزارة الصادق فى ١٩٦٦ ، واعقبتها مرة اخرى وزارة محجوب فى مايو ١٩٦٧ والتى اشترك فيها حزب الشعب الديمقراطى • وفى ظل هذا الحكم اليمينى تسلل الاستعمار الحديث الى كل مرافق ومؤسسات الدولة ، وتعرضت البلاد لازمة اقتصادية ، وأفلست الميزانية ، وعجزت الحكومة عن اجراء اى اصلاحات ، وعن تقديم اى حلول للازمةالاقتصادية والسياسية •

واشتد الصراع ضد حكم الردة . ووسط ظروف صراع برلمانى ليبرالى زائف ورجعى ، ووسط جو هستيرى معاد للثوره ولكل قوى التقدم ، ووسط سيطرة حاكمة من قبل دوائر الاستعمار الحديث والقديم ـ تمكنت القوى الوطنية الديمقراطية والثورية ان تكسب مواقع تشن منها نضالها ضد الثورة المضادة • وبذلك تمكنت فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ فصيلة من فصائل الثورة ـ تنظيم الضباط الاحرار ـ من التطويح بالرجعية الحاكمة • وتشكلت سلطة جديدة بقيادة هذه الفصيلة التى كانت فى تركيبها تمثل جبهة ضمت وقتها الوطنيين والديمقراطيين الثوريين والشيوعيين • وتشكلت حكومة ضمت قوى عديدة أغلبها من ممثلى الوطنيين الديمقراطيين الثوريين والشيوعيين ، ولكنها فى نفس الوقت ضمت عناصر يمينة ومشبوهة تدعى استقلاليتها عن جميع الاتجاهات والاراء والاحزاب • وتحت هذه « العبارة » المضللة « عبارة المستقلين » تمكنت هذه العناصر أن تعيش وتخطط لمؤامرة بعيدة المدى للانقضاض على الثورة •

وكانت ثورة مايو منذ قيامها قد أعلنت انها ستعتمد اعتمادا كاملا على جماهير الشعب العامل وعلى منظماته الديمقراطية ، وانها ترفض طريق التطور الراسمالى وانها تسعى لاقامة نظام اشتراكى ، وانها تعارض الاستعمار القديم والحديث • وانها مع النضال العربى ضد العدوان الامبريالى والصهيونى ، وانها مع مصر خاصة بحكم الكفاح المشترك بين الشعبين الشقيقين ، وانها ستعتمد على الصداقة مع المعسكر الاشتراكى وفى مقدمته الاتحاد السوفيتى • وانها امتداد لثورة اكتوبر ١٩٦٤ واحياء لها ، وانجازا لمهام الثورة الوطنية الديمقراطية .

وفى خلال عام من قيام الثورة انجزت مهام ثورية عديدة وخاصة بالاعتماد على قوى الشعب الديمقراطية المنظمة ـ من عمال ومزارعين ومثقفين •• ادانة للاستعمار والرجعية وتصفية لمواقعهما ، تأميم ومصادرة المصالح الاجنبية والرجعية ، تصفية للطائفية ومؤسساتها الحزبية ، الاعلان عن حل علمى لمشكلة الجنوب ، انشاء علاقات صداقة وتعاون متعددة الجوانب مع المعسكر الاشتراكى وخاصة مع الاتحاد السوفيتى ، الاعتراف بجمهورية المانيا الديمقراطية ، وفى مقدمة هذه الانجازات دعم العلاقات مع مصر الى ابعد الحدود ـ هذه العلاقات التى طالما ارادت الرجعية السودانية والاستعمار ان يسيئا اليها ويضعفاها ويصيباها بالفتور لعزل السودان عن الشمال المتحرر والمنطلق الى آفاق اكثر ثورية وخاصة منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ •

وأمام عنف الضربات الوطنية الديمقراطية والثورية لمراكز الاستعمار والرجعية بدأت القوى المضادة للثورة فى تنفيذ مخطط ناعم هادىء للانقضاض على مايو ـ كما انقضت من قبل على اكتوبر . ومنذ مارس ١٩٧٠ حيث ضربت أخطر عملية رجعية كانت موجهة ضد مايو ـ فى الجزيرة آبا ، بدأ هذا المخطط يأخذ طريقه ، وكانت محاوره :

اولا : احداث الفرقة داخل مجلس الثورة نفسه ، بين العناصر الوطنية والديمقراطيين الثوريين والعناصر التى كان معروفا انها اعضاء فى الحزب الشيوعى السودانى • بهدف استبعاد أصلب عناصر المجلس فاروق حمد الله ـ مهندس ثورة مايو كما كانوا يطلقون عليه ـ وبابكر النور وهاشم العطا • واغراق عناصر أخرى من أعضاء المجلس فى حياة الفساد ، والشلل والمحسوبية •

ثانيا : احداث صراع داخل القوى الثورية ـ وتغذية هذا الصراع بكل الوسائل ـ صراع داخل الحزب الشيوعى السودانى ـ صراع بين القوى الوطنية الديمقراطية ـ دفع النظام للدخول فى معركة مع الحزب الشيوعى •

ثالثا : تغذية الاتجاهات المعادية لمصر ـ ضمن تغذية سياسة تسىء الى العلاقات السودانية العربية .

رابعا : انتهاج سياسة مالية تلقى بعبء التخلف والازمة الاقتصادية الموروثة على عاتق جماهير العمال والمزارعين والموظفين والمعلمين وصغار التجار - باجراءات ضرائبية واستقطاع من المرتبات والاجور - بهدف عزل جماهير الثورة الحقيقية عنها - هذه الجماهير التى نزلت الميدان للعمل بقوة أبرزتها ايام يونيو ١٩٦٩ وما بعدها ووقفتها فى مارس ١٩٧٠ فى مواجهة المؤامرة الرجعية الاستعمارية .

خامسا : تغذية تناقضات بين السلطة والتنظيمات الجماهيرية الديمقراطية والطبقية بهدف خلق جبهات فرعية للصراع المحلى .

سادسا : تغذية التمرد فى الجنوب ، بهدف ارهاق الميزانية وخطة التنمية والاجراءات الاقتصادية الجديدة بزيادة الانفاق العسكرى ، ولاغراق السودان فى هذه المشكلة لابعاده عن المعركة الرئيسية الدائرة مع الاستعمار والصهيونية، وبهدف زيادة ثقل ووزن قوى النظم الرجعية المتاخمة السودانية كقوى ضاغطة على النظام السودانى الجديد، وكقوى تؤدى دورها فى الوقت المناسب باعتبار ان حل مشكلة الجنوب فى يدها .

سابعا : الاساءة الى العلاقات مع المعسكر الاشتراكى والتى بدأت تنمو وتزدهر على أساس الاخوة والتعاون غير المشروطين، والتى استهدفت وحدة الحركة الثورية العالمية .

واخذ المخطط الرجعى ينسج خيوطه خيطا خيطا - وامتلا الجو الثورى الذى عاشته السودان عامين بروائح عفنة - وتلبد الجو بغيوم كثيرة - وتعقد الصراع واحتدم بين قوى الثورة والقوى المضادة للثورة . ووسط هذا الجو كانت الاحداث الدامية فى يوليو ١٩٧١ .

وتركز المخططات الاستعمارية والصهيونية مؤامراتها ضد العلاقات المصرية السودانية فليس فى امكان اى رجعية أو قوى استعمارية ان تحكم فى السودان والعلاقات الاخوية التقليدية مع مصر على ما يرام . ان الاتجاه المعادى لمصر فى السودان كان دائما ابدا هو اتجاه الاستعمار وعملائه .

وهكذا تجىء الذكرى الثامنة لثورة اكتوبر التى اجهضتها الرجعية ودوائر المخابرات الاستعمارية فى ١٩٦٥ .

عبد المنعم الغزالى



شيلى .. بين فكى كسارة البندق

عندما هبطت الطائرة الاليوشن ٦٢ الضخمة الى مطار سنتياجو مقلة اكثر من مائة شخصية عالمية هم أعضاء رئاسة مجلس السلم العالمى ، لم تكن ثمة شخصية هامة فى استقبال الوفود ، فشيلى بالرغم من اهتمامها البالغ باجتماع رئاسة مجلس السلم العالمى على ارضها وبرغم كل ما بذلته من الاعداد للاجتماع كانت منشغلة على استقبال الوفود بحدث خطير .

وعلى أرض المطار همس شبان سنتياجو الصغار فى آذاننا بالحقيقة ، أن أحدا لم يستطع الحضور لان (الفاشست) هكذا يسمون قوى اليمين قد اقتحموا مبنى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الشيلى واحتلوه لمدة ساعتين واستولوا على كل ما وجدوه بداخله من أوراق ..

واهتزت سنتياجو ، لان هذا الموقف من جانب اليمين يعنى تصعيدا خطيرا لعملياته المخططة لاستفزاز الحزب الشيوعى واستدراجه الى ميدان العنف المتبادل .

ان الاسلوب الديمقراطى فى التعبير هو أساس التجربة الشيلية ، وقد كان انتهاك اليمين لهذا الاسلوب تدبيرا مخططا لافتعال معركة بينه وبين الحزب الشيوعى منفردا .. واجتمعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى - وكانت مجتمعة ساعة وصولنا - ، واجتمعت قيادة الجبهة - وكانت

أيضا مجتمعة فى نفس الوقت ـ وكان القرار فلنتمسك نحن بالاسلوب الديمقراطى فى التعبير ولنترك اليمين يعزل نفسه .

وشيلى بتجربتها الفريدة ـ تجربة بناء الاشتراكية من خلال الحصول على الاغلبية البرلمانية ـ مجبرة على السير فى هذا الطريق الصعب ، طريق التعبير الديمقراطى الحر . ومن هنا فان شوارع سنتياجو تزدحم كل يوم بعشرات المظاهرات ، فاليسار المتطرف بقيادة الحركة الثورية اليسارية MIR وهى منظمة تنتمى الى ما يمكن تسميته بالاتجاه الجيفارى يغزو شوارع العاصمة بآلاف المتظاهرين يحملون أعلاما « حمراء وسوداء » يرددون شعارات تهاجم ما يسمونه تردد « الليندى » فى مواجهة اليمين ، واليمين المتطرف بكل ما لديه من امكانيات ضخمة من ملايين المنشورات والملايين ليست مجرد مبالغة لفظية ، فمنشورات اليمين توزع بالفعل بالملايين وهم لا يوزعونها على الافراد وانما ـ ببساطة ـ يغطون بها أرض شوارع العاصمة بشكل يلفت النظر ويدفع الانسان لالتقاط واحد منها .. وسيارات اليمين تتحرك بسرعة لتنقل المتظاهرين وقواتهم الضاربة بسرعة تكفل لهم الى حد كبير سرعة المناورة ، والقدرة على تلافى ضغوط الخصوم ..

ومظاهرات اليمين تتسم بطابع شبه فاشستى ففى مقدمتها تسير على الدوام عدة مئات من ذوى البيريهات السوداء الممسكين بعصيهم الغليظة بطريقة خاصة ، وذوى البيريهات السوداء هم القوة الضاربة لليمين والتى يحاول من خلالها خلق جو من الفوضى ، واستدراج الشيوعيين والاشتراكيين الى حلقة العنف المتبادل حتى تفقد التجربة طابعها الاساسى وهو الطابع الديمقراطى .

القوى المتصارعة

والصراعات فى شيلى تجرى فى ظل تناقض أساسى هو التقاء اليمين المتطرف باليسار المتطرف على مقاومة حكم الليندى .. واليسار المتطرف يتكون من مجموعة من التجمعات الحزبية أهمها :

● **الحركة الثورية اليسارية : MIR** بجناحيها الاساسيين : الحركة الثورية للطلاب FTR والحركة الثورية للفلاحين M.C.R. ، وهى حركة متطرفة ترفض الاسلوب البرلمانى لبناء الاشتراكية وتدينه باعتباره موقفا انتهازيا غير ماركسى ، وهى تؤمن بالصراع المسلح كسبيل لانهاء حكم البرجوازية ، وتقول أحد الكراسات النظرية لهذه الحركة « ان السبيل الوحيد للاطاحة بحكم البرجوازية هو تصفية بنائها الفوقى بكل ما يتضمنه من تكوينات ومصالح ، أما الادعاء بامكانية بناء الاشتراكية دون الاطاحة مسبقا بهذا البناء الفوقى فانه لن يؤدى الا الى امتطاء عناصر برجوازية جديدة ـ وربما من نوع جديد ـ لقمم السلطة فى النظام الجديد» .

ومظاهرات هذه الحركة تهتف بسقوط **الليندى** وتنادى بحكم ثورى يهدم كل بقايا وآثار الاستغلال الرأسمالى ويرفض الديمقراطية البرجوازية ونظامها .. ويرفض النظام الرئاسى ويطالب بحكم العمال والفلاحين الفورى ودونما حاجة الى أية تهادنات مع البرجوازية أو البرجوازية الصغيرة والوسطى .

والجناح الفلاحى لهذه الحركة M.C.R. هو الذى خاض معركة احراج الليندى بتسيير الفلاحين المعدمين فى أفواج من المظاهرات العنيفة التى استولت على ارض كبار الملاك بالقوة ، وفرضت بالقوة ـ أيضا ـ طابعا أكثر تطرفا لتجربة الاصلاح الزراعى فى شيلى . أما جناحها الطلابى فانه صاحب النفوذ الاكبر بين طلاب المدارس الثانوية .

وبالاضافة الى هذه الحركة فان هناك حلقتان صغيرتان هما الحزب الشيوعى الثورى P.C.R. وحزب العلم الاحمر الشيوعى وكلاهما ذو اتجاه صينى ، لكنهما بغير نفوذ حقيقى .

● **الحزب الديمقراطى المسيحى** وهو دعامة اليمين المتطرف ، وربما أمكن القول انه أقوى الاحزاب الشيلية ، فقد حصل فى الانتخابات الماضية على أعلى نسبة من الاصوات (٣٠ فى المائة) . وهذا الحزب يهاجم **الليندى** بسبب اتجاهاته الاشتراكية ، ويعلن صراحة رفضه لاى اتجاه اشتراكى . ويستخدم هذا الحزب شعارات الوطنية كسبيل لاتهام الاشتراكيين والشيوعيين معا بالالتقاء مع مصالح خارجية ، ومتظاهرية لا يحملون الا العلم الشيلى ، ويرددون دوما شعار « يسقط الليندى ويحيا الوطن » .

لكن التشدد نحو اليمين قد أدى الى احداث تصدع فى الحزب فانقسمت منه مجموعة كبيرة العدد تسمت نفسها « **جماعة المسيحيين اليساريين** M.A.P.U. » وهى جماعة تؤمن بالمسيحية لكنها تنطلق من منطلقات اشتراكية وبالتحديد من منطلقات ماركسية . وتدين هذه المجموعة موقف قيادة الحزب وتدعو للتعاون مع حكومة الجبهة .. وهى تتفاوض الان للانضمام الى صفوف الجبهة ، بل وربما استطاع احد قطبى الجبهة استقطابها الى صفوفه .

والحزب الديمقراطى المسيحى هو محور المعارضة اليمينية ودعامتها الاساسية وقد تجمعت حوله فى الاونة الاخيرة كل العناصر اليمينية

والبرجوازيين الكبار وكبار الملاك العقـاريين والكمبرادور معلقة كل آمالها عليه فى اسقاط حكم الليندى ٠

احزاب الجبهة الحاكمة

وفى طليعتها بطبيعة الحال **الحزب الاشتراكى** ـ حزب الليندى ـ وهو حزب ذو نفوذ جماهيرى حصل فى الانتخابات الماضية على ٢٧ فى المائة من الاصوات ، وتعتمد نظرية الحزب على تحقيـق اصلاحات اشتراكية محـدودة (تأميم البنـوك والتجارة الخارجية والاصلاح الزراعى وتأميم المصالح الاجنبية) ويعلن الحزب ـ بشكل عام ـ انتماءه الى التيار الماركسى ، وان كان كوادره يحملون الكثير من التحفظات على التطبيـق الماركسى ٠ذلك ان الديمقراطية البرلمانية فى نظرهم هى الاساس ، ويشكل نجاحهم فى الوثوب الى السلطةعبر الانتخابات الماضية عقبة فكرية ضخمة أمام استيعابهم لامكانيات الصراع الاخرى ٠

وفى حوار مع أحد كوادر الحزب فى منطقة سانتياجو سألته وماذا لو فقدتم الانتخـابات القادمة؟ أجاب حسنا . .سوف نواصل السعى من أجل الفوز فى مرة تالية ، وهكذا فانهم يحصرون كل تطلعاتهم بل وكل خيالاتهم فى أطار العمل البرلمانى .وبالرغم من الصعوبات التى سيواجهها هذا الحزب فى الانتخابات القادمة ، فـانهم يستمدون اطمئنانهم من نظام الحكم الرئاسى الذى سيكفل استمرار **الليندى** فى الحكم طوال ست سنوات حتى ولو فقد حزبه الجولة الانتخابية القادمة .

وعندما سألت هذا الكادر عن رأيه فى حلفائهم الشيوعيين ردد ـ بصورة اوتـوماتيكية ـ نفس الاقوال التى تتردد فى كل مكان « انهم متطرفون ـ نحن اشتراكيون وطنيون وهم أمميون ـ الشيوعية كنظرية شىء جيد وهى صالحة للتطبيق فى أماكن عديدة ولكن لشيلى ظروفها الخاصة الخ » ٠

ويستمد الحزب كثيرا من نفوذه من التفاف الكثيرين حول « **الليندى** » ذوالشخصيةالجذابة ، الشـديدة التـواضع ، الشـديدة الايمـان بالديمقراطية ٠

● **الحزب الشيوعى الشيلى** وهو ثانى أقطاب الجبهة ، وقد استطاع ان يفرض علنية منذ ١٩٦٠ وهـو يضم ١٥٠ر٠٠٠ عضـو بالاضـافة الى ٨٠ر٠٠٠ عضو فى منظمة الشبيبة . وقد حصل الحزب على ٣٠٠ر٠٠٠ صوت فى الانتخابات تمثل حوالى ٢٢ فى المائة من مجموع الاصوات وله فى البرلمان ٢٤ عضوا .

وفى حديث مع **كورفولان** سكرتير عام الحزب أكد استمرار سعى الحزب من أجل انجـاح التجربة ، وقال ان التجربة الشيلية تفتح آفـاقا واسعة وبغير حدود ، أمام الحركة الشيوعية فى أمريكا اللاتينية وفى العالم اجمع ٠

وعندما سئل **كورفولان** عن تصوره لافاق تطور التجربة ، قال انها ستتطور ويجب ان تتطور بغير حدود فى الطريق لبناء مجتمع اشتراكى متكامل ٠

وتطرق الحديث الى موقف الجيش من التجربة فقال **كورفولان** ان الجيش يحـتـرم التقاليـد الديمقراطية ،وقد أعلن قادته انمهمتهم هى حماية حدود البلاد واحترام الدستور ٠

ويتمتع الحزب الشيوعى بنفوذ كبير فى صفوف العمال وطلاب الجامعات وبعض المناطق الريفية ٠ وقد استطاعت تجربته فى التحالف مع الحزب الاشتراكى والوصول معا الى السلطة ان تكسب له احتراما كبيرا فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية باعتبارها تجربة جديدة تمهد لتطورات هامة فى العلاقات بين قوى اليسار المختلفة ٠

العـدوان الاقتصــادى

والنحاس وهو المصدر الاساسى للثروة ظل على الدوام فى أيدى الاحتكارات الامريكية التـى استطاعت ان تتحكم فى شيلى من خلال تحكمها فى النحاس .

وتعبير « العدوان الاقتصادى» هو التعبير الذى يفضل الليندى استخدامه فى وصف الاستغلال الاحتكارى لموارد النحاس . وقد قدم **الليندى** الكثير من التفاصيل حول « معركة النحاس » فى خطابه الذى القاه فى الحفل الذى اقيم بمناسبة منحه **ميدالية جوليو كورى للسـلام** « فالنحاس يشكل ٧٢ فى المائة من دخل شيلى من العملات الاجنبية و٢٥ فى المائة من الدخل القـومى للبلاد ٠٠ »

« ان رأس المال الذى استثمرته الشركات الاجنبية فى هذا المجال قد بلغ خلال ٤٣ سنة ما يوازى ٥٠ مليون دولار ، لكنها حققت فى هذه الفتـرة أربـاحا قـدرها ٣٥٠٠ مليـون دولار » ٠ « كذلك فان الشركات لم تكن تستثمر أرباحها فى شيلى مكتفية بالحصول على قروض من البنوك الاجنبية لتغطية نفقات اسـتثمارها وهكذا ارتفع رقم هذه الديون التى يتعين على شيلى سدادها الان الى٧٢٦ مليون دولار » « ولقد كانت شيلى تحصل من البنوك الامريكية على اعتمادات مصرفية قصيرة الاجل قـدرها ٢٤٠ مليون دولار سنويا ، لكنها بعد تأميم النحاس لم تستطع الحصول الا على ٣٢ مليون دولار فقط » ٠

ويمضي الليندى قائلا : « كذلك فاننا يجب الا ننسى مأساة تدهور أسعار النحاس،فقد بلغ سعر رطل النحاس فى عام ١٩٧٠ ، ٥٩ سنتا انخفضت فى عام ١٩٧١ الى ٤٩ سنتا . ويكاد يكون من المقطوع به انه سيواصل انخفاضه ايضا . لقد انتجنا فى عام ١٩٧١ نحاسا يزيد فى كميته عما انتجنا فى عام ١٩٧٠ ، بينما نقص دخلنا بما يوازى ١٧٥ مليون دولار . وفى هذا العام وبرغم كل الصعوبات ، فاننا سوف ننتج كميات اكبر من النحاس ولسوف نحصل للاسف على دخل أقل » .

هكذا جسد الليندى المأساة الحقيقية التى تعيشها شيلى هذه الايام . والتى تنعكس سريعا على مختلف مجالات الاقتصاد متمثلة فى ارتفاع الاسعار واختفاء بعض السلع مثل اللحوم والسجاير وقطع غيار السيارات وكثير من السلع التى اعتاد شعب شيلى ان يجدها دوما فى متناول يده .. كذلك انعكست فى تزايد حدة التضخم النقدى الامر الذى هبط بالسعر الفعلى للاسكودو (العملة الشيلية) من ٤٦ اسكودو للدولار (رسميا) الى ٣١٥ اسكودو للدولار (فى السوق السوداء) .

وبرغم ذلك فان الحكومة تواصل تحت ضغط بعض العناصر فى الحزب الاشتراكى سياسة رفع الاجور والمرتبات ، الامر الذى لا يؤدى فى ظل الازمة الراهنة الا الى تزايد حدة التضخم النقدى .

وفى مناقشة مع احد المسئولين فى وزارة الاقتصاد اعترف بالتضخم النقدى وبتزايد حدته لكنه حاول أن يخفف من الامر قائلا أن التضخم النقدى شيء مزمن فى شيلى ، لكنه أكد ان الايام المقبلة سوف تشهد اجراءات حاسمة لامتصاص نسبة من الفائض النقدى ، منها التأمين الاجبارى على السيارات الخاصة ، ومنها محاولة اقناع العمال بادخار نسبة من دخولهم .

وفى نفس الوقت لفت ذلك المسئول الانظار الى النجاحات الاقتصادية الهامة التى حققتها حكومة الليندى ،ومنها مثلاانخفاض نسبةالبطالة من٨ر٩ فى المائة الى ما يقرب من ٣ فى المائة .

الى الاونكتـــاد

واذا ما تركنا الشارع الصاخب بالمظاهرات دوما الى مبنى الاونكتاد الضخم الشديد الفخامة والذى بنته شيلى خصيصا لاجتماع مؤتمر الامم المتحـدة للتجـارة والتنميـة .U.N.C.T.A.D واحتفظت باسـم المؤتمـر لتطلقـه على هـذا الانجـــاز المعمارى الرائـع ، فاننا نجــد ردهات المبنى الضخم تموج طوال اسبوع كامل باعضاء رئاسة مجلس السلم العالمى الذين عقدوا أول اجتماع لهم بأمريكا اللاتينية علـى أرض شيلى .

ولقد وجه الرئيس السادات رسالة تحية الى الاجتماع باسم شعب مصر ، وقد عبر الرئيس السادات فى رسالته عن شكر مصر للجهـود المخلصة التى بذلتها حركة السلام العالمية تاييدا للحق العربى .

وقد اصدر الاجتماع سلسلة من القـرارات الهامة حول كثير من القضايا الدولية ، وقد تضمن قراره الخاص بمنطقة الشرق الاوسط ادانة صريحة للعدوان الاسرائيلى وادانة للاعتداء الاسرائيلى الاخير على سوريا ولبنان ، وجاء فى القرار ايضا « لقد اعربت جولدا مائير مؤخرا وبشكل سافر تماما عن المطامع الصهيونية للحكومة الاسرائيلية عندما اعلنت ان اسرائيل لا تعتزم الانسحاب من الاراضى المحتلة » .

ومن بين القرارات التى اتخذتها الرئاسة فى هذا الاجتماع ايضا قرار بمنح مدينة هـانوى ميدالية « لامبراكس » ومنح نفس الميدالية لبناة سد الفرات فى سوريا .. وقررت كذلك منح ميدالية جوليو كورى الذهبية لفيدل كاسترو .

وانتهت جلسات اجتماع الرئاسة وعادت الوفود الى المطار لتخترق من جديد مظاهرات عديدة بعضها يكتفى بالسير فى طوابير منتظمة حاملا رايات حمراء تقول « الحكم للعمال » « عاشت حكومة البروليتاريا » انها مظاهرات الحـزب الشيوعى ، وبعضها صاخب يهتف بسقوط الليندى وهى مظاهرات اليمين واليسار معا ..

وهكذا نعود الى نفس القصة القديمة عندما يجد نظام ثورى نفسه بين فكى كسارة البندق ، وعندما تتصاعد الضغوط ضده من اليمين واليسار معا .

والنظام الشيلى موجود الان بالفعل فى نقطة الارتكازبين فكى الكسارة ،فهل سيستطيع الافلات منها ؟ الكثيرون يؤكدون .. نعم . ويؤكدون معها ان نجاح التجربة الشيلية سوف يمثل نقطة تحول خطيرة جدا فى تاريخ امريكا اللاتينية وفى تاريخ الحركة الاشتراكية فى العالم اجمع .

د. رفعت السعيد

مكتبـــة
الطليعـة

الحـركة السياسية فى مصـــر
١٩٤٥ ـ ١٩٥٢

■ تأليف :

طارق البشرى

■ عرض وتحليل :

صلاح عيسى

■ الناشر :

الهيئـــة العامة للـكتاب
القاهرة ـــــ ١٩٧٢

يأتى كتاب « طـارق البشرى » : الحـركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ فى وقتـه تماما ..

وقليلة هى الكتب التى تأتى فى وقتها ، فما أكثر الممتاز من الكتب والابحاث ، الذى يأتى فيضيف كثيرا أو قليلا .. لكن مشكلته تظل فى أنه كان يمكن أن يصدر بعد ذلك بسنوات أو قبلها بسنوات فلا يؤثر ذلك فى شىء ..

وأحد الاسباب الكثيرة التى تؤكد امتياز هذا الكتاب الباهر ، هو الدوافع التى أملت علـى صاحبه أن يهتم بموضوعـه ، وأن يوفر لـه هذا الجهد الصبور وغير العادى ، فى جمع مادته ، والترجيح بين الاختلافات فيها ، ثـم تصـنيفهـا وتحليلها ، والخروج من ذلك كله بوجهة نظر شاملة وصحيحة ، بما جعل الكتاب اسهاما ثريا فى تأكيد جهود المدرسة الاشتراكية العلمية فى التـاريخ المصرى ، التى يـعتبر طـارق البشرى من ألمـع وجوهها الشابة ..

وعلى الرغم من أن المؤلف لم يعن بأن يقدم كتابه لقارئه بما تعود عليه المؤلفون من مقدمات توضح

الدوافع التى أملت عليه اختيار موضوعه ، فان الكتاب نفسه يشهد على الهموم الفكرية والسياسية التى حركت صاحبه ، لقد اختار من فترات التاريخ المصرى ، فترة حاسمة ، شهدت عوامل الهدم فى النظام القديم ، وصنعت مانعيش فى ظله اليوم من مراحل الثورة الوطنية التحررية ، بل صاغت أيضا ملامح هذه المرحلة ، بكل ما فيها من خير وشر ، ومن امتياز ونقائص ، ولن نجاوز الحقيقة — التاريخية أو السياسية — اذا قلنا أن الدراسة المعمقة التى قدمها المؤلف تجعل ما انتهت اليه ثورة ٢٣ يوليو من ظروف راهنة مفهوما وقابلا للتفسير ، فى ضوء العوامل التى صنعتها ، وكانت سببا فى وجودها ..

ويبنى المؤلف دراسته كلها ، على رؤية تنظر للتاريخ باعتباره صراعا اجتماعيا وطبقيا بالاساس ، وتفسر الظواهر السياسية — بما فيها من خلاف وائتلاف وتطاحن — بهذا التناقض الطبقى ، وتضع فى اعتبارها ، تأثير كل العوامل الاخرى فى الظاهرة التاريخية ، ومنها العوامل الذاتية والفكرية والعالمية .. واذا كانت بعض تلك العوامل تأخذ وزنا أكبر فى التأثير على الظاهرة التاريخية فى بعض المراحل ، فهى جميعا تنطلق أو ترتبط أو تصب فى العامل الاساسى والحاسم والمؤثر فى التاريخ وهو الصراع الطبقى ..

ويتميز منهج المؤلف فى كتابه تميزا واضحا فى اطار مدرسة التاريخ المصرى المعاصرة من ناحية ، كما أنه يتميز أيضا فى اطار مدرسته التى ينتمى اليها — المدرسة الاشتراكية العلمية — من ناحية أخرى ..

وبرغم الدور الذى أدته المدرسة البورجوازية فى التاريخ المصرى ، بتصديها للمدرسة الاستعمارية وتفنيد كل آرائها الخاطئة ، فانها قد تركت عددا من الافكار التى ترسبت طويلا ، ومنها التركيز المبالغ فيه على دور الفرد فى التاريخ ، بما يعطى العوامل الذاتية مركز الصدارة والحسم فى تسيير الظواهر التاريخية ، والنظر لحركة التاريخ باعتبارها صراع قوميات وليس تناقض طبقات ، وهو ما أثر فى رؤيتها للصراع الدولى ، ذلك الصراع الذى لم تفهمه البورجوازية المصرية أبدا — على المستويين الفكرى والسياسى — ويبدو أنها لن تفهمه الى ما شاء الله !

وبعد ثورة ١٩٥٢ ، حدث تركيز شديد على هذه الافكار المترسبة من المدرسة البورجوازية ، وخاصة فى المعالجات التاريخية غير الاكاديمية — على المستوى الدعائى بالذات — مع جنوح لسلب الاقدمين فضلهم فى النضال ، وبهذا طهرت المدرسة البورجوازية فى التاريخ المصرى من افضالها ، ولم يبق منها سوى اردأ مقولاتها .. وادنى افكارها للصحة .

ووسط هذا ، فان الجهد المبذول للتصدى لهذا التيار وتجاوزه ، يحتاج الى شجاعة فائقة ، وخاصة من العناصر الشابة التى تأثرت — مهما كان وعيها الذاتى — بهذا المناخ ، والتى كان عليها أن تبدأ عملية تدريب شاقة لملكاتها الفكرية ، لا لكى تخطو خطوة للامام .. ولكن لكى تنقذ نفسها من الرجوع خطوتين للخلف ..

وهنا يظهر تميز دراسة « طارق البشرى » وسط مدرسة التاريخ المصرى المعاصرة — بكل تياراتها — ذلك أنه بدرجة من الحيوية العقلية الملموسة ، تمكن من انقاذ عقله من الانصياع للمقولات الشائعة ، التى أثرت فى كثيرين بحكم الحاحها المستمر طوال عشرين عاما ، والتى نرى نتائجها فى العديد من المعالجات لظواهر التاريخ المصرى ، من تكريس للبطولات الفردية يقرب بأصحابه من الدعوة للثيوقراطية ، حيث الوطن والمجتمع والماضى والمستقبل هو فرد بذاته ، معصوم من الخطأ ، مرتفع فوق النقد ، ومن المستحيل تجاوزه ..

ويبدو تميز الدراسة وسط المدرسة الاشتراكية العلمية واضحا من بنائها الفكرى ، ومن أدوات البحث المستخدمة فيها ، كما أنها تتجاوز النقد الذى يوجه عادة للاعمال الرائدة التى بشرت بالرؤية الاشتراكية العلمية للتاريخ . وكثيرون ممن يهاجمون هذه المدرسة يتجاهلون عمدا ظروف نشأتها العسيرة ، وسط الحركة السياسية الاشتراكية ، وليس فى مراكز البحث ، ولا هدف لهذا التجاهل ، سوى الانطلاق فى هجوم مستمر على جهودها توصلا الى الاقرار بخطأ منهجها فى التاريخ ، وبالتالى فى السياسة . بل انه يبدو أن الهجوم السياسى هو الهدف الاساسى ، برغم خطورة ذلك فى الظروف الراهنة ، ومن المؤكد أن أحدا لا يطالب بجبهة أيديولوجية مع كافة فصائل القوى الوطنية ، لكن المطالبة الملحة بالجبهة السياسية ، تفرض على العديد من القوى الوطنية أن تبحث لها عن اعداء آخرين حقيقيين بدلا من تركيزجهودها لافتعال عداء وهى مع فصائل الجبهة المعادية للاستعمار محليا ودوليا ..

ومن حيث البناء الفكرى ، فان دراسة طارق البشرى ، تتميز على ما سبقها من جهود هذه المدرسة ، بالادراك لنوعية القوانين التى تحكم حركة التاريخ المصرى ، ان المؤلف ينطلق من رؤية شاملة لظواهر التاريخ ، ترى ترابط ظواهره الاجتماعية والسياسية والفكرية ، لكنه لا يحاول التغلب على نقص المادة أو افتقاد الجهد باصدار

الاحكام السريعة أو العامة أو قولبة التـاريخ فى قالب معد سلفا . • لكنه يبدأ برؤية صحيحة يحاول تأصيلها . ومن البديهى أن مـا يصل اليه من تفاصيل ومقولات جزئية لا يناقض هذه الرؤية بل يثريها ، وفى الوقت الذى يفهم فيه كثيرون المنهج المادى فى التاريخ فهما خاطئا يدفعهم الى اخفاء عجزهم بقسر المادة المتوفرة ، على أن تقـول ما يريدون ، فان طارق البشرى يجعل هذه المادة هى الاساس ، بيد انه لايقع فى اسارها ويتشتت وراء تهويمات غير علمية •• لكنه يستنطقها ويوزعها بما يثرى رؤيته ، وبما يخدم منهجه ، ويخرج به من مرحلة الدعاية والتبشير الى مرحلة التـأصـيل ويزرع جذوره الراسخة فى تربة الفكر المصرى ••

والنجاح الذى حققه المؤلف ، جاء من أنه تمكن من الموازنة بين رؤيته الكلية أو منهجه فى البحث وبين ادوات هذا البحث ، فقد استخدم كل ادوات البحث المعترف بها ، وتسلسلت مصادره فبدأت بالمصادر البشرية ، ثم الوثائق ، والصحف ، ثم عدد من أهم المصادر الثانوية المتمثلة فى معظم ما كتب عن المرحلة من دراسات فى التاريخ الفكرى أو الاقتصادى أو السياسى ••

وتأتى الصحف ، كمصدر يلى المصادر الحيـة أهمية فى دراسة المؤلف ، وقد أحسن استخدام هذا المصدر ، سواء فى شمولية المجال أو فى عمقه ، ولعل الجهد الذى قدمه فى هذا الصدد جهد غير مسبوق ، فما نظن أن باحثا من الباحثين قد توفر على هذا المصدر الهام من مصادر أى دراسة تاريخية بهذه الدرجة من الصبر والاتقان ، دفعته لقراءة معظم صحف المرحلة التى يؤرخ لها ، مع كثرتها وتعدد وتشتت ما تعبر عنه ، قراءة مستأنية وعميقة • . وهو ما يؤكد شكه العلمى ــ وليس المنهجى ــ الذى حماه من الوقوع فى هوة اطلاق الاحكام الذاتية أو غير المبررة ••

وبالنسبة للمصادر الثانوية فان المؤلف ــ شأنه مع كل مصادره ــ قد استنطقها كل دلالاتها الهامة بقدرة متناهية على التحليل والاستنتاج ••

ومن البديهـى أن هذه المجموعـة الكبيرة من المصادر كانت كفيلة بتشتيت المؤلف ، لكثرتها ، وتناقضها ، لولا أن المـؤلف قد ملك نـاصيتهـا بوسيلتين أساسيتين :

● تحفظه فى عرضها كحقـائق اذا لم تتوفر عوامل الترجيح الكافية •• وهذا واضح فى تحفظه تجاه كتاب «لاكور» عن «الشيوعية والقومية فى الشرق الاوسط» ، بل وتحفظـه تجاه المـادة المجموعة من مصادر بشرية ، وحرصه علـى توضـيح عوامل الترجيـح التى استخدمهـا فـى الفصل الذى كتبه عن التنظيمات الشيوعية ، مع سبق معظم حقائق هذا الفصل بكلمة « يقال » (ص ٨١ ومابعدها) •

وهذا المثال دليل على النزاهة العقلية التى يتمتع بها طارق البشرى ــ وهى جزء بالقطع من انتمائه الفكرى ــ كما أنه مقدمة لدليل آخر على ما يتمتع به كمفكر من شك علمى ــ وليس منهجى ــ دفعـه الى رصد مادته فى هذا الموضوع بطريقة بعيدة عن الجزم بصحته الكاملة .

● وأما الثانية فهى ان هذا الشك لم يتحول الى مرض ، بمعنى أنه لم يدفع المؤلف الى اغراقنا فى مجموعة من الروايات المتناقضة ، وعدم الانتمـاء لايها ، بحيث يبدو التاريخ مجموعة من الروايات والحكايات التى تسير بلا ضـابط ولا رابط ، ان الشك هنا لم يتعد دوره كوسيلة للفهم ليصبح هو الفهم ذاته ، ولولا أن « طارق البشرى » كان يملك من البداية بوصلة جيدة وصحيحة للفهم ، لغرق وغرقنا معه فى طوفان من المعلومات لا تخلو من طرافة •• ولكنها لا تضيف شيئا ••

وفى التاريخ ، فان « المنهج» هو العامل الحاسم الذى يتحكم فى اختيار الباحث لمادته وفى ترجيحه بين رواياتها المختلفة ، وهذا هو الارتبـاط بين أدوات البحث ومنهجه . • ولان المؤلف قد ملك من البداية المنهج الصـحيح لتفسير التـاريخ ، فمن البديهى أن هذا التكامل بين أدوات البحث ــ التى استخدمهـا باتقـان ــ ومنهجـه ــ الذى وعـاه باقتدار ــ لابد وأن يطرح عملا هاما من أعمـال المدرسة الماركسية فى التاريخ المصرى •

والعامل الاساسى المعتمد لدى المؤلف لترجيح أى رواية أو مقولة هو الصراع الطبقى فى المجتمع ، لكنه لم يستسهله ليجعله « قميص عثمان » يبرر به ما يعجز عن فهمه من ظواهر ، وانمـا مد بصره ليربطه بالعديد من العوامل الاخرى التى تشكل المسار النوعى للتاريخ المصرى •• فبقدر حرص المؤلف على أن يحدد لكل مؤسسة سيـاسية انتماءها الاجتماعى ، فانه لم يحول هذا كله الى مجموعة من المعادلات الرياضيـة ، فما أسـهل تصنيف الافراد والمؤسسات ووضع بطـاقات بهوياتهم الطبقية والفكرية ، لكن الصعوبة تكمن دائما فى تفسير المواقف السياسية والممارسات العملية فى ضوء هذا التحديد المسبق ، وقد نجح المؤلف فى أن يوفر لدراسته من الشمولية والعمق ، ما مكنه من أن يرفض أسلوب البطاقات ، وأن ينفذ الى تعقد الخريطة الطبقية للمجتمع المصرى بحيث لا تتحول المؤسسات السياسية الى لافتات عامة بلا روح أو حياة ، ومد بصره ليدرس التناقضات الذاتية داخل كل منظمة سياسية على حدة ، ورصد بشكل دقيق هياكلها التنظيمية ، وفكرها الاجتمـاعى

والسياسى ، وتأثير الافراد فى حركتها ، وقد وضع كل هذه العوامل باعتبارها انعكاس لتمثيلها الطبقى ، ومع ادراكه لطبيعة المؤسسة السياسية فى مصر التى تميزت أحيانا ، بدرجات متفاوتة من الانفصال عن حركة الطبقات الاجتماعية .

والبناء الهندسى لدراسة طارق البشرى ، يعتمد على الموازنة بين السرد والتحليل ، فهو يعتمد على تقسيم السنوات السبع التى يؤرخ لها تقسيما زمنيا ، فيخصص بابا لكل علم منها ،ويقسم الباب داخليا الى فصول يتناول فى كل منها المؤسسات والقوى السياسية الفاعلة فى الصراع السياسى والفكرى والاجتماعى .

ويختار المؤلف ابرز القضايا فى كل عام ، لتكون عنوانا للباب ، فعام ١٩٤٦ — الذى خصص له الباب الاول — هو عام فشل أسلوب المفاوضات كوسيلة لحل القضية الوطنية ، أى أنها كانت محور كل المسائل وبؤرتها . وفى اطارها رصد حركة كل القوى الفاعلة فى المجتمع المصرى آنذاك .فرصد حركة السراى التى كانت تحكم أيامها قائدة لتحالف من احزاب الاقليات الممثلة لكبار الرأسماليين وكبار ملاك الارض ، (ص ١٩) وبينما كانت الصدارة فى هذا الحلف قبل الحرب للاحرار الدستوريين أصبحت بعدها للسعديين ، نتيجة لما أدت اليه الحرب من نمو مصالح الرأسمالية الكبيرة ، ووثوق فى مستقبل البناء الرأسمالى (ص ٢٠) . ورصد حركة الوفد المصرى ، والتغيرات التى طرأت عليه بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، والمرحلة الاخيرة من الحرب ، والتى تمثلت فى خروجه من الحكم ،ومماقارب بينه وبين الجماهير ، ودفعه للتطرف ، وما حدث داخله من استقطابات بتركيز التيار اليمينى فيه ، ودخول عدد من كبار ملاك الارض الى قيادته ثم بلورة تيار تقدمى داخله ، يتعادل مع أثر الاتجاه اليمينى داخل القيادة (ص ٤١) .

وأفرد المؤلف فى هذا الباب فصلا للاخوان المسلمين رصد فيه تطورهم من جمعية دينية اصلاحية الى حزب سياسى ، وناقش بسافاضة برنامجهم السياسى ، وانتهى الى أن الجماعة كانت « أقل التنظيمات السياسية المصرية تعرضا للمسألة الوطنية وتحديدا للمواقف ازاءها»(ص ٥٤) ، وعرض لموقف الاخوان من القضايا الاجتماعية والديمقراطية ، التنظيم الاخوانى ، وناقش الطابع الارهابى للجماعة ، رابطا بينه وبين غموض الفكر وشخصية القيادة ، وافتقاد التنظيم الاخوانى للديمقراطية « لأن الهيكل الاساسى للتنظيم يقوم على مبدأ الاختيار من أعلى » (ص ٦٢) .

ويفرد المؤلف فى أكثر من فصل من فصول كتابه الصفحات للتأريخ لنشأة التنظيمات الشيوعية ، وهو موضوع يتميز تميزا خاصا فى دراسة طارق البشرى من عدة نواحى .. فهو يقدم مادة تاريخية حية تعتبر أوفى تجميع نشر حتى الان — لمؤلف مصرى او غير مصرى — عن الحركة الشيوعية فى تلك المرحلة . ثم هو يعرض لتاريخ هذا التيار داخل الحركة الوطنية المصرية عرضا غير عدائى .. متجاوزا بذلك ما كان يعمد اليه بعض المؤرخين البرجوازيين — بموضوعيتهم المزيفة — من تجاهل لهذا التيار أو هجوم عليه ، فضلا عن الحملة الدعائية الصليبية ضد تاريخ هذه الفصائل .. ثم انه يتناولها فى عرض علمى بالاساس ، وليس سياسيا بالاساس ، بمعنى أنه لم ينتم لاحدها ، وهو ما مكنه من العرض لكل تيار أو تنظيم بقدر توفر المادة المتاحة . وأهم هذه النواحى كلها ان المؤلف وان كان لاينتمى لهذه التنظيمات انتماء عضويا وتنظيميا ، فهو ينتمى اليها أيديولوجيا ، وهو ما مكنه من نقدها من الداخل وليس من الخارج ، فطبق عليها الايديولوجية التى تجمع بينهما ، وقاس على أساسها نقاط النقص والخطأ والقصور فى ممارساتها السياسية واضعا فى الاعتبار دائما، وفى كل الاحوال ، الظروف القاسية التى كانت تحيط بحركتها .

وقد رصد المؤلف موقف حكومة صدقى من مختلف فصائل الحركة الوطنية ، والجو الذى مارست فيه مفاوضاتها مع بيفن التى انتهت بالفشل ، وهو ما اعتبره المؤلف « انتصارا لكفاح الشعب من أجل استقلاله » (ص ١٣٠).

وفى نظر المؤلف فان عام ١٩٤٧ هو عام « التحكيم الدولى » ، وقد عالج فيه مناقشة القضية الوطنية فى مجلس الامن ، وقد قدم فى الفصل الاول عرضا لتفاصيل مناقشة القضية فى المجلس ، وعرض فى الثانى لموقف القوى الشعبية من هذا التحكيم الدولى .. وانتهى الى أن القوى الوطنية والشعبية قد وعت من تجربة عرض القضية على مجلس الامن ، أن المفاوضة طريق مغلق وأن الهيئات الدولية هى الباب الخلفى للمفاوضة ، كما وعت أيضا أن الاستعمار ليس احتلالا بريطانيا فحسب ، ولكنه نظام يجمع الدول الرأسمالية الكبرى ، كما ان خطة الحكومة لحل المسألة الوطنية عن طريق الاعتماد على الولايات المتحدة قد فشلت (ص ١٧٤ — ١٧٨) .

واختار المؤلف ان يركز فى عامى ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ على قضيتين أساسيتين ، هما موقف الحركة الوطنية من الصراع الاجتماعى (الباب الثالث) وموقفها من قضية فلسطين (الباب

الرابع » ، وفى القضية الاولى رصد المؤلف التغيرات التى لحقت وعى الجماهير بعد الحرب ، فترتيبا على ازدياد وعى الجماهير بأن الاستعمار هو استعمار اقتصادى ، فان القوى المحلية المرتبطة به « لم تعد مجرد تجمع من عناصر خارجة على الامة، بل وضح انها طبقات ترتبط مصالحها الاقتصادية والسياسية به ، ولم يعد هدف الحركة السياسية استرجاع روح ثورة ١٩١٩ ، بل القيام بثورة جديدة » (ص ١٨١) .

ومن هنا رصد المؤلف أيضا التيار الذى برز لدى العناصر الاكثر وعيا من ممثلى مصالح التطور الرأسمالى فى مصر ، وحلل العلاقة بين رأس المال المحلى والعالمى ، ومحاولات الرأسمالية المصرية لتمصير الاقتصاد تمصيرا جزئيا ، وموقف كبار ملاك الاراضى ، ورصد السمة الاساسية لحركة الرأسمالية المصرية ، وهى تحديد الاهداف الجزئية القصيرة المدى والسعى لتحقيقها واقتناص المكاسب الصغيرة على استحياء ، ومع تفادى الصدام ما أمكن تفاديه ، والابتعاد عن المعارك ومواقف الحسم ، ومع الحرص على عدم القطيعة ، والالتفاف على العقبات دون ازالتها ، ومع المحاولات الجاهدة لامتصاص القوى المعارضة واستيعابها ، وهى محاولات كانت تقليدا فى تفكيرها وفى سلوكها » (ص ١٩٣) . وهو ما دفع هذه الرأسمالية الى التغلب على المشاكل الجاثمة أمامها والتى تمثلت فى ضعفها وأسلوب انصاف الحلول الذى تلجأ اليه دائما .. وازاء عجزها عن تفتيح السوق المحلى ، كل هذا دفعها للتغلب على مشاكلها بطرق أبواب الاسواق الخارجية . ومن هنا ارتفعت شعارات الرأسمالية المصرية بالنظر الى العالم العربى والافريقى بل والمطالبة بانشاء علاقة تجارية مع الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية » (ص ٢٠١ - ٢٠٢) .

وقد حلل المؤلف أسباب دخول النظام لحرب فلسطين، فى مواجهة أزماته الداخلية وفشله فى حل القضية الوطنية من ناحية وفى مواجهة الصراع الاجتماعى الضارى من الناحية الاخرى ، بيد أن الحرب قد كشفت النظام تماما (ص ٢٢٩) .

وبينما أدى تصاعد الصراع الاجتماعى الى أن جزءا من اجهزة القمع وهم ضباط البوليس قد أضربوا ، فان الحرب قد كشفت لمؤسسة القمع الاخرى وهى الجيش عن الفساد الكامل للنظام .. وقد خصص المؤلف النصف الاخير من كتابه (ص ٢٧٥ - ٥٨٧) للفترة الواقعة بين تولى حكومة الوفد الاخيرة للسلطة ، وقيام ثورة ١٩٥٢ ، وما شملته هذه المرحلة من الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وملامح الصراع بين القوى التقليدية والقوى الجديدة ، وتتبع بصبر ودأب ملامح التفكك فى النظام الحاكم بما يجعل انهياره نتيجة حتمية وطبيعية ..

ويتضمن هذا الجزء ، اجابة على سؤال لعله من اهم الاسئلة التى تطرح نفسها على الراصدين لتطور الحركة الوطنية المصرية فى السنوات السابقة على الثورة مباشرة .. وهؤلاء الراصدون يتساءلون بعجب عن الكيفية التى عجزت بها القوى الشعبية عن الاستيلاء على السلطة برغم أن النظام القديم كان مخربا تماما من الداخل ، وعاجزا عن مواجهة أى مهمة من المهام المطروحة ، بينما جاءت الضربة من داخل النظام نفسه ممثلة فى خروج جهاز القمع الرئيسى له عن طاعته وتصفيته له.. وهكذا سقط النظام بواسطة تحرك غير جماهيرى ، وبرغم ما حققه هذا التحرك من انجازات - فى المرحلة التالية والراهنة من تطور الثورة الوطنية الديمقراطية - الا أن هؤلاء المتسائلين يرون أن الحركة الجماهيرية لو فعلت هذا لتجنبت الحركة الوطنية العديد من المزالق والاخطاء التى طرحت نفسها فى تعقد الموقف الراهن .

وعند طارق البشرى ، فان هناك سببا رئيسيا ، يكمن فى أن التغيرات الرئيسية التى عرفها المجتمع المصرى من القرن التاسع عشر لم تحدث عن طريق الهدم الكامل للسلطة كهدف مباشر وصريح لها ، ولكن ما كان يحدث هو نفوذ القوى الجديدة الى الدولة وحلولها محل القوى الجميلة ، وفكرة تعديل الاطر السياسية والدستورية بما يلائم هذه الحلول (ص ٥٤٥) ، ويتحفظ المؤلف فلا يعتبر أن هذا ضعف فى الثورية أو سيادة للروح المحافظة ، بل أن أسلوب التظاهر والاضراب كان كافيا فى أحيان كثيرة لحسم مشاكل لم يحسمها فى بلاد اخرى سفك الدماء .. (ص ٥٤٦) .

ومن العوامل التفصيلية ، بل والهامة التى صنعت هذا الخط العام ، ضعف الكيانات الحزبية التقليدية تنظيميا ، نتيجة لضعف البرجوازية المصرية التى لم تبن فى القرية أو المدينة مؤسسات سياسية أو اجتماعية جديدة .. فضلا عن « واحد من الاحزاب السياسية لم تنجح فى بناء كيانه الحزبى كمؤسسة غير شخصية ذات تنظيم قادر على البقاء والنشاط بصرف النظر عن ذوات افراد معينين أو زعيم بعينه » (ص ٥٥٠) .

أما الكيانات الجديدة وخاصة اليسارية منها ، فانها لم تحسن تنظيم نفسها ، اذان معظم قياداتها والقسم الغالب من أعضائها ينتمى الى البرجوازية الصغيرة ، فضلا عن قرب عهدهم بالاصول الريفية .. وهى شرائح بعيدة عن خبرة التنظيم وبناء المؤسسات بحكم فرديتها فى الانتاج والنشاط » (ص ٥٥١) .

والنتيجة الحتمية لهذا كله فشل القيادات الجديدة للحركة الوطنية فى التوصل الى الصيغة الوحيدة القادرة على اسقاط النظام المتفسخ ، وهى صيغة « الوحدة السياسية » فى شكل جبهة .. واختلفت بعض فصائلها حول ما اذا كانت هذه الجبهة « شعبية » أو « وطنية » ، أى أنها اختلفت حول وجود البرجوازية الوطنية داخلها أم لا ودورها فى هذه الجبهة من حيث ترتيب القوى .

الى هنا ، يتوصل طارق البشرى الى جوهر تصويره لاتجاهات الصراع السياسى والاجتماعى عشية سقوط النظام القديم .

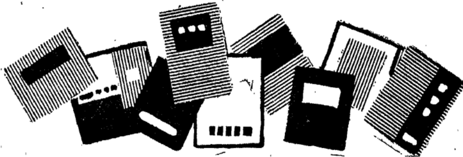
وليس من طبيعة الامور أن يأتى عمل فذ كهذا خاليا من بعض النواقص الفرعية والجزئية ، فاذا كان طارق البشرى قد تجاوز بطموحه الفكرى كل الحدود والحواجز فان هذا الطموح يحسب عليه بقدر ما يحسب له .. بمعنى أنه يحاسب على أساسه .

وبالنسبة لشكل الدراسة فانه يبدو مرهقا للقارىء ، ولا شك أنه كان مرهقا للمؤلف ، فالموازنة بين التقسيم الزمنى والموضوعى قد أخل أحيانا بالسياق وبدا المؤلف سرديا أكثر منه تحليليا ، خاصة أن قدرة المؤلف على رصد التفاصيل تبدو قدرة مذهلة ، ومن المهم ونحن فى مرحلة تأكيد على نشر مقولات المنهج الاشتراكى العلمى فى التاريخ أن نعطى التحليل مركز الصدارة .

وفى حدود تأثير « المعاصرة » على المؤلف ، فاننا نلاحظ ان لقاءات المؤلف بالاستاذ احمد حسين قد اثرت ـ بشكل خافت جدا ـ فى تقييمه لحركة مصر الفتاة ، فدفعته لتجاهل بعض النواقص والعيوب فى حركتها وخاصة فى مرحلة نشأتها عندما احتضنتها السراى لضرب الوفد وتصفيته (راجع الفقرة الاخيرة من ص ٤٠٤) .

ومن عيوب المعاصرة التى أثرت على المؤلف ، تقييمه لحركة الضباط الاحرار ، الذى يبدو الجانب التحليلى فى الفصل المتعلق بهم خافتا تماما ، كما أن الصبر فى تجميع المادة فى هذا الفصل يبدو نافذا ، وهذا طبيعى ، والمؤلف معذورفيه ، اذ ان تناول هذه الحركة يدخل فى السياسة الانية أكثر مما يدخل فى العلم .. وبالاضافة الى هذا فان المؤلف قد تجاهل الاساس الاجتماعى لهذه الحركة ، والتأثيرات البالغة التى اثرت فى حركتها وفى ممارساتها السياسية بعد ذلك ، وخاصة الحلقية وبناء التنظيم على أساس الصداقة الشخصية والعزلة عن الحركة الجماهيرية ، بل المؤلف ينتهى الى مقولة خطيرة جدا ، هى أن أحد سمات هذا التنظيم نمو الوعى والنضج السياسى من خلال الاصطدام بالواقع وعدم وجود أنماط فكرية محددة تعوق استيعاب الخبرة الواقعية .. وهو تكريس للتجريبية والتلقائية ، وهى من ابرز عيوب المرحلة التالية كنظير لها ، بل انه فى (ص٤٧٤) يعتبر أن حركة الضباط الاحرار قد نجحت فيما فشلت فيه القوى الشعبية الاخرى ، من التوصل الى صيغة موحدة للعمل « وهو ما افتقدته التنظيمات الاخرى » ، وهذه الفقرة تسريب لفكرة أن حركة الضباط الاحرار كانت هى البديل للجبهة الشعبية التى فشلت فيها القوى السياسية الاخرى ، وأنها نجحت لوجود برنامج الحد الادنى ممثلا فى المطلب الوطنى العام ، مع اختلاف مشارب أعضائها ، وهى فكرة تفتقد للتأصيل الممتاز الذى قدم به طارق البشرى كل أفكار كتابه وتثير خلافا حادا معه لارتباطها لا بقضية علمية تاريخية فحسب ، ولكن بالقضايا السياسية الانية بما يجعلها ذات أهمية قصوى .

تلك كلها تفاصيل تغيب وسط المتعة العقلية والفكرية التى يحققها هذا الكتاب الباهر لقارئه .. الذى يجىء فى وقته تماما .. لأنه لا يجيب فحسب عن أسئلة قديمة ... ولكن أيضا عن أسئلة جديدة !



مناقشات مفتوحة

كتب محمد على دياب ، بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية ، ومفتش مالى بادارة السواحل بالاسكندرية عن :

مشـــــكلة ادارة ..
وليست مشكلة امكانيات

توجد عندنا « فجوة » كبيرة بين « **جهـاز الادارة** ، أو « **أسلوب الادارة** » فى معظم مرافق أو مواقع العمل وبين واقع العمل ذاته بمشاكله بحيث نستطيع أن نقول أن من أهم الاسباب التى تؤدى الى هبوط مستوى الاداء فى الكثير من المرافق التى تقوم بخدمات عامة للشعب ، وما نراه من مظاهر الاهمال والفوضى فى المواصلات أو النظافة أو العلاج أو غيره ، انما يرجع أساسا الى **سوء الادارة** وليس الى **قلة الامكانيات** ، وبالتالى تصبح المشكلة التى نعانى منها هى مشكلة ادارة وليست مشكلة ندرة الموارد أو نقص فى الامكانيات المتاحة كما يزعم لنا البعض حين يقولون أن السبب فى تعقيد مشكلة المواصلات العامة وزحامها وعدم انتظامها انما يرجع الى قلة عدد الاوتوبيسات ووسائل النقل الاخرى ، او أن السبب فى عدم نظافة شوارع العاصمة وباقى مدن الجمهورية هو قلة عـدد الكناسين وعربات جمع القمامة أو أن السبب فى تكدس البضائع الواردة فى ميناء الاسكندرية هو ضيق مساحة الميناء !

صحيح قد يكون ذلك أحد الاسباب ولكنه فى رايى ليس السبب الوحيد للمشكلة ، وانه فى امكاننا لو احسنا استغلال الامكانيـات والموارد المختلفة المتاحة أو المتوفرة فى كل مرفق بواسطة ادارة ناجحة تطبق الاساليب الادارية الحديثة لحصلنا على نتائج افضل بكثير !! . ان الادارة المسئولة عن مرفق النقل والمواصلات مثلا لو نزلت لمواقع العمل كورش الصيانة والجراجات والمخازن وغيرها من الادارات والاقسام المسئولة عن تشغيل هذا المرفق الحيوى بين حين واخر فسوف تجد أن

هذه الادارات والاقسام حتما لا تعمل بالكفاءة المطلوبة ، وان هناك الكثير من الايدى العاملة العاطلة وساعات العمل الفاقدة والامكانيات الغير مستغلة بسبب الروتين او التراخي أو الاهمال أو عدم وجود الرقابة الكافية لان المديرين وكبار المسئولين عن ادارة المرفق أو المؤسسة موجودين بصـــفة دائمـة فى مكاتبهـــم يديرون منهـــا العمل من خلال الاوراق والتقارير والمذكرات دون أن يكلفوا انفسهم مشقة تفقد مواقع العمل على الطبيعة ، فى بعض الاوقات لحسم المشـاكل الصغيرة والقضاء على المعوقات التى تعرقل سير العمل فى المرفق أو المؤسسة التى يشرفون على ادارتها !

وهناك العديد من الامثلة على أن لدينا الكثير من الموارد والامكانيات المتاحة والموجودة تحت أيدينا ولكننا بعدم التخطيط السليم وعدم التنسيق وسوء الاساليب الادارية المستخدمة لا نحســن استغلال هذه الموارد والامكانيات الاستغلال المفيد أو الامثل بحيث نستطيع أن نحصل فى النهاية على العائد الواجب الحصول عليه نظير مـلايين الجنيهات التى صرفناها فى هذا الصدد .

خذ مثلا مشكلة العمالة الزائدة والخـــريجين الذين تقوم الدولة بتعيينهم سنويا .. ان بعض خبراء الادارة والاقتصاد عندنا يرون أنه ليس لدينا مشكلة عمالة زائدة بل هناك سوء توزيع للقوى العاملة فى الوزارات والمصالح والمؤسسات والشركات وغيرها . والدليل على ذلك أننا نجد أنه بينما تشكو الجماهير من تعطيل مصالحها وضياع وقتها ووقوفها فى الطوابير بالساعات الطوال لانجاز عمل بسيط كدفع اشتراك تليفون أو فاتورة كهرباء أو قضاء مصلحة فى الشهر العقارى أو احدى المحاكم لان الايدى العاملة فى هذه المرافق غير كافية لمواجهة ضغط العمل المتزايد ، نجد أن الكثير من الجهات الاخرى تشكو من زيادة الايدى العاملة،واعداد الخريجين الذين ترسلهم لها القوى العاملة سنويا دون أن يكون لهم طلب لديها .

خذ أيضا مشكلة الاصناف والعهد المكدسة فى مخازن الحكومة والتى تقدرت حتى الان بعشـرات الملايين من الجنيهات وتحتاج اليها جهات عديدة ولكن لا يستفاد منها لانه لا يوجد التخطيط السليم والتنسيق اللازم بحيث تعلم باقى الجهات فى الدولة بتوافر هذه الاصناف فى مخازن الحكومه ، وتكون النتيجة أن تطلب هذه الجهات استيراد هذه الاصناف من الخارج او شرائها من السوق المحلية أو القطاع الخاص مما يضيع على الخزانة العامة مبالغ كبيرة دون مبرر .

هذه أمثلة من مشاكل كثيرة معقدة تعانى منها اجهزة الدولة بسبب تخلف أسلوب الادارة عندنا وبسبب ان الجهاز الادارى للدولة لم يساير التقدم الذى حدث فى المجالات المختلفة طوال العشرين سنة الماضية . اننا ما زلنا لا نتبع الاسلوب العلمى فى الادارة بالرغم من أنه لا تنقصنا الوسائل أو الامكانيات أو الافراد المدربين ، فنحن لدينا قادة اداريين لا بأس بهم فى العديد من مواقع العمل فى بلادنا ، ولكننا لا نحسن استخدامهم أو استغلالهم ولا نكفل لهم الظروف الملائمة للنجاح فى العمل ، اننا كثيرا ما نقيم المشروعات الكبيرة أو ننشىء المؤسسات والمرافق الفخمة ، ونزودها بـــكل الامكانيات والوسائل اللازمة ، ولكننا نديرها فى النهاية بصورة متخلفة عقيمة تقضى علـى كل الثمرات التى نرجوها منها لان أسلوبنا فى الادارة لا يتفق والادارة العلمية السليمة .

لكن ما هى الادارة العلمية السليمة ؟ ..

يقول لنا خبراء الادارة ان الادارة فى صورة مبسطة هى الوسيلة التى تنفذ بها الاشياء بواسطة جهود الافراد ، وأن الادارة العلمية الناجحة تقوم على أسس كثيرة نذكر منها بايجاز فى هذا المقام الاسس أو المبادىء التالية :

١ ـ وجود سياسة محددة وواضحة للمنشأة أو المرفق توضح الأهداف وترسم طرق تنفيذها أمام الادارة المسئولة .

٢ ـ ارتباط العمل بالنتيجة المتحصلة :

وهذا المبدأ مؤداه أن تتأكد الادارة من ان مهارات الافراد وقدراتهم مستخدمة بالكامل وأنهم يقومون بالاعمال التى تتفق مـع قـدراتهم وتخصصاتهم وان باقى عناصر الانتاج تعمـل بالكفاءة المطلوبة حتى لا يكون هناك فاقد فى الانتاجية دون مبرر .

٣ ـ مبدا الكفاية الفردية :

وهو أن كفاية الفرد تزيد وتنمو بـالتدريب المستمر وتحسين ظروف العمل .

٤ ـ مبدأ التخصص :

وتطبيق هذا المبدأ يترتب عليه تحقيق الكثير من المزايا لان التخصص فى العمل يؤدى الى تكوين الخبراء فى ميدان النشاط المعين وزيادة الخبرة الادارية او الانتاجية .

٥ ـ مبدأ التبسيط :

ومؤداه استبعاد جميع العناصر غير الضرورية للادارة وتخفيض العناصر الموجودة الى أبسط شكل لها .

٦ ـ مبدأ الحوافز المالية :

بحيث يتناسب الاجر أو المكافأة مع قيمة العمل المنجز .

٧ ـ مبدأ العلاقات الانسانية :

وهو من اهم أسس الادارة الناجحة لان الادارة التى تنجح فى تحسين ظروف العمل وحل مشاكل الافراد وتعالج باستمرار مظاهر التوتر فى العلاقات بين العاملين والادارة ،وتهتم بالبحث عن الاسباب التى تؤدى الى ذلك وتعمل على تسويتها تحصل دائما على نتائج أفضل .

٨ ـ التخطيط والرقابة :

وهما عنصران متلازمان لانه لابد من وجود الرقابة والمتابعة المستمرة ، حتى نضمن تحقيق الاهداف الموضوعة فى التخطيط ، وأى تخطيط يصبح عديم الجدوى بدون وجود رقابة فعالة .

٩ ـ مبدأ تعادل السلطة والمسئولية :

فالشخص الذى يمارس السلطة يجب ان يكون مسئولا عن تنفيذ كل الاعمال داخل نطاق سلطته واذا أردنا أن نجعل الفرد مسئولا عن تنفيذ عمل معين فيجب أن نزوده بالسلطة اللازمة للأشراف على الافراد الذين يمارسون هذا العمل وتوجيه جهودهم لاستخدام الوسائل والامكانيات التى تساعدهم على الوصول الى الهدف المطلوب .

هذه بعض مبادىء الادارة العلمية الناجحة وليست كلها ذكرتها بصورة موجزة وسريعة . لكن يلاحظ أن معظم هذه الاسس لكى يمكن تطبيقها بنجاح ، ونتيجة للتجارب العملية فى مجال الادارة فان مبدأ نزول المدير أو المسئول الى مواقع العمل نفسها بين حين وآخر وتفقده الاعمال المسئول عن ادارتها ، والاحتكاك المباشر بالعمال والافراد فى مواقع أعمالهم والتعرف على مشاكلهم والصعوبات التى تواجههم اثناء العمل وتذليلها لهم هو من أهم الاسباب التى تؤدى الى نجاح الادارة والحصول على أحسن النتائج .

ان ترك المكاتب ، وتخصيص يوم أو اكثر كل فترة للمرور المفاجىء على الادارات والاقسام المختلفة ، وعدم الاعتماد فى تصريف شئون العمل على المذكرات والتقارير المرفوعة وغيرها من الاوراق التى تحمل عشرات التوقيعات . كل هذا سوف يكون له آثار مدهشة فى رفع كفاءة العمل وزيادة الانتاج !!



كتب أيمن السلمونى من حمص بسوريا يناقش تقريرا صدر فى العدد الاول من عام ١٩٧٢ عن « السودان ـ اتفاقات وعلاقات اقتصادية جديدة » قال :

نشرت الطليعة فى العدد الاول من عام (١٩٧٢) تقريرا بعنوان : (السودان ـ اتفاقيات وعلاقات اقتصادية جديدة) .

كلنا يعلم ما آلت اليه أحداث تموز (يوليو) الماضى فى السودان الشقيق ، فالشقاق الذى وقع فى صفوف القوى التقدمية ادى فى الواقع الى نكسة أليمة لم تبق اثارها محصورة ضمن حدود السودان وحده ، بل انعكست سلبيا فى صفوف حركة التحرر الوطنى العربية واكثر من ذلك فان ما حدث اثر الى هذا الحد او ذاك على علاقاتنا مع العالم الاشتراكى وكلنا يعلم أيضا أن تصعيد الخلاف الثانوى بين صفوف القوى التقدمية الى مرتبة الصدام المباشر الذى أدى الى ضرب قوة وطنية تقدمية مرموقة لم يكن فى مصلحة حركة التحرر الوطنى العربية لا سيما فى هذه المرحلة التى نتعرض فيها لهجوم امبريالى صهيونى شرس .

وهناك حقيقتان أساسيتان :

١ ـ الحقيقة الاولى التى أكدت صحتها الحياة هى أن الامبريالية العالمية لا يمكن أن تقدم مساعدة

اقتصادية شريفة لاى شعب من الشعوب وتجربة بناء السد العالى فى مصر وسد الفرات فى سوريا تؤكد هذه الحقيقة .

٢ ـ الحقيقة الثانية أنه لا يستطيع أى بلد الاستغناء عن مساعدة البلدان الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى اذا اراد ان يتقدم وان يتطور ، والتجربة الجارية فى سوريا ومصر وغيرهما من البلدان التقدمية خير مثال على ذلك .

بعد هذا الاحظ من تقرير الطليعة المذكور آنفا ودون حاجة الى مصادر أخرى ، ان هذه العلاقات الاقتصادية الجديدة فى السودان مصدرها الاساسى غربية ، كما ان التقرير يضيف الى ذلك قوله : أن بريطانيا ستمول مشاريع بـ ١٠ ملايين جنيه استرلينى وبنفس الوقت فان الحكومة السودانية تدرس عروضا من الدانمرك واليابان وهناك مفاوضات مع سويسرا للحصول على استثمارات تقدر بحوالى ٥ ملايين دولار .

وخلاصة القول أننى الاحظ انحسارا فى العلاقات الاقتصادية مع البلدان الاشتراكية وتزايد فى العلاقات الاقتصادية مع دول الغرب

■ ■

جاءنا من اللجنة السوفيتية للدفاع عن السلام ومجلس السلام المصرى البيان التالى :

فى الفترة من ٥ الى ١٤ سبتمبر ١٩٧٢ زار الاتحاد السوفيتى بدعوة من اللجنة السوفيتية للدفاع عن السلام وفد المجلس المصرى للسلام برئاسة السيد **خالد محيى الدين** السكرتير العام للمجلس وعضوية السادة **عبد المجيد أبو زيد** **ومصطفى البدرشينى وعبد الحميد شاهين** .

زار الوفد موسكو وفولجوجراد ولينينجراد وتعرف على حياة الشعب السوفيتى وأجرى لقاءات ودية وأحاديث مع ممثلى الكادحين والرأى العام السوفيتى الذين قابلوا أنصار السلام المصريين لقاء حارا .

وجرى فى اللجنة السوفيتية للدفاع عن السلام وفى المنظمات الجماهيرية الاخرى تبادل للرأى حول الوضع فى الشرق الاوسط ، وكذلك حول المسائل الاخرى التى تهم الطرفين .

وعند بحث الوضع فى الشرق الاوسط لاحظ الجانبان السوفيتى والمصرى أن السبب الرئيسى فى عدم التوصل حتى الان لتسوية سياسية عادلة لازمة الشرق الاوسط هو احتلال اسرائيل المستمر للاراضى العربية ، وهو الدعم العسكرى والسياسى والاقتصادى لاسرائيل من جانب الولايات المتحدة الامريكية ، ويرى الجانبان أن على اسرائيل أن تنفذ قرار مجلس الامن الذى ينص على انسحاب كل القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة وكفالة الحقوق الشرعية للشعب العربى فى فلسطين .

ويوافق أنصار السلام السوفيتيون على أنه ما دامت اسرائيل بتأييد من الولايات المتحدة، تفشل كل الجهود الموجهة للتسوية السياسية العادلة للنزاع فى الشرق الاوسط ، فان الشعب المصرى وجميع الشعوب العربية لها الحق فى استخدام كل الوسائل الممكنة لتحرير الاراضى التى احتلت عام ١٩٦٧ .

ويؤكد الطرفان أن وحدة الشعوب العربية هى أحد الشروط الهامة لانتصارها وتحقيق تسوية سياسية عادلة .

وقد اقتنع الوفد المصرى فى أثناء اتصالاته بممثلى الرأى العام السوفيتى أن الشعب السوفيتى يؤيد بشكل كامل نضال الشعب المصرى والشعوب العربية الاخرى ويقدم لهم المساندة والمعونة الشاملة ، معتبرا أن أساس السلام فى الشرق الاوسط يجب أن يكون التحرير الكامل للاراضى العربية المحتلة من الغاصبين الاسرائيليين .

ويدين انصار السلام السوفيتيون والمصريون محاولات الرجعية والامبريالية تصفية المقاومة الفلسطينية التى تعتبر جزءا من جبهة كفاح الشعوب العربية ضد العدوان ، ومخططاتهم الغادرة « للتسوية » الموجهة لتقسيم وحدة الجبهة

العربية فى الكفاح ضد المطامع التوسعية الاسرائيلية •

ويعلن أنصار السلام السوفيتيون والمصريون أنهم سيستمرون فى العمل من أجل الحفاظ على الصداقة وتدعيمها بين الشعب المصرى وشعوب الاتحاد السوفيتى • فهذه الصداقة عامل هام فى تدعيم الجبهة العالمية للنضال ضد الامبريالية والصهيونية ومن اجل السلام فى الشرق الاوسط وفى العالم أجمع ولا يمكن أن تزعزعها أى دسائس تدبرها القوى المعادية • وهم يدينون بحسم اعمال العدوان الاسرائيلى الاخيرة ضد سوريا ولبنان والاردن والتأييد المكشوف لهذه الاعمال من جانب الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ، ويدمغون الحجج التى يحاول بها المعتدون أن يبرروا عدوانهم بربطه بحوادث ميونيخ •

واتفق الجانبان على المزيد من تنمية التعاون بين اللجنة السوفيتية للدفاع عن السلام والمجلس المصرى للسلام سواء على أساس ثنائى أو فى اطار مجلس السلام العالمى او بهدف تعبئة الرأى العام العالمى لتأييد نضال الشعوب العربية •

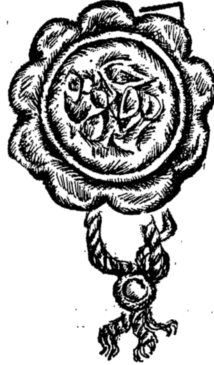
ويدين انصار السلام السوفيتيون والمصريون بحسم تصعيد الولايات المتحدة الامريكية للحرب العدوانية فى فيتنام ، ويطالبون بالانسحاب الفورى للقوات الامريكية من فيتنام ولاوس وكمبوديا ويعبرون عن ارتياحهم لمبدأ تخفيف التوتر فى أوربا ، والاجراءات التى تتحقق لتصفية آثار الحرب العالمية الثانية ، ولتدعيم الاعتراف المتزايد فى العالم بأسره لحقيقة وجود دولتين المانيتين وقبولهم فى الامم المتحدة ، ويعتبرون أن عقد مؤتمر لدول أوربا خاص بمسائل الامن والتعاون يعتبر مساهمة هامة فى قضية تدعيم السلام والتوازن فى القارة الاوربية • وينعكس تخفيف التوتر فى أوربا بشكل ايجابى على الوضع فى اجزاء من العالم الاخرى بما فى ذلك منطقة البحر الابيض المتوسط •

ويؤيد الجانبان الاقتراح بعقد مؤتمر عالمى لنزع السلاح تشترك فيه جميع الدول • ان عقد مثل هذا المؤتمر يستجيب لمصالح وآمال جميع شعوب العالم •

ويعبر انصار السلام فى الاتحاد السوفيتى وفى جمهورية مصر العربية عن تأييدهم الكامل لنضال شعوب آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية ضد الامبريالية والاستعمار الجديد ، والتفرقة العنصرية ، ويعتبرون هذا النضال جزءا لا يتجزأ من النضال العام من أجل السلام •



وثائق



برنامج الجبهة القومية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

تتابع « **الطليعة** » نشر الوثائق الخاصة ببرامج الجبهات الوطنية التقدمية التى تعكس آمال الشعوب فى مختلف انحاء العالم فى التحرر من التبعية والتخلف ، وترسم خطواتها فى نضالها على طريق التقدم .

وازاء الاخطار التى تتعرض لها جمهورية اليمن الديمقراطية فى المرحلة الاخيرة ، نقدم فيما يلى « **برنامج التنظيم السياسى ــ الجبهة القومية ــ لمرحلة التحرر الوطنى الديمقراطى** » الذى يوضح الافاق الوطنية والقومية والعالمية التى تتطلع اليها ثورة ١٤ اكتوبر ــ ومعها الثورة اليمنية كلها .

وقد اقر برنامج التنظيم السياسى لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية من قبل المؤتمر العام الخامس المنعقد فى الفترة ما بين ٢ ــ ٦ مارس ١٩٧٢ بقاعة المؤتمرات بمدينة الشعب المحافظة الاولى .



المقدمـة

ان برنامج التنظيم السياسى لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، يحـدد بوضـوح الاهداف المشتركة لنضـال الجماهير اليمنية لمرحلة كاملة ، هـى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية .

انه يحدد ايديولوجية الثورة ، وقواها الطبقية ، كما يحدد المهام المباشرة المناطة بالتنظيم السياسى الجبهة القومية وحكومة الثورة على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية ، والتى كافح ولا زال يكافح شعبنا اليمنى من أجل تحقيقها ، لتثبيت الاستقلال الوطنى ، والتقدم الاجتماعى .

ومن المهم أن نؤكد بأن هذا البرنامج يشكل برنامجا استراتيجيا للجبهة القومية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، لكنه لا يشكل بالضرورة برنامجا استراتيجيا شاملا للثورة اليمنية وحزبها الطليعى ، وانمـا هـو جـزء أساسى مـن استراتيجيتهما .

وعلى هذا الاساس ، فانه من المهم أن توضح أيضا ، أن نضال شعبنا من أجل تحقيق استراتيجية الثورة اليمنيـة ، مرتبط بصلب النضال من أجل تحقيق برنامج التنظيم السياسى لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية . ولا يمكن الفصل بين المهام المرحلية والاستراتيجية .

ان أهمية النضال لتنفيذ برنامج التنظيم السياسى لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية سيمكن من فتح آفاق المستقبل لانجاز المهام الاستراتيجية التاريخية لشعبنا اليمنى .

ان الترابط الجدلى بين مهـام هذا البرنامج ، وما تتطلبه المراحل القادمة من مهام استراتيجية تاريخية ، لا يمكن أن تنفصل ، وان ترابطها العضوى هـام وضرورى للغاية .

وكما هو الحال بالنسبة لترابط النظرية الثورية ببرامجها العملية ، يكون هذا الترابط ضروريا بين المهام المـرحلية للبرنامج ، والمهام الاستراتيجية للثورة اليمنية .

ان الالتزام بهذا البرنامج من قبل التنظيم السياسى للجبهة القومية ومن قبل مختلف المنظمات الجماهيرية ، وايمان جماهير شعبنا اليمنى الكادحة والفقيرة به مسألة ضرورية مرتبطة بمصير الثورة ومستقبلها .

ان النضال من أجل انجاز مهام هذا البرنامج ، لن يمكن من تحقيق أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية فحسـب ، ولكن سيمكن من التطور المضطرد لتحقيق استراتيجية الثورة اليمنية كاملة .

الباب الاول

آفاق وحدة النضال اليمنى الديمقراطى

ان أصالة الشعب اليمنى لا تكمن فى قدراته على البذل والتضحية عبر التاريخ القديم من أجل تشييد الحضارات وصنع اليمن الخضراء اليمن السعيدة فحسب ، ولكن أصالته تكمن أيضا فى نضاله الدائم ضد كل أنواع الاضطهاد والظلم .

لقد خاض شعبنا اليمنى فى الاقليم كله نضالا شاقا وعنيدا ، ودون يأس ضد كل الغزاة والطامعين الذين توالت حملاتهم للسيطرة عليه ، ومحاولة استعباده ، بدءا بالمقاومة ضد الغزو الحبشى والرومانى والفارسى ، والبـرتغالى والهـولندى والفرنسى ، والامريكى ، واستمر فـى نضاله المتكرر ضد الاستعمار التركى ، والذى استمر طويلا .

وفى العصر الحديث قاوم الشـعب اليمنى الاحتلال البريطانى للجنوب بمقاومة متقطعة عبر التمردات والانتفـاضات واستطاع أن يقف فى طليعة الشعوب العربية من أجل النضال فى سبيل تحرره وتقدمه .

وبعد الحرب العالمية الثانية وفى الوقت الذى كانت ترزح فيه العديد من شعوب العالم وكذلك العديد من الشعوب العربية تحت نير الاستعمار المباشر كان شعبنا يناضل ضد الحكم الملكى الاقطـاعى الامامى ومن أجل اقامة الجمهورية .

ففى عام ١٩٤٨ م ، كانت أول حركة انقلابية ليبرالية للاحرار اليمنيين ضد الحكم الملكى ، واذا كانت قد فشلت بعد قيامها ولم تستطع أن تصمد على الرغم مما قدمه شعبنا من تضحيات وشهداء وذلك بسبب عزلتها عن الجماهير ولغياب الدور المنظم للحركة الوطنية الا أن شعبنا بجانب نضاله فى الشطر الجنوبى ضد الاستعمار البريطانى واصل نضاله فى عدد من التمردات والانتفاضات التـى حدثت أعوام ٥٥ ، ٥٩ ، ٦١ على الرغم من حملات الارهاب والبطش الذى كان يشنها الامام أحمد وريث أبيه ، واستمرت المحاولات حتى كانت صبيحة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ م ، حيث أعلن شعبنا اليمنى سقوط الحكم الامامى الى الابد وقيام الجمهورية العربية اليمنية .

ولقد كان لانتصار ثورة ٢٦ سبتمبر عام ٦٢ تأثيرا كبيرا على مجمل الاوضاع اليمنية فى الاقليم شماله وجنوبه فشكلت بذلك قاعدة أساسية لانطلاق ثورة ١٤ أكتوبر عام ٦٣ التى وجدت العوامل المساعدة فى الظروف الجديدة التى هيأتها ثورة ٢٦ سبتمبر .

وبعد سنة من انتصار ثورة ٢٦ سبتمبر أخذت جماهير الشعب اليمنى فى الشطر الجنوبى تفجر النضال المسلح ضـد الاستعمار البريطانى وعملائه بقيـادة التنظيم السياسى للجبهة القومية من قمم جبال ردفان حتى الاستيلاء على السلطة ، وتحقيق الاستقلال الوطنى فى ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧ م .

وبذلك استطاع الشعب اليمنـى أن ينتصر من أجل تحرره من الحكم الملكى الاقطاعى ، والحكم الاستعمارى السلاطينى الاقطاعى العميل ليبدأ مرحلة جديدة لا من أجل الدفاع عن الثورة اليمنية فحسب ولكن من أجل استكمال تحرره وتقدمه الاجتماعى .

وبقيام الثورة المسلحة بقيادة التنظيم السياسى للجبهة القومية ، خاض شعبنا ارقى أشكال النضال الوطنى فى بلادنا ضد الوجود الاستعمارى ، ذلك هو العنف الثورى المنظم الذى غير مجرى نضال شعبنا فى الشطر الجنوبى وبـالتالى استطاع ان يسقط كل الاساليب السياسية التقليدية وكل الاساليب الدسـتورية والبرلمانية التى كان يكرسها الاستعمار البريطانى وعملاءه لتمييع مجرى الثورة المسلحة .

ان الثورة رغم قدرتها وامكانياتها المحدودة ورغم كل المصاعب التى وقفت فى طريقها نتيجة للواقع الاجتماعى المتخلف ، والتركة الثقيلة التى خلفها النظام الاستعمارى طوال ١٢٩ عـاما والسيطرة الاقطاعية ، ونتيجة الظروف العامة التى أحاطت بها ، الا أنها تمكنت من احراز النصر وتحقيق الاستقلال الوطنى فى ٣٠ نوفمبر ٦٧ م ، ولم تكن الثورة تعتبرتحقيق الاستقلال السياسى الا بداية الطريق لمرحلة نضالية جـديدة تستكمل فيها تحررها الاقتصادى وتحدث تحولات عميقة تمكن من التطور اللاحق لتحقيق الاهداف الاستراتيجية للثورة .

ومع النضالات والتضحيات التى قدمتها الثورة كانت دائما تحاول أن تحدد خط السير العام لتضمن عبر التجربة حدا أدنى من السير المنظم عبر الطريق الطويل والمعقد ، فكان الميثاق الوطنى الذى صدر بعد سنتين من قيام الثورة فى المؤتمر الاول المنعقد فى ٢٢ يونيه ٦٥ م ، والذى شكل خطوة نوعية الى الامام حسب ظروف تلك المرحلة وعلى الرغم مـن الضبابية التى اكتنفت بعض أجزاء الميثاق الا أن صداه وتأثيره كانا قويين لقوى الثورة ولاعدائها ، فقد أثار الميثاق خوفا شديدا لدى القوى الاستعمارية والرجعية فى الداخل والخارج كما ألهب حماس قوى الثورة حيث جندت أوسع جماهير الشعب فى المدينة والريف للنضال ضد الاستعمار وركائزه الاقطاعية العميلة ، وظل الميثاق دليلا نظريا للثورة حتى الاستقلال .

وبعد الاستقلال وعلى وجه التحديد فى المؤتمر الرابع المنعقد فى ٢ مـارس ٦٨ م ، كانت هناك محاولة لكسب عملية الصراع لصالح التيار التقدمى فى الجبهة القومية ولصالح برنامج جذرى لمرحلة التحرر الوطنى الديمقراطى ، ولكن هذه المحاولة لم تتم ومع ذلك فقد تمكن المؤتمر الرابع من الخروج بقرارات واضحة تعتبر الاسس المبدئية للخط العام للثورة . وقد أثارت قرارات المؤتمر حقد الرجعيين والاقطاعيين كما أثارت حقد القيادات التقليدية المدنية والعسكرية ، وكان رد فعلها سريعا فوجهت ضربة لنتـائج وقرارات المؤتمر عندما قامت بحركة ٢٠ مارس ٦٨ م ، الانقلابية العميلة . واذا كانت حركة ٢٠ مارس قد فشلت عن أن تؤدى أغراضها كاملة ، وبالذات تصفية

التيار التقدمي في الجبهة الا انها تمكنت من تجميد قرارات المؤتمر •

لكن التيار التقدمي وجماهير الشعب ظلا يخوضان صراعا جادا مع قوى اليمين للسيطرة على السلطة وتحقيق قرارات المؤتمر الرابع ، مما دفع بالتيار التقدمي للقيام بمحاولته المشهورة في ١٤ مايو والتي لم تكن الظروف قد نضجت لنجاحها ، وعلى الرغم مما خلقته هذه الحركة من جدل فكري وسياسي واسع النطاق داخل الجبهة الا ان التيارين ظلا يتصارعان دون أن يتمكن احدهما من حسم الموقف لصالحه وبالتالي يسيطر نهائيا على السلطة ، وبسبب تلك الظروف ، فقد استطاع التيار التقدمي أن ينجح بطرح برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي كبرنامج تكتيكي مرحلي كان الهدف منه خلق مناخ للتيار التقدمي من أجل تصحيح مسار الثورة • وعلى الرغم من أن البرنامج شكل حدا ادنى الا انه لم يلق ارتياحا لدى القيادات اليمينية بين صفوف المدنيين والعسكريين وبالعكس استفاد منه التيار التقدمي ، حتى استطاع أن يقدم على الخطوة التصحيحية في ٢٢ يونية ١٩٦٩ م ، التي أعادت للثورة وجهها الحقيقي ، وشكلت انتصارا لكل قوى الثورة في بلادنا •

وبعد ٢٢ يونية وضعت دراسة نقدية لتحليل كافة الاوضاع التي تعيشها اليمن الديمقراطية وحددت الكيفية التي يمكن معها الثورة أن تواصل السير في خط ثوري متصاعد •

ان الصراع الذي تم لم يكن مقطوع الجذور عن المجرى الثوري العام لحركة الثورة العربية والعالمية ، فعملية الصراع الفكري والسياسي الذي كان يخوضها التيار التقدمي في الجبهة القومية ، توضح أن هذا الصراع ارتبط بالمهام العملية التي كان يجب تحقيقها من خلال البرامج والقرارات التي طرحت في المراحل المختلفة للثورة •

ومن الطبيعي ان تكون تجربة الثورة في بلادنا كأي تجربة ثورية لها سلبياتها ونواقصها الفكرية ، وبالتالي ثغراتها وأخطاؤها عبر التجربة ، لكن ذلك لا يخرج عن الاطار العام للثورة •

ولقد اكتسبت الثورة الكثير من الدروس أثناء وقفات المراجعة النقدية الشجاعة التي وقفتها بين فترة وأخرى ، الامر الذي عزز ويعزز باستمرار مواقع الثورة ويمكنها من معالجة أزماتها ومشاكلها التي تعترضها لتخرج وهي اكثر قوة وثباتا لتواصل المسيرة من احل تحقيق الاهداف التي قامت من اجلها •

ولم تكن النضالات التي قامت بها الجبهة القومية في صراعها من أجل تثبيت خط الثورة تعتمد على مجرد حماس وعواطف الجماهير ، ولكنها كانت تعتمد على العمل الجماهيري المنظم •• المرتبط بحد أدنى من البرامج الواضحة التي على أساسها تناضل قوى الثورة •• لان الثورة ليست مجموعة من الطموحات المشروعة والمواقف الحماسية والعاطفية فقط ، بل هي أولا عمل منهجي منظم يستند الى حركة جماهيرية منظمة •• تقوم على الوضوح النظري للفكر الاشتراكي العلمي ، لانه لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية ، وعلى هذا الاساس وبهذا الوضوح النظري تحدد الاهداف الاستراتيجية والتكتيكية للثورة •• وبتحديد المهام الاستراتيجية والتكتيكية يتحدد خط السير العام لمراحل الثورة ومعها تحدد القوى الطبقية للثورة وفكرها واسلوب عملها لتصوغ الثورة على ضوء ذلك المخططات والبرامج المرحلية والتاريخية التي يجب أن يتركز النضال من أجل تحقيقها •

ان جميع هذه المخططات والبرامج •• وهي تحدد الخط العام لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية لابد ان تؤكد بمسئولية كبيرة أن ذلك لا يعني على الاطلاق اننا نحصر الثورة في شطر من الاقليم ، وبالتالي ما يترتب على ذلك من تكريس أوضاع التجزئة الشاذة الموروثة والمفروضة على الشعب اليمني •• ان وحدة الارض ووحدة الشعب اليمني ظلت عبر التاريخ على الرغم من حالات التمزق والتجزئة الانية ظلت وحدة متماسكة على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولم تتمكن أي نهضة أو حضارة حقيقية أن تقوم الا في ظل هذه الوحدة • ان وحدة الاقليم ستظل ضرورة استراتيجية لحاضر ومستقبل الثورة اليمنية •

ان ذلك يعني بوضوح ان الوضعية الراهنة لوجود كيانين في الاقليم وضعية لا يمكن أن تستمر •

ان استراتيجية الثورة اليمنية مرتبطة عضويا ودون انفصام بوحدة ثورة ٢٦ سبتمبر وثورة ١٤ اكتوبر كوحدة تتوج وحدة الارض والشعب اليمني وبالتالي وحدة مصالحه المشتركة ،وكذلك مرتبطة بوحدة الاداة على صعيد الاقليم كله لكي تتمكن من تحقيق الاهداف الاستراتيجية التاريخية لشعبنا اليمني •

ان الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية مرتبطة جدليا على امتداد طول وعرض الساحة اليمنية ،وان هذا الترابط الجدلي مرتبط بترابط جدلي آخر ، يتمثل بطبيعة المصالح المتناقضة والمتضادة للقوى الطبقية والسياسية في الاقليم •

ان أعداء الشعب اليمني لا يمكن فصلهم في الشمال عن الجنوب ولا يمكن فصلهم في الجنوب عن الشمال ، وكذلك فان القوى صاحبة المصلحة في التطور والتقدم اليمني لا يمكن هي الاخرى فصلها في الجنوب عن الشمال والعكس •

ان اية ردة رجعية او تحولات تقدمية تقوم في أي شطر من الاقليم لن تكون معطياتها التاريخية سلبا او ايجابا على هذا الشطر أو ذاك من الاقليم ، وانما يتعدى ذلك ليشمل الاقليم كله •

اننا ندرك بان أعداء ثورة ١٤ اكتوبر في الجنوب لن يقفوا لوحدهم ، بل سيقف معهم كذلك الاعداء في الشمال اليمني والذين هم في ذات الوقت أعداء ثورة ٢٦ سبتمبر •

ولكن جماهير الشعب اليمني ناضلت في الشمال والجنوب من اجل حماية ٢٦ سبتمبر ، كما شاركت في النضال ضد الاستعمار البريطاني ، وسوف تستمر تناضل في الاقليم كله من أجل الدفاع عن ثورة ١٤ أكتوبر وتلاحم الثورتين اليمنيتين •

وهكذا ستستمر جماهير الشعب اليمني في الاقليم شمالا وجنوبا في نضالها ولن تتوقف ولن تهدأ حتى يحقق شعبنا اليمني هدفه الكبير المتمثل بقيام اليمن الديمقراطي الموحد •

ان هذه الوضعية بهذا الترابط الجدلي تقودنا الى قضية أساسية هي وحدة قوى الثورة في الاقليم اليمني كله لقيادة النضال الوطني الديمقراطي عبر برامج ومخططات مرحلية قد تتفاوت نسبيا في الجنوب عن الشمال للنضال من أجل تنفيذ ذلك وصولا الى هدف استراتيجي واحد •

واذا كانت المهام المباشرة في الجنوب تحدد بمهام الثورة الوطنية الديمقراطية فان هذا لا يعني على الاطلاق أنها غير مرتبطة بصلب النضال الوطني الديمقراطي في الاقليم ، بل اننا نقصد من ذلك بان هناك مرحلة زمنية من النضال قد تطول وقد تقصر في سبيل الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر ومن أجل الدخول في تنفيذ مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وتحقيق الوحدة اليمنية •

ان الاخطار التي تهدد ثورة ٢٦ سبتمبر من قبل القوى الرجعية وفي مقدمتها الرجعية السعودية والامبريالية وعلى رأسها الامبريالية الامريكية وعملاءها وما يلحق تبعا لذلك من مخاطر على ثورة ١٤ أكتوبر ، ان هذه المخاطر تشكل احدى العوائق الكبرى التي تقف أمام انطلاق ارادة الشعب اليمني كله وبالتالي فان النضال المشترك في سبيل حماية ثورة ٢٦ سبتمبر ،كذلك النضال في سبيل ترسيخ ثورة ١٤ اكتوبر وانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ،كل ذلك يشكل انطلاقة كبرى تضع الثورة في الاقليم كله على عتبة تحولات اجتماعية عميقة تمكن من تحقيق الاهداف الاستراتيجية للثورة اليمنية في الاقليم •

وبهذا الفهم ، فنحن ندرك أن المرحلة الراهنة اكثر صعوبة من سابقاتها وان الظروف والاوضاع التي تعيشها الثورة اليمنية اليوم تحتاج منا الى مزيد من النضال ، ومزيد من التضحيات مرتبط ببرنامج واضح لتواصل السير من أجل تحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية في عموم الاقليم اليمني كله •

ومن أجل تحديد علمي لهذه المرحلة ، والقوانين العامة التي تتحكم بها ومن أجل

تحديد أكثر وضوحاً لطبيعة القوى الطبقية للثورة ، ومن أجل تحديد المهام التى يترتب على الثورة انجازها على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والثقافية نقدم هذا البرنامج لهذه المرحلة . وهى مرحلة تتطلب تحديدا واضحا لهوية الثورة لا من حيث أساسها النظرى وبرنامجها المرحلى فحسب ، ولكن من حيث خصوصيتها اليمنية أيضا ، فالفكر الاشتراكى العلمى لا يمكن أن يؤخذ بشكل مجرد عن الواقع ، والتجارب الاشتراكية ، لا يمكن النظر اليها كقوالب آلية يمكن استيرادها أو نسخها .

إن ثورتنا ، مع الاستفادة من ايجابيات كل التجارب الاشتراكية ، يجب أن تناضل من أجل تطبيق الفكر الاشتراكى العلمى بصورة صحيحة وخلاقة على واقعنا اليمنى لنتمكن من صنع تجربة يمنية تقدمية ، ولنتمكن من اعادة بناء المجتمع اليمنى الجديد ومن أجل خلق افضل العلاقات الايجابية مع حركة الثورة العربية والعالمية .

الباب الثانى
الفصل الاول
الثورة الوطنية الديمقراطية

عبر تاريخ التجربة الانسانية تبرز حقيقة علمية تؤكد بأن المجتمعات البشرية تسير فى خط تطورى صاعد ، فمع كل مرحلة من مراحله المختلفة تسقط أنظمة بكل علاقاتها وتشكيلاتها الاقتصادية والاجتماعية وتقوم على انقاضها أنظمة أخرى من نمط جديد وعلاقات جديدة .

ومنذ الثلث الاول من القرن العشرين ومع انتصارات ثورة أكتوبر العظمى كأول ثورة ودولة اشتراكية فى العالم اخذت البشرية تشهد بداية اضمحلال وسقوط الانظمة الاستعمارية الرأسمالية وتشكيلاتها الاجتماعية والاقتصادية الرأسمالية وقيام الدول الاشتراكية فى أكثر من بلد بعلاقاتها الاجتماعية والاقتصادية الجديدة .

وهكذا فان انتصار الاشتراكية فى العديد من أنحاء العالم قد وفر شرطا عالميا جديدا لتطوير نضال الشعوب فى مختلف القارات ضد الرأسمالية والاستعمار العالمى بشتى أشكاله ونحو تقدم هذه الشعوب وتطورها فى اتجاه انهاء استغلال الانسان للانسان .

ان الاشتراكية لمرحلة تاريخية تتحرر فيها الطبقة العاملة وكل الكادحين من نير الاستغلال والاضطهاد الواقع عليهم ويتحقق فيها أسمى الاهداف البشرية من حيث :

● كونها تحقق الملكية العامة لوسائل الانتاج لكل المستغلين والمضطهدين وتكسر كل القيود التى تكبلهم لينطلقوا فى عملية الخلق والابداع من أجل تنمية وتطوير القاعدة المادية والتكنيكية ومن أجل أن تحقق تطورا فنيا رفيعا ينتج الوفرة والرخاء الحقيقيين فى مجتمعهم الانسانى الجديد .

● وكونها تثبت سلطة أوسع جماهير الكادحين كسلطة ديمقراطية حقيقية يمارسون فيها حريتهم السياسية والاجتماعية فى الحياة ويقف فيها الجميع فى مرحلتها العليا على قاعدة اجتماعية متساوية .

● ولكونها نظام قائم على العمل الثورى المنظم الذى يتحقق فقط فى ظل سيطرة الطبقة العاملة وحزبها لقيادة كل جماهير الكادحين من أجل تحقيق أهدافهم .

● ولكونها فى الاخير تقف ضد الحروب الاستعمارية والعنصرية وضد التعصب القومى (الشوفينى) بتحقيق علاقات انسانية بين كل الكادحين والمضطهدين فى العالم من أجل النضال ضد عدوهم المشترك فى سبيل تحقيق أهدافهم المشتركة .

واذا كان النضال الثورى للشعوب المتحررة من نير الاستعمار فى البلدان النامية والتى تمر بأنظمة ما قبل الرأسمالية لابد وأن تعنى فى الاخير تحقيق الاشتراكية فى هذه البلدان ، الا أن الوصول الى ذلك فى ظل التخلف الشديد وفى ظل الاستعمار العالمى وضعف وارتباط برجوازية هذه البلدان بالاحتكارات الرأسمالية العالمية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عتم التطور الرأسمالى وامكانية قيامه بتحقيق ضرورة اللحاق بالتقدم البشرى فى كافة المجالات . ان كل ذلك يفرض طريق الانتقال من الانظمة الرأسمالية وما قبل الرأسمالية التى تمر بها هذه البلدان الى الاشتراكية ، انها مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التى تفرض قواها وأدواتها المتميزة ، كما تفرض حتمية أفقها الاشتراكى .

ان الظروف الراهنة لانظمة حركة التحرر الوطنى والمصاعب والمخاطر التى تركها الاستعمار تجعل لهذه المرحلة سمتها الخاصة التى تفرض عددا من المهام الكبيرة لتتمكن من انهاء كافة العوائق التى تقف أمام التقدم السريع لهذه الانظمة .

فالاستقلال الوطنى من الاستعمار القديم قد شكل نصرا أوليا لهذه الشعوب فى نضالها العام ضد الاستعمار الا أنه كما هو واضح يظل ناقصا وشكليا فى ظل الطبيعة العدوانية للامبريالية وللاستعمار وفى ظل الاشكال والاساليب القهرية المتعددة التى يتخذها ، ما لم يدعم الاستقلال السياسى بتحرير اقتصادى عام من عجلة الرأسمالية العالمية وما لم يرتبط أيضا بتصفية التركة الاستعمارية على كافة المستويات .

ان ذلك يمكن أن يتم بالاعتماد على النفس أولا . وعلى توثيق العلاقة مع البلدان الاشتراكية .

ان الشعوب الناضلة تواجه معضلات النمو والتطور المرتبط بتثبيت استقلالها واستكمال تحررها الاقتصادى وتقدمها الاجتماعى وعلى هذا الاساس فهى تقف أمام الطريقين :

● **طريق التطور الرأسمالى** ، ويعنى الارتماء فى أحضان الاستعمار الجديد واستمرار التخلف الذى تعانى منه .

● **الطريق اللارأسمالى** ، طريق التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، الذى يمهد الظروف المادية للتطور اللاحق لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية وهو بناء الاشتراكية .

ان طريق النضال من أجل التحولات التقدمية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المرتبطة بالنضال من أجل تصفية الاقطاع وشبه الاقطاع وشتى أشكال الاقتصاد الطفيلى المرتبط بالرأسمالية العالمية هو الطريق الثورى الوطنى الديمقراطى الكفيل بتحقيق الاساس المادى للتطور اللاحق عبر الخطط والبرامج الاقتصادية .

ومن هنا فان مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية تعالج مسائل التحول والانتقال من المجتمعات المستعمرة وشبه المستعمرة ، والمجتمعات ما قبل الرأسمالية الى المجتمعات الاشتراكية فى ظل الظروف والاوضاع الطبقية فى هذه المجتمعات وفى ظل انتصار الاشتراكية وانحسار الانظمة الامبريالية . ومن الطبيعى أن لا تنحصر مهامها على حل معضلة بعينها من معضلات التحرر والنمو الوطنى الديمقراطى ولكنها تعالج كافة قضايا الثورة الوطنية الديمقراطية ، ابتداء بحل مسألة السلطة عبر نضال ديمقراطى شعبى ، ومعالجة كافة مسائل البناء الفوقى فى هذه المجتمعات معالجة وطنية تقدمية ، ومرورا بحل مسألة الارض ، وتحقيق التحرر الاقتصادى ، وخلق القاعدة الزراعية الصناعية عبر خطط التنمية ، وانتهاء بالدخول بتصفية جذور العلاقات الاستغلالية ، وتثبيت علاقات من نوع جديد لبناء المجتمع الديمقراطى الاشتراكى .

ان كل ذلك يعتمد فى الاساس على قوى الثورة الوطنية الديمقراطية من عمال وفلاحين وجنود ومثقفين ثوريين وبرجوازية صغيرة .. ان هذه القوى بتحالفها عبر أداتها الجبهوية الديمقراطية ، والتى تقودها الطبقة العاملة وطليعتها تكون مؤهلة لتحقيق تلك التحولات والاستمرار فى النضال دون كلل ضد كل الاعداء من امبرياليين وكمبرادوريين واقطاعيين .

وعلى هذا الاساس فان الثورة الوطنية الديمقراطية تأتى لتحل التناقض بين قطبى الصراع التى تمثله القوى الطبقية للثورة والقوى الطبقية المضادة لها عبر برنامج جذرى للتحرر الوطنى الديمقراطى ، الذى يوصل قوى الثورة لا الى تحقيق مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية

فحسب ، ولكن ليضعها على عتبة مرحلة جديدة من النضال لبناء المجتمع التقدمي المنشود ٠

الفصل الثاني

الثورة الوطنية الديمقراطية في اليمن الديمقراطية الشعبية

ان الثورة في بلادنا تخضع لجملة من القوانين العامة والخصائص الموضوعية والذاتية التي تحكم تطورها ونموها الاقتصادي والاجتماعي ٠

ففي ظل النضال الوطني لشعبنا بقيادة التنظيم السياسي الجبهة القومية وفي ظرف انتصار الاشتراكية وتزايد النضال العالمي ضد الامبريالية ونمو الحركة العمالية العالمية وتزايد فعاليتها وانتشار الافكار الاشتراكية وانهيار النظام الاستعماري يفتح امام شعبنا طريقا جديدا في النمو هو طريق الثورة الوطنية الديمقراطية التي تتميز من حيث المهمات والمتطلبات التي تحلها والتي تختلف من حيث أدوار القوى الاجتماعية الموجهة للنضال الوطني في بلادنا ٠

وقد مثلت ثورتنا منذ البدء بقيادة التنظيم السياسي الجبهة القومية رفضا جديا للمجتمع القديم المتمثل بالنظام الاستعماري السلاطيني الاقطاعي العميل ، ولم ينحصر هذا الرفض في موقف سياسي فقط بل ارتبط بالنضال المسلح من أجل هدم النظام برمته ٠

واذا كنا الان نشرع في عملية البناء الديمقراطي التقدمي في بلادنا فان انجاح هذه العملية يكمن في الاساس في قدرتنا على تصفية كافة العوائق من مخلفات النظام الاستعماري السلاطيني على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي لا يمكن أن تتقدم الثورة دون تصفيتها من طريقها ٠

وعلى هذا الاساس فان نظرية تحليلية علمية لواقع مجتمعنا والقوانين العامة التي تحكمه سوف تمكننا من التحديد الواضح لطبيعة القوى الطبقية المتناقضة والمتصارعة من أجل تحقيق مصالحها المادية والروحية والحفاظ عليها ٠

ان الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتخلفة في بلادنا كنتيجة للسياسة الاستعمارية التي مورست طوال أكثر من قرن وربع تكشف لنا المستوى البدائي لوسائل الانتاج وقوى الانتاج ، ومن الطبيعي ان هذا الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتخلف يسحب نفسه على البنية الطبقية في بلادنا والاثار المترتبة على ذلك ٠

ان عمالة البرجوازية وتخلفها وضعف الاقطاع وتخلفه قد اثر على طبيعة النمو للقوى الطبقية الجديدة ، الطبقة العاملة وحلفائها الفلاحين ، هذه الحقيقة لا نقررها نحن تقريرا ذاتيا ، ولكن يقررها واقع اقتصاد الخدمات الطفيلي الذي خلقه الاستعمار في بلادنا مما عطل امكانية التصنيع وجعل من بلادنا سوقا مفتوحة على مصراعيها لمنتجاته المختلفة ٠ ان هذا الاقتصاد الكمبرادوري قد خلق برجوازية تجارية تعتمد في الاساس على القيام بأعمال الخدمات للرأسمال العالمي مما اثر على النمو الطبيعي للطبقة العاملة التي لازالت في بداية تكوينها ولازالت محدودة في ظل ارتباطها باقتصاد الخدمات ٠

لقد استطاع الاستعمار أن يخلق علاقة وطيدة مع تحالف الاقطاع وشبه الاقطاع والبرجوازية الكمبرادورية وكان لهذا التزاوج تأثيره على الاوضاع المتخلفة في المدينة والريف ، بل عمل الاستعمار على تعميقها لاعاقة حركة التطور والتقدم وبالتالي لعرقلة نمو القوى الطبقية المؤهلة تاريخيا لقيادة تحولات أكثر جذرية ،لكن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلادنا على الرغم من تخلفها ذلك لا تنفي الحقيقة العلمية الثابتة للدور التاريخي للطبقة العاملة وحلفائها الفلاحين وتعاظم دورهم القيادي كلما تقدمت الثورة وحققت العديد من التحولات الاقتصادية والاجتماعية ٠

ومن الطبيعي انه في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية يصبح تحالف العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة مسألة ضرورية لمجابهة الاعداء الطبقيين للاضطلاع بتنفيذ مبادىء ومهام الثورة الوطنية الديمقراطية والدفاع عنها ٠

ان الوضعية التي تعيشها بلادنا تجعلنا نؤكد الحقائق التالية :

١ ـ ان ارتباط الاقطاع وشبه الاقطاع بالاستعمار العالمي والرجعية العربية يشكل خطرا على الثورة وان الدور الرجعي والتخلف الذي يلعبه شبه الاقطاع واغنياء الفلاحين ذوو الجذور التاريخية في الريف بين الفلاحين تجعل من تصفية أوضاعهم المادية والاستغلالية وحقوقهم السياسية وامتيازاتهم التي كسبوها أثناء سيطرتهم الطويلة أمرا ضروريا ، ولابد أيضا من شن نضال فكري علمي ضد تقاليدهم وقيمهم وعاداتهم وأفكارهم ، وعلى هذا الطريق تصل الثورة الوطنية الديمقراطية بالفعل الى اوسع الجماهير وتستطيع أن تصل الى أعماق الجماهير في الريف لخلق ثورة زراعية ديمقراطية حقيقية ٠

٢ ـ ان البرجوازية الكمبرادورية مرتبطة بالاستعمار والاستعمار الجديد ٠ وقد استمدت وجودها ونموها من ارتباطها بالرأسمالية الاجنبية وهي لذلك لم تتخذ موقفا جديا ضد القوى الامبريالية ٠ وتاريخ العديد من الشعوب للبلدان المتحررة من الاستعمار يؤكد حقيقة أن موقف هذه الفئة ضد الامبريالية لم يكن في يوم من الايام موقفا جديا ومباشرا ، وان ارتباطها وعمالتها السياسية للاستعمار العالمي يتاكد ويظهر واضحا من التناقض بين هذه الطبقة المرتبطة بعجلة الرأسمالية العالمية وبين القوى الجديدة من عمال وفلاحين وفئات الديمقراطية الاجتماعية الاخرى ويرتقي الى مرتبة التناقضات الجذرية ، وبالتالي فان تحويل النشاط والعلاقات الكمبرادورية الى نشاط وعلاقات اقتصادية انتاجية وطنية ضرورة أساسية يستوجب توفير الضمانات التي ستؤدي الى اسهام فئات الرأسمال الوطني في عملية التحول هذه ٠

٣ ـ لقد كان من طبيعة الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلادنا وجود شريحة عريضة من البرجوازية الصغيرة، لكن هذه البرجوازية الصغيرة كماتؤكد لنا التجارب لا تستطيع أن تقود الثورة الوطنية الديمقراطية والوصول بها الى نهاية حاسمة ، ومن هنا لابد ان توظف البرجوازية الصغيرة لمصلحة الطبقة العاملة وحلفائها لان حل معضلات الثورة الوطنية الديمقراطية في تحقيق التحرر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، لا يمكن أن يتم إلا عبر طريق سلطة جماهير العمال والفلاحين ، لان الجماهير الكادحة هي وحدها التي تربح كل شيء ولم تخسر الا قيودها في نضالها الثوري ٠

ان تجارب البلدان النامية التي قامت فيها تحالفات وطنية ديمقراطية تحت قيادة البرجوازية الصغيرة في ظل برامجها الاقتصادية والسياسية تثبت بالملموس ان هذه البرجوازية الصغيرة قد قادت ثورتها الوطنية الى طريق مسدود والى عجز واضح عن تقديم المعالجات الجذرية والصائبة للقضايا والمهام الثورية الوطنية الديمقراطية منتهجة بدلا من ذلك طريق التردد والتذبذب حينا والمزايدة اللفظية والعفوية حينا اخر ، ذلك فضلا عن أساليب العسف والاضطهاد ضد الطبقة العاملة وحلفائها ٠

٤ ـ وفي بلادنا يجب ان تقام التحالفات الوطنية الديمقراطية تحت قيادة الطبقة العاملة وطليعتها والتي ستمكن من تنفيذ برامجها الاقتصادية والسياسية والعسكرية لتتمكن بذلك من الصمود في وجه الاستعمار والاستعمار الجديد وتصفية القوى الطبقية المرتبطة به ، كما تستطيع بفعالية من أن تقود بلادنا بما يضمن حل كافة معضلات الثورة الوطنية الديمقراطية وتجذيرها لصالح هذه التحالفات الطبقية ٠

ان الفلاحين المعدمين والفقراء والمتوسطين هم القاعدة العريضة التي تشكل احدى الاسس الهامة للثورة ، وان الفلاحين المعدمين والفقراء هم أكثر الحلفاء صدقا واخلاصا في تحالفهم مع العمال ، ولذلك فان الثورة تؤكد على اهمية دور الفلاحين في هذه المرحلة ، وامكانيتهم الكبيرة بتحالفهم مع العمال في حتمية انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية ٠

وعلى هذا الاساس فان التنظيم السياسي للجبهةالقومية في بلادنا هو أداة مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية

باعتباره الاطار العريض للتحالف الواسع بين كل القوى الديمقراطية صاحبة المصلحة الحقيقية فى الثورة الوطنية الديمقراطية من عمال وفلاحين وجنود ، ومثقفين ثوريين وبرجوازية صغيرة •

ان المرحلة الراهنة فى بلادنا تستوجب تعزيز التحالفات الوطنية الديمقراطية الا ان هذا يجب ان يتم فى ظل تحالف القوى الاساسية للعمال والفلاحين الفقراء مع صعود وتنامى دور الطبقة العاملة وطليعتها لتتمكن من التقدم نحو تحقيق التغيرات الضرورية فى بنية المجتمع التحتية والفوقية والتى لا يمكن ان تحقق بالممارسة العفوية والتجريبية او بمجرد الاخلاص الذى لا يدرك حقائق العالم الموضوعى ودرجة نمو الشروط الذاتية والمنفصل عن الالمام بالمهام اليومية والتاريخية للثورة •

لقد اكدت كل التجارب الثورية بصدق الاهمية التاريخية لدور الحزب الطليعى فى قيادة الثورة ومدى المخاطر الجسيمة التى يمكن ان تتعرض لها اى ثورة فى ظل غياب الحزب الطليعى •

وان الثورة فى بلادنا تؤمن اكثر من اى وقت مضى بان الحزب الطليعى هو الضمان الوحيد لتحقيق قدرتها على قيادة الثورة وانجاز المهام المرحلية والتاريخية لها •

ولذلك فان العمل من اجل قيام الحزب الطليعى من داخل اطار التنظيم السياسى — الجبهة القومية — وفى سبيل قيام الحزب الطليعى اليمنى الموحد ، قضية استراتيجية ضرورية • انه القيادة المسلحة بأيديولوجية الاشتراكية العلمية ، القيادة المنظمة والواعية والقادرة على تحقيق المهام المرحلية المرتبطة بالمهام الاستراتيجية للثورة اليمنية •

الباب الثالث

السلطة فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية

ان السلطة هى التجسيد الحقيقى للمصالح المادية والروحية لطبقة او تحالف طبقى ضد طبقة او تحالف طبقى آخر •

ولقد ظلت السلطة فى بلادنا ، بكل قوانينها ومؤسساتها تجسيدا لمصالح الاستعمار والاقطاع وشبه الاقطاع والكمبرادورية ، وأداة لقهر واضطهاد الطبقات الكادحة فى بلادنا •

واذا كان الشعب قد استطاع فى الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧ م ، انتزاع الاستقلال السياسى بتغيير الرموز البشرية للسلطة واحلال العناصر الوطنية محل الاستعماريين والاقطاعيين والكمبرادوريين فانه لم يستطع احداث تغيير حقيقى فى البنية التحتية والفوقية نظرا لسيطرة القوى اليمينية على السلطة حتى ٢٢ يونية ١٩٦٩ م •

ان هذه الوضعية قد وضعت الثورة امام مرحلة حاسمة ، فالتناقض بين ما تمثله سلطة الثورة المعبرة عن مصالح جماهير العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة وما تمثله السلطة القديمة وصل درجة من الحدة لم نمتلك معه الخيار الا بحسمه لصالح الطبقات الاجتماعية الكادحة المرتبطة بمستقبل الثورة •

وبالتالى فان السلطة الثورية يجب ان تتحدد شكلا ومضمونا بما يميزها عن السلطة القديمة الموروثة ، وان شعار سلطة الديمقراطية الشعبية يفرض نضالا دؤوبا من أجل تثبيته وانتصاره •

ان المعنى الحقيقى للسلطة الوطنية الديمقراطية الشعبية كونها تمثل وتميز بشكل قاطع المصالح الاقتصادية والاجتماعية والروحية للقوى الاجتماعية الجديدة من عمال وفلاحين وكل الفئات الديمقراطية الاجتماعية الاخرى ، فهى أداة بيد هذه القوى فى نضالها ضد كافة القوى القديمة والمعادية التى فقدت مصالحها • انها دكتاتورية الديمقراطية الشعبية لجماهير العمال والفلاحين وكل الحلفاء فى مواجهة قوى الاقطاع وشبه الاقطاع والكمبرادورية وحلفائهم وفى مواجهة الرجعية والامبريالية العالمية التى فقدت مصالحها داخل المنطقة ، وأخذت مصالحها الاستراتيجية فى الجزيرة والخليج تتعرض للخطر •

ان المهمة العاجلة لسلطة الثورة الوطنية الديمقراطيـــــة فى جمهـــــورية اليمن الديمقراطية الشعبية هى انجاز التحرر الاقتصادى التام والتصفية التامة والجذرية للبرجوازية الكمبرادورية المرتبطة بالرأسمالية الاجنبية ، وكذلك شبه الاقطاع ، وتحقيق اعادة البناء الشامل للأجهزة الادارية والعسكرية ، لتتوطد نهائيا السيطرة الفعلية لتحالف العمال والفلاحين فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية •

ان تحقيق السيطرة الفعلية لهذه القوى

يتم عبر تثبيت القضايا التالية :

أولا :

تجسيد عملى بممارسة ثورية للمصالح المادية والروحية لقوى الثورة •

ثانيا :

تطهير وتطوير الادارة وغربلتها وتغيير قوانينها وانظمتها واعادة تثقيفها بمفاهيم ثورية لتتمكن من ادارة أجهزة السلطة وضمان السيادة الدائمة والمتطورة للعلاقات الثورية الديمقراطية فيها ، لان الاستعمار خلق لنا أجهزة ادارية بيروقراطية شكلت عبئا حقيقيا كما ان هذه الاجهزة ظلت مشدودة لسنوات طويلة الى كافة القوانين التى خلقها الاستعمار لخدمة مصالحه •

ثالثا :

الغاء القوانين والتشريعات ولوائح السلطة القديمة وسن تشريعات وقوانين ولوائح تعبر وتضمن التحقيق المستمر لصالح قوى الثورة لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية •

رابعا :

تكريس الديمقراطية من أجل المشاركة الفعلية والعملية لقوى الثورة فى الحياة السياسية ومن أجل اجراء التحـولات الاقتصادية والاجتماعية ورسمها ووضع برامجها ، وفى الحياة الثقافية والتعليمية صياغة مناهجها ، كل ذلك يتم عن طريق اقامة المجالس الشعبية ومجلس الشعب الاعلى على ضوء الدستور •

ان السلطة الوطنية الديمقراطية يمكن أن تحقق المهمات التقدمية فقط عبر خوض الصراع الطبقى المنظم الذى يقوده تحالف العمال والفلاحين بقيادة أداة التحالف وطليعتها ضد كل القوى التى فقدت مصالحها وتفقد مصالحها عبر التحولات المادية والروحية فى المرحلة الراهنة •

ان هذه العملية يمكن أن تتم باستخدام ديكتاتورية الديمقراطية الشعبية المنظمة باعتبارهـا التحقيق الفعلى لديمقراطيـة العمال والفلاحين والفئات الديمقراطية الاجتماعية الحليفة فى مجالات الحياة المادية من أجل تثبيت كل مصالحها المادية والروحية وباستمرار •

ان التناقضات بين الطبقات المتحالفة فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية على الرغم من آن لجوانب منها طبيعة حادة فأنها تظل أمام التناقضات الاساسية بينها وبين الطبقات المضادة تناقضات غير تناحرية ، وأن التوجه للحيلولة دون تحولها الى تناقضات رئيسية وتناحرية وحلها لما يخدم قوى الثورة ومعضلات الثورة الوطنية الديمقراطية عبر العمل الجماهيرى الديمقـراطى ، والتثقيف الثورى وان ذلك سوف يخدم فى الاساس استراتيجية الثورة الوطنية الديمقراطية وانجاز مهماتها المتزايدة •

ان مؤسسات الثورة العسكرية يجب ان يستخدم لضرب اعداء الثورة السابقين، ويحرم تحريما كاملا استخدامها ضد العمل الجماهيرى الديمقراطى وفى مقدمته المنظمـات الجمـاهيرية • العمـالية ، والفلاحية ، والطلابيـة والنسـوية • ان المنظمات الجماهيرية يجب أن تضمن لها الثورة المناخ الديمقراطى ، وتحترم كل نشاطاتها المختلفة التى تهدف إلى مصلحة الثورة •

هذه هي اهم القضايا والمسائل التى على سلطة الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية فى اليمن الديمقراطية ان تثبتها لتثبت من خلالها •

وان قضية اخرى هامة يجب التاكيد عليها وهى قضية الشكل والمضمون لوحدة ترابط الهيئات المركزية للسلطة • وفى الاساس فان معنى هذه القضية يتحدد من

كون سلطات الدولة كلا لا يتجزأ على الاطلاق وتشكل بمجموعها وحدة متكاملة عضوية الترابط ·

ان العلاقة المترابطة للسلطات المختلفة تظل قائمة طالما عبرت واستمرت تعبر عن المصالح المادية والروحية للقوى الطبقية المتحالفة فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وهذا هو الفهم الذى يمين السلطة عن مفهومها التقليدى والليبرالى الذى يقول بفصل السلطات بعضها عن بعض تحقيقا للديمقراطية ، وفى الواقع فان مفهوم الفصل هذا انما يعكس طبيعة النظام الرأسمالى ويخدم جوهر مصالح البورجوازية · وقد اثبتت تجربة البلدان الاشتراكية بتحقيقها جدلية العلاقة بين السلطات المختلفة على أن الترابط العضوى للسلطات المختلفة هو التحقيق الجوهرى لمصالح الطبقة العاملة وحلفائها · ومن هنا فان السلطة الوطنية الديمقراطية فى بلادنا يجب أن ترتكز على نفس المفهوم الديمقراطى لوحدة السلطة والذى يعتمد على :

١ ـ تحقيق وحدة السلطات التشريعية والتنفيذية على أساس نظام المركزية الديمقراطية ·

٢ ـ تحقيق التنسيق بين اجهزة هذه السلطات لتقوم بواجباتها بشكل منسجم مع المهام المطروحة عليها ·

٣ ـ عدم التركيز الشديد للسلطات وتثبيت مبدأ القيادة الجماعية فى السلطة تجنبا لمخاطر الدكتاتورية الفردية والامراض البيروقراطية ·

وان المسألة المركزية لوحدة السلطات فى الدولة هى ان الطليعة القائدة للثورة الوطنية الديمقراطية هى التحقيق النظرى والعملى لجدلية الترابط بين السلطات المختلفة فى الدولة ، فبالجماهير تناضل الطليعة القائدة من أجل السلطة ، وفى السلطة تناضل من أجل الجماهير · لتصبح محورا أساسيا فى القيادة ، على الصعيد الرسمى والشعبى ·

وقضية اخرى يجب ان تحدد بوضوح ·· هى قضية العلاقة الجوهرية بين الطليعة والجماهير ، والجماهير والطليعة ، ولقد تحدد بوضوح بأن مبدأ المركزية الديمقراطية هو الاساس الذى يحدد طبيعة هذه العلاقة فى التنظيم السياسى الجبهة القومية والسلطة ·

وبذلك كله فقد تحددت أسس النظام الوطنى الديمقراطى فى بلادنا الذى يخضع ويحدد جميع المخططات واللوائح والقوانين والدساتير · ولقد جاء الدستور الوطنى الديمقراطى لبلادنا ليلبى هذه الاسس ويعتمد عليها ·

ان العمل من أجل تطبيق الدستور واستكمال الاجهزة التشريعية التى حددها ليعطى المد الثورى والعمق الجماهيرى للسلطة الديمقراطية الشعبية فى بلادنا لتصبح السلطة سلطة الجماهير الكادحة وهذا هو الطريق لانتصار سلطة الديمقراطية الشعبية على طريق تحقيق استراتيجية الثورة اليمنية ·

الباب الرابع

التحولات الاقتصادية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية

الفصل الاول

أهمية الاجراءات الاقتصادية

ان الهدف الاساسى لهذه المرحلة هو التغيير الجذرى للبنية التحتية للمجتمع القديم الذى سوف يعكس حتما انقلابا حقيقيا فى طبيعة وسائل الانتاج وعلاقات الانتاج ، هذه العملية التى ستخلق تطورا نوعيا فى وسائل الانتاج ، وتحقق انسجاما ارقى بينها وبين قوى الانتاج ، حيث توجه ضربات متلاحقة لقوى الاستغلال وتجرى عملية تحرير الكادحين من كثير من القيود التى تكبلهم وبالتالى تمكنهم من الانتاج والابداع ، فى سبيل بناء قاعدة مادية وتكنيكية تفتح آفاقا رحبة للتطور اللاحق لبناء مجتمعهم الجديد ، الخالى تماما من استغلال الانسان للانسان ·

لكن التغيير الجذرى للواقع الاقتصادى لا يمكن ان يتم دون التصفية الضرورية الكاملة للقوى المعيقة لهذا التغيير ، تلك القوى الطفيلية المتمثلة بالكمبرادورية المرتبطة بالرأسمالية الاجنبية والاقطاع وشبه الاقطاع والتى ظلت تمارس الاستغلال البدائى على شعبنا فى المدينة وفى الريف بحماية الوجود العسكرى البريطانى حيث تحولت بلادنا كلها الى سوق للنهب مربوطة بعجلة الرأسمالية العالمية ·

ففى المدينة ظل التوسع مستمر لاقتصاد الخدمات من خلال السيطرة الشبه الكاملة للشركات الاحتكارية الاجنبية ، وفى الريف ظل الاقطاع متمثلا بالسلاطين والامراء والمشايخ الذين كانوا يتربعون على قمة الهرم السياسى ، ويسيطرون على قاعدة الهرم الاقتصادى ويمارسون الاستغلال بأكثر الوسائل والاساليب تخلفا وبشاعة ·

واستطاع الاستعمار البريطانى ان يخلق انسجاما بين الكمبرادورية فى المدينة وبين الاقطاع فى الريف ، باعتبارهما ركيزتين أساسيتين لضمان بقائه · وبالتالى بقاء مصالحه الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية ، وهى القوى التى ظل يعتمد عليها الاستعمار بعد الاستقلال وبعد أن خرج مطرودا من بلادنا ، ويأمل بواسطتها العودة مرة اخرى ·

ان الإمبريالية كاعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية العالمية تعتمد فى الاساس على السيطرة الاقتصادية عبر تحالف الكمبرادورية والاقطاع المرتبطين بها ارتباطا وثيقا ، ولقد ظل الرأسمال الاجنبى المتمثل بالشركات الاحتكارية والبنوك وظل الاقطاع وشبه الاقطاع والكمبرادورية يهيمنون على الاوضاع الاقتصادية فى بلادنا حتى الثانى والعشرين من شهر يونية عام ١٩٦٩ م ، وكانت ثورتنا بذلك مهددة بالوقوع فعلا تحت سيطرة الاستعمار الجديد ·

كذلك فان عملية الصراع الحقيقى تكمن فى الاساس بين المصالح الاقتصادية القائمة على التناقض التناحرى لقوى الاستعمار الجديد والاقطاع والكمبرادورية ، الذى يجمعهم قاسم مشترك هو الاستغلال وبين القوى المستغلة والمضطهدة من عمال وفلاحين وبورجوازية صغيرة ، والتى لا تنتهى فى نضالها عند طرد الاستعمار وتحقيق الاستقلال ، بل تبدأ فى مرحلة جديدة من النضال لضرب كل القوى الطبقية التى تعتبر الركائز المادية لعودة الاستعمار الجديد ·

ومن هنا فقد كان من الضرورى ان تبدأ الثورة مباشرة بعد عملية التصحيح التى تمت فى الثانى والعشرين من يونيه عام ١٩٦٩ م ان توجه ضرباتها المتلاحقة للكمبرادورية والاقطاع ·

ان تحرير اقتصادنا الوطنى من سيطرة الشركات الاحتكارية الاجنبية والسيطرة على المرتفعات الاقتصادية فى البلاد كانت الخطوة الاولى على هذا الطريق ، وكانت الاجراءات التى تمت فى السابع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٩ م قد مكنت من سيطرة الثورة على شركات المصارف وشركات الملاحة وشركات توزيع البترول وشركات التامين واعادة التامين وشركات التجارة ·

ان تلك الاجراءات كانت موجهة بمجملها الى الرأسمال الاجنبى فى الاساس ، وهى بقدر ما كانت ضرورية لتحرير اقتصاد البلاد بشكل عام ، كانت ضرورية ايضا لتحرير فئات الرأسمال الوطنى من القيود التى فرضت عليها اثناء الوجود الاستعمارى والتى كانت محرومة من شرف المشاركة الفعلية فى بناء وتطوير الاقتصاد الوطنى فى البلاد ·

وكان التوجه الى الريف ، بعد ذلك يكتسب اهمية كبيرة نظرا للوضعية التى يعيشها والمتمثلة بالظواهر الاساسية التالية :

أولا :

سيطرة حفنة قليلة من الاقطاعيين والملكيين على مساحات كبيرة من الاراضى الزراعية ، وخصوصا الاراضى الخصبة منها ، وهذه السيطرة تقوم عن طريق التملك القانونى (الإقطاعى الاستعمارى) من ناحية وعن طريق الايجار القانونى من ناحية اخرى (بيت مال + اراضى السلاطين) ، فهذه الوضعية اتاحت لهم الاستيلاء على القسم الاعظم من الارض على حساب تدهور حالة الفلاحين واستغلال العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء ، وصغار الملاك ·

ثانيا :

علاقة التملك القانوني والايجار القانوني السائد في المنطقة أفرزت واقعا يوجد فيه قسم من الفلاحين العاطلين عن العمل سواء على شكل بطالة كاملة أو بطالة موسمية أو بطالة مقنعة ، وهذا الواقع دفع ملاك الاراضي الى الاستغناء عن استخدام وسائل انتاج حديثة ، وبدلا عنها استخدمت الايدي الاجيرة التي توجد بنسبة كبيرة وبواسطة أجرة رخيصة جدا .

ثالثا :

يلجأ ملاك الاراضي الى توظيف حقهم من الريع العقاري في المجالات غير الانتاجية الامر الذي يضعف معه عملية التراكم ، وذلك أنهم يوجهون هذه الارباح لشراء الذهب وصرفها على الاغراض الشخصية ، واللهو الاقطاعي ، مثل تغلية الزواج والمضاربات ، والمتاجرة بالعقارات . ان الميل نحو الاستغلال لليد العاملة هو نتيجة طبيعية لحقيقة ان ملاك الاراضي لا يأخذون بالحسبان الحاجة الاجتماعية لاعادة انتاج اليد العاملة للموارد الطبيعية .

ان العلاقات الانتاجية ، ونظام ايجار الاراضي المستصلحة للزراعة والمنتشرة في الاراضي الخصبة بفعل وجود جمعيات الخدمات والتحسين المحدود لنظام الري في بعض المناطق خلق واقعا يرتكز على عدد كبير من صغار الفلاحين الذين حصلوا على هذه الارض بالمحاصصة من كبار الملاك ويعتمدون على سد حاجياتهم اليومية من انتاج قطعة الارض هذه ، والتي لا تفي منتوجاتها بحاجاتهم الضرورية . مشكلة الارض القائمة والناجمة عن :

أ ـ تفتيت الاراضي الزراعية وتجزئتها الى ملكيات صغيرة ذات طاقات انتاجية محدودة ، وضعيفة ، ومن ثم تباين الانتاج الزراعي وتفاوته .

ب ـ استحالة القدرة على استخدام الزراعة على نطاق واسع واستخدام الاسمدة والطرق العلمية في زراعة الاراضي لزيادة انتاجها النوعي والكمي ، وذلك يرجع الى عدم قدرة الفلاحين على شراء واستخدام الالات والطرق العلمية في الزراعة .

ان هذا الواقع الريفي قاد الى ما يلي :

● بقاء الانتاج والتسويق الزراعي متدهورا على الدوام .

● انتاجية العمل متدهور المردود وضعيف الى الحدود القصوى في الضعف بالنسبة للفدان الواحد من الارض وبالنسبة للفرد الواحد من الفلاحين في الريف .

● خلق صعوبات كبيرة تجاه تحسين وتطوير المحصولات الزراعية وتنويعها .

ان كل ذلك مضافا اليه اهمال الثروات الطبيعية وخصوصا اهمال الثروة الحيوانية والسمكية ، يرسم بوضوح اسباب التخلف الرهيب الذي تعيشه جماهير شعبنا والقيود التي فرضت على العمال الزراعيين ، والفلاحين المعدمين والفقراء ، وصغار الملاك وجعلهم أسرى الفقر والجهل والمرض ، محرومين من أبسط وسائل الحياة العصرية ، وان كل ذلك ايضا قد تسبب في هجرة الاعداد الكبيرة بعيدا عن الوطن والارض الى الخارج .

ومن هنا فقد كان على الثورة بعد خطوة التصحيح التي تمت في الثاني والعشرين من يونية عام ١٩٦٩ م ، ان تكسر القيود عنهم وأن تحررهم من سيطرة الاقطاع وشبه الاقطاع فأصدرت لذلك قانون الاصلاح الزراعي الجديد الذي وضع حدا أوليا لسيطرة الاقطاعيين وأعاد تنظيم الحياة بين صفوف الفلاحين لما يخدم القوى الفقيرة والكادحة .

ان الثورة حرصت بعد صدور قانون الاصلاح الزراعي على الا يتم تنفيذه بالطريقة التقليدية ، حيث تستخدم فيه ادوات السلطة القمعية من أجل ضرب الاقطاعيين ونزع الاراضي الزائدة عن الحد الاعلى في القانون ، وبالتالي تسليمها للمعدمين والفقراء ، بل ان الثورة بقيادة التنظيم السياسي للجبهة القومية ، هيأت الظروف السياسية والتنظيمية التي مكنتهم من تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي بالاعتماد على مشاركتهم الجماعية النشطة والفعالة للاستيلاء على الارض ومصارعة الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين .

وعلى هذا الاساس كانت مبادرات وانتفاضات الفلاحين المعدمين والفقراء وكذلك الصيادين ضد مستغليهم الطبقيين ، هذه الحركة التي عززت ثقة الفقراء والكادحين بأنفسهم وبالثورة في ريفنا اليمني ، وبذلك تكون الثورة قد كسرت الحلقة الثانية من حلقات الاستغلال والظلم الاجتماعي ، ووجهت ضربة ثانية عميقة لامكانية عودة الاستعمار الجديد .

الفصل الثاني

آفاق التطور الاقتصادي

ان اجراءات الثورة في تحرير الاقتصاد الوطني من الشركات الاحتكارية الاجنبية ، وتحرير الفلاحين من الاقطاع وشبه الاقطاع ليس سوى المرحلة الاولى الضرورية من أجل عملية الانتقال الى التغيير النوعي للبناء الاقتصادي في بلادنا .

ان عملية التغيير تكمن في الاساس في تحويل اقتصاد الخدمات الى اقتصاد وطني انتاجي صناعي وزراعي ، يقوم على العلم والتخطيط من أجل بناء القاعدة المادية والتكنيكية التي ستنهض بعملية التطور المتقدم لشعبنا وبلادنا ، لتقضي بذلك على الاستغلال والتخلف وبالتالي البطالة والفقر .

ان عملية التغيير هذه ترتبط ارتباطا وثيقا بتعزيز وحدة المصالح الاقتصادية للشعب اليمني في الاقليم بشطريه شمالا وجنوبا ، كخطوة على هذا الطريق لابد ان يتم التنسيق الاقتصادي ـ الصناعي والزراعي والتجاري ـ لما يخدم ويقوي المصالح المشتركة للشعب اليمني في الاقليم كله .

وعلى هذا الاساس فان آفاق التطور الاقتصادي تتمثل بالاتجاهات التالية :

القطاع العام :

ان المسالة المركزية في هذه المرحلة ترتبط بسيطرة الدولة على مختلف مجالات الحياة الاقتصادية الاساسية وصولا الى قطاع الدولة المرتبطة بسلطة الديمقراطية الشعبية .

ان الوصول الى هذا الهدف ليس بالعملية السهلة بل انه يحتاج الى عمل منظم يقوم على خطط وبرامج قصيرة وطويلة المدى توصل في الاخير الى هذا الهدف ، وأن هذه الخطط والبرامج تتطلب، منذ البدء اداة اقتصادية للدولة تقوم بقيادة وتنفيذ هذه البرامج والمخططات .

ولذلك فان قطاع الدولة العام هو الاداة الاقتصادية القائدة التي تهدف الوصول الى تنمية قطاع الدولة .. ومن هنا تأتي اهمية قيام المؤسسة الاقتصادية كبداية لقيام القطاع العام للدولة الذي يجب بالضرورة توسيعه باستمرار مع تنفيذ خطط التنمية حتى يحتل المكان الطبيعي للاقتصاد الوطني الانتاجي الصناعي والزراعي ويكون بذلك القيادة الفعلية في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية لمجمل النشاطات الاقتصادية المتعددة والمتنوعة المصادر والاشكال بدلا من الاقتصاد الكمبرادوري الذي كان يهيمن على اقتصاد الخدمات .

ان تثبيت قطاع الدولة العام وقيادته لعملية تنفيذ خطة التنمية والاشراف المنسق على القطاع الخاص والقطاع المختلط مسالة ضرورية لانجاح خطط التنمية .

ان الحرص على اكتساب القطاع العام محتوى ديمقراطيا والمشاركة الفعالة من قبل العمال في الادارة والرقابة سوف يمكن هذا القطاع من تجاوز كافة الامراض البيروقراطية ومن القدرة على تطوره المستمر .

التصنيع :

لقد ظلت بلادنا محرومة تماما من عملية التصنيع فى عهد النظام الاستعمارى ، فقد حارب الاستعمار التصنيع فى ابسط اشكاله ومظاهره ، ليس ذلك فحسب بل لقد حارب حتى الورش الصغيرة التى تقوم بتصنيع بعض المنتجات الوطنية وقضى عليها ·

ومن الطبيعى أن تكون هذه المرحلة مرحلة التصنيع الخفيف والثقيل القائم على اساس خطة مدروسة تكرس لقيام بعض الصناعات الوطنية الضرورية المرتبطة بالحياة المعيشية للشعب ، وكذلك المرتبطة بخلق قاعدة صناعية متينة طبقا لمبدأ الافضليات فى الصناعات ·

ان تطوير بلدنا كبلد متخلف يرتبط ارتباطا وثيقا بعملية التصنيع ، ويمكن أن تقوم العديد من الصناعات المختلفة خاصة تلك الصناعات المرتبطة بالمواد الخام المتوفرة فى بلادنا ومنها :

تصنيع الحاصلات الزراعية والثروة الحيوانية والسمكية وصناعة البترول ومشتقاته ، البتروكيماوية ، والغزل والنسيج وصناعة الاسمنت ومواد البناء وصناعة السفن وصناعة الاسمدة والحمضيات ·

وان الثورة يجب أن تعمل على تشجيع وتطوير الصناعات الحرفية الوطنية بأنواعها المختلفة وعبر قيام التعاونيات الحرفية ·

ان هذه الصناعات ليست كل شيء وانما هناك صناعات عديدة يمكن أن تقام طالما ان المواد الخام الاولية متوفرة ·

ان المسح الجيولوجى مسالة هامة جدا يمكن ان تنهض بصناعاتنا نهوضا كبيرا ، ولابد ان تبذل كل الطاقات والخبرات المحلية والاجنبية من أجل مسح شامل لثرواتنا البترولية والمعدنية واستخراجها وتصنيعها بأحدث الوسائل العلمية على أساس الاستثمار الوطنى المباشر للنفط والمعادن ، وعلى اساس التعاون الاقتصادى والفنى مع الدول العربية الشقيقة ، والدول الاشتراكية الصديقة · ان ذلك يقود الى التطور الدائم لشعبنا ·

ان البدء والتوسيع فى عملية التصنيع تفرض التوسع الدائم فى تقوية الطاقة الكهربائية وكذلك التوسع فى المعاهد العلمية والمهنية لتامين كل ماتتطلبه البلاد من الكوادر من كافة أنواع الخبرات والمهارات الفنية ·

التعاون والاصلاح الزراعى :

ان القضية الاساسية فى حل مسالة الارض جذريا تكمن فى : فى تحرير اوسع جماهير الفلاحين من العلاقات الاقطاعية والتقليص المستمر للاستغلال والاضطهاد الاجتماعى الذى يمارسه الاقطاع ، ان ذلك يمكن من تفجير طاقات هائلة للتوسع فى الزراعة وزيادة الانتاج والتطور المطرد كما ونوعا ·

اما طريقة الانتفاع بالارض فهى متنوعة ومتعددة فى هذه المرحلة ، ولابد أن يخضع قانون الاصلاح الزراعى للتطور الدائم لما يخدم العلاقات الجديدة لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، ولما يخدم العمل التعاونى بكافة أشكاله المتعددة ·

ان الارض لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية تحدد بالاشكال الثلاثة التالية :

أولا ـ الاراضى الصالحة والمستصلحة :

وهى تعتبر ملكية الدولة وان المسئولية كبيرة فى ضرورة التوسع لزراعة واستصلاح المزيد من الاراضى على ان يرتبط ذلك بقيام مزارع الدولة النموذجية المرتبطة بخطة التنمية العامة والتى تعتمد على خصوبة الارض وكثافة السكان · وفى هذا المجال يتحمل قطاع الدولة مسئولية تنظيم وتموين مزارع الدولة ، كما يجب الاهتمام بالبستنة وتنشيطها وتجميعها ·· كما يجب الاهتمام الكبير ايضا بخلق وتوسيع الثروة الحيوانية لتغطية حاجيات الاستهلاك المحلى ·

ان كل ذلك يرتبط بالمشاركة النشيطة للعمال الزراعيين فى ادارة المزارع النموذجية ومزارع الثروة الحيوانية والبساتين ، وان يسهموا فى عملية الرقابة عليها بما ينسجم وخطط التنمية ·

ثانيا ـ الاراضى الزراعية المنتفع بها :

هى اراضى الدولة ، واراضى شبه الاقطاع التى استولى عليها الفلاحون للانتفاع بها والموزعة عليهم ، ان هذه الاراضى من الضرورى ربطها بالتعاونيات ، وتمليك التعاونيات وسائل الانتاج ، ومن ثم الوصول الى أن تكون الارض المنتفع بها ملكية لا للفرد المرتبط بالتعاونيات ولكن ملك للتعاونية نفسها ·

ومن الضرورى توفير وسائل الانتاج لهذه التعاونيات وتطويرها المستمر واستخدام أحدث وسائل العلم فى الزراعة ، وتنظيم عملية تسويق منتجاتها ·

ثالثا ـ الملكية الخاصة

ان الملكية الزراعية الخاصة لفترة زمنية قادمة ليست قصيرة سوف لاتنتهى ولذلك فان توجيه الملكية الخاصة باستمرار لمواكبة التطور الزراعى المطلوب ، وتخفيف الاستغلال منها ، وفى نفس الوقت العمل على تجميع وسائل الانتاج وربطها بعملية الاستخدام الجماعى للفلاحين ، هى المرحلة الاولى وصولا الى اقناع الفلاحين بتجميع أراضيهم فى تعاونيات لما يخدم مصلحتهم من ناحية وخطة التنمية من ناحية اخرى ·

ان المسالة الزراعية بشكل عام تفرض فى هذه المرحلة ما يلى :

١ ـ يتولى قطاع الدولة بشكل رئيسى زراعة المحاصيل النقدية بوصفها ميدان الاستثمارات الكبيرة فى الاقتصاد الوطنى ، مع مراعاة زيادة نصيب المزارعين ورفع مستوى معيشة العمال الزراعيين ·

٢ ـ اشاعة الديمقراطية فى قطاع الدولة والتعاونيات والعمل على تقنين حقوق الزراعيين ومشاركتهم فى الادارة والرقابة واحترام منظماتهم ونشاطهم العام ·

٣ ـ تصنيع السلع الزراعية ، وخلق مراكز تصنيع فى الريف تستوعب أيدى عاملة تساعد فى تطوير الريف صناعيا ·

٤ ـ العمل على انشاء بنك للتسليف الزراعى ·

٥ ـ انشاء مؤسسة للتسويق الداخلى والخارجى وتتولى الدولة بمشاركة المجلس الزراعى الاعلى تسويق المحاصيل الرئيسية بوصفها مصدر للعملات الصعبة ·

٦ ـ أيجاد توازن بين التوسع الافقى والرأسى فى الزراعة ومراعاة نمو التنوع كبديل لنظام المحصول الواحد ·

٧ ـ خلق مجمعات انتاجية حديثة للبدو الرحل للاستقرارلتحل مشكلة الرى والرعى وتوفر لهم الصحة والتعليم والعناية البيطرية ، واستخدام الالات الحديثة ·

٨ ـ توسيع مراكز الابحاث الزراعية وربطها بالانتاج وفى نفس الوقت قيام المعاهد الزراعية وكلية للزراعة ، وكل ذلك لغرض توفير الدراسة العلمية والكوادر الفنية اللازمة للزراعة الحديثة ·

٩ ـ الاهتمام بالثروة السمكية وتطوير وسائل انتاجها ·

١٠ ـ مد الكهرباء لكل التعاونيات وما يتبعها من اعمال انتاجية صناعية زراعية مختلفة كخطوة على طريق كهربة الريف كله · على أن تخفض قيمة التيار الكهربائى بما يخدم التطور الانتاجى العام فى البلاد ·

١١ ـ تنظيم وتحسين وسائل الرى من خلال بناء السدود وشق القنوات وحفر الابار الارتوازية .

١٢ ـ تحقق اشكال الاقتصاد التعاونى الديمقراطى الانتاجى والخدماتى فى الريف والمدينة بما يخدم التطور اللاحق لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية .

١٣ ـ شق الطرقات وتعبيدها وتحسين وسائل النقل والمواصلات .

التجارة الخارجية :

لقد ظلت التجارة الخارجية حكرا على الشركات الرأسمالية الاجنبية والكمبرادورية التى ظلت تسخر سوق عدن الحرة بالطريقة الكيفية التى تراها مع بقية الاسواق العالمية التى تخضع لسيطرتها ولقد ظلت اسواقنا وحاجات شعبنا تحت رحمة الشركات الاجنبية التى لم يهمها الا الربح باى صورة واى شكل بصرف النظر عن حاجات شعبنا الضرورية ، وظلت الارباح الكبيرة من هذا المرفق الحيوى بدلا من أن تخدم اقتصادنا الوطنى تذهب فى جيوب حفنة قليلة من الاحتكاريين عبر البنوك المختلفة فى البلدان الرأسمالية .

وظلت بلدنا محرومة من أية علاقات تجارية فعلية مع البلدان العربية الشقيقة والبلدان الاشتراكية الصديقة .

ان المرحلة الراهنة تقتضى أن تلعب التجارة الخارجية بعد أن حررت من السيطرة الاجنبية دورا أساسيا فى تطوير تجارة بلدنا مع كل بلدان العالم بدلا مما كانت حكرا على البلدان الراسمالية .

لكل ذلك فان التجارة الخارجية فى بلادنا يجب أن ترتكز على الاسس التالية :

١ ـ ان تكون التجارة الخارجية مواكبة للتوجه ضمن الخط الاقتصادى العام للثورة ، ويعنى ذلك ان ينتهى دور عدن كسوق حرة للشركات الراسمالية الاحتكارية الاجنبية ، وفى نفس الوقت تحل محلها المنطقة الحرة من اجل القيام بالتصدير واعادة التصدير وتحسين وتطوير الملاحة البحرية .

٢ ـ ان يقود القطاع العام التجارة الخارجية ويطورها وصولا الى السيطرة الكاملة عليها لتسهم فى ازدياد التراكم، لتنفيذ خطط التنمية ان ذلك يوفر امكانية كبيرة للتراكم الضرورى من اجل تنفيذ خطة التنمية .

٣ ـ التحكم فى حجم وتركيب الصادرات والواردات حسب حاجيات التنمية الاقتصادية والاحتياجات الضرورية للشعب ، وحسب موارد البلاد من النقد الاجنبى .

٤ ـ تنظيم وتطوير التجارة الخارجية على أسس علمية وتوسيع فرص التجارة والتبادل التجارى على اساس النفع المتبادل مع البلدان العربية والاشتراكية وبقية دول العالم .

التجارة الداخلية :

ان التجارة الداخلية فى الحقيقة أكثر تعقيدا لانها ترتبط فى عملية الاستهلاك اليومية للشعب على نطاق الجمهورية كلها ، ولذلك فان القطاع العام والقطاع التعاونى والقطاع المختلط والقطاع الخاص يمكن ان يلعب ، خلال هذه المرحلة ، دورا اساسيا فى التجارة الداخلية على اساس :

١ ـ ان تشرف الدولة على تجارة التجزئة وتوحيد اسعارها فى عموم الجمهورية ، خاصة السلع الاستهلاكية وتقوم بعملية الرقابة .

٢ ـ تنظيم عملية توزيع السلع الاستهلاكية فى مختلف مناطق الجمهورية حتى لا تكون الاسواق مصابة بتضخم أو باختفاء السلع .

٣ ـ تشكيل الجمعيات الاستهلاكية لتساهم بعملية توصيل السلع الى المستهلكين .

السياسة المالية والنقدية :

ان المسالة المالية تعتبر احدى القضايا المعقدة ،والتى تتطلب حلولا علمية سريعة وحازمة لمواجهتها . لان ظاهرة العجز فى الميزانية العامة ما هى الا انعكاس حقيقى للاوضاع الاقتصادية الشديدة التخلف ، والتى تعمد الاستعمار البريطانى فى تضخيم الانفاق الاستهلاكى ليزيد من اعباء الحكم الوطنى .

ولذلك فانمواجهة المسالة الماليةوحلها جذريا يتم من خلال خطوات مباشرة تحد من ظاهرة العجز المالى المستمر والازمة المالية للدولة وكذلك من خلال خطوات طويلة الامد تقضى على ظاهرة العجز المالى ، وتعزز الاوضاع المالية والنقدية فى البلاد .

اولا :

يجب أن تتم الخطوات المباشرة عبر عملية تعبئة الموارد والاموال العامة والخاصة وتطوير النظام الصيرفى واعادة تنظيم الجهاز المصرفى ، وتوحيد هذه الموارد والفعاليات المالية لاغراض التنمية الاقتصادية .

ثانيا :

تخفيض الانفاق الادارى والاستهلاكى وتوفير الوسائل والانظمة التى تكفل تحقيق هذه السياسة بقدر عال من الانضباط .

ثالثا :

تطوير وتحسين كفاءة اجهزة الايرادات العامة .

رابعا :

تطوير قوانين النظام الضريبى بما يكفل توسيع القاعدة الضريبية وفرض ضرائب تصاعدية على ذوى الدخول العالية .

اما الخطوات الطويلة الامد فتفرض المضى فى خطوات جادة فى تنفيذ خطة التنمية الاقتصادية من خلال :

اولا :

توفير الاموال الخاصة بالتنمية وعدم استعمالها لاى اغراض اخرى تحت اى ظرف .

ثانيا :

التركيز على المشاريع السريعة المردود وخاصة فى القطاع الزراعى والصناعى .

ثالثا :

بهذا كله لا نستطيع أن نواجه كافة الاعباء المالية فحسب ،وانما نستطيع أن نطور ميزانية الدولة لما يخدم اقتصادا وطنيا انتاجيا صناعيا زراعيا فى البلاد .

الرأسمال الوطنى :

لقد جاءت اجراءات التاميم لا لتحرير الاقتصاد بشكل عام فحسب ولكن لتحرير رؤوس الاموال الوطنية أيضا فى الداخل وفى المهجر ، من كل المضايقات والاضطهاد الذى كان يمارس من قبل الاستعمار والشركات الاحتكارية الاجنبية .

ان الفرصة متاحة امام فئات الرأسمال الوطنى لكى تسهم بفعالية فى بناء وطنها ، وفى المشاركة بخلق اقتصاد وطنى انتاجى صناعى وزراعى تحت قيادة القطاع العام .

انالثورة ستشجع وتحمىكافة المشاريع الصناعية التى ستقيمها ،سواء اكانت خاصة أو مختلطة ضمن خطة التنمية .

وفى نفس الوقت لن تتوانى الثورة من اتخاذ كل الاجراءات التى من شأنها ان تحافظ على سلامة الاقتصاد الوطنى وتطويره فى خدمة الشعب .

التخطيط :

كى تخلق نهضة اقتصادية حقيقة تقضى على التخلف لابد من الاعتماد على التخطيط العلمى منهجا للتنمية استنادا لعلاقات الانتاج الجديدة فى مجالات الصناعة والزراعة والخدمات ، وبذلك فقط يمكن ان نقضى على التبعية للنظام الراسمالى والتخفيف من حدة الاستغلال .

ان ذلك يتطلب تشجيع كافة الخبرات العلمية المحلية ، وكذلك الاستعانة بالخبرات العلمية الاخرى من البلدان العربية الشقيقة والبلدان الاشتراكية الصديقة .

فان قيام هيئة تخطيط مركزية وهيئات تخطيط فرعية سوف يمكن من رسم خط السير الاقتصادى المبرمج وصولا الى تنفيذ خطط التنمية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية .

خطط التنمية :

ان كل الاجراءات التى اتخذت على صعيد اجراءات التاميم وتنفيذ قانون الاصلاح الزراعى وما يمكن ان تحقق من اجراءات انماتستهدف فى الاساس تحرير اقتصادنا الوطنى وتحويله من اقتصاد خدمات الى اقتصاد انتاجى صناعى وزراعى ، ان هذا التحول لا يمكن ان يكون عفويا ، بل لابد أن يتم عبر خطط تنمية قصيرة وطويلة المدى ، حسب الامكانيات الموضوعية لبلادنا ، وحسب المساعدات والقروض التى نتحصل عليها .

وعلى هذا الاساس فان خطط التنمية يجب ان تكون عملية اقتصادية مبرمجة تجعلنا أمام مسئولية كبيرة هى الطريق المنظم لتحويل اقتصادنا الى اقتصادوطنى انتاجى صناعى وزراعى .

ان الاقسام الرئيسية للخطة تشمل الزراعة والصناعة والخدمات .. ان خطط التنمية تجعل الثورة بقواها الطبقية ، وعلى رأسهم العمال والفلاحون امام تحد كبير فى سبيل انجازها ، ان ذلك يتطلب تضحيات كبيرة فى سبيل انجاحها ولا يمكن ان تنجح الخطط ما لم يبذل العمال والفلاحون الفقراء دوراكبيرا فى سبيل ذلك .

ان التحول النوعى فى نضال العمال والفلاحين الفقراء يجب أن يتخطى الفهم الخاطىء القديم لعملية الانتاج فى مرحلة ما قبل الاستقلال .

ان النشاط المحدود فى الانتاج ، والمطالبة بزيادة الاجور والاحساس اللامسئول بممتلكات الدولة والشعب وعدم الانضباط فى العمل كانت ظواهر مبررة اثناء النظام الاستعمارى الاقطاعى ولكن استمرار هذه الظواهر فى هذه المرحلة لا يمكن ان تكون الا مضرة للغاية بمستقبل الاقتصاد الوطنى وبالتالى الحياة المعيشية للعمال والفلاحين ، ولذلك فان المصلحة الوطنية والطبقية تقتضيان الربط والجمع الصحيح بين حق زيادة الاجور ، وواجب زيادة الانتاج فى المرحلة الراهنة .

ان على عمالنا وفلاحينا وكوادرنا فى مختلف مجالات العمل ان تضاعف من انتاجها وأن تتحلى بروح المسئولية والقلق لتتمكن من المشاركة الفعلية فى الحياة الاقتصادية ، لا على مستوى زيادة الانتاج فحسب ولكن على مستوى المشاركة فى قيادة الحياة الاقتصادية فى مجالاتها المختلفة ، وبالمقابل فان مسئولية الثورة ان تعطى المزيد من الديمقراطية للمشاركة الفعالة للعمال والفلاحين .

ان كل ذلك سوف يمكن بكل تأكيد من التغلب على كافة المشاكل التى تقف عقبة أمام تنفيذ خطط التنمية ، وسيمكن من انجاحها لتفتح بذلك آفاقا اوسع لخطط أكبر وأطول تمكن الثورة من التطور الدائم فى بناء الاقتصاد المنشود .

الباب الخامس

المسألة الاجتماعية والثقافية فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية

ان الاوضاع الاجتماعية والثقافية التى وجدت فى بلادنا تعكس مدى التخلف الذى اورثه لنا النظام الملكى الاقطاعى والنظام الاستعمارى الشبه اقطاعى .

واذا كان التخلف فى الاقليم اليمنى احدى نتائج هذه التركة ، فان الاستعمار البريطانى قد عمل على استخدام سياسة (فرق تسد) ومارس هذه السياسة على نطاق اوسع بعد ان عمق الانفصال والتجزئة ، حيث كرس وجود كيانين لليمن بالتواطؤ مع الحكم الملكى الاقطاعى وواصل على نفس الطريق فى تكريس التجزئة الجغرافية والسياسية والاقتصادية للشطر الجنوبى من الاقليم وخلق بذلك اكثر من ٢١ سلطنة وامارة ومشيخة لكل منها حدودها الجغرافية ، ونظامها واقتصادها .. وبذلك مكن من تثبيت القبلية والعشائرية وتغذيتها بالفتن والحروب التى كان يشغلها بها دونما تقدم اجتماعى او ثقافى .

وفى ظل هذه السياسة تمكن من السيطرة على كل سلطنة وامارة ومشيخة كل على حدة .. ان التركة الثقيلة التى تركها الاستعمار تؤكد الوجه البشع للاستعمار اينما وجد . فطوال ١٢٩ سنة ترك بلادنا ، وخاصة الريف ، دون أن يوجد فيها ابسط وسائل الحياة العصرية ، فطرق المواصلات تكاد تكون معدومة ، وكذلك عدم وجود المدارس والوحدات الصحية وآبار مياه للشرب .

لقد كان الاستعمار يعتقد بانه بابقاء شعبنا يعيش وكانما هو فى القرون الوسطى يستطيع بذلك ان يبقى الى الابد .

هذه هى الوضعية الرهيبة من التخلف التى تركها الاستعمار والذى ضاعف من حدتها . ان الاستعمار كرس كل القيم القديمة وكل الثقافات الخرافية والاتكالية ليوجد حالة من الخضوع والذل لشعبنا .

ان الثورة اذ تدرك كل ذلك فانما لتؤكد المسئولية الكبيرة والاعباء الضخمة التى تقع على عاتق قوى الثورة فى تغيير العلاقات الاجتماعية والثقافية السابقة .

ان الثورة تؤمن بان التغييرات الاقتصادية العميقة التى تحدثها سيكون لها تاثير كبير سيساعد الثورة مع هذا التحول الاقتصادى ان تعمل باقصى سرعة ممكنة فى لعب دورها على الصعيد الاجتماعى والثقافى لتصفية التركة الاجتماعية والثقافية السابقة .

ان هذه العملية لا يمكن ان تتم بطريقة سهلة اوعفوية بل تحتاج الى نشاط دؤوب من قبل قوى الثورة ، وخاصة التنظيم السياسى والمنظمات الجماهيرية التى تنظم جماهير الشعب فى صفوفها .

ان المناخ الديمقراطى الشعبى هو الوضع الملائم والصحيح لنضال قوى الثورة والمنظمات الجماهيرية من اجل المشاركة الفعلية عبر العمل التطوعى من اجل تغيير هذا الواقع ، وبدون هذا المناخ تصبح جماهير الثورة غير قادرة على ان تلعب دورها كاملا فى تطوير البلاد والدفاع عن الثورة .

وفى مقدمة النشاط الاجتماعى يأتى العمل السريع على تغيير وجه الحياة الاجتماعية للريف ، حيث انه من الضرورى ان تتوفر لريفنا اليمنى وسائل الحياة العصرية من خلال تنظيم شبكة طرقات ومواصلات حديثة ، وتوفير احتياجات الصحة وكذلك ادخال الكهرباء الى القرى المختلفة ، وتوفير ديمقراطية التعليم وما يفرضه من التوسع فى بناء المدارس الابتدائية والاعدادية والى جانب ذلك فان محو الامية اولا وتثقيف جماهير الثورة والمنظمات الجماهيرية بالثقافة الوطنية اليمنية التقدمية والافكار الاشتراكية العلمية ونشر هذه الافكار على اوسع نطاق سيمكن القوى الجماهيرية المرتبطة بالثورة من ان تعى دورها وتناضل وتقدم التضحيات المتنوعة فى سبيل تجنيد طاقاتها لما يخدم الثورة الوطنية الديمقراطية .

ان المرحلة الراهنة تفرض الاهتمام الكافى من قبل الثورة بالنقابات والاتحاد العام لعمال اليمن واعادة تربيته وتثقيف كوادره النقابية بما يتلاءم والدور الذى يجب ان يلعبه العمال فى هذه المرحلة والذى يختلف اختلافا جذريا عن دورهم اثناء الوجود الاستعمارى من حيث علاقة العمال بالعمل وعلاقاتهم بالانتاج ، وعلاقاتهم ببقية قوى الثورة .

ان ترسيخ جذور الديمقراطية بين صفوفهم ووضع برامج مختلفة للنشاط الانتاجي والنشاط السياسي والاجتماعي العام ، وضرورة ترابط نضالهم ووحدتهم مع الحركة العمالية في الشمال ، ان كل ذلك سيمكن الطبقة العاملة والحركة النقابية بان تلعب دورها التاريخي القيادي لا لتثبيت الاستقلال الوطني فحسب ، بل للمساهمة الثورية الفعالة في معركة البناء الاجتماعي والوحدة اليمنية .

ان قيام اتحادات فلاحية ، واتحاد مركزي للفلاحين ، وتنظيمهم بطريقة صحيحة على أساس فروع الانتاج ، ووضع برامج لها سوف يمكن الثورة من ان تجند عشرات الالاف من الفلاحين في مناطق الريف المختلفة لكي تقوم بدورها كاملا في النهوض بالارض وبالتالي في التطور العام المستمر للريف .

كما ان قيام منظمة ديمقراطية للشباب في مختلف القطاعات في المدينة والريف وتعبئة طاقاتها وصقل مواهبها وربطها بالاطار العام لمسار الثورة ، وكذلك قيام مكاتب ثقافية مركزية الى جانب المنظمات والاندية الثقافية والرياضية والفنية وكل ذلك سوف يسهم اسهاما كبيرا في اشاعة حياة سياسية واجتماعية جديدة في البلاد .

ان التغيير الجذري لطبيعة الحياة المتخلفة التي تعيشها المرأة اليمنية ، ومساواتها بالرجل والدفع بها لان تاخذ مكانها الطبيعي في الحياة العامة والسياسية والاجتماعية الجديدة ، وكذلك مشاركتها في عملية الانتاج ودعم وتشجيع منظمة الاتحاد العام لنساء اليمن وحركة المرأة اليمنية في الاقليم وما تطرحه في نشاطاتها الاجتماعية من برامج ومخططات تهدف الى تطوير المرأة والاسرة اليمنية ، ان ذلك سوف يضيف قوى جديدة عاملة الى صفوف الثورة تساهم بامكانيات كبيرة في خدمة الثورة وتطورها .

ان بناء المدارس والمعاهد والعمل على بناء جامعة يمنية لخلق الكوادر العلمية والتكنيكية والادارية والاقتصادية والسياسية والثقافية هو الطريق لخلق كوادر الثورة كي تثبت السيطرة الفعلية والواعية لقوى الثورة الوطنية الديمقراطية على أجهزة الدولة المختلفة . ان الاهتمام بتربية جيل الثورة تربية علمية اشتراكية سوفتمكن هذا الجيل من أن يضطلع بالاسهام في بناء المجتمع الجديد الذي تنشده ثورتنا الوطنية الديمقراطية .

ان اهتماما كبيرا يجب ان يعطى لاجيال الثورة الجديدة ، هذه الاجيال التي سوف تتحمل في المستقبل على عاتقها اعباء التطور اللاحق للثورة الوطنية الديمقراطية .

ان الاهتمام بالاتحاد الوطني للطلبة اليمن ، باعتباره منظمة ديمقراطية للحركة الطلابية اليمنية ، التي تضم الاجيال اليمنية الجديدة للثورة في الداخل والخارج ، ووضع برامج من شأنها أن توحد الحركة الطلابية اليمنية في الاقليم وتجنيدها لخدمة الثورة وتثقيفها ثقافة يمنية تقدمية سوف يمكن هذه الاجيال من القيام بدورها كاملا لخدمة تطور الثورة والبلاد .

ان كل تقدم يتطلب جهودا مخلصة وعملا دؤوبا في سبيل نهوض قوى الثورة بأوسع جماهيرها لتلعب دورها كاملا في عملية التغيير الاقتصادي وبالتالي الاجتماعي والثقافي .

ان هذا النشاط العام يرتكز على ما يلي :

أولا :

استئصال كافة الثقافات القديمة الاقطاعية والاستعمارية والبورجوازية ، وكل ما حاولت أن تخلقه من تقاليد ومفاهيم رجعية . انهذه العملية لايمكن أن تتم بصورة ناجحة الا باشاعة الثقافة الاشتراكية العلمية ، والثقافة الوطنية اليمنية والعربية التقدمية ، والاهتمام باحياء كل ما هو جيد في تراثنا الادبي والفني ، حتى تلعب دورا ايجابيا في تطوير الثقافة الوطنية .

ثانيا :

وضع منهج وطني يمنيتقدمي في مجال التربية والتعليم يستند على أسس علمية وتربوية تقدمية يمكن الاجيال الجديدة أن تتخلص من كافة الثقافات التربوية الاقطاعية والبورجوازية ، ويمكنها من أن تتسلح بعلم تربوي وثقافي متطور للتراث اليمني والعربي والانساني .

ثالثا :

محاربة كافة الافكار الاستعمارية والاقطاعية والرجعية التي تسخر الدين في خدمة مصالحها .

رابعا :

تكريس الديمقراطية للقوى صاحبة المصلحة في الثورة لكل نشاط ومبادرة من أجل أن تقوم المؤسسات الجماهيرية بدور نشط وفعال في الحياة الاجتماعية والثقافية خاصة في مجال تصفية المفاهيم العشائرية والقبلية والاقليمية وارساء المفاهيم الجديدة للثورة التي تنشأ عبر عملية التغيير لتحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية .

الباب السادس

الدفاع الوطني وأمن الثورة

ان الثورة وهي تخوض مراحل جديدة من النضال لتحقيق مبادىء وأهداف الثورة عبر أحداث التحولات الاقتصادية والاجتماعية المتلاحقة ، ان كل ذلك يحتاج الى صيانة وحماية من كل القوى الطبقية المعادية ، ولا يمكن أن يصون تلك الانتصارات والتحولات سوى قوى الثورة الطبقية الكادحة . ان الادوات الثورية من جيش شعبي وشرطة شعبية ومليشيا وجهاز أمن الثورة المشكلة من قوى الثورة الكادحة هي أدوات الحماية الطبقية للثورة .

ولقد ورثت الثورةجيشا وأمنا تقليديين خلفهما الاستعمار الذي استطاع أن يخضع قيادتهما لكل المفاهيم الرجعية للجيوش الاستعماريةوالجيوش الخاضعة له . لقد ربيت تلك القيادات بثقافة استعمارية رجعية ، وورثت امتيازات كبيرة تحولت معها الى قيادات بيروقراطية حولت المؤسسة العسكرية الى مؤسسة اقطاعية لها نمارس من خلالها عملية الارهاب على الشعب والثورة وتخضع كلشيء لضمان امتيازاتها وتسلطها .

ولقد استطاعت ثورتنا أن توجه ضربة قومية لحلقة مهمة من الحلقات الداخلية للاستعمار الجديد ، تلك هي تصفية القيادات العسكرية في الجيش والامن بعد خطوة التصحيح في ٢٢ يونيه ١٩٦٩ ، ان تصفية تلك القيادات مكنت الثورة من اجراء عملية تطهير واسعة للمؤسسة العسكرية (الجيش والشرطة) التي لا تقف موقفا رجعيا من الثورة بل تمارس أساليب فاشية من أجل تصفية القوى التقدمية للثورة .

ان المؤسسة العسكرية التي تبنيها الثورة ليست منعزلة عن الشعب وليست معادية للثورة وقواها الطبقية ، انها بالضبط المؤسسة العسكرية التي تعمل لحماية الثورة والشعب .

ان تعزيز بناء القوات المسلحة (جيش ، قوات جوية ، وقوات بحرية) لتصبح منظمة سياسية مسألة ضرورية لابد من تحقيقها في هذه المرحلة لتصبح أكثر ارتباطا بمبادىء الثورة وأهدافها وكذلك الشرطة والمليشيا .

ان توسيع العمل السياسي في المؤسسات العسكرية وتثقيفها بفكر علمي ثوري وربطها المستمر جنبا الى جنب بنضال العمالوالفلاحين سيمكنحتما منأن تؤدي واجبها الثوري بنجاح .

ان مشاركة المؤسسات العسكرية في عملية الانتاج ومساهمتها جنبا الى جنب مع قوى الثورة الاخرى في خطة التنمية الانتاجية الصناعية والزراعية ومشاركتها فيأعمال الخدمات ، كلذلك لايجعل هذه المؤسسات العسكرية عبئا على الثورة والشعب بل قوة تشارك في عملية الانتاج من ناحية وتدافع عن الثورة ومكاسبها من ناحية أخرى .

ان استكمال بناء الشرطة الشعبية والمليشيا الشعبية من العمال والفلاحين

سوف يضيف إلى جانب الجيش قوة دفاعية ثورية جديدة تستطيع الدفاع عن الثورة فى كل محافظة ومديرية ومركز .

ان توسيع تسليح وتدريب الجماهير الكادحة فى منظمات العمال والفلاحين والمرأة والشباب وفى كل تعاونية وفى كل مؤسسة انتاجية سوف يكون الضمان الحقيقى لضرب أى ردة تقوم بها القوى المضادة للثورة .

ان الجيش الشعبى والشرطة الشعبية والميلشيا وجهاز أمن الثورة فى بلادنا ترتكز على الاسس التالية :

١ – أن تخضع المؤسسات العسكرية للقيادة السياسية للتنظيم السياسى الجبهة القومية ، وبرنامجه العام وقراراته .

٢ – أن تكون البنية الطبقية لها من الطبقات الكادحة وخاصة العمال والفلاحين الفقراء ، وأن تنحاز الى جانب مصالح العمال والفلاحين وفق برنامج التنظيم السياسى للثورة الوطنية الديمقراطية .

٣ – أن يكون المنبع الاسـاسى لثقافتها هو الثقافة الوطنية اليمنية والعربية التقدمية والاشتراكية العلمية .

٤ – ان تطور المؤسسات العسكرية باستمرار على الاسس العسكرية العلمية الحديثة لازدياد فعاليتها القتالية من أجل سلامة الوطن وحماية أراضيه ومن أجل أمن المواطن وحماية مكاسب الثـورة والدفاع عنها .

٥ – أن تشارك مشاركة فعلية فى عملية الانتاج المرتبطة بخطط التنمية .

٦ – أن تبنى كوادر المؤسسـات العسكرية سياسيا وعسكريا بما يتلاءم وخط الثورة من خلال تشييد الكليات والمعاهد والمدارس العسكرية .

الباب السابع

السياسة الخارجية

ان العصر الراهن من حيث جوهره التاريخى هو عصر الثورة الاشتراكية وانتصارها فى أكثر من بلد . عصر نهوض حركة التحرر الوطنى وانهيار النظـام الاستعمارى عالميا ودخول معظم شعوب العالم مرحلة الثورة الاشـتراكية .. عصر الانهيار للامبريالية كأعلى مراحل الرأسمالية ، وانتصار للاشتراكية على النطاق العالمى .

والثورة فى اليمن الديمقراطية الشعبية انما تنطلق فى سياستها الخارجية من طبيعة هذا العصر وموقعها فيه . انها جزء لا يتجزأ من القوى الثورية الاساسية الثـلاث فـى عصرنا ، المعسكر الاشـتراكى ، والـحركة العمـالية العالمية ، وحركة التحرر الوطنى العربية والعـالمية ؟ ومرتبطة بوحـدة الاهداف المشتركة التى تناضل من أجلها هذه القوى من أجل تحقيق الهزيمة النهائية لقوى الامبريالية العالمية وكل حلفائها عالميا ، وتحقيق الانتصار التـام والنهـائى للديمقراطية والسلم والاشتراكية .

وعلى هذا الاساس فان الثورة فى اليمن الديمقراطية الشـعبية تحـدد سياستها الخارجية عربيـا وعالميا على الوجه التالى :

أولا : على الصعيد العربى

ان النضال ضد الاستعمار القـديم والجديد .. ضد الانظمـة العـربية الرجعية ، كذلك ضـد الاسـتعمار الاستيطانى الصـهيونى والاحتكارات الرأسـمالية المستغلة ، هدف أساسى مشترك لحـركة التحـرر الوطنيـة الديمقراطية العربية والطريق الثـورى لتحقيق أهداف الشعب العربى فى التحرر والديمقراطية والاشتراكية والوحدة .. وعبـره تكتسب وحـدة الشـعب العـربى محتـواها ومضـمونها التقـدمى والديمقراطى .

ان النضال من أجل وحدة عربية شعبية ديمقراطية مرتبطة بصلب النضال من أجل تصفية القواعد العسكرية الاستعمارية والاحتكارات الراسمالية فى الوطـن العربى ، مرتبطا بالنضال لاسقاط الانظمة العربية الرجعية المرتبـطة بـالاستعمار والاستعمار الجديد ، وبالتالى من أجل اسقاط النظام الاستعمارى الاستيطانى الصهيونى ، كل ذلك يجسد ويعبر عن المضمون التقدمى الديمقراطى لـوحدة الشعوب العربية .

وعلى هذا الاساس فان ثورتنا تؤيد وتدعم كافة نضال الثورة العربية التقدمية والديمقـراطية وعلـى وجـه الخصوص :

[أ] الثورة الشعبية المسلحة فى الخليج العربى المحتل بقيادة الجبهـة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربى المحتل ، وتؤيد كافة الجهود من أجل توحيد كافة القوى الوطنية الديمقراطية من أجل النضال العادل ضد الاستعمار البـريطانى وسيطـرة الاحتكارات الامبريالية المالية وضد كل الركائـز العميلة ، وفى سبيل الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى .

[ب] حركة التحرر الوطنى فـى الجزيرة العربية ضد القواعد العسكرية الامبريالية وسيطـرة الاحتكارات ، والقضاء على النظـام السعودى الملكى العميل .

[ج] حركة المقاومة الفلسطينية فى نضالها العادل ضد الاستعمار الاستيطانى الصهيونى كما نؤكد ضرورة وحدة المقاومة الفلسطينية لكى تتمكن من تطوير نضالها الى حرب تحرير شعبية .

(د) البلاد العربية التحررية فى نضالها ضـد الصـهيونية والامبريالية العالمية ومن أجل تحقيق التحرر التام للارض المحتلة .

[هـ] النضـال الوطنيـة والديمقراطية فى نضالها ضـد الانظمة العربية الرجعية ، واقامة أنظمة وطنية ديمقراطية .

[و] نضال القوى التقدمية والحركة العمالية العربية .

[ز] حق تقرير المصير للاقليات القومية .

ومن أجل تحقيق ترابط ووحدة نضال الثورة العربية ، فان الثورة فى اليمن الديمقراطية تؤكد على ضرورة اقـامة الجبهة العربية التقدمية الديمقـراطية لتوحيد نضالها المشترك ضد الامبريالية والرجعية العربية والصهيونية ، ممثلة بقواعدها العسكريـة واحتكاراتهـا الرأسمالية الامبريالية .

ان قيام مثل هذه الجبهة يتطلب جهود كل الثوريين والتقدميين العرب ابتداء بالجهود القطرية لاقامة الجبهة ، وانتهاء بالجهود المشتركة على الصعيد القومى .

ثانيا : على صعيد العلاقات الدولية :

١ – أن الثورة فى اليمن الديمقراطية جزء من حركة التحرر الوطنى العالميـة وتعتبر أن وحدة نضال حركة التحـرر الوطنى الديمقراطى فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ضرورة تاريخية وشرط لتحقيق ضربات منظمة ومتلاحقة لتصفية السيطرة الامبريالية .

وفى هذا الاطار فان ثورتنا تؤيد وتدعم كافة نضالات التحرر من أجل الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى ، وعلى وجه الخصوص فان ثورتنا تؤيد وتدعم :

[١] نضال شعوب الهند الصينية ضد قوى الامبريالية والرجعية بزعامة أمريكا وتدين بشدة سياسة فتنمة الحرب وكل الاساليب الامبريالية الامريكية التـى تتبعها فى هذا الجزء من العالم ، كما تقف بحزم مع شعوب الهند الصينية فى تقرير مصيـرها بصـورة مسـتقلة وديمقراطية .

[ب] نضال الشعب الكورى من أجل تحرير كوريا الجنوبية من سيطـرة الاستعمار الامريكى ووحـدة الاراضى الكورية .

[ج] ان ثورتنا تقف بجانب نضال شعوب أمريكا اللاتينية وفى مقدمتها نضال

[illegible] صهيونى الذى يبقى الاشتراكية على مقربة من زعيمة الامبريالية العالمية ، وتقف بجانب نضال الشعوب الاخرى التى تناضل من أجل التحرر السياسى والاقتصادى من سيطرة الاحتكارات الامبريالية .

[د] ان ثورتنا تقف ضد السياسة العنصرية فى العالم والانظمة العنصرية فى افريقيا، وتؤيد كافة نضالات الشعوب الافريقية من أجل التحرر السياسى والتقدم الاجتماعى وتصفية الانظمة العنصرية الاستعمارية فى القارة .

٢ ـ لقد فجرت الامبريالية العالمية حربين عالميتين ، وفى كليهما تعرضت الحضارة الانسانية للدمار وفقدت ملايين الناس الحياة ، وواجهت الملايين من الجماهير الكادحة معاناة قاسية واليمة فى نضالها من أجل اقامة الحياة على انقاض نتائج الحرب العالمية الاولى والثانية .. واليوم فان قوى الامبريالية وفى مقدمتها أمريكا ، اذ تعسكر الحياة فى بلدانها وكل العملية الاقتصادية ، وتدفع بحركة التسليح النووى الى أعلى وتيرة ، وتقيم الاحلاف والتكتلات والقواعد العسكرية النووية فى البحار والمحيطات وعلى مداخل القارات ،وتستخدم جيوشها لضرب حركة التحرر الوطنى واسقاط الانظمة التقدمية وتهدد حرية الشعوب واستقلالها الوطنى ، وتستخدم منجزات العلم والتكنولوجيا لاثارة الحرب فى أوروبا والعالم ،انها انما تضع العالم بذلك على أعتاب حرب نووية مدمرة ، لذلك فان ثورتنا تقف ضد كل ذلك جنبا الى جنب فى نفس الجبهة مع قوى السلم العالمى ، المبنى على احترام حقوق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ضد القهر الامبريالى ، ولتحقيق النزع التام الشامل للاسلحة النووية ، وتحقيق استخدام الذرة ومنجزات العلم والتكنولوجيا لاغراض خدمة التطور الانسانى .

٣ ـ ان الثورة فى بلادنا تؤكد تضامنها وتأييدها لحركة الطبقة العاملة العالمية وأحزابها ومنظماتها المناضلة ضد السياسة الاستعمارية ، وكذلك اقامة علاقات مع الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة والتى تحترم استقلالنا وحريتنا وسيادتنا وشئوننا الداخلية .

٤ ـ العلاقة مع البلدان الاشتراكية ، ان المعسكر الاشتراكى والطبقة العمالية وحركة التحرر الوطنى .. هى القوى الرئيسية المحركة للتاريخ فى عصرنا .

انّ وحدة المعسكر الاشتراكى ليست ضرورة من أجل تقوية النفوذ المتعاظم للاشتراكية فى العالم فحسب بل ضرورية لدعم الحركة العمالية العالمية وأحزابها الطليعية ، وكذلك حركة التحرر الوطنى العالمية ، من أجل تصعيد النضال ضد القوى الامبريالية وفى سبيل انتصار الاشتراكية فى العالم بأسره .

ان ثورتنا تؤمن بان وحدة المعسكر الاشتراكى ووحدة الثورة العالمية وحل مشاكلها ديمقراطيا سوف يقطع الطريق أمام القوى الامبريالية العالمية التى تحاول الاستفادة من أى خلافات داخل هذا الاطار لتطيل من سيطرتها على النطاق العالمى .

ولذلك فان اليمن الديمقراطية تعتبر المعسكر الاشتراكى هو الحليف الثورى لها وتحرص على خلق أمتن العلاقات النضالية معه .

ان تطوير علاقتنا مع البلدان الاشتراكية بدون استثناء والدعم الذى تقدمه لثورتنا يؤكد الدور الايجابى الذى يمكن أن تلعبه ثورتنا فى تعزيز هذه العلاقة وتطويرها الى أبعد مدى لخدمة النضال المشترك والاهداف المشتركة بين ثورتنا من ناحية ، والمعسكر الاشتراكى ككل من ناحية أخرى .

قصيدة: سيرة الأقمار السبعة

الطليعة



العدد الحادى عشر — نوفمبر ١٩٧٢

تراثنا: الهدم والبناء

يشرف على التحرير :

د. لطيفة الزيات

غالى شكرى

سمير فريد

صبرى حافظ



سعيد مرزوق

فى هذا العدد

ملاحظات : سعيد مرزوق ولغته السينمائية

تراثنا .. الهدم والبناء

- قصة قصيرة : البحث عن قط سيامى
- قصيدة : سيدة الأقمار السبعة
- الأدب والفن فى شهر
- رسالة باريس : السينما السياسية تغزو الأدب
- رسالة ألمانيا الشرقية : حوار حول المسرح
- حوار الأصدقاء : مزيد من البيان

مواجهات

سعيد مرزوق ولغته السينمائية

لطفى الخولى

شاهدت ما سمح به التليفزيون من فيلم « **الخوف** » لم اشاهد فيلما . وانما مجرد لقطات تتابعت على الشاشة الصغيرة بطريقة برنامج « حاجة تلخبط » الذى يقدم ضمن وجبة البرامج الرمضانية . والحق أن التليفزيون ، أصبح فى معظم ما يقدمه - شكلا وموضوعا - حاجة تلخبط بالفعل ..

ويبدو ان لذلك أسباب عديدة متشابكة : فنية وانسانية وثقافية واجتماعية .. بيد أن السبب الرئيسى فى ظنى يكمن على الطرف الاخر من الشاشة .. وهو الطرف الذى نقبع فيه نحن مشاهدى التليفزيون ، نتجرع فى صمت ودون مبالاة كل مايقدم لنا ، وكأننا شعب غزته البلاهة وفقد الاحساس بحضارته ، فضلا عن الجمال والفن ونبض عصر الثلث الاخير من القرن العشرين ..

على العموم ، التليفزيون ليس موضوع هذه الملاحظات .. ولكن ما اتيح لى رؤيته من لقطات فيلم « **الخوف** » هو الموضوع .. واذا كان ما اتيح لا يسمح بمناقشة الفيلم كعمل فنى متكامل ، الا انه كاف لتقييم فنية « **سعيد مرزوق** » مخرج الفيلم ..

واللقطات تكشف عن أننا امام مخرج جسور فنيا ، يجيد استعمال اللغة السينمائية ويسيطر على حركتها وابعادها الى حد بعيد .

ان السينما - ككل فن - لها لغتها الخاصة المتميزة عن سائر لغات الفنون الاخرى .. وفى رأيى ان المفتاح الرئيسى لهذه اللغة السينمائية هو **التفكير بالصورة** .. الصورة بموقعها من الصور التى سبقتها والصور التى تلاحقها ، هى التى تروى وتكشف وتوحى وتجسد .. والصورة بزوايا رؤيتها ونقاط الضوء والظل فيها ، هى التى تثير فى الوجدان أحاسيس الحب والكره والمرح والحزن .. والوسيلة الاساسية لاستخدام هذه اللغة السينمائية هى الكاميرا .. ولكن الكاميرا المطلوبة هنا ليست مجرد العدسة الفوتوغرافية التى تسجل واقعا او موقفا ماديا من ديكور وممثلين وممثلات فحسب ، وانما عدسة مثلثة العيون : عين النظر ، وعين الفكر ، وعين الوجدان الفنى ..

وسعيد مرزوق ، له هذه الكاميرا المثلثة العيون التى يحدثنا بها حديثا سينمائيا ، بحيث لا تحتاج لحوار لغوى لفهم الصورة السينمائية أو استيعاب المشاعر والمواقف التى توحى بها أو تجسدها ..

بل ان الحوار بين شخصيات الصورة ، يخل - احيانا - بقوة ونفاذ الصورة السينمائية لانه يأتى أقل بلاغة من لغة المخرج السينمائية ، وهذا مايحس به المرء فى بعض لقطات الخوف ، حين يشوه الحوار العادى او الركيك جمال الصورة وقوة تعبيرها الحركى .

ولان **سعيد مرزوق** فنان يعبر بلغة السينما ، تحرر تماما من **سجن الحدوتة** الذى اجهض برتابته وحدوده الضيقة ، تحرر وانطلاق السينما العربية الى اعماق الانسان وآفاق العصر . ومن هنا فسعيد مرزوق فى تحرره من الحدوته ، يتعامل بشجاعة فنية مع مواقف انسانية بأعماق وخلفيات لا حد لثرائها الفنى الموضوعى . والانسان عند سعيد مرزوق - رجلا او امرأة - هو الموضوع والفن والفكر ، هو الصورة ، هو السينما .. المثل الذى تعودنا على رؤيته محترقا ومتقمصا

شخصيات متنوعة ؟ قد يسقط بالدور وقد يرتفع به لكنه يبقى أمام العين وفى الوجدان ذات الممثل ، مع سعيد مرزوق يحدث شيء آخر . تبدأ اللقطات الاولى من الخوف وانت تعرف ان هذه هى **سعاد حسنى** ، وان ذاك هو **نور الشريف** .. ولكن شيئا فشيئا يتبخر الشعور تماما بسعاد والشريف اللذين عرفتهما عشرات المرات .. ليتجسد أمامك من خلال المواقف التى يصورها » سعيد مرزوق « بلغته السينمائية شابة مهاجرة من السويس التى خربها العدوان والحرب ، ماتت أمها بين يديها ، تعيش حياة قلقة ومغتربة ، منفية داخل نفسها فى بيت المغتربات . **بعد أول** .. سرعان ما يسلمك الى **بعد** ثان الفتاة ذات الملامح المحددة والحياة الخاصة المعقدة ، تكشف عن الفتاة المصرية فى قسمات عامة من خلال الحياة الاجتماعية المصرية المعاصرة .. ولا يلبث **البعد الثانى** أن يجلو **بعدا ثالثا** هو الموقف الانسانى عالم مضطرب ساخن متصارع .. باختصار عالم الانسان فى صراعه مع الخوف .. **الخوف من** اغترابه .. الخوف من وحدته .. الخوف من المستقبل الذى يطرح حاضره مئات الاسئلة المترملة دون جواب . والخوف يتجسد فى الذات التى شرخها الموت .. فى العدوان الذى التهم الحياة وبذر الخراب .. فى البناء الناقص ، الذى لم يطرق بابه احد بعد . ومع ذلك ففى ساحته من يبنى ومن يخرب .. من يحب ومن يحقد .. من يأمل ومن ييأس .

وفى النهاية **ليس** هناك مفر امام الانسان من أن يحارب خوفه النفسى والاجتماعى والعالمى اذا أراد أن يبقى انسانا .

ليست سعاد حسنى « الممثلة » أو نور الشريف « الممثل » هو ما صوره لنا سعيد مرزوق بلغته السينمائية .. وانما هو « ذلك الانسان » المختبىء تحت جلد سعاد والشريف ..

نفس الانسان الذى نحس به مختفيا تحت جلودنا جميعا بصور مختلفة ، ويشلنا الخوف عن تعريته ،

ولا يفرق **سعيد مرزوق** فى المعاملة بين أشخاص فيلمه وبين الاشياء الجامدة .. العمارة الجديدة التى ما برحت غارقة فى غابة من « سقالات » البناء .. التليفون ورنينه المتفاوت الحدة .. أصم اليقظة الذى يتداخل فى الحقيقة التى تخدشها الذكريات .. عصا الحارس بدقاتها المنذرة .. الصحف الميتة ذات المانشتات الصارخة .. كلها دافقة بالحياة تعبس وتبتسم وتتشجع وتخاف ، واحيانا تئن واحيانا تغنى .. لكأن **سعيد مرزوق** بصياغته السينمائية يقارب « **تولستوى** » فى الحرب والسلام بصياغته الادبية .. كل انسان .. كل شيء له سماته الخاصة وفى نفس الوقت يشترك مع الآخرين فى منحنى الحياة للعمل الفنى ..

وينتهج سعيد مرزوق فى لغته السينمائية **اسلوب الجدل** فى كثير من الأحيان مقللا الى حد كبير من اسلوب السرد الميكانيكى .. وحبذا لو تخلص منه نهائيا وساد الجدل لغته السينمائية تماما .

وما اقصده بالجدل هنا هو هذه الصورة التى تجسد موقفا معينا تتلوها صورة تقدم موقفا آخر ، وتأتى الثالثة لتبرز حصيلة الصراع بين الموقفين فى موقف ثالث جديد فى ايحاءته وابعاده ، ويضيف شيئا لا الاضافة « كم » بل اضافة « كيف » .

لكن ما هو الاتجاه الفكرى والاجتماعى الذى يوظف فيه سعيد مرزوق لغته السينمائية المبدعة فى فيلم الخوف ؟ سؤال اتحفظ فى الاجابة عليه لانى مع الأسف شاهدت الفيلم بطريقة « حساجة تلخبط » التليفزيونية ..

ويرتبط هذا السؤال فى الواقع بقضية هامة هى : **اذا كان سعيد مرزوق يحسن بمهارة وذكاء فنيين استخدام اللغة السينمائية فهل توصل الى تحديد أو بلورة اسلوبه الخاص فى استعمال هذه اللغة ام لا يزال بعد يجرب ؟**

أيا كانت الاجابة فان تجربة سعيد مرزوق ، خاصة اذا استطاع ان يقاوم ويصمد للاغراءات التجارية الرخيصة التى تغرق الساحة الفنية فى بلادنا ، تثمر فننا لا سمكا ولبنا وتمر هندى ، حديثا كان أم قديما .

تراثنـا
الهـدم والبنـاء

غالى شكرى

الواقع العربى المعاصر لاينتمى الى ايقاع الحياة فى الثلث الاخير من القرن العشرين . تنسحب ظلال هذه الحقيقة على كافة تفاصيل وجودنا المادى والمعنوى . وواقعنا ليس متجانسا ، لا من حيث الزمان ، ولا من حيث المكان . بعض اقطارنا تعيش شكلا ومعنى بين احضان المجتمع البدائى بكل مظاهره القبلية والعشائرية والبدوية والطائفية. والبعض الاخر يعيش فى خدعة التلون بمظاهر الحضارة الحديثة وجوهره فى القول والفعل لازال مكونا من عناصر الماضى السحيق. وفى المجتمع الواحد تتباين القيم وعادات السلوك والتقاليد من طبقة الى اخرى تباينا حادا يمزق ماندعوه بالاطار القومى للشعب بكل مايشتمل عليه هذا الاطار من أفكار ومشاعر وخلجات مشتركة .

لذلك تبدو قضية التراث ، من بين القضايا العديدة التى تواجه الانسان العربى فى عصرنا ، قضية شائكة معقدة مثقلة بالتناقضات . واذا كان لكل طبقة اختيارها الايديولوجى المرتبط ، على هذا النحو أو ذاك ، بمصلحتها الاقتصادية ومحتواها الاجتماعى ، فان هذا الاختيار — عند الطبقات الثورية — لايتم بمعزل عن تصورها الاشمل للكيان القومى وتصورها الاعم للمحيط الانسانى الواسع . ان ضيق «الاختيار» واتساعه متصل أوثق الاتصال بطبيعة الافق الاقتصادى والاجتماعى للطبقة التى تختار ، فكلما انحصرت مصالحها فى دائرة انانية ضيقة لم تتسع رؤيتها واختيارها الفكرى لما هو انفع للمجتمع ككل وما هو اكثر فائدة للانسانية جمعاء .

وهكذا ، فالطبقات الثورية ، بطبيعة محتواها الاجتماعى ، هى الشريحة الاكثر انفتاحا فى رفضها وقبولها لما فى تراثنا وتراث غيرنا من تقاليد وقيم . ذلك أن اختيارها لايتم بمعزل عن ضرورات «التقدم» التاريخى للشعب فى مجموعه ، وللبشرية كلها . ان مصلحتها الذاتية لا تتعارض مع المصلحة الموضوعية للوطن والعالم ، بل لعل مصلحتها تلك تتحقق جدليا من خلال السياق المتقدم للمسيرة القومية والعالمية .

والطبقات الثورية فى الوطن العربى ليست بمنأى من كافة الادواء التى يعانى منها هذا الوطن ، ولكن معاناتها تختلف كما وكيفا عن معاناة غيرها . أن التخلف الحضارى المرعب — مثلا — يزيدها فقرا وشقاء فهى التى تتحمل الاعباء المادية لهذا التخلف ، أما الاعباء المعنوية فالكل فيها سواء ، ربما كان الفرق هو أن غيرها لايشعر فقط بهذا التخلف (وهذا نفسه أحد مظاهر التخلف) بينما تشعر هى به (وهذا أحد مظاهر التقدم) . والتقاليد غير الديمقراطية فى أسلوب الحكم — مثلا أيضا — يقع عبئها الكامل على كاهل الطبقات المطحونة ، يقيدها ويغل أيديها عن المشاركة فى صنع الحياة ، يحاول جاهدا ان يبقيها على هامش التاريخ .

والطبقات الثورية فى الوطن العربى بمعاناتها الهائلة من التخلف والدكتاتورية تعى بهذا القدر او ذاك ، ان انسحاقها ليس انسحاقا فئويا فحسب ، انه فى اللحظة عينها انسحاق لمقدرات المجتمع كله واهدار للكيان القومى بأكمله واختلال فى الحركة الانسانية العامة . لذلك ، فانها حين تدرك مأساتها الخاصة فهى تدرك مأساة الوطن والانسان اينما كان ، وهى حين تحاول بالوعى أن تتخطى حدود أزمتها انما تحاول أن تنتشل المجتمع كله من الوهدة التى يتردى فيها وأن تنقذ الانسانية مما يهددها فى مكان ما على ظهر هذا الكوكب . ووعيها الذى يملى اختيارها هو الوعى الثورى القادر على استبصار ماهو أبعد من المصلحة الذاتية الضيقة . ان هزيمة ٦٧ على سبيل المثال ، كانت هزيمة قومية شاملة ، ولاشك ان الاستعمار والصهيونية هما اللذان الحقا بنا الهزيمة ، ولكن الطبقات الرجعية فى الوطن العربى هى المسئول الاول ، لانها هى التى وطدت اركان التخلف والدكتاتورية لحساب مصالحها الانانية العابرة ، مما مهد السبيل للغزو . هذا اذا تغاضينا عن تشابك المصالح بين هذه الطبقات والاستعمار ان الطبقات الثورية على النقيض من ذلك ، تتوحد مصلحتها فى درء التخلف واقصاء الدكتاتورية مع مصلحة الوطن فى الاستقلال والتقدم الاجتماعى . ومن هنا تجىء موافقتنا على ان الهزيمة كانت — قبل ٦٧ وبعدها — هزيمة حضارية ، وان التحدى الذى يواجهنا لازال تحديا حضاريا . ولكن مضمون هذه الهزيمة هو الذى يحدد — بصورة مضادة — مقومات النصر . انه بالقطع ليس مضمونا تكنولوجيا ، لانه لم تكن الالة هى التى هزمت ، وانما كان الانسان ، كان البناء الاجتماعى للوطن .

واذا كانت الرجعية العربية قد طرحت قضية التراث فى مواجهة الهزيمة بمعنى الانغلاق على النفس والاكتفاء بالذات ، فان المعنى الوحيد لهذا الطرح هو انها لازالت مبقية على اختيارها الايديولوجى الضيق الافق ، وليس هذا بمستغرب اذا نظرنا اليه فى سياق وضعها الاقتصادى والاجتماعى . ان هذا معناه هو ان الهزيمة الحضارية — على اية صورة كانت عسكرية او اقتصادية او سياسية — باقية ما بقيت هذه الرجعية ورؤاها الفكرية ممسكة بمصير العقل والوجدان العربى . اما الثورة العربية ، ثورة الطبقات المقهورة ، فهى ثورة الوطن كله ، هى خلاصنا القومى . ومن هنا كان واجبها فى التصدى لقضية التراث ، وعيا طبقيا واختيارا قوميا فى نفس الوقت ، لاينبغى أن نعرض عنه او نجفل منه ، وانما عليها ان تتبنى المدخل الصحيح للرفض والقبول ، الهدم والبناء .

● ● ●

ليس التراث شيئا جامدا ولا مقدسا ولا مطلقا خارج الزمان والمكان ، وانما هو احدى ثمرات فكر الانسان . ومن البديهيات أن الانسان ككائن حى ، يخضع لمقتضيات البيئة والوراثة وضرورات الصراع بينه وبين الطبيعة من جانب وبينه وبين نفسه من جانب آخر . لهذا كان التراث الانسانى كله تعبيرا عن حركة هذه المجموعة من المتناقضات التى يتجاور


عبد الرحمن الكواكبى

فيها السلب مع الايجاب ، الفعل ورد الفعل ، التخلف والتقدم ، الشد والجذب ، المد والجزر الى غير ذلك من أقطاب متصارعة فى مختلف اشكال المادة الحية والجامدة ، فى مختلف اشكال الفكر وصوره . لذلك كانت عملية « الهدم والبناء » ضرورة حيوية تتم تلقائيا فيما يختص بنمو الكائنات الدنيا ، ولكن الوعى بها لدى الكائنات الراقية ينعطف بمجراها من نهر الصدفة والعفوية والعشوائية ، الى دنيا التوجيه والتخطيط . وهكذا نستطيع أن نفهم لماذا أكبت أوروبا فى فجر نهضتها على تراث اليونان والرومان وناضلت المسيحية فى عقر دارها ونجحت فى فتح عصر جديد ، لا للبرجوازية وحدها ، ولا لاوروبا وحدها ، ولكن للانسانية كلها .. ولماذا اخفق ابسماتيك فرعون مصر (٧١٢ — ٦٦٦ ق.م) فى دعوته «عودوا الى القدماء» باحيائه الشعائر القديمة واساليب الفن القديم ، ولم تكد تمضى مائة سنة حتى كان الغزاة من كل جانب يكتسحون البلاد. أن الوعى بالتراث — وليست العودة اليه — هى البوصلة التى تهدينا الى طريق التقدم ، وبغيرها اما أن ننزلق فى مهاوى الصدفة والتلقائية وحينئذ نتحول الى قطيع من الكائنات الدنيا ، وأما ان نرتبط بتخطيط مضاد تدبره الطبقات الرجعية .

لقد عرفت التاريخ فى كل بقعة من عالمنا تقريبا ، عملية الهدم والبناء للتراث ، ففى احد العصور تعلو اصوات على غيرها مطالبة باحياء هذه المرحلة أو تلك من مراحل التراث ، وفى عصر آخر ترتفع اصوات جديدة معادية لما كان تم احياؤه. وليس هذا مقصورا على التراث الوطنى للشعب ، بل أن قضية الاخذ من تراث الشعوب الاخرى كانت ولاتزال من القضايا المحورية فى تاريخ الثقافة . دائما كان هناك من يطلب فتح النوافذ على الجيران ومن كان يطلب اغلاقها باحكام . ولم تكن هذه كلها — حركات الاحياء والنسيان والانفتاح والانغلاق — مجرد تيارات فكرية طافية على سطح

المجتمع ، وانما كانت تجسيدا روحيا عميقا لما يغلى فى باطن هذا المجتمع من تناقضات . كان « الهدم والبناء » عملية اجتماعية ولايزال ، ليس التراث فيهما رمزا تجريديا لما يحدث ، ولكن مساهمة ايجابية ، نشيطة وفعالة ، فيما يجرى بالفعل .

ومن هنا ، فليس ترفا نظريا أن يحدد الثوريون العرب «اختيارهم» الايديولوجى فى قضية التراث ، ذلك انها فى الاساس ليست قضية وجدانية ، وانما هى تطرح فى أيامنا — بمبادرة مشبوهة من الرجعية العربية — كقضية سياسية فى المقام الاول ، تخص الشكل الاجتماعى لوطننا ، وتتخذ من التشريعات واللوائح ما يصوغ منها « دستورا » قابلا للتطبيق و«حكما» مشمولا بالنفاذ . ان اجهزة الاعلام والفنون وبرامج التعليم هى اوعية التوصيل الجماهيرية الواسعة الانتشار ، وهى السلطة ذات النفوذ على العقل والوجدان العربى . لذلك كان الاختيار الثورى فى قضية التراث بندا أساسيا فى جدول اعمال المثقفين الثوريين ، او هكذا ينبغى ان يكون .



الثورى ، لايسقط مثلا ذهنيا على الواقع ويقسره داخله ، وانما هو يسترشد فحسب بالنظرية الثورية فى التغيير ، بالتعرف العلمى الدقيق على ابعاد هذا الواقع ومقوماته . حينئذ يصوغ اختياره للتراث — ولغيره من عناصر الحياة — على ضوء الاحتياجات الموضوعية لهذا الواقع . والثورى العربى يدرك ادراكا عميقا أن التخلف الحضارى المرعب والتقاليد غير الديمقراطية فى اسلوب الحكم خطان مريضان على جبين واقعه تندرج تحتهما تفاصيل موغلة فى التشابك والتعقيد اهمها ان هذا الوطن مغلول بقيود مرئية واخرى لاترى ، وان تحرير الارض من الاحتلال يتساوق مع تحرير الانسان من الفقر والجهل والخوف . ومن ثم كان التراث الذى تنجز الرجعية مهمة احيائه ويحرص الاستعمار على بقائه وتدعيمه هو تراث التفاوت الطبقى ومعاداة العلم والاستسلام للقهر . وما اثقل التركة التى ورثناها عبر الاجيال والقرون من الغزاة والطغاة فى هذا الصدد . هذا هو التراث الذى يحتاج الى مواجهة شجاعة توضح اصوله ومنابعه وآثاره على تطورنا الاجتماعى ، انه التراث الذى يحتاج الى «الهدم» بمعاول الدراسة العلمية والبحث الموضوعى ، بكشف همزة الوصل بينه وبين القوى الاجتماعية المستفيدة من ركامه الايديولوجى ، بفضح الاستار التى يتلفع بها الرجعيون وهم يخاطبون ضميرا شعبيا مرهقا بهذه الرواسب التى تحولت مع الزمن الى قيم وتقاليد وعادات وعقائد ، تتحكم لاشعوريا فى سلوكهم وفى ايقاع حياتهم بما يتفق ومصلحة « سادتهم » ويتعارض مع مصالحهم ، هم ، الحقيقية . غير ان هناك وجها آخر للتراث ، سواء كان نابعا من أرضنا أو من أرض غيرنا — التى سبق ان شاركنا فى ريها — يشتمل على مجموعة أخرى من القيم والتقاليد التى يعمل الرجعيون بلا هوادة على اخفائها ونسيانها وتجاهلها ، بوسائلهم المؤكدة الفعالية والتأثير . هذه القيم والتقاليد الثورية فى حياة شعبنا وغيره من الشعوب هى التى تحتاج الى البعث والاحياء و « البناء » . وربما كان تجاور هذه القيم وتلك هو الدليل الاكبر على طبقية التراث ، مما يفرض على المتصدين لقضيته ، النظرة الطبقية . غير أن شيوع هذه القيم المتعارضة المتجاورة بين مختلف طبقات الشعب ، يفرض بدوره النظرة القومية . كما أن تشابه هذه القيم عند شعبنا مع قيم الشعوب الاخرى يفرض اخيرا النظرة الانسانية . وتلك هى العناصر الثلاثة الرئيسية التى تتكون منها نظرة الثوريين الى التراث ، ومن هنا كانت اكثر النظرات رحابة وانفتاحا وشمولا . ذلك أن الطبقات الرجعية بتركيزها على القيم السلبية فى التراث ، وبصدها عن تراث الانسانية ، انما تحاصر القضية منذ البداية فى الدائرة الطبقية وحدها ، دائرتها هى فحسب ، غير انها بنرجسيتها القومية تتحدث باسم الوطن كله ، فتغلق فى وجهه باب التقدم الانسانى وتفتح له من الناحية الاخرى ابواب الشوفينية والعنصرية والعرقية .

التراث : سلوكا اجتماعيا

والتراث فى حياتنا لايبدأ بالكلام المكتوب او المخطوط او المحفوظ ، المقروء او المسموع ، وانما هو يبدأ بتلك القيم والعادات والتقاليد ذات الطابع العملى ، اى هذه التى تنعكس فى سلوك الافراد والجماعات انعكاسا فعليا ، وتجرى فى ممارساتهم اليومية مجرى الاشياء الطبيعية لامن قبيل الشذوذ والاستثناء . وفى هذا المجال سوف نكتشف رصيدا للنظرة الغيبية للعالم ، رصيدا ينحدر الينا من عصور ماقبل ديانات التوحيد وان تأثرت بعض هذه الديانات بتلك العصور البدائية وطقوسها السحرية . ان هذه الطقوس فى حياة الانسان العربى ، بدءا من الفلاح البسيط فى القرية النائية حتى الاستاذ الجامعى فى قلب العاصمة المضيئة بآيات التكنولوجيا ، تشكل ايديولوجيا غيبية متكاملة تضبط اوتار السلوك الفردى والاجتماعى للامة ضبطا محكما بعيدا عن روح العلم . والبيت المصرى — على سبيل المثال — لازال يتصور فى بعض العادات الخرافية تحقيقا للنفع وتجنبا للضرر ، كعادة « عمل تحويطة» للعروسين توفق بينهما وتحيطهما بسياج سحرى يمنع عنهما الحسد والعين ، وكتفسير جفاف اللبن عند الام الوالدة « بالكبسة » التى تحدث لهذه الام اذا دخلت عليها احدى السيدات ومعها اشياء معينة كاللحم او السمك او كانت متحلية بالذهب أو الماس ، وكاتقاء الحسد بصنع « عروسة ورق » تثقب عينيها بالابرة وتحرق ، وكالاحجبة التى تضم رأس هدهد محنطة أو جزءا من ذيل كلب او بعض اسنان ذئب او عقرب مجفف او بعض النقود الصغيرة مع قليل من الملح ، وكعادة اقتناء سلحفاة فى البيت لانها « تجلب البركة » وعادة تعليق حدوة حصان على باب المنزل لانها « تبعد العين وتجلب الخير لاهل البيت » وعادة ثقب اذن الصبى وتعليق حلقة فيها ، بها خرزة زرقاء «لكى يعيش» وعادة غربلة المولود فى الغربال أثناء الاحتفال « بسبوعه » ثم دحرجة الغربال على الارض « كى يطول عمره » وعادة أن ترمى البنت بخصلة من شعرها فى النيل او فى احدى الترع اثناء الفيضان «كى يطول شعرها» وعادة أن تدخل العروس بيت الزوجية برجلها اليمنى قبل اليسرى حتى توفق فى حياتها الزوجية ، وعادة رش المياه وراء الميت حتى لايموت فرد آخر بعده ، ووضع السكين على البطيخ المكشوف حتى لاتقربه الثعابين ، وتبخير المريض بالملاريا بجلد قنفد لكى يشفى ، ولبس الام التى يموت اولادها خلخالا من الحديد حتى يعيش الاولاد ، ورش الملح او بعض النقود على العروسين اثناء الزفاف منعا للحسد ، وعادة تسمية الابن باسم بنت وارتدائه ثياب البنات حتى لايموت كاخوته السابقين [1] وتقول فوزية دياب أن « توارث العادات التقليدية من جيل الى جيل يضفى عليها احتراما وقدسية يزيدان من تثبيتها ورسوخها واستقرارها . وكلما استقرت بالتوارث وبتقادم الزمن ، أصبحت أقوى فى سيطرتها والزامها لافراد الجماعة ، اذ يتكون عندهم الاعتقاد بأن هذه العادات هى السلوك الصائب السليم الذى تم اختياره بمحك التجريب والخبرة العملية ، وبعد أن ثبتت صلاحيته بالممارسة الفعلية

---

(١) راجع تفصيلا فى كتاب « القيم والعادات الاجتماعية » لفوزية دياب [ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨] — دار الكاتب العربى بالقاهرة — [تاريخ النشر غير مثبت ولكن المقدمة مؤرخة عام ١٩٦٦] .

للاسلاف والاجداد،ولذا يجب ان يتمسكوا بها » [٢] وتعدد الباحثة المصرية بعض التقاليد السارية المفعول فى حياتنا الاجتماعية ، كعدم تزويج البنت الصغرى قبل الكبرى وكعدم زواج احد الزوجين اذا مات الاخر ، وكتفسير عقم المرأة « بالمشاهرة » والعجز الجنسى عند الرجل بانه « مربوط » . وقد اشارت الكاتبة فى بحثها الى ان اهم القيم والعادات الضاغطة والمرهقة للمجتمع هى الزواج المبكر ، وسلطة الوالدين المطلقة فى الاختيار عند الزواج ، وتفضيل الذكور على الاناث ، وكثرة الخلف ، والتفاخر بالحسب والنسب والاحتماء فى العزوة والعصبية ، والتطبيب بالسحر والرقى والتعاويذ والوصفات البلدية . غير ان هذا ليس كل شيء ، فليست المشكلة هى أبطال هذه العادة او تفنيد هذا المعتقد ، وانما المشكلة الحقيقية هى ان مجموعة هذه القيم والعادات والاعراف والتقاليد والمعتقدات تصوغ فيما بينها عالما فكريا كاملا ،وهو ليس عالما منفصلا عن الواقع بل هو يتبادل معه التأثير والتأثر ، فهذه الافكار والتصورات والمشاعر مرتبطة بالتطبيق ، اى انها فى اللحظة عينها سلوك اجتماعى ومنهج فى الحياة . ان مجتمعا يحدد اسلوب حياته على هذا النحو ، يحدد فى نفس الوقت غايات هذه الحياة ، فاذا كان الهدف والوسيلة كلاهما ينتمى الى عصر السحر والاسطورة فاى تناقض حاد اذن نستطيع تصوره بين واقعنا الحقيقى وواقع العصر الذى نعيش باجسادنا فيه ؟

ولعل اهم ماتعكسه هذه الايديولوجية الغيبية القابضة على زمام الامور فى المجتمع ، هو ان ثمة مشكلات حقيقية تواجه الانسان فى بلادنا ، على كافة المستويات ، المادية والروحية .. فأولئك الذين يزورون الموتى ويصل ببعضهم الامر الى حد المبيت فى مقابرهم ، لايذهبون لمجرد الوفاء او التذكر اوتوزيع الصدقات ، وانما هم قد يذهبون للحصول على البركة والشكوى والطلب [٣] وهكذا يختلط عالم الموتى بعالم الاحياء ، كما اختلط من قبل الواقع بالوهم . ويقول الدكتور سيد عويس ان الناس لاتكتفى بالنذور النقدية وحدها ، وانما هى تخصص لاولياء الله النذور العينية ايضا كالمحصولات الزراعية والذبائح . والناس يختارون اولياءهم تبعا لبعد صيتهم وتخصصاتهم ، فهذا الولى «سره باتع» والاخر متخصص فى امراض العيون والثالث فى عقم النساء والرابع فى تدبير المكائد للخصوم، وهكذا [٤] . ويستطرد الباحث قائلا « ان الاساليب غير العلمية ومنها ما يمارسه بعض الناس عن طريق ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى تنبىء عن وجود بعض العناصر الثقافية السلبية التى تتحكم فى سلوك هؤلاء الناس . فبدلا من مواجهة امورهم ومشاكلهم فى ايجابية ، فهم يفضلون ، لعوامل عديدة تضطرهم الى ذلك ، مواجهة الانتظار .. انتظار آخرين مثل الامام الشافعى الذى مات منذ ١١٥٠ عاما ميلاديا ، ليؤدى لهم مايجب عليهم أن يقوموا به » [٥] وليس هذا طرحا كاملا للقضية بكل ابعادها ، فحقا للناس مشكلاتهم واحتياجاتهم ،ولكن «انتظارهم» لن يجيء لهم بالحل هو جوهر القضية ، فحين يختفى الحل العلمى للمشكلات ، وتغيب التلبية الموضوعية للاحتياجات ، لابد أن يكون الموتى — أبعد الناس عن الحياة — هم اصحاب «القدرة» الوحيدون على تقديم الحلول، وربما كانت الملاحظات التى احصاها الدكتور عويس فى بحثه لظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى اجدر من كل تخمين [٦] :

● فقد لاحظ أن هذه الرسائل منتشرة فى ثلاثة ارباع محافظات الجمهورية ، وانها مستمرة على مر الازمان ، وانه بالرغم من ان الدين الاسلامى يحرم هذه الرسائل ويعتبرها شركا بالله ، فان اصحابها مسلمون ، ويبعثون بها فى الشهور المباركة .

● وقد لاحظ ايضا أن الامام الشافعى فى عقول اصحاب الرسائل هو شخص حى رغم مرور ١١٥٠ عاما على وفاته ، وانه شخص ذو سلطان وملهم وذو بصيرة تخترق الحجب والاستار ، وهو يؤتمن على السر ، ومتخصص فيما تقوم به عادة وزارات الداخلية والعدل والشئون الاجتماعية والعمل والصحة . وهو اخيرا شخص يمكن تملقه ومساومته ورشوته ويقبل الواسطة .

ولو أن باحثينا الاجتماعيين قد اتيحت لهم امكانيات الدراسة الميدانية الواسعة فى هذا المجال لاكتشفنا أن ظاهرة الايمان بحياة الموتى والتعامل معهم كاحياء منحهم الموت قدرة استثنائية تفوق طاقة البشر، هى ظاهرة قومية شاملة للوطن باسره بمختلف طبقاته وفئاته الاجتماعية ، وانها تبدأ من زيارة ملايين الموتى الاقرباء، وتنتهى بتقديم القرابين والولاء لاولوف الموتى من « الاولياء والقديسين » . وبالتالى فهى رؤية كاملة للوجود ،لاتختلف عن العالم الفكرى الكامل لمجموعة القيم والعادات والتقاليد ، بل تتكامل معه فى خلق دنيا وهمية بديلة للواقع الحى ، تتكامل معه فى استبدال العلم بالمعجزة الغيبية فى مواجهة المشكلات ، تتكامل فى صياغة معايير للسلوك الفردى والاجتماعى تتناقض مع متطلبات العصر الذى نعيش فيه فتلحق بنا الهزائم تلو الهزائم .

ان هذا الجانب «الحى» من تراثنا ، بمعنى سريانه اللاشعورى فى حياتنا اليومية ، لم يعرف حتى فى فجر نهضتنا نوعا من «الهدم » رغم انه نتيجة كيفية لتراكمات كمية تنحدر الينا من الماضى السحيق . وليست «اصالة » مطلقا ان تحتفظ الشخصية العربية بمثل هذه الخرافات عبر كل الازمان،بل ان الاصالة الحقيقية هى رفض هذا التراث وهدمه بدلا من ان نظل رازحين تحت عبئه الضاغط مكبلين بقيود من صنع اسلافنا ، لعلها ايامهم كانت الممكن الوحيد لتفسير الوجود ومواجهته . لقد كان المصريون القدماء — مثلا — هم الذين يخشون اذا مات أحدهم الا يعبروا عن حزنهم تعبيرا كافيا « فكانوا يستأجرون الندابين والنائحات ، الذين لا يكلون اطلاقا ولا يكفون عن الصراخ والعويل . وكانت النساء يلطمن رؤوسهن بأيديهن ، بينما كانت وجوههن ملطخة بالطين وصدورهن عارية وثيابهن ممزقة » [٧] وكان المصريون القدماء ايضا هم الذين لايضعون الفواصل بين الحلم والواقع ولابين الاحياء والاموات « ولذا يلتئم الرمز والمرموز اليه معا ، كما يلتئم الشيئان المشبهان ، بحيث يغدو الواحد بديل الاخر » [٨] ومن هنا كانت عادتهم فى نقش اسماء اعدائهم والدعاء لهم بالموت على اقداح من الفخار ثم تحطيمها، كذلك كانت المخلوقات الخفية تملا فضاء بابل

---

(٢) المرجع السابق [ص ١٥٣]
(٣) راجع « من ملامح المجتمع المصرى المعاصر » للدكتور سيد عويس [ص٢٢] — منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية — ١٩٦٥
(٤) المصدر السابق [ص ٢٥]
(٥) المصدر السابق [ص ٣٦]
(٦) المصدر السابق [ص ١٣٨ و١٣٩]
(٧) راجع « الحياة اليومية فى مصر — فى عهد الرعامسة » تاليف بيير مونتيه [ص ٤٣٤] — ترجمة عزيز مرقس منصور — الدار المصرية للتاليف والترجمة — ١٩٦٥
(٨) راجع مدخل « ما قبل الفلسفة » تاليف هـ . و هـ . ا فرانكفورت [ص٢٤ ، ٢٥] — ترجمة جبرا ابراهيم جبرا — دار مكتبة الحياة فرع بغداد — ١٩٦٠ .

ونينوى يقابلهـا اعتقاد جازم بقدرتهـا على التأثير خيرا وشرا فى حياة الناس « وقد تفردت كلدة فى مسائل التمائم والاحجبة والتعاويذ والطلاسم والعرافة فكانت موطن السحر» [٩]وكانت شعوب مابين النهرين تصنع التماثيل البسيطة لمن يقصـدون ايذائهم ثم يكتبون عليهـا ما يشتهون وقوعه على اعدائهم من الاذى اعتقادا منهم بأن ذلك يصل الى جسم الاعداء مباشرة . وكان الاقباط الاولون هم الذين ورثوا عن اجدادهم الفراعنة واورثوا ابناءهم المحدثين عادات المآتم والجنازات من لطم وحل للشعر وصبغه بالنيلة واهتزازات توقيمية تتمشى مـع انغـام التعـديد الـذى كثيـرا مـا يقترن بقرع الرق أو الطبول ، وكذلك عادة زيارة المقابر والمبيت فيهـا . ويلاحظ الدكتور مراد كامل فى كتابه « حضارة مصر فى العصر القبطى » انه سواء فى التعديد ـ اى ترديد مآثر الفقيد ـ أو فى زيارة المقابر يأتى الناس بأقوال وأفعال تنكرها المسيحية التى جاءت فى الانجيل فاذا أضفنا الى ذلك ظاهرة « الموالد » فانها فضلا عن مضمونها التجارى المبتذل لدى البعض ، فانها من الناحية الخلقية عدوان سافر على كافة القيم التى دعا اليها المسيح (١٠) .

يدلنـا ذلك على ان مجموعـة القيم والعادات والاعراف والمعتقدات والتقاليد التى تشكل فيما بينها تراثا راسخا فى النفس العربية المعاصرة ، قد انحـدرت الينا تلقائيا من المجتمع الوثنى والبدائى القديم ، وان بقاءها طيلة هذا الزمان ليس شاهدا على قوتها الذاتية ـ التى سرعان ما تتبخر امام قوة العلم ـ وانما يستمد هذا البقاء عناصره الاساسية من أن تراثنا على مدى تاريخه لم يتعرض لما أسميه بعملية « الهـدم والبناء » فظلت هذه التراكمات الغيبية تتوالى قرنا بعد قرن وعصرا بعد الاخر حتى وصلنا الى هذه النتيجة الكيفية المرعبة ، وهى ان الانسان فى بلادنا يعيش كيانا مزدوجا ، يعيش فى عالم « آخـر » موازلعالمه الحقيقى .. وربما كان البعض منا يعون هذه المفارقة المؤسية فيتمزقون ، ولكن الغالبية الساحقة تحيا عمرها فى انسجام موهوم بين العالمين . ولقد عرفت بلادنا ثورا ، فكرية عديدة بعد انهيار الحضارات القديمة فيما بين النهرين ومصر الفرعونية وفينيقيا وغيرها ، عـرفت المسـيحية والاسلام والفكر الحديث . ولكن فترات الثورة كانت دائما بالغة القصر ، اذا قيست بمتطلبات الهدم والبناء وضرورات التصفية الجـذرية العميقـة للقيم والعادات ، للابنيـة العلوية فى الهرم الاجتـماعى وانعكاساتها المؤثرة على قواعد السلوك ومناهج الحياة . كانت فترات «الانحطاط» هى الاطول عمرا ، وكانت الطبقات القائدة للثورة ، سرعان ما تسـتكين لشهوة السلطة والضعف او التركيز على الجوانب المادية المباشرة والمحققـة لمكاسـبها الانية الضيقة ، أو انكسارها امام شوكة الغزاة الاجانب . لذلك استطاع مجتمع السحر القديم أن يغزو مجتمع الدين فى العصر الوسيط ومجتمع العلم فى العصر الحديث ، وتوغلت عقائد الانسان البدائى وتقاليد البشرية القـديمة فى العقـائد الجديدة والبشرية المعاصرة ، فبالرغم من اختلاف ايمان المسيحى عن ايمان المسلم نجد انهما يسلكان ـ عاطفيا واجتماعيا ، نظريا وعمليا ـ سلوكا واحدا مشتركا تمتد جذوره الى قيم الانسـان المصرى القديم ومعتقداته الاساسية ، يختلف الديكور ربما ولكن الجوهر لا يختلف ، بل ويخـتفى اخـتلاف الديـكور ايضـا اذا عـبرنا دهـاليز الحـياة الدينية الى شرفات الحياة الدنيا ، حينئذ يتوحد المظهر والجوهر توحدا تاما . وربما كان هذا يعنى لدى البعض دليلا على الوحدة القومية للشعب . ولكنه فى يقينى دليل سلبى . اما معناه الحقيقى والاول فهو ان ثمة سقوبا واسعة فى كل ما عرفناه



سيد درويش

من ثورات عربية وسيطة وحديثة قـد سمحت لقدر كبير من تراثنا السلبى ان يتسرب الى حياتنا الاجتماعية والعقلية والوجدانية وان يحكم قبضته فى السيطرة على مقادير شعوبنا كل هذا الزمان . ان غياب « الهدم والبناء » كعملية ثورية من برامج تلك الثورات قد اتاح لهـذه الغيبيات فرصة السيادة .

ان هذه النتيجة الكيفية التى وصلنا اليها عبر تراكمات الزمن ـ وهى قيـام عالم آخر مواز لعالمنا فى حياة الشخصية العربية ـ يلزم لمواجهتها منهـج كيفى مضاد ، فالاسلوب الاصـلاحى يكتفى بالترميـم والترقيـع اى بالشـكل وكأنه يعـالج جـزئيات منفصلة ، او تراكمـات فى مرحلـة النمـو . أما الاسـلوب الثورى فيقتضى التغيير الجذرى ، ماديا ومعنويا . يقتضى الابقاء على « عالم واحد » فى حياتنا هو العالم الواقعى ، وترسيخ منهج واحد يضبط سلوكنا الاجتماعى هو المنهج العلمى . يقتضى تقديم البديل الوحيد الذى يمكن ان يحل مكـان الوهم والاسـطورة فى مواجهة المشكلات وتلبية الاحتياجات ، وهو التغيير الثورى للمجتمع ، تغيير قاعدته المادية ـ الاقتصـادية والاجتماعية ـ وبناءه الفوقى من قيم وافكار وتقاليد وعادات وسلوك فى وقت واحد . ولقد ثبت بالدليل القاطع من التجربة التاريخية انه ليس صحيحا ان تتغير القيم غداة تغيير الاقتصاد والسياسة .

التراث : فكـرا وأيديولوجيـة

يتبدى لنا هذا الدليل الدامغ فى ذلك الكم الهائل مما ندعوه تراثا شعبيا ، وهو التنظير البليغ لقيم وافكار وعقائد الاقدمين . ان الامثلة العامية الدارجة والحكايات والحواديت والمواويل والحكم التى تلهج بها السنتنا واغانينا فى افراحنا وتمازينا وعلاقاتنا الاجتماعية ، تصوغ

(٩) راجع « حضارة بابل وآشور »تأليف جوستاف لوبون [ص ٩٧ ، ٩٨]ترجمة محمود خيرت ـ المطبعة العصرية بالقاهرة ـ ١٩٤٧

(١٠) راجع كتابه المذكور فى النص[ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٩ ، ١٩٠] ـ الناشر مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة « تاريخ النشر غير مثبت » وفى « ص١٢٢ » يذكر المؤلف كيف تسللت عادة الندب الى العصر القبطى حيث وصلنا منظوما ومنقوشا على الرخام كشواهد للقبور . وقد نشرت ماريا كرامر كتابا فيه الكثير من منظومات الندب القبطية من بينها قصيدة أرشيليديس وامه سنكليتكى التى تدعو فيها النساء للندب « ايتهـا النساء ، ياكافة من أنجبن أبنـاء ، تجمعن ، وابكين معى » .



أحمد رشدى صالح

كلها — وباحكام دقيق — ذلك الصراع العنيف بين ايديولوجية الشعب المتوارثة وواقعه. ولعل الامثال الشعبية بالذات، بايجازها وسجعها ، تكشف لنا اكثر من غيرها ذلك النسق المتضارب من الافكار والقيم والمشاعر التى تحرك عقول ووجدانات شعبنا فى اطار معين من السلوك الاجتماعى ، لايتسق مع طبيعة المرحلة التاريخية الا مجازا ورمزا الى اوجه الشبه بين المجتمع الطبقى الذى يظللهم والمجتمع الطبقى الذى ظلل اسلافنا. وهى اوجه شبه مجازية ، لان ثمة تناقضا موضوعيا بين المرحلة التاريخية المعاصرة والمجتمع القديم .

فى طبيعة المجتمع الطبقى يردد الانسان فى بلادنا هذه الامثال [11] :

« خدوا من فقرهم حطوا على غناهم »

« ابو ميه يحسد ابو دفيه »

« ابو جموسة يحسد ابو معزة »

« ناس تاكل البلح وناس تنضرب بالشماريخ »

« قالوا يا اللى ابوك مات من الجوع قلت هو كان لقى ولاكلش »

وفى حتمية البناء الطبقى للمجتمع يردد هذه الامثال :

« لما انا أمير وانت أمير مين يسوق الحمير »

« صوابعك مش زى بعضيها »

وعن مظاهر الانسحاق الطبقى تقول الامثال :

« على قد حصيرتك مد رجليك »

« اللى يبص فوق توجعه رقبته »

« العين ماتعلاش على الحاجب »

وحول علامات الامتياز الطبقى تقول الامثال :

« اصلك فلوسك وجنسك لبوسك »

« اذا غنى اكل حيه قالوا من حكمته واذا آكلها فقيرقالوا من حموريته»

« اذا مات الغنى جرو الخبر واذا مات الفقير مافيش خبر »

« ابن مين اللى محمول ؟ ابن اللى عندها ماكول . وابن مين اللى ماشى ؟ ابن اللى ما عندها شيء !

وحول علامات الهوان الطبقى تقول الامثال :

« عاز الغنى شقفة كسر الفقير زيره »

« اعمل انت ياشقى لهذا المتكى »

« ان عاشوا كلوا الديدان وان ماتوا مايلاقوا اكفان »

« اجرى يامشكاح للى قاعد مرتاح »

ومن علامات الفساد الاجتماعى ما يرمز اليه المثل القائل :

« ارشو تشفو »

وفى تبرير الانتهازية تقول الامثال :

« اللى يجوز أمى اقول له ياعمى »

« ان كان لك عند الكلب حاجة قول له ياسيدى »

« ارقص للقرد فى دولته »

والرضا بالقهر، كالخضوع والاستسلام ينال قدرا وافرا من الامثال :

« اللى يرضى بحكم موسى يرضى بحكم فرعون »

« أقل عيشه احسن من الموت »

« لاجل الضرورة اروح للندل البيت واقول له العفو ياسيدى أشيل مداسه وأمسح تراب رجليه »

« الباب اللى يجيلك منه الريح سده واستريح »

« اللى يوطى لها تفوت »

« المغلوب مغلوب وفى الاخرة ينضرب بالطوب »

وفى المجتمع الطبقى تطغى الروح الفردية بمعناها الانانى ، فتقول الامثال :

« قال بيت ابوك اتهد قال خدلك منه قالب »

« ماينفعك الا نفسك »

« مايبكى على الميت الا كفنه »

« صباح الخير ياجارى انت فى دارك وانا فى دارى »

« قالوا ياجحا امتى تقوم القيامة قال لما اموت انا »

« انارحت الغيط حرست جارى سرق البرسيم وخد حمارى »

وضد المرأة تحتشد الامثال بالهجوم الضارى ، فتقول :

« الراجل ابن الراجل اللى عمره ما يشاور مره »

« عمر المره ماتربى طور ويحرت »

« لا تآمن للمره اذا صلت ولا للخيل اذا وطت ولا للشمس اذا ولت »

« موت البنات سترة »

أما الايمان بالحظ والقدر والصدفة ، فله نصيب الاسد من الامثال :

« المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين »

« ابن آدم فى التفكير والرب فى التدبير »

« اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب »

« السعد وعد »

« كله قسمة ونصيب »

« قليل البخت يلاقى العضم فى الكرشة!

« اجرى جرى الوحوش غير رزقك ما تحوشى »

« قيراط حظ ولا فدان شطارة !

« الدنيا زى الغزية ترقص لكل واحد شوية »

« البخت يعرف اصحابه »

« بختى لقانى فى الطريق باعرج قال ارجعى ياخايبة لارقد »

« جيت اتاجر فى الكتان ماتت النسوان»

« جيت ادعى عليه لقيت الحيطة مايله عليه »

هذه كلها ليست أكثر من نماذج وعينات لحشد هائل من الامثال الشعبية المدعمة للبناء الطبقى بكافة عناصره الاقتصادية والاجتماعية والخلقية . وبالرغم من ان هذا الرصيد السلبى من الامثال هو الرصيد الاكبر ، فان للعملة وجها آخر هو تلك المجموعة من الامثال المناهضة لهذا التكوين الفكرى . وهو الامر الذى يؤكد ان التراث الشعبى فى جملته يبلور خبرة اجتماعية للشعب على مدى التاريخ ولكنه يؤكد من زاوية اخرى أن هذه الخبرة التاريخية ليست كيانا متجانسا ، وانما هى تعكس تناقضا واضحا بين تجارب القاهرين وتجارب المقهورين . واذا كانت الفئات الممتازة طبقيا قد استطاعت على مر الزمن ان تروج لاكثر المبادىء انهزامية حتى تتم لها السيطرة على العقل والوجدان فى موازاة سيطرتها على مقاليد السلطة ، فان هذا يتطلب من الطبقات المطحونة أن تحيى الوجه الايجابى المقابل فى التراث .

(11) جميع الامثال التى استشهد بها هنا ماخوذة عن كتاب « فلسفة المثل الشعبى » لمحمد ابراهيم أبو سنة — دار الكاتب العربى بالقاهرة — سلسلة « المكتبة الثقافية » ١٩٦٨ وكتاب «الامثال العامية » لاحمد تيمور — الطبعة الثانية — لجنة نشر المؤلفات التيمورية — ١٩٥٦.


سلامة موسى


نجيب محفوظ

وهو الوجه الذي يقف بوضوح ضد القهر ، كما تقول الامثال :

« اللى يعمل ضهره قنطرة يستحمل الدوس »
« اللى يربط فى رقبته حبل ألف من يسحبه »
« يافرعون مين فرعنك قال مالقتش حد يردنى »
« اللى يرشك بالميه رشه بالدم »
« سكتنا له دخل بحماره »
« اللى يوطى راسه يتركب »
« اللى مايقدر عليه القدوم يقدر عليه المنشار »
« مأورا الصبر الا القبر »
« مسمار دخل فى الخشب فلقه قال له فلقتنى قال له ماانتاش شايف الدق فوق راسى »

وتحل القيم الجماعية مكان القيم الفردية الانانية ، كما تقول الامثال :

« حط ايدك على عينك زى ماتوجعك توجع غيرك »
« اللى قيدنى يفتل لك »
« ايد واحدة ماتسقفش »
« البركة فى كترة الايادى »
« ايد على ايد تكيد »
« قبل ما اقول يا اهلى يكونوا جيرانى غاتونى »
« اللى ياكل لواحده يزور »
« الكترة تغلب الشجاعة »
« النواية تسند الزير »
« ايد على ايد تساعد »

وتصبح المساواة قيمة مؤكدة ، كما تقول هذه الامثال :

« كلنا ولاد تسعة »
« ماحدش احسن من حد »
« البلاد بلاد الله والخلق عبيد الله »
« الاكل فى الشبعان خسارة »

ولا يعود هناك مجال للايمان بالحظ والمكتوب ، كما يقول المثل :

« العاجز فى التدبير يحيل على المقادير »

ذلك ان العمل هو المعيار الخلقى ، كما يقول المثل :

« الايد البطالة نجسة »

وهكذا يدان الفساد الاجتماعى كجمع الثروة بغير الطريق الحلال ، كما يقول المثل :

« اللى تجيبه الريح تاخده الزوابع »
« بيت النتاش عمره مايعلاش »

ويصبح الحب بين الجنسين عملا مشروعا يدعمه المثل الشعبى بقوله :

« اذا كان بدك تصون العرض وتلمه جوز بنتك للى عينها منه »

وتغيب الانتهازية كعرف اجتماعى ، كما يجىء فى المثل :

« اعمل حاجتى بايدى ولا أقول للكلب يا سيدى »

وهكذا يتضح لنا من هذه النماذج والعينات ان بعضها يكاد يرد حرفيا على البعض الاخر وان كان التراث السلبى اكثر غلبة من الوجه الايجابى الصحيح ، مما يعكس التناقضات الاجتماعية والفكرية من ناحية ، كما يعكس سيطرة الايديولوجية القاهرة وسيادتها من ناحية اخرى . والجدير بالذكر أن هذه المجموعة المختارة من الامثال الشعبية المصرية لها مايناظرها احيانا على وجه التقريب واحيانا على وجه الدقة فى بقية ارجاء الوطن العربى بل لقد احصى احمد رشدى صالح عددا من الامثال الشائعة والمشتركة بيننا نحن العرب وبين غيرنا من شعوب العالم[١٢] مما يرجح — فى عملية الهدم والبناء — الاهمية القصوى لدراسة تطور هذه الامثال ، لامن حيث دلالاتها الاجتماعية المباشرة فحسب ، بل من زاوية حركتها التاريخية .. فلعلنا نكتشف مثلا وحدة الوجدان العربى من ذيوع امثال بعينها بين الاقطار المختلفة لهذا الوطن ، كما قد نكتشف امورا لا علاقة لها بالتفاعل الصحى بين الشعوب كنزوح بعض الامثال الاجنبية مع الغزاة ، الامر الذي يجعلنا نتحرز فى تبويب كل ما وصلنا من امثال تحت عنوان « تراثنا الشعبى » ، كتلك القيم والعادات التى انحدرت الينا من المجتمعات الوثنية والبدائية ونطلق عليها عنوانا فضفاضا هو « تقاليدنا القومية » .. بل ان مانطلق عليه اسم « الموسيقى العربية » — وكنا فيما قبل نسميها صوابا بالموسيقى الشرقية — لاعلاقة لها بعمود الموسيقى العربية ، وانما هى كالرقص الشرقى مجلوبة مع الاتراك والفرس والاكراد والشركس ، فكتب العرب لا تحدثنا عن السيكا والنهاوند ولكنها تحدثنا عن الخفيف والثقيل وما الى ذلك[١٣] . ولسنا نرفض هذه الفنون «الشرقية» لكونها شرقية ، بل لانها كانت فنون السادة والقصور والاغوات والسلاطين وهى تصوغ أخلاقياتهم وتقاليدهم واذواقهم اكثر مما تصوغ اخلاقا اوقيما انسانية رفيعة ، فضلا عن بعدها التام عن ضمير الشعب . ولعل ثورة سيد درويش التى اجهضت هى انه حاول استلهام تراث الشعب وضميره استلهاما متطورا . بينما نلاحظ على الذين جاءوا من بعده — وقد انتكست ثورة ١٩١٩ وتوالت الهزائم — انهم يؤثرون استلهام الجانب السلبى الطاغى على التراث الشعبى ، فاغانينا العاطفية بسيلها المنهمر تتبارى فى التركيز على انكسار الحبيب وتسول الحب امتدادا لهذه المعانى فى الادب الشعبى حيث لايكون الحب « انتخابا حرا بين طرفين متكافئين بل هو علاقة بين طرف ذى قدرة على الامتلاك وطرف آخر مجرد منها » [١٤] ويقول احد الباحثين فى الاغنية الشعبية بالضفة الغربية من نهر الاردن ان المغنى الشعبى قد اعتاد « أن ينظر للمرأة نظرة خاصة ذات أبعاد تستقى مفاهيمها من التراث بما فى ذلك التقاليد والدين والتاريخ . وقد اعتاد المغنى الشعبى أن ينظر للمرأة من زاوية واحدة ، فهى

(١٢) راجع كتابه « فنون الادب الشعبى » — الجزء الثانى « ص ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ » — الطبعة الاولى — دار الفكر بالقاهرة — ١٩٥٦

(١٣) راجع مقال الدكتور لويس عوض «ملاحظات على الناى والقانون» بجريدة الاهرام ١٩٦٩/١٢/١٩

(١٤) راجع لاحمد رشدى صالح « فنون الادب الشعبى » — الجزء الاول « ص ١٣٢ » — دار الفكر بالقاهرة — ١٩٥٦

جميلة وممتعة ومشتهاة » [١٥] ويضيف الباحث ــ باستشهاداته من النصوص ــ أن ظاهرة الشك فى المرأة لدى المغنى الشعبي كانت صدى اعتقاد السواد الاعظم من الناس بأن المرأة لاتخلص الا لمن يغدق عليها العطاء . ويعود هذا الاعتقاد الى نظرة المجتمع للمرأة منذ العصر الجاهلى حيث تبدو مكروهة محتقرة لانها عرضة للسبى تجلب العار وهى ضعيفة البنية والقلب تعجز عن المغالبة والغزو وكسب القوت [١٦] . ويستعرض الكاتب عشرات النماذج الدالة على ان المرأة سلعة تقتنى حتى ان الفلاح اذا شتم امراة قال لها « يلعن ابو اللى قانيها » [١٧] .

وتشارك الحكاية الشعبية فىتجسيم ماتقول به الامثال والمواويل منقيم وأفكار ، ففى السودان مثلا تشيع حكاية «القدر» التى يصادف فيها احد الحكماء جمجمة انسان بين الرمال وقد كتب على موضع الجبين منها « قتلت حيا اربعين ، وسوف أقتل ميتا مثلهم » ويرتعب الرجل من هذا المكتوب ، فيهشم الجمجمة ويسحقها تماما ، ولكن الكتابة لا تزول بسحق الجمجمة ويتحقق الشر المكتوب على جبينها بموت أربعين شخصا بسببها [١٨] أليست هذه الحكايةترجمة قصصية للمثل الذائع فى مصر وغيرها من أقطار الوطن العربى من أن « المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين » ؟ وفى السودان أيضا تشيع حكاية «حمار حبوبة خديجة » حيث تخرج خديجة مع بعض العجائز ، وحين تعبت فىالطريق وجلست لتستريح ظهرت أمامها فجأة قافلة من الحمير البيض فامتطت واحدا منهم حتى لحقت برفيقاتها ولكن الحمار طاربها وتجاوزهن ثم توقف فجأة حتى لحقن بها فطار بها مرة اخرى ثم توقف وهكذاالى أن توقف مرة ورفض المسير فعضته خديجة فى اذنه حتى نهق « ثم رفعرجله الامامية ومدها لحبوبة خديجة وكانت فيها شوكة كبيرة ، وكشر عنأضراسه وقال : يا حبوبة عليك الله امرقى لى الشوكة دى ! عند ذاك ذعرت خديجة من كلام الحمار ، وقرأت آية الكرسى فاختفى الحمار عن عينها » [١٩] وهى قصة شعبية تصور الاعتقاد فى امتلاء الكون بالارواح الشريرة القادرة على التجسد فى اشكال حيوانية . وفى السودان كذلك حكاية « أخدر مزاز » الذىيشرف على الموت من مرض « علوى » ولا يتم شفاءه الاخين يأكل كبد عصفورين من



فولتير



شكسبير

عصافير الجن لا يخرجان من قفصهما الا مرة واحدة كل مائة سنة [٢٠] .

ان هذه الامثال والاغانى والحكايات الشعبية هى الصياغة « التبريرية » لما يأتى به الذين يرددونها من افعال ، أنها فلسفة السلوك الاجتماعى الفعلى ، وليست زخرفا لغويا او بهارج لفظية معزولة عن الواقع . واذا كانت القيم والعادات الاجتماعية المضادة لروح العلم ، لايمكن الغاؤها بجرة قلم ، اذ هىتعبر عنمشكلات حقيقية واحتياجات موضوعية ، فان الصياغةالتبريرية لهذه التقاليد فىمعاداتها للتقدم تعبر هى الاخرى بطريقتها الخاصة عن هذا الواقع . واذا كان الاسلوب الثورى فى تصفية السلوك الاجتماعى المتخلف هو تقديم البديل العلمى للحلول الوهمية فى معالجة المشكلات ، واذا كان هذا البديل يتطلب مجموعة متسقة من المنجزات المادية والمعنوية لتغيير الواقع فان الاسلوب الثورى فى تصفية الصياغة التبريرية الرجعية لاتتطلب فحسب تقديم الصياغة العلمية البديلة ، بل تتطلب ايضا مقدمة ضرورية وبالغة الاهمية هى دراسة هذا التراثالسلبىوتحليله تحليلا طبقيا وقوميا وانسانيا عميقا يكشفللذين يعيشون فى حماه الجذور والاصول والمنابع التى وفد اليناّمنها ، والطبقات التى روجت له وافادت منه والطبقاتالتى لاتزال تروج له وتفيد منه ، والاثار الاجتماعية والفكرية المترتبة عليه فى تعويق المجتمع عن احراز خطوة واحدة فى طريق التقدم وتكبيله وشله عن مواجهة التحديات المعاصرة له على كل الجبهات . ان تحليلا عميقا كهذا لا يقدم لنا الخريطة الطبقية للمجتمع فحسب ، ولا خريطة الغايات والوسائل فى عملنا الوطنى وحده وانما هو يقوم بالاضافة الى ذلك كله بعملية الهدم والبناء فى حياة المجتمع ، يجدد خلاياه الثورية ويغير الدماءالفاسدة ويقتل الجراثيم المميتة .

ان الهدموالبناء ، هذه العملية الجدلية التي تتم تلقائيا فى حياة النبات والحيوان والجهاز العضوى للانسان ، لابد وان تتم على المستوى الفكرى والاجتماعى للانسان العربى ، فتلك هى أولى بوادر اليقظة الثورية الحقيقية . اننا فى هذا الصدد نتعلم من العالم ان استمرارية الحضارة وسريان التراث فى الشرايين الرئيسية للثقافة القومية ، كما فعل هومبروس وسوفوكليس وتشوسر وشكسبير بصياغاتهم الجديدة لتراث الشعوب الاوروبية ، قد غربلت هذاالتراث جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر بحيث أنه لم تحدث فجوة تتسع يوما بعد يوم بين تراث الشعب والحضارات المتعاقبة . كما أن ثراء الفكر الاوروبى مدين باضافات العصور وتفسيراتها المختلفة لتراث الشعب .

التراث : قديما ومتجددا

ولئن كانت الحضارات القديمه هى « مصدر » تلك المجموعة السلبية منالقيم والتقاليد والمأثورات الشعبية من امثال وحكايات ومواويل ، فان هذا لايعنى مطلقا ان هذه الحضارات مسئولة عن الوجه الدميم للتراث ، بل ولايعنى مطلقا ان هذا الوجه كان دميما فى مسقط رأسه القديم . ان المسئولية بكاملها فى سريان الدم التراثى الفاسد فى شرايينالمعاصرين تقع على وسائل انتقال التراث التاريخية والاجتماعية من عصر الى آخر ، ولا علاقة لها بالمنبع الاول حيث لم تكن هذه القيم والتقاليد بالنسبة له تراثا وانما كانت اسلوبا فى الحياة ابتدعه الانسان القديمبخيره وشره ابتداعا . ومن الظلم الفادح لذلك الجد القديم ان نلوه على اسلوبه الخاص فى الحياة ، وانما يقع اللوم على عاتق الذين استيسروا التقليد الاعمى والمحاكاة الحرفية بدلا من الابتكار والخلق بما يناسب حياتهم الجديدة ، حتى ولو تطلب هذا الابتكار الاخذ من « بعض »

(١٥ ، ١٦ ، ١٧) راجع لنمر سرحان « أغانينا الشعبية فى الضفة الغربيةمن الاردن » ــ « ص ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ » منشورات وزارة الثقافةوالاعلام الاردنية ــ ١٩٦٨

(١٨ ، ١٩ ، ٢٠) راجع للدكتورعز الدين اسماعيل « القصص الشعبىفى السودان » ــ « ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ » ــ الهيئة المصريةالعامة للتأليف ــ ١٩٧١

القديم ؟ فالخلق في هذه الحالة هو الاختيار . ان القدماء لم يلزمونا بشيء ، وقد كان الدرس الاول الجدير بالحفظ عنهم هو «الابداع» . والحق انه لم يكن مجرد « استسهال » ان قلدنا اسلافنا وسرنا على منوالهم ، بل لو اننا تعمقنا هذا التعبير لاكتشفنا خطأه فنحن لم نسر على منوالهم بالضبط . لقد أخذنا عنهم النتائج فحسب دون المقدمات التى إدت اليها . والمقدمات والنتائج فى حياتهم تشكل كلا واحدا لايقبل القسمة ، وحين يواجهنا العصر بمقدمات جديدة ولا نبنى عليها نتائجها بل نركب عليها نتائج الاقدمين ، فان ذلك ليس هو المنوال الذى ساروا عليه . لقد كان الاتساق المنهجى رايتهم ، اما التناقض فهو راية «المحافظين» الذين جاءوا من بعدهم . لم يكن استسهالا ان قلدنا الاسلاف ، بل كان الامر اكثر عمقا . كانت القوى المحافظة دائما على مر العصور ترى فى نتائج القدماء دون ربطها بالمقدمات دعائم قوية تسند نظامهم . كان المحافظون دوما هم الذين يغفلون السياق التاريخى للتجربة الاجتماعية ، ويلتقطون اكثر الجوانب سلبا فى التراث فيلمعونها ، اما الوجه الايجابى فيطفئونه . ذلك ان التراث — كل تراث — يتضمن بصفة مستمرة وجهين: أحدهما نسبى يبلور الهموم الموقوتة المتغيرة ، وذلك هو الوجه الذى ينبغى الا يورث لانه يتناقض مع الظروف الجديدة، بل يكتفى علماء التاريخ والمجتمع والنفس والاقتصاد بدراسته فى سياقة لاستنباط العبر والدروس . وهناك ايضا الوجه المطلق للتراث الذى يبلور الخبرة الانسانية العامة . وهو الوجه الاحق بالتوارث ، لان الظروف الجديدة تؤكد الحاجة اليه ولاتتناقض معه . هذا الموقف من الوجه النسبى والوجه المطلق للتراث لايتخذه الا الذين يرغبون فى تقدم المجتمع وتطويره وتجديده. اما القوى المحافظة فتقلب الاية وتفرض على المجتمع ان يرث الوجه النسبى، وان ينسى الوجه المطلق. وهى حين تتبنى الوجه النسبى تتبناه متصورا على السطح الخارجى دون الجذور الغائرة فتعزل العلة عن المعلول والسبب عن النتيجة ، برؤية براجماتية للامور تفصل الشكل عن المضمون ، وتأخذ القشور التى تعنيها وترمى بالجوهر فى غياهب النسيان . وهكذا فهى تقوم بعملية الهدم والبناء من وجهة نظرها ، لا من وجهة نظر التقدم ، فتهدم مايستحق البناء وتبنى مايستحق الهدم. لذلك تتراكم السلبيات .الموروثة جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر — لطول ما استولت القوى الرجعية على السلطة — حتى تتحول فى خاتمة المطاف الى « معتقدات » راسخة فى عمق أعماق الضمير .

ولولا ان المواهب الفنية الرئيسية فى الادب العربى الحديث تنتمى بصورة او بأخرى الى اليسار بمعانيه المختلفة، لتوارت الى الابد عن عقولنا ووجداناتنا اروع مافى تراثنا من قيم وتقاليد . ومع هذا فان منجزات الادب والفن فى استلهام الوجه الايجابى العظيم فى التراث ليست اكثر من نقطة فى بحر اجهزة الاعلام وبرامج التعليم وبقية ادوات التوصيل الجماهيرية الواسعة الانتشار والنفوذ والتى تخصصت غالبيتها فى ابراز الوجه المعتم وتلميعه واغفال الجوانب المشرقة باخفائها عمدا عن العيون والاذان والافئدة. ولازالت هناك من القيم والتقاليد الثورية المطمورة فى تراثنا ، لم تعرف بعد موتا ولا احياء لانها تحتاج الى طاقة تفوق طاقة الاداب والفنون ، تحتاج الى ثورة ثقافية شاملة تقودها الطبقات المؤهلة تاريخيا واجتماعيا لذلك .

ان اول مايصادفنا فى تراث مصر القديمة من ملاحظات هو قبول المصريين للمستحدثات « ودمجها فى فكرهم دون التخلى عن القديم » [٢١] اى ان اجدادنا اكتشفوا المعنى الصحيح للاصالة والمعاصرة فى وقت مبكر ، فما بالنا نحن نتنكر لهذه الفكرة الرائعة ، وننكب على القديم دون مراجعة ، دون تحليل لواقعنا وتركيب لفكرنا ؟ . اننا فى ضوء هذه الفكرة المصرية القديمة ، نرى أن اسوأ مايمكن ان نرثه من المصرى القديم هو فكرة الخلود ، وفكرة توحيد الملك بالاله ، وفكرة الكهنوت . لقد اثمرت بالطبع فكرة الخلود اعمالا معمارية عظيمة كالاهرام ، واعمالا كيميائية عظيمة كالتحنيط ، ولكن هندسة الاهرام وكيمياء التحنيط هى الجديرة بالدراسة والتأمل والفائدة . اما « نظرية الخلود » الكامنة وراء التحنيط والاهرام ، فهى موقف هروبى من الموت ورؤية غيبية الحياة ، وكلاهما ضد العلم — فى عصرنا نحن — والانسان ، انساننا المعاصر . وهذا لاينفى إننا نستطيع ان نستلهم معنى آخر للخلود من التراث البابلى ، يتبدى فى الصراع البطولى ضد الموت كما يتمثل فى ملحمة جلجامش . ولقد اثمر التوحيد بين شخصية الملك وشخصية الاله فى مصر الفرعونية نوعا « متدسا » من عبادة الحاكم ادى الى العديد من الوان الطغيان والاستبداد الفردى ، لسنا بحاجة مطلقا لان ندرجه ضمن موروثاتنا . وحين يرى بعض المصريين والاجانب ان المسرح المصرى القديم هو اقدم ما عرف الانسان من فنون الدراما ، فان ما ينبغى ان نلتفت اليه ليس هو هذا القدم او هذه الاولوية — الا عند اصحاب الافكار العنصرية — بل ان ما يجب ان يشد انتباهنا حقا هو معرفة الاسباب التى أدت الى اغتيال المسرح فى مصر القديمة وازدهاره مثلا فى اليونان القديمة . لقد مات المسرح المصرى داخل المعبد على ايدى الكهنة بينما ازدهر المسرح اليونانى لخروجه من المعبد الى الشارع بانعتاقه من الكهنوت ،وحين كان ينتشر السحر وتقوى قبضة الكهنة كانت مصر تنحدر ، والعكس صحيح حين كان العلم يحل مكان السحر،والمدنيون مكان الكهنة كانت مصر تتقدم . ولعل هذا هو سر الاسرار فى عظمة الاخناتونية ومأساتها فى نفس الوقت ، انها — هى الاخرى — لم تكن مجرد « أول » دعوة للتوحيد الالهى ، وانما يكمن مغزاها الحقيقى فى ان هذا التوحيد يؤدى الى نوع آخر من التوحيد والمساواة هو ماندعوه الان بالفكرة العالمية والاخاء البشرى ، فالانسان فى كل مكان — دون تفرقة — هو عبد هذا الاله الواحد . ولاشك أن انعكاس مثل هذه الدعوة على المجتمع الواحد ، هو مزيد من الديموقراطية بين المواطنين وانفلات من قبضة المرتزقين بتعدد الالهة من الكهنة . والديموقراطية فى مثل هذه الحال ليست فقط ديموقراطية سياسية واجتماعية ، وانما هى اولا وقبل كل شىء ديموقراطية المعتقد الدينى لا بمعنى حرية اداء الشعائر الدينية فحسب ، وانما بمعنى التخفف من أعباء الجمود الكهنوتى فى رؤية العلاقة بين الانسان والدين والتحرر من الالتزام الحرفى المطلق بتعاليم دوجماطيقية . والدليل على ذلك أن اخناتون فقط هو الذى تجرأ على تحريم السحر [٢٢] .

اننا نستطيع ان نستلهم الكثير من التراث الفرعونى والبابلى والفينيقى وغير ذلك من تراث العصور القديمة ، سواء فى المبادىء العامة للتفكير او فى مناهج

---

(٢١) راجع « ماقبل الفلسفة » — ص٤٥ — الفصل الثانى لجون . أ . ولسن
(٢٢) راجع « تطور الفكر والدين فى مصر القديمة » لجيمس هنرى بريستد « ص ٢١ » ترجمة زكى سوس — دار الكرنك بالقاهرة — ١٩٦١

السلوك والعلاقات الاجتماعية ، على ان يكون استلهامنا لاكثر العناصر قدرة على توجيه مجتمعنا وانساننا فى طريق التقدم . وسوف اضرب هنا مجموعة من الامثلة تعمر بها كتب الاجانب عن حضارتنا وتخلو منها برامجنا التعليمية والتثقيفية والاكاديمية خلوا شبه تام .

اذا كانت الديموقراطية والعدل الاجتماعى من المشكلات الحية التى تؤرق عصرنا الحديث ، فاننا سوف نكتشف صفحات رائعة فى تاريخنا القديم ، تؤكد حرص الانسان فى بلادنا على مقاومة القهر والطغيان والظلم الاجتماعى . بل ان المفارقة الجديرة بالتأمل هى ان عصور الاستبداد فى مصر الفرعونية مثلا ، هى التى تمدنا بتراث ديموقراطى عظيم ، لا فى اسلوب الحكم وانما فى مواجهته من جانب الحكماء والمواطنين البسطاء واحيانا على السنة الملوك فى خطبة العرش التى يوجهونها الى وزرائهم ، وأحيانا على واجهات المقابر حتى يتجنب الميت عقاب الآلهة . تعددت الوسائل ، ولكن الغاية واحدة ، وهى أن الضمير الانسانى لدى اجدادنا كان يرجف ويهتز من كل ما ينتاب البلاد ويهدد امن البشر وطمأنينتهم . هكذا تقول لنا اقدم الوثائق ، وهى ورقة محفوظة الان بمتحف برلين ، ويميل بريستد الى تسميتها « محاورة بين انسان يائس سئم الحياة وبين روحه » لان عنوانها القديم فقد ، وهى اقرب لان تكون قصيدة لشاعر اضنته الحياة وعذاباتها ، فيقول :

« لمن اتكلم اليوم ؟ فان الذى كان يظن انه يثير الغضب باخلاقه الشريرة ، يسر منه الناس جميعا رغم ان خطيئته فظيعة »

« لمن أتكلم اليوم ؟ فان الناس يسرقون وكل انسان يغتصب متاع جاره » .

« لمن اتكلم اليوم ؟ فان الخائن صار امينا ، ولكن الاخ الذى يأتى بها [يعنى الامانة] يصير عدوا » .

« لمن اتكلم اليوم ؟ لايوجد رجل عادل »
« وقد تركت الارض لاولئك الذين يرتكبون الظلم » . [٢٣] .

وما اقرب هذه المعانى من تلك التأملات الحزينة التى سجلها احد كهنة عين شمس فى مؤلف ظل متداولا قرونا طويلة حتى نقله كاتب من عصر الاسرة الثامنة عشرة على لوحة من الخشب محفوظة الان فى المتحف البريطانى . واسم الكاهن الحزين « خع خبر رع سنب » ، يقول فى تأملاته المؤسية :

« ليت لى قلبا يتحمل الالم ، فعندئذ كنت أركن اليه .. فتعال اذن يا قلبى لاتكلم اليك ، ولتجيبنى عن كلامى ولتفسر لى ما هو كائن فى الارض .. انى افكر فيما قد حدث . ان المصائب تقع اليوم ، ومصائب الغد لم تأت بعد ، وكل الناس لاهون عن ذلك ، مع ان كل البلاد فى اضطراب عظيم . وليس انسان خاليا من الشر ، فان جميع الناس على السواء يأتونه ، والقلوب بالحزن مفعمة . فالآمر والمأمور صارا سواسية ، وقلب كل منهما راض بما حصل ، والناس عليه [يعنى الشر] يستيقظون فى صباح كل يوم ولكن القلوب لا تنبذه ، ولا تزال اليوم على ما فعلته فى ذلك بالامس . فلا يوجد انسان عاقل يدرك ، ولا انسان يدفعه الغضب الى الكلام ، والناس تستيقظ فى الصباح كل يوم لتتألم . ان مرضى ثقيل وطويل . والرجل الفقير ليس له حول ولا قوة لينجو مما هو اشد منه بأسا . وانه لمؤلم ان يستمر الانسان ساكتا على الاشياء التى يسمعها » [٢٤] .

وفى قصة « الفلاح الفصيح » ، التى اتيح لها أكثر من غيرها ان تبعث من كهوف النسيان ، يقول ذلك الفلاح الاهناسى ، الذى عاش فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد : « ان العدالة خالدة الذكرى ، فهى تنزل مع من يقيمها الى القبر .. ولكن اسمه لا يمحى من الارض ، بل يذكر على مر السنين ، بسبب العدل » . ويوجه خطابه الى « مدير البيت العظيم » قائلا :

« لقد نصبت لتسمع الشكاوى ، وتفصل بين المتخاصمين ، وتضرب على يد السارق ، ولكنك تتحالف مع السارق . والناس تحبك رغم انك معتد . ولقد نصبت لتكون سدا للرجل الفقير يحميه من الغرق ، ولكنى انظر فانك أنت فيضانه الجارف » [٢٥] .

ولعلنا نذكر تلك السطور القليلة التى جاءت فى رواية نجيب محفوظ « ثرثرة فوق النيل » على لسان الحكيم ايبور ، وقد صدرت الرواية عام ١٩٦٦ ، أى قبل الهزيمة الاخيرة بعام واحد .. ولقد دهش الكثيرون بعدئذ مما حملته كلمات ايبور الى فرعون من « نبوءة » استكشفها الفنان المعاصر ببصيرته المدركة لواقعه وعينه التى لم تغفل عن التراث . لم تكن القضية بالنسبة لنجيب محفوظ مجرد رمز أو مجاز أو استنطاق ، وانما كانت الى جانب ذلك وعيا عميقا باستمرارية التراث : اذا كان الواقع الذى يتحدث عنه ايبور ممتدا على نحو من الانحاء فى واقعنا المعاصر ، فان الوجه الاخر للعملة يجب أن يكون حاضرا ، وهو شجاعة ايبور وتحذيره . وذلك هو الاستلهام الثورى للتراث .

و « تحذيرات ايبور » كما يدعوها بريستد من اهم الوثائق التى تسترعى الالتفات ، لا من حيث موقفها من السلطة فحسب ، بل من حيث انها نموذج يقتدى فى موقف الكاتب أو المفكر من السلطة . يبدأ ايبور بتصوير دقيق لما كانت عليه الحال فى ذلك الوقت ، حيث كل شىء آل الى الفوضى « وقوانين العدل التى بها وراء الظهور » ، وانحل التآخى بين الناس ، فأصبح كل واحد يبحث عن نفسه فقط . ويشير الى أهوال الغارات الاجنبية ، ويربط بينها وبين سوء النظام فى الداخل « حتى ان الرجال أصبحوا غير قادرين على صد غزوات الاسيويين من حدود شرق الدلتا » ، وحاق الهلاك بالارض والانسان : « أنظر ان الذى لم يكن يملك زوجا من الثيران صار الان صاحب قطيع منها ، وذلك الذى كان لا يجد ثورا لحرثه صار الان يملك قطيعا . أنظر ان الذى لم يكن يملك غلالا صار الان صاحب مخازن من القمح » . ويتطرق من ثم الى العدالة « وفى الحق ان العدالة موجودة فى البلاد باسمها فقط ، وما يلقاه الناس حين يلتجئون اليها هو العسف » ، حتى ان الاطفال أصبحوا يقولون : « ليتنا متنا قبل هذا » ، بل ان الماشية « تئن بسبب حالة البلاد » . ويجهر ايبور بشجاعة نفسية نادرة فى خاتمة الخطاب « ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت ، حتى كنت أنقذ نفسى من الالم الذى أنا فيه الان ،

(٢٣) راجع « فجر الضمير » لجيمس هنرى بريستد « ص ١٨٢ ـ ١٨٦ » ترجمة الدكتور سليم حسن ـ مكتبة مصر ـ « تاريخ النشر غير مثبت ولكن مقدمة المترجم مؤرخة فى ١٩٥٦ » ويعود زمن القطعة الى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد ولم يعرف لصاحبها اسما .

(٢٤) المصدر السابق « ص ١٩١ ، ١٩٢ » .

(٢٥) المصدر السابق « ص ٢٠٣ » .

مالويـل لى لان البؤس منسم فى هـذا الزمان » [٢٦] ·

وربما لا تكتمل هـذه الصـورة لحوار الفكر والسلطة فى مصر القديمة ، الا اذا نوهنـا بأمر آخر فى غاية الاهمية ، هو ما تم اكتشـافه من تداول لقصة الفلاح الفصـيح ، ونأملات الكاهن المظيم بعد كتابتها الاولى بقرون طويلة · وهذا لا يدل على بقـاء الحـال ، بقدر ما يدل على اسـتمرارية التراث الايجـابى فى مصر القديمة · بل ان هنـاك ما هو أكثر من ذلك ، فعنـدما أتيح لمصر ملك عـادل ، كانت تعـاليم ايبور هى محور توجيهاته للوزير الاعظم [أى رئيس الوزراء كمـا نقول الان] · ولقد تفاوتت بالطبع صورة المخلص لمصر من حكيم إلى آخر ، وفقـا لانتمائه الاجتماعى ، فبينما نجد هذا يرى الخلاص فى « منقذ عبقرى » أى فرعون جديد عادل ، كنا نرى من يرى الخلاص فى ثورة شاملة وجيل جديد · ولكننا فى جميع الاحوال نرى ان الكلام لا يضـيع سدى ، فها هى نصـائح فرعون لوزيره الاعظم ، تقول :

« لا تنس ان تحكم بعدالة · انه ممقوت لدى الاله اظهار التحيز · اعتبر الشخص المعروف لديك كالشخص الذى لا تعرفه ، وذاك القريب من الملك كالبعيد عنـه · لا تمر على مقدم التمـاس دون ان نعى كلامه · اذا كان يوجـد مقـدم التماس يعرض امره عليك وكان شخصا ليس كلامه مما يقـال فاصرفه بعد ان تجعله يسـمع السـبب الذى دعاك الى ان تصرفه · لا تسبب أى تأخير فى العدالة التى تعرف قانونها » [٢٧] ·

وكما اننا سمعنا صدى تحذيرات ايبور فى وثيقة تنصيب الوزير الاعظم ، نسمع صدى هذه الوثيقة على واجهة قبر الحاكم امينى [فى بنى حسن] ، حث كتب ما يشـبه البيـان من سياسته الادارية كسيد للاقليم على الوجه التالى :

« لم تكن توجـد ابنة مواطن اسـأت اليها · لم تكن توجد أرملة أوقعت عليها خطبا · لم يكن يوجد فلاح انتزعت أرضه ولا راعى قطيع طردته · لم يـكن مشرف على خمسة دفعته لان يرهن أهله من اجل الضرائب التى لم يدفعها · لم يكن يوجد تعس فى مجتمعى · لم يكن يوجد جوعان فى عهدى · ولم أرفع الرجل العظيم فوق الرجل الفقير فى كل شىء أعطيته » [٢٨]

وقد كانت هـذه الاسـطر انعكاسـا واضـحا لما كان يركز عليه الحكماء فى قولهم للحكام « لا تغبن أحدا عند جبـاية الضرائب ، ولا تكن شـديد القسوة اذا وجدت فى القائمة مبلغا جسـيما متأخرا على شـخص فقير ، فقسـمه الى ثلاثة أجزاء ، واترك منه جزءين حتى لا يتبقى عليه الا جزء واحد » [٢٩] ·

ان الدروس التى يمكن اسـتخلاصها واستلهامها من هذه النصوص ، هى :

● ان حضارتنا القديمة قد عرفت فى أحلك أيامها سوادا أصواتا شـجاعة ، تنبأ بعضها بالهول قبل وقوعه ، وواكب البعض الاخر تطور المأسـاة مزمجرا فى وجه المسـئولين عنها ، واكتفى البعض الاخر بادانتها بعد وقوعها . ولكن هذه الانمـاط الثلاثة تحملت عبء الشـهادة فى سبيل ما ترى انه الحق ·

● من التقـاليد الثورية فى الفكر المصرى القديم ، انه رغم ندرته ، ظـل ساريا فى شرايين المجتمع جيلا بعد جيل وعصرا بعـد عصر ، وانه فى تصـديه لقضية المساواة والديمقراطية ، لم يكن يفصل بين الشكل السياسى والمضمون الاجتماعى للحرية ·

● ان السمة البارزة على حركة الفكر والمجتمع هى التفـاعل وتبـادل التأثير والتـأثر ، بين الفكر والمواطنين ، وبين الفكر والسلطة ·

وقد انعكست هذه القيم والافكار على صـفحة السـلوك الاجتماعى والتشريع الاجتماعى على السواء · وفى « كتـاب الموتى » بعض العبارات التى يتعين على الميت ترديدها أمام الآلهة اذا كان قد نفذ ما جاء بها ، وهى تضع أيدينا بصـورة غير مبـاشرة على « قواعد السـلوك » التى كان يراعى اتباعها فى ذلك الوقت · ولو اننا تركنا جانبا ما يتصـل بالتعاليم الدينية ، واتجهنا صوب ما يمس العلاقات الاجتماعية ، سوف نكتشف ما ينبغى ان يتحلى به الانسان من فضائل على هـذا النحـو « لم ارتكب غشـا ، لم اترك الاراضى الزراعيـة بورا ، لم أتصـنع الصمم وقت سـماع الحق والعدل ، لم اخن أحدا ، لم أسـع لترقيتة ، ولم ازد ثروتى الا بالحلال » · وقد نظم القـانون المصرى القديم الزواج ، مشترطا ان يتم العقد أولا وفق الاصول المدنية ، ثم يحصل بعدئذ الزواج الدينى لمن يرغب ، عند الكهنـة · أما العلاقة بين الزوجين فقد اسسها على قواعد تسـاوى بين الرجل والمـرأة ، وتحفظ للاسرة تماسـكها الاجتماعى ، كفصل مال كل من الزوجين عن الاخر ، وتخصيص بعض أو كل مـال الزوجة للمساعدة فى المعيشـة ، وكحق الطلاق لكل منهما ، واشتراط ما يدرأ عن الزوجة خطر الطلاق ، وكحق الزوجة فى الميراث والتصرف بأملاكها [٣٠] · وفى مجال القضـاء « كان القضاة يقسـمون عند تعيينهم يمينا فى حضرة الملك يأخذون فيه على أنفسهم عدم طاعته الا فيما يطابق العـدل ، بحيث يكون لهـم مخالفته اذا أمرهم بما ينافى قواعده » [٣١] · وهو تقليد ملهم لما ندعوه الان باستقلال القضاء ·· على ان أعظم التشريعات التى يمكن ان تظل فى حيـاتنا ميراثا متجددا ، هو ذلك التشريع الذى أثمرته حضارة ما بين النهرين ، فيما يخص العلاقة بين الرجل والمرأة ، وهو تشريع حمورابى ، وتنص بعض بنوده على ما يلى :

« المادة ١٢٧ ـــ اذا سيد اوما بابهامه على فتاة معبد أو على زوجة سيد ، ولم يثبت عليها شـيئا ، يجلب الرجـل أمام القضاء ويعلم جبينه بمقص » ·

« المادة ١٢٩ ـــ اذا قبض على امرأة سيد مضطجعة مع سيد ثان ، فيجب أن يوثق الاثنان ويلقيـا فى النهر · ويمـكن للزوج اذا شاء ان يبقى على زوجته ·

« المادة ١٣٤ ـــ اذا أسر سيد ولا يوجد فى بيته طعام ، ثم ذهبت زوجته الى بيت ثان ، فان هذه المرأة لا ذنب لها ·

« المادة ١٣٦ ـــ اذا أهان سيد بلدته وولى هاربا ، ومن بعـده ذهبت زوجته الى بيت ثان ، فاذا عاد هذا السيد وأراد استرجاع زوجته فيمكن لزوجة الشارد أن لا ترجع الى زوجها لانه أهان بلدته وهرب

« المادة ١٨٤ ـــ اذا لم يقدم السـيد الى ابنته جهازا ولم يعطها الى زوج ، فبعد ان يذهب الى أجله يجب على اخوتها ان يقدموا لهـا جهـازا ، يتنـاسب مع حصتها من أبيها » [٣٢] ·

---

(٢٦) المصدر السابق « ص ٢٠٨ ـــ ٢١١ » .

(٢٧) المصدر السابق « ص ٢٢٤ ، ٢٢٦ » والنص نفسه فى « تطور الفكر والدين فى مصر القديمة » « ص ٣٣٠ ـــ ٣٣٦ » .

(٢٨) راجع « تطور الفكر الدينى فى مصر القديمة » « ص ٣٤١ ، ٣٤٢ »

(٢٩) راجع « الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة » « ص ٣٤٦ » .

(٣٠) راجع « تراث مصر القديمة » ـــ ملحق مجلة المقتطف سبتمبر ١٩٣٦ ـــ مقالة « التراث القانونى لمصر القديمة » للدكتور زكى عبد المتعال « ص ٥٣ »

(٣١) المصدر السابق « ص ٥٧ » .

(٣٢) راجع « الانسان والحضارة » ليوسف الحورانى « ص ١٤٧ ، ١٤٨ » منشورات دار مكتبة الحياة ـــ بيروت « تاريخ النشر غير مثبت »

وتمدنا الحضارة الفينقية التى كان اهلها همزة الوصل بين الشرق والغرب بفضل نزوعهم للتجارة والملاحة بميرات بالغ الاهمية . وسواء كانوا هم الذين اخترعوا الحروف الهجائية او لم يخترعوها — كما يقول كونتينو — فهم الذين قاموا باذاعتها فى كل العالم القديم «وهم الذين فتحوا بذلك للافكار آفاقا لا حدود لها ، وادوا للحضارة من هذه الناحية خدمات لا يمكن ان يحد مداها البعيد . ولكن اهم فضل لهم واعظمه قيمة هو انتشار لغتهم ، فانهم استطاعوا عن طريق لغتهم ان يكسبوا الحضارة الاجنبية التى اعتنقوها ثوبا من صنعهم . فقد كانت اللهجات الاسيوية ضعيفة قاصرة عن التدقيق على حين كانت اللغات الهندية — اوروبية واللغات السامية ذات ثروة لغوية متنوعة الى اقصى درجة وذات تشكيلات صرفية واضحة ، مرنة الى اقصى حد (وكانت اللغة البابلية زمن حمورابى مثلا نموذجيا لهذا النوع) فكان لابد ان تترك اللغات الضعيفة المجال لغيرها سريعا » (٣٣) وما اجدر هذه المعانى بالتأمل الطويل لدى من يهمهم ميراثنا اللغوى وتطوراته .

التراث: يهوديا ومسيحيا ومسلما

من ابرز سمات تاريخنا الحضارى انه ممزق الاوصال متسع الفجوات التى تفصل بين مراحل تطوره فصلا متعسفا ، ذلك ان كل حضارة وافدة — بفاعلية العوامل السياسية — كانت تنشد القضاء على ما سبقها من حضارات ، ولم تكن لتسمح الا بسريان العناصر التراثية التى تؤيد وجودها وتدعمه . نتج عن ذلك ان ثمة فترات كاملة من الانقطاع الحضارى بين مراحل تراثنا تكاد تجعل من كل مرحلة وحدة منغلقة على ذاتها . كما نتج عن ذلك ايضا غزو العناصر السلبية القديمة للحضارات الجديدة واستمرارها للان . غير ان التراث الذى اتخذ شكلا دينيا مقدسا موصول الحلقات كاليهودية والمسيحية والاسلام ، قد ظل — قوة وضعفا حسب نسبة الكم البشرى المجسد لهذا التراث — سارى المفعول لوقتنا هذا ، يشكل الغالبية الساحقة من قيم وعادات وتقاليد الانسان العربى المعاصر . ولا ريب ان تجاهل هذا التراث واغفاله بدعوى العلم هو تجاهل لعنصر جوهرى من عناصر واقعنا واغفاله ، الامر الذى يؤدى فى محاولة تغيير هذا الواقع ، الى نقص خطير فى ادوات التغيير ، اى اننا بدعوى العلم نصل الى طريق غير علمى . ان التراث اليهودى والمسيحى والاسلامى عامر — ككل تراث — بالقيم النسبية والقيم المطلقة ، وواجب الثوريين نحو الاولى هو وضعها فى سياقها التاريخى بالدراسة الموضوعية التى يمكن بواسطتها استخلاص الدروس العامة . اما القيم المطلقة التى تتجاوز الزمان والمكان رغم صدورها عنهما ، فان احياءها وتأصيلها مهمة عاجلة من مهام الثورة غير المعزولة عن واقعها .

ان الوجه النسبى فى التوراة مثلا ، هو تلك الاسفار التاريخية ، التى تعدل دراستها من بعض مفاهيمنا عن المسألة اليهودية .. فهذه الدراسة تدلنا على انه ليس هناك جوهر ثابت يمكن تسميته بالطبيعة اليهودية ، لان الاصول التاريخية والصراعات الاجتماعية التى عاشها اليهود على مر التاريخ — وبخاصة فى تلك الازمنة التى تؤرخ لها بعض اسفار التوراة — لا يمكن ان تخلق عنصرا جامدا لا يتغير هو العنصر اليهودى . ان خطورة هذا التصور الذى تروج له الصهيونية بأسطورة « شعب الله المختار » ان قطاعا عريضا من الفكر الرجعى العربى يؤمن به ، ويتعامل ايديولوجيا مع المسألة اليهودية على اساسه . وهو التصور الذى يستتبع بعد القول بأن لليهودى جوهرا ازليا ابديا ان نلصق به عديدا من الصفات الثابتة كذلك . وكأن الشخصية اليهودية بجوهرها الميتافيزيقى الخالد هذا وصفاتها الدهرية تلك هى « قدر » لا سبيل الى مقاومته . ويستتبع هذا التصور ايضا ان اليهود « كتلة » واحدة ، لا فرق بين فقرائهم واغنيائهم ولا بين المتقدمين والمتخلفين بينهم . واذا كانت السلطة الاسرائيلية تحاول — منذ قيام الدولة — ان يبدو مجتمعها على هذا النحو النازى ، فان الفكر الرجعى العربى يقع بدوره فى الفخ ويصدق على ضوء الجوهر اليهودى الواحد ان اليهود كتلة واحدة .. وبدراسة التوراه وتاريخ اليهود بعدها سوف نكتشف ضلال هذه الدعوى من اساسها وبكاملها . سوف نكتشف ان اليهود عناصر مختلفة تاريخيا واجتماعيا وانه ليست لديهم صفات لا تقبل الزوال . وهذه النتيجة التى يمكن استخلاصها بالعلم من دراسة التراث اليهودى تؤدى بنا للقول بأن الشخصية اليهودية قابلة للتغير ، وان المجتمع اليهودى ليس كيانا متجانسا ، وان هذه النسبية التاريخية والاجتماعية فى حياة اليهود تجعلهم عرضة لمختلف المؤثرات والمتغيرات والنتائج .

اما الوجه المطلق للتراث اليهودى فيتمثل فى تلك الاسفار الشعرية الجميلة كمزامير داود وامثال سليمان ومراثى ارميا وسفر الجامعة ونشيد الانشاد . ان هذه الاسفار التى توجز معاناة روحية عميقة بين الانسان والوجود تتجاوز الظروف التاريخية التى ولدت فى سياقها لتطل على الانسان فى كل زمان ومكان بمجموعة من التجارب الفنية الثمينة . واذا كان الادب الغربى قد سبقنا الى استلهام هذه الاسفار ، فانها كجزء من تراثنا ، نحن اولى بها . وبدلا من ان يكون الادب الغربى وسيطا بيننا وبين التوراة كما حدث بالفعل حين تأثر بعض ادبائنا بأعمال اوروبية تفاعلت مع التراث العبرى ، فاننا نستطيع ان نعود الى الاصل مباشرة ، لانه يخصنا نحن اكثر مما يخص الغربيين . بل ان ادبنا حينئذ يتوهج بأصالة اعمق مما يعكسه النقل عن طرق ثان .

وكذلك الامر بالنسبة للتراث المسيحى . وربما كان اجدر المبادىء التى شرعها المسيح نفسه وتصلح لان تكون تراثا متجددا هو ذلك المبدا القائل « اعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر » . انه اول تشريع — ومن صميم تراثنا — يدعو لفصل الدين عن الدولة ، يصدر عن صاحب الدعوة شخصيا . وبغض النظر عن تفاصيل قصة صلب المسيح ، فاننا نستنير بفكرة « الخلاص بالالم » التى تجملها نظرية الفداء فى المسيحية . اننا بعد تخليص هذه النظرية من اوشاب اللاهوت القائل بالخطيئة الاصلية ، نستطيع استلهامها فيما يعترض حياتنا من مسئوليات جسام تتطلب التضحية بالنفس . والمزاوجة التى نصادفها فى كلمات المسيح وافعاله ، كقوله « اريد رحمة لا ذبيحه » او « من ضربك على خدك الايمن حول له الايسر » وقوله فى نفس الوقت « ما جئت لالقى سلاما بل سيفا » وضربه بالسياط اولئك الذين حولوا المعبد الى سوق للتجارة قائلا « بيتى بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتوه مغارة للصوص » .. هذه المزاوجة فوق انها تلهمنا المرونة فى اتخاذ المواقف ازاء الاحداث ، اى انها ضد الدوجماطيقية ، فانها ايضا تدلنا على ان « السياق التاريخى » هو الذى يحتم هذه المعالجة او تلك ، وليست هناك قواعد مطلقة للسلوك . بل ان

(٣٣) راجع « الحضارة الفينيقية » تأليف ج. كونتينو « ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ » ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة — سلسلة الالف كتاب — شركة مركز كتب الشرق الاوسط — القاهرة « تاريخ النشر غير مثبت » .

المسيح لكى يوضح أنه صاحب دعوة جديدة غير اليهودية ، كان يبدا تعاليمه دوما بقوله « قيل للقدماء كذا وكذا .. اما انا فأقول لكم كيت وكيت » . ومع هذا فهو لا يدعو الى القاء التراث اليهودى فى جهنم « ما جئت لانقض الناموس ، بل لاكمل الناموس » .

ولعل التراث المسيحى الذى جسدته حضارتنا القومية ـ كما نلحظ مثلا فى تراثنا من العصر القبطى ـ احق بالانتباه من المجردات . وفى هذا الصدد يلتفت المؤرخون الى الفن القبطى التفاتا بارزا حيث يرون انه كان الفن شبه الوحيد فى الشرق القديم الذى اصطبغ بروح الشعب سواء فى الصياغه او فى المضمون . وانه رغم الطابع الدينى الذى يتطلبه بناء الكنائس والاديرة مثلا ، فقد كان فنا مدنيا يشارك الناس همومهم واشواقهم فى حياتهم الدنيا ، لا كما ترتسم لخيالاتهم من صفحات الانجيل . وانه كان فنا من ثمار البيئة المصرية وترابها الوطنى ، فالارتباط بالواقع المحلى هو السمة الجوهرية فى الفن القبطى ، لا من حيث المشكلات التى عالجها فحسب بل من حيث الاطار المصرى الخالص كالطبيعة بحيواناتها ونباتاتها ومظاهر الحياة بين جنباتها . على ان هذا الفن قد جاء ثمرة تفاعل مع ما سبقه من فنون ومؤثرات فنية ، فالفنون الفرعونية واليونانية والرومانية ، لها بصماتها غير المنكورة على الفن القبطى وان ظلت الروح المصرية هى ملمحه الرئيسى . وقد فهم الاقباط القدماء « الجمال » كمرادف للبساطة وذى طبيعة براجماتية ، غير انه الى جانب ذلك كله كان فنا غنيا متنوع الاتجاهات والمدارس (٣٤) . وتكاد هذه المجموعة من القيم ان تشكل فيما بينها منهجا فى التعبير الفنى جديرا بأن نرث اهم مقوماته فى حوارنا المعاصر بين الفن والمجتمع .

ولاننى اميل الى ان التراث المسيحى ـ كأى تراث دينى آخر ـ هو تاريخ المسيحية ، وليس التعاليم التى وردت فى الانجيل وحدها ، اى انه تراث تاريخى ـ اجتماعى ، فاننى لا اغفل النظر من وجه آخر للتراث المسيحى لا علاقة له بالمسيح ولكنه وثيق الارتباط بالكنيسة ، اى بالمؤسسة الاجتماعية والسياسية . واذا كانت الكنيسة القبطية تتمتع بتاريخ وطنى مشرق ، فان هذا لم يكن دائما تاريخ الكنيسة المسيحية فى كل مكان . بل ان الكنيسة القبطية نفسها فى صراعها المرير ضد الوثنية قد ارتكبت اخطاء تاريخية ضد الثقافة (وهو ما أشرت اليه فيما قبل من ان الحضارات الجديدة فى تاريخنا كانت تضع نصب عينيها تدمير الحضارات القديمة والابقاء على بعض عناصرها السلبية) فلم يكن لدى كيرلس بطريرك الاسكندرية (٤١٥ م) مانعا من ان يقوم عشرات الرهبان بسحل هيباطية أستاذة الفلسفة فى شوارع المدينة لمجرد انها وثنية . وكان من اسباب فخر يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية (فى القرن الرابع) ان جميع الكتب الوثنية قد زالت من الوجود . ورغم هذا تسللت الوثنية الفرعونية الى طقوس الكنيسة وشعائرها ولا زالت حية الى يومنا ، وتسللت المانوية (نسبة الى مانى الفارسى الذى ولد بالمدائن عام ٢١٥ ميلادية) الى معتقدات الاقباط ، فقد كانت المانوية هى التى حرمت بعض الاطعمة فى بعض المواسم كما هو الامر فى الصيام القبطى الان . وترجع العزوبة التى يتسم بها كهنة الكاثوليك الى هذه النزعة المانوية ، ويرجع اليه ايضا تحريم الكنيسة الغربية لوقت طويل قراءة التوراه لانه كتاب «يهوه». وقد ارتكبت الكنيسة الغربية لاكثر من خمسة قرون جرائم « محاكم التفتيش » ومجازرها الرهيبة . وفى هذا الوقت كانت الثقافة « وقفا على الرهبان »، يبحثون جغرافية العالم الاخر وهم لا يدرون جغرافية هذا العالم . ويشرحون للناس كيف يجب ان يموتوا بدلا من ان يشرحوا لهم كيف يجب ان يعيشوا . ويشتبكون فى مشكلات (ذهنية) اولى بها ان يبحثها الاطفال وان يضحكوا منها ، مثل قيمة الرقم ٧ فى الدنيا والاخرة . ومثل عدد الملائكة الذين يمكنهم ان يقفوا على راس ابره » (٣٥) . واضحت صكوك الغفران هى جوازات مرور المؤمنين الى السماء واصبح على العلماء ان يستشهدوا بالصلب والاحراق اذا قالوا بأن الارض كروية او ان هناك كواكب أخرى غير الارض او انه ليس هناك عالم آخر غير عالمنا .

هذا الوجه البشع من تاريخ الكنيسة ليس مما يمكن أن نرثه الا اذا فضلنا وراثة ظلام العصور الوسطى ، ولم نستفد من ردود الفعل التى جرت فى موازاة هذا التاريخ، اى اذا لم نكتشف الوجه الاخر للتراث المناضل ضد الكنيسة . وهو الوجه الذى يطالعنا فيما قام به ارازموس الهولندى من اعادة طبع للانجيل (عام ١٥١٦) باللغة اللاتينية تقابلها الاغريقية صفحة بعد صفحة ، فانه بهذا العمل افتتح عصرا جديدا لدرس الانجيل درسا تاريخيا دقيقا . وكتابه اليتيم « مدح الجنون » يقول ان عالمنا حافل بالاخطاء والمساوىء مما يدعونا لان نتسامح مع بعضنا البعض ، لانه ليس بيننا من يحق له التطاول على احد بعلمه ، وانه خير لنا ان ننظر الى الانجيل ليس باعتباره شريعة واجبة التطبيق على انظمة الحكم والحياة ، بل حسبه ان يكون مرشدا لنا فى الاخلاق [٣٦] . وهناك ايضا رابليه الفرنسى الذى جرؤ عام ١٥٣٢ ان يضع اول كتاب بالفرنسية العامية فأطلق الذهن الفرنسى من قيود الاداء باللاتينية وجعل الفرنسية لغة الثقافة ونزع نزعة علمية بدرس التشريح ومضى على طريق ارازموس بدراسة القدماء واستيعاب التراث اليونانى والرومانى ، ووضع الطبيعة البشرية امام التقاليد الدينية ، وآثر الاولى على الثانية [٣٧] . وهناك كذلك ، سوزينى الايطالى الذى اقدم على فعل مماثل حين ترجم المزامير الى العامية الايطالية والف كتابا بعنوان « المسيح الخادم » اراد فيه للمسيحية ان تعود الى سيرتها الاولى حيث كان المسيح وتلاميذه رجالا بسطاء وليسوا بابوات ذوى عروش من الذهب . وفى كتابه « تعليم راكوف » يقول بالحرف « فلندع كل انسان حرا للحكم على دينه ، لان هذه هى القاعدة التى يبسطها لنا العهد الجديد . هل احتكر احد منا معرفة الكتب المقدسة ؟ ولم لا نتذكر ان سيدنا الوحيد هو يسوع المسيح واننا جميعا اخوة ليس لاحد منا ان يسيطر على نفوس الآخرين ؟ وليس من ينكر ان يكون احد منا اعلى من الاخرين ولكننا نستوى جميعا فى الحرية وفى علاقتنا بالمسيح » [٣٨] . وفى عام ١٦٠٠ ـ فى السابع عشر من فبراير ـ كان الكهنة قد اعدوا محرقة عظيمة لتنفيذ

---

(٣٤) راجع الدكتور مراد كامل فى كتابه «حضارة مصر فى العصر القبطى» « ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ » .
(٣٥) راجع لسلامة موسى كتابه «ماهى النهضة » « ص ٧ » ـ الطبعة الثانية ـ منشورات مكتبة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٦٢ (وقد كتب على هذه الطبعة خطأ انها الطبعة الاولى . لقد صدر نفس الكتاب عام ١٩٣٥ كملحق للمجلة الجديدة بعنوان « النهضة الاوروبية » وقد اضاف المؤلف اليه قبل وفاته بضع صفحات) .
(٣٦) راجع لسلامة موسى كتابه «حرية الفكر وأبطالها فى التاريخ » ـ الطبعة الثانية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٥٩ « ص ١٥٣ ، ١٥٤ » .
(٣٧) المصدر السابق « ص ١٥٨ ».
(٣٨) المصدر السابق « ص ١٦١ ، ١٦٢ ».

حكم الاعدام حرقا في برونو ، واثناء خطوه الثابت المطمئن نحو النيران التى ستحيله رمادا بعد قليل ، سمعه كهنة المحكمة يقول بصوت هادىء : « لعلكم ايها القضاة وانتم تنطقون بهذا الحكم تحسون من الفزع والرعب اكثر مما احس انا عند سماعى له » . وبعد ٣٠٠ سنة فقط من احراقه كان بابا روما يبكى لان اهل روما يقيمون لبرونو تمثالا فى المكان الذى احرق فيه [٣٩] . وقد كان لوك الانجليزى [١٦٣٢ ـ ١٧٠٤] هو الذى كتب يقول « اذا كان للحكومات الحق بأن تملى على الناس كل ما يختص بسعادة ارواحهم المستقبلة ، فان نصف الناس قد حكم عليه منذ الان بالهلاك الابدى . لانه لما كان من المستحيل ان يكون المذهبان صحيحان فمن المعقول ان جميع من ولدوا فى ناحية ما سيذهبون الى السماء فى حين ان من ولدوا فى الناحية الاخرى قد قضى عليهم بالذهاب الى جهنم . وبهذه الطريقة يتقرر مصير الانسان ونجاته حسب البقعة الجغرافية التى اتفق ميلاده فيها » [٤٠] . وربما كان قريبا من هذا المعنى ما قصد اليه فولتير الفرنسى (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) حين قال « اذا انت اصررت على ان الكفر بالدين السائد جريمة فانك تؤثم المسيحيين الاولين آباءك وتبرىء اولئك الذين تنقم منهم اضطهادهم لهم » (٤١) .

وقد انهى هذا الحوار العظيم بين المسيحية والانسان الاوروبى فى البداية « عصر النهضة » وفى النهاية « الثورة الفرنسية » التى قررت ان جميع الناس متساوون امام القانون فى الواجبات والحقوق ، وانه لا تمييز لانسان عن آخر الا بقدر ما يقدمه للمجموع ، وان لكل مواطن ان يشارك فى سن الشرائع بالانتخاب الحر المباشر ، وان الاعباء الوطنية توزع على كامل المواطنين حسب قدراتهم الفعلية على حملها ، وان حرية الانسان مقدسة لا تمس الا بحكم محكمة ، وان حرية الاعتقاد والرأى وممارستهما من حقوق المواطنة الطبيعية . هذا هو الوجه الاخر للتراث المسيحى الذى يعيش الاوروبيون المعاصرون ـ ومعهم بقاع اخرى من العالم ـ فى ظل نتائجه التى ارست مجموعة من التقاليد الديمقراطية العميقة الجذور فى باطن تاريخهم . ولكنهم يدركون فى حرصهم على هذه التقاليد انها كانت حصيلة صراع مرير وصل بمئات الالوف من اجدادهم الى القبور والسجون وغرف التعذيب . وهذا هو المحور الذى يمكن لنا ان ندور من حوله ونحن نستكشف ابعاد تراثنا وتراث غيرنا ، ان الصراع بين السلب والايجاب ضرورة حتمية ، وانا لا نستطيع الحفاظ على « نتائج » لم نمارس مقدماتها . لقد قامت « النهضة الاوروبية » و « الثورة الفرنسية » بعملية الهدم والبناء للتراث المسيحى ، وهذا هو الالهام الاول لهذا التراث ، ان حوارا عظيما بالقول والفعل والدم دار بين الانسان والدين فأثمر حضارة جديدة للانسان ورؤيا جديدة للدين .

ولقد عرف التراث الاسلامى فى بعض مراحله مثل هذا الحوار العظيم . بل ان الحركة الوحيدة فى تاريخ المسيحية والتى يراها المؤرخون حركة تقدمية ، وهى البروتستانتية ، لا تقاس بما عرفه تاريخ الاسلام من تيارات فكرية وحركات ثورية . ولكن الفرق هو ان الحوار الغربى مع المسيحية استمر منذ بدايات الفكر البرجوازى الناشىء الى الفكر الماركسى الحديث . بينما منيت حركات الفكر الثورى فى الاسلام بالاجهاض والانقطاع ، بالاضافة الى السنوات الالف على وجه التقريب التى آلت فيها الدولة الاسلامية الى التدهور والجمود والانحطاط . لذلك تتجه القوى الرجعية فى الوطن العربى الى بعث « المثل الاعلى » للقيم والسلوك من ركام وانقاض تلك الفترة الطويلة المظلمة . ويتعين على القوى الثورية أن تفعل العكس ، وتبحث عن رموز ثورتها فى الفترات المضيئة ، بالاضافة الى دراسة الظلام وتحليل اسبابه وبلوره نتائجه السلبية على الماضى والحاضر والمستقبل .

حينذاك سوف نكتشف ان كتابا مثل « حياة الحيوان » للدميرى ، يتكلم عن السحر والعفاريت كأنها حقائق وينظر الى السلف بتقديس مطلق ويعتمد فى رؤاه على اخبار وروايات الاقدمين دون مراجعة او شك او تمحيص ويرى ان الغاية الوحيدة من الثقافة هى خدمة الدين ولا ينسى حين يتكلم عن الصرصار والبرغوث ان يشرح هل اكلهما حلال ام حرام ، الى غير ذلك مما يعد احياؤه فى عصرنا ومجتمعنا جريمة حقيقية ضد سعادة الانسان وتقدمه ، بل اننا نرفض من الغزالى ـ وهو امام وفيلسوف كبير ـ تكفيره للعلماء والفلاسفة وموقفه الغريب من الفنون الجميلة كقوله « وليتجنب (المسلم) صناعة النقش والصياغة ، وتشييد البنيان بالجص وجميع ما تزخرف به الدنيا ، فكل ذلك كرهه ذوو الدين » . ومثل هذا كثير للاسف فى التراث الاسلامى ، ويجد هوى وتشجيعا مذهلا من جانب القوى المناوئة للتقدم .

بينما هناك فى مواجهة هذا التراث السلبى مجموعة من الرجال الافذاذ وتيارات الفكر وحركات الثورة فى الاسلام مما ينبغى ان يطل علينا بقاماته المرفوعة العالية الجبين .

ولعل فكر المعتزلة هو اول التيارات الفكرية فى التراث الاسلامى الجديرة بالنظر والتأمل العميق . . فقد كانت حركتهم انفتاحا شجاعا على تراث العالم من حولهم ، فأكبوا على دراسة الفلسفة اليونانية والمذاهب الفارسية والهندية والديانات اليهودية والمسيحية ، الى جانب احتكاكهم بالتأييد والمعارضة لما عاصرهم من اتجاهات فكرية اخرى نشأت فى حضن الاسلام كالرافضة والخوارج والمرجئة والشيعة وغيرهم . ولقد تسبب هذا الانفتاح الحر من جانبهم الى ان يتهمهم المحافظون من ابناء قومهم والمغرضون من المستشرقين « بعدم الاصالة » . ذلك ان الرجعية فى زمانهم ـ كما هى بالضبط فى زماننا ـ فرضت مفهوما للاصالة يحرم « التنفس » الفكرى ان جاز التعبير ، بل يحيل الانسان الى مومياء لا تتجاوز التابوت المصنوع من اجلها سلفا . كانت المعاصرة عندهم كفرا وكانت الاصالة هى التحنيط العقلى . ولكن الحقيقة هى ان انفتاح المعتزلة على العالم من حولهم ، لم يكن مجرد سياحة فكرية بين الغرائب ، وانما كان عنصرا منهجيا فى التفكير ، هو ان الموروث من السلف الصالح فقط وحده لا يكفى لحياة الانسان وان التراث البشرى وحدة واحدة بالتشابه والتناقض معا . لذلك فهم حين قرأوا لابن خلدون تعريفه لعلم الكلام بأنه « علم يتضمن الحجاج عن القواعد الايمانية بالادلة العقلية » قلبوا التعريف راسا على عقب وجعلوا السنة والعقائد فى خدمة العقل (٤٢) . ومن ثم ظهرت فى بداياتهم الاولى نزعة

(٣٩) المصدر السابق « ص ١٦٧ ـ ١٦٩ » .
(٤٠) المصدر السابق « ص ١٩٣ »
(٤١) المصدر السابق « ص ١٩٨ »
(٤٢) راجع « النزعة العقلية فى تفكير المعتزلة » لعلى فهيم خشيم « ص ٥٠ » ـ منشورات دار مكتبة الفكر ـ طرابلس ـ ليبيا ـ ١٩٦٧ .

الاعتماد على العقل واقامة سلطان له الى جانب النصوص المنزلة (٤٣) . « وكان لموقفهم التحرري من ارادة الانسان ، وتقديس عقله ، ما دفعهم الى ان يتفقوا على ان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها » [٤٤] ولكنهم جعلوا الحرية الانسانية شرطا لتحمل المسئولية بالثواب والعقاب . اى انهم رفضوا فكرة القضاء والقدر « اذ كيف يجبر الله عباده على فعل قدره هو عليهم ثم يحاسبهم لانهم فعلوه (٤٥). وقد تطور الاخذ بالعقل عند المعتزلة ثلاث مرات ،الاولى انه كان اداتهم لفهم الدين ، والثانية انه اصبح نسدا للشرع مساويا له ، وفى الثالثة تغلب العقل عندهم وحاولوا تطويع الوحى فى خدمته (٤٦) . وهكذا لم تعد هناك فى عرفهم «مسلمات يقينية» ، بل اضحى كل شىء قابلا للنظر والنقد (٤٧) وحل الاستقراء والاستدلال مكان الايمان(٤٨).

ولم يكن المعتزلة مجرد تيار فكرى ، بل كان لهم تنظيمهم السياسى الذى تبلور فى اواخر القرن الاول الهجرى ، وهم ليسوا ملحدين بالمعنى الدقيق لهذا التعبير ، ولكنهم صوروا الذات الالهية تصويرا مجردا منزها من « التجسيد والمشابهة » عند الذين يصورون هذه الذات تصويرا « ماديا مجسما » . وهم بدعوتهم لحرية الانسان يرونه صاحب الحق فى اقامة واسقاط السلطة السياسية ، اى انهم يدعون للثورة على السلطة الجائرة اذا توفرت للثوار فرصة النجاح . ولقد كان الفكر المعتزلى فى نشأته انقلابا فكريا بين المثقفين المسلمين ، لانه احل الثقافة والموقف مكان العصبية والنسب فى مجتمع كان لهما فيه شأن كبير . وقد ازدهر فكرهم ايام المأمون والمعتصم والواثق — عصر ازدهار الحضارة العربية — ولكنهم اضطهدوا ايام المتوكل (٨٤٧ — ٨٦١ م) ودمرت غالبية آثارهم الفكرية (٤٩) .

وفى النهاية التى كتبت لحركة القرامطة التى قامت بثورة ضد الدولة العباسية فى أواخر القرن التاسع الميلادى ، فان ما نعرفه عن هذه الحركة الثورية العظيمة قد وصلنا عن طريق كتابات خصومها الفكريين . وحين نعلم ان الذين اسرعوا بتأييد هذه الحركة هم صغار الفلاحين والعمال الزراعيين والفئات الحرفية كالصيادين وصناع الغزل ، نفهم طبيعة الارضية الاجتماعية التى انطلق منها القرامطة . وقد تأسست دعوتهم على قواعد اجتماعية واقتصادية « فكان من اهدافها القضاء على استغلال الانسان للانسان ، ونزع الاملاك العقارية الفردية الواسعة ، ومصادرة الايرادات الطائلة الخاصة لمصلحة الدولة ، وفرض ضرائب معقولة متدرجة فى الضخامة ، والغاء قانون ومبدا الوراثة ، ومصادرة امسلاك المهاجرين والعصاة ، ووضع جميع وسائل النقل والمواصلات تحت تصرف الدولة ، وزيادة المصانع الوطنية وآلات الانتاج ، واصلاح الاراضى المجدبة وتحسين المزروعة منها ، وفرض العمل الاجبارى على جميع الافراد ، ووصل العمل الزراعى بالصناعى واقامة نظام جمهورى شورى قائم على مجلس خاضع للانتخاب الجماعى يحل محل الملكية الوراثية ، ونسف نظام الاستئثار بين الطبقات ، وتغيير العقلية السائدة المرتكزة فى كل شىء على الدين ، وكل هذا يهدد المجتمع بالفناء » (٥٠) وكان من الطبيعى — تبعا لذلك — أن يقاوموا العصبية القومية ، وأن يدافعوا فى فكرة الاخاء الحقيقية ، لا بين المسلمين وحدهم ، بل بينهم وبين جميع القبائل والشعوب والامم على اختلاف قومياتهم وطبقاتهم واديانهم « وقد نشروا ايضا افكارا بين جميع الشعوب على اساس احترام جميع الاديان الاخرى » [٥١] . ومن الطبيعى فى مجتمع هذه الدعوة ان تحتل المرأة مركزا مرموقا ، والمرأة بدورها سارعت بتقديم كل ما تمتلك من حلى ومتاع « وما يحصلن عليه ويتكسبنه من الاشتغال بالغزل . هذا بالاضافة الى ما قامت به المرأة من جهود فى ميادين القتال ، حيث كن يخرجن مع الرجال فى الحرب » (٥٢) .

وكانت ثورة الزنج — بقيادة على بن محمد — هى الاخرى ثورة ضد نظام الحكم العباسى فى جنوب العراق (٨٦٨ — ٨٨٣ م) وقد شاركت فيها جماهير الفلاحين والفقراء والعبيد والاقنان الذين كانوا يعملون فى ازالة الملوحة من مياه الخليج . وقد نجحت ثورة الزنج فى الاستيلاء على سلطة امارة البحرين ، وظلت خمسة عشر عاما تهدد العباسيين ، الا انهم هزموها فى النهاية بتجنيد كل مدخرات الدولة والخليفة فى ميدان القتال . وفى منطقة الخليج اسس الخوارج ايضا دولتهم التى قامت كحركة ثورية ضد الامويين والعباسيين . وهم يضيفون الى فكرة الثورة عند المعتزلة ، انه ليس شرطا لكى تشب أن تتوفر لها ظروف النجاح ، بل لابد من هبوبها متى جارت السلطة وعاثت فسادا . وهم فى الامامة كانوا ضد وراثتها ، وكانوا يرون انه من حق الامة اسقاط الامام (الخليفة او الحاكم) الذى يحيد عن الطريق المستقيم ، وان الامامة حق مقصور على من تختاره الجماعة ايا كان ، ولو كان عبدا اسود . وكانوا يرون ان العبرة بالعمل ، وان الحكم بين الناس يجب ان يكون مشمولا بالنفاذ لا مرجئا الى يوم القيامة ، وذلك حتى لا تكرس اوضاع تستحق رفع السيف فى وجه المستفيدين منها (٥٣) .

وفى التراث الاسلامى من الرجال الافذاذ ما يعد علامات بارزة على طريق الثورة العربية . وايا كان اختلافنا او اتفاقنا مع مضمون الدعوات التى استشهد من اجلها رجال من امثال

---

(٤٣) المصدر السابق « ص ٥٧ »
(٤٤) النص للشهر ستانى فى « الملل والنحل » — ج ١ — ص ٦٢ ومأخوذ هنا عن المصدر السابق « ص ٥٨ ».
(٤٥) المصدر السابق « ص ٥٩ » .
(٤٦) المصدر السابق « ص ٩٧ »
(٤٧) المصدر السابق « ص ١١١ »
(٤٨) المصدر السابق « ١١٣ »
(٤٩) راجع مقال محمد عمارة «نظرة جديدة لاحياء التراث الاسلامى » — مجلة « دراسات اشتراكية » مارس ١٩٧٢
(٥٠) راجع كتاب « القرامطة » لعارف تامر « ص ٦٨ » — دار الكاتب العربى — بيروت — ومكتبة النهضة ببغداد — « تاريخ النشر غير مثبت » .
(٥١) المصدر السابق « ص ٥١ » .
(٥٢) راجع كتاب « قرامطة العراق فى القرنين الثالث والرابع الهجريين » لمحمد عبد الفتاح عليان « ص ٢٠٨ » — الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر — ١٩٧٠
(٥٣) راجع مقدمة الدكتور عبدالرحمن بدوى لكتاب « الخوارج والشيعة » ليوليوس فلهوزن — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٨

الحلاج والسهروردى وابن حنبل فان مواقفهم الشجاعة من حرية الضمير لا تقل الهاما ان لم تزد بمقاييس العصر الذى عاشوا فيه ، من اكثر العلامات المضيئة بروزا فى التراث الانسانى اجمع . وحين تقترن الشجاعة الاسطورية بالمضمون الثورى ، فاننا نرث تكاملا حيا عميق الاثر فى حياة شعبنا . ولعل عبد الرحمن الكواكبى (١٨٥٤ — ١٩٠٢) هو اقرب الشواهد على ما يدخره تراثنا من تقاليد ثورية . لقد اشعل الكواكبى فى زمنه حربا شعواء على « الاستبداد » ، من اهم صفاتها ان محتواها الفكرى ليس جزئيا ولا نسبيا ، اى انها لا تنتمى الى طبيعة المرحلة التاريخية التى عاشها الكواكبى فحسب ، وانما هى تملك صلاحية الانتقال الى مراحل اخرى .

ذلك ان الكواكبى قد وضع كلتا يديه على جذور انحطاط الدولة الاسلامية وجوهر الفكر الفاسد الذى يظلل حياة المسلمين بسحابة قاتمة لا تمطر خيرا . كان رأيه ان الايمان المطلق بالقضاء والقدر هو الذى جرد المسلمين من اسلحة التحدى ، وكان رأيه ان غياب الحرية على كافة المستويات هو الذى اورثهم الجبن والنفاق والهزال المعنوى ، وكان رأيه ان ضياع العدل واهداره هو الذى ادى بهم الى ما هم فيه من ذل وفاقه . فى كتابه « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » الذى صدر عام ١٩٠٠ يقول بالحرف « المستبد يتحكم فى شئون الناس بارادته لا بارادتهم ، ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم . ويعلم من نفسه انه الغاصب المعتدى فيضع كعب رجله على افواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعى لمطالبته » و « المستبد يتجاوز الحد لانه لا يرى حاجزا . فلو رأى الظالم على جنب المظلوم سيفا لما اقدم على الظلم » ومضمون الظلم عند الكواكبى كمضمون الثورة على الظلم ، اجتماعى ، انه ينظر الى الثروة الوطنية ويعددها قائلا انها « الاراضى ، والمعادن ، والانهر ، والسواحل ، والقلاع ، والمعابد ، والاساطيل ، والمعدات .. الخ مما هو لازم للجميع ، ويجب ان تبقى الحقوق فيه محفوظة للجميع على التساوى والشيوع ، او موزعة على الفصائل والبلدان والصنوف والاديان بنسبة عادلة » (٥٤) ويرسم الخريطة الطبقية لمجتمعه على هذا النحو الدقيق « اهل الصنائع النفيسة والكمالية والتجار الشرهون المحتكرون ، وامثال هذه الطبقة ، ويقدرون بواحد فى المائة ، يعيش احدهم بمثل ما يعيش به العشرات او المئات او الالوف من الصناع او الزراع ... ورجال السياسة والاديان ، ومن يلتحق بهم ، وعددهم لا يتجاوز الواحد فى المائة ، يتمتعون بنصف ما يتجمد من دم البشر او زيادة ، ينفقونه فى الرفه والاسراف » وهكذا فان « رجال البشر قد تقاسموا مشاق الحياة قسمة ظالمة » (٥٥) والعلاج الذى يراه الكواكبى حلا لهذه المأساة هو ان تكون هذه الثروة « ملكا لعامة الامة يستنبتها ويتمتع بخيراتها العاملون فيها فقط » (٥٦) .

اذا اضفنا الى ذلك كله ان فضل اسلافنا على اوروبا فى العصر الوسيط لم يكن مجرد نقل التراث اليونانى ، بل كان رصيدهم من « التجربة العلمية » ملهما لعصر النهضة فى الاكتشاف والاختبار والتحقق ، ولو اضفنا ان من القوانين الرئيسية فى التراث العربى الاسلامى استلهامه الحر الطليق لخير ما فى تراث العالم المعاصر له ، فاننا حينئذ نستطيع ان نستخلص مجموعة من النتائج والمهام التى يتحتم علينا دراستها وانجازها فى مواجهة الرجعية الجديدة ، وهى تحاورنا بقضية التراث :

● ان ما جاء فى هذا البحث من استشهادات من مراحلنا التراثية المختلفة ليست اكثر من نماذج وعينات تشير الى ما يزخر به تراثنا من عناصر السلب والايجاب ، التى يتطلب احياؤها اسلوبا ثوريا ادعوه بالهدم والبناء ، والهدم لا يعنى الاغفال او التجاهل وانما يعنى دراسة السياق التاريخى للشىء الموروث . والبناء لا يعنى ازاحة الغبار فحسب وانما يعنى الاستلهام الايجابى الفعال .

● يظل الواقع المعاصر هو البوصلة الفكرية القادرة على توجيه النظر الى هذه الناحية دون تلك من التراث . بتحديد معالم هذا الواقع وتحديد احتياجاته الفعلية نتعرف على ما يلهمنا التقدم من عناصر التراث المتباينة والمتضاربة احيانا .

● تحتاج مراحل تطور تراثنا الى اعادة صياغة منهجية تسد الفجوات المتسعة وفترات الانقطاع الحضارى ، بحيث نحصل فى خاتمة المطاف على تصور شامل لتراثنا السلبى وتصور مماثل لتراثنا الثورى . ان « توحيد » تراثنا اى رؤيته فى سياق تاريخى يحول دون تمزقه فى ذاكرتنا الحضارية او تحويله الى وحدات منغلقة على ذاتها .

● ان القول بأن حضارة المصريين القدماء او البابليين او الفينيقيين او غيرهم كانت « اول » من اعطى العالم كذا او كيت ابعد ما يكون عن العلم ، فالبحث عن العلة الاولى او المحرك الاول هو بحث عقيم . ولعل القراءة الذكية لكتاب اسماعيل مظهر « تاريخ الفكر العربى » او كتاب هربرت مولر « استخدامات الماضى » The uses of the past تحيطنا علما بمدى التعقيد فى هذه المشكلة حيث ان التداخل والتشابك بين شرايين الفكر واوردته ، منابعه ومصابه ، لا يصل بنا الى يقين مطلق فيما يخص البدايات الاولى . ومن ناحية اخرى فان الشموخ او التباهى بقولنا حاسمين اننا كنا « اول » من صنع او اول من زرع او اول من حسب او هندس او طبب ، هو المقدمة الطبيعية للشعور العرقى والفوقية العنصرية .

● ان الصهيونية والنازية والفاشية وغيرها من الدعوات العنصرية التى عرفها تاريخ الانسان الحديث ، ليست اكثر من « ابنية » علوية قديمة يراد بعثها وفرضها على سياق العصر الجديد . وهى ابنية تضيق بما يتجه اليه العصر نحو الاخاء البشرى والوحدة الانسانية والسلام العالمى . انها تؤصل فى وعى « القوم » ما كانوا عليه من صفات « فريدة » فى التاريخ القديم ، عصرهم الذهبى .

اما الرؤية الثورية للتراث ، لترى أنه جزء من التاريخ ليس خارجا عن نطاقه ، وبالتالى فهو ليس كائنا ميتا فيزيقيا مطلق التقديس ، وأننا جزء من العالم تراثه تراثنا ، بقدر ما يسهم فى انقاذنا من وهاد التخلف بكافة معانيه .

---

(٥٤) راجع « الاعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبى ، مع دراسة عن حياته وآثاره » لمحمد عمارة « ص ٤٣٥ » — طبعة القاهرة ١٩٧٠ .
(٥٥) المصدر السابق « ص ٣٧٦ » .
(٥٦) المصدر السابق « ص ٣٧٨ » .

قصيدة

سيدة الأقمار السبعة

عبد الوهاب البياتي

(١)

سيدة الاقمار السبعة فى داخلها ترحل — تستخرج ياقوت نهار الاسطورة — تحلم بالنجم القطبى — وفى ذاكرة الزمن الموغل فى عربات الغجر الساعين وراء المطر — الفرح — النور — تغنى لليل الاغريقى — وللنهر الوحشى القادم من طوروس ومن هضبات النوم بتركستان — تغنى سيدة الاقمار السبعة — كانت ترحل فى داخلها — ولنجم قبيلتها فى البحر الاسود كانت فى الحلم تصلى — قالت : أهواك — وقالت : رحل الاغريق ، وجاءت سفن غطت وجه البحر ومدت للارض جسورا — قالت : أهواك — سنرحل عن هذى الارض لباريس بهذا الصيف القادم من هضبات النوم بتركستان — وقالت : بدأ الموت بهذا العالم يفقد معناه — فمى ياقوت نهار الاسطورة فوق فم الليل — ونجم القطب على نافذة البحر يضىء — وأنت بعيد عنى — وأنا فى الحلم أراك على أرصفة المدن البيضاء تسير وحيدا — وتموت وحيدا فى الغربة والمنفى — قالت : أهواك — وقالت — سيدة الاقمار السبعة فى داخلها ترحل ، لكنى كنت أراها فى ضوء نهار العالم ، فى الشارع — قالت : بدأ الموت بهذا العالم يفقد معناه — وأنت بعيد عنى وأنا عنك بعيدة .

(٢)

مملكتى وخرائط اجدادى
تمتد وتمتد
وأنا أنتظر المد

(٣)

فى « طيبة » ذات البوابات السبع ، العرافة
قالت : لا تنظر للخلف
الوردة قالت للصيف
وأنا فوق جوادى عبر البحر الابيض
أتبع صوت العرافة
للجزر اليونانية

(٤)

« ميلانو » غرقت فى البحر

(٥)

قال النهر الوحشى القادم من طوروس ومن هضبات النوم بتركستان لسيدة الاقمار السبعة :
يا قمر الحب — تعالى نهرب عبر جبال الليل
لباريس — تعالى نركب أمواج البحر — الاغريق —



الجزر اليونانية مدت للارض جسورا — رحل البحر — وميلانو ظهرت من بين الاشرعة البيض — تعالى نهرب عبر جبال الليل — تعالى — قالت : أهواك — ومدت يدها للقمر المصلوب على بوابة بيت الزوج النائم كالدب القطبى على أطراف الصحراء — وقالت : بدأ الموت بهذا العالم يفقد معناه — ومدت يدها الاخرى نحوى — سقط النيزك فى الغابة ، أحرق كل الاشجار — الجزر اليونانية تغرق فى دمعى — هيلين تغنى فوق الاولمب — تعالى — ركضت نحوى والتقت الايدى — ووقفنا تحت الاسوار — المدن الطينية تبكى — والصيف الهندى الاحمر فوق جواد الشمس السوداء — وأنت بعيد عنى وأنا عنك بعيدة .

(٦)

العراف الاعمى
يقرأ فى مرآة البحر الابيض
طالع مولاتى
سيدة الاقمار السبعة

رسالة تونس

السينما النضالية في مهرجان قرطاج

سمير فريد

انعقد في الفترة من ٣٠ سبتمبر الى ٧ اكتوبر الماضي المهرجان الدولي الرابع للايام السينمائية بقرطاج ، وقد أقيم المهرجان في ثمانية من دور العرض بتونس حيث كانت تعرض الافلام من مقاس ٣٥ مم في قاعة البالماريوم وتعاد في قاعة المونديال ، والافلام من مقاس ١٦ مم في دارين من دور الثقافة الجماهيرية هما دار ابن خلدون ودار ابن رشيق بحيث يعاد عرض برامج ابن خلدون في ابن رشيق والعكس . وعلى حين كانت تعرض سينما الكولوب برنامجا عن السينما المصرية في الثلاثينات أقيم بالتعاون مع أرشيف الفيلم القومي بالقاهرة ، كانت دور عرض باريس والكوليزي والفن السابع تعرض مختارات من أفلام دول العالم المختلفة خارج مسابقة المهرجان المخصصة للافلام العربية والافريقية فقط .

وقد اهتم المهرجان هذا العام بحركات التحرير العربية والافريقية اهتماما كبيرا فأقيم في مدخل دار ابن رشيق معرض صور ووثائق حركة تحرير فلسطين ، وأقيم في مدخل دار ابن خلدون معرض صور ووثائق حركة تحرير غينيا — بيساو . واشتركت في المهرجان حركات التحرير الافريقية التالية :

١ — حركة تحرير غينيا — بيساو .

٢ — حركة تحرير زمبيابوى [روديسيا] .

٣ — حركة تحرير انجولا .

٤ — حركة تحرير موزامبيق .

٥ — حركة تحرير جنوب أفريقيا .

هذا بالاضافة الى حركة تحرير فلسطين . وبينما كان هناك ممثل لحركة تحرير جنوب افريقيا في لجنة التحكيم هو المخرج ليونيل أوكان ؟ وممثلين لحركتي تحرير انجولا وموزامبيق نظمت حركات تحرير غينيا — بيساو ، وزمبيابوى ، وفلسطين برامج خاصة عرضت بنجاح كبير ، وكان لها أكبر الصدى بين الجماهير .

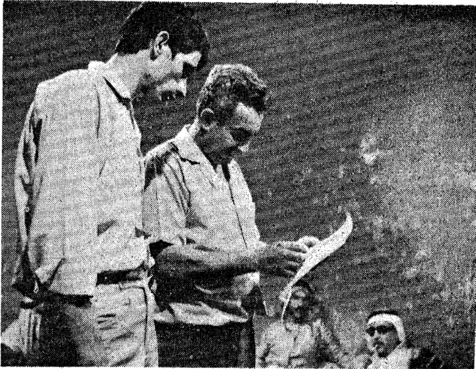
أما حركة تحرير زمبيابوى فقد اشتمل برنامجها على فيلم واحد تسجيلي هو فيلم « كفاح من أجل زمبيبوى حر » للمخرج دوات نى أوو [وهو اسم حركى] وفيه يستخدم المخرج الصور والوثائق واللقطات الحية للكشف عن حقيقة الدور الذى تلعبه الامبريالية العالمية في أفريقيا . ومن أهم ما جاء في هذا الفيلم لقطة تصور وزير المستعمرات البريطانية وهو يقول انهم سوف يطرحون المشكلة للاستفتاء ، فاما يقول الشعب لا ، وأما يقول نعم ، ويقطع المخرج مباشرة الى لقطة أخرى لمظاهرة في شوارع لندن ، ويتساءل أحد المتظاهرين الاشارة من وراء الكاميرا هل تقول نعم أم لا ، فيرد الافريقي ساخرا : وهل يمكن أن نقول لا للحرية أو نقول نعم للعبودية ؟ !

وفي لقطة أخرى من نفس الفيلم يتحدث أحد زعماء حركة تحرير زمبيابوى فيقول : ان المشكلة ليست هي الاستقلال بمعنى أن نحصل على ورقة موقعة من الاستعمار ، ويرتفع علمنا فوق الامم المتحدة ، المشكلة الحقيقية أن توجد حكومة وطنية تدير شئون الشعب ، ويستطرد الزعيم الافريقي قائلا : كم من الدول الافريقية حصلت على استقلالها ، وكم من هذه الدول لم تمكن شعوبها بعد من الحصول على الاستقلال !!

أما برنامج حركة تحرير غينيا — بيساو فقد اشتمل على ثلاثة أفلام تسجيلية هي الفيلم الايطالي «لينتانكرو» والفيلم الكوبي « مدينابوى » والفيلم الجزائري « عشر سنوات بعد بين جيتويتى » ، وعلى حين يقتصر الفيلمين الايطالي والجزائري على تناول واقعة محددة من وقائع الثورة ، يتناول الفيلم الكوبي الذى أخرجه جوزيه ماسيب والذى يعتبر أفضل الافلام الثلاثة ، ومن أفضل الافلام التي عرضت في برامج حركات التحرر الوطني ، ثورة غينيا — بيساو من خلال معايشة الثوار في حياتهم اليومية ، والتعبير عن التغيرات الحاسمة التي طرأت على شخصياتهم قبل وبعد الثورة ، ثم هو يعبر أيضا عن احلامهم في الحياة بعد الاستقلال ، فهناك من يود أن يكون رساما ، وهناك من يود أن يكون موسيقارا ، كما أن منهم من يتطلع الى التدريس في القرى .

ومن أهم ما يتميز به الفيلم الكوبي أيضا أنه لم ينظر الى حركة تحرير غينيا — بيساو من خلال منظار ايدلوجى متعال ، فهو لا يتردد في تصوير بعض الطقوس الغيبية التي يقوم بها الثوار من أجل سلامة أنفسهم وسلامة أسلحتهم قبل الاشتباك مع الاحتلال . ولعل هذا هو السبب الذى أدى الى منع هذا الفيلم من العرض في مهرجان ليبزج عام ١٩٦٨ حيث كتب أحد الموتمرين على بيان بالمطالبة بعرض الفيلم ، وظلت هذه الواقعة بلا جواب الى أن شاهدت الفيلم بعد أربع سنوات في تونس .

أما برنامج حركة تحرير فلسطين فقد اشتمل على ثمانية أفلام هي أفلام فتح « بالروح بالدم » و « العرقوب » و « مدوان ١٦ سبتمبر على الجنوب » وأفلام الجبهة الشعبية « النهر البارد » و « لا للحل السلمى » و « طريق الثورة » ، كما اشتمل على الفيلم الفرنسي « فلسطين ستنتصر » الذى أنتجته جماعة من الجماعات الفرنسية



توفيق صالح اثناء تصوير « المخدوعون » عن رواية « رجال تحت الشمس » لغسان كنفاني ..

الثورية ، والفيلم الايطالي « الفتح » الذي أنتجه الحزب الشيوعي الايطالي. وهذا هو البرنامج الثاني الذي يقام لحركة تحرير فلسطين في مهرجان سينمائي دولي بعد البرنامج الذي أقيم في مهرجان دمشق الدولي الاول لسينما الشباب في ابريل الماضي .

ولا شك أن أهم هذه الافلام ان لم يكن أهم فيلم أنتج عن القضية الفلسطينية على الاطلاق هو الفيلم الايطالي « الفتح » الذي يشرح في نحو ساعتين تطورات القضية تاريخيا ، ثم ينتهي من ذلك ليقدم واقع حياة الفلسطينيين اليوم ، ثم كيف نشأت الثورة الفلسطينية ، والدور الذي تقوم به مؤسساتها المختلفة العسكرية والاجتماعية والثقافية والصحية .

ان هذا الفيلم العظيم الذي يتضمن وثائق سينمائية لم تعرض من قبل على الشاشة ، والذي اقترب صانعوه من الجماهير الفلسطينية كما لم يقترب منهم احد من قبل ، لا يفترض في متفرجه معرفة أي شيء عن القضية الفلسطينية وهذا هو الأساس الصحيح الذي يجب أن تقوم عليه الافلام الفلسطينية في مواجهة اقذر حملات الصمت المفروضة على هذه القضية على نحو يندر أن نجد مثيلا له في التاريخ .

وللفيلم الفرنسي « فلسطين ستنتصر » أهميته في التعريض بابعاد القضية الفلسطينية أيضا ، ولكنه باستخدام الشعر وتركيزه على الالام الى درجة تدعو الى البكاء ، لا الى الثورة ، لايحقق الهدف الذي ينشده كاملا ، ولكنه على أية حال يظل أفضل كثيرا من الافلام العربية التي تناولت القضية .

امنا افلام الجبهة الشعبية فقد كانت بمستواها الفني المتهافت ، تضعف من الموضوع الذي تتناوله بتأثيرها المحدود على المتفرج، وربما لا يستثنى من ذلك غير فيلم « النهر البارد » الذي يتناول الحياة في أحد معسكرات اللاجئين ، ويعبر عن مشكلة نقص المياه في ذلك المعسكر المعروف باسم « النهر البارد » .

وتتفوق وحدة [أفلام فلسطين] التابعة لمنظمة فتح ، اذ تقدم في فيلم « بالروح بالدم » وثيقة هامة عن مذابح سبتمبر ١٩٧٠ في الاردن ، كما تقدم في فيلم « المرقوب » وثيقة مماثلة عن المعركة التي دارت في جنوب لبنان أما فيلم « عدوان ١٦ سبتمبر على الجنوب » الذي يصور العدوان الاخير على لبنان فقد كان أقوى وأروع ختام لمهرجان قرطاج هذا العام ، اذ انتهى مخرجه مصطفى أبو على من اعداد النسخة الاولى دون صوت في ستوديوهات تونس قبل يومين من نهاية المهرجان ، وجاء عرضه في آخر أيام المهرجان حيث ساد الصمت نحو نصف ساعة على الشاشة ، وفي صالة العرض أيضا . وخلال هذا الصمت غير المقصود شاهد الحاضرون الى أي مدى وصلت وحشية الحركة الصهيونية ـ الامبريالية في محاولتها ابادة الشعب الفلسطيني ، حيث سجل مصورو [أفلام فلسطين] ضحايا العدوان من الاطفال والنساء والشيوخ الذين ظلت الطائرات الاسرائيلية تلقى عليهم قنابل النابالم الامريكية ما يقرب من أربعين ساعة ، وهم في خيامهم عزل من السلاح .



صدقي إسماعيل :
وعى المأساة وبداية التحرر

توفى فى دمشق الكاتب والمفكر السورى صدقى اسماعيل ، وهو فى الثامنة والاربعين ، على أثر نوبة قلبية حادة .

ولد صدقى اسماعيل فى انطاكية ، بلواء الاسكندرونة ، فى ١٩٢٤ ، وظل بها حتى انتزع اللواء من جسد سوريا فى ١٩٣٨ فأكمل دراسته بمدن الشام ، وحصل على ليسانس فى الفلسفة والتربية سنة ١٩٥٢ من جامعة دمشق . عمل صدقى اسماعيل بالتدريس حتى ١٩٦٧ حين اختير أمينا عاما للمجلس الاعلى للفنون والاداب ، ثم انتخب عضوا فى المكتب التنفيذى لاتحاد الكتاب العرب فى ١٩٦٩ ، ورئيسا لهذا الاتحاد فى ١٩٧٠ ، كما رأس تحرير مجلة « الموقف الادبى » التى تصدر عنه .

وقد بدأ صدقى اسماعيل حياته الثقافية فى ١٩٤٦ بكتابة المقالات السياسية والادبية فى الصحف والمجلات ، وكان واحدا ممن شاركوا فى الدعوة للفكرة العربية منذ الاربعينات ، ومن أوائل محررى جريدتى « البعث » ، و «اليقظة» المعروفتين باتجاهاهما القومى وميولهما الاشتراكية .

كان صدقى اسماعيل مفكرا اختار أكثر من شكل من أشكال الكتابة للتعبير عن فكره ، فكتب الدراسة الادبية والفكرية : « رامبو ، قصة شاعر متشرد ، منشورات الرواد ، دمشق ، ١٩٥٢ » ، « العرب وتجربة المأساة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٣ » ، كما كتب القصة القصيرة والرواية : « العصاة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٥ » ، « الله والفقر » منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق ، ١٩٧١ » .

ولعل دراسته عن رامبو ان تكون أول دراسة بالعربية عن هذا الشاعر الفذ ، المتمرد على كل شيء ، المحتقر لكل شيء ، الذى عاش كالعاصفة ، وانتهى — كشاعر — فى الثامنة عشرة من عمره حين أحس بأن طرقاته على أبواب المستحيل بلا صدى ، وأن محاولته التعبير عما لا يمكن التعبير عنه مقضى عليها بالفشل . كف رامبو عن الشعر ليبدأ حياة جديدة فى الترحال الدائم بين الشرق والغرب ، وينتهى ترحاله الى الاقامة سنوات طويلة فى الحبشة « زنجيا أبيض ، متوحشا ، رائع التمدن » على حد تعبير صديقه ورفيقه فيرلين » وتداهمه الام السرطان فيرجع لفرنسا محطم الشراع كى يموت فى السابعة والثلاثين .

كانت دراسة صدقى اسماعيل عن رامبو توقا الى الحياة والتجربة ، ورغبة فى الانطلاق نحو آفاق بعيدة لا تحدها حدود ، ويبقى أثمن ما فى هذه الدراسة متابعتها الدءوب لحياة هذا الشاعر العاصفة يوما بيوم ، وتلك النصوص الكثيرة — الشعرية والنثرية — التى ترجمت الى العربية لاول مرة .

أما رواية « العصاة » فتتخذ تاريخ سوريا منذ بدايات هذا القرن حتى منتصفه اطارا لها ، ويشير الكاتب الى أن هذا الاطار التاريخى هو « الهدف النهائى » لروايته . وقد نجح الكاتب بالفعل فى أن يقدم لنا عرضا يؤرخ وجه الحياة فى سوريا وما يموج بها من أحداث خلال فترة زمنية تناهز نصف القرن ، مستخدما عددا كبيرا من الشخصيات المتنوعة من حيث وضعها الاجتماعى — الاقتصادى واهتماماتها الثقافية والفكرية ، ومدى مساهمتها فى الحياة العامة وأحداثها الصاخبة .

ولكن .. من هم العصاة الذين يعنيهم ؟ يقول الكاتب : « كان هذا فى أعوام الاحتلال ، وكان العلم المثلث يظلل بانثناءاته المريضة كل هذا الشقاء ، ويرعى الحزن والبغضاء والسأم على نغير « الفرقة الاجنبية » يقتحم النفوس بأصدائه الجارحة كل صباح ومساء . كانت هذه النفوس من شعبين مختلفين لم تستطع مئات السنين أن تسير بهما فى طريق واحد ، لكن هذا الاختلاف لم يمنعهما من اقتسام البؤس والكآبة والاهتمام العميق بأخبار العصاة والهاربين ، وكان هؤلاء يمثلون النخبة الجزئية التى قدر لها أن تصنع شيئا يذكر ، شيئا يبعث الاثارة فى الوجدان الشعبى الذى كان ينكر الجريمة ويخشى العصيان لكنه يعجب بالعصاة والمجرمين اذا كانوا شجعانا ، ولم يكن للشجاعة الا مظهرا واحدا هو تحدى السلطة » .

من خلال آل عمران ، الاسرة الثرية العريقة فى حلب وفروعها الممتدة فى دمشق وأنطاكية واللاذقية ، وأقاربها فى حمص وحماة ودرعا ، يتابع الكاتب رسم وجه الحياة السورية منذ خلافة السلطان عبد الحميد ثم الحرب الاولى والاحتلال الفرنسى حتى الاستقلال وبداية الحياة السياسية فى دمشق بعد الحرب الثانية ، فينتهى الجزء الاول بسقوط دمشق فى أيدى الفرنسيين سنة ١٩١٨ ، ويبدأ الجزء الثانى بعدها مباشرة لينتهى بالاستقلال فى ١٩٤٦ ويتناول الجزء الثالث والاخير معترك الحياة السياسية فى دمشق عقب الاستقلال . وتنتهى الرواية وتيار الزمن متدفق لا ينقطع ، لا يتوقف لهزيمة أحد أو انتصار أحد ، وبيت آل عمران القديم يبيعه الاحفاد الذين لا يعيش الماضى بينهم الا كما يعيش حلم قديم أو رؤيا غامضة ، تنتهى الرواية والعصاة كما هم ، يثورون ، يتمردون ، يسجنون ، يطلق عليهم الرصاص فى الشوارع الرئيسية فى وضح النهار .

كان اهتمام الكاتب الاساسى موجها نحو مواكبة التاريخ السياسى للشام خلال هذه الفترة ، لذا لم يهتم كثيرا

بابراز مختلف مظاهر التغير فى الحياة الاجتماعية ، وان كان يقدم لنا تفاصيل كثيرة متناثرة عن الحياة التى تدور داخل بيوت الطبقة الوسطى فى المدن وطبقة الملاك فى الريف وتقاليد الزواج .. الخ ، غير أن الرواية لا تتعمق هذه القشرة التى تحكمها العلاقات الاسرية ، ولا تتجاوزها لتصل الى تصور عام لحركة الشعب الشاملة .

لكن رواية « العصاة » عمل جاد ومفيد وكبير ، وستبقى مرجعا يؤرخ وجه الحياة السورية من نواحيها السياسية والفكرية خلال الخمسين سنة التى انقضت منذ بداية القرن ، واذا كانت « فكرية » الكاتب — أى اهتمامه المفرط بطرح القضايا الفكرية والفلسفية ومناقشتها — قد دفعته لانه يملأ صفحات رواية بحشد كبير ، وكبير جدا ، من الشخصيات والتفاصيل والاحداث الجانبية ، فان هذه الفكرية نفسها هى أثمن ما فى روايته ، وهى التى تحول بينها وبين أن تتحول الى مسح تسجيلى للمجتمع السورى خلال هذه السنوات الخمسين .

وربما كان أهم أعمال صدقى اسماعيل على الاطلاق هو كتابه الهام « العرب وتجربة المأساة » ، ان هذا الكتاب الصغير والمركز يضم أهم الافكار التى ظلت عالقة بعقله وقلمه . انه اسهامه فى طرح ومناقشة القضية الرئيسية فى الواقع العربى : قضية التخلف . فالواقع العربى المتخلف هو نقطة البداية : « لو أتيح لمؤرخ تقليدى تعنيه مصائر الشعوب أن يتأمل الحياة المتردية التى وجد فيها العرب أنفسهم منذ بداية هذا القرن لخطر له على الفور أن خطيئة كبرى قد اقترفت فى ماضى هذا الشعب . كان من نتائجها هذا الواقع الحزين ، ولاسيما أن هذا الواقع يمتد الى عدة قرون من البؤس والفوضى والانحطاط ، لايعبر عنها انهيار الدولة وتجزئة الوطن واضطراب المجتمع فحسب ، بل انها تنطوى أيضا على أقسى صورة لتردى العقول وفساد الضمائر » .

من هذه البداية ينطلق الكاتب ليناقش قضيته الرئيسية : تجربة المأساة أوحش الفجيعة على مستوياتها الحضارية والفلسفية [التجربة الاغريقية ، المأساة المسيحية ، معنى الحرية والالتزام فى الفكر الفلسفى الحديث] وعلى مستوى الحياة اليومية [كما تتمثل فى مظاهر ثلاثة : الجسد والصراع والموت] ، ويخلص من عرضه التمهيدى الى « ان القدر الذى يحتم السقوط هو فى طبيعة العالم . الاذعان هو الجواب الوحيد الذى يحفز على الانبعاث . حزن المأساة موقف ارادى يتمثل مصير الانسانية كلها . الندم والمحرم شرطان ضروريان للحس الخلقى فى تجربة المأساة . بهذا تأخذ المأساة معناها الانسانى ، وتكون تجربتها التزاما تجاه الانسانية ، من دون ذلك يكون الموقف السطحى الزائف الذى يعمد الانسان فيه الى رفض الفاجع والفرار من الحقيقة ، ولا يملك الا التخفى بالوان كاذبة من التمرد والثورة والحنق والنزوع الى الوهم .. يكون أداة شقية فى يد القدر » .

ثم يناقش الكاتب المأساة فى الحياة العربية بادئا بالجاهلية ، فيرى أن جوهر موقف الانسان العربى فى الجاهلية هو تبنى الماضى بكل ما فيه من متناقضات لان هذا الماضى هو المقدس — المحرم وهو معصوم أبدا ، من هنا تصدر الحمية أو العصبية ، وقد تبدو عنجهية الفرد الجاهلى مظهرا لاعنف صور الحرية الفردية لكنها فى الواقع أبلغ صور الاذعان ، ففيها يتوسل الفرد بكل ما فى كيانه من عنفوان جامح كى يعبر عن استسلامه المطلق لقدر غامض لا يتبين مراميه .. « وذلك هو سر التمزق الدفين الذى يجعل للتجربة الجاهلية صيحة مزمجرة أمام المستحيل ، صيحة موتور يعرف أنه لا سبيل الى الثار ، لان الواتر هو أقدس ما لديه ، الحقيقة التى ينتمى اليها ويستمد منها كل جدارته الانسانية » .

وجاء الاسلام ليرى ان الانسان كائن مثقل بالفجوات الحزينة لان مشكلته الرئيسية هى الموت ، وحيث تعيش هذه المشكلة ينشأ الارتياب بقيمة الحياة ومعناها ، هذا الارتياب هو نقطة البداية فى حس المأساة ، فنحن لا نملك دفعا للموت ، ومن ثم فان الحياة على الارض تجربة قاسية لاسبيل الى تبريرها ، لكنها تجربة واعية لانها تتجاوز حدود واقعها الحى الى شاطىء جديد هو ما بعد الفناء .

والاذعان لهذه الضرورة الالهية هو كل جدارة الانسان ، لكنه اذعان المؤمن الذى يعى فى كل عمل انه ظل الارادة الشاملة التى تضم الكل ، لهذا فان الحق منتصر دائما ، ومن أجل هذا الانتصار يطالب الاسلام بنموذج انسانى جدير بالمشيئة التى قدرت له هذا المصير : نموذج يتجاوز الانسان الطبيعى بالتقوى والجهاد والرسالة ، بالتقوى ينتصر على الطبع وبالجهاد على العصبية وبالرسالة على عبودية القدر الطبيعى .

ثم انحسرت موجة التصميم الحر عن الحياة العربية وبدأ الانحطاط . أصبح القدر هو صورة العبث الاعمى الذى يحرض الجميع على الفرار من وجه المأساة .. « فحين تتحكم الصدفة العمياء بالمصير الانسانى يتوارى كل ما يدعو الى الالتزام ، وتتغلغل الريبة فى كل موقف حر يقتضى الوعى والتصميم » . هكذا « وسط هذا التمزق تلوح الدعائم التى يستند اليها القدر فى اقتناص المصائر : الحظ والخرافة والمعجزة والغيب .

فى هذا الاطار يناقش الكاتب عددا من التجارب : تجربة الصوفيين ، وتجربة المتنبى ، وتجربة المعرى ، وتجارب فلاسفة الاسلام : ابن سيناء والمعتزلة والاشاعرة والغزالى والفارابى واخوان الصفا ، ويرى أنها جميعا مظاهر متنوعة تخفى جوهرا واحدا هو « نزعة التخفى والرياء أمام الواقع الحى ، قدر لها أن تكون البذرة التى نمت فى عصور الانحطاط وحملت الى الاجيال التالية عقلية الارتياب بكل حقيقة ، وموقف التخلى عن جميع القيم ، وتعبيرا آخر : أخمدت كل وعى حقيقى بالمأساة » .

وفى العصر الحديث يرى صدقى اسماعيل أن وعى المأساة يحمل أبرز صورة لما ينطوى عليه الفكر من مظاهر السلبية والتناقض والاضطراب ، فى حين يقدم الواقع وحده مواقف الايجابية والمبادهة والتصميم .. « وتلك هى الظاهرة الغريبة فى مأساة الحياة العربية المعاصرة : ان هوة سحيقة تفصل بين ما يحياه الناس فى الواقع من تجارب التمزق الفاجع وبين ما يتراءى للفكر من تصورات شتى لقضايا هذا الواقع .. » ، لهذا .. كان الفكر العربى المعاصر مسرحا للمديد من الاوهام تعزله من كل وعى جدى بحقيقته الانسانية . من هذه الاوهام أحصى الكاتب أوهاما خمسة : وهم الحقيقة .. « ان الحياد الذى تتذرع به الموضوعية هنا ليس سوى تبرير للتخلى والفرار ، ذلك أن الموضوعية لا تنسحب على الواقع الحى الا حين تلتزم هذا الواقع بجميع مبرراته ومتناقضاته كى تحدد الشروط الممكنة لبناء الحياة الجديدة .. » ، ووهم الاستقرار ، حين تميل النظرة التقليدية الى اعتبار الحياة العربية ذات بنيان سوى تترابط فيه الوظائف الاجتماعية ، بل وتغالى هذه النظرة ، فتنسب اليه سمات خاصة [مثال : روحانية الشرق فى مقابل مادية الغرب] ، والحقيقة أنه لا وجود لمثل هذه القواعد على الاطلاق كما تشير النظرة الصادقة الى الواقع . الوهم الثالث هو وهم الثورة : ان شعار الثورة فى الواقع العربى المعاصر [١٩٦٣] هو فى معظم الاحيان وسيلة لتملق الجماهير أو لاستغلالها ، والتعبير الوحيد الصحيح عن الموقف الثورى هو الالتزام الخلقى الصارم .. « ولا سبيل لمثل هذا الالتزام الا اذا كان هناك وعى شامل للصورة

التى يمكن أن يكون عليها الواقع كى يوفر للارادة الانسانية أن تصنع الحياة الجديدة .. » ، ثم وهــم الفردية ، والحقيقة أن كل موقف سلبى من الواقع تمليه الروح الفردية فى الظاهر هو نوع من الرياء والتخفى ، يحاول به الانتسان أن يتنصل من كل مسئولية جدية يمكن أن يفرضها عليه الاذعان للمأساة .. « وهذا ما يضع على وجه المرتزق قناع المغامر الجرىء ، ويلبس الانتهازى رداء المتحرر أو ثياب التقوى ويضع سـيف البطولة فى أيدى اللصوص والمستبدين »، عن هذا الوهم يصدر الوهم الخـامس والاخير : وهم الذاتية ، لكن الذاتية ، بمعناها الصـحيح ، هى تعبير عـن استقلال الشخصية ووعيها الكامل لحريتها ، ولكى يتاح للمرء مثل هـذا الاستقلال والوعى لابد أن يتوافر الحد الادنى من الشعور بالحقيقة الانسانية التى تنطوى عليها شخصيته ، هـذه الحقيقة فى طبيعتها عنصر غير ذاتى ، وحين يحياها الفرد فهو يتحرر من كيانه الذاتى ليندمج فى كيان الكل ، ومن ثم فهو يلتزم التزاما صارما بمصير الجميع.

ويبقى هذا الكتاب الهام ، الموجـز النفاذ والجرىء ، اضافة حقيقية للفكر العربى المعاصر ، ودعوة حارة لطـرح الاوهام والبدء بالواقع المتخلف نفسه ، من أجل تغييره لواقع أفضل .. وهذا جوهر ما توترت له حياة صدقى اسماعيل القصـيرة . وهو ما يعطيها الهـدف والمعنى

●●●

المهرجان الدولى الرابع للأيام السينمائية بقرطاج

انعقـــــد فى الفترة من ٣٠ سبتمبر الى ١٧ اكتوبر المــاضى المهرجان الدولى الرابـــع للايام السينمائية بقرطاج الذى يقــام فى العاصمة التونسية كل عامين والذى يخصص مسابقته للافلام العربية والافريقية فقط .

واشتركت فى مسابقة الافلام الطويلة ١٣ دولة بـ ١٥ فيلما : منها ٧ دول عربية بـ ٩ افلام ، و ٦ دول افريقية بـ ٦ افــــلام على النحو التالى :

تونس : فى بلاد الطررنى اخــراج حمودة بن حليه والهادى بن خليفة وفريد بو جدير

وغدا اخراج ابراهيم باباى

مصر : ليل وقضبان اخراج اشرف فهمى

شىء فى صدرى اخراج كمال الشيخ

الجزائر: الفحام اخراج محمد بوعمارى

الكويت : بس يابحر اخراج خـالد الصديق

لبنان : القدر اخراج منير معاصرى

سوريا : المخدوعون اخراج توفيـق صالح

المغرب : الف يد ويد اخراج سهيل بن بركة

الكونجو : صامبزنجا اخراج سارة مالدرو .

الجابون : سكتت الطبول اخراج فيليب مورى

غانا : هذا ما يسمونه الحب اخراج كنج امباو

غينيا : ويضىء الليـل اخراج أفلام سيللى

السنغال : لاميای اخراج محمـــد جونسون تراورى

نيجيريا : نيجيريا واحده اخراج هنرى هارفى

أما فى مسابقة الافلام القصيرة فقـد اشتركت ١٥ دولة بـــ ٢٢ فيلما منهــا ٤ دول عربية ثلاثة منها اشتركت بأفلام طويلة بـــ ٧ أفلام و ١١ دولة أفريقيـة اربعة منها اشتركت بأفلام طويلة بـــ ١٥ فيلما على النحو التالى :

العراق : العودة الى الارض اخراج عباس الشلاه

حصاد الاجيال اخراج فيكتور حداد

مصر : صلاة من وحى مصر العتيقة اخراج نبيهة لطفى

وصف مصر اخراج عبدالقادر التلمسانى

تونس : تريثى قرية من بين القــرى اخراج الطيب الوحيشى

غار الملح اخراج هشام الجربى

لبنان : فى مهب الريــاح اخـــراج جاك مدنو

الكاميرون : المغات اخــراج موسى زى لوكور

الكينونة والصيرورة اخراج دانييل كمفا

النيجر : الحاج المتعدد الزوجات اخراج عمر جاندا

نجاى ماى تابر اخراج يايا كسوكو

زايير : الكوخ المحترق اخراج مولبا مبوى ياماتو

موسيكا اخراج كوامى مبو ــ زنثا

السنغال : ريوتاخ اخراج محمــد جونسون تراورى

واتع اخراج تيديان أوو ماى ، خمسة أيام من حياة اخراج سليمان سيسى

ساحل العاج : أمانى اخــراج ثوان بيالا

داهومى : صمت وحريق فى البادية اخراج ريشار بيبى دى ميدا بروس

تشاد : التعرف على تشـاد اخراج ادوار سالى

الكونجو : نزومبا ــ نكونكو اخــراج جيروم نتسيلا

غانا : مناورات اخفاء اخراج كوات نى أود

غينيا : هيرد ياما اخــراج موسى كيموكو دياكيتى

كما عرض خارج المسابقة نحو مائة فيلم من عديد من دول العالم من أهمها الفيلم البريطانى « حياة عائلية » اخراج كين لوشى ، والفيلم الايطالى « قضية ماتيه » اخــراج فرانشسكو روس ، والفيلم الفرنسى «كل شيء على ما يرام» اخراج جان‌لوك‌جودار ، والفيلم البلجيكى « موعد فى براى » اخراج أندريه‌ديلفو، والفيلم الايطالى « ساكو وفانزيتى » اخراج جوليانو مونتالدو ، والفيــلم اليوغسلافى « الاســتاذ والمرجــريت » اخراج الكسندر بيترو فيتش ، والفيلم المجرى « أفق » اخراج بال جابور ، والفيلم البولندى « غابة البتولا » اخراج أندريه فايدا ، والفيلم السورى « طائر القرية » اخــراج جان لطفى ، والفيلم السنغالى « امتيار » اخــراج عثمان سمبينا .

وقد تكونت لجنة تحكيم المهرجــان من أحمد حسين مدير السينماتيك الجزائرى رئيسا والطاهر الشريعة أمين عــام المهرجان سكرتيرا وعضوية كل مــن لوسيان خورى مديرة مركز التنسيق العربى للسينما والتليفزيون والكاتب النيجيرى أولا بالجون والناقد الكندى أندريه باكى وليونيد أوكان المخرج من جنوب افريقيا وفيما يلى نتائج المهرجان :

أولا : الافلام الطويلة :

الطانيت الذهبى : مناصفة بين الفيلم السورى « المخــدوعون » والفيلم الكونجولى « صامبزنجا » .

الطانيت الفضى : الفيلم الجــزائرى « الفحام » .

الطانيت البرونزى : مشاركة بين الفيلم التونسى « وغدا »
والفيلم السنغالى « لامباى »
والفيلم الكويتى « بس يا بحر »

ثانيا : الافلام القصيرة :

الطانيت الذهبى : الفيــلم التونسى « قريتى قرية من بين القرى »

الطانيت الفضى : لفيلم « أمسانى » من ساحل العاج

الطانيت البرونزى : مشــاركة بــين الفيلم اللبنانى « فى مهب الرياح » والفيلم المالى « خمسة أيام من حياة» والفيلم الكاميرونى « المغات » .



انعقدت على هامش مهرجان قرطاج الجمعية العموميــة الثانية لاتحــاد السينمائيين الافريقــيين ، وقد قــررت توجيه نداء الى كافة مخرجى القارة لصنع الافــلام حــول حركات التحرر الوطنى فيها، والمؤتمــــــر الاول لنوادى السينما العربية والافريقيــة الذى أثمر عن توقيع اتفاقية بين تونس والمغرب والجزائر وسوريا ومصر ولبنان وفولتا العليــا لتبــــادل الافلام والمطبوعات والزيارات ، كما انعقد المؤتمر العام الثــانى لنقاد السينما العــرب الذى اشترك فيه نقادا من تونس ومصروسوريا ولبنان والجزائر . كان المؤتمر الاول لنقاد السينما العرب قد انعقــد على هامش مهرجان دمشق فى ابريل ، واشترك فيــه نقــادا مــن مصر وسوريا وتونس ولبنان ، وقد وافق المؤتمر على انشــاء اتحاد لنقاد السينما العرب ، ووضع مشروعا للائحه الاتحــاد . وانتخب مجلسا مؤقتا له ، على أن يتم اقرار اللائحة ، وانتخــاب أول مجلس دائم للاتحاد فى المؤتمر الثــانى على هامش مهرجان قرطاج، حتى تتاح الفرصة لاكبر عدد من نقــــاد المغرب العربى لمناقشة مشروع اللائحــة ، والتصويت فى أول مجلس للاتحاد .

وقد وافق المؤتمر الثانى على اللائحة بعد عدة تعديلات هى أن يصبح الاتحاد أهليا لا يتبع حكومة من الحكومات العربية ، وأن يكون هدفه الاول انشاء اتحادات للنقاد فى الدول العربيــة ، وأن تقتصر العضوية فيــه على الافراد لا الاتحادات ، وأن يخفض الاشــتراك السنوى من ستة جنيهات الى ثلاثة جنيهات .

كما الغى المؤتمر الثــانى العضــوية المنتســــبة ، والعضوية الشرفية ، وجعل قيادة الاتحاد على شــكل أمانة عامة يرأسـها أمـين عام بدلا من مجلس ادارة ، ورئيس مجلس ادارة . ويتم انتخاب الامانة العامة والامين العام فى الجمعية العمومية كل عامين على أن تمثل فيها كافة الجنسيـات العــربية المشـتركة فى الاتحــاد ، وفيما يلى أعضاء أول أمانة عامة لاتحاد نقاد السـينما العرب :

الامين العام (وليد شميط من لبنان) وعضوية كل من سمير فــريد (مصر) ــ خليفة الشاطر (تونس) ــ سمير نصرى (لبنــان) ــ صلاح ذهنى (سوريا) ــ مصطفى بوريف (الجزائر) .

حوار حول المسرح الاشتراكي

النهامي حسن

عشت تجربة عملية مع المسرح الاشتراكى فى مدينة « هالة » بجمهورية المانيا الديمقراطية . ولقد بهرنى المسرح الالمانى بنظامه واقبال الجمهور عليه واسلوب العمل والتخطيط السليم للفرق الكثيرة المنتشرة فى مقاطعات المانيا — «١٥ مقاطعة» داخل خطة شاملة للمسرح فكل مقاطعة مسئولة عن الفرق والمسارح التى بها فى اطار تخطيط عام للمسرح حددته الدولة . وفى آخر احصائيةلتعداد السكان « حوالى ١٧ مليون نسمة » فى ١٠ آلاف مدينة وقرية بها حوالى ١٥٥ مسرحا ، ٥٠٠ر١ مسرح قصر ثقافة ، ٩٥ فرقة مسرحية كبيرة. أما متوسط زوار المسارح سنويا فهو حوالى ٥ر١٢ مليون متفرج ، وذلك بالرغم من أن النهضة المسرحية فى جمهورية المانيا الديمقراطية لم تبدأ الا بعد الحرب العالمية الثانية مما يدل على التقدم السريع للمسرح فى فترة وجيزة .

وقد أجريت حوارا مع شخصية فنية مسرحية معروفة فى الحقل المسرحى وهو « جيرار ولفروم » مدير فرقة هالة واحد الموجهين السياسيين للفن فى جمهورية المانيا . وحاليا اصبح مسئولا عن فرقة « المسرح الألمانى » وهى الفرقة الرسمية الاولى لجمهورية المانيا الديمقراطية .

وقد تمت المقابلة مع جيرار ولفروم فى مكتبه وكان يرافقنى تيوهايدا « مسئول العلاقات العامة واستاذ بمعهد العلوم المسرحية فىبرلين» ودار بيننا الحديثعن المسرح الاشتراكى فى جمهورية المانيا الديمقراطية .. وكان سؤالى الاول الى « ولفروم » : اريد ان اعرف مفهومك عن المسرح الاشتراكى ؟ واجاب :

● سأجعل اجابتى فى صميم الموضوع كسؤالك .. فباختصار وببساطة،مفهومى للمسرح الاشتراكى يتلخص فى كلمتين « قطاع خدمات » فالمسرح فى الدول الاشتراكية يعتبر قطاع خدمات بعكس المسرح فى الدول الاخرى يعتبر قطاع انتاج ... وقطاع الخدمات يختلف اختلافا كبيرا عن قطاع الإنتاج . فقطاع الانتاج له عائد مادى .. اما قطاع الخدمات فعائده فكرى،وبالنسبة للبلاد الاشتراكية فان العائد الفكرى يساوى العائد المادى ان لم يكن يزيد فكلاهما « دخل » تثرى به الدولة .

قلت : اريد ان اعرف الخطوات التى تتبع ليصبح المسرح قطاع خدمات ؟

قال : ان يكون لخدمة المجتمع .. لخدمة جميع افراد الشعب ... يجب ان يصل المسرح الى كل فرد من افراد المجتمع ... فى اى مكان ... فالمسرح ليس لفئة خاصة ولا لمكان خاص ... فالمسرح للجميع فى كل مكان فهو احدى الخدمات التى تقدمها الدولة فى البلاد الاشتراكية . واذا استطعنا أن نجعل المسرح فى كلمكان حتى يراه كل انسان نكون حددنا الاطار الذى يجعل المسرح قطاع خدمات .

● ماهو نوع المسرحيات التى يقدمها المسرح الاشتراكى لجذب الجمهور ؟

— كل الانواع ... نحن نقدم هنا جميع الانواع والالوان من المسرحيات التمثيلية ... الاوبرا .. الاوبريت .. المسرحيات الغنائية .. الباليه .. الحفلات الموسيقية ... باختصار كل انواع العروض .

قلت : ان الجمهور فى بعض الاحيان وفى بعض البلاد يحب نوعا معينا من المسرحيات ؟

قال : فهمت ماذا تقصد ... ان الجمهور هوالجمهور فىكل مكان وكلزمان .. وللاجابة على سؤالك اقول نحن نقدم له كل ما يريد ... وفى نفس الوقت نقدم له كل مانريد . وبهذه الطريقة نستطيع ان نجذب الجمهور الى المسرح ليرى مايريده وبذلك يتعود الجمهور على الذهاب الى المسرح فيرى مانريده ان يراه وهكذا تصبح المعادلةبينالجمهور والمسرح متساوية وتكون النتيجة هو اقبال الجمهور على المسرح وهذه هى الخطوة الاولى لنجاح اى مسرح .

وهنا تدخل « هايدا » فى الحديث قائلا :

— وتأكيدا لكلام (ولفروم) تقدم فرقة هالة بناء على رغبة الجمهور مسرحيتى « هالو دوللى » و « سيدتى الجميلة » وكما تعلم انهما مسرحيات امريكية . ولكى تقدمها هنا يجب أن ندفع حقوق التأليف وهو ٢٠٪ من دخل كل حفلة بالعملة الصعبة الى الامريكان ونحن احوج الى كل مارك من العملة الصعبة لبناء مجتمعنا .. وفى نفس الوقت نعلم جيدا ان المسرح جزء من بناء المجتمع . وهذه المسرحيات ومسرحيات اخرى من نوعها تقدم فى معظم مسارحنا فى المقاطعات المختلفة فى كل عام وندفع بالعملة الصعبة حقوق عرضها كل ليلة .. كل هذا لسبب بسيط جدا وهو اننا اذا استطعنا ان نقدم للشعب مايريده نستطيع فى نفس الوقت أن نقدم له ما نريده ، ويجب أن تعلم أن المسرح أساسا فنا جماهيريا .

— سألت [ولفروم] : هل توجد وسائل اخرى لترغيب الجمهور لدخول المسارح ؟

واجاب : هناك وسائل كثيرة منها اننا نعطى الطلبة تخفيضا فى ثمن التذكرة يصل الى النصف .. كما نعطى تخفيضا يوازى هذا التخفيض للمجاميع من العمال والهيئات المختلفة كما توجد تخفيضات لافراد الشعب العادى الذين يحضرون جميع المسرحيات التى تقدمها الفرق سنويا أما الذين يتعدون سن المعاش فكما تعلم لهم مميزات كثيرة من الدولة فى جميع مجالات الخدمات كذلك فى المسرح يصل ثمن تذكرة المسرح بالنسبة لهم الى اقل من ربع السعرالعادي،وكما تعلم أن اغلى تذكرةفىالمسرححوالى١٥ مارك[٥٠٠ قرشا] وارخص تذكرة حوالى ٢ مارك .. كما ان الفرقة لاتكتفى بحضور الجمهور اليها بل تنتقل اليهم .. فتذهب الفرق وتقدم عروضها المختلفة فى اماكن التجمعات السكنية البعيدة عن المسرح وفى مصانع العمال فى اماكن تجمعهم .. هناكوسائل كثيرة لجذب الجمهور الى المسرح ولكن الاهم فى الموضوع انه يجب ان نجد الوسائل التى نحافظ بها على اقبال الجمهور وفى نفس الوقت نحاول ان نجعل هذا الاقبال يتزايد .

● من هذا الكلام يتضح لى ان الدولة تتحمل كثيرا من نفقات المسرح .

— ان المسرح قطاع خدمات ولذلك تدفع الدولة حوالى ٥ ماركات فى سبيل ان تحصل من الجمهور على مارك واحد . ولناخذ مثالا :فرقة هالةوهو نموذجلباقى المسارح المختلفة فى المقاطعات الاخرى

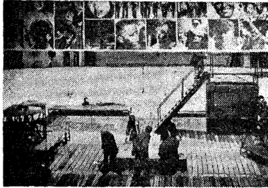
فالمسرح مع الاقبال الكبير الذى تشاهده كل يوم لايتعدى دخله السنوى عن مليون مارك فى حين ان المصاريف السنوية حوالى ٥ ملايين مارك ، وبحسبة بسيطة نعلم أن الدولة تدفع لفرقة هالة سنويا حوالى ٤ مليون مارك .

وقد لاحظ الدهشة ترتسم على وجهى فعلق :

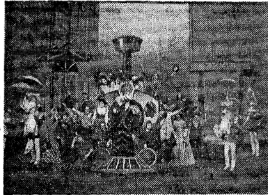
— لا تنسى أن فرقة هالة واحدة من ٩٥ فرقة فى جمهورية المانيا الديمقراطية وأن جميع الفرق تابعة للدولة .. أظن بحسبة بسيطة تعرف كم تتحمل الدولة وكم تدفعه لقطاع المسرح .

هذه بعض الاراء التى قالها [جيرار ولفروم] من عدة آراء كثيرة فى مفهوم المسرح الاشتراكى . واستكملت الحديث بعد ذلك مع [تيوهايدا] لمعرفة المزيد عن المسرح الاشتراكى . .

قال : ان المسرح عمل جماعى لايعتمد على الفردية .. ففى المسرح تتلاقى جميع الفنون من تمثيل .. غناء .. رقص .. موسيقى .. رسم .. الخ . كما يعمل فى المسرح جميع الفنانين والفنيين المخرجين .. الممثلين .. الرسامين .. العمال .. الاداريين . الخ . كل هؤلاء يقدمون عملا متكاملا . وبذلك يتلاشى الجميع خلف العمل الذى يقدم .. فالمهم هو العمل فلا فرق بين مخرج وممثل .. وبين ممثل وآخر .. ولابين مهندس ديكور وعامل .. الخ . فالكل فى المسرح عمال مسرحيون لكل منهم عمله الذى يتقنه ولا يتعداه .. فهنا المسرح الالمانى يمتاز بالعمل الجماعى والتخصص ... انه لا يوجد فى الفرقة بطل لتمثيل أدوار البطولة وممثلين لتمثيل الادوار الثانوية فالشخص الذى يقوم ببطولة مسرحية يلعب دورا ثانويا فى المسرحية التالية .. وبذلك يصبح كل الممثلين نجوما وأبطالا فى نفس الوقت . فالمسرح الاشتراكى أساسا يعتمد على مجموعة الممثلين وليس على ممثل . وتلاحظ ذلك فى جميع اعلانات الفرق المختلفة . لا ذكر لاسماء الممثلين . فان الجمهور لا يقبل على المسرح للاسماء . ولكن للاعمال التى تقدم .. فمسرح البطل ليس له وجود فى جمهورية المانيا الديمقراطية .. فالممثلون جميعا يكونون فريقا متكاملا يعتمد كل منهم على الاخر مهما اختلفت أجورهم التى تتراوح بين ٤٥٠ ماركا [٤٥ جنيها] الى [٨٠٠ مارك] شهريا بالنسبة للعاملين فى المسرح هذا بخلاف العلاوات الشهرية التى تمنحها الفرقة للممتازين فى المسرح والجوائز التى تمنحها الدولة سنويا نظير خدماتهم فى الفن المسرحى وهى جوائز تقديرية ومادية تمنح لكل من يعمل فى الفن .



مشهد من مسرحية الحفيفى لمكسيم جوركى التى قدمتها الفرقة من اخراج « شونهان »



مشهد من مسرحية « هالو دوللى » الاستعراضية الامريكية التى قدمتها فرقة « هالة »

واستطرد هايدا قائلا :

ان نظام العمل فى الفرقة مستمر ٦ أيام اسبوعيا طول العام ماعدا شهر تقريبا اجازة سنوية لراحة العاملين وتخطيط واستعداد للموسم الجديد .. ويقدم المسرح كل ليلة مسرحية تختلف عن مسرحية الليلة السابقة وبذلك يجسد جميع العاملين فى المسرح أنفسهم تقريبا يعملون أغلب الايام أما فى العرض مساء أو فى البروفات نهارا .

فسألته : كيف يوفق ممثل المسرح بين عمله فى المسرح والاعمال الفنية الاخرى كالسينما والاذاعة والتليفزيون .

وأجاب : ان الممثل الذى يعمل فى المسرح يجب عليه أولا أن يحافظ على عمله فى المسرح .. مواعيد البروفات .. مواعيد العروض حسب الجدول الزمنى المحدد شهريا للعروض والبروفات طبقا للخطة الموضوعة فى أول العام ثم بعد ذلك له الحرية فى استغلال وقت فراغه .

● بهذه الطريقة لا يوجد له فراغ .

— انها مشكلته هو وليست مشكلتنا .. المهم أن لا يتأخر عن مواعيد المسرح .. كما احب ان اخبرك أن الذى يعمل فى المسرح لا يستطيع أن يعمل خارج المسرح الا بتصريح كتابى من رئيس الفرقة على شرط أن يكون فى أوقات فراغه ويحدد فى هذا التصريح الايام والمواعيد التى يعمل بها .. وهذا أيضا بالنسبة للذين يعملون فى المجالات الفنية الاخرى كالسينما والتليفزيون والاذاعة .. فلا يعمل أى شخص فى عمل آخر الا بتصريح كتابى .

قلت : لو فرض أن ممثلا تأخر عن البروفة أو عن العرض المسرحى .

قال : قبل أن يتأخر يتصل بطبيب الفرقة الذى يخبر الفرقة بالمدة التى سيحتاجها للعلاج والراحة . وعلى هذا الاساس تقوم الفرقة بتغيير البرنامج طبقا لهذه الظروف .

● لا اقصد غيابا بسبب المرض .. أقصد بسبب عمله فى السينما أو الاذاعة أو التليفزيون .

— ليس عندى اجابة على هذا السؤال لان هذا لا يحدث عندنا .

قلت : لو فرض وحدث ما هى الاجابة

قال : انا نفسى لا أعرف الاجابة .. على العموم لو حدث سأخبرك ..

قصة قصيرة

البحث عن قط سيامى

محمود حنفى

قال — عندما سئل عن سر اختفائه — انه قضى الاسبوع المنصرم كله مشغولا بالبحث عن قط سيامى . وعندما ضج الضحك من حوله تساءل محتجا :

— ألم يحدث أن اهتم أحدكم بالبحث عن قط سيامى ؟ ؟

وبالرغم مما تضمنه التساؤل من قيمة هزلية ، فلقد استوقفنى حقيقة، بل ودفع بأحدنا لان يتساءل مهتما :

— ولماذا قط سيامى ؟؟

— — لانى — ببساطة — كنت مهتما بالحصول على قط سيامى ..

حينئذ نضب معين التعليقات الهازلة فجأة . واستحكم من حولنا صمت قصير غريب ..

— اذن ، دعنا نسمع الحكاية ..

— على شرط ألا تسخروا ..

— على شرط ألا نسخر ..

— أقول لكم أولا كيف بدأت عملية البحث ..

بدأ يحكى حكايته بعد أن نجح فى سلب النظر والانتباه .

وتوقفت الحركة أو كادت من حوله على حين تقزت فوق الوجوه علامات التوقع والانتظار . وعلى المائدة تناثرت فتات الخبز وأشلاء المأكولات وكئوس فرغت الا من الثمالة . وبدأ أن مسرح الجلسة الهزلى قد تأهب لاستقبال نمرة جديدة ..

[وهكذا ينسحب النهار كله يا أخى خاويا الا من تفاهات تعودتها . أكدح بلا ثمن ، أتصارع بلا حماس، أشقى بلا قيمة . وها هو الليل الذى كان فى الماضى عطوفا غنيا خلاقا ، يشهر افلاسه أمام الجميع ..

— لا تقلق رؤوسنا ألله لايسيئك . ليس هذا زمن العواطف والبكائيات .

وهنيئا لهم نضوجى واشتداد ساعدى . اليوم أعرف كيف أشارك الكبار لعبتهم . أحمل جواز مرورى الى عالمهم السعيد : أضحك ملء شدقى على موائدهم المكتظة بالسخافات .

تعلمت كيف أطرح هموم العالم جانبا ، اذ لا جدوى ولا خلاص] .

— ولكن ، هل كنت تعرف شكل القط السيامى ؟؟

— عمرى ما رأيته ..

— كان ثمة احتمال اذن لان تقع فى أيدى النصابين ..

— صحيح . لولا أن اصرارى على العثور على القط كان جنونيا ، ولو كنت قابلت أحدا منكم وقتها لما ترددت على الفور فى مفاتحته بما يشغلنى ، ولطلبت منه بالحاح مساعدتى ..

— أكان القط مهما بالنسبة لك الى هذا الحد ؟؟

— باه . ليتكم تدركون ..

[وقلت لها :

— أريد عالما نظيفا : بلا جوع ، بلا حقد ، بلا قتل ..

وكانت تدرك اصرارى وتباركه ..

— لن تكون وحيدا أبدا ..

يا له من اصرار فارغ أحمق . الان يعلن الجميع أننى كنت مجنونا أبله تافها ..

— لو أنك كنت جادا حقا ، مؤمنا ، لحققت شيئا ..

انك حتى لم تحقق النجاح الشخصى .

ولقد تساءلت عن هؤلاء الذين ماتوا فى الظل ، فقيل لى يومها أن البطولة ثوب لم يعد يناسب قامة انسان هذا العصر وان النضال قد اتخذ أشكالا جديدة وأنه من الضرورى أن أهتم بأمورى الخاصة كأساس للاهتمام بالعموميات . وبدأت منذ ذلك الحين أفقد السيطرة على أفكارى وأتحلل شيئا فشيئا ، وراح عقلى يتقلب من التيبس الى السيولة بلا ضابط يحكمه . غير أنى لم أستشعر آلام تهتك البكارة الا حينما لفحنى سعير الجحيم ..

— آسفة . لقد ارتبطت برجل آخر ، أرجو أن تقدر ظروفى .

وبوسعى أن أقول أنى لست قوية بالقدر الذى يتيح لى الاستمرار معك أريد أن أكون كما انا عادية وبسيطة ..

استخدمت ذكاءها واستعارت شجاعة لئيمة لتتخلص منى . والحقيقة التى صحوت عليها فجأة يا أخى ، أننا منبوذون لاننا كسالى لا نملك غير مرتب الثلاثين يوما بلا احتيال أو أجور اضافية أو السفر الى الخارج والاتجار بالمهربات . ما أشق تجربة السقوط] ..

— هه . وبعد ..

— ما أن سمعت كلماته حتى تشبثت به كالغريق . اليوم ، وبلا أى تأخير ..

— ووافق ؟؟

— وهل كنت أتركه يمانع ؟؟

— ووجدت القط حقيقة ؟؟

— بل وجدت اثنين ..

— سبحان الله ..

— كانت مغامرة : منذ لحظة اقتحام البيت ، حتى لحظة المساومة ..

— هل ساوموك .. ؟

— لم أنجح فى اخفاء لهفتى ، فاستغلت كنقطة ضعف فى موقفى ..

[وليس خافيا عليك يا أخى أن الحصاد كان خيبة من كل الوجوه . انفثأت الاحلام ، ومات الحب ، وتخلخلت الارادة والرغبة فى أى شىء ولعلك تعلم كم جاهدت لكى أنهض اثر كل كبوة ، حتى انخلعت عنى ساقاى ، وانغرست بجماعى فى الوحل ، أتحمل ضربات النعال فوق رأسى . أصرخ حينا ، وأضحك



معظم الاحيان .. وما لها من هزلية خرافية ..

غير أن الامور لم تستقر لى أبداً .. عندما سقطت بين أيديهم ، عاملونى بحذر رغم ترحيبهم بى ، وكان لابد أن أفهم تلك الحقيقة الغريبة : اننى لست غريبا عليهم ومع ذلك فانى لست منهم] ..

— وكم دفعت فيه .. ؟

— ستة جنيهات .. كانت كل ما فى جيبى ..

[اننى لا أنسى كيف كانت أمنا المريضة التى انكسر عودها من السهر علينا وزعايتنا ، تمطرنا بالدعوات كلما كنا نتذكر ونشط ضياعنا ، كم تعانى من التقشف ، بل العسوز ، فندس بين أصابعها بورقة الجنيه ، غاية ما نستطيع أن نقدمه لهـا بعد عمر طويل من التضحية والشقاء يا لها من مكافأة مجزية . كما لا أنسى خطابك الذى قلت فيه أن بند الغذاء قد هبط الى أسفل قائمة الحساب الختامى للمرتب ، بعد سداد أجرة المسكن والكهرباء والمياه وقسط الملابس وحساب السجائر والمشروبات وأن الانيميا التى خربت أجسادنا بدأت تزحف نحو العقول] .

تراجعت الرؤوس الى الخلف وتنفست الصدور . وكانت الكئوس قد خلت حتى من الثمالة . وعاد الصمت من جديد يلف المكان .

فجأة سمعناه يقول :

— لم يبق الا أن أصرح لكم بما وراء كل هذا الاهتمام بالقط السيامى ..

اشتعل الانتباه من جديد وتحركت الاجساد حركة غير منتظمة ..

— صحيح . انت لم تقل .. لماذا ؟؟

— السبب فى غاية التفاهة ...

— بل قله ..

— ستضحكون ..

— لا بد أن تقول ..

— سمعتها مرة تقول لى — ونحن فى جلسة شاعرية أنها تحب القطط السيامية ..

وانفجرت الضحكات .

[ترى هل حدثتك عن ذلك الصديق المتزوج الذى مل زوجته فلجأ الى مجلات الجنس السويدية يشبع من خلالها غريزته ؟؟

نكتة .. أليس كذلك ؟؟]

وقال واحد منا :

— فى المرة القادمة ستحدثك عن عشقها للافيال ..

وتوالت التعقيبات ..

— وتصوروا شكله وهو يحمل القط السيامى ويقدمه لها ..

— بل حاولوا أن تتصوروه وهو يتسحب الفيل ..

وأخيراً تثاءب واحدنا فتأهبنا للانصراف وأخذ الجمع يتجزأ .. وفى طريق العودة كان معى رفيق سمعته يغمغم :

— أشعر بالقرف ..

— لماذا ؟؟

— لا أدرى ..

وفكرت فى الصباح ، والمواصلات والعمل ، وأشياء كثيرة أخرى .. قلت :

— معك حق ..

ولكنى كنت متوترا ، أكاد اختنق ، أحبس صرخات اخشى أن يفضحنى دويها . ومن النشرة الختامية للاذاعة سمعت أخبار غزو لاوس واصطدام الازمة السياسية بالطريق المسدود ..

مزيد من البيان

الحسانى حسن عبد الله

الواقع الصالح للحياة هو الواقع الشاعر بذاته ، المتسائل عن غايته ، لان الحياة شعور قوى وحركة بصيرة .

فاذا افتقرت الاشياء الى معنى فوجودها فى هذه الحال ضرب من وجود المادة الصماء ، وما هو لاحق بالمادة الصماء .

وهذه الحال حالنا — مع الاسف المخزى — منذ زمن ليس بالقصير ، فى تاريخ الافراد وتاريخ الامم . دعاوى بغير أدلة ، أو بأدلة لا تثبت لادنى تمحيص .

فكان ما كان . ولا خلاص لنا الان الا بمراجعات ومراجعات يحفزها مقت الركود ومقت التشابه والتردى .

كان البيان الذى قدمت به ديوانى « مقت سكون النار » احدى هذه المراجعات المطلوبة . قلت لاصحاب الشعر الحر هاتوا برهانكم ، فطلب عادل فى شئون الفكر فى كل صغيرة وكبيرة منها حتى لو كانت الفكرة ابنة ساعتها ، لان فكرا لا يعنيه المنطق هو بلا ريب خبل مطبق ، أو استبداد مطبق ، أو غباء مطبق ، أو مزيج من هذه الثلاثة أو من بعضها ، فما بالك بعد خمس وعشرين سنة من ولادة هذه الظاهرة التى حار الناس فى اختصاصها بعنوان ؟ وهو زمن كاف لمن يريد الاشراف على الماضى وتأمل الحاضر واستطلاع المستقبل سائلا : لماذا ؟ وما هذا ؟ والى أين ؟

ولما كان أصحاب الشعر الحر أناسا عقلاء مثقفين قد يظن بهم الاستبداد ولكن لايظن بهم الخبل أو الغباء فقد اجابوا .

كان من ابرز الاجوبة مزعمان أحدهما لنازك الملائكة والاخر لصلاح عبد الصبور ، عرضت لهما فى مقدمة الديوان . قالت نازك ما مؤداه أن الوزن والقافية فى الشكل التقليدى نظام يضطر الناظم للحشو أو الاقتضاب . جاءت بجمل من الشعر الحر معيبة من حيث هى ، أعنى بغض النظر عن الشكل العروضى ، فنظمتها هى مرة فى المتقارب ومرة فى الطويل فكانت فى المرتين كلاما ساقطا ، ثم استدلت بهذا السقوط على دعواها . فرأيت خطأ وصف نظام كتبت فيه الاف مؤلفة من القصائد الجيدة بالفساد استنادا الى فساد بيتين مصنوعين . وسميت هذا الخطأ سذاجة ، وسماه أستاذ من أكبر أساتذة النقد عندنا ومن أكبر المتقبلين للشعر الحر ، وهو يتصفح مقدمة الديوان فى مجلس خاص ، سخفا مصفى . أجل ، فماذا لو أحكمت صناعة الجمل المقترحة فى الشكل المتهم ؟ ورأيته عندئذ من المفيد للمناقشة ازجاء مثل من الاحكامات الممكنة . ثم قلت نصا : « وربما أتى غيرى بأجود مما صنعته . فهل نخلص من هذه الاجادة الى ابطال الاتهام للشكل القديم ؟ كلا ، هذه أيضا نتيجة غير لازمة لان الحكم على شكل غير الحكم على عبارة فيه . اذن فالمحاجة كلها غير مفضية الى شيء لانها تعلقت بعوارض الشكل لا بالشكل . » وقلت نصا فى موضع آخر : « مرة أخرى هذه محاجة فاسدة يجب الانصراف منها الى لب الدعوى لانها قائمة على خطأ كما أوضحت ، ولان مجاراة التحدى بمثله — أعنى معاياة أصحاب الشعر الحر بأمثلة من الشعر الموزون المقفى يزعم لها الاستعصاء على أن تقال بترك النسق الثابت — أمر مفض الى دور لا أول له ولا آخر . » أما عبد الصبور فقد ساق جملا من قصيدة لنزار قبانى ، معيبة أيضا من حيث هى ، جازما بانها لاتقال مع التزام الوزن والقافية ، فرأيت من اللازم أن أقولها قبل رد هذا المنهج فى النظر .

قلت هذا فكان جوابان : احدهما سمعته من الاستاذ صلاح عبد الصبور فى ندوة اذاعية عقدها البرنامج الثانى لمناقشة الكتاب . قال انه يراجع نفسه فيما كتبه مدللا به على فضل الشكل الجديد مرتئيا أن الشعر الحر ليس بحاجة الى نشدان مسوغات له او مرجحات . انه واقع ، فينبغى أن لا يصادر . قلت هذا استسلام للواقع ، ثم اننى لا أملك ولا يملك غيرى مصادرة ظاهرة أدبية الا بالمنطق . قال : ولا بالمنطق ، لقد انتصرت موسيقى الجاز مع مغايرتها لاصول التراث الموسيقى الاوربى ومحاولة رفضها . قلت : لو لم تعارض موسيقى الجاز ولم تحصر لقضت على ذلك التراث . وهكذا راجع الاستاذ صلاح نفسه ليقرر ما هو مقرر ، أن الشعر الحر واقع ، وكأن كونه واقعا فصل الخطاب . وبدلا من أن تكون المراجعة خطوة الى الامام أصبحت خطوة الى الوراء . الى حيث يصبح وجود الشعر الحر ضربا من وجود المادة الصماء ، وما هو لاحق بالمادة الصماء .

أما الجواب الاخر فهو للاستاذ محمد ابراهيم ابو سنة ، قراته فى نقد للكتاب نشره ملحق الطليعة فى العدد الماضى . قال الناقد : « ان الشعراء يمكن أن يفاجئونا غدا باستخدامات موسيقية جديدة .. ولقد تعسف الاستاذ الحسانى كثيرا عندما حاول تطبيق عروضه على بعض قصائد من الشعر الحديث فصاغ للشعراء قصائدهم فى الإطار التقليدى فوقع فى خطأين : الاول افساد الاحساس الشعرى بهذه القصائد ، ثانيا فرض وصاية لم يعطها له أحد لكى يقوم ما يقوله شعراء آخرون باسلوبهم وفى لحظة ابداعهم . والشعر لحظة ابداع أساسا . أما ما فعله الاستاذ الحسانى فقدرة ذهنية وموسيقية وهذا بعيد عن الشعر لانه قصد أن يكتب هذا الشعر فى أسلوب آخر . والقضية أن الاستاذ الحسانى يرى أن الشكل القديم قادر والشعراء عاجزون . وهذا ليس صحيحا ، بل على العكس الشكل عاجز والشعراء قادرون . لماذا . من الذى يصنع الشكل ؟ الشعراء ، ومن الذى يهدمه لينشىء شكلا جديدا ؟ الشعراء أيضا . اذن الشاعر له الحق

فى ابتكار شكله ولايوجد من يلزمه بالتزام شكل من ابداع شعراء آخرين لان هذا قسر يلغى حرية الابداع » . فى هذا الكلام صفة أسوأ من فهاهة المنطق ، وركاكة العبارة ، هى الاجتراء على تغيير الحقائق ، أى محاولة استغفال الناس . يعلم من يقرأ البيان بعين لا تسقط ما لا يعجبها اننى لست أنا المتعسف . فهذا التعسف — ان صح الوصف — شىء يقرأه الناس لنازك الملائكة فى مقدمة « شظايا ورماد » منذ ربع قرن . هى التى صاغت فى بحرين مثلا من الشعر الحر — هو بضع جمل لا قصائد — فى محاولة لاثبات عجز الاطار القديم . ولم يكن ما فعلته أنا الا مجاراة لخطتها ، ثم لخطة عبد الصبور من أجل الغرض نفسه ، وهى خطة ذكرت من قبل ماقلته بشأنها نصا . ومن قبيل هذا الاجتراء تعقيبه على قولى : « ما هو ذا أول الشر ، شيوع الركاكة والتخليط والتشابه والتوسط ، والفن كله على النقيض : احكام وقصد وتميز وعلو ، أما آخره فموت العربية — ماشت لنا — أى موت العرب . » قال : « ولا أظن يا أستاذ حسانى أن شعراء العراق وسوريا ومصر والمغرب والسودان قد قرروا أن يساعدوا الاستعمار فى نطاق الشعر على التعجيل بموت العرب . » فأين فى كلامى ذكر الاستعمار تصريحا أو تلميحا ؟ ليسمح لى القارىء أن أشرح ما قلت : ان ما نراه من علامات الاضمحلال فى اللغة مؤذن — بغير تدارك ، بموت اللغة ، وموت اللغة موت لاصحابها . فما هذه القفزة ؟ أهى « بطحة » فى رأسه تحتسها بلا شعور ؟ لا أظن . أم هو شىء من اعتساف الفهم استدرارا لعطف فج ، يقول : انظروا انه يتهمنا بالتواطؤ مع الاستعمار ! فيقول الاشفاق الضحل الساذج : « ياحرام ! » ؟ جائز . ثم أعود الى الصفتين الاخريين فى كلام الناقد ، أما فهاهة المنطق فتبدو فى مغالطة مكشوفة : ان الشكل الجديد من صنع « الشعراء » ، من صنع « لحظة الابداع » ، ومادام «الشعراء» هم صانعيه فى لحظات ابداعهم فلا اعتراض ولا مانع ! أهو وحى الهى يا أبا سنة ؟ وفيم النقد اذن ؟ وفيم درس الشعر ؟ وفيم اعتراض المدارس بعضها على بعض ؟ فيم ثارت الرومانتيكية على الكلاسيكية ، وفيم ثارت الواقعية على الرومانتيكية ، وفيم ثارت الرمزية على الواقعية ؟ ان كان الشعر شىء لا يأتيه الباطل لانه من صنع «الشعراء» فى « لحظات الابداع » ؟ ليس هذا بعشك فادرجى . والا فقولى لنا شيئا يعقل . أما أن ننزل على حكم الامر الواقع لانه أمر واقع وحسب فلا . وانى لكم — لو علمتم — لناصيح . فدعوا الزهو بتعطيل المنطق ان اردتم بقاء أرفع من بقاء الهوام ، والادم التى تدب عليها الهوام . ان مسلككم هذا لانظير له فى تاريخ الاداب والفنون ، حتى فى التريالية التى قامت على طرح المنطق ، فهى تطرحه بمنطق ، والذين ينتصرون لها ممن لهم قدر ومكانة بين كتاب الغرب يدافعون عنها بمنطق . وستذكرون فى تاريخ الادب ، ولكن فرق بين أن تذكروا لانكم جديرون بالتخليد ، وان تذكروا لان تاريخ الادب مخزن كبير .

وأما ركاكة العبارة فأتركها لانى لست هنا فى مقام التعليم ، ولانى أحسبها واضحة بنفسها ، لا فى نثر الناقد فحسب بل فى نظمه أيضا . وهى صفة رديئة جدا لا تكون فى أدب عظيم ، غالبة فى الشعر الحر ، كفيلة باسقاطه ان لم يتدارك أصحابه الامر قبل فوات الاوان . ولعل نقيض هذه الصفة هو ما رآه الناقد عندى فسماه مماظلة واختيارا للغريب « طلبا للاحساس الشديد بالتفرد والتميز ، وبالتالى ارضاء صفة التعالى التى تبدو واضحة فى شعره ونثره ، فهو يريد أن يبرهن بلغته الغريبة على انه يعرف ما لا يعرفه الكثيرون . » فاذا كان هذا القدر من الاحكام الذى رضيت نفسى عليه ، والذى آمل فى أكبر منه ، مماظلة عنيدكم واغرابا ، فلى أن أسمعكم هذا النذير : ان النسيان يفغر فاه لالتهامكم ، فانتبهوا .

بقى شىء . فى السيد الناقد صفة أخشى عليه من استفحالها ، هى الاسراف فى القطع وترك التحوط . يقول اننى لا أملك « أدنى احساس » بالعصر الذى أعيش فيه . فاليك هذين الخبرين : فى ندوة البرنامج الثانى عد الدكتور عبد القادر القط من فضائل الديوان أنه ، مع التزام الوزن والقافية ، شعر عصرى . وهى فضيلة كنت أراها فسرنى أن يراها معى رجل ذواقة . أما الخبر الاخر فقد سمعته من الدكتور محمد يوسف نجم فى مجلس خاص ، بعيد عودته من رحلة الى الجامعات الغربية ألقى فيها محاضرات من الادب العربى الحديث . قال الدكتور ان الجمهور أصغى لترجمات من شعر العقاد ومترجمات من الشعر الحر فأعجب بالاولى ولم يعجب بالثانية . هذه شهادة الجمهور العصرى ، لا أعول عليها لانها أتتنا من الغرب ، بل لانها وافقت الصواب (*)

مطابع الاهـــرام التجارية

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

السنة الثامنة ـ ديسمبر ١٩٧٢

١٢

- درس فيتنام :
  انتصار « حرب الشعب »
- الوحدة الوطنية .. ومعاناة الواقع
- أزمة المثقفين الإسرائيليين

- اتحاد الجمهوريات السوفيتية :
  المسألة القومية وقضية الأممية « ملف خاص »

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفى الخولى

مستشارو التحرين :
د . ابراهيم سعد الدين
أبو سيف يوسف
د . اسماعيل صبرى عبد الله
د . جمال العطيفى
د . رشدى سعيد
د . عبد الرازق حسن
د . لطيفة الزيات
محمد سيد احمد

مدير التحرير :
ميشيل كامل

سكرتير التحرير
مصطفى سامى

المحررون :
حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
وديع أمين

الفهرس

العدد الثانى عشر — السنة الثامنة — ديسمبر ١٩٧٢

■ الوحدة الوطنية .. ومعاناة الواقع .. « الافتتاحية » — لطفى الخولى — ص ٥

● أزمة المثقفين الاسرائيليين — محمد احمد رمضان — ١٠

■ درس فيتنام : انتصار « حرب الشعب » — ٢٠

— قراءة سياسية لاتفاقية فيتنام — حسين شعلان — ٢٢
— من الثورة الوطنية الى الثورة الاشتراكية — أبو سيف يوسف — ٢٩
— الجبهة الوطنية : اعظم التجارب السياسية فى فيتنام — سمين كرم — ٤١
— الاضافة الفيتنامية لاستراتيجية وتكتيك حرب التحرير الشعبية — خيرى عزيز — ٤٨
— الديمقراطية عامل اساسى فى النصر — حمدى عبد الجواد — ٦٤
— الربط بين العمل السياسى والعمل العسكرى — سعد رهمى — ٧١
— مسيرة ثورة فيتنام المنتصرة — كمال السيد — ٧٤

● مصر — بين معاهدة ١٩٣٦ وانتفاضة ١٩٤٦ — د. رفعت السعيد — ٨١

■ اتحاد الجمهوريات السوفيتية : المسالة القومية وقضية الاممية « ملف خاص » — ٩٣

— خطوات تاسيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية — ٩٤
— دروس من تجربة الحرب الاهلية وحروب التدخل — ٩٨
— الاتحاد السوفيتى والعالم الثالث — ١٠٣
— الاتحاد السوفييتى حليف اساسى لحركة التحرر العربى — ١٠٦
— محاولة لتصور « عالم اليوم » فى غياب الاتحاد السوفيتى — ١١٦

■ تقارير الشهر وتعليقات : — ١٢٠

■ مكتبة الطليعة :

— العسكرية الصهيونية — عرض : فوزى برير — ١٣٧

■ وثائق :

برنامج حكومة جبهة الوحدة الشعبية فى شيلى — ١٤١

■ ملحق الادب والفن : — ١٤٧

● ●

عنوان المراسلات :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠ —

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. — دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

د. محمد الخفيف

شارك فى تاسيس « الطليعة »

واسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » . .

الافتتاحية

الوحـدة الوطنيـة .. ومعاناة الواقع

الوحـدة الوطنيـة ، كانت ولا تزال ، الطريق الذى لابديل له أمام مجتمع يواجـه تحديات ، داخلية او خارجية ، ذات خطـر شامل . ونعني بها ذلك النوع من التحديات التي يتوقف مصير هذا المجتمع فى مرحلة تاريخية محددة ، على حسـمها : شـكلا وموضوعا .

وربما يبدو من السذاجة المهدرة للوقت والجهد ، محاولة اثبات اهميـة الوحـدة الوطنية ، سواء كقاعدة عريضة للانطلاق اجتماعيا وسياسيا ، أم كسلاح دفاعى ــ هجومى فى نفس الوقت . ذلك أن التراث فى مصريته الخاصة ، أو فى عروبته القومية مثـله مثل تراث كل شـعب فى تاريخنـا الانسانى وعالمنا المعاصر ، يحتفى أيما احتفاء بقيم الوحدة فى العمل والنضال ، بمستويات متعددة ، ضد العدو المشترك . أو من أجل تحقيق أمل مشترك أو انجاز هدف مشترك .

ولعل القصة الشهيرة للاب العجوز مع اولاده وعيدان الحطب المفردة والمجمعة ، يحاول أن يجسد لهم خبرة الصراع ضـد الطبيعة وأعداء الانسان ، وهو على وشك أن يغادر الحياة من على فراش الموت ، هى خيط مميز ومشترك فى النسيج الفلكلورى لكل أمة وجماعة بشرية .

وفصول ملحمة وحدة الشعب المصرى ، باشكالها ومضامينها المختلفة عبر التاريخ ، مع الغزاة ، منذ احتـلال الهكسوس حتى الاحتلال الاسرائيلى ، وتبلور ارادة الصمود الشعبى للهزيمة فى ٩ يونيو ١٩٦٧ ، تؤكد الوعى الجماهيرى التلقائى والثورى معا ، بالوحدة الوطنية .

والقضية ، ليست فى رفع شعار الوحدة الوطنية ، بل فى وضع هذا الشعار موضع

التطبيق المسئول ، الذى يستجيب بعمق لمهمات الظروف الاجتماعية والسياسية لمرحلة تاريخية محددة . بمعنى أن الوحدة الوطنية ، الممكنة والايجابية فى فاعلياتها ، ليست شيئا مجردا . وانما هى من صنع لحم الواقع الاجتماعى الحى ، لايكفى للوصول الى الوحدة الوطنية ، اطلاق وترديد نغمات الوحدة الرومانتيكية التى تحلم بتجميع شكلى ميكانيكى « للكل » . الوحدة الوطنية لاتسعى وراء « **الكل المطلق** » وانما تستهدف « **الكل النسبى** » ، أى الكل الذى ينتسب اجتماعيا ، وينتمى سياسيا الى الاهداف الوطنية للتحرر والتقدم بمعايير المجتمع والعصر ، **من** هنا تكتسب الوحدة الوطنية قوتها الديناميكية التى تجسد وحدة التفاعل والعمل والاهداف بين قوى ذات منابع اجتماعية أو فكرية ، أو اصول دينية متعددة . وتتخطى المستوى الشكلى ، الذى ينفرط عقده وتتفجر تناقضاته الداخلية عند أول اصطدام مع حركة الواقع أو المواجهة مع العدو . ذلك أن الوحدة الوطنية الشكلية يمكن أن تصبح غطاء تختفى تحته القوى المعادية لاهداف الوحدة الوطنية الديناميكية .

من هنا يصبح ضروريا ان تتسلح الوحدة الوطنية « **بمعايير** » موضوعية للتكوين « **وبوصلة** » سياسية — اجتماعية لضبط حركة الاتجاه فى النشاط والعمل على مختلف الجبهات .

فاذا كان هدف الوحدة الوطنية فى واقعنا الراهن ، مثلا ، هو تحرير الارض من الاحتلال الاسرائيلى ، فمن الخطر أن نفتح أبواب الوحدة الوطنية للقوى ذات المصالح المشتركة مع الامبريالية الامريكية . والاكان معنى ذلك أننا نسمح بتواجد « **طابور خامس** » فى صفوف الوحدة الوطنية ، وهى جيش التحرير ضد الاحتلال الاسرائيلى . ذلك أن الكفاح ضد الاحتلال الاسرائيلى يعنى فى نفس الوقت الكفاح ضد الامبريالية الامريكية ومصالحها فى المنطقة وذلك بحكم وحدة المصالح .

كيف نستطيع ان نحصل على معايير وبوصلة الوحدة الوطنية ؟

لا سبيل الى ذلك الا من خلال الواقع نفسه .

والواقع الراهن يعانى — اولا وقبل كل شىء — احتلالا اسرائيليا مدعما بقوة الولايات المتحدة الامريكية منذ اكثر من خمس سنوات . وقد اكدت تجربة السنوات الماضية عدم امكانية فرض ما درجنا على تسميته « بحل سلمى عادل لازمة الشرق الاوسط » .

والواقع الراهن يعانى — **ثانيا** — من تفاعل الاحتلال مع القوى الاجتماعية المعادية للتقدم ، والتى تسعى الى استغلال الموقف لصالحها فى ضرب حركة التطور . وعقد مساومة اجتماعية — سياسية مع الامبريالية الامريكية . وبالتالى مع العدو الاسرائيلى نفسه بطرق وأساليب غير مباشرة . على الاقل فى البداية .

والواقع الراهن يعانى — **ثالثا** — من انتقال القوى الاجتماعية المعادية للتقدم من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ، وذلك باستخدام كل ما فى جعبتها من أسلحة تقليدية وحديثة على السواء : ● التشكيك فى القدرة الذاتية للحركة الوطنية على التصدى للاحتلال وخلعه من الارض المحتلة ● تحويل ما قد يكون هناك من خلافات فى وجهات النظر بين الحركة الوطنية وحلفائها الاساسيين حول مسائل جانبية وفرعية الى صراعات عدائية تستهدف القطيعة والعزلة ● شن حملة صليبية ضد قوى اليسار فى حركة التحرر الوطنى ونفى ولائها للوطن وقضاياه ، وحرف المعركة من اتجاه ضرب العدو الى اتجاه تحطيم التحالف الوطنى من الداخل ، وتسييد فكر ومصالح فصيل واحد من الفصائل الوطنية المتحالفة ، على أفكار ومصالح التحالف ككل شامل ● اثارة نعرات

التعصب الديني واستخدام العقيدة الدينية كعامل من عوامل البعثرة والتجزئة بدلا من أن تكون عاملا من عوامل الوحدة والتحالف . وذلك بالخلط المتعمد بين الوطن كواقع اجتماعي وأرض مفتوحي الذراعين لجميع المواطنين ، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والفكرية والاجتماعية ، وبين الدين كعقيدة وعلاقة ايمان خاصة بين الفرد وربه .

والواقع الراهن يعاني — **رابعا** — من تخلف اجتماعي وتكنولوجي يحد من القدرة البشرية والمادية والفنية اللازمة لمواجهة العدو . ويخرج من ساحة المعركة — اجتماعيا — قوى وقدرات تتطلب المواجهة مع العدو ، توظيفها توظيفا كاملا ورشيدا .

والواقع الراهن يعاني — **خامسا** — من عدم بلورة العمود الفقري الذي يمسك بأطراف الوحدة الوطنية بعضها الى بعض في ترابط عضوي . ويصلب عودها في الحركة وفي التصدي للحركة المضادة في نفس الوقت . ويحفظ التوازن السياسي — الاجتماعي للوحدة في اتجاه التقدم ، دون ماردة الى الخلف .

هذه المعاناة المعقدة لواقعنا ، هي التي تفرز لنا المعايير والبوصلة الصحيحة لبناء وحركة وحدتنا الوطنية .

تؤكد لنا الخبرة المتراكمة عن هذه المعاناة — أول ما تؤكد — أن القضية الجوهرية هي تحرير الارض المحتلة . وفي هذه القضية نحن لا نواجه صراعا عسكريا وسياسيا واقتصاديا مع اسرائيل فحسب بل مع الولايات المتحدة الامريكية أيضا . ومن هنا فالقضية ليست مجرد حركة تحرر وطني تقليدية ، ازاء احتلال يتخذ شكل الاستعمار القديم ، كما قد تبدو الظاهرة من سطحها الخارجي . وانما هو احتلال يستهدف من خلال اغتصابه المادي للارض ، تحقيقا لاهدافه الخاصة في التوسع ، توليد ضغط مكثف ضد حركة التحرر الوطني لصالح الاستعمار الجديد والامبريالية الامريكية . وذلك بقصد احتوائها وافراغها من ثورية المرحلة ، التي تركز بصورة خاصة على :

- تعميق الاستقلال السياسي بالاستقلال الاقتصادي ، والمضي في انجاز الثورة الصناعية والتكنولوجية على أسس اجتماعية تقدمية .
- السيطرة على الموارد الطبيعية وخاصة البترول وتوجيهها لخدمة بناء الاقتصاد القومي المستقل .
- طرد طبقتي الاقطاع والرأسمالية الكبيرة من مراكز الثقل في المجتمع ليحل محلهما العمال والفلاحون والمثقفون الوطنيون .
- التحام الحركة بتيار التقدم الانساني العام بروافده الثلاثة : البلدان الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي والقوى الديمقراطية والثورية في العالم الرأسمالي وحركة التحرر العالمية .

واستقراء هذه الحقيقة الموضوعية للواقع ، يكشف عن الاهداف الجوهرية لحركة التحرر الوطني العربية . وبالتالي الوحدة الوطنية المعاصرة ، على النحو التالي :

- **خلع الاحتلال الاسرائيلي من الارض العربية .**
- **سد المنافذ المباشرة أو غير المباشرة [عن طريق بلاد عربية معينة] في وجه**

محاولات الاستعمار الجديد لتطويق حركة التحرر الوطنى العربية واحتوائها وشل قدراتها .

● تصفية الاحتكارات الاجنبية وبالذات الامريكية . وخاصة فى مجال البترول . حيث تتركز أهم عناصر الثروة العربيـة والاستثمارات الامريكية فى نفس الوقت . وحيث يمكن نتيجة طبيعة البترول ، كسلعة استراتيجية فى عالم اليوم ، استخدامه سلاحا أساسيا فى معركة التحرير ومعركة البناء معـا .

● المضى فى عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية على أسس تقدمية ترجح من وزن القوى الشعبية وخاصة العمـال والفلاحين والمثقفين فى المجتمع ، وتشد الى قلب المعركة جماهيرها الحقيقية .

● تعميق روابط الصداقة والنضال مع الحلفاء فى الجبهة العالمية ، وعدم السماح بفتح ثغرات ينفذ منها العدو أو عملائه فى جدار التحالف .

ورغم وضوح ما يفرزه الواقع الراهن من اهداف أساسية أمام حركة التحرر القومى العربية ، فان ثمة اعتبارين هامين يتوجب ادراجهما فى حسابات بناء الوحـدة الوطنية .

الاعتبار الاول : يتصل بحقيقة موضوعية ، وهى أن القوى الوطنية والتقدميـة التى تتكون منها الوحدة الوطنية لا تصدر عـن قاعدة اجتماعية واحدة أو خط فكرى واحد . وانما ، بحكم درجة التطور العـام للوطن العربى وفى نفس الوقت تفـاوت درجات التطور بين بلد وآخر داخل الوطن العربى، فان القوى الوطنية والتقدمية ذات منـابع اجتماعية وفكرية متعددة ومختلفة . ولذلك فان بناء وحدتها لايمـكن أن يتم من حول توحيد قسرى للاسس الاجتماعية أوالفكرية .. وانما من حـول المواقف العملية ، والاهداف المشتركة للمرحلة الثورية التى تعيشها جميع هذه القوى .

ومن هنا فان الوحدة الوطنية المسئولة والممكنة فى الواقع الراهن ، هى تلك التى تحتضن برحابة أفكار ومصالح كل القـوى الوطنية والتقدمية وتوجهها فى خط واحد ـ من خلال الحوار الديمقراطى بين فصائلها ـ لانجاز الاهداف المشتركة ، ولكى يتوفر ضمان موضوعى لديمقراطية الوحدة الوطنيـة وطابعها التقدمى ، فلابد من أن يحتل مركز الثقل فيها العمال والفلاحون باعتبار انهما يشكلان الغالبيـة العظمى من المواطنين المنتجين ، وأكثر الفئـات الاجتماعية ـ بدرجات متفاوتة ـ ثورية .

ان الخطر الحقيقى على بناء الوحـدة الوطنية وفاعليتها ، يأتى من محاولة بعض فئات القوى الوطنية ، وخاصة من الطبقة البرجوازية ، كالبيروقراطية منها أو الفلاحية المتوسطة [الكولاك] أو بتحالفهما معا لنقل مركز الثقل فى بنية الوحدة الوطنيـة من العمال والفلاحين الى فئات من الرأسمالية الوطنية ، والعمل على تسيير مصـالحها وأفكارها على مجمل الحركة الوطنيـة ، واستخدام الدين ستارا لتجريم مصـالح وافكار القوى الاخرى . ومصـادرة كل فرص الحوار الديمقراطى ، وتمتين الوحدة من خلال التنوع والتفاعل الحى الخلاق ، دون ما قهر او قرارات ادارية علوية .

أما الاعتبار الثـانى ، فيتجسـد فى الازدواجية الخاصة بالوطن العربى ازاء العـدو .

على الرغم من وحدة العدو تجاه الوطن العربى كله فى عدوانه ومخططاته ، فان الوطن العربى على العكس يواجه العـدو من المواقع المتعددة لكل بلد على حدة من ناحية ، ثم من كونه كتلة واحدة ذات مصير واحد من ناحية اخرى .. وهذه الازدواجية ، التى لا مفر من قبولها لانهـا بنت الواقع الراهن ولا مفر فى الوقت نفسه من العمل الواعى الدؤوب على تخطيها تغييرا لهـذا الواقع ، تعكس آثارهـا بالضرورة على قضايا بناء الوحدة الوطنية .

لقد ظل العمل من اجل بناء الوحدة الوطنية فى مجمل الوطن العربى ، عملا فوقيا يجرى من خلال الانظمـة والحكومات . واقصى ما وصل اليه من صياغات هى الجامعة العربية ومؤتمرات القمة . وهى صياغات، كشفت التجارب العديدة قبل وبعد هزيمة ١٩٦٧ ، عن ضعفها وانحصار فاعليتها فى قضايا هامشية مثل توحيد القياس او مكافحة الجريمة . اما فى قضايا توحيد القوى من اجل التطوير الاقتصادى المخطط أو مكافحة الامبريالية والصهيونية ، فليس لديها الا العجز ، الذى تغطيه قرارات حماسية وتوصيات بليغة . ولعل مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع الذى انعقد بالكويت فى نوفمبر الماضى هو آخر صور عجز العمل الفوقى للوحدة الوطنية العربية .

وسوف نظل ندور فى هذه الحلقة المفرغة من العجز عن تحقيق وحدة وطنية عربية حقيقية لا شكلية ، ما لم يتم انجاز الوحدة، بعمل تحتى تشارك فيه القوى الوطنيـة والتقدمية العـربية من خـلال احزابها وتنظيماتها الجماهيرية . وتغدو قوة فاعلة ومؤثرة ومشاركة فى اتجاه وقرارات النظم والحكومات .

بيد أن هذا النوع من الوحدة الوطنيـة العربية ، لا ينبت فى فراغ ، وانما من خلال وطن تتناثر فى جوانبه دول ومجتمعـات متميزة بظروف وأوضاع خاصة جنبـا الى جنب مع السمات القومية العامة . ومن هنا فالطريق الى الوحدة الوطنية العربية يمر — بالضرورة — من خلال الوحدات الوطنية فى كل بلد عربى .

بمعنى ان وحدة العمل القومى ضد العدو والتخلف ، هى محصلة ديناميكية لوحـدة العمل الوطنى والتقدمى داخل كل قطر ، والتى يراعى فى تكوينها وأهدافها ، الظروف الخاصة بكل مجتمع قطرى ، وبحيث تصاغ، فى النهاية ، علاقة جدلية بين الجبهـة العربية والجبهات الاقليمية التى تبلور الوحدة الوطنية التقدمية بقوة جماهيرية قادرة على الفعل .

واذا كانت البوصلة لحـركة الوحـدة الوطنية — اقليميا — هى ضبط الاتجاه نحو شـن معركة التحرير الوطنيـة على أساس قاعدة جماهيرية واعية ترتكز أساسا الى العمال والفلاحين والمثقفين التقدميين ، فان بوصلة الحركة للوحدة الوطنية — قوميا — هى تجنيد كل الامكانيات وممارسة فاعلياتها من خلال حرب التحرير للوطن ، والسيطرة على موارده الطبيعية وخاصة البترول من قبضة الاحتكارات الاجنبية .

وفي تقديرنا أنه من خـلال هـذا الاطـار الديمقراطى ، والمضمون التقدمى للوحـدة الوطنية ، تتسلح الجماهير ، على مختلف مستوياتها ، بامكانيات غنية للتصـدى للتحديات الراهنة ، وكشف وتعرية الحملات المضادة التى راحت تتشكل فى صور متعددة من بينها أخيرا صورة الحملات الطائفيـة الدينية . ليس الدين فى النهاية هو هدف هذه الحملات المسمومة ، وانما الوطن ، وبالذات وحدة قواه الوطنية التقدمية ... السلاح الاساسى للمعركة التى لابديل لها تاريخيا ...

لطفي الخولي

أزمة المثقفين الاسرائيليين



محمد أحمد رمضان *

قد يظن الكثيرون منا أن الاسرائيليين يعلمون أنهم مخطئون ، ولكنهم يخادعون العالم ويماطلون فى الاعتراف .. والحقيقة غير ذلك فمن المذهل أن جميعهم تقريبا يعتقدون انهم على صواب وعلى حق ، وان العرب هم المخطئون ، بل انهم ليعتقدون ان العالم كله على خطأ .

من هذا المنطلق ظهرت مفارقة فريدة فى تاريخ السياسة العالمية ، عبر عنها الكاتب الامريكى اليهودى « أ. ف ستون بقوله : « ان الصراع العربى الاسرائيلى صراع بين الحق والحق » .

لا تحسبوا أن (ستون) يعبر عن تفكير كل الاسرائيليين ، فهو يختلف عنهم من حيث أنه متحرر الافق ، أو صهيونى معتدل ، وهذا ليس حال غالبية الاسرائيليين ، ولا حتى المثقفين منهم .

اذن ترى كيف يفكر غالبية المثقفين الاسرائيليين ؟

ان الأمر يستحق أن يضع المرء قدميه فى حذاء الخصم – كما يقولون بالانجليزية – ليعرف ما يدور بخلدهم وما هى مشاعرهم وحججهم كى يستطيع أن يرد عليها بأمانة .

ماحال المثقفين الاسرائيليين أولا ؟

ان حالهم لا يحسد عليه ، فهم يلهثون وراء التغيرات الطوبوغرافية التى يدخلها الاحتلال منذ غزوة يونيو ، صحيح ان اليساريين منهم يقومون بين الحين والاخر باحتجاجات ومسيرات ومظاهرات ، لكنها لم تفلح فى شيء كثير حتى الان .. حتى المسيرة التى اشترك فيها ستون شخصا احتجاجا على فظائع غزة فى يناير ١٩٧٠ لم توقف أعمال القمع التى قام بها حرس الحدود الا مؤقتا .. ففى العام التالى كانت الجرافات تدك مئات المنازل فى معسكرات اللاجئين ، وسكانها لا يمهلون الا ساعات معدودات لمغادرتها ، ولم يملك المثقفون يومها أن يفعلوا شيئا يذكر .

ويمكن تلخيص أزمة المثقفين الاسرائيليين فى

*محمد احمد رمضان : كاتب فلسطينى ■

أنهم يدركون معظم أخطاء حكومتهم بقدر ما يدركون تعذر اصلاح هذه الاخطاء • لهذا فقد تحولت المشكلة الى السؤال التالى : **هل يمكن القضاء على هذه الاخطاء بدون القضاء على نظام الدولة نفسها ؟** •

ويبدو أنهم جميعا — باستثناء — الماتزين * — يتهربون من الاجابة من هذا السؤال •• واذا حدث وأجابوا عليه ، كما فعل فريق من ٣٥ أستاذا جامعيا فى رسالتهم الشهيرة الى جولدا مائير عام ١٩٧١ محذرين فيها من نتائج رفض السلام ، فان جهدهم يتوقف عند هذا الحد ، فى الوقت الذى لا يتوقف فيه بناء المستعمرات وعمليات الطرد الجماعى ، وغير ذلك من أشكال فرض الامر الواقع •

زد على ذلك أنهم جميعا مرتبطون عاطفيا بالدولة لسبب أو لاخر • سم هذا التعلق صوفيا أو قبليا أو قوميا أو أى شىء آخر ، ولكنه موجود . ثم ان دولة اسرائيل نفسها موجودة • فما الذى يدعو الى وجع الرأس والبحث عن بديل لها مهما كانت أخطاء هذه الدولة ؟ •

لكن هناك أخطاء أخرى مشتركة يقع فيها معظم المثقفين اليساريين ،ولم يكتشفوا حتى الان أنها وليدة غسيل المخ الصهيونى المنتظم طوال أكثر من ثلاثة أرباع قرن • وربما كانت هذه الشراك الصهيونية هى التى تشل قدرتهم على الحركة والعمل الايجابى الثورى •

ويمكن تلخيص هذه الشراك الفكرية الصهيونية التى وقع فيها المثقفون اليساريون فى النقاط الخمس التالية :

١ — الاندماج فى الخارج والداخل مع الطوائف الاخرى كفيل بتدمير الذاتية اليهودية مع مرور الزمن ، خاصة خارج اسرائيل • ذلك أن مجرد قيام وطن قومى لليهود (كما نص وعد بلفور) لا يكفى وانما لابد من قيام دولة يهودية كاملة • وبدون هذه الدولة سيختفى اليهود من العالم خلال جيل أو جيلين من الزمان •

٢ — اللاسامية نتاج الاميين وحدهم ، أى أن اليهود ليسوا مسئولين عنها ، واذا كانوا « متعصبين هدامين » فان هذا ليس سببا بل نتيجة لما يلاقون ، وهم لا يستطيعون الاندماج حتى ولو حاولوا ذلك لان الفرصة لا تتاح لهم •

٣ — القوة هى التى صاغت وجه العالم فى سياق التاريخ . خذ مثلا تقسيم المانيا وكوريا وفيتنام والهند وباكستان • وخير وسيلة لذلك هو خلق الحقائق أى فرض الامر الواقع بهدوء . ومن حسن الحظ أن أساليب الضغط من علامات الديموقراطية الغربية •

٤ — ليس هناك بديل • ليس هناك حل آخر •• الشعار ليس قدريا صارما بل قطعيا عقائديا • فاليهود ذهبوا الى فلسطين لانهم لم يجدوا مكانا آخر يلجأون اليه • والحروب الوقائية محتومة لان العرب لا يفقهون غير لغة القوة • واذا لم يكن هناك خيار فلان اسرائيل لا تحتمل هزيمة عسكرية واحدة •

٥ — لو خسرت اسرائيل المعركة فان حياة الاسرائيليين ووجودهم الجسمانى نفسه سيكون مهددا ، لانهم على أحسن الفروض سيرمون فى البحر . ان الدولة الديموقراطية غير الطائفية التى تدعوا اليها الثورة الفلسطينية أكذوبة لكسب الوقت والانصار •

تلك هى المصايد الصهيونية الخمس للمثقفين الاسرائيليين عامة • وليس معنى ذلك أنهم جميعا يقعون فيها كلها ، فهناك منهم من يناهض بعضها بل ومعظمها •

على أن مواقف اليساريين منهم عامة تتأثر بها بشكل أو آخر • خذ مثلا أديبا يساريا شابا مثل « عموس عوز » يكتشف خدعة صهيونية كبرى ولا يفعل شيئا .

يقول عوز : « فيما مضى كانوا يقولون لنا اننا نحتاج الى الارض لايواء المهاجرين •• واليوم صاروا يقولون لنا اننا بحاجة الى مهاجرين لاستيطان الارض الجديدة التى احتللناها • وبهذا قلبوا نظريتهم رأسا على عقب » •

ولكن موقف عوز من الدولة لم ينقلب رأسا على عقب .

مثال آخر : هناك شاعرة اسرائيلية مشهورة تتغنى فى احدى قصائدها بانتصار صلاح الدين على الصليبيين فى حطين • ولكن اياك أن تنخدع ، فهى لا تزال صهيونية متحمسة • . وهكذا يسقط فى يدك ولا تدرى كيف يمكنك تقييم هؤلاء الناس بين أنصار وخصوم •

وتزداد حيرتك حين تكتشف فى الادب الاسرائيلى مؤخرا ظاهرة غير متوقعة من التعاطف مع مأساة عرب فلسطين • نترك الكلام هنا لجريدة

(*) جماعة يسارية اسرائيلية يغلب عليها طابع المثقفين معادية للصهيونية وتدعو للثورة المسلحة ضد النظام الاسرائيلى وتعترف بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى .

التايمز البريطانية فى أول أغسطس (آب) ١٩٧٠ :

«يعبر كل الجيل الجديد من الكتاب دون استثناء عن تعاطفهم مع الجانب العربى ، وهو أمر قد يصدم غير المطلعين على الحقائق . فهؤلاء الكتاب يصورون العربى فى رواياتهم وقصائدهم وقصصهم القصيرة ليس كانسان شرير وانما كضحية بريئة فى صراع فاجع . وعندما يكتبون عن اسرائيل أيام الاستقلال لا يتجاهلون تصوير الفلاحين العرب الذين استؤصلوا وشردوا وقتلوا فى الحرب . وقبل ستة عشر عاماً كان آهارون ميجد صوتا وحيدا فى البرية عندما كتب كتابه «مستقبل أبله» ليناقش المضامين الاخلاقية (للصراع) . فبطل الرواية ، وهو الابله ، يجد المجتمع الاسرائيلى عدوانيا كريها ، كما يصدمه التناقض الكامن فى أن تكون العودة العادلة للناس (اليهود) الى وطنهم رهنا « بالتشريد الجائر للاخرين » .

وتمضى التايمز قائلة :

« واليوم مع استمرار الصراع صار الادب الاسرائيلى أكثر انطوائية وفردية وأقل ارتباطا بالقيم القومية . والحق أن القيم القومية قد اختفت تقريبا من الادب » .

كل هذا عظيم ، لولا ان هذا الانطواء وهذه الفردية وهذا الانسلاخ عن القيم القومية ينتهى كله الى طريق مسدود . فهذا الادب عقيم بالمعنى الايجابى الثورى ، لان مجتمعا متعلما كاسرائيل لا يمكن لمثقفيه التقدميين ان يغيروا شيئا يذكر دون اللجوء الى العمل السرى . وقد بدأ هذا يتخذ مؤخرا عدة أشكال بلغ بعضها حد النسف لبعض الاماكن العامة . لكن الغريب فى الموضوع هو ان هذا العنف يذهب معظمه ليس فى سبيل رد حقوق العرب وانما فى رد حقوق اليهود الشرقيين حيال اضطهاد اليهود الغربيين لهم (الفهود السود) ، أو فى معرض احتجاج المتدينين على العلمانيين أو العكس .

حتى كتلة السلام – كما تسمى نفسها – التى تطالب بالانسحاب قد تشرذمت وتطاحنت الى حد يبعث اليأس . ففى البرلمان نجد الصهيونيين الخوارج مثل اورى افنيرى يتهاتر مع شالوم كوهين زميله السابق فى جماعة هاعولام هازيه . وخارج البرلمان نرى افنيرى يهاجم الماتزين ، ونرى الماتزين وراكاح (القائمة الشيوعية الجديدة) موضع الهجوم من قبل كل اليساريين الاخرين ،

اما خارج البلاد ، فالحال ليس احسن ،

فجماعة الصهيونيين الثوريين ، وجماعة الصهيونيين الراديكاليين ، وجماعة اليهود الثوريين ، وجماعة التروتسكيين ، وجماعة الماركسيين المستقلين تتفنن فى الخلاف والخروج بنظريات خاصة من شأنها عرقلة أى تعاون مشترك بينها جميعا . حتى جماعة الماتزين آخذة فى التشرذم لان اعضاءها جاءوا من مختلف المذاهب والمشارب السياسية . ونحن حتى الان لم نتحدث عن اعتراضات الماتزين على التعاون مع الثوريين العرب . فهى لا تزال تبدى شكها فى امكان تطبيق شعار فتح الخاص بالدولة الفلسطينية الديموقراطية المقترحة (ألا وهو « لكل شخص صوت ») دون المساس بالاستقلال الذاتى أو الثقافة القومية للطائفة اليهودية مستقبلا ، خصوصا عندما تاتى الدولة الفلسطينية المقترحة نتيجة انتصار عربى . ومن الممكن طبعا ان تحقق الماتزين ما تريد اذا شاركت فى صنع هذا النصر ، لكن المشكل ، هل يمكنها المشاركة بايجابية واعضاؤها لا يتعدون المائة ؟

المهم ان كل هذه الطوائف المناهضة لسياسة الحكومة لا تمثل أكثر من ثلاثة بالمائة من مجموع القوة السياسية فى البلاد . ونحن لا نملك امام شهادة التعدد فى أشكال المعارضة الا ان نسلم بتزايد المعارضة مهما كانت محدودة التأثير . لكن المحير هو ان خصومها يزدادون قوة أيضا . والسبب المعهود هو ان الرأى العام يتبع التصريحات الرسمية ويتأثر بها وليس العكس ، لان اسرائيل دولة صغيرة ، وسائل الاعلام فيها قوية وتخضع للحكومة أو لضغطها أو للاحزاب بشكل أو آخر مما يسهل غسل مخ الجماهير بانتظام وكفاءة . طبيعى اذن ان يتزايد الرأى العام المؤيد لسياسة الحكومة ، وان يكون هذا التزايد سريعا . والاستفتاءات تؤكد ذلك .

ففى مايو (أيار) ١٩٧٠ اجرى معهد بورى الإسرائيلى لقياس الرأى العام استفتاء ظهر منه ان ٣١ بالمائة من الاسرائيليين صقور متشددون ، و٢١ بالمائة حمائم مسالمون يطالبون بالانسحاب ، بينما امتنع ٣٢ بالمائة عن ابداء رأيهم .

ولم تأت نهاية العام حتى ارتفعت نسبة الصقور المطالبين بضم المناطق المحتلة الى ٣٦ بالمائة ، وهبطت نسبة الممتنعين عن ابداء رأيهم الى ١٤ بالمائة فقط . وبعد ستة شهور اخرى أى فى يوليو (تموز) ١٩٧١ دل استفتاء للجامعة العبرية ان نسبة الصقور ارتفعت الى ٤١ بالمائة (منهم ٢١ فى المائة يطالبون بضم الاراضى المحتلة بأكملها) ، بينما هبطت نسبة الحمائم الى ستة بالمائة ، رغم ان مصر كانت خلال ذلك قد تقدمت بتسوية سلمية جديدة .

واليوم نجد التصلب الاعمى يبلغ اقصاه . ففى ٢٧ أبريل (نيسان) ١٩٧٢ نشرت جريدة الجارديان نتيجة استفتاء عام دل على ان ٩٢ فى المائة من الاسرائيليين يؤيدون ضم المرتفعات السورية (الجولان) ، و٩١ بالمائة منهم يريد ضم شرم الشيخ ، واغرب من ذلك ان ٥٦ بالمائة منهم يطالب بضم الضفة الغربية و٣١ بالمائة يطالب بضم سيناء كلها •ولم يوافق على اعادة القدس العربية سوى واحد بالمائة •

يحدث هذا كله فى غياب نيران المدافع ، واستتباب الهدوء والامن نسبيا باستثناء غارات الثوار الفلسطينيين التى عادت من جديد تعرف طريقها الى الداخل والخارج بعد فترة انتظار يائس •

أزمة الديمقراطية الغربية

وهناك سبب آخر لعجز المثقفين اليساريين فى اسرائيل عن اجراء تغيير جذرى أو ثورى فى سياسة الدولة او نظام الحكم • وهذا السبب فى حد ذاته يكشف عن أزمة الديموقراطية فى الغرب أو فى أمريكا على الاقل • ويمكن تلخيصه فيما يلى:

ان تغيير النظام ، أو سياسة الدولة فى الديموقراطيات الغربية (خاصة فى اسرائيل والولايات المتحدة) يتوقف على الخضوع مبدئيا لهذا النظام وهذه السياسة • ففى الولايات المتحدة مثلا هناك سبيلان لذلك : اما **تغيير القمة** أو **تغيير القاعدة** •

تغيير القاعدة ، يتطلب السيطرة أساسا على وسائل الاعلام والدعاية ، وهذا أمر صعب جدا على من يعارضون النظام أو المؤسسة الحاكمة لان وسائل الاعلام مرتبطة ارتباطا حيويا ومصيريا بالمؤسسة الحاكمة من السياسيين وكبار رجال الاعمال الذين يعارضون تغيير النظام بشراسة بالغة تبلغ حد التعصب الصليبى •

اما **تغيير القمة** ، فمشكلة اخرى عويصة على الراديكاليين • اذ لابد لك من الانضمام الى حزب أو آخر من الاحزاب ذات النفوذ من اجل الوصول الى مراكز النفوذ فى الكونجرس أو البيت الابيض . ذلك ان الحملة الانتخابية اللازمة للنجاح تتطلب مالا طائلا لا يمكن توفيره بدون دعم مالى من الحزب أو كبار رجال الاعمال مقابل ضمانات واضحة (حملة انتخابات الرئاسة تكلف الان أكثر من اربعمائة مليون دولار) • وحيث ان الحزب والشركات الكبرى لا يمكنها انفاق المال الطائل على مرشح غير مضمون عقائديا أو لا يمكن التنبؤ بسلوكه السياسى فان نجاح المرشح يتوقف أساسا على كونه الخادم المخلص للحزب والمؤسسة الحاكمة عامة •

اليس لهذا علاقة بخيبة الامل عند الشباب ؟ بالتأكيد • يذكر هنا « أرنست ماير » مدير معهد الصحافة الدولى فى حديث له مع جريدة الجارديان البريطانية فى أول يناير (كانون الثانى) ١٩٧١ :

« **ان أكبر خطر يهدد الصحافة فى الغرب هو تزايد هوة انعدام الثقة بين الرأى العام وكل أشكال المؤسسات العامة تقريبا . وحيث أن وسائل الاعلام محور الحياة العامة فان خيبة الامل هذه كثيرا ما تظهر تجاه وسائل الإعلام • واذا استمر هذا الحال فاننا سنشهد بدء تفتت أسس العالم الحر** » •

ولم يكن نائب الرئيس الامريكى **سبيرو اجينيو** هو الذى اثار موجة الشك بالصحف ووسائل الاعلام فى حملته الشهيرة ضدها عام ١٩٧٠ وانما كان يعبر عن مشكلة عامة فى الغرب ، فازمة الثقة هذه كانت قد امتدت الى فرنسا وبريطانيا بل والنمسا • واحيانا كان التركيز فى الهجوم على التليفزيون بالذات كوسيلة اعلامية تهدد الديموقراطية بتأثيرها المعهود من جانب واحد وحساسيتها للعلاقات العامة مع الشركات الكبرى •

على اننى أعتقد أن على (ماير) أن يعكس نظريته • فربما كان من الانسب أن نقول ان الكفر بالمؤسسات العامة فى الغرب لم يمتد الى وسائل الاعلام وانما ابتدأ منها • ذلك أن المشكلة ليست أزمة تباعد الاجيال بقدر ما هى ازمة ثقة كان لوسائل الاعلام الدور الرئيسى فى خلقها • فوسائل الاعلام عادة تغسل مخ الناس وتحدد مواقفهم بذلك من مختلف القضايا ، ثم تأتى الاستفتاءات العامة لتقول ان الشعب يريد هذا أو ذاك •

ومن الطريف أن الناس فى اسرائيل يؤيدون الحكومة فى سياستها تجاه العرب ، رغم أن الاحصائيات قد دلت على أن نحو نصف السكان لا يثقون بالمنشورات الرسمية أو لا يأخذونها مأخذ الجد أو يكلفون أنفسهم مشقة قراءتها •

هناك طبعا سبب آخر لازمة الثقة فى النظام الديموقراطى الامريكى مثلا • فهناك مفارقة صارخة سببها أن مجتمعا « حرا » مثل المجتمع الامريكى يقيد حرية الشعوب الاخرى عن طريق وكالة المخابرات المركزية بالابتزاز والتهديد وحتى

بالمذابح والاغتيالات (الهند الصينية وغيرها) *
ونفس المفارقة كامنة فى المجتمع الاسرائيلى . فالديموقراطية فيه طائفية ، كما انها تختفى تماما عبر الحدود من خلال سياسة فرض الامر الواقع بالقوة والعقوبات الجماعية والطرد والمصادرة بالجملة . وهذا هو ما يحير اليسار حقا .

ذلك أن اسرائيل ـ كما يصفها الكاتب التقدمى الاسرائيلى اسحاق شرحاك ـ « **بلد يتحدث بلغتين ويفكر بلغتين ويستخدم معنى مزدوجا لكل مفهوم انسانى : معنى انسانى متحرر الافق بالنسبة لحقوق اليهود فى الخارج ، ومعنى استبدادى غير متحرر بالنسبة لحقوق غير اليهود عامة والعرب خاصة . وأكثر من ذلك أن فصام ازدواجية التفكير قد بلغ حدا تعذر معه على معظم الاسرائيليين هنا أو على المتحررين والتقدميين من يهود أمريكا أن يلاحظوا حقيقة ما يحدث لهم** » .

قبل نحو ثلاثين عاما حذر الكاتب الانجليزى الدوس هكسلى من أن الذين يسيطرون على وسائل الاعلام سيكونون قادرين على تشكيل عقلية الشعب ومن ثم السيطرة عليه .. ومن الغريب أن الصراع العربى ـ الاسرائيلى قد اظهر ذلك فى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية أكثر من اى عامل آخر . وربما يرجع ذلك الى الطبيعة العالمية الخاصة (Cosmopolitan) للحركة الصهيونية . وانتشارها فى كل مكان تقريبا . فعدم وصول وجهة النظر العربية الى الغربيين لا يرجع الى كسل العرب وتقاعسهم عن كسب الانصار بقدر ما يرجع الى سيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام » . وكم ركب الغم مثقفين فلسطينيين وعربا بعد أن كتبوا الى الصحف الغربية ردا على الحجج الصهيونية الفارغة المنشورة فيها ولم يروا رسالة واحدة لهم منشورة بالمقابل مهما كانت مفحمة ولا عجب ، فالهجوم على رئيس الولايات المتحدة أو ملكة بريطانيا اسهل كثيرا وأقل ثمنا من الهجوم على اسرائيل .

من هنا لاحظ الكاتب اليهودى الامريكى « **الفريد ليلنتال** » أن باب « بريد القراء » متحيز للصهيونيين فى النشر بنسبة عشرة الى واحد . أما فى المقالات الافتتاحية فان الكاتب الامريكى **اندرو جلاس** يقدر التحيز للصهيونية فيها بنسبة ستة الى واحد باعتراف الدوائر الصهيونية نفسها » . ولهذا فان النسبة الحقيقية قد تكون اكثر من ذلك .

قد يقول قائل : **هذا طبيعى ، فالعرب ليس لديهم ستة ملايين شخص فى أمريكا مثل اليهود وبالتالى ليس لديهم نفس النفوذ** .

والسؤال هنا : هل هذا ضرورى فى دولة ديموقراطية حقة ؟

الا يؤكد الارهاب الفكرى ضد العرب فى أمريكا سخافة النظرية الصهيونية القائلة بأن جماعات الضغط من امارات الديموقراطية الليبرالية ؟

وهل هناك ديموقراطية فى أن تعمل جماعات الضغط ضد مصلحة الشعب القومية ؟

لقد طرد **تشارلز بوست** مندوب الولايات المتحدة الكفء فى الامم المتحدة بناء على طلب « الجناح المناصر لاسرائيل » .

ثم هناك فضيحة سفينة التجسس الامريكية ليبرتى التى خسرت فيها الولايات المتحدة أيام حرب يونيو ٣٤ قتيلا و ٧١ جريحا على يد اسرائيل ، ومع ذلك فقد كان رد الفعل الرسمى الامريكى دون الحد الادنى المتوقع .

ثم ان اسرائيل تتمتع بوضع استثنائى فيما يتعلق بمسألة ازدواج الولاء القومى . اما تبادل معلومات التجسس والجواسيس بين الدولتين فليس له نظير فى التاريخ حتى مع بريطانيا أيام الحرب العالمية الثانية .

ذكر **ديفيد نيس** القائم بالاعمال بسفارة الولايات المتحدة بالقاهرة أيام حرب حزيران (يونيو) فى مقال نشرته له جريدة التايمز اللندنية فى ٥ شباط (فبراير) ١٩٧١ :

« لقد كانت اجهزة المخابرات المركزية والعسكرية الامريكية فى الشرق الاوسط تقوم الى حد كبير على احتياجات اسرائيل لا أمريكا » .

على أن أخطر تهديد من الجماعات الصهيونية الضاغطة لمصلحة الولايات المتحدة القومية حدث يوم ١٥ كانون أول (ديسمبر) عام ١٩٧٠ عندما قضى مجلس الشيوخ الامريكى بأغلبية ستين ضد عشرين صوتا على مشروع قانون تقدم به **السناتور وليامز** لتقييد حرية رئيس الجمهورية فى ارسال قوات عسكرية أمريكية الى الشرق الاوسط دون استئذان الكونجرس .

ملخص القول أن دخول الحركة الصهيونية الى حلبة السياسة الغربية قد كشف عن وجود ثغرات خطيرة فى نظامها الديموقراطى ، خاصة فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية بالدول . لهذا نرى ملحق صحيفة الاوبزرفر البريطانية فى ٣ كانون الثانى (يناير) ١٩٧١ لا يكتفى بوصف عام ١٩٧٠ بأنه « عام الفدائيين » وانما يقدم شهادة حاسمة فى هذا الصدد فيقول معللا ذلك :

« **اذا كان هناك تغير حاسم وهام قد حدث فهو**

في أن الصفوة الهامة القليلة من الشباب في المجتمعات الصناعية صارت ترى أن نمط العلاقات الدولية الذي يقوم عليه الرخاء المنقطع النظير للمجتمع الغربي لم يعد بكل بساطة مقبولا » ٠

لهذا لم يكن عجيبا ان تضيف صحيفة الاوبزرفر بالحرف الواحد :

« ليس صدفة أن القضية الفلسطينية صارت اكثر القضايا شعبية وسرعة في الانتشار بين صفوف الشباب الثوري » ٠

المزالق الصهيونية الخمسة

بعد هذه المقدمة الضرورية ننتقل الى الاضاليل أو الاوهام الصهيونية الخمسة الرئيسية التي زرعتها الحركة الصهيونية بذكاء في اذهان المثقفين الاسرائيليين عامة واليساريين منهم خاصة ٠ وسنتناول كل منها على حدة :

١ ـ هل قيام دولة يهودية ضروري للحفاظ على اليهودية ؟ هذا أمر مشكوك فيه ٠ فهناك ملايين من اليهود لا يزالون يمارسون الشعائر اليهودية ومع ذلك فهم مواطنون مخلصون للبلاد التي يقيمون فيها ٠

واذا تجاوزنا الجانب الديني من اليهودية الى جانب اللغة والتراث لوجدنا ان التحدث باللغة العبرية لم يزدهر الا في فلسطين والبلاد العربية عامة عبر القرون الطويلة التي سبقت قيام دولة اسرائيل ، هذا في الوقت الذي لم يكن يتحدث يهود الخارج بها وانما بالايديش واللادينو وغيرها ٠ ومن المؤكد ان هذا الوضع سيظل حتى في حالة انتهاء الدولة الصهيونية ٠

ثم ان لدينا امثلة قوية في هذا الصدد ـ فقد حافظت الجاليتان التركية واليونانية في قبرص على طابعهما القومي ٠ صحيح أن الجزيرة شبه مقسمة ، لكن ليس هناك حروب منتظمة ، ولا طرد جماعي ولا عقوبات جماعية ولا مصادرة بالجملة . وبكلمة اخرى فان قبرص الصغيرة (مثل فلسطين) لم تكن تستحق ان يطلق عليها لقب «ازمة الشرق الاوسط» كما هو الحال مع اسرائيل والفلسطينيين ، رغم تربص تركيا واليونان ببعضهما بعضا ٠

٢ ـ هل اللاسامية نتاج الاممين غير اليهود فقط ؟

منذ اقدم العصور والمتطرفون اليهود يحضون اليهود على عدم الاندماج ٠ يروي يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان الاسكندر الاكبر وخلفاؤه الاغريق قد «خ صصوا لليهود حيا خاصا بهم حتى يقل اختلاطهم بالاغراب ، وبالتالي يساعدهم على مراعاة شعائرهم بشكل ادق » وقد وصف يوسيفوس هذا الانعزال الجيتوي بأنه « نعمة » عليهم ٠

لكن الطهارة ومراعاة الطقوس الدينية لم تكونا السبب الوحيد وراء هذا الانعزال والا كيف نفسر ظهور الصهيونية العلمانية بل والصهيونيين الملحدين ؟

ثم ان عدم التسامح الديني عند اليهود قد زاد من حدة المشكلة ٠ يعترف كلاتسكن الصهيوني ان اليهودية « تحفل بالاسوار والاسيجة » كما نرى الحاخام الاكبر في بريطانيا الدكتور عمانويل جاكوبوفتس (وهو من زعماء الصهيونية هناك) يعترف بان اليهودية تنفر من الحوار مع الاديان الاخرى ٠ كما نرى حاخام جلاسجو ولف جوتليب يعترض على تردد الشباب غير اليهودي على النوادي اليهودية ٠

حدث هذا رغم ان الحاخام الاكبر جاكوبوفتس قد أشاد بموقف المسيحية المتسامح مع اليهودية في العصر الحديث ،خاصة في تبرئة الفاتيكان لليهود من دم المسيح ٠

واضح ان الغالبية الساحقة من الشباب اليهودي لا تهتم بالدين اليهودي ولا التقاليد اليهودية ٠ والتقديرات الصهيونية تقول ان نسبتهم تبلغ ٨٠ بالمائة من مجموع الشباب ٠ وبعضهم لا يعلم حتى انه ينتمي الى ابوين يهوديين (كما هو الحال في يوغوسلافيا مثلا) . وهذا هو ما يرفضه الصهيونيون ، اي انهم يرفضون حتى المساواة.٠ وبهذا يكرسون الشعار العنصري المشهور للبيض في أمريكا حين يصفون الزنوج بانهم « مختلفون ولكنهم يتمتعون بالمساواة » ٠ والفرق بين الحالتين هو ان الاقلية الزنجية تطالب بالغاء التمييز بينما تصر الصهيونية على بقائها . وهذا يفسر تصاعد الخلاف مؤخرا بين الزنوج واليهود الى حد الاشتباكات المسلحة في الولايات المتحدة ٠

ولعل هذا ما دعا مارتن اوبن احد زعماء الحقوق المدنية في نيويورك ان يقول لمجلة تايم الامريكية في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩. بالنص :

« انني اتهم زعماء اليهود باذكاء نيران اللاسامية الخامدة في هذا البلد كوسيلة لتوكيد الوعي اليهودي والذاتية والوحدة اليهودية » ٠

وقد امتد نجاح الصهيونيين فى هذا المجال الى الاتحاد السوفيتى ولكن على نطاق اوسع • وقد وقع فى هذه المصيدة اذكى المثقفين اليساريين الاسرائيليين الذين صاروا يستنكرون بحماس شديد ما يسمونه اللاسامية الحمراء فى الاتحاد السوفيتى ، ويطالبون بهجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل •

هناك استثناءات قليلة طبعا مثل اولئك الذين يسخرون من حق اليهود السوفيت فى « العودة الى أرض الاجداد » وحرمان اللاجئين الفلسطينيين من هذا الحق ، ومثل ذلك الشاب الاسرائيلى الذى طلبوا منه التوقيع على عريضة تأييد لهجرة اليهود الروس فرفض بحجة مختلقة وهو انه ليس على استعداد لاستضافتهم فى بيته فى غمرة أزمة السكن الطاحنة • وقد قبضوا عليه وكاد يدخل مستشفى المجاذيب لولا أن المحكمة اكتشفت ان معامل ذكائه مرتفع جدا •

على ان الاغلبية لا تدرى حقيقة الوضع فى الاتحاد السوفيتى ولا تصلها سوى المعلومات المنتقاة التى تروج لها الحكومة الاسرائيلية . وقد وقع فى فخ هذه الحملة الصهيونية صحفية مثل فيفيان برادوك وليامز مراسلة صحيفة الاوبزرفر البريطانية وقد بلغ من حماسها انها ذهبت الى موسكو لاستقصاء حقيقة الوضع فاذا بها تعود برأى مختلف تماما وشك عميق •

قالت فى مقال لها نشرته الصحيفة فى ١١ يوليو (تموز) ١٩٧١ « ان المصلين اليهود فى معبد ليرمونتوفسكى (فى لينتجراد) يكنون احتقارا « لجماعة أبناء اسرائيل » أو « جماعة الصهيونيين السوفيت » ثم أضافت :

« من الصعب ان يحكم المرء الى أى حد كانت احلام اليقظة الصهيونية تعلق الامانى على اليهود السوفيت والى أى مدى ترحب الطائفة اليهودية بالتدخل الخارجى »

على اية حال فان اللاسامية السوفيتية لو صحت لكانت فريدة فى نوعها ، فهى سياسية لا اجتماعية أى انها رسمية حكومية لا شعبية •

٣ ـ القوة هى التى صنعت التاريخ •• ومن سوء الحظ ان هذه الحجة الصهيونية صحيحة . لكن القوة بدون حق لا معنى لها مثل الحق بدون قوة خاصة فى النصف الثانى من هذا القرن • واذا تذكرنا ان اسرائيل هى الدولة الوحيدة التى لجأت الى الاستعمار الاستيطانى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية لتذكرنا لماذا وصف الدكتور ارنولد توينبى اسرائيل بأنها جاءت متأخرة عن زمانها (Anachronism) ومع ذلك فلابد من الاعتراف ان الناس ما لم يناضلوا فى سبيل حقوقهم فانهم خاسرون مهما كان التأييد العالمى لهم • وجنوب افريقيا مجرد مثال •

طبعا يحلو لاسرائيل ان تقول انها على اسوأ الفروض ستكون عاجلا ام اجلا مثل حكومة جنوب افريقيا : مكروهة ومعزولة ولكن العالم كله يعترف بها كدولة • لكن هناك ثلاثة فروق رئيسية بين الدولتين • فاسرائيل شردت عرب فلسطين عبر الحدود • ثم ان هؤلاء العرب لم يكفوا عن النضال ضدها • والفرق الثالث هو ان حدود اسرائيل لا تزال فى مرحلة الصنع •

ومن ناحية اخرى فقد صارت هناك قيود على استخدام القوة فى العلاقات الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ليس فقط بسبب قيود التسليح التى تفرضها الدول الكبرى والصانعة للسلاح ، وانما لاسباب اخرى كثيرة اهمها وجود هيئة عالمية للتحكيم (الامم المتحدة) فضلا عن الوعى السياسى الملحوظ للجيل الجديد •

٤ ـ أصحيح انه ليس هناك بديل كما يروج الصهيونيون ؟ ان جولدا مائير تقول ان هذه النقطة هى سلاح اسرائيل السرى •

يكفى اذن ان نكشف سر هذا السلاح كى يفقد الكثير من تاثيره :

اذا كانت الحروب الوقائية لاسرائيل محتومة فلان التوسع الاسرائيلى حتمى ايضا • واذا كان العرب لا يفقهون غير لغة القوة فلان هذا يبرر استخدام اسرائيل للقوة فى ضربات وقائية حتى تكتمل حدود اسرائيل المطلوبة • ولقد كانت مفاجأة ان يعترف حاييم بارليف وزعيمان اسرائيليان اخران على الاقل هذا العام (١٩٧٢) ان اغلاق خليج العقبة (الذى كان سبب قيام حرب الايام الستة) لم يكن فى الواقع يهدد بقاء اسرائيل • فمثل هذا الاعتراف يسىء الى شعار الصهيونية فى عدم وجود بديل او حل آخر •

وقد استخدم نفس الشعار فى التحريض على الهجرة . فالحل الوحيد عندهم للمشكلة اليهودية فى الاتحاد السوفيتى هو هجرة يهودها الى اسرائيل بالذات • وهذا يذكرنا كيف كانت الحركة الصهيونية تردد خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها انه لم يكن امام يهود اوروبا بديل سوى الهجرة الى فلسطين لانهم لم يجدوا مكانا اخر يلجأون اليه من الاضطهاد •

لكن من الثابت ان زعماء الصهيونية كانوا ضد

هجرة اليهود الى امريكا مثلا الى حد انهم قاوموا محاولة من الرئيس روزفلت لتهجير يهود رومانيا الى الولايات المتحدة • ويومها قال الوزير البريطانى السابق ريتشارد كروسمان رغم تعصبه الضارى للصهيونية :

« هؤلاء الصهيونيون عجيبون • فهم لا يريدون انقاذ اليهود من اوروبا ، وانما ارسالهم الى فلسطين » •

وقد فطن اعضاء جماعة الماتزين الى استخدام خدعة انعدام البديل (خاصة فى تبرير استحالة الانسحاب) فوزعوا على السياح نشرات تحذرهم من تصديق هذه الحجة وقالوا ان المسئولين وخاصة جولدا مائير ترفض مقابلتهم لانهم يستطيعون ان يقدموا لها عشرات البدائل والحلول •

تبقى هناك حجة صهيونية مماثلة ، وهى ان عسكرة اسرائيل امر حتمى للدفاع عن بقائها ، ومن هنا جاء اسم جيش « الدفاع » الاسرائيلى• وبعض المثقفين الثوريين يقولون انهم ليسوا على استعداد للدفاع عن غزوات اسرائيل ، ولكنهم جميعا على استعداد للدفاع عن اسرائيل نفسها •

والحقيقة ان هذه التفرقة شكلية • اذ ماذا يكون موقف هؤلاء لو اخترق الجيش المصرى ارض اسرائيل لتحرير الضفة الغربية مثلا • هل سيحملون السلاح ضده ؟ •

ولو تجاوزنا مسألة الضفة الغربية لوجدنا ان دفاعهم عن اسرائيل نفسها امر يثير التساؤل • فهم يعرفون مثلا أن دولتهم فريدة فى اخطائها من حيث :

● انها استخدمت القوة الغاشمة لتحويل الاقلية الى اغلبية •

● انها مصممة على التوسع ما دامت لم تعلن عن حدودها حتى الان •

● ان معظم سكانها ولدوا فى الخارج (٥٥ فى المائة) بينما العرب المولودون فيها لا يعاملون كمواطنين عاديين •

● انها دولة طائفية تقوم على الثيوقراطية والوعد الالهى •

● انها تدعى النقاء العنصرى رغم ان سكانها جاءوا من نحو ١٠٧ دولة بما فى ذلك اليابان •

● انها لم تجد حتى الان جوابا حاسما على السؤال : من هو اليهودى ؟ ومع ذلك تزعم انها دولة « لليهود » وحدهم •

● انها تباهى بانها ملجأ ليهود العالم رغم انها لا تضم اكثر من عشرين بالمائة منهم ، والباقون فضلوا البقاء خارجها •

● انها ضربت الرقم القياسى العالمى فى عدد الادانات التى تلقتها من الامم المتحدة والمنظمات العالمية الاخرى •

● انها بعيدة جدا عن الاكتفاء الذاتى لانها تعيش على أموال الاخرين •

● انها اشتراكية ومع ذلك تعتمد كلية على الراسمالية الامريكية فى التبرعات والاستثمارات (اكثر من ٧٠ فى المائة من استثماراتها امريكى) •

● ان هناك دولا كثيرة لم تعترف بها حتى الان •

● انها تزعم انها معقل الديموقراطية فى الشرق الاوسط ، ومع ذلك فلديها وزارة خاصة للشرطة وهو امر لا نظير له فى الديموقراطيات الغربية •

● انها تدعى انها قامت كرد فعل ضد النازية ومع ذلك تستخدم نفس اساليبها الفاشية فى فرض سياسة الامر الواقع ، والعقوبات الجماعية ، والمجال الحيوى ، والوطن الاكبر ، والتفوق العنصرى (كشعب الله المختار) ، واخيرا الابادة العنصرية لعرب فلسطين •

● انها – كتحصيل حاصل – قد تختفى من الوجود لو خسرت معركة واحدة ، بينما الشعوب الاصيلة لا تختفى عادة بين عشية وضحاها •

هذه الخصائص والتناقضات يعرفها كل المثقفين الاسرائيليين ومع ذلك – وهذا هو العجيب – فهم مستعدون للدفاع عن دولتهم لو تعرضت للخطر •

خدعة أخيرة لاسرائيل فى مجال انعدام البديل •

هناك اقتناع كامل فى اسرائيل بين الجميع تقريبا بعدم اعادة المرتفعات السورية (الجولان) بحجة ان السوريين كانوا يقصفون منها المستعمرات اليهودية فى سهل الحولة ، وانها لذلك لا يمكن الاستغناء عنها لامن الدولة •

ولعلّ من سخرية القدر أن اسرائيل – كما أسلفنا – قد خسرت من القتلى بعد احتلالها للمرتفعات السورية أكثر بكثير مما خسرت في مستعمرات الحولة نفسها ، فقد صارت المرتفعات السورية هدفا دائما لثوار فلسطين منذ حرب يونيو ٠

٥ – نأتى الآن الى أخطر الحجج الصهيونية رواجا بين المثقفين الاسرائيليين واليهود ، وهى تتعلق بدولة فلسطين الديموقراطية غير الطائفية التى تدعو لها الثورة الفلسطينية ٠

هنا يجد المرء مغالطات طريفة ينطبق عليها وصف موشى منوحين المعروف « اعادة كتابة التاريخ » فى معرض حديثه عن الموهبة الصهيونية فى تزييف المعلومات ٠

خير نموذج لذلك نشرة أصدرها « اتحاد الطلاب الاسرائيليين لشئون الشرق الاوسط » فى تل أبيب فى نيسان (ابريل) عام ١٩٧٠ ٠ وتحت عنوان « علمانية الدولة » يقرأ المرء ما يلى :

« هل يجب أن تكون فلسطين دولة عربية ؟ ان هذه نظرية عنصرية شوفينية ٠ لماذا يجب على مواطن اسرائيلى يتكلم العبرية ونشأ على التراث الاسرائيلى أن يصير عضوا فى الامة العربية ؟ اننا نفضل كثيرا الوضع الراهن فى اسرائيل التى تعتبر فيها العبرية والعربية اللغتان الرسمية للدولة منذ عام ١٩٤٨ » ٠

لكن من قال ان فلسطين يجب أن تكون دولة عربية ؟ ولماذا يفقد اليهود ثقافتهم العبرية فى دولة غير طائفية ؟ حتى الاكراد والنوبيون فى العراق ومصر لم يخسروا تراثهم ولغتهم الخاصة بهم ؟

ثم ان من السخف القول ان اسرائيل تختلف عن مصر والعراق من حيث أن دستورها لا ينص على دين محدد للدولة ، ولا يقول ان دين الدولة اليهودية ٠ فالواقع – كما يقول الكاتب اليهودى مايكل فراين فى صحيفة الاوبزرفر البريطانية – « العبرة فى اسرائيل ليس بما يقال بل بما يحدث فعلا ٠٠ الاشياء تحدث أولا ثم تبرر بعد ذلك » ٠

كلنا يعلم مثلا أن قانون العودة الاسرائيلى يطبق على اليهود دون اللاجئين الفلسطينيين العرب ٠ وكلنا يعلم أن اسرائيل لم تشهد وزيرا او جنرالا عربيا واحدا ، مسلما كان أم مسيحيا ، بينما شهدت الدول العربية عدة وزراء يهود ، منهم مثلا قطاوى باشا وزير المالية فى مصر ٠ حدث هذا رغم ان نسبة العرب فى اسرائيل تفوق كثيرا نسبة الجاليات اليهودية فى مصر ودول عربية أخرى ٠

حتى لو أخذنا الوضع « الاثير » للطائفة الدرزية فى اسرائيل كما يقولون لوجدنا الواقع يقول ان أعلى ضابط درزى فى الجيش الاسرائيلى لا تزيد رتبته عن رتبة (نقيب) بينما فى سوريا من الدروز ضباط برتبة « لواء » بل وزراء ٠

هل يكون كثيرا لو قلنا ان « النزعة اليهودية للانتحار الجماعى » كما يراها ماكسيم رودنسون لم يسلم منها حتى المثقفون الاسرائيليون دون قصد منهم رغم انهم أمل الاسرائيليين الوحيد فى الخلاص من شقاء الحروب ؟ ٠

هناك استنتاجات اخرى يمكننا الخروج بها من التجربة الاسرائيلية ، وربما كانت أكثر أهمية ، لانها تصلح أن تكون دروسا عامة لكل المثقفين فى العالم ٠

اليكم هذه العينات :

● ان الايمان والاعتقاد فى أى شئ مهما بلغ عمقه لا يجعل المرء بالضرورة على حق ٠

فما أكثر المهووسين الذين ضحوا بأنفسهم فى سبيل ما كانوا يرونه مثلا أعلى ٠ وهكذا فانه لا يمكن أن يكون هناك « صراع بين الحق والحق » (كما يصف ستون الصراع العربى الاسرائيلى) وانما بين الحق المستند الى لائحة حقوق الانسان والحق القائم على اللائحة الخاصة بأى تنظيم عقائدى ، أى بين القانون العام والقانون الفردى الخاص ٠

وهذا الحق الاخير يتوقف نجاحه فى النهاية على الثمن المدفوع من حقوق الانسان ٠٠

من ذلك ان كل الالمان تقريبا كانوا فى الثلاثينات يؤيدون هتلر بجنون ٠ فهذا زعيم وطنى : (فى نظرهم) يمرر البلاد من لا شئ ، ويقضى على البطالة بين عشية وضحاها ، ويرد للالمان كرامتهم القومية (تماما كما فى اسرائيل) ٠ ولكن لم يمض عقد من الزمان حتى صار « الزعيم المعبود » وانصاره مجرمى حرب يتبرأ منهم كل الالمان الذين دفعوا غاليا ثمن ايمانهم بالعقيدة ٠ وليس بعيدا أبدا أن يحدث نفس الشئ للاسرائيليين لو دفعوا نفس الثمن ٠

● ان وسائل الاعلام خطر حقيقي على الديموقراطية في الغرب بالذات حيث تستطيع الجماعات الضاغطة أن توجه الرأى العام كما تريد حتى ولو كان ذلك ضد الحقوق القومية والدولية ، بل ان المواهب الفردية قد تعانى من ذلك . فمن الميئوس منه مثلا ان يفوز عالم أو أديب عربي بجائزة نوبل طالما ظل العرب على عدائهم للصهيونية بكل نفوذها . كما ان تقييد حرية العرب في التعبير عن وجهة نظرهم في وسائل الاعلام الغربية فيه اساءة بالغة لحرية الصحافة والديموقراطية الاجتماعية عامة .

● ان الدولة المتقدمة ليست تقدمية بالضرورة . فقد جعل هتلر من المانيا أكبر دولة صناعية متقدمة في كل أوروبا ، ومع ذلك فعل ما فعل . وما تفعله الولايات المتحدة في الهند الصينية الان يزرى حقا بأهمية العيش الرغد والرخاء المادى . فالتعمير ورفع مستوى المعيشة والعمالة الكاملة كلها أمور لم تعد تخدع الشباب المثقف عن مساوىء السياسة الخارجية . لكن هذا الانخداع يبلغ مداه الاقصى في اسرائيل . وربما كان هذا هو الذى جعل أحد الحمائم فيها وهو الدكتور عمنون روبنشتاين عميد كلية الحقوق بجامعة تل أبيب يصف الجيل الاسرائيلى الصاعد من طلاب الجامعات بأنه « رجعى ومتخلف التفكير » في غالبيته .

● ان ازدواج الولاء القومى – على الاقل بالمعنى الصهيونى – ليس معناه توزيع الولاء بالتساوى بين الدولة المضيفة والدولة الام وانما معناه أن يذهب الولاء بالدرجة الاولى الى الدولة الام حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة الدولة المضيفة .

والحق ان العالمية الصهيونية (Cosmopolitanism) كما يدعو اليها سولجنتسن اليهودى الفائز بجائزة نوبل تكاد تكون مرادفة للانتماء الى حركة طائفية ولكنها عالمية الانتشار وكل أعضائها يعتبرون أنفسهم « ضيوفا » على الدولة التى يعيشون فيها .

وبكلمة أخرى فانها تعنى أن يكون المرء متعاليا علـى التعصب القومى (Supra-nationalistic) في الدولة التى جاءت به الى هذا العالم ، من أجل أن يصبح بعد هذا كله من غلاة المتعصبين قوميا ultra-nationalist لدولة أجنبية طائفية بل وعنصرية في قوميتها .

ولعل هذا يفسر شكوى زعيم يهودى ليبرالى مثل البرت فورسبان من أن المتطرفين اليهود لا يهتمون بالقضايا العنصرية بحجة انه لا صلة لها باليهودية . « بل انهم يطلقون أوصاف التحقير على غير البيض » و « ينزعجون اذا أثار أحد مشكلة الحقوق المدنية حتى ليبدو عليهم انهم يؤثرون تفاديها أو تجاهلها كلية » .

ختاما فان خير تلخيص للتجربة الاسرائيلية عامة وموقف المثقفين الاسرائيليين منها خاصة قد جاء على لسان واحد منهم هو ميرون بن فنستى الذى قال جملته المشهورة في مجلة نيوزويك الامريكية الصادرة في ٢٠ نيسان (ابريل) عام ١٩٧٠ :

« أما أن تكون لنا دولة يهودية ولكنها غير ديموقراطية ، أو دولة غير يهودية ، ولكنها ديموقراطية » .

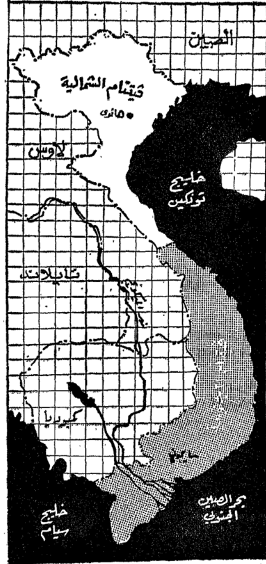
ورغم ذلك لم يمنع هذا التصريح الحاسم بن فنستى من العمل نائبا لعمدة القدس « الموحدة » !

وسيذكر التاريخ فيما بعد أن التجربة الاسرائيلية كانت نقمة على الديموقراطية الغربية ، لانها كشفت كثيرا من مساوئها الخافية .

درس فيتنام

انتصـــــار

« حـرب الشعب »



- قراءة سياسية لاتفاقية فيتنام
- من الثورة الوطنية الى الثورة الاشتراكية
- الجبهة الوطنية : أعظم التجارب السياسية
- الاضافة الفيتنامية لاستراتيجية وتكتيكات حرب التحرير الشعبية
- الديمقراطية عامل أساسى فى النصر
- من تجارب النضال الثورى فى فيتنام
- مسيرة ثورة فيتنام المنتصرة

لم تكن هذه ، هى المرة الاولى التى فكرت فيها « الطليعة » للكتابة عن « درس فيتنام » . فقد كانت الانباء اليومية عن مجريات النضال الفيتنامى ، زاخرة بالمادة والاحداث التى تغنى عن اى كتابة ترصد الحقيقة التى باتت مسلمة نهائية فى ضمير شعوب العالم : ان شعب فيتنام ـ وبرغم كل صعاب بلده النامى وميراث التخلف والقهر الذى فرضه الاستعمار اليابانى ثم الفرنسى ثم الامريكى .. عليه ـ استطاع بعبقرية نضالية ، لا ان يصمد فحسب أمام أعتى واشرس استعمار عرفه التاريخ ـ أى الاستعمار الامريكى ـ بل وان ينزل به الخسائر تلو الخسائر ثم ينتصر عليه آخر الامر .

ان « شعب » فيتنام الذى حارب « حتى النخاع » ، اذا جاز التعبير ، والذى انزل الخسائر ثم الهزيمة بالاستعمار الامريكى فى فيتنام .. تلك القوى الاجتماعية التى تتعارض مصالحها مع السياسة الامريكية . هى باختصار : جماهير العمال والفلاحين وقياداتها وجماهير الديمقراطيين الوطنيين والتقدميين بشكل عام .

وعندما ألحت وكالات الانباء ، طوال الاسابيع القليلة الماضية ، الى قرب توقيع اتفاقية فيتنام ، وبمعنى آخر عندما أدركت الولايات المتحدة الامريكية بكل جبروتها وسطوتها وعنفها وترسانتها العسكرية والتكنولوجية .. انه لا سبيل الى تحقيق « انتصار عسكرى » أو حتى مجرد حصار حركة الثورة رضخت وسلمت بغير أهدافها ومطالبها ، واخيرا عندما اذاعت « هانوى » نص الاتفاقية الخاصة بفيتنام والتى حاول الرئيس الامريكى نيكسون بعد فوزه فى الانتخابات « التراجع عن بعض معطيات هذه الاتفاقية ـ عند ذلك كله ، رات « الطليعة » ضرورة نشر دراستها فى هذا العدد .

ولم يكن شاغل « الطليعة » فى هذه الدراسة ، ان تجيب على سؤال : ماذا حدث فى فيتنام ؟ وانما رات ان السؤال الذى يجب ان يشغلها ـ بل يشغلنا جميعا ـ هو : كيف واجهت قوى الثورة فى فيتنام « العنف الامريكى » وآخر مبتكرات « الجهاز العسكرى الامريكى » .. سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا على كل المستويات وانتصرت عليه . وحاولت « الطليعة » أن تضع يدها على « الحلقة الرئيسية » فى العمل الوطنى الثورى الفيتنامى المنتصر . والواقع أن التنظيم السياسى القائد للعمل الوطنى ، الجبهة الداخلية الموحدة المعادية للاستعمار وللرجعية والتى ارتقت الى مستوى التحدى الامريكى ، ربط العمل السياسى بالعمل العسكرى ، الاقتناع التام بضرورة التضحيات الى ما غير حد ، ربط حركة التحرر فى فيتنام بحركة الثورة العالمية ، التحديد الواضح لمن هو العدو ومن هو الصديق والتعامل مع كل منهما وفق هذا التحديد المقتدر ـ تلك جميعها مجموعة الدوائر التى شكلت « الحلقة العبقرية » لثورة فيتنام . وان شئنا ان نقولها فى كلمتين : « حرب الشعب » .

وسواء وقعت أمريكا على الاتفاقية بنصوصها التى أذاعتها هانوى . او لم توقع . وسواء أدخلت عليها بعض التعديل ـ وهو بالقطع لن يمس جوهر ما وافق عليه الفيتناميون من قبل ـ أو لم تعدل ، فان مجرد تسليم أمريكا بتوقيع « اتفاقية » مع الاطراف التى لم تكن تعترف بها من قبل بل وكانت تسمى عملها الثورى « بالغزو » ـ مرة ـ أو « بالخطر الشيوعى » ـ مرات ـ يعنى هزيمة جوهر الخط السياسى والعسكرى الذى انتهجته أمريكا طوال سنوات تسع فى فيتنام .

وتعرف « الطليعة » مقدما أن الاجابة على السؤال الذى طرحته ـ أو بمعنى أدق طرح نفسه ـ ليست عملية سهلة ، ولكن عرض التجربة ـ من هذه الزاوية ـ تمثل أهمية قصوى بالنسبة لشعوبنا العربية والظروف الدقيقة التى تعيشها . واذا كان العدو الاسرائيلى قد حاول الاستفادة من التجربة الامريكية التى فشلت أخيرا فى مواجهة « حرب العصابات » ومواجهة « المقاومة الوطنية » ، فان الاستفادة ، كل الاستفادة من التجربة الفيتنامية المنتصرة والمليئة بكل ما هو شريف وثرى وخصب فى النضال المعادى للاستعمار ، مسئولية وطنية تقع على عاتق بلادنا وشعوبنا . ولسنا بحاجة الى القول انه برغم كل ما يمكن ان يقال عن اختلاف الظروف الموضوعية هنا والظروف الموضوعية هناك ، فان ضرورة الاستفادة من « درس فيتنام » ، ضرورة وطنية .

ان دراسة هذا العدد ، بالاضافة الى وثيقة « البرنامج السياسى الجديد للجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية » التى نشرناها فى عدد نوفمبر ١٩٦٧ ، وبالاضافة الى ملف « المعهو : الرجل .. الثورة .. الفكر » الذى نشرناه فى عدد اكتوبر ١٩٦٩ ، وبالاضافة الى كل المقالات وتقارير الشهر والتعليقات والكتب التى نشرناها عن فيتنام طوال السنوات الماضية ذلك فى نهاية الامر ليس سوى انحناءة رأس .. متواضعة اجلالا لشعب فيتنام الذى افتدى حركة التحرر الوطنى العالمية فى هذا العصر .



قراءة سياسية لاتفاقية فيتنام

جوهر الاتفاقية :

تراجع أمريكا

وانتصار الثورة

حسين شعلان

[] النص الكامل

① تحترم الولايات المتحدة استقلال وسيادة ووحدة وسلامة أراضي فيتنام كما كفلتها اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ .

② بعد ٢٤ ساعة من توقيع الاتفاق يتم وقف اطلاق النار في كل فيتنام الجنوبية ، وتوقف الولايات المتحدة كل نشاط عسكري لها ، كما توقف القصف والتلغيم في فيتنام الشمالية .

وفي خلال ٦٠ يوما يتم انسحاب كامل من فيتنام الجنوبية للقوات والافراد العسكريين التابعين للولايات المتحدة وللدول الاخرى المتحالفة مع الولايات المتحدة ومع جمهورية فيتنام [الجنوبية] ولا يسمح للطرفين الفيتناميين الجنوبيين [الحكومة والثوار] بقبول ادخال قوات أو مستشارين عسكريين أو افراد عسكريين أو اسلحة أو ذخائر أو مواد حربية الى فيتنام الجنوبية . ويسمح للطرفين الفيتناميين الجنوبيين باستبدال الاسلحة والذخائر والمواد الحربية بصفة دورية مما يستهلك أو يفسد بعد وقف اطلاق النار على أساس تعويضها بنفس العدد ونفس المواصفات . وتوقف الولايات المتحدة التزامها العسكري وتدخلها في الشئون الداخلية لفيتنام الجنوبية .

③ تتم اعادة جميع الاسرى والمعتقلين المنتمين للاطراف المتحاربة في وقت واحد مع انسحاب القوات الامريكية .

④ تكون مبادىء ممارسة شعب فيتنام الجنوبية لحق تقرير المصير على

الحديث عن الاتفاقية التي اذاعت هانوي أنه تم التوصل اليها ، بنودها ومعناها ومدى قربها وبعدها عن الشروط التي طرحها الثوار من قبل ، لا يمكن أن يتم دون أن يمر بمسألة معنى اعلان نصوص الاتفاقية من جانب هانوي والثوار .

اذ تشاء قوى الثورة في فيتنام ، وهي تضع اللمسات الاخيرة للانجاز الاول لانتصار نضالها الاسطوري ، أن تضعها باقتدار سياسي يماثل ذلك الاقتدار العسكري والسياسي الذي مارسته طوال سنوات كفاحها وبطولاتها . ويثبت قادة ثورة فيتنام بذلك ، أنهم عباقرة حتى اللحظة الاخيرة من اسدال الستار على فصل « **الانتصار على أعتى امبريالية في التاريخ** » ، ليبدأوا فصل « **بناء المجتمع الجديد** » ، لأعظم دراما وطنية في القرن العشرين : فيتنام .

لقد أصبح في مقدور قوى الثورة في فيتنام ـ نتيجة لطول تمرسهم النضالي واقتدارهم ـ أن تتوصل **بالعمل السياسي** ضد العدو ، الى نتائج في كل المجالات ، تماثل تماما تلك النتائج التي يحتاج هدف انجازها الى عمل **عسكري كبير** .

لاتفاقية السـلام []

النحو التالى : يقرر شـعب فيتنـام الجنوبية بنفسه المستقبل السياسى لفيتنام الجنوبية عن طريق انتخابات عامة حرة وديمقراطية حقا تحت اشراف دولى .

ليست الولايات المتحدة ملتزمة ازاء أى اتجاه سياسى أو اية شخصية فى فيتنام الجنوبية ، ولا تسعى لفرض أى حكومة موالية للامريكيين فى سايجون .

تتحقق المصالحة والوفـاق الـوطنى وتؤمن الحريات الديمقراطية للشعب . ويقام بنيان ادارى يطلق عليه اسـم المجلس الوطني للمصالحـة ، والوفاق الوطنى مكون من ثلاثة أقسام متساوية ليتولى تنفيذ الاتفاقـات التى توقعهـا الحكومة الثورية المؤقتة لجمهورية فيتنام الجنـوبية وحـكومة جمهـورية فيتنام [الجنوبية] ولتنظيم اجراء الانتخابات العامة ، ويتشـاور الطرفان الفيتناميان الجنوبيان حول تشـكيل المجالس على مستويات أدنى .

تسوى مسالة القوات المسلحة الفيتنامية فى فيتنام الجنوبية بواسـطة الطرفين الفيتناميين الجنـوبيين بروح المصـالحة والوفاق الوطنى والمسـاواة والاحترام المتبادل ، دون تدخل خارجي وفقـا للموقف بعد الحرب .

بين المسـائل التى يتعين أن يناقشها الطرفان الفيتناميان الجنوبيان ، الخطوات نحو خفض اعداد العسكريين فى كـلا الجانبين وتسريح القوات التى يتم خفضها

ويوقع الطرفان الفيتناميان الجنـوبيان اتفاقا بشـأن المسائل الداخلية لفيتنام الجنوبية باسرع ما يمكن وتبذلان أقصى ما بوسـعهما لتنفيذ هذا فى غضون ثلاثة أشهر بعد أن يصبح وقف اطلاق النار نافذ المفعول .

⑤ تنفيذ اعادة توحيد فيتنام خطوة خطوة بالوسائل السلمية .

⑥ تشكل لجنة عسكرية مشتركة من أربعة اطراف ولجنة عسكرية مشتركة للطرفين الفيتناميين الجنوبيين .

تقام لجنة دولية للرقابة والاشراف .

يعقد مؤتمر ضمان دولى بشأن فيتنام فى غضون ٣٠ يوما من توقيع هذا الاتفاق

⑦ يتعين على حـكومات جمهـورية فيتنام الديمقراطية والولايات المتحـدة وجمهورية فيتنام أن تحترم بالكامل الحقوق الوطنية الاساسية لشعبى كمبوديا ولاوس وهى الحقوق التى أكدتها اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ الخاصة بالهند الصـينية ، واتفاقيات جنيف لعام ١٩٦٢ الخاصـة بلاوس ، وهى الاسـتقلال والسـيادة والوحدة والسلامة الاقليمية لهاتين الدولتين

تحترم الحكومات المذكورة حياد كمبوديا ولاوس وتتعهد حكومة فيتنام الديمقراطية والحكومة الثورية المؤقتة لجمهورية فيتنام الجنوبية وحكومة الولايات المتحدة وحكومة جمهورية فيتنام الجنوبية بعدم استخدام أراضى كمبوديا ولاوس للاعتـداء على سيادة وأمن الدول الاخرى .

تنهى الـدول الاجنبية جميـع أوجه نشاطها العسكرى فى لاوس وكمبوديـا وتسحب جميع قواتها وكل مستشاريها وأفرادها العسكريين وجميـع أسلحتها وذخيرتها وموادها الحربية منها ، كمـا تمتنع عن ادخال كل ذلك مرة أخرى الى الدولتين .

تسوى الشئون الداخلية فى كل من كمبوديا ولاوس بواسطة شعبيهما ودون تدخل أجنبى .

أما المسائل التى تخص دول الهنـد الصينية الثلاث فتسوى عن طريق الاطراف الهندية الصينية على اساس الاحترام المتبادل للاستقلال والسـيادة والسلامة الاقليمية وعدم التدخـل فى الشـئون الداخلية لاى من الدول الاخرى .

⑧ ان انهاء الحرب واستعادة السلام فى فيتنام يخلق الظروف لاقامة عـلاقة جـديدة متكافئة ومفيـدة للطرفين بين جمهورية فيتنام الديمقراطية والولايـات المتحـدة .

تسهم الولايات المتحدة فى تضـميد جراح الحرب وفى اعادة البناء فيما بعد الحرب فى جمهورية فيتنام الديمقراطية وفى انحاء الهند الصينية .

⑨ يصبح هذا الاتفاق نافذ المفعول بمجـرد توقيعـه . وتنفـذه جميـع الاطراف بدقة .

فاعلان الاتفاقية من جانب قوى الثـورة الفيتنامية :

● ابراز لمبدأ هام من المبادىء التى حرصت قيادة الثورة الفيتنامية على تأكيده ، وهو أنها لا تقدم على خطوة مصيرية أو هامة ولا تتمها من وراء ظهر قواتها الجماهيرية وكوادرها – وهى مصدر قوتها الداخلية – أو الرأى العام العالمى الذى حرصت دائما على كسبه ونجحت فى ذلك باقتدار • وهى بذلك تقطع الطريق ، ومنذ البداية ، على اى محاولة معادية أو مناهضة فى الداخل وفى الخارج معا • فضلا عن أن كسب القوتين معا الى جانبها فى حالة تراجع أمريكا عن توقيع الاتفاق ، يضيف رصيـدا مطلوبا الى ارصـدة تأييدها ودعمها ومساندتها •

● ان تلميحات حكومة نيكسون الى قرب التوصل الى اتفاق للسلام فى فيتنام ، قبيل اجراء انتخابات الرئاسة ، كانت تهدف الى وضع المسألة فى « اطار أمـريكى » كعنصر مـن « حسابات الانتخابات » يكسب به نيكسون مؤيدين جددا ، ويكسب وقتا – بعدم توقيعه الاتفـاقية قبـل الانتخابات – يمكنه من اعادة التفاوض فـى ظل « مركز » أكثر قوة •

ولكن اعلان قوى الثورة الفيتنامية للاتفاقية ، وضع المسألة فى « اطار فيتنامى » ، يخل « بمركز القوة » الذى حاوله نيكسون ، ويعيد المسألة الى وضعيتها السابقة : فشل سياسة القوة الامريكية وفشل سياسة « الفتنمة » وأنه لا سبيل أمام أمريكا الا « التسليم » بحقوق وحرية شعب فيتنام الذى تفوق بارادته وادارته السياسية والتنظيميه والعسكرية على أحدث ما توصلت اليه ترسانة التكنولوجيا العسكرية الامريكية .

ووضع القضية بهذا الشكل ، يضعف مركز نيكسون اذا حاول التراجع والتعلل بأن حكومة سايجون العميلة غير موافقة ، لانه حينئذ يضع نفسه فى وضع الرجل المستعد « لذبح » كل أبناء امريكا من أجل مجرد عناصر حكومة عميلة لها ، وتنهار وقتها أى « حجة » كان يتحدث بها عما سمى « بشرف » امريكا ، أو « سمعتها » .

● ان استقراء الاوضاع داخل فيتنام الجنوبية ، وهو ما تدركه بالقطع قيادة الثورة الفيتنامية ، تدل على أن اذاعة نصوص الاتفاقية والتداعيات السياسية لذلك ، تؤدى الى مزيد من اضعاف حكومة فان ثيو العميلة وعزلها سياسيا حتى عن أولئك الذين خدعوا أو تورطوا معه . فاعلان ثيو لاعتراضه على الاتفاقية – وهو عنصر حسبه الثوار – بعداذاعة نصوصهاوقبل التوقيع عليها ، ثم التوقيع عليها بعد ذلك مع الاحتفاظ بجوهرها دون أن تعدل وفق اعتراضاته ، يسقط عنه «قناع» البطولة الوهمية الذى حاول ارتداءه عاجزا ليبدو فى مظهر « المستقل » أو صاحب « الارادة المستقلة » عن أمريكا ، وبمعنى آخر يريد الثوار – باذاعتهم للاتفاقية – أن يقولوا أن ما توصلت اليه أمريكا تم التوقيع عليه دون أن يكون لوضع ولاعتراضات فان ثيو ، اعتبار فى ذلك ، وذلك فى حد ذاته مكسب للثورة . وفضلا عن هذا الهدف ، فان متداعيات ما بعد اذاعة الاتفاقية ، داخل صفوف أعوان ثيو والقوات العاملة معه والقوى الخارجية المختلفة المتحالفة معه ، يمكن أن تحدث ارتباكا بينهم وتعمق من متناقضاتهم وخلافاتهم مهما كانت ثانوية أو محدودة ، وذلك فى حد ذاته – أيضا – مكسب آخر للثورة ومواقعها .

● أما بالنسبة للصفوف الداخلية للثورة الفيتنامية نفسها ، فان اذاعة الاتفاقية ونصوصها يكتسب معنيين هامين – **أولا** : انه يعنى بالنسبة لقوات وجماهير الثورة ، ان **النصر** على وشك أن يتحقق ، وأن العدو على وشك أن يسلم . وعندما يقترن ذلك المعنى بوثيقة تذاع ، فانه يعنى من الناحية العملية ، رفع معنويات وقدرات قوات الثورة وجماهيرها ، ليواصلوا تعزيز مواقعهم تحويل هذه الاتفاقية الى حقيقة واقعة . **ثانيا** : ولكن اذاعة الاتفاقية عنيت فى نفس الوقت أن توضح احتمالات تراجع العدو عن توقيعها أو المماطلة فى ذلك . وهنا يكتسب الامر ، طابع **التحذير** والدعوة الى اليقظة . وهذا التحذير بدوره يعنى قطع الطريق على أى احتمال لمناخ يمكن ان يميع القضية ، أو أن يقضى الى البلبلة ، أو لتفكير فى « الراحة » حاليا .

من هذا كله ، تتأكد لنا حقيقة أن الفيتناميين كانوا يقاتلون فى جبهة الحرب بآلات الحرب ، دون أن ينسوا السياسة . وفى جبهة السياسة (ومنها المفاوضات) يحاربون بسلاح السياسة : تحريك كل عناصر القوة لتحقيق الهدف الممكن ، دون أن ينسوا الحرب .

فى الحالة الاولى كانت الحرب « استمرار السياسة بطرق أخرى » . وفى الحالة الثانية كانت السياسة « استمرار للحرب بطرق أخرى » . وفى الحالتين : كانت عبقرية ثورة فيتنام : الربط بين الحرب والسياسة بحيث يصعب أن تفرز بدقة ، الاعمال التى تدخل تحت بند الحرب الصرفة ، أو تلك التى تدخل تحت بند السياسة الصرفة ، فقد كانوا يحاربون ويحررون أراض جديدة ، ويعلنون فى نفس الوقت رغبتهم واستعدادهم للتفاوض من أجل السلام على أساس الاعتراف بحرية واستقلال وسيادة بلادهم . فاذا ما بدأت المفاوضات ، حاربوا من أجل فرض مزيد من الشروط على العدو من موقع مزيد من القوة .

جوهر الاتفاقية : انتصار الثورة

● ان جوهرالاتفاقية – بل وبعضصياغاتها – هو نفس جوهر مشروعات « اقتراحات التسوية » الاربعة التى طرحتها قوى الثورة فى فيتنام (٨ مايو ١٩٦٩ – ١٧ سبتمبر ١٩٧٠ – أول يوليو ١٩٧١ – ١١ سبتمبر ١٩٧٢) . وقراءة هذه المشروعات الاربعة ، تبين أنها تدور جميعا حول مبادىء أساسية وجوهرية ثلاثة :

– التمسك بالسيادة الوطنية واحترامها .

- ضرورة انسحاب القوات الامريكية انسحابا كاملا وفي آجل محدد .

- حق تقرير مصير جنوب فيتنام .

وربما كانت هذه المبادىء الثلاثة - كعناوين مجردة - موضع حديث ودعايات الحكومة الامريكية ومزاعمها . بل وربما أيضا موضع دعايات حكومة سايجون العميلة ومزاعمها ، ولكن الاتفاقية نصت عليها **بمضمون الثوار** ، وليس **بالمضمون الامريكى** .

ولا يختلف اثنان - حتى اذا كان احدهما نيكسون نفسه - على حقيقة أن الاعتراف بهذه المبادىء الجوهرية وفق مضمون الثوار ، لم يكن ممكنا - بل كان مستحيلا - اذا لم تكن قوى الثورة فى فيتنام قد دفعت الثمن .. ودفعته غاليا . كان مستحيلا ، الا بصمود شعب فيتنام للعدوان الامريكى بكل ضراوته التى لم يشهد تاريخ العالم مثيلا له . كان مستحيلا ، لو لم تلحق قوى الثورة في فيتنام الاضرار الجسيمة التي الحقتها بالقوات الامريكية وبالسياسة الامريكية وكل مناوراتها وآحابيلها التى كانت آخرها سياسة « **الفتنمة** » والتى فشلت بشكل مهول .

وتلك هي القيمة الحقيقية لتضحيات الفيتناميين البطولية . حيث لم تنتظر قوى الثورة فى فيتنام ، أسيرة أوهام احتمال أن يعترف بها العدو أو أن يمنحها ما تناضل من اجله أو بعض ما تناضل من أجله . فالفيتناميون الذين بدأوا قتالهم ضد العدو - بأقل الامكانيات ودون استئذان الا ضميرهم الوطني وهمومه - وتحملوا مواجهة أكثر من مليون جندى مدجج بالسلاح الامريكي (منهم نصف مليون جندى فى بعض الاوقات بكل تفوقهم وعتادهم الذي أخرجته ترسانة التكنولوجيا العسكرية الامريكية) ، كما تحملوا مواجهة آلاف الطائرات الامريكية وما يتجاوز ١٤ مليون طن من المواد الناسفة شديدة الالتهاب .. فقط ، بل وأسقطوا آلاف الطائرات الامريكية باعتراف الامريكيين أنفسهم ، نقول أن الفيتناميين هؤلاء هم - وهم فى الاساس - الذين صنعوا البداية ويصنعون اليوم النهاية ; نهاية الاستعمار الامريكي فى فيتنام . ولكى لا نجاوز الحقيقة ، ينبغى أن نضيف الى نضالهم الذى كان العنصر الحاسم فى الموقف ، مساندة ودعم البشرية التقدمية كلها - والمعسكر الاشتراكى بالذات ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى - وجميع القوى المحبة للسلام فى العالم . لقد نجح الفيتناميون لانهم عرفوا كيف يتعاملون مع عدوهم ، وكيف يتعاملون مع أنفسهم وبين صفوفهم ، وكيف يتعاملون مع أصدقائهم وحلفائهم والرأى العام العالمى . ولم يكن كسبهم لاصدقائهم وحلفائهم والرأى العام العالمى ، الا نتاج تصديهم لعدوهم وقدرتهم على الارتقاء بتنظيم صفوفهم الى مستوى التحديات التى واجهوها .

● **تعنى نصوص الاتفاقية** ، أن **التنازلات** التى قدمتها الحكومة **الامريكية** ، بالنسبة الى ما كانت تعلن عنه من قبل وعن تمسكها به ، انما تعد **تنازلات أساسية** .

لقد قامت أمريكا بعدوانها على الشعب الفيتنامي ، لضرب حركة التحرر الوطني النامية فى الجنوب ، وضرب نتائج الانتصار الساحق الذى حققته قوى الاشتراكية على الاستعمار الفرنسي المنهزم . وأمام تنامي هذين **التيارين** الظافرين : فى الجنوب والشمال ، دخلت امريكا - بكل قوتها - الحرب ضد فيتنام ، وعلى مراحل .

وكانت الحكومات الامريكية المتعاقبة ، تتذرع أمام الرأى العام الامريكي فى الداخل ، وأمام بعض دوائر الرأى العام العالمي ، بحجة أنها تتدخل من أجل انقاذ الجنوب من « الخطر » ومن أجل مواجهة « التدخل الشيوعى » و « الغزو الشيوعى » عن طريق فيتنام الشمالية .

وجاءت الاتفاقية ، خالية من « **الشرط الامريكي** » - الذى كانت تصر عليه أمريكا من قبل - بانسحاب قوات فيتنام الديمقراطية **فى الحال** . هذا الشرط الذي كان يندرج في المشروع الامريكي تحت بند « انسحاب جميع القوات الاجنبية من فيتنام الجنوبية » .

وفضلا عما يعنيه ذلك من مكسب لثوار الجنوب ، حيث يمكن لهذه القوات أن تلعب دورا فى مساندتهم أمام أي محاولة للانقضاض عليهم ، فانه يعنى أساسا ، **تراجع** أمريكا سياسيا وأدبيا عن مقولة « الغزو » و « **التدخل** » . ومن ثم تكون مساندة فيتنام الشمالية لثوار الجنوب ، فى اطار مفهوم « الثورة الفيتنامية » .

وهذا التنازل - أو التراجع - **تنازل أساسى** وهام ، وله دلالاته السياسية الكبيرة .

كما جاءت الاتفاقية ، خالية من « **الشرط**

الامريكى » ـ الذى كانت تصر عليه الولايــات المتحدة ـ باخلاء جبهة التحرير الوطنية لقواتها من المواقع التى تحتلها . وذلك يعنى اعتــراف أمريكا ـ سياسيا وأدبيا ـ بجبهة التحرير الوطنية كعنصر أساسى من عناصر أى وضع جديد فى فيتنام الجنوبية . كما يعنى التسليم بالمكاسب العسكرية والسياسية التى حققوها،وبذلك تعود امريكا لتقر أمام الرأى العام الامريكى الذى ضللته ، بأن حكومة سايجون لا تمثل الا واحدة من القوى السياسية والاجتماعية فى فيتنام ،وانها لاتسيطر الا على جزء من أرض فيتنام .

ومعنى احتفاظ جبهة التحرير بـالاراضى المحررة ، الابقاء على ما أقاموه فوقها من نظم ومؤسسات ومنجزات وطنية ديمقــراطية . ولا يحتاج الامر الى ذكاء كبير ، للقول بأن سكان هذه المناطق المحررة ، لن يرضوا بأوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية أقل من تلك المكاسب التى حققتها لهم جبهة التحرير . بل ان « السلام » يعنى بالنسبة لهم ـ بالضرورة ـ مزيدا من هــذه المكاسب .

وهذا التنازل ـ أو التراجع ـ تنازل أســاسى وهام اضطرت أمريكا الى تقديمه تحت وطأة نضال جبهة التحرير الوطنية وما ألحقته بـالقوات الامريكية من خسائر ضخمة .

بل ان الاتفاقية تعنى ـ كذلك ـ تسليم أمريكا بمشاركة الشيوعيين ـ كقوة وطنيــة ـ فــى السلطة . سواء **بشكل محدد** ، عنـدما تتحدث **الاتفــاقية** عــن الائتــلاف الثــلاثى (حكومة سايجون ـ جبهة التحرير ـ الاتجاهات السياسية والدينية المستقلة) حيث يمثل الشيوعيون واحدة من القوى النشطة داخل الجبهة وفى قيادتها . أو **بشكل أكبر** عندما تتحدث الاتفاقية عن توحيد شطرى فيتنام بالطرق السلمية ، حيث أن نصف فيتنام (الشطر الشمالى) نظام شيوعى .. ومن ثم فان مشاركة الشيوعيين ، له صفته **الدائمة** . وهو تسليم اضطرت له امريكا تحت ضغطين : انتصار النظام الشيوعى فى الشمال ، ثم الدور الفعال للشيوعيين فى الجنوب .

النتيجة النهائية اذن : استمرار انتصار النظام الشيوعى فى الشمال ، وانتصار حــركة التحرر الوطنى فى الجنوب .

وهذه جميعها ـ فى التحليل الاخير ـ تنازلات أو تراجعات أمريكية ، أساسية وجوهرية ، تتقوض بها كل المزاعم التى تذرعت بها الولايات المتحدة الامريكية وأنصارها .. لشن العدوان الاجرامى ضد شعب فيتنام .

● كان الثوار ، يشترطون فى مشروعاتهم الثلاثة الاخيرة ، **تنحية فان ثيو فى الحــال** ، باعتباره « خائن لوطنه » . ولا يمــانعون ـ فى مشروعاتهم هذه ـ مـن أن تضـم « السلطــة الائتلافية » ـ من عناصر ثلاثة ـ « **أشخاص مـن حكومة سايجون يؤيدون حقا السلام والاستقلال والحيــاد والديمقــراطية** » . كمــا كانــوا يتمسكون ـ فى مشروعاتهم الاربعة ـ بأن يتــم **الافراج عن جميع المسجونين والمعتقلين السياسيين وأسرى الحرب فى الجنوب بمجرد انهاء القتال** .

ولكن الاتفاقية ، خلت من هذين الشرطين ، بمــا يعنى أن قوى الثورة فى فيتنام ، قدمت **تنازلين** .

وفى اعتقادنا أن هذين التنازلين ، **غــــير جوهريين** ، اذا نظرنا لهما فى ضوء استقراء الوضع الراهن فى فيتنام وآفاق تطور الحركة الوطنية والثورية ، لماذا ؟

فقدر **المكاسب** التى انتزعها **الثوار** ـ وسوف ينتزعونها ـ هو نفس قدر **الخسائر** فى حسابات وضعية **فان ثيو وحكومته** : سياسيا وجماهيريا ، ومهما عملت الحكومة الامريكية ـ وهذا متوقع بالقطع ـ على مساندة ثيو وعناصر حكومته . فهم آخر الامر ، السلطة التى حدثت فى عهدها كل المذابح والاضطهاد والدمار الذى لحق بشــعب فيتنام فى الجنوب . ومع تطور الاحداث ـ ان لم يكن سريعا ـ سوف **يسقط** ثيو وأعوانه سقوطا لا دهشة فيه .

ومعنى ذلك ـ من جانب قوى الثورة ـ أنهم **أجلوا شرطهم** .

أما الشرط الثانى ، فان الاتفاقية ،تنظم عملية الافراج هذه خلال ٣ شهور ، بعقد اتفاق لاحق بين الحكومة الثورية المؤقتة وسلطات ســايجون . صحيح ان خلال هذه الفــترة ، ستعمل حكومة سايجون على تصفية عناصر عديدة من هؤلاء المعتقلين ، وخاصة هذه الكوادر التى يمكن أن تلعب دورا هاما فى الحياة السياسية للبلاد أثناء فترة السلطة الائتلافية المؤقتة ، ولكن هذه القضية تدخل ـ آخر الامر ـ تحت عنوان « **ضريبة الوطن وتضحيــاته** » رغم مــا فى ذلــك من كل الالام وأنواعها .

على أن هذه التنازلات ، ينبغى أن تدخل – فى تقديرنا – تحت باب « المرونة » • و « المـرونة » هنا ، لا تكون على حساب المبدأ • والمبدأ هو : الاعتراف بالسيادة الوطنية واستقلالها ، ضرورة الانسحاب الكامل للقوات الامريكية فى أجـل محدد ، وحق الجنوب فى تقرير المصير • وقد اعترفت الاتفاقية بهذه المبادىء ووفق ما تضمنته مشروعات الثوار • أما المرونة فهى : أســاليب تحقيق المبدأ الذى لا مساومة عليه ، وأيـــا كانت التضحيات : حجما ونوعا .

● تعكس الاتفاقية ، **ثقة قوى الثورة بنفسها** الى غير ما حد ، مع اعترافنا بأن التجربة تبرر تماما هذه الثقة وعلى أسس واقعية • فقد أشار أحد بنود الاتفاقية بحق الاطراف فى استبدال اسلحته المستهلكة بأسلحةأخرى مماثلة فىالحجم والنوع • وغنى عن البيان أن أمريكا ســوف تستثمر – ان لم تكن قد بدأت فعلا فى استثمار – هذا البند الى أقصى حد ، بهدف دعم مركز عملائها فى الجنوب ودعم قوتهم ، فاذا اضفنا بأن قوى الثورة ، ستحاول ذلك بدون شك ، فلعلنا لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا موافقة الثوار على هذا البند يعود الى اعتبارين :

أولا : أن ما سوف تضيفه الترسانة الامريكية الى مستودعات حكومة سايجون ، سوف تبقى آخر الامر فى وضعية مماثلة لوضعية كميات الاسلحة المهولة التى قدمتها من قبل ، سواء استخدمتها القوات الامريكية نفسها ، او قـــوات حكومـــة سايجون • فلقد أثبتت تجربة الحرب المريرة فى فيتنام أن القضية الاساسية هى قضية العنصر البشرى وراء السلاح أولا وقبل أن تكون قضية السلاح رغم أهميتها القصوى . والعنصر البشرى الذى تفوق من قبل على كل منجزات التكنولوجيا العسكرية الامريكية ، هو .. هو نفســـه الذى سيواجه أى اضافة فى هذا المجال • **وأى جديد أو اضافى فيه ، سيكون فى صالحه • كيف ؟ لان العنصر البشرى وراء سلاح حكومة سايجون لن يكون فى مستوى العنصر الامريكى نفسه ،فما بال أن يكون فى مواجهة العنصر الثورى الذى تفوق على العنصر الامريكى ؟**

ثانيا : أن الاسلحة التى ستقدمها أمريكا لمخازن قوات حكومة سايجون ، أيا كانت كميـــاتها ونوعيتها ، وأيا طال أو قصر عمر نظام حكومة سايجون ، فانهاستبقى آخر الامر لتسيطر عليها أيدى القوى الوطنية والثورية لشعب فيتنام نفسه • وسوف تبقى – وقتها – **مفارقة مدهشة يتندر بها المراقبون الامريكيون أنفسهم والدوائر السياسية** الغربية كلها •• الخ • وهى أن هذا الســلاح الامريكى قد أصبح **جزءا من قوة جيش فيتنام** الثورى للدفاع به **عن حرية البلاد واستقلالها** وحماية مكاسبها **وآفاق تقدمها** •

ياقوم : سيتشـــدد الامريكيون

بعد هذه القراءة لاتفاقية فيتنام التى أذاعتها هانوى واتهمت الولايات المتحدة بمحاولة التباطؤ والتراجع عنها ، هناك كلمة لابد وان تقال :

فقد تفاءل البعض تفاؤلا غريبا – لا نعـرف مصدره – يقول بأن « **المزاج الامريكى** » فى هذه الفترة ، مزاج « صاف » تسوده الرغبة فى « **حل المشاكل الساخنة** » **أو التى لم تحل ، مثل مشكلة** الشرق الاوسط •

وبدون الدخول فى تفاصيل – وليس هـــذا مكانها – فان **الدرس** الذى نخرج به من تجربة فيتنام ، هو أن أمريكا **اضطـرت** – اضطرار الغريق – لانتراجع وتسلمبمطالب شعبفيتنام• وبعد تجربتها الفاشلة طوال تســع سـنوات فى استخدام العنف والعدوان • ولم تسلم أمريكا فى فيتنام ، بعد **اتفاق** توصل اليه رئيسها **أثناء زيارته** الى مـوسكو ، بـل بعـد أن **فشلت كـــل** الطائرات – بجميعانواعها وسرعاتها وحجمهـا والسفن الحربية والمدافع والدبابات والمدرعـــات والنابالم والمواد الحارقة وأعمال القتل والذبح والتعذيب والارهابوالتجويع والحصار والتدمير . الـــخ . . . الـــخ ، فى وضع حد **للمقاومة الوطنية فى فيتنام الشمالية والجنوبية •• أو فى** وضع حد للخسائر الفـــادحة المتـزايدة لامريكا وقواتها وأسلحتها .

كان ذلك **هو العامل الحاسم فى تـراجع نيكسون** • أما مواقف التأييد والمساندة السوفيتية أو الصينية أو غيرهما ، لشعب فيتنام ، فهى مع الاعتراف بأهميتها الحيوية **ودورها المساعد** ، ظلت فى اطار كونها « **عاملا مساعدا** » • وجميعنا يذكر أنه منذ العدوان الامريكى الاجرامى **على فيتنام •** وجه السوفيت والصينيون و •• و •• و ••

تحذيرات وانذارات لم تثن جميعها أمريكا عن المضي فى عدوانها • فقد كان العنصر الفيتنامى وقتها ـ ورغم ايجابيته ـ لم يكن قد أثبت للامريكيين بعد انهم فى مواجهة المستحيل • ويوم أدرك الامريكيون ذلك ـ بتجربة سنوات تسع ـ وصلوا الى حل ولصالح قوى الثورة الفيتنامية .

ولان الاتفاقية لصالح قوى الثورة الفيتنامية وانتصارها ، فان تحقيقها سوف يترك آثاره الايجابية على حركة التحرر الوطنى فى الهند الصينية ان لم تكن تلك المنطقة جميعها فى آسيا • وأمام هذا الانتصار الذى تحققه حركة التحرر الوطنى فى آسيا والذى سينكمش معه حجم « الدور » و« الوجود الاستعمارى » لامريكا هناك ، سوف تتجه الولايات المتحدة الامريكية ـ بالتأكيد ـ الى « دوائر المجال الحيوى » الاخرى التى طالما تحدث عنها الاستراتيجيون الامريكيون : « الاحتياطى الاخير » • والاحتياطى الاخير فى نظر الاستراتيجيين الامريكيين هى افريقيا . والشرق الاوسط « صمام » هام وحيوى وخطير من « صمامات حماية المصالح الامريكية فى أفريقيا من وجهة النظر الامريكية • ويكفى أن ننظر الى التحركات والمبادرات الامريكية الحالية فى طول وعرض القارة ووسطها ، لنعرف أن أمريكا تعمق من منساطق « مصالحها » و « سيطرتها » و « نفوذها » فوق أرض «احتياطيها الاخير» .

وعلى العكس من هذه النظرة المتفائلة ، ينبغى أن نحذر كل الحذر وأن نتيقظ كل اليقظة كى لا يسود مناخ يدعو الى « الراحة » أو يؤدى الى « البلبلة » والتلاعب بأعز آمال جماهير شرقنا الاوسط •

وعلى العكس سوف تتشدد أمريكا فى الشرق الاوسط ، ما لم تتلق درسا آخر تدرك معه اننا اقوياء أولا ، وان تهدد مصالحها بالفعل ثانيا واخيرا .

فلينبض كل ما فينا من ضمير وطنى ، بل يجب أن نستصرخه .

ولنئد فى نفوسنا أى احتمال لرغبة فى الراحة طالما أرضنا محتلة .

ولنقتل الدرس الفيتنامى بحثا لنستفيد منه • نأخذ منه مايناسبنا ونبتكر عليه • ان ما يقرب من ثلاثين عاما من النضال والتضحيات لم تثن شعب فيتنام عن أهدافه الوطنية العظيمة • وخمس سنوات لا يمكن أن تثن شعب مصر وحركة التحرر الوطنى العربية عن ضرورة تحقيق أهدافه وأهدافها العظيمة •

مـن الثـــورة الوطنيــــة
الى الثـــورة الاشـــتراكية

أبو سيف يوسف

ربما كان من حق قراء الطليعة علينا أن يعرفوا انه عنـدما شرعت أسرة التحرير فيوضع تخطيط الدراسة الرئيسية عنفيتنام، كانتالحكومة الامريكية قد وافقت على توقيع اتفاقية السلام التى نشرت بنودها ،واذيعت فيحينها علىالرأى العام العالمى كله •

ولقد كنا نؤمل أن توضع الاتفاقية موضع التنفيذ ، لمصلحة شعب فيتنام المناضل ، ولمصلحة السلم فى العالم • لكن أسرة التحرير قدرت ان تمضى فى اعداد الدراسة غير مستبعدة — مع ذلك — ان ينكص الرئيس نيكسون عن الوفـاء بتعهداته ، وهو أمر لم يزل يمـارسه الرئيس الامريكى منذ سنوات ، على الرغم من اضطراره — لهذا السبب أو ذاك — الى الوعد تارة ، والى القسم تارة أخرى ، بانهاء الحرب القذرة فى فيتنام ••

كان الرئيس نيكسون يريد أن تظل الاتفاقية ، حينا من الدهر ، بعيدة عن أعين العالم • ولكن حكومة جمهورية فيتنام الديموقراطية سـارعت باعلان بنودها واحكامها ، ورأى العالم فى هذه الاتفاقية أن شعب فيتنام يدق بيديه أبواب النصر النهائى ، حتى وان راوغ المعتدون الامريكيون •

على اية حال ، فان كتابة مقال عن ثورة شعب فيتنام وبطولاته فى منازلة اكثر قوى الامبريالية جبروتا ووحشية وضراوة ، هذه الكتابة ، ستظل فى نطاق الجزئيات ، وستظل قاصرة عن الوفاء بتقدير ما انجزته هذه الثورة التى تقدم نموذجا فريدا للانسان وقدراته ، وللشعوب الثـائرة ومعجزاتها ، وللعصر الذى نعيشهباقامة الثورية، التى لا تحد .•

— ١ —

وعندما نعرض للثورة الوطنية والثـورة الاشتراكية فى فيتنام ، فنحن لا نتحدث عن بلدين وشعبين : احدهما فى الشمال والاخر فـى الجنوب . بل عن بلد واحد ، وعن شـعب واحد ، اراد الامبرياليون أن يستعبدوه ويقطعوا اوصـاله • ولكنه رد — تحت قيادته الثورية — بنضالشامل وطنى واجتماعى • وحينما استطاع فى الشمال أن

يخوض حرب التحرير لاجلاء المستعمرين الفرنسيين واصل الثورة الوطنية حتى نهايتها ليبدأ الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكى . وحينما فرض عليه فى الجنوب العدوان والاحتلال الامريكى واصل الثورة الوطنية وحرب التحرير الشعبية ، من اجل الاستقلال ، ومضى فى ظل الثورة الوطنية الديموقراطية يمهد الارض للتقدم على طريق الثورة الاشتراكية ، مؤكدا انه فى ظل قيادة شعبية وثورية لا سبيل الى تجميد الثورة الوطنية ، ولا يمكن أن يقوم فاصل او « سور صينى » بين الثورتين .

ومن هنا سنركز فى هذا المقال على تقديم منظورين أحدهما للثورة الوطنية ، والاخر للثورة الاشتراكية ،مقدمين أمثلةمحددة ،ومواقفملموسة ـ على منهج قيادة الثورة الفيتنامية ممثلة فى الجبهة الوطنية ، ومنهج قائدها حزب العمال الفيتنامى (١) فى صياغة استراتيجية وتاكتيكات الثورة ، فى مراحلها المختلفة ، وفى المنعطفات التى واجهتها بحكم تغيير الظروف المحلية والدولية . ففى عام ١٩٣٠ كان الحزب الشيوعى للهند الصينية قد اصدر فى هونج كونج بيانه السياسى الذى حدد فيه خط الثورة فى الهند الصينية فيما يلى :

١ ـ ان شعوب الهند الصينية تواجه مهمة انجاز ثورة ديموقراطية بورجوازية فى بلد مستعمر واقطاعى ، لكن هذه الثورة الديموقراطية البورجوازية تختلف عن الثورات التى تزعمتها البورجوازية (ثورة ١٧٨٩ فى فرنسامثلا) فى أن الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين يشكلان القوتين الرئيسيتين للثورة . وحدد بيان هونج كونج أن شرط نجاح الثورة البورجوازية معلق بالدور القيادى الذى تلعبه الطبقة العاملة فى الثورة . فالثورة المطلوبة لتصفية الاستعمار والاقطاع ، اذن ، **هى الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية** .

٢ ـ ثم حدد بيان ١٩٣٠ أنه حالما ينجز الشعب الفيتنامى الثورة البورجوازية الديموقراطية ، فانه يتعين عليه أن يتقدم صوب الثورة الاشتراكية . وأن البلاد بحكم أنها متخلفة الى أقصى حد من الناحية الاقتصادية ـ **يتعين عليها أن تسير نحو الاشتراكية بدون أن تمر بمرحلة النمو الرأسمالى** .

٣ ـ وفى مجال السياسة الزراعية كان بيان ١٩٣٠ ، قد حدد أن النضال ضد الاستعمار والنضال ـ ضد الاقطاع مترابطان بحيث لا يمكن فصل الواحد منهما عن الاخر ، وبحيث أن النضال الوطنى يجب أن يتمشى جنبا الى جنب مع النضال ضد الاقطاع . والعكس صحيح . وأنه ترتيبا على ذلك يتعين تنفيذ طائفة من الاجراءات الجذرية فى مقدمتها نزع ملكية جميع الاراضى التى يملكها المستوطنون الاجانب ، لتوزيعها على فقراء الفلاحين والمتوسطين منهم ، وذلك تطبيقا للشعار القائل بأن « الارض لمن يفلحها »

٤ ـ وفيما يتعلق بالسلطة السياسية فى مرحلة الثورة الوطنية حدد بيان ١٩٣٠ انها ستكون للعمال والفلاحين فى مرحلة الثورة الوطنية وستكون للعمال فى مرحلة الثورة الاشتراكية .

كانت هذه هى الخطوط العامة لسياسة الحزب ولكن بعد عشرة أعوام من بيان ١٩٣٠ نشبت الحرب العالمية الثانية ، وتغير ـ بالتالى ـ الوضع السياسى فى فيتنام ، وفى العالم كله . وكان لابد من ادخال تغييرات على هذه السياسة . وهكذا اعادت اللجنة المركزية للحزب النظر فى نظرية الثورة الزراعية كما اعلنها بيان ١٩٣٠ ، وذلك بهدف « **تليينها** » واستند الحزب فى موقفه هذا الى التغييرات التى حدثت فى فيتنام بعد هزيمة اليابان ، وبما لحق بالفرنسيين الفاشيين اتباع حكومة فيشى . فبعد وقوع هذه الهزيمة تحرر الفلاحون فى فيتنام من استغلال اليابانيين والفرنسيين ، ورفعت عنهم الضرائب والاتاوات الفادحة ، واستفادت شرائح من الفلاحين من توزيع اراضى الطوائف الدينية ، ومن خفض الايجارات الزراعية . كما استفادوا من نزع ملكية اراضى الخونة الفيتناميين المستعمرين والرأسماليين ، وبوجه عام فقد استفادوا من جميع المكاسب السياسية والاقتصادية الممنوحة التى حصل عليها الشعب بعد ثورة الاستقلال الوطنى عام ١٩٤٥ .

---

[١] اعلن المولد الرسمى لحزب العمال الفيتنامى فى ١٩٥١ وهو امتداد للحزب الشيوعى للهند الصينية الذى كان تحت قيادة هوشى منه مضمنوا فى « الدولية الثالثة » . ثم حل الحزب الشيوعى فى ١١ نوفمبر ١٩٤٥ لاسباب سياسية ولضرورات اقتضاها بناء جبهة الاتحاد الوطنى ، وظروف المفاوضات مع فرنسا ، كما اقتضتها المرونة مع الدول المتحالفة فى الحرب ، خاصة مع الولايات المتحدة وصين تشانج كاى شيك ،وبعد حل الحزب قامت محله « جماعات للدراسات الماركسية » .

وكان بيان جبهة « فيت منه » فى ٢٥ أكتوبر ١٩٤٠ قد أكد على السياسة الزراعية الجديدة للحزب ، وفى ذلك كتب **هوشى منه** :

« لقد عرف الحزب كيف يحور سياسته فى الوقت المناسب : فأسس رابطة « **الفيت منه** » واقام المنظمات الجماهيرية من أجل خلاص الوطن ، وذلك بهدف رص صفوف كل القوى الوطنية فى كتلة واحدة ضد الفاشية والاستعمار · واجل الحزب — مؤقتا — تنفيذ شعار الثورة الزراعية (الارض لمن يفلحها) واكتفى بقانون خفض الايجارات الزراعية ، وسعر الفائدة ، وبمصادرة اراضى المستعمرين والخونة التى اعادها الى الفلاحين · وبعمله هذا ، كان الحزب يسعى الى تجميع كل القوى فى النضال ضد الامبرياليين وخدمهم ، الى كسب العناصر الوطنية من بين ملاك الارض ، والى توسيع الجبهة الوطنية من أجل أنقاذ الوطن » (٢) ·

كانت « **السياسة الجديدة** » للحزب تعنى أن هناك ما يدعو الى أن يؤجل الحزب هذه الثورة الزراعية التى وعد بها الفلاحين ، والتى بدونها تصبح الاشتراكية مجرد اوهام واحلام · والواقع ان الصعوبات التى واجهت البلاد فى اغسطس ١٩٤٥ كانت — كما يذكر « **لى شا او فى** « **كتابه فيتنام الاشتراكية** » — تشكل عقبات لا سبيل الى تجاهلها ·

ففى ١٩ اغسطس ١٩٤٥ انفجرت الثورة التى ولدت من صلبها فى ٢ سبتمبر ١٩٤٥ « جمهورية فيتنام الديمقراطية » لكن الجمهورية الوليدة قامت فى الارض الخـــراب :

● المجاعة فى ١٩٤٤ و ١٩٤٥ ذهب ضحيتها مليونان من الانفس ·

● ولم يكن المخزون من الارز يكفى السكان غير شهرين · والمحصول الجديد لم يكن يبعث على الامل بسبب الكوارث الطبيعية ، وتحطم السدود ، وهلاك الماشية ، واستغراق الايدى العاملة فى الزراعة فى الضرورات التى فرضها واجب النضال المسلح ضد الفرنسيين الغزاة .

● خـــزانة الجمهورية كانت خاوية على عروشها ، وكل ما فيها يكفى — بالكاد — لدفع مرتبات شهر واحد لموظفى الدولة فى هانوى ·

● المواصلات قطعت بسبب الحرب فى المحيط الهادى (١٩٤١ — ١٩٤٥) وبسبب اندلاع الثورة الوطنية فى طول البلاد وعرضها .

● الصلات الخارجية انقطعت تماما مع الخارج .

● **كانت نسبة الاميين فى البلاد** ٩٠ فى المائة من عدد السكان ·

يضاف الى ما تقدم :

● ان القوات الفرنسية احتلت بمســاعدة القوات الانجليزية اراضى فيتنام جنوب خط عرض ١٦ (وتم هذا بعد مؤتمر بوتسدام ١٩٤٥) ·

● قوات شانج كاى شيك دخلت الى المنطقة الشمالية (٢٠٠ الف جندى) وفرض علــى الجمهورية الوليدة أن تطعم هذا الجيش فى مقابل عملة صينية لا قيمة لها فى سوق النقد الدولى ·

● ان بنك الهند الصينية (فرنسى) وهو بنك الاصدار حاول أن يغمر اسواق فيتنام بعملة لا قيمة لها ·

● ان القوات الفرنسية نزلت ارض فيتنام لتغزوها ·

● أن شبح المجاعة كان يزحف على البلاد .

يصف « **لى شا او** » الموقف فى عبارة موجزة بقوله :

ان الاختناق الاقتصادى كان قداجتمع الى جانب التهديد بالغزو الاجنبى فى اطار كارثة اجتماعية وثقافية شاملة · وامام هذا الموقف المخيف كان من المستحيل أن يتم الـــكفاح ، وفى آن واحــد ضد الاستعمار وضد الاقطاع · ومن ثم تعين أن يكون للكفاح ضد الاول الاولوية على الكفاح ضــد الثانى · ثم تطلب هذا الكفاح ضد الاستعمار اتحادا وطنيا لمواجهة الغزو الخارجى ، وهو اتحاد وطنى لا يستبعد من صفوفه العناصر شــبه الاقطاعية · ذلك أن الفلاحين المعدمين لم يكونوا — فى ذلك الوقت — قادرين على تمويل صندوق المقاومة ، ولم يكونوا هم القادرين علــى توفير الفائض الغذائى · هذا بالاضافة الى أن الامية المتفشية كانت تحول — فى ذلك الوقت — بين

(٢) LE CHAU : Le Vietnam Socialiste, P. 67

الفلاحين وبين أن يتبينوا بسهولة آفاق الثورة الوليدة .

كان لابد اذن من أن تفرض الظروف الموضوعية اعادة النظر فى سياسة الحزب ، بهدف اكتشاف سياسة اقتصادية يمكن تطويعها لهذا الموقف البالغ الصعوبة . ذلك أن الظروف الموضوعية والذاتية التى احاطت بالسياسة الاقتصادية التى تعين تنفيذها عام ١٩٤٥ لتبقى جمهورية فيتنام على قيد الحياة لم تكن هى ذات الشروط التى كانت قائمة عام ١٩٣٠ . ومن ثم فقد تعين أن يواجه الموقف المتغير بسياسة جديدة .

— ٢ —

نظرية اقتصاد حرب المقاومة

حدد الحزب خطه الجديد فيما يلى :

١ — أن قوى الثورة الرئيسية هى قوى جماهير الفلاحين وليست عمال المدن .

٢ — لابد من ربط الحقيقة الشاملة للماركسية اللينينية بالممارسةالنوعية للثورة فىالبلد المعين . أى أن حقائق الماركسية يجب أن يتم نسجها فى خصائص الامة ، وان تتخذ صيغة وطنية محددة تماما التحديد .

وترتيبا على ما سبق ، كان لابد :

١ — أن يبدى الكفاح ضد المستعمرين الغزاة على الكفاح ضد الطبقة شبه الاقطاعية ، وضد البورجوازية الوطنية (الرأسماليون المشتركون فى المقاومة ، ملاك الارض ، واغنياء الفلاحين) .

٢ — كان لابد من بداية تمكن الفلاحين المعدمين والاميين من أن يعرفوا لماذا تهدف الثورة الى قلب النظام الطبقى رأسا على عقب .

وقد تجسد التغيير فى سياسة الحزب فيما سمى « باجراءات الطوارىء » ، ثم فى « السياسة الاقتصادية » لمقاومة الغزاة الفرنسيين .

اجراءات الطوارىء

غداة ثورة اغسطس ١٩٤٥ اتخذت حكومة فيتنام الديموقراطية طائفة من الاجراءات فى اتجاه :

— الكفاح ضد الامية وضد المجاعة .

— تأسيس اقتصاد وطنى لمواصلة المقاومة ضد الغزاةالفرنسيين (*)

— ادخال تغييرات على بنية الاقتصاد الزراعى .

غير أن اكثر الاجراءات الحاحا هى التى اتخذت لوقف تهديد المجاعة وللقضاء على الامية .

فى قضية مواجهة خطر المجاعة ، واجهت جمهورية فيتنام الديموقراطية الوليدة مشكلة اطعام السكان فى الجزء الشمالى من البلاد . وكان النضال ضد المجاعة ،كما يقول لى تشا أو هو الامر الحاسم ، وهو الاختبار الحقيقى للجمهورية الفيتنامية ، وكانت هيئة الامتحان هى الشعب الفيتنامى .

هنا طرح الحزب شعارات « مضاعفة الانتاج » — و « لا شبرا من الارض بدون زراعة » ، و « لا يدا عاطلة » . ومع هذه الشعارات بدأت حملة لتنمية انتاج المواد الغذائية الاساسية . وصدر مرسوم يعطى الارض البور لكل من يستطيع أن يزرعها . ولعبت المباراة والجهود الوطنية ، على أساس التطوع ، دورها فى اقامة السدود . والغيت الضرائب غير العادلة ، والضرائب على الافيون والكحول ، على الرغم من أن هذا النوع الاخير من الضرائب كان موردا هاما من موارد الميزانية . وأعفى صغار الزراع من كل أنواع الضرائب .

وقامت لجان « الخلاص الوطنى » بتوجيه أعضائها الى معركة الانتاج الزراعى . وفى القرى تم أستغلال كل شبر من الاراضى غير المزروعة ، وكذلك الامر فى الحدائق والملاعب .

وبفضل جهود الفلاحين فى اقامة السدود ، واصلاح شبكات الرى ، تم جنى محصول ١٩٤٥ فى ظروف حسنة ، ثم تم جنى محصول يونيو — يوليو ١٩٤٦ ليحقق زيادة ملحوظة عن محصول العام السابق . وفى المناطق الثلاثة التى كانت تتهددها المجاعة أكثر من غيرها ، وهى مناطق الحدود الصينية الفيتنامية ، والدلتا ، وشمال أنام ، انتجت حملة تعبئة الفلاحون ٢٫٠٧٢٫٠٠٠ طن من الاغذية الاساسية ، أى بزيادة ٤٨ فى المائة عن المتوسط السنوى للمحاصيل فى السنوات الواقعة بين ١٩٣٨ — ١٩٤٣ . باختصار ، فان هذه الكمية قد سدت الحد الادنى اللازم ، بواقع ٢٠ كيلو جراما من الاغذية الاساسية فى الشهر بالنسبة لكل فرد من السكان ، أى ما يكفى ٨٫٦٢٠٫٠٠٠ مليون نسمة . وهذا الرقم يزيد عن مجموع السكان فى المناطق الثلاثة المشار

اليها (٣) ، وفى جميع اراضى جمهورية فيتنام الديموقراطية ، وصل انتاج المواد الغـذائية الاسـاسية فـى عـامى ٤٥ ـ ١٩٤٦ الى ٢٫٩٥٢٫٠٠٠ طن وذلك فى مقابل المتوسط السنوى العام فى فترة ما قبل الحرب وهو ٢٫٢٢٦٫٢٦٠ طن (٤) .

وهكذا فان مقادير الاقوات التى أمكن انتاجها مكنت الجمهورية الفتية من أن تتفادى المجاعة ، لانها استطاعت أن تطعم ١٠٫٨٠٠٫٠٠٠ مـن السكان ، بينما قدر عدد سكان فيتنام الشمالية فى ذلك الوقت بعشرة ملايين نسمة (٥)

بقى ـ بعد اختفاء خطر المجاعة ، أن يعاد تنظيم الدولة ، وأن يتعلم الفلاحون المعدمون والاميون .

الكفاح ضـــــد الامية

غداة اليوم الذى أعلن فيه استقلال جمهورية فيتنام الديموقراطية (٢ سبتمبر ١٩٤٥) ، وفى أول اجتماع للوزارة (٣ سبتمبر ١٩٤٥) ، طرح هوشى منه مشكلة الامية فى العبارات التالية :

« الامية وسيلة قاسية استخدمها الاستعمار ليسيطر على بلادنا .. ان شعبا أميا لهو شعب ضعيف . ولهذا اقترح البدء بحملة على الامية » .

وفى ٨ سبتمبر صدر مرسوم يقضى بمحو الامية من على وجه البلاد باسرها .وفى الوقت ذاته وجه هوشى منه نداء جاء فيه :

« واجب كل منا أن يقضى ـ دفعة واحدة ـ على الاعداء الثلاثة : الامية والمجاعة والغزو . فحتى تصون الاستقلال يتعين أن يتوفر لكل فيتنامى الوعى بمصالحه وواجباته . ينبغى عليه أن يثبت تقدما فى المشاركة فى بناء البلاد ، وقبل كل شىء ، عليه أن يعرف وكيف يكتب اللغة الوطنية .

« أما الذين يعرفون القراءة والكتابة فواجبهم أن يعلموها للذين لا يعرفون . ويجب على الاميين أن يجتهدوا ليتعلموا . والتعليم يجب أن يتم بين الزوجين ، وبين الاخوة ، وبين الاقارب والاطفال . وفى هذا العمل التعليمى ينبغى أن يسـاهم الشباب » .

وارتفعت فى فيتنام الشعارات التالية :

«الجوع والجهل حليفان للغزاة » ..

« ضاعفوا الانتاج .. كافحوا الامية » ..

ولقد كانت الحملة على الامية جدية وجادة الى أقصى حد . ان مرسوم ٨ سبتمبر ١٩٤٥ حدد اجراءات التنفيذ فيما يتعلق بالادارة الحكومية . وقرر رئيس الحكومة :

١ ـ أنه بانتظار أن يقوم فى فيتنام تعليم أولى الزامى يستوعب كل الملزمين ، فان تعليم اللغة الوطنية سيكون ، من الان فصاعدا ، اجبـاريا ومجانيا لجميع الناس .

٢ ـ جميع الفيتناميين الذين تزيد سنهم عن ١٨ سنة يجب أن يتعلموا القراءة والكتابة فى بحر عام واحد .

وجاء فى المرسوم أيضا :

«ان خدمات التعليم الشعبى قد أنشئت لتكون رسالتها :

١ ـ استئصال وباء الامية من كل الارض الفيتنامية .

٢ ـ الاضطلاع بالتعليم المدنى للشعب .

٣ ـ السعى الى حفز ارادة التعليم فى النفوس وأثارة تعطشها الى المعرفة (٦) .

يذكر **لى شا أو** ، فى كتابه « **فيتنام الاشتراكية** » : أنه تمت تعبئة جميع الذين يعـرفون القراءة والكتابة ليلقوا الدروس تحت اشراف المراقبين أو المدرسين العاملين فى مدارس الدولة . وتحولت جميع الاماكن العامة الى فصول : مبانى الحكومة ، ومخازن الغلال . والناس يتعلمون وهم يعملون ، كما يتعلمون فى أوقات الراحة . ولم يشكل نقص الادوات الكتابية صعوبة جـدية : فالناس يكتبون على الرمل ، وعلى التراب ، وعلى أوراق أشجار الموز . ووضعت حروف الكتابة على القبعات الواسعة التى يجمعها على رؤوسهم هذا

---

[٣] و [٤] لى شا أو : المرجـع السابق .

[٥] لى شا أو : المرجع السابق .
[٦] نفس المصدر السابق .

الفريق من الفلاحين الذى يقوم بالعمل فى الحقل • ورسمت الحــروف على أبدان الجواميس التــى تحرث الارض • وحفرت على الجدران ، كمـا رسمت بالجير على الاشجار التى تحف بجانبى الطريق • وأضيف الى هذا كله نوع من الضغوط الادبية أو المعنوية • فكان الامى الذى يتقاعس عن أداء واجبه يوبخ ، وعلى سبيل المثال ، كان يفرض عليه عند ذهابه الى السوق أن يمر من خلال باب مخصص للاميين •

وفى ١٩ ديسمبر ١٩٤٦ نشب القتال بيـن جمهورية فيتنام الديموقراطية وبين الغـزاة الفرنسيين ، لكن النتائج التى كانت قد تحققت خلال ١٥ شهرا من بدء الحملة على الامية كانت قاطعة : لقد تحرر من نير الامية مليونان ونصف من شعب فيتنام ، أى بنسبة ١٠ فى المائة من عدد السكان فى ذلك الوقت • وفى غضون السنوات التسع التى تلت من حرب المقاومة ، وعلى الرغم من جميع الصعوبات والمحن التى لازمت مثل هذه الحرب ، فقد تحرر من الامية ثمانيـــة مــلايين فيتنامى (هذه الارقام تشمل فيتنام كلها : الشمال والجنوب) •

وعندما انتهت الحرب ، وقسمت فيتنام الى شـمال وجنـوب (١٩٥٤) ، وضـعت خطـة ثلاثية (٥٨ـ١٩٦٠) لتصفية كل آثار الامية فى أراضى جمهورية فيتنام الديموقراطية ، وانجزت المهمة بنجاح تام ، مع ملاحظة أن معدل الزيادة السنوية فى السكان كان ٣ر٥ فى المائة •

غنى عن القول ، أن العنصر فى معركة الامية يتجاوز كل ماتستطيع الارقام ان تعبر عنه،وذلك اذا رصدت جميع النتائج السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى ترتبت على محو هذا العار (٧) . يكفى ان يقال ،ان القضاءعلى الامية كان الشرط المسبق ، بل الشرط الذى بدونه لم يكن فى وسع جمهورية فيتنام أن تحقق كل التقدم الذى أحرزته •

ولربما قيل فى باب النقد الذاتى (وهو السلاح الذى لم يكف حزب العمال الفيتنامى عن استخدامه فى أحرج الاوقات وأصعبها) أن الجمهـورية الوليدة لم تستطع أن تنفذ برنامجها فى تصفية الامية فى غضون عام واحد • وأن الامر تطلب ست سنوات كاملة من ٥٤ ـ ١٩٦٠ • لكن الذى حدث أن تسعة ملايين فيتنامى كانت قد محيت أميتهم • وهى نتيجة تذكر فتقدر •

هنا يثور السؤال عن الاسباب التى أدت الى ان تكون اجراءات الطوارىء فعالة وناجحة . والواقع اننا لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا : أنه لـو أن جمهورية فيتنام الديموقراطية كانت قد جلست فى انتظار أن تأتيها فى عام ١٩٤٥ المعونة الخارجية ، لتنقذها من المجاعة ، ومن الامية ، لكان من المحتم أن تزول هذه الجمهورية من الوجود • ولو أن الفلاحين كانوا قد تركوا فريسة للجهل ، ولم يوعوا بأسباب النضال ضد الغزاة الاجانب ، لكان من غير المستبعد أن يهجر هؤلاء الفلاحون الكفاح المسلح ، وأن تعود فيتنام ـ كما كانت ـ جزءا من النظام الاستعمارى •

وحتى نوجز القول فى ملحمة مكافحة الامية فى ظل حرب المقاومة تكفى الاشارة الى ما يلى :

١ ـ كان السبب الرئيسى فى فعالية هــذه الاجراءات بساطة الاســاليب التــى اتبعت ، وانخفاض تكلفتها الى الحد الادنى • وهى أساليب ابتدعتها الثورة ، ودعمها عمل منسق ، ساهمت فيه جميع المؤسســات السياسية والاجتماعية ، والقوى المنتجة فى الاقتصاد ، والهيئات الادارية ، ووحدات جيش المقاومة •

٢ ـ ان محو الامية كان المطلب الملح رقم (١) فى كفاح الشعب الفيتنامى ، لانه كان قد وضح أمام الشعب ـ غداة الاستقلال ـ انه من بيـن الاعداء الثلاثة ، فان الامية هى العـــدو الاول للشعب •

المعـــالم الرئيسية للسياسة الاقتصادية فى حرب المقاومة

ان اجراءات الطوارىء لم تمنع جمهورية فيتنام الديموقراطية من أن تطرح وتنفذ سياسة متكاملة لتنظيم الاقتصاد الوطنى حتى تصمد فيتنام أمـــام الغزاة •

ومن المعروف أن الاقتصاد الوطنى لفيتنـام

(٧) لى شا أو : فيتنام الاشتراكية ص ٨٢

الشمالية لم يتح له أن ينهض ويدعم مواقعه لأن الحرب مع الفرنسيين نشبت بعد ١٥ شهرا من اعلان الاستقلال . ولكن ما أن شجر القتال حتى تحول الاقتصاد الفيتنامي الى **اقتصاد حرب** يقوم على المبدأ الاساسي التالي وهو : « **اعتماد الامة على مواردها الخاصة** » .

فمن ناحية اتجهت الحكومة الى رفع المظالم عن فقراء الفلاحين والمتوسطين منهم ، واتخذت في ذلك طائفة من الاجراءات التي سبق أن أشرنا اليها . وفي مبدأ الامر تركت الدولة التجارة الداخلية حرة بدون قيود ، ولم تشرع في تنظيم هيئات حكومية للتجارة الا في عام ١٩٥٢ .

ومن ناحية أخرى وضعت سياسة للتصنيع ، أعطيت الاولوية فيها لصناعة الاسلحة ، ولصناعة مواد الاستهلاك اللازمة لاقتصاد يعتمد على ذاته . ولابد من التنويه هنا ، بأن فيتنام الشمالية ورثت صناعة بدائية ومتخلفة بكيفية لا تصدق . وهذا يفسر المبادىء التي وضعت في ظل المقاومة ، لانهاض الصناعة وهي :

- تنظيم مشروعات صغيرة الحجم ومتفرقة .
- الجمع بين استخدام المعدات القديمة والحديثة
- الاعتماد على الشعب .
- الاعتماد على الموارد المحلية .
- تحقيق الاستقلال والاكتفاء الذاتي في كل منطقة .

- وهذه السياسة ، جرى تنفيذها رغم أن البلاد قد فرض عليها أن تعاني معاناة خطيرة - ولمدة سبع سنوات - من التضخم وارتفاع الاسعار . غير أن المغزى العميق ، والنتيجة الملموسة للاقتصاد السياسي في فترة المقاومة تجسدا في بناء اقتصاد وطني مستقل في مواجهة اقتصاد سياسي استعماري . وهكذا فانه بفضل وجود قطاع هام صناعي في يد الدولة ، وبفضل تحكم الدولة في التجارة الخارجية ، تمكنت فيتنام بمجرد عودة السلام في ١٩٥٤ من أن تبدأ في اجراء التحولات الاشتراكية .

لكن اقتصاد الحرب ، اذا كان قد استطاع أن يصمد ، فقد تم هذا ايضا بفضل المساهمة التي قدمها حزب العمال الفيتنامي والحكومة في مجال الزراعة .

ان حزب العمال الفيتنامي كان - من اللحظة الاولى - قد انخرط في عمل تثقيفي وسياسي بين جماهير الفلاحين . وهذا العمل قد زرع في وجدان هؤلاء الناس البسطاء عقيدة لا تتزعزع : « **ستنتصر المقاومة** » . وبذلك نجح الحزب في تدعيم ثقة الشعب بنفسه ، وبدد في صفوف الجماهير الرهبة والخوف من العدو .

ولكن اذا كان الحماس الوطني قادرا على أن يزلزل الجبال ، فانه لا يحقق النصر الا اذا ارتكز على سياسة صائبة ، ونظرة علمية ثورية الى الامور . لقد أوضح الحزب أن حرب المقاومة ستكون طويلة . وانها ستمر عبر مراحل ثلاث لكل مرحلة شعاراتها ومتطلباتها :

- مرحلة الهجوم المضاد على الغزاة .
- مرحلة تعادل القوى بين الشعب وبين الغزاة .
- مرحلة الهجوم المضاد على الغزاة .

وفي جميع هذه المراحل كان الشعار : ان يقوم الاقتصاد على الموارد الذاتية للامة ويتم ذلك :

- بتحسين ورفع معدلات الانتاج .
- بالعمل على سد متطلبات الحرب .
- بتخطيط اقتصاد قطاع الدولة والمؤسسات التعاونية .

وفيما يتعلق بالسياسة الزراعية فقد اقتضت النظرة العلمية المؤسسة على الواقع الموضوعي للبلاد - في ذلك الوقت - أن يتم تنفيذ **الاصلاح الزراعي على مرحلتين** :

الاولى : وفيها تخفض الايجارات والريع لاضعاف المواقع الاقتصادية للاقطاع ، تمهيدا لتصفية نفوذه السياسي .

الثانية : وفيها يتم الاصلاح الزراعي بتصفية الملكية الاقطاعية والقضاء الفعلي على النفوذ السياسي للاقطاعيين .

والملاحظ هنا أن حزب العمال الفيتنامي قد اتبع في الاصلاح الزراعي في فترة المقاومة سياسة متدرجة ، في الوقت الذي لم يتخل فيه عن شعار« **الارض لمن يزرعها** » . وسارت الامور على الوجه التالي :

- في سنة ١٩٣٠ كان بيان هونج كونج قد أعلن أن « الارض لمن يزرعها » .
- من ١٩٣٩ - ١٩٤١ وضع **الحزب وجبهة « الفيت منه » سياسة اتحاد وطني** لم تكن تسمح بتطبيق اى اصلاح زراعي جذري . وان كان قد تم العمل - في الوقت ذاته - على مصادرة أراضي الخونة الفتناميين ، واراضي المستوطنين الاجانب (الكولون) لتوزيعها على الفلاحين ، أما

حق الملاك الوطنيين المتعاونين مع الجبهة الوطنية فلم يوضع موضع المناقشة ، واحتفظوا بارضهم .

– حالما استولت جبهة « فيت منه » على السلطة اتخذت الحكومة الاجراءات لوقف تهديد المجاعة والكفاح ضد الامية ، وبناء اقتصاد حرب . وفيما يتعلق بالسياسة الزراعية اتجه الحزب الى تحقيق مرحلة انتقالية يتم فيها اضعاف النفوذ السياسى لملاك الارض .

ومن هذه المنطلقات النظرية والعملية ، ومنذ اليوم الاول لمولد جمهورية فيتنام الديموقراطية اتخذت الحكومة الاجراءات لوقف تهديد المجاعة ، **لمرحلة الانتقال** » . ودامت هذه الاجراءات من ١٩٤٥ الى ١٩٥٣ .

وابتداء من ١٩٥٣ بدأت الحكومة اصلاحا زراعيا جذريا تم تنفيذه فى عام ١٩٥٦ .

فى الفترة الاولى (مرحلة الانتقال) كانت السياسة الزراعية تهدف الى تحقيق ما يلى :

١ – التخفيف من الاعباء الواقعة على فقراء الفلاحين .

٢ – اعطاء دفعة قوية لانتاج الطعام .

٣ – تمهيد الطريق لاصلاح جذرى لاحق .

ومن الملاحظ ، انه فى تلك الفترة لم يقض على حق الملكية . ولم يلغ نظام المزارعة ولكنها نظمت لمصلحة فقراء الفلاحين .

وفى الفترة الثانية ، نفذ الاصلاح الزراعى على سبع حلقات متتابعة ، تضمنت كل حلقة منها خمسة مهام :

١ – اعادة احصاء الملكية .

٢ – تصنيف الارض تبعا لانتاجيتها .

٣ – تصنيف الفلاحين الى خمس شرائح (ملاك الارض . الفلاحون الاغنياء – الفلاحون المتوسطون – الفلاحون الفقراء – الفلاحون الاجراء) .

٤ – نزع الملكية واعادة توزيع الارض .

٥ – تجميع الفلاحين اختياريا فى تعاونيات انتاجية (نصف اشتراكية) او فى تعاونيات تسويق المنتجات الزراعية أومجموعات للمساعدات المتبادلة) .

وتم تنفيذ الاصلاح الزراعى الجذرى تحت الشعار الذى تبنته كوادر الحزب الذى خصصته لتنفيذ هذه السياسة .

« **ان تشارك الفلاحين فى اعمالهم ، وان نأكل معهم ، ونعيش بينهم** » .

كان تطبيق هذا الشعار يعنى :

١ – تنوير الفلاحين وتعريفهم بابعاد الاستغلال الواقع عليهم ، والارباح الفاحشة التى استنزفت منهم .

٢ – دعوة الفلاحين الفقراء والفلاحين الاجراء الى التضامن الوثيق بين بعضهم البعض ، وبين هؤلاء جميعا وبين الفلاحين الاغنياء بهدف عزل كبار الملاك .

٣ – كان عزل كبار الملاك ، وعقابهم على تعديهم على الفلاحين ، وعلى قانون الاصلاح الزراعى ، يتم فى اجتماعات « **التوخا** » ، وهى اجتماعات جماهيرية واسعة يوجه فيها الفلاحون اتهاماتهم ثم تنعقد جلسة المحكمة الشعبية لمحاكمتهم وسماع دفاعهم .

نتائج الاصلاح الزراعى

من وجهة النظر العسكرية والسياسية تم :

١ – اجراء تحولات عميقة فى الريف . اصبح الفلاحون الفقراء والاجراء سادة للريف .

٢ – تدعمت السلطة الشعبية . فقد نمت وظهرت سلطة الادارة المحلية وسلطة الميليشيا الشعبية وسلطة الامن .

٣ – تدعيم المقاومة ضد الغزاة . فقد تحول الاحتياطى الضخم لجماهير الفلاحين المعدمين الى عناصر نشطة فى صفوف المقاتلين والانصار .

ومن وجهة النظر الاقتصادية والاجتماعية :

– ظهرت شريحة اجتماعية جديدة يمثلها صغار الملاك الكادحين . لقد تقرر أن تكون ملكيتهم للارض دائمة وليست مؤقتة . وأن يكون انضمامهم الى التعاونيات اختياريا وليس اجباريا . ان هذه الكتلة من الفلاحين تملك اليوم وسائل الانتاج .

– القضاء على السخرة ، والربا ، ونظام المزارعة ، وباختصار نخلص الفلاحين من العبودية التى ورثوها .

وبعد هذا ، فلقد قيل أن الاصلاح الزراعى قد واكبته اخطاء شديدة . وهذا صحيح . وتعين على قيادة البلاد بعد أن تم انجازه فى ١٩٥٦ ، أن تقضى عامين آخرين لتصحيح الاخطاء التى وقعت . غير أن ما هو جوهرى فى هذا الصدد هو الطريقة التى تم بها تصحيح الأخطاء . ونستطيع أن نقيم الموقف الشجاع الذى وقفه حزب العمال

الفيتنامى عندما نتذكر أن الاصلاح الزراعى فى فيتنام الشمالية تم فى مرحلة دقيقة من مراحل حياة المعسكر الاشتراكى . لقد أنجزت جمهورية فيتنام الديمقراطية الاصلاح الزراعى بين المؤتمر العشرين للحـزب الشيـوعى فـى **الاتحـاد السوفيتى** (١٣ — ٢ — ١٩٥٦) وبين حملةالمائة زهرة فى **الصين** (١٩٥٧) . ثم وقعتأحداث **بوزنان** فى **بولندا** (١٩٥٦) وتعرضت الثـورة الاشتراكية لخطر الردة فى المجر (٢٨ — ٦ — ١٩٥٦) . وتم عقد المؤتمر الثامن للحـزب الشيوعى الصينى فى سبتمبر ١٩٥٦ ».

ما الذى فعله حزب العمـل الفيتنامى « لقـد انطلقت فى البلاد موجة عاتية من النقد والنقد الذاتى . وتركز النقد على الاخطاء التى وقعت فى تنفيذ الاصلاح الزراعى . ويذكر **لى شاأو** أن كثيرا من الانتقادات كانت عنيفة بل «ووحشية » (٨) فى بعض الاحيان فهى لم تقف عند حد نقد المسئولين عن تنفيذ الاصلاح الزراعى ، بل تخطت ذلك الى نقد شديد وجه فى الصحافة وفى الاجتماعات العامة الى الحزب والى الحكومة ».

— ٣ —

فى عام ١٩٥٤ — كما نعلم — وقعت اتفاقية جنيف بعد نصر مجيد أحرزته قوات المقاومة وجيش الجمهورية الفتية فى معركة **ديان بيان فو** . ويعتبر حزب العمال الفيتنامى هذا التاريخ بداية لانطلاق الثورة الاشتراكية ، بعد أن استقل شمال البلاد وتحرر من نير الاستعمار والاقطاع .

ولقد انطلق حزب العمل الفيتنامى يطبـق استراتيجيته فى بناء المجتمع الاشتراكى . ولم يتردد لحظة واحدة فى وضع هذه المهمة أمام ناظريه رغم أن البلاد سرعان ما ابتليت بخطـر التدخل الامبريالى الامريكى : هذا التدخل الذى تصاعد حتى تحول الى حرب رهيبة وسافرة يواجه فيها شعب صغير أعتى القوى الامبريالية وأشدها ضراوة وطغيانا .

لكن حزب العمال الفيتنامى حـــدد بوضوح قاطع ، أن مرحلة الانتقال بالنسبة لفيتنام ، تعنى أن تخطو البلاد — مباشرة — من عهـد التخلف الزراعى الى الاشتراكية ، بدون أن تمر بمرحلة النمو الرأسمالى . لماذا ؟

لقد أوضح لى ذوان السكرتير الاول للجنـة المركزية للحزب : :

« ان قوى الانتاج فى البلاد متخلفة للغاية ، فلا صناعة كبيرة ، والتصنيع الاشتراكى لا يمكن أن يقوم على أساس زراعة متخلفة ، ومبعثرة ، وفى ظل وجود اقتصاد رأسمالى ، واقتصاد حرفى يولد الرأسمالية كل يوم »

أما لماذا يتعين على فيتنام الا تمر بمرحلة النمو الرأسمالى . فقد أوضح **لى ذوان** الاسـباب الرئيسية :

١ — أن الرأسمالية كنظـام عـالمى تضـمحل وتتحلل أكثر فأكثر .

٢ — ان الاشتراكية أصبحت نظاما عالميا ، وهى العامل الحاسم فى التأثير على المجتمع البشرى بأسره .

٣ — ان حركة التحرر الوطنى وما حققته من انتصارات تمثلت فى أن كثيرا من بلدان العالم الثالث قامت فيها سلطة ذات طابع وطنـى ديموقراطى « ويتفاوت هذا الطابع من حيث الدرجة طبقا لقوة العمال والفلاحين ، ووفقا لعلاقات القوى الطبقية فى كل بلد » (٩) .

٤ — فى البلاد التى برز فيها الدور القيادى للعمال والفلاحين امكنها ان تغير علاقات القوى لمصلحة الطبقـات الشـعبية علـى حسـاب الراسمالية . من هنا طرحت القضية على الوجه التالى :

ان مواصلة السير فى طريق الثورة الوطنية يعنى افتتاح عهد الثـورة الاشتراكيـة .

لكن للثورة الاشتراكية متطلباتها الاســاسيـة وهى :

١ — بناء علاقات انتاج جديدة .

٢ — خلق أساس اقتصادى جديـد .

٣ — اقامة أبنية فوقية جديدة .

على ان الشرط المسبق لتحقيق هذه الاهداف هو — كما **أوضح لى ذوان** — هو : **قيام سلطة الشعب الكادح بقيادة الطبقة العاملة .**

[٨] فيتنام الاشتراكية ، ص ١٤٢
[٩] لى ذوان : الثورة الفيتنامية : المشاكل الرئيسية والمهمات الرئيسية

لماذا ؟ يجيب : لان القوى الرجعية والقوى المعادية للاشتراكية تناضل بضراوة لا تقف عند حد . غير اننا نخطىء عندما نتوهم أن هذه السلطة الشعبية ينحصر دورها — فقط — فى ممارسة القوة ضد الطبقات الرجعية . وهنا يسترجع لى ذوان ما قاله لينين فى هذا الصدد عندما حدد أن السلطة الشعبية « **ليست وحسب استخدام السلطةضد المستغلين، بل هى— حتى فى الاساس — ليست استخدامالقوة**»(١٠) لان استخدام السلطة الشعبية ينحصر دورها — فقط — فى والمبرر الاساسى لقيام سلطة شعبية ثورية هو أنها مدعوة لخلق نظام اجتماعى أكثر رقيا من النظام القديم .

السلطة الجديدة الثورية اذن تواجه مهمتين :

الاولى : ان تمهد الارض للاشتراكية .

الثانية : ان تبنى الاشتراكية .

فى عملية تمهيد الارض للاشتراكية يتجه العمل الى :

— تصفية القطاع الرأسمالى وكل اشكال الاستغلال الرأسمالى .

— وقف الاتجاه العفوى للانتاج الصغير الرأسمالى ، لان الطابع العفوى يولد الرأسمالية .

— اقرار النظام والامن فى الداخل ، وتقوية الدفاع الوطنى .

غير أن لى ذوان يلاحظ أن الاجراءات السابقة لا تكفى وحدها لبناءالاشتراكية .فلا مناص من القيام بما يسمى — فى فيتنام « **بالثورات الثلاث** » :

— ثورة فى علاقات الانتاج .

— ثورة تكنيكية .

— ثورة فكرية(أيديولوجية) وثقافية .

وهذه الثورات ، اعضاء فى كل واحد لا يتجزأ. « **وهى مجدولة مع بعضها ، ولكل منها تأثيرها على الاخرى ، وهى تدفع بعضها الى الامام** »(١١) .

لكن من بينهذه الثورات الثلاث ، تبرز الثورة التكنيكية باعتبارها **حجر الزاوية** ، « وهى المضمون الرئيسى للصراع الطبقى فى مرحلة الانتقال الى الاشتراكية فى شمال بلادنا .

وفيمايتعلق بالثورة الاولى(تغيير علاقات الانتاج) فان هذا التغيير يتجسد فى اقامة شكلين للملكية :

— الملكية العامة ، أو ملكية الشعب بأسره لأدوات الانتاج .

— ملكية الجماعات المختلفة (**التعاونيات.الخ**)

وحالما تتم للشعب الفيتنامى السيادة على وسائل الانتاج ، فانه يتعين على الثورة أن تخوض صراعا مريرا ، صعبا ، ومعقدا للغاية ، من أجل حلطائفة من أهم المشكلات . فى مقدمتها : كيفية ادارة العمل الجماعى والملكية الجماعية ، وتقسيم العمل الاجتماعى ، وذلك لتحقيق معدلات أعلى فى الانتاج . وهذا يتطلب ترشيد الادارة الاقتصادية بكيفية ثورية ، وتوزيع منتجات العمل توزيعا يتفق مع المبدأ الاشتراكى القائل « من كل بحسب قدرته ، ولكل حسب عمله »هذا منناحية ،ومنناحيةأخرى بحيث يؤمن هذا التوزيع تراكم مناسب لرأس المال يوظف فى توسيع قاعدة الانتاج .

لكن من الخطأ أن يتوهم انسان أن الإشتراكية هى مجرد ادارة القطاع الاشتراكى فى الاقتصاد . **بل هى — فى الوقت ذاته — عمل ملموس ومجسم يحسه الشعب ، ويتجه الى تحسن مستوى المعيشة ، وتنمية الثقافة والتعليم ، وتطوير العلم والتكنيك .**

وفيما يتعلق بالثورة الثانية (التكنيكية) ، وهى حجر الاساس ، فأنه لما كانت الاشتراكية تعنى سلطة الشعب الكادح زائد التصنيع الكبير ، فان الصناعات يجب أن تقوم وفقا لمتطلبات الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة ، هذه الثورة التى غزت الان تغييرات هامة سواء فى مجال غزو الانسان للطبيعة ، أو فى مجال العلاقات الاجتماعية .

ويوضح لى ذوان أن ظروف فيتنام ، كبلد ذو اقتصاد زراعى متخلف ، تفرض أن تنفذ الثورة التكنيكية بالجمع بين أسلوبين : العمل المتدرج ، والقفزات الكبيرة . أما العمل المتدرج فيهدف الى تحويل العمل الحرفى الى عمل آلى . ولابد هنا من الاستغلال الكامللكل امكانياتالعمل الحرفى حتى يسير خطوة بعد أخرى الى نصف الميكنة ثم الى

[١٠] و [١١] لى ذوان : الثورةالفيتنامية : المشاكل الرئيسية والمهماتالرئيسية ، ص ٧٠

الميكنة التامة • وفي الوقت نفسه ، لابد من تحقيق الارتباط الوثيق بين الصناعات المحلية وبيـن الزراعة .

ان مجموع هذه الخطوات يؤدى الى خلـق الظروف الملائمة لمولد الصناعة الكبيرة .

ولكن لما كانت فيتنام تعـيش في عصر النظـام الاشتراكى هو العامل الحاسم فى تطور المجتمع ، فان فيتنام تستطيع أن تقفز قفزات ضخمة مباشرة نحو ميكنة الانتاج ، ثم نحو الاتمتة ،وهنا تستفيد فيتنام من علاقاتها مع البلاد الاشتراكية لتبنى صناعة كبيرة ذات تكنولوجيا عصرية ، ثم لتطبع الاقتصاد الوطنى كله بالطابع العصرى •

فاذا جئنا الى الثورة الثالثة ، وهى الثورة الثقافية ، فان هذه الثورة تعنى أن الاشتراكية ليست مجرد بناء اقتصاد جديد فحسب ، ومجتمع جديد فحسب ، لكنها تعنى تكوين الانسان الجديد ايضــا ، وتوفير كـل الظروف التى تسمح بنمو الشخصية الانسانيــة نموا متوازنا ومتكاملا •

ان هذا الانسان الجديد هو الذى تتجسد فيه **القيم الاخلاقية الاشتراكية : حـب العمـل ، واحترامه ، وتقديس الملكية العامة** • وهو الانسان الذى يبدى فى مسلكه اخلاصا لا يحد لقضية الاشتراكيــة ، ولمصالح الامة فى مجموعها ، وهو الانسان الذى لا يبدى أى تهاون بازاء مظاهر الفساد ، وعقلية الارتزاق ، والبيــروقراطية ، والعزلة عن الواقع ، والتحلل من المسئولية فى العمل وفى الحياة اليومية •

باختصار ، فان هذا الانسان الجديد ، كمـا يوضح **لى ذوان** يــجب أن يجتمـع فى شخصـه الحماسة الثوريةوالمعرفة العلمية • أما الحماسة الثورية فانها لا تكفى وحدها الا لهدم القديم • فلابد اذن من امتلاك ناصية المعرفةالعلمية .وهذه المعرفة تعنى ان المجتمع ، الذى يصف نفســـه بالاشتراكية ، يتعين عليه أن يجمع بين كل جوانب المعرفة تعنى ان المجتمع ، الذى يصف نفســـه الطبيعية ، والتكتيك . لكن هذا ايضا لا يكفى ، فلابدمنأن يستندالانسانالجديد الىالتراثالوطنى، والى كل المنجزات العلمية والثقافية التى جمعتها وأبدعتها البشرية عبر آلاف من الاجيال •

ووفق هذا التصور ، يمكن ان تنشأ الظروف الملائمة لتكوين الانسان الجديد ، هذا المواطن الذى يتحلى بوطنية غيورة ، وبالحب العميق لمواطنيه ورفاقه ، وبشجاعة لا تهتز ، وبروح غـــير هيابة وشغف عميق بالاستقلال والحرية • « هو ذلـك الذى يفضل ان يتحمل اية تضحية على أن يفقد وطنه ويصبح عبدا » (١٢) . واخيرا فان هـــذا الانسان هو الذى يعرف كيف يلائم بين مصـــالح أمته ،وبين مصالح الحركة الثورية العالمية .

وغنى عن الذكر ، انه بقدر ما يبذل من جهــد مضاعف فى سبيل انجاح الثورة الثقافية ،بقدر ما ينعكس مردود هذه الثورة على الثورتين الاخريين ويدفع بهما دفعات هائلة وثابتة الى الامام .

من النظرية الى العمل

ان هذه القضايا النظرية عن طبيعة وآفاق الثورة الاجتماعية فى فيتنام قد سلكت طريقها الى التطبيق من خلال الخطة الاولية للتنمية • هذه الخطة التى يعتبرها الحزب برنامجه الثانى ، وتعتبرها الحكومة قانونهـــا الاساسى الملزمـــة بتنفيذه •

لقد اتجهت الخطة الى ما يلى :

١ ـ اعطاء الاولوية للصناعة الثقيلة . ذلك أن **الاساس الاقتصادى** الوحيــد للاشـتراكية هــو صناعة الالات على نطاق كبير • وفى هذا يؤكد **لى ذوان** : « **ان الموقف من الصناعة الثقيلة هو احد المقاييس الاساسية التى تميز الاشتراكية العلمية عن غيرها من الانواع الاخرى** «للاشتراكية»(١٣)

٢ ـ اعطاء **دفعات قوية للصناعات الخفيفة** ، وذلك بهدف تأمين المواد الضرورية للشـــعب ، وتوفير السلع للتصدير • وتستهدف الخطة أن يتم تمويل جميع الصناعات الخفيفة ـ بالتدريج ـ الى صناعات آلية وعصرية •

٣ ـ لما كانت الزراعة هى أحد الفروع الرئيسية للاقتصاد ، فان الخطة التى وضعتها حكومة فيتنام الديموقراطية ،تنطلق منالمبدأ القائل بأن الزراعة تمثل قاعدة هامة للصناعة .

وعلى القطاع الزراعى تقع مهام ثقيلة للغاية فى مقدمتها :

---

(١٢) **لى ذوان : المرجع السابق**
(١٣) **لى ذوان : المرجع السابق**

ـ تأمين احتياجات الشعب من الطعام ، وتحسين نوعية الوجبات بكيفية مضطردة
ـ تقديم السلع للتصدير .

ـ توفير متطلبات الحرب الثورية ضد الامبرياليين الامريكيين واعوانهم ، على كل الجبهات ، وعلى مستوى البلاد بأسرها .

وحتى نستعين بمثال حى عن الطريقة الخلاقة فى تطبيق السياسة الزراعية فقد فرضت حرب التدخل الامريكى على جمهورية فيتنام الديموقراطية أن تربط بين التخطيط الشامل للزراعة على نطاق البلاد ، وبين التخصص فى الزراعة بالنسبة لكل اقليم من اقاليمها الثلاثة : وذلك وفقا لمناخه وطبيعة أرضه . هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ، فقد وفق الحزب الى أن يصوغ أهداف الخطة الزراعية بكيفية مبسطة ، وواقعية ، وممكنة التنفيذ . لقد كان الشعار فى خطة التنمية الاولى :

« خمسة اطنان من الارز ، وفلاح واحد ، وخنزيران » .

ان شعار ٥ أطنان من الارز لكل فدانين لا يرمى الى توفير غذاء كاف للفلاح واسرته فحسب ، وانما يوفر غذاء كافيا للمجتمع بأسره . كما ان شعار « فلاح واحد » لكل فدانين مزروعين يرمى الى توفير القوة البشرية المناسبة للزراعة المكثفة ،كما يرمى الى تقسيم جديد للعمل بكيفية توفير الايدى العاملة للزراعة ، والصناعة وتخصيص جانب من هذه القوى العاملة لانتاج سلع التصدير .

أما شعار خنزيران لكل فدانين مزروعين ، فالغرض منه توفير اللحوم للاستهلاك المحلى ، وتوفير السماد الطبيعى للزراعات المكثفة مع الاحتفاظ بجزء من اللحم للتصدير .

٤ ـ وتقوم خطةالتنمية على قاعدة الربط بين بناء الاقتصاد على المستوى المركزى ، وبين بناء الاقتصاد على النطاق الاقليمى . وهذا الربط لا يؤدى الى زيادة الانتاج فحسب ، بل يساعد على تنوعه ، ويخلق نوعا من المباراة الاشتراكية بين الاقاليم ، وفى ظروف الحرب الشعبية التى تخوضها فيتنام فان التخصص الاقليمى فى زراعة معينة او صناعة معينة ، من شأنه ان يجعل من كل اقليم وحدة استراتيجية من حيث طبيعة العمليات العسكرية، ومن حيث التموين ، ومن أجل رفع كفاءة القتال، ورفع معدلات الانتاج فى آن واحد (١٤) ولقد فرضت الحرب على فيتنام ايضا أن توزع الصناعات توزيعا جغرافيا ، لا وفقا لمتطلبات التنمية فحسب بل وطبقا لمتطلبات الاستراتيجية العسكرية وفى ذلك يقول **لى ذوان** :

« واذا ما فعلنا ذلك فسيكون فى وسعنا فى أى نوع من الحرب وتحت أية ظروف ان نحافظ على مدرننا وان نوسعها فى كل من (ميادين) القتال والانتاج ، وان ننمى قوة الشعب من أجل نضال طويل الامد » .

ان كلمات **لى ذوان** تلخص ملامح المعجزة الفيتنامية كلها . ان خطة التنمية قد حققت اهدافها . وتحولت فيتنام الشمالية بانتقالها الى مرحلة الثورة الاشتراكية ، الى قاعدة جبارة ومؤخرة للجبهة فى الجنوب . ان الحرب لم توقف التحولات الاجتماعية ، بل لقد اعتمدت الحرب على التحولات الاجتماعية ، كما عمقت الحرب الوطنية الشعبية فى وجدان الشعب الفيتنامى الحقيقة القائلة بأنه على أرضية النضال من أجل الاشتراكية يتم كسب الحرب ، ويفقد العدو الامريكى الامبريالى كل أمل فى احداث ردة داخلية ، وفى تقسيم صفوف الشعب وسحق روحه المعنوية بأساليب الحرب النفسية .

وفى هذا تكمن قوة فيتنام والشعب الفيتنامى . وفى هذا تكمن المقدرة الهائلة للقيادة السياسية للحزب والجبهة على ادارة النضال وتنمية المجتمع ، وفق خط سياسى صائب يطوع معطيات الوضع الدولى لخدمة القضية الوطنية وقضية بناء الاشتراكية . ان شعب فيتنام يناضل من أجل السلم العالمى ،ولا يرى فى ذلك تناقضا مع ضرورة الثورة وتشديد الثورة لكسر الحلقة الامبريالية فى أضعف حلقاتها .ويركز على مبدأ الاعتماد على الذات ،وعلى موارد الامة ، ويبدأ من ذلك وينتهى اليه ، عبر تعاون وثيق مع الاتحاد السوفيتى وبقية دول المعسكر الاشتراكى وكل الدول الصديقة . ثم هو قبل هذا كله،وبعد هذا كله يخوض حربه الحالية ضد الغزاة الامريكيين ، كما خاض حربه المظفرة ضد الغزاة الفرنسيين ،وهو مقتنع بانه يخوض نضالا قد يستمر ابدا من أجل انتصار لا يبعد قطعا أن يحرزه غدا .

(١٤) لى ذوان : المرجع السابق ص ١٠٠

الجبهة الوطنية

أعظم التجارب السياسية لثورة فيتنام

سمير كرم

على مدى مئات السنوات ، اكتسب الشعب الفيتنامي - من خلال النضال ضد القوى الخارجية - خبرة عميقة بأهمية الوحدة الوطنية وممارسة هذا النضال وتحقيق نتائج ايجابية منتصرة فيه ، وقد اكدت هذه الخبرة بصفة خاصة في السنوات الماضية،سنوات النضال ضد الاستعمار الفرنسي ، ثم ضد الاستعمار والعدوان الامريكي ·

ولعل من الامور الجديرة بالاهتمام أن نلاحظ أن عمر جبهة التحرير الوطني لفيتنام الجنوبية وعمر جبهات التحرير الوطني في الثورة المسلحة ، وتجربتها في الثورة المسلحة يمثلان اطول تجارب التاريخ الحديث كله . فان عمر الجبهة الرسمي يمتد من عام ١٩٦٠ حتى الان · وربما يكون من قبيل التجريد وحده أن نفصل نشأة جبهة التحرير الوطني لفيتنام الجنوبية عن جبهة « الفيت منه » التي خاضت نضال التحرير الوطني قبل ذلك ضد الاستعمار الفرنسي ، وتوج باعلان جمهورية فيتنام الديمقراطية وعقد اتفاقيات جنيف الخاصة بفيتنام عام ١٩٥٤، ونهاية عهد كامل من الاستعمار الفرنسي في الهند الصينية بأسرها ·

ذلك أن الشعب الفيتنامي هو الصانع الحقيقي للجبهتين، وهو الذي أمدهما بالرجال والقيادة والمبادىء ،فهو صاحب المصلحة الاولى في نضالها وثورتها بكل المستويات وفي مختلف المجالات ·

على أن ذلك لا يمنع التأكيد بأن هناك اختلافات موضوعية محددة ترجع الى الظروف التاريخية لكل من الجبهتين · وان ظلت الحقيقة الاولى والاساسية في العلاقة التاريخية بينهما ، أن جبهة التحرير الوطني لفيتنام الجنوبية قد اكتسبت وافادت من خبرات جبهة « الفيت منه » ومن انتصاراتها ، فكان ذلك جزءا هاما من الظروف الموضوعية لتكوين جبهة التحرير الوطني لفيتنام الجنوبية وقوتها ومكوناتها السياسية ·

وكما أن جبهة « الفيت منه » ضمت جميع القوى، والفئات الوطنية للشعب الفيتنامي دون تمييز بالدين أو الاتجاه السياسي او الطبقة الاجتماعية ، في ضرب

المقاومة الاولى التى امتدت من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٤ ، فان **جبهة التحرير الوطنى لفيتنام الجنوبية اتسعت لتشمل فى حرب المقاومة الثانية - منذ عام ١٩٦٠ - ضد دكتاتورية نجو دين ديم، والتدخل ثم العدوان الشامل الامريكى - جماهير العمال والفلاحين والمثقفين وطلاب الجامعات والمدارس ، ولتشمل أصحاب المعتقدات الدينية على اختلاف مللها (من الكاثوليك والبوذيين وغيرهم). والقوميات المتعددة سواء التى تتكون منها اغلبية الجنوب الفيتنامى أو اقلياته •**

ولقد تميزت حركة جبهة التحرير - نتيجة لهذا التكوين العريض - بسمتين أساسيتين :

- **الطابع الوطنى**
- **الطابع الديمقراطى •**

فالحقيقة ان كل مجموعة من المجموعات المكونة للجبهة بدأت بخوض النضال ضد الدكتاتورية والتدخل الامريكى سعيا وراء اهداف خاصة بها • فالفلاحون مثلا ، بدأوا نضالهم من أجل خفض ايجارات الاراضى ومن أجل توزيع الارض على الفقراء منهم • والعمال بدأوا النضال من أجل اتاحة فرص العمل امامهم ورفع اجورهم . والطلاب ، من أجل قضية استخدام اللغة الوطنية رسميا فى التعليم الفيتنامى • والاقليات القومية من أجل المساواة ، والجماعات الدينية من أجل حرية العقيدة •

ظهور الهدف المشترك

ولكن كل هذه الجماعات اخذت تدرك مع تطورات الصراع واشتداد حدة مقاومة دكتاتورية حكومة سايجون ، واشتداد التدخل والعدوان الامريكى انها مهددة فى وجودها نفسه • **وقد اسهمت الدكتاتورية نفسها ومستشاروها العسكريون الامريكيون منذ البداية فى التعجيل بظهور الهدف المشترك لكل قوى الشعب الوطنية ، وذلك عندما حولت الاتهام بالشيوعية والاتهام بالانتماء الى « الفيت كونج » (وهى تسمية أمريكية بحتة) الى سيف مسلط على رقاب كل عنصر وطنى يطالب بالاستقلال أو يطالب بالحريات العامة والديمقراطية أو بوحدة فيتنام • وكان معنى هذا الاتهام الموت ، أو السجن ، أو النفى •**

ولم يكن يمكن أن يفلت من « لعنة » هذا الاتهام أحد . فقد أخذ ينتشر حتى شمل أعوان كبار المسئولين فى حكومة سايجون نفسها ، بل وبعض الوزراء وكبار الضباط ، ومن لم يلحقه الموت منهم هرب بحياته الى المنفى خارج البلاد •

وهكذا وجدت كل العناصر الوطنية والديمقراطية نفسها ازاء هذا القمع أمام اختيارين : اما أن تحمل السلاح لتقاتل من أجل الحياة والحرية ، وأما أن تنتظر الموت • وبدأت هبات الشعب تنفجر فى أماكن عديدة من الجنوب الفيتنامى فى وقت واحد تلاحق أدوات الدكتاتورية وأجهزتها ، وتنزع منها السيطرة الفعلية على مناطق عديدة ، بحيث أنه **عندما تهيأت الظروف النضالية والسياسية فى البلاد لقيام الجبهة فى عام ١٩٦٠ كانت العناصر الوطنية قد تمكنت بالفعل من تحرير مساحات كبيرة من الاراضى واقامت فيها سلطتها** • وعندئذ أصبح من الضرورى أن يقوم **تنظيم ثورى قادر على أن يكون تحالفا لكل القوى الوطنية والتقدمية يقود النضال من أجل تحرير فيتنام الجنوبية** من الحكم العميل ومن السيطرة الامبريالية الامريكية والتقدم بعد ذلك نحو تحقيق وحدة فيتنام سلميا •

انشــــاء الجبهة

وفى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٦٠ أسس ممثلو العمال والفلاحين والقوات المسلحة الشعبية والمثقفين والتجار والصناعيين والجماعات الدينية والجماعات الوطنية المختلفة « **جبهة التحرير الوطنى لفيتنام الجنوبية** » •

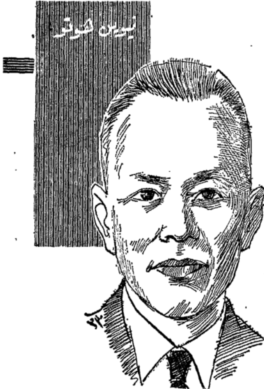
وكانت المنظمات الثورية والوطنية التى انضمت الى الجبهة هى المنظمات التالية :

- **حزب الشعب الثورى لفيتنام •**
- **الحزب الاشتراكى الراديكالى لفيتنام الجنوبية •**
- **الحزب الديمقراطى لفيتنام الجنوبية •**
- **حركة الاستقلال الذاتى للقوميات فى تاى نوين (الهضاب الوسطى) •**
- **اتحاد النقابات لتحرير فيتنام الجنوبية (وكان يسمى من قبل رابطة العمال لتحرير فيتنام الجنوبية) •**
- **رابطة الفلاحين لتحرير فيتنام الجنوبية**
- **الاتحاد النسائى لتحرير فيتنام الجنوبية •**
- **اتحاد الشباب لتحرير فيتنام الجنوبية •**

- اتحاد طــلاب المدارس والكليــات لتحــرير فيتنام الجنوبية
- عصبة الشباب الثورى الشعبى .
- رابطة رجال المقاومة السابقين
- قوات التحرير الشعبية المسلحة .
- رابطة الكتاب والفنانين من أجل التحرير .
- رابطة الصحفيين الوطنيين والديمقراطيين .
- رابطة معلمى المدارس الوطنيين .
- مجموعة الصناع ورجال الاعمال
- رابطة البوذيين الوطنيين .
- رابطة الكاثوليك المكرسين لله والوطن .
- رابطة احياء الاخلاق للمؤمنين بالهوا هاو .
- رابطة بوذيبى لوك هوا الفيتناميين .
- طائفة كاو داى تيين هيين
- مجموعة البروتستانت .
- الصليب الاحمر للتحرير
- لجنة الدفاع عن السلام العالمى
- لجنة التضامن الافرو آسيوية .
- لجنة التضامن مع شعوب أمريكا اللاتينية
- لجنة التضامن مع شعب الولايات المتحدة
- لجنة حماية النساء والاطفال .

وبالاضافة الى هذه المنظمـات التى أصبحت أعضاء فى الجبهة ، فان عدداً آخر من المنظمات قد شاركت الجبهة فى أعمالها وهى :

ـ التحالــف الفيتنــامى للقــوى الوطنيــة والديمقراطية والسلامية



رئيس اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطنى لفيتنـــام الجنوبية . محام مشهور ولد فى عام ١٩١٠ فى ســايجون لاسرة ينتمى معظم أفرادها لفئة الموظفين المدنيين . تلقى علومه فى فرنسا وحصل على درجة الدكتوراه فى القــانون من جامعة باريس وعاد الى فيتنام فور تخرجه وعمل محاميا لفترة طويلة . وقد استمد شهرته كوطنى وكمحام فى وقت واحد من دفاعه أمام المحاكم المختلفة عن اعضاء حــركة المقاومة الفيتنامية ضد المستعمرين الفرنسيين . وأصبح مثالا للاخلاص الوطنى بين المثقفين فى فيتنام الجنوبية .

قاد حركة الطلاب والمثقفين عام ١٩٤٩ فى سايجون ضــد الاستعمار الفرنسى . وهى حركة كانت تطالب بالحــريات الديمقراطية وبتحسين الظروف الاجتماعية لجماهير الشعب الفيتنامى .

واعتقلته السلطات الاســتعمارية الفرنســية عام ١٩٥٠ وأرسلته الى المنفى فى منطقة نائية . وظل هناك اكثر من عــامين .

وبدأ مرحلة جديدة من نضــاله السياسى بعد أن وقعت اتفاقات جنيف عام ١٩٥٤ . وقاد « حركة السلام » الفيتنامية وكان نشــــاطه كفيلا بأن يجعــل حــكومة نجووين دييم الدكتاتورية فى ســايجون والحكومات العسكرية التى تعاقبت على فيتنام الجنوبية تتعقبه وتنقله من سجن الى سجن آخر . وفى عام ١٩٦١ ـــ وهو عام تاسيس جبهة التحرير الوطنى ـــ كان محدد الاقامة فى مدينة فوبين وتمكنت الجماهير الثائرة فى المنطقة من اطلاق سراحه ، فانتقل الى احدى المنــاطق المحررة حيث أصبح قائدا لحركة الثورة فى فيتنام الجنوبية ضد الحكومة العميلة وضد الامريكيين .

وعندما عقد أول مؤتمر لجبهة التحرير الوطنى لفيتنــام الجنوبية عام ١٩٦٢ انتخب بالاجماع رئيسا للجنة المركزية للجبهة . واعيد انتخابه بالاجماع رئيســا للجنة عندما عقدت الجبهة مؤتمرها الثانى فى أوائل عام ١٩٦٤ .

ويعد دكتور هيو تو من ابرز القــادة الفيتناميين الذين اسهموا فى وضع الاستراتيجية العسكرية والخطط السياسية لثورة الجنوب الفيتنامى طوال السنوات منذ تاسيس جبهة التحــرير الوطنى . ولم يكن قد انتمى فى أى وقت لاى من الجماعات الحزبية التى تتكون منها الجبهة .

ويتوى دكتور تو ـــ بالاضافة الى رئاسة اللجنة المركزية لجبهة التحرير ـــ منصب رئيس المجلس الاستشارى للحكومة الثورية المؤقتة لجمهورية فيتنام الجنوبية .

ـ لجنة دعم السلام والتعايش السلمي (لطائفة الكاو داي) .

ـ قوى « بين سويين » الوطنية .

ـ مجموعة قيادة انقلاب ١١ نوفمبر عام ١٩٦٠ (١)

وعندما اصدرت « الجبهة » أول بيان ـ Manifesto. وهو بيان النقاط العشر الشهير ـ كان لابد أن يعكس البرنامج المشتمل عليه هذا البيان ، المعاني السياسية والنضالية الكامنة في هذا التحالف الواسع ، والتنسيق الضروري بين مكوناتها من المنظمات والقوى السياسية والدينية والقومية . وبالفعل فان البيان والبرنامج جاءا معبرين عن تحول « الجبهة » فعلا الى سلطة تقوم بأداء مهام الدولة في المناطق التي تسيطر عليها . تكفل الامن لسكان المناطق المحررة وتنظم اقتصادا وطنيا فيها وتقيم قواعد للممارسة الديمقراطية، وتخلق الفرص لازدهار ثقافة وطنية حقيقية ، وذلك كله برغم حرب الدمار الشامل التي يشنها العدو الامريكي ضد الثورة والشعب بوجه عام .

وقد أكد هذا البيان التاريخي في فقرات عديدة منه ، على مفهوم وحدة القوى الوطنية ، باعتباره حجر الزاوية في بناء « الجبهة » . فنجده في الفقرة التي تسبق مباشرة النقاط العشر المحددة لبرنامج الجبهة ينص على : « ان جبهة التحرير الوطني لفيتنام الجنوبية تدعو الشعب كله لان يتحد وأن يهب بطريقة بطولية كرجل واحد للنضال على أساس برنامج عمل ... » .

الطابع الديمقراطي

وأكد البيان التاريخي بالمثل وبنفس الدرجة على الطابع الديمقراطي لعمل الجبهة ونشاطها ووسائل ممارستها للنضال السياسي والعسكري . فينص على : « ان الشعب يطالب بالحاح بنهاية للحكم الدكتاتوري القاسي ، ويطالب بالاستقلال والديمقراطية ، بغذاء وملبس كاف وتوحيد سلمي للبلاد » . وينص في النقطة الاولى من نقاط البرنامج العشر على تكوين حكومة ائتلافية وطنية ديمقراطية . ثم ينص أيضا في النقطة الثانية من البرنامج على :

« اقامة ديمقراطية عريضة وتقدمية ، واعلان حرية التعبير والصحافة والعقيدة والتجمع، وتكوين الاتحادات ، وحرية الحركة والحريات الديمقراطية الاخرى ، ومنح العفو العام لكل المعتقلين السياسيين ، وتصفية جميع معسكرات الاعتقال .

وفي اطار التأكيد على الوحدة الوطنية بين كل هذه القوى ، والتأكيد على الطابع الديمقراطي لاسلوب وأهداف الجبهة ، فان التأكيد الاساسي قبل وفوق كل شيء هو على « اهمية الدور الحاسم الذي يلعبه العمال والفلاحون والشعب الكادح بوجه عام » .

ويكشف تاريخ تكوين «الجبهة» تصميم القوى المكونة لها على اعمال الديمقراطية في اساليب عملها منذ اللحظة الاولى . فقد كان من الضروري من البداية القيام بجهود ضخمة في عمل تنظيمي دقيق لاستكمال أبنيتها ونظمها السياسية والادارية ولجانها الثورية على مختلف المستويات : في القرية والمنطقة والمقاطعة والاقليم انتهاء الى اللجنة المركزية للجبهة . وربما زاد من دقة هذا العمل التنظيمي وتعقده ، ذلك التنوع الشديد في طبيعة الاحزاب والمنظمات السياسية والجماهيرية والدينية والقومية التي انضمت الى الجبهة خلال العام الاول من نشأتها . ومع ذلك فان هذا العمل التنظيمي كان ضروريا لعمل الجبهة وسط الجماهير الشعبية مباشرة . وبالفعل فان تكوين اللجان الثورية للجبهة في القرى والمقاطعات والاقاليم ، قد ساعد على تنظيم مظاهرات جماهيرية اشترك فيها الملايين من السكان في مناطق فيتنام الجنوبية المختلفة . وفي نهاية عام ١٩٦١ كان قد تم تكوين لجان للجبهة عن طريق الانتخاب الحر المباشر في جميع قرى ومقاطعات المناطق المحررة والمناطق المتنازعة بين قوات التحرير الشعبية وقوات حكومة سايجون . وقد شمل ذلك ٣٨ من ٤١ مدينة ومقاطعة تضمها كل أقاليم فيتنام الجنوبية الستة .

وحدة وطنية على كل المستويات

وقد تميزت جبهة التحرير الوطني الفيتنامية عن المفهوم الكلاسيكي للجبهات في أن وحدة القوى الوطنية فيها لم تكن قاصرة على المستويات العليا من هيكل الجبهة نفسها ، بل أن هذه الوحدة

(١) محـاولة قام بهـا ضباط المظلات احتلوا فيها أجزاء من سايجون وهاجموا القصر الجمهوري ، ولكن محاولتهم فشلت بعد استدعاء قـوات من باقي اقاليم فيتنام الجنوبية ، وتمكن قادة المحاولة من الفرار الى كمبوديا .

الوطنية كانت سمة كل المستويات من القمة الى القاعدة . ولهذا كانت الجبهة منذ بداية نشأتها تنظيما جماهيريا ضخما يسيطر بصورة فعالة على الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية فى مناطق بأكملها .

ومنذ البداية أيضا - فى مرحلة التنظيم - تنبهت قيادات الجبهـة الى أهميـة وجود **شبكـة اتصال جماهيرية** - اعلامية - فانشئت فى عام ١٩٦١ وكالة أنباء التحرير وراديو التحرير الذى صار له مع قصر الوقت وبسرعة كبيرةدورهالكبير فى نقل بيانات الجبهة وأنباء نشاطها العسكرى والسياسى على أوسع نطاق ، حتى الى المناطق التى تسيطر عليها قوات سايجون . وبلغ عدد الصحف والمجلات المركزية المحلية التى تصدر عن الجبهة ٣٠ صحيفة ومجلة ، بعضها خاص بـالاقليات القومية .

وقد عقد أول مؤتمر عادى للجبهة فى الفترة من ١٦ فبراير الى ٣ مارس عام ١٩٦٢ ، وقرر هذا المـؤتمر تكوين لجنة مركزية للجبهة من ٥٢ عضوا ، انتخب منهم فعلا ٣١ عضوا وترك ٢١ مقعدا فى اللجنة المركزية شاغرا .ذلك ان المؤتمر قرر أن الجبهة تتوقع أعضاء كثيرين جددا .

المؤتمر الثانى نقطة تحول

وعندما عقدت الجبهة مؤتمرهـا الثانى - فى الفترة من الاول الى الثامن من يناير عام ١٩٦٤ - كانت قد اكتسبت دفعة قوية بحكم توصلها الى تقدير موضوعى حقيقى للقوى الشعبية والوطنية المتحالفة داخلها والمؤيدة لها من الخارج ولمدى سيطرة سلطتها على المناطق المحـررة حتى ذلك الوقت ومدى نموها . وقد مثلت فى المؤتمر الثانى اللجان الاقليمية ولجان المقاطعات التابعة للجبهة ، والحـزب الديمقراطى ، والحـزب الاشـتراكى الراديكالى ، وحزب الشعب الثورى ، وحـركة الاستقلال الذاتى للهضـاب الوسـطى ، ورابطـة تحرير المرأة ، ورابطة تحرير الشباب ، ورابطة الصحفيين الوطنيين والديمقراطيين ، ورابطـة العلميين الوطنيين ، واتحـاد الطلبة ، ورابطة المحاربين القدماء ،وجمعية الصليب الاحمرللتحرير وقوات التحـرير المسلحة والـلاجئين من فيتنام الشـمالية ، والفيتنـاميين فيمـا وراء البحار ، والقبائل الجبلية ، والبوذيين من طـائفة الماهايانا ، والبـوذيين من طـائفة الهينـايانا ، والكاثوليك ، والبروتستانت ، وسكان منطقة « آب باك » ولجنة دعم التعايش السلمى فى تاى تين ، ولجنة الدفاع عن السلام العالمى ، واتحاد المقيمين الصينيين ، وجيش المقاومة لمنطقة « كاو داى » ، والفارين من الخدمة العسكرية فى جيش حكومة فيتنام الجنوبية ، والاشخاص الذين اشتركوا فى انقلاب ١١ نوفمبر ١٩٦٠ الفاشل .

وكان من الطبيعى أن ينعكس هذا النمو الضخم فى جبهة التحرير ، على تكوين لجنتها المركزية . فارتفع عدد مقاعدهـا الى ٦٢ تركت ١١ منها شاغرة . وأعيد انتخاب **المحامى نووين هيو تو** - الذى كانت قوات الجبهة قد أطلقت سراحه من أيدى قوات الحكومة فى أواخر عام ١٩٦١ - رئيسا للجنة المركزية . وانتخب ٦ نواب للرئيس . وعكس انتخاب النواب الستة الحرص على مفهوم الوحدة الوطنية كأساس لقيام الجبهة . فنجد أن أولهم دكتور فون فان كون وطنى لا حزبى ، وفوتشى كون رئيس حزب الشعب الثورى ، وتوم مى تى نيم وطنى من البوذيين من أصل كمبودى ، وبيه اليو وطنى بروتستنتى وهو رئيس حركـة الاستقلال الذاتى لمنطقة الهضاب الوسطى ، **والمهندس هوين تان فان السكرتير العام للحزب الديمقراطى (وهو الان رئيس الحكومة الثورية المؤقتة لفيتنـام الجنوبية)** وتران نام ترون ممثل قوات التحرير الشعبية المسلحة (وهو الان وزير الدفاع فى الحكومة الثورية المؤقتة) . والنظرة الى التكوين الاوسع للجنة المركزية تعكس نفس الخصائص . فنجد الزعماء الدينيين الى جانب زعمـاء الاحزاب الاشتراكية الى جانب أعضاء الحركات الخاصة بالاقليات القومية الى جانب ممثلى الطبقـة العاملة . ولعل من الامور الجديرة بالذكر أن المرأة شغلت أعلى المراكز القيادية فى الجبهة ، ويكفى كمثال أن نذكر اسم السيدة نوين تى دين نائبة القائد العام لقوات التحرير الشعبية المسلحة التى كانت من قبل صيدلية ريفية مناضلة تحمل اسم ماتى تشـو .

والواقع أنـه خلال الفترة بين انعقاد المؤتمر الاول والمؤتمر الثانى للجبهة ، كانت قد حدثت تطورات سياسية هامة عمقتالصلات الجماهيرية للجبهة بخلاف عملية دعم أجهزتها القيادية واقرار سلطتها الثورية فى المناطق المحررة . ونقصد تنفيذ الجبهة لبرنامج اصلاح زراعى فى تلك المناطق ، وتنفيذها بنجاح برنامجا لزيادة الانتاج الزراعى واقامة شبكة من مراكز الخدمات الصحية والتعليمية للسكان . وهذا كله فضلا عن الجهود الاساسية للجبهة فى تعبئة مزيد من المنـاضلين للانضمام الى صفوف المقاومة المسلحة بصـفة مستمرة .

ويصف لو دوان السكرتير الاول للجنة المركزية لحزب العمال الفيتنامي (الحزب الشيوعي في فيتنام الديمقراطية) نمو الثورة الفيتنامية الجنوبية فيقول :

« ان عملية نمو الثورة الفيتنامية الجنوبية هي عملية توحيد وتنظيم وتوسيع القوى الوطنية لسحق عدوان الامبرياليين الامريكيين من اجل تحرير الجنوب . . » (٢) .

وكما هو واضح فان لودوان يبرز بالذات من خصائص « عملية نمو الثورة » مفهوم وحدة القوى الوطنية على وجه التحديد بأوسع معانيه . وهو يؤكد في التقرير نفسه « أن الهدف الاساسي المباشر لشعب فيتنام الجنوبية تحقيق الاستقلال والديمقراطية والسلام والحياد والرخاء والتقدم نحو اعادة التوحيد الوطني سلميا . ولا يملك شعب فيتنام الجنوبية لبلوغ هذه الغاية وسيلة أخرى الا استخدام العنف الثوري . . »

قيادة الطبقة العاملة والفلاحين

ويرجع لودوان خبرة ثورة الجنوب الفيتنامي بأهمية الوحدة الوطنية ، الى ثورة أغسطس ١٩٤٥ الفيتنامية « التي ساعدت الثوريين الفيتناميين الجنوبيين على أن يدركوا أن أي ثورة ذات طابع شعبي عريض لابد أن تستخدم القوى السياسية والعسكرية على السواء ، وأن تربط ما بين الصراعين السياسي والمسلح حتى تضمن تحقيق النصر » .

وثورة الجنوب الفيتنامي شأنها شأن الثورات الوطنية الديمقراطية السابقة تعتمد على العمال والفلاحين كقوة أساسية لها : ذلك أن تحالف العمال والفلاحين الذي تقوده الطبقة العاملة ، هو حجر الزاوية في الجبهة الوطنية المتحدة . ولهذا فانها لم يكن يمكن أن تعتمد فحسب على القوى الثورية في الريف وحدها ، وانما تعين عليها أن تحشد القوى الثورية في المدن بالمثل . ولهذا يكمن احد منجزات الثورة الفيتنامية في تنسيقها بوعي بين الحركات الثورية في الريف والحركات الثورية في المدن على نحو جعل من كل منهما سندا ودافعا للآخر . فان المد الثوري القوي الذي حققته حركة الثورة في المناطق الريفية على مدى السنوات الماضية قد أحدث تأثيره الايجابي على الجماهير الثورية في المدن وعزز حركتها ، فان حركة الجماهير الحضرية في صف الثورة ضد العدوان الامريكي ، والدكتاتورية الحاكمة قد خلقت ظروفا اكثر ملاءمة لحرب التحرير الشعبية الممتدة في الريف . وكان للتنسيق بين حركة العمل الثوري في المدن والريف ، جانباه السياسي والعسكري . ولهذا حددت الجبهة في برنامجها السياسي انها تسعى « الى بناء القوى السياسية للجماهير والى تطوير كفاحها السياسي وربطه بالكفاح المسلح »

وفي خطاب للمحامي نوين هيوتو رئيس جبهة التحرير الوطني لفيتنام الجنوبية في ١٨ سبتمبر عام ١٩٧١ - بمناسبة الاحتفال بالعيد الحادي عشر لتأسيس الجبهة - يؤكد هيوتو على عنصر الوحدة الوطنية كجزء أساسي من تاريخ الشعب الفيتنامي ، فيقول :

« أن القضية العادلة لشعب فيتنام الجنوبية هي قضية كل الشعب . وكما كان الامر في الماضي وفي الحاضر وكذلك في المستقبل سيظل الشعب مخلصا لتقليد التضامن والوفاق الوطني الواسع » .

وقد حرصت قيادة الثورة الفيتنامية بجميع مستوياتها على تأكيد أهمية مفهوم الوحدة الوطنية . فنجده يتكرر في كتاباتهم وفي قرارات الجبهة وبياناتها بصورة تجعله لا يغيب عن خاطر المقاتلين أو عن خاطر الجماهير العريضة نفسها .

التحالف الفيتنامي للقوى الوطنية والديمقراطية والسلامية

ولعل أهم حدث سياسي في تاريخ حرب المقاومة الثانية في فيتنام تأكيدا لتركيز الثورة على مفهوم الوحدة الوطنية لكل طبقات وقوى وجماعات الشعب الفيتنامي في مواجهة أعدائه في الخارج والداخل هو انشاء « التحالف الفيتنامي للقوى الوطنية والديمقراطية والسلامية » في عام ١٩٦٨ . وقد عقد هذا « التحالف » أول مؤتمر له في يومي ٢٠ و٢١ أبريل عام ١٩٦٨ في مكان قريب من العاصمة سايجون بحضور ممثلين للمثقفين والطلبة والكتاب والصحفيين ورجال الصناعة ورجال الاعمال والضباط والموظفين المدنيين الذين يمثلون القوى الوطنية والديمقراطية المختلفة ذات الميول السياسية والمعتقدات الدينية المتباينة .

(٢) لودوان في تقرير بعنوان : الى الامام تحت راية ثورة اكتوبر المظفرة .

وكان الهدف من تكوين هذا التحالف ــ كما حدده أول بيان له ــ « **وضع خط موحد وتوحيد منظمات التحالفات المختلفة التي برزت وتطورت بقوة في المدن ، من أجل أعطاء تأييدها ودورها أقصى مجال لها ، وبالتالي الاسهام بنصيب ايجابي في صراع الامة من أجل انقاذ البلاد** » • وحدد البيان « أن التحالف قد خرج الى الوجود بهدف توحيد كل القوى الوطنية ،والافراد الوطنيين المصممين على مقاومة العدوان الخارجي واسقاط حكم نيوين فان ثيو ــ وكاوكى العميل ، واقامة حكومة ائتلاف وطني ، وتحقيـــق الاســـتقلال والديموقراطية والسلام » •

وقد وجه المؤتمر الاول للتحالف نداء « **الى المواطنين في الداخل وفي الخـارج ــ وخاصة سكان المدن ــ أن يضموا صفوفهم وأن يوزعوا قواهم المتينة وأن ينهضوا ويهزموا المعتـدين الاجانب ، وأن يستعيدوا الاسـتقلال والسـيادة الوطنية،والحرية والديمقراطية والسلام الحقيقي** •

وكـان من الطبيعي ان تستقبل جبهـة التحرير **الوطني قيام التحالف ، بحماس وفهم عميق لدوره** في توسيع قاعدة الوحدة الوطنية ، أى توسيـع قاعدة النضال ضد الامريكيين والحكـم العـميل لهم ، واصدرت الجبهة بالفعل بيانا أيدت فيـه برنامج التحالف وأعلنت استعدادها للاشتراك معه في النضـال المشترك من أجـل الاسـتقلال والديمقراطيه والسـلام والحياد والرخاء ، ومن أجل حيـاة حرة وسعيـدة للشعب كله واعـادة التوحيد السلمية النهائية للوطن • ووجهت الجبهة في هذا البيان نفسه نداء ــ في أبريل عام ١٩٦٨ وكان ذلك وسط احداث بالغة الاهمية ــ من الانتصارات العسكريـة الساحقـة لقوات التحرير الشعبية فيما عرف بهجوم رأس السنة القمرية في ذلك العام ــ دعت فيه « **جميع القوى والافراد الذين يريدون لشعبنا أن يكون مستقلا وحرا ويريدون لكل فرد أن يتمتع بالسلام والسعادة ــ في هـذه الساعـات الحاسمـة من التاريخ ــ أن يضـعوا مصلحة الوطن فوق كل شيء ، وأن يجمعوا الجهود ويعززوا التضامن والنضال لتحقيق هذا الهدف بدل ما يتطلبه من تكاليف** »

ان التجارب الطويلة للجبهة الوطنية في النضال الفيتنامي ، وخاصة في السنوات الاثنـى عشر الاخيرة منذ تأسيس جبهة التحرير الوطني تجعل من الثورة الفيتنامية ، واحدة من أثرى التجارب الثورية الديمقراطية في التاريخ الحديث كله ، سواء في موقفها من القوى الاجتماعية المختلفة داخل الوطن الواحد ، أو كتعبـير سياسي عـن الوحدة بين القوى الوطنية ، أو في قدرتها على ادخال مختلف الجماعات الدينية والطبقـات الاجتماعية في الاطار الثوري الوطني الواحد •

واذا كان من الضروري تلخيص نجاح التجربـة التاريخية للجبهة الوطنية في ثورة الجنـوب الفيتنامي في كلمات قليلة ، فاننانعتقدأن هذه الكلمات تحددها عبارة للجنـرال جياب « **أن عـدم قابلية حرب الشعب للانكسار تنتج جوهريا عن الوحدة النضالية للشعب • هذا هو العامل الحاسم من أجل النصر** » • وهو نفس المعنى الذي يؤكده برنامج جبهة التحرير في قوله « **ان القوة الوحيدة القادرة على القيام بالمهمة النضالية ضد العدوان الامريكي ، ومن أجل التحرر الوطني هي أوسـع وحدة وطنية ممكنة** » •

الاضـــافة الفيتنـــامية
لاســتراتيجية وتكتيــكات
حـــرب التحـــرير الشـــعبية

خيرى عزيز

ربما كان أعظم دروس الحرب الفيتنامية، من الناحية العســكرية ، وابرز السمات الخاصة بها ، كحرب تحرير وطنية شعبية هو تنظيم القتال ضــد **قوة جوية عملاقة ، تنظيم حرب الشعب ، فــى ظروف تفوق جوى ساحق للعدو .**

ذلك أنه كان على دولة فيتنام الـديموقراطية الصغيرة ، وجبهة التحرير الوطنى فى الجنوب ، أن تجابها وحدهما ، ودون قوة جوية **مقابلة تقريبا ،** أكبـر قوة جــوية فــى العـــالم ، القـــوة العمـــلاقة لســـلاح الطيـران الامـريكى . **وهذه سمة جديدة نسبيا ، تختلف بوضوح عن مجابهات بعض حروب التحرير الشعبية الاخرى ، كحرب التحرير الشعبية الصينية على سـبيل المثال .**

وربما لا تكون هناك سابقة تاريخية فــى الحقيقة ، يمكن أن تقارن بالمقاومة الفيتناميـــة ضد العـدوان الامريــكى الذى اتخذ صورة الحرب **الجوية فى الشمال ، والحرب البرية ـ الجوية فى الجنوب .** اذ كيف يمكن لشعب فلاح أن يبقى على قيد الحياة دون قوة جوية ، ليواجه قصفا جويا شاملا ومتكالبا ؟ وكيف يمكن أن يستمر تموين هذا الشعب ؟ وكيف يمكن الاعتناء بضحايا الغارات الجوية ، وكيف يستطيع تجنب الاوبئة ؟ وكيف يمكن لهذا الشعب أن يدعم معنوياته ؟ وكيف يمكن للفلاح الفيتنامى المضطهد عبر التاريخ ، والذى جوعه الملاك الاقطاعيون ، وعاملوه بشراسـة وعنف ، والذى حرمته من التعليم نظم أجنبية عن بلده ، أن يتحمل الفى طن من القنابل يوميا ؟ وغير ذلك من التساؤلات العديدة التى تحتاج حقا الى اجابات مقنعة شافية .

الحــرب الشـــــعبية

« من الارض الى الجو » :

لقد قدم الفيتناميون الرد العملى المبتكر على كل

ذلك فيما أسماه الجنرال جياب وزير دفاع فيتنام الديموقراطية والاستراتيجي العسكري البارز بالحرب الشعبية « من الارض الى الجو » ، التي تعني تحويل الغارات الامريكية الى عمليات قتال حقيقية بين الطائرات المغيرة وجماهير الشعب ، عبر سدود نارية متتالية تتركز في ثلاث سدود نارية على نحو أكثر تحديدا ، أولها يتمثل في قذائف المدفعية الثقيلة المضادة للطــائرات ، الصـــواريخ بعيدة المدى كسام ١ و ٢ وهي تتصدى للطائرات الامريكية على ارتفاع شاهق ، والثاني يتمثل في الدفاع بواسطة المدافع المضادة الخفيفة « كالدوشكا » و « الجرينوف » وغيرها ، وهي تتصدى للطائرات الامريكية على ارتفاع أقل ، والثـــالث ويتمثـــل فـــي الاسلحة الفـردية « كالكلاشنكوف » ، و « السيمنـوف » والبنادق الاخرى ، التي تتصدى للطائرات في حالة التحليق المنخفض ، أو أثناء القصف المباشر ، والقريب ، (الانقضاض) .

ولذا تلقى الهجمات الجوية الامريكية علـى الدوام ، مقاومة عنيفة عنيدة مباشرة من جـانب الفيتناميين ، ويشكو الطيارون الامريكيون من اضطرارهم الى النزول عبر السدود النـارية المتتابعة ، قبل أن يكون بوسعهم الوصول الى أهدافهم ، ولذا لم ينجحوا قط في تدمير بعـض الاهداف الهامة التي أغاروا عليها مرات عديدة .

فكل الاهداف الفيتنامية الهامة محمية بالمدفعية المضادة للطائرات من عيار ثقيل ومتـوسط ، والطائرات التي تنقض للقيام بقصف دقيق ، تقع في الشبكة المحمية التي نسجتها آلاف البنادق ، والمدافع الرشاشة التي تحملها أيدي الفلاحين من أعضاء التعاونيات ، والعمال ، والفـلاحين ، والطلبة . وقد أصبح تعلم معرفة تمييز أشكال الطائرات ، وحفـظ خصـائصها ، ومميـزات طيرانها ، وسرعتها وارتفاعها ، ومعرفة المسافة التي ينبغي التسديد منها على هذه الطائرة ، أو تلك التي تطير بصورة أفقية ، أو الجزء الذي ينبغي محاولة اصابته منها عندما تنقض ، أصبح تعلم كل هذه الامور ، واجب أساسي في كل انحاء فيتنام .

ولقد اثبتت الاسلحة الخفيفة الموجودة في ايدي الفيتناميين فاعلية مؤكدة ضد القاذفات المقاتلة الامريكية ، ويجد الفيتناميون أن معظم هياكل الطائرات التي أسقطت مثقوب بفتحات من مختلف العيارات ، بما فيها ثقوب رصاص البنادق . وهذا السد الناري الذي تصنعه الاسلحة الفيتنـامية الخفيفة يحمل في لهيبه ميزتان : فهو يجعـل الطائرات المنقضة تتحول عن خطر طيـرانها المرسوم . وتقدم هذه المزية التفسير المنطقـي الوحيد الذي يمكن اعطاؤه لسقوط ٧٠ في المائة من القنابل التي استهدفت أحد الجسور الفيتنامية الشهيرة وهو جسر « هام رونج » على القـرية المجاورة له ، ولم يبق في هذه القرية سـوى الخرائب ، بينما مايزال الجسر صامدا حتى الان ، ولم يستطع الطيارون الذين اسقطتهم هذه السدود النارية المتتالية ، ومن بينهم بضعة طيارين من أفضل الاخصائيين في هذا النوع من الغارات الجوية ، المحافظة على انقضاضهم الى نهايته ، اذ اضطروا الى الارتفاع مرة أخرى قبل أن يبدأوا باسقاط قنابلهم كي يتحاشوا نيران الاسلحة الصغيرة العيـار . وتبعا للارقام التي قدمهـا الفيتناميون فان ٦٩ في المائة من أولئك الذين تابعوا مسيرهم ، وسط هذه السدود النارية ، اما تحطمت طائراتهم فوق الارض ، أو ذهبـوا بطائراتهـم ليسـقطوا في منطقة اخـرى . أو استطاعوا القفز بالمظلة ، بعـد أن تحطمت طائراتهم .

أما الميزة الثانية للاسلحة الخفيفة فتتمثل في فعاليتها ، ضد الطائرات التي تصل من البحر على ارتفاع منخفض ، آملة ألا تكشفها الرادارات ، وأن لا تتعرض لنيران المدفعية المضادة التقليدية ، فهذه الطائرات وان كانت تتحاشى كل هذه الوسائل الدفاعية ، الا أنها تقع مرة أخرى في سدود نارية صنعتها مواقع دفاعية يحرسها على الدوام عشرات الالوف من الفلاحين والعمال ، الامر الذي يجعل مهمة الطيارين صعبة جدا . لان القدرة الشاملة لنيران هذه المواقع قدرة هائلة جدا ، والايدي الفيتنامية التي تمسك بالسلاح لا ترتعش ، كما أن أعين هؤلاء الحراس لا تغفل . فرغم انقضاض الطائرات ، يتابعون الرمي بسلاحهم الخفيف ، فيضطر المهاجمون الى التحليق والارتفاع من جديد ليقعوا تحت رحمة المدفعية المضادة للطائرات ، وهكذا يزول أثر المفاجأة زوالا تاما .

ان احدى مشكلات الحرب الجوية الامريكية هي أن الطيارين الامريكيين يصطدمون بمتناقضات عديدة أثناء قيامهم بمهماتهم . ذلك أن القصف الدقيق لا يمكن أن يتم الا بطائرات بطيئـة ومروحية ، وتستطيع هذه الطائرات رسم دوائر ذات قطر صغير ، ثم تهبط لتسقط قنابلها ، ان لم يكن بدقة رجل العصابات الذي يضـع قنبلته في الهدف بيده ، فهي تسقطها على الاقل بدقة كافية . الا ان مثل هذه القاذفات تشكل فريسة تحلم بها



ابرز القادة العسكريين الفيتناميين ، وتصفه المصادر الغربية بانه « مهندس » القوات المسلحة الفيتنامية . وقد برز دوره منذ معارك الحرب العالمية الثانية ضد اليابانيين ، ولكن شهرته العالمية ترجع الى انتصاراته الساحقة على الفرنسيين فى حرب المقاومة الاولى فى الهند الصينية [١٩٤٦ — ١٩٥٤] ثم فى حرب المقاومة الثانية ضد الامريكيين منذ عام ١٩٦١ .

ولد جياب عام ١٩١٠ فى وسط فيتنام لاسرة من الفلاحين ، واظهر خصائص القيادة منذ سنى المراهقة . وكان فى السادسة عشرة عندما انضم الى « الحزب الثورى لانام الجديدة » وكان جماعة سرية تطالب بالاستقلال والاصلاح السياسى والاجتماعى . والقى القبض عليه عام ١٩٣٠ بتهمة اثارة الاضطرابات السياسية . وفى عام ١٩٣٣ انضم الى الحزب الشيوعى للهند الصينية . واصبح بعد ذلك مدرسا للتاريخ حتى قبل أن يتخرج من جامعة هانوى عام ١٩٣٧ متخصصا فى الاقتصاد السياسى .

وفى عام ١٩٣٦ كان قد اصبح عضوا بارزا فى الجبهة الديمقراطية — وهى فرع للحزب الشيوعى اقيم فى تونكين [فيتنام الشمالية الان] . وعندما داهم الفرنسيون الحزب عام ١٩٣٩ اضطر للجوء الى جنوب الصين . وهناك التقى بالزعيم الفيتنامى العظيم هوتشى منه . وفى عام ١٩٤١ عقد فى جنوب الصين المؤتمر الذى ادى الى انشاء « عصبة الاستقلال الفيتنامى » أو « الفيت منه » ، وعهد اليه هوتشى منه بمهمة بناء القوات المسلحة للعصبة وفى أدائه لهذه المهمة اظهر مقدرة خارجة على التنظيم وعاد سرا الى المناطق الجبلية فى شمال فيتنام ليقوم بمهمة تكوين قوات الحرب الشعبية وتدريبها وقيادة معاركها ضد الفرنسيين . ولعب جياب دورا بارزا فى تاسيس جمهورية فيتنام الديمقراطية عام ١٩٤٥ ، ومن وقتها تولى قيادة قواتها المسلحة .

وتعد أعلى انتصاراته على الاطلاق فى معركة ديان بيان فو التى انهت عهد الاستعمار الفرنسى للهند الصينية باكمله . وتعد طريقة قيادته لهذه المعركة والتخطيط لها من النماذج الخارقة التى تدرس فى الاكاديميات العسكرية فى مختلف انحاء العالم حتى الان . وهو يعد الان بكتاباته العسكرية والسياسية — من المراجع الهامة فى أسس ونظريات الحرب الشعبية .

وقد خرج جياب من حرب المقاومة الاولى بهذا الانتصار الساحق على الفرنسيين ليبدا نضالا جديدا فى حرب المقاومة ضد الامريكيين وليحقق انتصارات قتالية ضد الامريكيين اذهلت أكبر جنرالاتهم . والحقيقة أن حياة جياب تمثل نضالا متصلا ضد الاستعمار ومن أجل استقلال بلاده وتقدمها الاجتماعى . وهو نضال لم يقتصر ابدا على المجال العسكرى وانما كان نموذجا للمزج بين العمل السياسى والعسكرى وسط الجماهير .

المدفعية المضادة ، وتحلم بها ايضا القوات الجوية الوليدة لفيتنام الشمالية . ولذا لا تقوم هذه الطائرات الامريكية فى الغالب الا بطلعة واحدة على ارتفاع عال فوق هدفها ، وبذا تصبح غير قادرة على القصف الدقيق ، ويعوض الامريكيون عجزهم هذا ، بالقاء كمية هائلة من القنابل ، آملين أن تصيب هذه القنابل الهدف المحدد .

وينطبق نفس الوضع على القاذفات الامريكية الاستراتيجية ب ـ ٥٢ ، ففى الغارة الجوية الاولى التى قامت بها هذه القاذفات وتحدث عنها العالم كثيرا ، وقيل « انها أهم غـارة فى الحرب الفيتنامية » والتى شنت على مضيق موجيا حيث يجتاز الطريق الوطنى رقم ١٢ حدود لاوس — بدا للامريكيين أن الطريق والمضيق دمرا تماما ، حيث حدثت زلازل فى الارض من شدة القصف ، وبدا أيضا أن الطريق أصبح غير صالح للمسير . ولكن الفيتناميين الذين حضروا الغارة أعلنوا أنه من بين الـ ١٠٠٩ قنبلة التى سقطت فوق المنطقة ، سقطت ٤ قنابل فحسب على الطريق ، أما القنابل الباقية ، فقد ضاعت فى الادغال ، وتم اصلاح الطريق فى بضع ساعات ، ولم يلاحظ الامريكيون ذلك الا بعد ١٥ يوما عندما علموا أن الطريق لا يزال يستخدم

فقصفوه من جديد ، ولكنهم باءوا مرة أخرى بالفشل ولم يحصلوا على أية نتيجة •

مغزى صمود جسر « هامرونج »

وليس ثمة شك فى أن جسر هام رونج ، الذى يحمل الطريق الكبير ، والخط الحديدى الكبير لحركة السير من الشمال الى الجنوب ، يعتبر رمزا ليقظة الشعب الفيتنامى وعناده فى مقاومة الحرب الجوية الامريكية . فقد قاوم هذا الجسر الذى يقع بين جبلين تحتشد فيهما المدفعية المضـادة للطائرات ، مئات الغـــارات التدميرية التى شنت عليه• وقد أسقطت المدفعية التى تقوم بحراسته فى يومى ٣ و ٤ أبريل سنة ١٩٦٥ ٧٤ طـائرة امريكية • وكفت الطائرات عن هجومها عليه بعد هذه الخسائر الفادحة ، وكلما ركبها جنـون المحاولة سقطت الطائرات المغيرة ، وبقى الجسر الذى يمتد ٥٠٠ متر قائما فى موضعه ، يحمل آثار القصف العديدة ، الا أن القطارات والقوافل تمر عليه بكل أمان ، بعد أن اسقطت ٩٩ طائرات دفاعا عنه (حتى منتصف ١٩٦٩ فقط) .

وقد أشار أحد الفيتناميين الذين يتولون الدفاع عن الجسر اشارة لها مغزاها حين قال « لقد أرسل الامريكيون فى البدء طيارين برتبة نقيب • الا اننا أسقطنا منهم عددا لا بأس به ، وفشلوا فـى غاراتهم ، فأرسلوا الينا على عجـل روادا ومقدمين ، فأسقطناهم أيضا ، حتى اننا أسقطنا من بينهم افضل طيار • ولا يغير علينا اليوم سوى الملازمين الطيارين ، وهم يطيرون على ارتفاع عال ، ولا يضايقوننا كثيرا » •

« الاســتعدادات الثلاثة » للرجال و « المســئوليات الثلاثة » للنساء

وفى مواجهة الحرب الجـوية الامـريكية الضارية ، يتفتق الابداع القتالى للشعب الفيتنامى عن ابتكارات مجدية وفعـالة ضـد العدو • ولما كان الامريكيون قد ركزوا على قصف كافة الجسور والمعديات فى البلاد لقطع خطوط التموين والامداد للقوات الثورية المقاتلة ،عمدالفيتناميون الى بناء جسور جديدة ، لا يستطيع الطيارون الامريكيون اكتشافها ، أو البحث عنها ، كما لا يستطيعون تدميرها لو اكتشفوها ، ويسميها الفيتنـاميون « جسورا عائمة » ، انها جسور بديلة عن جسور المراكب ، تستخدم فيها حزم ضخمة من اشجار البامبو الجبارة ، بدلا من المراكب ، وهى جسور لا يمكن اغراقها ، يبنى الفيتناميون أجزاء مستقلة منها يسهل حملها ، تجمع عند هبوط الليل ، ثم تفك عند الفجر ، وفى المساء التالى تنصب من جديد فى نقاط العبور •

وبهذا الصدد يقول الفيتناميون : « شعارنا هو التالى : العدو يدمر ونحن نرمم • ويتجمع جيش دائم من العمال لتحقيق هذه المهمة وذلك بفضل حركة الاستعدادات الثلاثة التى ينتمى اليها كل رجل يتراوح عمره ما بين ١٨ عاما و ٤٠ عاما وتقوم على « الاستعداد للقتال باحترام ... والتحاق بالقوات المسلحه ، والاستعداد لتسهيل ... الصعوبات وتحسين الانتاج ومستوى العمل والدراسة فى كل الظروف ، والاستعداد للقيام باى مهمة يلقيها الوطن على عاتقنا فى آى مكان » • ويزيد عدد المنتمين اليها عن ٣ ملايين ... • وهناك أيضا حركة « المسئوليات الثلاث » للنساء ، التى تنتمى اليها كل فتاه وامرأة يتراوح عمرها ما بين ١٨ و ٤٠ عاما . وتقوم على « الحلول محل الرجال فى العمل ، كى نجعلهم يتفرغون للقتال ، وتحمل مسـئوليات العائلة ، ، وتشـجيع الزوج والابناء على الانضمام الى القوات المسـلحة ، والمساعدة فى القتال ، والمساهمة فيه عندما يكون ذلك ضروريا » •

وبفضل تكاتف هذه الجهود ، يتمكن الفيتناميون فى عديد من الاحيان ، من اصلاح الاضرار الناجمة عن القصف ، قبل أن يتبدد دخان القصف نفسه • وتثبط الصور الجوية التى تلتقط بعد تـدمير الجسور ، من عزيمة الطيارين الامريكيين ، اذ تظهر هذه الجسور وقد أعيد بناؤها بصـورة كاملة • ويحدث ذلك لان مجموعات اعادة البناء التى يقودها فى اغلب الاحيان ، الخريجون الجدد الشباب الذين تخرجوا من كلية التكنولوجيا فى هانوى ، أو من معهد البوليتكنيك يتمتعون بكل الصلاحيات للشروع بالاصلاحات دون أخذ موافقة الادارات أو الوزارات .

ويحتدم التنافس على صيد الطائرات الامريكية بين المقاطعات الفيتنامية ، وبين البطـاريات المتعـددة ، وبين المدفعية المضادة للطائرات ، وبين طيارى الميج أيضا • وقد أسقطت تلك القـوى متضافرة فى فيتنام الشمالية وحدها ٤٠١١ طائرة وذلك حتى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٢ (حسب تقديرات وكالة أنباء فيتنام الشمالية) ، هذا غير الطائرات الهليوكبتر التى أسقطوا منها عددا أكبر فى الشمال والجنوب • وقد لاحظ الامريكيون أخيرا عودة الطائرات الفيتنامية القليلة للنشاط ، وقد وضع الفيتناميون أهدافا مزيفة ومصائد لجذب الطائرات

الى هذه المنطقة أو تلك ، والى هذه المدافع أو تلك ، كما عمدت الميج ١٧ الى استدراج طائرات الفانتوم ، كي تصدمها الميج ٢١ • وقد ربحت المدفعية المضادة للطائرات في مقاطعة « تساى نجيين » مباراة التنافس هذه . وليس ثمة شك أن من العوامل التي تضفي اهمية كبرى على قيمة المقاومة الفيتنامية الباسلة للحرب الجوية الامريكية ، هو أن الخسائر التي يوقعها الفيتناميون فى الطيارين الامريكيين تجرى بصورة أسرع من عملية تعويضهم برغم امكانيات الولايات المتحدة الضخمة ، نظرا لان برنامج تدريب الطيارين على الطائرات النفاثة هو برنامج طويل المدى •

« ب ـ ٥٢ » أقل الطائرات فاعلية

ويحلل الجنرال « **نيوين فان فينر** » المساعد المبدع للجنرال جياب ، والمنظر العسكرى **المتاز** ، عناصر القوة الجوية الامريكية ، ومدى فعاليتها فى الحرب الفيتنامية فيقول (١) : « ان الولايات المتحدة الامريكية تعتمد قبل كل شىء على طيرانها ، وهو يقدم لها دعما لا ينكر كقوة تدميرية ، ووسيلة من وسائل نقل الوحدات • **ولكن هذا السلاح الذى تعتمد عليه سلاح له حدوده** » •

« ولنأخذ على سبيل المثال **طائرات ب ـ ٥٢** • فاذا ما تحاولت الى ضرب مدن فيتنام الشمالية ، والقنابل التى تلقيها ، مع أهمية الخسائر المحققة ، لوجدنا أن **هذه الطائرات هى أقل الطائرات فاعلية فى السلاح الجوى الامريكى** • ونسبة اصابتها لاهدافها أقل من غيرها من الطائرات ، وتسبب أقل عدد من القتلى والجرحى • ان الغارات التى تقوم بها الطائرات ب ـ ٥٢ ، ويصفها اعداؤنا بانها غارات « ابادة » لم تؤد الى نتائج هامة الا عندما وجهت ضد المدن الكبرى ذات الكثافة الصناعية والسكانية ، وغير المجهزة بأسلحة دفاعية حديثة • فاذا ما تحولت الى ضرب مدن فيتنام الشمالية ، شكلت بكتلتها الضخمة ، وسرعتها الصغيرة هدفا يسهل اسقاطه . ولقد اثبت استخدام طائرات ب ـ ٥٢ فى فيتنام الجنوبية قلة فاعلية وكثرة تكاليفه ، بفضل قلة كثافة السكان الريفيين ، التى تتناقص يوما بعد يوم ، والتوزيع الذكى لقوات التحرير المسلحة ، وتدابير الدفاع التى اخذها الشعب والقوات المسلحة واثبتت فاعليتها ضد الطائرات » •

خسائر الطائرات المقاتلة

أكــــثر من خســـــائرنا

« وتقوم طائرات **القتال** عادة بغارات منعزلة ، وتعمل على دعم المشاة خلال الاشتباكات البرية • ولقد ارتكبت هذه الطائرات جرائم لا تحصى ضد المواطنين العزل فى فيتنام الجنوبية ، ولكن اضرارها تتناقص باستمرار نظرا لتطور التدابير الدفاعية الشعبية ، وتحسنها المستمر • انها تؤثر على قوات التحرير الوطنية ، وتجبرها على تعديل اساليب القتال ، ومدة الاشتباك ولخطة الهجوم والانسحاب ، واسلوب السيطرة على الارض ، أو اخلاء حقل المعركة ، **ولكنها لا تستطيع منعها من** اجراء معارك كبيرة تهدف الى ابادة كتائب العدو وأفواجه . ولقد تم فى عام ١٩٦٥ **تدمير أكثر من** ٦٠٠ طائرة فى فيتنام الجنوبية ، كان قسم كبير منها جاثما فى قواعده نفسها • فاذا قارنا خسائر الامريكيين فى الطيارين والفنيين والطائرات مع الخسائر التى تلحقها الطائرات المعادية بشعبنا فى فيتنام الجنوبية لوجدنا ان خسائر العدو من بعض النواحى اكثر من خسائرنا •

واوضح الجنرال فان فينه ان الامريكيين ادخلوا فى الحرب بدعة تكنيكية جديدة لم يكن الفرنسيون يلجأون اليها فى فيتنام وهى : **استخدام الدبابات البرمائية ، وطائرات الهليوكبتر** . وهى معدات ذات قدرة حركية كبيرة ، وتسمح بتحقيق المفاجأة التى تعتبر عاملا هاما فى حرب العصابات •

فشل تكتيك « النقل بالهليوكبتر »

الا أنه قال بهذا الصدد : « الهليوكبتر تلعب دورا ملحوظا فى زيادة حركة قوات المشاة المعادية • كما ان لها دورا محدودا فى المهمات الاخرى ، كنقل العتاد ، واخلاء الجرحى ، ودعم القوة النارية الخ • فما هى الفاعلية التى ادى اليهـــا نقل قوات المرتزقة بالهليوكبتر ؟ **ان فشل تكتيك « النقل بالهليوكبتر » فى « الحرب الخاصة » يتضمن فى حد ذاته اجابة واضحة على هذا السؤال** » •

« **ان استخدام العدو لهذا السلاح ، اعتراف منه**

---

[١] هانوى تحت القنابل ـ تاليف الكاتب والصحفى الاسترالى ويلفرد بيرشيت ـ دار الارشاد ـ بيروت [!] وقد ادلى الجنرال فان فينه بهذا الراى لمؤلف الكتاب ص ١٧٣

بضعفه وعجزه عن السيطرة على خطـوط المواصلات فى المناطق المحتله . وكثيرا ما تناقص محيط الارض الامينة المحيطة بمناطق هبـوط الهيوكبتر لدرجة تجعل الامريكيين يتقاتلون فيما بينهم عند ركوب الطائرات ، اذ ان كل واحد منهم يود ان لا يكون آخر الراحلين ، حتى لا يتعرض لهجوم مفاجىء يكتسحه . ولقد ذكـرت الصحافه الامريكية حالات اطلقت فيها القوات الامريكية النار على قوات المرتزقة التابعة لها ، والتى كانت تتدافع وتتقاتل بغية الركوب فى طائرات الهليوكبتر . ولم نكن مس هذه الاحداث المخجلة لتقـــع ، لو ان الامريكيين استطاعـــوا السيطرة على طرقات المنطقه ، وطمأنوا الجنود ، الذين يعرفون جيـــدا أن لا فرصة امامهم للعودة سيرا على الاقدام » .

واشار الجنرال فان فينه الى نقطة ضـعف ملموسة فى الهليوكبتر وقال :« **انها وان كانت توفر للمشاة قدرة حركية كبيرة ، الا انها تجبر القوات على الهبوط على بعد عدة كيلو مترات فقط من المناطق الجرداء داخل الغابات نظرا لانها المناطق الوحيده التى تسمح بالاقـــلاع او الهبوط** ... والان ما هى النتيجة التى توصلت اليها الفرقة الشهيرة ، فرقة **الفرسان** الجوية الاولى المزودة **بحوالى ٥٠٠ هليوكبتر ؟** انها لا تزال تحاول حماية منطقه لا تتجاوز مساحتها عدة كيلو مترات مربعة تحيط بقاعدتها فى ان خى . ويقتل امهر رماة جبهة التحرير الوطنية ضباط هذه الفرقة وجنودها ، واحدا اثر الاخر . كما ان طائرات الهليوكبتر لم تستطع منع وقوع عدة معارك التحام بالســلاح الابيض ، داخل حدود دائرة الدفاع عن القاعدة ، اذن فليست هذه الطائرات التى يعتمد عليهـــا الامريكيون سلاحا خياليا لا يقاوم » .

واستطرد الجنرال « **فان فينه** » قـــائلا :« لقد اعتبر البنتاجون ، **فرقة الفرسان الجوية الاولى** ، هذه الوحدة ذات الشكل الخاص ، والمجهـــزة بافضل المعدات ، والتى تتمتع بقدرة رائعة على الحركة ، اعتبرها ورقته الرابحة الرئيسيــه لاستعادة المبادرة فى « تاى نيوين » . ولكن هذه الفرقة هزمت بعنف فى « بلى مى » (حيث تشتتت تاركة قتلاها على الارض) بعد ان هاجمتها مشاة قوات التحرير . ان تكتيك « **النقل بالهليوكبتر** » **الذى ابتدع منذ عدة سنوات ، لم يستطع انقاذ قوات المرتزقة** . كما فشل تكتيك فرقة الفرسان الجوية الاولى ، **وبدا عاجزا عن انقاذ الوحدات الامريكية القادمة من اماكن نائية** ، والتى لم تعتد على طبوغرافية فيتنام الجنوبية ، وغـــاباتها وجبالها » .

ويرى الجنرال فان فينه :« ان أحدث المعدات عاجزة عن ان تؤمن للفرسان الجويين قدرة حركية تساوى قدرة قوات التحرير على الحركة . كما انها عاجزة عن اعدادها للقتال على مستوى قوات التحرير المقاتلة فى سبيل مثل **ثورى أعلـــى** ، والموجودة فى كل مكان ، والمتمتعة بدعم ومساعـــدة شبكة واسعة النطاق من الوحدات المحليـــة والمتطوعين ، والحائزة عن جميع صفات الوحدات النظامية المتمرسة على **فنون القتال** ، **والجاهزة** للانقضاض على العدو فى كل لحظة » .

الكف عن استخدام الانزال الجوى

وفيما يتعلق **بألوية المظليين** ، يرى الجنرال فان فينه ، انها **لا تجد اى فرصة لاستخدام تكتيكها** » . لقد فهمت بعد مغامراتها الفاشلة فى توان نينه ، انها لا تستطيع فرض احترامها الا على عدو ضعيف ذى مؤخرة حساسة ، ولكنها تجد فى كل شبر من الارض الفيتنامية تنزل بها ، عدوا يقظا من رجال العصابات ، وافخاخا ، من أوتاد معدنية ذات رؤوس حادة ، وغيرها من الافخاخ ، ووحدات نظامية تضربها بقوة بغية ابادتها ، قبل ان يتوفر لرجالها الوقت الكافى ليتعرفوا على مكانهـم ويتشبثوا بالارض . **لذا لم يعد الامـريكيون يستخدمون الانزال الجوى فى فيتنام الجنوبية الا نادرا . وأصبح هذا التكتيك باليا زال أوانه** . وتكتفى قوات المظليين بالانتقال بطائرات الهيوكبتر أو السير على الاقدام للاشتباك فى معارك كبيرة ، وقد أصبحت اقل قدرة على القتال من بقية القوات الخاصة الامريكية » .

التفكك المعنوى للطيارين الامريكيين

واذا تجاوزنا الجوانب التكنيكية فى العمليات القتالية الى الانسان الامريكى المقاتل نفسـه لوجدنا انه اذا كان **الطيار هو عصب الحرب الجوية التى** تخوضها الولايات المتحدة ضد الشعب الفيتنامى ، والتى تعتبرها العامل الحاسم فى تحديد نتيجة الحرب عامة ، **فان الحالة المعنوية الحقيقية لهذا الطيار** ، تلقى الضوء فى الحقيقة على نوع المقاتل الجوى الذى تعتمد عليه الولايات المتحدة فى حربها الجوية ولحسم نتيجة الحرب العامة لصالحها . وقد كتبت « **النيوزويك الامريكية** » فى ١٤ فبراير ١٩٦٦ تقول بهذا الصدد : « من المفروض أن يعتز الطيار بالمهمات الخطرة التى توكل اليه ، **ولكن هذا النوع من الاعتزاز لانجده فى طيارى القوة الجوية الامريكية التى تعمل فى فيتنام** » ، اذ أنهم ينفرون من الخوض فى أحاديث صحفية ، **تتعرض لمهماتهم أو** قصص بطولاتهم فى فيتنام . **وحينما يواجهون**

صغطا صحفيا عليهم ، يعترفون بانهم يخشون هذا النوع من الدعايةلهم ، لانه يعرض عائلاتهم لانتقام المنظمات الامريكية المعادية للحرب ، وقد صرح طيار كان يخشى التصريحات الصحفية بما يلى : « ان اضخم مشكلة يعانيها على ظهر حاملة الطائرات هى مشكلة الرسائل المليئة بالشتائم والسباب ، ومكالمات التهديد التى تتلقاها عائلاتنا فى الولايات المتحدة » .. والانطباع الذى نستخلصه من كل هذا غريب جدا ، لانه يوضح لنا بأن هؤلاء البحارة القساة يرهبون ويخشون مواطنيهم الامريكيين ، اكثر من مدافع اعدائهم الشيوعيين » .

ويقول الاستاذ **ويلفريد بيرشت (٢) بهذا** الصدد : « **لقد قضيت فترة طويلة لا بأس بها** كمراسل حربى ، **على ظهر حاملة طائرات أمريكية** أثناء الحرب العالمية الثانية ، **وشاركت أيضا فى** عدة مهمات جوية **كمراقب غير مقاتل ، ولم الاحظ أبدا وجود أية معضلة أخلاقية يعانى منها** الطيارون . **بل كان الطيارون فى تلك الفترة سعداء جدا من التحدث الى الصحفيين . وكانوا** أكثر سعادة عندما **يرون صورهم وهى تنشر على** صفحات الجرائد مع **قصص بطولاتهم ، ويزداد اعتزازهم حين تنشر تلك الصور والقصص فى الصحف التى تصدر فى المدن التى ولدوا فيها .** أما الطيارون الامريكيون فيخجلون من دورهم فى **هذه الحرب القذرة التى دفعتهم بلادهم الى ميادينها .**

ويتحدث الصحفى السويسرى فرناند جيجون فى كتابه « **الامريكيون فى مواجهة الفيت كونغ** » **عن رغبات مكتومة فى نفوس هؤلاء الطيارين تدفعهم الى التمرد** ، وهذه الرغبات **هى التى تخيف رؤساءهم كثيرا ، أولئك الرؤساء الذين يخشون أن تنتشر العدوى بين كل الطيارين . ويصف جيجون** تردد بعض الضباط امام تدمير القرى والمحاصيل والكائنات البشرية واحالتها **الى رماد . ويقول هؤلاء الضباط المترددون : « انها ليست حربا انها** تدمير وقتل للجنس البشرى » . ويستطرد المؤلف قائلا : « **وفى قمة التفكك المعنوى الذى يصيب الطيارين** ، تتودهم قناعاتهم الدينية فى الغالب الى عتبة التمرد ، **فيطلبون** من رؤسائهم اعفائهم من تعهداتهم ، وتصاب الاركان العامة بذهول نتيجة مباغتتها بهذا الامر . وتلجأ الى تذكير هؤلاء الطيارين ، ذوى الضمير ، بتعهداتهم التى جاءت فى عقودهم وبواجبهم كمتطوعين ، وترفض الاركان العامة كل الاسباب الاخلاقية التى تدفع الطيارين الى الاستقالة ، ولكنها تقبل الاسباب الفنية التى قد تحولهم الى رماة سيئين ، أو الى طيارين ضعفاء ، وبالتالى تحولهم الى أمريكيين سيئين . وفى هذه الحالة يصبح الامر خيانة من وجهة النظر العسكرية البحتة » .

« وتفرض الاركان العامة على أولئك المعارضين الذين استيقظ ضميرهم التوقيع على وثيقة يتعهدون فيها عند عودتهم الى الولايات المتحدة بعدم الكشف عن أسباب تخليهم عن المهمة ، أو عن المشاهد التى رأوها بأم أعينهم ، أو أية معلومات تسىء الى الحرب الدائرة من قريب أو بعيد . ودون أى ضجيج ، يحرم الضابط من رتبته ، وتلغى كل ميزاته العسكرية ، ويعود الى بلده وحيدا ومنعزلا ، أكثر من وحدته وعزلته لو ألقى فى صحراء . ونتيجة لذلك يتخذ بعض هؤلاء الطيارين طريقهم الى عيادات الاطباء النفسيين . أما الطيارون الذين لا يملكون الشجاعة الكافية لطلب الغاء عقودهم ، فهم يعدون الايام المتبقية لهم فى الخدمة ، واليوم الاخير بالنسبة لهم ، هو يوم تحررهم من عقودهم أى اليوم ٣٦٥ بعد توقيع التعهد ، الا اذا قرر مجلس الشيوخ خلاف ذلك »

اعتراف أمريكى

وعلى أية حال ، فقد استطاع الشعب الفيتنامى فى النهاية أن يهزم تماما حرب التدمير الامريكية ضد الشمال ، ومنذ وقت مبكر ، وبعد أن كان الناطقون باسم البنتاجون وسايجون قد صرحوا بأن هانوى معزولة عما تبقى فى العالم ، وأن كل خطوط مواصلاتها مع الصين قد قطعت ، اضطر وزير الدفاع الامريكى الى أن يعلن فى النهاية : « **أن العدو يضاعف جهده العسكرى ، ويحسن شبكة طرق التسلل ، وتتحمل الطرق القديمة الان كل أنواع سيارات النقل التى تعمل فى كل الاوقات ، كما شقت طرق جديدة ، وتوجد الان مسالك تحويلية ، وسقوف من البامبو المجدول ، تجعل بعض المسالك الترابية غير مرئية من الرصاد الجويين** »

وفيما يتعلق بفيتنام الجنوبية ، كان الحكام الامريكيون قد وعدوا الرأى العام الامريكى بأن « **ترغم الغارات الجوية على شمال فيتنام ، قوات الفيت كونغ على الانقسام الى وحدات صغيرة ، والعودة الى قتال العصابات** » الا ان ذلك

(٢) نفس المرجع السابق ص ٥٦

لم يحدث ، واضطر وزير الدفاع الامريكى نفسه الى الاقرار بالحقيقة التالية وهى : « **ان ازدياد الحركة على الطرق وازدياد حركة نقل الرجال والعتاد بفضل سيارات النقل والمراكب الصغيرة المزودة بالمحركات ، قد دفع الفيتناميين الى هجر حرب العصابات للقيام بعمليات أشبه بالعمليات التقليدية مستخدمين تجهيزات وأسلحة من عيار ضخم بكميات متزايدة** »

وهكذا لم تبد الحرب الجوية الامريكية غير فعالة من وجهة النظر العسكرية فحسب ، وانما من وجهة النظر المدنية أيضا ، فقد استمر الانتاج والحياة المدنية فى فيتنام الشمالية بعد أن اعتمد الفيتناميون **أسلوب الانتشار الاقتصادى** عن طريق وقف انشاء المصانع الكبيرة ، واستبدالها **بمصانع صغيرة ومتوسطة** محمية فى المناطق الجبلية ، وعن طريق **توزيع احتياطى الوقود** لديهم على مخابىء تحت الارض فى جميع أنحاء البلاد ، بعيدا عن متناول القنابل والصواريخ ، على أساس مبدأ « **فلنستعد** للاسوأ » الذى تبادر الحكومة على أساسه باتخاذ الاجراءات الوقائية قبل أن يعمد العدو ، وحتى قبل أن يفكر فى توجيه ضرباته الجوية ضد الاهداف الفيتنامية » .

فشل « الحرب الخاصة »

على أنه اذا كانت الولايات المتحدة قد خاضتها حربا جويا ضد الشمال ، فقد خاضتها **حربا برية ــ جوية ضد الجنوب** ، عبر ثلاث مراحل متتالية ، « الحرب الخاصة » ، ثم «الحرب المحدودة» ، وأخيرا « الفتنمة » .

وحاولت واشنطن **بحربها الخاصة** ، وعن طريق **استخدام جيش عميل قوامه أكثر من نصف مليون جندى** ، وأكثر من ثلاثين ألف « مستشار » عسكرى أمريكى ، شن هجوم مضاد على الثوار الذين كانوا قد قاموا بسلسلة من الانتفاضات المتتابعة فى مناطق ريفية شاسعة فى سنة ١٩٥٩ ، وسنة ١٩٦٠ ، سحقوا فيها سلطة حكومة سايجون العميلة فى الريف ، وسيطروا على الجزء الاكبر من البلاد . واستخدمت واشنطن فى حربها الخاصة أحدث الخبرات التى اكتسبتها الامبريالية العالمية فى حربها ضد حركة التحرر الوطنى . الا أنه بالرغم من ذلك وخلال أربع سنوات من النضال ، اكتسح ثوار فيتنام الجنوبية ، وقتلوا وأصابوا جزءا ضخما من الجيش العميل والادارة العميلة . وفى الفترة من سنة ١٩٦٣ الى سنة ١٩٦٥ بصفة خاصة ، شكل نضال الثوار العسكرى ، والانتفاضات الفلاحية التى استهدفت تدمير « القرى الاستراتيجية » والتى ارتبطت بنشاط جماهير المدن ، قوة متكتلة هائلة ، هزمت من الناحية العملية « الحرب الخاصة » ، وذلك بفضل **التفوق المطلق للثوار سياسيا ومعنويا** ، وبفضل **القوة الساحقة لجماهير الثورية** .

وفشل « الحرب المحدودة »

ولما فشلت الحرب الخاصة التى قام بها الجيش العميل والمستشارون الامريكيون ، لجأت الولايات المتحدة الى ارسال القوات الامريكية نفسها محاولة وقف الوضع المتدهور فى فيتنام الجنوبية . وبدأت « **حربها المحدودة** » ضد الشعب فى فيتنام الجنوبية ، باستخدام أكثر من مليون وربع مليون جندى من الامريكيين وجيش سايجون العميل ، وقوات الدول التى تــدور فى فلكهــا ، وقامت واشنطن « بتصعيد » هذه « الحرب المحــدودة » التى تعتبر **أكبر وأشرس « حرب محدودة » فى تاريخ الامبريالية الامريكية** ، الى مستوى لم يسبق له مثيل فى الوحشية ، فــى نفس الوقت الذى « صعدت » فيه حربها التدميرية ضــد الشمال .

لكن الشعب وثوار جبهة التحرير واصلوا فى الفترة من سنة ١٩٦٥ الى سنة ١٩٦٧ **هجومهم الظافر** ، وضربوا العدو فى المناطق الاستراتيجية الثلاث (الجبال ــ والسهول ــ والمدن) ، واستخدموا فى ذلك الوسائل المسلحة والوسائل السياسية ، وظل الميدان الرئيسى للقتال والتمرد هو الاقاليم الريفية فى الهضاب والدلتا ، بينما جرى العمل السياسى فى المدن جنبا الى جنب مع أعمال متتالية فى نطاق معين . وتابعت قوات الثوار نشر وحداتها وحشودها فى المناطق الجبلية ، وبصورة خاصة على حدود لاوس وكمبوديا .

واجتازت آلاف المدافع حقول الارز والادغال ، دون أن تتعرض لاى خسائر ، وقطعت ٨٠٠ كيلو متر من الطرق السيئة، بالرغم من وقف الطيران الامريكى والاسطول السابع .. وقامت هذه القوات بقتال جبار على طول خط عرض ١٧ ، وتمكنت بذلك من تعطيل انشاء **خط مكنمارا** وتثبيت الوحــدات العسكرية الامريكية الكبرى .

وفى ربيع ١٩٦٨ شن الثوار هجوما شاملا ضد خمسين مدينة وعاصمة اقليميــة ، صحبته انتفاضات منسقة ، كانت بمثابة نقطة تحول فى الحرب ، أرغمت العدو على الارتــداد الى استراتيجية دفاعية فى جميع ميادين القتال ، وعلى الاعتراف بافلاس « حربه المحدودة» ، وذلك بفضل

انتشار القوات العسكرية والسياسية للثوار في كل المناطق الاستراتيجية .

فشل « الفتنمة » مؤكد : لم تنتصر سايجون بالامريكيين ، فهل تنتصر بدونهم ؟

ولما فشل التدخل الامريكي المباشر في ضرب الثورة ، لم يجد الامريكيون مناصا من اللجوء الى سراب جديد ، سوف يكون بالضرورة أضعف من سابقيه لانه يقوم على « **تجريد الحرب من طابعها الامريكي** » على « **فتنمة الحرب** » ، والذي يعتبر دليلا دامغا على فشل التدخل الامريكي في وقف تقدم الثورة .

وعلى الرغم من أن واشنطون ، قامت بامداد جيش سايجون بأحدث الاسلحة والمعدات الامريكية ، وعملت على استخدامه كقوة صدام ضد قوات جبهة التحرير ، الا أن محاولاتها باءت بالفشل عندما أختبر هذا الجيش في لاوس وكمبوديا ، التي واصل الثوار الكمبوديون انتصاراتهم الكاسحة فيها حتى أبواب بنوم بن ، فضلا عن انتصارات الثوار على وحدات هذا الجيش وتمزيقها وابادتها في أغلب المعارك ، وقد أصبح هذا الجيش على درجة كبيرة من الانهيار المعنوي ، وتتزايد حالات الفرار من صفوفه بحيث بلغت في بعض الاحيان ١٨٠٫٠٠٠ حالة في السنة ، فضلا عن انتشار ادمان المخدرات بين صفوفه . والامر المؤكد أن الفشل سوف يكون مصير الفتنمة أيضا بعد فشل الحرب الخاصة والحرب المحدودة ، لانه اذا كانت سايجون لم تستطيع وقف تقدم الوار بمساعدة الامريكيين ، فهل ستستطيع وقفهم بدون الامريكيين ؟ انها لن تستطيع ذلك ، وهذا امر مؤكد ، لان الحرب الثورية في الجنوب اتخذت بالفعل مسارا جديدا ، وأحرزت انتصارات كبرى في جميع الميادين ، وهي تتقدم الان نحو النصر الشامل .

الجنرال فينه : « الالة الحربية الفرنسية أفضل من الامريكية »

ويستكمل الجنرال نيوين فان فينه ، المنظر العسكري الممتاز تحليله ، لبعض أسباب الفشل الامريكي في الحرب البرية ـ الجوية في الجنوب فيقول في حديث له مع الكاتب الاسترالي التقدمي ويلفرد بيرشيت : « لقد عجزت التعزيزات الامريكية التي تدفقت على فيتنام الجنوبية ، عن قلب ميزان القوى لصالح الولايات المتحدة . اذ أن **المصادر الامريكية نفسها أكدت ضرورة وجود تفوق يعادل ١٠ الى ١٥ ضد واحد ، حتى يتم الانتصار على الثوار** . وهذا أمر بعيد المنال . وبالرغم من تنازل بعض القادة الامريكيين ، وقبولهم بميزان للتفوق يبلغ **خمسة ضد واحد** ، فان من المستحيل الوصول الى هذه النسبة ، لان قوات جبهة التحرير الوطنية قادرة على التزايد بسرعة كافية ، في الوقت الذي يتم فيه تدمير قوات سايجون المسلحة بشكل يضمن ميل ميزان القوى دائما لصالح جبهة التحرير ، حتى بعد أن زج الامريكيون في المعركة بنصف مليون جندي أو أكثر » .

« لقد عجز الامريكيون عن استعادة المبادرة في القتال الدائر ، أو اعادة احتلال الارض ، أو قلب الموقف لصالحهم . لقد أرسلوا الى فيتنام صفوة فرقهم بغية انهاء العمليات بأقصر وقت ممكن . ولكن الفيتناميين وجدوا أن هذه الفرق لا تتمتع الا بقيمة قتالية محدودة مع أنها كانت أفضل ما في جعبة واشنطن » .

ويقول الجنرال « **جياب** » في حديثه لنفس الكاتب « ان مقاتلي فرقة المشاة الامريكية الاولى ، وفرقة الفرسان الجوية الاولى « **يستحقون الرثاء** » وان جميع المعلومات الواردة اليه تؤكد بأنهم **عبارة عن جنود « أغرار » لا يمكن مقارنتهم بالجنود الفرنسيين** ، فهم لا يتمتعون بأي مفهوم عن قتال العصابات في الادغال ، على حين يقف ضدهم افضل رجال العصابات في العالم . انهم يقعون في فخاخ لا يمكن أن تخدع طفلا ، وتتم ابادتهم بالمئات . ويبدو أن القادمين الجدد ، أطفال بمعنى الكلمة » .

ويقارن الجنرال « **نيوين فان فينه** » الحرب الفيتنامية بالحرب الكورية ، حيث كان الامريكيون وحلفاؤهم قادرين على جمع ٤٠٠٫٠٠٠ رجل على جبهة واحدة بفضل أمن وحيطة مؤخراتهم ، ويستنتج من ذلك السبب في عجز مليون وربع مليون جندي امريكي وحليف عن احتواء الحركة الثورية في فيتنام الجنوبية .

ويقول الجنرال فان فينه :« **ولا يتمتع اعداؤنا بخطوط مؤخرات آمنة فالجبهة قائمة في كل مكان** . وعدم الامن في المؤخرات يعرقل تحقيق كل مبادىء الحرب ، وخاصة عندما يريد المرء تصعيد العمليات العسكرية . ان التاريخ العسكري يؤكد **بان اى بلد من البلاد لا يمكن ان يربح الحرب اذا لم يؤمن مؤخراته ، ولم يستنفد من كل مصادر** البلاد وكأنها مصادره . ولكن الامريكيين لم

يتوصلوا الى ذلك ، ولن يتوصلوا اليه أبدا • وهذا سبب من الاسباب التي تؤكد بان هزيمتهم محققة لا محالة » .

« ان تحليلاتنا تشمل عناصر أخرى تشكل عاملا من عوامل دهشة أصدقائنا ، وتقول هذه التحليلات **بأننا لا نعتبر الالة الحربية الامريكية آلة كبيرة القيمة بالرغم من معداتها الهائلة التي تدهش العديد من المراسلين الغربيين • ولقد كانت الالة الحربية الفرنسية أفضل منها بكثير** : لقد كان الفرنسيون أناسا يعرفون البلاد ، ويتقنون اساليب ادارتها ، ويحملون وراءهم ٨٠ سنة من الخبرة الاستعمارية • أما الامريكيون **فلم تستطع قواتهم التي بلغت ما يقرب من نصف مليون جندي ان تحتل سوى من ١٠ الى ١٢ عاصمة اقليمية ومدينة** كبرى ، في حين أن عدد هذه العواصم والمدن يقارب المائتين » • ونحن لا نعتبر الجنرالات الذين يعملون في الميدان أو في القيـــادة العامة ، أو في سايجون ضباطا ممتازين ، لانهم عاجزون عن تقدير الموقف في أوضاع ملموسة معينة وينطبق عليهم هذا بالرغم من استخدامهم للعقول الالكترونية • لان الالات الالكترونية لا تقدم اجوبة صحيحة الا اذا زودت بمعلومات موضـــوعية في حين أن جميـــع معلومات وكالة المخابرات المركزية الامريكية بعيدة عن أن تكون كذلك » •

وليس ثمة شك بعد هذه الايضاحات التي قدمها الجنرال **فينه** ان شعب فيتنام يتيح لثواره من المعلومات السليمة عن العدو ، مالا يمكن ان تتيحه اية غرفة عمليات في العالم . ولان الشعب في كل مكان ، فقد برهنت عيونه واذانه على انها اكثر فعالية (بصورة غير محدودة) من الاجهـــزة الالكترونية الشـــهيرة لامريكا ، بما فيهـا أقمار التجسس في الفضاء الخارجي ، والتصـــوير بالاشعة تحت الحمراء ، والدوريات الجوية لمدة ٢٤ ساعة في الاربع وعشرين ساعة ، واجهزة الاستماع البالغة الحساسية الخ الخ • ففي كل مكان يوجد به فيتناميون جنوبيون يكون للجبهة فيه حلفاء اوفياء ، وينطبق هذا على المدن كما ينطبق على القرى • وبهذه الطريقة تستطيع قيادة الثوار ان تعرف عن العدو ، خططه بادق التفاصيل ، وقيمة وحداته ، وحركاته المتوقعة ، وطبيعة عناصره القياديـــة ، وتستطيع التعـــرف على العملاء ، والمتعاونين مـــع العـــدو حتى يسهـــل التخلص منهم ، وقد أشـــارت مجـــلة « يونايتد ستيتس أند ورلد ريبورت » الامريكية بمرارة في مقال لها الى **انه بينما نجح الثوار مرات عديدة في ابادة فرق امريكية باكملها بل وكتائب كاملة من البحرية الامريكية ، لم تستطع قوات الولايات المتحدة ابادة فرقة للجبهة أو وحدة كبيرة** ، بل انها لم تستطع برغم العمليات الضخمة وعمليات اكتساح المناطق **التي قامت بها ان تأسر واحدا من اعضاء اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني ، أو اي كادر يشغل منصبا هاما ••**

رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء

يعيشـــــان في منـــازل الخـــــدم

وليس ثمة شك ايضا في ان احد عوامل نجاح القيادة الثورية الفيتنامية سواء في الشمال او الجنوب في ادارة دفة الحرب على هذا النحو الظافر ، هو مشاركتها الحقيقية للشعب الفيتنامي فـــي محنه وآلامه وحـــرمانه . **ويضرب رئيس الجمهورية ورئيس وزرائه المثل في التقشف والزهد ، وهما يعيشان في الحقيقة داخل المنازل التي كانت مخصصة للخدم في مقر الحاكم العام الفرنسي السابق** ، ويتابعان العيش بوتيرة حياتهما السابقة ، التي كانت حياة آلاف الكوادر المناضلة المخلصة ، خلال حرب المقاومة الاولى • ويذكر الجميع في فيتنام انه في سبتمبر ١٩٤٦ ، كان الرئيس « **هوشي منه** » يستعد **لالقاء بيانه** باعلان الاستقلال ، عندما لاحظ في آخر لحظة ، **بانه لا** يرتدي ملابس ملائمة ، **وانه حضر من الادغال** ببنطلون قصير كاكي قديم ، **وزوج من النعـــال** المصنوعة من اطار سيارة . **فهـــرع بعض** الحاضرين بسرعة الى أحد المحـــلات التجـــارية المجاورة وعادوا معهم ببذلة كاكية اللون ، وزوج نعال مطاطية ، وكان هذا هو كل ما اتخذه من تدابير ، مراعاة للمراسيم والبروتوكولات •

وفضلا عن ذلك ، **فان الزعماء الثوريين في** هانوي يتمتعون بميزة كبيرة على خصومهم سواء من الامريكيين ، او من حكام سايجون على حد سواء ، ذلك أنهم يشكلون جماعة من المنـــاضلين القدماء المجـــربين المعتـــادين علـــى تطبيـــق الاستراتيجية الثورية العسكرية والسيـــاسية ، ويعملون معا منذ حوالي ثلاثين عاما . ويملكون بالاضافة الى ذلك نواة صلبة من الكوادر العاملة تحت امرتهم منذ ربع قرن • انهم يعرفون بعضهم جيدا ، ويتمتعون بثقة مرؤوسيهم الكاملة ، ولا يخامرهم أي شك بان اوامرهم ستنفذ بكل دقة • لقد علمتهم الايام كيف يجابهون الاوضاع الخطيرة المفاجئة • ولقد حصلوا على الثقة الوطنية شمال خط العرض ١٧ وجنوبه ، نظرا لانهم قادوا النضال على المستوى الوطني • ويندر أن تجد بين سكان الجنوب من يناقش تضحية هؤلاء القادة في سبيل قضية الاستقلال الوطني التي كرسوا لهـــا كل حياتهم ، ومن عبث القول أن نقارن سمعة هـــؤلاء الرجال مع سمعة الجنرالات او الساسة الفاسدين المرتشين المتعطشين للدولارات في سايجون •

تطبيق مبدع لاستراتيجية

«حـــرب الشـــــعب»

على انه اذا كان ثوار الجنوب وفيتنام الشمالية ، يواصلون انتصارهم فى هذه الحرب ، على الرغم من اعتراف المصادر الغربية نفسها بأن الامريكيين سلحوا جيش سايجون بنسبة تزيد خمس مرات عن تسليح جيش فيتنام الديموقراطية ، وعلى الرغم من وقوف الطيران الامريكى العملاق الى جانب جيش سايجون ، وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة تنفق على جيش عملائها وعلى حربها هناك ٣٠ مليار دولار كل عام ، فى حين لا تتجاوز المساعدات التى تلقاها فيتنام الشمالية من الاتحاد السوفيتى والصين ٣ مليار دولار على أقصى تقدير ، فان السبب **الجوهرى فى النصر برغم كل ذلك ، انما يرجع فى الحقيقة ، الى التطبيق المبدع الخلاق لاستراتيجية** وتكتيكات حرب الشعب ، التى يقودها ، ويوجهها ، ويلهمها **حزب العمال الفيتنامى** (الحزب الشيوعى الفيتنامى) .

ويقوم الخط العسكرى لهذا الحزب ، على نظرية وتطبيق حرب الشعب ، أى اشتراك الامة كلها فى القتال ضد العدو تحت قيادة الطبقة العاملة ، والقيام بانتفاضات شعبية ، **لتدمير الادارة المحلية على المستوى القاعدى خطوة خطوة ، وتصعيد مراحل الانتفاضات المسلحة والحرب الثورية** للاستيلاء على السلطة ، والاطاحة بالسلطة الامبريالية فى نهاية الامر . ويعتمد الفيتناميون **فى قتالهم على قواهم الذاتية ، فى نفس الوقت الذى يتمتعون فيه بتأييد ضخم ومساعدة هائلة من** جانب الثورة العالمية وذواتها : المعسكر الاشتراكى .

القتـــال لا بالقوات المســلحة

وحدها ، وانما بالشعب أيضا

ويقول **الجنرال جياب** فى كتابه « حرب التحرر الوطنى فى فيتنام » وهو آخر كتاب صدر له فى هانوى سنة ١٩٧١ : « ان خط حزبنا العسكرى هو تطبيق خلاق للمفهوم الماركسى اللينينى للعنف الثورى ، وهو المفهوم الذى يعتبر الثورة هى عمل ونشاط الجماهير ومن صنعها ، والعنف الثورى ، هو العنف الذى تستخدمه الجماهير . **ولا ينبغى وفق هذا المفهوم أن يتم القتال ضد العدو بواسطة القوات المسلحة وحدها ، وانما بواسطة السكان أيضا** الذين يستخدمون جميع الوسائل الممكنة والمتاحة ، **كما لا ينبغى أن يكون القتال ضد العدو من خلال نضال مسلح فقط ، وانما عن طريق أعمال سياسية أيضا تقوم بها الجماهير** ، وعمليات اقناع تجرى وسط جنود القوات العميلة والامريكية وغيرها من القوات ، لان الثوار لا يشنون هجمات عسكرية فقط ، وانما يحضرون لانتفاضات جماهيرية بمختلف الابعاد والاشكال .

ويرى الجنرال جياب أن خط حرب الشعب يتحقق من خلال الشعار التالى : « **دعوا الشعب كله يقاتل ضد العدو** » ، ويتم تطبيق هذا الشعار من خلال : **تعبئة وتنظيم الشعب كله للحرب** وبناء القوات المسلحة بأشكالها الثلاث (الميليشيا — القوات الاقليمية — القوات النظامية) ، ثم **اقامة قواعد مقاومة وقواعد مؤخرة** لحرب الشعب ، والتنسيق بين قاعدة المؤخرة المحلية ، وقاعدة المؤخرة القومية (وهى فيتنام الشمالية لان الفيتناميين يعتبرون أن الجنوب هو الجبهة والشمال المؤخرة) ، مع اجتذاب مزيد من التاييد من قاعدة المؤخرة الدولية (المعسكر الاشتراكى) ، ويتطلب تنفيذ شعار حرب الشعب أيضا ، التطبيق **الخلاق لاسلوب القيادة والفن العسكرى لحرب الشعب ، ودعم قيادة الحزب فى توجيه الحرب** ، باعتبار أن ذلك يشكل عاملا حاسما فى تحقيق النصر .

ويعتبر « **الجيش السياسى** » بمثابة ابتكار ممتاز ، كشكل لتنظيم قوى الحرب الثورية فى فيتنام الجنوبية . وقد تم تنظيم من القوى السياسية الجماهيرية القوية الملتفة حول العمال والفلاحين ، وهو يضم أفضل وأشجع عناصر المنظمات الجماهيرية ، ويشتمل على أشخاص من جميع الاعمار والفئات ، وله منظمات ذات جذور عميقة وسط الجماهير فى كل مكان سواء فى السهول أو الهضاب ، أو المناطق الريفية أو المدن . وهذا الجيش الذى تم تنظيمه و« **عسكرته** » بطريقة تثير الاعجاب ، يشن نضاله بصورة مبدعة مستخدما أشكالا متعددة ومتنوعة ويشكل دعامة النضال السياسى الجماهيرى فى الحرب الثورية فى فيتنام الجنوبية .

تأكيد الطـــابع الطبقى للجيش :

أكبر ضـــمان للطـــاقة القتـــالية

ويقوم الفكر النظرى لحزب العمال الفيتنامى على أساس أن **المشكلة الرئيسية فى بناء القوات المســلحة الثورية ، هى اعطاؤه طابعا طبقيا وطابعا ثوريا** . ويقول« **جياب** » ان الجيش الثورى يتكون أساسا من الشعب الكادح ، وهو فى الواقع

جيش العمال والفلاحين بقيادة حزب الطبقة العاملة ، ويضم هذا الجيش أفضل ابناء الطبقات الثورية ، وطابعه هو الطابع العمالى ، وايديولوجيته هى الايديولوجية الماركسية اللينينية .

ويوجه (حزب العمال الفيتنامى) (الحزب الشيوعى الفيتنامى) اهتمامه دائما نحو تأكيد الموقف الطبقى لقوات الجيش ، لانه يعتبر ان ذلك هو أكبر ضمان لطاقتها القتالية والعنصر الاساسى فى ايجاد هذه الطاقة . ويكتسب هذا التأكيد للموقف الطبقى أهمية خاصة فى بلد يشكل فيها الفلاحون والبورجوازية الصغيرة أغلبية السكان ، بينما الطبقة القائدة وهى الطبقة العاملة ، أقل عددا .

ان تدعيم قيادة الحزب ، والتربية الايديولوجية البروليتارية ، والعمل السياسى وسط القوات المسلحة ، فى الوقت الذى تتم فيه زيادة نسبة العمال والفلاحين وسط الكوادر بصفة خاصة ، كل هذه تعتبر فى فيتنام من الاجراءات الجوهرية لتأكيد الطابع الثورى للقوات المسلحة .

مغزى تقسيم القوات الى :

ميليشيا ، وأقليمية ، ونظامية

وقد حل الحزب الفيتنامى بنجاح مشكلة بناء القوات المسلحة تنظيميا على أساس بناء هذه القوات سياسيا، وأوضحت تجربته ان تنظيم القوات المسلحة فى ثلاثة أنواع — هى الميليشيا والقوات الاقليمية والقوات النظامية — هو أفضل وسيلة لتعبئة وتنظيم الامة كلها للقتال .

وتتألف الميليشيا الشعبية (فصائل حرب العصابات والدفاع الذاتى) من القوات الواسعة للشعب الكادح ، وهى أداة ديكتاتورية السلطة الشعبية فى القاعدة ، ولا تنفصل عن العمل فى مجال الانتاج ، وتشكل هذه الميليشيا فى العزب والقرى والمصانع والشوارع ، وتشكل شبكة واسعة تغطى البلاد كلها ، لتلبية احتياجات القتال بكل الاسلحة المناسبة سواء البدائية أو الحديثة .

أما القوات الاقليمية فتشكل قلب النضال المسلح فى اقليم معين ، وهى تتألف من وحدات قوية على مستوى عال من الكفاءة ومزودة بالاسلحة اللازمة ، وقادرة على أداء المهام التالية : ابادة العدو ، وشن حرب العصابات ، والدفاع عن السكان ، وحماية السلطة الشعبية .

أما القوات النظامية ، فهى القوات المتحركة التى تعمل فى كل مكان من البلاد أو فى مناطق استراتيجية معينة ، وهى تشمل الاسلحة المتعددة وتضم أساسا جيشا بريا يتمتع بالقوة اللازمة ، وقوة جوية ، وبحرية فى مستوى ملائم وهى مفعمة بروح عالية من الاستعداد القتالى ، وتشكل « قبضات فولاذية » حقيقية قادرة على شن معارك ابادة واسعة النطاق ، وتوجيه ضربات أشد وأعنف للعدو ، وما أن تشترك هذه القوات فى القتال ، فانها يجب أن تحرز النصر وتصفى الوحدات المعادية المتزايدة الحجم والقوة ، ويجب أن تحدث تغييرات هامة فى ميادين متعددة للعمليات العسكرية .

ويشير الجنرال جياب الى أهمية تشكيل قوات اقليمية قوية ويقول بهذا الصدد انه « نظرا للسمات الخاصة للنضال الثورى فى بلادنا ، وتزايد حدة الحرب ، وبخاصة فى ظروف عدوان الاستعمار الجديد ، فاننا يجب أن نشكل قوات اقليمية قوية ، فى الوقت الذى ننظم فيه قوات نظامية ذات استعداد قتالى متزايد دوما .

كما يشير اشارة لها مغزاها الى الامكانيات المتاحة للقوات الثورية بفعل تنظيم وتوزيع هذه القوات فيقول : « ولما كانت توجد تحت تصرفنا قوات محلية قوية ، فاننا نستطيع أن نهاجم فى كل مكان بوحدات تعرف طبيعة الارض ، كما تعرف العدو حق المعرفة ، وتعرف أين توجه ضربتها ، كما نستطيع أن نرد الضربة فى أى مكان فى توقيت مناسب ، وأن نقتل ، وندمر ، ونشتت ، ونشل قوات العدو ، وهكذا نجعل من السهل على قواتنا المتحركة أن تحتشد وتدمر العدو فى الموقع الذى يكون مكشوفا فيه أكثر من أى موقع آخر » .

ويقول « انه فى بلد بلا مساحات شاسعة جدا ، بلد يواجه عدوا له قدرة كبيرة على الحركة ، ويملك قوات ضخمة ، فان مثل هذا التنظيم والتوزيع للقوات (الى ثلاث أنواع) يمكن أن يعيد المواقع القوية للعدو ، فى الوقت الذى يتيح فيه نمو قواتنا ، وخلق مركز استراتيجى صلب يجعل فى الامكان الاحتفاظ بزمام المبادرة فى كل الظروف ، وهذا التنظيم والتوزيع للقوات يساعداننا على أن يكون لدينا دائما قوات كافية تحت أيدينا لضرب العدو فى كل مكان ، كما يساعداننا فى الوقت نفسه على أن نكون قادرين على حشد قوات قوية لالحاق الهزيمة بالقوات المتحركة الاستراتيجية للعدو ، وبذلك نكون فى مركز يسمح لنا باحراز انتصارات أكبر دون أن نضطر للاحتفاظ بجيش عامل دائم يماثل جيش العدو فى عدده أو يتفوق عليه فى العدد » .

الانسان والسلاح الحديث والبدائي

ويرى الجنرال جياب أن الاسلحة والمعدات تشكل الاساس المادي والتكنيكي ، واحد العناصر الاساسية للقدرة القتالية للقوات المسلحة . وانه يجب تحسين المعدات ، من أجل زيادة هذه القدرة القتالية . الا انه يوضح أن المفهوم الماركسي اللينيني حول العلاقة بين الانسان والاسلحة يعتبر **أن الانسان هو العنصر الحاسم وان الاسلحة** والمعدات عنصر هام ولا غنى عنه ويقول : وقد عمدنا الى **الربط بين استخدام الاسلحة الحديثة أو الاسلحة الحديثة نسبيا ، والاسلحة البدائية »** والقوات النظامية والاقليمية مزودة أساسا بأسلحة ووسائل حديثة ، وحديثة نسبيا ، غير أنه في عمليات القتال والتدريب على السواء ، يجب على هذه القوات أن تعرف أفضل طرق استخدام المعدات البدائية والبسيطة .

وأشار اشارة لها مغزاها « **الى أن الميليشيا الشعبية تعطي الاولوية للاسلحة البدائية** في الوقت الذي تجهز نفسها فيه تدريجيا وجزئيا بالاسلحة الحديثة ، والحديثة نسبيا . وأن تجربة الحرب في بلادنا تظهر بوضوح انه **في الوقت الذي تتصف فيه الاسلحة الحديثة باهمية قصوى في تدمير العدو ، فان الاسلحة البدائية تتصف أيضا بأنها فعالة للغاية** ، وتجعل في امكان الشعب بأسره ، **المشاركة** في مقاومة العدوان .

الاولوية للكيف على الكم

وقد أعطى الفيتناميون الاولوية للكيف على الكم في عملية بناء القوات المسلحة ، يقول جياب « خلال عملية بناء القوات المسلحة الشعبية ، نجحنا في حل المشكلات المتعلقة بالكم والكيف ، فقد وجهنا عناية مناسبة لكليهما ، في الوقت الذي **أعطينا فيه الاولوية للكيف** . وتلك نقطة أساسية في تقاليدنا العسكرية . والمستوى الكيفي للقوات المسلحة ينتج من عدة عوامل عسكرية وسياسية ، تتمثل في الرجال ، والاسلحة ، والمعدات ، وعنصر الامدادات ، وأساليب القتال ، والايديولوجية **والتنظيم** . بيد أن **العوامل الحاسمة وسط كل هذه العوامل هي الرجال ، والسياسة ، والايديولوجية .**

« وان أفضل القوات — في رأيه — هي تلك التي يكون لديها استعداد قتالي على مستوى عال ، **وتصميم هائل على القيام بالهجوم** . وينبغي أن **تكون** هذه القوات على مستوى عال من الناحية التكنيكية والتكتيكية ، وان تكون لديها أساليب جيدة للقتال ، وتنظيم قوي ، ومرن ، وأسلحة جيدة وينبغي أن يكون لدى الكوادر والاجهزة القيادية ، قدرات تنظيمية هائلة ، ونظام جيد ، ويجب على القوات أن تظهر طاقة وقوة وقدرة كبيرة على الحركة في جميع الاراضي بتضاريسها المختلفة ، وفي جميع أنواع الطقس » . ويقول « جياب » : « انه لما كان عدد سكان بلادنا ، ليس بالعدد الكبير ، فان جيشنا العامل يتصف بوجه عام ، بأنه أقل عددا من جيش العدو . ولذلك فيجب الاعتماد على الكيف الذي يظهر مزاياه من خلال فعالية استراتيجية عالية ، وفاعلية قتالية عالية ، ومن الناحية الاستراتيجية ، فاننا يجب أن نهزم جيشا أكثر عددا واحسن عتادا ، بقواتنا الاقل عددا ، والاقل عتادا ، يجب أن نتغلب **على الاعداد الكبيرة ، بالنوعية العالية »** .

أهمية مناطق المؤخرة
المحلية والقومية والعالمية

ان الانتصارات التي حققها ويحققها الثوار الفيتناميون ، وفيتنام الديموقراطية ، لا تنفصل قط عن **مفهومهم عن منطقة المؤخرة** . وهم يرون فيما يتعلق بالعوامل المؤثرة بشكل ثابت على الاستراتيجية الثورية ، **ان العامل الاول والمهم هو صلابة المؤخرات بفضل التعبئة الشعبية** . ويرون **أن منطقة المؤخرة تشكل عنصرا دائما من عناصر احراز النصر ، وأنه بدون منطقة مؤخرة قوية فان الجبهة لا تستطيع تحقيق النصر .**

وقد ناضل ثوار فيتنام الجنوبية **لبناء قواعد في جبهة القتال وبناء منطقة مؤخرة مباشرة لهذه القواعد وهي « المناطق المحررة » في الوقت الذي يستندون فيه على منطقة مؤخرة هائلة وصلبة هي فيتنام الشمالية الاشتراكية** . ويعمل هؤلاء الثوار أيضا على **بناء قواعد ثورية في المدن ، والتنسيق بين مناطق المؤخرة المحلية ، ومنطقة المؤخرة على النطاق القومي العام** (فيتنام الشمالية) .

وقد أنشأ الثوار **قاعدة مؤخرة صلبة للثورة والحرب الثورية ، في الاقاليم الجبلية ذات التضاريس الوعرة** التي تكتسب أهمية استراتيجية قصوى ، خاصة بسبب ضعف النظام الذي أقامه العدو هناك أكثر من أي مكان آخر ، وعدم توفر الحماية الكافية له مثل مناطق العدو الاخرى .

وقد استطاع الثوار ويستطيعون بالارتكاز على قاعدة المؤخرة هذه في الاقاليم الجبلية ، بناء

قواتهم والمحافظة عليها وتطويرها ، وشن حرب طويلة الامد فى مواجهة أسوأ المصاعب ، وايجاد مناطـــق انطــــلاق مناســـبة للزحف نحـــو السهول . لانه لما كانت الاقاليم الريفية فى فيتنام تشكل قواعد دعم قوية ودائمة ، ومواقع قتالية ، لذا فان الارتكاز عليها مباشرة واقامـة قواعد المؤخرة القوية لهذه الاقاليم ، يمثـلان ضرورة حتميه ذات أهميه استراتيجية للحرب الثوريه فى فيتنام . كذلك يرجع اهتمام حزب العمال الفيتنامى الى اقامة القواعد الثورية فى المدن ، الى حقيقة أنه فى المدن يعيش معظم أفراد الطبقة العاملة ، التى هى أكثر الطبقات ثورية ، والطبقـة القائدة التى تشكل مع الفلاحين الكادحين ، القوة الضاربة للثورة ، كما تعيش فيها أيضا فئات متعددة من الكادحين ، وطلبة المدارس والمعاهد ، وكذلـك المثقفون التقدميون الذين تحركهم المشاعر الوطنية الغيورة المعادية للامبريالية .

ويرى الفيتناميون أن الهجـوم ، الهجـوم الإيجابى ، هو أفضل وسيلة لحماية وتوسيع منطقة المؤخرة ، وهو أفضل وسيلة لاضعاف مـؤخرة العدو .

كذلك يرون أنه بالاضافة الى مناطق المؤخرة المحلية ، ومنطقة المؤخرة القومية ، فان الشعب الفيتنامى يعتمد أيضا على الطاقة الهائلة لمنطقة مؤخرة شاسعة وعالية تتمثل فـى المعسكر الإشتراكى العالمى ، وانه بالاعتماد على مساعدات هذا المعسكر ، وبالنضال الذاتى للثوار ، يفجر الشعب الفيتنـامى كل طـاقاته الاقتصـادية والعسكرية ، من أجل مواصلة حرب المقاومة ، حتى النصر النهائى .

الفكر الاستراتيجى الهجومى بدلا من الفـكـــر التقليــــــدى

وليس ثمة شك فى أن احدى الاضافات البارزة للفيتناميين بالنسبة لاستراتيجية وتكتيكات حرب التحرير الشعبية ، تتمثل فى اطراحهم جـانبـا للتكتيك التقليدى للعصابات « اذا تـقدم العـدو نتراجع ، ونطارده اذا تعب ، وفى اللحظة التى يتراجع فيها نهاجمه » ، ودعوتهم الى الاهتداء بفكر استراتيجى هجومى فى الانتفاضة المسلحة وفى الحرب الثورية . وهم يرون أن الانتفاضة عبارة عن هجوم ، والحرب الثورية اذا نظرنا اليهـا فى مجموع حركتها عبارة عن هجوم ، ومن الممكن فى لحظات معينـة ، وفى أماكن معينـة اتخاذ موقف الدفاع ، ولكن هذا الموقف يجب أن يتخذ بهدف خلق الشروط الضرورية لمواصلة الهجوم .

فنظرا لان الشعب بأكمله يشن الحرب فى تنسيق مع الفرق الاقليمية والنظامية . لا ينبغى أن يكون هناك مكان للتراجع ، وينبغى أن يتم الهجوم على العدو منذ البداية . ويقول الجنرال جياب أن الشعب الفيتنامى قام خلال ٤٠ سنة من النضال تحت قيادة الحزب بالهجوم على العدو بطريقة مصممة ومستمرة وناجحة ، وعندما نهض للاطاحة بنير الامبرياليين وعملائهم ، ولاستعادة سيادتـه والمحافظة عليها ، كان يستوعب بعمـق الفكر الاستراتيجى الهجومى للثورة ، الذى يرتبط كذلك بالفكر العسكرى التقليدى لشعبنا .

ان الفكر الهـجـومى هـو القاعدة الإيديولوجية للاستراتيجية الثورية والحرب فى فيتنام ، وهو ينبع من الطابع الثورى الكامل للخط السياسى والعسكرى لحزب العمال الفيتنامى ومن الوطنية الغيورة والتصميم وروح القتـال البطولية للشعب الفيتنامى المناضل من أجل الاستقلال والحريـة والاشتراكية .

« الوقت ألمع استراتيجيتنا »

كذلك فان استراتيجية حرب الشـعب ، هـى الحرب طويلة الامد التى تتمثل فى شن هجمات مستمرة على العدو الذى يجرى تحطيمه جزءا جزءا ، وارغامه على التقهقر خطوة بعد خطوة ، والتغلب عليه بضربة تلو الضربة ، بحيث يجـسد نفسه ، وقد أحبطت خططه الاستراتيجية واحدة بعد الاخرى ، فى الوقت الذى ننتقل نحن فيه من نجاح الى نجاح حتى النصر النهائى ، وكما يقول الزعيم الثورى الفيتنامى « ترونج شينه » « أن الوقت يعمل لمصلحتنا ، وسيكون هذا الوقت ألمع استراتيجيتنا ، اذا ما صممنا على المقاومة حتى النهاية » .

كذلك يرى الجنرال جياب أنه اذا كانت السلطة هى المسألة الاساسية فى كل الثورات ، فان تدمير قوات العدو هو المسألة الإساسية فى كل الحروب . وأنه فى الحرب الشعبية يتم الربط بين العمـــل العسكرى للقوات الشعبية الذى يستهدف تدمير القوات المعادية ، وبين الانتفاضات الجماهيرية من اجل الاستيلاء على السلطة .

الفن العسكرى الفيتنامى هو فن هجومى أســاســا

ويضيف الجنرال جياب قائلا : « ان الفـن العسكرى لدينا هو أولا وقبل كل شىء ، الفن

العسكرى لحرب يخوضها الشعب بأسره ، وأنه اذا كان أسلوبنا فى قيادة الحرب ، يقوم على أساس استراتيجية هجومية ، **فان الفن العسكرى لدينا أيضا هو فن هجومى فى أساسه . انه فن هجوم القوات المسلحة** » . ويقول : « ونظرا لان الروح الهجومية هى التى يرتكز عليها الفن العسكرى لدينا ، فان هذا الفن يستهدف **الاستفادة الى أقصى حد من العنصر المعنوى ، والتفوق السياسى لشعبنا** ، وشجاعة وذكاء هذا الشعب ، ومن حقيقة اننا أمة متحدة تماما تتصف بوعى سياسى ذى مستوى عال ، وتقاليد من النضال الذى لا يهاب ، وقدرات ومواهب عسكرية » .

ويقول جياب : « ان الفن العسكرى الذى نستخدمه هو **فن الحاق الهزيمة بقوة ضخمة بواسطة قوة صغيرة** . وأحد المبادىء الرئيسية للفن العسكرى لدينا هو **محاولة ابادة العدو بأى وسيلة** . هو القتال بطريقة ديناميكية ، وبأخذ زمام المبادرة ، بتصميم ومرونة ، وبذكاء وابداع ، والاستفادة الى أقصى حد من عنصر السرية والمفاجأة » .

كما يرى فى كتابه « حرب التحرر الوطنى فى **فيتنام** » : « أنه اذا كان التنسيق بين النضال المسلح ، والنضال السياسى ، بين الحرب الثورية ، والانتفاضة المسلحة هو المحتوى الرئيسى لاسلوب قيادة الحرب فى مجال النضال المسلح ، فان **التنسيق بين حرب العصابات ، والحرب النظامية ، هو المحتوى الاساسى لفن تعبئة الشعب كله للقتال** .. لان **حرب العصابات** هى شكل النضال المسلح بالنسبة للجماهير الواسعة من الشعب ، وهى تؤدى الى تطور الحرب لتصبح أوسع نطاقا ، وأكثر عمقا ، وأشد قوة ، وأكثر تنوعا . **والحرب النظامية** وحدها ، هى التى يمكن أن تجتاح قوات ضخمة معادية ، وأن تحرر مناطق شاسعة ، وتحقق انتصارات أكبر وأكبر ، وبذلك تخلق الظروف أمام تطور الحرب فى شكل قفزات وطفرات ثورية الى الامام . **يجب على حرب العصابات فى نظر جياب أن تتطور للتحول الى حرب نظامية** ، ويجب أن يكون هناك تنسيق تام بينهما . وهذا قانون عام للحرب الثورية طويلة الامد » .

حرب « بلا جبهة قتال »

ويقول جياب فى النهاية أنه « بتنسيق أوجه نشاطنا فى المناطق الاستراتيجية **الثلاث : الاقاليم** الجبلية ، والسهول ، والمدن ، نخلق مركزا تتشابك فيه قواتنا مع قوات العدو مثلما يتشابك الشعر مع أسنان المشط . وبذا يتم تقطيع جيوش العدو الحديثة ، والالتفاف حولها ، ومهاجمتها من جميع الجهات ، وفى كل مكان ، فلا يجد العدو مكانا يستقر به فى أمان ، ويجد نفسه فى حرب بلا جبهة ، وبلا مؤخرة ، وبلا خط نيران محدد المعالم ، فهو بازاء جبهة قتال فى كل مكان وفى كل وقت ، بعد أن تحولت البلاد بأسرها الى ميدان معركة ، واذ يجد العدو نفسه وقد ابتلعه محيطحرب الشعب ، وأصبح بلا آذان تسمع ، كما أصبح معصوب العينين ، فانه يضرب فى الفراغ فقط ، ولا يستطيع أن يطبق أساليبه التى يريد أن يستخدمها فى القتال . وتتشتت قواته ويلحق بها الضعف ، وتعجز قواته المتفوقة فى العدد والمعدات عن تحقيق النتائج المتوقعة » .

« الاقليم المثالى لحرب العصابات »

لا يضم أدغالا أو جبالا

وثمة حقيقة أخيرة نود أن نشير اليها هنا ، وتتعلق بما يثار من مناقشات حول فكرة ومفهوم الحرب الشعبية ، لانها حقيقة ذات دلالة واضحة بهذا الصدد ، وهى ان مقاطعة « **هونج ين** » التى منحها الرئيس الفيتنامى الراحل « **هوشى منه** » لقب « **المقاطعة المثالية لحرب العصابات** » لا تضم بين أرجائها أدغالا أو جبالا أو شواطىء قط ، وانما تكمن مثاليتها الثورية فى الحقيقة فى تصريح « العم هو » لاهل المقاطعة الذى قال عنهم « **ولكنكم أغنياء بالرجال** » ، ذلك هو الجوهر الثورى الاصيل وراء نجاح الحرب الشعبية ضد أعتى القوى الامبريالية العالمية ، لان عبارة « العم هو » كانت فى الحقيقة تجسيدا لخط السير الذى اتبعه سكرتير الحزب الشيوعى فى هذه المقاطعة ومعه ١٧٫٠٠٠ شيوعى آخرين أيام الحرب ضد الفرنسيين ، لم يبق منهم على قيد الحياة بعد الحرب سوى ٥٠٠٠ مقاتل . هذا هو المحتوى الحقيقى الاصيل الذى تقوم عليه حرب الشعب ، البطولة الانسانية أولا .

فيتنام و « الانتهازية » فى

التاريخ العسكرى الامريكى

وثمة نقطة اخيرة تستلفت النظر فى **التاريخ العسكرى للولايات المتحدة** ، ونعتقد انها لن تعمل لصالحها هذه المرة فى فيتنام وهى : ان هذا التاريخ يؤكد على أن الولايات المتحدة الامريكية لا **تتدخل فى الاحداث بقوة السلاح ، الا عندما يكون تطور الاحداث قد أصبح ملائما لها** .

ففى الحرب العالمية الاولى ، انتظر الامريكيـون وصول الالمان الى حافة الهزيمة قبل ان يزجوا بقواتهم فى الحرب • وفى الحرب العالمية الثانية ، انتظروا طويلا ، ولم يفتحوا الجبهة الثانية فى اوربا الغربية ، الا بعد ان تحققوا من ان الجيش الاحمر السوفيتي قد حطم القوات الهتلرية ، وجعلها على شفا الهزيمة النهائية ، كذلك فقد عجلوا باستخدام القنبلة الذرية للحفاظ على هيبتهم عندما رأوا ان الجيش الاحمر السوفيتى ، وجيش التحرير الشعبى الصينى، يسيران بخطى حثيثة نحو تدمير معظم القوات اليابانية فى منشوريا ، وكوريا الشمالية . ومنذ اكثر من خمسة عشر عاما جاء تدخل القوات الامريكية فى كوريا والكونجو وسان دومنجو ليوقف تدهور موقف الامبرياليين الامريكيين ، أو ليقلب الامور لصالحهم •

ولكن الخطأ الرئيسى فى موقفهم فى فيتنام يكمن فى حساباتهم الذاتية الخاصة ، البعيدة عـن الموضوعية • فقد اعتقد قادتهم بان ارسال بضع مئات الاف من الجنود الى فيتنام الجنـوبية ، وتصـعيد الغـارات الجـوية ضـد فيتنـام الديموقراطية (٧ر٧ مليون طن قنابل على فيتنام وحدها ، فى حين يبلغ جميع ما القته الطائرات الامريكية وطائرات الحلفاء على جميع مسارح العمليات فى الحرب العالمية الثانية ٢ مليون طن فقط) ، اعتقدوا بأن كل ذلك كاف لتغيير الموقف لصالحهم ، واجبار قوات التحرير فى فيتنـام الجنوبية على اتخاذ موقف الدفاع واكراهها على القيام باعمال عصابات مبعثرة ، ودفع الشعب فى شمال فيتنام وجنوبها الى الاستسلام ••

ولكن الحقيقة الهامة التى غابت عـن ذكاء الامريكيين هذه المرة ، ان ظروف التـدخل علـى نطاق واسع فى فيتنام الجنوبية اختلفت تمـام الإختلاف عن الحالات السابق ذكرها • لان التدخل الامريكى فى فيتنام لم يقع فى لحظة ضعف الشعب وقوات التحرير فى الجنوب ، ولكنه وقع على العكس فى مرحلة تفكك فيها جيش المـرتزقة والحكومة العميلة بشكل خطير ، وفشلت فيهـا « الحرب الخاصة » فشلا ذريعا بعد دفعها الى حدها الاقصى ، وانتشرت فيها قوات جبهة التحرير الفيتنامية الظافرة بكل قوتها ، فى كل مكان ، وتطورت فيها الحركة الثورية بعنف لم يسبق له مثيل ، وامتدت من الشمال الى الجنــوب، ومن الريف الى المدينة » ••

ولقد استخدمت قوات جبهة التحرير الوطنية فى انتصاراتها الاخيرة ، تكتيكات وأساليب قتالية متنوعة جدا تدل أعظم دلالـة على امتـــلاكها التام لزمام المبادرة الهجومية فى عمليات الحرب القتالية، اذ قامتقوات الثوار الفيتناميينبالغارات المفاجئة علىالقواعدالعسكريةالامريكية، وبالدفاع الايجابى ، واللقاءات غير المتوقعة والانقضاض ، والكمين ، والهجوم على المخافر مع التصـدى للنجدات ، واشتبكت فى معارك ليلية ونهارية ، فى فصل الامطار، وفى فصل الجفاف ، وكانتمدة معاركها عدة ساعت او اشهر أو شهور ، وعملت فى الغابات والجبـال والمدن والسهول بنجـاح متتال ، وتصاعدت بالحرب الثورية الى مراحل هجومية ارقى واكثر تطورا ، على طريق النصر النهائى •.

قوات التحرير سوف تدخل سايجون

لقد قيل ذات مرة ، للاستراتيجى اللامع الجنرال فان فينه : « أن عديدا من اصدقائكم فى العالم أجمع ، يعتقدون أن الامريكيين عاجزون عن الحاق الهزيمة بكم ، الا انهم يعتقدون أيضا ، انكم لن تستطيعوا كذلك الحاق الهزيمة بهم وأن أى طرف من الاطراف ، لن يستطيع أن يحرز نصرا كلاسيكيا على الطرف الاخر فى هذه الحرب » •

فأجاب الجنرال فينه : « اننا نخالف هـؤلاء الاصدقاء تمام الاختلاف . لاننا نعتقد اعتقادا جازما بامكانية النصر التام على الامـريكيين وعملائهم ونحن سائرون قدما نحو هذا النصر دون أدنى شك • هناك اشياء يصعب تفسيرها حتى لاعز اصدقائنا • ولكننا مقتنعون بأن التحليـل الموضوعى للموقف يؤكد أن بوسعنا ، احـراز النصر النهائى التام على الامريكيين » • والامر المؤكد هو أن قوات التحرير سوف تدخل سايجون ، مثلما دخلت قوات « الفييت مينه » هانوى من قبل • وستشهد سايجون الاحتفالات بمناسبة النصر على الامريكيين مثلما شهدت هانوى ، احتفالات النصر على الفرنسيين من قبل، والجنرالان « جياب » ، و « فينه » الاستراتيجى اللامع،يؤمنان بذلكايمانا عميقا ، كما يؤمن به على نفس الدرجة منالعمق الجنرال « نيوين هوتو » رئيس الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية •

الديمقراطية

عامل أساسي في النصر

حمدى عبد الجواد

في عصرنا الراهن ، لا تستطيع أمة أن تجدد شبابها — أى تحقق المهام التى يواجهها بها التاريخ على خير وجه — الا اذا نجحت فى تعبئة كل طاقاتها المادية والبشرية الى أقصى درجة ممكنة ، الا اذا استفادت من كل طاقات بنيها فى الوصول الى مطامحها . ولا سبيل الى تحقيق مستوى عال من التعبئة القومية الا من خلال ممارسة وتطبيق أوسع أشكال الديموقراطية ، من خلال المشاركة الحرة والواعية لاوسع الجماهير فى تقرير مصيرها ، واعطاء أكبر الفرص لمبادرة الجماهير الخلاقة . ولقد أعطت فيتنام نموذجا فريدا فى عصرنا فى تعبئة قوى شعبها ومشاركته الفعالة فى صنع مصيره ، وتمكنت بذلك من أن تحقق المعجزات .

« ليحارب كل الشعب ضد العدو ، من أجل فيتنام حرة مستقلة ديموقراطية موحدة محبة للسلام » .

« وفى سبيل حرب الشعب يجب تعبئة كل قوى الامة » .

« وعملية تعبئة وتنظيم كل الامة للعصيان والحرب انما هى عملية متصلة من التربية والتنظيم للجماهير ، يقودها الحزب منطلقا من الاشكال الدنيا الى الاشكال العليا وفقا لخط سياسى سليم » .

« ولكى تتم تربية وتنظيم الجماهير فى المستوى المطلوب لابد وأن تشارك على أوسع نطاق فى تقرير كل المواقف ، لابد أن تعطى أكبر الفرص لمبادرتها الخلاقة ، لابد وأن تشعر أنها سيدة مصيرها ولابد من ضمان أوسع الحقوق والحريات الديموقراطية » .

وفى تلك الشعارات تتلخص ملامح ذلك النموذج الفريد لارقى عملية تعبئة لطاقات أمة فى عالمنا المعاصر :

التحولات الديمقراطية فى شمال فيتنام

مع هزيمة الفرنسيين فى ديان بيان فو عام ٥٤

أتيح لثورة الشعب الفيتنامى الديمقراطية أن تنتصر باقامة سلطة ثورية تمثل الشعب فى أكثر من نصف الوطن الفيتنامى . ومع تأسيس جمهورية فيتنام الديموقراطية أقامت قوى الشعب الثورية دولتها الديموقراطية التى كانت تعبيرا عن مصالح العمال والفلاحين والتى أصبحت أداة لتنفيذ مهام التحول الديموقراطى والانتقال منها الى بناء الاشتراكية فى البلاد . ولقد كان هدف التحول الديموقراطى فى شمال فيتنام هو تصفية الاقطاع فى حياة البلاد وتعبئة واطلاق طاقات الجماهير للتقدم نحو بناء الاشتراكية . ونجحت الثورة فى الشمال فى تحرير الفلاح الفيتنامى نهائيا من نير الاقطاع الذى استمر لآلاف السنين وأصبح الفلاحون فى شمال فيتنام سادة الريف من الناحية السياسية والاقتصادية . كما أدت التحولات الديموقراطية الى تدعيم تحالف العمال والفلاحين باعتباره الاساس الراسخ لسلطة الشعب الديموقراطية .

ومع نهاية عام ١٩٦٠ كانت التحولات الديموقراطية قدانجزت فى شمال فيتنام ، فقدانضم الى التعاونيات حوالى ٨٥ فى المائة من الفلاحين الذين يملكون حوالى ٦٨ فى المائة من الاراضى الزراعية ، وفى نفس الوقت كانت التحولات الاشتراكية تجرى فى المدن حيث شملت كل الصناعة ، ٩٨ فى المائة من التجار ، ٩٩ فى المائة من طرق المواصلات . وتحرر عشرات الالاف من العمال من استغلال البورجوازية ، وتم تنظيم اكثر من ٢٦٠ الف حرفى ، أو حوالى ٨٨ فى المائة منهم فى التعاونيات المختلفة كما انضم الى التعاونيات التجارية ١٠٥ الف تاجر صغير يمثلون ٤٥ فى المائة من التجار .

وطوال هذه السنوات ، ومع التغيرات الثورية العميقة فى شمال فيتنام قضى على نظام استغلال الانسان للانسان واقيمت علاقات الانتاج الاشتراكية ، وتدعمت وحدة الشعب المعنوية والسياسية . وخلقت هذه النجاحات أساسا ثابتا للشعب الفيتنامى لتطوير حقوقه باعتباره سيدا لمصيره ولتطوير الديموقراطية الاشتراكية . ولم يحدث فى تاريخ البلاد أن تمتع الشعب الفيتنامى بمثل هذه الظروف العملية للمشاركة فى الحياة السياسية ليناقش المسائل المتعلقة بحياته ومستقبله كما يجرى اليوم .

وتنبع قوة سلطة الشعب الديموقراطية فى شمال فيتنام من تضامن الشعب بأسره ومن الوعى السياسى لكافة طبقات الشعب . أن أهم اجراء لتطوير قوة سلطة الشعب الديموقراطية فى مقاومة العدوان الامريكى ومن أجل تحرير الجنوب وبناء الاشتراكية ، يتمثل فى تطوير الديموقراطية الاشتراكية بهدف خلق الظروف لطبقات الشعب لممارسة حقوقها كسادة فى بلادهم والمشاركة الايجابية فى ادارة الدولة والمجتمع . وقد قال الرئيس هوشى منه « ان دولتنا على درجة عالية من الديموقراطية بسبب طابعها كدولة ديموقراطية للشعب . ومن خلال تطوير الديموقراطية الى أقصى درجة فحسب يمكننا أن نعبىء كل قوى الشعب وندفع الثورة الى الامام » .

بناء الدولة الديمقراطية

وجدت الثورة الديموقراطية التى تجسد ارادة الغالبية الساحقة من الشعب تعبيرها كذلك فى شكل النظام السياسى القائم فىجمهورية فيتنام الديموقراطية . فلقد أصبح الشعب الفيتنامى لاول مرة سيد مصيره . وتجد ممثلى الشعب الحقيقية فىكافة أجهزة السلطة . فالدولة الفيتنامية هىدولة اتحاد الشعب الفيتنامى التى ترتكز على تحالف العمال والفلاحين تحت قيادة الطبقة العاملة .

وينص الدستور الصادر عام ١٩٥٩ على « أن كل السلطة فى جمهورية فيتنام الديموقراطية ملك للشعب . ويمارس الشعب سلطته من خلال الجمعية الوطنية والمجالس الشعبية على كافة المستويات .. وكل أجهزة الدولة يجب أن تعتمد على الشعب وأن تحافظ على صلاتها الوثيقة بالشعب ، وتصغى لارائه وتتقبل رقابته . وعلى جميع موظفى أجهزة الدولة أن يكونوا مخلصين للشعب وأن يراعوا الدستور والقانون وأن يخدموا الشعب من كل قلوبهم » .

وينتخب الشعب باعتباره صاحب السلطة الجمعية الوطنية كما ينتخب المجالس الشعبية ، ويدير من خلالها شئون الدولة على المستوى القومى والمحلى . ويمكن سحب الثقة من عضو الجمعية الوطنية ، أو المجلس الشعبى اذا ما فقد ثقة ناخبيه قبل انقضاء مدة نيابته .

أما فيما يختص بالشعب ، فعلى الدولة أن تعمل بلا كلل من أجل توسيع اسس الديموقراطية ، وتحسين مستواه المادى والثقافى . وتشدد الدولة من دكتاتوريتها ضد أعداء الشعب من الامبرياليين والرجعيين ، حتى تتمكن من حماية حقوق الشعب وحرياته الديموقراطية ، والدولة فىشمال فيتنام تستخدم القهر فى حدود ضيقة وعلى الاعداء الطبقيين أما الجماهير العريضة من الشعب فانها تحاول استخدام الاقناع أساسا فى علاقاتها بهم .

وتمثل الجمعية الوطنية جهاز سلطة الدولة الاعلى والهيئة التشريعية الوحيدة فى البلاد ويجرى انتخابها كل أربع سنوات الا اذا فرضت ظروف الحرب تأجيل اجراء الانتخابات بناء على قرار من الجمعية الوطنية، وتجتمع الجمعية الوطنيه دورتين فى كل عام وهى التى تنتخب رئيس الجمهورية وتعدل الدستور وتعين رئيس الوزراء والوزراء ومجلس الدفاع الوطنى ورئيس محكمة الشعب العليا وتعزلهم جميعا من مناصبهم عند الضرورة . ويمكن للجمعية الوطنية أن تقوم بأية وظيفة أخرى تراها ذات أهمية لمصلحة البلاد والشعب وتتصرف فيها باعتبارها أعلى هيئات سلطة الدولة ٠

أما المجالس الشعبية فهى هيئات سلطة الدولة فى المناطق التى توجد فيها ٠ وتضمن القوانين فى جمهورية فيتنام اتاحة أكبر الفرص أمام المبادرة الخلاقة لاجهزة الحكم المحلى وتشجع الجماهير العريضة على المشاركة فى ادارة الدولة ٠ وتقوم المجالس الشعبية بجميع وظائف الجمعية الوطنية ولكن فى النطاق المحلى .

وقضاة محاكم الشعب فى فيتنام منتخبون ٠ ومحكمة الشعب العليا مسئولة عن اعمالها أمام الجمعية الوطنية ٠

وتمشيا مع الطبيعة الديموقراطية للدولة التى هدف الى خدمة الشعب ، لا تعترف الدولة فحسب بالحقوق والحريات الاساسية للمواطنين ،ولكنها تضمن فى نفس الوقت الظروف المادية لتمتع الجماهير بهذه الحقوق ٠

شكل النظام السياسى

ويحمى الدستور حرية الشعب فى تشكيل تنظيماته السياسية والنقابية والاجتماعية ويقوم النظام السياسى فى جمهورية فيتنام الديموقراطية على تعدد الاحزاب التى تعبر عن الطبقات والفئات التى اتحدت خلال مجرى النضال ضد الاستعمار ومن أجل بناء وتطور جمهورية فيتنام الديموقراطية . وتلعب هذه الاحزاب دورا هاما فى تنظيم وتعبئة ورفع وعى الجماهير كما تمارس هذه الاحزاب فيما بينها علاقات أخوية ونقد متبادل كل



لعل أعظم ما وصف به هوتشى منه هو ما قاله فام فان دون رئيس وزراء فيتنام الديمقراطية فى مناسبة الاحتفال ــ بعد وفاة هوتشى منه بأشهر قليلة ــ بعيد ميلاده الثمانين : انه رمز أمتنا وضمير زماننا . وحقا أن حياة هوتشى منه ونضاله المستمر حتى لفظ أنفاسه الاخيرة قبل أن يشهد ساعات الانتصار الذى ناضل من أجله [فى ٣ سبتمبر ١٩٦٩] هى رمز لحياة شعب فيتنام كله ، كما أن نضال هوتشى ونضال فيتنام معه قد فرض نفسه كضمير لهذا العصر الذى نعيش فيه .

ولد هوتشى منه ــ واسمه الحقيقى غير السياسى وين تات تان ــ فى عام ١٨٩٠ فى قرية فيتنامية بسيطة لاسرة متعلمة ولكنها ذات جذور فلاحية وفقيرة . ولهذا فقد عانى فى سنى طفولته آلام الاغلبية الساحقة ــ من شعبه تحت القهر الاستعمارى الفرنسى . وفى بداية وعيه بحقائق حياة الشعب اتخذ قرارا حاسما ــ فى حياته وحياة فيتنام ــ بأن يسافر الى الغرب ليرى كيف تعيش شعوبها وكيف استطاعت أن تكون مستقلة وقوية . وبالفعل ــ بعد اقامة قصيرة فى سايجون فى أواخر عام ١٩١١ حصل على عمل كطباخ على سفينة فرنسية . فاستطاع أن يسافر كثيرا ، وسافر الى فرنسا باحثا عن طريق ثورى لتحرير وطنه من فرنسا . وهناك عاش وعمل ودرس وتدرب وسط الطبقة العاملة الفرنسية . وقد سافر ايضا الى بلاد كثيرة فى أوروبا وافريقيا والامريكتين . وفى تلك الاثناء اكتشف لينين من خلال قراءة كتبه . واهتم بشدة بقيام ثورة اكتوبر الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ، وكانت تحيته لها انضمامه الى الحزب الشيوعى الفرنسى . ومن وقتها قام بنشاط واسع فى الدولية الشيوعية وخاصة فى مؤتمرها الخامس . ومن الاتحاد السوفيتى سافر الى الصين واشترك فى نشاط ثورى كثيف فى كانتون وأسس هناك اتحاد الشعوب الاسيوية المقهورة . ونظم عدة برامج تدريب للشبان الفيتناميين الثوريين .

ثم أسس رابطة الشباب الثورى الفيتنامى التى تحولت بعد ذلك الى الحزب الشيوعى للهند الصينية الذى أسسه هوتشى منه فى ٣ فبراير عام ١٩٣٠ . وأقام بينه وبين الاحزاب الماركسية اللينينية والعمالية الاخرى فى العالم روابط قوية .

ذلك بهدف تحقيق مصلحة الشعب ورفع ثورته الى الامام • وتتحد هــذه الاحـزاب والمنظمـات الجماهيرية فى الجبهة الوطنية التى تأسست عام ١٩٥٥ • وفى داخل هذه الجبهة تتوافر الوحدة الفكرية لكن لا يمكن تجنب وجود الخلافات حول مشاكل الثورة فى أوقات معينة وأماكن معينة . وللتغلب على الخلافات داخل الجبهة تبنى الجبهة عملها على أساس مبادىء خمسة : التفـــاوض ، والديموقراطية ، والعمل المـوحد ، والتعـاون المخلص ، والمساعدة المتبادلة على التقدم معا •

وتركز الجبهة الوطنية الفيتنامية جهودها على تعبئة كل الشعب من أجل الانجاز الناجح لمهمتين استراتيجيتين للثورة الفيتنامية ــ وهما النضال ضد العدوان الامريكى من أجل انقاذ الوطن وبناء الاشتراكية •

وتعمل كافة الاحزاب السياسية والمنظمـات الجماهيرية من أجل تنشيط مشاركة مختلف طبقات الشعب فى النضال من أجل تحقيق هذه المهام •

وتتكون الجبهة الوطنية الفيتنامية من الاحزاب والتنظيمات التالية :

حزب العمل الفيتنامى :

وهو حزب الطبقة العاملة الفيتنامية الماركسى اللينينى • ويعتبر هذا الحزب امتدادا للحـزب الشيوعى للهند الصينية الذى تـأسس فى فبراير ١٩٣٠ • ويعتبر هذا الحزب الحزب القائد للثورة الفيتنامية •

ويطبق حـزب العمال الفيتنامى مبـــادىء الماركسية اللينينية على الواقع الفيتنامى وقد نجح فى ان يرسم خطا سياسيا ناجحا لكل مرحلة من مراحل تطور الثورة الفيتنامية مما كان السبب فيما يتمتع به من ثقة مطلقة من جانب كل طبقات الشعب ومما مكنه من أن يجمع تحت رايتـه كل القوى الوطنية والتقدمية فى البلاد • وتحت قيادة حزب العمال الفيتنامى تقدمت حركة الثورة بلا توقف من المد الثورى عام ١٩٣٠ــ١٩٣١ فى الحرب الشاملة

ومنذ ذلك الوقت المبكر ارتبط نشـــاط هوتشى منه ونضاله الثورى بالحزب . ومن خلال الحزب نظم كل نشاطه الثورى من أجل تحرير فيتنام من الاستعمار الفرنسى ثم ضـد الحرب العدوانية الامريكية . وقد وجد هوتشى منه فى نهاية الحرب العالمية الثانية بهزيمة النازية عام ١٩٤٥ الوقت الملائم لتعبئة الشعب والحزب للقيام بثورة شاملة ، وانتصرت ثورة أغسطس ١٩٤٥ بقيادته فوضعت نهاية للحكم الاستعمارى الفرنسى الذى امتد ٨٠ عاما ، واسس بذلك جمهـورية فيتنام الديمقراطية فى ٢ سبتمبر من العام نفسه ، ومن أشهر ما قاله فى اعلان الاستقلال الذى قراه بنفسه « لسوف نضحى بكل شىء كى لانفقد بلدنا وكى لا نستعبد ، ان على الرجال والنساء كبارا وصغارا ــ بغض النظر عن عقيدتهم الدينية وحزبهم السياسى وقوميتهم ــ أن يقفوا لمحـاربة الاستعماريين الفرنسيين لانقـاذ الوطن ... ومهمـا كانت الصعاب التى قد نلاقيها فى حرب المقاومة فانه بتصميمنا على بذل كل التضحيات الضرورية سيكون النصر حليفنا » .

وتحت قيادة هوتشى منه حققت فيتنام ــ من خلال اتفاقيات جنيف عام ١٩٥٤ التى اعقبت هزيمة فرنسا فى ديان بيان فو ــ سيادتها والاعتراف باستقلالها ووحدة اراضيها . ولكن لم تلبث أن بدات حرب التدخل الامريكية لتعوق تنفيذ اتفاقات جنيف التى تكفل وحدة فيتنام . وبدات حرب المقـاومة الثانية ــ ضد الامريكيين هذه المرة ــ وتحت قيادة هوتشى منه كان الصمود العظيم للشعب فى شمال فيتنام ضد اعنف الغارات الجوية فى التاريخ كله . وما من شك فى ان نضال الجنوب الفيتنامى وجد فى زعامة هوتشى منه الهاما حقيقيا اسهم فى انتصارات عظيمة لا حصر لها ضد أمريكا ، ضـد رؤسائها المتعاقبين وضد قادتها العسـكريين المتعاقبين وضد قواتها بكل ما تملكه من قوة نيران هائلة .

وليس من الانصـاف لقيادة هوتشى منه لنضال فيتنـام أن يقصر الحديث ــ كما يحدث دائما ــ على حرب المقاومة . فانه قد قاد فيتنام الديمقراطية خلال معارك بناء الاشتراكية بنجاح رائع فى ظل أقسى ظروف الحرب ، وأيضا فى ظل الآثار الخطيرة للنزاع السوفيتى الصينى فى الحركة الشيوعية العالمية .

وقد اتسمت حياة هوتشى منه ببساطة منقطعة النظير جعلته دائما قريبا الى قلب كل فرد من ابناء الشعب الفيتنامى واحتفظ طوال مراحل عمره بخصـال نبيلة تجعله نموذجا للانسان الثورى . كانت كلماته ــ حتى البيانات الرسمية ــ كانها موجهة الى كل فرد بذاته ، ولعل هذا هو سر التسمية الشهيرة « العم هو » التى تؤكد عمق الصلة بينه وبين شعبه واحساس شعبه بابوته . وعندما مات فى ٣ سبتمبر عام ١٩٦٩ وقرئت وصيته كان يقول فيها : « لسنوات طويلة كان قلبى معكم ايهـــا الرفاق المواطنون ، واعتقد ان قلوبكم ايضا كانت معى » وكما اعتاد أن يوجه رسالته الى الشعب شعرا كتب فى وصيته التاريخية يقول :

« سوف تبقى دائما جبالنا وانهارنا
وسوف يبقى دائما شعبنا
وعندما نلحق الهزيمة بغزاتنا الامريكيين
سوف نعيد بناء الارض لنجعلها اكثر جمالا
عشر مرات » .

ضد العدوان الامريكي ومن اجل استقلال فيتنام ووحدة اراضيها. ويقود حزب العمال الفتنامى اليوم نضال الشعب الفيتنامي من أجل دحر العدوان الامريكي ومن اجل بناء الاشتراكية في شمال البلاد ، ويعتبر حزب العمال الفيتنامى العامل الحاسم في تحقيق الوحدة السياسية والمعنوية لشعب جمهورية فيتنام الديموقراطية ،كما تعتبر قيادته البعيدة النظر العامل الرئيسى في نجاحات الثورة الفيتنامية .

الحزب الديمقراطى الفيتنامى :

تأسس هذا الحزب عام ١٩٤٤ . ويمثل الاتجاه التقدمي في البورجوازية الوطنية من البورجوازيين الصناعيين والتجاريين والمثقفين الذين يحتفظون بارتباطاتهم بالحزب. ويضع الحزب الديموقراطى كهدف له المشاركة في النضال في اتجاه الخط الثورى للطبقة العاملة ولحزب العمال الفيتنامى، من أجل بناء فيتنام المستقلة ، الديموقراطية الموحدة والمحبة للسلام ، والمساهمة في الدفاع عن السلام في جنوب شرقي آسيا والعالم .

الحزب الاشتراكى الفيتنامى :

تأسس هذا الحزب عام ١٩٤٦ ويمثل تجمع كل المثقفين الوطنيين والتقدميين الذين يصممون على النضال من اجل السلم والاشتراكية . ويهدف الحزب الى المساهمة بنشاط في انجاح الثورة الديموقراطية الوطنية وتحقيق الاشتراكية في جميع انحاء فيتنام . ويتبنى الحزب الاشتراكية العلمية كأساس ايديولوجي وكمرشد لجميع نشاطاته .

اتحاد النقابات الفيتنامى :

تنظيم سياسى مهنى للعمال اليدويين والذهنيين تم تأسيسه عام ١٩٤٦ ، يضم بداخله العمال والموظفين في كل فروع الاقتصاد القومى ويعمل على تدريبهم ورفع وعيهم وتنظيمهم . ومن خلال نشاط الاتحاد المتعدد الوجوه ، تطورت الحركة النقابية واصبحت احد الاركان الاساسية للوحدة الوطنية الواسعة :

اتحاد النساء الفيتنامى : تأسس عام ١٩٤٦ ويمثل الاتحاد جبهة عريضة تضم كل النساء الوطنيات اللاتي يقفن في صف السلام والاشتراكية.

اتحاد الشباب الفيتنامى : تنظيم يوحد بداخله كل الشباب الوطنى والديموقراطى باعتبارهم فصيلة الصدام في الثورة الفيتنامية تحت شعار: « الشباب موجود حيث يحتاج اليه وحيث توجد المشكلات » . وتوجد حركة واسعة بين الشباب للتطوع للقتال في الجبهات الامامية للقضاء على العدو .

اتحاد الطلبة الفيتناميين : ويوجد بداخله كل الطلبة الفيتناميين .

القوات المسلحة الفيتنامية : التى تعتبر فصيلة صدام الامة في صراعها المسلح وركيزة دولة الشعب الديموقراطية . وتحارب القوات المسلحة بشجاعة ضد العدوان الامريكى مستهينة بالتضحيات من أجل انتصار قضية الشعب . وخلال التجربة الطويلة لحرب التحرير تبلورت الطبيعة الثورية للجيش الفيتنامى « ان يكون مخلصا للحزب والشعب وأن ينجز أى مهمة ويتخطى أى مصاعب على أى عدو » .

لقد بنى الجيش الفيتنامى على أساس الدفاع عن البلاد ومعاونة الفلاحين في اعمال الانتاج وفى الكفاح ضد الفيضان . وخلال حرب المقاومة بذل الجيش كل جهوده من أجل الدفاع عن حياة جماهير الشعب وممتلكاتهم . وبعد التحرير اشترك افراد القوات المسلحة من الكوادر والجنود في الحركات الكبرى من أجل تحقيق الاصلاح الزراعى ومن اجل التعاون الزراعى والتحويل الاشتراكى للصناعة والتجارة والحرفيين . واسهم بنشاط في التنمية الاشتراكية من خلال ايام العمل الاشتراكية وتعبير الطرق لاقامة مزارع الدولة .

واهتم جيش فيتنام الشعبى دائما بارساء « علاقات طيبة بين كوادره وجنوده او بين الكوادر بعضهم البعض » والمحافظة على هذه العلاقات .
ولما كان الجيش الفيتنامى ضباطا وجنودا يتحدد من الطبقات الكادحة فانهم جميعا يخدمون مصالح الشعب ويضحون عن طيب خاطر من اجل قضية الامة والطبقة العاملة . وتقوم العلاقة بين افراده على اساس من الرفاهية التى ترتكز على المساواة والسياسة والاخوة الطبقية . فالضباط يحبون الجنود ويهتمون بحياتهم ويأخذون مطالبهم في الاعتبار ، والجنود يحترمون رؤسائهم وينفذون الاوامر بدقة . والضابط في جيش الشعب الفيتنامى يضرب المثل للسلوك الامثل للجنود . ومن خلال هذه العلاقات الديموقراطية بين افراد القوات المسلحة تتحقق الوحدة الصلدة بين افراد

الجيش ، تلك الوحدة والتفانى فى القتال التى كانت سلاح النصر الرئيسى .

ويطبق جيش فيتنام مبادىء ديموقراطية حقة فى تنظيمه ولكن هذه الديموقراطية الواسعة بين افراد الجيش وأجهزته ووحداته وقيادته ترتبط ارتباطا وثيقا بانضباط صارم ومركزية واعية • ان الانتصارات الضخمة التى حققها الشعب الفيتنامى وجيشه ما كان من الممكن ان تكون دون وجود نظام مركزى صارم . لكن ذلك يفترض ان يترك لكل وحدة او تنظيم أو مجموعة مجالا للمبادرة فى اتخاذ كل ما يرونه مناسبا فى حدود توجيهات القيادات المركزية . ولقد أثبتت التجربة العملية لنضال الشعب الفيتنامى أنه كلما ازداد احترام قواعد الديموقراطية داخل وحدات القوات المسلحة كلما تقويت الوحدة وارتقى الاحساس بالنظام ونفذت الاوامر وعظمت بالتالى قدرة الجيش على القتال •

وخلال السنوات الماضية عملت الجبهة تحت قيادة الحزب وبالتعاون مع الدولة على تنظيم الحملات الانتخابية والمؤتمرات الاستشارية واختيار المندوبين البارزين كمرشحين لانتخابات الجمعية الوطنية والمجالس الشعبية فى كافة المستويات . كما قامت الجبهة بالمشاركة النشطة فى تدعيم العلاقات بين الشعب والمجالس الشعبية وبين المجالس الشعبية واللجان الادارية والاجهزة المتخصصة • وتقوم الجبهة بين فترات مختلفة وكلما دعت الضرورة بتنظيم اجتماعات ومناقشات بين ممثلى الناخبين وبين المجالس الشعبية واللجان الادارية لمناقشة المسائل المتعلقة بالمصالح الوطنية وبحياة الشعب • كما تساعد الجبهة المجالس الشعبية فى الاشراف على عمل اللجان الادارية والاجهزة المتخصصة فى تنفيذ قرارات المجالس الشعبية ، وحينما يجد حدث هام فى حياة الشعب تحاول الجبهة متعاونة مع المجالس الشعبية واللجان الادارية تقصى ودراسة الموضوع للمساعدة فى تقديم حل فى الوقت المناسب •

وقد ادى تطبيق تلك المبادىء التى نص عليها الدستور الى تطور عميق للديموقراطية ، وساعد على تعبئة كل فئات الشعب فى النضال من اجل هزيمة العدوان الامريكى وبناء الاشتراكية •

ديمقراطية الادارة

ويهدف دستور البلاد وقوانينها الى تأمين الحريات الديموقراطية للشعب والى معاقبة من يعتدى على مصالح الدولة والشعب • وتقدم السلطات القضائية بضمان تطبيق الدستور والقانون • غير أن توسيع الديموقراطية الاشتراكية وتدعيم التشريعات الاشتراكية لا يمكن تنفيذه الا من خلال المشاركة الواسعة لغالبية الشعب . ولذلك تعمل الجبهة الوطنية على التعاون الوثيق مع الاجهزة الادارية والقضائية ، فى نفس الوقت الذى تقوم فيه بتعبئة وتربية الشعب ومساعدته على فهم مصالحه والتزاماته ، وادراك حقه كسيد فى بلده •

ان الشعب فى فيتنام له السيادة على الدولة والمجتمع • فالعمال سادة فى مصانعها والفلاحون سادة فى تعاونياتهم ، والمدرسون والطلبة سادة مدارسهم . ولكى نوسع من قدرة الفئات المختلفة للشعب كسادة جماعيين ، تواصل الجبهة الوطنية وحبز العمل الفيتنامى تربية الشعب بروح سياسة الحزب وتوضح له قواعد ادارة المؤسسات والتعاونيات • وتلك طريقة مجدية لمساعدة الجماهير على فهم وممارسة حقوقها كسادة وعلى الكفاح ضد كافة أشكال البيروقراطية .

وفى ظل النظام القائم فى جمهورية فيتنام الديموقراطية تتفق مصالح الدولة ومصالح التعاونيات مع مصلحة الافراد ، ولذلك فأن على كل فرد الى جانب استفادته من مصالح الدولة والتعاونيات ان يقوم بواجباته نحو الدولة والتعاونيات • ويجب ان يعى كل مواطن واجباته فى مراعاة الدستور والقانون ، وواجباته نحو الخدمة العسكرية والمساهمة فى العمل والدراسة وأن يمارس تلك الواجبات بدقة • وكما اشار لينين :« فأن وعى الشعب هو ما يجعل الدولة قوية ، وتصبح الدولة قوية فحسب عندما يدرك الشعب كل شىء ويكون قادرا على تقييم كل شىء ويقبل كل شىء وفقا لاقتناعه » •

وتعتبر البيروقراطية واستغلال السلطة الد اعداء الديموقراطية الاشتراكية • ويتعاون الحزب والجبهة مع هيئات الاشراف والرقابة الشعبية فى كل المستويات لمساعدة اجهزة الدولة على التخلص من كل مظاهرات البيروقراطية ، كما تساعد الشعب على النضال بحزم ضد الاعمال الخاطئة واحترام الحريات .

وتدير هيئات سلطة الدولة الاقتصادية وتوجه

الانتاج والتوزيع وتخدم المصالح المادية للطبقات الاجتماعية المختلفة وفقا لخط الحزب · ان نجاح التوجيه الاقتصادى لا يكمن فى وضع خط سليم فحسب وتعبئة الصفوف لمعالجة القضايا الاقتصادية والتكنيكية بنجاح وانما فى خلق نظام ادارى قادر على ان يكون فى مستوى مهام الادارة وترجمة خط الحزب وسياسته الى أعمال للجماهير .

ويهدف كلا من قيادة الحزب والهيئات الادارية الى ضمان حق الشعب فى الاشراف الجماعى على مصالحه فى كافة مجالات الحياة الاجتماعية ،ولكى تتدعم قوة الشعب على البناء الاقتصادى ،ولمنع كل مظاهر البيروقراطية وسوء استخدام السلطة لابد من خلق اشكال كافية لمشاركة الجماهير المباشرة فى الادارة الاقتصادية والاشراف على نشاط الحزب والدولة ·

ولما كانت النقابات مدرسة للادارة الاقتصادية ، مدرسة لتعليم الجماهير العاملة يعطى اهتماما كبيرا فرفعت وعى العمال وقدرتهم على المشاركة فى كل انواع النشاط الانتاجى فىحياة مؤسساتهم والاشراف عليه،وتستمع هيئات الادارةالاقتصادية لراى النقابات لانهـا بذلك انما تستمع لرأى الجماهير العمالية وتحترم حق هذه الجماهير فى الاشراف الجماعى على مصالحها ،وتقوم النقابات بتعبئة جماهير العمال فى المشاركة فى حركة المبادرة الاشتراكية التى تعتبر وسيلة مناسبة لتعبئة وتربية الجماهير·

كما يحتل اتحاد الشباب العامل مكانا هاماً فى الجهاز الادارى خاصة فى القاعدة ،اذ يعتمد عليه الحزب والدولة فى انجاز واجباتها الاقتصادية الهامة وفى حل المشاكل التكتيكية المعقدة . وخلال هذا النشاط الصعب يجرى حفل الشباب ويتلقى تربيته ويتحول الى سيد جماعى للمجتمع سواء فى الانتاج أو فى الحياة اليومية .،

من تجارب النضال الثورى فى فيتنام

الربط بين العمل السياسى والعمل العسكرى

سعد رحمى

يتفرع الخط العسكرى للثورة الفيتنامية عن خطها السياسى ويرتبط به أوثق الارتباط ،انه خط الحرب الشعبية التى يخوضها الشعب فى مجموعه من أجل تحقيق الاستقلال الوطنى والديموقراطية الشعبية والاشتراكية • واستنادا الى المفهوم الماركسى ـ اللينينى للعنف الثورى ، يمكن تلخيص الخط العسكرى للثورة الفيتنامية بأنه **قتال الامة كلها ضد العدو** ، تحت قيادة الطبقة العاملة ، وتطوير القوات المسلحة للشعب وقدراتها القتالية الى أبعد الحدود ، فى نفس الوقت الذى تستمر فيه الهبات الشعبية والحرب الشعبية •

ومن ثم **نستطيع** القول بأن الخط العسكرى للثورة الفيتنامية يعتبر تطبيقا خلاقا للمفهوم الماركسى ـ اللينينى عن العنف الثورى **الذى ينظر الى الثورة والى الحرب الشعبية باعتبارها عملا جماهيريا ،والذى يشترط الربط بين العنف الثورى وبين الحركة السياسية للجماهير ، وبين العمل العسكرى والعمل السياسى ، وبحيث يتوج ذلك كله بالهبة الشعبية العامة ، وبالحرب الشعبية •**

فالاستيعاب العميق وحده لهذا المفهوم العلمى الثورى ، هو الذى يمكن من تعبئة وتنظيم قوى الجماهير الشعبية كلها ، اذ ان العدو لا يواجه ولا يحارب بالقوات المسلحة النظامية وحدها ، وانما أيضا بمجموع سكان البلاد ، وباستخدام كافة الوسائل والامكانيات المتاحة ، من أشدها بساطة حتى أكثرها تعقيدا •

والشعب الفيتنامى لم يحارب أعداءه عن طريق الجيش النظامى وحده أو عن طريق النضال المسلح وحده ، وانما أيضا عن طريق العمل الجماهيرى الواسع ، وعن طريق النشاط السياسى فى معاقل العدو والعملاء ، وبين صفوف القوات الامريكية وقوات الحكومات العميلة نفسها . والشعب الفيتنامى لم يشن الهجمات المسلحة وحدها ، وانما قام معها ، وفى خط مواز وملازم لها ، بهبات جماهيرية من مختلف الانواع ، وبمختلف الابعاد ، وخلال كل ذلك لم يرتفع بمعدلات الانتاج فى كافة القطاعات فحسب ، ولم يهيء للقوات المسلحة كل احتياجاتها فقط ، وانما شارك ايضا ، وبشكل مباشر ، فى القتال .

وعلى الجانب الاخر فلم يكن قتال الشعب الفيتنامى مجرد حمل للسلاح دفاعا عن الوطن أو صدا للغزاة ، وانما كان فى المقام الاول نضالا واعيا مسلحا باعلى درجات اليقظة الوطنية والطبقية استطاع فى تحديده السياسى القاطع لاهدافه ، وفى ربطه الوثيق بين كافة أشكال

النضال المسلح والسياسى أن يحول الثلاثين مليون فيتنامى الى مقاتلين أبطال من أجل القضيـة العادلة .

وقد تمثل الخط السياسى الثورى لنضال الشعب الفيتنامى تحت شعار « فليحارب الشعب كله ضد العدو » فى جوانب أساسية يمكننا تركيزها فيما يلى :

١ ـ بناء القوى السياسية للشعب ، الى جانب قواته المسلحة وتعبئة وتنظيم كافة فئاته للقتال .

٢ ـ الاعتماد على القوى السياسية للجماهير لاقامة قواعد راسخة للمقاومة ، واقامة نقط ارتكاز حصينة لمؤخرة الحرب الشعبية .

٣ ـ التطبيق الخلاق ، فى المجالين السياسى والعسكرى معا ، لاساليب قيادة الحرب الشعبية وفنها العسكرى المتميز .

٤ ـ دعم القيادة السياسية الطليعية للنضال فى قيادة الحرب فى كافة أبعادها ، وبالمعنى الشامل للحرب ، باعتبار هذا العنصر جانبا أساسيا لا غنى عنه لتحقيق النصر .

وهكذا يمكننا ان ننتهى الى أنه التحديد الصائب لمهام وأهداف الحرب الشعبية ، والفهم السليم للعنف الثورى والهبات الجماهيرية والحـرب الشـعبية ، والربط المحكم بين الحرب والسياسة ، فكرا وتطبيقا ، هى التى تحدد العلاقة الجدلية بين الخط العسكرى للثورة الفيتنامية وبين خطهـا السياسى ، وأن هذه العلاقة هى التى تحمل فى طياتها مصادر قوة ، ونجـاح الخط العسـكرى والحرب الثورية ككل .

الجيش الثورى

ولعل من أدق التعبيرات التى صاغتها تجربة النضال الفيتنامى للدلالة على الربط بين العمل السياسى والعمل العسكرى تعبيـر « **الجيش الثورى** » ، وهو ذلك الشكل المحدد لتنظيم قوى الحرب الثورية فى جنوب فيتنام فى المرحـلة الراهنة ويتركز هذا الجيش فى قاعدته العريضة على مجموع القوى السياسية للجماهير التى تلتف حول محور أساسى هو محور العمال والفلاحين ، ويضم الى صفوفه أكبر العناصر شجاعة واقداما فى التنظيمات الجماهيرية . وهذا الجيش ينتظم مواطنين من مختلف الاعمار ومشارب الحياة ، وله منظمات قاعدية عميقة الجذور فى كل مكان ، فى السهول وفى المرتفعات ، فى الريف وفى المدن . **وان كان هذا الجيش يخوض النضال المسلح المباشر ضد العدو ، سواء بالشـكل التقليـدى للمعارك أو بالاشكال الشعبية ، الا أنه يمثل فى نفس الوقت حجر الزاوية والاداة الاسـاسية للنضال السياسى للجماهير فى جنوب فيتنام .**

والهبات المسلحة والحرب الثورية هى أعلى درجات النضال الثورى من أجل الاستيلاء على السلطة أو صيانتها ، وهى تستدعى بالضرورة قيام القوات المسلحة بنصيبها فى القتال . ومن أجل ذلك عنيت الثورة الفيتنامية ، فى نفس الوقت الذى اولت فيها فائق عنايتها لبناء الجبهة السياسية ببناء القوات المسلحة بشكليها التقليدى والشعبى .

وقد استقر فى المفاهيم النظرية الموجهة للثورة الفيتنامية أن حجر الزاوية فى بناء القوات المسلحة القادرة على المساهمة بشكل جدى فى تحقيق أهداف الشعب على المدى القصير والبعيد معا ، هو تحديد الطبيعة الطبقية لهذه القوات ، ومن ثم طبيعتها الثورية والواقع أن الجيش الفيتنامى يتميز قبل أى شىء آخر بأنه جيش شعبى ، وجيش الجماهير الكادحة بنوع خاص ، جيش العمال والفلاحين تحت قيادة الطبقة العاملة . وهو يضم فى صفوفه ، فى كافة المراتب والمستويات ، خيرة ابناء الطبقات الثورية فى المجتمع ، وفى مقدمتها الطبقة العاملة والفلاحين . وهذا الجيش فى نهاية الامر سلاح طيع فى يد الدولة الثورية ، دولة الشعب ، فى النضال الثورى من أجل تحقيق أهداف المرحـلة الراهنـة للتـطور السـياسى والاقتصادى والاجتماعى ، بقدر ما هو أداتها للدفاع عن الوطن وعن مكاسب الثورة ، وعن سلطة الشعب ضد قوى الغزو الاجنبى من الخارج وضد قوى الثورة المضادة والعملاء فى الداخل .

ومنذ الايام الاولى التى كان فيها هذا « **الجيش السياسى** » مجرد وحدات صغيرة متنـاثرة من الانصار ، وحتى اليوم . وقد تحول هذا الجيش الى قوة قتالية ضارية هائلة تتصدى لجحافل الامبريالية الامريكية ، اهتمت الثورة الفيتناميـة على طول الطريق بأن تعمق فى وجدانه جذور الموقف الطبقى والوعى السياسى همـا الضمان الاول لازدهار القدرات القتالية للجيش . ولاشك ان هذه المهمة ، مهمة تعميق الجذور الطبقية لموقف الجيش ووعيه السياسى ، تكتسب أهمية خاصة فى بلد مثل فيتنام يمثل فيه الفلاحون والبرجوازية الصغيرة الاغلبية الساحقة من السكان ، بينما لا تمثل الطبقة العاملة فيه سوى نسبة ضئيلة .

وعندما كان الجيش الاحمر ـ وهو جيش للعمال والفلاحين ـ تحت التكوين ، كان لينين يرى أن زيادة نسبة العمال فى تركيبه أحد الاجراءات البالغة الاهمية لتعميق الطبيعة الثورية للقوات

المسلحة السوفيتية ، وسيرا على نفس التعاليم كان تدعيم القيادة الفكرية والسياسية للثورة الفيتنامية فى صفوف الجيش ، وبذل أقصى الجهود فى مجال التربية الفكرية والعمل السياسى فى الجيش ، الى جانب زيادة نسبة العمال والفلاحين ، من أهم الاجراءات التى نفذت بكل جدية ودأب من أجل رفع مستوى الطبيعة الثورية للقوات الفيتنامية وقدراتها القتالية .

ونوعيـــة القـــوات المسلحـــة الفيتناميـــة لم تتحـــدد نتيجـــة لتـــوافر عنصر واحـــد ، وانما نبعت من تلاقى عوامل متعددة ، من الرجال والسلاح معا ، ومـــن الاوضـــاع السيـــاسية والعسكرية ، ومن الايديولوجية والتنظيم والعتاد وفنون القتال . ولكن مما لاشك فيه أن أكثر العوامل تحديدا لطبيعة ومقدرة قوات الشـــعب الفيتنـــامى هـــى الرجـــال ، والسيـــاسة والايديولوجية .

أما عن الرجال ونوعيتهم ، فمن المعروف أن الشعب الفيتنامى ليس بالشعب الكبير العدد ، ومن ثم فجيشه النظامى ، مهما كبر ، أقل كثيرا من القوات المتاحة للعدو ، ولذلك تصبح نوعية مثل هذا الجيش على أعلى درجة من الخطـــورة والاهمية ، لان هذا الجيش الصغير نسبيا هو الذى القى التاريخ على كاهله مهمة ايقاع الهزيمة بعدو متفوق فى العدد والسلاح وأصبح عليه أن يتبع من التكتيكات الماهرة والذكية والفعالة ما يسمح له ، فى وقت واحد ، بتحطيم وابادة أكبر قدر من قوات العدو ، مع استخدام أقل عدد من القوات وأقل قدر من السلاح والعتاد . وقد كان كل ذلك فى حاجة الى محاربين من نوع جديد وطينة جديدة ، مقاتلين ورجال سياسة ، محاربين وأصحاب فكر فى نفس الوقت .

وأما عن السياسة والايديولوجية ، وأما عن العمل السياسى ، فهى التى تعبىء وتنظم جماهير الشعب وتحشدها للقتال متنقلة بها من ادنـــى درجات العمل السياسى الى اعلى درجات القتال المسلح المبـــاشر . وهـــذا العمـــل السيـــاسى والايديولوجى هو الذى يبصر الجماهير بحقيقة المعركة التى تخوضها ، ونوعية المجتمع الذى تدافع عنه ، ومضمون الانتصارات التى تحققها ، وأبعاد الاهداف التى يسعى اليها العدو بالنسبة لحياتها اليوم وبالنسبة لغدها الذى تحلم به . كما أن هذا العمل السياسى والايديولوجى هو فى نفس الوقت الذى يوهن ويضعف من الروح المعنوية لقوات العدو والعملاء ، وهو الذى يحول مؤخرته الى جحيم يلهب ظهره ، كما أنه هو الذى يحمى حياة وعمل الشعب ويصونها من التخريب ويـــدفع الاخطار عن القواعد السياسية والاقتصـــادية للثورة .

والعمل السياسى لا يتوقف لحظة ســـواء فى الهبات الثورية المسلحة أو فى الحرب الشاملة ، وانما يظل على الدوام ، وتحت كافة الظروف ، وثيق الارتباط بالمعارك العسكرية المباشرة ، بل انه هى نفسه يتحول الى قتال مباشر مـــع تطـــور الظروف . فالتقدم التدريجى للقوى السيـــاسية للجماهير ، وانتقالها مـــن الاشكال المعتـــادة والتقليدية للعمل السياسى ، ابتداء من الكتابة على الجدران أو توزيع المنشورات وحتى المظاهرات الدامية والهبات المسلحة العامة ، وارتباطه الوثيق بنضال القوات المسلحة ، هو الذى يحدد النتيجة النهائية للحرب .

وقد كان الربط المحكم بين القوات المسلـــحة والقوى السياسية ، بين العمل السياسى والقتال المسلح المباشر ، بين العصيان المسلح والحرب الثورية ، هو القانون العام لاستخدام العنـــف الثورى فى فيتنام . ففى أوقات معينة كانت القوى السياسية هى التى تلعب الدور الرئيسى ، معتمدة على التأييد والدعم من جانب القوات المسلحة ، رابطة بين العمل السياسى والقتال المباشر من أجل شن هبة شعبية على نطاق البلاد ككل ، بينما فى ظل ظروف وملابسات أخرى كانت القوات المسلحة هى التى تلعب الدور الرئيسى ، بحيث تتحول الى محور يدور حوله كل نضال الشعب سواء فى المجال العسكرى أو السياسى من أجل مواصلة الحرب الشعبية الطويلة الاجل . وفى أوقـــات وظروف وملابسات أخرى كان لكلا النوعين من النضال اهمية متكافئة ، بمعنى أن يسير الجانبان معا ، وبنفس الدرجة من التركيز ، بحيث يرتبط النضال السياسى ، والعصيان المسلح ، والحرب المباشرة فى تيار ثورى واحد متعدد الروافد .

وختاما .. فان المحتوى الجوهـــرى للاسلوب الفيتنامى فى قيادة الحرب ، هو الربط بين القوات العسكرية ، والقوى السياسية ، بين النضـــال المسلح ، والنضال السياسى ، بين الانتفـــاضة المسلحة ، والحرب الثورية .. ويرى الجنرال جياب أن القتال المسلح انما هو شكل اساسى من أشكال النضال ، وهو يلعب دورا حاسما فى تدمير القوة العسكرية للعدو ، وان العمل السياسى هو الشكل الاساسى الثانى للنضال ، وهو القاعدة التى يتم على أساسها تطوير القتال المسلح ، وفى نفس الوقت فانه اسلوب من أساليب الهجوم على العدو ، لان العمل السياسى يحشد ويعبىء وينظم الشعب ، ويدفعه للمشاركة فى القتال ، متدرجا من الاشكال الدنيا الى اشكال أرقى .

تجربة القرن العشرين في دحر الامبريالية

اعداد : كمال السيد

في مارس ١٩٤٥ ، استولت اليابان على الهند الصينية ، وسارعت الحكومة الفرنسية المؤقتة بالاعتراف لهذه بالاستقلال الذاتي ضمن الاتحاد الفرنسي • وبعد ان استسلمت اليابان في آغسطس ، تولت قوات التحرير « فتنمة » السلطة، وفي ٢ سبتمبر ١٩٤٥ أعلن هوشي منه الاستقلال وتكوين جمهورية فيتنام الديمقراطية • وفي مارس ١٩٤٦ اعترفت فرنسا التي استعادت سيطرتها على الاجزاء الجنوبية الواقعة جنوب خط عرض ١٦ بالدولة في الشمال ، واعلنت عزمها على سحب قواتها في ١٩٥٢ ، واجراء استفتاء في الجنوب • ولكنها خالفت الاتفاق واعلنت تكوين جمهورية تابعة لها فيه ، وتعددت اعتداءاتها العسكرية فنشطت الحركة الوطنية لطرد الفرنسيين أو ما سمي « المقاومة الاولى » • وفي ١٩٤٩ أقامت فرنسا دولة فيتنام برئاسة باوداى في نطاق الاتحاد الفرنسي • وفي يونيو ١٩٥٠ اعلن هوشي منه ان حكومة فيتنام الديمقراطية هي الممثل الوحيد لكل البلاد • وفي ١٩٥١ أعلن وزير خارجية امريكا تكوين لجنة عسكرية عليا لمساعدة حكومة الجنوب من خلال فرنسا . وفي ١٠ فبراير ١٩٥١ تكون في الجنوب حزب « دانج لاو فيتنام » (حزب العمال الثوري) الماركسي اللينيني • وفي سبتمبر ١٩٥١ عقدت معاهدة اقتصادية بين امريكا وفيتنام الجنوبية • وفي ١٩٥٢ أعلن مجلس شمال

الاطلنطى تأييده لفرنسا فى صراعها فى الهند الصينية . وفى اكتوبر ١٩٥٣ ، عقد مؤتمر وطنى فى سايجون رفض الانضمام للاتحاد الفرنسى . ولكن الحكومة العميلة وقعت معاهدة فى ابريل ١٩٥٤ تدخل بموجبها فى الاتحاد الفرنسى . واشتد النضال الوطنى ضد فرنسا وقواعدها وسقطت دين بيان فو فى ايدى الوطنيين فى ٧ ـ ٨ مايو ١٩٥٤ ، وبدأ مؤتمر جنيف فور ذلك ، والذى تقرر فيه وقف اطلاق النار ، وتجميع قوات فيتمنة شمال خط عرض ١٧ ، وتجميع قوى فرنسا والقوات المحليه الموالية لها جنوبه ، مع اجراء انتخابات لتوحيد البلاد ، على أن تكون السيطرة السياسية فى كل منطقة من المنطقتين للقوى السائدة فيها . ولم يوقع على هذه الاتفاقيه رسميا ، بل اعلنت الموافقة عليها شفاهة من فرنسا ولاوس والصين وفيتنام الشمالية وبريطانيا والاتحاد السوفيتى وكمبوديا ، واعلنت امريكا تعهدها بعدم عرقلة الاتفاق فى تصريح منفصل . وفى سبتمبر ١٩٥٤ ، انشأت امريكا حلف جنوب شرق آسيا وادخلت فيه فيتنام الجنوبية مخالفة بذلك اتفاق جنيف .

وفى ١٦ سبتمبر ١٩٥٤ طالب قادة الطوائف الدينية فى كوشين بتكوين حكومة ديمقراطية (تولت حكومة ديم السلطة فى يوليو ١٩٥٤) ولكن ايزنهاور ارسل ممثله الشخصى الى سايجون واعلن منح ديم ١٠٠ مليون دولار معونه ، معظمها للاغراض العسكرية .

الاستعمار الجديد والمقاومة الثـــانيـــة ـ ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨

وفيها شنت امريكا محاولة للغزو السلمى مستخدمة اساليب الاستعمار الجديد ، باقامة نظام عميل والسيطرة الاقتصادية ، وفرض شبكة من المستشارين والمعاونين ، ونشطت حركة « **المقـــاومة الثانية** » للتحرر والاستقلال والوحدة .

وقد عملت حكومة ديم منذ اليوم الاول على تخريب الاتفاقية وأظهرت نيتها فى عدم اجراء الانتخابات وتكريس الانقسام وارجاع السلطة الاقتصادية والسياسية للراسمالية والاقطاع ، وفتح البلاد امام رأس المال الامريكى . ورغم تدعيم اجهزة القمع واشتداد حملاتها للقضاء على التنظيمات والشخصيات الوطنية ، ظلت السلطة فى معظم انحاء البلاد ، خاصة الريف والجبال ومناطق الاقليات بيد التنظيمات الثورية . وامتدت التنظيمات الثورية ايضا الى المناطق الواقعة تحت نفوذ الحكومة العميلة فى سايجون ، واتخذت اشكالا متفاوتة العلانية ، وفى ٢٣ فبراير ١٩٥٥ تكونت « الجبهة الموحدة ضد ديم » من الطوائف الدينية خاصة كاوداى . وهواهاو ، وبنهاكسوان واستقال ممثلوها من الحكومة . وفى هذه الفترة اعتمدت القوات الوطنية اساسا على « **النضال السياسى** » ولم ترغب فى شن كفاح مسلح حتى لا تثير حربا جديدة تقدم للعملاء فرصة التنصل من الالتزام باتفاقية جنيف . ومع ذلك فقد تعددت اعمال الحكومة العسكرية ، فقد وجهت حملة ضد انصار اكسوان فى سايجون ، وفى يونيو ١٩٥٥ وجهت حملة اخرى ضد انصار هوا هاو ، وفى يوليو ١٩٥٥ أعلن ديم فى الاذاعة تحلله من الالتزام بالاتفاقية ، وفى اغسطس اعلن دلاس تأييده لدييم فى موقفه هذا ، وبالفعل اعلن ديم نفسه رئيسا فى اكتوبر من السنة نفسها . وفى تلك الفترة اقتصر النضال على العمل السياسى اساسا . وفى اول اغسطس ١٩٥٤ ، نظم اهالى سايجون مظاهرة ضد القمع ، وللمطالبة بالانتخابات وتوحيد البلاد ، ونشأت حركة السلام فى سايجون ـ شولون « للدفاع عن منجزات جنيف » ، وامتدت الحركة الى « هوى » ولكن الحكومة حلتها فى ١١ نوفمبر ١٩٥٤ . ورغم ذلك عاشت لجانها القاعدية حتى مايو ١٩٥٥ . كما نشطت القوى الوطنية فى « لجنة اغاثة المصابين فى نزاع ديم ـ بنه اكسوان » و « لجنة الدفاع عن الاحياء الفقيرة ضد الحرائق » . وبعد حلها تجمعوا فى تنظيمات وطنية اخرى شرعية أو سرية .

وفى الريف ، قلعة الثورة ، ارتبط الكفاح من أجل تنفيذ اتفاقية جنيف بالكفاح لحماية الارض من محاولات ارجاعها لكبار الملاك . ورغم خبرة الفلاحين فى حرب العصابات ، فقد تجنبوا عن وعى العمل المسلح ، ولجأوا الى العمل السياسى : كالمظاهرات ، واللقاءات الجماهيرية ، وجمع التوقيعات ، ودعوة اللجنة الدولية للرقابة للتدخل ، وارسال آلاف النساء والاطفال والشيوخ لاحتلال العواصم وسد طرقها ومحاصرة أجهزة الحكومة فيها لمدة أسبوع أو أكثر ، لاجبار القوات الحكومية على الانسحاب من الريف .

وفى المدن اشتدت حركة المظاهرات ، مثل مظاهرة ١٠ يوليو ١٩٥٥ . التى أدت الى شلل سايجون وماى ثو ، وهو ، ودانانج . كما نشطت الحركة العمالية ونظمت مظاهرة فى سايجون

اشترك فيها آلاف العمال ، كما دعمت كفاحها الاقتصادى خاصة فى ١٩٥٦ حيث قامت بحوالى ٦٠٠٠ تحرك عمالى . واضرب عمال الموانى والكهرباء والسكك الحديدية • وفى أول مايو ١٩٥٥ قامت مظاهرة فى سايجون اشترك فيها ١٥٠ ألف متظاهر للمطالبة بتنفيذ الاتفاقية •

ومع عدم اجراء الانتخابات فى ١٩٥٦ ، وزيادة القمع استهلكت أشكال العمل الشرعية والسلمية ، وادى العنف الى استقطاب قوى المعارضة فى المدن ، وفى الريف رفع الفلاحون شعار « نعيش أو نموت على أرضنا » • وفى ١٩٥٧ فتح ديم جبهة ثالثة ، علاوة على المدن والريف ، عندما هاجم الاقليات القومية فى الهضاب الوسطى فى تاى نجوين ومن ثم نشطت حرب العصابات ضده . وفى البدء نظم سكان الجبال المظاهرات وعمليات محاصرة مقار الحكومة ، كما سدت النساء باجسادهن الطريق أمام البولدوزارات التى جاءت لتهدم منشآتهم • وفى منتصف ١٩٥٨ ، أسسوا هؤلاء « حركة الاستقلال الذاتى لقوميات تاى نجوين » وقد تشكلت فى هذه السنة أول وحدات المقاومة العسكرية ضمت قدماء المحاربين خاصة فى الجبال وفى دلتا الميكونج •

استهلاك العمل السياسى

وبدء النضال المسلح ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠

مع اشتداد القمع ، زاد الغليان الثورى ونشبت الاضطرابات السياسية والعسكرية ، ففى ابريل ١٩٦٠ انتقدت ١٨ شخصية معروفة النظام الدكتاتورى ، وحدث انقلاب عسكرى فاشل فى نوفمبر • وتعددت الحركات المسلحة فى عدة مناطق مثل نام بو ، وجبال ترونج بو ، التى تمكنت من تدمير عدد من القواعد والمقار الحكومية . وصدر القانون الفاشى رقم ١٠ ـ ٥٩ بتجميع السكان رغما عنهم فى قرى معزولة ، « القرى الاستراتيجية » • وكان لابد من انتقال السكان الى العمل المسلح ، وكان يتم أولا فى شكل دفاع ذاتى عارض ومحلى ، ثم اتخذ شكل هبات مسلحة واسعة وتصفية سلطة الحكومة فى مناطق بأكملها • واستخدمت الحكومة الجيلوتين وأرسلت ٧٦ حملة « تطهير » عسكرية و ٩ « عمليات استكشاف » • وفى نهاية ١٩٥٨ ، نظمت القرى فى وادى «جونك» فصائل الدفاع الذاتى ، وتم نفس الامر فى الهضاب العليا وجبال كوانج تاى • ومن ١٩٥٩ زاد تشكيل الوحدات القتالية التى تولت تصفية العملاء ومقاومة القوات الحكومية • وفى هذه الفترة أوعزت الحكومة الامريكية لعملائها فى سايجون بشن حرب قمع وابادة ضد الوطنيين فى المدن والريف والجبال . ومن يناير ٥٩ تشكلت وحدات قتالية فى جبال كوانج تاى وكورس . وفى ١٧ يناير ١٩٦٠ قامت هبة مسلحة أصبحت مثلا يحتذى ، فى بن ترى (دلتا الميكونج) ، واقامت لجان الدفاع الذاتى فى اقليمها وتم تشكيل أول فصيلة عسكرية اقليمية ، أدت قسم الولاء للشعب فى احتفال عام • وفى فبراير ١٩٦٠ تم احتفال كبير فى تاى بينه بأول نصر عسكرى كبير على القوات الحكومية التى قتلت المقاومة فيها ٤٠٠ جندى وغنمت منها أسلحة كانت كافية لتجهيز أول فرقة نظامية .

تكوين الجبهة والوحدة

الوطنية ٢٠ ديسمبر ١٩٦٠

طالبت كافة الحركات المعارضة بالوحدة وانشاء قيادة عسكرية وسياسية مشتركة • وفى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٠ اجتمع ممثلو ١٨ تنظيما ثوريا وقرروا تكوين « جبهة التحرر الوطنى لجنوب فيتنام » وتم الاعلان الرسمى عنها فى ٢٩ يناير ١٩٦١ ببرنامج لتحقيق السلام والوحدة والاستقلال فى ١٠ نقاط • والخط الاساسى للجبهة هو تجميع كافة الفئات الاجتماعية والطبقات والقوميات والمجموعات والاحزاب السياسية والطوائف الدينية والشخصيات الوطنية ، بغض النظر عن انتماءاتها السياسى ، « للاطاحة بالامبريالية الامريكية وخادمها ديم . وتحقيق الاستقلال والديمقراطية والسلام والحياد والوحدة » وانتخبت الجبهة لجنة مركزية مؤقتة • وكانت أول وحدات عسكرية اقليمية قد تشكلت فى أول ١٩٦١ ، وفى فبراير تم تشكيل القيادة الموحدة وانشاء قوات التحرير المسلحة الشعبية • وفى نهاية العام ، انتخبت اللجان القاعدة لجبهة التحرير فى كافة المناطق المحررة . وانشأت الجبهة وكالة للاعلام ومحطة اذاعية فى ١٩٦١ واصدرت ٣٠ صحيفة مركزية واقليمية .

محاور ثلاث للعمل

الوطنى فبراير ١٩٦٢

عقد أول مؤتمر عادى للجبهة ، وتقرر فيه انشاء لجنة مركزية رسمية للجبهة من ٥٢ عضوا ، انتخب منهم بالفعل ٣١ عضوا ، وتركت الاماكن الباقية

شاغرة لتمثيل القوى الوطنية التى ستنضم للجبهة فيما بعد . ثم عقدت الجبهة مؤتمرها الثانى فى يناير ١٩٦٤ . واختارت لجنة مركزية من ٦٢ عضوا تركت منها ١١ مقعدا شاغرا لمن سينضمون فيـما بعـد . وانشأت اللجنة المركزية لجـانا متخصصة تابعة لها ، كاللجنـة العسكريـة ولجنة العلاقات الخارجية . وكان لعمل الجبهة ٣ محـاور : المجـال السـياسى والعسكرى والجماهيرى . وفرضت الجبهة سلطتها على ثلاثة أرباع البلاد ، وقامت باجراء اصلاح زراعى فى المناطق المحررة واصلاحات صحية وتعليميـة وثقافية . وفى هذه الفترة ازداد القهر فاقيمت قيادة عسكرية أمريكية ، وزاد عدد مستشاريها الى ١٢ ألفا فى ١٩٦٢ (٧٠٠ فقط فى ١٩٦١) .

وفى مايو ١٩٦٣ ، أصدر دييم أوامره بعدم وضع الاعلام البوذية على المعابد ، فنشبت مظاهرات ضارية اطلق البوليس عليها النيران ، وفـى اغسطس هاجمت القوات الحكومية المعابد واعلنت الاحكام العرفية . وفى ٢ نوفمبر ١٩٦٣ اطاح انقلاب عسكرى بدييم وتكون المجلس العسكرى الثورى الذى أطاح به بدوره انقلاب نجوين خان فى يناير ١٩٦٤ ، وزار ماكنمارا سايجون وعينت امريكا الجنرال مكسويل تيلور سفيرا لها هناك .

وفى نهاية ١٩٦٢ حررت القوات الوطنية ٨٨٩٢ قرية من السيطرة الحكوميـة . واصبحت هـذه القرى تمثل فى بداية ١٩٦٣ ، ٧٦ فى المـائة من مجموع القرى ، وتضم ٥٠ فى المائة من سكـان البلاد . وفى مارس ١٩٦٤ انشأت الولايات المتحدة « قوات خاصة ضد العصابات » . وفى نوفمبر ١٩٦٤ تعددت مظاهرات البوذيين خاصة فى مدينة باترى ، وتحدى السكان للاحكام العرفية .

التـدخـل الامريكى المبـاشر

أو « الحرب المحدودة » ١٩٦٥

فى يناير ١٩٦٥ أعلن الثوار انهم خاضوا فى العام السابق ١٠٠٠ معركة وقتلوا وجرحوا ٤٩ ألف جندى حكومى وامريكى ، ودمروا واصابوا ٢٥٧ طائرة . وفى نفس الشهر اضرب ٥ زعماء بوذيين للمطالبة باستقالة الحكومة ، وتظاهر عدة آلاف من البوذيين وكثفت جبهة التحرير جهدهـا الدعائى بين قوات الحكومة ، واستخدمت الشيوخ والاطفال والنسـاء فى توعيـة واستمالة جنـود الحكومة الى صف الشعب واعلنت انها ستمنح الارض لمن يتركون صفوف الجيش العميل . لقد أمنت الجبهة بأنه يمكن استعادة جنود الحكومة واعتبرتهم « اخوة طبقيين » لابد من ارجـاعهم « للطريق السليم » . وبالفعل وصل عدد الهاربين من جيش سايجون الى ٢٠ فى المائة من مجموع افراده .

ومن بداية ١٩٦٥ قررت امريكا انزال جنودها مباشرة فى الجنوب لسحق حركة التحرر فيه ، وبدء الغارات المكثفة على الشمال ، وبدأ التدخل فى ٨ مارس ١٩٦٥ بانزال ٣٥٠٠ بحار امريكى فى دانانج ، وفى يوليو وصل عدد القوات الامريكية الى ٨٥ الفا ، ارتفع فى سبتمبر الى ١٣٠ ألفا ، وفى نوفمبر الى ١٩٠ الفا وفى السنة التالية الى ٣٨٠ ألفا . وفى ١٩٥٨ وصل عدد القـوات الامريكية الى ٥٤٣٥٠٠ جندى ، علاوة على قوات الدول المتحالفة مع امريكا والتى وصلت الى ٧٠٠ الف .

واسمت أمريكا تدخلها هذا « **الحرب المحلية** » او « **الحرب المحدودة** » وذلك على الرغم من هذا العدد الكبير من قواتها .

وللرد على التدخل الامريكى المباشر قامت قوات الثورة بشن هجوم شامل على مطارات ومعسكرات امريكا وعلى عدة مدن وقرى . وفى مارس اعلنت الجبهة فى تصريح من ٥ نقط ان الولايات المتحدة تخرب بتدخلها اتفاقية جنيف ، وان شعب فيتنام الجنوبية مصـمم على طرد المعتـدين الامريكيين واقامه دولة مستقلة ديمقراطية ومحايدة تمهيدا للتوحيد . وفى منتصف ١٩٦٥ حـاولت القـوات الامريكية فى استعادة الريف من الثوار وحاولت الاطباق على قواتهم بين ما اسـمته « فكى الكماشة » وقامت بهجوم شامل فى فصل الجفاف ٦٥ — ١٩٦٦ (اعقبه هجوم شامل ثان فى فصل جفاف ٦٦ — ٦٧ ، وهجوم شامل ثالث فى فصل جفاف ٦٧ — ٦٨ ، ولكن فشلت كل هذه المحاولات وانتقلت القوات الامريكية الى الدفاع) .

وفى ٢٩ مـايو ١٩٦٥ بحثت الجبهة انشـاء حكومة ثورية فى البلاد . وفى هذه الفترة قدرت المخابرات الامريكية قوات الجبهة بحوالى ١٦٥ الف ثائر ، واعلن ماكنمارا انه يلزم ١٠ جنود مقابل كل ثائر لتحقيق النصر للقوات الامريكية ، وفى هذه الفترة نقلت الجبهة المعارك الى ضواحى العاصمة سايجون . وفى اغسطس ١٩٦٥ اعلنت امريكا قبولها مفاوضة الثوار باعتبارهم جزءا من وفـد فيتنام الشمالية . ونجح الثوار فى الاستيلاء على

داك ثو ، داك سوت وغيرها من المواقع العامة . وفي اكتوبر ١٩٦٥ حاولت المخابرات الامريكية استغلال القبائل الجبلية ضد الثورة ، وقامت بتسليحهم خاصة قبائل الميو وعدتهم بالحكم الذاتي ، ولكن هؤلاء انضموا جميعا الى الثورة ودعت الجبهة في نفس الشهر الى بدء « شهر الكراهية ضد امريكا » ونظمت اضرابا عاما احتجاجا على تعذيب واعدام احد الفدائيين بتهمة محاولة اغتيال ماكنمارا . وازدهر ايضا الكفاح الاقتصادي ، فانذر ١٠٠ الف عامل الحكومة بالاضراب بسبب ارتفاع الاسعار وانخفاض الاجور . وفي ديسمبر من العام نفسه ، تمردت قبائل الوسط واستولت على مدينة جيانجيا عاصمة اقليم كوانج واك ، وتبعد ١٠ كيلومترات عن سايجون وامتد القتال الى ٤ اقاليم مجاورة .

الجبهة تدعم قواعدها

خلف خطوط العدو ١٩٦٦

في بداية ١٩٦٦ أعلن ايرل هويلر رئيس الاركان الامريكي أن الثوار يسيطرون على ثلاثة أرباع البلاد . وأكدت الجبهة انها تسيطر على أربعة أخماس البلاد ، وعلى ١٠ ملايين نسمة . وقد دعمت الجبهة تنظيماتها وقواعدها السرية خلف الخطوط الخلفية للعدو ، وفي المدن الواقعة تحت سيطرته . وأكدت المخابرات الامريكية أن الجبهة جندت ٤٠ ألف نصير جديد في المناطق الحكومية ، وقالت أن هؤلاء « تسللوا » الى كافة التنظيمات الاقتصادية والعسكرية ، للحصول على المعلومات الهامة وابلاغها للجبهة . وفي مارس أقالت الحكومة العميلة احد القادة العسكريين البوذيين ، فاشتدت مظاهرات هؤلاء خاصة في دانانج . وفي ديسمبر ١٩٦٥ ، عقد اجتماع موسع للجنة المركزية للجبهة ، تقرر فيه انشاء بعثة دائمة في هانوي ، ولم تهمل الجبهة تجنيد جنود العدو وبالفعل كان ٥٠٠ منهم يفرون شهريا من كل كتيبة حكومية .

مفاوضات تكتيكية مع

استمرار الهجوم ١٩٦٧

اعترف ثيو الذي تولى السلطة في الجنوب ، بأن حكومته لا تسيطر الا على ١٤٠٠ قرية من مجموع القرى البالغ ١٢٠٠٠ الف قرية ، وعلى ٥ر٣ مليون نسمة فحسب . وأعلنت المخابرات الامريكية أنها حصلت على وثائق سرية للجبهة وللحزب الشيوعي في الشمال ، تبين انه ليس لدى الثوار مانع من « اجراء مفاوضات تكتيكية » مع استمرار الهجوم على العدو . ورغم أن حكومة الجنوب اعلنت انها ترحب بمن يتخلون عن القتال في صفوف الجبهة ، واستعدادها لتوفير مصادر الرزق لهم ، الا انه لم يستجب لها أي من العاملين في صفوفها . وفي يونيو أقامت الجبهة علاقات مع كوبا ، وفي يوليو دعت لمقاطعة انتخابات الرئاسة ، وشنت في هذه المناسبة هجوما عنيفا على دانانج . وفي أول سبتمبر ١٩٦٧ ، عقدت الجبهة مؤتمرا استثنائيا وضعت فيه برنامجا سياسيا للاصلاح الاجتماعي والثقافي ، ودعت الى أعرض وحدة بين كافة المنظمات الوطنية بغض النظر عن اتجاهاتها السياسية ، لمقاومة المعتدين وبناء دولة مستقلة محايدة ومزدهرة ، والتوحيد السلمي للبلاد . وفي هذا الشهر جرت انتخابات مجلس الشيوخ في الجنوب ، تنازعت فيها ٦ مجموعات . اثنتان منها فقط مع الحكومة . وعقب الانتخابات قام البوذيون بمظاهرة كبيرة حاصروا فيها القصر الجمهوري . وبعد لقاء لثيو مع جونسون ، أعلن استعداده لمفاوضة الثوار كأشخاص .

هجوم تيت والمعركة الشاملة ١٩٦٨

في يناير ١٩٦٨ خاضت قوات الثورة معركة عنيفة في تاي نينه ، وأعقبته بهجوم آخر في خي سانه . وفي ٢٩ يناير أعلنت الحكومة انها لن تحترم هدنة رأس السنة القمرية في ٥ أقاليم في الشمال ، وكرد على هذا قام الثوار بهجوم شامل في ٣٠ ـ ٣١ يناير عرف باسم هجوم رأس السنة القمرية « تيت » ، وجهته ضد معظم المدن ، واستولت فيه على قلعة هوى وغيرها من المدن مؤقتا، وفي سايجون استولت الجبهة على كثير من مباني الحكومة والمنشآت الامريكية خاصة السفارة الامريكية ومحطة الاذاعة ، وأعلن راديو الثوار أن شعب سايجون قام بهبة كبيرة استجابة لنداء من حركة « تحالف القوى الوطنية والسلامية » في سايجون . وفي فبراير تكونت « جبهة التحالف الوطني الديمقراطي السلمي » في هوى ، التي اقامت لجنة شعبية ثورية لتتولى ادارة هوى . وفي مايو ١٩٦٨ ، أصبحت الجبهة مسيطرة على ٨٠ في المائة من الريف ، ونظمت حركة عامة للانتخابات لتكوين اللجان الشعبية الثورية في المناطق المحررة . وقامت بشن ١٨ هجوما على ٤٧ مدينة وقاعدة . وفشلت حملة الحكومة « لتحقيق النصر الكامل » رغم انها حشدت لها ٧٥ الف جندي للهجوم على ١١ اقليما .

ومع ازدياد مكانة الجبهة ، تم قبولها في ١١ تنظيما دوليا ، واعترفت بها الاحزاب السياسية والشعبية في ٩٥ بلدا ، ودخلت حكومة كمبوديا في مفاوضات معها .

وقد تركز عمل قواعد الجبهة فى المناطق المحررة فى تعبئة الموارد البشرية والمادية للحرب الوطنية ، والعمل على زيادة الانتاج ورفع مستوى معيشة السكان ، وارساء أسس نظام ديمقراطى شعبى • أما فى المدن الخاضعة لسيطرة الحكومــة وفى المناطق التى يصعب فيها مؤقتا القيام بعمل مسلح وفى المناطق الواقعة حول القواعد العسكرية ، فقد ركزت الجبهة على العمل السياسى •

ومع ان قوات أمريكا بلغت فى ١٩٦٨ ، ٥٠٠ ألف جندى ، وبلغت قوات الدول المتحالفة معها وقوات حكومة سايجون ٧٠٠ الف ، فقد شمل هجوم رأس السنة القمــرية أهــم المــراكز الاستراتيجية فى دانانج وهوى آن ، وبونج سون وكوى نهون ، وتوى هوا ، وبانمتوت ،وبليكو، ثم هو كوانج ترى ، وبن هوا ، وبن ترى • وفى أول فبراير ركزت على سايجون ودلات ، وفات وتيت وحتى ٢ فبراير ١٩٦٨ هاجمت الجبهة ٦٤ مدينة وموقع فى ٣٢ محافظة ، علاوة على ٢٤ قاعدة عسكرية و٣٥ موقع استراتيجى • كما تعددت هبات الجماهير ، مما أفقد العدو صوابه وقدرته على التحرك مؤقتا •

وفى سايجون استغلت الجبهة اجازة ضباط وجنود الحكومة فى رأس السنة ، وشنت هجوما فى الثانية صباحا على سفارة أمريكا ومقــر الرئاسة ومحطة الاذاعة ومقر قوات الامــن والبوليس والاركان • وقتل ٢٠٠ أمريكى فــى الهجوم على السفارة ، وهرب السفير فى طائرة هليكوبتــر • واصيبت ســـايجون بــالشلل التام • وحتى اليوم الرابع احتل الثوار اربعــة أخماس الضواحى واقاموا فيها ادارة ذاتية • وتكون « تحالف القوى الوطنية السلامية » فــى سايجون •

وفى هو شنت الجبهة هجومها حوالى الثالثة صباحا ، ورفعت علمها على المدينة وسيطرت عليها بعد القضاء على الفرقة الحكومية السابعة بها • كما احتلت قوات الثورة قلعة مانج كا ومحطة الاذاعة وأقيمت فيها حركة « تحالف القوى الوطنية السلامية » • وقد استغرقت معركة سايجون ١٧ يوما ومعركة هو ٤ أسابيع • ونتيجة لهذا أعفت أمريكا وستمور لاند من القيادة •

ثم شنت الجبهة هجومها الثانى فى مايو على ٣٠ مدينة ومركزا رئيسيا و٧٠ منطقة و٣٠ قاعدة ، و٧ ضواحى للعاصمة • واستمرت المعــركة ٤ أسابيع • وبعد ١٧٠ يوما من القتال فى خى سانة، انسحب البحارة الامريكيون من خى سانة •

ومن بداية ١٩٦٨ دخلت « الحرب المحليــة » طريقا مسدودا • وكان هذا العام هــو « عام النصر » للجبهة رغم أن امريكا القت على قواتها قنابل تزيد مرة ونصف مرة عما القته على المانيا فى الحرب الثانية •

وفى ٣١ مارس بدأ وقف التصاعد الامريكى واقترح جونسون وقفا جزئيا لقصف الشمال وبدء محادثات سلام تمهيدية مع حكومة فيتنــام الشمالية ، وفى أبريل قبلت هانوى العرض • وعقد اول اجتماع فى باريس •

أمريكا ترضخ أخيرا

وتلتقى بالجبهة ١٩٦٩

رغم حملات أمريكا فى الجنوب ، زاد الهجوم الشعبى ، وتدعمت قواعد الجبهة فى سايجون • وفى ١٥ يناير تم الاتفاق على مواصلة المفاوضات بين ٤ أطراف باشتراك فيتنام الجنوبية والجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية • وفى مايو قدم نيكسون مقترحات من ٨ نقاط تتناول الانسحاب المتبادل للقوات الاجنبية ووقف اطلاق النار تحت اشراف لجنة دولية ، ومنح حق تقرير المصير للشعب فى الجنوب • وفى ١٠ يونيو ١٩٦٩ تم تشكيل الحكومة الثورية المؤقتة فى فيتنــام الجنوبية • وفى اغسطس عقد لقاء سرى بين كيسنجر ورئيس الوفد الفيتنامى الشمالى •

خســـــائر المعتــــدين

١٠٠ ألف قتيل فى ١٩٧١

أعلنت المصادر الامريكية فى يناير ١٩٧١ ، أن قوات سايجون وحلفائها فقدت ١٠٠ ألف قتيل ، و٥٩٠٠ طائرة فى العام الماضى • وفى ابريل اعلن دونج دينه ثاو المتحدث الرسمى باسم الجبهة فى باريس ، أن عددا كبيرا من الجنود الامريكيين هربوا الى صفوف الجبهة • وخلال يونيو القت أمريكا ١٠ مليارات منشور دعائى على سكان الجنوب ، الذين استخدموها كوقود وفى لــف الاغذية • وقد أعلن مصدر عسكرى فيتنامى أن ضحايا الحرب ، بلغوا ٢ مليون نسمة • وفى ديسمبر أعلنت مجلة يونيتد ستانس أنــدورلد ريبورت ، أن أمريكا انفقت ١٢٠ مليار دولار فى ١١ عاما على الحرب الفيتنامية •

وفى يونيو قدمت فيتنام الشمالية مشروعا من ٩ نقاط لاستقرار الوضع فى الهند الصينية كلها •

وفى أول يوليو أذيع بيان الحكومة الثورية المؤقتة المكون من سبع نقط وقدم فيه طلب انشاء حكومة جديدة فى سايجون ٠

اتفـــاقيـة الســــــــلام

واحتمالات التلاعب ١٩٧٢

أعلن مصدر أمريكى فى مارس أن ٥٠ ألف أمريكى هربوا من الخدمة العسكرية بسـبب فيتنام ٠ وفى ابريل زاد الطابع النظامى لحرب قوات الجبهة ، فقد وجهت ٣ فرق كاملة تساندها ٣ ألوية مدفعية وصواريخ مضادة للطائرات للهجوم على كوانج ترى ، التى انسحبت منها قــوات الحكومة ، ثم دخل الثوار آن لوك وهوان واكتو ، وتان كان ودون ها ، وكوان ترى ٠

وفى يوليو أعلن روبرت كيندى أن القنابل التى ألقيت على فيتنام تزيد ١٠ مرات عما ألقى على كوريا ، و ٣ مرات عما استخدم فى الحــرب الثانية ٠ وفى أغسطس اقتحم الثوار قاعدة لون بين التى تبعد ٢٥ كم عن سايجون ، وهى أكبر قاعدة أمريكية خارج أمريكا ، واستولوا علــى منطقة وادى كى سون ، وفى أكتوبر بدأ الثوار خطة لعزل سايجون واحتلال القرى المحيطة بها ٠

وفى يناير قدم نيكسون مشروعا من ٨ نقط يقترح فيه : اجراء انتخابات رئاسة فى الجنوب فى مدة لا تتجاوز ٦ أشهر من وقف اطلاق النيران ٠ وفى فبراير قبلت الحكومة المؤقتة التفاوض مع النظام القائم فى سايجون بشرط استقالة ثيو، وفى فبراير زار نيكسون بكين ثم زار موسكو فى مايو ٠ وفى يوليو استؤنفت محادثات كيسنجر مع وفد الشمال فى باريس ٠ وفى سبتمبر أعلنت الحكومة المؤقتة بيانا يطالب بتشكيل حكومة مؤقتة للوفـــاق الوطنى فى سايجون من ٣ أطراف متســـاوية ٠ وتعددت لقاءات كيسنجر مع وفد الشمال ثم مع رئيس حكومة سايجون ٠ وفى ٢١ أكتوبر أعلن رئيس وزراء الشمال الخطوط العريضة للاتفاق مع أمريكا ٠ وفى ٢٤ أكتوبر قبل ثيو وقف اطلاق النار ، لكنه رفض الاتفاق السياسى الذى عقد بين أمريكا والشمال ، وفى٢٦أكتوبر أذاع راديو هانوى الاتفاق ونصوصه كاملة ٠ وقد حاول ثيو التنصل من الاتفاق ، وأعلن رفضه ، ليوفر حجة التراجع لامريكا ، ولكن الموقف فى ميدان المعركة هو الذى يحدد الحل ويفرضه ، وليس مناورات أمــريكا وعميلها ثيو ٠

مصر .. بين معـــــاهدة ١٩٣٦ وانتفاضـــــة ١٩٤٦

د. رفعت السعيد

في الثلاثينـــات ؟ كانت مصر تعـــانى معاناة شديدة ، تلك المعاناة التى اســتخلصت منها فى الاربعينات الهـــاما جديدا ، وصـــل بها الى مرحلة ثورية بالغة العنف .

ولقد كانت معاناة مصر في الثلاثينات شاملة . فالازمة الاقتصـــــادية كانت طـــاحنة ، والازمة السياسية كانت اشد عنفا . فدستور سنة ١٩٢٣ الذى ارتضـــته البرجوازية المصرية ، بعد صراع عنيف ، الغى ، والف اســـماعيل صـــدقي وزارة استبدادية ، خاض الشعب ضدها ، وعلى رأسه العمال ، نضـــالا بطوليـــا . وتلت وزارة صدقى حـــكومات اصـــطلح على تســـميتها بحـــكومات « الاقلية » ، بمعنى أنهـــا كانت اســـتبعاد للوفد صاحب الاغلبية البرلمانية ..

وعندما نصل الى سنة ١٩٣٥ ، بداية دراستنا نجد فى رئاسة الوزارة توفيق نسيم باشا ، الذى وصفه دافيد كيلى مستشار دار المندوب السامى البريطانى قائلا : « كان توفيق نســـيم يعد نفسه بصراحة ، وبلا حاجة الى مواربة صنيعتنا ، وكان يعترف بهذا فخورا ، وفى قرارة نفسه كان توفيق نسيم يأسى دائمـــا لاننا قد تخلينـــا عن الكثير من نفوذنا » [١] . واذا كان عام ١٩٣٠ هو عام الازمة الطاحنة ، ســـواء من النـــاحية الســـياسية او الاقتصادية ، فقد كانت الامور فى عام ١٩٣٥ اكثر سوءا ..

لمحة عن الاوضاع الاقتصادية

كانت الزراعـــة تتدهور ، فانتـــاجية الفـــدان تنخفض بالنســـبة لمختلف المحاصـــيل ، واذا كان القطن هو المحصول الاســـاسى ، فان الاحصـــاء التالى يصبح كافي الدلالة :

الســـــــنة	انتـــاجية الفـــدان من القطن « بالقنطـــار » [٢]
١٨٩٥ — ١٩٠٠	٥ر٤٧
١٩٣٠ — ١٩٣٥	٤ر٢٦

[١] محمد عودة ــ سبعة باشوات وصور اخرى ــ الكتاب الذهبي ــ صفحة ١١٧ .
[٢] مريت بطرس غالى ــ سياسة الغد ــ صفحة ٤٦ .

وذلك بالرغم من أن الفلاحين كانوا يكثرون من الانفاق على استخدام الاسمدة الكيماوية ، ففى سنة ١٩٣٧ ، كان الفلاح « يستعمل فى المتوسط ٥٩ كيلو جراما من السماد الكيماوى لكل فدان مزروع ، فى حين لم يكن يستخدم فى عام ١٩٠٢ الا ار. كيلو جرام فى المتوسط [٣] .

وكانت الارض الزراعية مثقلة بالدين بحيث قدر أحد الباحثين « ان غالبية الاملاك العقارية مستغرقة بالديون » ، وقدر اجمالى الديون بعشرة ملايين جنيه ، لكن جريدة « المقطم » سارعت بالرد عليه ، معلنة ان الديون العقارية لا تقل عن ٤٠ مليونا من الجنيهات [٤] .

وثمة دراسة أخرى تقول ان المتأخرات التى تراكمت على المدينين بلغت عام ١٩٣٣ رقما يصل الى ٦٫٢٢٧٫٣٣٩ جنيها ، عن قروض قيمتها ٢٣٫٤٦١٫٢٧٩ جنيها . وهنا اتفقت الحكومة [مارس ١٩٣٣] مع البنوك العقارية ، على تجميد كل المتأخرات التى حلت مع فوائدها ، ومد آجال الديون ... وفى عام ١٩٣٥ ، تم الاتفاق مع البنك العقارى المصرى على الا يزيد الدين الذى يتحمله الفدان عن ٤٥ جنيها ، وما يزيد عن ذلك يؤجل استهلاكه حتى نهاية السلفة ، وفى عام ١٩٣٩ ، حلت مشكلة المدينين الذين تزيد التزاماتهم عن ٧٠ ٪ من قيمة أرضهم ، فخفضت هذه الالتزامات الى ٧٠ ٪ من العقار » [٥] .

وبما ان المشكلة كانت تهم كبار ملاك الاراضى ، فقد تفرغ لدراستها كثير من المفكرين والكتاب من أبناء هذه الطبقة . وهكذا شهدت هذه الفترة كثيرا منهم يتحول الى ميدان البحث الاقتصادى والاجتماعى ، وأصبح من المألوف ان يظهر لقب « باشا » على أغلفة الكتب .

ويورد محمد على علوبة باشا ، الاحصاء التالى عن قيمة الاراضى والمنازل التى نزعت ملكيتها بسبب الديون :

بالجنيـــه [٦]

	عام ١٩٣٧	عام ١٩٣٨	عام ١٩٣٩
بطلب افـراد	١٫١٥٢٫٨١٩	٦٨٩٫٣١٣	٦٤١٫٤٨٤
بطلب بنـوك	٧٩٢٫٥٣٥	٤٧٨٫٥٢٦	٦٨٦٫٥٦٥
بطلب الحكومة	١٢٫٤٣٤	٣٫٧٠١	١٨٫٢٠٧
	١٫٩٥٧٫٧٨٨	١٫١٧١٫٥٤٠	١٫٣٤٦٫٢٥٦

وبما ان المشكلة كانت تخص كبار الملاك ، فقد تحمست الحكومة لحلها ، وتحملت فى ذلك أعباء طائلة ، الامر الذى دفع أحد الباحثين المحايدين الى ملاحظة ان الحكومات المتتابعة قد انفقت « ١٤٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه ، لاجل تنظيم دفع الديون العقارية ، أى لاجل انقاذ كبار الملاك الذين لا يتجاوز عددهم ١٣٫٠٠٠ ، وهذا معناه ان كل واحد من هؤلاء المتبازين قد نال ١٠٠٠ جنيه دفعتها له الخزينة ، بحجة حماية الثروة الزراعية » [٧] .

أما فى الصناعة ، فقد كان متوسط الاجر الشهرى للعامل حتى عام ١٩٤٢ ، ٢٩٣ قرشا [٨] وهو رقم غاية فى الضآلة .

بل ويلاحظ « باشا » آخر هو **حافظ عفيفى** ان احصاء رسميا يعترف بأن « أربعة ملايين شخص من سكان مصر ، يعيش الفرد منهم بايراد يقل عن جنيه واحد فى الشهر » ، أى بنحو ثلاثة قروش فى اليوم » [٩] .

ويكفى لكى نلاحظ مدى التدهور فى مستوى معيشة الطبقات الكادحة ، ان نجد أن متوسط دخل الفرد فى مصر « كان ٢١ جنيها سنويا فى عامى ١٩٢١ — ١٩٢٢ ، اما فى عامى ١٩٤٠ — ١٩٤١ ، فقد نقص الى ٩ جنيهات فى العام — كما جاء فى تقرير لجنة المالية بمجلس النواب عن مشروع الميزانية لهذا العام » [١٠] .

وكانت الضرائب غير المباشرة ، وهى التى يقع

---

[٣] المرجع السابق — صفحة ٤٨ .
[٤] قلينى فهمى باشا — آراء وذكريات فى السياسة والاقتصاد والاجتماع — مطبعة المجلة الجديدة — مايو سنة ١٩٣٧ — صفحة ١٠ .
[٥] راشد البراوى — محمد حمزة عليش — التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث . مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الثالثة — عام ١٩٤٨ — صفحة ٢٥٠ .
[٦] محمد على علوبة باشا — مبادىء فى السياسة المصرية — مطبعة دار الكتب — صفحة ٥١ .
[٧] الاب هنرى عيروط اليسوعى — الفلاحون — ترجمة د . محمد غلاب . الطبعة الثانية . مطبعة شركة الاعلانات الشرقية — صفحة ١٢٦ .
[٨] عبد المنعم الغزالى — تاريخ الحركة النقابية المصرية — دار الثقافة الجديدة عام ١٩٦٨ — صفحة ٢٠٦ .
[٩] د . حافظ عفيفى باشا — على هامش السياسة المصرية — صفحة ١٦٥ .
[١٠] علوبة باشا . المرجع السابق صفحة ٢١ .

عبؤها على الطبقات الفقيرة ، تمثل ٧٥ ٪ من الايرادات العامة [١١] .

وكانت مرتبات الموظفين ومعاشاتهم تستغرق ٤١ ٪ من اجمالى مصروفات الدولة [١٢] ، وكانت البطالة منتشرة بشكل واسع بين العمال والمثقفين على السواء . وقد بحث أحد الدارسين حالة خريجى مدرسة التجارة المتوسطة بالاسكندرية عام ١٩٣٧ ، وعددهم ٩٨ خريجا ، فوجد أن [١٣] :

٦ توظفوا بالحكومة
٣ توظفوا بالشركات
٨ زاولوا عملا حرا
١ يتمم تعليمه
٧٦ عاطلون
٤ حالتهم مجهولة

وفى ظل ظروف كهذه ، كان من الطبيعى ان ترتفع نسبة الوفيات فى مصر عنها فى أى بلد آخر فكانت فى عام ١٩٣٨ ، ٢٦ر٤ فى الالف ، وفى الهند ٢٤ر٣ فى الالف ، وفى فلسطين ١٥ر٠ فى الالف [١٤] .

كل ذلك فى وقت كان فيه الراسماليون [ومعظمهم من الاجانب] ، يحققون أرباحا خيالية ويشير احصاء رسمى ، الى ان شركة مساهمة مكنتها ارباحها فى عام ١٩٤٠ « من دفع ١٥ ٪ ربحا للمساهمين نقدا ، وأعطت كل عضو خمسة أسهم ، منها ثلاثة أسهم مجانا ، فكأنها أعطته ٧٥ ٪ ربحا فى سنة واحدة من راس ماله » [١٥]

وثمة مثال آخر ، هو شركة مياه القاهرة ، فقد شكلت لجنة وزارية فى مارس عام ١٩٣٥ ، للنظر فى شكاوى الجمهور من تصرفاتها ، ورفضت الشركة ان تسمح للجنة بالاطلاع على حقيقة الوضع المالى لها ، وبعد مجهودات طويلة ، توصلت الحكومة فى عام ١٩٣٨ ، الى اتفاق مع الشركة ، ينص على ان تحصل الحكومة على ٤٠ ٪ من الارباح التى تزيد عن شريحة من الربح مقدارها ٤٠ر٠٠٠ جنيه سنويا ، وعندما عرض الاتفاق على لجنة الشئون الدستورية فى مجلس الشيوخ ، لاحظت اللجنة ان مجموع رأس مال الشركة ٢٢٣ر٠٠٠ جنيه ، بمعنى أن الشركة تريد ان تكسب أولا ربحا سنويا قدره ١٢٨ ٪ من اجمالى رأس المال ، ثم تسمح للحكومة بالحصول على ٤٠ ٪ فيما يزيد عن ذلك [١٦] .

وقد كانت الحرب العالمية الثانية فرصة لتزايد النهب الاستعمارى لثروات مصر ، فقد استغلت السلطات الانجليزية ربط الجنيه المصرى بالجنيه الانجليزى فى كتلة الاسترلينى ، وعمدت الى اصدار سندات على الخزانة البريطانية ، واستخدامها كغطاء مالى لما يصدر من أوراق نقد مصرية تتسلمها السلطات البريطانية لتشترى بها كل ما تريد من السوق المصرية ، ولتسدد بها اجور جنود الاحتلال ، وكل العاملين فى معسكراتها .. وقد بلغت هذه الارصدة رقما خياليا وصل الى ٤٤٠ مليون جنيه استرلينى [١٧]
وقد أدى ذلك الى زيادة مقدار الصادر من النقد الورقى :

الصادر من النقد الورقى

السنة	بالمليون جنيه
١٩٣٩	٢٨ر—
١٩٤٠	٣٩ر—
١٩٤١	٥٣ر—
١٩٤٢	٧٩ر—
١٩٤٣	١٠١ر—
١٩٤٤	١٢٢ر—
١٩٤٥	١٤٨ر—

ولما كانت هذه الاوراق النقدية تصدر تلبية لحاجات قوات الاحتلال ، ودون أن تصاحبها زيادة حقيقية فى قيمة السلع الاقتصادية المنتجة ، فقد ارتفعت الاسعار ارتفاعا لم تر له مصر مثيلا من قبل .

الارقام القياسية للاسعار [١٨]

السنة	
١٩٣٩	١٠٠
١٩٤٠	١٢٤
١٩٤١	١٥٥
١٩٤٢	٢٠٠
١٩٤٣	٢٥٣
١٩٤٤	٢٩٩
١٩٤٥	٣١٧

كذلك فقد أدت صعوبة وصول الاسمدة

---

[١١] عفيفى باشا . المرجع السابق صفحة ١٥٥ . [١٢] المرجع السابق صفحة ١٣٢ .
[١٣] عبد الحميد عفيفى مطر — التعليم والمتعطلون فى مصر — صفحة ٢٥٠ .
[١٤] علوبة باشا المرجع السابق صفحة ٢٣٧ . [١٥] علوبة باشا . المرجع السابق صفحة ٤١ .
[١٦] المرجع السابق — صفحة ٨٧ .
[١٧] مصطفى مؤمن — صوت مصر — مطبعة دار الكاتب العربى عام ١٩٥١ — صفحة ٤٩ .
[١٨] البراوى وعليش — المرجع السابق — صفحة ٢٨٢ .

الكيمـــاوية الى مصر فى فترة الحرب واتباع دورة زراعية غير ملائمة ، رغبة فى زيادة انتاج القمح والحبوب قدر الامكان ، لتغطية احتياجات الحلفاء فى المنطقـــة ، الى تدهـــور انتــــاجية الارض الزراعية .

انتاجية الفدان وفقا للمحاصيل [١٩]

الســـــنة	قمــح	شعير	ذرة شامية
١٩٣٨ ــ ١٩٣٩	٦ر١٥	٧ر٥٥	٧ر٠٣
١٩٤٠ ــ ١٩٤١	٤ر٩٩	٦ر٨٦	٦ر٠٠
١٩٤٢ ــ ١٩٤٣	٤ر٤٩	٦ر٢٥	ــــ

وهـــكذا فقـــد كانت معـــاناة المجتمع المصرى تتضاعف ، ووصلت الازمة الاقتصادية والتموينية الى حد خانق . واصبح مألوفا ان يشاهد الانسان طوابير المواطنين امام المخــابز فى انتظار رغيف الخبز .

وكان طبيعيا ان يؤدى ذلك كله الى تصـــاعد النضال السياسى للطبقة العاملة ، وشهدت مصر موجـــات من الاضــــطرابات العمالية والتمردات الفلاحية ، كان بعضا منها صورة مصغرة لما حدث خــلال ثــورة ١٩١٩ . فقد دعت البرجـــوازية والليبراليين من كبـــار الملاك ، الشـــعب المصرى للنضال ضد ديكتاتورية اسماعيل صدقى ، وضد الغاء دستور عام ١٩٢٣ .

وهبت جماهير العمال للنضـــال ، واقام عمال عنابر السكك الحديدية المتاريس فى حى بولاق ، وتضامنت معهم جمــــاهير الحى الفقير ، فى هبة هزت وجـــدان مصر كلها . وتحرك الفلاحون فى بعض القرى ، يقاومون بالسلاح سلطة الديكتاتور وتماما كما حدث عام ١٩١٩ ، شاهدنا حزب الوفد يتنصل من هـــذه الاعمال ، ويدعو الشـــعب الى السكينة ، والى اللجوء الى الوسائل المشروعة .

وطوال الثلاثينــــات ، كان النضـــــال العمـــالى محتدما ، واتخذ فى هـــذا طريقين اســـاسيين : الاضراب من اجل مطالب اقتصـــادية وسياسية ، والعمل النقابى من اجل شرعية تكوين النقابات ، ومن اجــــل اســــتقلالية الحركة العمـــالية عن البرجوازية . .

والحقيقة ان البرجوازية المصرية ، التى لقنت درسا قاسيا ، عندما تركت زمام الحركة العمالية فى مطلع العشرينات ، فى يد اليسار وحده ، قد بذلت كل جهدها وحيلها من اجل فرض وصـــايتها على الحركة العمـــالية . لكن كل اشـــكال هذه الوصاية كانت تذوب سريعا امام حرارة نضـــال الطبقة العاملة المصرية .

وهكذا فشـــلت محـــاولات الوفد فى تاسيس المجلس الاعلى للعمال ، ومحاولات النبيل **عباس حليم** لتاسيس اتحـــاد العمال ، ومحاولات اخرى قامت بها السراى [تأسيس اتحاد عمالى برئاسة **ادجـــار جلاد**] والاحرار الدســـتوريين [تأسيس اتحاد برئاسة **داود بك راتب**] [٢٠] .

وانطلق العمال يخوضون اضراباتهم الاقتصادية بعيدا عن النفوذ الخارجى ، وشهدت هذه الفترة اضرابات عديدة ، اهمها [اضراب عمال الجباسات ــ اغسطس ١٩٣٢ ــ عمـــال النقـــل بمينـــاء الاسكندرية ــ اكتوبر ١٩٣٢ ــ عمال شركة أوتوبيس ثورنيكروفت يونيو ١٩٣٣ ــ عمال طرق النحاس بالقاهرة يونيو ١٩٣٣ ــ عمال نقل الفحم بمينـــاء الاســـكندرية فبراير ١٩٣٥ ــ عمـــال نقل بذرة القطن بالمينـــاء فبراير ١٩٣٥ ــ عمـــال مصانع الزيوت بالاسكندرية يونيو ١٩٣٦ ــ عمال شركة اقطـــان كفـــر الزيات بالاسكنـــدرية ــ يونيو ١٩٣٦ ــ عمــــال شركة الغـــزل الاهليـــــة للنسيج بالاســـكندرية يونيو ١٩٣٦ ــ عمـــال ترام الاســـكندرية يوليو ١٩٣٦ ــ عمال مصنع تكرير السكر بالحوامدية يوليو ١٩٣٦] .. وقد صـــحب بعض هـــذه الاضرابات اعتصام العمال بالمصانع ، وســـيطرتهم عليها ، مثل عمال شركة الغزل الاهلية ، وشركة السكر . واســـتمر بعض هـــذه الاضرابات لفترة طـــويلة من الزمن ، مثل اضراب عمال ترام الاســـكندرية ، الذى اســـتمر ٣٦ يوما .. وقد أزعجت هذه السلسلة المستمرة من الاضرابات الحكام المصريين ، فقرروا تشـــكيل لجنة حكومية لبحث أســـباب الاضرابات فى يوليو عام ١٩٣٦ [٢١] .

لكن موجة الاضرابات عادت عنيفة جدا فى عام ١٩٣٨ ، بحيث شملت كل قطاع النسيج تقريبا ، وتولت لجنة سرية من العمال قيادة اضراب عمال النسيج بالمحلة ، والذى امتد سريعـــا الى مناطق تجمع عمـــال النســـيج الاخرى ، وكانت المطالب مركزة على زيادة الاجور ، وعلى شرعية تشـــكيل النقابات .

---

[١٩] فوزى جرجس ــ دراســـات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى ــ مطبعة الدار المصرية عـــام ١٩٥٨ ــ صفحة ١٨٠ [نقـــلا عن دراســـة أعدتهـــا الامم المتحـــدة عن التطورات الاقتصادية فى الشرق الاوسط بين عامى ١٩٤٥ ــ ١٩٥٤ صفحة ٢٧] .

[٢٠] البراوى وعليش ــ المرجع السابق صفحة ٢٧٥ .

[٢١] لمزيد من التفاصـــيل حول هـــذا الموضـــــوع راجع عبد المنعم الغزالى المرجع السابق ، رؤوف عباس ــ الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ــ ١٩٥٢ ــ دار الكاتب العربى ــ ١٩٦٧ .

وهكذا سارت الطبقة العاملة دوما فى خط النضال المستقل عن سيطرة القيادات البرجوازية .. بل ان بعض القادة النقابيين الثوريين قد بذلوا جهودا ذات دلالة فى تحويل اتحاد العمال ، الذى اسسه النبيل عباس حليم ، الى حزب للعمال والفلاحين ذا برنامج اشتراكى واضح [٢٢] .

وكان طبيعيا ، فى مثل هذا المناخ ، ان تنشأ تيارات اصلاحية عديدة ، تحاول تصفية النضال الطبقى وتحويل مساره الى اتجاه اصلاحى .

وظهرت دعاوى اصلاحية تزعمها **مريت غالى** ثم **محمد خطاب** وآخرون غيرهما ، لكن الاصلاحيين المصريين كانوا محدودى الافق ، فقد صمموا ومنذ البداية ، وبوضوح تام ، على رفض أى تعديل جاد فى طبيعة النظام الاجتماعى ..

وينفى مريت غالى ، نفيا قاطعا ، ان المصاعب التى تواجه مصر سببها سوء توزيع الثروة ، مؤكدا ان السبب هو قلة المرافق الوطنية [٢٣] .

ويؤكد ذلك ايضا — وبالحاح شديد — علوبة « باشا » ، عندما يقول : « قام بعضهم ينادى فى المجلات والكتب والمحاضرات ، بضرورة تحديد الملكية العقارية ، حتى توزع الاراضى على المصريين كافة بشىء من العدالة .. واعتقادى ان هذه الفكرة ليست الطريقة المثلى فى اخراجنا مما نحن فيه ، وفى تحسين حالتنا ، ذلك ان بلادنا ديمقراطية ، ويحسن بنا ان نحافظ على حرية الفرد ومجال نشاطه » [٢٤] .

غير ان الطبقة العاملة استطاعت ان تنتزع مكاسب هامة فى ظروف محددة . فعقب احداث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ، والتى صحبها هبوط فى شعبية حزب الوفد ، شدد العمال من ضغطهم ، من أجل حقهم القانونى فى تأسيس نقابات ، وخضع الوفد للضغط ، محاولا استعادة جماهيريته ، وأصدر القانون رقم ٨٥ لعام ١٩٤١ ، الذى سمح لعمال الصناعات بتأسيس نقاباتهم ، واذا كان ذلك القانون علامة هامة فى تاريخ النضال العمالى المصرى ، فان دلالته تتضح من تأمل تقرير لجنة العمال والشئون الاجتماعية « بمجلس النواب » [الذى كان الوفد يتمتع فيه بأغلبية ساحقة] ، حول مشروع هذا القانون ، والذى جاء فيه : « لقى فريق من أصحاب العمل من صناع وتجار — ممن نصبوا أنفسهم للكسب والشراء ، وجعلوه قبلتهم وغايتهم — من كثرة الأجراء وعظيم تزاحمهم ، فرصة للسيطرة عليهم والتحكم فيهم . فقدروا أجورهم بما شاءوا ، وحددوا لهم ساعات عملهم . وكان طبيعيا بعد ذلك ان يشعر العمال بأن أصحاب العمل انما يسخرونهم فى خدمتهم ويستنزفون قوتهم لاقامة ثرواتهم والاستزادة من أرباحهم ، فتذاكرت قلوبهم وساءت علاقاتهم ، وساد جمعهم جو من الاضطراب والقلق » [٢٥] .

وثمة ملاحظة يتعين علينا ان نلفت النظر اليها ، وهى أن فشل التيارات الاصلاحية فى ان تجد لنفسها مناخا صالحا فى أرض مصر ، كان نابعا فى الاساس من تفاقم الصراع الطبقى ، ومن الضعف الاقتصادى والفكرى والسياسى للبرجوازية الصغيرة ، والى وجود تمايز واضح فى المجتمع ، يشكل حاجزا واضحا بين الكادحين وبين الاستغلاليين ، وفوق ذلك كله كان هناك ضيق أفق الطبقات الحاكمة ، التى رفضت اية دعوة اصلاحية ، واعتبرتها اتجاها « شيوعيا بلشفيا » ، وثمة مثال واضح على ذلك .. ففى سنة ١٩٤٠ ، تقدمت الحكومة الى مجلس النواب قانونا ينص على عدم السماح بالحجز على الضروريات اللازمة للفلاح الصغير ولمعيشته ، فثار النواب ، وصاح احدهم : « ان هذا القانون يعلم الناس الباطل والتضليل » ، وصاح آخر : « انا اعارض هذه القوانين التى تقدمها لنا الحكومة لانها قائمة على مبادىء بلشفية » [٢٦] .

بل ان واحدا من كبار الملاك هو **قلينى فهمى باشا** أصدر كتابا يعارض فيه تحسين حالة الفلاح أو الدعوة لتطوير القرية « فهذه مظاهر لا تفيد الفلاح ، بل تفسده ، لانها تؤخره عن عمله وتدعوه الى النفور من طبيعته الخشنة التى الفها وتعود عليها آباؤه وأجداده » [٢٧] .

وهكذا ادى ضيق أفق كبار الملاك ومطاردتهم لاية دعوة اصلاحية ، الى تمايز مفيد ، كان اليسار المصرى يسعى جاهدا لتحقيقه ، وكان هذا التمايز أحد أسباب الاسراع فى نشأة التنظيمات الماركسية الجديدة .

وفى مجال الثقافة والفن ، نلحظ أيضا تطورا هاما ، كانت ثقافة وفكر وفن كبار الملاك تعانى من التدهور والاضمحلال ، بينما عجز مثقفو البرجوازية المصرية عن ملء الفراغ سريعا ، وكان ذلك طبيعيا ، وكان مصدره الضغط الاقتصادى

---

[٢٢] الغزالى — المرجع السابق — صفحة ١٧٠ — ١٧٢ .
[٢٣] د . رفعت السعيد — عصام الدين حفنى ناصف — سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى . دار الثقافة الجديدة — صفحة ٦٦ .
[٢٤] مريت غالى — المرجع السابق صفحة ٧٢ .
[٢٥] علوبة باشا — المرجع السابق صفحة ٥١ .
[٢٦] الغزالى — المرجع السابق صفحة ٢٠٢ .
[٢٧] مجلة التطور — عدد مايو ١٩٤٠ .

لهذه الطبقة من ناحية ؟ ومن ناحية أخرى أن البرجوازية المصرية لم تنشأ من خلال صراع ضد كبار الملاك العقاريين ، وانما نشأت كامتداد لهم في كثير من المجالات ، وقد ادت ظروف اقتصادية واجتماعية عديدة الى أن نجد معظم الاسماء التى لمعت فى سماء الصناعة المصرية ، مثل عبود ، والشمسي ، واحمد عبد المقصود وغيرهم ، كانت لاشخاص يمتلكون فى نفس الوقت مساحات واسعة من الاراضى الزراعية ، لكن المالك الكبير الذي يستطيع ان يحول مدخراته تجاه الصناعة ، بحثا عن ربحية أعلي ، لا يستطيع بسهولة ان يغير من أفكاره واتجاهاته العقلية ، وهكذا نشأ في مصر طراز غريب من الراسماليين الذين يفكرون بعقلية كبار الملاك العقاريين ، وكان طبيعيا ان ينعكس ذلك على مثقفي ومفكري هذه الطبقة . . وكان طبيعيا أن تكون محاولات التجديد في مجال الفن والادب والثقافة ، بشكل عام ، مصحوبة بتمرد على كبار الملاك والرأسماليين على السواء . .

وكانت جماعة « الفن والحرية » أحد المظاهر الاساسية لهذا التمرد . وتبنت هذه الجماعة الاتجاه السيريالي في الفن التشكيلي ، معلنة « ان مدرسة السيرياليزم هي في صميمها دعوة لثورة اجتماعية أخلاقية ، قبل ان تكون مذهبا فنيا » [٢٨] .

وقد عبر أحد مؤسسي « الفن والحرية » عن طبيعة احساسه بالاوضاع في مصر ، فقال : « لقد فقدنا مقاييسنا البسيطة لقيم الاشياء ، في الوقت الذي لم نصل فيه الى خلق مقاييس جديدة تحل محل القديمة » [٢٩] .

وهو يدعو الرسام الى التعبير عن مشكلات مجتمعه ، ذلك انه « مالم يخرج الرسام من ركنه المنعزل وينزل من برجه العاجي ليواجه هذا العالم ويختبر مشكلاته ، ويعاني معه أزماته النفسية ، فانه لن يستطيع ان ينتج فنا معنويا قويا » [٣٠] .

وعندما أقامت جماعة « الفن والحرية » معرضها التشكيلي الثاني ، أعلنت في نشرة المعرض ان هدفها هو « اثارة التعجب فى أذهان الجماهير » ، « لان التعجب كثيرا ما يكون مقدمة لاثارة الوعي النفسى ولبعض الانقلابات الفردية والاجتماعية » [٣١]

واذا كان هدف الفنان التشكيلي هو « اثارة التعجب كمقدمة لبعض الانقلابات الفردية والاجتماعية » ، فقد حدد كتاب هذا التيار هدفهم بالحديث عن « الظلم الذى يلهب فينا العدل » .
وهكذا يكتب عصام الدين ناصف روايته « عاصفة فوق مصر » ، ليفضح فيها ظلم كبار الملاك ، حيث يصبح احد ابطالها منذرا بثورة اشتراكية وشيكة ، فقد حاول كتاب آخرون أن يبرزوا بشاعة المجتمع الرأسمالي الذى يقيم مدنا جميلة ومساكن أنيقة للاغنياء ، بينما الفقراء « اجسام بغيضة لا هياة فيها ، كانت المدينة تتعذب برؤيتهم ، كانوا اشبه ما يكونون بوخزات الضمير » [٣٢] .

وهكذا ، ومرة اخرى ، نجد المجتمع المصري وهو يتمرد بوضوح ضد الاوضاع القائمة . .

لمحة أخرى عن الاوضاع السياسية

كان الصراع بين الوفد [حزب الاغلبية البرلمانية] وخصومه يتركز فى هذه الفترة حول دستور سنة ١٩٢٣ . فالدستور يعنى انتخابات برلمانية ، والانتخابات تعنى حتما عودة الوفد الي الحكم . لكن الانجليز كانوا لا يريدون للوفد ان يعود للحكم . فكانوا ينظمون حملات لنقد دستور سنة ١٩٢٣ ، بل ويعلنون ان الوفد قد فقد جماهيريته . وردا على هذه الهجمات ، قرر الوفد — وربما للمرة الاولى منذ نشأته — اللجوء الى جماهيره الحزبية وحشدها وتعبئتها ، استعدادا للمعركة ، واظهارا لقوته وجماهيريته . ونظم الوفد « المؤتمر الوطني الوفدي الكبير » الذى عقد في يومي ٩ و ١٠ يناير سنة ١٩٣٥ ، وحضره من ٢٠ الي ٣٠ الف مندوب ، يمثلون لجان الوفد الفرعية ، والقى قادة الوفد — ولاول مرة أيضا — أبحاثا عميقة ، تناولت مختلف الشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية [٣٣] .

وقد اكسب هذا المؤتمر حزب الوفد سمعة عالية وجماهيرية كبيرة ، الامر الذى دفع جريدة « النيوستيتسمان » الانجليزية الى القول : « ان الوفد يبرز بعد احتجابه الاخير منظما تمام التنظيم ، ولا يلقى منازعا مهما فى الميدان ، فهو يمثل في مصر الدور الذى يمثله حزب المؤتمر في الهند » [٣٤] .

واخيرا تفجر الموقف بعد تصريح « هور » الوزير

---

[٢٨] قليني باشا — المرجع السابق صفحة ٤ .
[٢٩] رمسيس يونان — غاية الرسام العصرى — مطبوعات جماعة الدعاية الفنية ١٩٣٨ — صفحة ٤٢ .
[٣٠] المرجع السابق صفحة ٤٩ . [٣١] المرجع السابق صفحة ٥٠ .
[٣٢] مجلة الفنون — المجلد الاول — العدد الثانى — ربيع ١٩٧١ .. مقال محمد شفيق — رمسيس يونان وجيل التمرد صفحة ٨٠ .
[٣٣] البير قصيرى — قصة قتل الحلاق زوجته — مجلة التطور . ابريل ١٩٤٠ .
[٣٤] عبد العظيم رمضان — المرجع السابق صفحة ٧٧٣ .

البريطاني ، الذي قال : « لا صحة على الاطلاق لزعم الزاعمين اننا نعارض في عودة النظام الدستوري الى مصر بشكل يوافق احتياجاتها .. أجل ، اننا عندما استشارونا ، اشرنا بعدم اعادة دستوري ١٩٢٣ ، ١٩٣٠ ، ما دام الاول قد ظهر انه غير صالح ، وان الثاني لا ينطبق مطلقا مع رغبات الامة » [٣٥] .

وقد علقت الاهرام على هذا التصريح بأنه : « يعد من شر ما ابتليت به البلاد في جهادها » . وانفجرت المظاهرات في الشوارع ، ودعا طلاب الجامعة في مظاهراتهم الدامية ، والتي قتل فيها عدد من الطلاب والعمال ، الى ان تضرب كل الاحزاب عن تولي الحكم ، حتى يعود دستور سنة ١٩٢٣ .

وكانت احزاب الاقلية [البرلمانية] ترى ان المطالبة بعودة دستور سنة ١٩٢٣ ، « مؤامرة وفدية » ، وأعلنوا ان الخطير في تصريحات « هور » ، هو التدخل في شئون مصر ، ولهذا فلابد من معاهدة مع الانجليز تنظم العلاقات بين البلدين .

وفي ١٣ نوفمبر [عيد الجهاد الوطني] ، اعلن النحاس باشا ، في خطاب له امام جماهير حاشدة ان الوفد يدعو الامة كلها الى عدم التعاون مع الانجليز ، ويدعو الوزارة الى الاستقالة ، وان كل وزارة تقبل ان تتعاون مع الانجليز ، مع استمرار اعتداءاتهم على الدستور والاستقلال ، هي وزارة خارجة على البلاد ، وسوف يقاومها الوفد بكل ما يستطيع [٣٦] . وأضرب المحامون ، واحتجبت الصحف يوما عن الصدور ، احتجاجا على التدخل البريطاني . وحتى مستشارو محكمة استئناف مصر ، والقضاة المصريين في المحاكم المختلطة أصدروا هم ايضا بيانات احتجاج على بريطانيا ، وهكذا شهدت مصر ملامح عام ١٩١٩ من جديد .

وكانت الجامعة في هذه الاثناء تشهد تجمعات جديدة غير وفدية ، ولكنها معارضة للانجليز . فان فترة تخاذل حزب الوفد في مطلع الثلاثينات ، وخمود كفاحيته ، قد مكنت قوى سياسية جديدة من البروز « مصر الفتاة » ، « الحزب الوطني » [بعد ان تعزز بفوج جديد من الشباب] الاخوان المسلمين [ولم يكن لهم بعد نفوذ كبير في الجامعة] .

واستطاع طلاب الجامعة غير الوفديين ـ والوطنيين في نفس الوقت ـ ان يصوغوا شعار « الجبهة القومية » ، وكتبوا وثيقة بدمائهم ، يطالبون فيها زعماء الاحزاب بالاتحاد ، دفاعا عن الاستقلال .

ولقد كان الشعار مغريا وتلقفه ـ بل وربما دبره ـ زعماء احزاب الاقلية ، الذين سرعان ما تشبثوا به ، سعيا وراء حكومة ائتلافية ، بدلا او خوفا من انتخابات تأتي حتما بحكومة وفدية .

واصدر **محمد محمود باشا** [حزب الاحرار الدستوريين] ، بيانا في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، اعلن فيه ان « واجب السياسيين وأولي الرأي ان يستجيبوا لصوت الشعب ، وان يتخذوا الوحدة ويتخذوا الاستقلال ، رمزا لهذا العهد الجديد . وليذكر المصريون ان مصر وحقوقها فوق الاشخاص والاحزاب » [٣٧] .

كذلك اعلن **حمد الباسل باشا** ، باسم حزب السعديين ، ان الهدف هو توحيد الامة ، للحصول على الاستقلال ، والعمل على تحقيقه « وليس في ذلك اهمال بشأن الدستور ، ولا نسيان له ، لان تحقيق الاستقلال يستدعي قيام الدستور » [٣٨] .

وحتى **اسماعيل صدقي باشا** ، سفاح عام ١٩٣٠ ، وجد الجرأة ، كي يعتبر نفسه هو ايضا زعيما وطنيا ، واصدر نداء الى النحاس ومحمد محمود ، للاتحاد معا ، من اجل الاستقلال .

وحتى الملك دعا ممثلي الاحزاب ليقول لهم : « انني كملك لا اعرف احزابا ، ولا أعرف جماعات لا اعرف الا مصريين ، ولا أعرف الا مصر ، وكل المصريين متساوون في نظري » . ومضى الملك قائلا : « نعم هناك انتخابات ، نعم هناك برلمان ، ولكن الامر أصبح وقد لايستطاع معه التأخير ... فاذا ما تم الامر وانتهينا من القضية العامة ، كان في الاستطاعة ان تأخذ الانظمة الدستورية طريقها التقليدي المعتاد » [٣٩] .

وهكذا وضعوا الوفد في مأزق ... هو يريد الدستور والانتخابات فورا ، وهم يطالبون بجبهة قومية ! .. ومفاوضات مع الانجليز ، من أجل الاستقلال ...

وحاولوا خلق تناقض مصطنع .. « الاستقلال أم الدستور » .. لكن النحاس باشا لم يتراجع ، وفي ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، القى خطابا ، قال فيه : « لا يصح ان نخدع بأقوال معسولة ، بنداء الي وحدة .. علي اي شيء هذه الوحدة ؟ ... لا ... لسنا نخدع بذلك » .

---

[٣٥] الاهرام ـ ١٢/١١/١٩٣٥ .
[٣٦] الاهرام ١١/١١/١٩٣٥ .
[٣٧] الاهرام ١٤/١١/١٩٣٥ .
[٣٨] عبد الحميد المشهدي ـ صحيفة شوايق ـ صفحة ٤٦
[٣٩] المرجع السابق ـ صفحة ٤٦ .

... ما هى الوحدة ؟ .. الوحدة تمسك قلبى وعزم صحيح على دستور سنة ١٩٢٣ ، يقولون الاستقلال اولا ، فهل نكتفي بيما يترك الحكم لبعض المصريين اسما ، الذين لا يستندون الى الامة فى شيء ؟ .. كلا .. لا نقبل هذا مطلقا .. وأحب ان نعض على الدستور بالنواجز ، هذا طريق الوفد المرسوم .. وبدون ذلك لا نفهم وحدة ولا جبهة » [٤٠] .

ولقد كان الوفد من القوة بحيث استطاع ان يجبر الجميع على عودة دستور سنة ١٩٢٣ ، وفى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥ ، صدر المرسوم الملكى بعودة الدستور .

واستمر الوفد على رفضه لفكرة الوزارة الائتلافية ، وضغط حتى نجح فى التوصل الى وزارة « محايدة » شكلها علي ماهر ، لتجرى الانتخابات .. على ان يشكل وفد للمفاوضات يضم اغلبية من الوفد ، وممثلين للاحزاب الاخرى .

وفى مايو سنة ١٩٣٦ ، أجريت الانتخابات ، وحصل الوفد على ١٧٩ مقعدا فى مجلس النواب مقابل ٥٣ مقعدا لجميع الاحزاب الاخرى .. وشكل النحاس وزارته الثالثة فى ١٠ مايو سنة ١٩٣٦ .

وامام البرلمان الوفدى ، القى النحاس خطابا للعرش ، تميز بتطور جديد فى تبنى الوفد لشعارات ايجابية ، مثل الغاء ضريبة الخفر فى الريف — معالجة مشكلة الديون العقارية — انشاء بنك للتسليف الصناعي — المحافظة على التعريفة الجمركية — الغاء القوانين الاستثنائية — اصلاح القرية المصرية بانشاء قرى نموذجية ، وتوفير المياه الصالحة للشرب — استقلال القضاء وتعزيز حقوقه .

وكانت المفاوضات من أجل التوصل الى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، قد بدأت .. ولقد كان الانجليز حريصين على عقد معاهدة مع مصر ، تكفل لهم حقوقا « قانونية » ؟ .. تمكنهم من استخدام أراضي وموارد مصر فى حرب كان العالم أجمع يتوقع نشوبها . كما يرى البعض ان الزعماء المصريين كانوا حريصين هم أيضا على توقيع معاهدة مع الانجليز ، ليس فقط من أجل الحصول على مكاسب جديدة [مثل الغاء الامتيازات الاجنبية ، والتأكيد على الاستقلال السياسى ... الخ] ، وانما أيضا لانهم شعروا بالانزعاج من النفوذ الايطالى القريب فى ليبيا ، ثم الغزو الايطالى للحبشة [حيث موارد النيل] ، وحيث الحدود ملاصقة للسودان ، الامر الذى دفعهم لطلب نوع من الضمان البريطانى [٤١] .

وبرغم ذلك ، فقد تعرضت معاهدة سنة ١٩٣٦ لهجوم شديد من بعض المصريين ، الامر الذى دفع انصار الوفد الى المبالغة الشديدة فى تمجيدها . وكتب **د . محمد عبد الله العربى** ، أستاذ القانون العام بكلية الحقوق ، دراسة بعنوان : « المعاهدة من الوجهة القانونية — معاهدة ٢٨ اغسطس سنة ١٩٣٦ ، تحقق لمصر استقلالها التام وسيادتها الكاملة » [٤٢] .. وقام بعد ذلك بطبعها فى كتاب أهداه « الى بطل الاستقلال الرئيس الجليل والزعيم الموهوب صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا » .

بل ان احد كتاب الوفد قد بالغ الى حد اهداء كتاب له عن المعاهدة « الى محرر مصر .. ومن غير « مصطفى النحاس » حرر مصر ، منذ غزاها الفرس .

ان اربعة وعشرين قرنا لتخر خاشعة بين يدى القائد الموفق وعلم الجهاد الخفاق ورسول السلام والوفاق وبطل سيشل وعميد الوفد ، ورمز الوحدة الوطنية وصاحب الرياسات الجليلة ومنقذ الدستور وبطل الجلاء ... الخ » [٤٣] .

وكان طبيعيا ، بعد كل هذا التمجيد ، ان يتساءل الكاتب الوفدى : « كيف نشكو من وجود طيارات الحليفة تدرأ الاذى عن البلاد ، ما دامت لم تكتمل لدولتنا الناشئة ، الاسراب الكافية لصد غارات الدول الغازية ، المجهزة بآلاف الطيارات ، كيف نشكو من « ضيافة » عشرة آلاف جندى ... الخ » [٤٤] .

وكان طبيعيا أيضا ، بعد كل هذا التمجيد ، أن يستشعر الملك الشاب ، الحرج من نفوذ النحاس وكان النحاس الذى اكتسب نفوذا شعبيا لا مثيل له فى هذه الفترة ، قد تذكر التراث « الليبرالى » فى الموقف من الحكم « الاوتوقراطى » ، وبدأ يتعمد ان يعامل الملك بصورة مهينة . وثمة قصص عديدة تروى حول هذه المعاملة « الليبرالية » للملك ، والتي اتسمت بموقف معاد لنفوذ السراى ومحاولة لاعطاء كل السلطة للوزارة الممثلة لاغلبية البرلمان . وخلال زيارة الملك للصعيد ، أصدر وكيل وزارة الداخلية البرلمانى ، تعليمات الى

[٤٠] المرجع السابق — صفحة ٤٧ .
[٤١] عبد الحميد المشهدى — المرجع السابق — صفحة ٤٨
[٤٢] يوزباشى سلاح نصر — يوزباشى كمال الدين الحناوى — الشرق الاوسط فى مهب الريح [دراسات استراتيجية] — مكتبة النهضة — الطبعة الاولى عام ١٩٤٩ — صفحة ٦٤ .
[٤٣] الجهاد — اعداد شهر سبتمبر ١٩٣٦ .
[٤٤] عبد الحليم الياس نصير — عهد الاستقلال — مطبعة عبد الحليم حسن عام ١٩٣٦ — صفحة ٩ .

مديرى الاقاليم التى سيزورها الملك ، بالا يقيموا زينات ، لان ميزانية المجالس البلدية لا تحتمل نفقات جديدة . وقام الملك بجولته وحيدا هو ورجال حاشيته ، دون ان يرافقه اى وزير . وتحت ضغط الوفد ، قبل الملك التنازل عن ثلث مخصصات القصر ، بل ان الحكومة قد اعترضت على تعيين مهندس ميكانيكى فى القصر الملكى ، كتأكيد لسلطانها على موظفى السراى [٤٥] .

ولقد وصل الامر بالعلاقة بين الملك الشاب فاروق والنحاس ، الى حد ان دافيد كيلى مستشار دار المندوب السامى البريطانى كتب فى مذكراته يقول : « .. لقد اسر لى صديقى حسنين باشا يوما ، بأن الملك فاروق يبكى من الاهانة حينما كان يلمس فى الصحف اهتماما بالنحاس اكثر من الاهتمام بشخص الملك » [٤٦] .

وكان طبيعيا ان تنجح الدسائس التى حاكها على ماهر ، والعناصر الموالية للمحور لاسقاط حكومة النحاس .. وفى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٧ ، اقال الملك فاروق حكومة النحاس باشا بصورة مهينة ، اذ ارسل له خطاب اقالة يقول فيه : « نظرا لما اجتمع لدينا من الادلة على ان شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم ، وانه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمسايتها ، وتعذر ايجاد سبيل لاصلاح الامور على يد الوزارة التى ترأسونها ، لم يكن بد من اقالتها » .

والحقيقة ان هذه الاقالة ــ غير المهذبة ــ من جانب فاروق ، لم تكن مجرد تعبير عن انتهاك سريع لمبادىء دستور سنة ١٩٢٣ ، ونفاد صبر من حكم الوفد صاحب الاغلبية البرلمانية كلها ــ وهذا هو الخطير فى الامر ــ كانت ايضا تعبيرا عن امتداد نفوذ المحور الى السراى ، وبداية لفترة لعبت فيها بعض العناصر القريبة من المحور دورا هاما فى السياسة المصرية .

فعلى ماهر ، المدبر الاصلى لهذه المؤامرة ، تقول المخابرات الانجليزية عنه ، انها اكتشفت فى الوثائق الالمانية « انه كان يحصل على مبالغ مالية عن طريق بنك درسدنر DRESDNER » [٤٧] .

ولم يكن **على ماهر** وحده ، فقد كان هناك ايضا احمد كامل باشا ، الذى يقول عنه اللورد كرومر فى تقريره الى وزارة الخارجية البريطانية « عينه على ماهر مديرا عاما لبلدية الاسكندرية فى اغسطس سنة ١٩٣٩ » واتهم بميله الى المحور » [٤٨] .

ويقول كرومر ايضا فى تقريره السابق ، ان عبد الرحمن عزام باشا « كان معروفا عنه اتصاله الوثيق بعلى ماهر باشا » بل اتهم باجراء اتصالات مشبوهة بقوات المحور » [٤٩] .

ويقول كرومر ايضا ان **محمود عزمى** اصدر فى مارس سنة ١٩٣٦ ، صحيفة اسبوعية ، قيل انه تلقى العون فى اصدارها من الايطاليين . ومحمود ابو الفتح « قيل انه فى وقت من الاوقات يأخذ اموالا من الايطاليين » [٥٠] .

والنبيل عباس حليم الذى يقول كرومر انه « زار المانيا فى صيف سنة ١٩٣٨ ، وحضر مؤتمر الحزب النازى فى نورمبرج » [٥١] .

والحقيقة ان النفوذ الفاشستى كان قد وجد لنفسه سبيلا الى مصر منذ امد طويل .. فالجالية الايطالية والمدارس الايطالية كانت تلعب دورا هاما فى المجتمع المصرى ، وقد استفاد الفاشست من هذه الحقيقة ، واستغلوها استغلالا كبيرا .

وقد كانت الطبقات الارستقراطية المصرية تفضل ان ترسل ابنائها الى مدارس اجنبية ، ويمكن ملاحظة خطر هذه المدارس من الاحصائية التالية عن عدد المدارس الانجليزية والالمانية والايطالية فى مصر عام ١٩٣٤ [٥٢] :

الجنسيه	عدد المدارس	عدد التلاميذ
انجليزية	٣٩	٤٤٥٤
المانية	٥	٤٥٤
ايطالية	٥٧	١٠٫٦٨٨

ثم تصاعد عدد المدارس الايطاليه فى عام ١٩٣٧ ، ليصل الى ٦٤ مدرسة [٥٣] .

وثمة وقائع تؤكد ان الفاشست قد اقاموا لهم تنظيما بين الجالية الايطالية فى مصر ، وفى مجلة اللطائف المصورة خبر يقول « ... صورة الطيارة الايطالية البحرية التى وصلت الى مصر فى طريقها الى مصوع ، وقد حطت رحالها على ضفة النيل ،

[٤٥] المرجع السابق ــ صفحة ١١٣ .
[٤٦] عبد الحميد المشهدى ــ المرجع السابق ــ صفحة ٦٦
[٤٧] محمد عودة ــ المرجع السابق ــ صفحة ١٥٤ .
[٤٨] Kirk, G., The MIDDLE EAST IN THE WAR 1939-1945 (London 1953) pp. 34
[٤٩] رأى السفير البريطانى منذ ٣٠ سنة فى ١٥٠ سياسيامصريا . الاهرام ــ ١٩٧٠/٢/١٢ .
[٥٠] الاهرام ١٩٧٠/٢/٦ [جزء من التقرير المشار اليه فى المرجع السابق وقد نشره الاهرام فى حلقات اسبوعية] .
[٥١] الاهرام ــ المرجع السابق
[٥٢] الاهـرام ــ تقرير كرومر ــ المرجع السابق ــ ١٩٧٠/٢/١٣ .
[٥٣] عبد الحميد فهمى مطر ــ المرجع السابق صفحة ١٩١

واقبل شبان الفاشستت الايطاليين فى القاهرة للاحتفال بطيارها » [٥٤] .

ونظم المحور وعملائه حملة دعاية واسعة ، امتدت الى كثير من الصحف والمجلات والكتب .

ان قوائم المطبوعات التى صدرت فى هذه الفترة ، تحوى عددا من الكتب التى تدعو للفاشية وتمجدها [٥٥] .

ثم بدات التنظيمات شبه الفاشية فى الظهور .. فالاخوان المسلمين انشأوا تنظيما شبه عسكرى للجوالة ، وعباس حليم يعمل على تشكيل فرق خاصة من الشبان يطلق عليها اسم « جيش الخلاص » ، تلقت تدريبا عسكريا شبيها بنظام الكشافة ... وفرض على الاعضاء تحية خاصة برفع قبضة اليد [٥٦] .

ثم أسس أحمد حسين تنظيم « القمصان الخضر » ، وهو تنظيم شبه فاشستى ايضا ، لكن الخطير فى الامر هو ان الوفد قد انجرف هو أيضا فى هذا التيار ، فأسس تنظيم « القمصان الزرق » ، الذى ضم حوالى ١٠,٠٠٠ عضو [٥٧]

وكانت هناك ايضا تجمعات من الضباط المصريين الموالين للمحور ، وكان الاب الروحى لهذه التجمعات **عزيز المصرى باشا** ، وكان قد عين مفتشا عاما للجيش المصرى ، وفى سنة ١٩٣٩ ، عينه **على ماهر** رئيسا لاركان حرب الجيش ، ثم احيل على المعاش فى عهد حكومة **حسين صبرى** بناء على طلب الانجليز . وكان عزيز المصرى على علاقة بجماعة « مصر الفتاة » ، ويروى احد زعماء هذه الجماعة ، وهو **محمد صبيح** ، ان عزيز المصرى قد اتصل بهم وطلب « ان نجتهد فى البقاء خارج المعتقلات والسجون ، وان نحافظ على مخازن اسلحتنا » .. وقال : « ان محاولات ستبذل لكى يسافر الى الخارج ، واذا نجحت ، فسيتصل بنا عن طريق الراديو » [٥٨] ..

ونلاحظ أيضا ان احد الذين رافقوا عزيز المصرى فى محاولة الهرب المشهورة ، بهدف الاتصال بالمحور ، كان الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف ، وهو أحد مؤسسى نشاط الاخوان المسلمين فى الجيش .

لقد تحالفت كل هذه القوى لتنتهز فرصة التقدم السريع للقوات الالمانية فى اتجاه الاسكندرية ، لتحاول ان تحدث التحول الذى خطط له المحور طويلا .. وهو حركة معززة من السراى فى اتجاه المحور ..

وفى يوم ١ فبراير سنة ١٩٤٢ ، طافت فى القاهرة مظاهرات مكونة أساسا من طلاب الازهر الذين تحركوا بايعاز من **الشيخ المراغى** ، أحد اقطاب القصر الملكى ، وذو الميول المحورية ، وحليف على ماهر ، وكانت المظاهرات تهتف « الى الامام يا روميل .. على ماهر رجل الساعة » .

وردا على ذلك تحركت دبابات الانجليز لتحاصر القصر الملكى ، وتجبر الملك — هذه المرة — على استدعاء النحاس باشا لتأليف الوزارة .

والحقيقة أن كلاما كثيرا قد قيل حول هذه المسألة ، واستخدمها خصوم الوفد بكثرة ، مستغلين المشاعر المصرية المعادية للاحتلال الانجليزى ، لكننا عندما نحلل الاحداث فى ضوء مؤامرة أنصار المحور ، وانغماس السراى فيها ، وخطر اقتراب القوات الالمانية من الاسكندرية ، نستطيع ان نفهم كيف اضطر الانجليز الى العمل مكرهين على الوصول بالنحاس باشا — عدو الامس — الى مقعد الوزارة من جديد .

والذى نود أن نشير اليه فى هذا الصدد ، ان تجمعات اليسار والعناصر الماركسية المصرية ، قد حملت طوال فترة الثلاثينات عبء مقاومة النشاط الفاشى وكشفه .

وفى مطلع الثلاثينات ، تأسست فى القاهرة والاسكندرية جماعة باسم « **جماعة مناهضة العداء للسامية** » ، تركز نشاطها أساسا وسط التجمعات الاجنبية ، ومن هذه الجماعة ، انفصلت مجموعات يسارية وماركسية ، بدأت بمجرد العداء للفاشية ، ثم تطورت الى الاقتراب من الماركسية ..

---

[٥٤] المرجع السابق — صفحة ٢٦٣ .

[٥٥] اللطائف المصورة — ٧ مارس ١٩٢٧ .

[٥٦] راجع المزيد من التفاصيل — عايدة ابراهيم نصير — الكتب العربية التى صدرت فى مصر بين عامى ١٩٢٦ — ١٩٤٠ — رسالة ماجستير غير منشورة .

[٥٧] رؤوف عباس — المرجع السابق — صفحة ٢١٤ .

[٥٨] د . محمد انيس — دراسة خاصية من ٤ فبراير « الاهرام » ١٩٦٧/٢/٩ .

وتقدم الماركسيون المصريون ايضا لاداء هـذا الواجب ، وكان من أبرزهم عصـام الدين حفنى ناصف ، الذى أصـدر عدة كتب ، ونشر عشرات المقالات لادانة الفاشية وكشفها .

كذلك كان « **اتحاد أنصار السلام المصريين** » الذى تكون فى عام ١٩٣٦ ، من عناصر ماركسية ، أحـد القوى النشـيطة فى العمل ضد التيـار الفاشستى ، بل انه قد حاول تنظيم حملة للتطوع فى صفوف الجمهوريين الاسبان ..

وكان « **النـادى الديمقراطى** » واحدا من أهم التجمعات الماركسـية لتنظيم النضال الجماهيرى ضد الفاشية ، وقد تميز على غيره من المحاولات الاخرى بجماهيريته وقدرته على استيعاب عناصر مصرية لعبت فيما بعد دورا أساسيا فى نشـأة الحركة الماركسية الحديثة فى مصر .

والحقيقة ان فترة الثلاثينات ــ بكل ما حملته من تغييرات ــ كانت فترة اختبـار فكرى جديد للمجتمع المصرى بأكمله .

فاذا كانت الازمة الاقتصادية الساحقة قد هزت كل اركان النظام الرأسمالى العالمى ، فانها قـد تركت نفس الاثر فى مصر ، لكن الفكر الرأسمالى فى مصر كان لا يزال حـديث الولادة ، فجـاءت الازمة الاقتصادية لتهز اعتقاد الكثيرين فى صحته وبحثـا عن بديل اتجه الكثيرون من مفكرى كبار الملاك والبرجوازية الى النزعة الاسلامية ، ولعل هذا يفسر لنـا لمـاذا اندفع هؤلاء المفكرين ، مثل **حسين هيكل ــ العقـاد ــ طه حسين** .. الخ ، فى تيـار الدراسـات الاسـلامية ، فقد افلست الرأسـمالية ، بينما الاشـتراكية ــ من وجهة نظرهم ــ مرفوضـة ، والسـبيل هو البحث عن طريق ثالث .

وفى هذه الاثناء ، نشأت تجمعـات اسـلامية كثيرة ، مثل الاخوان المسلمين و « **شباب سـيدنا محمد** » ، بل ان التجمعـات الجديدة للبرجوازية الصغيرة ، مثل « **مصر الفتاة** » ، اتخذت فى هذه الفترة مسـحة اسـلامية هى الاخرى ، فأحمد حسين قد غير اسم حزبه خلال هذه الفترة ، الى « الحزب الوطنى الاسـلامى » ، مطالبا بأن تكون « الشريعة الاسلامية الاساس الاول والاخير لكل قوانيننا » [٥٩] .

وتبرز فى هذه الفترة تيارات شـبه فاشية ، بعضها سـافر ، مثل « مصر الفتاة » ، التى كتب قائدها أحمد حسين يقول : « يا شـعب مصر .. يا أمجد شعب فى الوجود وأعظمه .. لقد حانت ساعة اليقظة .. ليكن صـوتنا مدويا .. ولتكن صرختنا من الاعماق .. وليكن ايمـاننا حارا يدك الجبال .. وليكن شعارنا مصر فوق الجميع »[٦٠]

لكننا نلاحظ ان هؤلاء الذين صرخوا من الاعماق « **مصر فوق الجميع** » ، سرعان ما وجدوا أنفسهم فى تناقض حاد مع الدعاوى الشوفينية للنازية ، والتى تضع الشعب المصرى والسلالة السـامية عموما فى مرتبة منحطة .

كذلك يتعين ان نضع فى اعتبارنا ان كثيرا من الذين اتجهـوا نحو الفاشـية ، كانوا مدفوعين بتصور فج للتعاون مع الفاشية لتحرير مصر من الانجليز .

واذا كان هذا التعاون مع الالمان ضد الانجليز قد أصبح شـعارا لبعض جمـاعات البرجوازية المصرية ، فان الجمـاعات البرجوازية الاخرى كان شـعارها الارتماء فى أحضـان الانجليز ضد الفاشية أحيانا تحت شـعارات وطنية تقول بكسب ود الانجليز فى محنتهم ، حتى اذا ما انتهت الحرب كنا على حق كامل فى المطالبة بالاستقلال وأحيانا تحت شـعارات ديمقراطية ، مثل مقاومة الفاشية ونزعاتها .

وفى هذه الاثناء ، قدم الماركسـيون المصريون شعارا جديدا ، يطالب بأوسع جبهة للنضال بحزم ضد الفاشـية ، وفى نفس الوقت ادانة الاحتلال البريطانى لمصر . وتبلور ذلك فى شعار « ضـد الفاشـية ولكن ليس مع الانجليز » ، وكان ذلك يعنى فى التطبيق ادانة الاحتلال نظريا وسياسيا

---

[٥٩] روز اليوسف ٢٣/١/٥١ ــ مذكرات الدكتور الطيب ناصر .
[٦٠] عبد العزيز الدسوقى ــ احمد حسين ــ مطبعة دارالفكر الحديث ــ ١٩٥٢ ، صفحة ١٢٦ .
[٦١] الصرخة ــ ٢١/١٠/١٩٣٣ .

دون اتخاذ خطوات عملية قد تؤدى الى اعاقة المجهود الحربى للحلفاء .

ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد فى الشعارات ..

فالبرجوازيون المصريون جميعا ، هم وكبار الملاك ، كانوا يرفعون شعار « **وحدة وادى النيل — ملك واحد — نيل واحد — شعب واحد** » .. وفى مواجهة ذلك ، رفع الماركسيون شعار « **الاستقلال التام — الكفاح المشترك مع الشعب السودانى — مع منحه حق تقرير المصير** » .

وفى مواجهة شعار محاربة « الفقر والجهل والمرض » ، الذى بدأت البرجوازية تثير ضجة كبيرة حوله ، رفع الماركسيون شعارات الاصلاح الزراعى وتأميم وسائل الانتاج .

وكان هذا التمايز الفكرى الذى حققه الماركسيون ، تعبيرا عن واقع جديد ، بدأت تظهر ملامحه بوضوح فى وجدان المجتمع المصرى ، وهذا الواقع عبرت عنه الانقسامات المتتالية فى حزب الوفد ، والتخبط الذى أصاب سياسته ، ونقصان جماهيريته الى حد كبير ، وخاصة بعد حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، وتضاؤل كفاحيته كحزب وطنى مناهض للاستعمار ، وتركز كل هم قادته فى العودة الى السلطة من جديد ..

واذا كانت التجمعات السياسية الاخرى ، اما مرتبطة بسياسة الاحتلال ، أو مشبوهة بعلاقات مع المحور ، أو ذات اتجاهات وبرامج ضيقة الافق بحيث تعجز عن استيعاب الانطلاق الفكرى للمثقفين المصريين الشباب ، فقد كان هؤلاء المثقفون فى حالة بحث عن طريق جديد .

وفى هذه الفترة بالذات ، وضعت اللبنات الاولى فى تنظيم الضباط الاحرار .. وفيها أيضا تأسست التنظيمات الماركسية المصرية الحديثة .

وباختصار ، فان المجتمع المصرى كان فى هذه الاثناء يبحث عن قيادة جديدة ..

وعندما انتهت الحرب ، كان الجميع ينتظرون اندلاع ثورة تشبه ثورة سنة ١٩١٩ ، للمطالبة بالاستقلال التام .. وكان شعب مصر يرزح تحت وطأة أزمة اقتصادية عنيفة ، والاسعار فى ارتفاع مخيف ، وبانتهاء الحرب ، انتشرت جيوش العمال المتعطلين الذين عملوا بأعداد كبيرة فترة الحرب فى معسكرات وورش قوات الحلفاء ، وكان جنود الحلفاء يملأون شوارع القاهرة والاسكندرية وكل المدن ، بصورة تستفز المشاعر الوطنية .

وفى ظل كل ذلك ، كانت كل احزاب وتجمعات البرجوازية وكبار الملاك تركز آمالها فى مفاوضات جديدة مع الانجليز ، وهكذا كانت تعزل نفسها عن الحركة الحقيقية للمجتمع .

وفى هذه الاثناء كانت مدافع حماة **ستالينجراد** قد أيقظت مشاعر الكثيرين فى مصر تجاه الاشتراكية ، وكان الانتصار الساحق للقوات السوفيتية مثار اعجاب الكثيرين ، وكان النشاط النقابى والعمالى يتعاظم ، وتأسس من جديد اتحاد عام لنقابات العمال ، يلعب فيه الماركسيون دورا اساسيا ، وبدأت التنظيمات الماركسية تمارس نشاطا ايجابيا فى صفوف العمال والمثقفين المصريين ..

واقترب موعد افتتاح الجامعة فى اكتوبر سنة ١٩٤٥ ، وامتلأت شوارع القاهرة بكتابات على الجدران تدعو طلاب الجامعة للثورة ضد الاحتلال ، وتهيأ الجميع لانتظار الحدث الكبير ، الى حد ان التنظيم الماركسى « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ، قد وزع منشورا موجها الى « ضباط وجنود الجيش والبوليس » ، فى يوم ٥ اكتوبر سنة ١٩٤٥ ، أى صبيحة افتتاح الجامعة ، يدعوهم فيه الى عدم التعرض للطلاب الذين سيثورون دفاعا عن الاستقلال ..

لكن الجامعة افتتحت ، ولم يحدث شيء . فالوفد الذى كان يملك السيطرة الفعلية على جماهير طلاب الجامعة ، لم يكن قد ضمن مخططه أية اعمال ثورية ، منشغلا باظهار اعتداله ، حتى يرضى الانجليز بعودته الى الحكم .

واذا كان بعض الساسة قد اعتبروا ان منشور ٥ أكتوبر دليلا على مبالغة التنظيم الماركسى وافراطه فى التفاؤل ، فان هذا التنظيم قد اعلن على الفور ان الجامعة كان يجب لها ان تتحرك ، وان عدم تحركها لا يعنى الا شيئا واحدا ، هو سقوط قيادة الاحزاب البرجوازية ، ومن بينها حزب الوفد ، وعجزها عن قيادة النضال الوطنى ، ويطرح شيئا محددا ، هو خلق قيادة وطنية ديمقراطية جديدة ، قادرة على ان تكون طليعة لجماهير الشعب فى نضاله ضد الاستعمار ، وهكذا تكونت « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » ، وهو التنظيم الجماهيرى الذى قاد المد الثورى العارم فى نهاية عام ١٩٤٥ ، وطوال عام ١٩٤٦ ، والذى نجم عنه جلاء القوات الانجليزية من المدن المصرية ، واقتصار وجودها على منطقة القنال .

ملف
الطليعة

اتحاد الجمهوريات السوفيتية

المسألة القومية وقضية الأممية

بمناسبة مرور خمسين عاما على قيام اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية .. تقدم الطليعة ملفا خاصا عن الدولة التى جاء تأسيسها تجسيدا لنضال طويل من أجل حماية الثورة الاشتراكية ، ومحصلة لكل نضال خاضته البلاد السوفيتية منذ انتصار ثورة أكتوبر ضد الامبريالية والرأسمالية ، ومن أجل حل مشكلة القوميات فى البلاد السوفيتية ودعم حركة التحرر المعادية للامبريالية والاستعمار .



اشترك فى اعداد هذا الملف :

حسين شعلان — عبد المنعم الغزالى
لطفى الخولى — د. مراد وهبة
محمود عزمى — وديع أمين

خطوات تأسيس
اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية

ان انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية فى ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر) عام ١٩١٧ فى روسيا لم يكن انتصارا للكادحين الروس فحسب ، بل ولجميع الكادحين الذين كانوا يعانون من الاستغلال الطبقى والاضطهاد القومى داخل الامبراطورية الروسية القيصرية .

وقد اعلنت الحكومة السوفيتية منذ اليوم الاول . انها حكومة طبقية ، وان الشعب الكادح من العمال والفلاحين والجنود ، هم اصحاب السلطة الجديدة ، وان سياسة الحكومة ستوجه طبقا لارادتهم وتحقيقا لرغباتهم ، وفقا لمبدأ الديمقراطية الاساسى ، مبدأ سيادة الاغلبية الشعبية .

● وشرعت السلطة السوفيتية على الفور فى وضع برنامج الحزب الشيوعى الخاص « بالمسالة القومية » موضع التنفيذ الفعلى . وجاء فى « مرسوم السلام » الذى اعلنه المؤتمر الثانى لسوفيتيات نواب العمال والجنود لعاملة روسيا فى ٢٦ـ١٠ (٨ نوفمبر) ١٩١٧ : « وفقا لروح العدالة الديمقراطية بوجه عام وعدالة الطبقات الكادحة بوجه خاص ، تفهم الحكومة من عبارة ضم أو اغتصاب اراضى اجنبية ، كل محاولة من جانب دولة كبيرة أوقوية لضم أمة صغيرة او ضعيفة دون ان تبدى هذه الامة موافقتها الاختيارية الصريحة المحددة ، بغض النظر عن الوقت الذى حدث فيه ذلك الضم بالاكراه ، وبغض النظر عن درجة تقدم أو تأخر هذه الأمة التى تضم بالقوة ــ أو تستبقى بالقوة ــ داخل حدود تلك الدولة واخيرا ، وبغض النظر عما اذا كانت هذه الامة تقع فى اوربا أو فى بلاد بعيدة فيما وراء البحار .. واعتبر مرسوم السلام أيضا : « أنه مما يدخل فى باب الضم أو الاستيلاء قيام سيادة اجنبية على شعوب تطالب بالاستقلال ، سواء عبرت عن تلك الرغبة فى الصحف او فى الاجتماعات العامة او فى قرارات

الاحزاب ، أو بالاحتجاجات والانتفاضات ضد الاضطهاد القومي » .

● وفي ١٥ نوفمبر ١٩١٧ ، اعلن مجلس مفوضي الشعب (مجلس الوزراء) « اعلان حقوق شعوب روسيا » تنفيذا لقرارات مؤتمر السوفييتات ، فيما يتعلق بمسألة القوميات على المبادئ التالية :

١ - المساواة والسيادة لشعوب روسيا .

٢ - حق شعوب روسيا في تقرير مصيرها بحرية ، بما فيه الانفصال وتأليف دولة مستقلة .

٣ - الغاء جميع الامتيازات والقيود القومية ، والقومية الدينية أيا كانت .

٤ - حرية تطور الاقليات القومية والاقوام القاطنة في اراضي روسيا .

● وفي ١٨ يناير ١٩١٨ قرر المؤتمر الثالث لسوفيتات نواب العمال والجنود والفلاحين في عموم روسيا قيام جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية . واعلن المؤتمر : أن جمهورية روسيا السوفيتية تقوم على اساس الاتحاد الحر للقوميات الحرة كاتحاد فيدرالي للقوميات السوفيتية (وكانت روسيا السوفيتية ذاتها جمهورية اتحادية ، انشئت فيها بعض القوميات وجمهوريات ذات حكم ذاتي ، وانشئت فيها مقاطعات ودوائر قومية ذات حكم ذاتي) وقال لينين في ختام المؤتمر : « اننا نحكم . لانفرق طبقا للقوانين القاسية لروما القديمة . بل نربط بين الشغيلة بروابط متينة من المصالح الحيوية والوعي الطبقي ، ان اتحادنا ، دولتنا الجديدة . اقوى من سلطات العنف ، التي توحد اصطناعيا بالكذب والحديد والنار ، بين الدول في تكتلات يحتاج اليها الامبرياليون » .

واشار لينين : اننا نريد تحالفا اختياريا بين الامم . تحالفا لا يسمح بای عنف تمارسه أمة ضد اخرى ، تحالفا يقوم على الثقة المطلقة ، على الادراك الواضح للوحدة الاخوية ، على الموافقة الطوعية تماما ، ولا يمكن لمثل هذا التحالف ان يتحقق دفعة واحدة . انما يجب الوصول اليه بعمل مفعم بالصبر والاحتراس ، لكي لا نفسد الامور ، لكي لا نثير الحذر ، لكي نفسح المجال لازالة هذا الحذر الذي خلفته قرون من الاضطهاد ، مارسه الملاك العقاريون والرأسماليون ، والملكية الخاصة والضغائن الناجمة عن عمليات اقتسامها

واعادة اقتسامها » . وقد اصبحت قرارات المؤتمر أساسا لدستور اتحاد الجمهوريات فيما بعد .

● وفي خلال الفترة من ٢٥ اكتوبر عام ١٩١٧ حتى منتصف عام ١٩١٨ ، أعربت اقسام من الامبراطورية الروسية القديمة مثل فنلندا وبولندا عن رغبتها في الانفصال التام عن روسيا السوفيتية ، وتم ذلك بالفعل ، وظهور جمهوريات ذات حكم ذاتي في اطار روسيا الاتحادية ، في تركستان وياقوتيا واقاليم مثل كومي وبورياتيا وغيرهما ، وكون شعبا اوكرانيا وبيلوروسيا وأذربيجان وامينيا وجورجيا ، كذلك انبثقت ، جمهوريات سوفيتية مستقلة في ليتوانيا ، ولاتفيا ، واستونيا ، أقامت صلات وثيقة مع روسيا السوفيتية ، ولكن سرعان ما منيت السلطة السوفيتية في اوكرانيا وليتوانيا ولاتفيا واستونيا بالهزيمة نتيجة احتلال الالمان بالتعاون مع القوى الرجعية في الداخل ، وتشكلت فيها حكومات بورجوازية رجعية ، وبمساعدة الشعب الروسي والجيش الاحمر تم طرد الغزاة ، وتكونت في هذه الجمهوريات حكومات من العمال والفلاحين - وفي مرحلة الحرب القاسية ضد قوى الثورة المضادة في الداخل والتدخل العسكري للقوى الامبريالية العالمية (١٩١٨-١٩٢٠) تكون وتدعم الكفاح العسكري المشترك بين جمهورية روسيا السوفيتية والجمهوريات السوفيتية المستقلة الاخرى ، واستطاعت ان تصمد بفضل المساندة والمساعدة المتبادلة .

● وفي ١٠ يوليو ١٩١٨ ، أصدر المؤتمر الخامس لسوفيتات عموم روسيا ، دستور جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية ، الذي اعد تحت اشراف لينين ، وقنن الدستور الجديد حرية وتساوى الامم ، وعدم السماح بأية امتيازات أو ميزات للمواطنين على أساس انتمائهم العضوي أو القومي ، وحظر اى مظهر من مظاهر اضطهاد الاقليات القومية .

● وفي ٢٦ يناير ١٩١٩ ، اعلنت حكومة العمال والفلاحين الاوكرانية : التزامها بوحدة النضال الثوري الطبقي مع العمال والفلاحين الروس ضد العدو المشترك ، وان القضاء الكامل على البورجوازية الروسية وكبار الملاك العقاريين الروس هو شرط لتدعيم سلطة العمال والفلاحين لا في روسيا وحدها بل في اوكرانيا أيضا .

● وفي ١ يونيو ١٩١٩ ، اصدرت اللجنة التنفيذية المركزية لعموم جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية ، بالاشتراك مع ممثلي

الحكومات السوفيتية فى اوكرانيا وبيلوروسيا ولاتفيا وليتوانيا مرسوما لتوحيد الكفاح العسكرى المشترك فيما بينهما ضد الامبريالية العالمية وقوى الثورة المضادة فى الداخل ، وقد تم بناء على ذلك توحيد التنظيم العسكرى ، والقيادة العسكرية ومجالس الاقتصاد الوطنى وادارات النقل والمالية والعمل •

● وفى ٣ ديسمبر ١٩١٩ ، اتخذ مؤتمر السوفيتات السابع لعموم روسيا قرارا « **حول الامم المضطهدة** » اعلن فيه : ان جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية بوجودها بين اوربا الرأسمالية ، وشعوب آسيا التى تستعبدها الامبريالية ، تعتبر سندا لها فى نضالها من اجل التحرر من الظلم القومى » ، وقد اعتبرت روسيا الاتحادية ان هذا هو واجبها الاممى الهام ،وقدمت بالفعل مساعدات مالية واقتصادية للجمهوريات السوفيتية ، والى دول اخرى مثل : افغانستان وتركيا ومنغوليا ، هذا بالرغم من الصعوبات الاقتصادية التى كانت تعانيها جمهورية روسيا الاتحادية فى تلك السنين •

● واصبح الاتحاد العسكرى الكفاحى للجمهوريات أساسا لتدعيم العلاقات بين شعوب القوميات المختلفة ولقد أشار لينين فى « مشروع توجيهات اللجنة المركزية بشأن الوحدة العسكرية » ان القيادة الواحدة لكل فصائل الجيش الاحمر ، والمركزية الصارمة فى استخدام كل قوى وموارد الجمهوريات الاشتراكية هما شرط ضرورى لنجاح النضال والدفاع ضد العدو المشترك ـ الامبريالية العالمية والثورة المضادة الداخلية التى تؤيدها الامبريالية ، والاسحقنا الامبرياليون وخنقونا على حدة •

● **ولقد تطورت العلاقات بين الجمهوريات بشكل اختيارى ، واخذت تتوسع فى اشكال التعاون فيما بينها ، والى عقد اتفاقات لتوحيد القوات العسكرية ، والمجالس الاقتصادية، وهيئات التجارة الخارجية، وفى المجالات المالية ، والنقل ، والبريد ، واقامة معاهدات اتحادية عمالية وفلاحية • وقد روعيت فى هذه الاتفاقات استقلال وسيادة الجمهوريات وعلى أساس المساواة التامة بينها ـ وقد ساعدت الجهود المشتركة لشعوب القوميات على تحقيق الانتصار والدفاع عن حريتها واستقلالها فى معركتها ضد قوى الثورة المضادة فى الداخل ، والمدعومةبقوى الامبريالية العالمية من الخارج •**

● **وفى ٢٢ فبراير عام ١٩٢٢ عقد اجتماع ضم** المندوبين المفوضين لجميع الجمهوريات السوفيتية، وتم الاتفاق على تأليف جبهة موحدة بين الجمهوريات السوفيتية فى مجال السياسة الخارجية لتحقيق وحدتها الدبلوماسية ، وعلى ان تمثل جمهورية روسيا الاتحادية مصالح جميع الجمهوريات فى المؤتمرات الدولية ، والاتفاقيات مع الدول الاجنبية •

● وقد أدى تطور العلاقات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والثقافية بين الجمهوريات الى مزيد من التقارب والتوحد فيما بينها • وكانت ظروف الحياة فى تلك الفترة ، والحصار الذى تفرضه الرأسمالية العالمية على الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، ومهام البناء الاقتصادى،وتعمير مادمرته الحرب العالمية الاولى والحرب الاهلية،كانت تملى عليها الدخول فى شكل أرقى للوحدة ، اذ لم تعد تكفى الاشكال التعاهدية الثنائية السابقة للعلاقات فى الظروف الجديدة • وكان لدى كل الجمهوريات السوفيتية هدف مشترك هو بناء الاشتراكية ، وتكون لديها جميعا نظام سياسى واحد هو دكتاتورية الطبقة العاملة فى شكل السلطة السوفيتية ، وهيكل اجتماعى واقتصادى واحد هو الملكية العامة لوسائل الانتاج الاساسية ، والخط الاشتراكى فى الاقتصاد •

وفى الفترة من ٢٣ـ٢٧ سبتمبر عام ١٩٢٢ عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى اجتماعا لمناقشة مشروع قرار « بشأن العلاقات بين جمهورية روسيا الاتحادية والجمهوريات السوفيتية المستقلة »،**وبعد ان اطلع لينين الذى كان غائبا لمرضه بعث لينين برسالة ينتقد فيها المشروع بشدة ، لانه يضع الجمهوريات السوفيتية التى تلتف حول جمهورية روسيا الاتحادية فى وضع غير متساو معها ، مما يخل بشروط الاستقلال ويخالف برنامج الحزب الشيوعى بخصوص المسألة القومية • وقدم لينين اقتراحا باقامة دولة اتحادية ـ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ـ كاتحاد اختيارى بين الدول المتساوية فى الحقوق وذات السيادة ، مع احتفاظ كل جمهورية بحقها الكامل فى الانسحاب من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية • وقد صادقت اللجنة المركزية على اقتراح لينين ، كما لقى ترحيبا من العمال والفلاحين والمثقفين فى الجمهوريات السوفيتية ، واتخذت مؤتمرات مجالس السوفييت فى الجمهوريات المستقلة قرارات بالانضمام فى دولة اتحادية واحدة •**

● وفى ١٣ ديسمبر ١٩٢٢ ، أعلن المؤتمر السابع للسوفيتات لعموم اوكرانيا : «ان التضامن الطبقى بين عمال وفلاحى روسيا واوكرانيا وبيلوروسيا وجمهوريات ماوراء القفقاس قدوضع منذ بداية ثورة اكتوبر العظمى أساسا ثابتا للصلة الوثيقة والوحدة الفعلية فيما بينهم فى كفاحهم المشترك ضد سلطة الرأسماليين ، وكبار الملاك العقاريين ، التى تدعمت خلال الحرب الاهلية واستطاعت الجماهير الكادحة فى الجمهوريات السوفيتية ان تنتزع حقوقها فى السلطة والارض والمصانع وان تدافع عنها ضد الهجمات الضارية من معسكر الوحوش الرأسماليين من جميع أنحاء العالم » .

● وفى ١٤ ديسمبر عام ١٩٢٢ : أعلن المؤتمر الرابع لسوفيتات عموم بيلوروسيا « ان مؤتمر سوفيتات نواب العمال والفلاحين والجنود الحمر الرابع لعموم بيلوروسيا يعتبر ان اقتراح مؤتمر سوفيتات عموم اوكرانيا بالتصديق الفورى على اتحاد الجمهوريات السوفيتية الذى هو قائم فعليا والذى يجمع قوى العمال والفلاحين فى جميع الجمهوريات السوفيتية ضد الجبهة الموحدة للرأسمال العالمى ، وذلك على اساس المساواة فى الحقوق والعلاقات السياسيه والاقتصادية الوثيقة ويضمن فى الوقت نفسه البناء الثقافى المستقل ، يتفق مع المصالح الحيوية لبيلوروسيا السوفيتية، ويجب ان يتحقق بأسرع وقت » .

● وفى ٢٦ ديسمبر عام ١٩٢٢ ، اتخذ المؤتمر العاشر لسوفيتات عموم روسيا بحضور مندوبين من جميع الجمهوريات قرارا جاء فيه : « انه قد حان الوقت لتوحيد جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية ، وجمهورية اوكرانيا ، وجمهورية ما وراء القفقاس ، وجمهورية بيلوروسيا . فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، واختار المؤتمر ممثلين للاشتراك فى وضع البيان والمعاهدة الخاصين بتكوين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية .

● وفى ٣٠ ديسمبر عام ١٩٢٢ ، اجتمع مؤتمر السوفيتيات الاول لعموم الاتحاد السوفيتى ، واشترك فيه ٢٢١٤ مندوبا يمثلون جميع شعوب الجمهوريات السوفيتية المستقلة (اوكرانيا ، وبيلوروسيا ، واتحاد ما وراء القفقاس (أرمينيا واذربيجان وجورجيا وروسيا الاتحادية) واتخذ المؤتمر قرارات تاريخية بتأسيس دولة واحدة متعددة القوميات تحت اسم « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتيه » .. وقد جاء فى البيان الخاص بتكوين الاتحاد : انه نتيجة لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وتوطد السلطة السوفيتية أصبح ممكنا تكوين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الذى توحدت فيه جمهوريات سوفيتية ذات سيادة على أساس من التطوع والمساواة فى الحقوق مفتوح امام جميع الجمهوريات الاشتراكية ، سواء الموجودة حاليا أو التى تستنشأ فى المستقبل » .

● وفى ختام المؤتمر اعلن رئيسه ميخائيل كالينين : نحن نضع هنا الحجر الاول للمساكنة الاخوية الفعلية . لقد مرت آلاف السنين منذ ان شرعت خبرة عقول البشرية تنكب على القضية النظرية بحثا عن اشكال من شأنها ان تمكن الشعوب من العيش بصداقة وأخوة بدون عذابات كبيرة جدا وبدون صراع متبادل . واليوم فقط يوضع عمليا أول حجر فى هذا الاتجاه » .

● وفى عام ١٩٢٤ ، تم اقرار الدستور السوفيتى الاتحادى الاول . وفى عام ١٩٣٦ ، تم اقرار الدستور الثانى ، دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، وهو الدستور المعمول به فى الوقت الحالى .

وفى الوقت الحاضر ، يتألف الاتحاد السوفيتى من : ١٥ جمهورية متحدة هى : روسيا الاتحادية ، اوكرانيا ، بيلوروسيا ، اوزبكستان ، كازاخستان ، جورجيا ، أذربيجان ، ليتوانيا ، مولدافيا ، لاتفيا ، قرنميزيا ، طاجيكستان ، ارمينيا ، تركمانيا ، استونيا .

٢٠ جمهورية ذات حكم ذاتى ، و ٨ مقاطعات قومية ذات حكم ذاتى ، و ١٠ دوائر قومية ذات حكم ذاتى ، منها ١٦ جمهورية ذات حكم ذاتى و ٥ مقاطعات ذات حكم ذاتى و ١٠ دوائر قومية ذات حكم ذاتى تدخل فى قوام روسيا الاتحادية ، وجمهورية واحدة ذات حكم ذاتي تدخل في قوام جمهورية أوزبكستان ، وجمهوريتان ذات حكم ذاتى ومقاطعة واحدة ذات حكم ذاتى تدخل فى قوام جمهورية جورجيا . وجمهورية واحدة ذات حكم ذاتى ومقاطعة واحدة ذات حكم ذاتى تدخل فى قوام جمهورية اذربيجان ، ومقاطعة واحدة ذات حكم ذاتى تدخل فى قوام جمهورية طاجيكستان .

دروس من تجربة الحرب الأهلية وحروب التدخل فى الاتحاد السوفيتى

عندما نشبت الثورة الاشتراكية الناجحة الاولى فى العالم عام ١٩١٧ فى روسيا وأنشأت جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية (أولى جمهوريات الاتحاد السوفيتى) ، كانت الدول الامبريالية مشغولة عنها بالحرب العالمية الاولى ، ولذلك لم تستطع أن توجه اليها على الفور الضربات المضادة الفعالة ، باستثناء ألمانيا التى حاولت أن تدفع بجيوشها بسرعة فى الجبهة الشرقية والتى استطاعت بالفعل أن تلحق خسائر فادحة بالدولة الاشتراكية الفتية ، الا أن قوات الثورة المسلحة الحديثة النشأة ،والتى تكونت على أنقاض الجيش القديم من متطوعى العمال والفلاحين ووحدات الحرس الاحمر التى قامت بالثورة ومفارز الانصار الفلاحية ، واجهت القوات الالمانية التى زحفت منها نحو ٥٠ فرقة على الجبهة كلها بشجاعة وضراوة. وقد جاءت الضربة الرئيسية الالمانية فى اتجاه العاصمة القديمة « بطرسبرج »(لينجراد حاليا) حيث احتشدت ١٥ فرقة مشاة : ٦ فرق خيالة (١) وذلك حتى تسقط السلطة السوفيتية المركزية هناك مباشرة • وقد تحرج الموقف للغاية فى البداية نظرا لان الجيش الاحمر النظامى كان لا يزال قوة تحت التشكيل ،اذ كان «لينين» قد وقع مرسوم تأسيسه يوم ٢٨ يناير عام ١٩١٨ فقط بينما كان هذا الهجوم الرئيسى ـ الذى نقض الهدنة التى وقعت عقب نجاح الثورة ـ قد بدأ فى ١٨ فبراير التالى مباشرة ، وعلى الفور شكلت لجنة تنفيذية مؤقتة للدفاع عن الوطن ، واصدر مجلس مفوضى للدفاع عن الوطن ، واصدر مجلس مفوضى الشعب (مجلس الوزراء) برئاسة « لينين »ببيانه المشهور الذى قال فيه «لينين» : «من الواضح أن الحكومة الالمانية لا تتعجل الرد •. على أستعدادنا لقبول شروطها من أجل السلام •• ومن الواضح أنها لا تريد السلام • فالعسكرية الالمانية اذ تقوم بالمهمة التى أوكلها اليها الرأسماليون فى كل الاقطار ، تريد أن تخنق العمال والفلاحين الروس •• وان تعيد الارض الى كبار ملاك الاراضى ، والمصانع الى أصحاب البنوك ، والسلطة الى الملكية » •

ان مجلس مفوضى الشعب يقرر : ١ ــ وضع كل القوى البشرية وموارد البلاد كلية فى خدمة الدفاع الثورى ٢ ـ تؤمر كل السوفييتات والتنظيمات الثوريه بالدفاع عن كل موقع حتى آخر قطرة من دمائها ٣ ـ على تنظيمات السكك الحديدية والسوفييتات المرتبطة بها أن تبذل قصارى جهدها كى تحول دون استيلاء العدو على شبكة النقل وفى حالة التقهقر فأن عليهم أن يخربوا الخطوط وينسفوا أو يحرقوا مبانى السكك الحديدية ، كما يجب ارسال العربات والقاطرات شرقا الى داخل البلاد ٤ ــ ان كل الحبوب والمواد الغذائيه بشكل عام وكل الملكية القيمة التى تتعرض لخطر استيلاء العدو عليها يجب تدميرها دون تحفظ ٥ ـ على العمال والفلاحين فى « بتروجراد » و « كييف » وفى كل المدن والقرى على طول خط الجبهة الجديد أن يعبئوا الكتائب لحفر الخنادق تحت اشراف الخبراء العسكريين ٦ ـ ويجب أن تضم تلك الكتائب كل الافراد القادرين فى الطبقة البورجوازية من الرجال والنساء تحت اشراف الحرس الاحمر ، ويجب اطلاق النار على من يقاوم ذلك ٧ ــ يجب مصادرة كل المطبوعات التى تعارض قضية الدفاع الثورى وتقف الى جانب البورجوازية

(١) تلبيه لنداء لينين ــ المجلة العسكرية السوفيتية ــ الترجمة العربية ــ عدد فبراير ١٩٧٢ ــ صفحة ٤٥ .

الالمانية ، أو التي تحاول أن تنتهز فرصة غزو جحافل الامبريالية كي تطيح بالحكم السوفيتي ، ويجب تعبئة كل القادرين من أعضاء هيئات تحرير تلك المطبوعات لحفر الخنادق أو لغيرها من أعمال الدفاع ٨ - يجب اطلاق النار فورا على وكلاء العدو .. الخ .. ان الوطن الاشتراكي في خطر (٢)

وقد خرجت « البرافدا » وغيرها من الصحف صبيحة يوم ٢٢ فبراير ١٩١٨ وهي تحمل في صدرها هذا المرسوم بتوقيع « لينين » ، وأعلنت على الفور حالة الحصار في المدينة ، وعقدت يومي ٢٢ ، ٢٣ فبراير اجتماعات جماهيرية في المدينة وفي «موسكو»وغيرهما من المدن الاخرى ،تشكلت نتيجة لها عشرات من التشكيلات العسكرية من آلاف المتطوعين ، كما جرت عمليات حفر واسعة للخنادق أشركت فيها العناصر البورجوازية ، وقد أعلن يوم السبت ٢٣ فبراير كيوم للدفاع عن الوطن الاشتراكي ، ولذلك اعتبر هذا اليوم عيدا للجيش والاسطول السوفيتي يحتفل به سنويا حتى الان . ونتيجة لهذه التعبئة أمكن لوحدات الجيش الاحمر الناشئة أن تصد الغزاة الالمان عند مناطق « **نارفا** » ، « **بسكوف** » - واقيم هناك بعد ذلك نصب تذكارى شامخ لهذه الذكرى العظيمة - وقد كتب « **لينين** » اثر ذلك يقول « **ان الاسبوع من ١٨ حتى ٢٤ فبراير ١٩١٨ سيسجل باعتباره من أهم الانعطافات التاريخية في تاريخ الثورة الروسية والعالمية** » .

وهكذا وبمثل هذه الروح وتلك الاجراءات نجت الثورة الوليدة من خطر القضاء عليها في وقت مبكر . وعلى أثر ذلك قامت قوات عسكرية من الدول الامبريالية الاخرى بالتدخل المباشر ضد الثورة في روسيا بالتعاون مع قوى الثورة المضادة في الداخل من الجنرالات والضباط القدامى في الجيش القيصرى الذين فروا الى أطراف البلاد الشاسعة ، ومن هناك شكلوا وحدات الحرس الابيض المختلفة التي كان أضخمها جيوش « **كولتشاك** » ، الذي عينته قوى الامبريالية قائدا أعلى لقوات الغزو وأمدته بـ ١٥٠ الف جندى أمريكي وفرنسي وانجليزي وايطالي وياباني بالاضافة الى الفيلق التشيكي (وكان **تشرشل يلعب** دورا نشطا في هذه المجهودات المضادة للثورة) ، وجيوش « **دينيكين** » الذي أعتبر نائبا للقائد الاعلى المذكور (٣) .

وقد بدأت هذه العمليات الهجومية الخطيرة في مارس ١٩١٨ حيث نزلت القوات الانجلو - فرنسية في ميناء « مورمانسك » في الشمال ، والقوات اليابانية والبريطانية والامريكية في ميناء « **فلاديفوستوك** » في أقصى الشرق . بينما كانت القوات الالمانية لاتزال تحتل مدينة « **كييف** » ، والقوات الرومانية تستولى على «**بسارابيا** » ، والقوات الانجليزية والفرنسية واليونانية في البحر الاسود تستولى على « **أوديسا** » ، « **سيباستوبول** » عاصمة شبه جزيرة القرم . والقوات التركية في « **باطوم** » و « **باكو** » حيث آبار البترول المعروفة في « **القوقاز** » !

تكوين الجيش الاحمر

وهكذا وجدت الجمهورية السوفييتية نفسها وسط حلقة نارية قوية من كافة الجهات والقوى المختلفة ، وقد بلغت القوة العسكرية لهؤلاء الاعداء في النصف الثاني من عام١٩١٨ نحومليون جندى مزودين بأحدث الاسلحة (٣) ومدربين على أحدث أساليب القتال . بينما كان الجيش الاحمر لايزال في مرحلة التكوين الاولى التي ينتقل فيها من نظام التطوع المؤقت الى نظام التجنيد ومن التشكيلات الاولية التنظيم والتسليح والتدريب للحرس العمالي الاحمر ، ومفارز الانصار الفلاحية الى الوحدات النظامية المجندة من العمال والفلاحين جنودا وضباطا باستثناء بعض الخبراء من الضباط القدامى الذين قبلوا الخدمة في الجيش الجديد وتحت اشراف المفوضين السياسيين . ولم يكن عدد الجيش الاحمر يزيد في مايو ١٩١٨ عن ٣٠٠ الف جندى ، وكانت كثير من وحداته مزودة ببندقية واحدة لكل جنديين (٤) ! ومما زاد من خطورة الموقف « أن الاعداء استولوا على مناطق الحبوب الرئيسية وعلى مصادر البترول والفحم .. وتوقفت المصانع والمعامل لعدم وجود الخامات والوقود . وبدأ سكان المدن يتضورون جوعا » (٥)

---

[٢] لينين - الوطن الاشتراكي في خطر - ٢١ فبراير ١٩١٨ - من الدفاع عن الوطن الاشتراكي - القاهرة - ملحق مجلة الشرق ص ١٦ .

[٣] زوكوف - ذكريات وافكار - الترجمة العربية - القاهرة - دار التحرير للنشر - صفحة ٤٦ .

[٤] مجلة الاتحاد السوفيتي - الترجمة العربية - العدد ١٣٧ - ١٩٦٨ - صفحة ٩ .

[٥] موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي - موسكو - دار التقدم - ١٩٧٠ - صفحة ٢٠١ .

وقد أوضح « لينين » للشعب السوفييتى خطورة الموقف وطالب بمضاعفة جهود العمال والفلاحين والحزب ، الذى اتخذ فى سبتمبر ١٩١٨ قرارا بتحويل البلاد الى معسكر حربى ،واخضعت الى نظام اقتصادى مؤقت عرف باسم « شيوعية الحرب » لمواجهة مشكلات حشد وتعبئة كافة موارد البلاد الاقتصادية والبشرية من أجل المجهود الحربى فى ظروف الخراب الاقتصادى وهبوط الانتاج التى كانت سائدة آنذاك . وقدم الفلاحون بمقتضى هذا النظام المؤقت فائض الحبوب والاغذية التى ينتجونها للدولة بلا مقابل تقريبا ، وقدم العمال أيام عمل مجانية ، واتخذت اجراءات حاسمة ونشيطة فى جميع الاسلحة والذخيرة المتوفرة عن العهد القيصرى . ونتيجة لذلك ولحماس الجماهير وفاعلية نشاط الحزب والمنظمات السياسية المتفرعة عنه ولتحسين أساليب تنظيم وقيادة الجيش الاحمر وتجنيد آلاف وآلاف من أبناء العمال والفلاحين أمكن للجيش الاحمر أن تصل قوته فى بداية ١٩١٩ الى ٤٢ فرقة مشاة مسلحة بالبنادق والمدافع الرشاشة والمسدسات والقنابل اليدوية ،وبلغ عددالفرسان ٤٠ الفا ، كما أصبح لديه ١٧٠٠ مدفع وبدأ يستخدم المدرعات والقطارات المدرعة ، نحو ١٥٠ عربة مدرعة وحوالى ٤٥٦ طائرة حربية . كما تألف الاسطول السوفييتى وقتئذ من بارجتين وطرادين ، ٢٤ مدمرة ، ٦ غواصات ، ٨ سفن ألغام ، ١١ سفينة نقل مساعدة . وبلغ عدد أفراد الجيش فى ربيع ١٩١٩ مليونا و٨٠٠ ألف مقاتل ، وذلك وفقا لما أورده « زوكوف » فى كتابه السابق الاشارة اليه من فترة ذكرياته خلال الحرب الاهلية .

الا أننا يجب ألا نتصور على ضوء الارقام السابقة أن الجيش السوفيتى كان كامل التسليح، وأن هذه الفرق كانت فرقا ذات قوة نيران مماثلة للفرق المضادة لها خصوصا من القوات الامبريالية الاجنبية .فزوكوف يقول فى مذكراته انعدد الجنود المسلحين تسليحا جيدا والمدربين على القتال بصورة جيدة كانوا لا يزيدون عن ٤٠ الف جندى ضمن جيش المليون و٨٠٠ ألف جندى الذى كان قائما فى ربيع ١٩١٩ . كما أن الماريشال « توخاتشفسكى » ـ رئيس أركان حرب القوات المسلحة السوفييتية الشهير الذى أعدم نتيجة مؤامرة المخابرات الالمانية فيما بعد أثناء عمليات التطهير عام ١٩٣٧ ـ الذى كان أحد قادة الجيوش السوفييتية الهامة خلال الحرب الاهلية يقول فى مقال له بعنوان « بعض تعاليم الحرب الاهلية » ـ نشر فى البرافدا عام ١٩٢٨ فى الذكرى العاشرة للجيش الاحمر ـ « **لقد جندنا على الجبهة البولندية سبعة وعشرين فرقة من الرماة ، أى نصف مشاتنا ، وقد خصصت القيادة كل مالديها من الاسلحة الفردية لتسليح هذه الوحدات . ورغم هذا فان هذه القطع لم تكن تملك فى مايو ويونيو من عام ١٩٢٠ اكثر من ١١٠٫٠٠٠ بندقيه** » (٦)

الايمان بقضية الدفاع عن الوطن الاشتراكى

لقد قاتل الجيش الاحمر خلال سنوات الحرب الاهلية الاربع معتمدا على حماس وايمان رجاله بقضية الدفاع عن الوطن الاشتراكي أكثر من أعتماده على السلاح والذخيرة الكافية ، وذلك لان الانتاج الحربى كان ضعيفا بل كان ينخفض فى بعض السنوات ، وكان الجيش يعوض احتياجاته الناقصة اما من المخزونات القديمة التى عثر عليها ضمن مخلفات الجيش القيصرى القديم ، أو من غنائمه من القوات المعادية . ولكنه بصفة عامة استطاع نتيجة جهود الانتاج الحربى ـ رغم سوء حالته وظروف نقص الخامات والوقود ووسائل النقل ـ وتجميع الاحتياطى القديم من السلاح والذخيرة والاستيلاء على كميات كبيرة من العتاد الحربى من القوات المعادية ، أن يوفر لديه قوة نيران من البنادق والرشاشات والمدافع تفوق قوة نيران الجيش القيصرى القديم فى خلال الحرب العالمية الاولى رغم أن الاخير كان يتمتع بظروف انتاجية أفضل بكثير من ظروف الجيش الاحمر فى سنوات حرب التدخل أو الحرب الاهلية . فلقد كان الجيش القيصرى يمتلك فى عام ١٩١٦ ـ كما يقول « **توخاتشفسكى** » ـ من ٣ الى ٤ مدافع ميدان ومن ٨ الى ١٠رشاشات مقابل كل ١٠٠٠ بندقية ، بينما كان لدى الجيش الاحمر فى المتوسط خلال سنة ١٩٢٠ نحوا من ٦ الى ١٢ مدفع ميدان ومن ٣٠ الى ٥٠ رشاشا لكل ١٠٠ بندقية . ويعلق « **توخاتشفسكى** » على هذه الارقام قائلا « ان نسبا كهذه نسب مرتفعة بشكل حساس بمقارنتها مع ما كان لدى الجيش الامبراطورى.. صحيح أن النقص فى القذائف والرصاص كان يقلل من فاعلية ما ذكرناه من نسب أعلاه، لكن هذه النسب تظل كبيرة الاهمية . لقد كنا نملك مخزونات هامة من الذخيرة صنعت أيام الملكية، ولم يكن انتاج صناعتنا قليل الشأن ، فضلا عن أن غنائم كثيرة كانت تسقط بين أيدينا أثناء العمليات

---

[٦] توخاتشفسكي ، م.ن ـ جيش الثورة ـ ترجمة ابراهيم سلامة ـ دار الطليعة ـ بيروت ١٩٧٠ ـ صفحة ٥٥،٥٨

بشكل دائم » ولنكتف بمثال عن استهلاك القذائف في الجيش الاحمر خلال ستة وعشرين يوما دامت أثناءها عملية مايو ١٩٢٠ . فقد كان الجيش ، وفقا لحساباته الخاصة ، يطلق ما معدله ٣٠ قذيفة يوميا بالمدفع الواحد ، أي ٧٨٠ قذيفة للمدفع الواحد طيلة أيام المعركة ، وهذا تقريبا رقم قريب جدا مما كان يطلقه مدفع واحد في جيش القيصر طيلة سنة كاملة في حرب ١٩١٤ » .

وضوح الهدف والحسم

وهكذا أدى حماس الجماهير وكفاءة تنظيم وفاعلية التنظيم السياسي للثورة الى مواجهة مشكلات نقص الانتاج والسلاح وكثافة الهجوم الاستعماري بنجاح . ويرجع هذا أيضا الى أن القيادة العسكرية قد أدركت ـ بعد بعض الاخطاء الناتجة عن النظرة العسكرية التقليدية المجردة الى عمليات جيش ثوري ضد عدو رجعي ـ الاهمية السياسية الكبرى للربط بين اتجاه الحركة والزحف العسكري وطبيعة المناطق التي يعمل فيها الجيش من حيث التأييد الجماهيري والنشاط السياسي بينها . وحول هذه المسألة يقول « توخاتشفسكي » بصدد نقده لبعض قادة الالوية من العسكريين الاخصائيين القدامى الذين عملوا مع الجيش الاحمر وقتئذ « وهكذا فان قادة الالوية مثلا كانوا عاجزين عن ادراك ان من الممكن دعم جيش مهاجم ، بتعبئة الطبقات الاجتماعية التي تساعده وتنفعه بنسبة ما يتقدم . وبأن أمن أجنحته متوقف على البنية الاجتماعية للسكان . وأن هناك علاقة مباشرة بين عرض الجبهة لجيش من الجيوش وتقدم أو تطورصراع الطبقات . وهم فوق ذلك لا يعرفون الامكانيات التي يقدمها تنظيم البروليتاريا والجماهير المؤيدة لها ، في الدفاع عن المناطق المحصنة الخ » (٧) . هذا ويشير الماريشال « سوكولوفسكي » في كتابه « الاستراتيجية الحربية السوفيتية » الى بعض عوامل نجاح هذه الاستراتيجية أثناء الحرب الاهلية فيقول « من الخصائص الهامة للاستراتيجية الحربية السوفييتية في فترة الحرب الاهلية وضوح الهدف ، والحسم ، وتناسبها مع الطبيعة الطبقية للحرب وطبيعة أهدافها السياسية .. وتقدير العوامل الاقتصادية والسياسية والمعنوية . وهذه الخاصية تعتبر احدى المزايا العظيمة لهذه الاستراتيجية اذا ما قورنت باستراتيجية المعتدين والحرس الابيض .. كما أن اختيار الجبهة الرئيسية والاهم من بين عدد كبير من الجبهات كان يعتبر المهمة الرئيسية والحاسمة للاستراتيجية الحربية » (٨) . هذا ويفسر « زوكوف » أسباب انتصار الجيش السوفييتي في حرب التدخل التي انتهت عام ١٩٢٢ وقام على أثرها الاتحاد السوفييتي بشكله السياسي الحالي في ديسمبر ١٩٢٢ فيقول ضمن ما يقول عن هذه الاسباب « كتب الجنرال الانجليزي فوكس «من الممكن تحطيم جيش أحمر تعداده مليون جندي الا أنه يصبح من العبث مساعدة البيض اذا كان ١٥٠ مليون روسي ضدهم » (٩) .

وقال « لينين » معلقا على عوامل تحقيق النصر في الحرب الاهلية « ان السبب الرئيسي لانتصارنا ، ومصدره الرئيسي هو البطولة والتفاني ، والعناد الذي لم يسبق له مثيل وأبداه عمالنا وفلاحونا الذين عانوا الكثير ، وخاصة عمال الصناعة الذين عانى معظمهم الكثير خلال هذه السنوات الثلاث أكثر مما عانى العمال في السنوات المبكرة للعبودية الرأسمالية . لقد تحملوا البرد والجوع وعانوا كل ذلك كي يحتفظوا بالسلطة . وبفضل هذا العناد وتلك البطولة خلقوا مؤخرة برهنت على أنها أقوى مؤخرة في ذلك الوقت بين القوى المتحاربة . وهذا هو السبب في أننا أقوياء راسخين ، بينما دول التحالف الودي تتحلل باضطراد أمام أعيننا » (١٠) .

ولقد كان لابد لهذا النصر في الحرب الاهلية وتلك التضحيات الهائلة التي قدمتها الشعوب السوفيتية في خلال تلك التجربة الدموية التي راح ضحيتها بضعة ملايين من أبناء الشعوب السوفييتية وهم يدافعون عن السلطة الثورية الاشتراكية التي انتقلت الى أيديهم منذ ٧ نوفمبر ١٩١٧ ، تلك السلطة التي حققت لهم القضاء على استغلال الاقطاعيين والرأسماليين والامبرياليين العالميين ، كان لابد لهذه التجربة حتى يتجسد واقع وحدة الشعوب السوفييتية حول أهداف الثورة الاشتراكية من خلال النضال العملي ويقوم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية كشكل دولة اتحادية ثورية معبر عن واقع الوحدة التي خاضت تجربة الحديد والنار والتضحية والايمان من خلال العمل الثوري بضرورة الوحدة ، وضرورة قيام دولة الاتحاد السوفييتي .

---

[٧] المرجع السابق ـ صفحة ٣٥٢، ٣٥٢

[٨] سوكولوفسكي وآخرون ـ الاستراتيجية الحربية السوفيتية ـ ترجمة محمد ابو عزالة ـ القاهرة ـ الكاتب العربي صفحة ١٧٩ ، ١٨٠ .

[٩] زوكوف ـ المرجع السابق ـ صفحة ٥٢ .

[١٠] لينين ـ من الدفاع عن الوطن الاشتراكي ـ المرجع السابق ـ صفحة ٩٩

الاتحـــاد الســـوفيتى

والعـــالم الثـــالث



المقصود بالعالم الثالث الدول المتخلفة ، او المسماة بالنامية فى قارات ثلاث ، افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينـــية • والقـــاسم المشترك الاعظم بين هذه الدول هو نضالها ضد الاستعمار بنوعيه القديم والجديد • ومجرد النضال « ضد » موقف سلبي • بيد أن السلب ينطوى على الايجاب • والايجاب هنا يدور على تحديد طريق للانتقال من « النضال ضد » الى « النضال من اجل » اوفى عبارة أخرى للانتقال من « التحرر من » الى « الحرية من أجل » التحرر من الاسر المـــادى والمعنوى ، والحرية من أجل الانسان •

الانسان اذن هو الغاية

والملاحظ على عملية التحرر انها مقترنة بالتعاطف المتبادل بين الدول التى تريد التحرر ، ودول المعسكر الاشتراكى وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى • وحيث ان التحرر ارهاص للحرية فيلزم من ذلك أن يكون التعاطف ارهاصا لما هـــو مجاوز للتعاطف •• وهذا التحديد أنمـــا يتم بالضرورة بالنسبة الى الاشتراكية العلمية ، دعوة الماركسية اللينينية • بيد أن هذه النسبة لا تعنى أن يتم التحديد آليا • فالالية مرفوضة ماركسيسا ، ولكن النسبة تعنى ضرورة تمثل الاشتراكية العلمية ، والتمثل عملية ديالكتيكية تفترض الاضداد ، كما تفترض الصراع بين الاضداد •

والعالم الثالث يقف بين ضدين ، هما الاشتراكية والراسمالية • ولهذا فثمة سؤال لابد أن يثار :

ماذا تعنى هذه الوقفة بين ضدين ؟•

هل تعنى نظاما ثالثا لا هو بالاشتراكية ، ولا هو بالراسمالية •• أم هل يعنى أنحيازا الى أحـــد النظامين ؟

الرأى الشائع عند مفكرى الاتحاد السوفيتى أن الثورات المعادية للامبريالية هى بالضرورة ثورات معادية للرأسمالية ، وبالتالى فثمة امكانية لانتقالها الى الثورة الاشتراكية • وهذا هو السبب الذى من أجله قرر **المؤتمر الثانى للاممية الشيـــوعية (الكومنترن)** أحلال شعار « **حركة التحرر الوطنى**

الثورية » مثل شعار « الحركة البرجوازية الديمقراطية » • فثمة تقارب ، من حيث المضمون ، بين النموذجين ـ نموذج الثورة الاشتراكية ونموذج ثورة التحرر الوطني ـ بدعوى أن ثورة التحرر الوطني ليست ضد الامبريالية وحسب ، وانما هي أيضا وبالضرورة ضد الرأسمالية •

ولكن التقارب لا يعني التطابق • فثمة حلقات وسطية على ثورات التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث ضرورة المرور بها من غير قفز •

فبفضل هذه الحلقات الوسطية تتنوع أساليب النضال بشرط دوران هذا التنوع على القوانين العامة التي تحكم التطور الاجتماعي، ومن ثم فليس هناك فاصل بين ما هو خاص بهذه الثورات وما هو عام بالثورة الاشتراكية ، بل ثمة ديالكتيك بينهما يرقى بالخاص الى مستوى العام ، ويدفع العام الى أن يتشخصن فيما هو خاص •

وبفضل هذه الحلقات الوسطية يمتنع على ثورات التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث أن تكون مركز الثقل في الثورة العالمية .فمركز الثقل يعني أن تكون هذه الثورات طليعة التقدم الاجتماعي • وليس ذلك بالصحيح ، وهي ليست كذلك ، في رأي مفكري الاتحاد السوفيتي ، لان هذه الثورات تخلو من تنظيم طليعي للطبقة العمالية بسبب ضعف هذه الطبقة • وطبقة الفلاحين لا تصلح أن تكون بديلا لطبقة العمال بحكم أميتها ، واستحالة ارتقاء نضالها الى مستوى الثورية بحكم غلبة احساسها بمصالحها الخاصة على احساسها بالمصلحة العامة • ان الفلاحين ، في رأي مفكري الاتحاد السوفيتي ، يمكن أن يكونوا قوة ثورية حين يتم تلاحمها مع المدينة بما تنطوي عليه من برجوازية وبروليتارية •

والسؤال الذي يطرحه هؤلاء المفكرون بعد ذلك هو على النحو التالي :

ما موقف البرجوازية والبروليتاريا من ثورة التحرر الوطني ؟

البرجوازية ، في رأيهم ، فئات ثلاث ، كبيرة ومتوسطة وصغيرة • البرجوازية الكبيرة تتخذ موقفا سلبيا ازاء التغير الاجتماعي والاقتصادي الذي يهدف الى تحقيق مصالح الجماهير حين يتمركز حول تأسيس قطاع عام • وهذا الموقف السلبي مردود الى تعارض مصالح هذه الطبقة مع مصالح الجماهير الكادحة •

والبرجوازية المتوسطة والصغيرة ، بدرجات متفاوتة تتخذ موقفا ايجابيا ازاء تأسيس قطاع عام • بيد أن هذا الموقف الايجابي ليس ثابتا ، وانما هو متذبذب يميل الى اليمين تارة والى اليسار أخرى • التذبذب الى اليمين مردود الى تصادم مصلحتها مع مصلحة الجماهير في الفينة بعد الفينة . أما التذبذب الى اليسار فمردود الى الرؤية البرجماتية التي تهيمن على العقلية البرجوازية ، والتي ترى حتمية التغير الاجتماعي من أجل التقدم •

أما البروليتاريا فنسبتها ضئيلة في دول العالم الثالث بحكم انحطاط التنمية الصناعية وتخلف قوى الانتاج وانتشار أشكال قديمة من العلاقات الاجتماعية المتمثلة في النظام القبلي والاقطاعي • ومن ثم فالبروليتاريا ، في دول العالم الثالث ، في حاجة الى من يقودها الى نضالها الحقيقي •

والسؤال اذن :

من الذي يقود ؟

جواب ساسة الاتحاد السوفيتي أن القيادة للمثقفين التقدميين بالتعاون مع البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، أي البرجوازية المتذبذبة •

والمقصود بالمثقفين التقدميين المعلمون والمحامون والاطباء والضباط • وهؤلاء جميعا ينتمون ـ بدرجات متفاوتة ـ الى البرجوازية الصغيرة •

والذي يلفت النظر في هذه المجموعة من المثقفين التقدميين أو الثوريين هو عنصر الضباط •: فضباط الدول المتخلفة او المسماة بالنامية مفروض فيهم انهم ثوريون بحكم انتمائهم الى دول تريد أن تتحرر من الاستعمار • بيد أنهم معزولون عن الجماهير بحكم طبيعة التنظيم العسكري الذي يعتمد على الضبط والربط • بل هم معزولون كذلك حين يرغبون في اشعال الثورة بحكم حتمية أن يكون التنظيم سريا • ولهذا فانهم حين يفجرون الثورة يجدون أنفسهم بلا سند جماهيري • والفرصة عندئذ مواتية للقوى الرجعية بالانحراف بالثورة عن مسارها الحقيقي ، فتغريها بمباهج الدكتاتورية فتتحول الثورة الى ثورة مضادة • وقد حدث هذا التحول في اندونيسيا على سبيل المثال •

ولا تقف الرجعية وحدها في الميدان بمعزل عن القوى الامبريالية العالمية ، بل تساندها وتواكبها في نشاطها المدمر للثورة الوطنية. والمساندة تتخذ اشكالا متباينة :

فالامبريالية تخفي معالم جريمتها بدعاية

مضادة • وما أكثر المؤلفات (١) التى صدرت كاشفة عن مباهج الامبريالية ، وعما أدته من خدمات جليلة فى تقدم المستعمرات • وهى فى هذه المؤلفات تحاول الفصل بين الرأسمالية المعاصرة وعنصر الاستغلال بدعوى أنها تحولت الى « **مجتمع صناعى متطور** » اوالى « **رأسمالية شعبية** » يخلو من الصراع الطبقى ، ويتساوى فيه الكادحون مع سائر الفئات الاجتماعية ، والغاية من ذلك عزل البروليتاريا فى البلدان الرأسمالية المتطورة عن الجماهير الكادحة فى بلدان العالم الثالث •

ثم ان الامبريالية تلجأ الى استخدام العنف وذلك بتأسيس أحلاف عسكرية وسياسية لمناهضة قوى التحرر مثل الناتو والسنتو والسياتو (٢)

فى عام ١٩٥٦ تكتلت القوى الاستعمارية مع اسرائيل لضرب مصر ، وفى عام ١٩٥٧ لجأ الامبرياليون فى جواتيمالا الى استخدام القوة المسلحة للتنكيل بالحكومة الوطنية •

وفى عام ١٩٦١ هاجمت بلجيكا الكونغو كنشاسا فى اليوم التالى لاعلان استقلالها •

وفى عام ١٩٦٤ اشترك الامريكيون مع البلجيكيين فى التدخل العسكرى فى شئون الكونغو الداخلية لضرب القوى التقدمية •

ومنذ عام ١٩٦٧ ، وبعد النكسة وبون وللندن وواشنطن تدعم عسكريى تل أبيب •

وبعد هذا وقبل هذا محاولة أمريكا ابادة الشعب الفيتنامى المتطلع الى الحرية •

هذا كله على سبيل المثال لا الحصر • وهذا كله يدور على العنف ، مدعما بفرض حصار اقتصادى • كما حدث ذلك فى سيلان واندونيسيا ومصر • وبديل العنف قبول المعونة الاقتصادية بشروط الامبريالية ، والشرط الاساسى يدور على ضرورة انعاش الطبقة المتوسطة فى مقابل تخفيض معدل الفائدة المئوية •

وهكذا تتمايل السياسة الامبريالية بين المغازلة ونقيضها القمع ، ولكنها ترفع هذا التناقض ، بحكم طبيعة الديالكتيك ، الى ثالوثها وهو الاحتواء • وهذا الثالوث يكون البناء الفوقى للبناء التحتى الذى يتأسس بالرأسمالية العالمية •

وكل هذا لا يؤتى ثمرته الا باضعاف الروح الوطنى كحد أدنى ، واستئصال هذه الروح كحد أقصى وذلك باستعراض نمط الحياة الغربية فى جوانبه الجذابة ، وبالذات فى حتمية تفوق البورجوازية • **ومعنى ذلك أن الامبريالية لا تقنع بمجرد عرقلة التقدم الاجتماعى لدول العالم الثالث ، وانما تجتهد فى تحديد مسارها نحو الطريق الرأسمالى •**

ويرى ساسة الاتحاد السوفيتى أن هذا التكتيك الجديد للاستعمار ليس « فعلا » وانما هو « رد فعل » ضد ظهور مجموعة الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، ومجموعة دول التحرر الوطنى •

والسؤال الآن :

ما هو فكر ساسة الاتحاد السوفيتى ازاء رد الفعل هذا ؟

هو بتدعيم اقتصاد دول التحرر الوطنى ، وبالدعوة الى ضرورة التنمية الاقتصادية لا على النحو الرأسمالى ، وانما على نحو مغاير • وهذا النحو المغاير انما يتحدد فى اطار الظروف الخاصة لدول التحرر الوطنى فى العالم الثالث •

وثمة ملاحظة يبديها مفكرو الاتحاد السوفيتى ازاء ما يدور فى دول التحرر الوطنى فى العالم الثالث هى شيوع نزعة شوفينية تركز على القوة الذاتية لهذه الدول بهدف عزلها عن العالم الخارجى • وبالتالى عن مجموعة الدول الاشتراكية • ومن شأن شيوع هذه النزعة استحالة استيراد الاجهزة الآلية العصرية الامر الذى يؤدى الى تدمير قوى الانتاج ومن ثم انخفاض الانتاج • ومن شأن شيوعها كذلك اضفاء ظلال معتمة على المشاكل الحقيقية للعالم الثالث وهى تدور على ثلاث : زراعية واقتصادية وتخطيطية •

المشكلة الزراعية تدور على التخوف من الاصلاح الزراعى الجذرى بدعوى أن هذا الاصلاح يحمل معه بذور تدمير الاقتصاد الريفى • وتستند هذه الدعوى الى القول بأن تصفية الملكية العقارية الكبيرة واحالة هذه الملكية الى من يحرثها يؤدى بالضرورة الى تجزئة الارض الزراعية ، وبالتالى الى الحيلولة دون تنظيم استثمار مربح •

ويرى مفكرو الاتحاد السوفيتى أن الامتناع عن

---

[١] H.R. Rudin, The Idea of Colonialism, New York, 1958.
A. Cohen, British Policy in Changing Africa, London, 1959.
I. Strochey, The End of Empire, London, 1959.
R. Hinden, Principles of Socia lism, London, 1961.

[٢] الناتو : منظمة معاهدة الاطلنطى الشمالى ، السنتو : منظمة المعاهدة المركزية ، السياتو : منظمة معاهدة جنوبى شرقى آسيا .

تصفية الملكية الخاصة الكبيرة للأرض الزراعية يفضى الى مزيد من افقار الفلاحين . ومن هنا فليس من سبيل الا الاصلاح الزراعى الجذرى مع تأسيس تعاونيات تمنح الفلاحين السلفيات والقروض والبذور والاسمدة .

أما المسألة الاقتصادية فيرى مفكرو الاتحاد السوفيتي ضرورة زيادة انتاجية العمل . وهذه الزيادة لا تعنى التقوقع حول منتوج واحد ورفع انتاجيته ، لان هذا التقوقع قد يؤدى الى انخفاض سعره وبالتالى الى انخفاض الدخل . وانما الزيادة تعنى . فى المقام الاول ، تطوير الاقتصاد الوطنى تطويرا متنوعا ، وذلك بالاتجاه نحو التصنيع مع المحافظة على نسبة معينة بين التوسع الزراعى والتوسع الصناعى . ذلك أن اغفال هذه النسبة قد يفتح ثغرات يصعب سدها خاصة وأن دول التحرر الوطنى فى العالم الثالث تتميز بانفجار سكانى يهدد بانتشار المجاعة . اذا تقدم الانتاج الصناعى يتم على حساب التقدم الزراعى .

ثم ان حركة التصنيع ليس فى الامكان تحقيقها من غير صناعة ثقيلة تضاف الى الصناعة الخفيفه . بيد أن الصناعة الثقيلة تواجهها عدة صعاب فى التنفيذ ، اذ هى فى حاجة الى رأس مال ضخم والى فنيين ذوى كفاءة عالية ، الامر الذى يستلزم المضى قدما الى اجراء تغييرات اجتماعية واقتصادية قد تستهدف حذف انتاج السلع الكمالية أو ما يسمى بـ « سلع الترف » . ومن شأن هذا الحذف أن يثير حفيظة البورجوازية فيتأزم التناقضات الاجتماعية والطبقية . وليس هذا هو بالمهم ، وانما المهم هو أن سلامة هذا التأزيم تتوقف على مدى قدرة القادة السياسيين على التحكم فيها ، وتوجهها نحو مزيد من التغييرات الاجتماعية والاقتصادية لصالح الجماهير الكادحة .

أما مسألة التخطيط فيرى مفكرو الاتحاد السوفيتى أن التخطيط يعنى رقابة الدولة على جزء كبير من الموارد الوطنية من أجل بناء المؤسسات الرئيسية وزيادة الانتاج . وليس فى الامكان نجاح التخطيط بدون تأسيس قطاع عام للاقتصاد الوطنى . بيد أن القطاع العام فى بداية تكوينه يصبح مسرحا للصراع بين المصالح الوطنية العامة والمصالح البورجوازية الخاصة . وفى حالة غلبة المصالح العامة يأخذ تطوير القطاع العام المسار الهجومى على المصالح البورجوازية الخاصة . وهذا ما حدث بالفعل فى مصر حين أممت الشركات الاجنبية ، وامتنعت البورجوازية المحلية عن المساهمة فى مشروعات التصنيع واتجهت الى شراء البيوت والاراضى وتهريب رأس المال الى الخارج . ثم صدرت قوانين يوليو الاشتراكية وكان من جرائها فرض رقابة الدولة على ٩٥ فى المائة من التجارة الخارجية ، وانتقل الى ميزانية الدولة ما يقرب من مليار دولار هى جملة ما تملكه مائة أسرة كانت قابضة على اقتصاد مصر ، وفرض الحجز على ممتلكات سبعمائة من البورجوازية الكبيرة .

وفى بورما التى تفصلها عن مصر آلاف الكيلو مترات سارت الامور على النحو الذى سارت عليه الثورة المصرية وهو مسار الثورة فى الطريق اللارأسمالى .

وفى رأى مفكرى الاتحاد السوفيتى أن « أصالة » دول التحرر الوطنى فى العالم الثالث مردودة الى القدرة على اختيار « الطريق اللارأسمالى » وقد ظهر هذا التعبير لاول مرة فى وثائق مؤتمر الكومنترن السادس حيث كان موضوع المؤتمر الحركة الثورية فى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة ، أى البلدان التى لا يوجد فيها بورجوازية محلية ، أو توجد فيها بورجوازية مستوردة دون أن يكون بها نظام رأسمالى .

ومن ثم كان السؤال المطروح هو على النحو التالى :

هل المرحلة اللارأسمالية متمايزة من المرحلة الاشتراكية ، أم هما مرحلتان ؟

واستلزم الجواب عن هذا السؤال مراعاة ثلاثة أمور :

● امكان تحول ثورات التحرر الوطنى المعاصرة الى ثورات اشتراكية .

● تأثير النظام الاشتراكى العالمى على مسار التطور العالمى .

وكان الجواب : أن الطريق اللارأسمالى « ممكن » ، وأن هذه الامكانية مفضية « بالضرورة » الى الاشتراكية .

امكان الطريق مردود الى عجز الرأسمالية عن تطوير هذه البلدان .

وضرورة الاشتراكية مردودة الى عداء هذه البلدان للامبريالية ، وبالتالى للرأسمالية .

والامكان والضرورة يدوران على عاملين :

عامل خارجي ، متمركز حول ظهور مجتمع الدول الاشتراكية ، وعامل داخلي ، متمثل في تدعيم مكتسبات الثورة واشراك الجماهير •

والاكتفاء بأحد العاملين يجهض الثورة •

ولكن يبقى بعد ذلك أن تتحاشى ثورات التحرر الوطني في العالم الثالث اعتبار مرحلة التطور اللارأسمالي « طريقا ثالثا » يقف على الضد من الرأسمالية والاشتراكية • وخداع البصر ، في رأي مفكري الاتحاد السوفيتي ، مرجعه الى ضعف البروليتاريا وانتشار الامية وتأثير الدعاية الاستعمارية • والاستسلام لخداع البصر هذا من شأنه أن يدفع القوى الرجعية الى تزييف شعار الاشتراكية لتعمية الجماهير عن مصالحها الحقيقية • ومن أمثلة التزييف الترويج لشعارات مثل الاشتراكية الدينية والاشتراكية الدستورية والاشتراكية الهندية ••• الخ أو طلاء الاشتراكية العلمية بلون بورجوازي قومي مثل الاشتراكية الافريقية والاشتراكية العربية •

والطريق الصحيح لمسار التطور اللارأسمالي هو في تبني أفكار الاشتراكية مع مراعاة الظروف القومية والمحلية • ولكن من الخطأ أن تكون هذه بديلة لتلك بدعوى التزام « الطريق الوسط » •

الاتحاد السوفيتي حليف أساسي لحركة التحرر العربية

● منذ انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية وقيام النظام السوفيتي ـ أول بلد أقام الاشتراكية في العالم ، شهدت البشرية قيام نظام متكامل معاد للاستعمار والامبريالية عداء جذريا • ومنذ أيامه الاولى وقف الى جانب حركة التحرر الوطني العربية بحكم مبادئه الاصيلة المناهضة للقهر الاستعماري ولسياسة الفتح والغزو والعدوان واغتصاب الامم الصغيرة واضطهاد القوميات المختلفة وحركاتها الثورية من قبل الدول الرأسمالية الاستعمارية •

في ١٩١٦ وقبل انتصار الثورة الاشتراكية ـ أعلن لينين أنه اذا ما انتصرت هذه الثورة فسوف يبذل كل جهد للتفاهم والتقارب والاتحاد مع المنغوليين والايرانيين والهنود والمصريين ، وأن ذلك سيكون من واجب الثورة الاشتراكية ومن مصلحتها ، وان كل الجهود ستبذل لتقديم عون لا أنانية فيه لهذه الشعوب التي تعاني تخلفا واضطهادا ، وسنساعدهم على استخدام الالات وتخفيف ظروف العمل ومن أجل الديمقراطية والاشتراكية •

وبانتصار الثورة الاشتراكية ـ تحولت الافكار التي دعا اليها لينين والحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي ـ البلشفي ـ (الحزب الشيوعي السوفييتي بعد ذلك) الى مبادىء ثابتة لسياسة النظام السوفيتي ، فاعلنت الحكومة السوفييتية في أيامها الأولى **تخليها عن جميع الامتيازات التي تمتعت بها روسيا القيصرية في ايران والصين وتركيا** • **والسياسة القومية الامبريالية تجاه شعوب آسيا التي كانت قبلا تحت ضغط نير القيصرية** •

نداء الى جميع المسلمين الكادحين

ومع مراسيم ونداءات الثورة الاولى ـ وجهت الحكومة السوفييتية نداء « **الى جميع المسلمين الكادحين في روسيا والشرق** » ، وقد عبر هذا النداء عن السياسة اللينينية للنظام السوفيتي تجاه شعوب الشرق • وأعلن النداء : « **ان دولة النهب والعنف الرأسمالي تتصدع وتتزلزل الارض تحت أقدام وحوش الامبريالية •وأتوجه اليكم في خضم هذه الاحداث العظمى •• اليكم مسلمي روسيا والشرق الكادحين المحرومين • ان عقيدتكم وتقاليدكم ومؤسساتكم الثقافية تعتبر منذ الان حرة وذات حصانه • ابنوا حياتكم القومية بحرية ودون عقبات ، ولكم الحق في ذلك • واعرفوا ان حقوقكم مثل حقوق جميع شعوب روسيا تحرسها قوة الثورة كلها وقوة هيئاتها ـ سوفيتات نواب العمال والجنود والفلاحين** » •

وأعلن النداء **الغاء** كل المعاهدات السرية الخاصة بتقسيم فارس وتركيا في حالة انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الاولى ـ والتي عقدها القيصر وايدتها الحكومة البورجوازية الروسية المؤقتة (١) • لقد تلقت الاوساط الوطنية العربية هذا النداء باعتباره نداء شخصيا موجها من فلاديمير ايليتش لينين مؤسس الدولة السوفييتية الى كل الوطنيين العرب • وقد عبر عن ذلك الكاتب المصرى احمد رفعت في مقدمة ترجمته لكتاب لينين « الدولة والثورة » ، « **ان اسم لينين الذى أصبح رمزا للامل في العدالة وتقدم الانسان لا ينتمى الى بلد واحد فحسب فانه ملك للانسانية جمعاء** » •

وجاء في وثائق لجنة الوحدة العربية التى انشئت في ١٩١٩ في سوريا : « **ان العرب يعتبرون لينين وزملاءه والثورة العظمى التى قاموا بها من أجل تحرير الشرق من نير الظالمين الاوروبيين قوة جبارة قادرة لاعطائها السعادة والرفاهية** » (٢) •

فضح المعاهدات الاستعمارية السرية

وعند قيام الثورة نشرت الجمهورية السوفييتية الوثائق السرية (٣) التى فضحت خطط الامبرياليين لتقسيم الشرق بينها ، ومن بين هذه الوثائق الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩٠٤ لاقتسام مصر والمغرب • واتفاق بريطانيا وروسيا القيصرية في ١٩٠٧ لاقتسام مناطق النفوذ في ايران وافغانستان وغيرها • وبلغ عدد المعاهدات والاتفاقيات السرية التى كشف عنها السوفييت أكثر من مائة معاهدة واتفاقية • ومن بين هذه المعاهدات كانت معاهدة **سايكس ـ بيكو** والتى عقدت بين بريطانيا (الجبرة) وفرنسا (الجمهورية) في ١٩١٦ ، والتى فيها اتفقا على تقسيم البلاد العربية بينهما • وقد ساعد هذا الموقف السوفييتى الشعوب العربية والحركة الوطنية على تبين الاهداف الاستراتيجية للامبريالية ، ولحرب ١٩١٤ العالمية الاستعمارية لاعادة تقسيم المستعمرات ومناطق النفوذ •.

السوفيت مع شعوب الشرق

وعندما قامت الجمهورية السوفييتية ـ اعتبر لينين روسيا السوفييتية قلعة الحركة المعادية للاستعمار فقال : « **انه على جمهوريتنا السوفيتية ان تعبىء الانكافة شعوب الشرق المستيقظة،وان تخوض معها المعركة ضد الامبريالية العالمية** » (٤) . وقال **لينين** مؤكدا على اهمية تقديم كل الوان العون للكفاح الثورى ضد الامبريالية العالمية ، « هناك نوع واحد ، وواحد فقط من الاممية الحقيقية ، وهو العمل بكل اخلاص من أجل تطور الحركة الثورية،والكفاح الثورى في بلد **المرء ذاته** ، والمساندة (بالدعاية والتعاطف والمساعدة المادية) لهذا الكفاح ، **وهذا الخط وحده في كل بلد** بدون استثناء » (٥) •

وهكذا حظت الثورات العربية الوطنية التى شملت الوطن العربى ـ بعد الحرب العالمية الاولى ـ بعون وتأييد ومساندة الثورة الاشتراكية ودولتها الجديدة ـ الجمهورية السوفيتية . ثورة مصر في ١٩١٩ ،وسوريا ولبنان في ١٩١٩ ، ١٩٢٠ ،وفي العراق في ١٩٢٠ ،وفي مراكش في ١٩٢١ .كتب **لينين** في نوفمبر ١٩١٩:

---

(١) صدر النداء في ديسمبر [٢٠ نوفمبر] ١٩١٧ •

(٢) مقال فؤاد نصار السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعى الاردنى عن « لينين والنضال التحررى الذى تخوضه الشعوب العربية » •

(٣) « ان الحكومة تلغى الدبلوماسية السرية ، وتعبر من جانبها عن ثابت عزمها على اجراء المفاوضات كلها بشكل مكشوف كليا أمام الشعب باسره ،وتنشر على الفور ، بالنص الكامل ، المعاهدات السرية التى أبرمتها او عقدتها حكومة الملاك العقاريين « والرأسماليين منذ شهر فبراير [شباط] حتى ٢٥ أكتوبر [تشرين الاول] ١٩١٧ . وتعلن الحكومة انها تلغى على الفور ودون قيد ولا شرط كل مضمون هذه المعاهدات السرية .. » ـ تقرير عن السلام في المؤتمر الثانى لسوفيتات نواب العمال والجنود في عامة روسيا ـ لينين ـ حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية ـ ص ٣٣١ ـ الطبعة العربية ـ موسكو ـ ١٩٦٩ •

(٤) ف. فيودروف ـ طرق تطور الدول المتحررة ـ ص٦٥ الطبعة العربية.

(٥) المرجع السابق ص ٦٧ •

« ان اكثرية شعوب الشرق في وضع اسوأ من وضع اكثر بلدان أوربا تأخر — روسيا ، غير أنه تيسر لنا أن نوحد الفلاحين والعمال الروس في النضال ضد بقايا الاقطاعية وضد الرأسمالية ، فسار نضالنا بهذه السهولة . لان الفلاحين والعمال قد اتحدوا ضد رأس المال والاقطاعية . ان الارتباط مع شعوب الشرق هو هنا ذو اهمية فاصلة . ذلك لان اكثرية شعوب الشرق تمثل اصدق تمثيل جماهير الكادحين — لا العمال الذين اجتازوا مدرسة المصانع والمعامل الرأسمالية — انما جماهير الفلاحين الكادحين المستثمرين الرازحين تحت وطأة ظلم القرون الوسطى . لقد اظهرت الثورة الروسية ان البروليتاريين الذين تغلبوا على الرأسمالية وتضافروا مع الجماهير الغفيرة من الفلاحين الكادحين المبعثرين قد هبوا ضد مظالم القرون الوسطى مظفرين ، وينبغي على جمهوريتنا السوفيتية الان أن ترص حولها جميع شعوب الشرق المستيقظة ، كي تناضل مع هذه الشعوب ضد الامبريالية العالمية » (٦) .

حرب مع الصهيونية

ومنذ قيام النظام السوفيتي — وهو في حرب مع الصهيونية باعتبارها اداة من أدوات الامبريالية في القرن العشرين ، والاخطبوط الذي زرعه الاستعمار العالمي في الوطن العربي ليحاصر به حركة التحرر الوطني العربية .وكل ادبيات الثورة الاشتراكية المبكر منها والمتأخر فضح الطبيعة الرجعية للحركة الصهيونية — ليس فقط كحركة معادية لحركة الطبقة العاملة في صراعها الطبقي ضد الرأسمالية — صراع لينين ضد البوند في بداية القرن العشرين — وضد الدولة السوفيتية (٧) ولكن كذلك بحكم كونها موجهة ضد نضال العرب من أجل الاستقلال والتحرر الوطني . وقد اعلنت اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية في ١٩١٩ : « ان مشروع فلسطين ، ومحاولة صرف جماهير العمال اليهود عن النضال الطبقي بالدعاية الى الهجرة الجماهيرية الى فلسطين ليسا فقط قوميين وبورجوازيين صغيرين ،بل هما ايضا في جوهرهما معاديان للثورة (٨) .

وفي المؤتمر الثاني للكومنترن، ادينت الصهيونية كحركة رجعية وسلاح في يد الامبريالية — وجاء في الفقرة — ١١ — من القرار الذي أعدته لجنة برئاسة لينين حول المسألة القومية والاستعمارية : « ان المغامرة الصهيونية في فلسطين ، والصهيونية بشكل عام ، توضح بما لا يدع مجالا للشك كيف يوحد الائتلاف الودي الامبريالي جهوده مع البورجوازية في محاولة لخداع الجماهير العاملة بها .

وهكذا فان البلاد السوفيتية منذ قيامها وهي في نضال مشترك وموحد مع حركة التحرر الوطني العربية ضد الصهيونية وضد فكرة اقامة وطن قومي لليهود ، وهكذا فان الثورة العربية قد حظت بتأييد ودعم اتحاد الجمهوريات السوفيتية دائما في نضالها ضد الحركة الصهيونية وهو تأييد نابع من جوهر النظام السوفيتي واصالة عدائه للرأسمالية والامبريالية .

مع الحركات الاستقلالية العربية

والاتحاد السوفيتي منذ قيامه ، وهو يساند كل الحركات الاستقلالية للبلدان العربية — بغض النظر عن قيادتها الطبقية مادامت موجهة ضد سيطرة القوى الاستعمارية — فثورة العشرينات في العراق رغم ان قيادتها كانت من الفئات الاقطاعية ورجال الدين فقد حظت بتأييد ومساندة السوفيت والكومنترن لانها كانت في واقعها نضالا ثوريا أضعف الاستعمار البريطاني في العراق وزعزع كيانه . وكذلك الحال بالنسبة للثورة المصرية في ١٩١٩ وكانت قيادتها العليا لملاك الارض والبورجوازيين المصريين . والاتحاد السوفيتي هو أول من أعترف باستقلال المملكة العربية السعودية في ١٩٢٦ واقام معها علاقات دبلوماسية ووقع في ١٩٢٨ معاهدة صداقة وتجارة مع اليمن .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عارض الاتحاد السوفيتي كل محاولات الدول الامبريالية لاستخدام القوة واساليب الغزو والتدخل المسلح بهدف فرض قواعدها واحلافها العسكرية والعدوانية على المنطقة . وفي خلال الحرب (في ١٩٤٣) وعندما اقيمت علاقات دبلوماسية لاول مرة بين مصر والاتحاد السوفيتي — انتهز الاتحاد السوفيتي هذه الفرصة واكد للحكومة المصرية

---

(٦) حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية — مجموعة مقالات وخطب — ف. أ. لينين — ص ٣٦٣ و ٣٦٤ طبعة موسكو العربية .

(٧) في ٢ مايو ١٩١٨ عقد مؤتمر صهيوني سري داخل الاتحاد السوفيتي لمواجهة الثورة ، وقد جاء في الوثيقة الختامية لهذا المؤتمر : « ... اذا قدر لليهود أن تعيش حياة تاريخية اطول ، فما عليها الا أن تستخرج من اعماقها مادة لمحاربة سم الاشتراكية » وتقول « ان الاشتراكية تعترض سبيل الصهيونية ، فلذا فانهما ليسا نقيضين فحسب : بل هما عنصران ينفي احدهما الاخر نفيا تاما » .

(٨) نفس المرجع السابق ص ٦٩ .

حينئذ استنكاره للعلاقات غير المتساوية والمتكافئة بين الدول واعلن استنكاره للمعاهدات والامتيازات وجميع الحقوق التى كان يفرضها البريطانيون والاجانب على مصر • وفى ١٩٤٤ اعترف باستقلال سوريا ولبنان،وفى ١٩٤٥ طالب الدول الاستعماريه بوقف عملياتها العسكرية فى سوريا ولبنان ، وفى ١٩٤٦ ايد طلب سوريا ولبنان فى مجلس الامن ودافع عن مطلبهما العادل بانسحاب القوات الاجنبية من أراضيهما • وفى نفس الوقت طلب من المجلس ان تتخذ الاجراءات لانهاء الوجود الاستعمارى فى مصر والاردن وفلسطين والعراق والجنوب العربى والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش •

وفى عام ١٩٤٧ عندما لجأت مصر الى مجلس الامن تطلب منه التدخل لاجلاء القوات البريطانيه عن البلاد • ورغم هجوم الوفد المصرى برئاسة النقراشى باشا على الاتحاد السوفيتى ، و «الشيوعية» فى المجلس، ورغم ان هذا الوفد بذل قصارى جهده لكسب رضاء الولايات المتحدة الامريكية واعلان رئيسه أن الامريكيين سيحلون محل الانجليز ، فان الاتحاد السوفيتى بدأ منطلقا من مبادئه ، وسياسته المعادية للامبريالية يقف وحده فى المجلس ومعه المندوب البولندى الى جانب مصر ومطالبا بجلاء الجيوش الاستعمارية البريطانية عن مصر والسودان ، وعندما الغت الحكومة المصرية فى ١٩٥١ معاهدة ١٩٣٦ اعلن الاتحاد السوفيتى استعداده لتقديم كل عون للحكومة المصرية وفى هذه الفترة وقف الاتحاد السوفيتى الى جانب الشعوب العربية فى مقاومتها للضغوط والمشروعات الاستعمارية ، وضد المشروعات العسكرية العدوانية للدفاع عن الشرق الاوسط . وقد وجه الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت مذكرة احتجاج الى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا مستنكرا فيها تلك المحاولات التى تهدف الى احتلال قوات عسكرية اجنبية للبلدان العربية فى الشرق الاوسط وفى التدخل فى شئونها الداخلية وفرض سيطرتها عليها وتجريدها من حريتها واستقلالها الوطنى تحت شعار الدفاع عن المنطقة •

مع العرب من أجل التحرر

وكل يوم كان يمضى بعد الحرب العالمية الثانية وتحقق فيه حركة التحرر الوطنى عامة وفى البلدان العربية ،خاصة انتصارا على الامبريالية ،فان مثل هذه الانتصارات كانت تجد المساندة والعون والدعم بكافة أشكاله من الاتحاد السوفيتى ، ومن كل المعسكر الاشتراكى ، وخاصة بعد أن أصبحت الاشتراكية تخفق راياتها فوق ٢٦٪ فى المائة من مساحة كوكبنا وتضم ٣٥ فى المائة من مجموع سكانه ، وتنتج أكثر من ثلث الانتاج العالمى •

وقد وجدت حركة التحرر الوطنى العربية فى الاتحاد السوفيتى خلال العشرين سنة الماضية خير حليف لها فى نضاله ضد الاستعمار القديم والحديث ، وضد قاعدته العدوانية اسرائيل ، وخير صديق يقدم لها كل عون لتدعم استقلالها وحريتها ، ولتقيم اقتصادها المستقل المتطور .

ففى عام ١٩٥٥ ــ وقد بدأ الاستعماريون يهددون النظم الوطنية فى المنطقة وفى مقدمتها مصر أصدرت الحكومة السوفيتية بيانا عن الامن فى الشرقين الادنى والاوسط حذرت فيه الدول الاستعمارية من استمرار سياسة الضغط والتهديد لدول المنطقة ، واعلنت فيه انها سوف تتخذ التدابير اللازمة للدفاع عن سلامة واستقلال دول هذه المنطقة • وعندما طلبت مصر السلاح لتحطم احتكار الولايات المتحدة والغرب للسلاح ــ كانت استجابة الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا لطلبها الموافقة على شراء ما تحتاجه دون قيد او شرط لتدافع عن سيادتها واستقلالها الوطنى •

وعندما أممت مصر قنال السويس ــ أعلنت الحكومة السوفيتية أن مصر قد اتخذت اجراء قانونيا مشروعا •• ، وأن « العلاقات التى نشأت فى الماضى بحكم الغزو والاحتلال لم تعد ملائمة أو متمشية مع مبادىء التعاون بين الامم المتساوية ذات السيادة أو مع مبادىء وأهداف الامم المتحدة » .

وعندما غزت قوات العدوان الثلاثى الامبريالى الصهيونى أرض مصر فى ١٩٥٦ ــ وجهت الحكومة السوفيتية انذارها الى الحكومة البريطانية والفرنسية ، بأنها سترسل قوات عسكريه الى شواطىء بريطانيا وفرنسا وستستخدم الاسلحة الصاروخية ما لم يتوقف العدوان ، وأكدت تصميم الاتحاد السوفيتى على سحق المعتدين واعادة السلام الى الشرق الاوسط • ونفس الانذار وجه الى اسرائيل •

وساعد الاتحاد السوفيتى مصر فى مواجهة الحصار الاقتصادى الاستعمارى الذى ضرب حولها بعد العدوان وقبله • وبذلك تمكنت مصر أن تتصدى لكل الوان التآمر والضغوط من قبل الاستعمار العالمى ، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية •

وعندما أعلنت الولايات المتحدة الامريكية عن مشروعها الاستعمارى ــ « مشروع أيزنهاور » فى

يناير ١٩٥٧ والذي رفضته الشعوب العربية ـ وقادت مصر نضالا واسعا لفضحه وافشاله . وقف الاتحاد السوفيتي الى جانب الشعوب العربية في النضال ضد هذا المشروع . واعلنت الحكومة السوفيتية موقفها من المشروع في بيان وكالة تاس في ١٣ يناير ١٩٥٧ ـ والذي جاء فيه : « ان ضعف موقف المستعمرين الانجلو ـ فرنسيين في الشرقين الادنى والاوسط ونجاحات البلدان العربية في قضية دعم استقلالها ، هي في نظر الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية « فراغ » (أي لا شيء) ترغب في ملئه بتدخلاتها العسكرية والاقتصادية في الشئون الداخلية لتلك البلدان . ولكن عن أي « فراغ » يمكن أن يجرى الحديث ؟ ومنذ متى أصبحت « فراغا » تلك البلدان ، التي تحررت من الظلم الاستعماري ووقفت على طريق التطور الوطني المستقل ؟ من الواضح أن تدعيم الاستقلال الوطني للشعوب العربية ، وتشديد نضالها ضد نير الاستعمار لا يمكن أن يكون «فراغا» على الاطلاق ،بل انها يؤديان الى استعادة شعوب الشرقين الادنى والاوسط لحقوقها القومية ، كما أنها تعتبر عاملا تقدميا في التطور الاجتماعي » (*)

وفي ١٤ يوليو ١٩٥٨ ، قامت الثورة العراقية ، وسقط النظام الملكي العميل ، وسقط حلف بغداد ، وتحركت قوى الاستعمار العالمي لتحاصر ثورة العراق ، ففي ١٥ يوليو اتجه الاسطول السادس الى ميناء بيروت ، وانزال قوات مشاة ، وفي ١٧ يوليو انزلت انجلترا قوات عسكرية في عمان عاصمة الاردن . ووجهت الحكومة السوفيتية مذكرات شديدة اللهجة انذرت فيها الولايات المتحدة وبريطانيا بضرورة انهائها لتدخلها المسلح في الشئون الداخلية للدول العربية وان تسحب قواتها فورا . وفي مذكرة الحكومة السوفيتية الى الحكومة الاسرائيلية بسبب وضعها مطاراتها في خدمة الاعمال العدوانية للولايات المتحدة وانجلترا حملت اسرائيل المسئولية في « زيادة حدة التوتر في الشرقين الادنى والاوسط التي يمكن ان تتطور الى صدام ذي عواقب غاية في الخطورة على المصالح القومية لاسرائيل ذاتها » . وبفضل موقف الاتحاد السوفيتي ـ اتخذت هيئة الامم المتحدة قرارا في ١٥ أغسطس بانسحاب القوات الامريكية والانجليزية من الاراضي العربية التي احتلتها في بيروت والاردن .

مساعدات غير انانية للعرب

في فبراير ١٩٥٩ ـ ورغم الازمة التي طرأت بين ج . ع . م والاتحاد السوفيتي ـ قال الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه في العيد الاول للوحدة : « اننا في علاقتنا مع الاتحاد السوفيتي كنا نشعر بالتقدير للتأييد أعطانا الاتحاد السوفيتي في جميع معاركنا ضد الاستعمار ، ونشعر أيضا بالتقدير للاتحاد السوفيتي ولشعب الاتحاد السوفيتي في معاونتنا في بناء اقتصادنا ، ولبناء تصنيعنا. نشعر أيضا بالتقدير للاتحاد السوفيتي لانه وقف معنا ، ونحن نجابه الحصار الاقتصادي والحرب الاقتصادية » (*)

لقد ساعد الاتحاد السوفيتي البلدان العربية التقدمية والمتحررة على دعم استقلالها ، ولتبنى القواعد الاقتصادية لحماية استقلالها وللقضاء على التخلف . وقد تجلت هذه المساعدة في مختلف الميادين ، وقد تم بفضل المعونة السوفيتية اقامة حوالى ٣٢٠ مشروعا صناعيا حيويا بالنسبة للاقتصاد العربي .

وفي مايو ١٩٦٤ عندما زار خروشوف مجلس الامة قال الرئيس أنور السادات في كلمة الترحيب به : « التقينا به وبالشعب السوفيتي العظيم في مراحل صراعنا التحرري ضد الاستعمار والسيطرة الاجنبية والتقينا به والشعب السوفيتي العظيم في مراحل صراعنا التحرري ضد الاستعمار والسيطرة الاجنبية ، والتقينا به وبالشعب السوفيتي العظيم في مراحل نضالنا في معركة البناء والتطوير .. التقينا به يوم توهم الاستعمار ان في استطاعته ان يستمر في فرض وصايته علينا عن طريق احتكار السلاح ، فناصرنا في كسر احتكار السلاح ، وفي تحرير الارادة الوطنية من كل وصاية أو تبعية » .

ومن بين هذه المشروعات الضخمة : السد العالي في أسوان أضخم السدود في افريقيا والفريد من نوعه في العالم ، مصانع حلوان . مجمع الحديد والصلب في مصر ـ مجمع الالومنيوم ـ محطة الطاقة الكهربائية على نهر الفرات (سوريا) ـ المفاعل الذرى في العراق ـ ميناء الحديدة في اليمن ـ ومصنع الحديد والصلب في عنبه بالجزائر . وقد ساعد الاتحاد السوفيتي على اقامة فروع جديدة للصناعات الحديثة مثل صناعة الادوات الكهربائية والادوات والالات والمحركات الكهربائية والمضادات الحيوية والكيماويات .

ويفتح اكثر من ١٠٠٠ معهد عال في الاتحاد السوفيتي أبوابه للشباب العربي ـ وفي العام الدراسي ١٩٧٠ وحده تخرج حوالي ٦٠٠ شاب عربي من المدارس السوفيتية العليا ، وأتم ١٤٠ عالما عربيا دراساتهم العليا ويحضرون رسالات للدكتوراه ، وهكذا تحقق قول لينين في ١٩٤٦ كانه

اذا ما انتصرت الثورة فسوف نقدم كل عون لاانانية فيه لهذه الشعوب التى تعانى تخلفا واضطهادا ، وسنساعدهم بكل الوسائل على استخدام الالات وتخفيف ظروف العمل ومن أجل الديمقراطية والاشتراكيه •

وفى ١٩٦٥ تواجه مصر ضغطا من الولايات المتحده الامريكيه ـ فيستجيب الاتحاد السوفيتى لطلب من مصر بارسال ٣٠٠ الف طن من القمح لتوفير احتياجات الاستهلاك المحلى • فتصدر الاوامر من الحكومة السوفيتيه لبواخر سوفيتية كانت فى عرض البحر لتتوجه الى ميناء الاسكندرية لافراغ شحناتها من القمح الذى كان الاتحاد السوفيتى قد اشتراه من كندا لتغطية احتياجاته . وأمام مجلس الامة المصرى فى مايو ١٩٦٦ يقول الرئيس كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى :« ان التعاون الاقتصادى بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة لا يزال يتوسع ويجتاز اكثر فاكثر حدود العلاقات العادية الشكلية ، بين الدول فان عمل العمال والخبراء السوفيت والعمل المشترك فى بناء سد أسوان مثلا انما هو فى الواقع ليس مجرد تحقيق اتفاقيات اقتصادية وحسب بل انه مظهر من مظاهر التضامن بين شعبينا فى وجه القوى الاستعمارية التى تحاول عرقلة تقوية الاقتصاد الوطنى فى الدول الغنية • وهذا شىء طبيعى ومنطقى وموضوع فى عين الاعتبار » •

دعم النضال العربى ضد العدوان

وفى يونيو ١٩٦٧ ـ تعتدى اسرائيل على مصر وسوريا بمساعدة ودعم الولايات المتحدة الامريكية ، وادانت الحكومة السوفيتية عدوان اسرائيل على ج٠ع٠م وسوريا والاردن وطالبتها بسحب قواتها الى ما وراء خطوط الهدنة • وفى ١٠ يونيو ١٩٦٧ اعلنت الحكومة السوفيتية « انه نظرا لاستمرار العدوان من جانب اسرائيل ضد الدول العربية ، ونظرا لمخالفتها الصريحة لقرارات مجلس الامن ، فقد قررت حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية قطع العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى واسرائيل » •

ولم يتوان الاتحاد السوفيتى عن تقديم كل عون للبلاد العربية لتستعيد قوتها وقدرتها القتالية لتصفية العدوان الاسرائيلى على البلدان العربية واعلن الاتحاد السوفيتى تأييده لنضال المقاومة الفلسطينية وايد حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره •

وفى ديسمبر ١٩٦٩ ارسل نيكولاى بودجورنى رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى والكسى كوسيجين رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى رسالة الى مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية ـ جاء فيه :«ان التضامن ضد العدوان الاسرائيلى هو جزء لا يتجزأ من النضال العام للشعوب ضد النزعة العسكريه وضد الحروب ، ومن اجل الاستقلال القومى والسلام فى كل العالم • ان الاتحاد السوفيتى ليملاه العزم على مواصلة بذل كل ما فى وسعه من اجل احباط مخططات الامبرياليين فى منطقة الشرق الاوسط . ولقد قدم وسيقدم دوما المساعدة والمساندة للبلدان العربيه فى نضالها من اجل الحرية والاستقلال » .

« اننا نتمنى للمشتركين فى المؤتمر النجاح فى حل المسائل الرامية الى الوحدة بين الدول العربية وشعوبها فى قضية ازالة آثار العدوان الاسرائيلى واحلال السلام الوطيد فى الشرق الاوسط » •

وفى ١٥ يوليو ١٩٧٠ اصدر مجلس السوفيت الاعلى بيانا حول الموقف فى الشرق الاوسط أكد فيه موافقته التامة على سياسة الحكومة السوفيتية فى تقديمها المساعدة الشاملة للدول العربية فى نضالها البطولى ضد العدوان الاسرائيلى وفى سياستها الرامية الى التوصل لحل سياسى سلمى عادل لازمة الشرق الاوسط •

وحول احداث سبتمبر ١٩٧٠ ـ أيلول الاسود ـ فى الاردن أصدرت وزارة الخارجية السوفيتية بيانا أوضحت فيه ان وجهة نظر الحكومة السوفيتية فى هذه الاحداث هى ضرورة الايقاف العاجل للصراع الدموى بين الاخوة ـ وأن هذا الصراع لا يخدم سوى مصالح تلك القوى التى لا تريد السلام العادل والدائم فى الشرق الاوسط •

وفى ١٩٧١ أعلن بيان المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى :« ان الاتحاد السوفيتى بتطبيقه الثابت للسياسة اللينينيه للسلام والصداقه بين الشعوب سوف يواصل على الدوام مساندته للقضية العادلة للشعوب العربية ، ضحايا العدوان الاسرائيلى ، ولجهودها الموجهة لاستعادة الحقوق السليبة ومن أجل ضمان حل سياسى عادل فى الشرق الاوسط ، وفى دفاعها عن الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى » •

ان الاتحاد السوفيتى ـ طيلة سنين وجوده وهو سند لحركة التحرر الوطنى العربية ـ لان مبادئه تملى عليه هذا الموقف ، فمن وجهة نظر اللينينية فان المعارك التى تخوضها حركة التحرر الوطنى العربية اليوم من اجل التحرير الوطنى سيكون دون

كبير فى تحديد النتائج للصراع الدائر بين الاشتراكية والرأسمالية ، بين الاستعمار والحركة الثورية العالمية .. قال لينين فى ١٩٢١ : « ان الملايين ومئات الملايين — وفى الواقع الاكثرية الكبرى من سكان الكرة الارضية — تبرز فى الوقت الحاضر بصفة عوامل ثورية نشطة مستقلة . ومن الواضح كل الوضوح ان حركة اكثرية سكان الكرة الكرة الارضية التى تتجه فى البدء وجهة التحرر الوطنى ، ستنقلب على الرأسمالية والامبريالية فى المعارك الفاصلة التى ستخوضها الثورة العالمية فى المستقبل ، وقد تلعب دورا ثوريا اكبر جدا مما نتوقع . ومن الهام أن نشير الى أننا لاول مرة فى اممينا ، تتناول اعداد هذا النضال . والصعوبات فى هذا الميدان الفسيح هى ، بالطبع ، اكثر جدا ، غير أن الحركة تسير الى الامام على كل حال ، وجماهير الكادحين — الفلاحون فى المستعمرات — ستلعب ، على الرغم من انها ما تزال الان متاخرة ، دورا ثوريا كبيرا جدا فى المراحل المقبلة للثورة العالمية » (٩) .

قضايا معاهدة

ذلك هو حجم الدور الذى لعبته العلاقات السوفيتية العربية فى حركة التحرر الوطنى فى العالم العربى . وقد تعرضت هذه العلاقات فى الاونة الماضية لكثير من النقاش . وتنبع أهمية الحوار مع أبرز ما أثير من نقاش ، من حقيقة ضرورة حماية هذه العلاقات كضرورة وطنية .

لقد أصبح من بديهيات العصر ، أن حركة التحرر الوطنى أصبحت منذ بعد الحرب الثانية ، ظاهرة عالمية تمارس دورا هاما فى السياسة الدولية .

ومن بديهيات العصر — ثانيا — أن العلاقة القوية التى قامت بين حركة التحرر الوطنى العالمية ، وخاصة بين حركة التحرر الوطنى العربية ، وبين حركة الاشتراكية العالمية ، قد لعبت دورا له تأثيره الفعال على مجريات تطور الاحداث داخل حركة التحرر الوطنى ، بشكل كاد يرقى فى بعض الاحيان الى مستوى تأثير العوامل الداخلية أو الذاتية لتطور حركة التحرر الوطنى نفسها .

ومن الحقائق الثابتة — ثالثا — أن « مصر : ثورة يوليو » قد لعبت دورا ايجابيا ونشطا ، فى تأسيس وتعميق هذه « العلاقة القوية ذات السمات المميزة » بين حركة التحرر الوطنى العالمية وبين حركة الاشتراكية العالمية .

ومن الحقائق الثابتة — رابعا — أن « مصر : ثورة يوليو » قد لعبت دورا طليعيا فى حركة التحرر الوطنى العالمية ، بشكل عام ، وفى حركة التحرر الوطنى العربية بشكل خاص .

ومن الحقائق الثابتة — خامسا — أن الاتحاد السوفيتى ، يلعب دورا طليعيا فى حركة الاشتراكية العالمية ، وانه قلعتها المنيعة والسند الرئيسى لكل ما انجزته علاقة التحرر الوطنى بالاشتراكية العالمية ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

من هنا ، يصبح هدف ضرب وتخريب العلاقة بين مصر ، بكل ما تمثله ، وبين الاتحاد السوفيتى، بكل ما يمثله ، هدفا أساسيا وثابتا من اهداف قوى الاستعمار العالمى والرجعية . ويكتسب هذا الهدف الحيوى ، أهمية لها كيفيتها الخاصة . ومن الطبيعى أن يتجمع حول هذا الهدف ، لاسباب متباينة وبأساليب مختلفة ، كل القوى — العالمية والعربية — المعادية لكل ما تعنيه هذه العلاقة ولكل ما أثمرته من منجزات . سواء فى ذلك ، تلك القوى التى ضربت مصالحها وامتيازاتها طوال سنوات الثورة ، أو تلك التى ترى بخبرتها أن آفاق تطور هذه العلاقة يهدد مصالحها وامتيازاتها فى المستقبل .

واذا كان « نظام مصر : ثورة يوليو » ، قد تعرض لهزة من الاعماق كادت تجهز عليه فى يونيو ١٩٦٧ ، فانه بفضل العلاقة بين مصر : ثورة يوليو ، وبين الاتحاد السوفيتى ، قد حال بشكل مؤكد دون تحقيق الهدف النهائى لعدوان يونيو : الاجهاز على نظام ثورة يوليو .

وعلى هذا الاساس يكتسب هدف ضرب العلاقة العربية السوفيتية بعدين حيويين ، من وجهة نظر قوى الاستعمار العالمى والرجعية . أحدهما : استكمال تحقيق هدف عدوان يونيو ، وثانيهما : ضرب المحور الرئيسى فى علاقة حركة التحرر الوطنى العالمية بحركة الاشتراكية العالمية . الى هذا الحد ترتبط الامور .

بهذا الحجم من المسئولية ، ينبغى فهم التصريحات المتعددة ، سواء للزعيم الراحل عبد الناصر أو للرئيس السادات حول أهمية هذه العلاقة وحمايتها ودعمها ، وتحذير الرئيس السادات من أقوال واعمال اولئك « الذين يريدون الصيد فى الماء العكر » .

فى مجال تحقيق ذلك الهدف المعادى لشعبنا ، تتعدد دوافع الذين يحاولون . ومن المهم التمييز

(٩) — لينين — حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية ص ٤٣٢ — ٤٣٣ — الطبعة العربية — موسكو .

بين الدوافع المتآمرة الخبيثة ؟ وبين الدوافع « حسنة النية » التي تقوم على أساس تصورات ومعطيات خاطئة ،أمام الدوافع الاولى ، من الضرب بحسم وبدون تردد . وامام الثانية ، تصبح المناقشة والحوار معا وسيلة لا بديل عنها وضرورة وطنية فى نفس الوقت ،ليصحح الجميع رؤيته وتتضح الحقائق .

صراع له طابعه الاجتماعي

لقد استقر النظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى بشكل نهائى . وأثبتت التجارب المتعددة أمام قوى الاستعمار العالمى والرجعية ، انه لا أمل فى ضرب هذا النظام . فاسقطت هذا الهدف من حساباتها الاستراتيجية .

واستقرار النظام الاشتراكى ، واحدة من ثمرات منجزاته العظيمة التى تشكل سندا كبيرا للشعوب المناضلة من أجل تحررها وتقدمها . ومن ثم فان العمل من أجل أن تفقد الشعوب ثقتها فى الاتحاد السوفيتى كطليعة ثورية وكقلعة لمساندة تحررها ونسف وحدة القوى الثورية العالمية المعادية للاستعمار (وهى قوى الاشتراكية والتحرر الوطنى) ، مهمة ملحة واستراتيجية فى نظر الاستعماريين والرجعيين .

على الاساس تقوم جوهر سياسة العداء للسوفيت بهدف تشويه خبرة الاتحاد السوفيتى والاسس الفكرية لنظامه وسياسته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وتهدف عملية تشويه نتائج واتجاهات السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى ، الى الايحاء بأن النضال الثورى لا جدوى منه وأن احتمالات الاستفادة من الخبرات الثورية لا طائل وراءها ولا نفع .

القوى المعادية العالمية للشعوب ، تهدف الى محاصرة هذه الخبرة الثورية وعزلها عن حركة التحرر الوطنى . ومن جهة أخرى الى حرمان حركة التحرر الوطنى من حليفها الاساسى وسندها ثم ضرب مواقعها آخر الامر .

والقوى المعادية فى المنطقة ، تهدف اساسا الى اثارة الشكوك حول الاستفادة من الخبرة الثورية التى تحققت .

اما العناصر « حسنة النية » فهى تقع تحت تأثير ما تروجه القوتان السابقتان . ومن هنا أهمية التمييز بينهم . ويكفى ان نأخذ مثالا واحدا لقدرة وامكانيات التأثير هذه ، اذا عرفنا أن ١٤٦ مؤسسة فكرية وثقافية بالولايات المتحدة الامريكية وحدها تقوم بمهمة الحرب الفكرية ضد الاتحاد السوفيتى .

والعداء للخبرة الثورية لشعوب الاتحاد السوفيتى ، تعنى مباشرة العداء للاشتراكية ، وتعنى فى نفس الوقت وبشكل مباشر أيضا تبييض وجه الراسمالية الملطخ فى نظر الشعوب .

تلك هى الحقيقة الاولى والاخيرة فى هذا الصراع ، مع الاشتراكية أم مع الرأسمالية ؟

على أن مهمة ضرب العلاقة بين حركة التحرر الوطنى وبين الاشتراكية ، وبالنسبة لنا هنا ضرب العلاقات المصرية — السوفيتية ،تنطلق على أساس من المفاهيم الفكرية التى تستند الى الدراسات الرأسمالية وترسانتها النظرية فى التاريخ والفلسفة والاقتصاد السياسى والاجتماع .. الخ . ولان مثل هذه المفاهيم تتعلق بأخطر قضايا شعبنا ومستقبله ، فانها جديرة بالاهتمام وبمناقشة أهمها على الاقل .

مفهوم « الدول الكبرى »

فى فلسفة الدعاية الراسمالية ، أنه بالالحاح على فكرة ما وترويجها الدائم بين الرأى العام ، وبغض النظر عن مدى صحة أو سلامة الفكرة نفسها ، يمكن بعد وقت ان يتداولها الرأى العام على أنها حقيقة وبديهية . وأدق مثال تنطبق عليه هذه الفلسفة ، هو ما روج اليه حول مفهوم « الدول الكبرى »أو « الدولتان الكبيرتان » . ويقصد به أن عالم اليوم يتحكم فيه « دولتان » : الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة . وأن توازن القوة بينهما وتقديرات كل منهما لمصالحه الخاصة ، يقودهما — بعد انتهاء الحرب الباردة بينهما — الى « الوفاق » أو « المصالحة » على حسب أي طرف ثالث . وينتهى هذا المفهوم الى القول أو الى الايحاء على الاقل — بشكل مباشر أو غير مباشر — بأنه قد أصبحت هناك اليوم « امبرياليتان » لا امبريالية واحدة تحاولان فرض سيطرتهما عن طريق « التواطؤ » .

وانه لشىء يدعو الى التأمل أن تروج لهذه الفكرة دوائر مختلفة ومتناقضة فى بعض الاحيان . فتارة يروج لها الرئيس الامريكى نيكسون نفسه (فى خطابه الذى القاه فى برمنجهام بولاية الاباما فى ٢٥ مايو ١٩٧٢ وهو يتحدث عن القوتين العظميين فى عالم اليوم). وتارة تقع فى فخاخها بعض الدوائر الوطنية نفسها فى المنطقة العربية .

ويقوم هذا المفهوم على أساس أن الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، يمتلكان قوة اقتصادية وعسكرية ضخمة . ولكنه يصل من هذه المقدمة الى نتيجة خاطئة ومضللة على طريقة « ولا تقربوا الصلاة » وترتبط متداعيات هذا المفهوم «

بما هو معروف فى تاريخ ما قبل الحرب الثانية عن جنون وجشع الدول الكبرى : بريطانيا وفرنسا والمانيا الهتلرية • كما انه معروف فى تاريخ ما بعد الحرب عن جنون وجشع الدولة الكبرى ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ وحروبها الطامعة فى كوريا وفى جواتيمالا والدومينيكان وفى كوبا وفى الكونجو ثم فى فيتنام • كما انه مليء بصفحاتها الملوثة المتآمرة فى ايران وفى الشرق الاوسط وفى تركيا وفى اليونان وفى سائر دول أمريكا اللاتينية والعالم •

ولكن هذا المفهوم يتناسى أن أوجه الشبه بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا **يقف فقط عند حد** انكلا منهما يمتلك قوة اقتصادية وعسكرية ضخمة • كما أنه يتغافل عن عمد ، **الجوهر الاجتماعى** لكل من هذه القوتين • فالواقع والثابت أن الدولتين تنتميان الى نظامين اجتماعيين **متعارضين** ، فالاتحاد السوفيتى هو الدولة والقوة الرئيسية فى **النظام الاشتراكى** • والولايات المتحدة هى الدولة والقوة الرئيسية فى **النظام الرأسمالى** • والتناقض بينهما يقوم على اساس تصادم المصالح بين الاشتراكية والرأسمالية ، وليس على اساس تناقض المصالح الخاصة « السوفيتية » . و « الامريكية » . ويمتد هذا التناقض الى العلاقات الدولية باعتباره تناقض بين « **نظامين** » لا بين « **دولتين** » •

فالقوة الاقتصادية والعسكرية التى أقامها **النظام الاشتراكى** فى الاتحاد السوفيتى ، تخدم مجموعة من المبادىء والاهداف والمثل والمصالح التى تختلف بشكل جذرى عن تلك الاهداف التى تخدمها القوة الاقتصادية والعسكرية التى اقامها **النظام الرأسمالى** فى أمريكا (وهى أهداف ومطامع معروفة للجميع وبالذات لنا نحن الشعوب العربية ولا تحتاج الى تفسير) • بل ان القوة الاقتصادية والعسكرية التى اقامها النظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى هى **العقبة الرئيسية** فى وجه الاطماع التوسعية للامبريالية العالمية •

ويستطرد مفهوم « الدولتان الكبيرتان » ، الى الايحاء بأن التناقضات بين الاتحاد السوفيتى وبين أمريكا ، تشابه تلك التناقضات التى كانت قائمة بين فرنسا وبريطانيا ابان سيطرتهما العالمية • وغنى عن القول أن التناقضات الفرنسية البريطانية ، دارت حول أطماعهما الاستعمارية ولم تستفد الشعوب من هذه التناقضات ، وتثبت التجربة التاريخية للشعوب أن محور تناقضات الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، هو الوقوف السوفيتى ضد كل المؤامرات والمطامع والقهر والعدوان والنهب الامريكى للشعوب •

والواقع أن مثل هذا المفهوم لا يمكن الا أن يؤدى الى بلبلة المشاعر والافكار المعادية للاستعمار وشلها لدى الشعوب • ولهذا تشجع الامبريالية وتروج لمثل هذه المفاهيم •

وهل يمكن التسوية بين مواقف وسياسة « الدولتين الكبيرتين » فى الهند الصينية أو فى الشرق الاوسط كمثالين صارخين أحدهما خبرناه عن قرب وتجربة ؟ •

والاجدر بنا أن نتحدث عن سياسة ومطامع الامبريالية الامريكية فى الشرق الاوسط مثلا • اذ أن الحديث عن النضال ضد أقوى قوى امبريالية فى العالم : الولايات المتحدة الامريكية ، لا يمكن أن يجدى أثرا ، اذا جرى هذا الحديث جنبا الى جنب وفى نفس الوقت ، عن التسوية بين « الدولتين الكبيرتين » •

ويذهب البعض فى مغالطته الى حدود عدم التفرقة بين المساعدات الاقتصادية ومشروعات البناء الاقتصادى التى يقدمها الاتحاد السوفيتى ، وبين تلك « المساعدات » التى تقدمها الولايات المتحدة • ويكفى للرد على هؤلاء أن نقول ان المساعدات السوفيتية تقدم من عمل شعوب الاتحاد السوفيتى اقتطاعا من امكانياته التى تحتاجها برامجه الخاصة بالتنمية ، كما أنها جميعها تقدم فى مجالات التصنيع والبناء الاقتصادى ، وليس فى مجالات انشاء الطرق وما شابه ذلك • بينما نجد أن « المساعدات » الامريكية ـ وبغض النظر عما يحيط بها من مسائل سياسية واجتماعية وشروط تعسفية ـ منهوبة أصلا من عمل الشعوب الاخرى وثرواتها الخاضعة للسيطرة الامريكية • ان أمريكا تنهب بترولنا العربى ـ مثلا ـ وتقدم الغالبية العظمى من « مساعداتها » فى الشرق الاوسط الى اسرائيل لتعتدى بها على العرب أصحاب الثروات والمصادر الاقتصادية التى تجنى منها أمريكا الارباح الطائلة •

المتغيرات الدولية

والتعايش السلمى

يستنتج بعض المحللين السياسيين من بعض الاحداث الدولية الهامة (كدخول الصين الشعبية الامم المتحدة وزيارة نيكسون لبكين ثم لموسكو •• الخ •• الخ) ، أن العالم يمر ـ ان لم يكن قد مر فعلا ـ بمرحلة من المتغيرات الدولية وصلت على حد تعبير البعض الى حالة تغير جذرى فى العلاقات الدولية بلغت حد الثورة . ويربط هؤلاء بين ذلك ، وبين سياسة « التعايش السلمى » التى ينتهجها الاتحاد السوفيتى كمبدأ ثابت فى سياسته الخارجية • وينتهى هؤلاء الى القول بأن مؤدى ذلك كله « تفاهم الكبار » على حساب الاخرين !

ودون أن ندخل فى تفصيلات ليس هذا مجالها ، نقول انه بالرغم من هذه الاحداث شديدة الاهمية ،

الا أن **التناقض الرئيسي الذي مازال يحكم صراعات عالم اليوم ، هي هي التناقض بين معسكر الاشتراكية العالمية ومعسكر الرأسمالية العالمية** ٠ وكل هذه **الاحداث** (الزيارات والاتفاقيات المختلفة) تدخل فى اطار اضطرار العالم الرأسمالى الى الاعتراف بحقيقة استقرار الاشتراكية كنظام عالمى وضرورة التعامل مع هذا النظام العالمى فى مواقعه المختلفة ٠ وفى نفس الوقت الابقاء على عدائه الرئيسى لهذا النظام المنتصر ٠ وذلك الاضطرار فى حد ذاته انتصار للاشتراكية العالمية من جهة ، كما أنه انتصار لسياسة التعايش السلمى ٠

وسياسة التعايش السلمى ، ليست جديدة على الفكر والتطبيق الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى ٠ **وهو مفهوم صاغته أدبيات الفكر الماركسى اللينينى** منذ نصف قرن تقريبا ٠

والمقصود بسياسة التعايش السلمى فى أدبيات الفكر الماركسى اللينينى ، وتطبيقات الاتحاد السوفيتى له فى سياسته الدولية ، **هو المزج بين النضال النشط ضد الامبريالية وبين العمل من أجل تجنب نشوب حرب عالمية نووية** ٠ وقد أدت هذه السياسة أخيرا الى تحقيق انفراج فى العلاقات الدولية وتوقيع اتفاقيات دولية هامة : كاتفاقية الحظر الجزئى للتجارب النووية ، واتفاقية منع انتشار الاسلحة النووية ونزع سلاح الفضاء الخارجى ٠٠ الخ ٠ وقد أثبتت التجربة أن الاتحاد السوفيتى **عندما تفاوض من أجلها ، فقد** أتم ذلك على مرأى من الرأى العام العالمى كله ٠ كما انه لم يحدث أن دخل طرفا فى اتفاقات دولية سرية على حساب أطراف أخرى ٠

ويهمنا فى هذا المجال أن نشير الى قضيتين احدهما أساسية وعامة ، والثانية تفصيلية ٠ ٠

الاولى : أننا نعيش فترة عالمية تتوازن فيها قوة النظام الاشتراكى العالمى وقوة النظام الرأسمالى العالمى ٠ صحيح أن المستقبل لصالح النظام الاشتراكى ، ولكننا نعيش فترة من حالات التوازن التى لم تتفوق فيه بعد وبحسم قوة النظام الاشتراكى ٠ وفى مثل هذه الحالة ، تصبح حل مشكلة محلية ما لصالح أى من أطرافها ، تتوقف بشكل أساسى على الاجابة على السؤال التالى : من من الاطراف المحلية يستطيع بسياسته وبقواه وبتجنيد عناصرها واستخدامها الى أقصى حد ، أن يستغل حالة التوازن هذه ليحل المشكلة المحلية لصالحه ٠ والمقصود هنا أنه فى حالة التوازن يستبعد الى حدكبير دخول اى من القوى الرئيسية فى النظامين العالميين كطرف مباشر وأساسى فى الصراع المحلى هذا ٠ ويترتب على ذلك أن الطرفين المباشرين فى الصراع المحلى ، يتوقف على مدى كفاءة استخدام أى منهما لقوته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، حل الصراع المحلى لصالحه ٠

أما الثانية : متتعلق بالتفسير الخاطىء لبعض البيانات الهامة ٠ فبعد اذاعة بيان محادثات موسكو بين نيكسون والقادة السوفييت ، أشار البيان الى ضرورة العمل على تنشيط مهمة يارنج من اجل الوصول الى حل سلمى لمشكلة الشرق الاوسط على اساس قرار مجلس الامن (نوفمبر ١٩٦٧) ٠ ويستطرد البيان ليقول أن **تحقيق مثل** هذه التسوية السلمية **يمكن أن يفتح الباب الى** تحقيق حالة من الاسترخاء العسكرى فى المنطقة ٠ **ومعنى** ذلك أن **شرط** تحقيق مثل هذه الحالة ، **هو تحقيق** التسوية السلمية ٠ ولكن احدى المجلات الاسبوعية دبجت عددا من المقالات عن أن **الاتفاق قد تم** بين الاتحاد السوفييتى وأمريكا على تحقيق حالة من الاسترخاء العسكرى ٠ وربطت هذه المقالات بين ما زعمته وبين سياسة التعايش السلمى ٠ وغنى عن البيان هنا أن ذلك تحليل أو استنتاج خاطىء ، مع افتراض حسن النية ٠

ونقول هنا أنه اذا كان مطلوبا من الاصدقاء ـ وهذا حق ـ أن يقوموا بتعريف وبتوعية شعوبهم بقضيتنا ، فمن المنطقى كذلك أن نقوم نحن أيضا بالتعريف بحقيقة ما يفعلونه وما يتوصلون اليه ٠ خاصة اذا كانت هذه المعرفة ، شديدة الارتباط بمصيرنا نحن أولا وأخيرا ٠

ويرتبط بهذه النقطة ،مسالة أخرى تفوقها أهمية بشكل عام ٠ هى انه يجب أن تقوم دراساتنا لسياسة وتطورات سياسة أى دولة صديقة لشعوبنا ، من خلال وثائق هذه الدول نفسها ومصادرها الاعلامية والاخبارية نفسها ، لا عن طريق مراجع وأنباء تقدمها المصادر المعادية لها ولنا على حد سواء ٠

الامية ٠٠ والقومية

بحكم ان الاتحاد السوفيتى ، كان اول دولة اقامت الاشتراكية فى التاريخ ، وبحكم التزامه بمبادىء الماركسية اللينينية ، يتحمل مسئولية دعم ومساندة وتأييد والدفاع عن كل حركة ثورية معادية للاستعمار كنظام سياسى وكنظام اقتصادى واجتماعى : أى كنظام رأسمالى ٠

والاممية ـ فى السياسة الخارجية السوفيتية ـ تعنى أساسا اتحاد عمال العالمجنبا الى جنب التضامن النضالى بين شعوب العالم فى مواجهة الاستعمار ٠ وهى تعنى ـ فيما يخصنا ـ دعم نضال الشعوب العربية فى مواجهة الامبريالية والصهيونية ٠ ويدخل هذا الدعم ـ بالضرورة ـ فى اطار الموقف الاممى للاتحاد السوفييتى ، لانه يعنى فى هذه الحالة ، دفع حركة التاريخ الى

الامام وتنشيط العملية الثورية فى هذا الجزء من العالم .

ويسعى بعض الدعايات المناهضة للصداقة العربيه السوفيتية ، الى الترويج لزعم يقول بأن المصالح القومية العربية تصطدم بالاهداف الاممية لسياسة الخارجية السوفيتية وتتعارض معها . وتعلمنا التجارب المختلفة أن هذه الفكرة كانت تمثل دائما الاساس النظرى لاستراتيجية العداء للشيوعية التى روجت لها مؤسسات الدعاية الغربية .

وتذكر الشعوب العربية ، أن سياسة المساندة والتأييد التى انتهجتها مصر : ثورة يوليو ، ازاء كثير من حركات التحرر الوطنى ، سواء فى الوطن العربى أو خارجه ، كانت تلقى هجوما دائما من قبل هذه الدوائر نفسها فى شكل مباشر أحيانا أو غير مباشر أحيانا أخرى .

ومن الواضح أن هذه الدوائر ، تسعى دائما الى الترويج لسياسة تؤدى آخر الامر الى عزل حركة التحرر العربية . سواء الى عزلها عن سائر حركات التحرر الوطنى فى العالم ، بزعم أن تأييد ودعم حركة التحرر العربى لهما ، تبديد لامكانياتها ، أو الى عزلها عن الاتحاد السوفييتى ، بزعم أن دعمه لمصر ومساندته لها ، يهدف الى تحقيق مصالحه هو على حساب مصالح مصر .

والواقع أن المصالح الاممية للمعسكر الاشتراكى ككل ، وأن المصالح العامة لحركة التحرر الوطنى العالمية ككل ، وأن المصالح المشتركة للمعسكر الاشتراكى وحركة التحرر الوطنى معا ، تنبع جميعها من أساس واحد : هو المصالح القومية لكل بلد على حدة .

والدفاع عن المصالح القومية ، هو الواجب العظيم لكل وطنى . وهو معيار لوطنيته وارتباطه بشعبه ومصالحه الجماهيرية . وفى نفس الوقت ، وبنفس المعيار ، فان الواجب الاممى يشمل التضامن والمساعدة المتبادلة فى المعركة المشتركة ضد الاستعمار العالمى . ان ذلك لا يقلل من دور او من اهمية جهد كل أمة فى بناء تقدمها . ولكنه لا يمكن - بل ولا يجب - خلق تعارض بين هذا الجهد وبين تضية التعاون المشترك ضد العدو المشترك . كما أنه لا يمكن - بل ولا يجب - اعتبار المصالح الاممية وسيلة لتبرير التقليل من أهمية المصالح القومية .

محاولة لتصور « عالم اليوم » في غياب الاتحاد السوفيتي

سوف يظل نجاح الانسان فى تفجير الثورة الاشتراكية ، أهم الاحداث فى تاريخ الانسانية ،ذلك ان الثورة الاشتراكية بنهجها الجماهيري النضالى وقوانين حركتها العالمية تأتى تتويجا لكفاح طويل وشاق خاضه الانسان - دون انقطاع - من اجل تحقيق انسانيته . فالثورة الاشتراكية تلغي - لاول مرة - بعد تجربة المشاعة البدائية ، سكر وواقع ونظام استغلال الانسان للانسان .. هذا الاستغلال الذى يرزح فى قيوده وظلمته - بصور ودرجات مختلفة - خلال مراحل العبودية والاقطاعية والرأسمالية ، الكم الساحق من البشرية العاملة والمنتجة ، لصالح قلة صغيرة مميزة .

وسوف يظل من اهم احداث القرن العشرين تجسيد حلم الانسان وثورته ضد الاستغلال ، فى كيان اجتماعى - سياسى متقدم تكنولوجيا ، قوى اقتصاديا وعسكريا ، تزدهر فيه حرية

الانسان وابداعه وفكره وفنه . يملك القدرة على التصدى بشجاعة وثبات للكيان الرأسمالى وتزداد فى داخله امكانيات التفوق عليه . ويقدم فى النهاية ، نموذجا ملهما وحليفا صادقا لشعوب العالم ، دون ما تمييز بسبب الجنس او الدين او اللغة .

واذا أردنا اليوم ان نصوغ تعريفا مكثفـــا للاتحاد السوفيتى ، لقلنا انه : **محصلة التفاعل الخلاق بين أهم حدث فى تاريخ الانسانية ، وبين اهم حدث فى تاريخ القرن العشرين .**

من هنـا يكتسب الاتحـاد السوفيتى وزنه القيادى اشتراكيا وعالميا . ومن هنا ايضا فان خبراته المتعددة فى مجالات البناء الاشتراكى ، تغنى تراث الانسانية بزاد ، نظرى وعملى ، غير مسبوق فى التجربة الانسانية . والخبرة التى يكشف عنها الاتحاد السوفيتى ، فى هذا الميدان البكر انسانيا .. ميدان البناء الاشتراكى ..

تتميز بعدة سمات اساسية

فهى أولا ، خبرة شاملة فى نظرتها الى الحياة والمجتمع ، ممتزجة بدم ولحم الحياة. تنهج طريق الماركسية اللينينية التى ترفض الفصل الميكانيكى بين الماديات والمعنويات ، بين البنـاء التحتى والبناء الفوقى ، بين القومية والاممية .

وهى **ثانيا** ، خبرة ذات عمر تجاوز نصف قرن تحدت الزمان والمكان وركام ضخم من المشاكل والصعاب والصراعات الدوليـة والاجتماعية ، تداخلت فيها مهام الديمقراطية البرجوازية مـع مهام دكتاتورية البروليتاريا ، دوائر العنف الدامى مع دوائر التنافس والتعايش السلمى .

وهى **ثالثا** ، خبرة متنوعة فى ظروفها ومجالاتها ذلك انها تتصل بمساحة جغرافية شاسعة ، منها ما هو اوروبى ومنها ما هو آسيوى . وتتعلق ببلاد تفاوتت فيما بينها من حيث درجات التطور الاقتصادى والثقافى ، وتتعامل مع اكثر من مائة قومية متعددة الحضارات واللغات والتـكوين النفسى . ولعل فى مقدمة الخبرة التى يقدمهـا الاتحاد السوفيتى للعالم هو « الحل الاشتراكى لمشكلة القوميات » ، الذى صفى تصفية جذرية جميع اشكال القهر والظلم القومى الذى كانت تمارسه روسيا القيصرية ضد العديد من القوميات وفتح الطريق رحبا امامها لتتطور وتزدهر كأسرة واحدة .

والخبرة السوفيتية **رابعا** ، وبحكم معاناتها غير المسبوقة مـع قضايا ومشـاكل البنـاء الاشتراكى ، لا تفصح عن نفسها للعالم بشـكل احادى الجانب ، وانما ثنائى وجدلى معا . ذلك انه بجانب الحلول الايجابية للمشاكل والقضايا ، **توضح دون خفـاء وبتواضع ثورى الاخطـاء** والجوانب السلبية التى كشفت عنها الخبرة من خلال النقد الذاتى الذى مارسه الحزب . وذلك ما يوفر على شعوب العالم وقتا ثمينا وجهـدا قد يبذل دون طائل .

والخبرة السوفيتية **خامسا** ، لا تضع شروطا للاستفادة منها . ولا تفرض حلولها وخطوطها بالقهر أو القمع . وانما هى مطروحـة طرحا جدليا بحيث يمكن تمييز العام والشامل منها عن الخاص والسوفيتى .

وفى تقديرى أن المغزى الجوهرى لهذه الخبرة يكمن فى الوزن الذى يحتله الاتحاد السوفيتى فى عالم اليوم . وبتعبير آخر فان المغزى يتحدد بدقة فى ما يمكن أن نسميه « **ظاهرة الاتحـاد السوفيتى فى العالم المعاصر** » .

ولكى نستطيع أن نحدد أبعاد هذه الظاهرة ، فانى افضل مناقشة الموضوع فى ضوء سؤال رئيسى :

كيف نتصور عالم اليوم بدون الاتحـاد السوفيتى ؟ وبعبـارة أخرى ، ماذا كان يكون عليه الوضع خلال الخمسين عاما الماضية اذا لم تنجح ثورة اكتوبر عـام ١٩١٧ ، وتبنى الاتحاد السوفيتى، وتتطور به الى المكانة القيادية التى يحتلها فى عالم اليوم ؟

دعونا نمضى فى الاجابة على هذا السؤال من خلال طرح مجموعة من التساؤلات ، نستلهمها من واقع حركة الصراع فى العالم خلال نصف قرن الماضى .

● نستطيع ان نصـوغ **تساؤلنا الاول** على النحو التالى :

اذا كان الحزب الشيوعى السوفيتى بقيادة لينين ، قد أخطأ فى حساباته عن امكانيـات نجاح ثورة اكتوبر فى روسـيا القيصرية عـام ١٩١٧ . وذلك باعتبارها أضعف حلقات السلسلة الرأسمالية . ولم يبادر الحزب ، بالتالى ، الى قيادة جماهير الشعب العاملة من أجل تفجير الثورة الاشتراكية فى بلد واحـد أصبح مؤهلا موضوعيا للتغيير . وبتعبير آخر اذا كان قـد قيض لخط « المنشـفيك » ان ينتصر على خط « البلشفيك » .. هل كان الخط الاشتراكى فى العالم سيصل اليوم الى النتيجة التى وصـل اليها بالفعل ؟

اذا كانت هذه الفرصة التاريخية التى تولدت من التحام واقع الحياة بالارادة الثورية الانسانية قد ضاعت وتبددت .. ترى متى كانت البشرية تحظى بفرصة تاريخية أخرى .. بعـد كم من السنين ، وخلال أى عدد من التجارب الفاشلة

ذات التضحيات الجنسيمة ؟ أم ترى ان الخط الذى كان سيبقى سائدا ، امام افتقاد تجربة رائدة وناجحة ، هو ذلك الخط المغامر .. خط الثورة العالمية لكل الطبقات العاملة فى كل بلدان العالم ، والذى تجسد فى نظريات « **تروتسكى** » وغيره مما ثبت بالمحك العملى فشله المأساوى .

واذا لم تكن « ثورة اكتوبر » قد تحققت وانبثق عنها الاتحاد السوفيتى القوى المتطور على انقاض بلاد ذابلة متخلفة ، هل كان الخط الثورى للاشتراكية العالمية بقى — بطريقة الفهم الميكانيكى للماركسية — اسير نظرية اولوية الثورة الاشتراكية فى البلدان الراسمالية المتقدمة ؟ وهل كان مقدرا لهذه النظرية النجاح وذلك فى مواجهة الحقيقة التى يؤكدها لنا واقع اليوم ، والتى تكشف عن انه بالرغم من تغير علاقات القوى فى العالم لغير صالح الراسمالية فان اكثر البلاد تقدما فى اوروبا الغربية وامريكا الشمالية ، ماتزال لم تحقق ثورتها الاشتراكية بعد ؟

● وتقودنا علامات الاستفهام الاولى الى **تساؤلنا الثانى :**

كيف كان يؤول اليه مسار التاريخ اليوم لو ان ثورة اكتوبر لم تقدر على الصمود فى وجه الموجات العاتية والشرسة من الحروب الاهلية وحروب التدخل الامبريالية ، وتمضى بعد انتصارها عليها فى بناء الاتحاد السوفيتى كاول واقوى بلد اشتراكى .. هل كان فى مقدورنا اليوم ، لو ان الثورة اكتوبر ضربت ، ان نتحدث عن معسكر اشتراكى وعالم اشتراكى ؟ هل كان يمكن ان تكون السمة الرئيسية التى تطبع عالم اليوم — كما هى الان — سمة التحول العالمى الى الاشتراكية ؟ هل كان يكون الحديث — اليوم — جادا وملموسا عن تلاحم روافد قوى التحرر والتقدم والسلام الثلاثة : البلدان الاشتراكية ، الطبقة العاملة العالمية ، حركة التحرر الوطنى ؟

ربما يقال ان سير التاريخ كان لا يتوقف . وهذا صحيح . وبالتالى يمكن تصور ان دولة او اكثر اشتراكية تخرج الى الوجود من خلال ثورات متعاقبة . والسؤال الذى يرد فى هذه الحالة هو : هل كانت هذه الدولة او الدول المفترضة قادرة وحدها — كما فعل الاتحاد السوفيتى — على الصمود للهجوم الرأسمالى العالمى المضاد ؟ ان علينا هنا ان نأخذ فى الاعتبار ؟ حجم الدولة وموقعها الجغرافى وطاقاتها الثورية الداخلية ؟ ونضيف الى ذلك كله حقيقة تاريخية هامة هى أن ثورة أكتوبر ، بعد فشل الحروب الاهلية وحروب التدخل عانت حصارا اقتصاديا وسياسيا ودعائيا رهيبا ، ولكنها قاومت ذلك كله بنجاح من خلال تحصنها فوق رقعة جغرافية ضخمة قطعتها من العالم الرأسمالى ، تمثل سدس مساحة الكرة الارضية .

ربما يقال — ايضا — ان مجتمعا ضخما وكبيرا كالمجتمع الصينى كان بمقدوره ان يمضى فى تحقيق ثورته الاشتراكية . وهذا ايضا مقبول نظريا . ولكن فى الواقع العملى ، وفى ضوء الظروف الموضوعية للثورة الصينية المعروفة لنا تاريخيا اليوم ، وعلى الرغم من بسالة وكفاح الحزب الشيوعى الصينى والشعب الصينى ، فان وجود الاتحاد السوفيتى بقوته الى جوار الثورة الصينية كان واحدا من العوامل الرئيسية التى عجلت بانتصار الثورة الصينية عام ١٩٤٩ .

واذا جاز لنا تصور غياب الاتحاد السوفيتى عن خريطة العالم فى اواخر الحرب العالمية الثانية ، وافترضنا فى نفس الوقت ان الثورة الصينية قد تم انجازها فى ذات الموعد المعروف .. الم تكن الامبريالية الامريكية قادرة — وقتذاك — على تنفيذ خطتها التى كشف عنها **الجنرال « ماكارثر »** ، بضرب الثورة الصينية بالاسلحة الذرية التى كانت احتكارا امريكيا فى ذلك الوقت واستخدمتها بالفعل ضد اليابان ؟ الم يكن فى وجود الاتحاد السوفيتى وخروجه من الحرب العالمية منتصرا وقويا ومساندا للصين الشعبية هو الذى الجم الامبريالية الامريكية ومؤسستها العسكرية من استخدام السلاح الذرى ضد الصين ؟

● **تساؤل ثالث : ماذا لو حاولنا تصور حجم ونوع النتائج التى كانت تنتهى اليها الحرب العالمية الثانية ، لو ان الاتحاد السوفيتى لم يكن قائما ولم يلعب دوره الحاسم ضد النازية ، حتى هزيمتها فى عقر دارها ؟**

ماذا كان يكون عليه الموقف العالمى الان لو ان الاتحاد السوفيتى ، لم يضحِ من اجل سلام البشرية وحريتها وحمايتها من النازية ، بحياة عشرين مليونا من ابنائه ، و ٧٠ الف مدينة وقرية وحوالى ٣٠ ٪ من ثروته القومية .. هل كان يمكن ان يسجل الحلفاء نصرهم — دون قيد او شرط — على المحور النازى ؟ ام ان العكس كان مقدرا له ان يحدث ، وكنا نعيش اليوم ازمة انتكاسه خطيرة لتقدم البشرية وحضارتها من خلال السيطرة النازية ؟ ام ربما كان فى دائرة

الامكان عقد نوع من المساومة الدولية فى داخل الاطار الاستعمارى بين الاحتكارات الالمانية والايطالية واليابانية وبين الاحتكارات البريطانية والفرنسية والامريكية ، وذلك على حساب الشعوب عامة وشعوب المستعمرات فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية بصفة خاصة ؟

ثم .. هل كان يمكن — فى غياب الاتحاد السوفيتى — ان تتوالد موضوعيا فى حياة العالم الجديد — بعد الحرب العالمية الثانية — الظواهر التاريخية الثلاث الجديدة : عالمية الاشتراكية ، عالمية حركة التحرر الوطنى ، ضرب الاستعمار القديم فى الصميم وتصفية معظم قواعده فى « العالم الثالث » ، وتحول دوله الكبرى التى كانت مهيمنة تاريخيا لمرحلة زمنية طويلة — وكانت توصف احداها بأنها الامبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس — الى دول من الدرجة الثانية .

● وينبنى تساؤلنا الرابع ، على افتراض تواجد البلدان الاشتراكية ، ونجاح حركات التحرر الوطنى فى احراز الاستقلال الوطنى لعدد من البلدان التى اصطلحنا على تسميتها « بالعالم الثالث » .. هل كان فى مقدور البلدان الاشتراكية ان تعمد وان تمضى فى بناء نظامها الاشتراكى ، وذلك فى غياب الاتحاد السوفيتى ومعوناته المادية والفنية والمعنوية ، وحمايته القوية الفعالة ؟

هل كان بالامكان — فى غياب الاتحاد السوفيتى وممارسته لواجبه الاممى بشجاعة ، ان تنتصر قوى الثورة الاشتراكية — بمفردها — على قوى الثورة المضادة المشحونة بالدعم الامبريالى فى كل من المجر عام ١٩٥٦ ، وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ؟

هل كان يمكن لبلدان التحرر الوطنى ان تحقق بجانب استقلالها السياسى ، استقلالها الاقتصادى ، وتسيطر على مواردها الطبيعية ، ويبنى عدد منها نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية على طريق التطور اللارأسمالى وذلك دون مساعدة ودعم الاتحاد السوفيتى ؟

وهل كان يمكن فى غياب الاتحاد السوفيتى ومعوناته الغير مشروطة ان تبنى مشروعات السد العالى فى أسوان ومجمعات الحديد والصلب بمصر والهند والجزائر ، وسد الفرات فى سوريا الخ .. بالاوضاع والظروف التى تمت فيها ؟

وهل كان يمكن ان تفشل الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل فى تحقيق اهدافهما الاساسية فى اسقاط النظم التقدمية العربية ، على الرغم من الانتصار العسكرى وهزيمة العرب وفقدانهم لاكثر من ٨٠ ٪ من أسلحتهم ، كما أكد على ذلك كل من الرئيسين جمال عبد الناصر وأنور السادات ، لو لم تجد الشعوب العربية فى صمودها ومقاومتها للهزيمة العون العسكرى والسياسى والاقتصادى من الاتحاد السوفيتى ؟

وبتعبير آخر ماذا كانت تكون عليه خريطة الشرق الاوسط ، بعد عام ١٩٦٧ لو لم يكن الاتحاد السوفيتى بكل الوزن العالمى الذى يمثله حقيقة حية ، وفى صف العرب ؟

● ونأتى اخيرا — وليس آخرا — الى التساؤل الخامس :

ماذا كانت تكون عليه علاقات القوى فى عالم اليوم لو لم يكن الاتحاد السوفيتى قائما فى مواجهة الولايات المتحدة الامريكية أغنى وأقوى دولة امبريالية فى تاريخ البشرية ؟ ماذا كان مصير السلام العالمى والامن الدولى اليوم ، لو كان الاتحاد السوفيتى غائبا ، وظلت الامبريالية الامريكية بكل جبروتها محتكرة للتقدم التكنولوجى وللقوة وخاصة القوة النووية الرهيبة ؟ هل كانت ستظل مشلولة اليد عن استخدامها ضد ثورات الشعوب فى العالم : الوطنية التحررية ، والاجتماعية الاشتراكية .. أم كانت ستتقدم بحكم طبيعتها العدوانية على المغامرة بشن الحرب النووية فى العالم ؟

هل كان يمكن — فى غياب الاتحاد السوفيتى بقوته الذاتية ووزنه العالمى — ان تفرض سياسة التعايش السلمى على الدول الامبريالية ، كبديل موضوعى للحرب النووية الشاملة ؟

اغلب الظن أن الانسانية — فى مثل هذا التصور — كانت تواجه حالة شبيهة بحالة « السلام الرومانى » القديم . ونعنى به السلام الامريكى ، الذى تبسط الامبريالية الامريكية — من خلاله ووفق قوانينها العنصرية الخاصة — سطوتها واستغلالها لكل الشعوب دون مارادع أو خوف .

وبعد .. نستطيع أن نمضى فى تساؤلنا الى مالا نهاية عن تصور « عالم اليوم » ، دون الاتحاد السوفيتى . وقد تختلف تصوراتنا فى الجزئيات او التفاصيل ، هنا وهناك . ولكن يظل الجوهر فى كل تصور أن ثورة اكتوبر والاتحاد السوفيتى يمثلان موضوعيا وتاريخيا محورا اساسيا من محاور الحرية والتقدم والسلام فى عالمنا .





• جمهورية مصر العربية •

تغييرات فى القوات المسلحة

• السودان •

روبرت ماكنمارا
ووكالة التنمية الدولية

• المغرب •

مجلس ثورة أوفقير
يهتف بحياة الملك

تقارير خاصة

• جهود اسرائيلية لتخريب المؤتمر العالمى للعدل والسلام فى الشرق الاوسط

• المعاهدة بين دولتى المانيا هى الفائز فى انتخابات بون

رسالة من بغداد

ندوة البترول والمعركة .. والعراق

■ جمهورية مصر العربية

تغيرات في القوات المسلحة

قام الرئيس أنور السادات في ٢٧ اكتوبر الماضى باجراء حركة تغييرات فى قيادات القوات المسلحة ، شملت تغيير الفريق اول احمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة ، وقبول استقالة الفريق أول محمد احمد صادق نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية والانتاج من جميع مناصبه ، وتعيين المهندس احمد كامل البدرى وزيرا للانتاج الحربى ، وتعيين الفريق محمد ابراهيم سليم مديرا للكلية الفنية العسكرية ، وتعيين الفريق بحرى فؤاد محمد زكرى قائدا للقوات البحرية ، خلفا للواء بحري محمود عبد الرحمن فهمي .

وقد وجه الفريق أول أحمد اسماعيل كلمة الى القوات المسلحة بمناسبة توليه مهام منصبه الجديد أعلن فيها « ان هدفنا واضح ومحدد ، أنه المعركة التى غايتها النصر ، واننا نواجه عدوا بدا ينظر الينا باستهانة اعتقادا منه أننا غير قادرين على القتال مما جعله يعربد فى المنطقة بأسرها دون خوف من ردع أو عقاب » .

كما عقد الفريق اول احمد اسماعيل اجتماعا مع القادة والضباط في القوات المسلحة ، وعرض أمامهم صورة كاملة للموقف السياسى العـام والظروف الحالية التـي حـدثت مـؤخرا .
وقال : « انه من الواجب معرفة سياسة الدولة عموما ومركزنا فيها ، ومن الذى يؤيدنا ومن الذى ضدنا ، وفين حدودنا ومين صديقنا » . وشرح فى كلمته موقف كل من امريكا ، والدول الغربية ، والاتحاد السوفيتى .

وعن موقف امريكا قال : ان اسرائيل هى عدونا الاساسي وأمريكا لا يرجي منها خير مهما حاولنا وعملنا ، ولا يمكن ان تفضلنا على اسرائيل ، ولو ان مصالحها كثيرة وكبيرة فى منطقتنا ، وانها تعتبر اسرائيل حاملة طائرات لها في المنطقة ، وان امريكا هي زعيمة الاستعمار ويهمها ان تبعدنا عن الاتحاد السوفيتى .

وعن موقف الدول الغربية قال الفريق اول احمد اسماعيل ان كل ما يهم الدول الغربية اننا نفتح قناة السويس لانها اضيرت من غلق القناة ، وهم بيحاولوا يفتحوها بأى شكل ، ولذلك بيقدموا اقتراحات مختلفة هدفها الاساسي فتح القناة ، هي دى مصلحة الدول الغربية بيقدموا بعض المقترحات لفتح القناة ، وبيقولوا بعد ما تتفتح القناة نبقى فيه مفاوضات علشان سيناء ، ولكن عندما تتفتح قناة السويس ، لن يكون لهم اي اهتمام بالمنطقة .

وتحدث عن موقف الاتحاد السوفيتي وقال : ان الاتحاد السوفيتى له مصلحة في المنطقة ، له دول اشتراكية ، لـه دول بتحـارب الاستعمار والامبريالية ، دخل اسطوله البحر الابيض فى مواجهة الاسطول السادس ، وفي نفس الوقت بنقول انه ساعدنا ولا ننكر ذلك ، ساعدنا فى سنة ٦٧ ، اعطانا السلاح وعمل لنا جسر جـوى . ساعدنا فى بناء السد العالى ، وساعدنا فى بناء اقتصادنا . كل ذلك لان له مصالح مشتركة معنا احنا الاثنين ضد الامبريالية وبنحارب الاستعمار ، وهو الانبيعتبر اسرائيل عدوا لهايضا ـ احنا لينا اشتراكيتنا النابعة من ارضنا ، وهو له شيوعيته التى يؤمن بها » .

وأوضح وزير الحربية ، ان الاتحاد السوفيتى قد استمر في تنفيذ التعهدات السابقة حتى بعد القرارات التي اتخذت بشأن الخبراء العسكريين السوفييت فى ٨ يوليو الماضى . وان السوفييت قد أبدوا استعدادهم للتعاون معنا مع تأكيدهم لحقنا فى ان نسلك كل الطرق والوسائل لتحرير أرضنا .. واننا من منطلق سياسة الباب المفتوح نرحب بالسلاح من اى دولة سواء فى الشرق او الغرب ، وان الارض المحتلة أرضنا ، واحنا اللى علينا تحريرها ، ونحن كدولة لم نتجه الى اليسار ولا الى اليمين . وان اسرائيل ليست بالعدو الذى لا يقهر هذا ما أكدته معارك الطيران ومعركة رأس العش وغيرها من المعارك التي وقعت بعد عام ١٩٦٧ ، والمفروض ان نعطى العدو حقه دون مبالغة او استهانة ، وان القوات المسلحة مليئة بالرجال والابطال ولديها السلاح .

■ ■

■ السودان

روبرت ماكنمـــارا ووكـالة التنميـة الـدولية

في سبتمبر الماضي زارت بعثة وكالة التنمية الدولية الامريكية السودان لمسح احتياجات

السودان . وقد رأس هذه البعثة ادوارد هوجن مدير التخطيط الانمائى بالقسم الافريقى التابع لوكالة التنمية الدولية (المعونة) وكلارنس جولبك (التخطيط والتمويل) وماديسون برودنكس (الزراعة) وأورين وبنسدت (المواصلات) وهارد أودلو (التدريب) — وباتريك رمونجت . وقد سبق لهوجن وبرودنكس العمل بهيئة المعونة الامريكية بالسودان .

تعليق

مصر .. ومحور الاحتفالات بألفية الأزهر

الامر الذى لاشك فيه ، أن الاشكال التى ستاخذها احتفالات مصر بالعيد الالفى لقيام الجامع الازهر سترتبط ارتباطا وثيقا بالاهداف والمضامين التى تتوخاها مصر من وراء هذه الاحتفالات .. وهى أهداف ومضامين لابد وأن تأتى متفقة ومتجاوبة مع طبيعة الظروف التى تمر بها مصر فى هذه السنوات .. ولابد أن تستجيب للقضايا الملحة على ضمير امتنا فى ظرفها الراهن ، وأن تكون اسهاما جادا فى تجاوز لحظات الالم التى يعيشها شعبنا منذ سنة ١٩٦٧ .

صحيح ان هناك العديد من الجوانب فى حياة هذه الجامعة العتيدة لابد وأن تبرزها هذه الاحتفالات ، ولابد من أن تسجلها انشطة لجان الاحتفال وأدواته كى تتجسد فى أعمال مادية يعيشها الجيل الحاضر والاجيال المستقبلة ، ويرى فيها الناس بمصر وغير مصر السيرة والانجازات الرائعة التى حققها هذا الصرح الفكرى والتعليمى والوطنى العظيم ، لا لمصر وحدها ، بل وللعرب والمسلمين فى كل بقاع الدنيا منذ عشرة قرون ..

هناك الجوانب المعمارية لبنائه ، ولها متخصصون وعشاق وهواة .. وهناك المخطوطات التى حفظتها مكتبته عندما دمر التتار مكتبات بغداد وأغرقوا كنوزها فى نهر دجلة ، فحفظت مكتبة الازهر لهذه الامة الفكر التى ضمن لها استمرار ملامحها وقسماتها القومية والروحية ، ودفع عنها خطر التحلل والفناء . وهناك الانتاج الفكرى الذى قدمه شيوخ الازهر وأبناؤه ، والذى ينتظر الكثيرون من المثقفين أن يروه مجموعا — على الاقل عناوينه وتوصيفه . فى « بيبليوجرافية » تصبح دليلا اليه وسبيلا للاستفادة منه . وهناك الاحصائيات التى تحكى تطور التعليم فى الازهر ، والتى ستقدم للباحث صورة التعليم بمصر والعالم الاسلامى ، خصوصا فى فترات لم يكن هناك علم ولا تعليم خارج هذا المعهد العتيد .. وهناك علاقات الازهر الخارجية : خريجوه الذين انتشروا فى مختلف قارات العالم ، والمراكز التى شغلوها أو يشغلونها الان ، وما يمكن أن تقدمه دعوة الكثيرين منهم الى هذه الاحتفالات ، وتجديد الصلات الفكرية والسياسية بهم ، ما يمكن أن يقدمه ذلك لقضايانا العادلة فى ظروفنا الراهنة .. وعلاقات الازهر الشاحبة بمراكز الابحاث والاستشراق ومكتبات المخطوطات العربية فى الخارج ، وما تمثله احتفالاته من امكانية لبدء صفحة جديدة فى هذا المجال ، يجب أن تتميز بالنشاط والوعى والتنظيم .. وعلاقات الازهر باجهزة التعليم فى البلاد العربية والاسلامية ، تلك التى أصابها الضمور منذ أن ضاقت أبواب الازهر عن استيعاب كل الراغبين فى دخوله من الاشقاء العرب والمسلمين ، فاقتصرت ابوابه على السماح فقط للحاصلين على منحه المحدودة بعد أن ظلت القرون الطويلة لا تصد راغبا عن العلم والتعليم فيه .. الخ .. الخ

ولكن الامر الذى لابد أن نعيه ، والذى نود أن نضعه بين يدى المخططين والمنفذين لبرامج هذه الاحتفالات ، يتلخص فى ضرورة أن نتذكر دائما أن هذه الاحتفالات يقيمها شعب مصر لجامعته العتيدة ، ومن ثم فلابد لهذه الاحتفالات من أن تستجيب للقضايا الملحة والمصيرية التى يعيشها « كل » أبناء هذا الشعب ، وحتى الانشطة التى يقتصر الاهتمام بها على نفر من المتخصصين ، لابد وأن تطبع بذلك الطابع الاساسى ، الذى هو الشغل الشاغل لامتنا اليوم : بعث الروح الوطنية لانجاز مهام التحرير لارضنا المحتلة ، وهزيمة المخطط الامبريالى الصهيونى الذى يحاول خنق أنفاس هذه الامة .. والتسلح بالاستنارة الفكرية والحضارية ، وبالوحدة الوطنية ، لبلوغ هذا الهدف المقدس ، وانجاز هذه المهمة التى لابديل لها ، أن كنا حقا نريد الحياة الكريمة كخلف صالح لذلك السلف الطيب الذى أقام الازهر ورعاه منذ عشرة قرون .

ومن هنا كان ضروريا أن نتقدم الى المعنيين بالتخطيط والتنفيذ لهذه الاحتفالات راجين أن يكون المحور الذى تدور من حوله كل أنشطة الاحتفالات وأشكالها هو « الدور الوطنى الذى لعبه الازهر فى كل المعارك التى خاضها هذا الشعب ضد الغزاة » ، وذلك حتى تكون احتفالاتنا بالفية الازهر نقطة انطلاق فى تعبئة وطنية عميقة الجذور ، تاتى من خلال التاثر بهالة التاريخ ، تاريخ تلك الجامعة التى لها فى نفوس الجميع قداسة ليست لغيرها من الجامعات ..

وأيضا أن نبرز فى دور الازهر الوطنى هذا تلك القسمة التى رعاها دائما ، شيوخه وأبناؤه ، فى ظروف صراعاتنا الوطنية ضد أعدائنا ، قسمة الوحدة الوطنية لكل الذين يعيشون على أرض مصر ضد كل الطامعين فيها .

وأيضا أن نبرز من جوانب هذا الدور الوطنى للازهر كيف كان شيوخه الكبار المستنيرون يواجهون التحديات الوطنية بالاستنارة الفكرية والتفتح على حضارات الاعداء وعلومهم ومناهجهم العقلانية فى التفكير وطرق البحث ، لا بالانغلاق على الذات والتقوقع والذبول .

ونحن اذا شئنا أن نضرب الامثلة من تاريخ الازهر الوطنى لبعض المواقف التى يجب أن تبرز ، وتتحول الى خيط متصل يسلك فيه تاريخ هذا المعهد العتيد ، اذا شئنا الامثلة تداعت الى ذاكرتنا العشرات ، بل المئات .. بل الالوف .. ويكفينا هنا أن نقدم مثالا واحدا لكل جانب من الجوانب البارزة التى نحرص ، بالحب والاخلاص ، على أن تبرزها هذه الاحتفالات وتضعها بين يدى أمتنا ، كى تثرى وجدانها ، وتساعدها على احراز نصرها الوطنى المأمول .. فمثلا :

١ — نحن نحتفل بالفية الازهر الذى أنشأه الشيعة الفاطميون بمصر سنة ٩٧٠ م ، والذى بقى جامعة للفكر الشيعى الاسلامى حتى غير صلاح الدين الايوبى برامج التعليم فيه سنة ١١٨٦ م . أى أن هناك أكثر من قرنين فى حياة هذا المعهد قضاهم كجامعة للفكر الشيعى ، ونحن لانسقط من حسابنا — كسنيين — هذه الحقبة ، بل نعتز بها — وطالما نحن لا نتخذ من تحويل صلاح الدين للازهر من « الشيعة » الى « السنة » نقطة البداية ، فحسب أن يعنى ذلك بالنسبة لاحتفالاتنا ان يفرج الازهر فيفتح ذراعيه لتراث هذه الامة بالوانه المتعددة ، وفكرها العقائدى ومذاهبها الفلسفية على اختلافها وتمايزها ، وأن يكون التقدم والاهتمام بما يدفع عجلة تطورنا الفكرى والحضارى الى الامام ، بصرف النظر عن تلك المذهبيات العتيقة التى هى من مخلفات صراعات تاريخية بادت وبادت ظروفها وباد أصحابها ، ويريد أعداء هذه الامة أن تظل مشدودة اليها بحبال التخلف والتعصب الذميم .

وفى النصف الاول من الشهر الماضى (نوفمبر) زار روبرت ماكنمارا رئيس مجلس ادارة البنك الدولى للسودان ـ وعقد ثلاث اجتماعات مع راء التخطيط والخزانة والاقتصاد الوطنى

ووزراء الزراعة والرى والموارد الطبيعية ووزراء النقل والمواصلات والصحة والتربية والاصلاح الادارى والتعليم والبحث العلمى · ثم عقد لقاءا خاصا مع وزير الخارجية السودانى · والمعروف

---

٢ ـ نحن نحتفل بالفية الازهر ، وهناك اقدام للفـــزاة الفاشيست الجدد ـ [الصهاينة المتحالفون مع الامبريالية الامريكية] تدنس أرض وطننا المصرى والعربى .. فيجب أن يبرز الازهر فى احتفالاتنا به صفحات المجد الوطنى الذى قاده وأذكاه شيوخه وأبناؤه .. ضد التتار .. وضد الصليبيين ـ وضد بونابرت ، وفريزر ، وسيمور ، والخديو توفيق ، والى جانب الظاهر بيبرس وعرابى وسعد زغلول .. الخ . الخ .

٣ ـ نحن نحتفل بالفية الازهر ونحن نواجه أعداء ترتبط قوتهم بعلوم العصر وحضارته . ومن هنا وجب أن يبرز الازهر دور شيوخه الذين وقفوا ضد الغزاة ، وفى ذات الوقت فتحوا عيونهم وقلوبهم وعقولهم على حضارات هؤلاء الغزاة ، ودعوا للتسلح بها كأدوات لا غنى عنها فى هـــذه الصراعات فالشيخ حسن العطار [١٧٦٦ ـ ١٨٣٥ م] شيخ الجامع الازهر بخرج من احتكاكه بالجوانب العلمية لحملة بونابرت مقتنعا بأن « بلادنا لابد أن تتغير أحوالها ، ويتجدد بهـا من العلوم والمعارف ما ليس فيها » ورفاعة الطهطاوى [١٨٠١ ـ ١٨٧٣ م] يقدم الى الفلاح المصرى والصـــانع المصرى والتاجر المصرى خلاصة ما ضمنه علماء حمـلة بونابرت فى كتابهم [وصف مصر] ثم يرفض قول الفرنسيين : ان هذه الاصلاحات المقترحة لن تتحقق الا اذا « دامت هذه المملكة فى قبضة الفرنســاوية » يرفض الطهطاوى هـــذا المنطق الاستعمارى ، ويقول : ان مرجعه شهوة الاستعمار القاتلة للنفوس ، والشبهات الفاسدة ، والايغـال فى الدهاء .. ويفرق بين الود الحضارى والصفاء فى التعاون العلمى ـ وهو ما يجب الحرص عليه ـ وبين « الضم والاستعمار » وهو ما نجب مقاومته » ـ بل ويقول فى ذلك شعرا :

نعم .. بيننا جنســية الود والصفا

ولـكننى لم الفهـــا عـلة « الضم »

٤ ـ نحن نحتفل بالفية الازهر والعدو يجتهد فى تنفيـذ مخططه الخبيث لتفتيت وحدتنا الوطنية ، لا على أســاس طبقى ، فالصراع الطبقى ـ حتى لو برز فى غير أوان بروزه ـ يضر بالعدو ، على نحو ما ، لانه لا يخرجه من دائرة العدو الى دائرة الصديق . وانما يريد تفتيت هذه الوحدة عـن طريق الطائفية الممقوتة . وهو لا يشوه بذلك صورتنا فقط أمام القوى المتحضرة فى العالم ، وانما يقصم ظهر جبهتنـا الداخلية فلا نستطيع حراكا ، فضلا عن أن تحارب فتنتصر ، كما يريد بذلك أن يدفع القوى الاجتماعية صاحبة المصـلحة فى التقدم الاجتماعى الى أن تلوذ باحضان أعدائها الطبقيين وتحتمى بحمى الرجعيين تحت رايات التعصب الدينى والطائفى وفى النهاية يدفع الجميع الى أحضـــانه هو ، أحضــــان الصهيونية والامبريالية والاستغلال .. ولذلك فان الحـــرص على سلامة الجبهة الداخلية يستدعى أن تبرز احتفالاتنا بالفية الازهر ذلك الدور الرائع الذى قام به الازهر فى الاستجابة لمشاعر شعبنا ـ بطوائفه ومذاهبه وأديانه المختلفـــة ـ وتقاليده العريقة فى الوحدة الوطنية ، ذلك الدور الذى برز فى ثورة سنة ١٩١٩ م تحت رايات وشعارات [وحدة الهلال مع الصليب] والذى صاغت منه الحركة الوطنية شعارها الذى تعلم منه « غاندى » وجاهد لتطبيقه فى الهند : [الدين لله والوطن للجميع] . وهو الشعار الذى يضرب بجذوره فى اعماق تاريخنا ونضالنا الى ماهو أبعد من ثورة ١٩١٩ .

فعندما قاد علماء الازهر النضال الوطنى ضد حملة «فريزر» سنة ١٨٠٧ م جعلوا جبهة الشعب الوطنية التى سميت يومئذ [جمعية بيت القاضى] تتحمل اعباء المعركة بالعدل ، وكان فى هذه الجبهة ـ كما يقول الجبرتى ـ « مياسير الناس ، وأهل الوكائل والخانات والتجار وارباب الحرف والروزنامجى » سواء منهم المسلمون أو « نصارى ديوان المكس ، والنصارى الاروام ، والشوام ، والاقباط .. » [ج ٤ ص ٥٠]

وعندما واجهت مصر الثائرة ، بقيادة عرابى ، التدخل الاستعمارى ، كتب الشيخ محمد عبده [١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م] فى المادة الخامسة من برنامج [الحزب الوطنى الحـــر] يقول : « الحزب الوطنى حـزب سياسى ، لا دينى ، فانه مؤلف من رجال مختلفى العقيدة والمذهب ، وجميع النصارى واليهود ، وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم لغتها منضم اليه ، لانه لا ينظر لاختلاف المعتقدات ، ويعلم أن الجميع اخوان ، وأن حقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية . وهذا مسلم به عند اخص مشايخ الازهر الذين يعضدون هذا الحـــزب ويعتقدون أن الشريعة المحمدية الحقة تنهى عن البغضاء ، وتعتبر الناس فى المعاملة سواء .. » [الاعمال الكاملة للامام محمد عبده . ج ١ ص ٣٦٩] .

وعندما حاول المستعمرون فى سنة ١٨٨٨ بذر بذور الفتنة بين المسلمين والاقباط ، لان موظفا مسلما بوزارة الحقانية استقال بسبب ضغوط من رئيسه القبطى ؟! .. يكتب محمد عبده ، محذرا ـ من منفاه ببيروت ـ فيقول : لابد أن نفـرق بين الوطنيين ـ على اختلاف أديانهـــم ـ وبين الاجانب ، و « أن التحامل على شخص بعينه لا ينبغى أن يتخذ ذريعـة للطعن فى طائفة .. فان ذلك اعتداء على غير معتد ، ومحاربة لغير محارب ، أو كما يقال : جهاد فى غير عدو ؟! .. فاذا تنافرت الطوائف تشاغلت كل منها بما يحط شأن الاخرى ، فكانت كل مساعيهم ضررا على أوطانهم .. » [المصدر السابق . ص ٦٥٣] .

تلك نماذج فقط لاهم القضايا المحورية التى يجب أن تدور من حولها الانشطة والاشكال التى ستتكون منها احتفالاتنا التاريخية المرتقبة بالعيد الالفى لاعرق جامعاتنا العربيـــة والاسلامية على الاطلاق .

يجب أن نعى ونحن نحتفل بالفية الازهر ، أن الذى اقام الازهر ورعاه هى مصر وشعب مصر ، وأن مصر قد أقامت جامعات كبرى قبل الازهر بقرون وقرون ، فى عين شمس القديمة حيث علمت فلاسفة اليونان ومفـــكريهم ، وفى الاسكندرية ، عندما كانت جامعتها ـ زمن البطالسة ـ منارة علم العالم وفكره ـ كما أنشأت بعد الازهر جامعات وجامعات .. ومن ثم فلابد وأن يكون محـــور كل شىء هو مصر .. وانتصارها الذى لابد منه ، والذى لابديل عنه ، فى معركتها الراهنة ، ومعاركها المستقبلة ، ضد أعداء تحررها وتقدمها ولحاقها بالركب المتقدم لحضارة الانسان .

محمد عمارة

أن سياسة البنك الدولى فى السودان والتى سبق أن عارضها من قبل الشعب السودانى تضمنت مجموعة من الشروط ـ كان من بينها وضع مالية السودان تحت الرقابة الكاملة للبنك ، وعدم الاعتماد على قطاع الدولة كمحور لخطة التنمية ، وعدم فرض أى قيود على استثمار رأس المال الاجنبى وضمان عدم تأميمه ، وتحويل مشروع الجزيرة والمشروعات الزراعية التى سيمولها البنك مثل مشروع الروصيرص الذى موله البنك الدولى الى ملكيات خاصة كبيرة .

وفى خلال الشهر الماضى أعلن كذلك عن هيئة للتنمية السودانية بالتعاون مع شركة كايزر الانجلو أمريكية . كما أعلن أنه سيتم تمويل مجموعة من مشروعات المواصلات والنقل وانتاج اللحوم بواسطة « شركات بريطانية والمانية غربية وايطالية وأمريكية وسعودية وكويتية .. بما قيمته ٥٠٠ مليون دولار » .

■ ■

■ الكويت

مجرد توصيات عامة

عقد فى الكويت فى الفترة من ١٥ ـ ١٨ نوفمبر ، وتحت اشراف الجامعة العربية ، اجتماع لجنة وزراء الخارجية والدفاع العرب ، وتضم اللجنة وزراء خارجية ودفاع ١٢ دولة عربية ومنظمة تحرير فلسطين ، وتركزت اعمال اللجنة حول : تقييم الموقف العربى من جميع نواحيه ، ووضع الاسس لخطة عمل عربى مشترك محددة الوسائل والالتزامات لمواجهة العدوان الاسرائيلى ، وذلك على ضوء تقرير الامين العام لجامعة الدول العربية عن العدوان الاسرائيلى .

وطرحت أمام اللجنة ثلاثة مشروعات اقترحتها ليبيا وسوريا ومنظمة تحرير فلسطين تناولت أسس العمل العربى فى مجابهة العدو وتحرير الاراضى العربية المحتلة . وقد تضمنت كل المشروعات اقتراحا بانشاء « صندوق قومى للمعركة » من بين المتطلبات الاساسية لمعركة التحرير حيث قدم الامين العام للجامعة العربية خلاصة لهذه المشروعات الثلاث من ١٦ بندا تتعلق بمسائل العمل العربى المشترك .

وقد قامت اللجنة ببحث ودراسة هذه البنود الستة عشر، كما ناقشت اللجنة التقرير العسكرى الذى أعدته اللجنة العسكرية المؤلفة من ممثلى ٨ دول ومنظمة تحرير فلسطين ـ عن متطلبات خطة لتحرير الاراضى العربية المحتلة .

وقدم محمود رياض الامين العام للجامعة العربية ورقة عمل جديدة ، تضمنت المبادىء التى تم الاتفاق عليها ، قبل اعداد خطة العمل العربى المشترك .

وقد انتهت اعمال اللجنة بالموافقة على المبادىء والتوصيات التى اتخذتها وهى : **أولا** : ان مسئولية تحرير الاراضى العربية مسئولية عربية مشتركة تؤدى كل دولة دورها كاملا سياسيا واقتصاديا وعسكريا . **ثانيا** : عقد اجتماع لرؤساء اركان الجيوش العربية فى النصف الأول من شهر ديسمبر المقبل لبحث موضوعين : تقرير الامين العسكرى المساعد للجامعة العربية ، وتقرير اللجنة العسكرية الفرعية التى عقدت فى الكويت وذلك لتحديد الالتزامات العربية وواجبات المعركة . **ثالثا** : يجتمع مجلس الدفاع المشترك من جميع أعضاء دول الجامعة العربية الثمانى عشرة، فى يناير المقبل حيث يعرض عليه تقرير المجلس الاقتصادى العربى وتقرير مجلس اركان الجيوش العربية عن تفصيلات الخطة العسكرية وعلاقات الدول العربية بالدول الاجنبية ، واستخدام الاقتصاد العربى كقوة مؤثرة فى خدمة القضية العربية . **رابعا** : الدور الفلسطينى فى المعركة دور أساسى ويترتب على ذلك ازالة جميع العقبات من طريقه . **خامسا** : السماح للمتطوعين العرب بالاشتراك فى العمل الفدائى . **سادسا** : اقامة مؤسسة عربية مشتركة لانشاء مصانع للاسلحة فى الاراضى العربية . **سابعا** : الموافقة على مشروع الصندوق القومى لتمويل خطة التحرير العربية ، على أن تسهم فيه الحكومات العربية وأبناء الشعوب العربية كلها . **ثامنا** : الاتفاق الكامل على ألا تقبل أى من الدول العربية حلا جزئيا أو حلا منفردا للقضية العربية أو تسوية تمس بالقضية الفلسطينية .

وقد صرح محمود رياض الامين العام للجامعة العربية ان اجتماعات اللجنة قد أخفقت فى التوصل الى أى اتفاق حول امكانية عودة المقاومة الفلسطينية الى الاراضى الاردنية لاستئناف نشاطها ضد العدو الاسرائيلى .

كما ذكرت صحيفة الاهرام القاهرية ان التقارير التى تلقتها القاهرة عن مؤتمر الكويت تفيد بأن

اجتماعات لجنة وزراء الخارجية والدفاع لم تحقق النتائج التى كانت مرجوة منها · وترى الدوائر الغربية فى القـــاهرة ان التقييم الاخير لهـــذه الاجتماعات لا ينفى ان هناك بعض التقدم ولكنه لا يرقى الى مستوى الامال التى كانت تعلقها عليه الامة ·

كذلك ان المشروعات التى تقدم بها محمود رياض قد تحولت الى مجرد توصيات عامة تفتقد أسس التطبيق وخططه · ولوان هذه الدوائرترى أيضا ان الفرصة لا تزال مفتوحة لاستكمال المهمة التى بدأتها اللجنة ، خاصة وان هناك كثيرا من المشروعات قد تركت لمزيد من البحث فى اجتماعات قادمة مثل اجتماع المجلس الاقتصادى العربى ، ومجلس رؤساء اركان الجيوش العربية ، ومجلس الدفاع العربى المشترك .

■ ■

■ **المغرب :**

مجلس ثـــورة أوفقـــير

يهتـف بحيـــــاة الملـك

ليس غريباً أن يقف قادة المحاولة التى نظمها أوفقير للاطاحة بالحسن الثانى فـــى أغسطس الماضى ، فى نهاية المحاكمة العسكرية التى نظمت لهم فى الرباط وانتهت فى ٧ نوفمبر الماضى ، هاتفين بحياة الملك وطالبين عفوه ورحمته. وليس غريبا أن تكون أصوات رجال « **مجلس الثورة** » الذى شكله أوفقير لتولى السلطة بعد نجـاح المحاولة ، هى أعلى الاصوات فى الهتـاف والضراعة بدوام الملك الحسن وطول عمره ، رغم انهم حاولوا من قبل اختطاره وبالطبع ردد باقى المتهمين الـ ٢٢٠ ، هتافات وابتهالات قادتهم · فالمسألة ليست مسألة مبادىء أو سيـاسات متمايزة ، بل صراعات فى سبيل مناصب ومطامع شخصية · فقد أكد أموقران قائد المحاولة ، أن اوفقير حفزهم على العمل ، بتأكيده أن الاحزاب السياسية توشك أن تستولى على السلطة ، وان الفرصة سانحة لرجال الجيش لتسلمها من دونهم وانهم احق بذلك وأولى · كما أوضح شاهد آخر ، أن اوفقير طلب من ضباطه أن يسارعوا بتسجيل اسماء اقربائهم وأهليهم بل نسائهم فى الجداول الانتخابية ، للتحكم فى نتائج أى انتخـابات والوصول بذلك الى السلطة والسيطرة .

واذا كان اوفقير قد ذهب ، فالحسن ما يزال ومن ثم يعلو الهتاف بحياته ودوام ملكه من نفس الاشخاص الذى إرادوا له من قبل غير ذلك ومع هذا فقد أصدرت المحكمة ١١ حكما بالاعدام (من ١٤ حكما بالاعدام طلبها المدعى العام) ، و ٣٢ حكما بالسجن لمدد تتراوح بين ٢٠ عاما وثلاثة أعوام ، وبرات ١٧٧ آخرين معظمهم سـائقى السيارات والميكانيكيين والافراد العاديين فـى قاعدة القنيطرة التى انطلقت منها المحاولة ، والتى كانت خاضعة تماما لقادة العملية ، ولا يملك فرد فيها أن يعصى لهم أمرا · ورغم قسوة وكثرة احكام الاعدام ، الا أن الباب ما يزال مفتوحا للاستئناف ثم طلب الاسترحام والعفو الملكى · وهو أسلوب يحبه الحسن ويتبعه كثيرا ، اذ دأب على اصدار أحكام قاسية ، ثم يستنزف قوى البلاد فى المطالبة بتخفيفها والغاء بعضها · وقد أثبتت المحاكمة أن الحسن قد طلب من قضاته اصدار أحكام رادعة فى محاولة الصخيرات السابقة (يوليو ١٩٧١) ثم يقوم هو بتخفيف بعضها والغاء البعض الاخر ، ابتغاء كسب شعبية يحس بفقدها مع تعـدد محاولات الاجتراء على « مكانته المقدسة » ولكن اوفقير فوت عليه هذه الخطة ، وطالب القضاة باصدار أحكام خفيفة لا تتيح للملك فرصة التدخل ، وبالفعل تم هذا وتميز الحسن غيظا .

وتميزت المحاكمة بعدة مفارقات لا تخلوا من طرافة ، منها أن الدليمى غريم أوفقير ووريثه والمستفيد من ذهابه (رغم أنه كان صفيه وشريكه فى عدة أعمال سابقة منها قتل بن بركة) كان عضوا فى هيئة المحكمة ، وأصبح محامى المتهمين على ذلك ، وقال ان الدليمى يؤمن بأنه كان سيقتل لو نجحت المحاولة ، فكيف يسمح له بمحاكمة متهمين هو خصم لهم · ورفضت المحكمة طلب التنحية ، واستمر الدليمى ·

وقد أكد أموقران أن الدليمى كان موافقا على عملية الاطاحة بالملك،وان أوفقير أخبره بانهعضو اساسى فى « مجلس قيادة الثورة » ولما سـأله أموقران كيف يجرؤ الدليمى على ركوب طائرة الملك التى يعلم أنها ستضرب فى الجو قال له اوفقير أن الدليمى سيعتذر فى اللحظة الاخيرة عن ركوب الطائرة ، وانه مستعد للتضحية بحياته وركوب الطائرة فداء للمحاولة ، وقال أموقران أيضا أن يلعربى عضو المحكمة الاخر اختير عضـــوا فى مجلس قيادة الثورة كما أوضح أموقران أن رئيس الديوان الملكى الحالى ، كان ضابط اتصال بين أوفقير وبعض زعماء المعارضة فى الخـارج (اخوان البصرى) لـلاتفاق علـى الاطـاحة بالحسن · وكان من أشهر المرافعات فى المحاكمة ،

دفاع رضا جديرة الوزير السابق ، الذى أكد فيه أن كثرة الاحكام تؤدى الى فقد الامل فى الوطن ، ولا تضمن تعاون الجميع مع الملك للخروج من الازمة . وقال ان شيوع العنف فى الاونة الاخيرة مصدره أن البلاد تعيش فى حالة من أحكام الطوارىء وتجميد المؤسسات ، بحيث يصبح العنف هو الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الخلاف . وأكد أن السياسة تتضمن نوعا من العنف ، ولكن الديمقراطية تضمن له قنوات صحية تتحكم فى مسيرته . وطالب بمؤسسات ديمقراطية حقيقية .

والواقع أن المحاكمة السريعة للضباط وصدور الاحكام فيها فورا ، قد سبقها محاكمة أخرى بدأت قبلها ولم تصدر الاحكام فيها بعد ، ففى ٢٥ سبتمبر الماضى ، بدأت محكمة خاصة فى نظر قضية اتهم فيها ١٢ شخصية كبيرة ، منهم ٦ وزراء ، باستغلال النفوذ وتقاضى الرشاوى ، التى وصلت فى بعض الحالات التى عددها الاتهام الى ١٢ مليون فرنك فى ست سنوات من ١٩٦٥ الى ١٩٧١ . وأهم المتهمين هم **داود عمار** رئيس الجالية اليهودية والوزراء **عبد الكريم الازرق** ، **وعبد الحميد كريم** ، **ومحمد جاعدى** ، **ومأمون طاهرى** ، **ويحيى شفشوانى** ، **ومحمد عمانى** . وقد طلب المتهمون استدعاء شهود نفى من بينهم **ماكنمارا** مدير البنك الدولى ، **وبيير شفيتزر** ، والامير **مولاى حسن** محافظ بنك المغرب . وفى دفاعهم أكدوا أن ما تقاضوه كان بمثابة قروض ،

تعليق
ماذا بعد اعادة انتخاب نيكسون ؟

.. واعيد انتخاب نيكسون رئيسا للولايات المتحدة الامريكية للسنوات الاربع القادمة ، وتحقق ما اجمعت عليه توقعات المراقبين وساسة العالم ومراكز قياس الرأى العام

وما من شك فى ان القوى المختلفة فى عالمنا قد بادرت منذ وقت مبكر بان طرحت على نفسها السؤال المهم : ماذا بعد اعادة انتخاب نيكسون ؟

وما من شك أيضا فى ان كل قوة واعية قد انتهت الى فهم وتصور واضحين للمرحلة الجديدة فى الحكم الامريكى ورسمت سياستها وحددت خطتها فى التعامل معه ، وذلك على ضوء عوامل مختلفة اهمها فى رأينا :

١ ـ تجربة الحكم الامريكى ذاته واتجاهاته وأهدافه والقوى المؤثرة فيه ، وبخاصة خلال السنوات الاربع الماضية .

٢ ـ التغيرات الكبرى التى احتلت مكانها الفعال على مسرح الاحداث فى عالمنا .

٣ ـ الظروف الموضوعية لواقع كل قوة وامكاناتها واساليب حركتها وأهدافها .

وفيما يتعلق بقضية العدوان الصهيونى الامبريالى ضد الامة العربية ـ او ازمة الشرق الاوسط ـ وموقف الولايات المتحدة الامريكية منها ، فان اية محاولة لتصور اجابة واعية عن السؤال المهم المطروح ينبغى لها ان تتم على ضوء العوامل الثلاثة سالفة الذكر .

١ ـ فاذا تأملنا الصورة على ضوء العامل الاول ، وهو عامل التجربة السابقة للحكم الامريكى مع الازمة ، لواجهنا رصيدا ضخما من المناورات و « الخطايا » ضد الحق العربى بدءا من جولة سكرانتون لتقصى الحقائق فى الشرق الاوسط ومرورا « بادوار » سيسكو وروجرز ، وانتهاء بتشجيعها المخزى لاسرائيل على ممارسة عمليات العدوان والارهاب ضد سوريا ولبنان والفدائيين .

ولعلنا لا ننسى أن بداية حكم نيكسون منذ اربع سنوات قد صاحبتها موجة تفاؤل وامل ، وذلك بالرغم من ان نيكسون نفسه كان قد صرح فى ٢٢ اكتوبر ١٩٦٨ قبيل انتخابه بان « مصالح الولايات المتحدة الحيوية فى الشرق الاوسط تعتمد على تفوق اسرائيل العسكرى فى المنطقة » وانه « سيعمل على احتفاظها بتفوقها العسكرى الساحق على العرب » ، ونلاحظ انه نفس المعنى الذى يتردد الان على السنة المسئولين الامريكيين والذى اكده نيكسون لجولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل كما صرحت فور اعادة انتخابه حيث قالت : « ان نيكسون قال لى بأن ما إفعله لاسرائيل الان ليس فقط بسبب شعورى نحو اسرائيل ، ولكنه مهم أيضا بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة أن تبقى اسرائيل قوية » . ان التأييد الامريكى لاسرائيل فى عهد نيكسون قد تصاعد الى حدود لم يبلغها فى عهد اى رئيس امريكى آخر . وخلال فترة رئاسته الاولى قدم لاسرائيل من المساعدات العسكرية والاقتصادية والسياسية ما يعادل مجموع المساعدات الامريكية لاسرائيل طوال عهود الرؤساء الاربعة السابقين منذ انشائها

ان هذا الرصيد الهائل من « الخطايا » الامريكية فى حق العرب ، يؤكد حقيقتين مهمتين ، يحلو للبعض أن يقلل من اهميتهما أو يتجاهلهما وهما :

[أ] حقيقة العلاقة العضوية بين الامبريالية الامريكية واسرائيل ، والتى تجعل من اسرائيل الولاية الواحدة والخمسين ، وحاملة الطائرات الامريكية الثابتة فى المنطقة وهذه الحقيقة لا تستند فقط الى دور « كلب الحراسة » الذى تؤديه اسرائيل للمصالح الامريكية فى المنطقة ، ودور « الجرح النازف » باستمرار فى قلب الامة العربية وحركتها التحررية التقدمية ، وانما تستند أيضا الى الاستثمارات الامريكية الهائلة فى اسرائيل والمالة بالسيطرة الكاملة على اقتصاديات المنطقة .

وان اعترافاتهم انتزعت بالضغط • وقد اضطرت المحكمة الى التجاوز عن بعض وقائع الاتهام ، وبعضها متعلق بيهود ، لانها تمس آخرين وتهدد بتوسيع القضية وكما تقول « **لوموند** » فان هذه المحاكمة لا تثير اهتمام الجمهور ، الذى لا يأخذها على محمل الجد •

أما ما يثير الجدل فى المغرب حاليا ، فهو المحاولة الجديدة للملك « **لجر المعارضة الى المشاركة** » فى حكومة تقتصر مهمتها على اجراء انتخابات • فقد وجه الحسن فى ٢٣ سبتمبر رسالة الى **علال الفاسى** (رئيس الاستقلال **وعبد الرحيم بوعبيد** (رئيس احد جناحى الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية ، ويراس الجناح الاخر **عبد الله ابراهيم**) والى **محجوب أحدران** (رئيس الحركة الشعبية) **وعبد الكريم الخطيب** (الحركة الشعبية الديمقراطية ، **وحسن عوزانى** .

وكانت ردود المعارضة على العرض الملكى كمن يقول (لا ــ نعم) فهذه الردود ظاهرها الرفض ، وان تركت الباب على مصراعيه للموافقة • **فعبد الله ابراهيم** يطالب بألا يكون أساس المشاركة هو اجراء الانتخابات ، ولكن اعطاء الحكومة المشتركة صلاحيات أوسع ، وبوعبيد يشترط للمشاركة عقد جمعية وطنية ، والفاسى يريد حكومة عادية وليست مؤقتة ولها كل الصلاحيات ، وهكذا يفعل الباقون

والواقع أن الخلاف بين المعارضة والملك يتركز حول « نصيب المعارضة » الامر الذى يضعف كثيرا من موقفها ، كما أن حالة « التفتت » وتباين

[ب] حقيقة ان سياسة اى حاكم او دولة انما هى تعبير عن مصالح القوى المسيطرة فى هذه الدولة • وحتى الان ، فان القوى الاحتكارية الامريكية ــ المسيطرة والحاكمة ــ تجد فى اسرائيل خير ضمان لحماية مصالحها فى الارض العربية ، وبالمقابل لا تجد فى العرب ــ بظروفهم الحالية ــ اى خطر حقيقى يهدد هذه المصالح •• وحتى تتغير هذه الصورة ، فان سياسة اى رئيس امريكى ستظل على نفس الطريق المعادى الذى سار عليه الرئيس ويلسون حين اقر وعد بلفور ومنحه تاييده قبل اعلانه فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ •

اما ما يقال من تاثير اصوات اليهود فى الانتخابات الامريكية ، والتعلق بذيول الرجاء فى ان يكون « تحرر » الرئيس نيكسون من الحاجة اليها بعد فوزه دافعا له لاتخاذ موقف اكثر اعتدالا ، فكلام بعيد تماما من فهم حقائق الحياة الامريكية ، فاصوات اليهود لاتزيد عن ٣٪ من مجموع اصوات الناخبين الامريكيين ، ولقد فاز الرئيس ايزنهاور فى انتخابات الرئاسة الامريكية عام ١٩٥٦ بدون اصوات اليهود ، وكذلك جون كيندى عام ١٩٦٠ ونيكسون ذاته فاز عام ١٩٦٨ بدون أصوات اليهود ، بل انه فى فوزه الاخير لم يحصل على اكثر من ٢٨٪ من أصوات اليهود [اى من الـ ٣٪] •

ان الاقرب للحقيقة ان نقول : ان القوة الاقتصادية والاعلامية للنشاط الصهيونى فى امريكا لها تاثير كبير فى الانتخابات ، حيث انها جزء من القوى صانعة القرار فى السياسة الامريكية • وبالطبع فان هذه القوة ستظل قادرة على الفعل والتاثير بعد نتائج الانتخابات كما كانت قبلها •

٢ ــ واذا تاملنا صورة القضية على ضوء المتغيرات الكبرى فى عالمنا ، فاننا نواجه بما يقال من ان الوصول الى تسوية للحرب الفيتنامية سيفرض على الولايات المتحدة ان تتعامل مع بقية المشكلات المشتعلة فى المناطق الحساسة فى العالم بروح الحلول السلمية وتخفيف حدة التوتر ، وهذا سيدفعها الى المبادرة بالتحرك والنشاط لحل ازمة الشرق الاوسط •

غير انه من المؤكد الواضح ان تسوية قضية فيتنام هى فى الواقع ثمرة لملاحم البطولة وارادة النضال التى اثبتت وجودها واصرارها لا ثمرة للنيات الحسنة لدى امريكا • وبالتالى ــ وفى ظل ظروف قضية الشرق الاوسط ومواقف اطرافها ، فانه من الممكن بل انه من الاقرب للتصور ان تشهد المنطقة تورطا امريكيا عدوانيا يشبع نهم تجار الحرب الامريكيين الاسفين على قرب اغلاق سوقهم فى فيتنام

اما اكثر ما يتردد من كلام فى هذا المجال فهو ما يقال عن اتفاق تم فى لقاء القمة فى موسكو بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على حل سلمى لازمة الشرق الاوسط ، ويصل الكلام الى حد تصور حدوث « تواطؤ » بين القوتين الاعظم على حسابنا •

ولا نتصور حدوث مثل هذا الاتفاق لاسباب موضوعية ، منها ان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة كليهما يعرفان جيدا ان اى حل يستحيل ان يجد طريقه الى النور والتنفيذ بدون موافقة الاطراف المباشرة فى الازمة • ومنها ايضا ان الاتحاد السوفيتى ــ ومن موقع الصداقة التاريخية ووحدة النضال التحررى التقدمى ــ كان دائما وسيظل ملتزما بعدم التصرف فى قضيتنا دون الرجوع الينا •

ان اقصى ما نتصور حدوثه بين القوتين ، هو الاتفاق على ضبط « تورط » القوتين الاعظم فى الازمة • على ان كل الشواهد تؤكد انه لا اسرائيل ولا الولايات المتحدة تسعى بجدية الى ايجاد حل سلمى للازمة ، اللهم الا اذا كان استسلاما عربيا وخضوعا كاملا لاطماع اسرائيل • ذلك ان اى حل ــ مهما هبطت درجة الانصاف فيه ــ سيعنى انسحابا اسرائيليا فى كل الجبهات ، وهو امر توشك اسرائيل بل بدات بالفعل تعلن انه لم يعد واردا • وحين يتابع المرء قائمة المشروعات والانشاءات الكثيرة المتنوعة التى اقيمت وتقام فى سيناء والضفة الغربية وغزة والجولان فانه لايملك الا الاقتناع بان اسرائيل ــ ومعها الولايات المتحدة ــ تعملان على استمرار تجميد الازمة حتى تصبح بمرور الايام « امراواقعا » ، تماما كما اصبحت من قبل كل عمليات العدوان والتوسع منذ عام ١٩٤٨ •

٣ ــ وهنا ندخل فى دائرة ضوء العامل الثالث وهو الظروف الموضوعية لاطراف الصراع فى الازمة ، والصورة فى هذا الضوء حية ونشطة على الجانب الاسرائيلى ، وخامدة باهتة على الجانب العربى • ويكفى ان يطل المرء على مشاهد الخلاف والتمزق والصراع بين الدول العربية ، ومشاهد الامان الذى تسترخى فيه المصالح الامريكية فى الوطن العربى ، ومشاهد الانشغال والضياع واللامبالاة التى نعيشها ، بينما تعيث اسرائيل على حدودنا وفى عواصمنا العربية ارهابا وعشيا وعدوانا وتحديا •

وبعـــــــــد •••

فان الجواب الثورى والشريف على التساؤل المطروح : ماذا بعد اعادة انتخاب نيكسون ؟ ينبغى ان يكون يقظة عربية ، تضع كل دولة وكل قوة وكل فرد امام المسئولية التاريخية بكل ابعادها وتضحياتها ومذاباتها • وقد حملتها ووفت بها قبلنا كل الشعوب الحرة وفرضت ارادتها •• وعلينا نحن ان نحملها وان نفى بها دفاعا عن مستقبل وطننا ومصير كل آمالنا •

عبد الوهاب قناية

المواقف لاسباب فى معظمها شللية ، ينال من قدرتها كثيرا حتى فى المفاوضة مع الملك ، الذى لا شك فى أنه فى وضع أضعف منه فى العام الماضى ، عندما حاول اشراك المعارضة عقب محـاولة الصخيرات · فتعدد المحاولات الرامية للتخلص من الحسن ، وانقلاب أعز خلصائه عليه ، تزيد من عزلته · ومع ذلك فهو يصر على ان تكون له الكلمة الاولى فى ادارة شئون البلاد · ويولى رئاسة الوزارة **لاحمد عثمان** ، زوج اخته الاميرة ليلى · ومع ان المتابعين للاوضاع فى المغرب كانـوا يتوقعون أن يكون موقف الاحزاب من الملك « اقل ثقة » و « أكثر تشدداومطالبة » ، لان التجربة بينت عدم جدية الملك فى اشراكها فى الحكم وانه لا يريد سوى أن يتخذها مطيةوستارا للخروج من الازمة، وان علاقات القوى بعد انقلاب اقوى رجال الملك عليه (شملت المحاكمة ثلث سلاح الطيـران الملكى) ، رغم هذا تعددت لقاءات المعارضة مع الملك ومع رئيس وزرائه ، وانحصرت مطالبها فى شكل المشاركة ومداها ، ولم تثر ابدا قضية التغيير الجذرى للاوضاع ، بل أن صحيفة المحرر المعبرة عن رأى فريق بوعبيد أوضحت أن المشاركة فى الحـكومة ليست مسـتعدة ، حتى وان رفضت التيارات الاخرى ·

ويؤكد المراقبون ان الحسن هو الحسن وانه لن يتنازل ابدا عن الانفراد بتقرير المسائل الاساسية، وانه حتى وهو يحاور المعارضة ويفاوضها ، يسعى الى كسب شعبية على حسابها ، عندما يقوم بعدة حركات لتوزيع الارض واستعادة بعض أراضى الاجانب ، واجراء محاكمات محدودة المفسدين فى أرض المغرب · ومع ذلك فالفرصة ضئيلة فى أن تتنبه المعارضة الى كل هذا ، وان تدرك أن وصولها الى الحكم واستمرارها فيه لا يمر عبر « الانفتاح » الملكى ، لانه موقوت ويستهدف اغراضا أخـرى غير أغراض المعارضة .

■ ■

■ **اليمن**

أنهــــاء حـالــة الحــرب وتهيئـة منـــاخ الوحــــدة

تم التوقيع فى ٢٨ أكتوبر الماضى فى مقـر الجامعة العربية بالقاهرة على مشروع الوحدة بين جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وجمهورية اليمن الشمالية ، ووقع على الاتفاقية رئيسا وزراء الدولتين ، وبحضور أمناء الجامعة العـربية ، وأعضاء لجنة المصالحة العربية ، وقد انهت هذه الاتفاقية الحرب غير المعلنة التى كانت قد نشبت بين الدولتين الشقيقتين فى ٢٦ سبتمبر الماضى واستمرت نحو ثلاثة أسابيع ·

ونصت اتفاقيه الوحدة على قيام دولة يمنية واحدة ، وفق النظـام الجمهـورى الوطنـى الديمقراطى ، ويكون للدولة الجديدة علم واحـد وشعار واحد ، وعاصمة واحدة ورئاسة واحدة ، وسلطات تشريعية وقضائية وتنفيذية واحـدة . وينص دستور الدولة الجديدة على ضمان الحريات الشخصية والسياسية ، والحريات العامة لجميع المواطنين ، وحريات المؤسسات والمنظمات الوطنية والمهنية والنقابية ، وحماية جميع المكاسب التى حققتها ثورتا ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ فى اليمن الجنوبية ، و٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ فى اليمن الشمالية ·

وسوف يتم تشكيل لجان فنية مشتركة من ممثلى الدولتين للشئون الدستورية والخارجية والتمثيل الدبلوماسى وتوحيد الادارة السياسية الخارجية ، وللشئـون المـالية والاقتصـادية والتشريعيـة والقضائية والثقافية والاعلامية والعسـكرية والصحية والادارية والمرافق ، وبعد ذلك يطرح مشروع الدستور على المجالس التشريعية فى كلا الدولتين للموافقة عليه ، وفى حالة الموافقة ، تجرى عملية استفتاء شعبى فى كلا الدولتين ، وانتخاب سلطة تشريعية موحدة للدولة الجديدة وتشكل لجنة وزارية مشتركة بقرار من رئيسى الدولتين وتضم وزيرا الداخلية خلال ٦ أشهر من تاريخ الاستفتاء على الدستور للاشراف على الاعمال المتصلة بقيام الوحدة ، وسوف تستمر جامعة الدول العربية فى تقديم مساعداتها للدولتين ، حتى قيـام الوحدة بينهما ·

وبخصوص تصفية آثار الحرب الاخيرة بين دولتى اليمن فقد اتفق رئيسا الدولتين على بيان من ثمانية بنود يتضمن : سحب الحشود وفتـح الحدود ، وانسحاب الجانبين من المناطق التـى تم الاستيلاء عليها بعد ٢٦ سبتمبر · وتشمل جزيرة كمران وبعض مناطق حريب ، وعودة جميـع النازحين الى شمال اليمن وجنوبه الراغبين فى العودة ، ووقف جميع الاعمال التخريبية ، واغلاق معسكرات التدريب والاعمال العدوانية من الجانبين ، وتسوية جمع المشاكل التى تؤثر على العلاقات بين الطرفين ·

وينص الاتفاق على عقد اجتماع قمة بين رئيسى الدولتين فى ٢٥ نوفمبر للبدء فورا فى تنفيذ اجراءات الوحدة ووضعها موضع التطبيق، ومن المقرر ان يتم هذا الاجتماع فى طرابلس فـى

الجمهورية الليبية بناء على دعوة من الرئيس الليبى « معمر القذافى » .

وقد بدىء بالفعل فى انسحاب القوات العسكرية من مناطق الحدود بين الدولتين تحت اشراف اللجان العسكرية المشتركة ولجان الجامعة العربية ، تمهيدا لاعادة فتح الحدود بينهما ، مما أدى الى تحسين العلاقات بين الدولتين . وهناك ادراك متزايد لدى المسئولين فى الدولتين لطبيعة المخططات الاستعمارية والصهيونية والرجعية التى تستهدف اغراق الدولتين فى حرب استنزاف طاحنة ، كما تسعى الى السيطرة على البحر الاحمر .

وانه بالرغم من تأكيد المسئولين فى كلا الدولتين على مشاعر الاخوة بينهما ، وحرصهما على تنفيذ بنود الاتفاقية ، فان المراقبين لا يخفون قلقهم بالنسبة للمستقبل ، نظرا لوجود قوى رجعية فى الجزيرة العربية ، ومن داخل اليمن الشمالية ذاتها ، تفرض نفسها على الوضع بين الدولتين الشقيقتين ، وتعادى صراحة النظام التقدمى فى اليمن الديمقراطية وحركة التحرر الوطنى عموما فى شبه الجزيرة العربية ،وهى نفس القوى التى كانت وراء الحرب الاخيرة بين الدولتين الشقيقتين .

تقرير خاص

جهود اسرائيلية لتخريب المؤتمر العالمى للعدل والسلام فى الشرق الأوسط

عملت حركة السلام المصرية منذ يونيو عام ١٩٦٧ ، وبالتعاون مع المجلس العالمى للسلام وحركات السلام القومية ، على بذل جهود متزايدة لربط كفاح شعوب العالم بالنضال العربى ضد العدوان الاسرائيلى الامبريالى :

وكان من أبرز نتائج هذه الجهود عقد مؤتمر عالمى لنصرة الشعوب العربية فى نيودلهى عام ١٩٦٧ ، ثم عقد مؤتمر ثان لنصرة الشعوب العربية فى القاهرة عام ١٩٦٩ ، ثم ما تقرر مؤخرا من عقد « **مؤتمر عالمى للسلام والعدل فى الشرق الاوسط** » من السادس الى الثامن من شهر ابريل القادم .

ويعتبر هذا المؤتمر العالمى الاخير المزمع عقده فى ابريل القادم خطوة جديدة متنامية على طريق النضال الصبور الواعى لكسب الرأى العام العالمى الى صف النضال العربى ، ويتضح ذلك من الهدف العام الذى قصد من وراء عقده .

فلقد انبثق عن المؤتمر الثانى لنصرة الشعوب العربية « لجنة دولية » لنصرة هذه الشعوب يرأسها الزعيم الهندى السيد كريشناميتون ويتولى سكرتاريتها السيد خالد محيى الدين سكرتير عام المجلس المصرى للسلام ، وقررت اللجنة فى اجتماعها الذى عقد فى يناير عام ١٩٧٠ بمدينة روما ، أن الظروف ليست مهيأة لدعوة مؤتمر عالمى ثالث لنصرة الشعوب العربية وأن المطلوب هو مؤتمر أكثر اتساعا فلا يكتفى بالقوى المناصرة للعرب فقط ، بل المطلوب مؤتمر عالمى تحت « اسم العدل والسلام فى الشرق الأوسط » يجذب اليه ملايين الناس وممثليهم الذين يريدون اقرار سلام عادل فى الشرق الأوسط دون أن يقال عنهم أنهم مناصرون للعرب أو الاسرائيليين وهم الاغلبية — وانه لابد من عقد المؤتمر فى اوربا وليس فى بلد عربى .

وبعد مناقشات عديدة وجهود كبيرة وافق الاصدقاء الايطاليون على عقد المؤتمر فى ايطاليا وفى مدينة بولونيا الايطالية واستنادا الى هذه الموافقة قام السيد خالد محيى الدين السكرتير العام للمجلس المصرى للسلام وسكرتير عام اللجنة الدولية لنصرة الشعوب العربية بتوجيه الدعوات الى كل المنظمات العالمية والاحزاب السياسية واتحادات العمال والشباب والنساء والمنظمات السلامية ، والاجتماعية المختلفة ، وكذلك شخصيات لها مكانتها العلمية والادبية والفنية .

وعقد ممثلو هذه المنظمات اجتماعا فى روما فى يومى ١٩ ، ٢٠ ابريل عام ١٩٧١ حضره مندوبون من مصر وسوريا ولبنان ، ومن أغلب بلدان أوربا الغربية والشرقية وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، كما حضر الاجتماع ممثلون عن السودان وفلسطين بصفتهم أعضاء فى وفد منظمة التضامن الاسيوى الافريقى .

وكان أهم ما أسفر عنه هذا الاجتماع هو اصدار بيان سياسى يحدد الاساس الذى يمكن أن يوفر لمنطقة الشرق الاوسط أمنها وسلامها وبالتالى يحدد الخط السياسى للمؤتمر العالمى المزمع عقده .

وقد حدد البيان هذا الخط السياسى على أساس :

« انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى التى احتلتها منذ حرب ١٩٦٧ ، والتنفيذ الكامل لقرارى مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وقرار الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٤ نوفمبر ١٩٧٠ .

بجميع بنودهما كخطوة أولى فى اتجاه تحقيق الامن والاستقلال لجميع دول وشعوب المنطقة ، وايضا التنفيذ الكامل للحقوق العادلة للشعب الفلسطينى والضمانات الممكنة من أجل تسوية دائمة تكفل مصلحة ووجود الجميع » .

ثم أضاف البيان أن وجهات نظر الكثيرين تختلف فيما يختص بأولويات هذه المسائل ، وان المناقشة ومواجهة جميع وجهات النظر ببعضها يمكنها فقط أن تدعم الضغوط فى اتجاه تسوية عادلة فى الشرق الاوسط .

وقد تكونت لجنة ايطالية تضم أعضاء فى الحزب المسيحى الديمقراطى والحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى وممثلين عن المجموعات البرلمانية الايطالية الاخرى ، لمتابعة قضية المؤتمر .

على ان العدو الاسرائيلى ما كان له أن يصمت أمام هذه الجهود الرامية الى تعبئة الرأى العام العالمى حول القضايا العربية وخاصة بعد تحديد الخط السياسى للمؤتمر الذى جاء مناقضا تمام التناقض مع أهداف العدوان الاسرائيلى الامبريالى على البلدان العربية .

ولهذا شرعت الصحف الاسرائيلية تردد الشائعات المغرضة حول المؤتمر فى اتجاهين :

● ان الهدف من المؤتمر هو تهيئة لقاء عربى اسرائيلى لاجراء حوار بين الطرفين .

● ان ممثلين عن حزب المابام ، وهو حزب مشترك فى الحكومة الاسرائيلية ، وبالتالى يتحمل مع الحكومة مسئولية سياستها العدوانية ، سيشترك فى المؤتمر .

ثم قام عضو الكنيست الاسرائيلى أورى افنيرى بتوجيه رسالة الى رئيس اللجنة الايطالية السيد جيودى فانتى تضمنت هذه المعانى التى تنفى عن المؤتمر طابعه العالمى ، ومن ثم تقضى على الهدف الاصلى من عقده وهو تعبئة الرأى العام العالمى لفضح العدوان الاسرائيلى الامبريالى .

فبادر السيد خالد محيى الدين سكرتير عام المجلس المصرى للسلام بتوجيه رسالة الى السيد جيودى فانتى ، ارسلت نسخا منها الى جميع الشخصيات والمنظمات واللجان العالمية التى اشتركت فى لقاء روما ، وقد أوضحت رسالة السيد خالد محيى الدين :

« ان مؤتمر بولونيا ، فى جوهره مؤتمر عالمى لتعبئة القوى التى تريد حلا سلميا لكن عادلا فى الشرق الاوسط وجمعها معا .... ومن هذا المنطلق فان المؤتمر ليس ذريعة ــ ولا يمكننا أن نتصور أن يكون ــ لتمكين طرفى النزاع من « الجلوس سويا » فان هذا ليس هدف المؤتمر ، وليس هو النتيجة المتوقعة من المؤتمر .. وان حقيقة كون اورى افنيرى يؤكد على تصوير المؤتمر وكأنه مؤتمر سوف يجلس فيه الطرفان سويا . (هذه الحقيقة) مرفوضة بقوة لانها انحراف عن خط مؤتمر كهذا وعن اهدافه » .. وتمضى الرسالة فتقول « ان اجتماع مثل هذا المؤتمر لا يمكن ان يكون بين فرقاء محايدين ، فان المحتلين لايسعهم ان يكونوا حياديين تجاه المعتدين ولا يسعهم الا أن يدينوا العدوان حتى اولئك (الممثلين) من جبهة المناضلين من أجل السلام فى البلد المعتدى .. ومن سوء الحظ ان اورى افنيرى أبعد من أن يتبع هذا المبدأ » وترد الرسالة على بعض الموضوعات التى يطرحها افنيرى وتؤكد مرة أخرى ان المؤتمر هو « لتعبئة الرأى العالمى من أجل حل سلمى وعادل ، وان هذه التعبئة تشمل جميع البلدان دون استثناء » كما تؤكد الرسالة موافقتها على « وجود ممثلين عن القوى الاسرائيلية التى هى ضد العدوان ، والتى تدين السياسة العدوانية المستمرة للحكومة الاسرائيلية ، والتى ترفض قبول الضم ، والتى تكافح من أجل انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى المحتلة منذ ٥ حزيران ١٩٦٧ ، والتى تقبل بصراحة اعلان روما السياسى فى ١٩ ، ٢٠ نيسان ١٩٧١ وتناضل من أجل قبوله كاملا » . وتضيف الرسالة « اننا نرفض وجود ممثلين عن الاحزاب المشتركة فى الحكومة الاسرائيلية ونحن لا نعارض وجود وفد اسرائيلى بصفته الخاصة بشرط الا يأتى ممثلا عن حزب مابام مثلا أو أى من اجنحته وبشرط الا يكون شخصية قيادية فى ذلك الحزب ، لان صبغته القيادية هى جزء من شخصيته حتى لو أدعى انه قادم بصفة شخصية » وقالت الرسالة « ان عدد اعضاء الوفد الاسرائيلى ينبغى أن يكون متساويا ولا يزيد عن عدد أعضاء الوفد الفلسطينى »

الا ان الدعاية الصهيونية تركت آثارها الضارة فى بعض الدوائر العربية فاذا بنشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية تنقل عن الصحف الاسرائيلية هذه الشائعات ، كما وردت فى الصحف الاسرائيلية ودون الرجوع الى الجهات العربية المتصلة بهذه القضية .

ثم نقلت بعد ذلك مجلة « الحوادث » اللبنانية ما نشرته نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، وأكملت الخبر بمعلومات عن حزب مابام واشتراكه فى المؤتمر ودوره فى التحضير لمؤتمر السلام والعدل بايطاليا .

وقد بادر السيد خالد محيى الدين بارسال رد الى مجلة الحوادث نشرته فى ٢١ . ١ ـ ١٩٧٢ تضمن المعانى والمفاهيم التى وردت فى خطابه الى رئيس اللجنة الايطالية وقد جاء فى الرد « اما كون حزب المابام يبذل جهودا ويعقد اجتماعات ويحاول أن يحضر المؤتمر ويحدد أسماء مندوبيه ويصدر لذلك نشرات بأرقام وتواريخ فهذا أمر يخصه ولا يخص المؤتمر نفسه ولسنا مسئولين عنه » .

ثم أرسل السيد خالد محيى الدين ردا على ما نشر فى نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية نشرته مجلة « شئون فلسطين » فى عددها الصادر فى أول أكتوبر عام ١٩٧٢ تضمن نفس المفاهيم الواردة فى الخطاب الموجه الى رئيس اللجنة الايطالية ثم الحق بالرد مجموعة وثائق خاصة بالمؤتمر ، منها الوثيقة التى تؤكد خطه السياسى ومنها الفقرات الواردة فى البيان السياسى للمجلس المصرى للسلام فى مؤتمره الرابع المنعقد عام ١٩٧٢ والخاصة بموقف المجلس من ازمة الشرق الاوسط ، ومنها رسالة السيد خالد الى رئيس اللجنة الايطالية بشأن خطاب أورى افنيرى .

وعلى الرغم من هذه الايضاحات الحاسمة واصلت الدوائر الاسرائيلية سعيها لتخريب الجهود الرامية الى عقد المؤتمر .. ففى الاجتماع التحضيرى الثانى الذى عقد فى روما فى ١ ، ٢ مارس عام ١٩٧٢ فوجىء وفد مجلس السلام المصرى بوجود وفد اسرائيلى من غير علم الوفود العربية وبدون وجود وفد فلسطينى .. وحل هذا المشكل بأن اكتفت اللجنة الايطالية بعقد اجتماعات منفردة مع مختلف الوفود لمناقشة اجراءات الاعداد للمؤتمر .

وأسفر هذا النقاش عن اصدار بيان باسم اللجنة الايطالية أكدت فيه الخط السياسى الذى رسمته وثيقة ابريل سنة ١٩٧١ التى نصت على ضرورة جلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضى التى احتلتها فى حرب ١٩٦٧ ، وعلى ضرورة التنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن « كخطوة أولى » نحو تحقيق الامن فى المنطقة ، ثم ضرورة التنفيذ الكامل للحقوق العادلة لشعب فلسطين

كما نص البيان على تشكيل لجنة دولية تنظيمية للاعداد للمؤتمر تضم ممثلى ايطاليا وفرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتى وممثلى المجلس العالمى للسلام واتحاد الشباب العالمى واتحاد الطلبة العالمى ومنظمة التضامن الاسيوية الافريقية .

وقد رؤى استبعاد اسرائيل والدول العربية من هذه اللجنة حتى لا يثير مندوبو اسرائيل العراقيل امام عمل اللجنة ، وفى نفس الوقت كان هناك اتفاق ضمنى على ان يمثل الجانب العربى بقوة فى وفود المنظمات الدولية الاعضاء حتى يكون هناك تواجد عربى فى اللجنة .. وقد بدى ذلك واضحا فى وفد المجلس العالمى للسلام الذى اشترك فى اجتماع اللجنة التنظيمية الدولية الاولى حيث تكون الوفد من السيد روميش شاندرا سكرتير عام المجلس ، والسيد خالد محيى الدين (مصر) والدكتور رفعت السعيد (مصر) والسيد فاروق المعسرانى (لبنان) .

ولقد عقدت اللجنة التنظيمية الدولية للمؤتمر فى اجتماعها فى روما فى ٢٤ أكتوبر الماضى ، وتبلور النقاش حول قضية أساسية وهى الطبيعة العالمية للمؤتمر .. وتحدثنا مندوبا فرنسا ايفشوبيير والاب بارت وكذلك ممثل الحزب الشيوعى الايطالى امبرتو كارديا واعضاء وفد المجلس العالمى للسلام روميش شاندرا وخالد محيى الدين وفاروق المعسرانى ورفعت السعيد وقد أكدوا على ضرورة الطبيعة العالمية للمؤتمر ، وان قضية الحوار العربى الاسرائيلى المزعومة غير واردة على الاطلاق لان هدف المؤتمر هو دعوة كافة القوى العالمية والقومية المؤمنة بالسلام والعدل فى الشرق الاوسط على أساس الخط السياسى الوارد فى وثيقة ابريل ١٩٧١ .

ولم يعترض سوى ممثل الحزب الاشتراكى الايطالى السيد ـ فوبينى الذى طالب بضرورة وجود ديالوج عربى اسرائيلى .. وقد رد السيدان شاندرا وخالد عليه وأكدا ان الطبيعة العالمية للمؤتمر قد تحددت بالفعل ، ولو كان الامر مجرد ديالوج عربى اسرائيلى لما نشأت الحاجة الى دعوة وفود تمثل عشرات المنظمات العالمية والقومية ..
وقد وافق السيد فوبينى على هذا الرأى وان كان قد أكد على ضرورة ان يكون طابع النقاش هو الديالوج وليس المنولوج .. ووافقه المجتمعون على رأيه لان المدعوين مختلفون فى التفاصيل وان كان من الضرورى ان يكونوا متفقين على النقاط الاساسية الواردة فى وثيقة ابريل عام ١٩٧١ .

وقد اصدرت اللجنة التنظيمية الدولية عقب اجتماعها بيانا اكدت فيه على الطابع العالمى للمؤتمر ، ثم حددت أيام ٦ ، ٧ ، ٨ ابريل لانعقاده . وهى بهذا تكون قد أقرت وجهة نظر المجلس المصرى للسلام ولجان السلام العربية والمجلس العالمى للسلام .

تقرير خاص

المعاهدة بين دولتى المانيا هى الفائز فى انتخابات بون

شهدت أوروبا خلال شهر نوفمبر المنقضى حدثين هامين يتعلقان ـ كلاهما ـ بألمانيا وان كانت الشواهد تؤكد أنه ستكون لهذين الحدثين آثار **بعيدة المدى بالنسبة لمستقبل العلاقات فى اوروبا ومستقبل القارة بوجه عام**. الحدث الاول هو توصل **جمهورية ألمانيا الديمقراطية وجمهورية ألمانيا الاتحادية الى المعاهدة التى وقعاها بالاحرف الاولى يوم ٨ نوفمبر والتى تنظم وتضع الاسس للعلاقات بين دولتى ألمانيا**.

أما الحدث الثانى ـ وهو يرتبط بالاول ـ فهو **نجاح فيلى برانت فى الانتخابات العامة التى دعا** اليها فى ألمانيا الاتحادية والتى جرت يوم ١٩ **نوفمبر** ـ أى بعد ١١ يوما فقط من اعلان التوقيع بالاحرف الاولى على المعاهدة مع المانيا **الديمقراطية. ولم يعد خافيا أن هذه المعاهدة** اسهمت كثيرا فى نجاح برانت الانتخابى وفى النسبة الكبيرة من الاصوات التى حصل عليها. وبذلك تكون الانتخابات قد أعطت مؤشرا الى حقيقة اتجاهات الجماهير فى ألمانيا الاتحادية فى رؤيتها للواقع الحالى فى أوروبا وفى اهتمامها بدفع سياسة الوفاق الى الامام باعتبارها ضمانا للامن والسلام الذى لا خلاف على أنه الهدف الاول والاهم للجماهير الاوروبية، مهما كان موقف الاقليات السياسية المتطرفة.

والامر الجدير بالاهتمام ـ قبل الانسياق الى تحليل أهمية نتائج انتخابات ألمانيا الاتحادية ـ هو فهم أهمية المعاهدة بين دولتى ألمانيا باعتبارها تطورا مؤثرا وهاما فى اوروبا من شأنه ان يترتب عليه نتائج ذات نطاق عالمى. وتتضمن المعاهدة التى وقعت بالاحرف الاولى فى بون **ديباجة و ١٠ مواد**. وتنص الديباجة على أن البلدين يوقعان المعاهدة **انطلاقا من مسئوليتهما تجاه صون السلام، وانطلاقا من جهودهما للاسهام فى الوفاق والامن فى أوروبا، وانطلاقا أيضا من الحقائق التاريخية**.

وتقضى المادة الاولى من المعاهدة بأن تقيم جمهورية ألمانيا الديمقراطية، وجمهورية ألمانيا الاتحادية علاقات حسن جوارطية فيمابينهما على أساس تكافؤ حقوق كل منهما. وتقضى المادة الثانية بانهما ستهتديان لاغراض ومبادىء ميثاق الامم المتحدة ـ وخاصة ما يتعلق **بالمساواة فى السيادة بين الدول واحترام الاستقلال، والسلامة الاقليمية وحق تقرير المصير وحماية حقوق الانسان وعدم التمييز**.

وتقضى المادة الثالثة ـ وهى تشكل جزءا هاما من المعاهدة ـ بأن الدولتين الالمانيتين سوف **تسويان المنازعات بينهما بالوسائل السلمية وحدها** وتمتنعان عن التهديد بالقوة أو استخدامها. وتؤكدان « **عدم قابلية الحدود القائمة بينهما للانتهاك الان أو مستقبلا، وتتعهدان بالاحترام الكامل للسلامة الاقليمية لكل منهما** ».

كما تنص المعاهدة على أنه « **لا يحق لاى من الدولتين تمثيل الاخرى فى الشئون الدولية أو التصرف نيابة عنها** ».

وفيما عدا ذلك فان المعاهدة تتناول تنظيم الاتفاقات بين الدولتين التى تكفل تعاونهما فى الميادين المختلفة، الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية، والعبور بين الدولتين، وكذلك الاتصالات البريدية والسلكية واللاسلكية..

ونصوص المعاهدة تنطق بأن جمهورية ألمانيا الديمقراطية قد حققت كسبا كبيرا طالما حاولت انكاره عليها القوى المناهضة للسلام والوفاق فى أوروبا ـ ليس فقط لانها تؤكد سيادة ألمانيا الديمقراطية على أراضيها وتؤكد حدودها الدولية الحالية وحقها فى التمثيل الدبلوماسى الخارجى، وانما لان ألمانيا الديمقراطية سعت دائما الى تحقيق الوفاق فى أوروبا واعتبرت أن تنظيم العلاقات الثنائية مع ألمانيا الاتحادية عامل هام لا يمكن بدونه المضى قدما نحو تحقيق الامن الاوروبى. وبهذا المعنى نفسه فان **المعاهدة تشكل هزيمة لدعاة الحرب الباردة الدائمة فى أوروبا أو الذين كانوا يريدون أن تظل مناطق الحدود بين دولتى ألمانيا مناطق قابلة للانفجار فى أى لحظة** وهزيمة بالمثل للقوى الانتقامية التى حاولت خلال السنوات الاخيرة أن تطل برأسها من جديد لتكشف ملامح فكرها النازى المتعطش لاثارة الحروب من جديد.

واذا قلنا أن ثمار المعاهدة **ستكون فى الاساس** من نصيب شعبى الدولتين، وهو ما تكفله ميادين التعاون العديدة تسعى المعاهدة الى تنظيمها

باتفاقات خاصة ، فان من نتائج المعاهدة بالنسبة لجمهورية ألمانيا الديمقراطية ما بدأ يتضح منذ الان وقبل التصديق عليها من السلطة التشريعية فى الدولتين • **فقد أعلنت بريطانيا واليابان وهولندا اعتزامها الاعتراف دبلوماسيا بالمانيا الديمقراطية بمجرد التصديق على المعاهدة • ولا شك أن قائمة طويلة من الاعترافات الدبلوماسية ستتوالى لتعطى لالمانيا الديمقراطية فى المسرح الدولى مكانها الطبيعى الذى يتفق مع مركزها الفعلى فى أوروبا وبين القوى المحبة للسلام ، وبين أكثر الدول الصناعية تقدما فى العالم •**

وقد أصبح الطريق مفتوحا الان ولاول مرة منذ انشاء الامم المتحدة ـ أمام جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، وكذلك ألمانيا الاتحادية لطلب عضوية الامم المتحدة • وهو أمر يزيل وضعا غير طبيعى كان سائدا بوجود دولتى المانيا خارج المنظمة الدولية بفعل سياسات قديمة كانت تقف فى وجه الواقع الاوروبى القائم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية •

وقد جاءت المعاهدة بين دولتى ألمانيا بعد سلسلة اتفاقات بينهما لعبت ألمانيا الديمقراطية فى سبيل التوصل اليها أدوارا كبيرة وقدمت تسهيلات حقيقية مكنت لحكومة ألمانيا الاتحادية من أن تتوصل فى النهاية الى هذه المعاهدة التى تنظم العلاقات بين الدولتين لاول مرة فى تاريخهما .

وبالاضافة الى هذا فان **توقيع المعاهدة قد خلق مناخا أكثر ملاءمة لانعقاد مؤتمر الامن والتعاون الاوروبى الذى بدأت المحادثات التمهيدية له فى نوفمبر ، والذى سيبدأ أعماله بالفعل فى شهر يونيو عام ١٩٧٣ •**

ولعل التوقيت الذى وقعت فيه المعاهدة بالاحرف الاولى واعلنت نصوصها قد جعل **الانتخابات العامة التى جرت فى ألمانيا الاتحادية يوم ١٩ نوفمبر بمثابة استفتاء شعبى غير مباشر على المعاهدة نفسها • بل وعلى باقى المعاهدات التى وقعتها حكومة فيلى برانت والمسماة بالمعاهدات الشرقية** : مع الاتحاد السوفيتى وبولندا • ومما يؤكد هذا المعنى أن انتخابات ألمانيا الاتحادية الاخيرة كانت أول انتخابات عامة تجرى قبل الموعد الدستورى الاصلى منذ تأسيس جمهورية ألمانيا الاتحادية • اذ كان من المقرر أن تجرى هذه الانتخابات أصلا فى اكتوبر عام ١٩٧٣ • وبهذا يمكننا أن نخرج بنتيجة من فوز برانت بالاغلبية الكبيرة التى تجاوزت توقعات معظم الدوائر الغربية ، هى أن الشعب الالمانى الغربى أعطى صوته لسياسة الانفتاح على الشرق بوجه عام ـ وللمعاهدة مع جمهورية ألمانيا الديمقراطية بوجه خاص • برغم كل الضغوط التى مورست طوال الاشهر الماضية لخداع الرأى العام الالمانى الغربى وتحويله عن أهداف الوفاق والسلام •

وليس خافيا أن **الصهيونية واسرائيل لعبت هى الاخرى دورا كبيرا فى محاولة تفتيت التأييد وراء برانت** عندما فشلت فى **أن تستمر فى املاء سياسة** معينة لضرب المصالح العربية مع المانيا الاتحادية وتحطيم جسور العلاقات العربية الاوروبية ككل •

وربما يبقى أن نشير الى **أن الدوائر الصهيونية وقفت فى هذه المعركة الانتخابية فى نفس الصفوف التى وقف فيها النازيون الجدد ضد برانت وضد** سياسة الانفتاح على الشرق وضد الوفاق والامن الاوروبى • ومع ذلك فان **تحالف القوى اليمينية ـ التى يمثلها الحزب المسيحى الديمقراطى بزعامة راينر بارتشيل ـ مع القوى النازية الجديدة ، ومع القوى الصهيونية الداخلية والخارجية لم يستطع أن يهزم رغبة الشعب فى المانيا الغربية فى السلام وفى الوفاق • وخرجت هذه القوى المتحالفة ضد الواقع والمستقبل أضعف ما كانت فى أى وقت مضى •**

سمير كرم

رسالة من
بغداد ندوة البترول والمعركة •• والعراق

يتزايد كل يوم اهتمام القوى المحبة للسلام والتقدم فى العالم بالضربة التى وجهها العراق الى قوى الامبريالية بتأميم البترول فى بلاده ، خاصة وانه تتزايد بنفس القدر جهود هذه الاخيرة لتطويق العراق ومحاصرته ، وبذر المتاعب الاقتصادية والسياسية فى سبيل تقدمه وتحقيق نجاحه الكامل فى هذه الخطوة الثورية ، التى أتت والبلاد العربية تعانى من نكسة الهزيمة •

فعلى أثر نجاح الندوة التى دعا اليها العراق فى اغسطس الماضى ، قام كل من مجلس السلم العالمى ، ومنظمة التضامن الاسيوى الافريقى ،

والمجلس الوطنى للسلم والتضامن فى العــــراق بالدعوة الى ندوة عالية من أجل دراسة « **النفط كسلاح ضد الامبريالية والعدوان الاسرائيلــى ووسيلة للتطور المستقل** » خلال الفترة من ١١ الى ١٤ نوفمبر ١٩٧٢ ، حضرها مشتركون من ٣٤ دولة تميزوا بقناعات ايديولوجية وسياسية متغايرة ، ويعملون فى مجالات علمية واجتماعية مختلفة • كما حضرها مندوبون عن معاهد بترولية وممثلون لعشرة من المنظمات العالمية •

ولهذه الاسباب أولت الحكومة العراقية الندوة الكثير من الاهتمام الذى تمثل فى عديد من الاوجه منها افتتاح رئيس الجمهورية لاعمالها ودعـــوة المشتركين لزيارة الشركات المؤممة والاطلاع على مدى الكفاءة الوطنية فى ادارتها ، وعلى أمثلة الاهدار للثروة المتمثل فى الفارق بين وســـائل الاستغلال فى الحقول التى كانت تديرها الشركة المؤممة والوسائل التى اتبعت فى حقل الرميلة الجديد الذى وصلت الى اكتشافه واســتغلاله الجهود الوطنية العراقية بمعونة سوفيتية فنيـــة فحسب ، والذى يفوق فى امكانياته الحقـــول القديمة ، كما اتضح أن الحقل يقع فى مناطق امتياز الشركة القديمة والتى كانت تحبـــس عن البحث والاستكشاف ما يوازى ٩٩ فى المائة منها حتى عام ١٩٦١ حين صدر قانون باستعادة تلك المساحات ووضعها تحت سيطرة الحكومة العراقية ومسئوليتها المباشرة عن الاستكشاف فيها ، الامر الذى كان من نتيجته هذا الحقل الجديد الضخم ، خاصة وتتوارد الحقائق عن أن الحقل الشمالى الكبير ــ الذى أمم أخيرا ــ قد لا يستمر انتاجه للبترول أكثر من ١٥ سنة قادمة فقط •

أما البحوث التى عرضت فى المؤتمر فقد شملت عديدا من القضايا المتعلقة بالبترول ، ابتداء بوضع البترول العربى بين مصادر الطاقة فى العالم ، والاتجاه الى تزايد اهميته واعتماد العالم الغربى واليابان بصورة متزايدة عليه ، وضرورة لجوء الولايات المتحدة اليه فى المستقبل القريب جدا حيث تنضب حاليا مصادرها البترولية ، والارباح الخيالية التى تحققها شركات البترول الكبرى المملوكة بالكامل لاحتكارات **أمريكية وبـريطانية وهولندية وفرنسية** ، واثر هذه الارباح الهائل على موازين المدفوعات لكل من أمريكا وبـريطانيا بالذات ، حتى وان كانت نسبتها الى الدخل القومى فى كل من البلدين منخفضة نسبيا •

لقد أوضح البحث الذى قدمه **فيكتور بيرلو** الخبير الاقتصادى الامريكى المعروف عالميا ، أن العالم يستهلك ٤ر٩ بليون برميل سنويا يأتى ثلثاها تقريبا من دول الشرق الاوسط • وأن المستهلكين النهائيين للمنتجـــات المتولدة عن هـــذا البترول يدفعون ١١٣ بليونا من الدولارات مقابلا لها ، لا يذهب منها للدول المنتجة اكثر من ١٧ بليونا ، كما لا يكتسب عمال تلك الصناعة فيها أكثر من بليون واحد ، بينما يذهب الباقى كله الى الحكومات المستهلكة وشركات البترول • وتثبت الدراسات الاقتصادية أنه يجب أن يكون نصيب الدول المنتجة ما يصل الى ثلث هذه المدفوعات ، أى أن يتضاعف نصيبها فى ضوء الانتاج الحالى ، كما يجب أن يتضاعف عدد من المرات نصيب عمالها •

وبسبب هذه الاوضاع فانه يتولد على مسرح الصراع بين الشعوب المنتجة للبترول والشركات صاحبة الامتياز ومن ورائها الدول الامبريالية اتجاهان متضادان : الاول ســـعى الشـــعوب وحكوماتها الوطنية الى الحصول على نصيب عادل من ثروتها القومية ولجوئها عند التعثر فى ذلك الى اجراء التأميم ، والثانى جعل البترول وضمان الحصول عليه من ناحية ، وأرباحه الفاحشة من ناحية أخرى محورا أساسيا لاستراتيجية القوى الامبريالية تهىء كل المناخ الاقتصادى والعسكرى والسياسى من أجله بما فى ذلك من اقامة القواعد العسكرية وممارسة الضغط الاقتصادى والقيام بالانقلابات الداخلية وتدعيم الحكم الرجعـــى دائما •

واذا ما قامت أحد الدول بالتأميم فان احتكارات البترول بما تمثله من كونها الاكبر والاكثر تأثيرا بين الاحتكارات الامبريالية فانها تســتغل كل التشابكات المالية لعرقلة أو ايقـــاف الصــــلات التجارية العادية للدول المؤممة للبترول سعيا الى محاولة الخنق الاقتصادى • وتسعى عن طريق العملاء لاثارة القلاقل الداخليـــة والمؤامـــرات الانقلابية لتأتى بحكومات تعيد اليها امتيازاتها • كما تحتفظ فى النهاية بوسيلة الهجوم العسكرى سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق الدول العميلة مثل اسرائيل •

ولقد تقدم الدكتور **مايكل تانزر** وهو خـــبير امريكى آخر شهير وصاحب مؤلف أساسى عــن الاقتصاد السياسى لصناعة الـــبترول فى الدول النامية بحثا أوضح فيه حقيقة أن الدول التى لا تصدر بترولا من بينها تتزايد حاجتها اليه بمعدلات مرتفعة ، وأن ذلك أساس مادى لقيام تعاون تجارى وسياسى بين الدول المصدرة والمستهلكة منها حيث تتفق مصالحها المشتركة فى معاداة الاحتكارات

البترولية ومحاولتها للفكاك من سيطرتها ، وانه اذا ما قدمت الدول المصدرة حافزا باسقاط ارباح الشركات الوسيطة ـ فيما يسبق الصلة المباشرة بين المنتج والمستهلك ـ فسوف يكون ذلك وسيلة لتدعيم هذا التنظيم الجديد للصلات التجارية البترولية يساعد على توسعه ، ويعاون الدول المصدرة فيما يقابله من مشاكل التسويق التى تعقب التأميم بالضرورة لفترة ما ٠

ولان المشاركة بين الدول المنتجة والشركات المستغلة قد رفعت كصورة جديدة للعلاقة بين الدول المنتجة والشركات المستغلة وأحيطت بدعاية واسعة ، فقد عنى أعضاء المؤتمر بدراسة أبعادها والاثار المترتبة عليها . ولقد اتفق الرأى على أن اتفاقيات المشاركة التى عقدت أخيرا بين دول الخليج فيما عدا العراق والاحتكارات البترولية انما تمثل مناورة من هذه الاخيرة للضغط على العراق وتحويل الانظار عن المطالبة الشعبية الواسعة بتأميم البترول العربى خاصة اذا ما أضيف الى ذلك رفع تلك الشركات للانتاج فى حقول السعودية وايران أساسا كوسيلة لايقاف تصريف البترول العراقى المؤمم ٠

وفى تلخيص للمناقشة حول المشاركة رأى المؤتمر أن المؤشر الاساسى للحكم على صلاحيتها من عدمه يكمن فى الاجابة على السؤال من الذى يتحكم فى البترول ؟ فانه حسب عديد من شروط المشاركة تبقى الاحتكارات فى سيطرة كاملة على عمليات الانتاج والتسويق وعلى أعمال حرجة مثل الاستكشاف وقرارات الحفر ، وزيادة الانتاج وهكذا ، وتصبح المشاركة اذن مجرد صورة مموهة عن الاعين من عقود الامتياز ٠ ورأى المؤتمر فى شأن المشاركة الاخيرة أنها من هذا النوع الاخير ، اذ تنخفض نسبة المشاركة بحيث لا يكون للبلد المنتج أى سلطة حاسمة فى القرارات الهامة ، كما تبالغ جدا فى تعويض الشركات بحيث تخفض بالفعل من عائد الدول المنتجة لسنوات عديدة قادمة ، ذلك فضلا عن الاتجاه الى أستثمار العائدات فى البلاد الامبريالية مما يجعل من وضعها هذا قوة للضغط عند الاحتكارات وحائلا أمام التأميم الكامل من شعوب هذه البلاد لثروتها مستقبلا ٠

وقد أكد المؤتمر أن هذه المشاركة لا يمكن ولا يجوز أن تمثل ضغطا على العراق للقبول بها فيما يتعلق بممتلكات شركة نفط العراق التى لم تؤمم بعد ، وأن له كل الحق فى التسوية التى تتفق مع مصالحه الوطنية فيما يتعلق بالحقول المؤممة فى كركوك ٠

وناقش المؤتمر دور الاتحاد السوفيتى ودول « المنظومة الاشتراكية » فى دعم الاجراءات التى تتخذها دول العالم النامى فى صراعها ضد الامبريالية وخاصة عند تأميم البترول ، باعتبار المصالح المشتركة فى دحرها ٠ ومع أن الدول الاشتراكية ترفع حاليا من استهلاكها للبترول فانها كمجموعة تعتبر مصدرة للبترول ولا حاجة بها لاستيراده ، الا أنها تفتح أسواقها لاستيراد البترول العراقى فى اتجاه أكيد لمعاونته على كسر الطوق الذى تضعه الامبريالية لمنعه من تسويق بتروله ، وأبدت استعدادها ونفذ ذلك بالفعل لان يكون البترول مقابلا لكل ما يستورده العراق من معدات أنتاجية وخدمات . وقد حيا المؤتمر هذا الاتجاه لما فيه من تدعيم لصلابة العراق فى كفاحه العادل من أجل أن يصبح صاحب الكلمة على أرضه ٠

وأصدر المؤتمر فى نهاية اجتماعاته عددا من الوثائق فيما يختص بالتصور العام للموقف العالمى الان ، وفيما يخص العراق بالذات ، وفيما يختص بالتضامن مع حركة التحرر الوطنى العربية ، عدا تقاريره عن أعمال لجانه المختلفة ٠

وقد أوضحت الوثيقة الاولى أن استغلال بترول الشرق الاوسط كان المحك وراء تقسيماته السياسية المصطنعة واحتلال فلسطين ، ووراء كل المؤامرات فى المنطقة ، ونشاط اسرائيل العدوانى فيها ٠ وأنه لهذا لابد أن يكون البترول سلاحا رئيسيا فى يد العرب لدحر كل منهما واسترداد الحقوق العربية كاملة ٠ وأنه بدلا من أن يكون مصدر الثراء للامبريالية والفقر للشعوب العربية فانه يجب أن يتحول الى مصدر أساسى وضخم بالفعل لتسيير عملية التقدم الاجتماعى والاقتصادى بين الشعوب التى طال استغلالها ٠ وفى هذا الصدد فان على الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، ودول حركة التحرر الوطنى عامة أن تقيم فيما بينها تعاونا سياسيا واقتصاديا يكون أساسا حقيقيا لتدعيم الجبهة المعادية للاستعمار ٠

وفى وثيقته عن العراق أوضح المؤتمر أن لطمة تأميم البترول به تعتبر من الناحية السياسية والاستراتيجية أقوى اللطمات للامبريالية منذ القرار التاريخى بتأميم قناة السويس ، وأنه قد استطاع بهذه الضربة أن يحرر ثلثى بتروله ويجعله تحت سيطرته المباشرة ٠ وأن الاستعمار لهذا السبب يقاوم بشدة سعيا الى هزيمة هذا القرار التاريخى بتنظيم مقاطعة عالمية للبترول المؤمم ،

والضغط على الدول المستهلكة للتوقف عن شرائه، وتخريب الموقف الموحد لدول الاوبك بدفع السعودية وايران الى رفع انتاجهما حتى لا تكون هناك حاجة بالسوق العالمي للبترول العراقى • كما تركز الان على شعار المشاركة المضلل كبديل لتيار التأميم المتنامى فى البلاد الاخرى . ولقد حقق العراق نجاحا مبدئيا بامكان تسويق ثلثى البترول المؤمم حتى الان بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، والدول الاشتراكية وعدد من بلاد أوربا وآسيا التى لم تخضع للضغط الاستعمارى وأوجدت صلات مباشرة بينها وبين العراق •

وقد أكد المؤتمر أن المعركة بين العراق وشركات البترول لم تنته بعد ،وان شروطا اساسية لابد من توافرها حتى يكون النجاح فى هذه المعركة التى سوف تطول أكيدا • تلك هى :

• تأكيد الوحدة الوطنية القائمة على الجبهة الوطنية التى تكونها الاحزاب الثلاثة الرئيسية ، وتحقيق الوحدة النضالية بين القوميتين الرئيسيتين من عرب واكراد حتى لا يجد الاستعمار منفذا بين ابناء الوطن الواحد •

• ضرورة كسب تأييد ومعاونة الجماهير العربية المناهضة للاستعمار : وخاصة تلك المصدرة للبترول •

• زيادة التعاون مع بلاد المنظمة الاشتراكية ، وحركة التحرر الوطنى كسبيل اساسى لتكوين جبهة عالمية مناهضة للاستعمار •

اما الوثيقة التى تتعلق بالتضامن مع حركة التحرر الوطنى العربية ،فتشير الى الثروة العربية المتمثلة فى البترول ، والى اهداف الاستعمار المستمرة وأسرائيل معه فى استمرار التحكم فيه ضمانا لمصالحها وتأكيدا لبقاء الشعوب العربية فى موقع الفقر ، ومن ثم الارتباط والاعتماد على الامبريالية • ولقد أدى المحتوى الاجتماعى لحركة التحرر العربية الى تزايد الاتجاه نحو التاميم وتمكنت مصر وسوريا من استخلاص بترولها كاملا لها ، كما تسيطر الجزائر على ثلاث أرباع بترولها وكامل ثروتها من الغاز الطبيعى، ونجح العراق أخيرا فى تحرير ثلثى بتروله والتحكم فيه• ان الصراع من أجل التحرر الوطنى للبلاد العربية، وتحرير ارض فلسطين ،وتحقيق امل شعبها المشرد فى حق تقرير المصير يوجب ان يستغل العرب كل سلاح لديهم ، ومن اهمها البترول لتحقيق هذه الاهداف • ويمثل العمل المشترك للاحزاب والمنظمات السياسية فى البلاد العربية القائم على اساس جبهات وطنية ووحدة داخلية متراصة فى كل منها حجر الزاوية فى أن تقف الجماهير موقفا موحدا يمثل الصخرة الرئيسية التى تتحطم عليها مؤامرات الاستعمار • كما يمثل التعاون اقتصاديا وبتروليا وسياسيا وعسكريا بين الدول التى أممت بترولها وهى مصر وسوريا والعراق والجزائر دور الطليعة القائدة لحركة التحرر العربية ونموذجا لاستغلال الثروة الوطنية فى البناء الاقتصادى والتكامل القومى ، الامر الذى يساعد على تجسيد فكرة القومية العربية ووحدة العرب •

ويختم المؤتمر بتوجيه النداء الى كل القوى المحبة للسلام فى العالم ، وكل الشعوب الحرة فى دعم موقف العراق الثورى والذى تقره جميع القوانين الدولية ،ودعم حركة التحرر العربية التى يمثل اجراء العراق جزءا منها حتى يصير تحرير
يمثل اجراء العراق جزءا منها حتى يصير تحرير
الاراضى المحتلة وتحقيق آمال شعب فلسطين وهزيمة الاستعمار واسرائيل •

كما تعاهد المشتركون فى المؤتمر من مفكرين وممثلى احزاب سياسية ، وتنظيمات عالمية بأن ينقلوا الى شعوبهم ومنظماتهم وأن يحركوها نحو التأييد الايجابى للعرب فى كفاحهم بكل اشكاله لتحقيق التحرر الوطنى وهزيمة الاستعمار •

د • محمد احمد عجلان

مكتبة الطليعة

العسكرية الصهيونية

المؤسسة العسكرية الاسرائيلية
النشأة ... التطور

المجلد الاول

■ تاليف :

مجموعة من خبراء مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية « بالاهرام »

■ عرض :

عوض بربر

■ الناشر :

مؤسسة الاهرام
نوفمبر ـ ١٩٧٢

ليس هذا عرضا أو تقديما للمجلد الاول من الدراسة التى يقوم بها « **مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية لمؤسسة الاهرام** » ، حول « **العسكرية الصهيونية** » ، فان التقييم العلمى لهذه الدراسة ، التى أعدتها نخبة مختارة من ذوى الخبرة الفنية والرأى ، والتى تطرق بابا جديدا فى معالجة قضية الساعة والمصير ، يجب أن تأتى بعد ان تستوفى الدراسة موضوعها بصدور المجلدين المرتقبين حول : المعقدة الاستراتيجية الاسرائيلية ، وديناميكا الجولات الثلاث التى دارت حتى الآن [١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧] ، فى الحرب العربية ـ الاسرائيلية .

ويهمنى ، من البداية ، أن أشير الى أن منهج الدراسة ينبىء بأن تكملتها سوف تغطى اجابة ما على ما يعن لقارئها من بعض التساؤلات والاستيضاحات ، التى مسها هذا المجلد ، استكمالا لشخصيته المستقلة ، وليس تمحيصالها .

فى الكلمة القصيرة ، التى قدم بها الاستاذ محمد حسنين هيكل المجلد الاول من الدراسة ، أشار الى الكيفية التى حسم بها التناقض ، المفتعل ، بين الضرورات القومية والوطنية للبحث

العلمى الحر الامين ؟ وبين المحاذير التقليدية من الخوض فى المسائل العسكرية .

ومن هنا تبرز أهمية هذه الدراسة التى أكدت ، بصفة عامة ، ضرورة المنهج العقلانى فى عصر التكنولوجيا العاصف والمعقد معا . كما أكدت ، بصفة خاصة ، ضرورة التصدى الايديولوجى للمسائل العسكرية ، مزيلة تقاليد غير مقدسة عن احدى المحرمات « التى لم يعد العقل يدرك مبررا لحرمتها » .

ولعل هذه الدراسة تكون بداية لحوار متصل للشئون والمؤسسات العسكرية التى تلعب دورا رئيسيا فى الحياة اليومية للأمة العربية .

فوق هذا ، فان روح ومنطلقات هذه الدراسة تهدف لاثراء العقل العربى بالحقيقة والمنهج العلمى .. وهذا أمر ضرورى لو كنا جادين حقا فى الوصول الى مجتمع عصرى ديمقراطى حقا ، قوامه العلم والحكمة ، ولا مكان فيه للقوامين .

وعندما يهدى الاستاذ هيكل هذه الدراسة ، لدى ظهور المجلد الاول منها فى الذكرى الثانية لرحيل الزعيم الخالد « وفاء للرجل ولحقه ولدوره بطلا وشهيدا .. وبالعرفان كله » ، فانه يفعل خيرا لان عبد الناصر هو الذى انتصر لاصدارها ، « فى وقت كان الصمم فيه قد أصاب أذانا كثيرة » .

وفى الواقع ، ان هذه الدراسة تقدم مادة لا غنى عنها فى تفهم طبيعة ومخططات التحالف الامبريالى ـ الصهيونى ، وهذا أمر حيوى لوضع استراتيجيات المجابهة الحتمية بين حركة التحرر الوطنى فى العالم العربى ، وبين ذلك التحالف العدوانى الآثم .

نظرة خاطفة على نوعية وعدد المصادر التى استندت عليها الدراسة ، كفيلة بأن تبرز أهميتها ـ على الاقل كمرجع وثائقى ـ لصانعى السياسة فى العالم العربى ، بل فى العالم الثالث كله ، حيث تلعب اسرائيل دورا ملحوظا فى خدمة الاستعمار الحديث .

انها دراسة حية ، قوامها الوثائق والحقائق والارقام . ولئن بدت ، فى خضم ما تفيض به من الاحداث المتلاحقة ، تسجيلية شيئا ما ، فان تمليهما كفيل بأن يبرز الجهد الموفق الذى بذل فيهما تحقيقا وتحليلا وتعليقا .

لقد افلحت هذه الدراسة فى أن تلطف صراحة البحث العلمى ، وتكسر حدة الارقام ، وتسلس الانصياع لتسلسل الاحداث فجاءت مع الالتزام بجوهر موضوعها ، رواية تاريخية أكثر منها سردا تسجيليا لمأساة لم يرفع الستار بعد عن فصلها الختامى .

وقبل ان نتكلم عن المجلد بصفة عامة ، يجدر بنا ان نستمع الى خاتمة الكتاب ، وهى تلخص لنا غايته بأفضل مما استطيع :

«أن طرح مثل هذا الفكر الصهيونى المعاصر، الذى يسعى جاهدا لاستغلال طبيعة العصر فى تحقيق مآربه الكبرى ، ووضعه تحت الضوء ، انما يرسم لنا الاهداف الدقيقة للغاية الصهيونية وما تحمله فى طياتها للعالم العربى من مخاطر » .

وما أملك الا القول بأن الكتاب قد أفلح فى الوصول الى غايته بلا تهويل أو تهوين .

يحدثنا الكتاب عن فكرة « **الخلاص ... والعودة** » الى فلسطين كعقيدة دينية منذ الشتات الاول فى القرن السادس قبل الميلاد ، متابعا تطور الفكرة حتى عام ١٩٧٧ ، أى متنبئا بالسنوات الخمس التى لم تولد بعد .

يقسم الكتاب ذلك التطور الى حقبة يسميها « **المدخل الى فلسطين** » ، وثلاث مراحل رئيسية لتطور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، هى مراحل : **التسلل ـ الاغتصاب ـ التوسع** .

يتقصى المجلد ، بدقة وافية ، الدور العسكرى فى الفكر الصهيونى ، موضحا الارتباط الاصيل بين العنف والايديولوجية الصهيونية كضرورة حتمية ، لانه : لا سبيل لاغتصاب بغير عنف . ويحدثنا باسهاب عن الدور الرئيسى الذى تلعبه المؤسسة العسكرية فى حياة اسرائيل ومصيرها .

ومن كل ذلك ينكشف أمامنا بوضوح المحتوى الرئيسى للصهيونية ، وهو : الشوفينية النزاعة للحرب والمعادية للتقدم .

عند تلك الحقبة التى يسميها « **المدخل لفلسطين** » ، والتى بدأت فى نهاية القرن الثامن عشر حتى عام ١٨٨٧ ، تقول لنا بضع صفحات من المجلد ، أنها كانت فترة التبشير ، وبناء الطلائع ، وتكوين الجمعيات ، وبدء الهجرة ، اعلانا للغزو ، وانطلاقا عمليا نحو « الدولة اليهودية » .

وددت لو ان المجلد أبرز لنا **جوهر الصهيونية وأسباب ظهورها** الى النور . لا شك ان هذا أمر هام ، من قبيل التذكرة ان كان الامر لا يحتاج الى توضيح .

ومن حقنا ان نتساءل عن هذا البتر وندعو الى

تلافيه . ذلك ان هـذا الموضوع مرتبط بأسـئلة هامة حول **الجوهر الطبقى للصهيونية** ، منها :

كيف تسـنى للحلم اليهودى ان يحتفظ بتعلق ، ازلى ، بفلسـطين فى ملايين الافئدة التى عاشت عشرات المئات من السنين [الفى عام] مبعثرة فى مختلف البيئات فوق كل بقاع المعمورة ؟؟

اذا كانت أورشليم ، ابدا ، كعبة اسباط يهوذا ، فلماذا قبلوا ، من حيث المبدأ ، اقامة وطن لهم تحت الذرى البيضـاء لجبل كليمنجارو ، والاحضـان الدافئة للبحيرات الاستوائية فى شرق أفريقيا ؟؟

لماذا برزت الصـهيونية على مسرح السياسة الدولية فى أعقاب القرن العشرين ، حين انهيار النظام الاقطاعى ، والتطور المذهل للرأسمالية ، والثورة البرجوازية الفرنسية ؟؟

ما هو مدى الارتباط الاقتصادى بين « المنظمة الصـهيونية العـالمية » منذ مولدهـا ، وبين الاحتكارات الدولية الامبريالية ؟

واخيرا : أهى حركة شـعبية ؟؟ .. اهى جهاد دينى ؟؟ .. أم تراها تيـارا رجعيـا للبرجوازية اليهودية بعث كترياق مضـاد لتعـاظم الصراع الطبقى .

حقا ، ان الالمام بجوهر الصهيونية والاسـباب التى ادت لبروزها ، أمر هام ، لان المعرفة تكمن فى استنطاق سر النواة لاى كائن .

على مدى ٩٠ عاما [١٨٨٧ ــ ١٩٧٧] ، لعلها اخطر سـنى الحياة وأكثرها حسـما ، يقدم لنا المجلد المراحل الثلاث لتطور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية منذ ان كانت حلما غامضـا يجيش فى نفوس مشتتة حائرة ، حتى استقرت كابوسا يؤرق نومنا الذى استطال مداه !

ونلاحظ ان كل مرحلة اسـتغرقت ٣٠ عاما ، وان ما تم فى كل مرحلة يدعو الى العجب والتأمل

عن المرحلة الاولى [١٨٨٧ ــ ١٩١٧] ، وهى مرحلة التسلل ، تحت شعار « **المحراث والسيف** » يروى لنـا الكتاب كيف حقق الذين بدأوا يتسللون فرادى ونحن نيـام ، عنصران هامان من عناصر تكوين الامة ذات السـيادة ، همـا : التنظيم السياسى ، والقوة العسكرية ... وبقيت الارض التى أوجدوا لاقدامهم فيها مرتكزا .

ونحن نتـأمل الدور الرئيسى الـذى لعبـه الاسـتعمار فى ذلك الانجاز الكبير ، يشدنا الكتاب الى الكيفية التى استطاعت بها الصهيونية ان تدير الصراع على ارض فلسـطين ، وعلى الصـعيد العالمى حول قضـية العودة لفلسطين ، وان تفيد من الظروف المواتيـة ، وتطوع الواقع لاهدافها ، وتخلق المناخ الملائم لمراميها .

ولقـد تميزت هـذه الفترة ، التى حملت معها بذور الفكر العنصرى ، بمفاهيم سياسية جديدة ، تزييفا للفكر الاشتراكى الذى كان سائدا فى أوربا الشرقية . **وهذه قضـية ما تزال قائمة نتمنى ان توليها الدراسـة عنـاية خاصـة عندما تعـالج موضوع : العقيدة والاستراتيجية الاسرائيلية .**

فى المرحلة الثانية [١٩١٧ ــ ١٩٤٧] ، يروى لنا المجلد كيف اكتملت عناصر المؤامرة الصهيونية ــ الامبريالية للاستيلاء على فلسطين .

كان قوام هـذه المرحـلة جيـل الارهـابيين والمغامرين ، ويحكى لنا الكتاب خلالها نمو البذور الفكرية للعسـكرية الاسرائيلية التى تبلورت فى « خلق اليهودى الذى لا يعتمد على شـخص آخر ليدافع عن حياته فى البلد الذى يملكه » كما يلقى الكتاب ضوءا باهرا على التواطؤ الاسـتعمارى لاغتصاب فلسطين .

على ان الذهن ينصـرف الى توقيت ميـلاد اسرائيل ، الذى صـاحب تباشـير رياح التغيير العالمى وبداية انهيـار الاسـتعمار القديم تحت ضربات حركة التحرر العـالمى ، ليتوقف قليلا عند الانتفاضة العربية التى اندلعت عام ١٩٢٩ ، من اجل الاستقلال ، وفى مواجهة الخطر الصهيونى .
حقا ، لقد لعبت الصهيونية دورا بينا فى قمع تلك الانتفاضة ، لتثبت اقدامها ، أو لتثبت ولاءها وفاعليتها للاستعمار ، أو لكليهما معا .

الكتاب يعلل فشل الانتفاضة قائلا :

« لولا السياسات الملتوية للاستعمار والمواجهة الوحشية التى لاقتها القوى العربية الثائرة ، مع قصور القيادات العربية ، لكانت هذه الثورات قد آتت ثمارها وقضت على الاطماع الصـهيونية فى فلسطين » .

وفى أذهاننا مأسـاة هدنة سنة ١٩٤٨ ، نقرأ فى الكتاب ان انتهاء الثورة كان « استجابة » لنداء من ملك السـعودية ، وملك العراق ، وأمير شرق الاردن « حقنـا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صـديقتنا الحكومة البريطـانية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل » .

وفى ذهننا حالنا اليوم نسـتمع للكتاب يعزى هزيمة الانتفاضة الى : تخلف العرب وهم يجتازون اضعف مراحل تطورهم ، واخطر فترات انتقالهم . كان فكرهم عاجزا عن ملاحقة الفكر الصـهيونى

العملى والمتجدد ، وبالتالى جاء الفــارق كبيرا فى الاداء والعمل على الصعيد السياسي والعسكرى والاعلامى (*)

وكم وددت لو ان الكتــاب اعطـانا مزيدا من التحليل عن تلك الانتفاضة العربية فى فلسطين ، محللا فكرها ودوافعهـا وقواها ، مبينــا طبيعة العلاقات التى كانت ســـائدة فى ذلك المجتمع العشائرى شبه الاقطاعى .

ثم نأتى للمرحلة الثالثة والاخيرة ، والتى لم تنته بعد [١٩٤٧ ـــ ١٩٧٧] ، الكتــاب يعرفها بأنها **مرحلة التوســع** التى ســيطر عليها جيل الدولة الناشئة تحت شــعار الانتفضــاض وفرض الامر الواقع .

تم فيها اعلان الدولة الاسرائيلية فى مايو سنة ١٩٤٨ ، وقامت فيها ٣ حروب ، وتبذل فيها جهود لاحتواء التوسع الاخير وتأمين مكاسبه .

بعد هــذا ، تبقى بعض القضــايا الهامة التى أثارها الكتاب ، من المهم تناولها :

ان السمة الرئيســية للايديولوجية العسكرية هى العنف واحلال العمل العسكرى مكان الصدارة وقيــام المؤسسة العســكرية بالدور الرئيسى فى حياة اسرائيل .

ومن ثم ، نحن مدعوون الى تفهم بعض جوانب الحيــاة فى المجتمع الاسرائيلى الذى يقول الكتاب عنه : تتغلغل فيه المفــاهيم العســكرية ، وتقوده النزعة المتطرفة ، وتســيطر المؤسسة العسكرية على أنشطة هامة فيه ، كالصــناعة ، والزراعة ، والنقل ، والاسكان ، وراس المال وغيرها ، بحجة توجيهها جميعــا لخــدمة « القدرة العســكرية الاسرائيلية » (*)

واذا كانت اسرائيل عبــارة عن معسكر حربى مدجج بالسلاح ، فكيف تسير الحياة فيه على نهج الديمقراطية الليبرالية ؟

الكتاب يركز على أهمية دعم المقاومة المسلحة بحيث تصبح عنصرا نشطا وفعالا لتفتيت وشــل قدرة اسرائيل الاقتصادية والقتالية .

ونحن نواجه اليوم مشكلة تعــدد منظمات المقاومة ، نجد فى الكتاب عظة عن كيفية توحيد « منظمات المقاومة » الاسرائيلية وصهرها فى جيش الدفاع الاسرائيلى ؟

لقد واجهت اسرائيل قضية تسييس الجيش ايمانا بأن « جيش السخرة ، غير الملتزم فــكريا بالدفاع عن المجتمع وحماية استقلاله وضــمان مستقبله ، لن يصمد فى الامتحان عندما يضــطر للقتال » وانتهى بها الامر الى صياغة ايديولوجية عسكرية هى [مزيج من « الاحتراف العسكرى » و « الالتزام السياسى »] .

وفى ظنى أن ما يثيره الكتاب يدعونا لحسم قضية عقائدية الجيش فى الامة العربية . وهى قضية فرضت نفســها عنــد بروز البرجوازية العسكرية .

ان اسرائيل ليست مجتمعا بلا خلافات ولكنها نجحت ، كما يقــول الــكتاب ، على أساس من الدراسة الواقعية التى بدأت مع نشأة الصهيونية الحديثة فحددت غاية واضحة ، لا خلاف عليها ، ثم وضعت السياسات التى تخــدمها وفق كل مرحلة من مراحل تحقيق تلك الغاية ، فتمكنت من أن تحشد الطاقات المناسبة لكل مرحلة دون أن تتعرض قواها الى تبذير أو اسراف .

وهنا تبرز القضية الحاسمة ـــ قضية الايمان بالمبدأ والتمسك به ـــ وما يستلزمه من ضرورات التعسكر ، ليس كافلاك ، وانما انحيازا كاملا لمبادىء وقيم ووحدة الجبهة التى تنتمى اليها أصلا من الصراع الطبقى الذى يدور فى بيتنا والذى يجتاح عالمنا .

ان الصهيونية ، شأن كل المنظمات العالميــة الامبريالية ، تعيش فى أزمة عميقة . وبالتالى فان مصيرها مرتبط بزواج الامبريالية ـــ ولهــذا فنحن مدعوون لان نضع المشكلة فى ابعــادها الحقيقية حتى نستطيع احراز النصر بأقل قــدر ممكن من التضحيات والجهد وفى أقل زمن ممكن (*)

والسؤال الذى يظل فى اذهاننا بعــد قراءة الكتاب هو :

كيف استطاعوا ، بدقة الحساب ، والتكيف مع الواقع ، بالجهد والمرونة ، والعنف والضعف، والتواطؤ والمجابهـــة ، والالتزام والمناورة ، بالواقعية والخيال . الخ . الخ كيف استطاعوا فى قرن من الزمان أن يحولوا حلمــا زائفا الى حقيقة حية تلعب دورا فى حياة البشرية ؟!

هذا السؤال لايرمى الى استنباط ميكيافيلية حديثة . وانما يأتى كدعوة هادئة تعقد مقــارنة بيننا وبينهم مع الفارق ، طبعا ، فى عدالة المقاصد .

وفى انتظار صدور بقية « الدراسة » نقول ان هذا المجلد ، مع ما ضــج به من أحــداث وصراعات وحقائق ، ظل يمسك بزمام موضوعه استعراضيا وتعليقــا وتسلسلا منطقيــا جذابا ومفيــدا (*)

وثائق

برنامج حكومة جبهة الوحدة الشعبية في شيلي

تحظى التجربة الاشتراكية في شيلي باهتمام عميق من شعوب العالم الثالث لطابعها الفريد كنموذج للتحول نحو الاشتراكية بالطريق البرلماني ، ولطبيعة وتعقد الظروف الموضوعية التي تحيط بشيلي . ان ظروف شيلي السياسية والاقتصادية وخلفيتها التاريخية تمثل كلها تحديات في وجه الثورة الاشتراكية التي تبنيها شيلي سلميا بقيادة حكومة جبهة الوحدة الوطنية التي يتزعمها ماركسي له تاريخ طويل في النضال الوطني والاجتماعي هو دكتور سلفادور الليندي .

و « الطليعة » تقدم نص برنامج حكومة جبهة الوحدة الوطنية كوثيقة ترسم بخطوطها المستقبل الذي يصنعه التحالف التقدمي في شيلي بقيادة طبقتها العاملة . وفي هذه الوثيقة نجد « الخطة » و « المنهج » لعملية التحول الاشتراكي في شيلي ، وكلاهما يعكس ظروف شيلي الوطنية ، كما يعكس واقع الظروف الموضوعية الاقليمية والعالمية التي تتم فيها هذه التجربة الهامة .

سلطة الشعب

ان التحولات الثورية التى تحتاج البلاد اليها لا يمكن أن تنجز الا اذا امسك الشعب الشيلى بالسلطة فى يديه واستخدمها فعلا وبفعالية •

ان الشعب الشيلى ـ على مدى عملية طويلة من النضال ـ قد كسب حريات وضمانات ديمقراطية معينة يتوقف استمرارها على موقفه اليقظ وكفاحه الدائب • ولكنه يفتقر الى السلطة نفسها •

ان القوى الشعبية والثورية لم تتحد لتناضل لمجرد استبدال رئيس للجمهورية برئيس أخر ، ولا لاستبدال حزب باحزاب أخرى فى الحكومة ، وانما لتنفيذ تغييرات أساسية يتطلبها الموقف الوطنى ، على أساس نقل السلطة من المجموعات الحاكمة السابقة الى العمال والفلاحين والقطاعات التقدمية من الطبقات الوسطى فى المدينة والريف •

وهكذا فان انتصار الشعب سيفتح الطريق أمام أكثر النظم السياسية ديمقراطية فى تاريخ البلاد •

أما فيما يتعلق بالبنيان السياسى فان على حكومة الشعب مهمة مزدوجة :

- الحفاظ على الحقوق والمغانم الديمقراطية للعمال وزيادتها فاعلية وعمقا •
- تحويل المؤسسات الحالية من أجل خلق دولة جديدة يمارس فيها العمال والشعب السلطة الحقيقية •

تعميق الديمقراطية

ومكاسب العمال .

تضمن حكومة الشعب ممارسة الحقوق الديمقراطية وتحترم الضمانات الفردية والاجتماعية لكل الشعب •

تسير حرية الضمير والخطابة والصحافة والتجمع وحرمة المسكن وحقوق تكوين النقابات والتنظيم سيرا فعالا دون القيود التى بها تحد الطبقات الحاكمة الحالية منها •

وحتى يتحقق هذا الوضع ، فان نقابات العمال والتنظيمات الاجتماعية للعمال والمستخدمين والفلاحين والمدنيين وربات البيوت والطلاب والمهنيين والمثقفين والحرفيين ورجال الاعمال الصغار والمتوسطين ، وكذلك القطاعات الاخرى من العاملين ، تدعى للاشتراك بمستواها فى قرارات أجهزة السلطة • فمثلا ، فى حالة المؤسسات التى تكفل الامن الاجتماعى ، تقيم ادارة يتولاها الشعب بنفسه ، تؤمن له انتخابات ديمقراطية ـ واقتراعا سريا ـ لمجالسها القيادية •

وبالنسبة للصناعة فى القطاع العام ، فان مجالسها القيادية ولجانها الانتاجية ينبغى أن تعتمد على ممثلين مباشرين من بين العمال والمستخدمين •

كذلك تتناول مجالس الاحياء والتنظيمات الشعبية الاخرى ـ فى اطار منظماتها التقليدية وفى مستواها المناسب ـ طرق ادارة عملياتها وتدخلها فى كثير من المجالات • ولكن الامر لا يقتصر على هذه الامثلة ، وانما الامر هو قيام مفهوم جديد يطالب به الشعب مفهوما فى المشاركة الحقيقية والفعالة فى تنظيمات الدولة •

وفى الوقت نفسه تضمن حكومة الشعب حقوق العمال فى التوظف وفى الاحزاب ، وحقوق كل الشعب فى التعليم والثقافة ، مع الاحترام الكامل لكل الافكار والمعتقدات الدينية بما يسمح لجميع الشيع بالعبادة •

وتمد الحكومة كل الحقوق والضمانات الديمقراطية ، وتعطى للتنظيمات الاجتماعية الوسائل الحقيقية لممارسة هذه الحقوق وخلق الوسائل التى تتيح لها اداء وظيفتها فى المستويات المختلفة من أجهزة الدولة •

وتقيم حكومة الشعب ـ فى الاساس ـ قوتها وسلطتها على أساس التأييد الذى تتلقاه من الشعب المنظم • فهذا هو مفهومنا فى الحكومة القوية مقابل ذلك المفهوم الذى سلكته الاقلية الحاكمة والامبريالية والذى يوحد ما بين السلطة واستخدام القسر ضد الشعب •

ان حكومة الشعب ستكون حكومة متعددة الاحزاب • تتكون من أحزاب وحركات وتيارات ثورية • وتكون بذلك اداة تنفيذية ديمقراطية ومعبرة ومتحدة حقا •

وتخدم حكومة الشعب حقوق المعارضة التى تمارسها فى الحدود القانونية •

وتشرع حكومة الشعب فورا فى تحقيق لا مركزية الادارة ، جنبا الى جنب مع التخطيط الديمقراطى والكفء الذى يزيل المركزية البيروقراطية ويقيم بدلا منهما تنسيقا بين جميع اجهزة الدولة •

ويتم تطوير بنيان البلديات مع الاعتراف بالسلطة التى تحق لها وفقا للخطط المنسقة للدولة ككل • والهدف من ذلك تحويلها الى أجهزة محلية للتنظيم السياسى الجديد ، ومدها بالتمويل والسلطة الكافية حتى تستطيع ـ فى تفاعلها وتنسيقها مع مجالس الاحياء ـ أن تتوصل الى معرفة المشكلات ذات الاهتمام المحلى التى تشترك فيها هى وسكانها ، ويتعين ان تبدا الجمعيات الاقليمية عملها على نفس الاساس •

ويعاد تنظيم البوليس بحيث لا يستطيع بعد ذلك أن يصبح جهازا للقمع ضد الشعب وأن يحقق ـ بدلا من ذلك ـ هدف الدفاع عن السكان ضد الافعال المناهضة للمجتمع • ويتعين ان تكتسب اجراءات البوليس طابعا انسانيا حتى تضمن بشكل فعال الاحترام الكامل لكرامة الكائن الانسانى وسلامته البدنية • ويتعين أن يتحول نظام العقاب ـ الذى يشكل واحدا من أسوأ خطايا النظام الراهن من جذوره بهدف اعادة خلق وتقويم اولئك الذين ارتكبوا جرائم •

نظام جديد للمؤسسات

دولة الشعب

التنظيم السياسى :

من خلال عملية اشاعة الديمقراطية على كل المستويات ، والتعبئة المنظمة للجماهير ، يقام البنيان الجديد للسلطة من القاعدة •

يوضع دستور سياسى جديد ينظم فى شكل مؤسسات عملية ادماج الشعب فى سلطة الدولة •

يتم خلق تنظيم موحد للدولة مبنى على المستوى الوطنى والاقليمى والمحلى وتكون الجمعية الوطنية الجهاز الاعلى للسلطة •

تكون الجمعية الوطنية المجلس الوحيد المعبر وطنيا عن سيادة الشعب • وفيها تتجمع تيارات الرأى المختلفة وتعبر عن نفسها •

ويتيح هذا النظام اقتلاع الشرور التى خضعت لها شيلى من جذورها ، مثل الرئاسة الدكتاتورية والبرلمانية الفاسدة •

وتحدد معايير معينة وتنسق مهام ومسئوليات رئيس الجمهورية والوزراء والجمعية الوطنية والاجهزة المحلية للسلطة والاحزاب السياسية ، من أجل تامين العمل التشريعى والكفاءة الحكومية ، وفوق كل ذلك احترام ارادة الاغلبية •

ومن أجل تحقيق الانسجام الضرورى بين السلطات التى تنبع من الارادة الشعبية ، وحتى يمكن التعبير عنها بصورة متماسكة ، تتم جميع الانتخابات معا وفى حدود نفس الفترة الزمنية •

ويحدد أصل جميع أجهزة التمثيل الشعبى بالاقتراع الشامل والسرى والمباشر للرجال والنساء من سن ١٨ عاما فاكثر ، المدنيين والعسكريين ، من يعرفون القراءة والكتابة والاميين •

يخضع أعضاء الجمعية الوطنية وجميع أجهزة التمثيل الشعبى لسيطرة الناخبين بواسطة الوسائل الاستشارية التى تكون لها سلطة رفع التفويض عنها •

يقام نظام حازم للعقاب بما يؤدى الى انهاء التفويض أو العزل من المنصب عندما يحقق أى نائب أو موظف على درجة عليا من المسئولية مصالح شخصية •

تشكل ادوات السياسة الاقتصادية والاجتماعية للدولة نظاما وطنيا للتخطيط ، ويكون لها طابعا تنفيذيا ، وتكون مهمتها توجيه وتنسيق وترشيد سلوك الدولة • ويتعين أن توافق الجمعية الوطنية على خططها الاجرائية • ويكون لتنظيمات العمال دور أساسى فى نظام التخطيط •

وتمارس الاجهزة الاقليمية والمحلية سلطة دولة الشعب سلطتها فى نطاقها الجغرافي الخاص وتكون لها مهامها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية • • وعلاوة على هذا تكون قادرة على أن تفوض سلطتها وأن تنقد التنظيمات الاعلى •

ومع ذلك ، فان ممارسة التنظيمات الاقليمية والمحلية لمهامها تخضع للاطار الذى تحدده القوانين الوطنية والخطط العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية •

تفتح حكومة الشعب – منذ اليوم الاول لتوليها السلطة – قنوات يعبر العمال والشعب من خلالها عن نفوذهم عن طريق التنظيم الاجتماعى فى اتخاذ القرارات وفى ممارسة ادارة الدولة •

وتتخذ خطوات حاسمة نحو تصفية المركزية البيروقراطية التى يتميز بها نظام الادارة الحالى •

تنظيم العدالة :

ينبغى أن يقوم تنظيم وادارة العدالة على أساس مبدأ الحكم الذاتى ، المنصوص عليه دستوريا ، وبواسطة استقلال اقتصادى حقيقى •

ونحن نتطلع الى وجود محكمة عليا تعين الجمعية الوطنية أعضاءها دون أى تقييد بغير القدرة الطبيعية لاعضائها • وتتولد عن هذه المحكمة تجربة السلطات الداخلية – الفردية أو الجماعية – لنظام العدالة •

اننا نفهم أن التنظيم والادارة الجديدين للقضاء سوف يطور لمصلحة الاغلبية • وعلاوة على ذلك فانه سيكون أسرع وأقل ارهاقا •

ويحل – بالنسبة لحكومة الشعب – مفهوم جديد فى القضـاء محل النمط الفردى والبورجوازى القائم •

الدفاع الوطنى :

تعطى دولة الشعب انتباها تفضيليا للحفاظ على السيادة الوطنية ، الامر الذى تعتبره واجبا على كل الشعب •

وتحافظ دولة الشعب على موقف التأهب فى مواجهة التهديدات ضد السلامة الاقليمية والاستقلال من جانب الامبريالية والجماعات الاقليمية الحاكمة فى البلاد المجاورة ، التى تروج – الى جانب قهر شعوبها – للجهود التوسعية والانتقامية •

ويتحدد مفهوم وطنى رشعبى حديث لسيادة البلاد على أساس من المعايير التالية :

أ – تأكيد الشخصية الوطنية لكل فروع القوات المسلحة • وعلى هذه الاسس يرفض أى استخدام للقوات المسلحة لقمع الشعب أو للاشتراك فى افعال لصالح القوى الاجنبية •

ب – التدريب العلمى والفنى فى جميع مجالات العلم العسكرى والحديث والالتزام باحتياجات شيلى للاستقلال الوطنى والسلام والصداقة بين الشعوب •

ج – تكامل القوات المسلحة وتأييدها فى الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية • وتعنى دولة الشعب بامكانية اسهام القوات المسلحة فى التنمية الاقتصادية للبلاد دون المساس بجهودها الاساسية فى الدفاع عن السيادة •

ومن الضرورى – على هذه الاسس – أن تكفل الوسائل المادية والفنية للقوات المسلحة ونظاما عادلا وديمقراطيا للتعيينات والترقيات والتقاعد بما يضمن للضباط وصف الضباط والفئات والقوات الامن الاقتصادى طوال اشتراكهم فى صفوف القوات المسلحة وفى ظروف تقاعدهم والامكانية الفعلية فى أن يتلقى الجميع ترقياتهم طبقا لمؤهلاتهم الشخصية وحدها •

بناء الاقتصاد الجديد

تسعى القوى الشعبية المتحدة – كهدف رئيسى لسياستها – الى استبدال البنيان الاقتصادى القائم ، وانهاء سلطة الرأسمالية الاحتكارية الوطنية والاجنبية ، وسلطة ملاك الارض من أجل البدء فى بناء الاشتراكية •

وفى الاقتصاد الجديد يلعب التخطيط أهم الادوار ، وتكون هيئاته المركزية فى أعلى مستوى ادارى ، وقراراتها – التى تتكون ديمقراطيا – يكون لها طابع تنفيذى •

نطاق الملكية الاجتماعية

تبدأ عملية تحويل اقتصادنا بسياسة مصممة لتشكل نطاقا سائدا للدولة ، يتكون من الصناعات التى تملكها الدولة الان ، بالاضافة الى الصناعات التى تصادرها وكاجراء أول يتم تأميم ثروات أساسية معينة مثل منجم النحاس والحديد والملاحات الضخمة وغيرها مما يسيطر عليه رأس المال الاجنبى والاحتكارات الداخلية • ولهذا فان الصناعات التالية تدمج فى هذا القطاع من الانشطة المؤممة :

١ – المناجم الكبرى للنحاس والملح واليود والحديد والفحم •

٢ – النظام المالى للبلاد ، وخاصة البنوك وشركات التأمين الخاصة

٣ – التجارة الخارجية •

٤ – صناعات واحتكارات التوزيع الضخمة •

٥ – الاحتكارات الصناعية الاستراتيجية •

٦ – وبوجه عام أوجه النشاط المعينة التى تتحكم فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد ، مثل انتاج وتوزيع الطاقة الكهربائية والنقل الحديدى والجوى والبحرى ، والاتصالات وانتاج وتكرير وتوزيع البترول ومشتقاته ، بما فيها الغاز السائل ، وصناعة الحديد والصلب والاسمنت والصناعة البتروكيماوية والكيماوية ، والكيماويات الثقيلة والسيلولوز والورق •

وتنفذ عمليات المصادرة هذه مع الاعتبار الكامل لمصالح صغار المساهمين •

نطاق الملكية الخاصة

يتضمن هذا النطاق تلك القطاعات من الصناعة والتعدين والزراعة وتلك الخدمات التى لا تزال الملكية الخاصة تسير فيها وسائل الانتاج • وتكون هذه الصناعات اغلبية من حيث العدد • فعلى سبيل المثال : فى عام ١٩٦٧ ، ومن بين ٣٠٥٠٠ صناعة [من بينها الصناعات الحرفية] كانت ١٥٠ فقط تملك سيطرة احتكارية على الاسواق وتركز مساعدات الدولة وائتمانات البنوك وتستغل باقى المصانع فى البلاد ببيعها المواد الخام بسعر مرتفع وشراء منتجاتها بسعر رخيص

وسوف تستفيد الصناعات التى تكون هذا القطاع من التخطيط العام للاقتصاد الوطنى • وتقدم الدولة المساعدة المالية والفنية التى تحتاجها مشروعات هذا القطاع حتى تستطيع ان تواجه المهمة الهامة التى تحتقها فى الاقتصاد الوطنى ، اذ تزيد عدد المستخدمين وحجم الانتاج بوجه عام •

وبالاضافة الى هذا فسوف نبسط انظمة السجلات والجمارك والضرائب واسهامات هذه الصناعات ، ونؤمن لها سوقا كافية وعادلة لمنتجاتها •

وينبغى ضمان حقوق العمال والمستخدمين فى مرتبات وظروف عمل عادلة فى هذه الصناعات وتراعى الدولة والعمال فى الصناعة – كل بدوره – احترام هذه الحقوق •

القطاع المختلط

يكون هذا القطاع مختلطا لانه يتألف من صناعات تجمع بين رأسمال الدولة ورأس المال الخاص •

ويمكن ان تكتسب القروض والائتمانات التى تقدمها المنظمات لمساعدة الصناعات فى هذا القطاع طبيعة المساعدة التى

تكون الدولة شريكا وليس مقرضاً فيها » ويصبح الشيء نفسه بالنسبة للحالات التى تحصل فيها مثل هذه الصناعات على ائتمانات بمساعدة أو ضمان الدولة أو هذه المؤسسات .

تعميق وتوسيع الاصلاح الزراعى

الاصلاح الزراعى ، عملية تتم فى وقت واحد مع وتكون مكملة للتحولات العامة التى تجرى فى البنيان الاجتماعى والسياسى والاقتصادى للبلاد بحيث انه لا يمكن الفصل بين تحقيقها وباقى السياسة العامة . وتقضى الخبرة القائمة الان فى هذا النطاق واوجه النقص والعيوب الى اعادة صياغة سياسة توزيع وتنظيم ملكية الارض على اساس التوجيهات التالية :

١ – دفع سرعة عملية الاصلاح الزراعى ، ومصادرة المزارع التى تتجاوز الحد الاقصى للمساحة المقررة ، طبقا لظروف المناطق المختلفة ، بما فى ذلك البساتين ومزارع الكروم والغابات دون أن يكون للمالك حق الافضلية فى اختيار الباقى . ويمكن ان تشمل المصادرة كل او جزءا من ممتلكات المالك المصادر [الالات والادوات والحيوانات الخ] .

٢ – ادماج ممتلكات الدولة المهجورة والتى لم يحسن استغلالها ادماجا فوريا فى الاراضى المزروعة .

٣ – تنظم الاراضى المصادرة طبقا للافضلية على اسس الملكية التعاونية . وتكون للفلاحين حقوق ملكية تخولهم امتلاك المنزل والحديقة المعهود بهما اليهم ومع الحقوق المكفولة لهم فى اطار الارض التعاونية الغير القابلة للتقسيم . وفى ظروف معينة يعهد بملكية الارض فرديا بما يحفز الى تنظيم العمل وتسويق المنتجات تجاريا على اساس التعاون المتبادل .

كذلك تقتطع الارض جانبا لاقامة مشروعات زراعية للدولة تستخدم التكنولوجيا الحديثة .

٤ – وفى حالات خاصة يعهد بالارض الى صغار المزارعين والمستأجرين والمزارعين المتوسطين والمستخدمين الزراعيين المؤهلين لاعمال الزراعة وتربية الحيوان .

٥ – اعادة تنظيم الملكيات الاقطاعية بواسطة الاشكال التعاونية للعمل الزراعى باطراد .

٦ – ادماج الفلاحين الصغار والمتوسطين فى المبيعات والخدمات فى التعاونيات التى تعمل فى منطقتهم الجغرافية .

٧ – الدفاع عن زيادة وحماية القيادة الديمقراطية للجمعيات غير الاهلية المهددة بالاغتصاب وتأمين حصول الموباش وغيرهم من الجماعات غير الاهلية على كفايتها من الارض والمساعدة الفنية والقروض الائتمانية المناسبة » .

سياسة التنمية الاقتصادية

تمضى السياسة الاقتصادية قدما عن طريق نظام للتخطيط الاقتصادى الوطنى وبوسائل السيطرة والتوجيه الائتمانى نحو الانتاج والمساعدة الفنية وسياسة الاسهام والتجارة الخارجية ، وكذلك بواسطة نمو قطاع الدولة فى الاقتصاد . وتكون اهداف هذه السياسة على النحو التالى :

١ – حل المشكلات المباشرة للاغلبية العظمى » ولتحقيق هذا تحول القدرة الانتاجية للبلاد بعيدا عن السلع الكمالية والمكلفة المصممة لاشباع حاجات الجماعات ذات الدخول العالية ، نحو انتاج السلع للاستهلاك الشعبى ، ذات التكلفة المنخفضة والجودة الطيبة .

٢ – ضمان توظيف كل الشيليين فى سن العمل ، مع مستوى كاف من المكافأة . وهذا يعنى صياغة سياسة تحفز على التوظف الجماعى بطريقة كافية بما يحقق استغلال كل مصادر البلاد وتكييف التكنولوجيا مع حاجات التنمية الوطنية .

٣ – تحرير شيلى من الخضوع لرأس المال الاجنبى . وهذا يعنى مصادرة رأس المال الامبريالى لتحقيق سياسة استقلال ذاتى مالى تام لانشطتنا ، ودراسة الظروف فيها يؤدى رأس المال الاجنبى الذى لم يصادر وظيفته وصولا الى درجة اكبر من الاستقلال فى التكنولوجيا والنقل الخارجى الخ .

٤ – تأمين نمو اقتصادى سريع ولامركزى ينحو نحو تنمية القوى الانتاجية الى أقصاها ، محققا الحد الاقصى من استخدام الطاقات البشرية والطبيعية والمالية والفنية المتاحة من أجل زيادة انتاجية العمل واشباع مطالب التنمية المستقلة للاقتصاد وكذلك حاجات وأمانى الشعب العامل فى حياة كريمة وانسانية .

٥ – ممارسة سياسة خارجية وتجارة خارجية تسعى الى تنمية وتنويع صادراتنا وفتح أسواق جديدة وتحقيق استقلال تكنولوجى ومالى متزايد ، والحيلولة دون حدوث انخفاضات مخزية فى نقودنا .

٦ – اتخاذ الاجراءات التى تفضى الى استقرار نقدى . ان النضال ضد التضخم تحدده اساسا التغييرات الهيكلية المعلنة . ومن الضرورى أيضا أن تتضمن اجراءات تقوم من تدفق النقيد الى الضروريات الحقيقية للسوق » والسيطرة على الائتمان واعادة توزيعه ومنع الربا الفاحش فى التحويل النقدى . وترشيد التوزيع والتجارة . وتحديد الاسعار » ومنع هيكل الطلب الناشيء عن الارباح العالية من ان يصبح حافزا لرفع الاسعار .

ان ضمان تحقيق هذه الاهداف يكمن فى سيطرة الشعب المنظم على السلطة السياسية والاقتصادية ، معبرا عنها فى نطاق الدولة من الاقتصاد ، وفى التخطيط العام للدولة . ان سلطة الشعب هذه هى التى تضمن تحقيق هذه الاهداف على النحو الذى بينا .

المهام الاجتماعية

ان الامانى الاجتماعية للشعب الشيلى انما فى مشروعه ومن الممكن اشباعها ، فهو مثلا يريد اسكانا كافيا فى حدود امكانياته ، ومدارس وجامعات لابنائه ، وعملا مستقرا ، ورعاية طبية متاحة ، واضاءة فى الاماكن العامة ، ومجارى ، ومياه صالحة للشرب ، وشوارع مرصوفة وأرصفة ، وخدمات اجتماعية دون امتيازات تكون عادلة وفى متناوله ، ومعاشات تكفل له الحياة بغير جوع ، تليفونات وبوليس ، ودور للحضانة ، وتسهيلات رياضية وسياحة ومراكز ترفيه للشعب .

واشباع هذه الرغبات العادلة للشعب — التى تشكل فى الحقيقة حقوقا يتعين على المجتمع أن يعترف بها — سيكون هو الشاغل الاول لحكومة الشعب .

وستكون النقاط الاساسية على هذا العمل الحكومى هى :

[أ] تحديد سياسة للاجور ، تتبع من اقامة تنظيمات فورا تحدد — بمشاركة العمال — الارقام التى تشكل بالفعل مرتبات معيشية وحدا أدنى للاجور فى المناطق المختلفة من البلاد .

فبينما يلح التضخم يبدأ عمل تسويات بفعل القانون على النحو الذى يتوقف على زيادة تكاليف المعيشة . وتكون هذه التسويات نافذة المفعول لمدة ٦ أشهر فى وقت ما او كلما ارتفعت تكاليف المعيشة بأكثر من ٥ فى المائة .

ويتم خلال فترة زمنية محددة انشاء نظام من الحد الادنى من الاجور والمساواة فى المرتبات بالنسبة للعمل المتساوى فى أى صناعة كان هذا العمل يتم » وتبدأ هذه السياسة فى نطاق الدولة وتمتد منه الى الاقتصاد بأكمله ، دون مساس بالمستويات المختلفة للكفاية الانتاجية فى الصناعات المختلفة . وبالمثل فان كل تمييز بين الرجال والنساء أو بسبب السن يلغى فيما يتعلق بالاجور والمرتبات »

[ب] توحيد وتحسين دور نطاق الضمان الاجتماعي ، والحفاظ على كل المكاسب المشروعة التي تم اكتسابها ، وازالة الامتيازات المساء استخدامها وأوجه النقص والبيروقراطية وتحسين ودعم الانتباه الموجه الى أولئك المعنيين ، وتقديم الضمان الاجتماعي لتلك القطاعات من العمال الذين لا تشملهم في الوقت الحاضر ونقل ادارة وزارة الاقاليم الى المستشارين ، وتؤدي هذه الوزارة مهامها في اطار معايير التخطيط .

[جـ] تأمين الرعاية الطبية وطب الاسنان ، والادوية الوقائية والعلاجية لجميع الشيليين تموله الدولة وأصحاب الاعمال والمنظمات الممولة . ويدمج السكان في مهمة حماية الصحة العامة . وعلى أساس الرقابة المشددة على النفقات العملية وترشيد الانتاج ، يوفر الدواء بكميات كافية وبسعر منخفض .

[د] تعتمد أموال كافية لخطة بناء واسعة في مجال الاسكان . ويطور تصنيع الانشاء بالسيطرة على الاسعار والحد من العدد الضخم من وحدات الصناعة الخاصة والمختلطة التي تعمل في هذا النطاق . وفي حالات الطوارىء تقدم الارض للاسر التي تحتاج اليها ، مع اتاحة المساعدة الفنية والمادية لها لبناء مساكنها . ويكون من أهداف حكومة الشعب في سياستها الاسكانية جعل كل اسرة مالكة لمسكنها . ويلغى نظام الايجارات القابلة للتعديل . ولا تتعدى الايجارات الشهرية التى تدفع للملاك أو الساكنين نسبة ١٠ في المائة من دخل الاسرة عموما .

والمضى قدما في عملية اعادة تخطيط المدن والاحياء على اساس منع الفقراء من أن يطردوا ، وضمان مصالح السكان في القطاع الذي تتم اعادة تخطيطه ، مثل صغار رجال الاعمال الذين يعملون فيه ، وتأمين السكان مسكنهم مستقبلا .

[هـ] اقرار الحقوق المدنية الكاملة للنساء المتزوجات والمساواة أمام القانون لجميع الاطفال الذين يولدون نتيجة لزواج أو بدونه ، واقرار التشريع الملائم للطلاق ، مع حل الزواج على نحو يحمى حقوق المرأة والاطفال .

[و] الغاء التقسيم القانوني بين العمال وأصحاب الاعمال ، واقرار الوصف المشترك ومد حق تكوين النقابات لجميع أولئك الذين لا يملكونه في الوقت الحاضر .

الثقافة والتعليم

ثقافة جديدة للمجتمع :

ان العملية الاجتماعية التى استهلها انتصار الشعب سوف تلتزم بثقافة جديدة موجهة نحو اعتبار العمل الانساني أسمى فضيلة ، ونحو التعبير عن الارادة الايجابية والاستقلال الوطنى وتقديم نظرة نقدية للواقع .

ان التحولات العميقة التى ستبدأ تتطلب اناسا يكونون واعين اجتماعيا ومتحدين ومربين على ممارسة سلطتهم السياسية والدفاع عنها ، معدين علميا وفنيا لتطوير اقتصاد التحول الى الاشتراكية ، ومنفتحين على خلق وتذوق مظاهر الفن والفكر العديدة .

واذا كانت غالبية المفكرين والفنانين تناضل اليوم ضد نفس التشوهات الثقافية للمجتمع الرأسمالي ويحاولون أن يخرجوا ثمار خلقهم الى العمال ويتحالفون مع مصيرهم التاريخى ، فانهم فى المجتمع الجديد سيحتلون مركزا طليعيا لمواصلة عملهم . لان الثقافة الجديدة لن تخلق بمرسوم ، بل ستنشأ عن النضال من أجل الاخوة وضد الفردية ، من أجل تقدير العمل الانسانى وضد احتقاره ، من أجل القيم الوطنية وضد الاستعمار الثقافى ، من أجل توصيل الجماهير الشعبية الى الفن والادب ووسائل الاتصال وضد تحويلها الى تجارة .

ان على الدولة الجديدة أن تتبنى ادماج الجماهير فى النشاط الفكرى والفنى من طريق نظام تعليمى تغير تغيرا جذريا ، وكذلك من طريق اقامة نظام وطنى لثقافة الشعب ، ان شبكة واسعة من المراكز المحلية لثقافة الشعب سوف تحفز على تنظيم الجماهير لممارسة حقها فى الثقافة .

وسوف يحفز النظام الثقافى الشعبي على الخلق الفنى والادبى ويضاعف من قنوات العلاقات بين الفنانين والكتاب والجمهور حتى تصبح اكثر اتساعا بما لا نهاية له مما هى الان .

نظام تعليمى ديمقراطى

مخطط واحد :

يتجه عمل الحكومة الجديدة نحو توفير أوسع وافضل الفرص التعليمية .

وفى تحقيقها لهذه المقترحات يكون هناك تحسن عام فى الظروف المعيشية للعمال ولتقديرات مسئوليات المعلمين — فى مستوياتهم المختلفة . وبالاضافة الى هذا ، توضع خطة وطنية واسعة بالقدر الكافى للمنح الدراسية لتأمين الدخول والاستمرار التعليمى لجميع أطفال شيلى ، وخاصة أطفال الطبقة العاملة والفلاحين .

ومن ناحية اخرى ، تضع الدولة الجديدة خطة لبناء التسهيلات التعليمية التى تعززها المصادر الوطنية والمحلية التى تعبئها أجهزة السلطة الاساسية . وسوف تعدل الابنية البازخة على النحو الذى يتطلبه خلق تسهيلات تعليمية ومنح دراسية جديدة . وبهذه الاجراءات — على أقل تقدير — تقام على نطاق واسع مدرسة موحدة [ابتدائية واعدادية] فى كل جماعة ريفية وفى كل حى وفى كل مركز حضرى فى شيلى .

ولاشباع احتياجات النمو فى أعداد الاطفال فى سن ما قبل الدراسة ولجعل قبول النساء فى العمل الانتاجى ممكنا ، يوسع نظام الحضانات ورياض الاطفال بسرعة ، مع اعطاء الاولوية للقطاعات من مجتمعنا الاشد احتياجا . ومن خلال هذه السياسة يصبح أطفال الطبقة العاملة والفلاحين أكثر عرضة للدخول والبقاء لاخذ مزايا النظام التعليمى المنتظم .

ولكى نجعل نظاما جديدا للتدريس نظاما كفؤا ، من الضرورى تطبيق المناهج التى تركز على المشاركة الايجابية والنقدية للطلبة فى تعليمهم بدلا من المركز السلبى والمتلقى الذى يتعين عليهم التزامه الان .

ومن اجل تصفية سريعة للعيوب الثقافية والتعليمية الموروثة من النظام الحالى ، تجرى عملية تعبئة شعبية واسعة للقضاء على الامية فى غضون فترة وجيزة ولرفع المستويات التعليمية للسكان البالغين .

وينظم تعليم البالغين اساسا فى اطار مراكز العمل حتى يكون التوظيف الدائم للتعليم العام والفنى والاجتماعى للعمال ممكنا .

ان تحويل النظام التعليمى لن يكون عمل الفنيين وحدهم ، انما هو مهمة يدرسها ويناقشها ويحددها وينفذها المدرسون والعمال والطلبة والاباء والتنظيمات المختصة ، داخل الاطار العام للتخطيط الوطنى . ومن الناحية الداخلية فان النظام التعليمى يخطط بمراعاة مبادىء وحدة واستمرار الترابط والتفاين المستمرين للتعليم .

ويكون هناك — فى القيادة التنفيذية للجهاز التعليمى — تمثيل فعال للتنظيم الاجتماعى المذكور مندمجا مع المجالس التعليمية المحلية والاقليمية والوطنية .

وبهدف جعل التخطيط التعليمى والمدرسة الواحدة الوطنية والديمقراطية واقعا ، فان الدولة الجديدة تضع المنشآت الخاصة تحت مسئولياتها ابتداء من تلك المؤسسات التى تختار طلبتها على اساس من الطبقة الاجتماعية أو الاصل الوطنى أو المعتقد الدينى . ويتحقق هذا بادماج العاملين والتسهيلات الاخرى للتعليم الخاص فى النظام التعليمى .

التربية البدنية :

تكون التربية البدنية وممارسة كافة أنواع الرياضة من المستويات الاساسية للنظام التعليمى وفى كل التنظيمات الاجتماعية للشباب والبالغين شاغلا مستمرا ، ومنهجيا لحكومة الشعب .

التوجيه الجامعى والديمقراطية والاستقلال الذاتى

تقدم حكومة اتحاد الشعب تأييدا عريضا لعملية الاصلاح الجامعى وتعمل بحزم على تطويرها . وتترجم الذروة الديمقراطية لهذه العملية فى تأييد جامعى

عام للتطور الثورى الشيلى . ومن ناحية أخرى ، فان اعادة توجيه الوظائف الاكاديمية للتدريس والبحث وتوسيع نطاقها طبقا للمشكلات الوطنية أمر شجعه عمل حكومة الشعب .

وتكفل الدولة للجامعات مصادر كافية لتامين انجاز مهامها وكفاءاتها على مستوى الدولة واشاعة الديمقراطية فيها . وبالتالى فان ادارة الجامعة تكون ممثلة لجماعاتها المكونة .

وعن طريق ازالة الامتيازات الطبقية فى كل النظام التعليمى يصبح ادخال اطفال العمال فى الجامعة ممكنا ، كما يصبح كذلك بالنسبة للبالغين ، سواء كان ذلك من طريق المنح الدراسية الخاصة اوعن طريق الجمع بين الدراسة والعمل فى وقت واحد حتى يمكنهم ان ينضموا الى مناهج متقدمة .

وسائل الاتصال الجماهيرية

ان وسائل الاتصال [الاذاعة والنشر والتليفزيون والصحافة والسينما] مصممة اساسا للمساعدة فى تكوين ثقافة جديدة وانسان جديد . ولهذا السبب لابد من فرض توجيه تعليمى عليها ، ولابد من تحريرها من طابعها التجارى واتخاذ الاجراءات التى يمكن بها أن تسيطر التنظيمات الاجتماعية على وسائل الاتصال هذه ، وتزيل منها الوجود الاحتكارى الشائن .

ان النظام الوطنى للثقافة الشعبية يتعين أن يعنى بوجه خاص بتطوير صناعة السينما واعداد برامج خاصة لوسائل الاتصال الجماهيرية .

السياسة الدولية لحكومة الشعب

أهدافها :

توجه السياسة الدولية لحكومة الشعب نحو تأكيد الاستقلال الذاتى الكامل السياسى والاقتصادى لشيلى .

وتقوم العلاقات مع جميع دول العالم ، بصرف النظر عن مواقفها السياسية والايديولوجية — على أساس احترام تقرير المصير ومصالح شعب شيلى .

وتقوم روابط الصداقة والتضامن مع الشعوب التابعة والمستعمرة ، خاصة تلك التى تطور صراعاتها من أجل التحرر والاستقلال .

ويدعم شعور قوى امريكى لاتينى مناهض للامبريالية بواسطة سياسة دولية شعبية اكثر منه بواسطة وزارات الخارجية .

تدعم الحكومة الجديدة الدفاع الحازم من تقدير المصير للشعوب باعتباره الشرط الاساسى للتعايش الدولى . وبالتالى تكون سياستها يقظة ونشطة فى الدفاع عن مبادىء عدم التدخل ورفض اى محاولة للتمييز أو الضغط أو الغزو أو الحصار تأتيها البلاد الامبريالية .

وتقوى العلاقات والمبادلات والصداقة مع البلاد الاشتراكية .

مزيد من الاستقلال الوطنى

ان موقف الدفاع الايجابى من استقلال شيلى ينطوى على نبذ منظمة الدول الامريكية الحالية بوصفها اداة وعميلا للامبريالية الامريكية ، والنضال ضد كل شكل من اشكال القومية الامريكية تتضمنه هذه المنظمة . وسوف تقترح حكومة الشعب تكوين منظمة ممثلة حقا للبلاد امريكا اللاتينية

وهى تعتبر انه مما لا غنى عنه ان تراجع وتستنكر وتلغى .. كل طبقا لحالته — المعاهدات والتعاقدات التى تمثل حلولا وسطا تحد من سيادتنا وعلى وجه التحديد معاهدات المساعدة المتبادلة والعون المتبادل وغيرها من المعاهدات التى كانت شيلى قد وقعتها مع الولايات المتحدة .

ان المعونة أو القروض الاجنبية المبنية على اعتبارات سياسية أو التى تنطوى على الاستخدام القهرى للاستثمارات المستخرجة من هذه القروض بطرق تنتهك سيادتنا وتتعارض مع مصالح الشعب ترفضها وتستنكرها حكومة الشعب تماما كما ترفض كل نوع من السيطرة الاجنبية على المواد الخام لأمريكا اللاتينية ، مثل النحاس ، والشروط المفروضة على التجارة الحرة ، التى جعلت من المستحيل — على مدى فترة طويلة — اقامة علاقات تجارية جماعية مع جميع بلاد العالم .

التضامن الدولى

ان الصراعات التى تخوضها الشعوب من أجل تحررها ومن أجل بناء الاشتراكية سوف تلقى التضامن الفعال والنضال من حكومة الشعب .

ان كل شكل من اشكال الاستعمار والاستعمار الجديد سوف يندد به وحق الثورة للشعوب لهذه النظم سوف يعترف به . وان كل شكل من اشكال العدوان الاقتصادى والسياسى والعسكرى تشنه القوى الامبريالية سوف يندد به أيضا ، ويتعين ان تحتفظ السياسة الدولية الشيلية بموقف التنديد لعدوان امريكا الشمالية فى فيتنام وموقف الاعلام الايجابى عن التضامن مع النضال البطولى للشعب الفيتنامى .

وبنفس المعنى فانها ستقوى نضالها بطريقة فعالة مع الثورة الكوبية ، وهى مركز متقدم للثورة وبناء الاشتراكية على قارة امريكا اللاتينية .

كذلك فان النضال الشعبى المناهض للامبريالية فى الشرق الاوسط سوف يجد التضامن من حكومة الشعب التى تسعى الى حل سلمى مبنى على أساس مصلحة الشعبين العربى واليهودى .

وسوف تستنكر كل النظم الرجعية التى تدعم أو تمارس التمييز العنصرى ، والعداء للسامية .

سياسة أمريكية لاتينية

تنتهج حكومة الشعب — فى منطقة أمريكا اللاتينية — سياسة دولية تؤكد الشخصية الامريكية اللاتينية فى النسق الدولى .

ان التكامل الامريكى اللاتينى سوف ينفذ على أساس الاقتصاديات التى تحررت من أشكال التبعية والاستغلال الامبريالى ومع ذلك فان سياسة نشطة للاتفاقات الثنائية تظل بين المسائل التى فى مصلحة التنمية الشيلية .

وسوف تعمل حكومة الشعب على حل مشكلات الحدود المعلقة على أساس المفاوضات التى تستبعد دسائس الامبريالية والرجعيين . وتوضح المصالح الشيلية ومصالح شعوب البلاد المتاخمة .

ان السياسة الدولية الشيلية والتعبير الدبلوماسى عنها سوف يتخلص من كل شكل من اشكال البيروقراطية والجمود . فينبغى ان تنظر الى الشعب بغرض مزدوج هو تلقى الدروس من نضاله من أجل بنائنا الاشتراكى ، واعطائه خبرتنا حتى يبنى عمليا التضامن الدولى الذى نناضل من اجله .

يشرف على التحرير :

د. لطيفة الزيات

غالى شكرى

سمير فريد

صبرى حافظ

فى هذا العدد


توفيق الحكيم

- حوار الأجيال حول المسرح المصرى
- قصيدة : الطريق وأحلام البلابل
- ازراباوند .. الشاعر والعصر
- رسالة باريس : السينما السياسية تغزو الأدب
- الأدب والفن فى شهر
- كتب جديدة
- قصة يوسف

رسالة باريس
السينما السياسية تغزو الأدب

الطليعة

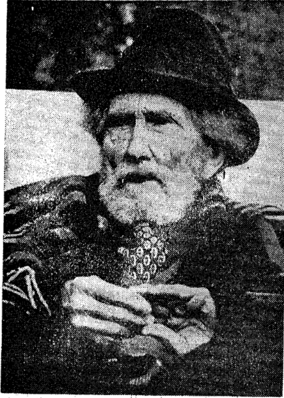


العدد الثاني عشر — ديسمبر ١٩٧٢

حوار الأجيال
حول المسرح المصرى

ازرا باوند

الشاعر والعصر



ماهر شفيق فريد

بوفاة ازرا باوند فى مطلع نوفمبر الماضى هوى آخر غصن من تلك الدوحة السامقة التى اظلت بفروعها فترة العشرينيات فى اوروبا والولايات المتحدة ، وصارت مع الزمن تحمل اسم « الحركة الحديثة » فى الادب ومن قبل توفى ت.ا. هيوم وجيمز جويس وييتس ووندام لويس واليوت وها هو ذا باوند — آخر الباقين — يموت عن سبع وثمانين سنة فى احدى مستشفيات مدينة البندقية .

لم يكن باوندابو الشعر الحديث — مجرد شاعر ، وانما هو رمز «الشاعر» فى هذا العصر وكان يشارك هؤلاء الذين ذكرناهم « باستثناء ييتس » اتجاههم الكلاسيكى الجديد ، وان كانت لــه فرديته المتميزة والمسرفة احيانا . ويؤسفنا حقا الا يكون قد نال جائزة نوبل للادب — وكان يأمل فيها — قبل وفاته . فقد كان الرجل — رغم كل اخطائه وتهوره — احق الشعراء الاحياء بها . وقد اثر — كما يقول ك. ل. جودوين فى كتابه « تأثير ازرا باوندى » — فى كثير من الشعراء منهم ييتس واليوت ووليم كارلوس وليمز وميريان مور وهارت كرين وا.ا. كمنجز وارتشيبولد ماكليش ، استعار الشعراء الاقل قدرة على التميز خصائص اسلوبه ولهجته ، اما الاكثر تميزا فقد تعلموا من استخدامه للاوزان العامية والنوادر الوجيزة والكتابة القائمة على الصورة .

اما افكاره — التى تقترب من الفاشية ومعاداة السامية ، وان لم تكن كذلك بالضبط — فلم تلق كبير رواج .

ولد باوند فى ٣٠ اكتوبر ١٨٨٥ فى هيلى بولاية ايداهو بالولايات المتحدة الامريكية ، وغادر وطنه الى البندقية ولندن فى سن الثالثة والعشرين ، حيث تعرف على جويس واليوت وهمنجواى وجرترود ستين ، وكان من اول مشجعى د. هـ لورانس وروبرت فروست . كان ناقدا للمجتمع الحديث ، له نظريات مثيرة للجدل فى السياسة والاقتصاد والدين ، وقد القى احاديث اذاعية من راديو روما اثناء الحرب العالمية الثانية ، مما ادى الى اتهامه بالخيانة والقاء الجيش الامريكى القبض عليه وان اعلنت المحكمة التى مثل امامها انه مختل القوى العقلية . ثم قضى اكثر من اثنى عشر سنة فى مستشفى سانت اليزابث لمرضى الامراض العقلية الاجرامية بواشنطن . وفى ١٩٥٨ الغيت الاحكام الصادرة ضده وعاد الى ايطاليا التى سبق له ان قضى فيها المدة ما بين ١٩٢٤ و ١٩٤٥ .

وليس من شأننا هنا ان نتحدث عن افكار باوند ومدى انطباق هذه التهم عليه ، فانما ننظر اليه كشاعر وناقد وراع للفنون . وبهذه الموازين الثلاثة ترجح كفته ، ولا نملك الا ان نتمنى له مصيرا افضل من ذلك الذى وقع له . ومرة اخرى يقدم الفنان مثلا بليغا للاضرار الفادحة التى يمكن ان تنجم عن تدخله فى ميدان لا خبرة له به كالسياسة والاقتصاد والاجتماع ، اما الضرر الذى يصيب الادب من تقحم هذه الانشطة عليه ، وراء نقطة معينة يكاد يستحيل التنبؤ بها ، فهو اوضح من ان يحتاج الى بيان .

يكون نقد باوند وشعره وحدة واحدة لا يمكن معها فهم احد الامرين بمعزل من الاخر . ومن هنا انبغى ان نشير الى مبادئه النقدية قبل الحديث عن شعره ، وآراء معاصريه فيه .

كتب باوند فى كتابه **«مبادىء القراءة»** [١٩٣٤] : « ان الشعر يبدأ فى الضمور عندما يبتعد عن الموسيقى اكثر مما ينبغى » و « ان المنهج الامثل لدراسة الشعر والاداب الجيدة هو منهج علماء الاحياء المعاصرين اى الفحص غير المكرور للمادة ، والمقارنة المستمرة لاحدى « الشرائح » او العينات بغيرها» وان « الادب العظيم هو ببساطة : اللغة محملة بالمعنى الى اقصى درجة ممكنة »

وفى هذا الكتاب ذاته قرر باوند المبادىء الاتية :

※ الكتاب الجيدون هم اولئك الذين يبقون اللغة فعالة . ومعنى هذا انهم يبقونها دقيقة ويبقونها واضحة . ليس يهم ما اذا كان الكاتب الجيد يريد ان يكون مفيدا ، او ما اذا كان الكاتب الردىء يريد ان يلحق ضررا .

※ الشعر اشد صور التعبير اللفظى تركيزا .

※ عدم الكفاية خليق بأن يتكشف فى استخدام كلمات عديدة اكثر من اللازم

* لا ريب في ان الفنانين والشعراء ينفعلون و « ينفعلون على نحو بالغ » ازاء الاشياء قبل الجمهور العام بزمن طويل ». وقبل ان نقرر ما اذا كان الانسان احمق او فنانا جيدا فقد يكون من الخير ان نسأل : ليس فقط « اهو ينفعل دون موجب » ؟ وانما « اهو يرى شيئا لا نراه نحن » ؟ ايرجع سلوكه الغريب الى احساسه بزلزال مقبل او شبه حريقا في غابة لا نشعر به نحن او لم نشمه بعد ؟

* الشكل هو تركيب العمل بأكمله بما في ذلك اجزاؤه ».

* ان البشر لا يفهمون الكتب الا بعد ان يكونوا قد عاشوا قدرا معينا من الحياة » او على الاقل فانه لا احد يفهم كتابا عميقا الا اذا كان قد رأى وعاش على الاقل جزءا من محتوياته ».

* الكتابة الجيدة تواكب فكر الكاتب ولها شكل الفكر وشكل الطريقة التي يستشعر بها المرء فكره ».

* الكتاب الجيدون جميعا منتبهون الى ما يقولونه وهم جميعا واعون بأن لديهم شيئا يخبرون به القارىء » شيئا لا يعرفه فعلا ، ومجهودهم الرئيسي ينصرف الى اخباره به ».

* القصائد المهمة تقدم عنصرا جديدا ما او توسع من تصور القارىء للشعر بادخال نوع من المادة او نمط من التعبير لم يتناول بعد .

* ان من اكبر ادواء النقد الحديث الاندفاع الاول الى البحث عن الشخص وما يناظره من اخفاق في النظر الى للشيء .

* الرجل الذي يريد ان يحافظ على تقليد يحسن دائما صنعا بأن يعرفه كنهه اولا .

* الصلابة التكنيكية لا يتوصل اليها دون بعض المثابرة على الاقل ». ان السبب الرئيسي للكتابة الزائفة اقتصادي فكثير من الكتاب يحتاجون الى المال او يريدونه ، ويمكن شفاء هؤلاء الكتاب بأوراق نقدية . والسبب التالي هو الرغبة لدى البشر في ان يرووا مالا يعرفون او ان يجيزوا خواء على انه اكتمال ».

* الوزن شكل منحوت في الزمن كما ان التصميم مكان محدد .

* هناك خرافة قائلة بان الشعر ليس فنا او ان العروض ليس فنا له قواعد .

وفي كتاب « رقصات وشطحات » كتب باوند مجموعة من الرسائل التخيلية على لسان شخص يدعى ولتر فيلبرانت وحمله الكثير من آرائه الشخصية :

« ما من هدنة بين الفن والجمهور » ، « ان الفن الذي يباع عند انتاجه فن رديء اساسا ». انه فن مصنوع للطلب انه يلائم الجمهور . وذوق الجمهور رديء . ان ذوق الجمهور رديء تماما . انه رديء لانه ليس تعبيرا فرديا وانما هو لا يعدو ان يكون جنونا للموافقة ، جنونا لان يكون في الصورة » ، « ان الفنون يحفظها اناس قليلون جدا . وهي قد ظلت دائما يقيمها — اذا قيمت على الاطلاق — اناس بالغو القلة . وراعي الفن العظيم انما هو رجل يقيم فنانين عظماء . ان راعي الفن الكبد انما هو رجل يقيم فنانين جيدين . وصيته مواكب للعمل الذي رعاه . فهو لايمكن ان يكون احمق » ، « هذا اللغو عن الفن للكثيرين ، للاغلبية .. قد يكون من الملائم ان يتمتع البشر « بحقوق وطنية وسياسية » متساوية فهذه الاشياء مسالة متصلة باعمال الانسان الخارجية او اتصالاته الخارجية [كان ماكيافيلي يؤمن بالديمقراطية ولكنها كانت تقع وراء خبرته] وليس للفنون صلة بهذا . فهي حياة الانسان داخل نفسه . ان مرسوم الملك لا يسري هنالك ، وصوت الاغلبية لا قدرة له على ان يجعلني استمتع او لا استمتع بأبيات كاتولوس . انى استغني عن صوتي الانتخابي دون مضايقة ، اما فيون فلا استغنى عنه »

ويدعو الى الحياد الفني الذي يكاد يكون برودا : « ان العقل المعدني يخيف الناس ». فهم لن يحتملوا صلابة جويس اكثر مما سيحتملون جراحةباوند المعتمة» ويضيف : « وانا اعتبر ان الفن يرتفع من زاوية بعض المقاييس بقدر ما يكون غير قابل للمحاكاة بل بقدر عدم قابليته للترجمة » .

أهمية اختيار اللفظ

وفي كتاب « مرشد الى الثقافة » يكتب باوند عن اهمية اختيار اللفظ الدقيق ، باعتباره اول واجب على الفنان :

« سال تسو — لو : لو عينك اميرى رئيسا للحكومة ، فالى ماذا كنت توجه ذهنك اولا ؟

كونج ، « كونفوشيوس » : الى تسمية الناس والاشياء بأسمائهم ، اى بالاسماء الصحيحة ؛ لارى ان المصطلحات مضبوطة .

واذا لم يكن المصطلح مضبوطا واذا كان لا يطابق الشيء فان التعليمات الحكومية لن تكون صريحة . واذا لم تكن التعليمات واضحة ، وكانت الاسماء لا تنطبق فليس بوسعك ان تسير العمل على النحو الامثل . واذا لم يسر العمل على النحو الامثل فلن تكرم الطقوس والموسيقى . واذا لم تكرم الطقوس والموسيقى فلن تصل العقوبات والجزاءات الى تاثيراتها المقصودة ، واذا لم تنتج الجزاءات والعقوبات المساواة والعدل فلن يعرف الناس اين يضعون اقدامهم او بم يمسكون او ما اذا كان يجمل بهم ان يمدوا ايديهم .

وهذا هو السبب في ان الرجل الذكي يأبه لمصطلحه ويعطي تعليمات تنطبق . فعندما تكون اوامره واضحة وصريحة يمكن وضعها موضع التنفيذ » .

التزام المحسوسات

ويدعو باوند الى التزام المحسوسات والاحتراس من اغراء الانسياق وراء المجردات : « ينبغي ان يكون المرء في موضع يمكنه من ان يفهم ابسط كلمات الكاتب اذا اراد المرء ان يفهمه . ان السرد لا تثريب عليه بقدر ما يتشبث الراوي بكلمات بسيطة مثل : كلب ، وجواد ، وغروب الشمس . ولكن توصيله يتوقف على نحو كامل تقريبا عندما يكتب : « خير » و « شر » و « ملائم » . فهو يقدر « الكلمة الاستشارية ، الكلمة التي تلقى بصورة حية على صفحة خيال القارىء » .

ويقول باوند :

* ان الاسلوب او بلوغ اسلوب يتكون من المعرفة بالكلمات على النحو الذي يجمل المرء يوصل الاجزاء المتنوعة لما يقوله بالدرجات والاوزان المتنوعة الاهمية التي يتمناها المرء .

* الشيء الواحد الذي لا يجمل بك ان تفعله هو ان تظن انه عندما يكون ثمة خطأ في الفنون فانه خطأ في الفنون وحدها .

* التكنيك هو اختبار صدق الكاتب فالكاتب او الفنان الذي لا يضيق صدرا بعيوب تكنيكه الخاصة قذر ».

* العمل الفني باب او مصعد يسمح للانسان بأن يدخل » او يرفعه ذهنيا الى منطقة نشاط ، وخارج الجو الخانق والجمود .

* نحن لا نعرف ما فيه الكفاية قط . والفنان الجيد « واجرؤ على القول بانه حتى سترافنسكي] يسحقه جهله الخاص الجهل بالاسس البسيط لحرفته ، حتى حينما يعرف اكثر من اى شخص آخر ميت او حي .

* لا تزييف في الفنون . فلا فنان

يستطيع ان يقدم ما ليس لديه .

* ما من انسان يستطيع ان يقرا قصائد هاردى المجموعة الا ونجد أن حياته الخاصة ولحظات منسية منها تعود اليه : لمعة هنا وساعة هناك ، فهل لديك اختبار افضل للشعر الحق ؟

ويسبق باوند اليوت الى صياغة مفهوم المعادل الموضوعى عندما يكتب :

استخدام الصور

« ان كل لغة شعرية هى لغة استكشاف . ومنذ بداية الكتابة الرديئة استخدم الكتاب الصور كزينة . والنقطة الرئيسية فى مذهب الصورة «ايماجيزم» هى انها لا تستخدم الصور كزينة . فالصورة هى فى حد ذاتها الكلام . والصورة هى الكلمة وراء حدود اللغة القابلة للصياغة .. لقد سئم المرء الزينات فهى كلها الاعيب وبوسع اى شخص ذكى ان يتعلمها » ، « ان الاعمال الفنية العظيمة .. تجعل الشكل يخرج الى حيز الوجود » و « بالصورة » اعنى معادلة : لا معادلة رياضية ، ولا شيئا عن أ ، ب ، ج له صلة بالشكل ، وانما عن البحر والصخور والليل من حيث علاقتها بالحالة النفسية ان الصورة ليست فكرة وانما هى عقدة مشعة او عنقود . انها ما استطيع — ولا بد — ان ادعوه دوامة ، منها ومن خلالها وفيها تندفع الافكار باستمرار»

هذه هى اهم الافكار النظرية التى توجه نقد باوند . وقد احسن اليوت حين كتب فى مقدمته [١٩٥٤] لكتاب باوند « المقالات الادبية » :

« ١ — ان باوند قد قال عن فن الكتابة ، وكتابة الشعر على وجه الخصوص ، الكثير مما هو سليم ومفيد على نحو باق . وقلائل جدا هم النقاد الذين فعلوا ذلك .

٢ — انه قال الكثير مما هو متصل على نحو فريد ، بحاجات العصر الذى كتب فيه .

٣ — انه لم يفرض على انتباهنا كتابا افرادا فحسب وانما ايضا مناطق كاملة من الشعر لا يستطيع اى نقد فى المستقبل ان يتجاهلها .

واخيرا [وهذا اقل ما سوف يعنيه من بين المنجزات السابقة ، انه تم عن تذوق لكتاب ما كان المرء ليتوقع منه ان يتعاطف معهم على نحو اشد مباشرة واكثر سخاء مما يظن عادة » .

ويمضى اليوت قائلا : « انه لمن الجدير بالذكر — وان لم يكن من الكثير — عند تبويبنا نقد باوند ، ان نحله مع سائر المساهمات المرموقة للشعراء في النقد أى مع مقالات ومقدمات درايد ، ومقدمتى وردزورث ، وكتاب « سيرة ادبية » لكولروج ، وهم جميعا رجال كانوا معنيين بـ « التجديد » فى عصرهم [وانى لاحب ان اضيف اليهم ارضاء لنفسى : صامويل جونسون ، وارضاء لباوند : ولترساندج لاندور] . غير إنه ليس بين هؤلاء الرجال من اهتم كل هذا الاهتمام المتسق بتعليم الاخرين كيف يكتبون ، مثله . وليس هناك شاعر آخر يمكن القول بأن نقده وشعره مبادئه وممارسته ، تشكل عملا واحدا اكثر منه . انه لمن الضرورى ان تقرا شعر باوند كيما تفهم نقده ، وان تقرا نقده كيما تفهم شعره » .

صورة العصر

ان باوند قد ترك اثرا لا يمحى على صفحة الوعى الحديث بقصيدته المسماة «هيوسلوين موبرلى : حياته واتصالاته» [١٩٢٠] وهى عن فنان حساس يعيش فى مجتمع مادى غليظ ، فى مطلع هذا القرن . من ورائه يمتد العصر الفيكتورى بنفاقه ونزعته الاخلاقية المسرفة ، ونظرة بعين الشك الى الجمال لاجل ذاته . ومن حوله اناس لا هم لهم الا تكديس الثروات ، او الكتابة الصحفية على احسن تقدير ، أكثف جلدا من ان يتعاطفوا مع مطامحه الفنية ويرسم باوند صورة العصر بلمسات سريعة حاذقة :

كان جلادستون لا يزال محل احترام
عندما اخرج جون رسكن
« كنوز الملك » ، وكان سونبرن
وروزيتى ما زالا موضع التحقير

ان جلادستون من اكبر رموز العصر الفيكتورى ، وقد كان رئيسا لوزراء بريطانيا من ١٨٦٨ الى ١٨٧٤ ومن ١٨٨٠ الى ١٨٨٥ وفى ١٨٨٦ ومن ١٨٩٢ الى ١٨٩٤ ، وخصما لدزرائيلى [لورد بيكونزفيلد] . اما رسكن فناقد وكاتب انجليزى [١٨١٩ — ١٩٠٠] تمتزج فى نقده النزعة الجمالية بالنبرة الاخلاقية وسونبرن وروزيتى شاعران اثارا سخط المجتمع الانجليزى المعاصر — مثل بيرون وشلى من قبلهما ، واوسكار وايلد وولتر باتر من بعدهما — بنزعتهما الوثنية الجديدة ، وثورتهما على قيود الاخلاق ، وميلهما الى تغليب الاعتبارات الجمالية على تقاليد المجتمع وآدابه .

ويمضى باوند قائلا :

لمدة ساعتين كان يتحدث عن جايفيه
وعن دوسون وعن نادى الناظمين
حدثنى كيف ان جونسون [لايونيل] مات
اذ سقط من مقعد عال فى مشرب ..

ان نادى الناظمين حركة شعرية شهدها الشعر الانجليزى فى العقد التاسع من القرن الماضى ، وكان الشاعران ارنست دوسون ولايونيل جونسون من روادها . ويضع باوند اسم لايونيل جونسون بين قوسين حتى لا يختلط على القارىء بصمويل جونسون صاحب المعجم الشهير . وثمة لمسة تهكمية فى سقوط جونسون — ممثل الفن الرفيع — من عليائه ميتا فى مشرب وايماءة — فى عين الوقت — لمصير الفنان فى العالم الحديث .

ويصف باوند بطله موبرلى بأنه :

كانت بنيلوبيه الحقة
هى فلوبير
وادانه
اداة الحفار

انه عاشق للكمال الفنى مثل فلوبير ، يستخدم اداته — وهى القلم — بنفس الحرص الذى يستخدم به المثال ازميله .

وفى المقطوعة المسماة « مستر نيكسون » يقول نيكسون — رجل الادب المحترف — للشاعر الشاب :

« لا أحد يعرف الاية الادبية عند رؤيتها
دع عنك الشعر يا بنى
فهو ليس بشىء » .

ونيكسون هذا رمز للروائى البريطانى ارنولد بنيت الذى كانت مأساته — مثل ثسوولز وجولزورذى وسائر المتأثرين بالنزعة الطبيعية — هى أن الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية والخلقية والسياسية غلب عندهم على الاهتمام بمشاكل التكنيك ، وهم — بهذه المثابة — على الطرف المناقض لفلوبير وهنرى جيمز وغيرهما من رهبان الفن . والى هذه الطائفة الاخيرة ينتمى باوند وصحبه .

وفى ختام القصيدة نرى هذه العبارات المنقوشة على قبر موبرلى :

« قد كنت
والان لم يعد لى وجود ،
ها هنا كان ينتساق
لذى »

واللذى [هيدونست] هو المؤمن بمذهب اللذة ، فكرية كانت أو روحية أو جسدية . وما كان المجتمع الفيكتورى ليدع دعائمه الاخلاقية تنهار تحت ضربات اى فنان يؤمن بتحقيق الذات ، لا بأن يكون شخصية هامة ، ومن اعمدة المجتمع .

يقول ف . ر . ليفيز فى كتابه « اتجاهات جديدة فى الشعر الانجليزى » ان قصيدة

« موبرلى » تلخيص لحياة كاملة . وهي تعكس تشستت عناصر الثقافة الحديثه وافتقارها الى الاتجاه وانعدام الشكل فيها ، كما تعكس موقف العالم الجديث من الفنان واهتزاز الارض تحت اقدامه انها تجربة حدثت فى الوقت الذى كانت التقاليد الرومانسية فيه قد نضب معينها. ولقد يجازف المرء بأن يقول انها خلاصة ترجمة ذاتية دون أن يعنى هذا انهـا تفتقر الى الموضوعية التى هى أسـاس كل فن عظيم . وما تمتاز به هـذه القصيدة من كمال فنى يثبت كيف ان باوند كان قادرا على أن ينفصل لنفسه من مادته ويتحكم فيها .

ويلاحظ ليفيز ان قصائد باوند الاولى ، كما يقول اليوت « تطوير منطقي لشعر اسلافه من الانجليز » ، فهى تسير على نهج شعراء العقد التاسع من القرن الماضي وتؤمن معهمبأن هناك موضوعات شعرية واخرى غير شعرية ، وتكشف من تأثر بوليم موريس وسونبرن وييتس، كما تكشف عن تأثر قوى بروبرتبراونتج. يقول اليوت : « ان الشيء الغريب فيه هو تفوقـه الكامل الذى لا يشاركـه فيه احد من حيث هو استاذ لاشكال النظم . فليس بين الشعراء الاحيـاء من مـارس فن النظـم بصرامـة باوند وتكريسه ، وليس بين الشعراء الاحياء من فاقه نجاحا في هذا المضمار » .

نقد المجتمع الحديث

يمكن تلخيص فن باوند الشعرى بأن نقول انه يستوحى موضوعاته منأساطير الاغـريق والرومان ، والادب الصينى واليـابانى ، وتـراث عصر النهضـة الاوربية ، خاصة فى ايطاليا ، ودانتى، والشـعر الرمزى الفرنسى في القـرن التاسع عشر . وهو يستوحى أيضـا المجتمع الحديث فينتقده فى عنف تـارة وفى تهكم رقيق تارة اخرى . ويسرى فى كل عمله عرق من الفطنة ، وحس الفكاهة ، والاكثار من الاصداء الادبية والاشارات التاريخية ، والاسـتعاضة بأسلوب المونتاج السينمائى عنالتسلسل المنطقى ، وجرأة الخيال وانضباطه فى آن واحد ، وكلها خصائص يشترك فيها مع الشاعرين ييتس واليوت .

فمن امثلة استيحائه التراث الادبى والفنى قصيدته « مدح ايزولت » حيث يقول العاشق ترستان عن محبوبته . يقول العاشق ترستان عن محبوبته:

عبثا ناضلت
كى اعلم قلبى الخضوع
عبثا قلت له :
ثمه معبون كثيرون اعظم منك ! .

★

عبثا ناضلت
كى اعلم نفسي الخضوع
عبثا جادلتها :
« ثمة انفس اعظم منك » .

★

عبثا ناضلت مع نفسي
كى اعلم نفسي الخضوع
اذ اي نفس يسعها ان تخضع
وانت في قلبه ؟

ومن امثلة اصالته فى التشبيه :

الفجر يدخل باقدام صغيرة
مثل بافلوفا مذهبة .

حيث يشبه الفجر براقصة الباليـه الروسية المعروفة .

ومن امثلة اشاراته الادبية :

اقبلى يا اغنياتى

دعينا نرفع السلاح في وجه هذا البحر من الغباوات .

حيث يذكرنا بمونولوج هملت المشهور « اكون او لا اكون » وتعداده السهام التى تصيب القلب الكريم ، والمصائب التى من الطبيعة ان تعرض لهذا الجسد .

ومن امثلة استخدامه للوسيلة البلاغية المعروفة باسم « الهبوط من الذروة» « انتيكلا يماكس او بيثوس » قوله فى قصيدة « سيدات » :

اربعة واربعون عاشقا كانوا لاجاثاس
فى الايام الخوالى وقد رفضتهم جميعا .
والان تتحول الى باحثة عن الحب .
وشعرها أيضا يتحول .

ولاحظاللفتة البارعة التى تقرنتحول المرأة الى الحب بعد فوات الاوان ، وتحول شعرها الى المشيب .

ومن امثلة ابتعاثه للجو ، بحيث يكون صدى للحالة النفسية ، قوله فى قصيدة « جمـاع » :

الطل على ورقـة الشـجر .

والليل حولنا قلق .

ان العاشقين — وليس الليل — هما الشىء القلق . وهما يسقطان حالتهما النفسية على الطبيعة .

ومن امثلة حسه الفكاهى قوله فىقصيدة « جزيرة البحيرة » التى يذكرنا عنوانها بقصيدة ييتس المعروفة « جزيرة بحيرة اينسفرى » :

اى ربى ، اى فينوس ، اى ميركورى
حامى اللصوص .
اعيرونى دكان تبغ صغيرا
او ضعونى فى اى مهنـة
عدا هذه المهنة اللعينة : مهنة الكتابة.
حيث يحتاج المرء الى اعمال ذهنه طوال الوقت .

حيث النداء موجه الى « ميركورى حامى اللصوص » لا الى القوى العلوية المرتبطة عادة فى اذهاننا بالسمو والجلال .

ومن امثلة الفطنة قوله فى قصيدة « حكمة قديمة اقرب الى ان تكون كونية».

سور شو حلم
وبعد ان حلم بانه كان طائرا ، ونحلة وفراشة
لم يعد متأكدا لم يجمل به ان يحس مشاعر اي شيء آخر
ومن هنا كان رضاه .

ومن امثلة استيحائه للشعر الصيني قوله فى قصيدة « اغنية النهر » ، وهي ترجمة حرة لاحدى قصائد الشاعر ريهاكو من القرن الثامن الميلادي :

يخرج الامبراطور في عربته المطعمـة بالجواهر لكي يفحص الازهار انه يخرج الى هوري لينظر الي اللقالق المرفرفـة الجناحين ويعود عن طريق صخرة سى ليسمع العنادل الجديدة . لان الحدائق فى جورن ملانة عنادل جديدة . صوتها ممتزج فى هذا القيثار

وصوتها فى الانابيب الاثنى عشر هنا .

ويسخر باوند من العصر الحـديث فى قصيدة « آداب العصر » فيقول فى احد المقاطع :

عندما عرف ان الام كانت تكتب اشعارا
وان الاب كان يكتب اشعارا
وان الابن الاصغر بعمل فى مكتب ناشر
وان صديق الابنة الثانية كان يمر بروايته تعجب
السائح الامريكى الشاب :
« اللعنة » ان هذا العنقود بارع » .

لاحظ عبارة « يمر برواية » كأنها ازمة او حالة حمل ، وما يتضمنه ذلك من نفى للطابع الارادى للكتابة ، ان شاء صديق الابنة استمر فيها ، وان شـاء وقف . وهذا الرصد للمجتمع الاوربى من خلال عينى امريكى — او العكس — حيلة تعلمها باوند من هنرى جيمز .

ويبرع باوند فى المحاكاة الساخرة لغيره من الشعراء والكتاب ، فهو يكتب مثلا « رسالة مستر هاوسمان » متهكما على الشاعر الانجليزى أ.أ هاوسمان وغيره من الشعراء الانجليز في عصر الملكادوارد الخامس ، وكانـوا يكثرون من الانين والشكوى :

اواه يا للويل يا للويل

فالناس يولدون ويموتون
ونحن ايضا سنموت قريبا
وعلى ذلك فلنتصرف كما لو كنا قد
متنا فعلا .

واطول قصائد باوند هى « الاناشيد » التى ظل يكتبها على فترات متقطعة وهى بالغة التعقيد ، تكثر فيهما المقتطفات اليونانية واللاتينية والصينية والفرنسية ...الخ . وتتخذ من التاريخ الانسانى كلــه مسرحا لهــا ، وتكثــر فيهــا الشخــوص التــاريخيــة والخياليــة وقد نالت مجموعة منهــا هى « اناشيد بيزا » جائزة بولينين للشعر . ويفسر آلن تيت ــ الشاعر والناقد الامريكى المعاصر ــ تأييده لمنح باوند هذه الجائزة وهو فى السجن بقوله : « لقد وجدت فيعمله عناية بالغة وحرصا على نقائها باعتبارها اداة للفكر ان صحة الادب تعتمد على صحة المجتمع والعكس صحيح . وينبغى ان يكون هناك سهر دائم على كلا طرفى العملية، والمهمة المحددة لرجل الادب هى ان يسهر على صحة المجتمع لا ككل ، وانما من خلال

الادب ــ بمعنى انه ينبغى ان يكون دائما على وعى بوضع اللغة فى عصره . ونتيجة لملاحظتى استخدام باوند للغة فى السنوات الثلاثين الاخيرة فقد اقتنعت بأنه جهد اكثر من اى رجل آخر لاحياء اللغة ، ان لم نقل احياء الاشكال التخيلية فى الشعر الانجليزى . وقد كان علىان أواجــه الحقيقــة المكــدرة المــماثلة فى انه حقق هذا حتى فى قطــع من الشعر كانت آراؤه المعبر عنها فيهمــا تتراوح بين ماهو صبيانى وما هو مقيت» .

وتنقلنا هذه الملحوظة الاخيرة الى آراء النقاد والشعراء فى باوند . وهنا تفترق بهم السبل افتراقا كبيرا . فبينما يرى رينيه توبان فى مقالته « شعر ازرا باوند» « المجلة الانجلو ــ امريكية ، ١٩٣٠ ــ ١٩٣١ » ان « كل دراسة للشعر الامريكى الحديث يجب ان تبدأ بدراسة لاعمال ازرا باوند النقدية والشعرية» يرىالناقد الامريكى يفور ونترز فى كتابه « تشريح الهراء»ان باوند «حساسيةبلاعقل اوباقل قدر ممكن من العقل » وان « علاقة باوند بالتقاليد انما هى علاقة شخص هجر منهجه ونهب تفاصيله . فهو لا يعدو ان يكون متبر براحل عقاله فى متحف » ويقول و.م. فروهوك فى مقال له عنوانه « ثورة ازرا باوند » :

« لقد كان باوند تلك الظاهرة التى هى اندر الظواهر .: زعيم لجيل من الشعراء وكان ايضا شاعرا مرموقا بحقه الخاص لقد كان قائدا للحركات اشد اصالة من ايمى لويل على سبيل المثال ، وكان شعره افضل ايضا ، ليس فيه ماهو آسر كخير شعر اليوت ولكنه كان ، فى احدى اللحظات استاذ اليوت والصانع الامهر الذى يرد ذكره فى قصيدة « الارض الخراب » وكانت له الشخصية العامة التى تجعله يلعب دور الشاعر المناضل بين فاسدى الذوق على نحو ماكان اليوت الاقل توهجا ليمكنه قط ان يلعبه . وما زال بعض نقده جيدا ، بعد ســنوات من الموضوعات التى كان يتحدث عنها . ومراسلاته ــ حتى فى طبعتها الموجودة الناقصــة والمعيبــة ــ ربما كانت اكثر المراسلات حيوية واكثرها كشفا منــذ مراسلات فلوبير . وفى لحظات سخائه كان حافزا مؤهلا للناشرين ، ومستنقذا قويا للمحلات الادبية المكدوبة ، وعونا لرجال من نوع وليم بتلر ييتس » .

الهجوم على باوند

وعلى النقيض من هذا الرأى يشــن الشاعر والناقد البريطانى روبرت جريفز هجوما بالغ الضراوة على باونــد ، يقول :

« لم التق بباوند حتى عام ١٩٢٢ وكان ذلك فى شقة ت.أ لورانس بكليــة اول سولز . وتصادف ان كان هناك للتحدث من بعض القصائد البروفنســالية وكان لورانس حجة فيها . وقد قدم لورانس كلا منا الى الاخر بالكلمات الاتية : « باوند، جريفز . جريفز ، باوند : سوف ينفر كل منكما من الاخر » . ومن قصائده كنت اتوقع ان ارى امامى امريكيا شديد العضل عالى الصوت متباهيا ،ولكنى وجدته سمينا محدودبا ، ناعم الصوت على غير راحته وله اكثر الايدى رخاوة عند المصافحة ، ومهما يكن من امــر فان تظاهــره بالشجاعة آتى ثماره على المدى الطويل . كان يعرف القليل من اللاتينية ومع ذلك ترجم بروبرتيوس والاقل من اليونانية ، ومع ذلك ترجم الكايوس ، والقليل من الانجلو ساكسونية ومع ذلك ترجم قصيدة « المسافر البحرى » . وقد سألت آرثر ويلى ذات مرة عن مدى معــرفة باوند بالصينية فهز راسه فى قنوط . ولست ادعى اى حجة فى اللغة البروفنسالية ، ولكن الماجوركية « نسبة الى جزيرة بالمادى ماجوركا الاسبانية » التى يتكلمها اطفالى اغلب الوقت وافهمها ، وثيقة الصلة بها . وعندما سئل ابنى الذى يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما ان يقارن نصا بروفنساليا بترجمة باوند ضحك ثم ضحك ثم ضحك ، ونترك هذا الضاحك الصغير الى شاعر آخر معاد هو جلبرت هايت الذى كتب هذه المحاكاة الساخرة لباوند فى ١٩٤٢ :

وهناك جلست آلة الاطفاء الحســنة التزييت .

على اتم استعداد لان تبذل اقصى مافى وسعها غير قادرة على التفكير ولكنها على استعداد لان تورد وتشرح بست لغات .

بما فى ذلك البروفنسالية .

لقد احتاج قتل الشعر البروفنسالى من اجلنا الى رجل مثل ازراباوند .

وفى تلقيب باوند بــ « آلة الاطفاء الحسنةالتزييت » اشارة الىقول اليوت أن باوند كان ينظر الى الشعراء الشبان على انهم « آلات لانتاج الفن او الادب ينبغى العناية بالمحافظة عليها وتزييتها حتى تخرج ما تستطيعه من انتاج » .

عندما توفى اليوت فى ٤ يناير ١٩٦٥ كتب باوند عنه هذه الكلمة المؤثرة على وجازتها :

« لقد كان هو الصوت الدانتى الحق . لم يكرم بما فيه الكفاية ويستحق اكثر من اى شىء منحته له .

كنت آمل ان اراه فى البندقية هذا العام فى الاحتفــال بذكرى دانتى فى مؤسسة جيورجيوتشينى ــ وبدلا من ذلك رأيته فى مقبرة وستمنستر . ولكن فيما بعد ، وعلى مدفأته ، اشتعل لهب ، حضور مشعور به .

ذكريات : فليرض أحد كاتبى الرسائل الجامعية بأن « يكتشف » ما اذا كان العام هو ١٩٢٠ او ١٩٢١ حينما ذهبت من اكسيدى لالتقى باليوت يحمل خرجا ايام السير ــ المحادثة ؟ الادبية : لقد كان بابييه فايار هو الموضوع الملح آنذاك ومن يوجد الان لى كى اتقاسم معــه مزحه ؟ .

هل اكتب من « الشــاعر تومــاس ستيرنزاليوت » ؟ أم عن صديقى «البوسام» « الاسم الذى كان اصدقاءاليوت يلقبونه به » .

فليسترح فىسلام .وليس بوسعى الا ان اكرر ، ولكن بالحاح ٥٠ عاما مضت: اقرءوه » .

والان وقد لحق باوند باليوت فىعالم الظلال لايسعنا الا ان ندعو لروحه ، هو الاخر ، ان تستريح فى سلام . لقد انتهى جهد النهار الطويل ، وينبغى ان ننام . ولتمضين السنون قبل ان يجد هيكل الفن سادنا آخر فىمثل تكريسه وموهبته واخــلاصه .

الحريق وأحلام البلابل



١ ــ رؤية :

وأراكم عبر هامات الليـــــالى
والمهانات ، والمسافات الطوال
تنحتون الجدر الحدباء فى صمت الظلال
صرختى ازت على الجير .... و ....
وأنا أعلم وجـــل العمق ، وعمق الدجل
كلمـــات نيئـــات .. فى الخوان الثمـــل
وضمير السادة النقاد يصبغ بالبودرة ، والحــبر ؟
والــوان المونيـــكير الربيعى !
لا رتوش الان .. فالحرف مقاصل
ــ سيداتى ســـادتى ــ يبصق فى وجه المخـــاتل
قد نسيت الهمس والايحــاء .. اشكال التواصل
فلتنوحـــوا فى المواخـــير على الفن الرفيـــع !

٢ ــ انبثــاق

ايــه يــا طـيلق المحيــا والحجــا
ها أنا أرســف فى قاع الســلاسل
والأفــاعى مثــل أنيـــاب الدجى
تنفث الســم على وجه الســنابل !!
هــل مضى الصـــيف وقــد لقنته
قصــة المــوت الذى قــام يقــاتل
وخــريفة العمـــر .. يصــفر على
همهمات الريح .. فى الحور الذوابل
عــاود الروح أســـــاها أطبقت
جــدر الصــمت .. وآلام المفاصــل

شعـر

جيلي عبد الرحمن

ايه .. هل عدت الينا كالسبتي
حين ارعبت اراجيع المقاصل
الجماهير اشرأبت والقنا
ـ يستبيها الصوت ـ والميدان حافل
يا صباح الخير .. كم أوحشتنا
يا مساء الخير .. تشجيك المنازل !
لم يعد للنبع غير المنحنى
ارهف القلب على نبض المناجل
ما المنايا ؟ .. انها اقدارنا
وامتداد البحر .. احضان السواحل !
لا الوم الدمع ان هامت به
وحشة النخل .. واحلام البلابل
لا الوم الليل ، والنجم هوى
يعتلى الفجر .. المتاريس ، الجنادل
ايها الشاعر ضوءات المشاعل
فانبثق ثأرا ، وصخرا ، وجداول

٣ ـ لقاء

من الطارق
عبد ....

« يا ايادى الله .. قالوا ضيعت من غير سرادق
اين اخفوا زهرة الليمون ، والعطر حدائق
نصبوا للشمس ، اعواد المشانق »
يا حبيبى .. تدلف الفرحة من سجن الشرانق !

ورأيت القتلة
مثل فئران الخنادق
وهدير المقصلة
مثل افراح البيارق

كانت الخرطوم شعرا
يشعل الليل .. حرائق

شكوى لمولاى فى ايام المحنة
الى اخى المناضل ع.ع .. ابراهيم

محبة ووفاء للأبد !!

● ● ●

كالعظم الزنجي المسلول
مادت أغصان الحور المفتول

● ● ●

الليلة ينقذنى الشعر من الموت
يبعثنى من تابوت الصمت !

● ● ●

الشيب يغطى فوديك .. فكيف اتيتا ؟
ما زلت فقيرا تزدرد التمر ، وتقتات الزيتا
من زمن والأمل الضاحى .. تنسجه بيتا ، بيتا ؟
لم تهزمك حبال الليل ، ولم ترهقك طيوف الموتى

● ● ●

القبلة فاقعة والعشق له ظفر
خلفنا للآه المرة .. يا عبد الله
قلت له .. والشعر منايا !
« خل عناقك للدنيا ، ولنا الصبر »
مئذنة تبكى .. وبخور فى العينين .. ونحن سبايا
آيات نتلوها .. والجوع الكافر عض صبايا
وأذان مد جناحيه على الحارات .. فأرعشنا الفجر !

● ● ●

من زمن والدنيا والآخرة تعزينا يا عبد الله
بالشنق ، وايام يابسة .. مثل زجاج الأفواه

● ● ●

خشخشت الأوراق على الثلج المهراق
وتحشرجت جريح الصدر ، مهيض الساق

● ● ●

تحت هزيم خريف ملعون
تصطك قوافى .. كهذا الشجر المسنون

● ● ●

فى الشهر الأول من عام القحط
شاعرنا همهم .. مثل المشط
سواسية ، اقدار القاتل والمقتول
قد باع العهد ، السيف النورانى المسلول
واسودت لؤلؤة بصيرته .. مثل جذوع السنط

● ● ●

كتراب ضريح منسى يمشى بين الاحياء
ذرعنا الشارع يا عبد الله .. المكتظ بأقدام الفقراء
مولاى ولم تبرح ذكراك المسبحة ، الأسمال
خلينا الدنيا للمفتون ، وعفنا المال
وسرحنا فى فرقتنا نقتات الأهوال

● ● ●

القبلة فاقعة .. والعشق له ظفر
« خل عناقك للدنيا .. ولنا الصبر »
فانهار سرابا وترابا ، كالأنقاض تهاوى الشعر

حول المسرح المصرى

بين توفيق الحكيم
ونعمان عاشور

« فى هذا العدد يقــدم « ملحق الادب والفــن » وجهــا مــن وجــوه الادب العربى الحــديث . فالدراسة النقدية وحدها لاتكفى ، لانها على الاقل تحمل وجهة نظر واحدة هى وجهة الناقد .. كما ان النقد بموضوعيته النسبية وأكاديميته يغفل احيانا بعض الجوانب الشخصية فى حياة الفنان تؤثر غالبــا فيما يكتبه من فن .

لذلك ، فقد عمدنا الى عقد هذا اللقاء بين الاجيال الادبية المختلفة ، فهو ليس نقدا ، وانما هو حوار حى بين الادباء انفسهم ، أدباء جيل يكاد يبلغ نهــاية الشوط بما حققه من انجازات للخلق الفنى العربى ، وادباء جيل لا يزال فى ذروة نشاطه المبدع .

ونقدم فى الحلقة الاولى من سلسلة هذا الحوار علامتين بارزتين فى تاريخنا المسرحى : توفيق الحكيم رائد المسرح العربى الحديث بمعنــاه الفنى الاكثر اكتمالا ، ونعمان عاشور رائد المرحلة الواقعية فى المسرح المصرى »

فى أوائل الخمسينات ، كان ظل توفيق الحكيم يمتــد فارعا فى الحياة الثقافية ، لكن معظمه يقع خارج خشبة المسرح . فلم يكن المسرح المصرى آنذاك يقدم سوى لونين من العروض : الاول أعمال مترجمة أو مؤلفة ، متحذلقة وباردة ، وبعيدة عن هموم الواقع وحيــاة الناس . والثــانى تلك الكوميــديات والفودفيــــلات الصارخة ، والميلودرامات الزاعقة .. وبين الاثنين لم يجد الحكيم مكانا لمعظم أعمــاله ، فقنع بأن يودعها بطون الكتب أو صفحات الصحف .

تلك هى الفترة الوسطى من حياة الحكيم ، التى بدأت ، ربما بتمثيــل أهل الــكهف [١٩٣٥] واستمرت حتى كتب أولى أعماله التى تعبر عن رؤية للواقع أكثر تطورا ومشـــاركة واقترابا من هموم الواقع [الايدى الناعمة ، ١٩٥٤] .

فى الوقت نفسه ، فى أوائل الخمسينات . كان ثمة شاب مرح ومشــاكس ، وذو حس فكاهى لا يخطئه أحد ، تخرج من كلية الاداب ، عرف شكسبير وشو وأوكيزى وتشــيكوف ، وقــرأ الحكيم وأحبه ، وكان ــ قبل هذا كله ــ يغوص بكلتا قدميه فى أرض الواقع : واقع الحــارة والشارع ، وبيوت الطبقة الوسطى بفئــاتها المختلفة . بدأ يــكتب درامات للاذاعة ومقــــالات وقصصا قصيرة ، لكنه أحس بأن الكتابة للمسرح هى ، فقــط ، ما تستطيع أن تنقل عنه مايريد أن يقوله للناس : ففى الصراع داخل العمل المسرحى ما يتيح ــ أكثر من غــيره ــ التعبير عــن مظاهر الصراع فى الواقع . وفى تشابك خطوط الحدث المسرحى وتطوره ما يعــكس ــ اكثر من غيره ــ تعقــد الواقع وصراع تناقضاته ، وفى العمل المسرحى كذلك ما يتيح له أن يضــع على الخشبة ــ نابضة بالحياة ــ تلك النماذج التى عرفها فاحبها ، كى نمرح معها ونسخر منها ونرى



توفيق الحكيم



نعمان عاشور

فى مأساتها . فى ارتفاعهـــا وسقوطها"، ما يدفعنا لان نقف الى جانب قوى الجديد فى الواقع المـــوار بالرغبـــة فى التغيير والثورة .

هكذا كان فى مسرح نعمان عاشور ــ فى اعمـــاله الاولى بوجه خاص ــ نوع من التـــأثر بمسرح الحكيم وتجـــاوز له فى الوقت نفسه ، وكان مسرح نعمان عاشور ــ الذى بدأ تيارا جديدا كانت ظروف الواقع الموضوعى قد تهيأت لـكى يبدأ ــ كان هذا المسرح يحمـــل ــ على نحو من الانحاء ــ ردا على تساؤل الحكيم ــ الذى يشى بعـــذابه الدفين : « وربما كنا .. جيلا مضحيا ، ضحى بنفسه ووقته فى ســـبيل رحلة مستحيلة . دفعه اليهـــا الهلع من منظر الفجـــوة المظلمة فانطلق يكتب ويكتب ، ويسود الورق ويملأ الصفحات بظـــلام المواد فيما لاجدوى منه ــ من يدرى ؟ »

كان هذا المسرح يحمـــل فى ثناياه ردا على التساؤل المعذب : لا ، لم يكن مافعله الحكيم عقيما او بلا جدوى ، فما من بذرة تلقى فى تربة صالحة وتموت . وقد قدم الحكيم شيئا كثيرا .. لـــكن اهم ما قدمه هو انه ازاح حائط الغرابة بين جمهور المسرح ــ قارئا مشاهدا ــ وبين المسرح الذى عرفه الغرب حتى منتصف القرن . مهد الطريق، وازال عنه القذى والعثار ،وافسحه لمن يأتى بعده ، ولم يتوقف ..

وفى الصفحات التالية يلتقى الاثنان : توفيق الحـــكيم ونعمان عاشور ، الثانى يسأل والاول يجيب . طبيعى أن تكون قضية المسرح : ماضيـــيه وحاضـــره ومستقبله هى القضية الاولى ، وربما الوحيدة كذلك .

كلمة فى البداية

لم أكن قد تجاوزت الخامسة عشره عندما عرفت توفيق الحكيم . عرفته للمرة الاولى باسم « محسن » بطل « عودة الروح » . وانقضت عشر سنوات قبل أن أرى الحكيم نفسه فى بعض شوارع القاهرة : على رأسه « البيريه » التقليدى ، يرفع عصاه ويخفضها ، ويدقق بحدقتى عينيه اللامعتين فى الناس وللاشياء ، كأنما يبحث عن سر خفى كامن وراء مظهرهم . وتلك عندى ، كانت صورة « محسن » بطل « عودة الروح » .

وانقضت سنين أخرى . عرفت الحكيم وجلست اليه : معرفة الصديق للصديق وجلسة التلميذ الى الاستاذ ، لكننى ما جلست اليه مرة الا وفى خيالى الكثير من « محسنه القديم » .. حتى كانت بداية هذا الصيف ، وكانوا قد عهدوا الى باصدار مجلة عن « المسرح » ، ورجوت الاستاذ الحكيم أن يخصها بحديث .. فلم يرفض ..

وعلى الطريقة الصحفية المعتادة ، اخرجت اوراقى لاكتب ما يقول ، كان مكتبه العتيد بالاهرام — بل والجناح الكامل الذى يحمل اسمه — خاليا الا من كلينا ، لكننى رغم هذا لم اجد لدى الاسئلة « الجاهزة » التى يمكن أن اوجهها اليه . واعتذرت فقبل اعتذارى ، ووعدنى — ان عدت اليه بأسئلة مكتوبه — أن يجيب عليها ، وعدت بعد أيام لاقدم له الاسئلة التالية ، وفى ظنى أنه حديث « كاشف » وليس حديثا من « الاحاديث الصحفية اياها » كما قال الحكيم ساخرا .

وطوال فترة اعدادى للاسئلة كان ثمة سؤال واحد يلح ويريد أن يسبق غيره ، انه هذا السؤال الذى شغل صباى : أيكون توفيق الحكيم هو ، حقا ، «محسن» بطل « عودة الروح » ؟ ، كتبت السؤال مرة ومرة ، وبصياغات مختلفة ، وحين تكاملت الاسئلة احسست أن هذا السؤال اللحوح بلا معنى .. فكيف يكون هذا العملاق الذى يظلل عصرنا بفنه وفكره واحدا من شخوصه المكتوبة ؟ وماذا عن بقية الشخصيات ، العديدة والمتنوعة ، التى عرفناها فى أعماله الاخرى ؟

حملت اليه الاسئلة فأخذها منى دون أن يتصفحها أو يقرأها . فقط طلب منى أن أجعل مساحة بيضاء بعد كل سؤال كى يكتب فيها اجابته . وعدت اليه بعد ايام لاجد مفاجأة لم اتوقعها : أجاب عن الاسئلة كلها وبافاضة غير معتادة منه فى مثل هذه الحالات ، لكننى لاحظت انه كتب الاجابات جميعا بالقلم الرصاص:

— لماذا ؟

— الواقع أن الاسئلة اغرتنى بحيث لم أستطع التوقف عن الاجابة عليها مرة واحدة ، كان كل سؤال يشدنى الى التالى بحيث اننى لم أدقق فى نوع القلم الذى كتبت به الاجابات .

ولم يسألنى الحكيم سر اهتمامى بنوع القلم ، لكننى اعتقد ان السبب لم يفت بصيرته النفاذة وذكاءه المتقد ، فالواقع اننى لم أكن أسعى ، فقط للحصول على سبق صحفى لمجلة « المسرح » — التى لم تصدر — لكننى كنت حريصا كل الحرص على أن احتفظ منه بوثيقة خطية .

ولا زلت اعتز بملكية هذه الوثيقة بين ما أملك — فى عقلى ووجدانى — من آثار الحكيم وكتاباته .

« نعمان »

□ □ □ □ □

السؤال الاول :

■■ كيف اتجهت الى الكتابة للمسرح ؟! ما مدى تاثرك بالنشاط المسرحى المعاصر لبداية اتجاهك هذا ؟! وهل وعيت وتاثرت بامتدادات المسرح الذى وجد قبلك ؟!

● شاهدت مسرحيات الشيخ سلامة وهو فى أواخر عهده حوالى عام ١٩١٤ قبل نشوب الحرب العالمية الاولى . ومسرحيات جورج أبيض فى بداية عهده بالتمثيل العربى . ودفعنى ذلك الى محاولة تاليف مسرحيات قصيرة نمثلها بأنفسنا فى فرق هواة ننشئها . الى أن ظهرت نهضة مسرحية على أثر التفات الاقتصادى الوطنى طلعت حرب الى فن التمثيل وتشييده مسرح حديقة الازبكية . فكان ملتقى أهل الفن من كتاب مسرح وملحنين ونقاد وممثلين . وكان يشترط المسرحية المصرية . ولذلك لجأ الكتاب الى التمصير . من عرف لغة أجنبية نقل عنها ومصر حوادثها وأشخاصها . وكنت فى ذلك الوقت على وشك الانتهاء من دراسة القانون وما يقتضيه من معرفة باللغة الفرنسية . ففعلت ما كان يفعله غيرى فى ذلك العهد من التعسل والاقتباس والتمصير .

السؤال الثانى :

■■ بدأت الكتابة للمسرح كعرض تمثيلى باللغة العامية .. ثم اتجهت الى الكتابة باللغة الفصحى ، وتضمين مسرحياتك فى كتاب للقراءة .. ما هى العوامل التى دفعتك الى هذا الخطر ؟! وما مدى تقديرك لهذه الخطوة بالنسبة لمسرحك خاصة .. وبالنسبة للمسرح المصرى بل وللادب المسرحى العربى على وجه العموم ؟!

● ذكرت أن طلعت حرب اشترط المسرحية المصرية ، فكان لابد لنا من أن نجعل الشخصيات المصرية تتحدث بلغتها فى الحياة أى بالعامية . ولكن عندما أردت لمسرحياتى أن تقرأ فى كتاب وأن تكون فرعا من الادب العربى الحديث كان لابد من كتابتها باللغة الفصحى . والدافع الى هذه الخطوة هو ما كان عليه المسرح ورجاله فى مصر وقتذاك من هوان الشأن بالنسبة الى الادب والادباء . لان الادب النثرى المعترف به فى ذلك العهد كان أدب المقال ، لما فيه من بلاغة وثقافة وفكر . فخصصت المحاولة لجعل المسرحية ادبا مرتفعا بالفكر ليصبح فرعا معترفا به . وهذه الخطوة سواء بالنسبة لمسرحى خاصة أو بالنسبة للمسرح العربى عامة كانت ضرورية ليحظى كتاب المسرح والمسرحية عندنا بالاحترام والسماح لها ولكتابها بالانتساب الى الادب وأهله .

السؤال الثالث :

■■ الكتب التى ابدعتها الى جانب مسرحياتك .. هل كان لها تاثير على مسرحك ، بمعنى انها احالته الى ما عرف عنك أو عن مسرحك بانه ينتمى

الى مايسمى بالمسرح الذهبى؟! وهل انت صاحب هذه التسمية ؟! وما حدود هذا اللون من المسرح ومفهومه ومبناه وأثره على مسرحك ؟!

● لقدم بدأت بكتابة المسرحية، اما كتبى الاخرى فى غير المسرح فجاءت بعد ذلك ولا علاقة بين هذه وتلك . أما مسرحى الذهبى فهو وليد تلك الفكرة والمحاولة التى سبق أن ذكرتها . وهى أن تكون المسرحية قالبا أدبيا معترفا به فى أدبنا العربى مثل قالب المقالة والمقامة والرسائل . ولكى تدخل المسرحية باب الادب العربى وتحترم كان لابد لها أن ترتفع وتخاطب الفكر والذهن ، كما كانت تفعل المقالة فى قمة نهضتنا على أيدى المثقفين وقتئذ . ولذلك سرعان ما دخل هذا المسرح الذهبى باب الادب واستقر فيه باحترام من أهل الثقافة والفكر . اما هذه التسمية بالمسرح الذهبى ، فكانت من صنعى انا . واظن انى ذكرتها فى مقدمتى لمسرحيتى « بجماليون » . لانبه الى أن تمثيل هذا المسرح لايمكن أن يكون كتمثيل المسرحيات القائمة على المواقف الحسية والحركة الخارجية . لان الصراع فيه داخلى . ولم اتحمس لتمثيله أو أشجع عليه الا فى حدود خاصة وبحذر شديد . لان هذا نوع له جمهوره المحدود وطرق اخراج تستطيع اساغته . وليس كل ما كتبت هو من هذا النوع .

السؤال الرابع :

■ ■ تنفرد بانك الكاتب الوحيد من ابناء جيلك الذى أبدعفنا متصلا فى ميدانالمسرح .. فما هو موقف جيلك هذا .. جيل طه حسينوالعقاد والمازنى من المسرح ومدى فهمه وتذوقه وادراكه لفن الدراما ؟!

● ربما لانى الوحيد من ابناء جيلى الذى بدأ من بيئة الفن ليصل الى الادب .. بينما الاخرون ممن ذكرت بدأوا من الادب ليصلوا الى الفن . لقد نشأت بين عوالم الفرح وآلات العود والرق والطبلة ، فى حين نشأ الاخرون بين الكتاتيب والمحفوظات . لقد نشأت مع الفن ونشأوا هم مع الكتب ، وعندما كبرنا كنت أنا فنانا يريد أن يحيط بالثقافة . وكانوا هم مثقفين يريدون أن يحيطوا بالفن . كان الفن عندى فطرة والثقافة اكتساب . وكان الفن عندهم هو الاكتساب والثقافة هى الفطرة . ولذلك كان اتصالهم جميعا بالفن عن طريق الكتاب .. ولذلك لم يحترموا الفن أو يقدروه الا عندما يجدونه محترما فى كتاب . اما الاتصال المباشر بالفن فلا أظن أنه بالنسبة لهم شىء هام فى حياتهم . كما أن الفهم والتذوق والادراك لهذا الفن عندهم انما يأتى عن طريق ما يطالعونه عنه فى الكتبوليس فى حياة الفن نفسه .

السؤال الخامس :

■ ■ ما هى الصلة بين توفيق الحكيم راهب الفكر .. وتوفيق الحكيم عدو المرأة .. وتوفيق الحكيم كاتب المسرح ؟!



سلامة حجازى

اى ما صلة قوامك الفكرى وفكرك الاجتماعى بمسرحك ؟!

● أظن أن راهب الفكر تستطيع أن تراه فيما اسميه بالمسرح الذهبى . أما عدو المرأة فليس عندى مثل له سوى مسرحية « المرأة الجديدة » التى كتبت عام ١٩٢٣ أثناء معركة السفور والحجاب ومثلت عام ١٩٢٦ ، وكنت قد غادرت مصر الى فرنسا . هاجمت فيها المرأة المتحررة بتهور . وأنا فى الحقيقة لا أكره المرأة كجنس بل احبها . ولكنى أعادى طباعها .. أما صلة قوامى الفكرى والاجتماعى بمسرحى ، فهذا موضوع يحتاج لبحث طويل . ولكنى اعتقد انى لم استطع منع مسرحى من التأثر بالفكر والمجتمع . فهذا شىء أقوى منا . ولابد أن يكون الفن متصلا بالمؤثرات الفكرية والاجتماعية .. وكلما ظهرت فى المجتمع ظاهرة احسها الفن فى الحال . مثال ذلك عندى بعد قضية السفور والحجاب فى العشرينات قضية الرأسمالية فى الاربعينات . فقد ظهرت الرأسمالية المصرية كحقيقة واضحة ملموسة كان من أبرز أعراضها فضيحة شركة زاما . وعندئذ كتبت مسرحية « اللص » التى مثلت عام ١٩٤٨ فى الفرقة القومية . ومن يطلع على نسخة الرقابة الموجودة بمتحف الفن يدهش كما دهشت أنا من حذف الرقابة لكل عبارة فيها هجوم على الرأسمالية وباشاواتها .

السؤال السادس :

■ ■ فى أعمالك المسرحية



دستويفسكى

المسرح هو نبض الحياة عندى .. تنفس فكرى وشعورى

الوافرة .. تأثرت .. بالتراث العربى .. والمسرح الاوروبى .. والواقع الاجتماعى ... فأى هذه المصادر كان أقرب الى التعبير عن مزاجك الفنى ونظرتك الموضوعية ، ورؤياك الانسانية ؟!

● من الصعب هنا الفرز والاختيار والتفضيل .. لان كل هذه المصادر والمنابع تصب مختلطة ممتزجة فى وعاء واحد : هو طبيعة الفنان . مثل ذلك مثل الاطعمة والاشربة المختلفة التى تصب فى معدة الانسان . فهى تختلط وتمتزج وتهضم وتتحول الى دماء تذهب الى القلب والعقل ، وعند ذلك يكيفها القلب والعقل وتخرج فى صورة مشاعر وفكر . وهذا ما يحدث عادة لكل فنان ، فهو يهضم كل المصادر ويحولها الى أعمال فنية تعبر عن مزاجه الفنى ونظرته ورؤياه الانسانية . فى حين أن غير الفنان من رجال الثقافة والادب والعلم قد نلاحظ عنده المصادر واضحة كما لو كانت غير مختلطة ولا مهضومة . لانه يعرضها ويبحثها ويدرسها كما هى . وقد يكون ذلك من واجبه ومن طبيعة عمله ان تكون هذه المصادر فى حالتها الموضوعية غير مختلطة بشخصيته وطابعه . أما الفنان فيهضم ويواجه بنظرته الخاصة الحياة والمجتمع والانسانية .

السؤال السابع :

■ ■ فى فترات عديدة من انتاجك المسرحى والوافر .. جربت كافة الاشكال المستحدثة .. وانصبت جهودك على التجريد والتجويد فى الشكل .. وقال بعض النقاد انك وقفت بذلك عن حدود مضامين ليست لها اكثر من ابعاد فكرية وفنية .. فهل أثرت هذه التجارب على تجاوب مسرحك مع الواقع الاجتماعى الحى والهدف الاجتماعى الانسانى؟!

● محاولة التجديد فى الشكل أو اجراء التجارب للاشكال المستحدثة فى الفن عامة تنصب عادة على موضوعات ومضامين مناسبة لهذه التجارب والتجديدات . اما الواقع الاجتماعى الحى والهدف الاجتماعى المؤثر فى جماهير المجتمع فيحسن أن تعالج بالاشكال الفنية التقليدية . ولذلك لم ألجأ فى مسرحيات اجتماعية مثل « الصفقة » أو « مسرح المجتمع» الى اى شكل جديد او مستحدث .

السؤال الثامن :

■ ■ كدليل لدراسة تراثك الضخم فى المسرح .. ما هو الطابع الغالب على مسرحك عموما .. التراجيديا ؟! أم الكوميديا ؟ !

● لا أظن أن الكوميديا التراجيديا بمفهومها العام قد عالجتها ،حتى فى مسرحية «الملك أوديب» حاولت أن أخفف من قسوة القدر وبطش الالهة القاسية . كل ما يمكن أن يدخل فى باب التراجيديا عندى أبادر فأفتح طاقة صغيرة له تهب منها نسمة مرطبة . حتى ولو فى الجحيم .. اظن ان الكوميديا او على الاقل روحها او بسمتها الحقيقية أو سخريتها البسيطة أغلب عندى وأنسب لطبيعتى . واذا كانت التراجيديا هى الحكم ومنطوقه فان الكوميديا هى أسبابه وحيثياته . وانا احب البحث فى الاسباب ، واذا كانت التراجيديا هى الحقيقة ، حقيقة المصير الانسانى ، فان الكوميديا هى كشف الاثواب الداخلية لهذه الحقيقة . وفى كشف الاثواب الداخلية دائما ما يوحى بالسخرية ويدعوا الى الابتسام .

السؤال التاسع :

■ ■ هل أثر نشر مسرحياتك فى الصحف والجرائد قبل تضمينها فى كتاب .. على القيمة الفنية أو الموضوعية لهذه المسرحيات ؟! من حيث التقيد بالحجم والمساحة او باللغة أو بطلاقة طرقك لموضوعاتها ؟!

● لا علاقة بين الصحف أو الجرائد وبين مسرحياتى التى أنشرها فيها . فأنا أكتب المسرحية كما أشاء دون التفكير فى حجم أو لغة . لانى غير مرتبط . ولم اكن يوما مرتبطا مع جريدة بحجم او موضوع أو حتى مدة أو زمن . أنا الذى احدد كل ذلك . واترك نفسى على السجية وعندما أجد الموضوع فانى أكتبه متحررا من كل شىء .. والموضوع هو الذى يملى على ما ينبغى . وهو الذى يحدد لى اللغة المناسبة له وحجمه الذى يقتضيه . وبعد أن أتم العمل فى الوقت الذى اريده وبالطريقة التى يقتضيها الفن اقدمه لينشر وقد لا ينشر . أما القيمة الفنية للعمل الفنى فلا يمكن أن تتأثر بالنشر فى الصحف أو المجلات . فهناك روائع خالدة نشرت أصلا مسلسلة فى المجلات والصحف



يوسف وهبى

هل يستطيع الانسان أن يتخلص من جاذبية غرائزه كما تخلص من جاذبية الأرض ؟

مثل روائع دستويفسكى وفلوبير وبعض مسرحيات سارتر فى عصرنا الحاضر . وبعض مسرحياتى القصيرة التى نشرت فى الصحف وجمعت فى « مسرح المجتمع » لاقت نجاحا أدهشنى فى بعض مسارح أوروبا وفى دور الاذاعة بها ».

السؤال العاشر :

■■ بدأت الكتابة للمسرح باللغة العامية .. ثم تحولت الى استعمال اللغة العربية الفصحى وبظهور الحركة المسرحية الاخيرة على بداية الستينات .. ناديت باستعمال ما سميته باللغة الثالثة .. وها أنت تقدم مسرحياتك اليوم باللغة العامية !! ما تعليلك لهذه المواقف !!

● عندما بدأت الكتابة لجماهير المسرح كان ذلك فى المسرح الجديد الذى أنشأه عام ١٩٢٢ طلعت حرب .. مسرح حديقة الازبكية . واشترط فيه كما ذكرت المسرحية المصرية أو العربية رافضا المترجمة بمظهرها الاجنبى . فكانت المسرحيات العربية التاريخية تكتب بالفصحى . أما الكوميديا المصرية أو الاوبريت المضحكة فكلنا كنا نكتبها بالعامية . ولكن عندما أردت للمسرحية أن تكون أدبا أو فرعا من الادب كما ذكرت واعتمدته أساسا على نشرها كان لابد من استخدام الفصحى . وكان المسرح فى مصر قد تساقط شأنه بظهور السينما الناطقة ، فجعلت مسرحى هو الكتاب والنشر . ولكن عندما راج المسرح مرة أخرى ، ووجهت من يطلب مسرحياتى المنشورة للتمثيل وخاصة الاجتماعية المصرية منها بدت صعوبة تمثيلها بالفصحى فسمحت بنقلها للعامية . ثم حاولت تجربة لغة وسطى أو ثالثة . ثم عدت الى العامية كأول عهدى كلما كتبت مسرحية مصرية مما تصلح للجماهير ».

السؤال الحادى عشر :

■■ انت دائما تسعى الى ابتكار أشكال جديدة لمسرحك واختيار قالبا معين للمسرح المصرى .. ثم ملاحقة كافة الالوان والاتجاهات الغربية المستجدة .. الملاحظ فى كل ذلك انك تعتمد على مقدرتك الفائقة فى الحوار .. أكثر من اعتمادك على خلق أشكال وألوان من هذه التجارب لها أسس درامية واضحة !! الى أى حد يصدق هذا على مسرحياتك القهمن هذا النوع!!

● أسطورة الحوار هذه هى ولاشك مصدر البلبلة . وهناك لافتات وكليشهات توضع على بعض الناس فتكون كالجدران تصد كل بحث وتفكير وتمحيص . ويكفى أن نذكر مقدرة الحوار ونفسر بذلك كل شىء . ولكن الحقيقة أن الحوار لا يقوم فى فراغ . ويحسن دراسة مسرحيات مثل « طالع الشجرة » و « طعام لكل فم » و « رحلة صيد » و « رحلة قطار » ليظهر فى الحال أن الاساس الدرامى نفسه هو الذى كان محل التجربة . وبعض هذه المسرحيات ترجمت ومثلت بالفعل فى بلاد أوروبية فلم يلتفت أحد الى الحوار كأنه شىء منفصل من الشكل الدرامى كله . أو أنه هو المسئول وحده كأمر من الواجب التركيز عليه . بل كان الشكل الدرامى ككل هو اللافت لنظر القارئين هناك أو المشاهدين .

السؤال الثانى عشر :

■■ ما مدى تاثيرك على الحركة المسرحية التى ظهرت بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .. وما مدى تأثرك بها !!

● مدى تأثيرى على أى حركة أو أى شىء ليس انا الذى أستطيع أن أقرره أو حتى ألاحظه . ولكن تأثرى أنا بشىء هو الذى يمكننى معرفته بالطبع . وثورة يوليو ١٩٥٢ كأى حركة أخرى أو موقف آخر من مواقف تاريخنا لها دائما صدى فى نفسى يظهر حتما فى أعمالى . وفى ثورة ١٩١٩ لم أستطع منع نفسى من التجاوب معها فى أعمال مختلفة من المسرحية فى مثل « الضيف الثقيل » الى الازجال والاناشيد الوطنية التى كنت أنظمها ، وأحيانا ألحنها بنفسى وأنشدها وأطلقها فى الطرقات والمظاهرات .. وعندما أطاحت ثورة ١٩٥٢ بالملك والامراء كتبت فى عام ١٩٥٤ مسرحية « الايدى الناعمة » عن اذابة الفوارق بين الطبقات . واستحالة حياة أمير من الامراء الا اذا اندمج فى الشعب وعمل بيديه . فكان أن تزوج البرنس من طبقة عمالية ، وأصبح فردا منها وعاش بعرق جبينه كأى عامل . وقدمت هذه المسرحية على المسرح القومى عام ١٩٥٥ ادارة يوسف وهبى . وظهر أن بعض من كانوا ينتسبون الى الامراء والنبلاء فيما مضى يعيشون اليوم فى مصر من العمل فعلا .


سارتر


موليير

◆ نصيحتى للكتاب الجدد: الثقافة الواسعة التى تحيط بكل شىء
◆ متى تقيم الدولة مسرحا واحدا جادا ، وتغدق عليـــه ؟
◆ هل يمكن أن يلعب التليفزيون دورا فى تنمية المسرح الجاد؟

السؤال الثالث عشر :

■ ■ أنت تاريخ . وستبقى دون كافـــة اقرانك من كتاب عصرك علامة من العـــلامات البارزة فى تاريخ المسرح .. ما هو الجانب الذى تحب له أن يبقى من مسرحك المتعدد الجوانب ؟!

● كلّ ما كتبت واكتب للمسرح ولغيره ما هو الا حركة تنفس لوجودى المعنوى .. انه عملية شهيق وزفير للفكر والشعور فى حياتى . لا أستطيع ان اعيش بدونه .. أما ما يبقى منه ومالا يبقى فهو أمر خارج تماما من تقديراتى وامكانياتى . .. ولا ادخله مطلقا فى حساب رغباتى . انى أعيش الفن لأنى أتنفسه . ولا أريد أن اعرف ما يحدث عندما ينقطع النفس والتنفس .

السؤال الرابع عشر :

■ ■ ما رأيك فيما تطورت اليه الحركة المسرحيـة على مدى السنوات الخمس الاخيرة .. وما هى بالفعل اهم العوامل الايجابية لمعاودة النهوض بها من كبوتها الحالية ؟!

● فى الســنوات الخمس الاخـيرة تحددت ملامح الحركة المسرحية فى بلادنا .. وأصبح فى مقدورنا أن نعرف الى اى مدى يستطيع المؤلفـون عنـــدنا والمخرجون والممثلون بمواهبهم وقدراتهم أن يحققوا وجود نهضة مسرحية .. ولو أن كل شىء سار بتنظيم ودقة وحماسة واخلاص لبلوغ هذا الغرض لتم ذلك سريعا .. ولكن لاندرى ماذا حدث الان . وما سببه . أهو الجمهور الذى تغير مزاجه ومذاقه وذوقه وانصرف الى نوع خاص من المسرحيات التى تبعده عن الجد ؟ أو هو التراخى فى بحث الوسائل التى تعيد الجمهور الى الفن الصحيح . أما الحل الايجابى فهو تخصيص ولو مسرح واحد للعمل الجاد واغداق كل مايمكن اغداقه من مال وعناية ودعاية واهتمام لاخراج أعمال مثالية ولو قليلة لتعيـد الثقة الى الجمهور بالنهضة الحقيقية .

السؤال الخامس عشر :

■ ■ هـل تعتقـــد أن التليفزيون حاليا .. يمكن أن يخدم المسرح ويطوره ؟!

● يمكن جدا اذا عرف كيف يختار الاعمال المسرحية الجيدة . وأن يحرص على اخراجها بعناية واتقان . وأن يضع لذلك الخطة المدروسة والبرنامج الواعى بحيث تشمل الاعمال المسرحية نماذج من روائع المسرحيات الخالدة فى المسرح العالمى القديم والجـديد . الى جانب الاعمال المسرحية الممتازة لكتاب مسرحنا الممتازين . ولقد سبق له ان عرض فى يوم من الايام مسرحيات لشكسبير وموليير وتشيخوف وبيراندللو لفرق أجنبيـــة رفيعة . وأعجب بذلك كثير من المشاهدين عندنا والمثقفين وتفتحت عيون جماهيرنا على حياة من الفن رائعة . ولكن هـــذه العروض والبرامج توقفت .. كما توقف عرض بعض المسرحيات الجيدة لمؤلفينا . فلو ركز التليفزيون اهتمامه لتحقيق نهضة مسرحية جادة لاستطاع القيام بخدمات جليلة للمسرح . وذلك لسعة انتشــاره وذيوعه ودخوله كل بيت .

السؤال السادس عشر :

■ ■ مســـاندة الــدولة للنشـــاط المسرحى ماديا .. ورعايتها له فنيـا وفكريا .. أجدى من اطلاق النشـــاط المسرحى للمنافسة واخضاعه لاطماع أصحاب الفرق التجارية .. اى الاتجاهين فى تقديرك يجب أن يسود لخدمة الحركة المسرحية ؟!

● مســاندة الدولة ماديا وفكريا للنشاط المسرحى لا تتعارض مع المنافسة الحرة ووجود فرق تجارية أو فنيــة . ويحدث هذا بنجاح فى بعض البلاد الاوروبية .. ولكن الذى يحدث النتائج السيئة هو أن مساندة الدولة لاتكون على أساس سليم وتهبط بمسارحها بدل أن ترتفـع بها فستفيد من هذه الاخطاء بقية الفرق الحرة ، فتجتذب الجماهير التى فقدت ثقتها بمسارح الدولة . ولكن عندما تضع الدولة تخطيطا صحيحا لمسارحها يؤدى الى ارتفاع مستوى عروضها من حيث الجودة والاتقان فان الجماهير المحبـة للعرض الجيد المتقن سرعان ما تنجذب اليها ، وعندئذ تحاول الفرق الحـــرة بدورها أن تحاكى هذه البضاعة الجيدة لتظفر هى الاخرى ببعض ثقة الجماهير . والعكس حدث أيضا فان رواج الفرق التجارية يعدى فرق الدولة فتقلدها فى المستوى وتعم النزعة التجارية الحياة المسرحيـــة كلها مالم تتدارك الدولـــة الامر وتدرس دورها جيدا وحقيقة رسالة مسارحها .

السؤال السابع عشر :

■ ■ ما هى الخواتيم التى انتهت اليهـا حتى الان من جهـودك المسرحية بالنســـبة لقضايا مثل قضية .. استعمال اللغة العاميـــة .. المسرح كفرجة وتسلية خالصـة .. المسرح كتعبير اجتماعى لخدمة التطور والنهضة .. المسرح كمؤسسة ثقافية وبؤرة وجماع للفنون ؟!

● استخدام اللغة العامية ضرورى فى بعـض عـروض المسرح . كما أن



تشيكوف

الفصحى ضرورية فى نوع آخر من العروض كما أن هناك نوعا من المسرحيات قد يناسبه لغة عامية مرتفعة تكاد تكون الفصحى المبسطة المسرنة . وهى ما أسميناه باللغة الثالثة أو الوسطى أو العامية الفصحى . ومثل ذلك نجده أيضا على نحو ما فى مسارح عالمية . كما أن مسرح الفرجة والتسلية موجود فى كل مكان فى العالم الى جانب المسرح الجاد المعبر عن المجتمع وروحه وتطوره ونهضته .. كما أن المسرح لن يكون له القيمة التاريخية فى نهضة الامم وارتفاع البشرية الا اذا كان مؤسسة ثقافية وبؤرة حضارية ومجمعا للفنون كما كان فى عهد الاغريق وفى كل العهود التى تلت ذلك العهد وتألقت فيها الحضارة الانسانية .

السؤال الثامن عشر :

■■ بماذا يمكن أن تنصح كتاب المسرح الجدد ؟! والى اى متجه يتجهون للسير بالمسرح الى ابعد مما وصل اليه حاليا؟!

● الثقافة الواسعة قبل كل شىء . ودراسة النماذج الخالدة فى المسرح والفن دراسة عميقة . من الكلاسيك حتى المودرن . لأن لكل مرحلة قيمتها ككل حلقة فى السلسلة الفقرية . ثم دراسة الحياة والمجتمع والانسان . ليس فى الكتب وحدها ولكن أيضا بالاتصال المباشر . وفى كل دراسة يجب الالتفات الى جانب الصناعة أو الحرفية والاسلوب وغير ذلك مما يحتاج اليه كاتب المسرح لتكوين الشكل الذى يصب فيه الحياة التى يريد أن يجسدها . سواء كانت هذه الحياة حياة مشاعر أو فكر أو مرح .. أو كل ذلك معا . على حسب طبيعته وطبيعة المسرحية والهدف الذى يرمى اليه والجمهور الذى يريد أن يخاطب . على أن كل ذلك لايثمر الا بالاتقان والاخلاص للفن . وعندئذ يستطيع كتاب المسرح الجدد أن يسيروا بالمسرح خطوات بعيدة المدى .

السؤال التاسع عشر :

■■ ما هى الرسالة التى هدفت ولا زلت تهدف اليها من وراء الكتابة للمسرح ؟ هل لأنه لونك المفضل الذى برعت ونبغت وتفوقت فيه؟أم لأنه المحك الحقيقى لمواهبك الفذة ؟! أم لأنه المجال التعبيرى الذى يتيح لك أن تخدم به افكارك ومبادئك وقيمك ومثلك ؟!

● المسرح هو الجواد الذى أحمل عليه ما عندى من أفكار ومبادىء وقيم ومثل .. وهو لا يمكن أن نحمل عليه الا الخلاصة المصفاة . انه ليس عربة نقل تحمل الينا اثاث بيت برمته . الرواية هى عربة النقل أما المسرح فهو الجواد المفرد السريع الذى نختار بعناية مايحمله وهو أصلح لعرض القضايا والافكار ولابراز جوهر الانسان ، دون حواشى الامكنة والازمنة والبيئات والاوصاف والتحليلات المطولة . انه فن اقتصادى . يضع كل شىء بمقدار . وهو يناسب طبيعتى . هذه الطبيعة التى تأبى الاسراف والانطلاق بغير حساب .

السؤال العشرون :

■■ أنت كاتب تقدمى وفنان مستقبلى .. فما هى نظرتك الحالية وما هى رؤياك النهائية للمستقبل الانسانى ؟!

● الواقع أنى من المهتمين بمستقبل الانسان .. وهو اهتمام يؤرقنى دائما .. ولولا هذا الاهتمام بالمستقبل كنت من المشغوفين بماضى الانسانية . اى بالتاريخ .. ولكنت أصبحت مؤرخا . أو كاتبا للروايات التاريخية . ولكن مايهمنى من ماضى الانسان وتاريخه هو ما ينفعنى ويدفعنى الى النظر فى مستقبله . ورؤيتى للمستقبل الانسانى هى فى أن يتحقق له يوما الخروج من جاذبية غرائزه الارضية ، كما استطاع الخروج عن جاذبية كوكبه الارضى .

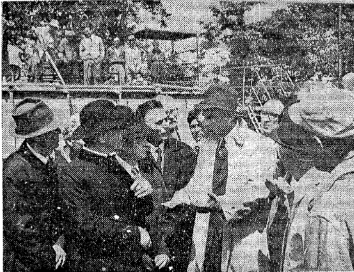


برانديللو

السينما السياسية تغزو الأدب

علي الشوباشي

تعرض شاشات باريس الان عددا هائلا من الافلام ، لعل اهمها فيلم ايطالي هو « قضية ماتي » . وماتي [وهو اسمه الحقيقي] كان مليونيرا ومن كبار رجال الصناعة والاقتصاد ، ارتبط اسمه بشيئين هامين هما بناء صناعات هامة في جنوب ايطاليا وفي صقلية - وهما منطقتان فقيرتان وزراعيتان اساسا - ودفع شركات البترول الايطالية - بصفته احد كبار المساهمين فيها - الى توجيه اهتمامها نحو بترول الدول العربية، ومنافسة شركات الدول الغربية الاخرى في هذا المجال ، وفي عام ١٩٦٨ ، انفجرت الطائرة التي كان ماتي يستقلها ، وقتل الرجل بالطبع ضمن من راحوا ضحية الحادث . واثبت تحقيق السلطات ان الحادث لم يكن قضاء وقدرا، وانما نتيجة تخريب.



لقطة من « ماتي » .. أحد الافلام السياسية التي تعرضها باريس الان

واتجه الظن اول الامر الى أن مدبر الحادث هو احد اقلام المخابرات الغربية ، وقطع البوليس الايطالي شوطا بعيدا في هذا المجال دون التوصل الى نتيجة . ثم اتجهت الظنون الى المافيا ، لان الصناعة التي بدأ ماتي يقيمها في الجنوب ، أخذت تدفع هذا الجزء من البلاد في طريق التقدم ، مما هدد نفوذ المافيا بالتقلص .. ولكن التحقيق لم يصل الى نتيجة .. ونسي الناس « قضية ماتي » ، الى أن فوجئوا بظهور فيلم حول هذه القضية للمخرج الايطالي الذي لمع اسمه أخيرا وأخرج عددا كبيرا من الافلام السياسية [منها « الايدي التي تطبق على المدينة »] وهو فرانشيسكو روسي .. وبظهور فيلم روسي ، بدأ الناس يتحدثون عن « قضية ماتي » مرة اخرى ، خاصة وان اصابع الاتهام في الفيلم وجهت بوضوح الى «المافيا». وتحمس بعض الصحفيين ، وقرروا ان يحاولوا الوصول الى الحقيقة القائمة على الوقائع ، لا على النظريات . واختفى اثنان منهما [أحدهما يساري والاخر يميني] ولم يعثر لهما حتى الان على أي أثر !! وأدى هذا الحادث بالطبع الى اثارة اهتمام متزايد بالفيلم ، الذي أكد اختفاء الصحفيين صحة النظرية التي قام عليها ..

وعلى شاشات باريس أيضا يعرض فيلم عن حرب الجزائر اسمه «عندما كنا في العشرين من عمرنا بجبال الاوراس » لرينيه فوتييه وفيلم «ساكو وفانزيتي » [فرنسي ايطالي مشترك] من اخراج جوليانو مونتالدوا ، يتناول قصة العاملين الامريكيين - الايطاليين الاصل - اللذين دبر لهما البوليس الامريكي مؤامرة - كشفت فيما بعد - وأعدمهما بسبب اضراب عمال أحد المصانع .. كذلك يعرض فيلم فرنسي اسمه « الاسى والشفقة » يتناول فترة الاحتلال النازي لفرنسا ومقاومة الشعب الفرنسي لها .. وتلعب السياسة دورا هاما في هذا الفيلم الذي يبلغ زمن عرضه أكثر من أربع ساعات ونصف..

وهناك أخيرا - وليس آخرا - الفيلم الذي تتحدث عنه الان باريس كلها . فلا تكاد ترى احدا او تخاطب احدا الان، الا ويبادرك بالسؤال « هل رايت فيلم ؟

«الى صناديق الاقتراع أيها المواطنون» ؟ برغم أن الفيلم لم يبدأ عرضه الا منذ بضعة أيام فقط .

وهذا الفيلم تسجيلى تماما ، وليس فيه اى ممثلين بالرغم من أنه فيلم طويل . ولكن مثار الاهتمام ليس فى كونه فيلما تسجيليا طويلا ، وانما لانه يدور حول معركة انتخابية حقيقية ، نرى فيه المرشحين وحلفائهم ورجال الدعاية ومناقشاتهم على الطبيعة ، بل ونرى اثر الدعاية الانتخابية ، سواء المباشرة أو غير المباشرة ، على جمهور الناخبين .. كل ذلك بدون اى تمثيل أو خدع ، فهى المعركة الحقيقية .

والمعركة الانتخابية التى يصورها لنا الفيلم هى معركة انتخابات المجلس البلدى لمدينة آراس عاصمة اقليم « بادى كاليه » بشمال غربى فرنسا . وكانت القوائم المرشحة ثلاث : قائمة حزب الاتحاد الجمهورى الحاكم ، وعلى رأسها أحد شباب هذا الحزب ويدعى فرنسيس جاكمون (٣٨ سنه) وقائمة الحزب الاشتراكى الموحد « من اجل مجلس بلدى شعبى » وعلى رأسها فيليب جيران (٣١ سنه) وقائمة اتحاد القوى اليسارية والديموقراطية [تحالف الحزبين الاشتراكى والشيوعى] وعلى رأسها جى موليه (٧٣ سنه) .

ويقول مخرج الفيلم ادوارد بوبروفسكى انه كان قد سبق ان اخرج فيلما مماثلا من انتخابات دائرة نانسى عندما كان جان جاك سيرفان شريبر مرشحا فى هذه الدائرة عام ١٩٧٠ . ولم يعرض هذا الفيلم على الجمهور ، ولكن فرنسيس جاكمون كان قد شاهد هذا الفيلم فى عرض خاص .. وعندما رشح نفسه لرئاسة المجلس البلدى لاراس ، اتصل بادوارد بوبرونسكى ، وطلب منه ان يخرج له فيلما من هذه الانتخابات . وراقت الفكرة للمخرج — خاصة وان فيلمه الاول لم يعرض — فقبل بشروط هى : الا يمول احد المرشحين الفيلم وان يتفق المرشحون على ان يتركوا للمخرج تصوير وتسجيل كل ما يحلو له من اجتماعاتهم الانتخابية ، الخاصة او العامة..ووافق المرشحون ، وكانت النتيجة هذا الفيلم..

وقد اتاحت لى الظروف ان اشاهد هذا الفيلم فى عرض خاص حضره فرنسيس جاكمون وليون فاتو مدير دعايته . ولم يحضره المرشحان الاخران. ولم يكن جاكمون فى نهاية العرض راض على الاطلاق عن النتيجة التى رآها ، بل وقال انه سيطالب بوقف عرض الفيلم.. ولكن العرض لم يتوقف حتى الان .. والسبب فى غضب جاكمون هو ان المخرج عمد الى اسلوب القطع المتوازى بين المشاهد ، اى انه يقطع مشهد اجتماع جاكمون مثلا ، ليضع رد الاحزاب الاخرى على نقطة اثارها ، وان كان قد فعل ذلك مع كافة الاطراف .. كذلك فان أسلوب الدعاية الذى اتبعه انصار جاكمون ، هو اسلوب «تسويق البضاعة» الامريكى ، وكثيرا ما كانوا ينسون ان الكاميرات امامهم واجهزة تسجيل الصوت تسجل كلماتهم ، فكانوا يخترعون كذبة ، ويتفقون على ترويجها باعتبارها كذبة ... بالاضافة الى أن المخرج كان متحيزا ضد الحزب الحاكم بصورة واضحة ، والى ان جاكمون خسر المعركة الانتخابية ...

والفيلم ملىء بالحيوية والاثارة ، ويوضح تماما مدى اهمية ان يلعب الناخبون دورهم ، والا يتخذوا موقفا سلبيا ، والا يتأثروا بالدعاية ، وان يحكموا على الاعمال لا على الوعود .. وقد برر المخرج تحيزه ضد جاكمون فقال انه لم يكن اول الامر متحيزا ضده ، ولكنه حاول ان يكون امينا فى نقل احساسه بالمعركة وما دار فيها . وهو يقول ان انطباعه كان كالاتى :

حزب الاتحاد الجمهورى ليس له قواعد فى آراس ، لذلك ارسل اليها اخصائيى الدعاية من باريس ، وهم من هواة النظريات الامريكية فى « التسويق » .. اما الحزب الاشتراكى فكان يعمل بقدر من الدقة والاحكام [اذ هو يحتل مقاعد بلدية آراس منذ سنوات طويلة جدا] وبشىء من الثقة. اما الحزب الشيوعى فكان يبدو اكثر الاحزاب اخلاصا ، لان المعركة الانتخابية لم تكن شاغله الاول ، وانما شاغله الاول هو تحقيق مطالب الجماهير، والحزب الاشتراكى الموحد كان اخف الاحزاب ظلا ، فهو لم يدخل المعركة ليكسبها وانما لنثير المشاكل امام الاخرين . وقد ذكرت هنا ما قاله المخرج عن احساسه بالمعركة ، لان الفيلم جاء تعبيرا صادقا تماما عن هذا الاحساس . وقد ادهشنى ان خصوم جى موليه لم يستخدموا فى الهجوم عليه واقعة عدوان السويس عام ١٩٥٦ ، فهو يدعى الاشتراكية ، ويشن حربا استعمارية ، بالاضافة الى ان هذا الهجوم كان كفيلا بأن يوجد حساسية بين الاشتراكيين والشيوعيين — الذين كان موقفهم واضحا من هذا العدوان — .. ووجهت ذلك السؤال الى الصديق جان بيير شفينمان السكرتير الوطنى للحزب الاشتراكى والمعروف بميوله المؤيدة للعرب فقال لى انه هو ايضا قد دهش لاهمال الخصوم هذا السلاح ، وان كان يعتقد انهم وضعوا فى اعتبارهم الا يخسروا اصوات الناخبين المؤيدين لاسرائيل ، بالاضافة الى ان الناخب الفرنسى العادى قد نسى حرب السويس ، ولم تعد تمثل شيئا خطيرا بالنسبة له .. وابتسم واضاف قائلا : «لعلهم يدركون ايضا انهم لو كانوا مكانه لفعلوا مثله .. »

ويقول مخرج الفيلم انه ينوى ان يتخصص فى الافلام السياسية ، ولكن ليس فى الافلام الانتخابية بالطبع ، وان فيلمه المقبل تتلخص فكرته فى ان الفرنسيين يتخذون موقفا سلبيا من المشاكل السياسية ، وتزداد سلبيتهم يوما بعد يوم ، بينما المهاجرون الذين تطحنهم المشاكل هم الذين يزداد اهتمامهم بالسياسة .. لذلك فان مهاجرا اسود من جودلوب ينتخب رئيسا للجمهورية الفرنسية يعاونه مجلس ثورة يمثل فيه الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى بالاضافة الى قسيس تقدمى، وما يستتبع ذلك من ثورة حقيقية تدفع بالبلاد الى الامام ..

وبعد ، فانى اعتقد ان ادوارد بوبروفسكى ليس على حق فى قوله بأن الفرنسيين يتخذون موقفا سلبيا من السياسة ، والا لماذا كانت فرنسا اول دولة تندفع خلف ايطاليا فى اخراج افلام سياسية تلقى رواجا يفوق الان رواج معظم الافلام الاخرى ؟ واعتقد ان موجة الافلام السياسية لن تقتصر — كما هو الحال الان — على ايطاليا وفرنسا ، بل ان باقى دول اوروبا ستدخل مضمار هذا السباق ، الذى يرحب به كل المثقفين هنا .

وقت بين الرماد والورد

شـــــعر : على احمد سعيد (ادونيس)
النــــاشر : دار العودة بيروت ـ ١٩٧٢
عرض وتعليق : صـــبرى حـــــافظ

يواصل أدونيس فى ديـوانه الجـديد [وقت بين الرماد والورد] مغـامرته الشعرية مع الشعر والحياة العربيـة فى آن . ويضم الديوان الجديد ثـلاث قصائد طويلة هى [مقدمة فى تاريخ ملوك الطوائف] و [هذا هو اسمى] و [قبر من أجل نيويورك] هى كل ما كتبه الشاعر خلال السنوات الاربع الممتدة منذ صدور [المسرح والمرايا] عام ١٩٦٨ حتى صدور ديوانه الجديد [وقت بين الرماد والورد] عام ١٩٧٢ .

وهـذا الوقت الطويل الذى استغرقه الشاعر فى انجاز هذه القصائد الثلاثة يجسد لنا مدى مجاهدة الشاعر فى بلورة هذه القصائد الجديدة والغريبة . والتى تصوغ معا الحلقة الاخيرة فى ابـداع أدونيس الشعرى وفى تطوره الفكرى . وهى تجارب على درجة كبيرة من الغموض والتشابك والتعقيد . لا يمكن أن ندلف الى خرائطها المعقدة وأن نفض مغاليق رؤاها المطلسمة ما لم نعرف طبيعـة تطور رؤى الشاعر السابقة عليها من ناحية ، وما لم ندرك من الناحية الاخرى أن محاولة اعادة خلق العالم تتسـم فى شعر أدونيس ـ الذى يتجاوز مقولة التعبير الى الخلق والحدس والتغيير ـ بأنها تتم تحت وطأة فكر صوفى . يؤمن بالتحول الدائم . ومن هنا كان القصيدة لابد أن تنفجر بالديناميـة . وأن تعادى الاستاتيكية . لتخلق العالم من جـديد استاتيكيا هو ما قدمته قصائد الشعراء المحدثين قبل ادونيس . اما هو فيرى فى كتابه [مقدمة فى الشعر العربى] أن « التغير لا الثبات والاحتمال لا الحتمية ـ ذلك ما يسود عصرنا . والشاعر الذى يعبر تعبيرا حقيقيا عن هذا العصر هو شاعر الانقطاع عما هو سائد ومقبول ومعمم . هو شاعر المفاجأة والرفض . الشاعر الذى يهدم كل حد ، بل يلغى معنى الحد . بحيث لا يبقى أمامه غير حركة الابداع وتفجرها فى جميع الاتجاهات هكذا تتجه القصيدة العربية لكى تصبح ما اسميه .. [القصيدة الكلية] .. القصيدة التى تبطل أن تكون لحظة انفعالية لكى تصبح لحظة كونية .. تتداخل فيها مختلف الانواع التعبيرية نثرا ووزنا ، وحوارا ، غنـاء وملحمـة وقصـة . والتى تتعانق فيها بالتـالى حـدوس الفلسفة والعلم والدين . فليست القصيدة الجديدة شكلا من أشكال التعبير وحسب وانما هى كذلك شكل من أشكال الوجود »

لهذا النوع الجديد من القصائد التى يدعوها أدونيس [كلية] تنتمى قصائد الديوان الثلاث . حيث ينحل فيها الشعر فى النثر ، والسرد فى الايقاع ، وتمتزج العذوبة الغنائية باستطراداتها التكرارية بالتوتر الدرامى تارة وبالنفس الملحمى أخرى . وتبرق عبر هـذه الاشـكال والايقاعات مختلف الحـدوس الفلسفية والحضارية والدينية ، والتى تتخلق عبرها رؤى القصيدة وفعاليتها فى آن . لأن هذا النوع من القصائد لا يقدم رؤى ثابتة عن العالم ولكنه يطمح لان يقوم بفعالية خلاقة فى تغييره .. من خلال تلك الصدمة الشعرية والشعورية التى يتركها لدى القارىء .. وبتلك العلاقات الجديدة التى يعقدها بين الاشياء والتى تطـل علينا منذ عنوان الديوان ذاته . [وقت بين الرماد والورد] .. وهو عنـوان يشى بمنهج الشاعر فى اقامة العلاقات بين المتناقضات واقامة الصـورة ذات الطبيعة الجديدة من جهة . كما يشير ، من جهة أخرى ، الى جزء من رؤية الشاعر للحظة الحضارية العربية .. فالعنوان ليس عنوان قصيدة من القصائد كما الف بعض الشعراء الذين لم يتجاوزوا بعد فكرة المجمـوعة الشـعرية الى مفهوم الديوان . ولكنه عنوان بنائى يصـوغ تصور الشاعر لهذه اللحظة العربيـة الراهنة . حيث يراها وقتا بين الرمـاد والورد .. الوقت الواقع بين تحول الرماد الهامد الى ورد حى . بين ترمد العنقاء وبعثها من جديد .. بين احتراق ادونيس وقيامته فى مواسم الاخصاب طالعا من فىء عشتروت ومن شرنقة الدمار .. بين تمزق أشلاء أوزوريس وتضامها من جديد بفضل اخلاص ايزيس وحدبها .. هـذا الوقت المرهص بالبعث والميلاد المثقـل بالامل والرجاء الغاص بالموت والرمـاد فى آن واحد هو وقت هذا الديوان ..

ومن هنـا فانه يبدأ بتلك المقـدمة الضرورية [فى تاريخ ملوك الطوائف] .. وهى مقدمة يحاول فيها الشـاعر أن يطرح دفعة واحدة ملامح الصـدمة التى ستتخلق فى رحمها رؤاه عن الخلاص .. وملامح المنهج البنائى الذى سيواصل بلورته فى القصيدتين الباقيتين . ويحاول الشاعر فى هذه القصيدة أن يقرأ صورتنا فى ملامح ملوك الطوائف أيام دولة بنى الاحمر فى الاندلس . ولكن بصـورة تختلف كثيرا عن القصائد القناعية التى عرفناها عند عبد الوهاب البياتى وخليل حاوى . أو حتى عند أدونيس نفسـه فى [كتاب التحولات والهجرة فى أقاليم النهار والليل] .. فبعد العنوان لن نسمع شيئا عن ملوك بنى الاحمر ، ولا عن بنى مرين ولا عن العرب الموريسكيين ولا عن الاعداء المتربصين فى قشتالة . ولكننا سنبصر نوعا من التزاوج الشعرى الفريد بين عصر ملوك الطوائف وعصرنا . ونوعا آخر من التزاوج بين النثر والشعر . حيث يندغمان ليصوغا معا بناء القصيدة التى تبرق فى ثناياه المقاطع الموزونة الشجية الايقاع للحظة ثم ما تلبث أن تتداخل فى نسيج القصيدة الخافت الايقاع ويذوب تمايزها فى دوامات البحر الخفيف (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) المدورة وهى تتعاقب على مد صفحات برمتهـا كتيار موجى متلاحق الدفقات . كمـا تذوب الحقائق وكلمات الشجاعة العارية فى دوامات هذا الواقع الغافل حتى عن نفسه . لكنها كذبابة ملحة تبرق من جديد غير أن حـلاوتها الجرسية وايقـاعها

المصلصل ما تلبث ان تنحل الى أصداء خافتة تطن تحت جلد الجزء النثرى الذى يقدم المعنى على الايقاع ويقدم شكل الصورة على صوتها . فالفرق بين الشعر والنثر عند أدونيس ليس فرقا فى الجنس ولا فى النوع الادبى ، ولكنه فارق طفيف يتناول اولويات الجملة دون جوهرها . ففى الشعر يتقدم الصوت والايقاع — لوظيفة بنائية وليس لمجرد الصلصلة الجرسية — وتتأخر بقية الصفات والملامح الاخرى عنه قليلا دون ان تختفى أو يضحى بها الشاعر . وفى الجزء النثرى يحدث العكس ... ولكن فيهما معا يظل الشعر هو هو ، والقاموس الشعرى هو هو ، وتركيب الجملة هو هو ، وأسلوب صياغة الصور وتشابك جزئياتها هو هو .. بحيث لا نحس فى الانتقال بين الشعر والنثر بأى صدمة .. بل تبدو المسألة وكأنها تعرجات مقصودة داخل الصورة الكلية للقصيدة تبغى ابراز تفاصيلها وبلورة زوايا الضوء والظل فيها .

ويسيطر على القصيدة ايقاع شديد الخفوت ، ناجم من استخدام بحير الخفيف المدور ، والذى يكاد لشدة خفوته أن يوهمنا بافتقار مقاطع كبيرة من القصيدة الى الوزن . وذلك لان ثمة مقاطع اخرى بينة الوزن شجية الايقاع من بحرى الرمل والخبب .. وهى المقاطع التى يرادف توهجها الايقاعى ارتفاع المعنى الى ذرى من التوهج والانفعال .. مثل المقاطع التى تتحول فيها الابجدية الى صرخات تنعى الانقراض وتتنبأ بالزوال وتصوغ للذبول الوشيك الاكفان (ص ١٠ ، ١١) . او المقاطع التى تكشف عن مرارة التناقض بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون وبين ما يقال وما يحدث بالفعل [ص ١٣] وكذلك المقاطع التى ترتفع فيها الحقيقة الشعرية الى مستوى الكشوف أو البديهيات . حيث يكشف الشاعر الحقيقة الثابتة خلف تغيرات السطح المظهرية الخادعة [ص ١٦ ، ٢٠] .. أما المقاطع التى يجد فيها الشاعر أن التناقض قد بلغ حد موئسا ، فانه يعمد الى اطراح الايقاع فيها بشكل نهائى .. كذلك المقطع الذى تتحول فيه الحروف الصانعة للكلمة الرائعة وربما المقدسة [كتاب] الى شهود دامية على الرعب والشنق والتعذيب والاغتيال ، وربما الى فعاليات مشاركة فى ترسيخ هذه الافعال الضارية [ص ٢١] . أو ذلك المقطع الذى يضوغ تلك الحقيقة الفظة العارية من اى ايقاع والذى يبدأ بهذا التساؤل الدامى [متى أتوا ؟ كيف لم نشعر ؟] [ص ٢٣] لانها حقيقة صادمة لا تمنطق ومن هنا لا يمكن وقد نبت من المنطق ان ينتظمها أى نوع من الايقاعات . أما المقطعين الوحيدين اللذين استخدم فيهما الشاعر عروض البحر الكامل ، فهما الجزءان اللذان يتحدث فيهما الشاعر من اطلالات العمل الفدائى وعن سبيل هذا الواقع الى تجاوز ما فيه من عفن وتجوف وزيف .

اذن فهذا الوعى الواضح بأن لكل جزئية مشاركة فى صياغة رؤى القصيدة ومعناها طبيعتها الايقاعية ، هو الذى يدفع الشاعر الى استخدام أكثر من وزن فى قصيدته . وهو الذى يشير ايضا الى عمل الوعى الكبير فى هذا النوع من القصائد الذى يفتقر الى التلقائية ، وينطوى على تصميم بنائى على درجة كبيرة من السيمترية والتعقيد . ومن هنا فان قصيدة من هذا النوع تحتاج من القارىء الى تكرار القراءة والانصات لايقاعات الكلمات حتى يكتشف طبيعة العلاقة بين الوزن والمعنى .. ثم بعد ذلك يعود من جديد الى قراءة يدلف بها الى خرائط الرؤى والحدوس فى هذه القصيدة المعقدة .. فبدون تلك القراءات المتعددة لن يعرف كيف تتكرر مأساة ملوك الطوائف فى الاندلس هذه المرة على أرضنا نحن وفى عصرنا نحن . ولن يقرأ فى الرسائل المقتطعة من التاريخ الغابر [ص ٣١] نصوص الحاضر وهى تكرر نفسها . ولن يضع يديه على وعى الحاضر البليد وعجزه عن الاستفادة من دروس التاريخ وعبر الماضى . ولن يتابع الشاعر وهو يكشف لنا زيف التغيرات التى تبدلت معها الاسماء ولكن بقى الجوهر كما هو .. وان زاد تأصلا بفقدان الحرية وانتشار المشانق وتبدد الروح وضياع الارض قطعة اثر قطعة ورقعة اثر رقعة .

بعد ذلك يقدم لنا ادونيس فى القصيدة الثانية من ديوانه صورة الامل الذى انبثق برغم هذا الواقع المعتم مع الفدائى والثائر . فقصيدة هذا هو اسمى هى عيد التعميد بالدم لهذا الواقع الهامد وهى عرس التسمية للكلمة الفعل .. لذلك اختفى منها النثر نهائيا . وامتلات بفرحة ايقاعية نلمسها فى كثرة استخدامها لبحور الرمل والرجز والخبب وسط اطراد دوامات الخفيف المدورة والمتلاحقة بطريقة تجعل الايقاع أخفت ما يكون وأعقد ما يكون . وتيقظ وعى أدونيس بوظيفة الايقاع يجعل هذا الخفوت والتعقيد الايقاعى وجها من وجوه الرؤية التى تصوغها القصيدة والتى تعد فيها المخافتة والتعقيد لحنين أساسيين فى النغمة الشاملة للقصيدة . فالقصيدة هذه المرة ليست قصيدة رأسية أو أفقية . بمعنى أنها لا تتقدم تتبعا رأسيا لموقف ولا مسحا أفقية لرقعة زمانية أو مكانية او موقفية، ولكنها قصيدة دوارة . تبدأ من نقطة ما على دائرة — ليست نقطة البدء لان الدائرة لا بداية لها — وتنتهى عند نقطة أخرى على نفس الدائرة — ليست نقطة نهاية لان الدائرة لا نهاية لها — ولكنها أقرب ما تكون الى النقطة التى ابتدأنا منها بعد اكتمال تقريبى للدورة . ونقطة النهاية لا تتطابق مع نقطة البداية — والا انغلقت الدائرة — وان كانت سابقة عليها بشكل ما .. بمعنى انه لابد ان تقطع مسافة أخرى على مدار الدائرة حتى تصل الى نقطة البداية مرة أخرى وتواصل التسيار من جديد فى هذه القصيدة .. وان فعلت فلن تجد نفسك على نفس الدائرة .. ولكن فى مستوى آخر من الدائرة ومستوى آخر من الرؤية والمعنى . لان ثمة نموا دراميا فى هذه القصيدة يحول دون تكرار الدورة فى نفس المستوى — ومن يريد التأكد من هذا النمو الدرامى عليه أن يتابع فقط المقاطع التى تبدأ باسم على منذ أن التوه فى الجب [ص ٤٤] « وعلى رموه فى الجب فطوه بقش والشمس تحمل قتلاها ، وتمضى » الى أن أصبح أبد النار والطفولة [ص ٦٤] فى المقطع الذى يبدأ « على أبد النار والطفولة / هل تسمع برق العصور تسمع آهات خطاها ؟ » والذى نبصر فيه عليا لاول مرة مستقلا غير معطوف على شىء .ولا مضاف الى شىء من الناحية اللغوية .

لان الوضع اللغوى داخل تركيب القصيدة يعكس الوضع المادى والشعرى فى آن لهذا البطل المطل على أفق قصائد ادونيس الاخيرة [على] . والذى ينطوى على الكثير من ملامح على التاريخى ومهيار الشعرى الذى جسده أدونيس فى ديوانه [أغانى مهيار الدمشقى] وعلى الشاعر نفسه وعلى الذات الاخرى التى ترتفع بالفعل الى مستوى الشعر ، أقصد على الفدائى . هذا [العلى] المتعدد الوجوه هو البطل الذى تنعكس عليه كل تصدعات ملوك الطوائف وهو البطل الذى يعلن لنا عن هويته فى (هذا هو اسمى) .

قصة يوسف

« قصة يوسف » .. التجربة الصادقة كاتبها « ميشيل كامل » ملك سنوات خلت ، حاورته لكرياتها اليوم ، وميشيل ومعه غالى شكرى يصران على انها قصة قصيرة ، وخالفتهما الرأى ، تلك انها اقرب الى سرد روائى للكريات ، لكن يبقى ان ميشيل كامل يظل فى دائرة اللنوهو ذاته فى دائرة الكتابة السياسية .. صادق كل الصدق مع نفسه وواقعه ..

« لطفى الخولى »

ميشيل كامل

لا زلت اذكر ذلك اليوم من عام ١٩٢٧ بمدينة طنطا ، عندما اهدانى والدى معطفا جديدا انيقا بمناسبة عيد ميلادى الخامس عشر . وكنت فخورا به فهو « المعطف الاول » فى حياتى ، يمثل فى عقيدتى احدى سمات الرجولة ومظهرا من مظاهر الفتوة . فما أن ارتديته حتى ركبت دراجتى متجولا فى شوارع المدينة قاصدا لفت الانظار الى « الحدث الجديد » .

كانت الشوارع والازقة موحلة بسبب الامطار ، التى انهمرت فى فجر ذلك اليوم ، على غير المألوفة بالصعيد . ولكنى اجيد قيادة الدراجة اجادة تامة فكنت اسرع بها فى حركة خاطفة ثم اوقفها فجأة فتدور حول نفسها نصف دائرة واتحكم فيهما محافظا على توازنى ، ثم اقفز بهما معتليا الرصيف ، واتابع طريقى على الافريز الضيق ، اوقفها واطيل وقوفى بحركات بهلوانية سريعة حاذقة .

وذكرت فتاتى اليونانية الصغيرة ، التى كنت احبها — حينئذ — رغم اننى لم اتبادل معها كلمة واحدة ، وانما لم يفتنى انتظارها اثناء مرورها امام منزلنا فى طريقها الى مدرستها طوال الشهر السابق .

كانت تقيم فى مسكن يعلو ورشة ميكانيكية يمتلكها ويديرها ابوها .. فانطلقت مسرعا فى طريقى الى منزلها ، ورايتها تطل من النافذة تتجاذب الحديث مع صديقة لها . وتملكنى الاضطراب لمجرد التقاء نظراتنا — أو ما بدا لى كالتقاء انظارنا — وضغطت على الفرامل للابطاء من السرعة حتى اهيىء لها فرصة تأمل ما اسبغه على المعطف من الاناقة ، ومضايقة براعتى فى القيادة . ودارت الدراجة بعنف وادى ارتباكى الى اختلال يتحكمى فى توازنى ، فانزلقت وسقطت على ظهرى فى الوحل واحطنا بمسافة طويلة .. فضحك اليمنى ، وتابعتنى التعليقات « يا ساتر » « معلهش جات سليمة » و تعيش وتاخد غيرها » ، وانهال على تأنيب اليمنى الاخر — ايمنى يا اخى حيكت تركب لى عجلة فى الجو المطين ده » ..

فتجمع حولى الكثيرون .. جاءنى اليمنى بالدراجة وساعدنى آخرون على القيام ، وانتابنى خجل مرير اليم ، وقابلت الدنيا امام عينى ، وتصاعدت الدماء الى وجهى تكويه كيا .. لقد كنت اعيل على اثارة واعجاب فتاتى ، فاذا بى استثير سخريتها .

وفى خضم الارتباك والاضطراب الذى شملنى ، سمعت صوتا يصخب مفرقا الجمع « ولا منكم ولا كفاية شركم .. ماتسيبوا الراجل .. يعنى هو كفر » .. وقادنى من يدى الى دكان صغير وساعدنى على خلع معطفى ثم دعانى للجلوس واسلم الدراجة الى الجدار ، واخذ ينفض المعطف ، ويزيل ما علق به من الوحل .. ثم صاح موجها حديثه الى شخص ما عبر الحارة ، جاءه راكضا ..

— خد يا محمد ودى البالطو ده عند الاسطى سيد المكوجى .. قول له ينسل القلب ويكويه ويجيبه حالا .. خليك على ايده لغاية ما يخلص .. فاهم ، ويا الله جرى .. قول له يسيب كل حاجة فى ايده ويخلصه بسرعة » .. وجاءنى بكوب من الشاى ، وبدأ

تعارفنا .. وكان ذلك أول لقاء بيني وبين يوسف .



ويوسف يكبرني بأثني عشر عاما ، كان في السابعة والعشرين من عمره حينئذ ، فقد ابصار عينه اليمنى في صباه ، ولذلك فهو يميل بوجهه ناحية العين السليمة عندما يركز نظره على شيء ما . له انف كبير مدبب وشعر مجعد كثيف يصعد الى مؤخر راسه في تدرج هرمي ، وجهه بشوش وابتسامته حلوة طيبة تنبيء بصفاء القلب وتوحي بالثقة وتدخل الطمأنينة على النفس .

وكثر ترددي على يوسف ، وقد اجتذبتني اليه رقة احساسه وبساطته وصراحته ، فهو عاطفي الى اقصى حد يضحك كثيرا ويسخر من كل شيء ، يخفي متاعبه وآلامه ومشاكله ، الا عندما يشرب الخمر ، فيتسلط عليه أحد نقيضين : فهو اما يغرق في الضحك ويفرط في السخرية والفكاهة، أو يبكي بمرارة ويعلو نحيبه كالاطفال . وفي كلا الحالتين تترقرق دموعه بغزارة. كان اشد ما يجتذبني الى مجلسه ويعجبني منه حديثه الشيق ، في سخريته الخارقة الذكاء ، ونقده لكل ما جبلنا على احترامه من تقاليد وعادات،فيسخر من الزواج والعلاقات العائلية والروابط المالية ، يكشف عن حقيقة الكلمات البراقة من كرامة وشرف وأمانة ، والتي يكثر الفاسدون ترديدها والتشدق بها والتزامهم لها ، بينما يعملون على النقيض منها .يسخر من « كرم محتد » العائلات الكبيرة . ويروي لي العديد من مخازي ودخائل واسرار تلك العائلات .

ورغم هزئه بكافة المقاييس الاخلاقية المتعارف عليها ، فهو نفسه يعتد بها ويلتزمها في كافة علاقاته وتصرفاته ، فسخريته لا تتضمن احتقار تلك الصفات او الافتقار اليها ، بل يوجهها ضد الرياء والادعاء والنفاق الذي يحيط المتشدقين بها .

وتوطدت صداقتنا حتى كنت اقضي كل دقيقة من اوقات فراغي معه . وكان يوسف يمتلك « دكان خردوات » في ذلك الحي الشعبي من المدينة المدعو « بالقصرية » حيث الحياة صاخبة ، والتجارة رائجة نسبيا — حيث المقاهي العديدة والحوانيت المتباينة والحرفيين يعانون سكرات الموت تحت ضربات التقدم الصناعي ، وبائعي الخردوات والزبد والجبن « القريش » والبيض والحلوى واقماع السكر الاحمر يفترشون الارض حتى يضيق بهم الزقاق ، والضوضاء لا تخبو طوال النهار ، فمن شجار دائم متجدد الى نداءات الباعة اعلانا عن بضاعتهم بأصوات منغومة وكلمات مضغمة يصعب تفسيرها ، الى رنين صاجات بائع العرقسوس ، وهدير عربات الكارو وهي تقطع الزقاق ببطء في انتظار تنحي الباعة مفترشي الارض ، ثم صخب ورشة « دكانا ليس » الميكانيكية ، وطرقات مطرقة الحداد وضربات الكواء بمكواة القدم على « الجلاليب البلدي » وازيز « سن السكين » وجلبة الاطفال اثناء تسابقهم وراء اطواقهم التي يدفعونها بعصي قصيرة ، او انشادهم الاغاني وراء عربة رش المياه ، رافعين ثيابهم حتى رقابهم ، معرضين اجسادهم العارية الهزيلة للمياه المتدفقة منها ، ببطونهم المنتفخة وسيقانهم النحيلة .

كنت احب الصخب واميل الى الضوضاء وأعجب بالعديد من الوجوه والشخصيات التي ترتاد ذلك الحي الشعبي .. فالفلاح ببساطته وهدوئه والدهشة التي ترتسم على وجهه ، والباعة ونداءاتهم والصبية ومداعباتهم وشجارهم والحرفيين وانكبابهم على اعمالهم التي تثير مللهم ، بينما تدخل المتعة على المشاهدين ، والنساء المحجبات ، والفتوات و « الجدعان » بعصيهم الغليظة، وشراستهم البدائية.

صور متباينة ، لهجات متنوعة ، وازياء عديدة ، ومناقشات مشوقة تفيض حياة وتتدفق حيوية .. بضائع وسلع بدائية ، مساومات ومشاحنات .. رغبات تسكتها الحاجة ، الفاظ جارحة وسباب فاجر ، سلامات واشواق وتحيات حارة ، ودعوات ملحة لشرب الشاي والقهوة والتعميرة .. فقر مدقع وبسمات بين أسمال .. شكوى واستسلام ثم ثورة وانفجار ودماء تسيل .. ضحكات صاخبة توحي بشهيق البكاء فوق تلك الوجوه الضامرة .. شاي اسود وتعميرة الافيون .. البضاعة الرائجة .

وتغرب الشمس فتخبو الضوضاء وتسود الظلمة ويعم السكون لا يعكره الا أنين نغم مقبض « عشانا عليك يا رب .. عشانا عليك يا كريم » .

ودكان يوسف حيث نحشر فيه حشرا نشرب الشاي ثم القهوة .. طوال النهار في انتظار الزبون الذي كثيرا ما يأتي ، قليلا ما يشتري .

واذا أمسى المساء بدأنا في شرب « البراندي » او « عرقي البلح » « خمسينة » بعد « خمسينة » ، نتجاذب اطراف الحديث ...

وفي سياق احاديثنا هذه عرفت الكثير عن يوسف ..



كان ابوه فلاحا من قرية «الطليحات» يمتلك بضع قراريط ويعمل بالتجارة بين حين وآخر ، ظل يكدح طوال حياته حتى كانت سني ما بعد الحرب والرخاء الذي اصاب تجارة القطن ، فتمكن من شراء قطعة جديدة من الارض وزادت ملكيته الى فدادين ثلاثة .. انجب من الاطفال ستة عشر ، لم يتبق منهم على قيد الحياة غير ثلاثة عندما توفي عام ١٩٣٧ ، استثمروا الارض فيما بينهم وباع يوسف واخوه الاصغر نصيبيهما من الميراث وهاجرا الى المدينة ، حيث افتتح يوسف محلا للبقالة ، اما شقيقه فقد عمل حينا مع خاله « الساعاتي » حتى حذق المهنة وافتتح لنفسه محلا مستقلا ، ولكنه توفي متأثرا بروماتزم بالقلب تاركا وراءه طفلين في المهد وامهما ، في رعاية يوسف .

والى جانب عمله بمحل البقالة ، كان يوسف يشتغل بتجارة القطن ونجح في تجارته ثم ما لبث ان فقد كل ثروته في المضاربة بالبورصة .

ما زلت اذكر الحديث الذي دار بيني وبينه حول هذه « الكارثة » . كنت في ذلك الحين اسمع الكثير من البورصة ولا اعرف ماهيتها .. ورغم ذلك فقد ادعيت المعرفة ، مرددا « حكمة » يتناقلها بعض المثقفين :

— ما هي البورصة زي القمار !

فأجابني ببساطة :

— قمار .. يا ريت زي القمار ، دي عملية نصب واحتيال قانوني ، معمولة للمغفلين اللي زينا ، مافيهاش حظ زي ما تفتكر .. ابدا .. النتيجة معروفة مقدما ، كل الفلاحين والتجار الصغيرين لازم البورصة تفقدهم الجلد والسقط وتخرب بيوتهم .. دي سرقة ونهب وانا بكلمك عن تجربة . كل شغلتها انها تخفض الاسعار في بداية الموسم ، يقولو العرض كتير والطلب قليل والسوق ميته ، وده امتى ؟ في اول الموسم والفلاح مضطر غصب عنه يبيع محصوله علشان يسدد ديونه والتاجر الصغير ما يقدرش يستنى لازم يبيع . الاسعار تتخسف وتنزل الارض ، يروحوا الجماعة الاغنيا — اللي بيقولوا عليهم ملوك القطن — يشتروا كل اللي في السوق بتراب الفلوس ، وبعدين بقدرة قادر ، تلاقي الطلب زاد والاسعار ارتفعت ،ويبيعوا المخزون عندهم والمكاسب كلها تروح

فى جيوبهم . وهم قأمدين متمتريحين فى بيوتهم .. ولا زرعوا ولا تلعوا ولا شمقيوا ولا عرقوا .

واستعاد يوسف بعض خسائره بمثابرته وجهاده الشاق ، ثم حصل على توكيل شركة للدخان والسجائر قام بتأسيسها احد افراد العائلة المالكة .. النبيل عباس حليم واضطر الى شراء حصة صغيرةمن اسهم الشركة باعتباره شرطا للحصول على التوكيل. امتد كالكثيرين غيره بسلامة وقوة مركز تلك الشركة .. كيف لا ، ومؤسسها ابن عم الملك نفسه ! كان واثقا من ان عهد التقلبات والازمات و « المومطة » قد انقضى الى غير رجعة .. ولكن لم يمض عام واحد على تأسيس الشركة حتى اعلن افلاسها ، وتكشفت عن اضخم عملية للنصب والاحتيال ، ربح منها النبيل ثروة طائلة ، وفقد المساهمون كل ما يملكون .

ومن جديد اصبح يوسف « على الحديدة » .

ولكنه تابع كفاحه فى سبيل لقمة العيش ولاعالة امه وزوج اخيه وابنائه ، فعمل سمسارا وصبيا فى متجر للبقالة ثم فى تجارة الغلال ، حتى باعت والدته نصيبها من «التركة» ليفتتح بثمنه محلا للخردوات ..

كان يخفى عنى متاعبه ، رغم ان تجارته تبور ،ومشاكله العائلية تتفاقم، والعبء يثقل كاهله . ولكن امكننى أن أستشف المرارة والالم اللذين يكمنان وراء سخريته اللاذعة من فشله المرة تلو المرة ، وذلك اثناء معاقرتنا الخمر .

— ٢ —

انتقلت الى القاهرة لاتمام دراستى الجامعية ، ولحق بى يوسف بعد اشهر معدودات ليفتتح محلا بقسالة ببولاق ، ولمدى اعوام طويلة ظلت حياته على ما كانت عليه ، سلسلة من المتاعب والمشاق والجهاد .

وكانت الاعوام التى قضيناها معا بالقاهرة مليئة بالاحداث ، فالحركة الوطنية فى اوجها وكفاح الشعب المصرى مستمر ضد الاستعمار وعملائه، والجماهير فى ثورتها تسعى لتنظيم صفوفها فى جيش كبير كفيل بمواجهة أسلحة الاستعمار والرجعية واجهزتها القوية ،وكان من الطبيعى ان أشارك فى الحركة الوطنية والكفاح السياسى.

وكان يوسف يتابع بحماس بالغ أنباء الكفاح اليومى بشغف وبسماعها والتعليق عليها بوعى نادر واحساس سليم ، فحاولت اجتذابه الى ميدان



النشاط العملى ولكننى لم الحف عليه اذ كانت شخصيته سلبية تفتقر الى الثقة فى قدراته وامكانياته . وكانت السخرية عاملا فى تصريف بعض طاقته الثورية، كما لم تسمح له مشاغله ومشاكله الفردية والعائلية ، والجهود المضنية التى يبذلها فى عمله بالخروج من نطاق ذاتيته الى مجال اوسع من النشاط .

وقل ترددى عليه ، ثم انقطعت عن ملاقاته فترة طويلة حينما اضطررت الى الهرب من امر بالقبض على ، نقضيت عدة اشهر متنكرا متنقلا بين مدن الصعيد . وعندما عدت الى القاهرة صدمت باختفاء يوسف. سألت عنه فى كل مكان اعتاد التردد عليه ، وبحثت عنه عند أقاربه ومعارفه ثم ارسلت مستفسرا عن اخباره من اخيه الثالث ، ولكنهم اجمعوا على انقطاع صلته بهم ، وجهلهم التام بمكان اقامته ، أو عمله .

وتابعت البحث والتحرى .. حتى القى القبض على ، وامضيت عامين بين جدران السجون ، وداخل أسوار المعتقلات . ثم أفرج عنى مع آخر فوج من المعتقلين فى فبراير سنة ١٩٥٠ ، وبعد ايام قلائل تسلمت خطابا . واذا به من يوسف :

الاسكندرية فى ١٩ فبراير ١٩٥٠
اخى حسن

قرات الان نبا الافراج عنك ، ويصعب على ان اعبر لك عن مقدار سعادتى باطلاق سراحك ، وشوقى للاقائك ، وسوف اعمل على الحضور الى القاهرة باسرع فرصة ...
ارجو ان تغفر لى اختفائى المفاجىء فلقد اثر فى اضطراب احوالى المعيشية وافلاسى المرة تلو المرة ، رغم كل مابذلت من مجهودات ومحاولات متتابعة شاقة فى سبيل ضمان معيشة متواضعة لمن اعولهم ولنفسى . حقا ان فشلى لا يمكن ان يعزى الى نقص فى كفاءتى ولا يعود الى اهمال او سوء تدبير بل هو نتيجة انهيار الحياة الاقتصادية للبلاد فى الاونة الاخيرة .

اننى اذكر احاديثك ، وتنبؤاتكم بما سوف يحل بى وبأمثالى .. فلطالما حدثتنى عن الازمة الاقتصادية ،وقوانين التطور الاقتصادى وتركز الانتاج والتجارة فى ايدى حفنة من المحتكرين تلك العوامل التى تطحن امثالنا من صغار التجار والصناع والحرفيين ، وتقضى عليهم وتدفعهم الى صفوف العمال المعدمين .

وقد اقتنعت بما تقول ، واذهلتنى بالحجج التى تقدمها والوقائع التى تسردها ، ولكنى فى اعماقى ما كنت لاتخيل ان تصل الحال الى هذا الحد من السوء ، لم اكن لاصدق ان تضيع جهودى ويتبدد كفاحى لاكثر من سبعة عشر ساعة فى اليوم الواحد هباء منثورا .

اقتنعت اخيرا ، وبصورة عملية .. آمنت بالمنهج العلمى الذى يتنبأ بكل شىء، والذى طالما حدثتنى عنه ،وكنت فى قرارة نفسى أصده وارفضه .. وادركت الواقع المرير فى الحلقة الرابعة من عمرى ، بعد كدح وجهاد فى الحياة دام أكثر من ثلاثين عاما ، خرجت منه خالى الوفاض ، ونزلت الى صفوف « المعدمين » كما تطلقون عليهم .

كانت انظارى مثبتة الى اعلى، انشد بلوغه ، واخشى النظر الى المهوة ، رغم أننى كنت اهوى واهوى الى اعماقها ، الا اننى تابعت التطلع الى اعلى ، الى بصيص من النور يغذينى بالامل . اما اليوم وقد بلغت القاع ، وقد لمسته ورايته يحيط بى من كل جانب. وغرقت فى ظلماته ، احسست به ، وتمرغت فى وحله ، فها انا ذا اقتصر على الكفاح من اجل البقاء بالقاع ، واكتفى بحفظ نفسى يتردد والتعلق بالحياة .. مجرد الحياة .

اما قوة عملى ، تلك « السلعة » التى كنت تردد على بانها ما يبيعه العامل مقابل الكفاف « لقمة العيش » .. حتى تلك السلعة التى لا أملك سواها اليوم ، لا اجد لها مشتريا ، فالسوق يزخر بها ، وبضاعتى منها من صنف ردىء ، عين فاقدة الابصار ، واخرى « شيش بيش » ، وجسد هزيل هده الكفاح المرير الطويل .. فانا يا صديقى صفقة خاسرة للذين يملكون شراءها .

نزلت الاسكندرية وفى جيبى خمسة جنيهات ، سرعان ما تطايرت فى مستلزمات الحياة الضرورية ، أثناء بحثى عن عمل أقتات به ، قاسيت الجوع ، وعرفت التشرد ، وافترشت حشائش متنزهات الثغر والتحفت البرد القارس . وتورمت قدماى وامتلأت بالقروح من السير ليل نهار بحثا عن عمل .. أى عمل !!

وأخيرا وبعد ثلاث وستين يوما عثرت على ضالتى ، فعملت بمصنع « لتعبئة الشاى » ، غير خاضع لأى قانون من قوانين الدولة التى تنظم العلاقة بين المالك والعامل ، فكنت اعمل اثنتى عشرة ساعة فى اليوم ، مقابل سبعة قروش .. وهنا من جديد ذكرت مطالبكم بتحديد ساعات العمل بثمانى ساعات وحد أدنى للاجر .. تلك المطالب التى كانت تبدو لى سخفا على قصاصات من ورق .. أصبحت حينئذ كل ما أرجوه من الحياة .. ومن لى بها !

واستأجرت مكانا لاقامتى .. دكانا صغيرا فى حى غيط العنب الشعبى مقابل ثلاثين قرشا شهريا ، ولم ترهقنى تكاليف الاثاث » اذ اقتصر على حصير « ولحاف » نص عمر .

ومرضت مرضا شديدا ، كاد يقضى على ، لكن « الشقى عمره بقى » .. كان على أن أعيش وأن أكافح للحصول على مقومات الحياة .. ولو الهزيلة .. وتصادف أن كانت هناك مدرسة أولية أمام مسكنى هذا ، فتحاملت على نفسى : واشتريت بعض مستلزمات الاطفال والحلويات والمأكولات الخفيفة أتاجر فيها صباح كل يوم أثناء جلوسى او رقادى أمام الدكان ..

ولن اطيل عليك يا صديقى فأنت تدرك عزوفى عن الشكوى والتذمر من مشاكلى الخاصة ، وأنا قصدت من وراء سرد بعض تفاصيل تجاربى فى الحياة أن أعطيك صورة لما تكافح من أجله .

أتذكر اضراب رجال البوليس عام ١٩٤٨ ؟ ذلك اليوم المشهود فى تاريخ الثغر ، لقد لعب دورا كبيرا فى تغيير مجرى حياتى وفى ايقاظى من السبات العميق الذى لازمنى مدى أربعين عاما . كنت فى دور النقاهة من مرضى الطويل ، فركبت الترام صباح ذلك اليوم متجها نحو قلب المدينة ، واذا بالناس لاحديث لهم الا الاضراب ، يعطفون عليه ويؤيدونه ويندون بموقف « الحكومة » لا من رجال الشرطة فحسب ، بل فى كافة تصرفاتها وفى سياستها العامة .. من تخاذل فى المفاوضات الى التهاون فى حقوق مصر وممالأة الاستعمار ، .. سلب الشعب حرياته وحقوقه ، اضطهاد الوطنيين ، .. ثم الازمة الاقتصادية وانهيار أسعار القطن وكادر الموظفين والبطالة .. الخ وأصارحك بدهشتى وعجبى من مدى ارتفاع الوعى بين عامة الناس .. ثم جاءتنا أصوات هتافات ، وأبطأ الترام حتى توقف تماما وقد أحاطت به الجماهير ، وصفق الركاب ثم نزلوا جميعا وانضموا الى الركب .. وسارت المظاهرة ، وانضويت تحت لوائها . وأحاط بى الناس ، وأحسست بالجماهير تحركنى وتوجهنى بدفعات خفيفة دافئة كنبضات القلب ، ممتعة كعناق الحبيب .. كانت أول مظاهرة أشهدها فى حياتى . وأصارحك القول يا صديقى باننى كنت استخف بالمظاهرات ، وأرثى لاولئك الذين يسيرون فى « موكب » يرددون بعض شعارات « عقيمة » ! أما ذلك اليوم ، فقد تملكنى احساس غريب ، كنت أرتعد حماسا ، والدماء تندفع حارة ملتهبة الى رأسى توشك على الانفجار ، وأحسست برغبة فى البكاء ، ثم برغبة جارفة فى الاندفاع الى المتظاهرين لاحتضانهم وتقبيلهم فردا فردا .

أنصت الى الهتافات ، فاذا بها تدعو الى التضامن والاخاء بين الشعب والبوليس ، واذا بكرهى وحقدى التقليدى على رجال البوليس يتلاشى ، فيستحيل الى تعاطف ومشاركة قوية ثائرة .. وارتفعت الصيحات فى هدير صاخب تطالب بالحرية وسقوط الاستعمار واستقالة الوزارة .. واندفعت بين الجماهير الى قلب المظاهرة تحدونى رغبة عارمة فى الالتصاق بالناس فى الاندماج بالشعب والاحساس بقوته ، ووحدته ، والاحساس بعنق الجماهير .. ولتتحطم ضلوعى الضعيفة ...

وتدفقت الجماهير من كل صوب تلحق بالتيار الرئيسى ، حتى بلغنا نادى الضباط ، فقام من بيننا الخطباء ..



وشاهدت « عسكرى بوليس » يقف خطيبا ويهز مشاعرنا وقلوبنا ثورة على الظلم .. بعد أن كان يهز قلوبنا هلعا من بطشه . وظهر أذناب الحكومة يعملون على تفريق المظاهرة باللين والخداع تارة وبالتهديد مرة أخرى . والناس لاتخدع ولا تخضع لتهديد أو انذار ، وأسلحة الاستعمار والرجعية مختفية .. فهنا قوة الشعب ، قوة التضامن والوحدة .. طاقة لاتقهر .

منذ ذلك اليوم ، فهمت الشعب ولمست قوته وأدركت شجاعته والطاقات الكامنة فى أعماقه ، واهتز ميراث ثقيل من اليأس وفقدان الثقة ، ذلك الوباء الذى عمل الاستعمار على بثه فى نفوسنا ونشره واشاعته بين المواطنين .

منذ ذلك اليوم ، أدركت معنى الحياة وأن الحياة كفاح ، لا كفاح الفرد فى سبيل ذاته وحدها ، ولا كفاح الشخص من أجل عائلته واصدقائه ، بل فى الخروج عن نطاق ذاتيتنا الى الكفاح من أجل الشعب بأجمعه .. فى سبيل استقلاله وتقدمه ورفاهيته .

ومنذ ذلك اليوم ، وأنا أنشد عملا ما ، وتتملكنى الرغبة فى الاشتراك فى الكفاح .. وما الذى اخشاه .. حقا « لن نخسر فى كفاحنا غير تلك القيود التى تكبلنا » ..

لقد أطلت عليك ياصديقى ، ولكنى واثق من أن خطابى سوف يدخل البهجة والسعادة الى نفسك . فبالامس جمعتنا صداقة قوية متينة ، واليوم تجمعنا زمالة فى الكفاح من أجل بلادنا وشعبنا .. ها أنذا رفيقك فى المعركة ، على استعداد للسير معكم الى نهاية الطريق ... نهاية الاستعمار واستغلال الانسان لاخيه الانسان ..

● ● ●

يوسف

ومضت أسابيع ، ولم يحضر فسافرت الى الاسكندرية لملاقاته ، وراعنى ما لاحظته عليه من تغير فى شخصيته وصحته ، وما أصاب الاولى من قوة وصلابة ، والثانية من اضمحلال وضعف .. قضينا سويا ثلاثة أيام ممتعة ، ثم صحبته الى القاهرة ، حيث اقام معى فترة ، حتى نجحنا فى العثور على عمل له بمحل للبقالة ، افتتحه موظف صغير بمصلحة التليفونات باسم أخيه الاصغر الذى جند بالجيش ، فقام يوسف بادارة « البقالة » مقابل أربعة جنيهات شهريا .

ـ ٣ ـ

لم يمض على اطلاق سراحى سوى أربعة أشهر ، ثم القى على القبض من جديد متهما ـ كالعادة ـ بتأسيس وادارة منظمة سرية تعمل على قلب نظام الحكم . وأمضيت الخمسة أشهر الاولى « بالحبس الانفرادى » ، ثم

حدث أن أصيب المسجونون السياسيون بتسمم غذائي ، وكانت اصابتي شديدة ، حتى أنه بعد زوال حدة الوباء ، عاودتني نوبات الاسهال الحاد ، مما اقتضى نقلي الى مستشفى السجن .

والمستشفى مطل على مدخل السجن وفنائه الخارجي حيث الحركة والنشاط ، فكنت اقطع الوقت في مراقبة سير العمل ، وخاصة كلما سيق الايراد(1) عبر البوابة الصغيرة ، لباب السجن الضخم .. فلربما كان لنا زميل من بينهم . وكنت أتتبع ذلك العرض « الشيق » لمجريات الامور في المكان الوحيد الذي يزخر بالحياة بين جدران السجن ، متلصصا من وراء ثغرات الشيش ، فان مجرد النظر من النوافذ يعد انتهاكا للقوانين واللوائح ، يستحق اجراءات صارمة وعقوبات قاسية رادعة .

وفي يوم قارس البرد من شهر ديسمبر ، كنت أرقب « قطيعا » من « الايراد » يساق الى مذبح الزمن يعاني الاجراءات المعتادة من الانتظام في صفوف وهم يجلسون القرفصاء ، تنهال عليهم الصفعات والركلات وضربات العصى والسياط ، ولاذع السباب ، ثم اجتثاث شعرهم ، وخلع ملابسهم حتى العرى لقص شعر عاناتهم ، واختتام الجولة الاولى بتسليمهم ملابس السجن المهلهلة وتذاكرهم وأرقامهم ثم دمغهم بخاتم خاص على أيديهم « خاتم الايراد » ويساقون الى العنابر .

وفجأة وقع نظري على يوسف ، فبهت لم أصدق عيناي ، بل ولم أتمالك نفسي من النداء عليه ، رغم ما في ذلك من خرق لقواعد « مجتمعنا » ، وزاد من دهشتي أنه سيق الى عنبر المسجونين العاديين وليس الى العنبر المخصص للسياسيين . لم يطف بذهني مطلقا أن يكون متهما في قضية غير سياسية .. ولكنه يلبس البذلة الزرقاء للمحكوم عليهم .. اذن فقد صدر عليه حكم ما .. أي لون من القضايا يا ترى ؟! .. وما مدى العقوبة المفروضة عليه ؟!

واستحوذ على القلق وسيطرت على اللهفة والفضول لتبين حقيقة الامر ، فتحايلت على مقابلته بالعمل على احضاره الى المستشفى . أرسلت له رسالة عن طريق مسجون يزامله في العنبر ويعمل « نوبتجي » بالمستشفى ، وشرحت له اعراض الاصابة بالتهاب الزائدة الدودية على ان يدعي تلك الاعراض مساء اليوم التالي ، كما أوصيت المسجون باثارة الضجيج في التبليغ عن حالته ، حتى يضطر الحارس الى استدعاء التومرجي « للكشف عليه » وفي الان نفسه اتفقت مع التومرجي — بعد « غمزة » بالسلازم — ليقرر أن حالته تستدعي نقله الى المستشفى



لقضاء الليلة « تحت الملاحظة » ..

وتم تنفيذ الخطة بنجاح ، وتحقق لقاؤنا ، وعلمت أنه قد صدر ضده حكم بالحبس مع الشغل ستة أشهر ، وتغريمه مائة جنيه في قضية تموينية ، فقد نفذت كمية السكر المخصصة للتموين قبل صرف الكميات المحددة بالبطاقات بسبب تصرف صاحب البقالة في جزء منها وبيعه في السوق السوداء .. واكتشف مفتش التموين ذلك في احدى حملاته على المنطقة .. فكانت قضية .. وصدر الحكم .

وعاد يوسف الى زنزانته في اليوم التالي ، ولكني كثيرا ما كنت أراه في روحاته وغدواته بالفناء ، اذ عهد اليه بتنظيف وترتيب مكتب وكيل مأمور السجن تنفيذا للحكم بالشغل .

● ● ●

كنت مستلقيا على فراشي ، سابحا في الخيال . انتقل ما بين شوارع القاهرة ، وأفراد عائلتي وفتاتي وأصدقائي ، عندما أعادني الى صوابي ، صوت ضوضاء وصخب وسباب وهرولة الاقدام الثقيلة الكريهة ووقع ضربات تتصاعد من المكاتب اسفل المستشفى .. لم يكن ذلك بغريب علينا ، اذ يتكرر مرات عديدة كل يوم ، وكنت اتحاشى متابعة تلك الاعمال الوحشية ، التي تستفزني وتستثيرني وتثقل على صدري ، فعملت جاهدا على تركيز افكاري في مشكلة ما ، تجنبني بعض هذا الضيق الذي يستحوذ على وتمكنني من التغلب على الانقباض الذي يعتريني في مثل هذه الاحوال .. ولكن أحد الزملاء — وكان يرقب المشهد من النافذة — أجابني بقوله :

— حسن .. ده صاحبك يوسف .

وقفزت مندفعا نحو النافذة ، فاذا بمجموعة كبيرة من حراس السجن يتكالبون على يوسف ككلاب الصيد ، يسومونه ضربا ، ويتبارون في استخدام أيديهم وأرجلهم وعصيهم وسياطهم و « القايش » ذي الاطراف النحاسية الموجعة .. ويوسف يتأرجح مذهولا بين أيديهم ، يميل مع ضرباتهم ، لا يتأوه او يقاوم ، أو يعمل على تفادي ضرباتهم .

ودفعوا به الى « التأديب » فابتلعه بابه المشئوم ، وتتابعت الصيحات والسباب والضرب ..

وسرعان ما جاءنا الخبر ، بأن وكيل المأمور غادر حجرة مكتبه في مهمة داخل السجن ، تاركا سترته بها ، ولما عاد اليها ، اكتشف فقد عشرين جنيها ، كانت بجيب سترته الداخلي ، فاتهم يوسف بسرقتها ، بدعوى أنه لم يدخل الحجرة غيره ، ففتشه تفتيشا دقيقا امتد الى الاجزاء الحساسة من جسده ولكن التفتيش لم يسفر عن شيء ، فحاولوا دفعه الى الاقرار بمكانها ، ولكنه أنكر التهمة بصورة قاطعة .

وانتشرت الانباء داخل السجن في سرعة خاطفة ، وتناقلها المسجونين دون اعارتها أية أهمية تذكر ، فحالات التعذيب المشابهة لا تعد غريبة في عالمهم ، ولا تعدو كونها روتينا دائما .. « وعلقة تفوت ولا حد يموت » .

ولكن توارد الاخبار وتتابعها عن القسوة التي لا حد لها في معاملته ، وتوالي الضرب طوال ذلك اليوم دون انقطاع جعل المسجونين يتوجسون خيفة ويتوقعون شرا — غير ما الفوه — فساد السجن سكون رهيب .. الجميع ينصتون ، يصغون بآذان تركزت فيها كل حواسهم ، الى الاصوات التي تصدر عن التأديب .. السباب والتهديد والوعيد في غمغمات غير واضحة .. رنين الصفعات ووقع الضربات واللطمات وفحيح السياط .. وآهات ..

الام يستمرون ؟ متى يتوقفون ؟ ويسود الهدوء حينا .. لحظات تتخللها همسات واستفسارات وتنبؤات ، تتحول تدريجيا الى طنين فضجيج ، ثم يخيم السكون فترهف الاسماع ، وتشخص الابصار وترجف القلوب .. واجتهد لاستريح آملا في أن يكون ذلك آخر عهدنا بهذا العذاب .. ربما تعبوا .. لعلها النهاية .. ولكنهم لا يكلون ولا يرحمون .. هاهم يتابعون ضرباتهم .. ويقفز قلبي هلعا ، وينفطر ألما ويحترق بالثورة والحقد ، واستمر عدوانهم حتى ساعة متأخرة من صباح اليوم التالي وأمضينا الليلة متيقظين ، لا تغفو لنا عين ، وقضيت الساعات الطويلة الاليمة متشبثا بالقضبان الحديدية للنافذة التي تطل على التأديب اشهد الجلادين يدخلون ويخرجون ،

(1) الايراد: لفظ يطلق على المسجونين الجدد

يتشاورون ويتهامسون ، يتناوبون الوفود على التأديب ، يغيبون بين جدرانه التى تتلقفهم ممتلئين نشاطا وتلفظهم مجهدين عابثين .

وبالاضافة الى وكيل السجن الموتور وضباطه والحراس، استعانوا باثنين من المسجونين الحاج فرج والتركى ، ليقوما بتنفيذ مايبتكرونه من أساليب وحشية لاشباع « ساديتهم » .

منعوا عنه الطعام والماء ، وراحوا يضربونه ضربا مبرحا ، بكل ما يصل الى أيديهم .. كبلوا يديه بالقيود الحديدية وراء ظهره ، واحكموا وثاق ساقيه ثم استخدموا القضبان المحماة والسجائر فى كيه .. خلعوا عنه ثيابه جميعها وأوثقوه الى العروسة وأطلقوا عليه كلابهم المدربة ، لتنهش لحمه ، ثم ينهالون عليه بالسياط بعد غمسها فى الماء المالح ، وأجبروه على تجرع كمية كبيرة من « شربة الملح » ، حتى اضطر الى التبرز أثناء وقوفه موثقا محتضنا العروسة ، ولطخته الاوساخ وقد كلف مسجونان بالبحث بين ماتجود به امعائه المتهرئة ، ولما أعياهما العثور على أى شيء ، لطخوا وجهه بها ، .. ويوسف يكرر عليهم بين أنينه وحشرجته « أنا مش حرامى » .

● ● ●

توجهت لجنة تمثل السياسيين الى ادارة السجن حيث قابلت المأمور ، وتقدمت له احتجاجها على عمليات التعذيب ، وطالبت بايقافها فى الحال . ورفض المأمور ما أسماه تدخلا فى شئون الادارة فطالبوه بحقهم فى ارسال برقيات ، بمقتضى نصوص لائحة السجون ، وسمح لهم بذلك ، ولكننا كنا على يقين من أن مصير تلك الشكايات والبرقيات الى سلة المهملات او ارشيفات البوليس السياسى ، حيث تحفظ دليلا على خطورتنا على الامن ولذلك ارسلنا بوسائلنا الخاصة الى عائلاتنا بالخارج ، نكلفهم القيام بتلك المهمة ، — اذ كانت الزيارات ممنوعة عنا فى ذلك الحين — ، كما عهدنا اليهم باستدعاء النيابة للتحقيق فى تلك الجرائم التى يقترفها المشرفون على « اصلاح وتهذيب المجرمين » .

ولم تتوقف حملتهم المسعورة ، أو تخيفهم التهديدات ولم يردعهم التذمر والثورة المحمومة التى اشتعلت فى نفوس المسجونين ، بل زادتهم جنونا فهنا مملكتهم وسلطتهم المطلقة ، حيث لا رقيب عليهم ، ولا غالب لهم ، ولا راد لمشيئتهم ، فهم آلهة تلك المملكة المغلقة ، انهم أبالسة تلك القبور الموحشة .

وبلغ تحديهم ذروته ، عندما ساقوا يوسف فى قميص الاكتاف الى الفناء الذى يقع ما بين « العنبرين » ، وقد غمرت وجهه وعنقه الجلطات الدموية والكدمات من كل لون وتناثرت عليهما الاورام والجروح والتسلخات وكست ساقيه الدماء .. يتعثر فى مسيره على قدميه المتورمتين ، يتبعه جلادوه باحذيتهم وعصيهم وسياطهم ، يحيطون به ويتقاذفونه فيما بينهم ، ثم القوا به فى مجرور التاذورات والفضلات حتى غمرته ، وكلما طفى برأسه ليستنشق الهواء ، دفعوا به الى الاعماق بأحذيتهم الثقيلة .

تجمع المسجونون وراء القضبان .. عيون متفجرة تنفث الحمم ، جباه مقطبة تغضبها المرارة والالم ، شفاه ترتعش بالحقد .. وتصاعد طنين من كل جانب ، وكأنما بناء السجن مرجل غاضب يزمجر ، وارتفع الطنين الى صخب واشتد الصخب الى زئير ، وعلت صيحات الاحتجاج ، واهتزت الابواب تحت قبضات الرجال وضربات الدلاء وغطيها .. وانفجرت الثورة المحبوسة تهز السجن هزا وتشق عنان السماء .



وتلفت الجلادون حولهم ، وقد أذهلتهم المفاجأة ، وافزعتهم الجموع من وراء قيودها ، وتملكهم الرعب من العصيان رغم كل الاغلال التى تكبله .. حتى الكلاب البوليسية انتابها ما اصاب سادتها من فزع فراحت تعوى وكأنما تحاصرها الذئاب .

اسرعوا فى اخراج يوسف من المجرور ، ودفعوا به أمامهم ، يهرولون فى طريقهم الى مبنى التأديب وتوالت الطرقات . قوية رتيبة صاخبة كأنها نبضات قلب كبير عملاق من الفولاذ .

انطلق صوت النفير ، يعلن حالة الخطر . وتقاطر الجند ركضا من ثكنات السرية المجاورة للسجن واحتلوا فناءه واحاطوا بمبانيه ، وقد شرعوا أسلحتهم نحو العزل خلف القضبان .. حاصروا العنابر وتناثروا داخلها على الدرجات والممرات والكبارى الحديدية

كان صوت النفير نذيرا بتعميم الكارثة ، انذارا بشن حملة دامية . فهدأ الضجيج وساد السكون . ولكن القلب الفولاذى لم يتوقف عن النبض الا فترة وجيزة ، فقد استثاره صياح أحد الضباط :

— الراجل فيسكم يرفع صوته ويورينى نفسه

فارتفع هتاف من احدى الزنزانات :

— أوقفوا الارهاب ..

وردد المسجونون جميعا هتافه ، واسرع الضابط تتبعه ثلة من الجنود الى الزنزانة ، وفتحوا بابها لينهالوا على المقيمين بها ضربا ، وتتابعت الهتافات وتعالت موجات الاحتجاج واهتزت الابواب تحت الضربات القوية المنتظمة . حمل الضابط على سكان الزنزانات الواحدة تلو الاخرى .. وكانت « علقة » قاسية موجعة ، نجحت فى تكسير بعض الاضلع والعظام وأراقت بعض الدماء ، ولكنها فشلت فى اخماد الثورة التى تعتمل فى النفوس .. بل امتدت الى العنبر الاخر ، عنبر المسجونين غير السياسيين ، وسيق البعض الى التاديب ، حيث وقعت عليهم عقوبة الجلد « رسميا » بمقتضى اللائحة والضرب دون حاجة الى أمر رسمى بحكم قانون الغاب ، وسحبت كافة حقوقنا التى منحتنا اياها اللائحة ، وحرمت « الفسحة » والتدخين واستؤنفت الحملات التفتيشية الاستفزازية ، حتى التوجه الى دورة المياه أصبح تحت حراسة مشددة ولمدة دقائق معدودة .

وقررنا الامتناع عن استلام الغذاء ، وبدأ الاضراب عن الطعام احتجاجا على توالى عمليات التعذيب ، مطالبين بايقافها فورا ، واعادة كل ما سلبوه من حقوق ، وابلغنا الادارة بقرارنا .

● ● ●

لم يغمض لنا جفن طوال تلك الليلة فأمضينا الليل جلوسا ، كلنا آذان تنصت الى الاصوات المتنوعة للادوات المتباينة التى تنهال على جسد صديقى ، وقلوبنا وعقولنا وكياننا بأجمعه يتلوى تحت وقعها .

ساد السجن سكون رهيب ، لا يقطعه الا صرخات السياط ، أو ثورة مسجون فى انفجارة ضد الظلم الصارخ والوحشية الغاشمة ، فنال نصيبه من « التأديب والتهذيب والاصلاح » ثم انقطع صوت الضربات وفحيح السياط وفتحت أبواب وأغلقت أخرى .. ، وارهفت الاذان وتبادلنا النظرات والهمسات .. ماذا حدث ؟ .. أهى نوبة من الاغماء الطويل ؟ أشد اضرابنا عن الطعام .. ؟ أم ترى

جاءت النيابة للتحقيق استجابة لنداءاتنا العديدة ؟ !!

ثم جاءنا الجواب الحاسم فى شخص حارس التأديب بوجهه الممتقع وعينيه الزائغتين ، وهمساته فى اذن شاويش المستشفى .. الذى صحبه الى التأديب ، ثم عاد ليهمس لى .. « يوسف مات » !!

وقبل ان افيق من وقع الصدمة ، هرول احد زملائنا نحو النافذة المطلة على العنابر ، وفتحها على مصراعيها وصاح معلنا

— لقد قتلوا يوسف ، لن تضيع دماؤه هدرا ، فلنثأر له وندافع عن حقنا فى الحياة ضد اعداء الحياة وصانعى الموت .. المجرمين من اذناب الاستعمار وعملاء السراى .. يسقط السفاحون.. يسقط اعداء الحياة .. نريد القصاص من قتلة يوسف :.

لم يعمل السجناء على ابعاده عن النافذة ، كما فعلوا بى من قبل بل احاطوا به لحمايته من « الشاويشية التومرجية » ، وحتى هؤلاء اتسم اعتراضهم على الموقف ، باللين واللطف واقتصر على رجاء السكوت خشية توقيع الجزاءات عليهم :..

وارتفعت موجات السخط من جديد فى ضجيج مفزع ، وشرع شخص ما فى الدق على باب زنزانته دقات منتظمة بطيئة كالنشيد الجنائزى مثقلة بالهموم وانضم اليه آخر ثم آخرون وتبعهم كافة المسجونين فى اظهار سخطهم وثورتهم بأسلوبهم التقليدى ، وعلت هتافات « هاتوا النيابة » .. « هاتوا النيابة » .

وجاءتنا انباء بأن مأمور السجن يعقد اجتماعا للضباط ، وانهم يعملون على اقناع طبيب السجن بالتكتم على الوفاة الجنائية وان يعزوها الى مرض من الامراض . وشاهدنا الطبيب يصعد الدرج نحو المستشفى ، ليدعو الباشتومرجى فأسرعت ناحيته

— يا دكتور صابر ..

— ايه .. جرى ايه يا حسن ، ايه الضجة اللى عاملهسا لنا هنا .. يعنى احنا ناقصين ..

فكشفت له عن المامنا بالمؤامرة التى تحاك لتلفيق التقرير الطبى ؟ وانذرته بأننا لن نسكت على الجريمة وقد ارسلنا فى طلب النيابة وكلفنا محامينا بمباشرة قضية ترفع ضد ادارة السجن ، وان اى تزوير او « كلفته » فى الحقائق سوف توقعه فى مسئولية جنائية . فاقترب منى حتى اصبح لا يفصلنا غير القضبان الحديدية لباب المستشفى وهمس فى صوت خافت

— اطمن يا حسن .. انا فعلا بعت اشارة للنيابة بأن الوفاة جنائية وطلبت الطبيب الشرعى .. وانا حالبسهملك حتة خازوق ، بكره تتفرج عليه ..

كان لخوفه من المسئولية اثره فى الوقوف ضد رغبة الادارة التى طالما خضع لها وعمل بوحيها ، وكان لحقده وسخطه على الضباط اثر عميق فى دفعه الى تحميلهم مسئولية تصرفاتهم.

خرج مأمور السجن مزمجرا الى الفناء ، يتبعه ضابطان ومجموعة من الحراس ، وعملوا على تهدئة ثورة المساجين ودعوتهم الى التزام الهدوء، فتعالت الهتافات أكثر من ذى قبل « نريد النيابة » « استدعوا النيابة » .. ثم ساد سكون نسبى عندما بدا المأمور يرفع عقيرته بالصياح قائلا :

— النيابة جاية .. النيابة جاية .. احنا بعتنا جبنا النيابة ، وهى اللى حتحقق وتحدد المسئولية .. يطلبوا الهيصة دى .. انزل انت وهو من على الشباك ..

ولكن السباب والسخرية والتعليقات اللاذعة انهالت عليه من كل صوب .

— عاوزين تطبخوها يا أولاد الـ .

— احنا عندنا شهود عاوزين النيابة تسمع شهادتنا ..

— بقه احنا المجرمين والا أنتم .. احنا بنسرق علشان ناكل ، وانتم بتقتلوا الناس بمزاجكم ..

— مش كفاية بتسرقوا اكلنا وعهدة السجن .

— ياحرامية « اليمك » .

— آه يا ظلمة .. ليك يوم يا ظالم

— بأه الحى تموتوه .. الحى تموتوه يا ناس .. ياكفرة ياولاد الـ ...

انسحب المأمور وبطانته ، وطالبت لجان من المسجونين السياسيين وغير السياسيين بالاجتماع بالادارة التى اضطرت الى الاستجابة لمطلبهم ، وتقدمت اللجنتان بمطالب تتركز فى استدعاء النيابة فورا — اذ كنا نشك فى حقيقة استدعائها — والسماح للشهود بالمثول أمامها ، واعادة كافة حقوقنا المغتصبة .. فوعدبتنفيذ كافة المطالب على أن نركن الى الهدوء والسكينة .

وجاءت النيابة ، فتصاعدت هتافات « نحن شهود يانيابة » « اقبضوا على السفاحين » « استدعى الشهود يا نيابة » ، « حاسبوا المسئولين » .

ولكن النيابة استدعت الشهود الذين عينتهم الادارة وهم من جواسيسها وعملائها ، وما ان ادركنا حقيقة الامر حتى علت شعارات «استبعدوا الخونة» « استبعدوا الجواسيس والملفقين » « حاسبوا المسئولين او نحاسبهم » « الموت للجواسيس والقتلة » .. فلقد كان كلا من « الحاج » فرج والتركى من شهود النيابة رغم قيامهم بالدور الرئيسى فى القضاء على يوسف .

● ○ ●

فى اليوم التالى اعلن انه قد صدر قرار من مدير مصلحة السجون بتوقيع عقوبة الجلد ، على أربعة وخمسين مسجونا ، هم اولئك الذين قادوا حركة « العصيان » او لعبوا دورا رئيسيا فيها ..

ونصبت « العروسة » فى فناء السجن بين عنبر « المجرمين » والسياسيين .

واصطف الحراس ، وتجمعت ادارة السجن ، وطبيبها ، والطبيب الشرعى والمدير العام للاشراف على تنفيذ عقوبة الجلد وجيء بالمذنبين وراحوا يتقدمون واحدا بعد الاخر ، يخلعون ستراتهم، ويتجهون نحو العروسة يحتضنونها ، لتنهال عليهم السياط ، ستة وثلاثين جلدة لكل منهم ، ولم تصدر أنة واحدة او آهة واحدة ، ولم ينبس أيا بكلمة .

وبين فرقعة السياط ، خرج موكب صغير من مشرحة السجن ، صندوق على أكتاف ثلاثة من المسجونين ، يتبعهم الحانوتى وحارسان ، يقطعون الفناء فى اتجاه الباب الخلفى للسجن ..

تعقيب

كتب ميشيل كامل هذه القصة عام ١٩٥٤ وكان الاتجاه الواقعى بمعناه التقليدى وبكل سلبياته الفنية هو التيار السائد بين الادباء اليساريين . الى تلك المرحلة ينتمى الانتاج الباكر لعبد الرحمن الشرقاوى ونعمان عاشور والفريد فرج ولطفى الخولى فى القصة القصيرة . وبمقاييس هذا الاتجاه ارى فى « قصة يوسف » قصة قصيرة بغير شك ، وقد رشحتها للنشر لسبب بسيط هو ان « ادب السجون » يكاد يكون لونا غائبا — عن عمد — فى الادب المصرى الحديث بالرغم من معاناة الادباء المصريين لهذه التجربة معاناة شخصية . الا ان معظم أعمالهم كانت حول التجربة من خارجها ، قبل ان يدخل المناضل السجن أو هو خارج منه ، المهم ان غالبيتهم التقطت صورته وهو على الباب دائما . قصة ميشيل كامل تقتحم الاسوار ، وتعيش التجربة من الداخل ، فتعطينا قطعة حية نابضة من تاريخنا المعذب .

غالى شكرى



هينريش بيـــول وجـــائزة نـــوبل لـــلأدب

يعد هينريش بيول Heinrich Böll الذي فاز بجائزة نوبل للادب لهذا العام من ابرز رواد الفن الروائى وأهمهم فى المانيا اليوم ، الذين اصلوا له

ولد هينريش بيول فى الثانى عشر من ديسمبر سنة ١٩١٧ فى كولونيا ، التى أتم فيها أيضا دراسته الثانوية . وكان فى ذلك الوقت يعمل ببيع الكتب ليدبر نفقات المعيش ، وجند بعد ذلك فى الحرب العالمية الثانية بالجيش الهتلرى رغم عدائه الشديد للحرب وللهتلرية والنازية الذى تربى عليه وورثه عن عائلة كاثوليكية ، واشترك فى معارك الجبهة الشرقية وجرح فيها ثلاث مرات ، وظل بالجيش الى أن انتهت الحرب سنة ١٩٤٥ ، وفى تلك الفترة سقط اسيرا فى ايدى القوات الامريكية التى أودعته معسكرا للاسرى فى شرقى فرنسا . ولما عاد الى المانيا التحق بالجامعة لدراسة الاداب الالمانية ، وعمل فى ورشة نجارة لاخيه كانت قد آلت اليه بعد وفاة الاب الذي كان يعمل بدوره بأعمال النجارة وحفر خشب الابنوسي ، وأنفق على دراسته بنفسه . وسرعان ما شق طريقه الى شهرة ذائعة فى عالم الادب فنشر كتابه الاول الذى ضمنه ذكرياته من الحرب فى عام ١٩٤٦ ، ثم اتبعه فى العام التالى ١٩٥٠ بأول مجموعة قصصية له « أيها المسافر .. اذا اتيت الى اسب .. » Wanderer, Kommst du nach Spa...

و « اسب .. » هذه هي اسم اسبرطة المنقوص ، ولهذا علاقة بموقف بيول من الحرب كما سنرى ، والاسم مأخوذ عن قول شهير للشاعر الغنائى اليونانى الاشهر سيمونيدس يقول فيه : « أيها المسافر » ان مررت بهؤلاء الذين سقطوا فى ترموبيلاى ، فقل لاهل اسبرطة ، أننا ها هنا نرقد اطاعة لاوامر القانون » ، ولعل هذا وحده يشير الى معرفة بيول بالثقافة اليونانية القديمة التى يستلهمها بشكل واضح فى بعض اعماله . وفى العام التالى نشر أولى رواياته « اين كنت يا آدم . ؟ » والسؤال موجه من الاله الذى يجيبه آدم بأنه عائد من الحرب ، ثم توالت اعمال بيول تترى بعد ذلك لتؤكد شهرته وجدارته « ليس فقط فى عيد الميلاد »
Nicht Nur zur Weihnachtszeit.
الذى نشر عام ١٩٥٢ والذى كشف فيه عن موقف الكنيسة الكاثوليكية من النازية وتأييدها لسياسة الهتلريين ضد قوى التقدم والديمقراطية فى العالم ، والذى هيأ لصاحبه مكانة بارزة فى اليسار الالمانى وتأثيرا قويا فى حزب فيلى برانت الاشتراكى الحاكم . ونشر بيول بعد ذلك رواية أخرى عام ١٩٥٣ هى « ولم يقل كلمة واحدة .. » مستلهما اسمها من الانجيل Und Sagte Kein einziges ort. وهى التى كانت سبب ذيوع شهرته ، وفى عام ١٩٥٤ نشر رواية اخرى هى « بيت بلا حارس » Haus ohne Hüter. ، وهو ذلك البيت الذى يرحل عنه عائله الى الحرب فتنفلت كل الامور ويعم الفساد . ثم ظهرت روايته التالية فى العام التالى ١٩٥٥ « خبز السنوات الماضية » Das Brot der frühen Jahre. الذى يصبح حلما حين يسود الجوع ، وفيها يبدى عداءه الشديد للنظام الرأسمالى الذى خلق الديكتاتورية النازية ولعل هذا العداء للنظام الرأسمالى هو ما حفز ناشرى الاتحاد السوفييتى على طبع ملايين النسخ من هذه الرواية مما مد حدود شهرة بيول الى آفاق رحبة ليصبح أشهر الكتاب الالمان المعاصرين . وفى نفس العام ١٩٥٥ نشر «ثم كان مساء وصباح» So Ward Aben und Morgen. ونشر فى العام التالى « ضيف لم يحسب حسابه » ١٩٥٦ Unberechenbare Gäste. ثم فى عام ١٩٥٧ « يوميات من أيرلندا » Irisches Tagebuch. وفى عام ١٩٥٨ « كتمان الدكتور مرقص وسخرياته الاخرى » Doktor Murkes gesammeltes Schweigen und andere Satiren.

ومنذ ذلك الوقت أصبح نتاجه جزءا أساسيا وهاما من أدب ما بعد الحرب فى المانيا ، واعترافا بتلك المكانة منحت له ضمن ما منح جائزة « الجماعة ٤٧ » الادبية سنة ١٩٥١ ، وبعدها بلغ عدد ما يطبع من قصصه القصيرة ورواياته فى السلاسل الشعبية خمسمائة ألف نسخة فى المرة الواحدة، وتميزت على نحو خاص من بين هذه الاعمال روايتاه « بلياردو فى منتصف السابعة » و « المهرج » أو «البهلوان» وأثير حولهما فى بداية السبعينات نقاش محتدم ، لكنه عندما أصدر رواية «صورة لجماعة مع سيدة » احتلت هذه الرواية مكان الصدارة من اعماله قبل أن يمر على صدورها عام كامل وأصبحت من أوسع المؤلفات الادبية انتشارا فى أوربا كلها وفى العالم .

وقد جاء فى تقرير هيئة التحكيم لجائزة نوبل فى عرضها للاسباب التى من أجلها منحت بيول جائزة الادب أن هينريش بيول قد استطاع بسعة افقه ومقدرته الابداعية وشاعريته الفذة أن يجدد

الادب الالمانى بعد سنوات الحرب وما تمخضت عنه من دمار وظلام ، وقد ظل هكذا شديد الولاء لواقع شعبه ، يحس عذاباته ويتغنى بآماله فى حياة آمنة وسالمة ، وهذا حقيقى فهو في رواية « المهرج » التي أصدرها سنة ١٩٦٣ قد استطاع من خلال شخصية بطلها ، ذلك النموذج الفريد ، العاقل المجنون ، أو الرجل الطفل ـ كرجل جونتر جراس الطفل ـ أن يكشف زيف المجتمع ونفاقه وقسوته واهداره لقيمة الانسان وكرامته محتميا من قسوة المواجهة المباشرة وراء وجه الجنون والطفولة والسذاجة فى تلك الشخصية ذلك القناع الذى سرعـــان ما يسقط حين يواجه القارىء بالحقيقة المرة حين يرى ذلك المهرج الســاذج ينطق بالحكمة ويدرك كل شىء بفطنته الفذة.وبيول هنا ينتقل الى مرحلة جديدة

بعد رواية « بيت بلا حارس » ينتقل الى تصـوير فساد المجتمع الذى نقله فى « المهرج » والذى كان أساسه النفاق باســم الدين بعد أن عاد للكاثوليكيين ما كانوا قد فقدوه أيام النازية مــن سطوة ، وكان فى بيت بلا حارس يصور جانبا آخر من جوانب ذلك الفساد خلقته الحرب ، عندما استقطبت من المجتمع حراس البيوت ، الاباء ، وتركت الابناء والزوجة بلا حارس ، فشب كل منهم ـ بلا حارس أو رادع ـ على هواه ، فى جو فاسد أصلا . ولعل الفارق الزمنى بين « بيت بلا حارس » سنة ١٩٥٤ وبين « المهرج » ١٩٦٣ يشير الى تغير فى مراحل فكر بيول ، فبعد أن كـانت الحرب ودمارها هى محور اهتمامه،يصبح الفرد من حيث هو نموذج انسانى شامل وأعم فى مركز ذلك الاهتمام بما يخلع على أدبه شمولية ويوسع آفاق رؤاه .

على ان موهبة بيول الحقيقية تعلن عن نفسها على نحو أكثر تميزا وتفردا فى قصصه القصيرة .

من أهم تلك القصص خمس نشرت له فى مجموعة واحـدة عنـوانها « أيها المســـافر .. اذا جئت الى اسب » « اسبرطة » وهو عنوان مأخوذ من ابيجراما على شاهد قبر لسيمونيديس كما ذكرت .

من بين هذه القصص قصة بعنـوان « الرجل والسكاكين » Der Mann nit den Messern. يقول كلوس زوبل الذى كتب مقدمة المجموعة انها تحمل السمات النمطية لقصص بيول . فالراوى الذى يحكي القصة بضمير المتكلم ، كما فى « المسافر » وفى قصة « صانعو عصا المكانس » Wir Besenbinder. واحد من المطاردين المهزومين الذي يطاردهم ويزج بهم الى الموت ذلك الضـــمير « هسيم » . وهؤلاء الـ « هم » حماة مزيفون ، نماذج اللاانسانية ، والرواة، المتكلمون الصارخون ، فى قصص بيول، أبطال القصص ، ليسوا فى الحقيقـة أبطالا بل هم المهزومون المنكسرون ، صانعو أيدى المكانس وجامعو الصوف الذين لم تعط لهم فرصة أن يعيشـوا حياة انسانية عادية لاتهدر فيها كرامتهم. هم ضحايا المجتمع ، وهم سقط المتاع ، ليس لهم من دلالة أو قيمة فى أغلب الاحوال أكثر من قيمتهم كرقم حسابى ، قيمة عددية لا أهمية لها لانها لا تنسب فضلا الى اصحابها ، فائة عظيم يساوون فائة حقير تماما من حيث القيمة العددية، فان كان من حظ هؤلاء التعساء أن تطول بهم الحيـاة ، بل قل البقـاء ، وان يعيشوا رعب الحرب وبشـاعتها وأن يخوضوا أخطارها فان ذلك لايغير منهم ويظلون عاجزين عن الانخراط فى مسيرة الزمن . « المهزوم » فى قصة « الرجل والسكاكين » ، كما تبرزه لنا سخرية بيول المريرة ، عاجز فى ذلك العـالم الوضيع ، عالم السيرك والاستعراض ، لايجد عملا الا أن يجعل من نفسه هدفا لسكاكين اللاعبين ، والسيرك هو المجتمع، واللاعبون يقذفون بكل عزمهم بالسكاكين الى قلب الهدف ، والمتفرجون يتلهون ، والرجل الهدف عليه بالقرار الدائم لانه المعادل لحياته .

ولهينريش بيول مقال ربما كان أصدق ما يصدق على فنه هو نفسه ، عنوان المقال : « اعترافات أدب الانقاض » نشره عام ١٩٥٢ Bekenntnis zur Trummerliteratur يقول فيه :

« الانماط التى كتبنا عنها أناس عاشوا فى دمار وضياع ، عادوا جميعا ، رجالا ونساء وأطفالا ، عادوا منسحقين ، كانوا جميعا يتميزون بحـدة الابصـار فرأوا كل شىء .. ثم كانت حيـاتهم ابعد ما تكون من السلام ، أية حياة ، لا شىء حـولهم أو بالقرب منهم يبشر نفوسهم بمولد أملية . وقد احسسنا ـ نحن الكتاب ـ بقربنا منهم الى حـد سـاوينا عنده أنفسنا بهم ، خاصـة مع الجيل الذى انتمينا له والذي وجـد نفسه الى حد بعيد فى هاوية وضع غريب لاينسى : أنه عاد الى وطنه ، عاد من حرب لم يأمل انسان قط فى أن تكون لها نهاية يوما ما » « وهكذا كتبنا عن تلك الحرب ، عن عودتنا منها وعما رأيناه فيها وعما وجدناه فى طريق عودتنا : أعنى الدمار ، ومن غمار ذلك لهضت الى الوجود ثلاث كلمات شعارية أصبحت تستخدم للدلالة على طابع أعمال الكتاب الشبان « أدب الحرب » و « أدب الجلود المسرحين » و « أدب الانقاض »

« وهذه المصطلحات صحيحة فى حد ذاتها : لقد كانت ثمة حرب ـ ست سنوات من الحرب ـ وقد عدنا من هذه الحرب فوجدنا الانقاض وكتبنا عنها ، وكان أقرب ما فى الامر ، بل وأكثر ارتيابا ، أن النـاس عنـدما كـانوا يستخدمون المصطلح كانوا يتحدثون بنغمة يحملونها اللوم والتجريح . حقيقة أنهم لم يعتبرونا مسئولين عن الحرب وعـن اكوام الدمار ولكنهم بدوا نازعين الى تجريحنا لا لشىء الا لاننا لاحظنا ذلك ولا زلنا نراه ، وما ذنبنا ونحن لم نكن أعمياء فرأينا ! ان العين السليمة أداة ضرورية للكاتب » .

هذا التصور الذى يراه بيول لمهمة الكاتب يضمنه قصة من احسن قصصه « أيها المسافر اذا أتيت الى اسبرطة » . وزمن القصة شديد القصر بالغ الدلالة ، فالاحداث التى تقوم عليها القصة تشغل الفترة الزمنية منذ وصول أحد الجنود الجرحى الى مدرسة ما ، وحتى يصل الى غرفة الرسم التى تحولت الى غرفة عمليات للاصابات الخطيرة ولن نجد هنا حدثا دراميا خارجيا يزيد من التوتر الفنى فى القصة وان كانت تنطوي على توتر داخلى يتزايد باسترجاعات الجندى للماضى عندما يكتشف أن هذه المدرسة قد كانت هى مدرسته منذ وقت قريب وها هو يعود اليها لا ليمرح وانما كمصاب بجراح خطيرة ولا يعى وضعه الحقيقى الا عندما يعرف الجملة التى لم تتم « أيها المسافر ، اذا جئت الى اسب .. » التى كان قد كتبها هو نفسه يوما ما على السبورة . وتساعده الجملة على تعرف المدرسة وعلى ادراك حالته الميئوس منها . وهنا ترتفع دلالة جملة سيمونيديس .. لقد ترك هذا الجندى مدرسته منذ ثلاثة شهور ، وقد حاولوا أن يذكروه بمدرسته قائلين : ألا شىء يذكرك بانك فى مدرستك .. ؟ لقد قضيت بها ثمانية أعوام » .. ولكن دون جدوى ، لاشىء يحرك قلبه .. ولاشىء يلفت نظره وهو محمول يحتضر الى الغرفة .. لاشىء لانه لم يحس بالانتماء الى أى شىء الا جملة سيمونيديس التى أحس فيها حالته ، انها رمز لقدره .. وهو ليس قـدرا يتشوف هدفا .. وانما عذابا لا معنى له وموتا من أجل نظام يا طالما حلم بتحطيمه » .

أما هينريش بيول الانسان فهو رجل غريب الاطوار ، يطيل ذقنه ، ويطلق شعره ولا يهتم بملابسه التى دائما ما تملؤها الثقوب من آثار التدخين ويضيق برباط العنق وبرفض زيارة الاصدقاء .

«الليترفرانسيز»

مجـــد الميـــلاد ومأســـاة المـــوت

● فى أحد اعداد « **الليتر فرانسيز** » لسنة ١٩٤٤ ، وتحت عنوان « **جمهورية الصمت** » كتب **جان بول سارتر** : « لم نكن أحرارا فى أى وقت كما كنا فى ظل الاحتـــلال الالمانى ، كنا قد فقدنا حقوقنا كافة ، وقبل كل شىء حق الكلام .. ومادام السم النازى ينساب حتى الى فكرنا فقد كانت كل فكرة صحيحة وعادلة فتحا من الفتوح ، ومادامت تلك الشرطة فائقة القوة تسعى لارغامنا على الصمت، فقد كان كل كلام ثمينا كاعلان مبدأ من المبادىء .. » وكتب عن الرجال والنساء المشاركين فى المقاومة السرية : « اكتسب أولئك الذين قاموا بنشاط سرى عــن طريق شروط نضـــالهم تجربة جديدة : ما كانوا يحـــاربون فى وضح النهـــار كالجنود ، بل كانوا هم المطاردين فى الوحدة والعزلة ، كانوا يقاومون التعذيب فى الهجران والتعرى الكامل .. ، ومع ذلك ، وفى أعمق أعماق هذه الوحدة وهذه العزلة كانوا يدافعون عن الاخرين، عن جميع الاخرين .. ، كان كل منهـــم يعمل على تحقيق ذاته ضد مضطهديه بصورة لا رجوع عنها ، وكان باختيـــاره لنفسه من خـــلال حريته يختار حـــرية الجميـــع » .

ولكن آخرين كانوا قد اختاروا شيئا آخر : **الفونس دى شاتوبريان** : ظن انه يستطيع أن يثأر من تجاهل أبنـــاء عصره ان انضم للنازيين . **ابيل بونار** : كاتب اخلاقى محدود الشهرة ، وجـــد شهرته فى أن يصبح أكبر أساتذة جامعة منيستى ، **الفريد فابلوس** : صـــاحب « **جورنال فرنسا** » كان يحسب انه يجرى مع تيار التاريخ الذى يتجه نحو أن تصبح أوربا ألمانية ، **جان جيونو** : ظن أنـــه يستطيع أن يبقى آمنا فى الطبيعة وخارج التاريخ ، وأنكى من هؤلاء جميعاً **دريو لاروشيل** : أشهر الكتاب الفرنســـيين المتعاونين مع النازى وأكثرهم شراسة ، جعل من « **المجلة الفرنسية الجديدة** » مركزا للتعاون الفكرى مع النازيين ، وظن أن الفاشية تستطيع أن تجدد شباب العالم باعتبارها « كاثوليكية رجوليـــة جديدة » ، وحين رأى تحطم وهمه فى الواقع لجأ الى الانتحـــار تحت وطأة اليأس ، لا تأنيب الضمير .

فى وجـــه هـــؤلاء ، فى فرنســــا الممزقة المحتلة ، وفى وجـــه النـــازيين الذين يقدمون لهم ـــ الى جانب المهانة ـــ صورة مشوهة لانفسهم وبلادهم وجدارتهم بالحياة تكونت جمهورية الصمت ، وضمت كتابا ومثقفين من مختلف الاتجاهات : **لوى أراجـــون وبـــول ايلوار وجـــورج بوليتـــزر دوكـــور وجـــاك ســـولومون والزاتريوليـــه** [اســـــمها الحقيقى لـــوران دانيـــال] **وجـــورج دوهاميـــل وكلود مورجان** وغيرهم من الشـــيوعيين والاشـــتراكيين ، **جـــان بول ســـارتر والبير كامى وموريس ميرلو ـــ نوبتى** وغيرهم من الوجوديين ، **فرنسوا مورياك وأندريه مالرو** وغيرهما من المثاليين ، **رينيه شار وجان بولهان وجان ليسكور وجورج سادول وجان كاسو** وغيرهم من مختلف الاتجاهات والمواقف . ومن الجبهة الواسعة تكونت « **لجنة الكتاب الوطنيين** » وقررت اصدار سلسلة مطبوعات ومجلة . أما المطبوعات فقـــد اتخـــذت اســـم « **منشورات منتصف الليل** » ، وكانت تطبع على الاســـتنسل حتى اســـتطاع المقاومون اعداد مطبعتهم السرية . من بين منشورات منتصف الليل عدة اعمال حملت للتاريخ كله مذاق أدب مقاوم : بليغ ومباشر وحار ورجولى ومقتصد . صدر فى هذه المنشـــورات : « **متحف جريفان** » و « **الجريمة ضد الروح** » للوى أراجون ، « **عشاق أفينيون** » لالزا تريوليه ، « **صمت البحر** » و « **السير الى النجوم** » و « **أسلحة الليل** » لفيركور ، « **الوطن يتكلم كل يوم** » ، و « **رسالة الى المقاومين** » وغيرهما لجان بولهان [واحد من أعظم نقاد ومحققى الادب الفرنسى فى القرن العشرين] .

وكانت المجلة هى « **الليتر فرانسيز** » ، صدر عددها الاول فى أوائل ١٩٤٢ وصدر عددها الاخير فى أكتوبر ١٩٧٢ . أصدر عددها الاول **جان بولهان وجـــاك دوكور** ، وأصدر عددها الاخير **لـــوى أراجون** . وحين صدر العدد الاول من « **الليتر فرانسيز** » كانت مجلة « **الجامعة الحرة** » هى المجلة الوحيـــدة المتـــاحة للمقاومين ، وقد أصدرت آخر اعدادها فى صيف ١٩٤١ ، وبعد صدور العدد الاول من « **الليتر فرانسيز** » ألقى بوليس حكومة فيشى القبض على **جاك دوكور وجورج بوليتزر وجاك سولومون** لاتهامهم باصدار « الجامعة الحرة » واشـــتباه اصدارهم « **الليتر فرانسيز** » ، ثـــم سلمهم الى الالمان الذين أعدموهم

هكذا ولدت **الليتر فرانسيز** وتعمدت بالدم . وبعد اعدام دوكور ـــ سكرتير لجنة الكتاب الوطنيين ـــ أعيد تشـــكيل اللجنة وضمت مزيدا من الكتاب ، وفى أوائل خريف ١٩٤٢ عادت الليترفرانسيز الى الظهور برأس تحريرها **كلود مورجان**، وظل هذا رئيسا لتحريرها حتى ١٩٥٣ حين تولى لوى أراجون تحريرها ، وظل هذا الشاعر والمفكر العظيم على رأسها حتى أصدر آخر أعدادها وأسماه « **كيف تموت مجلة** » فى ١١ أكتوبر الماضى .

لقد حاولت **الليتر فرانسيز** أن تلتزم طوال فترة صـــدورها تلك الاخـــلاقية الصارمة التى عرفها مقاومو جمهـــورية الصمت ، حين كان أراجون ينشر قصائده وبياناته باسم « **فرانسوا الغاضب** » ، ومورياك يوقع بياناته باسم « فورير » ، وجان كاسو باسم « **جان الاسود** » .. كلها طلقات رصاص فى معركة واحدة ، لايعنى احدا أن يكون الضاغط على الزناد لوى أراجون أو فرانسوا الغاضب . لكن جمهورية الصـــمت والخفاء انتهت وبدأت جمهورية فرنسية جديدة . انفرط عقد المقاومين الذين اجتمعوا حول هدف واحد أذابت حرارته خلافاتهم الفكرية والشخصية .

كتب **الدكتور لويس عوض** : « وقد حاولت الليتر فرانسيز بعد الحرب ، وعبر ربع قرن أن تواصل رسالتها الاولى وهى أن تكون همزة الوصل بين المثقفين من مختلف المدارس الفكرية فنجحت فى ذلك الى حد ما ، وربما الى حد كبير . بل ونجحت أيضا فى أن تكون مزرعة للمواهب الشابة التى يتجدد بها شباب الادب الفرنسى ، ولاسيما فى عـــالم الشعر ، لكن ثمن هذا الاستقلال الفكرى والانفتاح على الجميع كان فادحا ، لانه أغضب الجميع . ـــ أهرام ١٠ـــ١١ـــ٧٢

نعم . كان الثمن فادحا . فى عصر يسوده الاستقطاب الكامل : اما يمين أو يســـار لا مكان لمجلة فكـــرية تلتزم « أخلاقيات الجبهة » ، وفى غياب هدف واحد تتجه اليه سهام الجميع ، طبيعى أن تنطلق السهام فى كل اتجاه ، هكذا تحطمت سفينة « الليتر فرانســـيز » وتلاشى آخر عطر فى عطور فترة المقاومة

وأضيف الى أحزان المناضل الشيخ **لوى أراجون حزن جديد** ■

عدد خاص عن :
الروايــــة المعاصـــــرة


د • شكرى عياد


د • سامية اسعد

● خصصت مجلة « عالم الفكر » التى تصدر عن الكويت ـ عددها الاخير ـ « خريف ١٩٧٢ » لدراسة موضـوع هام هو الرواية المعاصرة . وتمثلت الدراسات التى نشرتها المجلة فى اربع دراسات : « الرواية العربية المعاصرة وازمة الضمير العربى » للدكتور شكرى عياد ، « الفن القصصى المعاصر فى اسبانيا » للدكتور محمود مكى ، « الـــرواية الفرنســـية المعاصرة » للدكتورة سامية اسعد ، ثم « الرواية الالمانية فى القرن العشرين » للدكتور مصطفى ماهر .

والملاحظة الاولى ـ قبل ان نعرض للدراسات الاربعة ـ هى ان العدد لايقدم لنا « خريطة كاملة » للرواية المعاصرة ، فلا شك فى ان الرواية المكتوبة بالانجليزية ـ فى امريكا وانجلترا ـ جديرة بدراسة شاملة ، اذا وضعنا فى الاعتبار ان عددا من اهم الاعمـــال التى اثرت فى درجة التطور التى بلغتها الرواية فى لغات اخرى مكتوبة بالانجليزية ، ولا يمكن عرض هذا التطور دون اعمال جيمس جويس وفرجينيا ولف ، وفوكنر ودوس باسوس وشتاينبك وهيمنجواى ، اذا اقتصرنا على اهم الاسماء .

كذلك فلا يكفى للتعريف بالرواية الروسية هذان السطران اللذان جاءا فى تقديم العدد : « اما فى الاتحاد السوفيتى فاننا اذا استثنينا باسترناك فى روايته ـ « دكتور جيفاجو » والكسندر سولجنتسين فسوف نجد الرواية مستمرة فى الســـير فى طريق الواقعية الاشـــتراكية التى بلورها مكسيم جوركى فى اوائل القرن العشرين » . ان دراسة خاصة بالرواية الروسية كان يمكنها ان تجيب على سؤالين رئيسيين : ماذا اخذ الروائيون الروس عن كلاســـيكييهم العظـــــام « خاصـــة دستويفسكى وتواستوى» وماذا أخذوا عن روائيى اوربا ، ثم : كيف استجابت الرواية للتطور فى اطار واقع موضوعى مختلف ، ونظرة للحياة والانسان مختلفة عما عرفه الناس فى بقية ارجاء القارة.

بعد هذه الملاحظة ، نلقى نظرة على ماجاء بدراسات العدد .

● يحدد الدكتور شكرى عياد منهجه منذ البداية : « وكاتب هذا المقال يتخذ موقفا وسطا بين التفســـير التـــاريخى والتحليل الفنى ، لانه يرى ان الاديب ـ والروائى خاصة ـ شاهد على عصره وقومه، لكن اخطر مافى شهادته هو ما يستخلص من عمله الفنى دون تعمد منه للمشاركة فى الاحداث المحيطة به بوصفه مفكـــرا سياسيا او اجتماعيا » . والمدخـــل الحضارى يلائم دراسة الاعمال الروائية على وجه الخصوص ، وتشير الدلالات الفكرية للاعمال الروائية الى لحظة حضارية معينة ، وتدل اعمال روائيى الجيل الماضى على ان هذه اللحظة تتمثل فى معاناة المواقف المختلفة التى اتخذها الجيل من الحضارة الغربية ، من هنـــا تكتســـب اهميتها اعمال مثل « الايام ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٩ » و «أديب ، ١٩٣٥ » لطه حسين و « زهرة العمر ، ١٩٤٣ » ،و « عصفور من الشرق ، ١٩٣٨ » لتوفيق الحكيم وغيرها .

ومنذ منتصف الخمسينات بدا ان العالم العربى يستقبل مرحلة جديدة فى تطور هذه الازمة ، نقف نحن الان على قمتها . تتكشف ملامح المرحلة من عرض خمسة جـــوانب . ينتقى الكاتب من الاعمـــال الروائية ما يوضح كل جانب ، على النحو التالى : البحث عن الذات القومية [فى « موسم الهجرة الى الشمال » للطيب صالح ، وللزمن بقية لعبد الحليم عبدالله] التحول من الماضى للمستقبل .

صراخ فى ليل طويل والسفينة لجبرا ابراهيم جبرا ، وعائد الى حيفا لغسان كنفانى ، والالهة الممسوخة لليلى عسيران والحضور الفردى « ثائر محترف لمطاع صفدى ، وستة ايام لحليم بركات » ، والموقف النقدى « رجال فى الشمس لغسان كنفانى » . واخيرا التساؤل الميتافيزيقى « الشحات لنجيب محفوظ » . ثم ينهى الكاتب دراسته ببعض الملاحظات عن شكل الاعمال الروائية التى اختارها .

ولا شك فى ان دراسة الدكتور شكرى عياد تمثل « اطـــارا محتملا لدراســـة الموضوع » اكثر مما تصل فيه لنتـــائج واحكام . وقد التزم الكاتب منهجه الذى حدده فى بداية مقاله ، ولم يثبت حكما دون ان يقدم بين يديه ما دفعه لاستخلاصه «الى جانب الدقة والاقتصـــاد فى التعبير» ولـــكن .. الـــم يجـــــد الدكتـــور

شكرى سوى عملا واحدا يشير الى موقف نقدى من الواقع ؟ .. والم تكن « ماتبقى لكم » لغسان كنفانى اوضح دلالة على هذا الموقف ؟ .. كذلك.. اليست «عودة الطائر » اوضح دلالة على الحضـــور الفردى ؟ .

● اما دراسة الدكتور محمود مكى — « الفن القصصى المعاصر فى اسبانيا » فهى اطول دراسات العـــدد واحفلهـــا بالمعلومات والاسماء . هى عرض مدرسى للرواية فى اسبانيا منذ القرن السابع عشر ، يمهد له الكاتب بدراسة بعض جوانب العلاقة بين الثقافتين العـــربية والاسبانية ، ويشير لاهم الاسباب التى تجعل من الادب الاسبانى « ادبا محدود الانتشار » خارج اطار الناطقين بالاسبانية . . ويلتزم الكاتب بعد ذلك التتابع التاريخى وتصنيف الاتجاهات المختلفـــة داخل المرحلة الواحدة ، ويقف بوجه خاص عنـــد جيل ١٨٩٨ الذى يضـــم اونامونو « روائيا » وأنورين وبيو باروخا وجبرييل ميرو وغيرهم ،ثم الجيل الطليعى او جيل ١٩٢٧ ، ويقف بالتفصيل عند الحرب الاهلية واثرها فى الفن القصصى وفى اتجاهات الرواية بعـــــدها ، واخيرا يتناول الدكتور مكى ما يسميه «العودة الى الواقعية » عند روائيى اسبانيا اليــــوم .

وتقدم دراسة الدكتور مكى معلومات تفصيلية وافية عن الرواية الاسبانية منذ القرن التاسع عشر ، لكن ما يلفت النظر فى دراسته هو موقفه «المتعاطف» مع ما يمكن ان نسميةبالاتجاه «الرسمى» فى الادب الاســــــبانى . يتمثيل هـــذا الموقف فى دفاعة عن الكتاب «الوطنيين» كما يسميهم ، اى هؤلاء الذين فضلوا البقـــاء داخـــل اسبانيا اثناء حربهـــا الاهلية ، وحمل بعضهم السلاح الى جانب قوات الملكيين ، ودافعوا جميعا عن فرانكو ونظامه بعد انتهاء الحرب. ويتمثل كذلك فى رفضه لهؤلاء الكتـــاب الذين « بالغوا » — على حد تعبيره — فى وصف ماآلت اليه الحياة الاسبانية منذ تدفق السياح اليها بعد ١٩٥٣ ، ويتمثل اخيرا فى اهتمامه — من حيث العرض والمناقشة — بالاعمال الروائية الحاصلة على جوائز محلية ، ورغم ان هـــذه الجوائز — فى معظم الحالات — لاتقوم دليلا على تميز العمل الفنى قدر ماتكون تعبيرا عن الموافقة على إتجاهه الفكرى العـــام .

● وتتحفظ الدكتورة سامية اسعد من بداية دراستها ، فالموضوع طويل متشعب ولابد من الاختيار والوقوف عند اسماء دون اسماء ، « فمنذ اوائل القرن بدأ الخروج على الرواية التقليدية على ايدى بروست وموزيل وكافكا وفـــوكنر وداريل وجويس » من بين هذه الاسماء تقف الكاتبة عند بروست وموزيل وكافكا وجويس ، وتهمل فوكنر وداريل رغم تاكيدها باهمية دورهما فى تطور الرواية الفرنسية المعاصرة.وماكتبته عن بروست مفيد ورائع ، اما ماكتبته عن الباقين فمختصر ولا يقدم سوى المعلومات المتاحة والمالوفة . وتصل الكاتبة بعد هذا الى الاتجاهين اللذين سادا الرواية الفرنسية بعد الحرب الثانية : الاتجاه السوريالى « ميشـــيل لبريس وجـــوليان جراك » والاتجاه الميتافيزيقى . عند هذا الاتجاه الثانى توقفت الكاتبة طويلا حتى كاد يشغلها عما عداه . ناقشت — بالتفصيل — اعمال سارتر وكامى وسيمون دى بوفوار وصمويل بيكيت مع ترجمةنصوص جديدة من كل عمل عرضت له .

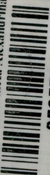
وتصل الكاتبة الى « الرواية الجديدة » بعد أن بلغت الثلث الاخير من دراستها، وما قدمته فى هذا الجزء من دراستها مفيد وهام : حاولت أن تبحث عن ملامح مشتركة لهذه الرواية ووجدتها فى تحديد معنى الشخصية والحدث والموضـــوعية ودور القارىء المشارك ، ثم تنـــاولت بالتفصيل أعمال اثنين من كتاب هـــذه الرواية « ميشـــيل بوتور وآلان روب جرييه » وترجمت نصا لكل منهما .

لكن مبالغة الدكتـــورة ســـامية فى الاهتمام بكتاب الاتجاه الميتافيزيقى أو « رواية المصير الانســـانى » على حد تعبيرها ، قد أخل ببناء بحثها كله . فهذا الحديث عن سارتر وكامو وسيمون دى بوفوار وبيكيت مألوف تضـــيق به المراجع المتاحة ، وقد كان أجدى لو بذلت الكاتبة هذا الجهد فى تقديم ما هو أقل خطأ من المعرفة الشائعة ، لو صح التعبير .. ثم .. كيف يمكن أن تخلو دراسة للرواية الفرنسية المعاصرة من كلمة واحدة عن اندريه مالرو ؟ ان هذه الاعمال « الفاتحون ، ١٩٢٨ ، الوضع البشرى ، ١٩٣٣ ، الامل ، ١٩٣٧ ، صراع مع الملاك ، ١٩٤٣ » من الملامح الاساسية فى الرواية الفرنسية ، بـــل ان بعض هذه الاعمال — كما يذكر بول وست فى دراســـته الشـــاملة للرواية الحديثة (ص ١٧٥ وما بعدها من المجلد الاول) وجايتلان بيكون (بانوراما الادب الفرنسى ، الترجمة العربية ، ص ٦٠ وما بعدها] — قد أثر تأثيرا حاسما على كتاب عنيت الدكتورة سامية بعرض اعمالهم [كامى بوجه خاص] . وأخيرا .. أليس مدهشا أن تهمل الدكتـــورة سامية — فيمن أهملت — كاتبتين ، لا كاتبين ، مـــن أهم ملامـــح الرواية الجديدة هما ناتالى ساروت ومرجريت دورا ؟

● وقد بدأ القرن العشرون بالفعل برواية توماس مان « أسرة بودنبروك ، ١٩٠١ » ، كذلك بدأ الدكتور مصـــطفى ماهر دراسته بتوماس مان ، فعرض لبعض أعمـــاله ، ومواقفه من المجتمـــع والثقافة ، من هذه المواقف تفـــرعت اهتمامات التالين عليه : أخوه هينريش مان ، نموذج الاديب « الملتزم » بالمعنى الاجتماعى والسياسى ، والفريد دوبلين الحريص على كشف الزيف الذى يتستر وراءه مجتمع ينخر التدهور فى عظامه ، ثم فرانز كافكا ، الذى يقف الكاتب أمامه بتفصيل يتفق مع أهميته فى خـــريطة الرواية الالمانية والمعاصرة بوجه عام ، فيعرض لرواياته الثلاثة ويترجم له نصا طويلا [وهو تقليـــد التزم به الكاتب بالنسبة لمعظم من تناولهم] ، بعـــده يصل الدكتور ماهر الى الكاتب الـــذى لايخفى اعجابه به ، أعنى هيرمان هيسه صاحب « لعبة الكريات الزجاجية » ، و« تحت العجلة » و «جرترود» وغيرها، ثم فرنر برجنجرين ، والكتاب الـــذين يتخذون من الدين موضوعا لاعمالهم . وتأتى مجموعة أخرى : روبرت موزيل واريش ماريا ريمارك وجرد جايزر ، والخط الذى يتمثل فى أعمال هـــذه المجموعة الاخيرة من الكتاب هـــو ما سيظل الخط الرئيسى عند جيل تال من روائيى المانيا : خط يبدأ بخبرات الحرب وذكرياتها ، ويتحول الى مشكلات فترة الجوع والدمار التى اعقبتها .. « ثـــم ينتقل الى مشكلات الانسان الجديد فى هذا المجتمع الجديد الذى تهدم قـــديمه واكتسى ماضيه القريب بطبقة قبيحة اليمة من الاثم والحمق والجنون .. ، يلى هذا الجيل جيل آخر لا تدخل موضـــوعات الحـــرب والجوع مجال اهتمامه ، ولا يقف عند مرحلة الدمار ، بل يعكف على ما يطالعه من مشكلات الانسان المعاصر والمجتمع المعاصر . » من الجيل الاول يعـــرض الدكتور ســـاهر لجونتر جراس وجيزيله السنر ، ومن الجيـــل الجديد يعرض لزيجفريد لنيتس وهانيريش بل ، ويختم دراســـته بالاشـــارة لاعمال كاتبين سويسريين يكتبان بالالمانية هما ماكسى فريش و فريدريش دورنيمات .

ان دراســـة الدكتور مصطفى ماهر تقدم عرضا حيا ومتماسكا ومتسقا لاهم معالم الرواية الالمانية فى القرن العشرين.

مطابع الأهرام التجارية


Bibliotheca Alexandrina
0535796